العربي

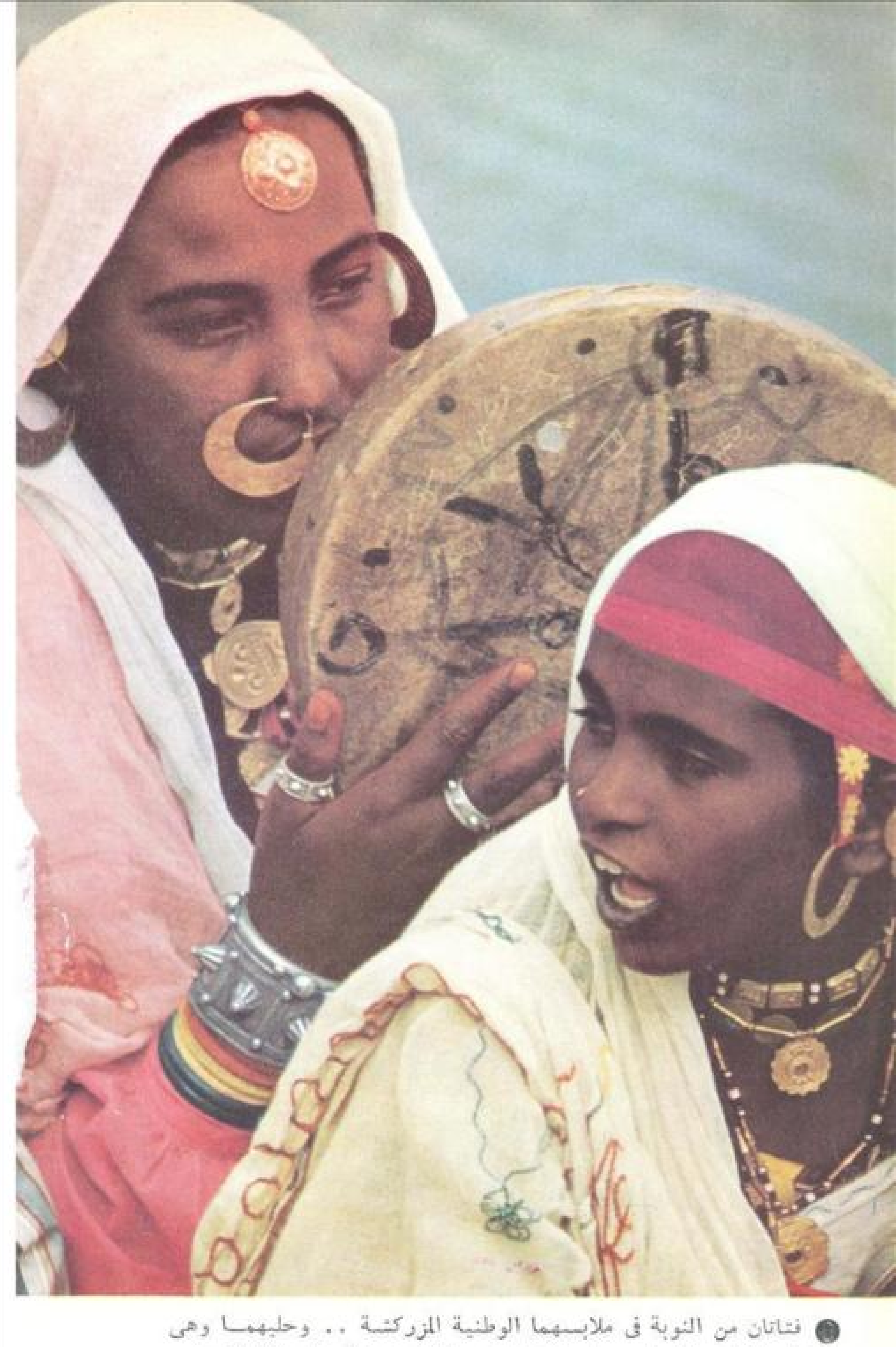
العدد ١١٠ شوال ١٣٨٧ ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨

عدد
وبه فهرس العام



تسعُ شمعات .. لِتسعِ سنوات

هدية



● فتاتان من النوبة فى ملابسهما الوطنية المزركشة .. وحليهما وهى تخترق الاذان والانوف .. !حداهما تغنى والاخرى تدق على « الدف » ..

(انظر صفحة ١٥٧)



الى الامير الوالد
تحية « العربي »
تأتي عاطرة شاكرة
من كل كاتب فيه
وقارىء اياه .

عزيزي القارئ

● هذا هو لقاؤنا التاسع معك على عيد ميلاد ، ميلاد « العربي » ، أطال الله عمرك حتى تراه شيخا ، وأطال الله عمره حتى يراه بنوك وابناء بنيك وابناؤهم من بعدهم ..

ان الناس تشب، ثم تطيب وتنضج على القوة، ثم تشيخ على الضعف ، ثم تنطوى الاعمار فيخبو الضياء بفراغ الزيت من مصابيحه .

وغير ذلك الصحيفة ، وهي من ورق ، وغير ذلك المجلة وهي من حبر تضمن فكرا ، فكل هذه تتجدد كل يوم وكل أسبوع ، وكل شهر ، ويتعاقب عليها من الناس العاملين فيها أجيال ، فتقتبس من أعمارهم اعمارا تطول بها ، فتزداد بتجدد الاجيال قوة ، وتزداد رغم الزمان جدة وشبابا .

واجتمع عيد الفطر ، بعيد الميلاد ، فلكل مسلم وكل مسيحى ، ولكل من قال لا اله الا الله ، من « العربى » ، فى عيد ميلاده هذا ، الدعاء بان تكون أيامهم على ظهر هذه الارض كلها أعيادا ، بالتفاهم ، وبالتراحم ، استقاء للرحمة من قوله تعالى : « لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

المحرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

طب وعلوم :

ركن الاسرة والمرأة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء



ALARABI = No. 110 January 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

طُبعَ من هذا العدد الممتاز

١٦٠,٠٠٠ نُسخة

اسلاميات :

فلسفة وعلم نفس :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص وجرائم :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج٠ع٠م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٥ر٣ شلن • ليبيا ٥١ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



بريد القراء

اسلام ابى طالب

● لا ادرى لم هذا الاصرار على تكفير ابي طالب كافل النبي (ص) وحاميه والذائد عنه والمتفاني في سبيله ، واذا كان لبعض الماضين غاية في الاساءة الى علي بن ابي طالب وبنيه فروجوا لهذه الفكرة ، فلا احسب انه يوجد اليوم من يبغي الاساءة الى علي واستغلال هذا الامر . لذلك فاننا نعجب من هذا الاصرار في هذه العصور !

ان الآية التي استشهد بها السيد محمود حواس في العدد ١٠٨ من مجلة « العربي » في تعليقه على ما كتبناه لم تنزل في هذا الموضوع ،والذين كان من مصلحتهم الطعن في علي بشتى وسائل الطعن هم الذين اخترعوا لنزولها هذا السبب ، كما انهم هم انفسهم الذين ارادوا حمل بعض رواة الحديث على الادعاء بان الآية :« واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » انما نزلت في علي بن ابي طالب وبذلوا لذلك الاموال الطائلة .

ونحن لا نجهل ان القرآن الكريم وان الحديث الشريف قد استغلا اسوأ استغلال لتأييد الاغراض السياسية والمنافع الدنيوية ودس عليهما ما ليس من غايتهما ، وان ذلك جرى حتى في عهد الرسول (ص) مما جعله يخطب على المنبر قائلا : « لقد كثرت علي الكذابة » . واذا كانت الكذابة قد كثرت عليه في حياته فكيف يكون الامر بعد وفاته ، وبعد تحول الاحوال واستفحال المطامع .

ان ابا طالب الذى تحمل ما تحمل في تأييد الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يكون غير مسلم ، ولو لم يتحمل الا حصار الشعب الذى فرضته قريش على بني هاشم ثلاث سنين فلاقوا فيه – وعلى رأسهم ابو طالب – مالا يمكن ان يصبر على مثله الا المؤمنون الصابرون المصابرون – ولقد استثنى من هذا الحصار ابا لهب اخا ابي طالب لانه لم يسلم ، وقد كان يكفي ابا طالب ان يعلن بقاءه على الشرك لينجو من فظاعة الحصار واهواله .

ولا اعتقد ان ابا طالب يستحق ان يجازى على ما قدم للاسلام وللمسلمين بان يشهر به بالباطل .

حسين الامين – بيروت

هل صحيح ؟!!

● هل صحيح اننا امة تعيش على الماضي اكثر مما تواجه المستقبل ؟ وهل حقا لدينا التفهم الكامل لمتطلبات عصرنا بمفهومه السليم ؟ ثم اصحيح ان عاداتنا وتقاليدنا تنمى الكذب والنفاق وبقية العيوب الاخلاقية والمسلكية التى نراها في كثير من جوانب حياتنا اليومية ، اكثر مما تدفع الى الارتفاع نحو المثل والقيم الجديدة بما تتمناه لانساننا العربى الحديث ، المفروض عليه الآن وبالحاح أن يثبت للعالم من اى معدن هو ؟!

وكم درجة صعد المواطن العربى حتى الآن في انشاء المؤسسات الديمقراطية التى تضمن لهجدية القول والعمل ؟ وما مدى استعداده واحساسه بضرورة مثل هذه المؤسسات لتحقيق ذاته والتعبير بصدق ومسئولية عن انسانيته ووجهات نظره سواء على الصعيد القومى او الانسانى ؟! كل هذه اسئلة تحتاج الى جواب صريح ؟!

محمد حسنات

مدرسة صلاح الدين – عمان

نداء الى كل عربي

● انني اريد أن أوجه نداء .. الى كل عربي يؤمن بعروبته وقوميته .. الى كل عربي يؤمن بوحدة أراضيه .. الى كل عربي يؤمن بآدميته وانسانيته .. الى كل عربي يؤمن بحق شعب فلسطين بان يعود الى أرض وطنه .. الى كل عربي يؤمن بانه يجب ان يكون ايماننا بهذا الحق المشروع اقوى من ايمان اليهود بحقهم غير المشروع في الاقامة على ارض عرب مثلنا .. انني أوجه هذا النداء لانني أشعر بالالم والمرارة اذ ارى الحياة تعود الى ما كانت عليه قبل العدوان .. الشبان في لهو وعبث لا يحسون ولا يدركون .. لست اقصد الحياة العادية بما فيها من عمل وانتاج ولكن الحياة بما فيها من لهو وعبث لاننا في اشد الحاجة الى العمل والانتاج واستمرارهما لظروفنا الحاضرة .. انني أوجه النداء الى كل مسئول .. الى كل معلم في مدرسته .. الى كل استاذ جامعي داخل حرم الجامعة الى كل اديب وكاتب وصحفي .. اننا لسنا بحاجة الى القصص العاطفية بقدر حاجتنا الى قصص البطولة والشهداء والثورات .. أوجه النداء الى المسئولين عن السينما ودور العرض .. اننا لسنا بحاجة الى الافلام الخليعة بقدر حاجاتنا الى افلام اشبه بفيلم ثورة الجزائر .. أوجه النداء الى كل المسئولين في جميع نواحي الحياة وجميع ارجاء الوطن العربي : « ان عليكم عبئا كبيرا في هذه الفترة من تاريخنا .. عبئا لا يقرر مصير دولة فحسب بل مصير العرب جميعا » .

سهير احمد رضا
بنك بورسعيد/اسكندرية

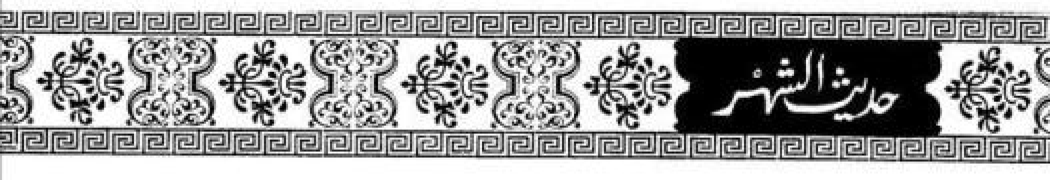
حنين بن اسحق شيخ المترجمين العرب

● لقد قرأت بمزيد الاعجاب مقال الاستاذ سليم طه التكريتي الموسوم بـ « حنين بن اسحق شيخ المترجمين العرب » في العدد ١٠٧ من مجلة « العربي » الزاهرة غير انني استغربت من نعت الاستاذ اياه بـ « شيخ المترجمين العرب » وكان الافضل أن يعتبره « من شيوخ المترجمين العرب » ليترك الباب مفتوحا بعض الشيء لابن المقفع وابن ناعمه الحمصي وحبيش الاعسم واسحق بن حنين فهؤلاء جميعا كانوا شيوخا في الترجمة .

واستغربت كذلك من جعل الاستاذ التكريتي موت حنين في خلافة المتوكل نتيجة دس الطيفوري له عند الخليفة ، وهذا نص ما أورده : « .. وفي الليلة التي احبك الطيفوري مكيدته تلك في حضرة المتوكل ، عاد حنين الى داره مهموما فامضى ليلته تلك في غم شديد وبوق فيها ، وقيل انه انتحر بتناوله السم فيها ، وهي ليلة الثلاثاء السادس من شهر صفر سنة ٢٦٠ الهجرية .. »

والذى نعلمه ان المتوكل قتل سنة ٢٤٧ هـ فاذن تكون وفاة حنين في عهد المعتمد لا المتوكل ، وقد تبين لي بعد البحث والتدقيق ان الاستاذ التكريتي قد وقع في هذا التناقض التاريخي نتيجة اعتماده على « تاريخ الحكماء » لابن القفطي الذى يزعم ان حنين مات في عهد المتوكل وفي سنة ٢٦٠هـ ، ولو رجع الاستاذ الفاضل الى « عيون الانباء في طبقات الاطباء » . لابن أبي أصيبعة ، لوجد الخبر اليقين .

الدكتور صفاء خلوصي
بغداد ــ كلية التربية



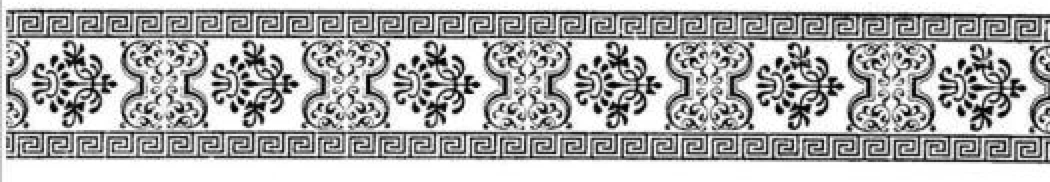
أتممنا السنة التاسـ

■ وباسم الله نبدأ سنته العاشرة ..

وبالعشر نستكمل من الأصابع ما يملأ الكفين ، فهي قوة . وعمر الانسان عشر فعشر فعشر ، الى عشرات سبع او ثمان . وقد ندر في المجلات العربية ان يمتد العمر بها الى الحد الذى يمتد به عمر الانسان . وقد امتد بمجلة « الهلال » ، فهذه السنة هي سنتها الخامسة والسبعون ، فنحن نهنىء ، ومع التهنئة نغتبط بالذى ادّته للعروبة في سنواتها الطويلة من خدمات . ونغتبط بكل ما تؤديه صحيفة يومية ، او اسبوعية ، او مجلة شهرية او سنوية لأهل العروبة من منافع . فالصحف مدارس لقارئيها ، وان تكن مدارس غير نظامية ، فهى تعقد دروسها ساعة كل يوم ، في موعد يختاره قارئها ، فان صباحا مع الافطار، فصباحا مع الافطار، وان مساء من بعد عشاء ، فمساء من بعد عشاء . وهو درس اذا لم ينعقد افتقده تلميذه في كل يوم . ونحن القراء من الصحف دائما تلاميذ . وقد يَسوء المدرّس ، وقد يَحسن المدرس ، وليس فرضا علينا ان نصغي . انها صحف عدة ، فمدارس عدة . وهم كتّاب عدة ، ان



للصحيفة اليومية مائدة الصباح عند الفطار



ـعة من عُمْرِ العَرَبِ

ثقل احدهم في السمع علينا ، تحوّلنا الى من هو اخفوزنا واروح نغما . انها موائد للفكر متعددة ، عليها الوان مختلفة ، ان شئت عاجلتها فورا ، وان شئت ابقيت عليها حفظا بغير ثلاجة . منها للعقول غذاء ، وللأنفس ريح طيّب وريحان .



وللمجلة الشهرية المساء من بعد عشاء

ونحن نرجو « للعربى » ، كما نرجو لاخواتها ، العمر الطويل والنفع الكثير بهـا .

بين الصمود على القديم ، والنزوع الى الجديد

ومجلة « العربى » مجلة في حكم السواد رائجة ، او هكذا هم يقولون . واظن ان من قال ذلك قد صدق ، فنحن نطبع في كل شهر من الاشهر العادية من المجلة ١٢٠٠٠٠ نسخة ، ونطبع من الاعداد الخاصة ، التي تاتي في أول كل عام (وهذا العدد منها) ١٦٠٠٠٠ نسخة ، ومع هذا لا يعود من هذه الاعداد الكثيرة الى مراكز التوزيع في شتى البلاد شيء يختزن . وانما تعود الشكاوى من قلة ما يعرض في الأسواق . وهذا كلام معروف مكرر ، وشكوى من سائر بقاع الوطن العربى معادة . ولكنى ذاكر هذا

الآن لانقول اننا في التخطيط لـ « لعربى » ، من اول اصدارها الى اليوم ، لم نخطط ونهدف من ذلك الى رواجها هدفا اولا . لقد بدانا بوصف المجلة التى نحب ان نراها بين ايدى الشباب العربي لينتفع بها عقله ، وليتروّح بها قلبه ، وترتاح اليها نفسه ، ثم لتتطهّر بهـا روحه . وقسّمنا المجلة ابوابا ثابتـة ، بضع عشرة ، قد يضيق بها العدد الواحد ، ولكن في الامكان اسقاط باب مرة ليحل مكانه آخر مرة اخرى .

وبعد سنوات من ظهور « العربى » جاءتنا اسئلة كثيرة : الى متى تظلون على هذه الابواب ؟ والصحافة تقتضي التغيير ، مصداقا لقول من قالوا : « لن نصبر على طعام واحد » .

وفي العام الماضي طرحنا امر هـــذا التغيير على القـــراء ، وفتحنـا باب الاقتراحات لهم في هذا الامر واسـعا . واشترطنا أن لا يقترح القـارىء بابا جـديدا ، الا ويقترح حذف باب قديم ليُوسع للجديد مكانا . فقضت الكثرة الكبرى من القرء بابقاء القديم على قدمه . عبّر احدهم عن هذا فقال : انا لست مغرما بالقديم ، ولكني لم أر خيرا مـن هذا القديم .

وفي الجديد اقترح قليل من القارئين ابوابا تتجافي مع ما نكتب في « العربى » تجافيا ظاهرا . فبابا للتعارف . وبابا للرياضة وكرة القـدم ، وبابا للسينما ونجوم السينما . وهى مواضيع في حد ذاتها تمثل حاجة عند بعـض الناس ، ولا شك لها مكانها الخاص ، في أركانهـا الخاصـة ، في محلاتهـا الخاصة . اما « العربى » ، وقد التحى بعض التحاء ، فالبسمة التى يبتسمها لا بد أن تكـون من النوع الذى يُحمَد حين يخرج مـن بين شارب ولحية .

« والعربى » قد يكون للترفيه ، ولكن موسيقاه ليس الطبل والدف ، ولكـن الناى والكمان .

ومع هذا تغير « العربى » وتطور

ومع هذا لم يزور « العربى » عن تغيير فيـه وتطوير . تدرك ذلك مـن مقارنة ابواب درجنا عليها في الاعـداد الاوائل من « العربى » ، بأبواب الاعداد الاواخر كعدد عيد ميلاد « العربى » هذا وما سبقه .

الأعداد الأولى :	الأعداد الأخيرة :
حديث الشهر	حديث الشهر
مرآة الرأى العربى	مسائل ومشاكل واحداث
مرآة الرأى الغربى	
استطلاعات	استطلاعات
(الدول العربية)	(الدول العربية)
استطلاعات (الكويت)	استطلاعات (الكويت)
اخبار العلم والعلماء	انباء الطب والعلم والاختراع
طبيب الأسرة	طبيب الأسرة
لغة وآداب	لغة وآداب
تاريخ وتاريخ اشخاص	تاريخ وتاريخ اشخاص
شعر وشعراء	شعر وشعراء
ركن الأسرة	ركن الأسرة والمرأة
قصص	قصص
مسابقة	مسابقة
اضحك	اضحك
. . . .	بريد القراء
. . . .	طرائف عربية
. . . .	كتاب الشهر
. . . .	مكتبة العربى
. . . .	اسلاميات
. . . .	في سبيل موسوعة علمية
. . . .	ركن الذرة والفضاء
. . . .	صورة من الفن وفنانها
. . . .	فلسفة
. . . .	تربية وعلم نفس
. . . .	امراض شائعة
. . . .	الطب المصور
. . . .	من اخطاء القضاء



اول عدد من العربي



آخر عدد من العربي

لمن من القراء تهدف « العربي »

فهذا من حيث اننا لم نقف بالعربى جامدين غير متغيرين .

وهو كذلك يرينا مقدار التنوع في المواضيع التى هدف اليها العربى، وبلغه.

ويطيب لنا أن نقول ان الصفة العامة لهذه الأبواب هي الصفة الثقافية العامة ، وان صلتها بالأحداث الجارية ليست بالصلة المباشرة التى تكون بين الأخبار والصحف اليومية أو حتى الاسبوعية . كذلك صلتها بالشئون العربية . انها وثيقة حيث لا يكون في الأمر نزاع بين دولها ، وذلك بعدنا « بالعربى » عن مواطن الفتنة ، في عصر ايسر ما يقوله اهل الأوطان ، عند الحدود ، للصحيفة التى لا يرضونها كل الرضا ، عودى تحمدى ، وعندئذ لا يكون فى سائر ما « بالعربى » من ثقافة ونفع ما يشفع في امر كهذا .

اما من حيث المستوى « فالعربى » تهدف اصلا الى القارىء الذى عنده منزلة من التثقف تقع بين التعليم الثانوى والجامعة ، على الأقل ، في البيئات العربية .

ويكتب « للعربى » على الأكثر اساتذة الجامعات ، أو من هم في منزلتهم ، من عرب ، وغير عرب . فهى من اجل ذلك يقرأها اهل الثقافة الجامعية كذلك .

التقيت باستاذ جامعة معروف في مؤتمر ، وجاء ذكر « العربى » ، فاذا به يقول لأحد الضيوف على مسمع منى : ان « العربى » مجلة للصبية ، وأنا عندى

من الأشغال ما يضيق به زمني عن الاطلاع على ما بها . وكانت نسختان من «العربي» في حجر جاري ، الأستاذ ، وكان ممن يؤمنون بالعربي ايمانا صادقا صارخا . ففتحهما ، واخذ يسأل صاحبي في الذي فيهما من علم ، فلم يعرف . فمن طب ، فلم يعرف . ومن ذرة فلم يعرف ، ومن آراء الفلاسفة في البرجماتية ، وآراء فرويد ويونج في التحاليل النفسانية ، وتفسير اينشتين للجاذبية الأرضية ، فلم يدر من ذلك شيئا . وتجنب اللغة العربية وآداب اللغة العربية . لأنها كانت موضوع دراسته . وجاء الى الفنانين دورانت ، ورينولد ، وماتييه ، فلم يسمع بهم . وانتقل الى مايكل انجلو والى روفائيل ، فلم يدر ايهما سبق وايهما لحق ؟

عندئذ قال لصاحبي : بعد هذا يا سيدي اسمح لي أن أقول لك ان كل هذا في « العربي » و « العربي » تصلح لأن يستغلها حتى استاذ كبير مثلك ساعة من الزمان واحدة ، ثم لا يأسف على ضياع هذه الساعة هدرا .

واتضح سبب غضبته بعد ذلك : كان مر عليه مستطلعنا في بلده ، فطلب اليه ان نرسل اليه مجموعة كاملة من «العربي» ثم حالت دون ذلك الحوائل .

ووفينا طلبه هذا بعد سنوات ، بناء على اعادة سؤاله .

حادثة عابرة . انما اذكرها لانفي بها اعتقادا سائدا ، سمعته اكثر من مرة ، من ارباب عقول ظنوا ان المستوى قد ارتفع بهم فوق ان يقرأوا صحيفة او مجلة ، لا سيما مجلة جامعة .

ان استاذ الطب تلميذ غالبا عندما يتصفح مقالا في فلسفة الاديان . واستاذ الفقه الاسلامي تلميذ غالبا عندما يتصفح مقالا في نفسية المراهقين والمراهقات . واستاذ التاريخ تلميذ غالبا عندما يقرأ مقالا في انتاج الكهرباء من الذرة . وهكذا .



استاذ الطب تلميذ غالبا عندما يتصفح مقالا في فلسفة الاديان

والاكديمية المغرقة تجنبناها في «العربي»

وانها لبحوث قيمة هذه التي ارسلها بعض الأساتذة الكتاب ، ولكنا اعتذرنا عنها بلطف ، لأن المجالات المتخصصة بالجامعات هي أشبه بها . وهي من نوع الذي لا يجد لها في « العربي » ، مائة قارىء او مائتين ، بين الربع مليون من القارئين .

ومقال عن حفائر لا تزال تجرى ، لا تبشر بنتيجة تتصل بحدث تاريخي قديم هام ، او معنى من معاني الانسانية الخالدة ، او جنس من أجناس البشر كان مجهولا ثم تكشف

مقال عن مخطط قديم في التاريخ ، او في النحو ، كل الذي فيه من قيمة هو الجهد الذي بذل فيه من تحقيق .

مقال عن ملك عتيق ، وما جرى له في امته ، وان تكن عربية . وما تم من نزاع بينه وبين اولاده ، ثم كيف تسلسل الملك فيهم . وكلها حوادث ليس فيها حكمة واحدة تنفع احدا . يخيل اليك من قراءته انك تقرأ كتابا من كتب التاريخ

عتيق ، كل ما يفعله انه يسجل الأحداث غير النافعة .

كل هذه مقالات ، سماها بعضهم بالحفريات تجنب القارىء ان يتعثر بها ، او ان يضيع وقته في قراءتها عبثا . واغلب الظن ، مع هذا ، انه لا يضيع معها وقتا لو اننا نشرناها . الأغلب عندئذ انه لا يقرأ منها سطرا او سطرين حتى يكف .

ويغضب السادة الكاتبون . وبعض ذو حلم وفهم ، فهو يدرك ، ولا يمنعه ذلك ان يعود .

ومن الكتاب الشباب الطامح

واسميتهم كتابا تجاوزا . انهم يطمعون ان يكونوا كتابا ، او يطمحون . والطموح مطلب حلال ، ولكنهم لا يسلكون اليه السبيل القويم .

ان الشاب الذي يريد أن يكون كاتبا لا بد له من مستوى ثقافي يبدأ من عنده . وهي ثقافة عامة ، يحتاجها العيش في النصف الثاني من هذا القرن ، لا يمكن ان تقل عن المستوى الجامعي . ثم يكون في الجامعة بعد ذلك تخصص في اقسام في الجامعة تعرف باقسام الصحافة ، او هي معاهد تلي التعليم الجامعي تعرف بمعاهد الصحافة . وهي هكذا في الجامعات العربية ، وفي الجامعات الغربية ، واخص منها الأمريكية . وكثير من الصحفيين اليوم في البلاد العربية هم من خريجي هذه الجامعات . ومع تخرجهم من هذه المعاهد ، لم يطلق على احدهم اسم الصحفي ، الا بعد خبرة في صحيفة يومية غالبا ما امتدت اعواما .

اما أن يكون كاتبا ، فهذا شأن آخر .

ان الكاتب يحتاج الى ثقافة أوسع ، ومعرفة بأصول اللغة العربية وآدابها امتن ، غير اخرى اجنبية ، ثم اطلاع بالغ على شتى الفنون والعلوم .

وبمقدار ما يحصّل الكاتب من ذلك ، وبمقدار ما يجتهد من بعد ذلك ، يكون مكانه بين الكتاب ، فهو في الدرجة الأولى او في الدرجة العاشرة .

وطالب كتب الينا يريد أن يلتحق « بالعربي » ليكون كاتبا ، وآخر ليكون شاعرا ، وآخر وآخر .

وهذه كتب تدل على روح وثابة ، وآمال صبيّة محببة .

ولكنها في ضوء ما سبق من قولنا ، اخطأت السبيل .

ان الشاب قد يستطيع ان يكون سباحا ماهرا بالنزول الى الماء ومعالجة السباحة شهرا بعد شهر ، او يكون سبّاقا ممتازا بالمران الطويل .. اما ان يكون كاتبا ، وكاتبا في « العربي » يزاحم الأساتذة الكبار ، بدون أن يتثقف في



الشاب يستطيع ان يكون سباحا ماهرا بالنزول الى الماء ، ومعالجة السباحة شهرا بعد شهر . او يكون سباقا ممتازا بالمران الطويل

ثانوية ، فجامعة ، فمعهد ، فهذا حلم من احلام اليقظة حلو غير مستطاع .

وليس في الاقامة في حجرة من حجرات « العربى » ما يغنى عن دراسة . وان يكن في « العربى » تدريب ، فهو تدريب يأتي من بعد نضوج .

ثم اين الوقت ، واين المدربون .

ان الناس تكتب لنا باسم أسرة تحرير « العربى » : وهى اسرة ولا كل الأسر . مكونة من نحو خمسة من الرجال : رئيس التحرير ، وسكرتير التحرير ، ومحرران ، غير المستطلع ، وهم في شغل دائم لا يفرغون منه لشيء ، وليس عندهم الوقت للتدريس ولا عندهم التأهل له*. انما الصحافة مران يبدأ بالصحف اليومية، من بعد حظ من الثقافة غير منقوص ، حيث يكون الرجال كثرة ، والاعمال الصحفية كثيرة ومتباينة ، ومنها ذو الشأن الصغير ومنها ذو الشأن الكبير ، ومنها الخبر الذى يخرج له الصحفى الى الشارع ، والى المكتب ، والى الشركة والوزارة ، ويتقلب على شتى الاعمال ، يبدأ بصغيرها ، ثم ينتهى بكبيرها .

اما في « العربى » فالبدء بالكبير ، ولا يدخل « العربى » الا من سبق أن تأهل للصحافة في غير « العربى » ، ان « العربى » آخر المطاف ، او ان شئت اوسطه . ودار « العربى » . . أستحى أن اسميها الدار ، ان أمثالها من الدور به العشرات من الرجال .

وشبان يكتبون الينا ، ويعلمون انهم لا يكتبون الكامل الحسن الجميل . ولكنهم يلحون أن ننشر لهم ما يكتبون ، تشجيعاً لهم . وينسوا أن « العربى » كما قدمنا تمثل آخر المطاف . يريدون



« الشباب يلحون فى ان ننشر لهم مقالا غير ناضج ، ليغضب عند قراءته مئتا الف قارىء للزمن الذى اضاعوه فى قراءته » .

منا ان نرضي كاتبا غير ناضج ، ليغضب عند قراءة ما يكتب مئتا الف قارىء ، للذى اضاعوه من زمن في قراءته .

ان مسئولية « العربى » للقارىء اولا وآخرا .

وكل مقال يأتينا نسأل انفسنا بعد قراءته : كم يستفيد القارىء منه ، وكم يزيد وزنه من علم بعد قراءته ، أو ينتعش قلبه من عاطفة ، أو تهتز نفسه من مرح !؟

واخيرا

هذه بيانات كان لابد منها ، في فرصة تأتى مرة واحدة في العام ، حين يلتقى رئيس التحرير بكتاب المجلة وقرائها ، وحامديها ، وغير حامديها على السواء .

●●

احمد زكى

---

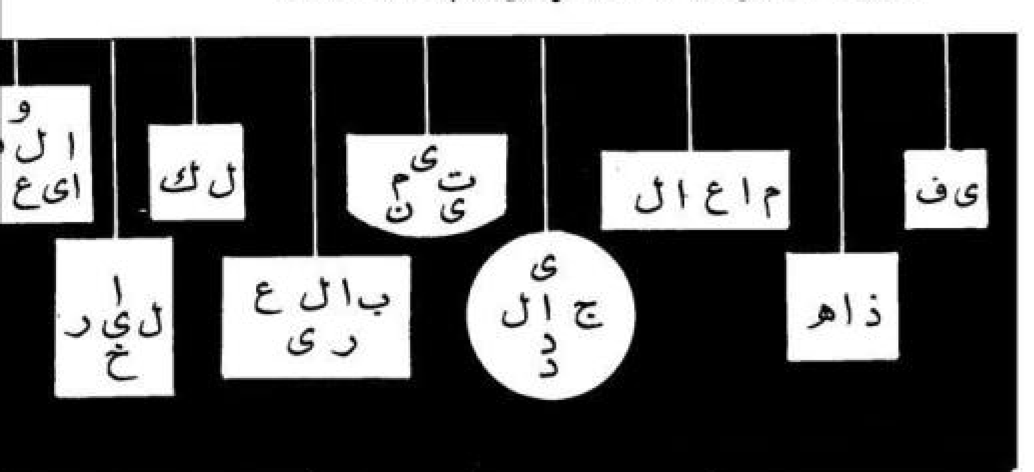
* اجرينا احصاء عن المقدار من صفحات العربى التى تصنعها هيئة التحرير هذه ، والصفحات التى يستكتب لها العربى كتابا من العرب آخرين فاتضح ان هيئة التحرير تصنع ما بين ٦٦ و ٧٠ فى المائة مما ينشر فى العربى . وبالطبع الاعلانات والعربى الصغير خارجة عن الحساب .

مسابقة العربي

٩ كلمات .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هـذا العـدد تتلخص فى التعرف على جملة واحدة مكونة مـن تسع كلمات .. وضعنا كل كلمة منها داخل دائرة مستقلة ... ولكن حروفها جاءت غير مرتبة .

والمطلوب منك اعادة تنظيم حروف هـذه الكلمات لتتعرف، على الجملة المطلوبـة .. وترسلها لنـا لتشترك فى مسابقة هذا العدد .



شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مظف واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٠ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٨

كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة



عندما غنت أم كلثوم في باريس !

● غنت أم كلثوم في باريس .. وغنت معها قلوب الملايين من العرب .. الذين طاروا وراءها الى مدينة النور ليسمعوا بلبل الشرق وهى تشدو بصوتها الملائكي على مسرح الاولمبيا .. والذين جلسوا امام أجهزة الراديو في كل مكان من الوطن العربى الكبير ، كما تعودوا ان يفعلوا دائما كلما غنت أم كلثوم .

لقد كان الشعب العربى كله أغنية ترددت بكل لغة في العالم عندما وقف المئات من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء العالمية ينقلون حفل الافتتاح لتلك الليلة التى لن تنساها باريس أبدا.

لقد اندفعوا جميعا في ذهول يصفون تلك « الصلاة الدينية » التى رتلتها ام كلثوم ..وقالت صحيفة « لوموند » الفرنسية :

« لقد كان الحفل الأول لام كلثوم مشهدا رائعا لا نظير له » .

وقال الناقد الفنى لصحيفة « فرانس سوار »:

« ان الذين ذهبوا لسماع أم كلثوم ، شهدوا صلاة دينية قامت بها كبيرة الكهنة في الاسلام » .

وامتلأت الصحف الفرنسية بالتعليق على هذا الحدث الفنى الكبير . وأجمع النقاد الفنيون على ان حفل أم كلثوم قد حقق نجاحا فاق كل التنبؤات .

ولأول مرة في تاريخها الفنى الطويل ، بكت أم كلثوم وهى تغنى على خشبة المسرح ، فقد كانت تشدو بقصيدة الأطلال ، وعندما وصلت الى المقطع

حقول بترول

● قد لا يمضي وقت طويل حتى تصبح امارات أبو ظبي ودُبَيّ بل وعثمان أيضا في عداد البلدان المصدرة للبترول بكميات ذات بال ، ويصدق ذلك أيضا على سوريا كما يصدق على الجمهورية العربية المتحدة .

وقد سبق ان تحدثنا عن البترول في ابو ظبى وسوريا . اما في مسقط وعمان فيبدو ان أعمال الاستكشاف والحفر قد سارت بأسرع مما كان متوقعا ، اذ ان الانتاج في الحقلين الرئيسيين هناك ، ناطح وفهود ، قد بدأ في شهر آب الماضي بمعدل ١٠٠,٠٠٠ برميل يوميا ، وسيزداد باستمرار حتى يبلغ آخر الأمر ٢٠٠,٠٠٠ برميل في اليوم .

واما في الجمهورية العربية المتحدة ، فلعل أبرز



القائل (*) : « أعطنى حريتى ، أطلق يديّا » ، لم يتمالك أحد المستمعين نفسه ، فقفز فوق خشبة المسرح والقى بنفسه فوق قدميها . . وانفعلت أم كلثوم بالأغنية فابدعت ، ولما انتهت منها كانت الدموع تملأ عينيها .

ولعل أروع وصف لمشاعر العرب الذين جاءوا لسماع أم كلثوم في باريس ما قالته صحيفة « الفيجارو » الفرنسية التى كتبت في صدر صفحتها الأولى تقول . « اذا وجد العالم العربى وحدته يوما ما ، فلا شك انه سيجدها حول ام كلثوم .

---

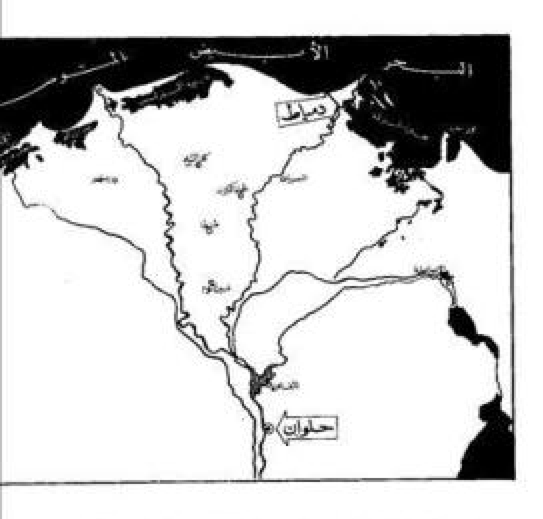
* أعطنى حريتى أطلقْ يديّا

انني أعطيت، ما استبقيتُ شيئا

آه من قيدك ، أدمَى معصمي

لِمَ أُبقيه ، وما أبقى عليّا

عربية جديدة



ما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد هو اكتشاف الغاز الطبيعي بكميات ضخمة ، قدروها بنحو ٥ر٢ مليون مليون قدم مكعبة . اما الشركة المكتشفة فليست سوى شركة البترول المصرية الدولية وهي شركة أسست بالتعاون مع شركة (ايني) الايطالية .

ويجرى العمل على قدم وساق حاليا لمدّ خط أنابيب من (أبو ماضي) فى أعلى الدلتا بالقرب من دمياط ، أى من موقع اكتشاف الغاز الذى ذكرنا ، الى العاصمة وحلوان . وسيزوّد هذا الخط الذى سيبلغ طوله نحو ١٥٠ كيلو مترا ، مُدُنا ومناطق اخرى سيمرّ بها فى طريقه الى القاهرة ، كالمحلة الكبرى وكفر الزيات وغيرها .

ولن تقل طاقة استيعاب هذا الخط فى النهاية عن ٥٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميا ، رغم أنها لن تزيد فى المرحلة الأولى عن (١٧٥) مليون قدم مكعب فى اليوم . وتكفي الاشارة هنا الى أن

أنا ديجول

● عندما تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة في ديسمبر عام ١٩٥٨ ، وقف شارل ديجول امام نواب الشعب في الجمعية الوطنية الفرنسية ، وقال : ساحدد لكم سياستي في كلمة واحدة « الاستقلال » .. استقلال فرنسا ... وسيكون هذا هو هدفي دائما ..

وقال احد النواب : « ان من يسمعك تتحدث عن استقلال فرنسا يتصور اننا دولة غير مستقلة!»

واجاب ديجول وشبح ابتسامة باهتة ساخرة يرتسم على وجهه او على انفه الكبير كما يقول هو: « لا اظنني في حاجة لان اؤكد اننا دولة تابعـــة ، تسير في فلك امريكا » .

وتنازل البرلمان الفرنسي عن سلطاته لرئيس الجمهورية الجديد .. وأسرع الصحفيون في تلك الليلة الباردة من ليالى شـتاء ١٩٥٩ لمقابلة ديجول .

وفي قاعة لويس ـ نابليون بفندق جورج الخامس في باريس ، كان ديجول جالسا يستمع الى حديث بعض وزرائه ومستشاريه .. وقال الصحفيون : « بهذه السلطات الجديدة أصبحت اقوى رئيس في تاريخ فرنسا الحديث بعد الحرب » .

ومال ديجول بجسمه الكبير الى الوراء ، ثم رفع يديه في اتجاه صورة ضخمة لنابليون تتوسط جدار الحائط ، وقال : « من اجل فرنسا وحدها، قبلت ان اصبح دكتاتورا في هذه السن المتقدمة ».

وبهذه السلطات ، بدأ ديجول حكمه المطلق في السابعة والستين .. فماذا فعل لفرنسا ؟

* حقق لبلاده الاستقلال الذي تحدث عنه وهو يستعد لتولي رئاسة الجمهورية الخامســـة ، وحقق لها حرية العمل في الميادين الســـياسية والاقتصادية والعسكرية .

* اتجه في سياسته الى « العالم الثالث » .. الى الدول المستقلة حديثا وغير الملتزمـــة بسياسة الشرق او الغرب ، ونجح في كسب ثقتها فاتجهت بدورها الى فرنسا التي قدمت لها كل مساعدة وتاييد .

بئر الغاز الأولى في منطقة بحر الشمال لا تزود بريطانيا باكثر من ٥٠ مليون قدم مكعب في اليوم !

وعلى خطورة اكتشـاف الغاز هذا فان حقلي البترول العظيمين ، حقل مرجان وحقل العلمين ، ليسا اقل خطورة وشأنا . فقد ادت اعمال التطوير في اولهما الى زيادة في الانتاج بلغت نحو ٤٥٫٠٠٠ برميل في اليوم بحيث اصبح حقل مرجان المذكور ينتج نحـو ١١٥٫٠٠٠ برميل ، اعتبارا من شهر حزيران الماضي ، ولم يجاوز انتاجه قبل ذلك السبعين الف برميل في اليوم . ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه الكميات الضخمة قد ساعدت على سد الفراغ الذي خلفه توقف اعمال الاستغلال في حقول البترول العربية في شبه جزيرة سيناء ، بنسبة ٧٠٪ ! .

وفيما تتقدم اعمال حفر الآبار في حقل مرجان وتزداد اتساعا ، تجرى الاستعدادات لمباشرة اعمال الانتاج والاستغلال في حقل العلمين في الصحراء الغربية . ويقدر الخبراء الكميات التي سيجود بها هذا الحقل ، في مراحل استغلاله الاولية ، بنحو ٦٠٫٠٠٠ برميل يوميا ، وذلك في غضون الاشهر الثلاثة القادمة . ولن يقتصر هذا الانتاج على بئر العلمين رقم (١) ، وهي البئر المستغلة منذ حين ، بمعدل ٨٫٠٠٠ برميل يوميا ، ولا على بئر العلمين رقم (٢) ، وقد بوشر في حفرها قبل نحو ثلاثة اشهر . اذ ان شركة فيليبس ، وهي التي اكتشفت حقل العلمين في اواخر سنة ١٩٦٦ ، تضطلع باعباء مشروع ضخم لاستثمار ذلك الحقل .. ويقضي هذا المشروع المعروف باسم (ويكو) ، وهو اتفاق مشـــترك فيما بين الهيئة المصرية العامة للبترول وبين شركة فيليبس التي ذكرنا ، يقضي بانجاز حفر خمسة آبار اخرى في الحقل المذكور قبل بدء الانتاج المرتقب في شـــهر آذار المقبل . ونظرا للسرعة الفائقة التي يقتضيها هذا المشروع فقد عمد المعنيون الى احضار جهاز حفر خاص من ليبيـا ومباشرة اعمال الحفـر الفعلية في الآبار الخمسة التي سبقت الاشارة اليها . ويجرى العمل حاليا على قدم وساق بقصد انجاز حفر هذه الآبار في منطقتين، الاولى هي منخفض القطارة والثانية منطقة مـرسي مطـروح ، وكلتاهما في الصحراء الغربية ، كما لا يخفى .



* عمل جاهدا وما زال يعمل في سبيل اعادة بناء أوربا من الأطلسي حتى الأورال ، وتحويلها الى كتلة مستقلة قائمة بذاتها .. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف بدأ يعيد تنظيم علاقات فرنسا بدول أوربا الشرقية على أسس جديدة .. وبدأ يعمل جاهدا على تقويض دعائم حلف الأطلسي ، وبالتالي القضاء على النفوذ الامريكي في أوربا .

سألوه يوما عن سر عدائه لكل ما هو امريكي ، فقال : « بالعكس أنا لا أكره العم سام ، ولكنني أحاول أن أساعده . لقد مالت كفة القوى في صالح امريكا .. وقد يدفعها هذا الى شن حرب نووية مدمرة .. ولذلك فانني اؤمن بانني استطيع ان اخدم السلام العالمي باخلاص اذا نجحت في ان احد من نفوذ امريكا .

وعلى هذا الاساس عارض ديجول حرب امريكا في فيتنام .

قالوا له يوما : « لقد اشرفت على الثمانين ، فهل تعتقد أن في العمر بقية طويلة تفسح لك المجال لتحقيق اهدافك » .

وقال : « ان سياستي لن تموت من بعدي .. وانا استمد قوتي من اقتناعي بانني اداة من أدوات التاريخ .. انا لست ظاهرة كما يقول الامريكان ، وانما انا « ضرورة » اوجبتها حتمية التاريخ .. وانا لا انتمي لأحد ، ولا اومن باحد غير فرنسا .. ان بلدي لم تصبح دولة كبرى لأن فيها ديجول ، ولكنني انا ديجول استمد قوتي من فرنسا ..

هذا هو الجنرال شارل ديجول الذي انقذ شرف فرنسا في الحرب العالمية الثانية . وانقذ فرنسا من الحرب الاهلية اثناء ثورة الجنرالات الفرنسيين في الجزائر عندما قرر أن يعطي هذا البلد العربي استقلاله . واخيرا حقق لفرنسا نفسها الاستقلال الذي ظلت تنشده منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ..

للصوت بصمات أخذ بها القضاء لأول مرة !

● ادانت احدى المحاكم البريطانية عاملا بانه استخدم الفاظا بذيئة في حديث تليفوني معتمدة في حكمها ، الذي يعتبر الأول من نوعه ، على « بصمة » صوت العامل ، بعد ان قدم المدعي العام شريطا عليه رسم يمثل ذبذبات صوت المتهم ، كما سجلها جهاز خاص يحول التسجيل الصوتي الى رسم بياني .

هذا ما ورد في صحف بريطانيا اخيرا ، وقد تميز الخبر بشيئين .

الشيء الأول : بصمات الصوت .

الشيء الثاني : انه دليل ادانة .

اما بصمات الصوت فقد اشتقت من بصمات الأصابع ، فكل انسان له في اصابعه بصمات لها شكل وهندسة خاصة به لا يشاركه فيها احد .

ولكن لم يعرف للان أن للصوت مثل هذه البصمات .. فللصوت ذبذبات ، أمكن تصويرها بالعلم اشكالا على ورق ، ظهر انها تخطيء أيضا صاحبها ولا يشترك فيها غيره . كبصمات الاصابع اما انها دليل ادانة ، فمرده الى أنها دليل شخصية رجل واحد ، فهي في ذلك كبصمات الاصبع ، يضاف الى هذا أن المحاكم كانت ترفض رفضاباتا أي دليل ياتي عن طريق « استراق السمع » ، وذلك حرصا على حرية الفرد وأن لا يقتحمها مقتحم دون اذن من صاحبها ، فهي حرمة من الحرمات .

والظاهر ان القاضي الذي أخذ ببصمات الصوت دليلا على الادانة قد أباح عن وعي أو غير وعي منه ، « استراق السمع » .

ولا نظن أن حكمه هذا سيجري في القضاء الانجليزي مجرى سهلا .

ومرّ العام..

بقلم : محي الدين عطية

■ ومرّ العام يا رمضانُ تُثْقِله خطاياه
ومرّ العام لم يترك سوى ذكرى ضحاياه
سوى جرحٍ كوخزِ الجمرِ في الأعماق سُكناه
سوى دمعٍ على خدِّ العروبة شقّ مجراه

★ ★ ★

ومرّ العام ما غنّت لأمسيةٍ صباياه
ولا اختضبت عرائسُه ولا اكتحلت عذاراه
ولا أحيا لياليَه سوى أنّات جَرحاه
سوى قيثارةٍ ثكلى ترجّع في زواياه

★ ★ ★

الى أن جاءنا رمضان يرفُل في عطاياه
ويسكبُ في مسامعِنا من القرآن نجواه
ترى قد جاء شهرُ الصّبر لمّا أنْ فقدناه
يُرطّبُ قلبنا الظامي يعشش في حناياه

★ ★ ★

أجاء ليمسح الألآم عن ليلٍ أرقناه
أجاء ليزرع الإصرار في دَمِنا ويرعاه
ليدفع زورق الشهداء للفردوس مرساه
ليعلن من مآذننا مع الأعياد بشراه



أمن رايات ماضينا تُرى نُسِجَت جناحاه
أمن «بَدْرٍ» ويومِ «الفتح» ألويةٌ بيُمناه
تخطّ على مدى الأيام للتاريخ مجراه

★ ★ ★

وبعد ... فكم حبانا الله فضلا ، ما حمدناه
وكم كنا إذا طابت لنا الأيام ، ننساه
وننسى فضله حتّى إذا ضاقت ذكرناه
ومِنّا من يَمرّ العام تنكره مصلاه
ومنا من إذا صلى فما سلِمَت نواياه

★ ★ ★

ولكنّا برغْم البعد ما زلنا رعاياه
وما زلنا نعود إليه نطمعُ في عطاياه
فَفِي أرواحنا قبسٌ من الله حفظناه
ألا فاشهد لنا ، رمضانُ ، أنّا ما كفرناه
وأنّا اليوم نأتيه بتوبتنا ، لنلقاه ■■

مصر الجديدة

محى الدين عطيه

تمثال لابن رشد في قرطبة

■ فى الثالث والعشرين من اكتوبر الماضي احتفلت قرطبة بازاحة الستار عن تمثال ضخم لماجد من امجاد تاريخها، وعلم من اعظم من انجبتهم اسبانيا فى تاريخها كله ، وهو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، عظيم فلاسفة اوربا خلال العصور الوسطى ، وعميد فلاسفة الجناح العربي لعالم الاسلام الذى عمر اثنين وسبعين سنة ، من ١١٢٦ هـ الى ١١٩٨ هـ ، في ظروف قاسية عليه وعلى اهل الأندلس من حوله .

فى صباح ذلك اليوم من اكتوبر الماضى اجتمع عند قاعدة التمثال ممثلو السلطات الاسبانية يتقدمهم عمدة البلد السيد الدكتور انطونيو قزمان ريفار ، وهو اسباني من أصل عربي عميق ، وممثلون للبلاد العربية والاسلامية جميعا، ما بين رجال سفارات اقبلوا من مدريد وعلماء اقبلوا من جامعاتنا العربية وعلماء آخرون من جامعات انجلترا وفرنسا والمانيا وفرنسا وايطاليا واسبانيا، هؤلاء جميعا اجتمعوا بين يدى الفيلسوف العظيم ، واصطف الجند صفوفا فى زيهم الرسمي ، وعندما حانت لحظة ازاحة الستار عزفت الموسيقى النشيد الرسمي الاسباني تحية للمواطن العربي الاسباني الجليل ، ثم القى العمدة خطابا قال فيه انه يسر اسبانيا ان تهدى هذا التمثال الى ابن رشد العظيم، والى اهله العرب الأمجاد ، والى أهل العلم فى كل مكان .

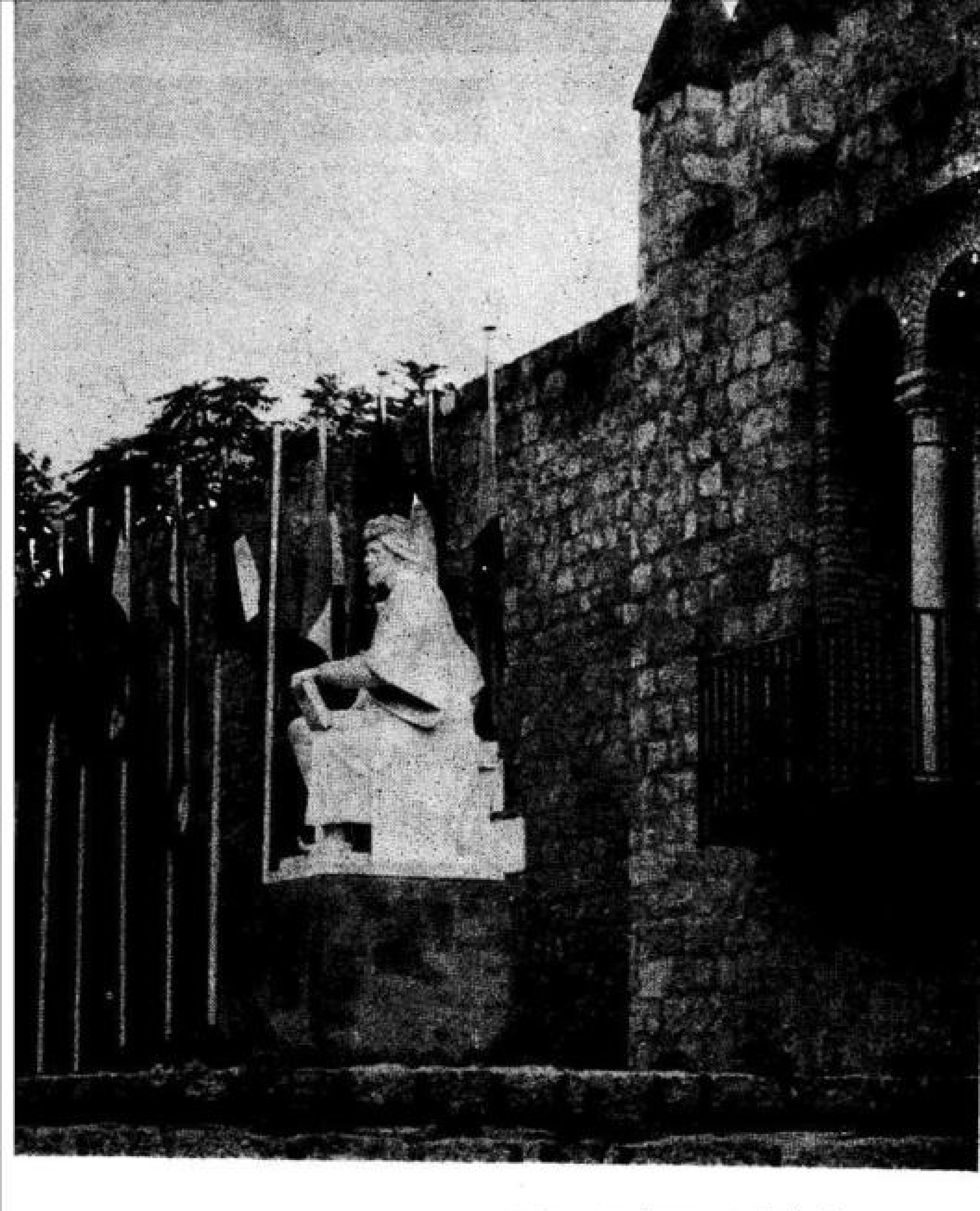
رحم الله أبا الوليد ! كان اماما فى العلم ، وعاش عمره كله يدعو للتوفيق بين الدين والعلم ، بين الشريعة والعقل ، بين القلب والفكر ، وكان من رايه انهما متفقان غير مختلفين فى شيء ، واثبت ذلك بالعقل بمنطقه البين وبحياته العملية نفسها ، فشرح ارسطو بنفس البيان الذى كتب به كتابا خالصا فى الفقه هو « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ، وشرح نظريته فى رسالته البديعة « فصل فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » .

كان هذا الحفل خير ختام للدورة السادسة للجلسات العلمية الاندلسية التى ينظمها معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد بالاشتراك مع هيئات الاستشراق الاسبانية والاوروبية ، وترعاها وزارة التعليم الاسبانية .

هذا ثالث عربي يقام له تمثال فى قرطبة :

ابو محمد علي بن حزم .

وابو جعفر احمد بن حوم الغافقى .



وابو الوليد محمد بن احمد بن رشد .

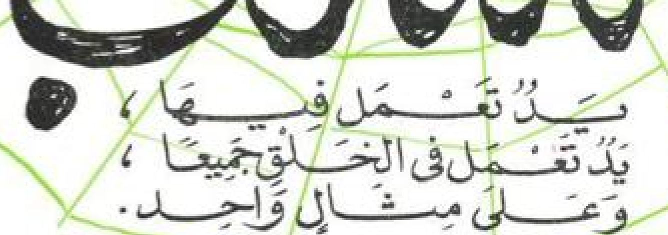
واذا اضفنا اليهم ابا عمران موسى بن ميمون ـ وتمثاله غير بعيد من تمثال ابن رشد .. كان العدد اربعة ، ولكن اعداءنا يقولون ان هذا منهم لا منا ، فقد كان يهوديا ، مع انه نشأ فينا ، ومن حضارتنا أخذ ، وبلغتنا كتب ، وفى عالمنا العربي عاش وفيه مات . ■■

«ح ٠ م»

في سبيل موسوعة علمية

وحدة الله نستمدها من وحدة خلقه

العناكب



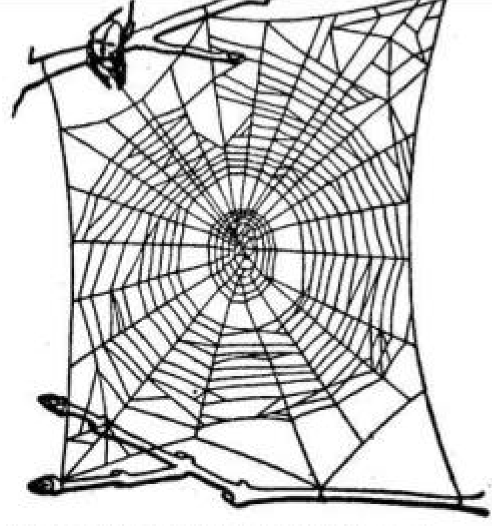
يد تعمل فيها، يد تعمل في الخلق جميعا، وعلى مثال واحد.

بقلم الدكتور أحمد زكي

اذا انا ذكرت العنكبوت ، فسوف تتصور ، يا سامعٌ هذا اللفظ مني ، صورةَ العنكبوت، ولكنك سوف تتصور معها صورةً أخرى لا تكاد تنفصل عنها ، تلك صورة بيت العنكبوت ، وهو من نسيج .

ان الدارس للعناكب ، يجد فيها من اشباه ما يجد في سائر الحيوانات الشيءَ الكثير ، ولكن ليس كنسج بنسجه العنكبوت ، وليس كفاية يبتغيها العنكبوت من نسجه .

ان العنكبوت ، في صنع نسيجه ، وفي غزله من قبل نسج ، وفي ادراره مادة الغزل من قبل غزل ، كما تدر الأم لبنها، وفي الثدي او الاثداء التي منها استدر ما استدر ، هذا العنكبوت قدَّم للانسان ، ذي الرأس الأكبر والعقل الأتم والفكر الاوسع ، والاقدر ، وهو المخلوق، على فهم كيف خلق وخلقت الخلائق من حوله ، قدَّم له انموذجا صغيرا ، قدر عقلة الاصبع الصغير ، بل اصغر، تمثل فيه الصنْعُ كيف يكون ، والابداع الى اى حد يصل ، وهندسةُ البناء ، حتى في من نبخل عليهم بالذكاء من الأحياء ،



بيت بناه العنكبوت ، لاحظ انه اختار لبيته فرعين من شجر متقاربين ، حملاه حملا . فهو قبل ان يأخذ في البناء ينظر ويدبر

الى اي درجة تبلغ . انها تبلغ مبلغا يعجز عنه الانسان ، سيدُ الخلائق ، بالذى وهبه من عقل ، ودقّة فكر ، وبراعة يدٍ وكفٍ ، ويعجز عجزًا بالغا كبيرا .

انه عجز، فى نوعه وفى مقداره ، يذكرنا بالعجز الذى نبهت اليه الآية الكريمة :

يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضَعُف الطالب والمطلوب » .

وعجز الانسان عن مجاراة الذبابة فيما تصنع ، عجز ضخامة عن مجاراة ضآلة وصغر . ولكن عجز الانسان عن محاكاة العنكبوت فيما يصنع ، عجزُ افتقادِ جهازٍ يصنع خيطا ، و « فكر » ينظّمَ بيتا ، واعضاء تتجاوب مع حاجة البناء ، فتعطى الخيط الرطب حينا ، والجاف حينا ، وكل هذا في عالم صغير ، يحاول الانسان أن يراه فلا يستطيع الا من وراء عدسة .

ونبدا الحديث بذكر شيء عن العناكب في ايجاز كثير : ما هى ، واين تقع من الخلائق ، واين من الانسان ؟

العناكب في مملكة الحيوان

ان مملكة الحيوان تنقسم الى شُعَب كبيرة Phylum, Plyla

وكل شعبة من هذه تتفرع الى طوائف عدة Classes .

وكل طائفة من هذه تتفرع الى رتب كثيرة Orders .

وكل رتبة من هذه تتفرع الى فصائل Families .

وكل فصيلة تتفرع الى جنس Genus

وكل جنس يتفرع الى نوع Sepies

والعناكب بشتى صنوفها تكون رتبة من رتب الحيوان تعرف بالعناكب Spiders .

والعقارب رتبة من رتب الحيوان تعرف بالعقارب . Scorpions

والرتبتان تجمعهما ، مع أشباه لهما، طائفة واحدة ، تعرف بأشباه العناكب Arachnids ,

ولهذه الطائفة طائفة تناظرها ، هى طائفة الحشرات Insects

ونقول تناظرها لأنهما تجمعهما شعبة واحدة هى شعبة ذات الأرجل المفصلية Arthropods .

فهذه علاقة ما بين العناكب والعقارب والحشرات ، ان استعجمت عما تألف يا قارئي ، فاصرف النظر عنها .

وانما ذكرتها لغايات منها : ان ابين ان معنى الحشر في العلم غيره في العرف الشائع، فالعنكبوت والعقرب وصنوفهما ليست بحشر ، وانما الحشر الصراصير، والخنافس ، والنمل ، والبعوض ، والقمل ، والبراغيث وانواع بلغت فوق النصف مليون عدًا ، ليس منها حسب النظام الخلقى لابدانها ، العناكب ولا العقارب ، ولا الكثير مما يطلق عليه عامة الناس حشرا ، فكل ما ضر عند بعضهم حشرا ، حتى الثعابين .

اجسام العناكب

ابرازا للوحدة الكائنة فى الخلائق جميعا



صنفان من العناكب

يحسن بنا دائما ان نرد الاجسام جميعا ودائما الى الجسم الذى اكتمل اعضاءً، وتخصص وظائفً ، وبلغ الغاية التى نعرف ، فهو قياس الحياة ، وميزان الجودة في الخلق على هذه الارض ، ذلك جسم الانسان . تماما كما نرد الكوخ الحقير والبيت الصغير الى القصر المنيف لنبين ان هندسة البناء نشأت واحدة ، ثم تطورت ، ومع هذا بقيت اصولها واهدافها ، التي هي اهداف العيش والوفاء بمطالبه ، واحدة .

وجسم الانسان راس وصدر وبطن واطراف ، ولتوكيد انفصال الصدر عن البطن كان هناك ما اسميناه بالحجاب الحاجز ، وهو يحجز صدرا عن بطن ، والاطراف للحركة، ولاداء واجبات اخرى من واجبات العيش .

والحشر ، وهو في اوطأ مدارج الحيوان ، راس وصدر وبطن واطراف . والاطراف هنا ايضا للحركة ، ولاداء واجبات اخرى من واجبات العيش .

والعناكب ، وهى من نظائر الحشر كما قدمنا ، تتألف من راس وصدر وبطن واطراف ، فالهندسة واحدة ، سوى ان الراس والصدر التحما فكانا شيئا واحدا . ومع هذا فقد بقيت في الظهر علامة تدل على حيث كان ينفصل الراس عن الصدر لو انه اريد لهما انفصال .

والصدر في العناكب يصله بالبطن خصر ظاهر كأنما يريد ان يعوض عن التحام وقع بين راس وصدر .

والاطراف ذات مفاصل ، فالعناكب كالعقارب ، وكالحشر ، من المفصليات ، اى ذوات الارجل المفصلية . انها للحركة فهي في حاجة الى مفاصل . ضرورة واحدة في كل هذه المخلوقات وامثالها جعلت المفصل بعض هندسة البناء . كالمفصل الذى هو ضرورى للباب في البيت الصغير والبيت الكبير على السواء .

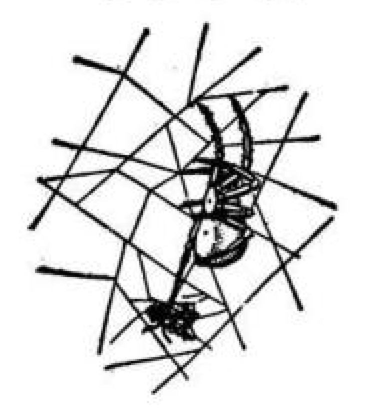
وللعناكب اربعة ازواج من الارجل تخرج من الصدر . وكذا العقارب وذوات الارجل المفصلية وهذا يميزها عن الحشرات ، فهذه لها ثلاثة ازواج فقط .

القناة الهضمية للعنكبوت

انه فم ، يتصل ببلعوم ، يتصل بمرىء ، يتصل بمعدة ، تتصل بما يشبه المعا ، ثم الأست .

اما القسم الاول من الجهاز فللمص ، انها المعدة تعمل كالمضخة الماصة فتمتص كل ما تستطيع من سوائل الضحية التي غنمها العنكبوت بعد ان يكون قد جرحها، وصب فيها من انزيماته ما يحولها الى سوائل . سوائل هى وحدها التي يمتصها العنكبوت ، وتدخل الى جهازه الهضمي. اما الضحية ، كالذبابة مثلا ، فلا يبقى

عنكبوت يلف ذبابة بخيوط من نسيجه لزجة .



منها غير قشرة جافة . وهو يستغرق في امتصاصها نحو ساعة كاملة .

وهذه السوائل ، عندما تكون في اوسط هذا الجهاز الهضمي للعنكبوت ، تصب عليها الانزيمات من جديد لتهضمها قبل ان تمتصها جدران القناة الهضمية. وتتجمع الرواسب التى لا يمتصها الجسم ، وتخرج آخر الامر من الاست بعد ان تتجمع فيما يشبه المستقيم من الانسان .

خطة واحدة ، كخطة الانسان ، وكخطة سائر الحيوانات والاحياء ، وان اختلفت تفصيلا . المخطط واحد ، والهندسة واحدة . وحتى الكيمياء واحدة . انزيمات تهضم طعام الانسان ، وانزيمات تهضم طعام العناكب . وهذه العناكب الصغيرة لا تدخلها الانزيمات جاهزة . انها تصنعها صنعا . صناعة بيت . ويعجز الانسان عن صناعتها في عظيم مختبراته ، وبالدقيق العجيب من مختلف اجهزته وآلاته .

والعناكب تقتنص فريستها اقتناصا . وعلى الرغم من أن في فكها نابا به سم ، فانها تصيد فريستها بنسيجها الذى تنسجه . هى حبالتها التى تصيد بها . ثم هى تقتل فريستها ، لا بالسم ، ولكن طحنا بين فكيها .

ويستخدم السم العناكب التى تصيد بغير نسج . تتخفى لصيدها ، ثم تباغته. وكل العناكب تستخدم سمها في الدفاع عندما لا يكون بسواه مهرب .

وليست كل انواع العناكب ذات سم .

الدورة في العناكب

وتتميز الحيوانات بالدورة التى نسميها في الانسان بالدموية ، وهى تتألف على ما هو معروف من قلب ، كالمضخة يدفع ، ومن انابيب تحمل الدم المدفوع ، بما فيه من غذاء ، واكسجين هواء ، الى خلايا الجسم جميعا ، ثم انابيب تعود بالدم الى القلب ليعود فيفعل بها مثل ما كان فعل اولا .

وهذه الدورة هى أتم ما تكون في الانسان . ثم تأخذ في التناقص فيقل اكتمالها كلما هبطنا في سلم مراتب الحيوان . وهى تظل في العناكب على صورة ما .

وكما هى في العناكب فكذلك هى في نظائرها الحشرات ، فكلا الرتبتين من عناكب وحشرات توجد في الطائفة المعروفة بالمفصليات . والحشرات فيها دورة ، بها ما يشبه القلب دفعا للدم بعيدا عنه ، وفيها ما يشبه العودة به دفعا اليه .

لابد من التوزيع ، توزيع الغذاء واكسجين الهواء ، على خلايا الجسم جميعها ، بدورة او بغير دورة . وما الدورة الدموية الا شكل من اشكال الوسائل التى تهدف الى هذه الغاية في الاحياء جميعا ، وفاء بحاجات الحياة الواحدة فيها جميعا : الغذاء . توزيع الغذاء . احراق الغذاء بما يصل الخلية من اكسجين الهواء . التخلص من نتيجة الاحتراق بالانفاس يخرجها الجسم الحي .

وان سألت ما الحياة ، فهذه هى الحياة في مصادرها الاولى ، مادية ، فكرية ، روحية ، منطلقة او مستأنية ، جادة او عابثة ، كافرة او مؤمنة .

وللعناكب انفاس

والعناكب كالحيوانات والاحياء جميعا لا بد ان تتنفس ، تأخذ من اكسجين الهواء لتحرق فى خلايا جسمها الاغذية ، فتمد بذلك الحياة بالقوة والحركة والفكر ان يكن فكر ، وتخرج ناتج الاحتراق الى الهواء ، ثاني اكسيد كربون .

وللعناكب ازواج من اجهزة التنفس اشبه باجهزة السمك : خياشيم تجمع فى اسطح متقاربة متضامة كثيرة ، منافذ

للهواء عديدة . وقد يجمع العنكبوت بين الخياشيم وقنوات الهواء Tracheae كالتي بها يتنفس الحشر .

وهذه الفتحات جميعا توجد فى بطن العنكبوت من اسفل ، الى امام .

المهم : الهدف واحد ، والتفاعل القائم واحد ، وان اختلف الوعاء . انه يتبسط احيانا ، ويتعقد ويتركب احيانا . وهي جميعا أوعية « للطبخ » الواحد .

وللعناكب احاسيس

وافضل الاحاسيس عند العناكب عامة احساس المس واللمس والحركة . وبجسم العنكبوت شعرات كثيرة ، من صنوف شتى ، كل شعرة منها متصلة بعصب ، هو بالطبع غاية فى الصغر . وهو متصل بالجهاز العصبي للعنكبوت . وخطر هذا الصنف من الاحاسيس يظهر للانسان عندما يذكر ان العنكبوت ، فى بيته ، وهو من نسيج ، انما يعلم بأن صيدا وقع فيه عندما يحس باهتزاز الاحبال الاصيلة التى هى قوام هذا النسيج .

والبصر

ثم البصر ، وهو الاحساس الاول الذى يهدى المخلوقات فى مسالك الحياة . فهذا يختلف فى بعض العناكب عن بعض. ويلاحظ انه حيث يضعف البصر ، يقوى الاحساس باللمس والمس والحركة . لا بد من شيء يصل العنكبوت على الاقل بطعامه . من العناكب ما يكاد ان يكون اعمى ، واللمس والاحساس بالحركة عكازه .

والعناكب لها فى العادة اربع ازواج من الأعين . وقد تزيد وقد تنقص . وللاعين عدسات ولها شبكيات ، وعلى الشبكية تقع صور الاشياء المرئية . ولكنها صور يختلف بعضها عن بعض ، بعضها الكبير ، وبعضها الصغير ، وليس بينها المتطارف . وهي بهذا تنقل للعنكبوت صورا مما حوله ، مجموعها يشمل كل ما حوله او يكاد ، فهو يقظ لكل ما يقع فى اكثر الافق المحيط به .

والبصر يقوى ويضعف عند العناكب. والبصر اقوى عند العناكب التى تصيد صيدها جريا وراءه .

احاسيس تعطى للحاجة ، وعند الحاجة ، وبمقدار الحاجة .

والسمع

وفى بعض العناكب اجهزة لاحداث الصوت ، ولكن لم تكتشف الى اليوم « أذن » تتلقاه . وقد يكون العنكبوت يسمع اصواتا اعلى كثيرا مما تحسه اذن الانسان . اعلى ذبذبة .

والمذاق والشم فى العناكب اضعف ما يكونان .

التناسل في العناكب

امر العناكب فى هذا عجيب ايضا .

خذ الانثى مثلا . ان لها مبيضين ، ولها قناة للبيض ، ولها رحم ، ولو انه قصير جدا ، وهو ينفتح فى البطن ، فى اسفلها ، بين فتحتي التنفس اللتين قد ذكرنا .

وكذلك الذكر من العنكبوت ، له خصيتان ، وزوجان من قنوات كالتي تنقل المني فى الانسان ، ثم الى قناة للقذف .

والتقاء الحيوان المنوى ببويضة الانثى له فى العناكب طريق خاص ، لا يهمنا تفصيله الآن .

ولكن المهم هو المخطط العام . اسسه واحدة فى العناكب والانسان .

شيء واحد يختلف فيه ذكر العناكب وانثاها عن ذكر الناس والانثيات :

دنيا الناس دنيا رجال .

اما دنيا العناكب فدنيا نساء .

دنيا العناكب لا خطر للذكر فيها الا

فى تلقيح البيضة ثم هو لا شيء من بعد ذلك . فالأنثى هي التى تنسج حول البيضة كساء يقيها ، وهي التى تعنى بأطفالها . وذكور العناكب بها غدد تفرز النسيج ، ولكن ما أقل ما تنسج . وهي تصيد صيدها وحدها . وهي أصغر من اناثها . وكثير من الذكور يلقى حتفه بعد التلقيح . ان العنكبوته الانثى تلتهمه . ولا تلتهم النساء الرجال . السعيدة فيهن التى لا تلتهم .

للعناكب أثداء كأثداء النساء
ولكنها لا تدر اللبن
وانما تنضح بالحرير الناعم

واخيرا نأتي على خصيصة العنكبوت الاولى ، تلك التى تكاد تخصه دون سائر حيوان الارض ، تلك هي نسج العنكبوت .

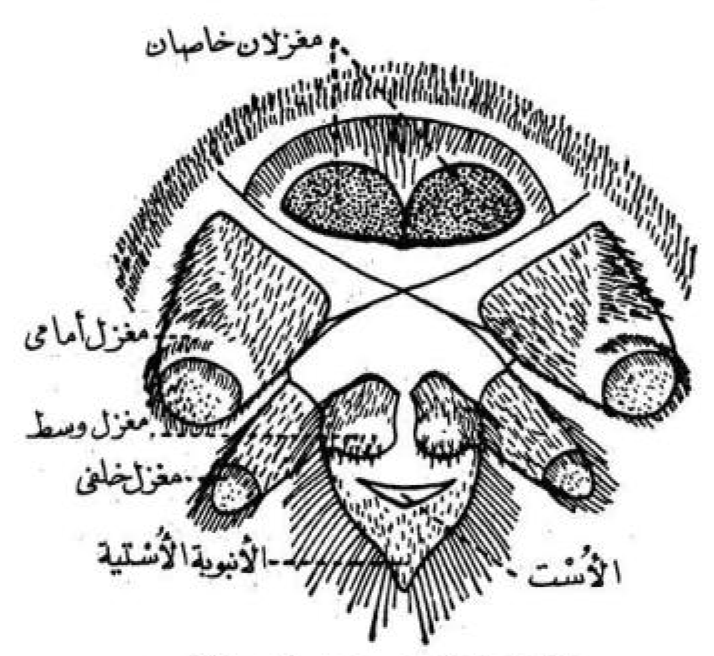
مفازل

للعناكب مفازل موضعها فى البطن ، فى مؤخرتها ، وترى من اسفل عند الاست ، وهي عادة ثلاثة ازواج او اربعة ازواج (انظر الشكل المرفق) .

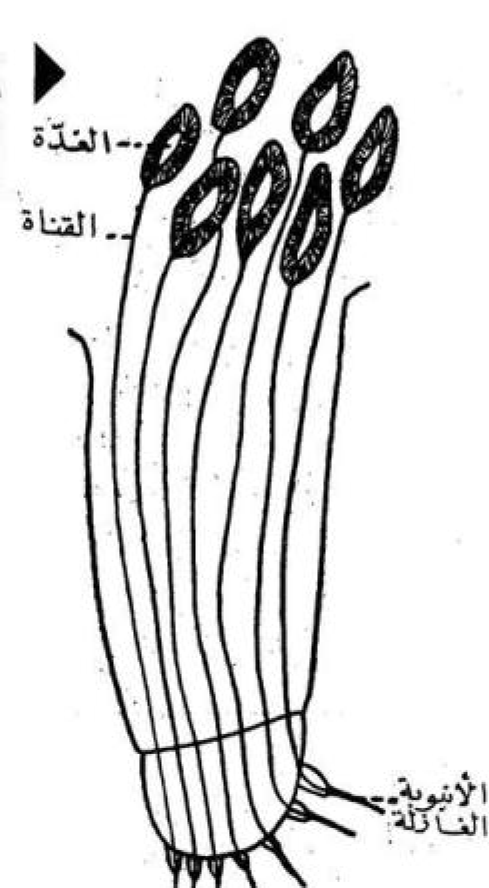
وكل مغزل من هذه به ثقوب عدة .

وهذه الثقوب تتصل من الداخل بالغدد التى تفرز السائل الذى يستحيل الى حرير بمجرد مسه هواء الجو . واتصال هذه الثقوب بالغدد يكون عن طريق قنوات .

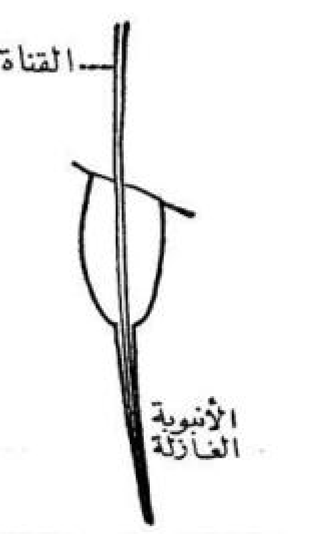
وهذه الثقوب تتصل من الخارج بأنابيب رفيعة جدا ، كالشعرة رقة ،



نظرة الى العنكبوت من تحت بطنه ، تكشف عن ازواج من المغازل ثلاثة ، وهي في المؤخرة قرب الاست .



هذه هى الغدد الموجودة داخل بطن العنكبوت ، وهى تفرز السائل الذى يتحول الى خيوط من حرير ، بمجرد مسه الهواء . وهذا السائل يجرى من الغدد فى قنوات تنتهى عند المغزل الواحد بانابيب رفيعة عدة هى الانابيب الغازلة (مكبرة فى الصورة التالية) .



الأنبوبة الغازلة التى تنتهى بها القناة التى تحمل السائل من غدده الى الهواء فيتحول الى خيوط عند مسه

يخرج منها السائل الحريرى الآتي من الغدد عن طريق القنوات (انظر الشكل المرفق) .

ومع الشكلين السابقين شكل آخر ثالث ، هو للانبوبة الغازلة ، واتصالها من الداخل بالقناة الحاملة للحرير السائل . وهو شكل مكبر تكبيرا عظيما .

وهذا الجهاز الذى نسميه المغزل فى العنكبوت ، اشبه بالجهاز الذى نسميه الثدى فى المراة . ذلك ان ثدى المراة حلمة من ورائها قنوات تنتهي بغدد هي التي تصنع اللبن من الدم . بينما مغازل العناكب تصنع الحرير .

انها مخططات فى الخليقة اساليبها واحدة ، حتى وان اختلفت الغايات منها .

المراة تصنع اللبن ، وفى تركيبه البروتين .

والعنكبوت يصنع الحرير ، وهو من بروتين .

واختلف البروتينان . ولا يعلم ايهما ما البروتين الذى يصنع . وان بروتينا صنعه عنكبوت عاش منذ الف عام ، هو بروتين يصنعه العنكبوت اليوم . وان بروتينا يصنعه ثدى المراة منذ الف عام ، هو بروتين يصنعه ثديها اليوم .

ويخلق العنكبوت ، ويخلق الثدى

ما يخلق ، ويعجز الانسان . ان الانسان الى اليوم ، وفي عصر الذرة ، بكل ما امتلأت مختبراته الكيماوية من اجهزة ومواد ، ومن حيل ، عجز عن تخليق بروتين ، يستثنى من ذلك الانسولين ، فقد خلقه الصينيون من عهد غير بعيد .

بمغازل العنكبوت مئات من الأنابيب الغازلة

ومغازل العناكب بها عدد من الثقوب ، بل عدد من الأنابيب الغازلة ، كبير جدا ، يبلغ احيانا الالف ، ولكن في البعض الآخر من الأنواع تقل الأنابيب الغازلة عن المائة .

والخيط من الحرير الذي يخرج عادة من هذه الأنابيب الغازلة رفيع جدا ، فقطره يبلغ نحو ثلاثة اعشار جزء من الف من المليمتر ، او بصيغة اخرى يجب أن نصف نحو ٣٣٣٣ خيطا صفا واحدا ليبلغ طول الصف مليمترا واحدا . والحرير يصنع لأغراض اخرى فيكون اكثر دقة ورقة .

ونحن نغزل القطن في مصانعنا ، فنجمع بين خيط وخيط وخيط ، لننتج منها خيطا اقوى ، ونجمع بينها مع اللف ، ليشتد انضمامها ، ونسمي هذا غزلا ، فهكذا يصنع العنكبوت بخيوط حريره . ولست ادري ، أمن العنكبوت تعلمنا ، ام تعلم العنكبوت منا ! ام كلانا تعلم من « وراء جدران » .

حرير العنكبوت وحرير القز

وبحرير القز ، اعني حرير دودة القز ، وهو الحرير الأشهر والأفخم .

ومن عجب ان حرير العنكبوت ادق وارق ، واخف من حرير القز . واخطر من كل هذه ، انه امتن .

وقد حاول قوم انتاج حرير العنكبوت للتجارة وخاب سعيهم . ومن أسباب ذلك ان العنكبوت على التأنيس يجب ان يظل يعيش وحده ، ويأكل وحده ، ويسعى اليه بالطعام وحده ، وكل ذلك وغير ذلك ، كلفة كبيرة .

ومع هذا فحرير العناكب يستخدم في صنع الأجهزة البصرية لأنه ادق خيط معروف الى اليوم .

ليس كل العناكب تنسج الشباك

ليس كل العناكب تنسج لتصنع من نسجها الشباك تصيد بها طعامها . فالكثير من العناكب يصيد طعامه كما يصيد الوحش ، يختبىء حتى تحين الفرصة فيثب . ولكن للنسج اغراض كثيرة اخرى . فهو يستخدم للدفاع من العدو ، كالدبور مثلا ، فالنسج يعجزه . وهو يستخدم لصنع الشرنقة التي تقي فيها انثى العنكبوت بيضها ، وتظل تحرسه وترعاه . وهو يستخدم وعاء تجمع فيه الحيوانات المنوية للذكر قبل أن تتلقح بها الأنثى .. وهلم جرا .

ويريد العنكبوت في السقف ان يهبط الى الأرض ، فماذا يصنع ؟ انه يبصم ببعض حريره السائل على السقف ، ثم يأخذ يصنع خيطا واحدا يتدلى به الى الأرض . وهو يزيد في صنعه كلما ازداد هبوطا ، حتى يصل الى الأرض ، فاذا هو شاء صعودا ، احتفظ بهذا الحبل فصعد عليه .

وهو هكذا ينتقل من فرع شجرة الى فرع . يلقي بحبله ، وهو خفيف ، فتحمله الريح حتى يرتبط بالفرع الآخر . وعلى الجسر الناشىء هو يسير .

تنسج العناكب شباكا لها اشكال عدة

ولكل فصيلة من فصائل العناكب شكل لبيته الخاص الذي يبنيه . ومن هذه الأشكال ما هو كالملاءة ، ومنه ما

هو كالقمع ، ومنه الهندسي الدائرى . وغير ذلك .

واكثر هذه الشباك تعقدا وتركيبا وحسن صنعة : الهندسي الدائرى . وهو يتالف عندما يكتمل عادة من ثلاثة خيوط او اربعة اساسية تحيط به ، وعدة خيوط اخرى اساسية تتخلله فى داخله ، ثم انصاف اقطار كثيرة تخرج من مركز واحد. ثم سُرَّة عند هذا المركز من نسيج دائرى متقارب ، ثم منطقة متوسطة ، ثم اخرى لزجة ، لتلصق بها الضحية ، فلا تستطيع هربا .

واختلفت الخيوط التي وجب على العنكبوت أن يصنعها لاختلاف الغاية منها ، واذن اختلفت الغدد التي تصنع الحرير السائل فى بطن العنكبوت فيما تصنع من ذلك . كلٌ تخصص فى نوع . ونوع يعمل حين يراد منه النتاج ، وآخر يتوقف .

والنسيجَ ، من علّمَ العنكبوتَ كيف ينسج ؟ .

والهندسةَ ، من علّمه دروسها ، فعرف الدائرةَ وعرف اقطار الدائرة ؟ .

واللزوجةَ ، ليت شعرى هل درى معنى اللزوجة ، والجفاف ، وما تضمنهما من اهداف .

والمغازلَ ، ليست كلها تنتج صنفا واحدا ، فليت شعرى كيف درى العنكبوت بأن صنفا اكتفي منه فاوقف مغزله، وان آخر احتاجه فأطلق غدده !؟

الاعصاب فى العناكب

والعناكب يجرى فيها كل هذا الذى يجرى ، من حركة لصيد ، وطحن صيد ، وهضم صيد ، ومص صيد ، وقبل ذلك صنع العناكب بيوتها من نسيج من حرير ، فيه الفكر المنسق ، والأيدى او الأرجل التى تغزل وتنسج . كل هذا لا بد له من رائد يرود ، هو فى الانسان المخ ، ومنه يخرج النخاع الشوكي ، ومن النخاع الشوكي مئات الاعصاب بل الوفها تتوزع على الجسم اشد من توزع عمال لمصنع هائل فى شتى وحداته المترامية واقسامه المتخصصة المتعددة .

وهذا الرائد فى العناكب انما هو اعصاب تزدحم ازدحاما فى الصدر والراس من جسمها ، وتخف وترق فى البطن .

اشياء لا يراها رائيها الا بالعدسات والمجاهر . وصنعها صانعها بغير عدسة او مجهر . وهي تتم فى العناكب صنعا ، وهي لا تدرى . انها تعطاها . ولا احسب ان العناكب لها من الوعي ما تحس به انها تعطى . واختص بهذا الوعي الانسان . وقليلٌ من بنى الناس من وعَى .

والخير فى ان لا يعوا وعيا كاملا . فهذا الوعي اذا اكتمل عطّل الحياة . لأن الحياة لا بد فيها من غفلة لكي تمضي الى غايتها . ويكفيها من الوعي الكامل دقيقةٌ واحدة يتكشف للانسان فيها الحق ، وهو يخطو آخر خطوة له فوق سطح هذا التراب .

العقاقير تفعل فى العناكب مثل فعلها فى الانسان

واخيرا نأتي على ابحاث اجروها فى العقاقير دلت على مقدار ما تتأثر به منها وكيف .

استخدموا العناكب كما تستخدم الحيوانات التجريبية من فئران وارانب وخنازير هندية وغير ذلك .

مثال ذلك ذبابة حقنوها بعقار فعال ، اطعموها للعنكبوت ، واطلقوه على عادته ينسج ، ثم نظروا فى النسيج الحادث .

وربطوا بين صفة النسيج الحادث والعقار الذى اعطاه العنكبوت ، وهذه الصور هي بعض ما كشفوا :

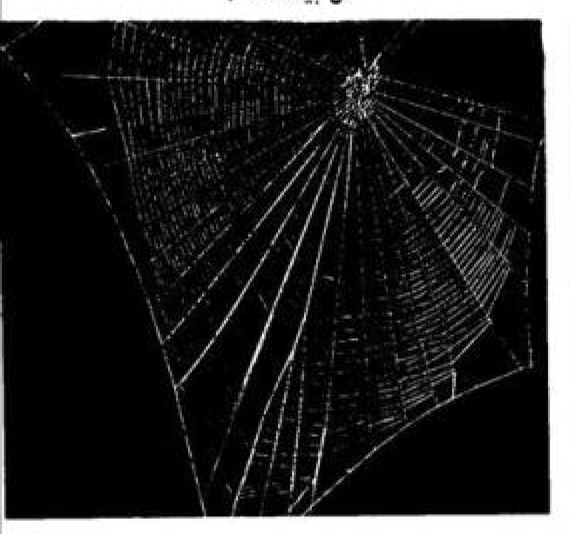


هـذا نسيج عنكبوت تعاطى العقار برفتين Pervitin ، وهو يزيد النشاط فيقلل الصبر . وذهب صبر العنكبوت فاكتفى بنسج مساحة جانبية صغير



وهذا النسيج من أثر فعل الكلورال هيدرات Chloral Hydrate وهو المنوم المشهور . وقد نام العنكبوت بسببه بعد نسج القليل من بيته هذا .

ثم الكافيئين Caffeine وهـو العنصـر الفعال في القهوة ، يجعل العنكبوت ينسج مثل هذا البيت . انه خبط عشواء في الظلام الدامس .



واخيرا هذا البيت المنسوج ، وهو مكتمل النسج جميل . وسببه ان العنكبوت تعاطى الحامض الذى اليه ينتسب العقار الشهير المعروف L. S. D. ، فزاد وعيه حدة كما يفعل في الانسان

وبلغ من نتائج هذا البحث ان عقارا مجهولا ، يعطاه عنكبوت ، يمكن من نسجه الكشف عن حقيقة هذا العقار . وذلك من شكل النسيج الحادث .

من هذا نرى ان عقاقير تفعل فى الجهاز العصبي للانسان ، هي عقاقير تعمل مثل هذا العمل حتى فى الجهاز العصبى للعناكب . شبه بين الجهازين العصبيين عجيب . يزداد عجبه بعد ما بين الانسان والعناكب فى سلم المراتب ، مراتب الحيوان .

« وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه ، الا امم امثالكم » ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٠٨

الإجابات الصحيحة..
والفائزون بالجوائز

■ ننشر فيما يلي الاجابات الصحيحة لمسابقة العدد ١٠٨ من العربي وهي :

١ ـ روبرت كوخ : مكتشف ميكروب السل .
٢ ـ دافيد ليفنجستون : اكتشف بحيرة فيكتوريا .
٣ ـ كارتر وكارنفون : اكتشفا قبر توت عنخ آمون .
٤ ـ فوليلمو ماركوني احد مخترعي اللاسلكي
٥ ـ توماس اديسون : اخترع الجرامفون .
٦ ـ اسحاق نيوتن : اكتشف قانون الجاذبية .
٧ ـ ماري كوري مكتشفة الراديوم .
٨ ـ فرناند ماجلان : اكتشف مضيقا في الطرف الجنوبي من امريكا .
٩ ـ جراهام بل : اخترع التليفون اللاسلكي .
١٠ ـ جيمس وات : حول البخار الى قوة دافعة .
١١ ـ جوناس سالك : كاشف المصل الواقي من شلل الاطفال .
١٢ ـ كريستوفر كولمبوس : اكتشف امريكا .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ففازبالجوائز الاتية اسماؤهم:

١ ـ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها محمد حامد علي ـ بنك مصر ـ الادارة الخارجية ـ المركز الرئيسي شارع محمد فريد : القاهرة .

٢ ـ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بهامحمد سراج بدوي ص .ب ١٥١٨ جدة : المملكة العربية السعودية .

٣ ـ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها مكين ابراهيم يوسف ـ صيدلي مصلحة البلدية ، بنغازي /ليبيا .

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ لطفي الملا ـ طالب كويتي في انجلترا .

٢ ـ مولاي زيدان ـ ص . ب ٨١١ نيامي ، جمهورية النيجر .

٣ ـ عايدة ملك : طرابلس ـ لبنان .

٤ ـ قاسم خالد قصاد ، مديرية التربية درعا ، سورية .

٥ ـ دلال عبد الامير حمودي ـ اعظمية العراق .

٦ ـ سميح سليم عماري ـ اربد ـ الاردن

٧ ـ طه علي حسين الدرازي ـ البحرين

٨ ـ عبد العظيم عباس محمد ابو بكر ـ مدرسة دادي سيدنا الثانوية ـ ام درمان ـ السودان

صِيغَة "فَعِـــيل"

صفحة في اللغة

■ ١ ـ فعيل تكون مصدرا :

مثل هدَل الحمام يهدِل هديلا ، قال الشاعر :

ما هاجَ شوقك من هديل حمامة
تدعو على فنَن الغصون حماما

ومثلها هدَر يهدِر هديرا ، وتحَب ينحِب نحيبا . وحنَّ يحِن حنينا ، وانَّ يئِن أنينا .

ويلاحظ انها تدل على اصوات او حركة واضطراب .

٢ ـ فعيل تكون جمعا :

مثل سفينة وجمعها سفن وسفائن وسفين .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملؤه سفينا

ومثلها الفسيلة وهي النخلة تقطع من الأم وتغرس، وجمعها فسائل وفسيل .

٣ ـ فعيل بمعنى فاعل :

مثل جميل وكريم وعظيم .

تقول شاب جميل وكريم وعظيم . وفتاة جميلة وكريمة وعظيمة .

اما أنها هنا بمعنى فاعل فتحتاج الى بيان . فالفعل جمُل وكرُم وعظُم لم يقولوا منه للفتى المتصف بالجمال والكرم والعظم ، جامل وكارم وعاظم على صيغة فاعل ، وانما قالوها بصيغة فعيل التي بمعنى فاعل ، والفاعل عند أهل اللغة ليس منْ فعل الفعل فقط ، ولكن أيضا من اتصف بالفعل ، وكذلك من قام به الفعل ، مثل الميت والمائت ، فهو قد قام به الموت ، ولم يفعل هو الموت .

٤ ـ فعيل بمعنى مفعول :

مثل قتيل وجريح وكحيل وفتيل ، تقول : فتل الشيء يفتله فتلا ، فالشيء فتيل ومفتول أيضا . قال الشاعر :

لونها احمرُ صاف
وهي كالمسك الفتيل

وقال ذو الرمّة :

بحمّاء المدامع لم تكلّفْ
لها كحلا وتحسبه كحيلا

٥ ـ فعيل بمعنى فاعل ومفعول :

مثل حبيب ، قال المخبل :

اتهجر ليلى بالفراق حبيبها
وما كان نفسا بالفراق تطيب

اى محبها ، وقال ابن الدمينة :

وان الكثيبَ الفرد،من جانب الحِمَى،
اليَّ ، وان لم آته ، لحبيبُ

اى محبوب وكذلك قال ذو الرمة :

هوى تذرّف العينان منه ، وانما
هوى كل نفس حيث كان حبيبها

٦ ـ فعيل تصلح للمفرد مذكرا ومؤنثا ، وللمثنى وللجمع بنوعيهما :

وذلك مثل صديق ، تقول ، هو صديق وهي صديق ، وهما صديق ، وهم صديق ، وهن صديق ، قال كثير عزة :

ليالِيَ من عيشٍ لهونا بوجهه
زمانا،وسُعدَى لي صديقٌ مُواصل

وقال جرير ::

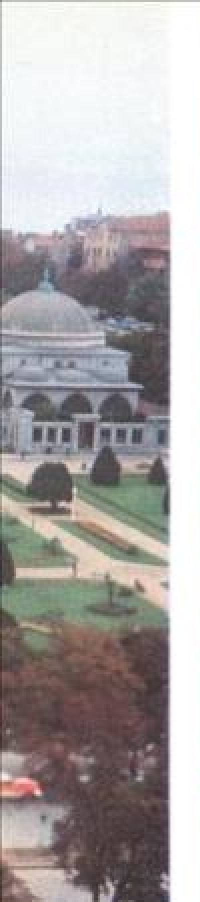
نصبن الهوى ، ثم ارتمين قلوبنا
باعين اعداء وهن صديقُ
اوانِس ، أمّا من اردن عناءه ،
فعانٍ ، ومن اطلقنه فطليقُ

وقال آخر :

لعمري،لئن كنتم على النأى والنوى
بكم مثل ما بي ، انكم لصديق

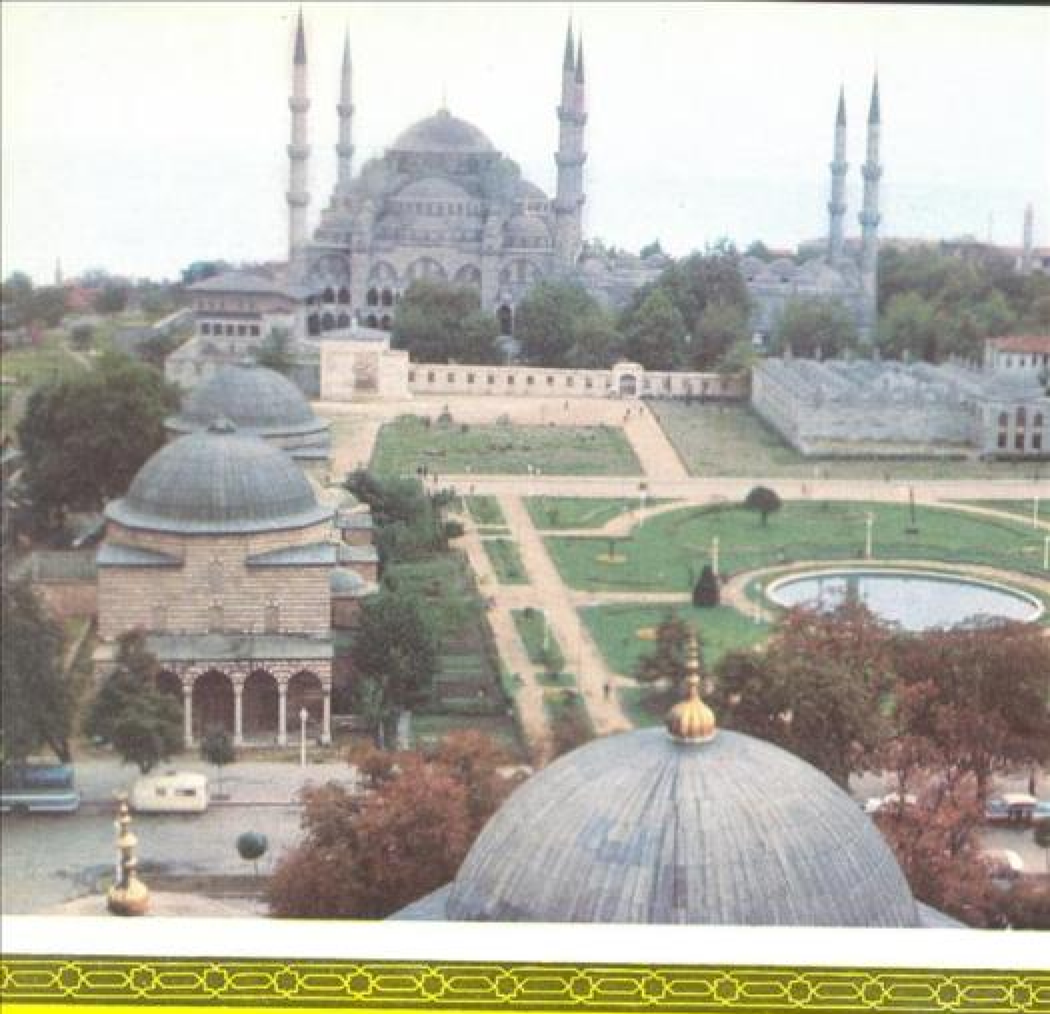
■■

عبد الستار احمد فراج





فوق : استانبول مدينة المساجد والجوامع ، مدينة غنية بآثارها التاريخية **والاسلامية** .. ولقد ظلت مقرا للخلافة الاسلامية قرونا الصورة العليا الى اليسار لمسجد السلطان احمد بمآذنه الست الرائعة .. **اما الصورة السفلى** الى اليسار ، لفتاة تركية وقفت تتأمل في اعجاب كتبا باللغة العربية عن آثار الرسول ، ومن ورائها ظهر مسجد ايا صوفيا الكبير !



اثار الرسول

في مَدِينَة المسَاجِد والجَوامِع

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقره

■ كانت المدينة ما زالت تغط في نومها،وخيوط الفجر تتسلل في هدوء لتبدد الظلام الذي يكسو كل شيء فيها ..وفجأة ارتفع صوت يشق السكون الناعس .. صوت وقور حبيب الى النفوس .. صوت المؤذن يذكر الناس بموعد لقائهم مع ربهم في الفجر :

« الله اكبر .. الله اكبر » .

ومع الاذان الكريم انطلقت اسراب الحمام وراحت تحلق في السماء التي كستها غيوم خفيفة ، وكأنها تسبح هي الاخرى بحمد الله .

وما هي الا لحظات قصيرة حتى عاد الحمام الى اعشاشه ..

اين ؟ فوق المآذن العالية ، وفوق قباب المساجد ، حيث يعيش ويتوالد في تلك الاماكن المقدسة آمنا مطمئنا .. فلا احد يتعرض له .. ولا يد تمتد اليه .. ولا شيء يزعجه فهو يسكن بيوت الله ويحتمي بها .

مدينة الجوامع والمساجد

واذا كنت ممن يحرصون على تادية فرائض الصلاة في مواعيدها ، فلن يفوتك هذا المنظر الجميل في مدينة الجوامع والمساجد .. في استانبول او القسطنطينية « تلك المدينة التاريخية القديمة التي ظلت مقر الخلافة الاسلامية وعاصمة الدولة العثمانية قرونا طويلة ، والتي تضم اكثر من خمسمائة مسجد وجامع » .

لقد طارت بعثة « العربي » الى استانبول عابرة حدود العالم العربي لتقدم لك اوفى استطلاع مصور بالالوان عن الآثار الاسلامية في عاصمة آل عثمان .

واستانبول مدينة غنية بآثارها التاريخية والاسلامية ، يبلغ تعداد سكانها طبقا لآخر احصاء اجري منذ بضع سنوات مضت حوالي مليون ونصف مليون نسمة ، وربما ارتفع الآن الى مليونين ، يدين ثلاثة ارباعهم بالاسلام ، أما الباقون فمن غير المسلمين . بعضهم من أبناء تركيا نفسها ، والبعض الاخر وفد اليها من شتى ارجاء المعمورة .

آثار استانبول

واستانبول تعتبر رابع مدينة بعد مكه والمدينة المنورة ، والقدس ، من حيث اهمية آثارها الاسلامية المقدسة .

ففي مكة الكعبة المكرمة والحرم الشريف وجبل عرفات ، وفي المدينة قبر الرسول ، والحرم النبوي، وفي القدس المسجد الاقصى ، وفي استانبول الامانات المقدسة .. بردة النبي ، وسيفه ، ومفاتيح الكعبة .. وفيها ايضا اقدم نسخة من القرآن الكريم. ثم فيها قبر أبي ايوب الانصاري حامل لواء النبي ، الذي مات ودفن في ارضها .

قال لنا مرافقنا الدليل الذي يتحدث الانجليزية بطريقته الخاصة : « سانقلكم الآن الى اقدس مكان في المدينة .. الى قصر « توب كابي » Topkapi ، لتروا آثار النبي صلى الله عليه وسلم » .

ووصلنا الى بوابة القصر الذي شيده السلطان محمد الفاتح في عام ١٤٥٨ ، ليصبح مقرا لسلاطين الدولة العثمانية في القسطنطينية .. انها لم تعد « بوابة » بالمعنى المعروف ، اذ لم يبق منها سوى الجدران المهدمة والسور القديم الذي يحيط بتوب كابي ، وهو اسم تركي معناه « بوابة المدافع » .

تقليد تاريخي

ومررنا بالسيارة ، لنقف فجاة أمام بوابة اخرى ضخمة ، يزيد اتساعها على عشرة امتار ، تقع في نهاية حديقة كبيرة تنتشر فيها الاشجار العالية المورقة ، وقال الدليل بانجليزيته : « هذه بوابة السلام ، ونحن لم نصل بعد الى القصر . ولكننا يجب أن ننزل هنا ، ونستانف رحلتنا الى الداخل سيرا على الاقدام » !

وقلنا : « ولماذا لا تكمل السيارة رحلتها الى الداخل ! »

وقال الدليل : « هذا حق لايتمتع به الا السلطان وحده ، فلا يكاد رجال الحرس يرون عربة السلطنة قادمة ، حتى يفتحوا البوابة على مصراعيها . ولم يحدث ابدا ان اخترقت عربة اخرى « بوابة السلام » مهما كان ركابها من علية القوم ! »

قلنا : « ولكن لم يعد توب كابى قصرا .. وانما اصبح متحفا ، ولم يبق للسلطان فيه غير بعض الآثار التي تروى فصلا من تاريخ بلادكم ! »

قال : « اننا نحترم تقليدا تاريخيا ! »

حضارة المسلمين

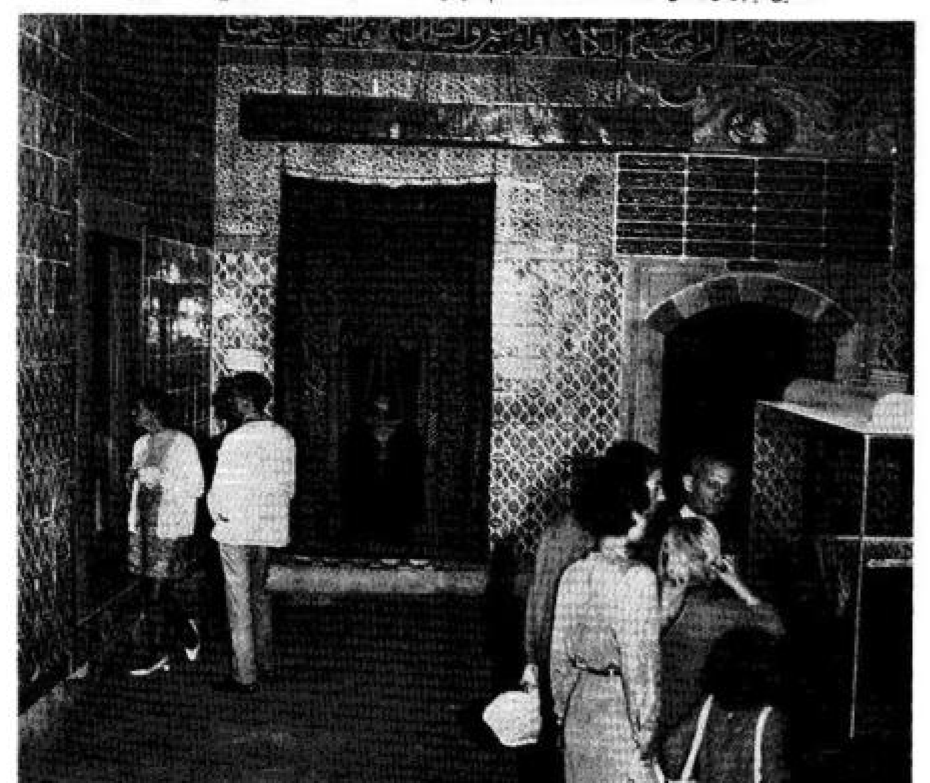
ومشينا على الاقدام وسط حديقة كبيرة امتلات بالزهور على الجانبين ، الى ان وصلنا اخيرا الى بوابة ثالثة ، احتشد حولها المئات من السائحين الذين يجيئون الى القصر افواجا فى صباح كل يوم من ايام الاسبوع .. وفى مقدمتهم الدليل الذى يتحدث لغتهم ، وينقل اليهم كل ما يعرفه ، وكل ما يريدون ان يعرفوه عن هذا المكان التاريخي القديم .

وكانوا خليطا عجيبا من البشر .. أناس من كل جنس ولون ، قطعوا الوف الاميال بالطائرات والسيارات ، ليروا حضارة الاسلام والمسلمين ، وليعيشوا لحظات مع تلك الحقبات المتعاقبة من الزمن ، التى دخلت التاريخ .

ورحنا تتنقل من بوابة الى بوابة ، ومن جناح الى جناح ، ونسير فى الردهات التى زينت جدرانها بالنقوش البيزنطية والاسلامية ، وامتلات بالايات القرآنية الكريمة ..

وثمة احساس غريب انتابنا ونحن نتجول ببصرنا فى هذا المكان التاريخي القديم .. احساس انسان القرن العشرين ، وهو يجد نفسه فجأة يعيش حياة القرون الوسطى ، فيعبر اسوار التاريخ الذى يطل عليه من كل شيء يراه حوله !

جناح الامانات المقدسة في متحف « توب كابي » ويزوره يوميا ألوف السائحين الذين يجيئون من مختلف أنحاء العالم لرؤية هذا التراث الاسلامي في استانبول

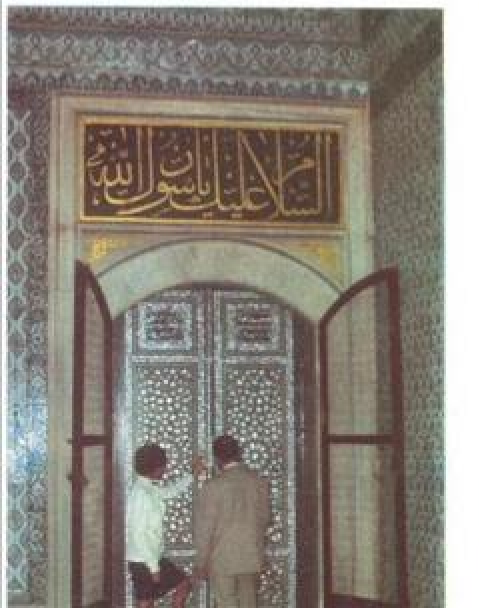


في خشوع تعلقت عيناها بقوس النبى (صلعم) ، ومحفظة القوس الذهبية التى أمر بصنعها السلطان احمد الاول ، وتحتهما سيفان ، احدهما لعثمان بن عفان ، والثانى لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

امام مدخل متحف «توب كابى» ، تجمع السائحون الذين جاءوا من مختلف أنحاء العالم لرؤية الآثار الاسلامية بالمتحف من نقوش وتحف وما اليها .



في رفق امتدت ايديهما لتفتح الباب المؤدى الى جناح « الامانات المقدسة » .. أب وابنته جاءا للتبرك بآثار النبى عليه الصلاة والسلام .





صوانان احتوى كل منهما بردة للرسول الكريم، والصوانان مصنوعان من خشب الجوز ، وقد غلّف كل منهما بلوحات فضية ثم طليت هذه اللوحات بماء الذهب ونقشت عليها الآيات القرآنية الكريمة.. أمر بصنعهما السلطان مراد الثالث ، ووضع كل واحد منهما داخل خزانة من البلور ، وجب أن نزيح غطاءها البلوري لنستطيع التصوير .

الامانات المقدسة

واخيرا وصلنا الى جناح الامانات المقدسة ، بعد ان اجتزنا بابا كبيرا ومررنا عبر غرفة داخل غرفة .. ووقفنا برهة أمام الباب الاخير فى خشوع لنقرأ ما على اللافتة التي وضعوها هناك ، وكتبوها بلغات أربع ، الانجليزية والفرنسية والالمانية والتركية ، تحت عنوان « الى الزائرين » ، وكان على اللافتة ما يلي : « لهذا الجناح اهمية دينية بالنسبة للمسلمين منذ قرون طويلة مضت ، وكل الآثار المعروضة فيه ، آثار مقدسة ، ومن اجل هذا نرجوكم أن تمروا فى هدوء.. وان تراعوا الهدوء ايضا فى حديثكم ، كما نرجو أن تكون تصرفاتكم لائقة بحرمة وكرامة هذا المكان » . وقطع تأملاتنا صوت الدليل يقول : « لقد تم انشاء جناح الامانات المقدسة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بين عامى ١٤٧٤ و ١٤٧٨ ، بأمر من السلطان ، وكان هذا الجناح يطلق عليه سابقا اسم « الغرفة الخاصة » ، حيث كان السلطان يقوم بادارة الشئون اليومية للدولة ويستقبل الزوار ، ويتقبل البيْعات . وقد تعرض الجناح خلال القرون الطويلة التى انقضت على انشائه لمختلف عوامل الطبيعة التي تركت أثرها على طرازه المعمارى وزيناته الداخلية ، فاجريت له عدة ترميمات فى مختلف العهود حتى اكتسب شكله الراهن » .

مع مدير المتحف

وبعد زيارة خاطفة للامانات المقدسة ذهبنا لمقابلة مدير المتحف ، السيد كمال شيخ Kemal CIG واستقبلنا الرجل فى مكتبه مرحبا ، وجلسنا نشرح له المهمة التي جئنا من اجلها ، وقدمنا له خطابا من مصلحة السياحة التركية وبطاقة صحفية زودونا بها لتسهيل مهمتنا . وقلنا : « اننا نريد ان نقدم للقراء العرب موضوعا مصورا عن الآثار الاسلامية المقدسة فى استانبول .. فكثيرون هم الذين يقدرون على زيارة بلادكم لمشاهدة هذه الآثار .. ولكن اكثر منهم هم الذين تحول امكانياتهم دون تحقيق هذه الامنية .. ولهؤلاء نريد ان نقدم هذا الاستطلاع . ولا بد من اخراج هذه الآثار من خزائنها الزجاجية حتى يتسنى لنا تصويرها » .

واستغرق مدير المتحف فى تفكير عميق . ثم قال على الفور : « ومتى تبدأون التصوير ؟ » قلنا : « حالا » !

قال : « هذا مستحيل ! اننا لكى نخرج هذه الآثار الثمينة من خزائنها ، لا بد ان نعطل اجهزة الانذار التى تنطلق مُحدثة دويا يصم الاذان بمجرد لمس الخزانة ، لتحذر من أية محاولة للسرقة ! وفى المتحف الآن ما يزيد على الالف زائر . ونحن لانستطيع ان نتحمل هذه المجازفة ! »

وقلنا : « وما الحل اذن ؟ »

قال : « غدا عطلة ، فالمتحف يفتح ابوابه يوميا للزائرين من الساعة العاشرة صباحا حتى الساعة الخامسة بعد الظهر ، ما عدا يوم الثلاثاء . تستطيعون ان تبدأوا التصوير غدا ، وسيكون كل شيء معدا لكم » .

وشكرناه وانصرفنا .

وعدنا فى اليوم التالى ، وكنا وحدنا مع الدليل ونائب مدير المتحف . وثلاثة أو أربعة من الزائرين الذين سمح لهم بالدخول بعد أن تأكدوا من شخصياتهم « ثم حارس الامانات المقدسة » الذى لم يغفل عنا لحظة واحدة خلال تلك الساعات الطويلة التى قضيناها داخل المتحف بعد تعطيل اجهزة الانذار !

أقدم نسخة من القرآن

واخيرا وقفنا وجها لوجه امام تلك الآثار التى صنعت من هذا القصر القديم متحفا من اعظم متاحف الآثار المقدسة فى العالم .. شاهدنا القرآن الكريم المخطوط على جلد الغزال ، الذى كان يتلوه ثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما استشهد فى منزله .. وعلى صفحة منه رأينا آثار دمائه الطاهرة ..

وشاهدنا قوس النبي « صلعم » ، وهو قوس بسيط مصنوع من خشب البامبو ، ولكن السلطان احمد الاول امر بصنع محفظة له من الذهب نقشت عليها أبيات تمتدح القوس النبوى المبارك .

سيف النبي

وفى نفس المكان من الخزانة الزجاجية التي فتحت ابوابها لبعثة « العربي » لاول مرة ، يوجد سيفان أحدهما لعثمان والآخر لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ..



القرآن الكريم المخطوط على جلد الغزال .. كان يتلوه ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما استشهد في منزله ، وبه آثار ، ذكر في لوحة العرض التى تصحبه أنها آثار دمائه الطاهرة.

أما سيفا النبي « صلعم » ، فقد وضعا داخل قاعة العرش ، وهى على شكل مخيم من الخشب النادر المنقوش ، وتستند على اربعة اعمدة ، تثبتت فى قبتها مرآة كما حليت جدرانها من الداخل بنقوش تركية ، وفي القسم الخارجي للقبة توجد كتابات شعرية بالعربية ..

وعدنا نتطلع الى سيفى النبي « صلعم » ، وقلنا : « ولكن هذا الذهب الذى يغطي مقبضيهما وهذه الاحجار الكريمة ، لم يكن للرسول عهد بها ! »

وقال الدليل : « نعم . لقد كانا سيفين بسيطين ولم يكن فيهما شيء من مظاهر الثراء الذى ترونه الآن . ولكن السلطان احمد الاول أمر بصنع مقبضيهما من الذهب الخالص ، كما امر بترصيعهما بالاحجار النادرة، ووضعهما فوق صندوق مصنوع من الفضة الخالصة ومغطى بالمخمل » .

بردة النبي والعلم

وفى قاعة العرش ، ايضا يوجد صندوقان من الذهب الخالص ، وفى الصندوق الاول الكبير الذى وضع فوق كرسى السلطان او كرسى العرش ، توجد بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، اما الصندوق الآخر الصغير فيحتوى على العلم النبوى الشريف .

اقدس مكان بالمتحف

ولقد كانت قاعة العرش وما تحوى من آثار مقدسة ، هى المكان الوحيد الذى رفضوا ان يسمحوا لنا بدخوله . لقد فتحوا باب الغرفة الخارجي وهو باب زجاجي كبير واضاءوا لنا الغرفة من الداخل ، ولكنهم طلبوا الينا ان نقف خارج القفص الفضى حيث يقترب الزوار للتبرك بهذه الامانات المقدسة . ومن هذا المكان الذى يبعد حوالى اربعة امتار تقريبا عن قاعة العرش التقطنا صورة أقدس بقعة فى متحف « توب كابى » او بوابة المدافع .

رسالة النبي للمقوقس

وانتقلنا الى قطعة اثرية اخرى .. الى الرسالة التى املاها الرسول عليه الصلاة والسلام وبعث بها سنة ٦٢٧ م الى المقوقس ، ملك الاقباط فى مصر ، داعيا اياه الى الاسلام . وقد عثر عليها عالم الآثار الفرنسى بارتليمى Barthlemy ، أثناء رحلته فى مصر فى عام ١٨٥٠ الميلادى . وكانت الرسالة مكتوبة على جلد الحيوان وملصقة على غلاف انجيل قبطى قديم . وقد حملها العالم الفرنسي معه الى القسطنطينية وسلمها للسلطان عبد المجيد الذى امر بحفظها داخل اطار من ذهب.

الى اليمين : المنبر داخل مسجد ابي ايوب الانصاري احد اتباع النبي (صلعم) وحامل لوائه .. وقد مات ابو ايوب ودفن في القسطنطينية عام ٦٧٢م.

الى اسفل : جموع المصلين بعد تأدية فريضة الصلاة في مسجد ابي ايوب ، وقد احتشدوا امام قبره المواجه للمسجد ، ورفعوا ايديهم وهم يقرأون الفاتحة .

فوق : الحمام آمن وجو يملأ فناء مسجد أبي أيوب الأنصاري .. انه يعيش ويتوالد وسط الأماكن المقدسة، لا أحد يتعرض له فهو يسكن بيوت الله .



الى اليسار : في الطريق الى أيا صوفيا وقد جعلها الأتراك اليوم بالذي فيها من آثار ذاتية، متحفا يزوره ما يقرب من مليون شخص سنويا ..

وحفظ الاطار والرسالة داخل صندوق رائع من الذهب الخالص .

شعرة النبي وختمه

وفى الخزانة الزجاجية ايضا كثير من الآثار المقدسة التى يتبرك بها الزوار من المسلمين .. ففيها العلبة الفضية المزخرفة التى تحتوى على شعرة من لحية النبي « صلوات الله عليه » ، وفيها ختم الرسول المصنوع من حجر العقيق ، وهو بيضارى الشكل ، وردى اللون يشبه فص الخاتم الكبير ، وقد حفرت عليه عبارة « محمد رسول الله » .

كما ان هناك ايضا علبة أخرى مرصعة بالمجوهرات ، وقد وضعت فى داخلها قطعة صغيرة من أسنان النبي (صلعم) ، ويقال ان سن النبي قد كسرت اثناء موقعة احد بين المسلمين والمشركين من قريش .

أثر قدم الرسول

وبين الآثار المقدسة النادرة التى يفتخر المتحف باقتنائها ، اثر قيل انه لقدم النبى اليمنى وقد وضع على حجر من المرمر الملون ، جاء به احد قواد الجيش التركي فى عهد السلطان عبد المجيد عام ١٨٤٧ ، وبلغ من سرور السلطان باقتناء هذا الاثر المقدس الثمين ، ان امر بصرف مكافاة للقائد ، قدرها ١١٤ الف قرش . وفي عام ١٨٧٧ أمر السلطان عبد المجيد الثاني بوضع هذا الحجر داخل اطار من الذهب .

مفتاحا الكعبة

ثم مفتاحا الكعبة الشريفة والقفل وهى مصنوعة من الفضة ، وتحتل مكانا بارزا من الخزانة الزجاجية الرئيسية التى تتوسط قاعة الامانات المقدسة . ومحفظة الحجر الاسود التى صنعت من الذهب الخالص ، وتزن حوالى ١٫٥ كيلوجراما. وقد وضعت داخل خزانة بلورية فى غرفة السلطان التى كان يوزع فيها الهدايا على زائريه فى « ليلة القدر » من شهر رمضان ، بعد انتهائهم من زيارة البردة النبوية الشريفة والتبرك بها . وعلى بعد خطوات من غطاء الحجر الاسود وفى نهاية منصة مرتفعة عن أرض القاعة بحوالى قدمين تقريبا، ومغطاة بالسجاجيد الاثرية القديمة ، شاهدنا « باب التوبة » ، وهو احد الابواب الرئيسية فى الكعبة ، وقد نقل من مكه في عام ١٥٩٢م .

ملابس السلاطين

انتهت جولتنا فى جناح « الامانات المقدسة ». وكانت الشمس قد اوشكت على الغروب . وانتشر حرس المتحف فى اقسامه المختلفة ، يطفئون الانوار التى اضاءوها ، ويوصدون الابواب التى فتحت خصيصا لمجلة العربي !

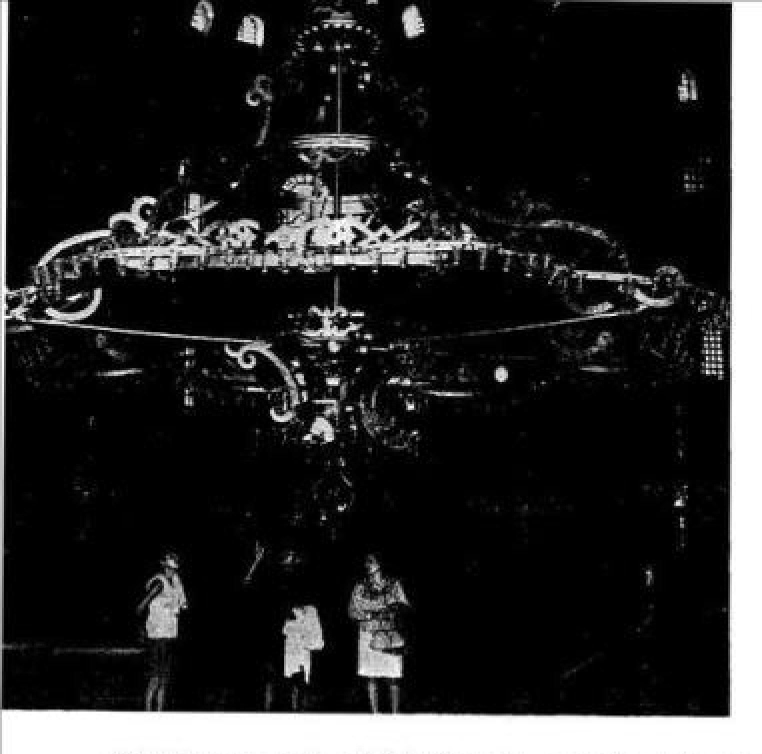
وقال لنا الدليل : « سانقلكم الآن بسرعة الى جناح آخر ، وهو جناح الملابس الامبراطورى ، لكى تروا نموذجا من الملابس التى كان يرتديها سلاطين الدولةالعثمانية .. هؤلاء الذين حاولوا ان يضفوا شخصيتهم على كل شيء فى هذا القصر او المتحف الاثرى القديم .. حتى الآثار الاسلامية ، التى رصعوها بالاحجار الكريمة وادخلوا عليها الذهب والفضة فخرجوا بها من معناها المقدس البسيط » .

ودخلنا جناح ملابس السلاطين .. وهو جناح ضخم ، يضم اكثر من ثلاثة آلاف قطعة من الملابس التى كان يرتديها سلاطين الدولة العثمانية منذ عام ١٣٣١ ، فى عهد السلطان عثمان بك اول السلاطين ، حتى عهد السلطان عبد المجيد فى اوائل القرن الحالى ، عندما هجر السلاطين قصر « توب كابى » ليتخذوا لانفسهم مقرا جديدا في قصر « سكودار سراى » .. ولكن النيران ما لبثت ان اشتعلت فى هذا القصر الجديد المصنوع من الخشب ، فحولته الى انقاض ورماد !

ثم بدا البحث عن مقر جديد للسلاطين العثمانيين ، وانتقلوا الى قصر « يلدز » الذى ما لبث ان شهد نهاية الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية فى عهد كمال اتاتورك مؤسس تركيا الحديثة في عام ١٩٢٣ !

بدلة السلطان سليم

ووقفنا امام بدلتين الاولى سوداء مزركشة اشبه ما تكون « بالروب » المصنوع من قماش سميك مطرز بالفضة والذهب .. وقال الدليل : « هذه بدلة السلطان سليم الاول (١٤٧٠ ـ ١٥٢٠م) .. وهى بدلة السلطنة يرتديها اذا



احدى الثريات الفخمة التى تتدلى من سقف أيا صوفيا وقد وقف تحتها بعض الزائرين يتطلعون اليها فى اعجاب

جلس على كرسى العرش ، ويستقبل بها زائريه وضيوفه ، ويحرص على الظهور بها فى المناسبات والاعياد .. اما البدلة الاخرى الحمراء فهى للسطان بايزيد الثانى ابن محمد الثاني (١٤٤٨ ـ ١٥٢٠م) » .

بدلة قديمة جديدة !

وكانت كل البدل المعروضة داخل خزانات من البلور ، فى حالة جيدة ، وكان اصحابها قد خلعوها عن اجسامهم لتوهم . قلنا : « كيف احتفظت هذه الملابس الاثرية برونقها رغم مضى هذه القرون الطويلة ؟ » .

وقال الدليل : « لقد كانت هذه الملابس شيئا مقدسا بالنسبة للسلاطين ، ومن اجل هذا حافظوا عليها . فكانوا يضعونها بين طبقتين من اللباد السميك ، الذى تحبه « العثة » وتنخر فيه .. فاذا اكتشفوا ان اللباد بدأ يتآكل نقلوا الملابس الى مكان آخر بعيدا عن موطن هذه الحشرات . وهكذا بقيت الملابس جديدة كما ترون ! .

وجاء الحارس يستعجل خروجنا ، فودعنا مرافقنا وشكرناه .. تاركين وراءنا تلك الذكريات السريعة التى احيتها آثار هؤلاء السلاطين الذين عاشوا تلك الحقبة من الزمن حين بسطوا نفوذهم على بلاد عديدة فى آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان واوربا الوسطى ، ثم الدول الاسلامية فى منطقة الشرق الاوسط بعد وقوع القسطنطينية فى يد محمد الفاتح عام ١٤٥٣ م .

كيف انتقلت آثار النبي ؟

تركنا ذكريات السلاطين وامبراطوريتهم ... ولكننا لم نستطع أن ننسى آثار النبى المقدسة . كان هناك سؤال يلح علينا ويستبد بنا : «كيف جاءت هذه الآثار المقدسة الى عاصمة الدولة العثمانية كيف انتقلت من مسقط رأس النبى (صلعم) ومهبط وحيه الى تلك الارض البعيدة؟»

تقول كتب التاريخ : « عندما تولى السلطان سليم الأول الدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر الميلادى (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) كان فى الشرق الأدنى ثلاث دول اسلامية كبرى ، هى الدولة العثمانية في آسيا الصغرى ، والصفوية في ايران والعراق ، والمملوكية في مصر وسوريا والحجاز . وما لبثت الخلافات والمنازعات أن قامت بين الدول الثلاث واندلعت الحرب بين الدولة العثمانية من جانب ، وبين الدولة الصفوية والدولة المملوكية من الجانب الاخر ، حتى استولى





فوق : رسالة النبي الى المقوقس ملك الاقباط في مصر ، وقد كتبت على جلد الحيوان ، ومحفوظة داخل اطار من ذهب ، ولكن نظرا لان محتويات الرسالة لم تعد واضحة ، فقد كتبت بجوارها (الى اليسار) على الورق.

الى اليمين : قاعة العرش وفيها سيفا النبي (صلعم) وقد وضعا فوق صندوق مصنوع من الفضة الخالصة ومغطى بالمخمل . أما الصندوق الذهبي الكبير الذى وضع فوق كرسي السلطان فيحوى بردة من برد الرسول ، بينما ظهر الى اليمين صندوق ذهبي آخر يحوى العلم النبوى الشريف .. ان هذه القاعة هي أقدس مكان بمتحف « توب كابى » ، وهي لا تفتح لأحد ، وانما تنظر من وراء زجاج .

الى اليسار : اثر قدم في حجر من المرمر تعزى الى قدم الرسول .

تحت : غطاء الحجر الاسود ، وهو مصنوع من الذهب الخالص ووزن ١٥ كيلو جراما .

العثمانيون على الشام ومصر والحجاز وسائر البلاد العربية .

خلافة المسلمين

وهكذا اصبحت الدولة العثمانية هى دولة الاسلام الكبرى التى تشرف على الحرمين الشريفين. وهكذا انتقلت خلافة المسلمين الى السلطان سليم الاول .. وهكذا أصبحت القسطنطينية مستقر الخلافة .. فما كان من شريف مكة « ولد الحسن» الا ان بعث بتلك الامانات المقدسة الى السلطان ، اعترافا منه بالخلافة . هذا الى جانب ما جمعه الاتراك من البلاد العربية اثناء خضوعها للحكم العثماني،وما نقلوه معهم من آثار دينية وتاريخية، اودعوها كلها هذا القصر الذى تحول اخيرا الى متحف يزوره سنويا نحو مليون سائح .

كنيسة تحولت الى مسجد

اليوم الاربعاء ، ولم يبق على الموعد المحدد لانتهاء رحلتنا سوى يومين ، اذ لا بد ان نلحق بالطائرة التى تغادر استانبول الى بيروت ، ومنها الى الكويت بعد ظهر يوم الخميس ..

واستيقظنا في ساعة مبكرة من الصباح ، وكان برنامجنا في ذلك اليوم زيارة أثر من اعظم الآثار التاريخية الاسلامية في استانبول .. مسجد « ايا صوفيا » الذى يزوره سنويا ما يزيد على مليون سائح يأتون من مشرق الارض ومغربها لرؤية هذه الكنيسة التى تحولت الى مسجد من أعظم واضخم المساجد الاسلامية في العالم ..

ايا صوفيا

ووصلنا الى الميدان الفسيح الذى يشرف عليه مسجد ايا صوفيا .. وبهرنا منظر البناء الهائل الذى يقع فوق ربوة عالية ، فتراه من اى مكان تقف فيه من المدينة ، وقد احتضنته اربع مآذن عالية فريدة في هندستها وتصميمها .

ودخلنا المسجد ، الذى يرجع تاريخ بنائه الى عام ٥٣٢م ، عندما وقف الامبراطور الروماني



وعاء كبير من الرخام يتوسط متحف أيا صوفيا، كانوا يملأونه بالماء في عهد سلاطين تركيا ، ليتوضأوا بمائه قبل الصلاة

جوستينيان واسمه بالكامل Flavius Anicius Justinianus يضع حجر الأساس في هذا المبنى الذى يعتبر اعظم واضخم كنيسة شهدها ذلك العصر البعيد .

لقد استغرق بناء هذه الكنيسة خمسة أعوام كاملة ، وبلغ عدد العمال الذين اشتركوا في بنائها ما يزيد على عشرة آلاف عامل ..

هرم آخر في استانبول

اما المواد الخام التى استخدمت في البناء ، وكلها من الاعمدة الرخامية والاحجار الضخمة ، وقطع الفضة والذهب ، فقد جاءوا بها من مدينة هليوبوليس في مصر ومن بعلبك في الشام ، ومن بعض مناطق اخرى في افريقيا وفي آسيا الصغرى. وكانت السفن الشراعية تنقل مواد البناء الى روما ومنها الى القسطنطينية .

ويبلغ طول هذا المبنى الضخم حوالى مائة متر تقريبا اذا اضفنا اليه سمك الجدران الذى يتراوح بين ستة وعشرة أمتار . ومساحته من الداخل ٧٥٧٠ مترا مربعا . اما ارتفاع قبته عن الارض فيبلغ ٥٦ مترا .. وهى تبدو بهذا الارتفاع الهائل وكأنها جزء من السماء لا من الارض!



في هذه البئر الرخامية الجافة التي عليها غطاؤها وهو من حديد ، أمام باب جناح الامانات المقدسة بمتحف توب كابي ، يلقى عمال النظافة بالاتربة التي يزيلونها عن الآثار المقدسة حتى لا تطأها الاقدام .

وقد بقيت ايا صوفيا كنيسة حتى عام ١٤٥٣ عندما استولى الاتراك على مدينة القسطنطينية ، وكان البناء في حالة يرثى لها من اثر الزلازل والغزوات التى تعرضت لها المنطقة طوال هذه السنين ، فقد تهدمت أجزاء كثيرة منها،وتساقطت أحجارها ، وهجرها المصلون وتهاوت أبوابها ، حتى اذا ما جاءها الصليبيون في عام ١٢٠٤ وجدوا فيها مرتعا لأعمال السلب والنهب والتخريب . كما جاء في دليل استانبول

مسجد ايا صوفيا

وكان أول شيء قام به الأتراك عندما احتلوا القسطنطينية ، هو أن أعادوا ترميم هذا البناء التاريخي الضخم ، ثم حولوه الى مسجد ، وكان السلطان محمد الفاتح هو أول من دخل المسجد بعد ترميمه ليؤم المصلين بعد أن اقاموا فيه مئذنة من الخشب ، وحددوا القبلة في المكان الذى اقيم فيه هيكل الكنيسة .

ثم ازيلت المئذنة الخشبية وشيدت بدلا منها مئذنة من الأحجار النادرة ، وفي عهد السلطان محمد الثاني أومحمد الفاتح شيدت المئذنة الثانية، ثم الثالثة والرابعة في عهد السلطان سليم الأول، ومراد الثالث . ولا تزال المآذن الاربع تحتفظ بجمال تصميمها وروعة هندستها حتى اليوم .

اشهر متحف في تركيا

وظل المسلمون يؤدون فرائض الصلاة في المسجد الكبير الذى امتلأت جدرانه بالآيات القرآنية الكريمة التى تسبح بحمد الله ، وزينت باسم الرسول الكريم ، وأسماء الخلفاء الراشدين . وهي اول شيء يطالع الزائر عندما يقف في مدخل المسجد العظيم الذى ما زالت بعض جدرانه تحتفظ ببقايا وآثار صور المسيح والعذراء والقديسين جنبا الى جنب مع آيات كتاب الله .

حتى كان عام ١٩٢٥ فقرر كمال اتاتورك مؤسس تركيا الحديثة أن يحول المسجد الى متحف من اشهر متاحف العالم ، وبذلك أتاح للمسلمين والمسيحيين على السواء فرصة زيارة هذا الاثر التاريخي العظيم .

الحكمة الالهية

وسألنا مرافقنا : ومن أين جاء اسم « أيا صوفيا ؟ »

قال : « كثير من الناس يعتقدون أن « صوفيا » هو اسم تلك الغانية التى أصبحت امبراطورة في عهد الرومان ! ولكن ليست لصوفيا هذه علاقة بالاسم الذى اختاره الامبراطور جوستينيان لهذه الكنيسة ، فهو يحمل معنى آخر . فكلمة صوفيا Sophia باليونانية معناها الحكمة . أما كلمة أيا ، فهي مشتقة من « هاجيا » Hagia ومعناها « الالهي » .. وهكذا ترون أن أيا صوفيا تعني الحكمة الالهية .. الحكمة التى تصور الامبراطور جوستينيان أن الله قد وهبه منها الكثير ، فلم يات من قبله ملك تمتع بمثل حكمته ، حتى سليمان الحكيم . ولقد مشى جوستينيان يخاطب سليمان في زهو وفخار وهو يفتتح كنيسته يوم ٢٧ ديسمبر عام ٥٣٧م ويقول : « لقد تفوقت عليك بحكمتي يا سليمان » .

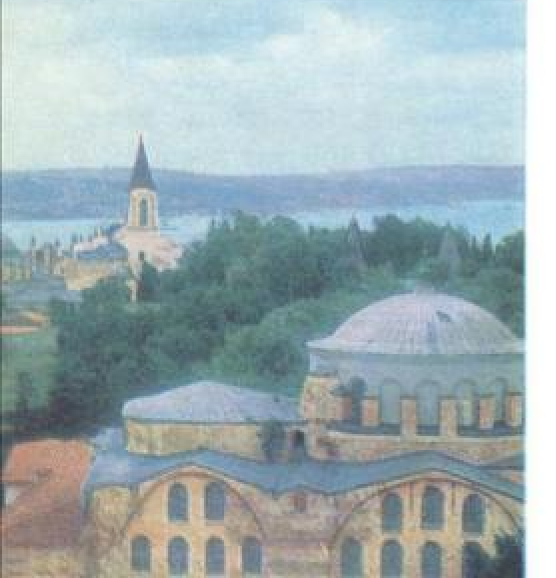
مسجد السلطان أحمد

ولعل هذا التحدى هو الذى دفع بالسلطان احمد الى أن يشيد أعظم وأروع مساجد تركيا اطلاقا ، وهو المسجد الذى سمى باسمه او

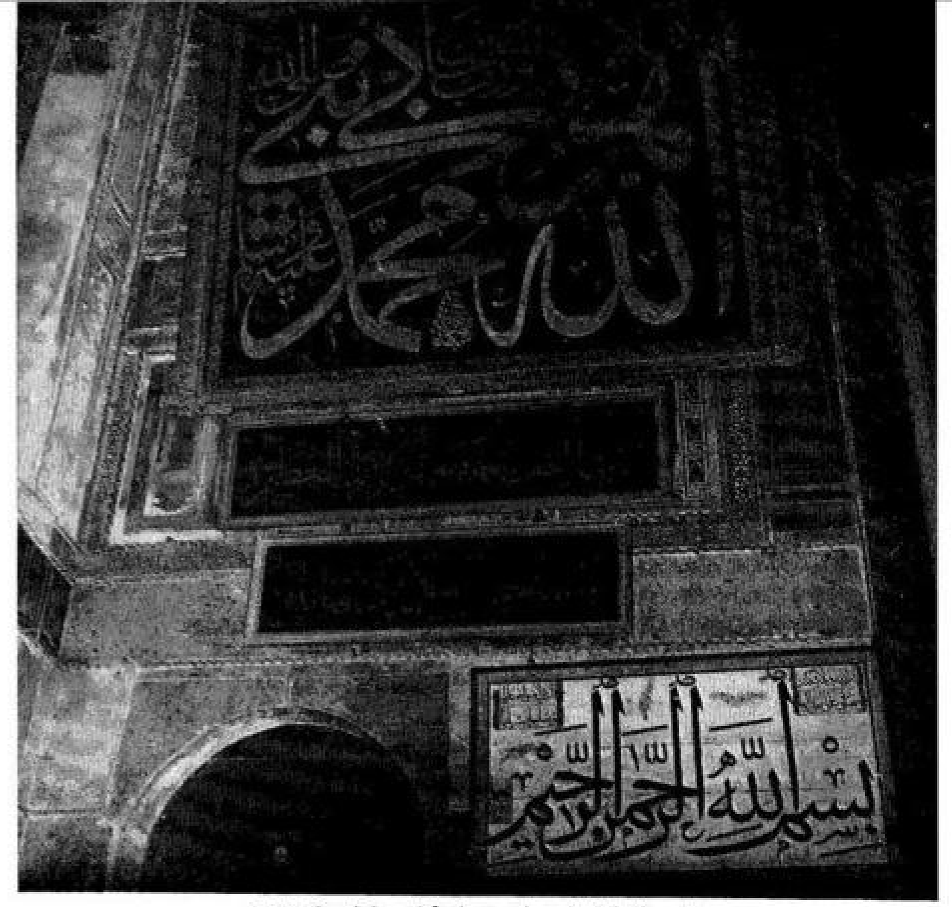
الى اليمين: باب التوبة وهو احد الابواب الرئيسية في الكعبة ، وقد نقل من مكة في عام ١٥٩٢ م ، ووضع في المحراب الواقع داخل متحف « توب كابي ».

تحت : في المتحف الاسلامي وقفن في خشوع امام الآثار الاسلامية التي نقلها العثمانيون من سائر البلاد العربية في عهد الحكم العثماني .. وقد امتلأ المتحف بنسخ أثرية للقرآن الكريم .

سائحة أجنبية تتأمل في اعجاب بدلة من بدل سلاطين العثمانيين ، وتدون بقلمها اسم صاحب البدلة وهو السلطان بايزيد الثاني بن محمد الثاني ..



الى اليسار: منظر لمتحف « توب كابي » كما يبدو من قبة مسجد أيا صوفيا ، لقد كان هذا المتحف قصرا لسلاطين الدولة العثمانية قبل أن ينتقل مقر السلطنة الى قصر آخر ما لبث أن احترق وحولته النيران الى انقاض



صورة من الداخل لجدران متحف أيا صوفيا، وقد زينت بالآيات القرآنية الكريمة.وهو من أروع المتاحف في العالم

« المسجد الأزرق » كما يسمونه في بعض الأحيان. وهو اول شيء يطالعك بعد أن تجتاز بوابة أيا صوفيا على الجانب الآخر من الميدان الفسيح الذى تتوسطه نافورة ضخمة ..

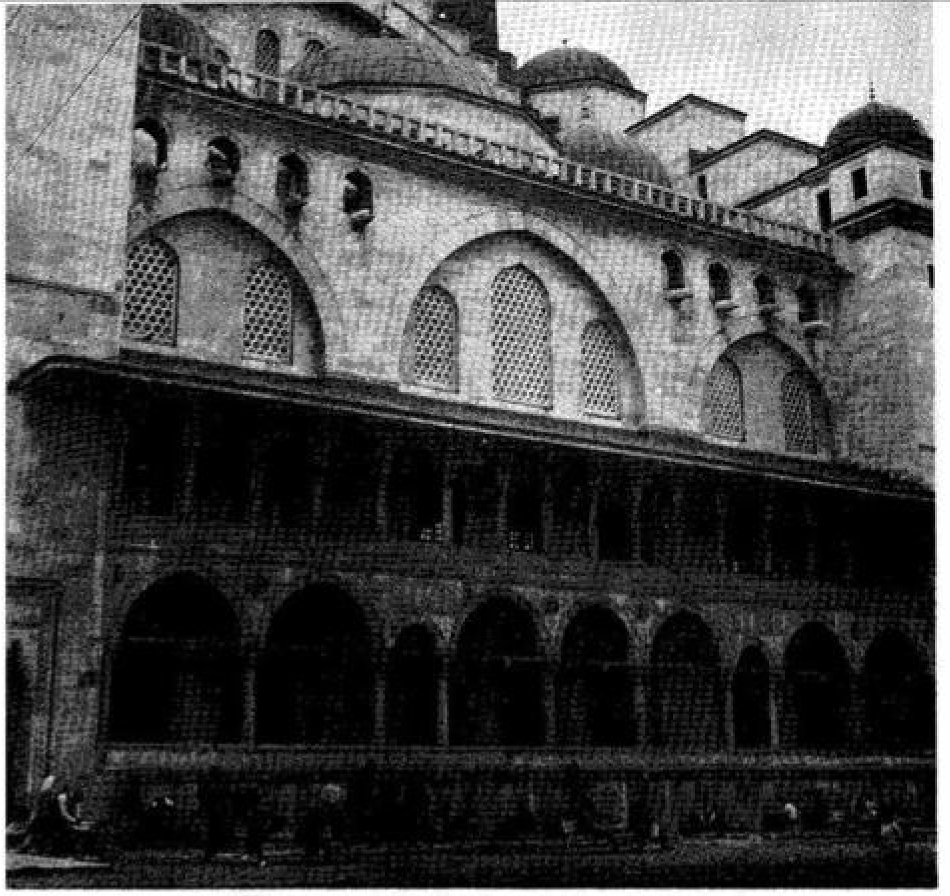
وإذا كنت لم تر أيا صوفيا من قبل واخترت النافورة مكانا لوقوفك وسط الميدان استبدت بك الحيرة وأنت تنظر الى يمينك ويسارك ، فلا تكاد تفرق بين المسجدين من حيث الشكل الخارجي على الأقل .

وقد شيد السلطان أحمد هذا المسجد في الفترة ما بين عامي ١٦٠٩ و ١٦١٩ ، وهو يقع وسط فناء كبير له خمسة أبواب ، أما المسجد نفسه فتستطيع ان تدخله من أبواب ثلاثة .

والمسجد من الداخل مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٥١ مترا تقريبا ، ويصل ارتفاع قبته التى يبلغ قطرها ٢٢ مترا ، الى ٤٣ مترا . وقد غطيت هذه المساحة الكبيرة بالسجاد الفاخر ، وتدلت من سقفه مئات الثريات النادرة .

وفي المسجد الذى زينت جدرانه بالنقوش التركية والاسلامية والآيات القرآنية الكريمة أكثر من مائتي نافذة كانت مغطاة ببلور أزرق ، ومن هذه النوافذ يتسلل الضوء وينعكس على المسجد من الداخل . ومن هنا سمي بالمسجد الازرق . ولكن هذا البلور لم يعد باقيا، فقد تحطم وتساقط في القرن الثامن عشر واستبدل بغيره .

قال لنا مرافقنا الدليل : « لقد استغرق بناء هذا المسجد تسع سنوات كاملة ، وكان السلطان أحمد يقوم بزيارة موقع البناء في صباح كل يوم جمعه ، ويتفقد سير العمل بنفسه ، فقد كان هدفه ان يجيء هذا المسجد أروع وأفخم من منافسه مسجد أيا صوفيا الذى يقوم على الجانب الآخر من الميدان الفسيح . حتى المآذن لم يرض



مسجد سليمان ، وهو من أضخم مساجد استانبول ، وترى المصلين وهم يتوضأون بماء الصنابير المثبتة على جدار المسجد من الخارج استعدادا للصلاة

السلطان أحمد بأن يشيد منها أقل من ست مآذن ، بعد أن تضاعفت مآذن مسجد أيا صوفيا الى أربع .

وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب ونحن نختتم جولتنا بين مسجد أيا صوفيا ومسجد السلطان أحمد . وقال لنا الدليل : « متى تبدأون العمل غدا ؟

قلنا : « في الثامنة صباحا » .

أبو أيوب الانصارى

وافترقنا على أن نلتقى . وفي الموعد المحدد كان مرافقنا في انتظارنا امام باب الفندق . ونزلنا لنستقل سيارة تاكسي انطلقت بنا مسرعة ..

وقلنا : « الى أين ؟ » .

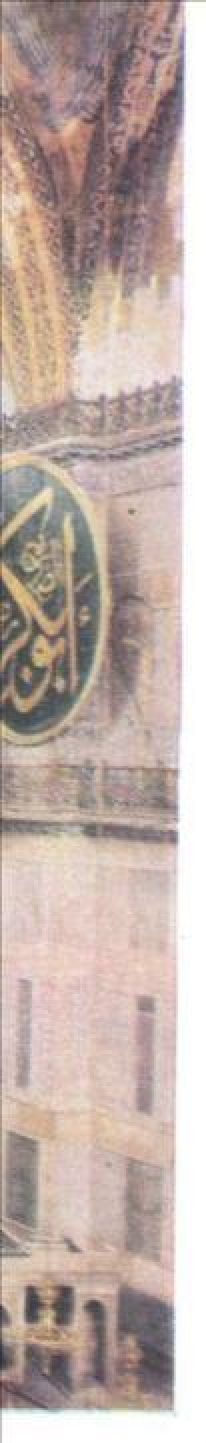
وقال المرافق: « الى مسجد أبي أيوب الانصارى، أحد أتباع النبى (صلعم) وحامل لوائه .. لقد مات أبو أيوب ودفن في القسطنطينية في عام ٦٧٢م، أثناء الحملة التى كان يقودها يزيد بن معاوية ثاني خلفاء بني أمية وحاصر فيها القسطنطينية ، ان من لم ير قبر أبى أيوب ومسجده لم ير استانبول » .

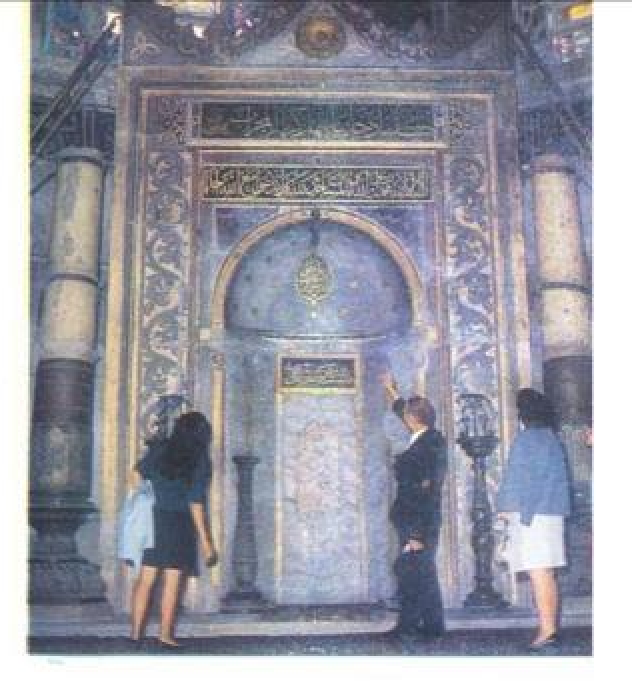
رب صدفة !

وذهبنا الى المسجد الذى يصلى فيه معظم مسلمى المدينة ، وخاصة المسلمين العرب ... مسجد رائع البناء شيده السلطان محمد الفاتح في عام ١٤٥٨ تخليدا لذكرى أبى أيوب اى بعد مرور أكثر من ثمانمائة عام على وفاته ، ثم أعيد بناؤه في عهد السلطان احمد الثالث .

قلنا لمرافقنا : « وكيف اكتشفوا قبره ؟

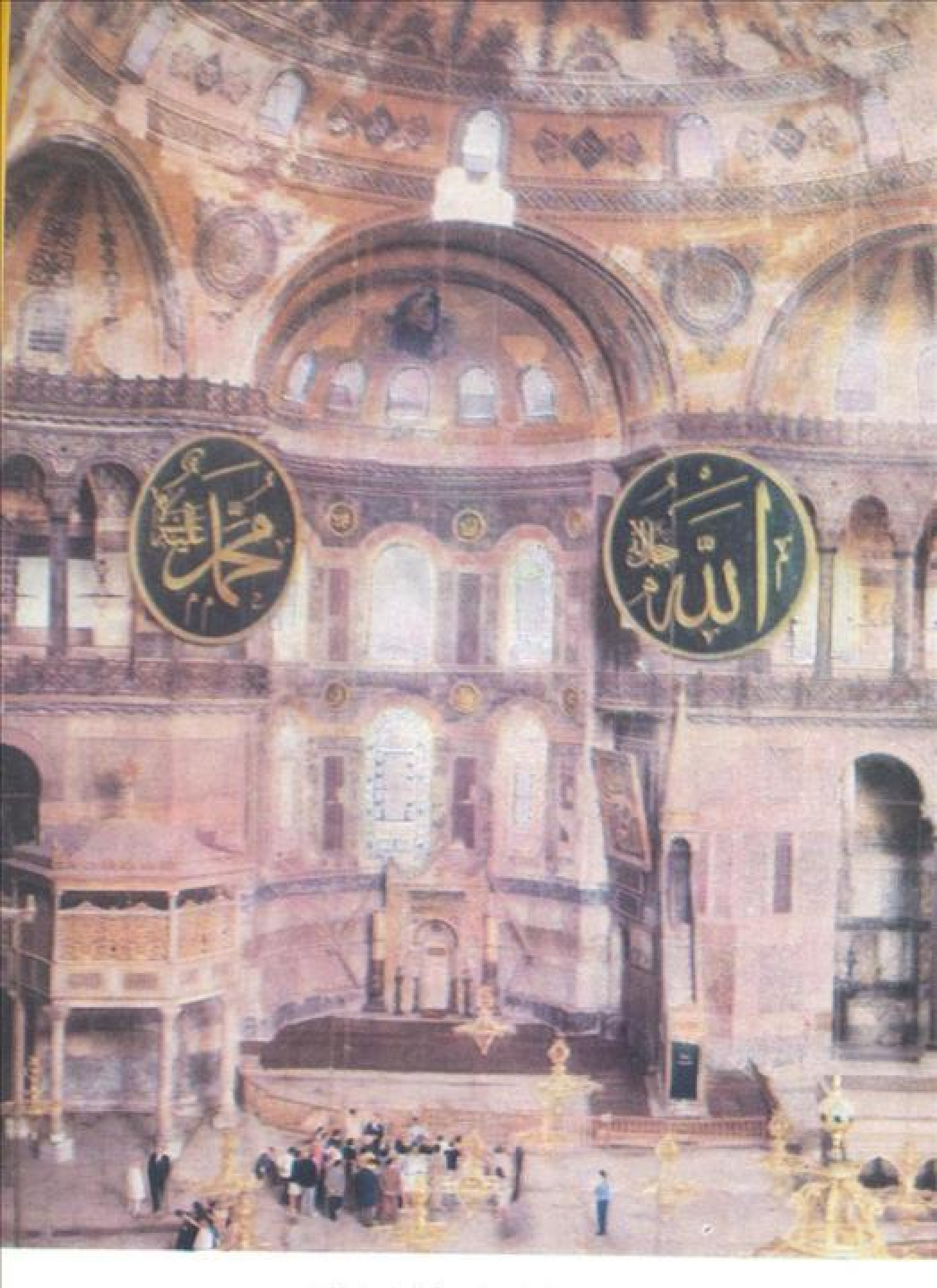
قال: « لقد لعبت الأقدار دورا كبيرا في اكتشاف





القبلة داخل مسجد آيا صوفيا ، وقد كانت من قبل هيكلا للكنيسة التي شيدها الامبراطور جوستنيان ثم امتلأت بالآيات القرآنية عندما فتح العثمانيون القسطنطينية وحولوا الكنيسة الى مسجد بعد أن غيروا معالمها ونقوشها .. ولكن بعض الصور للقديسين المسيحيين بقيت على الجدران جنبا الى جنب مع آيات كتاب الله كما في الصورة السفلى





منظر من الداخل لايا صوفيا وتتجلى في الصورة روعة البناء وضخامته .. انه بناء هائل يقع فوق ربوة عالية فتراه من أى موضع في استانبول ، بين مآذنه الاربع الرقيقة التي تضفي عليه جلالا ووقارا

هذه المقبرة . كان بعض العمال يقومون ببناء مقابر جديدة في هذه المنطقة وأخطأ فريق منهم ، وبدلا من ان يبدأوا عملية الحفر في المكان الذى اختاره صاحب الارض ، اتجهوا الى مكان آخر وبدأوا يحفرون .. وفجأة ظهرت عظام بشرية .. وبجوار العظام عثروا على الشاهد الرخامى الذى دفنته الرمال ، وعليه اسمه وسنة ولادته وسنة وفاته !

ونقلت رفاة أبى أيوب طيب الله ذكراه لكى توضع في قبر بنوه بجوار المسجد الذى يحمل اسمه .

يرتلون القرآن

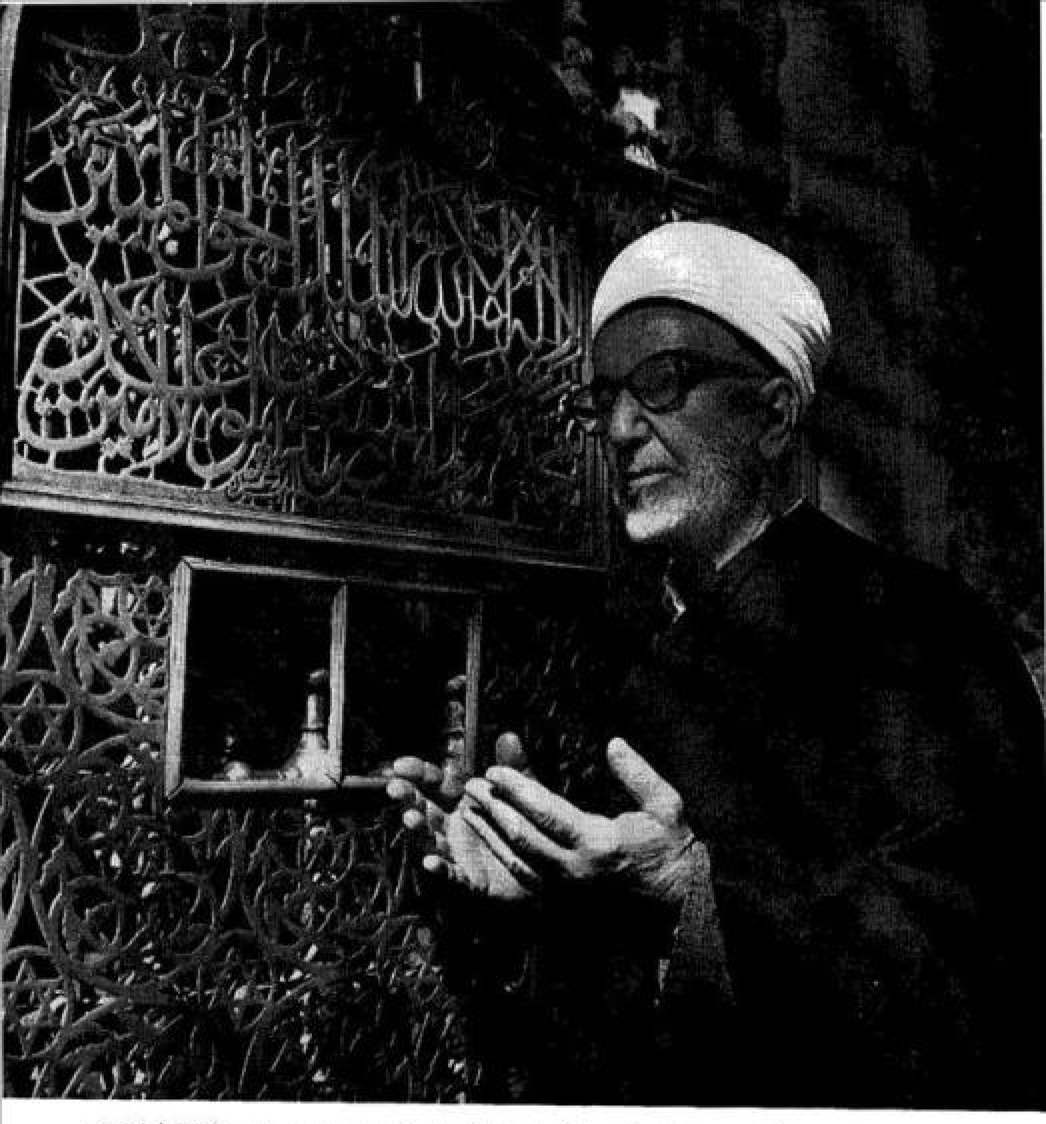
وفي مسجد أبى أيوب الانصارى ، شاهدنا الناس رجالا ونساء من مختلف الأعمار يصلون ثم يقفون بعد تأدية فريضة الصلاة امام باب المقبرة الخارجي يقرأون الفاتحة على روح أحد صحابة الرسول الأوفياء .. وسمعناهم يرتلون القران بالعربية.. وشاهدنا أبناء تركيا من الشباب داخل المسجد بعد الصلاة يلتفون حول الامام الشيخ محمد رحمى الذى يؤم المصلين ليستمعوا اليه وهو يقرأ القرآن بالعربية .

يقول الشيخ محمد رحمى : « ان عدد تلاميذى في ازدياد مستمر . اننا كلنا مسلمون . فالمسلم من سلم الناس من يده ولسانه . ولكننا نعلمهم العربية ليقرأوا كتاب الله وليتزودوا بتعاليمه ومبادئه » .

وتركنا الشيخ يحفظ القرآن لتلاميذه .وخرجنا من باب المسجد وجلنا ببصرنا فيما حولنا ... كانت أسراب الحمام ما زالت هناك .. كانت تحوم حولنا وتقف فوق رؤوسنا وهى آمنة مطمئنة وبين لحظة واخرى تمتد يد اليها لتنثر اليها الحب.. فتتجمع وتتزاحم لالتقاطه ، ثم لا تلبث أن ترتفع باجنحتها فوق مئذنة المسجد وقبابه ، لتعود مرة أخرى الى الارض .. ثم يرتفع صوت امام المسجد بالدعاء في الميكروفون أمام قبر أبى أيوب ..ويلتف الناس من حوله وقد أتوا من كل فج عميق ، رافعين أيديهم الى السماء بالدعاء جماعة ...



لا تكاد الصلاة تنتهي في مسجد ابي أيوب الانصارى حتى يخرج المصلون ويتجهون الى ضريح حامل لواء النبي لقراءة الفاتحة ويلاحظ أن بعض المصلين يرتدون القبعات .. وفى هذا المسجد التقينا بعدد كبير من أفراد الجالية العربية في استانبول .



الشيخ محمد رحمي امام مسجد ابي أيوب الانصاري ، انه يؤم المصلين ويعلمهم العربية ليقراوا كتاب الله ، وهو يقول : « ان عدد تلاميذي في ازدياد مستمر » ويرى في هذه الصورة وهو يقرأ الفاتحة أمام ضريح ابي أيوب حامل لواء الرسول .

وتنتهي جولتنا بين آثار الاسلام والمسلمين في استانبول ..

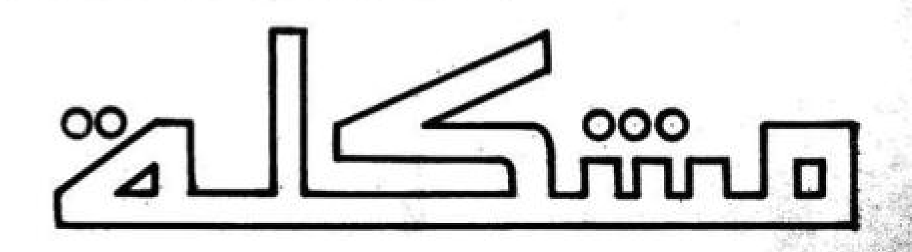
مدينة الأموات

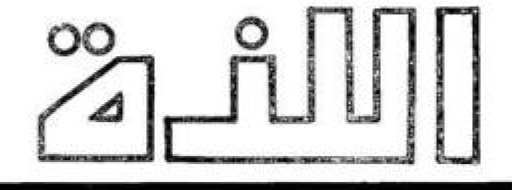
وعلى مقربة من هذا المسجد ، وحول قبر أبي أيوب ، قامت مدينة الاموات .. مدينة تنام في خشوع ويخيم عليها السكون .. انها المدينة التي تضم رفات كل أدباء تركيا وعلمائها وعظمائها من الساسة والمصلحين . هناك في هذا المكان القريب من قبر حامل لواء الاسلام ، أوصوا بدفنهم ، وبين أعشاش الحمام المقدس ناموا نومتهم الأخيرة.. الى حين يبعثون ■■

منير نصيف

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

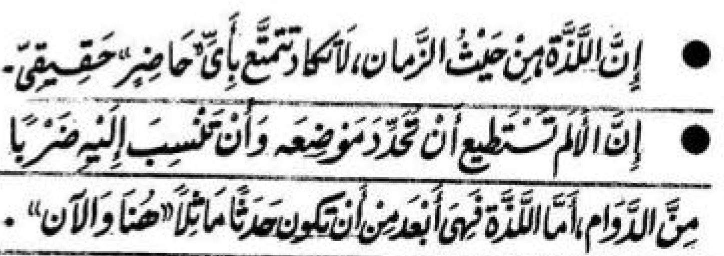
أستاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ـ عمان





■ حملت الينا بعض مجلات الغرب ـ فى الايام الاخيرة ـ أخبارا مزعجة عن انتشار بدعة تعاطى المخدرات بين المراهقين والاحداث من أبناء المجتمع الامريكى . وليس المزعج فى الامر أن تظهر بادرة أخرى من بوادر انحلال المجتمع الغربى الحديث ، بل المزعج أن تفتح الصحافة الغربية المجال أمام الشباب المنحل للدفاع عن انحلاله ، أو التماس الاعذار لتبرير تدهوره الاخلاقى . ولعل من هذا القبيل ـ مثلا ـ ما فعلته احدى المجلات الاسبوعية فى أمريكا ، حينما سمحت لشاب منحل فى الواحد والعشرين من عمره بالدفاع عن مبدأ تعاطى بعض المخدرات على شكل لفافات من التبغ ، بحجة أن تدخين مثل هذا النوع من الطباق لا ينتج عنه سوى مجرد « احساس سار بالاسترخاء ، مصحوب بتزايد فى حدة الشعور الجمالى ، وشدة فى درجة ادراك الالوان وتذوق الموسيقى .. الخ » ! ولم يكتف صاحب هذا الدفاع بحشد الحجج والادلة من أجل البرهنة على « عدم خطورة » الاقبال على هذا النوع من الطباق ، بل راح يقول أيضا « أن جيلنا الحاضر لم يعد يؤمن بأن فى تدخين مثل هذا النوع من الطباق أى عمل مناف للأخلاق ، أو مضاد لانظمة الجماعة .. » .





• إنّ اللذة من حيث الزمان، لا تكاد تتمتع بأيّ "حاضر" حقيقي.

• إنّ الألم تستطيع أن تحدد موضعه وأن تنسب إليه ضربا من الدوام، أمّا اللذة فهي أبعد من أن تكون حدثا ماثلا "هنا والآن".

في عالم شقي يبحث عبثا عن السعادة فلا يجدها

ولا غرو ، فقد أصبح الجيل الحاضر ــ في المجتمع الغربي الحديث ــ يبحث عن خبرة جديدة ، وتجربة فردية أصيلة ، وبالتالي فقد وجد في الاقبال على المخدرات (او على نوع خاص عنها) سبيلا آخر للفرار من مشكلات الحياة الجدية ، والتحلل من بعض قيود الانظمة الاجتماعية . وهكذا ظهر « الافيون » ــ في المجتمع الامريكي المعاصر ــ بعد « المشروبات الكحولية » و « الاباحية الجنسية » ، لكي يكون بمثابة « الاقنوم الثالث » في هذا « الثالوث الانحلالي » الخطير الذي صار يتهدد الجيل الحاضر في المجتمع الامريكي المعاصر .

ولم تكن استجابة المصلحين والمربين وعلماء الاخلاق في هذا المجتمع سوى مجرد رد فعل سلبي أملاه عليهم ايمانهم بضرورة « التسامح » مع أبناء الجيل الحاضر ، بحجة انه ليس بالضرورة جيلا فاسدا ، بل هو مجرد « جيل جديد » يبحث، والبحث عنده لا بد من ان يتضمن اختبار « التجارب المنوعة » !

واما علماء النفس ــ منهم ــ فقد مضوا الى حد أبعد من ذلك ، اذ راحوا يقولون انه لا بد لعالم يؤمن ب « مبدا اللذة » من أن يحاول اختبار شتى الوسائل التي قد تخفف من حدة شعوره بالسأم او قد تنتزعه من دوامة الحياة الاجتماعية الصاخبة !

اللذة : العملة الذهبية في سوق القيم ؟

ولكن ، هل تكون « اللذة » هي « العملة الذهبية » في سوق « القيم » ؟!! .. والمشكلة ــ الآن ــ انما تنحصر على وجه التحديد في التساؤل

عن قيمة هذا المبدأ : مبدأ اللذة . وليس أيسر علينا ـ بطبيعة الحال ـ من ان نخلع على اللذة صفة « المطلق » ، فنجعل منها « العملة الذهبية » الوحيدة التى نتعامل بها في سوق « القيم » ، ولكننا ـ عندئذ ـ لن نلبث أن نتحقق من أن « الاخلاق » نفسها قد أصبحت أثرا بعد عين ! والحق ان « الاخلاق » في أصلها ـ أشكال حول « بداهة اللذة » ، اذ لو كانت « اللذة » كافية لتفسير نفسها بنفسها ، لما نشأت « المشكلة الخلقية » . وكما أن « مشكلة المعرفة » هي أولا وقبل كل شيء ، تفكير فى امدادات الحس ، وشك فى قيمة التجربة ، فان « الاخلاق » أيضا تفكير فى اللذة ، وشك في قيمة الخبرة السارة . وهذا هو السبب فى أن المشكلة الخلقية ـ في جوهرها ـ مشكلة فلسفية تبدأ بالشك في قيمة « اللذة » من حيث هى بينة شعورية مزعومة ، مثلها فى ذلك كمثل اية مشكلة فلسفية أخرى : تبدأ بالشك فى قيمة بعض « البينات » Evidences . ونحن نعلم أن كل « تفكير » لا بد من أن ينطوى فى صميمه على معانى « الانفصال » و « البعد » و « البون » أو « عدم التطابق » ، فليس بدعا أن يكون فى « التفكير الخلقى » ضرب من الانشقاق على اللذة او الانفصال عنها . والواقع أن الحياة الخلقية ـ سواء اردنا أم لم نرد ـ انما تعنى أن اللذة لا تساوى كل وجودنا ، أو انها لا تتطابق تماما مع حياتنا في مجموعها . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان « المشكلة الخلقية » تدور فى الاصل حول ضرورة تحويل بينة اللذة الى اشكال يبعث على التساؤل. ولو كان يكفى ان ينشد المرء اللذة ويتجنب الالم ، لكى يكون « كائنا اخلاقيا » ، لما وجد أى انسان اية صعوبة فى أن يكون « صاحب خلق » ! ولكن « الضمير » ـ أو الشعور الخلقى ـ انما هو أولا وقبل كل شيء ، ادراك واضح لعجز « اللذة » عن تفسير نفسها بنفسها ، واقتناع تام بقصور مبدأ « اللذة » عن توجيه السلوك الانسانى برمته .

واذا كنا نشهد اليوم ـ فى كثير من المجتمعات ـ عودا الى « مبدأ اللذة » ، فقد اصبح لزاما علينا ـ أكثر مما كان الحال فى اى وقت مضى ـ أن نطالب « اللذة » بتقديم أوراق اعتمادها ، حتى نبين للناس أن المشكلة الخلقية لا تحل على الصعيد الطبيعى الصرف ، أو فى المستوى البيولوجى المحض . وسنرى عندئذ أن حساب اللذات « اعجز من أن يحقق للانسان توازنه النفسى المنشود ، وأن حياة اللذة لا بد من أن تفضى فى خاتمة المطاف الى حالة اليمة من التمزق النفسى أو التفكك الداخلى.

فلاسفة « اللذة » يقولون لنا انها « بديهية أولية » . .

القائلون بمذهب اللذة من فلاسفة

وليسمح لنا القارىء ـ بادىء ذى بدء ـ أن نعرض عليه وجهة القائلين بمذهب اللذة من فلاسفة وعلماء أخلاق : فان هؤلاء مجمعون على القول بأن البشر قاطبة يطلبون اللذة ، ويتجنبون الالم ، بحيث قد لا نجاوز الصواب اذا قلنا مع أرسطو بأن « ثمة نوعا من التكافؤ بين الحياة واللذة » . والواقع ـ فيما يرى أصحاب هذا المذهب ـ أن التأكيد الطبيعى لحقنا فى اللذة انما هو «بديهية» واضحة بذاتها ، وكأنما هى « مطلب منطقى » Logical Exigence أو « تحصيل حاصل » أكثر مما هى « حساب نفعى » . ومعنى هذا انه لمن التناقض أن نتصور وجود كائن يقبل على الالم ويعزف عن اللذة ، لان جاذبية اللذة تتمتع بضرب من الوضوح أو البداهة ، وكأنما هى « قانون الهوية » (أو الذاتية) Identity ، فى مجال السلوك ! وهذا افلاطون نفسه يحدثنا فى محاورة « مينون » Menon عن « ارادة الخير » فيقول انها « تحصيل حاصل » : لان الانسان حتى حين يريد الشر فانه لا يريد الا الخير ، بمعنى انه يريد الشر بوصفه خيرا له ! والا ، فهل وجد على ظهر البسيطة مخلوق يريد لنفسه الشقاء أو التعاسة ؟ واذن افلا يحق لنا أن نقول ـ فيما يرى أصحاب هذا المذهب ـ ان « اللذة » هى «الحقيقة الذاتية» الاولى التى تتحقق في « الآن » Instant ، فتقبض على « الذات » Self بجمع يديها ، محاولة أن تستبقيها فى الحاضر ؟!

هل يكون سحر «اللذة» كسحر «المرأة» ؟!

ان ارسطو ليقرر أن « اللذة » هى « البينة » Evidence التى ليست فى حاجة الى تبرير أو تفسير : لانها تملك من قوة الاقناع وسحر البيان ، ما يعجز عن الرد عليه اى منطق عقلى كائنا ما كان ! وآية ذلك أن « اللذة » ليست في حاجة الى الحاح حتى تفرض نفسها علينا ، بل اننا جميعا لنقبل عليها من تلقاء انفسنا ، دون أن نسائل ذواتنا كيف يمكننا تفسيرها ، أو لم كانت

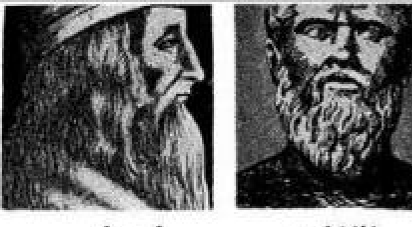
المتعة أمرا مرغوبا فيه . وكثيرا ما تكون الذرة الصغيرة من « اللذة » كافية لبلبلة الرأس الكبير !

ومن هنا فقد يكون في وسعنا أن نشبه سحر اللذة بسحر المرأة : لأنه مهما كان جمال المرأة عابرا او براقا ، فان نشوته لا بد من أن تلعب برأس أزهد الناس جريا وراء النساء ! ولعل هذا ما عناه الكاتب القصصي ألدُس هكسلي Aldous Huxley حينما كتب يقول : « ان الجمال لهو خطاب مفتوح هيهات لأحد أن يتجاهله » .

حقا انك قد تحاول أن تظهر بمظهر الرجل الرزين المتين ، أو الشخص القوى المتماسك ، ولكن الوجه الجميل لا بد من أن يثير لديك ضربا من الفضول ، ولا بد من أن يدفعك الى التوقف ، وبالتالى فانه لا بد من أن يفرض نفسه عليك ! ومهما كنت جادا ، بل مهما كنت فاضلا ، فان السؤال الملح الذى يلقيه عليه «المُحَيّا الجميل» لن يبرح ذهنك في سهولة ويسر ، لأنك لن تستطيع أن تجزم في يقين قاطع أكيد بأن الحكمة افضل من الشهوة ، وأن التعقل الهادىء الرزين أجدى على النفس من اى استغراق عارم عنيف في ليلة سحرية عميقة لا نهائية من ليالى الحب الصاخب الجامح العربيد ! وحتى لو نجحت في مجابهة « اللذة » بكلمة : « لا » ، فانك عندئذ لن تكون قد تنكرت لسحرها او قاومت سطوتها ، بل ستكون قد آثرت تأجيل موعد استحقاق الدفع ، أو ربما تكون قد آثرت الانتظار ، أملا منك في الحصول على لذة أكبر !

أم هل تكون طبيعة اللذة « سلبية » ؟

ولكن ، فلنحاول التعرف على طبيعة تلك «اللذة» التى قد يبدو لنا احيانا انها كل شىء في الحياة ، ولنسائل أنفسنا : هل تكون « اللذة » خيرا حقيقيا يمكن أن نعده بمثابة « غاية في ذاته » ؟ .. ان هناك ــ بلا شك ــ لذات طبيعية نحس بها احساسا تلقائيا في صميم حياتنا العادية ، وتلك هى لذات الحياة السوية : كالصحة والشباب والحرية والسلام . ولكن أليست هذه اللذات ــ مع الأسف ــ مجرد « لذات لاحقة » قلما نستشعرها ، اللهم الا بعد أن يكون المرض والشيخوخة والعبودية والحرب قد جاءت فسلبتنا اياها ، وحرمتنا منها ؟ الحق ان « وجودنا »



افلاطون — أرسطو

ظاهرة عادية تمضى من تلقاء نفسها ، وكأنما هو « هبة » أو « منحة » لا نكاد نشعر نحو القَدَر بأى عرفان للجميل بسببها ، مثله في ذلك كمثل المناخ المعتدل بالنسبة الى سكان المناطق الطبيعية المتوسطة : فانه في نظرهم ظاهرة عادية قلما يشعرون بقيمتها ! ولا شك أن شوبنهاور حينما قرر أن « الالم » (لا اللذة) هو وحده « الظاهرة الايجابية » ، فانه لم يكن يعنى بذلك سوى القول بأن « الالم » يتأرجح بين حالتين سلبيتين : حالة الانتظار أو التوقع (قبل حدوث اللذة) ، ثم حالة السأم أو الملل (بعد استمرار اللذة) . فالالم ظاهرة ايجابية نستشعرها بطريقة مباشرة ، لدرجة اننا لا نتذوق المتع او اللذات ، اللهم الا بفضل تلك الآلام التى تتهددها وتكمن من ورائها . ولهذا يقرر بعض فلاسفة الاخلاق انه اذا كان في اللذة « جانب ايجابى » فان هذا الجانب نفسه موسوم بطابع « الالم » !

والواقع أن كل « احساس » Sensation لا بد بالضرورة من أن ينطوى على ضرب من « الانفعال » أو « التقبل » أو « التألم » أو « المعاناة » . ولعل هذا ما تعنيه العبارة الفرنسية القائلة بأن « الاستجابة الحسية معاناة وتأثر » : Seutir C'est Patir وآية ذلك أن الانسان لا يشعر بأى عضو داخلى من أعضائه الا حينما يختل أو يمرض أو يطرأ عليه اضطراب : اذ عندئذ (وعندئذ فقط) يشعر المرء بقلبه أو كبده أو كليتيه او امعائه ..

ولكن ، هل يكون معنى هذا أن كل شعور لا بد من أن يكون شعورا بالالم ، وانه ليس هناك ــ بالتالى ــ شعور باللذة ؟ كلا ولا ريب ، فان ثمة شعورا باللذة ، ولكن على حين أن من شأن الشعور بالالم أن يزيد من حدة الالم وخطورته ، نجد أن من شأن الشعور باللذة (في كثير من الاحيان) أن يبدد اللذة ويعمل على محوها . والسبب في ذلك انه ليس للذة من طعم أو شكل او لون ، اللهم الا حينما نتطلع الى شىء آخر بجانبها أو الى

جوارها ، بدلا من أن نركز ابصارنا فيها أو أن نحدق النظر اليها ! ولا غرو،فانه بمجرد ما يتسلل الوعى الى اللذة ، فاننا سرعان ما نتحقق من أن لذتنا قد ابتدات وانها قد تطورت ، وانها قد تنتهى ! وحينما يعرف الفكر طريقه الى اللذة فان اللذة لا بد من أن تبدو له بمثابة فقاعة هوائية كبيرة ، او مجرد بقعة لامعة فوق قوس قزح ! اضف الى ذلك انه اذا دامت اللذة ـ وهى قلما تدوم ـ فانها لا بد أن تخفى وراءها احساسا بالسام . ولا شك أن هذا الاحساس الخفى الذى يشيع فى كل (او جل) اللذات البشرية هو الذى يخلع عليها ضربا من المرارة ، خصوصا حين تجىء تلك اللذات فتنعكس على نفسها ، محاولة العمل على تأمل مضمونها . .

هل تكون هناك « لذات خالصة » ؟

وهنا قد يسارع انصار اللذة الى القول بان ثمة « لذات خالصة » لا ينطبق عليها مثل هذا الوصف ، لأنها متع طبيعية سوية لا اثر فيها للألم او السأم . ولكن الواقع انه قلما تخلو « لذة » ـ كائنة ما كانت ـ من اى اثر للنقص او التناقض او الازدواج او النسبية او التكرار او الخواء . وآية ذلك أناللذة اولا وليدة الحاجة، ثم هى ثانيا كثيرا ما تجىء مشوبة بالالم ، وهى اخيرا لا بد من أن تنطوى على صبغة انفعالية (أو كيفية وجدانية) ، بمعنى انها لا تخرج عن كونها حدثا نفسانيا نشعر به عن طريق مثول ضده الاليم . ولعل هذا ما عناه الكاتب الفرنسى الشهير مونتنى Montaigne حينما قال : « اننا قلما نتذوق شيئا صافيا أو لذة خالصة » . ولماذا لا نقول ان ضحكاتنا نفسها قد تخفى وراءها فى بعض الاحيان دموعا متجمدة ، أو آلاما مكتومة ، أو احساسا دفينا بالقلق ؟ بلألسنا نقطبوجوهنا حين نضحك ، كما نقطبها حين نبكى ؟ واذن فقيم الحديث عن « لذات خالصة » ، وكل ما فى وجودنا مزيج منالدموع والضحكات ، ومن الآلام والآمال.

وحسبنا أن ننظر الى « اللذة » من وجهة نظر « الزمان » ، لكى نتحقق من انها لا تكاد تتمتع بأى « حاضر » حقيقي . وعلى حين أننا نستطيع دائما أن نحدد موضع الألم وان ننسب اليه ضربا من الاستمرار أو الدوام ، نجد أن اللذة بعيدة كل البعد عن أن تكون حدثا ماثلا « هنا والآن » .

والحق أن الألم كثيرا ما يبدو لنا بصورة كتلة كثيفة متماسكة من الحاضر الأليم ، فى حين قد تبدو لنا اللذة بصورة سراب زائل واه ، أو ضباب خفيف عابر فوق سطح الحاضر ! ولهذا يقول لافورج Laforgue « انه ليس للسعادة من حاضر ، بل كل ما لها ماض ومستقبل فقط » . وقد يستطيع الانسان أن يألف الألم ، ولكن هذه الالفة ـ مع ذلك ـ لن ترفع عن الألم طابعه الشرير أو وطأته الثقيلة ، بل سيظل الألم دائما ضيفا ثقيلا يلاحق المرء بوخزه المستمر وضرباته المتلاحقة . وأما اللذة ، فانها ما تكاد تدوم ، حتى تنطفىء جذوتها وتخف سورتها ، على العكس من الألم الذى قد تزداد حدته تحت وطأة التكرار أو الاستمرار . وان انصار اللذة ليتحدثون عن « الشهوة » ولكن الشهوة مجرد « حدث » يقع فى « الآن » ، فهي « حاضر » لا كثافة له ، بدليل انها ما تكاد تدوم لفترة تتجاوز اللحظة ، حتى تستحيل الى « تقزز » أو « نفور » أو « تبلد » أو « اعياء » ! ومن هنا فقد استطاع شوبنهاور ـ مرة اخرى ـ أن يقول : « أن للألم تاريخا ، وأما اللذة فلا تاريخ لها » ! .

وماذا عن لذة الحب ؟

. . . وماذا عن « لذة الحب » ؟ ! أهى أيضا ليست « لذة خالصة » ؟ .

ان الانسان يريد أن يجعل للذة وجودها الحقيقي بوصفها القطب الآخر المقابل للألم ، ومن ثم فانه يستعين بكافة الوسائل الارادية والحيل الاصطناعية من أجل العمل على تحقيق استمرار اللذة وضمان دوامها . ولهذا فاننا نراه يغلف اللذة باغطية جميلة براقة من « الأمل » « التطلع » ، و « الاسترجاع » و « التذكر » ، كما نراه يخلط فى الوقت نفسه بين اللذة ذاتها من جهة ، ومجموع الشروط أو الظروف الموضوعية الثابتة التى تحدد ظهورها من جهة اخرى . وهكذا يصبح للذة وجودها فى « الماضى » بفضل عملية « الاسترجاع » أو « الاسترداد » ، وفى « المستقبل » بفضل عملية « التطلع » أو « الاستباق » ، بدليل أننا نتحسر على لذاتنا المنصرمة ، ونتطلع بشغف ولهفة الى لذاتنا المقبلة . ولكن ، ألسنا نجد هنا سخرية لاذعة من قبيل « الزمان » : فان الزمان لا يدعنا


هكسلى


مونتى

تتذوق سحر « اليوم » ، اللهم الا بعد أن يكون قد انتزعه منا واحاله الى مجرد « أمس » ؟ .

ولننظر مثلا الى « لذة الحب » ـ تلك اللذة القديمة فى تاريخ البشرية قدم العالم نفسه ، وان كان من شأنها دائما أن تبدو جديدة كل الجدة لذلك القلب العاشق الذى يرى فيها لذة نقية خالصة ـ ولنسائل انفسنا : « ألسنا هنا بإزاء لذة لاحقة ، تستبدل بمتعة الأمر الراهن نظرة استرجاعية ترتد الى صورته الماضية ، أو نظرة استباقية تتطلع الى صورته المقبلة ؟ » ألسنا نلاحظ أن لحظة الحب الحقيقية تشغل مكانا ضئيلا بالقياس الى المقدمات الجميلة التي تستبقه والتحسرات الأليمة التي تتلوه ؟ وإذن أفلا يجدر بنا أن نقول انه لولا تدخل كل من الذاكرة والمخيلة، لما كانت لتلك اللحظة الخاطفة التي نسميها باسم « الحب » أية حقيقة واقعية فعلية فى الزمان ؟... صحيح أننا قد نحيا على تلك اللحظات الخاطفة من الأمل والدفء فصولا طويلة من الوحدة القاسية والعزلة الباردة ، ولكن من المؤكد مع ذلك أن هذه المتع الخاطفة لا تجعل من اللذة حقيقة مليئة تشغل كتلة من الزمن ! ومهما كان من شأن لذة الحب أن تحيل شتاء حياتنا القارس الى ربيع وردى ساحر ، بل مهما كان من شأن متعة الحب أن تخلع على ساعات حياتنا المبتذلة اشراقة الاحياء الهاربة من أسر الزمن ، فان هذه « اللذة » أو « المتعة » ليست مع ذلك سوى مجرد بطانة جميلة تغلف الحب ، دون أن تدخل فى صميم « جوهره » ! وآية ذلك أننا حينما نتحدث عن « الحب » ، فاننا كثيرا ما نبتدع لأنفسنا أسطورة جميلة نملأ بها وحدتنا ، ونستعين بها على مواجهة ما فى حياتنا من جفاف أو فراغ أو غياب أو جفاء ! ولعل هذا ما عناه الكاتب الفرنسي المشهور مارسل بروست M. Proust حينما كتب يقول : « ان ما نحبه ليس الا حبنا نفسه ، لا المحبوب » ! ومعنى هذا أن من شأن « اللذة » فى حالة «الحب» أن تنعكس على نفسها ، لكى تستمتع بنفسها وتتذوق ذاتها ، بفضل تلك الأنانية الساحرة التي تسمح لها باجترار حالاتها النفسية المتعاقبة من انتظار ، وأمل ، وتوقع ، وتذكر ، وتحسر ، وتلهف ، واشتياق ...

هل من سبيل الى الحصول على اللذة ؟

ولنفترض ـ مع ذلك ـ أن اللذة « خير » فى ذاتها ثم لنحاول أن نتساءل عن السبيل الى الحصول عليها أو الوصول اليها . وهنا نلاحظ مع الفيلسوف الالماني ماكس شلر M. Scheler انه « اذا كان من شأن الألم أن يلاحق الهارب ، فان من شأن اللذة أن تهرب من المطارد » ! وهذا بروست أيضا يحدثنا عن عجز الانسان عن الاهتداء الى اللذة حين يكتفى بالبحث عنها ، فيبين لنا كيف أن المرء حين يتوقع اللذة ويترقبها ويمهد لها ، فانه لا يلبث أن يلتقى ـ فى خاتمة المطاف ـ بالسأم الممض الأليم ... أليس من خصائص « الوعى » انه بمجرد ما يحاول الاستمساك باللذة والعمل على استبقائها ، فانه سرعان ما يقصيها وينأى بها بعيدا عنه ؟ صحيح أن الكثيرين يحاولون التفنن فى البحث عن اللذات وتصيد شتى أنواع الاستمتاع ، ولكن الحقيقة أننا مهما أنفقنا واجهدنا نفوسنا ، فاننا لن نلتقى باللذة كما لو كانت « نتيجة » قد ترتبت على بعض « المقدمات » . والسبب فى ذلك أن اللذة (بطبيعتها) ليست « حالة » أو « موضوعا » أو «أسلوبا فى الوجود»، بل هى ـ فى جوهرها ـ « لحق » ، أو « اضافة » أو « هبة مجانية » ! وحتى حين تترتب اللذة آليا على عمل قمنا به ، وكأنما هي جزاء له أو مكافأة عليه أو نتيجة طبيعية له ، فاننا مع ذلك قد نجد فيها عنصرا « غير مستحق » لم يترتب على ذلك العمل على سبيل اللزوم السببى أو الترابط العلمي . ومعنى هذا انه مهما كان من أمر استحقاقنا للذة ، فانها لا بد من أن تبدو لنا بصورة الأمر الذى لم نكن نتوقعه أو الشيء الذى لم يمهد له . وعلى الرغم من أن اللذة قد تتمثل لذهنى على صورة حق مشروع أو نتيجة طبيعية لجهد قمت بادائه ، الا أنها لا بد من أن تبدو لى ـ حين تتحقق ـ بمثابة شيء جديد ، وكأن اللذة الفعلية ليست مجرد نتيجة مستخلصة من امكانية اللذة . وإذن فليس هناك « تكنيك » خاص لاقتناص اللذات ، بل ان من شأن اللذة باستمرار أن تضعنا تحت رحمتها ، لا نحصل عليها بالقوة ! .

هدف الحياة ممارسة ما في الانسان من انساق من انشطة

والحق ان الحساسية ليست أعمق ما في الوجود البشري ، بل انها هي نفسها مجرد « نتيجة » تترتب على اشباع نشاطنا (أو عدم اشباعه) ، وبالتالي فان اللذة – كما لاحظ ارسطو – لا تخرج عن كونها غاية ثانوية للحياة البشرية . ولما كان كل موجود عبارة عن مجموعة من الميول ، او نسق من الأنشطة ، فان الهدف السوى المباشر للحياة لا يمكن أن يكون هو اللذة ، بل ممارسة تلك الميول أو الأنشطة . وأما حين يتخذ الموجود البشري من « اللذة » غاية نهائية له ، فانه عندئذ سرعان ما يتحقق من أن في أعماقه طاقة دفينة تلتمس شيئا آخر غير اللذة . ويكفي أن يسلط الوعي أضواءه الساطعة على اللذة ، لكي يدرك المرء أن « اللذة » ليست سوى متعة تافهة حقيرة لن يكون لها غد ! فليس من شأن الوعي أن يحيل اللذة الى مجرد موضوع فحسب ، بل ان من شأنه أيضا أن يظهرنا على ما فيها من نقص ، ونسبية ، وزوال . والواقع أننا « نشعر بأن اللذة لا توصلنا الى شيء .. ! انها – كما يقول جيوليان جرين J. Green في مذكراته – تريد أن تكون غاية في ذاتها ، ولكنها في الحقيقة لا تقوم الا بدور تافه حقير . انها مجرد قرد يحاكي « المطلق » The Absolute ، واقصى ما يمكن أن تؤديه في حياتنا هو أن تزودنا بوهم الفناء ، أو ان تكشف لنا عن خداع العدم » !! .

فوضى اللذات في حياتنا النفسية ..

ولنسلم – جدلا – مع بعض فلاسفة اللذة بامكان توجيه الحياة النفسية بأسرها نحو البحث عن اللذات ، ثم لنر بعد ذلك ما الذي يمكن أن يترتب على مثل هذا المسلك . الحق اننا لو تركنا لذاتنا وشأنها ، لاستحالت على الفور الى مجموعة فوضوية أو حشد متناقض من اللذات . وهذا هو السبب في أنه لا بد – ان عاجلا أو آجلا – من أن يجيء « الفكر » فيحاول تنظيم تلك اللذات أو العمل على تنسيقها . ولا غرو ، فان الملاحظ في دنيا اللذات ان اللذة الواحدة قلما تقع بجانب صغير من الشعور ، بل هي تريد أن تستأثر لنفسها بمجال الوعي كله . ولكننا نعيش في عالم متناه هيهات أن تتحقق فيه سائر اللذات معا ، فلا بد لنا من العمل على تحقيق ضرب من « الاقتصاد » أو « التنظيم » في نطاق تلك المتع أو اللذات ، عن طريق معرفة الظروف أو الشروط التي يمكن أن تكفل الانسجام بين اللذات ! .

ومعنى هذا انه لا بد من أن نحاول احالة « مبدأ اللذة » الى « تكنيك للسعادة » (ان صح هذا التعبير) ، بأن ندخل على سلسلة اللذات جانبا من التفكير أو التدبير أو التنظيم . وهكذا قد نجد أنفسنا مضطرين الى ارجاء الحصول على بعض اللذات من أجل امكان التمتع ببعضها الآخر ، أو قد نفطن الى ضرورة العمل على اشباع رغباتنا على أمد طويل ، بدلا من اشباعها بشكل فوري مباشر .

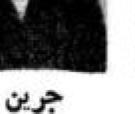
وهنا نجد أنفسنا بازاء « مذهب المنفعة » الذي يريد لنفسه أن يكون مجرد تصحيح عقلي لفلسفة اللذة : فان حساب اللذات عند جون استيوارت مل لا يعني سوى تأخير موعد استحقاق اللذة ، من أجل صبغ السعادة بصبغة عقلية تتفق مع مصلحة كل من الفرد والجماعة . ولكن الظاهر أن الفيلسوف حين يطرد « اللذة » من الباب ، فانها لا تلبث أن تعود من النافذة ! وآية ذلك أن كل الفلسفة النفعية لم تستطع أن تقضي تماما على كل اعتبار لمبدأ اللذة ، ومن ثم فقد بقيت الأخلاق عندها مجرد حيلة عقلية تصطنعها اللذات من أجل تأكيد نفسها مرة أخرى على حساب الضمير . والحق أن « النفعية » تتحايل علينا من أجل العودة الى تقرير مبدأ اللذة، وان كان ذلك بصورة أشد معقولية ، في حين أننا نشعر في قرارة نفوسنا بأن كل « نقد أخلاقي » ينتهي بنا في خاتمة المطاف الى « اللذة » لا بد من أن يكون نقدا مشكوكا فيه . ومن هنا فان « اللذة » – بالنسبة الى ذلك النقد الاخلاقي المزعوم – ليست « نتيجة » قد تم التوصل اليها بل هي « غاية » قد انتهى اليها مساره من حيث لا يدرى ، بفضل نوع من «الاستدلال التبريري»!!.

كنط



بروست





جرين

« الضمير » و « مبدأ اللذة » ؟

والواقع أننا لو نظرنا الى ما اصطلحنا على تسميته باسم « الضمير » أو « الشعور الخلقي » لوجدنا انه في جوهره « شعور اليم » ، او هو على الاقل احساس ضمني بأن اللذة لا تساوى شيئا ! فالضمير يجزع من اللذة ، ويتوجس من مبدأ الاقبال على اللذات ، ولكن لأنه يجد «اللذة» ناقصة أو غير كافية فحسب ، بل لأنه يراها أيضا « كريهة في حد ذاتها » ! صحيح أن اللذات تمثل وقائع اصلية في صميم حياتنا الشعورية ، فضلا عن انه قد لا يكون من مصلحة العقل أن يتنكر تماما لمبدأ اللذة ، ولكن الفضيلة ـ مع ذلك ـ تعامل اللذات معاملة الأعداء ، على اعتبار ان كل ما يمثل حياة السهولة أو التلقائية أو الاشباع انما هو في حد ذاته « لا ـ أخلاقي » : Immoral وهذا هو السبب في أن الكثير من فلاسفة الاخلاق قد ذهبوا الى أن مبدأ « الحياة الخلقية » لا يمكن أن يكون هو « اللذة » ، بل هو على الاحرى « قانون فائق للطبيعة » . وحين يقرر بعض الاخلاقيين أن الفضيلة « شريعة القلب » فانهم يعنون بذلك أنها تمثل قانونا غير مكتوب لا يكاد يمت بأدنى صلة الى مصلحة الفرد ، أو الى الخير العام ، أو حتى الى ما قد نسميه باسم « المصلحة العليا للحقيقة » ! ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الالماني الكبير « كانط » Kant حينما قال عبارته الخالدة : « ان ما يميز الفضيلة على وجه التحديد أنها شيء يكلفنا الكثير ، دون ان نكسب من ورائه شيئا ، اللهم الا النزر اليسير » ! .

عالم "شقى" يبحث ـ عبثا ـ عن السعادة!

أما بعد ، فاننا نحيا اليوم في عالم شقى يبحث ـ عبثا ـ عن السعادة ! انه عالم مادى يتوهم أن « حساب اللذات » هو الكفيل بتحقيق توازنه النفسي ، وكأن « السعادة » هي مجرد مهارة تكنيكية تنحصر في استعمال الأشياء على النحو الذى يحقق التوافق بينها وبين ذواتنا ! ولا شك أن الشباب حين يسعى جاهدا في سبيل تنويع خبرته والبحث عن تجارب جديدة ، فانه يتوهم أن الوصول الى « ملذات جديدة » هو السبيل الأوحد الى تحقيق السعادة . ولكن أية سعادة تعتمد أصلا على « امكانية التغيير » لن تكون الا شيئا هشا يحيا في مملكة الصدفة ، لأننا عندئذ سنكون قد علقنا آمالا كبرى على هذه الاستجابة أو تلك من قبل العالم الخارجي ! وهل كانت السعادة يوما رهنا بحالة الخضوع التام للعالم ، أو الاعتماد الكلي على الظروف الخارجية ؟ .

ان البعض ليظن أن حياة اللذة هي السعادة بعينها ، ولكن حياة اللذة في الحقيقة هي حياة التفكك ، والتمزق ، والانفصال ، والفوضى ، وانعدام التكامل ... انها حياة انسان يعيش صريعا لحالة مستمرة من « الشد والجذب » : لأنه يبحث دائما عن مطالب متناقضة وغايات متعارضة ، دون أن يتمكن يوما من الوصول الى اية « وحدة نفسية » أو اى « تكامل نفسي » . وحينما تصبح حياة الانسان الشخصية ضحية لمطلب نهم ، ما يكاد يتم اشباعه ، حتى يعاود الالحاح على صاحبه (كما هو الحال مثلا لدى عبيد الخمر أو المخدرات أو أية لذة أخرى ملحة) ، فان « الامتلاء » المزعوم الذى تلوح لنا به اللذة سرعان ما يستحيل الى « خلاء » حقيقي اليم . ولا غرو ، فان حياة اللذة حياة متقطعة عديمة الانتظام ، تفصل اللحظات بعضها عن البعض الآخر ، لكى تجرى وراء كل لحظة منها في اتجاهها الخاص ! ومن هنا فان اللذة لا يمكن أن تهبنا الشعور بالطمأنينة أو الاحساس بالسلم لأن « التحرر » الذى توفره لنا يظل هو نفسه خاضعا للزمان ، والزمان لا يفتأ ينكره ويلغيه بغير انقطاع! وحسبنا أن نرجع الى حياة كل من أندرية جيد A. Gida ومونترلان ، لكى نتحقق من أن اللذة عندهما قد كانت تلتمس « المطلق » في « الآن » ، فلم تستطع أن تظفر بامتلاء وقتي أو اشباع آنى ، وهيهات لمثل هذا « الامتلاء » أن يشبع نهم الارادة البشرية ... ■■

زكريا ابراهيم

برونو

١٥٤٨ — ١٦٠٠

GIORDANO BRUNO

حياة عاصفة و نهاية فاجعة

الرجل ذو الراى الحر الذى احرقوه في عام ١٦٠٠ في ميدان الازهار بروما ، وفي عام ١٨٨٩ أقاموا له تمثالا في نفس الميدان !

■ كلما أمعن العالم فى القدم ترامت حدود المعرفة الانسانية واتسعت آفاقها ، وتجددت الحاجة من الحين الى الحين الى تنقيح الآراء والمعتقدات السائدة وتصحيحها ، او نبذها والاخذ بآراء ومعتقدات مستحدثة تلائم المعرفة المتطورة والعلم الجديد ، وما كان يبدو فى عصر من العصور من الحقائق المسلم بصحتها قد يراه عصر آخر من قبيل الأوهام والاضاليل ، ولكن الانسان شديد التعلق بالآراء التى نشأ عليها والمعتقدات التى الفها ومن ثم يكون ضيقه بالمصلحين والمجددين والكاشفين والمخترعين الذين يأتون له بالآراء الجديدة ، ويعملون على تغيير المعتقدات السالفة.

وحتى اليوم قد يكون نصيب من يقوم بمثل هذه المحاولة السخرية والانتقاص ، اما في العصر الوسيط فكان نصيبه الهوان والشقاء والنفى والتشريد ، وفي بعض الأحايين كان يلحق صاحب الراى الجديد بطائفة المجرمين الآثمين الذين لا يجد المجتمع أمنه وراحته الا في الخلاص منهم والقضاء عليهم .

وقد نعجب بالابطال الذين أبلوا بلاء حسنا واظهروا شجاعة نادرة في ساحات القتال ، ولكن الرجال الذين تصدوا لتنفيذ الأباطيل الذائعة ونقض الافكار الخاطئة الشائعة قد لعبوا من غير شك دورا هاما في تاريخ الانسانية ، وأناروا لنا السبيل ، وان لم يظفروا من الشهرة بنصيب كالذى ظفر به مساعر الحروب وابطال الميادين . واظهار الشجاعة الادبية في أغلب الاوقات يجعل الانسان مكروها قليل الأنصار والأصدقاء ، وقد يجر عليه من المتاعب ما لا قبل له بدفعه ، ومن الآلام ما لا طاقة له باحتماله . ان السير مع القطيع لا يكلف الانسان جهدا ولا يحمله مشقة ولا تبعة ، اما الذى يجذف ضد التيار فلن يكون في مأموله ان يجد الكثيرين في رفقته .

وقد اثارت الكشوف الفلكية العظيمة في عهد

بقلم : على ادهم

من يجترىء على اعلان مخالفته التعرض للعنف البالغ والعقوبة الشديدة ، وقد تمثلت هـذه النزعة في صورة واضحة في حياة كبير فلاسفة عصره واحد افذاذ المفكرين العالميين الفيلسوف الشاعر الايطالى برُونو .

في ((ميدان الازهار)) بروما

في يوم ٧ فبراير سنة ١٦٠٠ اجتمع جمع كبير حاشد من الناس في ميـدان كامبودى فيورى (ميدان الازهار) اوسع ميادين روما ، وفي وسط الميدان وضعت أكداس ضخمة من الحطب ،ونصبت في وسط الكتل الخشبية فروع الاشجار القائمة التى يشد اليها من حكم عليهم بالاعدام حرقا .

وكان يبدو على وجوه الكثيرين من أفراد هذا الجمع الغفير معنى الانتصار المتشفي ، فقد كانت الكنيسة ستحلُّ النقمة وتنزل المكروه بأحـد الخارجين على أوامرها ونواهيها والمخالفين لتعاليمها والمنشقين على سلطانها ، وكان هذا المتهم بالمروق ممن يقولون بان الارض تدور حول الشمس .

واخذ الجند يخلون الطريق ليتقدم الموكب في جلال ووقار الى المكان المقصود ، وكان يقـاد الى القائمة رجل صغير الجرم ، بادى الهزال ، اسود اللحية ، قد ألبس رداء الذين صدر عليهم حكم مجلس التفتيش ، وهو حلة صفراء اللـون قد رسمت عليها صور اللهب المشتعل والشياطين، وكان القساوسة حتى تلك اللحظة الأخيرة يحاولون أن يجاذبوه أطراف الحديث ويجادلوه ليعلـن

الاحياء Renaisconce خواطر الناس ، وأحدثت اضطرابا في تفكيرهم ، انه حينما قال بيتاجوراس قديما ان الارض مستديرة وليست مسطحة سخر منه قومه ، وانكروا عليه قوله ، فما ظنك بمن قال في العصر الوسيط بأن الارض ليست مركز الكون الذى تدور حوله الشمس والقمر والكواكب ؟

لقد كان هذا هو الاعتقاد السائد حتى القـرن الخامس عشر الميلادى ، وحينما اعلن كوبر نيكاس في كتابه بين سنة ١٥٠٦ وسنة ١٥١٢ نظريته في ان الشمس هى مركز الكون الذى تدور حـوله الارض وغيرها من الكواكب لم ينظروا اليه نظرة جدية ، ولكن الشيء الخطير أن هذه النظرية كانت تتعارض ، لا مع الدين ، ولكن مع ما ظن رجال الدين انه التفسير الصحيح للكتب المقدسة .

وفي القرن السادس عشر الميلادى كان لا يمكن احتمال اى راى يخالف ما اصطلح على تقريره رجال الدين او الصبر عليه ، وكان نصيب كل

اعترافه بالخطأ ، ويلتمس العفو والمغفرة ، ولكنه كان يرمقهم بنظرة يبدو فيها الحزن ، ولكنها تنم على العزم الذى لا تلين قناته ، ويرفض أن يستمع اليهم ، او ان يقبل أى عزاء منهم ، ويبدى الجمع الحاشد السخرية والاستهزاء بهذه الضحية من ضحايا حرية الفكر واستقلال الرأى . ويتقدم الرجل بخطوات ثابتة الى القائمة المنصوبة ، ويُشدّ وثاقه ، فهل يقول الكلمة التى تجنبه هذا المصير الفاجع والخاتمة الأليمة ؟ وهل يخرج جاثيا على ركبتيه ويلتمس الرحمة ؟ لقد انتظروا لحظة ، ولكنه ظل صامتا هادئا متماسكا بادى الصلابة والاصرار ، وتشعل الأكداس المتعالية ، وبتواثب اللهب ، ويتلوى الفريسة من الألم ، ولكنه لا يطلق صيحة واحدة ، ويلفه الدخان بين صيحات الجماهير الغفيرة المتعالية ، ولا يبقى منه بعد لحظات سوى كوم من الرماد تذروه الريح ..

هكذا كانت نهاية حياة الفيلسوف الشاعر جيور دانو برونو الذى رفض أن يؤمن بما رآه باطلا ، وأبى ان يرجع عما اعتقد أنه الحق .

مولده ونشأته

ولد برونو في مدينة نولا على مقربة من جبل بركان فيزوف ، وللبيئة الجغرافية التى ينشأ بها الانسان أثرها المعهود في أخلاقه وتكوين شخصيته، وتذكرنى هذه البيئة بقول المرحوم الاستاذ العقاد في أهل أسوان .

بنو الشمس أهلوها اذا اشتد قيظها
وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا

لقد نفثت فينا الحياة ضرامها
فأنفسنا من حرها شعلة حرى

وكان ميلاده في سنة ١٥٤٨ ، وكان أبوه جنديا ، ومعلومتنا عن طفولته ونشأته قليلة ولكن يبدو أنه تلقى دراسة صالحة ، وكان من باكورة حياته مشغوفا بالمعرفة ، وكانت معرفته بالعلم والرياضة والأدب المدرسى والشعر والموسيقى تثير الدهشة حتى وهو في مقتبل السن . وعلاوة على معرفته بالايطالية كان يجيد اللاتينية واللغة الاسبانية وله المام باللغة اليونانية . وبرغم حدة مزاجه وطبيعته الحارة النارية أو بسببها كانت أولى الخطوات الحاسمة في حياته التحاقه بدير الرهبان الدومينيكيين وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وقضى في عزلة الدير ثلاث عشرة سنة ، رقى فيها في المراتب الكهنوتية حتى صار قسيسا . وتابع دراساته خلال ذلك في حماسة ملحوظة واهتمام متواصل ، وحصل المعلومات الجمة التى صارت فيما بعد الأساس الذى قام عليه استقلال تفكيره وسعة معرفته وغزارة مؤلفاته .

ولم يكن من المنتظر من رجل متدفق الحيوية ، كثير النشاط ، دائم التطلع مثل برونو أن يظل قابعا في صومعته ، قانعا بحياة التأمل الخالص ، والاسترسال في التفكير العميق . ولم تكن حالة الكنيسة في عصره ترضى رجلا مثله موفور الحظ من الذكاء والمعرفة ، وسرعان ما دفعته وثباته الفكرية الى الخلاف مع رؤسائه فى الدير ، وكان هذا الخلاف الاول من سلسلة الخلافات غير المتناهية التى كان يثيرها برونو أينما حل طوال حياته ، وقد اتهم بوهن العقيدة لأن بعض الآراء التى أبداها كانت تتعارض مع آراء كبار رجال الكنيسة .

وتحرج موقفه وصار غير محتمل ، ولذلك لاذ بالفرار الى نواحى جنوا ، وظل بها بضعة أشهر يعيش على ما يحصل عليه من تعليم الاجرومية لبعض صغار الأطفال، ويقضى سائر أوقاته فيدراسة الفلك . وقد قبل الآراء التى أعلنها كوبرنيكاس ، وقال ان الارض تدور على محورها وتتحرك حول الشمس ، وكان هذا الرأى في عصره يعد من الآراء الخطرة لأنه يناقض ما ذكره ارسطو وما كانت تراه الكنيسة . وقد ذهب برونو أبعد من ذلك ، فقال ان هناك عوالم أخرى مسكونة .

واحياء العلوم الذى حدث في المائة سنة السابقة شجع المثقفين والمتعلمين على أن يتابعوا دراساتهم، ويعبروا عما يخطر لهم من الأفكار الطريفة ،ولكنه من ناحية أخرى جعل الغالبيةلاتطمئن الىالتجديد وتخشى الاصلاح ، وتأبى التغيير . وبطبيعة الحال تغلبت الأفكار الحديثة ، ولكن بعد صراع شديد ، ومعركة حامية .

روح ثائرة متمردة متحدية متنقلة

ومنذ خلعه ثياب الكهنوت وفراره من روما لم يطل مكثه في مكان ما ، وظل ينتقل من مكان الى مكان ، روحا ثائرة متمردة متحدية ، لا تنفك تخوض غمار المناقشات ، وتثير الجدل ، وتتحدى المخالفين فاذا نَبَت به مدينة من المدن انتقل الى غيرها دون أن يتراجع عن خطته في محاولة ايقاظ التفكير ، وحمل على التعصب الذى يشل المواهب ، ويجعل الناس أفقاظا غلاظ القلوب ، وكانت جنيف وليون وباريس ولندن واكسفورد وونتبرج وهالشتدت والبندقية بعض البلاد التى زارها ولقى فيها قادة الفكر المعاصرين له .

وناقش وعارض ، وحل وفارق

وقد عارض برونو رجال الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الذين قبل في مطلع شبابه أن يدخل في زمرتهم ، ولم يعجبه لذلك شدة تعصب انصار كالفن Calvine المصلح الدينى ، ولا المصلحين الدينيين الفرنسيين ، لأنهم كانوا جميعا يعاملون مخالفيهم معاملة بالغة القسوة . كذلك لم يرقه الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت . ولم يرض عن الخلاف بين انصار لوثر Luther وانصار كالفن Calvine ، وكان كالفن يغرى بمجافاة الرحمة والاسراف في التعصب ، ولذلك لم يطل به المقام في جنيف ، وكانت مستقر انصار كالفن ، وحينما زار ونتبرج قوبل بالترحيب ، ولكنه برغم اعجابه بمارتن لوثر لم يرض عن التعاليم البروتستانتية ، وحينما مَثَل امام مجلس التفتيش في البندقية أشار الى المصلحين الالمانيين قائلا « انى أعدائهم أجهلَ منى ، واحتقرهم ، واحتقر مذهبهم ، وهم غير جديرين بأن يُطلَق عليهم اسم رجال الدين ، فهم أدعياء متحذلقون » .

لم يكن برونو ملحدا

ولم يكن برونو ملحدا كما اتهمه أعداؤه ، ولم يكن قصده أن يجرح الشعور الدينى في البلاد التى زارها ، ولم يكن الرجل من جَهَلة المتشككين الذين يتعمدون أن يسخروا من المعتقدات الدينية ، ولم يكن من غواة النقد الهدام ، ومحبى اثارة الشغب والاندفاع في المهاترة والسباب ، وانما كان فيلسوفا روحىَّ النزعة ، مؤمنا بمذهب الحلول ، فهو يرى الله في كل مكان وفي كل شىء ، وآفاقُ تفكيره كانت تشمل العالم جميعه ، وقد رأى أن جوهر الكمال الالهى موجود في الانسان ، ولكنه كان يمقت الأسباب الكثيرة التى تعوق ظهور هذا الجوهر . وكان يريد تحرير عقل الانسان من قيود التعصب والتعاليم الفاسدة ، وكان يطلب الحرية لنفسه ، ويصر على أن كل المشكلات يجب أن تطرح على بساط البحث الحر . وكان أشد ما ينعاه على رجال الدين في عصره وأصحاب الفرق المختلفة ما يثيرونه من الاحقاد والخصومات ، وميلهم الى اضطهاد مخالفيهم والتنكيل بهم ، وكان يؤمن بأن تقدم الانسانية لا يكون الا عن طريق الحرية والاستنارة ، لا عن الخضوع والجهل ، ولكن من بواعث الأسف أن الأغلبية الساحقة من معاصريه كانت نزاعة الى التعصب ومجافاة التسامح في المسائل المتصلة بالعقيدة الدينية .

كاتب خطيب مفوه مشرد ، تحرمه الكنيسة وتطرده الجامعة

ولم يكن برونو مجرد قارىء كتب ، ولم يكن تفكيره مقصورا على مشكلات الفلسفة والدين ، فقد كان يعلم ويلقى محاضرات ويتحدث في بلاغة وتدفق وحسن بيان ، ويجيد الكتابة ، ويحسن عرض الموضوعات التى يتناولها ، وكان فرط تحمسه في التعبير عن آرائه ووجهات نظره مما يلفت النظر ، وكانت آراؤه تثير الدهشة ، وتدعو الى اعمال الفكر لطرافتها واصالتها وجرأتها ، وموجز القول انه كان من هؤلاء المفكرين الذين لا يمكن تجاهلهم ، فهم لا بد أن يشغلوا بال معاصريهم سواء رضي عنهم المعاصرون أو نَقِموا عليهم .

ويُجمع كُتّاب سيرته ورواة أخباره على انه كان في التصريح بآرائه والمجاهرة بدعوته لايصطنع

التقية ، ولا يلجأ الى الحذر ، ولا يمارى أو يوارى ، فغير عجيب أن تقوم في طريقه العقبات ، ويصادف الخصومات والعداوات أينما حل ، فتحرمه الكنيسة ، وتطرده الجامعة ، ويصدق فيه قول المتنبى عن نفسه .

يخيل لى ان البلاد مسامعى
وانى فيها ما تقول العواذل

وقد ظل برونو يعانى آلام هذا التشريد ست عشرة سنة ، وكان السفر في عصره كثير المشاق، وكانت الكتب تطبع ولكن توزيعها كان شديد البطء . وكانت شهرة الأساتذة تقوم على عقد المناظرات والقاء المحاضرات ، وقد استطاع برونو برغم ذلك ان يقدم للطبع كتبا عدة في اثر المدن التي زارها وحاضر بها ، وقد فقد بعض تلك الكتب، ولكن معظم كتاباته الفلسفية واشعاره قد جمعت وحفظت ، وكان لها تأثيرها المباشر في فلسفة اسبينوزا Spinoza وليبنتز Leibnitz والفلسفة المثالية الالمانية في القرن التاسع عشر.

في فرنسا

وحينما زار فرنسا وجد الخلاف الداخلى بين الهيجونوت البروتستانت والكاثوليك على أشده ، وقبل قدومه بثمانى سنوات ، في سنة ١٥٧٢ ، وقعت مذبحة سان برتلمى Saint - Barthelamy في عهد الملك شارل التاسع ، وقد أظهر ذلك لبرونو أى حد من الاجرام قد يدفع الامعان في التعصب . وقد زار تولوز ، والقى بها دروسا في الفلك والفلسفة ، ثم انتقل منها الى باريس ، وعمل على أن يكون أستاذا في جامعتها ، وامل ان يوفق في ذلك لعلاقته الحسنة بملك فرنسا في هذه الفترة ، وهو هنرى الثالث ، الذى اعجب به ، وقد أثنى عليه برونو في كتبه . وكان مما اخذته عليه محكمة التفتيش في البندقية انه مدح أحد الملوك الخارجين على العقيدة .

وكان برونو تسيح وحده في القاء محاضراته ، فقد كان يعنى أشد عناية بأن تصل معانيه الى افهام سامعيه ، فهو يسلك كل الطرق التى تعين على ذلك ، فهو يجد ويلين وينذر ويسر ،وكتاباته كذلك تبين الحالات النفسية التى كانت تتوالى عليه من الجد الى الهزل .

ولقد كان الرجل فيلسوفا شاعرا ، وعالما متصوفا ، ومع سعة معلوماته وقوة تفكيره كان يعتمد كذلك على الحدس والالهام ، ويرى بعض نقاده أن الشاعر الوثاب الخيال كان في نفسه اقوى من الاديب الدارس العالم ، وبعض حكماء الفلاسفة الذين جاءوا بعده مدينين له بالكثير من الخواطر اللامحة والأفكار الموحية .

في انجلترا

وفي سنة ١٥٨٣ قدم لندن حاملا رسائل توصية من ملك فرنسا الى سفيرها ، وظفر بعطف الملكة اليزابيث ، وكانت كثيرة العطف على الاجانب من زوار بلاطها . وكانت تجيد التحدث بالايطالية ، وقد أحسن ضيافته السفير الفرنسي المثقف الحر الفكر كاستلنودى موفسيير ، وكان قد حضر الى انجلترا للتفاوض في عقد الزواج بين الملكة اليزابث ودوق انجو . وقد اغتنم برونو فرصة الرعاية التى اظله بها السفير والعناية التى شملته بها الملكة ليفرغ للتاليف ، فكتب عدة مؤلفات في أثناء اقامته بلندن واهداها للسفير الفرنسي منوها بعطفه عليه ورعايته له . ولولا عطف البلاط الملكى واهتمام السفير الفرنسى بأمر برونو لما استطاع أن يطيل الاقامة في لندن أو أن يباشر التاليف ، فقد كانت بلاد الانجليز مثل سائر أنحاء أوروبا لا يجد فيها الفلاسفة الحياة سهلة ميسرة .

وحينما وصل برونو الى لندن ارسل الى جامعة اكسفورد رسالة تحدد عنوانها « الموقظ » قال فيها عن نفسه « دكتور في اللاهوت الواقى ، واستاذ الحكمة الخالصة البريئة المنزهة ، فيلسوف معروف قد اعترفت به وشرفته ارقى المجامع العلمية الاوروبية ، لا يجهله سوى الهمج الجفاة ، وهو موقظ الارواح من رقادها وكاسر شوكة الجهل العنيد المتغطرس » .

مناظرة في جامعة اكسفورد

وحينما تقدم لجامعة السوربون في باريس


القديس برونو راكعا يصلى

اكسفورد الى لندن . وصادق بعض المستنيرين من الانجليز أمثال السير فيليب سدنى الأديب الشاعر العالم وهو من الشخصيات البارزة فى عهد الملكة اليزابث والحائزين على ثقتها وتقديرها ، وغيره من أعيان الانجليز . وقد أشاد برونو فى احدى قصائده بفضل الملكة اليزابث وغالى بقيمتها،وكان مدحه لها وهى ملكة تدين بالمذهب البروتستانتى مما حاسبه عليه قضاة محكمة التفتيش .

فى المانيا

وبعد أن أمضى سنتين فى انجلترا عاد الى باريس مع السفير الفرنسي الذى قال عنه « انه أنقذه من أدعياء اكسفورد ومن الجوع » . ولكنه لم يطل الاقامة فى باريس بسبب الشغب واضطراب الاحوال ، واستأنف حياة التنقل والتشرد ، فمضى الى المانيا،ورفض مدير جامعة ماربورج Marburg أن يسمح له بعقد مناظرة عامة عن الفلسفة . وقال المدير عن برونو « لقد ثارت ثائرته واهاننى فى عقر دارى » . ولم يكن برونو ممن يميلون الى الحلم مع من يعترض سبيلهم ، وبرغم المحن التى تعاورته والشدائد التى تكاثرت عليه فانه كان لا يعطى الليان لمعارضيه ، ولا يربع بال منافسيه ، وفى جامعة وتنبرج سمح بدرج اسمه فى قائمة الأساتذة ، ورخص له فى القاء محاضرات خاصة ، وقد قال برونو « ان الاساتذة فى جامعة تولوز وجامعة باريس وجامعة اكسفورد تلقوه متجهمين عابسين ، وقد رفعوا أنوفهم ، ونفخوا أوداجهم ، واخذوا يخبطون مكاتبهم خبطات مدوية » . ولكن أساتذة وتنبرج أحسنوا لقاءه ، وتركوه فى هدوء وسلام ، وقد أمضى بها سنتين ، وحدث فى المدينة شقاق بين أنصار لوثر وأنصار كالفن ، ورجحت كفة أتباع كالفن ، فلم يجد برونو ندحة عن مغادرة المدينة، والقى قبيل مبارحته للمدينة خطبةضافية امتدح فيها الحكمة وقال عنها الحاقدون عليه انها تمجيد للشيطان .

فى براج ، وهلمشتدت ، وفرنكفورت

وتوقف فى براج ، وتلقاه بها الامبراطور رودلف

وجامعة وتنبرج Wittenberg بالمانيا كان أكثر تواضعا، والظاهر انه لم ينظر الى جامعة اكسفورد نظرة جدية ، والواقع ان مستواها الفكرى لم يكن عند ذاك رفيعا . وقد قال برونو على اساتذتها الذين كانوا فى رأيه يعنون بملابسهم وهندامهم أكثر من عنايتهم بعقولهم « انهم يعلمون عن الجعة أكثر بكثير مما يعرفون عن اللغة اليونانية » . وقد قبل أن يلقى بها سلسلة من المحاضرات ، كما وافق على اقامة مناظرة فى حضرة رئيس شرف الجامعة واحد كبار الزائرين الأجانب ، وقد أثار فى تلك المناظرة غضب مدرسى الجامعة ، وهزم منافسه فى المناظرة وأفحمه،فلم يجد له حيلة سوى اللجوء الى السب والشتم . وكان برونو يحمل على آراء ارسطو ، والمناظرون له يحاولون رد هجماته ويعدونه دجالا غريب الاطوار لعدم استطاعتهم فهم أفكاره الجديدة التى كانت تحير عقولهم ، وتبعث نقمتهم ، وسخطهم . واضطر برونو الى ايقاف سلسلة محاضراته بعد ثلاثة أشهر ، وعاد من

الثاني ، وكان نصيرا للادب والعلم ، وقد أظل برعايته العالمين الفلكيين كبلر Kepler وبراها Brahe ، وكان ميالا الى دراسة الفلسفة والفلك ، وقد اهدى له برونو أحد كتبه الموجزة ، وردد في هذه الكتب قوله ان رسالته هي تحرير العقول ، والانتصار على الجهل، وحمل على الصراع المجرد من الرحمة بين الطوائف الدينية المختلفة ، وقال ان البر والمحبة هما وحدهما الدين الحق .

ولما لم يجد عونا ولا عطفا من سكان براج ، انتقل منها الى هماشتدت وعهد اليه فيها دوق برنزوك بالاشراف على تربية نجله ، ولكن وقع هناك خلاف بينه وبين السلطات كما كان متوقعا ، وصدر عليه حكم بالحرم ، فدافع عن نفسه ، وهاجم راعي الكنيسة ومدير الجامعة في رسالة لاذعة ، ولم تطب له الاقامة بعد ذلك في المدينة ، فقصد فرانكفورت ، وكانت مركزا هاما لتجارة الكتب في المانيا ، وطبع بها برونو عدة كتب ، وكان المنظور أن يلقى بها العصا ويستقر به النوى ويفرغ للكتابة والتأليف ، ولكن عمدة المدينة رفض أن يسمح له بالاقامة مع صاحب المطبعة التي تولت طبع مؤلفاته فاضطر الى أن يلجأ الى دير طائفة الكرمليين ، وكان يقضي معظم وقته في التأليف والتفكير والبحث والتنقيب .

استدراجه الى ايطاليا

والعجيب من أمره بعد ذلك انه أمكن استدراجه الى العودة الى ايطاليا ، وهو يعلم جيد العلم ما تنطوي عليه هذه العودة من الخطر على حياته ، ويبدو انه جال بظنه انه من الممكن أن يسوى الخلاف القائم بينه وبين الكنيسة مع احتفاظه بحرية رايه . ومما لا شك فيه ان حبه لبلاده كان له أثره في ايثار العودة الى ايطاليا . وكان برغم ذلك يقدر أن عودته مغامرة ربما تودي بحياته ، ومن أقواله قبل مبارحته لفرانكفورت « العاقل لا يخاف الموت ، بل هناك أوقات يؤثر فيها لقاءه بشجاعة » .

وقد عرف برونو في تلك الفترة هذا الفتى الخائن الذي سعى لتسليمه الى محكمة التفتيش ، وهو جيوفاني موشينيجو أحد أبناء الأسر العريقة في البندقية ، وقد اطلع على بعض مؤلفات برونو ، وجال بفكره ان له دراية بالسحر والاسرار الخفية وكشف المحجوب ، فكتب اليه يدعوه الى زيارته في البندقية والاقامة عنده ، وقبل الفيلسوف هذه الدعوة ، وسبقته الى البندقية شهرته بالفطنة الحادة ، والبصيرة النفاذة ، والاحاديث الشائقة الطلية وبوادر الافكار اللامعة . ورحبت به عند قدومه الاوساط الادبية ، ولكن موشينيجو سرعان ما ضاق باستاذه ، فانه لم يستطع أن يفهم أفكاره وبجاربه في سبحاته ، ولم يجد عنده ما كان يريده من علم كشف الأستار ومعرفة خفي الاسرار ، وصارحه بانه لم يفد منه ما يعادل سوابغ كرمه ونفقات ضيافته ، وحاول برونو في باديء الأمر أن يناقشه بالحسنى ، ولكن الفتى كان ضيق العقل مطموس البصيرة ، واغضب ذلك برونو الذي كان قليل الصبر مع الأغبياء ، فطلب منه أن يخلي سبيله ليعود الى فرانكفورت ، فصمم موشينيجو على أن يخون استاذه ويوجه اليه تهمة التجديف والاستهانة بالأمور الدينية ، والمروق من العقيدة المسيحية ، واستشار في الأمر القس الذي كان يوافيه باعترافاته وابلغ بعد ذلك الامر الى رئيس مجلس التفتيش في البندقية ، واصفا برونو بانه رجل شرير وخارج على الدين ، وصحب خادما له ومعه خمسة رجال من الملاحين الاشداء ، واقتحم على برونو غرفته وهو راقد في فراشه ، وأمرهم بسحبه الى علية في منزله واعتقله بها ، وفي يوم الثلاثاء في السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٥٩٢ حضر رجال مجلس التفتيش الى منزل موشينيجو ، والقوا القبض على برونو ، وبدأت محاكمته ، ووجهت اليه تهمة نقد الكنيسة وأساليبها ، وانه من دعاة الاصلاح ، وانه يصادق الخارجين عليها ويعارض تعاليمها ، ويعلن آراء ومبادىء لا ترضى عنها الكنيسة ولا تقرها ، وقدم المتهم للمجلس خلاصة وافية عن نشأته وحياته وانه يبدي أسفه على ما تورط فيه من خطأ وانه مستعد للتكفير عن كل ذنب ارتكبه فيما مضى ولكنه في الوقت نفسه لا يرجع عن معتقداته .

وقد بدأ نظام محكمة التفتيش في أوائل القرن

الثالث عشر ، وكان موجده الراهب الاسبانى دومنيجودى جوزمان Domenigo de Guzmen ولم يرض البابوات فى بادىء الأمر عن هذا النظام، ولم يسمح للأساقفة بالمشاركة فى اجراءاته ، ولكن فى أواخر القرن الخامس عشر أعيد تأسيسه على قاعدة عملية أوسع نطاقا وأكثر نشاطا تحت زعامة الرئيس الاكبر توركمادا Torqumada الذى نظم اشد ضروب القسوة ، وكان الهدف الذى يرمى اليه مجلس التفتيش هو مقاومة الخروج على العقيدة أو بمعنى آخر ارغام الناس على قبول آراء الكنيسة الرومانية ، فاذا رفضوا ذلك أحلّ قتلهم، أو جعل حياتهم غير محتملة ، وكان أيسر العقوبات هو التوبة العلنية ، وهى تتضمن ان يصبح الانسان طريد المجتمع ويوضع تحت رقابة اكليروسية شديدة، ويدفع غرامة فادحة . وكانت هناك ضروب مختلفة من التعذيب ، فبعض الناس كانوا يقذف بهم فى السجن مدى الحياة ، والبعض كان يحرق حيا ، وقد يسمح بخنق بعضهم قبل الحرق من قبيل التفضل والرعاية ، وكان حرق الخارجين على العقيدة من المشاهد التى تحضرها الجموع الحاشدة وتجتذب أنظار الجماهير . وكان فى طليعة ضحايا هذه المحاكمات مسلمو الاندلس، وقد ظل توركمادا رئيسا لمحكمة التفتيش مدة ثمانية عشر عاما تجاوز فى خلالها عدد المحروقين أحياء عشرة آلاف . وكانت المحاكمات التفتيشية فى اسبانيا أكثر وأشد قسوة منها فى ايطاليا حيث كان أكثر ضحاياها من البروتستانت ، ولكن أحد المقيمين فى روما سنة ١٥٨٦ كتب يقول : « بعض الناس يحرقون يوميا ، وبعضهم الآخر يشنقون أو تقطع رؤوسهم ، وقد امتلأت السجون والمعتقلات وقد اضطروا الى بناء سجون ومعتقلات جديدة »، وكان لمجلس التفتيش نفوذ ضخم ، وسلطة واسعة رهيبة ، ولا نزاع فى أن قصة محكمة التفتيش والفضائع التى ارتكبتها من أسود الصفحات فى تاريخ البشرية .

وكانت البندقية فى ذلك العهد جمهورية مستقلة ، وكانت ملاذا للمنفيين من سائر أنحاء ايطاليا ، وكانت روما تنفس عليها هذه المكانة . وطالب البابا بان كل الذين يجرمون فى حق الدين لا بد من تسليمهم له ، وعارضت السلطات فى جمهورية البندقية فى ذلك ، ولكنها اضطرت فى النهاية الى النزول على أمر البابا . وقال أحد المحامين الذين استشيروا فى خلال هذا الخلاف « ان أخطاء برونو جد خطيرة ، ولكنه من ذوى العقول الباهرة النادرة، والعلم الغزير والحكمة».

وحينما وصل الى روما ألقى فى غيابة السجن وظن البابا أن حبسه سيوهن عزمه ويفلّ قواه ، وينال من ثباته وتماسكه . وقد ظل برونو فى السجن ست سنوات ، وانقطعت أخباره عن العالم ، ولا أحد يعرف شيئا عما عاناه هذا الفيلسوف فى ظلمات السجن ، وماذا كانت الأساليب التى استعملت للتغلب على مقاومته ، ويبدو انه مهما تكن هذه الأساليب فانها لم تحقق الغرض المقصود، فحينما زاره أحد رجال المحكمة فى سنة ١٥٩٩ قال : « انه لا يرجع ولن يرجع عن رأيه ، وانه ليس عنده شىء يتبرأ منه ويرجع عنه ، وانه ليس ثمة أى داع لرجوعه عن آرائه ، وانه لا يدرى ما هى هذه الآراء التى يجب عليه أن يرجع عنها »، وكان من رأيه « ان الرجل العاقل الحكيم السائر فى طريق الفضيلة لا يخشى الألم ، وان الرجل السعيد هو الذى ينظر الى الأشياء بعين العقل ».

وأخيرا صدر الحكم باعدامه حرقا ، وكانت كلماته للذين تولوا محاكمته قوله : « ربما كنتم وأنتم تصدرون هذا الحكم أكثر خوفا منى » ، وقد أخرج من السجن وسلم لحاكم المدينة ، وظل فى غرفة مقفلة يوما أو يومين حتى جاءت النهاية .

وبعد مرور قرابة ثلاثمائة سنة على مصرع هذا الفيلسوف الكبير أقيم له فى سنة ١٨٨٩ تمثال فى ميدان كامبودى فيورى ـ ميدان الأزهار ـ فى روما ، وهو نفس المكان الذى أحرق فيه ، ولم تذهب تضحية برونو عبثا، فقد كان بهذه التضحية من الذين علموا العالم احترام حرية الفكر ، والاعجاب بالصدق والاخلاص ، وكراهة الاضطهاد والعنف ، وايثار التسامح مع المخالفين ، والاعتماد على العقل فى الاقناع لا على الحديد والنار. ■■

علي أدهم



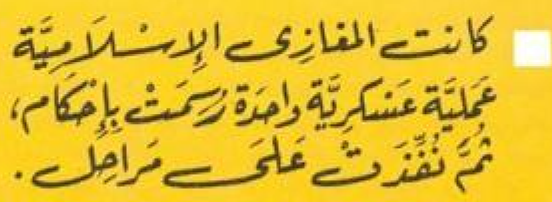
بقلم : الدكتور حسين مؤنس

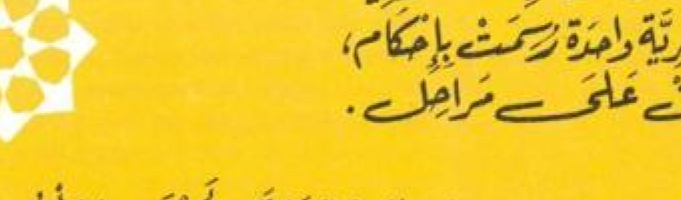
مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

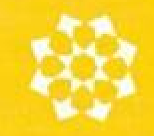
■ ما ان استقر المقام برسول الله صلى اللهعليه وسلم فى « المدينة » حتى شرع فى تنظيم الجماعة الاسلامية ، اى جماعة المؤمنين بالاسلامالسائرين على نهجه الديني والخلقي والانساني ، فارسى اسسها خلال الشهور التالية للهجـرةوربط افرادها بعضهم الى بعض برباط تعاون ومحبة واخلاص للاسلام وامته ، على اساس قانونيبحدد للناس حقوقهم وواجباتهم ، ويمد هذه الحقوق والواجبات الى من يشاء الدخول فى عقدالامة والتعاون معها فى صدق من غير المسلمين .

وقد حرص الرسول من أول الأمر على ان يشد دعائم الأمة ويعزز قواعد دستورها عن طريقالعمل المشترك ، اذ لا شيء يزيد شعور الناس باوطانهم ، ويحفزهم على العمل لرفعة امتهم ، مثل العمل العام يقومون به معا . فسواء أكان هذا العمـل عسكريا كالغزوات والفتـوح ، أم مدنيـا: مثل التعمير واصلاح الارض والتعليم وخدمة الجماعة فان الاقبال عليه يحبب الناس بعضهم الى بعض ، ويزيد شعورهم بمعانى العزة والكرامة وجمال التضحية فى سبيل الله او لنفع الآخرين .

وقـد بدأ رسـول الله بالعَمَلين ـ المدنـي والعسكـرى ـ في آن واحـد ، فبينما كانت المدينة تنمو وتتمدن وتتصل القرى الصغيرة (التى كانت منتشرة فى سهلها مثل قبـاء ويثرب) بعضها ببعض ، وبينما كانت الأراضي تستصلح والمزارع تمتد والحدائق تغرس ، كانت المساجد تقوم على







كانت خطة الرسول فى مغازيه هى
خطة المعركة المستمرة وكثيرا ما كان يفاجئ
العدو قبل أن تتاح له فرصة الاستعداد .

غرار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى هذه المساجد كان الناس يجتمعون فى أوقات الصلوات وغيرها يسمعون القرآن الكريم وتشرح لهم آياته ، وتبيّن لهم أحكام الشريعة وتحكى لهم قصص الانبياء والأمم الغابرة ، فيتعلمون وتتفتح عقولهم لنور العرفان .

وبينما كان هذا كله في طريقه في سرعة قل أن نجد لها مثالا في تلك الأعصر ، كان محمد صلى الله عليه وسلم يوالى الخروج في الغزوات أو يبعث القواد من أصحابه فى السرايا والبعوث ، وفق خطة محكمة ونظام ثابت يقدمان لنا مثالا ناصعا عن العبقرية الذهنية المحمدية ويعرفاننا كيف كان صلوات الله عليه لا يعمل شيئا الا بنظام وترتيب ، قائمين على تفكير وحساب هما الغاية في الدقة والاحكام .

المغازى كلها عملية عسكرية واحدة رسمت باحكام ثم نفذت على مراحل

ومن الغريب أن مؤرخي السيرة ــ حتى الذين تخصصوا في المغازى مثل موسي بن عقبة والواقدى ــ لم يفطنوا ابدا الى المنطق الانساني والسياسى والعسكرى الذى سار عليه محمد صلى الله عليه وسلم فى عمله العسكرى ، بل ان اعلام المدرستين المصرية والشامية من مؤرخي القرن الخامس عشر الميلادى ــ واليهم ينتهي علم التاريخ عند العرب فى القرون الوسطى ــ لم يفطنوا الى دراسة المغازى على أنها عملية عسكرية واحدة بدأت بالبعث الصغير الذى قاده حمزة بن عبد المطلب فى شوال سنة ١ هـ (مارس ٦٢٣) المعروف بسرية سيف البحر ، وانتهت فى حياة الرسول بجيش أسامة بن زيد بن حارثة الذى أعده الرسول قبل موته بقليل ، معيّنا به الاتجاه الذى ينبغى أن تأخذه العمليات العسكرية للتوسع الاسلامى من بعده .

بدلا من ذلك نجدهم يقصّون علينا أخبار الغزوات والسرايا والبعوث فى صورة عمليات متفرقة لا تبيّن لنا فى معظم الاحيان الدوافع اليها ولا الأهداف الكبيرة وراءها . وغاب عنهم

انه ليس من المعقول أن يرسل الرسول سرايا لمجرد العودة بغنائم من الجمال والماشية ، وليس من المعقول كذلك أن عمليات متقطعة كهذه يمكن ان تؤدى الى نتيجة ضخمة مثل فتح مكة والقضاء على مقاومة المجموعات القبلية الكبرى واحدة بعد واحدة،ثم توحيد شبه الجزيرة والاندفاع خارجها برسالة الاسلام .

لا بد اذا من النظر الى هذا النشاط العسكرى الواسع على انه عملية واحدة ، تمت على حلقات ومرت بمراحل يلي بعضها بعضا ، وكلما انتهت مرحلة دخل الرسول فى التالية لها ، حتى أوفى على الغاية التى رسمها لتثبيت دعائم الامة الاسلامية ، وجعلها قاعدة صالحة تنشر الاسلام خارج شبه الجزيرة .

غزوة بدر .. وغزوة احد

اذا نظرنا الى المغازى من هذه الناحية اتضحت لنا الاسباب الحقيقية وراء غزوة بدر ، وان الدافع اليها لم يكن مجرد الاستيلاء على العير (القافلة التجارية) التى كان يقودها ابو سفيان بن حرب ، بل ايقاف التجارة المكية مع الشام ، ومعنى هذا حرمان مكة من أكبر موارد ثروتها واضعافها بصورة حاسمة تضطرها اما الى الحرب لفتح الطريق ، او التسليم .

وهنا تتضح لنا أسباب غزوة « أُحُد » ، وكيف انها كانت محاولةً من مكة لفتح الطريق ، وقد جرينا على أن نتصور « أحدا » على انها هزيمة كاملة للمسلمين ، والحقيقة انها كانت ضربة اليمة للجماعة الاسلامية بسبب من قتل فيها من المسلمين ، وكانت درسا بليغا لهم علمهم القيمة الحيوية للنظام في الاعمال العسكرية ، ولكنها لم تؤدِّ بحال من الاحوال الى فتح طريق الشام ، وعاد المكيون بعد المعركة الى بلدهم يتحدثون عن ثارهم الذى أدركوه ، ولكن عقلاء رجالهم مثل ابي سفيان بن حرب كانوا يعرفون تماما أن مكة لم تكسب شيئا ، فهذا طريق التجارة مقفل كما كان، والضيق المالي يشتد بالمكيين يوما بعد يوم ، ونتيجة لذلك كان الخوف والقلق على المصير يشتدان بهم مع الايام .

وفي نفس هذه الحال من الخوف والقلق كانت تعيش فى ذلك الوقت المجموعات القَبَليَّة الكبرى المحالفة لمكة فى الحجاز وتهامة وسط شبه الجزيرة فيما يلي جبال السراة شرقا ، لان القبائل الضاربة فى الصحراء لا تعيش بدون مركز مدني هو رئتها التى تتنفس بها وطريق اتصالها بالدنيا ، فهي تبيع فيه فائض ماشيتها وتمورها واصوافها ، وتشترى فيه السلاح والأقمشة والماعون وما لا بد منه للحياة فاذا حُرمت المجموعة القَبَليَّة هذا المركز أو انقطعت صلتها به تدهور امرها وانحلت قواها وتفككت أوصالها فى الزمن القريب .

وقد كانت مكة هي المركز المدني لمعظم قبائل الحجاز وتهامة لأن المدينة قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانت من الضعف وتفرق الكلمة بحيث لم تستطع اجتذاب مجموعات قَبَلية ، بل ان أهلها استبعدوا بنفر من بقايا قضاعة وجعلوهم عبيد أرض ، وكان أول ما فعل محمد صلى الله عليه وسلم كَسْبَ هؤلاء للاسلام ورفع نير العبودية عنهم ، فاصبحوا بذلك عصبا من أعصاب الامة الاسلامية ، واكثر أولئك القضاعيين المدنيين كانوا ينتسبون الى قبيلة أَسْلَمَ .

حرب الاحزاب

وكانت مكة ايضا هى المركز المدنى لمجموعة قبائل « هوازن » الضاربة شرقي جبال السراة فى مساحة رملية واسعة وسط شبه الجزيرة ، وكانت بطون هوازن مصدر رزق كبير لمكة ، وكانت هذه سوقَ هوازن الاكبر ، وكانت تربط الجانبين بعضهما الى بعض محالفات وعلاقات وطيدة ، والى شمال هوازن كانت تنزل مجموعة قبائل غطفان التي امتدت مضاربها الى مرتفعات نجد الشرقية ، وكان مركزها المدنى مجموعة واحات خيبر .

وعقب فشل قريش فى فتح طريق التجارة رغم معركة أُحُد ، اجتهد الرسول فى قطع طريق التجارة المكية تماما ، فازداد شعور اهلها بالخطر والضيق ، وشاركها فى ذلك حلفاؤها من هوازن ومجموعة قبائل الاحابيش ، وعدد كبير من حلفاء مكة من بطون كنانة ينتسبون الى فرعي عَبْد مَنَاةَ والحارث ابني كنانة . وانتهى امرهم بالتجمع والسير للقضاء على الاسلام فى عقر داره ، وهذا التجمع هو الذى عرف بالاحزاب ، فاسرع المسلمون فحفروا الخندق الذى أعجز الاحزاب ، فاقاموا



فوق الاسبوعين يحاولون اقتحامه المرة بعد المرة دون جدوى ، واخيرا عادوا الى بلادهم بالهزيمة في ذى القعدة سنة ٥ ه (ابريل ٦٢٧) .

وكانت حرب الاحزاب هي آخر محاولة قام بها خصوم الاسلام فى الجزيرة العربية للقضاء عليه ، وبعد ذلك تدخل فى مرحلة جديدة ، هي مرحلة تقدم الاسلام للقضاء على مراكز المقاومة نفسها وهى مكة وغطفان وهوازن والطائف وثقيف.

هذا مثل يرينا كيف ينبغي أن نؤرخ للمغازى فى صورة معركة واحدة تمَّ تنفيذها على مراحل ، وهذا لا يتاتى الا اذا درسنا الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى ادت الى كل منها واحاطت بها ، ثم نضعها فى مكانها من الخطة العسكرية الشاملة التى وضعها الرسول وسار عليها فى تؤدة واحكام ليحقق نصر الاسلام وجماعته .

وقد أعان الله وقمت بذلك في السيرة النبوية التى يسَّر الله لى الفراغ منها من شهور قلائل ، وقد تكشفت لي أثناء هذه الدراسة الطويلة نواح شتى من العبقرية العسكرية المحمدية رأيت أن اذكرها فى ايجاز فى السطور التالية ، وكلها دروس وتوجيهات نحن احق بتأملها وتدبرها اليوم ونحن فى غمار معركة المصير للوطن العربي كله .

الرسول يستشير اصحابه ولكنه لا يكشف خططه أبداً !

يدهش الانسان وهو يقرأ السيرة من سعة علم محمد صلى الله عليه وسلم بالجزيرة العربية عامة والحجاز وتهامة والطريق الى الشام خاصة :

فما من قبيلة الا ولديه علم كامل بكل شؤونها : وضعها فى الشجرة العامة لأنساب العرب ، تاريخها ، حجمها ، شيوخها ورجالها القاهرون ، قوتها الحربية ، حلفاؤها ، ديارها ، طبيعة هذه الديار من صحراء رملية أو صخرية أو اراض غنية بالماء والزرع ، مصادر الماء فى أرضها ، مراعي ابلها ، الطريق اليها ، وما الى ذلك .

وكذلك ما من بلدة أو قرية أو واحة أو جبل أو سهل الا وهو يعرفه بصفته وخصائصه وثروته واهله . وعلى أساس هذا العلم نعرف ــ مثلا ــ لماذا أرسل النبى سريته الأولى بقيادة عمه حمزة الى « سِيفِ البحر » ، أى الى شاطىء البحر الاحمر جنوب غربي المدينة ليغزو ديار جُهَيْنَة، لان جهينة تشرف على جزء كبير من طريق التجارة فلا بد ان تدخل فى عقد المدينة وحلفها .. أما ما تذكره المراجع من ان الرسول بعث هذا البعث ليرصد عيرا لقريش فذلك كان السبب الظاهر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكشف خططه أبدا . وكذلك كان الهدف الرئيسي من وراء الغزوات الصغيرة السابقة على « بدر » هو ضمان ولاء القبائل التى تسكن على شاطىء البحر الاحمر وتسيطر على أجزاء من طريق التجارة مثل بني بكر بن عبد مناة وبني الحارث بن عبد مَنَاة واسلم وخُزَاعة وضَمْرة وغفار والليث والدِّيل ومُدْلِج ومُزَيْنَة وجُهَيْنَة . واعتمادا على هذا الولاء استطاع مراقبة الطريق التجارى وأحكم ضرب الحصار الاقتصادى على مكة .

وهو عندما أرسل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ثانى سرية اعدها وكانت وجهتها بطن رابغ (شوال ١ ابريل ٦٢٣) لم يكن غرضه الحقيقى تعقب عير لقريش يقودها عِكْرِمة بن أبى جهل أو سفيان بن حرب أو غيرهما ، وانما كان غرضه كسب خُزَاعة الى جانبه وكان عدد عظيم من الخزاعيين ينزل الارض الواسعة فيما بين مَرِّ الظهران وبطن رابغ ، وكانت هذه بدورها واحة عظيمة ومركزا قَبَلِيًا غنيا ، وقد عرف رسول الله كيف يكسب خزاعة الى جانبه ، فاسلم رجالها ونساؤها شيئًا فشيئًا ، ولما كان الخزاعيون منتشرين فى الحجاز وتهامة فقد كانوا يأتونه باخبار هذه النواحى كلها ،وكان يقال « خزاعة عَيْبَة (كيس كبير) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وهكذا نجد ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يسير فى اعماله العسكرية على علم واسع وعميق لم يصل الى مثله أقرب أصحابه اليه واذكاهم امثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة .

وقد تاتى هذا العلم لمحمد من صفة اساسية كانت فيه ، هى حسن الاستماع لما يجرى حوله من حديث .. فقد كان صموتا قليل الكلام ، فاذا تكلم قصد الى ما يريد راسا فى عبارة موجزة ، وكان كثيرا ما يسأل ويستفهم ويستوضح

من يحدثونه ، ويعى المهم من كلامهم في ذهنه . وكان الى جانبه نفر ممن عرفوا بالعلم الواسع بالعرب وانسابهم واحوالهم مثل أبى بكر وعمر وطلحة بن عبيد الله ، وكان بالاضافة الى ذلك يستشير أصحابه ويأخذ بالراى الصواب ، ففى معركة بدر اخذ براى الحُبَاب بن منذر بن الجموح في انشاء الحوض حول عين الماء ، وفي « الاحزاب » أخذ براى سَلْمَان بانشاء الخندق وقبل الخروج الى أحُد عقد مجلسا عاما لمناقشة الخطة . ولقد كان خصوم الاسلام يدهشون مما يفاجئهم محمد به من الجديد فى فنوب الحرب حتى كتب اليه ابو سفيان اثناء حصار الخندق : « ... لقد سِرتُ اليك في جمعنا ، وانّا نريد الا نعود اليك ابدا حتى نستأصلكم ، فرايتُ لقد كرهتَ لقاءنا وجعلتَ مضايق وخنادق ، فليت شعرى من علّمَك هذا ؟ » .

التدريب المستمر للأمة كلها على اعتبار انها جيش

وكان رسول الله حريصا على أن تكون الامة كلها جيشا فى نفس الوقت ، حتى اذا نادى المنادى للحرب خرج الكل بسلاحهم مستعدين للمعركة ايا كان مكانها وكيفما كان العدو الذى يسيرون اليه .

ولهذا كان تدريب افراد الامة جاريا على قدم وساق كل يوم من أيام العام ، وكان التدريب يجرى بصورة عملية ، فكانت الغزوات والسرايا والبعوث تخرج وتؤدى مهامها وتعود الى المدينة تيارا متصلا لا يتوقف ، بل كانت الاثنتان والثلاث منها تعمل فى وقت واحد ، ففى ربيع اول سنة ٢ خرجت سريتا بُوَاط وسَفْوان فى نفس الوقت تقريبا ، وفى صفر سنة ٤ خرجت سريتا بئر معونة والرجيع فى نفس الوقت ، وفى ربيع الثانى سنة ٦ كانت سرايا الغَمْر وذى القصة الاولى وذى القصة الثانية والجَمُوم تعمل خارج المدينة فى وقت واحد ، وفى جمادى الثانية سنة ٦ كانت سريتا الطَرَف وحِسْمَى تعملان فى آن واحد ، وفى رمضان من نفس السنة خرجت سريتا دومة الجندل وفَدَك الاولى ، وهكذا . ومع أن عدد الغزوات والسرايا والبعوث مختلف فيه بين المراجع فاننا نستطيع أن نقول أن عددها ٧٤ وهو أقرب الاحصاءات الى الصحة، واذا استثنينا نفرا محدودا من الصحابة عرفوا بالمهارة فى الحرب والامتياز فى فنونها كانوا يخرجون فى كل غزوة تقريبا ، فان بقية افراد الجماعة الاسلامية كانوا يخرجون فى هذه المهام العسكرية فوجا بعد فوج ، فلا تمر ثلاثة شهور او أربعة الا وقد خرج كل القادرين على الحرب وتدربوا على أعمال الغزوات من سير طويل بالنهار والليل ، واتقان الضرب بالسيف وعبور الجبال والهبوط الى الوديان ، ثم الحرب على الخيل والرمى بالنشاب والمبارزة وما اليها ، وكانوا يتعلمون الى جانب ذلك كيف يدبرون أمورهم بانفسهم ، فيصلحون سلاحهم من سيف أو درع ويطهون طعامهم وقد يضطرون الى صيده ـ ويَرْفُون ثيابهم ويخصفون نعالهم وما الى ذلك.

وفى بعض الاحيان نجد محمدا صلى الله عليه وسلم يقصد الى هذه العمليات التدريبية قصدا ، كما نرى في غزوة « بَدر المَوْعِد » (فى ذى القعدة ٤ / ابريل ٦٢٦) وغزوة « ذات الرِّقاع » (محرم ٥/ يونيو ٦٢٦) وغزوة « دومة الجندل » (ربيع اول وثانى سنة ٥ / اغسطس وسبتمبر ٦٢٦) وغيرها . وفي هذه الغزوات التدريبية كان الرسول يتحرى أن يأخذ معه عددا ضخما لتوسيع نطاق التدريب ففى « بدر الموعد » كان عدد المسلمين ١٥٠٠ وفى « ذات الرقاع » تراوح عددهم بين ٤٠٠ و ٨٠٠ وفى « دومة الجندل » كانوا الفا .

حتى المرأة المسلمة كان لها فى الحروب نصيب

لا غرابة اذا أن نرى المسلمين قد كسبوا خبرة واسعة بشؤون الحرب جميعا ، ونجم فيهم من كبار القواد وعظماء العسكريين عدد استطاعوا أن يقهروا الممالك الكبرى فيما بعد ، وما كانوا قبل ذلك الا ناسا عاديين لا يعرفون من شئون الحرب الا مبارزات الجاهليين وما جروا عليه من كرّ وفرّ .

ولم يقتصر الأمر فى ذلك على الرجال ، فقد أسهمت المسلمات فى الحرب بنصيب وافر ، ففى

معركة أحُد كانت ام عمارة الانصارية ، وهى نُسَيْبَة بنت كعب بن عمرو بن عوف ، تقاتل الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم قتال الرجال البواسل ، وكان لهذه السيدة الجليلة دور عظيم فى قتال الاحـزاب ايام الخندق .. ومنهن ايضا ام سليم بنت مِلْحَان ، وام ايمن.. هذا الى ما قمن به فى الكثير من المعارك من تضميد الجراح ، واسعاف المصابين ، وسقى العطشى وما الى ذلك . وقد امتازت بالعناية بالجرحى رُفَيْدَة بنت سعد الاسلمية ، فقد كانت لها خيمة مضروبة فى صحن مسجد المدينة لتداوى الجرحى فيها .

جهاز من الصحابة للتنظيم الدقيق

ولا يتصور الانسان سير هذه العملية الضخمة الطويلة بهذا النجاح الا اذا افترض أن وراءها جهازا منظما قادرا يرتب شئونها .

فليست المسألة هنا مسألة جماعات من الناس تخرج لتغير على الناحية الفلانية او لتنتزل ببنى فلان ضربة سريعة ثم تعود ، وانما هى عمليات عسكرية مرسومة محسوبة ، فاذا تقرر الخروج - مثلا - الى بطن رابغ أو الخـرّار او الابْوَاء فلا بد أن يكون هناك من يحسب أبعاد هذه المواضع عن المدينة والطرق اليها والقبائل النازلة على الطريق اليها ، والواحات أو مصادر الاقوات ومياه الشرب التى سيمر عليها البعث ، حتى يحسب مقدار المؤونة الذى يحمله كل من المجاهدين ، بل حتى يمكن تحديد العدد اللازم منهم للقيام بالعمل .

وبعد أن يتم ذلك كله وتخرج الحملة كان لابد من أن تقوم الجماعة المنظمة بشئون أُسَر المحاربين اثناء غيابهم ، ومن غير الممكن أن يخرج الرجل تاركا أهله وعياله دون أن يكون هناك من يرعاهم. وكان لابد كذلك من معرفة اسماء المشتركين فى الحملة وتاريخ صدورهم والتاريخ التقريبى لعودتهم حتى اذا تأخروا هبت الجماعة للبحث عنهم . فاذا مات أحد المجاهدين كان على الجماعة ان تتولى أمر أهله وبنيه ، أو الاطمئنان الى ان لهم من يتولى أمرهم من ذويهم .

فى بعض الاحيان نجد أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقوم بذلك بنفسه ، فيشرف على الاعدادات والترتيبات ، وفى هذه الحالات نجد ان الدقة تبلغ اقصاها فيتأكد الرسول من سلاح المجاهدين وخيلهم او جمالهم ، ويمنع الدخلاء من الاشتراك معهم ، ويحول دون خروج الاحداث ، فقد كانت الحماسة تبلغ ببعضهم أن يحاول الخروج مع البعوث رغم صغر سنه ، وقد حدث كثيرا أن رد الرسول الى المدينة صبيانا كانوا يريدون الخروج .

ولكن دارس السيرة يرى من بين السطور أن هناك جماعة وراء الرسول صلى الله عليه وسلم تعمل فى صمت ونظام وتقوم بهذا العمل كله ، وفى مقدمة هذه الجماعة نجد الثلاثة الاساسيين فى تنظيم جماعة المدينة وعملها ، وهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة عامر بن الجراح ، ويشترك معهم فى الغالب طلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص من المهاجرين ثم سعد بن عبادة وأسيد بن الحُضَيْر ومحمد بن مَسْلَمَة والحُبَاب ابن منذر وزيد ابن ثابت من الانصار . وهذا ليس احصاء كاملا لهم وانما بيان بمن استطعت أن أتبين اشتراكهم فى هذه الهيئة .

وكان رسول الله يناقش الامور مع من حضره من هؤلاء ، ومن الثابت أن أبا بكر وعمر كانا يجتمعان به كل يوم ، وان الصحابة الذين ذكرناهم كانوا يدخلون عليه متى حاجهم أمر الى ذلك . وكانوا جميعا ذوى صدق واخلاص وايمان وعقول صافية ، وان لوحظ على سعد بن عبادة بعض التردد بعد موقعة حُنَيْن .

وكانت هذه الجماعة مسئولة كذلك عن ابل الاحْمَاء وخيلها ، والأحماء جمع حِمَى ، وهى الارض التى يخصصها الرسول صلى الله عليه وسلم للابل والخيل والماشية التى تؤول الى ملك الجماعة الاسلامية من الاخماس او من صفى رسول الله أو عن طريق الشراء .. فقد كان الرسول يبعث بعض اصحابه بالشىء من المال المرة بعد المرة ليشتروا ابلا وخيلا من نجد ثم يُطْلِقها فى مراعى الأحماء .. وكان لدى الجماعة كذلك سلاح كثير مدخر ، يُخْرجه أبو بكر وعمر لمن يحتاجه فى الحملات .

الرسول يفاجيء قواته بالتحرك ليقطع على العدو خط الرجعة

وكان رسول الله اذا قرر ارسال سرية أو بعث اختار القائد وأعطاه تعليماته وتوجيهاته وطلب اليه ان يخرج مع أصحابه دون ابطاء ، ويكون ذلك في الغالب في اليوم التالي .

فاذا كان رسول الله سيقود الجيش بدأ في اعداد نفسه وناقش الأمر مع أبي بكر وعمر وطلب اليهما الاسراع في اعداد العدة ، ثم خرج فيمن حضر من اصحابه بمجرد فراغه من الاستعداد وضرب معسكره عند مخرج من مخارج المدينة أو في موضع قريب منها ليتلاحق به أصحابه هناك ، فاذا كان متجهـا الى الجنوب عسكر في ذي الحُلَيْفة أو في العَقِيق ، واذا كان متجها الى الشمال عسكر عند ثَنِيَّة الوداع او عند الجُرْف ، واذا كان مقصده الشرق او الشمال الشرقي انتظر عند نَقْب يَرْدَح أو الغابة العليا أو الغابة السفلى وهكذا . هنالك يتلاحق به أصحابه سراعا لأنهم كانوا يعلمون انه لا ينتظر طويلا .

وكان اغلب خروجه من المدينة بعد صلاة الظهر فيصل موضعَ اللقاء مع العصر أو المغيب ، هناك ينزل فيضربون له خيمته أو قبته ، ويأخذ فيما أراد من أمر من اغتسال وصلاة ، ثم يجلس للطعام دون كلفة مع اصحابه ، وهنا يكون المقاتلون قد لحقوا به ، وأخذ كل منهم يستكمل عدته ، لانهم كانوا في الغالب يخرجون في سرعة لا تسمح لهم بالاعداد الكامل ، وهناك حالات خرج بعض المسلمين فيها دون نعل او دون ملابس كافية ، ولهذا فقد جرى الحريصون من أصحابه على أن تكون عدتهم كاملة معدة في كل وقت ، فما هو الا ان يتردد النداء في صحن جامع المدينة حتى يكون الرجل قد حمل أشياءه وأسرج حصانه أو جَمَله ومضى الى موضع اللقاء .

ولم تكن هناك طريقة غير هذه لتعويد الناس الاسراع في الخروج والاستعداد له على الدوام ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يجبر احدا على الاشتراك في المغازي والسرايا ، انما كان يَكِلُ الناس لايمانهم وكان وافرا والحمد لله ، ولكنه كان يتأثر اذا لاحظ تخلف صحابيٍّ له في نفسه مكان دون عذر واضح ، كما حدث في غزوة « تبوك » .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا وهو عارف على وجه الدقة الى أين يريد ، وماذا يريده هناك ، والطريق المؤدية الى مطلبه ، ومع ذلك كان يُحِبّ دائما ان يستأنس بالأدِلاء ، فهم أعرف بالطريق . وكان الجيش يبدأ السير بعد صلاة الفجر ، فاذا كان الضحى وقف الجيش وقفة قصيرة للطعام ، فاذا فرغوا منه صلوا الظهر ثم ركبوا وساروا الى المغيب ، وفي بعض الحالات ـ وطلبا للسرعة ـ كانوا يصلّون العصر والمغرب معا ويصيبون شيئا من الطعام ثم يصلون العشاء وينامون مبكرين جدا ، وفي منتصف الليل أو بعده بقليل يهبون من نومهم ويواصلون السير الى الفجر .

بهذا كان الرسول يدرك أعداءه قبل أن تتاح لهم فرصة الاستعداد أو فرصة الهرب ، وكان ذلك من أكبر أسباب نجاحه العسكري ، فان الجمع من الاعداء كان لا يكاد يفكر في القيام بشيء حتى تكون الأخبار قد وصلت محمدا ، وفي اقل وقت ممكن يكون هو في الطريق .

المعركة المستمرة حتى الهدف الاخير

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج لغزوة يسير على خطة المعركة المستمرة حتى يتحقق الهدف ، دون أن يسمح لنفسه أو لجنده في أثناء ذلك الا بالحظ الأيسر من الراحة .

فعندما انتهت معركة أُحُد مساء يوم السبت ٧ شوال سنة ٣/٢٣ مارس ٦٢٥ نام المسلمون وقد كثر فيهم الجرحى ، وكانوا في خوف من أن يكـر المكيـون علـى البلـد ، فاستيقظ الرسول في فجر اليوم التالي وصلى الصبح ثم اعلن انه سائر للحاق بالأعداء ، وتلاحق به أصحابه وان اكثرهم ليعجزون عن المشي من الوهن والجراح ، وساروا في أعقاب المكيين حتى

ادركهم الليل عند حَمْرَاء الأسد . وكان الرسول قد امر اصحابه اثناء المسير بأن يجمعوا ما يستطيعون من حطب . هنالك عسكر الرسول واصحابه ، وكان سعد بن عبادة قد اتى معه بثلاثين بعيرا محملة بالزاد ، فاقبل بعضهم يُعِدُّ الطعام ، ومضى الآخرون يضمّد بعضهم جراح بعض ، وأمر محمد بان يُجْعَل الحطب أكواما في سهل حمراء الأسد ثم أوقدت النيران فيها ، ٥٠٠ شعلة ضخمة اضاءت السهل وبهرت انظار البدو من بعيد حتى وصل خبرها الى المكيين وهم معسكرون على بُعْدِ يوم من الحمراء(٥٠ كيلومترا تقريبا) فازعجتهم فعجلوا بطيّ خيامهم والمضي نحو مكة ، ولم يعودوا يفكرون ـ كما كان بعضهم يرجو ـ في أن يكروا عائدين على المدينة لينتهزوا فرصة ما اصابوه يوم أُحُد .

وما كادت « الاحزاب » تتفرق بعد أيام الخندق في ذى القعدة سنة ٥/مايو ٦٢٧ وعاد الرسول الى داره مع الضحى حتى قرر وهو يتوضأ لصلاة الظهر الخروج لغزو بني قريظة ، وكانوا قد آذوا المسلمين أذى شديدا اثناء الحصار وأخافوهم وهددوهم ، اذ كانوا يعيشون معهم داخل المدينة . فامر الرسول بلالا أن ينادى بأن رسول الله يأمرهم الا يصلوا العصر الا في بني قريظة . وما كاد يصلي الظهر حتى لبس الدرع والمغفر والبيْضَة وأخذ قناة بيده وتقلد الترس وركب فرسه ، وسار نحو بني قريظة في ٣٦ راكبا من أصحابه وتلاحق به الباقون هناك .

وانما اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن المعركة مع الاحزاب مستمرة ، رغم انصرافهم ، لان بني قريظة كانوا متحالفين معهم ، فكان من الحزم القضاء عليهم ، وهكذا كان ..

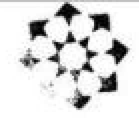
وبعد أن أتم فتح مكة مكث فيها ما بين اثنى عشر يوما وعشرين ثم نهض مباشرة للقاء هوازن ، وكانوا قد خافوا خوفا شديدا بعد انضمام مكة الى الأمة الاسلامية ، وتوقعوا أن يقصدهم المسلمون بعد قليل ، فساروا يقودهم مالك بن عوف النصرى وعسكروا في وادى حنين وسهل أوطاس المجاور له ، فسار اليهم محمد صلى الله عليه وسلم في الحال ـ جريا على خطة المعركة المستمرة ـ وهناك في وادى حنين خاض المسلمون فيما بين ١١ و ١٥ شوال سنة ٨/يناير ٦٣٠ اعنف معركة خاضوها مع المشركين ، وخرجوا منها منتصرين .

وبعد ذلك مباشرة ـ وجريا على نفس الخطة ـ سار الرسول بنفس الجيش نحو الطائف ليستولى عليها ويكسر شوكة ثقيف ، لان هوازن وثقيفا كانوا حلفاء . فحاصر الطائف الى منتصف ذى القعدة ٨/فبراير ٦٣٠ وكان الجهد قد بلغ من أصحابه مبلغا شديدا ، ثم ان الثقفيين تحصنوا وراء أسوارهم وقاتلوا بالنبال وكانوا ماهرين فيها ، فرأى أن يكتفى بهذا القدر ويرفع الحصار بعد أن ظل رجاله في معركة واحدة متصلة من رمضان الى ذى القعدة سنة ٨ .

الرسول في خط القتال دائما ثم هو في صميم المعركة

وكان رسول صلى الله عليه وسلم يقوم بنفسه في صميم المعركة وسط القتال الدائر ، وربما بدأت المعركة وهو في عريش ـ أى ظلة ـ على مرتفع خلف الصفوف ، ولكن ما أسرع ما نجده في صميم المعركة اذا تحرج الأمر واشتد ضغط العدو .

وقد استطاع الرسول أن ينقذ جيشه من الهزيمة الساحقة اكثر من مرة بتدخله السريع الباسل ، ففى موقعة أُحُد عندما تخلى الرماة عن أماكنهم وهجمت خيل المشركين على المسلمين وبدأ نفر من هؤلاء يفرون قام محمد وسط الصفوف ينادى الفارين أن يثبتوا ويعودوا اليه ، وفي لحظة ما من هذه المعركة كان الرسول وحيدا تماما ، ومن غرائب ما حدث أن أول من أسرع اليه وقام يقاتل معه كانت ام عمارة الانصارية ، ثم لحق بها ابنها ثم تلاحق بالرسول بقية المسلمين ، فلما تجمعت القوة سار بهم محمد ودخل تجويفا في جبل أُحُد ومعه نفر من اصحابه بينما وقف



الباقون أمامه يقاتلون المشركين فى بسالة حتى أعجزوهم ، وفشل المكيون فى أن ينالوا شيئا حاسما من المسلمين .

وحدث مثل هذا فى معركة حُنَيْن : انهزم المسلمون أول الأمر عندما هاجمتهم جموع هوازن ، واخذوا فى الفرار ، ولكن رسول الله ثبت مكانه ومعه نفر قليل من أصحابه ، وجعل العباس ينادى المسلمين ، فما هى الا لحظات حتى عادوا واستمر القتال ، فلم يلبث الاعداء أن انهزموا شر انهزام.

وكان محمد لا يميز نفسه فى الميدان بشىء : كان طعامه طعام الناس ومقامه مقامهم ، ولم يكن يقبل فى الغزوات أن يقدم له أحد شيئا من طعامه ، لأنه يعرف أن كل مقاتل أخذ ما يلزمه وتكلف حمله الى مكان المعركة ، فلا معنى لأن يشاركه فيه غيره .

وعندما دخل مكة ضُرِبَت له خيمة وسط ميدان الحجون ، وظل فيه طوال اقامته فى ذلك البلد ، وقد كان قادرا على أن ينتقل الى اى دار من دور بني هاشم أو بني عبد المطلب ، ولكنه لم يشأ أن يفعل ذلك وبقية أصحابه فى الخيام .

ولم يكن يُكَلِّف أحدا حراسته ، ولكن نفرا من المسلمين كانوا يقومون حول خيمته حبًا فيه وحِسْبَة لله .

النظام الكامل والعناية بالخيل والرماة

وكان الرسول دقيقا جدا فى مراعاة النظام ، فكان قبل الصدور للغزو يستعرض أصحابه ويرى سلاحهم وخيلهم وابلهم وزادهم ، وحدث أكثر من مرة أن ردَّ رجالا لنقص استعدادهم . وكان قبل القتال يصفُّ أصحابه صفوفا منظمة ، حتى ليرى كتف الرجل اذا برز من الصف شيئا .

وكان يحب أن تطاع أوامره فى الميدان ، وكذلك أوامر قادته ، وقد نبّه اصحابه قبل موقعة اُحُد الى ضرورة اتباع الأوامر المعطاة . وعندما خرج الى تبوك شدد فى الا يخرج الا الفارس المدرب ، فخرج فى الجيش شاب طائش غير ماهر ، فجرى بفرسه فى الطريق ووقع واندقت عنقه . وقال أصحابه « شهيد » لأنه مات فى الطريق الى الجهاد ، ولكن محمدا قال انه لا ثواب له على الاطلاق لأنه عاصٍ للأوامر . وفى سرية عَلْقَمة ابن مُجَزِّز الى الشُّعَيْبَة (ربيع الثانى سنة ٩/يوليو اغسطس ٦٣٠) سخر أحد القواد وهو عبد الله بن حُذَافَة السهمى من جنوده فاستاء الرسول استياءً شديدا عندما بلغه الخبر .

وفى تاريخ التطور العسكرى للقوة الاسلامية تحتل موقعة اُحُد مكانا ضخما ، فهى التى لفتت أنظار المسلمين الى أهمية الخيل ، فقد كانت سبب تفوق المشركين اذ أن قوة فرسانهم كانت ٢٠٠ فارس يقودهم خالد بن الوليد ، فلهذا حرص الرسول على أن يحمي جنده – وكانوا جميعا مشاة – بقوة من خمسين من الرماة أوقفهم على تل عينين امام المسلمين لكي يرموا الخيل بالنبال ، وكان الرماة بالنسبة للخيل مثل المدفع المضاد للدبابات بالنسبة للدبابات اليوم ، وعندما تركوا موضعهم اندفعت الخيل على المسلمين فشقت صفوفهم .

وبمجرد أن تجمّع للرسول شيء من المال بعد « بني قريظة » بعث رجالا بمال كثير ليشتروا خيلا للمسلمين من نجد ، وخصص لهذه الخيل من يُعْنَى بها واطلقها فى الأحماء . ولم يلبث اثر قوة فرسان المسلمين أن ظهر فى غزوة الحديبية وما بعدها .وكذلككانت عنايته عظيمة بالرماة والقسيّ والسهام وتدريب الناس عليها ، وكان اعظم رماة المسلمين اذ ذاك سعد بن أبي وقاص ، وربما كان هو الذى اشرف على التدريب .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة عظيمة فى الخيل وقيمتها العسكرية وضرورة العناية بها قالها فى غزوة تبوك ، وبينما كان عدد خيل المسلمين فى معركة بدر اثنين فقط كان عددهم فى غزوة تبوك عشرة آلاف . ■■

حسين مؤنس

أنباء الطب والعلم والاختراع

اول فار يصاب بمرض السكر

فيكون عونا لبحث المرض فى الانسان

انها مفاجآت كهذه ، تحدث في المجالات العلمية ، تفتح الطريق للامل الواسع .

والأمل الواسع هنا يتصل بما بين ٣٠ الى ٦٠ مليون نسمة على ظهر الارض كلهم مصابون بمرض السكر ، او ان شئت بمرض البول السكرى .

والمفاجاة وقعت عندما لاحظ احد العلماء ، ممن يقومون بتربية الفئران للابحاث العلمية ، ان من الفئران السمان ، ما يزيد عطشه ، وتزيد في شرب الماء رغبته ، ويزيد تبوله . وبالكشف تبين أن هذه الفئران تصاب بداء السكر .

والمهم أنها تصاب بهذا الداء على النحو الذى يصاب به الانسان .

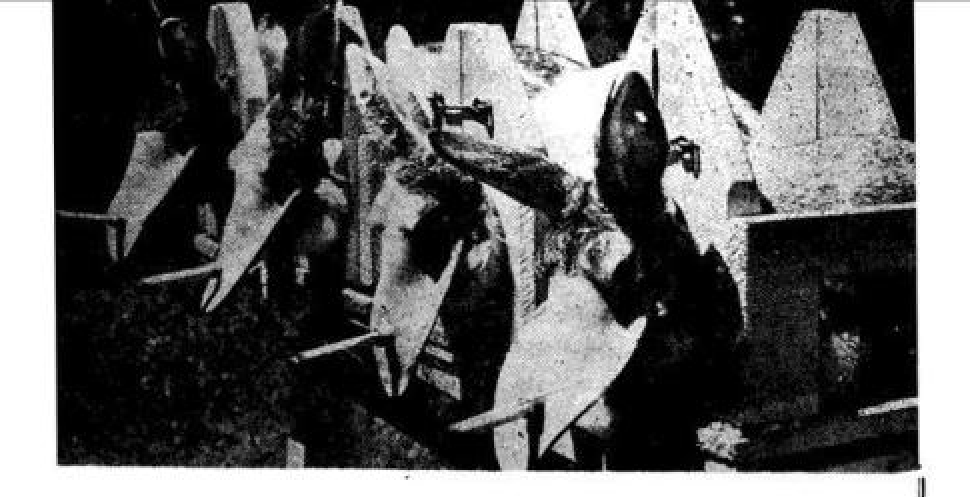
واذن فهذه الفئران تعطى الفرصة للباحثين ليجروا تجاربهم العلمية في هذا الداء فيما لا يستطيعون اجراءه في الانسان . وهذا فتح في الطب غير قليل .

اعلن ذلك الدكتور كولمان في المؤتمر الدولي لرابطة السكرى الذى انعقد منذ حين قريب بمدينة استكهلم بالسويد .

ومن عجيب هذا الفار انه عندما يصاب بالسكرى يظهر ذلك في لون شعره . واستنتج العلماء من ذلك ، ان لون الشعر يحدده " جين " من الجينات الوراثية التى تتوارثها الولائد أبناء عن آباء ، واذن فالسكرى متصل بهذا الجين الذى لوّن هذا الشعر . وتقوّى بذلك راى بعضهم ان مرض السكرى مرض يتصل بالوراثة والتوريث .

غير ان الفرحة بهذا الفار لم تتم وتكتمل . وذلك لأن عمر الفار يتراوح بين ٤ و٦ أشهر ، فهو ليس من الطول بحيث يأذن بظهور المضاعفات المرضية التى تصحب هذا المرض في الانسان . كذلك لم يجد البحاث في هذه الفئران السكرية أعراض أمراض العين التى تصاحب المرض ، وكذلك وجدوا الكلية والقلب والغدد المعينة كلها على الصحة لم يصبها تغير .

والعجيب أنهم وجدوا ان الفار المريض بالسكرى لا ينسل . ولا تنسل الفارة المريضة . واذن داروا حول الحصول على الانسال التى تتوارث المرض بالجمع بين حاملات المرض للتناسل .



الارانب تحب التدخين وكذلك القردة

● انها لا تحب التدخين في اول الأمر، ولكن بالمثابرة تتعوده ، وتطلبه ، وتقلق اذا هي لم تدخن كما يقلق الرجال .

والعلماء يعوّدون الحيوانات على التدخين ليبحثوا في امره ، من حيث انه يولّد السرطان في رئاتها ، كما يفعل في الانسان ، أم لا يولد . فان هو ولّد ، تهيأ للباحث العالم في تجارب الحيوانات ما لا يتهيأ له في تجارب الانسان ، من حيث أنه يسهل عليه مع الحيوانات ان يتابع تغير الأنسجة الذى يقع في الرئة ، وان يفحصه ، ويتفهم كيف هو يتكوّن ويتشكّل ، ثم كيف ينقلب آخر الأمر الى الداء المخوف ، السرطان .

وكان من آخر تلك التجارب تجارب العالم الروسي جورج ادزى Georg Adze رئيس مختبر السرطان بولاية جورجيا بالاتحاد السوفييتى .

وهو بدأ تجاربه على الأرانب .

وهو يرى من تجاربه فيمرض السرطان

والغريب كذلك في امر هذا الفار ان الداء اذا بلغ به حدا عجز الأنسولين عن اصلاحه .

ومع هذا ، فالأمل كبير في النتائجالتى سوف يحصل عليها الباحثون عن هذا المرض في هذا الفار .

ان مرض الانسان بالسكر في ازدياد .

وهو لم يرحم صغيرا ولا كبيرا . فقد خبّروا عن مرض سكرى وقع لطفل له من العمر ٩ ايام ، وآخر وقع لامراة بلغت من العمر ٩٩ عاما .

امواج تحت سطح البحار خافية

● ان في المحيطات ما يخدع .

ان المحيط قد تخرج اليه ، وتنظر الى سطحه ، فتقول ، ما اهدأ ، وما اكثر استواءه . ولكن باطنه ؟ ما شأن باطنه ؟

لو اطلعت على باطنه فقد تجد فيه الأمواج عاتية ، ترتفع حتى تبلغ مئات الامتار ، وتمتد حتى تبلغ الوفها .

ونذكر انغواصة امريكية ذرية اختفت

ان الانسجة تمر الى هذا الداء بفترات ثلاثة :

(أولا) الفترة الاولى يحتفظ فيها النسيج بتركيبه العادي ولكن تكثر فيه الخلايا والألياف ومكونات بنائية أخرى.

(ثانيا)الفترة الثانية يزداد فيها النمو في الأنسجة بشدة ، ولكن يبقى بناء النسيج الثابت على اصله .

(ثالثا) الفترة الثالثة ويظهر فيها ورم حميد ، ولا يظهر فيها الجموح السرطاني في نمو الخلايا وغزو سائر الأنسجة السليمة .

ولكن ارانب الدكتور الروسي كانت تموت في اواخر السنة الرابعة من التجربة قبل ان تصل الى فترة الورم الخبيث ، ويقول الدكتور ان وفاة هذه الأرانب كان بسبب ما طرأ من تغير كبير في مجاري أنفاسها .

لهذا انتقل الدكتور الى القردة . الى القردة المعروفة بقردة ريسوس Rhesus فأعمارها أطول ، فهي تعيش خمسة عشر عاما . اما عن نتائج هذه البحوث الجديدة فهو يقول لا فائدة من التنبؤ بشيء . لا بد من انتظار النتائج .

في اعماق البحار وضاعت . كان اسمها Thresher ذهبت الى القاع في العاشر من ابريل عام ١٩٦٣ . واليوم يقول الروس ويحدسون بأن هذه الغواصة صنعت ، كما وجب ، لتتحمل من ضغط الأعماق ضغطا معلوما ، اذا هي غطست الى اعمق منه اطبقت عليها الضغوط فكسرتها وهشمتها . وان الذي ذهب بهذه الغواصة الى اعمق مما بنيت له ، انما هي هذه الأمواج الباطنة في المحيطات .

ويقول الكتاب الروس ان بوغاز جبل طارق ، وجدت فيه هذه الأمواج حيث بلغ ارتفاعها ٨٠ مترا ، وبلغ امتدادها ١٠٠٠ متر ، ودامت ١٠ دقائق .

ومما يذكر في حادث الغواصة الغارقة ان الولايات المتحدة تبنى اليوم غواصة تحتمل الضغوط العالية في اعماق البحار، يكون الهدف منها النزول الى حيث النجدة واجبة ، ومد يد المعونة الى مثل تلك الغواصة التى غرقت ، اذا تكرر هذا الحادث .

ازدحام حركة المرور في السماء

● انه ازدحام عانى منه « مرور » الارض ، وأصبح اليوم يعانى منه«مرور» السماء .

في مرور الأرض بدات صعوبة من أول هذا القرن . كانت العربات ، سواء حملت البضائع أو حملت الناس ،بطيئة السرعة . وفي شرقنا العربى كانت العربة الكارو لحمل البضاعة (وحمل الفقراء احيانا لا سيما النساء ، ولا سيما الى المقابر) ، وكانت عربة الحنطور يجرها الحصان والحصانان. ثم جاءت السيارات وازدادت سرعتها على السنين . وكلما زادت سرعتها ضاقت الطرق بها ، وكثر الصدام . وفي المدن الكبيرة اليوم منعوا في الشارع الرئيسي الواحد أن يمر من العربات بكل انواعها ،ما هو بطيء السير، مع ما هو سريعه ، وذلك منعا للصدام ، وافساحا للسريع الذى يريد ان يسبق.

ولم يكن يخطر لأحد قبل ثلاثين او اربعين عاما ان السماء ستضيق بالطائرات، كما ضاقت الارض بسياراتها .

والخطر الأكبر القائم اليوم هو الصدام المتوقع بين الطائرات الكبيرة السريعة والأخرى الصغيرة البطيئة. وما هو بتموقع ، بل قائم . وليس بعيدا حادث ١٩ يوليو الماضي : طائرة كبيرة التقت في الجو بطائرة جد صغيرة ، كان ضحيتها هلاك ٨٢ راكبا . وقبل يوليو وبعد يوليو .

انها الصقور الكبيرة من الطائرات ، والعصافير الصغيرة ، مهما وضعت من القواعد لتنظيم سيرها، فما أكثر ماتخطىء الأجهزة ، التى تنهض بالطائرة أو تهبط، أو تدل على هبوط بها أو ارتفاع ، وما أكثر ما تخطىء في الدلالة على انحرافها يمينا وانحرافها شمالا .

وقبل ان يدرك الخطأ مدرك ، يلتقى « العصفور » « بالصقر » ، أو الصقر بالعصفور ، في سرعة هائلة،لا تاذن لأيهما بنجاة .

وعدوا الطائرات الخاصة ونحوها فكانت المسجلة شيئا عظيما. فمثلا عدوا المسجلة في الولايات المتحدة في عام ١٩٦٦ فكانت١٠٧٠٨٥ طائرة ، وعدوا الطائرات التى تعمل على الخطوط التجارية الجارية فكانت ٢٣٧٩ طائرة .

كان لا بد من ابتداع أجهزة تنذر قائد الطائرة بالخطر اذا اقترب ، وعندئذ

زاد اللقطاء

● ونعنى باللقطاء هنا كل مولود تركته امه لا تريده ، لأنه جاء من حمل غير شرعى .

ولقد زاد عدد اللقطاء بكل امم اوروبا، وكلما زادت الحرية ، وقل الاحترام الذى كان يراه الناس في الزواج ، زاد بسبب ذلك اللقطاء . وليس معنى هذا أن كل أم تحمل حملا غير شرعى تلقى بوليدها في الطريق . فالكثيرات منهن يحتفظن بما يلدن ، وينشأ معهن نشأة الولد الشرعى .

ان حديثنا الآن عن الأبناء غير الشرعيين



يصعد او يهبط او يذهب يميناً او يساراً . واهتدوا الى جهاز ، ولكنه يكلف الطائرة الواحدة ٥٠٠٠٠ دولار !

وهم في سبيل ابتداع آخر اقل كلفة .

ولا بد من الاسراع . فصقور اليوم ستصبح في عام ١٩٧١ نسوراً .

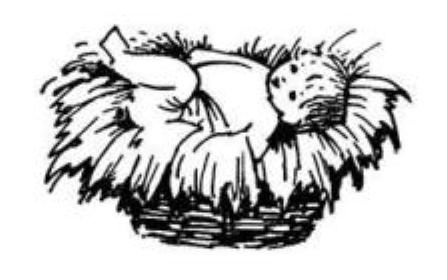
فمن اجهزة الانذار ما سوف ينذر بالخطر قبل وقوعه بنحو ٦٠ ثانية فقط ولكن ، في عام ١٩٧١ ، ستصبح الطائرة النسر تقطع في هذه الستين من الثواني ٣٠ ميلاً فما فوقها !!

واليوم تقول عن الحوادث ان عدد الضحايا ستين وسبعين ، فهل تقول عنها غداً ، مع نشأة الطائرة التي سرعتها فوق سرعة الصوت مرتين فاكثر ، ان عدد الضحايا كان ٤٠٠ و٥٠٠ راكب وراكبة ؟!

وقل طلاب التبني

الذين تتركهم امهاتهم .

بما ان وجودهم في هذه الامم صار ظاهرة قائمة دائمة ، فقد قامت وكالات



تسعى في جبر الكسر ما استطاعت . انها وكالات للخير . ترى فيما يقع جناية ، ولكنها جناية الآباء لا جناية الأبناء . فالولد لا يدري من ولده ، ولا كيف وُلد . ولا يُسأل عما فعل أبواه .

وتسمى هذه الوكالات بوكالات التبنّي لان سبيلها هو الاحتفاظ بهذه الولائد والعناية بهم حتى يصلحوا للتبني .

وبتغيُّر النظرة الحديثة الى علاقة المرأة بالرجل ، حدث ما لا بد من حدوثه ، وهو ازدياد عدد اللقطاء عاماً بعد عام .

ولنضرب مثلاً بالولايات المتحدة .

ان الذين يولدون في غير دائرة القانون يبلغون ٢٧٥٠٠٠ وليد في العام . وقد كانوا ثلث هذا العدد فقط عام ١٩٤٠ .

ومن اللقطاء المتراكمين هذا العام ، الذين بلغوا سن التبني ، لم يتبنَّ الناس منهم غير نحو الثلث ، والباقون لايجدون السقف الذي يقيهم ، وعلى الأخص القلب الذي يحنو عليهم .

وقد كانت وكالات التبني تبذل عناية في اختيار من يَتبنّى ، ووضعت لهذا قواعد ، فاضطرت اخيراً الى تسهيل هذه القواعد لتسهيل التبني .

ومن ذلك انها كانت لا تأذن لشخص فرد ان يتبنى ، كانت تشترط ان يكون التبني في أسرة من اثنين ، اب وام . اما الآن فقد اذن بتبني الشخص الفرد ، ابا كان او اماً .

وكانت لا تعطي الأسرة الواحدة اكثر من طفلين ، واليوم اعطت اسرة واحدة ستة اطفال دفعة واحدة .

انها أسواء المجتمعات لا بد يقوم في المجتمعات ، وعلى حساب المجتمعات ، من يسدُّ خللها ، ويتحمّل نفقاتها . فاما جمعيات للخير ، واما الحكومات نفسها .

●●

جَالِينُوس

■ هو الطبيب الاغريقي القديم ، الذي خلد اسمه ابو الطيب المتنبي بين العرب حين قال :

يموت راعي الضأن في جهله
موتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره
وزاد في الأمن على سربه

ولد في برجام Pergmum ، بآسيا الصغرى في نحو عام ١٣٠ ميلادية ، وهو مات في عام ٢٠٠ ميلادية ، فهو عاش سبعين عاما .

وهو من يوم نشأته عرف مدارس الفكر الاغريقية وألفها ، فالأفلاطونية والارسطوطاليسية والرواقية والابيقورية كلها اخذ بها علما . وهو بدأ بدرس الطب وهو غلام مراهق ، وطوف في سبيله وسبيل المعرفة عامة ، في بلاد كثيرة ، منها اليونان ، وصقلية ، وفينيقيا ، وفلسطين واقريطش ، وقبرص ، وختم بزيارة مدرسة الطب الشهيرة بالاسكندرية .

وفي نحو عامه الثلاثين استقر في روما . واتصل بصفوة حكامها ، وحاضر ودرّس وعرض نتائج بحوثه . واستخدم قلمه الحاد فعارض به ما كان شائعا في روما في زمانه من أمور زائفة لا تتفق وطالب الحقيقة في شيء ، وهو بذلك اغضب اهل مهنته . ولكن ذلاقة لسانه وحسن بيانه اكسباه عطف العاصمة الكبرى ، وانتهى بأن خدم الاباطرة ومنهم الامبراطور ماركس أورليوس Marcus Aurelius .

ولا يعلم المؤرخون الكثير عما انتهت اليه حياته في أخرياتها . ولكن المرجح انه مات في جزيرة صقلية .

طبه

اما في طبه فقد كان يعالج التشريح اساسا لعلمه ، وهو شرح القردة وغيرها من الحيوانات وقيل انه استفاد من تشريح جنينين لانسانين . وكان صادقا يصف ما يرى . وهو كشف الكثير مما ادعاه بعض بحاث القرن السادس عشر والسابع عشر لأنفسهم .

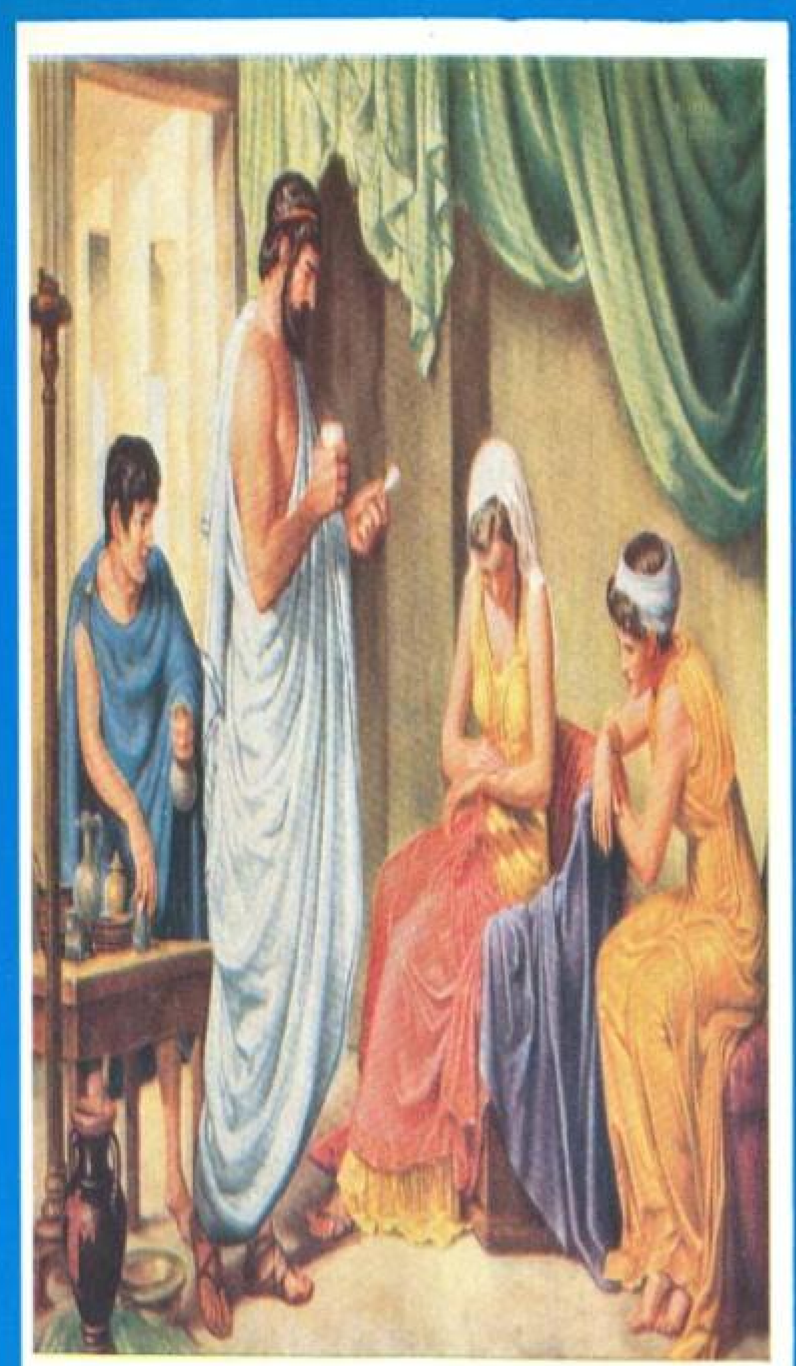
وهو في علم وظائف الاعضاء ، كشف الكثير عن الاعصاب ، وعن العمود الفقري واتصالاته بالجسم عند شتى مستوياته . وهو وصف صمامات القلب ، وكشف عن ان الشرايين تحتوي الدم لا الهواء فنفى بذلك عقيدة سادت مدرسة الاسكندرية ٤٠٠ عام . وهو قد خلف نحوا من ٤٠٠ رسالة كتبها بالاغريقية الفصحى .

فلسفته ودينه

وهو لم يكن طبيبا فحسب . كان ذا فلسفة وكان صاحب دين .

وامتزجت فلسفته ، بدينه ، بطبه ، فرأى الله خالق هذا الخلق ، ورآه واحدا احدا . ورآه وقد تكشف له ، لا عن المسيحية التي كانت قائمة ، ولا عن اليهودية التي سبقتها ، ولكن عما رآه هو في جسد الانسان من سمو في الخلق والتدبير والتنسيق لا يدانيه شيء . وهو رأى ان كل عضو في الجسم قام ليؤدي غرضا من اغراض الحياة ، وان تركيب العضو ائتلف مع غرضه هذا ائتلافا ليس فوقه مزيد . ورأى ان هدف الله ، يمكن الكشف عنه مفصلا ، بامتحان ما خلق من اشياء . وضرب امثالا لهذا ، ومثّل له خير تمثيل وابدع تمثيل عندما وصف اليد الانسانية في رسالته المسماة « في منافع اجزاء جسم الانسان » .

وظل جالينوس وظلت تعاليمه عمدة اهل الرأي نحوا من ١٥ قرنا ، حتى جاء عصر النهضة في اوروبا ، فأطاح بأكثر ما كان شاع طوال هذه القرون . ●●



صفحة
من
الطب
المصور





ضريبة الشهرة

● ماذا يحدث عندما تتزوج ارملة شابة فقدت زوجها وهي بعد ما زالت في ربيع حياتها ؟ والجواب لا شيء فهذا شيء طبيعي يقره المجتمع والقانون !

ولكنه لا يصبح طبيعيا اذا كانت هذه المراة شخصية مشهورة كما حدث للسيدة جاكلين كنيدى ارملة الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى . وبالرغم من أن جاكلين لم تتزوج ، وبالرغم من انها قد نفت بشدة الشائعات التى تحوم حولها في الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون ، عن وقوعها في غرام احد كبار لوردات الانجليز . . بالرغم من هذا كله لم يتركها الصحفيون تعيش حياتها الخاصة يوما واحدا بعيدا عن عيون والسنة الفضوليين !

وقد نشرت الصحف اخيرا صورة لجاكلين وهى تمشي حافية فوق ارض كمبوديا التى ذهبت اليها في رحلة برفقة اللورد هارلتش Lord Harlech بطل قصة هذا الغرام . وقال الصحفيون ان الامير سيهانوك حاكم كمبوديا الذى استضاف جاكلين وصديقها في قصره كان يبتسم في خبث وهو ينفى الشائعات عن هذا الزواج المرتقب !

وهكذا تمضي الصحف تلاحق الارملة الشابة في كل خطواتها ، فهذه هى الضريبة التى يدفعها الناس ثمنا لشهرتهم !

منتهى الأمانة

● وضع احد كبار المسئولين الامريكيين في البنتاجون ـ وزارة الدفاع الامريكية ـ لافتة صغيرة على مكتبه كتب عليها بالحرف الواحد: « اياكم ان تتصوروا اننى موظف غير كفء . ان السرية التى يتطلبها عملى لا تسمح لى بأن اعرف شيئا عما أفعل !! » .

درس في الامانة الصحفية

● داب رئيس تحرير احدى الصحف الاقليمية في الولايات المتحدة على نقل المقال الافتتاحى الذى يكتبه المعلق الأمريكى المشهور والتر ليبمان ، وتوقيعه بامضائه . اى بامضاء رئيس التحرير هذا . ولم يتنبه ليبمان لهذه السرقة الى ان حمل اليه بعض الصحفيين نسخة من الصحيفة المحلية التى تنشر مقالاته بامضاء رئيس تحريرها !

وتوقع الصحفيون أن يثور ليبمان ويرفع قضية ضد رئيس التحرير النصاب ! ولكنهم ذهلوا عندما جلس المعلق الكبير يقرا افتتاحيته المسروقة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ! وازدادت دهشتهم عندما فتحوا صحيفة النيويورك تايمز Newyork Times في صباح اليوم التالى ليقراوا فيها مقالا بقلم ليمبان

زوجة سعيدة
لمواطن سعيد

● التقى الصحفيون اخيرا بنينا خروشوف زوجة الزعيم السوفييتى الأسبق نيكيتا خروشوف ، وكانت تقف امام محل صغير لبيع الخضروات باحدى ضواحى موسكو ، وتحمل في يدها سلة امتلأت بالزهور .

سألوها : « ما هو شعورك بعد ان اصبحت زوجة المواطن خروشوف ؟ » .

وابتسمت نينا ثم قالت : « ان حياتى لم تتغير ابدا .. لقد ظلت على ما هى عليه حتى عندما كان زوجي رئيسا للوزراء وسكرتيراً أول للجنة المركزية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفييتى .. كل ما حدث ان حياة زوجي هى التى تغيرت .. وانا سعيدة بهذا التغيير .. فقد اصبحت اراه وأجلس اليه واستمتع بحديثه وآخذ جزءا كبيرا من وقته الذى كان يعطيه كله لكم .. انا الآن زوجة سعيدة لمواطن سعيد ! » .



نينا خروشوف مع زوجها وابنتها وحفيديها بعد ان اصبح رئيس الوزراء الاسبق مواطنا عاديا .

يشيد فيه بمقالات رئيس تحرير الصحيفة المحلية !

وكان هذا كافيا لأن يسرع الناس الى شراء الصحيفة التى اشار اليها ليبمان ليقراوا مقالات رئيس التحرير الذى وصفه ليبمان « بالعبقرية » !

واكتشف القراء هذه السرقة الصحفية فانهالت خطابات الاستنكار على رئيس التحرير « النصاب » الذى ما لبث ان كف عن نقل مقالات المعلق السياسي الشهير !

المرأة تمثل ٩٩٪ من
القوة الشرائية

● قام الاتحاد الدولي لأصحاب المتاجر فى أوروبا باحصاء دقيق ؛ اثبت أن المرأة تمثل ٩٩٪ من القوة الشرائية . فقد اتضح ان الرجل يشترى لارضاء زوجته ؛ ثم امه ثم أخته . ولكنه يدفع كل ما فى جيبه عن طيب خاطر لارضاء خطيبته! فالمرأة دائما هى المشترية اذن .



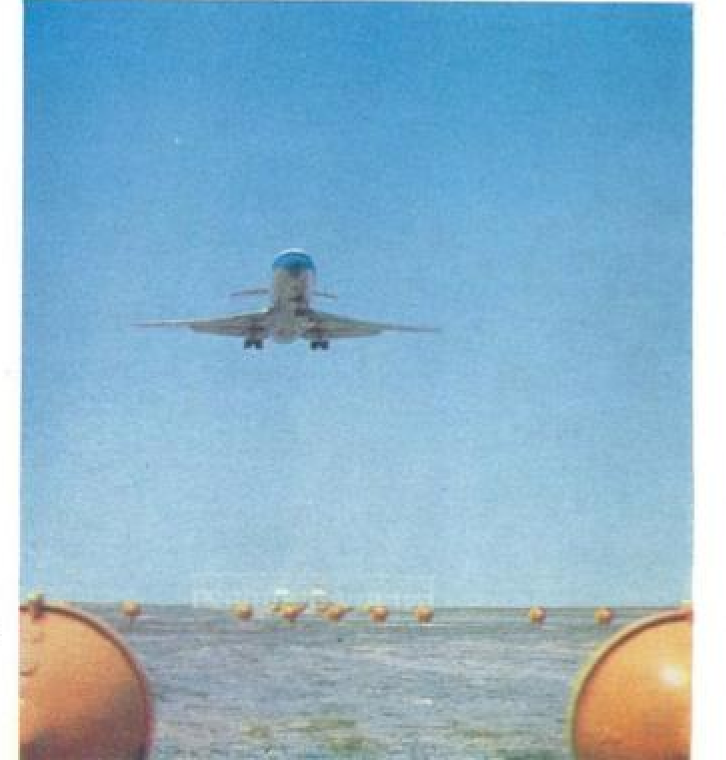
استطلاع الكويت

مطار الكويت الدولي

تدخل الكويت به مصاف الطيران العالمي



ـط احدث المعدات
الآلات اللازمة لسلامة
طيران ، وقف بعض
راقبين الجويين ، وكلهم
ن الشباب الكويتي ،
جهون الطائرات للنزول
سلام على المدرج المضاء
مختلف الأضواء القوية .



لى اليسار : من المساعدات
للاحية ، التى أصبح لها
يمة كبيرة فى زيادة كفاءة
لطار ، بأنى نظام الهبوط
الآلى فى المقدمة ، فهو الذى
عطى المعلومات لنزول
لطائرات على المدرج فى
حالات صعوبة الرؤية ..



■ ما يكاد صوت المضيفة يعلن : « وسوف تطير الطائرة بسرعة ٨٢٥ كيلومترا في الساعة ، على ارتفاع ٣٢ ألف قدم .. » حتى تخفق قلوب بعض الركاب الذين يطيرون لأول مرة ، بينما يتمدد معتادو السفربالطائرة على المقاعد الوثيرة ، يطالعون الصحف او يغطون في نوم عميق !

وتنتهي « متاعب الجو » بهبوط الطائرة لتبدأ بعدها « متاعب المطار » .. واولها يتمثل في ضابط الصحة الذي يصر على ضرورة التطعيم ضد الجدرى ، ما دامت « الورقة الصفراء » ضائعة !

ثم ضابط التأشيرات الذي يعمد الى تقليب صفحات القوائم السوداء .. بحثا عن اسمك وتنتهي المتاعب بالانتهاء من مفتش الجمارك الذي ينظر اليك بعينين تحملان « كمية » من علامات الشك والاتهام ، تكفى لجعلك ترتاب حتى فى نفسك !؟

ان هذه المتاعب التى تسيطر على تفكير كثيرين من ركاب طائراتنا العربية تجعلهم يهملون الوجه الآخر للصورة .. الوجه التكنى الفنى للطيران : كيف تنطلق الطائرة ؟ وكيف تطير ؟ .. من الذى يوجهها ، ما هى زاوية هبوطها ، ما هو الرادار وما هو الهبوط الآلى ، ما هى شروط السلامة في المطارات ؟ وهل هى كافية أم لا ؟ ..

اسئلة تمر كالطيف في مخيلة بعض الركاب ، سرعان ما تمحى وتضيع لعدم « وضوح الرؤية » أمام الراكب .. فشركات الطيران لا تشفى غليله بنشرات موضحة لشروط السلامة ، وانما تسعى جهدها لتقدم له نشرات هزيلة عن كل شيء .. الا عن الطيران !

المدرج يطير !

لقد تطورت أجهزة السلامة الجوية خلال السنوات الأخيرة تطورا سريعا مذهلا ، جعلها على أعظم جانب من الدقة والكفاءة .. انها ثمرة التعاون بين مختلف الهيئات الدولية العاملة في حقل الطيران المدنى التى أوجدت من المعدات والآلات الدقيقة ما يقول عنها أحد كبار الطيارين :

« ان هذه الآلات جعلتنا نشعر كأننا لا نهبط بالطائرة على مدرج المطار ، وانما أصبح يخيل الينا أن المدرج الطويل الكبير هو الذى يصعد الينا في الجو ليلتقى بنا حتى نهبط عليه بأمان وسلام ! » .

ولقد شهدنا أحدث هذه المعدات وادقها في مطار الكويت الدولى ، الذى افتتح مدرجه الرئيسي لاستقبال أضخم الطائرات ، منذ شهرين فقط ..

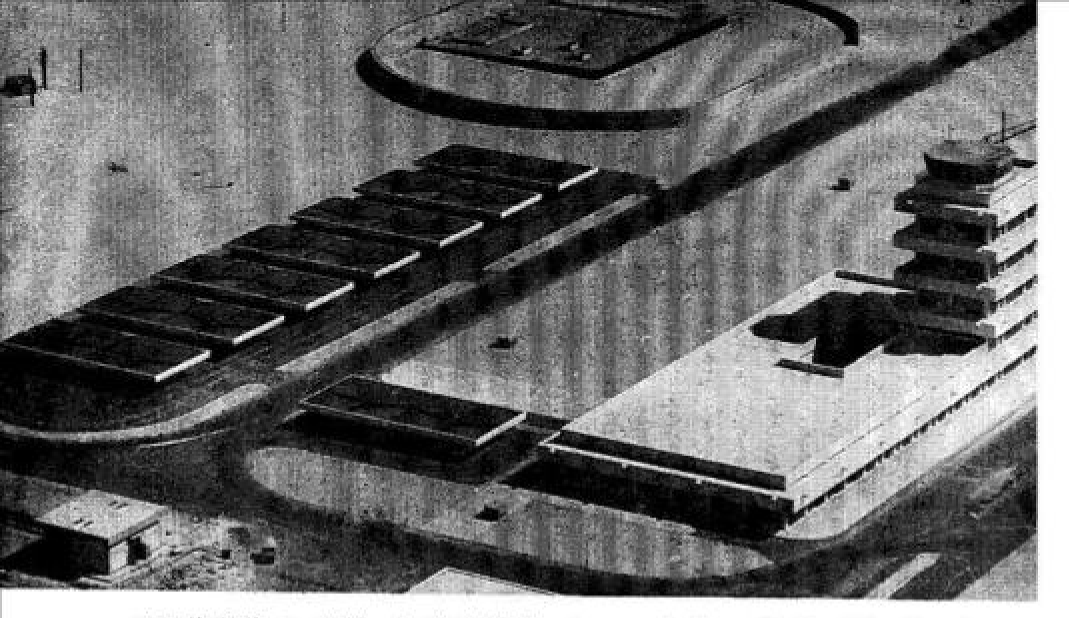
ان جولة بين معداته الملاحية الدقيقة الحساسة الموزعة داخل المبانى على رقعة من الارض مساحتها ٤٠ كيلو مترا مربعا، تجعلك تؤمن بأن مطار الكويت الدولى مجهز بأحدث ما وصل اليه الانتاج العالمى من أجهزة ملاحية ، سيكون لها أكبر الأثر في دقة الرقابة وتوجيه الطائرات ..

أجهزة موحدة

وقبل القيام بجولة بين هذه المعدات الدقيقة يحسن التنويه الى أن لفظ « مطار دولى »لايطلق على أى مطار الا بعد التأكد من نوعية الآلات الموجودة فيه حسب نصوص اتفاقيات الطيران المدنى العالمية الدولية التى تحتم تزويد المطارات

حتى لا يحدث تأخير في اصلاح خلل أو عطب ، يطرأ على الاسلاك الكهربائية ، حفرت انفاق طويلة تحت ارض المطار ، وُضعت فيها هذه الاسلاك والكابلات التى يزيد طولها على ٢٨٠ كيلو مترا .





منظر من الجو لمباني مطار الكويت الدولي .. ويجري حاليا اعداد التصاميم لانشاء مبنى الركاب الحديث

الدولية باجهزة ملاحية موحدة في العالم كله .. وكذلك الحال في الطائرات التي تستعمل هذه المطارات الدولية ، يجب ان تكون هي الأخرى مجهزة بآلات التقاط موحدة ، تمكنها من التقاط جميع الاشارات والتعليمات المنطلقة من أجهزة المطارات الدولية .

الهبوط الاعمى

وفي مقدمة الأجهزة المزود بها مطار الكويت الدولي جهاز الهبوط الآلي I. L. S .. لقد قضى هذا الجهاز على مشكلة العواصف الرملية التي منعت في العام الماضي ، مائة طائرة من النزول في مطار الكويت لصعوبة الرؤية .. اما الآن فلن تتكرر هذه المشكلة ابدا ، حتى في أسوأ حالات الرؤية ، بفضل هذا الجهاز المكون من أربع محطات موزعة بشكل خاص حول مدرج المطار ، اهمها محطة تحديد محور المدرج Localizer وتعمل على ارسال اشارات لاسلكية لتغذية مجموعة من الهوائيات يقع منتصفها على امتداد محور المدرج بالضبط .. وتشع هذه الهوائيات بدورها اشارات لاسلكية تحدث مجالين رئيسيين يكون تقاطعهما هو محور المدرج .. وتلتقط الطائرة هذه الاشارات وتسجلها على لوحتها ، وهي على بعد قد يصل الى ٢٥ ميلا بحريا من المدرج ، وعلى هذه الارشادات يستطيع قائد الطائرة الاقتراب من المطار ، على خط ثابت هو امتداد محور مدرج الهبوط . دون ان يرى المطار !

وقد شيدت مباني هذه المحطة في مطار الكويت الدولي تحت الارض ، لكي لا تتاثر باشعاعات ثانوية في حالة وجودها فوق الارض ، مما قد يؤثر على الموجات اللاسلكية المنتشرة في المحطة ..

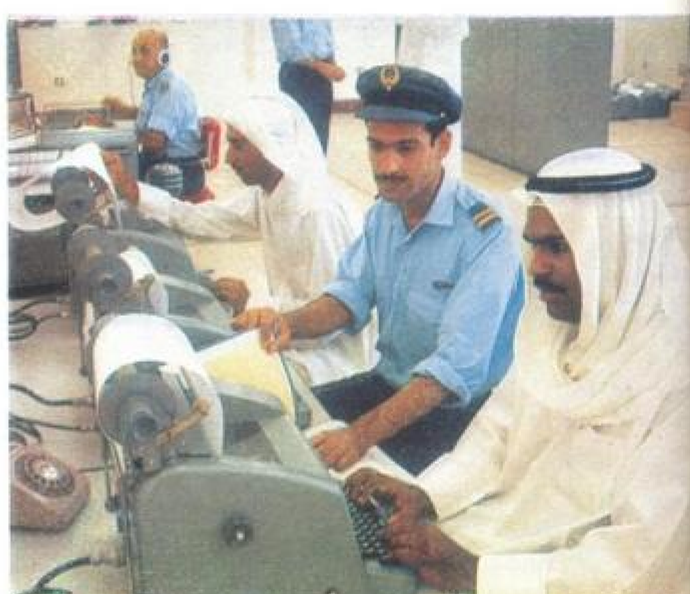
تحديد زاوية الهبوط

ولكن المعلومات المستقاة من محطة تحديد محور المدرج غير كافية وحدها لهبوط الطائرة ، لأنها تعطي ارشادات في الاتجاه الافقي فقط ، بينما يلزم أن تكون هناك ارشادات أخرى في الاتجاه الرأسي ، تحدد للطيار الزاوية التي يمكنه تتبعها في هبوطه حتى يصل الى المدرج .. وهذا ما تقدمه له المحطة الثانية المحددة لزاوية الهبوط

وعمل هذه المحطة لا يختلف في مجموعه عن المحطة السابقة ، الا أن الاشعاعات الناتجة منها تعطي مجالات لاسلكية رأسية يكون تقاطعها بزاوية مع الاتجاه الافقي ، وامتداد هذا التقاطع لا بد ان يقع في نقطة على المدرج الرئيسي للمطار تسمى نقطة التلامس .

وباستلام الطيار لزاوية الهبوط ، ومقدارها

كان لادخال الرادار فى الرقابة الجوية المدنية فضل كبير فى تأمين سلامة الطيران .. ومن خلال النقاط والشروط التى تظهر على شاشات الرادار هذه ، الموجودة فى مطار الكويت الدولى ، يمكن تحديد موقع الطائرة واتجاهها فوق المطار .



الى اليمين تلقى هذا الشاب الكويتى ـ الجالس فى الوسط ـ تدريبه فى القاهرة على كيفية استعمال الآلة المبرقة ، وهو اليوم يعمل فى المطار ، ويدرب فى نفس الوقت شابين كويتيين .

درجتان ونصف في مطار الكويت الدولي ، يمكنه اضافتها الى شارات محطة تحديد محور المدرج ، والاقتراب من مدرج الهبوط الى مسافة امتار قليلة جدا تمكنه من رؤية انوار الممر لاستكمال عملية النزول ..

ويصل مدى اشارات هذه المحطة الى ١٥ ميلا بحريا ..

منارتان ..

والى جانب هاتين المحطتين توجد منارتان خارجيتان مهمتهما ارسال اشعاعات لاسلكية يستقبلها الطيار ليحدد بُعد الطائرة عن المدرج ويتأكد بانه يسير في اتجاه صحيح نحو مدرج الهبوط ..

واولى هاتين المنارتين موجودة على مسافة ١٠٥ امتار عن المدرج الرئيسي ، والثانية موقعها خارج المطار على مسافة أربعة كيلومترات في منطقة المقوع بالكويت .. وتقع هاتان المنارتان على امتداد محور المدرج الرئيسي بالضبط ..

٤٠ طائرة في الساعة !

وليس جهاز الهبوط الآلي الا جزءا من مجموعة الاجهزة الدقيقة الموجودة في مطار الكويت الدولي ذي المدرج الرئيسي الهائل ، الذي يبلغ طوله ٣٤٠٠ متر وعرضه ٤٥ مترا ..

لقد اجريت على هذا المدرج ٨٥ تجربة لمعرفة قوة تحمله ، فاثبتت التجارب ان هذه القوة تزيد بما لا يقل عن ضعف قوة التحمل المطلوبة في مدارج المطارات الدولية . اي أن مدرج مطار الكويت الدولي يمكنه تحمل أي نوع من الطائرات الكبيرة الثقيلة التي قد تظهر خلال عشرات السنوات القادمة ... كما أن طوله وتصميمه مع الممرات الفرعية يجعله على استعداد لاستقبال ٤٠ طائرة في الساعة الواحدة بين اقلاع وهبوط ..

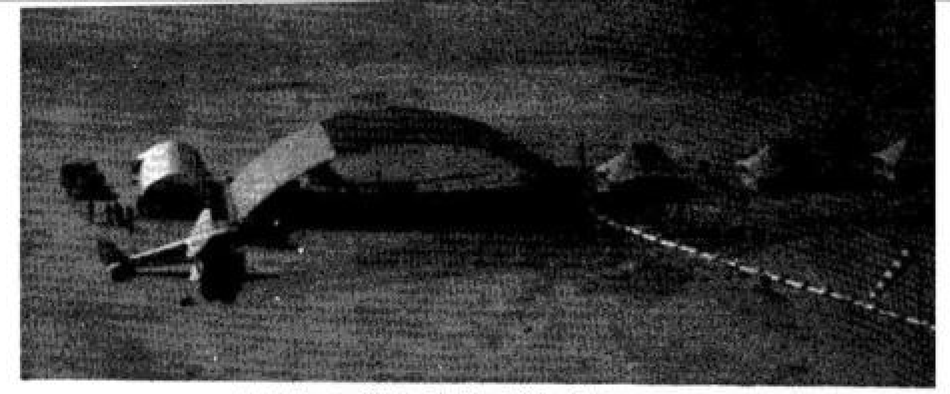
والى جانب المدرج الرئيسي شيد مدرج فرعي ، لاستعماله في الحالات الاضطرارية .. وهذا المدرج الفرعي طوله ٢٤٦٥ مترا وعرضه ٢٣ مترا ..

اول طائرة في الكويت ..

اما موقف الطائرات ، فمزود بفوهات انابيب الوقود ، المتصلة بالمستودعات الرئيسية بالمطار ، ومن هذه الفوهات يمكن تعبئة خزانات الطائرات



صورة من الجو لمدارج وممرات مطار الكويت الدولي ، ويبلغ مجموع أطوالها ٢٨٩٢٣ قدما .. والمدرج الرئيسي هو الظاهر الى اليسار ، والمدرج الأيمن مدرج احتياطي .. وطول كل منهما ٣٤٠٠ متر .



صورة تذكارية لاول مطار أقيم في الكويت عام ١٩٤٧

بحاجتها من البنزين دون اضاعة الوقت انتظارا للسيارات والعمال ..

ان هذا المطار الدولي هو ثالث مطار يقام في الكويت ، فاول طائرة هبطت الى البلاد كانت في عام ١٩٣٢ ولم يكن هناك مطار ، وانما ساحة واسعة بجوار بوابة البريعصي « الشعب » ، احدى بوابات السور القديم الذى كان يحيط بمدينة الكويت .

وفي عام ١٩٤٧ عندما بدأ النفط في التدفق ، احتاجت الشركات الى جلب يد عاملة ، فاقيم أول مطار على مسافة كيلومترين جنوب مدينة الكويت القديمة ، وكان مدرجه مغطى بطبقة من الاحجار التي كانت تتأثر من هطول الامطار ، فكان المطار يغلق مدارجه في الايام الممطرة .. فلما كان عام ١٩٥٠ رُصف المدرج بالاسفلت واصبح يستقبل الطائرات الصغيرة من نوع D. C.4 و D. C. 6

لكن تضاعف حركة الطائرات عشرات المرات حدا بالمسئولين الى الشروع في بناء مطار دولى كبير ..

وفي عام ١٩٦٢ افتتحت المرحلة الاولى من هذا المشروع ، بانشاء مطار الكويت الحالى ، الذى استقبل مدرجه ١١٥٠٩ طائرة في السنة الاولى من افتتاحه ..

لقد أعد مدرج هذا المطار بسرعة ليواجه حركة الطيران المتزايدة ، وكان المنتظر أن يُستعمل لفترة أربع سنوات فقط ريثما يتم اعداد المدرج الرئيسي الكبير ، ولكن التطور السريع لأنواع الطائرات عمل على تقوية مؤقتة لهذا المدرج حتى يستطيع مواجهة الحركة الزائدة عليه .. فقد بلغ عدد الطائرات التى هبطت واقلعت منه ١٨٢٣١ طائرة خلال عام ١٩٦٦ .

مبنى لاستقبال مليون راكب

وفي أول نوفمبر الماضي افتتح المدرج الرئيسي في مطار الكويت الدولى ليستقبل الطائرة الضخمة الكبيرة ، من امثال V.C.10 و D. C.8 الكاملة الحمولة ، التى لم تكن تستطيع الهبوط في المطار المؤقت المستعمل حاليا لهبوط الطائرات العادية ، وما زال مبناه يستقبل الركاب .. لأن مبنى الركاب في مطار الكويت الدولى الجديد ما زال في أولى مراحله ، وسوف يبنى على احدث طراز ، ويزود بأجهزة تلفازية داخلية للاعلان عن اقلاع الطائرات وهبوطها ، وبارصفة متحركة توصل المبنى الرئيسي بباب الطائرة مباشرة .. كما سيزود بالمصاعد والاحزمة الناقلة الآلية ، التى تنقل الحقائب والبضائع مباشرة الى الطائرة ..

وسيراعى في تصميم مبنى الركاب الجديد امكانية استقباله لمليون راكب في السنة .

عالم تحت الارض

وتحت مباني ومدارج وممرات مطار الكويت الدولى ، يمتد عالم آخر .. أنفاق طويلة متعرجة تحوى آلاف الاطنان من الاسلاك والكابلات الكهربائية .. التى تمتد كلها داخل الانفاق الواسعة ، حتى يستطيع الفنيون اصلاح أى عطب منها دون أى تأثير أو تشويه لأرضيات المطار.

ويقرب طول هذه الاسلاك من ٤٠٠ كيلومتر ..

ومما يذكر ان القوة الكهربائية التى تؤمن سير جميع الخدمات الملاحية فى مطار الكويت الدولي ، تكفى لاضاءة مدينة يبلغ عدد سكانها ١٠٠ .. الف نسمة ، اذ يزيد مقدار الحمل الكهربائي في المطار عن ثمانية آلاف كيلوات ..

وتعتمد الشبكة الكهربائية في المطار على مغذيين

رئيسيين قوة كل منهما ١١٠٠٠ فولت ، يأخذان قوتهما من شبكة الكهرباء والماء بالكويت ..

قوة كهربائية احتياطية

ولكن مطار الكويت الدولي لايعتمد فقط على هذه القوة التي تأتيه من وزارة الكهرباء .. لان هناك أجهزة حساسة مثل الرادار ، ومبنى الاستقبال اللاسلكي ، وبرج المراقبة لايمكن ان تتوقف عنها الكهرباء ، والا حدثت كوارث جوية لأنها اجهزة لها علاقة مباشرة بسلامة الطائرات والحركة الملاحية .. لهذا زود المطار بمصدر كهربائي مستقل احتياطي يعمل آليا بمجرد حدوث اى خلل او توقف فى التيار الكهربائي القادم من وزارة الكهرباء والماء .

وتنقسم هذه القوة الكهربائية الاحتياطية الى ثلاثة اقسام :

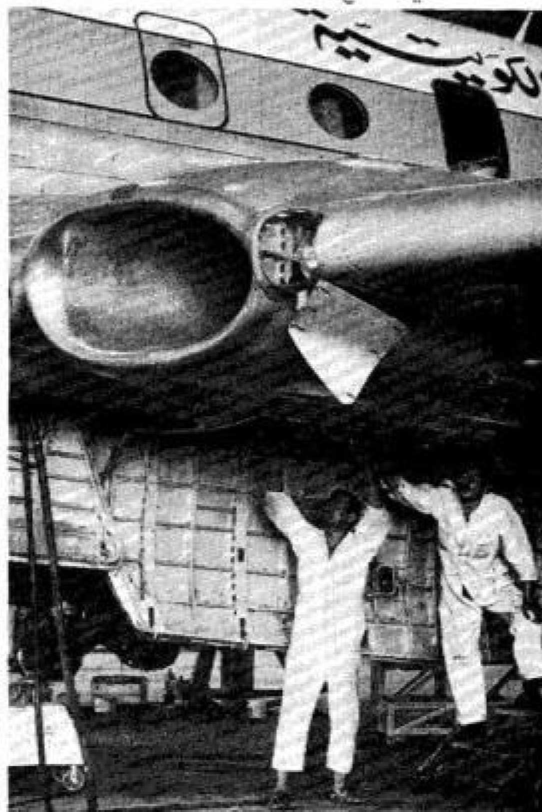
اولا : قوة احتياطية رئيسية تشمل اربعة مولدات ديزل قوة كل منها ٩٠٠ كيلو فولت امبير .. ومهمتها العمل مباشرة لتوصيل التيار الكهربائي الاحتياطي لجميع مباني المطار فى حالة انقطاع التيار الكهربائي الرئيسي .

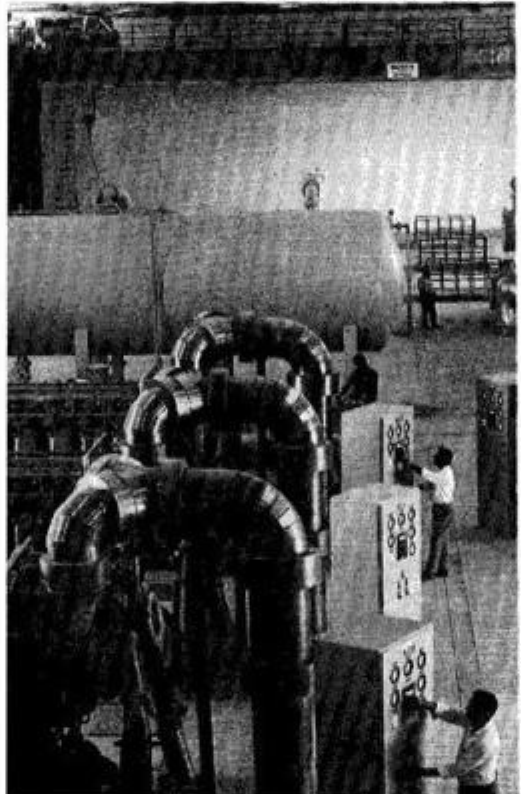
ثانيا : القوة الاحتياطية المحلية .. وهى مزودة بمولدات ديزل مختلفة القوة .. ومهمتها العمل مباشرة اذا كانت آلات القوة الاحتياطية الاولى متوقفة او في حالة الصيانة .. والفترة التى تستغرقها مولدات هذه القوة للعمل لا تتجاوز نصف دقيقة ..

ثالثا : قوة احتياطية ثالثة .. مهمتها العمل

قاعدة صيانة الطائرات في مطار الكويت الدولي ، وهى مزودة بأحدث الآلات وأمهر الفنيين لاصلاح الطائرات ، مما حقق للدولة وفرا يقدر بنحو ٥٠ ألف دينار كانت تنفقها شهريا على صيانة طائراتها في الخارج ..

المبنى الرئيسي للخدمات العامة ، وتبدو فيه مولدات الديزل للقوة الكهربائية الاحتياطية الرئيسية ، التي تعمل أوتوماتيكيا ، في حالة انقطاع القوة الكهربائية الرئيسية القادمة من وزارة الكهرباء والماء بالكويت .





مباشرة في حالة توقف القوتين الاحتياطيتين الرئيسيتين وهي مزودة بمولدات لها صفة خاصة ، وهي تامين عدم انقطاع التيار الكهربائي ، حتى ولو لفترة من الثانية ! وهذه المولدات تعمل آليا بمجرد توقف القوة الكهربائية المغذية،كما أنها تتوقف آليا بمجرد عودة التيار الكهربائي الرئيسي !

الرادار على أنواع ..

ويعتبر الرادار من اهم الاجهزة الحساسة التي تحتاج الى كهرباء بصفة دائمة ...

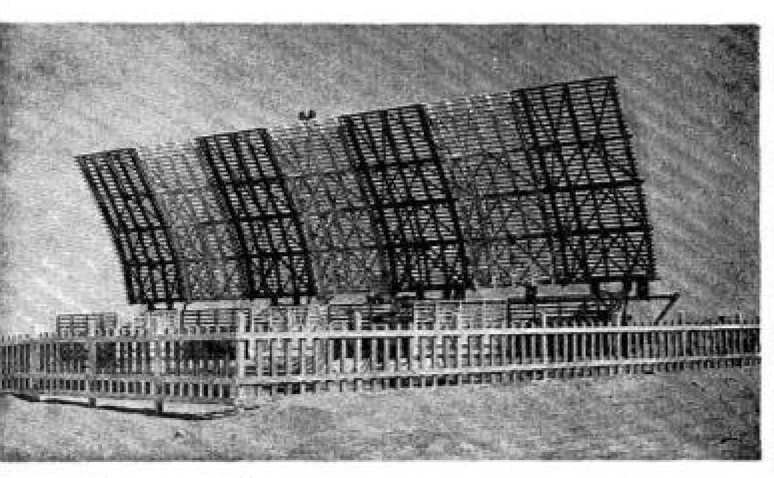
لقد دخل الرادار ميدان الطيران المدني بعد الحرب العالمية الثانية ، فكانت له فائدة كبرى في مراقبة المناطق الجوية المزدحمة بالحركة .. وخدمات متنوعة ، متعددة ، وكذلك انواعه التي يؤدي كل نوع منها خدمة معينة محددة .

ولكننا سنركز كلامنا هنا على نوعين من الرادار ، المزود بهما مطار الكويت الدولي ، وهما الرادار الافقي والرادار الراسي ..

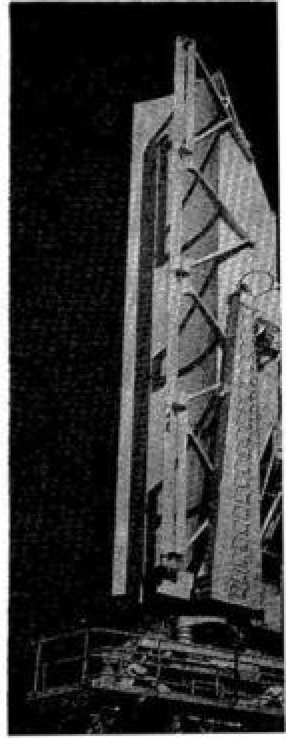
يتكون جهاز الرادار في الواقع من جزئين اساسيين : جهاز ارسال وجهاز استقبال ، متصلين بهوائي واحد يعمل لفترة زمنية قصيرة جدا كهوائي ارسال ، يرسل خلالها نبضات لاسلكية قوية تستغرق بضعة اجزاء من المليون من الثانية .. وتنطلق هذه النبضات القوية في الجو ، فاذا ما اصطدمت باي جسم ارتد جزء منها الى الهوائي الذي يتحول الى هوائي استقبال لفترة زمنية تتناسب مع المدى المطلوب كشفه .. ومن الطبيعي ان يتم هذا التحويل الكترونيا ، نظرا للسرعة المذهلة المطلوبة لهذا التحويل ، والتي تعتمد على سرعة الضوء البالغة ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية !

جميع الآلات موجودة

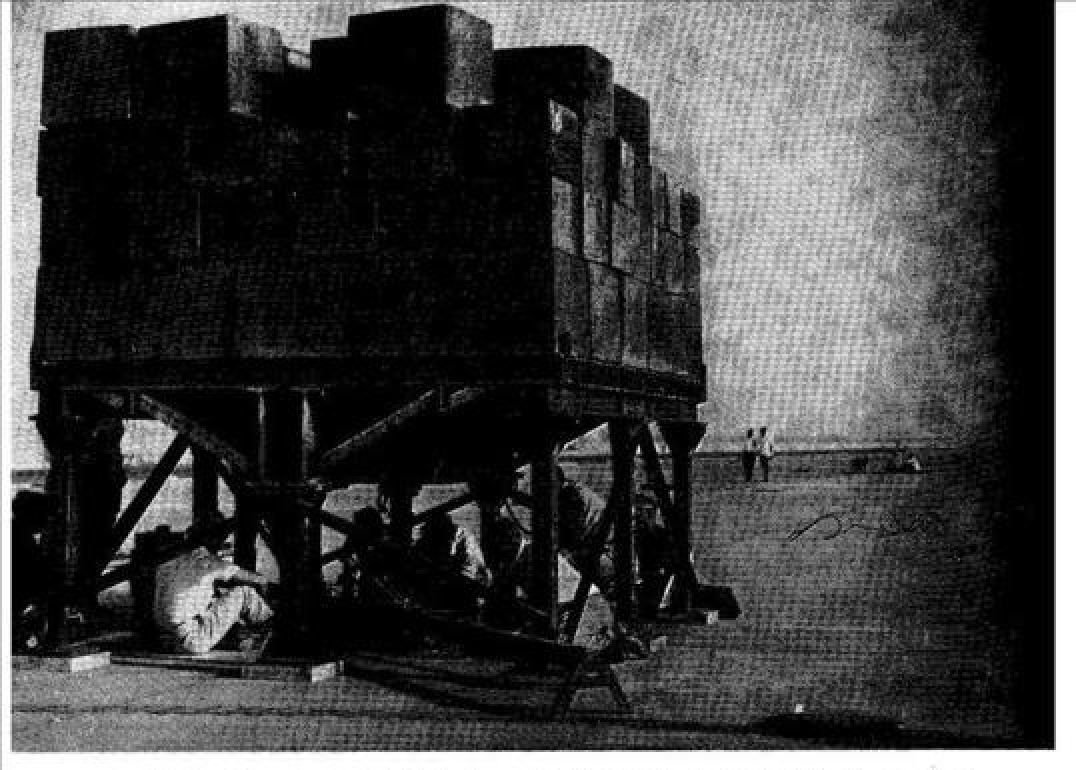
ومن خلال عملية حسابية خاصة تقيس الزمن بين انبعاث النبضة من جهاز الارسال ، واستقبال الصدى المنعكس من الطائرة في جهاز الاستقبال .. يمكن تحديد مكان وبعد الطائرة ، التي تظهر على



الرادار الافقي يكشف أي جسم غريب طائر في الجو على مسافة ١٤٠ ميلا بحريا ..



الرادار الرأسي ، يكشف أي جسم غريب طائر في الجو على ارتفاع ١٤٠ ميلا بحريا ..



هكذا تجرى عملية اختبار قوة تحمل ارضيات المطارات .. وفي مطار الكويت أجريت ٨٥ تجربة ، أثبتت ان قوة تحمل أرضيات مطار الكويت الدولي تزيد بما لا يقل عن ضعفي قوة التحمل المطلوبة دوليا !!

شاشة الرادار الشبيهة بشاشة التلفاز ، على هيئة نقطة او شرطة .

ويستطيع هذا الرادار الافقي كشف اى جسم موجود على مسافة ١٤٠ ميلا بحريا ، وهو مزود بجهاز خاص يتيح له التميز بين الاجسام المتحركة والاجسام الثابتة كالجبال والمباني والابراج .

اما جهاز الرادار الراسي فلا يختلف في اساسياته عن جهاز الرادار الافقى ، الا أن طريقة تشغيله تختلف تماما .. فهوائي هذا الجهاز يتحرك افقيا ليتجه ناحية الطائرة المراد قياس ارتفاعها ، وعن طريق هذه الحركة يتم تحديد مقدار ارتفاع الطائرة ، او المقارنة بين ارتفاع طائرتين تطيران فى نفس الاتجاه ..

وبهذين الجهازين اصبح بامكان مطار الكويت الدولى الكشف عن اى جسم طائر فى منطقة نصف قطرها ١٤٠ ميلا بحريا فى الابعاد الثلاثة للفراغ .

ان الحديث عن جميع أجهزة الملاحة الجوية المزود بها مطار الكويت يحتاج الى حديث طويل

.. وتحت الصور المختلفة المنشورة مع هذا المقال يجد القارىء شرحا وافيا لبقية الاقسام ..

ومن الطريف ان منظمة الطيران الدولية أرسلت خطابا لادارة الطيران المدنى فى الكويت ، يحوى بيانا بالآلات التى يجب أن يحتويها مطار الكويت ليصبح مطارا دوليا .. ومع هذا البيان ارفق بيان آخر بالآلات التى ترى المنظمة الدولية انه من المستحسن ان يحتويها المطار كذلك ..

وكان رد ادارة الطيران المدني الكويتية : « إن جميع الآلات التى تطلبون توافرها فى المطارات الدولية موجودة في المطار الجديد .. وكذلك جميع الآلات التى ترون انه من المستحسن وجودها موجودة هى الاخرى .. »

ان الكويت بافتتاحها مدرج مطارها الدولى ، قد فتحت ابوابها على مصراعيها للعلم والتكنية الحديثة ، التى اصبحت عماد حياة الانسان اليوم والغد وكل يوم . ■■

س . ز



الانسولين أم أقراص مرض السكر ؟

● انا مصاب بداء السكر ، واتناول الانسولين حقنا . والحقن متعب ، لا سيما وانا اعيش في الريف بعيدا عن المدن . وقد علمت ان للسكرى اقراصا تعطى اليوم تغنى عنه ، فما هى هذه الاقراص ، وكم يتعاطى المريض بالسكرى منها ؟

ـ نعم توجد اقراص بديلة ، تقوم مقام الانسولين ، ولكن ليس في كل حالة.

الاصل هو الانسولين الذى تصنعه البنكرياس. فاذا لم تصنع غدة البنكرياس التى في الجسم الكفاية من الانسولين ، عمدنا الى حقن الانسولين ، نحقن في الجسم الكفاية منه ليتم احتراق السكر الذى بالدم لنحيا به وننشط .

وهذا الانسولين نأتى به من غدد الحيوانات كالثيران ونحوها .

الانسولين اذن هو الاصل .

اما هذه الاقراص فهى تعطى لتنشط خلايا البنكرياس التى تكاسلت فلم تصنع في الجسم القدر الكافي من الانسولين .

هذه الاقراص اذن لا تعين على احراق السكر في الدم ، وانما تعين الجسم على صنع ما قد عجز عن صنعه من انسولين .

الانسولين اذن هو دائما الاصل .

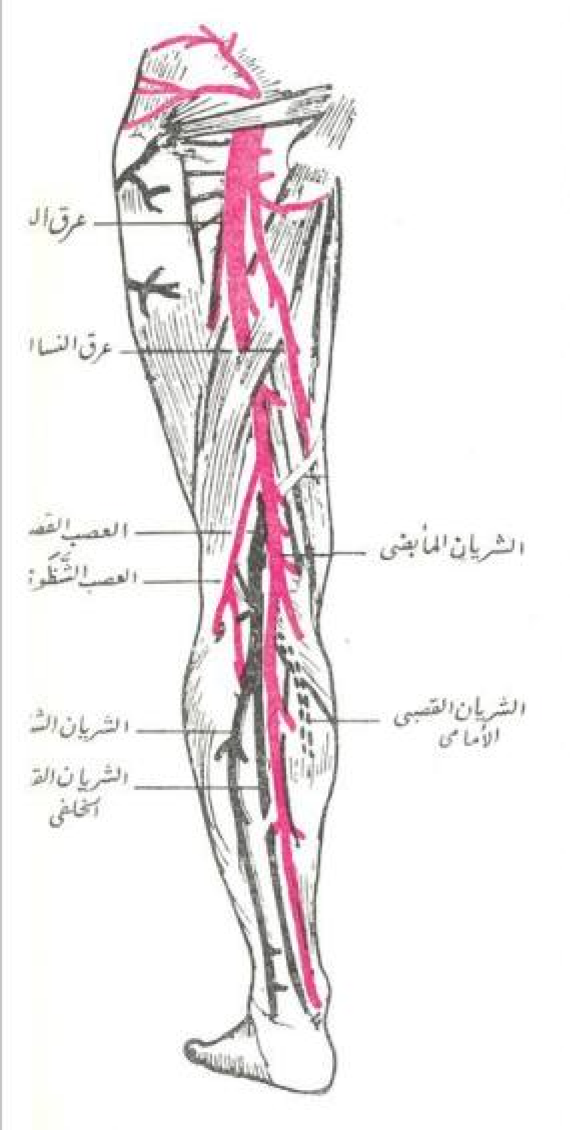
بقى ان نقول ان هذه الاقراص قدرتها على التنشيط محدودة ، فهى لا تعطى الا في الحالات الخفيفة من مرض السكر ، التى فيها نقص الانسولين ليس بالنقص الخطير ، وهى تعطى عادة للشيوخ . وكثير منهم يستطيع بتنظيم التغذية ان يستكفى بما صنع جسمه من انسولين فلا يحتاج الى هذه الاقراص .

على ان القاعدة العامة تخولنا ان نقول انه في الحالات الخفيفة من هذا المرض التى تكفى فيها ٣٠ وحدة من الانسولين يمكن اخذ الاقراص بدلها .

والاطفال والشبان الذين يصابون بالمرض شديدا ليس لهم عن الانسولين مندوحة .

على كل حال لا تحاول ان تعالج نفسك . عليك بالطبيب ، ولو في الريف .

عرق النسا مرة اخرى



● ارجو ان تتكرم باعطائى فكرة عن عرق النسا ، ما هو ، وهل هو يوجد في الرجال ، وكيف كان ذلك. ان عندى الما في الرجل شديدا ، وقد نصحونى بالرقاد على مرقد مستو كالخشب جاف حتى يتم الشفاء ، فهل هذا هو علاج عرق النسا ؟ ثم اليس في الطب الحديث شيء احدث من هذا ؟

ـ ان عرق النسا كما سبق ان اوضحنا في « العربى » عرق يوجد في الرجال والنساء على السواء . والنسا تنطق بفتح النون لا بكسرها، فهو لفظ لا علاقة له بالنساء . ولفظه الافرنجى ciatica Nerve فهو اذن عصب من الأعصاب.

وهو عصب يخرج من النخاع في السلسلة الظهرية،في القسم الادنى منها، ويجرى خلف الرجل الى القدم ،ويخدم كل مناطق الجسم التى يمر بها .

والألم الذى يحدث بسببه ، يعزى اما الى التهاب يصيب هذا العصب ، او ضغط يضغط عليه ، ولهذين اسباب كثيرة . اعنى سبب الالتهاب ، وسبب الضغط الحادث . وهذه الأسباب لا بد من كشفها قبل العلاج ، فما العلاج الا علاج أسباب .

والنوم مستويا على فراش جامد علاج لبعض هذه الحالات لا كلها . وعلى الطبيب ان يتبين الاسباب اولا .

بين أكزيما الجلد والحساسية

● اصيب طفلي بالتهاب جلدي في سائر جسمه وعرضته على الطبيب ، فشخص مرضه بانه اكزيما ، وانه بسبب حساسية عند ولدي . ثم اخذ يبحث عن أسباب هذه الحساسية . وهو يظن ان سببها لبن البقر الذي استبدلناه بلبن امه . وهو لبن معقم مبستر . فكيف يكون لبن الأبقار هو السبب ؟

فارجو ان تفسروا لنا معنى الأكزيما، ثم معنى الحساسية ، وهل هي مرض معد ، اي ينتقل من طفلي الى اخوته ؟

اما الاكزيما Eczema فهي مرض يصيب ظاهر الجلد ، من صفته التهاب الجلد وتقشره وتشققه ، ويصحبه عادة خروج سائل لزج . وميل الى الحك ، وقد يكون منه الم . فهذا هو التعريف القاموسي العام .

ويقال ان الاكزيما اسم يشتمل على نحو نصف أمراض الجلد كلها . وكثيرا ما تسمى الأكزيما بالاسم الاعم وهو التهاب الجلد Dermatitis .

اما الحساسية فهي رد فعل خاص بأجسام بعض الناس تثيرها مواد خاصة يأكلونها أو يشربونها أو يمسونها أو يستنشقونها ، وتسبب لهم أعراضا لأمراض شتى . وعلاجها البحث عن المادة الخاصة التي تسبب هذه الحساسية ثم الامتناع عن مباشرتها .

اما ان طبيبك يظن ان سبب حساسية ابنك هو لبن البقر ، فليس في هذا جديد . فالباحثون في جامعة كمبردج كشفوا عن ان ستين في المائة من الاطفال بهم حساسية تجاه لبن البقر . ولكن لحسن الحظ ،

طفل يمص ابهامه

● طفلي تعود على مص اصابعه ، وعلى مص ابهامه خاصة ، وقد قرأت في كتاب قديم من كتب الأسرة عن مص الاصابع عند الاطفال وانه يورث كثيرا من الأمراض ، لا سيما تلك المتصلة بالحلق وبالهضم وحتى بشكل الفم وشكل الوجه . فهل هذا صحيح ؟ وكيف اخرج طفلي من هذه العادة ، ام هو يخرج منها وحده كلما كبر ؟

ـ اما كتاب الأسرة القديم فانت تجدين فيه الشيء الكثير عن مص الأصابع ، وغير مص الأصابع ، مما اصبح اليوم عند الأطباء لهوا ولغوا وهذرا . فكثير من هذه الكتب ، لا سيما تلك التي لم يكتبها الأطباء وانما كتبها الناصحون ذوو النية الطيبة والفهم القاصر ، حوت اشياء اقرب ما تكون من اقاصيص العجائز في تلك الأزمان .

ان العصر الحاضر يهدف الى الكشف عن كثير من مظاهر السلوك عند الأطفال، ويبحث عما وراءها من أسباب نفسية تحملهم على السلوك الذي يسلكون . وعن مص الاطفال لاصابعهم يقول الباحثون انه تعبير عن حاجة نفسية الى المص من حيث هو مص ولا شيء غير هذا . فالمص





لا تبلغ فيهم هذه الحساسية الى حد ان تكون حساسية مرضية تنتج علة كالاكزيما يستثنى من ذلك نسبة قليلة جدا منهم، ولعل ابنك واحد من هؤلاء . والاصابة تكون عادة في الطفل دون السنتين من العمر .

والطبيب ينصح في مثل هذه الحالة باستبدال اللبن المصنوع من فول الصويا ، وهو نباتي صرف ، بلبن البقر . فتختفي الأكزيما بهذا الاستبدال .

وقد ينصح الطبيب باستبدال مساحيق اللبن التي بالسوق بألبان الأبقار . فهذه المساحيق قد تتغير بروتيناتها اثناء صناعتها بحيث يزول منها العامل الذي يعطي هذه الحساسية .

وليس اللبن وحده، أعني لبن الأبقار، يعطي الأطفال حساسية .

حدث ان طفلا اصابت الأكزيما كل جسمه تقريبا ، الا ذلك الجزء منه الذي تغطيه اللفافة التي تمتص بوله عندما يبول ، فلا يذهب البول الى الفراش مع غيره من سوائل الافراز . وحسبت الأم وحسب الأب ، وحسب الجيران ، ان البول هو الذي منع ذلك الجزء المبتل به من الجسم أن تصيبه الأكزيما ، لأن البول مطهر ! وحار الطبيب أول الامر في هذه الظاهرة الغريبة . ثم بدا له ان البول ليس السبب هنا ، انما اللفافة ، وهي من قطن ، وهي التي حمته ، وان سائر ملابس الطفل كانت من صوف . فمس الصوف جسمه أعطاه تلك الحساسية . وغيروا الصوف واستبدلوا به ملابس من قطن ، فاختفت الأكزيما !

في الاطفال طبيعة . ولولا المص ما كان الرضاع . والرضاع ما هو الا مص .

ويرى الباحثون ان مص الأطفال ابهاماتهم ، حتى من بعد توقف ارضاع، انما هو امتداد لعادة الرضاع . ولعلهم في الرضاع لم يشبعوا من المص ، وهو عمل يتطلبه الفم بحكم طبيعة الفم ونشاة الطفل، وإذن هم يتابعونه. ومن الباحثين من لاحظ ان الأطفال الذين رضعوا من اثداء امهاتهم اقل رغبة في مص ابهاماتهم من هؤلاء الذين شربوا اللبن من زجاجته. وعللوا ذلك بأن رضاع الثدي بالمص أشبع.

وهؤلاء ينصحون ، عندما يبدأ الطفل بمص ابهامه ، باعطائه فرصة اطول في مص ثدي أمه ، بالرضاع ، أو « ثدي » « الزجاجة » ، أو حلمة المطاط .

ان مص الأصابع ، والابهام خاصة ، لدى الأطفال ، يجب أن ينظر اليه على انه ظاهرة عابرة عادية . هكذا يرى بعض الباحثين . تسلية يتسلى بها الطفل ، او طريقة يتلهى بها عن سأمه عندما يسأم ولا يجد ما يشغله .

وغير ذلك بالطبع ان تستمر هذه العادة الى دور الصبا رغم النصيحة بتركها والضغوط الاجتماعية حول ماص ابهامه ليقلع عنه ثم هو لا يقلع . قد يكون وراء هذا ما وراءه. والمسألة عندئذ للطبيب النفساني . ولكن هذا نادر الحدوث . ●●

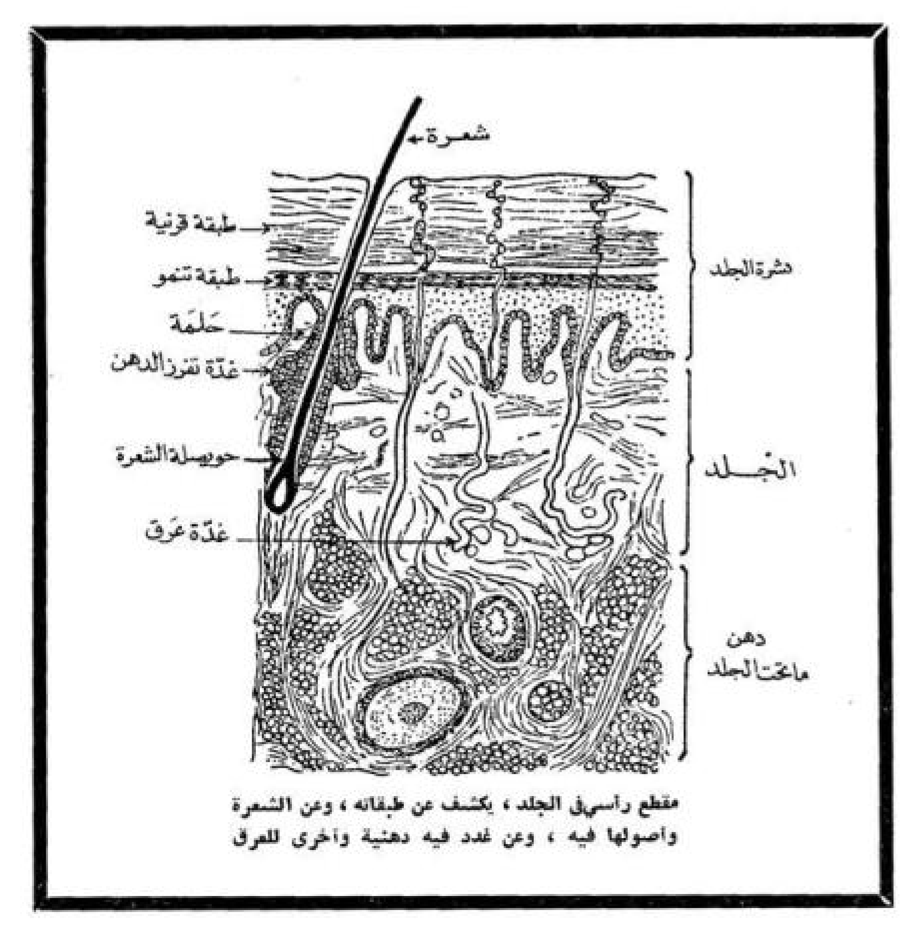
أمراضٌ شائعة

الدمامل

البكتير الذى يسبب الدمامل واسمه البذور العنبية . اما البذور فذلك لانه وحداته على شكل كرة او بذرة . وتتجمع هذه الوحدات فتصنع مايشبه عنقود العنب .

الدمّل كيف ينشأ

الدمل ، بالمعنى الطبي الدقيق ، وهو مقابل اللفظ الطبي الانجليزى Furuncle ، او الفرنسي Furoncle ، يتسبب عادة عندما يجد بكتير خاص يعرف بالبذور العنبية Staphylococcus طريقه الى حويصلة شعرة من الشعرات الكثيرة المنتشرة فى جلد الانسان . ففي هذه الحويصلة يفعل هذا البكتير فعله . ونتيجة هذا الفعل ورم فى هذا الموضع ، وشيء من التهاب ، ثم يتكون قيح ابيض او اصفر يعرف بالمِدّة ، يحاول الخروج الى سطح الجلد . وبخروجه يعود الجلد الى



مقطع رأسي في الجلد ، يكشف عن طبقاته ، وعن الشعرة واصولها فيه ، وعن غدد فيه دهنية وأخرى للعرق

صحته الاولى ويلتئم الجرح ، ولا يكاد يترك ندبا .

وقد يصحب هذا الالتهاب ارتفاع في درجة الحرارة لا سيما عند الاطفال والصغار .

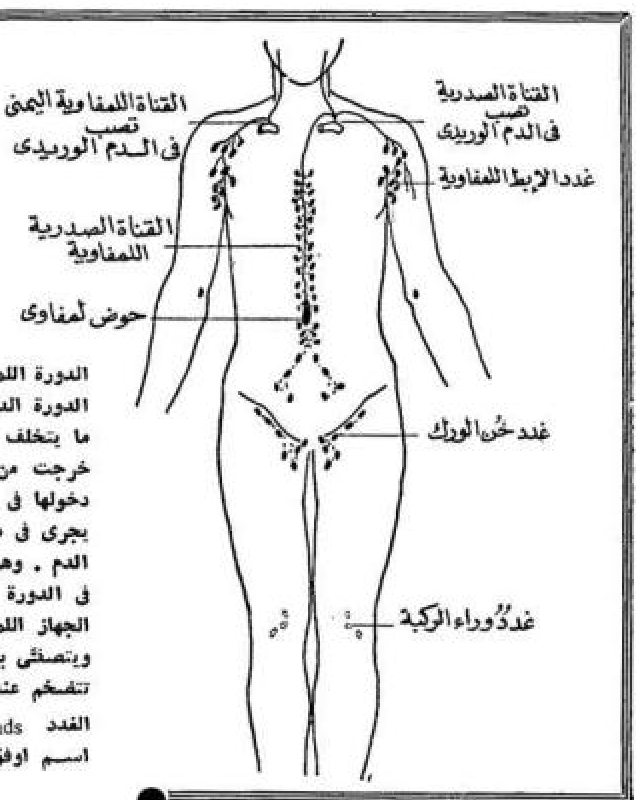
وقد يصحب ظهورَ الدمل في اليد او في الرجل كِبَرٌ في الغدد اللمفاوية التي تحت الابط ، او في خَنّ الوَرِك وهو حيث يلتقي البطن بالفخذ . وتضخّم الغدد هذا يدل على التهاب في الذراع او في الرجل في الناحية التي توجد فيها الغدد اللمفاوية .

وهذه الدمامل تكثر في الشباب وعند البلوغ ، ولكنها تصيب كل الاعمار .

وهي تظهر عادة في الوجه والرقبة والذراعين .

دمل الجفن

ومن المواضع الغريبة التي يظهر فيها الدمل جفن العين . وهو يظهر بطرف الجفن لأنه كسائر الدمامل يبدأ في حويصلة شعرة من شعرات رمش العين . وقد يظل على ما بدأ صغيرا ، وقد يكبر ويتورم بسببه الجفن . وهو كالدمامل ينتهي بأن يتكون له راس يخرج منه القيح . وكثيرا ما يتلو الدُملَ ثانٍ فثالثٌ ، لأن المكروب كثيرا ما يحلو له ان يتخلف في الجفن زمنا .



الدورة اللمفاوية ، وهي دورة ثانوية الى جانب الدورة الدموية ، هي جهاز يتجمع فيه بعض ما يتخلف حول خلايا الجسم من سوائل خرجت من شعريات الشرايين ولم يتيسر دخولها في شعريات الاوردة . واللمف الذي يجرى في هذه الدورة اللمفاوية اشبه بمصل الدم . وهو يصب في النهاية في اعالي الصدر في الدورة الدموية ذاتها . ويوجد في هذا الجهاز اللمفاوى عُقَد" يحبس فيها المكروب وبتصفى بذلك اللمف .. ومن اجل هذا هي تتضخم عند المرض . وقد اطلق عليها اسم الغدد Glands ، ولعل العُقد Nodes اسم اوفق .

الدمل المركب

والدمل في جلد الانسان قد يكون اعمق ، وقد يحتل من حيث المساحة رقعة اوسع، ويمتد الالتهاب الى النسيج الذى هو تحت الجلد . وهو يتراءى من اجل ذلك كأنه دمل" ودمل" ودمل قد اجتمعت جميعا معا ، ويتأكد هذا الرأى اذا نضج الدمل فخرج قيحه من اكثر من موضع واحد .

وهو يعرف بالافرنجية بلفظ كربنكل Carbuncle ، وهي من Carbo وهو الفحم ، والمراد جمرته الحمراء ، وهو اسم اطلق على كل حجر من الاحجار الثمينة له لون احمر كالعقيق والياقوت (الجمرى) . ولعل من هذه الحمرة مع الحرارة انتقل معنى اللفظ الى هذا الدمل .

ومن العرب من يسميه بالجمرة ، ومنهم من يضيف فيقول الجمرة الحميدة .

وهو بين الدمامل ليس بالنوع الشائع . ونحمد الله انه لا يصيب الوجه عادة ، وانما يصيب الرقبة والظهر .

علاج الدمل

هو العلاج المعروف بوضع اللبخة الحارة فوق الدمل فهي تجعله «ينضج» ويكوّن راسا ويخرج مِدّته .

وفي هذه الاثناء يجب غسل ما حول

راس الدمل بمطهّر ، لا هو بالقوى الفعل ولا هو بضعيفه . واذا كان الدمل في الذراع اسرع في شفائه حَمل الذراع في حَمّالة تعلقه بالرقبة . واذا كان الدمل في الرجل انتهز صاحبه الفرص ليرفع رجله ممتدة فوق كرسي .

وهناك طريقة اخرى انفع للصبية ، لأنها اقل الما وأمنع للعدوى من ان تنتشر ، وهي وضع لصقة من اللصقات اللزجة الشائعة اليوم على الدمل وما حوله ، وتركها هناك أسبوعا او نحو ذلك . فاذا هي بدأت تتسخ وُضعت فوقها لصقة اخرى ، دون رفع اللصقة الاولى . وعندما ترفع اللصقتان آخر الامر ينكشف الدمل وقد تم شفاؤه .

الدمامل المتزامنة والمتلاحقة

قد يحدث أحيانا أن يصاب الشخص باكثر من دمل ، تظهر في نواح مختلفة من جسمه ، او هي دمامل يلاحق بعضها بعضا ، فما يكاد يفرغ صاحبها من دمل حتى يبدأ آخر .

فأولا يجب أن يتأكد المريض من انه ليس مريضا بالسكر . فان هو كان كذلك فعليه بالطبيب .

اما الدمامل المتكررة في غير ذلك فكثيرا ما يحسبها أصحابها أن سببها فساد في الدم . ولكن المعروف ان هذه الدمامل التى وصفنا لا تتعدى الجلد ، والمؤكد الذى لا شك فيه ايضا انها تكون بسبب المكروب الذى ذكرنا ، هذه البذور العنبية البكتيرية .

والسؤال : فما مصدر هذا البكتير اذن ، لا سيما اذا تكررت بظهور الدمامل عدواه ؟

والجواب : ان مصدره عادة الانف . ففى الانف هو يعيش ، وقد يسبب اضطرابا فيه والتهابا ، او لا يسبب . ولكنه من الانف ينتقل بالاصبع او يحمله المنديل الى سائر الجلد وهناك يقبع .

ومن المصادر المحتملة الآذان . وحتى اجفان العين .

وتكشف مخابيء المكروب هذه بأخذ عينات من الانف وكل موضع يشتبه فيه ، وحملها الى مختبر البكتير ، وهناك يكشف عنه المختص بكشف البكتير .

ولكن الجارى في مثل هذه الاحوال ان يفرَض ان المَخبأ هو الانف ، واذن يُعطَى المريض مرهما يحتوى احد المبيدات العضوية (مثل Neomycin او Polymixin) ويطلب منه أن يدهن به داخل انفه بضع مرات في اليوم .

واذا كان المخبأ جفون العين ، عاد الطبيب الى المراهم .

الطبيب ، الطبيب !

ان من الدمامل ما لا يثير قلقا .

ولكن على الفرد منا ان يعلم ان كل الدمامل ليست كذلك . فمن الدمامل الخطير . وقد ذكرنا منها تلك التى تصحب المريض بالسكر . ومن هذه دمامل تنتشر في الجلد ويلتهب دون أن ينتهي الى رأس .

كذلك دمامل الوجه ، لا سيما فيما بين الفم والعين ، وعلى الاخص التى تجرى بحذاء الانف . فخطر هذه انها احيانا تمتد الى داخل الراس ولها عواقب وخيمة . فلهذه لا بد من الطبيب .

وبالطبع ليس المفروض في المواطن أن يجرى الى الطبيب في كل صغيرة ، فليس في أمة من الاطباء ما يكفى لهذا او بعض هذا ، ولكن على المواطن ان يتعود أن يفرّق بين الصغير والخطير ، فيحمي نفسه بنفسه بالقدر المعقول . ويعطى الفرصة لسائر خلق الله ليحظوا بنصيبهم من وقت الاطباء . ●●



بين الطموح والشذوذ..

بقلم
الدكتور يوسف عز الدين
الأمين العام للمجمع العلمي العراقي

رحم الله الرصافي ، فقد كان انسانا تضنيه مصائب الانسانية ، وتؤلمه آلامها . كان يحس احساسا عميقا صادقا بأن حال قومه لن تستقر ، ولا بد أن تفضي الى ثورة تقضي على كيان النظام القائم ، ولكنه لم يكن يقدر على تعيين زمن الثورة التي يتوقعها .

كان يرى أن نظام الحكم سائر في غير مصالح الأكثرية ، وكان الرصافي يرى الشعب يعذب من جراء الجوع والمسغبة ، وهو مسلم يقتضيه الدين الاسلامي وجوب مساعدة هذا الشعب ، ويرى جماعة ترقص مع كل حاكم ، وتعطر الجو لكل أمير ، وتهزج لكل قادم من غير أن تهتم الا بمصالحها الذاتية ، وكان ناقما متبرما ، شديد النقمة عميق الشكوى .

والرصافي ، على ما كان عليه من نكد الحظ وسوء الحال ، لم يهاجم ابناء وطنه ، بل كان هجاؤه ينصب على الاجنبي « أصهب العثنون » فقد كانت روحه السمحة الأدبية ، ترى جفوة وطنه له ، شيئا جميلا يقدمه له الوطن ، كما يتأول العاشقون احيانا جفوة احبائهم ، فقال قولة المتصوف :

ان جفتنا أوطاننا فهي حب
ومن الحب يستلذ الجفاء
لم تحل عن عهودنا مذ جفتنا
بل لها الود عندنا والوفاء
قد بكينا شجوا عليها ومنها
وعنانا سقامها والشقاء
كم أردنا سخطا عليها ولكن
غلب السخط في القلوب الرضاء
انما هذه الموطن أم
مستحق لها علينا الولاء
ان خدمنا فلا نريد جزاء
ومن الأم هل يراد الجزاء !؟

وحب الانسان هو الذي يفرض عليه ان يغضي عن سيئات ابناء شعبه لأنه يرى نفسه جزءا من هذا الشعب ، فما عليه الا ان يكون صريحا في قوله ، جريئا في معالجة مشكلاته . وقد كان الرصافي صريحا وواضحا . وقد وصفه صديقه الأستاذ مصطفى علي بقوله : « .. كان في الصراحة في القول ، والوضوح في الشخصية ، والصفاء في النفس ، والسمو في المقاصد ، بحيث يأبى أن يضرب بينه وبين الناس حجابا من الرياء ، ويأنف من ان يخيط عليه ثوبا من النفاق .. » (١) .

---

(١) الرصافي تأليف الأستاذ مصطفى علي ص ٨

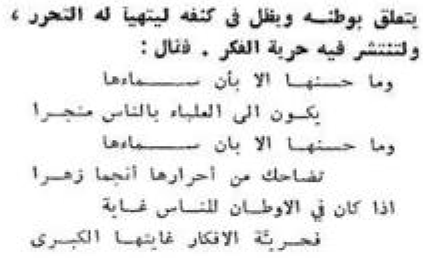


وثورة النفس العارمة

وقد كان شعره مثلا واضحا فى ذلك ، وهو على الشقاء الذى حاق به ، لتجاهل الوطن نحقه ، نراه يترنم وقد دهمت الوطن المصيبة بعد ثورة ١٩٤١ قائلا :

وطن" عشت فيـــه غير ســـعيد
عيش حـر يأبى على الدهر عوجـه
أتمنى لـه الـســعادة لكـــن
ليس لي فيــه ناقــة" متوجــه
أخصب اللـــه أرضـــه ولو انـي
لست أرعى رباضــه ومرْوجــه
كـل يــوم يعــز"ه الغنـــى
جاعلا ذكــر عـز"ه أهزوجــه
ما حيــاة الانســان بالـذل الا
مُرة عند حُسْنوها ممجوجـه

أجل عاش معروف غير سعيد ، لما اصابه واصاب وطنه من فقر وحرمان واستعمار وسيطرة أجنبية وتمزق بين أبنائه وتطاحن دائم ، والرصافي انما



يتعلق بوطنـه ويظل فى كنفه ليتهيأ له التحرر ، ولتنتشر فيه حرية الفكر . فقال :

وما حسنهـا الا بأن ســـماءها
يكـون الى العلياء بالناس متجـرا
وما حسنهـا الا بان ســـماءها
تضاحك من أحرارها أنجما زهـرا
اذا كان في الاوطـان للنـاس غـاية
فحريـة الافكار غايتهـا الكبـرى

لم تكن له اسرة تثقل به

وقد رضي الرصافي بالعيش فى وطنه ، رغم احساسه بسوء حياته وتكده فيه ، لانه يحب الوطن ولا يرى سواه بديلا وقد ساعد الرصافي على ابائه فى ذلك أمور منها :

انـه كـان يعيش فـردا وغـير مسؤول عـن اسرة يخشى عليهـا الاذى ، او اطفال يخاف أن يهيض جناحهم العـوز والفاقة ، وهـذا يذكرنا بالجواهرى ، فانه اضطر الى مهادنة السلطة بعد أن اثقلت أسرته كاهله .

وعندما احتاج الرصافي فى اواخر ايامه ، وجد بين الطيبين من امده بالمال والطعام ، وكانـوا يتقبلون عثرته المالية . ثم ان الرصافى لم يسجن ، ولم يعتد عليه أحد طوال حياته ، وقد لقى خير ما لاقاه شاعر معارض فى زمانه .

شذوذ الرصافي

اما انه لم ينط به أى عمل حكومي مرموق فان للعمل الحكومي صفات ، منها المحافظة على الآداب العامة ، ولم يكن الرصافي يحافظ عليها ، فانه اشـتهر بالشـذوذ الجنسي ، وكان يسكن بين العاهرات من غير أن يبالى . وقد حدثنى المرحوم خيرى الهنداوى عن اسـتهتاره باشياء كـثيرة ، لا تتفق والعمل الحكومي ومظهره الرسمي .

ريَب" حول موقف الرصافي من الانجليز

ولعل الانكليز كانـوا يريدونه أن ينضم الى صفوفهـم وقد علموا من معارضتـه ما علموا ،

وعرفوا آثر قصائده ، ولعلهم ارادوا ان يعينهم الرصافي في تحقيق اهدافهم ، وخاصة أن « طالب النقيب باشا » كان مرشحا لعرش العراق، ورشح الرصافي لاصدار جريدة تسانده . قالت جريدة العراق « عاد من القاهرة عن طريق البصرة المستر برسي كوكس ومعه بعض رجال السياسة .. وحضرة الشاعر الكبير معروف افندي الرصافي .. » غير أن الخطط التي خططها جماعة من الانكليز في اسناد النقيب لم تنجح ونجحت ملكية العراق .

وتاريخ الرصافي يظهر مقاطعة الانكليز مقاطعة بائنة ، غير أنني وجدته يصدر جريدة الأمل . والغريب انها كانت تقف مع الانكليز وتمتدح الاحتلال البريطاني وتهاجم من يهاجم احتلال العراق ، فقد نشرت في صفحتها الأولى : « اننا لنستطيع القول استنادا الى الحق المجرد والعقل المنزه عن الهوى أن الجنرال مود لم يرفع بفتح بغداد شان أمته فحسب، بل خدم القضية العربية أعظم خدمة ... » (٢) .

وجاء في الجريدة : « وكثير من قصار النظر يعدون يوم فتح بغداد يوم حداد ومصيبة وهو صحيح لو بدَّل هذا الفتحُ استعبادنا القديم باستعباد جديد ، ونَقَلَنا من الحكم التركي الى الحكم الاستعماري ، ولكن الأيام اثبتت عكس هذه الاوهام ، فانه لم تمض أعوام قليلة الا وتسلم أهل البلاد زمام أمورهمواصبحوا سادة انفسهم وتمتعوا بحكم عربي هلكت أجيال عديدة متحسرة عليه . وجميع الدلائل متوافرة متظافرة على أن هذه البلاد سائرة بخطى واسعة نحو الأمام كلما أحسنا التفاهم مع حلفائنا وتجملنا بالدهاء والكياسة ، وليس على من ينكر فضل الجنرال مود على العراق الا ان يجيب على هذا السؤال :

ماذا يحل بالقضية العربية لو بقيت بغداد على ما كانت عليه في العهد السابق ؟ .

وفي العدد نفسه نجد خطاب المعتمد السامي الذي يقول عن قدوم مود الى العراق انه مثل قدوم اسكندر الأكبر وتراجان وخلفاء النبي وهولاكو أثرا وجلالا ... !! .

فهل كانت هذه المقالات هي الأسباب التي دعت الى تعيينه مفتشا للغة العربية سنة ١٩٢٤ ؟ أم هل نشرت المقالات دون علم الرصافي ؟ واذن فماذا كان موقف الرصافي من نشرها ؟ ومَنْ نشرها ؟ ومن المسؤول عنها اذا لم يكن صاحب الجريدة مسؤولا ؟ ! ولو كان غير الرصافي صاحب الجريدة لكان له عذر ، فالرصافي بشخصيته القوية المعروف وبكلمته المسيطرة يدل دلالة واضحة على أنه مسؤول عن كل ما صدر في الجريدة . ولكن هذا لم ينله مما اراد الا عملا لم يكن يتسق وآمال الرصافي ورغباته الكبيرة في الحكم ، فكانت منه ثورة جديدة على المستعمر . فلو أن الرصافي استوزر كما استوزر غيره أكان يهاجم الانكليز(٣) ؟ أم يسير في ركابهم .. ؟ .

وبقي الرصافي بعيدا عن كرسي الحكم زمنا ولم يكن الا نائبا فيالمجلس فهل كان ابعاده عن السيطرة هو السبب المباشر لثورته ومعاداته للانكليز ؟ .

واشتهر الرصافي بمعارضته الواضحة ، وبالتهكم على الوزراء والدولة وكيانها . وتهكم على المظاهر الكاذبة وهو يعلم جيدا أن الانكليز يحكمون العراق وليس أبناء وطنه ، فهل عافت نفسه كرسي الحكم لانه وجده كاذبا وان السيطرة الفعلية كانت للانكليز .. وهو انسان يريد الحكم صالحا ودون تدخل ؟ ورضي أن يكون نائبا وهو يعلم أن النيابة بالتعيين ؟! ان في حياة الرجل غموضا وتناقضا وقد يستطيع المعاصرون وخاصة اخوانه ومريدوه أن يوضحوا هذه الأمور ؟ .

لا يرضى التستر ويحمل على النفاق

للرصافي فلسفته الواقعية ، فهو يريد أن تجله السلطة، مفضلة اياه علىغيره ، لمنزلته ، ولشعره، وهو يكره اولئك المنافقين الذين يعملون في السر اشياء تخالف مظاهرهم التي يبدونها للناس ، لانهم يتعالون خلقا تجاه الناس ، حتى اذا خلوا الى شياطينهم تسفل خلقهم . ولم تكن السلطة والسياسة لتقر الرصافي على حاله هذه ، وهو لذلك لم ينل ما نال غيره ، فشن حربا شعواء على

---

(٢) العدد ٥٦ الصادر في السادس من كانون الاول١٩٢٣ .

(٣) أصدقاء الرصافي مسؤولون عنكثير مما لا يعرفالمعاصرون عن الرصافي وعليهم تبعة توضيح كثير مما نجهل .

المنافقين ، الذين يلبسون الباطل لباس الحق واعلن كرهه للسياسة والسياسيين فقال :

قد أبت هذه السياسة الا
ان تكون الفشاشة الدساسه
وأبت أن تصافح الناس الا
بيد من خديعة فراسة
كلما مست الامور بكف
لوثتها بما بها من نجاسه

والحق ان طبيعة الحياة العامة في ذلك النظام كانت قائمة على النفاق وتسمية الامور بغير مسمياتها ، فقد كان العراق مستعمرا ، ولكنه يسمى مستقلا او ملكيا ، وكان الساسة يموهون على الشعب ، ويسخرون منه ، باسم النظام الدستورى تارة ، وبالديمقراطية تارة ، وباسم الحرية والاستقلال أونة اخرى . لذلك سلط الرصافي لسانه على هؤلاء الساسة . وقد حاولت السلطة أن تداريه وأن تصطفيه وأن تقربه وان تغريه بامور غير الحكم ، فلم تفلح ، على حين استفاد غيره من الجاه والمال والسلطان .

ومن تلك الاغراءات تخصيص قطعة ارض له في ابي غريب القريبة من بغداد ، فقد زودني الاستاذ عبد المجيد حسيب القيسي بنص رسالة متصرفية لواء بغداد المرقمة ١٥١٤٩ والمؤرخة في ١٩٣٨/٧/٣ وهي : الى الاستاذ معروف الرصافي : « قررت اللجنة في جلستها المنعقدة في ١٩٣٨/٨/٢١ تخصيص قطعة ارض في أبي غريب الى الاستاذ معروف الرصافي تبلغ مساحتها الف دونم وذلك بالنظر لمكانة الاستاذ المشار اليه الأدبية والاجتماعية ونظرا للخدمة الثمينة التي اداها للعراق ، وقد وقع الرسالة الاستاذ احمد زكي الخياط رئيسا ، والسادة امين خالص ومستر ديجبرن ومستر ويليامس اعضاء وسكرتير اللجنة يونس عوني .

وقد علق الاستاذ القيسي على الرسالة التعليق التالي :

« يلاحظ ان هذه الفقرة لم تشمل الا الرصافي فقط حيث وزعت الاراضي كما يلي : ١٧٦٠ دونما للدوائر الحكومية ، الف دونم للرصافي ، ١٤٨٥ دونما للمستحقين من اصحاب المستمسكات وعددهم ٢٢. اى بمعدل سبعين لكل فرد وهم من رؤساء العشائر والفلاحين ، واعطى ٢٣٦ الى اصحاب اللزمات » .

الرصافي وفيصل

وللرصافي رأى في حكم العراق ، فقد كان صديقا للنقيب الذى رشح نفسه لرئاسة الحكم ، جمهوريا كان أم ملكيا . وكان طالب النقيب قد استدعاه لما كان وزيرا للداخلية لاصدار جريدة تناصرة في هذا الرأى . وقد كان الرصافي يأمل ان يكون شيئا في هذه الدولة ، وان يكون مسموع الكلمة بما سوف يناله من عمل رسمى ، بيد ان النقيب ابعد الى هنجام وماتت كل آمال الرصافي التى تمناها .

وقد زاد الطين بلة مجيء الملك فيصل الى العراق ، وكان الرصافي يرى في والده الملك حسين انسانا حارب الدولة العثمانية الاسلامية ولجأ الى الانكليز الذين كان ينظر اليهم نظرة الكافرين .

ويبدو ان هناك دافعين دفعا الشاعر الرصافي الى كراهية الملك فيصل الأول : اعتقاده بان العراق يجب أن يحكمه ابناء العراق ، ومعنى ذلك أن يكون طالب النقيب رئيس الحكم فيه . واذا ما جاء طالب النقيب سيعتمد عليه وسيكون للرصافي شأن مرموق في هذه الدولة ، ويحق للرصافي عندئذ ان يطمح الى ان يكون احد حكام العراق ، فقد كان ممثلا عن العراق في « مجلس المبعوثان » وكان عضوا في «جمعية الاتحاد والترقي» ووقف معها حتى النفس الأخير . والسبب الثاني اعتقاده ان الانجليز والفرنسيين ما جاءوا الا لاستعمار البلاد العربية وتفريق شملها والقضاء على الاسلام ، لذلك وجدناه ينظم قصيدته في مهاجمة الثورة العربية التي قام بها الملك حسين فيقول عام ١٩١٧ :

هي النفوس وان لم تبلغ الحلما
مطبوعة الطبع ان لؤما وان كرما

ونظهر بوضوح نزعته الى الوحدة الاسلامية ، وكل خروج على هذه الوحدة هو عنده خروج على الدين الاسلامى لذلك رأيناه يهاجم «العريسي» في الشام ، لما عقدوا مؤتمرا في باريس ، وقد وقف من شهداء عاليه موقفا سلبيا واضحا .

وانتهزت (الناشئة الجديدة) بعد ذلك صدور شعره الذى ذم فيه ابناء الشام ، وهاجمته بعنف ، واعتبرته من الموالين للاتراك الاتحاديين ، وانه وقف موقفا سلبيا من القضايا العربية . وقالت انه هاجم العرب وسبهم ولعنهم في أحلك ظروف حياتهم السياسية . .

ولكن الرصافي لم يسكت فرد في جريدته

(الأمل) يدافع عن نفسه ويوضح فكرته ويهاجم صاحب (الناشئة) بعنف ويعلن أنه لا يساجله ولن يرد عليه .

ولكن هذا الهجوم لم يبرر مواقفه السابقة من القضايا العربية ، ولا موقفه عندما هاجم أبناء الشام وهاجم الثورة العربية ، لأن فيصل الأول كان ملكا على العراق . ولا اخال الرصافي قادرا على الدفاع عن نفسه وشرح وجهة نظره ، لأن الفكرة القومية كانت قد انتشرت بين الشعب واعتنقها الناس ، وكانت تسير مع الفكرة الاسلامية ، ولم يستطع الرصافي أن يقف امام تيار الرأي العام وامام السلطة فسكت .

وقد بقي كرهه للملك فيصل مستقرا في قلبه لأن الملك فيصل أصبح رئيس الحكومة وأصبح الرصافي كمًّا مهملا بالنسبة للسلطة والحكم ، وذهبت محاولات الكثيرين سدىً في الاصلاح بينهما ، لأن الملك فيصل لم يعطه ما يريد ، والرصافي يرى من هم أقلّ منه كفاءة ومقدرة وشعرا قد أصبحوا وزراء فلماذا لا يكون هو وزيرا . .

وقد حاول عبد المحسن السعدون ، وكان من اصدقائه ، الاصلاح بين الملك فيصل والرصافي ، وهو الذي لم يردّ طلبا للسعدون ، ولكنه أخفق بل لم يحضر الى حفلة فيها الملك فيصل وكان يجهر بأنه لا يرى في فيصل انسانا يعتصم به ، لأنه لم ييسر له المرام الذي يطلبه ويريده ، لذلك سل عليه سيف الهجاء ونظم أبياتا قالها في بيروت في تكريم الريحاني :

لنا ملك تأبى عصابة رأسه
لها غير سيف « التيمسيين » عاصبا
أبوا عرش الملك لا بحسامه
وما كان في يوم له الشعب ناخبا
ولكن بطيارات قوم تطايرت
فكانت علينا من شواظ سحائبا
وليس له من أمره غير أنه
يعدد أياما ويقبض راتبا

فقد حرم المتنبي من الحكم كما حرم الرصافي منه . وبقي حقد الرصافي على الملك فيصل حتى موته فتجلى في قصيدته التي رثاه فيها ، قال يرثيه ويهنيء ابنه غازي بالملك :

أبو غازي قضى فأقيم غازي
فأنطقنا التهاني والتعازي
واطلقنا المدائح والمراثي
بانشاد لهن وارتجاز
وجئنا حاشدين بصدر يوم
حكى يَوْمي عكاظَ وذي المَجاز
غداة قلوبنا امتلأت سرورا
وحزنا يجريان على التوازي
فهن بعاملي فرح وحزن
خوافقُ في جوانحنا نوازي
فكن من ابتهاج في هدوء
وكن من اهتياج في اهتزاز

وحاول الملك فيصل استرضاءه ، وتوسط «الثعالبي» في هذا الأمر، فقد حدثني السيد خيري الهنداوي أنه لما يئس الملك فيصل من أن يزوره الرصافي معتذرا ، جاءه الثعالبي ورجاه أن يأخذه الى الملك ، وكان خيري الهنداوي جالسا ، فقال للرصافي : « يا معروف انك تخاف الملك فيصلا ». فأجابه الرصافي « ويحك انا لا اخاف أحدا سوى الله » . فاغتنمها الهنداوي فرصة وقال له «اذن اذهب وقابل الملك » ، وقد ظن الهنداوي بأن لقاء فيصل والرصافي سيسوي الأمور وأنه سيحوّله الى جانبه . ولما دخل الرصافي على الملك فيصل ، هش له ورحب به ، وأراد أن يمهد له طريق الاعتذار ، فقال « يا معروف أنا الذي يعدد أياما ويقبض راتبا ؟ » ، اشارة الى بيت الرصافي في هجاء الملك فيصل ، ولكن الرصافي لم يعتذر بل جَبَه الملك فيصل قائلا : « أرجو أن لا تكون كذلك يا صاحب الجلالة » ، فاسقط في يد الملك فيصل واربدّ وجهه ، ثم خرج الرصافي ولم يعد اليه . انه أراد أن يثبت شخصيته ويؤكد كيانه ، وأراد أن يسمع الناس أن الرصافي قوي الشخصية لا يخاف الملك ولا يترضاه ، وبذلك أرضى نزعته النفسية وحبه لذاته وأكد وجوده . انه لا يقل عن الملك فيصل في شيء !..وقد رأينا من الشعراء من كان ضد الانكليز ونظم في هجوهم ولكن سرعان ما نظم في مدحهم والترحيب بهم فتقدم وأخذ مكانته بل ان شاعرا من الشعراء ساهم في حرب الانكليز وسرعانما كان واسطة فيتثبيت سلطتهم وتفنى في (جريدة العرب) بهمفاعتمدوا عليه حتىفي احلك أيامهم في العراق .

الثورة

كانت حياة الرصافي شكوى عارمة، وثورة دائمة،

● معروف الرصافي

لولا سيرة الرصافي الخلقية !

تبدو رغبة الرصافي واضحة جلية في الحكم ، وحب الظهور في المجتمع ، في شعره ، فهو يستنكر اغتصاب المستعمر الحكم وقتل الآراء ، ومصادرتها ، لا يرضى الرصافي أن يحكم العراق أجنبي فيقول :

لا خير في وطن يكون السيف عنـ
ـد جبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده ، والعلم عنـ
ـد غريبه والحكم عند دخيله

ان كلمة «الحكم» ومعانيها تسربت الى شعر الرصافي ، ولولا سيرته الخلقية المريبة التي اشتهر امرها لتقدم كثيرا في معارج الحكم والحياة السياسية والادارية ، ولأصبح وزيرا شأنه شأن قسم من شعراء هذه الفترة ، فلما حرم أظهر غضبه على الحاكم .

أهمل الرصافي رسميا ، ولم يعط ما يستحق من العناية من جراء هذا الأمر ، ولكنه مع ذلك لم يترك بلا عون مالي ، فقد كان له راتب منذ دخوله العراق ، وقد عين معاونا لمدير المطبوعات ، ولم يكن لها مدير ، وكان له راتب شهري قدره (٥٠٠) روبية عندما ترك مديرية المطبوعات وانقطع الراتب ، ثم أعيد اليه وقد كان له راتب تقاعدي ، وان كان ضئيلا ، كان يكفيه ، وكان الأصدقاء يمدون له يد المساعدة ، والمجتمع البدائي لا يرى المنزلة الا للقوة والحكم وقد فقد الرصافي الحكم والقوة فشعر بمرارة وأسى وأراد ان يفرض مركزه بتصرفاته مع أصدقائه ومع أقرب الناس اليه ، وهو يبدو في ذلك شاذا ، والحق أن الرصافي كان شاذا في تصرفاته . وحتى أقرب الأصدقاء اليه يشهد بشذوذه . وهذا الأستاذ مصطفى علي يقول : « اذ اننا نحن حفظاء الرصافي نعرف ان له من الشذوذ ما لو رآه هو عند غيره لأخذ منه العجب مأخذه ، ولو أبصره من سواه لانكره عليه كل الانكار » .

ولعل مرد هذا الشذوذ هو رغبته في ان تفصل الحياة على وفق ما يريد الرصافي لا على ما اتفق المجتمع عليه من نظم عامة ، ولعلي لا أبالغ اذا قلت ان عدم منح الرصافي المركز الاجتماعي سبّب كل هذا الشذوذ ، او ان هذا الشذوذ هو الذي جر الرصافي الى عدم حيازته المركز الذي لم يكن يرضاه لنفسه . ان الرجل الذي يشعر بأن المجتمع قد ظلمه ، وان الدنيا لا تسير على هواه ،



وهي تنفيس صادق عما يعانيه الرصافي نفسه ، وكان الوعي العام في العراق يتفتح على شعارات الحرية والديمقراطية فاخذ الرصافي ينظم في هذا المضمار ويطالب بالحرية التي اغتصبها المستعمر ، وبحرية التعبير ، ويهاجم المستعمر الذي بث الضغائن بين النفوس .

لم يكفه أنه للحكم مغتصب
حتى غدا يقتل الآراء والفكرا
اذا رأى نهضة للمجد أقعدها
وان رأى فتنة مشبوبة نعرا
فكم ضغائن بين الناس أوجدها
وكم بذور من التفريق قد بذرا

ولن يعيد الحق الى نصابه والحكم الى أهله الا الثورة ، وتظهر هذه الثورة عندما نظم في ذكرى السعدون ، صديقه الذي كان يسبغ عليه عطفه ورضاه :

وانّا لقوم مستقلون فطرة
اذا أنكر استقلالنا منكر ثرنا
فلو جعلت تبرا سبيكا بيوتنا
ولسنا بحكام ، أبينا بها السكنى
يهون علينا في السياسة أننا
تصلّب في الاعواد ، او تدخل السجنا

يكون صادقا في كل شعره لأنه يعبر عن آلام نفسه ممثلا لآلام المجتمع ، وقد اجتمعت هذه الصفة في الرصافي فأجاد في شعره ، وكان صادقا في مشاعره في كثير من شعره لأن الشعب المضطهد المتألم التف حوله وتناشد شعره ، فسار وأشبع رغبته في الظهور ، واثبات الذات ، فأبدع في نظم القريض .

والرصافي يهمه أن يكون محترما ويهمه أن يبدو هذا الاحترام للناس ، فلو التفت كتب عنه في حياته لكان أثرها عميقا في نفسه ولأعادت الطمأنينة الى قلبه ، ولو أن حفلات التكريم توالت عليه لكان أثرها أكثر عمقا في نفسه . ان المظاهر وخداع المظاهر لها أثر كبير في النفوس القلقة المضطهدة .

موارده ومعونات تأتيه

كتب نوري ثابت في جريدته « حبزبوز » مقالا نلخصه هنا قال : استدعاني أحد الوزراء فقال نحن دفعنا مبالغ كبيرة لصحافيين جاؤا الى العراق (٤) ولكن الرصافي ابن الوطن البار مهجور في الفلوجه ، فيجب ان تذهب اليه وتكلفه بقبول النيابة الشاغرة ، واذا أراد فليبق معارضا في المجلس ، وتفقد داره وقدم له مساعدة مالية ريثما تتم عملية الانتخاب ، لأنه ليس من الانصاف والمروءة الا يكرم شاعرنا العظيم وابن الوطن البار القائل :

أنا ابن دجلة معروفا بها أدبي
وان يك الماء منها ليس يرويني
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
أشجى الأناشيد في أشجى التلاحين

واستأجر نوري ثابت سيارة وأخذ معه (أبو حمد) (٦) وحاتم الكرخي (٧) وسافروا الى الفلوجه ، وعرض على الرصافي الأمر ، فكان جوابه : اما النيابة فأنا أقبلها ، ولكني أرفض قبول التطفل على خزينة الدولة وأفضل الموت جوعا على التطفل (٨) .

من هذا تتجلى لنا أمور كثيرة ، منها ان الرصافي لم يكن منسيا بل كان أصحاب السلطة من الساسة يريدون ان يستفيد الرصافي ، وكان يؤلمهم أن يروه محتاجا ، وكانت لهم علاقة خاصة به ، علاقة ود وعلاقة اخاء ، ولولا شذوذ الرصافي لما تأخروا عليه بالوظائف العالية . وقد حدثني السيد خيري الهنداوي ان للرصافي راتبا يتقاضاه ، وكان هذا المبلغ يجيئه به رسول خاص ، فكان يأخذ الراتب ولا يوقع اعترافا بالتسلم ، ويطرد الرسول بعد ان يتسلم الراتب .

الرصافي لم يسجن ويطارد

ان عناية الناس به لم تكن تتجلى بالعطف عليه بل كانت بالاعجاب بشعره لذلك لم يسجن أو يطارد او يضايق في رزقه في أحرج وأحلك الأحوال السياسية ، ففي سنة ١٩٤١ أيد الرصافي الثورة العراقية على الانكليز ، وهاجم أعوانهم بقصيدة مطلعها :

اليوم قرّي يا موّاطن أعينا
وتطرّبي بالحمد منك الألسنا

فلما انتصر الانكليز ، واحتلوا العراق مرة ثانية ، جرت اعتقالات واسعة النطاق وألقى القبض على قادة الشعراء والكتاب الذين أيدوا الثورة ، ولكن الرصافي كان قد استثنى من هذا الاعتقال .

لو اتيح للرصافي أن يكون جنديا

كان الرصافي يريد أن يأخذ الشيء بالعزم

---

(٤) عرف نوري ثابت بمعروف المرناووط ، ويعتبر نوري ثابت نفسه من أقرب الناس للرصافي ومن تلاميذه المخلصين . وتجلت رغبة نوري ثابت في تقدير الرصافي بما كان يشرحه من قصائده وينشره من التعليقات التي كانت تصدر عن شعره . لاحظ جريدة « حبزبوز » السنة الخامسة ١٩٣٦ .

(٥) قال سالم بن دارة في شرح ديوان الحماسة ص ٣٧٠ جـ ١ ط محمد محيي الدين عبدالحميد :
انا بن دارة معروفا بها نسبي — وهل بدارة يا للناس من عار

(٦) هو المرحوم الصحافي الفكاهي عبد القادر المميز صاحب جريدة « أبو حمد » .

(٧) مدير ادارة جريدة « حبزبوز » .

(٨) جريدة « حبزبوز » وكانت اسبوعية ، العدد ٢٤٣ – ١٩٣٦/٥ .

والحزم والعمل ، واشار الى ذلك في مواضع كثيرة من شعره :

ان الخصال التي تسمو الحياة بها
عزم وحزم واقدام ومقتحم

وكانت نفسه نفس الفارس القوى الذى يريد ان تسبغ عليه أثواب التحميد كالبطل الذى يدخل المعركة بلا خوف أو رهبة فيقول :

فليذهب اليأس عني خاسئا أبدا
اني بحبل رجائي اليوم معتصم

ولست ممن اذا يسعى لحادثة
يسعى وأرجله بالخوف تصطدم

وظني أن الشاعر لو أتيح له أن يكون ضابطا لكان من خيرة الضباط (٩)، ففى حياته وخلقه ما يؤهله لأن يكون من اقدر الضباط ، فهو قوى الجسم ، واسع الصدر ، طويل القامة ، مهاب الخطو ، وقد كان والده في صفوف « الجندرمة »، فهل كان اخفاقه في أن يكون ضابطا سببا في غرس غراس الثورة والنقمة في لا شعوره ؟ ام أن سبب الثورة والنقمة هو أنه لما حرم المنزلة الاجتماعية، والمقام الذى يشتاق اليه ، شعر أن لا شيء يحترم كالقوة فقال :

قد علمتني الليالي في تقلبها
ان الموفق فيها السيف لا القلم

وان أصدق برق انت شائمه
برق تبسم عنه الصارم الخذم

واخصب الارض أرض لا تسح بها
الا من النقع في يوم الوغى ديم

من كان يكذبني ان الحياة منى
فليس يكذبني ان الحياة دم

ولم يكن الرصافي بقادر ان يكون ذلك الفارس البطل الذى يحقق ما يريده بالقوة ، فليفرض ارادته بتصرفات شاذة ، كما كان يعامل أصدقاءه ومعارفه ، لأنه كان يعتقد في قرارة نفسه أنه لم ينل ما يريد من منزلة فيجب أن يتظاهر بالاباء والشمم فقال :

لا يكسب النفس ما ترجوه من شرف
الا الاباء والا العز والشمم

لا يؤنسنك أن الحر محتقر
عند اللئام وأن الوغد محترم

فالعقل يتهم الدهر المسيء بذا
وما يعيبك أن الدهر متهم

تناقض في نفسية الرصافي

ويلاحظ القارىء في تصرفاته وفي شعره كثيرا من التناقض ، ولو سبر غور نفسه لوجده قد تأثر كثيرا بالأحداث العامة فسارت هذه الاحداث مع رغباته الكامنة ـ ومتى وجدت الأحداث العامة مسربا تتسرب منه الى أعماق الشاعر ، فسوف تتلاءم مع أغراضه النفسية الدفينة في العقل اللاواعي ، ثم تخرج صورة صادقة لوعى الجماهير وأحداثها العامة فينظم شعرا تتجاوب معه رغبات الشعب ويهتف له ، وهذا ما حدث للرصافي فقد سارت آلام الشعب والوضع الشاذ في العراق مع ما كان يعانيه من عناء نفسي جاءه من حرمانه من المنصب الحكومى الممتاز . ولو كان الرصافي وزيرا أو موظفا كبيرا مرموقا لاختلف شعره كما اختلف شعر سواه من الشعراء بعد أن تحسنت أحوالهم المادية .

فالرصافي عندما ألغى عمله مفتشا ونقل الى تدريس الآداب في دار المعلمين العالية ثقل عليه الأمر فترك عمله متجها الى البصرة سرا محتجا على ذلك وقد كان يريد أن يكون سكرتيرا لمجلس الاعيان أو مديرا للمطبوعات .

وكل أماني الرصافي كانت منصبة على أن يكون « عينا » في مجلس الأعيان ان فاتته الوزارة ، ولما حرم من هذه المناصب ورأى فيها من لا يدانيه منزلة ، ثار وتألم وصب ثورته على المستعمر وعلى الملك وعلى الدولة ومؤسساتها فاغنى الادب والتاريخ الأدبى بانتاجه . ■■

يوسف عز الدين

---

(٩) ارسل الرصافي في سن الثانية عشرة الى المدرسة الرشدية العسكرية لان هوى الاهلين عهدئذ أن يتخرج أولادهم ضباطا في الجيش، وهذا سبيل الجندية أو امارة الجند ، تعلم فيها ثلاث سنوات ثم رسب فانزعج الحدث المراهق الذهن وغادر معهده الى غير رجعة . رفائيل بطى ، الكاتب المصرى ١٩٤٧/٢/٢١ .

طرائف عربية

هفوة شاعر

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثيّر عزّة فقال له : انشدني بعض ما قلت في عزة فانشده حتى اتى على هذا البيت

همَمتُ وهمَّت ثم هابت وهبتُها   حياءً ، ومثلي بالحياء حقيق

قال له عبد الملك : اما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك قال: لم يا امير المؤمنين ؟ قال عبد الملك لأنك شركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها . قال : فأي بيت عفوت به يا امير المؤمنين ؟ قال : قولك :

دعوني ، لا اريد بها سواها   دعوني هائما فيمن يهيم

هكذا نسوسهم

● قال زياد : ما غلبني معاوية الا في واحدة ، طلبت رجلا فلجأ اليه وتحرّم به فكتبت اليه : ان هذا فساد لعملي اذا طلبت احدا لجأ اليك فتحرّم بك، فكتب الي : انه لا ينبغي لنا ان نسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون مقامنا مقام رجل واحد ، ولكن تكون انت للشدة والغلظة ، واكون انا للرأفة والرحمة ، فيستريح الناس فيما بيننا .

أكرم مولود

● قال معاوية يوما لجلسائه : من اكرم الناس ابا واما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة ؟ فقالوا امير المؤمنين اعلم . فاخذ بيد الحسن بن علي وقال : هذا ابوه علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت محمد ، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته هالة بنت ابي طالب ، وخاله القاسم بن محمد ، وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

الوفـــاء

● لما جيء بالهرمزان الى عمر بن الخطاب اسيرا دعاه الى الاسلام ، فابى عليه ، فأمر بقتله . فلما عرض عليه السيف . قال : لو امرت لي يا امير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي على الظمأ ، فامر له بها ، فلما صار الاناء بيده قال : انا آمن حتى أشرب ؟ قال : نعم .

فالقى الاناء من يده ، وقال : الوفـاء

● اذا احتجت الى المشورة في أمر قدطرا عليك فاستبده ببدائه ، الشبان فانهم أحد اذهانا واسرع حدسا ، ثم رده بعد ذلك الى راى الكهول والشيوخ ليستعقبوه ويحسنوا الاختيار له فان تجربتهم اكثر .

أسودهم وأجودهم واشعرهم

● دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فقال له : من أنت ؟

وتجهم له وكأنه لا يعرفه فقال له الفرزدق : اوما تعرفني يا امير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : انا من قوم منهم اوفى العرب . واسود العرب . واجود العرب واحلم العرب ، وافرس العرب ، واشعر العرب . قال : والله لتُبيّنَنّ ماقلت أو لأوجعنّ ظهرك ولأهدمنّ دارك .

قال : اما أوفى العرب . فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه على جميع العرب فوفى بها . واما اسود العرب فقيس بن عاصم ، الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط رداءه وقال : هذا سيد الوبر . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى . وأما أفرس العرب فالحريش بن هلال السعدى . وأما اشعر العرب فانذا بين يديك . فاغتم سليمان مما سمع من فخره ، ولم ينكره ، وقال ارجع على عقبيك فمالك عندنا شيء من خير ، فرجع الفرزدق وهو يقول :

اتيناك لا من حاجة عرضت لنا ... اليك ولا من قلة في مجاشع

صندوق .. ونصيحة

● قيل أتى الحجاج بصندوق ، قد أصيب في بعض خزائن كسرى ، مقفل ، فامر بالقفل فكسر . فاذا فيه صندوق آخر مقفل . فقال الحجاج : من يشترى هذا الصندوق بما فيه ولا أدري ما فيه؟ فتزايد فيه أصحابه . حتى بلغ خمسة آلاف دينار فاخذه الحجاج ونظر فيه ، وقال : ما عسى أن يكون فيه الا حماقة من حماقات العجم ! ثم أنفذ البيع وعزم على المشترى أن يفتحه ، ويريه ما فيه . ففتحه بين يديه فاذا فيه رقعة مكتوب فيها من اراد ان تطول لحيته فليمشطها من اسفل .

نور أبلج

يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : لك التوقف حتى انظر في أمرك . ارفعا عنه السيف . فلما رفع عنه السيف قال : الآن أشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ، فقال له عمر : ويحك اسلمت خير اسلام فما اخرك ؟

قال : خشيت يا أمير المؤمنين ان يقال ان اسلامي انما كان جزعا من الموت .



■ في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المنورة به ، وبصدق صحابته ، واخلاص المسلمين المؤمنين بدينه الملتفين حول رايته ـ عاشت المسلمة الجليلة خولة بنت ثعلبة ، تشهد كل يوم آية ، وترى مع مسير الزمن احداثا تتجدد ، وانتصارات تتوالى وفتوحا كانت تعلو معها راية المؤمنين ...

وخولة ، او خويلة كما كان البعض يناديها ، هى ابنة حكيم بن مالك بن ثعلبة ، وكانت زوجة للمسلم المجاهد « أوس بن الصامت » اخى المسلم العظيم عبادة بن الصامت ، أحد كبار الصحابة المجاهدين ...

وفي أمر خولة ، ومكانتها الاجتماعية والمادية اختلف الرواة ، فقيل انها كانت ذات ثراء ، اضفت منه الشيء الكثير على زوجها العليل أوس بن الصامت ، فحفظت عليه كرامته ، واقامت أوده ، ولم تفرط فيه ، وابت عليه ان يستذل نفسه او ان يسأل الناس ، فكانت به بارة ، راعية ، تحترمه وتقدره ، وتعتبر مساعداتها المادية له على شئون حياته امرا طبيعيا ، فالزوجة والزوج ليسا غير شيء واحد ، يعين القوى منهما الضعيف ويساعد الموسر صاحب الحاجة وياخذ بيده ليستطيع السير في مسالك الحياة ...

وقال آخرون في خولة عكس هذا ... فقيل انها كانت معدمة غير ذات مال او ثراء .. وانها عاشت مع زوجها حياة الكفاف ، وان الرجل اشقى ذاته واضنى نفسه في الداب سعيا وراء رزقه ورزق اهل بيته ...

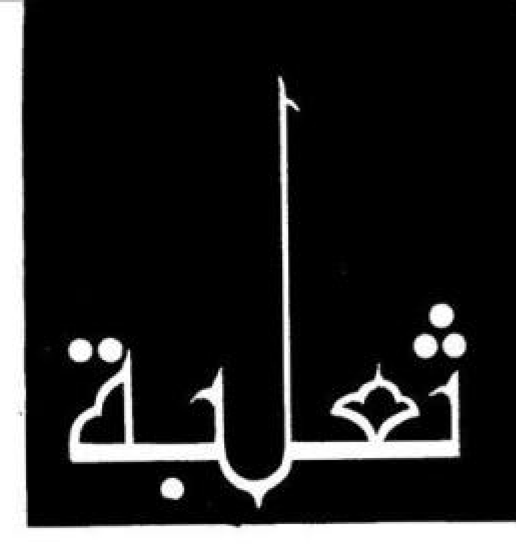
وسواء كانت خولة بنت ثعلبة غنية ذات يسار ، اعانت زوجها على صروف حياته ، أم عاطلة غير ذات مال ، تعول على أوس المجاهد في شتى شئون حياتها ومطالبها ،فالذى يهمنا منها مع بداية قصتنا هذه انها كانت مسلمة ذات ايمان صادق عاشت مع زوجها حياة وادعة مسالمة حتى حدث حادث ذات يوم !!

كان يوما مشئوما بالنسبة لخولة المسكينة وكانت قد جاوزت بكثير مراحل الشباب وأسنت ووهن منها العظم وكادت تصبح في حكم القعيدة العاجزة..

في ذلك اليوم النكد الطالع شجر بينها وبين أوس زوجها خلاف عظم امره او عجزت هى عن تداركه أو لم شعثه ... وعجز هو الآخر بدوره عن حسمه ، حتى لقد استفحل الأمر بينهما الى خلاف شديد مدمتر برم الرجل خلاله بكل رباط وكل عرف، ونسى نفسه ،وانساق وراء غضبه على زوجته وكان ان حرمها على نفسه وقال انها بالنسبة له حرام كظهر أمه ... !!

ومر الحادث في سرعة رهيبة ... وتم كل شيء في عجلة بغيضة ملعونة ثم ... بدأ الهدوء يغمر البيت الثائر المضطرب ... وهدأت العاصفة الزوجية الرعناء ، وباتت ضحاياها ..

لقد تهدم البيت ... وامام اليمين الغريبة التى نطق بها أوس بن الصامت تمزق شمل البيت الهادىء وانفض سامره .. وبدا لعينى الزوجين التعسين وكأنه طلل عفت آثاره ، وانتهى عصره ، وتولى زمنه وغمرته الوحشة والكآبة والظلام ...



بقلم : سنية قراعة

لقد حرم أوس زوجته التعسة خولة على نفسه، واصبحت بالنسبة له كظهر أمه ! !

يا للمأساة !

لو أن أوسا طلق خولة ... لكان في الدين فرج وفسحة وأمل في التراجع لو شاء الزوجان ولكن ماذا يفعلان في ذلك القسم اللعين ؟ وذلك التحريم القاطع الرهيب المنكر .. التحريم الذى توارثه العرب كتقليد لارهاب نسائهم وتخويفهن ... تحريم لم يمسسه الدين ، ولم تقربه الشريعة ولم يات أمر الله فيه بتحديد أو الغاء ، أو كفارة عنه؟!!

وحارت خولة ماذا تفعل ... وحار معها زوجها المسكين النادم المتسرع ... وعز على الزوجين المؤمنين الطيبين ان يفترقا في سرعة عاصفة ، وان يعجزا عن المراجعة او تكفير الذنب أو تحليل اليمين الرهيبة التى اطاحت بحياتهما السعيدة الهانئة ! !

وراحت خولة تسال وتستنجد...واسرع زوجها يستفتي الناس ، فليس في الشريعة نص يبطل القسم الذى نطق به في ساعة غضب او يَفُلّ من رهبوت سلاحه القاطع البتار ...

وامام الواقع المؤلم ... والحيرة الرهيبة افترق الزوجان...وتشتت شمل البيت الوادع... واسرع كل من خولة واوس ليتبع طريقا خاصا به، يسلكه بعيدا عن صاحبه ، وقد وقر في نفسى كليهما ان تلك هى النهاية..وانه لا عودة للشتيتين بعد هذا الانفصال الشنيع !!!

ولكن ... وبرغم ان أوس بن الصامت قد سلم بالواقع ، وارتضى مما كان بالانسحاب الا أن خولة بنت ثعلبة لم تكن مثله ...

كانت خولة امرأة تعرف قيمة بيتها وتحبه وتجد فيه جنتها ومستوحاها ، ومصدر راحاتها وأمنها ، حتى لقد تصورت ان تهدم هذا العش الوادع ، وخروجها منه ،خروج من الجنة ذاتها ... وبعد عن كل سعادة وهناءة واحلام ...

وابت خولة المؤمنة ، الثابتة اليقين ان تسلم بالهزيمة ، وترضي بالانسحاب والتراجع كما فعل زوجها اوس بن الصامت ... وقامت بقلب جرىء مشبوب تدافع لا عن بيتها فحسب ،بل عن سعادتها ووجودها وعن كيان البيت الاسلامي نفسه وقد تصورت مسلمات كثيرات غيرها في نفس ذلك الموقف المربك الرهيب ...

لقد اتجهت بالسؤال الى مسلمين ذوى مكانة مرموقة ، فلم يجسر أحد منهم على أن يفتيها بلا أو نعم ، وانها لتسائل نفسها في غمرة حيرتها ... اليس عجيبا ان اكون في مدينة رسول الله ، والى جواره صلى الله عليه وسلم وتشملني الحيرة ويتولاني الشك وتعبث بى الأوهام وعنده عليه صلاة الله وسلامه العلم والرأى السديد !!

وطرقت خولة بنت ثعلبة باب سيدنا رسول الله ...

طرقت خولة الشقية باب محمد العظيم ، المبشر بالخير ، الهادى الى الهدى والاصلاح والرحمة



والحنان ، والأب الروحى الحانى الذى قال فيه الله سبحانه وتعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » !!

طرقت خولة باب السيد الهادى ، تسأله صلى الله عليه وسلم الغوث والمعونة ، وان يرد لهفتها ، ويخرج بها من وهدة الشكوك والألم والحسرات ويهديها الى شاطىء آمن ترجوه ، ومرسى سلام تتمنى ان تصل اليه وتستقر عنده ...

وقصت خولة القصص على سيدنا رسول الله ، وشرحت مأساتها الأليمة ... وهنا ... وعند القصة نفسها ينقسم الرواة الى قسمين ... قسم يعود فيذكر ان خولة بكت واستغاثت بجاه محمد عظيم الجاه – لأن زوجها ظاهرها ، وقال انها حرام عليه كظهر امه وانها امرأة أسنت وبلغت من الكبر مبلغا قد لا يجعلها مطمح الرجال ، وان زوجها يعولها ، وانه تركها وهجرها ، ولو استمر على هذا الحال هلكت جوعا ، ومدت يدها للسؤال ...

والقول هنا يقطع بأن خولة بنت ثعلبة لم تكن ذات مال ... وانها لم تكن تنفق على زوجها ، وان اوس بن الصامت كان يعولها شأن الرجال جميعا ، وانها فى حاجة الى عونه ، ومعاونته ...

ونسارع بعد هذا الى تسجيل الرأى الثانى من اقوال الرواة ، فهم يقولون ، دخلت على سيدنا رسول الله وهو فى بيت أم المؤمنين السيدة عائشة فقالت :

« يا رسول الله .... ان أوسا من قد عرفت ، ابو ولدى ، وابن عمى ، وأحب الناس الى ، قد عرفت مايصيبه من اللمم ، وعجز مقدرته ، وضعف قوته ، وعىّ لسانه ، وأحق من عاد عليه أنا بشىء ان وجدته واحق من عاد علىّ بشىء ان وجده هو » ...

وكان طلحة حاضرا حديث خولة ، فلم تكد تنتهى منه حتى اسرع يعقب عليها قائلا لسيدنا رسول الله :

– والذى انزل عليك الكتاب بالحق، ماذكر اوس ابن الصامت طلاقا قط ، ولاتلفظ به ، بل قال لها انها عليه كظهر امه ...

واقبلت خولة على سيدنا رسول الله تسأله المخرج من الضيق ، وتتوسل اليه ان يدلى برأيه فى مظاهرة زوجها لها ..

ولما كان العرف فى تلك الفترة يتبع تقاليد قديمة فقد سكت محمد عليه الصلاة والسلام ، ولم يدر بماذا يجيب ، فقد كان الرجل فى الجاهلية اذا قال لزوجته « أنت علىّ كظهر أمى » حرُمت عليه .. لهذا ارسل رسول الله الى أوس يدعوه اليه فاسرع الرجل يجيب دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل النبى أوسا وقد جلس امامه ، عن رأيه فى ابنة عمه خولة ، وماذا قال لها فاعترف بالحق وقال للرسول الكريم :

– صدقت خولة والله يا رسول الله ، فقد تظهرت منها وجعلتها علىّ كظهر أمى ..

وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا يفكر ...

ان الرأى – الذى تريد خولة وزوجها ان يعرفاه ويقر قرارهما عليه ، وتبدأ عنده أدق نقطة فى حياتهما اما الى فراق لارجعة بعده ، أو مراجعة مشروطه – رأى له خطورته وأهميته القصوى .

فان قول الكامل محمد فى هذه القضية سيكون الفيصل والمرجع ، والحجة والقانون لا على أوس وزوجته فحسب ، بل على المسلمين جميعا ...

والواقع ان محمدا عليه الصلاة والسلام ، قد حار فى الأمر ، وسكت ... وانه ليرى دقة الموقف فان ايد التقليد الجاهلى الذى يسير عليه الناس جميعا فى ذلك الوقت ، حكم بصلاحيته وسريانه ، على ذلك العصر وعلى كل العصور وصار جائزا يعمل به .. وان اقدم على الغائه فهو لا يدرى مغبة هذا الالغاء ... الذى لاينطق عن الهوى بل بوحى يوحى اليه وامر وتشريع يأتيانه من لدن عزيز قدير ... اذا ... ماالعمل !! وقد دعا أوس زوجته فابت وقالت : – « والذى خولة بيده، لا تصل الىّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله .

وانفرد سيدنا رسول الله بأوس الحائر حيرة زوجته ... النادم على مظاهرته لها وتسرعه فى ذلك ... وقال الكامل محمد عليه الصلاة والسلام للرجل ..

ـ يا أوس .. لا تدن من زوجتك ولا تدخل عليها حتى آذن لك ...

وضجت خولة ... وذعرت ... وراحت تتوسل وتشكو ، وتبكي رحمة بزوجها المحتاج الى وجودها معه والى عونها له ، وظلت تبكي وتبكي وتجادل محمدا في يمين الظاهرة حتى رق الحضور في بيت ام المؤمنين السيدة عائشة ، بل لقد بكت عائشة رضوان الله عليها رحمة واشفاقا على خولة التي كانت تجادل في ثقة وايمان ، وتطلب الغوث وتسأل محمدا رأى الدين وحكم الله ، لا حكم تقاليد الجاهلية المقيتة العمياء ...

لقد كان الامر شاقا فعلا فالمرأة تطلب ان تعرف رأى الاسلام ، وحكم الله في هذه المشكلة العويصة والظاهرة الغريبة ، ومحمد عليه صلاة الله وسلامه لم يأته الوحى بخبر عن هذا الامر ، اذ لم يقع احد من المسلمين في الخطأ البين الذى وقع فيه اوس بن الصامت ... ومادامت خولة تطلب ان تعرف رأى الدين وحكم الله جل وعلا ، فلا اقل من ان تنتظر وتترقب حتى يحكم الله في الأمر بما يراه ويقضى بحكمة في المشكلة العويصة ..

ولكن خولةكانت قلقة متبرمة ... كيف تنتظر؟!! والى متى ؟! ان انتظارها مهما كان ترجيح لحكم جاهلي منبوذ وقسم من ادق واهم واجبات الاسلام ضرورة التخلص منه أو الحد من رهبوته ، فعادت الى مجادلة الرسول الكريم من جديد ، وانها لتقول باكية في حرارة :

ـ يارسول الله ... ان أوسا تزوجني وانا شابة مرغوب فيَّ ، فلما خلا سنيَّ ، ونثرت بطني ، جعلني عليه كأمه وتركني الى غير احد ، فان كنت تجد لي رخصة يارسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها .

فقال عليه الصلاة والسلام : « ماأمرت في شأنك بشيء حتى الآن،وما أراك الا وقد حرمت عليه..»

فقالت : ماذكر طلاقا يارسول الله ؟

وأخذت خولة تجادلهعليه الصلاة والسلام وتكرر عليه القول الى ان قالت : ان لي صبية صغارا ، ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضممتهم اليَّ جاعوا ...

وقال بعض الذين رووا انها كانت ميسورة ذات سعة .. وانها قالت للرسول :

ان اوسا ماله من شيء وما ينفق عليه سواى ..

وسواء قالت خولة بنت ثعلبة بيسارها وحاجة أوس اليها ، اوبحاجتها ، وفقرها ، وخشيتها ان تضيع ويضيع معها عيالها من أوس ان تركها ـ ، فان المرأة دللت في كلتا الحالتين على اخلاص منقطع النظير ، ووفاء نادر وحب للاستقرار البيتى الذى تتميز به المرأة العربية على سائر نساء العالمين ...

ولئن كان وفاؤها هذا ، قد أهم الحضور جميعا، واثقل بالوجيعة والرحمة قلوبهم وجعل أم المؤمنين السيدة عائشة تبكي اشفاقا لبكاء خولة ، فان اخلاص خولة ، قد روع رسول الله ، ولكن ... ماذا كان بيد محمد من الأمر ، ولم يأته في هذه المشكلة الدقيقة وحى من السماء !!

واستمرت خولة المؤمنة تجادل ، ورسول الله لايتكلم بعد أن طلب من اوس الا يدنو من زوجته ابدا ، والايقربها حتى يأذن له ...

ومر الوقت ... وران الصمت على الحاضرين جميعا الا خولة التى كانت لم تزل تناقش وتتحدث وتجادل في حرارة الملهوف المحب الوفى ، وحماسة منقطعة النظير دفاعا عن كيان البيت الذى تداعى لتعيش في كنف زوجها ووسط اطفالها سعيدة قريرة العين تدعو الله رافعة رأسها الى السماء وتقول:

« اللهم انني اشكو اليك ، اللهم فانزل على لسان نبيك ماينير لنا سبلنا » ..

كانت خولة مؤمنة فعلا .. واثقة .. بل شديدة الايمان ... وكانت تعرف ان الدين لم يأت برأى في مشكلتها ... وتعرف ايضا انه يجب عليها ان تنتظر حتى يشاء الله ... والله لاشك ناصرها .. وانه سوف ينزل في مشكلتها وحيا وقرآنا ..

كانت خولة مؤمنة فعلا ...واثقة .. بل شديدة الوثوق في الله سبحانه وتعالى ... شديدة الايمان في رحمته وسرعة استجابته للمكروبين ...

ان الايمان قوة تدك الجبال الشماء ، وترفع الرواسى الشامخة من اماكنها في سهولة ويسر وساعة استجابة وعون رباني ... وان المؤمن حين



يدعو الله بقلب سليم فان الحق تبارك وجل شانه لاشك يستجيب له .

ان الايمان هو الصلة العظمى بين الخالق والمخلوق ... الصلة الخفية الوثيقة التى تدنى المؤمنين من الله ... وهو الذى يشيع فى النفس الأمن والسلام والأمل ... ويفسح امامها الطريق بلامخاوف أو سدود ... وانه مادام الاخلاص مادته وقوامه فان القادر لابد وان يستجيب ، وان يسارع فيتدارك عبده برحمته ، ويمد يد النجدة والغوث الى العبد المؤمن المخلص الذى يناديه ...

أوليس الله القادر المجيب سبحانه وتعالى هو من كتب على نفسه الرحمة ؟!

أوليس هو جل وتعاظم شانه وتقدست اسماؤه وجلت صفاته من قال :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون .. »

لقد قال عن ذاته المقدسة انه هو القريب ... وهو الاقرب الى عبده من حبل الوريد ... يستمع اليه ... ويستجيب له اذا دعاه واخلص النية وكان طاهر القلب صادق الدعاء عميق الايمان ...

وخولة بنت ثعلبة ... كانت مؤمنة مخلصة ... مجاهدة مجادلة فى اخلاص وفى سبيل سعادتها وبيتها وبنيها ... ألم تدعه جل وتعالى فى صمتها وفى محنتها ؟!! الم تستنجد به وهو غياث المستغيثين ؟!!

الم تساله المخرج من ربقة تقليد جاهلى جائر ادمى قلبها وخلع على حياتها اردية سوداء رهيبة .. اذن ... كان من اللازم ان تتدارك الناس رحمة الله فيه فيخلص منه المجتمع ، ويتحرر المسلمون من ربقة قيد جاهلى لعين ..

وعاد الصمت يخيم على بيت أم المؤمنين عائشة ومن فيه ... وزحفت السكينة على خولة برغمها ... وتعلق بصرها الخاشع بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذته رجفه مفاجئة ... وتولاه صمت طويل وخشوع جليل ، واربد وجهه الكريم النورانى السمح ... واخذته رعدة مقدسة ... وسرت رعشة الجلال المقدس فى اوصاله صلى الله عليه وسلم وراح عرقه المعطر ينحدر على وجهه الشريف الوضىء ..

انها لحظة لها قداستها وجلالها .. انها لحظة الاستجابة اللدنية العظمى .. انها لحظة الوحي الجليل ... وان فيها الفيصل والمخرج والحكم القاطع المنتظر ...

والتفتت أم المؤمنين السيدة عائشة الى خولة بنت ثعلبة وقالت لها هامسة :

ـ اى خولة ... انها لحظة الوحي ... وما اظنه الا قد نزل فيك انت ...

ووجف قلب خولة ... ومرت بها لحظات ذاهلة أحست خلالها انها غائبة عن الوجود ، تريد ان تتكلم ، ولكنها لا تستطيع ... تريد ان تهمس ولكنها لا تقدر على الهمس ... تريد ان تشير ولكنها لاتقوى على الاشارة !!

ورفعت المجادلة رأسها فى توسل الى سماء من يستجيب للداعين المخلصين المستجيرين به ، المستغيثين بجلاله ، طالبى العون والرحمات ...

وظلت خولة على حالها هذه فترة طويلة تناجي ربها الرحيم الحنان ... وتبثه رسيس هواها وشكواها ...

وارتقى القلب بالدعاء الصامت الحزين ، ثم التفتت اخيرا الى ام المؤمنين السيدة عائشة وقالت فى توسل وضراعة لله الحق ...

ـ اللهم خيرا ، فانا لم اسأل رسولك الكريم غير الخير ...

اى ايمان مطمئن عظيم مستقر واثق كان ايمان خولة بنت ثعلبة ... انها لترجو ... الخير ... ويؤكد لها يقينها ان الوحى انما نزل استجابة لاستنجادها ، وان الحق سبحانه وتعالى قد حفل بها ، وكان بها كما سألته الكريم الجواد المنان ذا الفضل الرحمن الرحيم ..

وسرى اخيرا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

وكاد قلب خولة المسكينة ان يتوقف عن الخفوق ساعة نظر اليها محمد الأب البار الحانى وعلى شفتيه الكريمتين ظل ابتسامة !!

انها النجدة ... نجدة الله الرحيم واستجابته للعبد المؤمن ليخرج به من ضيقه الى حيث الفرج الذى كان يرجوه ويتوق اليه .

وقال محمد صلى الله عليه وسلم للمجادلة :

ـ ياخولة ...

ووجدت خولة نفسها تهم مستبشرة فرحة ، وهى تقول :

– لبيك ياسيدي يارسول الله .

وفي هدوء بدأ سيدنا رسول الله يقول :

– لقد انزل الله فيك وفي أوس قرآنا ...

وقرأ عليه الصلاة والسلام :

« قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله ، والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » ...

تلك كانت الاستجابة ... وتلك كانت رحمة ارحم الراحمين ... لقد سمع سبحانه وتعالى قول خولة المجادلة في شان زوجها ... استمع الى شكاتها باكملها ... وحفل بالمراة المسلمة المؤمنة التى استجارت به ، ولجات الى ظله الوارف ، فتداركتها الرحمة الربانية وانتشلتها من التشرد وقطعت عليها وعلى مثيلاتها من النساء سبيل الجدل ، وسمع الله لها ... سمع تحاورها مع سيدنا رسول الله والله سميع عليم .

لقد جاء حكم الدين ، ونزل الامر السماوى ، وقضى بعدله في قرآنه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في قضيتها في اربع آيات بينات :

« وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم » .. فقول الرجل لزوجته « انت على كظهر أمي » قول خاطىء وافتراء وتجاوز لحدود الله و « الظهار » وهو تشبيه الزوجة بالام او غيرها من المحارم ليس طلاقا ولا موجبا للفرقة بين الزوجين ... وقوله تعالى :

« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور » .

لقد قضي الله سبحانه وتعالى بان من يظاهرون نساءهم انما يقولون منكرا وزورا وما كانت نساؤهم بأمهاتهم حتى يحرموهن على انفسهم بهذه الصورة النكراء ، لان امهاتهم محرمات عرفا وتقليدا وبحكم الدين نفسه وتحريمهن ليس في حاجة الى ان يذكر او ان يذكر به الابناء ، لانه واجب مفروض وامر مقدس والام دائما موضع الحرمة والجلال والتقديس وان الاجتراء على وضع الزوجة التى احلها الله لزوجها في موضع الام زور ومنكر ، والله لايرضي الزور ولا يقبل المنكر ، ولكنه بعد ماقيل وانتهى ... عفو غفور ...

لقد سبقت المغفرة العقاب وصدر الحكم الفيصل ، وفيه يقول الله لاوس ومن على شاكلته من الرجال المتسرعين الذين يقدمون على مظاهرة نسائهم :

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير » ...

ذلكم كان الجزاء لمن يقدم على وضع زوجه في موضع امه التى ولدته فيقدم على مظاهرتها ... ان جزاءه هو تحرير رقبة ... اجل تحرير رقبة ، كي يرتدع ويرتد هو وامثاله فلا يقدمون على مثل هذا المنكر والزور ، واشترط سبحانه وتعالى تحرير الرقبة قبل ان تستأنف الحياة الزوجية بين المراة ومن ظاهرها ... والله عليم خبير ...

وعادت رحمة الله الديان العادل تسبق قضاءه من جديد ... فهو يقضي سبحانه وتعالى بضرورة تحرير الرقبة قبل ان يتماس الزوجان ... فمن لم يجد ... او لم يستطع تحرير رقبة لعوزه وحاجته فهنالك ترخيص وتخفيف وقضاء اهون ، فيه رياضة بدنية روحية عمادها الحرمان وفي هذا يقول الحق جل وعلا :

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا » ... !!

ومرة ثالثة تسبق رحمة الديان العادل قضاءه ، فقد يكون في صيام شهرين متتابعين قبل استئناف الحياة الزوجية مشقة على بعض الضعاف من الناس ... وهنالك يقول الرحمن الرحيم :

« فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم » ...

على هذه الصورة كان رأى الشريعة السمحاء وحكم الله ...

ولكن خولة عادت تجادل حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– اطلبى الى أوس ان يحرر رقبة ...

وتساءلت خولة :



ـ اى رقبة ياسيدى يارسول الله ، واوس والله لا يجد رقبة ، وماله خادم غيرى . وعاد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لخولة بنت ثعلبة :

ـ اذا فاطلبى اليه ان يصوم شهرين متتالين ..

وهتفت خولة في دهشة :

ـ يا سيدى يا رسول الله ... والله ان أوسا ما يستطيع ذلك ابدا ... انه يشرب في اليوم عديدا من المرات ، وقد ضعف بدنه وذهب بصره وانما هو كالخرشافة ...

اى حنان واى رحمة واى بر بالزوج رغم ما كان من مجانبته وقسوته ؟! .. ان خولة تطلب الرحمة والتخفيف عن زوجها وهو الذى امتهن مشاعرها ، واذل كبرياءها ، واحنى هامتها ، ولكن لاغرابة في هذا فهى مسلمة أصيلة وفية ترعى الذمم ولاتخون العهود ..

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ـ اى خولة بنت ثعلبة اطلبى الى زوجك ان ياتى أم المنذر بنت قيس فياخذ منها شطر وسق تمرا فيتصدق به على ستين مسكينا ...

وكان هذا هو التخفيف الظاهر .. والرحمة العظمى ... واسرعت خولة الى زوجها المتلهف وأخبرته بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولت الفرحة الرجل واسرع الى أم المنذر بنت قيس وعاد يحمل وسق تمر وهو الذى لم يكن يستطيع ان يحمل نفسه ... ثم راح يتصدق على ستين مسكينا ... وتم له تنفيذ أمر الله ... وعاد الى زوجته ... وعادت الفرحة الى قلب خولة بنت ثعلبة ... والتام الشمل ... وخيم الصفاء ... وابتسمت الحياة ... وارتفع شان خولة بنت ثعلبة ... وعظم صيتها ... وعرفها المسلمون بالمراة التى قد سمع الله لشكواها ...

وعاشت خولة في حياة رسول الله ... وشهدت خلافة ابى بكر ... ومن بعده أمير المؤمنين عمر وهى عالية المكانة ، مرموقة الجانب ، يعرفها الناس ويقدرون لها مكانتها ، ويستمعون لرايها ...

ولقد قيل ان خولة بنت ثعلبة لقيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يغادر المسجد مع ضيفه الكبير ... « الجارود العبدى » ... ولعلها رأت في هذه الصحبة ، أو في مشية عمر ذاتها ، ما انكرته عليه حتى انه رضي الله عنه لم يكد يلقى عليها السلام حتى ردت عليه ثم قالت :

ـ هيه يا عمر ... عهدتك وأنت تسمى عميرا ترعى الضأن بعصاك في سوق عكاظ ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ... فاتق الله في الرعية ، واعلم انه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت » ... !!

واصغى عمر رضي الله عنه الى خولة بنت ثعلبة دون ان يجيب بكلمة ... وانطلق في سبيله صامتا مع ضيفه الكبير الذى أدهشه الامر ايما دهشة ، فان أمير المؤمنين قد حيا خولة بتحية الاسلام ، فردت عليه ثم تزايدت ولهذا دهش « الجارود » وعدّ ما سمعه تطاولا على عمر وهو العادل الكبير القلب ...

وضاعف من دهشة « الجارود » ان عمر لم يجب خولة ، ولم يرد عليها ، أو يسالها سر النصيحة ، وسبب التعرض لذكر الماضي البعيد ، ولم يحاول ان يعرف منها تفسيرا لهذا الهجوم المفاجىء ... بل سار صامتا ولم يتكلم ...

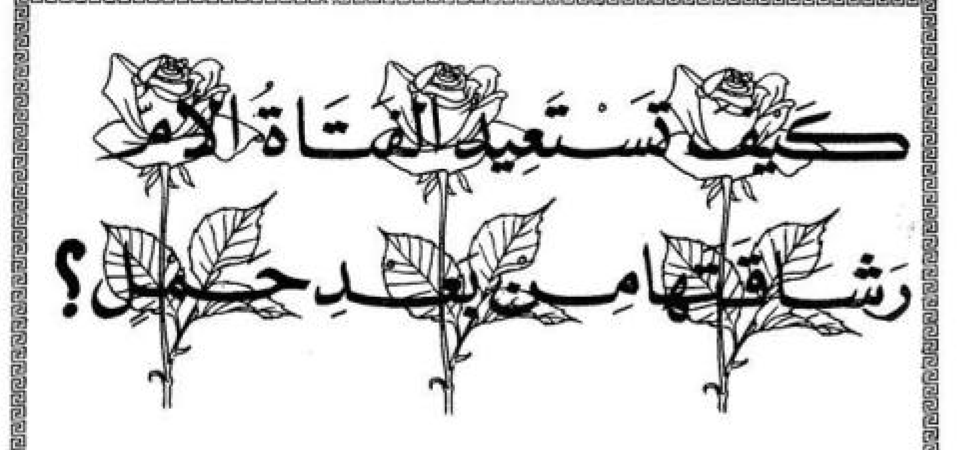
ووجد الجارود نفسه أمام صمت عمر يتجه الى خولة بنت ثعلبة ويقول لها :

ـ قد اكثرت على أمير المؤمنين أيتها المراة ... فاسرع عمر رضي الله عنه وارضاه وجذب الجارود من يده ليستمر معه على الطريق ولا يشغل نفسه بما حدث وقال له :

ـ دعها يا جارود ... أو لا تعرف من هى ... انها خولة بنت ثعلبة التى سمع الله قولها من فوق سبع طباق وان عمر والله لأحق أن يستمع لها ...

تلك كانت خولة بنت ثعلبة ... المؤمنة الصادقة ... المسلمة التى سمع الله لها واستجاب ... فكانت بحق من اظهر المسلمات الخالدات ؟ ■■

سنيه قراعة



كيف تستعيد الفتاة الأم رشاقتها من بعد حمل؟

■ هذا الحديث من وحي بريد القراء وبريد النساء خاصة ، وقد وجدنا ركن الأسرة ، ويتضمن ركن المراة ، خيرمكان له .

والرشاقة فى اللغة « حسن القدّ » .

والقدّ فى اللغة القيام والتقويم .

وفى القرآن الكريم : « ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » .

فطلب الرشاقة ، طلب صورة ارادهاالله لخلقه .

والرشاقة يطلبها الفتى وتطلبها الفتاة،ويطلبها الرجل وتطلبها المراة . وما راينا رجلا يحضر الى ميدان حرب وهو يحمل من كرشه حملا ثقيلا .

ان الرشاقة خفة .

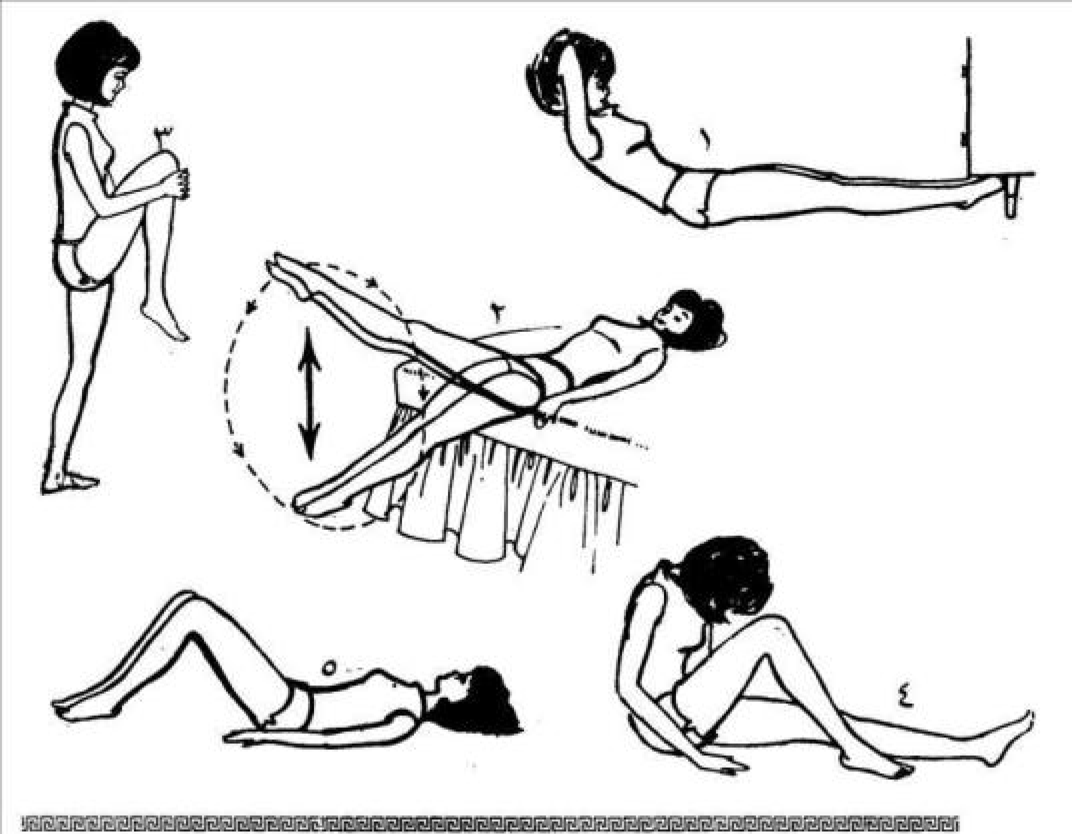
وان الرشاقة صحة .

وان الرشاقة جمال ، والله جميل يحب الجمال .

والحمل يتضمن اكبر مظاهر هذه الدنيا عظة ، تلك ظاهرة الخلق .

ولكنه يغير معالم الجسم ، ويجهدالاحشاء ، ويرخي العضلات ، وفى التمارين التى نحن ذاكروها هنا رجوع بالجسم الى حالة ما قبل الوضع ، لا سيما العضلات ، فهي تشدها شدا .ان الاحزمة تشد البطن ، وهي اصناف من المطاط شتى توجد فى الاسواق ،ولكن ليس كالحزام الطبيعي ، صنع الله ، وهو من العضل ، حزامٌ يضم ماانساح واتسع ليجعل من اوسط الجسم قواما مفتولا ضامرا .

وهذه هي التمارين ، مرقومة بارقامها ، ومعها كيف يكون اجراؤها ، وليست كلها تجرى فى اليوم الواحد ،وفى الساعة الواحدة . كل يأخذ منها بمقدار ما يحتمل وتحتمل .



١ ـ الجسم ممدود على الارض ، والقدمان تحت حافة قِمَطر . اليدان متشابكتان وراء الراس، ترفع الفتاة ظهرها، وهو مستقيم،عن الارض ، وتذهب به حتى يبلغ الرأسُ ما بين الركبتين ، ثم ترفع الرأسَ وتعود بالجسم حتى يلتصق الظهر بالارض كما كان . يعاد هذا التمرين المرة بعد المرة . عشر مرات ، ثم عشرين ، ثم ثلاثين . انه تمرين يخف مع الايام .

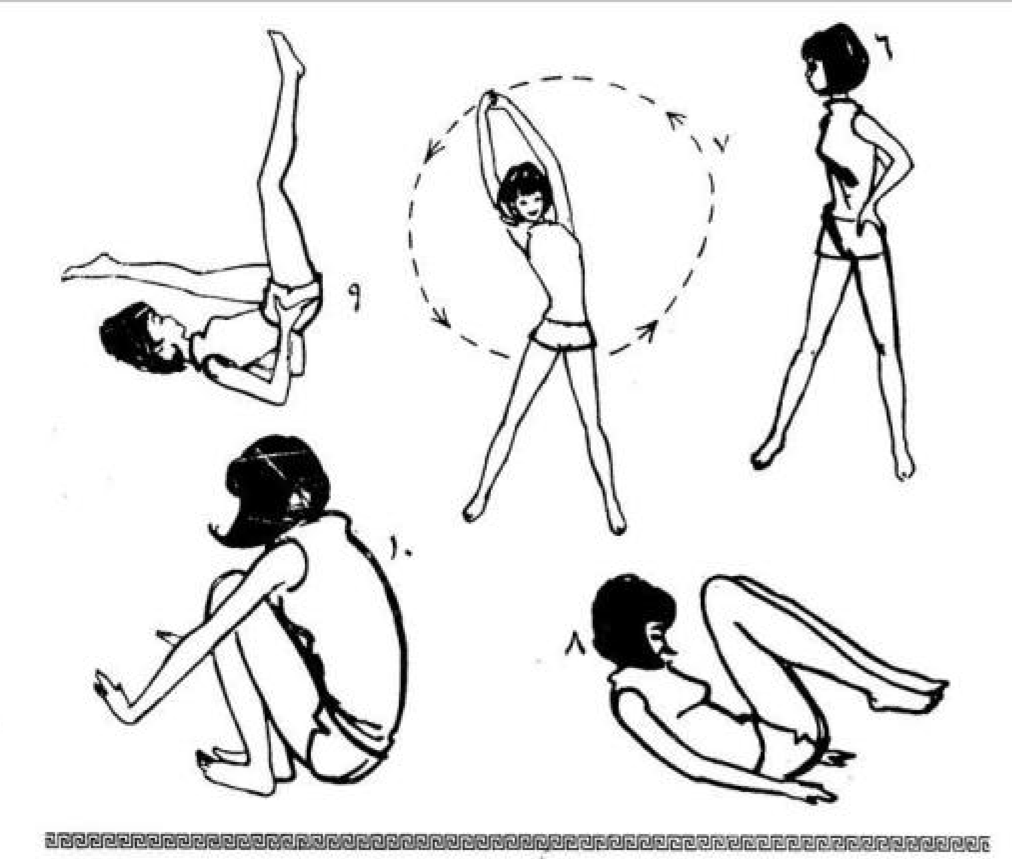
٢ ـ الجسم على السرير الا الرجلين . ترفع الفتاة القدمين معا والرجلان مشدودتان معا ، بعد ارتفاعهما فوق الافق بنحو ٤٥ درجة ، تفصل الفتاة بين رجليها ، وتدور بكل رجل مع الدائرة المرسومة ليلتقيا قرب الارض معا ، ولكن لا يمسانها . ترفع الرجلين معا الى اعلى . ويعاد التمرين من جديد .

٣ ـ تقف الفتاة على احدى رجليها وهي مستقيمة ، وترفع ركبة الرجل الاخرى بين كفيها حتى تلصقها ان امكن بالصدر . تعاد القدم الى موضعها . يصنع هذا بالرجل الاخرى والركبة الاخرى . يتكرر هذا التمرين نحوا من ١٥ مرة .

٤ ـ ترقد الفتاة على ظهرها منبسطة على الارض . وكفاها منبسطتان على الارض كذلك الى جنبيها ، ثم هي ترفع الرجل الواحدة ، والظهر معا لتلتقى الركبة بالراس ما امكن . وتعود وترقد . وتصنع مثل ذلك بالرجل الاخرى ، وهلم جرا ...

يتكرر هذا التمرين نحو ١٥ مرة ، لكل ركبة .

٥ ـ ترقد الفتاة على ظهرها منبسطة على الارض ، الا ان ركبتيها مرفوعتان عن الارض .



اما كفاها فمنبسطتان على الارض الى جنبيها . في هذا الوضع ترخي الفتاة جسمها ارخاء حتى يزول ما قد يكون به من انحناء ، في الرأس والعنق كان ، او في الظهر . ثم تتنفس عميقا من الانف ، وتخرج انفاسها من الفم . تظل تصنع هذا دقيقتين او ثلاثا .

٦ ـ تقف الفتاة على رجليها كما في الصورة، وكفاها على وسطها . ثم تأخذ تدير صدرها يمينا ، ثم شمالا ، ثم يمينا ، مع بقاء الجزء الاسفل من البطن لا يدور . وتصنع هذا ١٥ مرة .

٧ ـ تقف الفتاة على رجليها كما في الصورة، وترفع ذراعيها ، وتشابك بين اصابع يديها ، ثم هي تدور بالاصابع المتشابكة لتصنع دائرة كاملة بحيث يبقى رأسها بين الذراعين دائما . وبالطبع يميل الرأس والذراعان الى امام لاستكمال الدائرة . ومن بعد دوران مع اتجاه عقارب الساعة ، تدور الاصابع المتشابكة عكس اتجاه عقارب الساعة .

ويتكرر هذا التمرين ٨ مرات .

٨ ـ ترقد الفتاة على ظهرها ، وكفاها منبسطتان على الارض . ثم ترفع ركبتيها ورأسها ليلتقيا . ويعاد التمرين عشر مرات فعشرا اخرى .

٩ ـ ترقد الفتاة على ظهرها ، وترفع جذعها بيديها ، وتحاول ان تمس رأسها باحدى رجليها ، وتعود بها لتحاول مس الرأس بالاخرى . وهكذا يجرى هذا التمرين نحوا من نصف دقيقة .

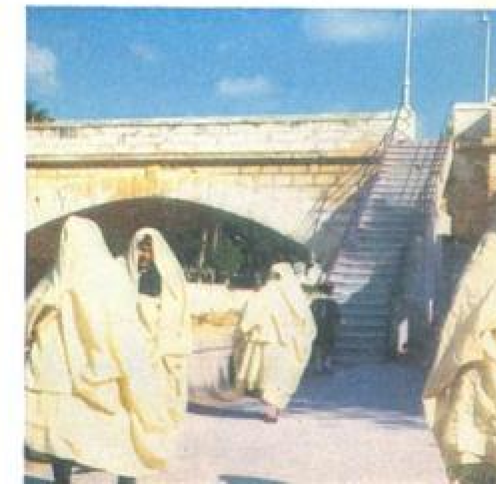
١٠ ـ تضع الفتاة كفيها منبسطتين على الارض ، ثم تنط الى امام لتقعد القرفصاء ، ثم هي تنط الى الخلف متقرفصة ، ثم الى امام . والركبتان دائما متماستان .

يكرر هذا التمرين عشر مرات . ●●

ينحدر الجبل الاخضر تدريجيا صوب ساحل البحر الابيض المتوسط فيكسوه بخضرة زاهية .. كما ترى في

تطور زي المرأة من الجرد الابيض، الى البيشة السوداء الخفيفة، الى السفور في المدرسة ، ثم العودة الى





اعرف وطنك أيها العربي

من
الجبل الأخضر
إلى
طُبرُق ودَرْنَه

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري



هذه الصورة الجميلة لمنطقة رأس الهلال



الجرد الذي لا تظهر منه سوى عين واحدة



■ كانت ضربة باهظة ، تلك التى دفعتها هذه المنطقة الجميلة الساحرة .. منطقة الجبل الاخضر ..

هناك على شواطىء برقة التى تطل على مياه البحر المتوسط الدافئة يرتفع هذا الجبل ، الذى لم يعد باقيا منه سوى هضابه العالية التى يكسوها اللون الاخضر طوال أشهر السنة .. وهو لون لم تسهم فى صنعه يد الانسان .. فقد هجره أهله وتركوه وحيدا يعيش على الطبيعة التى لم تبخل عليه بأمطارها ودفئها ، فاعطته بسخاء ما قدمه له أبناؤه وظلوا يقدمونه له ، منذ ان كان جبلا الى أن تفجر النفط من تلك الارض القريبة منه ، فحزم أهل الجبل وأبناؤه متاعهم وهجروه الى غير عودة .. ذهبوا الى حيث جذبهم بريق هذا الذهب الاسود الجديد .. الى درنة وطبرق،وكل منطقة قريبة من حقول النفط .. حيث أصبحوا اليوم يعملون ويكسبون قوت يومهم .

هكذا تحول الجبل الاخضر الى جبل مهجور، لا حياة فيه ، وهو الذى كاد يوما أن يصبح موطنا لاكثر من خمسة ملايين ايطالى ، أراد موسولينى أن ينقلهم اليه ليقيموا وسط وديانه وفوق تلاله ، أضخم مزرعة فى شمال افريقيا ..

ووسط هذه الوديان وفوق تلك التلال أمضت بعثة « العربى » أياما لتنقل لك صورة لما حدث لهذا الجبل المنبوذ المسكين ..

ذكريات التاريخ

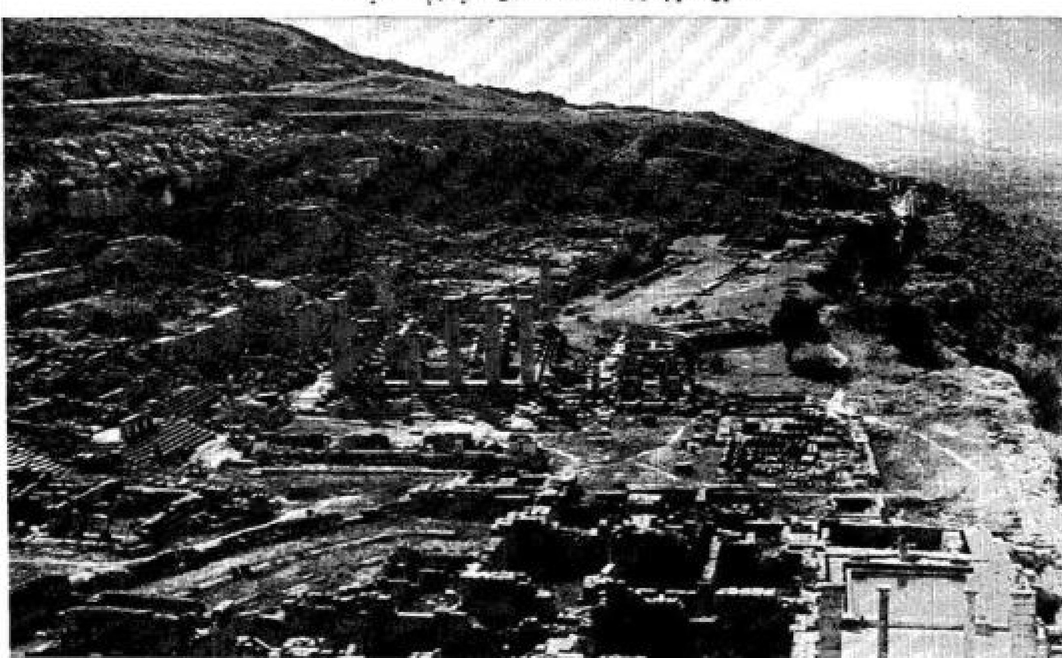
عندما انتقلنا اليه من مدينة بنغازى ، أقرب مكان الى الجبل الاخضر من الغرب بالسيارة ، كان الجو صحوا والشمس مشرقة ، والطريق يرتفع بنا تارة وينخفض اخرى ، والسيارة تنطلق فى هدوء وسكون ..

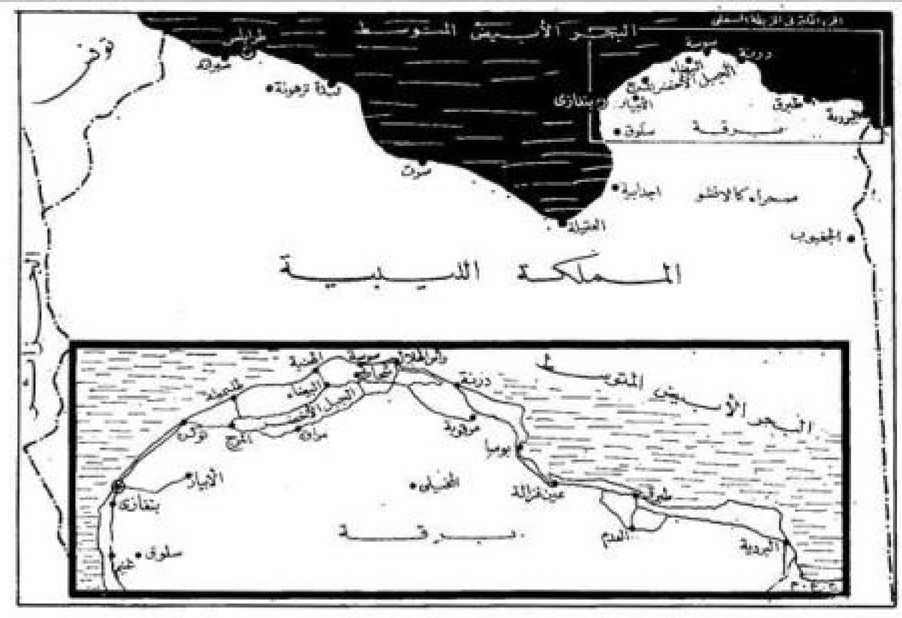
وكأنما شاءت الطبيعة أن تضفى هذا الهدوء لتعطينا مجالا نرحل به وراء القرون ، وتتذكر ما كدنا ننساه من أننا نسير على نفس الطريق التاريخى الذى رست على سواحله مراكب الفينيقيين وجحافل الاغريق الذين شيدوا فوق الجبل الاخضر على ارتفاع ٦٢١ مترا مدينة نافست أثينا وروما ! انها الشحات أو سيرين Cyrene التى لم يبق منها اليوم سوى اطلال تنقل لنا قصة أمجاد حياة ماضية ..

الرومان والعرب

وعلى هذا الطريق نفسه جاء الرومان وتركوا

بقايا مدينة الشحات .. تبعد ١٥ كيلومترا عن الساحل .. بناها الاغريق عام ٦٥٠ قبل الميلاد .أعطيت هدية زواج لبطليموس ، الذى أهداها بدوره للرومان ، فجعلوها عاصمة للولاية الرومانية فى ليبيا . وهى حاليا مصيف جميل يحوى عيون مياه جارية ، وفندقا حديثا ينزل فيه باستمرار أهل البيضاء ، الذين لا يجدون مكانا للاقامة فى مدينتهم الحديثة.





توضح هذه الخريطة موقع منطقة برقة على الخريطة الليبية .. ومما يذكر أنه لم يعد لبرقة وجود رسمي فقد قسمت الى ثلاث متصرفيات هي بنغازي ، والبيضاء ، ودرنة .. وفي الخريطة السفلى تظهر منطقة الجبل الاخضر مكبرة ، وهذا الجبل يتكون من سلسلة هضاب ترتفع من ٤٠٠ الى ٨٧٥ مترا ، وتمتد مسافة ٢٠٠ كيلومتر من الغرب الى الشرق و ٤٠ كيلومترا من الشمال الى الجنوب .

على ارضه بصماتهم .. ثم قدم عمرو بن العاص بجيشه عام ٢٢ هـ (٦٤٣ م) رافعا راية الاسلام، وظل وقع حوافر الخيول العربية يسمع فوق الطريق لسنين عديدة ، وهى تنطلق من المشرق الى المغرب لتثبيت كلمة الاسلام ..

بنو سليم فى الجبل

وفى عام ٤٤٠ هـ . امتلأ الجبل الاخضر باناس غرباء عنه ، يقول عنهم المؤرخ التونسى حسن عبد الوهاب ، انهم : « انتشروا كالجراد ، لا يخافون الخالق ولا يحترمون المخلوق » ! اولئك هم قبيلتا « بنى هلال » و « بنى سليم » اللتان جاءتا من صعيد مصر بعد أن منحهم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، اراضي المغرب العربى وكنوزه هدية لهم فى سبيل القضاء على أمير تونس: المعز بن باديس الصنهاجي، لنبذه الدعوة الفاطمية بمصر ، وانضمامه لمعسكر العباسيين في بغداد ..

وبانتهاء عملية تخريب تونس ، عاد رجال قبيلة بنى سليم الى برقة ، واستقروا فى الجبل الاخضر وصبغوه بالصبغة العربية الأصيلة ..

ليبيا تعلن الحرب على الولايات المتحدة

وبعد مائتى عام من الاحتلال التركى للاراضى الليبية ، اى فى عام ١٧١١ م . لمعت فى البلاد أسرة القرمانلية ، وكانت أشبه باسرة محمد على فى مصر : تتوارث الحكم فى ظل سلاطين تركيا .. واستطاعت هذه الاسرة أن تجعل كلمتها هى المسموعة فى حوض البحر الابيض المتوسط طيلة ١٢٧ عاما بفضل اسطولها البحرى القوى ، ففرضت الجزية والاتاوات على انجلترا وفرنسا واسبانيا ، وطلبت من الولاياتالمتحدة أن تدفع لها ٤٠٠الف قرشسنويا ، ولكن أمريكا طلبت تخفيض الجزية الى ١٢٠ الف قرش ، فرفض الباشا واعلن الحرب على الولايات المتحدة يوم ١٤ مايو ١٨٠١ وسارت المظاهرات يومئذ فى مدن الولايات المتحدة تهتف وتقول : « الآلاف الآلاف للدفاع ، ولا سنتا للجزية »

ومنثلاث حملات بحرية جهزتها الولايات المتحدة لغرب ليبيا ، وصلت الى المياه الليبية سفينة حربية واحدة هى «فلادلفيا» المجهزة بستة وثلاثين مدفعا ، وبينما كانت تحاول أسر سفينة محلية وقعت هى نفسها فى اسر القوات البحرية الليبية .. ورفع عليها علم البلاد ذو النجمة والهلال مكان العلم الامريكى !

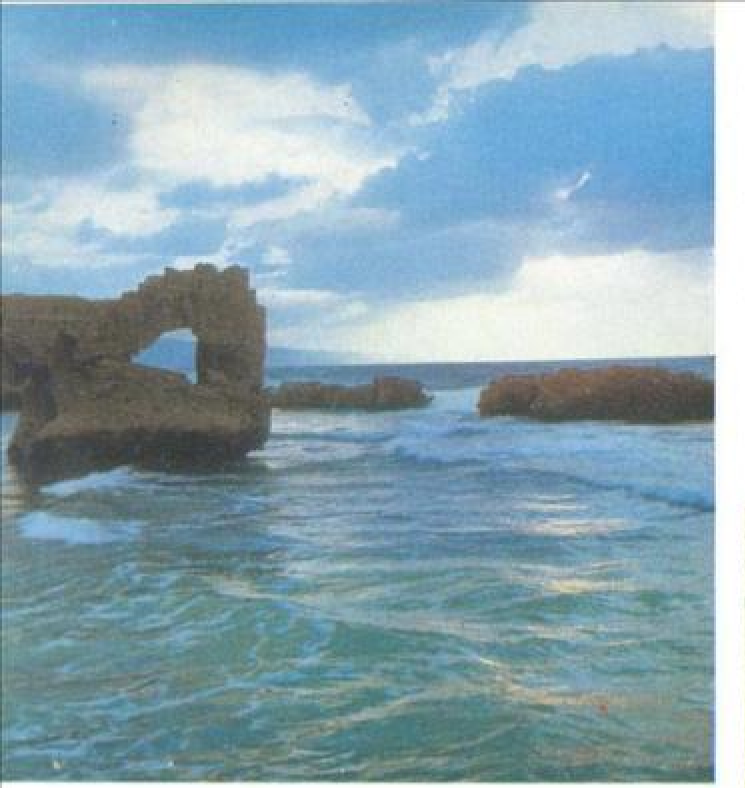
وتلقت واشنطون اخبار هذه الكارثة بحزن شديد . وطالب الشعب بعمل حاسم لمحو هذا



الى اليمين : نالت المرأة الليبية حقوقها شبه الكاملة من الحكومة ، التي فتحت أمامها جميع الابواب طالبة منها أن تعمل ، ولكن المرأة هناك لا تريد الانطلاق طفرة واحدة ، قبل أن تستكمل شخصيتها ، والى اليمين بعض الفتيات يتلقين دروسا في التفصيل بمقر جمعية النهضة النسائية .

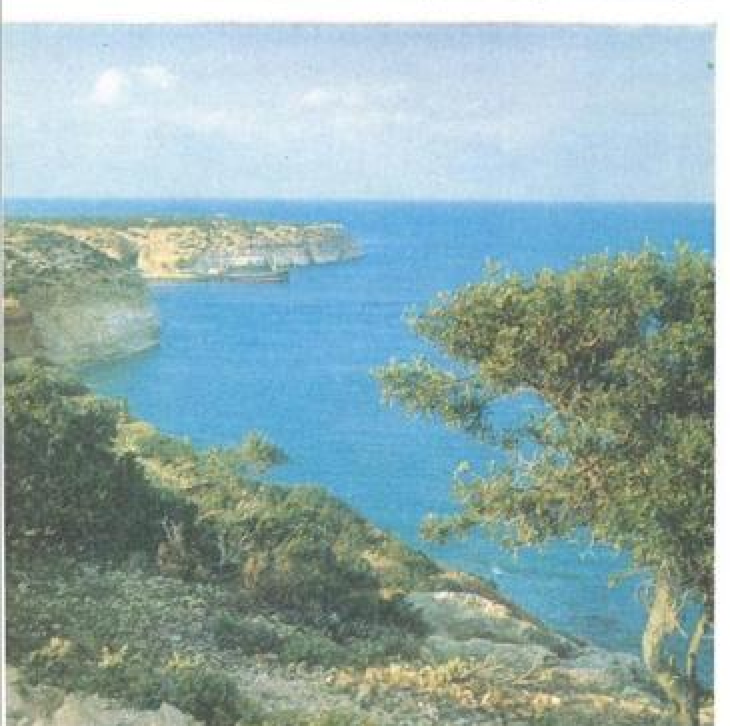
الى اسفل : ترتبط مدن وقرى الجبل الاخضر بطرق معبدة حديثة ، وهذا جسر وادى الكوف ، نسبة لكهوف الانسان الاول الموجودة فيه ، ويربط بين المرج والبيضاء .. وقد اقيم هذا الجسر الحديدى مكان الجسر الحجرى الذى دمره الايطاليون اثناء انسحابهم ..

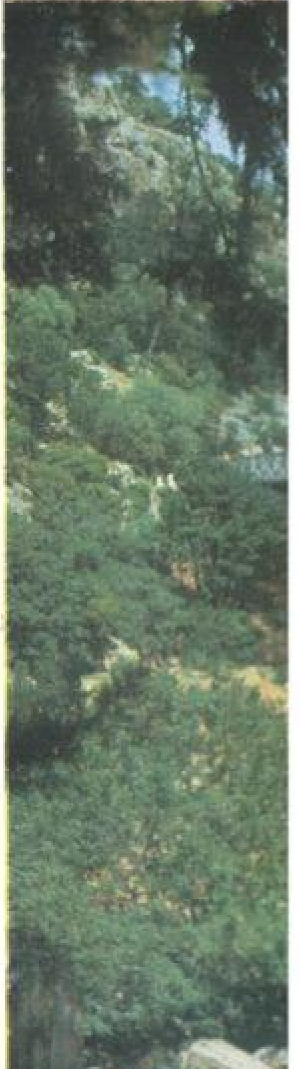
الى اليسار : غروب الشمس على بقايا قصر البوبازة في مدينة سوسة التي شيدها اليونانيون لتصبح ميناء تصدير منتوجات منطقتي شحات والمرج .. وخاصة زيت الزيتون الذي كان يتدفق في انبوب طوله ١٧ كيلومترا أما اليوم فتعيش سوسة على الأمل في أن تتحول منطقتها الى منطقة سياحية





الى اسفل : اثناء الحرب العالمية الثانية ، كان يقوم هنا ، قرب راس الهلال ميناء سري ، أما اليوم فتستعمله السفن الصغيرة .





العار . اذ كانت السفينة الاسيرة تمثل اكثر من ثلث القوة البحرية التى اشتركت فى تلك الحملة الفاشلة ..

ومرة ثانية جهزت قوة بحرية امريكية جديدة قوامها ١٥ قطعة حربية ، قامت بشن هجوم على قلاع طرابلس الغرب ، التى ردتها على اعقابها ، مما دفعها الى تغيير وجهتها صوب درنة الميناء الصغير ، يعززها جيش برى قوامه ..٤ جندى ، وبعد معركة حامية تم ابرام معاهدة بين الطرفين ، دفعت بموجبها الولايات المتحدة مبلغ .٦ الف دولار الى يوسف باشا القرمانلى ، مقابل اطلاق سراح بحارتها الاسرى،على الا تلتزم مستقبلا بدفع اى مبلغ لليبيا مقابل مرور سفنها .

صورة من امجاد العرب .. لا تنسى ..

دَرْنة تتلقى أول قنبلة ايطالية

وادركت ايطاليا اهمية ساحل برقة ، الذى يشكل نتوءا داخلا وسط البحر الابيض ، فانتهزت فرصة احتضار الرجل المريض (الدولة العثمانية) وعمدت الى اخذ « نصيبها » من تركته . فارسلت اسطولها الذى اطلق اول قنبلة على ميناء درنة(١) صباح ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وبعدها تولى مصطفى كمال (اتاتورك) قيادة قوات هذه المدينة ..

اما الجبل الاخضر فقد اعتصم به الليبيون تحت قيادة الشيخ عمر المختار ، الذى استمر فى محاربة الايطاليين حتى سقط من فوق جواده ، وكان قد بلغ الثمانين من عمره فاخذ أسيرا وأُعدم في ١٦ سبتمبر ١٩٣١ كما هو معروف .. وباستشهاد عمر المختار صمت الجبل الاخضر ، وخسر المجاهدون اهم مركز لشن هجماتهم ..

هدير سلاسل الدبابات

وتنهب السيارة الطريق نهبا ، كأنها تطوى بسرعتها سنين التاريخ ، لتوصلنا الى ميادين الحرب العالمية الثانية..فعلى هذا الطريق الممتد من حدود مصر حتى بنغازى تردد هدير سلاسل الدبابات وانفجار القنابل ، طيلة ثلاثين شهرا .. كانت المعارك الضارية سجالا فوقه ، بين جيوش الحلفاء من جهة، وجيوش المحور من جهة أخرى..

وفى صباح ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ بدأ مونتجومرى هجومه التاريخى الكاسح في هذه الحرب ، فاحتل طبرق ودرنة والجبل الاخضر ، واستمر فى سيره على امتداد هذا الطريق التاريخى مكتسحا جيوش المحور ، حتى التقى مع الجيش الامريكى البريطانى فى تونس .. وهكذا خرج الايطاليون والالمان من ليبيا الى الابد ..

وفى نفس الوقت اختفت الحياة من المنطقة ! .. فمدينة طبرق لم يبق منها حجر على حجر .. مدينة دَرْنة تهدم ثلاثة ارباعها .. والقرى الصغيرة ازيلت بأكملها من على الارض !!

خمسة ملايين ايطالى لسكنى الجبل الاخضر

ومع حلول السلام بدأ الاهالى فى العودة الى ديارهم وأراضيهم المهدمة .. وكان الايطاليون يعدون ويخططون لمشروع استيطان كبير فوق الجبل الاخضر ، فاقاموا ١٧٧٢ مزرعة متفرقة ، اختاروا لها أطيب الاراضى تربة ، وأغزرها أمطارا ، وانفقوا الملايين لبناء منازل ومستودعات للمياه وشق الطرق المؤدية لها ..

كان هدفهم جلب خمسة ملايين من الايطاليين

٦٠ ألف جندى بريطانى ينامون نومتهم الابدية في مقابر قتلى الحرب في طبرق



(١) درنة : تجرى على الالسنة بكسر الدال ، وفى كتب التاريخ توجد بفتح الدال فهى دَرْنَة ، وهو اسم افريقى قديم Darnis .



« لا بد من اعادة الحياة الى هذه المزارع المهجورة ، اذا أريد اعادة الحياة لمنطقة الجبل الاخضر »
هذا ما قالته بعثة الامم المتحدة عن المزارع التى أمر موسولينى بانشائها في الجبل الاخضر من أجل توطين خمسة ملايين ايطالى .. وقد تم اصلاح جزء منها .. والباقى ما زال كما تراه في الصورة .. مهجورا مهملا وسط مساحة شاسعة من الارض الطيبة .

للاقامة الدائمة فى الجبل الاخضر ، وتحويله الى منطقة زراعية هائلة ، وخاصة حول مدينة المرج القديمة المشهورة باسم Barce ، التى دمرها الزلزال الكبير عام ١٩٦٣ فقتل ٤٥٠ شخصا من أهلها . وقد أوشك العمل على الانتهاء من تشييد « المرج الجديدة » على بعد ستة كيلو مترات من المرج القديمة ، التى كانت متصلة بخط حديدى

الشهيد عمر المختار..كان الجبل الاخضر مركز نشاطه ، ضد المستعمر الايطالى ..



مع بنغازى ، ولكن بعثة البنك الدولى التابع لهيئة الامم المتحدة ، اقترحت ازالته لكثرة نفقات صيانته فازيل ، ليفسح المكان أمام طريق للسيارات ..

الحياة تعود .. لتتوقف ثانية

لقد أوقفت الحرب العالمية الثانية مشروع الايطاليين لتحويل هذه المنطقة الى مزرعة قمح كبيرة فحاول البريطانيون احياءها بعد نهاية الحرب ، ولكنهم فشلوا ..

وجاء الليبيون فبدأوا من جديد فى تربية الماشية ، والعناية بالارض الطيبة ، وبدأت الحياة تتفتح من جديد فى الجبل الاخضر .. وعادت الاغنام والابقار والماعز ترعى الكلأ الاخضر الذى يغطى الجبل على امتداد البصر ..

وفجأة توقفت الحياة فى الجبل ، بنفس السرعة التى تفتحت فيها .. ولم نصدق هذا الامر الا بعد ان قطعنا هضابه ووديانه من غربه الى شرقه ، دون أن نلتقى بفلاح ليبى ، الا بجوار المدن .. مئات الآلاف من الامتار ، أهملها الانسان فزرعتها الطبيعة ببساط أخضر نبتت فى وسطه الاعشاب ، ومالت أغصان الاشجار ، وتكسرت جذوعها وسط الوديان ، وانهارت جدران المنازل فى المزارع ، واقتصرت تربية الماشية على نوع الماعز وحده ، فلم نشهد بقرة أو شاة ، وانما معزا ، ولا شيء الا الماعز ، يتنقل بدون راع ، ملتهما كل ما يصادفه



الى اليسار : خرجت طبرق من الحرب العالمية الثانية قاعا صفصفا .. ولكن مع ظهور النفط بدأت المباني الحديثة تظهر لسكنى الموظفين والعائلات .. حتى اصبحت مساحة طبرق الحالية، توازي اربعة اضعاف مساحتها قبل الحرب .

الى أسفل: ١٥٠٠ فتاة يتلقين تعليمهن في مدارس طبرق المختلفة .. وتتلقى الطالبات دروسهن سافرات ، وفي ساعة الخروج ترتدي بعضهن اليوشية السوداء على وجوههن ..



تعرضت طبرق خلال الحرب العالمية الثانية ، الى عدد هائل من الغارات التي لم يستطع أحد حصر عددها ، لاستمرارها ليل نهار من الجو والبحر .. وكان أن تهدمت مباني المدينة بأجمعها ، ولم يبق منها سوى هذا المبنى الذي كان مقرا لضباط البحرية الإيطالية .. وفي ميناء طبرق غرقت ١٢١ قطعة بحرية ، من غواصات وناقلات جنود وبترول وحاملة الطائرات سان جورجو .. وقد استمر انتشال الركام مدة أربع سنوات ، أصبح بعدها الميناء صالحا لرسو السفن التجارية وسفن نقل البترول ...



معز.. ولا شيء الا المعز.. يتنقل دون راع في وديان وسهول

.. ولكنه لم يعد يُسبب اضرارا للزراعة ، لانه لم تعد هناك زراعة فى الجبل الاخضر ؟!

أسباب الرحيل

وتساءلنا : «أين الاهالى المزارعون ؟ وأين الرعاة المتجولون على أنغام الناى فوق سفوح الجبل الجميل ؟ » .

ويأتينا الرد مع الرياح الضاربة فى بطون الوديان ، وبين اشجار الغابات : « لقد انقضى العهد الذى كان يعيش فيه هنا قوم يتولون حرث الارض وزرعها وتخطيطها .. لم يرحلوا بسبب ضربات الدهر ، وانما هجروا الجبل وتغربوا عنه بسبب النفط !! » .

فقد كان راعى الماشية يقف أمام صاحب القطيع ويقول له : « أعطنى حجى جنيهين فى اليوم .. ولو ما تعطينى أسيبك وامشى لشركة البترول !! »

ويسقط فى يد مالك الاغنام ، فيعجز عن دفع المرتب المطلوب ، وفى اليوم التالى ينطلق الراعى الى باب شركة من شركات البترول التسع العاملة فى ليبيا ، وقبل أن يرفع يده ليدق الباب يفتح له على مصراعيه ، ويتحدد مرتبه بستين جنيها ليبيا شهريا ، ويبدا في التدريب مباشرة ليصبح ترْسا فى عجلة الصناعة البترولية ..

من التصدير الى الاستيراد

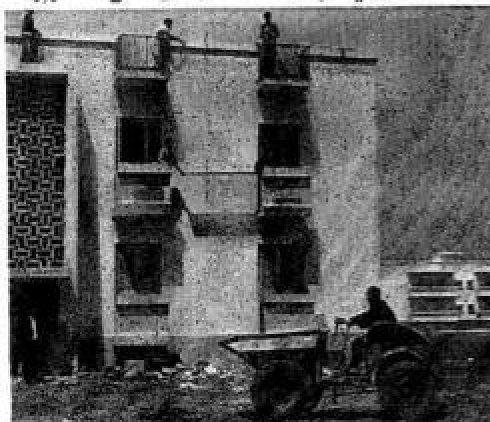
وانعكس هذا التصرف على الجبل الاخضر ، فأصابه اصابات قاتلة .. الماشية التى كان يُصدَّر منها نحو ٧٠ الف رأس سنويا الى مصر واليونان توقفت .. وبدأت أرقامها العددية فى الانخفاض .. وزاد الطين بلة ، الازدياد كبير فى استهلاك اللحوم محليا لارتفاع مستوى المعيشة .. وفى فترة زمنية كأنها « طرفة عين » تحولت ليبيا من بلد مصدر للماشية الى بلد مستورد لها من جميع أنحاء العالم .. !

والوضع نفسه حدث فى القطاع الزراعى ، فالآلاف من اشجار العنب يبست فى مكانها ، والبرتقال شهدناه يجف على أغصانه ، والخس والكرنب « الملفوف » شهدناهما اشجارا صغيرة مزهرة ! لعدم وجود اليد اللازمة للعناية بها !

وبعد ذلك نسمع من يقول : « ان العالم يشكو أزمة جوع » والواقع ان العكس هو الصحيح فى وطننا العربى ، الذى يشكو ازمة هجرة واهمال لارضه الطيبة .. وليس الجبل الاخضر فى ليبيا هو المنطقة الوحيدة التى تشكو من هذه الظاهرة ، فالاراضى الزراعية فى جنوب السودان .. وجنوب موريتانيا .. وشمال سوريا .. وما بين النهرين فى العراق .. وأكثر من نصف سهل البقاع فى لبنان .. ووديان اليمن .. ووادى حضرموت .. أراض طيبة خصبة واسعة لا تحتاج الا ليد تفلحها وتزرعها وتحصدها ..

ان المشروعات الحكومية فى ليبيا لانقاذ هذه الارض اكثر من أن تعد .. وقد أعطت « خطة

١٣١٥ منزلا تهدمت في مدينة المرج اثر زلزال ١٩٦٣ وقررت الحكومة بناء المرج الجديدة على مسافة ستة كيلومترات من المرج القديمة ، حيث عثر على مياه جوفية .. وقد أوشك العمل على الانتهاء من بناء ١٢٩٠ وحدة سكنية جديدة ، ليقيم فيها الذين فقدوا منازلهم في الزلزال .. وقد تأخر بناء المدينة الجديدة بسبب استحالة تمسك المقاولين العاملين في ليبيا بوعدهم في تسليم البناء في الوقت المحدد .. وحجتهم في ذلك النقص الكبير في الايدى العاملة ، الذى تعانى منه ليبيا .





الجبل الاخضر يلتهم كل ما يصادفه ، دون أن يمتعه أحد .

حسرة ، على هذه المناطق الخصبة الهائلة التى لم يعد يسمع فيها غير صفير الريح ، وقرع ابواب منازل المزارع الخاوية .

ووصلت بنا السيارة الى درنة .. لقد استمرت الحياة فى هذه المدينة من العهد اليونانى الى اليوم نتيجة الهجرات المستمرة اليها .. سكنها اهل مسراته ، وجاءها المهاجرون العرب من الاندلس ومعهم خبرتهم الزراعية فى القرن الخامس عشر .. اما فى القرن العشرين فما زال يأتيها الاهالى الذين تركوا منازلهم فى الجبل الاخضر ..

ما يكاد الواحد منهم يدخل الى درنة حتى يجلس الى احد مقاهيها تحت الاشجار العالية الوارفة الظل .. يسير وسط آلاف الناس فى اسواقها القديمة المسقوفة تتجاذبه عوامل الحيرة والارتباك .. حيرة العقل الذى تعود على حياة البداوة ثم انتقل فجاة الى حياة المدينة .. والارتباك امام تعدد الآراء والافكار التى تتجاذبه ، وتجعله يقف كالريشة فى مهب الرياح ، لا يستقر على قرار ، ولا يتمتع بهدوء نفسى أو سكون فكرى ، فيهرب الى اطراف المدينة حيث يجد نفسه ويظفر بكيانه ، عندما يشعر انه فى منطقة مفتوحة واسعة .. فيتخذ له مسكنا مؤقتا هنا ، يكون غالبا اسوا من منزله الذى تركه فى الجبل الاخضر ..

وتعمل الحكومة حاليا على تنفيذ « مشروع ادريس للاسكان » وهو اضخم مشروع اجتماعى شهدته ليبيا ، يهدف الى بناء مائة الف وحدة سكنية بمبلغ ..) مليون جنيه خلال خمس سنوات ، حتى يصبح لكل مواطن ليبي بيت صحي يليق بكرامة الانسان ، فى كل مدينة وقرية .

ترف .. وغلاء وهجرة

وقد ابتسم الحظ للكثيرين من أهل الجبل ، فسكنوا الفيلات الجميلة فى درنة الهادئة ، ومعهم أسرهم ، يتمتعون بجميع ملذات الحياة الحديثة التى كانت وقفا على المستعمر الايطالى ..

وكما أن دخلهم ازداد ، كذلك ارتفعت الاسعار فى درنة ـ وبقية مدن ليبيا ـ ارتفاعا جنونيا .. وظاهرة الغلاء هذه مرت بها كل الدول التى اجتازت ظروف ليبيا نتيجة ازدياد الطلب على بعض السلع وقلة هذه السلع ، وازدياد الأجور ، مما أدى الى ارتفاع الاسعار .

التنمية الخمسية » الاولوية لتنمية القطاع الزراعى وتبذل مؤسسة الاستيطان الزراعى جهودا جبارة من أجل ربط المزارع بأرضه .. فتملكه الارض ، وتقدم له القروض الزراعية والحبوب والماشية والاشتال والآلات .. وتشترى منه المحصول بأسعار مرتفعة .. كل هذا ليصمد فقط فى مكانه امام المغريات الكبيرة التى تسعى لسحبه من ارضه تلك الارض التى تعتبر من اصلح المناطق الزراعية فى ليبيا لنمو الحبوب والفواكه ، من ليمون وبرتقال وسفرجل ورمان واشجار اللوز والجوز ..

وقد اقترحت لجنة البنك الدولى اعادة احياء الغابات واشجار الزيتون عن طريق انشاء مناطق مغلقة ، يمنع فيها قطع الاشجار ، وتزرع اشتال جديدة فى الارض الجرداء .. وقدرت تكاليف هذا المشروع بمبلغ ٥١٢٠٠٠٠ جنيه ليبى (الجنيه الليبى يساوى الجنيه الاسترلينى) .

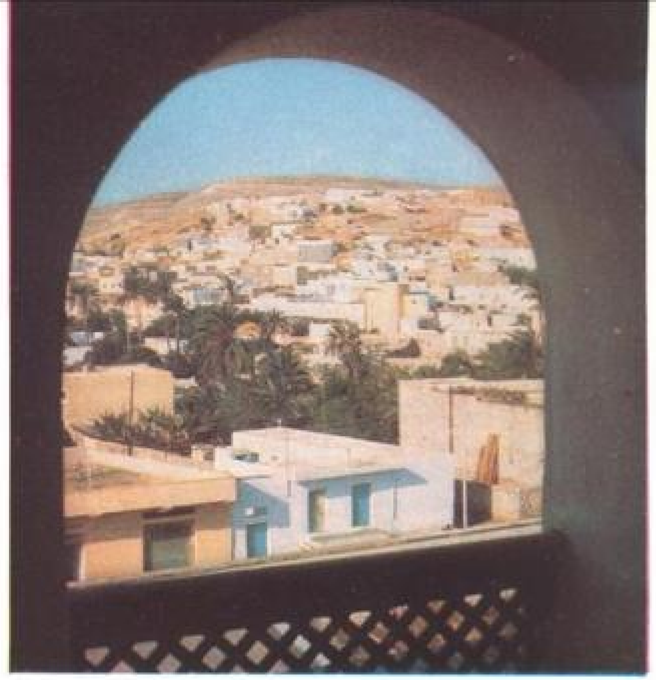
« تغريبة » جديدة ..

وأردنا ان نعرف الى اين يذهب أبناء الجبل الاخضر فى « تغريبتهم » الجديدة ، التى تختلف كلية عن تغريبة أجدادهم ، بنى سليم وبنى هلال ، الذين قطعوا آلاف الاميال عبر الصحارى والوديان على ظهور الجمال .. أما الاحفاد فيقطعون بضع عشرات أو مئات من الكيلو مترات ، داخل السيارات والطائرات ليستقروا فى ثلاث مدن رئيسية : البيضاء(١) ودرنة وطبرق ..

سبب ظهور مدن الصفيح ؟

تركنا الجبل الاخضر الجميل ، وفى القلب

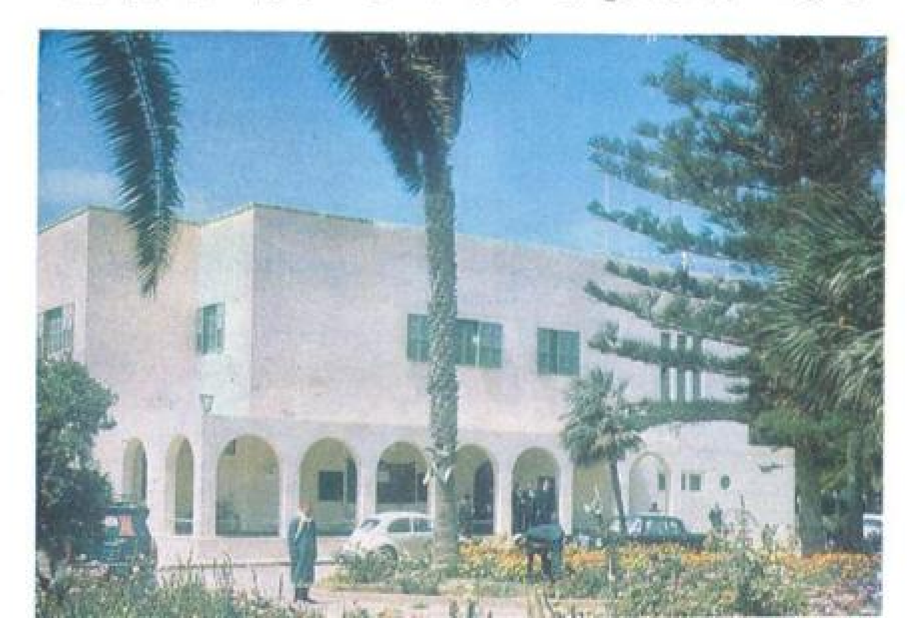
(١) البيضاء : راجع استطلاعنا عنها فى العدد رقم ١٠٥ من العربى (اغسطس ١٩٦٧)

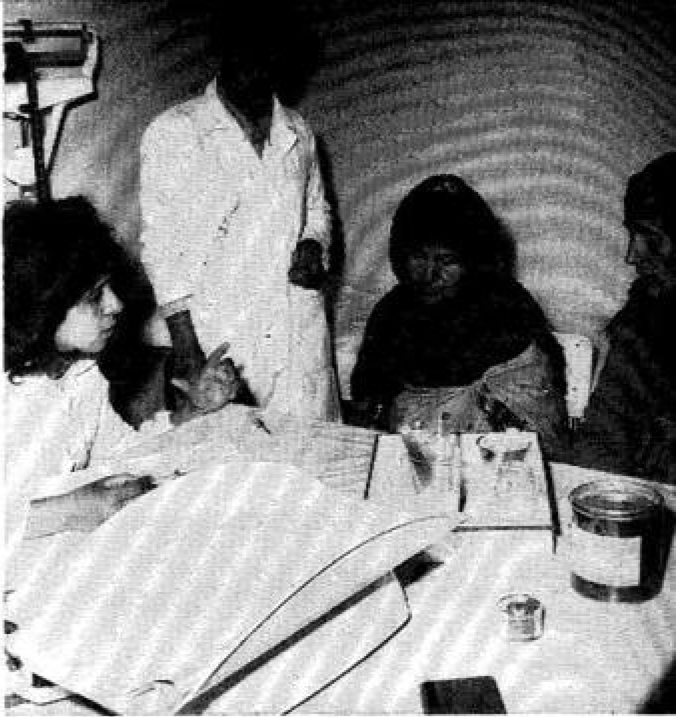


الى اليمين: درنة الجميلة، تقع على مرتفعات تطل على ساحل البحر الابيض المتوسط .. وتبعد عن بنغازي ما يقرب من ٢٢٠ كيلومترا .. كانت درنة هي المدينة الثانية في برقة بعد بنغازي ، ولكنها اليوم اصبحت المدينة الثالثة .. لان البيضاء كادت تحتل المرتبة الاولى متخطية بنغازي .. لقد استمرت الحياة في درنة من عهد الرومان الى اليوم بفضل موجات الشعوب المهاجرة اليها .. وآخرها اهالي الجبل الأخضر ..

الى اسفل : اشتهرت درنة بحياكة القطن والصوف والحرير ، حتى فترة قيام الحرب التركية الايطالية عام ١٩١١ وعندها هجر الصناع مدينة درنة الى تونس .. واليوم يحاول المسئولون اعادة درنة الى مجدها السابق ، فأقاموا هذا المعهد لتدريب الفتيات على صناعة السجاد ، ثم تعطى كل منهن الادوات والمواد اللازمة لصناعته في منزلها وبعدها تشترى اللجنة السجاد لتشجيعها .

بائع الورد يبيع الورود لبعض الجالسين في المقهى تحت الاشجار الكبيرة الوارفة الظل .. ويضع الرجال الورود فوق اذنهم اليمنى تحت الشنشنة الحمراء ، اى الطاقية ، احتفالا بمقدم الربيع .. ان حبهم للزهور والورود يعود الى عهد اجدادهم الذين جاءوا مهاجرين الى درنة من الاندلس بعد نكبته .. والصورة السفلى لمبنى متصرفية درنة وحديقته الجميلة المزدانة بالازهار .. وتختص درنة بزراعة اشجار الموز بنجاح كبير .. وتأتيها المياه من شلال قريب منها يسيل في واديها





يتوالد الشعب الليبى بنسبة مرتفعة تصل الى ٢ره٪ سنويا .. ولكن نسبة الوفيات بين الأطفال تصل الى ٢ر٤٪ سنويا ، اى أن نسبة الزيادة لا تتعدى ار١٪ سنويا .. وهذه خبيرة الأمم المتحدة تشرف على تدريب فتاة ليبية على كيفية العناية بالأمهات والمواليد فى مركز رعاية الأمومة والطفولة بدرنة .

كانت نشأة العرب الصحراوية ، سببا فى كل مرة كانوا يتوغلون فيها داخل المغرب البحر فيقطع عليهم خط الرجعة .. وفى العرب الأوائل ، الذين سقطوا اثناء العدو ، الذى سد عليهم طريق العودة

وفى نفس الوقت الذى قدم فيه المهاجرون الجدد الى درنة ، قامت هجرة معاكسة من درنة الى البيضاء وطبرق .. انها الطبقة المثقفة التى تترك مسكنها مؤقتا لتتولى وظائف قيادية فى مختلف اركان الدولة ، لأن درنة هى الجوهرة التى تشع على المنطقة كلها .. بالرغم من سوء فنادقها !؟

قسوة على التقدم الاجتماعى

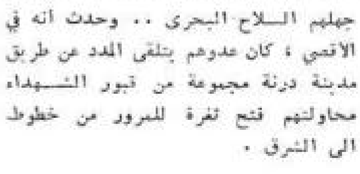
ان مشعل الثقافة الذى اضاءه الاغريق عندما انشاوا درنة ، ما زال موقدا متوهجا ، حتى اليوم فى درنة .. الفتاة تتعلم ، والفتى يتعلم .. والمجتمع يتطور ببطء شديد فى نظر من يكرر الزيارة، ولكنه فى نظر بعض أهل المنطقة من المحافظين يأخذ شكل التطور السريع المذهل !!

« الطفرة الاجتماعية » !

حتى أنهم يقسون على انفسهم قسوة هائلة متخوفين من هذه الطفرة الاجتماعية ! .. وفى مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية فى البيضاء قرأنا هذا النقد القاسي للمجتمع الليبى : « ان أغلب المجتمعات تطورت بطريقة تدريجية متماسكة ، اما المجتمع الليبى فقد انتقل فجأة من ركوب الجمل والحمار الى السيارة الأنيقة الفاخرة .. ومن الجلباب والعباءة الى البدلة ورباط العنق .. ومن فلاحة الحقل البسيط ؛ الى كرسى الادارة والوظيفة .. ومن حالة التقشف الشديد فى العيش الى الترف البالغ .. ومن هذه الطفرة الانتقالية المباغتة لمجتمعنا المفتوح ، فرته عدة عوامل تفكك وجدانى فأفقدته التماسك الذهنى والخلقى ، وتمكنت من تدمير عدة قيم اجتماعية عليا كنا نعتز بها ، لذا كدنا نصبح مجتمعا مجهول الصفات البارزة ، فلا يستطيع الملاحظ الاجتماعى أن يحدد شخصية هذا المجتمع ، وانماط سلوكه .. »

نقد شديد لا شك فى هذا ، ولكن هذا ما تقول مجلة الهدى الليبية الصميمة ..




جهلهم السلاح البحري .. وحدث انه في الاقصى ، كان عدوهم يتلقى المدد عن طريق مدينة درنة مجموعة من قبور الشهداء محاولتهم فتح ثغرة للمرور من خطوط الى الشرق ..

ضريبتا التقدم والتطور ، تدفعهما درنة : أصبحت اغلب شوارع درنة في حالة سيئة من كثرة الحفر التي يجري شقها لمد شبكات المجاري والنور والهاتف والمياه .. انها مقومات الحياة الحديثة للمدينة القديمة ..

الملكة تنقذ المرأة

ووسط هذا الجو المتارجح بين المحافظة والتحرر ، استطاعت المرأة الليبية أن تشق لها طريقا ضيقا لتتنفس منه ..

ان السيدة حميدة العنيزي هي عميدة النهضة النسائية ، لقد جاهدت ، وكافحت في سبيل المرأة حتى قبل الاستقلال ، ولكن الرجال كانوا دائمي المعارضة .. ولم يسقط في يدها وانما بدأت في عمل مقصف في أحد المعارض ، ومن هذا المقصف ولدت جمعية النهضة النسائية ، التي كاد الرجال يقضون عليها وهي ما تزال في مهدها ، لولا أن تداركها الملك ادريس الاول برعايته ، فحمى المرأة وشجعها ، لا بل سمح لجلالة الملكة فاطمة أن تصبح رئيسة فخرية للجمعية .. وعندها سكت الرجال ..

مجتمع رجالي ركبه الغرور

وأصبح للمرأة مجلة تنطلق منها ، وتهاجم معارضي حقها في الحياة الحرة الكريمة ، كما جاء في هذا المقال :

« .. وصفوا المرأة الليبية بالسلبية ، وما سلبيتها الا انعكاس لسلبية الرجل الذي يعيش في مجتمع رجالي جاف ركبه الغرور ، يأبى المجتمعون فيه التخلي عن مملكتهم الوهمية ، وتأبى المرأة أن تقبع تحت ظلاله .. قالوا عن المرأة الليبية ان تيار المدنية قد جرفها فخرجت عن التقاليد في لباسها ونظرتها للحياة ، ولو القوا نظرة على المرأة الغربية لشعروا بالفخر والاعتزاز لفتاتنا الكادحة العاملة في البيت وخارجه .. » .

وكتبت فتاة أخرى عن أمنية المرأة الليبية فقالت :

« أمنيتي أن تنقشع الغشاوة عن عيون الآباء ليكفوا عن الربح والبيع المزرى لبناتهم قانعين بما نصت عليه الشريعة الاسلامية .. » .

وفي هذا الكلام دلالة على مشكلتي المهور المرتفعة واختيار الاهل للعروسين دون موافقتهما .

وتتابع كاتبة ثالثة الحديث بقولها :

« الرجل الذى يتزوج يختار اسرة المرأة قبل أن يختارها هى ، فهو لا تهمه المرأة كمرأة بقدر ما تهمه الاسرة وعراقتها .. وبعد ذلك يتنكر لها ، فيطمرها في البيت .. يحرمها من أن تفتح النافذة لا لترى الشمس ، ولكن لكى لا تدخل الشمس الى البيت .. » .

غريب وسط غرباء

وتركنا درنة متجهين الى طبرق على الطريق الساحلي التاريخي ، الذى سيتحول الى جزء من الطريق الدولي الطويل الممتد على طول الساحل الليبي ليربط بين ثلاثة شعوب عربية : الجمهورية العربية المتحدة وليبيا وتونس .. ويبلغ طوله ١٩٠٠ ك.م وتكاليفه ٥٠ مليون جنيه.

ودخلنا الى طبرق ، مدينة الحرب والحديد والنار .. فوجدناها وقد تحولت الى مدينة للتجارة والنفط والعمارة .. لا احد يكترث او يبالى بالذى يفعله الآخر ، اللهم الا عيون أساتذة كلية الفنون والصناعة الاسلامية التى تتعقب شاربي الخمور المحرمة على الليبيين في غرفة الطعام بالفندق الوحيد الكامل العدد دائما .. أما ما عدا ذلك فلا أحد يهتم بك ، ولا احد يُريدك أن تهتم به !.. انك غريب وهم غرباء ، فالمدينة لم يكن فيها انسان بعد توقف الحرب العالمية الثانية .. فاصبحت اليوم تضم ٢٥ ألف نسمة !

واغلب سكان طبرق من الخبراء والموظفين العاملين في الشركات مع أسرهم وكذلك أسر الجنود البريطانيين المرابطين في قاعدة العدم جنوب طبرق، تلك القاعدة التى تفاوض الحكومة الليبية الآن لاسترجاعها ..

اما الليبيون الذين فى طبرق فقد جاءوها من بنغازى ودرنة وطرابلس ، ونفر قليل من واحة الجغبوب .

فى الصبح موظف .. وبعد الظهر تلميذ !

ويواجه التعليم في طبرق مشكلة غريبة ، فعند انتهاء الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك مدرسة واحدة ، أما اليوم فاصبح عددها ٤٥ مدرسة يتعلم فيها ٥٠٠٠ طالب و ١٥٠٠ طالبة .

وتعمد الشركات الى اغراء الطلبة للعمل فيها كموظفين بمرتبات مغرية تتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ دينار وانساق الطلبة وراء هذا الاغراء ، فبدأ عددهم في التناقص ، وتنبهت مندوبية التعليم لهذا ، فعمدت الى فتح ثانوية ليلية ليكمل فيها الطلبة الموظفون دروسهم .. ونجحت الفكرة ، حتى ان عدد طلبة فصل الثانية الثانوية بلغ ٨٠ طالبا في الليل، مقابل ١٧ طالبا فقط بالنهار !

الايجارات والماء

وأدى التهافت على سكنى طبرق الى ارتفاع ايجارات منازلها حتى بلغت ٧٠ أو ٨٠ جنيها في الشهر للشقة المكونة من أربع غرف ، فاتجه الناس للبناء .. ولكن ما زال المطلوب تأجيره اكثر من المنتهى بناؤه .. ويشرب سكان هذه المنازل من مياه تصلهم عبر أنبوب طوله ١٧٠ كيلومترا من درنة .. وكانت طبرق في الماضي تشرب دائما من مياه تصلها من الخارج .. ففى عهد الايطاليين كان الماء ينقل لها بالبواخر من درنة وايطاليا .. وفي عهد الانجليز كانت السفن تحمل لها المياه من الاسكندرية ، ثم مدوا انبوبا لنقل الماء من الاسكندرية لطبرق ، ولكنهم نزعوه بعد الحرب وباعوه حديدا خردة ! وفي عام ١٩٥٠ عمد المستشفى الكبير في طبرق الى اقامة محطة لتحلية مياه الآبار بتمريرها علىالاغشية الكهربائية

السيدة حميدة العنيزى رئيسة جمعية النهضة النسائية في ليبيا ، تحيط بها بعض العضوات ، والتلميذات اللواتى تخرجن من مدرسة الجمعية.



انتظارا للانتهاء من مد الانبوب الطويل الذى يحمل المياه حاليا من درنة .

هنا استراح نابليون

والواقع ان أهم شيء في طبرق هو ميناؤهـا الطبيعي المتعرج على شكل حرف (S) ، وهذا التعرج يحميه من الامواج العالية والرياح القوية .. ونصف هذا الميناء بترولى ، ونصفه الآخـر تجارى يستقبل البضائع الواردة ويصدر كميات ضئيلة من البضائع المصدرة ، ففي شهر نوفمبر ١٩٦٦ افرغ فيه ٢٣ الف طن من البضائع المستوردة ولم يصدر منه الا ١٧٦ طنا من البضائع !

وعند أرصفة هذا الميناء استراحت جحافـل جيوش نابليون وهي في طريقها الى مصر عام ١٨٠٨ وكانت طبرق خالية من السكان في ذاك العهد ، ولكنها ازدهرت اثناء الاحتلالين العثماني والايطالي .. وكان صمود القوات البريطانية فيها ، لحصار قوات المحور من ١١ ابريل (نيسان) ١٩٤١ حتى ١٠ ديسمبر (كانون الثانى) من نفس العام من أكبر اسباب شهرتها ..

السياحة .. والماضي .. والمستقبل

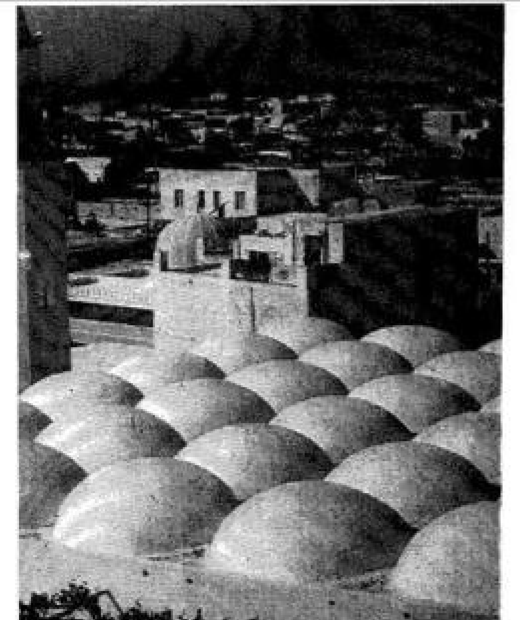
واليوم لم يبق من آثار هـذا الحصار وتلك الحرب ، التى أغرقت ١٢١ باخرة في ميناء طبرق، لم يبق سوى شواهد قبور الجنود الذين سقطوا واستشهدوا في هذه المنطقة ..

وفي يوم ٢٠ مارس من كل عام يقام احتفال كبير حول هذه المقابر يحضره الاقارب وأهل الجنـود القتلى وبعض السائحين الذين تجلبهم الشركات السياحية الخاصة .. من أوربا وشتى الأرجاء .

وكان من الممكن أن تصبح طبرق أهم مركـز سياحي في شمال أفريقيا ، ولكن بكل أسف ، ازيلت جميع مخلفات الحرب ، وبيعت كلها بالمزاد كحديد خردة .. ولم يعد احد يهتم بالماضي أو يذكره .. حتى مكتبة طبرق العامة لا تحـوى كتابا ، أو صورة عن معركة طبرق أو حرب طبرق .. أو حصار طبرق ؟!

وكأن النـاس قد ملـوا العيش على الماضي ، فقرروا قلب الصفحة وهم يقولون : « فليذهب الماضي بخيره وشره ، وليـات لنـا المستقبل بما نريد .. » . ■■

سليم زبال



مسجد درنة الكبير ، الوحيد الذى يحوى مئذنة مرتفعة ، و ٤٤ قبة على سطحه .. بناه الشيخ الصالح محمد بن محمود باشا المنتسب الى الأسرة القره مانلية سنة ١١٠١ هجرية .



لا تحتوى مدارس طبرق على ثانوية للبنـات ، وفي ثانوية البنين تتلقى طالبتان تعليمهن التوجيهي الى جانب البنين .

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

لِماذا يُعارِض الجنرال دِيجول

● المعروف أن ديجول يعارض بشدة انضمام بريطانيا الى السوق الاوروبية المشتركة .. أرجو التكرم بشرح اهم اسباب هذه المعارضة ولكم الشكر ..

محمد على عثمان ـ السودان

■■■

ـ لا يخفى أن أسباب معارضة الجنرال ديجول لانضمام بريطانيا الى السوق الاوروبية المشتركة انما هى أسباب سياسية . ولا يخفى ايضا أن خمس سنوات طويلة انقضت على محاولة بريطانيا الأولى لدخول السوق ، سنة ١٩٦٣ فى عهد حكومة المستر ماكميلان المحافظة ، دون أن تلين معارضة الرئيس الفرنسي هذه أو تتغير أسبابها وبواعثها .

وتتضمن وجهة نظر ديجول ، فيما تتضمن ، اعتقاده بأن بريطانيا فقدت الكثير من فرديتها ، وتنكرت لكثير من أواصرها الحيوية مع أوربا ، نظرا لولائها للولايات المتحدة الامريكية ولسيرها فى ركابها . ولم تظهر بريطانيا هذه التبعية لأمريكا بصدد ما يجرى فى فيتنام فحسب ، وانما فيما يتصل بالحرب الباردة القائمة منذ زمن بين الشرق والغرب أيضا .

ولعل أبرز مثل على انحياز بريطانيا هذا هو أخذها بوجهات نظر أمريكا ، وبرغباتها وأهوائها ، فى مختلف المحافل الدولية ، ومن بينها حلف الاطلسي الذى لا ننسى أن فرنسا قد انسحبت منه .

لذلك كله كانت بريطانيا بحاجة ، فى رأى ديجول ، الى تأهيل نفسها التأهيل المناسب اذا هى صدقت النية ورغبت حقا فى العودة الى الحظيرة الاوروبية،والاندماج فى أسرتها ،والانضمام الى دول تلك الأسرة الست فى سوقها الاوروبية المشتركة . ومهما يكن من أمر فان الحكومة

مَنْ هِىَ مىّ زِيادَة ؟

● كثيرا ما نسمع ونقرأ عن الآنسة «مى زيادة» انها كاتبة مطبوعة وأديبة ذكية الفؤاد ومهذبة الفكر . فأرجو التكرم باعطائى فكرة عن أصلها ، واين نشأت ، وكيف تثقفت ، فلقد قرأت عنها أنها من أصل سورى . فهل هذا صحيح ؟

محمد منيب الحكيم ـ دمشق

■■■

ـ مى زيادة هو الاسم الأدبى والصحفى للأديبة مارى زيادة .. وهى أديبة لبنانية ، ولدت فى الناصرة بفلسطين عام ١٨٨٦ (قاموس الاعلام لخير الدين الزركلى) أو نحو عام ١٨٩٥ قاموس المنجد ثم انتقلت مع والديها عام ١٨٩٩ الى لبنان .. وظلت فى مدارس لبنان حتى انتقلت مع والدتها ووالدها الصحفى اللبنانى الياس زيادة الى مصر عام ١٩١١ حيث بقيت الى نهاية حياتها،وفى مصر نشرت كتابيها « ايزيس كوبيا » و « ازاهير حلم » .. ونشر انتاجها الأدبى فى صحف ومجلات المقتطف و « المحروسة » و « الزهور » .. وكانت « مى » تجيد الفرنسية والانجليزية والايطالية والالمانية الى جانب العربية .. وكان لها فى القاهرة صالون الثلاثاء الأدبى ، حيث يجتمع الأدباء والفنانون للمناقشة والحديث يوم الثلاثاء من كل اسبوع .. ومن قصيدة لاسماعيل باشا صبرى

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة؟

البريطانية ، كما قال الرئيس الفرنسي في أكثر من مناسبة ، أن تتخذ قرارها المصيري ، ان عاجلا أو آجلا ، فاما أن تمضي في اقتفاء أثر امريكا ، فتزداد الهوة بينها وبين أوروبا اتساعا ، واما ان ترجع الى اوروبا قلبا وقالبا ، حتى ولو أدى ذلك الى مجافاة امريكا .

الا أن وزير خارجية فرنسا بدا وكأنه يعزو معارضة بلاده الى أسباب وعوامل اقتصادية ، في الاجتماع الذي عقدته دول السوق في بروكسل في مطلع نوفمبر ١٩٦٧ . فقد اشترط المسيو كوف دي مورفيل لدخول بريطانيا السوق المشتركة شرطين : اولهما الحد من الدور الدولي الذي تلعبه عملتها الاسترلينية . والشرط الثاني هو خلاصها من ازمتها الاقتصادية قبل دخولها السوق، خشية أن تتزعزع اقتصاديات دول السوق وتتعرض الى مثل تلك الازمات .

وتجدر الاشارة هنا الى التخفيض الذي احدثته بريطانيا في قيمة الجنيه الاسترليني بنسبة ١٤٫٣٪ ، الى جانب التخفيضات الاخرى. فقد بدت هذه التخفيضات منسجمة والشروط الفرنسية التي ذكرنا ، وجاءت في أعقاب اجتماع السوق الذي أعلنت تلك الشروط فيه ، بحيث ذهب بعض المراقبين الى أن من شأن تلك التخفيضات أن تزيد من احتمالات موافقة فرنسا على انضمام بريطانيا الى السوق في مستقبل غير بعيد .

والحقيقة خلاف ذلك. فالتخفيضات البريطانية لم تحقق الشروط الاقتصادية الفرنسية واهمها خلاص بريطانيا من ازماتها . وحتى لو حققتها لما كان ذلك مجديا. اذان معارضة فرنسا الشديدة لعضوية بريطانيا في السوق المشتركة انما تعزى لأسباب ديجول السياسية التي جئنا على ذكرها في مستهل هذا الكلام ، والتي لا تزال قائمة .

ي. ز.



هذا « البيت » :

ان لم أُمتَّــع بميّ ناظريّ غــدا
أنكرت صـبحك يا يـوم الثلاثاء

وقد قام بينها وبين أدباء مصر ود كثير .. وقد ارتبطت بروابط عاطفية قامت بينها وبين جبران خليل جبران،ولكن جبران توفي عام ١٩٣٠ فاصيبت بعد موته بصدمة قوية ..

وكانت صدمتها الثانية بعد موت أبيها وأمها . فتغلبت عليها الوساوس حتى مرضت عام ١٩٣٦ وظلت تعالج من اضطراب عقلي .. تتعافى منه لتعاودها النكسة ثانية ، حتى انتقلت لرحمة ربها عام ١٩٤١ في مستشفى المعادي ودفنت في القاهرة.

(راجع كذلك المقال المنشور عن ادبها في العدد رقم ٢٤ من العربي) .

(س. ز)

العالم الجديد

هل كان جديداً حقاً ؟

وهل اكتشفه كولومبوس أول مكتشف ؟

● هل كان كريستوفر كولومبوس مكتشف القارة الامريكية الاول حقا أم ان احدا غيره وصل الى تلك القارة قبله ، كما تشير الى ذلك بعض كتب التاريخ ..؟!

ماجد طرابلسي ـ حلب

■ ■ ■

ـ لم يكن كريستوفر كولومبوس Christopher Columbus (١٤٤٠ ـ ١٥٠٦) ، مكتشف امريكا الاول ، ولم تكن كوبا وجزر البهاما التى وصلها سنة (١٤٩٢) جزءا من عالم جديد . ذلك أن القارة الامريكية كانت معروفة لاناس كثيرين قبل مولد كولومبوس بمئات السنين . فقد عرفها قبائل الفيكنج Vikings سكان اسكندنافيا الاصليين ، وقراصنة بحار الشمال ، وآلِفوا الابحارَ اليها ، بل استوطنوا بقاعا من شواطئها ، وأسموها فنلاند Vinland أو ارض الكروم ، وذلك فيما بين القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين .



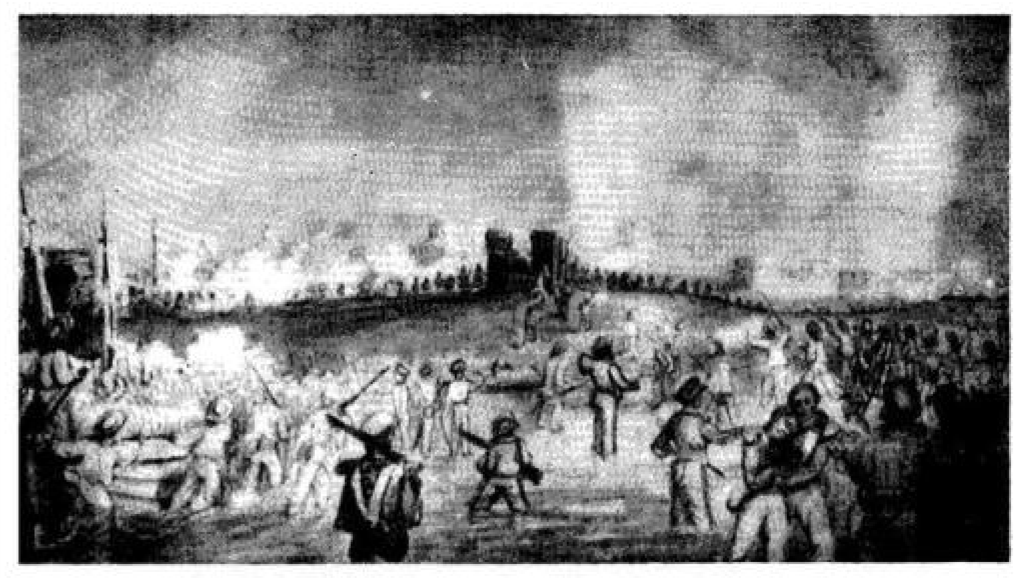
كولومبوس

ويعود الفضل فى ظهور هذه المعلومات لاول مرة الى جامعة ييل Yale الامريكية . الا ان الوثائق والخرائط التى نشرتها هذه الجامعة وفاجأت العالم بنشرها ، قبل نحو سنتين ، لم تقنع كافة المختصين . بل ان ضجة مدوية ثارت فى الغرب لدى ظهور تلك المعلومات . وأسهم فى اثارة تلك الضجة مؤرخون وجغرافيون وعلماء آثار مختلفون ، منهم الاسبان والايطاليون . وقد عمد بعض هؤلاء الى الطعن فيما نشرته جامعة (ييل) ومنهم الانجليز والامريكيون والاسكندنافيون ، وقد رجّح اكثر هؤلاء ما تضمنته الوثائق والخرائط التى نشرتها تلك الجامعة .

وبقى هذا الموضوع موضع جدل ونقاش بين الذين انتصروا لكريستوفر كولومبوس ، بوصفه مكتشف امريكا الاول ، وبين الذين انكروا عليه ذلك الفخر ، الى ان كشف الحفر الذى قام به اسكندنافيون فى جزيرة نيوفوندلند عن آثار عدد من المساكن التي شيدها وسكنها أولئك الفيكنج فى منطقة لانس أو ميدوز L'Anse aux Meadows على شواطىء تلك الجزيرة الكندية . ولعل تلك المساكن هى من آثار المستعمرة الاولى التى انشأها اوربيون فى القارة الامريكية . واثبتت الاختبارات كلها ، وخاصة ما يسميه علماء الآثار باختبار (الكربون رقم ١٤) على ان مساكن المستعمرة التى ذكرنا يعود تاريخ انشائها الى ما قبل كولومبوس بنحو ٥٠٠ سنة .

ولا ننس انه كان فى أمريكا ، قبل كريستوفر كولومبوس ، وقبل جامعة ييل وقبل الفيكنج ، بل منذ أقدم عصور التاريخ ، سكان .. هم الهنود الحمر ، وهم اناس كسائر الناس ، جاءوا من آسيا الى القارة الامريكية واستوطنوها .

ى . ز



يمثل هذا الرسم نزول الانجليز في عدن بعد أن قصفتها السفن الحربية

متى احتل الانجليز عدن ؟

● متى وكيف احتل الانجليز عدن ؟ وهل كانت مأهولة بالسكان في ذاك الوقت ؟ وكم عدد سكانها حاليا .. وما هي جنسياتهم ؟

سليمان يعقوب الدقم
الفجيرة

■ ■ ■

ـ احتلت بريطانيا منطقة عدن عام ١٨٣٩ بعد أن اتهمت سكانها بنهب حمولة سفينة كانت تحمل العلم البريطاني وغرقت بجوار عدن ، وكانت تحمل بضائع قيمتها ٢٠ ألف جنيه .. ورفض السلطان دفع أي تعويض ، فطالبته بريطانيا بالتخلي عن الحكم فرفض وفي ١٩ يناير ١٨٣٩ قصفت عدن بنيران حامية من السفن الحربية البريطانية ، ودافع الاهالي عن بلدهم ببسالة ، ولكنهم لم يصمدوا طويلا .. فاحتلتها بريطانيا وظلت تديرها عن طريق شركة الهند الشرقية (وكانت تحكم الهند) حتى عام ١٩٢٣ ثم حولتها اداريا الى حكومة الهند ، وهي بريطانية ، التي ظلت تحكمها حتى عام ١٩٣٧ وعندها انفصلت عدن عن حكم الهند لتصبح مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني، وفي عام ١٩٦٣ انضمت عدن الى اتحاد الجنوب العربي ، الذي انهار ولم يبق منه شيء ..

وهي الآن ضمن جمهورية جنوب اليمن الشعبية

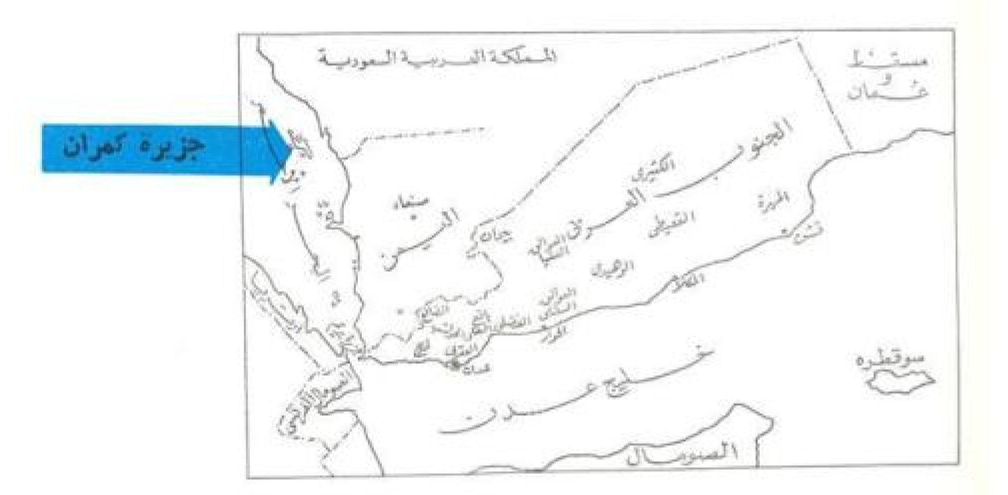
وكان عدد سكان عدن ١٢٩٧ نسمة وقت احتلالها في عام ١٨٣٩ . أما اليوم فقد وصلوا الى رقم ٢٥٠ ألف نسمة وهو رقم تقريبي ، اذ أن آخر احصاء اجرى هناك كان في عام ١٩٥٥ وكان مجموع السكان آنذاك ١٣٨٤١١ نسمة منهم ١٠٤٠٠٠ عربي منهم ٤٨١٠٠ عربي يمني و ١٥٩٠٠ هندي و ١٠٦٠٠ صومالي و ٤٥٠٠ أوروبي و ٨٠٠ يهودي و ٢٨٠٠ جنسيات أخرى .. وطبعا هذه الارقام تغيرت كثيرا اليوم ..

(س . ز)

جزيرة كمران .. هي جزيرة القمرين!

● علمنا أن جزيرة بريم تقع عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر وسط مياه باب المندب .. وما كدنا نتعرف على هذه الجزيرة التي كانت مجهولة لدينا ، حتى سمعنا باسم جزيرة أخرى ، هي جزيرة قمران، فهل يمكنكم تحديد مكانها، واعطاؤنا فكرة عنها ؟

أحمد كمال غنيم ــ الكويت



ــ جزيرة قمران تقع جنوب البحر الأحمر ، قرب ساحل اليمن عند مدينة صليف ، التي يستخرج منها الملح .. وتقرب مساحة قمران من ١٤ ميلا طولا و ٦ أميال عرضا (انظر الخريطة) .. وسميت باسم قمران ، لأن انعكاس ضوء القمر قرب مياهها يجعلك ترى القمر على هيئة قمرين ! .. وان كان اسمها يكتب « كمران » على الخرائط .. وعدد سكان الجزيرة ٢٠٠٠ نسمة يشربون من ٢٠٠ بئر تنتج ماء مالحا ، تقطره وحدة تقطير قديمة . وتشتهر الجزيرة بشعاب المرجان الموجودة بجوارها ، وأسماك القرش وأصداف البحر ، التي تتاجر بها ..

احتلها البرتغاليون في القرن السادس عشر ، وفيها قلعة قديمة من عهدهم .

وفي قمران اسس الاتراك محجرا صحيا ، يستطيع استقبال ٧٥٠ حاج ، من الحجاج القادمين من الجنوب الى جده .. وقد احتلت بريطانيا الجزيرة عام ١٩١٥ وفي عام ١٩٤٩ أصبح حاكم عدن هو حاكم قمران ، وله مندوب دائم في الجزيرة . وتحوى الجزيرة قبورا قديمة مشيدة بالاحجار البيضاء ، وبها كذلك مطار صغير ومسجد وسوق .. وبيوتها منظمة ومبنية من الحجارة ، وفيها مركز للتدريب على العلوم الصحية .

وفي الخريطة تجد موقع جزيرة بريم في بوغاز باب المندب .

(س. ز)

القلق

■ القلق النفسي من الد اعـــداء الانسان . وهو شعور يلازمنا ليل نهار ، كلما صادفتنا مشكلة ، وما أكثر مشاكل الحياة ومتاعبها ! وهذا شعور طبيعي لا يملك المرء ازاءه الا أن يترك العنـــان لتخيلات وتأملات لا تلبث ان تستغـــرق كل وقته وتفكيره .

فالأم تقلق على مستقبل ابنها عندما يرسب في الامتحان . والأب يقلق عندما يجد نفسه بلا عمل . والفتاة تقلق عندما يفوتها قطار الزواج . . والأسرة كلهـــا تعيش في قلق نفسي مرير اذا ألم بهـــا مكروه .

لماذا يضلون الطريق ؟

والتغلب على هذا الشعور بالقلق الذى ينتابنا من حين لآخر ، يحتاج الى جهد وصبر كبيرين . فالانسان بطبعه لا يرضى ابدا بما قسم الله له . لأنه يطلب دائما الافضل ويسعى دائما الى ما هو احسن . ولكنه كثيرا ما يضل الطريق الى هدفه. فالأم التى رسب ابنها في الامتحان ، تنعى حظها العاثر ، وترى في هذه المصيبة التى حلت بابنها نهاية الدنيا . والأب الذى فقد وظيفته يعذب نفسه ويقسو عليها ، ويعود الى بيته مكتئبا حزينا حاملا هموم الدنيا فوق رأسه . والابنة التى فاتها قطار الزواج تفقد ثقتها في نفسها ، وتهجر العالم ! وهكذا تعيش الأسرة كلها في قلق دائم لاينتهى، الا بانتهاء الاسباب التى أدت اليه .

الاستفادة من المصائب

ولو ان هذه الام اعطت ابنها فرصة أخرى ، ولو أن هذا الأب لم يعد الى بيته ، وانما ذهب يطرق الابواب بحثا عن وظيفة جديدة ، ولو أن هذه الابنة عرفت أن العالم مليء بالرجال ، وأن دورها وان تأخر ، فهو لا بد قادم . لو أن هذه الأسرة حاولت أن تستفيد من مصائبها ، وتحول الفشل الى نجاح ، لما حدث لها ما حدث . ولكن هذه هى طبيعة البشر . اننا نهتز لأى نبأ مؤلم ، ونرتجف امام أى احتمال بالسوء . ونقلق لأقل حدث يلم بنا في حياتنا . . ولولا هذا الشعور الذى يستبد بنا ويحتوينا ، لما كانت عيادات الأطبـــاء النفسانيين، ولما امتلأت الاسواق بالاقراص المهدئة للاعصاب .

عــلاج القلق النفسي

كيف نعالج هذا الشعور بالقلق النفسي في عالمنا المضطرب ؟ لقد ظل هذا الموضوع شغل العلماء الشاغل . ويرى بعضهم أن القلق النفسي نوعان . . القلق لأحداث وقعت بالفعل ، وهو ما اشرنا اليه ، ثم الخوف من أحداث تتوقع . وهذا الأخير لا يعدو أن يكون مجرد شعور بالقلق نتيجة للخوف من حدوث شيء لا يراه الا صاحبه.

ولنتحدث أولا عن علاج النوع الأول من القلق الذى يترتب على المشاكل التى تصادف المرء في حياته اليومية . ويرى علماء النفس أن المشكلة في حد ذاتها تبدأ صغيرة بسيطة ، ولكن الـذى يضخمها ويجعل منها مشكلة عويصة الحل ، هو التفكير المستمر في طريقة حلها ، والقلق الدائم للنتائج التى قد تترتب على دوام بقائها دون حل . ولو اننا نسيناها أو تناسيناها، ولو لفترة قصيرة من الوقت لوجدنا أن حلها ، أهون بكثير مما كنا نتصور . فليس في الدنيا عقدة تدوم .

ست قواعد أساسية

ومن أجل هذا ينصح العلماء باتباع القواعـد التالية ، كلما صادفتنا مشكلة في حياتنا .

أولا : قل لنفسك : « هذه مشكلة لا شك فيها، ولكنى لن أقلق لها فاجعل منها مشكلتين» . . وهذا العزم يسهل عليك اذا شغلت نفسك في عمـــل

جديد ، فليس كالأعمال ملهاة ، وليس لنمو الهم والغم كالفراغ .

ثانيا : لا تهتم بالتفاهات ، ولا تنس أن كثيرا من المشكلات ، ما هي في واقع الامر غير تفاهات ، فلا تسمح لامثالها بتعكير صفوك ..

ثالثا : كن دائما معتدلا في تصرفاتك وفي حكمك على الناس . فتمتع بذلك ما قد يثور بينك وبينهم من خصومات قد تتطور الى مشكلات .

رابعا : حاول أن تتعاون مع هؤلاء الذين يحيطون بك في عملك أو في بيتك .. فهناك اشخاص لا مفر من التعاون معهم ، كما أن هناك اعمالا لا مفر من أن تقوم بها .

خامسا : فكر مليا في أي مشكلة تصادفك ودونها على الورق واتركها ساعة ، ثم عد اليها واقرأها من جديد وذلك قبل أن تصدر حكمك عليها ، وهل هي حقا مشكلة أم مجرد مسألة بسيطة صادفتك ولم تلق هوى في نفسك .

سادسا : دع الماضي ولا تعد اليه ابدا . واترك الغد ولا تقلق له ، وركز دائما على حاضر يومك كما قال الشاعر الفيلسوف (عمر الخيام) :

لا تشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الاوان
واغنم من الحاضر لذاته
فليس من طبع الليالي الامان

القلق والخوف

وقد شمل الشاعر الفيلسوف في هذين البيتين ، القلق بنوعيه .. القلق لاحداث وقعت ، داعيا الى نسيانها ، والقلق الناتج عن الخوف من حدوث شيء غير ملموس ولا منظور .

وهذا النوع الثاني من القلق يصيب بعض الناس فتجد بينهم من يخاف على وظيفته ويقلق على مستقبله رغم انه رجل ناجح لا يتوقع له احد الفشل .

وهناك من يخاف من الاصابة بمرض قاتل كالسرطان مثلا ، رغم انه يتمتع بصحة طيبة ولا يشكو علة .

وهناك من يخاف من الموت ويتوقعه في كل لحظة من لحظات حياته .

وقد استغل الناس خوف الناس وقلقهم ، فقامت شركات التامين على الحياة . والتامين ضد الكوارث والمصائب « غير المنظورة » وحققت هذه الشركات وما زالت تحقق ارباحا طائلة .

ولا باس من التامين على الحياة من أجل ضمان مستقبل افضل لك ولأولادك ، ولكن يجب الا تكون بوليصة التامين سببا في اثارة القلق في نفسك على نفسك وعلى مستقبلك ..

القلق اذ يبدأ في الصبا

وهذا الشعور الأخير بالقلق تلعب فيه النشأة في البيت دورا كبيرا . وهو يبدأ في سن الطفولة ويكبر مع صاحبه .. فاذا عاش الطفل حياة سعيدة في بيت سعيد نشأ واثقا من نفسه معتدا بشخصيته . شجاعا لا يعرف القلق الى نفسه طريقا . أما اذا تخلل حياته الاضطراب والقلق والخوف ، كبر وقد تملكت هذه الصفات منه وأصبح مترددا خائفا مضطربا في كل تصرفاته ..

نصائح مبذولة

وينصح علماء النفس أمثال هؤلاء باتباع عدة قواعد للتخلص من هذا الشعور الذى كثيرا ما يؤثر على شخصية المرء وعلى علاقته بالناس ونظرته للحياة وقد يؤدى به في النهاية الى عزلة ابدية

ماذا يفعل مثل هذا الانسان الخائف القلق :

أولا : حاول أن تختلي بنفسك بضع لحظات في صباح كل يوم .. انظر حولك وتامل ما في الحياة من جمال . ارقب الشمس وهي تشرق . وابتسم مع كل اشراقة لفجر جديد .

ثانيا : لا تخف من الحياة ، ولا تهرب من السعادة .. وحاول أن تحب الناس .. كل الناس ..واعلم تماما أنهم على استعداد دائما لأن يحبوا من يحبهم ويرتابوا فيمن يرتاب منهم ..

ثالثا : اعتن بنفسك وهندامك ، وحاول أن تكون دائما مرحا في أحاديثك وتصرفاتك .. فالمرح يثير اعجاب الناس بشخصيتك .

رابعا : حاول أن تتعلم كل يوم شيئا جديدا .. اقرا كتابا ، وركز اهتمامك بما يحويه من معلومات جديدة عليك . فالقراءة تفتح عقلك المغلق ، وتنير لك طرقا جديدة في الحياة ، غير تلك التى انسدت واظلمت في عينيك ، فالحياة ليس بها طريق واحد ولا طريقان ، ولكن الف طريق .

عش ليومك اذن لأنك لن تعرف أبدا ما يخبئه لك القدر في الغد ، استقبل عامك الجديد بقلب ملؤه التفاؤل والحب .. قلب يحب الحياة ويعيش لينعم بما فيها من جمال . ■■

(م ٠ ن)



النوبة



(انظر صفحة ٢)

■ بلاد النوبة تقوم فوق ارض شاسعة يخترقها نهر النيل ، وتقع على ضفتيه من جنوب وادى حلفا في السودان حتى شمال اسوان في الجمهورية العربية المتحدة ، وهي تمتد شرقا حتى تلامس شواطىء البحر الاحمر ، وغربا حتى مشارف الصحراء الغربية . واذن فهي منطقة مصرية سودانية .

وقد قامت في هذه البلاد حضارة قديمة ، يرجع تاريخها الى ما قبل ظهور الفراعنة في مصر بقرون طويلة . وعاش أهلها منذ تلك الحقبة البعيدة من الزمن بعيدين عن كل مظاهر الحياة .

وقد دلت الآثار التي وجدت في أرض النوبة على أن منشأ الحياة فيها يعود الى العصر الحجرى ثم أصبحت النوبة مهدا لحضارة قدماء المصريين بعد أن احتلها الملك امينمحعت الاول ، أول ملوك الاسرة الثانية عشرة . واصبحت مقرا للحكومات المتعاقبة في مصر الفرعونية . فكان الفراعنة يشيدون المدن والمعابد من الاحجار الرملية التي تكثر في صحراء النوبة . فبنى رمسيس الثاني معبدى أبى سنبل ، وحرص امينحتب الثالث وحتشبسوت وتحتمس واحمس وغيرهم على أن يبنى هناك كل واحد منهم معبدا خاصا به .

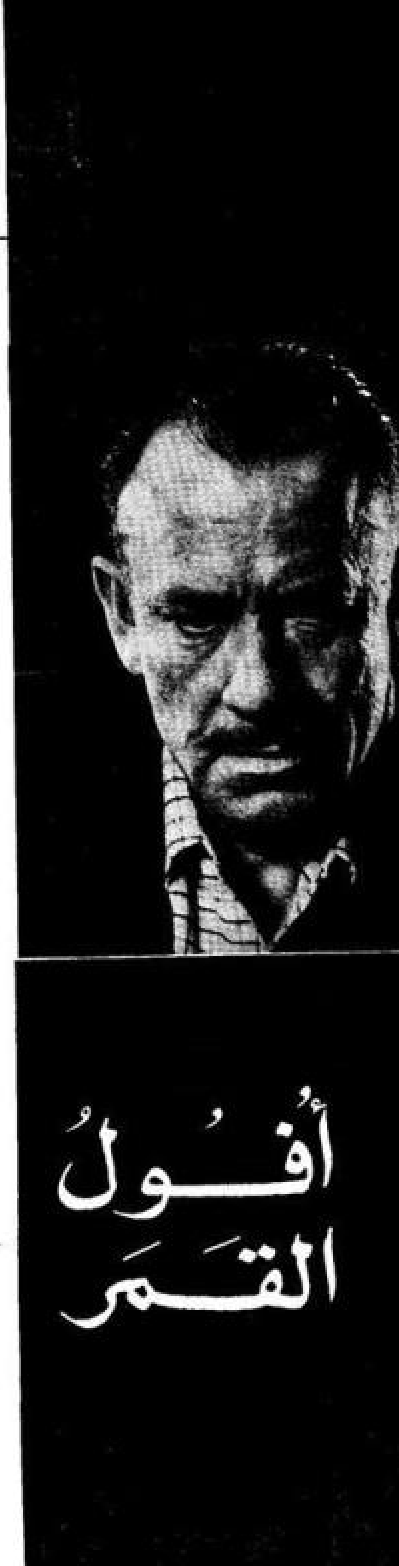
وبلاد النوبة أرض صحراوية باستثناء تلك السلخة الضيقة التي يجرى وسطها نهر النيل . وحياة أهلها حياة هادئة تكاد تسير على وتيرة واحدة كل اشهر السنة .. وهي تختلف من مكان الى آخر تبعا لبعده أو قربه من مجرى نهر النيل .. فالقريبون من الوادى يعيشون على الزراعة .. اما الذين ينتشرون في بطن الصحراء فيعتمدون على الرعى وعلى مياه الامطار التي تتراوح كميتها بين اثنى عشر وأربعين سنتيمترا في العام .

وترعى الاغنام والماشية الاعشاب التي تنمو خلال موسم المطر ، ويعيش اصحابها على لحمها ولبنها .. حتى اذا جاء الشتاء استبد الجوع بالاغنام ، فيحمل الاهالي خيامهم ويتجهون باغنامهم ومواشيهم جنوبا ليلتقوا بمياه الامطار ثم لايلبثوا أن يعودوا معها مرة اخرى الى الشمال سعيا وراء المرعى .

اما لغتهم فهي النوبية .. أو « البربرية » وهو اسم يطلقه اهل السودان على اهل النوبة ، وليس لهذا الاسم علاقة « بالبربر » الذين هم سكان شمال افريقيا ، ولا بالبربر الذين نزحوا من شمال أوربا الى جنوبها في القرون الميلادية الاولى وعاثوا في الدولة الرومانية . ولا يحمل هذا الاسم في النوبة معنى كريها أو حميدا وما يحب . وهم يتحدثون لغتهم هذه بلهجتين مختلفتين ، ويستخدمون الحروف القبطية في كتاباتهم : فقد كانوا قديما يدينون بالمسيحية ويتبعون الكنيسة القبطية بالاسكندرية ، ثم اعتنقوا الاسلام .

حياة عصيبة تلك التي يعيشها اهالي النوبة . زادتها صعوبة العزلة التي فرضتها عليهم الطبيعة فقد ارتفعت في مياه النيل الهادئة عند بلادهم ستة شلالات اصبحت عائقا في وجه الملاحة . فقطعت ما بينهم وبين مناطق النيل الاخرى ، فتعذر الوصول الى اهلها والاختلاط بهم .

وبالرغم من هذا ، كانت هذه المنطقة دون سواها مهدا لاول حضارة لقدماء المصريين قبل أن تنتقل الى الشمال فتنتشر في دلتا وادى النيل كما ذكرنا .. وهي اليوم مهد لاضخم عمل يشهده أهلها .. ذلك السد العالى الذى تحكم في مياه النيل وحول مجرى النهر لاول مرة في تاريخه الطويل . ■■



بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ هذه مسرحية كان كاتبها قد وضعها ليومنا، وحاضرنا هذا : فهى تصور حال بلد مسالم احتله الغزاة ، ولكن يستحيل الشعب الأعزل ــ بعد زوال هول المفاجاة ، وتحت الضغط ــ الى نار تحرق المحتلين ، ويصبح الشعب المترف الخانع بركانا متفجرا ، مدمرا .

هذه هي فكرة المسرحية .

وقد ادركت فرقة المسرح الاردنى هذا المعنى النبيل في المسرحية ، وملاءمتها لظروفنا ، فقامت بتقديمها على مسرح الجامعة الاردنية ، وأهدتها الى اخواننا المناضلين الصابرين في الضفة الغربية، ثم انتقلت الفرقة لعرضها في دمشق ، وبغداد ، فلقيت فيهما مثل ما لقيته من نجاح في عمان .

★ ★ ★

فى السابع والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٠٢ وببلدة ساليناس بكليفورنيا ، ولد جون شتاينبك ، مؤلف المسرحية ، من أبوين هما مزيج من الدم الألماني والايرلندى . وعندما بدأ يعى ما حوله كان أول ما استرعى نظره القصص الكثيرة التى كانت تحتفظ بها والدته التى كانت تعمل معلمة. وكان ثاني ما استبد باهتمامه مراقبته للحياة التى يمور بها وادى ساليناس الخصيب ، ويعج بها خليج مونتيرى الذى يصب فيه هذا الوادى . وفي هذه المنطقة كانت تلتقى صنوف متباينة من البشر، مختلفة الجنسيات : من طليان ،واسبان، وايرلنديين ، ويونان ، وصينيين ، ويابانيين .. يعملون في صيد السردين ، والزراعة ، والنقل البحرى ، ويكثر بينهم المشردون ، والمتسكعون ، واللصوص ، والقتلة .

وكبر شتاينبك ، واحترف الكتابة ، ليكون هذا المجتمع الذى عايشه ، هو الذى يعود اليه بين الحين والحين ، ليستمد منه موضوعات قصصه ومسرحياته .

ولم يتلق شتاينبك ، في طفولته وصباه ، تعليما

منتظما في المدارس الابتدائية والثانوية في موطنه، لانه كثيرا ما كان يترك المدرسة ليعمل في الحقول، او في مصنع السكر ، او في ورش البناء ، وفي سنة ١٩١٩ التحق بجامعة ستانفورد ، لا ليواصل دراسة جامعية منتظمة تنتهي به الى نيل الشهادة الجامعية . بل ليحضر ما يروق له من المحاضرات، ثم يقضي الأوقات متنقلا من عمل الى عمل . وفي سنة ١٩٢٥ ترك شتاينبك الجامعة دون أن يحصل على شهادتها .

وكانت تبدو عليه منذ السن المبكرة ثورة على المفاهيم الشائعة في موطنه ، ومما يذكر انه رافق ، يوم أحد ، رفيقا له الى الكنيسة . وعندما بدأ الواعظ يلقى موعظته ، أخذ يعبر عن ضيقه ، وتبرمه ، بما كان يقال ، ثم اخذ يجهر باعتراضاته من مقعده ، مما جعل صديقه محرجا ، حتى اضطر هذا الصديق الى ان ياخذ بذراعه ليخرجا. ومع هذا أصر على ان يصيح ، قبل خروجه : « انا لا أرى فائدة في مواعظك .. تابع كلامك .. انما أنت ماجور عليه » .

وبعد أن ترك شتاينبك جامعة ستانفورد قرر ان يحترف الكتابة ، وكان وهو في الجامعة ، قد نشر بعض القصص والقصائد . وكان الرحيل الى نيويورك يستهويه ، واليها شد الرحال ، ليجد الصد والاهمال . وقد سجل كل هذا في قطعة أدبية ممتعة قص فيها ظروف حياته التعسة في المدينة الضخمة: فقد عمل بناء في عمارة ، ومخبرا صحفيا ، وكاتبا قصصيا فاشلا .

واخيرا قرر العودة الى كليفورنيا ، ولكنه لم يكن يملك اجرة السفر ، فعمل أجيرا في مركب متجه الى وطنه عن طريق قناة بنما ، مقابل طعامه واجرة سفره . وقد تركت هذه التجربة آثارا عميقة في نفسه لم يستطع نسيانها حتى بعد أن اشتهر ، واستقر في نيويورك . وفي وطنه عاد الى ممارسة الأعمال التي كان يمارسها عادة : فعمل حارسا لبرك لتربية الاسماك ولعقار قائم فوق بحيرة تاهو، ولكنه طرد منه لأنه تسبب باهماله في سقوط شجرة ضخمة حطمت سقف البيت الريفي .

وفي سنة ١٩٢٩ استطاع أن يجد ناشرا لقصته « الكاس الذهبية » ، وهي سيرة هنري مورغان، راعي البقر المشهور . وفي سنة ١٩٣٢ ظهرت له مجموعة أقاصيص بعنوان « مروج السماء »وقصة « الى اله مجهول » . لكن شتاينبك لم يعرف ، ويشتهر ، الا سنة ١٩٣٥ بعد ظهور قصة « تورتيلا فلات » . وتوالى ظهور انتاجه ، فصدرت له سنة ١٩٣٩ رائعته الخالدة « عناقيد الغضب » . وأخذ يشق طريقه الى السينما والمسرح ، وبدأ المال ينهمر عليه . وفي سنة ١٩٦٢ منح جائزة نوبل للاداب ، وكان قبله قد نالها من الكتاب الأمريكان ، همنغواي ، وذلك سنة ١٩٥٤ .

وقد تزوج شتاينبك ثلاث مرات ، كانت آخرها سنة ١٩٥٠ .

ولعل شتاينبك أكثر كاتب معاصر أهمله النقاد، ولم تعترف بموهبته الا قلة منهم . وقد ظهرت أول دراسة عنه سنة ١٩٣٩ بقلم هاري تورنتون مود ومنذ سنة ١٩٤٤ بدأت تظهر عنه دراسات متفرقة ، ولكن جلها لم يكن في جانبه . وأوفى دراسة عنه وضعها بيتر ليسكا بعنوان « عالم شتاينبك الرحيب » وهو مترجم الى العربية .

وشتاينبك ، في رأيي ، يقف موقفا وسطا : فلا هو محلق مثل همنغواي ، ولا هو مسف اسفاف الكتاب الفاشلين . وأكبر مغمز في حياته تأرجحه بين الايديولوجيات .

وشتاينبك ، في قصصه ومسرحياته ، لا يقحم نفسه بين القارىء والشخصيات ، ولكنه يجعلنا نحس بكل شيء من خلال أقوال الشخصيات وأفعالها . وهو أصدق ما يكون ابداعا عندما يصف الصعاليك والأفاقين ، واللصوص ، والسكارى ، والشواذ ، وهي نماذج من البشر عاش معها طويلا في موطنه ، وهو في هذا معنى بمشكلة واحدة هي : علاقة الفرد بالمجتمع .

ومسرحية « أفول القمر » كتبها مؤلفها تحية وتشجيعا لحركات المقاومة في الأقطار الاوروبية التي احتلها النازيون في الحرب العالمية الثانية . وهو لا يذكر لنا اسم البلاد التي وقعت فيها هذه الاحداث ، ولا اسم الغزاة ، ولكنا ندرك من الأسماء والاحداث أنها بلاد النرويج في الحرب العالمية الثانية ، وقد احتلتها قوات النازى . ومن أبرز الأحداث التي تدلنا على هذا أن الغزاة احتلوا بلاد النرويج بمساعدة مواطن بارز هو كويزلنج الذى كان في فترة من الزمن وزير دفاع النرويج ، وقد أعدم بعد خروج النازيين سنة

١٩٤٥ . وهو في هذه المسرحية السيد كوريل وقد دخل اسمه في اللغة الانجليزية،فاصبحت كلمة Quisling تعنى « الخائن لوطنه » وذا الوجهين .

ويخيل لى ان المؤلف قد قصد عامدا الى اغفال ذكر اسم المكان في مسرحيته،ليجعل الموضوع عالميا، ولتكون تحية لكل شعب يكافح الغزاة الـذين يحتلون ارضه .

وقد وقف النقاد من هـذه المسرحية مواقف متناقضة ، ودارت حولها معارك أدبية ساهم الجمهور فيها ايضا . ولكن نقد الكارهـين لم يستطع ان يقلل من شعبيتها ، فقد ترجمت الى كثير من اللغات ، منها اللغة العربية (ترجمة منير البعلبكى ، نشر دار العلم للملايين ببيروت)، ولقيت رواجا كبيرا في أوساط حركات المقاومة في جميع الأقطار الاوروبية،واعجب بها ملك النرويج، ومن أجلها انعم على شتاينبك بوسام تكريما له . وليس أدل على اثرها العميق من انها اصبحت عنوانا لاحدى الأغاني الشعبية ، هي اغنيـة « صخور دوفر البيضاء » . ويقول احد الذين عاشوا احداث الاحتلال النازى للنرويج : « لو لم اكن اعرف أن شتاينبك لم يكن في النرويج عندما احتلت ، لخيل الى انه يتحدث عن أشخاص عرفتهم فيها خلال هذه الفترة الحالكة » .

وتكشف هذه المسرحية عن أن التخنث،والتردى الخلقى ، واعتياد الأمان ، كانت من الأسباب التى ادت الى وقوع الشعب والبلاد فريسة في أيدى الغـزاة ، وهم غزاة يتصفون بالقوة الناجمة عن التنظيم والاستعداد ولكن هذا الشعب لم يلبث ان اخذ ينظم نفسه ، ويبدأ بمقاومة المحتلين ، واذا به شعب جديد ، حتى ان رئيس البلدية ، وممثل الشعب ، الذى يبدو لنا في أول المسرحية تافها ، مشغولا بتشذيب شعره ، وأناقة هندامه ، استعدادا لاستقبال الغزاة في بيته ، يستحيل فيما بعد الى بطل الابطال ، بحيث يستقبل الموت ، في خاتمة المسرحية ، غير هياب ولا وجل، وهو يردد كلمات سقراط التى القاها امام قضاته الذين حكموا عليه بالموت .

واذا كان من العيوب البارزة لهذه المسرحية ان الافكار فيها لا تنتج من نفسها ، ولا تنمو نموا طبيعيا من الأحداث ، وانما تقدم تقديما . فان فيها من الحسنات ما يحملنا نتجاوز عن هـذا العيب الخطير : فهى تبرز بوضوح معنى كريما ، هو ان الغزاة قد يكسبون المعركة ، ولكن الأحرار هم الذين يربحون الحرب . وفي المسرحية مشاهد مؤثرة، كما سنرى،وهى مشاهد كافية لتخليدها.

تبدأ المسرحية برئيس البلدية ، وهو يتزين استعدادا لاستقبال الغزاة الفاتحين في بيته ، ولكن هذا لايروق لصديقه طبيب البلدة ، الدكتور ونتر ، الذى يبدو وكأنه الوحيـد الذى يدرك أسباب الهزيمة منذ البداية ، فيقول :

ـ نحن شعب رائع جدا !! ان بلادنا تسقط في يد الغزاة ، وبلدتنا يحتلها العدو ، ومع هذا فان زوجة الرئيس تأخذ بخناقه مصرة على انتزاع الشعر من اذنيـه ، ليبـدو أنيقا عند مقابلة الفاتحين !!

ويحضر ضباط الجيش الغازى الى بيت رئيس البلدية ، ويتكشف لنا أن من أسـباب الهزيمة الساحقة أن أحـد رجالات البلدة المرموقـين ، هو السيد كوريل ، كان عينا للأعداء على وطنه ، وهو الذى زودهم بكل المعلومات حتى بعدد بنادق الصيد الموجودة في بيت الرئيس .

ويكشـف الكولونيل لانسر ، قـائد الفرقة المحتلة ، للرئيس عن أن غايتهم الأولى من احتلال بلدتهم هى الحصول على الفحم الحجرى :

ـ انت تعـرف ، يا سيدى الرئيس ، أن هذه اشبه بصـفقة تجارية .. نحن بحاجة الى منجم الفحـم الحجرى الذى عـندكم .. ولسوف نحاول أن نتعاون معكم بأقل احتكاك ممكن ... يجب أن يستخرج الفحم الحجرى من الأرض ، وأن يشحن . ان عندنا الأخصائيين ، وعلى افراد الشعب ان يستمروا في استخراج الفحم مـن المنجم . هل هذا واضح ؟ نحن لا نريد أن نكون قساة .

ـ أجل ، هذا واضح . ولكن لنفرض أن أفراد الشعب رفضوا العمل في المنجم ؟

ـ ارجو الا يرفضوا ، لانه يجب أن نفوز بالفحم الحجرى بأى ثمن .

ـ واذا رفضوا ؟

ـ يجب الا يرفضوا!! انهم شعب محب للنظام، ولا يرغبون أن تعم الفتنة والاضطراب .

اليس هذا صحيحا ، يا سيدى ؟

ـ لست أدرى ، يا سيدى ! انهم يحبون النظام في ظل حكومتهم هم ، ولكنى لا اعلم كيف سيكون سلوكهم في ظل حكومتكم انتم .

ـ ستظل انت في منصبك وستصدر الاوامر ، وتعاقب ، وتثيب ، وبهذه الطريقة لن يحاول الناس احداث قلاقل واضطرابات .

ـ تذكر ، يا سيدى ، اننى لست سوى واحد من الشعب ، ولا أستطيع أن أفرض نفسي عليه . ان بعض الشعوب تتقبل الزعماء المفروضين عليهم، وتخضع لهم ، ولكن شعبى انتخبنى ، وهو الذى رفعنى الى هذه المرتبة، وفي استطاعته ان ينزلنى.

ـ انك تسدى الى مواطنيك خدمة اذا جعلتهم يحافظون على النظام .

ـ خدمة ؟ اية خدمة ؟

ـ اجل خدمة . ان من واجبك ان تصونهم من الأذى ، ولسوف يحيق بهم الخطر اذا نزعوا الى الثورة .. يجب أن تحملهم على الاستمرار في العمل ، وبذلك تكفل لهم السلامة والعافية .

ـ ولكن لنفرض أنهم أبوا أن ينعموا بالسلامة والعافية ؟

ـ عندئذ عليك أن تفكر بالنيابة عنهم .

ـ ان شعبى لا يحب ان يفكر الاخرون له . انه مختلف عن شعبكم !

ـ الشعب دائما ، وما قيمة هذا الشعب ؟! انه مجرد من سلاحه ، وليس له كلمة !

ـ أنت لا تعرف شعبنا ، يا سيدى !!

ويتخذ الكولونيل وأركان حربه الخمسة مقر قيادتهم في الدور العلوى من بيت رئيس البلدية. وفي محاولة من الكولونيل لاغراء الشعب بالتعاون معهم ، يحاول التخلص من السيد كوريل ،عميلهم الذى كان عونا لهم على احتلال وطنه ، فيغريه بترك البلدة لأن الشعب يكرهه ، وقد يناله أذى ، ولكن كوريل يرفض ذلك :

ـ اننى أستطيع ان احتمل كراهيتهم ،ياسيدى!

ـ ولكنك لن تكسب احترامنا نحن !

ـ ان ما بذلته من نشاط يستحق ، يا سيدى، مكافأة أفضل من الاقصاء .

ـ أجل ، انه يستحق. ولكن يخيل الى انك غدوت الآن ، بالنسبة لنا ، عاملا مضرا .. أقول لك بصراحة ، يا مستر كوريل ، انه لم تعد لك قيمة هنا .

ـ هؤلاء شعب ساذج ، مسالم ، أنا اعرفهم..

ـ انهم ليسوا شعبا مسالما ، الا تستطيع ان تفهم ذلك ؟ لقد غزونا البلاد ، وانت مهدت لنا السبيل بخيانتك .. الا تستطيع ان تفهم اننا في حرب مع هؤلاء الناس ؟

ـ لقد هزمناهم ، يا سيدى .

ـ الهزيمة شيء مؤقت !! الهزيمة لا تدوم !! الهزيمة لا تعنى شيئا !! الا تستطيع أن تفهم حتى هذا ؟!

وتلوح بوادر الثورة،وكان أول ما فعله الشعب المقاطعة السلبية للغزاة : فهم لا يريدون ان يعملوا في المنجم . ولما امر احد الضباط مواطنا اسمه الكسندر موردن بالعمل ، رفض . ولما حاول أن يقسره على ذلك هجم عليه بمعوله ، وقتله . وقرر الكولونيل عقد محكمة صورية في بيت رئيس البلدية لمحاكمة موردن ، بحضور الرئيس ، وسرى نبأ ذلك في البلدة .

وقبل أن يمثل المتهم امام المحكمة ، اكد الكولونيل للرئيس انه مصمم على اخضاع الشعب، واستخدامه في استخراج الفحم ، فقال له الرئيس :

ـ ان هذه المهمة هى أكثر المهام استحالة في العالم ، وهى الشيء الوحيد الذى لا سبيل الى تحقيقه .

ـ عم تتحدث ، يا سيدى الرئيس ؟

ـ عن أكثر المهام استحالة ، اعنى تحطيم روح الانسان الى الأبد !!

★ ★ ★

ويمثل الكسندر موردن امام المحكمة العسكرية ويحاول الكولونيل انتزاع كلمة اعتذار منه على ما فعل :

ـ هل انت آسف ، يا موردن ، على ما فعلت ؟

ـ آسف ؟ لقد امرنى ان اذهب الى العمل ، وانا رجل حر لا اؤمر !

ــ ولكن ، اذا كان الحكم يقضي باعدامك ، أفلا تعلن أسفك عندئذ ؟

ــ لا . تعني هل أقوم بهذا العمل من جديد ؟

ــ ذلك ما أعنيه .

ــ لا . لست أظن أني آسف .

ونهض رئيس البلدية ، وتقدم منه ، وطبع على جبينه قبلة الوداع ، وقال له :

ــ الكس ، هؤلاء الرجال غزاة . لقد احتلوا بلادنا بالمفاجأة والخيانة ، والقوة ، حين جاءوا ارتبك الناس ، وارتبكت أنا . ولم نعرف ما يجب أن نعمل ، ثم كان عملك أنت أول عمل واضح صريح . كان غضبك الشخصي بدء غضب جماعي. اذهب ، يا الكس ، وأنت عالم أن هؤلاء الرجال لن ينعموا بالراحة . لا راحة لهم على الاطلاق حتى يذهبوا ، أو يموتوا . سوف توحد الشعب بموتك . يا الكس !

★ ★ ★

وكان في اعدام موردن بعث الشعب حقا ، فقد وطن أهل البلاد المفتوحة أنفسهم على الانتقام البطيء الصامت ، المرتقب . وأخذ الموت يرفرف بجناحيه في الجو ، منتظرا لحظة الانقضاض . وبدأت الاصطدامات بين أهل البلاد والغزاة ، وشدد الغزاة قبضتهم، ورموا الناس بالنار ،ولكن ذلك كله لم يضعف تصميم الشعب على المقاومة ، بل غذى حقده الصامت المتجهم . وهكذا غدا المحتل يحس بأنه مطوق ، وأنه لم ينعم بالراحة يوما ، ما دام في هذه البلدة .

وأخذ الشعب يفتش عن مصدر للاسلحة ، لأن الكفاح بالارواح والاجساد لا يكفى لطرد الغزاة . واتجهت أنظار المواطنين الى اخوانهم في الخارج ، وأرسلوا من أجل ذلك رسلهم متسللين تحت جنح الظلام . وأخذت المتفجرات ، والأسلحة ، ترد اليهم ، وبدأ الشعب صراعا مسلحا مع المحتلين .

ويضيق الكولونيل ذرعا بهذه الحال ، فينذر رئيس البلدية بأنه سيعدمه اذا لم تتوقف الثورة، ظنا منه أنه باعدامه يستطيع أن يرهب الشعب :

ــ انهم يظنون ، لمجرد أن لديهم رأسا واحدا، أننا كلنا كذلك .. ولكننا شعب حر ! ان عندنا من الرؤوس بقدر ما عندنا من الناس ، وفي وقت الحاجة ، ينبع الزعماء بيننا كما ينبع نبات الفطر.

ويحكم على رئيس البلدية بالاعدام ، فيتقدم الشيخ المتهدم الى الموت بجنان ثابت ، وهو يردد كلمات سقراط ، بعد أن حكم عليه قضاته بالموت:

ــ ان بعضهم سيقول : الست خجلا ، ياسقراط، من سلوكك في الحياة مسلكا ينتهى بك الى الموت ؟ وجوابى على هذا هو : أنت مخطىء . ان ما يجب أن يفكر فيه الرجل الصالح ليس امكانية الحياة أو الموت . بل هل عمل خيرا أم شرا .. والآن أتنبأ لكم ، يا قتلتى ، بأنكم بعد رحيلى سوف تلقون ، من غير ريب ، عقوبة أكبر من تلك العقوبة التى أنزلتموها بى ..

وتنتهى المسرحية بانتصار الشعب الصغير بتصميمه ، واستعداده للفداء . ■■

محمود السمره

من الكتب التى وصلتنا

التعريف بشكسبير

تأليف : عباس محمود العقاد / الناشر : دار المعارف بمصر

● كتاب يلقى الضوء على العصر الذى عاش فيه شكسبير ، والاوضاع التى تسود بريطانيا ق تلك الايام ، كما القى الضوء على الجوانب المتعددة لهذا النابغة فوضح اخلاقه وتحدث عن فنه ، وقدرته الخارقة على خلق الشخصيات القوية ، وفى نهاية الكتاب تعريف بالتراث العالمى وتحديد للصفات التى تجعل من شكسبير شاعرا عالميا .

ارباب الارض

من روائع جبران خليل جبران ، نقلها الى العربية وقدم لها الدكتور ثروت عكاشة / الناشر دار المعارف مصر

● محاورة شعرية فلسفية بين قوى ثلاثة ، سمت في خيال الشاعر الى منزلة الارباب قوة وقدرة ، وهذه الارباب الثلاثة صور ثلاث لميول ثلاثة كامنة فى طبيعة الانسان .

فالرب الاول عبوس ينشد العدم ومرارة اليأس عندما يقتحم الانسان نفسه . والرب الثانى عملاق طموح يسخر من الرب الاول . اما الرب الثالث فمتحمس يؤمن بالحب وحده سلطانا ، وانه الحقيقة الجوهرية للوجود .

مدخل الى علم الاخلاق

تأليف : ولتر ليمان / ترجمة انعام المفتى /الناشر المكتبة العصرية / صيدا ــ بيروت

● كتاب يعالج شئون الحياة الحديثة محاولا ابراز معنى جديد لرغبات الانسان فى بحثه الشاق عن السعادة ورغبته فى ابتكار مقاييس يقيس بها سعيه الى المال والسلطة ووجوه النشاط الاخرى.

معجم المصطلحات الاثرية

وضعه : يحيى الشهابى / الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● معجم اثرى مرتب حسب الحروف الهجائية باللغة العربية واللغة الفرنسية ، وقد زين المعجم بمجموعة كبيرة من الرسومات التوضيحية .

الدخل والعمالة والنمو الاقتصادى

تأليف : والاس بيترسون / ترجمة / برهان دجانى مراجعة : عصام عاشور / الناشر : المكتبة العصرية صيدا / بيروت

● كتاب يقدم المبادىء والمفهومات الاساسية فى علم الاقتصادالحديث ، وقد قام المؤلف بتزويد الطالب بتفسير دقيق واضح واف للمفهومات والنظريات الاساسية المتعلقة بتحليل الدخل والعماله .

دراسات فلسطينية

بعثت الينا منظمة التحرير الفلسطينية الكتب التالية من سلسلة دراسات فلسطينية:

● ١ ــ عوامل تكوين اسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية / تاليف : انجلينا الحلو

٢ ــ اخطار التقدم العلمى فى اسرائيل ــ تاليف : يوسف مروه

٣ ــ اسرائيل قبل العدوان ــ تاليف :رفيق حبيب مطلق

٤ ــ البترول العربي سلاح فى المعركة/تاليف : الشيخ عبد الله الطريقى

ما بعد البعد

شعر : عباس محمود العقاد / جمع واعداد عامر العقاد / الناشر : دار المعارف بمصر

● ديوان شعرى يحوى مجموعة من القصائد الطويلة والقصيرة تمثل نفحات العقل ونفحات القلب وتهنئات وتحيات . وهذه القصائد تتناول مداعبات بين العقاد وبين اصدقائه المقربين ، اما القسم الاخير من الكتاب فيضم مقالات العقاد فى رثاء بعض المشهورين من رجال السياسة والفن والادب .

البحوث والمحاضرات

الناشر : مطبعة المجمع العلمى العراقى

● مجموعة بحوث ومحاضرات القيت فى الدورة الثانية والثلاثين للمجمع العلمى العراقى فى بغداد وهذه البحوث والمحاضرات للفيف من الاساتذة المختصين تعالج جوانب عديدة من جوانب اللغة وتراثنا العربى القديم .

محيط العلوم

الناشر : دار المعارف بمصر

● كتاب يتضمن مجموعة من الدراسات والبحوث المستفيضة مما يعنى المثقف معرفته من علوم الكون ، وعلوم الارض ، وعلوم الحياة وعن الانسان فيما يتصل بحياته وصحته وغذائه ومرضه ودوائه ، وقد حرر ابحاث هذا الكتاب لفيف من الاساتذة المتخصصين فى مجالات شتى من المعرفة الانسانية .

(البقية على صفحة ١٧٢)

عيسى..

بقلم : خالد العدساني

■ عيسى تلألأ في ترديدهـا كلمي   وفاض بالطيب من تحبيرها قلمـي
وآيـة الله ألقاهـــا على مـلأ   من البرايـا فهزت سـائر الأمم
عمـت بشائرهـا الدنيا وما برحت   تحيي الوجـود وترسي طاهر القيم

* * *

ياذا العظـيم وما في القول منطلـق   مجد الرسالات فوق النطق والـكلم
أتيـت بالحكمـة الفضـلى ميسَّرة   نعم الحكيـم ونعم الصرح من حكم
طاف الدعـاة بدعوى الحق مرسلة   خلف البحار وعبر السهل والقمـم
يستعذبون دروب الهـول في دأبٍ   مَن ينشـد الخلد للأهوال يبتسـم
حتى أطل على الأكـوان بارقـه   هَدْيُ المسيح وحتى فاض بالنِّعم
ودانت الأرض تهفـو نحو منقذها   وخرَّ صرعى عبيـد الشرك والصنم
وطأطأت رأسها روما على خجـل   أم الطغاة ، وكانت قبل في صَمَـم
وسلّمت لرسول الله راضيـــةً   راياتُهـا وتعـالى حمدها بفـم

* * *

عيسى تبرأتَ من قوم لك انتسبوا   بالاسم ، نِسبتهم للشر والأثـم
تسابقوا في ضمار الحرب وانتهجوا   سياسة الجوْر والعـدوان والحُمَم

تروى سريرتُهم أسرارهم فهمـــو		للظـــن أدنى وللتشكيك والتهـــم

* * *

والقـــدس مهدك ماذا دبروا وأتَوْا		فيه من الويـــل والتقتيـــل والنقم
قـــد سلطوا في بلاد الله شرذمـــة		يدنّسون رِحـــاب الحِـــلّ والحرم

* * *

ما للســـلام تباهوا يُرجفـــون بـــه		هل أدركوا الحق أم فاءوا إلى ندم ؟
أيُسلَب الوطـــن الغـــالى برُمّتـــه		وينشدون ســـلاماً راسخ القدم ؟
للسالبين صنوف العـــون مُغدَقَـــةً		وللسليب أسى الحرمـــان والألـــم
قبل السلام تحرّوا العدل في وطـــن		بنوه من ظلمكم في غير ملتـــأم

* * *

نفسى فداء بنى غسان ما ذُكِـــروا		هم الحماة لديـــن الله ، والذمـــم
السائرون على هدْى الهُدَى ولهـــم		من المســـيح مروآت ومـــن شيَم
بنى العمـــومة ديـــن الله يجمعنـــا		عدا الوشائج من فُصحى ومن رَحِم

* * *

عيسى : محمد والقـــران حدّثنـــا		عما بلغـــت من الاعجـــاز والفَهَم
أحييت بالعدل ناسا لا حيـــاة لهـــم		كانت حياتهم صنفا من العـــدم
وابصر النفـــر الأعمـــى طريقهـــم		فزال عنهم حجـــاب الظلم والظلم
وجاءك الرجـــل المُضنَى تعالجـــه		بلمسة منك فيهـــا الـــبرء من سقم
أتممت هديك حيـــا راضيا ومضى		دُعاتك الصيّد في بذل العطا بـــدم
وجُدت بالنفس تفدى كل ذى وَهَنٍ		(والجود بالنفس أقصى غايةالكرم)

■■

خالد العدسانى
سفير الكويت فى روما

من أخطاء القضاء:



ضحية مرض القاضي

بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ بقى القاضي هولمز رئيسا للمحكمة العليا الامريكية حتى بلغ الرابعة والتسعين . وفي مدى ستين عاما تبودلت بينه وبين الفقيه الانجليزى سير فريدريك بولوك مراسلات تدل على انهما احتفظا بصفاء ذهنيهما لآخر لحظة من حياتهما . وفي احدى رسائل هولمز الى بولوك يقول هولمز « أشعر انه قد جاء الوقت لاعتزال كرسي القضاء . فاني بينما كنت انصت لمرافعة طويلة لأحد المحامين أغفيت لحظة » . وفعلا اعتزل القضاء .

ولو أن سير جيمس ستيفين الذى كان من أعلم القضاة الانجليز في زمانه أدرك نقطة الضعف فيه واعتزل القضاء بعد الذبحة التى أصيب بها لما صدر الحكم بادانة السيدة مايبرك التى سنعرض قضيتها و لماأصبحت قضيتها واحدة من أخطاء القضاء .

وضحية هذه القضية فتاة أمريكية اسمها فلورنس اليزابيث شاندلر تعيش آمنة مطمئنة مدللة ــ فقد كانت وحيدة أبيها وهو صاحب مصرف بمدينة موبيل بولاية الاباما لا تأبه بمصاعب الحياة ولا تعرف ما يخبئه لها القدر .

وفي عام ١٨٨١ وفد الى قريتها سمسار أقطان انجليزى ــ من مدينة ليفربول ــ اسمه مايبرك يكبرها باربع وعشرين عاما ، فهو في الثانية والاربعين ، وهى بعد في السادسة عشرة . وتودد اليها . والرجال في هذه السن يعرفون كيف يسرقون قلوب العذارى ــ فالعذارى يغرهن الثناء ، على حد قول الشاعر ــ فاحبته وتزوجته واقامت معه في مدينة ليفربول بانجلترا . وأنجبت له غلاما وفتاة .

وانقضت ثماني سنوات فاذا هى في الرابعة والعشرين . في عنفوان انوثتها ، واذا زوجها في الخمسين ، قد بدأت آثار السنين تحفر خطوطها على جبينه ، خصوصا وقد ظهر لها انه قد اعتاد ــ من قبل الزواج وبعده ــ تناول العقاقير السامة ــ كالاستركنين والزرنيخ ــ بقصد تقوية جسمانيا وتحريك شهيته الجنسية . وكان اصدقاؤه يعرفون عنه تلك العادة السيئة ، وكثيرا ما نصحوه بالاقلاع عنها ولكنه لم يكن يقبل النصح .

وكان لا بد مما ليس منه بد . ووقع المحظور .

ففى يوم ٢١ مارس ١٨٨٩ احتجزت مسز مايبرك ــ كما أصبح اسمها ــ غرفة مزدوجة باحدى فنادق لندن تحت اسم السيد والسيدة توماس ــ واسم زوجها الحقيقى جيمز لا توماس ــ وأمضت في تلك الغرفة مع الشخص الذى خلعت عليه ذلك الاسم ثلاث ليال ثم تركت الفندق وبقيت بلندن بمفردها أربع ليال أخرى لدى اسرة من أصدقائها وعادت الى منزل الزوجية في ليفربول وكأن شيئا لم يكن .

ولكن بيرلى عشيقها لحق بها في ليفربول وقابلها ــ مع زوجها ــ في حلبة السباق . ومع أن الزوج لم يخامره أى شك ، فانه استاء من طريقة حديثها مع العشيق . فلما عادا الى منزلهما احتد بينهما النقاش لدرجة أن الزوج اعتدى عليها بالضرب فصممت على ترك منزل الزوجية وبدأت تلم عزالها ، ولكن بعض الاصدقاء توسطوا حرصا على مصلحة الأبناء فاقنعوها بالبقاء . وتم الصلح بين الزوجين لدرجة أن الزوج سدد ديونا كانت زوجته قد اقترضتها بدون علمه .

وسافر مايبرك الى لندن وعرض نفسه على طبيب أخيه مايكل الخاص ــ فقد كان قلقا يخشى أن يصاب بالشلل ، ولكنه لم يذكر للطبيب اعتياده تناول السموم . ووصف له الطبيب دواء كلف بتركيبه صيدلية في لندن وأخرى في ليفربول .

كان مرض مايبرك في بادىء الأمر وهميا ولكنه



.. ولكن بيرلي عشيقها لحق بها في ليفربول وقابلها — مع زوجها — في حلبة السباق. ومع أن الزوج لم يخامره أي شك ، فانه استاء من طريقة حديثها مع العشيق .

تحول الى مرض جدى في يوم ٢٧ ابريل اذ أحس بمغص شديد وقيء ، ونسب مايبرك هذه الاعراض الى أن الدواء الذى وصفه له الطبيب اللندنى يحتوى على نسبة كبيرة من الزرنيخ . ولكنه مع ذلك قصد حلبة السباق وفيها اشتد تعبه وتصبب العرق من جميع مسام جسمه . وبرغم ذلك تناول عشاءه مع بعض الأصدقاء بيد ترتعش حتى ان كاس النبيذ افلت من يده ولوث غطاء المائدة .

وآوى الى فراشه وقد ازدادت وطأة المرض عليه ، فسقته زوجته كاس ماء ممزوج بالخردل لتخلصه من آثار افراطه في الشراب في الليلة السابقة . ولما عاده طبيب الأسرة شكا له من الام في صدره وقلبه وقال انه يخشى أن يصاب بالشلل.

وكانت الزوجة قد أفضت الى الطبيب بأن زوجها اعتاد تناول مسحوق أبيض تعتقد أنه استركنين ولذلك نسب الطبيب الأعراض الى أن الدواء يحتوى على استركنين .

كذلك كتبت الزوجة لميكائيل — اخي زوجها — تبلغه انها عثرت على مسحوق ابيض يتعاطاه زوجها في الخفاء ، فلما حدثه أخوه في ذلك أنكر بشدة وزعم أن من أبلغه بذلك كاذب .

وظهر تحسن ملحوظ على صحة الزوج حتى أن زوجته حضرت حفلة تنكرية مع أخيه رقصا فيها الى ما بعد منتصف الليل . وهى الحفلة التى بسببها اشترت الزوجة الاوراق القاتلة للذباب والتى قيل في القضية — فيما بعد — انها استخرجت

منها الزرنيخ الذى سممت به زوجها ـ كما سيأتى شرحه .

واعدت الزوجة لزوجها طعاما من العدس لياخذه معه الى مكتبه ، وتردد خلال ثلاثة ايام على مكتبه برغم احساسه بالاجهاد . وكان ينسب ذلك الى ان شراب الكريز الممزوج به الطعام من نوع غير جيد . ثم احس بشدة المرض في منتصف الليلة الثالثة وبالام شديدة في ساقيه ، ودوخة أثناء حمام ساخن وبعده ، فاستدعت له زوجته طبيب الأسرة الذى أرجع الحالة الى ضعف الكبد ،بينما قالت الزوجة لوصيفتها ان الأطباء يتمحكون في الكبد كلما عجزوا عن تشخيص المرض .

وفي يوم ٧ مايو بناء على الحاح الزوجة استدعى طبيب آخر شخص الحالة بانها عسر هضم شديد يرجع الى وجود مادة مهيجة في المعدة . فارسلت الزوجة تلغرافا الى لندن تستدعى ممرضة خاصة للعناية بزوجها .

وفي هذا اليوم بالذات بدات الشكوك تحوط بتصرفات الزوجة . وكان سببها ان وصيفة الزوجة افضت الى صديقتين من أصدقاء الأسرة بان الزوجة سبق لها أن اشترت أوراقا قاتلة للذباب وان الوصيفة رأتها تنقع تلك الأوراق في الماء . وارسلت احدى الصديقتين تلغرافا تدعو مايكل مايبرك للحضور فورا وافضت بشكوكها لأخيه الثانى المقيم بليفربول .

وقوى الشك في تصرفات الزوجة ـ انها في غفلتها عما يدور حولها ـ سلمت للوصيفة خطابا معنونا الى صديقها بيرلى ، ولكن الوصيفة سلمت الخطاب لاخي الزوج . وكان الخطاب ردا من الزوجة على خطاب وصلها من صديقها يفضي اليها بمخاوفه من ان يكون الزوج يحاول ـ عن طريق الاعلان بالصحف ـ اكتشاف ما دار بينهما ـ وانه معتزم مغادرة البلاد . وكتبت هى تطمئنه بأن الزوج لا يعلم شيئا وانه مريض في حالة النزع الأخير ، وقد يئس الاطباء من شفائه والأمر متوقف على قوة احتماله . وتطلب منه أن لا يغادر البلاد قبل ان تراه ولو مرة واحدة .

ووضعت مسز مايبرك ـ دون أن تشعر ـ تحت رقابة شديدة من جميع من في المنزل وأخذوا يحصون عليها حركاتها وسكناتها . وحلل الأطباء زجاجة البراندى وزجاجات الأدوية وبول المريض وبرازه بحثا عن الزرنيخ فوجدت جميع التحليلات سلبية وليس بها اى أثر لأى نوع من أنواع السموم .. ومع ذلك نبه أخو المريض على الممرضة أن تشرف بنفسها على كل طعام أو شراب يتناوله المريض . وواظب الأطباء على تحليل الأطعمة والشراب وعثروا ذات مرة على نصف حبة من الزرنيخ في عصير اللحم الذى يقدم للمريض .

وذات مرة ضبط ميكائيل مايبرك الزوجة تنقل دواء من زجاجة صغيرة الى زجاجة كبيرة فنهرها وسألها لماذا فعلت ذلك فقالت حتى يمكن رج الدواء في الزجاجة . وحللت محتويات الزجاجتين فلم يعثر فيها على اى أثر لسم . ومع ذلك نقل الخبر الى المريض بما يحمل اتهام زوجته . فلما ذهبت اليه في غرفته وحاولت اقناعه بتناول الدواء الذى كانت الممرضة تقدمه له وهو ممتنع قال لزوجته « انك تريدننى ان اخذ الدواء الخطا مرة ثانية !؟» . فقالت الزوجة في دلال «ما اشد سذاجتك ! انك لم تأخذ دواء خطأ أبدا » ، ولكنه قال لها « عزيزتى : لم فعلت ذلك ؟ انني لم اكن أتصور ذلك منك » . قالها ورددها ثلاث مرات .. ولكنها قالت له « أيها العجوز الابله . لا تشغل بالك بمثل هذه الخزعبلات » .

وساءت حالة الزوج . واحاط افراد الأسرة بسريره . وأصيبت الزوجة باغماءة ألزمتها الفراش . وقضي الزوج نحبه وهى لا تشعر .. وجمع الأهل كل ما عثروا عليه مما اعتقدوه أدلة ادانة ضد الزوجة : زجاجات أدوية ، وأطعمة ، و كاسا به بقية لبن ، وقطعة قماش مبللة ، وحللت جميعها وجاءت النتيجة سلبية .

ثم عثر على كمية كبيرة من الزرنيخ في صندوق مكتوب عليه « زرنيخ للتخلص من القطط » . ولم يتوصل التحقيق لمعرفة من الذى أحضره . وهى كمية كانت تكفى لقتل خمسين رجلا .

واجريت الصفة التشريحية وانتهى الأطباء الى أن الوفاة نتيجة التهاب بالمعدة سببه مواد سامة .

وأخطر البوليس الزوجة أنه قد صدر أمر باعتقالها بتهمة وضع السم لزوجها . ولم تدر الزوجة المسكينة كيف تتصرف وهى وحيدة ، ولا مال لديها . فافضت بحيرتها الى احدى صديقاتها ـ وهى لا تدرى أنها من اللاتى يقفن لها بالمرصاد .

فاشارت عليها الصديقة بأن تكتب لصديقها بيرلي تطلب منه المعونة . ولم تكذب الزوجة الخبر وكتبت خطابا سلمته لمن ظنتها صديقتها . ولكن هذه الأخيرة بدلا من أن ترسله سلمته للبوليس .

ومع انها ذكرت في الخطاب واقسمت امام الله انها بريئة من التهمة الا ان هذا الخطاب لعب دورا كبيرا في رجحان كفة الادانة في تلخيص القاضي للدعوى امام المحلفين .

وقضايا القتل ـ في انجلترا ـ تعرض على درجتين . اثبات الوفاة ليقرر المحلفون ان كانت طبيعية أو نتيجة جريمة ، ففي الحالة الأولى ينتهي التحقيق ، وفي الحالة الثانية تقدم لمحكمة الجنايات . وفي المرحلة الاولى سمعت اقوال المرضات والخدم والصيادلة الذين اشترت منهم الزوجة أوراق قتل الذباب . واحتفظت الزوجة بدفاعها ـ بناء على نصيحة محاميها ـ لحين المحاكمة الجنائية .

وكانت هذه أولى الغلطات . فقد كانت تستطيع أن تثبت أنها انما اشترت أوراق الذباب بطريقة ظاهرة ومن صيادلة يعرفونها وبينها وبينهم حساب وانهم سلموها المشتريات في المنزل ، وأنها استخرجت الزرنيخ منها لعمل دهان للوجه ، وأنها لم تكن بحاجةلشراءهذه الاوراق ـ لو كانت تريدها لعمل اجرامي ـ مع وجود تلك الكمية منالزرنيخ التى تكفى لقتل خمسين رجلا .

ووجدت الصحافة المحلية في هذه الجريمة مادة دسمة تشبع بها نهم قرائها للاخبار المثيرة ، وهكذا جندت الصحافة المحلية الرأى العام في القرية ضد زوجة أجنبية ـ من أصل امريكى ـ لم تكتف بخيانة زوجها وتلطيخ شرفه ـ بل قتلته بالسم . حتى ان نساء القرية كنّ يتجمعن في طريق المتهمة يصرخن في وجهها ويطالبن باعدامها .

وفكر كثيرون انمن مصلحة العدالة نقل المحاكمة من ليفربول الى لندن . وكانت مسز مايبرك نفسها من هذا الرأى ، ولكن المحامين الذينتولوا الدفاع عنها ـ وعلى رأسهم عملاق المحاماة في ذلك الوقت سير شارلز رسل ـ لم يروا ضرورة لذلك.

وهكذا جرت المحاكمة في جو مشبع بالتحامل على المتهمة . وامام محلفين لم تتخذ معهمالاجراءات الواجبة من عزلهم عن بقية الجمهور ، فقد اعدت لهم غرفة في احدى الفنادق . وكانوا يجتمعون في صحن الفندق بكل من هب ودب ويكونون رأيهم لا من أقوال الشهود بالجلسة ولكن مما كانوا يسمعونه من حولهم وما يقرأونه في الصحف .

وكان أسوأ ما في الأمر مرض القاضي الذىجعله يتحامل على المتهمة لعلاقتها ببرلى ويتخذ من تلك العلاقة باعثا على القتل . ولا يعلق اية أهمية في تلخيصه على اختلاف الأطباء في سبب الوفاة وفي كمية الزرنيخ القاتلة . وامتلأ تلخيصه بأخطاء في الوقائع والتواريخونسبةاقوالالشهود لقائليها.

★ ★ ★

واستغرقت مرافعة سير شارل رسل ـ المحامي العملاق ـ ثلاثة أيام . ناقش خلالها واقعتين قال ان الاتهام لم يصل الى اثباتهما . الأولى ان مايبرك مات مسموما . والثانية انه حتى بفرض انه مات مسموما فان الاتهام لم يثبت أن زوجته هى التى سممته . والمتهمة وديعة بين أيديكم لا يجوز لكم ادانتها الا اذا تأكدتم بما لا يدع مجالا لأدنى شك ان زوجها مات مسموما وأنها هى التى ناولته السم .. انني لا أطلب لها رأفة وانما أطلب لها عدلا .

وتداول المحلفون ثلاثة ارباع الساعة ثم أصدروا قرارا بالادانة .

ووجه كاتب الجلسة للمتهمة السؤال التقليدى

يا فلورنس اليزابيث مايبرك . لقد ثبتت عليك تهمة القتل العمد فهل لديك ما تقولينه لمنع المحكمة من اصدار حكمها عليك .

وقالت المتهمة . لقد أدنت في هذه التهمة . وانا اقرر انه فيما عدا علاقتى بمستر بيرلى ، فانني لم أرتكب جريمة القتل .

ووضع القاضي القلنسوة على رأسه وقال : أيتها المتهمة لم يعد في مقدورى أن أعتبرك بريئة من التهمة الفظيعة المنسوبة اليك . لقد قرر المحلفون ادانتك بعد تحقيق دقيق طويل ودفاع جدير من كل النواحي في قضيتك . والقانون لا يسمح لى باى تصرف ولم يعد لى الا أن أصدر حكم القانون . وحكم القانون أن تؤخذى من هنا الى المكان الذى جئت منه ومنه الى مكان تنفيذ العقوبة حيث تشنقين من رقبتك حتى الموت . وأن تدفن جثتك في داخل السجن الذى سيجرى فيه تنفيذ الحكم . وليرحمك الله !!

والرأى العام سريع في الحكم على الأمور بغير

علم . سريع التقلب ايضا . وقد نقلته المحاكمة من النقيض الى النقيض. ولم يتقبل الحكم بالرضاء. وقابل القاضي وهو يغادر المحكمة بمظاهرة عدائية.

كذلكقابلتالصحف الحكم بالدهشةوالاستغراب وقالت الصحيفة الوقور التايمز ــ بجلالة قدرهاـ انه لا فائدة من انكار أن الجمهور لم يقتنع بادانة المتهمة ، فقد لاحظ الجمهور اختلاف الأطباء في سبب الوفاة . وانهالت على وزير الداخليةعرائض تحمل توقيعاتنصف مليون شخص من بينهم زملاء الفقيد ببورصة ليفربول وكثيرون من أطباء المدينة، واستمرت التايمز تنشر خطـــابات مراسليهـا المعترضين على الحكم . وعقدت عدة اجتماعات بمدينتى لندن وليفربول للتوقيع على العـرائض وكان من بين الموقعين أعضاء في مجلس العمـــوم ووجهت الالتماسات الى الملكة مباشرة .

واجتمع وزير الداخلية بالقاضي وممثلى الاتهام والنائب العام ودرسوا القضية في عدة جلسات ثم صدر قرار وزير الداخلية بابدال عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد ..

وقالت التايمز ان هذا القرار مهدىء للاعصاب ولكن الشك في صحة الحكم لا يزال قائما .

وكان الزوج قد أمن على حياته بمبلغ الفى جنيه لصالح زوجته . وطلب المحامى من شركة التأمين أن تدفع المبلغ .. وكان يأمل أن تمتنع الشركة فيقاضيها فتكون فرصة لاثبات بـراءة موكلته . ولكن شركة التأمين لم تمانع في دفـع قيمة التأمين وهكذا ضاعت تلك الفرصة .

وفي عام ١٨٩٢ تغير وزير الداخلية فتجـددت المساعى لصالح المتهمة . وكتب محاميها التماسا مسببا الى وزير الداخلية . ووصلت صورة من الالتماس الى سفير أمريكا بلندن فأحالها بدوره الى وزير خارجية الولايات المتحدة ، ورد وزير الخارجية على السفير بأن المتهمة فقدت بزواجها الجنسية الامريكية ولذلك فهو لا يستطيع التدخل بصفة رسمية ، وطلب الى السفير ان يبذل جهده بصفة خاصة لصالح فتاة أمريكية صغيرة السن اندفعت وراء جنون الامريكيات للزواج من أجانب، وهى الآن وحيدة في بلد أجنبى لا تجد من يأخـذ بيدها من نتائج حكم ظالم (كذا) .

وأرسل وزير خارجية أمريكا عرائض تحمـــل توقيعه وتوقيع نائب رئيس الجمهورية وكبيـر الأساقفة وثلاثة آلاف أمريكى . ولكن المســتر اسكويث وزير الداخلية الجديد أصر على موقفه ولم يقبل اجراء أى تحقيق .

ومضت ثلاث سنواتأخرى . ثم توالت عرائض جديدة مصدق علىالتوقيعات فيها،حلف موقعوها اليمين امام الموثقين . وكان مما لفت النظر فيها عريضة من شخص يدعى بليك اكد فيها انه اخترع مادة تحل محل القطن ، وجرت بينه وبين القتيل مفاوضات لترويجها ، وانه علم من القتيل انه في حاجة لكمية من الزرنيخ لاعتياده على تعاطيه ، وانه أمده فعلا بكمية كبيرة من الزرنيخ .

وذهب مع ذلك جميع تلك الجهود سـدى . فقرار الحلفين يحظى بقدسية ــ أو في حكـم المستحيل ــ اهداره .

وبقى هذا الحكم يقض مضجع محامى المحكوم عليها سير شارلز رسل . فلما أصبح في عـام ١٨٥٩ كبير القضاة كتب الى وزير الداخلية يقول له « ان الأساس الذى أقيم عليه الحكم كان منهارا اذ لم تكن هناك في الواقع جريمة قتل . فقـد مات مايبرك موتة طبيعية .. ولو طلب منى الرأى بوصفى كبيرا للقضــــاة لنصحت باخلاء سبيلها فورا » ..

ولكن وزير الداخلية نحى هذا الطلب جانبا ولم يأخذ بهذا الرأى .

ومضت ثلاث سنوات أخرى . وأعاد كبيـر القضاة الكتابة من جديد واوضح انها امضت في السجن فترة طويلة لجريمة لم ترتكبها . ولكن قرار المحلفين ظل منتصرا .

وامضت الضحية المسكينة خمسة عشر عامـا في السجن ثم أفرج عنها في يناير ١٩٠٤ لحسـن سلوكها فأسرعت بمغادرة انجلترا التى لم تلق فيها الا اجحافا وظلما وعادت الى وطنها . والفت كتابا بعنوان : « سنواتى الخمس عشرة الضائعة » . شرحت فيه ما عانته من عذاب واكدت فيه براءتها.

وكانت قضيتها ــ بعد ثلاثة أرباع القرن مـن محاكمتها ــ احدى القضايا التى ارتكن عليهـا معارضو حكم الاعدام في انجلترا في طلب الغـاء هذه العقوبة . ■■

حسن الجداوى

اِضْحَكْ

تضحك الدنيا معك

ابكِ تبكِ وحدك

مؤدب جدا !

قال الولد لأبيه بعد أن ظهرت نتيجة الامتحان :

« لقد كان ترتيبي الثاني يا ابي ، اما المرتبة الأولى فقد كانت لفتاة جميلة من زميلاتي ! » .

الوالد : « وكيف ذكرت لأمك انك اول الناجحين ؟ » .

الابن : هذا صحيح ، ولكنك علمتني ان افسح الطريق دائما للنساء وخاصة للجميلات ، اليس كذلك !

ماذا يريد الجمهور ؟

● **المنتج للممثلين :** « لقد انفقت ألوف الجنيهات على هذه المسرحية لكى اعطى الجمهور ما يريده ، وبالرغم من هذا فقد فشلت » .

احد الممثلين : « وهل تستطيع ان تقول لنا ماذا يريد الجمهور ؟ » .

المنتج : « بكل تأكيد .. فهم يريدون ان يستعيدوا ثمن التذاكر ! » .

قال هذا حامض" ..

● احداهن لصديقة لها من بعد أن وَرِثَت فأثرت : ولكن ، أما كان الأجدر بك الا تَتَحَلّى بكل هذه الجواهر الثمينة فتفسحى المجال لثرثرة الحُسّاد فى هذه الحفلة الجامعة ؟!

المراة الثرية : فذلك تماما ما كنتُ أقوله دائما قبل ان أثرى وامتلك هذه الجواهر ! ..

أين العلة ؟

● الطبيب للمريض الذى يشكو علة في قدمه : « يجب أن تتخلى عن تناول الأطعمة الدسمة والحلوى والفواكه واللحوم لفترة من الوقت ! » .

المريض : « أشكو ألما في قدمي يا دكتور ، وليس في معدتى ! » .

الطبيب : « هذا صحيح ، ولكن امتناعك عن تناول هذه الاطعمة ، سيوفر مالك ، وبذلك تستطيع ان توفع لى نفقات العلاج بالكامل ! » .



بقية المنشور على صفحة ١٦٣.

الرسالات الكبرى

تأليف : سنية قراعة / الناشر : مكتب الصحافة الدولى للصحافة والنشر / القاهرة

● جولة فكرية واسعة مع الرسالات الكبرى التى نزلت على البشر منذ غابر الاماد منذ عهد آدم عليه السلام الى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ، والكتاب يستعرض التوحيد والحدانية عند عديد من الانبياء والرسل والمصلحين وعند فلاسفة اليونان والهند والصين واليابان . اما القسم الثانى من الكتاب ، فيعرض للكتب السماوية التى نزلت على الانبياء وقيمة هذه الكتب ، ثم دراسة خاصة عن القرآن الكريم .

حكايات من بلدنا

تأليف الدكتور شاكر خصباك / الناشر : المكتبة المصرية للطباعة والنشر / صيدا / بيروت

● مجموعة قصص قصيرة .

لوكوربوزييه

تأليف : الدكتور عرفان سامى / الناشر : دار المعارف بمصر

● يسرد هذا الكتاب تاريخ حياة لوكوربوزييه احد اعلام الهندسة المعمارية ونظرياته فى العمارة والفن والجمال ومدى انتشار نظرياته ومقترحاته وتصميماته المعمارية فى انحاء العالم التى كانت سببا فى تغييرات جذرية فى مفاهيم العمارة والتصميم .

شهرزاد في خيام اللاجئين

تأليف : عبد الجبار عبد الحسين خضر
الناشر : مطبعة آل البيت ـ كربلاء / العراق

● قصيدة شعرية قصصية مطولة تحكى نكبة فلسطين والاحداث التى تلتها وقصة تشريد مليون عربى وظهور مشكلة اللاجئين .

شرح شواهد المغني

تأليف : الامام جلال الدين السيوطى
الناشر : دار النهضة العربية ـ سوريا

● كتاب يقع في جزئين كبيرين جمع فيه السيوطى ما يحتاج اليه دارسو العربية من مسائل نحوية وارشادات ادبية ، وقد جعل كتاب مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى المحور في هذه الدراسة حيث يورد السيوطى الشاهد ويشرحه ويرده الى قائله ويورد شيئا من شعره واقوال العلماء فيه ولذلك يعتبر هذا الكتاب موسوعة ادبية للدارس والمحقق والباحث .

مدريد العربية

تأليف : الدكتور محمد على مكى / الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر /القاهرة

● دراسة عن مدينة « مجريط » الاسم العربى لمدينة مدريد الاسبانية ، والسمات الاسلامية العربية التى تتميز بها هذه المدينة وتحليل لاسم « مجريط » والمصادر التى تناولتها بالبحث ، ثم دراسة عن جغرافية هذه المدينة وما شهدته مدينة مجريط من ثورات ومواقف طوال تاريخها .

الظامئون

تأليف عبد الرزاق المطلبى/الناشر : دار الجمهورية بغداد

● قصة واقعية طويلة تصور حياة اهل الريف، ومشاكلهم الكثيرة .

شعرى

تأليف : محمود ابو الوفا / الناشر : دار المعارف بمصر

● ديوان شعرى يحوى مجموعة من القصائد المختلفة في جميع فنون الشعر من فلسفة ووطنية ومرثيات وقوميات وغزليات . ■■

فهرس

العربي

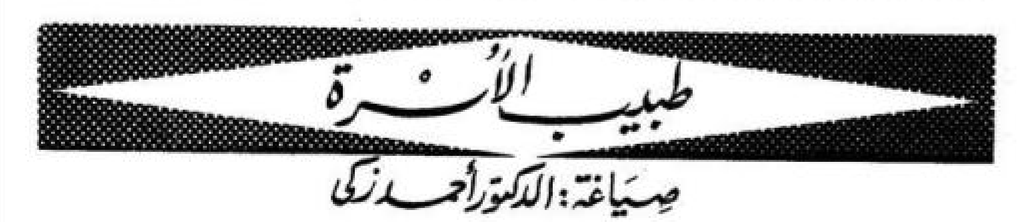
عن سنة



مِنَ العَدَد ٩٨ إلى العَـدَد ١٠٩

حديث الشهر

بقلم: الدكتور احمد زكى



طبيب الأسرة

صياغة: الدكتور أحمد زكى

الموضوع	الرقم/السنة	العدد	الصفحة
انى الد الاولاد والبنات ٨ ارطال وعشرة / اذن ولدى مخروقة / اسرة تحب البيض / هل استاصل الشامة / ابنتى تكثر من اكل الملح / حساسية الاسنان / الاشعة السينية وتكرارها / الجوارب المطاطة .	٣/٦٧	١٠٠	١٢٩
اليد والكف وعم يكشفان / سقط فى الطريق لا حراك به فهل مات / ابنى سمين فما العلاج / الاسبرين هل ابلعه ام اجرشه.	٤/٦٧	١٠١	١٠١
اظافرى تتشقق / قلبى يفوت ضربة / صورة جسم فيها مواضع اعراض لامراض / تشكو رائحة فمها / فى اى سن يتعلم الطفل السباحة	٥/٦٧	١٠٢	٨٤
الحمل اثناء الرضاعة / حملة الامراض المعدية / السباحة والغطس فى الماء/ قطتنا تاكل من اطباق اطفالنا / رقم قياسي فى التوائم	٦/٦٧	١٠٣	٥٠
فى طلب عقار يخفف الاوجاع / كم مرة ازور طبيب الاسنان / اللحم غير المطبوخ جيدا / طفلى يضربنى / الجزار وساطوره / جسمى حرارته منخفضة	٧/٦٧	١٠٤	٩٢
التهاب الاعصاب / سرعة جريان الدم / اصابة البرد / ولداى التوأمان فى المدرسة / اسنان تعيش ستين	٨/٦٧	١٠٥	١١٠
المغص وسببه وكيفية تداركه / اعوجاج الاسنان / الشرب مع الاكل / الاحذية تؤلم اطفالى / اشعر بالدوخة	٩/٦٧	١٠٦	٤٦
هرمونات السمنة / خفقان القلب / شبكية العين وانفصالها / تحول الرجل الى امراة / الفيتامينات للاطفال المواليد	١٠/٦٧	١٠٧	٦٤
تريد ان تقتل زوجها / الرضاع من الثدى ام من الزجاجة / احرصوا على الرقبة	١١/٦٧	١٠٨	٧٢
الطعام الاخشن والطعام الانعم / سكرتيرة تشكو / لى فم جاف / مضار التدخين ومنافعه / الفواق ، ما سببه !	١٢/٦٧	١٠٩	٥٨

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الرقم/السنة	العدد	الصفحة
رثاء زوجة	ظافر القاسمى	١/٦٧	٩٨	٦٦
افلاطون والادب والفن	على ادهم	١/٦٧	٩٨	١٢٨
النزعة القصصية فى ادبنا ، قديمة وحديثة	أنيس المقدسي	٤/٦٧	١٠١	٣٦
معجم علمى عربى موحد	د. عبد الحليم منتصر	٤/٦٧	١٠١	٥٦
العرب وفكرة الالتزام	عبد المجيد لطفى	٤/٦٧	١٠١	١٤٦
امثالنا فى عهود العزة والمذلة	سلمى الحفار الكزبرى	٥/٦٧	١٠٢	٢٥
فلسفة الفن عند المازنى	د. زكريا ابراهيم	٥/٦٧	١٠٢	٣٨
رسالة الى ابنى	د. فاخر عاقل	٥/٦٧	١٠٢	٤٦

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
الدراما في القرآن : صاحب الأوتاد	سنية قراعه	٥ /٦٧	١٠٢	٥٤
احمد امين مالك الحزين	د. محمد محمود الدش	٥ /٦٧	١٠٢	١٠٠
ابن الخطيب : امام في الزجل	محمد عبد الله عنان	٦ /٦٧	١٠٣	٤٧
مرثيتان لافتقاد صديق	انيس المقدسي	٧ /٦٧	١٠٤	٥٢
الحياة بعد الستين	د. عبد اللطيف حمزة	٨ /٦٧	١٠٥	٦٠
خليل السكاكيني في رثاء زوجته	اكرم زعيتر	٨ /٦٧	١٠٥	٦٤
الجارية تودد	د. حسين مؤنس	٨ /٦٧	١٠٥	١٠٢
اثر اللغة السريانية في اللغة العربية	الأب اسحق ساكا	٩ /٦٧	١٠٦	٥٠
اثر كتاب المعراج على الكوميديا الالهيـة	عطا بكرى	٩ /٦٧	١٠٦	١١١
شنقيط او موريتانيا	د. طه الحاجرى	١٠/٦٧	١٠٧	٢٨
ساحة الفداء	محمود تيمور	١١/٦٧	١٠٨	٥٢
كتاب الف ليلة وليلة جنى على المراة	الفة الادلبي	١٢/٦٧	١٠٩	٤٢
لكل مثل قصة	سلمى الحفار الكزبرى	١٢/٦٧	١٠٩	١١٦

(١) ملاحظة : انظر كذلك (تاريخ اشخاص) و (الشعر والشعراء)

الشعر والشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
١ ـ القصـائد				
كيف انســاك ؟	احمد السقاف	١ /٦٧	٩٨	١٢
بني قومي فواخجل الفوارق !	احمد السقاف	٢ /٦٧	٩٩	١٨
دمعة الى مثواه	مالك عبد الحميد كحيل	٣ /٦٧	١٠٠	١٨
ريان الهوى ثمل	محمد هارون الحلو	٣ /٦٧	١٠٠	٧٤
يا طير ! يا عصفور ! يا اصفر !	احمد السقاف	٤ /٦٧	١٠١	١٦
من عبق الصبا	عبد الرزاق العائش	٤ /٦٧	١٠١	٩١
رســالة	احمد السقاف	٦ /٦٧	١٠٣	١٧
السيجارة	جعفر محمد عثمان	٦ /٦٧	١٠٣	٣١
نبــل	خالد الغساني	٧ /٦٧	١٠٤	٦٧
لن يرهب الحق معتوها ولا صنما	احمد السقاف	٧ /٦٧	١٠٤	١٦



تاريخ

ملاحظة : انظر (تاريخ اشخاص) فى موضعه

دين ورجال دين

تاريخ أشخاص عرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
ابو المحاسن : امين المؤرخين المصريين	د. حسين مؤنس	٦٧/ ٢	٩٩	٣٨
البلاذرى	عبد الستار فراج	٦٧/ ٢	٩٩	٤٥
ذات الهجرتين	سنية قراعة	٦٧/ ٢	٩٩	٦١
ابو ذؤيب يرثى ابناءه الخمسة	عبد الرزاق البصير	٦٧/ ٢	٩٩	١١٧
اسماعيل صبرى شيخ الشعراء	د. محمد محمود الدش	٦٧/ ٣	١٠٠	٥٤
ام موسى وهارون	سنية قراعة	٦٧/ ٣	١٠٠	٧٥
احمد امين مالك الحزين	د. محمد محمود الدش	٦٧/ ٥	١٠٢	١٠٠
ابن الخطيب امام فى الزجل	محمد عبد الله عنان	٦٧/ ٦	١٠٣	٤٧
ابن سيرين وعلم النفس الحديث	د. عبد الله عبد الدايم	٦٧/ ٦	١٠٣	١١٠
عبد المسيح الانطاكى	سامى الكيالى	٦٧/ ٦	١٠٣	١١٨
هاجر ام اسماعيل	سنية قراعة	٦٧/ ٧	١٠٤	٤١
اسد بن الفرات / الفقيه القائد	محمود شيت خطاب	٦٧/ ٧	١٠٤	١٠٤
حمزة بن عبد المطلب	حسن الأمين	٦٧/ ٨	١٠٥	٥٢
خديجة بنت خويلد	سنية قراعة	٦٧/ ٩	١٠٦	٣٥
عائشة التيمورية	د. محمد محمود الدش	٦٧/ ٩	١٠٧	٩٤
الأوزاعى : فقيه الشام والاندلس وامامهما	د. احمد عبد المنعم البهى	٦٧/١٠	١٠٧	٣٦
عبد الكريم بن محمد القيسى ، الغرناطى	د. محمود علي مكي	٦٧/١٠	١٠٧	٥٣
عبد الرحمن بن معاوية « الداخل »	محمدرجاء حنفي عبدالمتجلي	٦٧/١٠	١٠٧	٨٢
رحلة الى تلمسان والى دار ابنها المقرى	محمد عبد الله عنان	٦٧/١٠	١٠٧	٩٠
حنين بن اسحاق	سليم طه التكريتي	٦٧/١٠	١٠٧	١٠٢
ام الدرداء الصغرى	سنية قراعة	٦٧/١١	١٠٨	٥٧
كامل كيلانى الرائد العربى لأدب الاطفال	عبد الغني محمد بدوى	٦٧/١٢	١٠٩	١٠٣

تاريخ أشخاص غير عرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
ولتر سكوت والرواية التاريخية	على ادهم	٦٧/ ٤	١٠١	٤٤
شخصيات سيكولوجية / كارل غوستاف يونج	د. فاخر عاقل	٦٧/ ٦	١٠٣	٧٠
تاليران : مضرب المثل	على ادهم	٦٧/ ٩	١٠٦	١١٤
الدكتور صمويل جونسون	د. عيسي المصو	٦٧/١١	١٠٨	١٣١
هربرت ريد / احد مفكرى العصر	د. زكريا ابراهيم	٦٧/١٢	١٠٩	٦٧

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الشباب العربي	د. فاخر عاقل	١ /٦٧	٩٨	٥١
الصحة النفسية	د. علي أحمد علي	٢ /٦٧	٩٩	٥٥
انحراف الاحداث والبيئة المدرسية	محمد شمس الدين	٤ /٦٧	١٠١	٢٨
رسالة الى ابني	د. فاخر عاقل	٥ /٦٧	١٠٢	٤٦
شخصيات سيكولوجية / كارل غوستاف يونغ	د. فاخر عاقل	٦ /٦٧	٠١٣	٧٠
الخوف من الشيخوخة	د. زكريا ابراهيم	٦ /٦٧	١٠٣	١٠٢
ابن سيرين وعلم النفس الحديث	د. عبد الله عبد الدايم	٦ /٦٧	١٠٣	١١٠
الدموع والضحك اكسير الحياة	منير نصيف	٧ /٦٧	١٠٤	٤٩
عندما يحلم العقلاء	د. زكي نجيب محمود	٨ /٦٧	١٠٥	٤٤
الحياة بعد الستين	د. عبد اللطيف حمزة	٨ /٦٧	١٠٥	٦٠
المدرسة الشاملة ومرحلة التوجيه التربوي	د. عبد الله عبد الدايم	٩ /٦٧	١٠٦	٢٨
العبقرية لها اعمار طويلة	منير نصيف	٩ /٦٧	١٠٦	١٠٦
الحقائق يطلبها كل انسان ولكن	علي ادهم	١٠/٦٧	١٠٧	٤١
التفاؤل والتشاؤم بين الناس	د. علي أحمد علي	١٠/٦٧	١٠٧	٤٨
غسيل الدماغ	د. فخري الدباغ	١١/٦٧	١٠٨	٤٤
الحيل النفسية التي يخدع المرء بها نفسه	د. علي أحمد علي	١٢/٦٧	١٠٩	٦٢
كامل كيلاني الرائد العربي لأدب الاطفال	عبد الغني محمد بدوي	١٢/٦٧	١٠٩	١٠٣
مونبلييه وعلاقة العرب بجامعتها التاريخية	د. يوسف هيكل	١٢/٦٧	١٠٩	١١٠

أنت تسأل .. ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب : عبد الوارث كبير

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الفناء متى نشأ ... ، عبرات المنفلوطي ونظراته / دراسات فلسطينية / السندباد وابن بطوطة	١ /٦٧	٩٨	١٥٤
قديسة احرقوها حية / الجمعية الغابية/ المعتزلة / الوجودية / الامبريالية	٢ /٦٧	٩٩	١٢٨

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
لماذا يختلف المسلمون / الطبيعة والطبيعيون / الزواج بغير المسلمة/الفيتو/ الولايات المتحدة والحرب الفيتنامية / مسز كندي وكتاب (موت رئيس) /	٣ / ٦٧	١٠٠	١٤٠
موسوعة الفقه الاسلامي / سورة بدون بسملة / ارجعي لعقلك يا آنسة / علم الكويت / شعراء المهجر / الصلاة على السيدة فاطمة / الصهيونية وتحديد النسل / لماذا سمي الشرق الاوسط , مقاييس الرد على أسئلة القراء / تعليق المعلقات / مدريد / جرجي زيدان / بلوخستان	٤ / ٦٧	١٠١	١٤٠
المستشرقون ليسوا كلهم اعداء للعروبة / البيروقراطية / المسافة بين الارض والقمر والشمس / غراميات كليوباطرة / هونج كونغ / التعليم في حضرموت ٢٠٪ من سكان العالم مسلمون	٥ / ٦٧	١٠٢	١٤٤
حق المرأة في العمل كحق الرجل / حرب فيتنام / الالياذة والاوديسة / حركة الكشافة / الشوفينية وغيرها	٦ / ٦٧	١٠٣	١٣٦
النبوة والانبياء / هوشي منه / الفاشية والنازية / اريد ان اكون محاميا ولكن / اسباب المد والجزر / اريد ان اكون قصاصا فمن اين ابدأ / من هو صالح بن عبد القدوس ؟	٧ / ٦٧	١٠٤	١٥٢
الاسطول السادس / سرقة تشومبي في الهواء / الصحف الاولى في العالم العربي / اينشتين لا يؤيد الصهيونية / البلشفية والشيوعية / اسباب تسمية البحرالاحمر	٨ / ٦٧	١٠٥	١٣٨
شارل ديجول / لماذا نستخدم اليد اليمنى / تنفيق العوائد/زنوج امريكا / الكومنولث البريطاني / جمهوريات الاتحاد السوفيتي	٩ / ٦٧	١٠٦	١٤٤
سياسة ابادة .. لا مجرد سياسة تمييز عنصري ؟ / السياسي الهادئ يوثانت / مصائب قوم عند قوم فوائد / مبدأ مونرو / ملاك (دين بين فو) / جونسون .. لم اختاره كندي ؟	١٠ / ٦٧	١٠٧	١٤٠
لا خوف على البشرية / ابراهيم لنكولن / سوريا دولة بترولية / العرب في صقلية /اكبر دول العالم مساحة / تاج العروس / اتحاد الجنوب العربي	١١ / ٦٧	١٠٨	١٣٤
هل اكتشف البترول في القطب الشمالي / جورج ساند / الرادار / مقدار زيادة السكان في العالم / الجامعات وما تجنيه من دخل المكتشفات / السيارة الكهربائية	١٢ / ٦٧	١٠٩	١٣٢

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
تلفاز الكويت تصوير (عبد الناصر شقرة)	منير نصيف	١ / ٦٧	٩٨	١٠٤
الكويت تستغني عن التربة في الزراعة تصوير (اوسكار متري)	سليم زبال	٢ / ٦٧	٩٩	٢٨

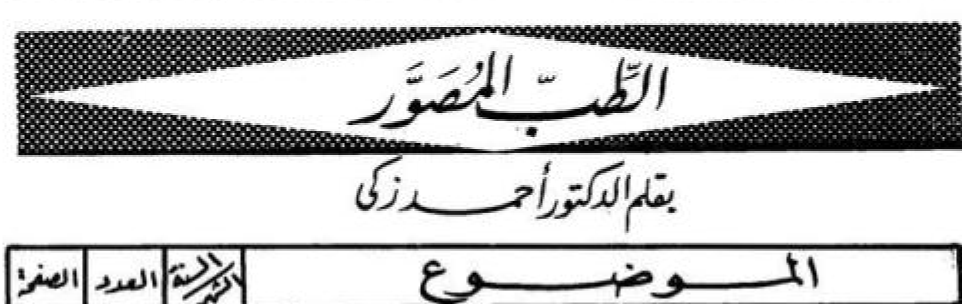
استطلاعات البلاد العربية

أنباء الطب والعلم والاختراع

بقلم: الدكتور احمد زكى

أمراض شائعة

صياغة : الدكتور أحمد زكى



الطب المصور

بقلم الدكتور أحمد زكى

علوم

فى سبيل موسوعة علمية

بقلم: الدكتور احمد زكى

ركن الفضاء والذرة

بقلم: الدكتور احمد زكي

مجتمع واجتماع

ركن الأسرة والمرأة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
مهدوا لابنائكم ان يخلوا بانفسهم أحيانا	* * *	٢/ ٦٧	٩٩	١٢٠
طفلك ، أيتها الأم	د. عبدالصاحب هاشم	٣/ ٦٧	١٠٠	١٣٦
العفرتة صفة طبيعية عند الاطفال	* * *	٤/ ٦٧	١٠١	١١٦
أرملة تعسة : كيف تغلبت على احزانها	منير نصيف	٥/ ٦٧	١٠٢	٩٧
الزواج الناجح شركة بين اثنين صادقة	* * *	٦/ ٦٧	١٠٣	١١٥
يعجبنى ولا يعجبنى	منير نصيف	٧/ ٦٧	١٠٤	١٣٣
سر هزيمة المرأة .. أمام الرجل	* * *	٨/ ٦٧	١٠٥	٩٩
الفتاة العانس .. والشاب الاعزب	* * *	٩/ ٦٧	١٠٦	٢٥
خمس مشاكل في طريق الزواج	منير نصيف	١٠/٦٧	١٠٧	٩٩
طفلك لا تتركى لغيرك تربيته	منير نصيف	١١/٦٧	١٠٨	١١٢
بكم من الاطفال تسعد الأم ويسعد الأب	منير نصيف	١٢/٦٧	١٠٩	٩١

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
تدهور اليهودية وانحلالها في زماننا هذا	يوسف زعبلاوى	٣/ ٦٧	١٠٠	٦٧
قناة السويس وخسائر الغرب من اغلاقها	منير نصيف	٨/ ٦٧	١٠٥	١١٧
مسئوليات المثقفين العرب بعد النكسة	سليمان موسى	١١/٦٧	١٠٨	٢٨
تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لابنائهم	شريف يوسف	١١/٦٧	١٠٨	١٠٥

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
افلاطون والادب والفن	على ادهم	١/ ٦٧	٩٨	١٢٨
تراث الاندلس الفكرى	محمد عبد الله عنان	٢/ ٦٧	٩٩	١٠٤
ابن خلدون صاحب فلسفة التاريخ	د. محمد مرحبا	٤/ ٦٧	١٠١	٦١

الموضوع	الكاتب	رقم / سنة	العدد	الصفحة
فلسفة الفن عند المازني	د. زكريا ابراهيم	٥ /٦٧	١٠٢	٣٨
ازمة القيم في مجتمعنا العربي المعاصر	د. زكريا ابراهيم	٧ /٦٧	١٠٤	٦٠
ازمة القيم في العالم الغربي المعاصر	د. زكريا ابراهيم	٦٧/١٠	١٠٧	٢٠
الوجودية والفن الحديث	د. عفيف بهنسي	٦٧/١١	١٠٨	١٢٤
هربرت ريد احد مفكري العصر	د. زكريا ابراهيم	٦٧/١٢	١٠٩	٦٧

اللوحات الفنية

الموضوع	رقم / سنة	العدد	الصفحة
موريليو	١ /٦٧	٩٨	١و١٢٦
ابن سينا	١ /٦٧	٩٨	٢٤
الفن الاوروبي في خدمة الدين	٢ /٦٧	٩٩	٢و١٢٣
جويا ، فنان سبق عصره	٤ /٦٧	١٠١	٢و١٢٢
مانيه .... وزولا	٦٧/١٢	١٠٩	٢و١٥١

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	رقم / سنة	العدد	الصفحة
الوساطة بين المتنبي وخصومه /للقاضي الجرجاني	د. محمود السمرة	١ /٦٧	٩٨	١٤٧
كتاب الليدي هستر ستانهوب / جوان هاسلوب	د. محمود السمرة	٢ /٦٧	٩٩	١٣١
كتاب صخرة برايتون لمؤلفه جريهام جــرين	د. محمود السمرة	٣ /٦٧	١٠٠	١٤٧
كتاب فن الحياة / لمؤلفه سيزار بافيس	د. محمود السمرة	٤ /٦٧	١٠١	١٣٣
كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز	د. محمود السمرة	٥ /٦٧	١٠٢	١٣٨
كتاب جان جنييه / جان بول سارتر	د. محمود السمرة	٦ /٦٧	١٠٣	١٤١
مواقف حاسمةفي تاريخ الاسلام /محمد عبد اللهعنان	د. محمود السمرة	٧ /٦٧	١٠٤	١٣٦
روايــة وردة للمؤلف الالماني الدكتــور ايبرس ترجمة محمد مسعود	محمود تيمور	٨ /٦٧	١٠٥	١٣١
هذا العصر المتفجر للدكتور قسطنطين زريق	د. محمود السمرة	٩ /٦٧	١٠٦	١٣٣
اليهودي العالمي التائه لمؤلفه هنري فورد (معربا)	د. محمود السمرة	٦٧/١٠	١٠٧	١٣٢
ابو المطرف لمؤلفه محمد بن شريف	محمد اديب السلاوي	٦٧/١١	١٠٨	١٣٩
كتابان عن تاريخ الخليج العــربي	د. محمود السمرة	٦٧/١٢	١٠٩	١٤٥

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الشباب العربي	د. فاخر عاقل	١/٦٧	٩٨	٥١
تدهور اليهودية وانحلالها في زماننا هذا	يوسف زعبلاوى	٣/٦٧	١٠٠	٦٧
ازمة القيم في مجتمعنا العربي المعاصر	د. زكريا ابراهيم	١٠/٦٧	١٠٧	٢٠
شنقيط أو موريتانيا	د. طه الحاجرى	١٠/٦٧	١٠٧	٢٨
مسئوليات المثقفين العرب بعد النكسة	سليمان موسى	١١/٦٧	١٠٨	٢٨
تاريخ اليهود كله كما يلقنه الصهاينة لابنائهم	شريف يوسف	١١/٦٧	١٠٨	١٠٥
اليهود والحضارة الانسانيـة	د. محمد محمود الدش	١٢/٦٧	١٠٩	٥٠

قصص

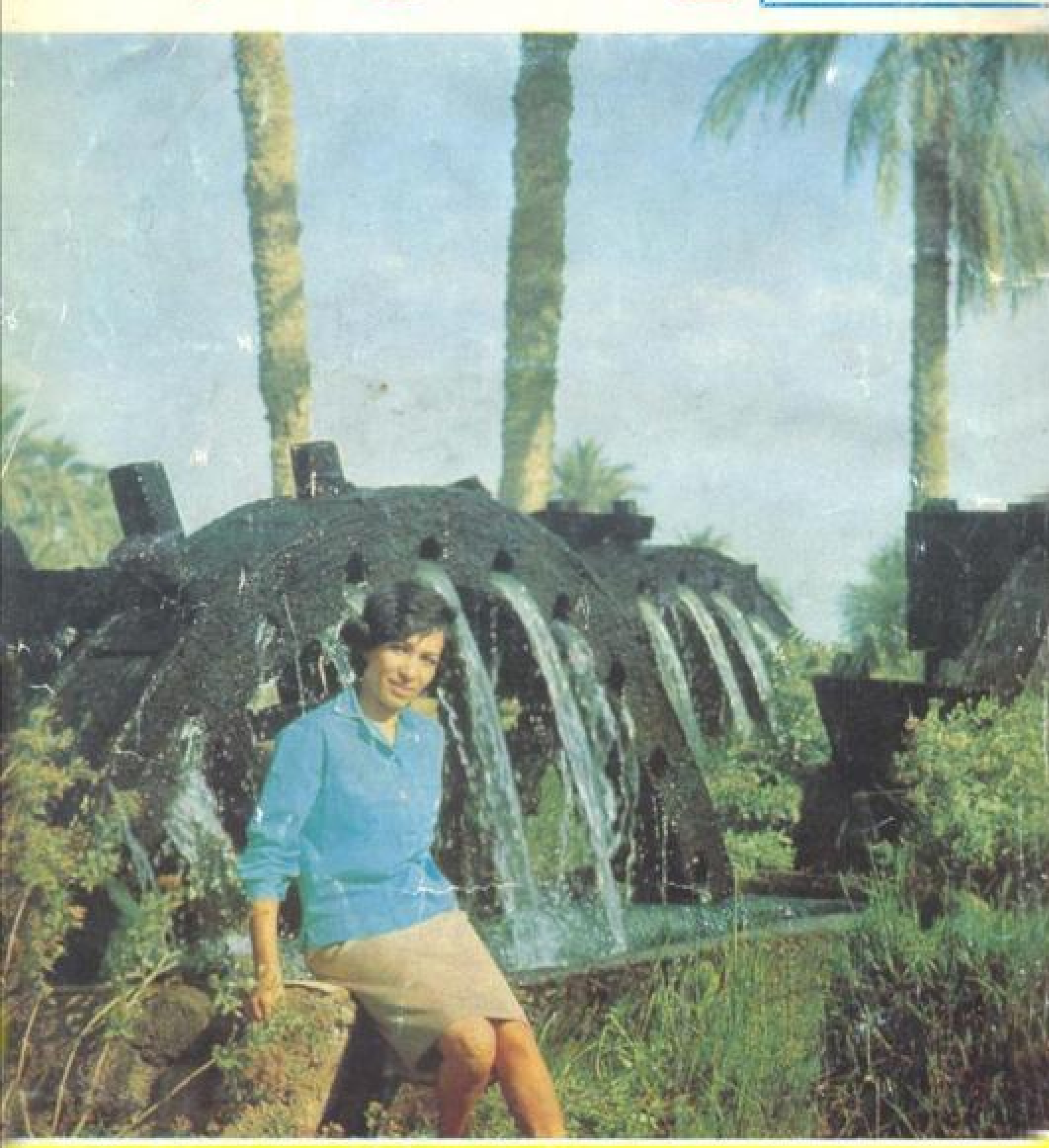


قام باعداد رسومها احمد الوردجي

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
التوبة (او . هنرى)	ترجمة منير نصيف	١/٦٧	٩٨	١٤٠
قرية ظالمة	حسن الجداوى	٢/٦٧	٩٩	١١٢
ماتيو فالكون/قصة للكاتب الفرنسي بروسبير مرميه	ترجمة ابراهيم صالح	٢/٦٧	٩٩	١٤٦
حينما تتمزق الظلال	د. بديع حقى	٣/٦٧	١٠٠	١١٢
ضحية الشـائعات	* * *	٤/٦٧	١٠١	١٠٤
وعلى الارض السلام	نصرت عبد الرحمن	٤/٦٧	١٠١	١١٣
الثلج للكاتب القصصي قسطنطين باوستوفسكى	ترجمة سيف الدين الايرانى	٤/٦٧	١٠١	١٤٨
ام ذات قلب من حجـر	حسن الجداوى	٥/٦٧	١٠٢	١٠٨
الحنش والعقرب ، قصة قصـيرة	محمود تيمور	٦/٦٧	١٠٣	٨٨
قصة الشمعة للكاتب ليو تولستوى	ترجمة على ادهم	٦/٦٧	١٠٣	١٤٨
اوحال الطريق	عبد الله محمد احمد	٧/٦٧	١٠٤	١٤٤
قصة ام صالح	عبد الله محمد احمد	٨/٦٧	١٠٥	١٤٦
التفتيش بقلم فيدرو سولوجب	ترجمة على ادهم	٩/٦٧	١٠٦	١٢٤
ضحية التردد	حسن الجداوى	٩/٦٧	١٠٦	١٢٨
كل عـين بليرة	د. بديع حقى	١٠/٦٧	١٠٧	١٤٥
ضحية التقصير	حسن الجداوى	١١/٦٧	١٠٨	١١٦
سنة اولى جامعة	حسن فتحى خليل	١١/٦٧	١٠٨	١٤٦
رمضان كـريم	حسين القبانى	١٢/٦٧	١٠٩	١١٨
لكل مثل قصة	سلمى الحفار الكزبرى	١٢/٦٧	١٠٩	١١٦

العربي

العدد ١١١
ذو القعدة ١٣٨٧
فبراير
(شباط) ١٩٦٨



الفيوم : واحة مصر الكبرى ، ذات النواعير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قر
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قر
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مل
اليمن	٢٫٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مل
العراق	١٢٠	فلسا	ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢	در



تعبير ناطق على الوجه وفي حركة اليدين .. وتوزيع هادىء للالوان باستغلال الظلال والاضواء ..
هذه هي بعض لمحات من شخصية الفنان « رينولدز » كما تبينها هذه اللوحة .. ولم يكن « رينولدز »
رساما فحسب بل كانت لديه موهبة أدبية وثقافية كبيرة ..

(قصة الفنان الذى جمع بين الثقافة والفن ص ١٤٨)

عزيزى القارئ

● ان « العربى » تحاول دائما أن لا تنشر شيئا الا أن يكون فيه نفع للقارىء . وعندها أن الثقافة نافعة ، كما أن السمر نافع كذلك . والكلمة التى تجمع بين الاثنين غاية تطلب . ومن الأبواب التى فيها مَظنّة الجمع بين النفعين هى الآتيـة :

طرائف عربية

دردشـة

أنت تسأل ونحن نجيب

مسائل ومشاكل وأحداث

والباب الأخير جديد ، انشأناه مكان البابين ، مرآة الرأى العربى ، ومرآة الرأى الغربى ، لمّا رأينا ضعف هذين البابين ، وضعف مصادرهما ، والحرجَ الناتج فى الظروف الحاضرة حتى فى نقل ما يقول الغير .

وبما أننا نهتدى كثيرا بآراء القراء

نرجو أن يوافينا القراء برأيهم فى هذه الأبواب الأربعة خاصـة .

وشكـرا .

المحـرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات .. وآداب :

شعر وشعراء :

طب وعلم :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABI = No. 111 February 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● فتاة من بنات الفيوم ... فى يوم عطلتها خرجت تستمتع بمنظر الريف الجميل ... وعلى حافة القناة جلست ... ومن ورائها النواعير تدور ، وتنشر من حولها الماء ، ومن الماء الحياة ، فى أرض الفيوم .. الواحة الكبرى التى قامت فى قلب صحراء مصر .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ٥١ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



العربى فى المانيا

● باسم مجلس ادارة النادى العربى في مدينةهامبورج بالمانيا الفدرالية اتقدم لسيادتكمبالشكر الجزيل على استجاباتكم الفاضلة بتخصيصاشتراك مجانى من مجلتكم الغراء لمؤسستنا .

ان مجلة « العربى » منذ ولادتها حتى الان قداصبحت السفير العربى المتنقل ، ينقل الى العالم العربى رسائل المحبة والتالف ، وينقل الىالعالمالخارجى صورا ناصعة من وجوه نهضتنا العربية الحاضرة .

اننا حين وضعنا مجموعة من مجلة العربى امامانظار مضيفينا الالمان ، فوجئنا بدهشتهم بقدر ما فوجئوا هم بهذا الانجاز الصحفى الرائع ، فانالصورة التى رسمها الجهاز الدعائى الاستعمارى طوال عقود من السنين عن الانسان العربى هىصورة ذلك الرجل المتوحش الكسلان ، صورة رجل اللذة والحريم ، صورة رقصة هز البطنالبدوى . ان هذه الصورة مازالت الى اليوم هى الصورة السائدة ، لا سيما وان نفوذ الاجهزةالصهيونية ودهاءها ماعادا بالأمر الخفى على أحد.

ابراهيم النجار

رئيس النادى العربى ـ هامبورج ـ المانيا

تحية لعزيزى القارىء

● كانت كلمتكم فى « عزيزى القارىء » المنشورة في عدد سبتمبر الماضى في محلها المضبوط وكانت محل تعليق الجميع .

ثم قرانا كلمتكم فى « عزيزى القارىء » فى شهر اكتوبر ١٩٦٧ .

والواقع ان الكلمات البسيطة العميقة التى نشرت في « عزيزى القارىء » قد عبرت تماما عما نريد ان نكتبه .

حقا ان المشاكل العربية أعمق مما تتراءى والتبعات فيها اضخم ، وما كان الاعتداء الاسرائيلي الا كاشفا عن حال عناصرها .

توفيق سعيد محمد بازرعه ـ المحامى

الجيزة ـ ج. ع. م

السودان ..

● اطلعت بمجلتنا « العربى » الغراء في العدد ١٠٨ تشرين أول ١٩٦٧ في باب انت تسال ونحن نجيب،على سؤال عن اكبر دولة في العالم مساحة ، بقلم السيد أسعد الفايز من بيروت .

وفي الاجابة ذكر بان أكبر الدول العربية مساحة هى السودان تليه الجزائر ثم المملكة العربية السعودية .

وقرات فى كتاب « الايام الحاسمة قبل معركة المصير » تاليف اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب ـ من العراق ـ والذى صدر حديثا وفى موضوع « الوقت مع العرب علىاسرائيل » ماذكره السيد المؤلف في الصفحة ٩١ بان اكبر الدول العربية مساحة هى الجزائر وتبلغ مساحتها

صور الصفحة الثانية

● لقد درجت مجلتكم الغراء على نشر صور للوحات الفنانين العظماء على صفحة الغلاف من الداخل . وانني اقترح جمع كل هذه الصور مع ما تعتزمون نشره من لوحات اخرى في المستقبل ونشرها في كتيب صغير مع شرح واف لكل لوحة ، وبيعه بثمن رمزي مع أحد أعداد المجلة .

ولكم جزيل الشكر .

عمار كراكشة

حلب – سوريا

الاغلاط في العربي

● كثرت الاغلاط النحوية والاملائية في سائر المقالات والابواب المنشورة في العربي . وهو امر لا يبرره قلة المصححين والمحررين بالمجلة ، ولا يقبله اى قارىء يغار على لغته وعلى مجلته .

قارىء دائم للمجلة « بيروت »

العربي : نرجو أن نتمكن من تلافي أسباب تلك الاغلاط التي نشكو ونشكو منها القراء . فليس في مقدور العربي في هذا الامر الا النصيحة فهي خارجة عن التحرير .

ثم الجزائر

٢،٣٨١،٧٤١ كم٢ تليها ليبيا ومساحتها ١،٧٥٩،٥٤٠ كم٢ تليها السعودية ومساحتها ١،٦٠٠،٠٠٠ كم٢ ثم السودان ومساحته ٥٠٥،٨٢٣ كم٢ .

يظهر من ذلك أن السودان يأتي في المرتبة الخامسة بالنسبة لاكبر الدول العربية مساحة فهل للسيد المحرر أن يطلعنا بصورة ادق واصح اى المصدرين اصح ؟

وحيد على

سفارة الجمهورية العراقية – في انقرة

العربي : الذي نشرناه هو الصحيح .. فالسودان هو أكبر الدول العربية مساحة تليه الجزائر .

العتبات المقدسة في « العربي »

● انني من المعجبين بمجلة « العربي » اعجابا منقطع النظير وهذا هو الذي دفعني لأن اكتب اليكم متسائلا لماذا لا تقوم مجلة « العربي » بعمل استطلاع عن العتبات المقدسة في العراق وهي الكاظمية ، كربلاء ، النجف ، وسامراء .

محمد جواد الكاظمي

العراق

العربي : لم نغفل استطلاع العتبات المقدسة ، سواء منها ما هو في النجف وكربلاء (العدد الثاني والاربعين : مايو ١٩٦٢) أو ما هو منها في بغداد (العدد ٩٧/ديسمبر ١٩٦٦) فارجع الى هذين العددين تجد فيهما كل ما يهم القارىء أن يعرفه عن « العتبات المقدسة » .

في سبيل موسوعة علمية

● تضايقت كثيرا بعد أن انقطعت سلسلة « في سبيل موسوعة علمية » في حين أن هذا الباب كان من أجمل أبواب المجلة على الاطلاق ويتناسب مع ثقافة هذا الجيل وخير عون لطلاب المعرفة المفيدة .

فارجو شاكرا أن يعاد هذا الباب الى مجلتنا الحبيبة واعتقد ان قراء المجلة يضمون صوتهم الى صوتي .

احمد السيد شلبي

الكمايشة – تلا – منوفية – ج.ع.م

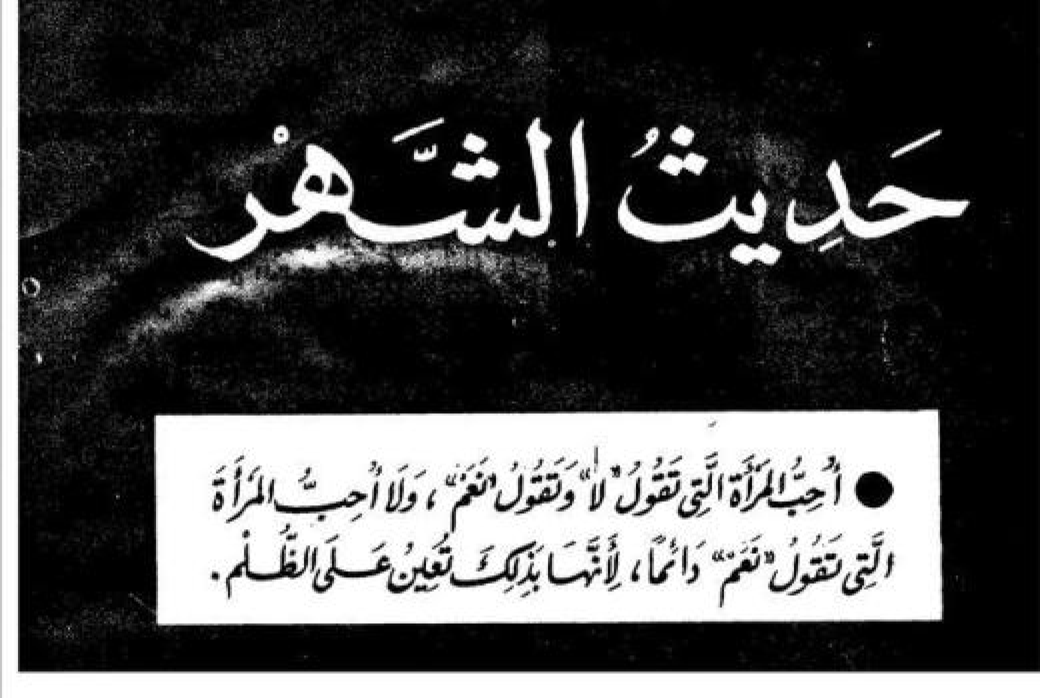
العربي : عاد الباب الى مكانه في المجلة

٦٠٠ ألف قارىء عربي

● قرأت في افتتاحية العربي الصادر في شهر يناير ، أن عدد قراء العربي مائتا الف قارىء . والظاهر ان هذا غير صحيح . فالعربي توزع مائة وعشرين الف نسخة في الاشهر العادية . ولكن الذين يقرأون النسخة الواحدة من العربي في بلدتي عمان مثلا ، يبلغون نحو خمسة اشخاص . ولو اننا اتخذنا مثل هذا الرقم معيارا . لكان الذين يقرأون العربي في الاشهر العادية ، يبلغون ٦٠٠ الف قارىء .

محمد يونس

عمان – الاردن



المسألة العربية

■ دخل مدرس حساب حجرة الدرس، وكان فيها تلاميذ صغار. وبعد ان ذكرهم بما كان قد قاله في الدرس السابق، أملى عليهم المسألة الآتية، وطلب منهم حلها:

تاجر صابون، اشترى ١٥٠٠ قطعة من الصابون، بسعر القطعة ثلاثين فلسا، فكم يبلغ ربح هذا التاجر اذا هو باع كل هذا المقدار في السوق؟

وقرأ الصبية ما كتبوا واخذتهم الحيرة. ورفع أحدهم اصبعه. قال: يا استاذى هذه المسألة لا حل لها، لأننا لا نعرف بكم باع التاجر القطعة الواحدة من الصابون..

قال الاستاذ: الواقع انه لم يبعها بعد.

قال الصبي: اذا تبقى هذه المسألة بلا حل، حتى يبيع التاجر صابونه.

كذلك المسألة العربية اليوم، بل في كل يوم، منذ ان نشأت، علمنا نحن الرعية عن حقائقها اقل مما عرف هؤلاء الصبية عن التاجر وصابونه. فهم عرفوا على الاقل كم قطعة اشترى، وبأى ثمن اشترى، أما نحن فلا نعلم حتى القطع كم عددها، وكم كان ثمن شرائها. وحتى لو علمنا ذلك الآن، وعلمناه عن قوم ثقاة نؤمن بالذى نسمع منهم، لما افادنا ذلك الآن شيئا. لا بد ان ننتظر مع

المعلم كالسيارة ، هي من طراز ١٩٣٠ أو ١٩٥٠ أو ١٩٦٥ . وكذا المهندس والطبيب .

● سوء التخطيط حمل بعض الحكومات على حشر العشرة في حجرة الخمسة ، لا العمل هو في حاجة إليهم ، ولكن لطعامهم هم في حاجة إليه .

● بلاد بها الزعامات احتكار ، فقدت فيها الشعب ، وطلب السلامة في الصمت ، وصارت تحية الناس فيها عندما يلتقون : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وتاجر الصابون

الصبي حتى ينزل التاجر الى السوق ، ويبيع صابونه . وعندئذ تتبين الخسارة من الربح .

وغير هذا ليس الا رجما بالغيب .

أيسر منه أن تسألني : هذه المرأة التي سوف تلد غدا ، اتلد ذكرا ام انثى ، ام تلد سقطا ؟

كل ما تستطيعه اليوم ، نحن الرعية ، انما هو الدعاء لله ، ترتفع به من على شرفات المآذن ، او الترانيم نتصاعد بها الى رب السماء من تحت اجراس الكنائس .

فهذا ، يا سائلي عن المسألة العربية ، هو رأيي فيها .



الخضوع
أشقى ما تشقى به الأمم

اشقى ما يشقى به الناس في اممهم ، وبين ذويهم ، هو الخضوع . الخضوع الذي يصبح عادة . الخضوع الذي يأتي عقب الامر ، مهما كان هذا الامر ، كما يدق الجرس على الفور وراء ضغط الزر واتصال التيار .

يقولون ان في الخضوع السلامة ، ولكن ما سيطرت السلامة كاملة كل الكمال على شيء الا انتهت به الى الموت . فالجسم الميت هو وحده الذى لا يقاوم .

ولكم احببت الرجل الذى يقاوم ، فيما اكره المقاومة فيه ، على الرجل الذى يطيع دائما فيما اكره وفيما أحب .

والطاعة بعض خلائق الناس ، وما الطاعة الا الخضوع . وكذا المقاومة والرفض من بعض تلك الخلائق . خلقان متعارضان متكاملان . ولم يخلق شيء عبثا . كالغضب والحلم ، خلق كلاهما ليمارسهما الانسان . اما ان يخضع الانسان دائما فصفة تتنافي وطبيعة الخلق .

وفي المراة . احب المراة التى تقول لا . وتقول نعم . ولا أحب المراة التى تقول نعم دائما ، لأنها تعين على الظلم . ولا التى تقول لا دائما لأن هذا ينافي طبائع الاشياء ، فمن طبائع بعض الاشياء ان تقبل ، ومن طبائع بعضها ان ترفض .

وطالب المدرسة ان قال نعم دائما فهو يقولها عن غير فهم . وان قال لا دائما ، فهو لا يريد ان يفهم . واذا سالتني ايها الاحب عندى ، ولو بمثقال واحد ، لقلت لك الذى يقول لا ، لاني اكره الخضوع المتصل ، لأنه من اكبر اسباب الشقاء في الناس . واكره اقل من ذلك الرفض المتصل ، الذى به من حركة واثارة وحياة .

والمواطن ، وهذا بيت القصيد ، لا اجد في مواقف الخضوع التى اكره ، مثل كراهتي خضوع المواطن . الخضوع المتصل . الخضوع الذى تعوده صاحبه حتى نسي ما الرفض . جرى لسانه سهلا بنعم ، وتعثر بلا . انه الذى ينطبق عليه قول الشاعر :

ما قال لا قط ، الا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

ولكن فى غير ذلك المعنى الجميل الاصيل الذى عناه ذلك الشاعر .

وما احسب ان مواطنا كهذا يتشهد ابدا . الا ان يستعين بالله عند عجز ، هو صاحبه .

وانظر في الامم فأجد اكثر الامم حظا من سعادة ، واكثرها نصيبا من علم وفهم وتقدم ، تلك التى سبقت في التاريخ فقالت لا . ثم لا ، ثم لا . ولم يمنعها ذلك من ان تقول نعم . وامم في التاريخ شقيت بحكامها ، وشقي حكامها بها ، لانهم كانوا حكاما عودوا اممهم الخضوع ، فخضعوا ، فساءوا حكاما ، وساءت الامم رعية .

نسأل الله الشفاء من الخضوع والخنوع .


« لا احب المراة التى تقول نعم دائما »



رَقـمٌ قُـمْتُ أَبْحَثُ عَنـْـه

الحيوان المنوى ، هو كسائر خلايا جسم الانسان، خلية به ٤٦ كروموسوما ، الا انها تصاحبت اثنين اثنين فصارت ٢٣ زوجا . وهكذا بيضة المرأة .

زارني صاحب ، فوجدني بين الكتب ابحث عن رقم ، فاستمهلته دقائق حتى اهتدى الى ضالتى . وسأل عن الرقم ، ثم قال انه كذا . قلت أعلم ذلك، ولكني انظره من جديد في أحدث مصدر لدىّ خشية أن يكون تغير .

كان هذا الرقم هو الرقم ٤٨ ، وهو عدد الكروموسومات الموجودة في نواة الخلية الواحدة من خلايا الانسان . وهو رقم عرفناه وعرفه العلماء منذ عشرات السنين . وكنت نقلت عن عالم علم الحياة الفرنسي الشهير جان رُستان Jean Rostand ، عضو الاكديميه الفرنسية ، رأيا ، تضمن هذا الرقم ، لم يخالجني شك في صحته قط . ولم يخالجني شك فيه لأسباب ثلاثة . لأني كنت حافظه عن ظهر قلب . ولأنه قد ورد في مقال لهذا العالم الكبير . ولأنه هكذا أوردته كل الكتب التى لدىّ ومن زمان مضى .

ثم يتبين لى بعد ذلك ان الرقم هو ٤٦ لا ٤٨ . وتبين لي أن الرقم كان ، وبقى الى سنوات مضت قريبة ، ٤٨ ، ثم اعيد بحثه فاذا هو ٤٦ . ولكن لم تمض المدة اللازمة لوصوله الى الكتب ومصادر العلم المعتمدة .

على اى شيء أردت ان ادلل بهذا ؟

اردت ان أدلل على السرعة التى يتكشف بها كل جديد في العلوم الحديثة، وان هذا الجديد يخرج ويسبق حتى لا يكاد يلاحقه الا من هو وثيق الصلة به وبنوع تخصصه ، من العلماء .

رُوحُ العَصـرِ المُتَطوِّرِ السَّـرِيـع

واذكر العلم ، وقد جاز لي في هذا السبيل ، أن أذكر الكثير من سائر ابواب العرفان . ولكن ليس في سائر ابواب العرفان ما يتطور فى سرعة تطور العلم ، وتطورَ التكنية. ان الكثير من علم عام ما، والكثير من تكنيةِ عام ما ، ما تنظر اليه، وتقرنه بالذى كانَ في العام الذى سبقه ، أو ذاك الذى سبق ذاك ، الا وتحس انك تقرن متقدّما بمتخلف . ويحس معك ذلك من يمارس العلم من العلماء . ومن اجل هذا ترى العلماء ، في سبيل ملاحقة العلم، وفي سبيل ملاحقة التكنية التى هى بنت العلم أو شقيقته ، ينفقون في شراء المجلات العلمية المال الكثير، وهم يقومون بتجديد الكتب في مكتباتهم التكنية والعلمية على السواء كل خمس سنوات، أو هذا ما وجب أن يكون .

وفي اللغة بحوث . وفي الادب بحوث . وفي التاريخ ، وفي الجغرافيا، وفي التربية بحوث ايضا . ولكنها لا تغيّر من سمات وجوهها المعروفة المألوفة ، بحيث لا يتعرف عليها تارك لها فترة من الزمن قصيرة ، بمقدار ما تتغير سمات وجوه العلوم لدى عالم تارك لها تلك الفترة من الزمان .

ومن اجل هذا سبق أن ناديت فى « العربى » بوجوب امتحان الطبيب وامتحان المهندس ، كل سنوات عشر ، للتأكد من أن كليهما يلاحق العلم الجديد كلما نبت فيه فى الطريق نابت ، فلا يتخلف فى نفع أهله وذويه ومواطنيه بما هدى اليه العلم ، وهدت التكنية ، في اواخر اشواطها ومكاسبها .

وَاليومَ، أضمُّ إلى الأطِبَّاءِ والمهندسين، المُعَلِّمين

والمعلم ، وهو ينقل الى الجيل الجديد من المعرفة ومن الدُربة ما سوف ينفعه غداً ، هو احوج الناس الى ملاحقة الزمان ، فلا يتقدم الزمان ويظل هو واقفا حيث كان وقف عندما خرج من باب كلية المعلمين التى تخرج منها .

ان من مدرسي اليوم ، الاكثر الذى لم يعلم من امر الرديو والتلفاز الا وهو بالغ كامل البلوغ . وظل اكثر عمره لا يؤمن بانفلاق الذرة ، ثم فاجأته الذرّة بافلاقها . وهؤلاء اليوم يقودون في طريق الحياة صغارا عرفوا الاذاعة والتلفاز اجزاء من الحياة لا تتجزأ . وعرفوا ، من ساعة ولدوا ، السيارة ، والطيارة ، والقنبلة الذرية وسائر انتجة العلم والتكنية مما يدخل المنازل ، أو يغزو الاسواق، او ترسمه الصحف والمجلات. كل هذا عرفوه ، والفوه ، حتى ما يكاد يثير فيهم عجبا الا الشوق الى ما يشتاقه المشتاق . وهو شوق في القلب الصغير فات ان يشتاق مثله القلب العجوز الكبير .

من اجل هذا كانت حاجة المعلمين الى ممارسة التحصيل القائم الدائم المتصل حاجة لا تنتهي أبدا ما مارس معلم تعليما. من أجل هذا كانت حاجته الى نفض تراب الزمن المتراكم بالترك على كل متروك .

وكالمعلمين البرامج،واساليب التعليم ، والاجهزة .

ان بعض المدارس في الشرق، لا يزورها زائر متصل بآخر فتوحات التربية فى بعض مناطق الغرب، الا ويحس كأنه داخل متحفا اكثر الذى فيه محنط .

والغريب ان الكثير من أهل الشرق لا يدركون اثر التخلف في التعليم في حياتهم المتخلفة .

ومن عجب ان وجدت فيهم من يحارب التعليم ، ويهزأ به ، ويهزأ بالشهادات والدرجات ، كل هذا ، تبريرا لبلوغ وظائف فوتها الزمان عليهم فلم يكن فى الامكان ان يتأهلوا لها ، وتأهل الغير . وكانت الصراحة اولى في امثال هذه الامور ، بابقاء الحرمة للعلم والتعليم ، وتبرير ما يريدون تبريره بناء على الضرورة وحاجة الزمان .

وآخرون ، في تصنيفهم فئات الامة : انشأوا فيها فئة اسموها فئة المثقفين . وبهذا حصروا التثقف في فئة ، فصار كالوباء الذى يحصر خشية أن ينتشر . وما التثقف الا صفة يجب ان تشمل سائر فئات الامة .

ان الشرق متخلف . ولتخلفه أسباب كثيرة ، منها ما يُرَدُّ الى المجتمع المتخلف، ومنها ما يرد الى المدرسة المتخلفة . والمدرسة المتخلفة تنشىء المجتمع المتخلف . والمجتمع المتخلف ينشىء المدرسة المتخلفة . وهذا ما نسميه احيانا بالدورة الخبيثة .

التَّعلُّم حقُّ الدولة على كلِّ فردٍ فيها

وقد تعودنا أن نقول ان التعليم حق الفرد المواطن على الدولة .

وقد وجب أن نقرن هذا بأن نقول كذلك ان التعلم حق الدولة على كل فرد مواطن .

ان الدولة تريد الزارع المنتج . ولا يتقدم بانتاجه ، ولا يتفهم سبل الانتاج ، الزارع غير المتعلم . والزارع الجاهل مضر بالدولة .

وان الدولة تريد الصانع الماهر ،

ولا مهارة بغير تعلم . والصناعة اليوم ليست حدادة او نجارة او برادة او خراطة او سباكة في دكان، ولكنها مصانع قد يضم المصنع الواحد منها الالوف المتعلمين . صناعة اليوم لا يدخلها جاهل كما يتوهم السواد من أهل الشرق ، اذا ما اريد لتلك الصناعة ان يكون لها عائد ، وان تدر، وان تنافس في الاسواق، اسواق الدنيا . لا سيما منافسة الدول التي فيها الثقافة تغمر المصانع ، والتكنية الرفيعة صاحبة اليد الطولى فيها .

والجيش يتطلب الجندي المتعلم . ان الحرب اليوم اجهزة من نتاج علم ، ومن نتاج تكنية . الطائرة جهاز حرب ، مدفعها المضاد لها جهاز حرب. الصاروخ جهاز حرب ، ومطلق الصاروخ جهاز حرب . الرادار جهاز حرب . الدبابة جهاز حرب. وهكذا سائر أدوات القتال.

لا يصلح لها الا من يستطيع القراءة والكتابة والحساب ، وفوق ذلك علما وخبرة .

ونكسة العرب ، نكسة حزيران الماضي ، كان لها أسباب كثيرة . وكان من أسبابها التي لا سبيل الى تكرانها قلة التعليم بين جنودهم . واكتمل تعليم الآخرين ولو بمقدار الحاجة .

المُعَلِّمُ، كالمُهَندِسِ وَالطَّبِيب

اخلص من كلمتي هذه السابقة ، عن التعليم والتعلم ، لأقول ان المعلم ، كالمهندس ، وكالطبيب ، يجب ان يعاد اختباره كل عشر سنوات ، حتى يتأكد الشعب انه لم يصبح عتيقا بعيدا عن زمانه ، أبعده الاهمال المتراكم ، والاكتفاء بدروس تلقى من عام لعام لا يتغير منها حرف واحد . فيصبح المعلم كقارىء القرآن على المقابر ، لا يستطيع ان يغير مما يتلو منه كل يوم حرفا .

مدرس اليوم، لا سيما المدرس العربي يرجي منه ان يخطو بجيله المتخلف الف خطوة وخطوة ليعوض عن اهمال واغفال سبق به الزمان . هذا المدرس يجب عليه ان لا يفتأ يقرأ ويتعلم ، بينا هو يعلم . وفي اصول التربية يقرأ ، ويقرأ فيما يعلم وفيما لا يعلم ، يقرأ في كل شيء ليكون رجلا مكتملا .

ان التعليم كاد ان يكون خير مهنة اخرجت للناس .

ان المعلم يعين في خلق الجيل، فتكتمل به ارادة الله في الانسان .

مَراحِلِ التَّعْلِيم صَارَتْ أَرْبَعًا

ويسوقني هذا الحديث الى مراحل التعليم التي درجنا عليها ، والتي اليها يدرج اهل السبق من امم الارض .

ان مراحل التعليم عندنا ثلاثة مراحل:

المرحلة الابتدائية .

فالمرحلة الثانوية .

فالمرحلة الجامعية .

ويضيف اليها السابقون من الامم اليوم مرحلة رابعة ، هي تعليم الكبار .

ولو ان عربيا او شرقيا سمع عبارة « تعليم الكبار » لفهم منها أنها تعليم الاميين منهم كيف يقراون وكيف يكتبون.

ولكن الامم السباقة التي نعني ، ليس فيها الا من يقرأ ويكتب .

انما هم عنوا بتعليم الكبار « اعادة تعليمهم » ، من مهندسين ، واطباء ، ومعلمين وكل ذي مهنة .

انهم ادركوا ان وجوه المعرفة ، في



هذا القرن الحاضر ، تتزايد سرعتها بعجلة « Acceleration » اشبه بعجلة تتزايد بها سرعة الجسم الهابط الى الارض . ومعنى هذا ان من يولد اليوم في الامم المتقدمة يفتح عينيه على دنيا لم يفتح ابوه ، ولم تفتح امه ، عينيهما على مثلها . دنيا جديدة ، وهي تتجدد كل عام . فعام ٦٨ أكثر جِدّة من عام ٦٧ . ولو سألتني ان اضرب مثلا لضربت مثلا من السيارات ، او من الرديات او التلفازات . كل منا يحرص على اقتناء الجهاز من آخر طراز ، لانه زاد فنا ، وزاد تكنيّة . وانت في كل باب من ابواب الصناعة تدخله ، وكل باب من ابواب العلم ، وكل باب من ابواب المعرفة الثقيلة الوزن الكبيرة الجاه ، وهي الف ، تجد الكثير الذي لا يعد من الاشياء المستحدثة التي تجعل من عام ١٩٦٨ عاما اجدّ من ١٩٦٧ ، الذي هو اكثر جدة من عام ٦٦ ، وعام ٦٥ . او بتعبير آخر تقول ان تلك الاعوام السابقة اكثر قدما .

والرجال المثقفون ، من معلمين واطباء ومهندسين وسائر اصحاب المهن ، هم كالسيارات لهم « مَرْكات » يعرفون بها ، هي في الغالب سنة تخرجهم . ولكنهم يختلفون عن السيارات والتلفازات والرديات والثلاجات والغسالات في ان لهم عقولا مدبرة وقلوبا منتعشة ثائرة ، مستطيعة دائما ان تتقدم مع الزمان بملاحقة ما يستجد فلا يصيبها الهرم ابدا . هؤلاء هم الذين يحملون دائما لوحة العام الذي هم فيه . وهؤلاء هم الذين يدرؤون عن المجتمع مغبّة انقسامه الى شقّين ، وانفصامه الى جيلين ، جيل قديم وجيل جديد ، يتعسر التقاؤهما ، فهما ، ومسلكا ، واملا ، تعسُّر التقاء زمانهما . ثم يقال هذا جيل متخلف ، وهذا جيل متقدم .

ومعنى هذا آباء وامهات متخلفون ، وابناء وبنات متقدمون .

متخلفون ومتقدمون زمانا . واولى ان نقول غير متفاهمين .

ويشقى الجيلان ، باختلاف الزمان. ويشقى ابن الستين بابن الست عشرة ، ويشقى ابن الست عشرة بأبيه ابن الستين .

واكثر متاعب المراهقة ، انما هي اختلاف نظرتين ، نظرة شباب ، ونظرة مَشيب .

المعلمون ، والاطباء ، والمهندسون طرزة كالسيارات

ولكن، لماذا التعليم والتعلّم، والجهل راحة وسلام ؟

اعتراض يتراءى غريبا ، وما هو بغريب .

وان تكن فيه غرابة ، فلعلها لانه جاء بعد ان حمدنا من التعلم والتعليم ما حمدنا ، وخلنا اننا انتهينا .

والحق ان هناك من طوائف الناس ، بل من طوائف المفكرين من قالوا : ان التوغل في المعرفة نقمة ، والفكر الدائم تصحبه دائما نفس غير مستقرة . والاستقرار عندهم اطمئنان وهناءة وسلام .

وهم دائما يضربون لك المثل برجل الامس البعيد ، الزارع ارضه ، الذي طواه الزمان ، حين لم يكن هناك مواصلة



الفلاح السعيد في ارضه ، قبل ان يكون في الارض علم ، وتكون تكنية

بقطار ارض ، ولا بطائرة هواء ، ولا حتى بسفينة ماء . وكان يعمل بقدر ما يحتاج . وكانت حاجاته قليلة بسيطة ، وكان بالعمل الجثماني صحيحا معافى . ويقضي سنواته هكذا رتيبة سعيدة حتى يأتيه الاجل فيسلم امره الى الله .

وطوائف من الناس لا ترى هذا الراى فترد تقول : ان مثل هذا الرجل فقد لذه الفهم ، ونعيم الدنيا ، ولذائذ العيش ، وكل ما اخرجته المدنية الحديثة مما اراح يدا ، او اعفى قدما ، او سد حاجات .

ويجيب الاولون فيقولون : ان ذلك الزارع ان كان فقد العلم كله حقا ، او فقد الفكر كله حقا ، او فقد نعيم الدنيا ولذائد العيش ، وما اخرجته المدنية من كل حلو المذاق انيق ، ففاقد الشيء لم يتذوقه ، واذن هو لا يعرف منه مذاقا حلوا يأسى عليه او يأسف لافتقاده . والحاجات التي سدتها المدنية ، انما هى حاجات طارئة ليست من صميم العيش ، وشقى الناس عملا ، وتصببوا عرقا للوفاء بها . ولو انهم لم يبتدعوها ما عرفوها ، وما أسوا عليها ، واذن ما بذلوا فى استنباطها جهدا متصلا جبارا شقوا به ابدانا وانفسا .

هذا كله كلام جميل ، وهو صادق .

ولكنه كلام هو اليوم غير ذى موضوع .

اليوم ازدحمت بنا الدنيا فليس هناك امل فى الرجوع القهقرى الى صورة الحياة البادية الاولى . ان التطور الذى اصاب الانسان كان عن مشيئة هى فوق مشيئة الرجل الانسان . ان الانسان لم يجعل الحياة فى اول امرها بسيطة ، انما هى كانت له هكذا . وهو على الزمن لم يركبها ولم يعقدها ، ولم يخطط لتركيب وتعقيد ، وانما هو وجدها تتركب وتتعقد ، فتقبلها كما هى . تماما كما كان يرى البحر يمد ، او هو يتجزر ، ولا يحاول دفع مده ، او الابقاء على جزره .

انها مشيئة فوق مشيئته .

فاذا نحن تساءلنا ، ما غاية التعلم اليوم ، وما غاية التثقيف ، وقلنا فى الجواب ان الحياة هذه الحديثة ، سواء كرهناها او حمدناها ، فى حاجة الى التعلم والتثقف ، لم تعد صوابا .

ومن اهل الفكر الذين لا يبالون ان يسموا الشر باسمه ، ويسموا الخير باسمه ، من قالوا ان هدف التعلم والتثقف انما هو الحصول على الرزق والاستيلاء على لقمة العيش ، مزبودة معسولة ما امكن ذلك ، فى عصر صار فيه الجهل والفقر كالشيء وظله ، لا يفترقان

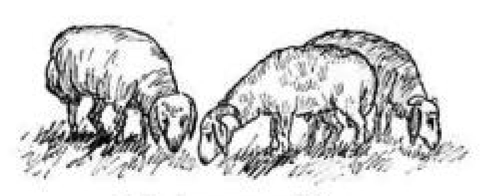
وهذا يسوقنا الى كلمة قصيرة عن المدرسة والتأهيل للارزاق .

المدرسة والتأهيل للعيش

ان المدرسة ، او الاولى ان تقول ان النظام المدرسى الذى يسلكه الطالب جملة ، قبل ان يخرج الى الحياة ، نظام محمود اذا هو أهل للعيش ، ومذموم

ذو خلل اذا هو ادى الى البطالة ، ومعها الجوع والمذلة والسخط على الحياة .

فالنظام المدرسي جملة لا يعمل اذن فى فراغ . نعم ان عليه ان ينمى فى الطلاب مواهب عقلية ، واذواقا فنية ، ومحصنات خلقية ، ولكن الى جانب ذلك ، هو يخلق فيهم الدربة ، ويصطنع الحرفة والمهنة والمهارة التى تملأ المعدة خبزا ولحما . وليس مما يهبط بقيمة الانسان ان تكون لـه معدة لا بـد من اشباعها . كل حي يسعى فى الارض ولا هم له الا هم بطنه . والانسان وحده هو الذى فرغ لاشياء محببة اخرى من بعد طعام .



« كل حى يسعى فى الارض
ولا هـم له الا بطنـه »

صلـة النظـام المدرسـي ، بالمجتمع والنظام الاجتماعي ، صلة اذن وثيقة . ولكنها صلـة قل ان تمارس وينتفع بها فى اكثر الامم . وهى اقل ممارسة ونفعا فى الامم التى اسميناها بالنامية .

لم نـسمع الى اليوم ان مدارسـنا درست وخططت لحاجات فى المجتمع ، ولـد ثغرات فيـه ، ولم نـسمع ان مجتمعا من مجتمعاتنا اجتمع ودرس ، وكشف الثغرات التى فيه وطالب بها ان تسد .

ومع هذا فما اكثر ما يتحدث اهـل التربيـة عـن التـخطيط للمجتمـع وبالمجتمع . **انها ادعية كأدعية القوم المستضعفين فى الارض .**

وتعمـل المدارس لغايـة . وتعمـل المجتمعات لغاية . ولا تلتقى الغايتان ، فتكون من ذلك البطالة .

والبطالة الحادثة اليوم صنفان :

بطالة قوم لا مهرة فيهم ، فاتهم التعلم ، فليس فيهم الا العضل مصدر قوة .

وبطالة قوم تعلموا وتثقفوا ، ولكن من غير تخطيط لمهنة بذاتها .

اما الصنف الاول فتحاول الدولة ان تفرج ضائقتهم بالاعمال التى جاز ان يعملها البقر والخيل . اعمال العضل البحت . وهذه فى علم الاقتصاد الحاضر تمنع النمو الصناعي الذى تتطلع اليـه الدول باستخدام الآلات، التى لا تحركها العضلات ، ولكن تحركها الطاقات ، من طاقة بخار وطاقة كهرباء .

امـا الصنف الثاني من البطالـة ، البطالة المثقفة ، فتحاول الدولة ان تفرج ضائقتها بحشر شبابها حشرا فى وظائف الدولة بقصـد ايوائهم تحت سـقف حجرة بها خمسة موظفين ، لو يضاف الى كراسيها خمسـة كراسي اخرى لاتسعت لعشرة . فى حين ان حصة الحجرة من العمل لا تزيد بهذه الاضافة مثقالا . انه الاحسان المستور الذى يحفظ ماء الوجوه ، لا غير . والارغفة الخمسـة التى كان يأكلها خمسـة ، يأكلها عشرة ، فى الحساب النهائي للدولة .

وسبب هذا سوء التخطيط . او على الارجح لا تخطيط . نعلم من نعلم ، ولا نسأل عن مكانهم فى المجتمع العامل ، ما هو ، واين هو ، ومتى يتهيأ لامتلاء .

انها لا مبالاة نجدها على الاكثر اشد ما تكون فى الامم التى ضاعت ثقة الفرد فيها بالمجموع وثقة المجموع بالفرد ، وتفتت الشعب ، واعتراه الخوف فطلب السلامة فى الصمت ، وعاش الناس فيه ليومهم ، دون غدهم ، وصارت تحيتهم فيه عندما يلتقون ، انا لله وانا اليه راجعون . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٠٩

إجابات تستغرق عشرات الصفحات

■ أشرنا من قبل الى ما تميزت به بعض الاجابات عن اسئلة مسابقات « العربى » ، وبخاصة الأسئلة الأدبية والتاريخية ، من افاضة تدل على ما يبذله اصحابها من جهد في البحث والتنقيب بين كتب الادب والتاريخ والموسوعات المختلفة ، قديمها والحديث ، ثم يضمنون اجاباتهم ما يقعون عليه في تلك الكتب من معلومات قيمة ومفيدة .. وتلك لا ريب ظاهرة طيبة تدعو الى الغبطة، خصوصا اذا كانت تصدر عن رغبة صادقة في شحذ المدارك والاستزادة من المعلومات العامة ، لا لمجرد الرغبة في الحصول على الجوائز التى يعلمون ان الحكم فيها انما هو للحظ ، والحظ وحده .

ومن بين الاجابات المستفيضة في هذه المسابقة بالذات ، اجابات السادة : محمد حلمى محمود المدرس بمدرسة طنطا الثانوية للبنين (ج.ع.م) الذى وفق لمعرفة ١٩ شخصية ، ولم يخطىء الا في الصورة رقم ١٣ اذ ظن انها لطاغور شاعر الهند بينما هى لراسبوتين .. وقد كتب عن كل شخصية صفحة فولسكاب كاملة . ويليه الطالب محمد جمال هنداوى، بمدرسة الوليد بن عبدالملك في حلب بسورية ، وقد اجاب عن ١٦ سؤالا في اكثر من ٣٢ صفحة فولسكاب ، فالمواطن العربى عبد الكريم سليم حمدان قشطة ٢٩ شارع اليمن بسيدى جابر بالاسكندرية اذ وفق في الاجابة عن ١٣ سؤالا لم اخطأ فى بقية الأسئلة ،واستغرقت اجابته اكثر من ٢٠ صفحة . وغيرهم كثيرون .

الاجابات الصحيحة

٢ ــ برنارد شو .

٣ ــ اينشتاين .

٤ ــ برتراند رسل

٥ ــ نهرو

٦ ــ احمد لطفى السيد

٧ ــ احمد شوقى .

٨ ــ محمد الخامس .

٩ ــ محمود سامى البارودى

١٠ ــ مصطفى لطفى المنفلوطى .

١١ ــ عبد العزيز آل سعود .

١٢ ــ عبد الرحمن المهدى

١٣ ــ راسبوتين .

١٤ ــ غاندى .

١٥ ــ الجيوكوندا

١٦ ــ عبد الله السالم الصباح .

١٧ ــ عبد السلام عارف .

١٨ ــ عبد القادر الحسينى

١٩ ــ نابليون

٢٠ ــ موسولينى .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية القرعة ، بين الاجابات الصحيحة ، فاسفرت عن فوز الآتية اسماؤهم :

الجائزة الاولى وقيمتها ٢٠ دينارا ، فاز بها/ **محمد عياد سليوة**/السفارة الليبية تونس .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا . فاز بها **محمد جمال هنداوى** حلب / سوريا

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير ، فازت بها السيدة **نعمات احمد مفتى**/ الخرطوم /السودان.

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من الآتية أسماؤهم .

١ ــ **محمد بن بلقاسم مقليد** (طالب جزائرى) ص. ب ١٨٥/البيضاء/ليبيا .

٢ ــ **الآنسة منى محسن العبوة** : نجد/ المملكة العربية السعودية .

٣ ــ **فاروق عبد اللطيف محمد**:الرقابة الادارية ١٣٢ شارع التحرير بالدقى / القاهرة /ج.ع.م

٤ ــ **آية داود ادريسي** / ٢٩ حارة السورة درب زمران / مراكش / المغرب .

٥ ــ **على عبد الله القطان**/الكويت .

٦ ــ **محمد كاشف الغطاء** : حلة/العراق .

٧ ــ **احمد نجيب العقاد** : عمان/الاردن

٨ ــ **حامد عبد القادر العطار** : كريتر/عدن/ جمهورية جنوب اليمن الشعبية .

وسترسل الجوائز لمستحقيها . ■■

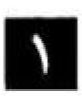




وجوائز ١٠٠ دينار

■ أمامك أيها القارىء الكريم عشرة اسئلة .. ومع كل منها اجابات مختلفة .. والمطلوب منك ان تتعرف على الاجابة الصحيحة لكل سؤال وترسلها الينا لتشترك في المسابقة .. واذا فشلت في معرفة الاجابة عن الاسئلة العشرة فيكفى ان تجيب عن سبعة اسئلة لتشترك في الاقتراع على الجوائز ..

وهذه هي الاسئلة :



● سعد بن ابى وقاص : قاد ثلاثين الفا من جنود المسلمين ليحارب جيشا مكونا من مائة الف جندى ، فانتصر على هذا الجيش الكبير في معركة القادسية الشهيرة .. فمع من دارت هذه المعركة :

(أ) الاسبان

(ب) الفرس

(جـ) الاتراك



● تعرضت بغداد في زمن المغول لموجتين تخريبيتين قام باحداهما هولاكو وقام بالاخرى تيمورلنك .. وواحد من هذين الرجلين : انى بالمسلمين وخيرهم بين مسلم ظالم وكافر عادل ، فوافقوا على كافر عادل .

فاى الرجلين هو هذا الرجل : هولاكو أم تيمورلنك ؟



● مجاهد عربي .. ولد في الجزائر عام ١٨٠٨ وتوفى في دمشق عام ١٨٨٣ حارب القوات الفرنسية حربا شعواء ، ما اسم هذا المجاهد :

(أ) عبد الكريم الخطابي

(ب) عبد القادر الجزائرى

(جـ) عمر المختار

٤

● في رمضان هذا الفائت احتفلت الدول الاسلامية بمرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن .. فهل تدرى كم عدد سور الكتاب الكريم ؟ هل هي :

أ ـ ١١٢ ب ـ ١١٤ جـ ـ ١١٧



● اول جريمة قتل في العالم ارتكبها اخ ضد اخيه : ما اسم القاتل ؟ وما اسم القتيل ؟ ومن كان ابوهما .

٦

● الخلفاء العباسيون بلغ عددهم ٣٧ خليفة استمرت فترة خلافتهم ٥٠٨ سنة من(١٣٢هـ ٦٥٦هـ) اى (من ٧٥٠ الى ١٢٥٨ م) وبلغ الاسلام اوج مجده في عهدهم .. ومع هذا فقد قتل منهم عدد غير قليل فمن كان آخر من قتل منهم ؟

أ ـ ابو جعفر المنصور .

ب ـ ابو العباس عبد الله

جـ ـ المستعصم بالله .

٧

● مكث العرب في جزيرة صقلية ما يقرب من ٢٥٠ عاما .. والقائد الذى افتتحها هو فقيه افريقيا المشهور .. فمن هو هذا الفقيه القائد :

أ ـ عقبة بن نافع .

ب ـ طارق بن زياد .

جـ ـ اسد بن الفرات .



● مارى انطوانيت زوجة لويس السادس عشر وكريمة امبراطور المانيا فرانسوا الاول من زوجته الامبراطورة مارى تيريز ملكة هنغاريا وبوهيميا .. اطلق عليها الشعب الفرنسي لفظ النمساوية L'Autrichienne لموقفها الموالى للنمسا اكثر من ولائها لفرنسا .. كانت لاتفكر الا في المتعة والبذخ ، وزاد على ذلك مكائد القصر ، فحكم عليها الشعب بالاعدام ووقفت مربوطة الايدى خلف ظهرها لتلقى الموت .. فكيف ماتت :

أ ـ اطلق عليها الرصاص .

ب ـ وضع حبل المشنقة حول رقبتها .

جـ ـ قطعت رقبتها بالمقصلة .

٩

● ملكة سافرت من اليمن الى القدس لمقابلة سليمان الحكيم والاستماع الى حكمه .. ما اسمها :

(أ) الزباء

(ب) بلقيس

(جـ) شجرة الدر .

١٠

● خيانة كبرى وقعت في التاريخ القديم .. فقد اشترك القاتل في قتل صديقه ، ذلك الرجل الذى كان احسن اليه .. فنطق القتيل قبل ان يموت يخاطب القاتل بقوله المشهور : « حتى انت يا بروتوس » .. فما اسم القتيل الذى قال هذه الجملة :

أ ـ افلاطون .

ب ـ بركليس .

جـ ـ يوليوس قيصر .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٨ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .



الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ ـ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



آمراض شائعة



فى حلق ابنك وذويك

كيف تعملان؟

وكيف تمرضان؟

ومتى تستأصلان؟

■ مرض اللوز من الامراض الشائعة ، لاسيما بين الاطفال . ونستطيع ان نجمل ما يحدث فيما يختص بهما فى كلمة قصيرة غير دقيقة : انهما لوزتان فى الحلق ، وهما يتورمان عندما يصاب الطفل عادة ببرد ، ويتكرر التورم . ويضيق الاب بذلك ، وتضيق الام ، فيحسمان الامر عند الطبيب ، وهو ، وأعنى به جراح الانف والاذن والحنجرة ، غالبا ما يطيع ، فيستأصلهما .

ولكن هذا الكلام المختصر لا يشفى ، اذا كنت ابا ولك أولاد ، او ستكونه ، او لك اقارب تدور بينهم ، وليس فيه من القدر الثقافي ما يحرص عليه رجل هذا القرن . فاليك المزيد .

موضع اللوزتين من الحلق

اللوزتان جسمان لحميان على شكل اللوز ، ومن هنا جاء اسمهما تخيلا .

ونعلم أن الفم ينفتح على الحنجرة التى هى راس القصبة الهوائية ، ومنها يدخل هواء التنفس الى الرئة . وانت تستطيع ان تضع يدك على حنجرتك هذه من خارج رقبتك فتحسها .

ونعلم كذلك أن الفم ينفتح على المرىء الذى يحمل الطعام الى المعدة ، وموضعه وراء القصبة الهوائية .

والجزء من الفم ، الذى يحتوى هذين المدخلين ، من هوائي وغذائي ، يعرف بالحلق ، وهو ينفتح ايضا الى

اعلى حيث الانف ومنخراه . فعن طريق الحلق يدخل الهواء من الانف كذلك الى القصبة الهوائية فالرئة .

الحلق اذن مدخل الى باطن الجسم خطير . فلا بد اذن من خفارة تقف عنده تمنع الخطير من المكروب ان يدخل اليه .

وتمثلت هذه الخفارة في اجسام تقف عند هذه الابواب تتلقف كل زائر غير كريم .

ففي يمين الحلق وفي يساره تقف اللوزتان تخفران . وهما من نسيج لمفاوى .

وفي مؤخر اللسان يوجد نسيج لمفاوى يقوم بهذه الخفارة .

وفي مؤخر الانف توجد طائفة من نسيج لمفاوى ، فوق سقف الحلق الرخو ، وتعرف بالزوائد الانفية .

ولو تصورت توزع هذه الاجسام على الحلق لادركت انها تحلقت حوله ، كمراكز للدفاع اربعة ، قامت عند مدخل تحمية منيع .

اما حمايتها لهذا المدخل ، المدخل الى الرئة والمعدة ، فبسبب انها جميعا مصنوعة من انسجة لمفاوية من شأنها انها لا يمر بها المكروب الا وتتلقفه وتهضمه

ولقد سبق أن شرحنا في « العربي » لشهر يناير عام ١٩٦٨ بصفحة ١١٠ ، الدورة اللمفاوية القائمة في الجسم ، وانها تعين الدورة الدموية ، وذكرنا ما بأوعية هذه الدورة اللمفاوية من غدد تصفى فيها الاغذية مما بها من مكروبات ضارة ، قبل أن تجوزها ، وذلك بالتقاط هذه المكروبات وهضمها هضما . انها المادة اللمفاوية بهذه الغدد ، هي التي تفعل ذلك .

ولوزتا الحلق ، والنسيج اللمفاوى في مؤخر السان ، وكذا الزوائد الانفية ، كلها مؤلفة من هذا الصنف من النسيج الذى تألفت منه الغدد اللمفاوية ، فهي تقوم ، على استقلال ، بما تقوم به الغدد

الصورة العليا للفم المفتوح ، وتظهر فيه الاسنان ، واللسان ، واللهاة في سقف الحلق ، ثم اللوزتان ، عن يمين وعن يسار .

وفي الصورة السفلى رسم مكبر للوزة اليسرى من الفم المذكور ، ونرى فيها المادة اللمفاوية التى فيها ينهضم المكروب انهضاما .

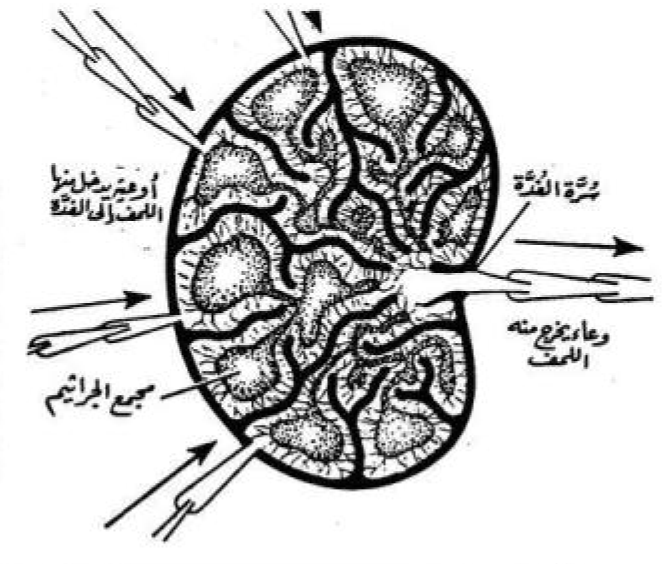
• • •

لحراسة مداخل الحياة من الانسان بالمقدار الذى تستطيع : مدخل الغذاء ، ومدخل الهواء .

تورم اللوز

وعند دخول المكروب الى الحلق ،

هذه صورة ايضاحية لغدة من الغدد الموجودة داخل الجسم بكثرة فى الاوعية اللمفاوية ، وترى فيها اللمف السائل يدخل اليها ، وهو اذ يغمر المادة اللمفاوية التى منها يتالف جسم الغدة ، تلتقط هذه المادة ما فى هذا السائل من مكروب فتهضمه ، ويخرج السائل مصفى لا خبث فيه ، يدور فى الدورة اللمفاوية العامة



فالى اللوزتين ، والى الاجسام اللمفاوية التى فيه ، تأخذ هذه الاجسام فى الدفاع ، فتتورم ، وتحمر ، وتؤلم . وتورم اللوز دليل على انها قائمة باداء واجبها بقتل البكتير .

وهذا يكثر فى الاطفال ، ويتكرر .

وبتقدم السن ، عندما تنشأ فى الجسم وتنمو وسائله الاخرى فى دفاع الامراض ، تقل اللوزة حجما ، وقد تصغر حتى لا تكاد ترى .

انهما لا يعملان عندئذ . وهذا مآل كل ما لا يعمل ، ومن لا يعمل : الاختفاء

وليست اللوز وحدها هى التى تصغر بتقدم السن ، بل كذلك الاجسام اللمفاوية التى تقوم فى الحلق تحرس مداخله ، ومنها الزوائد الانفية . وهذه تختفى فى العادة اختفاء مع البلوغ .

واللوز تصنع الاجسام المضادة

والمعروف ان المكروب اذا دخل الجسم ، لا يلبث الجسم ان يصنع مادة مضادة تضد هذا المكروب عن الجسم ، وتدفع عنه شره بأن تفنيه . انها المواد المضادة المعروفة بال Antibodies

وفى الطب يعتقد ان اللوز ، وسائر الانسجة اللمفاوية التى بالحلق ، لعلها تقوم بتحضير هذه الاجسام المضادة . وعند هذا النفر من الاطباء ، ان تورمها ليس فقط لقيامها بقتل المكروب ، ولكن كذلك لاشتغالها بتحضير هذه الاجسام التى هى اشبه بالذخيرة للرجل المحارب . الا ان هذه الاجسام لابد ان يكون بينها وبين المكروب الذى تقتله التئام والتحام ، فهى تلتحم به التحاما لتقتله .

اعراض التهاب اللوز الحاد

تأتى الاعراض عادة بغتة ، فيشعر الطفل بصعوبة فى البلع ، ومع هذا ارتفاع فى درجة الحرارة . وبفحص اللوزتين يوجد فى احداهما او كليهما تضخم ، وغطاء من مادة بيضاء او فى لون الرماد ، وهى عبارة عن ارتشاح يخرج من اللوزة . وهذه المادة قد تنتشر متناثرة هنا وهنا ، او قد تكون متصلة المساحة تكاد تغطى اللوزة كلها . وهذه تفرقة فيها للطبيب دلالة . وحين تشمل المادة البيضاء او الرمادية اللوزة كلها ، يصبح التفريق بين هذا المرض ومرض الدفتريا امرا ضروريا .

والالتهاب يندر ان يقتصر على اللوز ، وانما هو يمتد الى الحلق كله . والغدد الواقعة تحت زاوية الفك الاسفل قد تتورم ومسها يؤلم .

وقد يظهر الم فى الاذن ، وهذا قد يدل على وصول الاصابة الى القناة الموصلة للاذن . وهنا يحسن التيقظ خشية ان يصل الالتهاب الى اذن الطفل .

العلاج

بالطبع الراحة فى السرير حتى تهبط الحمى ، وهذا ضرورى خشية ان يتطور الداء الى امراض خطيرة اخرى .

والطعام يكون من اللبن بحيث يبلعه المريض بغير الم .

اما عن سائر العلاج فأمره موكول للطبيب لا للمريض ، ولا لاهل المريض . واساسه معالجة الالتهاب بمبيدات البكتير الذى هو سبب الالتهاب ، ومثال ذلك مركبات السلفا Sulphonamides وهى اكثر ما تكون لمعالجة اعراض المرض، ودفع مضاعفاته ، اما مدة المرض فلا تكاد تتأثر .

هل تستاصل اللوزتان ؟

هناك اختلاف عظيم بين الاطباء ، متى تستأصل اللوزتان ، ومتى لا تستأصلان.

والسبب فى هذا الخلاف ان الذين يرون ان لا تستأصلا ، يعتبرون أن اللوزتين بعض خط الدفاع الاول ضد المكروب الغازى للجسم عن طريق الفم ، وأن باستئصالهما استئصالا لهذه الخفارة الطبيعية .

ويقول الآخرون ، ان اللوزتين تتورمان، وهذا دليل الداء فهما سببه ، ويقول الاولون ان اللوزتين وجدا هناك ، عند هذا المدخل ، لكى يتورما . ان تورمهما انما يكون لقيامهما بوظيفتهما فى الدفاع. وهما اذا لم يتورما فمعنى هذا انهما لا يقومان بهذه الوظيفة . انهما اذن عاجزتان . وعندهم ان هذا التضخم فى الحجم هو لازم وطبيعى ، وهو من شأن اللوز لاسيما فى الاطفال ذوى الخمس السنوات والسبع وما بينهما .

والمعارضون للاستئصال لا يرون تضخم اللوز ، ولا حتى تقيحهما سببا لاستئصالهما . وعندهم ان الاستئصال يجوز فقط عندما يثبت ان اللوز فقدت قدرتها على الدفاع .

ومع هذا ، فهؤلاء يقرون ان ليس هناك طريقة لاثبات ذلك .

والظاهر أن المعارضين انما يعارضون بسبب ان استئصال اللوز اصبح فى بعض البلاد الاوروبية طرازا من أطرزة الطب محببا ، يهرع اليه الآباء الشائعة فيهم ان استئصال اللوز يؤدى الى تحسين الصحة عامة .

ومع كل هذا ، انعدام الدليل القاطع الذى يقول بضرورة استئصال اللوز ، فان المتفق عليه أن تكرار اصابة الصبي بالتهاب اللوز الحاد ، المتكرر ، يشير الى ان الخير في استئصالها .

احصاء

وقد احصوا عدد الجراحات لاستئصال اللوز فى انجلترا ، فكان اكثر من ٢٢٥٠٠٠ وذلك فى عام ١٩٥٤ ، وذلك تحت نظام الخدمة الصحية القومية العامة. ولا يدخل فيها ما يجرى من ذلك فى المستشفيات الخاصة .

اما فى الولايات المتحدة فتبلغ الجراحات اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ جراحة فى العام .

واستئصال اللوز هو اكثر الجراحات اجراء ، مع مخدر كامل .

وكثيرا ما تستأصل الزوائد الانفية معها .

استئصال اللوز فى الكبار

وكثيرا ما تستأصل اللوز فى الكبار ، اعنى البالغين ، وقد كان حديثنا ينصب اكثره على الاطفال والصبية .

ولقد تقدم علم التخدير الى درجة كبيرة كان من بعض نتائجها ان اصبحت السن لا تمنع من اجراء استئصال اللوز. وهى اكثر ما تستأصل بسبب تكرر الاصابة بالتهابها ، ومن اجل ذلك تأتى النتائج على خير ما ترجى . ●●



الاعتراف هل يحتفظ به سرا ولو أنذر بجريمة !؟

● اقامت اعترافات قاتل شاب فى المانيا الغربية ضجة ، ما زال صداها يتردد فى الصحف رغم مرور بضعة اشهر عليها !

كان الشاب جيرجين بارتش Jurgen Bartsch من مدينة لا نجنبرج Langenberg بالمانيا الغربية ، يعمل صبي جزار ، وكان فى السادسة عشرة من عمره . ثم حدث ان ذهب يوما الى احد القساوسة ، ليعترف له بجريمة ارتكبها ويطلب الصفح والغفران . قال جيرجين للقس : « لقد قتلت صبيا فى الثامنة بعد ان اعتديت عليه ! »

واستمع القس لاعتراف القاتل ثم طلب اليه ان يسلم نفسه الى الشرطة ، اذا كان يريد حقا ان يغفر الله له جريمته .ولكن الشاب القاتل رفض ، وانصرف ولم يعد ابدا .

الشاب القاتل الذى أثارت اعترافاته ضجة بألمانيا



وانقضت اربع سنوات على هذه الجريمة ، وقعت خلالها ثلاث جرائم مماثلة لثلاثة صبية صغار ، لقوا حتفهم فى ظروف مشابهة تماما ،

واخيرا وقع القاتل فى ايدى رجال الشرطة ، ووقف يعترف بالجرائم الاربع ، ويعترف بالشروع فى ارتكاب ٧٠ جريمة اختطاف اخرى لاطفال صغار ، ليفعل بهم ما فعله بضحاياه الاربع . واخيرا اطلق القاتل قنبلته حينما قال : « لقد سعيت الى التوبة والغفران عندما ذهبت واعترفت للقس فلان منذ خمس سنوات » .

وثار الراى العام على القس . قالوا : « لو انه ابلغ البوليس بعد وقوع الجريمة الاولى ، لانقذ ارواح ثلاثة اطفال ابرياء ... وانقسم الناس بين مؤيد لهذا الراى ومعارض اياه . قال اصحاب الراىالاول : « ان سكوت القس على مجرم تهديد للمجتمع الذى يعيش فيه ، وهو فى الواقع تستر عليه .. ولو بغير قصد »

وقال اصحاب الراى الثاني : « ان الاعتراف سر مقدس ، ولا يجوز لاى قس ينتمي لاى مذهب من المذاهب المسيحية ان يبوح به ، والا عرض نفسه للحرمان من الكنيسة . ان كرسي الاعتراف هو المكان الوحيد الذى يستطيع ان يلجأ اليه الانسان المسيحي ، ويتكلم من فوقه بحرية دون ان يساوره خوف » !

وجاء دور القضاء ليقول كلمته ، فحكم على القاتل بالسجن مدى الحياة .

ولكنبقي ان يقول رجال الدين المسيحي كلمتهم فى الاعتراف ، متى يكون سرا ، ومتى لا يكون !

وهذا امر لا يخوض فيه من الوجهة الدينية غير رجال الدين .



الفتيات الخمس يقرأن برقية الأمير فيليب

درس من بريطانيا

● خمس فتيات انجليزيات أصبحن حديث بريطانيا وصحفها في الشهر الماضي . فماذا فعلن ؟ قرأن تصريحا مقتضبا بعد تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني لأحد المسئولين في الحكومة يقول فيه : « ان ميزان المدفوعات البريطاني يتوازن لو عمل كل فرد عامل نصف ساعة اضافية في اليوم بدون اجر ! » .

فما كان من الفتيات الا ان قمن طوعا باتباع هذه النصيحة وبدأن يعملن نصف ساعة بدون مقابل وكانت النتائج تفوق كل تصور ! اذ ما كادت الصحف تنشر صورة الفتيات الخمس وتكتب عنهن ، حتى سارع الامير فيليب زوج ملكة بريطانيا بارسال برقية الى المصنع يقول فيها :

« لقد كان هذا هو اسعد خبر سمعته في العام الجديد » . وكتب هارولد ويلسون رئيس الوزراء كلمة تهنئة لمدير المصنع . وأيدت الاحزاب السياسية الرئيسية الثلاثة وهي احزاب المحافظين والعمال والاحرار هذا العمل الجليل وبادرته ! ونظم الشاعر الانجليزي المعروف سيسيل داى لويس Cecil Day Lewis قصيدة يشيد فيها بالفتيات الانجليزيات الخمس ، وبعملهن الصغير الكبير . واصبحت العاملات الخمس قدوة لجميع موظفي وعمال المصنع البالغ عددهم ٧٤٠ موظفا وعاملا . فقد قرروا جميعا العمل نصف ساعة بعد موعد انتهاء العمل الرسمي ، بدون مقابل . وقامت احدى دور الطبع بطباعة مائة الف لافتة صغيرة يعلقها العمال على صدورهم تقول : « انا اساند بريطانيا » .

وكانت النتيجة ، ان زاد انتاج المصنع ، وارتفعت اسعار اسهمه ، وخفض المصنع نتيجة لذلك سعر منتجاته المعروضة في الاسواق بنسبة ٥٪ .



★★

السكان فى فرنسا سياسة تنقلب

● وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) على مشروع قانون يقضي باباحة تنظيم الاسرة فى فرنسا ، وتصنيع وسائل منع الحمل ، واستيرادها وبيعها تحت اشراف الهيئات الصحية.

ولهذا الخبر الصغير دلالة هامة لأسباب عدة أهمها سببان :

اولهما ان هذا القانون الجديد قد صدر فى دولة تدين غالبية شعبها بالكاثوليكية . وهذا المذهب المسيحي يحرم تحديد النسل ، وهو الى اليوم كان له أثر فعال فى فرنسا . وللبابا ، وهو اعلى سلطة روحية عند الروم الكاثوليك ، رأى معروف ، وهو ان تحديد النسل خطيئة .

اما السبب الثاني فهو ان فرنسا بالذات كانت تعاني من نقص فى عدد سكانها بعد الحرب العالمية الثانية، فكانت تشجع الأسر الكبيرة ، وتقدم للأم التى تنجب أكبر عدد من الاطفال ، وساما يقلده لها رئيس الجمهورية فى حفل كبير تشهده كل الامهات. ذلك ان تعداد فرنسا بعد الحرب بقي كما هو لا يزيد ولا ينقص عن أربعين مليونا .

ولكن هذا العدد ما لبث أن ارتفع الى ٤٨ مليون فى عام ١٩٦٥ .

وبهذا العدد رأت فرنسا انها بلغت حد الكفاية من السكان ، فقلبت سياستها التقليدية من اباحة النسل الى تحديده . ومعنى هذا أن تنظيم النسل يجرى الآن فى الأمم بالتحديد وبالاباحة تبعا لحاجة البلاد على سائر وجه الارض .

.. والسكان فى رومانيا

● ومصداقا لما نقول ما حدث بالامس ويحدث اليوم فى رومانيا فقد قامت الحكومة الرومانية فى ١٩٦٦ بحملة كبيرة لزيادة النسل وتشجيع الاباء والامهات على زيادة عدد اطفالهم نتيجة لانخفاض نسبة المواليد وذلك من حيث أصبحت ١٤٫٣ لكل الف مواطن فى حين أنها كانت ٢٤٫١ فى عام ١٩٣٠ .. ومع هذه الحملة الدعائية سنت الحكومة الرومانية عدة قوانين تساعد على زيادة النسل منها قانون بمنع الاجهاض .. وقانون تنظيم الطلاق وتضييق نطاقه وكذلك منع استيراد او انتاج وسائل منع الحمل من ادوات او حبوب .. كما رصدت ايضا مكافآت شهرية لكل أسرة لديها اكثر من طفلين .

وبعد ٩ اشهر من تنفيذ هذه القوانين ظهرت النتيجة وقفزت نسبة المواليد الى ٢٨٫٩ لكل الف مواطن .

ثم انقلب الحال .

فقد وجدت الحكومة الرومانية نفسها امام مشكلة جديدة فهذه الزيادة الكبيرة لم تكن فى الحسبان ولذلك ووجهت مستشفيات الولادة بضغط لم

لو أنهم نجحوا في زرع

لو زرعــوا مــخ امرأة

● ان العلماء نجحوا فى نقل كلية انسان مكان كلية انسان آخر وهم نجحوا فى نقل قلب انسان مكان قلب انسان آخر وهم فى هذه الايام فى روسيا وفى الولايات المتحدة ، يحاولون عمليات مؤداها نقل مخ من انسان الى انسان .

يقوم الدكتور « روبرت هوايت » الأستاذ بكلية الطب فى جامعة وسترن ريزرف Western Reserve بالولايات المتحدة الامريكية بتجارب لزراعة المخ بين الكلاب .. وبالرغم من ان هذه التجارب لم تبشر بعد بالنجاح الا انها أثارت مشكلة جديدة لم تكن تخطر على بال احد من قبل !! ان العلماء يؤكدون أن الانسان الذى ستجرى له عملية زراعة المخ سيكتسب مع مخه الجديد كل صفات وذاكرة وذكاء وعواطف وشخصية صاحب المخ المزروع !! أى باختصار ان حياته

راسا على عقب !

يكن متوقعا واضطرت هذه المستشفيات فى كثير من الاحيان الى وضع الوالدات كل اثنتين منهن فى سرير واحد أو على سرائر وضعت فى ممرات المستشفى !

ونشات ازمة فى ملابس الاطفال وفى عرباتهم وفى المرضات المدربات على عمليات الولادة وايضا بالنسبة لعاملات المصانع المدربات فهناك حوالي ۱٫۲۰۰٫۰۰۰ امراة تعمل فى المصانع والقانون يسمح الحامل منهن اجازة سنوية لمدة ١٦ أسبوعا .. وبزيادة عدد الحوامل بدات ازمة فى الايدى العاملة.

وهكذا قامت الحكومة الرومانية بحل مشكلة نقص الاطفال لتواجه بمشاكل جديدة ترتبت على زيادة عدد الاطفال !!

واصبح من المحتمل جدا أن تعود رومانيا مرة اخرى الى تحديد النسل ..

وهكذا تصبح عملية ضبط النسل أو اطلاقه مسالة تتحكم فيها الظروف . منعا أو اباحة .

ورقة البردى التى كتبت منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة بالهيروغليفية . وفيها وصف عن طريقة منع النسل باستعمال حاجز مهبلي مصنوع من القماش الرقيق المغموس فى بودرة مستخرجة من نبات « الاكاسيا » ولعلها أول طريقة علمية عرفها العالم لتحديد النسل .

تنظيم النسل عمل قديم مارسه قدماء المصريين

وقد يظن الكثيرون ان تحديد النسل بدعه من بدع هذا العصر ، العصر الصناعي ، العصر التكنولوجي ، وما هو بذلك ..

ان الظن انه مراس قديم قدم الدهر . وقد مارسه لاشك المصريون القدماء .

فقد وجدت بين آثارهم احدى أوراق البردى التى يرجع تاريخها الى اربعة آلاف سنة مدونا فيها طريقة منع النسل بواسطة حاجز مهبلي مصنوع من النسيج ومغموس بنوع من البودرة مستخرج من نبات « الاكاسيا » .. ومن الناحية العلمية فان نبات « الاكاسيا » يحتوى على الصمغ العربي الذى يتميز بانه حامض معتدل وبذلك يقتل الحيوانات المنوية قبل وصولها الى البويضة لاتمام عملية التلقيح .. ■■

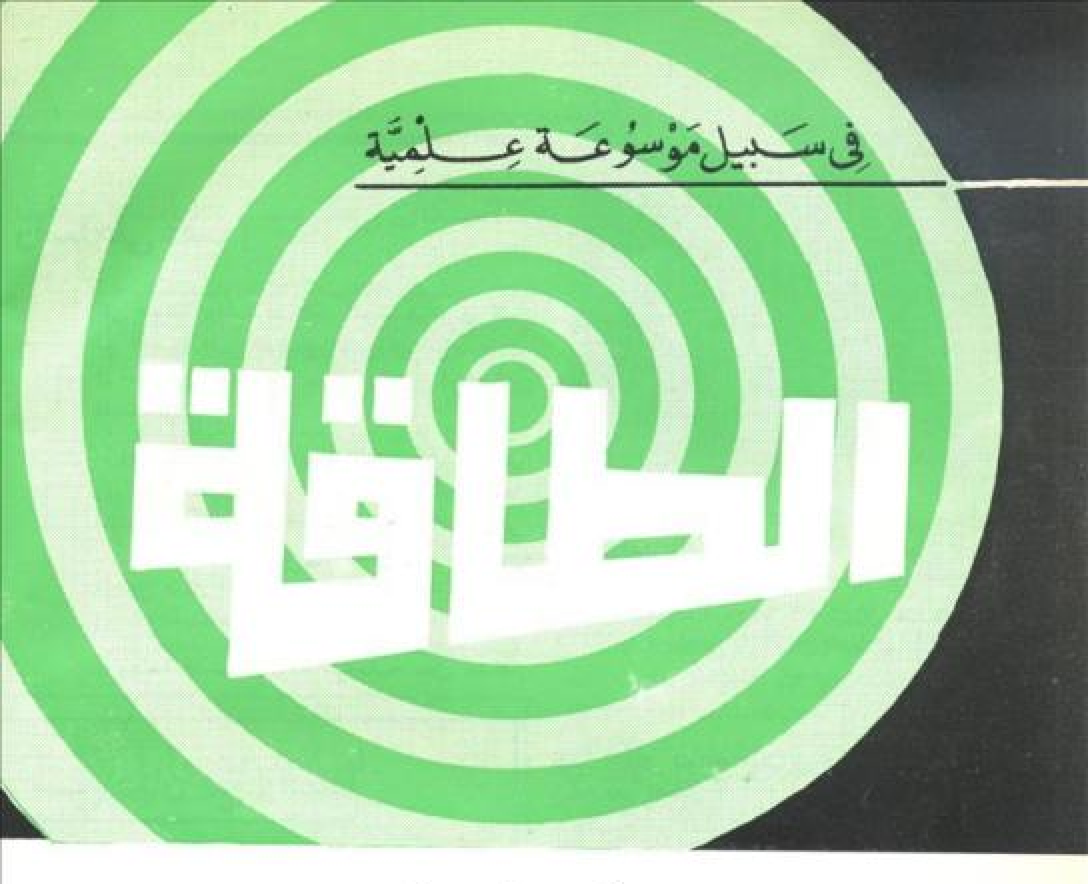
مــخ مكان مخ ! فماذا مكان مــــخ رجــل !؟

الجديدة ستختلف اختلافا تاما عن حياته الاصلية .. ولن يصبح هو نفسه مرة اخرى ! .

والآن ماذا يحدث اذا تم نقل مخ امراة الى رجل .. أو مخ رجل الى امراة ! وماذا يحدث اذا نقل مخ رجل لم يتعلم الى رجل بلغ درجة من الثقافة عالية .. !! .

وهل يمكن عن طـريق نقل المخ المحافظة على امخاخ الافذاذ من العلماء وحمايتها من المـوت بزرعها فى اجسام شبان اصحاء .. عندما يشرف العالم على الوفاة .. ؟ ! .

ان الجواب على هذه الاسئلة يحمل فى طياته حقائق رهيبة واحداثا قد لا يتصورها خيال أعظم مؤلفي الروايات خيالا !! .



بقلم الدكتور أحمد زكى

الطاقة في اللغة ، وفي العلم

■ هذا رجل قوى .

وهو رجل نشيط .

وهو قادر .

وهو ذو حيوية .

وانا اقوى على هـذا العمل . وانا اطيقه . فعندى الطاقة له او عليه .

وهذا شغل ، اكملت بعضه بالامس ، واكمل سائره اليوم .

كل هذه العبارات تحتوى الالفاظ : القوة . والقدرة . والطاقة . والشغل .

وهذه الالفاظ لها في لغة الناس معانى تفهم ، ولكن فهما فيه شيء من الابهام . وانت لو تأملت معنى القوة والقدرة ، وما بينهما من فرق ، لم تستطع بالضبط تحديد هذا الفرق . وكذا الفرق بين القدرة والطاقة . فقد تقول أنت انهما شيء واحد ، ويقول صاحبك بل هما مختلفان . ثم الشغل ؟ اى شغل ؟ أحملك الكتاب من مكان الى مكان شغل . وطبخ المراة الطعام شغل . وقراءة صفحة من كتاب شغل .

والعلم لا يمكن أن يكون في الفاظه شيء من هذا الابهام ابدا .

وعدا هذا فأساس العلم القياس .



فكيف تقيس في العلم أشياء لم يتحدد بالضبط معناها ؟

من أجل هذا اختلف العلم عن اللغة في فهم معنى الألفاظ : القوة . الشغل . القدرة . الطاقة . وصارت هذه الألفاظ بذلك في العلم اصطلاحا .

القوة Force

هى في العلم كل ما اثر في جسم فأعطاه حركة ذات سرعة متزايدة بانتظام . مثال ذلك الجسم الساقط من يدك . القوة هنا هى الجاذبية ، جاذبية الارض . وهو بدأ من سكون ، فسرعته صفر . ولكن بفعل قوة الجاذبية ظلت سرعته تزيد كل ثانية من الزمان بمقدار واحد ، لأنها هكذا هي جاذبية الارض . ولكن القوة المبذولة في اسقاط الجسم تكون مضاعفة اذا تضاعف جرم الجسم . ومن هذين المعنيين ، معنى زيادة السرعة في الثانية ، وجرم الجسم ، اخرجوا مقياس القوة . وهو حاصل ضرب كتلة الجسم × هذه السرعة .

والانسان ، في تلمسه معنى واضحا للقوة ، ومثلا اصفى ما يكون لها ولو لم يبلغ الصفاء كله ، لم يجد أحسن من قوة أودعها الله في ارضه ، تلك الجاذبية ، ارتبط بها كل من على سطحها ، وما على سطحها ، فلم يذهب ، وهي تدور على محورها في الفضاء ، بددا .

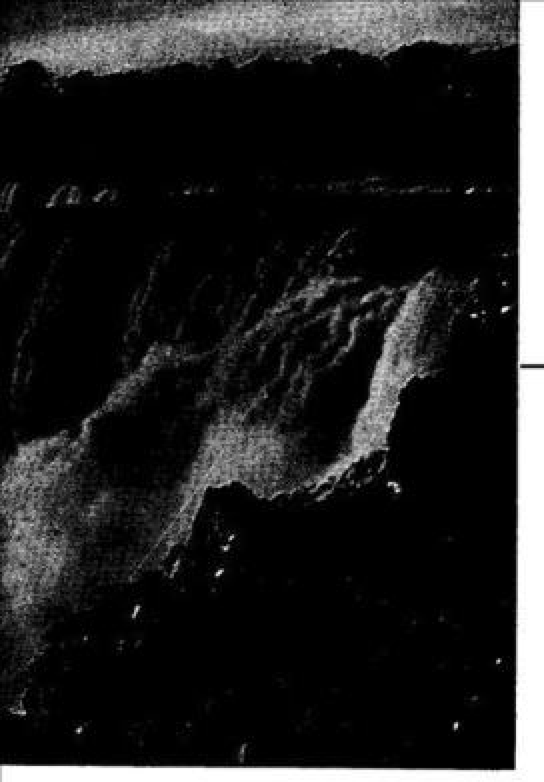
وبدأ هذا التلمس للقوة ومعناها الواضح عندما ظهرت الحاجة الى ذلك بظهور أول شعاعات من العهد الصناعى الذى أسميناه بالثورة الصناعية منذ قرنين من الزمان أو ثلاثة .

الشغل Work

هو في العلم المجهود الذى تبذله قوة في تحريك جسم مسافة معينة . فالمجهود الذى تبذله قوة في نقل جسم قدمين هو بالطبع ضعف المجهود الذى تبذله في نقله قدما واحدة . والمجهود الذى تبذله في نقله ١٠ أقدام هو خمسة أمثال ما تبذله في نقله قدمين ، وهذا المجهود يسمى شغلا . وهو يقاس بحاصل ضرب القوة × المسافة .

القدرة Power

ولكن هذا النقل ، هذا « الشغل » ، قد يتم في ثوان ، وقد يتم في دقائق ، أو اكثر أو أقل ، فسرعة انجازه لها دخل في الموضوع . فالقدرة أو الوحدة التى تقاس بها هى مقدار ما يبذله الانسان أو الآلة من « شغل » في الثانية .



شـــلالات نياجارا ، بين الولايات المتحدة وكندا . يسقط ماؤها من هذا العلو الكبير ، وبه طاقة حركة ، هي طاقة السقوط بفعل الجاذبية . وتتحول الطاقة الحركية عند تمام السقوط الى طاقة حرارية تزيد ارتفاع درجة حرارة الماء ٢ر. درجة فهرنهيتية .

الطاقــة Energy

بقيت الطاقة ، وهى عنوان هذه الكلمة، فهى تطلق عادة على صفة في الأشـياء تهيؤها لانجاز « شغل » .

فالانسان به طاقة ، مستمدة من عضله .

والسيارة بها طاقة مستمدة من حريق بنزينها .

والقاطرة بها طـاقة مستمدة من بخارها .

وجاذبية الأرض بها طاقة ، متهيأة دائما لتنقل جسما من مكان عال الى مكان واطىء ، وهى بذلك تنجز « شغلا » .

الطاقة الميكانيكية Mechanical Energy

ان أمر القوة ، وما تبعها من معنى الشغل والقدرة والطاقة ، كل هذا لم يشغل بال بنى الناس فيهتموا به اهتماما جديا الا منذ عهود قريبة كما ذكرنا .

ولعل اشتغالهم به بدأ بعهد العالم الباحث الايطالى جاليليو في القرن السادس عشر، وقفز قفزته الكبرى باكتشاف القـوة المحركة التى ببخار الماء ، فباكتشاف الآلة البخارية حول عام ١٧٦٠ .

وبتعدد الآلات ، واختلاف المحركات، صار حتما وضع كل المعاني التي تتصل بالحركة ، بحيث تصلح لا لدقة فهم عند التخاطب فحسب،ولكن كذلك لدقة ارقام عند الحساب .

واتصلت مظاهر الطاقة الأولى كلها بالحركة ، فسميت بالطـاقة الحركيـة Kinetic Energy .

ولكن ظهر أيضا أن هذه الطاقة قد تكون محتملة ، وينتفع بها ، ولكن يمنعها من ذلك مانع . مثال ذلك : حجر فوق جبل . انه لو سقط لاكتسب بالجاذبيـة قوة ، فطاقة . ولكن يمنع من ذلك انه فوق جبل .

وكذلك الوتر الذى يدفع السهم . انت تشده ، فتختزن فيه طاقة محتملة ولكنها لا تظهر حتى تدعه ينطلق .

كذلك زنبرك الساعة وهو مشـدود على نفسه (ملآن) فيه طاقة حبيسة تريد ان تنطلق .

هذا النوع من الطاقة ، سموه طاقة كامنة أو طاقة محتملة Potential Energy

والنوعان ينتهيان بالحـركة ، وهى المعنى الضخم الذى خرج من معنى الآلة في فجر العصر الصناعى الحاضر ، فكان

اسم هذين النوعين من الطاقة الطاقة الميكانيكية . Mechanical Energy

والميكانيكا لفظ مشتق من لفظ اغريقي معناه الآلة ، فلو اننا سمينا هذه الطاقة الميكانيكية ، الطاقة الآلية ، ما أبعدنا .

الحرارة ، كالحركة ، طاقة

تركزت دراسة الطاقة في القرن السادس عشر ، فالقرون التى تلته ، كما سبق ان ذكرنا ، في الطاقة التى تحدث شغلا عن طريق الحركة . اعنى الطاقة الميكانيكية ، بنوعيها الظاهر والكامن .

واتجه النظر الى الحرارة ، ما هى ؟ ما كنهها ؟

وأجرى العلماء تجارب دلت على ان الطاقة الحركية عندما يظهر انها تفنى ، هى في الحقيقة لا تفنى ، وانما تتحول الى حرارة .

كان الكونت رمفورد Rumford (١٧٥٣ – ١٨١٤ م) يقوم بتجويف ماسورة مدفع يصنعه في أحد المصانع الحربية . وهاله مقدار الحرارة الناتجة من حركة الأداة الحافرة . واخذ يفحص ويجمع ، ويعد ، ويحسب ، واخذ يقارن هذا بأشباه له ، وخرج على ان هذه الحرارة ما خرجت الا من هذه الحركة .

وجاء من بعد رمفورد السير همفرى دافي (١٧٧٨ – ١٨٢٩ م) Davy ، العالم الانجليزى الشهير . واجرى مثل ذلك على قطعتين من الثلج . حرك احدى القطعتين فوق القطعة الأخرى . والنتيجة حرارة اساحت الثلج الى ماء .

وانت ، نعم انت ، عندما تحرك كفا فوق كف ، يحتر الكفان . انها الحركة ولدت حرارة .

تجارب رمفورد ، وتجارب دافي وغيرها ، اثبتت أن الحرارة تنشأ من الحركة . اذن فهما من حيث الطبيعة سيان . هما طاقتان ، اختلفتا مظهرا ، ولكن صدقا نسبا .

ومع هذا بقيت في القلب ريبة .

هذه الريبة كانت تزول لو انهما اثبتا كذلك أن المقدار الواحد من الطاقة الحركية ينتج دائما مقدارا ثابتا من الطاقة الحرارية .

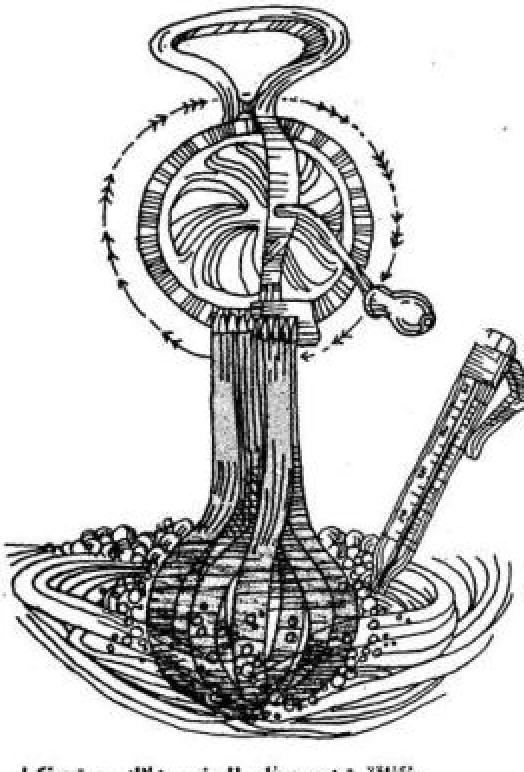
فهذا الاثبات بقى ينتظر مجىء العالم الانجليزى الفيزيائى جول (١٨١٨–١٨٨٩) Joule وهو هو الذى اثبت ان المقدار الواحد من الحركة ، اذا تحول كله الى حرارة ، انتج منها مقدارا معادلا لمقدار الحركة . اذن تمت المطابقة بين الحركة والحرارة من حيث التحول كيفا ، وكما . ولا يتحول شيء الى شيء الا ان يكون من طبيعة واحدة .

فالحرارة إذن طاقة تصنع شغلا ، كالحركة تماما .

وكذلك الحرارة تتحول الى حركة . اليست قوة القاطرة البخارية ، وهى

قوة محركة ، نشأت من حرارة ؟! وصنعت « شغلا » نافعا .

لقد زل اللسان فقال شغلا نافعا . وما أخطأ . فالعلماء يفرقون بين « الشغل » النافع الذى ينتج عن الطاقة ، « والشغل » غير النافع . فان كان هذا المثل الذى ذكرنا من الشغل النافع ، فالحرارة التى نتجت من تجويف ماسورة مدفع



خفاقة تمزج صفار البيض بزلاله . تحركها يد . وفى الوعاء ترموتر يسجل درجة الحرارة التي اليها يرتفع الخليط ، تلك الحرارة الناتجة من تحول الطاقة الحركية اليها ، اى الى طاقة حرارية . اما أصل الحركة ، فهى من عضلات اليد والساعد ، وهذه من طاقة كيماوية ، تنتج من احتراق الاغذية فى خلايا ساعد السيدة التي تحرك الخفاقة .

الكونت رمفورد ، هى طاقة ، صنعت « شغلا غير نافع » . حرارة تبددت في الهواء لم ينتفع بها أحد .

الكهرباء طاقة

وبنفس الطريقة أثبت العالم جول Joule ، في عام ۱۸٤٠ ، ان الحرارة طاقة . أثبت ان التيار الكهربائى الذى يجرى في سلك ، ولا يعمل شغلا من نوع ما ، يتحول الى حرارة ، مقدارها يحمل نسبة ثابتة الى مقدار الكهرباء المستهلكة .

وصنوف من الطاقة أخرى

مثالها الضوء ، وهو ينتج من الكهرباء ؛ فهما من طبائع متشابهة . ونسبة التحول بينهما ثابتة .

والطاقة الكيماوية ، ومثلها اشتعال عود من خشب . فمادة الخشب تتحول اتحادا باكسجين الهواء الى مواد ابسط تركيبا ، وتتحول بذلك طاقتها الكيماوية الى طاقة حرارية ، وطاقة ضوئية .

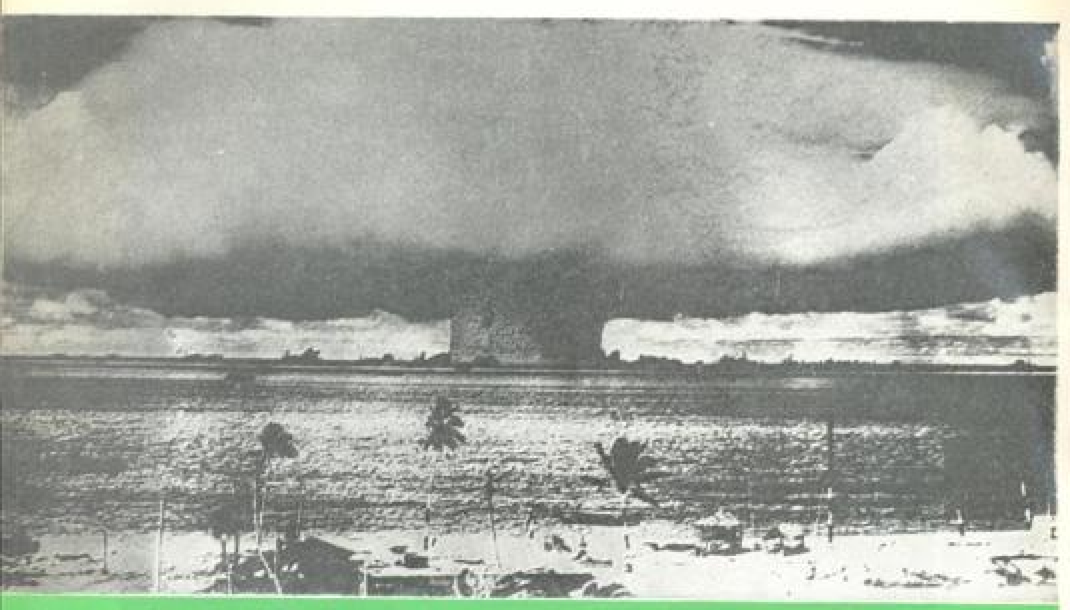
والطاقة الكيماوية من أقدم الطاقات التى استخدمها الانسان على هذه الارض عندما اكتشف النار .

ولا ننس الطاقة النووية ، طاقة القنبلة الذرية ، وفيها تنشق نواة الذرة فتنتج من صنوف الطاقة اشتاتا .

وهناك صور أخرى من الطاقات كثيرة تلتقى بالذى ذكرنا منها ، والتى ذكرنا هى اهمها واخطرها .

الطاقة لا تنعدم

الفنا القول بأن المادة لا تنعدم . وان



القنبلة الذرية التي فجرتها الولايات المتحدة تحت الماء في البحيرة المرجانية في بيكيني في جنوب المحيط الهادى في عام ١٩٤٦ . والطاقات التي خرجت منها من حرارية وحركية واشعاعية كلها اصلها طاقة نووية مستقرها نواة الذرة ، انفلقت الذرة فانطلقت الطاقة وتحولت .

تراءى لنا انها تنعدم ، فهي انما تتحول من شيء ظاهر الرؤية الى شيء اخفى .

كحريق الخشب الذى ذكرنا ، لايبقى منه ما يرى بعد الحريق غير الرماد ، واكثره يتحول الى غازات تذهب في الجو، لا نراها ، ولكنها هناك ، لا شك في هذا.

وكذلك الطاقة .

ونعود الى حريق الخشب مرة اخرى. انها طاقة كيماوية تحولت الى طاقة حرارية محسوبة المقدار . ثم اختفت فاين ذهبت ؟ هل انعدمت ؟ الجواب : لا . ان الطاقة ، كالمادة ، لا تنعدم . وانما هى انتشرت في الهواء المحيط بها، تزيد جزيئات غازاته حركة. فهي هناك على صورة طاقة حركية توزعت على جزيئات الهواء .

هذا الكون

مادة وطاقة

جسم وروح ..

هذا الكون ، على ضخامة أجرامه ، وتباعد اطرافه (هذا ان يكن له طرف يساق في حديث) ، له وجهان :

مادة

وطاقة

ثنائية كثنائية الانسان والحيوان

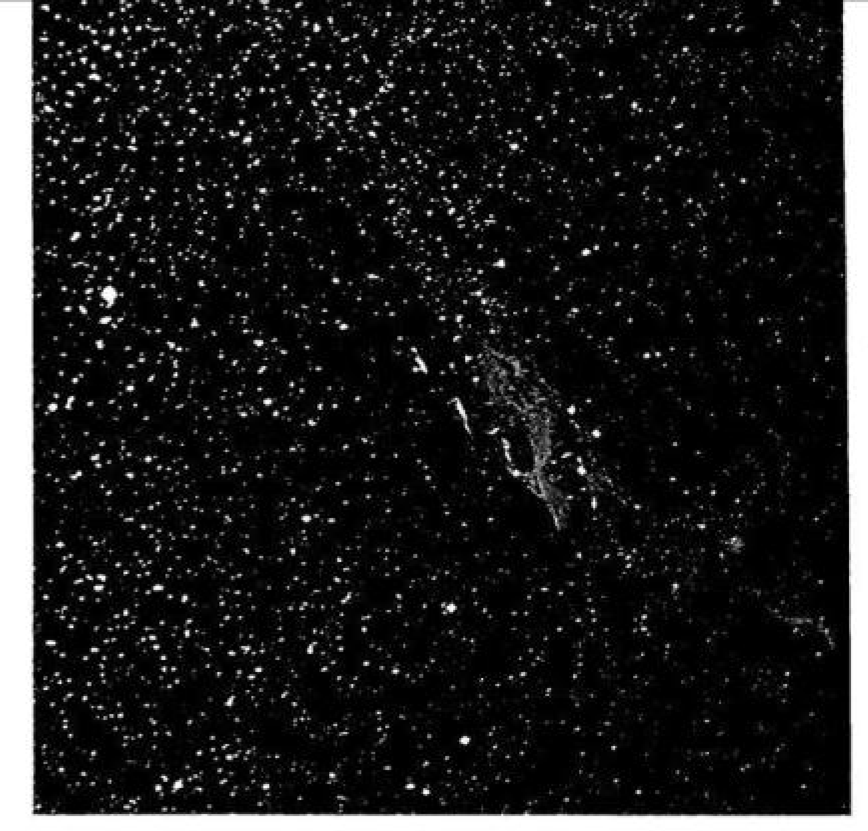
جسم

وروح ...

فان شئت قلت ان المادة الكونية جسم ، وطاقتها روحها .

والطاقة كالروح .

انها لا ترى .



الكون ، وبه من النجوم عدد الرمل ، ومن الشموس ما يحتوى الف شمس ، ليس الا مادة تتقمصها طاقة" ، كالابدان تتقمصها الارواح

وهى لا توزن .

وهى لا تذاق .

انما هى تتقمص الأشياء . والأشياء تدركها الابصار ، والطاقة لا يدركهــــا بصر .

هذه الكرة الصغيرة المتدحرجة ، انا أراها تتحرك ، واقول ان بها حركة ، ولكنك اذا سألتنى ما الحركة ، فكأنما سألتنى ما الروح . علمها عند ربى .

وهذا النجم ، بل هذه النجوم ، بل هذه المجرات ، تسلك مسالكها في الكون هائلة ، تدفعها طاقة ، بل طاقات ، نحس آثارها نظرا ، ولكنا لا ندركها جوهرا .

وكالحركة الحرارة .

من منا رأى حرارة . من منا وزن حرارة فثقلت او خفت في ميزان كمــا تثقل وتخف الأجسام .

وكالحرارة الضوء .

وكالحركة ، وكالحرارة والضوء ، سائر صنوف الطاقات .

ان هذا العالم ، ان كان قد تجسم فيه من المادة ما تجسم ، فقد سيطرت على كل هذه المادة الطاقات .

الطاقات هى المحرك الأول والآخر ، وهى البواطن لكل هذه الظواهر . انها الارواح لكل هذه الأبدان . ●●

احمد زكى

من الكلمات الممنوعة من الصرف

(التي لا تنوّن)

■ (أولا) : هذه صورة حسناءُ
ومررت بصورة حسناءَ
ورأيت صورة حسناءَ

السبب : الفعل حَسُنَ يَحْسن . فالهمزة التى بعد الألف زائدة ليست مـن اصل الكلمة .

امثلـة :

كذلك حمراءُ وعرجاءُ
وكذلك صحراءُ
وكذلك كرماءُ وعلماءُ
وكذلك أصدقاءُ

امثلة من القرآن :

انها بقرة صفراءُ
وله ذرية ضعفاءُ
اذ جعل فيكم أنبياءُ

(ثانيا) : هـؤلاء نساءٌ
وهذه أسماءٌ
وهؤلاء قرّاءٌ

امثلة من القرآن :

ولا نساءٌ من نساءٍ
اتجادلوننى في أسماءٍ

السبب :

لأن الهمزة غير زائدة . انها أصلية او منقلبة عن حرف علة .

امثلـة :

دعاءٌ . اعطاءٌ . اجتراءٌ . انطواءٌ . استعلاءٌ
(دعا) (عطا) (جرؤ) (طوى) (علا)
الهمزة فيها اصلية او منقلبة عن حرف علة

(ثالثا) : ليس الذى يمنع من الصرف الأوزان السابقة فقط .
فهناك أوزان أخر ما دام ان الهمزة فيها زائدة . نذكر اغلبها .

امثلـة :

عاشوراءُ . كبرياءُ . قرفصاءُ . خيلاءُ

(رابعا) : اشياءُ
مفردها شيءٌ .
ولكنهم منعوها من الصرف ولهم في ذلك تعليل ليس هذا موضعه .

في القرآن :

« لا تسألوا عن أشياءَ ان تبد لكم تسؤكم » . ■■

عبد الستار فراج



تفسيراً شاملاً للقرآن ؟

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر
رئيس تحرير « الوعى الاسلامى » ـ الكويت

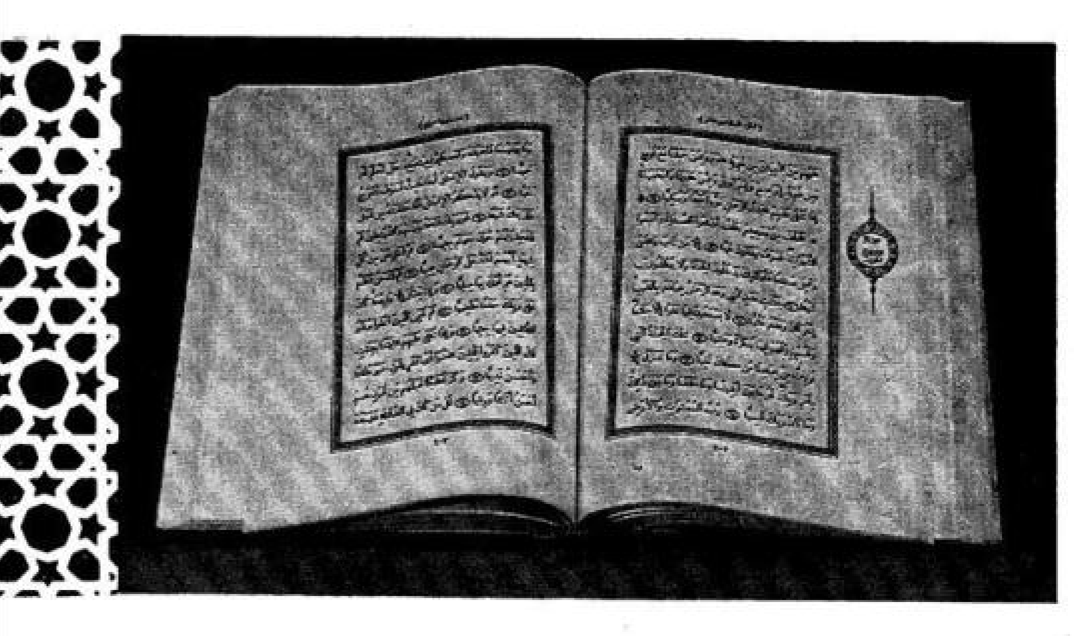
كان حديثنا بيني وبين الاستاذ الكبير الدكتور أحمد زكي ، اراد ان يكون حديثنا لقراء « العربى » ، فلم اجد بدا من ان أعده ، ثم كان الوعد دينا لا بد من الوفاء به . .

كان الحديث ـ كشأننا حين نلتقي ـ حديثا علميا ، يطوف بمسائل شتى ، حول الدين والحياة . . واستعراض مفهومات متنوعة في فهم الدين ، وتطبيقه على الحياة ، وفى اساليب الدعوة اليه او التحدث عنه ، وتطرق بنا الحديث الى التفسير ، والمفسرين ، وطريقة كل منهم في تفسيره . .

وقبل ان اتكلم عما اراده الدكتور من حديث عن التفسير ومذاهب المفسرين ، اجد من الضرورى أن اقدم ملاحظة بين يدى هذا الحديث ، وهي ـ فيما ارى ـ ملاحظة لا بد منها .

فهناك شبه ظاهرة عامة تتمثل فى ولع جمهور الناس ، باثارة بحوث ومسائل حول بعض الآيات ، او الاحاديث ، او مسألة من المسائل الدينية . . وكثيرا ما يكون الدافع لهذه الاثارة هو مجرد البحث النظرى ، دون أن تكون هناك عناية او اتجاه ما الى الرغبة فى العمل والتطبيق . . مما يجعل الحديث اقرب الى الجدل وشغل الفراغ منه الى الاستفادة علميا وعمليا !! .

وفى الموضوع الذى نتحدث عنه الآن . . نجد بعض الناس يلجؤون الى آية



متشابهة مثلا ، ويدمنون السؤال والبحث عنها .. كأنه ليس فى القرآن الكريم الا هذه الآية وامثالها .. وكان السائل الباحث قد فرغ من فهم الآيات الظاهرة ، ومن العمل بما دعت اليه ، ولم يبق أمامه الا هذه الآيات المتشابهة ، لكي يتم تكوينه العلمي بالقرآن !! .

ومثل هؤلاء ايضا طائفة من الناس لا همّ لهم فى الدين الا البحث فى أمور ثانوية شكلية ، يخيل الى من يراهم يشغلون انفسهم بها ، ويقيسون ايمان الناس وتقواهم بمقياسها ، انها امرٌ مهم ومن لبّ الدين وقواعده الاساسية ، وقد يستحلون لأنفسهم رمي المسلم بالمروق عن الدين ، ويغتابونه ويأكلون لحمه ، ويمرّغون سمعته فى التراب . ويرتكبون بذلك امورا محرمة لا شك فى انها من كبار الذنوب ، وذلك باسم الغيرة الكاذبة ، والتدين المصطنع ، والاهتمام ببعض الأمور الثانوية،والمظاهر الشكلية فى الدين ..

ولو انهم كانوا مخلصين لدينهم ، صادقين فى غيرتهم ، لدعوا اخوانهم الى ما يريدون بالتي هي أحسن ، ولكفوا السنتهم عن السوء بعد ذلك .

وهناك بعض المثقفين لا يعجبهم ما يجدونه احيانا فى كتب اسلافنا من معلومات او تعبيرات ، وقد يكون لهم الحق كل الحق فى هذا .. لكنهم يتخذون مما لا يعجبهم تكأة للبعد عن الدين ، والانفلات من تعاليمه ، او أنهم وجدوا فى هذا تعلة كاذبة فى الحقيقة ، يزينون بها نفورهم وبعدهم ، ثم يخطون خطوة أوسع فيتهكمون ويتندرون !! .

وفى بعض كتب التفسير مثلا بعض ما يستطيعون العثور عليه من معلومات او تعبيرات ، يمكن أن تكون محل نقد .. ولكن وجود ذلك لا يبرر الانصراف كليا عن القرآن ، وعن نصوصه الظاهرة الواضحة .

لقد كان من رحمة الله بنا وحكمته فينا أن جعل آيات التكليف فى العقائد والعبادات والمعاملات واضحة بينة ،

يستطيع ان يفهمها العامي العربي ، الذى لم يتعلم العربية ، ويعرف المراد فيها .. ويصل الى اعماق نفسه ، فلماذا نجد الكثيرين يشغلون انفسهم ببعض المتشابه مثلا ، ويغرمون باثارة الشبهات ، او على الاقل الجدل العقيم حول بعض آيات القرآن الكريم ، او يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجل بعض المعلومات الحشوية التي وردت فى بعض الكتب مثلا .. ولا يهتمون ادنى اهتمام بالآيات الواضحة التي ترسم طريق العقيدة ، وطريق العمل والسلوك ، ولا يأخذون انفسهم بالأوليات الضرورية فى الدين ، تلك التي جاءت بها الآيات الواضحة المحكمة ؟! .

تلك المظاهر السابقة مظهر من مظاهر المجتمع الاسلامي الذى اصيب «بأنيميا» فى فهمه وروحه الاسلامي ، كما اصيب بضعف المفاصل فى نشاطه الديني ، فاخذ يستر مرضه وضعفه بكثرة الكلام والجدل فى امور لعلها ثانوية الثانوية .

ولقد ارادت بعض افكار من هذا القبيل أن تتسلل الى الفكر الاسلامي – وهو فى مهده لتشككه فى دينه أو تشغله عن المهم من اموره ، بأمور متشابهة او ثانوية ، لا تفيد شيئا فى سير الحياة الاسلامية ، بل ان الانشغال بها مما يعطل الركب عن مسيرته ، فانزل الله فيهم آية رادعة تحدد موقف كل انسان من القرآن ، ومن المجتمع الاسلامي السليم ، تلك هي قوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم : « هو الذى انزل عليك الكتابَ منه آيات مُحكَمات هنّ امُّ الكتاب وأُخَرُ متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زَيغ ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر الا اولو الالباب » (١) .

وانطلاقا من هذا التوجيه الرباني الحاسم انصرف المسلمون الأوّل الى العمل بما اراده القرآن منهم ، منصرفين او مصروفين عن الجدل والخوض فيما لا جدوى ولا فائدة علمية من الخوض فيه ، والجدل حوله .. كان اهم شيء عندهم فهم الآيات التي تبين لهم العقيدة السليمة ، او التي توضح لهم واجباتهم فى عبادة الله ، وفى معاملة الناس ، وما يجب أن يبتعدوا عنه من امور تضر بعقيدتهم ، او تنحرف باعمالهم الى ايقاع الضرر بأنفسهم ، وبعباد الله معهم ..

والقرآن عربي مبين ، ولغتهم عربية سليمة ، فلم يكونوا فى حاجة الى كبير عناء فى فهمه ، ثم كانوا مع ذلك يسألون فيما يحتاجون فيه الى توضيح وتبيان .. وينصرفون الى العمل ، لا الى كثرة الكلام والجدل ، وكانوا لذلك يتعلمون ويحفظون بعض الآيات ، ويهتمون بتطبيقها فى انفسهم والعمل بها فى محيطهم ، قبل ان يتجهوا الى حفظ آيات اخرى او تعلمها ..

يروى عن ابي عبد الرحمن السُّلَمي انه قال : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي . صلى الله عليه وسلم عشر

(١) الآية السابعة من سورة آل عمران

آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

هكذا كان هدفهم : حفظ ما نزل من القرآن ، لا ليردِّدوه على السنتهم ، او ليقرؤوه على موتاهم ، او ليتخذوا منه احجبة وتمائم لمرضاهم ، بل ليفهموا معناه ، ويتدبروا مقاصده ، ثم ليعملوا بمقتضاه .. وبهذا المنهج العلمي نجحوا في حياتهم ، وكان القرآن لهم كالمولد الكهربائي الذى يبعث النور والدفء والحركة، فسادوا وعزّوا، وكانوا مضرب المثل في حياتهم واخلاقهم، وفيما احرزوه من نصر سريع على اعدائهم ، وما كسبوه من مجد لدينهم وأمتهم .. أمة القرآن..

ترى أين موقفنا الآن من القرآن .. ؟ وأين نحن من اسلافنا ؟ ! وعلى اى سفح او على اية درجة من درجات القمة التي وصلوا اليها نقف الآن ؟ .

لقد كان القرآن الكريم العمود الفقرى للأمة الاسلامية كلها . ما استطاعت ان تنصب قامتها وترفع راسها ورايتها الا به .. كل عنايتهم متجهة اليه ، حفظا له ، ومحافظة عليه ، وتطبيقا لتعاليمه حتى بلغ من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم به وبتجميعهم حوله ان منعهم من كتابة شيء مما يتلقونه منه غير القرآن ، فقال لهم : لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه » (٢) .

ثم وجدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهم بكتابة السنة ويستشير اصحابه في ذلك فيشيرون عليه بكتابتها .. ولكنه يتمهل ويتمهل .. حتى مضى شهر وهو يستخير الله « ثم اصبح يوما وقد عزم الله له فقال اني كنت اردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله « واني والله لا البس كتاب الله بشيء ابدا » (٣) .

ثم وجدنا جهود الخلفاء الراشدين المباركة في جمعه وكتابته ثم جمع الناس على مصحف امام في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه .

وفي ظل القرآن الكريم ، وخدمة له ، ومحافظة عليه ، وتقريب معانيه الى افهام المسلمين بعد ما اتسعت رقعة الاسلام ، واختلط العرب بغيرهم ممن دخلوا في الاسلام من الأمم التي لا تنطق بالعربية ، اقول في ظل القرآن ومن اجله نشأت العلوم المتنوعة من علوم النحو والبلاغة والتفسير وغيرها من العلوم العربية والاسلامية .. فكان القرآن لها كالساق قامت عليه الفروع ، وامتدت الأغصان تستمد غذاءها ونموها عن طريقه .

ومن هنا كانت العناية بتفسيره ، وتوضيح الفاظه ومعانيه ، حتى يفهمه أولئك العرب الذين ضعفت سليقتهم العربية باختلاطهم بغيرهم ، ويفهمه كذلك أولئك الذين دخلوا في الاسلام من غير العرب .. وهنا لا بد ان نقف عند نقطة هامة نبدأ فيها الحديث عن التفسير وهي :

هل ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لنا تفسيرا كاملا للقرآن الكريم ؟.

لعل كثيرا من الناس يفهم من قوله

---

(٢) رواه مسلم في صحيحه
(٣) رواه البيهقي

تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل اليهم » ان الرسول صلى الله عليه وسلم تولى تفسير كل آية من القرآن لصحابته .. ولكن لو أدركنا ان القرآن عربي ، نزل بلغة العرب ، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، وان القرآن نزل مع هذا يخاطبهم جميعا ، ويحثهم لما يدعوهم اليه ، لأدركنا ان القرآن عند نزوله لم يكن غامضا على العرب وانهم كانوا يفهمونه ، بل لعلهم كانوا احسن الناس فهما وادراكا لمعانيه وبلاغته .. حتى وجدنا بعضهم يؤمن بمجرد سماعه له ، ووجدنا العتاة الغلاظ من اعدائه يتسارقون ليلا للاستماع الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤه ، بعد ما أحسوا من جاذبيته وحلاوته . ولو انهم لم يفهموه ما خاطروا – وهم رؤس المعارضة له – بالتسلل ليلا متخفين لسماعه .

صحيح انهم لم يكونوا على قدر متساو فى فهمه وتذوقه .. وصحيح ان بعضهم كان يتوقف عند بعض الفاظه يستوضح معانيها .. سواء من زملائه أو من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا نجد بعض الروايات الصحيحة التي روت لنا ما صح من تفسير الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض آيات القرآن الكريم .. ويكون الرسول بتوضيحه ما اشكل على اصحابه فسألوه عنه قد بين للناس ما انزله الله .. اذ ليس من المعقول – كما قلنا – ان يكون القرآن كله غامضا على العرب من اصحاب رسول الله ، وهو الآن – مع تباعد القرون – غير غامض علينا الا النادر منه الذى يحتاج الى مراجع تفسره . وفى ذلك يروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لايعذر أحد بجهالة ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسير لايعلمه الا الله . »
فلم يتعرض الرسول لتفسير الوجهين الاول والثانى لأنهما معروفان لدى القارىء والسامع من العرب فلم يسألوا فيهما . ولم يفسر الوجه الرابع كوقت قيام الساعة مثلا مما استأثر الله بعلمه ،وانما كان الوجه الثالث هو مدار التبيان والسؤال والجواب .

ولكن الى اى مدى نثق فى صحة ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسير لبعض هذه الأوجه من القرآن الكريم ؟ .

ذلك امر تكفلت به كتب السنة الموثوق بها ، ولست أعني بذلك كل كتب السنة المتداولة .. لأن بعضها روى فى هذا الباب روايات لا يمكن أن تقبل ، فمثلا :

أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه انه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « والقناطير المقنطرة (٤) » ، قال القنطار الف أوقية « وروى الامام احمد وابن ماجه عن ابي هريره رضي الله عنه قال » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار اثنا عشر الف أوقية » .

ولو اعتبرنا ما فى الروايتين صحيحا ،

---

(١) الآية الرابعة عشرة من سورة آل عمران « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة .. »

لكانت النتيجة ان الرسول قال مرة : القنطار الف اوقية ، ومرة قال ـ القنطار اثنا عشر الف اوقية !! ولا يعقل مطلقا ان يصدر عن الرسول مثل هذا التناقض الواضح، ومع ذلك فهما روايتان رواهما الحاكم والامام احمد وابن ماجه !!

فلو قبلنا مثل هذه الروايات مغمضي العيون ، مغلقي العقول لأسانا اساءة واضحة الى الرسول الكريم ، ولذلك فان مما نحمد الله عليه أن نجد مثل الحافظ ابن كثير ، يقف عند تفسير هذه الاية وقفة فاصلة من هذه الروايات ، ويقول « لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فى تحديد القنطار، وما ورد عن ذلك ، فموقوف على الصحابة » .

وليقل الصحابة ما يشاؤون من معلومات عن أمورهم . فقد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة ، وكل انسان يؤخذ منه ويرد عليه ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا بد اذن من التحوط فى قبول بعض الاحاديث الخاصة بتفسير القرآن المروية فى بعض كتب الحديث بحيث لا نقبل منها الا الحديث المقطوع بصحته فى كتب السنة الموثوق بها . .

واذا كان هذا بالنسبة لما روى عن رسول الله فى تفسير القرآن ، فان ما يروى فى ذلك عن الصحابة والتابعين يجب ان نقف موقف المتحرز منه ، وما علينا من شيء اذا لم نقبل ما قاله احد منهم . . وقلنا بغيره .

واذكر هنا على الاخص ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى التفسير . . فقد اكثر الرواة من الرواية عنه ، حتى لا تجد آية من القرآن الا ولابن عباس راى فيها ، بل ان هناك تفسيرا بتمامه منسوبا اليه . . وقد اعتمد الكثيرون على ما روى عن رسول الله من دعوته لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » اى التفسير . فاكثروا الرواية عنه ، وما دام الرسول قد دعا له ، فلينسب كل من اراد ترجيح راى من آرائه رواية اليه ، حتى يسكت غيره . او يكسب كلامه هيبة . . حتى اننا لنجد احيانا روايتين متناقضتين منسوبتين لابن عباس فى موضوع واحد !! ولهذا كان من الضرورى الاحتياط فيما يروى عن ابن عباس ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قوله « لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير الا شبيه بمائة حديث » .

وحتى على فرض ان التفسير صحت نسبته الى ابن عباس ، فى موضع من الآيات التي لا تتحدث عن أمور غيبية ، وللعقل فيها مجاله ، فاننا لسنا بملزمين بالوقوف عند رايه هذا لا نتعداه ، بل يجوز للعالم الثقة الذى له درايته بالتفسير ، أن يرى فى الآية رايا مخالفا له ، ما دامت الآية تتحمل هذا الراى ، وله وجهة نظره المعقولة فيه .

اما ما يروى من غير ابن عباس من الصحابة والتابعين فكثير وكثير ، وهذه الكثرة قد اختلط الصحيح القليل المعقول منها بالكثير غير الصحيح وغير المعقول ، ولا سيما فى آيات القصص واحوال الامم الماضية مما نرجيء الحديث عنه ـ لخطره . الى وقت آخر .

(والله المستعان) ■■

عبد المنعم النمر

إننا حينما نذكر ضعف الدعاية العربية في العالمين انما نقيس هذا الضعف بقوة الدعاية الصهيونية في مشارق الارض ومغاربها ، واستفحالها حينا بعد حين ، وسيطرتها على اكثر وسائل الاعلان والنشر والايحاء النفسي ، تلك الوسائل القائمة في اكثر امورها على الاراجيف والدس ، والكذب الصريح الذي لا يتحرج من نسبة كل فعل او قول قبيح الى الخصيم ، ولا يقصر في عزو كل مليح الى الصهيونية والصهاينة والمحتطبين في حبالهم ، وعواطفهم مشاركة حقه لان الدين اليهودي اوجب عليها التضامن (١) مع يهود العالم أينما كانوا وعدم الركون ابدا الى الامم والملل الاخرى وعدم السكون اليها .

اليهودي يولد وفي دمه تأسيس دولة

فاليهود اينما كانوا فهم على عزم تأسيس دولة في مستقبل زمانهم ، وهذا العزم مغروز في نفوسهم اعني انه اشبه بالغرائز منه بالعادات ، وهو من العقائد التي يعتقدها اليهودي منذ ادراكه التعاليم اليهودية في طفولته الواعية الى



ضعف الدعاية

والساعين في تأييدهم لان مدح الصديق بين الناس معناه مدح النفس .

اجل الدعاية العربية في العالمين ضعية، وان كانت اضعف مما هي عليه اليوم ، ذلك لان العرب لم ينتشروا في ارجاء الارض وانحائها كانتشار اليهود ، فقلما تجد دولة او قطرا او زاوية على وجه هذه البسيطة لا ترى فيها يهوديا ثم لا يلبث ذلك اليهودي ان يؤسس أسرة وتكون هذه الاسرة على مر الزمان دويلة وسط تلك الدولة او ذلك القطر، تشارك سكانها في جميع الحقوق الانسانية الطبيعية الا انها لا تشاركهم في شعورهم صيرورته تحت اطباق الثرى ، واذكر اني قرأت في بعض التواريخ ان الخليفة المعتضد بالله العباسي ، وعهده في أثناء النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، شغر في دولته منصب مالي من المناصب فرشح له الوزير اثنين من الكفاة ، احدهما يهودي ، والاخر كان من ملة اخرى غير اسلامية، فأمره بنصب الرجل الذي كان من الملة الاخرى ، فقال له الوزير : يا امير المؤمنين ان اليهودي أكفى من ذلك واعلم . فقال له الخليفة الشديد البصر بالعواقب والبعيد النظر الى المستقبل : ان ذلك الرجل خير لنا من

---

(١) التضامن نشأ من التضام كما نشأ التكاتف من التكاتف والتحرير من التحويل والتجول من التجوال والجمعية من الجميعة والتضامن بالفرنسية هو : Solidarité.

من اليهودي لان اليهودي في دينه يرى انه سينشىء دولة لليهود .

فهذا مصداق ما ذكرته من ان فكرة انشاء دولة يهودية كانت قديمة جدا جدا في دماغ كل يهودي ، وما كان انتشار اليهود في اقطار الارض ونواحيها الا تمهيدا لهذه الدولة وتركيزا لدعائمها وتثبيتا لمستقبلها ، كالذي يريد ان يبني بنيانا عجيبا في الارض وغريبا في الانشاء فانه يستجلب من ارجاء الارض المختلفة حضرة (١) قوية ليكون بناؤه مدعاة الى العجب والاستغراب ، ويبقى يد الدهر رصينا ثابت الاركان ، هكذا كان اعتقاد اليهود ، ولذلك تجد اليوم جذور الدولة

ومنهم من انقطعت صلته بالعرب ودولهم ومنهم من نسوا اصولهم ، في العروبة والقبيلة والعمارة والفخذ وان كانوا عربا صرحاء لا مستعربين . ففي هذا الامر كانت الغلبة لليهود ، على العرب ، وليس تدارك الخطأ بالسهل الميسور ، بل ان الزمن يوجب على العرب التعوض من هذا الخسران بأمور حيوية سياسية اخرى ، فما فات فات وعليك بما هو آت .

واليهود زوجوا اناثهم لغيرهم ، ومنعوا الذكور

وكان من نتائج انسياح اليهود في

العربية وطرائق تقويتها

بقلم : الدكتور مصطفى جواد

كلية التربية ـ جامعة بغداد

الاسرائيلية ممتدة الى انكلترا وامريكا وفرنسه وايطالية ودول اخرى لا نطيل بذكرها . فاليهودي اليوم يتبرع بالمال لدولة اسرائيل ولو كان في اقصى الارض.

والعرب انتشروا ، ولكن ..

ان العرب قد انتشروا ايضا في مشرق الارض ومغربها انتشارا فرديا في الغالب، واكثرهم ذابوا في الامم التي هاجروا اليها ، وان اسسوا اسرا وبيوتا وعوائل،

الارض وتأسيسهم الجمهرات اليهودية سيطرتهم على التجارة بانواعها،والصيرفة والمصانع والمعامل والصحافة ومعاهد التربية والتعليم فضلا عن المدارس الخاصة بهم التي اسسوها في الاقطار ، كمدارس الاليانس ، ثم دخلوا في وظائف الدول الغربية بالتدريج ، واخذ الواحد منهم يفسح للاخر فيها ، ثم ارتقوا في الوظائف الى الخارجية فكان منهم سفراء ثم صاروا وزراء ، ودخلوا الجيش فنالوا أكبر المراتب والمناصب، الا المناصب التي

(١) الحضرة هي المواد الانشائية البنائية كمايفهم من اساس البلاغة للزمخشري .

فيها حرب وكفاح ، ولقاء السلاح . فانهم لم يطلبوها لان فيها موتا وهم احرص الناس على الحياة ، وزوجوا بناتهم اشراف الامم التى هاجروا اليها ، وكبار الساسة والاعيان فنشأ فيها جيل يعطف على اليهود عطفا كثيرا ، لان اليهود أخوال هذا الجيل، ولكنهم حذروا ابناءهم ان يتزوجوا غير اليهوديات بل حرموا ذلك عليهم ، وهذا هو العجب العجاب . فكثير من رجال الوزارة والسياسة والخارجية فى انكلترة وامريكا وفرنسة ازواجهم يهوديات ، وامهاتهم كذلك ، وهذا ما لم يستطعه العربى لالتزامه بدينه واحكامه ، وابائه وشرفه وشممه وعاداته الكريمة ، ولا عبرة فى مثل هذا الامر بالحوادث الفردية كأن تعشق مسلمة أو عربية رجلا غريبا فتتزوجه، فذلك من أندر الازوجة(١) النادرة فى العالمين .

واليهود منعوا الكاتب العربي ان ينشر كتابه حيث حلّوا

وعلى ذكر استحواذ اليهود على دور النشر ودارات الاعلان ووسائل الدعاية فى البلاد الاجنبية المعروفة ، يكون من العجيب استغراب المستغرب احجام الكتاب العرب عن تقديم آثارهم الفكرية وخصوصا السياسة ذات الصبغة القومية ، الى تلك الدور وهى يهودية صهيونية فى ملكيتها وموظفيها واعوانها ، وعمالها ومطابعها ، فمهما بلغ الكتاب العربى من الجودة والتحقيق والعلم والاحاطة والنفاسة والكياسة فمن المحال ان يجد ناشرا من أولئك الذين كان من بواعثهم على هذا الاحتراف أن يرفعوا علم الصهيونية ويحاربوا تحته بمختلف وسائل النشر والطبع ، ويكافحوا الكتب التى تقاومها والتى تعرض بها ، ولا سيما الكتب العربية السياسية .

ان استحواذ هؤلاء على النشر امتد حتى الى كتب الاستشراق وخزائن الكتب العتيقة ، فلا يطبعون كتابا الا اذا خلا من مكافحة اليهود وذكرهم بما هم عليه من سوء السير قديما وحديثا ، ووضعوا لنشر المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزائن الغربية شروطا يدرك العربى منها انهم وضعوها للحيلولة دون نشرها لا لغاية ادبية علمية ، وهذا ثابت بما فعله القوم اليهود على دار الكتب الوطنية بباريس وخزانها، ولذلك تجد المخطوطات العربية المصورة فى ادارة الجامعة العربية بادية النقصان من هذا الجانب من جوانب الحرمان ، أعنى أن مصوراتها من دار الكتب الوطنية بباريس نادرة جدا .

وسيطروا على التمثيل السينمائي ودسّوا فيه ووخزوا

ومن وسائل الدعاية الصهيونية سيطرة اليهود على التمثيل السينمى العالمى الا ما شذ من أيديهم ، فقد احتكروا التمثيل لممثليهم وممثلاتهم من اليهود واستولوا على تجارة الافلام السينمية فى أكثر ارجاء الدنيا ، واسندوا شيئا منها غير ذى بال الى ضالعين فى ركابهم، وشوهوا التاريخ القديم والحديث بادخال دسائسهم فيه ، ووجهوه الوجهة الصهيونية الضالة المضلة ، وانتقصوا سير خصومهم ، وجمعوا بين الفائدتين الكبريين المال الوفير والدعاية اليهودية الخبيثة الممقوتة التى هى ضد الانسانية عامة ، وضد العرب والاسلام خاصة ، واتبعوا فى الحوار السينمائى او السينمى كما قلت آنفا طريقة الاستدراج والاستفساد ، والاستهواء والاستغواء ، والوخز الخفى ، والتعريض الدفين ، ليمهدوا طريق التشكيك والهرطقة والردة لاهل الاديان الاخرى ، فضلا عن تمثلهم السفاهات والخلاعات والفجور والعهر

---

(١) الازوجة جمع تكسير للزواج كالاقضية جمع القضاء والامتعة جمع المتاع والاهوية جمع الهواء

والشذوذ والاباحة والسفاح واللهو المريب والقصف الفريب كأنها هي غايات الانسان الاولى من هذه الحياة الدنيا ، فهم ارادوا تحلل شباب الامم الاخرى وتفسخ اخلاقهم باختلافهم الى رؤية هذا الفن المفسد .

رأيت فى سفارتنا فى لندن عام ١٩٤٨

وانثنى الى الدعاية فى الدول العربية فى النشر والاعلان فأرى ضآلتها وضحالتها ان جاز القياس ، فلا تجتاز كتب دعايتها حدودها ، ولاتنقل الى اللغات الاجنبية الا القليل النزر منها ، واني لاذكر كينونتي فى لندن سنة ١٩٤٨ ، وكنت امر بسفارتنا العراقية فيها فى العهد الملكي أو الملوكي(١) كما ينسب الجاحظ فى كتبه ، فرأيت ذات مرة فيها حجرة قد نضدت فيها نسخ من كتاب واحد ، وهي كثيرة العدد فسألت السفير عنها وكان من كبار السفراء فقال لي : انها نسخ كتاب للدعاية عنوانه « العراق » وقد طبع بالانجليزية ببغداد ، وارسل بنسخ منها الى هنا ، وقد امرت بتوزيعه قبلا ، الا ان موظفي السفارة اهملوه وقد انسلخ على اهماله اكثر من سنة . فقلت له : ياللعجب من هذا الاهمال . فقال لي : وعندنا ما هو اعجب من ذلك . قلت : ماذا يا سيدى ؟ قال : كانوا يراسلونني من بغداد فى اثناء حرب فلسطين بالبريد المعتاد البطيء فى الشؤون الحربية ، واوعزوا الي بشراء طيارات قاصفة ومدافع جديدة ، فذهب الملحق العسكرى فاشترى طيارات قاصفة ليس لها مشاجب للقنابر التي تسمى القنابل ، ومدافع بلا قنابر . وتعال فابك على العرب والاسلام ! ذكرت ذلك لان الحديث ذو شجون أى بعضه يجر بعضا فيتصل .

افلامنا العربية أكثرها للهو والرقص والاضاحيك

وأما الدعاية العربية السينمية فلا قياس لها مع تلك الدعاية الصهيونية التي تدخل أكثر اقطار الدنيا وتتوغل فيها حتى الاقطار المتخلفة ، وهذه أفلامنا العربية ، فاكثرها للهو والرقص والاضاحيك ، وهي من القلة بحيث لاتعد شيئا بازاء ما يمثله الخصوم وما ينشرونه ، بغير انقطاع تلك السنين الطويلة ، ولا يجوز لنا ان ننكر ان من الشركات العربية من مثلت افلاما دعائية عربية تعد بالاصابع ، فانها لاتقوم بازاء هذا السيل الجارف من الافلام الصهيونية ، ثم ان الدعاية لامة عظيمة بكل معاني العظمة كالامة العربية لاتقوم على شركات ولا على افراد ، وانما هى من شأن الدول العربية عامة ، وتستوجب اتحادا عربيا عاما للنشر الدعائي والتمثيل الدعائي والترجمة الدعائية ، وذلك بالسخاء فى الانفاق عليها ، والتماس كل الوسائل فى ايصالها الى البلاد الاجنبية ليطلعوا على دسائس الصهيونية واحابيلها ، وخدائعها واراجيفها وتشويهاتها للحقائق واجرامها وانتهاكها للحقوق الانسانية ، فقد قيل ان حجة الغائب غائبة حتى يحضر ، واذ كان اليهود لايتورعون عن التزوير فى دعايتهم لايتانفون من ارتكاب كل محظور او محرم للوصول الى ماربهم ، فينبغي ان تقابلهم دعاية ماهرة ساحرة بارعة مقنعة طويلة النفس .

الالمان القوا على باريس كتبا للدعاية بدل قنابل الدمار

كنت بباريس فى اثناء اول غارة

---

(١) سمى عثمان بن خبي النحوى علامة التصريف المشهور كتابه فى علم التصريف « التصريف الملوكي » وهو مطبوع بمصر متداول ، مع انه كان من النحاة الذين يميلون الى اهل البصرة ، وقالوا رسائل اخوانية ورجل شعوبي واجاز البصريون النسبة الى الجمع اذا كان له موازن من المفردات مطلقا ، واجازه الكوفيون على اطلاق .

للطيارات الالمانية على فرنسة فى الحرب الكبرى الاخيرة فسمعنا أنا وأصحاب الدار التي أقيم فيها اذ ذاك ، « أبواب الانذار » المألوفة فى مثل هذه الغارة ، وكان الليل فى آخر هزيع منه ، فنزلنا الى سرداب الدار وهو الملجأ الوقتي للنجاة ، وبعد ساعات تركت الطيارات الالمانية جو باريس ولم نسمع فى أثناء تحليقها فيه صوت قنبرة من القنابر اية كانت ، وبالصباح أسرعت لشراء جريدة فرنسية تعنى فى عادتها بالاخبار العسكرية لاستطلع جلية الامر ، ولاعلم لماذا لم تقصف الطيارات الالمانية المراكز العسكرية والمناطق الصناعية ؟ فقرات فيها أن الطيارات الالمانية لم تلق الا مائتين وخمسين الف نسخة من كتاب للدعاية الالمانية باللغة الفرنسية ، فيه اثبات « ان الثورة الفرنسية المشهورة كانت من افعال اليهود واعمالهم وانها قامت بأموالهم ، وان الحرية المرادة بها كانت حريتهم والاخوة التي نشدتها هي ان يتخذهم الفرنسيون اخوة لهم لكي ينتفعوا بهذه الخدعة ، وان المساواة المطلوبة هي مساواتهم بالفرنسيين ليس غير فالثورة لهم على الفرنسيين .

هكذا كان الالمان يهتمون بالدعاية مع قوتهم الحربية الجبارة وغرورهم العسكرى وغطرستهم الخلقية، ومع ذلك فلم تنفك الدعاية اليهودية واموالها ومساعيها عن مهاجمة المانية الهتلرية حتى اسقطتها وادت الى هذه الهزيمة النكراء المعروفة فى عصرنا هذا ، واهلكت هتلر واشياعه واتباعه ، واخرجب من رفات المانية دولة جديدة هي « المانية الغربية » وهي دولة المانية فى اسمها وظاهرها ، ويهودية فى حقيقتها وباطنها ، فجميع شؤونها وسياستها ووظائفها الحساسة وتعليمها وتجارتها وسلاحها بايدى اليهود ، فلذلك لايستغرب العرب ولن يستغربوا ان يجدوا فيها « اسرائيل وسطا » بين اسرائيل فلسطين ، وامريكا من حيث القدرة .

للدعاية ، نختار من العرب الكفاة البرعة المتجردين

ومن اسباب ضعف الدعاية العربية سوء اختيار رجالها ، وعدم اصطفاء الكفاة الفوقة البرعة المتجردين لخدمة الامة العربية فى هذه القضية باعتبار انها عقيدة ومذهب ومقالة(١) لاتختلف عن غيرها مما يقدسه الانسان ، ويعده من الاواجب (٢) الدينية ، ولذلك نجدها مسندة الى موظفين ينظرون اليها كأنها وظيفة معتادة يكفى فيها الاسم والرسم والظواهر والابهة ، وهذه هي المحسوبية التي اشار اليها العلامة رئيس تحرير مجلة العربي (٣) وقال فيما قال : « والمحسوبية تضع الرجل غير الصالح فى حيث يفسد العمل به انتاجا كان أو خدمة عامة ، والرجل الصالح يؤخذ من القصر كما يؤخذ من الكوخ ، والرجل الصالح قد يؤخذ من بيت الوزير ومن بيت اللواء والمشير ، ويؤخذ من بيت الخفير وبيت الجندى الصغير .. (٣) » . اذن ينبغى اسناد الدعاية ، الى ذوى البصارة

---

(١) يراد بالمقالة هنا المعنى القديم وهو بيان العقيدة وتفصيلها ، وقد الف العرب كتبا كثيرة فى « المقالات » .

(٢) الاواجب جمع تكسير للواجب لوجوب ابدال الواو الاولى همزة فلا يقال « وواجب » على الاصل

(٣) العربي ص ١٧ ج ١٨٠

والجدارة بها من غير تفريق ولا تمييز . وعلى هذا لايمكننا أن نسمو بالدعاية العربية الى أوجها ، ولانبلغ بها الغايات القصى ونواقف بها الدعاية الصهيونية ونهاجمها ونناهضها بالمناقضة والتنفيذ ، والابطال والاشلال الا اذا تركت عدة دول عربية طريقة المحسوبية في اسناد وظائف الدعاية ، الى الاصحاب والاتباع من الاحزاب ممن ليس لهم دراية وكفاية وجراة واقدام واحتدام في هذا الامر الخطير ، وهذه الوظائف الموهوبة للطبقة المحسوبة من الوزارة المعروفة بوزارة الارشاد ، الى مراقب المطبوعات فيها ، والى أدنى منه ، وكل انسان ميسر لما خلق له ، فالاستحقاق هو سبيل الانجاح .

الدعاية استهواء واستغواء

ومن اسباب ضعف الدعاية العربية جهلها الطرائق الحديثة في الاستهواء والاستغواء ان جاز التعبير ، وذلك للتوصل بالتدريج من الانباء والاعلام الى كسب الايقان والاقتناع ، وطالما قرأنا في تاريخ الفرق الاسلامية ومقالاتها ،تفصيل الطرائق التي كانت تتبعها عدة فرق في نشر مذهبها واقناع المدعوين اليه بحقه وصدقه من حيث لايشعرون ، وذلك باتباع اساليب تجعل الدعاية تجري في دماغ المدعو بالكلام والكتابة أو بهما معا مجرى الشجر والايهام ، والايجاب والالزام ، ذكر المؤرخ ابن الطقطقي في كتابه الفخري ان هولاكو لما فتح العراق واستولى على بغداد جمع العلماء المسلمين في المدرسة المستنصرية واستفتاهم في فتوى هي : ايما انفع للناس السلطان العادل الكافر أم السلطان المسلم الظالم ؟ قيل انهم افتوى بتفضيل الكافر العادل ، والمسالة فيها نظر وجدل طويل ، وخلاف أصيل ، ولكنها تبين لك كيف اراد هذا الملك المغولي الكافر الظافر ان يستفوى المسلمين ويظهر انه على حق فيما فعل .

الدعاية حرب ، والحرب خدعة

ومن أسباب ضعف الدعاية العربية انها لاتتعمد الكذب ولا التزوير ولا الوضع ولا التوليد والاختلاق ، كما تفعل دعاية الصهاينة في مضادة دعايتهم ، ودعاية كل من قاوم الصهيونية في العالمين ، مع ان الدعاية حرب نشرية وحرب كلامية والحرب خدعة ، وقد اباح الاسلام الكذب في الحرب وامور اخرى لا محل لذكرها هنا ، فينبغي ان يقاوم سلاح الدعاية الصهيونية باشد من سلاحها ، وتكافح باشد من كفاحها ، والفوز كل الفوز فيها في تسجيلها ونقلها الى اللغات الاجنبية التي امتلات ادمغة اهلها بالدعاية الصهيونية . والبراعة كل البراعة في ايصالها ، الى من يقرؤها منهم ومن يسمعها بمختلف وسائل الاذاعة والاسماع كالراد (١) . والتصاوير الناطقة من نتائج ما يسمى اليوم « الفيديوتيب » والطبع والتصوير بغير النشر العام ، والايصال التام ، يترك الدعاية عرجاء ميتة الرجاء ، يصح عليها ضرب المثل العربي القديم المشهور :

اوردها سعد وسعد مشتمل
ماهكذا تورد ياسعد الابل

■■

مصطفى جواد

---

(١) الراد بتشديد الدال احسن من الراديو مع مشابهة له في الاحرف ، فهو يرد عليك ما القي اليه كانه ممل وانت مستمل .



▪▪ طعام طفلي الوليد ▪▪

● رزقني الله بالطفل الأول ، وهو يرضع جيدا ، لا أدرى متى يتحول من رضعه اللبن الى سائر انواع الطعام ،لا سيما في الأشهر الأولى من حياته .

— ابتداء الطفل بالرضاع ، من ثدى الأم او من زجاجة ، أمر بالطبع ظاهر الضرورة ، ولكن كلما نما الطفل وقوى بدأ وقت تأهيله لتناول سائر انواع الطعام .

واول الطعام الذى ينتقل اليه الطفل هو الطعام الذى هو اشبه شيء باللبن من حيث سهولة البلع ، اى السوائل . واللبن فيه البروتين وفيه الدهن وفيه السكر . ولكن ليس فيه النشا . والنشا أول الاغذية التى يتأهل لها الطفل بعد نحو شهرين من رضاع اللبن .

والنشا يعطى على صورة مهلبية ، او بطاطس مدهوك بالحساء او ارز مطحون . أو خبز او بسكوت او نحوه مطرى بالحليب . وبالطبع الخبز ليس كله نشا بل فيه اكثر من عشره من البروتين .

وهذا مثل لبرنامج لتغذية طفل بعد اسبوعه الثامن ، والى اسبوعه السادس عشر :

الصباح الباكر :

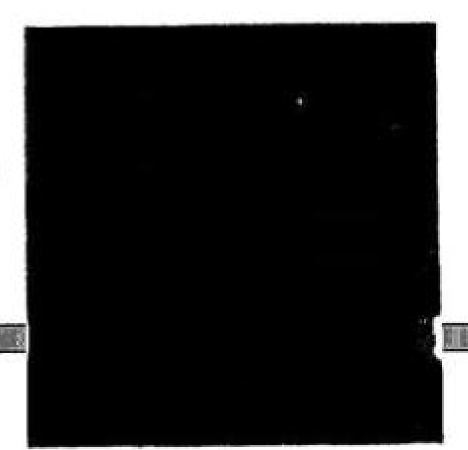
رضاع ، من الثدى او الزجاجة .

حول العاشرة صباحا :

شيء من غذاء من حبوب مطبوخة ، من مثل القمح والذرة والشعير والأرز وتكون فى صور شتى كالخبز والبسكوت والعصيدة . يعطى الطفل منها القليل أولا . ثم يزداد . وبالطبع يطرى بالحليب او المرق . ويضاف الى ذلك الرضاع وفق الحاجة .

الظهر :

احسية من انواع شتى (شوربة) والكثير منها الآن يصنع من مساحيق تشترى . أو في علب أو



يطبخ في مطبخ البيت .

يعطى منها القليل . ثم الكثير . يضاف الى ذلك الرضاع وفق الحاجة .

العصر :

مثل العاشرة صباحا يعطى البروتين في الطعام ، كالخبز المحمص في اللبن ، والبيض والكسترد مع اللبن . وكذلك الفاكهة المدهوكة .

ومع هذا ، الرضاع ، وفق الحاجة .

نحو العاشرة مساء :

رضاع

وبعد الشهر الرابع لا بأس من ادخال مقادير اكبر من الاغذية المصنوعة من الحبوب يضاف اليها بالتدرج ، البيض واللحم ، بمقادير قليلة ، وعلى اشكال سائغة ، والطفل في ذلك يقبل ، وفي اقباله الدليل كل الدليل على صحة الغذاء عادة .

■■ أنا وزوجي طالبا جامعة ■■

● أنا وزوجي طالبان في الجامعة ، ونعمل بقوة لتأسيس اسرة صالحة لنا ، ولم يبق على زوجي وعلي غير بقية هذا العام لننتهي من الدراسة . ولكن في العام الماضي اجهد زوجي نفسه في العمل حتى خشيت عليه بسبب ذلك . انه في الثالثة والعشرين ، ويأكل بشهية ، ولكنني اخشي عليه في هذا العام ما كاد يحدث له في العام الماضي من اجهاد صحبه هبوط . فهل من دواء يتعاطاه ، او طعام صالح ، يعوض به ما يفقده قرب الامتحان من طاقة .

ــ ان الطاقة المفقودة لا يعوضها الا الطعام ، وزوجك حسن الشهية ، ولا بد انك تعلمين ما هو الطعام المتزن الذي يشتمل على كل اصول الغذاء اللازمة ولا تنسين الفيتامينات والاملاح . ان العقاقير لا تزيد زوجك الطالب طاقة .

ولكن هناك امور في معالجة الحياة واسلوب العيش هي التي تنظم من شئون الطاقة فتوزعها على الجسم في فترات متعادلة من الزمان فلا ينوء بها .

واول هذه الامور النوم . ان من عادة طلاب الامتحان ما يعرف باحراق الشمعة من طرفيها ، اعني بذلك السهر في الدرس بالليل ، ثم اليقظة صباحا وقبل ان تشرق الشمس ، زعما بأن مذاكرة الصباح اجدى نفعا . والحق ان الذي يجدي نفعا انما هو الجسم الذي استراح . وما وصفت مذاكرة الصباح بأنها اجدى الا لأنها تأتي من بعد نوم يجب ان يكون كافيا طويلا ، وان يكون عميقا مريحا .

والامر الثاني : الرياضة ساعة او نصف ساعة من الرياضة مرتين في الاسبوع ، يعقبهما الحمام ، ترد على الجسم نشاطه .

ويوم واحد في الاسبوع ، هو يوم الجمعة ، ينام زوجك في صباحه ما وسعه ، راميا هم الدرس وغير الدرس جانبا ، ليريح نفسه . وراحة النفس ترتد على الجسم راحة . ان القلق شر ، وفي عدم المبالاة التي يصطنعها الدارس ولو يوما

واحدا في الاسبوع تزيد ثقة الطالب في قدرتـه على السبق حين تأتى سـاعة سباق .

ان الدارس ينتفع بالزمن الاكثر الذى يقضيه في الدراسة ، ولكن ينتفع اكثر في الزمن الاقل الذى يكون فيه الجسم انشط ، والروح اروح . عندئذ يكون العقل اسرع التقاطا لما تقرأ العين، وتكون الذاكرة احفظ . ومن وراء ذلك تكون النفس اوثق بالغد وما سوف يجرى فيه.

يريد ولدا ، لا بنتا

● انا رجل متزوج ولى بنتان . وقد قرات فى « العربى » مقالا يقول ان جنس الوليد يحدده الزوج لا الزوجة ، وذلك لان الزوج يطلق فى منيه نوعين من الحيوانات المنوية ، احدهما يعرف بانه حيوان وائي (نسبة الى الحرف الافرنجي Y) وآخر حيوان اكسى (نسبة الى الحرف الافرنجي x) .

ويقول مقال العربي المذكور انالحيوانات الوائية هي التى ، اذا التقت ببويضة الزوجة ، انجبتالذكر . وان الحيوانات الاكسية اذا التقت ببويضة الزوجة انجبت الانثى .

فكيف احصل على هذه الحيوانات الوائية التي تنتج الذكور . انى انا وزوجتى نريد ، بعد البنتين ، ولدا ، يكون لهما ولنا فى آخر العمر سندا .

ــ انك لا تحصل على هذه الحيوانات الوائية بمجرد الطلب . انها هناك موجودة فى المنى ، مئات الملايين منها .

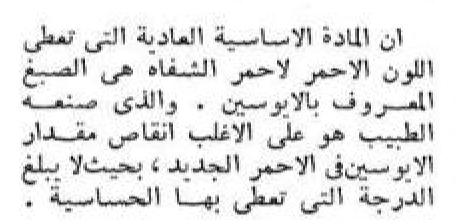
واعضاؤك التناسلية تنتج مع كل حيوان وائي حيوانا اكسيا . وكلاهما يسابق اخاه فى الوصول الى خلية المرأة ليخصبها ، فأيهما يصل أولا هو الفائز.

والذى حدث لك أن حيواناتك الاكسية سبقت مرتين ، فأعطتك بنتين .

المسألة مسألة حظ . وارجو لك الابن فى المرة القادمة . فان لم يكن ، فاعلم ان غيرك يلد الذكر ويتمنى الانثى . وقانون المصادفات قضى بأن يكون فى الناس ، جملة ، عدد الذكور كعدد الاناث تقريبا ، الا ان تكون حرب .

فبناتك ، ان انت تخصصت في انتاج البنات ، هم آخر الامر لغيرك ، فقد يكون تخصص هو فى انتاج البنين وهكذا الدنيا تناسق وتوفيق ان شاء الله .

■■ حساسية من احمر الشفاه ■■



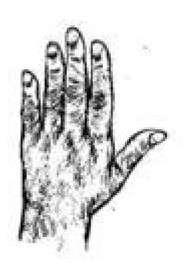
● منذ سنوات ، وبسبب حدثقاس وقع لى ، اصبحت لى حساسية شديدة لأحمر الشفاه الذى كنتاستخدمه . ثم عرضت نفسي على الطبيب،وبينه وبين من يقومون بصنعهذا الأحمر ، تيسر لى احمر شفاه لا يسبب لى هذه الحساسية .

وبقى في نفسي من كل ذلك شك .هل الطبيب بالذى اعطانى من دواء شفانى من هذه الحساسية، واناحمرالشفاه هو أحمر الشفاه، ام ان أحمر الشفاه هو الذى تغير . ان زوجى يميل الى الراى الأخير .

ــ راى زوجك اقرب الى الصحة ، لا سيما وانت في خطابك الطويل تقولين ان هذه الحساسية تعاودك أحيانا عند الضيق ، وفي الازمات ، حتى عندما تمنعين نفسك من استخدام احمر الشفاه .

ان المادة الاساسية العادية التى تعطى اللون الاحمر لاحمر الشفاه هى الصبغ المعروف بالايوسين . والذى صنعه الطبيب هو على الاغلب انقاص مقدار الايوسين في الاحمر الجديد ، بحيثلا يبلغ الدرجة التى تعطى بها الحساسية .

■■ الأظافر ، أحية هي ؟ ■■



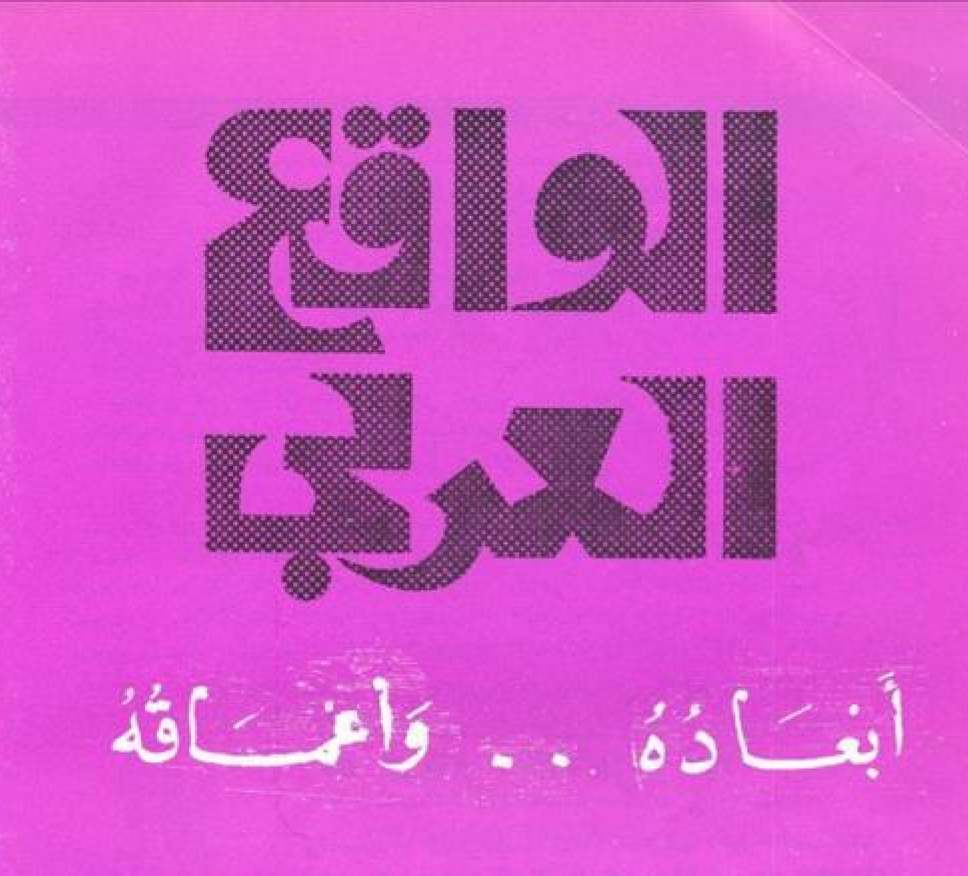
● سمعت ان الاظافر اجسام ميتة لا حياة فيها ، فهى كالشعر تماما . فهل هذا صحيح ؟ وسمعت انها كاشجار تنمو ، وانها تنمو عند منطقة الظفر السفلى البيضاء التى لها شكل الهلال ، فهى من اجل هذا تتنفس ، وان تغطيتها يمنع عنها هذه الأنفاس، ولهذاهى تتكسر . واظافرى انا تميل الى التكسر والتشقق ؟

ــ مما لا شك فيه ، أن الظفر ، ذلك الدرع الجامد ، لا حياة فيه ، ولكن جزاه الاسفل ، عند الهلال الابيض ومن تحته، فيه الحياة ، وفيه النمو ، وهو يزيد دائما في طول الظفر فيطول في اليوم الواحد نحوا من عشر مليمتر . ومن اجل ذلك نحن نقص الاظافر ، ونقصها في الطرف الميت منها .

والظفر ، ذلك الدرع الجامد، مصمت لا مسام فيه . فالقول بأنه يتنفس لا موضع له .

والظفر مصنوع من المادة المعروفة بالكيراتين Keratin ، وهذه المادة تتأثر بحالة الجسم الذى يصنعها ، قوة وضعفا . مثال ذلك ، ان فقر الدم ، يصاب به الجسم ، قد يسبب ظهور اظافر على شكل غير معتاد ، او تكون سريعة الانشقاق عند اطرافها .

وسبب آخر للانشقاق : ان ورنشة الاظافر تستدعي غسلها بالمادة المعروفة بالاسيتون . وهذا الغسل المتكرر يزيد فى جفاف الاظافر وفى تصلبها وسرعة تهشمها وتشققها . ●●



بقلم : الدكتور سرى ناصر

استاذ علم الاجتماع بالجامعة الاردنية

لم تكن ظروف النكبة التي تعرض لها العالم العربي بعد ٥ حزيران (يونيه) ١٩٦٧ لتطمس معالم التاريخ العربي وتراثه الانساني ، او تطفيء جذوة النضال من اجل قضايا العدل ، وتحرير الانسان من ظلم اخيه الانسان ، بل انها على العكس من ذلك كانت بمثابة المحك الذى كشف لنا عن ابعاد واقعنا العربي وأعماقه ، بما فيها من عناصر القوة والضعف .

وأنا ارى انه لا يجوز لاى مشتغل بقضايا الفكر ، او البحث العلمي الموضوعي ، ان يقف مكتوف اليدين ، أو معصوب العينين ، امام هذه القضية الحيوية بالنسبة لتاريخ الانسانية بوجه عام ، والمصيرية بالنسبة لتاريخنا العربى بوجه خاص .

واذا كانت هذه القضية قد بلغت درجة من الحساسية تجعل تناولها بالتحليل والتركيب ـ فى مثل هذه الظروف ـ امرا صعب المنال ، فان هذه الحساسية نفسها هي التي تلح علينا بموجب معالجتها بفكر مفتوح ، وواقعية علمية بعيدة عن الارتجال والتقوقع حول الذات . وهذا الموقف امر لا مفر منه ، اذا اردنا انتحدد ، على اسس جديدة ، معالم طريقنا فى قضية هي بالنسبة لنا

واقع أول مظاهره الخوف:

خوف الأسرة على الفتاة.
خوف الفتاة من الأسرة.
خوف الأم من الطلاق.
الخوف من ضابط النظام في مدرسة.
خوف الطالب من السقوط.
خوف المدرس من النتيجة.
الخوف من الله أرحم الراحمين.

قضية حياة أو موت ، وهي في جوهرها تتلخص في فرض الوجود الصهيوني نفسه علينا ، واحتلاله لتراب اباتنا ، واجدادنا ، عنوة ، واقتدارا .

جذور المشكلة بعيدة وعميقة

ان مقتضيات البحث العلمي الاجتماعي تفرض علينا بالا نبدأ تحليلنا للواقع العربي ابتداء من يوم نكبة ٥ حزيران (يونية) ، وانما تلزمنا بان نسير على هدى من التسلسل التاريخي الى ما قبل قيام اسرائيل فوق ارض فلسطين لنستطيع تحديد الفجوات التي استطاع العدو ان ينفذ منها الى قلب عالمنا العربي ، وتمكن عن طريقها من معرفة عاداتنا وتقاليدنا ، ومقومات شخصيتنا العربية ، بحيث هيأ لنفسه الاسباب التي مكنته من السيطرة علينا . وعلى الرغم من أن مثل هذا البحث هو ما يجب القيام به ، الا اننا لا نستطيع في هذه الصفحات المحدودة ان نتناول اكثر من جانب واحد من حياة الانسان العربي ، وهو جانب له دلالات عميقة ، في رأيي . وهذا الجانب هو سمة الخوف ، وهي سمة رئيسية في كياننا ، وسلوكنا ، وفي تخطيطنا لمواجهة مستلزمات التغير .

الخوف ظاهرة عامة بين الأحياء

ما من شك في ان الخوف ظاهرة موجودة عند كل كائن حي بوجه عام ، وعند الكائنات الانسانية بوجه خاص ، ولهذا فليس من الموضوعية العلمية وصف سلالة بشرية ، او مجتمع بعينه ، بصفة الخوف ، دون غيرها من السلالات ، او المجتمعات الانسانية . ولهذا فان القول بان عدونا لا يتصف بالخوف واننا نحن العرب نعيش في اسر الخوف وشبحه ليس موضوع بحثنا ، وانما الذى يعنينا هو ان طبيعة الخوف الذى يواجهنا ، يختلف عن طبيعة الخوف الذى يواجه عدونا . وقد لا يستطيع العدو السيطرة على مخاوفه ، او قد لا نستطيع نحن العرب السيطرة عليها ، وليس هذا ايضا موضوع اهتمامنا ، وانما الذى يعنينا هو تحديد ابعاد هذا الخوف واعماقه ، او بمعنى آخر شكل هذا الخوف وجوهره .

ولا نحسبنا نغالي اذا قلنا ان مسارات الظواهر الاجتماعية ، سواء منها السليمة او المعتلة ، في عالمنا العربي ، تنبيء باننا نعاني من خوف غير محدد المعالم ، لا يستطيع الفرد او الجماعة او المجتمع ان يحدد شكله او جوهره .

الخوف عندنا عام

والخوف الذى نعاني منه موجود على كافة المستويات : فالقمة تعاني منه ، كالقاعدة ، سواء بسواء ، وهذا الخوف المتبادل قد لا يكون له ما يبرره على الاطلاق ، وقد يوجد ما يبرره ، ومع ذلك فقد اختلط كل منهما بحيث اصبح الخوف مظهرا مَرَضيا في جميع ارجاء العالم ، مع تفاوت نسبي في ابعاد هذا الخوف واعماقه ، بحسب طبيعة كل مجتمع ، ودرجة تطوره الحضارى .

خوف الاسرة على الفتاة

والخوف قائم داخل الاسرة العربية . انه خوف من المجهول اختلط بتراث من العادات والتقاليد والتصورات التي ساعدت في كثير من المواقف على تعميق هذا الخوف . واصدق مثال على ذلك طريقة تربية الفتاة التي تشكل بالنسبة للاسرة العربية عنصر ضغط يؤدى الى خوف عميق ، لا ينتاب الابوين فحسب ، بل ينتاب الفتاة نفسها ، وكل فرد في الاسرة ، سواء جاء ذلك بصورة مباشرة ، او غير مباشرة . والفتاة في خوفها لا تخاف على مصيرها ، بقدر ما تقلق بسبب خوف ابويها واسرتها ، وهي في هذا تخشى المجهول ، وترهبه في صورة غير محددة المعالم على الاطلاق .

وهذه النظرة للفتاة هي مُحَصِلة تراث فكرى واخلاقي يضغط على الاسرة العربية دون ان تعي مصدره او تحدد جذوره . والى جانب هذا نجد الفتاة تخاف من كلام الناس ، ومن لغط المجتمع ، او ما يسمى بالفضيحة ، وذلك في امور عديدة قد لا تكون ذات شان يذكر ، ولكنها مع هذا تسبب لها خوفا غامضا يتراوح بين الخوف من السلطة ، والخوف من القدر ، والخوف من الضياع ، والخوف من سوء المصير ، والخوف من الاختلاط والعمل المنتج خارج البيت وبجانب الرجل .

الاسرة تغرس في نفوس اطفالها الخوف

والاسرة في خوفها من المجهول تغرس في اطفالها الرهبة : اما عن طريق التخويف المباشر من اشياء غامضة او ملموسة ، واما عن طريق التخويف غير المباشر الناشيء عن الاسراف في القسوة او في التدليل . فالاسرة العربية هي التي تحدد الخطوات التي يمكن ان يخطوها اطفالها في مراحل حياتهم ، وتظل سيطرتها النابعة من الخوف عليهم ، حتى بعد اكتمال نضجهم ، ونتيجة للخوف الغامض على مسارات الابناء نجد الاسرة تسيطر عليهم في التعليم ، وفي اختيار الرفاق ، واختيار شريك الحياة ، وما الى ذلك من العناصر التي قد تبدو في ظاهرها تربوية واخلاقية ،ولكنها تترك بصمات عميقة على اخلاقيات وشخصيات الابناء لمدة طويلة .

ان تربية الاسرة لا بنائها تسعى الى ان تثير الخوف فيهم كوسيلة لضبط سلوكهم ، ومعنىهذا ان الكبار يفرغون مخاوفهم في نفوس الصغار ، وهؤلاء بدورهم يتقمصونها دون ان يحاولوا تحليلها او تفسيرها ، نتيجة لما وقر في نفوسهم من تقديس ، وهكذا نجد ان الطاعة التي يبديها الابناء للآباء هي وليدة الخوف لا الاقتناع .

والمشكلة في مثل هذه الحالة هي ان الخوف

يتمو ويزداد دون ان يفهم الابناء مصدره ، او سببه ، ودون ان يستطيعوا تحديد اطاره ، ومقوماته ، لدرجة انه يصبح خوفا غيرواضح الحدود ، او معروفة اسبابه ودوافعه . ومن المؤكد ان الخوف الذى لا يمكن تحديد مصدره ، او سببه ، يؤدى الى انهيار القوى وتحطيمها ، بل يؤدى فى النهاية الى حالة من الضياع والحيرة الكاملة . فالخوف من المجهول اعمق ، واشد اثرا ، من الخوف من المعلوم ، لانه عند معرفة مصدر الخوف يمكن التخطيط العلمي لتخفيفه ومواجهته مواجهة واقعية مكشوفة .

والنظام التعليمي يقوم على الخوف

وليست الاسرة وحدها هي التي تغذى الخوف فى الناشئين ، بل ان النظام التعليمي كثيرا ما يستخدم الخوف ، او التلويح بالخوف ، كاداة لضبط السلوك داخل المدرسة . وامامنا امثلة عديدة من اهمها نظام الامتحانات القائم على التخويف من الرسوب ، او الحرمان من الدرجات المؤهلة لمراحل التعليم التالية . ولا ينحصر اثر هذه المخاوف – بطبيعة الحال – داخل جدران المدارس ، بل ان حصيلة هذه المخاوف ، التي يكتسبها الفرد فى الاسرة والمدرسة ، يحملها فى الغالب الاعم معه الى معترك الحياة ، والى ميدان المجتمع الواسع . وهذا كله ينعكس على شخصية الفرد وسلوكه ، فاذا ما تقدم لطلب عمل معين فانه لا يؤمن بقدرته على منافسة اقرانه منافسة شريفة ، ولذا يلجا الى النفاق ، والاستعطاف ، والتذلل لمن فى يده الامر ، ولا يترك وسيلة دون ان يلجا اليها ، والسبب فى كل هذا انه فاقد لمقومات الثقة بالنفس .

ونتيجة هذا تكبيل الفكر

وينعكس هذا الخوف في اطار المجتمع الواسع ، بحيث لم يدع نظاما من انظمتنا الاجتماعية الا وتسرب اليه ، حتى ان الفكر الحر اصبح مكبلا بقيود الخوف من القصاص الرهيب من جهة ، والخوف من الجماهير ومحاولة استرضائها من جهة اخرى .

الدين يفجر طاقات فعالة ، وهو ضد الخوف

ولا شك فى ان الدين اداة بالغة الاهمية فى الضبط الاجتماعى ، ولهذا فان مفهومنا للدين ينبغى ان يقوم ، فيما يقوم عليه من أسس ، على اساس انه اداة لضبط السلوك بطريقة صحيحة فعالة وايجابية ، بمعنى انه اداة مساعدة تربوية واخلاقية ، وليس اداة تعويق ، او تكبيل لحرية الفكر او العمل .

ان ما نعنيه هنا هو اننا نرجو للدين ان يكون اداة للضبط الاجتماعى والاخلاقى فى مجتمعنا العربى ، كما نرجو الا يؤدى اى مفهوم خاطىء لمعنى الدين ومقوماته ، الى ان ينحرف عن دوره الاصيل كاداة روحية اشراقية . فالخوف من الله وقدرته عز وجل ينبغى الا يتحول الى خوف من المجهول ومن كل ما هو غامض ، بل ان الطاقات الروحية التى تغذى الامة العربية ينبغى ان تكون طاقات فعالة فى قدرتها على التحليل ، والتفسير ، والربط ، والتركيب ، بحيث تسهم فى تهيئة كل من نظام التعليم ، ونظام الاسرة ، ليقوم بدوره الايجابى فى اعداد الانسان العربى للحياة مزودا بالفهم الكافى لمعنى الحياة وماهيتها ، مع ادراك موضوعى لقدراته ، وطاقاته فى الفكر والعمل .

غايتنا بناءة ، وهي تحارب اليأس والتشاؤم

ونود ان ننبه هنا الى انتحليلنا للواقع العربي ، لا يعنى اننا نتبنى اتجاها تشاؤميا ، او اننا يائسون من امكانية التغيير الملائم لاحتياجاتنا فى معركة المصير التى تواجهنا . اننا ، على العكس تماما ، نرجو ان يمهد هذا التحليل لسمة خطيرة من سماتنا الاجتماعية والاخلاقية ، الى مزيد من البحث العلمى الموضوعى ، الذى لا غنى عنه لمواجهة اساليب التأثير ، والدعاية ، والتحطيم المعنوى ، التى يلجا اليها عدونا بضراوة واضحة فى هذه الايام .

ان عدونا – كما سبق وبينا – لا يقل عنا احساسا بالخوف ، بل قد لا نغالي اذا قلنا انه اكثر منا فى معاناته من الخوف ، ولكن عدونا استطاع ان يحدد ابعاد واعماق الخوف الذى

يعانيه ، او بمعنى آخر اصبح يدرك من اى شيء يخاف ، والى اى حد يخاف . وبهذا يدرب نفسه على ان يكون اقل خوفا منا ، نتيجة للخوف من المعلوم . ومن جهة اخرى فان عدونا يدرك تماما هذه السمة في واقعنا العربى ، ولهذا فهو يستخدم سلاح التخويف ليحيلنا الى امة خائفة تعيش في دوامة الرهبة من المجهول .

ومما يؤسف له ان نكبة حزيران ابرزت سمة الخوف ، الذى لا تضبطه حدود علمية ، الى السطح ، فغدونا نتصرف بانفعال لا تجيزه المعركة الحضارية التى نواجهها . ان معركتنا تستلزم التعقل ، والتحليل ، اكثر من العاطفة والانفعال . وينبغي ان تزودنا النكبة باسلوب جديد صحيح ، يعيننا على فهم انفسنا وقضايانا من جهة ، وعلى فهم اعدائنا من جهة اخرى .

يجب أن ندرك أولا : لماذا نخاف ؟

ان اول واهم ما ينبغي ان ندركه هو : لماذا نخاف ؟ وليكن ذلك ابتداء من الاعلى الى الادنى . وعلى القادة ان يدركوا ادراكا عميقا ، وصادقا ، ان من واجبهم تفجير طاقات المائة مليون عربى ، وذلك بتحريرهم من الخوف في جميع صوره واشكاله .

ان الايمان الصادق القائم على الادراك الواعى بان العالم العربى يواجه معركة مصيرية يستلزم تجمعا كاملا للقادة ، لا لاصدار القرارات ، او تقديم المعونات لمن هو على خط النار فحسب ، وانما لتذويب الحواجز القائمة في وجه الامال ، والاهداف ، ولتحديد ابعاد واعماق المخاوف التى تواجه الانسان العربى ، وخاصة في هذه الفترة من تاريخه .

ان هذه الخطوة من جانب القادة سوف تبهج المواطن العربى ، الذى ينتظر يوما ما يتآلف فيه القادة ، ويتعاونون ، ويسيرون امامه صفا واحدا لخوض معركة المصير .

وفي الوقت ذاته فان على المواطن العربى ان يتحول عن مخاوفه التى لا يقدر على ادراك ماهيتها، ولا يستطيع تحديد اسبابها ، ومصادرها، وخاصة خوفه من السلطة ، بحيث تتفاعل القاعدة مع القمة ، لمواجهة مستلزمات التغيير ــ الذى لا غنى عنه ــ في عاداتنا ، وسلوكنا ، واسلوب تفكيرنا، وعملنا .

وما من شك في ان مجرد حدوث هذا التغير في العلاقات الانسانية بين القادة وبين المواطنين ، سيعكس اثارا عميقة في اخلاقيات الاسرة العربية ، واساليبها في التربية ، والتنشئة الاجتماعية .

وقد لا يتم التغير في نظام الاسرة او النظام التعليمي ، بالسرعة الكافية ، ولكن اى تغير في مفهوم الخوف داخل كل من الاسرة والمدرسة سوف يترك اثارا عميقة في اسلوب الفكر والعمل في اطار المجتمع الواسع ، بحيث تضبط حدود الخوف في في كل مجالاته ، بمعنى ان هذا الخوف سيكون قائما على اساس من الادراك ، والتعقل .

ان معركتنا ينبغى ان تبدأ بايماننا بوحدة الهدف ، ووحدة المصير ، وبتحررنا من الخوف المرضي غير المحدد المعالم ، وبادراكنا الكامل لاهمية تحديد مخاوفنا الواقعية بالتحليل الكافي لمواجهتها مواجهة علمية ، حتى نستطيع ان نعبيء طاقاتنا ، وقدراتنا ، في طريق واحد ، ارى اننا ، نحن العرب ، لا مناص لنا من ان نسلكه اذا اردنا ان نحيا احرارا في بلادنا .

مقترحات بناءة

اذا كانت ظاهرة الخوف ، او الرهبة من المجهول ، قد تغلغلت في كثير من مظاهر التفكير والعمل في حياتنا العربية ، واذا كنا قد وضعنا ايدينا على اماكن محددة من بنائنا الاجتماعى هى في نظرنا مصادر التفريخ لسلوك الخوف والرهبة الذى يسيطر على علاقاتنا الاجتماعية ، فان من المجدى ان نقدم مجموعة من المقترحات لمواجهة ظاهرة الخوف المرضي التى اشرنا اليها .

اعادة بناء الاسرة العربية

وفي رأيي ان العبء الاكبر من اجل تحقيق التغير الاخلاقى والاجتماعى المنشود يقع على عاتق الاسرة، ومن هنا يجب أن يكون للاسرة العربية دور فعال في التنشئة الاجتماعية السوية ، ولا يتيسر ذلك

ــ بالضرورة ــ الا اذا منحت الام ، باعتبارهــا مصدر العاطفة والحنان ، المركز الذى يؤهلها لفهم وظيفتها التربوية والخلقية ويمكنها من تادية واجبها في صورة سليمة بحيث ينشأ الابناء وهم يحملون قيما ، ومعايير ، واضحة وضوحا كاملا .

وعلى راس مشكلات الاسرة العربية ان الام تعيش في ظل خوف ابدى : خوف على مستقبلها المتمثل في شبح الطلاق ، وخوف من زوجها نتيجة عدم تبلور واجبات واختصاصات كل منهما ، وهذا كله يفسد العلاقة القائمة بين الزوجين ، ويجعلهما غير سويين . والى جانب هذا نجد ان مقومات الحب معدومة في كثير من الاسر ، وهذا ينتج عنه افتقاد التعاطف بين راسي الاسرة . ولما كانت المراة محرومة من القدر الكافي من التعليم فانها لم تع وعيا تاما دورها التربوى ، وهذا انعكس بدوره على اسلوب التربية داخل البيت : ففى كثير من الأسر ، التى لم تستطع فيها الام أن تحصل على قدر معقول من الثقافة والتعليم ، يعيش الطفل في جو من الحيرة الكاملة المنبثقة عن نماذج ، وانماط عديدة من المتناقضات في سلوك افراد الاسرة ازاءه من جهة ، وفي سلوك بعضهم ازاء بعض من جهة اخرى . ان كثيرا من حالات التدليل والقسوة المتناقضة ، وكثيرا من حالات الثواب والعقاب المتباينة المصادر والاسباب ، نجدها ــ في الغالب الاعم ــ داخل الاسرة التى حرمت من مقومات التعليم ، والثقافة الكافية لممارسة دور ايجابي في التنشئة الاجتماعية السوية .

من هنا يجب ان نبدأ في مواجهة مشكلة الخوف وذلك بان نقيم الاسرة العربية على ركائز متينة ، عقلية اكثر منها عاطفية ، او وجدانية . وينبغى ان يتم الزواج على اساس الاختيار المباشر بين طرفي الزواج ، دون ان يكون للاسرة اي لون من الضغط او الاكراه ، الا بالقدر الـذى يسمح باسـداء النصيحة ، وانارة الطريق ولا يعنى هـذا اى تحطيم لمعايير اصـيلة في تقاليدنا العربية ، كما لا يعني اى حرمان للاسرة من وظيفتها التربوية . وانما يعنى ، على العكس من ذلك تماما ، تأهيل الانسان العربي لممارسة فرديته ، وتدعيم بناء الاسرة باقامته على الارادة الحرة الطليقة من كل قسر او اكراه ، وانبثاقه عن قدر كبير من التعقل الممتزج بقدر معقول من العاطفة التى لا غنى عنها في كل مرحلة من مراحل الحياة ضمن نطاق الاسرة الواحدة .

ويتضح لنا مدى عمق الاثر الذى يتركه هـذا الاختيار الحر لرفيق العمر في بناء الأسرة ، اذا ادركنا ان الطلاق يمثل شبحا مخيفا امام الزوجة العربية فهي تعيش في جو رهيب نتيجة احساسها الغامض بان الطلاق سيف مسلط على عنقها ، لا تدرى متى يقع عليه . وتنعكس هذه المخاوف على كافة مظاهر علاقاتها الاجتماعية ، داخل الاسرة ، وخارجها . ومن اخطر اثار هذه المخاوف سلوكها ازاء اطفالها سلوكا يتصف بخشية انه لن يدوم بالتناقض . فالام ، نتيجة الاضطراب الوجداني الناشيء عن الخوف من المجهول ، تحيط طفلهـا بسياج شديد من الرعاية التى تفقده على المدى الطويل امكانية الاستقلال الذاتي في التفكير ، او في السلوك ، او في العمل . فالطفل يمثل بالنسبة للام حاجز الامان امام شبح الطلاق الماثل امام عينيها ، ويتزايد هذا الاعتقاد عندها الى الحـد الذى يجعلها تتصور الانجاب غاية في ذاته ، فتسعى اليه ، وتعارض كل ضبط او تنظيم له ، اذ ترى في كل طفل جديد مصدر امان نفسي ، يبعد عنها شبح الخوف من الطلاق .

ولكن رعاية الام لطفلها هذه لا تدوم ، لان الطفل سرعان ما يتعرض لاهمال مفاجيء كلما استقبلت الأسرة طفلا جديدا ، وهذا التغير يحيطه بجو من الحيرة ، والاحساس الغامض بالرغبة في التحرر من ضغط الاسرة وقيودها .

ان ما نريده هنا هو ان نؤكد ان « ابغض الحلال عند الله الطلاق » ، ولهذا يجب ان تضع الدولة القيود والعقبات التي تحد من الطلاق ، ولا تجعله اداة طيعه في يد الزوج ، وسيفا مسلطا على عنق المراة ، يفقدها شخصيتها ، ويحطم معنوياتها ، ويفسد دورها التربوى الاخلاقى في تنشئة اجيالنا المقبلة .

قد يكون الطلاق علاجا ، ولكن ينبغي ان يقيد هذا العلاج ، فلا يمارسه الا الاطباء الاجتماعيون الذين ينتهي اليهم الامر ، اذا ما عز علاجه على الاهل ، او على الزوجين مباشرة ، وهكذا ينظم الطلاق فلا يتم الا عن طريق هيئة قضائية ، تصدر

قرارها بناء على تقرير اجتماعي مدروس لا يرى الا الطلاق سبيلا للعلاج . وبهذا تتحرر المراة العربية من الخوف الناجم عن الطلاق ، وتقيد حرية الرجل فيه ، فلا يتصرف على هواه ، وبناء على نزوة طارئة .

اما عن وعي المراة لدورها التربوى ، فان لتثقيفها وتعليمها اثرا كبيرا فى بلورته - كما سبق ان ذكرنا - وهذا عبء مشترك يقع على عاتق الدولة والمواطنين ، بمعنى ان يتكاتف الجميع لتهيئة مجالات التثقيف غير المباشر للام العربية ، فتعرض نماذج للحياة السليمة فى الاسرة وتعالج الوان المشكلات والانحرافات التى يمكن ان تواجه الاسرة العربية ، وكل ذلك فى اطار من الموضوعية ، والواقعية التى تلائم طبيعة التطور فى هذه المرحلة من حياتنا .

ونريد ان تقوم اجهزة الاعلام ، ووسائل التثقيف، بدورها فى هذه القضية الهامة ، فتقوم المجلة الاسبوعية والشهرية ، ودار الاذاعة ، والسينما والمسرح ، والتلفزيون ، باثارة الاهتمام بقضايا تربوية معينة ، وطرحها للمناقشة والجدل ، مما يؤدى الى ترسيب معايير جديدة فى معاملة الاطفال، وتوجيههم وعقابهم ، وثوابهم ، وما الى ذلك من المظاهر التربوية التي ينبغي ان تؤصل فى الناشئين التفكير العلمى الواقعى ، وتحطم شبح الخوف من المجهول ، وتحيط الخوف باطار محدود المعالم ، بحيث يتمكن الطفل ، والفتى ، والرجل فى الاسرة العربية ، من ان يحدد مخاوفه ، من حيث ماهيتها وموضوعها وحجمها ، وبهذا يكون قادرا على مواجهتها بما تتطلبه من سياسة وفكر وعمل .

نريد وحدة عربية منفتحة على نفسها وعلى العالم

ومن اهم ما يتطلبه مجتمعنا العربي فى مرحلته النضالية الحاضرة هو ان يتاصل فى اذهان الناشئين فهم سليم للوحدة العربية ، بصورتها الملموسة لا المجردة ، وهنا تقع على عاتق الكتاب مسئولية فتح الآفاق امام المواطن العربي ، بحيث يكف عن العيش داخل حدود ضيقة من التفكير الاقليمي ، او المحلي . وقد حملت مجلة « العربي » بحق لواء هذه الدعوة منذ نشأتها ، ففتحت امام المواطن العربي ، فى المشرق والمغرب العربي على السواء ، آفاقا من الفكر ، استطاعت عن طريقها ان تصهر جانبا كبيرا من الثقافة العربية المتعددة الالوان والمشارب بحكم التوزيع الاقليمى والانظمة الاجتماعية والسياسية المتباينة ، واستطاعت فى فترة قصيرة من عمر الشعوب ان تعمل على تزاوج المعرفة ، وامتزاج الثقافة العربية ، وبهذا شقت طريقها بسرعة الى بقاع كثيرة من العالم العربي .

وما من شك فى ان دعوة « العربي » تصبح اكثر فعالية ، وتكاملا ، اذا ما اصبحت هذه الفكرة مظهرا لتخطيطنا الثقافى والتربوى فى مرحلة التغير التى تواجهها ، ومنهاجا تتبناه كافة اجهزة الاعلام العربية ، وكل اساليب التواصل الفكرى .

نظام التعليم محتاج الى اصلاح

اذا انتقلنا الى النظام التعليمي فى العالم نجد ان على عاتقه يقع عبء لا يقل عن مسؤولية الاسرة فى تقليل الخوف ، وتحديده ، والاسهام الايجابي فى اعداد المواطن العربي القادر على مواجهة تحديات هذا العصر .

والنظام التعليمي يتمثل فى المعلم ، والمدرسة ، وادوات التعليم نفسها . وفى رايي ان المعلم الواعي لدوره التربوى ، قبل دوره التعليمي ، اداة فعالة فى بناء رجال المستقبل . ومن جهة اخرى فان المعلم الجاهل لطبيعة دوره هذا ، هو اداة هدم وافساد فى المجتمع .

ومن هنا فلا ينبغي ان يدفعنا التوسع المطرد فى التعليم الى الاهمال فى اختيار واعداد المعلمين . ينبغى ان تتوفر في المعلم صفات ، من اهمها : حبه لمهنته ، لان المعلم الذى دفعته المقادير الى هذه المهنة ، دون ايمان بقدسيتها ، كثيرا ما يؤدى دوره على انه عبء ينبغي الانتهاء منه بايسر السبل ، فهو لا يؤدى على اعتباره مهمة سامية . والمعلم الجاهل بأساليب التربية الحديثة فى معاملة الناشئين ، كثيرا ما يسقط مشكلاته الذاتية ،

واساليب تربيته التى اكتسبها فى اسرته ، على تلاميذه ، دون ادراك لمضمون التربية كمهنة وكفن .

ان اختيار وتدريب المعلمين فى العالم العربي يستلزمان تخطيطا على المستوى القومي ، بحيث تكفل اساليب الاختيار من جهة ، وتهيء برامج التدريب والتوجيه التربوى للمعلمين الجدد من جهة اخرى ، التعرف على معالم الطريق التي يسلكها المعلم العربى ، والتى ادت به الى أن يغرس فى الطفل اتجاهات تعوق فيه عناصر الابتكار والخلق والابداع ، او تشيع فيه المخاوف المبهمة كوسيلة لاخضاعه للنظام المدرسي .

ومن ناحية أخرى فان لمعنويات المعلم العربى اثرا عميقا فى دوره التربوى ، وتتحدد حصيلة هذه المعنويات فى ناحيتي التقدير المادى والمعنوى . فالمعلم يقدم كل ما يملك من طاقة اذا كانت هناك مقاييس دقيقة وعادلة يقاس بها ما يبذله من فكر وعال . ومن انجح المقاييس : ترك المعلم يقيّم عمله بنفسه ، بحيث يحدد جوانب الاجادة والابداع ، او مظاهر التعويق والفشل فى تاديته لدوره . وينتج عن هذا الا تكون الترقية او زيادة الاجر المادى ، مسألة دورية لا صلة لها بالانتاج والاجادة ، ويجب ان يكون واضحا للمعلم انهما مترابطان ، فلا ترقية ولا زيادة فى الراتب لمن لا يتقن عمله ، ولا يقوم بدوره على وجهه الاكمل .

وعلينا أن نختار المعلمين حسب مقاييس تكشف عن الطاقات القادرة ، والمستعدة ، للعمل التربوى . ويجب ان تطبق هذه المقاييس بالتجرد الكامل من عناصر المجاملة والعلاقات الشخصية ، لنكون قادرين على تهيئة جيل من المعلمين يتمتع بدرجة عالية من المعنويات التي تؤهلهم للقيام بدور فعال فى التنشئة الاجتماعية .

لا بد من القضاء على مخلفات الاستعمار

وننتقل بعد هذا الى مخلفات الاستعمار ، فقد وقع العالم العربى فى خطأ كبير عندما تصور ان السيطرة الاستعمارية قد اختفت بمجرد رحيل المستعمر فى صورته العسكرية ، اذ ان القضاء على الاستعمار لا يتحقق دون القضاء على الانماط الاستعمارية المتمثلة فى شكل وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة فى المجتمع .

فالقضاء على الاستعمار ثورة مستمرة على مخلفاته الاخلاقية ، وعملية لا تنتهى بسقوط قواعده ، او برحيل جنوده ، وانما القضاء عليه انطلاقة فى طريق التحرر الملىء بالرواسب والمتناقضات . ولكنها ليست رواسب مادية يمكن ازالتها او تحديد المدى الزمنى اللازم للتخلص منها ، وانما هى عملية تطبيع وتنشئة طويلة الأمد صاحبت البنيان الاستعمارى الذى استقر سنوات طويلة فى مجتمعنا . وعلى هذا فان من الواجب التخلص من عادات التبعية ، والخنوع ، والاحساس والوصولية ، والانتهازية التى ترعرعت من الماضى بفضل النظم الحزبية ، والتربية الاستعمارية الموجهة الى تحطيم المعايير والمثل العليا ، والشك فى قيمة الكفاح والعمل .

ولازالة رواسب السيطرة الاستعمارية ، فى صورها السياسية والاقتصادية والثقافية ، يجب التعاون الكامل بين السلطة والشعب ، فمن جهة ينبغى على الحاكم ان يحدد بوضوح حقوق وواجبات المواطنة ، ويؤمن ايمانا كاملا بان وجوده فى مركز القيادة او مكان الصدارة من شعبه ، انما يدعمهما ارتباطه المباشر بالشعب ، واتصاله الدائم بالقاعدة العريضة ، يطلعها اولا باول على امور الحكم وامور السياسة المحلية والخارجية ، ويستمد منها الالهام من واقع الاحتياجات الفعلية والامانى الواقعية لجموع الجماهير .

وفى هذه الحالة ، عندما يصبح المواطن على دراية تامة بشئون مجتمعه فانه يدرك نوع التضحيات الملقاة على عاتقه ، ومدى المسئوليات التى ينبغى ان يتحملها . وما من شك فى ان جانبا كبيرا من مخاوف المواطنين ، واحجامهم عن العمل الايجابى والاسهام الارادى فى تسيير مجتمعهم ، انما يرجع الى القيود المفروضة على حرية التعبير ، والنقد البناء . فعندما يشترك المواطنون فى الوقوف على امور الحكم والسياسة ، ويتعرفون على مسارات الاشياء واتجاهاتها ، يمكنهم ان يسيطروا على قسم كبير من مخاوفهم غير المحدودة ، ويمكنهم من

جهة اخرى ضبط مخاوفهم وتحديدها بـدقة ، ومواجهتها مواجهة واقعية ايجابية .

ولهذا فان وجود طريق مزدوجة الاتجاه توصل الافكار والامال والرغبات بين الحكام والمحكومين ، امر بالغ الاهمية فى القضاء على الخوف ، والرهبة وانعدام الرؤية الواضحة فى سلوك وتصرفات كلا الجانبين .

ولا بد من ان تكون العلاقات بين القادة العرب باعثة على تنمية الثقة ، والتكامـــل ، وتدعيم الشخصية العربية فى مواجهة التحديات ، ولا يفترض هذا تماثلا فى الانظمة السياسية والاجتماعية للدول العربية ، بقدر ما يستلزم وحـدة فى التطلعات والامال ، وبوجه خاص ابراز كيان الانسان العربى ، وتخليصه من القلق ، والخوف الذى يحطم عناصر القوة والمنعة فى العالم العربى .

وحدتنا فوق كل خلاف ، ويجب أن تبنى على أسس سليمة

والامر الذى اثبته تاريخنا وواقعنا العربى هو ان وحدة العالم العربى تسمو دائما فوق كـل خلاف فى الفكر ، أو النظم ، أو العقيدة . انها وحدة مصير . ولهذا فانه كلما تلاقت قيـادات العالم العربى ، وازيلت شوائب الريبة ، وانعدام الثقة ، وحل محلها التعاون ، والتكافل ، من اجل الانسان العربى ، الذى يتعرض فى هذه الايام لمحنة قاسية ، أمكن السيطرة على مخـاوفنا ، وتحديد معالم طـريقنا بـدقة ، دون اسراف فى التشاؤم أو التفاؤل .

وعلى المواطن العربى ان يعرف بدقة واجبات المواطنـة بنفس القدر الـذى يلم فيه بهـذه الحقوق ، وعليه أن يجعل ولاءه لنظام ، او فلسفة معينة ، لان الفرد ، مهما سمت افعاله واهدافه فانه كانسان لن يستطيع ان يتحرر من الاهـواء والنزوات والشهوات . ومن جهة اخرى فاننـا كبشر مصيرنا الى زوال ، اما الفلسفة ، والنظام ، ومنهاج العمل ، فهى بلا شك اكثر تحـديدا ، ووضوحا ، واستقرارا ، وهى الطريقة العلمية للعمل .

ان اشد ما يحتاجه المواطن العربى فى مرحلة التغير الحاضرة هو ان يعى بالقدر الكافى الفلسفة التى يتمثلها ، وأن يسهم بنصيبه فى بلورة هذه الفلسفة ، وتدعيمها ، ولا يجوز له ان ينطوى على ذاته ، أو يظل منعزلا فى زاوية من هـذا العالم العربى دون سواها ، ذلـك لان عليه مسئولية كبيرة هى محاولة التعرف على مشاكله واكتشاف امكانياته لأن من أخطر ما يواجهنا هو القاء المواطن العربى مسئوليات التفكير والتخطيط والعمـــل كلها على عاتق قادته والمسئولين فى الوطن العربى الكبير ، فى حين ان بناء هذا المجتمع وتنظيمه عملية تعاونية تستلزم تفاعلا كاملا وايجابية شاملة مـن جانب كافة المواطنين على تباين ثقافتهم وقدراتهم وطاقاتهم العقلية والفكرية والانتاجية .

ان دور المواطن العربى لا يقتصر على استقبال الافكار والاراء والتوجيهات ، مهما كان مصدرها، وانما ينبغى له ان يكون قادرا على المناقشة والاسهام بالقدر الذى يمكنه من النقد البناء . وبهـذا تتفاعل المعرفة والافكار فى كافة ارجاء العالم العربى ولا اظن ان هناك من يشك فى اهمية تفاعل وتزاوج وسائل الاعلام فى العالم العربى ، ولكن النتيجة ، تكون اجدى لو ازيلت من طريق كل مواطن عـربى كافة القيود المفروضة على الحركة والتنقل عبر اجزاء هذا الوطن ، ذلك لان حرية تنقل المواطنين بين الاقطار العربية تؤدى الى امتزاج العادات والاداب والثقافات ، كما تسهم بالضرورة فى سرعة جريان دماء الفكر والعمل فى العالم العربى وهذا بدوره يجعلنا نرى الامور على حقيقتها ،ويساعدنا على فهم مخاوفنا والسيطرة عليها . وبهذا نستطيع ان نحدد اهدافنا ، ومناطق مخاوفنا ، ونغرس فى نفوسنا اتجاهات جديدة قائمة على الثقة الواعية بحقيقة مشاكلنا ومراكز القوة والابـداع فى حياتنا بشكل يساعد على الكشف عن حقيقة الشخصية العربية ، ويمكننا من مواجهة مستلزمات الحياة فى هذا العصر . ■■

سرى جميل ناصر

فما استقام الشكل من عــورةٍ ... ولا خلا المضمونُ من مَثْلــب
إن كان هذا شعر أيامنــا ... فيا ضياع الشعر في يَغْــرب

■ ■ ■

عفواً أبا القاسم ، إن لَجَّ بــي ... حديثهم في ذكْرك الطيّـب
وأنتَ مَنْ بالبحر في عمقــه ... وبالقوافي صعبة المَطْلَـب
غَنّى الجبالَ الخُضْرَ ألحانَــهُ ... وأطلق النايات في السَّبْسَبِ
وضَاءَ بالحب ستار الدجــى ... واْطلع الزنبق في المجْدِبِ
وزفَّ بنتَ النور أنشودَةً ... نشوانَةَ الانغام في الموكـب
أطلعهــا تختال في مُلْكهــا ... كأنها بلقيس في « مــأرب »
والتفتَ الشرقُ له هاتفــا : ... ياعَجَبا من سحر هذا الصبي
في ميعة العمر وإشراقــه ... يرنو ای عرش « أبي الطيّـب »
قد عاش ما عاش على رقّــةٍ ... لم يحف بالجاه ولا المنصب
بل عاش للشعر وأقداســه ... ينزفه من قلبه المُتْعَب
ويوغر الشعب على طُغمــةٍ ... تحتمل الأوزار كالمِشْجب
ويبعث الصيحة في قومــه ... أن ينفروا من غفلة الغيهب
إن غضب الشعب على قيــده ... فالله سيف النصر للمُغْضَب

■ ■ ■

عاش ، وما عاش ، فما عُمره ... الا كعُمْر الورد لم يُسْهب
ومات ، لا بل عاش في موتــه ... كما يعيش الدينُ بعد النبي

■ ■

صالح جودت

ركن الأسرة والمرأة

أولادنا وبناتنا في ..

سن المراهقة

كيف نحميهم من الضياع ..؟

المراهقة سن الضياع .. والمراهقون ضائعون دوما في دنياهم المقلقة المحاطة بالقيود والتقاليد . قيود في المدرسة ، وتقاليد في البيت .. ورقابة في كل مكان .. فهل افلحت هذه الرقابة في مجتمعنا المحافظ في القضاء على الانحراف بين الشباب المراهق ؟

لقد كانت حياة المراهقين ، اى كل فتاة وشاب في السن ما بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة ..

كانت حياة هؤلاء الابناء محل بحث ودراسة من جانب علماء النفس الذين خصصوا جانبا كبيرا من وقتهم وابحاثهم لمعرفة اسباب الانحراف عند الشباب .

وقد توصل العلماء الى نتائج هامة في مقدمتها انه يجب الا يشعر الشباب ابدا بوجود رقيب عليهم يحسب حركاتهم ويسجل تصرفاتهم .وليس معنى هذا ان تلغى الرقابة على الشباب ، ولكن معناه ان توضع القيود التى تفرضها التقاليد على الشباب في قالب جميل تقبله النفس ، وتبحث عنه . ان نقدم لهم الدواء كما لو كان جرعة لذيذة من شراب حلو المذاق . ان ننصحهم وناقشهم والا نشعرهم ابدا بأن اراءنا فاصلة قاطعة .

موقف خاطىء

وفي تطور حياته من الصبا الى البلوغ تبدأ نظرة الفتى الى الامور تتغير ، وخاصة الى كل مشكلة تتعلق به شخصيا . يميل الى ان يبدى رأيه في مثل هذه المشاكل وهو يطرحها امام والديه وكثيرا ما تختلف وجهات النظر ... فيرى الاب مثلا ان الرحلة التى يزمع ابنه القيام بها مع اصدقائه غير مناسبة وموسم الامتحانات على الابواب ، بينما يصر الابن على مرافقة اصحابه في رحلتهم .. وهنا يقع الصدام الذى لابد واقع في مثل هذه المناقشات التى قد تنتهى بتوتر في العلاقات بين الاب وابنه .



وقد يحدث مثلا ان يطالب الابن بزيادة مصروف جيبه ويرفض الاب مؤكدا ان ما يحصل عليه ابنه يكفي ويزيد . وقد يكون الاب على حق ، وقد يكون الابن على صواب ايضا ، فهو قد كبر وكبرت نفقاته !

ومثل هذا الاب فاته ان يلحظ هذه الحقيقة ، فكثير من الاباء لا يدركون مثل هذا التطور الذى طرا على ابنائهم ، فهم فى نظرهم دائما اطفال مهما كبرت بهم السن .

• ثورة وتمرد

ومثل هذه المواقف التى تتسم بالدكتاتورية الأبوية تدفع الابناء دفعا الى الثورة والى التمرد وواجب الوالدين فى مثل هذه الحالات ان يفسحا المجال للمناقشة الهادئة، فاذا وجدا مثلا أن ابنهما قد ادى واجباته المدرسية على اكمل وجه ، وانه فعلا فى حاجة الى الراحة بعد المجهود الكبير الذى بذله فى استذكار دروسه فى الآونة الاخيرة فلا بأس من ان يسمحا له بالقيام بتلك الرحلة القصيرة مع اصدقائه .

واذا وجدا أيضا أن مصروفه لم يزد خلال السنتين الاخيرتين وشعرا بحسن تصرفه فيه ، فلا بأس من رفع المبلغ الذى يدفعونه له فى اول كل اسبوع او كل شهر كما تعودا أن يفعلا ، لانه قد كبر الان ، واصبح فى حاجة الى اشياء كثيرة لم يكن يحتاج اليها فى طفولته وصباه .

وهكذا تقوم العلاقة السليمة بين الاباءوالابناء.

والفتى المراهق يشعر عادة بحاجته الى شخص اكبر منه يقوده ويرشده ، فهو في حيرة من أمره لا يعرف ماذا يريد على وجه التحديد . ان هناك كثيرا من الاسئلة التى تستبد به وتلح عليه ، ولا يعرف لها جوابا . وهو غالبا ما يكون قد تخطى المرحلة الابتدائية فى هذه السن ، اذا كان صبيا متوسط الذكاء ، وربما ادرك المرحلة الثانوية فى

الرابعة عشرة او الخامسة عشرة ، اذا كان ذكاؤه فوق المتوسط .

حيرة وتردد

فهو اذن يمر بالمرحلة التي يستعدبعدها لدخول الجامعة . ولا بد له من أن يقرر مصيره بنفسه ، ويختار الطريق الذى يلائم ميوله واتجاهاته .. ولكن هل عرف هذا الطريق حقا ؟

والجواب لا ! فهو تارة يحب الرياضيات ويحلم باليومالذى يصبح فيه مهندسا ، وهو تارة يحب العلوم ويريد ان يصبح طبيبا . ثم هو فى أحيان اخرى لا يحب الرياضيات ولا العلوم ، وانما يميل الى اللغات ، وهو مصمم على ان يلتحق بكلية الحقوق ليصبح محاميا شهيرا مثل ابيه .

صورة من صور الشعور بالضياع الذى يشعر به كل فتى فى سن المراهقة .

نفس تغيرت اغوارها

ونترك الدراسة والكتب جانبا ، ونحاول ان نسبر اغوار نفسه ، وفى تحول هذا الصبىودخوله دور المراهقة تغير تغيرا وصل الى اعماقه . فلم يعد ذلك الصبى المرح الذى يبحث عن اللهو والتسلية ويملأ البيت بصياحه ، ويمضى كل اوقات فراغه فى اللعب مع اصدقائه فى الشارع ، ولا ذلك الصبى الذى اذا عاد الى البيت ،عاقبته امه على « شقاوته » وعلى ما احدثه فى جسمه من جروح وهو يلعب الكرة ، وعلى ماعلق بملابسه من اوحال الطريق .

لم يعد هذا حاله ، فقد اصبح قليل الكلام ، دائم التفكير ، كثير الانطواء ، على نفسه .. وهو لم يعد يرتاح كثيرا الى رفقه اصحابه القدامى .. ان لعب الكرة لا يناسبه الآن .. والجرى وراء القطط الضالة فى حديقة البيت ، اصبح هواية شقيقه الاصغر ... اما هو فقد اصبحت هناك اشياء اخرى تستهويه ..

بنت الجيران

ان ابنة الجيران ، تلك الفتاة الجميلة التى تسكن فى البيت المواجه لبيتهم تماما منذ سنوات بعيدة ، اصبحت فجاة تثير اهتمامه . وكم منمرة راته امه يحدثها فى ادب شديد ، وقد علت وجهة حمرة الخجل .

والأم العاقلة هى تلك التى تدرك ما لهذه التغييرات التى طرات على ابنها من اثر هام فى حياته وعلى شخصيته . والأب الواعي هو ذلك الذى يحترم مشاعر ابنه ، ويحاول ان يستغل هذه المشاعر فى خلق رجل ناجح يريد ان يفوز بما اختاره لنفسه .

وليس اقسى على نفس الفتى فى هذه السن الحرجة من ان يرى من يسخر منه او يجرح شعوره او يسفه آراءه وينتقص من شخصيته وقيمته ، وخاصة امام الآخرين .

فواجب الأم والأب معا : ان يشعرا ابنهما بانه اخ صغير لهما ، وانهما يريدان مساعدته ، ثم يرسمان له الطريق الذى يوصله فى النهاية الى بلوغ هدفه ، والذى ليس هناك من طريق سواه ، وهو طريق الدرس والتحصيل والنجاح ، لكى يصبح رجلا له مكانته فى المجتمع . رجلا يستطيع ان يفوز بكل ما يحلم به ويشتهي .

مسئولية الأب

ولو ان مسئولية الأب تجاه ابنه اكبر ، ودوره فى تقويمه واصلاحه اهم بكثير من دور الأم . فهو الذى يستطيع ان يمسك بيده ويرشده يوجهه ويخرجه من عزلته ، ويصطحبه الى الحفلات التي يدعى اليها ، والنوادى التي يشترك فيها فيقدمه للناس وينمي فى نفسه حب الرياضة ليملأ بها وقت فراغه فهو يترك له فرصة يخلو فيها الى نفسه ، وبهذا يستطيع ان يشعر الابن بانه اخ صغير لابيه ، فيطمئن له ويتخذ منه ناصحا فى كل مشكلة تصادفه ، وما اكثر المشاكل التي تصادف الشباب فى حياتهم المليئة بالقلق والاضطراب .

الفتاة المراهقة

ونتنقل الى الفتاة التي تبلغ سن المراهقة .

ان الانقلاب الذى حدث فى شخصيتها وفى تكوين جسمها يحيرها ويستغرق كل تفكيرها . فهي تشعر انها ليست هي ، وانما هي فتاة اخرى تحاول ان تبحث لنفسها عن طريق جديد فى الحياة . لقد انقضى عهد الصبوة الاولى وولى ، فتركت « عروستها » الصغيرة التي لم تكن تفترق عنها ابدا فى غدوها ورواحها .. واهملت لعباتها التى تملأ غرفة نومها ، واصبحت تهتم الآن بنفسها ، بشعرها ووجهها وزينتها وملبسها .. فهي الآن امراة صغيرة .. هكذا قالت لها مرآتها التي لا تنفك تتطلع اليها من حين لآخر ، فى محاولة للتعرف على صاحبة الوجه الجديد والجسم الفائر . لقد تفتح البرعم واصبح وردة يانعة تملأ البيت بشذاها ..

البحث عن حقائق الحياة

والفتاة اكبر حيلة بطبيعتها من الفتى فى البحث عن حقائق الحياة ، وهي تبحث عنها بين سطور القصص العاطفية والروايات الغرامية التي تقرأها فى الصحف والمجلات او تشتريها من مصروفها الخاص .

وهى بعد هذا خيالية ، حالمة ، كثيرا ما تترك العنان لخيالها ، وكثيرا ما تستسلم لأحلام اليقظة ، فترى فتاها ، وهو غالبا ما يكون بطل الفيلم الذى رأته بالأمس مع والديها ، وقد جاء يطرق باب بيتها وهو يرتدى ملابس الفارس الوسيم ويمتطي صهوة جواده ، ثم لا تكاد تظهر هي على عتبة الباب حتى يخطفها ويحملها معه الى قصره الذى بناه فى الجنة !

الخيال والواقع

والام الناضجة الواعية هي تلك التى تعرف كيف تنقل ابنتها من الخيال الذى تعيش فيه الى واقع الحياة .. فتجلس اليها وتحدثها عن حياتها هي وتجاربها ... تروى لها قصة زواجها مثلا من ابيها ، كيف التقيا ، وكيف تحابا ، وكيف تعاونا معا على مواجهة اعباء الحياة .. فهي ايضا قد تخرجت من الجامعة حيث كانت زميلة لزوجها سنوات طويلة قبل ان يكملا تعليمهما الجامعي ويتفقا على الزواج .. فالزواج شركة والزواج تعاون .

مثل هذه الام تستطيع ان تجعل ابنتها تنظر اليها نظرتها الى صديقه مخلصة تسعى لخيرها وتعمل لما فيه اسعادها . والام الواعية هي التي تنجح فى ان تشعر ابنتها بأنها احب مخلوق الى قلبها ، وانها تفضلها على نفسها ، وتريد لها حظا فى الحياة اسعد من حظها .

ارفعي الكلفة مع ابنتك

عندئذ فقط تستطيع ان ترفع ما بينها وبين ابنتها من حجاب ... مثل هذه الام ، تستطيع ان تحطم ذلك السور من التكلف الذى تبنيه كثير من الأمهات ، فيباعدن به ما بينهن وبين بناتهن .

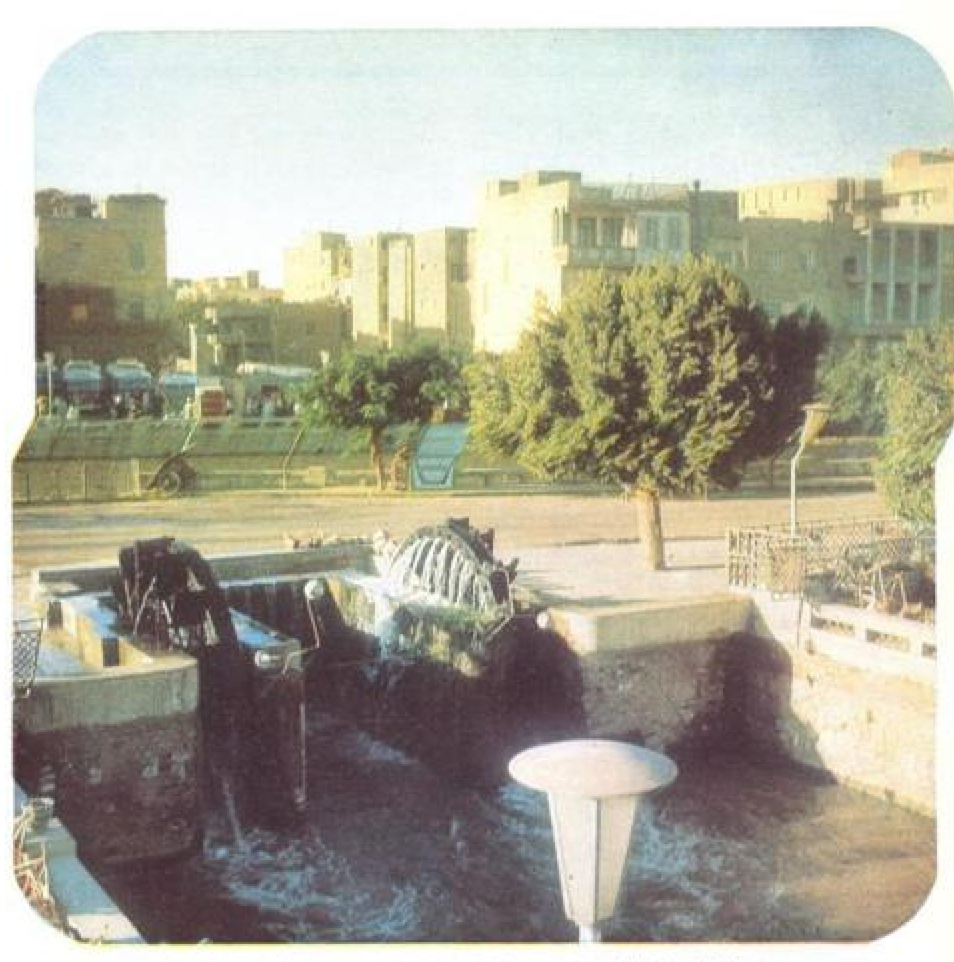
فاذا رات الام ابنتها مثلا تجلس امام مرآتها تقلد ما تصنعه امها بوجهها وشفتيها وتسريحة شعرها ، عاونتها على تجميل هذا الوجه الصغير الغض حتى تكتمل زينتها ، ثم جلست تؤكد لها فى هدوء بعد ذلك ان وجهها الطبيعي اجمل الف مرة من هذا الوجه الذى تغطيه المساحيق والاصباغ . انها تستطيع ان تروى لها مثلا قصة لقائها هي باحمر الشفاه الذى تضعه ابنتها فى سن الرابعة عشرة او الخامسة عشرة . ان المساحيق لم تقرب وجهها الا فى حفل تخرجها فى الجامعة ، وكانت فى الحادية والعشرين من عمرها .

هكذا نحمي اولادنا

وستصدقها ... ستصدق الابنة كل كلمة تقولها لها امها ، لأنها تحبها ، ولأنها تطمئن اليها ، ولأنها قد تخذت منها صديقة مخلصة تحكي لها كل متاعبها ، وكل ما يعتمل فى نفسها من مشاعر واحاسيس .

بهذه الاساليب وامثالها وهي كثيرة ، تستطيع ان ننقذ ابناءنا وبناتنا من الضياع . ■■

(م . ن)



مدينة النواعير أو السواقي .. والساقيتان اللتان تراهما في الصورة تقعان على احد جانبي شارع الجمهورية، وامام «كافيتريا» المدينة، وشارع الجمهورية هو الشارع الرئيسي في المدينة وتخترقه في أوسطه تماما ترعة « بحر يوسف »

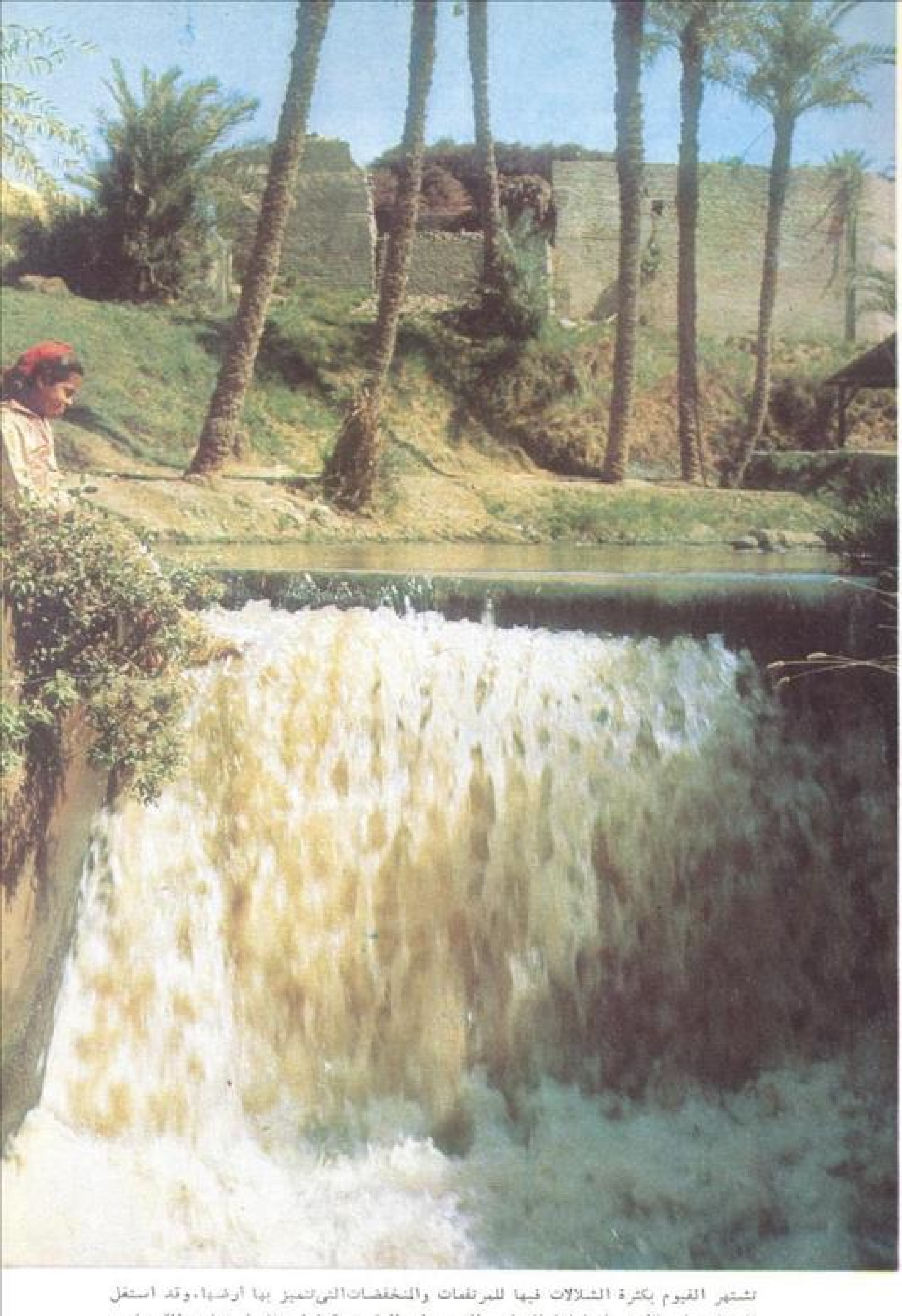
اعرف وطنك أيها العربي

الفيوم

وَاحةٌ كُبْرَى فِي قَلْبِ الصَّحْرَاء

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقره



تشتهر الفيوم بكثرة الشلالات فيها للمرتفعات والمنخفضات التي تتميز بها أرضها، وقد استغل انحدار هذه الأرض في ادارة النواعير التي ترفع المياه ، كما استغل في توليد الكهرباء .

■ على بعد مائة كيلو متر الى الجنوب الغربي من القاهرة .. وفي قلب منطقة صحراوية شاسعة تحتضن أطلال حضارة عريقة . تقع محافظة الفيوم .. وهي المحافظة الوحيدة في الوجه القبلي بالجمهورية العربية المتحدة (ويضم تسع محافظات) التي لا تقوم على نهر النيل مباشرة .. فقد افترقت الفيوم عن وادي النيل وبعدت عنه ، واكتفت بالاستقاء بفرع من فروع النهر الكبير ، هو ترعة بحر يوسف التي تتفرع بدورها من ترعة الابراهيمية عند مدينة ديروط بالقرب من محافظة أسيوط .

وكان لقاء أرض الفيوم بمياه الترعة حارا .. فيه شوق وفيه حنين .. شوق وحنين الظمآن في الصحراء لنقطة ماء ! ففتحت الارض ذراعيها لتحتضن الترعة التي جلبت لها الخير بمياهها ، وراحت المياه تجري حرة طليقة في تلك الارض لتمنحها الحياة .

ان مدينة الفيوم ، وهي عاصمة المحافظة ، تقوم على جانبي الترعة ، تلك الترعة التي تشق اهم واكبر شوارع المدينة وميادينها .. ثم تنطلق بعد ذلك منحدرة وراء المدينة في مجرى حلزوني يضيق احيانا ويتسع احيانا اخرى الى أن يصب في بحيرة « قارون » وهي على بعد ٢٩ كيلو مترا من مدينة الفيوم . (أنظر الخريطة)

مائة كيلو متر من القاهرة

هذه هي الفيوم التي سافرت اليها بعثة العربي لتقدم لك استطلاعا عن تلك الواحة الكبرى الواقعة في قلب الصحراء .. انك تستطيع ان تصل اليها بالسيارة التي تقطع الطريق الصحراوي من القاهرة في أقل من ساعة ونصف .. وان شئت استخدمت القطار سعيا اليها فركبته .

والفيوم عبارة عن منخفض كبير يسهل عليك ان تلحظه عندما تقترب من حدودها بعد رحلتك بالسيارة وسط الصحراء .. فانت لا تكاد تشرف على المحافظة حتى ترى منخفضا هائلا يمتد أمامك تحت مستوى البصر ..

وتقول كتب التاريخ ان هذا الأقليم كان مهدا لحضارة من أقدم الحضارات في وادي النيل اذ دلت الآثار التي تم العثور عليها ، أن بعض هذه الحضارات يرجع تاريخها الى ٦ آلاف سنة قبل الميلاد .

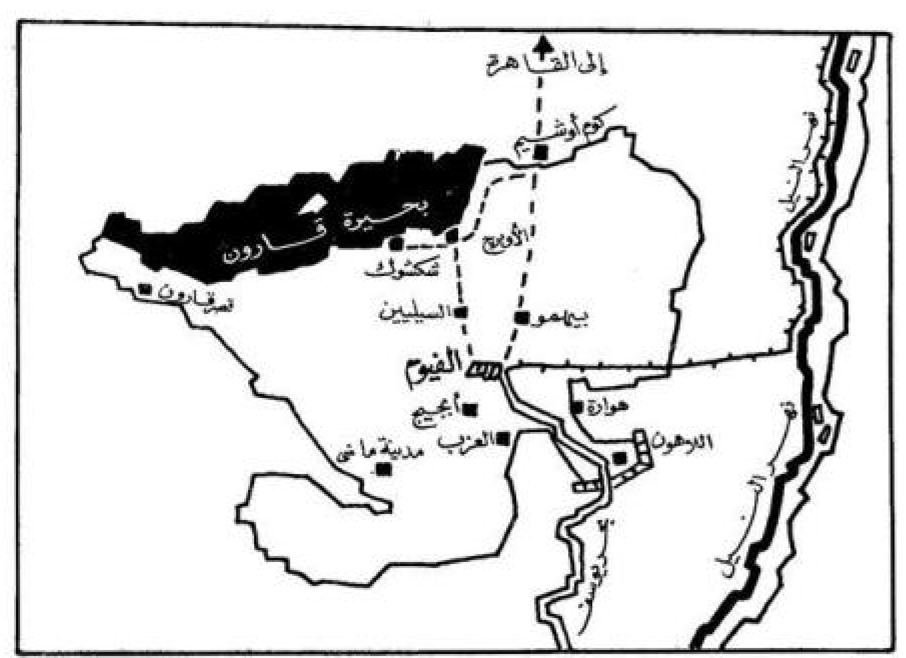
أرض البحيرة

وقد عرف اقليم الفيوم في العصر الفرعوني باسم ارض البحيرة ، ذلك لان بحيرة الفيوم القديمة كانت تستغل كخزان للمياه .. وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، اي في العصر اليوناني ، اطلق على هذه المنطقة اسم Crocodilpolis اي مدينة التماسيح . لكثرة وجود التماسيح بها ثم اسماها اليونانيون بعد ذلك باسم « ارسينوى » Arsinoe ، تيمنا باسم اخت الملك بطليموس الثاني .

وفي العصر القبطي ، اي في منتصف القرن الاول تغير اسمها الى « بيوم » ومعناها مدينة المياه .. فقد اثبتت الدراسات الجيولوجية أن منطقة الفيوم كانت كلها عبارة عن بحيرة كبيرة ، استمرت مياهها في التناقص تدريجا بفعل العوامل الطبيعية المختلفة ، فظلت تنكمش وتنكمش ، الى ان اصبحت على ما هي عليه الان . ولعل من كلمة « بيوم » هذه جاء اسم « الفيوم » الذي تعرف به هذه المنطقة اليوم .

وقد اشتهرت الفيوم قديما وحديثا .. وترجع شهرتها في التاريخ القديم الى انها كانت عاصمة لمصر القديمة في فترة من اخصب فتراتها ، حيث اتخذها الملك امنمحت الثالث في الاسرة الثالثة عشرة عاصمة للبلاد ، واقام بها أول خزان مائي عرفه التاريخ ، كما شيد فيها ايضا هرمه الطيني المشهور الذي يعرف باسم هرم « هواره » .

وتقول كتب التاريخ ايضا أن بطليموس الثالث اتخذ من منطقة يسمونها اليوم « كيمان فارس » وتبعد عن مدينة الفيوم بحوالي كيلو مترين ، عاصمة لملكه .. وما تزال آثار هذه المدينة التاريخية التي كانت تعرف باسم مدينة « ارسنو » ، موجودة حتى اليوم . وهي تجذب السواح اليها حتى أن المخرج السينمائي الكبير سيسيل دى ميل اختارها دون غيرها من المناطق الاثرية في مصر ، لتصوير مناظر فيلمه المشهور « الوصايا العشر » منذ اكثر من عشرين عاما مضت !



خريطة تبين موقع مدينة الفيوم ومحافظتها بالنسبة لمجرى نهر النيل ، وشكل المحافظة كما ترى أشبه ما يكون بورقة التوت ترويها ترعة « بحر يوسف » التى تتفرع داخل المحافظة الى عدة قنوات صغيرة ، تنتشر في الارض التى تحيط بها الصحراء من كل جانب .

شهرة الفيوم الحديثة

ولكن الفيوم لم تعش عالة على ماضيها وشهرتها القديمة .. فهى اليوم منطقة من أجمل المناطق العربية التى تشتهر بطبيعتها الساحرة وما فيها من منخفضات ومرتفعات ، فضلا عن جوها المعتدل صيفا وشتاء .

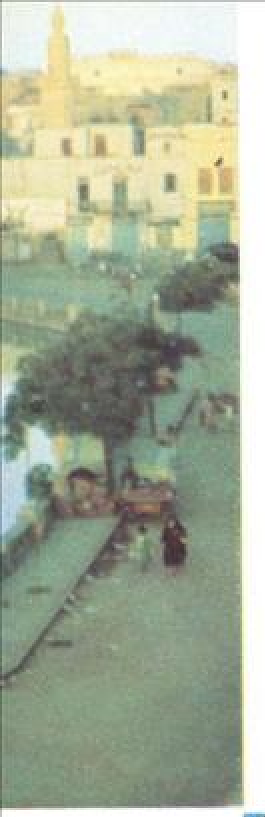
وتشتهر الفيوم اليوم بانتاجها الوفير من الفاكهة وخاصة التين والعنب ، وتربية الدجاج الفيومى المعروف ، وهى بعد هذا مركز هام لتربية المواشى ففى الفيوم وحدها ١/٨ الانتاج الحيوانى فى الجمهورية العربية المتحدة .. وهى تصدر الابقار والاغنام والماعز الى جميع انحاء الجمهورية ، كما بدأ تصديرها هذه المواشى ، للخارج ، بعد أن وصلت الثروة الحيوانية الى حد يفيض على استهلاك الجمهورية .

وقد اسموا الفيوم جنة الصحراء .. واسموها مدينة « النواعير » وهى السواقى .. واسموها بلد البحيرة ، يعنون بحيرة قارون ، تلك التى جعلت من الفيوم منطقة من أجمل المناطق السياحية فى الجمهورية العربية المتحدة .

اوبرج الفيوم

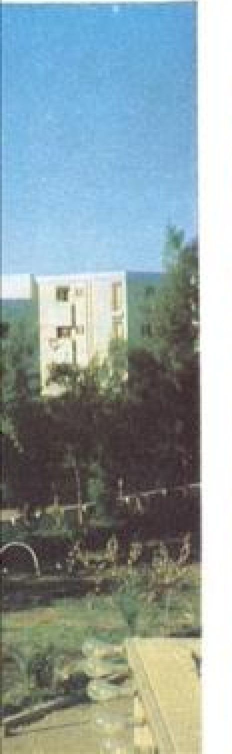
وعلى شاطىء هذه البحيرة قام « اوبرج الفيوم » وهو فندق فخم شيد فى عام ١٩٤٢ ويشرف على مياه بحيرة قارون مباشرة ، من خلال أشجار حديقة غناء .. والاوبرج فى مستوى فنادق الدرجة الأولى فى القاهرة .. وقد زود بكل وسائل الراحة والتسلية ..

واذا جلست فى احدى شرفاته المطلة على البحيرة شاهدت منظرا من اجمل المناظر التى يمكن ان تقع عليها عينك ، فمياه البحيرة ممتدة امامك .. وفى الافق على مرمى البصر ، يطالعك منظر رمال



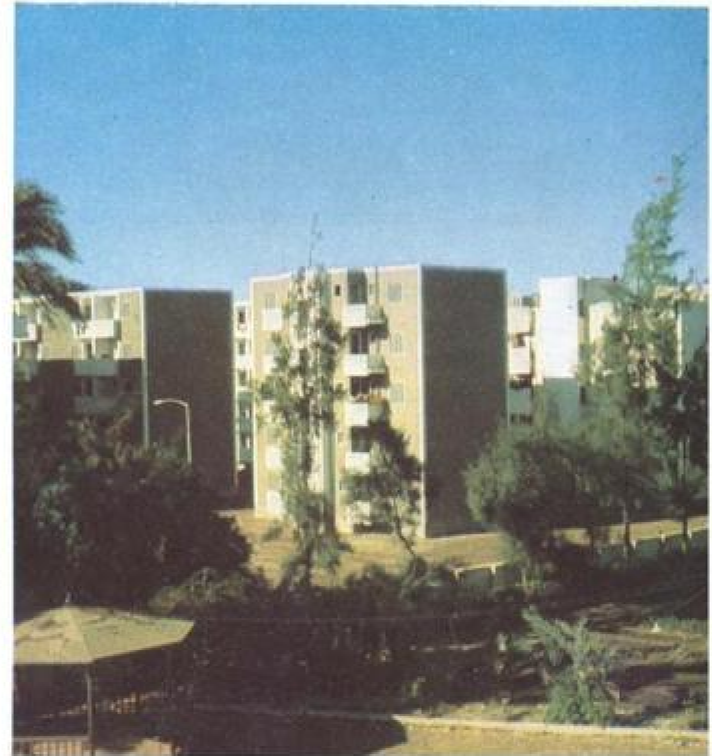


جانب من قاعة الطعام فى النادى الذى سموه نادى محافظة الفيوم وصورة مدخله فى الأسفل ، وهو ناد يرتاده الكثيرون من سكان المحافظة ، وهو يحتوى على ملاعب لممارسة أنواع الرياضة الجسمانية ، وبركة يسبح فيها البط وسط حديقة كبيرة تنمو فيها جميع أنواع الزهور .

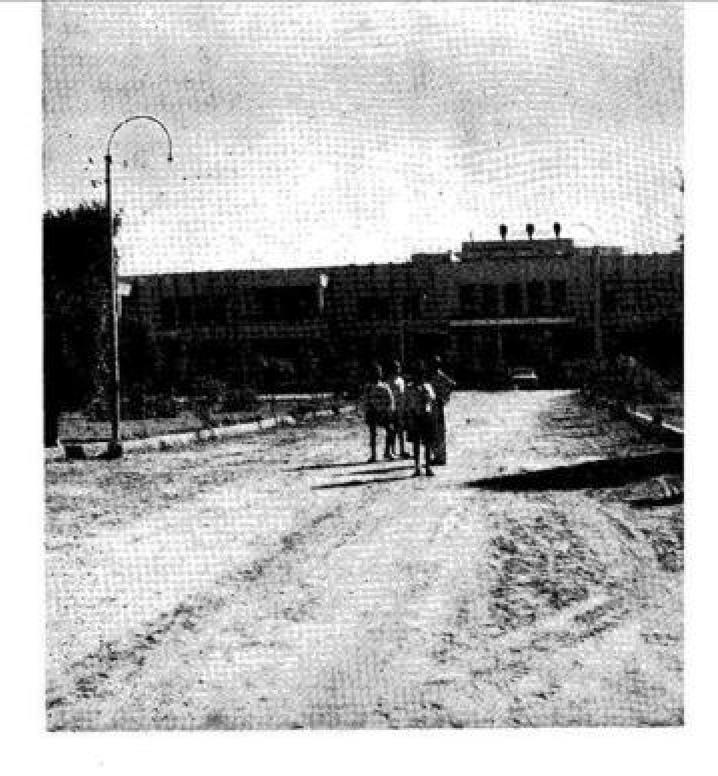


منظر لجانب من مدينة الفيوم ، وتظهر فيه ترعة «بحر يوسف» تشق المدينة وهى تتفرع من ترعة الابراهيمية ..

***



صورة عدد من العمارات السكنية الحديثة التى أقيمت فى الفيوم لذوى الدخل المحدود .. ولا يزيد ايجار الغرفة الواحدة فيها على جنيهين ..



منظر من الخارج لمؤسسة البنين والبنات التى تؤوى الاطفال اليتامى في محافظة الفيوم وهى بناء ضخم يتوسط حديقة كبيرة ويضم قاعات عديدة للمطالعة والترفيه وعنابر للنوم ، وحمام للسباحة . وفي المؤسسة الآن حوالى ٢٦٠ طفلا يتيما .

الصحراء الشاسعة وقد احاطت بالبحيرة من كل جانب .. ماء وصحراءامامك .. وبساط سندسى اخضر وراءك .. تلك هى الفيوم مخضرة يانعة .

وقد شهد هذا الفندق الكبير الذى يقصده كل باحث عن الهدوء والاستجمام ، بعيدا عن صخب وضوضاء العاصمة، سلسلةمن اللقاءات والاجتماعات التاريخية لمشاهير الساسة والقادة العسكريين خلال الحرب العالمية الثانية .. وفى احدى قاعات الفندق الكبيرة المطلة على البحيرة اقام سير ونستون تشرشل السياسى البريطانى الراحل ، وكان رئيسا لوزراء بريطانيا فى عام ١٩٤٥ ، مأدبة غداء تكريما للملك عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية بعد حضوره مؤتمر الخمسة الكبار فى الهرم .

بحيرة قارون

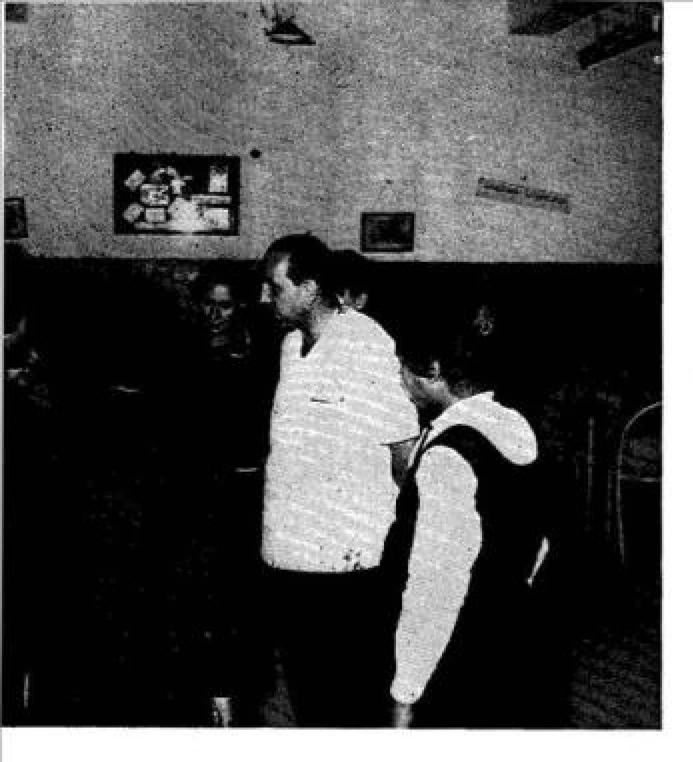
اما بحيرة قارون فتعتبر اكبر بحيرة من نوعها فى الجمهورية العربية المتحدة ، وهى مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها ٥٠ الف فدان ، اى ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر مربع ، ويتراوح عمق المياه فيها بين متر ونصف و١٤ مترا .. ومياهها مالحة وتقدر كميتها بحوالى ١٦٠٠ مليون متر مكعب .

وينخفض مستوى المياه فيها عن مستوى مياه البحر بحوالى ٤٥ مترا . وهذه المياه عبارة عن مصارف مياه رى الاراضى الزراعية التى تختلط بالمياه الجوفية في هذا المنخفض الهائل .

سمك وبط في البحيرة

وتعتبر بحيرة قارون مصدر ثروة سمكية كبيرة ولكن انواع الاسماك التى تعيش فى مياهها ليست متنوعة ، فهى تنحصر فى اربعة انواع ، هى البورى والبلطى وسمك موسى وثعبان الماء ..

وفى الشتاء تمتلىء البحيرة بالبط المهاجر الذى يفد اليها ابتداء من فصل الخريف، فيهيىء مراقده ويضع بيضه ، ويظل رابضا على شواطئها حتى مطلع الربيع من كل عام .. هذا الى جانب انواع



حديث ودى بين الأب وبناته .. والاب هو مدير الشئون الاجتماعية الذى أشرف على اعادة بناء مؤسسة البنين والبنات بالفيوم .. وقد وقف يستمع الى طلبات بنات المؤسسة ، وكلهن طالبات بالمدارس والمعاهد العليا .

اخرى من الطيور تهاجر من اوربا هربا من البرد والصقيع ، وتتجمع كلها حول بحيرة قارون ، حيث تصبح فريسة سهلة للصائدين وهواة الصيد من نزلاء الفندق الذين يخرجون ببنادقهم فى قوارب صغيرة لاصطياد البط ، فيصنعون منه اطباقا شهية طوال موسم السياحة .

النهوض بالسياحة

وفى الفيوم اليوم نهضة سياحية كبرى يحمل لواءها السيد المحافظ على فوزى يونس ، قال لنا وهو يستقبلنا فى مكتبه فى الساعة الحادية عشرة مساء : « ان الفيوم منطقة سياحية من الدرجة الاولى وفيها كل ما يجذب السائح اليها .. المناظر الطبيعية الجميلة ، والفنادق السياحية الكبرى وفيها المناطق الاثرية التى تثير اهتمام معظم السائحين .. ثم فيها أجمل ريف فى مصر ، وهى بعد ذلك اقرب منطقة سياحية من القاهرة ، اذ لاتبعد عنها اكثر من مائة كيلو متر..

وقال المحافظ : ولقد لمست اهمية السياحة بالنسبة لكل بلد زرته خلال رحلاتى فى الخارج من سويسرا الى هونولولو ومن طوكيو الى سان فرانسيسكو .. فالسياحة صناعة ضخمة ، ثم هى فوق ذلك اهم وسيلة من وسائل الاتصال المباشر بين الشعوب .. ومن هنا أوليت هذه الصناعة كل اهتمامى ، فتركت جميع اللجان التى كان مفروضا بحكم منصبى كمحافظ أن اتولى رئاستها .. واكتفيت برئاسة لجنة السياحة ، وبدأت عملى فى المحافظة بنشر الوعى السياحى فاعدت بناء واصلاح وتاثيث فندق الاوبرج ، وتكلفت هذه العملية الوف الجنيهات ، ثم بحثت له عن مستاجر يصون ما أصلح منه ،ويعنى بما افسده الاهمال ، واجرت الفندق بايجار اسمى فليس الهدف هو الكسب ،وانما هو تنشيط حركة السياحة الى هذه المنطقة الجميلة ، وتشجيع الرحلات الداخلية والخارجية الى الفيوم »

مدينة السياحة

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف شرعت المحافظة

ارض الفيوم من اجود واخصب أراضي الوجه القبلي بالجمهورية العربية المتحدة .. وفي الصورة منظر لجانب من الحقول والمزارع التى يشقها طريق رئيسي ممهد يصل بين مدينة الفيوم « والاوبرج » وهو الفندق السياحي الرئيسي بالمحافظة ..

الى اليمين : منظر من الخارج لمدخل فندق الأوبرج المقام على شاطىء بحيرة قارون . وقد أعيد بناء الفندق لاستقبال السائحين طوال أشهر الشتاء .





يعتبر فندق الفيوم من أجمل فنادق الجمهورية العربية المتحدة ، وهو لا يقل عن مستوى فنادق الدرجة الأولى بالقاهرة ، فقد زود بكل وسائل الراحة والتسلية .. ونمتاز قاعاته من الداخل بجمال تصميمها وهندستها ، وشرفاته تطل على بحيرة قارون ، تلك البحيرة التي جعلت من الفيوم منطقة سياحية من الدرجة الأولى .. وتشهد هذه المنطقة اليوم نهضة سياحيـــة كبرى ، فسوف تقام بها مدينة سياحية ، للباحثين عن الهدوء والاستجمام على شواطىء البحيرة الدائمة . والصورة العليا لقاعة في الفندق ، والوسطى لشرفة من شرفات الفندق تطل على البحيرة والصورة السفلى لحديقة الفندق.



فى استكمال بناء المدينة السياحية التى تضم عددا من الفلات الصغيرة (شاليهات سويسرية) من حجر وخشب على شاطىء البحيرة بالقرب من الاوبرج ، وقد افتتحت المدينة خلال هذا الشتاء لاستقبال كل راغب فى تمضية عطلته فى الفيوم كما ستقيم المحافظة مخيما على غرار المخيمات المنتشرة فى ريف اوربا ، حيث يجد رواده كل ما يحتاجون اليه ، حتى ادوات طهى الطعام ستعد لهم فى المخيم ليتيسر لكل من يشاء ان يطهى طعامه بنفسه .

وقد بدأ العمل فى نفس الوقت فى انارة الطريق الممهد الرئيسى الذى يربط منطقة البحيرة والاوبرج بالمناطق السياحية الاخرى . وستشرع المحافظة قريبا فى ادخال رياضه الانزلاق على الماء ، ورياضه التجديف وصيد البط ، حتى تستطيع بحق أن تقول ان الفيوم قد احتلت مكانها اللائق بها على الخريطة السياحية ..

« وقد بدأ العمل بالفعل فى تنظيم الرحلات السياحية للمدارس والمعاهد والنقابات .. واقبل الناس من القاهرة ، وامتلات الفيوم بافواج عديدة من الباحثين عن البهجة والمرح ، الذين يأتون لقضاء عطلاتهم على شواطىء البحيرة الهادئة بعيدا عن ضوضاء المدينة وصخبها للاستجمام والراحة .

تنمية الموارد الطبيعية

وقد شكلت الحكومة لجنة لبحث تنمية الموارد الطبيعية للفيوم . وتقوم هذه اللجنة حاليا بتخطيط البحوث اللازمة لتنمية المحافظة ، وتشرف على تنفيذها ومتابعتها ، وتحدد الهيئات العلمية التى تكلف بالقيام بها ، وتقدر الميزانيات اللازمة لهذه البحوث . وتضم اللجنة عددا من اساتذة الجامعات والخبراء ووكلاء الوزارات .. وهى تجربة رائدة فى الجمهورية العربية المتحدة ، لانها تربط البحث العلمى بالتطبيق العملى لاول مرة. ومن هذه اللجنة تنبع تسع لجان فرعية فى مقدمتها لجنة تنمية السياحة .

ونترك فندق الاوبرج والبحيرة والسياحة ونتنقل بك الى مدينة الفيوم .. وتنطلق بنا السيارة فى طريق ممهد يخترق الحقول الخضراء الواسعة التى تقع على جانبيه ، ويجرى فيه خط اوتوبيس بين مدينة الفيوم وبحيرة قارون .

منطقة عين السيليين

وفى منتصف هذا الطريق تقريبا ، عرجت بنا السيارة التى وضعتها المحافظة تحت تصرف بعثة العربى الى منطقة سياحية اخرى من اجمل مناطق الفيوم منطقة عين السيليين .. وهى قرية صغيرة جميلة تقع فوق ارض زاخرة بالمناظر الطبيعية الخلابة. والارض عندها مدرج طبيعى اشبه ما يكون بالمدرجات التى شيدها الرومان فى مسارحهم القديمة .. وقد اكتست مدرجات السيليين الطبيعية ببساط اخضر وارتفعت فى وسطها اشجار البرتقال والتين والنخيل . وقد شيدت المحافظة فى هذه المنطقة التى تنتشر فيها بساتين الفاكهة ، فندقا سياحيا ومطعما ومجموعة من الفلات ، تؤجر للسائحين فى موسم الشتاء .

وفى منطقة السيليين عين مياه معدنية حارة ثبت انها تشفى من بعض الامراض الجلدية والروماتيزمية وهى تشبه عين حلوان وعيون موسى .

مدينة الفيوم

وتركنا السيليين ، لنستانف رحلتنا الى المدينة فوصلناها بالسيارة بعد عشر دقائق أو تزيد والفيوم هى عاصمة محافظة الفيوم ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٠ الف نسمه ، اما سكان المحافظة كلها فيزيدون على المليون .

وقد كانت هذه المدينة منسية حتى عهد قريب ثم امتدت اليها يد الاصلاح فى مجالات الاسكان والزراعة والصناعة والتعليم ، فاصبحت اليوم من اكبر واحدث مدن الوجه القبلى .

وقامت فى المدينة العمارات السكنية الحديثة



والمساكن الشعبية ومساكن اصحاب الدخول المتوسطة .. وقد اقيمت بعض هذه الوحدات السكنية فوق انقاض احياء قديمة ازيلت باكملها وساهمت هذه الحركة العمرانية فى تفريج أزمة المساكن بالمحافظة .

احدث شوارع الفيوم

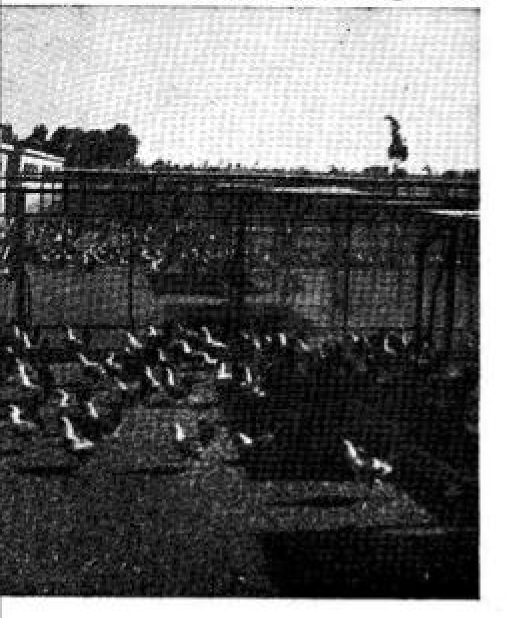
واهم شوارع المدينة ، شارع الجمهورية الذى تقع فيه كل المحال التجارية الكبرى ، والفنادق والبنوك والمؤسسات ، وتخترقه ترعة بحر يوسف .. وتدور على أحد جانبيه ، امام « كافيتريا » المدينة ساقيتان كبيرتان . وفى الكافيتريا تستطيع ان تتناول وجبة خفيفة فى اى وقت من أوقات النهار او الليل ، وتستمتع فى نفس الوقت بمنظر الساقيتين ، وهما تدوران امامك .. لقد تغير كل شيء فى هذا الشارع الكبير .. وازيلت احياء ، وقامت احياء جديدة .. وبقيت الساقيتان فى مكانهما تنقلان الماء من الترعة الى الجداول الصغيرة على جانبيهما ..

واحدث شارع فى الفيوم هو شارع محيي الدين ابو العز ، وكان محيى الدين أول محافظ للفيوم فى الحكم المحلى الجديد الذى يجعل المحافظ مسئولا امام رئيس الوزراء مباشرة فى أكثر الامور ، وتطلق الفيوم اليوم اسماء القادة والزعماء العرب المصريين وغير المصريين واسماء الشهداء من ابنائها على الشوارع التى كانت تحمل اسماء قديمة ..

وفى المدينة ايضا ناد كبير اسموه نادى المحافظة ، يعنون به ناديا لكل ابناء الاقليم ، وهو يستقبل كل الذين يريدون قضاء وقت ممتع حول بركة البط التى تتوسط حديقته الواسعة حيث يجلسون ويتناولون المرطبات ويمارسون مختلف أنواع الرياضة .

وقد قامت اندية رياضية اخرى كثيرة فى المدينة حيث يجد الشباب مجالا لممارسة رياضاتهم المفضلة ، وفى مقدمتها نادى جمعية الشبان المسلمين . كما تم بناء « ستاد » رياضي كبير يتسع لاكثر من عشرة الاف متفرج .

حرص المسئولون في الفيوم على المحافظة على سلالات الدجاج الفيومى الذى يشتهر بانتاجه العالى من البيض (١٨٦ بيضة سنويا) فضلا عن طعم لحمه اللذيذ، فانشأوا محطة لتربية الدواجن، وتقوم هذه المحطة بتوزيع ما يزيد على مائتى الف كتكوت كل عام على الجمعيات التعاونية الزراعية .. وقد زودت المحطة بماكينات الفقس الحديثة التى تتسع الواحدة منها لأكثر من ٥، ألف بيضة ، وفي الصورة العليا ثلاث ماكينات من هذا النوع ، أما الصورة السفلى فلمجموعات من الدجاج الفيومى في حظائرها .





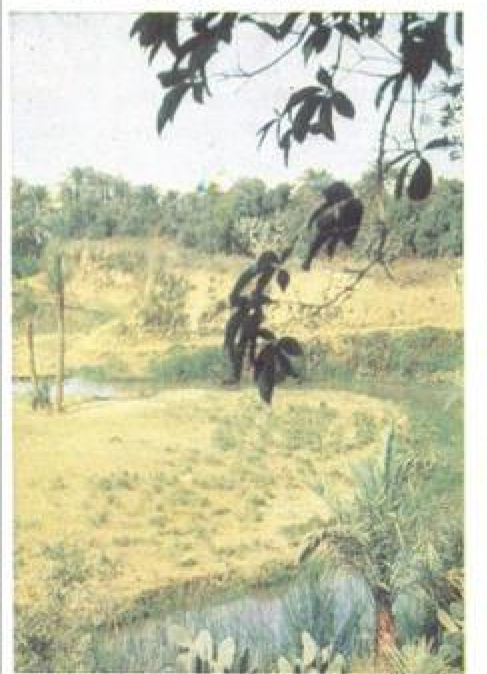
هنا عند نهاية اللسان ترسو القوارب والزوارق البخارية التى تنقل رواد الفندق فى نزهات تمتد أحيانا حتى الغروب .

الى اليسار : جلسة فى حديقة الاوبرج ضمت محافظ الفيوم السيد على فوزى يونس والى يساره السيد عبد الله عبد الغنى رئيس الغرفة التجارية فى قطر وبعض كبار المسئولين ... وقد جاء السيد عبد الغنى لقضاء اجازة قصيرة على شاطىء بحيرة قارون .

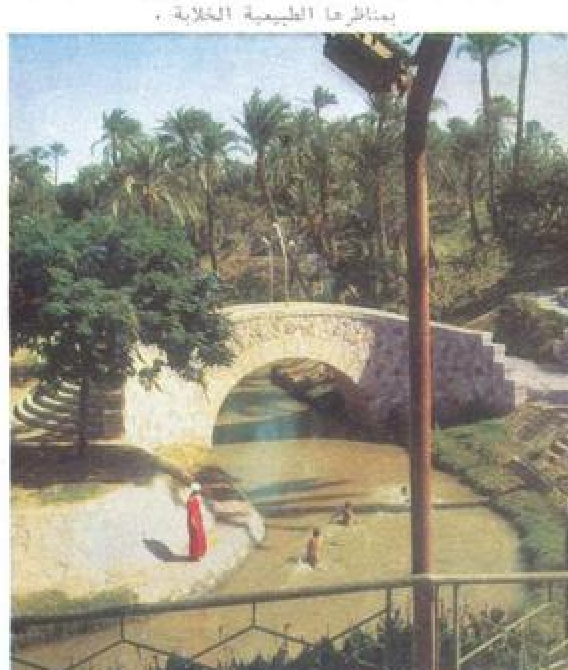


فوق اللسان الذى يمتد داخل البحيرة لمسافة نصف كيلو متر تقريبا ، وتقف بتمعن بالشمس الدافئة ..

تكثر الحدائق وبساتين الفواكه فى الفيوم التى لجانب من حدائق ويصا التى تبلغ مساحتها ٣٠



منظر لجانب من منطقة عين السيليين .. وهى منطقة زاخرة بمناظرها الطبيعية الخلابة .



اشتهرت بخصوبة أرضها .. والصورة
فدانا،وتزرع بها مختلف أنواع الفاكهة



استراحة محافظة الفيوم او بيت الضيافة ، وهو يشرف على بحيرة
قارون ، ومخصص لاستضافة كبار الشخصيات التى تزور الفيوم .



مساجد وأديرة

ومنذ أسابيع قليلة تم افتتاح مسجد الفيوم الجديد الذى يتسع لاكثر من ٥ آلاف مصلى ، وفى المدينة ثلاث مساجد كبرى ، مسجد « سيدى الروبى » ويقال انه شيد فوق معبد روماني كبير ، ومسجد سيدى الصوفى من الحى الشعبي المعروف باسمه ، ومسجد عبد الله وهبى ، وقد بناه عبد الله (باشا) وهبى والد الممثل المعروف يوسف وهبى .

كما يوجد فى الفيوم أيضا عدد كبير من الكنائس والاديرة الصغيرة ، أشهرها دير العزب ودير الملاك .

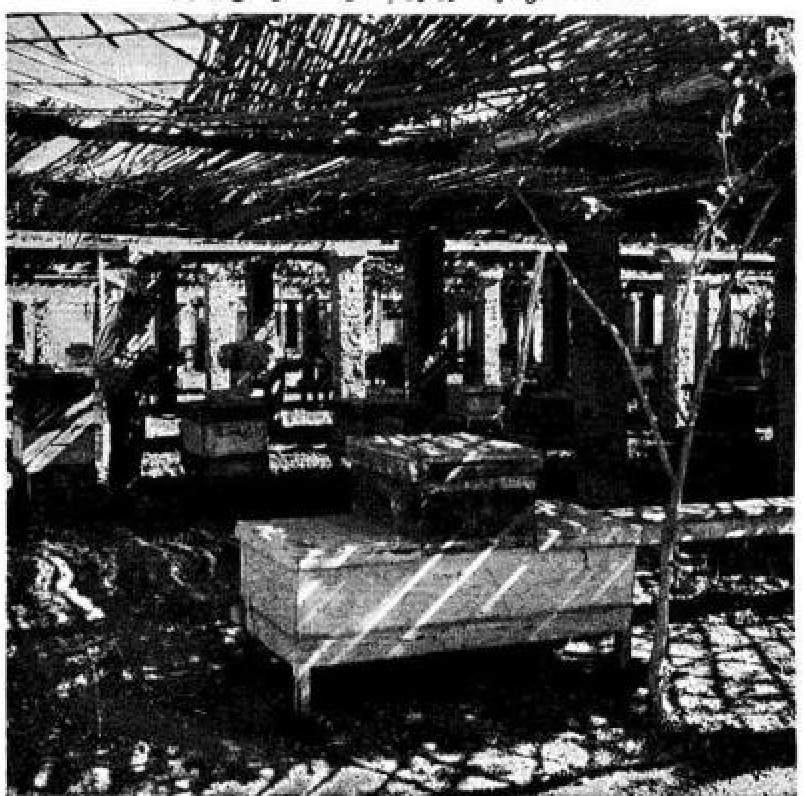
اكبر مستشفى في الصعيد

وقد احتفلت الفيوم اخيرا بافتتاح اكبر مستشفى فى الوجه القبلى لعلاج جميع الامراض بالمجان . ويعمل به اخصائيون من كليات الطب فى القاهرة ، وسوف يستقبل المستشفى أيضا اساتذة الطب من الخارج .

العلم للجميع

اما فى مجال التعليم ، فقد كان شعار المسئولين دائما هو « العلم للجميع » .. ومن اجل ذلك تم انشاء ١٧ مدرسة ابتدائية واعدادية جديدة فى محافظة الفيوم خلال السنوات العشر الاخيرة واهم المدارس التى تقع داخل مدينة الفيوم نفسها معهد المعلمات ،والاعدادية الفنية للبنات ،والاعدادية الفنية للبنين ، والثانوية للبنات ، والثانوية للبنين ، ومدرسة الزراعة الثانوية للبنين . وهذه الاخيرة تعد طلبتها للعمل كاخصائيين ومشرفين زراعيين ، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، وتقبل الحاصلين على الشهادة الاعدادية . وقد انشئت هذه المدرسة

تشتهرالفيوم بالمناحل ، وهى هواية عدد كبير من الاهالى ، ولعسل النحل الفيومى مذاق خاص نظرا لكثرة ما يزرع فى هذه المنطقة من فواكه وزهور يتغذى النحل على رحيقها .



عام ١٩٥٧ وتضم ١٢٠٠ طالب . كما يوجد بها قسم داخلى يتسع لاكثر من ١٥٠ طالبا من المقتربين من ابناء المدن الاخرى .

مؤسسة لرعاية اليتامى

وقد عنى المسئولون ايضا باليتامى ، فانشاؤا لهم مؤسسة أسموها مؤسسة البنين والبنات ، وهى تعنى بالطفل اليتيم الابوين أو الذى يموت اباه وتعجز امه عن الانفاق عليه ، فتاويه بين أرجائها الرحبة في مبناها الكبير الذى يتوسط حديقة فسيحة ، ويضم قاعات عديدة للرياضة واللهو والطعام وغرفا للنوم . وهم جميعا يخرجون للدراسة عند بلوغهم سن الدراسة الى المدارس العادية كما يخرج غير اليتامى ، فما الملجأ الا بيت أسرة كبير .

وفى هذه المؤسسة الان نحو ٢٦٠ طفلا من مختلف الاعمار ، وقد انشئت عام ١٩٤٧ ، ثم جددت فى عام ١٩٦١ . ويقول المهندس محمد حسن مدير الشئون الاجتماعية بالفيوم ، أن تجديد المؤسسة قد روعى فيه الحالة النفسية لهؤلاء الابناء اليتامى ، حتى يجد الطفل اليتيم بين رحابها ما يعوضه عن كل حرمان . فقد شمل التجديد اسلوب الرعاية بالمؤسسة فتقرر ابدال ادارتها بعدد من الاخصائيين والاخصائيات فى التربية الاجتماعية ، كما تقرر تغيير الزى الذى كان يميز ابناء الملجأ عن غيرهم ، واصبحوا يذهبون الى المدارس فى الزى ، الذى تختاره كل مدرسة لتلاميذها .. ويحصل كل واحد منهم على مصروف جيبه فى صباح كل يوم قبل الذهاب الى المدرسة شأنهم فى ذلك شان اى طفل آخر ..

وتظل المؤسسة ترعى ابناءها حتى يكملوا مرحلة تعليمهم الثانوى ، فاذا التحقوا بالجامعة اصبحت لهم بيتا يعودون اليه متى شاءوا لقضاء أجازاتهم فيه .. ولا تتخلى عنهم الا بعد ان يلتحقوا بعمل يرتزقون منه . اما الفتيات ، فيقدمون لهن المال ويساعدونهن على تأثيث بيت الزوجية .

أهل الفيوم

وغالبية اهل الفيوم يعملون بالزراعة ، والبعض



منظر لجانب من مبنى مدرسة الفيوم الزراعية الثانوية ، ويتخرج في هذه المدرسة أخصائيون ومشرفون زراعيون ، وهى تقبل الطلبة من حاملى شهادة الاعدادية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وفي المدرسة الآن ١٢٠٠ طالب من أبناء محافظة الفيوم ، كما يوجد بها قسم داخلى يضم ١٥٠ طالبا من أبناء المدن والمحافظات المجاورة .

يشتغل بالرعى . كما أن هناك فئة اخرى تعمل بالتجارة ..

ويلاحظ أن سكان المناطق القريبة من الصحراء من أصل ليبى وقد جاء هؤلاء الى الفيوم واستوطنوها وانصهروا فى مجتمعها ..

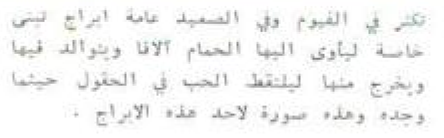
مصنع للغزل

وقد اتجه عدد كبير من اهالى الفيوم الى الصناعة بعد حركة التصنيع فى مصر ، وبعد تطوير الصناعات البيئية بها وتنويعها . فقد اقيم فى الفيوم أحد ثلاثة مصانع ضخمة للغزل فى عام ١٩٦٤ . أما المصنعان الاخران فقد شيد أحدهما فى بنى سويف والثانى فى محافظة قنا . ومع انشاء هذه المصانع الضخمة الثلاثة دخل الصعيد عصر الصناعة .. ويعمل فى هذا المصنع حوالي ١٥٠٠ عامل يشرفون على العمل على ٣٥ الف مغزل .. تقوم بتحويل القطن الاشمونى « الخام » الى خيوط متوسطة السمك .



مصنع غزل القطن في الفيوم ، ويعمل فيه ١٥٠٠ عامل ، وبالمصنع ٣٥ الف مغزل تقوم بتحويل القطن الاشموني الى خيوط متوسطة السمك ، ويصدر كل انتاج هذا المصنع الى اوروبا .





تكثر في الفيوم وفي الصعيد عامة ابراج تبنى خاصة ليأوى اليها الحمام آلافا ويتوالد فيها ويخرج منها ليلتقط الحب في الحقول حيثما وجده وهذه صورة لاحد هذه الابراج .



تحت : فئة من الصيادين الذين احترفوا صيد السمك في بحيرة قارون ، وهم ينشرون شباك الصيد لتجف على شاطىء البحيرة .



انتاج الفيوم وحدها من الثروة الحيوانية يصل الى ١/٨ انتاج الجمهورية العربية المتحدة كلها .. وقد زاد الانتاج الآن على الاستهلاك فاصبحت اللحوم تصدر للخارج ، والصورة لفتاة فلاحة صغيرة تحاول أن تفرق بين جديين متنازعين .

مجموعة من الاطفال اليتامى في مؤسسة البنين والبنات ، اثناء تناول طعام العشاء .. ويقوم المشرفون على المؤسسة برعاية هؤلاء الاطفال حتى يكبروا ويلتحقوا بالمعاهد والجامعات ، ويصبح لكل منهم عمل يرتزق منه .

وينتظر ان يتضاعف عدد عمال هذا المصنع عندما ينتهي العمل في زيادة عدد المغازل الى ٦٠ الف مغزل خلال الشهور القليلة المقبلة .

الانتاج يصدر لأوربا

قال لنا مدير المصنع : « ان انتاج المصنع كله يصدر الى أوربا ، ويبلغ الانتاج اليومي ١١ طنا من خيوط الغزل المتوسطة السمك .. وقد استوردت كل آلاته من اليابان والمانيا الغربية وساعد قيام المصنع في الفيوم على رفع المستوى المعيشى لعدد كبير من الاسر ويتراوح أجر العامل الفنى فيه بين ٨٠ قرشا و ١٥٠ قرشا في اليوم . وقد اشترى المصنع لعماله دراجات يدفعون ثمنها على اقساط شهرية نظرا لبعد المصنع عن المدينة فهو يقع على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريبا وعلى الطريق الذى يصل بين الفيوم وبنى سويف » .

الصناعات البيئية

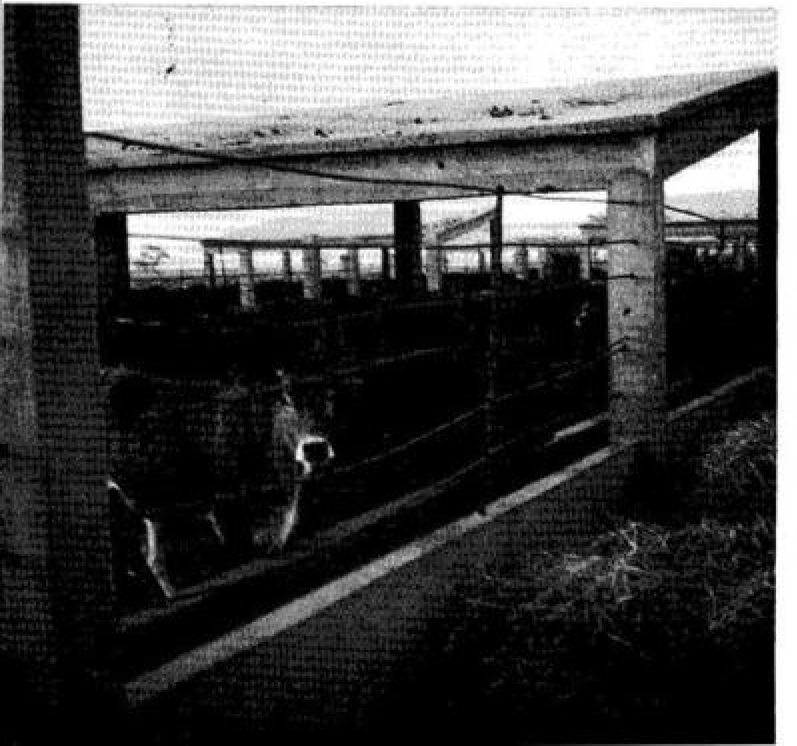
وقامت في قرى الفيوم التي يزيد عددها على مائتى قرية عدة صناعات بيئية ، واشتهرت كل قرية من هذه القرى الصغيرة بصناعة معينة ، فهناك صناعة الحصر ويصنع من السمار وهو نبات عشبى من فصيلة الاسكيات له عادة سيقان طويلة ومنتصبه ينبت في المنافع والاراضي الرطبة وتستعمل اوراقه لصنع السلال والحصر وغيرها .

وتوجد هذه الصناعة في مركز سنورس . وهناك ايضا صناعة منتجات النخيل ، وكذلك صناعة الكليم والسجاد ، والعقود المصنوعة من الخرز ، وحقائب اليد للسيدات ..

وتشتهر الفيوم بانتاج انواع جيدة من عسل النحل ، حيث تكثر المناحل ، وحيث تنتشر هواية تربية النحل عند عدد كبير من الاهالى .

الزراعة .. والرى السهل

والزراعة في الفيوم تعتمد على الرى السهل ، فانحدار ارضها من الجنوب الى الشمال .. اى من بداية مجرى ترعة بحر يوسف حتى بحيرة قارون ، ساعد على رى كل اراضيها ريا سهلا ، كما ان كثرة وجود المرتفعات والمنخفضات بها ادى الى انتشار شلالات المياه، التى استغلت قديما في ادارة الطواحين ثم ما لبثت مع تقدم العلم ان استخدمت في توليد الكهرباء في أول محطة



احدى الحظائر الضخمة بمزرعة تربية المواشي في الفيوم ، وهى تضم ٩ آلاف رأس الآن وانتاجها السنوى يقرب من هذا العدد . وهو نسل من الفريزيان الهولندى والبقر البلدى . ويكلف الرأس الواحد في اليوم ٢٥ قرشا .



فريق من طالبات المدرسة الثانوية الفنية للبنات في حصة الرسم والنقش على الاواني الفخارية . وتدرس الطالبات أيضا في هذا المعهد ، اللاسلكى ، والتدبير المنزلى وأشغال الابرة ، الى جانب العلوم التى تدرس في المدارس الثانوية العادية .

للكهرباء ثم انشاؤها في مصر منذ زمن مضى ، وهى محطة العزب التى ظلت تمد المدينة بحاجتها من الكهرباء حتى وقت قريب ، قبل انشاء المحطة الجديدة .

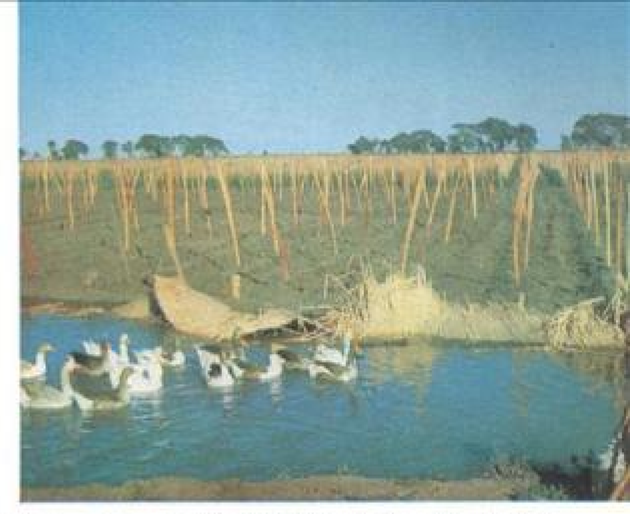
سواقي الفيوم

وقد استغل انحدار الماء ايضا في ادارة السواقى التى تشتهر بها الفيوم ، والتي يوجد منها اكثر من ٢٠٠ ساقية تستخدم كلها في رى الارض ، ومهمتها رفع المياه من المناسب المنخفضة الى المناسب العالية .. وتنتشر هذه السواقي في مجموعات تضم كل مجموعة منها ست سواق او سبعا .. والساقية الواحدة تروى ما يزيد على المائتى فدان ..

ووقفنا نتأملها وهى تدور أمامنا بلا توقف وحبات الماء تتناثر من حولها لتتجمع من جديد في الجداول والقنوات .. وطرق آذاننا صرير الساقية وهى تدور .. الا ما كان اشبه هذا الصوت بالانين! وهذا الصوت الحزين يتفق مع الاساطير التى نسجته حوله .. قالوا : « ان السواقي تبكى حزنا على الفلاح الذى أحب ابنة الملك ، فقد كان العاشق الفقير يأتي اليها ويجلس بجوارها ويتأملها وهي تدور وتحمل الماء في رفق ثم يبكى حبه الضائع ، حتى كان اليوم الذى جاء فيه يسكب دمعه مع مياه الساقية ، ثم سقط على الارض وسكت صوت بكائه الى الابد .. ومن يومها والسواقي تبكى وتنعى حظ العاشق المسكين » .

ولقد الهم بكاء السواقي شعراء مصر قديما





ادخلت في الفيوم اخيرا زراعة الطماطم المعلقة وهى تنمو رأسيا على اسلاك ، ويتراوح محصول الفدان من هذا النوع من الطماطم بين ٣٠ و ٤٠ طنا . ويصدر كل انتاج هذا النوع من الطماطم للخارج ، لان ثمرته أقدر من ثمرة الطماطم العادية على الاحتمال .

تحت : منظر عام لجانب من منطقة عين السيليين ، وقد ظهرت فيها « الفلات » التى وضعت تحت تصرف مصلحة السياحة لتأجيرها للسائحين ... وتحيط بها أشجار الزيتون وحدائق الزهور النادرة .

كافيتريا المدينة

فوق : الكافيتريا بمدينة الفيوم ويقصدها الاهالي لتناول الوجبات الخفيفة والاستمتاع بمنظر مياه الترعة، والنواعير ترفع المياه منها الى القنوات . **والى اسفل :** الفندق السياحي والمطعم بمنطقة عين السيليين .

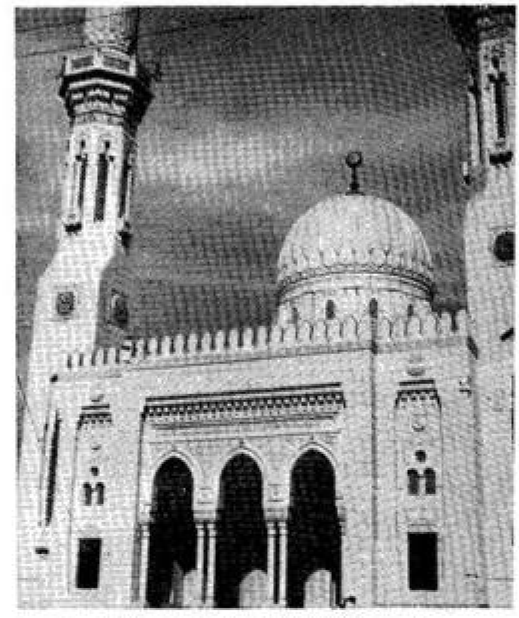
وحديثا ، وكان صوتها هو الذى اوحى للشاعر المصرى بقصيدته التى غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب ، اذ قال :

« سبع سواقي بتنعي لم طفوا لي نار »

كما أن هناك أغنيات شعبية كثيرة تتحدث عن السواقى التى توارث صناعتها عدد من النجارين الذين يستخدمون خشب الكافور فى بنائها . وبعض هذه السواقي يعمر أكثر من قرن كامل .

٣٠٧ الاف فدان

وتبلغ مساحة الارض المنزرعة بالفيوم حوالى ٣٠٧ الاف فدان ، وهى تشتهر بزراعة الفاكهة ، بصورة عامة ، والعنب والتين بصفة خاصة ، وتبلغ مساحة الارض المنزرعة فاكهة على اختلاف انواعها حوالى ١٢٣٦٥ فدانا ، وقد حفز هذا الى التفكير فى انشاء وحدات تعاونية لتسويق الفاكهة وتصديرها الى مختلف انحاء الجمهورية . كما تشتهر الفيوم بزراعة القطن والقمح والذرة وهى المحاصيل الزراعية الرئيسية فى الجمهورية العربية المتحدة . كما تنمو أشجار النخيل والزيتون ، وتزرع الحمضيات بكثرة في بساتين الفيوم .



مسجد الفيوم الجديد ، وهو مسجد كبير يتسع لأكثر من خمسة آلاف من المصلين ، وقد شيد على الطراز العربى ، وزينت جدرانه من الداخل بنقوش رائعة .

مشروع وادى الريان

وما دمنا نتحدث عن الزراعة ، فلا بد لنا هنا أن نشير الى مشكلة هامة تعانى منها الفيوم وهى تتعلق بمياه الصرف . فمياه الصرف فى مصر تصب كلها فى البحر المتوسط ، عن طريق النيل باستثناء محافظة الفيوم التى تصب مياه صرفها فى بحيرة قارون ، كما ذكرنا . وقد أدى هذا بمضي الوقت الى زيادة نسبة الملوحة في مياه البحيرة ، حتى بدأت تقترب من ملوحة البحر . ومعنى ذلك امتداد الملوحة الى المياه الجوفية التى بالمناطق الزراعية القائمة حول البحيرة ، واذن تتأثر الزراعة بذلك .

ومن هنا قامت المشكلة التي تالفت لجنة فنية لدراستها . وقد انتهت الدراسة الى البدء فى تنفيذ مشروع وادى الريان وهذا الوادى منخفض طبيعي فى الصحراء غرب الفيوم والمشروع هو مشروع المستقبل بالنسبة للمحافظة كلها .

ويقوم مشروع وادى الريان على أساس تحويل أحد المصرفين الرئيسين لمياه الصرف اللذين يصبان فى بحيرة قارون حاليا الى هذا المنخفض الذى سيتحول بالتالي الى بحيرة صناعية ثانية ، يمكن الاستفادة منها فى تنميته الثروة السمكية من ناحية ، وتلطيف طقس المنطقة الصحراوية المحيطة بها ، واقامة مناطق زراعية جديدة تبلغ مساحتها ٤٥ الف فدان .

وهكذا يمكن حل المشكلة التى ترتبت على استمرار زيادة نسبة الملوحة فى مياه البحيرة سنويا ، وخاصة بعد توفر مياه الرى عقب الانتهاء من مشروع بناء السد العالي .

هذه جولة سريعة فى الفيوم ، مدينة السواقي ، وبلد التين والعنب وعسل النحل والبط الذى يبحث عن الدفء على شواطيء بحيرة قارون .. ■■

منير نصيف

مِن بعدِ الذُّبول



خانت عهودي.. هل أخون عهودها؟ ... أم أترك الأيام تهصر عودهـــا ؟
أأخون من ملكتها جسمي وروحــي ثم أنكر بعد ذاك وجودها ؟
لعبت كما لعب الغرير بدميــــة ... وبكفها راحت تحز وريدهـــا
حواء ما سبر المجرِّب غورَها ... كلا .. ولا بلغ الخيال حدودهـــا
هي مارد حينـا ، وحينـا دُميـة ... مملوكةٌ ، وترى الملوك عبيدهـــا
لا ترعـوى في طيشها وغرورها ... حتى ترى بيض الليال سودهـــا

★ ★ ★

ألفيتها ثكلى يجيش بصدرهـــا ... وجدٌ ، كمن خطف الحمامُ وحيدها
تبكي ولم يشف البكاء غليلهـــا ... تدعو لغسل ذنوبها معبـــودَها
فاستصرختْ عطفي ونبـل مشاعري ... ولوت على ذل الخيانة جيـدهـا
أورت زناد شجونها في مسمعـي ... ودموعها راحت تخـد خدودهـا
قالت: أتعلم من أباح شريعـــتي ... من كان يترك للذئاب ورودهـا
مهدتَ لي سبل الحيـاة وقلت لي : ... سـيري ، ولكن لم تشأ تحديدهـا
أنت الذي أعطيتني حريـــتي ... ودفعتني حتى هدمـتُ سدودهـا
أنـت الذي أججت نـار غرائزي ... وجعلتني – جهلا – أكون وقودها
واليوم عدت إليك يدفعني الأسى ... فارفُقْ بمن جاءت تفيك وعودَها
فتململ الحب الجريح بخافقـي ... نسي الجراحَ .. قريبهـا وبعيدهـا
وهوى عليها كاليتيم وقـد رأى ... أمًّا تزوِّد بالحنان وليدهـــا
عادت ، وعاد الحب في أحضانها ... وقطفتُ من بعد الذبول ورودها ■■

عبد الرزاق العائش
الموصل

أنباء الطب والعلم والاختراع

مدنية طواها الزمان بدأت تتكشف

● المتعارف اليوم أن اليونان هم أصل المدنية التى امتدت وعمت أوروبا الماضية والحاضرة. ولكن المؤرخين يعلمون كذلك أن مدنية اليونان سبقتها مدنية بدات وانتعشت في البحر المتوسط ، في الجنوب منها ، وانها انطوت ، وورث اليونانيون ما تخلف منها . وهكذا المدنيات وراثة . مدنية تذهب ، ومدنية ترثها لتحيا .

وسموا أهل هذه المدنية العتيقة المنطوية المينويين Minoans . ومنذ مائة عام بدأ علماء التاريخ القديم يؤمنون ، من حفائرهم في جزائر البحر المتوسط ، وفي بحر ايجه خاصة Aegean Sea وحول جزيرة كريت ، بأن هذه المدنية ذهبت ولا بد خلفت مخلفات غطتها طبقات من الأرض علتها طبقات اخرى فاخرى بفعل الزلازل والبراكين .

وظهر هذا العام دليل جديد لما اوجس المؤرخون . انها جزيرة ثيرا Thera في بحر ايجة ، في الشمال الشرقى من جزيرة كريت (انظر الخريطة بالصفحة المقابلة) . حفر الحفارون فى هذه الجزيرة فظهرت لهم بوادر مدنية تحت الارض ، منازل من طبقتين او طبقات ثلاث . وفي الطبقات العليا منها لا تزال الزينة بادية . بها الأوعية المصبوغة . وفي الطبقات السفلى وجدوا أوعية الخمور كما تركها أهلها .

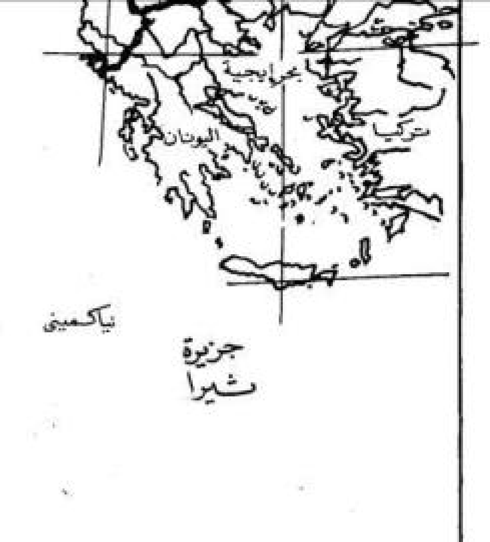
قال الخبراء ان هؤلاء هم بعض المينويين ، دهمتهم هزات البراكين ، وانذروا ، واستجابوا للنذير . وخرجوا حاملين ما استطاعوا حمله ، قبل ان يداهمهم الفناء .

والى اين ذهبوا ؟

الى ارض الأمان . الارض الصلبة . ارض الاغريق .

وحملوا معهم الى الاغارقة ، وكانوا بعد في عصر لا يوصف بالمدنى ، حملوا اليهم مدنيتهم ، وأسلوب كتابتهم . ومهدوا بذلك للعصر الاغريقى الذى سماه الأوروبيون بعد ذلك بالعصر الذهبى .

ان علماء الآثار يقولون ان هذا الكشف يذكرهم ، من حيث روعته وخطورته بكشف مدينة بمبياى Pompeii في ايطاليا ، التى هدها قديما الزلزال ، وغطاها ، منازل وشوارع ، ما طفح من البركان ، بركان فيزوبوف الشهير .



الاطلانطس

أو

القارة المفقودة

● وبهذه المناسبة نذكر تلك القارة المفقـــودة التي اسموها الاطـلانطس ، وزعموا انها سقطت وغرقت في المحيط الأطلسي .

فالعلماء الذين يعملون في هذا الكشف الذى ذكرناه في جزيرة ثيرا Thera ، لهم راى في قصة القارة الغارقة هذه .

انهم يقولون انه يوجد عند جزيرة ثيرا هذه حوض في البحر عميق، عمقه ١٣٠٠ قدم واتساعه نحو ٨ اميال . وهم يقولون انه كان بهذا المكان في الزمن القديم ، في نحو عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، بركان عظيم، له نحو ١٢ فوهة . وتفجرت الفوهات ، فوهة من بعد فوهة . ثم انفجر البركان كله، وكان له دوى شمل الارض . وبذلك اختفت الجزيرة التى احتوت هـــذه البراكين .

وهذه الجزيرة كان اسمها سنتورين Santorin .

وحول هذه الجزيرة يقوم اليوم ٣ جزر صغيرة ، منها جزيرة ثيرا (انظر الخريطة) .

فجزيرة سنتورين هذه ، هي في زعم هؤلاء العلماء هى القارة اطلانطس التى زعموا انها غرقت .

« والقارة » ذكرها افلاطون ، وهو عاش في القرن الخامس والرابع قبـــل الميلاد . وذكر لها ابعادا بالغ فيها ، ومن اجل هذا ، عندما جاء على اغراقها ،زعم انها غرقت فيما وراء بوابة هرقل ، وهى جبل طارق . ذلك لأن البحر المتوسط كان في نظره اصغر من ان يتسع لها .

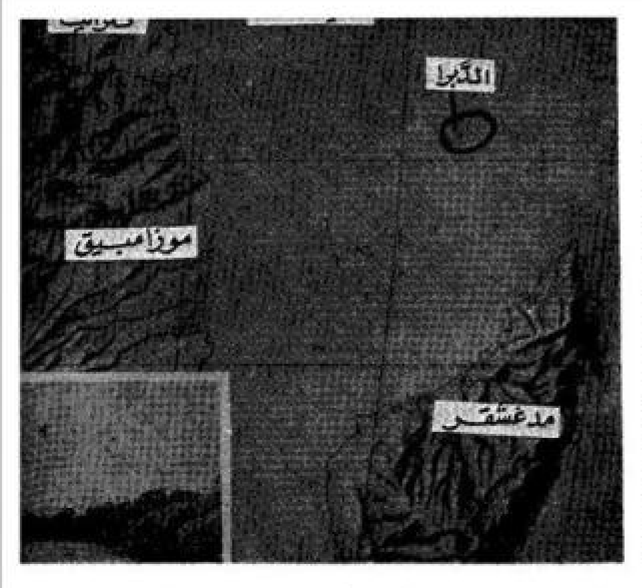
ثلاث عشرة عملية قيصرية لامرأة واحدة

● انها ممرضة ، مؤهلة ، حملت ١٢ مرة ، واكتمل حملها ، ولما جاء الوضــع آجرى الوضع بواسطة العملية القيصرية المعروفة ، وهي التى فيها يشق اسـفل البطن ويخرج الطفل من الرحم مباشرة .

والجديد فى هــذا الخبـر أن الاطبـاء لا يزالون الى اليوم على اعتقادهم ان العملية تلتئم سريعا ، وان القطع الجديد سيقطع عبـر التحام قديم ليس من المؤكد تمام التئامه فى كل النسـاء .

ومن هؤلاء النساء زوجة رئيس الولايات الراحل القتيل جـون كنـدى ، السيدة جاكلين كندى . فهى لها اليوم طفلان كان وضعهما بهذه الطريقة . وقال الاطباء عند الوضع الاخير انه ليس من المرغوب فيـه وضع جديد تجرى فيه عملية قيصرية ثالثة.

اما العملية القيصرية فتجـرى لتعـذر الخروج من المسالك الاخرى الطبيعية .



نزاع حول جزيرة فى المحيط الهندى

● انه نزاع بين العلماء والساسة وهو نزاع حول جزيرة في المحيط الهندى ، تقع على بعد ٣٠٠ ميل من شمال جزيرة مدغشقر فيمواجهة تنزانيا وموزنبيق . انها جزيرة الديرا .

اما الساسة فهم رجال وزارة الدفاع في بريطانيا ، يشاركهم في ذلك رجال الولايات . ففى هذه الجزيرة ، وهى في الواقع اربع جزائر صغيرة تقوم حول بحيرة مرجانية ، في هذه الجزيرة تريد بريطانيا ان تنشيء مطارا حربيا كبيرا يسهل لطائراتها الوصول الى الشرق الاقصي ، بعد أن ضاقت بها السبل الاخرى ، وتقدم الولايات المتحدة بعض نفقات المطار معونة لبريطانيا واقتساما لفوائد المطار .

وهذه الجزيرة من حيث سكانها من من بنى الناس ليست بذات خطر ، فهم قلة ،وقالوا ان بها ١٠٠ سماك يصطادون الأسماك . ولكن سكانها من بنيالنباتات وبنى الحيوانات شيء فريد جدا ليس كمثله شيء فيالدنيا ، من حيث الزواحف ، من حيث الطيور ، من حيث الحشر . ان بها مئات من الأجناس لو فنيت لم يبق في سائر العالم نسخ منها .

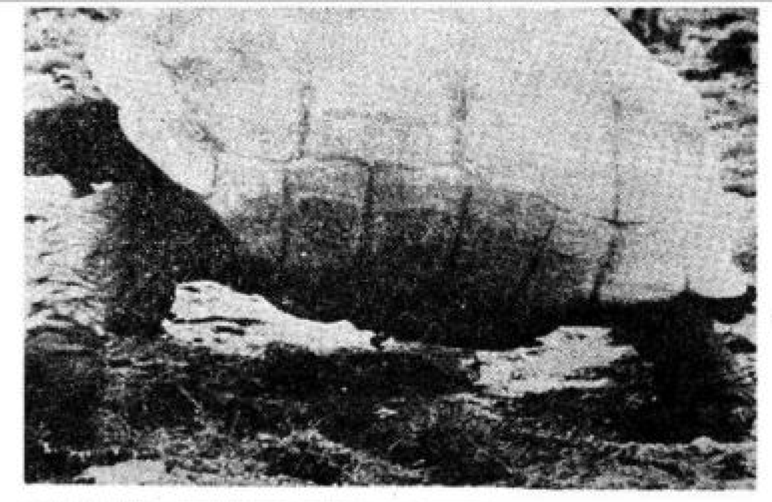
وهى بيت السلاحفالجبارة العظيمة ، وقد عدوا منها نحوا من ١٠٠٠٠٠ سلحفاة أما الجزيرة فاسمها الدبرة ، وهميكتبونها هكذا Aldabra .

والخصومفيهذه المساجلة همالجمعية العلميةالملكية بلندن ،وهى أرفعالجمعيات صوتا فى العام ، واجدرها باستماع ، وهى

البروتينات الصنف الاغلى من غذاء الانسان على الارض ..

● صار من الحديث المكرر انالطعام بروتين ، ونشوى ، سكرى ، ودهن ، وان اغلى الثلاثة ، واقلها تيسرا ، البروتين متمثلا في اللحم . وهو لبناء الأجسام ، بينا النوعان الآخريان لتزويده بالطاقة والحركة والعمل .

والبروتينات هى اعقد الثلاثة الانواع



خريطة الدبرا

ساحفاة جبارة
من سلاحف الجزيرة



جزيرة الدبرا ..



تخاصم وزير الدفاع البريطاني .

ولعل للسياسة اهدافا خافية غير التي ظهرت . فالعلماء يقترحون مواقع اخرى غير هذه الجزيرة ويرفض رجال السياسة . فهذه الجزيرة عندهم متوسطة بين افريقيا والشرق الاوسط ، وهي السبيل الى الشرق الاقصى كذلك. لا بد ان يكون لهذا الموقع ، وسوف تشترك فيه الاذاعة البريطانية، اغراض اخرى غير طائرة تهبط وطائرة ترتفع . فقد يكون مكانا لتجميع المعلومات عن الامم المجاورة ، وبث الاخبار اليها والدعاية كذلك . وكل هذا في عرف سياسة الأمم الحاضرة حلال مباح ، لا يشجبه الا العجزة .

تركيبا . ولقد عرفنا من قديم انها تتألف من احماض امينية ، يرتبط منها رأس بذيل ، وهكذا الى ان تبلغ السلسة طولا كبيرا . كالسبحة ، خرزاتها جزيئات تلك الأحماض .

ونحل جزيء البروتين بالطرق الكيماوية فينفرط الى احماضه، فنتعرف عليها .

ولكن يخفى علينا ترتيبها في جزيء البروتين الواحد ، ترتيب الخرزات في العقد ، فعلى هذا النظام تبنى ، فيما تبنى عليه ، خواص البروتينات .

والبروتينات انواع كثيرة ، تختلف باختلاف ما تتألف منه من احماض ، وباختلاف عددها ، وكذلك باختلاف

ترتيبها في جزيء البروتين الواحد .

ويقضي الكيماويون السنين ليكشفوا عن هذا الترتيب ، للبروتين الواحد، ثم تحدث المعجزة .

كيماوي سويدي يعمل في استراليا يبتدع جهازا للتحليل، تضع فيه البروتين، فيحله ، ويعطيك احماضه ، حمضا حمضا ، بالترتيب الذي كان فيه . وبدل السنين ، يخرج بالنتيجة في ايام .

بعد سنوات اربع او خمس، سيصبح من هذا الجهاز اكثر من نسخة واحدة ، يقوم عليها من العلماء أكثر من طائفة ، تكشف لنا تراكيب البروتينات . وخطر هذا عظيم ، في الصحة ، والمرض ، وفي علم الوراثة ، وفي السرطان وغير ذلك .

ومن تحليل البروتينات التي يتم تخليقها ، اى صنعها من مواد ابسط ، خطوات اخرى .

ان البروتين الوحيد الذي امكن تخليقه اليوم هو الانسولين ، خلقه الصينيون في نوفمبر عام ١٩٦٥ ، وعما قريب يأتى ثان وثالث .

تزحزح القارات بعض" عن بعض وانفصالها

● انه جدل بدأ منذ اربعين عاما ،ولا يزال يتزايد كلما جاء العلماء بدليل على تزحزح القارات جديد .

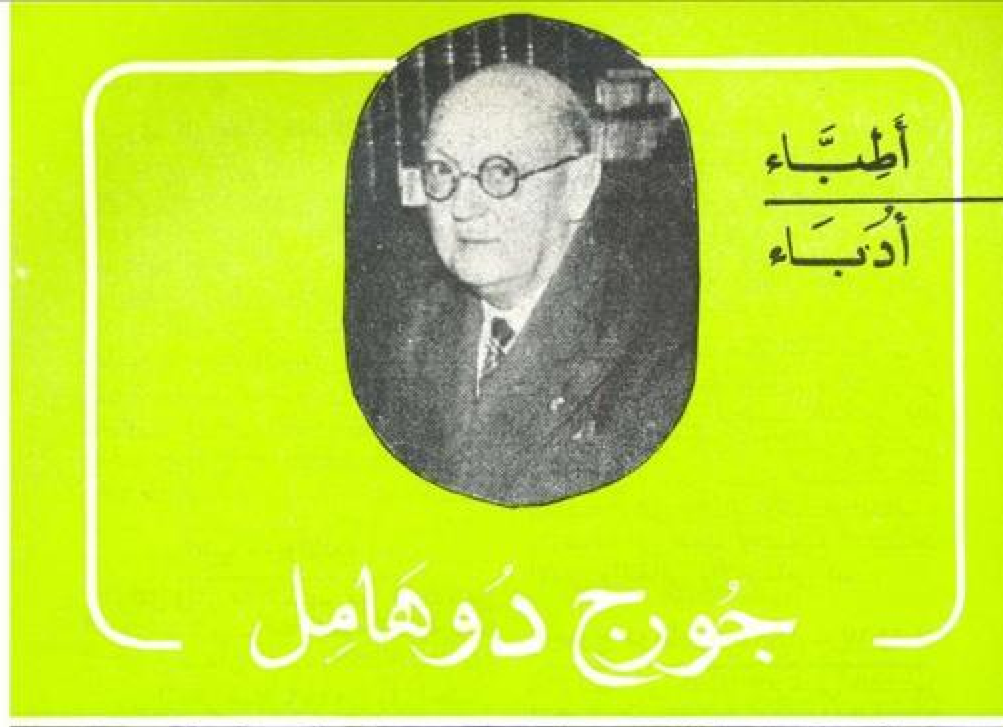
ومن هذا الجديد ما يتصل بافريقيا ، وامريكا الجنوبية . فعندهم انه قبل التزحزح ، كانت افريقيا وامريكا شيئا واحدا . واذا نحن تصورنا هذه الوحدة قبل الانفصال ، اذن لخيلنا أن غانا ، بغرب افريقيا ، لا بد كانت هى ، وبعض سواحل البرازيل العليا ، أرضا واحدة ، واذن فهما من صخور واحدة .

وقام جماعة من العلماء بفحص الصخر في غانا ، وفحصه في شمال البرازيل ، فماذا وجدوا ؟

وجدوا أن تاريخ الطبقات، اى عمرها كاد أن يكون واحدا. كشفوا ذلك بطريقة الاشعاع الرديوى Radioactive dating

والذين قاموا به جماعة من معهد ماساشوست التكنولوجي الشهير بأمريكا وجماعة من جامعة سان باولو بالبرازيل.

اما العمر الذي وجدوه فكان ٢٠٠٠ مليون عام ، وذلك للصخور الواقعة غرب حدود غانا وغرب حدود البرازيل ،وهما الحدان اللذان كانا ملتحمين معا عندما كانت القارتان شيئا واحدا . ووجدوه ٥٠٠ مليون عام ، وذلك للصخور الواقعة شرق حدود غانا المذكورة وحدود البرازيل،وكانا شيئا واحدا عند الالتحام وقبل التزحزح والانفصال . ●●



الذى اعتز بمهنة الطب قبل الكتابة

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ فى سنة ١٩٥٦ كتب الاديب الفرنسي الشهير (الدكتور) جورج دوهامل Georges Duhamel ، وعضو الأكاديمية الفرنسية .. كتب يقول :

« فى يوم ما ، وهو ليس ببعيد ، عندما اقف عند مدخل الفردوس وعلى عتبة الخلود .. ، فان من المؤكد ان توجه الي اسئلة — كما هي العادة الجارية فى عصرنا الحالي — عن جواز سفرى مثلا ، واوراقي الشخصية ، وشهاداتي .. ، ومن يدري ؟ عن اشياء اخرى . وقد يحاول احد الملائكة الكرام المتزمتين فى واجباتهم أن يسألني عن مهنتي ايضا خلال رحلتي الأرضية . وانني واثق بأنني — بدافع من العاطفة والعرفان بالجميل — سأجيبه بأنني كنت طبيبا .. » .

وفى هذه السنة ، اى بعد احدى عشرة سنة من ذلك التصريح ، أسلم روحه الطبيب الاديب جورج دوهامل . ومن يدرى ان كان قد سئل عن مهنته حقا فى رحلته الأرضية التي استغرقت ٨٤ سنة . ويستطرد دوهامل فى سنة ١٩٥٦ فى كتابته تلك ليقول : « .. والحق اقول بانني كرست احسن ما فى حياتى لكتابة ثمانية من الكتب ، ولذا فانني أعد من قبل معاصرىّ كاتبا قبل كل شيء . ولكنني على الطب تدربت فى شبابي .. وبالطب فتحت عيني على الدنيا .. والى الطب مدين بأكبر جزء من معرفتي .

وفـوق كل هذا ، فقد كان ابي طبيبا ، واثنان من ابنائي اطباء ، وثلاثة من ابناء اخواتي اطباء ، وابيو قراط استاذي .. ، وسوف استمر على التطلع اليه كأستاذ لي حتى النفس الأخير » .

وبهذه الاسطر المختصرة المعبرة افصح الكاتب الفرنسي عن امتنانه الى دراسته الطبية ، وبتلك الاسطر تكلم عن لسان كل طبيب ــ اديب . والأطبـاء الذين اشتهروا فى غير الطب كثيرون خلدهم التاريـخ لما قدموه للفكـر البشرى من انتاج دسم .

الطب .. والأدب ..

ولعل اكثر ما اسـهم فيه الأطباء من انتاج حضارى ــ بعد العلوم الطبية طبعا ــ كان فى ميدان الادب والكتابة .

وفى اواخر سنة ١٩٥٦ ، وفى احضان مدينة (سان ريمو) الجميلة المطلة على شاطىء البحر الأبيض المتوسـط .. ، انعقد اول مؤتمر عالمي للأطباء الكتاب . وكان مؤتمرا فريدا فى نوعه ، اذ ضم شـخصيات من مختلف الجنسـيات والنحل ، بيد انهم كانوا مرتبطين جميعا برباطين وثيقين : الطبابة .. والكتابة وقد يتساءل المرء امن الانسب تسميتهم بـ « الاطبـاء الادبـاء » ام « الادبـاء الأطباء » ؟ . ففي اللغة الفرنسية يطلق عليهم Ecrivains Medicins وفى اللغة الايطالية Medici Scriptori . لكن التسمية ليست معضلة تتطلب الحلول ، انما الذى يستجلب الانتباه والعجب ذلك الانجذاب الذى يستشعره بعض الأطباء نحو التأليف والكتابة بالرغم من ضيق اوقاتهم ومسـئوليات مهنتهم الطبية . ولا ريب ان التفرغ للتأليف قد اضطر الكثيرين منهم ــ بعد فترات متفاوتة ــ ان يتخلوا عن ممارسة الطب .

ولعل سر الالفـة بين الطب والكتابة يكمن فى ان الطبيب يكون فى ادق تماس مع آلية الجسـم والعقل البشرى اثناء دراسـته لها .. ، ومن ثم فى اشـد الاختلاط مع الانسـانية المريضة اثناء علاجه لها . والحياة فى الخلية الصغيرة للجسـم البشرى وغيره من الكائنات ، والحياة فى المجتمع البشرى الكبير ، ينبوع دافق لمن ينهل منه ولمن ينقـل ما فيه ويزيد عليـه ، الى عالـم الأدب والفن والاجتماع .

وللأطباء الكتاب جمعيات خاصة بهم فى فرنسـا وايطاليا منذ سنين . وكان يترأس هذه الجمعية فى فرنسـا الدكتور لوك دارتني ، وهو طبيب وشاعر وقصاص ومسرحي . ومن مهـام الجمعيات تلك رعايـة أرامل وايتام الأطبـاء الكتاب ، بالاضافة الى تدعيم وتشجيع النشـاط الأدبي والثقافي والاجتماعي لهم .

جورج دوهامل (١٨٨٤ ــ ١٩٦٧)

ولنعد الى كاتبنا الفرنسي الشـهير الذى اوحى بهذه التسمية وهذا الحديث ، ولنذكر طرفا من حياته واعماله :

ولد فى باريس فى ٢٠ حزيران سـنة ١٨٨٤ ، وكان والده طبيبا . حصل على ليسانس فى العلوم سنة ١٩٠٨ وعلى شهادة الطب فى سنة ١٩٠٩ . وانعكست هواياته للموسـيقى والعلم والطـب فى فى كتاباته .. ، وكانت الطبابة والترحال مصادر غنية لانتاجه .

وفى سنة ١٩٠٦ التقى بالممثلة (بلانش الباني) وتزوجها فى سنة ١٩٠٩ . وقد اشتغل دوهامل كجراح فى الحرب العالمية الاولى ، وتجاوبت مآسي الحرب وآلام البشرية التي شاهدها بنفسـه ، تجاوبت مع اعماقه ، مما زاده يقينا وايمانا بعقم وجرم الحروب . وقد سـطر تجاربه الحزينة تلك فى كتابين شـهيرين هما : (حياة الشـهداء) Vie des martyrs سنة ١٩١٧ ، و (المدنية) Civilisation فى سنة ١٩١٨ . وكان تمجيده للحرية الشـخصية ودفاعـه عن المثل العليـا شعارين لم يتخل عنهما الى آخر أيامه .

ولم ينقطع عن ممارسـة الطب الى سنة ١٩٢٠ عندما قرر التفرغ للكتابة .

ومنذ ذلك الحين شرع فى كتابة الروايات، ودبّج المقالات المتعددة الألوان والمواضيع، ومارس الكتابة النقدية التي تتناول المناهج والسبل الاخلاقية والاجتماعية. وكان ديهاميل من اتباع (اللاادريين) ومن الذين ارتكزوا فى فلسفتهم على القيم الانسانية فحسب ، وخاصة مبادىء الاعتدال ، والتحمل ، والتعاطف. وسعى الى كل ما يدعو الى الحفاظ على الجيد والثمين فى الحضارة البشرية ، واهمها الحرية الفردية .

وفى سنة ١٩٣٥ اصبح عضوا فى الاكاديمية الفرنسية .

اعماله الأدبية

استهل دوهامل انتاجه بالشعر والتمثيليات والنقد الأدبى . وقد تميز باقباله على الكتابة فى شتى المواضيع . وهو اول من اثار اهتمام النقاد بأعمال (بول كلوديل) . وكان ادراكه للطفرات السريعة التى تطفرها مدنية القرن العشرين ، والزحف الآلي المادى ، سببا فى توجسه وصلابة دفاعه عن تلك القيم التقليدية العزيزة لديه . ومنذ اواخر الحرب العالمية الاولى ابدى عمق اساه على ما عانته البشرية وستعانيه من جراء الشرور والتفسخ. وقد ذكرنا آنفا كتابيه (حياة الشهداء) الذى ترجم الى الانكليزية فى سنة ١٩١٨ ، و (المدنية) الذى ترجم الى الانكليزية سنة ١٩٢٠ . ولقد عبّر دوهامل فى كل مناسبة عن عطفه واسفه على ما ستلاقيه البشرية من سوء حظ ونكسات ، مما يدل على فقدانه الثقة بالتقدم الآلي الميكانيكي وتشاؤمه من مستقبل البشرية . وقد طفحت كتاباته بتلك المعاني والآراء ، نذكر منها :

(جنون العالم La Possession du monde) سنة ١٩١٩ ، (رحلة الى موسكو) سنة ١٩٢٧ ، (صور من المستقبل Scenes De la vie Future) سنة ١٩٣٠ وصف فيها انطباعاته عن الولايات المتحدة الامريكية .. ، (دفاع عن الادب) سنة ١٩٣٧ .. ، (الحضارة الفرنسية) سنة ١٩٤٤ ، (معضلات الساعة) سنة ١٩٥٧ .

كذلك كتب عن ذكرياته فى الحرب العالمية الثانية ، وقصصا عن الأطفال وللاطفال .

وكانت شهرته فى التاليف الروائي مستمدة من متسلسلتين روائيتين تنطوى كلتاهما على انطباعاته وتجاربه : المتسلسلة الأولى ، وتتالف من خمسة اجزاء نشرت تباعا فى السنوات ١٩٢٠ ــ ١٩٣٢ وأسماها (حياة ومغامرات سالافان) Vie et adventure de Salavin . يصف فيها المصاعب والمثبطات التي جابهها « رجل صغير » من القرن العشرين حاول ان يجد لنفسه طريق الخلاص دون ان يرتكز على ايمان وعقيدة دينية تمده بالمعونة ..

والرواية المتسلسلة الثانية ، وتتالف من عشرة اجزاء نشرت فى السنوات ١٩٣٣ ــ ١٩٤٤ ، بعنوان (تاريخ عائلة باسكي) Chroniques des Pasquier ، وفيها يقص دوهامل تاريخ اسرة فرنسية من الطبقة الوسطى منذ سنة ١٨٨٠ لغاية ١٩٢٠ ، وفيها تجلت موهبته الفكاهية ، والعطف ، ودقة الملاحظة .

ومن رواياته الاخرى (صخرة حوريب) Le pierre d' Horeb سنة ١٩٢٦ ، و (رحلة باتريس بيريو) Le voyage de patrice périot سنة ١٩٥٠ ، و (عقدة ثيوبيل) Le complexa de Théopile

وفى سنة ١٩٣٧ ، ولغاية سنة ١٩٤٩ ، كان دوهامل رئيسا للاتحاد الفرنسي Alliance Fracaise .

ويعتبر جورج من الكتاب التقليديين المحافظين . كان يتوجس من التقدم الآلي الحضارى السريع . وكان أخلاقيا ، حزينا، يدافع عن القيم المثالية الانسانية. ومن آرائه الطريفة أن صناعة السينما والأفلام قد نقلت الانسان المعاصر من دنيا الحرف والكتابة (اى مطالعة الكتب)

الى عالم الرؤيا والبصر (اى المشاهدة الجاهزة دون تفكير عميق) .. ، وان هذا الانتقال سيجلب الكساد والاهمال لدنيا الكتابة والفلسفة،ويبلد الاحساس والفكر الرصين . ولهذا الراى قيمته ووجاهته .. ، لكن السنين التي مرت والى يومنا هذا اثبتت ان السينما والمسرح لا يزالان يرتكزان على الانتاج الأدبي العالمي ، وان الأدب لا يزال يحتفظ بمكانته ، وان التفكير الرصين والعمليات العقلية الرمزية يمكن ان تدور فى افكار المشاهدين ايضا وليس فى افكار « القراء » فقط .

.. واطباء ـ ادباء آخرون ..

ولا يمكننا فى هذا المقال القصير ان نعدد حصرا كل الأطباء الكتاب ، غير ان من الممتع ان نستعرض قسما منهم :

وقد كان معظم الأطباء العرب القدامى فلاسفة وعلماء وادباء فى الوقت نفسه ، الرازى مثلا، وابن سينا (٩٨٠ـ١٠٣٧م) الطبيب ، المنطقي ، الرياضي ، الطبيعي ، الفيلسوف ، الفلكي ..، ويعقوب الكندى كان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة .

والسير آرثر كونان دويل ، الروائي الانكليزي ، اخصائي امراض العيون ، والروحاني المؤرخ ، مبتكر شخصية شرلوك هومز (١) .

والمؤرخ الفرنسي اميل ليتريه (١٨٠١ ــ ١٨٨١) الذى الف قاموسا طبيا وكان كاتبا وروائيا وفيلسوفا وطبيبا ناجحا .

وانطون تشيكوف الطبيب والقصاص الروسي الشهير (١٨٦٠ــ١٩٠٤) ...

و واير ميشيل الامريكي (١٨٢٩ ــ ١٩١٤) قد كان طبيبا ماهرا وفسلجيا واخصائيا بالامراض العصبية والعقلية ، والف فى خلال خمسين سنة تسعة كتب طبية ودبج اكثر من مائة مقالة علمية ، وتسع عشرة رواية ، وسبعة دواوين شعرية ، وأرخ حياة أحد المشاهير ، وامتازت رواياته بكونها تاريخية تحليلية ــ نفسية .

وفريدريك شيللر الأديب والشاعر الالمانى (١٧٥٩ ــ ١٨٠٥) ، درس الطب ومارسه وكان والده جراحا . خلد اعماله الأدبية والمسرحية بتمثيلية وليم تل (هكذا يموت الطغاة) والتي عبر فيها عن ظلم الطغاة وابرز معنى المقاومة الوطنية والروح القومية .

والطبيب الفرنسي (ليكلير) الذى كتب تاريخ الطب العربي نقلا عن (ابن ابي اصيبعة) سنة ١٨٧٦ ، ونقل الى الافرنسية (مفردات) ابن البيطار سنة ١٨٨٣ .

وفى ميدان الأدب العربي المعاصر ، لا بد ان نذكر اسماء « اطباء » لمعت ــ او لا تزال ــ مثل المرحوم الشاعر ابراهيم ناجي ، والمسرحي يوسف ادريس ، والزجال والكاتب سعيد عبده، والروائي القصاص مصطفى محمود وغيرهم .

واطباء في غير ميدان الادب ..

ولعل من الواجب ذكر بعض الأطباء الذين اشتهروا فى ميادين اخرى .. ، وعلى سبيل المثال الطبيب والرحالة الانكليزى دافيد ليفنجستون (١٨١٣ ــ ١٨٧٣) الذى اشتهر برحلاته واكتشافاته فى مجاهل افريقيا الوسطى والجنوبية .

وأدولف باستيان الطبيب والرحالة الالمانى (١٨٢٦ ــ ١٩٠٥) الذى اسس متحفا (اثنولوجيا) فى برلين عام ١٨٦٨ .

وبول بروكا الطبيب والجراح الفرنسي الشهير (١٨٢٤ ــ ١٨٨٠) أحد مؤسسي علم دراسة الانسان الطبيعي Physical anthropology .

الدكتور فخري الدباغ
موصل ــ العراق

---

(١) انظر المقالين المنشورين عنه في العربي عدد ١٢ نوفمبر ١٩٥٩ ، وعدد ٩٤ سبتمبر ١٩٦٦ .



العِلْمُ والمُجْتَمَع في السِّلْم والحَرْب

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر
استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ تردد كثيرا في الأوساط المختلفة ، اثر النكسة ، أن مردها انما يرجع في المقام الاول ، الى عدم الأخذ بالعلم طريقا ومنهاجا ، في كل ما نأتي وما ندع من امور ، ان في السلم او في الحرب ــ وقد جاءت النكسة ، لتؤكد من جديد أن العلم هو الوسيلة الأولى والأخيرة ، لاحداث اى تقدم فى اىّ من مناحى الحياة ، فى السلم والحرب على سواء، وأن ما سواه من شعارات وسياسات ، لا تغنى بدونه فتيلا .

وكذلك لعب العلم دوره في تقدم الانسان ، وتطوير حياته على الأرض : منذ دب على ظهرها ، فالعلم هو صانع المدنيات ومبدع الحضارات على مر التاريخ ، منذ انسان الكهف والغاب الى رجل الفضاء ، وغازى الكواكب ومفجر الطاقة النووية ، ومطلق الصواريخ والاقمار الصناعية وصانع الغواصات النووية وسفن الفضاء .

لقد قطع الانسان شوطا طويلا منذ ابتدع عجلة في مركزها محور تدور حوله لتحمل اثقاله الى ان ابتدع مراكب

الفضاء ، والنفاثات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت اضعافا مضاعفة . وقد شهدت العشرة آلاف سنة الأخيرة من حياة الانسان على الأرض تقدما هائلا فى حياته،وتطورا مذهلا في وسائل معيشته ومع ذلك فان هذه الحقبة لا تمثل أكثر من واحد بالمائة من حياة الانسان على الأرض . على ان خطو الانسان لم يكن طوال هذا الأمد وئيدا ، ولعله كان ذلك اغلب الأمر ولكنه غدا قفزا بل عدوا ووثبا في القرنين الأخيرين ، بل تحليقا وطيرا في العقود الاخيرة من القرن الحالى فمنذ قرنين من الزمان طوع الانسان لمشيئته قوة البخار ، بدلا من الدواب على الأرض او الشراع في البحر ، وبعد قرن آخر طوع الكهرباء ، ثم طوع الذرة وكانت هذه وتلك معالم على الطريق فتحت امام الانسان من الآفاق ما لم يكن يدور بخلده أنه سيرتادها يوما من الأيام.

وفي الحضارات القديمة كالمصرية والبابلية ، كانت نتائج العلم والتقنية ، انما تسخر اغلب الأمر لخدمة الحاكم وتعظيمه،وكذلك كانت الاهرامات والمعابد والهياكل والحدائق المعلقة ، لقد سخر الحكام طاقات آلاف العمال في اقامة هذه الآثار الخالدة الباذخة . انها تعبر عن القوة والعظمة ، وهي في الوقت نفسه برهان على ما بلغه انسان ذلك العصر من حضارة وتقنية في فنون الهندسة والبناء، ومن الآثار ما يدل كذلك على وسائل تنظيم الرى ، وقياس مناسيب النهر وطرق التحنيط ، وصناعة الدواء والصباغة والنسيج الى دراية بشئون الفلك والرياضيات مما يصح معه ان يقال انها كانت نهضة متكاملة مبنية على أسس علمية ، لعبت دورا هاما في هذه الحضارات في ايام سلمها وايام حربها على السواء. ولا مراء في ان التقدم العلمى والتقنى هو الذى مهد لهذه الحضارات أن تستعلى وأن تنشر سلطانها على ما جاورها من امم وشعوب ، كانت هى الأقل علما ، وبالتالى كانت الأقل قوة .

وفي العصر الاغريقى ، قفز العلم قفزة واسعة ــ فقد كان لدى علماء الاغريق من القدرة ما مكن لهم فلسفة العلم ، وصياغته صياغة اغريقية ــ على حد التعبير الحديث ــ واستفاد نفر كبير من علماء الاغريق مما عرفوه من خبرات ومهارات نقلت اليهم من الحضارات المصرية والبابلية المتقدمة عليهم في التاريخ. فأثرت المعارف العلمية والهندسية والفلكية ثراء عظيما ، وتقدمت الفنون الحربية تقدما عظيما كذلك ، وعرفت النار الاغريقية كما عرفت أدوات وآلات حربية لم يكن للانسان بها عهد من قبل، مما كان له أثره في حروب الاغريق وفي فتوحات الاسكندر .

وتابع الانسان تقدمه بالعلم فى العصر الروماني : وافتن علماء ومهندسو ذلك العصر فى شق الطرق لتعبيدها وانشاء المدن ، مما كان له اثره كذلك فى السلم والحرب وكان لا بد من تامين طرق الملاحة ، حيث تأتي المحاصيل الزراعية عبر البحار الى الدولة صاحبة السيطرة وانها للاكثر علما وتقنية ، وبالتالي اكثر قوة ونفوذا . وتاهت مدائن ذلك العصر بمستحدثات العلم والتقنية فى بناء الاستادات وانشاء الميادين والمنتديات مما هيأ للناس حياة مترفة باذخة . واستحدث العلم فى هذا العصر من المنتحدثات ما يسر وسائل الرى وحسن طرق الزراعة ، وزاد غلة المحاصيل ، وحقق العلم حاجات المجتمع ، مما يسر له اسباب القوة والغلبة والاستعلاء ردحا من الزمان : بما ابتكر من آلات حرب ، وما اقام من قلاع وحصون .

وفى العصر العربي الاسلامي ، سيطرت الحضارة العربية الاسلامية عدة قرون ، وانما كان ذلك لانها اعطت العلم التقدير كله ، بل لانغالي اذا قلنا انها انزلت العلم والعلماء منزلة كانت اقرب الى القداسة . وامتدت الامبراطورية العربية الاسلامية فيما بين مشارف الصين شرقا،

الى مشارف فرنسا ، غربا ، وضرب العلماء العرب بسهم وافر فى الرياضيات والفلك والهندسة والطب والكيمياء والنبات والحيوان والصيدلة ، واضافوا الى الوسائل العلمية والتقنية الكثير فى السلم والحرب : مما مكن لامة العرب ان تنشر سلطانها وتفرض لغتها وتهيىء لعلمها ودينها أسباب الذيوع والانتشار .

وعندما صحت اوروبا . فى عصر النهضة . وجدت ذخيرة هائلة من علم العرب تستند اليه وتقوم عليه . ومن حسن حظ النهضة الاوروبية ان واتتها الطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر فغدت المعلومات العلمية اكثر انتشارا، وغدت الاستفادة منها ومن جديد فى التقنية فى متناول كل من ارادها . وغدا نهر المعرفة اكثر تدفقا ، وفى متناول كل من شاء ورده . وازدهرت تقنية الطباعة، وصناعة الورق ، والاحبار والتعدين ومكنات الطباعة وآلاتها . كما عرف البارود وتقدمت صناعة المفرقعات وغيرها من اسلحة الحرب من بنادق ومدافع وما اليها وسيطرت أوروبا بعلمها وقوتها .

وبعصر البخار بدأت الثورة الصناعية . فقد سخر البخار من قوى العضلات والرياح والماء مما كان يستعمل فى نقل او جر او دفع او ادارة ـ ثم ظهرت الكهرباء على مسرح الحياة فاضافت هى الاخرى الى الانسانية ترفا ورفاهية فى السلم وقوة ومضاء فى الحرب . وعرفت التلقائية والاوتوماتية والميكنة فى الانتاج الصناعي ، وبلغت التقنية الذروة فى انتاج الآلات الدقيقة والاجهزة الحساسة وما يلزمها من قطع غيار مُعَيَّرة مما يسر استعمالها فى كل مكان وتبديلها عند البلى بما يحمل خصائصها بدقة بالغة . وعرفت الصناعة الانتاج الضخم الاوتوماتي ، بتصنيع الاجزاء : ثم تجميعها وتركيبها فينتج المصنع الآلاف المؤلفة من هذه الاجهزة او تلك فى وقت قصير ..

ولعب البحث العلمى دوره بمهارة ، ففي خلال قرن من الزمان حولت الالة البخارية من الصورة الاولى التي كانت ايام « جيمس وات » الى ما عرفنا من قوة وسرعة ، وكان لذلك اثره على الحضارة والمدنية فى كل البلاد التي اتيح لها ان تفيد من قوة البخار ، وتوالت السنون وعرفت الات الاحتراق الداخلي، وتقدمت دراسة دينامية الهواء والطيارات ، وتابع العلم تقدمه : فاذا بالطيران يقفز هو الآخر فى مدى خمسين عاما ، ليعرف العالم النفاثات والصواريخ وسفن الفضاء والاقمار الصناعية وما بها من اجهزة دقيقةوترانزستور وما اليها .

وكذلك مكن العلم لجماهير الشعوب ان تستمتع بمستحدثاته واستعان الانسان بالآلاتالحاسبة فى اجراء عمليات طويلة مضنية ، كانت تستغرق وقتا وجهدا بالغين ، فاذا بهذه الآلات توفر الوقت والجهد ،وقدم العلم ما يسمى بالعقول الالكترونية التى تقوم بعمليات معقدة من ترجمة وغيرها ، وبلغت الثورة فى المواصلات اوجها : حين اصبح فى مقدور الانسان ان يتنقل بين ارجاء العالم شرقيه وغربيه فى يوم واحد ، وانه ليسمع ويرى ما يحدث فى اى من هذه الارجاء عن طريق المذياع والتلفاز ، وانه لحلق بالاجواء العليا او مستقر فى هذا البلد او ذلك من بلاد العالم الفسيح .

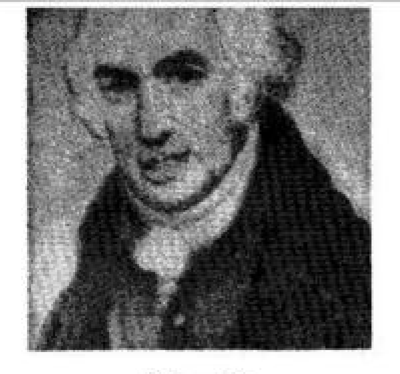
وكان طبيعيا ان تنشأ مع هذا التقدم العلمى الهائل مشاكل كثيرة مثل تلوث الاجواء او المياه بالمواد الاشعاعية ، ومثل زيادة السكان وخشية حدوث الانفجار السكانىنتيجة لارتفاع المستوىالصحي، وتقدم الطب العلاجى لكثير من الامراض، وما يحدث فى البيئة من اختلال فى التوازن الطبيعي ، نتيجة للاسراف فى استعمال المبيدات من حشرية وبكتيرية وفطرية : التى تقتل انواعا وكائنات اخرى غير المقصودة ، ولا بد أن يجد البحث العلمى فى الحفاظ على هذا

التوازن البيئى الطبيعى لصالح المجتمع الانسانى .

وقد نجح العلم الى حد كبير فى انتاج المواد البديلة من مطاط واصباغ والياف فوفر بذلك ملايين الافدنة لتزرع بنباتات المحاصيل ، فتساعد على حل مشكلة غذاء السكان الذين يتزايدون باستمرار. وها هى ذى البشائر تعلن عن انتاج بروتين صناعى من البترول . وبذلك أصبح البترول ليس موردا للوقود او الالياف او المنظفات او الروائح فحسب، بل وايضا سيغدو مصدرا هاما للغذاء البروتينى ، الذى تحتاجه البشرية .

وها نحن ننظر بعين الامل الى المستقبل القريب ، لنرى السيارة الكهربائية التى تسير بقوة البطارية او الايدروجين بدلا من البنزين ، ولنرى العلم يتغلب على كثير من الامراض التى ما زالت عصية على العلاج : ولنستفيد الكثير من بحوث علمية تدور حول استنباط مصادر جديدة للطاقة واستنباط وسائل جديدة لاستغلال الطاقة النووية فى الاغراض السلمية كاعذاب ماء البحر لاستزراع الصحارى ، او استغلال ما يعمر البحار والمحيطات من كنوز معدنية وغذائية . ولعل العلم ان ينجح كذلك فى العمل على تحسين الصفات الوراثية فى الانسان نفسه فلا يكون الانتاج الا للاصحاء الاذكياء الاقوياء، ولنتصور مجتمعا هذا شأنه من الرقى والحضارة والمدنية ، بين يديه كل اسباب المتعة والرفاهية ولنؤمن بأن العلم وحده هو الذى غير المجتمع الانسانى من حال الى حال .

على ان للمسالة جانبا آخر ، هو الذى دعانا الى هذا الحديث ، ذلك ان التقدم العلمي والتقني مرتبط دائما بالقوة والغلبة ، وان البحث العلمي الذى ادى الى كل هذه الرفاهية التى تحدثنا عنها ، هو نفسه الذى قدم للانسانية وسائل للفتك والتدمير لم تكن تخطر على



جيمس وات

بال بشر منذ بضع عشرات من السنين . وليس معنى ذلك ان العلم مرتبط بالحرب ، او انه يدعو اليها ، . . . اذ ان أسباب الحرب هي ما ركب فى النفس الانسانية ذاتها من حقد وانانية وبغض وحب للسيطرة والاستعلاء ، والحرب أقدم من العلم وقد ابتكر الانسان ادوات الحرب اول الامر ليسلح بها نفسه ، وليكون فى مأمن من اعدائه ، ولما قوى بها استعملها فى الاغارة على غيره .

وعلى مر التاريخ كانت الدولة الغالبة فى الحروب هي الاكثر علما وخبرة وتقنية منذ معرفة عجلات الحرب الى استعمال النار الافريقية الى استعمال صنوف والوان من السيوف والدروع والسهام والحراب والنبال ، الى استعمال البارود والمفرقعات الى استعمال الطائرات والقاذفات والمقاتلات . وطبيعى ان ينشط البحث العلمى فى اوقات الحروب خاصة لاكتشاف اسلحة اشد فتكا او ابعد مدى من اسلحة العدو ، وفى الحرب العالمية الاولى كانت الغلبة اول الامر للالمان وذلك لما ابتكروا من اسلحة وغازات خانقة ومدافع بعيدة المدى ، وقد نشط البحث العلمي لدى الحلفاء على مدى سنوات الحرب ، حتى اتيح لهم ابتكار اسلحة اقوى او ابطال مفعول اسلحة الاعداء . وتكون الأمر فى الحرب العالمية الثانية حين كانت الغلبة للالمان بفضل ما لديهم من اسلحة جديدة من صواريخ والغام ممغنطة وما اليها ،وكانت

بحوث الطاقة النووية ما تزال فى مهدها ، ولما كتب للحلفاء السبق فى تفجيرها ، كان لهم النصر آخر الامر ولسنا بحاجة الى القول ان اسلحة الحرب العالمية الثانية من طائرات ونفاثات وصواريخ بل وقنبلة نووية ، هى جميعا اليق ان توضع فى المتاحف بالنسبة لما ابتكر فى خلال هذه الحقبة من اسلحة وطائرات وصواريخ وقنابل هيدروجينية وكبلتيه وغيرها .

وليس معنى الدعوة الى البحث العلمي المستمر والعمل على التقدم التقنى الاساسى اننا نقلل من شان الاساليب الدعائية والسياسية والعمل على تقوية الروح المعنوية ولكنها جميعا لاتغنى فتيلا — كما تقدم القول — دون هذا الذى ندعو اليه ، بل ونلح فى الدعوة اليه من تشجيع للبحث العلمى والتقنى .

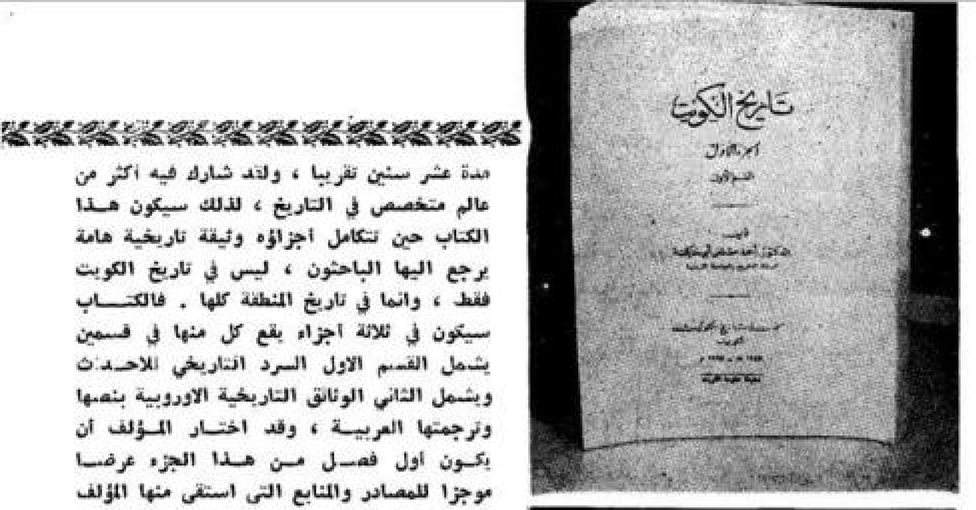
الخلاصة

والخلاصة ان على دولنا العربية ان ارادت حقا ان تنهض وتعلو وتصمد لكل التحديات، عليها ان تجعل العلم وسيلتها الاولى والاخيرة ، وان تنفق على البحث العلمي بسخاء ، وان تنشىء معاهد البحث ومراكزه فى كل قطر عربى وان تحشد خيرة علمائها وخبرائها لهذه المعاهد والمراكز بل وتستورد العلماء والخبراء فى التخصصات الدقيقة غير المتوافرة وان تشجع البحث العلمى والتقنى فى كل مجالاته السلمية والحربية ، وان تنشىء لجيوشها اسلحة علمية ، واذكر انى دعوت الى ذلك منذ بضع عشرة سنة ، كما هى الحال فى كل الجيوش الحديثة ، فثمة سلاح للعلماء ، الى جانب سلاح المهندسين وسلاح خدمة الجيش وما اشبه ، فلا بد ان يكون لكل جيش هيئة علمية تشرف على الاجهزة الحديثة ، وتتابع التطور العلمى والتقنى فيها . واذكر انى سئلت مرة عن رايى فى ان نصنع القنبلة الذرية فأجبت على الفور ، نصنعها ما استطعنا الى ذلك سبيلا . وما زلت عند رايى الذى اعلنته منذ نحو عشرين عاما ، ولو قد فعلنا لكان غير الحال . ولتغيرت نظرة الاصدقاء والاعداء ولعمل حسابنا هؤلاء واولئك ، وها هى الدول النووية تزداد كل يوم عددا فبعد ان كانتا اثنتين فقط ، اذ دخلت الميدان دول اخرى كثيرة ، اقتحمته واحدة بعد الاخرى ،وان الدول الكبرى التى احتكرت الاسلحة النووية ردحا طويلا لتحسب لها الف حساب .

وينبغى ان يتنفس الفكر العلمى فى حرية وانطلاق ،وان يتاح للعلماء والخبراء ابداء آرائهم العلمية ، كما ينبغى ان يوضع كل متخصص وكل ذى خبرة فى مكانه الصحيح ، وان يعطى القوس باريها دائما . وان نجعل للعلم والثقافة المكان الاول والمركز الاسمى ، وان نجعل للكفاءة المقام الاول ، اما اخلاص المواطنين عامة والعلماء والمثقفين خاصة لاوطانهم فما اشك فى انه فوق كل شك .

ما اشد حرصى على ان ارى دولنا العربية جميعا وقد انتشرت فيها الجامعات ومعاهد العلم ومراكز البحث وان تعج هذه وتلك بحشود العلماء والمتخصصين الذين يعملون دائبين لاعلاء شان الوطن العربي ورفع مستوى الحياة بين قطانه والحفاظ على ترابه ومقدساته، وان يواكب مجتمع شعوبنا العربية ركب الحضارة ، ليتحدى دولا سبقت بالعلم وقويت واستعلت بالعلم ، ونحن ولا شك قادرون على تحقيق هذه الامال ما استقمنا على الطريق ، وعلى الله قصد السبيل . ■■

عبد الحليم منتصر





بقلم : عبد الرزاق البصير

■ المكتبة العربية في حاجة الى من يتحدث عن هذا البلد ، الذي منحه الله من خيراته ، حديثا لا يقصد من ورائه الا خدمة الحقيقة ، فلقد تحدث عن هذا البلد كثيرون ، لكن معظمهم كان لا يقصد من وراء حديثه خدمة العلم أو الحقيقة، وانما كان يريد أن يخدم أغراضا أخرى . ولقد أراد الله أن يملأ هذا الفراغ ، فجاء الدكتور مصطفى أبو حاكمة ، وهو أستاذ تخصص فيدراسة التاريخ وتدريسه ، وكانت له عناية خاصة بدراسة تاريخ هذا البلد منذ سنة ١٩٥٥ ، ومن ورائه لجنة تاريخ الكويت ، وهم اناس فضلاء عرفوا بحب وطنهم ، على أن الحب لم يحل بينهم وبين حب الحق ، فاعدوا لهذا الكتاب طائفة كبيرة مما يحتاج اليه المؤرخ من مصادر ، لا يكاد يرقى اليها الشك ، وقد استغرق هذا الاعداد مدة عشر سنين تقريبا ، ولقد شارك فيه اكثر من عالم متخصص في التاريخ ، لذلك سيكون هذا الكتاب حين تتكامل أجزاؤه وثيقة تاريخية هامة يرجع اليها الباحثون ، ليس في تاريخ الكويت فقط ، وانما في تاريخ المنطقة كلها . فالكتاب سيكون في ثلاثة اجزاء يقع كل منها في قسمين يشمل القسم الاول السرد التاريخي للاحداث ويشمل الثاني الوثائق التاريخية الاوروبية بنصها وترجمتها العربية ، وقد اختار المؤلف أن يكون اول فصل من هذا الجزء عرضا موجزا للمصادر والمنابع التى استقى منها المؤلف هذا الكتاب ، وهذه المنابع والمصادر تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ ـ مصادر أجنبية .

٢ ـ مخطوطات نادرة .

٣ ـ الروايات المحلية .

وهذه الأقسام الثلاثة تحتاج الى صبر وقدرة على البحث ، فقد كتبت معظم المصادر الاجنبية باللغة انجليزية قبل قرن من الزمن . اما المصدر الثاني وهو المخطوطات والكتب النادرة فالمختصون هم الذين يعرفون مشقة البحث فيها ، لأن الانسان لا يستطيع أن يستخلص نتائجها الا بعد قراءات متكررة ، أما الروايات المحلية فانها في حاجة ايضا الى عناية دقيقة ، غير أن هذا كله قد أعد له عدته العلمية.

ولقد اشاد المؤلف بما بذلته لجنةتاريخ الكويت من جهود فقال : ولقد بذلت هذه اللجنة الموقرة جهدا خالصا في سبيل الوصول الى أنجع الطرق الى تدوين تاريخ الكويت منذ تأسيسها ، وكانت تعلم علم اليقين أن تدوين هذا التاريخ البكر ، لن يكون أمرا سهلا ميسورا (١) .

وبعد أن يفرغ المؤلف من عرض هذه المصادر والمنابع يطوف بك بالاحداث التاريخية التى حدثت في منطقة الخليج العربى ومنطقة نجد والحجاز ، وكل ما له علاقة بالكويت ، كاطماع الفرس والبرتغاليين وأساليب الأتراك العثمانيين في حكم هذه المنطقة ونشاط دولة العتوب وظهور الوهابيين وكل ذلك بأسلوب علمي رصين .ولكنني كنت أتمنى أن يكون هذا الطواف أكثر تفصيلا لما لهذا الأمر من أهمية بالغة من ذلك . مثلا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فانه مما

(١) تاريخ الكويت ص : ط

لا شك فيه ان هذه الدعوة قد أحدثت في هـذه المنطقة اثرا عظيما سواء كان ذلك من الناحية الدينية أو السياسية ، أو الاقتصادية .

فان الباحثين من المؤرخين يجمعون على أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت من أهم الاسباب في توحيد الجزيرة العربية وقيام الدولة السعودية، وكان من الأفضل او تحدث المؤلف عن هذه الدعوة حديثا اكثر تفصيلا مما هو عليه .

فلقد كان معظم حديث المؤلف منصبا على الأحداث التاريخية التى جرت بين الوهابيين وبين بني خالد وغيرهم من القبائل التى كان لها نفوذ في هـــذه المنطقة .

والذى اراه أن المؤلف كان ينبغي عليه ان يعقد فصلا خاصا يجمل فيه ما قامت عليه تلك الدعوة من عناصر وفلسفة ، فكل ما تحدث به عن تعريف هذه الدعوة ذاتها لا يتجاوز صفحتين من الكتاب .

اما الأوضاع السياسية والاقتصادية في الخليج العربى فانها مبهمة جدا ، لأن القليل من النـاس يعرفون ما حدث في الخليج من تطور تاريخى ، فتاريخ الخليج يحفه كثير من الغموض . فلو تحدث المؤلف بشيء من الاسهاب عن الاحداث التاريخية في هذا الخليج ولا سيما عن اسباب تسمية الخليج بالخليج العربي لانتفع الكثيرون بهذا الحديث ، فلقد حدث في هذا الخليج صراع طويل بين العثمانيين والبرتغاليين والفرنسيين والانجليز . ومن الملاحظ أن دور الكويت دائما في ذلك الصراع المستمر بين مختلف الدول والفئات هو دور الذى يسعى لأن يضع الحق في نصابه ، فما من حدث هام يحدث في الخليج الا وللكويت مكانة فيه ، فهى تقف دائما الى جانب العرب بالرغم من أن ذلك قد يعرضها لكثير من الأخطار . كموقف الكويت في المعـركة التى كانت تدور بين الشيخ نصر الخاضع لسيطرة الفرس وبين أهل الزبارة فقد استطاعت الكويت ان تقف موقفا حاسما ، وذلك باحتلالها البحرين بالتعاون مع بعض القوى العربية الأخرى ، كما كتب المستر واردن Warden والكابتن تيلور Taylor في تقاريرهما حيث ذكرا بأن دور الكويت كان هاما وحاسما (٢) . وكانت الكويت دائما تقف عند كلمتها لا تتراجع عنها حتى ولو ادى بها ذلك الى تعرضها للمخاطر كما حدث في قضية حمايتها مصطفى آغا متسلم البصرة وثوينى شيخ قبيلة المنتفق فقد التجأ هذان الحاكمان الى الكويت وأراد والى بغداد أن يردهما الشيخ عبدالله الصباح اليه فأبى. ولما رأى الباشا أن الشيخ مصر على رفضه طلب من المقيم الانجليزى في الوكالة التجارية الانجليزية في البصرة أن يتدخل غير أن المقيم رفض أن يساهم في الحملة التى كان الباشا يزمع القيام بها ضد الكويت. وفي رسالة الى الشيخ عبد الله بن صباح بتاريخ ١٧ ابريل ١٧٨٩ أخبر المستر مانيستى الشيخ بان الباشا يزمع هجوما على الكويت، اذا رفض الشيخ أن يسلم اللاجئين.

اما الشيخ عبد الله فقد قال في جوابه الموجه الى المستر مانيستى بأنه على استعداد لقتال الباشا في سبيل حماية ضيوفه اذا لم يكن هنالك سبيل آخر غير الحرب . ومما يستوقف النظـر ان الكويت استطاعت أن تثبت أمام العواصـف التى زلزلت غيرها من الدول المشابهة لها ، فانها لم تخضع لقوة الوهابيين الذين كانوا يشـكلون الخطر الحقيقى على جميع قوى شرقى الجزيرة العربية (٣) اذ أن الكويت كانت تمتلك من القوى البرية والبحرية ما يمكنها من رد المعتدين الطامعين. ومما امتازت به بحارة الكويت انهم كانوا متفوقين على غيرهم عارفين طرق الملاحة المأمونة العواقب في الخليج (٤) . ولكن القوة لم تكن السبب الرئيسى في ثبات الكويت وصونها لاستقلالها وانما هناك سبب آخر وهو ما اعترفت به المصادر المعاصرة للشيخ عبد الله بن صباح ، من حكمة وسداد في الرأى وحسن سياسة وتدبير (٥) . والكتاب يعالج قضية خضوع الكويت للعثمانيين معالجة حاسمة فيقول : والواقع أن الحكم والنفوذ العثمانى كانا بعيدين عن شرقى الجزيرة ولم يصل نفوذهم شرقى الجزيرة قبل عام ١٨١٨ . اما في الكويت وهى أقرب منطقة من ممتلكات العتوب لمتسلمية البصرة العثمانية ، فان شيخها لم يخضع بأية صورة من الصور للسلطات العثمانية (٦) .

وبعد فان هذا الجزء من الكتاب يعتبر مقدمة لما يليه من اجزاء .

عبد الرزاق البصير

---

(٢) تاريخ الكويت ص : ١٩٥ (٣) تاريخ الكويت ص ٢٣٦ (٤) تاريخ الكويت ص ٣٢٤
(٥) تاريخ الكويت ص ٣٠٧ (٦) تاريخ الكويت ص ٣٢٤

شوقي والأسرة

بقلم : الدكتور احمد الحوفى
استاذ بجامعة القاهرة

الاسرة وحدة المجتمع واساسه الأول، وهى قديمة قدم الانسانية، فان آدم ابا البشر ما كان يطيق أن يقيم فى الجنة وحيدا ، فخلق الله له حواء ، لتقاسمه النعيم ، وعاشا سعيدين الى ان هبطا الى الأرض ، فقاسيا مر الحياة معا ، كما قاسيا حلوها من قبلُ معا .

قوام الأسرة

وقوام الأسرة زوج وزوجة ،يمتزجان ويندمجان فيكونان الأساس الكامل . فان الطبيعة شاءت أن تنقص من الرجل ما تكمّله المرأة ، وان تنقص من المرأة ما يكمّله الرجل ، وما من شك فى ان هذا الاختلاف والتكامل هو السر فى تآلفهما وترابطهما واعجاب الحياة بهما ، واعجابهما بالحياة ، فهما اذا كالنغم الموسيقى يكمّل فيه العود ما ينقص الكمانُ ، أو هما كطاقة الزهر ، جمالها فى تعدد الأشكال والالوان .

وللأسرة مقومات تكفل بقاءها ونماءها وسعادتها .

الأمومة عند شوقى

فهل عرض شوقى لبعض مقوماتها فى شعره أو نثره ؟

نعم ، تعرض شوقى لمقومات الأسرة فى مناسبات شتى ، تعَرُضَ الشاعر الذى يكتفى باللمح والاشارة ، ولا يجنح الى التفصيل والتدليل والتعليل ، لان هذه طبيعة الشعر وطبيعة الشعراء .

والامومة هي أول مقومات الاسرة عند شوقى . قال :

« الأمومة رسالة المرأة على هذه الأرض ، وشأنها الاول فى الحياة . وهى حَجَر الأساس فى الأسرة ، وقواعد المجتمع واركانه منذ قام الى يوم يَنْقَضْ . وفى الأمومة اجتمعت خلال البر ، وتبعات الواجب ، وصور البطولة ، وفضائل الايثار ، ومواطن الصبر الجميل . وكأنّ الأمومة فى البيت الملكة فى الخلية ، أو العذراء فى البيعة » .

ان جمال الأمومة لمحة من جمال الحياة ، وشعاع من عبقريتها ، وهو أحفل اياما ، وأطول مقاما ، واصدق احلاما .

وقد اولى شوقى الأمّ عنايته لأنها المَعِينُ الذى يفيض بالأفراد والأسر والقبائل والجماعات . فهى التربة الخصيبة التى تنبت الحب ، فاذا ما نضج حبها انبت حبا آخر ، وهى التى تمنح بنيها – بمشيئة الله – حياتهم ، فهم فى بطنها اجنةٌ ، من دمها يغتذون ، وهم بعد الوضع اطفالاً من لبنها يرتضعون ، وبرعايتها وحبها ينعمون ، وباخلاقها يتشكلون . ثم هم فتيانا وشبانا معقِدُ املها . وهى نجىُ انفسهم ، وملاذ الخائف منهم ، وقسيمة الفرح المحبور . فاذا ما كبروا فهم حماتها وفخارها ، وهم ذكورا واناثا حياتها المتجدِّدة ، وثمراتها الواعِدَة .

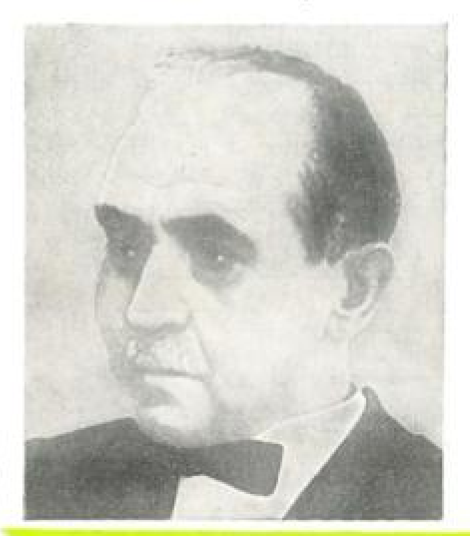
قال شوقى ، وصدق :

لولا التُّقي لقلت لم
يخلق سواك الولدا

اثر الأم فى تشكيل بنيها

قال شوقى فى اثر الأم فى تشكيل ولدهـا :

ان شئتِ كان العَيْرَ او
ان شئتِ كان الأسدا



السَّعيدَة

وان تُرِدْ غيّاً غوى
او تبتغِ رُشْداً رَشَدا
والبيت انتِ الصوتُ فيـه وهو للصوت صدى
كالببّغا فى قفص
قيل له فقلّدا
وكالقضيب اللَّدْن قد
طاوعَ في الشكل اليدا
يأخذ ما عوّدتِه
والمرء ما تعوّدا

امهات صالحات ، خير من قلاع شامخات

ورأى شوقى حاجة الوطن الى الأمهات الصالحات اشد من حاجته الى الحصون والقلاع الشامخات :

قم ابنِ الامهاتِ على اساس
ولاتَبْنِ الحصونَ ولا القلاعا
فهن يلدن للمنصب المذاكي
وهن يلدن للغاب السباعا
وجدتُ معانى الاخلاق شتّى
جُمِعْنَ فكنّ في اللفظ الرّضاعا

اشفاق شوقى على المعلمين من الأمهات الجاهلات

ومد شوقى بصره ، فوجد جهل الأمهات هو السبب فيما كانت تعانى مصر من ضعف علمي وخلقى ، وتأخر معنوى ومادى ، فرثى لحال مصر ، واشفق على المعلمين ، لانهم ينهضون وحدهم بأعباء التعليم ، ولا يجدون عونا من الأمهات، فالذى تبنيه المدرسة يهدمه البيت الجاهل .

خاطب شوقى المعلمين قال :

انى لأعذِركم واحسب عبأكم
من بين اعباء الرجال ثقيلا
وَجَدَ المُساعد غيرُكم وحُرِمتُم
في مصرعَوْنَ الامهات جليلا
وإذا النساء نشأن في أمّيّة
رضع الرجال جهالة وخمولا

وقال :

هذا رسول الله لم
ينقصْ حقوق الامهاتِ

العلم كان شريعـــــــــة
لنســـائه المتفقهـــات
رُضْــنَ التجـــارة والسـيا
ســة والشئون الأخريـات
ولقد علمت بنـاتِــــه
لُجَـجَ العلـوم الزاخـرات
كانت سُكينةُ تملأ الـدُ
نيـــا وتهزأ بالـــرُواة
رَوَتِ الحـديثَ وفسـرَتْ
اى الكتــاب البينـات
وحضـــارةُ الاســـلام تنـ
ـطق عـن مكان المسلمات
بـغدادُ دارُ العالمـــــا
ت ومـــنزل المتأدبـــات
ودمشـــق تحت أميّــــة
أم الجـــوارى النابغـــات
وريـــاضُ اندلسٍ نمّيْــــ
ـن الهاتفـــات الشـــاعرات

ولم يكن زمنه قد اتاح للفتاة ان تتعلم فى الجامعة ، فود ان تكون فى مصر جامعة خاصـــة للفتيات ، يتزودن فيها بمـا ينفعهن من علم وادب وثقافة .

قال فى رثائه للأميرة فاطمة اسماعيل سنة ١٩٢٠ ، وكانت قـد تبرعت بمال عظيم لانشاء الجامعة :

من ذا يُؤسّــــى هــذه الـ
جامعـــــــة المُسْتَعْبِرة
لو عشتِ شِدْتِ مثلهـــا
للمـــرأة المحــــرّرة

وقد كان شوقى فى اول الامر حائرا بين السفور والحجاب ، ثم انكشف له الصواب ، فايد السفور ، وبين انالخلق الكريم المتين هو السياج وهو الحصن ، فاذا ما كانت المراة على خلق عظيم اجلتها كل من يراها ، حتى كانها ــ كما تخيل شوقى ــ مريم فى سفورها ، والناظر اليها راهب طاهر القلب :

فقل للجانحـــين إلى حجـاب
اتُحْجَبُ عن صنيع الله نَفْسُ ؟
إذا لم يَسْتُرِ الادبُ الغوانـــى
فلا يغنى الحريرُ ولا الدِمَقْس
تأمَّلْ هل تـرى الا جـــلالا
تُحِسُ النفس منه ما تُحِسُّ ؟
كأن الخَوْدَ مَرْيَمُ في سـفور
ورائيـها حـوارىّ وقَـسُّ
تَهَيّبُهـــا الرجـال فلا ضمير
يَهُم بهـا ولا عين تُحِس

العفاف عند شوقى

وفى رايه ان الجمال الرفيع الخالد ، هو جمال الأخلاق ، وهو فـوق جمال الاجسام ، قال : « يأيتها الفتاة المدلة بصباها ، المزهوة بحسنها ، المترقبة من ورائهما لـذة الحب وفيض السعادة ، اذكرى ان الجمال حر طليق الا مـن قيدين ، كلاهما اجمل منـه : الشرف والعفاف . فاذا انسلّ منهما عثر فى خطاه الاولى ، وذوى فى ابان النضرة » .

اما المقوم الثالث فهو أن تقوم العلاقة بين الآباء والأبناء على الحب المتبادل ،

وانه لبيت سعيد ذلك الذى يتساقى فيه الأولاد وابواهم كؤوس المحبة والمودة .

الوالد وبنوه فى الأسرة

وقد صور شوقى هذه العلاقة التى كانت بينه وبين امه وبينه وبين ابيه ، تصويرا شائقا ممتعا . وحسبنا هذه الصداقة العالية الحارة الحلوة التى كانت تربطه بابيه ، وتربط اباه به ، قال فى رثائه :

مأبي الا اخ فارقتُـــــــــه
ودُّه الصـــدقُ ووُدُّ الناس مَيْنْ
طالما قمنـــا إلى مائـــــــــدة
كانت الكِسْرة فيهـــا كسرتين
وشربنـــا من انـــــاء واحـــد
وغســلنا بعدَ ذا فيــه اليديــن
وتمشينا يــدِي في يـــــــده
من رانــــــا قال عنا اخــوين

وكان شوقى حفيا بابنته

واذا كان كثــير من الناس يبغض البنات ، ويسـود وجهه حـين يبشر بالأنثى ، ويسخط حظـه ، فقـد كان شوقى حَفِيّاً بابنته ايما حفاوة ، وطالما داعبها بشعره ، كقوله :

أمينـتِي في عامهــــــا الـ
أول مثــــــلُ المَلَــــك
صالحــة للحُــب مـــــن
كـــــــل وللتــبَرُّك
كـــم خفـــق القلب لهـا
عنـــد البكا والضحـــك
وكــم رَعَتْهـــا العين في السـ
ـــكون والتحــــــرُّك
فـإن مشَــتْ فخاطــرى
يَسْــبِقها كالمُمْســـك
ألحَظُهــــــا كأنهــــا
من بَصَـــرى في شــرَك

شوقى يمجد الأنثى

وكثيرا ما مجد الاناث والأنــوثة ، وذهب الى ان البنات كنوز من الرحمة وذخـائر من النعمة ، فعلى الآبـاء ان يستبشروا بهن ، ويغدقوا من حبهم وعطفهم عليهن ، لأنهن الساهرات عليهم اذا ما كبروا أو مرضوا ، وهن الوفيات لهم الباكيات عليهم اذا ودعوا الحياة :

ان البنات ذخائر من رحمـــة
وكنــوز حــب صادق ووفاء
والساهرات لِعلّــة أو كَبْرَةٍ
والصابرات لشـــدة وبلاء
والباكياتُك حـين ينقطع البكا
والزائراتك في العــراء النائـــى
والذاكراتك ما حَـيِينَ تحدُّثاً
بســوالف الحُرُمــات والآلاء

ارشاد الوالدين ابناءهما

والمقوم الرابع من مقومات الأسرة ان يرشـد الوالـدان ابناءهما الى الحق والخير ، وان يبصّراهم بما ينفعهم فى الحياة مما عرفوا من تجارب الأيام .

هكذا ارشد شوقى ابنه عليا فى قوله :

ياعَــلِـي انْ انـــت أوفيـــ
ــت عـــلى ســـن الفتـــوّة
دافـــعْ الناس وزاحِـــمْ
وخـــذ العيـــش بقـــوه
لا تقـــل : كان ابـــى ، إيـا
ك تَحْـــذُوَ حَـــذْوه

وهكذا ارشد ابنته أمينة فى قوله :

فقلت لهـا أيهـذا المـــلا
ك تُحِـب السـلام ولا أنكر
ولكنْ قبلَـك خـاب المسيـ
حُ وبـاء بمنشـوره القيصـر
فلا تَـرْجُ سَلْما مـن العالمين
فان السـباع كما تُفْطَـر
ومن يَعْدم الظفر بـينَ الذئـا
ب فان الذئـاب به تظفـر

طاعة الأبناء والآباء

وعلى الأبنـاء ان يطيعـوا آباءهم وامهاتهم ، فانه لا هناءة فى اسرة يتمرد فيها الأبناء على الوالدين ، ولا صلاح لأولاد يعقون من يريدون لهم الخير . وقد صور شوقى هذه الفكرة فى قصة خيالية شائقة فى قوله :

رأيت في بعـض الريـاض قُبَّره
تُطَيـر ابنها بأعلى الشـجرة
وهى تقـول ياجمـالَ العُش
لا تعتمـد على الجناح الهَش
وقفْ على عـود بجنـب عودى
وافعل كما افعـل في الصعود

فانتقلتْ من فـنن إلى فـننْ
وجعلـت لكـل نُقلة زمـنْ
كي يسـتريح الفـرخ في الاثناء
فـلاَ يمـلّ ثِقَل الهـواء
لكنـه قد خالـف الاشـارة
لمـا أراد يُظهـرُ الشّـطاره
وطار في الفضـاء حـتى ارتفعا
فخـانه جناحـه فوقعـا
فانكسـرت في الحـال رُكبتـاه
ولـم ينل مـن العلا منـاه

الزوجة الواحدة

ومن صفات الأسرة السعيدة أن تنعم بالوئام والصفاء والاستقرار الطويل الأجل .

ومن وسائل ذلك فى نظر شوقى الاقتصار على زوجة واحدة ، أما التعدد فقد حاربه شوقى ، لأنه داء وبيل يفصم عرى المودة ، ويشعل الضغائن بين الأسر ، وبين الأخوة ، ويوقد فى البيت نار الغيرة والدس وسوء الظن ، الا اذا كانت لتعدد الزوجات أسباب مشروعة ، قال شوقى :

ظلم الرجال نساءَهم وتعسَّفوا
هل للنسـاء بمصـر من انصار ؟
يامعشـر الكتاب اين بلاؤكـم
أين البيـان وصـائب الافكار ؟
ايهمكم عبَـثٌ وليس يهمكـم
بنيـان اخـلاق بغير جـدار ؟
عندى على ضَيْم الحرائر بينكم
نبأ يُثـير ضمائر الاحـرار

كثــرت على (دار السعادة) زمرة
مــن مصــر اهل مزارع ويسار
يتزوجــون على نســاء تحتهــم
لاصاحبــاتِ بِغــاً ولا بِشرار

بعض الزواج زنــا !

وكذلك من عوامل السعادة الأسروية عند شوقى أن يكون هناك تناسب بين سن الزوج والزوجة ، اما التفاوت الكبير فى السن فقد حمل شوقى عليــه فــى ابيات منها :

بعض الزواج مذمَّــم ، ما بالزنا
والــرِّق ان قيســا به من عــار
فتّشتُ لم ار في الزواج كفــاءة
ككفاءة الازواج في الاعمـــار

والطـلاق ...

وكان شوقى حربا على الطلاق الذى لا تلجىء اليــه الضــرورات ، وسخف العابثين بالعلاقة الزوجية الذين يطلقون بطرا أو سفها ، أو شرها الى التغيير ، وذكرهم بأن الطلاق هو الحلال البغيض الى الله ، ودعا منذ زمن بعيد الى تقييد الطلاق بأن يشرف عليه قضاة يحمون الأسرة من حماقة العابثين .

قال شوقى : « دواء ساء استعماله ، فصار هو الداء ، ودرع للتوقّي ، عادت آلة اعتداء ، حلالٌ عليه بشاعة الحرام ، وحقٌ يَنشره اليه اللئام ، ويكرَه عليه الكرام ، منع الله به الظلم رأفة بكم ورحمة ، فما بالكم قلبتم الحكم وعكستم الحكمة ؟ ، تختلقون الرِّيَب ، وتطلقون على غضب ، وتسرِّحون بلا سبب .

ايها الناس ان كان الكتاب تسَمَّح ، فان الحديث قد لمَح ، هبوا ان الشارع اطلق الطلاق ، اتكــالا على الديــن والأخلاق ، اليس الموقف موقف حذر ، والمسالة فيها نظر ؟ أولئك امم النصرانية اصحاب الحضارة الحاضرة ، حــرم الطلاق دينهم ثم حللته قوانينهم ، ولكنْ باشراف قضاة يحمون نظم الزواج من عبث الخاصة ، وجهالة العامة » .

اما بعــد

اما بعد : فهذه لمحــة من مقومات الأسرة وعوامل سعادتها ، نرجو أن تكون فيها عظات وعبر وذكرى ، ليقوم صرح الوطن العربى على دعائم متينة ، ولبنات سليمة ، فانه لا خير يرتجى من مجتمع تَصلَى أسره بنار الشقاء ، ولا خوف على مجتمع ترفرف السعادة على أسره افرادا وجماعات . ■■

احمد الحوفى

ظريف ومغنيتان

● كان لرجل ظريف مغنيتان ، احداهما حاذقة حسنة الغناء والاخرى متخلفة لا يحب أن يسمع لها صوتا . وكان اذا غنت الاولى طرب واشتد به الطرب ، حتى انه ليشق قميصــه ويمزقه من فرط التأثر والاهتياج . فاذا أخذت الاخــرى تغنى ، قعد يخيط قميصه ويرتق ما تمزق منه !

الموت

بقلم : عبد الحسين حسن الشطرى

قبل البدء بالكتابة عن الموضوع ، أود ان انقل اليكم ما قاله بعض الفلاسفة والمفكرين والشعراء فى الموت وحقيقته .

قال الامام علي (ع) : « استهينوا بالموت فان مرارته من خرفه » .

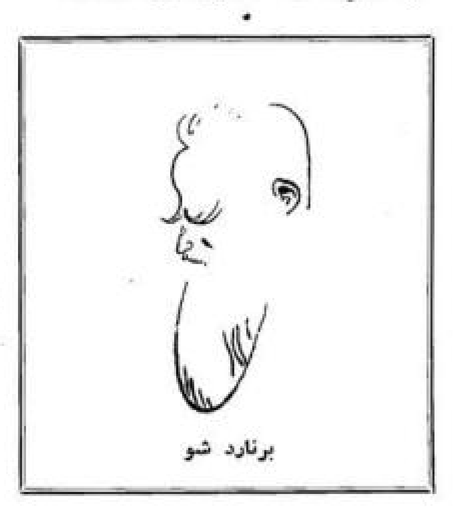
وقال فيلسوف الشعراء ابو العلاء المعرى :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجـ ـسم فيها والعيش مثل السهاد

وقال الشاعر ابو الطيب المتنبي :

وما الموت الا سارق دقّ شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

.


برنارد شو

وقال الفيلسوف الساخر (برنارد شو) حينما بلغ الثالثة والتسعين من عمره :

« ان الموت يطرق الباب وهو ضيف لا ارفض الترحيب به » .

وقال الفيلسوف الاغريقي ارسطوطاليس » :

« ان الموت والحياة سواء » .

فقال أحدهم : « ما دام الأمر كذلك .. فلم لا تقتل نفسك ؟ » .

فأجاب : قلت انهما متساويان .. ولم أفضل الموت على الحياة » .

وقال الفيلسوف المتشائم الساخر شوبنهور :

رِحْلَةٌ هَادِئَةٌ إِلَى الحَيَاةِ الأُخْرَى

« لله ما اعجب الموت لا يكاد يمس الحي بأطرافه الباردة حتى تنقلب تلك القوة المفكرة المدبرة الفعالة الى جمود الصخر ، يلقي بها في جوف القبر الصامت وكأنها بعض تربته ! » .

ومع ذلك فان هذا الفيلسوف كان يخاف الموت ويهرب من الطاعون . وكان لا يسلم وجهه اطلاقا الى حلاق مخافة ان يذبحه او يجرحه . وكان ينام والى جانبه مسدساته محشوة للاطلاق ولسان حاله يقول .. ان الحياة نقمة لا تحتمد ، ومحنة لا تطاق .

يروى عن سليمان بن عبد الملك انه سال يوما ابا حازم ، قال : يا ابا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ فاجاب : لانكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فكرهتم ان تنتقلوا من عمران الى خراب ..

ويروى ايضا عن الاسكندر المقدوني انه جمع يوما حكماء زمانه وسالهم قائلا :

متى يصح للانسان ان يفكر في استقبال الموت ؟ .

فاجابه احدهم :

متى قضى الانسان حياة صالحة نافعة ، وفرغ من اداء جميع واجباته وتحقيق سائر اهدافه ..



نيتشه

ماذا يحس الانسان الذى يتوقف قلبه بالتوقف عن النبض ايذانا بالموت ؟

ان الموت الطبيعي باقرار الأموات الذين اعيدت لهم الحياة ، وبشهادة من لازموا المحتضرين في ساعاتهم الأخيرة ، خال من الألم والعذاب . وان الحجاب بين العالمين ليس الا سحابة رقيقة يمر الانسان من خلالها دون ان يشعر بها .. هناك مئات من الأشخاص الذين فقدوا الحياة ثم اعيدت لهم، لم يشر واحد منهم

الى وجود الألم والعذاب ساعة الاحتضار .. فهذا احدهم يقول « لقد زال من امامي كل شيء فجاة وكنت حينئذ ممتلىء النفس بطمانينة عظيمة ، ولهذا فاني لن اخاف الموت مرة اخرى » .

وحينما اشرف العالم المبتدع الأميركي الشهير « اديسون » Edison على الموت لاحظ طبيبه الخاص انه يحاول ان يقول شيئا فانحنى عليه وسمعه يقول بوضوح وبانفاسه الأخيرة « يا لجمال ما ارى هناك .. ! » .

وساءت صحة الفيلسوف الانكليزي الساخر « برناردشو » وهو راقد في المستشفى على اثر كسر ساقه بسبب تسلقه شجرة لتشذيبها في حديقته . تقول المسز بانش سكرتيرته التي كانت ترعاه وتقرأ له الخطابات والتلغرافات التي تسأل عن صحته وترجو له الشفاء .... « ان الموت غشي وجهه بهدوء رائع كأنه قد مات هانئاً ، اذ قد ادى عمله وانجز واجبه نحو الحياة » . وكان عمره حينذاك ٩٤ سنة .

يقول الدكتور ليسلي ديترهيد الانجليزي عندما جلس ذات مرة بجانب فراش مريض يحتضر وهو ماسك بيده :

يبدو اني امسكت يده بقوة لانه قال لي : « لا تجرّني .. فان الطريق الذى اسير فيه يبدو جميلا ورائعا » .

وهناك الموت المعجّل : وهو الذى يجيء قبل الأوان نتيجة التعرض لشتى الأمراض والحوادث الطارئة ، وهنا يستطيع الطبيب ان يقوم بوسائل العلاج والوقاية في الوقت المناسب .

اما الموت الطبيعي : فهو الذى يدرك الناس في نهاية اعمارهم ، وهذا له أجل محتوم وكتاب مختوم ، ولا يستطيع الطب ان يضيف اليه صفحة جديدة ..

الموت في نظر الفيلسوف الالماني نيتشه :

يقول الفيلسوف الالمانى نيتشه Nietzsche حذار ان تقول ان الموت مضاد للحياة .

فهو في نظره جزء من الحياة .. ثم يستطرد ويقول :

فهذه الحياة هي كل شيء وليس الموت الا جزءا مكملاً لها . اما الجزع مما بعد الموت فليس له ما يبرره ، لأنه ليس بعد الموت شيء. ما بعد الموت لا يعنينا.

نحن لا نستغرب من هذه الآراء الصادرة من شخص ملحد كان يقول « ان الله قد مات » ثم يقول « نيتشه » : ان الموت نوعان :

١) موت طبيعي: وهو الظاهرة الطبيعية التى لا مفر منها ، ولا حيلة للمرء في دفعها،وهو موت لا دخل لارادة المرء فيه. وهو موت في وقت غير مناسب يتهادى في خبث وهدوء كاللص . فلا داعي للجزع منه مطلقا . وهو موت الجبناء كما يسميه ، وما أبغضه الى المجاهدين والظافرين .. !

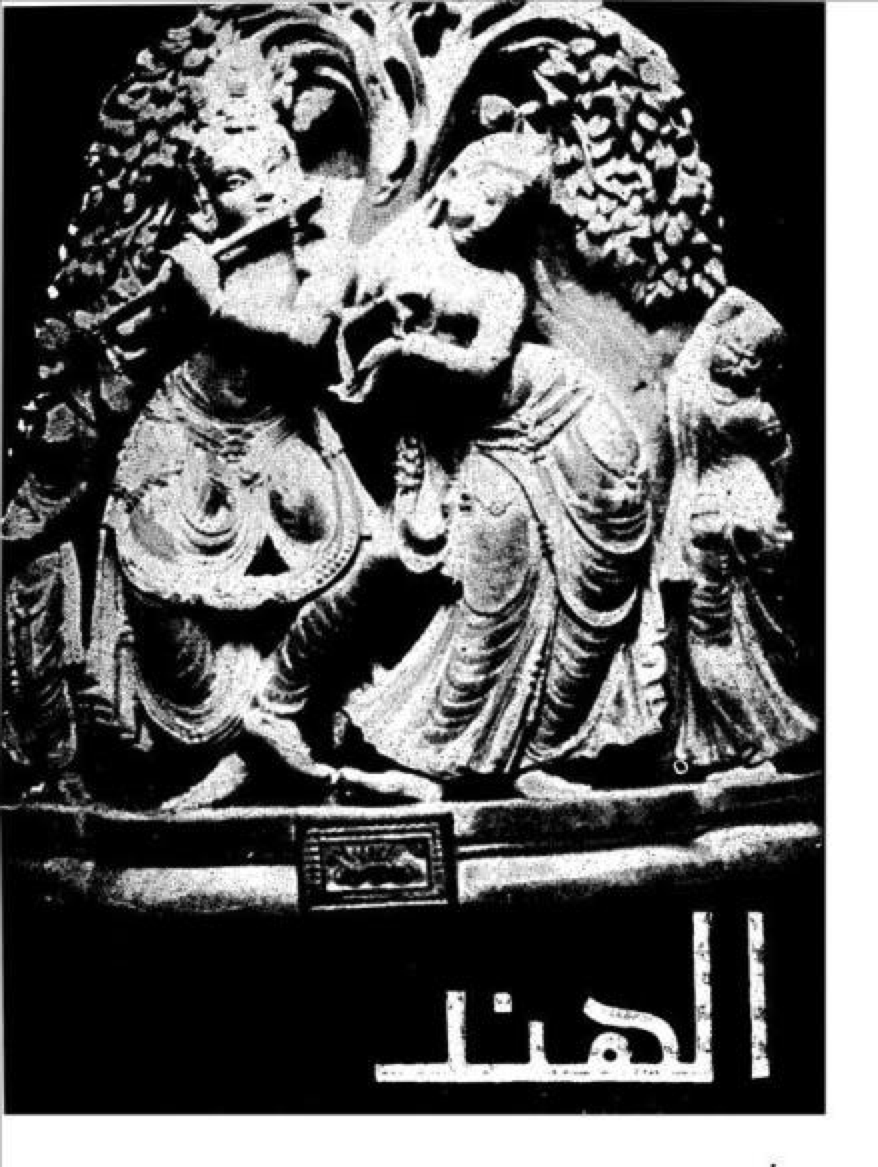
٢) موت ارادى : (وهو الانتحار) وهو موت في الوقت المناسب ، وهو اعظم واروع من الموت الطبيعي ، بل هو موت البطولة ، لذلك يدعو اليه « نيتشه » ويقول على لسان زرادشت « مُت في الوقت المناسب » .. كذلك يقول نيتشه : « من يمت موتا اراديا يمت ظافرا » ... واجل شيء أن تموت ، ثم ان يكون موتك وسط الجهاد باذلا فيه نفسا كبيرة سامية . لأن الموت الارادي عمل من أعمال الحياة وهو موت صادر عن البطولة .. بل أجمل الأعياد هو الموت الارادى ..

آراء غريبة ، لا شك في ذلك ولكنها على كل حال آراء تذكر ، ولو تنكر .

والخلاصة ان الموت ذاته سهل هين مريح ، وليس فيه ما يؤلم او يزعج أو يخيف .. فيجب علينا أن نغير نظرتنا الى الموت ، ولا نرى فيه حالة من حالات الايلام او العذاب ، بل نراه على حقيقته مجرد رحلة هادئة الى الحياة الأخرى .

■■

عبد الحسين حسن الشطرى
الكاظمية ـ بغداد



آلهتها وطبقات مجتمعها

بقلم : مهدى الحكيم

■ الهند بلاد الاسرار والاساطير ، ومجتمع لشعوب كثيرة وطبقات . بل هي مجتمع لمجتمعات ، واقطار متعددة في قطر . تكثر فيها الاديان والنحل ، وتتعدد على أرضها الالوان واللغات .. والهند مرتع خصب للغرائب والاعاجيب ، فما ان يذكر اسمها حتى ينتقل الخيال الى ميادين شتى من المتناقضات والمفارقات .. فلها كل الاجواء بسبب اتساعها وتفاوت ارتفاع بقاعها ، فبينما يكون الحر

الملتهب في سواحل « مليار » و « كور » و « مندل » « وسهول » « البنجاب » ، ترى الربيع الساحر ينتشر على بعض القمم والهضاب والثلوج الناصعة تغطي شواهق الجبال . وبينما يغمر الفيضان بعض الارض ترى مناطق اخرى اعيا أهلها الظما والجفاف . وبينما تشاهد الصحاري الجرداء والارض القاحلة ، اذ بك تبصر الغابات الكثيفة والمروج الخضراء والمزارع الفينانة ..

وهكذا كثرت فيها الاجواء ، وتعددت العناصر والمشاهد ، وبرزت الطبيعة باقصى فتنتها فكانت رائعة .. وتجلت باعظم جبروتها فكانت مدمرة .. وشعر الهندي منذ القدم بضعفه ، وباحاسيس متنافرة تعتلج في نفسه ، فهي ـ تارة ـ اعجاب وتامل ، وهي ـ تارة ـ رهبة وخوف .. وازداد ضغط المشاعر في دخيلته أمام تلك المظاهر المتنوعة والقوى الجبارة وهو يقابلها وجها لوجه ، فكان ان طفق يعبدها ويسترضيها ، بالصلاة الحارة والادعية والاوراد ، او بالاضاحي يقدمها للتماثيل التي جسدها خياله وصاغتها يداه رمزا لهذه القوى والمظاهر . وأصبح الهندي ـ على ممر القرون ـ متدينا بطبعه يشغف بالروحانيات ويسعى دائبا الى المعرفة . ثم ما عتم ان اخذ الزهد وسيلة ليتخلص من دنيا المادة وينتظم في عالم الروح (١) .. وهيهات ان تجد هندوسيا لا يعبد عددا من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها ، حتى انه ليكاد يتوجه بصلاته الى كل شيء (٢) فكل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة اله يعبد . لقد كان عدد الآلهة في « الويد » ثلاثة وثلاثين ، ولكنها أخذت تزداد شيئا فشيئا حتى بلغت اوجها في القرن السادس الميلادي فاصبحت ثلاثمائةوثلاثين مليونا ، وارتقت صناعة التماثيل ارتقاء عظيما ، حيث عكف اهل البلاد جميعا من الملك الىالصعلوك على عبادتها (٣) ، فلكل صنمه الخاص يعبده ويتبرك به ومن ثم يستمد منه العون والتوفيق .

في « الهندوسية » تتمثل تقاليد الهند

ولعل « الهندوسية » أو « الهندوكية » ـ كما يسميها آخرون ـ تظهر لنا الملامح الحقيقية لوجه الهند ، فعلاوة على أنها ديانة الجمهرة العظمى من المواطنين ، وانها قامت على انقاض « الويدية » ، وتشربت افكارها واساطيرها المختلفة ، فانها تكاد تكون أسلوبا في الحياة اكثر مما هي مجموعة من العقائد . وتاريخها يوضح استيعابها لكثير من المعتقدات والفرائض والسنن . كما ان صيغها ليست محدودة المعالم ، ولذا تشمل من العقائد ما يهبط الى عبادة الاحجار والاشجار ، وما يرتفع الى التجريدات الفلسفية الدقيقة (٤) .

وفي « الهندوسية » تتمثلتقاليد الهنود وعاداتهم واخلاقهم وصور حياتهم ، ذلك لانها دين متطور ومجموعة من التقاليد والاوضاع تولدت من تنظيم الاريين لحياتهم جيلا بعد جيل ، منذ ان وفدوا على الهند وتغلبوا على سكانها الاصليين ، واستاثروا ـ دونهم ـ بالحكم وبتنظيم المجتمع (٥) .

سهولـة انتحال الهندوسي لدين جديد

فلا غرابة ـ اذن ـ عندما نشعر بالسهولة التي يبديها الهندوسي في انتحال دين جديد ، مع محافظته على دينه القديم في الغالب . فهو مستعد بطبيعته الى اعتقاد كل شيء . واذا ما رضي بآلهة جديدة لا يعني ذلك ـ على العموم ـ انه ترك الآلهة القديمة ، وانما يؤدي الى زيادة عدد آلهته . ويعمل الهندسي تارة بأوامر آلهة وتارة بأوامر آلهة اخرى ، وذلك على حسب ما تمليه عليه حرفته او طراز عيشه أو احدى المصادفات (٦) .

وقد تؤدي المطالعة السطحية الى تقسيم الهند نظريا الى ديانتين كبيرتين او ثلاث ولكن الحقيقة ان عدد دياناتها يبلغ الالوف عمليا .. ففي الهند آلهة جديدة تحسب تقمصات لآلهة قديمة تحيا

---

(١) انظر « اديان العالم الكبرى » للاستاذحبيب سعيد ص ٢٤ .
(٢) حضارات الهند لغوستاف لوبون ص ٣٦٨ .
(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ لابيالحسن الندوي الهندي ص ٤٧ .
(٤) انظر « الهند والغرب » ص ١٨ .
(٥) اديان الهند الكبرى ص ٣٩
(٦) حضارات الهند ص ٦٢٥ .

وتموت كل يوم ، فيؤلف عبادها ـ من فورهم ـ طائفة جديدة متشددة في احكامها كبقية الطوائف(٧).

نزعتا التوحيد والتعدد في الهندوسية

وعلى كل ففي التفكير الهندوسي فيما يختص بالاله نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف ، هما نزعة التوحيد ونزعة التعدد ، وان كانت الثانية ـ كما ذكرنا ـ اقوى واكثر انتشارا . ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون احيانا الى التوحيد أو الى اتجاه قريب منه ، فقد كانوا اذا دعوا الها من الهتم او اتوا عليه أو تقربوا اليه بقربان ، اقبلوا عليه بكل عواطفهم حتى يغيب عن اعينهم سائر الآلهة والارباب ويصبح الههم هو ذلك الاله لا غير ، حتى اذا عطفوا الى غيره أقاموه مقامه وجعلوه رب الارباب واله الآلهة تعظيما واجلالا لا تحقيقا وايقانا ، فهذا التعبير « رب الارباب او اله الآلهة » كان في بادىء امره يدل على العظمة والجلال ، فلما مضت القرون على هذا النحو اصبح هذا التعبير ثابت المعنى ، اى انهم اعتقدوا فعلا أن في صف الآلهة رئيسا ومرؤوسين وآمرا ومأمورين ، وان الرئيس والآمر هو وحده الذى يتحلى بهذه الصفات والنعوت ، وهي ثابتة له ولا تنتقل الى سواه وجميع الكائنات بيده، وسائر الآلهة تحت أمره(٨).

الثالوث الهندى

وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود الى ابراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل اليه . فقد جمعوا الآلهة في اله واحد ، وقالوا انه هو الذى أخرج العالم من ذاته ، وهو الذى يحفظه الى ان يهلكه ويرده اليه، واطلقوا عليه ثلاثة اسماء : فهو « براهما » من حيث هو موجد ، وهو « فشنو » من حيث هو حافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك (٩) .

أسوأ ما امتازت به الهند هو نظام الطبقات

ولعل أسوأ ما امتازت به الهند وتفردت به من بين شعوب العالم كافة ، هو ذلكم النظام الطبقي الجائر الذى داس الكرامة الانسانية وعفر جبينها في الرغام ، حيث جعل اكثر من نصف الهند امة منبوذة ، مهضومة الحقوق ، ليس لها وظيفة في الحياة الا خدمة أسيادها من سائر الطبقات .

ويرجع هذا النظام الى أواخر العهد الويدى ـ كما يرى ذلك جمهرة من الباحثين ـ اذ بدت طلائعه تحت تأثير الحرف والصنائع وتوارثها ، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الارية ونجابتها . وقبل الميلاد بثلاثة قرون ازدهرت الحضارة البرهمية في الهند وحينئذ وضعت شرائع جديدة ، اصبحت ـ فيما بعد ـ مرجعا دينيا ومدنيا للبلاد . ثم جمعت هذه الشرائع في كتاب عرف باسم « منودهار ماسسترا » أو «منوسمرتي» اى : شرائع منو . وفي الباب الاول من هذا الكتاب يقسم مؤلفه اهل البلاد الى طبقات اربع ، فيقول : « لصلاح هذا العالم وفلاحه ، خلق الاله الاعظم برهما الفرق الاربع من وجهه وذراعيه وفخذيه وقدميه » (١٠) .. وبناء على ذلك فقد فرض على كل فرقة من هذه الفرق واجبات لا يمكن أن تحيد عنها ، كما خول لبعضها حقوقا مقدسة باختلاف العضو الذى خلقت منه ، ومنزلته من حيث القداسة والرفعة .

طبقة البراهمة وخصائصها

وبما أن البراهمة خلقوا من أشرف وأطهر عضو وهو الوجه ، فلهم اذن حقوق يمتازون بها على غيرهم من سائر الطبقات ، بل سائر المخلوقات .. لذلك فقد عهد اليهم بقراءة اسفار « الويدا » المقدسة وتعليمها وتفسير شرائعها وقوانينها وتقريب القربان وادارة الضحايا(١١) الى غير ذلك من مهام .

---

(٧) المصدر السابق ص ٦٥٤ .

(٨) اديان الهند الكبرى ص ٤٨ .

(٩) دروس في تاريخ الفلسفة ص ١٢ للدكتورين : ابراهيم مدكور ويوسف كرم .

(١٠) منوسمرتي أو كتاب الهندوس المقدس ترجمة احسان حقي ـ الباب الاول ـ فقرة ٨٧ .

(١١) قصة العقائد بين الارض والسماء ، لسليمان مظهر ص١٢ ، وانظر « منوسمرتى » الباب ١ فقرة ٨٨ .

كما جعل كل ما في العالم ملكا لهم .. فالبرهمي - وان سرق واقترف الذنوب كافة - انما يأكل من ماله ، ويلبس من ماله ، ويتصدق من ماله وغيره يعيش بفضله.(١٢) وان حضور برهمي في مجلس ما ، يطهر أهل المجلس جميعا ، كما يطهر سبعة اجداد لهم ، وسبعة ابناء . وهو وحده خليق بهذه الدنيا وما عليها (١٣)..والبرهمي خليق بكل احترام، سواء أكان عالما ام جاهلا ، شأنه شأن النار سواء اكانت لعمل (يكيه) أم لم تكن ، كما يجب تعظيمه على كل حال ، وان مارس كل الاعمال الدنيئة ، لان كل واحد من البراهمة اله (١٤) .

واجبات الملوك تجاه البراهمة

اما عن واجبات الملوك تجاه البراهمة ، فاليك انموذجا منها : - على الملك ألا يغضب البرهمي حتى ولا في أوقات المصائب ، لانه ان فعل ذلك ، فانه يبيده مع جيشه ومراكبه !! وكيف ينجو من الهلاك من يغضب ذلك الرجل الذى جعل النار تهلك كل شيء، وجعل ماء البحر اجاجا غير مشروب وانقص القمر وزاده ؟ وكيف يفلح من يؤذى ذلك الرجل الذى يستطيع أن يخلق عالما آخر وآلهة يحفظونه ، والذى يستطيع ان يغير اماكن الالهة ؟!! وعلى الملك الذى يشعر بدنو اجله أن يهب كل امواله التى اخذها من الغنائم للبراهمة ، كما على البراهمة ان يوقفوا الكشتريين - والملوك من هذه الفرقة - عند حدهم اذا ارادوا أن يعلوا عليهم لان الكشتريين خلقوا من البراهمة . وأخيرا لا يفلح الكشترى بغير برهمي ولا هذا بغير ذلك،وباتحادهما يفلحان في هذا العالم وفي العالم الثانى (١٥) .

طبقة الكشترية للحرب وحماية الشعب

والكشتريون - وقد خلقوا من ذراعي الاله - والذراعان هما رمز القوة والبأس - فلا عجب ان يكون منهم الملوك والمحاربون ، وان تكون ابرز واجباتهم حماية الشعب والدفاع عنه . وليس لهم حرفة اخرى يحترفونها . وعليهم أن يقرأوا في الكتب المقدسة شريطة ألا يعلموها لأحد،اذ لا يجوز لهم ذلك لانه من حقوق البراهمة (١٦) .

طبقة الويش لتربية الماشية ولسائر الصناعات

ثم يأتي بعدهم « الويشيون » الذين خلقهم برهما من فخذيه، وهؤلاء عليهم أن يقوموا بتحصيل أرزاقهم بكدهم وجهدهم ، بما فرض عليهم من أعمال أهمها تربية الماشية « لان اله المخلوقات ، كما عهد بالمخلوقات حين خلقها الى البرهمي والكشترى ، فكذلك عهد بالماشية وتربيتها الى الويش » . كما على الويش أن يكون عالما بكيفية بذر البذور ، وبصلاح الارض وفسادها ،وبالمقاييس والمكاييل ، وعليه - فوق ذلك - ان يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبهارات ، وان يلم بحالات البلاد وبطرق التجارة واساليبها وباصول البيع والشراء . وعليه أن يجهد نفسه لتنمية امواله بالطرق المشروعة ، وان يطعم كل المخلوقات (١٧) .

طبقة الشودرا للخدمة فقط

أما الفرقة الرابعة التى أوجدها « برهما » من قدميه - كما يقولون - فتسمى « الشودرا » ، وهي طبقة حقيرة ، ليس لها شغل في « شرائع منو » الا الامتثال المطلق لاوامر اسيادها البراهمة وخدمتهم ، لان ذلك افضل عمل يحمدون عليه . ولا يجوز للشودرى ان يجمع ثروة ايا كانت ، وان كان على ذلك من القادرين . لانه اذا جمع المال فسيتيح له ذلك ان يطاول البراهمة بوقاحته . واذا كان الشودرى لا يستطيع تحصيل قوته بخدمة البرهمى فله أن يخدم الكشترى او الويش الغنى . وهو أن علا فوق من هو اعلى منه بيده أو عصاه قطعت يده . وهو اذا نادى من هو اعلى منه باسمه او اسم طائفته متكلما فعقابه أن يدخل في فمه

---

(١٢) منوسمرتى الباب ١ فقرة ١٠٠ و ١٠١ .

(١٣) المصدر نفسه الباب ١ فقرة ١٠٥ .

(١٤) المصدر نفسه الباب ٩ فقرة ٣١٨ - ٣٢٠ .

(١٥) الباب ٩ (منزلة البرهمى) .

(١٦) باب ١ فقرة ٨٩ وباب ١٠/١ .

(١٧) منوسمرتى الباب ٩ فصل (واجبات والشودر) ص ٥٧٦ .

سفود من حديد محمي بالنار طوله عشر اصابع . وللملك ان يامر بصب زيت حار في فمه واذنيه اذا بلغ من الوقاحة ما يبدى به رأيا للبراهمة في امور وظائفهم . وان جلس الشودرى في مجلس الفرق العالية يجب ان يكوى بالنار على وركه ، ويجلى عن البلاد . وللملك ان يامر بقطع اليته ان شاء ذلك (١٨) .

هذا وقد يحدث ان يعتدى رجل من (الشودرا) على عفاف زوجة برهمي ، فاذا حدث هذا صودر كل ما يملكه ، وانزل به عقاب يجعله لا هو بالذكر ولا بالانثى . واذا قتل زميلا له كان عليه ان يكفر عن جريمته بعشر بقرات يهبها للبراهمة ، اما اذا قتل أحدا من (الويش) فكفارته للبراهمة مائة بقرة ، واذا قتل احدا من (الكشترا) ارتفعت الكفارة الى الف بقرة يعطيها للبراهمة ، أما اذا قتل برهميا فلا بد من قتله . لان العقاب بالقتل لا يكون الا لقتل برهمي (١٩) .

مم خلق المنبوذون ؟

واخيرا ، بقى قسم من سكان الهند لم يدخلوا في هذا التقسيم ، ولم يكونوا احدى طبقات المجتمع الهندوسى ، اذ لم يعدوا منه ولم يرد لهم ذكر في اسفارهم المقدسة .. أولئك هـم المنبوذون .. ونحن لا ندرى ، ولا البراهمة يدرون ، مم خلق هؤلاء ؟ ومن أى عضو من أعضاء «برهما» انبثقوا ؟ اذ لم تبق جارحة ـ كما رأيت ـ الا واوجد منها طبقة ، فلعلهم وجدوا من حذائه أو ـ ان شئت ـ لعلهم جاءوا على حين غفلة منه ؟؟ او ان الها آخر غيره خلقهم ؟ فما أكثر الالهة عند الهندوس !!

مستوى أدنى من مستوى الحيوان

هؤلاء المنبوذون هم سكان الهنـد الاصليون ، الذين لا يجرى في عروقهم الدم الطوراني او الدم الارى ، وهم يسمون « زنوج الهند » . لقد حرمهم المجتمع الهندوسى حقـوق الانسان ونزل بهـم ـ احيانا ـ الى مستوى ادنى من مستوى الحيوان، ولم يسمح لهم بان يعتنقوا الهندوسية او يتخلقوا بآدابها ، بل تركهم في حياة همجية مريرة ، ومن ثم اتجهوا في تدينهم الى الامور البدائية .. واصبح دينهم اشبه بعبادة الارواح التى اعتصمت بهـا الاقوام الفطرية الساذجة . فاعظم الالهة في مجتمعهم ربما كان كومة من الاجر تمثل ام القرية او شيطانها، ذلك الذى يمنح الخصب للعواقر ، ويحمى المحصول من الافات ويرعى القرية بعنايته ورعايته . وقد يكون للمنبوذ فكرة غامضة مبهمة عن كائن سـام عظيم ، ولكنه ـ الى جانب ذلك ـ يؤمن بجملة من الارواح الشريرة (٢٠) .

هذه الطوائف تشعبت الى فروع عديدة

وهذه الفئات الانفـة تفصل بينهـا الحواجز والوهاد العميقة ، الا انها تلتقى بعض الشيء في الاعتقاد بالالهة وتقديس البقرة ، والخضوع للنظام الطبقي عن ايمان به ، كما تعتقد ان البراهمة هم ملجأ الجميع في حالات الميلاد والزواج والوفاة(٢١). وتجمع الطبقات الثلاث الاولى ـ عدا الشودرا ـ صفة واحدة مشتركة هى كونهم ولدوا مرتين . وذلك على حسب مبدأ « التناسخ » الذى يعتقده الهندوس(٢٢). هذا المبدأ الذى يقف حاجزا ضخما بين طائفة وطائفة ، يمنع احداها ان تختلط بالتى هى ادنى ، ويزجر الاخرى عن ان تفكر ـ ولو في الخيال ـ بالارتقاء الى مستوى التى هى ارفع .

ولا تقتصر طبقات الهندوس وقفت عند هذا الحد، فلقد تشعبت كل طائفة منهـا الى فـروع تبلغ المئتين عدا . وكل فرع يكاد ينفصل عن الاخر ، اذ لا تزاوج بينهم ولا تخالط على طعام او شراب . وكل حرفة او مهنة تظهر بينهم تكون طائفة جديدة لها حياتها الخاصة ، وتقاليدها الخاصة ، ومظهرها الخاص (٢٣) .

للحديث تتمة .. ■■

مهدى الحكيم

---

(١٨) المصدر نفسه الباب ٨ ، فصـل (قضايا الاهانة والتحقير) وفصل (احكام الزنا والفحشاء) وانظر الباب العاشر ، فصل (وسائل اكتساب الرزق) .

(١٩) قصة العقائد بين السماء والارض ص١٣ـ١٤ (٢٠) أديان الهند الكبرى ، ص ٥٢ .

(٢١) المصدر نفسه ص ٥٦ . (٢٢) انظر «منوسمرتى » الباب الاول فقرة ١٠٨ مع مراجعة الهامش . وانظر الباب العاشر ايضا فقرة ٤ .

(٢٣) الهندوسية ونشأة الطبقات أ.ب. هافل/تاريخ العالم/المجلد الرابع ص٤٣٦ .

كُلْيَة سَلِيمَة مَكَانَ كُلْيَة سَقِيمَة

■ الكليتان ظاهرتان في الصورة ، او ظاهرة احداهما ، وظاهر من الأخرى المريضة موضعها بعد ان اخرجت من الجسم لتحل محلها اخرى سليمة . والموضعان متماثلان بالنسبة لسلسلة الظهر ، واحدة الى يمينها، والأخرى الى شمالها . ويأتي الكلية شريان من فوق من القلب، لونه أحمر، ويدور فيها بالدم، ثم يخرج من الكلية يستكمل دورته الدموية . ولكن الدم وهو فى الكلية ، يترشح ، فتأخذ الكلية منه ماء ، وبه مواد لا بد من تخليص الجسم منها . فهذا هو البول. والكلية تصبه في الحالب وهو قناة البول ، وهذه القناة تجرى به الى اسفل لتصبه في المثانة ، وفيها يختزن البول حتى يشعر صاحبها بالحاجة الى التبول فينطلق للبول الطريق .

في المرض

وقد تمرض الكلية ويبلغ بها المرض ان تصبح عاجزة عن تخليص الجسم من مواد تصيب الجسم بالمرض لو بقيت تتراكم في الدم . وفي هذه الحالة تزاح الكلية بالجراحة ويكتفي بالكلية الأخرى، وهي عادة تتضخم اذا بقيت سليمة ، وتقوم بالواجب . ولكن يحدث ان تصاب الكليتان ، ويصبح الموت حقا .

وفي هذه الحالة لا بد من استبدال كلية صحيحة ، من متبرع بها صحيح الجسم، لهذا المريض ليخلصه من الموت. وقد يكون الواهب اخا او اختا او ابا . او رجلا متطوعا رجاء رحمة الله .

الجراحة اللازمة

وعندئذ يقوم الجراح باستئصال الكلية المريضة، ووضع السليمة الموهوبة مكانها . وهي جراحة تحتاج الى مهارة ، وهي نتيجة تجارب وابحاث عدة جرت في السنوات الأخيرة ، تكللت بالنجاح ، من حيث عيش المريض بعد الجراحة اياما وأسابيع ، وفوق ذلك .

وهذه الجراحة ، منسوبة الى الجراحات الأخرى التى تتطلبها اشباه لها من الجراحات ، التي يستبدل فيها عضو بعضو ، ابسط الجراحات ، وذلك بسبب بساطة الاتصالات الدموية والعصبية التى بين الكلية والجسم .

عقدة صعب حلها

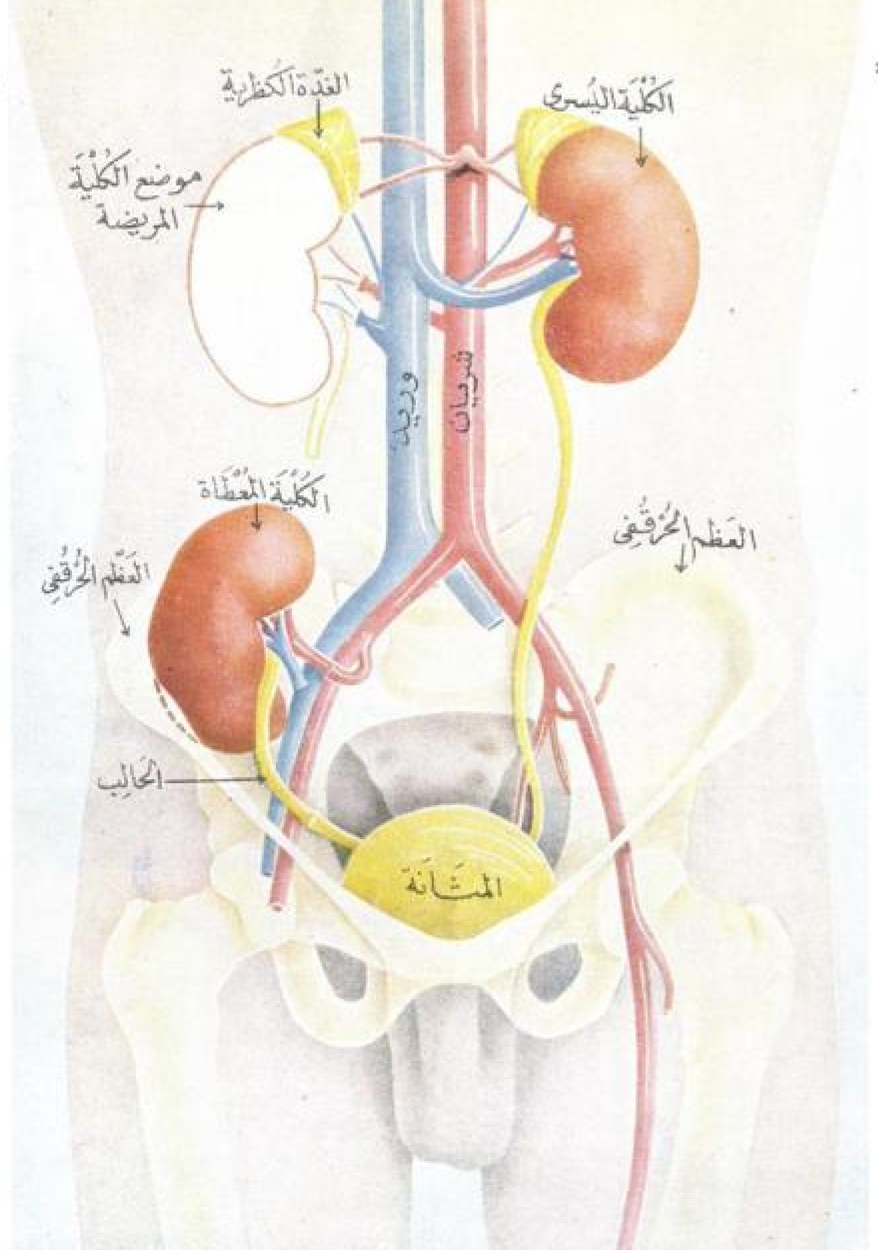
وفى ختام عام ١٩٦٣ بلغ عدد الكليات التى استبدلها الجراحون بكليات مريضة اكثر من ٣٠٠ كلية في العالم كله . ونجحت كلها ، وعاش من نقلت اليهم ، ولكن عيشا مؤقتا ، الا اذا كان المنقولة اليه الكلية واهبها اخ له توام مطابق .

والسبب في هذا ، المناعة التى في الجسم .

ان الجسم الذى يدخله مكروب لايلبث ان يستيقظ الى تخليق مواد تضاد المكروب وتهاجمه، وتضيق عليه الحياة، وتميته وتفنيه . وكل جسم غريب ، حتى مادة صحية تنقلها من جسم انسان الى آخر ، يقوم الجسم بدفعها وبرفضها لأن جسمه لم يألفها .

وكذلك هو يرفض الكلية التى تأتيه من الغير . وقد لا يظهر رفضه اياها على الفور ، ولكن على الزمن وان طال .

انها حصانة المرء الطبيعية تعمل على



الحال السوية ؛ فتكون ضرورة للدفاع ضد أسباب الامراض التى تغزو الجسم. ثم يبتدع الانسان احلال العضو السليم مكان السقيم ، فيقوم الجسم يحتج كانما هو المكروب ذاته ، يراد ادخاله اليه .

ولكن للعلماء سبل لتخطى كل العقبات ومنها هذه الحصانة التى هى فى غير موضعها .

وسوف نأتى في فرصة اخرى على كلمة فيها .



التعاون

نظام شعاره: الفرد للمجتمع، والمجتمع للفرد

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ كنا فى طريقنا الى السوق ، فى أوائل شهر يونيه (حزيران) الماضي . وكان قصدنا القيام بمحاولة جديدة للعثور على بعض الحاجات الضرورية التي ارتفعت اثمانها كثيرا فاختفت من الاسواق أو كادت . وفجأة وقع بصرنا على اعلان صغير قرأنا فيه ما يلي :

« نطمئن عملاءنا الكرام الى أن لدينا كميات وفيره من شتى البضائع التي نبيعها ، وان أسعارنا لهذه البضائع جميعا هي هي لم تتغير ... ! »

ولا تسل عن مدى الارتياح والاطمئنان الذى ادخله هذا الاعلان الى نفوسنا . فضلا عن ذلك فقد أغنانا عن مشقة ارتياد الاسواق التي كنا متوجهين اليها ، وشددنا شدا الى حيث استطعنا شراء السلع التى نشاء ، ما وسعنا الشراء ، وبالاثمان الاصلية المعتدلة دون عناء ... شدنا الى مجمع للبيع ، تابع لاحدى الجمعيات التعاونية فى الكويت، وعددها سبع . وهذا حدانا الى التعامل معها ، وحدانا الى استطلاع شؤونها وأحوالها ، واستجلاء نظمها ومبادئها ، والاجتماع بعدد من القائمين عليها والخبيرين بأمورها .

جولة فى تعاونيات الكويت خاطفة

وسألنا فعلمنا ان اقدم هذه الجمعيات فى الكويت هي جمعية حي كيفان . وأن أحدثها هي تعاونية حي القادسية . اما أكبرها فجمعية حي الشامية ، وقد اندمجت فيها مؤخرا جمعية حي

تقدم حكومة الكويت الى كل جمعية من جمعياتها التعاونية مجموعة من المباني لقاء رسوم رمزية زهيدة . وتضم هذه المباني الى جانب القاعة الرحبة التي تشغلها السوق المركزية التعاونية عددا من المحلات الصغيرة والدكاكين ، بينها صيدلية ومخبز ومركز لبيع الاطعمة بالجملة وآخر لتنظيف الملابس وكيها ، الى غير ذلك . في هذه المباني الدليل على مدى ما تحظى به هذه الجمعيات من تشجيع الدولة في الكويت .

الشويخ المجاور لها . واصغر تلك التعاونيات هي جمعية وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . هذا ما عدا جمعيات اخرى ثلاثا هي جمعية صندوق التوفير وجمعية حي الدسمة وجمعية حي الفيحاء .

وكل هذه الجمعيات السبع هي من نوع جمعيات المستهلكين التعاونية . اى ان اعضاءها الذين يقومون بشؤونها هم المستهلكون . فهي تقوم اذن مقام التاجر الوسيط ، وتحول بالتالي دون استغلاله لاعضائها وعملائها من المستهلكين .

وتمارس هذه التعاونيات بيع بضائعها ، لا في مخازن صغيرة مقصورة على فئة من السلع محدودة ، وانما في اسواق مركزية جامعة Super markets . ولعل في شمول هذه الاسواق المركزية لمختلف الضروريات والكماليات ، وجمعها ، في مكان واحد ، بين المأكولات والاثاث والملبوسات ، وتلبيتها لحاجات عملائها المختلفة في جولة واحدة يطوفون بها ارجاءها يتجولون بين ارففها ، وتوفيرها عليهم بالتالي ما كانوا ينفقون من وقت ويتكبدون من عناء بتجوالهم في عدد من الاسواق وعدد اكبر من المخازن ، لعلهم يجدون ما يحتاجون وقد لايجدون .. لعل في هذا التركيز والشمول ما ساعد كثيرا على نجاح تعاونيات المستهلكين في الكويت وفي سائر البلاد .

وتحصل التعاونيات في الكويت على بضائعها باستيرادها مباشرة او بالوساطة من الخارج او بشرائها محليا على نطاق واسع . وقد يأتي يوم تستغني فيه تلك الجمعيات التعاونية عن الشراء المحلي من التجار ، خاصة وان هذا الشراء قد يتعارض وروح النظام التعاوني بالذات . وعسى ان يأتي ذلك اليوم الذى تصبح فيه جمعيات الكويت التعاونية قادرة على صنع ما تحتاج اليه ، بعضه بالاقل ، في مصانع تقيمها خصيصا لهذا الغرض .

نشأة الجمعيات التعاونية في الكويت

وعجبنا لانتشار نظام التعاون هذا في الكويت ، البلد الفتي ، وهو النظام الذى طالما عهدناه في دول قدم عهدها بالصناعة والنهضة والتجارة . بل حسبنا ان نهضة الكويت المباركة قد اقتصرت على الميادين التعليمية والصحية والعمرانية ولم تتعداها . الا اننا سرعان ما فهمنا الحقيقة .

فهمنا ان النهضة الحديثة في الكويت قد امتدت منذ فجرها الى مجال الخدمات الاجتماعية وان بوادر النظام التعاوني فيهذا البلد العربي الصاعد لاحت وبرزت قبل ظهور تلك النهضة ، بل قبل تدفق البترول في سنة ١٩٤٦ .

وكان ذلك سنة ١٩٤٢ حينما عمد طلاب المدرسة المباركية ، بتوجيه من بعض اساتذتهم ، الى اقامة جمعية الكويت التعاونية الاولى . ولم يلبث ان حذا حذوهم طلاب بعض المدارس الاخرى . فلم



العليا الى اليمين :
قسم الملابس الجاهزة ويلاحظ أن سوقها محدود في جمعيات الكويت التعاونية .

الى اليمين :
وتنتشر ألعاب الأطفال ولعبهم بمساحة من أكبر المساحات في كافة التعاونيات .





فوق: تحتل الأطعمة المعلبة مكان الصدارة بين السلع التي تبيعها الجمعيات التعاونية في الكويت وسبب ذلك ان البلاد ليست زراعية .

الى اليسار : تأتي العطور ومواد الزينة وما اليها في طليعة ما تبيعه جمعيات التعاون من كماليات .

تكد تحل سنة ١٩٥٢ حتى كانت الجمعيات التعاونية قد شملت طلاب ثلاث مدارس اخرى هي مدرسة الصديق ومدرسة صلاح الدين ومدرسة الشامية.

واسست بعد ذلك تعاونية موظفي دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل سنة ١٩٥٥ ثم لحقت بها تعاونية موظفي دائرة المعارف .

وشملت الحكومة هذا النشاط برعايتها وفقا لنظام الاندية والمؤسسات الاجتماعية الصادر عام ١٩٥٥ . واستمرت الامور على هذا الحال حتى ظهر القانون الخاص بالجمعيات التعاونية بالذات والصادر برقم (٢٠) بتاريخ ١٩٦٢/٨/٦ .

وفي غضون السنة المذكورة ، ظهرت في الكويت جمعيتان من جمعيات التعاون بالمعنى الدقيق ، هما جمعية حي كيفان ، وراسمالها الاول ٤١٠٢١ دينار وجمعية الشامية وراسمالها ٣٨٤١١ دينار . ثم انشئت جمعية الشويخ التي اندمجت في جمعية الشامية سنة ١٩٦٦ اي بعد تاسيسها بثلاث سنوات ونيف . وظهرت بعد ذلك جمعية صندوق التوفير التعاونية سنة ١٩٦٥ براسمال اولي قدره ٣٠٠٠ دينار . اما جمعيتا الفيحاء والقادسية فقد ظهرتا سنة ١٩٦٦ وسنة ١٩٦٧ على التوالي وبراسمال بلغ ٣١٠٢٣ دينار بالنسبة الى الاولى و ٤٦٢٨٥ دينار بالنسبة الى الثانية .

الاربـاح

واسترسل محدثنا فتطرق الى مقومات الجمعيات التعاونية في الكويت ، بل في العالم اجمع .

وبدأ بالارباح وذكر ان جمعيات التعاون تعيد الى اعضائها الأرباح التي تجنيها وان هذه الارباح غالبا ما تكـون اقـرب الى الاعتدال مـن أرباح الشركات .

وتعيد الجمعيات التعاونية أو توزع أرباحها على اعضائها لا بنسبة ما يملكـون مـن اسهمهـا ولكن بنسبة ما يشترون من بضائعها وسلعها .

فقـد لا يملك العضـو من أسهمهـا الا سهما واحدا وقد يبلغ نصيبه من ارباحها ، مع ذلك ، اضعاف نصيب أحد كبار المساهمين فيها . ويعزى هذا الى مشتريات ذلك العضو من سلع جمعيته ، وقد تبلغ اضعاف مشتريات زميله المساهم الكبير .

ويوجد في مقر كل جمعية من الجمعيات التعاونية في الكويت صناديق صغيرة يخص كل واحد منها عضوا من اعضاء تلك الجمعية . ويحتفظ العضو بمفتاح صندوقه الذي يودع فيه ايصالات مشترياته. وتجمع مبالغ هذه الايصالات دوريا ويتم بذلك تحديد القيمة الاجمالية لمشتريات كل عضو من اعضاء الجمعية .

ثم يجرى توزيع الارباح على اعضاء الجمعيـة وفقا لتلك القيمـة الاجماليـة ، قيمـة مجموع ما اشتراه الواحد منهم من بضائع جمعيته . على ان الارباح التي يجرى توزيعها على هذا النحـو انما هي الارباح الصافية كما لا يخفى . اى أن الجمعية تخصـم مـن ارباحها كافـة النفقـات والمصاريف ثم فائدة راس المال فالاحتياطي .. الخ لتصبح ارباحها تلك ارباحا صافيـة توزعها على اعضائهـا .

واحاطنا محدثنـا علما بعـد ذلك بما وزعتـه جمعيات الكويت التعاونية على اعضائها من ارباح او عائـدات ومـا حققته من اربـاح صـافية في نهاية سنة ١٩٦٦ فضلا عن نسبة هذه الارباح الاجمالية الاخيرة الى تلك التي حققتها الجمعيات نفسها سنة ١٩٦٣ . وفيما يلي امثلة ثلاثة على ذلك :

الاربـاح

الجمعية	الموزعة	الصافية	نسبة الزيادة
كيفـان	٧٠٦٢	١٥٨٠٢	١٧ ضعفا
الشامية	٨٧٠٢	٢١٧٥٦	١٢٥ ضعفا
الدسمة	٢٣٧٧	٨٨٦٠	٦٨ ضعفا

راس المـال

وتناول حديثنا بعد ذلك راس المال ، فادركنا ان الدور الذى يلعبه رأس المال هذا في الجمعيات التعاونية ثانوى ويختلف كثيرا عن الدور الخطـير الذى يلعبه في الشركات التجارية . فراس المال بمثابة السيد المسيطر في الشركات التجاريـة ولكن شانه كشأن القروض المصرفية العادية في الجمعيات التعاونية .

ويتضح ذلك في الفائدة المحدودة التي تدفعها جميعات التعاون على راسمالها المدفوع من قبل اعضائها . اى انها تدفع تلك الفائـدة لاعضائها بنسبة مالهم من حصص في راسمالها .

وقد حدد قانون التعاون في الكويت نسبة ٦٪

كحد أعلى لتلك الفائدة . وهي لاتجاوز ٥٪ في بريطانيا وفي غيرها .

اضف الى ذلك ان عضو الجمعية التعاونية في الكويت لا يحق له امتلاك اكثر من ٢٠٪ من اسهم جمعيته ، وفقا للمادة (١٢) من قانون التعاون الكويتي . وفي المادة الخامسة من القانون المذكور ما يتضمن الحد من النسبة التي ذكرنا ، وقد نصت في فقرتها الاولى واشترطت « الا يقل عدد المؤسسين عن خمسة عشر شخصا .. » ويذكر هنا ان عضو الجمعية التعاونية في بريطانيا لا يجوز له امتلاك ما تزيد قيمته على ٢٠٠ جنيه من اسهمها .

والجدير بالذكر ان رساميل الجمعيات التعاونية في الكويت كانت في تغير مستمر او بالاحرى تزايد مضطرد . فراسمال جمعية كيفان ، وقد سبقت الاشارة اليه ، بلغ في نهاية سنة ١٩٦٦ ما يقارب ٦٦٠٠ر٠٠٠ دينار أي بزيادة ٢٥٠٠ر٠٠٠ دينار عما كان عليه عند التاسيس . وهي زيادة كبيرة كما لا يخفى وتبلغ نسبتها ٦٠٪ من كامل رأس المال الاولى . الا انها ليست الزيادة الكبرى . فقد بلغت نسبة جمعية الشامية ١١٢٪ ونسبة جمعية صندوق التوفير ١٨٢٪ !

العضوية المفتوحة والديمقراطية في الادارة

وثمة مقومات اخرى للجمعيات التعاونية . من تلك المقومات ما يعرف بديمقراطية الادارة . ذلك أن عضو الجمعية التعاونية الواحد لايتمتع الا بصوت واحد . فاعضاؤها متساوون من حيث التصويت في هيئتها العامة وفي مجلس ادارتها على السواء . ولا فرق في ذلك بين عضو يملك عشر اسهم الجمعية أو اكثر وعضو آخر من اعضائها لايملك الا سهما واحدا من اسهمها . فهم سواسية في المناقشات واتخاذ المقررات . وقد نصت على ذلك الفقرة الثالثة من المادة الاولى من قانون التعاون في الكويت بقولها : « على ان يتساوى الاعضاء في الحقوق والواجبات دون النظر لما يمتلكونه من اسهم » .

فضلا عن ذلك فان نظام التعاون يقضي بابقاء باب العضوية في الجمعيات التعاونية مفتوحا على الدوام ولجميع الناس بلا استثناء . ولا يحد من



هذه طائفة من الصناديق التي يودع فيها أعضاء الجمعيات التعاونية في الكويت ايصالات مشترياتهم . ووفقا لهذه الايصالات تعيد الجمعيات الى أعضائها ما تضمنته قيمة مشترياتهم من الارباح . ونظام التعاون يقوم أصلا على مبدأ رد هذه الارباح الى أصحابها الأعضاء اذ يستهدف فائدة الاعضاء ومنفعتهم لا الربح من أجل الربح .

هذا الحق الذي يتمتع به كلا الرجال والنساء اية اعتبارات دينية أو قومية أو اجتماعية او مالية . على أن من حق الفرد ايضا أن ينسحب من عضويته في الجمعية التعاونية متى شاء ودون اية شروط تذكر . وهكذا نصت الفقرة الثانية من المادة الاولى من قانون التعاون الكويتي على « أن يكون باب العضوية مفتوحا لكل من تنطبق عليه الشروط الواردة في النظام الاساسي للجمعية » . ونصت المادة ١٣ من القانون المذكور كما يلي : « لكل عضو ان ينسحب من الجمعية التعاونية طبقا للاجراءات التي ينص عليها نظامها » .

ونورد فيما يلي موجزا بعدد اعضاء الجمعيات التعاونية في الكويت حين تاسيسها وفي نهاية سنة ١٩٦٦ فضلا عن عدد سكان الحي الذي تعمل فيه تلك الجمعية .

قسم الاطعمة الطازجة والمثلجة في جمعية حي الشامية التعاونية ، ويحتوي على الدجاج ومنتجات الالبان وما اليها ، والجدير بالذكر ان هذه الجمعية تمتلك مزرعة لتربية الدجاج وذلك لبيع منتجاتها في سوقها المركزي المجمع .

واتسع النشاط التعاوني في الكويت حتى شمل بيع الأحذية ، وكلها مستورد .



جانب من المطعم الملحق بجمعية حى الشامية التعاونية . وقد جرت كل متاجر العالم الكبرى على توفير الطعام لروادها من الزبائن . وجمعية التعاون بالشامية لا شك جرت على هذا المنوال . ومن الواضح أن الزبون الذى يتردد على المطعم كذلك يجد من الطبيعى وهو راجع الى منزله أن يتزود من السوق بحاجاته .

	عدد أعضائها أصلا	1966	سكان الحى
جمعية حي كيفان	٤١٨	٥٢٧	١٣٤٦٥
جمعية حي الشامية	٢٠٠	٣٤٩	٧٢٦٥
جمعية حي الدسمة	١٦	٣٤١	١٣٠١١
= صندوق التوفير	٥٩٥	٥٩٨	—
جمعية حي الفيحاء	١٧٦	١٧٦	٩٦٥٥

ولا بد من الاشارة اخيرا الى مقومات او مبادىء اخرى تلتزم بها كافة الجمعيات التعاونية فى الكويت وفى غيرها من البلاد . من هذه المبادىء عدم التدخل فى الشؤون الدينية والسياسية . ومنها ايضا توزيع معونة اجتماعية على المحتاجين تقتطعها الجمعيات التعاونية من ارباحها ، وقد حددها القانون الكويتي بحد ادنى قدره ١٠٪ .

خاتمة

وتجدر الاشارة الى ان حركة التعاون فى الكويت ، وقد نشأت نشأة تلقائية اصيلة ، مدينة لحكومة الكويت الى حد لا يستهان به .

ذلك ان اولى الامر فى هذا البلد الناهض لم يقصروا جهودهم فى هذا الصدد على اصدار قانون التعاون رقم ٢٠ ، وقد تكررت الاشارة اليه . فبالاضافة الى هذا القانون الذى تضمن أسس النظام التعاوني الاصلية التى وضعها رواد روشديل Rochdale فى تجربتهم الاولى الشهيرة سنة ١٨٤٤ والتى انتشرت فى شتى بلاد العالم ، فان الحكومة الكويتية قد انشات فى وزارة الشئون الاجتماعية ادارة تعرف بادارة تنمية المجتمع لتدعيم نظام التعاون فى البلاد ورعاية شئون جمعياته ، فضلا عما تقوم به الادارة المذكورة من نشاط فى سبيل رعاية الشباب والثقافة الاجتماعية .

اضف الى ذلك ان حكومة الكويت تقدم الى الجمعيات التعاونية تسهيلات قيمة جدا . ولعل اهم هـذه التسهيلات الارض والمبانى الرحبة الفسيحة التى تسكنها التعاونيات لقاء ايجارات تكاد ان تكون رمزية .

ولا بد لنا من التوجه بالشكر والامتنان الى المسئولين والخبراء فى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل وفى الجمعيات التعاونية بالذات ، على كل ما تكرموا به من شرح وايضاح ، كان له اكبر الاثر فى اعداد هذا الاستطلاع . ■■

يوسف زعبلاوى



السلحفاة مخلوق صابر

● يقول الكاتب الفرنسي الكبير جان بول سارتر ان منظر السلحفاة يهدىء الأعصاب الثائرة ويعلم الانسان الصبر !

فاذا كنت ثائرا لأى سبب من الاسباب

خواطر تشيكوف

● جلس الكاتب الروسي الشهير انطون تشيكوف Anton Chikov يوما يسجل بعض خواطره علي الورق . قال : « لقد احببت الحياة ، فأحبتني الحياة . واحببت الناس ، فأحبوني ، واعطوني عيونا تقرأ ، وعقولا تفكر . اما انا فقد اعطيتهم روحي وقلبي .. في كل كلمة ، في كل سطر خطته يدي في قصصي ومؤلفاتي .

« ولقد كنت دائما أنا أنا لا أتغير .. لم اقترض مالا من اصدقائي لأحتفظ بصداقتهم .. لم اقاطع محدثا ، وانما كنت دائما مستمعا حتى اذا فرغ الجميع من الحديث قلت رايي في ادب وتواضع مرجحا كفة الاغلبية .

لم اعش في قصر من العاج ، وانما نزلت الى الشارع والتقيت بالفقراء والمعوزين ومن حياة هؤلاء كتبت احسن قصصي » .

« العربي » : مسكين تشيكوف ، مسكين كل من يرجح راى الأغلبية دائما.



أقوال حية..

● العمل عبادة .. العمل حياة .. العمل خلق وابتكار . ولنقرأ ما قاله كبار الأدباء والمفكرين في العمل والعمال ..

❋ العمل يقتل اكبر اعداء الانسان .. الملل والشر والفقر .

« فولتير »



❋ انني احب عملي ، فهو يبهرني ولو انني جلست الساعات أتأمله ، لما مللت ابدا النظر اليه ، فهو حياتي وهو عبادتي .. ان فكرة التخلص منه تمزق قلبي .

« جيروم جيروم »



وجلست تنظر السلحفاة وهي تمشي في بطء وتكاسل ، وكأنها تزحف زحفـا ، أحسست بهدوء نفسي كبير !

واذا تأملتها وهي تحاول أن تصل الى هدفها دافعة ارجلها الاربع فى تثاقل شديد وهى تنوء بهذا الحمل الكبير فوق ظهرها ، تعلمت منها الصبر ! فالسلحفاة حيوان مسالم لا تؤذى أحدا . وهى تتقبل الحياة وتقبل عليها ، راضية قانعة . ومن اجل هذا تعيش السلحفاة حياة سعيدة لا مشاكل فيها ولا ازمات !

الفنان فى رأى بيكاسو !

● يقول الرسام العالمى المشهور بيكاسو Picasso فى تعريفه لكلمة فنان : ان الرجل الذى يعمل بيديه فقط عامل ، اما الذى يعمل بيديه وعقله فهو صانع صاحب حرفة ، واما الذى يعمل بيديه وعقله وقلبه فهو فنان . والعالم فنان ، والاديب فنان ، والموسيقار فنان ، والرسام شيخ الفنانين !

بقى ان تعلم ان بيكاسو قد تجاوز الثمانين .

.. لا تموت

* مبارك ذلك الذى يجد لنفسه عملا .. وهل هناك اعظم من بركة العمل .

« توماس كارليل »

* السماء وحدها هى تلك التى تحمى الفتاة العاملة من الذئاب .

« ادجار سميث »

* العمل هو المرآة التى يرى فيها المرء صورة صادقة لميوله واتجاهاته وشخصيته .

« صاموئيل بتلر »

* لا ينعم الانسان بأجازته الا اذا أحس أنه قام بعمل شاق طوال ايام الاسبوع، يستحق عنه اجازة.

« ادجار والاس »

* الرجال العاملون يجنون دائما ثمارا جديدة .

« لورد تنيسون »

* في خلال ربع قرن من الزمان لن يبق رجل واحد او امراة بلا عمل .

« انطون تشيكوف »

اوبنهايمر والسياسة

● يروى عن روبرت اوبنهايمر ، عالم الذرة المشهور الذى يلقبونه بأبى القنبلة الذرية ، انه كان يحترم راى معارضيه ، وكثيرا ما كان يختلف مع زوجته في السياسة ، ولكنه كان يحترم رأيها ، كما كانت هى الأخرى تحترم وجهات نظره. وعندما كان يبدى رايه في مشكلة ، تصادف أن ناقشها مع زوجته قبل أن يتحدث فيها مع الناس ، كان ينقل راى زوجته اولا، ثم يقول : « ولو انني اخالفها الرأى ، فانني أرى عكس ما تراه مسز اوبنهايمر تماما ..

حدث مرة أن ذهب العالم الكبير الذى توفي العام الماضي ، للادلاء بصوته في انتخابات الكونجرس الامريكى ، وكان وحده ، وشاهده أصدقاؤه فسألوه : « لماذا تخلفت مسز اوبنهايمر عن اعطاء صوتها ، وقد كانت متحمسة للمرشح الديمقراطى ؟ فقال : لقد اتفقنا على ان اعطى انا صوتى في هذه الانتخابات ، على أن تعطى زوجتي صوتها في الانتخابات المقبلة ، وبذلك لا يلغى صوتها صوتى، ولا صوتى صوتها ! » .



قصة بروتوكولات حكماء..

بقلم
الدكتور محمود السمره
الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ كثر الحديث،في هذه الايام، عن بروتوكولات حكماء صهيون، وهو حديث امتزجت فيه الحقائق بالخيال .

فما هي هذه البروتوكولات ؟

ومن هم حكماء صهيون ؟

ان لفظة « بروتوكول » عديدة المعاني ، وهي هنا تعني «الميثاق» ، ومثل هذا قولنا «بروتوكول الاسكندرية » وهو الذي قامت عليه جامعة الدول العربية ، اي « ميثاق الاسكندرية » وهكذا فان بروتوكولات حكماء صهيون تعني مواثيقهم ، أو مقرراتهم .

ولفظة « حكماء » تعني الشيوخ ، اصحاب النفوذ في دنيا السياسة، والاقتصاد ، والصناعة.

وكلمة « صهيون » لفظة كنعانية ، وهي اسم تلة في بيت المقدس سكنها الكنعانيون . وعلى هذه التلة بنى داود قصره بعد انتقاله من الخليل الى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد .

وصارت كلمة « صهيون » ، بمرور الزمن ، تعني « الحكومة اليهودية الدينية » .

وعدد البروتوكولات اربعة وعشرون بروتوكولا ، ترسم خطط اليهود للسيطرة على العالم في مدى مائة عام . وقد عرف هذا المخطط اليهودي بهذا الاسم ، اي « بروتوكولات حكماء صهيون » ، سنة ١٨٩٧ ، حيث في هذا العام كشف امره .

ولا ينطبق العنوان على محتويات البروتوكولات تماما ، لانها ليست محاضر جلسات،بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ ، وقسمه اقساما مفككة الاوصال ، تحملنا على الاعتقاد بانها جزء من كل ، بدايته مفقودة .

ولم يتسن للعرب الاطلاع على البروتوكولات الا بعد منتصف هذا القرن ، وعلى نطاق محدود، لان اليهودية العالمية حرصت ألا يتسرب شيء عنها الى الشرق العربي،كما حرصت مثل هذا الحرص ايضا حكومة الانتداب في فلسطين،حتى ان الوفود العربية التي توجهت الى لندن وباريس ، من مصر وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان ، في فترةما بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية الى عام ١٩٤٨ ، لم تكن تعرف شيئا واضحا عن هذه البروتوكولات .

وفي سنة ١٩٥١ صدرت اول ترجمة للبروتوكولات بالعربية ، ومترجمها هو الاستاذ محمد خليفة التونسي. وقبل بضعة اعوام صدرت ببيروت الطبعة الرابعة من هذه الترجمة . وقد صدر المترجم الطبعة الاولى بمقدمة عن البروتوكولات ، وضم الى الطبعة الثانية الكلمة التي كان الاستاذ عباس محمود العقاد قد نشرها في جريدة « الاساس » ، بعد صدور الطبعة الاولى . ومما قاله الاستاذ العقاد فيها : « ان هذا الكتاب لا يزال لغزا من الالغاز في مجال البحث التاريخي،وفي مجال النشر والمصادرة ، فقلما ظهر في لغة من اللغات الا ان

بروتوكولات حكماء صهيون

المجلد الاول







يعجل اليه النقاد بعد اسابيع ، أو أيام ، من ساعة ظهوره » .

وترجمة التونسي منقولة عن الطبعة الانجليزية الخامسة للبروتوكولات التى صدرت سنة ١٩٢١، وهذه هى آخر طبعة لها بالانجليزية . وتمتاز هذه الترجمة بسلامة اسلوبها العربى،ووضوح المعنى.

وفي العام الماضي، عام ١٩٦٧ ، صدرت للاستاذ عجاج نويهض ترجمة جديدة للبروتوكولات ، مع تعليقات كثيرة ، تناول فيها كل ماله صلة بالبروتوكولات من بعيد او قريب . ولهذا السبب جاءت هذه الطبعة في مجلدين ضخمين ، تحتل البروتوكولات منها مائة وعشر صفحات تقع في آخر المجلد الاول. وهذا العمل من الاستاذ نويهض خدمة قومية ، تذكر له فتشكر . ومع هذا فانا اتمنى لو ان الكتاب اسقت فصوله ، وكان اكثر تنسيقا في مجموعه ، وليت المؤلف اكتفى بايراد ماله علاقة مباشرة بالبروتوكولات فقط ، وعنى بالعبارة العربية .

وهذا الكتاب في اربعة اجزاء يضمها مجلدان :

يبحث الجزء الاول منها فيماهية البروتوكولات، وكيفية ظهورها في اوروبا آخر القرن الماضي ، ومن هو الذى يرجح انه كاتبها ، ومن هم تلاميذه في فلسطين ، وفي هذا الجزء ايضا شرح لقاعدة « التجمع والاقتحام » ، وكيف طبقت عمليا في المذابح الدموية في فلسطين . وبالاضافة الى هذا فان فيه تراجم عدد من زعماء الصهيونية المعروفين في فلسطين واوروبا ، مثل جابوتنسكى ، ويوسف ترمبلدور،واوسشكين ، وسوكولوف ، وروتنبرغ، واشر ابزبرغ . وفيه تفصيل للمقابلات التى تمت بين البابا وزعماء الصهيونية ، في روما ، بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢١ .

وهذا الجزء هو اهم اجزاء الكتاب .

ويتضمن الجزء الثانى ترجمة البروتوكولات . وبها ينتهى المجلد الاول .

ويبحث الجزء الثالث في ينابيع العقائد التلمودية ، وامور تتصل بالفرق اليهودية .



ويتناول الجزء الرابع : التوراة ، واسفار

العهد القديم ، وقصة استير ومردخاي ، ويتطرق لموضوعات اخرى عديدة ، حتى انه يتحدث عن ترجمة الكتاب المقدس الى العربية في بيروت ولندن في القرن الماضي .

ونجد في آخر كل مجلد فهرسا عاما للاعلام .

واذا كان الذين تصدوا للتعليق على البروتوكولات في أوروبا متفقين على انه قد تم كشف أمرها عام ١٨٩٧ ، فانهم مختلفون في الطريقة : فهناك رواية تقول ان رجال البوليس السرى التابع لروسيا القيصرية هاجموا المبنى الذى عقد فيه اقطاب الصهيونية اول مؤتمر لهم في بازل ، واضرموا النار فيه ، فلاذ الصهاينة – وعددهم يبلغ نحو الثلاثمائة – بالفرار ، ودخل البوليس السرى الروسي الى قاعة الاجتماع ، وجمع ما عليها من اوراق ومضابط، ومذكرات،وعاد بها الى موسكو، وهناك صنفت ، فكان منها هذه البروتوكولات . وكانت حكومة روسيا القيصرية تتابع تحركات الصهيونية ، لانها كانت تشك في انها تعمل ضدها. وعن طريق الحكومة الروسية حصل احد النبلاء الروس على البروتوكولات ، وهو اليكس نيقولا نيفتش ، وقام بدوره بتسليمها الى صديقه الاستاذ نيلوس Nilus سنة ١٩٠١ ، فترجمها ونشرها بالروسية .

وهناك رواية تقول ان سيدة فرنسية استطاعت ان تختلس البروتوكولات ، اثناء اجتماعها ، في فرنسا ، بزعيم من اكبر رؤسائهم ، ثم هربت بها وسلمتها للنبيل الروسي نيقولا نيفتش الذى وضعها بدوره بين يدى صديقه الاستاذ نيلوس .

ويعترف الاستاذ نيلوس في المقدمة التى كتبها للبروتوكولات انه تسلمها من صديقه اليكس نيقولا نيفتش ، كبير جماعة اعيان روسيا الشرقية ايام القيصرية ، وهو يرى انها « بالتأكيد القطعى صورة من وثائق اصلية سرقتها سيدة فرنسية من احد ذوى النفوذ والرياسة من زعماء اليهود ، وقد تمت السرقة ، في نهاية اجتماع سرى بهذا الرئيس في فرنسا . ومن اجل الذين يريدون أن يروا ويسمعوا ، فانني اخاطر بنشر هذا المخطوط تحت عنوان « بروتوكولات حكماء صهيون » .. وهى بروتوكولات تتأجج بين سطورها بغضاء دينية وعنصرية ، عميقة الغور متغطرسة .. » .

وقد طبع نيلوس من الطبعة الاولى نسخا قليلة، ولكنها كانت كافية لفضح نيات الصهيونية ، فجن جنون اليهود لهذا ، وهبوا في كل مكان يعلنون ان البروتوكولات ليست من عملهم ، وانها مزيفة عليهم ، ولكن العالم لم يصدق اقوالهم ، وعمت المذابح ضدهم في روسيا ، حتى لقد قتل منهم في احداها نحو عشرة آلاف .

واعاد نيلوس نشر الكتاب سنة ١٩٠٥ ، مع مقدمة وتعقيب بقلمه . ونفدت هذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية ، لان اليهود قاموا بجمع نسخها من الاسواق بكل الوسائل واحرقوها . ثم طبع سنة ١٩١١ ، فنفدت النسخة بالطريقة نفسها ، وحدث الشيء نفسه في طبعة ١٩١٧ .

وكانت قد وصلت نسخة من طبعة ١٩٠٥ الى المتحف البريطاني بلندن ، ومختوم على هذه النسخة ان المتحف قد تسلمها بتاريخ ١٠ اغسطس (آب) من سنة ١٩٠٦ .

وبعيد الحرب العالمية الاولى ، وفي سنة ١٩١٩، ظهرت اول ترجمة للبروتوكولات بالانجليزية ، والمترجم هو فكتور مارسدن Marsden ، المحرر في جريدة « المورننغ بوست » الانجليزية .

وهناك روايتان تفسران طريقة حصول مارسدن على نسخة من البروتوكولات ، تقول احداهما : انه لما قامت الثورة البلشفية طلبت جريدة « المورننغ بوست » من مارسدن ان يسافر الى روسيا لموافاتها بما يجرى هناك،فاخذ يتردد على المتحف البريطاني ليقرأ بعض الكتب عن روسيا . فوقعت في يده نسخة البروتوكولات الروسية الموجودة فيه، فذهل لما فيها ، وقرر ترجمتها .

وتقول الرواية الثانية ان مارسدن سافر الى روسيا مراسلا لجريدته ، خلال الحرب العالمية الاولى ، ولما وقعت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كان نشيطا في موافاة جريدته باخبارها ، فاعتقل ، وزج به في السجن في عهد كيرنسكي . وعندما اطلق سراحه ، عاد الى لندن ومعه زوجته الروسية ، ويحمل نسخة بالروسية من البروتوكولات التى كان قد ترجمها عن اصلها العبرى العالم الروسي سرجى نيلوس .

وفي لندن ، وفي قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني اقبل مارسدن على ترجمة هذا الكتاب سرا . ولما فرغ منه نشره سنة ١٩١٩ فكان في خمس وثمانين

صفحة من القطع المتوسط والحرف الصغير ، ما عدا المقدمة والفهرس ، وقد اعيد نشر هذه الترجمة عدة مرات، كانت الخامسة والاخيرة منها سنة ١٩٢١ ، وكانت تختفى النسخ في كل مرة ، بسرعة مذهلة . ولم يجرؤ احد بعد عام ١٩٣١ على نشر البروتوكولات ـ كما يقول المؤرخ الانجليزى دجلاس ريد في كتابه « من الدخان الى الخنق » وهو عن الحركات السرية المعاصرة .

وفى سنة ١٩١٩ ترجم الكتاب الى الالمانية ، ونشر في برلين ، ثم توقف طبعه بعد ان جمعت اكثر نسخه . ورغم محاولات اليهود اخفاء امر البروتوكولات، الا انها ترجمت الى لغات عدة منها الفرنسية ، والايطالية ، والبولونية ، وكانت النسخ ـ كالعادة ـ تختفى باساليب محيرة . ونشرت مجلة « فرنسا القديمة » كتابا عنوانه « مؤامرة اليهود » ، والى جانبه البروتوكولات ، فحاول اليهود منعها ، فلما عجزوا عن اقناعها احرقوا مطبعتها . وكان من نتيجة كل هذا ان كانت نسخ الكتاب قليلة جدا ، حتى ان النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة كانت تباع بثمانين جنيها. وشاع انه ما من احد ترجم هذا الكتاب ، او عمل على اذاعته باية وسيلة ، الا انتهت حياته بالاغتيال ، او الموت في ظروف غامضة .

وقد كتبت المقالات ، والدراسات الكثيرة : عن البروتوكولات ، منها تلك المقالات التى نشرتها صحيفتا « التايمس » و « المورننغ بوست » اللندنيتان ، والمقالات التى نشرها المرحوم نقولا الحداد سنة ١٩٤٨ في مجلة «الرسالة»و«المقتطف» ومن الكتب التى تناولت البروتوكولات ، كتاب المؤرخ الانجليزى دجلاس ريد ، الذى اشرنا اليه، ولكن اوفى هذه الكتب في تحليلها ومقارنتها باقوال زعماء اليهود والاحداث الجارية ، هو كتاب جون كربج سكوت الذى ظهر بالانجليزية سنة ١٩٥١ ، وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية ونشرته « دار النصر » بمصر سنة ١٩٥٢ بعنوان « الحكومة السرية في بريطانيا » .

والان : من هو واضع البروتوكولات ؟

يرجح الذين تصدوا للبحث في البروتوكولات انها وضعت لتقرأ في المؤتمر الصهيونى الاول ، وتقر ، وتصبح دستورا للعاملين في الصهيونية ، على الا تنشر . ويبدو من اسلوبها انها من وضع فرد ، لا جماعة . ويغلب على الظن ان صائغها هو اشر غنزبرغ ، وهو يهودى من اوديسيا في اوكرانيا على البحر الاسود ، وفيها ولد سنة ١٨٥٦ ، وتوفي في تل ابيب سنة ١٩٢٧ . وهو بمثابة الاستاذ الروحى لوايزمن ، ووايزمن نفسه يعترف بهذا اعترافا فيه اعتزاز ومباهاة ، وذلك في كتابه «التجربة والخطأ» Trial and Error وان كان وايزمن ينكر في هذا الكتاب ان البروتوكولات هى من وضعه ، او من وضع احد من اليهود .

واشر غنزبرغ معروف باسمه الادبى « أحدها عام » ، وهو الاسم الذى كان يوقع به كتاباته ، ومعناه « واحد من الناس » . وقد حضر احدها عام المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد في بازل سنة ١٨٩٧ ، كما حضره هيرتزل . ولكنهما اختلفا في الراى : فاحدها عام كان يرى انه يجب خلق روح التجمع والمخاطرة والاقتحام في الشعب اليهودى ، لانتزاع الارض ، ومعنى هذا الدعوة الى اراقة الدماء والتدمير ، واقامة الهيئات السرية ، وهذا ركن من اهم اركان البروتوكولات . وعن طريق القوة يستطيعون الحصول على وطن لهم . اما هيرتزل فكان يرى ان الحصول على الارض، بالمال والاغراء، يأتى اولا .

وقد وضع احدها عام مؤلفين بالعبرية ، في الدعوة الى مخططه ، وهما : « موسى » و « على مفترق الطرق » وانشأ منظمة « بنى موسى » لتخريج عدد من الشبان كل سنة ، يحملون روحه وعقائده ، ولم يكن يقبل في الدورة الواحدة اكثر من مائة شاب . وكان وايزمن من تلاميذه ، وان كان قد جمع في التطبيق العملى بين تعاليمه ، ودعوة هيرتزل الى الهجرة الواسعة ، وامتلاك الارض .وكل زعماء الحركات الارهابية التى قامت في فلسطين هم من تلامذة احدها عام ، ابتداء من جابوتنسكى استاذ مناحيم بيجن وشتيرن ،وانتهاء بكل العاملين في منظمات الارهاب والتدمير . وكل المذابح الوحشية التى حدثت كانت من صنع ايديهم ، ابتداء من مذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨ الى مذابح هذه الايام .

ويمكن مقارنة كل فكرة،او نص،في البروتوكولات بمثيله في كتبهم المقدسة ، كالعهد القديم ، والتلمود ، وفي اقوال زعمائهم المعترف عندهم بصدورها عنهم ، وكلها توجب على اليهودى ان

يستحل كل وسيلة للوصول الى غايته ، حتى القتل . وقتل الجوييم (غير اليهودى) قربان الى الله في راي الربانيين. وهذا ما نص عليه البروتوكول الاول ، فقد ورد فيه : « ان خير النتائج التى يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم ، انما يكون بالعنف والارهاب ، لا بالمجادلات النظرية المجردة .. »

ومما ورد في البروتوكولات ما يلي :

* « مدار السياسة غير مدار الاخلاق، والحاكم الذى يخضع لمنهج الاخلاق ، لا يكون سياسا حاذقا .. واما الحاكم اللبيب فيجب ان تتوفر فيه صفتان : الدهاء النافذ ، والمكر الخادع .. » .

البروتوكول الاول .

* « سنشرع دون تاخر في انشاء اجهزة احتكارية ضخمة ، وحشد الثروات ، وتجميع الاموال ، ليكون كل ذلك محصورا بايدينا ... وفي الوقت نفسه تكون هذه القوة هى المسيطر على الكبير الوافر من ثروات الغوييم ... » ـ البروتوكول السادس .

* « والعامل الرئيسي في نجاح خططنا السياسية، هو : كتمان المساعى ، والمشروعات ، والقاعدة . وليس شرطا ان تتفق اقوال السياسي مع افعاله . ويجب ارغام حكومات الغوييم على انتهاج الخطة التى نشير بها نحن. .وطريقة حمل تلك الحكومات على ما نريد ، هو التيار الذى يقال له الراى العام ، وهذا الراى العام زمامه بيدنا ، نحركه بالقوة الكبرى ، التى هى الصحف التى نملكها او نسيطر عليها . » ـ البروتوكول السابع .

* « الغوييم قطيع من الغنم ، ونحن ذئابهم . وانتم تعلمون ماذا يحل بالغنم اذا هاجمتها الذئاب . » ـ البروتوكول الحادى عشر .

* « الادب والصحافة هما اشد عوامل التوجيه، ولهذا السبب ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف .. وبهذا التدبير نكون قد امتلكنا القوة الاولى الموجهة للراى العام .. » ـ البروتوكول الثانى عشر

* « متى ما ولجنا ابواب مملكتنا ، لا يليق بنا ان يكون فيها دين اخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا ان تكنس جميع الاديان على اختلاف صورها .. » ـ البروتوكول الرابع عشر

* « وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يحملون السلاح ليقاوموا الانضواء الى مملكتنا » ـ البروتوكول الخامس عشر .

* « وسننتقى جواسيسنا من مختلف الطبقات، العليا والسفلى ، ومن رجال الادارة العاكفين على اللهو ، ومن محررى الصحف والكتاب، والناشرين وباعة الكتب ، وموظفى الدوائر والدواوين ، ومن الذين كثر اختلاطهم بالجمهور عن طريق الاخذ والعطاء ، والبيع والشراء .. » ـ البروتوكول السابع عشر .

وقد بدا اليهود بتطبيق مخططهم القائم على استخدام القوة لبناء دولتهم، على يد جابوتنسكى في فلسطين .

وكان جابوتنسكى هذا من اول المنادين بان المملكة اليهودية يجب ان تؤلف من ضفتي الاردن (فلسطين وشرق الاردن) كمرحلة اولى ، ثم تمتد من النيل الى الفرات ، ومن اجل تحقيق هذا الحلم كان هو المنظم الاول لجميع المنظمات الارهابية السرية فى فلسطين ، وكان يهرب الاسلحة الى فلسطين ، تحت سمع حكومة الانتداب وبصرها . وجابوتنسكى هذا هو ابن بلدة اخد ها عام ، فقد ولد في اوديسا سنة ١٨٨٠ وتوفي في فلسطين سنة ١٩٤٠ .

وقد حاول زعماء الصهيونية كسب تأييد البابا لهم، فتمت ثلاث مقابلات مهمة هى : مقابلة هيرتزل للبابا بيوس الثانى العاشر، سنة ١٩٠٣ ، ومقابلة سوكولوف للبابا بنديكت الخامس عشر ، سنة ١٩١٧ ، ومقابلة وايزمن له ايضا ، سنة ١٩٢١ .

وقد رد البابا بيوس العاشر على هيرتزل ردا مفحما ، اذ قال له في ختام المقابلة : « غاية ما بوسعي ان اقول لك : انكم ، انتم اليهود ، اذا استطعتم الاستيطان في فلسطين ، فجل ما نقدر على مساعدتكم به هو الكنائس والقسس لتعميدكم . » ■■

محمود السمره



تاريخ شرق الجزيرة العربية نهضة وتطور البحرين والكويت

● ويبحث هذا الكتاب في تاريخ قبائل العتوب أجداد الأسر الكبيرة التي تحكم اليوم دولة الكويت وامارات الخليج ، وكيف استوطنت هذه القبائل شرق الجزيرة العربية منذ مطلع القرن الثامن عشر ، كما يشرح العوامل التجارية والسياسية والتاريخية التي ساعدت على ازديادهم . ويجيب المؤلف في كتابه على اسئلة كثيرة تتصل بنمو دولة الكويت وتطورها .

ومؤلف هذا الكتاب هو المؤرخ العربي احمد ابو حاكمة ، وقد اختار له اسم :

History of Eastern Arabia
The Rise & Development of Eastern Arabia

وقد صدر الكتاب في بيروت وثمنه ١٨ ليرة لبنانية، ويقع في ٢١٣ صفحة من الحجم المتوسط.

انتصار البلشفية ثورة أم رد فعل ؟

● يقدم المؤلف في هذا الكتاب الذي اختار له اسم : The Triumph of Bolshevism Revolution or Reaction ?

عرضا مفصلا للتيارات المختلفة في السياسة الروسية في الداخل والخارج قبل عام ١٩٢٠ ، كما يتناول المؤلف بالتحليل الاحداث التي ادت الى قلب نظام الحكم في عهد القياصرة ، وكذلك السنوات الاولى للحكم السوفييتي والاحلاف والسياسات الدولية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

ومؤلف الكتاب هو ستيوارت رامسي تومبكنز Stuart Ramsay Tompkins استاذ البحوث بجامعة أوكلاهوما . ويقع في ٢٢١ صفحة من الحجم المتوسط ، وقد طبع في امريكا وثمنه ستة دولارات .

التطور والتوسع في التعليم بالجمهورية العربية المتحدة

● ويقدم هذا الكتاب صورة وافية للنهضة التعليمية في الجمهورية العربية المتحدة ، وكيف كان التعليم في مصر في الماضي ، وكيف تطور الآن بعد أن أصبح الطالب يتلقى العلم بالمجان في جميع مراحله حتى الجامعة . والمعلومات التي جمعها مؤلف الكتاب الدكتور امير بقطر الاستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، مدعمة كلها بالاحصائيات والأرقام . وقد اسماه

The Develpoment and Expansion of Education in the United Arab Republic.

وقد صدر في القاهرة وثمنه جنيهان مصريان ، ويقع في ١٨٢ صفحة .

ابن غلبون مؤرخ ليبيا

تأليف علي مصطفى المصراتي ــ الناشر : مطابع وزارة الاعلام والثقافة ــ طرابلس ــ ليبيا

● ترجمة لحياة أحد مؤرخي المغرب أيام كانت العجمة الفكرية طاغية والاضمحلال الثقافي متفشيا ويبين الكتاب منهج ابن غلبون واسلوبه في الكتابة . له كتاب التذكار ويعتبر من أهم المصادر لدراسة تاريخ ليبيا في العصور الاسلامية كما له كتب أخرى في علم الميراث وغيرها .

المذهب الروحاني

تأليف : عبد الله أباحي ــ بغداد

● كتاب يبحث في المذهب الروحاني ذلك المذهب العلوي الجدير باصلاح ما افسدته المادية وتحسين شؤون الجامعة الانسانية ، وقد جمع المؤلف في كتابه أجمل ما كتب عن هذا المذهب من اشهر فلاسفة هذا المذهب امثال الان كاردك وجبرائيل ديلان ، وقد قسم المؤلف كتابه الى ثمانية ابواب تحدث في الباب الاول عن المذهب الروحاني وتاريخه ثم عن حقائق الروحانية والروحانية في اديان الشعوب .

الثورة في النظام الاقتصادى في مصر

● يهتم هذا الكتاب بالتحول الذى طرأ على النظام الاقتصادى في مصر خلال السنوات الثلاث عشرة الأخيرة ، وخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين الحكومة والاقتصاد على ضوء الدراسات التاريخية حول تدخل الدولة في الاقتصاد خلال القرن الماضي وكذلك المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي واجهت الحكومة الثورية في عام ١٩٥٢ .

ومؤلف الكتاب هو باتريك ابرين Patrick O'Brien ، استاذ الاقتصاد بجامعة اكسفورد وقد اسماه :

The Revolution in Egypt's Economic System. From Private Enterprise to Socialism.

وهو يقع في ٣٥٤ صفحة ، وثمنه ٥٥ شلنا .

قصص قصيرة عربية حديثة

● وهى مختارات من الادب العربى الحديث لعدة مؤلفين عرب ، ترجمها الى الانجليزية المستر د.ج. دافيز ، وكان محاضرا سابقا في جامعة القاهرة ، واسماها بالانجليزية Modern Arabic Short Stories والمختارات من قصص يوسف ادريس ، وتوفيق الحكيم ، ويحيى حقى ، ومحمود تيمور ، ونجيب محفوظ ، وليلى بعلبكى وغيرهم . صدر في بريطانيا والثمن ٢٥ شلنا ويقع في ١٩٤ صفحة من الحجم المتوسط.

الوسائل فى عملية التعلم والتعليم

تأليف : قسطندى نقولا أبو حمود ــ الناشر : مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية ــ القدس

● كتاب يوضح اهمية وسائل الايضاح فى ميدان التربية والتعليم . والمؤلف يقدم دراسة اكاديمية وتجاربه الخاصة في ميدان التعليم وقد قسم كتابه الى سبعة اقسام يتناول كل قسم جانبا من جوانب وسائل الايضاح فتحدث فى احد الفصول عن لمحات تربوية ونفسانية تتطلبها مهنة التعليم ، ثم الادوات والمواد التعليمية التي يمكن صنعها على ايدى المعلمين ثم فصل عن الاجهزة السمعية والبصرية مع توضيح عملها واهميتها .

تاريخ خليفة بن خياط

حققه وقدم له : أكرم ضياء العمرى ــ الناشر : مطبعة الاداب فى النجف الاشرف ــ العراق

● أقدم كتاب فى تاريخ الاسلام مرتب على الحوليات يزودنا بمعلومات كثيرة عن شمال افريقيا وعن واقعتي الحرة والزاوية ، لا نجدها فى الكتب التاريخية ، كما يذكر المؤلف قوائم بأسماء الشهداء فى الغزوات والوقائع المهمة ويهتم كذلك بذكر اسماء الولاة ورؤساء الشرطة وبيت المال والخزائن والوظائف الادارية الاخرى .

الطير فى حياتنا وتراثنا

تأليف : المحامي عبد القادر عياش ــ دير الزور سوريا

● دراسة عن الطير شاملة تتناول جزئيات هذا الحيوان من مناح شتى ، ثم دراسة عن الجانب الأدبي للطير فى مجالات الأدب والفن والغناء . والمؤلفات التي تناولت الطير منذ القديم ثم الطير فى رموز الشعوب وشعاراتها .

ادب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك

تأليف : الدكتور عمر موسى باشا

الناشر : دار الفكر الحديث ــ لبنان

● دراسة مستفيضة عن الأدب العربى فيالشام في القرنين السادس والسابع الهجريين ، والكتاب مقسم الى ثلاثة ابواب كبيرة تناول المؤلف فيالباب الاول تاريخ هذه الدول المتتابعة ومظاهر الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت ثم التيارات الفكرية والعقلية ، وتناول الباب الثانى الشعر في عصور الدول المتتابعة وترجمات لشعرائها ونتاجهم الفكرى ومميزات هذا النتاج ، أما في الباب الثالث فقد تناول النثر في ذلك العصر واعلام النثر والفنون النثرية ومذاهبه الفنيةوالأساليبالنثريةالمختلفة.

نظرات في الموسيقى والمسرح

تأليف محمد عبد العزيز المقربى / الناشر : مطابع وزارة الاعلام والثقافة ــ طرابلس / ليبيا

دراسة موجزة عن الموسيقى والمسرح منذ اقدم العصور والأسس والقواعد الاولى للاصول الموسيقية والمسرحية وتتابع ذلك في الأمم القديمة.

بحوث أدبيـــة

تأليف : عبد الصاحب شكر ـ الناشر : مطبعة المعارف / بغداد

● دراسة قيمة عن بعض فحول شعراء العربية القدماء والمحدثين أمثال المتنبي والبحتري وابو تمام واحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومعروف الرصافي الى جانب دراسة مقتضبة عن بعض الظواهر الادبية وتعليلها وتقييمها .

حسابات الدخل القومـي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥

● صدر عن دائرة الاحصاءات العامة في المملكة الاردنية الهاشمية ، هذا التقرير ، ويتضمن تقديرات مجاميع الحسابات القومية الاساسية لكل من السنوات ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥ وتشتمل على الحسابات القومية التي تلخص جريان المداخيل الناشئة من انتاج السلع والخدمات في النظام الاقتصادي .

بدر شاكر السيّاب رائد الشعر الحر

تأليف : عبد الجبار داود البصري ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد / بغداد

● دراسة وتقييم لاعمال السياب الادبية ، وتحليل لشاعريته من خلال شعره ، ثم دراسة لبنية القصيدة الداخلية وبيان الجديد فيها ، وقد اعتمد المؤلف في كتابه على دواوين الشاعر العديدة وآثاره النثرية والدراسات التي تناولته.

ارض العروبـة

تأليف : عبد الحي حسن العمراني

الناشر : مطبعة الجامعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب

● محاولة لابراز عربية المغرب وتأكيد عروبة بلدان شمال افريقيا ، ثم بيان رسالة الجامعات الاسلامية في المحافظة على اللغة العربية ، ومن هذه الجامعات جامعة الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بالمغرب ثم عرض لنكبة اللغة العربية بالمغرب ابان الحكم الفرنسي والمحاولات المبذولة للتعريب .

التقرير السنوي لغرفة الكويت التجارية لعـام ١٩٦٦

● هذا التقرير صدر من غرفة تجارة وصناعة الكويت ويتضمن استعراضا شاملا لجميع اعمال الغرفة خلال عام ١٩٦٦ . والتقرير يحتوي على اربعة فصول ، ففي الفصل الاول يستعرض اهم القضايا التي عالجتها الغرفة ، ثم المؤتمرات العربية والدولية التي اشتركت بها الغرفة والوفود الاقتصادية التي أوفدتها الى كل من السودان والعربية السعودية وبريطانيا والهند وفي الفصل الثالث يستعرض الاعمال الادارية للغرفة ولجانها الفرعية ، والفصل الاخير يتناول بالتحليل ميزانية الغرفة ووارداتها واحتياطياتها.

اللقاء القضائي بين المغرب وتونس

الناشر : كتابة الدولة للعدل ـ الجمهورية التونسية

● مجموعة محاضرات قانونية أصدرتها كتابة الدولة للعدل في تونس وهي على النحو التالي :

١ ـ بين القضاء والتشريع ـ الاستاذ ابراهيم عبد الباقي .

٢ ـ بعض متطلباتنا التشريعية ـ الاستاذ محمود العنابي .

٣ ـ حول محكمة التعقيب ـ الاستاذ محمد بن سلامة .

مفكرون وادباء من خلال آثارهم

تأليف : انور الجندي

الناشر : دار الارشاد ـ بيروت

● كتاب يلقي الأضواء على مجموعة من ادباء ومفكري الدول العربية المختلفة الذين لمعت اسماؤهم في مجالات مختلفة من جوانب الفكر في العصر الحديث . والكتاب تناول بالتحليل والتقييم نتاج هؤلاء الأدباء في التاريخ والادب والتراث والترجمة والنقد وفي القومية العربية والتراجم والدراسات الاسلامية . والكتاب يصور وجوه التفاعل والحركة في مجال الأدب ويصور مختلف القضايا والتيارات الجديدة والقديمة والمتجددة .

لماذا ... ولماذا؟

١ ـ لماذا يدفع الرجل مهر الفتاة بينما لا تدفع هى مهرا لفتى احلامها ؟

٢ ـ لماذا يذهب الرجل لخطبة الفتاة التى يحبها بينما هى لا تفعل ذلك ؟

٣ ـ لماذا يتزوج الرجل اربع نساء بينما هى لاتتزوج أربعة رجال ؟

٤ ـ لماذا يسمى الاطفال باسماء آبائهم فقط ؟

٥ ـ لماذا لا تطلق المراة زوجها كما يحق له هو ان يفعل ؟

عبد الله محمد الصايدى/عدن

ـ نظام الحياة يقتضى لصلاحها وانتظامها ان يكون فى كل مجتمع قائم بالامر يدير شئونه ، فالاسرة لابد ان يكون فيها من له الكلمة لتوجيهها وتماسكها ، وهكذا القرية فالمدينة ثم المحافظة فالدولة .

ولا يعقل ان يصلح مجتمع بدون ان يكون فيه راع ورعية . وصاحب الامر لابد ان تكون فيه خاصية تؤهله للتوجيه . واذا افترضنا تساوى الجميع فى كل الخصائص ، تحتم ان نختار من بين الجميع من تكون له الكلمة ولو كان ذلك عن طريق الاقتراع ، ليكون حكما فاصلا ، ومنظما لاحوال الافراد .

وتصبح الاولوية فى حال الاختلاف لمن تكون له القدرة على الحماية والاستعداد الطبيعي للرعاية. والرجل بحكم استعداده اقدر على الصراع فى الحياة بما وهب الله له من مكونات ، فهو ممثل الجنس الخشن القوى . وكان هذا يتجلى بوضوح فى عصور القوة الجسدية . ولا يزال يتجلى فى عصور الفكر والعقل والثقافة . فالذين تتكون منهم الجيوش ويتعرضون للمعارك والبطولات حتى الرياضة منها هم من جنس الرجال . ولهذه الحكم الالهية وامثالها مما خفى علينا جعلت الشرائع السماوية زمام امر الاسرة بيد الرجل .

١ ـ والزواج عقد مشاركة ، والرابح فيه الرجل واذا كانت العلاقات فى عصور الهمجية التى لا تنظمها شريعة مبنية على السلب والانتزاع بالقوة او كانت تتملك النساء كالسلعة تباع وتشترى ، فان النظام الانسانى الكامل جعل دخول المراة فى طاعة الرجل مبنيا على التراضى ، وبدفع عوض عن المنفعة التى ستجلبها الزوجة لزوجها بنفسها وبما ترعاه من النسل الذى يكون انجابه عن طريق حملها له ، وبما تضفيه على المنزل من بهجة، فضلا عن سكون الرجل اليها بعد الذى يلقاه من العناء والمشاق فى عمله وخارج منزله ، فالفائدة اذن عائدة على الرجل ، ولهذا اقتضت الحكمة ان يدفع هو المهر لفتاة احلامه،على انهناك بعض المجتمعات فى غير الشريعة الاسلامية ، تقدم المراة للرجل مالا عند الزواج يسمونه « الدوطة » .

٢ ـ وما دمنا قد عرفنا ان الرجل هو المتنفع بعقد شركة الزواج ، يضاف الى ذلك ما ركب فى المراة من حياء اسبغه الله عليها ليزيد الرغبة فيها ، ترتب على هذا ان الرجل هو الذى يذهب لخطبة الفتاة التى يحبها ، ليبرهن ضمنا على رغبته فيها واستعداده لرعايتها .

٣ ـ ومن قديم العصور والى عصرنا هذا تقع نكبات الحروب على كاهل الرجل . والحرب العالمية الاخيرة ذهب ضحيتها ملايين الشباب من الرجال من قتلى ومشوهين .. ومن الاحصاءات



نفد العدد الأول من العربي

● في أي شهر ومن أية سنة صدر العدد الاول من مجلة العربي الغراء ، ومن كان رئيس تحريرها آنذاك . وما هو أول بلد قمتم بنشر استطلاع مصور عنه . وهل كان هذا العدد الأول يحتوى أكثرية الابواب التي تحتوى عليها الأعداد الصادرة حاليا .

واخيرا اطلب منكم راجيا كيفية الحصول على هذا العدد الأول ، فاذا كان يوجد لديكم منه نسخة كم ثمنها ؟!

حسين حسن حرب
صيدا ـ لبنان

ـ صدر العدد الأول من العربي في أول ديسمبر ١٩٥٨ ورئيس تحريرها كان ، وما زال ، الدكتور احمد زكى ، والاستطلاع الأول الذى نشر فيها كان عن البحرين ، وبجانبه استطلاعات الثورة الجزائرية وتموز العراق ، ومنتصف الليل في القاهرة .. اما الابواب فكانت في العدد الاول نحو ١٦ بابا وقد عددناها في عدد نوفمبر ١٩٦٧ فكانت ٢٨ بابا ، ولقد نفد العدد الأول بعد صدوره بيومين اثنين في ارجاء الوطن العربي ، وكنا طبعنا منه نحو ٤٠ الف نسخة . ولم تعد لدى ادارة العربي منذ زمن بعيد اى نسخة منه للبيع .

(س . ز)

في النسل يكاد عدد الاناث يتساوى مع عدد الذكور ، ويحدث ان يزيد عددهن في اعقاب الحروب ، كما ان الاناث اسرع نضجا واطول اعمارا وكان الرجل قبل الاسلام يتزوج من النساء ما يشاء ، ليحقق نسلا كثيرا يقف بجانبه في صراعه وحماية اسرته ، ويعوضه عما يفقده في معاركه ، فقصرت الشريعة الاسلامية ان يتزوج الرجل من واحدة الى اربع ، تلافيا لامثال هذه الازمات ، ودفعا لاتخاذ الاخدان . ورجل واحد يستطيع ان يحقق نسلا من عدة نساء ، اما المراة لو تزوجت واحدا او اكثر في ان واحد ، فانها لن تستطيع ان تاتى في بطن واحد الا بطفل واحد في الغالب ويكون هذا الطفل غير معروف النسب ، فلا يجد العطف والحنان كما يجده الطفل المعروف الاب ، وسيقع الصراع لا محالة بين الرجال اذا تزوجوا امراة واحدة في ان واحد ، وهى اضعف من ان تحمى نفسها ، او ان تفرض سلطانها بالقوة ولا نجد في الحيوانات انثى مشاعة لاكثر من واحد الا في القطط والكلاب ، وما اشبههما من الذئاب . والانثى في هذا النوع هى التى تتحمل بعد المعركة الجنسية تنشئة جرائها وصغارها ، والذكور تنصرف الى معارك اخرى ، ومعاذ الله ان تهبط الشرائع بالانسان الى هذا المستوى الوضيع وهو الذى كرمه الله تعالى .

٤ ـ من بعد هذا كله كانت التسمية باسماء الاباء الذين بينا انهم اصحاب الامر في مجتمع الاسرة .

٥ ـ ومن اجل هذا كله لم يجعل زمام الانفصال الا بيد صاحب السلطة المقررة له بما فضل الله جنسه في كثير من الميزات ، وبما انفقه من ماله . على ان الشريعة اباحت للرجل ان يتنازل عن حقه فيجعل امر الطلاق بيد الزوجة . ولكنه ولا شك سيكون في حياته الزوجية كسفينة في بحر متلاطم الامواج ، فكثير من النساء سريعات الغضب متقلبات الاهواء اكثر من اغلب الرجال .

(ع . ف)

احتياطي البترول والغاز في الكويت

● نشرت مجلة (روفسنك) السوفياتية في عددها الصادر في نوفمبر الماضي مقالا بعنوان « بالاصفار فقط » .. وجاء في هذا المقال قولهم « ان الاتحاد السوفياتي هي الدولة الاولى في العالم من حيث احتياطي النفط والغاز الطبيعي ولما كنت اعتقد ان الكويت هي الدولة الاولى في هذا الصدد ، رجعت الى كتاب : « بترول الكويت ، حقائق وارقام The Oil of Kuwait , Facts & Figures الصادر عام ١٩٦٤ فوجدت في الصفحة ١٣ منه العبارة التالية : « ان الكويت هي الدولة الاولى في احتياطي النفط بين الدول المنتجة له . فارجو الايضاح ، اذ انني بحاجة الى ما استند اليه وما استطيع ان اناقش زملائي الروس على اساسه .

بدر احمد محمد ــ موسكو

ــ يقدر الخبراء احتياطي البترول الخام في الكويت والاتحاد السوفياتي بنحو ٦٨٠٠٠ مليون برميل و ٢٢٥٠٠ مليون برميل ، على التوالي . ويبلغ احتياطي الكويت من الغاز الطبيعي في تقديرهم ٤٠ مليون مليون قدم مكعبة . اما احتياطي الاتحاد السوفياتي من ثروة الغاز هذه ، وهي التي لم يمض على اكتشافها فيه سوى زمن قصير ، فناسف لعدم تمكننا من العثور على تقديرات معتمدة لها .

وتجدر الاشارة هنا الى بعض الارقام والاحصائيات التي نشرتها مجلة « الايكونومست سنة ١٩٦٤ » ، والتي تعطيك فكرة لا بأس بها عن احتياطي البترول الخام ومخزونه في مختلف مناطق انتاجه . فقد ذكرت المجلة البريطانية المعروفة ان مجمل احتياطي البترول الخام في العام كله

وكالة الأسوشيتد برس

● نسمع في الاذاعات ونقرأ في الصحف اخبارا منسوبة الى وكالة الاسوشيتدبرس . فما هي هذه الوكالة ومتى تأسست ، وما هي مهمتها على وجه التحديد ؟ .

علي سالم ــ المكلا . حضرموت

ــ وكالة الاسوشيتدبرس Associated press او باللغة العربية وكالة رابطة الصحافة ، وكالة امريكية للانباء . وهي شركة تاسست عام ١٨٤٨ ، وقامت بتاسيسها ست صحف امريكية تصدر كلها في نيويورك ومن هنا جاء معنى رابطة الصحافة ، وكانت مهمتها في البداية تجميع الاخبار من مراسيلها المنتشرين في الولايات ثم ارسالها بالتلغراف الى هذه الصحف الست والى كل من يشترك فيها داخل الولايات المتحدة الامريكية .

وفي عام ١٨٩٣ ، تحولت الاسوشيتدبرس من وكالة اقليمية الى وكالة عالمية ، وارتفع عدد الصحف التي تساهم في نفقاتها ، كما اصبح للوكالة مراسلين دائمين ومكاتب خاصة بها في جميع انحاء العالم . واصبحت مهمة هؤلاء المراسلين هي جمع الاخبار وصبها كلها في مركز الوكالة الرئيسي في لندن ، ومن هناك يتم توزيع هذه الاخبار على مكاتبها في عواصم العالم ، ومنها الى المشتركين فيها .

وقد نجحت الوكالة التي شعارها دائما خدمة

والاتحاد السوفيتي

يبلغ ٤٦٥٠٠ مليون طن ، وان نصيب الشرق الاوسط من هذه المقادير لا يقل عن ٢٨٤٠٠ طن ، في حين ان الرصيد البالغ ١٨١٠٠ مليون طن فحسب يمثل نصيب سائر بلاد العالم مجتمعة ، بما فيها طبعا الاتحاد السوفياتي . ولا يخفي ان الشرق الاوسط يشمل ، فيما يشمل ، الكويت ، فضلا عن ايران .

ولعلك في غير حاجة الى تنبيه بان تقديرات الاحتياطي من البترول والغاز على السواء لا تعدو كونها تقريبية . بل ان الكثيرين من خبراء البترول والمسئولين يؤثرون عدم الاخذ بتلك التقديرات نظرا لكونها اقرب الى التكهن والتخمين منها الى التقدير العلمي الدقيق . اضف الى ذلك ان تلك التقديرات نفسها ليست ثابتة ، وانها قابلة للتغير بين فترة واخرى تبعا لاكتشاف حقول جديدة . فاحتياطي البترول العالمي الذي ذكرنا لم يجاوز في تقدير الخبراء عام ١٩٤٩ ، ١٫٠٣٥٠ مليون طن ، ولم يبلغ في تقدير اسلافهم سنة ١٩٣٨ الا ٤٥٨٠ مليون طن !!

وتجدر الاشارة الى ان الاتحاد السوفياتي قد اكتشف في السنوات القليلة الماضية عدة حقول جديدة من كل من البترول والغاز ، وانه يحتل المكانة الاولى بين كافة الدول في العالم من حيث الزيادة السنوية التي يحققها في انتاج البترول الخام على اقل تقدير . فقد بلغت هذه الزيادة في الآونة الاخيرة ما بين ٢٥ ــ ٣٠ مليون طن .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الكويت لا تحتل المكانة المرموقة بين الدول البترولية من حيث الاحتياطي والانتاج فحسب . فهي تبذ سائر الدول الاخرى المنتجة للبترول من حيث قلة تكاليف انتاج هذه الثروة . ولعلك تعلم ان هذه التكاليف التي لا تجاوز احيانا ٤ ــ ٦ سنتات للبرميل الواحد لا تقل في الاتحاد السوفياتي عن ١٥٠ سنتا للبرميل الواحد ، كما يقولون .

ي . ز

صاحبة الجلالة الصحافة دون النظر الى تحقيق اى ربح مادى . ولم تقتصر مهمة مكاتبها المنتشرة في العواصم المختلفة على جمع الاخبار وانما امتد نشاطها ليشمل التصوير الصحفي . واصبحت الصورة الصحفية تنقل باللاسلكي الى جميع انحاء العالم فور وقوع الحادث مباشرة .

وبهذه المناسبة نذكر الوكالات العالمية الاخرى المنافسة وهي :

● رويتر Reuter ، وهي انجليزية ، واقدم وكالة عالمية للانباء .

● يونايتدبرس United press وهي وكالة امريكية .

● تاس Tass ، وهي وكالة سوفيتية .

وكالة الانباء الفرنسية Agence France - Presse وهي وكالة فرنسية .

● وكالة انباء الشرق الاوسط ، وهي وكالة انباء للعربية المتحدة .

(م ٠ ن)

ارسين لوبين

● نقرأ أحيانا عن اللص الظريف « ارسين لوبين » وعن مغامراته الشهيرة ، فهل هذه الشخصية حقيقية أم هي من نسج الخيال ، ومن هو صاحبها ؟

خالد محمد عبد الاله الحسيني
المملكة العربية السعودية ــ مكة المكرمة

ــ ارسين لوبين Arsin Lupin شخصية خرافية ابتكرها المؤلف القصصي الفرنسي موريس لبلان Maurice Leblanc ، في أواخر القرن التاسع عشر . وقد نجح المؤلف في أن يصنع من صاحب هذه الشخصية بطلا رغم أنه لص وسارق، حتى انهم اسموه « اللص الشريف » ، فهو لم يكن يسرق ليحقق كسبا غير مشروع ، وانما كان يأخذ من المتخمين ليعطي الفقراء المحرومين .

وقد كان موريس لبلان احد المؤلفين الذين تخصصوا في تأليف القصص البوليسية التي انتشرت في أوربا في منتصف القرن التاسع عشر .

(م ٠ ن)

سعدي الشيرازي

● هناك شعر فارسي مشهور اسمه (سعدى) وله مؤلفات فارسية . فارجو افادتنا عنه ، وعما اذا كان بعض هذه المؤلفات قد ترجم الى العربية؟وما هو سبب عدم شهرته فى البلاد العربية مثل عمر الخيام ، مع العلم انه يعد من عظماء الشعراءالقدامى ، وهل هناك بعض من مترجماته الى العربية اذا وجد ؟

م .م حسين على
الدوحة / قطر

ــ للتوضيح اولا نقول ان سعدى الشيرازى هو مصلح الدين ابو محمد عبد الله بن مشرف بن مصلح بن مشرف . واللقب ؟ سعدى ؟ هو انتساب الى الامير ابى بكر سعد بن زنكي وابنه الامير سعد ايضا ، من حكام شيراز التى منها هذا الشاعر ، وكان ابو بكر سعد وابنه سعد يؤثران قربهويعنيان به . يقول الدكتور حسين على محفوظ فى كتابه « المتنبى وسعدى » ان الشاعر ولد بشيراز فى اوائل العشر الاول من القرن السابع الهجرى ،اى بعد سنة ٦٠٠ ويقول الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه « مختارات من الشعر الفارسى » انه ولد قبل سنة ٦٠٠ بحوالى عشرة اعوام . والمهم ان والده توفى وهو صغير ، وان دراسته كانت بالعراق ففيه حفظ القرآن وتلقى علوم التفسير والفقه والتوحيد والادب . وكان اهم ماعنى به هو شعر المتنبى ، وعاد الى بلده شيراز فصار متمكنا من العلوم العربية وآدابها . وفى كتاب الدكتور حسين على محفوظ تخريج لاشعاره الفارسية التى اقتبسها من القرآن والحديث ، وكلام الامام علي والحكم والامثال العربية ، ومن اشعار العرب الجاهليين الاسلاميين والامويين والعباسيين ومن المتنبى خاصة . والف كتبا منها « بوستان » و « كلستان » وله ديوان يبلغ ١٢٠٠ صفحة ، واشعاره سبعة عشر الف بيت غير النثر .

ولم تترجم مؤلفاته الى العربية وانما ترجمت مقتطفات من ادبه ، وله شهرة فى العربية هو والفردوسى صاحب الشاهنامة المتوفى سنة ٤١١ هجرية ، وعمر الخيام الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى حتى اوائل القرن السادس وحافظ الشيرازى المتوفى ٧٩١هـ ، وكل منهم ترجم له فى العربية مقتطفات ، وعمر الخيام الذى برع فى الرياضة لم يشتهر الا برباعياته التى ترجمت الى عدة لغات ، ومنها اللغة العربية ، وان كان بعض الرباعيات منسوبا اليه وليس من انتاجه .

وهذه مقتطفات من معانىشعر سعدى الشيرازى ترجمها الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه « مختارات من الشعر الفارسى »

وقع سعدى الشيرازى اسيرا فى ايدىالصليبيين ففداه كبير من حلب بعشرة دنانير ثم زوجه ابنته وقد عانى سعدى من خلقها السيء ، وحينافتخرت عليه بان اباها فداه ، اجابها : انه فداه بعشرة دنانير ليبيعه بمائة دينار هى قيمة الصداق الذى

الرحالة بن ماجد

● كثيرا ما نقرأ اسم الرحالة ابن ماجد فى الكتب التاريخية ، فهل لكم ان تكتبوا لنا نبذة عن حياته ، واين ومتى ولد ، وما هى اهم اكتشافاته ؟

س . ج . البكر
الدمام ــ رأس تنورة

ــ ابن ماجد بحار العرب الاول ، هدى فاسكودى جاما واعانه على بلوغ الهند ، وقد نشرنا مقالا وافيا عنه فى العدد رقم ٢٩ من العربى الصادر فى ابريل من عام ١٩٦١ .

أبوزيد الهلالي لَيسَ شخصية خرافية

• قرات كتاب « تغريبة بني هلال » عن ابي‌زيد الهلالي البطل .. ترى هل هو خرافي أو صحيح ؟ ولماذا أغفله التاريخ ؟

حمد مختار
الرياض ـ السعودية

ـ أبو زيد الهلالي ، والظاهر بيبرس ، وسيف‌بن ذي يزن وعنترة بن شداد ، وأمثال هؤلاء الذين الفت فيهم أساطير وقصص شعبية ، هم‌اشخاص كانوا فعلا ، لكن ما نسج حولهم هو من عمل الخيال الفسيح . ان تغريبة بني هلال‌التي تبلغ اقاصيصها عدة أجزاء ، وكذلك سيرة الظاهر بيبرس التي تبلغ خمسين جزءا ، وقصه‌سيف بن ذي يزن التي بلغت سبعة عشر جزءا ؛ وقصة عنترة بن شداد التي‌بلغت ثمانية وثلاثين جزءا ، كلها ابدع فيها مؤلفوها بطريقة شعبية جذابة ، ليس فيها من حقائق التاريخ الا النزر اليسير وابو زيد الهلالي نفسه اسمه سلامة بن رزق ، وذكر ابن خلدون في تاريخه ، عن بني هلال في ج٦كما ذكر اسم الجازية والسلطان حسن . وكتب‌جماعة عن هذه القصص الشعبية ، منهم الدكتور احمدامين ، وقبله كلوت بك ، وبعدهما الف الدكتور عبد الحميد يونس رسالة دكتوراه عن أساطيرهم. (ع . ف)

تكفل به والدها ، ثم اورد شعرا هذه ترجمته :

سمعت ان راعيا مسنا أنقذ من فم ذئب ومخالبه
وفي المساء حز عنقها بالسكين
فانتحبت روح الشاة قائلة
قد انتزعتني من مخالب الذئب
على حين رأيت فيك انت لي ذئبا

ومن شعره ايضا الفارسي . نقتبس بعض ترجمته الاتية :

اذكر ذات مساء لم تغمض لي فيه عين
انى سمعت فراشة تقول لشمعة
انا عاشقة ، فلي ان احترق
اما انت فلماذا البكاء والحرقة
فأجابت الشمعة : اى صديقتي المسكينة
قد ذهب عني شهد حبيبي الحلو .
فاذا احرقت نار العشق جناحك
فانظري الى انا الذي احترق راسا لقدم
لا تنظري لنوري بضوء المجالس
بل انظري لخلجاتي وسيل قلبي المحترق

والسعدي الشيرازي ايضا شعر بالعربية ولكنه ليس كثيرا ولا جيدا .

(ع . ف)

العالم يتزايد بمقدار شخصين في كل ثانية من الوقت

• يقولون ان عدد سكان العالم في تزايد مستمر فهل يمكنكم اعطاؤنا فكرة عن مقدار هذا التزايد ؟

فادية سلطي ـ الزرقاء ـ الاردن

ـ صدر مؤخرا الكتاب السنوي للأمم المتحدة حول احصاء السكان ، ومنه نجيبك على سؤالك : مجموع عدد السكان في منتصف عام ١٩٦٦ يزيد ٦١ مليونا عن مجموع منتصف عام ١٩٦٥ وبكلمات أخرى فان عدد السكان قد تزايد بمعدل صاف يقدر بنحو ١٦٧ الف نسمة يوميا خلال السنة التي شملها الاحصاء .. أي‌ان عدد السكان يتزايد بمقدار شخصين تقريبا في كل ثانية من الوقت !

وقد سجل الكتاب أعلى نسبة لازدياد السكان في منطقة امريكا الوسطى ، وتبلغ ٣ر٥٪ .

وقد بلغ مجموع سكان العالم ٣٣٥٦ مليون نسمة في منتصف عام ١٩٦٦ .

(س . ز)

رينولدز

REYNOLDS

رسام أصم جمع بين الثقافة والفن

(انظر صفحة ٢)

■ عندما خرج جوشوا رينولدز Joshua Reynolds الى الحياة في عام ١٧٢٣ لم يكن احد يتوقع ان يصبح هذا الطفل الاصم من أشهر رسامي انجلترا ..

وعندما أتم الخامسة من عمره .. كان يحب دائما أن يختلي بنفسه ليمسك بالقلم ويرسم خطوطا متشابكة على الورق .. وبمرور الأعوام بدأت هذه الخطوط المتشابكة تتحول الى خطوط واضحة تبين وجوه زملائه في المدرسة ..

وعندما بدأ رينولدز يدرس الأدب في مدرسته ببلده بلايميتون بمقاطعة ديفون في انجلترا تأثر في أعماق نفسه بأعمال جوناثان ريتشاردسون وطريقة وصفه الادبية وبدأت تجيش في صدره وتملأ خياله الرغبة في التعبير عما يراه في وجوه الناس برسمها .. وقرر ان يحترف الرسم ..

وفي عام ١٧٤٠ عندما أتم السابعة عشرة من عمره غادر رينولدز بلدته الصغيرة الى لندن ليبدأ خطوته الأولى نحو تحقيق أمله ..

وفي لندن قضى رينولدز ثلاث سنوات يتدرب على أيدي الرسام توماس هدسون ثم عاد الى ديفون .. وبدأ يرسم وجوه أصدقائه .. ولكن رسومه جاءت بدائية من الناحية الفنية .. ومرة اخرى حمل الفنان الصغير أمتعته ليذهب الى لندن وكان ذلك في عام ١٧٤٤ وهناك بدأت أولى مراحل شخصيته الفنية في الظهور والتبلور واصبح لـه اسلوبه الفنى الخاص في رسم الوجوه .. ولم يقنع الفنان الشاب بما وصل اليه من شهـرة لا بأس بها وبدأ يتطلع الى الاستزادة من الدراسات الفنية فأبحر الى جزيرة مينوركا الاسبانية في عام ١٧٤٩ وامضى بها خمسة أشهر ولازمه سـوء الحظ فاصيب في حادث ترك له ندبة على شفتيه. واصبح يعانى من عاهتين .. تشويه في الوجه .. وضعف في السمع يصل الى مرتبة الصمم لازمه منذ طفولته .

ومن مينوركا سافر الفنان الى روما حيث امضى عامين استطاع خلالهما أن يلم بتفاصيل الأعمال الفنية الكبرى الموجودة هناك .. واثمرت هـذه الدراسات وبدأت تنعكس آثارها على لوحـات رينولدز .. وقرر الفنان ان يعود الى بلاده عـن طريق فلورنسا وبولونا وفينيسيا وكلها مراكز للفن عظيمة وخلال هذه الرحلة خلبت طـريقة التلوين الفينيسية لب الفنان الانجليزى وبالرغم من انه كان ينادى طول حياته بحاجة كل الفنانين الناشئين الى دراسة اعمال مايكل انجـلو ورافاييل الكلاسيكية الا ان اعماله هو قد تأثرت بطريقة التلوين الفينيسية في استعمال الأضواء والظلال ..

وعاد رينولدز الى لندن في عام ١٧٥٣ وبدأ يرسم طريقه نحو المجد والشهرة وفي عام ١٧٦٠ تم انشاء جمعية الفنانين التى بدأت تقيم معارض تعرض فيها على الجمهور أعمال الفنانين المعاصرين



وذلك لأول مرة في تاريخ انجلترا .. وبعد نجاح جمعية الفنانين قامت محاولات لانشاء اكاديمية للفنون تحت رعاية الملك جورج الثالث وفعلا بدىء في انشاء الاكاديمية في عام ١٧٦٨ وبالرغم من ان الملك جورج كان يكره الرسام رينولدز ولا يعجب باعماله او لوحاته الا ان رينولدز كان الفنان الوحيد الذى يصلح مديرا لهذه الاكاديمية ... وفعلا تم تعيينه في هذا المنصب وانعم عليه الملك جورج الثالث بلقب سير ..

ولكن ما هو السبب الذى من أجله اضطر الملك جورج الى تعيين رجل يكرهه في منصب فنى كبير .. ؟!

ان السبب الرئيسي يرجع الى شخصية رينولدز نفسها .. فقد كان يفضل صحبة الادباء والمثقفين على صحبة زملائه الرسامين ومن بين اصحابه الدائمين الدكتور صمويل جونسون Dr. Samuel Johnson رائد الأدب الانجليزى الشهير وصاحب اول قاموس .. وادموند بيرك Edmund perck السياسي الكبير الذى اشتهر بمعارضته للثورة الفرنسية واوليفر جولد سميث Oliver goldsmith الشاعر الانجليزى المعروف وكان لهذه الصداقة تاثير كبير على عقلية رينولدز وعلى فنه ايضا فقد كان يراعى ان يقدم في الصورة التى يرسمها لوجه الشخص الذى امامه تعبيرا قويا يحلل فيه شخصيته وهكذا كان الفنان يعوض فقدانه حاسة السمع بحاسة الابصار الحاد الذى يتغلغل الى اعماق الشخص الذى امامه .

وكان رينولدز يتمتع بمواهب أدبية كبيرة وعندما مات صديقه جولد سميث امسك بالقلم ليرسم لوحة ادبية يصف فيها مآثر صديقه الراحل وبهذا اثبت انه يستطيع ان يرسم صورة لشخص عن طريق الكتابة كما يستطيع ذلك عن طريق الفُرشاة والالوان .

كان رينولدز محاضرا ممتازا قدم كل خبراته كرسام قديم له تجارب كثيرة الى تلاميذه الذين التحقوا بالاكاديمية .. وكانت محاضراته تعكس دائما الكثير من افكاره وتاملاته ومشاكله التى كان يعانى منها بالنسبة للخطوط والالوان .

وفي عام ١٧٦٩ بدأت لوحات رينولدز تعرض في اكاديمية الفنون ومن الأعمال الشهيرة التى قام بها رينولدز في بداية حياته الفنية اللوحة المسماة « كومودور كيبل » Commodore keppel وهى موجودة الآن في المتحف البحرى بجرينويتش .. ويتضح في هذه اللوحة تاثره باعمال الفنان «تيتيان تينتوريتو» Titian tintoretto

اما لوحة « عائلة دوق مارلبره » فتعتبر من اشهر اللوحات التى عرضت له في أكاديمية الفنون وقد تم عرضها في عام ١٧٧٨ ..

ولم يتجمد الفنان الذى وصل الى أرفع منصب فنى في ذلك الوقت بل قام في عام ١٧٨١ بزيارة هولندا حيث درس أعمال الفنان « روبنز » Rubens وظهر تاثير فن روبنز على لوحة « دوقة ديفونشير وابنتها » .

ولكنه اصيب بالشلل في عام ١٧٨٢ وتوالت عليه الأمراض وظل يقاوم المرض حتى بدأت قوة ابصاره في الاضمحلال وكانت آخر محاضرة القاها الفنان في أكاديمية الفنون في عام ١٧٩٠ ..وبعدها استسلم للمرض وفقد نعمة الابصار التى كانت تعوضه عن حاسة السمع التى فقدها وهو صغير ولم يعد يبقى له شيء .

وفي ٢٣ فبراير ١٧٩٢ انطفات شعلة الحياة في الفنان الذى وهب الحياة لكثير من اللوحات التى توجد الآن في متاحف بريطانيا واوروبا . ■■



صقر .. وغربان !

بقلم : جان الكسان

كان يتدرب ... ويأكل ... ويشرب الشاى ... ويدخن (خصوصي للجيش) *. وكان متفوقا بين رفاقه ... كان القدوة ... وظل القدوة ... ليس لرفاق السلاح فحسب ، بل لكل أبناء الجبل العربي .. جيل النكبة .. وجيل القضية ..

فى « المليحة » ، قريته ، كان يعد النجوم دون أن يعبأ بكلام خالته التي كانت تحذره من عدها ، حتى لا تنمو الثآليل فى جسده ... كان صغيرا .. وفى أماسي الصيف كان يتمدد على الفراش القطني فى صحن الدار .. وجهه الى السماء الصافية ، وعيناه تتابعان النجوم وهما تعدانها .. وكان يحلم أن تهبط يوما احدى تلك النجمات الذهبية زائرة الى فراشه ! .

فى الأيام الأولى لوصوله الى المعسكر ، قال عنه عباس انه من وادى الفرات .. أما العريف ناصر فقد خمّن انه ابن صياد من الساحل .. وعندما سأله عباس عن منطقته قال : مشرق ...

كلمة واحدة ، اختصر بها الجواب على تساؤلات وثرثرات ... شعر زملاؤه انها عقيمة ... فما الفرق أن يكون الوافد الجديد من وادى الفرات أو من سهول حوران أو ابن قرية فى الغوطة أو على الساحل ؟! .

كان سعيدا فى المليحة .. وأحلامه كانت تقطع كل المفازات .. تتحدى التلال والسهول والأشجار والسواقي .. وتظل في اطلالة عالية كصهيل فرسه (كحلا) عندما تحطم عناد قمة التل الغربي ..

وفى يوم تسلم من المخفر (ورقة تبليغ) .. وكان عليه أن يلتحق بالمدينة ليَنتقلَ من هناك الى احد المعسكرات ..

وقرب الحافلة ـ « باص » القرية الهرم ـ وقف والده العجوز بقامة منتصبة يشد على يده ويقول : هذه الأرض قد رعتك يا ولدى حتى أصبحت هذا الرجل الذى يقف امامي .. لقد امضيت أنا فى الجندية اكثر عمرى .. حاربت فى الدردنيل ، واليمن ، وميسلون ، والغوطة ، وجبل العرب ، وفلسطين .. وكنت دائما اعرف واجبي .. وعليك أنت أن تعرف واجبك فى حياتك الجديدة ...

وسارت الحافلة .. وانزوى في مكانه يفكر في كلمات أبيه ... أحس أن رجلا وُلِدَ فيه مع هذه الكلمات ... كان يتوقع أن يعانقه أبوه وهو يبكي ويقول : « احم نفسك من الأخطار يا ولدى .. هذا قدرك » .. ولكن والده لم يقل هذا .* لقد ربت كتفه بهمة شاب معتدّ بقوته .. فشعر هو باعتزاز كبير .. شعر بدماء حارة تتدفق فى رأسه وعروقه .. وبقلبه يكبر ويكبر .. حتى خيل اليه لحظتها ان في وسعه أن يوقف الحافلة بسبابة يده ... وفى المعسكر ، ظل عدة أيام منطويا على نفسه .. فاطلق عليه عباس اسم (برئ) ..

ومع الأيام بدأ التآلف يشده الى الرفاق .. وأصبح من المألوف أن يصيح به عباس بعد انتهاء التدريب اليومي : « صقر .. جهّز الشاى » .. وعندما يهم صقر بملء الأقداح يقول عباس : صب من هذا الشاى الرائع .. صب .. سيأتى يوم أتفوق فيه عليك فى صنع الشاى ...

ـ ولكنك متفوق فى التدريب .. وفى استخدام المدفع ..

ـ الرجال مخبأون في ثيابهم .*.

ـ ولكنك خضت معركة نيسان ...



ـ قد تفعل اكثر مما فعلت لو كنت مكاني .. او لو وجدت نفسك فجأة في معركة .. اصبر ، فالمعارك قادمة ...

ـ هل تتوقع معركة قريبة ؟ ...

ـ العدو غادر .. وقد يفاجئنا بالعدوان ...

★ ★ ★

بعد ايام، وفي فجر خميس، وكان صقر قد انهى نوبته وسار متجها الى « البلوكوز » ...

وفي الطريق راى العريف ناصر الذى بادره :

ـ هل انهيت نوبتك ؟ ...

ـ اجل ... احسستها نوبة قصيرة ... اصبحت احب هذا المدفع يا حضرة العريف ... انني اضع خدى على حديده البارد وأحلم ...

ـ تحلم ... بماذا ؟ ..

ـ ستضحك مني اذا قلت ان هناك حلما يرافقني منذ الطفولة ...

ـ وما هو ؟ ..

ـ كنت في طفولتي اتمدد على الفراش في صحن الدار اعد النجوم واتابع توزعها ولمعانها .. وكنت

أسقط منها واحدة .. اثنين .. ثلاثا .. ولكن الغربان لم تتوقف .. كانت تفد بكثرة ، كأنها تتوالد ! .. كانت تغطي فوقه السماء .. ولكنه ظل يتحداها .. أسقط الرابعة .. ثم الخامسة ..

احلم ان تهبط يوما احدى تلك النجمات زائرة الى فراشي ..

ـ واذا لم تهبط .. هل ستسقطها بالمدفع ؟ ..

ـ أجل ...

ـ دع عنك أحلام الطفولة .. وفكر في شيء واحد فقط ..

ـ وما هو ؟ ...

ـ أن تسقط بهذا المدفع طائرة معادية ...

★ ★ ★

بعد أيام ...

دخل عباس « البلوكوز » .. ولأول مرة لم يطلب الى صقر أن يعد الشاى ، بل قال :

ـ هل استمعت الى الانباء ؟ ..

ـ ماذا هناك ؟ ..

ـ اعداؤنا يدبرون عدوانا ...

ـ انهم يدبرون ذلك كل يوم ...

ـ يظهر أن العدوان هذه المرة مختلف ..

ـ ومدعوم .. اليس كذلك ؟ .

ـ وماذا سنفعل ؟ ...

ـ بالنسبة لنا ، مهمتنا معروفة .. سنظل خلف هذا المدفع نحارب حتى ننتصر ، او نموت ...

★ ★ ★

ومرت الايام ثقيلة .. ولكن في الجو شيئا مشحونا بالتوجس ...

وفي المعسكر كان صقر ورفاقه في استنفار دائم حول مدافعهم المضادة للطائرات ، والمنتصبة نحو الأعلى لتصد غربان الشر ...

وظل صقر يحلم ...

كان يريد أن تظل السماء صافية .. شمسها ساطعة .. ونجومها متلالئة .. كان لا يريد ان تغزوها غربان الشر ... أن تلوث صفاءها ، وتخنق سناء نجومها .. وسطوع شمسها ..

وكان ينام قريبا من المدفع .. صديقه الوفي الذى ما خانه ابدا .. والذى ينتصب امامه باعتداد رهن اشارته ...

وجاءت غربان الشر ...

جاءت تلوث صفاء السماء ...

وتخنق سناء نجومها المتلالئة ليلا ...

وتشوه سطوع شمسها المشرقة نهارا ...

وتطاير الغضب من عيني صقر ورفاقه .. واصبح امام صقر هدف واحد .. أن يمنع غربان الشر عن سماء الوطن ...

ان يقتلها ..

ان يسقطها ...

ان يحرقها ...

وزغرد المدفع بين يديه .. شجاعا .. وفيا .. دقيقا .. واصاباته لا تخطىء .. وتساقطت الغربان ..

أسقط منها واحدة .. اثنتين .. ثلاثا ...

ولكن الغربان لم تتوقف .. كانت تفِد بكثرة ، كأنها تتوالد ! .. كانت تغطي فوقه السماء .. ولكنه ظل يتحداها ... أسقط الرابعة .. ثم الخامسة ! وانّ المدفع بين يديه لكثرة ما اطلق... اصبح قطعة من نار ... ولكنه ظل يجاهد مع صاحبه ... وانهالت فوقه القذائف والحمم ... انقضت الغربان بوحشية .. ولكنه ظل صامدا ... لم يتحرك من مكانه .. فهو في المعسكر الذى احب .. فوق التراب الذى رائحته في انفه .. فوق الاعشاب البرية التي كان يتمدد عليها اثناء التدريب الصباحي ويمرغ وجهه في سوقها الندية ...

واصابته شظية غادرة ...

ولكنه ظل صامدا ..

وتكاثرت الغربان ... وتكاثرت الشظايا ... والقنابل المحرقة ... والصواريخ .. وسقط شهيدا الى جانب المدفع ...

★ ★ ★

في قرية المليحة ، وبعد أيام ثلاثة ، تناهى الى الآذان صوت زغرودة ضعيفة من دار ابي صقر .. وتراكض اهل القرية ليفاجأوا بام صقر تطلق الزغرودة تلو الأخرى وهى تصيح ، ودموعها تسيل :

ـ هنئوني .. هنئوني .. استشهد صقر .. استشهد صقر .. اسقط خمس طائرات قبل ان يموت .. خمس طائرات ... هل تسمعون ؟ ...

دمشق ـ جان الكسان



بنك الكويت الوطني ش.ك

المركز الرئيسي : الكويت ص.ب : ٩٥ ت : ٨٤٩٠ العنوان البرقي : ناشيونال

أكبر بنك عربي غير حكومي

رأس المال والاحتياطي ١٣,٢٤٩,٢٠٠/٠٠٠ د.ك

مجموع الموجودات ٢٢٣,٦٣٠,٨٧٦/٠٠٠ د.ك

حسابات التوفير بفائدة

خزائن حديدية لحفظ الحاجات الثمينة

طرائف عربية

حقود حسود

● قال عبد الملك بن مروان للحجاج : انه ليس من أحد الا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف لي عيوبك . فقال الحجاج : اعفني يا امير المؤمنين من هذه المسألة . ولكن عبد الملك الح عليه الحاحا شديدا . فقال الحجاج : اعلم يا امير المؤمنين اني لجوج لدود حقود حسود . فقال له عبد الملك : لقد انتحلت الشر من حذافيره، وما في ابليس شر من هذا .

ان كان لك ... فلك

● اتى رجل من بني مجاشع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الست افضل قومي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك دين فلك تقى ، وان كان لك مال فلك حسب ، وان كان لك خلق ، فلك مروءة .

عود ... لتعود

● احب احد الشعراء قينة ، وكان يزورها بين الحين والحين ، وفى احد الايام عزم على الحج فسالها ان تعطيه خاتما كان فى يدها ، ليذكرها به فقالت : انه ذهب ، واخاف ان تذهب ، ولكن خذ هذا العود ، فلعلك تعود .

مجادلات

● لقيَ جَهم بن صفوان رجلا من اليونانيين ، فقال له اليوناني : هل لك ان تكلمني واكلمك عن معبودك هذا ، ارأيته قط ؟ قال : لا . قال : فلمسته ؟ قال : لا . قال : فذقته ؟ قال : لا . قال : فمن اين عرفته ، وانت لم تدركه بحس من حواسك الخمس ، وانما عقلك معبر عنها فلا يدرك الا ما اوصلت اليه من جميع المعلومات . فتلجلج جهم ساعة ، ثم استدرك فعكس المسألة عليه ، فقال له : ما تقران لك روحا ، قال نعم ، قال : فهل رايته او ذقته او سمعته ، او شممته او لمسته ؟ قال لا : قال فكيف علمت ان لك روحا ؟ فاقر له اليوناني .

حكمهم

● حكي ان احمقين اصطحبا في طريق، فقال احدهما : تعال نتمن على الله ، فان الطريق تقطع بالحديث .

فقال احدهما : انا اتمنى قطائع غنم، انتفع بلبنها ولحمها وصوفها . وقال الآخر : انا اتمنى قطائع ذئاب ارسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا .

قال : ويحك ! اهذا من حق الصحبة

اين لسانك من فكيك

● لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا اراد الكلام تفكر ، وان كان له قال : وان كان عليه سكت . وقلب الاحمق من وراء لسانه ، فان اراد ان يقول قال . فان كان له سكت ، وان كان عليه قال .

بعد الشدة الفرج

● حكى الجاحظ قال : كنت في حانوت رجل عطار ، وبينما انا جالس معه اذ جاءه رجل من الطوافين يبيع العطر في طبق يحمله على يديه ، فدفع لصاحب الحانوت عشرة دراهم وابتاع منه اشياء سماها من العطر ، فلما اراد ان يمضى سقط الطبق من يده وانكب جميع ما به ، فبكى الطواف وجزع . فنزلت اليه اصبره وأواسيه ، فقال الطواف يا جاحظ ليس جزعي بضياع ما ضاع فلقد كنت في قافلة فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذا فلم اجزع لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولد لي ولد هذه الليلة فاحتجنا لأمه ما تحتاج النفساء ، ولم يكن عندى غير هذه العشرة الدراهم فقلت في نفسي اشترى بها شيئا من العطر واطوف بها صدر النهار لعل الله يرزقني شيئا أسد به رمق اهلى فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لي الا الفرار .

وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يسمع الحديث فقال لي : اريد ان تأتي بهذا الرجل الى منزلي ، فلما ذهبنا أعاد الطواف عليه قصته فسأله عن علامة الهميان ، وفي اى موضع سقط ، فوصف له المكان والعلامة فقال الجندى : اتعرفه اذا رايته ؟ قال : نعم ان فيه من الفصوص كيت وكيت ، فجاء الجندى بهميان فتحه فوجده كما ذكر الرجل فقال له : خذ مالك بارك الله لك فيه .

اشد حمقا

وحرمة العشرة ؟ فتصابحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ، ثم تراضيا على ان يكون اول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما .

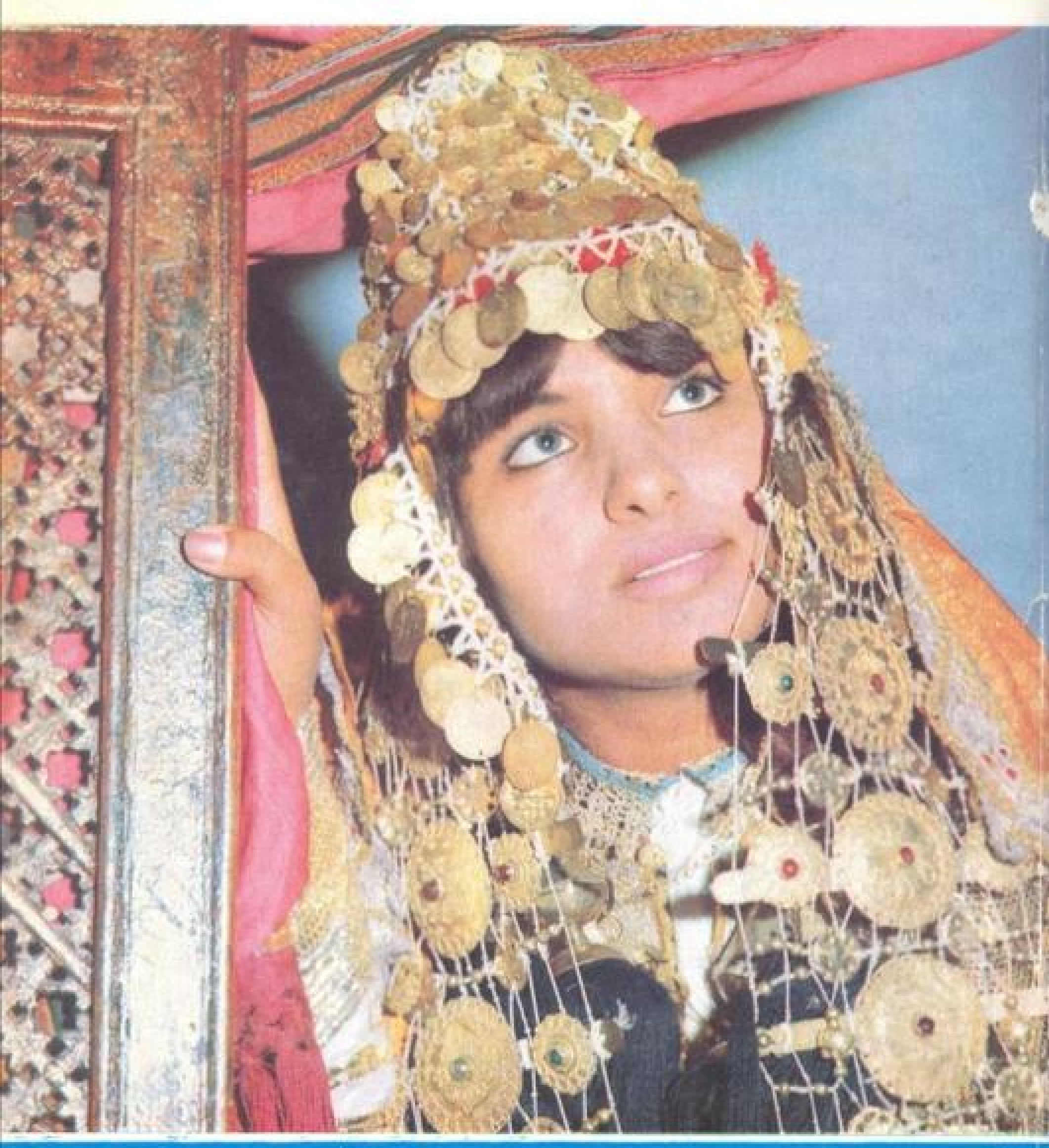
فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل ، فحدثاه بحديثهما ، فنزل بالزقين ، وفتحهما حتى سال العسل على التراب ، ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين .

حلم

● قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى اتي برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له هذا ابن اخيك قتل ابنك ؟ فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت الى ابن اخيه فقال له : يا بن اخي أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بني فوار أخاك ، وحل اكتاف ابن عمك ، وسق الى امه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة .

العربي

العـدد ١١٢
ذو الحجة ١٣٨٧
مارس
(آذار) ١٩٦٨



عروس من صفاقس : ثانية المدن التونسية

جوائز
١٢٠٠

الثمن

الكويت	١٠٠ فلوس			السودان	١٠٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
اليمن	[illegible]	سورية	[illegible]	الجزائر	[illegible]



قصة لوحة

● «الشرفة» : لوحة رسمها الفنان الفرنسي كلودمونيه Claude monet عام ١٨٦٦ ، وباعها بأربعمائة فرنك، ثم بيعت في ديسمبر الماضي بسبعمائة مليون فرنك ، أي ما يوازي ٥٦٠٠٠٠ جنيه استرليني !!

(انظر ص١٥)

عزيزي

القارىء



صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح
امير الكويت المعظم

أعياد ثلاثة

* عيد الله
* وعيد الشعب
* وعيد الطبيعة

أما عيد الله فعيد الاضحى المبارك ، فللمسلمين في ارجاء الارض جميعاً التهنئة الخالصة .

وأما عيد الشعب ، الشعب الكويتي ، فمنع منه الكف عن احتفال ، ولكن لا يمنع ذلك « العربي » من رفع التحية الى سمو امير البلاد ، والشعب الكريم . ومع التحية التهنئة ، ومع التهنئة رجاء من الله أن يرفع الغمة عن هذه الأمة ، انه سميع مجيب الدعاء .

وأما عيد الطبيعة ، عيد الربيع ، ففيه الزهر وفيه الثمر ، وفيه اليقظة من بعد غفوة طويلة ، لنا منها ان شاء الله الأمل المتجدد الواسع الجميل .

المحرر



العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

عـروبة :

لغـات ... وآداب :

تاريخ .. وتاريخ أشخاص :

طب وعلـوم :

فلسـفة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 112 Mars 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● تشهد تونس في السنوات الاخيرة ثورة على الازياء القديمة للرجال والنساء على السواء ، وكانت النتيجة أن بدأت الازياء الوطنية التقليدية تأخذ طريقها الى المتاحف ، ومن بينها هذا الزى الذى كانت ترتديه العروس التونسية ليلة زفافها ، والذى يتميز بكمية الذهب الذى يحف به وبصاحبته من كل مكان . (انظر استطلاع صفاقس ابتداء من ص ٤٤)

ديـــن :

تربية وعلم نفس :

ركن الاسرة والمرأة :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ٥١ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



اليهود فى عيد الميلاد

● خبر بسيط قرأته فى احدى الجرائدالانجليزية ، مؤداه ان عيد الميلاد لما حل ، وكان على الأطباء والممرضات فى كل من لندن ونيويوركان يواصلوا العمل فى مستشفياتهم رغم الاعياد ، تطوع اطباء من اليهود وممرضات منهم بالعمل فيهذه المستشفيات فى فترة العيد حتى يفرغ الأطباء المسيحيون والممرضات الى الاستمتاع بالعيد .وبلغ المتطوعون حوالى الف طبيب وممرضة .

تصرف بسيط اكسب الصهيونية دعاية انسانيةواسعة بين مختلف الطبقات والفئات .. فبالرغم من ان اليهود هم الذين صلبوا « المسيح » ومازال ايديهم ملطخة بدمائه الطاهرة ، وبالرغم من ان جنودهم ارتكبوا اعمالا شائنة وفضائح مخزيةتتنافى مع كل الاديان والتقاليد داخل المدينة المقدسة « اور شليم » ليلة عيد الميلاد المجيد كماذكرت وكالات الانباء الغربية ، الا ان الصهيونية لديها من الوسائل الماكرة ما يجعلها تموه علىالرأى العام العالمى فى كثير من الاحيان ..

ان السؤال الذى يلح على الآن وأريد أن اعرف اجابته ، هو : هل تطوع احد من الأطباء العرب غير المسيحيين ، ممن يقيمون فى لندن او نيويورك او اية بلدة اوروبية اخرى ، بالعمل ليلة عيد الميلاد بدلا من زملائهم الاطباء المسيحيين ؟ !

القاهرة ــ محمد جلال

لو كان جونسون امرأة ! ؟

● كاتبة انجليزية تدعى (آن الن) كتبت فى موضوع « القسوة » عند الرجال والنساء . فذكرت اشياء طريفة عديدة . ومنها انها تعتقد انه لو كان الرئيس جونسون امرأة لما اصر على الاستمرار فى حرب « فيتنام » حيث يهلك مئات من الشباب الامريكي كل اسبوع .. وقالت اننا كثيرا ما نسمع عن اب ضرب طفله الصغير ضربا اشرف به على الهلاك ... ولا نسمع مثل ذلك عن احدى الأمهات .. كما اننا لا نسمع أن طفلة خنقت قطة او شقت بطن ضفدعة فضلا عن أن المرأة اكثر ضبطا لنفسها ــ وهى تصاب بالامراض العصبية ــ لسببين : أولهما أن العادة الشهرية عندها امر كريه وصعب ، تعلمها أن فى الحياة اشياء لا تريح ولكن لا بد من تقبلها .. والثانى هو الحمل والانجاب وما تعانيه لكى تقدم الى الوجود كائنا بشريا جديدا .

فهيمة حسنين الجنابي/حلة/العراق

تصويب

صورة الحيوان المنوى بصفحة ١١ بالعدد الماضى سقط من كلامها كلمات، ووقع خلط ، وصحتها هكذا :

« الحيوان المنوى ليس كسائر خلايا جسم الانسان بها ٤٦ كروموسوما ، تصاحبت اثنين اثنين فصارت ٢٣ زوجا. الحيوان المنوى به نصف هذا العدد من الكروموسومات . وهكذا بيضة المرأة » .

ولدينا صفحة مصورة فى هذا الموضوع أعددناها للنشر منذ شهرين ننشرها فى العدد القادم ان شاء الله .

أين تختفى « العربــى »

● ارسل لكم هذه الرسالة والألم لا يفارق نفسي .. والشعور بالحزن يمتلكني .. ولا اعرف لمن اشكو :

مجلة العربى تصدر في أول كل شهر .. ولكن لا تصل حماه الا في منتصف الشهر .. فما السبب ؟!

في يوم الخميس ١٩٦٨/١/١٨ سمعنا بوصول العربى الى حماه .. وأسرعنا الى المكتبة فسألنا عنها فقال صاحب المكتبة انها نفدت .. وذهبنا الى مكتبة ثانية وثالثة ورابعة فكنا نجد لافتة كتب عليها « لا توجد لدينا مجلة العربى » . مع العلم ان اعداد المجلة كانت قد وصلت منذ نصف ساعة فقط . اذا اين ذهبت ؟ دققنا في الامر.. فوجدنا ان أصحاب المكاتب قد احتفظوا بالأعداد لاصدقائهم واقاربهم .. مطبقين المثل الشائع « الأقربون اولى بالمعروف » .. ونقصت مكتبتنا العدد رقم ١١٠ .

كلمة حق اقولها .. هي بمثابة رجاء ..

ارجوكم عدم اصدار اعداد ممتازة .. وعدم ارسال هدايا .. حتى نتمكن من شراء العربى .. دعوها كما هي بطابعها العادى كي يطرحها البائعون في السوق بلا احتكار .. وبلا اقارب واصدقاء .. لقد دفعت لأحد الباعة ثلاثة اضعاف ثمنها .. فما باعها .. فما رأيكم ؟

يوسف ابو الدان ـ حماه سورية

« العربى » : نشرنا هذه الرسالة دون تعليق ، لأنها في غير حاجة الى تعليق !

المسلمون فى الجزائر

● لقد تسلمت من اخي الكبير سعادة سفيرالكويت في بغداد عدد يناير من مجلتي المفضلة « العربي » وكان سروري عظيما بتلقي هدية المجلةالتي هي خارطة العالم الاسلامي ، مع احصاء مدقق لعدد سكانها .

لكنني رأيت وجوب المبادرة بارسال هـذاالاستدراك اليكم ، فيما يتعلق بالجزائر ، من حيث عدد السكان ، ومن حيث نسبة المسلمين منهم .

ان الاحصاء المنشور عن الجزائر انما هو احصاءالعهد الفرنسي . ولقد تغير نهائيا والحمد لله منذ الاستقلال .

فسكان الجمهورية الجزائريةاليوم ....٠٠٠ر٢٠٠ر١٢نسمة .

اما نسبة المسلمين من مجموع السكان ـ بعدالاستقلال ونزوح المستعمرين واليهود ـ فهي ٧٠ر٩٩ بالمائة . وهي اعلى نسبة في افريقيا واوروبا ،وتأتي مباشرة بعد الامارات المتصالحة واليمن ، بآسيا .

ولا يوجد اليوم بالبلاد الجزائرية من الاوروبيين المسيحيين الا زهاء مائة الف رجل ـ اغلبهم يعمل بعقود مؤقتة ـ ودون الثلاثة الاف يهودى ، فضلواالبقاء بالجزائر بعد فرار المستعمرين واليهود اثر الاستقلال . وقد كان المستعمرون ....٠٠٠ر١٠٠ر١نسمة ، واليهود ....٠٠٠ر١٢٠ .

احمد توفيق المدني

سفير جمهورية الجزائر الشعبية في بغداد

نحن

بقلم رئيس التحرير

● وُجُوهٌ مَسْتُورَةٌ بِحُجُبٍ مِنْ حَرِيرٍ، عَلَيْهَا الذَّهَبُ زِينَةٌ، وَالمَاسُ حِلْيَةٌ، أَسْفَرَتْ عَنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ الَّتِي عَرَفَهَا التَّارِيخُ العَرَبِيُّ فِي سَنَوَاتِهِ الطَّوِيلَةِ المَجِيدَةِ.

● وَنَخْجَلُ أَنْ نَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ، فَقَدْ أَعْطَانَا فَوْقَ مَا أَعْطَى النَّاسَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَكَفَرْنَا بِنِعْمَةِ اللهِ، فَحَقَّ عَلَيْنَا جَزَاءُ الكَافِرِينَ.

■ جاءني خطاب يأسف أن «العربي»، واسمه « العربي » ، قد تجنب في أشهره الأخيرة ، ومنذ نكسة يونيه بالذات ، الخوض في المسالة العربية .

ورايت ان استزيد راى الكاتب الفاضل تفصيلاً ، فوقعت على ما حدست .

انه يرى أننا نتناول الشئون العربية من نواحيها الكثيرة ، من حيث التاريخ ، والتثقيف ، والتوجيه ، وايقاظ النعرة العربية والاسلامية في النفوس . ولكنه يرى أننا نغفل ناحية هى عنده تساوى كل هذه النواحى معا . انه يريدنا ان نتحدث ونطيل الحديث في المسالة العربية وهو بهذا يعنى المسالة السياسية . عنده أننا يجب أن نتحدث في السياسة ، وفي السلم ، وفي الحرب ، وفي اسرائيل ، وفيما يجرى بين العرب من مقابلات ، وما يجرى في هذه المقابلات من أحاديث ، وما يكون فيها من اتفاق ، وما يكون فيها من اختلاف . وموقف سوريا والجزائر نتحدث فيه ، ونرضاه أو ننكره . وموقف غير سورية من بعض الأمم العربية التى ظاهرت برأى في ذلك دون سائر الدول ، ونتحدث فيه ، ونرضاه أو ننكره . وموقف الروس من العرب . وموقف الأمريكان منهم . وموقف الروس من

ـــة ولا كلُّ المِحَن !

على الجسر الى معسكر اللاجئين

حتى الطفلة ، اخفت وجهها خجلا ، وكأنها احست بالموقف المزرى الذى فات الحكام أن يدركوه ، أو يتداركوه !



• حكام علموا الشعوب الرقص على نغم واحد، فلما اختلف النغم شاع الاضطراب في الراقصين.

الامريكان في كل ذلك ، وموقف الأمريكان من الروس .

كل هذا يريد صاحبنا ان تتناوله ليكون « العربي » عربيا .

والذي نعلمه أن هذه الامور السياسية ، وهي خطرة كل الخطر ، ومتصلة بمستقبل الأمة كل اتصال ، تعالجها الصحف اليومية ، في كل البلاد العربية . ونقراها جميعا ، ونخرج منها على لا شيء . اجتمع فلان بفلان ، أو اجتمع وزير الخارجية هذا بوزير الخارجية ذاك ، او حمل هذا الوزير الى ذلك الرئيس او ذلك الملك أو ذلك الأمير رسالة شخصية . وتم كل هذا بين جميع الأطراف بالرضا التام والقبول الحسن .

أما ما هو الرضا التام او القبول الحسن فلا نعرف نحن عنه ، ولا تعرف الشعوب ، ولا حتى الصحف التي تعلنه ، شيئا . وهي لو عرفت ، ما أذن لها ان تنشر . انها مواضيع حساسة .

دوامة لو قرر المسئولون اختصار الصحف من اجلها لأراحوا القراء . اصبح القارىء اليوم لا يقرأ في الصحف المتداولة ، لا سيما الكبيرة ، في شئون هذه السياسة العربية ، غير العناوين . وان هو طلب الخبر لم يجده في صحيفة عربية من هذه ، ولكن قد يجده في اذاعة غربية . واكثر من اعلم ، ومنهم وزراء ، وسفراء وخبراء ، يقولون لي بصراحة ان مصادر علمهم واقعة فيما وراء البحار ، من الصحف والمجلات والاذاعات . وليس كل ما يظهر فيها ماذون بنشره . ومنها بالطبع الكثير المغرض .

هذه اذن هي المسالة العربية السياسية التي تجنبها « العربي » ، فزعم صاحبي انه بذلك اغفل شيئا من واجباته بحسبانه عربيا .

سياسة الأقنعة

ثم أي وجه مشرق من وجوه المسائل والمشاكل العربية يريد صاحبي ان تطلع عليه الناس . انها وجوه كانت مستورة بحجب من حرير ، عليها الذهب زينة ، وعليها الماس واللؤلؤ حلية ، فلما سفرت ، سفرت عن اقبح الصور التي عرفها التاريخ العربي في سنواته الطويلة المجيدة .

انها سياسة الأقنعة الذي ذهبت او كادت أن تذهب بمستقبل العرب في ثلاث عشرة دولة . نعم تذهب بمستقبل ثلاث عشرة دولة ، ولن تحسب دولة من هذه الدول انها ناجية ، لموقف خاص بها ، صغرت هذه الدولة او كبرت . انه بيت واحد ، اذا تداعى ركن منه فما اسرع أن يتداعى مثله وتتساقط سائر الأركان . الفرق بينهما يكون فرق تاريخ بشهادة وفاة . زيد جاءه قضاء الله عام ١٩٧٠ ، وعمرو جاءه قضاء الله عام ١٩٨٠ . قضاء الله نازل نازل على كل من تهاون في عروبته ، او تخاذل ، او طلب النجاة في وحدته وعزلته .

انها سياسة الأقنعة هذه هي التي اضرت بالأمة . حياة اكثرها ، على ما عرفتها أنا ، كلها خداع ، وقرع اجراس ودق طبول . وهي طبول دقها حاكم



هكذا كانت القنال .. فكيف اصبحت اليوم يا رجال ؟!

ودقها محكوم . وحكام علموا الشعوب الرقص على نغم واحد ، فلما اختلف النغم وتغير اللحن ، وصار اقرب الى الجد والحزن ، شاع الاضطراب في الراقصين . وتعلموا عندئذ ، وفقط عندئذ ، أن الحياة لا تكون كلها نغما واحدا ، ولا شعارات واحدة متكررة . تعلموا ذلك ولات حين تعلم . أو هكذا يقول قليلو الصبر مثلي من المفكرين .

وأسمع من يقول : أفصح

واسمع من يقول افصح .

وانا استطيع ان افصح، ولكن «العربي» لا يستطيع .

فسكوت « العربي » عن السياسة والخوض في المسائل والمشاكل العربية ، هو انه ، كسائر الصحف والمجلات والمنشورات في أكثر البلاد العربية (ولا

اقول كل البلاد لأعطى الفرصة لمن يريد ان يستثنى نفسه ان يفعل) . لا يستطيع ان يفصح عما يريد . ولا يحسبن احد هذا العجز مرده الى الحكومات وحدها ، بل ان مرد الكثير منه الى الشعوب ، من حيث درجة تفهمها ، ودرجة تثقفها ، ومن حيث الرواسب التى رسبتها فيها الأجيال . ولو ان الحكومات فتحت باب النشر على مصراعيه لقام في الناس من يأكل الناس أجساما وأعراضا ، ويعصف بالطارف والتالد .

ان النكبة الفلسطينية ايقظت الأمة العربية من سباتها ، ولحمت ما لم يكن قد التحم من وحدتها .

وان النكسة الاسرائيلية كشفت عما في الجسد العربى ، تحت اللحام ، من أسقام وأوجاع .

وكلاهما جرح الجسم العربى ، والروح العربية ، جرحين لا احسبهما يندملان على الزمان أبدا . وهما اذا اندملا ارضا ، لا يمكن ان يندملا روحا وذكرى .

واذلاه !

الا ، اى ذل هذا الذى رمانا به الزمان !

القناة ، قناة مصر التى شققناها في ارضنا ، وسكبنا في حفرها وعلى ترابها العرق والدموع ، نصبح ، ولا نستطيع ان ننزل رجلا واحدا في مائها من رجالنا . يمنع عرب مصر ، وهم ملايين ثلاثون ، مليونان اثنان على الجانب الشرقى منها، من نزول. ويقصفون ونشكو، ولانستطيع ان نثب الا الى الوراء !

ونشكو الناس الى الناس ، ونخجل ان نشكو الى الرحمن ، فقد كان أعطانا فوق ما اعطى الناس اضعافا مضاعفة .. وكفرنا بنعمة الله ، فحق علينا جزاء الكافرين .

الباطل أساس العيش

ان الحقيقة ليست بالشيء العزيز ، الخفى الكبير الخفاء .

ان الأمر قد ينبهم حينا ، ثم ينجلى. ويراه الرائى جليا ، واضح الحدود .

ولكنه لا يلبث أن يود لو عاد فرآه منبهما مطموسا .

ذلك ان الحقيقة دائما تؤرق . ومن الحقائق ما يجعل من ضياء النهار ليلا اسود،والناس تكره الظلام وتحب النور، ولو حلما ، ولو زورا .

واول ما يناقض الانسان الحقيقة يناقضها في نفسه . انه يجلس وحده ، في أمسية هادئة ، في حجرة من بيته ، يتامل ما صنع وما يصنع ، ويجد الكثير الذى لا يرضي . الكثير الذى لا يرضاه قولا . والكثير الذى لا يرضاه عملا . والكثير الذى اراد ان يفعله ، وهم به ، ولم يكد . حواجز من نفسه تقوم دون ذلك . حاجز من وراثة. حاجز من نشاة. حاجز من تقليد . حاجز من هواء ،ولكن نشاته مع نشاة النفس، جعلته من حديد فولاذ .

وحواجز من غير نفسه . حواجز تقوم بينه وبين الناس . يصنعون الخطأ ، وهو لا يرضاه ، ويحتم عليه الأدب السكوت . او يحتمه عليه الخوف من النزاع . او يحتمه عليه اضاعة الرزق ، وما أيسر ما تقطع الناس ارزاق الناس .

وبين حواجز يجدها الانسان في نفسه، وحواجز تقوم دونه في الناس ، اختفت

الحقيقة عنده، فهي لا تكاد تطل براسها، حتى تعود فتختفي .

وباختفاء الحقيقة يسود الباطل .

والحق الذى لا مرية فيه ، والذى يعرفه كل من مارس العيش ، والذى يستطيع ان يصدع به انسان ولا يناله الأذى ، هو ان هذا العيش ، عيش الناس في دنياهم ، لا بد له من الباطل لكي يبقى ويستمر .

ان الباطل اكبر ثمرةً بين الناس من الحق ، وهو اسرع اثمارا . والذى يعين الباطلَ يكسب . والذى يعين الحق يخسر . ولست اقصد بالحق ، الحق التافه ، ولكن اقصد به الحق الذى يتصل بأصول الحياة ، بأصول العيش ، بفكرة الوجود ، وانماط السلوك ، والمعتقدات جميعا .

كم يختلف الناس في كل هذا ، وكم يحبس كلُ على ما يبطن .

ان عنده ، أن الحق عنده . وان الباطل ما عند غيره . ولكنه يسكت . انه يضمر ، لان الاضمار السلامة .

ولكن اكثر الناس لا يكتفي بالسلامة التي يأتي بها السكوت . انها تدفع خسرانا ولا تأتي بكسب ، وهو يريد كسب .

اذن هو لا بد ان ينطق يناصر الباطل . لان في قول الباطل الكسبَ أكبرَ الكسب .

وينقلب الاضمار والسكوت الى نفاق .

والنفاق لا بد أن يسمعه من عندهم النفاق يروج . وهو يروج عند شعوب ، وعند حكام شعوب .

وسبيل ذلك النشر ، النشر بكل الوسائل . بالصحف . بالمجلات . بالاذاعات . بالتلفازات .

فوسائل الاعلام هذه مرايا ينعكس فيها ما يريد اهل بلاد ان يعلنوه ، من حق ، وأن يعلنوه من باطل .

وانسجاما مع ما ذكرناه من غلبة الباطل ، وجب أن يغلب الباطل في صحف الأمم على الحق . لا في الأمور الرخيصة ، من ان فلانا رحل وفلانا حضر ، ولكن في الأمور ذات الوزن الثقيل . تلك التى تتصل بأصول الحياة وتحقيق آمال العيش فيهم .

ولكن ، حتى في الرجال القائمين على الصحف . من يخالف احيانا ، وربماً بالحقيقة ان ينالها التشويه ، فيجهر بالذى يجد .

فأمثال هؤلاء يخالفون طبيعة العيش .

واذن يسرع الحكام الى رد الطبيعة الى أصولها، وتغليب الباطل ، فيشرّعون ما اسميناه في العصور الحديثة بالرقابة على الصحف .

وتسأل المشرع في ذلك ، وتقول : كيف تمنعون الحق ان يقال ؟ فيكون الجواب ، هو جواب الدهر الحكيم المعروف الشائع : ما كل حق يقال ، لا سيما في هذا الوقت ، والأمور متأزمة .

ومعنى هذا بلغة اخرى . أن الزمان حساس ، وليس له الا الباطل لغة كلام .

والرقابات انواع .

كأقنعة النساء تماما .

منها الخفيف الذى يشف عما تحته او يكاد .

ومنها الكثيف الذى لا تدرى من تحته ، رجل هو ام امراة . .

والرقابة الكثيفة تؤدى الى ما يؤدى اليه اطفاء المصابيح في كل الدور في شتى البلاد . وفي رواق الظلام تسرق المئات من الألوف ، ويقاد الى السجن الأبرياء ،

وتهتك الأعراض ، ولا احـد يدرى .
حتى اذا قَرضتْ الشمس نفسها على الناس قرضا،ذُهل الناس للذى تكشف، وكان اول مذهول بينهم صاحب تشريعهم الاول .

الا ان الجهل ظلام ، والعلم نور .

وان الفقر ظلام ، والثراء نور .

وان الذل ظلام ، والعزة نور .

وان الخوف انما يكون في الظـلام ، والطمأنينة حيث النور .

والمتستر بالظلام ، انما ينشر الخوف والذل والفقر والجهل والعمى .

والأعين خلقت للابصار ، ومنْ اجل هذا خلقت الشمس منيرة بيضاء . ولو شاء ربك لخلقها معتمة سوداء .

وفي الظلمة تعيش الخفافيش . واعين الخلائق في اعماق البحار تنضمر بقدر ما يُحجَب عنها الضياء .

والله نور السموات والأرض .

مَثَل نوره كمشكاة فيها مصبـاح ، المصباح في زجاجـة ، الزجاجة كأنهـا كوكب دُرّى ، يُوقد من شجرة مباركة، زيتونةٍ ، لا شرقية ولا غربيـة ، يكاد زيتها يضيىء ، ولو لم تمسسه نار .

نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشـاء .

ما المصير ؟

ويسألنا سائل آخر ، ما المصير ؟

والمصير في يد من يشكلون المصائر ، ومن ورائهم عون الله ، والله في عـون العبد ما كان العبد في عون نفسه .

والذى يصنع المصائرهم الشعـوب ، ومع الشعوب حكامها .

الحكام الصالحون ، والشـعـوب الصالحة ، معا .

اما الحكام فقد خيب اكثرهم امـل الشعوب فيهم . واقول اكثرهم لغاية . ولقد حضرنا في حياتنا من اول هـذا القرن حكاما اسموهم بالدكتاتوريين ، احتكروا العقل ، واحتكروا الفهـم والحذق ، واحتكروا الحكمة من بعـد ما احتكروا السلاح والقوة ، ثم كانوا على شعوبهم وبالا .

ولقد حضرنا في حياتنا كذلك حكاما اسموهم بالديمقراطيين ، كانوا اشـد بشعوبهم نكالا .

وبقي امر الحاكم الصالح مشكلة .

ان اول ما يراه الحاكم الفرد، المخلص، المرجو صلاحه ، ان شعبه في حاجة الى اصلاح . ولكنه اصلاح ، يخيل اليه ان الشعب قد لا يرضاه . فهو اذن لا بد ان يحجب شعبه عما يريد له من خير ، او ما يظنه خيرا . ما يظنه هو وبطانتـه خيرا . وقد يصدق فيما يظن ، وقـد يخطىء . وانما الشر يبدأ باقامة هـذا الحجاب بينه وبين الشعب .

وانا افرق بين الحاكم المخلص والحاكم الصالح .

الحاكم المخلص موجود ، ولكني اطلب الحاكم المخلص الصالح ، وامره اعصي .

ان المتتبع امر الحكام في سائر الدنيا ، لا سيما في الامم المتخلفة ، يكاد يجزم بأن طريقتهم واحدة ، وغايتهم المرجوة واحدة، والنهاية التى ينهون اليها واحدة كذلك .

رجل مخلص وله بطانة ، ينجح في ركوب صهوة الحكم في امته المتخلفة . ويريد اصلاحا . ويعلم ان الأمة لـن ترضي الاصلاح في تخلفها هذا . فهناك الحرص على المصالح ، وهناك الاحتفاظ

بالتميز ، وهناك المحافظة على الحال الراهنة لا يبغون عنها حولا . فيجد المصلح ان اساليب الديمقراطية غير نافعة ، فهو اذن اما ان يتجنبها اعلانا ، أو هو يلبس منها الثوب ، ويرمي بالقلب ، فهي ديمقراطية شكلا ، ديمقراطية قالبا لا قلبا .

ويصبح الرجل الطيب المخلص هو وبطانته ، هو الأمة ، وهو الشعب ، وهو البرلمان ، وهو الاكثرية ، وهو الاقلية . ولكن لا بد له من دعم . فتدعمه الشرطة ، ويدعمه الجيش . وبذا تصبح للشرطة شخصية قائمة بنفسها ، منعزلة عن الشعب . ويصبح للجيش . والشرطة والجيش يتألفان من رجال من ذرية آدم عليه السلام . وهي ذرية بحكم الطبع لها اطماع . وبهذا ينشأ الانحراف فيهما . والانحراف صنوف تختلف باختلاف الأرض والأمة والبيئة . والذى عرفناه انه انحراف ينتهى دائما بانتزاع السلطان من اربابه .

ويسهل هذا الانتزاع على اربابه انه انتزاع مُلك لم يكن ارساه من الشعب قانون فى الأجواء الحرة التي تُرسى فيها القوانين .

فهؤلاء هم الرجال المخلصون الذين يتصدرون للحكم ، في اى بلد متخلف ، وما اكثرهم في القارة السوداء .

اما الرجال غير المخلصين الذين يتصدرون للحكم ، فهؤلاء قطاع طريق ، لا يتربع الفرد منهم فى كرسي الحكم سنة او بعض سنة ، حتى يحل محله فى الكرسى قاطع طريق آخر .

اما الحاكم الديمقراطي الذى عرفه الشرق ، وعرفناه خاصة ، فرجل بدأ ديمقراطيا شعبيا ، ثم تحول . صار حزبيا . والحزب طائفة من الأمة . وهو صار ينكل بطوائف الأمة من اجل هذه الطائفة . وقد ادعى لها الكثرة . وكأن من حق الكثرة التنكيل بالقلة . فكيف ، وهو قد اتخذ من مفاهيم البسطاء وسيلة لجمع الناس حوله .

فهذا شأن الحكام ، من ديمقراطيين ، وغير ديمقراطيين .

كيفما تكونوا يولّ عليكم

والحاكم غير الصالح ، مخلصا كان او غير مخلص ، انما هو عَرَض لمرض .

والمرض انما هو داء فى جسم الأمة . والتخلف اكبر الأدواء ، وهو اسم يشمل اكثر من داء .

كل امة ، وكل شعب ، مسئول عن حكامه ، وليس كل حاكم مسئول عن شعبه .

والمثل الشهير يقول : كيفما تكونوا يولّ عليكم .

فالحاكم الصالح اذا لم يوجد ، فلأن الشعب الصالح لا يوجد .

ومن ضيق جمال الدين الافغاني بالحكام ، ومن ضيقه بالشعوب ، قال قولته الشهيرة : لا يُصلح الشرقَ الا مستبد عادل .

وهي حكمة ذهب بصدقها تطور الزمان . فان كان لا بد لها من بديل فلتقلْ : لا ينهض بالشرق الا شعوب متعلمة مستنيرة يقظة ، ذات علم واسع ، وتكنية متقدمة ، وايمان راسخ ، وروح متوثبة ، اذا تواكبت الأمم حلّت من مواكبها فى الصفوف الأولى .

●●

احمد زكي

عمان والخليج العربي

■ كلّ شبر من التراب العماني هو قلبي ومهجتي وكياني
أفتديه، وكلّ حبة رمل منه أغلى عندي من العقيان
وله في دمي حقوق وهل ينكر حقّ الديار غير الجبان
أهله معشري فأنّى توجهت وجدت الوجدان من وجداني
والاصول التي نمتنهم نمتني واللسان المبين فيهم لساني
أمة العرب أنجبتنا فهذا من معدّ وذاك من قحطان
والشمال الذي يتممه نجد حبيب إلى الجنوب اليماني
أي فرق تراه بين كريم من عمان وماجد بحراني ؟
نحن عرب ولن نكون لدى الجد سوى الأكرمين في الميدان
وحدتنا الخطوب حتى غدونا رغم أنف الخطوب كالبنيان
وانطلقنا ولن نهاب حسوداً يتسلّى بالسخف والهذيان
والفراغ الذي يردده الحقد فراغ في منطق الطغيان

للشاعر أحمد السقاف

والفتوحات قد تولت ولن يسلب حق الشعوب ذو صولجان

★★★

ياخليج الإباء أنت خليج العرب سميت من قديم الزمان

والثغور التي تزينك أزهى من ثغور تزين أي مكان

والأناسي كلهم ذلك الشعب المصفى من خالص الايمان

دوخوا البرتغال في البر والبحر ، وكانوا في الحرب كالطوفان

وأذاقوا من جاءهم يطلب الفتح هوانا ما بعده من هوان

كيف تنساك أمة أنت منها كالجناح اليمين في العقبان

فتلفت تجد حواليك بغداد تهز الصاحين في تطوان

وتقحم كل الصعاب فما نال حياة العلى سوى الشجعان

ولك الفجر هاهو اليوم يدنو باسما كالمدله الولهان

والملايين قد أفاقت ولم يبق سبيل للزيف والبهتان

فأعدها كما بدأت وفجر ثورة في العلوم والعمران



الذَّرَّة

● الذَّرُّ في اللغة صغار النمل ،ومائة منها زنة حبة شعير . والواحدة ذرة . والذرّ تفريق الحب والملح ونحوه .

هذا وأشباه له ما جاء في القواميس العربية القديمة كالمحيط ولسان العرب وغيرها عن معنى الذرة .

أما الذرّة بالمعنى الكيماوى الفزيائي الحديث فلم يكن ،عند العرب ، له وجود بهذا المعنى . وهو مصطلح وضعه المحدثون ترجمة لكلمة Atom ، وهي كلمة يونانية وضعت لتفيد معنى الجسم الصغير جدا الذى انتهى اليه تقسيم مادة ما فلم تقبل فوق ذلك تقسّما ،وهو معنى الذرة الحديث .

ولفظ Atom يتألف من « A » ومعناها « لا » ، Tom ، وهي التقسيم .

وصاحب النظرية الذرية الحديثة ،أو باعثها بالصورة العلمية الشهيرة انما هو دلتن Dalton ، وهو مات في عام ١٨٤٤ .

فالى الذي سألنا عن معنى لفظ ذرة في قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يره » نقول ان معناه من عمل شيئا حتى لو بلغ من الصغر مقدار نملة من صغار النمل ، وما أصغرها ، توفّاه أجره .

الرّجِيم

■ « الرّجيم » ، بفتح الراء ، هو الشيطان اللعين .

أما اللفظ الذى نعنيه فمكسور الراء ،وفقا لنطق اللفظ الاجنبي الذى هو تعريبه الحرفى .

واللفظ فى الافرنجية مأخوذ من اصل اغريقى ، معناه الحكم ، أو نظام الحكم ، أو سلسلة من القواعد تحدّد مجرى امر من الأمور . واللفظ له معانٍ مختلفة فى اكثر من مجال ، اساسها هذا الذى ذكرناه .

و « الرّجيم » في الطب يطلق على قواعد متصلة بالطعام يسير عليها الانسان ليصح .

فاذن فهـو بالتعريب « رجيم » .واذن نقول « رجم » له الطبيب كذا وكذا من الطعام يأخذه على نحو كذا . او ان الطبيب لم يرجم له بشيء . والافرنـج يستعيرون من غير لغتهم، ولا غضاضة من ذلك عندهم وجاز لنا أن نفعل ذلـك ما كان للكلمة الجرس العربي .

او هو بالترجمة : نظام طعام .

ومن القواميس الحديثة من ترجمه بالحِمْية . وهـو ليس بهـا تماما . فالحِمْية في اللغة منْ حمى المريض من تعاطي ما يضره . فالرّجيم الذى يكتبه الطبيب (القواعد) قـد يكون هـدفها الحِمْية ، ولكنه ليس بها . فلا نقول كتب الطبيب له حِمْية ، وانما قد تقول كتب الطبيب له نظام طعام .

والرّجيم في اللغة الافرنجية معنـاه ايضا نظام حكم ، فيقال : فلان مـن مشايعي « الرجيم القائم » ، وفلان غير مشايع .

المـــُوضَـــــة

● « والموضة » ، ويقابلها بالافرنجية Mode . ومعناها الطراز ، ويغلب أن يكون في اللباس والازياء جميعا . ويغلب ان يكـون في النساء خاصــة . وانت تقول : « موضة هذا العام تقضي كذا وكذا » فيفهمك الناس . وان قـلت « طراز هذا العام » لم يفهمك احد . ولعل من أجل هذا أجاز مجمع اللغـة العربية هذه اللفظة ، ولم يستطع ان يجد عنها بديلا .

الطـــُــــوز

● وقد كنا ذكرنا في كلمة سابقة أن « الطّوز » كلمة تركية معناها الغبار ، ومنها جاء استخدام عرب الخليج هذا اللفظ للعاصفة الترابية التى تثـور في الصحراء وتغشى المدن . وكذلك معناه الملـح .

وقد كتب الينا من يتشكك في هذا .

ولهذا المتشكك تنقل عن القامـوس التركى اللفظة Toz غبار ، واللفظـة Tuz ملح .

والكلمة الاولى تنطق ممدودة تقريبا كما ينطقها العرب ، فهو « طـوز » .

والكلمة الثانية تنطق كما لو شكلت طزْ .

والمثـل المشهور « طزْ ياعشور ! » ، اى « ملح يا عشور ! » ، كانوا يقولونه لموظف الجمارك التركى الجالس عنـد الحدود يستوفي رسوم الواردة ، فاذا علم انه ملح لم يَغلْ في الطلب . ولعلها تقال عند التعبير عن الخسة وقلة القدر ، او هكذا ظننا .

●●



■ من الامـراض المعدية مـا تنتقل بالعدوى عن طريق الهواء وبالسـعال وبالعطس .

ومن الامراض المعدية ما تنتقل عـن طريق الماء واللبن والطعام .

ومنها ما ينتقل عـن طـريـق مسّ شخص شخصا .

ومن الامراض ما ينتقل بالاتصـال الجنسي ، من رجل الى امراة ، ومـن امراة الى رجل ، وعند الشذوذ الجنسي من جنس الى الجنس نفسه .

وهذه الامراض الاخيرة عديدة ، منهـا مرض هذا الحديث : الزُهري .

مكروب الزهري

مكروب الزهري مكروب من رتبـة اسمها سبيروكيت Spirochaete ومعناها الشعرة المحوّاة ، وهو اسـم يدل على شكل المكروب ، فهو خيط رفيع حلزوني الشكل ، طوله من ٦ الى ١٤ جزءاً مـن الف من الميمتر ، ويتعرف عليه كذلك بحركاته الخاصة في المستحضرات التي تصنع من قرَح المرض الاولية او الثانوية عبْر المجهر .

وهذا المكروب لا يقوى على الجفاف ، فهو اذا جف مات . لهذا هو ينتقل فقط بالمسّ المباشر .

للزهري ثلاث مراحل

ولهذا الداء مراحل ثلاث ، مرحلة اولى ، وثانية ، وثالثة .

والمرحلة الثانية تبدأ في غضون اشهر قليلة من المرحلة الاولى .

اما المرحلة الثالثة فقد تمضي سنوات كثيرة قبل وقوعها .

المرحلة الاولى للزهري

وفيها تظهر قرحة جامدة بعد نحـو شهر في التعرض للعدوى ، اما في الرجل فتظهر القرحة على القضيب عادة ، واما في الانثى فتظهر عادة على شفران الفرج او على عنق الرحم ، وفي هذه الحالـة الاخيرة لا تنتبه اليها صاحبتها .

وقد تظهر القرحـة على الشفـة او اللسان او اللوزة في الحلق ، او حلَمة الثدى ، ولو ان هذا اندر حدوثا .

اما القرحة فجامـدة ، لا تؤلـم ـ

إِنَّهُ مَرَضٌ يَنْتَشِرُ ، وَلَا يَشِيعُ عَلَى لِسَانٍ .

لِأَنَّهُ مَرَضٌ قَذِرٌ ، يُخْفِيهِ الكِتْمَانُ .

قطرها نحو سنتيمتر - يخرج منها مصل . وفى هذا المصل يتعرف الفاحص على بكتير الداء تحت المجهر ذى الارضية المعتمة .

ويصحب القرحة تضخم فى الغدد



صورة لبكتير الزهرى ، كما يتراءى فى المجهر ومن ورائه ارضية مظلمة . ولو دققت فيه النظر لوجدته حلزوني التكوين . وهذا البكتير عجز العلماء الى اليوم عن تربيته فى انبوبة اختبار ، لهذا عجزوا عن البحث له عن لقاح. فاتخذوا بكتيرا قريبا منه يصنعون منه لقاحا .

اللمفاوية المحلية الأقرب ، وهي التي فى الورك بين الفخذ والبطن . وسواء هذا فى المراة او فى الرجل .

المرحلة الثانية للزهرى

يدخل الداء فى هذه المرحلة نتيجة لانتشار المكروب فى سائر انسجة الجسم ورد الفعل هذا قد يظهر فى صور صداع شديد ، وحمى ، ووجع فى الزور ، وقرح فى الفم وفى اعضاء التناسل وطفح فى الجلد ، وتضخم فى الغدد اللمفاوية .

والقرح الجلدية والمخاطية لهذه المرحلة الثانية شديدة العدوى .

والاختبار الشهير المعروف باختبار فسرمان Wassermann يعطي دائما نتائج موجبة .

ومع هذا فكثيرا ما يكون رد الفعل هذا اخف كثيرا من هذا ، حتى ليمرولا يتنبه اليه صاحبه او صاحبته .

وتهدأ هذه الحال على كل حال بعد بضعة اسابيع ، بينا يكتسب الجسم من هذه المحنة شيئا من المناعة للداء .

ولكن يستمر الداء يتقدم الا اذا هو عولج .

المرحلة الثالثة للزهري

بعد نحو اربع سنوات مثلا ، ومن الاصابة الاولى ، اذا تركت الاصابة بغير علاج ، يصبح الداء لا خوف من انتقاله حتى بالممارسة الجنسية . فالذى يبقى من المكروب فى الجسم عند ذاك قليل ، ولكنه مستعد للهجوم فى اى وقت . وقد يحدث لسائر الاعضاء ضرر . فالاورطة شريان القلب الاعظم ، قد تتأثر بالداء .. وضرر خطير قد يصيب الجهاز العصبي المركزى . والمرأة المصابة اذا هي جاءت بولد فى العشر السنوات التالية قد ينزل الولد مصابا بالداء ، ويبقى فيه الداء موروثا .

علاج الزهرى

هذا متروك امره للطبيب .

ولكن لا باس من القول ان اساسه مشتقات البنسلين يعطى حقنا . او تراسيكلين Tetracycline لمن عندهم حساسية للبنسلين .

والمريض لا بد مع ذلك ان يوضع تحت المراقبة نحوا من ٥ سنين ، يرى فيها الطبيب مرة كل اسبوعين، ثم تطول الفترة حتى تصبح كل نحو ستة اشهر .

ومما يذكر فيحمد فى استخدام البنسلين علاجا للزهرى ، أن البنسلين استخدم لعلاج امراض كثيرة ، بدا مكروبها بالتراجع السريع امام هجمات البنسلين ، ولكنه لم يلبث ان تعوّد عليه، وكوّن لنفسه حصانة منه ، إلا الزهرى، فقد ظل البنسلين محافظا على قوته فى العلاج الحاسم للزهرى . بهذا يشهد المختصون ببحوث هذا المرض . وهم يؤكدون هذا بأن هناك حالات لاشخاص أصابهم الزهرى ، واشتفوا ، ثم عاد الداء اليهم . وبالفحص فى هذه الحالات تبين بما لا يدع مكانا للشك انهم انما تعرضوا لعدوى جديدة فاصابتهم .

لقاح يحمي من الزهرى

ان البحاث يجدون فى هذا السبيل .

وهم الى اليوم لم يجدوا اللقاح الذى يحصن من هذا الداء بالذات قبل الاصابة به ، اى الذى يحصن المرء ضد بكتيره .

ولكن نجحوا بعض النجاح فى ايجاد لقاح لبكتير شبيه به يصيب الارانب ، هم آخذون فى اتمام بحثه حتى يصطنعوا له الظروف التى تجعل حصانة الارانب به كاملة ، ثم هم يجربونه فى الانسان .

والاعتراض الظاهر بالطبع هو : وكيف يحصن به الانسان ، وزهرى الارانب غير زهرى الانسان ؟

والرد حاضر : ان لقاح الجدرى ماخوذ من جدرى الابقار ، وهو لتحصين الانسان . ذلك ان المواد المضادة لهذه الامراض المتشابهة قد تكون لها من حيث الحصانة كفاية متماثلة .

خطر ذلك على الاخلاق

انه لخطرٌ كبير .

لقد كنا فى « العربي » من اوائل من انذروا بخطر الاقراص التى تمنع الحمل على الاخلاق (انظر افتتاحية « العربي » لشهر ابريل ١٩٦٢) ، وقد وقع ما توقعناه .

واليوم ننذر بخطر لقاح الزهري كذلك . فمما يمنع الرجل من الانزلاق الى الرذيلة الفاجرة القذرة الخوفُ من العدوى . فاذا هو تحصن دونها ، فمن يدرى ما يكون بعد ذلك .

لقد دل الاحصاء على أن الولايات المتحدة ، يتقدم فيها للعلاج مليون حالة زهرى كل عام ، منها ٣٠٠٠٠٠ اصابة فى المراهقين والمراهقات . هذا ، والداء لا حصانة منه ، فكيف اذا تحصن منه رجال ونساء ! ؟

●●

معالم عربية
وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد هي امتحان لمعلوماتك الجغرافية عن وطننا العربي الكبير ، في عشرة أسئلة .. ونجاحك في المسابقة متوقف على اجابتك عن ثمانية أسئلة اجابات صحيحة . وارسالها لنا بمجرد اجابتك عليها .

● ١ ●● ينص دستور مملكة عربية على أن لها عاصمتين رسميتين .. ما اسم هذه المملكة ، وما اسما العاصمتين ؟

● ٢ ●● نهرا دجلة والفرات يتقابلان في مدينة القرنة جنوب العراق ، ويتحدان في مجرى واحد .. ما اسم هذا المجرى ؟

● ٣ ●● بلد عربي سواحله الغربية تطل على بحر ، وسواحله الشرقية تطل على خليج ... ما اسم هذا البلد ؟ وما اسما البحر والخليج ؟

● ٤ ●● امارة عربية في الخليج العربي يكثر الحديث عنها هذه الايام ، تتالف من عدة جزر صغيرة منها جزيرتان رئيسيتان متصلتان بجسر واحد ، ما اسم هذه الامارة ؟

● ٥ ●● نهران عربيان يتقابلان عند مدينة كبيرة ، وينطلقان منها على هيئة نهر واحد هو نهر النيل ما اسم المدينة ، وما اسما النهرين قبل التقائهما ؟

● ٦ ●● مدينتان مغربيتان ما زالت اسبانيا تحتلهما على الشواطىء الشمالية للمغرب .. ما اسما هاتين المدينتين ؟

● ٧ ●● يربط سوريا بلبنان نهر صغير ، ويربط بين سوريا والعراق نهر آخر كبير ، فما اسما هذين النهرين ؟

● ٨ ●● ميناءان كان السودان يطل منهما على البحر الاحمر ، احدهما اغلقته الاعشاب المرجانية ، فتوقف استعماله .. وازدهر الثاني ، واصبح ميناء السودان الكبير .. ما اسما هذين الميناءين ؟

● ٩ ●● سلسلة جبال تمتد فترتبط بين أقطار المغرب الثلاثة المغرب والجزائر وتونس .. ما سم هذه السلسلة الجبلية ؟

●١٠●● اذكر اسماء خمس مدن عربية يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة ؟

الجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ ان يرفق بالاجابة كربون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٨ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

شروط المسابقة

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ ـ **جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



الدعاية العربية

لا دعاية للعرب

● صحف فرنسية

بقلم : سامي الجندى

سفير سوريا فى باريس

أثار اهتمامي **مقال : « مسئوليات المثقفين العرب .. بعد النكسة »** بالعدد ١٠٨ من مجلة العربي . قراته للمرة الثانية بعد أن عدت من زيارة لمدير دار نشر فرنسية قدمت له كتابا الفه احد انصار العرب فى الغرب . قال لي الناشر واعتذر عن ذكر اسمه : الكتاب جيد وقد يكون احسن ما كتب هذا المؤلف ولكني اخشى على الدار وسمعتها ومستقبلها . لا تنس ان مجلس الادارة يرفض .

ليست هذه هي المرة الاولى التي افشل فيها فى نشر شيء عن القضية العربية ولن تكون الاخيرة لان مهمتي الاولى هنا ان يقرا الاوربي ولو قليلا عن ازمتنا .. ان يعرف من نحن ، ان يدرك اننا بشر حقيقيون .. قد يظن القاريء اني ابالغ فى قولي فهو يقدر ان ما يقراه فى الصحف والمجلات الغربية وما يسمعه فى الاذاعات ، وما يحفظه من شعر الفخر هو الحقيقة التي لا مرية فيها والتى يؤمن بها العالم جميعا .

كتب لي احد تلاميذى القدامى بعد شهر من الدراسة فى فرنسا يقول لي : فجعت بخيبة امل كبيرة . ان الناس لا يعرفون هنا من نحن بل لا يهتمون بمن نحن . يسالني ، حتى المثقفون ، اين هي دمشق ؟ فى اية بلاد ؟ هل الرمال كثيرة حواليها ؟ هل توجد اشجار فى بلادكم ؟

الكتاب الجيد يفرض نفسه !

لا انكر القاريء اني اشارك كاتب المقال فى كثير من آرائه وخاصة ما يتعلق بدور النشر فى بلادنا ولكني لا اشاركه اطلاقا اراء اخرى مثل : الكتاب الجيد يفرض نفسه على النشر . وليسمح لي ان اقدم له امثلة على ذلك :

كتاب الاستاذة كواشون Goichon « الاردن الجديدة » وهو يقع فى ٥٧٧ صفحة تناولت فيه القضية الفلسطينية منذ نشأتها ، وحسب ما اعلم ، لم اقرا بعد كتابا في مثل دقة كتابها ، ولا تنس انها من المع اساتذة السوربون وقد تكون من اكثرهم دقة ، اما اسلوبها فلامع وجميل . ومع هذا رفضت دور النشر الفرنسية المعروفة اصدار الكتاب ولو انها كتبت فى موضوع آخر لاختلف الامر ، فلجات الى دار بلجيكية . وظهر الكتاب ولفه النسيان بعد ظهوره لان الدعاية لم تكن كافية . لم تكتب الصحف شيئا عنه ، لم تهاجمه ولم تقرظه ، تناولته بافدح انواع النداء : النسيان

بغير نشر، ولا نشر بغير مال.

دافعت عن القضية العربية، فما أسرع ما اضطهدت فأفلست.

وكتاب « Bitter Harvest » الحصاد المر للاستاذ سامي هداوي . اسلوب شيّق العرض ، دقيق قلما نقع على مثله وفوق ذلك بيان باللغة الانكليزية يقصر عنه كبار الكتاب الانكليز ، لم نستطع ان نجد دار نشر تصدره بلغة أخرى كما انى لست كثير التفاؤل بالنسبة لتوزيعه .

مهارة اسرائيل فى الدعاية !

اما عن الكتب التي تعرض وجهة النظر الاسرائيلية فقد بلغت من الكثرة ومن التوزيع مالا يصدقه الانسان . وتقدر عدد الكتب التي ظهرت فى فرنسا وحدها بعد نكسة حزيران ، بمعدل ثلاثة كتب في الأسبوع اكثرها سيئ الكتابة ، محشوة بالخطأ سيئة الاسلوب . وهنالك اسماء كتب جديدة ظهرت للوجود بعد النكسة . اما السبب فهو مهارة اسرائيل فى ادارة دفة الدعاية واستخدام الطاقات كما ينبغى .

مثلا رواية «الخروج» «Exodus» أظن انها رواية من ناحية التاليف جيدة ولكنها ليست ابدا رائعة ، حسب تقديرى على الأقل ، ولو قارناها بما نشر من الآثار في فترة ظهورها لوجدناها اقل شأنا من كثير من الروايات التي لم تلاق ما لاقته من اهتمام . أما السبب فهو الدعاية . وقد جندت الصهيونية لهذه الرواية طاقات لو اننا جندنا جزءا منها لنشر اى كتاب لوصلنا الى احسن النتائج .

قضية النشر فى اوربا

ان قضية النشر فى اوربا اكثر تعقيدا مما نظن وخاصة ما تعلق بالقضية الفلسطينية . هنالك كتاب عرب تقبل دور النشر مؤلفاتهم ، مثل محمد ديب وكاتب ياسين . ولكن شريطة الا يكتبوا عن القضية العربية ، ذلك أن السيطرة الصهيونية على دور النشر كاملة . واود الآن ان اشرح الاسلوب المتبع :

يتقدم الكاتب الى احدى المؤسسات الصهيونية بمخطوط أو تطلب هي الى كاتب ما ان يكتب شيئا عن الحرب التى دارت او اى موضوع له علاقة باسرائيل . تتصل المؤسسة بدار النشر فتضمن لها الخسارة المادية فى حال عدم نجاح الكتاب . ثم يدور الاعلان وبعد ذلك بالتوزيع واخيرا بالنادى الاسرائيلي الذى يضم (٣٨٠٫٠٠٠) عضو على ما اعلم ناصحة بشراء الكتاب فيضمن الناشر بهذه الطريقة توزيعا لا يقل عن ثلاثين الف نسخة .

اما العرب فيطلبون من دور النشر ان تنشر من أجل تعميم الفصاحة من جهة ، والحق من جهة اخرى ، ما دام الحق الى جانبنا ، ويتجول كتاب العرب من دار نشر الى اخرى بحثا عن العدالة والحق كما تفعل وفودنا تماما فى الامم المتحدة ويعود الكاتب العربي بخف من خفي حنين ليترك الاخرى لوفدنا .

قرات مقالات عديدة ووصلتني كتب

تنحي باللائمة على مكاتب الجامعة العربية ، لانها لا تصنع شيئا . وما اشبه ذلك بالمطالبين بتحرير فلسطين ، دون ان يتساءلوا عن استعداد الجيوش العربية وميزانياتها . مر مكتب الجامعة العربية في باريس بفترة لم يكن لديه فيها ورق للمعاملات الرسمية ويؤسفني ان اضيف ان ايام حزيران كانت من هذه الفترة .

المال وسيلتنا الوحيدة

لا اريد من مقالي هذا ان القي في ذهن القارىء العربي ان شرح قضيتنا مستحيل في الغرب ولكني اريد ان اضع القارىء العربي أمام مسئولياته . قضية النشر ممكنة شرطها الأول هو المال اما الشروط الأخرى فتاتي بعد .

ان دور النشر ليست في حماس المستميت من اجل اسرائيل فالمسألة لا تعنيها كثيرا ، ان ما يعنيها هو الربح اولا . لدينا في باريس كل ما هو ضروري للنشر ما عدا المال . اسست لجنة لهذا الغرض اكثر اعضائها – واقولها بمرارة – لا يجدون ما يكفيهم لسد الرمق ، لو قبلوا عرضا واحدا مما يعرض عليهم لباتوا اغنياء . محمد ديب نفسه يعاني ضائقة عمرها عمر اول كتاب كتبه . ترجمت اثاره جميعا للعربية ولم يفد من ذلك قرشا واحدا ظنا من الناشر والمترجم ان محمد ديب لا يهمه الا ان يقرأ العرب ونسيا انه يعيش مما يكتب وانه في عسر بل في ضنك وان نقابة المؤلفين الفرنسيين تمده بين الحين والآخر بالمساعدة .

قرات عن ادبه مقالات كثيرة في بلادنا ولكني لم اقرأ خبرا واحدا يشير الى ان ناديا أو مؤسسة أو حكومة اشترت عددا من كتبه . وقد يقول قائل : ذلك ناجم عن جهلنا باللغات الأجنبية ، فهل يظن القارىء ان الذين يشترون الكتب التي تدعو لاسرائيل ، يفعلون من أجل تثقيف انفسهم فقط ؟ ومع ذلك نتهم اليهود بالبخل ونصف أنفسنا بالكرم والحق اننا لسنا بخلاء ولكننا نجهل كيف نستخدم طاقاتنا . تدخل الى بيت ما فيقدم لك المضيف ما يكفي عشرين ضيفا حتى اذا طلبت منه اشتراكا في مجلة رفض !!

النفوذ الصهيوني

يتحدث العرب عن النقد الذاتي وقرات كثيرا مما يكتب فوجدت من البلاغة اضعاف ما وجدت من الواقع . لم ينتج عن النقد الا النقد . بعد نكسة حزيران ارادت بعض الصحف المحلية (الصادرة في ريف فرنسا) ان تتبنى قضيتنا فكان نصيب الكثير منها ان تتهاوى وتفلس لأن دور الاعلان توقفت عن مساعدتها فقطعت عنها المورد الرئيسي . لم يفكر احد من العرب ان يطلب من شركة من الشركات ، التي تجني ارباحا غير معقولة في بلادنا ، ان تعلن اعلانا واحدا في تلك الصحف .

هنالك بعض المجلات التي تكتب عن قضيتنا وتعاني فقر الدم : طباعة هزيلة واخراج سيىء . لو كلف العرب انفسهم ان يقدموا لها بعض الاشتراكات لقفزت الى مستوى غيرها بيسر .

نداء لقراء العربي

ارى نفسي قد انسقت مع النقد الذاتي وارى لزاما على ان أتوجه لقراء العربي من أجل اكتتاب غايته تشجيع الذين يكتبون في أوربا عن القضية العربية بشراء آثارهم وذلك بأن يتبرع من يريد من قراء العربي بثمن عدد واحد من المجلة وان يرسل مايجمع الى مكتب الجامعة العربية في باريس أو للجنة الكتاب التي الفت من أجل هذا الغرض ولم تجد حتى الآن تشجيعا لبدء أعمالها عسى ان تستجيب العربي وقراؤها لهذا النداء . ■■

سامي الجندي

نتيجة مسابقة العدد ١١٠

رقم قياسي جديد في عدد الاجابات

■ ضربت مسابقة العدد السنوي الممتاز رقما قياسيا جديدا في كثرة عدد الاجابات لم تسجله مسابقة قبلها . فقد اربت هذه الاجابات على خمسة عشر الف اجابة ، لم تزد نسبة الخطأ فيها على ٢٪ فقط .

والاجابة الصحيحة هي : « **في هذا العام الجديد يتمنى لك العربي الخير والعافية** » او « **يتمنى لك العربي في هذا العام الجديد الخير والعافية** » الخ . .

وقد تركزت الاخطاء في كلمتي « لك » و « الخير » ، فكتب بعض المشتركين « كل الخير » بدلا من « لك الخير » وكتب آخرون « الرخى والعافية » بدلا من « الخير والعافية » .

وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة للفوز بالجوائز فأسفرت عما يأتي :

※ **الجائزة الاولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها **مسلم جاسم حميدى** ، الطالب بكلية التربية بجامعة البصرة ، الصف الرابع ، قسم الاقتصاد ، البصرة ــ العراق .

※ **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فازت بها **السيدة زينات مصطفى** القاهرة ــ ج.ع.م.

※ **الجائزة الثالثة** وقيمتها عشرة دنانير فاز بها **عبد الله محمد الجاسم** : طالب كويتي ــ ليننغراد ــ الاتحاد السوفييتي .

※ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من : ــ

١ ــ **الآنسة هند طالب سليمان** (اردنية الجنسية) هولندا .

٢ ــ **على بابكر عبد الله ابو كريق** : توكيل بريد الشبارقة، مدني ــ السودان .

٣ ــ **عبد الملك محمد الجريدان** : ادارة الجوازات والجنسية ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

٤ ــ **محمد بهيج بعيون** : شارع سعدى حسن البسطة الفوقا ــ بيروت : لبنان .

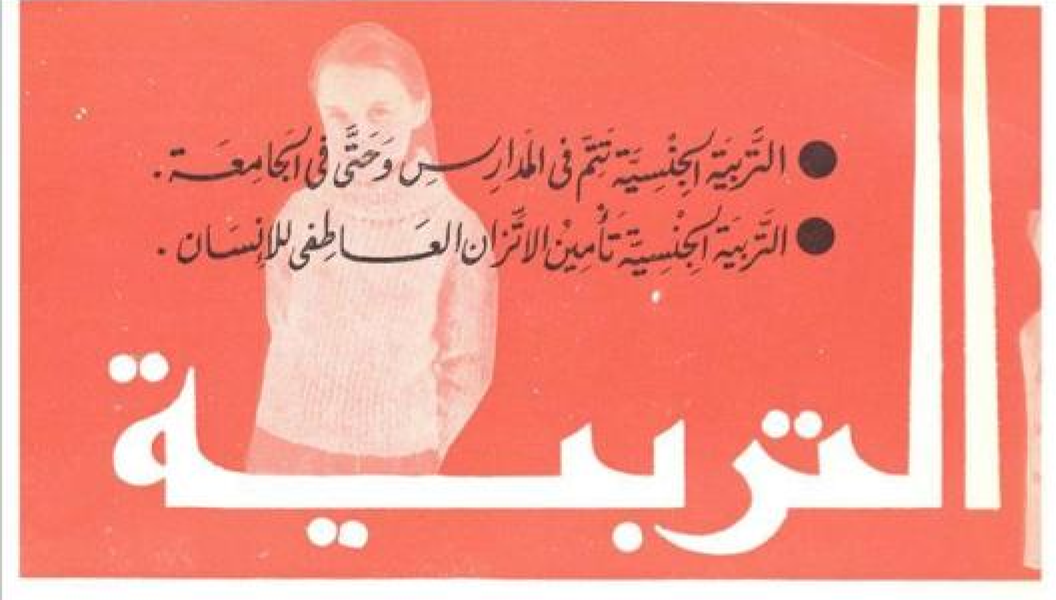
٥ ــ **عارف عمر الحاج حمود** : حلب/ الباب ــ قرية تادف ــ الجمهورية العربية السورية .

٦ ــ **القطيشي ابراهيم** ــ ٣١٠ شارع الزرقطوني ، الدار البيضاء ــ المغرب .

٧ ــ **ابراهيم بن سيف الكندى** ــ ص.ب ١٧ مسقط .

٨ ــ **احمد محمد سلطان** ــ ص.ب ٧٤ ــ راس الخيمة ــ الخليج العربي .

وسترسل الجوائز لمستحقيها ■■



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

■ المادة التي يتكون منها الانسان تفنى ، فاذا اراد البقاء كان لا بد له من تعويض ما يفنى من هذه المادة . ومن هنا نشأت حاجات الانسان : حاجته الى الطعام ، وحاجته الى الشراب ، وحاجته الى اخراج فضلاته ، وحاجته الى الراحة بل وحاجته الى الاوكسجين وهكذا ... والانسان يندفع بحاجاته هذه الى البحث عن الطعام والشراب والاخلاد الى الراحة واخراج الفضلات وسواها . ومن هنا كان قولنا بان للانسان حاجات تحفظ بقاءه ، وعنده دوافع لقضاء هذه الحاجات .

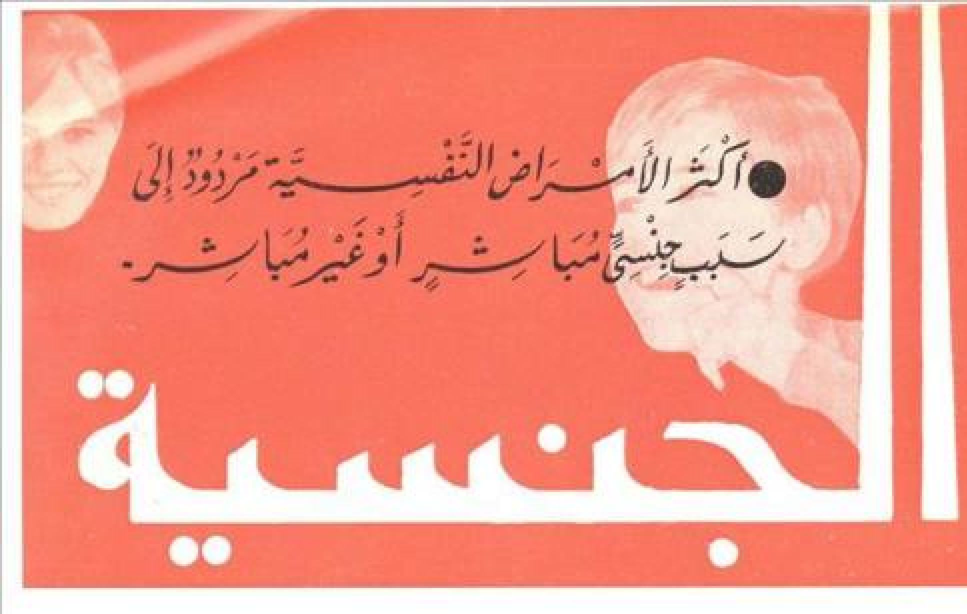
دافع الجنس ، لحفظ النوع

وثمة حاجة لاتحفظ بقاء الفرد بقدر ما تحفظ بقاء النوع اى النوع الانساني ـ في حالة الانسان ـ والنوع الحيواني المعين في حالة الحيوان المعين . وهذه الحاجة هي الحاجة الجنسية التي يقابلها دافع الى الجنس الاخر لقضاء الحاجة الجنسية وبالتالي حفظ النوع .

وجدير بالملاحظة أن هذه الحاجة تستند الى اصل موجود في جسد الانسان ولذلك فهي تسمى ـ كسواها من الحاجات السابق ذكرها ـ بالحاجات الفسيولوجية ـ كما تسمى الدوافع المتصلة بها الدوافع الفسيولوجية ، ومن هنا كان الجنس دافعا ـ وليس غريزة كما كان يسمى الى وقت قريب ـ فسيولوجيا ، وكانت الشهوة الجنسية مظهره والانفعال الدال عليه ، وكانت غاية هذا الدافع حفظ بقاء النوع الانساني والعمل على استمراره .

الدافع الامي اقوى الدوافع ، والجنس رابعها

ولقد اهتم علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا والاطباء الجسديون منهم والنفسيون ، بهذا الدافع فدرسوه دراسة مستفيضة . واذا كان المجال لايتسع لتفصيل هذه الدراسات فانه من المفيد في مقامنا هذا ان نشير الى أن علماء النفس اهتموا بتعيين القيمة النسبية للدوافع فثبت لديهم ان الدافع الامي (اى دافع الام نحو وليدها) أقوى الدوافع ، يتلوه دافع العطش ، ثم دافع الجوع ، ثم الدافع الجنسي . أى أن هذا الدافع يأتي في المرتبة الرابعة ، واذن فليس



صحيحا ما يقوله بعضهم من ان الدافع الجنسي اقوى الدوافع بدليل ان الدوافع الاخرى تضعفه، اى ان الجائع او العطش يضعف الدافع الجنسي عنده ، وبدليل ان الانسان لايستطيع ان يبقى دون شراب الا اياما محدودة لا تتجاوز الثلاثة او الاربعة فى المعتاد ، وانه لايستطيع ان يبقى دون طعام الا اياما قليلة تزيد على الايام التى يستطيع ان يحياها دون شراب ، ولكنها ايام محدودة على كل حال ، أما الجنس فان الانسان يستطيع ان يحيا دون ممارسته شهورا بل واعواما اذا توفرت له الارادة الكافية ودون أضرار فعلية بصحته الجسدية والعقلية الا فى الاحوال القليلة التى يعرفها اطباء الجسد والنفس .

واذن فان الاهمية التى تنسب للجنس اهمية اجتماعية اكثر منها فسيولوجية ، بمعنى ان المجتمعات الانسانية وما فيها من نظم وقوانين واديان واعراف وتقاليد وعادات تهتم بتنظيم الحياة الجنسية وما يتصل بها من زواج وطلاق وعلاقات بين الجنسين ، هى التى تضبط الجنس والحياة الجنسية ، مما ينتج عنه كبت حينا وامراض نفسية حينا آخر ، ولكن ينتج عنه ايضا تصعيد (تسام) وحياة سوية فى معظم الاحيان ، مما سنعرض له فيما بعد فى مقالنا هذا .

وايا ما كان فانه من المؤكد ان للجنس اهمية بالغة ، وان للحياة الجنسية السوية مقاما رفيعا فى الحياة النفسية السوية ، والحياة العقلية الصحيحة ، والحياة الاجتماعية اللائقة ، ولذلك فانه من الاهمية بمكان عظيم ان تعنى بتربية الجنس وتوجيه الحياة الجنسية والاعداد لها بحيث يخرج الانسان الى الحياة بدوافع جنسية سوية صحيحة ويعيش حياة جنسية سليمة ويتخذ عادات جنسية مناسبة .

الحديث عن الجنس حديث تخافه الناس

وانه لمن سوء الحظ ان يكون الجنس والحياة الجنسية قد احيطا بالكثير من التكتم والتزمت والقيود والخرافات والاشاعات ، الامر الذى يجعل الحديث عن الجنس امرا (خطرا) او (مستنكرا) او (مشكلا) والذى يجعل ـ لذلك ـ التربية الجنسية والمصارحة فيها ضرورة ملحة .

طلب الي ناد فى دمشق ان اتحدث الى جمهوره فى موضوع اختاره فعرضت ان اتحدث عن التربية الجنسية ، فهلع المشرفون على النادى واعتذروا عن عدم قبول الموضوع بانه (مستنكر) وقد (يخدش حياء الجمهور) . وصدف انني طوليت فى نفس الوقت بحديث للاذاعة ، فتحدثت عن التربية الجنسية واهميتها وطرائقها ، فامطرني البريد بوابل من الرسائل يسأل اصحابها عن حلول لمشاكلهم ويطلبون المزيد من هذه الاحاديث .

التربية الجنسية اصبحت فرعا من التربية

والواقع ان التربية الجنسية اصبحت اليوم فرعا من التربية معترفا به في كل بلاد العالم كما اصبحت ضرورة من ضرورات العصر ومكتشفا من مكتشفاته . ولقد صارت جميع المؤسسات التربوية كالبيت والمدرسة ومنظمات الشباب والمعابد تدرسه وتعنى به اشد العناية ، فما بالنا نخشاه ونتجانف عنه مع اننا بامس الحاجة اليه ؟!

ان الذى يمارس الطب النفسي او يتصل به من قريب او بعيد يعلم علم اليقين ان المشاكل الجنسية والاضطرابات الجنسية شائعة اكثر بكثير مما يقدر اى متفائل او جاهل . ولا شك في ان فرويد وهو العالم الفذ لم يكن ليولي الجنس هذه الاهمية لولا ما عاناه في معالجة مرضاه من كثرة مشاكلهم الجنسية وعمقها وتشعبها .

هذا ولا ننس في مقامنا هذا ان نذكر بان اهمية الجنس والحياة الجنسية ، وبالتالي التربية الجنسية ، تتعاظم في نظرنا اذا ذكرنا ما يتصل بالجنس من احداث اجتماعية كالزواج ـ وما ادراك ما الزواج ـ والطلاق والانحرافات الجنسية (كالعادة السرية واللواط والسحاق وسواها) والامراض الجنسية (كالزهرى والسيلان وغيرهما) .

هدف التربية الجنسية تأمين الاتزان العاطفي للانسان

فيما تقدم حاولنا ايضاح اهمية الجنس وضرورة التربية الجنسية ، ولعل هذه الضرورة تتضح اكثر اذا نبهنا الى ان الحياة الجنسية للانسان تبدأ بولادته ولا تنتهي الا بموته ، بل ان بعض علماء النفس المحدثين ولا سيما علماء التحليل النفسي منهم يصرون على ان للانسان حياة جنسية ـ وسواها من انواع الحياة ـ وهو في بطن امه قبل ان يولد . ويذهب بعضهم الى القول بان بعض العقد النفسية تعود باصلها الى هذه الحياة في رحم الام ؟ . ومهما قيل في تطرف هؤلاء العلماء ومبالغاتهم فان هذا لايعفينا من الاقرار باهمية الجنس وضرورة التربية الجنسية ووجوب استمرار التربية الجنسية .

ولعل ابسط هدف للتربية الجنسية واهمه هو تامين الاتزان العاطفي للانسان طفلا ومراهقا وراشدا ، وهنا محل التنبيه الى الصلة الوثيقة بين الحياة الجنسية من جهة ، والحياتين العاطفية والعقلية من جهة اخرى والحق ان اتزان الحياة الجنسية وسويتها شرط اساسي لاتزان الحياة العاطفية اولا والحياة العقلية ثانيا . ولقد سبق ان ألمحنا الى ان الكثير من الامراض النفسية مردود الى سبب جنسي مباشر او غير مباشر ومن هنا كانت الصحة النفسية مشروطة بصحة الدافع الجنسي ، وكانت الصحة العقلية متوقفة على حسن تنظيم عمل الدافع الجنسي .

ولو كلف القارىء الكريم نفسه عناء النظر فيما يجرى في بلادنا العربية ـ مع شيء من التفاوت يسير ـ بخصوص الحياة الجنسية ، لراى ان اقل ما يتم وايسره هو السكوت المطبق عن هذه الحياة الجنسية وما يتصل بها من مشاكل وامراض . بيد ان هذا السكوت ظاهرى ولا يقوم به الا من يجب ان لايقوموا به من أهل ومعلمين وقادة اجتماعيين ورجال دين ، اما دور النشر الرخيصة فهي تقذف الى السوق بفيض من المطبوعات المثيرة والمنشورات الخاطئة والمعلومات المضللة ، واما سوق الاشاعات والاحاديث الهامسة والخرافات الشائعة والمبالغات الطائشة فانها تجرى في تيارات خفية خطيرة لا يعلم مدى خطورتها الا الذى تتاح له الفرصة لسماع مشاكل الناس وهموم الشباب والاطلاع على امراضهم وانحرافاتهم .

الحياة الزوجية لا بد لها من اعداد

خذ مثلا مسالة الزواج والصلات الزوجية وما يتصل بها من سعادة زوجية واتفاق بين الزوجين ودوام للحياة الزوجية ، انها مسالة ولا شك على جانب كبير من الخطورة ، وهي مسالة متصلة أوثق الاتصال بالحياة الجنسية ، فهل ثمة من يعد فتياننا وفتياتنا لحياتهم الزوجية المقبلة ، انهم يعيشون على اشاعات واحاديث وخرافات يسمعونها من اقرانهم ويتناقلونها من جيل الى جيل ، ومن مجتمع الى مجتمع ، وهي في معظمها خاطئة او مضللة او مبالغ فيها . وقد يختلف الحال احيانا فتتحدث الام الى ابنتها والاب الى ابنه، ولكن الام اجهل من البنت ، والاب اجهل من الابن ، وقديما قيل : فاقد الشيء لا يعطيه .. ..

ترى لماذا يستعد الانسان لسفرة يقوم بها او عمل يزمع البداية به ولا يستعد لحياة الزوجية وهي الحياة التى تدوم سنين طوالا وتتوقف عليها السعادة والهناء ؟ ثم من ذا الذى يزعم ان الاستعداد للزواج يجب ان يكون قاصرا على شراء الحاجات واعداد الاثاث وابتياع الملابس فهل الحياة الزوجية قاصرة على هذا ؟ ام ان للحياة الزوجية ناحية جنسية تعتبر حجر الزاوية فى العلاقة بين الزوجين ؟

هذا مثل واحد – وهو من اهم الامثلة – ولكن ثمة امثلة كثيرة تكون التربية الجنسية : خذ الانحرافات الجنسية ، خذ الكتب الجنسية ، خذ احتلام الفتى ، خذ حيض الفتاة ، خذ اسئلة الاطفال الجنسية خذ عشرات الامور والمسائل التى تعرض للانسان مما يتصل بحياته الجنسية ترى اهمية التربية الجنسية وضرورتها .

الحق اننا نفتقد هذه التربية افتقادا واضحا صريحا : فى بيوتنا ، فى مدارسنا ، فى منظمات الشباب عندنا – اذا كان عندنا منظمات شباب – فى معابدنا ، فى كل مناحي الحياة عندنا .

الغرب عانى مثل ماعانى الشرق

والى وقت قريب لم يكن الحال عند الامم الاخرى خيرا من حالنا ، فحتى اخريات القرن التاسع عشر كانت اوروبا وامريكا تعاني – فى هذا الصدد – ما نعانيه الان ، ولكن علماء التربية ورجال الدين والمصلحين الاجتماعيين تنبهوا الى هذه المشكلة واولوها من عنايتهم ما تستحقه من الاهتمام وقالوا بضرورة وجود التربية الجنسية فى مؤسساتهم المختلفة فوجدت هذه التربية ، ونحن نستطيع أن نفيد من خبرتهم وتجاربهم الشيء الكثير .

على انى احب للقارىء الكريم ان يذهب الى الظن بانى ادعو الى تبنى طرائقهم واصطناع وسائلهم بطريقة عمياء . فانا اعلم علم اليقين ان مجتمعهم يختلف عن مجتمعنا ، وان طريقة حياتهم مغايرة لطريقة حياتنا وان عاداتهم وتقاليدهم تختلف عن عاداتنا وتقاليدنا ، ومن هنا وجب ان نفيد من تجاربهم بحذر ووعي دون أن نتقيد بما وصلوا اليه بالحرف الواحد .

من الذى يقوم بالتربية الجنسية ؟

التربية الجنسية عملية مستمرة تدوم من المهد الى اللحد ولذلك فهي تتم فى البيت والمدرسة ومنظمات الشباب والمعابد والنوادى وكل وسائل الاعلام والتثقيف .

اما فى البيت فتتم التربية الجنسية اولا وقبل الولادة عن طريق تربية الوالدين ، واعدادهما للابوة والامومة ، ثم تتم عن طريق تربية الطفل فى البيت من قبل الوالدين وباقى الاهل . وهنا محل التنبيه الى اهمية السنين الثلاث او الخمس الاولى التى يقضيها الطفل فىالبيت والتى يتفتح اثناءها فضوله وقابليته للكلام والسؤال .

والذى يحدث هو ان الطفل الذى تبدا ملاحظاته للعالم من حوله يبدا بملاحظة وجود فوارق بين امه وابيه ، بين اخوته واخواته ، بينه وبين باقي اخوته او اخواته من الجنس الاخر فيبدا بطرح الاسئلة المتنوعة المتعددة لا سيما اذا كان البيت من النوع الذى يسمح للطفل بالسؤال ويعنى باجابته عن اسئلته . وحينئذ يسأل الطفل عن السبب فى انتفاخ بطن امه ؟ وعن مصدر الاخ الصغير الذى ولد له ؟ وعن السبب فى وجود ثديين لامه وعن فائدتهما ؟ وعن الفرق بينه وبين اخته او اخيه من الجنس الاخر ؟ وكلها اسئلة تحتاج لاجوبة تنور الطفل وتحدد معلوماته وسنعود الى هذه الاسئلة واجوبتها فيما بعد . واذا ما تقدم العمر بالطفل سال اسئلة اكثر تعقيدا وطالب باجوبة اكثر دقة واشفى لغليله . ان سؤالا من مثل السؤال عن المكان الذى اتى منه الاخ الجديد والاجابة عليه بانه ولد من بطن امه ، ذلك السؤال الذى يطرح فى سن الثالثة مثلا يتطور فى سن السابعة او الثامنة الى سؤال آخر عمن وضع الطفل فى بطن الام ؟ ولا يكفى فى الجواب عن مثل هذا السؤال ان تقول للطفل بان الله هو الذى فعل ، فان الطفل يعلم علم اليقين أن للامور اسبابا وهو معنى بتقصي هذه الاسباب .

ومتى ذهب الطفل الى المدرسة واتسع عالمه فانه لابد سائل معلمه او معلمته ، وقد يسال رفاقه ، اسئلة لها صلة بالحمل والولادة والعلاقات بين الذكر والانثى ، ويتحتم على المعلم او المعلمة

الواعين أن يجيبا عن مثل هذه الاسئلة باجوبة صحيحة ومناسبة تعطي الطفل معلومات صحيحة وتهيئه لمزيد من المعلومات في المستقبل ، ولكن بصورة لا تخدش الحياة ولا تتنافى مع العلم الصحيح .

وبديهي أن التربية الجنسية في المدرسة تتم في كل درجات المدارس من الحضانة وحتى الجامعة ولكنها تتنوع وتختلف باختلاف المؤسسة التعليمية وبالتالي باختلاف سن الطالب وحاجاته وامكاناته في الحصول على المعلومات والمعارف . وان نسيت لا انسى ندوات التربية الجنسية التي كانت تعقد في الجامعة التي درست فيها والتي كان يشارك فيها علماء نفس ومربون واطباء ورجال دين وعلماء اجتماع وسواهم ، والتي كان يحق فيها للطالب ان يطرح اي سؤال يشاء شريطة أن يكون مطروحا بشكل مهذب فيتلقى الجواب العلمي الصحيح . بل كان للندوة صندوق بريد خاص يودعه السائل سؤاله ، اذا استحى من طرحه علانية ، فيتلقى الجواب بصورة كتابية شخصية او بصورة علانية اذا كتم اسمه (كما هو الحال في السؤال عن الامراض الجنسية وعلاجها) .

اما في منظمات الشباب كنوادي الشباب والمنظمات الكشفية ومنظمات المرشدات فان من واجب قادة الشباب أن يشجعوا مثل هذه الاسئلة وان يكونوا مستعدين للاجابة عنها اجوبة علمية صحيحة .

وكذلك يجب على رجال الدين في المعبد وخارج المعبد ان يثقفوا المؤمنين بامور دينهم ودنياهم مما يتصل بحياتهم الجنسية . وفي الاسلام بالذات حيث تصدى الدين للمسائل الجنسية ونظمها يجب على رجل الدين المزود بالمعلومات الدينية والطبية والنفسية أن يثقف المواطنين المسلمين ثقافة جنسية صحيحة .

على أننا نحب ـ في هذا الخصوص ـ ان نشير اشارة خاصة الى اهمية التربية الجنسية في فترة ما قبل البلوغ . ففي هذه الفترة بالذات تشتد اهمية التربية الجنسية وتتعاظم قيمتها باعتبار أن الفتى والفتاة مقبلان على بداية حياتهما الجنسية الحقيقية ولذلك كان من واجب الاب والام اللذين يكونان قد عقدا صداقة صريحة خالصة مع اطفالهما ان يحدثوهما الحديث المناسب عن البلوغ ومشاكله ، وان يوضحا لهما معنى الحيض والاحتلام وحقيقة العادة السرية ومخاطرها الصحية وما الى ذلك من امور تتصل برجولة الفتى وانوثة الفتاة .

وفي الفترة التي تسبق الزواج لابد ايضا للام والاب وبعض المؤسسات الاجتماعية من تهيئة الفتى والفتاة للحياة الزوجية وافهامهما حقائقها الصريحة ودخائلها والا تعثر الزواج وكان مصدرا للتعاسة والالم بدلا من ان يكون مصدرا للسعادة والسرور .

طرائق التربية الجنسية

القاعدة الاولى في التربية الجنسية هي الصراحة وذكر الحقائق العلمية الصحيحة ، فليس من المناسب أن يقال للطفل ان اخاه قد وجد في الحديقة او في علبة اللبن أو في غير ذلك بل ويجب أن يقال له مهما كان صغير السن ـ انه وجد في بطن امه ، واذا سأل الطفل ، من اين خرج اخوه ؟ قيل له بكل بساطة : «من بين فخذي امه» وهكذا .. وقد يقول قائل ان الطفل يسأل احيانا اسئلة محرجة كأن تسأل طفلة في الثامنة من عمرها : « وكيف وجد الطفل في بطن الام ؟ » وحينئذ وجب أن يكون الجواب باللجوء الى البيضة ووجودها في داخل الدجاجة ونزولها من الدجاجة حين تبيض . وفيما بعد اذا كبرت الطفلة وسألت اسئلة اعمق من ذلك فلا بأس في ان يشرح لها الامر شرحا مبسطا مهذبا دون غشها او التمويه عليها او الكذب عليها .

وتحضر في هذه المناسبة قصة فتاة في العاشرة سألت خالتها عن كيفية حمل المرأة فاجابتها الخالة بان الحمل يتم اذا (لامس) الرجل المرأة فعاشت الفتاة سنوات وهي في خوف مرضي من أن يلمسها ذكر لئلا تحمل !

والقاعدة الثانية في التربية الجنسية هي أن يكون الجواب مناسبا لمدارك الطفل السائل ومفاهيم الطفل الذي نربيه ، فجواب سؤال يطرحه طفل في الثالثة يجب أن يختلف عن جواب سؤال يطرحه طفل في السادسة او العاشرة ، بل ان جواب السؤال نفسه يختلف من طفل الى طفل ومن مناسبة الى مناسبة . والامر متروك ـ بطبيعة الحال ـ لذوق المربي وحسن تصرفه وتقديره للظرف .

والقاعدة الثالثة هي الافادة من الحياة ووقائعها

ان وجود قطة في البيت او وجود حديقة أو وجود حيوان اليف او ولادة جارة او ولادة أخ أو أخت او غير ذلك من الامور مناسبات وفرص يستطيع المربي أن يهتبلها ويفيد منها في التربية الجنسية . ولا شك في ان الحياة البيتية والحياة المدرسية والحياة اليومية بصورة عامة تقدم العديد من الفرص للتربية الجنسية المناسبة .

والقاعدة الرابعة هي أن الوقاية في التربية الجنسية ـ كما في سواها ـ خير من العلاج ، فلا يكفي أن ينتظر المربي الطفل حتى يقوم بعمل خاطىء أو يعبر عن فكرة مغلوطة ليصححها له ويفسرها ، بل يجب ان يهيء الطفل لحياته الجنسية التهيئة المقبولة ويربيه التربية الصحيحة . وها هنا مشكلة يحسن ان نقف عندها بعض الوقت الا وهي : هل نستبق فضول الطفل واسئلته فنحدثه نحن عن حقائق الجنس أو ننتظر حتى يثور فضوله ويسأل فنجيبه ؟ .

والحق اننا يجب ان نكون حذرين فلا نستعجل فنحدث الطفل عن امور ومسائل لم تخطر له في بال فنفتح عينيه ـ قبل الاوان ـ على امور لا يهتم بها ولا تعنيه ، بل ننتظر الفرص التي تلوح من خلال سلوكه وتصرفاته فنغتنمها ونصارح الطفل بما يجب ان نصارحه به . على انه لابد لنا في بعض الاحيان من استباق بعض الامور وتهيئة الطفل لها كما هو الحال بالنسبة لمرحلة البلوغ ومشاكلها والامر كله متروك لحسن تقدير المربي ولباقته في التصرف .

والقاعدة الخامسة والاخيرة هي وجوب عدم المبالغة في الامر والنهي ، بل العمد الى الشرح والايضاح والاقناع ، ذلك بان الترغيب والترهيب واصدار الاوامر والنواهي الشديدة امور قد تسبب للطفل عقدا نفسية ومخاوف مرضية لا لزوم لها .

اسئلة الاطفال

يبدأ الاطفال عادة سؤالاتهم في الثالثة من عمرهم فما بعد . وبديهي ان سؤالاتهم تكون في البداية ساذجة بسيطة ولكنها لا تلبث ان تتعمق وتتزايد وثمة قواعد ثلاث يجب اتباعها في الاجابة عن هذه الاسئلة :

القاعدة الاولى : كل سؤال مقبول وغير معيب ؛ فالطفل بريء لا يعرف الخبث او الشر ، وسؤاله عادة يكون سؤالا عفويا صادرا عن حب الاطلاع فليعامله المجيب بهذه الصفة وليتقبله برحابة صدر ويتخذ منه موقفا ايجابيا . وليس يفيد اطلاقا ان يقال للطفل أن هذا السؤال عيب وان عليه ان لا يسأله لان ذلك لن يرضي فضوله . واذا كان سيكف عن السؤال موقتا فانه لابد ان يقبع السؤال في اعماق نفسه وان يبحث له عن جواب ، وقد يبحث عن مثل هذا الجواب حيث يجب ان لا يفعل وقد يتلقى عليه جوابا خاطئا مضرا .

والقاعدة الثانية : هي وجوب اللجوء الى الصدق المناسب في الاجابة عن اسئلة الاطفال . ولقد سبق أن شرحنا المقصود بهذا الصدق المناسب في الفقرة السابقة ، ولا لزوم للاعادة هنا . انما لابد من التأكيد مرة اخرى أن الصراحة والصدق وذكر الحقيقة المناسبة لعمر الطفل ومداركه خير ما يلجأ اليه المربي ـ ابا واما ومعلما وقائدا اجتماعيا ورجل دين ـ في هذا الصدد .

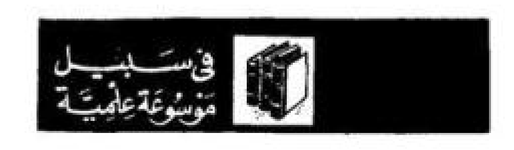
القاعدة الثالثة : يجب أن يكون الجواب دون تلعثم او لهجة خاصة او موقف خاص . وبمعنى آخر يجب أن تعامل الاسئلة الجنسية معاملة سواها من الاسئلة دون ان تعطى اهمية خاصة او قيمة خاصة او لهجة خاصة او يتخذ منها موقف خاص .

ولقد اشرنا في سياق حديثنا الى بعض الاسئلة واجوبتها المناسبة ولولا خشيتنا من أن يطول الحديث لاوردنا عددا من اسئلة الاطفال الفعلية والاجوبة المناسبة لها .

والخلاصة :

فان التربية الجنسية اصبحت ضرورة معترفا بها ، وهي تتم في البيت والمدرسة والمعبد ومنظمات الشباب ، وهي تبدأ ببداية الحياة وتنتهي بنهايتها ولها طرائق ووسائل ، وهي تتم في كل ميدان من ميادين المعرفة . ولقد اعترفت الامم المتقدمة باهميتها ولجأت اليها ، وقد آن الاوان للتربية العربية أن تعترف بها وان تفيد من خبرات الامم المتقدمة عليها ثم تكيف وسائل هذه التربية وطرائقها بما يتفق مع حاجات المجتمع العربي وتقاليده وامكاناته . ■■

فاخر عاقل





التوابل

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ قلنا التوابل ولم نقل البهار او البهارات . وهما اللفظان اللذان جريا ويجريان على السنة الناس . وسبب ذلك ان البهار فى اللغة « هو نبت طيب الرائحة ويقال له عين البقر او بهار » .

اما التابل . وجمعه توابل ، فهو ما يطيب به الاكل كالفلفل . والتبال صاحب التوابل وبائعها .

والتمثيل بالفلفل هنا ذو مغزى ، ذلك ان الفلفل أشهر التوابل جميعها ، والناس احرص على اقتنائه ، من بعد الملح . والملح ليس بتابل . فالتوابل كلها من النبات .

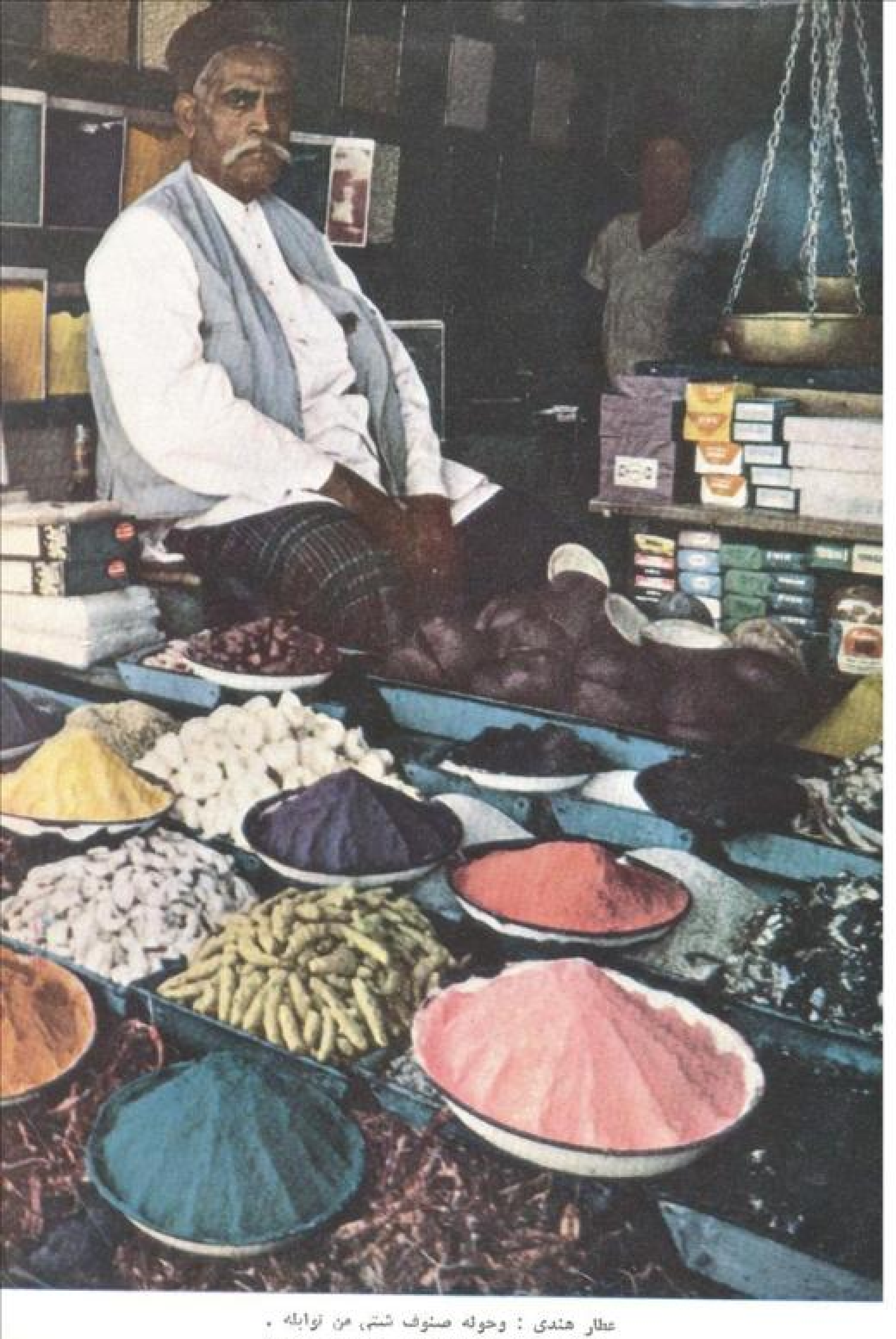
التوابل صنعت التاريخ ؟

وهم يقولون كذلك ان لعل امريكا ، لولا التوابل ، ما كشفها كولمبس ، ولا كان فيها من اهل الغرب اليوم انسان .

والقصة تبدأ منذ القرون الوسطى .

كان البرد فى اوروبا هو البرد . ويدخل الشتاء بصقيعه فيجد الناس الطعام مملوحا او مدخونا ، وكل هذه لحفظه من التلف ، ولكن الزمن هو الزمن ، واللحم المخزون ، فى عهد لم يعرف ما الثلاجات ، ليس له طعم اللحم الطازج .

والفلفل ، وسائر التوابل كانت لها عند



عطار هندي : وحوله صنوف شتى من توابله .
والهند وسيلان والجنوب الشرقي من آسيا مصدرها

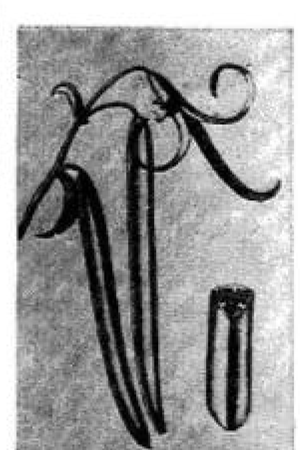



الفرنفل ، وهو ضعف حجمه الطبيعي

بذور الكراوية ، مكبرة



جوزة الطيب



قرون الونيلية Vanilla

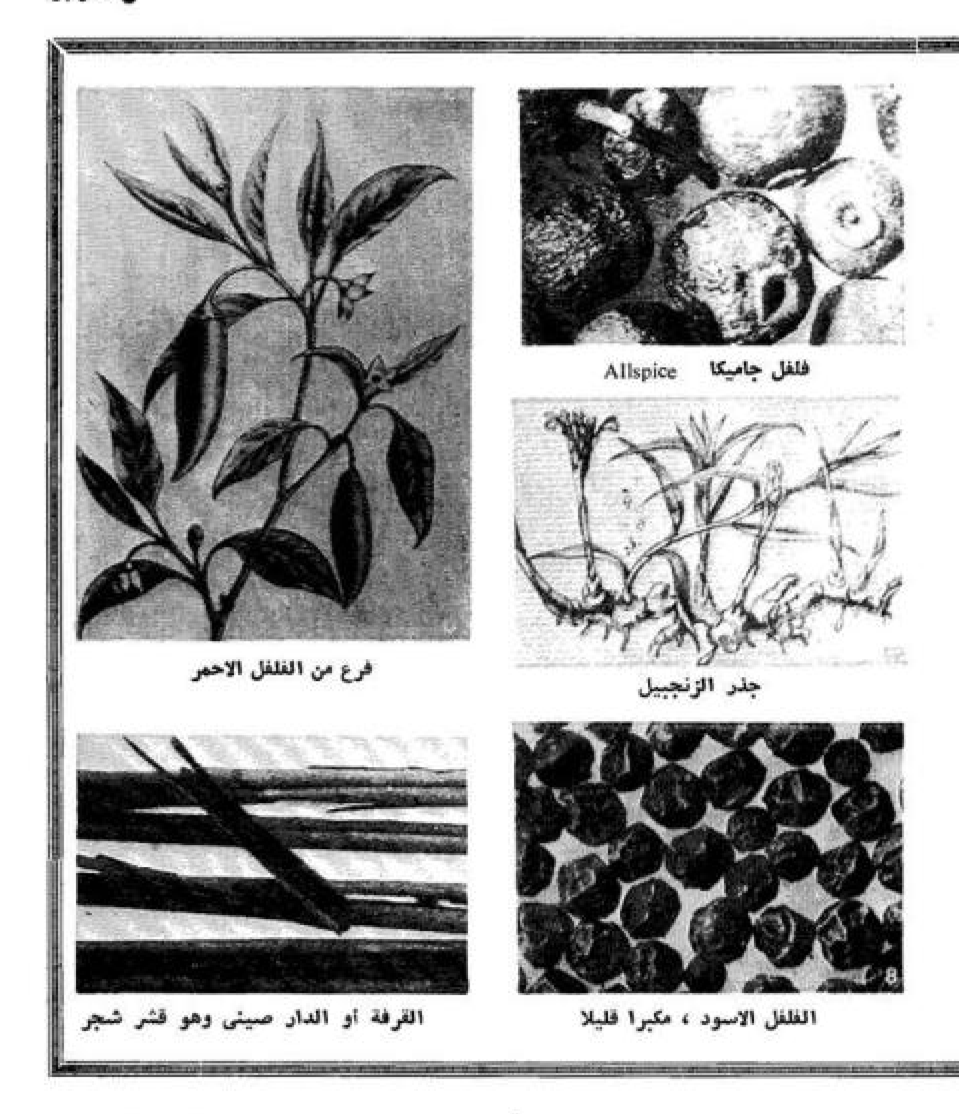


شجرة جوزة الطيب ، وهي مصغرة جدا ، وترى فيها الورق والزهر والثمر .

ذلك ويسبب ذلك في أوروبا مكانة الذهب .

وطلبوا التوابل من الشرق البعيد وحملتها القوافل عبر الهند . ومن الهند حملت عبر الجزيرة العربية الى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت البندقية في ذلك الزمان دولة وكان لها في هذا البحر سطوة ، ولتجارة التوابل بها احتكار ، فاثرت من ذلك ثراء عظيما .

وطلبت اوربا الى الهند طريقا اقرب ، بدورانها حول الأرض ، فكان من ذلك اكتشاف ، لا الهند ، ولكن العالم الجديد الذى سمي بامريكا . ففي طلب التوابل ، وتجارة التوابل ، والثراء الذى جاء من الشرق من التوابل ، وغير التوابل ، كشف كولمبس امريكا .


فلفل جاميكا Allspice

جذر الزنجبيل

فرع من الفلفل الاحمر

الفلفل الاسود ، مكبرا قليلا

القرفة أو الدار صينى وهو قشر شجر

واذ تبين ان الطريق الى الهند لايكون بالتغريب، وانما بالتشريق، نجد البرتغال يراودها الحلم بالوصول الى الهند بالدوران حول افريقيا من جنوب . وحاولت ، وتم لها هذا في القرن السادس عشر .

وصلت البرتغال الى مصادر التوابل في الشرق البعيد . وحلت محل البندقية بان سيطرت على البحار الشرقية ، وعلى سيلان ومالقة وملبار . واخذ الثراء سبيله الى لشبونة العاصمة ينصب فيها انصبابا .

والثراء يغرى بالمشاركة .

وخير من المشاركة الاغتصاب ان امكن .

وقامت بعد البرتغال هولندة تغتصب .

بقية الموضوع على صفحة ٤٠

التوابل في..





شطة   فلفل أحمر   فلفل أرناؤوطى   شمر   كزبره   بقدونس

شبت   ينسون   كراويه

فلفل جامايكا   جوزة الطيب   فلفل أبيض

قرنفل   قشرة جوزة الطيب   فلفل أسود

صُوَرِهَا وَأَلْوَانِهَا



حصى لبان المريمية الارجانو

سعتر سعتر هندي المردقوش



حب الهال كركم زنجبيل



سمسم خردل زعفران بذر الخشخاش طرخون



ورق الغار

قرفه

فما كان ختام القرن السادس عشر حتى كانت هولندةوارثة هذا الثراء،الى حين.

ففي نحو عام ١٨٠٠ دخلت انجلترا الميدان ، وحلت محل هولندة .

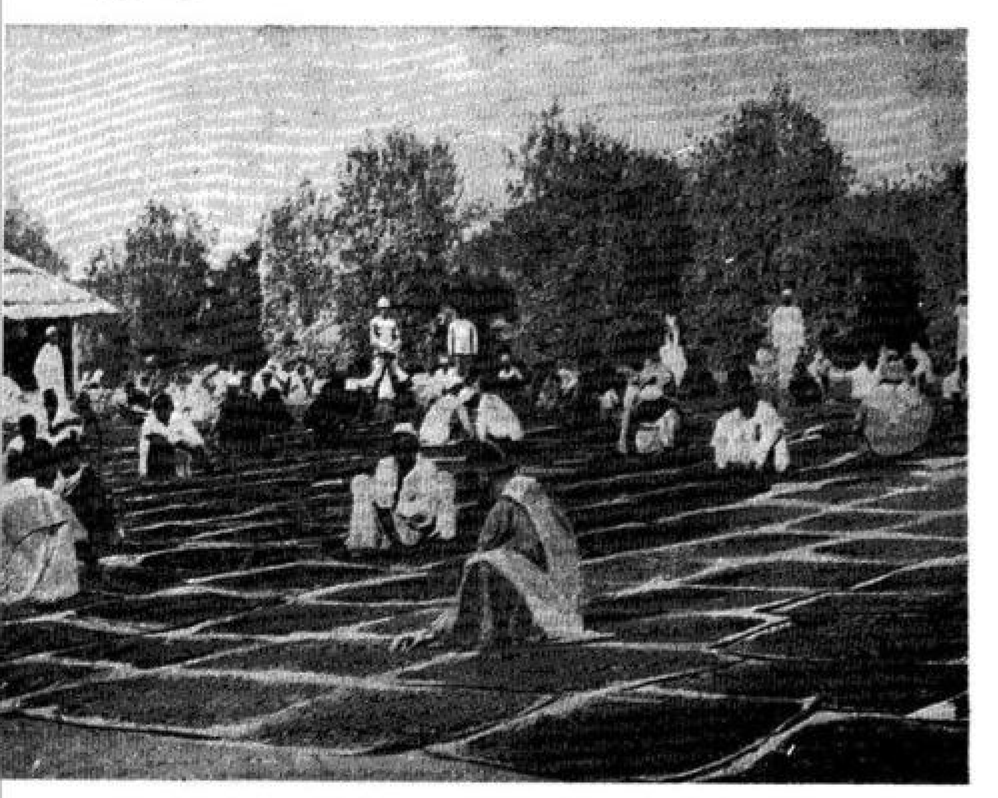
غير أن تجارة التوابل ضعفت في العهد البريطاني ، وكان من أسباب ذلك تهريب الكثير منها الى سائر بقاع الارض استزراعها هناك .

كيمياء التوابل

أن التابل به شيئان يتميز بهما أو بأحدهما ، أولهما النكهة وطيب الرائحة ،

مزرعة من مزارع الفلفل الاسود ، وهو المنتشر في الهند الشرقية ، وهذا الحقل في الملايا فعلا . وهو في مواطنه هذه ، قديم عرف وجوده قبل الميلاد بثلاثة الاف سنة . وهو ينمو على سيقان كالكروم تعمدها عصي . ومنه يلتقط الحب قبل نضجه نضجا كاملا . وكان يباع في القرون الوسطى في اوروبا بأثمان مرتفعة . ومن اجل توفير مكاسب الوسطاء في تجارته حاولت اوروبا الوصول الى الهند بشتى الطرق فكان من ذلك اكتشاف جنوب افريقيا ، وكذا أمريكا كما ذكرنا .





براعم زهر القرنفل ، تقتطف باليد ، وتنشر هكذا على الحصائر في الشمس لتجف ، وقد كانت جففت قبل ذلك بعض الشيء بتعريضها لدخان نار من خشب . والبراعم حمراء عند الجمع . ولكنها تسمر من بعد جفاف

وثانيهما : الحرافة وفتح الشهية للطعام. وفتح الشهية اول الهضم .

اما الذى يصنع ذلك فزيوت توجد فى التابل ، كلها عضوية ، اشبه شيء بزيوت العطور ، فهي عطرية ، وهي فواحة . ومع هذه العطور مركبات عضوية تعطي لكل تابل نكهته الخاصة به.

علم النبات والتوابل

والتوابل اجزاء من النبات شتى .

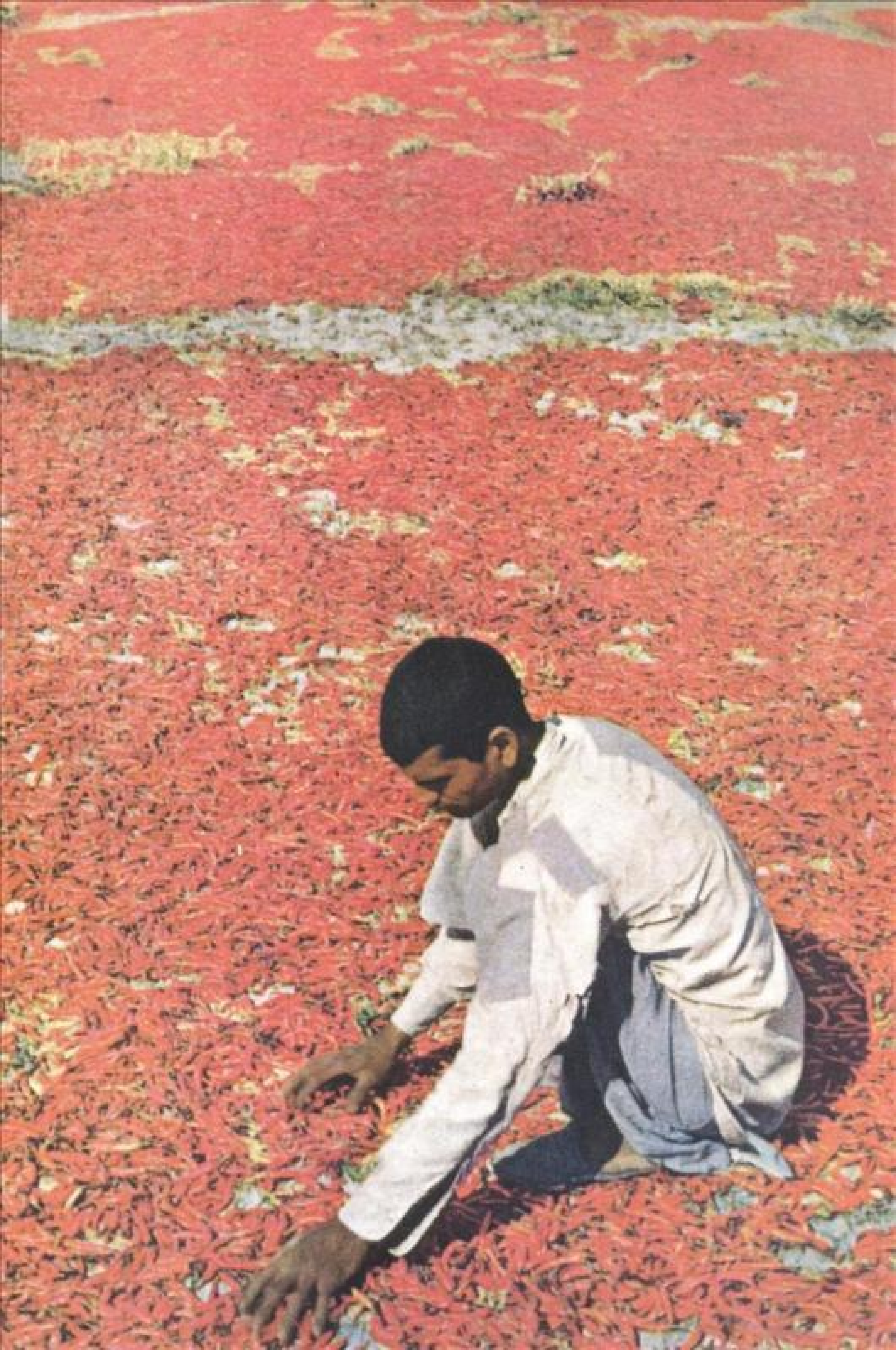
فالتابل قد يكون ورقا وساقا ومثال ذلك البقدونس والنعناع .

والتابل قد يكون زهرا او برعما لزهر ومثال ذلك القرنفل والزعفران .

والتابل قد يكون ثمرا ، ومثال ذلك الفلفل الاخضر والحلو وقرون الونيلية Vanilla .

والتابل قد يكون جذرا او ساقا ارضية ، ومثال ذلك الزنجبيل والكركم وعرق السوس والثوم .

والتابل قد يكون بذرا ومثال ذلك الينسون والكراوية والخردل وجوزة الطيب .



الاف من الفلفل الاحمر المعروف بفلفلشلى Chilli منشور على الارض فى حقل من حقول الهند ليجف . وهذا التابل حارجدا ومنتشر فى اكثر اسيا الجنوبية الشرقية . والغريب ان موطنه الأصيل ليس الهند ، وانماجاء به اليها البرتغاليون فى اوائل القرن السابع عشر ، ودخل فى صنع الكارى Curry فى الهند واندونيسيا وفى الوان اخرى من الطعام . والذى اعطاه هذا الاسم ، شيلى ، هم الاسبان ، لما حصلوا عليه من الهند الغربية .

ارواح التوابل

وهي تستخرج بنقع التوابل فى الكحول عدة ايام ، او باضافة الزيت العطرى المستخرج من النبات بطرق اخرى ، كزيت اللوز المر ، الى الكحول .

ومن الارواح المشهورة روح القرفة ، وروح جوزة الطيب ، والزنجبيل ، والليمون .

التوابل والجغرافيا

حب الهال (حب هان) والقرفة (الدارصين) جاءا من الهند وجزيرة سيلان .

والزنجبيل والفلفل من الملاى .

وجوزة الطيب ، وقشرتها Mace والقرنفل ، جاءت من جزائر مولاكاس باندونسيا .

والونيلية Vanilla من المكسيك .

والفلفل الاحمر Chillis من امريكا الوسطى والجنوبية .

والكراوية والمريمية Sage والبقدونس والشبت والزعتر والخردل فتزرع فى الشمال من افريقيا وجنوب اوروبا .

التوابل
اسماؤها الافرنجية والعربية

بما ان اللغة العربية لم يتفق اهلها على اسماء كل التوابل ، لاسباب منها ان اكثرها اجنبى عن بلاد العرب ، رأينا ان نأتى على الاسماء الافرنجية التى هى اليوم عالمية لايختلف فيها علماء النبات . والكثير منها يأتى من بلاد الغرب مصنوعا ، ولا يفطن له الكثير . مثال ذلك الونيليه ، تستخدم فى الشرق فى الدندرمة (البوظة) لاعطائها طعمها، وهي بالافرنجية Vanilla ، ولا عربية لها الا ما استطاع احد اصحاب القواميس لها تعريبا ، فقال الونيلية . وموطنها المكسيك وامريكا الجنوبية .

فلفل جاميكا	Allspice (Pimento)
يشنون	Aniseed
السعتر الهندى	Basil
ورق الغار الرند	Bay Leaves
حب الهال	Cardamom
كراوية	Caraway
فلفل احمر (شطة)	Cayenne
دار صينى . قرفة	Cinnamon
قرنفل	Clove
شبت	Dill
شمر	Fennel
زنجبيل	Ginger
قشرة جوز الطيب	Mace
مردقوش	Marjoram
خردل	Mustard
جوزة الطيب	Nutmeg
ارجانو (لفظ اسبانى)	Oregano
فلفل ارناؤوطى	Paprika
حصى لبان	Rosemary
زعفران	Saffron
المريمية	Sage
الطرخون	Tarragon
سعتر (١)	Thyme
كركم	Tumeric

●●

احمد زكى

(١) تنطق كذلك زعتر



اعرف وطنك أيها العربي

صفاقس

ثانية المدن التونسية ..



ضاقت صفاقس بسكانها ، فبدأ البناء خارج السور، وظهرت صفاقس الحديثة

تشكو صفاقس من نقص في المياه ، لهذا نجد في كل دار قديمة بئرا يستعمل ماؤه للاغتسال ، وهذه صفاقسية بملابسها الوطنية بجوار البئر .

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

أوسكار مترى

وَمِنْ أَكْثَرِها نشاطًا وَحَيَوِيَّة

■ تقدم لك « العربي » في هذا الاستطلاع مدينةالزيتون ، وزيت الزيتون !

كل شيء فيها يشير اليهما،انهما ثروتها الاقليميةالرئيسية ، وبدونهما لا يسير دولاب الحياة فيها.

وحيثما ذهبت في المدينة يلازمك الزيت :طعمه في فمك .. ورائحته في انفك .. ومنظره الأخضر الجميل يملأ عينيك ..

كل شيء هنا ـ من سيارات أجرة ، وحافلات ،و « عربات حنطور » ـ مصبوغ باللون الزيتوني الاخضر الجميل ..

حتى الهواء الذي تستنشقه يحمل رائحة الزيتون المعصور في مئات المعاصر المنتشرة في كافة أحياء المدينة .

خريطة الجمهورية التونسية ، وعليها يظهر موقع صفاقس ، ثانية مدن تونس ، وعاصمة الجنوب التونسي .. عدد سكانها ٢٢٥ ألف نسمة ، وتبعد ٢٦٧ كيلو مترا عن العاصمة .



والفندق الكبير فيها هو : فندق الزيتونة ...

وتتناول طعامك فتجده كله مطهوا بالزيت ـ ولا شيء الا الزيت ـ سواء أكان لحما أو أرزا .. أو حلوى !!.

واذا تقدمت طالبا القربى من احدى بناتها ، فان ثروتك تقاس بمقدار ما تملك من أشجار الزيتون !

هذا هو اسلوب الحياة في تلك المدينة التي طارت اليها بعثة « العربي » لتنقلها لك .

انها مدينة صفاقس .. ثانية مدن تونس من ناحية تعداد السكان .. وأولاها من ناحية الجمال والنشاط والحياة .

ثروات .. وثورات !

وليس الزيتون هو الثروة الزراعية الوحيدة في صفاقس ، فالى جانبه ترتفع الملايين من أشجار اللوز والفواكه .. وفي مياهها تسبح ثروة سمكية هائلة ، فوق ثروة أخرى هي الاسفنج ، الذي يغطي قاع البحر في منطقة صفاقس .

واذا عدنا الى البر وجدنا القطارات الطويلة تنقل الفوسفات الى ميناء صفاقس لتصديره هو والزيتون والزيت ونبات الحلفا الى الخارج .. وفي المدينة مصانع حديثة تنتج الأحذية للرجال ، والحلى للنساء ، والسماد الكيماوي للزراع ..

والى جانب كل هذا نهضة تعليمية ونسائية تشد أزر الثورة الاجتماعية على العادات المتوارثة واللبس التقليدي، من حجاب وسفساري وكانتوش وشبْشِرلة وقشتابية وبرْنوس !

انها صفاقس درة الجنوب التونسي التي تعمل بصمت وهدوء ، حتى أصبحت المنافس الأكبر للعاصمة تونس ..


فى الجامع الكبير ، عمودان رومانيان أخذا من آثار مدينتى طينة وتابورة ، التى بنيت بأحجارهما مدينة صفاقس .

سرها فى اسمها ؟

وتعالوا نتقلب بسرعة صفحات التاريخ ، ونستمع الى رأى المؤرخين ، وهم يقولون لنا : « قصة بناء المدينة مختف فى اسمها !؟ » .

فقد حدث حوالى عام ٢٣٥ هـ . أن أمر « السلطان ابن الأغلب » مهندسه ، ويدعى « صفا » ، برسم تخطيط لمدينة جديدة على جلد بقرة .. وبدأ المهندس صفا بالرسم ، حتى وصل الى نقطة معينة أمره بعدها السلطان أن يتوقف وقال له : « يا صا قس » .. ورواية أخرى تقول انه أمره بقص جلد البقرة شرائح ليقيس به طول سور المدينة فقال له « يا صفا قص » فسميت صفاقص ، ثم تحورت الى صفاقس !!

ولكن أغلبية المؤرخين ترفض هـــذه القصة وتعتبرها من القصص الشعبى الذى زيد عليه الكثير من الحواشي .. ويقولون ان اسم المدينة الصحيح مشتق من اسم ملك بربرى يدعى سيفاكس .. وفي معجم البلدان نجد اسمها مكتوبا «سفاقس» بالسين في أولها .. بينما اهل تونس يكتبونها : صفاقس .. بالصاد في أولها ..

آثار الرومان فى المدينة

وقد بنيت مدينة صفاقس الاسلامية بأحجار مدينتين رومانيتين كانتا تقومان بجوارها ، هما : تابورة .. وطينة .. كما جلبت بعض الاحجـار من بلدة الجَمّ الرومانية المشهورة بملعبها الأثرى الكبير ..

وفي الجامع الكبير شاهدنا لوحة وأعمدة مرمرية عليها كتابة وزخرفة يونانية ، خُرّب منها شكل الطيور والطاووس فلم يبق الا الذيول ، تطبيقا للعادات الاسلامية الدينية التى تستبعد الصور والتماثيل من محلات العبادة .

لعنة الله !

ومن أبرز الذين وصفوا صفاقس في مطلع القرن السابع الهجرى ، الرحالة ابو محمد عبد الله التيجانى الذى قال عنها : « مدينة حاضرة ذات سورين ، يمشي الراكب بينهما ، ويضرب البحر في الخارج منهما ، وكانت بها نبل ، غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب، فليس بخارجها الآن شجرة قائمة .. وفواكهها مجلوبة اليها من قابس ، وماؤها شراب لا يساغ .. وانما يعتمدون في شربهم على ما يدخرونه من مياه الأمطار .. ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الاحصاء .. وقد شاع في الناس تسمية صفاقس « لعنة الله » وبلغ الامر في ذلك أن بعض الملوك قال لمن راجعه الكلام « اذهب الى لعنة الله » .. فأخذ في الارتحال الى صفاقس !! » .

مدينتان فى مدينة

هكذا شهد التيجانى صفاقس منذ ستة قرون مضت .. ودخلناها اليوم فوجدنا المدينــة مدينتين !! فالبحر الذى كان يضرب في الخارج من أسوارها جففوه في عهد الحماية الفرنسية ؛ وأقاموا عليه مدينة حديثة عام ١٨٨٠ ، ولكن هذه المدينة الحديثة تهدمت أثناء الاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية (٩ نوفمبر ١٩٤٢ حتى ٨ مايو ١٩٤٣) اذ تعرضت صفاقس لغارات جوية دمرتها تماما ..

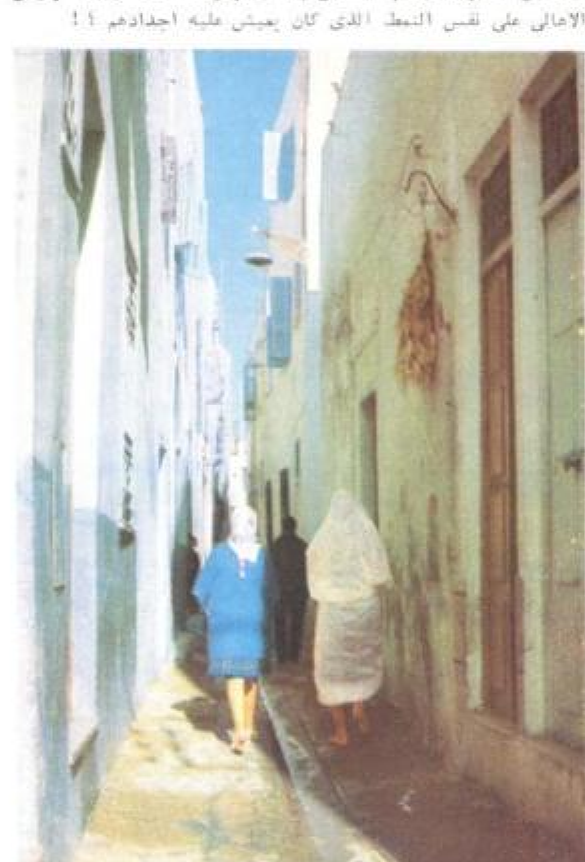
وبعد انتهاء الحرب شيدت صفاقس الحديثة ، على أنقاض المباني المتهدمة.. لقد عشق الفرنسيون الهندسة العربية ، فجلبوا المهندسين الايطاليين والصقليين الذين اقتبسوا الفن المعمارى العربى بحذق زائد ، فجمعت مبانى صفاقس الحديثة

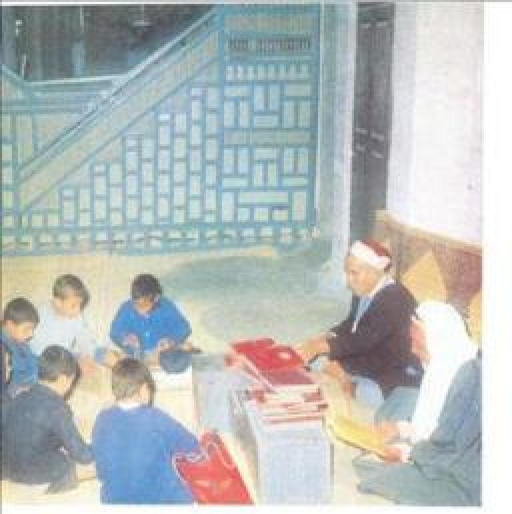


الى اسفل : تزخر سفاقس القديمة باسواقها المتقاطعة راسيا ، والمؤدية كلها الى الجامع الكبير المرتفع فى وسطها .. وكل سوق متخصص بنوع معين : هذا للاسماك وذاك للغزل وثالث للحدادة والنجارة .. الخ .. والصورة السفلى لسوق الربع ، اى الذى يتربع فيه التاجر عند مدخل متجره المرتفع ، يبيع معروضاته من اغطية وبرانس وزرابى وغيرها



ما زالت سفاقس القديمة على ما هى عليه .. شوارع مسقوفة ومنازل متلاصقة ، ومجار مكشوفة تتدفع منها المياه الآسنة !! وعندما سألنا المسئولين فى بلدية سفاقس عن مشاريعهم للمدينة القديمة ، اجابوا بقولهم : « لا يمكننا عمل اى اصلاح فى المدينة القديمة الا بعد طلب راى مصلحة الاثار ، التى تنادى بضرورة المحافظة على طابع سفاقس القديمة وعدم المساس به او تبديله » .. وهكذا يعيش الاهالى على نفس النمط الذى كان يعيش عليه اجدادهم ! !





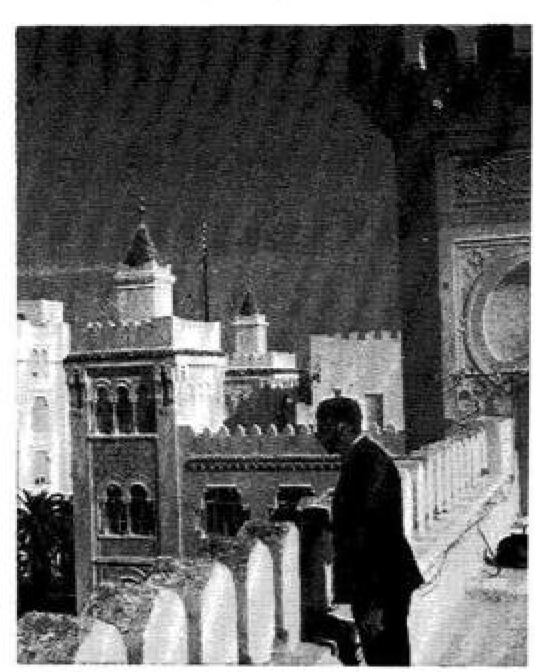
الى اليسار : بعد انتهاء وقت الدراسة يهرع الاطفال الى الجامع الكبير لتعلم قراءة القرآن .. ونرى هنا مجموعة منهم جالسين امام اثنين من القائمين على شئون الجامع تطوعا،وهما يوجهان الاطفال توجيها قرآنيا صحيحا .. ومما يذكر أن الكثيرين من الاطفال يصحبون آباءهم اثناء الصلاة .. وقلّ من لا يأتي من اهل صفاقس الى الجامع يوم الجمعة للصلاة والتلاوة ، فيمتلىء الجامع بالرجال والشبان والاطفال والنساء ..

بين الفن العربى القديم المطعم بالفن المعمارى الحديث ، داخل اطار من الشوارع الفسيحة والحدائق الغناء ..

التصدير يوازى ٣٦ مرة الاستيراد !

ولم يتوقف الاصلاح على اعادة بناء المدينة فقط ، بل امتد الى الميناء القديم الذى دُمّر هو الآخر اثناء الحرب ، فاعيد بناؤه من جديد بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٥٣ .

وفي عام ١٩٦٦ استقبل هذا الميناء ١١٤٤ سفينة كبيرة جلبت ٧٢ الف طن من زيوت الاكل والفحم الحجرى والاسمنت والجير والقار (الزفت) والكبريت والمحروقات التجارية ... وحملت هذه السفن عند سفرها ٢٦٤٨٧٧٩ طنا من زيت الزيتون وخشبه والحديد الخردة ونبات الحلفا والاسفنج وعظام سمك السبيدج Seiche واللوز والخروب وأعشاب بحرية يستخرج منها اليود الذى تصنع منه صبغة اليود .



تهدمت معظم منازل صفاقس الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية ، فأعيد بناؤها على الطراز العربى الاسلامى الجميل ، المطعم بالفن المعمارى الحديث.

سر الملح

اما ملح الطعام فقد صدّر منه ١٥٨٫٧٠٠ طن في العام الاسبق .. والغريب في هذا الملح انه في الوقت الذى تقفل فيه أبواب ملاحات مدينة عدن بجمهورية الجنوب اليمنى ، نجد اقبالا هائلا على ملح تونس ... من آسيا واوربا وأمريكا ! . وأردنا معرفة السر فاتجهنا الى الملاحات .. فاستقبلنا المسئول بوجه صارم قائلا : « ممنوع التصوير ! » .. وتعجبنا فلم تكن أمامنا سوى اكوام من الملح .. وطلبنا منه أن يحدثنا عن ملحه فاجابنا : « نحن نعالج مياه البحر هنا بطريقة سرية حديثة ، ثم نغسل الملح جيدا ، ونزيل منه ٩٩٫٧٪ من رطوبته .. وهذا هو السر في الاقبال على ملحنا .. اننا نبيعه بثلاثة أضعاف سعر ملح عدن القريبة من اليابان ، ومع ذلك فاقبال اليابان على ملحنا في تزايد .. ونأمل أن يزداد انتاجنا في العام القادم من ١٨٠ الف طن الى ٢٥٠ الف طن بعد تعاقدنا مع الدول السكندنافية » .

بهذا يعلل مدير المصنع جودة ملحه ولعله يُبهم طريقة التحضير ، وهى طريقة واضحة للعلم قد نوضحها في العربى في فرصة أخرى غير فرصة هذا الاستطلاع .

الذهب الابيض

وليس الملح هو أهم الصادرات من ميناء صفاقس بل الفوسفات ، الذى صُدّر منه ٢٤٠٤٧٥٩ طنا في العام الاسبق .

وقصة الفوسفات في تونس ترجع الى عام ١٨٨٦ فقد عمد الفرنسيون الذين بدأوا احتلال تونس عام ١٨٨١ ، الى البحث عن الثروات المعدنية ، فأرسلوا البعثات الجيولوجية تجوب البلاد تبحث وتنقب ، حتى عثرت على الفوسفات بكميات هائلةفيجنوب تونس قرب قرية «ميتلوى»، عثرت عليه منتشرا لمسافة ٦٠ كيلومترا ..وقدّروا كمياته « بعشرات الملايين » من الأطنان ، لفشلهم في حصر مقدارها الهائل !

ولم يُستغل الفوسفات التونسي الا بعد طرح ثلاث مناقصات دولية ، نجحت الاخيرة منها ..

كان من السهل جدا استخراج هذا الذهب الابيض من الارض ، ولكن الصعوبة كانت في نقله

وتصديره .. فمد خط حديدى طوله ٢٩٩ كيلومترا تسير عليه القطارات الطويلة ، التى يصل عدد مركباتها في السفرة الواحدة نحو ١٢٠ مركبة ، حاملة الذهب الابيض من الميتلوى ، وأم العرايس ، والرديف والمزبلة حتى ميناء صفاقس .

ميناء جديد للفوسفات

وظل الفوسفات التونسي لفترة طويلة يحتل المرتبة الأولى في افريقيا الشمالية والثانية في العالم بعد أمريكا .. حتى ازاحه الفوسفات المغربى عن مركز الصدارة في افريقيا الشمالية .

ان الاقبال على استعمال الفوسفات في تزايد لأن الزراعة التى هى في حاجة اليه سمادا ،تتزايد لتطعم الأفواه المتكاثرة من البشر .. ومن المنتظر أن يقفز الانتاج التونسي الى عشرة ملايين طن .. وهذا يتطلب بناء ميناء جديد في قابس .. لأن ميناء صفاقس لا يمكنه ان يتحمل تصدير أكثر من اربعة ملايين ونصف المليون طن من الفوسفات سنويا ..

بئر فى كل منزل

والسماد الفوسفاتى الذى ينتجه مصنع التكرير لا يستعمل في الزراعة بضواحى صفاقس لأنه يحتاج لماء وافر كثير لا يتوفر في صفاقس ، كما ذكر التيجانى في رحلته .. ولكن الاهالى استطاعوا حل مشكلة المياه حلا جزئيا ، بمدهم انبوبا طويلا من الخرسانة حتى منطقة سبيطلة الأثرية ، على مسافة ١٦٥ كيلومترا..ففى هذه المنطقة مستودع كبير للمياه الجوفية يمد المدينة بنحو ١٧ الف متر مكعب من المياه العذبة يوميا .. ولكن صفاقس ـ التى يهوى أهلها تناول الفلفل الاحمر الحار مع طعامهم ـ تحتاج الى ٢٤ الف متر مكعب من الماء يوميا ، لتروى ظمأها ! .. لهذا يفكر المسئولون في مد انبوب آخر لمواجهة حاجة الاهالى ، الذين بلغ عددهم ٢٥٠ الف نسمة ..

والى أن يتم مد هذا الانبوب ، يتبع الأهالى نفس الطريقة التى شهدها التيجانى في رحلته منذ ستة قرون .. يجمعون ماء المطر ـ ويسمونه « الماجل » ـ في خزانات ، ويستعملونه للشرب والطبخ ..



شهدت ضواحى صفاقس معارك حامية بين قوات الحلفاء والألمان خلال الحرب العالمية الثانية .. وهذه مقبرة القوات الحليفة في صفاقس ، وتضم آلافا من قبور الجنود الذين سقطوا حول صفاقس في شهرى مارس وابريل من عام ١٩٤٣ .

أما مياه الآبار ـ وفي كل دار بئر ماء ـ فتستعمل للاغتسال وتنظيف الملابس والمنزل .. وتحت صفاقس كمية كبيرة من المياه الجوفية تحتاج الى بعض المعالجة لتصبح مياها عذبة .. ويعلم الأهالى ذلك ، ولكنهم لا يستغلونها على نطاق واسع ما دامت مياه سبيطلة تكفيهم !!

تهمة باطلة !

ويحاول اهل تونس العاصمة الصاق صفة البخل بأهل صفاقس .. ويتندرون بقولهم : ان الجاحظ ولد في صفاقس لأنه كتب كتاب « البخلاء » !! وسألنا أهل صفاقس عن رأيهم في هذا القول ، فاجابوا بتبرم زائد : « الصفاقسي مقتصد وليس شحيحا .. انها الطبيعة التى علمتنا ذلك ، فالسحب تأتينا معصورة المياه ، بعد أن تسقطها على الشمال .. وكثيرا ما تنحبس عنا الامطار مدة أربع سنوات ، فتقضي على المزروعات التى تعتمد على مياه الامطار ، وهذا ما دفعنا الى الاقتصاد وتخزين الطعام والحبوب .. أما في الشمال التونسي فالامطار تهطل سنويا ، لهذا تجد أبناء العاصمة مسرفين مبذرين لأن الطبيعة تجود عليهم وتعوضهم .. فيشترون ملابسهم الجاهزة

يمكن تشبيه صفاقس بمدرسة كبيرة يتعلم فيها كبيرها وصغيرها ! ويلعب ديوان التربية الاجتماعية دورا فعالا في القضاء على الامية ، وخاصة بين الكبار .. وسألنا احدى السيدات التلميذات ، لماذا تتعلم في هذه السن المتقدمة ؟ فاجابت بحماس : « عندما اصبح اطفالي يذهبون الى المدرسة ، احسست اني صغيرة جدا بجوارهم ، لهذا صممت على التعلم .. » .

الى اسفل : اصبحت جميع المدارس الحكومية مختلطة ، من رياض الاطفال حتى الجامعة ، يدرس فيها الطالب والطالبة جنبا الى جنب ، وهؤلاء بعض الطلبة من الجنسين يزاولون النشاط الرياضي في ساحة المدرسة الثانوية بصفاقس ، التي تضم ٦٠٠ طالبة و ٢٥٠٠ طالب ...



تعاني تونس ، مثلها في ذلك مثل معظم الدول العربية ، من نقص في رياض الاطفال .. مع ان هذه الرياض ضرورية جدا في بلادنا التي تشكو في مجموعها ، من تخلف الامهات تربويا واجتماعيا ، والوسيلة الوحيدة لتعويض هذا التخلف هو نشر رياض الاطفال حيث ينطلق الابناء ويتعلمون حسن العابهم ، ومن احتكاك بعضهم ببعض ، ومن معلماتهم اللواتي يضفين جو الامومة على المدرسة كما ترى في الصورة العليا .. وفي صفاقس توجد روضة اطفال حكومية واحدة تضم مائة طفل بينما تضم رياض الاطفال التابعة للاتحاد النسائي ٦٢٠ طفلا .

من المتاجر .. بينما عندنا المرأة تعد جهازها بيدها على ماكنة خياطتها .. » .

الاخطبوط في « بيت المونة »

وتلعب المرأة دورا اقتصاديا هاما في صفاقس فهي التي تصنع الصابون لاستهلاك المنزل ، من بقايا الزيت المستعمل في قلى الطعام اليومى ، وتضعه في « بيت المونة » (المئونة) وما ادراك ما هو بيت المونة في صفاقس..انه غرفة بقالة كاملة تحتفظ بها المرأة في منزلها ، اخترعها لها الرجل ليريح نفسه من شراء تموين المنزل اليومى عندما كانت المرأة حبيسة المنزل .. لقد أحصينا في بيت المونة ٥٥ نوعا مختلفا من البقول والمخللات والمأكولات ، حتى الاخطبوط ، الذى يصاد بكثرة في مياه صفاقس ، وجدناه مجففا في بيت المونة .. كل شيء موضوع بعناية : ــ هنا زيتون اخضر .. وهناك زيتون اسود .. وهذه زجاجة خل مستخرج من التين الشوكى مصنوع منزليا ..وهذه صفيحة جلبانة أى بازلاء مجففة .. وهذا مرطبان الهريسة الحمراء،المصنوعة منزليا من طحن الفلفل الاحمر. وهذا برميل كبير فيه زيت الزيتون .. وهذا كسكس .. وذاك شعير لعمل كسرة ، وهى خبز خاص يأكلونه مع الكسكسي ومرقة الصبارس ، أى السمك الصغير .. ففى صفاقس يقبلون على أكل السمك أكثر من اقبالهم على أكل اللحم ، حتى بلغ مقدار ما يأكلونه منه يوميا ٢٠ طنا .

السلحفاة والمرأة الحامل

ويعشق الاهالى أكل لحم السلحفاة البحرية المسكينة ، ويعتقدون ان المرأة الحامل يخف عسر ولادتها اذا تناولت لحم السلحفاة ، الذى ينافس لحم البقر من ناحية الطعم ــ على حد قولهم ــ ولا يجب أن ننسى العامل الاقتصادى في الموضوع .. فسعر الكيلو من لحم السلحفاة لا يزيد عن ١٠٠ مليم في حين أن سعر كيلو اللحم ٦٥٠ مليما!!

وما زالت بعض العائلات تستعمل هيكل السلحفاة الخارجى كمهد للطفل الوليد ، بعد غسله بزيت الكافور والدهن .. انه مظهر من مظاهر التفاؤل التى يؤمن بها أهل البلد .

تقاليد .. وعادات

وعادات الزواج وتقاليده كثيرة متعددة أغربها عملية « الحجبة » . فبعد تقديم الهدايا والمهر للعروس ، يتغير مجرى حياة المسكينة ، فتنقطع عن الخروج وترتدى الجوارب والاثواب الطويلة ، وتخفى شعرها تحت غطاء ، وتقلل من القيام بشؤون المنزل .. وتخضع لنظام معين في الأكل توفره لها والدتها فلا تأكل من الطعام الا الدسم، ومعه الحلبة ، « والدرع » ، والجلجان والبيض، وتتضاعف كمية الأسماك واللحوم في غذائها وتشرب زيت الزيتون .. كل ذلك لاعتقادهم ان العروس



السيدة حليمة الشمبوني المسئولة عن فروع الاتحاد النسائى في صفاقس ، تعمل على استخراج الصابون الذى صنعته في منزلها .. تضع ١٠ كيلو جرامات من بقايا الزيت المستعمل في قلى الطعام داخل البراميل ، وتضيف اليها كيلوجرامين من البوتاس ، و٢٠ كيلو ماء ، وتشعل الحطب تحت البرميل لمدة ساعتين .. يترك بعدها ليبرد ، فتتكون على سطحه طبقة من الصابون .

الحسنة هي الممتلئة الجسم ، واما رقيقة العود التي لا تسمن رغم ما تأكله فان أمها تطعمها « الطرونة » وهي نوع من الطعام يحدث نانخا ، لا سمنة صحيحة !

ومن العادات التي يتفاءل بها الناس هناك .. عادة غريبة تجرى في الليلة الاولى للزواج : العريس والعروس يدوران حول بعضهما ،في محاولة ليدهس كل منهما على رجل زميله ، والرابح تصبح له الكلمة العليا في المنزل !

وداعا يا حجاب !

لقد اشتركت المرأة الصفاقسية في معركة التحرير ، فكانت كما قالت السيدة « سيدة القائد » للرجل : « أنتم القوس ونحن السهام .. أنتم السلاح ونحن الرصاص .. فاعملوا بنا ما شئتم .. في سبيل تحرير البلاد .. »

لقد ربحت المرأة معركة التحرير فشكر لها الرجل موقفها الفعال ، فاغدق عليها العطاء .. أعاد لها كرامتها ، وحاول أن يعوضها عما فاتها من وقت ظلت خلاله حبيسة العادات والتقاليد ، لا ترى الدنيا الا من خلال قطعة قماش سوداء يسمونها « التقريتة » .. مصيرها معلق بكلمة من الرجل .. العمل محرم عليها الا في البيت : طابخة أو غاسلة ووالدة .. وزيادة في اذلالها كانوا يطلقون عليها كلمة « وعاء الصديد » !

أما اليوم فقد انطلقت المرأة تبني وتعمر بلادها مع الرجل جنبا الى جنب .

ولمعرفة نفسية المرأة وحالتها في نهضتها سألنا السيدة حليمةالشعبوني المسئولة عن فروع الاتحاد النسائي في صفاقس ان تحدثنا عن حالتها عندما كانت تغطي وجهها ، وعن حالتها اليوم بعد السفور .. فاجابت بسرعة وحماس : « هل تعرف علبة السردين ؟ .. كنت دائما أعيش حبيسة وأتخيل نفسي سمكة سردين محبوسة داخل علبة مقفلة .. ونزعت حجاب الوجه واصبحت أرى الدنيا جميلة رائعة أريد أن أعمل .. وأعمل .. واعمل .. من اجل بلدي ومن أجل بنتي حتى لا ترى الدنيا من خلال المنظار الأسود الذي كنت أنظر من خلاله .. ويمكنك أن تتخيل ما الذي يمكن أن تفعله سردينة أعيدت لها الحياة بعد حبس في علبة صغيرة مقفلة !! » .



داخل « بيت المونه » حيث يتجمع ٤٥ صنفا مختلفا من المأكولات

انتهت ليالي الانتظار السوداء

لقد اقبلت المرأة على العمل في صفاقس فاصبحت هي المسئولة تماما عن منزلها ، وعن اولادها ، وعن شراء تموينها .. وانطلقت من خلال فروع الاتحاد النسائي آخذة بيد اختها تنتشلها من ظلمات الجهل .. واعتنت بالطفولة ففتحت رياض الاطفال ، واقامت الاسواق الخيرية ، واصبحت موظفة في المؤسسات ، وعاملة في المصانع .. ولم تنس اختها في الريف ، فعملت مرشدة اجتماعية توجهها وترشدها صحيا واجتماعيا .

ـورة رائعة لصفاقس القديمة والحديثة .. فالى اليمين تبدو الاسوار التى تحيط بالمدينة القديمة منذ عام ٢٣..هـ وهى اسوار مرتفعة من الخارج ـ كما ترى ـ ولكنها من الداخل تلامس قمتها ارض المدينة القديمة ـشيدة فوق ربوة صغيرة .. والى اليسار تبدو المدينةبمبانيها الجميلة ..

الى اليمين : بالرغم من الحملة الرسمية على الزى الوطنى ، فما زالت المرأة فى صفاقس متمسكة بالسفارى الذى يغطى جسمها ووجهها ، ما عدا عينيها .. لقد رفعت التقريطة السوداء عن وجهها ، واكتفت بالسفارى اثناء وجودها فى بلادها .. اما اذا لحقت بزوجها الذى قد يعمل فى ليبيا ، فانها تعاود وضع التقريطة السوداء بمجرد دخولها حدود المملكة الليبية ، لتزيلها ثانية عند عودتها الى منزلها فى صفاقس !

الى اليسار : سور صفاقس : اجمل الاسوار القديمة الباقية فى تونس ، وباب الديوان او الباب البحرى ، هو احد البابين القديمين اللذين كانا فى السور .. وعندما ازدحمت المدينة بالسكان ، فتحت ثلاثة ابواب بجوار باب الديوان كل منها يمثل عصرا مختلفا .. واصيب الباب باضرار فادحة فى غارات ١٩٤٣ لكنه اصلح وازيلت الساعة التى كانت تعلوه .





اعلان كبير عن الثورة التي تقوم بها الحكومة على الملابس الشعبية ، والهدف احلال الزى العصرى ، مكان السفارى والجلابة التي لم تعد تتلاءم مع روح العصر .



ولم تعد المرأة الصفاقسية تقضي لياليها بمفردها تنتظر عودة زوجها من المقهى أو من سهراته .. بل أصبحت تشترك معه في السهرات .. يذهبان سويا لزيارة الاقارب والاصدقاء ومشاهدة افلام السينما ..

نصف جسر

ويقول الاستاذ عثمان الكعاك ، مستشار وزير الثقافة التونسي وعضو المجمع العملي العربي بدمشق ، في صراحة تامة : المرأة هي نصف البشر .. وأنت اذا شيدت نصف جسر ، لا يمكنك العبور أو القول أنك شيدت جسرا .. لهذا لا بد للتكامل الاجتماعي من وجود المرأة في المجتمع ..

« بقي ان البعض يخشون عليها من خروجها .. والقضية واحدة ، فما يجرى في الخلوات وظلمات الدهاليز ليس اقل فظاعة مما يتحدثون به من فجور مكشوف ..

« ان فجور المرأة هو نتيجة حتمية لفجور الرجل لهذا يجب أن نصلح الرجل أولا ثم المرأة ثانيا ..

« وانا اعتقد ان المرأة التي لا تخرج الى المجتمع تبقى غضة كالبيضة سهلة الكسر. وأما اذا خرجت للمجتمع فان تجارب الحياة تكسبها مناعة وقوة ..

وينهى الاستاذ الكعاك حديثه بقوله :

« ان رفع مستوى المرأة قد حل مشكلتين في تونس :

الاولى : مشكلة تعاون الرجل والمرأة على بناء العائلة والمجتمع .

الثانية : مشكلة التفاوت العقلى والفكرى والثقافي والتربوى بين الرجل والمرأة .. بحيث كنا نعيش في عالمين .. الرجل يعيش طول يومه في عمله وشارعه ومقهاه وبين أصدقائه .. ويرجع الى البيت للمنامة .. أما المرأة فتعيش بين صديقاتها وخدمها في عقر دارها ، تنتظر الرجل بعد رجوعه من سهرته .. وهذا شيء فظيع فليست هناك حياة زوجية حقيقية ولا اتفاق على مفاهيم



سهرة عائلية في منزل الشاعر الصفاقسي الاستاذ أحمد سالم الغيث ، وفيها دار الحديث حول متاعب المرأة بسبب واجباتها الجديدة ، فكان تعليق المرأة : « .. لكنى فرحة بهذه المتاعب ، لاني أعيش الآن كانسانة لها حق التفكير والكلام والضحك والمشاركة في بناء الوطن .. اننا سعداء لان الرجال غيروا نظرتهم الينا .. »



تنطلق من صفاقس اذاعة خاصة بالجنوب التونسي، ذات طابع تثقيفي عام ، وترى هنا السيدة سيدة القايد ، وتعمل منتجة ومذيعة ومندوبة لمجلة المرأة في الجنوب .. تراها في ندوة مع الأستاذين أبو بكر عبد الكافي مؤلف كتاب تاريخ صفاقس ، والأستاذ محمد محفوظ ، صاحب مؤلف « ثورة علي بن غذاهم » الثائر التونسي في عهد البايات .

الأشياء ، ولا حياة مشتركة عائلية واجتماعيةوأدبية وفنية وعقلية وفلسفية .. فالرجل ينظر للمرأة ولا يراها الا متاع متعة واداة طبخ ! .

« أما العلم والأدب والفن وحل المشاكل الاجتماعية والسياسية فهي من خصائصه دونها ! وهذا طبعا غير معقول .. » .

الراس والرقبة !

ولكن ليس هذا رأى كل الرجال فالبعض منهم ما زال يعارض عمل المرأة . ولقد سمعنا قول أحد الشبان الذين اتموا تعليمهم فى فرنسا :
« كنت أفضل أن تظل والدتي جالسة في البيت مرتدية اللثام الأسود والسفسارى الأبيض .. ولا مانع عندى من تطور أختي وسفورها .. أما والدتي فيضايقني أن اراها تسير سافرة أمام الناس .. » .

وقال آخر : ان الرجل في تونس أصبح يعاني شبه ظلم اجتماعي .. اذ لم يعد بامكانه أن يطلق زوجته أو يتزوج عليها ، أو حتى يضغط عليها .. لقد أصبحت هي كل شيء في المنزل .. حقيقة أنها تقول أن الرجل رأس الأسرة .. لكنها هي أصبحت الرقبة التي تحرك تلك الرأس .. » !

● **صفاقس**

تشجيع رسمي كامل

واتجهنا الى باشا (محافظ) صفاقس نسأله عن المرأة وعن مقدار مساعدة السلطات لها . فاجابنا بقوله : « اننا نشجع المرأة تشجيعا كاملا للخروج بها من الظلمات الى النور ، وتصبحعضوا حيا في الأمة التونسية .. اننا نسعى لتغيير نظرة الرجل للمرأة ونظرة المرأة للرجل .. لهذا لم تعد عندنا مدارس للبنين أو مدارس للبنات .. بل مدارس مختلطة ، حتى اننا عملنا على نقل نسبة من البنات الى مدارس البنين ... ونسبة من البنين الى مدارس البنات .. » .



السيد الهادى البكوش ، والي صفاقس .. شبابه ونشاطه ، ينعكسان على المدينة ..

القضاء على عقدة الحرمان

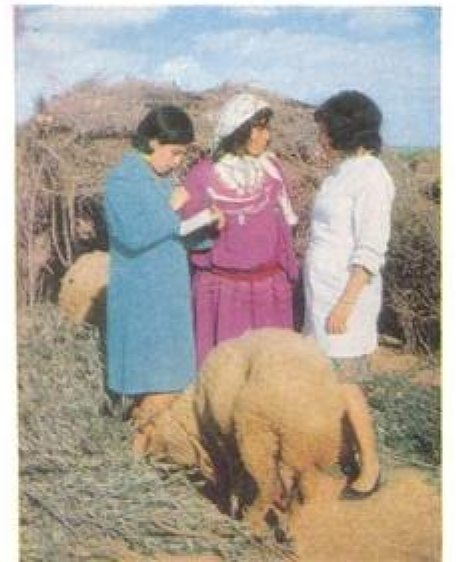
وأردنا أن نعرف نتيجة هذا الاختلاط .. فأسرعنا الى المدرسة الثانوية حيث تجلس ٦٠٠.. طالبة الى جانب ٢٩٠.. طالب .. كان الجميع يزاولون النشاط الرياضي ، الفتيات يقفزن والى جانبهم الفتيان يتسابقون .. تنافس خال من التعقيد .. وسألنا الأستاذ توفيق بن عرفة مدير المدرسة عن نتيجة هذا الاختلاط فأجاب :

« المشكلة ليست في التلامذة .. وانما عند أهل التلامذة ، الذين قلقوا في الأسبوعين الأولين من التجربة .. الا أنهم سرعان ما أحسوا واقتنعوا بأن هذا لصالح أبنائهم .. فأصبح والد الفتاة يقبل على تعليم كريمته في مدارس الفتيان .. والنقطة الهامة التى حققناها هي الفة المرأة لقاء الرجال والفة الرجال لقاء المرأة .. ان الفتاة ليست فتاة هنا ... انما زميلة وانسان .. لقد اعتاد التلميذ رؤيتها بجواره منذ دراسته الابتدائية فتغيرت نظرته اليها ،

الى اليمين : لم تكتف المرأة الصفاقسية بمكاسبها في المدينة ، بل انطلقت الى القرى المحيطة بصفاقس تعمل على مساعدة اختها الريفية .. وهذه احدى المرشدات الاجتماعيات تقوم بارشاد الجدة الى طريقة العناية بشعر الطفلة ..

الى اسفل : مجتمع مختلط .. العائلات تتزاور وتقضي سهرات مشتركة .. سمعنا في احداها قولا للرجال : « المرأة المتطورة خير لنا من المرأة الجاهلة ، وتطور المرأة عندنا لم يحدث الا بعد تطورنا نحن الرجال .. والواقع اننا لم نعطها حقوقها ، وانما حملناها واجبات !! »

يهوى اهل صفاقس أكل القوارص والتوابل ، وتصنع المرأة الصفاقسية في منزلها « الهريسة » من الفلفل الاحمر الذى يزرع في كل مكان من صفاقس .. وتبدأ عملية صنع « الهريسة » بعد ازالة الحبوب من داخل الفلفل ، الذى يترك في الشمس مدة يومين ، يفرم بعدها في الماكنة .. ثم تضاف اليه كمية من الثوم والملح والكزبرة والكروية ، ويوضع الخليط فوق الزيت الساخن .. وبعد غليانه على النار يترك ليبرد قبل تعبئته في القوارير لحفظه في بيت المونة ، ويجرى الاكل منه يوميا مع الطعام العادى .



الى اليسار : ١٧ مرشدة اجتماعية يعملن تحت اشراف الاتحاد النسائي في صفاقس ، من اجل النهوض بالعائلات الريفية المهاجرة من البادية الى ضواحي المدينة ، لتعيش في اكواخ بلغ عددها ٦٠٠ كوخ هدمت كلها واسكن اصحابها في حين

واصبح يعمل ويجتهد لينافسها على المراتب الأولى ..

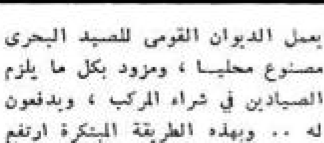
« لقد بدأنا تجربتنا منذ أربع سنوات ، ولم يحدث حتى الآن أى مشكلة من جراء الاختلاط .. انى اعتقد ـ انه حتى لو حدثت مشكلة ـ فهى لا تعتبر شيئا بجانب الفوائد الهائلة التي جناها الطلبة والطالبات .. والتي سيجنى ثمارها المجتمع فى المستقبل ، فضلا عن الاقتصاد الذى يحققه التعليم المختلط فى ميزانية الدولة ، وخاصة فى الفصول العليا .. » .

٢٥٪ من الميزانية للتعليم

وقد بلغ عدد الطلبة فى المدارس الحكومية الرسمية بصفاقس ٦٣ الف طالب منهم ٢٦ الف طالبة .. وتنفق الحكومة سنويا على التعليم ٢٥ فى المائة من ميزانيتها أى ما يوازى ٢٨ مليون دينار تونسيا .

وليس التعليم الحكومي هو التعليم الوحيد فى صفاقس بل تساهم جميع الهيئات فى التعليم حتى يخيل لك أن المدينة ما هي الا مدرسة كبيرة ،

المصنع التونسي الوحيد للأحذية المطاطية موجود في صفاقس ، وهو الذى يقوم بتموين الجمهورية التونسية بـ ٢٥٠٠ حذاء من هذا النوع يوميا .. ويستورد المطاط الخام من ماليزيا وسنغافورة ودول آسيا ، ويجرى تصنيعه هنا !



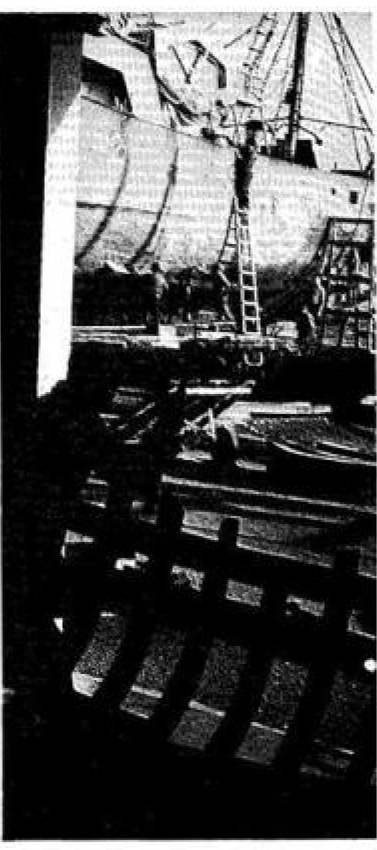
يعمل الديوان القومى للصيد البحرى مصنوع محليا ، ومزود بكل ما يلزم الصيادين فى شراء المركب ، ويدفعون له .. وبهذه الطريقة المبتكرة ارتفع

جميع سكانها طلبة في المدارس !! .

وتقوم جمعية اللخمية التى اسسها نخبة من ابناء صفاقس المثقفين عام ١٩٤٦ بتعليم من فاتهم سن التعليم .. وهي لا تقبل الا من لا يزاولالتعليم في المدارس الحكومية شريطة أن تتراوح سنه من ١٥ سنة الى ٤٥ سنة بالنسبة للذكور ومن ١٢ الى ٤٠ سنة بالنسبة للنساء .

والى جانب هذه الجمعية يبرز نشاط ديوان التربية الاجتماعية ، قال لنا مديره الاستاذ عبد الحق الأسود : اننا نهدف الى تعليم مليون مواطن ممن فاتهم اللحاق بقطار التعليم ، ففتحنا المدارس في طول البلاد وعرضها ، وكان من نتيجة ذلك مع جهود وزارة التربية أن نسبة الأطفال الذين يجدون أماكن في المدارس أرتفع الى ٧٥ في المائة بينما لم يكن هذا العدد يزيد من ١٠٪ في السابق .. » .

ولا تهدف مؤسسة التربية الاجتماعية الى القضاء على الأمية فقط بين الكهول ، بل تتعداها



على مد الصيادين بمركب صيد كبير الصياد .. ويشترك أربعة من ٢٠٪ من قيمة صيدهم ثمنا شهريا مقدار صيدالأسماكالىألف طن فيالعام

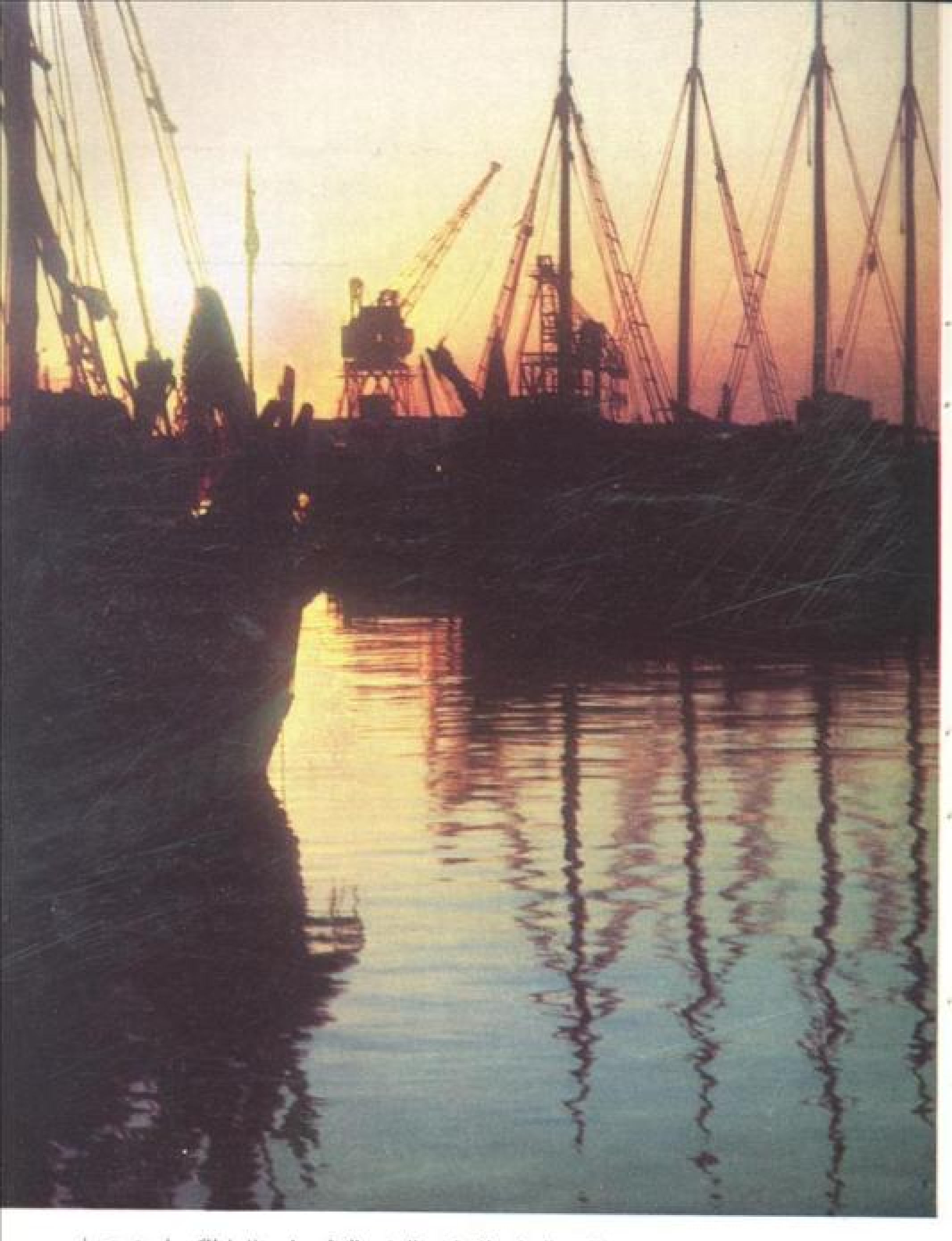


٩٦ فتاة من قرية المحرس الملاصقة لتونس ، يعملن في صناعة السجاد التونسي الجميل ، الذى تقبل فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة على شرائه بكميات كبيرة

في مصنع المصوغات المقلدة ، تقوم ٥٠ فتاة بصناعة العقود والازرار والاساور وغيرها من حلي الزينة النسائية .. وهذا المصنع هو الوحيد من نوعه في تونس ، ونظرا لجودة انتاجه ورخص اسعاره فقد تقررت حمايته جمركيا ومنع استيراد مثل هذه المصنوعات من الخارج .



الى اليمين : الذهب الابيض ينقل الى ظهور السفن .. انه الفوسفات التونسي الذي يصدر منه سنويا ثلاثة ملايين طن .. ومن المنتظر أن يقفز انتاجه الى عشرة ملايين طن ، مما سيضطر الحكومة الى بناء ميناء جديد للفوسفات في قابس .



صفاقس الباب التجارى للجنوب التونسى : ميناؤها الكبير لم يعد يتحمل اى اتساع .. وتصله السفن عبر قناة بحرية طولها ٤٥٠٠ متر وعرضها ٤٠ مترا وعمقها ١١ مترا فى فترة جزر المياه .. وتفرغ بضائع السفن على الارصفة حسب نوعيتها ، فهذا رصيف تجارى، وهذا للفوسفات، وذاك لسفن صيد الاسماك .. ومما يذكر أن هذا الميناء تهدم تماما خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم أعيد بناؤه من جديد ..

الى رفع المستوى الذهني والعاطفي ، وتغيير السلوك الفردي للانسان ..

برشة .. وزوز !

ان الجمهورية التونسية هي أكثر أقطار المغرب العربي استعرابا .. ومع ذلك ما زال أمامها شوط كبير يجب أن تقطعه للوصول الى التعريب الشامل .. وينفرد أهل صفاقس بلهجة خاصة بهم.. وقام شباب نادى السينما والمسرح بعمل مسرحية بهذه اللهجة التي تحوى مخارج حروف طريفة بشكل غير عادى ، يضحك منها الشباب ويقهقهون .. وهي تشبه لهجة اهل مرسليا عندما يتحدثون الفرنسية فيمدون في مقاطع الكلمات الغريبة . ومن الكلمات التى تسللت الى اللهجة التونسية : بَرْشَه ، وهي كلمة تركية أصلها برشيك اى كثير .. وكلمة باهى أى موافق .. والخُذْر بمعنى انظر .. ولين بمعنى لماذا .. وزوز اى تفضل .. ويتحدث الواحد منهم بصيغة الجمع فيقول : انا نشوف ...

وأسماء العائلات هناك طريفة تتنافس في غرابتها ، اذ وجدنا عائلات كمون وسلامي وكسكاس واللوز ! .

ويعتقد اهل صفاقس ان كثرة التحية تطيل العمر ، مثلهم في ذلك مثل اهل موريتانيا .. فالتحية طويلة تتردد خلالها هذه العبارات : « على السلامة .. شنوا احوالك .. لا بأس .. فيه خير .. شنوا احوالك .. لا .. لا بأس !! » .

مدينة اثرية !

ان صفاقس تنام اليوم على ماضيها ، بعد أن طوت صفحاته ، وجعلته مقصورا على كتب التاريخ وزيارات السياح .. ولكى تستميل السائح اليها أبقت له المدينة القديمة على حالها ..

لقد رأى التيجاني في رحلته بابين فقط في سور المدينة .. ولكنا أحصينا أبوابها اليوم فوجدناها ١١ بابا ، شقوها لتسمح بدخول بعض نسمات مدنية هذا العصر .. فهذه البوابات التسع الجديدة ، هى التبديل الوحيد في صفاقس القديمة .. والباقي كله باق على ما هو عليه : أزقة ضيقة مزدحمة ، تنساب في وسطها المياه الآسنة ، وأسواق مسقوفة ، ومنازل متلاصقة تمنع دخول الشمس ! .

لقد أصبحت المدينة القديمة قطعة أثرية تابعة لمصلحة الآثار لا تستطيع البلدية أن تهدم منزلا من منازلها ، أو تقيم حديقة لاطفالها الا بعد موافقة مصلحة الآثار !! .

زيتون بالملايين

أما أشجار الزيتون فقد نبتت من جديد حول صفاقس ، وأصبحت تحيط بها من كل جانب على شكل نصف دائرة قطرها مائة ميل ، تضم ستة ملايين وخمسمائة الف شجرة زيتون .. وقد نعود للحديث عنها في استطلاع مستقل ..

نضال من أجل مستقبل افضل

ان الكاتب عن صفاقس يجد نفسه في نهاية المطاف حائرا أمام مجموعة من علامات الاستفهام :

ما هى صفاقس ؟ .. هل هي مدينة قديمة ؟ .. هل هي مدينة حديثة ؟ .. هل هي مدينة زراعية ؟ هل هي مدينة صناعية ؟ .. هل هي ميناء ؟ هل هي حبيسة عقلية قديمة ؟ هل تطور مجتمعها تطورا نموذجيا ؟ .

أسئلة حائرة ، لا تجد لها جوابا شافيا .. فالمدينة تخوض نضالا داخليا من أجل ارساء قواعد نظام اجتماعي جديد مستمد من التاريخ والدين والبيئة والحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها .. وجميع الدلائل تشير الى أن التيار سائر في طريق التجديد ، سواء رضى البعض أم أبى .. والتجديد هنا لا يعنى التعلق بكل ما هو جديد ونبذ كل ما هو قديم ، كما يحدث في تونس العاصمة ، فان مجتمع صفاقس ما زال مجتمعا محافظا يتفتح رويدا رويدا ■■

سليم زبال

اليأس

مشكلة الإنسان في كل أرض وكل زمان

- اليأس استسلام، والاستسلام ضعف إرادة.
- إرادة الموت تحمل الضحية على التعلق بجلادها.
- الموجة العاتية تهبط بصاحبها إلى الأعماق، ثم تعود فترفعه!

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ـ عمان

■ هل يمكن أن يكون بين البشر انسان لم يعرف اليأس يوما طريقه الى قلبه ؟ هل يوجد على ظهر البسيطة شخص لم يشعر يوما بان الطريق قد اصبح مغلقا امامه ، او انه قد أصبح يواجه مشكلة لا حل لها ؟ انه اليأس ، واليأس ـ مع الاسف ـ ظاهرة بشرية عادية نشعر معها باننا امام مازق لا رجاء لنا في الخلاص منه ! ولكن اليأس أيضا ـ لحسن الحظ ـ ظاهرة بشرية موقوتة ، لأنه يمثل جوا خانقا لا تستطيع النفس البشرية ـ في نطاقه ـ أن تتنفس ! ولو لم يكن «الأمل» هو الجو الروحي الأوحد الذى تحيا في كنفه النفس البشرية ، لاختنق البشر جميعا منذ زمن بعيد !

الدلالة النفسية لليأس واحدة

.. وان أسباب اليأس لدى الناس تختلف باختلاف ظروفهم ، ومشكلاتهم ومقدراتهم ، وملابسات حياتهم ، ولكن من المؤكد أن الدلالة النفسية لليأس واحدة عند معظم الناس ، لان اليأس لا يعني بالنسبة اليهم سوى الشعور بان «الخارج» أقوى من « الداخل » ، أو أن «العائق» أعظم بكثير من أن تواجهه « الارادة » .. فنحن هنا بازاء حالة يشعر معها الفرد بانه عاجز عن تحويل « العائق » الى « واسطة » ، فهو لا يملك سوى الانطواء على نفسه من أجل اغلاق «قصوره» أو اشهار افلاسه ! وليست كلمة « اليأس » سوى اعتراف صريح من جانب « الارادة » بانها لم تعد تملك من « القدرة » ما تستطيع معه مواجهة « الظروف الخارجية » والتغلب عليها .

الارادة والاستسلام لليأس

ولكن ، من ذا الذى يقوم بتقدير « الظروف » ، أو وضعها فى « ميـزان » الحكم ؟ انهـا الارادة نفسها ، وميزان الارادة ميزان نسبى غير دقيق ، معرض للاختلال فى كل لحظة ! فالارادة هى التى تخلع على الظروف دلالاتها،وهى التى تنسب اليها اقدارها ، وهذا هو السبب فى ان نقل كل «ظرف» كثيرا ما يكون رهنا بمدى « قوة الارادة » نفسها ، او مدى استعدادها للتحمل والمواجهة والمجابهة . فليس هنـاك « ظروف فى ذاتهـا » ، بل هنـاك « ظروف نسبية » بالقياس الى الارادات البشرية المختلفة .. وليس أيسر على الانسان ـ بطبيعة الحال ـ من أن يستسلم لليأس ، بحجة ان الظروف التى يواجهها ظروف عصيبة هيهات لاية قوة بشرية أن تتمكن من الوقوف فى وجهها . ولكن الانسان الذى « يستسلم » انما هو ذلك الذى يرفض منذ البداية « مبدأ المقاومة » ، أو هو ذلك الذى يكون قد استبعد أصلا « فكرة الصراع » . ولعل هذا هو السبب فى أن الكثير من معاركنا النفسية نخسرها ، حتى قبل أن نكون قد دخلنا المعركة ! وربما كان أخطر انواع « اليأس » ذلك الذى يدب فى نفس المرء منذ البداية ، فيوحى اليـه بانـه « خاسر » لا محالة ، أو يسول له تجنب الصراع أصلا ! وليس من شك فى أن مثل هذا « اليأس » انما هو الهزيمة قبل الهزيمة ، أو هو الموت قبل الموت ، لانه يأس يحكم على نفسه قبلا بانه لن يكون الا يأسا !

ليس كل ما فى اليأس « يأسا » !

وهنا قد يقول قائل : « ولكن ، هل يمكن لليأس الا أن يكون يأسا ؟ » وردنا على هذا الاعتراض أن البطانة التى يستند اليها اليـأس السـوى (لا « المرضى ») انما هى بطانة « الامل » . وهذا هو السبب فى أن الكلمة التى تشير الى « اليأس » Desespoir فى اللغة الفرنسية تحمل فى ثناياها كلمة « الامل » Espoir . والحق أن ما يضاد « الامل » ليس هو « اليأس » بل هو التبلد ، واللامبالاة ، أو « عدم الاكتراث » . وأما «اليأس» نفسه فانه الفسق الذى يحمل فى طياته تباشير الفجر ! ولعل هذاما عبر عنه الفيلسوف الدنمركى الشهير «كير كجارد» حينما قال قولته المشهورة : « اننى لأهوى الموجة العاتية ، لانها هى التى تهبط بى الى اعماق اليم ، وهى التى تحملنى أيضا على أجنحتها القوية الى ما وراء النجوم » ! فليس كل ما فى اليأس يأسا ، بل هناك أيضا تلك الخيوط الرفيعة من الامل ، وهي الخيوط التى تحتاج الى يد قوية تستطيع أن تحيك منها نسيج النصر . ومعنى هذا أن « اليأس » فى أصله «حالة مؤقتة» لا بد من تجاوزها ، أو « موقف عارض » يتطلب العمل على الخروج منه.ولولا أن الناس «يأملون» لما كان ثمة « يأس » على الاطلاق ، فاليأساعتراف ضمنى بوجود « الامل » ، واقرار خفى بحاجة الانسان الى المزيد من « الامل » للتغلب على حالة « اليأس » !

ارادة الشفاء

وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول أن الشرط الاساسي لشفاء اى مريض انما هو رغبته الحقيقية فى الشفاء ، او هو ما اصطلحنا على تسميته باسم « ارادة الشفاء » . وهذا هو السبب فى أن أخطر أنواع « المرضى » انما هماولئك الذين «لا يريدون» فى قرارة نفوسهمأن يشفوا ! وأهلالعلاج النفسانى يلتقون بالكثير من « المرضى العصابيين » الـذين يندرجون تحت هذه الطائفة من المرضى . وقـد يكون من العجيب ان يستمسك المريض بمرضه ، او أن يتشبث الغريق بالموجة العاتية التى تطويه فى عبابهـا ، ولكن « ارادة المـوت » ـ فى بعض الاحيان ـ هى التى تحمل الضحية على التعلق بجلادها ! ومن هنا فان « اليـأس » الـذى قـد يستعصى فيـه الشفاء السريع ، انمـا هو ذلك « اليأس الانتحارى » الذى تكمن من ورائه « ارادة الموت » ! ومثل هذا اليأس انما هو فى صميمه «حالة مرضية» تستلزم ضربا من العلاج النفسانى وأما اليأس السوى العادى فهو فى جوهره « حالة عرضية » سرعان ما تتخطاها النفس ، لانها تشعر بانها لاتستطيع أن تتوقف عندها . وآية ذلك أن النفس تدرك أن ثمة « مستقبلا » وهى تشعر بان افق « الزمان » مفتوح ، فهى لا ترى فى اى ظرف طارىء حالة مستديمة لا سبيل الى الخروج منها،

او موقفا نهائيا ليس فى الامكان العمل على تجاوزه. وهذا الشعور بتفتح آفاق المستقبل هو السر فى قدرة النفس السوية على تحطيم دائرة الياس مهما كانت درجة صلابتها !

ليس فى حياة الانسان سن لليأس !

لقد اعتدنا ـ فى لغتنا العربية ـ أن نطلق على « سن الشيخوخة » ، خصوصا بالنسبة الى المرأة، اسم « سن اليأس » ! والظاهر أن المقصود بهذه التسمية هو الاشارة الى انقراض أمل المرأة فى انجاب نسل جديد . ولكننا لو صرفنا النظر عن مسألة النسل ، لكان فى وسعنا أن نقول أن الشيخوخة ايضا لا تخلو من أمل ! وحسبنا أن نعود بابصارنا الى الانجازات الضخمة التى حققها بعض الشيوخ من رجالات الفكر، والسياسة، والفن والعلم ، والفلسفة ، وغير ذلك ، لكي نتحقق من أن الشيخوخة ليست بالضرورة « سن الياس » كما اعتدنا أن نصفها ! والحق أن الشيخوخة لا تنظر بالضرورة الى « المستقبل » على أنه « مغلق » امامها ، بل هي قد تجد لديها من « الامكانات » ما يدفعها الى الانطلاق نحو « المستقبل » ، آملة العمل على احالة « الممكن » الى « واقعى » . صحيح أن تقدم الانسان فى السن قد يكون من شأنه احيانا أن يضيق من دائرة امكاناته او أن يحد من مدى قدرته ، ولكن من المؤكد أن للشيوخ ايضا آمالهم واحلامهم ومشاريعهم التى لا زالت تنتظر « التحقق » ! ولو كانت حياة الشيخوخة مجرد « ترقب أليم للموت » ، لكانت الشيخوخة « انتحارا ميتافيزيقيا » هيهات لاحد أن يقوى على احتماله ! (١) .

بيد اننا ـ لحسن الحظ ـ نرى الشيوخ يحيون ، ويعملون ، وينتجون ، ويأملون ، ويعشقون، ويروحون ويغدون .. وقد نسخر منهم أحيانا ، خصوصا حينما نرى الواحد منهم يتوله حبا ، او يتحرق شوقا ، او يشتعل صبابة ، ولكنا عندئذ انما ننسى او نتناسى أن قلوب البشر قلما تهرم ! فهذا الشيخ الهرم الطاعن فى السن لا زال يحمل بين جنبيه « قلبا فتيا » له آماله وآلامه ، وهو لا يملك سوى الانصياع لحكم الهوى حين تتفتح عيناه على الجمال ! ولسنا بصدد تبرير مثل هذا المسلك ، ولكن ما نريد تأكيده هو أن حياة الشيخوخة نفسها قد لا تعرف اليأس حتى اليأس من الحب ! ومهما كان من امر تلك التجاعيد التى تجيء فترسم اخاديدها العميقة الغائرة على وجوه الشيوخ من رجال ونساء ، فان الشيخوخة تظل مع ذلك « مرحلة بشرية » عادية من مراحل عمر الانسان ، وبالتالى فانها قد لا تخلو من آمال واحلام! وحين يقول المثل المعروف انه « لا يأس مع الحياة » فانه يعبر بذلك عن حقيقة سيكولوجية اساسية هى ان الحياة تأثر واستجابة ، وكل استجابة لا بد من أن تنطوى على شيء من الامل ! ومعنى هذا انه طالما كان الانسان على قيد الحياة ، فان اليأس المطلق لا بد من ان يكون بالنسبة اليه ضربا من المحال : اذ ان اقل استجابة يقوم بها الكائن البشرى لا بد من ان تنتقل به نحو المستقبل المفتوح ! ومن يدرى ، فقد تحدث المعجزة ، ويجيء المستقبل بما لم يستطع كل من الماضى والحاضر أن يجود به علينا ، أجل ، من يدرى ، فقد تحدث المعجزة ، كما حدثت من قبل مرات ومرات !

كيف لليأس أن يتغلب على « اليأس » ؟!

وهنا قد يحق لنا أن نتوقف وقفة قصيرة عند كلمة « معجزة » : فانها المعجزة حقا أن يتمكن « اليأس » من التغلب على « اليأس » ! والواقع ان اليأس فى العادة حليف القصور والضعف ووهن الارادة ، فكيف لليأس أن يتغلب على يأسه ، فى حين أن مثل هذا التغلب يقتضى العزم والتصميم وقوة الارادة ؟ ألسنا هنا بازاء أشكال عسير قد لا يكون من السهل أن نجد لنا منه مخرجا ؟ انك لتصيح فى وجه الانسان اليائس طالبا منه أن ينتصر على يأسه ، ولكن المخلوق المسكين لا يملك من أسباب الارادة ما يستطيع معه تحقيق هذا

---

(١) ارجع الى مقالنا السابق : « الخوف من الشيخوخة » ، وهو المقال المنشور بمجلة «العربي» العدد ١٠٣ ـ يونيه سنة ١٩٦٧ .

النصر ، فهو يتخبط في يأسه أملا أن تستيقظ الهمة الهامدة ، متمنيا أن تنشط الارادة الخامدة ! ولكن ، كيف للارادة الضعيفة أن تحشد قواها لمواجهةهذا الضعف ؟ ألسنا هنا بازاء « تناقض »، أو على الأقل بازاء ضرب من « الدور » ، بالمعنى المنطقى لهذه الكلمة ؟ واذن فكيف لليأس ان ينتصر على اليأس ؟! .

هنا نجد أنفسنا مضطرين مرة أخرى الى تذكير القارىء بما سبق لنا قوله من أن اليأس يحمل فى ثناياه بذور فنائه ، فهو « يأس » ينشد « الأمل »، أو هو بالاحرى « أمل » قد خاب مسعاه فلم يملك سوى الاحتماء بقوقعة اليأس ! ولكن قوقعة اليأس ليست من الصلابة دائما بالقدر الذى نظن ، فان اقل حركة تنتفض بها الارادة قد تكون كافية فى بعض الاحيان لتحطيم تلك القوقعة . وليس من الضرورى أن تتحطم هذه القوقعة تماما منذ الحركة الأولى ، ولكن المهم أن تقوم الارادة بأدنى حركة من اجل العمل على الخروج منها ! وفارق كبير بين أن ترتضى الارادة بالبقاء داخل قوقعة اليأس ، وبين أن ترفض فكرة الاستمرار فى حالة اليأس ، فتقوم بأقل جهد ممكن من أجل العمل على تجاوز حالة اليأس . واذن فليس فى الأمر اعجاز ، بل المهم أن يكون هناك بدء لكى يكون ثمة انجاز ! وليس من شك فى أن البدء قلما يكون سهلا ، لأن نقطة الانطلاق هي بالضرورة أعسر نقاط السير ، ولكن من المؤكد أن مجرد الرغبة فى الانطلاق قد تكفى احيانا لدفع الارادة على طريق المقاومة . وليست « المقاومة » سوى الحلقة الأولى فى سلسلة « الانتصار » . وحينما يتسلل « الفكر » الى أعماق « اليأس » ، فهنالك لا بد لليأس من أن يبدو له بصورة الجرثومة النفسية التي لا بد له من العمل على مقاومتها ، تمهيدا للتوصل الى طردها . وليس « الفكر » وظيفة نفسية مستقلة تماما عن الارادة ، بل أن كل فكرة قوية تتسلط على النفس لا بد من أن تتمكن يوما من تنشيط الجهد الارادى واستخدامه لتحقيق اغراضها . ومن هنا فان فكرة « المقاومة » لا بد من أن تجىء فتلعب دورا هاما فى دراما النفس اليائسة التي لا تريد لليأس أن يكون هو الكلمة الاخيرة فى حياتها النفسية ! واذن ، أليست المعجزة هنا هى أنه لا معجزة على الاطلاق ، بل هناك جهد عادى على صعيد الفكر والارادة فى سبيل التحرر والانطلاق ؟! .

اليأس والعبث هما الواجهة الخلفية للأمل والقيَم ..

ان الوجود البشرى ـ فى الحقيقة ـ لا يحيا ، ولا يمكنه أن يحيا ، اللهم الا بمقتضى فعل دائب من أفعال « الأمل » : الا وهو ذلك الفعل الذى يعبر عن ايمانه الحى بقيمة الوجود . فليس « اليأس » سوى « الواجهة الخلفية » لما اصطلح بعض الفلاسفة على تسميته باسم « انفعال الوجود بالحياة » أو تعلق الكائن البشرى بالوجود . ومعنى هذا أن « اليأس » نفسه لا يخلو من تعبير عن « حب الحياة » ما دام الانسان الذى يمر بتجربة اليأس انسان حر يسعى جاهدا فى سبيل التحرر من مظاهر القلق والالم والصراع . وان الحرية لتنطوى فى أعماقها على امكانية « انكار ذاتها » ، وليست هذه الامكانية سوى « تجربة اليأس » . واذا كانت هذه الامكانية امرا لا سبيل الى استبعاده فذلك لأنها تمثل الثمن الضرورى الذى لا بد من دفعه ، بل الضريبة الباهظة التي لا بد من تقديمها ، فى نظير الحصول على تلك الميزة الكبرى التي نتمتع بها باعتبارها كائنات حرة تفصل فى مصيرها بنفسها . وقد يكون جبرييل مارسل G. Marcel أبعد فلاسفة الفكر المعاصر عن المناداة بفلسفة اليأس ، ولكننا نراه يقرر مع ذلك أن « اليأس ممكن دائما وباستمرار ، وانه يتخذ أشكالا عديدة لا حصر لها » . ولكن من الممكن دائما ـ فى نظر مارسيل أيضا ـ أن ينتصر المرء على اليأس ، بمقتضى فعل من أفعال الحرية ، الا وهو ذلك الفعل الذى يكتشف « القيمة » فيما وراء « الواقعة » الفعل . صحيح أنه ليس أيسر على المرء من انكار القيم والتنكر للحرية ، ولكن من المؤكد أنه ليس عليه ـ حتى عندئذ ـ أن يثبت أن « العبث » أو (المحال) Absurdity هو الكلمة

الاخيرة للتجربة البشرية ، وان « اليأس » هو الواقعة النهائية فى صميم الوجود الانساني .

والواقع ان « العبث » ليس بأى حال من الاحوال « واقعة موضوعية » يلتقى بها المرء فى صميم خبرته ، بل هو أولا وبالذات « صنعة » أو « كيفية » Quality لا توجد الا اذا أردنا لها نحن (باختيارنا الحر) أن تكون ! ومعنى هذا أن « العبث » يكشف عن « عمى ارادى » يمنع صاحبه من رؤية تلك « القيم » التي لا تكف عن الانبثاق من احضان العالم . ولما كان الانسان يتمتع بحرية اليأس والافكار ، فانه كثيرا ما يستخدم هذه الحرية فى اغلاق عينيه عن رؤية أسباب الامل ومظاهر القيم ! وليس « الامل » مجرد « واقعة محضة » أو « منحة » تجود بها علينا الطبيعة ، بل هو كسب تحققه « الحرية الابداعية » حين تعرف كيف تحيل « المثل الاعلى » الى « واقعة » ، وكيف تحيل « الواقعة » فى الوقت نفسه الى « مثل أعلى » . . .

الانسان المعاصر بين التشاؤم النظرى والتفاؤل العلمى !

. . . ان مشاعر القلق ، والعبث ، والضياع ، والفراغ ، واليأس ، مشاعر متواكبة قلما يسير الواحد منها بمفرده ! وذلكلان اليأس هو النتيجة الطبيعية التي لا بد من أن تفضى اليها حياة خاوية قد ارتفع عنها كل ايمان ضمنى بالقيم . وليس أيسر على الانسان ـ بطبيعة الحال ـ من ان يدع نفسه تستسلم لنداء « العبث » ، لكى لا تلبث ان تنحدر فوق طريق « اليأس » . وهنا يجيء فلاسفة « التشاؤم » فيعملون على ابراز الطابع الدرامى للوجود البشرى ، ويرسمون امام الناس صورة قاتمة للحياة الانسانية ، بوصفها حياة ألم ، وصراع ، وعذاب ، ويأس . وليس فى استطاعة أية فلسفة ـ بلا ريب ـ ان تتجاهل ما فى الوجود البشرى من طابع درامي اليم ، ولكن ليس فى وسع اى مذهب فلسفي ـ أيضا ـ أن يغلق الدراما البشرية على نفسها ، لكى يجعل منها « قصة تافهه يرويها أحمق » ! ومهما كان من أمر تلك الفلسفات التشاؤمية التي تشدد على نغمة اليأس، وتعمل على تأكيد نبرة القلق ، فان كل حياة انسانية سوية لا بد من أن تجد لنفسها ـ فى صميم نشاطها العملي ـ حلا واقعيا لمشكلة الشر الخاصة بها . ولعل هذا ما عناه الطبيب الفيلسوف البير شفيتسر حينما قال : « انني اذا كنت متشائما نظريا فانني متفائل عمليا » .

والحق أن الحياة وحب الحياة أمران لا ينفصلان ، فنحن لا نملك أن نعيش دون أن تتفتح للحياة ، بل دون أن نكتشف كل يوم أسبابا للحياة وحب الحياة ! وعلى حين أن « اليأس » يجيء فيغلق الكائن البشرى على نفسه ، لكي يجعل منه ذرة روحية تافهة لا تحيا الا مع مشاغلها الخاصة ، ومشاكلها الذاتية ، نجد أن « الأمل » يحطم قيود الانسان الذاتية ، لكى يفتح أمامه أسباب « التواصل » مع العالم والآخرين . وعلى حين أن الانقسام ، والانفصال ، والعزلة ، سمات ثلاث تسير دائما جنبا الى جنب مع القلق ، والعذاب ، واليأس ، نجد أن التكامل ، والتواصل، والمشاركة، سمات أخرى تسير جنبا الى جنب مع السكينة ، والغبطة والأمل . وربما كان الموجود البشرى اليوم أحوج ما يكون الى الانتصار على اسباب القسمة والوحدة والانفصال ، حتى يكفل لنفسه حياة سوية لا تمزقها عوامل اليأس والقلق والعذاب . وليس من شك فى أن العالم المعاصر الحافل بمظاهر التخصص ، والتقسيم ، والتجريد ، هو الذى عمل على فصم عرى الوحدة التي كانت تربط الانسان البدائي بالعالم . ولكن علينا الآن ان نحاول مرة أخرى استعادة أسباب الاتصال بالعالم، حتى نحقق ضربا من التكامل والتواصل بين « العالم الأصغر » و « العالم الأكبر » . ولعل المسئولية الكبرى التي تقع اليوم على عاتق الفلاسفة وعلماء النفس ورجالات الاخلاق انما هي العمل على الاخذ بيد الانسان من أجل تحقيق « الوحدة » بينه وبين « العالم » و « الآخرين » .

■■

زكريا ابراهيم




شيرلى ماكلين

لامرٍ ما جَدَعَ قَصير" أنفه

● ماذا يحدث عندما يتصادف مرور سيارتين في اتجاهين متضادين ، فوق قمة جبل ، والطريق لا يتسع الا لمرور سيارة واحدة ، ثم يرفض كل من السائقين أن يعود بسيارته الى الوراء ليفسح الطريق للشخص الآخر ؟ !

ان هذا ما حدث في لوس انجليس بولاية كالفورنيا . وكانت صاحبة احدى السيارتين هي الممثلة الامريكية المعروفة شيرلي ماكلين Shirley Maclean . وكانت في طريقها الى هوليود لتقوم بدورها في فلم جديد يجرى تصويره ! فما كان من منتج الفلم ، وكان يجلس بجوار الممثلة الكبيرة ، الا ان عرض على صاحب السيارة الاخرى شراء سيارته بضعف ثمنها !

وقبل الرجل . ونزل وسلم السيارة لصاحبها الجديد بعد ان قبض ثمنها . ثم فوجيء بسيارة الممثلة تدفع سيارته الجديدة أمامها لتسقطها من فوق الجبل الى السفح حيث تحولت الى كتلة من الحطام . وهكذا مرت سيارة بطلة الفلم لتلحق بموعد التصوير ! !

حادث بعيد التصديق ولكنه وقع فعلا ! فالخسارة الناتجة عن تأخير عمل الممثلة تزيد كثيرا على الثمن الذى دفع في السيارة .

عندما رق قلب ملك الصحافة

● يروى عن وليام اندولف هيرست William Randolph Hurst ملك الصحافة في امريكا انه كان رجلا طيبا رقيق القلب . فقد حدث يوما أن قرر هيرست الاستغناء عن خدمات احد الصحفيين الجدد الذين كانوا يعملون معه . ولكنه حار في كيفية ابلاغه هذا القرار ، وفي اختيار الشخص المناسب لتكليفه بهذه المهمة بطريقة لا تجرح شعوره . واخيرا قرر هيرست أن يتولى هو بنفسه مهمة ابلاغ الصحفى الفاشل بقرار الاستغناء عنه . فجلس في مكتبه وارسل يستدعيه ، وما كاد يدخل عليه في غرفته حتى دعاه الى الجلوس وقدم اليه سيجارا .

ثم قال : « انني لا اتصور يا بني كيف نستطيع أن نستغني عن خدماتك ، ولكننا سنقوم بمحاولة ذلك ابتداء من الاسبوع المقبل » !

ولم يفهم الصحفي ما عناه هيرست

الرجال والفئران

● يرى بعض الرجال الذين يؤمنون بالخرافات أن ظهور القط الاسود بالليل فأل حسن ، بينما يرى البعض الاخر انه نذير شؤم ! فما الفرق بين الاثنين ؟

لقد وجهوا هذا السؤال يوما الى العالم النفساني المعروف ايان منزيس Ian Menzies فقال : « الفرق واضح ، فالاولون المتفائلون « رجال » والاخرون فئران ! »

منطق !

● ذهب أسقف مدينةابردين Aberdeen بمقاطعة يوركشاير ببريطانيا الى صديقه مدير احد مسارح الاستعراضات الراقصة ، يحدثه فى الفضيلة ويطلب اليه معاونته فى مقاومة الشر . الى أن قال الاسقف : « انمهمة المسرح ياصديقي لاتقل عن واجب الكنيسة فى اظهار الشر والخطيئة والدعوة الى الفضيلة ! » .

فقال مدير المسرح في هدوء : « اننى اوافقك الرأى يا أبتى ، ولكن ماذا يستطيع قس مثلك انيعمل أو يعمل مدير مسرح مثلى لو اختفت كل الشرور من الدنيا . . »الخير فى ابقاء الشر ياعزيزى.

بهذا الكلام ، وظل يمارس عمله فى الصحيفة حتى نهاية الشهر ، فاذا به يفاجا بان اسمه غير موجود فى كشف المرتبات !

فأسرع الى هيرست يطلب منه تفسيرا لما حدث ! ورق قلب ملك الصحافة فقال : الم اقل لك اننا لا يمكن ان نستغنى عنك . لقد حاولنا ، وفشلت المحاولة ! هذا هو مرتبك .. وتستطيع الآن ان تستمر فى عملك ! »





روزفلت ستالين

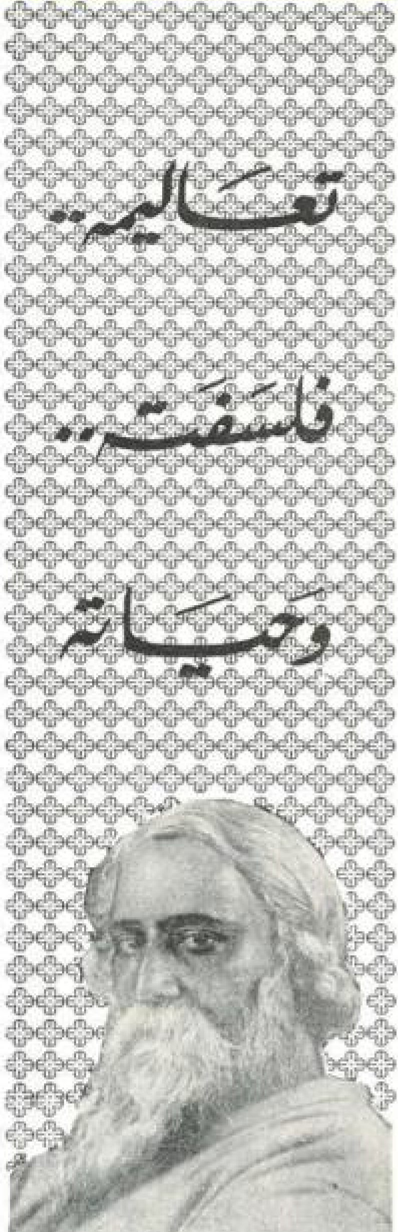
روزفلت تنبأ بانتهاء التحالف الامريكى السوفييتى

● يروى أن الزعيم السوفييتي الراحل جوزيف ستالين وصل يوما متأخرا عن موعد انعقاد احد مؤتمرات رؤساء الدول الحليفة الثلاث أمريكا وروسيا وبريطانيا ، ابان الحرب العالمية الثانية . وكان يمثل امريكا رئيسها آنذاك فرانكلين روزفلت ، ويمثل بريطانيا رئيس وزارتها فى ذلك الحين ، ونستون تشرشل . وما كاد ستالين يدخل قاعة المؤتمر حيث جلس روزفلت وتشرشل ينتظران وصوله ، حتى وقف رئيس حكومة بريطانيا لتحيته ، بينما بقي روزفلت جالسا لأنه كان كسيحا مقعدا لا يقوى على الوقوف ! فاقترب ستالين منه وربت على كتفه ثم مال على اذنه وقال معتذرا : « ارجو أن تقبل اعتذارى عن هذا التاخير ، على اية حال لم يعد لدينا الكثير للبحث اليوم بعد اجتماع امس الذى تناولنا فيه كل شيء ! » .

وهنا نظر رئيس جمهورية امريكا الى ستالين ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وقال : « وفر كلمات الاعتذار ياعزيزى جوزيف ، لانكم حتما سوف تحتاجون اليها مستقبلا ، للتكفير عن اعمال كثيرة تصدر عنكم سوف لا تروقنا ابدا ! » .

وهكذا كان روزفلت اول من تنبأ بانتهاء التحالف الامريكي ــ السوفييتى .





■ « انني فقدت امي وانا صبي صغير .. ولعلي كنت وقتذاك في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري .. لقد صحبت أبي قبل وفاة امي في رحلة الى تلال « دالهوزي » عن طريق بلدة « أمرتسار » Amritsar (١) وكانت هذه الرحلة هي تجربتي الأولى مع العالم الخارجي .. ولا يوجد شك في ان هذه الرحلة اثرت في كتاباتي الى حد كبير . وفي هذه الشهور الثلاثة التي لازمت ابي فيها تعلمت على يديه الانجليزية والسنسكريتية في دروس منتظمة وقضيت معه امسيات كثيرة ادرس النجوم والفلك .. وفي رحاب الطبيعة الطلقة تذوقت طعم الحرية التي كانت خارج جدران المدرسة .. ومن اجل ذلك تركت المدرسة نهائيا عند عودتي .. ولقد كفرت عن ذلك بان انشأت مدرسة في شيخوختي وانا الآن لا استطيع أن اتركها بل انني احرص على الا يفر منها تلاميذي » .

بهذه الكلمات البسيطة اشار الشاعر الفيلسوف القصصي الموسيقي « رابندرانات طاغور » Rabindranath Tagore الى بداية حياته .. وكيف اكتسب عن طريق الطبيعة الطلقة شخصيته وقام يصقلها ..

ان طاغور ليس مجرد شاعر أو حكيم أو فيلسوف .. انه فكرة لن تموت بموت صاحبها .. فهذا الرجل عبر في عام ١٨٨٩ عما يكنه من الاحتقار الشديد للحروب .. ومفاسد الأجانب الدخلاء حينما يتولون حكم بلد يحتلونه .. !! عبر عن كل ذلك منذ حوالي ٨٠ عاما .. وكانت بلاده ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني بكل قسوته .. واذا

---

(١) تشتهر بلده امرتسار بأنها كانت مسرحا لحوادث دامية بين أنصار غاندى وقوات الاحتلال البريطاني في ابريل عام ١٩١٩ .. وقد قتل في هذه الحوادث ٤٠٠ وجرح مئات آخرون من انصار غاندى . ومدينة امرتسار تعتبر مركزا رئيسيا لديانة السيخ ويوجد بها الحمام المقدس والمعبد الذهبي الذي يحفظ فيه كتاب السيخ المقدس .



بقلم : محمد طنطاوى

كان كلام طاغور فى مسرحيته « الملك والملكة » قد كتب فى عام ١٨٨٩ الا ان ما يحدث الآن فى كثير من البلاد .. وما نراه من عروش تتهاوى ومن حروب التحرير ضدالمستعمرين انمايذكرنا بهذاالفيلسوف الذى عاشتفلسفته وستعيشقرونا عديدة نبراسا لمن يريد ان يهتدى ويتعلم ...

رقم ١٤ فى حياة طاغور

كانت عائلة « طاغور » تعيش كلها فى بيت واحد كبير فى حي جوراسانكو Gorasanco بمدينة كلكتا .. عاصمة الهند وقتذاك وكانت الأسرة كلها تشتهر بالأبهة والعلم والتقوى والتمسك بالمبادىء الخلقية السامية وكان والد الشاعر الفيلسوف يشتهر بلقب « مهاريشي » Maha Rishi ومعناه العالم او القديس العظيم .. وفى السابع من شهر مايو عام ١٨٦١ رزق مهاريشى بالابن الرابع عشر له .. واسماه « شيرى رابندرانات طاغور » ونشأ الطفل الصغير فى بيئة كلها شعور بالفن والجمال .. بل ان ابوه واخوته كانوا يقومون بتاليف المسرحيات الشعرية والموسيقية ثم تمثيلها داخل فناء منزلهم كنوع من انواع التسلية .. وكما كان رابندرانات او كما يدعوه اخوته روبى الابن الرابع عشر .. فانه من القريب انه بدا ينشر متفرقات من اعماله الشعريةوالنثرية وهو فى الرابعة عشرة من عمره !! .

طاغور .. والدراسة

وقد رفض الفيلسوف الصغير ان يستمر فى الذهاب الى المدرسة عندما كان عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة وفعلا تركها الى غير عودة ليلتحق بمدرسة الحياة التى تخرج فيها واصبح احد معلميها واساتذتها .

قام طاغور بتاليف اول تمثيلياته فى عام ١٨٧٧ وهو لم يزل حدثاصغيرا لا يزيد عمره عن السادسة عشرة وكانت من نوع الميلودراما التى تقوم على المغامرات والغناء وفى نفس العام غادر الشاعر الصغير مسقط راسه قاصدا الى انجلترا حيث التحق باحدى المدارس فى « بريتون » ثم درس الأدب الانجليزي فى جامعة لندن .. وعاد فى عام ١٨٨٠ الى الهند حيث اتم تاليف اول قصة درامية له تحت عنوان « القلب الكسير » وتتلخص هذه الدراما فى حياة شاعر احب فتاة ثم لم يتبين مدى حبه لها حتى فارقها وهام على وجهه .. ثم عاد اليها ليجدها على فراش الموت .. وعندما نشرت هذه الدراما هاجمها الناقد الهندى الكبير « بابو بريانت سن » Babu Priyanth Sen هجوما شديدا وكان طاغور يحترم هذا الناقد ويؤمن بارائه .. وطوى طاغور قصته وعكف على الاستزادة من نظم الشعر وكتابة المنظومات المسرحية ..

حب جارف للموسيقى

كان طاغور مغرما بالموسيقى مولعا بها وكان للبيئة التي نشأ فيها أثر كبير على غرامه بالموسيقى .. وقام الشاعر الموسيقى بتاليف دراما موسيقية ماخوذة عن اسطورة قديمة كانت تروى عن واحد من اقدم شعراء الهند وهو الشاعر «فالميكي» .. وتتلخص هذه الاسطورة فى أن « فالميكي » كان يراس فى شبابه عصابة من قطاع الطرق تقوم بعبادة ربة الحب الدموية « كالي » .. وفى ذات يوم قبض افراد العصابة على فتاة شابة جميلة فى الغابة .. واتفق رايهم على ان يذبحوها قربانا لربة الحب المتعطشة للدماء .. واثناء الطقوس بتناب « فالميكي » فجاة شعور عجيب بالرحمة فيامر باخلاء سبيل الفتاة المسكينة .. ويخرج هو الى الغابة هائما على وجهه وقد استولى عليه شعور بالقلق لا يعرف له سببا .. وفى الغابة يرى اثنين من اعوانه وقد قتلا عصفورا صغيرا .. واذا

بالشعور العجيب بالرحمة ينتاب « فاليكي » مرة اخرى .. وفجأة يجد الشعر ينسـاب من بين شفتيه .. وبينما هو يتعجب من حلاوة الكلام الذى يسمع نفسه تنطق به .. اذا بربة المعرفة والشعر « سراسفاتي » Sarasvati تتجلى امامه وتبلغه انها هي نفسها تلك الفتاة الشابة التي انقذها من الذبح بايدى اعوانه .. وتقوم ربة الشعر بمنح « فاليكي » شعارها ليصبح من اكبر شعراء عصره ..

وقد وصف طاغور حبه لاناشيده وموسيقاه قائلا :

« انى لاغيب عن الحس عند سماع أناشيدى وعندها يقع فى خاطرى أنها خير آثارى جميعا وتسكر حواسى بها تماما .. وكثيرا ما يخالجني الشعور بأنه لو عفى النسيان على اشعارى كلها فان اناشيدى ستعيش مع اهل وطني وسيكون لها دائما مكان فى قلوبهم .. » .

مرحلة جديدة

دخل طاغور مرحلة جديدة عندما بلغ العشرين من عمره وقام بنشر اول ديوان له اسماه « أغاني المساء » وكانت قصائد هذا الديوان كلها مليئة بالحزن والأسى وتكفى اسماؤها لمعرفة الطابع الحزين الذى صبغت به هذه القصائد ومنها دعوة الى الحزن، والياس فى الأمل، وانتحار نجمه، والمرأة التي لا قلب لها ، واغنية القلب الوحيد .. وقد كان هذا الديوان هو الذى اذاع اسم « طاغور » واكسبه شهرة واسعة بين أدباء البنغال .. واطلق عليه بسببه « شيللي البنغال » Schelly وهو بالطبع الشاعر الانجليزي الحزين المعروف .

وقد اشار « طاغور » فى ذكرياته الى هذه المرحلة من حياته قائلا :

« ان هذه المرحلة من أهم المراحل التي اذكرها فى حياتي الشعرية .. فقد بدأت للمرة الاولى اكتب ما أغنيه حقـا .. اكتبه بما يوافق هواى ويرضى ميولى .. » .

وأشرقت الشمس

ولكن الطابع الحزين لهذا الديوان الأول من شعر طاغور سرعان ما زال ليحل محله طابع جديد لازم الشاعر بعد ذلك طوال حياته ، فعندما اتم الفيلسوف الشاب الحادية والعشرين من عمره جلس فجر ذات يوم يشاهد شروق الشمس من وراء الاشجار فاذا به يحس بفيض من الجمال والفرح يعم الكون ويتفجر من كل الارجاء، ومنذ ذلك الحين تغيرت نظرة الشاعر الى الطبيعة وبدأ يؤمن بانه لا يوجد مظهر من مظاهر الحياة الا وهو جزء حي من الفرح والحب اللانهائي .. وأوحى منظر شروق الشمس لطاغور بقصيدة تعتبر من أحسن اشعاره عنوانها «يقظة الشلال» Nirjnarer Swapnabhanga .. وبعد ذلك بعامين ظهر له ديوان من الشعر تفيض قصائده بالاستبشار والحب والأمل اسماه « اشعار الصباح » .

الناسك .. وفلسفة طاغور

لم تتجمد شخصية طاغور بل كان يكتسب كل يوم تجربة جديدة تتطور بها شخصيته فى طريقها الى النضوج الكامل .. وانتقل الشاعر الى بلدة كاراور على ساحل الهند الغربى حيث قضى هناك فترة من الزمن هائما فى حب الطبيعة الجميلة لهذه المنطقة التي تحيط بها جبال مالاى ويمتد شاطئها الصخرى على شكل هلال يمد ذراعيه الى البحر العظيم كأنه يحاول أن يحتضن اللانهائية .. وهناك قام طاغور بالدخول فى المرحلة الثالثة من مراحل تطوره .. وكتب أول دراما شعرية هامة فى حياته وتعرف بأسم « انتقام الطبيعة » أو « الناسك » كما اسماها هو حين ترجمها الى الانجليزية .. وبطل هذه الدراما ناسك اسمه « زانياس » Zanyas كان يطلب التغلب على الطبيعة بالتحرر من كل رغبة ومن كل علاقات المحبة حتى يستطيع أن يصل الى المعرفة الخالصة .. ولكن فتاة صغيرة منبوذة ترده الى الدنيا والى علاقات المودة بين البشر وتفتح عيني الناسك على أن ما جل وكبر قد يوجد فيما قل وصغر وان اللانهائي غير المحدود قد يوجد فى نطاق الصورة المحدودة .. وان حرية الروح الأزلية قد توجد فى احضان الحب وقيوده ..

ويصف طاغور هذه الدراما بأنها مقدمة لجميع ما بعدها من انتاجه الأدبى .. وفى الحقيقة أن طاغور فسر فى هذه الدراما العقيدة الروحية الهندية تفسيرا جديدا لا يجعلها تقوم على الزهد فى الحياة أو الفرار منها .. وانما تقوم على مكابدة الحياة بالاقبال عليها .

الحب عند طاغور

وقد بينت أعمال طاغور نواحي فلسفته التي تقوم على اساس واسع واحد هو الحب .. والحب عنده لا يقوم على الأنانية أو الفردية ولا يقوم على التنافر أو الصراع وانما يقوم على التوازن والوحدة .. والحب هو جوهر فلسفته ورسالته وهو موضوع فنه مهما تنوعت الأغراض واختلفت القوالب فالحياة فى الأصل هي الوحدة وفى النهاية هي الوحدة والحب سبيلها الى تحقيق وظيفتها وغايتها ولم يكن طاغور يؤمن بالسلبية او الفرار وانما كان يؤمن بمواجهة الحياة والوقوف منها موقفا ايجابيا لاستخلاص مما يبدو فى ظاهره شرا او الما .. المتعة الروحية التي تسمو على ما عداها ..

ويقول طاغور فى كتابه « السادهانا » :

« أجل ان روح الفرد قد انفصلت من الروح الكبرى وليس ذلك لمخالفتها لها ولكن لامتلائها بالحب ، لهذا تجد ان الباطل والشقاء والشرفي الحياة ليست من الاشياء الثابتة فيها .. ان روح لانسان لتستطيع أن تهزأ بها وتقهرها جميعا .. بل ان في مقدورها أن تحيلها الى قوة جديدة وجمال .. » .

« الملك والملكة » .. أولى تراجيدياته

ويستمر شاعر الهند وفيلسوفها فى تقديم روائعه الأدبية والفلسفية وتظهر أولى تراجيدياته العظيمة وهو فى سن الثانية والعشرين من عمره بعنوان « الملك والملكة » وتليها مسرحية « الضحية » وتدور حوادثها حول مبدأ التضحية بالقرابين الآدمية على مذبح الربة « كالى » آلهة الحب وحول الصراع بين العقل والقلب من ناحية ممثلا فى شخصية الملك جوفندا والايمان الأعمى والتعصب البغيض والتمسك بالتقاليد التى تخالف العقل والقلب ممثله فى شخصية الكاهن « راجوباتي » .

وسلك طاغور أيضا سبيل الرمز فى مسرحياته واشعاره فهو كما عرفنا كان متصوفا والاشارات الرمزية أساس فى التعبير الصوفي .

ومن التمثيليات التي استعمل فيها الرمز تمثيلية « ملكة الغرفة المظلمة » وتمثيلية « مكتب البريد » وهي من أنجح تمثيلياته التي قدمت على مسارح أوربا وانجلترا .

مدرسة طاغور

وانشأ طاغور مدرسته النموذجية على طريقة الفلاسفة القدامى فى عام ١٩٠١ وكانت هذه المدرسة هي شغله الشاغل طوال حياته بعد ذلك فطاف بدول أوربا وامريكا يلقي المحاضرات التي ينشر بها تعاليم أجداده ويشيد بمجد الهند وحضاراتها القديمة ويجمع التبرعات لمدرسته الفريدة من نوعها ..

جائزة نوبل للأدب

وفى عام ١٩١٠ أصدر طاغور كتابه المسمى ب « عهد طاغور » دون فيه تأملاته فى الحياة والوجود وآراءه فى الكون وفسر فيه العقيدة الروحية فى الهند تفسيرا جديدا لا يجعلها تقوم على الزهد فى الحياة او الفرار منها .

وفى عام ١٩١٣ توجت أعمال طاغور باكبر تقدير ادبى عالمى وهو جائزة نوبل فى الادب ..

وبعدها بعامين أثبت طاغور انه مازال ذلك الرجل الحكيم الذى يؤمن بكل كلمة خطتها يداه وذلك حينما انعمت عليه بريطانيا بلقب « سير » ورفض طاغور هذا الانعام البريطاني احتجاجا منه على قسوة البريطانيين فى معاملة ابناء وطنه المحتل فى ذلك الوقت ..

قام طاغور بزيارة القاهرة فى عام ١٩٢٦ حيث القى هناك عدة محاضرات .. كما ترجمت الكثير من أعماله الى اللغة العربية .. ومنها مسرحيات مكتب البريد ، والضحية ، وكذلك ، منتخبات من شعره ، والبيت والعالم ، والسادهانا ، وكلها نشرت بالقاهرة .

وعاش طاغور بعد ذلك متفرغا لأعماله الادبية والفلسفية ولمدرسته وتلاميذه وانتشرت تعاليمه فى الهند .. ومات عن ٨٠ عاما فى يوم ٧ اغسطس عام ١٩٤١ . مات طاغور الرجل .. لتظل ذكراه حية فى اذهان الملايين من البشر .. ■■

محمد طنطاوى

صابئة البطائح ... وصابئة حرّان

هل هم الذين ورد ذكرهم



رجل الدين الصابئي يعمد صابئيا في النهر الجاري

● صابئة حران هم غير صابئة القرآن، وإنما انتحلوا هذه التسمية بعد أن هددهم المأمون بإبادتهم !

■ ■ ■

● صابئة العراق أقرب إلى صابئة القرآن، أتباع النبي يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمدان

■ « الصابئون » قوم من أصحاب الديانات القديمة ، غلب عليهم الحياء والكتمان ، فكان ذلك مدعاة لاختلاف العلماء والمؤرخين في حقيقة أمرهم . ففريق ردهم الى ديانة بابل وآشور ، وهي من أقدم الديانات الوثنية ، وفريق آخر قال انهم فرقة من المجوس والنصارى ولم يزد على ذلك . والحق انهم ليسوا من المسيحية في شيء ، لأن المسيحي من آمن بالوهية السيد المسيح والصابئي لا يؤمن بذلك . أما الزمخشري فقد ذهب في تفسيره « الكشاف » الى أنهم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة. وهكذا تباينت الآراء واختلفت الروايات دون أن يقام عليها دليل أو برهان .

ومما يزيد الامر اشكالا والبحث تعقيدا أن الصابئين منزوون عن غيرهم من الطوائف كل



بعض علماء الصابئة ورجال دينهم

صفحة من كتاب الكنزاربا أهم كتاب يحتفظ به الصابئون في الوقت الحاضر

في القرآن ؟

بقلم : عبد الرزاق الحسني

الانزواء . سواء أكان ذلك من ناحية شعائرهم الدينية التي يقيمونها أم من ناحية اللغة التي يتخاطبون بها ، وهم الى ذلك لا يرون دخول أحد من الناس في ملتهم ، ولا يتزوجون من غير قومهم ، ولا يساكنون احدا من غير نحلتهم ولا يؤاكلونه مطلقا .

الصابئة في القرآن

ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع الأول في الآية (٦٢) من السورة الثانية « سورة البقرة » قوله تعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

الثاني : في الآية (٦٩) من السورة الخامسة « سورة المائدة » قوله عز من قائل :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

الثالث في الآية (١٧) من السورة (٢٢) ـ « سورة الحج » قوله جل جلاله :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » .

وفي اعتقادنا أن الصابئين الذين ورد ذكرهم في المواضع المذكورة من الفرقان المبين قد انقرضوا وعفت أخبارهم ولم يبق لهم غير الذكر في بعض التفاسير وفي الكتب القديمة التي تبحث في المعتقدات والأديان .

صابئة حران

وقد ذكر المؤرخون قسما آخر من الصابئين عرف بـ « صابئة حران » وجاءت أخباره وطقوسه في كتب تاريخية منوعة نختار منها « الفهرست » لابن النديم ابي الفرج محمد بن أسحق بن محمد بن اسحق الوراق البغدادى المتوفي نحو سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥م) وهذا نص روايته عن الحرانيين او الحرنانيين كما كانوا يسمون انفسهم :

« قال ابو يوسف ايشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة ، ان المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو فتلقاه الناس يدعون له وفيهم جماعة من الحرنانيين ، وكان زيهم اذ ذاك لبس الاقبية ، وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت ، فانكر المأمون زيهم وقال لهم : من أنتم من الذمة ؟ فقالوا نحن الحرنانية فقال أنصارى أنتم ؟ قالوا لا . قال فيهود أنتم ؟ قالوا لا . قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا . قال لهم أفلكم كتاب أم نبي ؟ فجمجموا في القول . فقال فأنتم اذن الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدى ، وأنتم حلال دماؤكم لا ذمة لكم . فقالوا نحن نؤدى الجزية . فقال لهم انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه ، ولهم كتاب ، وصالحه المسلمون عن ذلك فانتم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، فاختاروا الان أحد أمرين : اما أن تنتحلوا دين الاسلام أو دينا آخر من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، والا قتلتكم عن آخركم ، فاني قد انظرتكم الى أن أرجع من سفرتي هذه فان أنتم دخلتم في الاسلام او في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، والا امرت بقتلكم واستئصال شأفتكم » . ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الاقبية، وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير، وأسلم منهم طائفة وبقي منهم شرذمة بحالهم وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه ، فقال لهم : قد وجدت لكم شيئا تنجون به وتسلمون من القتل فحملوا اليه مالا عظيما من بيت مالهم أحدثوه منذ ايام الرشيد الى هذه الغاية أعدوه للنوائب فقال لهم : اذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلوه فأنتم تنجون به . وقضي أن المأمون توفي في سفرته تلك ببذندون ، وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة . فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد أكثر من كان تنصر منهم ورجع الى الحرنانية وطولوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على أنهم صابئون ، ومنعهم المسلمون من لبس الاقبية لانه من لبس أصحاب السلطان . ومن أسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفا من أن يقتل فأقاموا متسترين بالاسلام فكانوا يتزوجون بنساء حرانيات ويجعلون الولد الذكر مسلما والانثى حرنانية وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسين ، القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حران الى منذ نحو عشرين سنة .

هذا هو النص الذى اثبته « ابن النديم » في فهرسته عن « صابئة حران » والذى يظهر من اسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم في سفره ولم يكن على علم بهم مع ما كان عليه من سعة العلم وواسع المعرفة والاطلاع على مختلف الاديان والنحَل ، انهم لم يكونوا في بدء امرهم صابئة وليس لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن . يدلنا على ذلك انهم فكروا في الامر مليا ، وانهم اضطروا الى أن يستشيروا فقهاء حران



وشيوخها وعلماءها في الامر ؛ فلو كانوا من فرق الصابئة لما اشكل هذا الامر عليهم ، ولما احتاجوا الى أن ينتحلوا هذا الاسم انتحالا .

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨هـ (٨٣٣م) فيكون الحرانيون قد انتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت ولم يكن بحران قوم يسمون أو يعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

على ضفاف الانهر

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين ، وهم اقرب الى الصابئة الاقدمين من غيرهم ، أنهم يعيشون على ضفاف الأنهر كدجلة والفرات وشط العرب وكارون ، وانه لا اثر لديانة الصابئة في حران ، ولا معبد لهم مقدس هناك ؛ وما شوهد من طقوسهم الدينية وطرز معيشتهم وعباداتهم وانتسابهم الى الارض التى يسكنونها دون العبادة التى يعبدونها ، كل ذلك يدلنا على أن «الحرانية» أو « الحرنانية » دين قديم أراد اصحابه الابقاء عليه فانتحلوا اسم الصابئة انتحالا .

وقد نقلت عدة مراجع « كلام ابن النديم » على علاته ، ونقله علماء ومستشرقون ألمان وغيرهم الى كتبهم ؛ فلم يناقشوه مع ما عُرف به هؤلاء من التمحيص والتدقيق ، فكأنهم اكتفوا بهذا الكلام ، ولم يفرّقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة وبين الصابئة الحرانية .

ويعيش في العراق اليوم قسم من الناس لهم تقاليدهم ولهم عاداتهم ولغتهم ، ويكادون يكونون ممتازين بكل مظاهر حياتهم ، وحتى باشكالهم وسحنة وجوههم ، ويطلق عليهم اسم الصابئة . وقد يكون هؤلاء هم الصابئين الاصليين وقد لا يكونون . الا أن الشيء المحقق عندنا هو أن قسما كبيرا من عبادة الصابئة القديمة وطقوس ديانتهم يبرز بين معتقدات هؤلاء القوم ، كاحترام الكواكب ، واستقبال نجم القطب ، وتكريم بعض النجوم السيارة ، ونحو ذلك من أصول الدين الذى يتديّن به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرف الباحث من اللغة التى يتكلم بها هؤلاء ومن اسبالهم شعور رؤوسهم ولحاهم انهم شعب غريب نزح الى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد ، والتزم بالسكنى على ضفاف الانهر وبقرب المياه الجارية نظرا لما يقيمه من الطقوس الدينية التي لا تتم الا بالارتماس في الماء الجارى ، لهذا عرف القسم من الصابئة بصابئة البطائح ، نسبة الى بطائح العراق المعروفة منذ اقدم الازمنة . اما أن هذا الشعب قد انحدر من الصابئة اللذين ذكرهم القرآن الكريم ، أو أنه من بقايا الحرانيين اللذين انتحلوا ديانة الصابئة في أيام المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) ليتحاموا عن تعقيباته الدينية فأمر مشكوك فيه وموكول الى فحص التاريخ الدقيق .

رأى مستشرق الماني معاصر

ويقول المستشرق الالماني المعروف الدكتور هـ . ريتر في رسالة بعث بها الى صاحب هذا البحث في ٢١ كانون الاول من عام ١٩٣١م أى قبل ٢٥ حجة :

« أما الصابئة فالمشهور عندنا أن لا مناسبة أصلا بين صابئة العراق وصابئة حرّان ، على رغم اشتراك الطائفتين بالاسم . ومعلوم ان هذا الاسم اتخذه أصحاب الاديان غير الذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيبات الدينية . فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان ثم لما رأوا أن اتباع عيسى غلبوا على اتباع المعمدان هاجروا من الاردن الى نهر آخر يجرى من الشمال الى الجنوب وهو دجلة . ودين الحرّانيين هو من بقايا دور اختلاط الاديان الذى كان يغلب على الممالك الرومانية قبل الميلاد وبعده ؛ حتى غلبت عليها النصرانية.وتوجد بعض أخبارهم في « رسائل اخوان الصفا » ، وفي « غاية الحكم » المنسوب الى أبي سلمة المجريطي . وخاصة في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم للفخر الرازى الذى لم يطبع الى الآن . »

عقيـــدة الصابئة

يعتقد الصابئون « المندائيون » ان الخالـق جل شانه ــ واحد أزلي أبدى لا أول لوجوده ولا نهاية له . منزّه عـن عالم المـادة والطبيعـة ، لا تناله الحواس ولا يفضي اليه مخلوق . وانه لم يلد ولم يولد ، وهو علة وجود الأشياء ومكوّنها. ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين بـه .

ويلى الاله في المنزلة (٣٦٠) شخصا خلقوا ليفعلوا افعال الاله ، الا انهم ليسوا بآلهة ولا هم في عداد القديسين،لانهم لم يكونوا بشرا مثلهم،

ولا يعدون من الملائكة وان كانوا صنفا منهم ، لان بعض هؤلاء يمارس أعمال الخلق كـ « مـــارى أدربوثا » و « هيبل زيوا » وهم يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب ، ولكل منهم مملكة في عـــالم الانوار « آلمى دنهورا » ، أما أصل وجودهم فانهم ليسوا بمخلوقين كيفية الكائنات الحية ، ولكـن الله ناداهم باسمائهم ، فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم ، واصبح لهم أولاد وبنات ، ولكن نسلهم هذا ليس ثمرة زواجهم ، لان الواحد منهم كان يلفظ كلمة فتحمل امرأته فورا وتضع واحدا منهم .

الارواح الخبيثة

وهم يعتقدون بالارواح الخبيثة ويسمونهـــا « مولوخون » ويقولون انها مختلفة الاديان ،فمنها صابئة ومنها يهود ونصارى ومسلمون ، ومن هذه الارواح ما هو موكل بعذاب النفوس في «المطراثي» ومنها ما هو مغرى بتجزئة البشر واستدراجهم الى المعصية ، ومنها ما دابه الحاق الأذى بالناس ، فهم بمنزلة الجن عند أصحاب الديانات الأخرى .

الارض والسموات

وهيئة الارض عند صابئة البطائح مدورة ثابتة غير متحركة ولكن لها خاصة . وهي مقامة علـى هواءين : هواء خارجي وآخر داخلي ، وتحت الارض ماء انبسطت عليه ، ولما تم خلق الارض على هذه الصورة انزلت الملائكة من عالم الانوار « آلمى دنهورا » بذورا للاشجار ، وفتحت طريقا للهواء والماء والحياة الذى تقوم عليه حياة الأجسام النامية والحية ، وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقا آخر للنور تستمد منه الشمس اشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة.

وتتكون السماء من سبع طبقات ، تقع الشمس في الرابعة منها ، والقمر في السابعة . والارض والسماء مركبتان من مادتين هما الماء والنـار ، ومن هاتين المادتين تكونت الارض والسماء ، وكذلك جميع المخلوقات الحية فانها مركبة من طبقتين هما الماء والنار ، ولكنها تمتاز باربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة .

آدم وحــواء

أما آدم ويسمونه « حفره قدمايا » فقد خلقه الله على صورته من التراب ، وخلق من ضلعه الأيسر حواء ، ثم انزل الروح القدس في جسمي ادم وحواء ، وعلم الملائكة آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف ومهن واجراء المياه ، ووضع عدد السنين والشهور والايام والاوقات ونحو ذلـك ، وانزلت عليه الكتب المقدسة . ثم امر الله الملائكة بالسجود لادم فـــسجدوا الا ابليس ويدعونه « هابيشه » فانه لم يسجد وقال « خلقتني الله من نار وخلق ادم من تراب ، فكيف أسجد له ؟ » فلعنه الله وطرده من الجنة . ثم جرى التناسل بين آدم وولده على ما هو معروف .

طوفان نوح وأولاده

وحديث الطوفان عند الصابئة شبيه بما هـو مسطور في التوراة حتى في اطلاق الغراب والحمامة الا انهم يقولون ان الحيوانات التي اخذها نوح معه في الفلك كانت كلها اثنين اثنين ذكرا وانثى من كل نوع ، وان الذى كان في الفلك من البشر ثلاثة فقط : نوح وامرأته وسام ابنه اذ لم يكن له قبل الطوفان ولد آخر ، وان نوحا خرج الى اليابسة بمفرده بعد أن انحسر الماء واذا بامراة من الجنة تراءت له بشكل امرأته وأخذت تمشي بجانبه فانكر نوح خروج زوجته دون اذن منه فاعتذرت اليـه بانها سئمت المقام في الفلك ، ثم استدرجته الى المعصية وهو يظنها زوجته فحملت منه ووضعت له ثلاثة بنين : حام ويافت ويامين ، وكان كل من هؤلاء يتكلم لغة خاصة ، ومن هؤلاء الاولاد الثلاثة جاء السودان والفرنجة والترك ، ولهذا فـان الصابئة لا يذكرون نوحا ولا احدا من أولاده « حام ويافت ويامين » فيمن يستغيثون بهم من آبائهم الاولين ، لان هؤلاء الاولاد كانوا « أبناء غية ولكنهم يقرون بولده سام الذى كان معه في الفلك ويكرمونه احسن تكريم » .

الخير والشر

ويعتقد الصابئون المندائيون أن الخير والشر موجودان من قبل الانسان وحادثان بفعله ، وان ارادته الجزئية واختياره المطلق هو الذى يجعله مسؤولا أمام الله . وهم يرون أن البارى جل شانه رسم للانسان طريق الخير وطريق الشر ، فله الحرية المطلقة في اتيان ما يشاء وترك ما يشاء، « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .
(سورة النساء آية ٣) .

(البقية على صفحة ١٥٠)

الحِكْمَة و... الحُكَمَاء

● الفَلْسَفَة مُسْتَنْبَطَة مِن التَّحْليل والتَّعْليل
● والحِكْمَة مُسْتَخْرَجَة مِن التَّجارب ومُمارسة الحياة



بقلم : علي أدهم

■ في فصل موجز عن الحكم والأمثال يقول الفيلسوف البريطاني جون ستيورات مل John Stuart Mill : « هناك نوعان من الحكمة ، أولهما يتفوق فيه على سابقه – أو يجب أن يتفوق فيه على سابقه – في كل عصر يزدهر فيه العلم . والنوع الآخر يتساوى مقداره في العصور جميعها .

الحكمة المستنبطة من التحليل والتعليل

والنوع الأول هو الحكمة التي قوامها حلقات طويلة من التعليل وربط الاسباب بالمسببات واحاطة شاملة بموضوع عظيم الشأن أو تتضمن عمليات تحليل دقيق معقد لمشكلات ما وراء الطبيعة ، وهو ما يسمى بالفلسفة .

الحكمة المستخلصة من تجارب الحياة

والنوع الآخر هو الحكمة المستخلصة من تجربة الحياة والافادة من الفرص التي أتيحت لكل من عركوا الأمور ، وتمرسوا بالحوادث ، وأوتوا في نفوسهم مقدارا كبيرا من الطبيعة الانسانية .
وهذه الحكمة غير المنظمة التي استنبطها أصحاب العقول السليمة في جميع أدوار التاريخ من تجربتهم



الشخصية ، هي الحكمة التي تسمى بحق حكمة العصور ، وقد سجل كل عصر كان لـه حظ من الثقافة جانبا منها . وانصع ما تظهر هذه الحكمة فى مؤلفي الخرافات القدامى مثل المؤلف الاغريقي عيسوب Aesop وغيره . ومن اروع أنواعها الخطب الواردة فى كتاب المؤرخ اليوناني توكوتيدس . وقد ضمن ارسطو وكنتليان مؤلفاتهما ذخائر قيمة منها ، وعلينا أن لا ننسى لذلك اهاجى هوراس ورسائلد بوجه خاص ، ولكن الصورة التي كان يظهر بها هذا النوع من الحكمة هي صورة الحكم والأمثال والكلمات الجامعة ، ومنذ عهد حكم سليمان الى عهدنا هذا فان هذه هي الصورة التي اتخذتها الحكم والأمثال فى اغلب الأوقات .

وواضح من كلام الفيلسوف الكبير ان الفلسفة هى الحكمة المنظمة القائمة على الترابط المنطقي واستنباط النتائج من المقدمات ، وان الحكم والأمثال هي الحكمة المرسلة التي تمليها التجارب وتلهمنا اياها الحوادث العارضة والمقادير الجارية فى أعنتها .

الحكم والأمثال لا ينقص منها أنها مرسلة

ومن الناس من ينقص قيمة الحكم والأمثال لأنها مرسلة غير منظمة ، وهؤلاء ينسون أن الحقائق المستمدة من التجارب وممارسة الحوادث ، من طبيعتها أن تكون غير منظمة ولا مترابطة ، لان كل حقيقة منها مستخلصة من حادث معين ، أو من ظروف وملابسات خاصة ، و موقف بذاته . وقد تستطيع الفلسفة فيما بعد أن تقتفى آثار تلك الحقائق وتتبين صلاتها بعضها ببعض ، وتستخلص من وراء ذلك المبادىء العامة التي تعد هذه الحقائق مظهرا من مظاهرها ، ودليلا على وجودها ، ولكننا فى الحياة لا نترقب ذلك لتسجيل هذه الحكم ، والعمل بموجبها ، والاهتداء بها فى سلوكنا ، ومعالجة ما يعرض لنا من الامور . وليست وظيفة الفلسفة مقصورة على أن تثبت لنا حقيقة الحكم والأمثال ، وانما وظيفتها أن تعللها وتفسرها وتقدم لنا الحساب عنها .

الحكم والأمثال لا ينقص منها أنها قد تتعارض وما يرى الناس انه الحق

وهناك اعتراض آخر أكثر وجاهة ، واشد خطورة ، يوجه الى الحكم والأمثال ، وهذا الاعتراض هو أنها كثيرا ما تجانب الحق . ولكن هذا الاعتراض من الممكن توجيهه الى المعارف البشرية جميعها ، والحقائق المقررة كثيرا ما تنقض وتهاجم ، ويظهر بطلانها ، ويكشف ما بها من زيف وخطأ ، والمذاهب الفلسفية الضخمة كثيرا ما يوجه اليها النقد الهادم وينال منها ، وقد يصيبها فى الصميم ، واكثر الحكم والأمثال يعبر عنها فى قالب لا يخلو من المبالغة والتاكيد والجزم ، وهذا التعبير القاطع الجازم ان كان من ناحية يحسن ابرازها الا أنه من ناحية أخرى يدخل عليها عنصرا من عناصر المبالغة قد يقلل من قيمتها أو يثير الشك فى حقيقتها .

ومهما يبذل المناطقة من الجهد فى صياغة الحكم فانهم لا يستطيعون تحصينها من النقد والمراجعة ، لأن لكل شيء خصائص شتى لا يمكن حصرها وعلاقات بسائر الأشياء لا يتيسر تحديدها .

وليس فى استطاعة انسان أن يلم بجميع خصائص الأشياء أو أن يتعرف شتى علاقاتها ، فلا غرابة أن عجز عن استيفاء التعبير عنها ، أو قصر عن ادراكها ، ومن ثم كان الانتفاع بالحكم والأمثال يستلزم أعمال الروية واجالة الفكر ، ولو كانت كتب الحكم والأمثال لا نفع فيها للبشر لعفتى عليها الزمن ، ولكن البشر حريصون عليها مقدرون لما تتضمنه من ذخائر المعرفة وكنوز العظة والتجربة .

وكثير من هذه الحكم تمتاز بالنظرات العميقة ، والملاحظات الدقيقة ، والتوجيهات النافعة ، من امثال ذلك حكم الحكماء الفرنسيين امثال بسكال وشامفور وروسفوكو وفوفينارج وغيرهم من الحكماء الفرنسيين وغير الفرنسيين وفى كتب الأدب العربي مثل العقد الفريد وعيون الاخبار وزهر الاداب وادب الدنيا والدين مجموعة قيمة من الحكم والامثال عميقة المعنى غزيرة الدلالة جيدة السبك مما يزيد فى متعة الاطلاع على هذه المؤلفات القيمة .

تحديد معنى الحكمة

وقد تناول الأديب البحاثة الكبير المرحوم الدكتور احمد امين معنى الحكمة فى الأدب العربي فى احد الفصول القيمة التي كان يكتبها فى مجلة الثقافة فقال « تحديد معنى الحكمة من أصعب الأمور ، شأنها فى ذلك شأن الكلمات المعنوية العامة ، كالحرية والجمال والعدل ، وكل ما يستطيعه

المعرف أن يذكر أهم الخصائص المميزة للكلمة ، وقد عرفها بعضهم تعريفا تقريبيا فقال « انها نظرة عميقةعملية مباشرة ـ الى معاني الأشياء وأغراضها، تصدر عن ذكاء حاد نفاذ دقيق الملاحظة يستمدها من تجارب الحياة ومن مخالطته العملية بالحياة اليومية » ومن هذا قيل أن من الشعر لحكمة ، وقيل ان « الحكمة ضالة المؤمن » وأحيانا يلحظ في الحكيم أنه يضيف الى هذه النظرات الصائبة العمل على وفقها ، ومن ذلك قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » وسمى لقمان حكيما لأنه ينطق بالحكمة ويعمل بها » .

التفريق بين الحكمة والفلسفة

وفرق الدكتور احمد امين بين الفلسفة والحكمة من وجوه ، أهمها كما رأى « ان الفلسفة تفكير منظم مبوب تبنى مسائله على أساس منطقي يأخذ بعضه برقاب بعض ويوضع لاحقه على أساس سابقه ، أما الحكمة فنظرات لامعة خاطفة من هنا وهناك . وطابع الفلسفة طابع تحليلي ، تأخذ الفكرة وتحللها وترجعها الى أصولها وتبين نتائجها وطابع الحكمة تركيبي يركز التجارب في جملة ، ويجمع خلاصة التفصيلات في « برشامة » ويعصر السحاب المنتشر في قطرات المطر . والفلسفة تعتمد على التأمل والتفكير العقلي والقانون المنطقي ، والحكمة تعتمد على الالهام والاستعداد الشخصي ، مضافا اليه ما ورثه من أمته ، لاجتذاب المعنى العميق من الاحداث السطحية ، واستخراج حبة الذهب من تل الرمال ، واللؤلؤة الثمينة من أكوام الصدف ، ثم ان الفلسفة أسلوب الخاصة وعقلية الخلاصة ، فلا عجب أن يلفها الغموض وتعقد الأسلوب، أما الحكمة فثقافة شعبية يدركها الخاصة والعامة على قدر فطنتهم ، ويفسرونها بمقدار مواهبهم ، ومن أجل هذا صيغت الفلسفة صياغة معقدة ثقيلة ، وصيغت الحكمة صياغة خفيفة شيقة » . وهذا هو رأى الدكتور احمد امين في التفريق بين الحكمة والفلسفة ، وهو يتفق من نواح كثيرة مع رأى الفيلسوف ستيوارت مل ، الا أن مل يرى أن الفلسفة نفسها ضرب من ضروب الحكمة ، فالحكمة عنده نوعان النوع المنظم وقد أطلق عليه اسم الفلسفة والنوع المرسل وهو الحكم والأمثال المعروفة .

الحكمة في كتاب الفهرست

وقد استعمل الفلاسفة المسلمون كلمة حكمة الى جانب كلمة فلسفة ، وقالوا عن الفلاسفة انهم الحكماء ، وقد ورد في كتاب « الفهرست » عن خالد بن يزيد بن معاوية انه كان يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا في نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي، وهذا أول نقل كان في الاسلام » .

وعند الجاحظ والكندي

ويقول عنه الجاحظ انه كان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات .

وكان (١) الكندي الفيلسوف العربي يعرف الفلسفة بأنها العلم بجميع الأشياء ويقسمها بعد ذلك الى فلسفة نظرية وفلسفة عملية ، وأحسب أن هذه الفلسفة العملية هي الحكمة .

وعند ابن سينا

أما ابن سينا فيرى أن (٢) الحكمة استكمال النفس الانسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية ، والعملية على قدر الطاقة الانسانية ، فالحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية ، والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التي لنا أن نعلمها ونعمل بها تسمى حكمة عملية ، وكل واحدة من هاتين الحكمتين تنحصر في أقسام ثلاثة ، فأقسام الحكمة العملية حكمة مدنية وحكمة منزلية وحكمة خلقية .. وأما الحكمة النظرية فأقسامها ثلاثة ، حكمة

---

(١) صفحة ٤٩ من كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للاستاذ مصطفى عبد الرزاق .

(٢) صفحة ٥٦ من كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للاستاذ مصطفى عبد الرزاق .

تتعلق بما في الحركة والتغير وتسمى حكمة طبيعية، وحكمة تتعلق بما من شأنه ان يجرده الذهن عن التغير وان كان وجوده مخالطا للتغير وتسمى حكمة رياضية ، وحكمة تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة التغير فلا يخالطها اصلا .. وهي الفلسفة الآلهية .

ويمكن أن نستخلص من رأى الكندي ورأى ابن سينا أن الحكمة النظرية هي ما أصطلح أن يطلق عليه اسم الفلسفة وأن الحكمة العملية هي الحكمة المعهودة على حد تقسيم ستيوارت مل .

وعند حاجي خليفة صاحب « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » أن علم الحكمة هو علم يبحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وهو يسير في آثار الكندي وابن سينا ويقسم الحكمة الى قسمين ، حكمة نظرية ، وحكمة عملية .

الحكمة عند سائر العرب

وكان العرب يسمون علماءهم الذين كانوا يحكمون بينهم اذا تنافروا في الفضل والحسب وغير ذلك من الأمور والخلافات التي تقع بينهم الحكماء ، ومن حكماء العرب كذلك اطباؤهم لما كان لهم من العلم والتجربة ونفوذ الكلمة ، وكان لبعض هؤلاء الحكماء امثال تجرى على السنتهم شعرا أو نثرا ، وكانت هذه الحكم والأمثال خلاصة تجاربهم وثمرة تفكيرهم في غِيَر الدهر ، وتقلبات الايام ، وكانت العرب تقدر هذا التراث ، وتحتفظ به ، وتدونه ، ويتناوله الخلف عن السلف .

وقد رأى الأستاذ المرحوم مصطفى عبد الرزاق انه مهما اختلفت العبارات في بيان معنى الحكمة في لسان العرب فقد يوشك أن يتفق اللغويون على أن عناصر الحكمة هي اتفاق في العلم والعمل يمتنع معه الزيغ والفساد والجور ، أو هي العلم الكامل النافع ، وعند البزدوى أن الحكمة لغة اسم للعلم المتقن والعمل به ، الا ترى أن ضده السفه وهو العمل على خلاف موجب العقل وضد العلم الجهل، ويقول صاحب الملل والنحل « ومن الفلاسفة حكماء العرب وهم شرذمة قليلة لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر » . وذكر الجاحظ ضمن اسماء جماعة من هؤلاء الحكماء في كتابه « البيان والتبيين » لقمان بن عاد ، وقس بن ساعدة، واكثم ابن صيفي ولبيد بن ربيعة ، ومن حكم اكثم بن صيفي قوله « ان قول الحق لم يدع لي صديقا » وقوله « يتشابه الأمر اذا أقبل واذا أدبر عرفه الكيس والأحمق ، ولا تفضوا عن اليسير فانه يجني الكثير ، حيلة من لا حيلة له الصبر » .

وذكر الالوسي انه كانت في نساء العرب جملة اشتهرن باصابة الحكم ، وفصل الخصومات ، وحسن الرأى في الحكومة ، منهن هند بنت الخس الايادية وصحر بنت لقمان أو أخته وحزام بنت الريان وهي القائلة « لو ترك القطا ليلا لنام » .

وكانت الحكمة عند العرب متصلة بالقدرة على الفصل فيما يقع بينهم من نزاع ، والفتوى فيما يعرض من الأقضية ، والطب لمن يصيبه مرض من الأمراض .

الحكمة في القرآن

وقد ذكر القرآن الحكمة التي كانت معروفة عند العرب وأثنى عليها ، واستعمل القرآن الحكمة في معانيها اللغوية ، أو في معان ذات نسب واتصال بها شديد ، لما رأى الأستاذ مصطفى عبد الرزاق ، وعنده أن النظر فيما ورد في القرآن والسنة من استعمال كلمة الحكمة يدل على أن المراد بها العلم الذي يتصل بالعمل .

حكماء الشعراء عند العرب : المتنبى وابو تمام والبحترى

ومن بين كبار شعراء العرب ثلاثة ظفروا بالنصيب الأكبر من عناية أدباء العرب ونقادهم واستأثروا باهتمامهم ، وهؤلاء الثلاثة هم المتنبى وابو تمام والبحترى ، ولست اريد أن أتعرض لمسألة مدى استحقاقهم لهذه العناية الخاصة لأنها مسألة من اخطر مسائل النقد في الأدب العربي ، وقد تتشعب فيها الآراء وتختلف الموازين والمقاييس .

رأى ابى العلاء في حكمة هؤلاء الشعراء

وتروى كتب الأدب أن أبا العلاء المعرى سئل في أمر الموازنة بين هؤلاء الشعراء الثلاثة فقال « المتنبى وابو تمام حكيمان ، وانما الشاعر

البحتري ، ولست أدري على وجه التحديد فيما قصده أبو العلاء بقوله ان المتنبي وابا تمام حكيمان ، ولست اعرف كذلك مدى تصور أبي العلاء لمعنى الحكمة وصفات الحكيم ، وراجح أن أبا العلاء أراد أن يقول ان المتنبي وابا تمام يغلب على شعرهما التفكير في الحياة والنظر في احوال المجتمع وان هذا التفكير او الفلسفة اذا جاز لنا القول قلل نصيب شعرهما من الجمال والعذوبة والسلاسة ، ولذلك قضى للبحتري بالشاعرية ، وقضى لصاحبيه بالحكمة .

فاذا كان هذا ما اراده أبو العلاء كما ارجح فاني اختلف معه في فهم معنى الحكمة وتقدير الحكيم الذي يتصف بها . فالحكمة في رأيي هي المطابقة بين الفكر واسلوب الحياة ، والحياة الحكيمة هي الحياة التي لا افراط فيها ولا تفريط ، والحكيم حقا هو الذي يلتزم في الحياة منهجا وسـطا ، فيستمتع بطيبات الحياة ، ولكن دون أن تعبث به الشهوات وتضله الاهواء وترديه النوازع السيئة ، ويعرف قدر نفسه فلا يمتهنها ولا ينزل بها ، ولكنه في الوقت نفسه يعرف حقوق الغير فلا يغمطهم ولا يستهين بهم ، وهو يثق بنفسه ولكنه يعرف كذلك ممكنات الحياة ومدى قدرة البشر فلا يركب رأسه ولا يتورط فيما لا قبل له به ، ولا قدرة له عليه ، ومن شأنه أن يتجه الى جوهر الأمور ولبابها دون العرض والمظهر ، وأن يتعلق بالحقائق ولا يجري وراء الأوهام والخيالات والخزعبلات ، وأن يوازن بين ملكاته وكفاياته ومعارفه ومعلوماته . ومثل هذا الحكيم يُعنى بالعلم كما يعنى بالادب والفلسفة ، ويهتم بالدين والأخلاق والسلوك كما يهتم بمشكلات العلم والفن وقضايا الفلسفة ، ويحاول تهذيب عواطفه وصقل عقله ، ويتعهد جوانب نفسه المختلفة ونواحي حياته المتباينة حتى يعيش حياة متسقة متزنة ، لا يطغى فيها جانب الفكـر على جانب العمل ، ولا تتغلب فيها العاطفة على العقل ، او يهزم العقل العاطفة ويكبتها .

وربما كان هذا هو المثل الأعلى للرجل الحكيم ، ولكننا لا نستطيع ان نمنح انسانا لقب الحكيم الا اذا كان قد حقق الى حد ما بعض نواحي هذا المثل الأعلى ، أو اقترب منه بعض الاقتراب ، وهذا هو تصوري للحكمة والحكماء ، فهل كان المتنبي وأبو تمام حكيمين بهذا المعنى ؟ لقد كان للمتنبي خطرات فلسفية رائعة ، وخواطر فكرية لامعة ، ويمكن أن نستخلص من شعره فلسفة حياة ونظرة للكون ، وكان لأبي تمام نظرات في الحياة نافذة وافكار أخاذه مضيئة ، ولكنني مع فرط اعجابي بهذين الشاعرين وتقديري لقدرتهما الفنيـة ، ووثباتهما الفكرية ، ارى انهما لم يكونا من الحكمة في شيء ، فالمتنبي مثلا يقول :

الـرأي قبل شـجاعة الشـجعان
هـو أول وهـي المحـل الثانـي

وهو برغم ذلك لم يعمل بهذا الرأي ، وكانت مخالفته لهذا الرأي من اسباب مصرعه الفاجع ، وهو في أسمى درجات نضجه الفني ، فقد هجا ضبـة العيني بهجاء فاحش مقذع نزل فيه عن مستواه ، ودل فيه على الكثير من سوء الأدب ، وقلة الذوق ، وداخلت الحمية خال ضبة ، وكان يسمى فاتكا الأسدي ، فكمن له في الطريق عند عودته من بلاد فارس ، وقتله هو وابنه وغلمان ، وكان فاتك معروفا بالميل الى سفك الدماء والاقدام على الأهوال في مواقف القتال ، ويروى أن أحد أصدقاء المتنبي المعجبين به والقادرين لمكانته نصحه وهو مجمع على السفر واجتياز ناحية دير العاقول الى بغداد ، بأن يصـحب معه بعض الرجالـة لحمايته ، فكبر عليه الأمر ورفض ذلك ، وحياته في مختلف ادوارهـا ملأى بالحماقات والتقلبات ، وليس فيها شيء من الحكمة .

وكذلك كانت حياة أبي تمام ، فقد كان الرجل مسرفا في شهواته واهوائه متقلبا في ميوله ونزعاته .

ولست أريد أن اتناول حياة هذين الشاعرين الكبيرين بالتنقص والتجريح ، ولكنني أريد ان اقول انهما لم يكونا حكيمين في حياتهما بالرغم مما امتلأ به شعرهما من التأملات في الحياة ، وما دل عليه من صادق الخبرة ومتنوع التجارب ، فهما شاعران مفكران ولكنهما ليسا من الحكمة في شيء ، لأن الحكمة تقتضي المطابقة بين الفكر وأسلوب الحياة ، ولو الى حد ما .

وحياة أبي العلاء المعري نفسه ، بعد أن جاوز حد الاربعين ، يُعَد مثلا من أمثلة حياة الحكماء ، فقد زهد في الحياة وطابق بين اقواله وأعماله وضرب لذلك مثلا فذا من أمثلة الحكمة التي يقترن فيها القول بالعمل . ■■

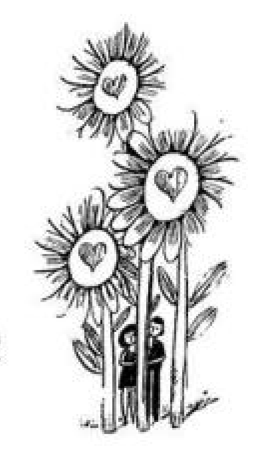
علي أدهم

مع الطبيعة في ربيعها الضاحك

■ أخصبتْ بعد جَدبها دنيانا وتهادى ربيعهـــا جذلانـــا
فحبـا الأرض فتنـــة وجمالا وكسا الروض خُضرة فازدانـــا
وجرى الماء – بعد طول احتبـاس في حنايـا ينبوعـه غُدرانـــا
واستحمت عرائس الفجر فيـــه طمعا في لُجينـه وافتتانـــا
والنسـيم العليـــــل أسرف في الرقة حتى تظنـــه نشوانـــا
هبـط الدوحَ ساجيا ... فانتشى الدوح وهز الفروع والأغصانا
أيّ سر أذاعـــه ...؟ رنّـح الدوحَ صـداه .. وأرقص الأفنـانـا
وسـبى الحب كل ذات جنـــاح فأقامت في ظله مِهْرجانـــا
واستخفت زهوره رَعْشـة الحب فمالـــت شفاهـهـــا تتدانى

★ ★ ★

ليتنى أغتدى كما الطير فيـــه يغتدى حـالم الرؤى هيمانـــا
مطمئنا .. فلا يخـاف عـلى شئ ضياعـا ... ولا يحس هوانـــا
ليت لى همسـة الزهـور ونجـــواها فأنساب رقـة وحنانـا
نسما هائمـــا .. مع الليل حينـا ومع الفجر ساريـا أحيـانا



بقلم : الدكتور نور الدين ابو ريشه

ومع النحل والفراشات ألْهُـو ومع الزهـر ضاحـكا ولهـانا
ومع الجدول المسلسل يجـرى ناعما في مسيره جـذلانـا
حالما بالربيـع ، أغنيـةٌ خضـراء تطوى السهول والوديـانا
شاق زهر الربى فخـف اليـه وشجا الصخـر ماؤه فاستـلانا
وعلى جانبيـه .. حف بـه الدوح واحنى من فرعـه أغصانـا
كم سقَى وردة ... وقبَّل طـيرا وسبى مقلة... وهـاج جنانـا !
ليت شعرى .. وهذه الربـوة الخَضْـراء من حوالنا تفوق الجنانـا
كيف لا يسرح الخيـال بدنيـاهـا ويجنى من سحرها ألوانـا ؟
عـالم مـن محـاسن وفتـون ضمنى في رحابـه فينانـا
ناعـم البـال .. لا أحس زمانـا في حماه ... ولا أملُّ مكانـا
كل ما في الحيـاة يجذبنـا شـوقـا .. ففيما نملُّهـا أحيـانـا ؟
ربما أيقظت سعادة قلـبي شَجَنا بين أضلعى وَسْنانـا
كم شغفنـا بالعيش حبا .. ولـكن واقـع العيش طالما أدمانـا ■■

نور الدين ابو ريشه



حظ المرأة من الحياة :



زوجة، وأماً، وربة بيت، وعاملة أيضاً

بقلم : منير نصيف

■ هل تشعرين بالتعب ؟ هل قصدت يوما عيادة الطبيب وجلست تشكين اليه هذا الشعور الخفي الذى ينتابك دون ان تعرفي له سببا ، وعلى شفتيك ذلك السؤال الحائر : « قل لي يا دكتور لماذا انا متعبة هكذا ؟ » .

اذا كنت واحدة من هؤلاء ، فاقرأى هذا البحث الذى ضمنته الدكتورة ماريون هيليارد Marion Hilliard الاخصائية في أمراض النساء، كتابها « النساء والتعب » «Women & Fatigue» ذلك الذى أودعته خلاصة تجاربها في مستشفى تورنتو بكندا ، لعلاج أمراض النساء ، طوال فترة ممارستها للطب ، لأكثر من ثلاثين عاما ، قبل أن يتوفاها الله .

التعب ألد أعداء المرأة

تقول الدكتورة ماريون أن التعب هو الد أعداء المرأة،فالمرأة المتعبة تشعر بزهد في الحياة،وكثيرا ما يؤدى بها هذا الشعور الى اهمال نفسها وبيتها وزوجها واطفالها،لانها غير قادرةعلىالقيامبأىعمل ، ولأنها دائما متعبة ، ولأنها تشعر برغبة ملحة تدفعها الى النوم ... ولكن لا تكاد تذهب الى فراشها حتى تحس براسها يدور وصراع شديد يفتك به .. ولا تكاد تغمض عينيها حتى يشرد ذهنها في تفكير عميق ، فهى تفكر في مسائل صغيرة ، ولكنها تبدو أمامها ضخمة بلا حل .. وهي تفكر في أحداث وقعت وانقضى عليها وقت طويل ، ولكنها تتخيل نفسها وكأنها ما زالت تعيش فيها . وهى تفكر في مستقبلها ومستقبل زوجها واطفالها .. رغم أن حياتهم جميعا سهلة ميسورة لا تشوبها شائبة ، ولا يهددها خطر في الغد القريب أو البعيد ..

وهكذا يذهب مسعى مثل هذه المرأة المتعبة في سبيل نيل قسط من النوم والراحة ، هباء منثورا . فهى ليست متعبة نتيجة لمجهود جسمانى قامت به ، فاعوزتها الراحة ! ولكنها في الواقع تعبة نفسيا .

ولا شك ان كل امرأة ، سواء كانت ربة بيت ام عاملة ام صاحبة مهنة ام طالبة .. كل امرأة في مختلف مراحل حياتها تعمل وتتعب .

وعلاج هذا التعب الجسمانى هو بالطبع النوم والراحة والاستجمام . وهو أمر طبيعي لا يحتاج الى علاج أو دواء .

فما هي اذن أسباب الشعور بالتعب النفسي الذى لا يجدى النوم في علاجه ، ولا تنفع الراحة له دواء !

أسباب التعب النفسى

تقول الدكتورة ماريون : ان هذا التعب النفسى

عند المرأة له أسباب عديدة تتصل اتصالا مباشرا بتكوين المرأة البيولوجي ثم بحالتها السيكولوجية وطريقة حياتها واسلوب معيشتها . فالوحدة مثلا تؤثر على حالة المرأة النفسية ... والفراغ يبعث الملل الى نفسها ... والروتين يحولها الى آلة تدور وتعمل بلا تفكير ... وسأتحدث عن هذه الاسباب الثلاث التى كانت وما تزال مصدر شكوى عدد من النساء ، ووسائل علاجها والتخلص منها ... ولكني اريد أن ابدأ أولا بطبيعة تكوين المرأة وحياتها ، لما لهما من أثر مباشر على هذا الشعور الذى يعترى المرأة في كثير من الاحيان ، ويدفعها الى أن تتصور نفسها وكأنها تحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسها ..

ان التكوين البيولوجي Biological Constitution او الحيوى ، للمرأة يختلف اختلافا أساسيا عن الرجل ، وليس المجال هنا مجال مقارنة ، ولكن هناك حقائق طبيعية لا بد لنا من لمسها برفق، حتى ندرك الفارق الكبير بين التكوين البيولوجي للرجل والمرأة .

فالرجل بذرة ، والمرأة شجرة ، ولولا البذرة ما كانت الشجرة ، ولولا الشجرة ما كانت البذرة. ولكن الكتب السماوية تحدثنا عن مجيء البذرة قبل الشجرة ، فقد خلق الله آدم ، ثم جاء اليه بحواء لتؤنس وحدته ... اذن فقد سبقت البذرة الشجرة التى بدأت صغيرة ثم كبرت وعرفت سر الحياة ، ونمت وطرحت وملأت الارض بثمارها !

تغيرات طبيعية

ولنبدأ حديثنا من حيث يكون لقاء البذرة مع الارض الخصبة . ان الطفل الذكر ينمو ، فلا يطرأ عليه أى تغيير سوى تلك الرغبة التى تتملكه في الاتصال بالجنس الآخر ، اثناء فترة المراهقة .. ولكنه قبل أن يدرك هذا التغيير الذى اعتراه فجأة يكون قد تخطى مرحلة المراهقة وبدأ مرحلة الرجولة !

أما المرأة فهي تمر بمراحل عدة في حياتها تتغير فيها وتتبدل شكلا وموضوعا .. فمن طفولة الى أنوثة في المراهقة ، وما يصحب ذلك من تطورات مثل الدورة الشهرية التى تدفعها الى العزلة والانطواء، الى امرأة وزوجة تحمل وتلد وترضع صغارها .

وهي في كل مرحلة من هذه المراحل تتميز بحساسية بالغة لتلك التغيرات المفاجئة التى طرأت عليها وعلى تكوين جسمها ، واستحوذت على كل تفكيرها .

من هنا كانت المرأة بطبيعتها أكثر تعرضا للتعب النفسي من الرجل ، فهي في تفكير دائم في هذا الانقلاب الذى حدث لجسمها في فترة المراهقة ، ثم هي تفكر بعد ذلك في المستقبل الذى ينتظرها مع الرجل الذى سيكون لها زوجا ... وهي تفكر فيما بعد بالزواج ، في حياتها الجديدة بعيدا عن بيت أسرتها .. خواطر كثيرة تستبد بها وتسيطر على كل تفكيرها ... وهذا التفكير المستمر يؤثر على حالتها النفسية قبل الزواج وبعده ..

بداية مرحلة جديدة

وتبدأ المرأة مرحلة جديدة في حياتها بعد زواجها .. وهي مرحلة استقرار ذهني ولكنها في نفس الوقت مرحلة مليئة بالاعباء والمسئوليات والواجبات .. وفجأة تجد نفسها في صراع مستمر مع الزمن في سبيل القيام بدورها كاملا كامرأة ... فهي زوجة وهي أم ، وهي عاملة ، اذا كانت تعمل، سواء في البيت أو في السوق ، وهي بعد هذا مسئولة عن تربية اطفالها والعناية ببيتها والقيام بدورها في المجتمع .

والجمع بين كل هذه الوظائف والأعباء يضاعف من صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المرأة ، ويثير في نفسها الخوف من الفشل فيدفعها الى التفكير في هذه المرحلة ولكنه تفكير من نوع جديد . ونتيجة لذلك تتعرض المرأة مرة أخرى للشعور بالتعب النفسي الذى تشكو منه وتبحث له عن علاج في عيادات الاطباء ... وهو كما ذكرنا تعب نفسي ، وان كان لا يخلو ايضا من التعب الجسماني ايضا .

ولنتصور المرأة ، وهي تبدأ يومها بتلك السلسلة من الاعمال والواجبات التي لا تنتهي .. انها أول من تستيقظ في الصباح ، وآخر من يذهب الى النوم في المساء ، فهي تريد ان تعد طعام الافطار لزوجها الذى ايقظته من نومه منذ دقائق ، حتى لا يتأخر عن موعد ذهابه الى عمله .

ثم يأتي دور الاطفال ، وهم يتوقعون من أمهم أن تعاونهم على ارتداء ملابسهم ، اذا كانوا صغارا ، وتعد لهم افطارهم للذهاب الى المدرسة .

ويأتي بعد هذا دورها هي ، أما اذا كانت عاملة في خارج البيت سارعت بارتداء ملابسها لتذهب

الى مقر عملها ، مرجئة تنظيف البيت واعداد الطعام الى ما بعد عودتها من عملها .

أعباء ربة البيت

واما اذا كانت « ربة بيت » فقط ، وقليلات هن الزوجات اللواتي لا يخرجن للعمل ويساهمن فى تكاليف المعيشة واعباء الحياة فى هذه الايام ، بدأت تباشر عملها بين اعداد طعام الغداء فى المطبخ، وبين تنظيف البيت وترتيبه ، واعداد الملابس النظيفة لافراد الاسرة .

وتمر ساعات الصباح بطيئة ثقيلة ، وهي فى حركة دائبة لا تهدأ وقد ينتهي عملها فى هذه المملكة الصغيرة المتقلبة ، وقد لا ينتهي ... وهي فى الحالتين فريسة لمجهود جسماني او ذهني او الاثنين معا .

فهي اذا فرغت من عمل البيت ، جلست تستريح او لتبحث لنفسها عن شيء يسليها حتى يحين موعد عودة زوجها من عمله واولادها من المدرسة ... ولكن اين تجد هذه التسلية ؟ لقد ملت الاستماع الى برامج الاذاعة او التلفزيون!

وقد تلجأ الى مكتبتها الصغيرة لتبحث لنفسها عن كتاب تقراه ، ولكنها تتذكر فجأة انها لم تزر دار الكتب منذ زمن بعيد ، ولم تضف الى كتبها ، كتابا جديدا .

وتضطر الى العودة الى كتاب قديم ، فتتصفحه فى عصبية ، لأنها لا تجد فيه جديدا ، لقد قرأته اكثر من مرة ... كانت تعجبها فلسفة ارسطو ، واقوال فولتير تثير حماسها ، وقصة تلوج كليمنجارو تستهويها .. فهي تميل الى قراءة تاريخ الناس والشعوب ، ولكن كل هذا لا يحرك فيها ساكنا الآن .. فقد حفظتها عن ظهر قلب .

ولا تجد امامها فى النهاية الا الجلوس والانتظار ... ويعود الزوج ... ويعود الاولاد اخيرا من المدرسة ، وتحاول الام ان تبدو سعيدة بلقائهم مسرورة لعودتهم . وهي سعيدة فعلا ، ولكن المجهود الذى بذلته طوال فترة الصباح ، ترك اثره واضحا عليها ، فحرمها من لذة استقبال زوجها واطفالها عند عودتهم من الخارج ، بالروح التى تشتهي ان تستقبلهم بها .

مسئولية جديدة

وتجد المرأة نفسها موزعة بين اعداد مائدة الغداء وبين الاهتمام بزوجها بعد يوم حافل بالعمل، وبين تلبية طلبات اولادها الذين يلاحقونها فى كل مكان من البيت . وكثيرا ما تكون فترة بعد الظهر بداية يوم جديد من العمل بالنسبة للزوجة ، اذا كان زوجها يذهب الى عمله مرة اخرى فى المساء ، او اذا كان صاحب مهنة تتطلب منه الاعداد لعمل اليوم التالي فى مكتبه الخاص فى البيت . ذلك لأن الام فى هذه الحالة سوف تتحمل مسئولية مراقبة اطفالها والاشراف على استذكارهم لدروسهم ، وهو عمل كان من الممكن ان يساهم فيه الأب ، ويحمل مسئولية ادائه ، وبذلك يخفف عن امرأته بعض اعبائها .

وهكذا ينقضي اليوم ... والرجل مشغول بعمله فى مكتبه او فى المكتب والبيت معا . والمرأة موزعة بين واجباتها كأم ... وبين واجباتها كعاملة ، وواجباتها كزوجة ، يتوقع منها زوجها ان تعطيه بعضا من اهتمامها ، وبين واجباتها ازاء المجتمع الذى تعيش فيه .

وهي وسط هذه الدوامة تحاول جاهدة ان توفق بين كل هذه الواجبات ، على حساب صحتها وراحتها واعصابها .

المجاملات بين الزوجين

فاذا جاء المساء ، احست المسكينة برأسها يكاد ينفجر وبقدميها لا تقويان على حمل جسمها ، وتتمنى لو أنها رقدت فى فراشها لتريح جسدها المهدود !

وفجأة يظهر الزوج خارجا من غرفة مكتبه . لقد فرغ من عمله ، وهو يريد أن ينعم بسهرة طيبة فيدعوها الى تناول العشاء معه فى الخارج ، او الى زيارة بعض الاصدقاء ! وتسمع دعوته وتشعر بالدنيا تدور حولها ، وكأنها توشك على السقوط على الارض مغشيا عليها ! لقد كانت هذه الدعوة آخر شيء يخطر لها على بال . ولكنها بالرغم من هذا تحاول أن تخفى تعبها وتكتم حقيقة شعورها لانها رأت فى عينيه رغبة صادقة فى الخروج من البيت والترويح عن النفس ، وهى لا تريد ان تحرمه من هذه السهرة . فترتدى ملابسها ، وتتحامل على نفسها وتخرج معه .

وتنتهى السهرة التى بذلت فيها مجهودا كبيرا فى مجاملة الناس والاستماع الى حديثهم والضحك لنكاتهم .. ويعود الزوجان الى البيت ، وينام الزوج .. اما هى فقد هرب النوم من عينيها ..

انها تشعر بآلام تمزق اوصالها ، وتحس بحمل ثقيل يطبق على رأسها .. وتمد يدها في هدوء باحثة عن الاقراص المنومة تزدرد منها حبة او حبتين .. وتنام اخيرا .. ولكنه نوم قلق مضطرب لم يعطها ما كانت فى حاجة اليه من راحة ، وما كانت تطمع فيه من استرخاء .

ومن وراء ستائر غرفتها ترى نور الصباح يتسلل فى هدوء وكأنه يترفق بها .. ومن فوق المائدة الصغيرة تسمع جرس المنبه يدق معلنا بداية يوم جديد .. ويستبد بها الهلع ، وهى تفكر فيما ينتظرها مع اشراقة هذه الشمس المبكرة .. كم تمنت لو ان الليل طال ودام ..

حرية التعبير

وتمضى الدكتوره ماريون هيليارد فى تصوير حياة المرأة المتعبة .. وهو تعب جسمانى ونفسى معا كما شاهدنا .. ثم تقول : « لو أننا درسنا حالة مثل هذه المرأة لوجدنا أن هناك عاملا هاما كان له اثره المباشر فى مضاعفة الشعور بالتعب الذى تعانى منه .. الا وهو حرمان نفسها من حرية التعبير عن حقيقة مشاعرها .. فلو أنها مثلا اعتذرت لزوجها عندما دعاها الى الخروج فى المساء ، وقالت له بصراحة انها متعبة ، وانها فى حاجة الى النوم والراحة ، لوفرت على نفسها تعبا ضاعف من تعبها .. ولو أنها بقيت فى فراشها فى الصباح واعتذرت عن النهوض فى هذه الساعة المبكرة لانها لم تحصل على قسط كاف من النوم ، لانقذت نفسها من مضاعفات خطيرة قد تؤدى الى اصابتها بامراض يصعب علاجها ويطول !

لو أن كل امرأة فكرت فى المصير الذى ينتظر بيتها وزوجها واطفالها لو الم بها مكروه لاشفقت على نفسها وعنيت بصحتها ، وتخلت عن المجاملات التى تقوم بها على حساب راحتها واعصابها ، من اجل بيتها وزوجها واطفالها ..

الصراحة طابع الحياة الزوجية

فليس للمجاملات مكان بين الزوجين فالصراحة بينهما يجب ان تكون طابع حياتهما الزوجية . وكما أن الرجل يفكر ويتكلم ويعبر بصراحة عما يدور فى راسه ويجول بخاطره ، فلا بد للمرأة ايضا ان تتمتع بهذا الحق فتعبر بصراحة عما يعتمل فى صدرها من انفعالات ، وعما يتملكها من احاسيس .. ومسلك الزوج هو الذى يحدد طريقة تصرف زوجته حياله .. واسلوب معاملته لها هو الذى يشعر المرأة بقيمتها كزوجة وام وشريكة له فى حياته !

وكل زوجة وام تعمل فى البيت ، اذا لم يكن لها عمل آخر خارج البيت يشغلها عنه .. ولكن المهم هو الا تنظر المرأة الى عملها هذا كما لو كان واجبا يتحتم عليها أن تقوم به سواء ارادت أم لم ترد ! استطاعت ام لم تستطع !

يجب أن تنظر كل امرأة الى عملها فى البيت كما لو كان وسيلة من وسائل التسلية وقتل الوقت ، كما لو كان عملا الهدف الاول منه قتل الفراغ الذى تعانيه كل زوجة تبقى وحدها فى البيت بعد ذهاب زوجها الى عمله واولادها الى المدرسة . يجب ان تعتبره هواية لا واجبا !

يجب الا تبدأ المرأة يومها فى الصباح بالتفكير فى الاعمال التى ارجأتها ، والاعمال التى يتحتم عليها ان تقوم بها طوال اليوم ! فمجرد التفكير وحده يهد الأعصاب ويقتل الرغبة فى العمل .

لابد لكل امرأة ان تحطم الروتين اليومى . يجب ان تغير دائما فى طريقة حياتها واسلوب معيشتها .. لابد لها من ان تجد صديقات تتحدث اليهن وتقضى معهن جانبا من الصباح فى البيت او فى السوق او فى النادى أو فى أى مكان !

ولن يضير الزوج أن يعود يوما الى البيت فلا يجد طبقه الشهى ، وانما يجد بدلا منه طعاما اعدته زوجته من المعلبات . فالوحدة تؤثر على حياة المرأة تأثيرا سيئا ، والفراغ يجعلمنها فريسة للاوهام والتخيلات ، و « الروتين » يقتل فيها جانب الخلق والابداع ..

الاجازات والعطلات

وتختتم الدكتوره ماريون هيليارد نصائحها ، لكل امرأة بـان تقدس الاجازات الاسبوعية والعطلات الصيفية .. وهى تدعو كل امرأة الى الخروج والسفر بعيدا عن البيت وعن الحياة التى الفتها طوال اشهر السنة . انها تنصح كل امرأة بان تعد لهذه العطلة وتترقبها حتى اذا ما جاءت نسيت الدنيا وتذكرت شيئا واحدا : « ان امامها اياما جميلة سعيدة مقبلة تنطلق فيها مع زوجها واطفالها ، موضع حبها ، باحثة عن السعادة اينما وجدت » . ■■

منير نصيف

عن كتاب Women & Fatigue

من صور الحياة

صديقان

وصورتان من صور الحياة مختلفتان

بقلم : سامى الكيالى

■ .. هذه الحياة التى نريدها سهلة ميسرة كم هى معقدة ؟

والسعادة التى نحسبها انشودة علوية كم هى مبتورة النغم ؟

واولئك المترفون الذين نحسبهم سعداء هل يرفرف طائر السعادة باجنحته البيضاء على قصورهم ؟

هل ينعمون براحة البال ؟

هل حياتهم اهازيج واناشيد ؟

هل يشربون اكواب السعادة نقية غير مرنقة بالاكدار ؟

ساورتنى هذه الهواجس وانا فى طريقى لزيارة صديقى الدكتور عثمان وقضاء ساعة معه فى حديقة قصره ..

وصديقى رجل غريب الأطوار ، وافر الذكاء ، على جانب عظيم من الحساسية والشذوذ ، عرف البشر على حقيقتهم فاعتزلهم بعد أن عاش فترات طويلة فى صراع نفسي مع أصدقائه ، وفى أزمات محمومة مع خصومه ..

وقد أفاد من هذا الصراع دروسا ثمينة فى معرفة طباع البشر وخفايا نفوسهم فحارب على عدة جبهات .

انتصر وخذل .

آمن وكفر ..

ثم عاد الى عالم قد خلا من مكر الانسان وخبث البشر ، الى عالم يعج بفنون الجمال وألوان السحر ـ الى حديقته الزهرة التى نسقتها يد بارعة ، ورعاها احساس شاعر ، وذوق فنان ـ

وليس جمال حديقته بورودها وزنابقها وقرنفلها

ولا بفلها وياسمينها وشتى انواع زهورها ـ



زهور الغرب ذات الألوان البديعة ، وزهور الشرق ذات الأعراف الطيبة ..

لا ..

ولا بأشجارها وأثمارها وأحواض سمكها وأعشاش طيورها فحسب ، بل بهذا الحب الذى يضفيه عليها .

فهو يعيش في ظلالها كما يعيش الولهان بين ذراعي محبوبته ..

فلكل وردة عنده قصة ..

ولكل زنبقة تاريخ .

ولكل زهرة، مهما اختلف لونها وشكلها وعَرفها، مقام ..

وهو أبرع من يقص القصص عن تاريخ محبوباته اليانعات ، عن عبقها وألوانها ، عن غفوتها ويقظتها ، عن سكرها وعبثها ، عن غنجها ودلالها.

حين تتراقص على نسمات الهواء ..

وحين تستحم برذاذ الماء ..

وهو فخور حين يطرى هذه الزهرات العزيزات .. كالشاعر العاشق الذى ينفح حبيباته بأجمل القصائد وأروع المقطوعات ..

ومع أن الكرم من سجايا صديقى فهو ضنين بزهراته الباسمة على أى مخلوق يزوره ولو كان من أعز أصدقائه ومن أقرب المقربين اليه ..

وهو معذور ببخله ..

لأنه لا يريد أن يحرم هذه العرائس المزهوة حق الحياة ..

الزهرة عنده شيء مقدس .

مخلوق حي

تحس وتشعر .

تبتسم وتعبس .

تفرح وتتألم .

فلماذا يقسو عليها ويحرمها حق الحياة ؟

حسبها أن تعيش عمرها القصير الحالم الى أن تذبل وتعصف بها الرياح ..

■ ■ ■

وحين تقتضي اللباقة أن يقدم الى زائريه بعض زهرات حديقته يدنى مقصه ، خلال هذه اللحظات القصار ـ يدنيه بيد مرتجفة ، ولا يكاد يقدم حتى يحجم .

وبين الاقدام والاحجام ، وقبل ان يدنى مقصه ـ يحدثك احاديث عذبة طريفة عن تاريخ الزهور في العالم ، وعما قراه من أحدث الكتب ، وكانه يامل ان يتيح لها القدر حياة جديدة لبضع لحظات ..

بهذه العاطفة الحنون ينظر الى زهراته الأثيرات عليه ..

وحين يقدمها الى ضيوفه لا يقدمها للايدى العابثة تلهو بها لتدوسها الأقدام ..

لا ...

انه يقدمها وديعة مقدسة الى يد رخصة البنان ـ الى فتاة لعوب او سيدة طروب تعرف كيف تحيى موات الزهر وتستطيع أن تريق عليها من سحرها وفتنتها وظرفها وحبها رونق الحياة..

وقد تعيش هذه الزهرات عمرا جديدا وحياة جديدة فيطمئن قلب صديقي انه أودع زهرات حديقته وورودها صدور الحسناوات ..

ومن للزهر يرعاه غير الزهر ؟

ومن للورد يسهر عليه ويدلله ويعنى به غير الورد ؟

ويعيش صديقي كل يوم حياة جديدة مع زهوره اليقظة ووروده الحالمة ، فتقرا في الوانها وعبقها وزهورها وغنجها أجمل ما في الحياة من صور ، وابهى ما في الكون من أسرار والغاز ..

فحيثما التفت رأى السحر والفتون والطيوب والجمال ..

فماله قد خلا ، كما قلت ، من مكر الانسان وخبث البشر ..

وبالرغم من هذه الفتون يشعر في الاصبوحات والأمسيات بالم ممض وحسرة مريرة ..

فسعادته مرنقةوهناءته مشوبة بسحابة دكناء..

وأساله عن سبب هذا الألم الممض فلا يجيب..

وقد تنحدر من عينيه دمعة ..

فقد خلت حديقة صديقي من العصافير المغردة، من بلبل جميل يصدح وينتقل من فنن الى فنن ..

انه يعيش ورفيقة حياته في حسرة وألم مرير..

لقد شاءت الارادة الالهية أن تحرمهما من جنة الأولاد ..

فصدر ربة القصر يعتلج بالشوق والحنين الى ملك كريم تزدان به الحديقة التي كثيرا ما تتراءى لها صحراء قاحلة يابسة بل أكثر وحشة وأشد ظلاما !

اذ لا شيء يسعد المرأة ويدغدغ عاطفتها ويحد من نزواتها ويتوج كبرياءها الا حين تصبح أما لولد على شدة ما تعانيه من ألم ومضض منذ حمله في أحشائها الى آخر لحظة من لحظات حياتها .

■ ■ ■

حقا ان للحياة سرها المغلق والغازها . فهى تعطي وتأخذ .

تسعد وتشقى ..

وقد أعطت صديقي كل شيء ..

أعطته زوجة آية في الجمال ..

واعطته الصحة والمال والجاه والذكاء والالمعية والبذل ..

وامتلات حديقته بالورود والأزاهير ، وبالاشجار والثمار ، وبالاشعة والظلال ، وبالنسمات والسهرات ، وبمغاني الشوق والوجد ، حتى استحالت جنة من جنات الخلد ..

ثم .. ثم ماذا ؟

لقد حرمته نعمة البنين وحرمت زوجه أن تسمع صباح كل يوم الأنشودة الأزلية التي ينشدها قلب المرأة بحسرة ..

فهل هما سعيدان ؟

■ ■ ■

وهذه صورة ثانية أخرى من صور الحياة .. انا واصفها ..

صورة من ظواهر حياة انسان يعيش تحت كابوس الوهم ..

حياة تبدل اشراقها الى ظلمة ، وامنها الى خوف ، ودعتها الى اضطراب ، وطمأنينتها الى قلق ، ويقينها الى شك ..

كيف تم ذلك وما عوامل هذا التبدل ؟

كان صديقي بالأمس كاصفى ما يكون الانسان المتفائل ..

كان ينعم بفيض من المباهج ، ويغوص في بحر من اللذات ..

فهو ذو نعمة ويسر ..

وهو متحدث لبق ، وفيلسوف وجودي - الوجودية التى فسرت عند الشباب على غير مرماها - و « وجوديته » في الليل ، تتلاشى ازاء « جديته » خلال عمله في ساعات النهار ..

لكل فترة من فترات حياته لونها الخاص ، ولكل مرحلة طابعها المتميز ..

وبالرغم من وفرة مشاغله ، وثقل الاعباء التى يحمل اوزارها ما رايته قط الا متهلل الوجه وقد غمرت الابتسامة ثغره .. وكثيرا ما تنقلب الابتسامة الى ضحكة عريضة يسمع رنينها على بعد خطوات ..

ومع عذوبة حديثه يلقاك بافكار متزنة وآراء سديدة هي نتاج مطالعاته المستديمة لاكابر مفكرى الشرق والغرب ..

كانت الدنيا عنده انشودة عذبة.. ثم استحالت نغمة حزينة ..

واتساءل عن هذا التحول في نفسية صديقي فلا أجد له اى مبرر ..

لقد أخذ يشعر منذ بضع سنوات بالملل والضيق، وبالسأم والضجر ، وبالمقت والعزوف عن المجتمع والبشر ..

وكثيرا ما ثارت ثائرته على ما خطته يراعته فما يكاد يقرأ بضعة سطور حتى يشعر بالضيق فينهال عليها دعكا وتمزيقا ورميا في سلة المهملات ..

وقد يكون هذا الذى مزقه مقالة او دراسة لو نشرت لافاد منها الكثيرون ..

سألته مرة ، بعد أن قرأ لي قصة من امتع ما تكون القصص الوجدية - سألته لماذا لا ينشرها.

اجابني : وقد ذهل لسؤالي .. اى قصة تعني ؟..

قلت : القصة التى تصور أطيافا من حياتك ..

قال : لقد قذفت بمجموعتي القصصية الى النار ..

فذهلت ..

وسكت .. وسكت ..

أكان في أعماق ذاته صور وهواجس لم يستطع التعبير عنها وهو المفكر الاديب الذى ما عصاه القلم قط ..

لا ادرى ..

فمنذ سنوات وصديقي في وضع غير متزن ..

كل ما يريبني من أمره هذا التحول - من الانطلاق الى الضيق ، من اليقين الى الشك ، من الابتسامة الى الازورار ، من حب الحياة الى كرهها ، وقد أصبحت حياته متأرجحة بين مفازات ملتوية من الذهول والهواجس والظنون ..

ما سر ذلك ؟

ما بواعث هذا الذهول ؟

وفيم هواجسه وظنونه ؟

كان يأنس بصديقه كل الانس ..

وكان يفضي اليه باعمق اسراره . واطرف اخباره وحكاياته ..

وكثيرا ما كان يحدثه عن أغرب قصص حياته ، حتى اذا ما اقترب من نهايتها سكت وتلعثم .. ثم ينتقل الى موضوع تافه لا علاقه له بما كان يتحدث عنه ..

هذه الهواجس هى التى قادته الى آبار عميقة

من عالم الاوهام وهو الذى كان يحطم بروحه الباسمة ذلك العالم مهما احلولكت أيامه وتعقدت خيوطه وتكاثف دخانه ..

كانت آماله العراض تقوده الى بناء مجد يقوم على الثروة والجاه ، والى أبعد من الثروة والجاه ..

لقد رسم الكثير من الخطط ، وبنى الكثير من القصور ، وخطط الكثير من المشاريع ـ كل ذلك في دائرة واسعة لا أقول من الاخيلة والاوهام بل من الواقع الذى يريك الامل الباسم الذى يدنيك من آفاق السعادة ..

ثم .. ثم ماذا ؟

لقد عاد من حيث بدأ ..

عاد من منتصف الطريق ..

قادته فلسفته السوداء ان يحطم كل ما بناه من قصور بيضاء ..

لقد تراءت له العوبة من الالاعيب فاحب ان يهزأ بها قبل ان تهزأ به ..

فاشتط في اللعب .. واشتط في الهوس .. فما هي الا دورة سريعة من دورات هذا الشطط حتى انحسرت الاحلام المجنحة عن حقائق مرة ..

فما يكاد يفيق من غفوه لا يد له فيها حتى يشاهد انهيار آماله ، وتوقف دولاب أعماله ، فقاضت ابتسامته ، وخمد نشاطه ، وانزوى في بيته يضرب اخماسا باسداس ..

انه في عزلة ..

يرى اشراقة الصباح ظلمة داكنة ، والنغمة الرقصة عويلا وبكاء ، وابتسامة الصديق زمجرة عدو ، وعطف الاخ حقد الشامت ، وحنو الزوج مكر الحية الرقطاء ..

لقد انقلب كل شيء الى ضده ..

واتساءل مرة ثانية ومائة مرة عن سبب ضعفه وسر تحوله وتخاذله ، فلا أجد أى سبب معقول .

وحين ألقاه بعد انقطاع طويل أجد منه الرأى السديد . والحديث العذب ، والروح المنطلقة ، والوعى الصافي ، والنقد الصارم ، فلا أخوض معه في جدال حتى اراني ضعيفا أمام حججه وبراهينه .

واحار في عزلته ، واريده أن يعود الى سابق عهده فيفاجئني بالازورار والتخاذل .. والاصرار على العزلة والانكماش ..

أهناك امرأة غيرت وجهة نظره في الحياة ؟

لا أعلم ..

لقد أضحى فريسة الوهم ، ولا شيء الا الوهم الذى حطم أعصابه وسيطر على كل مواهبه فاطفأ جذوتها المشعة وأحالها رمادا قاتما ..

وأمثاله الذين يجعلون للوهم سيطرة على عقولهم كثيرون ..

فما أحراهم أن يفلسفوا الحياة بروح ضاحكة وأن يرددوا مع أبي ماضي ـ الشاعر المتفائل أنشودته العذبة الباسمة :

ليس أشقى ممن يرى العيش مرا
وبظن اللذاتِ فيه فضولا

أحكم الناس في الحياة أناسٌ
عللوها فأحسنوا التعليلا

فتمتعْ بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا

واذا ما أظل رأسك همٌّ
قصّر البحث فيه كيلا يطولا

أيهاذا الشاكي وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليلا

أيهاذا الشاكي وما بكِ داء
كن جميلا ترَ الوجودَ جميلا

ما أتينا الى الحياة لنشقى
فأريحوا أهلَ العقول ـ العقولا

كل من يجمع الهموم عليه
أخذته الهموم أخذا وبيلا

■■

حلب ـ سوريا ـ سامي الكيالي

أنباء الطب والعلم والاختراع

لمنع الحمل
قرص واحد
وعند الحاجة فقط

● ابتدعته الشركة السويدية فيروسان Ferosan Company بالاشتراك مع علماء جامعة ابسالا بالسويد .

ومادته مشتقة من المركب الكيماوى الذى اسمه Diphenylethylene

وقد جربوه الى اليوم فى الحيوانات وفى النساء ، فدلت التجربة على نجاحه، وانه خير من اقراص الحمل التى تتعاطاها المراة كل يوم من ٢٣ يوما فى الشهر الواحد . ذلك ان هذا القرص الجديد تتعاطاه المراة فقط عندما تغيب عنها العادة الشهرية ويمضي شهر بعد الموعد الذى كان يرجى فيه مجيئها فيه

عندئذ تتعاطى المراة هذا القرص . وهو يعمل على الفور بان يتركز في الجزء الصغير من مبيض المراة المعروف بالجسم الاصفر Corpus Luteum ، وهو الغدة التى تفرز المادة المعروفة باسم Progesterone تلك المادة التى تعمل على استمرار الحمل وتمنع العادة الشهرية ان تكون. وتركز مادة القرص هذا الجديد في هذه الغدة يبطل عملها هذا ، واذن تعود العادة الشهرية الى المراة ، وهى بذلك تكسح فى طريقها البويضة وما تكون قد تحولت اليه .

ولانحسب ان احدا يسمى هذا اسقاطا. ان الحمل قد بدأ ، ولكنه لم يكد .

اما المادة التى بالقرص فرمزوا لها بالرقم F 6103

وقد ذكرنا انها جربت في نساء . وكان هؤلاء ممن اعطاهم الطب رخصة تجيز اسقاط الحمل لاضراره بصحتهم . ودلت التجربة على ان القرص لا شك ناجح في وقف الحمل اذا هو اعطى في خلال شهر من بدء الحمل .

ومنافع اخرى للرجال

وغير ذلك فقد اشتقوا من المركب الكيماوى المذكور Diphelylethylene ، مشتقا اذا تعاطته المراة العاقر انجبت من بعد عقم .

وللرجال : دلت الفحوص الاولية على ان هذا المركب قد يكون لمشتقاته اثر في البروستاتة تمنع تضخمها ، ذلك التضخم الذى يحبس البول في مثانة الاشياخ من الرجال .

نقل قلوب صحيحة
مكان قلوب مريضة

القصة الاولى
كيف وقعت
وكيف انتهت

● اما المكان فكان جنوب افريقيا .
واما الدكتور فكان الدكتور كرستيان بارنارد Christian Barnard
واما المريض فكان وشكنسكي Washkansky ، رجل كهل ، مريض القلب . واما المتوفاة التى استعير قلبها عقب وفاتها ، وحل محل القلب المريض فى صدر الرجل الكهل ، فكانت الفتاة دنيس دافال Denise Daval .

وذكرت الصحف الحادث مفصلا .

وكان اول حادث من نوعه .

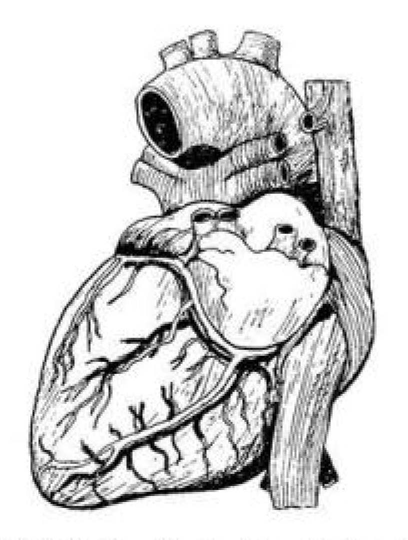
وانتظر العالم كله نتيجة هذه التجربة الفريدة فى تاريخ البشر . وتابع الناس النشرات الطبية عن الرجل الذى استعار قلب الفتاة ، وكانت تصدر كل يوم . كان فى صحة طيبة . واكل وابتسم وتحدث . ودق قلبه خيرا مما كان فعله قلبه القديم . وتحسنت دورته الدموية من اجل ذلك . ومن اجل ذلك ايضا ذهب الورم الذى كان برجله وبكبده . كل شىء كان يبشر بالخير .

ولكن ، بعد ثمانية عشر يوما مات الرجل .

لم يمت بسبب قلبه ، وقد كان هذا المنتظر . انه مات بسبب ذات الرئة . سيطر مكروبها على الرئة فافسد الامر على المريض ، وعلى الجراح ، وعلى الآمال العظيمة التى شاعت فى الدنيا اجمع .

رفض الاجسام لكل عضو بديل

ان كل جسم يرفض كل شىء غريب يدخله ، مهما كان هذا الشىء . ومن هذه المكروبات . وللجسم دفاع يدفع



به ضد المكروبات وغيرها . فاما ان يقتلها واما ان تقتله . والقلب المستعار عضو على الجسم غريب ، فهو يرفضه . وتتكاثر عليه وسائل دفاع الجسم ، ومنها خلايا حية كالجند الحارسة ، ومنها اجسام يصنعها الجسم على الفور اصطناعا . الا ان يكون العضو المستعار قد استعير من توام لتوام .

والخطر فى الجراحة التى ذكرناها ، الذى كان متوقعا ، هو هذا الرفض . ولكن الاطباء استطاعوا ان يهدئوا من شراسة الدفاع ، دفاع الجسم ، ضد الاشياء الغريبة ، وذلك بالكيماويات يعطون منها للمريض جرعات ، او هى جرعات من اشعاعات ، او غير هذين .

وهكذا هم فعلوا بالمريض وشكنسكي .

ولهذا لم يرفض جسمه القلب الجديد . عاش به ، وهنىء به .

الموت يدخل من باب آخر

ولكن الاطباء بتهدئتهم شراسة الدفاع بالجسم ، هدأوها فوق ما يجب . لهذا دخلت الى المريض ، عن طريق التنفس، مكروبات اصابت رئتيه بالمرض الخطير المعروف ، ذات الرئة .

سدوا على الموت بابا ، فدار ففتح بابا آخر .

الحل

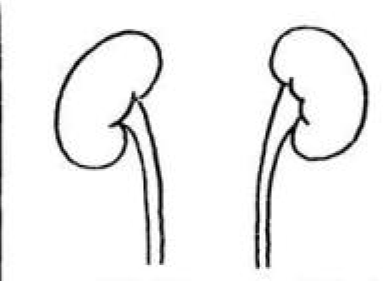
والحل الذى يصفونه بعد الذى حدث ، اما تعديل الجرعة من الكيماويات وغيرها بحيث تهدىء من شراسة الدفاع فتأذن للقلب ان يبقى ، وبحيث لا تأذن للمكروب الداخل ان يسيطر . موازنة غاية فى الصعوبة .

زرع الكلى

توجد مجلة اسمها Transplan-tation ، ومعناها الزرع بالنقل .

والزرع هنا معناه زرع القلوب والاكباد والكلى وغير ذلك .

وقد أوردت احصاء دل على انه قد



تم في العالم زرع ١٢٠٠ كلية . ومن هؤلاء ٥٥ في المائة عاشوا عاما او اكثر من عام اذا كان المعطِى والمعطَى اياه بينهما قربى .

وقد زادت هذه النسبة بين مثل هؤلاء ، اى ذوى القربى الى ٦٥٪ ؛ وذلك في الجراحات التى اجريت منذ اول يناير ١٩٦٥ الى اليوم .

ومعنى هذا ان هذه الجراحات فى تقدم .

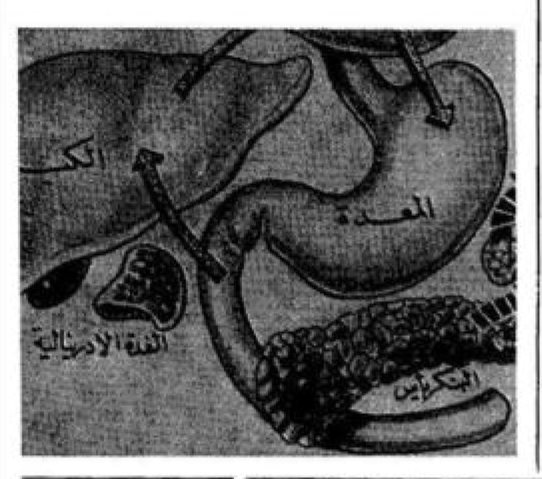
زرع اكباد صحيحة مكان اخرى مريضة هي الاخرى في الطريق

بل انه زرع قائم ، غطى على اخباره ما شاع من امر زرع القلوب .

فلقد تم زرعها في خمس بنات صغار ؛ مات منهن الى اليوم اثنتان ، بسبب ما ذكرنا من رفض الجسم للكبد الغريبة .

انه يرفضها رفضه للقلب الغريب ، ويستعان على ذلك بنفس الوسائل التى يستعان بها على زرع القلوب والابقاء عليها من بعد زرع .

اما الطفلة الاخيرة التى ماتت ، فكان عمرها فوق السنتين . كان اسمها بولا هنسن Paula Hansen وجاء بها والداها فى الاول من اغسطس الى ولاية تكساس بالولايات المتحدة ، وبالذات الى Fort Worth لاستبدال كبدها المريضة بكبد صحيحة . وتم النقل . ولكن قام



جسمها يرفضها ، ونجح فى الرفض ، وماتت الطفلة .

وسبقتها الى الموت الطفلة كارول ماك كورت ، من Saltlake City بالولايات وماتت وسنها ١٦ شهرا .

ومن البنات الثلاث الاحياء ، جولى ردريجز Julie Rodrigues ، هي التى صمدت للزرع أطول مدة ، ذلك أن كبدها الجديدة ، زرعت فيها فى ٢٣ من يولية الماضي وهى حية الى اليوم .

وغير هذه الطفلات سبق نقل اكباد فى رجال كبار ، فى امريكا ، وفى انجلترا ، وفى فرنسا ، والنتيجة واحدة .

انهم ، كما فى نقل القلب ، يهبطون بقوة دفاع الجسم بمواد مثل Imuran و Prednisone ، هذا غير امصال يستخرجونها من حيوانات حصنوها ضد الخلايا اللمفاوية التى بالانسان ، تلك التى تقوم وراء الحصانة والدفاع ورفض كل غريب يدخل الى جسم الانسان .

والحق ان الكبد ليست من الاعضاء السهل استبدالها . يجب ان لا ننسى ان الكبد عضو غاية فى التعقد والتركب . انه يزن نحوا من ثلاثة ارطال ونصفا ، فهو اكبر الاعضاء جميعا . وهو يفرز الصفراء للهضم ،ويحطم البروتين لتخرج منه أجسام ابسط ، وهو يخزن السكر والدهن ، ويحمل ميزان اشياء عدة تجرى فى الدم ، ويصفي الدم مما قد يدخله من غريب المواد .

ومن الطريف ان يذكر ان هناك حالات ، لم تستبدل بها الكبد بكبد ، وانما اضيف الى الكبد المريضة ، كبد اخرى تعينها ، ويظل الاثنان فى بطن الرجل يعملان !

قطع غيار لجسم الانسان

● في غمرة زرع الكلى والقلوب وغيرها في اجسام المرضى ، نسي الناس ان الطب سبق بأن صنع قطع غيار من معدن تحل محل العظام ، لا سيما محل المفاصل في الركب ، أو في الورك ، او حتى في الاصابع .

ولقد عاد النشاط الى هذه البحوث حين تبين بعد التجارب ، ومضي الوقت على وضع قطع الغيار في الاجسام ، ما يطرأ على المعدن من تغيير . ظهر ان هذه الاجزاء المعدنية يصيبها التآكل والبرى بسبب احتكاك أجزائها ، او الضغط الزائد الواقع عليها ، او الفعل الكيماوى لسوائل الجسم بها .

واصبح هذا الامر خطيرا لما انتقلت استعارة قطع الغيار الى الصبية الصغار ، وهم طويلو الاعمار . واصبح من الواجب البحث في اى المعادن اطول عمرا واصمد للحركة والحياة .

وقد وجدوا أن الفولاذ الذى لا يصدأ ، وله شهرة ظاهرة بأنه لا يصدأ ، هو أسوأ المعادن التى يجربونها اليوم لصناعة قطع الغيار الثلاث . اما المعدنان الآخران ، فأولهما اشابة من معادن ثلاثة هي : الكوبلت والكروم والموليدين ، ثم معدن التيتان Titanium .



مفصل الورك وكثيرا ما اصلحوا خلله بمفصل من معدن

علم النفس ، لم يقل فرويد آخر كلمة فيه

علم النفس ليس من العلوم الثابتة الاساس ، كالطبيعة والكيمياء ، وكعلم الفلك . ان اكثره نظريات يحاول بها العلماء تفسير مشاهدات في النفس كثيرة .

والعلم الطبيعي فيه الوزن اساس ، وفيه القياس . وليس في علم النفس وزن ولا قياس ، الا ان يكون علم نفس تجريبي يستخدم فيه الاجهزة ، ويستخدم المتر والجرام ، وغيرها من معايير المقادير .

وعلم النفس الشائع اليوم هو العلم الذي جاء به فرويد . وهو علم ، ما كاد يستقر ، حتى ظهر له مخالفون انداد ، مثل ينج Jung وادلر Adler وغيرهما . وبدأ هذه الايام يظهر علماء آخرون بدأوا يناقشون حتى الاسس التي بنى عليها فرويد Freud نظرياته .

من ذلك نظرية الشخصية ، وكيف تتكون في الرجل .

ان فرويد رد تكوّنها الى الطفولة . فعنده ان الطفل يمر بمراحل ثلاث ، مرحلة الفم ، ومرحلة الاست ، ومرحلة اعضاء التناسل ، وبناء على هذه المراحل وعلى غيرها تتحدد الشخصية وتتجمد . وكل شيء في شخصية الكبار يرد دائما الى حال الطفولة . الطفولة هي عنده المستودع الاكبر الذي منه يتنشأ كل شيء .

وعند الدكتور دانيل فريدمان Daniel Freedman في كتابة Perspectives in Human Evolution او « نظرات في التطور » ، ان التطور ، وما ورثه الطفل من جنسه البشري ، له الاثر الاكبر في تكوين شخصيته . ان الطفل يولد ، وهو يحاول ان يربط ما بينه وبين الناس وسائر الخلائق بمثل البكاء والقرقرة والابتسام ، والتوجه بوجهه الى الوجوه يتعرفها . هي كلها ميول موروثة فيه ، وليس كما زعم فرويد انه انما يرتبط بمن حوله بملامس الشهوة منه عن طريق مراكزها الحساسة فيه .

وعند الدكتور فريدمان ان روابط الطفل في الطفولة الاولى لا تكون الشخصية ، فالشخصية موجودة معه من يوم ولد . انه كالزهرة لا تحتاج لتنمو الى غير الشمس والماء . وللطفل الامومة الكافية .

وعند الدكتور فريدمان ، وعند علماء النفس التطوّريين Evolutionists ان الانسان شخص وشخصيته توجد فيه من يوم كان ، انها شخصية متطورة ، ولكنها في نفس الوقت كائنة . مصنوعة صانعة .

ويرفض الدكتور فريدمان عقدة اوديب ، تلك ميل الطفل الذكر الى امه اكثر من ميله الى ابيه . ان فرويد يردها الى الجنس ، ويبدأ ظهورها ويظهر اثرها في سن الرابعة او الخامسة . ويقول الدكتور فريدمان انها في هذه السن ترد الى الدافع الذي يظهر في الحيوانات فيحمل الذكورَ منهم على طلب الغلبة والصراع مع نفس الجنس الذكر ضمانا لحيازة الجنس الآخر كما يظهر في الوعل وغيره من حيوانات البر والمستأنسة . انه فعل الغيرة والمنافسة بين المخلوقات . وهو شيء في الطبع موروث لا يحمد ولا يذم ، وليس من حسن الخلائق ولا قبحها في شيء .

بَيْنَ يَدَيِ اللّٰه

للشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجي

أحبُكَ لو صحَّ أن الهـــوى · ترجمه أحرفٌ أو معـــانْ
احبك للحبْ، لو أعربـــتْ · عن الحب قافيةٌ أو بيـــانْ
أخال الهوى فوق ما في اللُّغَـى · أو ان اللغى دون ما في الجَنَـانْ
أحبك رباه فوق الهـــوى · أيا من به كنتُ والحبُّ كـانْ
وسَبَّحتُ باسمك يا خالقـــي · وأبصرتُ وجهك آنا فـآنْ
ولحتَ لعيني في كل حســن · فلله عيناي ما تَجلـــوانْ
جمالك يارب عمَّ الوجـــود · فليس لقبح بـه من مكـــانْ
أحس به في فؤادي هــوى · يعـم الورى بين قـاصٍ ودانْ
أحبُّ بك الخلق يا خالقـــي · وحُوشا وطيرا وإنسًا وجـــانْ
أحبُّ بك الكون يا فاطــري · سماءً وأرضا وما تَحويـــانْ
عرفتُ بك الحب أنت الهـوى · وفيك القصيد ومنك البيـــانْ
تباركت أنت بقلبي المـــنى · وبالرُّوح أنت الهدى والأمـــانْ
عشقتك يارب عشق الذليـــل · لمولى جليـلٍ عزيـز المكـــانْ
وكم عند بابك طال الوقـوف · وطاب لديك الهـوى والهـوانْ
وأنت جميل تحبُّ الجمـــال · فأنى تجلَّيتَ كان افتتـــانْ
فوجهك قبلتنا في الصـــلاة · وذكرك تسبيحنا كـــل آنْ

■ ■ ■

إلهيَ كيف شغلت الفـــؤاد · وكيف امتلكت عليَّ الكيـــانْ
وكيف تلاشت رُؤَى عالـَمي · فما من زمان ولا من مكـــانْ



جمالُك يارب قد حفَّ بـي   تباركتَ يا واحدا دون ثـان

أراك أمامي وخلفي وعـن   شمالي ويُمناي رؤيا عيـان

تكشفُ لي عن سَناك النِّقـاب   فتجلى معان وتخفى معـان

وأعنو لوجهك أشتفُّـه   فيعشى للألائه الناظـران

سُقيت بحبك يا خالقـي   من الشعر كأسا بها نَشْوتـان

فصرت من الأرض في جنـة   غذاها الهوى ورواها الحنـان

وفيها من الحسن رَوْح وراحٌ   ومن كرمة الحب كأس وحـان

تَشفّ لنا ملءَ أثوابهـا   عن الحور في الغانيات الحسـان

وحوّاء تلقى بها آدمـا   تخطّى المدى وتحدّى الزمـان

كطيف رقيق وئيد الخطى   تسرّب في خفة الأفعوان

أحـواءُ ما أنـت من آدمٍ   ولا آدمٌ بعض هذا الكيـان

فما أنت الا إبتسام الوجـود   وسرُّ الخلود بصدر الزمـان

تباركت ، صُنعَ قدير صَنّاع   برانا فكنتِ وكنّا وكـان ..

أحبك .. لو صح أن الهـوى   ترجمه أحرف أو معـان

أحبك .. للحب لو أعربـت   عن الحب قافية أو بيـان

أخال الهوى فوق ماني اللُّغى   أو ان اللغى دون ما في الجنـان

أحبك رباه فوق الهـوى   أيا من به كنتُ والحبُّ كـان ■■

عاتكة الخزرجي



أحد الأحاسيس الخمس

اعرف جسمك
أقرب الأشياء إليك
وأخفاها عليك

■ اذا سألت احدا ، ما الحواس ، وكم عددها ؟ اجابك على الفور انها خمسة ، وانها البصر والسمع والشم الذوق واللمس .

وكلمتنا اليوم فى اللمس .

وان يكن لكل حاسة عضو يختص بها ، فالعين للبصر ، والاذن للسمع ، وهلم جرا ، فجلد الانسان هو جهاز اللمس .

وانت تلمس الشيء فتدرك وجوده ، ولو كنت مغمض العينين ، فهذا ابسط ادراك ينتقل الى علمك من لمسك الاشياء .

ولكنك تلمس الشيء فتدرك انه خشن او ناعم .

وتلمس الشيء فتدرك انه حار ، وقد تدرك انه بارد .

وتلمس الشيء فيؤلمك ، كأن تلمس سن ابرة او شعر فرشة خشناً .

اللمس اذن له اكثر من حس يكشف عنه . انه يجمع عدة من احاسيس .

وفي العلم ، ان كل احساس من هذه الاحاسيس له فى الجلد جهاز* من الاعصاب خاص به .

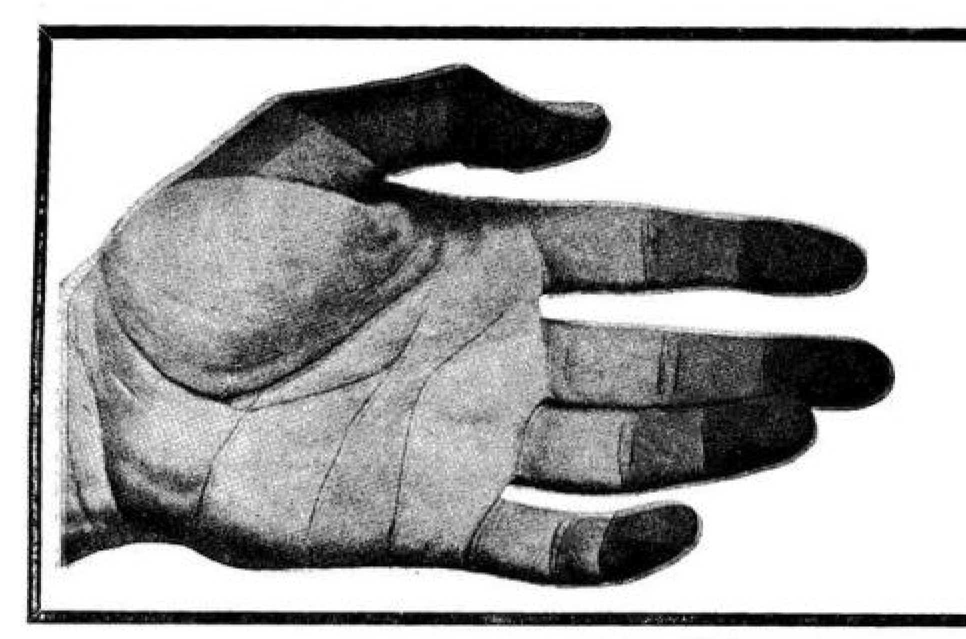
اللمس البسيط

وبذلك نعني اللمس الذى به ندرك وجود الاشياء فحسب .

فهذا الاحساس انما ينشأ عن ضغط . ضغط الجسم الملموس على الجلد . وهو ينشأ من ضغط الجلد ، ضغط يدك ، على الشيء . فهذا الضغط تحس به فى الجلد مستقبلات عصبية* تتقبله وترسل به الى المخ ، فيتفهمه ويقدّره . وهذا الضغط المحسوس لا يتعدى ١٠ جرامات ، فان هو زاد على ذلك استقبلته مستقبلات عصبية اعمق فى الجلد . ولكل هذه اسماء يدعو التبسيط الى اغفالها .

وهذه المستقبلات توجد فى نهايات اطراف الاعصاب المنتشرة فى سطح الجلد كله ، وهي تقدر بنحو ٥٠٠٠٠ مستقبل

Cutaneous Pressure Receptors.



هذه صورة الكف . فيها ترى اطـراف الاصابع اشد لونا ، وذلك لانها احس . ويقل الاحساس بالسير من هذه الاطراف ، الى سائر الاصابع ، فالى راحة الكف ، ويدل على ذلك خفة اللون . وحكمة الخلق قضت بان تكون اليد اكثر حظا من احساس ، فباليد نلمس ، وباليد نحمل ونتناول الاشياء . وباليد نعمل ونصنع . فدقة الحس فيها ضرورية .
وكذا الحس فى الشفتين ، مدخل الطعام . وكذا الحس فى اللسان . حس اللمس اريد هنا لا حس المذاق ، فلحس المذاق حديث آخر .

• • •

احساس الجلد فى الجسم ليس كله درجة واحـدة

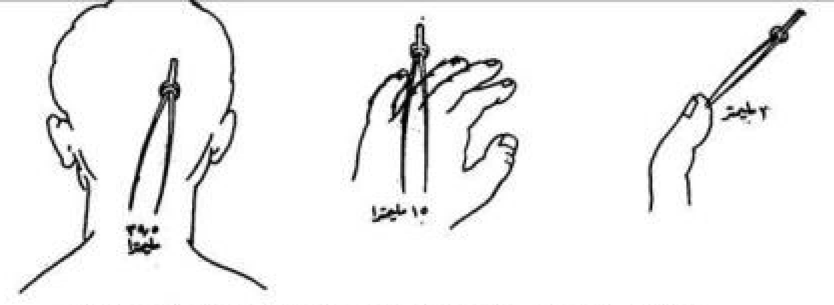
وانت اذا مسك شيء عرفت موضعه منك ، ولو كنت مغمض العينين .

ولكن تختلف الدقة فى تعيين هـذا الموضع باختلاف موضع اللمس . فاطراف اصابع اليد ، وكذا الشفتان ، احس فى ذلك من الفخذ او الظهر .

وتجربة البرجل تكشف ذلـك . ولاجرائها نتخذ برجلا ساقاه ينتهيان بطرفين حادين . وبهما نمس الجلد فى نواح من الجسم مختلفة ، وعلى زوايا تكون بين الساقين مختلفة . فيحس صاحب الجسم عند المس بنقطتين اثنتين . ولكن كلما تقارب طرفا البرجل الحادان صعب الاحساس بالنقطتين ، فاحس بهما الجلد نقطة واحدة . فالبعد الاصغر بين الطرفين ، الذى عنده تحس منطقة من الجلد بمس سنين اثنين مختلفين ، هذا البعد يعبر عن مقدار حس هذه المنطقة من الجلد فى جسم الانسان (انظر الشكل فى الصفحة القادمة) .

وطرف الاصبع يحس السنين الحادين والبعد بينهما مليمتران فما فوقهما . ووقف حس ظاهر اليد عند ٥ مليمترات . ووقف حس القفا عند ٣٥ر٥ مليمتر .

فاطراف الاصابع احس من ظهر اليد . وظهر اليد احس من ظهر الرقبة .



تجربة البرجل كما هي مشروحة في النص : وقد وقف احساس الاصبع بسني البرجل كليهما عندما كان البعد بينهما مليمترين . ووقف احساس ظاهر اليد عند ١٥ مليمترا . ووقف احساس القفا عند ٢٥٫٥ مليمتر .

الاحساس بالحرارة والبرودة

بل لقد وجب ان نقول الاحساس بالحرارة ، ثم نقول الاحساس بالبرودة ، ذلك ان لكل منهما مستقبلات عصبية في الجلد مختلفة . ولقد وجد الباحثون ان في الجلد مساحات حساسة للدفء ، واخرى غير هذه تحس البرد وحده .

كذلك يزيد عدد مستقبلات البرد عن مستقبلات الحرارة . فالساعد به من مستقبلات البرد من ١٣ الى ١٥ مستقبلا ومن مستقبلات الحرارة مستقبلان اثنان او واحد فقط ، وذلك في المليمتر المربع . وفي الوجه ، وهو مكشوف دائما للبرد ، به قليل من مستقبلات البرد . وغشاء الحلق ، وهو من جلد ، ليس فيه من مستقبلات الحرارة شيء ، وذلك تمهيدا لان يشرب الانسان عن طريقه الحار الذي لا يألف مثل حرارته الجلد الخارجي .

الاحساس بالالم

هو كالاحساس بالبرد ، وكالاحساس بالحرارة ، له مستقبلات به خاصة ، هي أطراف اعصاب تنتهي في الجلد . وانت تستطيع ان تدور على الجسم تشكه بابرة وتدرك الاحساس بالالم اين هو ، وكيف يتوزع على ظاهر الجسم . وقد وجدوا ان المواضع التي تحس بالابرة ليست هي دائما نفس المواضع التي هي مراكز الاحساس بالمس (الضغط) ، او البرد ، او الحرارة .

ويوجد في المتوسط اكثر من مائة نقطة تثير الاحساس بالالم ، في كل ملميتر مربع من سطح الجلد . وهذه المستقبلات للالم يزيد عددها عن سائر المستقبلات الاخرى للاحاسيس الاخرى . وعددها في الجلد كله كبير قد يبلغ ٣٠٠٠٠٠ او ٤٠٠٠٠٠ .

وبالطبع ليس الجلد وحده هو موضع الاحساس بالالم ، فالالم قد يأتي من الاحشاء كالمغص ونحوه .

ولكن الالم في الجلد حارس الجسم ، فهو اشبه بالصراخ عند الخطر الداخل اليه .

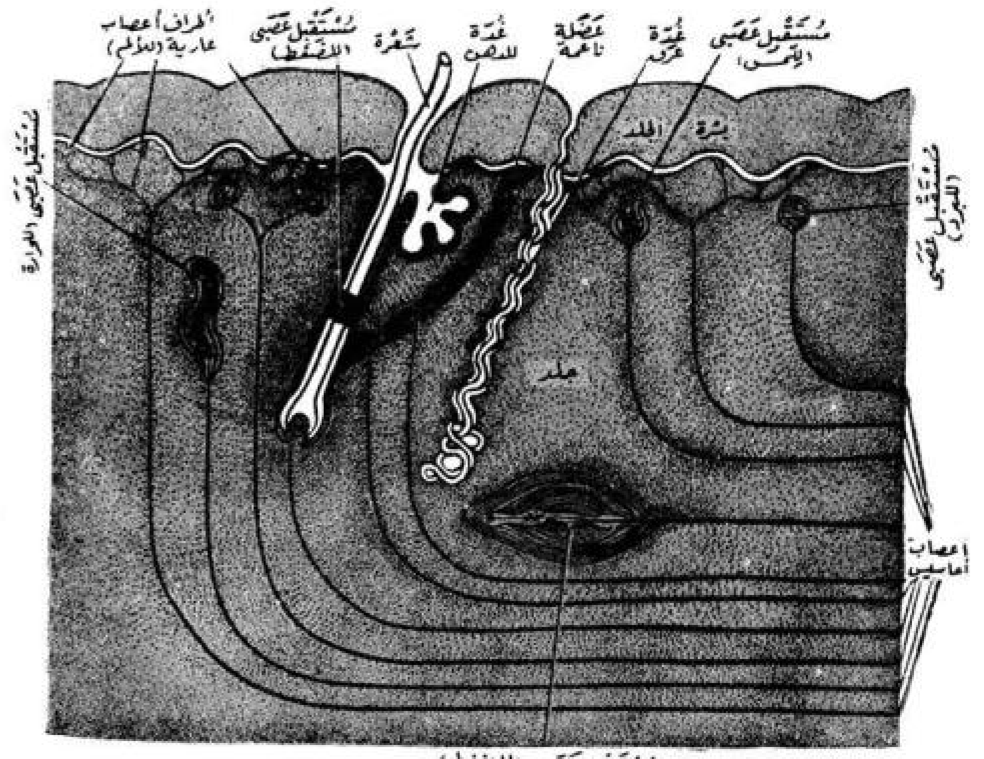
للاحاسيس المختلفة ، الناشئة في اللمس ، مستقبلات عصبية مختلفة

هذا ظاهر مما قلنا .

وهو ظاهر من الكشف عنها . وهي مستقبلات في الطب مسماة . وهي موصوفة ، وهي مرسومة .

وامراض وظواهر طبية دلت عليها .

فمن ذلك مرض يصيب الناس احيانا Springomyelia يحتفظ فيه المريض بحس اللمس (الناشيء عن الضغط) ولكنه يفقد المريض الحس بالحرارة والالم . وقد تشتعل فيه النار وهو لا يدري .



مقطع رأسي في الجلد ، يظهر فيه الجلد الاصيل Dermis ، ومن فوقه البشرة Epidermis . وفيها مستقبلات الاحساس بالضغط ، وبالحرارة ، وبالبرودة ، وبالالم

ومثل آخر : عندما ينام عضو من الجسم ، او كما يعبر عن ذلك فنقول يتمّل ، يفقد هذا العضو الاحساس باللمس ، وبالبرد ، ولكن يبقى له الاحساس بالحرارة .

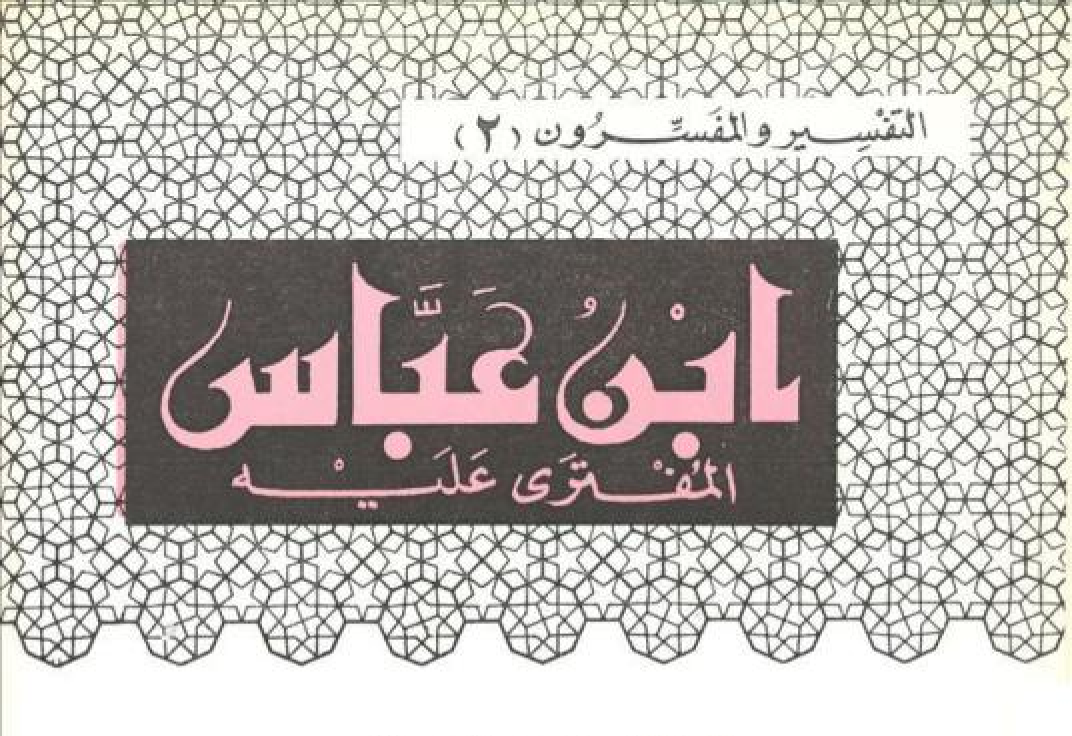
اللمس خليط من احاسيس

من البداهة اذن أن اللمس حاسة تتضمن أحاسيس .

فانت تلمس شيئا فتعلم بوجوده . يعلمك ذلك الضغط عليه او ضغطه هو على يدك . وتعلم من ذلك ان كان خشنا او ناعما ، وذلك بتحريك الجلد عليه ، وهي ظاهرة ضغط كذلك ، فالناعم لا يعوق حركة . وتعلم ان كان حاراً . وتعلم ان كان باردا . وان كان حارا آلمك . كل هذا تعرفه معا ، وتعرفه فورا .

وقد تلمس شيئا في الظلام ، ومع ذلك تدركه من كل تلك الاحاسيس السابقة ، فرادى او وهي ممزوجة مزجاء مزجا يرتدُ عند تحليله الى تلك الاحاسيس الاربعة التي ذكرناها .

يضاف اليها احساس آخر لا يتصل بالجلد ، كما يتصل بالعضل ، يدرك المرء منه موضع الاصابع ، بعضها من بعض . وموضعها من الجسم ، وموضع اعضاء الجسم جميعا ، من الفضاء . واذن فهو مدرك المسافات ، فالاحجام ، احجام الاشياء . ●●



بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر
رئيس تحرير مجلة (الوعي الاسلامي) ـ الكويت

■ ما دمنا سنتكلم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتغالهم بالتفسير، فلا بد لنا من العودة لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما . فهو يتصدّر الصحابة جميعا فى تفسير القرآن ، حتى الخلفاء الراشدين منهم .

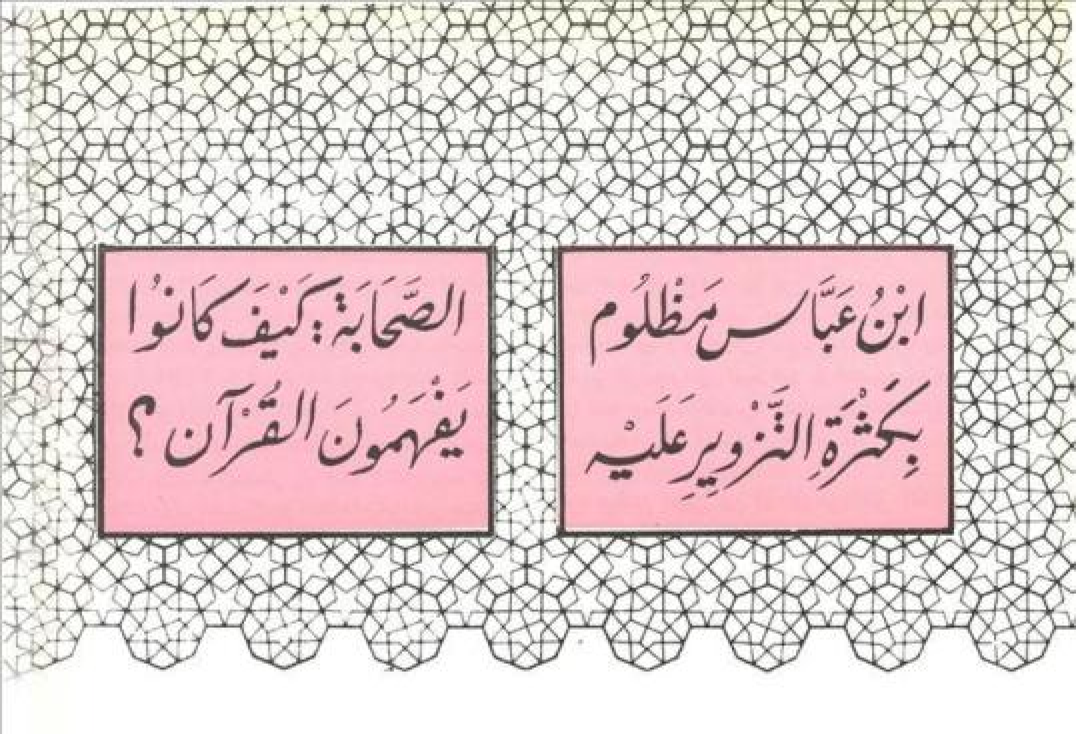
وكتب التفسير مليئة بالرواية عنه .. وقد أطلق عليه « ترجمان القرآن » .

ولقد أنهينا حديثنا الماضي بما رُوِيَ عن الامام الشافعي رضي الله عنه من أنه : « لم يَثْبُت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه" بمائة حديث » (الاتقان جـ ٢ ص ١٨٩) .

ومعنى هذا ـ لو صحّ ـ واضح فى أن ما رُوى عن ابن عباس في تفسير القرآن ـ وهو ما لا يحصى كثرة ـ لم يكن عمدته فيه كله النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى يأخذ حكم الحديث الصحيح عندنا ، فنتقيد به تقيّدنا بالحديث ، بل هو رأى يراه باجتهاد منه في فهم القرآن .. هذا فيما لو صح نقل هذه الآراء عنه .

ومع أن ابن عباس كان في الثالثة عشرة من عمره حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمر لا يسمح بالاستزادة من رسول الله ، ولا يهيىء لمثل المركز العلمي الذى وصل اليه ابن عباس ، الا أن صاحبنا كان له من الفطنة والذكاء، وطهارة المنبت ، ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : (اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل) ، ومن حرصه الشديد على تعويض ما فاته مباشرة عن رسول الله بالتلقى عن أصحابه ، ومن تكريس وقته كله لذلك ، حتى توفي وهو في سن السبعين ، أقول كان له من كل ذلك ما جعله يحتل منزلته العلمية في وقت مبكر ، ويأخذ ـ لذلك ـ من اجلال كبار الصحابة ، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ، ما لم يقاربه فيه أمثاله وقرناؤه .

وقد رُوِيَت روايات كثيرة في فضل ابن عباس العلمي وتبحره فى علوم الدين واللغة ... ولكننا ـ مع اعتقادنا بمكانة ابن عباس ، نكاد



تشك في الكثير مما رُوِيَ في هذا الباب ، شككنا او شك الاقدمين في الكثير ايضا مما رُوِيَ عنه في التفسير نفسه .. فابن عباس كانت له شهرته العلمية منذ فجر شبابه في عهد الخلفاء الراشدين ، حتى توفي سنة ٦٨هـ . وقد ظل مَعْنِيّا بالعلم ، لم يشغله عنه شاغل الا مدة يسيرة ، تولى فيها ولاية البصرة في ايام الامام علي رضي الله عنهما.. وكان دءوبا على الاستفسار من كبار الصحابة عن احاديث الرسول .. يذهب اليهم وياخذ عنهم ، وطال عمره وامتد ، حين شُغِلَ الناس بامورهم ، ودخل في الاسلام الكثيرون ، فكانت له مدرسته وتلاميذه الكثيرون الذين يلتفون حوله ، وياخذون منه .

هذا كله امر ظاهر ، لكنا مع هذا لا نستبعد أن يكون ذلك قد اضيف اليه الكثير فيما بعد ولاسيما في عهد الدولة العباسية ، وخلفاؤها منسوبون اليه والى والده العباس ..ويرضيهم او يَسُرّهم كل من يتقدم بزيادة فخر وعلم لابن عباس تقربا وتزلفا ... والساعون لذلك كثيرون . ومن هذا وذاك تكونت الهالة الكبرى حول اسمه .

الوضّاعون .. وأحاديث الرسول

وهناك امر آخر نعتقد انه كان من أسباب الزيادات على ابن عباس .

فابن عباس مشهور بالعلم ، وله نسبه ومكانته، والوضّاعون لم يتورعوا عن الوضع على رسول الله ، ليؤيدوا وجهة نظرهم ، برغم انذار الرسول صلى الله عليه وسلم للكذابين ، الذين ينسبون اليه ما لم يقله : (من كذَب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار) ..

اقول اذا كان هناك من تجرأ ونسب الى الرسول ما لم يقله – برغم هذا الانذار – فان الامر يكون سهلا في ذلك بالنسبة للوضع على ابن عباس ، ونسبة كلام اليه لم يقله .. وهي – أعني النسبة لابن عباس – تكسِب الكلام على أية حال قوة لا يكتسبها من مجرد نسبة الكلام أو الرأى لقائله .

ومن هذا وذاك كثرت نسبة الروايات لابن عباس حتى وجدنا العلماء الناقدين يقفون امام هذه الكثرة ، ويزنونها بالموازين التى وزنوا بها أحاديث الرسول – أعني من جهة الرجال الذين رووا كلامه ، ومبلغهم من الثقة – فيزيّفون الكثير ،

ويضعّفون الكثير ، ويخرجون لنا بالطريقة أو ببعض الطرق التى يمكن أن نثق بها على تفاوت في هذه الثقة .

ولا شك أن اهتمام الناقدين من العلماء بنقد الرجال الذين يروون عن ابن عباس دليل على اهتمامهم ، أو ان شئت فقل : اهتمام جمهرة طلاب العلم والعلماء، بما يروى عنه ، واحتجاجهم به ، فكان لا بد من غربلته ، حتى يتبين الصحيح السليم من غيره ..

ولعل مظهر هذا الاهتمام يبدو لنا واضحا جليا في كتب التفسير .. فاننا لا نكاد نجد آية الا وقد روى المفسرون في معناها رأيا لابن عباس ، وقد يذكر له رأيان متعارضان في الآية مما يقطع بعدم صحة الروايتين أو احداهما على الاقل . ومع ذلك تروى الروايتان !!

ابن عباس والاسرائيليات

ولقد أخِذَ على ابن عباس كثير من الروايات الغريبة ، التى تدل على أن مصدرها ليس هو القرآن ، ولا الحديث، ولكن من الكتب والمعلومات الاسرائيلية ، مما يقطع – ان صحت نسبة هذه الروايات اليه – بانه كان يستفيد ممن أسلم من أهل الكتاب ، مثل : عبد الله بن سلام وكعب الأحبار في موضوعات من القرآن ، لا تتعلق بعقيدة ، أو تكليف آخر من التكاليف ، فان هذين لا يصح أن يلتجأ فيهما الى غير ما ورد في القرآن ، ولا يُعقَل أن ابن عباس كان يروى عنهم في هذا ، لكنه كان يروى فيما يُشبِع فضول الناس في القصص التى جاءت في القرآن الكريم ، مما طواه وسكت عنه ، وكان مسلمو أهل الكتاب يتحدثون بما يُشبِع هذا الفضول ، الذى لا نزال نرى كثيرا من المسلمين يتعلقون به حتى الآن .. والا فمن أين لابن عباس ، أو لغيره ، كعلى رضي الله عنهم ، بمثل هذه التفصيلات ؟!

وقلت من قبل : ان صحت هذه الروايات .. لانى اشك في أن رجلا كابن عباس أو عَلىّ يُسْلِم عقله ودينه لأمثال هؤلاء ، ويأخذ عنهم . وأمامهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلهم الى الطريقة التى يجب أن تتبع في مثل هذه الحالة : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم » . ومعلوم أن هذا في غير ما ورد فيه نص من القرآن ، أو ما هو من أصول وتعاليم الاسلام فانه لو وافق كلامهم ما عندنا صدقناهم ، وان خالفه كذبناهم . فالحديث – اذن – فيما سكت عنه القرآن في القصص مثلا .. فلا يعقل اذن ان يأخذ ابن عباس عن الاسرائيليين مثلا : لون كلب أهل الكهف ولا نوع خشب سفينة نوح وأمثال هذا ، مما لم يتعرض له القرآن لعدم الحاجة اليه ، ولاكتمال العبرة في القصة بدونه ، ولنهى الرسول عن تصديقهم أو تكذيبهم فيه ، لأن نقله وتعليمه للناس كتفسير معناه الاقتناع به وتصديقه .

ابن عباس ينهى عن الأخذ من أهل الكتاب

واذا اضفنا الى هذا ما رواه الامام البخارى عن ابن عباس انه وقف يخطب الناس وقد هاله اتجاههم لأهل الكتاب ، ليشبعوا فضولهم العلمى، *بسؤالهم عن أشياء لم يذكرها القرآن فقال لهم :*

يا معشر المسلمين : تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أُنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله ، تقرءونه لم يشب . وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم مسألتهم . ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذى أُنزل عليكم ...

ومفهوم انهم لم يكونوا يسألونهم عن الصلاة أو تحريم الخمر ، أو كيفية الحج مثلا ، بل كانوا يسألونهم عن أشياء في القصص وأمثالها ، مما سكت القرآن عنه لعدم الحاجة في العبرة اليه .

فلا يعقل اذن أن ينهى ابن عباس المسلمين عن الأخذ من أهل الكتاب وتصديق ما في كتبهم بهذه الصورة ، ثم يَسأل هو أهلَ الكتاب عن أشياء يرجعون في الاجابة عنها الى كتبهم ومعلوماتهم التى عرفوها من هذه الكتب ، بل والى خيالاتهم !

ولا يغيّر من الموضوع شيئا أن الذين كان يسألهم ابن عباس قد أسلموا ، ان قلنا انه كان ينهى المسلمين عن الأخذ من أهل الكتاب الذين لم يُسْلِموا ، لان المصدر في الحالتين واحد ، وهو كتبهم.. ولا يُعقَل أن ينهاهم عن شيء وهو يفعله.

وازاء هذا لا نملك الا أن نهوى على رأس كل الروايات التى ذُكِرَت في التفسير منسوبة الى ابن عباس في هذه الناحية ، فنطيح بها ، ونبرّئ ابن عباس من مسئوليتها ، ونتحمّل نحن وزر

بقائها في كتب التفسير المتداولة حتى الآن ، تحشو اذهان المتعلمين والقراء بمعلومات واهية ، لا سند لها ، وتخرّج لنا جيلا مخرّفا من القراء ، فان العملة الزائفة تطرد العملة الصحيحة من السوق وتقضي عليها ، كما يقال .

ما أشبه الليلة بالبارحة !

ولا بد لنا مع ذلك من وقفة قصيرة مع صرخة ابن عباس هذه في المسلمين ينهاهم عن مساءلة أهل الكتاب والتعلم عليهم بهذه الشدة .. فابن عباس لا يقف هذا الموقف ، أو يحمل هذه الحملة، الا لأنه رأى أن اقبال المسلمين على التعلّم من أهل الكتاب ، والتأثر بهم ، قد أصبح ظاهرة تنذر بالخطر .. وهى ظاهرة تشبه الظاهرة التى تقلق الكثيرين منا الآن ، والتى تتمثل في الاقبال على كل ما يرد لنا من الغرب من أفكار وانظمة ، والاعجاب بها ، مع عدم الالتفات الواجب الى كتابنا وعلمنا وافكارنا .. ان ذلك يشبه التهيؤ النفسي لفقد الثقة بالنفس في أمر مهم ، يتصل بصميم كيان المسلمين وكتابهم .. ألا ترى لقول ابن عباس لهم : (ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسالكم عن الذى أنْزِل عليكم) فلم اذن تعتمدون على علمهم ، وتثقون بكلامهم ؟ ..

فلم يحمل ابن عباس على هذا ــ اذن ــ الا الخطر الذى أحسّه من الاندلاق على معلومات أهل الكتاب في أمور لا تلزم المسلمين ، ولا ينتقص من شأنهم عدم العلم بها ، بل ربما شوشت عليهم، ونخرت عقولهم .

فهل يعقل مع هذه الصرخة والشدة ان ينقل ابن عباس عن أهل الكتاب ويصدقهم ؟ !!

ومع ذلك فان هذه الظاهرة تبين لنا الى أى حد اختلطت معلومات المسلمين في القصص وأمثالها، بمعلومات أهل الكتاب ، مما يدعونا الى الشك في كل رواية في هذا الموضوع ، حتى ولو رويت عن رجل ثقة لا نشك في عدالته .. اذ من الذى أنباه وخبره ؟ ومن أين استقى العلم الذى يقوله ؟ .. وكثير من المزيفين زيفوا على العدول روايات ، ونسبوها اليهم .. واننا لا نستطيع القول بان الناس ــ كل الناس ــ امتنعوا عن مساءلة أهل الكتاب ، أو أن هذه الظاهرة التى أقلقت ابن عباس قد اختفت ، وقضي عليها في كل مجتمعات العالم الاسلامى حينذاك ، بمجرد أن ابن عباس أو غيره ممن يكون قد هالته هذه الظاهرة قد نبه وقرع الأجراس ..

حديثان في ظاهرهما لا يمكن أن يصدرا عن الرسول

وهناك حديث لا بد من ايراده هنا ، فانى اعرف أن كثيرا من القراء المتخصصين سيذكرونه ، وهم يقرعون هذا الانكار على من يأخذ من أهل الكتاب في تفسير القرآن ..

هذا الحديث فيما رواه البخارى هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلّغوا عنى ولو آية وحدّثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) حـ٦ص٣٢٩. من فتح البارى .

بعض المشتغلين بالتفسير من العلماء يرون أن هذا يفيد اباحة النقل والتحدث عن أهل الكتاب فيما يروونه وينقلونه من كتبهم !!

ولا بد لنا حينئذ من وضع الحديث الآخر هنا بجانب هذا الحديث ــ وكلاهما رواه البخارى(1) ــ يقول عليه الصلاة والسلام : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » . وقولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ..) الآية (2) .

فاصبح أمامنا حديثان : حديث يدعونا الى الا نُصدّق أهل الكتاب ولا نكذّبهم فيما يروونه من كتبهم . ومعنى هذا اننا لا ننقل عنهم ، لأن النقل يؤدى الى ترويج كلامهم ، وحمل الناس على تصديقه ، لا سيما اذا كان الناقل موثوقا به عند الناس .. والنتيجة اننا لا نحدث عن بنى اسرائيل .. ثم يأتى الحديث الثانى فيقول : (بلّغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) ويأتى هذا الأمر بعد الأمر بالتبليغ عن الرسول ولو آية .. كأنهما بميزان واحد ، أو متقاربان على الأقل في افادة العلم وفي ضرورة الثقة !!

والحديثان في ظاهرهما لا يمكن أن يصدرا عن الرسول .. فلا بد ــ اذن ــ من شيء من التأويل في معنى الحديثين حتى يلتقيا ..

---

(1) في فتح البارى جـ ٨ ص ١٢٠

(2) من سورة البقرة .

وقد سبق أن بينا معنى حديث (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) وقلنا : ان مجال تحقيق هذا الحديث وتنفيذ ما جاء فيه ، هو ما لم يرد فيه نص من القرآن أو السنة ، مثل ما سكت عنه القرآن من تفاصيل القصص .. فلا يصح أن ننقلها عنهم ، ونحكى للناس لون كلب اهل الكهف ونوع خشب سفينة نوح الخ ..

فاين مجال الحديث الآخر : (حدثوا عن اهل الكتاب ولا حرج) ؟! ان كان الأخذ عنهم فيما جاء به القرآن أو تحدث به الرسول فلا مانع . لأنه يكون مؤيدا لهما ، وان كانا في غير حاجة لتأييد ، لكنه استئناس على كل حال تقر به العيون .. الا انه ليس موضوع كلامنا .

ان كلامنا فيما سكت القرآن عن بيانه كما سبق فجاء اهل الكتاب فبيّنوه ، فقالوا لنا مثلا لون الكلب ابيض او اسود ، او الخشب كان من الزان او الساج مثلا ، فهل الحديث الذى يقول « حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج » يبيح لنا ان نمشي وراء أهل الكتاب عندما نفسر القرآن ونقول ما قالوه في هذا وذاك ــ ولو انه لا يقدم ولا يؤخر ــ الى تفسير القرآن ؟!

هل الحديث يبيح لنا ان نحكى عنهم أن الموت يأتى في صورة كبش ، والحياة في صورة فرس ، كما نُسِبَ الى ابن عباس في بعض كتب التفسير؟!

هل الحديث يبيح لنا أن نفسر القرآن بما يحكونه ــ عن كتبهم ــ من أحوالهم واعاجيبهم ، ويكون معنى ذلك تصديقهم دون سند عندنا نستند اليه الا كلامهم ؟! .

اعتقد .. لا . ولا .. لأن الرسول قال في هذا : (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولكن اسمعوا ، ولا تعلقوا ، وكونوا على حذر . لا تصدقوهم لأن تصديقهم خطر ، ولا تكذبوهم لان ذلك ربما يؤدى الى شقاق وخلاف انتم في غنى عنه وربما كان صحيحا فتكونوا قد انكرتم الصحيح وانتم لا تعلمون .

وهذه هى منتهى العدالة في العلم وفي الدين .

فلم يبق عندنا ــ لقبول الحديث ــ الا ان نقول : معناه حَدِّثوا عنهم فيما يتفق حديثهم فيه مع ما تعرفونه من كتابكم وسنة نبيكم .. وهذا اقصى ما يمكن أن نفعله حتى لا نرد الحديث .

وحينئذ لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث على اباحة أخذ معلومات عن الاسرائيليين لتفسير أو توضيح ما سكت القرآن عن بيانه ، ويكون محتملا للصدق والكذب ..

احتلال اسرائيلي .. للادمغة والعقول !

لقد احتل الاسرائيليون أدمغة كثير من المفسرين ، وافسدوا علينا صفاء القرآن وصفاء الافكار ، وشغلوا علماءنا بأقاويلهم ، وأضاعوا عليهم وعلينا أوقاتنا ، وكانوا هم السبب في كثير من الخرافات التي تحتل ادمغة المسلمين في كل مكان وزمان ...

احتلال سطا على الفكر الاسلامي أيام ازدهاره !! ودام قرونا ، وسيدوم ان لم نتدارك الأمر ، وتنتقي كتبنا ونخلصها من هذا الاحتلال .. وما أخطره من احتلال .. وما اشد فتكه بالعقول !! .

ابن عباس : « حَبْر هذه الامة .. وترجمان القرآن »

تراني قد وقفت كثيرا مع ابن عباس . ولا بأس في ذلك بل الامر معه قد يستحق وقفة اطول ، وتشريحا أكثر لانه عند كل المفسرين العمود الفقرى في التفسير ، حتى الذين عُرِفَ عنهم او عن كتبهم (التفسير بالرأى لا بالمأثور) في كتاب ضخم ودراسة واعية تجدهم يعنون بذكر الروايات في تفسير الآية ، وفى مقدمتها أقوال ابن عباس ، لما ذكرنا من الهالة العلمية التي احيط بها فهو حَبْر هذه الأمة ، وترجمان القرآن . دعا له الرسول فقال .. اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التاويل ــ اى التفسير ..

وليس لنا من قصد في ذلك الا أن يتحرر القارىء من بريق الرواية عن ابن عباس ، والا يعشى بها فكره ، قبل أن ينظر اليها نظرة الناقد البصير .. فان ابن عباس مظلوم في الكثير مما أسند اليه ..

تفسير مفترى على ابن عباس

هو التفسير الذى عرف باسمه ، والمسمى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) المطبوع المتداول ، والذى عُنِيَ بجمعه مجد الدين الفيروز ابادى صاحب القاموس المحيط .. هذا التفسير ضعيف الصلة بابن عباس ان لم نقل انه مما نسب اليه زورا !! .

يقول المرحوم الشيخ محمد علي النجار في مقدمته لكتاب البصائر (١) للفيروز ابادى وهو يتحدث عن مؤلفاته وآثاره : « ومن هذا انه جمع ما يروى في التفسير عن ابن عباس ، واعتمد على رواية محمد ابن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس. ويقول السيوطي في الاتقان (٢) في النوع (الباب) الثمانين الذى عقده لطبقات المفسرين : ان أوهى الطرق عن ابن عباس طريق الكلبي عن أبي صالح عنه . فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهي سلسلة الكذب » .

ومع أن هذه هي حقيقة كتاب التفسير المنسوب لابن عباس ، فان جمهرة العلماء والمتعلمين لا يعرفون هذا ، ويأخذون كل رأى فيه على انه لابن عباس !! .

ارأيت الى هذه الظاهرة الكبيرة التي اقامها المفسرون والرواة لابن عباس وما نُسِبَ اليه ، والتي اندس فيها كثير من ذوى الاغراض المشبوهة، ودسوا عليه نسب كثير من الكتب والروايات ؟!! .

ومع انه من المعروف عند رجال الجرح والتعديل - أو بلفظ آخر عند نقاد الرواة - ان طُرُقَ الرواية عن ابن عباس كثيرة ، وانهم لم يعتمدوا الا القليل منها ، وزيفوا الكثير ، فان بعض المفسرين لم يتحرَّ الدقة في الرواية عن الموثوق بهم وتَرْكَ من عداهم ، بل روى عن هؤلاء وهؤلاء دون أى تعليق ، ثم جاءت طبقة أخرى من المفسرين اغفلوا أسماء الرواة .. وأوردوا ما رووه من أقوال منسوبة الى ابن عباس ، وكانها قضية مسَلَّمة . وقرأ القراء ذلك ، دون أن يخالطهم شك في نزاهة المفسر ، وفي صحة هذه الأقوال التي أوردها ، فقبلوها ، وتحدثوا بها ، واعتمدوا عليها في تفسيرهم . فدخل من هذه الناحية على التفسير خلط كثير ..

أذكر هنا على سبيل المثال ما جاء في بعض كتب التفسير معزوا الى ابن عباس عند قوله تعالى : (الذى خلق الموت والحياة) من سورة تبارك ، فتقول : « واعلم انه اختلف في الموت والحياة ، ولا أدرى فيم الاختلاف ولكن انتظر واقرأ التفاصيل» فحكى عن ابن عباس والكلبي ومقاتل (هكذا بالجملة) : ان الموت والحياة جسمان . فالموت في هيئة كبش املح لا يمرُّ بشيء ولا يجد ريحه الا مات ! وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء ، وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوتها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، لا تمر بشيء ولا يجد ريحها الا حيى ، ولا تطأ على شيء الا حيى ، وهي التي أخذ السامرى من أثرها ترابا فألقاه على العِجْل فحيى » الخ ..

فهل يعقل ان تقبل عقليـة نَيِّرة كعقلية ابن عباس مثل هذا الكلام ؟! ثم من الذى رواه عن ابن عباس ؟! لقد ذكر كله بجانبه الكلبي ومقاتل . والكلبي هذا قال عنه النقاد انه من الوضاعين الكذابين ، ولا يوثق بروايته .. ومع ذلك كله نجد هذا في بعض كتب التفسير التي يتناولها المبتدئون، وتغذى عقولهم بهذه الروايات التي تفوق كل خيال، والتي ينفر منها كل ذى عقل يحترم نفسه .

وامثال هذا كثير لا يُحصَى ، ويكاد يغطى معظم تفسير الآيات الكريمة ، ولا سيما عندما تتعرض الآيات لقصة من القصص أو لأمر من الأمـور الغيبية .

ابن عباس ... مظلوم .. فكم اعتُدِى باسمه على تفسير القرآن وعلى العقول !! .

حتى في الاشياء التي لا يُتَصَوَّر عليها خلاف يُعَنِّي بعض المفسرين بذكر خلاف على ماهية الموت والحياة ، ويجر المظلوم ابن عباس الى معركـة الخلاف ، وينسب اليه هذا الكلام !! .

مظلوم ابن عباس .. كان عملاقا في علمه المصفى .. فاستُغِلَّ اسمه وسمعته العلمية كل من أراد ترويج بضاعته الاسرائيلية الزائفة .. تماما كما يستغل بعض المزورين الاستغلاليين الآن أسماء الشركات الموثوق بها في ترويج بضاعتهم التافهة الهزيلة ! . ■■

عبد المنعم النمر

---

(١) حققه المرحوم الشيخ محمد علي النجار وصدر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م ، ص (١٠) من مقدمة الجزء الأول .

(٢) ص (١٨٩) من الجزء الثاني طبعة حجازى بالقاهرة .





الشَّرقُ .. وَالغَرْبُ يلتَقِيَان

● ما زلنا نذكر كلمة الشاعر الانجليزى المشهور « كيبلنج » الذى قال « الشرق شرق .. والغرب غرب » وظن الناس فى أول الأمر انها حكمة الدهر .. ودل التاريخ على انها اكذوبة الدهر .. اكذوبة فيما عناه « كيبلنج » من غرب وشرق .. واكذوبة مما أوجسه الناس منذ انقسام اوروبا الى معسكرين ، غرب وشرق وقد ظننا منذ قيام الثورة الشيوعية وانقسام اوروبا الى قسمين أنهما لن يلتقيا ابدا .. واذا بالتاريخ اليوم يكذب كل هذا .. ويتضح ذلك مما نراه الآن من النمو السريع فى العلاقات الاقتصادية بين دول الغرب ودول الشرق .. ومن امثلة هذا النمو أن صادرات ايطاليا الى دول اوروبا الشرقية قد زادت خلال العامين الماضيين بنسبة ٤٦٪ عن الاعوام التي قبلها .. ومنذ ٣ سنوات لم يكن هناك سوى ٣٢٣ رحلة طيران بين كل من المعسكرين اسبوعيا واليوم ارتفع عدد رحلات الطيران الى ٨٠٠ رحلة اسبوعيا .. بل وتقوم شركة « بان امريكان » للطيران وهي امريكية باقامة فنادق فى عواصم يوغوسلافيا ورومانيا والمجر وذلك لتوفير الراحة لرجال الاعمال الغربيين الذين يتدفقون على دول اوروبا الشرقية ..

ومن العوامل التى ساعدت على زيادة العلاقات الاقتصادية بين المعسكرين الغربي والشرقي قرار دول السوق الأوروبية المشتركة برفع الحظر عن استيراد مئات من منتجات دول اوروبا الشرقية ..

وقد اصبح حجم التجارة المتبادلة بين المعسكرين ما تقارب قيمته ١٠ آلاف مليون دولار سنويا .

ومن المعاملات الحديثة التي بدأت تظهر الى حيز الوجود بين دول الغرب ودول الشرق قيام المؤسسات الصناعية الغربية بانشاء مصانع لها فى اوروبا الشرقية على اساس أن تقدم المؤسسات الغربية الخبرة والآلات وتقدم الحكومات الشرقية

قِصَّة بَطَلة

● انطلقت قاذفات القنابل من القاعدة الامريكية فى فتنام الجنوبية لتشن غارة من سلسلة غاراتها الجوية على فتنام الشمالية . وكان هدفها فى هذه المرة قرية صغيرة تقع على بعد مائة ميل من مدينة هانوى ، العاصمة .

واخذت الطائرات الامريكية تفرغ حمولتها من القنابل الثقيلة ، على القرية ، حتى دكت مبانيها وسوتها بالارض تماما ، على من فيها .

وقتل جميع افراد الكتيبة الفتنامية ، أولئك الذين كانوا يختبئون وسط الصخور . ولكن امراة واحدة من جنود الكتيبة تدعى « لى سون » راحت تزحف والدماء تنزف من ساقيها ، حتى تسلقت اعلى صخرة في الجبل ، ثم رقدت بجسدها الدامى تنتظر . وفجأة شاهدت « لى » قاذفة جبارة من قاذفات القنابل الامريكية قادمة لتلقى ما بقى



مصنع سيارات « فيات » في الاتحاد السوفييتي يتكلف ٨٩٠ مليون دولار ويقوم بانتاج ٧٣٠ ألف سيارة سنويا .. وقد فتح هذا المصنع الباب امام الشركات الايطالية الاخرى للعمل مع الاتحاد السوفييتي

المباني والعمال .. وتقسم الارباح أو الخسائر بنسبة ٥٠٪ .

والاتفاق الذى تم بين الاتحاد السوفييتي وشركة « فيات » الايطالية لبناء مصنع لانتاج ٧٣٠ الف سيارة فيات سنويا أتاح فرصة ذهبية لعدة شركات ايطالية اخرى فشركة بيريللي Pirelli الشهيرة للكاوتشوك تقوم الآن ببناء مصانع في روسيا لانتاج كل المنتجات المطاطية اللازمة لانتاج السيارة الفيات وأيضا المنتجات الأخرى المصنوعة من المطاط .. وتقوم شركة اوليفتي Olivetti الشهيرة والتي تنتج فيما تنتج الآلات الكاتبة العربية والافرنجية بامداد المصانع بالعقول الالكترونية ، كما تعاقدت أيضا مع الحكومة السوفييتية على امداد جميع مكاتبها بالآلات المكتبية الحديثة .

هذه هي بعض الأمثلة على تطور العلاقة الاقتصادية بين دول الغرب والشرق .. ويعلق احد رجال الأعمال البلجيكيين على هذه التطورات قائلا :

« كلما زادت تجارة الشرق معنا .. كلما زاد الضغط عليهم لتطوير نظامهم الاقتصادى » .

ويقول أيضا الدكتور اوتاكار بوهل مدير عام بنك الحكومة « التشيكوسلوفاكية » انه ليس أمامنا من الناحية الاقتصادية والسياسية الا القيام باصلاحات اقتصادية لجعل صناعاتنا أكثر فاعلية وخلق روح المغامره فيها » .

وقد انتهزت كل دول الغرب فرصة فتح اسواق دول الشرق لهم فقاموا بتقديم العروض السخية للدول الشرقية . ففرنسا مثلا تعطي البضائع بالتقسيط على ثماني سنوات ونصف وبفائدة قدرها ٥ر٥٪ فقط .

العجيب أن الرئيس الامريكي جونسون كان اول من نادى بضرورة زيادة التجارة مع المعسكر الشرقي .. وانتهزت دول اوروبا الغربية الفرصة ولكن امريكا فقدت الفرصة الذهبية بسبب حرب فيتنام .

وما تزال العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب تتطور وتنمو يوما بعد يوم .. وبالتبعية ستحدث تطورات كبيرة في العلاقات السياسية والثقافية بين المعسكرين .

مِنْ فِيتْنام

فيها من قنابل ، كي تنضم بعد ذلك الى سرب الطائرات العائد بعد المعركة بالنصر . ووضعت « لى » اصبعها على زناد بندقيتها ، وأطلقت رصاصة واحدة ..

وما هى الا لحظات حتى كانت القاذفة الجبارة تهوى الى الارض والنيران فيها مشتعلة ..

وجاءت فرق الانقاذ تبحث عن الطائرة الامريكية المحترقة ، فوجدت قائدها قتيلا ، وفي قلبه رصاصة !

انها رصاصة الفتاة « لى سوان » .

وسمعوا أنينا وهم عائدون ، واستطلعوا خبره . كان أنين الفتاة وهى تلفظ آخر انفاسها ، والى جانبها بندقيتها . انها البندقية التى اطلقت تلك الرصاصة الواحدة الاخيرة التى فعلت بالطائرة الجبارة وطائرها ما فعلت .



للجريمة جذور، لا يراها إلا العاشقون

● كن خمسين امراة اولئك اللواتى لبين الدعوة التى وجهتها مسز جونسون زوجة الرئيس الامريكى لتناول الغداء فى البيت الأبيض ومناقشة مقترحات الرئيس جونسون الخاصة بمكافحة الجريمة فى الشوارع ..

وحضر الرئيس الامريكى جانبا من هذا الاجتماع النسائي، الذى حاولت فيه زوجته الاستعانة براى المراة فى اسباب انتشار الجرائم فى شوارع المدن الكبرى بصورة مخيفة فى الاونة الاخيرة ، ولكنه استاذن بالانصراف قبل بدء المناقشة .

وتحدثت مسز جونسون ، ثم جلست لتستمع الى راى ضيفاتها .. وفجاة وقفت الفنية الزنجية الشهيرة ارثا كيت Ertha Kitt ، التى يسمع الملايين من الامريكيين اغانيها كل ليلة فى الاذاعة والتلفزيون .. وقفت تتحدث بحرارة موجهة كلامها الى السيدة الاولى فى امريكا ، قالت : « تريدون ان تعرفوا اسباب الجريمة » اذن فاعلموا ان شباب امريكا فى ثورة ، لانكم يا رجال الحكم تختطفونهم من الشوارع اختطافا ليلقوا حتفهم رميا بالرصاص فى فيتنام .. ان شباب امريكا يغلى غضبا ، لان هناك حربا لا يفهمونها ولا يعرفون اسبابها ..

« ان ابناء امريكا لا يثورون بغير سبب .. ان لثورتهم اسبابا ، ولكننا نحاول ان نخفيها .. وهذا عامل اساسى فى المشكلة التى نبحث عن جذورها اليوم .. اننا ندفع الضرائب ، ويجب ان تذكروا اننا نمقت الضرائب العالية التى تجمعها الحكومة من الشعب . ولهذا نحرص على ان تذهب هذه الاموال لخير هذا الشعب وبلده .

« ان شباب اليوم يشعر انه ليس هناك ما يدفعه لان يكون « رجلا صالحا » ، فهو اصبح يفضل دخول السجن لانه « رجل شرير » على ان يكون صالحا ويرسل ليموت فى الحرب بفيتنام .



● قضت احدى محاكم الجنايات بمدينة سيدنى باستراليا بسجن فلاح استرالى يدعى (لانس) لمدة سنة مع ايقاف التنفيذ ، لانه قتل اخاه المريض بالسرطان !

وقد رفض لانس ان يوكل محاميا للدفاع عنه ، ووقف يعترف امام القاضي بجريمته ، ويروى تفاصيلها في صوت متهدج تخنقه العبرات . قال :

« كان الوقت ليلا عندما جاء الطبيب يزور اخى للمرة الاخيرة ، وما كاد ينتهى من الكشف عليه حتى التفت الطبيب الي ، وقال لي : فلترحمه السماء وتعجل بموته . انه لن يعيش لاكثر من ايام معدودة . ستتولى الممرضة حقنه بالمورفين لتخفف من آلامه . اما انا فلن اراه مرة اخرى ! »

« ولم يكد الطبيب يترك البيت حتى ارتفع صوت اخي بالصراخ من الالم الذى يمزق احشاءه . لقد كان المسكين مصابا بسرطان في المعدة . وكان يتعذب عذابا يفوق طاقة البشر .

« وقررت ان اضع حدا لهذا العذاب الذى يعانى منه اخي المسكين ، فوضعت له كمية كبيرة من الاقراص المنومة في الدواء ، وقدمته له بيدى ، فشربه ونام نومته الاخيرة ! »

وما كاد « لانس » ينتهى من قصته ، حتى طلب القاضي الى المحلفين ان يصدروا حكمهم عليه . ورفعت الجلسة للتداول ، ثم ما لبث ان اعيدت من جديد ، وقال المحلفون كلمتهم وهى « غير



عند الجذور من فقراء الناس!

« أن شباب أمريكا يريدون ان يتمتعوا بكل دقيقة فيحياتهم اليوم لانهم لا يعرفونمالهم غدا .

« ان الروح العدائية تتسلط على الشباب ، لانهم لا يستطيعون أن يتصلوا بك يا سيدتي أو يتصلوا بزوجك الرئيس ، ليعبروا لكما عما يعتمل في صدورهم من مشاعر .. ونتيجة لذلك يثورون في الشوارع .. »

وقالت ايرثا كيت : « انني لا اتعمد المشي للدراسة في الأزقة والحواري الضيقة ، كما تفعل بقية السيدات المنعمات المدعوات الى هذه المناقشة، بحثا عن جذور الجريمة .. ولكنني عشت حياتي كلها وسط العشش التي تقوم في هذه الأزقة والأحياء التعسة الفقيرة .. انني اعتقد ان ضيفات هذه الندوة افتقدن شيئا هاما تعلمته انا بفضل حياتي في حي واتس Watts الذي مزقته التفرقة العنصرية بلوس انجليس » .

وكانت مسز جونسون تستمع في هدوء الى كلمات المغنية الزنجية الثائرة ، بعد ان امتقع وجهها ، حتى اذا ما انهت حديثها ، وقفت السيدة الأولى ، تتكلم في صوت تخنقه العبرات ، وقد امتلأت عيناها بالدموع .. قالت : ان هذه الحرب الدائرة الآن هي التي تحول دون انطلاق يدنا في العمل من أجل النهوض بالتعليم والعناية بصحة كل فرد من افراد الشعب ، والعمل من أجل حياة أفضل .. انني ابتهل الى الله ان تنتهي هذه الحرب وفقا لمبادىء العدل التي نرجوها » .

ثم قالت مسز جونسون موجهة حديثها الى ارثا كيت : « انني آسفة ، لانني لم افهم الأشياء التي فهمتها انت ، ولم اعش الحياة التي عشتها انت ، ولا استطيع أن اتكلم بنفس الحرارة التي تتكلمين بها . ولكنني اعتقد اننا احرزنا بعض التقدم ، ونرجو آن نحقق المزيد » .

ايرثا كيـ

مذنب » . لم اصدر القاضي حكمه الذي عبر عما يعتمل في صدره من قلق وتردد . فقد حكم عليه بالسجن عاما ، ولكنه أوقف التنفيذ .

وقد أثارت هذه القضية من جديد ، الجدل الذي ثار منذ زمن بعيد ولم ينته حول :

« هل القتل بدافع الرحمة جريمة ؟ » هل من حق الطبيب أن يضع بيده هو خاتمة لحياة المريض عندما ييأس من شفائه ؟

لقد بدا واضحا في قضية « لانس » ان الطبيب كان يعلم ان لا أمل في شفاء الاخ المريض ، ولكنه لم يعجل بموته ، وانما أوحى لشقيقه بان يفعل ، ما عجز هو عن آن يفعله !.

حرب العصابات: اضرب عدوك فجأة .. واهرب!

● كثر الكلام اخيرا عن حرب العصابات وهي تلك الحرب التي تقوم بها مجموعات من الفدائيين ضد قوات عسكرية منظمة ..

ويعود تاريخ هذه الحرب الى عام ١٨٠٨ حيث قامت بعض المنظمات الوطنية في اسبانيا بالقيام بغارات تخريبية على قوات نابليون التي كانت تحتل بلادهم في ذلك الوقت .. ومن هنا نشات التسمية الانجليزية لحرب العصابات وهي Guerialla Warfare وهي تصغير لكلمة Guerra الاسبانية ومعناها الحرب ..



وقد ادت حرب العصابات التى قام بها الاسبان ضد قوات نابليون طوال ٥ سنوات من عام ١٨٠٨ حتى عام ١٨١٣ الى شغل نصف القوات الفرنسية التى كانت تحتل اسبانيا ويبلغ عددها ٢٠٠.. الف جندى فى مهمة مطاردة هذه العصابات .. بينما شغل ٢٥٪ من هذه القوات فى محاولة الدفاع عن المعسكرات والمدن التى توجد فيها منشآت عسكرية فرنسية ولم يبق من القوات الفرنسية الا ٧٠ الف جندى فقط تتوافر لهم حرية الحركة على القتال .

ويقول المؤرخون ان حرب العصابات الاسبانية كانت احد اسباب عدم انتصار نابليون فى حربه ضد قوات اوربا فى عام ١٨١٣ . ومن هنا تظهر اهمية حرب العصابات .. تلك الحرب التى تقوم على مبدا اضرب عدوك فجاة واهرب .. وذلك لكى تسبب له أكبر اضرار ممكنة . سواء كانت هذه الاضرار عسكرية او نفسية .

وحرب العصابات لا تتطلب احتلال ارض .. او اجلاء العدو عن الارض التى يحتلها .. ولكنها تتطلب جراة وشجاعة للتسلل وراء خطوط العدو والقيام بعمليات تخريبية بالنسبة للمنشآت والمعدات العسكرية وخطوط تموين العدو .

وهى لذلك لا تستطيع أن تحقق نصرا حاسما .. ولكنها تساعد فى احراز النصر عن طريق التمهيد للعمل العسكرى المنظم واضعاف العدو عسكريا ونفسيا .

والتاريخ القريب والبعيد ملىء بالامثلة على نجاح حرب العصابات .

فحرب العصابات التى شنها العرب ضد الاتراك والالمان فى عام ١٩١٦ ساعدت بريطانيا فى كسب الحرب العالمية الاولى .

وحرب العصابات التى قامت فى فرنسا اثناء الحرب العالمية الثانية ضد القوات الالمانية وكذلك حركات المقاومة فى بلاد اوربا المحتلة .. والحرب الفدائية التى كان يقودها المارشال تيتو فى جبال يوغوسلافيا ضد القوات الالمانية .. كلها ساعدت فى النهاية على هزيمة المانيا وانتصار الحلفاء ..

وهكذا تساعد حرب العصابات على كسب المعركة ولكنها فى نفس الوقت لا تغنى عن الحرب النظامية ولا تستطيع ان تحقق نصر حاسما .

التعليم الثانوى فى

● قد لا يستغرب المرء تفوق الولايات المتحدة الأمريكية على غيرها من الدول من حيث انتشار التعليم فيها بصورة عامة والتعليم الثانوى بصفة خاصة . فقد بلغ عدد طلابها فى هذه المرحلة الثانوية الهامة ١٩٢ طالبا بين كل عشرة آلاف من سكانها ،فى حين لم يجاوز عدد اولئك الطلاب بالنسبة الى الوحدة المذكورة من عدد السكان ، ١٦٦ طالبا فى الاتحاد السوفييتى و ٨٤ طالبا فى اليابان و ٧١ طالبا فى فرنسا و ٥٣ طالبا فى بريطانيا و ٤٧ طالبا فى ايطاليا .

اما الا يقترن هذا التفوق الهائل بتفوق آخر من حيث وعى اولئك الطلاب ومعلوماتهم العامة عن حياتهم وشئون بلادهم ، على أقل تقدير ، فهذا ما قد يبعث على استهجان الجميع . وهو بالذات ما دلت عليه بعض الدراسات والاستفتاءات التى اجريت مؤخرا فى أمريكا لا بين طلاب المدارس الثانوية فحسب ، ولكن ايضا بين سائر المواطنين .

من تلك الاستفتاءات ما اسموه «امتحان المواطن» وقد اجروه على نطاق واسع فى البلاد بواسطة التلفاز ، وطلبوا فيه من المشتركين محاولة التعرف الى أهم مادة من مواد الدستور الأمريكى ، وقد ذكروا تلك المادة بنصها الأصلي الكامل ، الا أنهم اغفلوا صلتها بالدستور المذكور اغفالا تاما .

ولم تكن تلك المادة سوى مادة الحريات الأربع، حرية العقيدة والعبادة الدينية ، وحرية القول والصحافة ، وحرية الاجتماع لاغراض سلمية ، وحق الفرد بالاحتجاج لدى الحكومة ومطالبتها برفع الظلم وتقويم الاعوجاج . ولا يخفي ان هذه المادة شاعت وتواترت وتردد ذكرها على الألسن داخل أمريكا وخارجها على السواء .

اضف الى ذلك ان احكام الدستور الأمريكي تحتل فى قلوب الأمريكيين مكانة خاصة تختلف كثيرا عن المكانة التى تحتلها الدساتير الاخرى فى قلوب اصحابها ، وتشبه الى حد ما المكانة التى تحتلها فى قلوب المتدينين الوصايا العشر . ويصدق ذلك بخاصة على مادة الحريات التى ذكرنا .

ولعل من المسلم به فى أمريكا ان كل مواطن

أمريكا بين تفوق وتخلف

أمريكي يعرف تلك المادة معرفة تامة ، ويستطيع ، بالأقل ، أن يتعرف اليها لدى ذكرها ، او يجزم بانهامادة الحريات الشهيرة بين مواد الدستور الامريكي .

ومع ذلك فان نسبة الذين احرزوا في امتحان المواطن هذا ٨٥/١٠٠ أو يزيد لم تجاوز ٥٪ !!

ومثل ذلك يقال أيضا في استفتاء طلاب المدارس الثانوية الذى أجرته جامعة بوردو Purdu وقد اثبت ان ٢٥٪ من طلاب الصف المنتهى يؤمنون بضرورة حظر الخطب العامة حظرا تاما وان ٦٦٪ منهم يعتقدون بوجوب منع الشيوعيين عن التعبير عن آرائهم بواسطة الاذاعة وان ٤٢٪ من أولئك الطلاب يقرون بل يمتدحون أساليب الضغط والاكراه التى يلجأ اليها البوليس تعسفا في بعض الاحيان . وغنى عن البيان أن هذه المعتقدات تتعارض ومادة الحريات التى سبقت الاشارة اليها. ولعل أخذ اولئك الطلاب بتلك المعتقدات ، على تمسكهم بدستورهم وتشبثهم بمادة الحريات تلك بالذات ، دليل على عدم فهمهم مضمون هذه المادة الفهم الصحيح .

وتجدر الاشارة الى ان هذا الدستور الأمريكى هو اقدم الدساتير المكتوبة في العالم . فقد تم اعداده سنة ١٧٨٧ من قبل واضعيه الخمسة والخمسين ، هم يسمون عادة «بالآباء المؤسسين». واشتهر ببساطة اسلوبه ودقته ومرونتة وبكثرة التعديلات التى ادخلت عليه وقد بلغ عددها ٢٢ تعديلا .

جدة تجلس في الجامعة بين أحفادها !

● احست بفراغ كبير في وحدتها بعد أن مات زوجها وكبر اولادها الثلاثة وتزوجوا .. وقررت مسز جين بالمر Jeanne Palmer ، الأرملة الانجليزية ، وهى جدة تناهز الثانية والخمسين من عمرها ، أن تعود مرة أخرى الى المدرسة . وحصلت على الشهادة العامة لاتمام الدراسة الثانوية .

ودفعها النجاح الى طلب الالتحاق بالجامعة ، ولكن المال أعوزها . ولم تشأ أن تثقل على أولادها فتقدمت تطلب قرضا من الصندوق المخصص لاقراض الطلبة المعوزين ، حتى يتمكنوا من دفع نفقات تعليمهم الجامعى .

ولكن مسز بالمر ، صدمت عندما رفضت الهيئة التعليمية بمقاطعة تشثر Cheshire صرف هذا القرض ، بحجة أن صاحبة الطلب « عجوز » وقد لا يمتد بها العمر طويلا بعد تخرجها ، وبالتالى لن تتمكن من سداد القرض الذى تحصل عليه .

ونشرت الصحف قصة مسز بالمر ، وفي اليوم التالى تحققت امنية الجدة والطالبة العجوز عندما قرات تصريحا لمستر جيلبرت مويس Gilbert Moyes ، مدير قسم الهندسة الميكانيكية بكلية بيركين هيد Birkenhead يعلن فيه : « انني مدين بنجاحي في الحياة لمثل هذا القرض الذى تسعى مسز بالمر للحصول عليه ، فلولاه لما دخلت الجامعة ولما اصبحت مدرسا بعد سن الخامسة والثلاثين .. ولن أحرم هذه السيدة من الفرصة التى أتيحت لي في يوم من الأيام » .

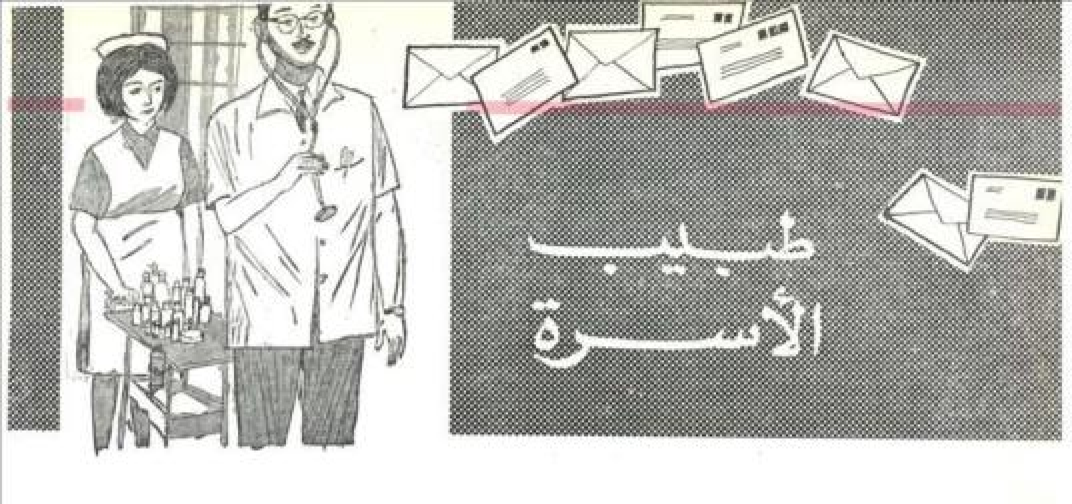


وقرات مسز بالمر الخبر ، وامتلأت عيناها بالدموع وهى تقول : « لم أكن أعلم ان الدنيا مليئة بالخير .. أنا أيضا أريد أن أصبح مدرسة ، وعندما أتخرج من كلية اللغات بجامعة ليفربول ، سيكون عمرى ٥٦ سنة . ولكننى انوى أن أستمر في التدريس ، حتى بعد السن القانونية للتقاعد .. لقد علمت أن هناك أساتذة في ليفربول جاوزوا العام الثالث والسبعين ! » .

وهكذا بدات مسز بالمر حياتها الجامعية كطالبة تجيد التحدث بست لغات ، في الثانية والخمسين من عمرها .

سألوها : « كيف ينظر اليك الزملاء من الطلبة والطالبات في الجامعة ؟

قالت : « لقد نسيت انني أم وجدة .. انني واحدة منهم الآن .. ولو انني أشعر احيانا بعجزى عن ملاحقتهم في دخول قاعة المحاضرات » . ■■



مرض القلب
(مرض الشريان التاجى)

● زوجي في الخمسين من عمره ،وقد اصيب فجاة بمرض القلب ، ووصفوه بانه مرض الشريان التاجى ،فما هو هذا المرض . واهم من ذلك ما هى اسبابه . فالذى اعلمه ان زوجي كان معتدلا في حياته في كل شيء تقريبا

ــ اما عن مرض الشريان التاجى ، فقد فصلناه، في «العربي» تفصيلا كاملا في العدد ١٦ شهر مارس عام ١٩٦٠ صفحة ٧٨ .

ومع ذلك نذكر هنا في اختصار شديد ان الشريان التاجى هو الشريان الذى يغذى عضلات القلب ذاتها ، وهو يتفرع وينتشر في هذه العضلات . والذى يحدث ان ينسد فرع من هذه الفروع فلا يصل الدم الذى يحمله الى عضلة القلب التى يغذيها فتتعطل عن العمل ، او لعلها تموت .

وتعطل القلب او عضلاته عن العمل معناه الموت .

والانسداد هذا كثيرا ما يكون بسبب ضيق مجرى هذه الشرايين الرفيعة تمهيدا لهذا الانسداد وهو المعروف بال Thrombosis .

ويمهد لهذا الانسداد ، على ما يذكر الطب اليوم ، ترسب مواد على جدران

زوجتى تشكو فقر الدم

● زوجتى لونها باهت ، يشعر الناظر اليها بقلة الدم عندها . وقد قال لى اخ طالب طب ان تعبها على الاكثر ، سببه الانيميا ، وان الانيميا تصيب النساء اكثر مما تصيب الرجال وانها انواع يعرفها الاطباء المختصون وبعضها خطر . فهل تتكرم بكلمة عن هذا الداء .

ــ اولا ، لفظ الانيميا : انه فقر الدم . وفقر الدم يعنى قلة عدد الكرات الحمراء الموجودة في الدم عن العدد المعتاد الذى دلت الخبرة والاحصاء انه في الجسم السليم .

وفقر الدم لا يحكم فيه بالنظر ،

هذه الشرايين الفرعية .

والعلاج بالطبع هو محاولة توسيع هذه الشرايين التى ضاقت ، واعطاء الوقت الكافي للقلب ان يصنع ، لنفسه ، الى عضلات القلب التي اشتد حرمانها من الدم، مسالك جديدة يصنعها اصطناعا .

اما اسباب هذا المرض ، نقد عزاها الطب الى اشياء كثيرة .

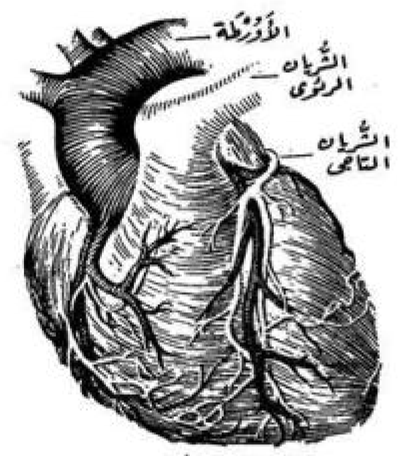
منها تكاثر ترسب المادة المعروفة بالكولسترول Cholesterol على باطن جدران الشرايين ، وهذه تاتي (وفقا للنظرية التى اثيرت في السنوات القريبة) من اكل الدهون الحيوانية المشبعة كيماويا كتلك التى تكون فى اللحم ، لا الزيوت السائلة غير المشبعة التى منشؤها النبات كزيت القطن .

وانقسم الاطباء فريقين ، فريق يرى هذا الراى ، وفريق لا يراه .

ونظرية اخرى عزت هذا المرض الى الحياة غير المستقرة التى يحياها اهل المدن الزائطة .

وتجربة قاموا بها : اهتدوا الى ١٥٠ من الرجال ، يعيشون فى ارلنده ،يحيون فى الحياة الهادئة الارلندية الرتيبة ، وفيها الطعام الذى يكثر فيه الدهن الحيوانى ، ياتى من اللبن ، ومن اللحوم ولهم اخوة ١٥٠ يعيشون فى شتى عواصم البلاد حيث الحياة مضطربة متفجرة .

ووجدوا ، في هذه الـ ١٥٠ الاخيرة ،



القلب منظوراً من أمام

نسبة حدوث مرض الشريان التاجى اعلى .

فاستنتجوا ان الحياة الهادئة تجنب اصحابها هذا المرض ، وذلك على الرغم مما بها من الدهن الحيوانى طعاما .

ونشأ فى السنوات الاخيرة ، راى يعزو المرض الى السكر .

المهم، انها اسباب مزعومة ، لم يستقر الطب منها على شىء يعتمد عليه .

والخير دائما فى الاعتدال ، فى الطعام وفى صنوفه ، فلا يميل الى ناحية دون ناحية . والرياضة يتعاطاها الناس فى غير مبالغة تعتبر عونا ذا بال .

لاسيما فى المراة ، فان المساحيق، ولاسيما احمر الشفاه ، تغطى تلك المساحات من الوجه التى تظهر فيها قلة الحمرة ، ويظهر فيها الشحوب . ان طريقة التأكد تكون في المختبر . يؤخذ من المريضة مقدار صغير من الدم ، ثم يفحصه الفاحص ، ويأتى بالنتيجة معبرا عنها بالنسبة المئوية للهيموجلوبين الموجود فى الدم . والهيموجلوبين Haemoglobin ليس الا اسم الصبغة التى توجد في خلايا الدم الحمراء ، فتعطى الدم ، لونه الاحمر . والفاحص ينظر كذلك الى الدم عَبْر عدسة المجهر ليتأكد من سلامة هذه الكرات .



اما فقر الدم فانواع ، بعض له الشفاء حاضر ، وبعض شفاؤه متعسر ومتعذر .

ومن هذه الصنوف فقر الدم الذى سببه نقص فى الحديد ، وهو العنصر الداخل فى تراكيب الصبغة الحمراء . ان مركبات الحديد موجودة بكفاية فى بعض الاطعمة دون البعض . والاطعمة التى فيها الحديد قلة هى اللبن والجبن والزبد والسمك الابيض وبعض الخضر . وعلاج ذلك التركز على الاطعمة التى بها الحديد ، او تعاطى مركبات الحديد اقراصا . وهناك حالات يعطى فيهمركب الحديد حقنات .

فقر الدم الخبيث

وهذا المرض يرجع الى نقص فى الفيتامين الذىرمزه ب ١٢ اوبالافرنجية B_{12} انه يوجد فى كثير من الاطعمة ، ولكن بعض الامعدة تعجز عن امتصاصه وينتج عن هذا ان خلايا الدم الحمراء يقل عددها ويقبح شكلها . ويفقد المريض من وزنه ، وتقصر انفاسه ، ويصفر جلده . وهذا المرض كان ينتهى عادة بالموت . ثم وجد له علاج ، ذلك خلاصة الكبد . واخيرا امكن التحكم فى هذا الداء بواسطة الفيتامين ب١٢ نفسه بحقنه في الجسم .

فقر الدم الذى سببه النزيف

وهذا سبب ظاهر . فالحادث الذى يفقد فيه المرء الكثير من دمه ، يحتاج الى ان يتعوض عنه بدم غيره ، من نفس فصيلته . ولكن هناك انواع من النزيف تكاد تخفى ، لعلها هى تلك التى سببت فقر دم زوجتك يا سائلى ، ان كان بها فقر دم حقا . على كل حال هذا هو سبب فقر دم الكثير من النساء ، فان بعضهن يفقدن الكثير من الدم فى العادة الشهرية ، ثم لا يستطعن أن يتعوضن عنه فى بحر الشهر .

لماذا يقول الطبيب للمريض

● اني ، كلما اخذت احدا منابنائي الى الطبيب ، طلب منه ان يفتح فمه ، ويظل يحدق فيه . واحيانا يطلب منه ان يخرج لسانه . فما هو سبب ذلك ، مع اني علمت ان اللسان لا شان له بامراض الجسم .

ــ اما ان اللسان لا شأن له بالكثير من امراض الجسم ، فهذا صحيح . واذن فله شان ببعض هذه الامراض . ومن الاطباء من وصفه بأنه مرآة عاكسة لكثير

فقر الدم بسبب البواسير

وهذا ايضا سبب لا يحتاج الا الى الذكر . فمرض البواسير عندما يشتد يفقد المصاب بهمن استه والمستقيم شيئا كثيرا من الدم النازف . وعلاج ذلك الحاسم بالطبع هو الجراحة .

وفقر الدم الناشىء عن قرحة

كقرحة في الاثنى عشرى . وعلاج ذلك علاج القرحة .

وفقر دم اخطر

بل هما فقران .

اولهما : ينتج عن خلل يقع فى نخاع العظام ، ذلك النخاع الذى فيه تصنع الكرات الدموية الحمراء .

وثانيهما : ينشأ عن انهدام الخلايا الحمراء وخروج الصبغ الاحمر منها وانتشاره في الدورة الدموية في الجسم وهذا يكون بسبب عدوى أو تسمم كيماوى ، او عن مرض وراثى . ويصاب المريض فيه بالصفراء . والعلاج بالحديد فى هذه الاحوال لا فائدة منه . وبعض هذه الامراض يجوز شفاؤه ، وبعضه صعب الشفاء عسيره .



دائما : اخرج لسانك

مما احتجب عن الابصار من خلل الاجساد .

بالطبع اللسان لم يخلق اصلا ليكون مراة عاكسة . انه اداة الكلام او هو بعض اداته . وهو اداة الاحساس والمذاق . وهو عضلة بل عضلات تتحرك فى الفم تجمع الطعام ليظل تحت الاضراس الطاحنة وهو يطحن ، ثم هو يعين فى تشكيلها بلقمة كروية تبلع طرية ، فتجوز الحلقوم الى المعدة .

فهذا بعض خطر اللسان .

اما اللسان فى المرض ، فهو قد يغطي سطحه الاعلى فرو ابيض او فرو اصفر ، يراه الطبيب فيعلم من ذلك أن هناك بعض خلل فى الهضم ، او لعله الامساك المتعاقب . وكذا الرجل العائش على طعام من لبن ، أو يتناول مركبا من مركبات البزموت او الحديد معرض لان يتغطى لسانه بمثل هذا الفرو .

وكذا اللسان الجاف ، قد يكون جفافه من تنفس عن طريق الفم ولا شيء غير هذا ، وقد يكون عن حالة فى الجسم منعته أن يفرز مقدار اللعاب الكافى . والاتروبين Atropine يحدث هذا الاثر . كذا ساعة الحرج والقلق والضيق . واخطر من ذلك نقص مقدار الماء في الجسم ، وذلك بسبب انه يفقد بالبخر اكثر مما يتعوض به من الماء . فعودة الصفاء الى اللسان بعد علاج من هذا الخلل يكون توكيدا لصحة التشخيص وصحة العلاج .

وفى مرض السكر يتراءى اللسان وكانه قطعة اللحم النيئة . وفى فقرالدم يتراءى اللسان أحمر ناعما متوجعا . وفي الصفراء يظهر فيه قليل من الشحوب .

وهو يزرق اذا قل الاكسجين فى الدم .

ونقص فيتامين ب يصيب اللسان بالتهاب ، يتراءى بقعا حمراء ناعمة على سطحه الاعلى .

واللسان متعرض دائما لان يصاب بما يصاب به الفم ، وقد يصاب بقرحة من أجل ذلك والقرحة قد يكون سببها انتقال عدوى الى اللسان .

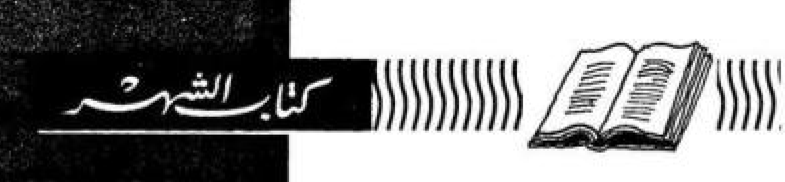
والقرحة قد يكون سببها سن الى جانب اللسان خشنة .

والقرحة التى تظهر فى لسان الرجل الشيخ ، وليس هناك سبب ظاهر لها لا سيما تلك التى تقع فى مؤخرة اللسان والى جانبه ، قرحة لابد من العناية بأمرها .

فقد تكون قرحة سرطانية ، ولو أن ذلك نادر .

فهذا هو خطر اللسان فى الصحة والمرض ، وهو خطر لا شك عظيم .

●●



بقلم : الدكتور محمود السمر

الاستاذ بالجامعة الاردنية

اعترافات

■ هذا الكتاب ، كان كتاب عام ١٩٦٧ في الولايات المتحدة الامريكية .

وهو كتاب جميل،وطريف ، وموضوعه انساني فهو يتحدث عن أول ثورة منظمة قام بها الزنوج في امريكا،وذلك سنة ١٨٣١ في فرجينيا الجنوبية. وراس هذه الحركة هو نات تيرنر، الزنجي المثقف، الذي قاد جماعته المكونة من ٧٥ رجلا ، وهاجم بهم ساوثمبتون، فدمروا كل ما وقع تحت أيديهم، وقتلوا ٥٥ من الرجال والنساء والأطفال البيض ، ثم اختفوا عن الأنظار .

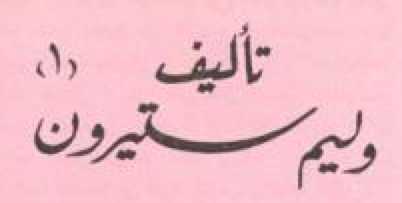
وأخيرا تفشل الثورة ، بعد أن تمكنت قوة مسلحة من الزنوج المخلصين لأسيادهم من تطويق الثائرين ، وتجبرهم على الاستسلام ، بمساعدة عدد قليل من رجال الشرطة . وهنا تكمن السخرية المرة : فالزنوج هم الذين قضوا على ثورةالزنوج. واما نات تيرنر فقد اختبأ داخل كهف ، وبقي فيه محاصرا مدة شهرين ، ثم خرج من مخبئه ليسلم نفسه ، دون مقاومة ، للرجل الوحيد الذى كان يحرس مدخل الكهف .

وقد اعدم كل الذين اشتركوا في حركة التمرد هذه . أما نات تيرنر فاتهم ، بعد شنقه ، عهدوا بجثته الى الأطباء ، فقاموا بسلخها كالشاة ، ومن جلده صنعوا محفظة نقود ، تداولت ملكيتها عائلة من العائلات البارزة في المقاطعة ، واحتفظ أحد الاطباء بهيكله العظمى لسنوات عديدة .

هذه هي الحادثة التي عمرت خيال وليم ستيرون لسنوات طويلة .

ولد وليم ستيرون في الحادى والعشرين من شهر يونيه (حزيران) من سنة ١٩٢٥ ، في مدينة نيوبورت بفرجينيا ، من عائلة جنوبية من الطبقة المتوسطة . وكان والده مهندسا بحريا . وهو ما زال يذكر تلك الحكايات التي كانت تقصها عليه جدته عن العبيد الذين كانت تملكهم ، وكيف انها كانت تخيط لهم ملابسهم وجواربهم ، وتحبهم وترعاهم .

وعندما بلغ وليم سن الثالثة عشرة توفيت والدته ، فحزن عليها حزنا عميقا لازمه سنوات طويلة . وفي هذه السن المبكرة أيضا كتب قصته الأولى . وكان الفتى معنيا بمشكلة الزنوج فيامريكا منذ صغره ، حتى أنه عندما تقدم للامتحان بجامعة ديوك ، وهو في الثامنة عشرة ، كان يحمل تحت ابطه أقصوصة تدور حول هذه المشكلة . وكانت هذه الأقصوصة هي أول ما عرض من انتاجه على أستاذه الناقد المعروف بلاكبرن Blackburn وعندما قراها استاذه لم يبق عنده شك في أنه أمام موهبة فتية تبشر بمستقبل في عالم الأدب ، فتولاه بالرعاية . وكان هذا التشجيع حافزا للفتى الطموح . وفي رايي أن الناقد الكبير ، أو الأديب العظيم ، لايستطيع أن يعين أو يوجه الا الموهوبين، كما أنه لا يملك أن يعلم غيره أسلوبا معينا في



نات تيرنر

الكتابة ، وان كان يملك أن يرشده ، ذلك لأن اسلوب الكاتب لا يتكون الا بعد مران طويل .

وتحت اشراف الأستاذ بلاكبرن ، كتب ستيرون اقصوصة ثانية تدور حول شنق زنجي بطريقة وحشية ، على يد البيض ، في مدينة من مدن الجنوب . وقد نشرت هذه الأقصوصة في كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من الأقاصيص لكتاب ناشئين . وأخذ نجمه يبزغ بعد نشره قصته « اضطجع في الظلام » Lie Down in Darkness اذ استقبلها النقاد بالاعجاب ، ومن أجلها منح « جائزة روما للأدب » . وكان مما قاله فيها الناقد جون الدرج Aldridge : « اننا نسيء الى ستيرون اذا قلنا ان قصته نفحة من نفحات العبقرية ، ولكنا على يقين بأنها شيء يستحق الاعجاب من ابن خمس وعشرين سنة ، ففيها كل العناصر التي تبشر بانه سيكون كاتبا مرموقا في المستقبل » .

وقد أعانه المال الذى كسبه منها على السفر الى اوروبا ،حيث اقام في باريس زمنا ، عكف فيه على كتابة قصته « المسيرة الطويلة » The Long March وفي باريس التقى بالادباء والفنانين . ثم انتقل الى روما سنة ١٩٥٣ ، وفيها التقى بفتاة أمريكية ثرية ، أحبها ثم تزوجها . وعاد الى امريكا ليستقر هناك ، ويزور اوروبا بين حين وآخر .

★ ★ ★

وستيرون يكتب ببطء ، ولكن بعناية وبعد تأمل طويل ، وما يكتبه طيلة اليوم لا يزيد عن صفحتين او ثلاث ، وهو اذا كتب شيئا لا يجرى عليه تعديلا . كما انه لا يبدأ بالكتابة الا بعد أن يرتب في ذهنه ما يريد أن يكتبه ، ولا يبدأ بالفصل الثاني، مثلا ،الا اذا كان راضيا عن الفصل الأول. وستيرون من المعنيين جدا بالأسلوب ، وباختيار الألفاظ .

★ ★ ★

وأصدقاؤه الخلص ثلاثة ، هم : جيمس بلدوين Baldwin الكاتب الزنجي المعروف ، ونورمان ميلر Mailer ، من الكتاب الغاضبين، وجيمس جونز . ويشترك الأربعة في ثورتهم على قيم مجتمعهم . وكثير من التأملات والآراء الواردة في « اعترافات تيرنر » انما هي من وحي الاحاديث الطويلة التي كانت تدور بينهم في مجالسهم . ومثال ذلك أن جيمس بلدوين يقول في احد كتبه ، مخاطبا الأمريكان البيض : « لقد كنا دوما على يقين بانكم مستعدون لاطلاق النار علينا ، لاوهى الأسباب . وبعملكم هذا خلقتم شعبا لا يرهب

(١) William Styron, The Confessions of Net Turner

رصاصكم ، لانه لا يملك من هذه الدنيا شيئا يمكن أن ياسى عليه .»

وهذا المعنى نفسه هو ما يردده ستيرون في « اعترافات نات تيرنر » عند بيانه لدوافع ثورته .

وبلدوين ، وستيرون متفقان على أن مشكلة التمييز العنصرى ليست مشكلة زنجية فقط ، بل مشكلة أمريكية ، تضر بالبيض ، كما تضر بالسود .

وستيرون من أشد المعارضين للحرب في فيتنام ، ولكل انواع الحروب التى تشنها امريكا ، وقد انقذه من التجنيد ضعف في احدى عينيه . وتعبيرا عن كراهيته للحرب رفض حضور الاحتفالات التى يقيمها الرئيس جونسون في البيت الابيض ، وهو يردد دائما انه سيرفض كل دعوة توجه اليه من البيت الابيض،ما دام يسير علىسياسته الحالية.

★ ★ ★

ونقف الآن عند « اعترافات تيرنر » ، فنقول : ان ستيرون قد ندب نفسه لمهمة عسيرة ، لان ما بين ايدينا عن هذه الثورة نزر قليل ، لا يعدو كراسا صغيرا في نحو خمسين ألف كلمة املاها نات تيرنر على محاميه واسمه توماس ، ولا نعرف عنه اكثر من هذا . وقد نشر هذا الكراس في بلتيمور سنة ١٩٣١ . وبالاضافة الى هذا فهناك ما هو موجود في السجلات الرسمية ، وما كتبته صحف تلك الأيام . وهى في مجموعها « لا تستغرق من المؤرخ سوى جهد ايام قليلة ، وهى في اكثرها مضللة » — كما يقول ستيرون .

ولا يذكر الطاعنون في السن ، من أهل ساوثمبتون عن نات تيرنر وثورته ، سوى أنه كانت هناك شجرة قيل لهم انها الشجرة التى شنق عليها ، وكانوا في طفولتهم يدورون حولها ، ويدقون باكفهم على ساقها ، ويقولون : « نات ، نات ، لم فعلت ما فعلت ؟ » اما اليوم فلا اثر لهذه الشجرة . ويشير الجيران الى بيت تقطنه عائلة زنجية ، قائلين : انه البيت الذى كان يقيم فيه نات تيرنر . اما السجن الذى ضمه ، قبل تنفيذ حكم الشنق فيه، فقد أزيل منذ سنوات قليلة لتوسيع الشارع .

وقد أثارت هذه الحادثة ، قبل ستيرون ، كاتبة قصصية مشهورة ، وباحثا جامعيا : فالكاتبة القصصية هاربيت بيتشر ستاو Harriet Beecher Stowe مؤلفة « كوخ العم توم » ، أشهر كتاب كتب دفاعا عن الزنوج ، استوحت منها موضوع قصة بعنوان « Dred » ، كما اتخذها طالب جامعى ، من الأمريكان البيض المعارضين للتمييز العنصرى موضوعا لرسالة دكتوراه قدمها لجامعة جونز هوبكنز سنة ١٩٠٠ ، وعيب هذه الدراسة بُعدها عن الموضوعية ، والدقة العلمية ، فهى اشبه بخطبة عاطفية ، ولهذا لا يصح الاعتماد عليها .

★ ★ ★

وكان من الممكن أن تظل هذه الحادثة صفحة مذكورة في كتب التاريخ فقط ، لا يقع عليها سوى المختصين ، لولا أن أتيح لها وليم ستيرون ، ابن المنطقة ، لينفض عنها غبار النسيان ، ويبرزها بكل تفاصيلها ، وجوانبها الانسانية ، بعيدا عن عصبية الجنس واللون ، مازجا بين دقة المؤرخ وخيال الكاتب القصصي المبدع .

ولا يعسر على القارىء أن يدرك أن المؤلف لم يرد من نبش الماضي تسجيل حادثة كاد أن يطمسها الزمن ، ثم يكتفى بهذا . انه بكتابه يضع أصبعه على مشكلة التمييز العنصرى ، وهى مشكلة تصيم المجتمع الأمريكى الى اليوم ، كما انه يعرض القضية من وجهة نظر الزنجى ، ويبين أن عند الزنجى الكثير الذى يستطيع أن يقوله في تبرير لجوئه الى العنف احيانا ، فكانه بهذا يصرخ محذرا من مغبة ما هو قائم اليوم من جفوة بين الأمريكيين : من بيض وزنوج .

لقد عاشت هذه الحادثة عشرين عاما في خيال ستيرون ، قبل أن يقرر أن الوقت قد حان ليضعها على الورق . وخلال العشرين عاما هذه عكف على جمع كل ما يمكن جمعه عنها : فاستنطق السجلات الرسمية ، وصحف تلك الأيام ، واستمع الى ما يحفظه الأبناء والاحفاد رواية عن الاجداد ، ثم تقمص هو نفسه شخصية نات تيرنر ، فاذا بحصيلة هذا كله ، هذا الكتاب الفريد .

انه يجرى من أوله الى آخره على لسان تيرنر بصيغة المفرد المتكلم ، فاذا بنا نحس بعمق بما كان يحس به الزنجى الامريكى في عام ١٨٣١ ، وندرك بوعى معنى أن يكون المرء زنجيا ، وعبدا مسلوب الحرية ، والارادة . لقد نفض ستيرون

عن نات ترنر غبار القبر ، فاذا به يحيا بيننا من جديد ، ليخز الضمير الامريكى ، ويعذبه . وكان انتهاؤه من آخر عبارة في الكتاب في العاشر من شهر يناير (كانون الثانى) من سنة ١٩٦٧ ، وفي ساعة متأخرة من الليل . وقد بلغ من ابتهاجه ان أيقظ كل من في البيت ، حتى الأطفال ، ليحتفلوا بهذه المناسبةاحتفالا امتد حتى الصباح. انه جهد أربع سنوات من الكتابة المتواصلة .

وقد علق ستيرون على كتابه بعد الفراغ منه ، فقال : « انا لم أكتب قصة نات ترنر ، الا لأننى احس وكأننى انا ترنر الجديد .. ترنر بكل ما فيه من ثورة على الاوضاع والقيم السائدة في وطنه » .

وعلق جيمس بلدوين على الكتاب ، فقال : « اننى لأجد شيئا منى في شخصية نات ترنر ، ولو كنت ممثلا لتمنيت أن أقوم بدوره على المسرح وفي السينما » .

وتسابقت دور النشر لشراء حق نشره من مؤلفه : فاشترت احدى الدور حقوق الطبعة الشعبية بمبلغ مائة الف دولار ، ونشرت مجلة Harper مقتطفات من الكتاب في أحد أعدادها مقابل سبعة آلاف وخمسمائة دولار ، وهو اكبر مبلغ دفعته المجلة لكاتب ، خلال عمرها الذى يبلغ مائة وسبعة عشر عاما . واشترى منه «نادى كتاب الشهر » حقوق نشره وتوزيعه على الأعضاء مقابل مائة وخمسين الف دولار . وتسابق دور النشر لشراء حقوق طبعة أنيقة منه ، ويبلغ عدد صفحاتها أكثر من اربعمائة . وفي بضعة أيام بيع من الكتاب أكثر من مائتى الف نسخة .

★ ★ ★

تبدأ الاعترافات ونات ترنر في السجن ، الى محاميه ، وهو يقرأ عليه ما أملى عليه من اعترافات . انه جائع ، متعب ، تكاد أطرافه تتجمد من شدة البرد . وهو ينتظر صدور الحكم عليه ، بهدوء واستسلام ، مع انه يعرف مقدما انه لن يكون سوى الشنق حتى الموت .

ونحن نحس أن الحركة في الصفحات الأولى بطيئة ، لأن المؤلف يحاول أن ينقل الينا الاطار العام ، والجو الخارجى لموضوعه . ويعود بنا نات في هذه الصفحات الى أيام طفولته ،ويرسم لنا بوضوح وعمق حياة العبيد في ظل أسيادهم . وعندما بلغ نات الثانية عشرة سمح له مالكه بأن يتعلم القراءة والكتابة ، مخالفا بذلك القانون الموضوع الخاص بالعبيد . وهكذا نشأ نات ترنر عبدا مدللا ، يعمل في البيت لا في الحقل، مغرورا، معجبا بنفسه ، حتى انه ليخجل من اخوانهالعبيد الذين يعملون في الحقول ، ويكره الظروف التى يحيا في ظلها ، ويحقد على الرجل الأبيض لأنه السبب في كل ما هو فيه . وهو يترفع عن النظر الى المرأة الزنجية ، ولكنه يذوب شوقا الى امرأة بيضاء .

ويتوقف المحامى ليشرح لنات ترنر أنه ، وهو العبد المملوك ، لا يختلف في نظر القانون عن أى متاع ، ومن حق مالكه ان يتصرف فيه بالبيع او الايجار ، وأن يعاقبه بالسجن والضرب ، وحتى بالموت . وهكذا نجد المؤلف يوجه النقد المر للنظم التى يقوم عليها المجتمع الامريكى .

ثم نجد ستيرون يعرض علينا ما يدور داخل عقل نات ترنر من أفكار وخواطر لا يجرؤ على البوح بها ، خشية أن يغضب محاميه : « ان مثل هذا الكلام ، يصدر عن الرجل الأبيض ، قد اعتدت عليه طيلة حياتى ، وهو كلام لا أجد له شبيها الا في أحلامى المزعجة .. انه غير معقول اطلاقا ، ومع هذا فهو واقع معمول به .. »

ونلاحظ ان عقل ترنر يعمل على مستويين : مستوى الاعترافات ، وفيها يبوح لمحاميه بالكلام الذى يستطيع أن يهضمه . ومستوى المونولوج الداخلى . أى تلك الخواطر التى لا يستطيع أن يصرح بها ، حتى وهو يعلم أنه مشنوق لا محالة.

ونستمر في الاعترافات ، فاذا بنات ترنر وقد بلغ الثلاثين من العمر ، واذا بكل ما كبته في نفسه طيلة السنوات ، ينفجر مرة واحدة . لقد خيل له أن الوقت قد حان لانتقام الزنوج من البيض ، واذا به يجمع حوله عددا مختارا من الزنوج الناقمين ، ويأخذ بالاجتماع بهم في الغابة ، « وتحدثت اليهم ، موضحا خططى للانتقام ... ثم أخذت أستمع اليهم ، فادهشنى أنهم جميعا لا يروى غليلهم سوى قتل البيض ، وأن القتل وحده هو طريقهم الى الحرية ... واذا قتلوا فانهم سيجابهون الموت برضى ، اذ ليس هناك ما هو أسوأ مما هم فيه . »

وهكذا يقودهم نات تيرنر للقيام بمجزرة رهيبة، احكم حبكها ، واستمرت ثلاثة ايام متتالية . وتكشف هذه المجزرة عن ان نات يكره القتل في اعماق نفسه ، وانه حمل حملا على ركوب هذا المركب الخطر ، فهو لم يستطع ان يسدد ضربة قاتلة لأحد البيض ، وكان بامكانه ان يفعل ذلك . وخلال الأيام الثلاثة لم يقتل نات تيرنر سوى مرة واحدة ، وكانت ضحيته فتاة شابة عرفها عن قرب ، واحبها في صمت ، وغيظ مكبوت ، لأنها كانت تترفع عن مبادلته حبه .

★ ★ ★

وينتهي الكتاب ، ونات تيرنر يتقدم نحو المشنقة المعلقة على شجرة الجميز ، ويحلم بفتاته التي بلغ من حبه لها ان اقدم على قتلها : « انها تضمني اليها ، وتبكي بحرقة ، وهي تحبني ولكن العيون المتربصة تدفعها بعيدا عني .. انها تضمني .. ابيض واسود يتحدان ، ليكونا وحدة لا انفصام لها » .

والرمز في هذه الخاتمة واضح : فالمؤلف يرى انه ، رغم ما لقي ويلقى الزنوج على ايدي البيض، فان الوحدة القومية لا يمكن ان تكون سليمة الا بعد اذابة كل الحواجز المصطنعة ، والغاء كل ضروب التمييز العنصري .. وهذا امر لا مفر منه، وهو لا بد آت .

★ ★ ★

ان القارىء لا يملك ، بعد الفراغ من قراءة هذا الكتاب الا ان يعجب بنات تيرنر ، ورغبته في التحرر ، والعيش كانسان ، لا كمتاع ، ويشاطره آلامه .

اننا هنا امام انسان ذكي وشجاع . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

المنهج العلمي في صناعة السياحة النظرية العامة للسياحة

الجزء الاول

تأليف الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب/الناشر/ مطابع دار النشر للجامعات المصرية / القاهرة

● دراسة وافية عن صناعة السياحة في العالم، والكتاب يقع في فصول ستة يتناول كل فصل جانبا من جوانب السياحة ، ففي الفصلين الاولين يتحدث المؤلف عن ماهية السياحة وتطورها ثم ارتباطها ببعض العلوم والظواهر الانسانية ثم يتناول في الفصول الباقية ، السياحة والسياسة الاقتصادية ، والأسس العلمية لتنشيط السياحة والتسويق السياحي ، وقد زود الكتاب بمجموعة من الاحصاءات والرسوم التوضيحية .

تحويل الماء الملح الى ماء عذب

تأليف يوسف مصطفى الحاروني / الناشر : مطابع دار القلم / القاهرة

● كتاب علمي يبحث في تحويل الماء الملح الى ماء عذب ، والطرق الكثيرة الحديثة في تقطير الماء الملح مثل التقطير الوميضي والتقطير بكبس البخار ، ثم الطرق الاقتصادية العلمية العملية في تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة .

دويستويفسكي

تحرير : رينيه ويليك/ ترجمة : نجيب المانع الناشر : المكتبة العصرية / صيدا ـ بيروت

● دراسة مستفيضة عن الكاتب فيدور دوستويفسكي واعماله الفنية . والكتاب نقطة التقاء لوجهات نظر مختلفة ففيه نظرة التحليل النفسي والنظرة الوجودية واللاهوتية والماركسية الى جانب مقدمة مستفيضة عن تاريخ نقد دوستويفسكي وتاثيره في عدد من مدارس النقد .

التنمية الاقتصادية

تأليف عبد الله مكسور / الناشر : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى / دمشق

● بحث يدور حول عمليات التنمية الاقتصادية في بلاد العالم الثالث التى هى في مسيس الحاجة الى هذه العمليات وخططها والكتاب مقسم الى فصول خمسة ، تناول في الفصل الاول التخلف الاقتصادى وصفات الدول المتخلفة . وفي الفصل الثانى التنمية الاقتصادية وعوامل النمو فى نظريات التنمية ثم الطريق العربى الى التنمية .

معطيات الحضارة المغربية

تأليف : عبد العزيز بنعبد الله

الناشر : دار الكتب العربية ـ الرباط

● فذلكة جامعة لمختلف مظاهر الحضارة المغربية وحقيقة تاريخها وتراثها القومى والانسانى والكتاب يقع في جزئين يتناول معطيات هذه الحضارة من جوانبها العديدة وقد خصص الجزء الاول من الكتاب للمظهر الفكرى والروحى للحضارة ، وفي الجزء الثانى تكلم عن المظهر الحضارى الاجتماعى ثم المظهر الحضارى الاقتصادى ثم المظهر العسكرى والدبلوماسى .

صلاح الدين الايوبى

تأليف قدرى قلعجى/الناشر : دار الكاتب العربى بيروت

● دراسة تاريخية مستفيضة عن صلاح الدين الايوبى ، وقصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد ، والحملات الصليبية المتتابعة على البلاد العربية وقوادها والمواقع الحربية التى حدثت ، والكتاب مقسم الى ثلاثة اجزاء ، في الجزء الاول الحملات الصليبية قبل صلاح الدين ، ثم في عهد صلاح الدين واخيرا خلفاء صلاح الدين .

كيف نكتب تاريخنا القومى ؟

تحقيق مجلة المعرفة / الناشر : مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

● ندوة ثقافية كبيرة ، نظمتها مجلة «المعرفة» بين لفيف من اساتذة التاريخ العربى حول موضوع اعادة كتابة تاريخنا القومى : لمن يكتب ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

الأيام الحاسمة قبل معركة المصير

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب

الناشر وزارة الثقافة والارشاد/ بغداد

● دراسات عسكرية ترمى الى خلق وعى عسكرى بين ابناء الشعب العربى ، وشحذ الهمم لحشد الطاقات المادية والمعنوية للجهاد ، ثم ابراز ما يمكن ان يحدث في الحرب بكل صراحة ووضوح، ليكون الشعب على بينة من أمره ، فلا يؤخذ بالاحداث على حين غرة فتنهار معنوياته .

اصول الاستنباط

تأليف العلامة على تقى الحيدرى/الناشر منشورات مكتبة أهل البيت العامة مطبعة الرابطة / بغداد

● كتاب مقدم الى طلاب علم أصول الفقه ومحاولة لتوضيح ما خفى من دقائق هذا العلم ، وتسهيل ما صعب منه وتقريبه الى ذهن القارىء ، وقد أورد المؤلف شذرات موجزة مما يحتاج اليه في استنباط الاحكام الشرعية وقد حاول المؤلف تبديل المصطلحات الدقيقة بالفاظ واضحة توضح ما خفى من دقائق هذا العلم، وتقريبه الى الاذهان.

الحمامات الدمشقية وتقاليدها

تأليف منير كمال / الناشر : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى

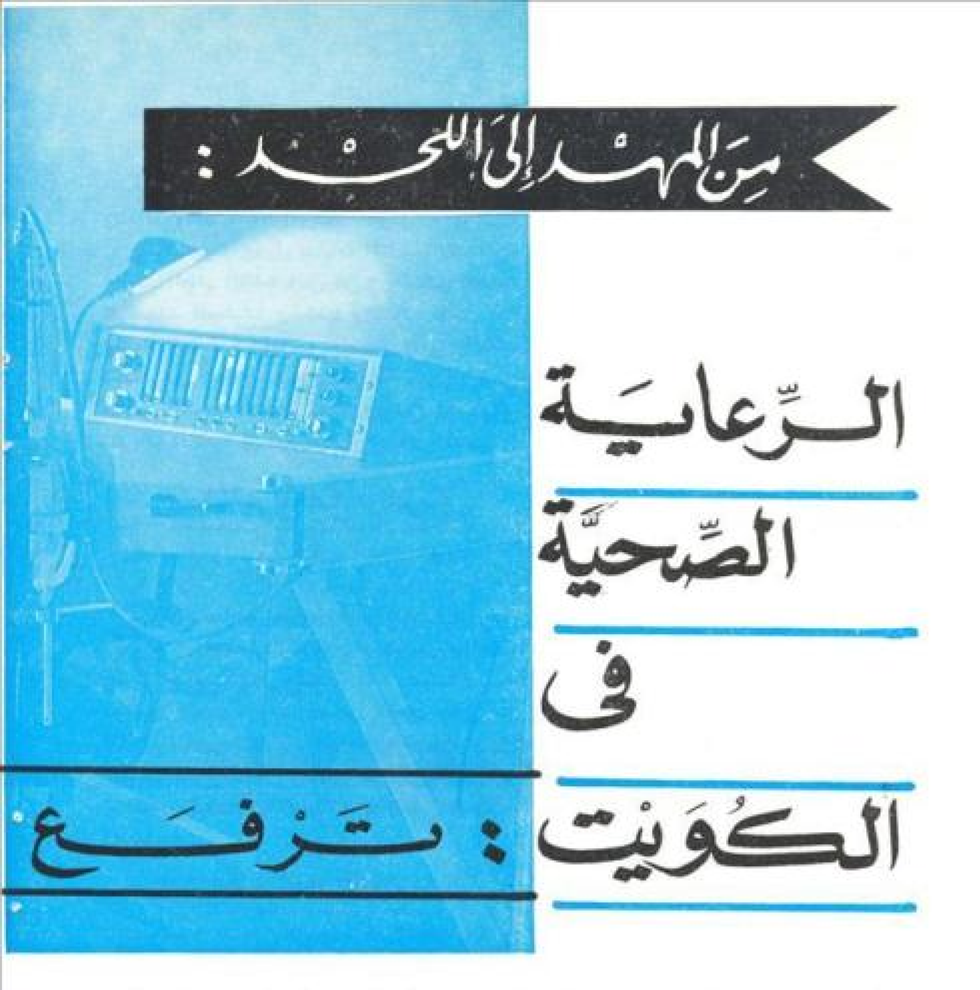
● دراسة عن الحمامات الدمشقية منذ غابر العصور الى عصرنا الراهن ، وذكر أسماء هذه الحمامات ووصفها والمناطق التى تقع فيها ومميزات كل حمام عن الآخر والشروط اللازم توافرها في ساحة الحمام ، وعدد العمال واختصاصهم ثم بعض الحوادث الطريفة التى وقعت في هذه الحمامات .

الامام الثائر : السيد مهدى الحيدرى

تأليف السيد أحمد الحسنى / الناشر : مطبعة الاداب في النجف الأشرف / العراق

● ترجمة وعرض عام لجهاد العلماء ضد الانجليز في العراق في شخص السيد مهدى الحيدرى وما قدم هذا العالم من صفحات مشرقة في العلم والتضحية والبطولة والجهاد ، ومكانته العلمية والدينية وآثاره العلمية وصفاته ومزاياه .

■■



من المهد إلى اللحد :

الرِّعايـة الصِّحيَّة في الكُوَيْت : تـرْتفـع

■ منذ نحو ٦٠ عاما كان متوسط عمر الفرد الكويتي هو خمسة واربعون سنة !

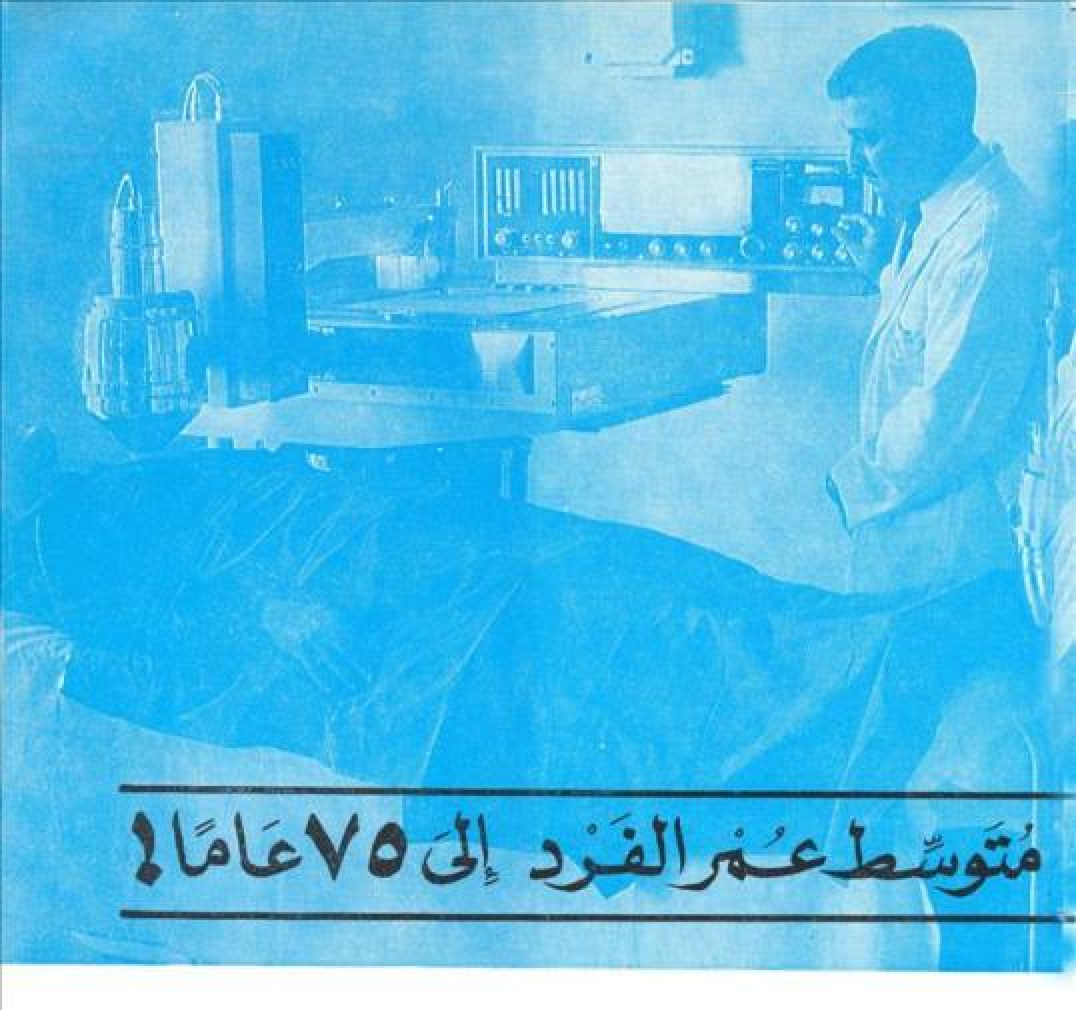
اما اليوم فلم يعد ثمة اي عائق امام الفرد الكويتي ليعيش خمسا وسبعين سنة !

ففي ذلك العهد لم يكن في الكويت سوى طبيب واحد ، هو الدكتور التركي « اسعد » الذي احضرته « الجمعية الخيرية » من البصرة ، في عهد حاكم الكويت السابع المرحوم الشيخ مبارك الصباح ، لعلاج الاهالي ..

اما اليوم فقد اختلفت الصورة تماما ، واصبحت الكويت تضم ٥٤٧ طبيبا ، اي بمعدل طبيب لكل ٨٠٠ نسمة ، وهذه نسبة ممتازة ، شريطة ان يصاحبها وعي شعبي منتشر بين جميع الطبقات ، كالوعي الذي يجده الانسان في الامم المتقدمة امثال انجلترا وامريكا وفرنسا وغيرها ..

وتبدأ العناية بصحة المواطن في الكويت ، وهو ما يزال جنينا في احشاء امه !

فالفحوص الطبية ، والتحاليل ، والمحاضرات التي تحمل النصح والارشاد ، تقدم جميعها للحوامل اللواتي يترددن على مراكز رعاية الطفولة والامومة ، حتى لا تكون هناك فرصة لتسلل اي مرض ، قد يؤثر على الحمل او على الجنين .



مُتوسِّط عُمر الفرد إلى ٧٥ عاماً!

فئتان من النساء ..

وعند اقتراب موعد الولادة ، تنقسم النساء الى فئتين : فئة تفضل الولادة فى المستشفى تحت رعاية الطبيب ، وهذه نسبتها ٦٥ امراة من كل مائة حامل في الكويت .. اذ بلغ عدد حالات الولادة فى المستشفيات ١٥٣١١ حالة خلال عام ١٩٦٦ .

وفئة ثانية تفضل الولادة فى المنزل ، او فى مركز رعاية الأمومة والطفولة ، على ايدى قابلات مولدات متخصصات .

لقد راعت وزارة الصحة تقاليد البلاد ، فخصصت مجموعة من المولدات يقفن دائما على اهبة الاستعداد ، ينتقلن فور تلقيهن اشارة هاتفية او استدعاء شخصيا الى المنزل حيث تتم الولادة فيه ، ما دامت الحامل فى حالة طبيعية .

ونسبة النساء اللواتى وضعن فى المنازل ومراكز الأمومة بالكويت ، هي ٣٥ امراة من كل مائة حامل ، اذ بلغت حالات الولادة ٨٣٣٦ حالة فى عام ١٩٦٦ .

ارشاد فى المنزل

وبمجرد رؤية المواطن الطفل للنور تبدأ العناية به فيتلقاه قسم الطفولة ، ويشرف عليه علاجيا ووقائيا .

ويفتح له ملفا خاصا به . يظل معه

من طفولته حتى شيخوخته .. انه نظام التسجيل الصحى ..

اما الطفل المولود فى المنزل ، فيوضع مع والدته تحت الرعاية الطبية لفترة شهر كامل ، تزورهما خلاله الزائرة الصحية ، وتقدم لهما كل مساعدة ممكنة فى المنزل ، مع توجيه الأم الى وسائل العناية الصحية بمولودها ، من ناحية نظافته وغذائه وملبسه وتحصينه ضد الامراض المعدية ، من جدرى ودفتريا « الخناق » وشلل الاطفال ، وذلك بتطعيمه فى المواعيد المحددة للتطعيم ضد كل واحد من هذه الامراض .

ويسجل المولود فى سجلات المواليد الرسمية بمركز الصحة الوقائية ... ويعطى ولي أمره شهادة ميلاده .

هوية صحية ..

وما يكاد الطفل يلتحق بالمدرسة في سن السادسة من عمره حتى يفتح له ملف صحي ، يظل مرافقا له من ساعة دخوله رياض الأطفال حتى تخرجه من الجامعة اذا هو دخلها ! يسجل فيه كل ما يصيبه من امراض ، وما يجرى له من تلقيح وتطعيم ، وفحوص وعلاج وعمليات !

ويصبح هذا الملف جزءا متمما لملفه الاصلي فى التسجيل الصحى .

ويقوم بخدمة الطلبة جهاز صحي كامل يضم ٤١ طبيبا مختلفا ، يطلق عليه اسم الصحة المدرسية ، ومهمته الاشراف اشرافا كاملا على صحة ١١٢ الف طالب

تبدأ الرعاية الصحية للمواطن الكويتى ، وهو ما يزال جنينا فى بطن امه ، ويصبح قسم رعاية الامومة والطفولة مسئولا عن رعاية الحامل فى جميع اطوارها ..



وتقدم للامهات الحوامل بعض الدروس العملية المفيدة عن حمام الطفل ، وملابسه ، وغذائه ، وتحصينه ضد الامراض المختلفة .. كما ترى فى الصورة اليسرى .

وطالبة و ٦٣٣١ معلما ومعلمة .. حتى أثناء المباريات الرياضية ، يجلس الطبيب بين المتفرجين ، ليعالج اى حالة قد تنشأ خلال المباراة ..

« النكاف » هو مرض الطلبة

وقد بلغ عدد المراجعين فى السنة لعيادات الصحة المدرسية ١٧٣٠٥٠ مريضا ، اتضح من خلال مراجعاتهم ان مرض النكاف او التهاب الغدة النكفية، القريبة من الاذن Mumps هو أكثر الامراض انتشارا بينهم ، اذ بلغ عدد حالاته ١٥١٨ حالة فى عام ١٩٦٦ .

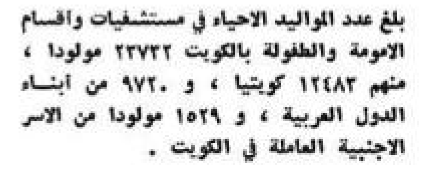
وبلغ عدد الذين راجعوا عيادة الامراض الجلديه ١٥١٣١ مريضا ، وقامت عيادة الأنف والاذن والحنجرة بفحص ١٠٢١٢ مريضا .. وعيادة العيون فحصت ١١٨٨٢ مريضا ، وقررت ضرورة وضع نظارات على عيون ٣٧ الف طالب وطالبة .. اما عيادة الأمراض الباطنية فقامت بفحص ٧٥٢٢ مريضا .

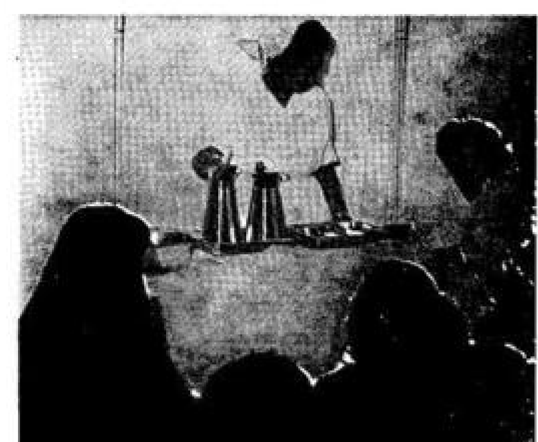
خلع ٢١ الف ضرس !

وتلقى أسنان الطلبة عناية خاصة من وزارة الصحة التي افتتحت ١٣ عيادة أسنان لخدمة المدارس ، علاوة على عيادة الجامعة .

وقد دلت الفحوص التي اجريت على ٣١١٧١ تلميذا وتلميذة ، أن نسبة ٦٩٪

بلغ عدد المواليد الاحياء في مستشفيات واقسام الامومة والطفولة بالكويت ٢٣٧٣٢ مولودا ، منهم ١٢٤٨٣ كويتيا ، و ٩٧٢٠ من أبناء الدول العربية ، و ١٥٢٩ مولودا من الاسر الاجنبية العاملة في الكويت .

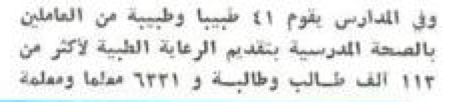






حتى الاطفال الذين يولدون ووزنهم أقل من ٢/١ ٢ كيلوجرام يوضعون داخل الحاضنة الصناعية Incubater لمدهم بالكمية الكافية من الاكسيجين





وفي المدارس يقوم ٤١ طبيبا وطبيبة من العاملين بالصحة المدرسية بتقديم الرعاية الطبية لأكثر من ١١٣ الف طالب وطالبة و ٦٣٢١ معلما ومعلمة

منهم ، اى ٢١٣٥٢ طالبا وطالبة ، في حاجة الى علاج لاسنانهم !

وهذا تطلب خلع ٢٠٨٢٦ سنا ،وحشو ٢٠٩٩١ اخرى .

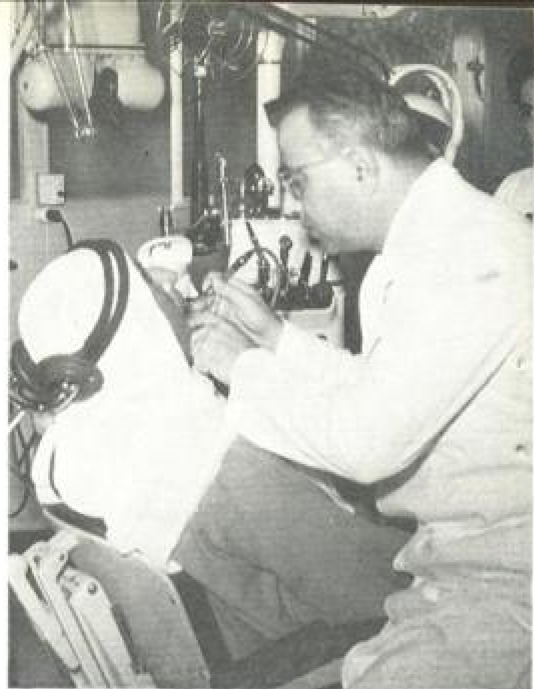
وروعيت الحالات النفسية للطلبة فاقيمت عيادة نفسية الحقت بالصحة المدرسية ، لم يتردد عليها سوى ٦٦٩ طالبا وطالبة .

وتولي الصحة المدرسية عناية خاصة بمكافحة امراض العيون وخاصة التراخوما ، كما تعنى كذلك بمكافحة السل .. ولكل من هذين المرضين خطة مرسومة تطبق بدقة . وتجرى حاليا عملية فحص شامل لصدور جميع الطلبة والطالبات والموظفين بمدارس الكويت ، للتأكد من سلامتهم من الأمراض الصدرية ، ويتم تحصينهم ضد السل بتطعيمهم بطعم بي سي جي بعد عمل اختبار التيوبركلين .





نحو ٢٠ الف عملية جراحية كبيرة وصغيرة أجريت في الكويت خلال عام واحد .. وكلها بالمجان ..



٤١ طبيبا وطبيبة أسنان يقومون بالعناية اللازمة بأسنان المواطنين ، ويخططون لمشروعاتها العلاجية

عدة الوطن في المستقبل ..

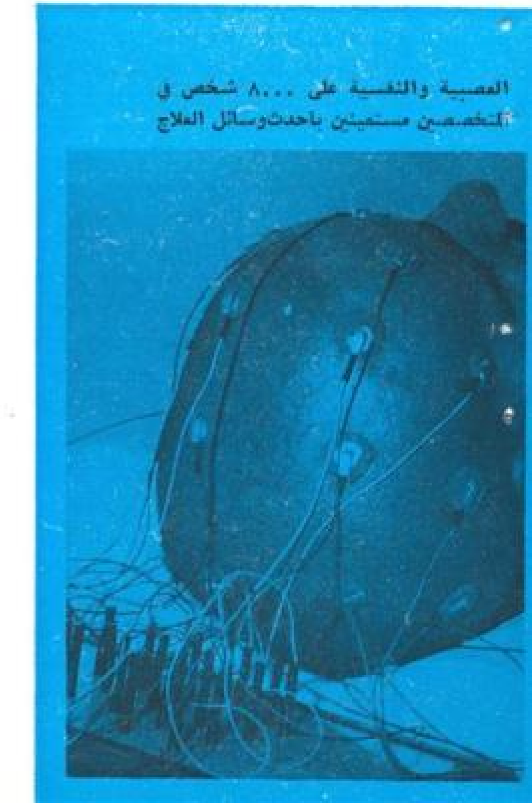
والخلاصة ان هدف وزارة الصحة العامة — كما بينه لنا وكيلها السيد يوسف الحجي — هو « **تقديم الرعاية الصحية للتلاميذ والتلميذات وقاية وعلاجا ، ايمانا من الوزارة بان العقل السليم في الجسم السليم ، والتلاميذ هم عدة الوطن في المستقبل ، لذلك كان من الضروري توجيه عناية طبية خاصة لهم ، حتى نبني جيلا قويا سليما خاليا من العلل والأمراض ...** » .

١٢ مليون دينار للصحة !

وبعد تخرج المواطن من المدرسة او الجامعة يجد امامه الخدمات الصحية العامة متوفرة جميعها على نطاق واسع يصل حتى العلاج بالكوبالت المشع ومختلف الاشعاعات الاخرى ..

ويقدر ما ينفق على تمويل هذه

العصبية والنفسية على ٨٠٠٠ شخص في المتخصصين مستعينين باحدث وسائل العلاج



الخدمات الصحية بأكثر من ١٣ مليون دينار سنويا .

وهذه الميزانية هي التي جعلت لكل ١٥٠ مواطنا سريرا في المستشفيات الحكومية الاثنتى عشرة .

وهذه الميزانية هي التي سمحت باجراء ٢٠ الف عملية جراحية بالمجان.

وهذه الميزانية هي التي سمحت بتقديم الدواء مجانا في جميع المستشفيات والمستوصفات ومراكز الصحة العامة..

ولكن هذه الخدمات المجانية جعلت هناك شبه تزاحم على الغرف الخاصة بالمستشفيات ، مما حدا بالوزارة الى فرض رسم رمزى على هذه الغرف للحد من الاقبال الزائد عليها .

العلاج في الخارج

وبالرغم مما وفرته الوزارة من عناية طبية ممتازة على احسن المستويات ، بشهادة كبار الاخصائيين العالميين ، وبالرغم من الكفاءة الكاملة التي تدار بها المستشفيات ، باعتراف اكبر الكليات والمؤسسات الطبية العالمية ... بالرغم من كل ذلك فان وزارة الصحة بالكويت لا تتوانى مطلقا في ارسال اي مواطن كويتي محتاج الى علاج ، او الى جراحة خاصة غير متوفرة في الكويت ، ترسله الى البلد المناسب لاجراء ما يلزم لعلاجه ... وتقوم الوزارة بتحمل مصاريف سفره على عاتقها .. واذا اقتضت حالته سفر مرافق معه فان الوزارة تقوم بتحمل مصاريف سفر هذا المرافق كذلك ..

رعاية المواطن اثناء الحج ..

واثناء سفر المواطنين لاداء فريضه الحج ، ترسل وزارة الصحة بعثة طبية لمرافقتهم والسهر على صحتهم .. وفى العام الماضي رافقت بعثة طبية مكونة من ٧٠ عضوا تشمل اطباء وممرضات وممرضين وصيدليا وكتابا وعمالا ، الحجاج الكويتين البالغين ٣٨٠٠ حاج وقدمت لهم وغيرهم من الحجاج اجل الخدمات .

علاج .. ومكافحة

وحتى الحالات المزمنة الميئوس من شفائها كحالات السرطان والشلل ، التي يتعذر علاجها بالمنازل بسبب الظروف الاجتماعية والعائلية ، هذه الحالات انشيء لها مستشفى خاص هو

الى اسفل : حتى العلاج بالنظائر المشعة من كوبالت وراديوم لمعالجة الامراض والاورام الخبيثة ، اصبح يقدم مجانا لجميع المقيمين في الكويت .. وهذا احد المرضى راقدا تحت جهاز الاشعة العميقة الدوار ، قوة ٣٠٠ كيلو فولت ..



« مستشفى الميدان » لتقديم الرعاية الطبية والنفسية لهذا النوع من الامراض ..

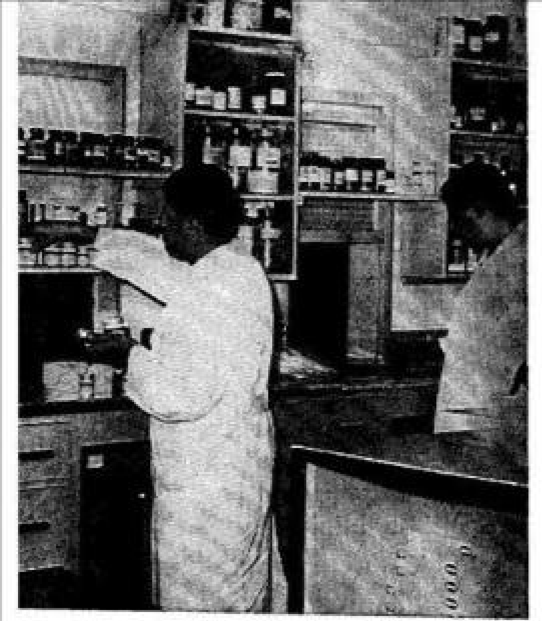
ولا تقتصر مهمة الوزارة على علاج الأمراض التي يصاب بها المواطن دون غيرها ، وانما تعمد الى وقايته وتحصينه بصفة دورية ضد الأوبئة والامراض المعدية ... ويتطلب هذا واجبات ثقيلة من الوزارة من مكافحة للحشرات والجرذان ومراقبة للنظافة العامة بالبلاد ، الى الاشراف على المياه لتكون صالحة للشرب وصحية . وغيرها الكثير من الخدمات الوقائية .

اسباب الوفاة

وهكذا نرى ان وزارة الصحة تسهر على صحة المواطن الكويتي من ولادته حتى ساعة وفاته ، وتجرى الكشف الطبي عليه لمعرفة سبب الوفاة ... وبعدها تنقل جثة المتوفي الى احدى المغاسل المنتشرة في جميع المناطق بالكويت ، حيث يجرى غسله وتكفينه ، ومنها ينقل الى المقبرة المخصصة للمسلمين ، وللمسيحيين مقبرتهم الخاصة . وللبوذيين العاملين فى الكويت محرقة خاصة بهم وطبعا عمليات الدفن هذه ليست من اختصاص وزارة الصحة ، انما تتبع البلدية .

ونسبة الوفيات فى الكويت هي ٥ر٧٪ من عدد السكان اذ بلغت ٢٨١٣ حالة وفاة منهم ١٧٦٦ كويتيا و ١٠٤٧ غير كويتي خلال عام ١٩٦٦ .

واسباب الوفاة هي خير شهادة لوزارة الصحة ، فاكبر نسبة وفاة هي ٢ر١٣٪ وسببها الشيخوخة و ١ر٩٪ بسبب حوادث السيارات و٥٪ فى الحريق ، وامراض الجهاز الهضمي سببت وفاة ٢٩٥ شخصا اى نسبة ٥ر١٠٪ من الوفيات ... وسرعة تطور الحياة فى الكويت سببت ٢٣٨ حالة وفاة بالقلب اى بنسبة ٥ر٨٪ والاطفال الصغار الرضع الذين لم يتجاوزوا السنة الاولى من اعمارهم ، مات منهم ٢٧٦ طفلا ، اى بنسبة ٨ر٩٪ .



ادوية من جميع الانواع ، تقدم بالمجان للمرضى الذين يعالجون في مستشفيات الكويت

ان نظرة الى عدد المواليد فى الكويت تدلنا على انهم بلغوا ٢٣٧٣٢ نسمة .. فى حين ان عدد الوفيات كان ٢٨١٣ حالة ... وبمعنى آخر ان الرعاية الصحية التي ينعم بها الفرد فى الكويت جعلت السكان يتزايدون بمقدار ٢٠٩١٩ مواطنا فى العام اى بنسبة ٥ر٤٪ سنويا .

العلاج الخاص

وقد اذنت الحكومة فى السنوات الاخيرة لكثير من الاطباء بممارسة طبهم فى المدينة بطريقتهم الخاصة ، فاصبحت لهم عيادات يؤمها الكثير من المواطنين ، والاطباء فيها من عدة جنسيات . وقامت كذلك مستشفيات خاصة ، بعضها للولادة ، وبعضها للامراض عامة ..

وهذه العيادات والمستشفيات الخاصة ، تخضع للتفتيش الصحى ، والرقابة الدقيقة من المسئولين في وزارة الصحة العامة .

وهذا التطور لاشك تطور حميد ، لو اتسع لخفف كثيرا من واجبات الحكومة الكويتية فى هذا السبيل . ■■

س.ز.

رجل الموت

قصة بقلم
خليل هنداوي

الجراح التي تحفرها المصائب في القلوب .. قلوب الاطفال لا تندمل ، واذا اندملت تركت ندوبها باقية ، كلما رأتها العين اجفلت منها ، وان لمستها اليد شعرت بأن تحتها جرحا خفيا كان عميقا .

لقد كنت صغيرا .. أيام الحرب العالمية الاولى ، وكان لي أخ أصغر ، واخت اصغر منا ، ليس لنا الا امنا ، بعد أن غادرنا ابي الى الجبهة حيث راح اكثر الرجال ، ولم يعد منهم الا القليل ، اما الكثيرون فنحن لا نعلم عنهم شيئا الا انهم ماتوا ، ولكن ...

ـ كيف ماتوا ؟ ولماذا ماتوا ؟ واين دفنوا ؟

تلك أسئلة بقيت حتى اليوم ، بدون جواب .. انهم ماتوا هناك في بقاع مجهولة ، ونحن نموت

هنا من الجوع والمرض والحرمان .. الجوع كان يهز بمطارقه القاسية أبوابنا ، ومن خلفه المرض الذي يحالف الأجساد الهزيلة المصوصة التي أصبحت هياكل عظمية تمشي ..

لقد كانت شوارع المدينة مقفرة من الرجال .. الا من شيوخ تجاوزوا سن الخدمة ، ورجال « قانون جاويش » الذين كانت حجارة الشارع تطقطق تحت نعالهم المصفحة بالمسامير ، وهم يحملون الرعب الى الأشباح ، وطالما وقع ناظري عليهم وهم يقطرون امامهم فتية مشدودة ايديهم بجوامع من حديد ، لانهم فروا من الجندية .. وعلى جوانب الطريق نسوة هائمات ، جائعات ، لا اثر لجمال ، ولا مسحة لانوثة ، غارت عيونهن بعد أن اتسعت في كهوفها كأنها عيون الموتى ، وانطوت كراسي خدودهن فهن بلا خدود .. وتدلت شعورهن الملبدة بالوسخ هنا وهناك ، تعطيهن صورة جنيات ، مشوهات ، ينثرن الرماد على رؤوسهن ، والاطفال تقودهم أيد ناحلة ، مخيفة بعروقها المكورة ، لا تبرق بالحياة الا عيونهم الشاردة الجامدة ..

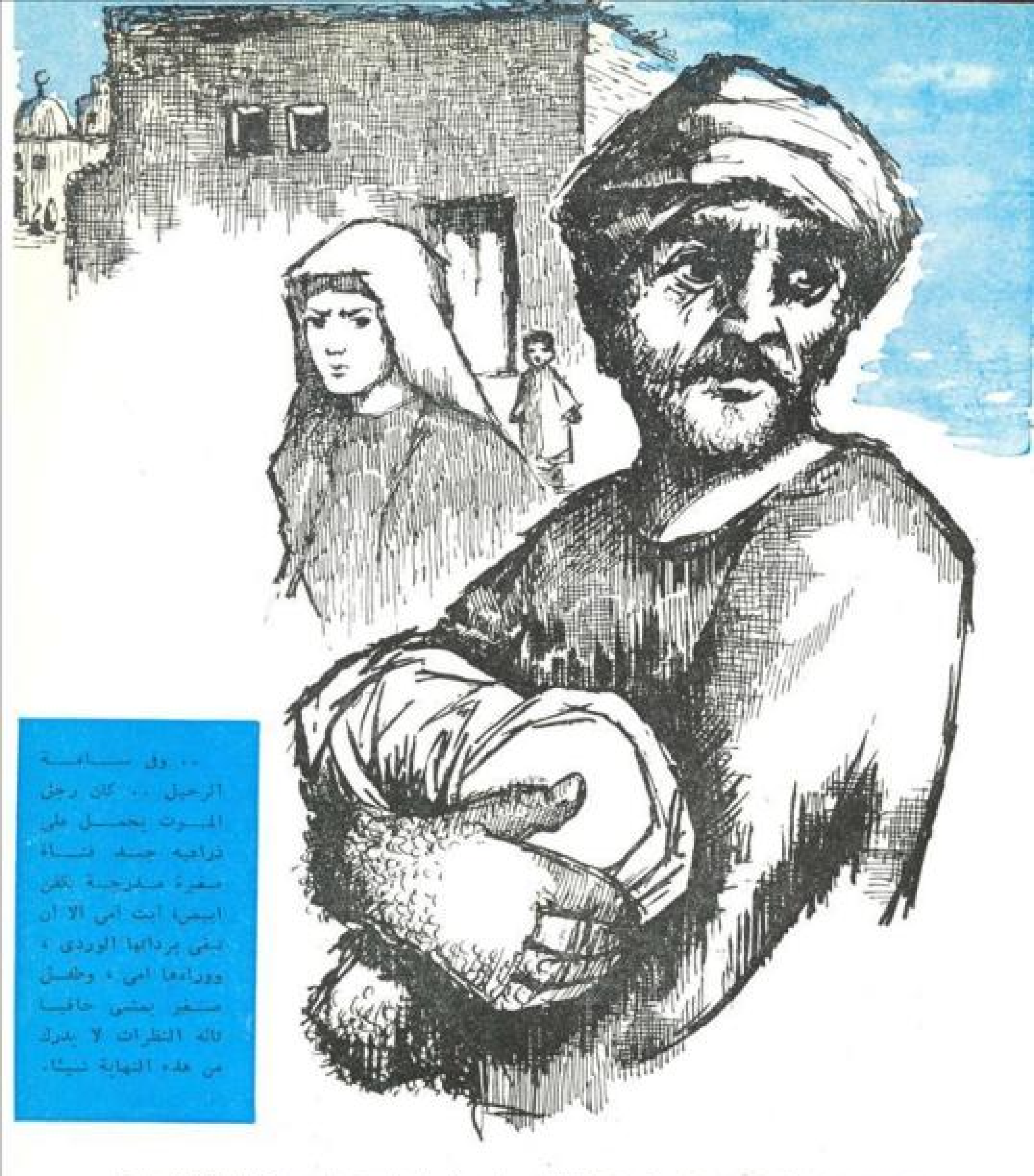
كلهم يفتش عن رغيف .. عن لقمة ، عن نواة تمرة مطروحة في المزابل ، عن قشور تملأ الاجواف .

كنت ، اذا وقع ناظري على مشهد واحدة منهن ، ارتجف من الخوف ، واعدو طالبا النجاة ، كأن الف جواد أسود يطاردني .. لعل ذلك يعود الى أن امنا قصت علينا انباء تلك الأم التي قتلت طفلها وأكلت لحمه .. فكنا نخشى ان نقع في مخالب هذه المرأة ، وتقبض علينا ، وتشد على عنقنا ، وتأكل من لحمنا .

كان بيتنا في وسط المدينة .. وبيتنا قبو قديم ، مظلم في النهار ، بارد برودة القبور ، تخطر الاقدام اليه في زقاق ضيق رطب اسود الجدران .. له ساحة صغيرة ، تطل منها السماء ، فيها بئر سخية بالماء ، تتصل به بيوت الجيران بحدود مشتركة .. تجمع بين الأصوات وان لم تجمع بين الأشخاص ... والى الشرق منه مئذنة عالية ، رفيعة لا ازال اذكر صوت المؤذن فيها داعيا الى الصلاة . والى الغرب حمام واطيء ، لا يدل عليه الا مدخنة تنفث الدخان الاسود الذي كان يتلاعب به الهواء ، وكان منظر الدخان يبهجنا ، الا أختي الصغيرة التي كانت تخاف من الدخان .

ـ كم كان يطيب لنا ان نخيفها بالدخان .. فتبكي وتهرب .. ولكن .. دون أن ندري ماذا كانت تتصور في الدخان .. لعله في وهمها الدخان الذي كان يتصاعد من المدينة التي تحترق .

وغير بعيد عنا بيت « رجل الموت » الذي كانوا يلقبونه « بسبتو » .. وحول بيته ، على رصيف



الشارع مغسل للأموات ، ونعش كبير لنقل الكبار منهم ، ونعش صغير لحمل الصغار .

ـ لماذا سموه « سبيتو » ؟

يقولون انه كان من مهمته أن يسبت العيد ، ولكن اى عيد يسبت ؟ لقد ذهب بريق العيد منه واصبحت مهمته حمل الأموات الى المقبرة ...

لقد كنا نخاف هذا الرجل اذا رأيناه .. ولا نستطيع أن نحدق فيه عيوننا الحائرة الصغيرة .

ـ انه رجل كما اتذكره ، ربع القامة ، ضخم الجثة ، قاسي الملامح .. يلبس « شروالا » كثير الطوايا ، « ومنتيانا » ضيقا ، وعلى رأسه عمامة صغيرة .. اما اصابع يديه فلم نطق أن نرها .

ـ الأننا كنا نتصورها ، وهي تقلب جثة الميت على المغسل ؟ أم لأننا كنا نخاف أن يغلط في

الاحياء ، فيحملهم الى المقبرة كما يحمل الاموات .

لقد كان بيتنا وافرا بالقوت الذى اودعه ابي في اجازته الاخيرة ، يوم جاء بحملين موفورين قمحا ، كان ذلك في الليل .. وكان القمح يحمل الى البيت في الليل ، حتى لا تقع عليه الانظار . فكنا بذلك في مأمن من الجوع ، ولكن امي كانت تقتر علينا في الخبز وتخلطه بالنخالة او بالشعير او بالذرة .. واطيب ايامنا ان تخبز لنا اكلة « ممكرون » بالدبس .

كانت جارات بيتنا يأتيننا احيانا ، ويجلسن مع امي .* وكلهن يشكين الجوع . وليس هنالك من جيران ، لان احاديث الجوع وحدها هي التي كانت تضمن بعد الناس عنا .. ولا انسى الصبيتين اللتين انهكهما الجوع ، وبذلتا عرضهما ، فلم تستفيدا من بذله شيئا ، لان جوع المعدة اقوى من جوع الجنس ، اقدمتا على سرقة « كمر » فيه دنانير ، ومجيديات من فضة ، وسولت لهما نفساهما أن تخفياه ..

– ولكن اين تخفياه ؟

ذهبتا الى البحر وحفرتا في الرمل حفرة ، ثم طمرتاه فيها في الليل ، وجعلتا له علامة واضحة . وفي اليوم الثاني انطلقتا الى المكان .

– يا للدهشة ، يا للمأساة ،حفرتا .. هنا وهناك فلم تجدا اثرا له .. عادتا فارغتين ، لتجدا الشرطة في انتظارهما ، وهكذا ضاع الكمر .. وضاعت جهودهما .. هل ابتلع البحر الوديعة ؟ ام عثر عليها واحد من الناس لم يتعب فيها .

بدأت امي تخاف سطوة هؤلاء الجارات ، ولا تغادر البيت خشية غارة عليه ، اما الذهب الذى تملكه فقد زنرت به خصرها .. لينام معها ، وينهض معها .

اندفعت ذات مرة – الجارات الى بيتنا ، وبدأن بأحاديثهن المعتادة .. والرزايا – عادة – تحب الاكثار من الكلام .. ولكني لاحظت ان الحديث هذه المرة ذو شجون ، كما لاحظت ملامح الخوف والذعر كانت ترتسم على وجوههن ..

– بماذا يتحدثن ؟ وعمن يتحدثن ؟

لم يكن الحديث عن الخبز ولا عن الجوع ، ولا عن الحرب .. ارهفت السمع .. فاذا بي اسمع « الهواء الاصفر ! » ..

– الهواء الاصفر دخل المدينة .. والمصابون يموتون في اقل من اربع وعشرين ساعة ..

ما هو الهواء الاصفر ؟ هل هو هواء حقيقي أصفر اللون ؟ ولماذا يموت المصابون به ؟ .. ذلك هو حديث اهل المدينة في كل بيت وفي كل مكان.. شددت امنا علينا في امر الخروج من البيت،وباتت نزة العينين من الفزع ، لا تدرى متى يطرق الهواء الاصفر بيتنا ؟ وكل ما تعتقد به ان يطرقنا ، وليس هنالك بيت عليه « خيمة زرقاء » تحميه منه ...

المدينة قاتمة ، وجهها اصفر ، والبيوت ساكنة سكون القبور .. وكنا نرى « رجل الموت » يغدو مبكرا ولا يرجع الا متاخرا .. لم يبق مغسل على باب بيته ، ولا نعوش .. لانها كانت تنقل من بيت الى بيت وهو لا يستطيع ان يؤمن حمل هذا العدد الكبير من الناس الذين كانوا يسقطون في الطريق ، ولا تلحق انفاسهم الفراش .... في ليلة من ليالي رمضان الاخيرة .. والعيد قريب ان يطل على هذه المجزرة .. ولكنه هو العيد ، والعيد – عند الاطفال – يبقى عيدا .. وكان اكثرنا احتفاء بالعيد اختي الصغيرة التي جاءها رداء وردى هدية من ابيها في القدس ، فهي تمني نفسها أن تلبسه صباح العيد ، وتختال به بيننا . في تلك الليلة .. هبت امي مذعورة على انين اخى الذى بدأ يقيء بغزارة ، ويهتز ما في جوفه ....

– انه الضحية الاولى للهواء الاصفر في بيتنا .... ليس هنالك من علاج ، ولا من وسيلة ، كانوا يطلبون الكونياك .. ولكن اين هو ؟ استسلمت امي الى قدرها ، وراحت تنتظر ما يخفي لها القدر ، وفي الصباح نظرت الى وجه اخي ... لم يكن هنالك وجهه المعروف – عينان غائرتان ... ووجه اصبح بدون رسم ، واطراف مرتخية .. قبعت في الزاوية خائفا ، انظر هنا وهنا ، هل يكون الموت واقفا ينتظر وراء الستارة ؟ هل يكتفي بضحية واحدة منا ؟ هل يعف عن امنا التي لو أصابها لقضي علينا ؟ .... كانت امي ساكنة الملامح ، تحنو على اخي ذاهلة لا تدرى ما المصير ؟ واخوف ما كانت تخافه ان يأتي رجال الصحة « فيحرقوا » البيت بالجير .. ولكن المدينة كلها كانت تطهر مياهها وآبارها بالجير يقذف فيها .. كانت تمر الساعات ثقيلة رهيبة ، وكان انتظار مرور الاربع والعشرين ساعة مقلقا مخيفا .. مضت الساعات

وانقضى الوقت المقدر ، وظل اخى حيا ..

ـ انه سيبقى حيا ، لانه تجاوز الخطر .

اطمانت امى قليلا .. ولكن .. ما كادت ساعة النجاة تمر الا واصيبت اختى الصغيرة .. كان اذان الامساك يتعالى فى المئذنة .. غلب على اخى نوم هادىء بعد ذلك الكفاح مع الموت .. وتولت امى تمريض اختى ..

ـ ما كان اخوفها من الموت .. انها تتمسك بامها وترجوها ان تسعفها بما اسعفت به اخاها .. ولكنها اخذت تبرد اطرافها ، وتمشى الزرقة الى جسدها شيئا فشيئا .. حالة لم يصل اليها اخى .. اهى علامة الموت ؟ ولكن هل يعف الهواء الاصفر عن كل ضحاياه ..؟ كان همها كله أن تهيىء لها رداء العيد ، وتلبسها اياه الآن في مرضها ، .. ما كان اعندها !. « ولكن لا بد ان تفعل ذلك .. ذلك آخر مشهد لها فى عينى ، وهى جالسة فى فراشها ، بردائها الوردى .. تتامل فيه ، وتنظر الينا ، دون ان تلمح قطرات من الدمع ، تجول فى عيني امى .. كل شيء كان يدل على انهيارها .. وامى ساهرة على فراشها تتامل هذا الكائن الحي الذى اخذ يتلاشى . دخلت فى غيبوبة عميقة ، لا تحيا فيها الا عينان شاخصتان ، وغرغرة ترتفع وتنخفض ، كان اذان الامساك يتعالى في المئذنة ، ساعة اسلمت الروح . ودخل فى الصباح رجل الموت بدون نعش ، فهربت من مرآه ، وقبعت فى زاوية متوهما انه سيحملنى معها الى التراب ..

وفى ساعة الرحيل .. كان رجل الموت يحمل على ذراعيه جسد فتاة صغيرة مدرجة بكفن ابيض، ابت امي الا ان تبقى بردائها الوردى ، ووراءها امى ، وطفل صغير يمشي حافيا تائه النظرات لا يدرك من هذه النهاية شيئا .. دخلنا المقبرة صباح العيد،تحمل التى عيدت بردائها الوردى .. وقعت انظارنا على قبر ضيق يدفنون فيه ولدا ابسط منه قامة ، فاضطروا الى ان يطووا رجليه، ويدفنوه .. وجلت امى من هذا المشهد الفظيع ، وتساءلت :

ـ هل قبرها واسع ؟؟ وحين اشرفت على القبر رأته أوسع مما كانت تظن ، فقالت :

ـ ولكنه واسع جدا ..

هنا يشكون السعة ، وهناك يشكون الضيق .. والموت هو الموت ، والقبر هو القبر .. واروا الجثة ، وهالوا عليها التراب .. وانا ارمق بخوف رجل الموت ، الذى احسست بان يديه معجونتان من تراب القبور .. لم تكن هنالك من زهرة متفتحة ، ولا من عشبة حية .. الا شجرة من « الزنزلخت » مخضرة الاوراق،تنشر ظلها الضعيف على جانب القبر .. وجلسنا قليلا نتامل فى هذه الحفرة التى لا نصدق انها الآن ماوى اختنا التى كانت بالامس معنا ...

ـ لقد زرعناها .. كما تقول امى .. وسوف تطلع .. وانا أصدق انها سوف تطلع .. ولا ازال انتظر ان تطلع ..

عدنا الى البيت واجمين .. لا تزال نخاف غدرة الهواء الاصفر .. وانا لا اجرؤ ان امر ببيت رجل الموت .

وذات يوم فاجانى نعش يتهيا على باب رجل الموت ..

ـ ولكن .. هل يمكن ؟ ذلك محال .. رجل الموت مات ؟ !

ـ لقد مات الذىكان يخافه الاحياء ، كانما كانوا كلما رأوه شعروا باجسادهم تتحول بين يديه ترابا . فقد مات الذى يحمل الاموات ، وحمله رجل آخر الى مدفنه .. بلا دموع ولا حزن ، لانه لم يبق دموعا فى العيون ، ولا حزنا فى القلوب ..

ـ ولكن من ذا الذى يحل محله ..

ـ ان الموت مهنة محسودة فى المدن ، لانها تجر الثروة الى اصحابها ،وهى ارث في الاسرة،يتوارثها الابن عن والده .. واذن ، ابن « سبتو » سيرث اباه فى هذه المهنة ، ومعنى ذلك ان المغسل سيبقى مكانه ، والتابوت بجانبه قريبا منا .

ولكن مضى حين من الزمن دون أن نرى مغسلا ، ولا نعشا على باب الدار ..

ـ لمن انتقلت هذه المهنة .. ؟

ـ كفانا موتا .. كفانا موتى .. الموت يسكن فى دارنا ، والاموات يشاركوننا حياتنا ، ويناموون معنا ..

هكذا رددت زوجة « سبتو » .. وهكذا كفت هذه الزوجة ابنها هذه المهنة الكريهة .. لتتركه يشعر بالحياة .. بالحياة التى لا تزال اقوى من الهواء الاصفر .. ومن الموت نفسه .. بالحياة التى لا ازال انتظرها أن تطلع من قبر أختى . ■■

خليل هنداوى

أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيب

★★ هكذا تكلم زرادشت ★★

● اسمع كثيرا بالبوذية والزرادشتية دون أن ادرك المقصود تماما بهذه الكلمات ودون أن اعرف من هو بوذا ومن هو زرادشت ؟ ارجو اعطائي جوابا مفصلا ولكم الشكر مقدما .

عبد الله حسين اسماعيل
جده ـ المملكة العربية السعودية

ـ سنحصر اجابتنا بالزرادشتية نظرا لأننا تحدثنا عن البوذية في العدد ٦٣ من « العربي » .

وتجدر الاشارة أولا الى ان هذه الديانة ليست منتشرة الى حد يذكر في الوقت الحاضر . فقد تقلصت واضمحلت كثيرا أمام مد الاسلام ومنذ فجر التاريخ الاسلامي ، ولولا القلة التي تمسكت بهذا الدين وبقيت مشتتة في ايران ، موطن الزرادشتية الأول والأخير ، أو نزحت الى الهند ، لامكننا القول بأن دين زرادوسترا Zarathustra كما أسموه أصلا ، أو زرواستر كما أسماه الاغريق ، أو زرادشت كما عرف بالعربية ، انما هو من الاديان التي انقرضت وبادت .

ويرجّح المؤرخون أن القرن السادس قبل الميلاد هو الزمن الذى شهد ظهور زرادشت وبداية انتشار مذهبه . ولم يكد يمضي على ذلك الا بضع عشرات من السنين حتى أصبح الدين الزرادشتي دين الدولة في فارس ، واحتفظ بتلك المكانة طوال نحو قرنين اى من سنة ٥٥٠ ـ ٣٣٠ ق.م. وبالرغم من حملة الاسكندر الكبير وفتوحاته سنة

● ●

★★ التنين : وحش خرافى ! . ★★

● قرات في كتاب كليلة ودمنة كلمة « تنين » وشرح معناها على شكلين الاول يقول انه حيوان وهمي والتفسير الثاني يقول ان له أوصافا وقوة وضخامة وهذه الكلمة في ص ٩٧ .

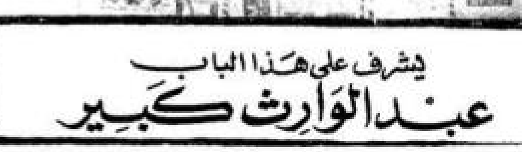
فهل لكم ان تعطونا الجواب الصحيح . وهل لكم أن تعلمونا عن عمره اذا كان حيوانا وفي اى حقب خلق واين يوجد الآن .

احمد نايف سليمان : سورية ـ القامشلي

ـ التنين هو وحش هائل لا وجود له الا في الاساطير الخرافية التي انتشرت في العصور القديمة .. وقد وصفت الاساطير هذا الوحش الخرافي بأنه ثعبان ضخم ذو اجنحة وله مخالب رهيبة علاوة على قوته وضخامته .

وكتاب « كليلة ودمنة » لم يخطىء في شرح معنى كلمة « تنين » بقوله انه حيوان وهمي .. وايضا لم يخطىء عندما قال ان له أوصافا معينة وقوة



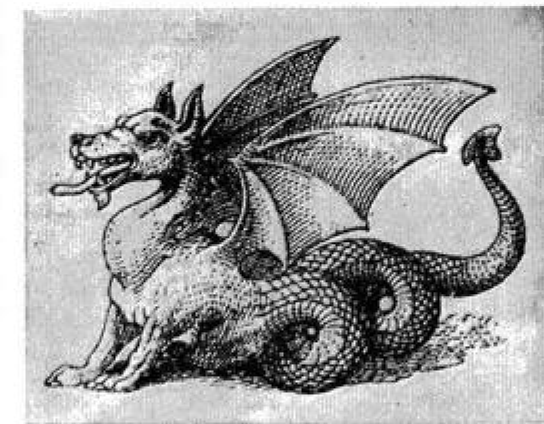


٣٣١ ق.م ، وبالرغم من أثرها البعيد على الحياة في ايران وفي البلاد التي حولها ، فان هذا المذهب بقي منتشرا في فارس وان لم يعد دين الدولة ، كما ازداد انتشارا ورسوخا حتى أصبح في القرنين الأول والثاني الميلاديين قوة هائلة طالما نافست في تلك الحقبة الحضارة الهلينية (الاغريقية) من جهة وحكومة روما الامبراطورية من جهة أخرى .

اما الرسالة أو التعاليم التي دعا اليها زرادشت فلم تكن سماوية . ذلك ما قرره هو ، وان كان اتباعه ادعوا ذلك له فيما بعد وتدور هذه التعاليم حول فكرة اساسية هي ان الحياة الدنيا انما هي صراع بين الخير والشر ، على أن هذا الصراع الذى تحدث عنه زرادشت لم يكن النزاع الذى قصده تولستوى بقوله « ان الخير والشر في حرب ازلية : اما ساحة القتال فليست سوى قلب الانسان .. » وليس ذلك الصراع نزاعا كالذى يحدثنا عنه علماء النفس والمعاصرون . بل انه صراع جبار بين اله الخير الذى يتزعم الارواح الخيره ، واسمه (أهورا مزدا) وبين اله الشر واتباعه الاشرار واسمه اهريمان. ويعتقد زرادشت بانتصار اله الخير في النهاية ويدعو من اجل ذلك الى مساندة الاله (اهورا مزدا) بفعل الخير وتحاشي انتقامه وعقابه بتفادى فعل الشر . وقد جمعت هذه التعاليم وأمثالها منذ القدم في الكتاب المسمى افستا Avesta وهو الكتاب المقدس لأهل هذا الدين .

وتجدر الاشارة الى ان أشهر كتاب وضعه الفيلسوف الالماني فريدريك نيتسه هو كتاب « هكذا تكلم زرادشت » .

ي . ز


شكل «التنين» .. كما تخيله القدماء في أساطيرهم

وضخامة .. فقد درج الاقدمون في اساطيرهم على وصف « التنين » بالأوصاف التي ذكرناها من حيث الشكل والقوة .

وقد اطلقت كلمة « تنين » وهي بالانجليزية Dragon وباللاتينية Draco على مجموعة من السحالي تبلغ .، فصيلة تعيش في جنوب شرق آسيا وجزر الفلبين وتتشابه من حيث الشكل فقط وليس من حيث الحجم مع اوصاف « التنين » الخرافي الذى ذكرته الأساطير القديمة .. وأكبر حجم من هذه السحالي لا يزيد عن حجم الثعلب ويسمى Varanus Komodoensis .

(م . ط)



★★ المصحف المرتل ★★

● كثيرا ما اسمع الشيخ محمود خليل الحصري يرتل القرآن الكريم في الاذاعات فهل هو الذي رتله وحده أو أن غيره من مشاهير القراء رتلوه ! ارجو بيان ذلك ومن اى البلاد هم ؟ وهل هم على قيد الحياة ؟ .

أحمد محمد ابراهيم ـ الدمام

ـ الذين سجل لهم القرآن الكريم مرتلا على اسطوانات هم حسب الترتيب الهجائي :

١ ـ الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد ـ وهو من ارمنت التابعة لمحافظة قنا .

٢ ـ الشيخ محمد صديق المنشاوى ـ وهو من المنشاة التابعة لمحافظة سوهاج .

٣ ـ الشيخ محمود خليل الحصرى ـ وهو من شبرا النملة التابعة لمحافظة الغربية .

٤ ـ الشيخ مصطفى اسماعيل وهو من ميت غزال التابعة لمحافظة الغربية .

وهذه المحافظات كلها بالجمهورية العربية المتحدة .

هذا وجميعهم احياء وبارك الله فى أعمارهم . ومن حيث سنهم اكبرهم الشيخ مصطفى ويليه الشيخ الحصرى، ويليه الشيخ المنشاوى واصغرهم سنا الشيخ عبد الباسط . واغلب ما سجل هو برواية حفص عن عاصم ، وهناك تسجيل برواية ورش عن نافع . وبعضهم يسجل له القرآن كله مجودا ولكنه لم يكمله الى الآن لانه يستغرق زمنا اطول بكثير .

(ع . ف)

★★ السلطان سليم الاول ★★

● قرات استطلاع استانبول عن السلطان سليم الاول ، فمن هو وفى اى عام توفى ، نرجو أن تعطونا نبذة عن سيرته وحياته .

هيثم أحمد
اللاذقية

ـ السلطان سليم الاول ، تاسع سلاطين الدولة العثمانية ، ولد فى عام ١٤٦٧ وتوفى عام ١٥٢٠ م عن ٥٣ عاما . وهو ابن السلطان العثماني بايزيد الثاني . وقد خلع سليم الاول والده عن العرش بعد صراع على السلطة عام ١٥١٢ ، اى ان حكمه للدولة العثمانية لم يدم لاكثر من ثماني سنوات .

وكان سليم الاول يعتنق المذهب السني فشن حملة على شاه ايران اسماعيل الصفوى الاول ، وكان شيعيا، وقتل السلطان سليم ٤٠ الفا من رجال الشاه لانهم شيعة ، وهكذا أنزل السلطان سليم الاول الهزيمة بالشاه ، فى عام ١٥١٤ فى معركة جالدران ، واستولى على مدينة تبريز .

ولم تتوقف حملات السلطان سليم الاول عند هذا الحد ، اذ ما لبث أن اتهم سلطان مصر « المملوك » قنصوه الغورى بالتحالف مع شاه ايران المهزوم وشن حملة اخرى عليه وهزم قواته فى معركة « مرج دابق » بالقرب من حلب فى عام ١٥١٦ وفتح الشام ، وفى عام ١٥١٧ استولى السلطان العثمانى على القاهرة ، وبهذا اخضع مصر للدولة العثمانية .

وهكذا دالت دولة المماليك فى مصر بعد أن انتقل مقر الخلافة الى مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، وتلا ذلك اعتراف المدن المقدسة فى شبه الجزيرة العربية بالسلطان سليم الاول خليفة للمسلمين .

م . ن

★★ أى لغات العالم أوسع انتشارا؟ ★★

● أرجو التكرم بالاجابة على السؤال التالي ولكم الشكر :
كم عدد لغات العالم وما هي أكثرها انتشارا ، مرتبة حسب انتشارها ، مع ذكر سبب اشتهارها.

مصطفى حسين محمد / الاردن

ـ اللغات المستعملة فى العالم الآن يبلغ عددها من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ لغة يختلف بعضها عن بعض فى طريقة الكلام وفى النحو وفى تركيب الجمل .

ويمكن نسبة هذه اللغات كلها الى ٣٠ او ٤٠ عائلة رئيسية اذا وضعنا فى الاعتبار ان اللغات التي تنتسب الى عائلة واحدة تتشابه فى ٢٠٪ من كلماتها . وهناك من يذهب الى تقسيم اللغات الى ١٠٠ عائلة وهذا الاختلاف يرجع الى الخلاف حول تقسيم اللغات الافريقية والامريكية الأصلية .

ومن اهم العائلات اللغوية في العالم عائلة اللغة « الهندو اوروبية » Indo - Eu opean وقد استخدم هذا التعبير لأول مرة فى عام ١٨١٣ بواسطة عالم اللغات توماس يانج Thomas Young وترجع اهمية اللغات التي تنتمي الى هذه العائلة الى انها من اقدم اللغات فى تاريخ العالم وانها سادت لعدة قرون وتميزت بالاعمال الادبية الخالدة ..

ويتفرع من هذه العائلة ٣ مجموعات اوروبية هي :

١ ـ الجرمانية Germanic : واهم فروعها الانجليزية ، والالمانية ، والهولندية ، واللهجات السكندنافية « السويدية والنرويجية والدانمركية والفلندية » .

٢ ـ الرومانية Romance : واهم فروعها الايطالية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والبرتغالية .

٣ ـ السلافية Slavonic : واهم فروعها الروسية ، والاوكرانية والبولندية ، والتشيكية ، والسلوفاك ، والبلغارية . ومن بين هذه المجموعات الاوروبية الثلاث توجد اهم ثلاث لغات عالمية واوسعها انتشارا وهي على حسب انتشارها :

١ ـ الانجليزية .
٢ ـ الفرنسية .
٣ ـ الاسبانية .

وتتلخص اسباب انتشار هذه اللغات فى عدة عوامل أولها ان كل من انجلترا وفرنسا واسبانيا قامت فى القرون الماضية باحتلال كثير من البلاد وانتشرت قواتها فى جميع انحاء العالم .. وثانيها ان هذه اللغات كانت غنية بالأعمال الادبية والتاريخية والعلمية وساعد ذلك على انتشارها .

م . ط

★★ أصل الاكراد وتعدادهم ★★

● أرجو من « العربى » أن تحدثنا عن أصل الاكراد ، وأين ومتى نشأوا وكم عدد نفوسهم فى الوقت الحاضر .

زوزان الكرى / العراق

ـ يقول مستر « سيدني سميث » الذى كان فى وقت ما مديرا للآثار والعاديات فى العراق ، وهو اخصائي في التاريخ القديم للشرق الادنى وله مكانة ممتازة بين المستشرقين النابهين ، يقول : « اختلف الكثيرون فى تحديد اصل الكرد وتاريخهم ، ويجب الا يغيب عن ذهن الباحث ، وهو يدرس هذا الموضوع ، حالة تلك العناصر التي كانت تعيش مع السكان الاصليين فى جبال كردستان ووهادها من الكرد والارمن والآشوريين والتركمان . على ان المهم ليس البحث من جهة الدم والعنصر ، بل من جهة اللغة واللسان .

« وقد تغيرت نظريات العلماء والباحثين فى اللغة

الكردية تغيرا كبيرا ، فهؤلاء ولا سيما الاخصائيين منهم الذين يمكن الاعتماد على آرائهم ، يرون ان اللغة الكردية ليست مشتقة من اللغة الفارسية ، أو محرفة عنها ، بل هي لغة مستقلة تمام الاستقلال، لها تطورها الحقيقي القديم . فهي اقدم من اللغة الفارسية القديمة التي كتبت بها لوحة دارا الشهيرة مثلا ... فان صح هذا فيحق لعلماء التاريخ ان يقولوا : « ان اللغة الكردية كانت موجودة في القرن السادس قبل الميلاد » .

اما الشعب الكردى ، فهو قوم من اقوام وشعوب « هندو ــ ايراني » قدموا الى « كردستان » وهي دولة ليس لها حدود سياسية ، في نفس الوقت الذى قدم فيه الفرس الى فارس . أي في عام ٦٥٠ قبل الميلاد أو ما بعد ذلك بقليل .

وقد اختلطت قبائل الكرد بالاتراك والأرمن والايرانيين وانتشرت في تركيا والعراق وايران وارمينيا الى ان جاء القرن السابع الميلادى عندما تحولوا جميعا الى الاسلام بفضل اختلاطهم بالمسلمين .

ويبلغ تعداد الاكراد حاليا حوالي ٤ ملايين ونصف المليون نسمة موزعين كالآتي :

في ايران	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
في تركيا	١ر٥٠٠ر٠٠٠
في العراق	٦٠٠ر٠٠٠
في ارمينيا السوفيتية وسوريا	٢٣٠ر٠٠٠
في بلوخستان والهند	٣٥٠ر٠٠٠
فيكون المجموع :	٤ر٦٨٠ر٠٠٠

م . ن

★★ بابا نويل ★★

● بمناسبة عيد الميلاد هذا الذى مضى نرجوان تعطونا فكرة عن « بابا نويل » الذى نسمع عنه ونرى صورته . هل هو شخصية حقيقية امخيالية ؟

فارس السلطي ــ الزرقاء ــ الاردن

ــ بابا نويل كما يسميه الفرنسيون أو « سانتا كلوس » Santa Claus أو Father Christmas كما يسميه المتكلمون بالانجليزية شخصية اسطورية لا وجود لها الا في مخيلة الاطفال الذين ينتظرونه ويتوقعون زيارته لهم في ليلة عيد الميلاد عند المسيحيين الغربيين،فيعدون له الاحذية والجوارب ليملاها لهم بالهدايا واللعب . ويتصوره الاطفال ، ويصورونه لهم ، في شكل رجل عجوز ذى لحية بيضاء طويلة ، يلبس معطفا ابيض وطرطورا مغطى بالثلج المفروض انه يتساقط في الشتاء ، فعند الغرب ، وهو صاحب فكرة بابا نويل يقع عيد الميلاد في الشتاء ، ويحمل بابا نويل كيسا مملوءا بالهدايا فوق ظهره . ولكنه لايعطى هداياه لكل الاطفال ، وانما يخص بها هؤلاء المؤدبين المجدين منهم فقط ! اما الذين لم يستمعوا الى نصائح والديهم فيحرمهم سانتا كلوس دائما من هداياه ، فاذا جاء الصباح لم يجدوا الهدايا في احذيتهم ، وانما وجدوا بدلا منها أثرا يدل على أن بابا نويل قد زارهم ، ولكنه حرمهم من هداياه !

وهذه الشخصية الاسطورية موحى بها من حياة القديس نيقولا Saint Nicholas الذى ولد بمدينة باتارا Patara في لوتشيا Lucia في جنوب آسيا الصغرى ، وتوفي في ٦ ديسمبر عام ٣٤٥م ، وتحتفل الكنيستان اليونانية واللاتينية بذكرى وفاته . فقد اشتهر القديس نيقولا بحبه للاطفال ورحمته بهم ، فكان يقدم لهم الهدايا ويغدق عليهم من كرمه . وكانت حياته أشبه بالاسطورة فيروون عنه مثلا انه انقذ ثلاث بنات من الضياع ، عندما قرر والدهن ان يتخلى عنهن لفقره . فعندما سمع القديس نيقولا بقصة الوالد الفقير ، اسرع الى بيته ، وقدم لكل واحدة من بناته كيسا مملوءا

بالذهب .. وهكذا تمكنت البنات الثلاث من دفع نفقات زواجهن !

وظلت أوربا كلها تحتفل بعيد القديس نيقولا ، فيوزع الاباء الهدايا على اطفالهم . وفي هولندا اركبوه جوادا ، وفي بلجيكا صنعوا له التماثيل بحجم الانسان الطبيعي ووضعوها في واجهات المحال التجارية .. وفي بريطانيا تفننوا في صنع الحلوى والكعك الذي يقدم للاطفال في هذا العيد الذي يقام يوم ٦ ديسمبر من كل عام .

وعندما نزح الهولنديون الى امريكا واستوطنوها بعد اكتشافها ، نقلوا معهم عيد القديس نيقولا الى مدينة نيويورك ، ثم ما لبثت ان انتشرت الاحتفالات بهذا العيد الى جميع انحاء الولايات المتحدة . وبمضي الوقت اندمجت هذه الاعياد مع الاحتفالات التي تقام بمناسبة مولد السيد المسيح. وتحول القديس نيقولا او Saint Nicholas ، الى سانتا كلوز Santa Claus أو بابا نويل الذي يحمل الهدايا للاطفال في الكريسماس .

(م . ن)

★★ زواج المتعة بين الاباحة والمنع ★★

● ارجو ان تزودونا بمعلوماتكم الواسعة حول مسألة زواج المتعة ، هل هو محلل في الاسلام ام غير محلل .. حيث انني سمعت من احد الزملاء في نقاش بيننا انه محلل في الاسلام .. ارجو تبيان ذلك .

محمد علي محمود الظاهر/من الاردن
لايلبور / الباكستان

ـ زواج المتعة من الامور المختلف فيها بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة . فالشيعة يرون انه محلل اعتمادا على ظاهر قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن » وروى عن ابن عباس انه قصره على الضرورة والحال الشديدة.

وهناك احاديث مروية بعضها فيه الجواز ، وبعضها فيه المنع . ومن المعقول ان المنع وقع بعد الاباحة . والاستدلال بالاية من ثلاثة اوجه : ذكر الاستمتاع ، وايتاء الاجر ، وأن ايتاء الاجر بعد الاستمتاع .

واستدل الذين يمنعون زواج المتعة بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم » والمتعة ليست بزواج ولا بملك يمين . والدليل على انها ليست بزواج انها ترتفع من غير طلاق . ولا يجرى فيها التوارث بينهما ، وان الله قال في اخر الاية : فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون .

كما استدلوا باحاديث عن الصحابة عن رسول الله انه منع هذا النوع من النكاح ، ثم استدلوا بالاجماع في اهل السنة على منعه بعد ان كان قد ابيح . وايدوا ذلك بالدليل العقلي الذي يقول ان النكاح ما شرع لاقتضاء الشهوة بل لاغراض ومقاصد يتوصل به اليها ، والغرض منه الدوام والاستمرار ، وحتى النكاح الشرعي الستي ينافيه شرط تحديد المدة . ثم ان الاية التي استدلوا بها على المتعة ، ان كانت مرادة بها ، هي منسوخة ، نسختها آيات الطلاق والصداق والعدة والمواريث.

وسواء اكانت حلالا في مذهب الشيعة ام ممنوعة في مذهب السنة ، فانها بالنسبة لاهل السنة لا حكم لها قبل الدخول ، وانها بعد الدخول تتعلق بها احكام ثبوت نسب المولود ، ووجوب العدة ، ووجوب المهر ، هذا ، وانظر « العربي » العدد التاسع والخمسين / اكتوبر ١٩٦٣ ـ ص ١٤٤ ، والعدد الحادى والستين / ديسمبر ١٩٦٣ /ص ١٤٤ . ■■

ع . ف

صابئة البطائح ..

بقية المنشور على صفحة ٨٢

ويتفنن الصابئون في تقديس نجم الجدي فلا يتمون سنّة من سننهم ، ولا عملا من اعمالهم الا ويتجهون الى النجم ، فهو عندهم محل القياس لانه ثابت في محله لا يتحرك ، ولانه متوجه دائما الى ملك الانوار وبذلك يكون اتجاههم دائما وابدا الى الواحد الأحد جل شانه .

هل هم اتباع يحيى ؟

ويعتقد الصابئون المندائيون انهم « يتبعــون تعاليم ادم ، ولديهم كتاب « الكِنْزرا » ـ اى صحف ادم ـ غير أن تقادم العهد على الرسـول الاول للدين، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والاديان الوثنية ، كل هذه ادخلت تعاليم غريبة في الدين، فجاء يحيى ـ يوحنا المعمدان ـ ليُخلِّص الدين من هذه المذاهب الدخيلة ، ولم يكن رسولا بل نبيا خاصا بهم » .

وقصة مولد يحيى (ع) مفصلة في الآيات ١ ـ ١٥ من سورة مريم في القرآن الكريم ومذكورة باسهاب في العهد الجديد « الانجيل : الاصحاح الاول من انجيل لوقا » ولا تختلف قصة مولده في كتاب الصابئة الكبير «الكِنْزار بّا» عما وردت في«انجيل لوقا » الا ببعض التفاصيل .

ولما اقر يحيى شريعته بين اتباعه خرج الى عدوة الاردن ، حيث عمّد السيد المسيح ويسمونه « مشيها » . وبما أن يحيى كان بارعا في الجمال فقد دعا الله أن يصونه من حبائل النساء ،فبقى دهرا طويلا أعزب حصورا ، فحرضته الصابئة على الزواج خشية اضمحلال ملتهم فنزل عند رأيها وعادت الصابئة الى التزاوج .

كتب الصابئة المقدسة

وللصابئة بعض كتب دينيــة يعتقــدون بانها صادرة من واسطة التبليغ مباشرة ، وان بعضها منزل من السماء . ويقولون ان الكتب المقدسة التى بايديهم الآن توارثوها عن آدم ابى البشر ، ومنه انحدرت الى نوح عليه السلام ، وبعــد الطوفان الى ولده سام ثم الى ابراهيم الخليل ، فموسى الكليم ، فيحيى بن زكريا ، وان التطورات التاريخية لم تؤثر على كتبهم هذه لا من حيث اللغة ولا من حيث الترتيب ، وقد يكون هذا مستبعدا في نظر الآثاريين .

واهم الكتب التى بقيت في أيدى الصابئين الى اليوم هى :

١) كتاب « الكنزاربا Qinza Rabba » اى الكتاب العظيم ويقال له « سدرا آدم » أو « صحف آدم » وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة والتطورات التى حدثت للبشر وفي صفات الخالق وسنن العبادة .

٢) كتاب « ادرافشا دهيى » : اى كتاب تعاليم يحيى ، ويقال له « سدرا يحيى » وهو أحدث تاريخا من الكتاب الاول ويتضمن حياة النبى يحيى ابن زكريا من تاريخ ولادته العجيبة الى تاريخ وفاته الغريبة .

٣) كتاب « القلستا » : اى كتاب الفرح أو الطرب ، وهو خاص برسوم الزواج وتحليل النكاح الشرعى وما الى ذلك .

٤) كتاب « سدرا دنشماثا » : ويعتقدون انه أساس الديانة الصابئية ومنه تستمد المعلومات ، وانه أنزل على آدم أبى البشر .

٥) كتاب الديونان : وقد يسمى « الديوان » للتخفيف وهو يتضمن سير بعض الروحـانيين وقصصهم .

٦) كتاب « أسفر ملواشى » والعامة تسميه « أصفر ملواشا » وهو كتاب يستعان به على معرفة احداث السنة بأسرها .

٧ ـ) كتاب « الاثيابى » ، اى كتاب الاناشيد ، وهو مجموعة الاذكار التى تتلى في الصلاة اليومية.

٨) كتاب « قماها ذهيقل زيوا » : اى كتاب موذة هيقل زيوا وفيه تعزيمات وأسحار متنوعة ، ويعتقدون انه يحميهم من الاذى .

وهناك كتب اخرى بأسماء مختلفة عثر على بعضها المستشرقـون الالمان وغيـرهم ، فنشروها وحققوها ، وترجموا بعض فصولها الى لغاتهـم . فلكتاب الكنزاربا طبعتان ، احداهما للمستشرق السويدى م . نوربرو M. Norbero في أربعة مجلدات طبعت سنة ١٨١٥ في كوبنهاجن والثانية للمستشرق الالمانى ج . هـ . بترمان J. H. Pelermann طبعها عـام ١٨٦٧ وكتـاب



ادرافشادهيى ترجمه الى اللغة الالمانية المستشرق م. ليزبارکی M. Lidzbarki عام ١٩١٥ م . وكتاب اسفر ملواشى نشرته الليدى دراور E. S. Drawar الانجليزية بنصه المندائى سنة ١٩٤٩ م . . الخ .

مراتب رجال الدين عند الصابئة

ولصابئة البطائح رجال دين يتدرجون في مراتبهم بأساليب خاصة وطقوس مقررة ، ولكل طبقة اعمالها الخاصة وتكاد تنحصر انواعها فيما يلى :

١) الحلالى ويسميه العوام الشماس، ووظيفته الذبح للعوام والسير وراء الجنازة حافي القدمين.

٢) الترميده ، وواجباته العقد على الثيبات من النساء دون العذارى .

٣) الكنزبرا وهو مفسر كتاب الكنزاربا ،ويجب ان يكون متزوجا غير عقيم ، وسبق ان عقد مهرا لـ « ترميده » .

٤) الارشمة « اى رئيس الأمة » وصاحب الكلمة النافذة فيها ، وليس بين الصابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة بعد .

٥) الربانى وهى اعلى مراتب الاجتهاد ، ولم ينل هذه المرتبة من السابقين غير النبى يحيى ابن زكريا عليه السلام .

ما يشترط في رجل الدين

وقد حتمت الشريعة الصابئية على من أراد الانخراط فى سلك رجال الدين أن يكون سالما غير مصاب بالرمد او الجدرى او نحوهما ، وأن يكون متزوجا من عذراء وان لا تكون امه ثيبا حين تزوجها ابوه الى سبعة اظهر .

ولا يجوز لرجل الدين أن يمارس أى عمل شرعى من اعماله اليومية الا بعد أن يرتدى الرستة . والرستة رداء دينى يتالف من سبع قطع من القماش الابيض وهى : العمة والتصفية للرأس، والثوب والسروال للجسد ، والهيمانة والدشه للحزام ، والكابوع ـ بالكاف الفارسية ـ وهو قباء مثل « روب » المنام يغطى الجسم بأسره .

كما أن للذبح الذى يمارسه « الحلالى » شروطه وآدابه . فالذبيحة قبل كل شىء يجب أن تكون سالمة من كل عيب ، فلا يجوز ذبح العوراء والشلاء ومشقوقة الاذن ومكسورة القرن ، ولا بد من تطهيرها والسكين المعدة لذبحها فى الماء الجارى بأن يغمسها فيه ثلاث مرات ، ثم يطرح الذبيحة على القصب ويقرأ عليها اورادا واذكارا دينية خاصة ، ثم يشرع فى ذبحها مستقبلا الشمال ، ولا يسمح لاحد أن يمس الذبيحة لانها تنجس باللمس. فان ذبح « الحلالى » ذبيحة (١) غير مستوفاة لهذه الشروط فانه يسقط « أى يأثم » ويجب عليه الاكثار من التعميد للتكفير عن اثمه . ويحرم الذبح ليلا الا فى عشية عيد البنجة ، وهو عيد يستمر خمسة ايام وسنأتى على ذكره .

ولا يجوز لرجل الدين الصابئى أن يأكل من دار غير داره الا اذا كان قد عمد صاحبها بيده ، ولا من يد امرأة غير معمدة من قبله ، أو اذا كانت حائضا أو نفساء ، وانما يختص بزوجته التى عمدها هو واعتمد على معرفتها برسوم الطعام والغسيل واحضار ماء الشرب ، فان لم تكن عنده زوجة فيتولى اعداد طعامه وشرابه بنفسه ، كما لا يجوز لرجل الدين أن يمارس أى عمل دينى اذا أسقطت زوجته او كانت نفساء أو حائضا .

التعميد والطهارة

وللتعميد مقام خاص عند الصابئة المندائية ، فالطعام مثلا لا يحل الا بعد تعميده ، (٢) والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب الغفران بواسطته ، والآكل من ذبيحة غريب أو من لحم محرم يحل اثمه عن طريق اجرائه . ولما كان الماء أساس الحياة فان طقوس الصابئة الدينية ورسومهم الاجتماعية

---

(١) لا يأكل الصابئون المندائيون من الحيوانات سوى الاغنام وذكور الحملان والسمك والدجاج ، أما لحوم الابل والابقار والجاموس والمعز والغزال فلا يباح لهم تناولها ، وهم يعتقدون بقذارة المعز لانه يظهر من عقبه ما يجب غطاؤه بذيله . أما البعير والبقر والجاموس فله ذيل مكسو بالشعر .

(٢) على الصابئى أن يعمد كل ما يدخل بيته من الاوانى المنزلية وأدوات الطبخ وكذلك اللحوم والبقول والثمار .

لا تتم الا بالارتماس فى الماء الجارى ، وهم يلجأون اليه فى ثلاث حالات : فى الرشامة والطماشة والمصوتا .

اما الرشامة ، فهى وضوء الصابئى قبل طلوع الشمس لأداء فريضة الصلاة اليومية .

والطماشة فهى الارتماس فى الماء الجارى ثلاث مرات،وهى واجبة على المجنب والحائض والنفساء وعلى من لمس أحدا من هؤلاء ، أو خرج من سجن، او رجع من سفر، او ابل(من مرض، او اكل محرماً، او اذا نهشته حية أو لسعته عقرب او لدغته احدى الهوام ، او عضه كلب او خنزير او ذئب .

واما المصوتا فهى ما يجرى على أيدى رجال الدين فى الأحوال الآتية :

اولا : عماد الولادة ، وهو يجرى لكل مولود اذا ما مرت خمسة واربعون يوما على ولادته .

ثانيا : عماد الزواج وهو الرسوم الزوجية التى تجرى للزوجين عند عقد المهر .

ثالثا : عماد الجماعة وهو الذى يجرى لكل صابئى عند حلول عيد البنجة من كل سنة .

رابعا : عماد الاعياد وهو عماد يجب على كل صابئى فى كل عيد من أعياده الكاملة ولو مرة واحدة فى حياته .

ومما يتصل بالتعميد اتصالا مباشرا ولا يجوز أن ينفصل عنه ، توزيع قطع « اليهثة » ومياه « المبولا » على المتعمدين . و« اليهثة » قطعة من الخبز الفطير يمنحها رجال الدين الى كل من يتعمد على أيديهم . أما مياه « المبولا » فهى المياه التى يغترفها رجل الدين أثناء قيامه بعملية التعميد ثم يحفظها فى قنانى خاصة ويوزعها على من يعمدهم .

عملية التعميد

ولعل من الطرافة بمكان أن نأتى على وصف موجز لعملية التعميد التى هى أساس كل شيء فى ديانة الصابئة فعندما يطلب أحد الافراد تعميده، ينطلق به رجل الدين الكبير « الكنزبرا » الى النهر ومعه روحانى آخر من درجة « ترميده » ومعهما أدوات التعميد وهى لباس الرستة والبخور وعصا من الزيتون يسمونها « مركنة » وخواتم من شجر الآس الأخضر وكانونان من الطين الحر ، وكاستان من النحاس الأصفر وقنينة من الزجاج . وبعد أن يلبس رجلا الدين « الرستة » يلبس الكنزبرا طالب التعميد اكليلا من عود الآس فى خنصره ، ويضع على رأسه اكليلا آخر مثله ، ثم ينزل به فى الماء الجارى حتى الركبتين ، ويشرع فى قراءة بعض الاوراد والاذكار عليه ، ثم يغطسه فى الماء ثلاث مرات متتابعة ، وهو يغرف الماء ويرشه عليه ، ثم يخرجه الى اليابسة ويبخره ويدهن جسده بدهن السمسم ، ويطعمه قطعة من « اليهثة » ويسقيه قليلا من « المبولا » وعندها يهب الرجل صاحبه رجل الدين ما تسمح به نفسه من النقود .

الاعياد عند الصابئة

وللصابئة اعياد مقررة يجرون فيها مراسيم خاصة ، ويعظمونها تعظيما يلفت الانظار ولا سيما العيد الكبير ، واليك البيان :

العيد الكبير : ويسمونه « دهوه ربا » أو « عيد نوروز ربا » أما العامة فتسميه « عيد الكرصة » اذ يكرصون (يعتكفون) فى منازلهم ٣٦ ساعة متتالية . ومدته أربعة أيام تبتدىء باليوم السابع من شهر آب (اغسطس) فى كل سنة وتنتهى بنهاية اليوم العاشر منه . ويقول الصابئون ان الملاك الموكل بالماء يعرج وسائر ملائكة الارض الى عالم الانوار « آلمى دنهورا » فى الملكوت الاعلى لمشاركة أهله أفراحهم بهذا العيد ، ثم يعودون الى الارض فيستغرق عروجهم ١٢ ساعة ، وعودتهم ١٢ ساعة ويمكثون فيه ١٢ ساعة ولذا يذخرون فى بيوتهم من الماء ما يكفيهم لـ ٣٦ ساعة ، لان مياه الانهر والسواقى ونحوها تكون قد تعرضت لخطر التلويث فى بحر هذه الساعات . وهم حين يكرصون « يعتكفون » فى بيوتهم ٣٦ ساعة ، يجب أن لا تغمض لهم عين خلالها ، لئلا يتطرق الشيطان اليهم ، كما انه يجب عليهم حفظ اغنامهم وطيورهم وسائر حيواناتهم عند مجاوريهم طوال هذه الساعات لعدم جواز اطعامها أو احتلابها ، فان عاد أحدها الى بيته فى أثناء ذلك حرم أكله ووجب ابعاده فان انتهت ساعات « الكرصة » اغتسلوا فى المياه الجارية وخرجوا « يعايدون » بعضهم بعضا .



العيد الصغير : ويسمونه « دهوه منينة » وهو العيد الذى جمد فيه جبرائيل الارض بعد أن كانت غازا ،ويقع بعد العيد الكبير بمئة وثمانية عشر يوما، ومدته يوم واحد ، يتعمد خلاله الرجال الروحانيون ويتصدق الناس عن ارواح موتاهم .

عيد البنجة : ويسمونه « دهوه برونايا » وهو عيد ديني مدته خمسة ايام وهى الايام التى تكبس بها السنة لان شهورهم ٣٠ يوما (١) ويقع عادة فى العشرة الاولى من شهر نيسان أى بعد العيد الصغير باربعة اشهر ، ويجوز فيه الصلاة والذبح ليلا فى حين انهما لا يجوزان فى سائر ايام السنة الا نهارا، لان ابواب عالم الانوار « آلمى دنهورا » تبقى مفتحة خلاله اثناء الليل واطراف لنهار ، ولا بد من تعميد كل صابئي فى هذا العيد على غرار عماد النبى يحيى عليه السلام .

عيد يحيى : ويسمونه « دهوه ديمانا » ويحل بعد عيد البنجة بستين يوما ، اى فى الثامن أو التاسع من حزيران ، وحيث يصادف حلوله بداية الصيف فهو احسن المواسم لتعميد الاطفال لاول مرة .

الموت والآخرة

والموت فى نظر الصابئة ارتحال وانتقال لا فناء واندثار فالروح بعد خروجها من الجسد تنتقل من عالم لآخر حتى تتصل بعالم الانوار « آلمى دنهورا » ان كانت زكية صالحة ، او تنتقل من عذاب الى عذاب ان كانت خبيثة مدنسة حتى تطهر من ذنوبها . فالعذاب فى نظرهم ـ مهما كان نوعه ـ انما هو تطهير للروح من ادران الذنوب والخطيئة، وهذا ما جعل لفكرة التناسخ أصلا عندهم على الصورة التى يعتقد بها غلاة المتصوفة من رسخ ومسخ وفسخ ونسخ . (٢)

وهم يعتقدون ان الروح طاهرة ، فلا بد من خروجها من جسد طاهر ، وعلى هذا فهم يغسلون المحتضر ويكفنونه ويربطونه بالقصب ، حتى اذا خرجت روحه حملوه الى مثواه الاخير فى صمت وخشوع ، لان البكاء والعويل على الميت محرمان عندهم ، ويقولون ان كل دمعة تذرفها العين على اى فقيد تكون نهـرا كبيرا فى طريق نفسـه ، تكاد تعجز عن قطعه .

اما من مات قتلا أو غيلة او بسكتة قلبية أو بتصلب فى الشرايين فانه لا يغسّل لان الغسل موضوعه عندهم لمن به روح ، فان فارقت الروح الجسم اصبح الجسد كالطين المجبول لا يطهره الماء ولا يؤثر فيه التعميد ، وفى هذه الحال يوافيه رجل دينى من درجة كنزبرا،فيقوم بواجب التعميد والتكفين وينقله الى مثواه الاخر بصمت وخشوع.

نظام خاص

وقبل ان نختم هذا المقال نقول ان الصابئي لا يكون صابئيا ما لم يولد من اب وام صابئيين ، وان الصابئي لا يتزوج من غير الصابئية لئلا يختلط الدم ويضيع النسب،وقد أدى هذا التشدد فى التناسـل الى تناقص عـدد الصابئين ، وهم بموجب الاحصاء الرسمي الذى اجرته الحكومة العراقية فى عام ١٩٥٧ لا يتجاوزون الـ (٦٤٦٨) نسمة ، ويسكنون المدن القائمة على سيفيّ دجلة والفرات ، لان طقوسهم الدينية لا تتم الا بالارتماس فى الماء الجارى ، وقد التحق فريق لا يستهان به من شبابهم بمعاهد العلم ، فاصبح فيهم الطبيب والمحامي والمدرس والصيدلي ، وبات هذا الفريق يتخلى بالتدريج عن عادات قومه وآدابهم الدينية ولهذا يتوقع الناس قرب انقراض هذا الجيل من البشر ، والله اعلم بما يتوقعون . ■■

بغداد : عبد الرزاق الحسني

---

١ ـ تتألف السنة عند الصابئة « المندائية » من ٣٦٠ يوما وهى تقسم الى اثنى عشر شهرا فى كل شهر ثلاثون يوما وتبتدىء السنة عندهم بشهر نيسان « الشرقى » وتليه الشهور على الترتيب بأسماء تختلف قليلا عن اسماء الشهور الشرقية .

٢ ـ الرسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الانسان الى الاجسام النباتية . والمسخ : انتقال النفس المذكورة من بدن الانسان الى أجسام الحيوانات . والفسخ انتقال النفس الناطقة من بدن الانسان الى الجمادات . والنسخ: انتقال هذه النفس من بدن انساني الى بدن انساني آخر .

الفنان كلود مونيه

CLAUDE MONET

● دق الدلال بمطرقته العاجية على المكتب وقال : « سنشرع الان فى بيع لوحة (شرفة سانت ادريس) La Terrasse De st.Adrrese وهي من لوحات الفنان الفرنسى كلود مونية .. »

وفتح المزاد بقوله : « سنبدأ بمائة » .. فارتفع صوت احد الحاضرين قائلا : مائة ماذا ؟

ـ مائة الف جنيه .. طبعا !

وسرى الضجيج فى صالة كريستى Christie ، اشهر صالات بيع اللوحات فى « كنج ستريت » بلندن ..

كان هناك ٤٠٠ من اشهر تجار اللوحات الفنية وهواتها فى العالم .. بينما جلس فى قاعة اخرى مجاورة مائتا شخص آخرين من الذين لم تتسع لهم الصالة ، جلسوا يشهدون المزاد من خلال الشبكه التلفازية المقفلة التى اقيمت خاصة لهذا الغرض ..

وفى خلال ٣٥ ثانية ارتفع ثمن اللوحة من ١٠٠ الف الى ١٢٠ الى ١٧٥ الى ٢٠٠ الف جنيه استرليني !

وكان الرجل الذى رفع السعر الى هذا الرقم هو جورج انيو Georges Agnew تاجر اللوحات المشهور فى لندن .

وعادت الحمى الى المزاد ، وارتفعت الارقام من جديد ، رفعها التاجر نفسه من جديد ، حتىوصلت الى ٥٢٥ فالى ٥٥٠ ، فالى ٥٦٠ الف جنيه استرليني ..

ثم ساد هدوء اشبه بهدوء الموت ..

وارتفع صوت الدلال معلنا : ٥٦٠ الف جنيه .. لاشيء من اليمين ؟ لاشيء من اليسار ؟ ! ونزلت المطرقة العاجية على المكتبمعلنة بيع اللوحة بمبلغ ٥٦٠٠٠٠ جنيه استرليني .. (اي نحو ٧٠٠ مليون فرنك فرنسى قديم) .

وظلت هذه اللوحة تحتل مكان الصدارة فى صالون فاخر بمنزل التاجر جورج انيو ، ولكنها لم تمكث طويلا ، اذ سرعان ما باعها لمتحف الفن الحديث فى نيويورك بمبلغ خيالىلم يعلن عنه بعد .

قصة اللوحة

ولهذه اللوحة قصة اشبه بالاساطير ، بدات عندما قال الفنان « مونيه » لزميله « بازيل » : « حاول ان تجد لى مائة فرنك .. فانى أكاد اتصور جوعا » !

كان ذلك فى خريف عام ١٨٦٦ ، وكلود مونيه ، اذ ذاك فى السادسة والعشرين ، عندما قطع عنه والده ـ البقال الكبير ـ كل معونة .. وكان من العسير عليه ان يجد مشتريا للوحاته وارهقه الدائنون بفواتيرهم ، فهرب منهم الى مرسم صديقه « بازيل » ، ومن فرط غضبه مزق معظم لوحاته حتى لايراها تباع بالمزاد ! ولم يحتفظ منها بشيء سوى هذه اللوحة « الشرفة » التى كان رسمها عندما آوته خالته ، واطلق عليها اسم المنطقة التى كان يعيش فيها قرب مدينة الهافر Le Havre بفرنسا ..

ومضى مونيه يقول لصديقه بازيل بصوت يجمع بين الالم والسخرية : « انى ، ببيع هذه اللوحة ، ابيع كل اسرتي !! » . ذلك انه كان رسم ، فى هذه الشرفة المطلة على البحر ، والده وخالته ، بينما وقف فيها خاله مع ابنته يتحادثان من بعيد .

واشتدت الضائقة المالية على مونيه . وفجأة دخل عليه « بازيل » ذات يوم هاتفا : « فرجت .. لقد بيعت لوحتك .. » .

ـ بكم ؟

ـ ٤٠٠ فرانك (نحو ١٤ جنيها استرلينيا فى ذلك الوقت)

ـ برافو .. انها ثروة !

هكذا قال مونيه لبازيل وابتسامة الفرح تعلو شفتيه ..

وظلت اللوحة معلقة نصف قرن من الزمان ، فى منزل مشتريها فيكتور فرات Victor Frat فى مونبليه ، حتىيوم وفاته عام ١٩١٣ ، فباعتها زوجته

بَاعَ إِحْدَى لَوْحَاتِهِ وَهُوَ حَيٌّ بِأَرْبَعِمِائَةِ فِرَنْك ، وَبَعْدَ مِائَةِ عَامٍ بِيعَتْ بِسَبْعِمِائَةِ مِلْيُون فِرَنْك !

لتاجر لوحات بمبلغ ٢٧٠٠٠ فرانك .. وهذا بدوره نقلها الى مكتبه فى شارع ٥٧ بنيويورك ، حيثظلت معلقة هناك ١٣ عاما .. وفى يونيو سنة ١٩٢٦ رآها راعى كنسى يعمل فى قرية « بيرن اثين Byrn Athene بولاية بنسلفانيا الامريكية فاعجب بهـا فدخل المتجر واشتراها بمبلغ ١١ الف دولاراى ٢٩٧٠٠٠ فرنك فرنسى ـ وفى هذه السنة نفسها توفى مونيه ..

وقد ظلت اللوحة مختفية فى هذه القرية حتى نقلت فى ديسمبر الماضى الى لندن حيث اجرى عليها المزاد المذكور فبيعت بمبلغ ٧٠٠ مليـون فرانك. واصبحت بذلك تحتل المرتبة الخامسة بين اللوحات العالمية .

الفنان كلودمونيه

ولد مونيه عام ١٨٤٠ فى باريس ، وانتقل الى



ميناء الهافر بعد ذلك مع اسرته . وكان يكـره المدرسة ، وكثيرا ما كان يهرب منها لينطلق فى نزهات بحرية .. وفى اثناء وجوده فى الدرس كان يعمد الى رسم مدرسيه بشكل كاريكاتورى ، حتى اشتهر فى القرية بكونه رساما كاريكاتوريا ، رغم انه لم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة مـن عمره ..

وقد عشق مونيه البحر والانهر ، واشتهر بكونه من امهر الفنانين العالميين الذين ابدعوا فى رسم المناظر الطبيعية ، ودرسوا توزيع الظلال والشمس على الطبيعة نفسها دراسة عميقة وهو لم يبدأ فى رسم البحار والطبيعة الا بعد التقائهباوجين بودان، رسام البحار الشهير ...

وسافر مونيه مجندا الى الجزائر فانفعل كثيرا باضواء افريقيا والوانها ، ولكنه عاد الى عائلته مريضا عام ١٨٦٢ . وفى باريس تعرف على اوجست رينوار الفنان الكبير ، مع عدد آخر من الفنانين ..

وكانت لوحته : « غداء على الحشيش Dejeuner Sur l'herbe » اجمل لوحاته ..

واتضح مذهب مونيه الفنى حوالى عام ١٨٣٢ وعرف بانه من فنانى المذهب التأثيرى ، وليس لهذا النوع من الفن سوق كبيرة فى فرنسا ..ولكنه ظل منكبا عليهفرسم الطبيعةفى انجلترا وهولندا ..

والى جانب رسوم البحار اشتهر برسم الوجوه، ومن اهمها « لوحة سيدة فى الحديقة »
Woman in the Garden
تلك التى رسمها عام ١٨٦٧ ، اى منذمائة عام .

وعندما سكن قرب نهر السين تحول من رسـم البحار الى رسم الانهار .. ولكنه بعد وفاة زوجته الاولى ، وزواجه من زوجته الثانية عام ١٨٨٢ ، بدا ينهج فى رسومه نهجا جديدا ، بان كان يرسم لوحات متعددة لمنظر واحد وانما يخالف بـين اضوائها .

وفى عام ١٩٢٦ توفى كلود مونيه فى باريس بينما كان يعمل فى اتمام لوحته Water landscapes وكان صديقهجورج كليمنصو Georges Clemenceau السياسى الشهير ورئيس وزراء فرنسا حينذاك ، يشجعه على تقديم مجموعة من لوحاته للحكومـة الفرنسية كهدية تحتفظ بها الدولة .

وفى ربيع ١٩٢٧ وضعت بعض لوحاته عـن الحدائق فى قاعتين من متحف التويلرى Tuilleries بباريس . ■■

طرائف عربية

تفاحة القلب

● دخل عمرو بن العاص على معاوية، وبين يديه بنته عائشة . فقال من هذه ياأمير المؤمنين ؟ قال هذه تفاحة القلب. فقال له : انبذها عنك ، فو الله انهن ليلدن الاعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن . فقال معاوية : لا تقل ذلك يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا اعان على الاحزان مثلهن ، ورب ابن اخت قد نفع خاله .

افصح الناس

● قال معاوية يوما لجلسائه:اى الناس افصح ؟ فقال احد الحاضرين : ياامير المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن شنشنة تغلب ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولاطمطمانية حِميَر . قال : من هم ؟ قال قومك يا امير المؤمنين : قريش ... قال : صدقت .

من هو السعيد ؟

● سأل زياد اصحابه : من اغبط الناس عيشا ؟ قالوا : الامير واصحابه . قال زياد : كلا . ان لأعواد المنابر لهيبة ،ولقرع لجام البريد لفزعة . ولكن اغبط الناس عيشا ، رجل له دار يجرى عليه كراؤها ، وزوجة قد وافقته فى كفاف من عيشه ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فان عرفنا وعرفناه ، افسدنا عليه آخرته ودنياه !

نحن نلي اموركم وآدابكم

● وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية ، فاذن للاحنف ثم اذن لابن الاشعث ، فاسرع الاخير فى مشيته حتى تقدم الاحنف ودخل قبله . فلما رآه معاوية غمه ذلك واحنقه . فالتفت الى الاحنف وقال : والله انى ما اذنت له قبلك ، وانا اريد ان تدخل قبله ، واننا كما نلي اموركم ، كذلك نلي آدابكم، ولا يزيد متزيد فى خطوه الا لنقص يجده من نفسه .

كرم

● قال يحيى بن اكثم : ماشيت المامون يوما من الايام فى بستان مؤنه بنت المهدى ، فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس ، فلما انتهى الى آخره واراد الرجوع،واردت أن أدور الى الجانب الذى يستره من الشمس قال :

قالـوا

● قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك، فانما جعل لك أذنان اثنان، وفم واحد ، لتسمع أكثر مما تقول :

لو اتبع هذا الرأى !

● قال المأمون للفضل بن سهل :قدكان لاخي رأى لو عمل به لظفر . فقال له الفضل ما هو امير المؤمنين ؟ قال : او كتب الى اهل خراسان وطبرستان والرىٰ انه قد وهب لهم الخراج لسنة لم نخلُ نحن من احدى خصلتين ، اما رددنا فعله ، ولم نلتفت اليه فعصانا اهل هذه البلدان وفسدت نياتهم ، فانقطعوا عن معاونتنا ، واما قبلناه وامضيناه ، فلانجد ما نعطي منه من معنا، وتفرق جندنا ، ووهى امرنا . فقال الفضل : الحمد لله الذى ستر هذا الرأى عنه وعن اصحابه .

نصائح للمعلم

● قال عمر بن عتبة لمعلم ولده: ليكن اولَ اصلاحِك لولدى اصلاحك لنفسك . فان عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت . علمهم كتاب الله ،ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه ، علمهم من الحديث اشرفه، ومن الشعر اعفه، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب شغلة للفهم . علمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك.

حسن تخلص

● دخل عبد الله بن عباس، على معاوية ، وعنده زياد ، فرحب به معاوية ، ووسع له فى محله ، واقبل عليه يسائله ويحادثة باهتمام ، وزياد ساكت ، فقال له ابن عباس : كيف حالك ابا المغيرة ، كانك اردت ان تحدث بيننا وبينك هجرة ؟ فقال : لا . ولكنه لا يسلم على قادم بين يدى امير المؤمنين ! قال ابن عباس : ما ادركت الناس الا وهم يسلمون على اخوانهم بين يدى امرائهم ، فقال معاوية : كف عنه يابن عباس فانك لاتشاء ان تغلِبَ الاّ غلبت !

الصحبة

لا تفعل وكن بحالك حتى استرك كما سترتني . فقلت : يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك حر النار لفعلت، فكيف الشمس ؟ فقال : «ليس هذا من كرم الصحبة يابن اكثم .» ثم مشى ساترا لي من الشمس كما سترته.

العربي

العدد ١١٣
محرم ١٣٨٨
ابريل
(نيسان) ١٩٦٨

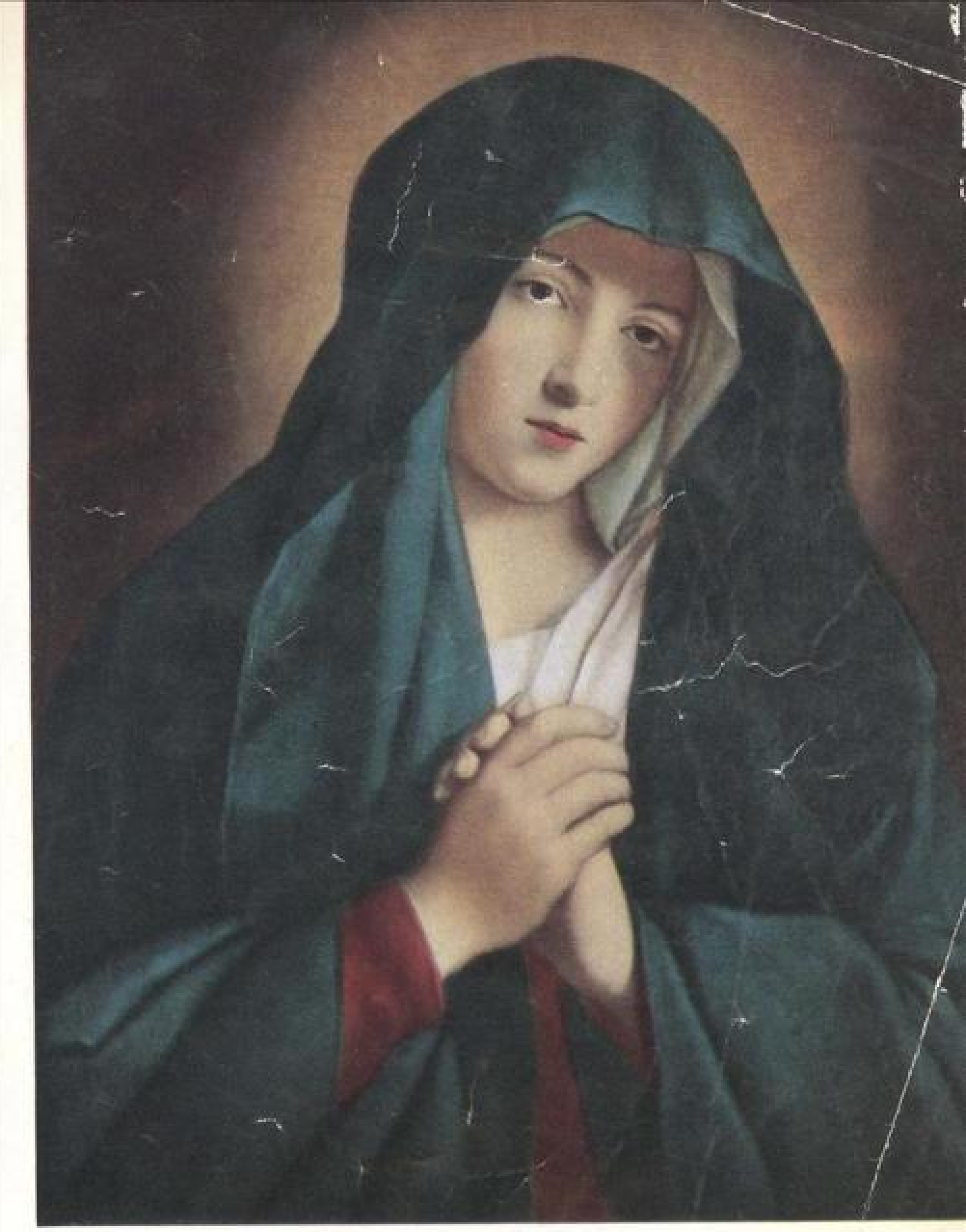


عربية .. من تلمسان

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس			السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
اليمن	٢٫٥ شلن	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
العراق	١٢٠ فلسا	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



العذراء

● السيدة العذراء كما رسمها الفنان الايطالى ساسو فيراتو « Sasso Ferrato » .. لقد ظل رسم صور السيد المسيح والسيدة العذراء والقديسين ظاهرة في الفن المسيحى .. واصبحت صورة العذراء الـ « Madonna » مادة يتنافس عليها كبار الرسامين ومشاهيرهم في مختلف عصور النهضة ..

(انظر « الفن التصويرى في المسيحية والاسلام » بصفحة ١٤١)



عزيزي القارىء :

● **نحاول دائما ان نزودك ، في حدود الامكان ، بكل ما نراه يجمع بين الفائدة ، والمتعة ، والوصل الدائم بين احداث الحياة ، لا تلك التى تتغير من يوم الى يوم ، ولكن تلك التى تدوم فتصبح مثلا او عبرة يستفاد منها في العيش .**

● ونحن نزيد في المطبوع الشهرى من « العربى » كل شهر ، والقراء تطلب المزيد . وفي هذا دليل لدينا على الرضى المتصل .

● **ولكنا نود دائما ان يصلنا من القراء رايهم فيما يقراون . نستفيد من رايهم الذى يقول هذا المقال حسن ، ونستفيد اكثر اذا هم قالوا ان ذاك المقال ، لو انه كان كذا وكذا ، لكان ذلك خيرا .**

● ان النقد مرآة تعكس الينا رغبات القراء ، والنقد الحر ، في أى مجال ، ضرورة من ضرورات الحياة . لا يستغنى عن النقد الا من مات ، او أوشك أن يموت .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

ثقافات .. وآداب :

شعر .. وشعراء :

طب .. وعلوم :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت



ALARABY = No. 113 April 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ما زالت تلمسان ، خاصة مدن الجزائر ، تحتفظ بكثير مما حمله اليها النازحون من الاندلس من عادات وتقاليد .. وهذه فتاة تلمسانية ترتدي ثياب العروس وحليها : قطيفة حمراء موشاة بخيط من ذهب ، وتاجا مرصعا بالماس ، وعقودا واقراطا من اللؤلؤ الطبيعي، مع أساور عديدة غاية في الروعة.

(أنظر استطلاعنا عن تلمسان ابتداء من صفحة ٧٦ من هذا العدد)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن • العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج٠ع٠م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٥ر٣ شلن • ليبيا ٥١ قرشا •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت — ص.ب٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي •





شجعوا الصناعات العربية

● لماذا لانهتم بالصناعات الجديدة التي قامت في جميع ارجاء الوطن العربي ، وفي الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة ، حيث تقوم صناعة السيارات والادوية والمنسوجات وغيرها . ان هذه الصناعات الوليدة في حاجة الى الدعاية والنشر لكى تنمو وتزدهر. فلماذا لا تقدمون لنا استطلاعات مصورة عن هذه الصناعات الجديدة في وطننا العربي .

جاسم محمد عبد الحميد
الكويت

صحفنا وحياتنا

● عوّدتنا مجلة « العربي » ان نقرأ كل ماهو مهم وما يرتبط بحياتنا . فصفحة الطب او زاوية (امراض شائعة) بمجلتنا الحبيبة تاتي بكل جديد بمطلع كل شهر جديد . وزاوية امراض شائعة هذه ينتظرها المريض والمعافى على السواء فالتوعية الصحية برايي اصبحت ضرورة ، ومن اهم ما يجب على الانسان معرفته لانه لا عمل ولا انتاج ولا تطور بدون الصحة والقوة .

انني اردت بهذا ان اعبر عن اهمية هذه الابواب بمجلتنا اولا ولاشكر من قام عليها وفكر باظهارها وتثبيتها ثانيا .

بقي ان اقول ولي رجاء خاص ان تكون هدية العدد القادم هي عبارة عن (خريطة لجسم انسان) مبينا وموضحا بها جميع اجزاء الجسم مسلسلة ومؤشرا عليها ما يتعرّف القارىء فيما لو احس بالم في جسمه عن مصدر الالم ونوعه للاستفادة والتنوير بمعالجة نفسه . وهذه الخريطة او الصورة سبق ان رأيتها واطلعت عليها منذ خمس او ست سنوات تقريبا وهي على ما اذكر من العربي . فاذا اصدرتموها مرة اخرى فستكون مجلة « العربي » قد قدمت لقرائها عامة اجل خدمة واجمل هدية .

وحيد داود الكويت

مجلة العربي في الاتحاد السوفييتي

● انا طالب كويتي اتلقى العلم في المعهد التحضيري لكلية الطب بمدينة دستوف بالاتحاد السوفييتي. ويسرني ان ابلغكم اننا رغم المسافات الشاسعة التي تفصل بيننا وبين بلادنا ، الا اننا نعيش لحظات ممتعة كل شهر مع مجلتنا « العربي » التي لم نفترق عنها ابدا منذ وصولنا الى هذه البلاد البعيدة . ويرجع الفضل في ذلك الى سفارة دولة الكويت في موسكو التي تزودنا بمجلة « العربي » كل شهر .

الطالب جوهر عباس جوهر شهاب
دستوف ـ الاتحاد السوفييتي

ابو ايوب الانصارى

● فى الاستطلاع القيم الذى نشر فى العـددالممتاز من « العربى » عن اسطنبول ، جاء أن أبا ايوب الانصارى هو حامل لواء النبي (ص) .
بل تميز بشيء آخر هو أن النبى (ص) حَلَّ اول ما حل في يثرب في منزله ، وذلك ان النبى (ص) حين هاجر الى يثرب ووصلها سالما علىناقته ، ازدحم عليه اليثربيون ، كل يريد ان يفوز بشرف ضيافة النبي (ص) ، ولكن النبي (ص)ترك ناقته وشأنها حتى بركت على مربد ليتيمين هما سهل وسهيل ابناء عمرو ، وكانا فى حجرمعاذ بن عفراء ، وهنا عاود الانصار دعواتهم للرسول (ص) للنزول فى بيوتهم ، وكان منزل ابى ايوبمن اقرب المنازل لمبرك الناقة ، فاحتمل رحل النبي فوضعه فى بيته . فقال النبي (ص) : المرء مع رحله ونزل على ابي ايوب ، وظل ضيفه سبعة اشهر حتى بنى مسجده ومساكنه .

حسن الأمين

بعقلين .. ودير القمر

● ان عاصمة الشوف يا حضـرات ناشري التحقيق فى العدد الصادر فى تشرين الثاني ١٩٦٧، هى (بعقلين) وليست دير القمر ، وبعقلين هيبلدة فخر الدين المعني وآله . وكان الاجدر ان تطلعوا على تاريخلبنان قبل ان تكتبوا هذا التحقيقفى مجلتكم العربي الزاهرة .

شوقي اليوسف حماده

العربى : ذكر المؤرخ اللبنانى الكبير « حتى » فىكتاب « لبنان فى التاريخ » أن دير القمر كانت عاصمة لامراء المعنيين والشهابيين .. وقد كرر هذا القول ست مرات فى الصفحات رقم ٤٥٩ و ٤٦٢ و ٤٧٠ و ٤٧٦ و ٥٠٤ و ٥٠٩ وهذا لا ينفىأن بلدة بعقلين كانت مقر الامراء المعنيين ، قبل ان ينتقلوا الى دير القمر ويجعلوها عاصمتهم الجديدة ..

وفى السويد

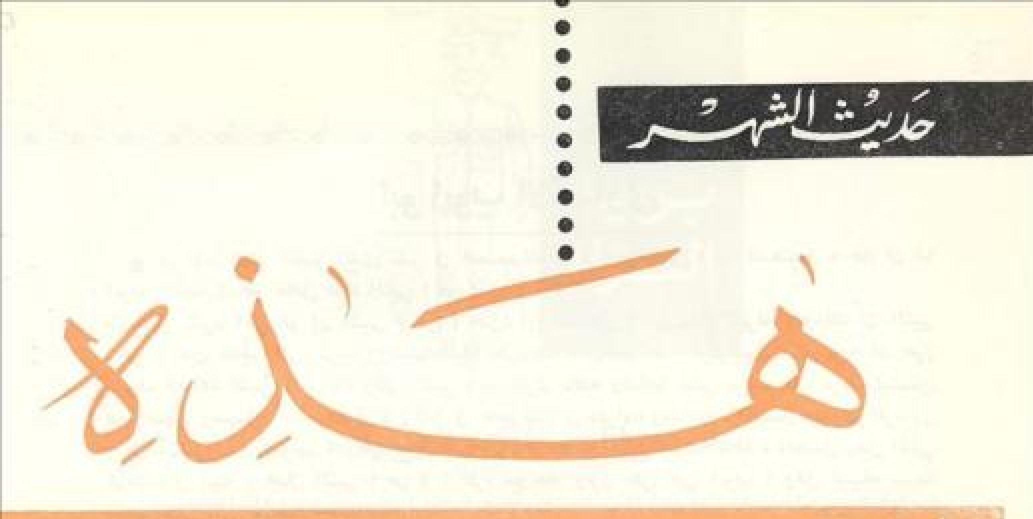
● من السويد ، بلاد الثلج ، ابعث اليكم بشكرى على ما تقدمه لنا مجلة « العربي » من مقالات مغذية مشبعة . اننى استلم المجلة كل شهر من ابن اخ كريم فى الكويت يدعى بسام علبة ، وما اكاد انتهى من قراءتها حتى اودعها احدى المكتبات العامة هنا بمدينة مالمو بالسويد ، لعلها تقع فى يد احد الزملاء العرب الذين يتعطشون لقراءة مجلتكم . او الزملاء الاجانب الذين يدرسـون العربية فى المعاهد الليلية . ترى هل تصل العربي بوسائل اخرى وبصورة منتظمة الى السويد والى غير السويد من دول العالم .

عبد العلا علبة
مالمو ــ السويد

مي زيادة وايزيس كوبيا

● قرات فى العدد ١١٠ من « العربي » ، اجابة لسؤال لاحد القراء عن فقيدة الامة العربية مي زيادة . وقد جاء فى الجواب : وفى مصر نشرت كتابيها « ايزيس كوبيا » و « ازاهير حلم » .. والواقع ان ايزيس كوبيا ليس اسما لاحد كتبها ، بل هو اسمها هي بالفرنسية ، وقعت به كتابها « ازاهير حلم » ، الذى اصدرته باللغة المذكورة . فايزيس الهة مصرية قديمة كانت زوجة لاوزوريس واما لحورس ، وهي تقابل « مارى » او مريم ام السيد المسيح عليه السلام . وكوبيا كلمة لاتينية معناها الزيادة والكثرة ، وهي تقابل اسم اسرتها « زيادة » ومن هذا الاصل اللاتينى جاءت الصفة Copieux بالفرنسية و Copious بالانجليزية .

العراق / بغداد — صباح سلمان



بقلم رئيس التحرير

■ اما انها مدنية ، هى اليوم قائمة ؛ غير مدنية الامس ، فامر لا شك فيه ، الا في بلاد لم تتغير ولم تتطور .

والناس بالطبع اكثر تطورا ، واسرع تطورا ، بالمدنيات في المدن ، منهم بالريف . ولقد تعم المدنية في بعض الامم المتقدمة ، وتلحق بالريف فيتطور كتطور المدينة . وتطلب صورا من مدنيات الامس ، فتذهب الى الريف علك تجدها ، فلا تجد من ذلك شيئا .

والمدنيتان ، مدنية الامس ، ومدنية اليوم :

الفرق بينهما فرق تثقف . كان للناس من الثقافة حظ فتضاعف ، ومع التضاعف اتسع وشمل .

والفرق بينهما فرق تكنية ، كانت قليلة يدوية ، فاذا بها ضخمة جبارة بخارية وكهربائية .

وبالتثقف والتكنية ، والفكر الانسانى الذى لا يعرف معنى النكوص اذا ما انفتح امامه الطريق ، انقلب مجتمع الناس قلبا وقالبا .

المواصلات

واذا نحن بحثنا اثر المدنية ، من حيث تجميع الناس وتفريقهم ، وهي الناحية التى نريد ان نقتصر عليها دون غيرها ، ذكرنا اول ما نذكر المواصلات .

والمواصلات ، اطالها البلد الذى كان صغيرا ثم كبر ، وكان متقارب الاطراف ، فصار متباعد الارجاء ، واسعا ضخما .

والضخامة سببتها كثرة الاعمال ، فما يجتمع الناس في كثرة وعلى ضخامة ، الا على عمل . وما جاء بالاعمال الا الصناعات الجديدة وما صحبها من تجارة .

والصناعات خرجت من البيوت

والصناعات خرجت من البيوت ، حيث عضل الذراع كان القوة المحركة الواحدة ، الى المصانع حيث الاذرع صارت من حديد تحركها قوة من قوى الطبيعة التى كانت خبيئة فاكتشفت هائلة عارمة .

المَدَنيّة ..

زَادت النّاس ..
تَجْمِيعًا
فى الحَياة
أمْ ..
تَشْتِيتًا
وَتَفْرِيقًا



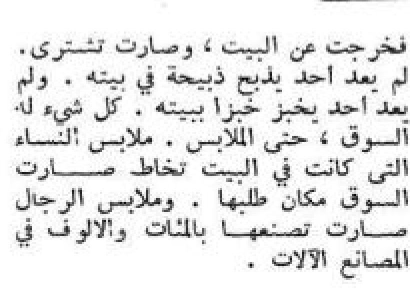
والاب الذى كان يعلم الصنعة لابنه عجز عن تعليم يفي بحاجة الزمان، فخرج ابناؤه عن اسرتهم يطلبون العلم والفن والرزق حيثما كان .

وكان اثر كل ذلك في الاسر كبيرا .

البيت الكبير الذى كان يسكن فيه الجد، والابناء، وابناء الابناء، وزوجاتهم وبنوهم ، خلا من سكانه . استبدلت به بيوت كثيرة صغيرة متناثرة متباعدة . وكانت اكثر حاجات العيش تصنع فى البيت . لتستهلكها الكثرة التى فيه .



كانت الاسر كبيرة ، تشمل الجد والابن والاحفاد ، ثم تفرقوا



فخرجت عن البيت ، وصارت تشترى . لم يعد احد يذبح ذبيحة في بيته . ولم يعد أحد يخبز خبزا ببيته . كل شيء له السوق ، حتى الملابس . ملابس النساء التى كانت في البيت تخاط صارت السوق مكان طلبها . وملابس الرجال صارت تصنعها بالمئات والالوف في المصانع الآلات .

والاسر تقسمت وتشتتت

وبخروج الصناعات البيتية من بيوتها ، وبخروج الدرارى من تحت أسقف آبائها وامهاتها ، كل يطلب التثقف ، ثم الرزق في المدينة الواحدة الكبيرة او في المدن المتعددة ، تقسمت الاسر الكبيرة ، وتشتتت .

وهى لم تتشتت لتفنى .

وقلَّ التواصل بينها لطول المسافات . وابتدعوا الطرقات ، وابتدعوا القاطرات ، والطائرات لتفي بهذه الحاجات .

والتلفون ابتدعوه ليقرب بين الناس ما قد تباعد .

ولكن كل هذا ما كان ليفي باللقاء الذى كان يقوم في الاسرة الكبيرة في الصباح وفي المساء ، وكل يوم ، وكل عطلة ، او يفي بما كان بينها من احاديث تدفأ بها القلوب . لقد صار المريض منهم يمرض



والاسر صارت صغيرة

على التباعد ، فقد لا يصل الخبر الى ذويه الا وقد شفى من مرضه ، أو هو دفن تحت التراب .

المساس الانسانى ، فقده الرجل المدنى

والمساس الانسانى الذى كان في المدينة الغابرة البطيئة المتواضعة اضاعته المدنية الحديثة في القرية وفي المدينة الحديثة السريعة الصاخبة . واهل القرية ، أو اهل المدن الصغيرة ، كانوا يجتمعون على المساطب ، او في المقاهى الصغيرة ، أو النوادى وأشباه النوادى ، فلا يكاد احد يجد وجها غريبا الا عرف أنه الغريب وادركه . ويتناقلون الاخبار ، ويعلقون عليها ، ويتحادثون ويتفاعلون ، كما وجب أن يتفاعل الانسان والانسان .

طالت المسافات ، فابتدعوا السكك الحديد والقاطرات لتقرّب ما تشتت من حاجات



كل طعوم العيش هـذه انطوت أو انطوى اكثرها .

اخبار الصباح يقراها رجل اليوم ، في المدنية الحاضرة ، في الصحيفة اليومية . وينزل الى عمله ، وعلى بعد اميال من مسكنه ، ويلتقى بأصحابه في العمل فلا يكاد احـد أن ينطق بكلمة طويلة ذات فائدة عن خبر . ان الاخبار قد قراها الكل ، فليس هناك مجال لاستجلاء . وليس عند أحدهم الوقت لاستجلاء ، في مصنع او متجر أو مكتب ، او مدرسة أو سـوق .

هم اشتركوا في علم الاخبار ، ولكـن لا بالمساس الانسانى ، من لسان لأذن ، ولكن من ورقة لعين .

توحّدوا خبرا ، ولكن في غير وحدة .

صار الرجـل المدنى اليوم يعيش في مجتمع مدنى زائط بالناس ، ولكنـه يعيش وحده .

ومع هذا هو ليس خاليا من صحبة . ولكنها صحبة عمل .

في المدنية القديمة كانت الصحبة من ابيه واخيه وعمه وابناء عمـه وولـده والجيران والاقربين سـكنا ونسـبا .

مع الافطار تقرا الصحف . ويلتقى الرجال فلا يسال احد احدا عن خبر ، لانهم كلهم قراوه ، مـن حبـر علـى ورق



فتقطعت الاسباب بكل هؤلاء ، وصارت صحبة الرجل مقصورة على من معهم يعمل .

صـارت الصحبة الحديثة صحبـة مهنة .

المدرس لا يكاد يعرف من الناس ، ولا يكاد يألف ، الا المدرس . على الاقل المدرس الذى التقى به حيث رمت به مرامى العيش .

والمحامى لا يعـرف على الاكثـر الا صحبة المحامين .

حلّت وشائجُ العمـل مكانَ وشائج الدم ، ووشائج البلد والقرية .

والاسر صـارت صـغيرة وكثيرة ، وانطوت على نفسها .

ومطالب للعيش تكاثرت ، فشغلت الناس

ومطالب العيش في المدنية الحاضرة صارت أكثر عددا ، وأكثر تعقدا ، واغلى ثمنا ، وأعز نيلا ، وصارت الاسر أشقى بها ، وأكثر عن سـائر الاسر تعـزلا . وأصبح التزاور في البيوت ، على المدنية الحاضرة ، ندرة ، لهذا الذى ذكـرنا ولغير هذا .

جمعوها ، اجساماً ، ملايين ، لها أهواء شتى

المدنية الحاضرة اذن جمعت الناس في المدائن ملايين كثيرة ، ولكنها جمعتهم اجساما اكثر مما جمعتهم أرواحا وقلوبا . كآلة ضخمة هائلة ، بهـا من الاجـزاء الدوارة الف والف ، كل يجرى ، ولكنه لا يعى انه يجرى ، ولا لأى شيء يجرى ، ولا يكاد يحس بأجزاء ، هي جيران له ، فيفطن الى انه مثلها كذلك يجرى .

وجمعـوا جماهير النـاس عنـد مستقبِلات الاذاعة آذانا ، وجمعوهم عند



وجمعوا الجماهير عند مستقبلات الاذاعة آذانا

أجهزة التلفاز آذانا وعيونا . ولكن كما جمعوهم عند الصحف ، جموعا غير مجموعة . عقول وقلوب اجتمعت عند شيء واحد ، لم يكن من الضرورى ان تجتمع أجسامها .

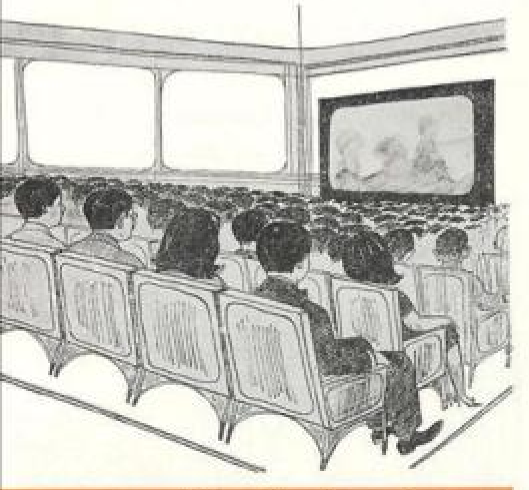
وفي السينما أجلس معك وأتابع القصة ، ولا احس بك ، ولا تحس بي ، وكلما كانت دار السينما افرغ كان المكان اهدأ واروح .

واصطنعوا الحفلات

وارادوا جمع الناس الذين فرقتهم المدنية ، فابتدعوا الحفلات . حفلة الطعام . وحفلة الشاى ، ثم الكوكتيل ، يجتمع عليها الخلق الكثير ، من فئات متعارفة ، واحيانا متخالفة . وتتبع ما يجرى في هذه الحفلات من حديث ، فاذا به الحديث العابر . عن الطقس . وعن خبر اليوم او اخباره . وكل علم ما طقس اليوم ، وما خبره وما اخباره . وهي احتفالات لا بد فيها من التنقل . دقيقتين مع هذا ، ودقيقتين مع ذاك . وحديث الطقس يتكرر واخبار اليوم . وينفض الحفل ، ويندر أن يكون فيه حديث واحد طال حتى اثمر .

وقلت انفض الحفل ، ولم أقل انفض السامر . فما كان حفل من هذه الحفلات بسامر .

وقرات لرئيس وزراء بريطانيا ، المستر هارولد ولسن ، تعليقا على هذه الحفلات . قال : انه يضيق بها فلا يغشاها ، لأنها مضيعة وقت . وصدق .



أجسام مجموعة ، وعقول متفرقة . لا يبالى احدهم ان يفرغ المكان ويبقى هو فيه وحده

وهو اصدق لو انه قال : على ان في الناس من يتوقف بهم الزمن ، فهم في حاجة الى اضاعة وقت .

وكرهت ما كره الكارهون منها فلا اغشاها .

وغير ذلك السمر والسمّار

وغير ذلك السمر والسمار . الحديث بين زمرة قليلة ، يجمع بينهم الادب والعلم والثقافة وبحبوحة في افق الفكر لا تتنكر للطريف من انتجة العقول ، ولا للمليح من نوادر الظرفاء .

مثل هذا السمر ، هو الذى انتج لفرنسا ما انتج في عهد الصالونات ، وانتج للعرب ما انتج في عهود المنادر والمقاهى ، وحين لم تكن المقاهى الا لأحسية الشراب وحدها .

والمقهى الشهير في القاهرة ، عند العتبة الخضراء ، ولا اذكر الآن اسمه كان ملتقى جمال الدين الافغانى بأصحابه واتباعه كل مساء ، فاذا غربت الشمس قام فمضى الى بيته ، في وداع زمرة من الاحباب .

وبيت العقاد ، رقم ١٣ بشارع السلطان سليم بمصر الجديدة ، كان منتدى يؤمه صحبه ومريدوه كل صباح جمعة .

وفي الكويت بقيت المنتديات الى اليوم ، في المنازل ، يؤمها الصحاب والاحباب .

واسموها الديوانيات .

ولحق الديوانيات او يلحقها ، والنوادى والمقاهى والمجتمعات ، ما لحق المدنية الكبيرة من اسباب التفريق والتمزيق .

وابتدع هتلر ان يتسمع الولد على ابيه ، والاخ على اخيه ، فمزق في العالم حتى ندوة الاسرة . وجرت ، حتى الولايات المتحدة ، يوما ما ، على ما سن هتلر (الماكارثية وحملتها) .

ندوة الكتب

حتى لم يبق للناس الا الكتب ندوة .



ندوة الكتب آخر الندوات

وندوة الكتب تجمعها انت ثلاثة ، او عشرة . وهم يقولون ، وانت تسمع لهم فردا فردا . وانت لا تقول لأنهم لا يسمعون . وتنفعل بهم ، على الصمت ، وعلى الهدوء ، وهم لا يتفاعلون .

وانت تجمعهم من اى الاقطار ، وأى القرون .

ان شئت ندوة فلسفة ، فادع ما تدعو ، من ارسطوطاليس وافلاطون قبل الميلاد ، الى برترند رسل في العصر الحديث . وان شئت عربا ، فالفارابى وابن رشد .

وان شئت ندوة تاريخ ، فادع من تدعو ، من هيرودوتس الاغريقى ، الى توينبى الانجليزى . وان شئت عربا ففينا العديد الكثير كالطبرى وابن الاثير .

وهكذا دواليك .

لكانى بهذه الندوة ، ندوة الكتب ، هى الندوة الواحدة الآمنة التى لها البقاء آخر الدهر ، بين انسان القرن الحادى والعشرين . فوق اى ارض كان ، وتحت اى سماء .



التاريخ ، هل يعيد نفسه

■ الناس تدرس التاريخ لاغراض شتى .

والناس تدرس تاريخ الناس لتعرف عن هؤلاء الناس الذين كانوا ، كيف كانوا ، وكيف تخلقوا ، وكيف بداوا ، وكيف انتهوا . وما عملوا ، وفيما اخطأوا وفشلوا ! ، وفيما أصابوا ونجحوا ، وسر نجاح فيهم وسر خيبة . وكل هذا ليتعلموا من الماضى ، ماضي الناس ، ما ينفعهم فى حاضرهم ، حاضر الناس .

انها صور من الحياة مضت وتمت . وهم اليوم في صور مثلها من حياتهم ، لم تمض بعد ، ولم تتم ، فهم يودون علم نهاية انتهت اليها صور مضت ، ليعلموا نهاية تنتهى عندها صور لم تمض بعد .

وهم يفرضون أن الحياة الواحدة ، التي انتهت ، اذا شابهت حياة أخرى ، لم تنته ، وشابهتها ناسا واحداثا واحوالا ، فالحياتان لا بد منتهيتان الى مآل واحد .

ان الانسان جهل الغيب ما يكون . نظر الى المستقبل ، الى امام ، فلم يستطع ان ينفذ اليه بصرا او بصيرة ، فعاد الى الماضي ، الى الوراء ، الى التاريخ يستقى منه العبرة .

واساس العبرة هنا أن التاريخ يعيد نفسه .

وهي كلمة تسمعها من اكثر الناس .

ولكنك تسمعها اكثر والناس في ازماتها . انها تطلب التفريج عن نفسها ، فتنظر في الامس تحاول أن تجد فيه اشباه اليوم ، فاذا وقعت على ما هو خير وعافية ، تمنته . ومن بعد تمن اعتنقته . ولتوثيق اعتناقها وتأكيد اطمئنانها هى تقول ان التاريخ يعيد نفسه . ومنطقها في ذلك كمنطق الرجل الذى اراد أن يفرّج عن نفسه ازاء خصمه الذى ما برح يتصاعد نجمه فقال :

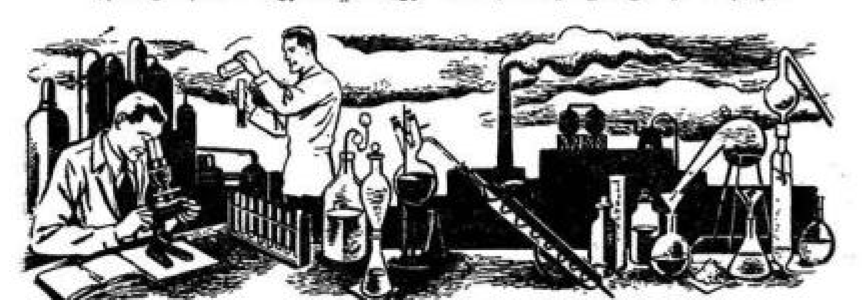
ما طار طير وارتفع
الا كما طار وقع

وهو يقصد بذلك ما طار طير وارتفع بجانحين شديدين ، الا سقط الى الارض بجناحين مَهيضين . فهكذا هو حلمه ، وهكذا أمله ومطمعه . وغير ذلك الواقع . فما طار طير وارتفع ثم وقع ، الا عاد وارتفع ، ثم ارتفع وارتفع .

التجربة العلمية والتجربة الانسانية

ان التاريخ ليس الا تجارب انسانية،

التجارب العلمية هى التى تعيد نفسها . اذا أجريناها في المختبرات عادت بنفس نتائجها



تاريخ : قَالَ قَائِلُونَ :
إنَّهُ يُعِيدُ نَفْسَهُ ،
وَقَالَ آخَرُونَ إنَّهُ لا يُعِيد ،
وَصَدَقَ الآخَرُون !

تجرى على الارض ، يتفاعل بها أقوام ، ثم تختتم كما بدات .

والعلم الطبيعى ليس الا تجارب كذلك ، ولكن تتفاعل بها المواد الجامدة ، ثم تختتم كما بدأت .

والتجارب العلمية هى وحدها التى تعيد نفسها . اى اذا نحن اعدنا في المختبر اجراءها عادت بنفس خواتيمها .

وغير ذلك التجارب الانسانية ، وتجارب المجتمعات الانسانية ، وتجارب التاريخ .

أن تجربة المختبر فيها العناصر المتفاعلة ثابتة الصفات ، ثابتة المقادير . النحاس مثلا هو النحاس ، والاكسيد هو الاكسيد . والادروجين هو الادروجين ، والنار هى النار ، ونرفع درجتها ونخفضها . ونطيل اشعالها او تخمدها .

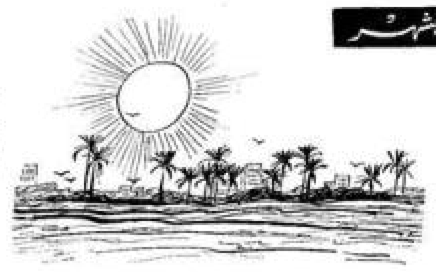
كل شيء ثابت كماً وكيفا ، حتى الظروف المحيطة . واذن تتكرر التجربة في المختبر ، فتتكرر النتيجة الواحدة .

والتجارب الانسانية ، ومنها التجارب التاريخية ، فيها الانسان أول شيء متفاعل . وليس كالانسان مثلا ينفى صفة الثبات كيفا وكما ، انه الهوى المتغير ، والمطمع المتقلب والثقافة المتباينة ، والميراث الذهنى المتفاوت . والانسان لا يدخل تجارب التاريخ واحدا فردا ، وانما آلافا مؤلفة . وهو لا يدخلها جيلا واحد ، وانما جيلين وثلاثة اجيال اجتمعت كلها معا على صعيد من الزمان واحد .

فلو ان مجرباً اراد ان يجمع في الزمان الواحد جمعين من بنى الناس متطابقين ، ليخرج من تفاعلهما بأحداث الزمان بنتيجة واحدة ، أو حتى متشابهة ، يقول على أثرها ان التاريخ يعيد نفسه ، ما استطاع . فكيف اذا اختلف الزمان . واختلفت بالناس من الزمان القرون .

وكتجارب المختبرات ظواهر الكون تعيد نفسها كل يوم

وانت تنظر في الظواهر الكونية فتجدها تعيد نفسها كل يوم ، وكل عام ، وكل مدى من الايام والسنين .



وظواهر الكون تعيد نفسها كل يوم . فالشمس تطلع كل يوم ، وتحكمها القوانين فتطيع ، لأنها لا تعى كالانسان

الشمس تطلع وتغيب .

والارض تدور ويتناوبها النور والظلام .

والقمر والنجوم ، في طلوعها واختفائها ، صور متكررة معادة .

وكل أحداث السماء ، تتشابه ظروفها فتأتى نتائجها واحدة .

وكل ذلك لأنها أجسام واجرام لا تعى ، تحكمها القوانين وهى لا ارادة لها ..

ويعى الانسان .

وفي الانسان ، المتكرر والمعاد

ومع هذا ففى الانسان ، كما في الاجرام ، اشياء تتكرر .

تلك التى لا تعتمد على آرائه واهوائه ، وانما تعتمد على قوانين الطبيعة .

على قوانين الفزياء ، والكمياء ، وعلم الحياة ، وسائر العلوم ، حتى ذلك الجزء الذى عرفناه من علم الانفس وما استوفيناه .

ان الانسان يأكل الكثير فيتخم . ويتكرر هذا .

وهو يشرب الخمر ، فيفقد الوعى ، ويتكرر هذا .

وهو يعمل يومه ، ويتعب ، فيأتيه النوم ، ويتكرر هذا .

أشياء الف ، تعيد نفسها في الانسان ، لأنها لا تعتمد على ارادته وعلى اهوائه . انها تعتمد على ما ليس له اليه سبيل . على قوانين الطبيعة . اما الذى يعتمد على ارادة الانسان ، فردا ، أو مجموعة عشرة او الفا ، او امة بأسرها ، فتشكك في امر تكراره ما شئت أن تتشكك .

الفيلسوف هبز ينفى ان الاسماء الواحدة لها مسميات واحدة

وللفيلسوف الانجليزى القديم الشهير هبز Hobbes (١٥٨٨ — ١٦٧٩ م) كلمة مشهورة . قال : ليس في الدنيا شمول لغير الاسماء ، لأن الاشياء التى يشملها الاسم الواحد كل منها له فرديته ، هى شخصية له وحده دون سواه .

ويعلق المؤرخ الكبير المعاصر كار Carr على هذه الكلمة فيما يتصل بالتاريخ فيقول انه لا يوجد في التاريخ حادثتان متطابقتان ابدا ولو أسميناهما اسما واحدا .

وحوادث نضطر لغة بأن نسميها واحدة وما هى بواحدة ابدا . وهو يضرب مثلا لذلك بمؤرخ الرومان ، جيبون Gibbon ويقول انه ذكر المسيحية والاسلام وسماهما ثورتين . والمؤرخون الحديثون يجمعون بين الثورة الانجليزية والفرنسية والروسية والصينية ويسمونها كلها ثورات ، وما أبعد مابينها .

والحروب ، عند المؤرخين ، هى حروب . انها ضرورات اللغات وتعابيرها . تقول الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية . ويضفى الاسم الواحد على الحربين المعنى الواحد ، فيخال الباحث أنهما متشابهتان بدءاً ، ونهاية ، وأسبابا ونتائج . ولأنهما مشابهتان نتيجة يقول غير الباحثين المستوثقين ان التاريخ يعيد نفسه . وما أعاد التاريخ نفسه . وحتى النتائج ، لولا هجوم اليابان على ميناء برل هاربر Pearl Harbour وتدمير الأسطول الامريكى فيها ، لكان للحرب العالمية الثانية نتيجة مختلفة عن الأولى كل الاختلاف .

انها حادثة واحدة ، حادثة حماقة ، غيرت مجرى التاريخ .



الفيلسوف الالمانى نتشه

الفيلسوف نيتشه
يؤكد أن التاريخ يعيد نفسه

انه الفيلسوف الالمانى فريدركولهلم نتشه ، Nietzche وهو مات في عام ١٩٠٠م .

وهو يؤكد ذلك في مبدئه الذى يعرف بمبدأ التكرار الأبدى ، أو هو بالانجليزية The Eternal Recurrence.

ان الأبدية المتواصلة عند نتشه تتمثل في الدائرة. وهو يرى ان الأحداث الواحدة تكرر وتتكرر ، وتذهب لتعود ، ولكن في دورة ، مدارها يستغرق اعدادا هائلة من اعمار من الدهور متطاولة .

وهو مبدأ يذكر بمذهب الرواقيين الذى أنشأه زينون الاغريقى نحو عام ٣٠٠ قبل الميلاد .وهم يقولون ان الحياة الدنيا لا هدف لها ، وانها تمثيلية واحدة متكررة مفروض على الخلق،كلما تجددوا ان يقوموا بتمثيلها .

ونتشه يرى ان كل المدنيات ، كسائر اشكال الحياة وانماطها : مولد ، فنماء ، فاكتمال ، فشيخوخة ، فموت .

وهو رأى قريب التصديق اذا ما نظر الانسان الى مدنيات سبقت . مدنية الاغريق . مدنية فارس . مدنية روما ، المدنية العربية وما وسعت . مدنية المغول وباعثها جنكيز خان ومن تلاه . الى عديد من مدنيات أخرى صغيرة كانت ثم صارت .

ولكن هذا الرأى ، حتى لو صح ، فانه لا يصح الا على الشيء الضخم الذى يخرج عن مجال الفكر فلا يكاد يستوعبه الانسان . انه يحمل القرون المتطاولة في كلمات . كما تدمج نحن الارض في الكواكب ، فننسى ما بها من ناس ومن احداث . والتاريخ الذى نعنيه انما هو تاريخ سنين وتاريخ عشرات أو مئين ، كلها ملأى بالأحداث ، وكل حدث فيها هو الذى نصفه بالتكرار. اما ان المدنيات بقرونها تحيا وتموت ، فمعنى لا يعنيه ويهدف اليه من يقول ان التاريخ يعيد نفسه ، واذن منه تقتبس الحكمة ، فلا نكرر اخطاء به وقعت ، وبنا اضرت . أو منه تقتبس الصبر والمعونة، في الأزمات، وعندما تقول : اشتدى أزمة تنفرجى .

على ان مقالة نتشه قد تصح ، في غير اجمالها هذا المتناهى ، في زمان محدود قصير من حياة البشر ، ولكن قديم . اما اليوم فنحن في زمان غير ذلك الزمان. انهما زمانان ، أسود وابيض . أو ان شئت ابيض واسود . وحيوات لها صفات غير تلك الحيوات. فكأنما الكوكب الارضي سكنته اليوم ذرارى من البشر غير تلك الذرارى .

فالذي صدق على القديم ، أو جاز ان يصدق ، لا يستطيع احد ان يقول كم يصدق على الجديد ، جديد هذا القرن العشرين وما سوف يتبعه من قرون .

واسبنجلر الالمانى

وممن قالوا بالدورة في التاريخ اسبنجلر الالمانى Oswald Spengler وهو عاصر كل من عاش في النصف الأول من هذا القرن . انه مات عام ١٩٣٦ .

والعائشون في هذا القرن يذكرون

الكتاب الذى فاجأ اسبنجلر العالم به فيما بين الحربين العالميتين واسماه : « أفول الغرب » او انحطاطه وانتهاؤه Untergang des Abendlandes وترجم بالانجليزية باسم The Decline of the west وهو نشر جزاه الاول فى مدينة ميونخ في عام ١٩١٨ قبل استسلام الجيوش الالمانية ببضعة شهور .

كان له في الناس دوى ، ولكن لا عند اهل التاريخ والخبراء .

وهو بدأ يقرن المدنيات التي كانت ، لا سيما مدنية الرومـــان والاغريق ، بمدنيات الغرب الكائنة . وهو خال انه اكتشف بها دورة واحدة متماثلة ، تدور بها كل المدنيات التى عرفها الانسان . فباستخراج معالم هذه الدورة ، واستكناه خصائصها ، يمكننا :

اولا : أن نعيد تركيب مدنيات سلفت في بناء اصح .

ثانيا : ان نتنبأ عن مدنيات هى اليوم قائمة ، في اى سبيل هى سائرة والى اى نهاية .

ونعود فنقول انه كتاب حظى عند الجماهير بالكثير ، وحظى عند الثقاة بالنزر اليسير .

والمؤرخ المعاصر توينبى

وليس من عربى لا يذكره ، ولا يذكر مناصرته للعرب .

ولكن هذه المناصرة لا شأن لها فيما نحن فيه . فالرأى الذى نورده ، نرضاه منطقا ، او نرفضه ، من صديق جاء او من غير صديق .

والأستاذ توينبى Arnold Toynbee يرى انه ، في الحقل الانسانى ، تمر بنا أحداث نعيها ، وتجارب فيها نعانيهـا ونحصيها . ثم تليها أحداث غيرها ، فنحاول ان نجد فيها ما وجدنا في سوابقها ، فنخفق . وتنتهى هذه الحوادث الحديثة بما لم تنته به الحوادث القديمة . أو على الأقل ليس من الضرورى أن يلتقيا عند خواتيم واحدة .

كل الذى يستطيعه الناظر عند المقارنة ان يحدس ، اى خاتمة تكون .

وهو يحدس ، حتى في حياته الخاصة ولحياته الخاصة ، لا خاتمة واحدة ، بل عدة من خواتم ، ربما تمثلت في عـــدة من تجارب سابقة له . وليس من الضرورى ان تكون وقعت له نفسه ، فقد تكون وقعت لأخ او اب ، او قريب ، او صديق ، او حتى تسامع بها .

ذلك ، اى أن الانسان لا يستطيع في هذا الصدد الا الحدس والتخمين .

وسبب ذلك أن النفس الانسانيــة معقدة ، فهى أمزجة ، وهى اهواء . والظروف التي يجد الانسان نفسه فيها ليست واحدة ، وهى أن تشابهت ، فلا يمكن ان تكون متطابقة . وهى تتألف من عناصر شتى بعضها المتآلف وبعضهـا المتنافر .

وعند توينبى ان الضوء الذى يلقيه الماضي على الحاضر ، ليس فيه هدى كثير . وليس رجل يستطيع أن يتخذ من ماضيه نماذج للدراسة ليخرج منها بصور لا بد ان ينتهى اليها حاضره ، يثق بها وثوقه بأرقام الحسبة الرياضيـة ، او نتيجة الخبرة العلمية التى يكتسبها بالملاحظة او في المختبر .

والخلاصة ان توينبى لا يرى ان التاريخ يعيد نفسه .

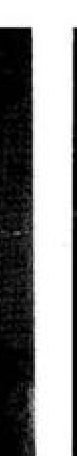
«ان التاريخ يعيد نفسه» فكرة قد تكون رغم بطلانها نافعة

أما أن الفكرة تكون باطلة ، ومع ذلك هى نافعة ، فسنة سنها لنا الفيلسوف الالمانى نتشه . وبهذا نعود اليه مـرة اخرى . قال :

« ان الرأى الباطل ليس من الضرورى ان نقف في سبيله بسبب بطلانه . يجب ان نتساءل قبل طيه ، هل فيه حياة لأحد ، او احتفاظ بحياة لأحد ، او هل هو نافع حافظ لجنس من أجناس الحياة ،



تروتسكى



ستالين

او لعله باديء مبدع لجنس من هـذه الاجناس .

على نحو هذا التفكير جرى الـذين يؤمنون بفلسفة الذرائع من الامريكيين Pragmatists قالوا :

ان صحة الرأى تتوقف على ما فيه من نفع وفائدة ، بصرف النظر عن صحته المطلقة او بطلانه المطلق .

والرأى بأن التاريخ يعيد نفسه ، صح او لم يصح ، كان له نفع لا شك فيه . من ذلك ان الناس تدرس التاريخ، وترى اوضاعا ماضية تشبه اوضاعهم الحاضرة، وتخشى أن تحل بهم النتيجة التى كانت، فيقومون قومة رجل واحـد يحولون دونها . وفي هذا نفع كبير .

ولعل بسبب هذا انه في الحـالات القليلة ، التى قد يعيد فيها التاريخ نفسه يمنع من عودته قيام الناس بمنع هـذه العودة المخوفة .

ويحكى في هذا الصدد ان البلاشـفة راوا في اول عهدهم ان الثورة الفرنسية انتهت بنابليـون . وراوا تروتسـكى Trotsky في ثورتهم اشـبه شيء بنابليون . وخشوا أن تنتهى ثورتهم كما انتهت الثورة الفرنسية اذا هم اختـاروا تروتسكي رئيسا . وراوا في ستالين غير ما راوا في نابليون فتحولوا اليه .

وبذلك منعوا التاريخ أن يعيد نفسه، فتبطل الثورة . او هكذا زعموا .

حتمية التاريخ

بقيت عبارة كثر استخدامها هـذه الايام .

استخدمها كل من تحدث في تاريـخ الأمم ، لا سيما المَهيضة ، التى تحاول ان تستقل وتمنع من هذا ، أو تتحرر ويحال دونها . ويقـول خطيبهـا ان الاستقلال قادم قادم ، أو ان الحرية آتية آتية ، فتلك حتميةُ التاريخ لا يقف احد دونها ابدا .

وهى عبارة حلوة ، اجد فيها انا نفسي روحا وريحانا، وشميم أمل حتى واليأس كل اليأس جاثم .

وهى عبارة ليست بنتيجة دراسـة خرج الدارس بها : أن التاريخ يحتم ، وان له سبلا يجرى فيها متدفقا كتدفق السيل ، وان الواقف في سبيله هذا لابد غارق .

انما هى عبارة ايمان . والايمان قد يخرج من الرأس . والايمان قد يخرج من القلب . وحتمية التاريخ صرخة من صرخات الايمان التى تخرج من القلب. انها صرخة الأمل ، قد يعززها مايتواكب معها من احداث الدنيا ، تلك التى تهدف جميعا الى غاية واحدة ، فيها استبشار وبشرى .

والله الموفق .

●●

احمـد زكي

الهيكل العظمي للإنسان*

الهيكل يشكل الحيوان :

■ أن الهياكل هي الاجزاء الصلبة التى تحدد شكل الكائن الحى، شكل الحيوان، تحدد طوله وعرضه ، وارتفاعه وقصره، وكبره وصغره .

فالنعامة لها أرجل من عظم طويل رفعها عن الارض ، والثعبان لا أرجل له ، فهو على الأرض منبطح .

والزرافة في عنقها ٧ فقرات طويلة من عظام ، ولها أرجل ذات قوائم طوال ، هى التى جعلت لها هذا الراس الذى تنال به المعالي البعيد من الشجر ، بينا الرجل في عنقه ٧ فقرات كذلك ، ولكنها قصار ، وقوائم ولكنها بالنسبة للزرافة غير طوال، فعجز بسبب هذا وبغيره ان ينال ما نالته ذوات السبع الطوال من الشجر .

الهيكل أداة تنفيذ

والأحياء من عظم ولحم . واللحم ، العضل ، يركب العظم ، كما يركب الرجل الفرس . والعضل يحرك ، والعظم يتحرك . وتأتى الارادة من المخ الى العضل ليضرب اشباعا لجوع ، فينقبض أو ينبسط ، يحرك اليد والمخالب ، وهو انما يحرك عظما . فالعظم للعضل عدة للتنفيذ وآلة للاجراء

الهيكل يعمد الجسم

والعظم يركب بعضه بعضا ، فقرة تركب فقرة ، فيكون عمودا ، اسميناه بالعمود الفقري ، لأنه كعمود الخيمة ، هو الذى رفعها ، ولولاه لانهارت على الأرض .

الهيكل للجسم وقاية

والهيكل قد يكون للوقاية . صندوق يضم الكائن الحى ، فيحميه . فكل ذوات الصدف انما هى ذوات هياكل تحميها. وابو جلمبو او السرطان البحرى Crabs وجراد البحر Lobster ، وكذا الاربيان او الجمبرى Shrimps تغطيه قشرة تدفع عنه الأذى ، كلها صنف من هيكل.

وهذه الاصداف امثلة للهيكل الخارجي، لأنه يضم الكائن الحي من خارجه، فيحفظه ويحميه ، كما كان العمود الفقرى مثلا للهيكل الداخلى ، لأنه يعمد الكائن الحى من داخله .

الهيكل الانساني

ولقد كان في الصورة المرسومة للهيكل العظمى للانسان ، المنشورة مع هذه الكلمة ، غناء عن شرح. ولكن لعل كلمة صغيرة هنا وهناك تزيد الأمر ايضاحا . ولا نتعرض هنا للوحدة الجارية في

---

* توقف الصبي بدراجته عند بابنا . قلت : ما هذه ؟ قال فخورا : دراجتي الجديدة مكان تلك الاخرى القديمة . قلت : هيكلها متين ؟ قال : من حديد . قلت أتعرف أجزاءه ؟ فاخذ يعد أجزاءه جزءا جزءا بأسماء ، بعضها عربى . قلت : والهيكل الذى كان يركبها كان من حديد ايضا ؟ فسكت لحظة خاطفة ، ثم ابتسم . قال نعم . قلت : أتعرف أجزاءه ؟ قال في شيء من عجب . لا .

وفي الغد رآني فاسرع الي يقول : حتى أبى لم يعرف اجزاء هيكله .

ووثب على دراجته وانصرف .

العظم الجداري
العظم القذالي
عظم الترقوة
عظم الزند
الكعبرة أو الزند الأعلى
مشط اليد
عظم العضد
الرسغ
لوح الكتف
الأضلاع
العمود الفقري
عظم الحرقفة
عظم العجز
العصعص
عظم الفخذ
عظم القصبة
عظم الشظية
رسغ الرجل
مشط الرجل
عظام الأصابع

هياكل الحيوانات جميعا . فهذا هدف غير هدف هذه الساعة ، ومع هذا نستطيع ان نقول من الآن ان الهيكل الانساني ليس فيه قطعة لا يوجد مثيل لها في الحيوانات الاخرى .

هيكل الراس

ونبدأ بالراس ، بهيكله العظمى .

وبه ٢٢ عظمة ، منها ما هو ملتحم بعضه ببعض .

وهيكل الراس قسمان،جمجمة ووجه.

اما الجمجمة فصندوق يحفظ المخ فلا يناله أذى . وأجزاؤها مرتبط بعضها ببعض ارتباطا دائما ، ومع هذا فهي ليست كذلك في الطفل عند الولادة . ان طرفا منها قد يعلو طرفا لتصبح الجمجمة من صغر الحجم بحيث تفوت في سهولة في حوض الأم . ثم هي تترابط بعد ذلك.

وجمجمة الانسان تتميز عن سائر الجماجم بشكلها المستدير فهي تكاد تشبه القبة . وجمجمة الانسان كبيرة اذا هي نسبت الى الراس عن سائر الحيوان . ففي الضفدع مثلا نجد الجمجمة صغيرة والوجه كبيرا . وحجم الجمجمة هو حجم المخ .

وهيكل وجه الانسان خفيف ، لان اكثره فجوات ، فهو مسكن العينين ، والانف ، وتجاويفهما ، والاذن ، والفم ، وبه اللسان . فبالهيكل الوجهي اكثر الاحاسيس ، وهي جميعا متصلة بالمخ الذي يعلوها .

العمود الفقري

وهو قوام الجسم ، وموضعه الظهر.

وهو يتالف من ٣٤ فقرة من عظم ، تركب الواحدة الاخرى بحيث تجعل بينهما شيئا من حركة ، ويمر في اوسطها جميعا النخاع ، وهو مادة العصب التي تنبع من المخ ، وتهبط الى الجسم ، وتخرج منها الافرع العصبية فتعم سائر الاعضاء .

ومن اجل هذا سمي العمود الفقري بسلسلة الظهر .

وهو يبدأ،عند قاع الجمجمة العظمية، بفقرات العنق وهي سبع ، وهي صغيرة الحجم. تليها الى اسفل فقرات الصدر، وهي أقوى ، وعددها ١٢ فقرة ، تليها فقرات القَطَن الثقيلة ، وهي خمس .

ويلي هذا ، فقرات خمس وخمس ، الاولى ملتحم بعضها ببعض ،وهي الفقرات الحوضية ، وهي عظمة شديدة واحدة ، تساعد في حمل الاحشاء ، والثانية كالاولى اى أنها ملتحمة ، الا انها ارفع ، وهي المعروفة بالعصعص .

والعصعص في اللغة طرف الذنب .

في العمود الفقري قوسان

والعمود الفقري في الطفل مستقيم ، ثم هو يتقوس بالتدريج ، ومع النمو .

وهو قوسان خارجان ، أحدهما عند الصدر ، والثاني عند الحوض ،وبينهما تقوس الى الداخل. وكلها تقوسات خفيفة

والقوس الصدري يعطى للصدر ورئتيه بالقلب مكانا اوسع .

والقوس الحوضي يعطى كذلك للاحشاء مكانا اوسع .

الاضلاع

وذكرنا أن الفقرات الصدرية ١٢ ، ويخرج منها ١٢ زوجا من الاضلاع ايضا. وفي نحو ٦ في المائة من الناس ، تبلغ هذه الأزواج ١٣ زوجا (*) . وهي تجتمع امام الصدر ، وتلتحم بعظمة تعرف بعظم الصدر أو القَص ، وهي تتوسط الصدر من امام وتهبط من علٍ الى اسفل .

وهذه الفقرات والأضلاع والقص يصنعان القفص الصدري ، وفيه تسكن الرئتان والقلب، فهذا هيكل، أشبه شيء بالهيكل الخارجي ، لحفظ هذه الاعضاء الخطيرة الهامة في الحياة .

(*) عدد الاضلاع ازيد من هذا في الزواحف والطير . وعددها على العموم اقل في الحيوانات الفقرية العليا منها فيما دونها .

في الهيكل حزامان عظميان

وهـــذا في معنى التخطيط الهندسي جميل .

أما الحزام العظمى الاول فهو الحزام الصدرى Pectoral Girdle .

أما الحزام العظمى الثانى فهو الحزام الحوضي Pelvic Girdle .

الحزام الصدرى

ويسمى أحيانا الكتفى Shoulder Girdle

وهو يتألف من خلف من عظم الكتف ، وهما عظمان ، يمين ويسار ، ويتألف من امام من عظم الترقوة ، وهو كذلك يمين ويسار . وبكل من عظمى الكتف ، فجوة مستديرة يحتلها راس عظم الذراع ،عظم العضد ، وهو كالكرة . وهذه الفجوة ، وهذه الكرة التى تدور فيها ، يكونـان مفصلا من ابرع المفاصل ، وهو الـذى يأذن بالذراع ، يمينا ويسارا ، أن يتحرك هذه الحركة الحرة والواسعة .

والحق ان هـــذا الحزام العظمى ، الحزام الصدرى ، له من حرية الحركة الشيء الكثير . فهو ، على غير ما كنا ننتظر، لا يتصل بالهيكل العظمى للانسان ليكتسب منه ثبوتا واعتمادا . ان هذا الحزام يُرسيه حيث هو ما حوله مـن عضل . وهو من حيث التهيىء للحركة ، والتمتع بحرية الحـــركة ، (التى هى ضرورية لحركة الذراعين اللذين يحملهما)، بحيث يرتفع عن مكانه ، وانت ترفـــع ذراعيك الى على .

الذراعان واليدان

عظامهما ظاهرة في الرسم . وانما الذى تلفت اليه النظر فهو ان في العضد عظمة واحدة ، هى التى تتمفصل وعظمَ الكتف . ثم الساعد ، وبه عظمتان ،عظم الزند Ulna وهو الذى يتمفصل وعظمَ العضد ، وهو الذى ينتهى مـن أسفل ناحية أصغر الاصابع ، والعظمـة الثانية وهي الكعبرة ، وهى التى تنتهى من أسفل ناحية الابهام . وتدور اليد ، حول رسغها ، وتدور الكعبرة معها .

وشيء آخر تلفت اليه النظر : وضع الابهام في مقابلة سائر أصابع اليد . بذلك امكن للانسان أن يمسك الأشياء ، وان يأخذ بيده ، وان يعمل ، وأن يصنع ، وان يكتسب شتى المهارات بالذى يفيضه الفكر على يد الصُنّاع من جيل .

الحزام الحوضي

هو أشبه شيء بالحزام الصدرى . وبينهما مع هذا اختلاف .

وسمى بالحوض لأنه يصنع الحوض الذى يحتوى، من الاحشاء ما يحتوى . وهو اذ يحتويها يحملها مع ما فوقهـا حملا . ومن أجل هذا هو خالف الحزام الصدرى وارتبط بالعمود الفقرى يستمد منه العون . والاحشاء التي بالحوض والبطن ارتبطت بأربطتها الخاصة بسلسلة الظهر .

وفي المرأة الحامل، يحمل الحوض حملها .

وسمى بالحوض لأنه كالحوض الذى يحتوي من الاحشاء ما لم تحتوه البطن ، فهو أشبه شيء بقاع البطن ، فهو من أجل ذلك يشارك في حمل الجذع الانسانى كله . وبعظام الحوض تتمفصل عظام الرجلين، فالحزام الحوضي كذلك يستعد دائما لاستقبال رجات الحـركة والمشي والجرى والصدام .

والحـزام يحده من خلف الخمس الفقرات الملتحمة المسماة بالحوضية ، ومعها الخمس الاخرى المعروفة بالعصعص ومن كل جانب العظم الحرقفى ، ومـن امام عظم العانة .

هيكل الرجلين

يلاحظ أن الذراع عضـد وساعد . وان الرجل فخذ وساق .

وان العضد والفخذ بهما عظمة واحدة .

وان الساعد كالساق بهما عظمتان .

كذلك يلاحظ أن الرجلين ، بسبب اتصالهما بالحزام الحوضي ، وهو مقيد بالروابط والاثقال ، ليس لهما حـرية الحركة التى للذراعين . والقدمـان والاصابع ليس لهما حرية العمـل ولا الحركة التى للذراعين . ●●



■ ذكرنا في العدد السابق مرضا شائعا، قذرا ، هو الزهرى ، وقلنا انه من الامراض التي يتكتمها المصابون بها ؛ وذلك لأنها لا يصاب بها المصاب الا عن طريق المباشرة الجنسية الوبيئة .

والسيلان هو ثاني هذه الامراض ، وهو مرض قذر شائع مكتوم كذلك .

جرثومة الداء

ويعبرون عنها فيقولون جرثومة السيلان ، وهي من البكتير ، واسمها جونوكوكس Gonococcus وهو لفظ يتألف من مقطعين Coccus وهو الحب المستدير، ويشير هنا الى شكل البكتير، وجونو Gono وفيها معنى الايلاد ، والانسال، وهو يشير الى أن هذا المرض مرض «جنسي» يأتي من المباشرة الجنسية التي انما أوجدها موجدها لاسكان الارض وامتداد الذرية عليها صحيحة سليمة خيِّرة .

ومرض السيلان نفسه اسمه جونوريا Gonorrhoea ، وهو لفظ يتألف من مقطعين Gono ، وقد سبق أن ذكرناه ، وهو يشير الى المباشرة الجنسية ، و Rrhoea ومعناه السائل . والعرب تقول : سال المال يسيل سيلا وسيلانا .

وان شك العلماء في تاريخ الزهرى متى كان في الناس ، فهم علموا ان السيلان عرفه النبي موسى ، وحذر منه ، واحتاط لدرئه .

أعراض السيلان في الذكور

ان السيلان داء موضعي أكثر منه داء شامل كالزهرى يدور في الجسم ويترك آثاره فيه .

وهو يبدأ في الذكور ، بالتهاب مجرى البول وبظهور افراز يخرج من القضيب هو السيل أو السيلان . ويبول صاحبه فيصحب التبول الم . ويحدث هذا في غضون الاسبوع الاول من المباشرة الجنسية الوبيئة .

أعراض السيلان في الاناث

وفي الاناث يصيب المرض مجرى البول ، أو عنق الرحم او المستقيم .

والاعراض التي تأتي النساء من المرض

قليلة وخفيفة ، وقد لا تفطن المرأة منها الى شيء . وبسبب ذلك لاحظ الاطباء ان سبعة من كل عشرة من النساء اللاتي يزرن مراكز العلاج ، انما يزرنها ، لا لاعراض احسسن هن بها ، ولكن لعلمهن ان أزواجهن خانوهن فأصبن،وان العدوى لا بد وصلت اليهن وهن لا يدرين . اما الثلاث الاخريات فيزرن المراكز لاحساسهن بالاعراض .

ومن النساء من لا تتنبه لاصابتها بالسيلان الا عند الولادة ، اذ ينزل الوليد فيصاب بالتهاب في الملتحمة التي تغطي العين والجفن من داخله ، وتفرز الافرازات التي تدل على انتقال المرض الى الوليد .

ومن النساء من يعقمن على غير انتظار ، ومن بعد اخصاب . ويكون ذلك بسبب امتداد المرض الى القنوات التي يهبط منها البيض الى الرحم فتنسد ، فلا يكون حمل .

في المختبر

وتحقيق مرض السيلان لا يكون الا في المختبر البكتيرى . فالطبيب لا يستطيع ان ينظر الى سائل مفروز فيقول انه السيلان حقا وصدقا الا بعد امتحان مسحة من الافراز على زجاج او زريعة من البكتير تحت عدسة المجهر . ذلك أن للافرازات اسبابا أخرى .

وليس للسيلان امتحان دم يكشف عن الداء .

العلاج

العلاج دائما نحن نتركه عندما نتحدث عن الامراض في « العربي » للطبيب ، فليس من المعقول ، بل انه من الخطر كل الخطر ، ان تسول نفس انسان اليه، ان يقوم بعلاج نفسه. هذا غير ان العلاج لا يكون دائما واحدا ، فهو قد يختلف مع الحالات التى تسمى واحدة .

وعدا هذا وهذا ، فالمرض، له مشاكل وملاحق يمتد اليها ، تحتاج كل حنكة الطبيب ليحصرها فلا يزيدها امتدادا .

انه لا بد من اعطاء فكرة عن العلاج على سبيل التثقف ، فاذا نتج عنها محاولة رجل ان يعالج نفسه ، حتى ولو ليحفظ داءه مكتوما ، فذاك هو الخبال الاعظم .

والعلاج يتأسس على استخدام المبيدات العضوية Antibiotics ، مثل البنسلين والاستربتوميسين Streptomycin والتراسيكلين Tetracycline ومركبات السلفا . كلها مفيد . ولكن أفعلها البنسلين .

ثم كلمة تقال عن البنسلين . انه عندما اكتشف منذ سنوات غير بعيدة ، (عام ١٩٢٩) وكشف الطب بعد ذلك عن حسنه في علاج الامراض الزهرية ، كالسيلان ، امن الناس المنحرفون مغبة السيلان ما دام ان له علاجا هكذا شافيا. فاطلقوا للغواية العنان .

ولكن حدث مع الايام ان تخلق ، لبكتير السيلان انسال تعلمت كيف تصمد لهذا العلاج السحرى ، للبنسلين ، فصار لا يقهرها ، الا ان يضاعف الطبيب مقدار جرعته . وعما قريب تبلغ مناعة هذه الانسال من البكتير درجة تبلغ معها جرعة البنسلين الجرعة القصوى التى يحتملها الانسان .

واذن يفقد البنسلين القدرة على الشفاء من هذا الداء . هذا الداء الذى كاد في هذه السنوات الاخيرة ، ان يصبح في بعض البلاد وباء منتشرا .

ان الصحة العالمية تقدر أن المصابين اليوم بالسيلان في العالم يبلغون نحوا من ٦٥ مليون نسمة . وهم في ازدياد مستمر .

ثم ان الوباء الظاهر شر يدفع . والوباء المكتوم شر لا سبيل الى دفعه .

●●



كيف سيصبح العالم سنة ٢٠٠٠ ؟

● سيلعب العلم والتكنية الدور الأساسي في عالم الغد .. عالم ما بعد ثلاثين عاما او اكثر او اقل . فالمستقبل للعلم والعلماء .

وفيما يلي بعض ما سيحققه لنا العلم في سنة ٢٠٠٠ كما تنبأ به بعض العلماء .

جياب : القائد العبقري الفيتنامي

● هل سمعت عن الجنرال جياب ؟

انه الرجل الضخم الذى تخشاه اليوم امريكا اكبر خشية في المازق الحاضر الذى تردت فيه . انه الرجل الذى هزم فرنسا عام ١٩٥٤ في المعركة العالمية الشهيرة التى ادت الى خروج فرنسا من الهند الصينية . وهو نفس الرجل الذى يقف اليوم وراء الهجوم المرتقب على القاعدة الامريكية الحصينة « خى سان Khe Sanh او دين بيان فو Dien Bien phu عام ١٩٦٨ . والذى بسببه يخشي الامريكان ان يكون لهم ما كان لفرنسا تحت يد هذا الرجل من هزيمة ، فالخروج من فيتنام .

فمن هو هذا الرجل ؟

هذا رجل له تاريخ في غاية البساطة .

انه رجل قصير بدين ، تلمع عيناه الصغيرتان ببريق الثورة ، ويمتلىء وجهه بالتجاعيد التي تحكى قصة كفاح دام اكثر من اربعين عاما لتحقيق الحرية لبلاده وتخليصها من نير الاستعمار .. انه الجنرال « فو نجوين جياب Vo Nguyen Giap » نائب رئيس وزراء فيتنام الشمالية ووزير دفاعها والقائد الاعلى لقواتها المسلحة ، وثانى اقوى رجل بعد هوشي منه .

لقد ترك الجنرال جياب الذى يبلغ اليوم العام السادس والخمسين من عمره ، مكتبه الذى تحيط به الاكياس المملوءة بالرمال والمدافع المضادة للطائرات في هانوى ، ونزل الى ميدان القتال ، وقد ارتدى بدلته العسكرية ليضع بنفسه خطط الهجوم الذى دوخ قواد الولايات المتحدة الامريكية.

والجنرال جياب هذا ، الذى كان مجرد ذكر اسمه كافيا لاثارة الرعب في قلوب الفرنسيين اثناء الاستعمار الفرنسي للهند الصينية ، والذى انتهى بسقوط قلعة « دين بين فو » ، وعقد مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ .. الجنرال جياب هذا ولد ثائرا ، وسط اسرة فقيرة ، كانت تعيش في قرية صغيرة لا تبعد كثيرا عن الخط الذى يقسم بلاده اليوم الى دولتين .. فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية .

وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انضم الى

* مياه البحر المالحة ستتحول الى مياه عذبة بتكاليف زهيدة .
* الاخصاب سيصبح من السهل التحكم فيه بوسائل فعالة وباقل النفقات .
* الترجمة الى لغات شتى ستصبح من مهام الاجهزة التى اسموها بالعقول الالكترونية .
* عمليات زرع الاعضاء التى تنقل من اجسام ميتة الى اجسام حية ، او الاعضاء الصناعية من البلاستيك ستصبح امرا سهلا ميسورا .
* التنبؤات بحالة الطقس سيعتمد عليها مائة في المائة .
* تغيير الشخصية ، سيتمكن العلماء من استخدام عقاقير ، لا تدخل المخدرات في تركيبها لتغيير شخصية الانسان .
* الذكاء ، سيتسنى للشخص الغبى ان يتحول الى شخص ذكى بفضل عقاقير جديدة .
* متوسط عمر الانسان ، سوف يزداد بنحو ٥٠ عاما بفضل عقاقير جديدة سيتوصل اليها العلماء .
* الاعمال التى لا تحتاج الى تفكير ستقوم بها الحيوانات المدربة بدلا من الانسان .
* الغذاء ، سيتمكن العلم من توفير ٢٠٪ من غذاء العالم من استزراع المحيطات .
* حياة اصطناعية بدائية ينجح العلماء في تحقيقها في المختبرات .

وهذه كلها ليست مجرد تنبؤات ، ولا احلام راودت خيالا مفكرا ، كما حدث لالدوس هكسلى عندما وضع كتابه «عالم جديد شجاع » Brave New World منذ اكثر من اربعين عاما . وانما هى خلاصة افكار علماء يمارسون العلم وبحوثه اليوم في المختبرات .

الذى يخشاه الامريكان اكبر خشية ؟

الحزب المعادى للاستعمار في بلاده .. وفي الثامنة عشرة سجنه الفرنسيون بتهمة تحريض الطلبة على الثورة .

وقد درس جياب القانون والاقتصاد السياسي، ولكنه كان يعشق التاريخ ، فعمل مدرسا لتاريخ بلاده ، الذى كتب هو صفحات منه ، وما زال يضيف اليه صفحات جديدة كل يوم .

احب امراة فيتنامية ثائرة مثله ، ولكنها ما لبثت ان وقعت في ايدى الفرنسيين فسجنوها وماتت في زنزانتها . وعندما بلغه نبا وفاة زوجته نظم قصيدة رثاء ينعى فيها حبه، فقد كان شاعرا، وكان وفيا لهذا الحب،فلم يفكر بالزواج مرة اخرى.

واحس جياب بالخطر يحدق به مرة اخرى ، فهرب الى الصين ، وهناك كان لقاؤه الاول بهوشي منه رئيس وزراء فيتنام الشمالية الحالي ، وانضم الى رجاله في رابطة المطالبين باستقلال فيتنام .. نفس الرابطة التى تعرف الآن باسم جبهة التحرير الوطنية لفيتنام ... وهى التى تقود اليوم صراعا مريرا ضد القوات الامريكية في هذه البلاد التى مزقتها الحروب .

اسموه البركان ، والنمر ، ورجل الغابة ، وسيد الحروب الخفية ، وروميل آسيا .

وبالرغم من هذا كله ، فلم يتعلم الجنرال جياب فن الحرب والقتال في مدرسة ، فقد ولد محاربا .. كما ولد ثائرا .. » .





نزاع بين فقراء العالم وأغنيائه !

● الفقر والغنى .. هو المشكلة رقم (١) التى تواجه العالم الآن .. وهى ليست مشكلة الفقر والغنى على مستوى الافراد .. ولكنها مشكلة الفقر والغنى على مستوى الدول .. فهناك عدد قليل من الدول التى تملك كل شىء .. وعدد آخر كبير من الدول التى تحاول أن تملك شيئا .

الدول التى تملك كل شىء .. تملك المال .. والعلم .. والتقدم التكنى والصناعى .. والدول التى تحاول ان تملك شيئا تحاول أن تمتلك العلم والتقدم التكنى والاستقرار الاقتصادى ..

وبالرغم من مشروعات التنمية .. وبالرغم من المحاولات التى بذلت خلال الاعوام التى تلت الحرب العالمية الثانية لمساعدة الدول التى تحاول أن تنمو .. كانت النتيجة ان الدول الغنية ازدادت غنى وأن الدول الفقيرة ازدادت فقرا ..!

والأسباب كثيرة .. ولا يتسع المجال هنا لذكرها كلها .. ولكن من اهم هذه الأسباب ان الدول الغنية توافرت لها كل الامكانيات لتتحكم في اقتصاديات الدول الفقيرة وفي أسواقها .. وهى في نفس الوقت أحرزت من التقدم التكنى الكثير بحيث اصبحت تكاليف الانتاج لديها اقل من تكاليف الانتاج بالنسبة للدول التى تحاول ان تنمو .. وان تتقدم ..

ونتيجة لهذا اضطرت الدول النامية الى اللجوء الى الاستدانة بفوائد كبيرة وتدل الاحصاءات على أن الدول الفقيرة ستقوم بدفع فوائد لديونها في خلال سبع سنوات بما يقدر بستة الاف مليون جنيه استرلينى !! وازدياد الفجوة التى تفصل بين الدول الفقيرة والدول الغنية أمر يعرض العالم وسلامته للخطر ..

ومن أجل تضييق الفوارق الشاسعة بين الغنى والفقير من الأمم ، اجتمع مؤتمر التجارة والتنمية الدولى في نيودلهى ، وتقدمت الهند وهى دولة نامية .. تعانى من مشاكل هذه الدول ببرنامج محدد لحل مشاكل الدول النامية من أربع نقاط هى :

❊ فرض تسهيلات جمركية في البلاد الغنية بالنسبة لمنتجات الدول النامية حتى تستطيع الدول النامية ان تجد أسواقا لمنتجاتها في البلاد المتقدمة .. وكذلك اقامة برنامج محدد لمساعدات اقتصادية تسهل عملية التبادل التجارى بين الدول النامية بعضها البعض .

❊ انشاء صندوق مهامه تمويل انشاء موانىء جديدة في الدول النامية وحماية منتجاتها الطبيعية مثل القطن والمطاط من منافسة المواد الصناعية كالمطاط الصناعى والخيوط الصناعية .

❊ وضع أسس اقتصادية ثابتة تلتزم بها الدول النامية للحصول على أسعار وشروط افضل من الدول الصناعية المتقدمة بالنسبة لمنتجاتها الصناعية والطبيعية .

❊ اقامة خطوط ملاحية دولية تعمل بين مختلف الدول النامية ووضع خطة لمواجهة الخسائر التى تمنى بها عمليات النقل البحرى بين هذه الدول .

سُبُل الموت

● اذيعت أخيرا تفاصيل جديدة عن السر الذى يكمن وراء انتحار الزعيم النازى السابق هيرمان جورنج Hermann Goering ، في زنزانته بسجن نورمبرج Nuremberg ، قبل تنفيذ حكم الاعدام عليه بساعة واحدة وذلك في اكتوبر من عام ١٩٤٦ عقب انهزام المانيا النازية في الحرب العالمية الثانية .

فقد اتضح أن جورنج كان قد تقدم بالتماس للجنرال دوايت ايزنهاور قائد قوات الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية ، طلب فيه أن يعدم رميا بالرصاص بدلا من اعدامه شنقا . وكان جورنج في طلبه هذا يحاول ان يحافظ على كرامته بوصفه جنديا ، لانه يرى في الاعدام شنقا مذلة واهدارا

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

كريمة، وغير كريمة

لكبريائه فضلا عن خوفه الشديد من الحبل الذى يلتف حول العنق !

ولكن الجنرال ايزنهاور رفض التماس جورنج ، وصمم على ان يموت الزعيم النازى كما مات بقية زملائه الذين تولى الانجليز اعدامهم شنقا في ساحة السجن الشهير .

وما كاد نبأ رفض الالتماس يبلغ لجورنج في زنزانته ، حتى اخرج قرص السم الذى كان يحتفظ به وهو « السيانيد » Cyanide ، وابتلعه ومات ! وعندما وصل حرس السجن لاخذه في الموعد المحدد لتنفيذ اعدامه،وجدوه جثة هامدة لا حياة فيها .

اما قرص السم الذى وضع نهاية لحياة هذا الزعيم النازى الذى كان يعتبر ثاني اقوى رجل في المانيا بعد هتلر ، فقد كان دائما معه منذ اللحظة التى اعتقلته فيها قوات الحلفاء لتلقى به في السجن توطئة لمحاكمته . وقد اعترف جورنج نفسه بحيازته لاقراص السم في خطاب موجه للقائد العسكرى للسجن،عثروا عليه فى زنزانته بعد وفاته . وقال الزعيم النازى في خطابه انه كان يحتفظ بثلاثة اقراص لا بقرص واحد ، وكان يخفيها فى ثلاثة اماكن مختلفة ، حتى اذا اكتشفوا احدها وجد الثاني .

● كان المستر جيرى هيندريش Jiri Hendrych احد المسئولين عن ايديولوجية الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى مشهورا بآرائه التى تؤيد وضع قيود شديدة على حرية الكتاب في تشيكوسلوفاكيا . وفجأة عقد هيندريش مؤتمرا لرجال الاعلام .. ووقف ينادى بضرورة اعطاء الكتاب حرية كاملة في التعبير عن آرائهم والتحرر من كافة القيود !

وفي نفس الوقت كان اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين يشهد تحولا كبيرا .. فقد تم اختيار رئيس للاتحاد ونائبين له من بين الاشخاص الذين كانوا قد طردوا من الحزب الشيوعى بسبب تحررهم ونقدهم لاعمال الحزب .. وتم ايضا اعادة اصدار مجلة الاتحاد التى كانت قد اوقفت عن الصدور بسبب الحملات الجريئة التى كانت تقودها على البيروقراطية داخل الحزب الشيوعى.!

واجتمع اتحاد الكتاب وكان اول طلب تقدم به للحكومة هو الافراج عن أحد الكتاب التشيكيين واسمه جان بنز Jan Benes وكان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات بتهمة ممارسة نشاط معاد للحكومة .. !!

ومن ناحية اخرى تقوم جريدة « برافدا » (التشيكية لا الروسية) وهى تمثل الحزب السلوفاكى ، بحملة صحفية تنادى بتطهير الحكومة من البيروقراطية ورواسب الماضي على ان تبدأ حملة التطهير بين كبار رجال الدولة والحزب وتنتهى بأصغر موظف او عضو حزب .

وبدأت حملة التطهير فعلا .. بدات بجهاز البوليس السرى .. وخرج أول من خرج ميروسلاف مامولا Miroslav Mamula الذى يرأس اجهزة الامن الداخلية .. وكان اخراج ميروسلاف بالذات دلالة واضحة على التخفيف من قبضة رجال الامن على فئات الشعب المختلفة .

ولم يقتصر الامر على اعطاء الكتاب الحرية وحدهم .. بل تعداهم الى المطالبة بكافة الحريات بالنسبة لافراد الشعب كلهم .. فقد قام الزعيم السلوفاكى جوستاف هوزاك Gustav Hasak بالمطالبة باعطاء كل الضمانات للشعب بالنسبة لحقوقه في حرية الانتخاب وحرية النقد .

بقى ان نعرف ان هوزاك كان محكوما عليه بالسجن المؤبد لانه تجاسر واتهم الحكومة بخنقها للحريات .. وبالطبع قد افرج عنه ...

نتيجة مسابقة العدد ١١١

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ تميزت هذه المسابقة بورود عدد كبير من الاجابات المطولة تتراوح بين ١٠ صفحات فولسكاب و ٣٣ صفحة ، ذيّل بعضها بأسماء المراجع التي استعان بها صاحبها . ومن بين الاجابات من زاد أصحابها أن رسموا بعض الخرائط الجغرافية زيادة في الايضاح ، كما فعل كل من السيدين محمد حلمي محمود ، المدرس بمدرسة طنطا الثانوية للبنين ، والطالب الفلسطيني محمد فرج حماد عرادة بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية وغيرهما كثيرون ، منهم من حالفه الحظ عند الاقتراع على الجوائز .

والاجابة الصحيحة للاسئلة العشرة هي :

(١) الفرس (٢) هولاكو (٣) عبدالقادر الجزائري (٤) ١١٤ سورة (٥) قابيل، هابيل، آدم (٦) المستعصم بالله (٧) اسد بن الفرات (٨) قطعت رقبتها بالمقصلة (٩) بلقيس (١٠) يوليوس قيصر .

أسماء الفائزين بالجوائز

وقد جرى الاقتراع بين الاجابات الصحيحة على الفوز بالجوائز فاسفر عن النتائج الآتية :

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : يونس عتاد خزيس ـ اربد ـ الاردن .

* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : وحيد بوسكهام ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : جاسم عامر جمعة الحجي بالمملكة العربية السعودية

* ٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ صالحة محمد عباس اكبر ـ الرميثية ـ الكويت .

٢ ـ عبد الكريم سليم حمدان قشطة ـ طالب فلسطيني ـ جامعة الاسكندرية ـ ج٠ع٠م .

٣ ـ ظهيرة سلو احمد العلاف الموصل ـ العراق .

٤ ـ سعاد حفار ـ حلب سوريا .

٥ ـ نصر الدين محمد على حماد احمد ـ ام درمان ـ السودان .

٦ ـ ليلى عرابى ـ طرابلس ـ لبنان .

٧ ـ محمد عبد الرحمن احمد ـ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

٨ ـ سهيل سعود على طالب بكلية الطب ـ غرناطة ـ اسبانيا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

مسابقة العربي

٨ دوائر و ٨ أرقام .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد مسابقة لعمل الفكر ،لا لامتحان المعلومات ...

ففى الرسم ـ الذى تحت هـذا الكلام ـ ٨ دوائر فارغة ، موضوعة على هيئة شكل مربع ، تؤلف كل ثلاث منها ضلعين في المربع المذكور .

والمطلوب هو ان تضع في كل دائرة من الدوائرالثمانى رقما من هذه الارقام : ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ على أن لا يتكرر رقم منها ،وبحيث انك لو جمعت الارقام الثلاثة الموجودة في كل ضلع من اضلاع المربع الاربعة كان مجموعها ٢٠

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشورفي ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليـهالعنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١١٣ » .

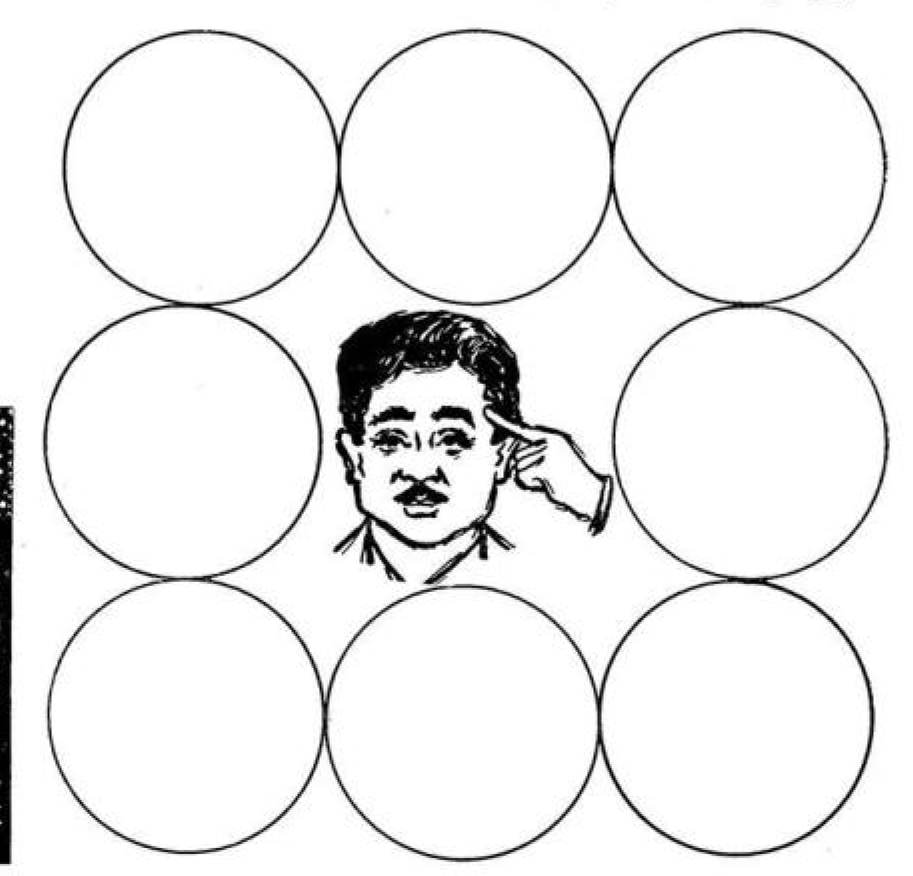
٣ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويتهو اليوم السابع من مايو (أيار) ١٩٦٨ .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ، **الجائزة الثانية** :٢٠ دينارا ، **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير ،

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥دنانير . ■■



طرائف عربية

الكلام لا يغني

قعد ابو الحارث جمين الى قينة بالمدينة صَدْرَ نهاره . فجعلت تحدثه في مختلف الأمور ، ولا تذكر له الطعام .

فلما طال ذلك به قال : مالي لا أسمع للطعام ذكرا لديك ؟ قالت سبحان الله ، اما تستحي ، اما في وجهي ما يشغلك عن هذا !؟ فقال : جعلت فداك ، لو ان جميلا وبثينة قعدا ساعةً واحدة لا يأكلان لملّ كل واحد منهما صاحبه وافترقا .

أفضل النساء

سئل اعرابي عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : افضل النساء اطولهن اذا قامت ، واعظمهن اذا قعدت ، واصدقهن اذا قالت ، التي اذا غضبت حلمت ، واذا ضحكت تبسّمت ، واذا صنعت شيئا جوّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود وكل امرها محمود.

مديح خال من الاسد والجبل

حدث الربيع صاحب المنصور العباسي قال : قلت يوما للمنصور ان الشعراء ببابك وهم كثيرون ، طالت ايامهم ، وتنفدت نفقاتهم . فقال المنصور : اخرج اليهم وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد فانما هو كلب من الكلاب ، ولا بالحية ، فانها دويبة تأكل التراب ، ولا بالجبل فانما هو حجر اصم ، ومن ليس في شعره هذا فليدخل، ومن كان في شعره فلينصرف .

فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرْمة، فانه قال له : انا له يا ربيع ، ثم مثل بين يديه وانشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظات عن حفافي سريره
اذا كرّها فيها عذاب ونائل
لهم طينة بيضاء من ال هاشم
اذا اسود من كوم التراب القبائل
اذا ما ابى شيئا مضى كالذي ابى
وان قال اني فاعل فهو فاعل

فقال المنصور : حسبك ، ها هنا بلغت ، هذا عين الشعر ، قد امرت لك بخمسة آلاف درهم .

ينصحان الخليفة

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ارسل الى سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب ، وكانا من اسياد العرب وحكمائها، فقال لهما : أشيرا عليّ . فقال له سالم : اجعل الناس ابا واخا وابنا ، فبرّ اباك ، واحفظ اخاك . وارحم ابنك . ثم قال له محمد بن كعب أحبب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك واعلم انك لست أول خليفة يموت .

● آخرُ عمرِ الرجل خيرٌ من اوله ، يثوب حلمه وتثقل حَصاته ، وتخمد شرارته ، وتكمل تجاربه .. وآخر عمر المرأة شرٌ من اوله ، يذهب جمالها ، ويذوب لسانها ، ويسوء خلقها .

وما نظن من قال هذا صدق .

يشترى حُسْنَ الجوار

● حكي ان جارا لأبي دُلف ببغداد لزمه دين كبير فادح ، فاحتاج الى بيع داره ، فساوموه بها . فسألهم الفي دينار ، فقالوا له : ان دارك تساوى خمسمائة دينار . قال : وجواري من ابي دُلف بألف وخمسمائة دينار ، فبلغ ابا دلف ، فأمر بقضاء دينه ، وقال له : لا تبع دارك ، ولا تنتقل من جوارنا .

بين الفقر والغنى

● قال رجل لابراهيم بن ادهم : يا أبا اسحاق كنت اريد ان تقبل مني هذه الجبُة كسوة . قال : ان كنت غنيا قبلتها منك ، وان كنت فقيرا لم اقبلها منك . قال : فاني غني . قال : وكم يبلغ مالك ؟ قال : الفا دينار . قال : فأنت تود انها اربعة آلاف . قال : نعم . قال : فأنت فقير لا أقبلها منك .

عودٌ بعد جفاء

● قال اسحاق الموصلي : لما افضت الخلافة الى المامون اقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ،ثم واظب على السماع ، وسأل عني فجرحني عنده بعض من حسدني ،فاضر بي ذلك ، حتى جاءني يوما علوية فقال لي : اتاذن لي اليوم في ذكرك ؟ فاني اليوم عنده . فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر ، فانه سيبعثه على ان يسألك : من اين هذا ؟ فينفتح لك ما تريد ، ويكون الجواب اسهل عليك من الابتداء .

فمضى علوية الى مجلس المامون ، فلما استقر به المجلس ، غناه الشعر الذى امرته به وهو :

يا مشرع الماء قد سدَّت مسالكه
أما اليك سبيلٌ غير مسدود
لحائمٍ حارَ حتى لا حياة به
مشرَّد عن طريق الماء مطرود

فلما سمعه المامون قال : ويلك ! لمن هذا ؟ قال : لعبد من عبيدك جفوته واطرحته . قال : اسحاق قلت : نعم . ثم امر باحضاري ، فمثلتُ بين يديه ، فقال ادْنُ ؟ فدَنوْت ، فاحتضنني بين يديه واظهر من كرمي وبرى ما لو اظهره صديق لي مواس لسرني .

أعطىَ مديحا وثناء

● مدح نصيب بنُ رَباح عبد الله بن جعفر ، فأمر له بمال كثير ، وكسوة شريفة ورواحل موقرة بُرًا وتمرا . فقيل له : أتفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود؟ قال : أما لئن كان عبدا ان شعره فيُ لحرٌ ، ولئن كان اسود ان ثناءه لأبيض ، وانما اخذ مالاً يفنى ، وثيابا تبلى ، ورواحل تَنْضىَ ،واعطى مديحا يروَى ، وثناء يبقى .



■ أنت قد تتناول الشيء بيدك ، وتفعل به بأصابعك ما تفعل ، ثم تدعه ، وفكرك غائبٌ عنه فما يكاد يتصل به الا مسًّا .

وهكذا تفعل المراة بالسمكة عندما تهيئها للطبخ . انها تشقها ، لتخرج « خَبَثها » ، لتلقيه في المزبلة ، وتفعل ذلك فى ثوان ، وقد تكون تتحدث أثناء ذلك مع امراة اخرى ، او مع طفل او طفلة . وتتبع السمكةَ السمكةُ ، وفكر المراة ، وقد تكون ربةَ البيت ، ابعدَ ما تكون عما تصنع . لعلها تفكر فى شيء اخطر .

ان تركز فكر المرء فى شيء ، انما يضعف ويشتد بمقدار خطورة هذا الشيء . وما خطرُ اخراج هذه القاذورة من بطن السمكة من بعد شق عند من همُّه من السمك انما هو اللحمُ كلُّ اللحم ؟ السمكة عند الطابخ والطابخة غِذاء ، ومذاق و لَعْقُ شفاه ، وطَقُّ اشداق .

والسمكة غير ذلك للطالب الدارس الاسماك فى مختبره . والحشا « القذر » الذي تسرع المراة الطابخة فى اخراجه فرميه بحسبانه شيئا غير مرغوب فيه ،

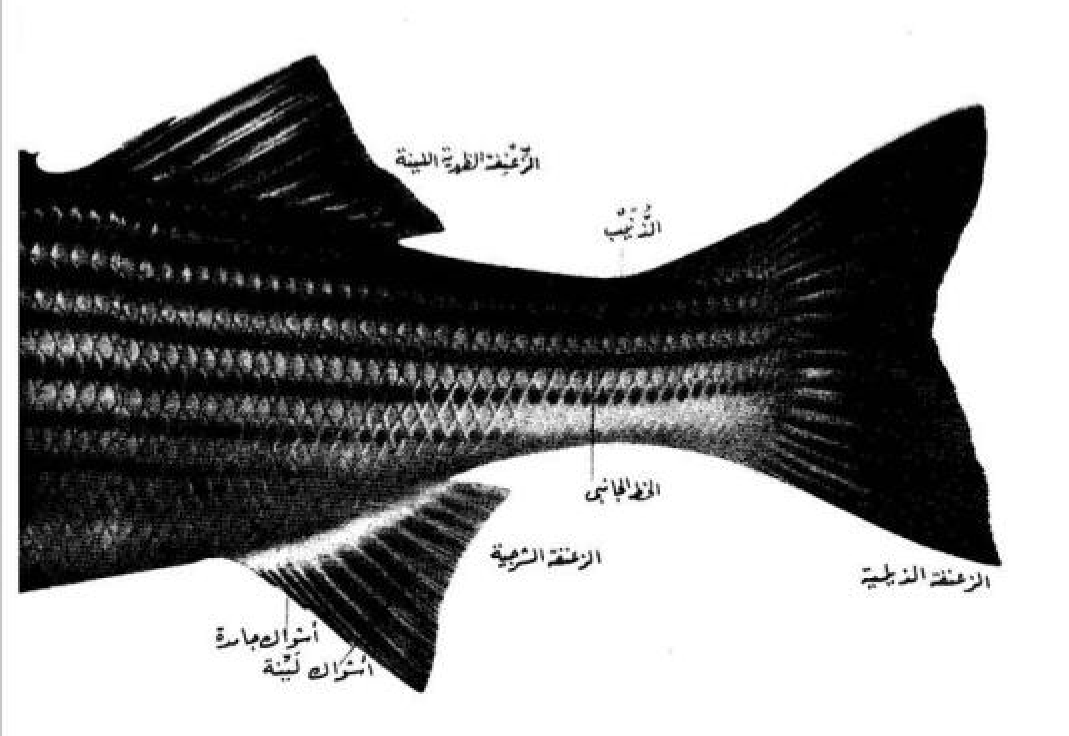


بقلم الدكتور أحمد زكى

هو عند هذا الطالب الشيء الذى فيه الرغبة كل الرغبة .

ورجلٌ همه بالسمكة اكبرُ من هم الطالب ، ذلك الذى نما عقلا ، واتسع فكرا ، وامتد افقا ، واحتوى الكونُ كله ، او ما استطاع ان يحتويه منه ، واحتوى خلق الله جملة ، او حاول ان يفعل ، فهو يقف عند هذه السمكة ، سفيرةً ، تسفر له عن جانب من الف الف جانب من تلك القوة الهائلة المبثوثة في الطبيعة ، المسيطرة عليها . القوة الواحدة ، التى تنظمُ هذه الخلائق جميعا ، في ارض ، او في بحر او في هواء ، في نظام واحد من قوانين لاتختلف اصولها ابدا . تلك القوة التى تتمثل فى عقول العربي فتملؤه عندما يقول الله ربي ، وتتمثل فى عقل كل اعجمي فتملؤه عندما ينطق باسم الرحمن باللغة التى درج عليها هو وآباؤه .

وهي نفس القوة المهيمنة التى تتمثل في مخيلة الرجل المسلم والمراة المسلمة عندما يقرا وتقرا في القرآن : فاينما تولوا فثمَّ وجهُ الله . وعندما يقرا وتقرا : ما يكون نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة ، الا هو سادسهم ، ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا .



هـــذه الصورة ترينا شكل السمكة الانسيابى الذى يساعد على تســهيل

وعندما يقرأ : اللـه نور السمـوات والارض .

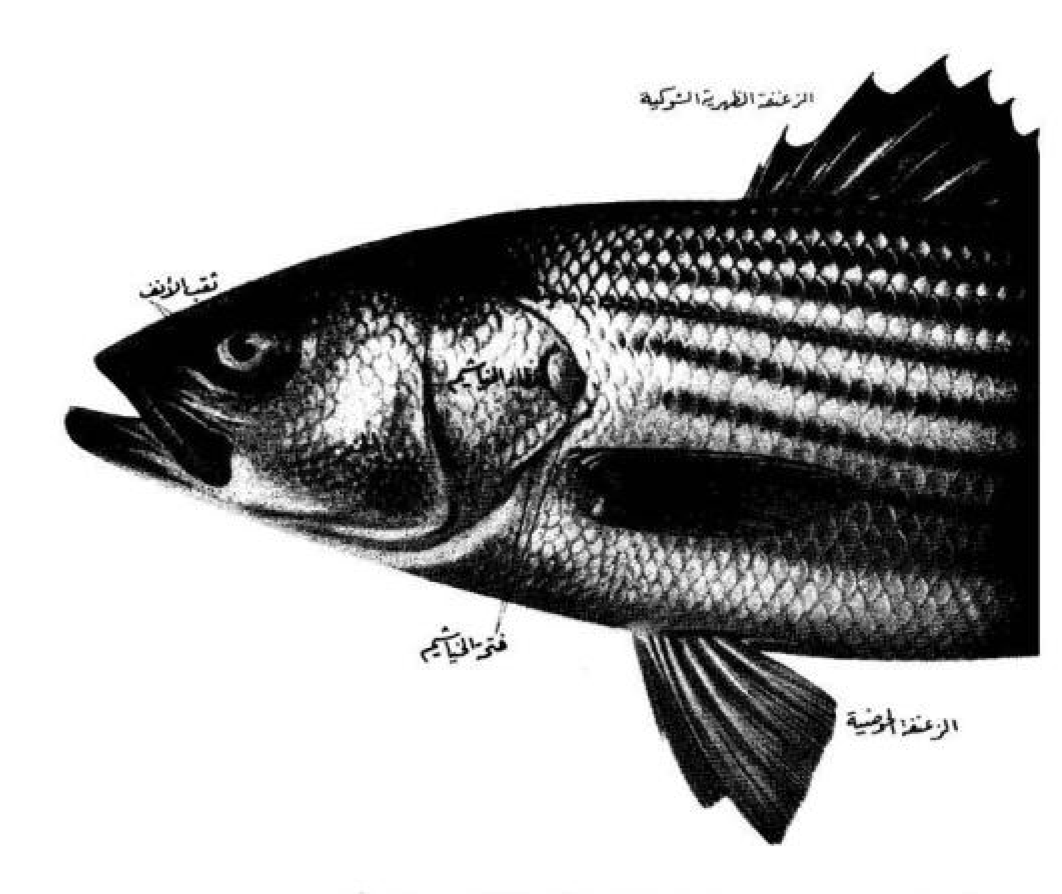
وددت لو استطعت أن أقتبس مثل هذا من كتاب كلّ موحد بالله وله كتاب .

عندما تكون دراسة العلم عبادة

ان دارس العلم احد رجلين .

رجل يدرس ليعلم ، وليجمع عـن الشيء الواحد الحقائق ، ليقوم بعد ذلك بتعليمها الناس ، سبيلا لكسب معاشه . فهو كالنجار يتعلم ما أصناف الاخشاب وما اوصافهـا وخصائصها ، وادوات النجارة واجهزتها ، ليصنع من كل ذلك ما يبيعه . وكذا الحداد ، وكذا الكواء . وشيخ الحارة أو « المختار » يدرس فى الناحية شوارعها وحاراتها وازقتهـا ، وأبناء آدم السـاكنين فيها ليكون دليلا نافعا للحكومة ، فيدل ويكسب لقمته . وهلم جرا .

ورجل آخر يدرس العـلم ، لنفس الفرض الذى توخاه دارس العلم الاول ، ولكنه لا يلبث ان يجد أن ما يدرس يمس



سيرها في الماء . وفي الصورة كل الاعضاء الظاهرة المشروحة في النص .

الحياة في جذورها الاولى . ولا يلبث ان يجد انها انظمة واحدة او متشابهة ثابتة ولو اختلفت فروع العلم عند دارسيها ، وانها جميعا ، سواء اتصلت بالعيش العابر للاحياء ، او بالحال الدائمة المقيمة للاشياء ، فهي جميعا واحدة . ويهديه النظر والتأمل الى انها جميعا مترابطة ، في ارض ، وفي سماء . ويخرج به التفكير عن نطاق الحياة المحصورة التي يحياها كل الناس ، الى حياة لايحياها الا امثاله من العلماء ، ويأخذ ينجذب بطبعه الى هذا المجهول الذي بعضه الطبيعة ولكنه يمتد الى ما اسموه وراء الطبيعة . وهو كلما درس ازداد فهما ، وازدادت الامور مع الفهم عليه انبهاما ، ولكن شيء واحد يأخذ يتردد على فكره ، يُطل من كل ظاهرة يتلقاها ، تلك هي الحقيقة التى نسجت عليها الاديان وجودها : تلك وحدة الكون الكاملة الشاملة . تلك الوحدة التى هى من وحدة الله .

فنحن اذ ندرس في العلم الوحدة القائمة بين خلق الله انما ندرس وحدة الله .

ونعود الى السمك

لقد اتخذنا ، واتخذ الدارسون جميعاً، الانسان مثلا للخلق هو اشد سائر الخلائق اكتمالا .

ودراسة المخلوقات، بقصد الهدف الذى نرمى اليه ، تتخذ وجهات ثلاثا مختلفة :

١ ـ الوجهة الاولى دراسة الكائن الحى وحده ، واظهار ما فيه من حنكة ، وما بين اجزائه واعضائه من مظاهر تعاون وتناسق عجيب ، ترمى كلها الى تحقيق وحدة حياة فيه متكاملة غير متنافرة . واتم حياة متكاملة انما تحققت في جسم الانسان .

٢ ـ الوجهة الثانية دراسة الكائن الحى ، اى كائن ، منسوبا الى الانسان ، لاظهار مقدار ما اكتمل من حياة هذا الكائن ، ثم كشف ما بينه وبين الانسان من وحدة في الخلق من حيث أن اساليبها واحدة ، وغاياتها واحدة، واذن فالمهندس صاحب تخطيطها لا بد ان يكون واحدا .

٣ ـ الوجهة الثالثة دراسة الكائنات الحية ، منسوبا بعضها الى بعض ، ومنسوبة كلها الى الانسان ، لاظهار ما يكون بينهما من اختلاف ، واظهار سبب هذا الاختلاف ، والحكمة منه . لتبيان ان الوحدة ليست وحدة جامدة ولكنها وحدة تتغير مع الظروف لتأتلف معها . وهكذا المهندس الذى يخطط لبيت صيف او بيت شتاء ، او بيت على جبل او فى واد او على بحر ، يغير منه ، بما يأتلف مع الظرف الجديد ، مع احتفاظه باسس التخطيط .

ولنبدأ بالسمك ، نقارنه بالانسان ، ثم نذكر بماذا اختلف، ولماذا . وهكذا يفعل المرء في دراسة كل كائن حي غير السمك.

خطة بناء الاسماك عامة هي خطة بناء الاحياء جميعا

السمك خطّطه مُخطط ليفى باصول الحياة الاولى التى لا تتغير ولا تتبدل . جسم ، هو مجموعة من خلايا ، طوائف طوائف ، تخصصت كل منها في عمل يتصل باجراء شتى واجبات الحياة ؛ ومنها اختصارا التهام الطعام ، ثم هضمه ، ثم تحويله بالكيمياء في الجسم ؛ بحيث يحترق بعضه . وفي اثناء ذلك هو يعطى الطاقة التى تقوم خلف كل مظهر من مظاهر العيش ، وبحيث يبنى بعضه للجسم خلايا تحل منه محل ما تهدّم منها . والحريق يعتمد على اكسجين الهواء ، وله فضلات اشبه شيء بالرماد لا بد من خروجها من الجسم . ولا بد لكل هذا فى الجسم من اجهزته . وكل هذه العمليات كثيرة ، تحتاج الى مواد واجهزة على الجسم ان يصنعها وتتمثل هذه الاجهزة في نحو ما نسميه بالجهاز الهضمي ، والجهاز التنفسي ، والكلى ، والمسالك البولية . غير الكبد والنكرياس وغيرهما .

والغذاء المهضوم ، لا بد له من يحمله الى سائر الجسم . لا بد له فى الجسم من دورة تدور به توزعه على طوائف الخلايا ، لكل بقدر حاجته ، ويتمثل هذا في الدورة التى اسميناها بالدورة الدموية ، والقلب القوة المحركة اياها .

ولاختلاف كل هذه الوقائع الجثمانية مكانا ، واختلافها زمانا ، وارتكاز بعض منها على بعض ، وجب أن يقوم بينها ما ينسق بينها ، وما يوقّت لها ، فمكان من ذلك الجهاز الذى اسميناه بالجهاز العصبيّ .

والغذاء مطلب الحياة الاول ، لا بد يحتاج الى السعى ، والسعى حركة ؛ والحركة في الانسان قام بها الرجلان ،

فلا بد لكل حي للحركة من جهاز . والحركة تحتاج الى هدى من احساس. وكان البصر للانسان هاديا . وللحى اذن لا بد من احاسيس .

وهكذا نمر على ضروريات الحياة الاولى فنعد منها شيئا كثيرا .

وكلها مستوفاة في الاسماك .

ولكن الانسان يعيش في الهواء ، ويمشي على الارض ، والاسماك تعيش في الماء محجوبة عن الهواء واذن لزم تعديل في التخطيط ، تزداد به الخطة حكمة . بقيت الوحدة هي الوحدة : الحاجة الى الغذاء ، والحاجة الى اكسجين الهواء . والاحتراق واحد ، والبناء واحد وهلم جرا . ولكن وجب ان تختلف الوسيلة لبلوغ هذه الغاية الواحدة ، خطة الحياة الواحدة ، خطة الخلق الواحدة .

تعريف السمك

قد تستطيع أن تعرف السمك بصفة عامة ، بانه حيوان ذو فقرات فى الظهر ، يعيش في الماء ، يتنفس الاكسجين الذائب في الماء ، ويتحرك بواسطة ذيل يحركه ، وكذا زعانف تقيمه وتسنده ، وكذلك تدفعه .

اختلفت البيئة فاختلف التركيب .

والبحار والمحيطات بيئات شتى ، واعماق متفاوتة ، وحرارات متباعدة ، تنتج اشكالا من السمك وانواعا لاحصر لها ، عدوها فكانت اكثر من ١٢٫٠٠٠ نوع .

هذه هى الانواع لا الاعداد التى تسكن البحار والمحيطات والانهار . ان الاعداد من الكثرة بحيث لا تعد . يكفى ان نقول ان صادة السمك قدر الحاسبون كم من الرنجة Herring فى العام الواحد يصطادون ، فزاد الرقم كثيرا على ١٠٫٠٠٠ مليون رنجة ، طعاما للناس .

شكل الاسماك

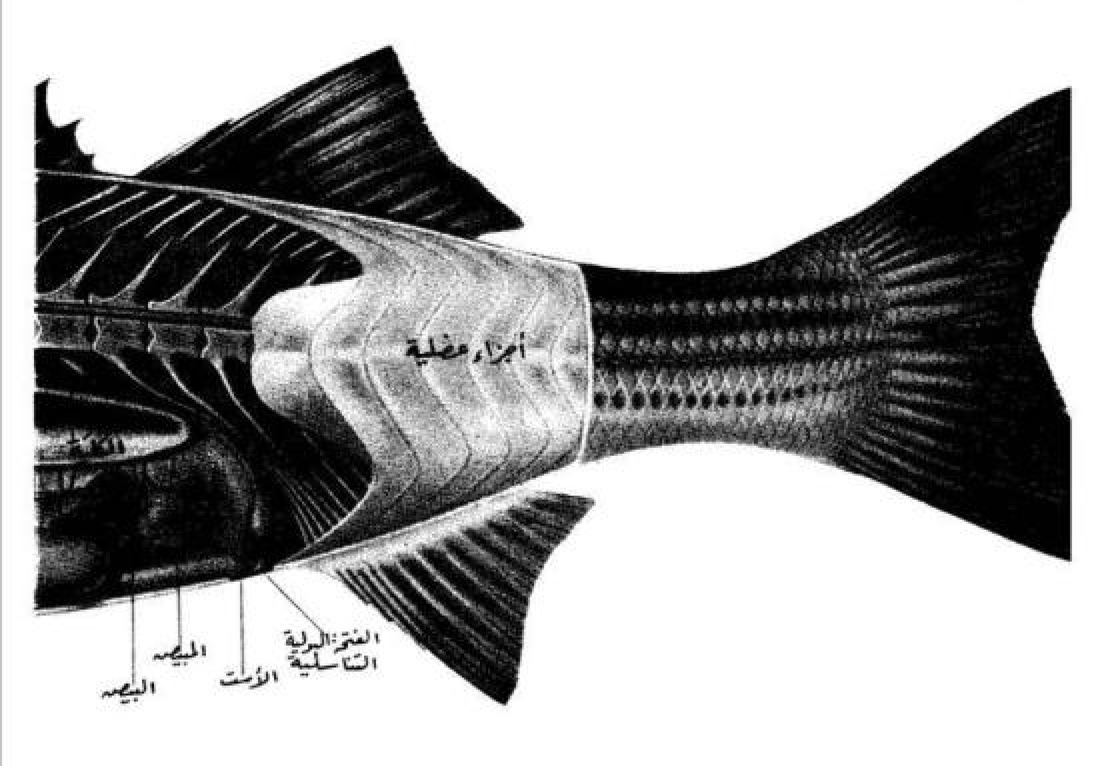
ونعنى به الشكل الظاهر العام الغالب .

فهذا الشكل هو الشكل المسحوب : شكل المِغزل ، وهو أوفق الاشكال لاختراق الماء بسهولة . وتلاحظ انه الشكل الذى يتخذه الانسان السابح في الماء ، فهو يتمدد . وحتى الحيوان ذو الاربع ، اذا سبح رمى بأرجله الى خلفه لانها تعوقه . والانسان لما ابتدع الغواصة جعل شكلها بشكل الاسماك . والسمكة طرفاها ضيقان ، وما بينهما في اوسط الجسم عريض .

واذا ابتعد السمك عن هذا الشكل الانسيابي قليلا او كثيرا ، فقد بمقدار ذلك القدرة على الحركة وسرعتها ، وهى ضمان غذائه ، وضمان حياته كذلك ، فى معترك فيه الحى ، كما فى الارض ، قاتل ومقتول . وعندئذ قد يتعوض السمك بدرع يحميه او لون يموه به على ما يلقى من الاسماك .

والسمك راس وجذع وذيل ، ولا رقبة له . والراس تنتهي حيث ينتهي الغطاء الذى يغطى الخياشيم . وعضل الجذع يندمج فى عضل الذيل فلا يكاد يتضح بينهما فاصل .

وللسمك فم . ومنخران للشم لا للتنفس ، وعينان للابصار المحدود لكل



هذه صورة السمكة وقد كشفنا عن باطنها، وفيه
سائر الاحياء ذوات الفقار ، الا تعديلات اقتضاها

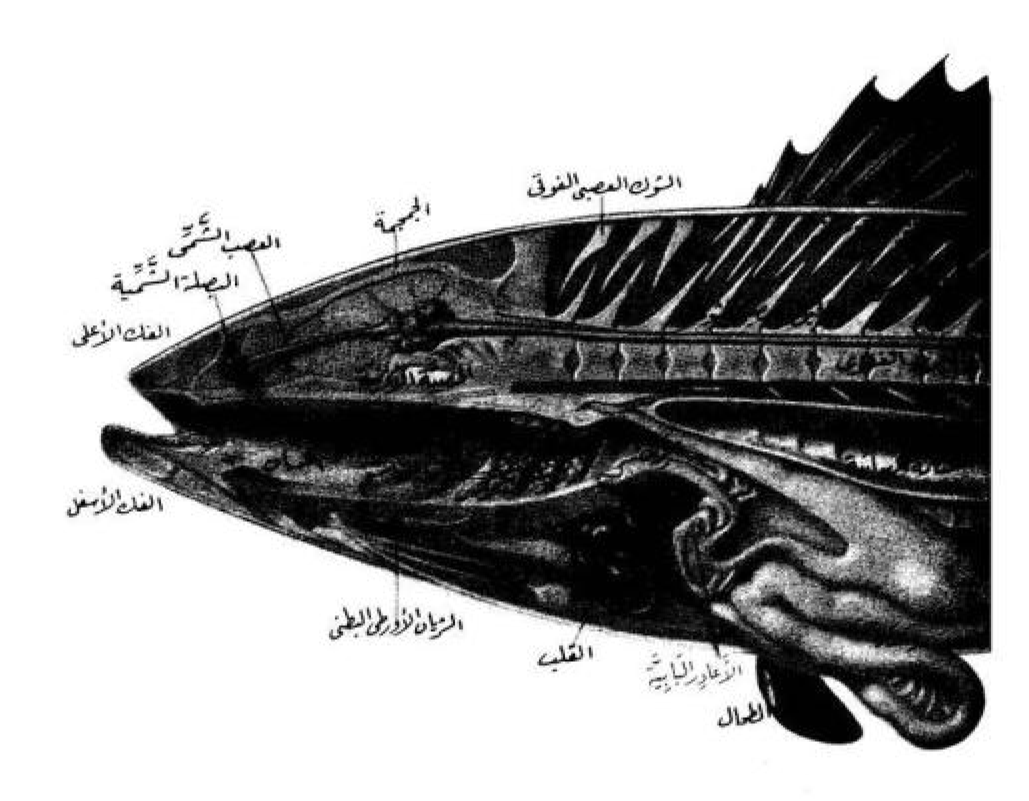
منهما عدسة مستديرة .

ثم زعانف نذكرها عندما نذكر كيف تتنقّل الاسماك في الماء .

الزعانف وتنقل الاسماك فى الماء

السمك يتحرك فى الماء كما يهوى ، فهو يمرق فيه الى اعلى ، والى اسفل ، وقدُماً ، ويدور خلفا . وهو يتوقف فيه ساكنا لا يتحرك الا من حركة تأتي من زعانفه الصدرية تعينه على ان يظل على هذه الحال طويلا . ومن الاسباب الكبرى فى هذا حمل الماء المالح لكل جسم يغطس فيه . والسمكة التى تزن فى الهواء ٢٠ رطلا ، قد لا تزن وهي غاطسة فى البحر غير رطل واحد .

وللسمك زعانف ، صنفان : صنف اوسط ، اى يقع فى مستوى تماثل السمكة وهى زعانف فردية فلا تزدوج ومَثّلها الزعانف الظهرية وزعنفة الذيل. وكذلك الزعنفة الشرجية ، ويدل اسمها



تظهر الاعضاء الداخلة متضامنة،وهى تشبه اعضاء
ان السمكة بيئتها الماء ، لا الارض والهواء .

على موضعها ، فهى عند الاست . اما الصنف الثانى فمزدوج ، اى منه اثنان معا ، زعنفة على كل جانب ، ومَثَله الزعانف الصدرية والزعانف الحوضية . والزعنفتان الصدريتان حلتا محل الذراعين فى الانسان ، والزعنفتان الحوضيتان حلتا محل الرجلين في الانسان كذلك . وهذا يزيد فى معنى وحدة التخطيط التى هى هدفنا الاول من هذه الكلمات . (انظر الصورة بصفحة ٣٦) .

والزعانف تحتوى شوكا متوازيا يضمه نسيج . والشوك قد يقسو ويكون قويا ، وقد يلين . واحيانا هو يستخدم للدفاع .

والسمك يدفع نفسه فى الماء بتحريك ذيله ، فهو من عضل قوى . يضرب الذيل الماء يمينا ، ثم يسارا ، وتساعده فى ذلك الزعنفة الذيلية ، وبذلك يمرق فى البحر مروقا .

اما الزعانف الظهرية والشرجية فتعطى السمك فى الماء ثبوتا واتزانا . واما الحوضية فتساعد الظهرية فى ان تمنع السمكة من ان تدور حول محورها .

واما الصـدرية فتستخـدم عموما فى التوجيه والموازنة . وقـد تستخـدم للحركة . وقد تستخدم كابحة للحركة . (راجع الصور دائما فى كـل ما نذكر ونصف من الاعضاء) .

المثانة الهوائية

وبذكر تنقل السمك فى الماء ، نذكر المثانة الهوائية . وهى عندما توجـد تتخذ شكل انبوبة طويلة تمتـد عـلى امتداد العمود الفقرى ، مملوءة بخليط من غاز ، من اكسجين وآزوت وثانـي اكسيد الكربون ، مأتاها من الدم الذى تنتشر اوعيته بكثرة فى جدران المثانة . والمثانة قد تتصل بالحلق عن طريق انبوب رفيع او لا تتصـل . وهى قـد تفرز الغازات ، وهى قد تمتصها فتعدل مـن مقدارها . وفى بعـض الاسمـاك قـد تستخدم كالرئة .

ووظيفتها رفع السمك فى الماء بالقدر المطلوب .

والغريب ان سمك القرش ، وهو من السمك الغضروفى لا العظمى ، تعوزه هذه المثانة ، ولكن به ما يغني عنها : كبـد كبيرة مليئة بالزيت تعين على رفع القرش فى الماء .

جلد السمك وقشره

وجسم السـمك مغطى بالجلد ، وهو جلد حي ، دائم المساس بالماء .

وهو يفرز مادة غروية لزجة تعـين السمك على الانزلاق فى الماء . وهي تدفع عن السمك فعل البكتير والفطر Fungi ، وهي اول حصون الدفاع .

وهي تعين السـمك فى الاحتفاظ بمائه، فى النهر الحلو او فى البحر المالح . ففي الماء الحلو يميل الماء العذب الى الدخول الى جسم السمك للذى به من ملح ، وفي الماء الملـح يميـل ماء السـمك الى الخروج عنه الى الماء الاكثر ملوحـة . هكذا قانون المحاليل .

اما خط الدفاع الثانى فقشر السمك، ذلك الذى ينبت فى جلده اشبه شـيء بنبوت الظفر فى جلد الانسان . وهـو يخرج من الجلد مائلا عليه حتى يكـاد يرقد ، وطرفه الحرّ متجه نحو ذيـل السمك . وتركب القشرة منه القشرة التى تليها ، وتغطي اكثر سطحهـا . والقشر ينبت فى نظام ، خطوطا متطاولة متوازيـة .

وكلما كبرت السمكـة ازداد حجـم القشر ، ولكن لا يزيد عدده .

واذا انت نظرت الى قشـرة بالمجهر وجدتها تتألف من حلقات بعضها فـوق بعض ، كلها ميت ، الا حيث تقترب من المنبت فى الجلد . وهذه الحلقات تعبر عن مبلغ النمو كل عام ، واذن فعن عمر السمك عند الدارسين .

الوان الاسماك

انه ليس كالطيور شهرة فى ما تلبس من الوان زاهية .

والاسماك تنافسها فى ذلك ، ولكـن ليس لها مثل شهرة الطير الذائعة ، وذلك لأسباب ، منها : ان السمك ذا الالوان مواطنه توجـد على الاغلب فى المناطـق الحارة ، وعلى اغلب الاغلب حيث توجد الصخور المرجانية ، وهي ملونة فيقتبـس السمك مـن لون بيئته . ومن هـذه الاسباب ان السمك ذا اللون الفاقـع

البديع يموت فما اسرع ما يبهت بـــه اللـــون .

والرأى الغـــالب أن السمك يتلون استجابة للبيئة التى هو فيها ، فاذا نظر اليه الناظر ، صائدا له او متصيدا ، اقتحمه ، حاسبا اياه بعض هذه البيئة .

والسمك الملون به صفة لا توجد فى الطير ذى اللون ، ولا الحيوان الملون . فليس فى هذين من يستطيع تغيير لونه . اما الأسماك ، فالكثير من انواعها يستطيع ذلك . ولتفسير ذلك نقول ان اللــون غالبا ما يكون مادة ذات لون ، يفرزها السمك ، ويحفظهـا فى خـلايا تشبـه الاكياس الصغيرة اسمها حاملات الصبغ Chromatophores ، مسكنها الجلد ، ويستطيع السمك ، بعمل من فتائل العضل ، ان يشكلها تشكيلا ، فيبسطها فتكون بقعا ، او يشعها فتكون كالنجوم الساطعة ، كما يتصورها الراسمون ، او خطوطا ، او غير ذلك .

وبعض الالــوان ليس مصـدرها الصبغات كالتى نصف .

القناة الهضمية فى الاسماك

وهى قنـاة مخططها اشـبه ما يكون بمخطط الانسان على ظهر الأرض ، الا ما اقتضى التبسّط فيه ، واختصـاره واختزاله لعدم الحاجة اليه . فحاجـة السمك غير حاجة الانسان .

الفم

ونبدأ بالفم . فهو من حيث الحجم ، ومن حيث الفتحة ، هل هى الى اعـلى او الـى اسـفل ، ومـن حيث القـوة والضعف ، ومن حيث ما به من اسنان ، يختلف باختلاف الاسماك ، ما هى ، وما نوع طعامها .

وسمك البحر كحيوانات الأرض ، منه النباتي ،ومنه المفترس آكل اللحم والدم. وفى ماء اسطح البحار اعداد يعجز عنهـا الحصر من كائنات صغيرة معلقة او طافية فى الماء من نبات (من صنع الشمس) ، ومن حيوانات ، تعرف جميعها بالهائمات او الطائفات او العوالق Plankton ، وعليها تعيش الاسماك الصغيرة ،لتأكلها الاسماك الاكبر،لتأكل هذه الاسماك الاضخم منها. معركة البحر كمعركة الارض قاسية او اشد قسوة .

وتبعا لكل هذا يختلف فم السمك ، وتختلف اسنانه ، حجما ، وعـددا ، واوضاعا .

وان كان لابد مـن مثـل ، فسمك الشبوط Carp نباتي،فكاه ليس بهما اسنان . وطاعمات العوالق من نوع سمك الرنجة Herring بأفكاكها اسنان صغيرة اشبه بالابر . اما سمك القرش ، ونعرف من ضراوته ما نعرف ، فأفكاكه بها اسنان قوية حادة بها احيانا اطراف كاطراف المناشير .

ولا تنس اللســان . ففى الفم لسان لا تكاد تكون له حركة ، وعـلى اللســان تخرج اسنان .

والحلـق

وهو كالفم ، وكاللسان ، تنشأ عليـه الاسنان . وهى كلها للاسماك بالضحية قبل بلعها . والسمكة الضحية تبلع ولا تمضـغ . وليس للسمك ريق ولا غدد تفرزه .

فى المعـدة

فاذا بلغت الضحية المعـدة اذابتهـا العصارة الهضمية . واذابت كذلك عظمها وتوابعه .

في المعَى

ومن المعدة الى المِعَى . والسمك آكل لحم ، فهو كآكل لحم الأرض ، صغير المِعَى . والمعى الصغير امتصاصه للطعام المهضوم اسرع . اما آكل العشب فمعاه اكبر ، لأن امتصاصه ابطأ .

ومع هذا ففي كثير من الاسماك ينفتح مِعاها عن كثير من الجيوب ، وهي اتابيب مسدود طرفها الآخر ، فهي عوراء . وذلك لتعطى امتصاص الطعام فرصة اكبر . وتعرف بالأعاور Caeca ومفردها الأعور Caecum وهو مأخوذ من اسم الاعور في المعَى الغليظ للانسان، حيث توجد الزائدة الدودية .

وبعض الأسماك لا اعاور لها ، وبعض تبلغ اعاورها ٢٠٠ .

والفضلات تخرج من الشرج اى الاست .

الكبد والبنكرياس

وهما يتصلان بالقناة الهضمية والهضم اتصالا وثيقا .

والاسماك بها اكباد متسعة ، بعضها مزود بكمية بلغت من الكبر بحيث اصبحت عاملا ذا بال في معونة اسماكها على الطفو في الماء .

والاسماك بها البنكرياس ، وبه تلك الخلايا الشهيرة التى تنتج الانسولين .

تنفس السمك

الانسان وحيوان الارض يتنفس كل منهما الهواء الذى يعيش فيه ، يأخذه شهيقا ، ويرده من الرئة زفيرا ، منقوص الاكسجين . وهواء الزفير ، مع نقص الاكسجين ، يتحمل بأنتجة احتراق الغذاء في الجسم التى يحملها الى الرئة الدم .

والسمك يأخذ اكسجينه من الماء ، فهو فيه ذائب ، ويأخذه بخياشيمه ، وهي كما يعرف كل آكل سمك ، فتائل تضعها انسجة مقوسة . وهذه الفتائل، على دقتها ، بها الدم يجرى ، فاذا دخل اليها ماء البحر ، ومسَّ ظاهرَ هذه الفتائل ، امتص الدم الذى بداخل الفتيل منه الاكسجين . ومضى الماء الى سبيله ، واستجد غيره .

وفي الخياشيم أيضا يتعدل مقدار الملح الذى دخل الى جسم السمكة او خرج منه ، تبعا للماء ، أماء بحر هو او ماء نهر . ويجرى غير ذلك من التبادل بين دم وماء .

القلب والدورة الدموية

وفي الاسماك قلب ، وللقلب دورة دموية .

الا انه قلب ليس له الا بطين واحد ، واذين واحد ، لا بطينان واذينان كقلب الانسان . والسبب في ذلك ان دورة الانسان الدموية دورتان ، دورة من البطين الايسر يخرج منه الدم المنقَّى ، الى الشريان الاورطي ، فالى شرايين الجسم ، فالى أوردته ، ثم يعود الى القلب ، ليضخه من جديد الى الرئة ليتنقى بها ثم يعود الى القلب نقيا . فهذه الدورة الثانية (هذه المرحلة الى الرئة) لا توجد في السمك .

ان قلب السمك يضخ الدم الى الخياشيم ، وفيها يتحمل بالاكسجين كما يفعل دم الانسان في رئتيه ، ومن الخياشيم يذهب الى خلايا جسم السمك (ومنه يأخذ الاكسجين والغذاء) فالى القلب . وهكذا دواليك .

ودم السمك ضغطه واطىء ، وهو

ثخين نسبيا ، وهو ليس بسيولة سائر الدماء .

قلب متطامن . ليس كقلب الانسان من حيث القوة ، ولكنه مثله من حيث الخطة والفكرة . فالراسم واحد ، والمخطط واحد . وتبسطت الفكرة لان حاجة السمك ليست كحاجة الانسان ، وتعقد السمك وتعدد وظائفه لا تقارن بوظائف الانسان ..

والانسان من ذوى الدماء الحارة ، والسمك من ذوى الدماء الباردة التى تتأثر حرارتها بدرجة حرارة البيئة التى تعيش فيها .

المسالك البولية

وفي صورة السمك المنشورة تجد الكلية ، وتجد مخرج البول . والحي ، اى حيّ ، ما دام انه يأكل الطعام، والطعام يحترق لتتولد به الحياة ، واذن يكون للاحتراق فضلات ، منها الجامد، ومنها السائل . اما الجامد فطريقه المعَى فالشرج ، واما السائل فطريقه المسالك البولية .

ولا ننس الرئة عند ذكر الفضلات . وهي في الاسماك الخياشيم .

تناسل الاسماك

والاسماك تتناسل بكثرة هائلة .

والذكور والاناث ، في الكثرة الكبرى من الاسماك ، تلك المعروفة بالاسماك العظمية Bone Fishes ، لا يتصلان عند الاخصاب ، فالاخصاب يقع في المياه المكشوفة : يلتقى الحيوان البيضة فى الماء فيلقحها الحيوان المنوى الذى به .

فسمك الرنجة مثلا تتجمع الاعداد الكثيرة من ذكوره واناثه في المياه ، ثم لا تلبث هذه المياه ان تزخر بالخلايا التناسلية من الجانبين ، وهى في الماء تتخصب .

والانثى الواحدة من سمك الرنجة تطلق في العام الواحد ما بين ٣٠٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠٠ بيضة. ومن الاسماك الاخرى ما يطلق اكثر من ذلك على ما سبق ان وصفنا .

والاجهزة التناسلية توجد في الذكور وفيها الخصى وفيها قنوات المنىّ وغير ذلك ، من مثل ما نعرفه لذكور الرجال .

وهى توجد في الاناث على صورة المبايض المعروفة ، وقنواتها .

والحيوان المنوى الذكر ، والبيضة الانثى ، يخرجان من الاسماك من حيث يخرج البول . وكذا الحال في الرجال فيما يختص بالحيوان المنوى (المخطط واحد) . اما بيضة الانثى من النساء فلها الرحم ومخارجه .

والشرج فى السمك يسبق مخرج البول من حيث وقوعه أمامه لا خلفه كما هو في الانسان .

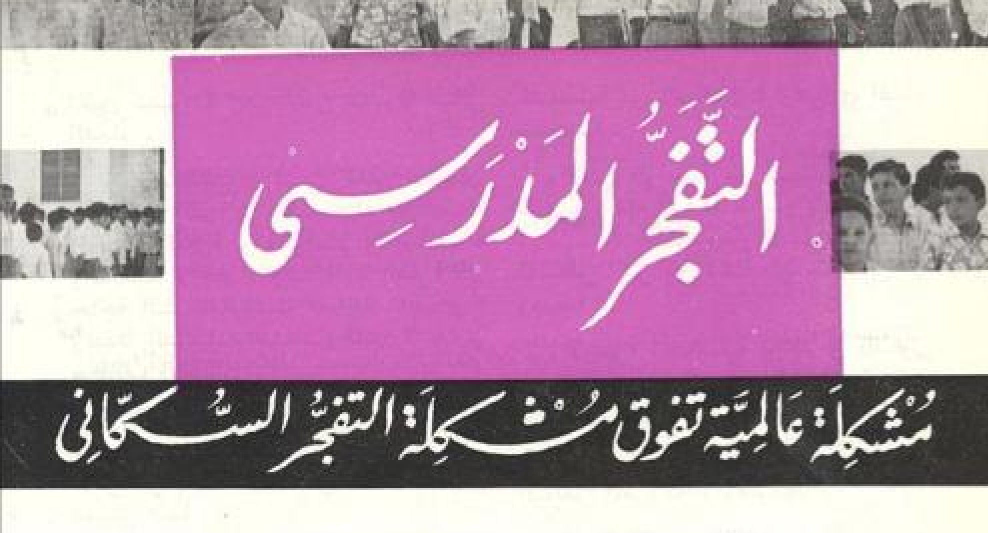
الجهاز العصبى في الاسماك

ومظهره الحبل العصبى الذى يمتد فوق العمود الفقرى بطول الجسم، وهو ينتهي عند الطرف الامامى بانتفاخ هو مركز التنسيق العام الذى نسميه بالمخ .

اما الحواس فللسمك حاسة البصر وحاسة المذاق ، وحاسة الشم، وحاسة اللمس . اما السمع ، فلم يتضح بعد وجوده في السمك دون شك .

وللاحاسيس حديث ، بل احاديث اخرى مستفيضة ، تجمع بين الخلائق جميعا ، وهي اكثر افصاحا عن معنى الوحدة المتمشية في الخلق كله . ●●

احمد زكى



التفجر المدرسي

مشكلة عالمية تفوق مشكلة التفجر السكاني

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدائم

■ طرقت دراسات المربين في السنوات الأخيرة بحثا لقى رواجا كبيرا وشاع وذاع ، هو البحث في ظاهرة « التفجر المدرسي » وفي وسائل مجابهتها .

تزايد في الطلبة يلاحقه تزايد في المعلمين والأجهزة

ذلك أن العالم كله، والبلدان المتخلفة والسائرة في طريق النمو خاصة ،شهدت في السنوات العشرين الاخيرة (وفي السنوات العشر الأخيرة منها بوجه اخص) تزايدا ضخما في عدد الطلاب في مراحل التعليم المختلفة ، وهو تزايد لم يستطع ان يلحق به التزايد المقابل في اعداد المعلمين واعداد الابنية المدرسية والاموال اللازمة . وكان من نتيجة ذلك أن ضاقت حجرات الدراسة بطلابها ؛ واوصدت كثير من المدارس امام الراغبين ابوابها ، ولجأت نظم التربية الى حلول استثنائية سريعة لم تستطع مع ذلك ان توفر لحاجات التعليم المتزايدة متطلباتها ، وقصرت النفقات المخصصة للتربية عن الوفاء بمستلزمات الوضع الجديد . وكان حصاد ذلك كله تزاحما تراه ونعرفه وتدافعا نشهده ، وكان « التفجر » في النظام التربوى الذى يعيش العالم كله في كنفه .

وفي البلاد العربية فوضى غامرة في كل مراحل التعليم

امام هذا « التفجر » الخطير ، تقف نظم التربية في العالم وفي البلدان السائرة في طريق النمو خاصة ، قلقة مضطربة ، تبحث عن الحلول جاهدة ، وكثيرا ما ترتد خاسرة. والبلدان العربية، بوصفها احدى هذه البلدان ، ترزح تحت اثقال هذا التفجر منذ سنوات ، وتنوء انظمتها التربوية تحت ذلك الفيض المتسارع من الطلاب في جميع مراحل التعليم ، وتئن امكاناتها المالية المحدودة لدى اكثرها تحت كاهل التوسع الهائل في اعداد المتعلمين ، وتجد نفسها يوما بعد يوم امام معضلة يزداد خطرها ويصعب حلها. ولا نغلو اذا قلنا ان نظم التربية في معظم البلدان العربية سوف تجد نفسها بعد سنوات معدودات ، ان هى لم تعد للامر عدته ، مكتوفة الأيدى امام هذا السيل المنهمر من الطلاب في مراحل

● لابد من إدخال الأنجحة التكنية، كالأفلام والتلفاز، وسائل في التعليم.

● تفجر يزيده تحديًا لنا قلة المدرسين والأبنية وتصاعد نفقات التعليم.

التعليم المختلفة ، كما ان سوق العمل في هذه البلدان العربية ستجد نفسها عاجزة عن امتصاص هذه الأعداد المتكاثرة من الخريجين .

وواضح أن المسالة خطيرة ، وانها تستلزم خطة مسبقة محكمة وجهودا جبارة ، وان الحكومات العربية مدعوة الى التفكير فيها تفكيرا متصلا ، لئلا تسقط في أيديها بعد سنوات قليلة .

ولا يتسع المجال للحديث عن ابعاد المسالة جميعها وعن اسبابها ونتائجها(١) وحسبنا ان نقدم صورة موجزة لأهم ملامحها ، وان نرسم من وراء ذلك بعض الحلول التى يمكن ان تقدم لها .

التفجر السكانى
سبب من اسباب التفجر المدرسي

ولعل اول ما يخطر للبال عند التساؤل عن عوامل هذا التفجر في اعداد الطلاب ، ان نرد هذا التفجر الى تفجر آخر طالما تحدث عنه المتحدثون منذ سنوات ، وطالما تناولته الكتب والدراسات العديدة ، نعنى « التفجر السكانى » . فكلنا يعلم ما شهده العالم منذ بداية القرن العشرين وبعد السنوات الخمسين منه خاصة من ثورة في عدد السكان لم يعرف لها مثيلا في تاريخه . وحسبنا أن نقول ــ تلخيصا للمسألة ــ أن عدد سكان المعمورة ازداد في جيل واحد زيادة لا تعدلها الزيادة التى حصلت خلال قرن كامل في القرون الوسطى ، او التي حصلت خلال الف عام في العصور القديمة . حسبنا ان نذكر أن زيادة سكان الارض في القرون الخمسة عشر اللاحقة لميلاد المسيح لم تجاوز في متوسطها معدلا قدره واحد في الألف في كل عام ، بينما تبلغ هذه الزيادة اليوم في اقل مناطق العالم تزايدا في السكان معدلا يجاوز الواحد في المائة كما تبلغ في معظمها (وفي البلدان السائرة في طريق النمو خاصة ومن بينها البلدان العربية) معدلا يطوف حول الثلاثة في المائة كل عام ، بل يربو عليه في بعض الاحيان . ومعنى ذلك ــ كما تدل التنبؤات السكانية ــ ان عدد سكان الارض الذين يبلغون اليوم ثلاثة مليارات تقريبا ، سوف يبلغون ضعف هذا العدد في نهاية هذا القرن ! الأمر الذي يثير مشكلات اقتصادية ومكانية صعبة اشبعتها الأبحاث المختلفة درسا وعقدت من أجلها

---

(١) لمن أراد مزيدا من الاطلاع أمكنه الرجوع الى المصدرين التاليين خاصة :

ــ كتاب التفجر المدرسي ، من تاليف لويس كروس وتعريب الدكتور الياس فرح والاستاذ احمد القادري (عدد خاص من مجلة المعلم العربي التى تصدر عن وزارة التربية بدمشق « العدد الثالث » ١٩٦٥) .

ــ الدراسة التى أعدها المعهد الدولى للتخطيط التربوى في باريس من أجل المؤتمر الذى عقد في شهر تشرين الاول ١٩٦٧ في مدينة «ويليامسبورغ» ودار حول « الازمة العالمية في التربية » .

العديد من المؤتمرات (١) ، وتعنى بها المنظمات الدولية والاقليمية والمحلية(٢).

التفجر السكاني نتيجة من نتائج التقدم الصحي

اما أسباب هذا التزيد السكاني « المتفجر » في السنوات الاخيرة فقد غدت معروفة ، ترجع الى نتائج التقدم الصحي الذي ساد العالم والى تناقص نسبة عدد الوفيات بالتالي . ولما كانت نسبة الولادات لم تهبط – ولا سيما في البلدان المتخلفة والسائرة في طريق النمو – بينما هبطت نسبة الوفيات ، فقد كان طبيعيا ان يرتفع المعدل السنوي لزيادة السكان في ارجاء العالم جميعها . على ان هذا الارتفاع برز في البلدان السائرة في طريق النمو واشتد فيها وعظم ، لسبب اساسي وهو ان معدل الولادات في هذه البلدان مرتفع في الاصل في ماضي الايام وحاضرها (في حدود ٤ – ٥ في المائة) ، سوى ان معدل الوفيات المرتفع فيما خلا من السنوات هو الذي كان يضعف من آثاره في حين ان معدل الوفيات هذا هبط في السنوات الاخيرة بسبب تقدم الوسائل الصحية ، دون أن يهبط معدل الولادات ، فكان نتاج ذلك تزايدا واضحا في معدل نمو السكان ، ما يزال آخذا في الاتساع .

التفجر المدرسي يتجاوز التفجر السكاني ويربو عليه

هذا التفجر السكاني هو الذي يتبدى اذن باديء ذي بداءة كعامل اساسي من عوامل التفجر المدرسي . فتزايد السكان الكبير (حوالى ٣٪ في المتوسط في البلدان السائرة في طريق النمو) يؤدي بشكل طبيعي الى تزايد من هم في سن الدراسة تزايدا كبيرا . على ان الأمر لا يقف عند هذا العامل السكاني – على ضخامته وخطره – بل تضاف اليه عوامل اخرى تزيد في خطورة المعضلة التربوية :

ذلك أن معدل تزايد اعداد الطلاب في المدارس لم يسر في الواقع سيرا موازيا لمعدل تزايد السكان ، بل تجاوزه وسبقه ، بسبب عوامل كثيرة ، اهما زيادة اقبال الناس على التعليم ، ولا سيما التعليم الثانوي في البلدان المتقدمة (حيث عم التعليم الالزامي) والتعليم الابتدائي في البلدان السائرة في طريق النمو . هكذا نجد في الولايات المتحدة مثلا ان عدد السكان ازداد مرتين ونصفا بين عام ١٩٠٠ والعام الحالي ، في حين ازدادت نسبة الطلاب الذين يؤمون التعليم الثانوي الى من هم في سن التعليم الثانوي من ١٢٪ عام ١٩٠٠ الى ٩٠٪ يومنا هذا . اما التعليم العالي فقد قفزت نسبته من ٤٪ (ممن هم في سن التعليم الجامعي) عام ١٩٠٠ الى ٤٤٪ اليوم .

واذا اخذنا العالم ككل ، قلنا – كما تدل الاحصاءات الاخيرة – ان متوسط ارتفاع عدد طلاب التعليم الابتدائي منذ عام ١٩٠٠ هو ٥٠٪ وان متوسط ارتفاع عدد طلاب التعليم الثانوي منذ ذلك العام ايضا هو ١٠٠٪ وهذه الزيادة كما نرى أكبر من الزيادة السكانية بكثير .

اما اذا أخذنا البلدان المتخلفة والسائرة في طريق النمو فالأمر ادهى وامر ، ومعدل الارتفاع في عدد الطلاب – ولا سيما في التعليم الابتدائي – اكبر بكثير من هذا المتوسط . ذلك أن عدد الفتيان في هذه

---

(١) من أبرز المؤتمرات المؤتمر العالمي للسكان الذي عقد في بلغراد بين ٣٠ آب – ١٠ أيلول عام ١٩٦٥ .

(٢) الدراسات السكانية التي ظهرت في السنوات الاخيرة غدت أكثر من أن تعد . ومن اراد طرفا منها أمكنه الرجوع الى دراسات عالم السكان الفرنسي الشهير ، سوفي Sauvy وبعضها ترجم الى اللغة العربية ، كما يمكن الرجوع الى الكتاب التالي : الانفجار السكاني من تاليف مارستون بيتس وترجمة جلال زريق ، نشر مؤسسة فرنكلين ببيروت ، عام ١٩٦٦ .

البلدان ينمو نموا اسرع من نمو عدد الكبار (وهذا ما يعرف باسم ظاهرة فتوة السكان في البلدان السائرة في طريق النمو) . ففي حين ينمو عدد السكان في مجموعه في بلدان امريكا الوسطى بمعدل سنوي قدره ٣٫٢٥٪ ينمو عدد الطلاب الذين هم في سن الدراسة بمعدل قدره ٣٫٧٥٪ . ومن المتوقع دون شك أن يصبح هذا المعدل الاخير أكبر في السنوات المقبلة ، لان نتائج التقدم الصحي لم تعط بعد كامل مداها ، ولا بد ان يكون من اهم نتائجها في السنوات القادمة خفض معدل وفيات الأطفال (هذا المعدل الذى يبلغ اليوم عشرين في الالف في بلدان اوروبا الغربية بينما يبلغ مائة في الالف في البلدان الافريقية وما يشبهها) ..

واذا اردنا ان نذكر بعض الارقام الخاصة بالبلاد العربية ، كفانا ان نقول ان معدل تزايد الطلاب في التعليم الابتدائى في هذه البلدان ، ذلك المعدل الذى ١٠٫٩٪ في السنة خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٩/٦٠ وعام ١٩٦٤/٦٥ . اما في التعليم الثانوى فقد بلغ هذا المعدل خلال الفترة نفسها ١١٫٤٪ في المتوسط وكل من المعدلين كما نرى يربو بشكل واضح فاضح على معدل تزايد السكان في هذه البلدان ، ذلك المعدل الذى يتحلق حول ٣٪ في السنة في المتوسط . هذا اذا لم نذكر التعليم العالى الذى بلغ معدل الزيادة السنوية فيه في البلاد العربية ٢٩٫٣٪ بين عام ١٩٦١/٦٢ وعام ١٩٦٣/٦٤ .

اهم نتائج التزايد الكبير في أعداد الطلاب

من نتائج هذه الزيادة الكبيرة في اعداد الطلاب ـ وهى زيادة تفوق زيادة السكان على عظمها ـ جملة من الصعوبات تواجه نظم التربية ولا سيما في البلدان السائرة في طريق النمو (حيث الزيادة فادحة) :

نقص في المعلمين

من هذه الصعوبات نقص عدد المعلمين اللازمين لتعليم هذه الاعداد المتكاثرة من الطلاب . وهذه ظاهرة نعرفها جميعا ، وتكاد تكون حظا مشتركا بين معظم بلدان العالم . فتزايد عدد المعلمين ـ ولا سيما المؤهلين منهم ـ يقصر عن تزايد اعداد الطلاب تقصيرا واضحا متزايدا ايضا .

نقص في الأبنية

ومن هذه الصعوبات نقص عدد حجرات الدراسة والأبنية اللازمة والتجهيزات الضرورية وتقصيرها جميعها عن الوفاء بمستلزمات هذا التوسع المتسارع .

تزايد نفقات التربية تزايدا فادحا

وادهى هذه الصعوبات واقساها عجز الامكانات المالية عن الوفاء بمتطلبات هذا التزايد وبما يفرضه من تضخم متزايد في ميزانية التربية وفيما يخصص للتربية من جملة الدخل القومي في بلد من البلدان . وحسبنا ان نقول في هذا المجال ان نفقات التربية حققت في السنوات الخمس عشرة الاخيرة نموا معدله ٦٫٥٪ في البلدان المتقدمة و١٢٫٥٪ في البلدان السائرة في طريق النمو . بل حسبنا ان نقول ان هذه الدول السائرة في طريق النمو التى كانت تخصص للتربية حوالى ١ـ٢٪ من دخلها القومي عام ١٩٥٠ تخصص اليوم نسبة تبلغ حوالى ٣ ـ ٤٪ من هذا الدخل ، وسوف تضطر الى ان تزيد هذه النسبة في السنوات المقبلة ـ كما تدل بعض الحسابات التى أجرتها منظمة اليونسكو على الدول الافريقية ـ بحيث تبلغ ٧٪ من الدخل القومي حوالى عام ١٩٧٠ ، ومعنى هذا ان ازمة مالية كبرى سوف تثور ، وان التربية سوف تحتاج الى أن تستهلك من دخل هذه البلدان قسطا لا قبل لها باحتماله .

ارتفاع كلفة الطالب الواحد يزيد ضغثا على ابالة

ويزيد في خطورة الأمر ان ما يكلفه

الطالب الواحد يرتفع بدوره في معظم البلدان ، ويؤدي بالتالي الى تعقيد المشكلة تعقيدا اكبر. ويرجع ذلك خاصة الى ارتفاع أجور المعلمين . ولئن كنا نجد في البلدان السائرة في طريق النمو تناقصا ظاهريا في كلفة التربية ، فلا بد من القول ان هذا التناقص الظاهري مؤقت يرجع الى تدابير استثنائية (من مثل هبوط أجور المعلمين واستخدام المعلمين غير المؤهلين على نطاق واسع وتزايد عدد الطلاب في الصف الواحد تزايدا غير معقول واتباع نظام الفترتين او الفترات العديدة في التعليم) . وهي كلها تدابير سوف تبلغ مداها وتستنفد امكاناتها بعد حين . ومعنى هذا ان الارتفاع في كلفة الطالب لا بد ان يقع في هذه البلدان ايضا في السنوات المقبلة ، بل لا بد ان يفوق هذا الارتفاع ما نجده لدى البدان المتقدمة .

ما هي الحلول المكنة امام معضلة التفجر المدرسي

امام هذه المعضلة الكبرى ، المعضلة الناجمة عن التفجر المدرسي، يتساءل المرء عن الحلول الممكنة . ومن العسير في هذه العجالة أن نتحدث حديثا شافيا عن مثل هذه الحلول . وحسبنا ان نومىء الى حلين اساسيين :

١ ـ حسن استخدام الاموال المتاحة للتربية :

ان البلدان المتخلفة ـ ولا سيما البلدان السائرة في طريق النمو ـ مدعوة امام تزايد اعباء التعليم ونفقاته وحاجاته المالية ، **الى استخدام الاموال المتاحة للتربية احسن استخدام ممكن** ، والى اجتناب الهدر والضياع والتفريط . ولهذا المطلب اليوم وسائله الفنية التي يبحث فيها مخططو التربية المهتمون بكلفة التربية وبدراسة الهدر الناجم عن تسرب الطلاب (وتركهم الدراسة قبل نهايتها) وعن رسوبهم، ودراسة الوسائل الادارية والتربوية التي تؤدي الى خفض كلفة التربية مع الابقاء على مستواها بل مع رفع ذلك المستوى . ولعل خير اقتصاد في النفقات هو الاقتصاد الذي يمكن أن يتم عن طريق خفض كلفة الابنية المدرسية فهذه الأبنية تستهلك قسما كبيرا من النفقات المخصصة للتربية، وهي في معظم البلدان نفقات غير مدروسة او من الممكن خفضها الى النصف ـ كما بينت دراسات كثيرة ـ مع تجويد الابنية وتحسين وظيفتها التربوية . ومثل هذا الخفض يؤدي الى وفر كبير يمكن استغلاله في مجالات أخرى .

٢ ـ تحقيق انقلاب اساسي في طرائق التربية ومحتواها :

على ان ثمة حلا ثانيا يتبدى اليوم للكثير من الباحثين حافلا بالوعود ، وهو اللجوء الى **تجديد طرائق التعليم واساليبه ومحتواه تجديدا جذريا ، بحيث** يؤدي هذا التجديد الى خلق مضمون تربوي فعال خصيب ووسائل تربوية اقل كلفة من الوسائل التقليدية وقد تكون انجع واجدى . ذلك ان جمهرة المربين اليوم يرون أن التربية لم تحقق حتى اليوم الثورة التكنولوجية التي تحققت في سائر ميادين الحياة الحديثة ، وأن عليها بالتالي أن تغير من أساليبها العتيقة التي لم يطرا عليها تغيير اساسي منذ أن وجد الانسان ووجد معلمون وتلاميذ . بل ان بعض هؤلاء المربين يرى ان البلدان السائرة في طريق النمو خاصة هي المدعوة ـ بحكم الحاجة التي هي أم الاختراع ـ الى ان تكون الرائدة في طريق تجديد طرائق التربية وفي ذلك الانقلاب المرجو في وسائلها . ويبلغ فريقا منهم ان يقول ان هذه البلدان يمكن ان تعتبر بمثابة مخبر للتربية تنضج فيه التجارب الرائدة والمكتشفات التربوية المبدعة .

من حقنا أن نضع نظام التربية موضع التساؤل

لقد الف الناس منذ آلاف السنين ذلك التعليم الذي يقوم على المعلم والطالب

والمقاعد وحجرات الدراسة والكتاب . ومن حقنا ان نضع هذا النظام المألوف موضع التساؤل اليوم ، وان نبحث عن شكل آخر ، لعله أكثر نجعا وعطاء واقل كلفة وانفاقا . وفي هذا المجال يشير المربون فيما يشيرون الى ما قد ينتظر خاصة من انتشار الوسائل السمعية البصرية ، وعلى راسها التعليم عن طريق الراديو او الافلام او التلفزيون ، والتعليم المبرمج ، وغيرها من الوسائل الحديثة التي تدخل التقدم التكنولوجي الحديث الى ميدان التعليم وتدخل معه تقدما تكنولوجيا موازيا في أساليب التعليم ، كما تؤدي الى تناقص الحاجة الى المعلمين والى حجرات الدراسة وسواها من الوسائل التقليدية ذات الكلفة العالية.

مثل هذه الحلول التربوية الصادرة عن التجديد التربوي وعن الابتكار والابداع التربوي ، هي التي يتطلع اليها كثير من الباحثين اليوم من أجل مواجهة ازمة التربية في العالم عامة وفي البلدان السائرة في طريق النمو خاصة . ولا يعني هذا ان مثل هذه الحلول قد تم وضعها بشكل نهائي او ان بعضها لا يتصف ببعض العيوب (من مثل التعليم المبرمج) . وكل ما في الأمر ان المنطلق لا بد منه : لا سبيل الى حل المشكلة الا عن طريق التصدي لها تصديا ذكيا قوامه الابتكار والبحث عن وسائل جديدة وتسليط العبقرية الانسانية على هذا الميدان ــ كما سلطت على سواه ــ نعني ميدان التربية . فالفكر الانساني حافل بالعطاء والوعود ، وهو وحده القادر على ان يتغلب على صعوبات المادة ، وهو الاستثمار المنتج وراس المال الخصيب الذي يستطيع أن يذلل حدود راس المال المادي وحدود الموارد المادية . انه القوة التي تمهد المستحيل ، وتخلق ادوات جديدة حين تستنفد التليدة ، وتستبدل بالمادة التي اعطت كل ما عندها مادة مبتكرة ولودا ، وتحقق التقدم التقني ، الأداة الاولى لكل تقدم .

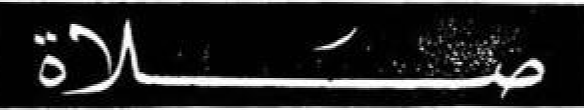
ومن هنا تأتي الأهمية التي يعيرها المربون اليوم للبحث العلمي في التربية الذي من شأنه أن يفتق هذه المواقف الابداعية . حتى ان بعضهم يذهب الى القول بأن اي دولة مدعوة الى أن تخصص حوالي ٢٪ من ميزانية التربية للبحث العلمي في هذا الميدان ، وان هذا المبلغ الذي تقتطعه لهذه الغاية لن يكون نفقة ضائعة او مالا مستهلكا ، بل هو استثمار منتج خصيب ، ذلك ان من شأن مثل هذا البحث العلمي في التربية ان يوفر الجهد الكثير والمال الكثير حين يقدم الحلول المبتكرة لمشكلات التربية ويحدث تغييرا اساسيا في محتواها وطرائقها ، وينتهي الى ايجاد الوسائل الناجعة لخفض نفقاتها ورفع مستواها وزيادة نتاجها .

الابداع الفكري
لم يقل كلمته في ميدان التربية

وجملة القول ان الابداع الفكري لم يقل بعد كلمته التي ينبغي أن تقال في ميدان محتوى التربية ، من مناهج وطرائق وادارة ووسائل تعليمية وسواها ، ولم يقل كلمته في جملة النظام التعليمي ومقوماته الكبرى (من معلمين وحجرات واثاث وسواها) ، ولم يقل كلمته في مجال البحث عن خفض كلفة التعليم والافادة من النفقات المخصصة للتربية خير افادة ممكنة . ورغم الجهود التي قامت في هذه الميادين جميعها في السنوات الاخيرة خاصة ، يظل من الصحيح ان البحث لم يبلغ مداه وان انقلابات جذرية تنتظر التربية في السنوات القادمة ، حين يغزوها العقل المبدع وتدخل ارجاءها الثورة التكنولوجية الموعودة ويسلط عليها البحث العلمي الخصيب ، وحين تؤدي المواقف الابداعية الجديدة ، التي هي من نتاج التربية ، الى ثورة التربية على ذاتها وتجاوزها لأسسها ومقوماتها.

■■

بيروت **عبد الله عبد الدائم**



بقلم : مصباح العابودى

■ ما كان ضـرَّكِ لو عفوتِ ، وقد ملـكتِ المقدره
وغفـرتِ لى ذنبى العظيم ، وقد عهدتُك خيِّـــره
ومسحتِ عـبرة تائب ، لك قد أطــال المعـذره
ورحمـت حبا كم تـلونا في خشـوع أسطـــره

●●●

هــاتى الذى عاش الحياة ، وما جـنى أبـدا خطيئـه
أو أى صب لا يثورُ جوّى ، وثورته بريئـــــه
أو أى حـب بالصفاء ، كؤوسه ظلت مليئـــــه
فتجاوزى عما اقـترفتُ ، فأنـت عنـوان المـروءة

●●●

مالى سـواك ، ولست أرجو في الحياة سـواك حبـا
ورضاك أمنيـتى ، وفاجعـتى أرى عينيك غضـبى
سيان عندى ، إن وصلتِ ، وإن هجرتِ وتُهت عُجبـا
فأنـا امرؤ صقـل الغـرامُ كيـانه ، روحـا وقلبـا

●●●

صفحا ، وحسبى ما لقيت على يديـك من الألـــم
صـورا تراع لها الخطوب ، ولا يصـوِّرها قـــلم
فلترحمـى عـبرات صب ، منذ صدكِ لم ينم
انى أكاد أسىً تمـزقـنى تبـاريح النـــدم

●●●

قولى فديتـكُ « قد عفـوتُ » ، فإن عفـوك كل همى
وجميع ما ينداح في خلدى ، وما يحويه علمـــى



ولأنت عندي «لو علمتِ» الكونُ ، أنت أبي وأمـــي
ومن التي في يقظتي تحيـــا ، وفي أطياف حُلْمـــي

• • •

أنـــا بعد صدك عشت في بيداء ، مجدبـــةٍ رهيبـــهْ
امسي وأصبح في سعـــير من خيالات عجيبـــه
تجري حياتي وفـــق آهات وأنّـــاتٍ رتيبـــه
ومصيبتي يـــومٌ يمـــر ، ولا تداهمـــني مصيبـــه

• • •

هاتِي أقبِّل في يديك أناملاً صنعتْ كيَـــانِي
فـــأنا المَدِين لراحتيك ، بما أصُوغ من المعـــاني
وبما نشرت عـــلى الزمان ، من المثالث والمثـــاني
وبـــكل ما ألهمت أو أبدعـــت ، من صُوَر البيـــان

• • •

لا عشت يومـــا ، لا تعانقني بـــه نبضاتُ قلبـــكْ
أو ذقـــت خمرا ، لا تعطـــر كأسَه أنسام حبُّـــك
أو همت في دنيـــا خيال ، لا يمتعني بقربـــك
والله لـــو شقّتْ يمينـــك مهجتي ، ما قلت حَسْبُـــك ■■

مصباح العابودي
مفتش اللغة العربية بوزارة التربية ـ الاردن



العلاج الجماعي للامراض

● قرات في بعض المجلات ان العالمسائر الى الصحة للجميع ، واتضح لي بان هذا معناه انه ، على الاقل في الامم المتقدمة ، لن يمضي طويل من الزمن ، حتى يصبح كل سكان مدينة ما قـداعطوا الفرصة ليمروا باختبارات طبية مبدئية تكشف عن مبادىء للمرض لاتكون عند الفحص قد استفحلت ، ولكنها سوف تظهر مع الزمن . وبهذاالكشف الباكر يقضى علىأمراض الناس قبل ظهورها . فهل هذا صحيح .وهل هو من الآراء العملية التي تتجه اليها آراء الامم الراقية ، ام هو حلم مـن أحلام اليقظة ؟

★★★

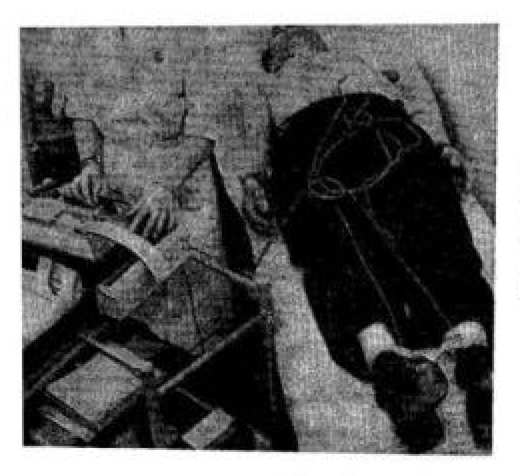
ـ لا . ليس هذا حلما من الأحـلام ؛ من حيث أن الناس تحدثت فيه، وتحدث حتى الأطباء . وحديث الاحلام نافع ، لأنه يحدث البهجة في النفس ، والبهجة باب الى الصحة . ولكن مـع الأسف الشديد وجد المتحدثون الجادون في هذا الأمر انه متعذر التنفيذ . متعذر اذا عنينا بالسكان كل السكان ، وبالأمراض كل الامراض . فهذا مشروع يحول دونه قلة الاطباء ، وقلة النفقة . انها نفقة تكون باهظة حقا . ثم ان الامراض ليس كلهـا الذى يطل بقرنيه قبل الظهـور بوقت كبير . ولا بد من اعادة الكشف كل حين وحين . وبين الكشف والكشف قد يظهر مرض لم يكن قد ظهرت نذره في الكشف الذى سبق .

عقبات ظاهرة، تزيدها وضوحا أرقام الحساب .

وبدل هذه الأحلام الواسعة الشاملة، اهتدى رجال الطب الى حلم أقـرب تحقيقا ، ذلك العلاج الشامل لمرض واحد بذاته بغية استئصاله .

مثال ذلك ، مرض السل . يختبر الناس جميعا (وجميعا هنا ممكنة) اختبارا عاجلا ، يكشف على الفور ان كان بالشخص مرض السل أم لا . وبهذا يعالج المرض . وعلى مر السنين ينقرض المرض انقراضا . وقد نجح رجال الطب في هذا الصنف من العلاج الجماعى نجاحا عظيما .

وهم مستطيعون أن يصنعوا مثل ذلك



جهاز تسجيل ضربات القلب على الورق : ينام المريض ، وتوصل بيديه ورجليه وجسمه الاسلاك المربطة بجهاز التسجيل هذا . وتقوم السيدة الظاهرة بالصورة على هذا الجهاز الخارجي لتشغيله . وهو من الاجهزة الشائعة الاستخدام اليوم ، وتنقل الى المنازل نماذج منه خفيفة الحمل عند الحاجة .

★★★

في امراض ، كفقر الدم، ومرض الشريان التاجي ، ومرض السكر ، والجلوكوما ، وغيرها . وذلك بابتداع اجهزة يمر بها السواد على عجل تكشف عن هذه الامراض كما كشفوا عن مرض السل . وليس على علماء الطب ورجال التكنية بصعب ان يبتدعوا هذه الأجهزة الفورية التي تكشف هذه الامراض ، وتفرز الناس ، فهذا مريض وهذا سليم .

واجهزة الأشعة السينية ضربت المثل الرائع اكبر الروعة في عزل الناس ، وتقسيمهم الى مرضى واصحاء .

▪ ▪ رجل يريد أن يلبس ما تلبس النساء ▪ ▪

● **احس انى في حاجة الى لبس ما يعرف عند النساء باسم «كرست» فهل من هذا ضرر على الرجل مثلى ؟**

ـ يخيل الينا أننا سبق ان أجبنا على هذا السؤال .

فان لم نكن فعلنا ، فذاك هو الجواب:

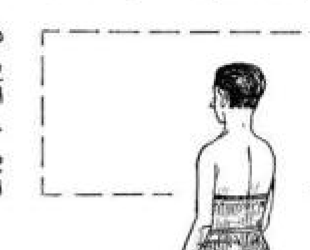
اولا : الكرست Corset هو لفظ افرنجي تستخدمه النساء للمشد الذى يشدونه على بطونهن ليضم ما أتسع وامتد من البطن من قدام ومن الردفين من خلف .

ونحسب أنك تريد ان تستخدمه لمثل هذا الغرض . والسبب ظاهر . لا بد أن شحمك كثير حول بطنك والظهر . وعلاج ذلك بالطبع هو الحد من الطعام ، لا تصغير المساحة التى يحتلها البدن بالشد والتضييق عليه .

وانت اذا لبست هذا المشد ، فاغلب الظن أنك سوف تجد لحمك قد فاض من فوقه ، وفاض من تحته . والتوزيع بالقسطاس الذى أردته لن يتم .

تنظيم الطعام أفضل .

اما ان كان سبب رغبتك هذه غير ما ذكرنا ، فعليك بالطبيب . فهناك احزمة يقال لها الاحزمة الطبية ، يحتاج الناس اليها لأسباب أخرى غير الظهور بالرشاقة حيث لا رشاقة . انه كثيرا ما يعالج بها الفتق ، وتعالج بها آلام في القسم الأوطأ من الظهر ، وغير ذلك .



▪ ▪ زوجي يعاف اللحم ▪ ▪

● اعتـــزم زوجي ان يتجنب اكل اللحم والسمك والدجاج ، وذلك بعد صحبة كانت له باحد الهنود . وهو يقول انها مسالة انسانية لا مسالة دينية . والمهم عندى بالطبع كيف اصنع انا في طعامه ، فكل هذه المواد التى اعتزم تجنبها هي مصدر للبروتين . والبروتين ضرورى لبناء الجسم فهل لبروتين هذه الاطعمة بديل ؟

ـ بالطبع يوجد ابدلة لا بديل واحد .

ولا شك انك سمعت عن النباتيين ، وانهم يتجنبون اكل اى شيء ، هو جزء من حيوان ذُبح ، ذلك لأن عندهم ان الحيوان له الحق ان يعيش وان يموت موتة طبيعية، كما يعيش الانسان ويموت.

ولا دخل لنا بهذا .

انما الذى اريد ان اقوله انه توجد كتب للطبخ للنباتيين كثيرة، وهى تتضمن الوانا لا تعدم أن تكون شهية ، حتى عند من تعوّد على اللحم .

ولست ادرى ان كان البيض مما يتجنبه زوجك أم لا .. فان لم يكن فالبيض مصدر للبروتين هائل . وكذا الجبن، وهو صنوف ذوات طعوم مختلفة . والبندق واللوز والجوز والمكسرات جميعها حظها من البروتين حظ غير صغير .

فاللوز المقشور به نحو ٢٠ في المائة ، والفول السوداني به نحو ٢٨ في المائة ، والجوز به نحو ١٢ر٥ في المائة وهلم جرا .

وكذا الخضروات الخضراء لا تعدم البروتين ، فالخس مثلا به نحو ١ في المائة من البروتين ، والقرع المسلوق به نحو ٥ر في المائة ، والبصل الاخضر به نحو ١ في المائة ، والفاصوليا الخضراء بها ٥ في المائة .

والبطاطس ، والمشهور عنه انه مصدر للنشا عظيم ، لا يخلو من بروتين ، فالبطاطس المسلوق به نحو ١ر٥ في المائة من البروتين .

والدنيا بخير يا سيدتى، وزوجك بخير، اكلَ اللحمَ او عافه . وصدقينى ، انه مع اللحم اصح واكثر عافية .



▪ ▪ ابنى لا يتركز فكره

● لى ولد في الثامنة عشرة ، وهو في السنة الأولى من كلية الطب . وهو مصاب بعدم القدرة على تركيز فكره على ما يقرأ . وفي العام الماضي سقط في امتحان في العلوم ، وقضى الاجازة في استذكار هذا العلم . ولكنه ظل يشكو انه لا يستطيع ان يركز فكره . وهذه الآفة لها بالطبع خطر كبير على مستقبله، فماذا ترى سبب هذا ، وباى شيء تنصح ؟

ـ اما السبب فاذكر دائما ان ابنك لا يزال في دور المراهقة، وان عدم استطاعته التركيز اكثر سببه ان فكره مشغول بشيء آخر . فهو لا يكاد يرسم في ذهنه المعانى التى تثيرها قراءته حتى تزاحمها

▪ ▪ ابنى يتبول فى الفراش ▪ ▪

● لى ابن يبلغ الآن ٣ سنوات وثلاثةاشهر ، وهو ما يزال يبل فراشه ، وهو نائم في الليل . وقد حاولت اناعطيه الكفاية من الشراب قبل النوم بمدة ، وحاولت تقليل ما يشرب ،ولكن ذلك كله ذهب بلا فائدة . واما في النهار فهو لا يبتل ابدا .. فبماذاتنصحون ؟

ننصح بالصبر . ان تبوله وهو نائم شيء لا شك مزعج ، وهو يسبب لك تعبا فوق ذلك ، ولكن كلما سكت عن هذا الموضوع ، كان السكوت أحسن والشفاء أسرع . وكلما أحس الطفل بأن كل واحد في البيت متيقظ لما يحدث ، كلما ابطأ في القدرة على الاقلاع عن هذه العادة . فاذا انت سكت ، وسكت من حولك ، فستجدين انه سيأتي اليوم الذى يصبح فيه الفراش جافا تماما . والصراخ والعقوبة لا تصنع شيئا في الاسراع بالحصول على هذه النتيجة المرتقبة .

ان من الأطفال من يحتاج الى وقت اطول لهذه الغاية ، والذكور يكونون عادة ابطأ في الوصول اليها . وسن الثالثة ليس من السن التى تبلغ فيها الأم حد الأرق لان ابنها يبتل في الليل وهو نائم .

اذا وصل ابنك الى الخامسة أو السادسة، أو فوق ذلك سنا ، وما يزال، فاعرضيه على الطبيب احتياطا .

على الدرس ▪ ▪

صور أخرى من غير صور الدرس فتزحمها . وفي المراهقة غالبا ما تكون هذه الامور المزاحمة ، امورا انفعالية عاطفية . وقد يتنبه لها المراهق . وقد تكون واقعة في النفس في اعماق ابعد من ان يستشفها صاحبها .

واذن فهي تحتاج الى الطبيب النفسانى المتخصص في شئون المراهقين . ولست ادرى ان كانت الجامعة التى بها ابنك ، بها الطبيب النفسانى المطلوب . اما في الجامعات الغربية ففيها دائما الاطباء النفسانيون المتخصصون في شئون المراهقة هذه ، وهم على استعداد دائما



للعلاج النفسانى استعداد اطباء الأجسام للعلاج البدنى .

فان لم يكن ، فليتصل ابنك بطبيب يكون قد عرفه منذ صباه، فهو اذن يكون اقدر على تفهمه في غيبة الطبيب النفسانى .

ولا تحاول أيها الأب أن تقوم بعملية الطبيب النفسانى ، فبين الأب والابن من الحواجز ما يضمن فشل هذه المحاولة .

●●



بقلم : منير نصيف

■ قال عنه النقاد : « لقد كان مصنعا للأدب، كان ورشة للانتاج الفكرى ! » .

وكان يبتسم في هدوء عندما يسألونه : « ماذا انتج لنا مصنعك اليوم ؟ » فيقول : « لم يكن الانتاج وفيرا ، لأنني لم أعمل سوى عشر ساعات فقط ، فقد كنت متعبا ! » .

كان يصحو من نومه في الساعة السابعة صباحا، فيتناول طعام افطاره ، ويأخذ حمامه اليومى ثم يرتدى ملابسه في تأنق زائد ، ولولا « الخف » الجلدى الناعم الذى يضع فيه قدميه ، لظننته ذاهبا الى حفل كبير . فقد كان يكره الاحذية لأنها تغلق عقله وتشل تفكيره !

وفي أقل من ساعة يكون قد أعد نفسه لدخول مصنع الفكر والادب . فاذا جاءت الساعة الثامنة وجدته جالسا الى مكتبه بين كتبه ومراجعه .. ويظل يكتب ويقرأ طول النهار !

مبعث وحيه والهامه

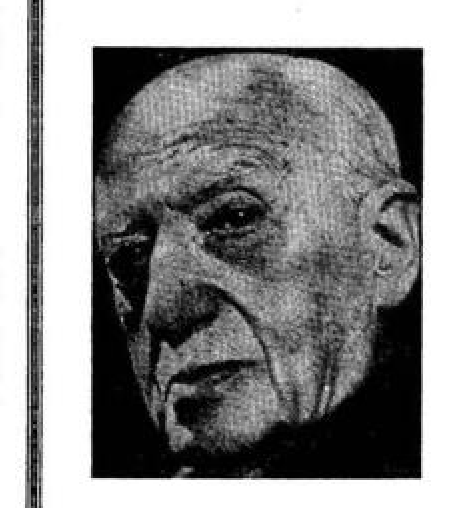
فقليلة تلك اللحظات التى كان يقضيها اندريه موروا Andre Maurois ، الكاتب الفرنسي الشهير الذى فقده الأدب أخيرا ، بعيدا عن مكتبته ، فهو لم يكن يغادرها الا لتناول طعام الغداء او العشاء، مع زوجته سيمون Simone ، التى كانت مبعث وحيه والهامه . وكان يقول دائما : « انا كاتب ، ولا يمكن أن يكون لى عمل آخر غير الكتابة » .

ولقد كتب موروا في حياة الناس ،اكثر من اى كاتب آخر .. كتب عشرات المؤلفات والمقالات والمذكرات والأعمال الادبية والتاريخية والقصص الغرامية لمشاهير الرجال والنساء .

وكان ينظر الى كتابة سير الناس على انها فن. ولكنه اضاف الى هذا الفن من عنده عقلا مبتدعا وبصيرة نافذة الى جانب هواية نفسه بحسبانه رجلا بدأ حياته الأدبية كمؤلف قصصي .

حلوى وفاكهة

وكان يقول : « ان كاتب تاريخ حياة الناس اشبه ما يكون بصانع يقدم للناس طبقا من الخشب لا شكل له .. فلا هو مسطح ، ولا هو عميق ، ولكنه مصنوع من عدد كبير من القطع الخشبية التى التصقت بعضها ببعض وامتدت في كل اتجاه



في مجموعات منعزلة لا تؤدي الى شيء .. وتبحث بعد هذا عما يحمله لك هذا الطبق الغريب .. وقد تجد فيه بعض أصناف الغذاء او الحلوى او الفاكهة ، وقد لا تجد فيه شيئا على الاطلاق .. ولو أن هناك حالات نادرة يجد فيها الكاتب نفسه باحثا منقبا متعمقا في أغوار التاريخ .. تاريخ رجل بنت حياته نفسها بنفسها .. حينئذ فقط يستطيع مثل هذا الكاتب أن يقدم لقرائه أطباقا لها أبعادها وأشكالها الجميلة المعبرة ... وهي دائما مليئة بشتى أنواع الأطعمة ! » .

حياتي .. وحياة الناس

سألوه يوما .. « لماذا اخترت حياة الناس موضوعا لكتاباتك ؟ » فقال : « ان حاجة الكاتب للتعبير عن نفسه في الكتابة ، تنبع من شعوره بعدم الاستقرار في الحياة ، أو من صراع يعتمل داخل نفسه .. وهو شعور يعجز الانسان ــ رجلا كان أم امرأة ، كهلا أم شابا مراهقا ــ عن أن يخلص نفسه منه !

« ومن هنا كنت أختار الناس الذين تصور حياتهم جانبا من مشاكلي . وقد كتبت حياة الشاعر شيللي Shelly لأن فيها ما كان يعبر عن حياتي انا . فقد كان شيللي ينتمي الى أسرة كبيرة معروفة .. ولكنه كان يريد أن يهرب منها ، لأن أحدا فيها لم يكن يقدر مواهبه . .وهكذا كانت حياتي انا .. كانت مشكلة شيللي هي أيضا مشكلتي » .

متى أحب الكتابة ؟

كان موروا يحب الكتابة منذ صباه ، ولكنه لم يكن واثقا من نفسه ، ومن قدرته على ممارسة هذا الفن . أما أبوه ارنست Ernest ، فقد كان يريد أن يعلمه لكي يلحقه بوظيفة كبيرة في مصنع النسيج الذي يملكه والذي قرر نقله الى نورماندي في عام ١٨٧١ ، عندما نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا .

نبوغ وذكاء

ولد أندريه موروا في مدينة البيف Elbeuf بالقرب من مدينة روان Rouen ، في يوم ٢٦ يوليو عام ١٨٨٥ . وكان اسمه اميل هرزوج Emile Herzog ، وفي مدرسة البيف الثانوية ، وفي الليسيه كورني Lycee Corneille تلقى اميل تعليمه الثانوي ، وكان طالبا ذكيا ، استطاع ان يحصل على عدة جوائز تقديرا لذكائه ونبوغه.

ثم التحق بجامعة كاين Caen ، حيث درس الفلسفة على يد أستاذها اميل كارتييه Emile Chartier . وما كاد يكمل دراسته الجامعية ، حتى جاء الى أستاذه كارتييه يقول : « أريد أن أمارس هوايتي يا سيدي . أريد أن أكتب ، ولكن أبي مصمم على الحاقي بمصنعه . أرجوك أن تساعدني . قل لي ماذا أصنع ؟ » .

وقال البروفسور كارتييه بلا تردد . «اذن ادخل مصنع النسيج الذي يملكه والدك » .

وذهل موروا .. وقال متسائلا في دهشة : « أدخل المصنع ؟! » .

ــ نعم ، فأنت اذا كنت تريد أن تكتب وتنجح في هذه المهنة التي اخترتها لنفسك ، فلا بد لك من ان تعتمد على نفسك ، وعملك في المصنع يا بني سوف يشعرك بالمسئولية ، ويعلمك الاعتماد على النفس ! »

مثله الأعلى

كتب أندريه موروا يوما يقول : « لقد كان

سيو كارتييه من الناس القلائل الذين استطاعوا ان يؤثروا في حياتي . فقد كنت أحترمه واجله . لا كاستاذ فحسب ، بل وككاتب من أعظم الكتاب الذين انجبتهم فرنسا . ولقد تأثرت بعد هذا باناتول فرانس Anatole France ، وكيبلنج Kipling ، ولو انني تأثرت باعمالهم ومؤلفاتهم دون شخصياتهم .. اما كارتييه ، فقد كان مثلي الاعلى في كل شيء .. حتى في حديثه واسلوب حياته وطريقة معيشته » .

يعشق البحث والتنقيب

كان موروا يقضي كل ساعات نهاره وسط كتبه التي امتلات بها مكتبته الكبيرة في بيته بشارع موريس باريه Boulevard Maurice Barres المطل على غابة بولونيا Bois de Boulogne ، وامام مكتب كبير كان يجلس ويكتب فينسي نفسه مع كتبه .

كان عمله يستوعب كل تفكيره ، فكان يعيش مع الكتاب الذي يقرؤه ، أو المقال الذي انهمك في كتابته .. وكان يعشق البحث والتنقيب عن الحقائق ، ويتعمق في الأحداث لكي يصل الى جذورها .. وكانت زوجته تعاونه في أبحاثه ودراساته أحيانا ، ولكنه كان يعتمد على نفسه في معظم الأحيان . كان يكتب بقلم حبر على ورق أبيض من الحجم الكبير .. وكان يعود الى كتاباته من حين لآخر ، ليتأكد من أنه قد وضع الكلمة المناسبة في مكانها المناسب . . وكانت الكلمات تنساب على الورق في سهولة ويسر ، من قلمه الفياض،فقد كان يتمتع باسلوب في الكتابة رائع ..

يكره السياسة

وكتب في كل شيء .. كتب في كل موضوع .. في التاريخ والفلسفة والأدب .. كما كتب القصص القصيرة التي قال هو عنها : « لقد كان بعضها احسن ما انتجت في حياتي الأدبية . فقد كانت تمثل الحياة العاطفية والغرامية في العالم البرجوازي » .

وكتب موروا عن حياة عدد كبير من الشعراء والكتاب والمشاهير من الناس من امثال بايرون Byron والمارشال لويس هوبر ليوتي Marshal Louis Hurbert Lyautey والملك ادوارد الثامن وتشارلز دكنز Charles Dickens وفرانسوا دي شاتوبريان Francois de Chateaubriand الشاعر والسياسي ،ومعبود نساء باريس .. ولكنه لم يكتب أبدا في السياسة .. فقد كان يكره الساسة وسياساتهم ..

رفاق حياته

وانهالت الأوسمة والنياشين على اندريه موروا في الثلاثينيات .. فاصبح فارسا من فرسان الامبراطورية البريطانية ، وحمل لقب « سير » ومنح وسام جوقة الشرف Legion D'honeur الى ان اصبح عضوا في الاكاديمية الفرنسية في عام ١٩٣٨ .

وكان يقول : « انني اتمتع بكل دقيقة اقضيها في الاكاديمية .. ففي هذا المكان أستطيع أن التقي باصدقائي مرة كل اسبوع .. فامضي معهم اجمل لحظات عمري ، فهم رفاق حياتي » .

وفي مقدمة هؤلاء الذين عناهم موروا ، فرانسوا مورياك Francois Mauriac وجول رومان Jules Romains .

سقوط فرنسا

وقد اشترك موروا في الحرب العالمية الثانية وعمل في الجيش الفرنسي برتبة كابتن . حتى اذا ما انهارت فرنسا امام جيوش النازي ، حمل الاديب الكاتب حقائبه وقصد مع زوجته الى أمريكا ليعيش في منفاه المؤقت .

قال سومرست موم، القصاص الانجليز الشهير، يصف تلك اللحظة التي وقف يودع فيها موروا ، وهو يستقل الباخرة من ميناء الهافر Le Havre في رحلته الطويلة بالبحر تحت حراسة المدمرات البريطانية الى امريكا ، قال : « لقد كان وجهه يحمل صورة الكارثة التي حلت ببلاده .. وفي عينيه شاهدت هزيمة فرنسا » .

عودته الى بلاده

وانتقل موروا الى شمال افريقيا في عام ١٩٤٣، ثم ما لبث ان عاد الى بلاده وبيته ومزرعته في ضواحي باريس بعد تحرير فرنسا وهزيمة المانيا .. عاد ليضع سلسلة من الكتب الجديدة عن الناس الذين صنعوا تاريخ الحرب العالمية الثانية .. كتب عن ايزنهاور محرر فرنسا .. ثم عن فرانكلين روزفلت في كتابه : « حياة رجل متفائل». ثم وضع كتابا ثالثا بعنوان : « واشنطون وحياة رجل وطني » .

وفي الستينيات ، اختتم موروا حياته الأدبية بالكتابة عن بروست Proust وجورج ساند George Sand وفيكتور هوجو Victor Hugo والكسندر ديما Alexander Dumas وبلزاك Balzac وكثيرين غيرهم .

وقبل هذا كله كتب أندريه موروا عن الحب .. ولكنه وصل الى القمة عندما جلس يكتب قصة حبه الاول ايام كان شابا في السابعة عشر من عمره .

حبه الاول

قال يصف حبه : « لقد خفق قلبي بالحب لاول مرة عندما رايتها .. كانت اجمل امراة في العالم . وكنت انا وقتها طالبا بالجامعة .. كانت تقف في ركن الشارع وترقب الناس بعينين ساحرتين وهم يمرون امامها .. » .

« وكنت اراها كل يوم في طريق عودتي الى البيت من الجامعة .. فاذا تاخرت وقفت انتظرها لمجرد أن القى نظرة قصيرة على وجهها الجميل . ثم لا البث ان اسال نفسي : « ترى من تكون ؟ » ومن اين جاءت ، وماذا تفعل في هذا الوقت ، في هذا المكان كل يوم ؟

« ومرت الأيام ، الى أن دعاني والدي يوما لزيارة اسرة صديقة وتناول طعام العشاء في بيتها .. وكانت المفاجاة التى خفق لها قلبي ، حتى احسست وكانه يريد أن يخرج من صدري .. لم تكن المراة التى سحرتني بجمالها سوى زوجة صديق والدي ! »

« وانتابني شعور هو مزيج من الحزن والسعادة .. من الألم والفرح ، وانا امد يدي لأصافح اناملها الرقيقة ..

« واحسست على الفور ، انها هي ايضا قد عرفتني .. كان واضحا ان هناك فارقا كبيرا في السن بينها وبين زوجها الكهل .. ولو انها كانت تكبرني بسبع سنوات على الاقل » .

فراق .. ولقاء

« وافترقنا .. ومرت السنوات ، ونشبت الحرب العالمية الأولى .. وعاش كل منا حياته .. لم التقيت بها مرة اخرى .. وكنت يومها قد جاوزت الخمسين .. وكان لى زوجة وابناء ، وكانت هي قد قاربت عامها الستين .. وكنت قد دعيت لالقاء محاضرة في بلدتي « البيف » .. وما كدت انتهى من محاضرتي حتى رايتها قادمة نحوي ، وعرفتها على الفور .. انها هى هى المراة التى خفق قلبي بحبها لاول مرة ... كانت لا تزال جميلة رغم الشيب الذى وخط شعر راسها .. وما تزال تحتفظ بابتسامتها الساحرة وصوتها العذب الحنون .. وكانت جدة وأرملة .. فقد مات زوجها الكهل الريفي ! » .

قلت لها : « هل تعلمين أنني كنت مجنونا بحبك في يوم من الأيام ؟ » ورويت لها القصة كاملة » .

قالت : « قصة جميلة ليتك رويتها لى من قبل ! » .

قلت : « لم اجد الشجاعة .. ولم اجد الفرصة .. ولكنني كنت على استعداد لأن أضحى بحياتي من اجل قبلة ! » .

قالت : « تستطيع أن تفوز بما أردت .. وتحتفظ بحياتك » .

وطبع اندريه موروا قبلة حارة على جبين المراة العجوز التى احبها أكثر من ثلاثين عاما .. وكتب يقول في مذكراته : « لو انني لم أتزوج .. لما ترددت لحظة في أن أطلب اليها أن تشاركني حياتي » .

تزوج مرتين

وقد تزوج موروا مرتين .. المرة الاولى في عام ١٩١٢ ، وكانت زوجته هي جين ماري واندا Jeanne marie wanda وانجب منها ثلاثة اطفال ، ميشيل وجيرالد واوليفييه .. ثم ماتت زوجته وام اطفاله بعد حياة لم تدم اكثر من ١٣ سنة . و في عام ١٩٢٦ تزوج للمرة الثانية من سيمون دى كايافيت Simone De Caillavet وانجب منها طفلة ماتت في عامها الرابع .

وعاش موروا مع زوجته الثانية سيمون ، التى شهدت زوجها ، وهو يرتقى سلم المجد درجة من بعد درجة .. الى ان وافته منيته في شهر اكتوبر الماضي عن ٨٢ عاما .. مات اندرية موروا تاركا وراءه تراثا من الادب لن يموت .. وعالما كبيرا مليئا بالناس الذين احبوه .. فلم يكن له اعداء .. وهو شيء يندر حدوثه في دنيا الفكر والأدب .. مات الاديب الفرنسي الذى ترك مصنع والده للنسيج ليفتتح مصنعا خاصا به للانتاج الفكرى ■■

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

النمل الابيض

● هكذا يسمونه ، وما هو بنمل . ان له صلة بالنمل . ولكنها صلة بعيدة .

ان اسمه العلمى الترميت Termites .

وهو من الحشرات التى تعيش فى مجتمع من صنعها ، كالنمل والنحل . وموطنه المناطق الاستوائية ، فالدون الاستوائية . ومنه انواع توجد في الجنوب من اوروبا .

والنمل الابيض يعيش على مادة الخشب ، وهي من السليولوز . والقطن سليولوز يكاد يكون خالصا . وهو يهضمه بواسطة حيوانات اولية Protozoa توجد في امعائه . ومن اجل ذلك عرف النمل الابيض بتخريب المنازل والشجر ، وكل ما نما او صنع من خشب .

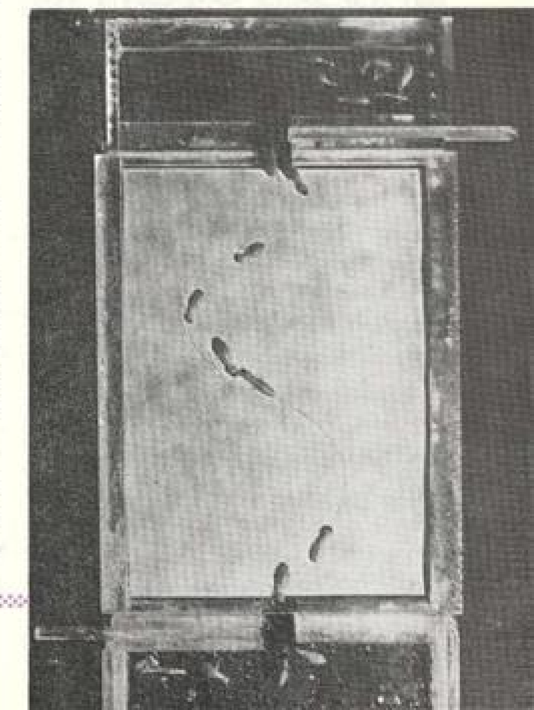
والذى نريد ان نؤكده في هذه الكلمة ان له حاسة شم لها خطرها في حياته . والظاهر انه يفرز مادة كيماوية لها رائحة . وبهذه الرائحة ، وبحاسة الشم التى عند أفراد هذا النمل ، يهتدى بعضه الى بعض وهو في الظلمة من مساكنه . وبها يتعرف الفرد منها على اخيه الذى هو ابن مجتمعه ، وعلى الغريب المقتحم منزلا ليس له .

وبهذه الحاسة يتعرف النمل على ما يحب من الغذاء ، وعلى ما يكره ، وذلك وهو على بعد بعض سنتيمترات منه .

ولهذا النمل حاسة المذاق ، يتذوق بها ما ياكل .

وفي الصورة المرفقة بعض هذا النمل يسير مستهديا في خط رسمه راسمه بسن قلم يحمل رائحة خاصة من تلك التى يهتدى بها النمل . ولذلك تراه يسير بعضه خلف بعض ، وخط الرائحة هاديه .

ويسرنا ان نقول ان الذى قام ببحث هذه الامور مما ذكرنا ، ومما لم نذكر ، هو الدكتور فيصل تاج الدين ابو شمعة بجامعة الخرطوم .



كهرباء من رياح فى السماء

● اولا نصحح العنوان . فهي ليست رياح في السماء ، وانما هي رياح في منطقة من الهواء الجوى تعرف باسم Troposphere لو ترجمناها الى العربية لكانت منطقة التغير ، وهى تبدأ من سطح الأرض الى علو نحو ١١ كيلومترا ، تزيد وتقل تبعا لوضع المنطقة من سطح الارض ، والتغير هنا هو تغير في درجة الحرارة وما يتبعه من حدوث الرياح .

وفوق هذه المنطقة توجد المنطقة التى تعرف باسم Stratosphere ، ولو ترجمناها بالعربية لكانت منطقة « السكون » ، وذلك لأنه في هذه المنطقة لا يكاد يحدث تغير في درجة الحرارة ، ولا حركة في الهواء .

ونورد الخبر ، فنقول : انه في اعلى منطقة التغير تشتد الرياح ، وحركة الريح قوة يمكن الاستفادة منها .

وقد بدأ الروس يستفيدون منها ؛ فهم الآن في سبيل بناء نموذج لمحطة لتوليد الكهرباء ، عبارة عن بالون له غشاء صلب ، يحملها الى اعالى المنطقة المتغيرة من الجو الارضي ، الى ما بين ٨ الى ١٠ كيلومترات ، حيث تبلغ سرعة الريح من ٧٠ الى ١٠٠ ميل في الثانية . والمفروض ان يكون بهذه المحطة جهاز كطاحونة الهواء ، تديره الريح ، وهذا المحور يدير ما تلزم ادارته لانتاج الكهرباء .

ويربط البالون والمحطة الى الارض كبْل سميك ، ومع الكبْل اسلاك تحمل الكهرباء الى اهل الارض .

والمرجو ان تكون قوة المحطة ١٥٠٠ كيلو ووط تنتج في العام اكثر من ١٠٠ مليون كيلو وط ساعة من الكهرباء .

واذا زودت المحطة بالردى والتلفاز امكن اعادة بث التلفزة منها الى ابعاد من الارض تبلغ ٨٠٠ كيلومتر .



هكذا تخيلوا الارض في نشأتها الاولى حمما وبراكين ، ثم هدأت وبردت

عمر الأرض

● انه تقدير جديد .

قام به الدكتور الريش Ulrych بجامعة كولمبيا البريطانية بمدينة فنكوفر Vancouver بكندا . وهو اجرى تقديره بناء على دراسته لصخور جمعها من المحيطين الاطلسي والهادى ومن تكساس .

وقد كانت التقديرات السابقة لعمر الارض قد بلغت ٤٧٥٠ مليون عام . اما التقدير الجديد للدكتور الريش فهو ٤٥٣٠ مليون عام ، يضاف اليها أو يطرح منها ٤٠ مليون عام هى مقدار ما يحتمل عنده من خطأ .

وهذا التقدير الجديد يستند على المقادير النسبية الموجودة في الصخر من اشكال كيماوية للرصاص ثلاثة ، وعلى نظيرين لليورنيوم ، أحدهما مشع . وجميعها وجدت في الصخر المعروف بالبازلت .

وعند الدكتور الريش ان تقدير العمر لا يعتمد على عمر الصخر المستخدم في التجارب ، ولكن على مقادير الرصاص واليورنيوم التى يحتويها .

السيكلامات أو المحلى الجديد للاطعمة
هل منه خطر على الصحة ؟

● ان المركبين الكيماويين، المستخدمين بدل السكر فى تحلية الاطعمة هما السكارين Saccharin (او ملح صديومه)، وهو الأقدم، والسيكلامات، أو بالذات سيكلامات الصديوم وهو الأحدث. وكلاهما يخلقه الكيماويون من البنزين في المختبرات.

وكلاهما ليس بغذاء قط، ولا يفيد أيهما الجسم في شيء، انما هو يجيز مرور الأشياء في الفم، معطيا اياها مذاقا حلوا.

والأول يعطيها مع المذاق الحلو شيئا من المرارة.

والثانى حلاوته أقرب الى السكر.

وبناء على هذا نجد اكثر المحليات التى تبيعها الصيدليات الآن في السوق.

اما من سيكلامات فقط، او منها ومعها سكارين، والسبب في ذلك ان المادة الأولى حلاوتها تزيد على حلاوة السكر ٣٠ مرة فقط، اما الثانية فنحو ٤٠٠ مرة

وصانعو هذه المحليات يعطونها أسماء تذكر سامعها باسم السكر منطوقا باللغة العربية، وهو قريب من الاسم الانجليزى Sugar والاسم الفرنسي Sucre أو اسم فيه معنى التحلية وهو بالانجليزية وهى لغة امريكا ايضا، لفظ Sweet

وقد بلغ من رواج السيكلامات في الولايات المتحدة، عند المصابين بداء السكر، او عند غير المصابين ممن يتجنبون تعاطى السكر خشية السمنة، بلغ من رواجها، أن الاستهلاك القومى بها بلغ عام ١٩٦٦ ما يقرب من ٥٠٠٠ طن.

اما في انجلترا فالمفروض انهم اباحوا استخدام السيكلامات في تحلية الاغذية المصنوعة من اول ديسمبر هذا الماضي، اى عام ١٩٦٧.

والخبر الذى نرويه عن السيكلامات، ان البحاث في مختبراتهم بدأوا يتشككون في اثرها في صحة الانسان، فبعض خال أنها توقف النمو في الفئران، أو هى تذهب باخصابها التناسلي. وبعض خال أنها تحدث اسهالا حاداً في الأطفال الأمريكان، وبعض خال أنها تصيب الناس بنوع من الحساسية في اليابان.

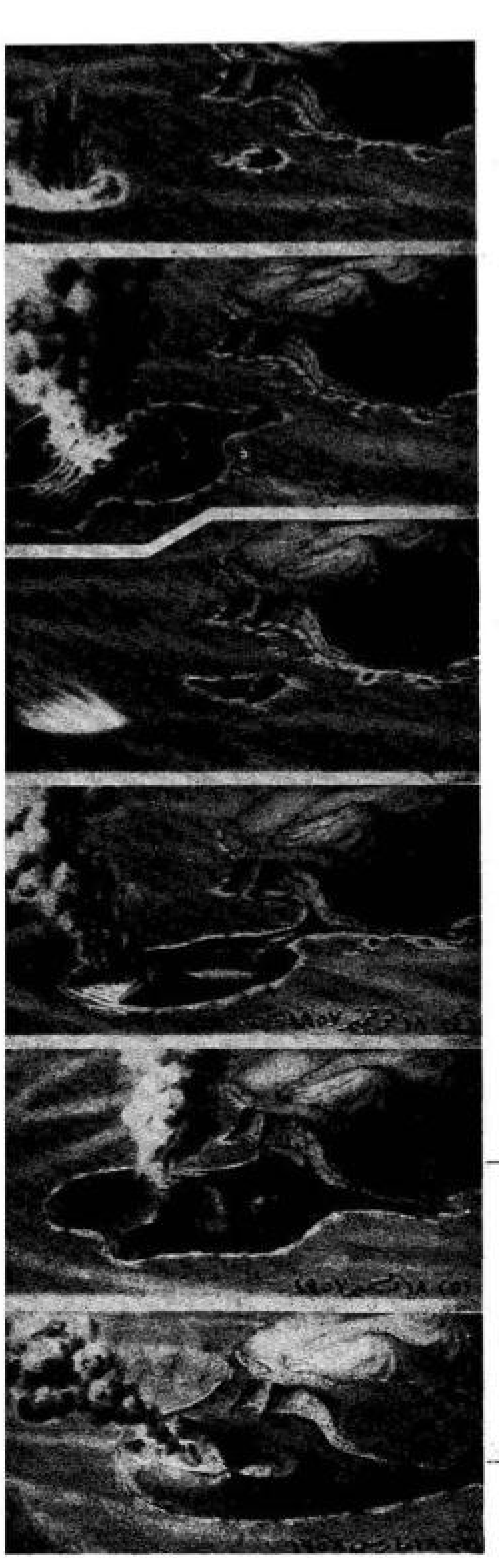
انذارات لم تتحقق بعد، وهى دائما تصحب كل جديد. ولكن المتفق عليه احتياطا أن لا يزيد ما يأخذه الفرد منها في اليوم عن ٣ جرامات. وهذا فيه الكفاية كل الكفاية. ولكن الخطر، ان كان خطر، فهو في الأطفال الذين تعودوا ان يشربوا من الأشربة المحلاة بالسيكلامات ٤ أو ٥ زجاجات في اليوم الى جانب ما يتعاطونه من البسكوت والحلوى، وهى محلاة بها ايضا.

احياء
تحيا وتنتعش
قرب درجة غليان الماء

● انها صنوف من البكتير، تحب الحرارة، وتعيش فى الماء الساخن، وتتكاثر فيه قرب درجة غليان الماء.

ويقول الدكتور توماس بروك Thomas Brock ان اعلى درجة تمكن فيها الحياة لم تتحدد بعد، ولا يوجد سبب يمنع من احتمال عيش البكتير في اى درجة من الحرارة حيثما وجد الماء. وبالضغط يمكن ابقاء الماء على سيولته الى درجة ٧٠٥ فهرنهيتية.

وغير البكتير وجد الدكتور امثلة اخرى من الطحالب، وهي من ذات الخلية الواحدة، تعيش وتنتعش فى درجات من الحرارة عالية.



جــزائر
تصنعها الطبيعة

● انه بركان فى جزائر تنجا Tonga Islands ، فى شرق جـزيرة فيجـي Fiji Island فى الجنوب الغربي مـن المحيط الهادى .

وهو بركان لا يظهر فوق الماء. فوهته تسترها عشرة اقدام من الماء . وقاعدته فى قاع المحيط ، على عمق ٣٣٠٠ قدم .

ونشط البركان ، وقــذف بحممه ، وكانت النتيجة ظهور راسه فوق الماء ، جزيرةً صغيرة طولها نصف ميل،وارتفاع ارضها عن البحر ١٥٠ قدما .

وثورة اخرى للبركان قد تكون ، فقد تزيد فى مساحة الجزيرة ، وقد تنقصها .

انها ظاهرة ليست بالنادرة ، ولكنها تحدث فى اماكن من البحار بعيـدة . حدثت في قارة انتاركتكا، وفي ايسلندة.

واكبر بركان بحرى هو اليوم بركان هاواى Hawaii ، وهو يرتفع من قـاع من البحر عمقه ٢٩٠٠٠ قدم . اتذكر ما ارتفاع جبل افريست بجبال الهملايا بالهند ؟ انه له مثل هذا الارتفاع ، وهو اكبر جبال الارض ارتفاعا . اذن لو اننا رفعنا جبل افرست من الهند ،ووضعناه جنب بركان هـاواى ، لظهـر الاثنان كالتوامين ارتفاعا .

هذه الصور توضح كيـف تكونت الجزيرة البرتغالية الجديدة المسماة الهاتوفا ومعناها الجزيرة الجديدة وذلك فى جزر الازورس AZORES بالمحيط الاطلنطي من جراء قوى ارضية باطنية شقت الارض ارتفعت فصنعت هذه الجزيرة واخذت تزيـد فى مساحتها ثم تزيد حتى وصلتها بالجزيرة المجاورة فصارت جزءا منها .

الانسان كان في الدنيا الجديدة قبل كولمبس بعشرات الالوف من الاعوام ...

● تجرى بحوث كشفية في المكسيك تدل على ان الانسان كان هناك منذ آلاف من السنين .

ففى موقع لايبعد اكثر من سبعةاميال عن عاصمة المكسيك ، قامت بعثة كشفية تمثل ٣ جامعات امريكية ، منها جامعة المكسيك وجامعة هرفرد ، قامت بالحفر الذى كشف عن ادوات استخدمها الانسان القديم ومعها كثير من بقايا اجسام لحيوانات منقرضة .

ووجدوها وقد غطاها رماد من بركان عتيق . وبلغ سمك الرماد نحوا من ٣٠ مترا .

وقد استخدم العلماء طريقة تحديد عمر المخلفات الجيولوجية ، بواسطة تقدير الكربون المشع رقم ١٤ الموجود في تلك البقايا (وصفنا هذه الطريقة في تحديد الاعمار في اعداد من «العربى» سابقة) . وطبقوها على بقايا شجرة مغمورة في هذا الرماد فانكشف عمرها عن ٤٠٠٠٠ عام . وطبقوها على الرماد نفسه ، فانكشف عمره عن ١٩٦٠٠ عام .

واليوم يعاد اجراء تقدير هذين العمرين مرة اخرى ، وذلك في جامعة ولاية وشنجطن .

سيارات بلا بنزين تدار بالكهرباء

● هذا هو الاتجاه الذى استجد ، وفيه تجرى البحوث اليوم .

ان العربات التى تسير بالكهرباء ، بلا بنزين ، موجودة اليوم فعلا ، على احجام صغيرة ، ولا غراض محددة .

ولكن في العلم التكنى اليوم مقدار من المعلومات يجعل ظهور السيارة الكهربائية شيئا ممكنا في الاسواق .

انها تسير بالبطاريات التى تشحن بالكهرباء .

ومعنى هذا انه من المتعذر على هذه السيارات ان يبلغ مدى سيرها ١٥٠ ميلا مثلا . لا بد من ابتداع نظام جديد غير الذى ظهر الى اليوم ، وقد يستغرق ذلك عشرة اعوام او اكثر من هذا .

على ان الخبراء يقولون انه ، في البلاد المتقدمة ، سوف تحتفظ الاسرة بسيارتها ذات البنزين ، للمسافات الطويلة ، وتشترى سيارة ثانية من ذات الكهرباء للمسافات القصيرة ، وانه يرجح ان تحتل هذه السيارة الكهربائية في الاسواق محل ثلث السيارات البنزينية التى تباع .

ومن فوائد السيارات الكهربائية انها لا تعكر الجو كما تعكر السيارة البنزينية . فالبنزين عندما يحترق في المحرك يخرج غازات لم يكتمل احتراقها فتضر برئة الانسان . ●●





■ « الحياة جانبان .. فرح وحزن .. راحةوالم .. وما اكثر ما يكتب عن افراح الناس .. وما اقل ما يكتب عن آلامهم .. وفي هذا المقال بعض كلمات السلوى والعزاء لهؤلاء الذين احبوا وفقدوا احباءهم » .

★★★

انتهت مراسيم الجنازة .. وانقضت الايام الحزينة التى اعقبت وفاة شخص عزيز فى الأسرة .. وهدأ رنين جرس التليفون . وتوقفت زيارات الاصدقاء والمعزين .

وفجأة وجدنا انفسنا نعيش وحدنا فى البيت الذى فارقه عزيزنا الراحل ، ولن يعود اليه أبدا .. نعيش ونحن نستعيد ذكريات الأب أو الأم .. أو الزوج .. أو الزوجة ، أو الابن الذى فقدناه .

كل شيء حولنا يذكرنا به .. كل شيء نفعله يعيد الينا صورته .. حياتنا اليوم لا روح فيها .. المستقبل امامنا اشبه ما يكون بنفق طويل مظلم لا يرى النور ولا تشرق عليه الشمس ابدا .. ويتملكنا شعور بالحزن قاتل .. ماذا نفعل ؟ هل هناك شيء يستطيعه البشر لكي يعيد هذا المخلوق العزيز الذى فقدناه الى الحياة من جديد ؟

ارادة الله

لقد حقق الانسان المعجزات .. ولكنه وقف امام الموت عاجزا ، متقبلا ارادة الله فى خشوع !

من هنا اذن ، كان لا بد لنا الا أن نستسلم لأحزاننا .. ولكن لا شك أنه امر صعب ان نطلب الى ارملة فقدت زوجها أو ام ثكلى فقدت ابنها ، ان تحاول التخلص من احزانها ، ونتوقع منها ان تفعل ذلك فى سهولة ويسر .

ولكن يجب ان ندرك ان الموت يعنى نهاية حياة انسان واحد .. لا نهاية العالم كله .. يجب ان نفهم انه لا بد لنا ان نعيش من بعده ، وان نستمر فى الحياة .

ولكي نعيش فلا بد ان نتخلص من احزاننا بعد فترة من الوقت طالت أم قصرت .. فالحياة فى الم وحسرة ، هى حياة ادرنا فيها ظهورنا الى المستقبل ..

كيف نتخلص من احزاننا

ماذا نفعل اذن لكي نستطيع أن نتغلب على احزاننا ؟

يجب ان ندرك اولا وقبل كل شيء ان قانون الحياة والسعادة هو النمو والارتقاء .. والحزن

ماذا نفعل لكي نتغلب على أحزاننا ؟

يقف عائقا فى سبيل تحقيق النمو .. فاذا رفضنا الخروج من تجاربنا المريرة ، فكاننا بذلك قد ركدنا فى مستنقع او تركنا انفسنا لنذبل ونجف ثم نموت ..

لا بد لنا ان نكيف حياتنا لنواجه المستقبل .. ان نعود انفسنا على الحياة بلا خوف .. ان نؤمن بان الدنيا مليئة بالجمال .. ومن الغباء ان نعيش جانبها القبيح المعتم .. ونغمض اعيننا عن كل صورة جميلة تحيط بنا فى شروق الشمس وغروبها .. فى مسائها وصباحها ، فى سمائها وارضها ووديانها .. فى كل ما اعطته الطبيعة لنا وقدمته الينا فى سخاء .

الهرب من الحزن

وكثيرا ما نجد ان هناك رغبة تتملكنا لمقاومة الهرب من الحزن ، ولكن حتى فى لحظات الياس هذه ، يتحتم علينا ان نخطو ثلاث خطوات الى الامام .

الخطوة الاولى ، ان نحاول فهم مشاعرنا فهما دقيقا ، وان نضعها بعد ذلك فى مكانها المناسب .. فمن بين الأسباب الاساسية التى دفعتنا الى الشعور بالليالى الطويلة المظلمة عقب وفاة فقيدنا العزيز ، الانفعالات التى احتوتنا حزنا والما على رحيله .

وكثيرا ما نشعر فى هذه المرحلة المبكرة من المصيبة التى حلت بنا ، بالغضب من الحياة التى قست علينا فانزلت بنا هذه الضربة .. والغضب من الله عز وجل ، حتى لا نكاد نشعر بوجوده .. ومن ثم يستبد بنا الشعور بالمرارة، فتنطق شفاهنا بكلمات قاسية نوزعها بلا حساب على كل من نلتقى به !

الحزن والغضب

فاذا حرمنا الموت من شخص كانت حياته ، وكان وجوده بيننا ضروريا ولازما .. أحسسنا بقسوة الصدمة واثرها .. وشعرنا بأن كل شيء فى داخلنا فى ثورة على كل شيء حولنا ، حتى على تقبل الحقيقة المؤلمة الماثلة امامنا .. ولكن اذا ادركنا ان الغضب هو شعور ملازم للحزن ، واذا فهمنا ان هذا الغضب لم يحدث نتيجة لعمل اقدم عليه انسان مثلنا ، وانما هو نابع من داخل انفسنا .. لو ادركنا كل هذه الحقائق ، لاستطعنا ان نسيطر على مشاعرنا بعض الشيء ، وان نمسك السنتنا عن اطلاق العبارات القاسية التى نوجهها الى الناس ، لا لسبب سوى انهم لم ينكبوا بمثل نكبتنا .

الشعور بالندم

وثمة شعور آخر يتملكنا فى هذه الفترة ، وهو الشعور بالندم الذى يصل احيانا الى درجة القسوة على النفس فيجد الواحد منا نفسه يفكر فى كل عمل .. صغيرا كان او كبيرا .. اقدم عليه فى يوم من الايام واساء به الى الفقيد الراحل ، او كدّره ، حتى ليشعر المرء منا بالذنب ، وقد يتضخم هذا الشعور ، حتى يدفعنا الى الاحساس باننا تسببنا فى وفاة فقيدنا بطريق مباشر ام غير مباشر . فنعاقب انفسنا ونقسو عليها ونعذبها .فنحن نميل دائما الى نسيان كل اخطاء الفقيد وكل نقاط ضعفه ، ولا نذكر له الا كل خير وكل عمل طيب .

التقاليد والمجتمع

ثم هناك ايضا شعور آخر غريب ، قد ينتابنا فى بعض الاحيان ، وهو شعور يتصل اتصالا مباشرا بمظهرنا امام المجتمع. ترى كيف ينظر الينا الناس؟ فالشخص الحزين على فقد عزيز لديه ، لا بد وان يبدو حزينا .. واية محاولة من جانبه للنسيان ، قد تفسر تفسيرات شتى ، اقل ما يمكن ان توصف

به انها استهتار وخروج على التقاليد . فالارملة التى فقدت زوجها لا بد وان تتشح بالسواد ، وان تعيش فى عزلة عن العالم طوال فترة الحداد .. والابنة التى رحل والدها ، يجب ان تذكر دائما انها لا تستطيع ان تفعل كل شىء تفعله زميلاتها فى المدرسة ، لانها يجب ان تحترم ذكرى والدها الراحل .

وكل هذه المشاعر .. الحزن ، والغضب . ثم الشعور بالذنب والحياة وسط القيود التى تحتمها التقاليد ويفرضها المجتمع .. كل هذا شىء طبيعى لا بد من حدوثه ..

الوقت خير دواء

ولكن المهم ، هو ان نفهم كل هذه الانفعالات وان ندركها ، وان نثق بعد ذلك بيننا وبين انفسنا ، بانها لا بد زائلة .. فالوقت احسن دواء..والزمن خير علاج للاحزان ..

الحياة مع الذكريات

ان الخطوة الثانية التى نحتاج اليها ، فهى الا ندع انفسنا نساق وراء تخيلاتنا ، فنحن نتصور ان رحيل الفقيد عنا ، هو بالنسبة لنا نهاية العالم . وكم من لحظات مرت بنا بعد رحيله تمنينا فيها لو اننا لحقنا به فى دنياه الاخرى .

ولكن يجب الا ندع هذا الشعور يسيطر علينا ويتملكنا .. يجب ان نفرق بين الحياة مع الذكريات وبين التنعم بهذه الذكريات ..

وليس انفع للانسان الحزين من ان يتحدث بحرية عن ذكرياته عن الشخص العزيز الذى فقده، وان يفكر ، ولكن بصوت عال فى تلك الايام الجميلة السعيدة التى امضياها معا .

ولكن اذا كنا حقا نريد ان ننعم بهذه الذكريات الجميلة ، فلا بد لنا ان نضع ذكرياتنا فى مكانها ، والا ندعها تطاردنا ليل نهار .. فى كل دقيقة فى كل لحظة .. فى كل عمل نقوم به ، وكل حركة ناتيها ..

غموض الموت

واهم من هذا كله .. يجب ان نكف فورا عن اية محاولة من جانبنا للكشف عن غموض الموت ، ومعرفة معنى هذه الكلمة « المخيفة » التى يبرد فيها الجسم وتفارقه الحياة ويطويه الثرى .. يجب ان نعلم مرة اخرى ان قانون الكون هو التغير وهو النمو فى معناهما الكبير .. فاذا ادركنا هذه الحقيقة ، فسوف نستعيد ايماننا بان الموت ليس النهاية . فنحن نرى العلماء اليوم يقولون لنا ان المادة ليست جامدة ، كما كنا نظن فى وقت من الاوقات . وان الكون تركيب متحرك مستمر فى الازدياد والتوسع .

الموت نهاية وبداية

فاذا آمنا بان الموت هو نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة .. تماما كما يطوى المرء صفحة الكتاب ليبدأ فى قراءة فصل جديد .. فسوف نستمد من ايماننا هذا القوة على مواجهة الحياة والموت .. وسننظر الى الرحيل من الدنيا على انه بداية الرحلة الى حياة جديدة ، وعلى انه اخيرا المصير الطبيعى لكل كائن ذى حياة ..

وننتقل الى الخطوة الثالثة والاخيرة ، للتغلب على الحزن ..

العودة الى المدرسة

ان العمل وسيلة من الوسائل التى تاتى فى المقدمة . فالارملة التى فقدت زوجها وعائلها تستطيع مثلا ان تعود الى المدرسة من جديد او تتعلم شيئا جديدا يعاونها على مواجهة اعباء الحياة .

يجب ان تقبل مثل هذه السيدة على تحمل مسئوليات جديدة ، وان تعقد صداقات جديدة مع الناس . ان تغرق نفسها فى العمل ، وتهتم بعملها الجديد حتى لا تجد فرصة للتفكير والعودة الى الماضى .

هكذا نتخلص من أحزاننا

بهذا نستطيع ان نقهر احزاننا او نقلل من تاثيرها على حياتنا .. لان الجمود والوقوف فى مكاننا ، يقتل فينا الرغبة فى الحياة . ومحاولة اعادة عقارب الساعة الى الوراء ، لا تزيدنا الا الما ، والا حسرة ! فلا بد لنا اذن ان نخرج من عزلتنا ، ونحاول ان نلتقى بالحياة فى منتصف الطريق .. ولسوف نجد هناك اشياء كثيرة جميلة فى انتظارنا .

ان قهر الحزن يعتمد اساسا على فهمنا للحياة وادراكنا لاسرارها ، واخيرا ايماننا بالله . ■■

(م • ن)



(الجزء العشرون)

(٢٨) سورة القصص مكية
وآياتها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ۝ تلك آيات الكتاب المبين ۝ نتلوا
عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ۝
إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان
من المفسدين ۝ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا
في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ۝
ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون ۝ وأوحينا إلى أم موسى أن

تَلْحِينُ القُرْآنِ

التَّغَنِّي بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ

كَانَتْ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ

وَأَجَازَهَا الرَّسُول

بقلم الدكتور
احمد عبد المنعم البهى

استاذ الدراسات العليا
بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الازهر

■ ما زال الناس بين آن وآخر يثيرون جدلا في جواز امرين هما :

١ ـ قراءة القرآن بالتلحين .

٢ ـ اداء الآذان للصلاة بالترنيم .

وقد ظهر هذا الجدل بالنسبة لتلحين القرآن بمناسبة الاحتفال بمرور اربعة عشر قرنا على نزوله ، وان كان يقترن هذا الجدل عادة بقدوم شهر رمضان المبارك واحياء لياليه بتلاوة القرآن الكريم من مشاهير القراء ذوى الأصوات الحسنة .

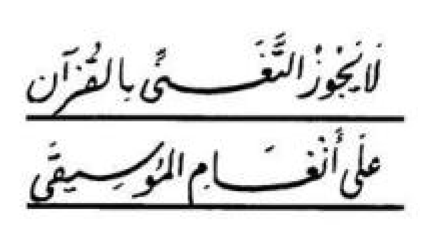
أما عن الآذان فان النقاش حول ادائه بالترنيم ، يختلف الرأى فيه بين بلد اسلامي وآخر ، فبعض البلاد يرونه غير جائز بالترنيم ومخالفا للسنة ،وبعض آخر يراه جائزا به وموافقا للسنة .

ولما كان « العربى » الأغر تتداوله الايدى في كل بلد عربى واسلامى فقد رأيت مناقشة هذين الموضوعين على صفحاته ، ليقف جمهور القراء على حقيقة الأمر فيما يثار عن تلحين القرآن وما يقال عن منع الآذان بالترنيم .

قراءة القرآن بالتلحين

فاما عن الأمر الاول وهو تلحين القرآن الكريم، فهناك طوائف من متأخرى الفقهاء لم تر اجازته وقالوا انه لم يحدث في عصر النبوة ولا في عصر الصحابة ، وقالوا ان القراءة فيهما كانت ترتيلا . كما أمر الله رسوله في كتابه العزيز اذ





لا يجوز التغني بالقرآن على أنغام الموسيقى

مناقشة الدعوة إلى وضع لحن ثابت للقرآن الكريم

وترنيم الأذان

قال المولى مخاطبا له : « ورتل القرآن ترتيلا » (١) .

ومعنى الترتيل « التبيين » كما قال الزجاج ، والتبيين لا يتم بأن يتعجل في القرآن وانما يتم بأن يتبين القارىء جميع الحروف ويوفيها حقها من الاشباع ـ وقال المبرد ـ أصله من قولهم ثغر رتل اذا كان يبين الثنايا ـ افتراق ليس بالكثير ، وقال الليث الترتيل تنسيق الشيء ، وثغر رتل ، حسن التنضيد ، ورتلت الكلام اذا تمهلت فيه واحسنت تأليفه ، وعلى هذا فالترتيل التبيين في القراءة وهذا هو ما أمر المولى به .

وأوردوا أيضا ما رواه عابس الغفاري قال « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر خصالا يتخوفهن على أمته من بعده : أمارة السفهاء واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، وكثرة الشرط ، و نشوا يتخذون القرآن مزامير يتغنون غناء ويقدمون الرجل بين أيديهم ليس بأفضلهم ولا أعلمهم ـ لا يقدمونه الا ليغني لهم » رواه البيهقي .

ومن هنا قالوا ان قراءة القرآن بالتلحين أو الترنيم بالصوت الحسن لا تجوز بحال ـ وأن القراءة على هذا النحو مكروهة ان لم تكن حراما لأن المستمع الى القراءة ينصرف عن تدبير

(١) آية ٤ سورة المزمل .

معاني القرآن الكريم الى الافتنان بغناء القارىء ومتابعة انغامه فيفوت الغرض من الاتعاظ والتدبر بما في آيات الذكر الحكيم من توجيه ، وما فيها من وعد ووعيد وما فيها من حوافز ودواعي للخير والاصلاح ورعاية الصالح العام .

وقالوا ان هذا اللون من القراءة ـ قراءة التلحين ـ ظهر في العصر العباسي واستمر الى يومنا الحاضر ، وقبل العصر العباسي لم يقرأ القرآن بالتغني او التلحين مما يدل على ان القراءة بالتلحين لم تكن موجودة من قبل ولو وجدت لورد بها الخبر ورواها الصحابة ، بل الذي جاء به الخبر الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو التحذير منها كما جاء في حديث عابس الغفارى .

هذه خلاصة مستوعبة لوجهة نظرهم وجملة ما احتجوا به .

★★★

والحق أن كل ما قالوه مردود عليه ، فالترتيل لا يتنافي مع التلحين بل هو شرط في القراءة مطلقا تلحينا كانت او قراءة عادية ، وعلى هذا فأمر الله لرسوله بقراءة القرآن بالترتيل لا يعنى بحال منع قراءة التلحين .

هذا على فرض أنه لم يرد نص يجيز القراءة بالتلحين ، أو لم يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم به ، والثابت أن الامرين معا جاءا عنه عليه الصلاة والسلام فقد روى البخارى ان النبى عليه الصلاة والسلام « قرأ سورة الفتح في السفر يرجّع فيها » وروى ابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم عن البراء بن عازب « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زينوا القرآن بأصواتكم » ورواه البيهقى بلفظ « حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » . وكذلك حدث ابو هريرة فيما رواه عنه الشيخان ان رسول الله صلى عليه وسلم قال « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى ـ وأذن بمعنى استمع ـ وفى معناه ايضا حديث سعد ابن ابى وقاص وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه الحاكم فى المستدرك .

بل أكثر من ذلك استمع صلى الله عليه وسلم ليلة لقراءة ابي موسي الاشعرى فلما أخبره بذلك قال : « لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا » اى حسنته وزينته بصوتى تزيينا ، ولذا قال الرسول له « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود »

★★★

هذه النصوص كلها صريحة الدلالة واضحة القصد على أن قراءة القرآن بالتلحين جائزة ، وقرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم واستمع الى قراءة بعض اصحابه بها ، وان قراءة التلحين لا اعتراض عليها ما دامت لا تؤدى الى زيادة في المد او اختلال في النطق ، وعلى هذا أجازها جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه « فقد كان يقول لابي موسي ، ذكرنا ربنا ، فيقرأ ابو موسى ويتلاحن » وقال من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء ابى موسي فليفعل ، وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، فقال له عمر اعرض علي سورة كذا فعرضها عليه فبكى عمر » (١) وأجاز هذه القراءة ايضا ابن عباس وابن مسعود وروى عن عطاء بن رباح قال وكان عبد الرحمن ابن الاسود ابن ابى يزيد يتتبع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان .

هذا بعض ما جاء عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم في اباحة قراءة القرآن بالتلحين .

وذكر الطحاوى عليه رضي الله أن الامام ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله كانوا يستمعون القرآن بالتلحين ، وروى ابن جرير الطبرى عن محمد بن عبد الحكم ابن الفقيه المبرز في مذهب الامام مالك قال « رايت ابى والشافعى رحمه الله ويونس بن عمرو يستمعون القرآن

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جزء ـ ١ ص ١٣٠٥ ط المصرية .

بالالحان » . وهذا هو الذى حدا بابن جرير الطبرى للقول بجواز القراءة بالتلحين .

★★★

ومن هذا يتضح أن قراءة القرآن بالتلحين لم تظهر في العصر العباسي كما ذهب الى ذلك من ذهب ، وانما وجدت في عصر النبوة وان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ بالتلحين وأجاز من قرأ به ووجه الى الاهتمام بهذه القراءة ، وكذلك فعل أصحابه من بعده .

★★★

ومع وضوح كل هذا وقوته فقد لجأ الذين منعوا قراءة التلحين الى التأويل في الاحاديث التى وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم باجازتها .

فقالوا عن قراءته لسورة الفتح بالترجيع ، أن هذا كان اضطرارا منه عليه الصلاة والسلام لهز الناقة له ومن ثم فان ترجيع الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتخذ دليلا على جواز القراءة بالتلحين لوضوح جانب الاضطرار .

وردا على هذا نقول ان الراوى نسب الترجيع في القراءة الى فعله صلى الله عليه وسلم ولو كان اضطرارا لقال كان يرجع بسبب هز الناقة له .

على انه لو سلم ان هذا الترجيع منه صلى الله عليه وسلم كان اضطرارا فهناك الى جواز ذلك اجازته لقراءة ابي موسي الاشعرى بالتلحين ووصفه اياه بانه أوتى مزمارا من مزامير آل داود .

وخير ما تفسر به كلمة « مزمار » ما ننقله هنا عن تفسير القرطبى لقول الله تبارك وتعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير والنا له الحديد » (١) قال رحمة الله عليه اختلف العلماء في الفضل الذى أتاه الله نبيه داود على تسعة أقوال . ويسردها حتى يصل الى القول التاسع فيقول :والقول التاسع منها حسن الصوت ، وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن ، وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه وهو المراد بقوله تعالى « يزيد في الخلق ما يشاء » وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى « لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود » قال العلماء المزمار والزمور الصوت الحسن ، وبه سميت آلة الزمر مزمارا ؛ وقد استحسن كثير من فقهاء الامصار القراءة بالتزيين والترجيع » (٢) .

★★★

وقد يقال ان حسن الصوت في حد ذاته لا يستلزم أن تكون قراءة صاحبه بالتلحين .

واجابة على هذا نقول : ان سماع الرسول لابى موسي واقعة تضمنت امرين :

الامر الاول : قراءة ابى موسى بالتلحين

ودليل ذلك قوله للرسول « لو كنت أعلم انك تسمعه لحبّرته لك تحبيرا » وقال علماء اللغة والحديث معنى « حبرته » اى حسنته وزينته بصوتى تزيينا .

الامر الثانى : ان الرسول صلى الله عليه وسلم وصفه بانه أوتى مزمارا من مزامير آل داود .

وهذا كله بين في أن الواقعة صريحة في ان القراءة كانت بالتلحين ومحاولة التأويل في الواقعة محاولة غير مجدية مع وضوحها وما تهدف اليه .

وكما وقفوا هذا الموقف من هذه الواقعة حاولوا ايضا تأويل باقى الأحاديث التى أجازت القراءة بالتلحين ولم يكن موقفهم منها خيرا من موقفهم في هذه الواقعة ، ولا اقول هذا تجنيا او تحاملا ـ معاذ الله ـ وانما اقوله تأييدا للحق وانتصارا له .

ومن تأويلاتهم في حديث « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ما قالوه أن معنى « يتغن » يستغنى به عن غيره ، ونسب هذا التفسير الى ابن عيينه ـ وهذا ابعد ما يكون عن معنى « يتغن » .

وقد سئل الامام الشافعى عن تأويل

---

(١) آية ١٠ سورة سبأ . (٢) تفسير القرطبى ج ١٤ ص ٢٦٥ ط القومية.

ابن عيينه فقال : نحن اعلم بهذا ، لو اراد النبى صلى الله عليه وسلم الاسغناء لقال « من لم يستغن بالقرآن » .

ويؤكد ان المراد « بيتغنى » في هذا الحديث الغناء والتلحين ما جاء في الرواية الاخرى « ما اذن الله لشيء ما اذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

قال الطبرى : هذا الحديث من ابين البيان ان ذلك كما قلنا ولو كان كما قال ابن عيينه يستغنى به عن غيره لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى في الحديث .

وقد اورد الطبرى شواهد من كلام العرب على ان التغنى انما هو الغناء لا الاستغناء ومن المستحسن ان نورد بعضها هنا فيقول قال الشاعر :

تغنّ بالشعر مهما كنت قائله
ان الغناء بهذا الشعر مضمار

والتغنى انما هو الغناء من حسن الصوت والترجيع ، ويمضي فيقول واما ادعاء الزاعم ان تغنيت بمعنى استغنيت فليس في كلام العرب ، ولا نعلم احدا من اهل العلم قال به ، واما احتجاجه بقول الاعشي :

وكنت امرا زمنا بالعراق
عفيف المناخ طويل التغنّ

وزعم انه أراد بالتغن الاستغناء فانه غلط منه ، وانما عَنِيَ الاعشي في هذا المقام الاقامة ، من قول العرب ، غنى فلان بمكان كذا اى اقام فيه ، ومنه قوله تعالى « كأن لم يغنوا فيها » وقال ابن قيم الجوزية في زاوية المعاد : ومما يبين فساد تأويل ابن عيينه « ان استغناء الناس بالقرآن من المحال ان يوصف احد انه يؤذن له فيه » .

من كل ما سبق يستبين لنا ان القراءة بالتلحين جائزة طالما لم يترتب عليها اخلال بما أوجبه علماء القراءات فى الأداء ، ولا شك انها تستولى على وجدان المستمع وحواسه وتربطه بمتابعة القارىء والتأثر بما يتلى من كتاب الله وتدبر معانيه ، وان كان بعض المستمعين يخرج عن جلال الموقف بابداء عبارات الاعجاب بالقارىء فان هذا لا يحملنا على منع جواز القراءة بالتلحين ، لأن النفع العام لا يمنع جوازه بسبب التصرف الخاص، والوعى الدينى نفسه وسيلة للقضاء على هذا النوع من التصرف غير المرغوب فيه ، وكذلك أيضا لا جدال في عدم جواز القراءة التى جاءت في حديث عابس الغفارى الذى مر بك والتى تكون مجرد غناء لخروجها عن تعاليم القراءة واصولها .

★★★

وغنى عن البيان ان تؤكد هنا اننا نعني بجواز قراءة التلحين ، قراءة التطريب من القارىء نفسه ، لا هذه الدعوة الآثمة التى تنادى بأن تكون القراءة بالتلحين مع انغام الموسيقى ، فهذه الدعوى لا تستند الى اى أساس من الدين ، ولا تكاد تجاوز حناجر من ينادون بها ولن يكون لها رواج ولا نصيب من الظهور باذن الله ، فضلا عن انها تخرج بالقراءة عن قصدها والمراد منها .

كما انني لا استسيغ ولا افهم ما ينادى به البعض من الدعوة الى وضع تلحين موحد للقراء يلتزمونه في القراءة باللحن لأن كل قارىء له طبيعة صوته وطريقته في الاداء ، والقرآن الكريم ليس اغنية حتى نلتزم في قراءته لحنا معينا .

والقول بأن القراء لا يميزون في قراءتهم بين الوعد والوعيد وما يجب ان يكون لكل منهما من طريقة في الاداء ، نقول ان جانب التجنى فيه واضح والذى نلحظه في قراءة المشاهير من القراء انهم يراعون هذا في قراءتهم كل على طريقته ونهجه الا اذا اريد منهم ان يبكوا عند ذكر النار ويضحكوا عند ذكر الجنة ونعيمها ، وثواب الله لمن اطاعه .

وبهذا تحول القراء تمثيلا وتشخيصا نرتفع بالقرآن الكريم عن مستواهما فآيات القرآن وحدها فيها العبرة وتلحينها فيه التذكير والموعظة وجذب الوجدان .

واذا كان القرآن الكريم بفصاحته قد استولى على نفوس العرب وجعلهم في حيرة امام بيانه حتى لقد سمع احدهم

قول الله تعالى « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ، اذا كان هذا شأن القرآن الكريم مع أساطين البيان فان التغنى به كاف في ان يجذب اليه القلوب النافرة ، وان يرقق الطبائع المستأبية ، وان يقرع النفوس الغافلة .

الآذان بالترنيم

اما الأمر الثاني وهو جواز الاذان بالترنيم فقد منعه البعض ايضا وقالوا انه لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وان ترنيمه كان بدعة لا اساس لها ولا اصل لها في الدين ، وبناء على هذا حملوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زيد بن عبد ربه لما اخبر الرسول عليه السلام بالرؤيا التى تعلم فيها كلمات الاذان وعرضها عليه صلى الله عليه وسلم فقال له « قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فانه اندى صوتا منك » حملوا اندى صوتا على انه ارفع صوتا

والحق ان هذا التفسير فيه قصور على فرض التسليم به ، ذلك انهم لم يأخذوا في اعتبارهم مدلول الاحاديث الاخرى التى جاءت في باب الاذان ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « المؤذن يغفر له مد صوته » ومعنى هذا الحديث الشريف ان المؤذن مأمور بمد الصوت في الاذان ــ اى رفعه والمد فيه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فمعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اندى صوتا » انه احسن صوتا لا ارفع صوتا بدليل انه عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة امر بنحو عشرين رجلا فاذنوا فاعجبه صوت ابى مخدورة فعلمه الاذان (١) وقال الزبير بن بكار « كان ابو مخدورة احسن الناس صوتا واذانا » .

فاذا اخذنا معنى المد الى جوار نداوة الصوت وهى حسنه الى جوار اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال ولابى مخدورة من بين عشرين رجلا ، كان مدلول هذا ان سر اختيارهما راجع الى جمال صوتهما اللذين يرنمان به الاذان ، لا الى مجرد حسنه فقط لأنه لا فائدة من حسنه الا اذا اقترن به ما يبين هذا الحسن وهو الترنيم .

فاذا اضفنا الى ذلك ايضا ما جاء على لسان بعض شعراء قريش في اذان ابن مخدورة وهو قولهم :

اما ورب الكعبة المستورة
وما تلا محمد من سورة
والنغمات من ابى مخدورة
لافعلن فعلة مذكورة

اذا اخذنا في الاعتبار كل ذلك تأكد لدينا ان الاذان بالترنيم وقع في عصر النبوة ، واختار لادائه عليه السلام من حسن صوتهم ، ووضح لدينا أن الاذان على هذا النحو مشروع خصوصا وأن الذين عاشروا أبا مخدورة اقسموا بنغماته وقد مر بنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم علمه الاذان ، وما كان يجوز له بحال ان يغير فيما علمه الرسول من طريقة الاداء ولو قيل انه ابتدعها بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، فالرد عليه ان هذا اذا لم يجزه الرسول لمنع صحابته من بعده ابا مخدورة من فعله ، اما وقد استمر على الاذان بالتنغيم وامتدح تنغيمه شعراء قومه ، فلا مندوحة اذا من التسليم بجواز الاذان بالتنغيم على انه وقع في عصر النبوة ولا محل للاعتراض عليه

هذا ما احببت توضيحه على صفحات العربى الأغر في قراءة القرآن بالتلحين واداء الاذان بالترنيم . والله الموفق والهادى . ■■

احمد عبد المنعم البهى

مراجع البحث :

من التفاسير : الطبرى ، القرطبى ، الفخر الرازى ، ابن العربى ، الجصاص .

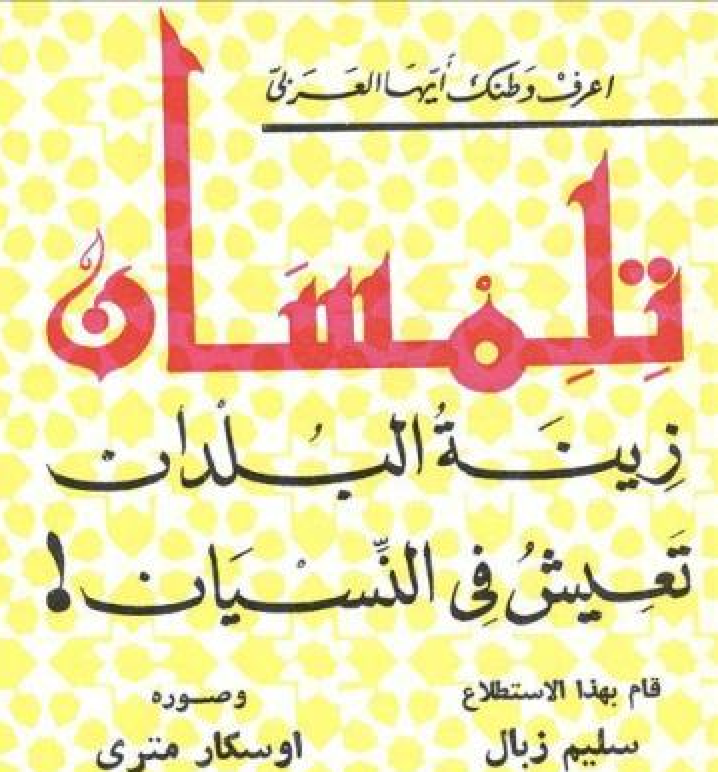
من كتب السنة : كتب السنة الستة ، نيل الاوطار للشوكانى .

من كتب الفقه العام : الأم للشافعى ، اعلام الموقعين وزاد المعاد لابن القيم ، الحاوى للفتاوى للسيوطى .

---

(١) اخرجه ابن حبان ورواه ابن خزيمة فى صحيحه .





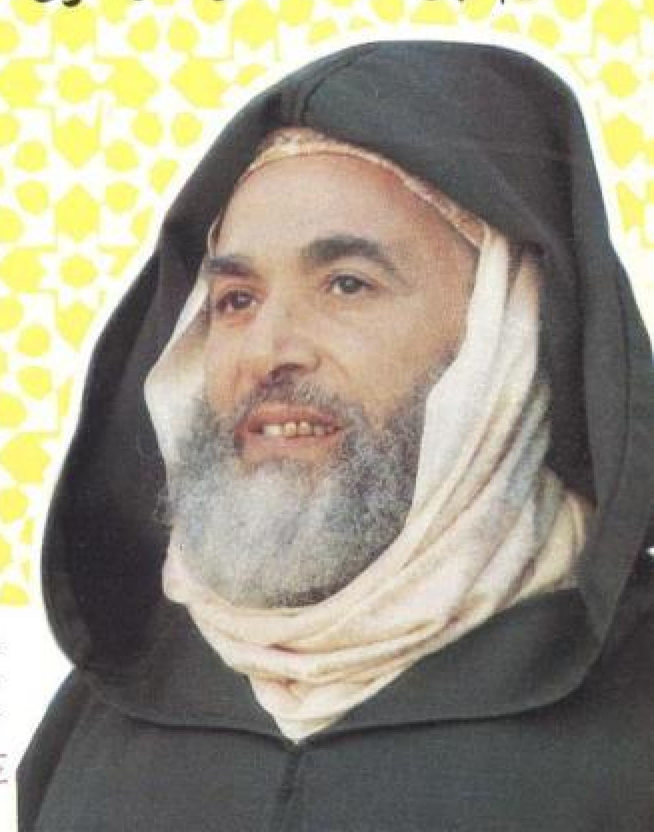
اعرف وطنك أيها العربي

تِلِمْسَانُ

زِينَةُ البُلْدَانِ تَعِيشُ فِي النِّسْيَانِ!

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
اوسكار متري



وقار وهيبة .. يتميز بهما أهل تلمسان عن بقية المدن الجزائرية



تلمسان المركز القديم للاسلام في الجزائر .. وجامعها الكبير هو قطعة رائعة من الفن الاندلسي الذى انتقل الى افريقيا ، لقد بناه الملك حمّو يَغموروسان في القرن الخامس الهجري ، وزاد عليه ، على بن يوسف بن تاشفين ، الكثير من النقوش والزخارف .. ويقوم حاليا افراد الشعب بالانفاق عليه ، وتقديم الفرش والسجاد له .

■ **تِلِمسَان زينة البلدان .. ماها وهواها وتلحيفة نساها ما هي في البلدان .. ! » .**

وصف جميل سمعناه قبل أن ندخل مدينة تلمسان .. سمعناه من بعض أبنائها المقيمين في الجزائر العاصمة .. وتحمسنا لرؤية « **زينة البلدان** » فركبنا الطائرة من الجزائر الى وهران ، ومنها بالسيارة الى تلمسان .. ودخلنا المدينة مع منتصف الليل .. وكان لقاؤنا الاول مع جموع من الرجال ، جالسين في المقهى يستمعون الى موشحات وموسيقى أندلسية ..

ومع تباشير الصباح خرجنا الى الاسواق والمحلات ، وفي « البلازا » الميدان الكبير ، كان الناس يسيرون متسكعين في كل مكان .. المقاهي تغص بهم .. والشوارع تمتلىء بافواجهم ... وتساءلنا : ترى ماذا يفعل كل هؤلاء الناس .. أليس لهم عمل يشغلهم؟ هل هذا هو كل ما يقومون به .. السير في الشوارع واستنشاق الهواء ، ثم النوم على تراث الماضي المجيد ، مهملين حاضرهم المشرق ومستقبلهم البعيد ؟

وجاءنا الجواب مع الريح الباردة التى هبت على الميدان ، وكأنها تقول : « رفقا .. نحن ما زلنا أمة فتية عمرها ٨ سنوات لم يكن لنا فيها شيء .. أرضنا .. ومياهنا .. وحتى هواؤنا لم يكن ملكا لنا .. شبابنا لم يستطع آباؤهم أن يربوهم ، لأن الآباء كانوا في السجون أو الكهوف أو على رؤوس الجبال يحاربون المستعمر .. فكان من جراء ذلك مجيء هذا الجيل من الشباب الذى تراه في شوارعنا اليوم .. وزاد الطين بلة عصر الموسيقى الصاخبة التى جعلت منه شبابا طائشا

« كنا شعبا يجيد اللغة العربية أحسن من اليوم بكثير ، لأننا كنا في عناد مع المستعمر الذى كان يحاول قتل لغتنا » ..

وتهدأ الريح قليلا وكأنها تختتم حديثها القريب بقولها : « .. لا تعجبوا من انتشار اللغة الفرنسية بيننا .. فكل شيء ورثناه كان باللغة الفرنسية .. كانوا يقولون : ان الجزائر هى فرنسا ، وعلى هذا الاعتقاد السخيف حاولوا تثبيت لغتهم ، حتى أصبحت هى اللغة السائدة في الفنادق ودواوين الحكومة والمطاعم والصحافة والتلفزيون ودور السينما .. والشحات نفسه أصبح يطلب الاحسان بالفرنسية ، لأن أحدا لم يكن يفهم غير الفرنسية .. » .

مسكين

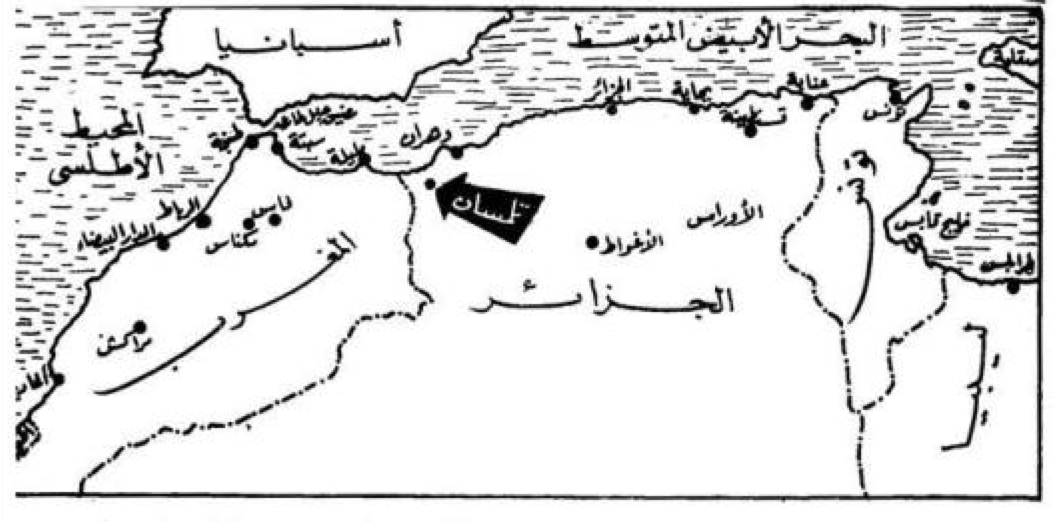
وهدأت الريح .. بعد أن أفهمتنا أننا مقبلون على مدينة غير عادية .. مدينة كل شيء فيها مغلق .. مدينة تسيطر عليها عقدة الثورة حتى أصبح المثل الشائع هناك هو : « سَبِّق حرف الميم ترْبح » **فالاجابات التى تتلقاها على أسئلتك تحمل دائما حرف الميم :** « ما نعرف .. ما شفنا .. ما نسمع .. »

وكأن الحكمة الصينية المشهورة قد انتقلت فجأة الى هذا البلد لتصبح جزءا من حياة أهله .

وقلنا : فلنتجه الى الجهات المسئولة علها تساعدنا في التعرف على معالم البلد ..



« البلازا » أو ميدان الأمير عبد القادر .. نقطة التقابل والتلاقي في تلمسان ..



خريطة الجمهورية الجزائرية ، ويظهر عليها موقع مدينة تلمسان التى تبعد ١٣٨ كيلو مترا من وهران ، وترتفع ٨٣٠ مترا عن سطح البحر .. انها خامسة مدن الجزائر .. وتعداد سكانها ١٠٠ ألف نسمة .. واسم تليمسان كلمة بربرية مفردها تيلماس بمعنى الينبوع ..

وفي مكتب السياحة سألنا عن المدير .. فقيل لنا : غير موجود .. **وطلبنا دليلا ليرشدنا .. فاجابوا بلوعة :** « كان عندنا مرشد سياحي واحد انتقل الى رحمة ربه .. فأصبحت البلد (تعدادها ١٠٠ ألف نسمة) بدون مرشد سياحي .. نحن آسفون !! **وتأسفنا معهم ، واتجهنا الى دار العمالة اى المحافظة .. وقابلنا** « حاجب » **مكتب المحافظ الذى سألنا عن طلبنا بلغة فرنسية سليمة ، فاجبناه : نريد مقابلة « عامل البلد » اى المحافظ .. وغاب دقائق ليقول لنا :** « انه يأسف ويرجو أن تقابلوا مدير العمالة » .. **وطلبنا مرافقا من المدير فاجابنا :** « نأسف لان الدليل قد انتقل .. » **ولم نتركه يكمل حديثه ، فقد اكملناه نحن له بقولنا :** « الى رحمته تعالى .. وهو الوحيد الذى كان يعرف معالم البلد أليس كذلك !! » .

ودارت بنا الدنيا : « .. مائة الف نسمة يجهلون بلدهم : زينة البلدان !! » .

وهبت نسمة باردة تحمل معها قولا عجيبا : « انهم ليسوا أبناء المدينة !! » .

هجرة .. وهجرة !

ودهشنا وتعجبنا .. وتحرينا فعرفنا أن عددا ضخما من البدو وسكان الواحات ينزحون الى تلمسان .. يأتون اليها ومعهم عاداتهم وتقاليدهم المتأخرة نسبيا عن عادات المدينة ، فينتشرون في شوارعها وأزقتها .. اما المرأة فهى تختفى دائما وراء الحجاب ، لأن أهل تلمسان لا يقبلون أن تسير بناتهم ، المشهورات بجمالهن الخارق، في الشوارع ، لهذا يفرضون عليهن ارتداء « الحايك » الابيض الذى لا تظهر منه الا العين !

وتقابل هجرة البدو الى تلمسان ، هجرة معاكسة من اهل تلمسان الى وهران والجزائر العاصمة .. هجرة يقوم بها المثقف والمثقفة .. هجرة تحمل معنى الهرب من العيش مع عقليات ترفض التطور ..

ماذا يريد الشباب ؟

ولكن سرعان ما يصطدم المهاجرون من أبناء تلمسان بعادات وتقاليد غريبة عنهم لا يرضونها .. فقد انقلب مجتمع الجزائر العاصمة الى مجتمع عجيب ، استبدل الرجال فيه الجلابية الصوفية بملابس فرنسية ، وربطات عنق من صنع بيير جاردان وجاك فات .. لقد تطور الملبس دون ان تتطور العقلية .. حتى الفتاة هناك استبدلت الحايك بالميني جوب .. وصبغت شعرها بالاحمر والاصفر ، واصبحت تلثغ بالفرنسية ، وتتشدق بها وتفتخر .. اى أن شباب العاصمة اخذ من الحضارة الحديثة مظاهرها الفارغة فقط : ملبس فاضح .. وسهرات صاخبة !!

ووسط هذا المجتمع المحموم يحتار ابناء تلمسان لان عاداتهم وتقاليدهم الاسلامية الاصلية تمنعهم من الانزلاق في هذه

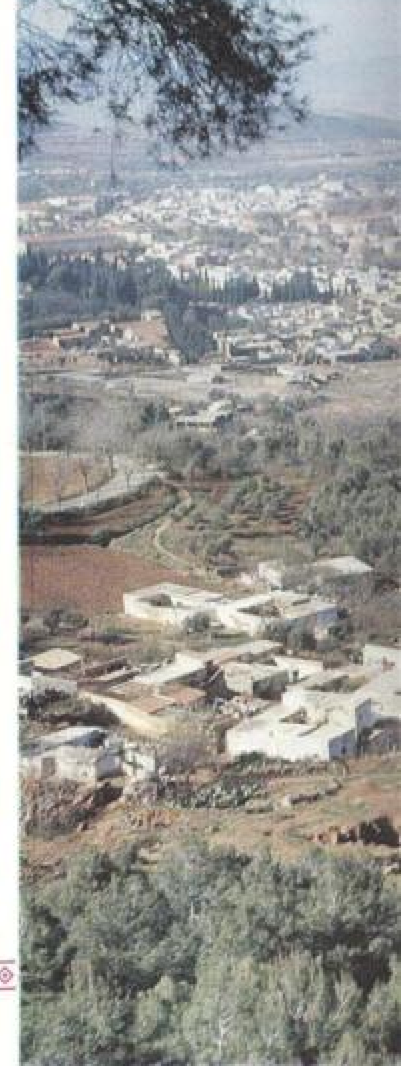


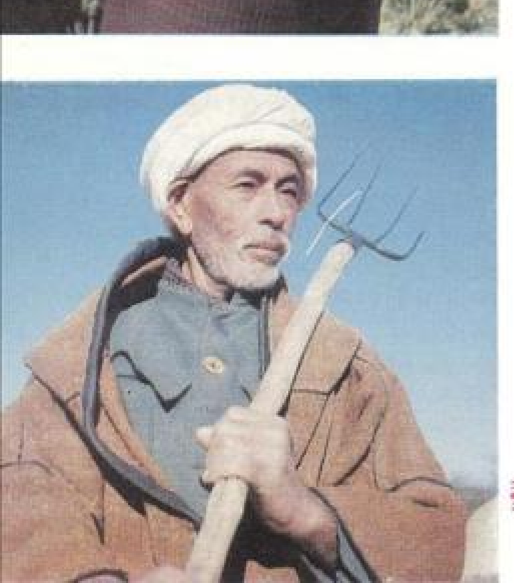
الى اليمين : جامع سيدى بلحسن بمئذنته الجميلة المزخرفة ، وسقفه المغطى بالقرميد الاخضر .. لقد أصبح متحفا يضم الآثار القديمة في تلمسان.

الى اسفل : من بين اشجار الصنوبر ، التى تزخر بها الجبال المحيطة بمدينة تلمسان ، التقط مصورنا هذه الصورة الجميلة للمدينة الهادئة التى يطلقون عليها لقب لؤلؤة المغرب



الى اليسار : ما من شك أن ثورة الجزائر كان لها تأثيرها الكبير على شباب اليوم .. لقد ولد هؤلاء الشبان في وقت كان أهلهم يناضلون ويحاربون من أجل الحياة ، فلم يجدوا الوقت الكافي للعناية بأولادهم ، الذين نرى أحدهم الى اليسار ، انه يجيد الفرنسية ويقول : « لبنان عاصمتها لبنان ، أما سوريا فبعيدة جدا ليتعرف على عاصمتها !!» والى أسفل اليسار فلاح من ضواحي تلمسان .







الحياة الصاخبة .. وفي نفس الوقت يمنعهم تطورهم من العيش عيشة مغلقة .. انهم يريدون طريقا وسطا .. ولكنهم لا يجدونه .. لا في مدينتهم ولا في «مهجرهم» .. وهذه مشكلة شبابنا في جميع انحاء وطننا العربي الكبير .. صراع مرير بين ثلاث فئات : فئة تريد الرجوع بعقارب الزمن .. وفئة تحاول فرض كل ما هو جديد فتاخذ القشور دون اللب .. وفئة ثالثة تحاول الجمع بين القديم والحديث وهي اكبر الفئات ، ولكنها ضائعة بين الفئتين المتناحرتين السابقتين .

حقوق دون واجبات

واهل تلمسان مشغولون اليوم بنفس شاغل الجمهورية الجزائرية كلها .. الجميع هنا يصرخون ويطالبون بحقوقهم .. كل فرد يريد أن يستزيد .. انها فترة انتقال مريرة تمر بها الجزائر .. مطالبة اجماعية بالحقوق ، ولا شيء الا الحقوق .. أما الواجبات فلا مكان لها ولا احد يطالب بها .. كل شخص هنا يعتبر نفسه رئيسا .. وكل شخص يعتبر نفسه المسئول الاول عن نجاح ثورة الجزائر ! وانه لولا جهوده هو ما نجحت .

ومن هنا ينشأ الاصطدام الدائم .. ومن المحال ايجاد علاج لهذه الحالة الا بمرور الزمن .. اذ لا بد من انطواء جيل الحرب والثورة ، ليبدأ جيل الاستقرار والسلام حياة جديدة قائمة على اسس الكفاءة والمقدرة .. لا حياة تستند على عدد السنوات التي قضاها الشخص ثائرا أو محاربا في الجبال !

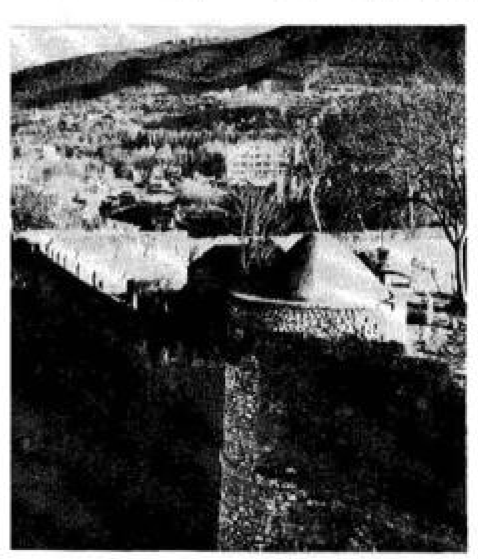
حصار ثماني سنوات

ويتميز أهل تلمسان عن بقية مدن الجزائر بصفتين : العناد والبخل !!

والعناد ليس شيئا جديدا عليهم .. ففي عام ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م) حدث قتال بين أمير تلمسان، واسمه « حمّو يغموراسن الزياني » ، وبين أمير فاس « أبو يعقوب المريني » ، ورغم تفوق المريني فقد عرض الصلح على الزياني ، ولكن هذا عانده وصمم على مواصلة القتال .. فما كان من أبي يعقوب الا أن حاصر تلمسان « وكان حصاره من افظع واشد انواع الحصار التي عرفت في التاريخ .. فقد استمر ثماني سنوات وثلاثة اشهر وبضعة أيام ، مات فيها اكثر من ١٢٠ الف شخص داخل تلمسان ، واكل الناس يومئذ الجيف والكلاب والقطط والفيران ، وبلغ ثمن الفأر عشرة دراهم .. » .

ولما طال عناد أهل تلمسان وتصميمهم على القتال حول ابو يعقوب معسكره الى مدينة حقيقية على مسافة ٤ كيلومترات من تلمسان ليعيش فيها جنده .. وأسماها المنصورة لظنه انه منتصر ، وحوت كل ما في المدن الاخرى من مبان فخمة ومنازل واسواق ومستشفيات وحدائق وحمامات ، واقام جامعا كبيرا ذا صومعة كانت ترتفع ٤٥ مترا عن سطح الارض ، في أعلاها « تفافيح » ذهبية تنعكس عليها اشعة الشمس .. وحول المدينة اقام سورا لحمايتها .. وجلب لها المياه على حنايا تمتد من عيون المياه في أعالي الجبال حتى « المنصورة » ..

وكان اهالي تلمسان يرون عدوهم يبني مدينته ويعيش فيها منعما ، وهم جياع محاصرون .. ولم تنجدهم نجدة الحفصيين الحاكمين في تونس لهم .. واستمرت الحالة تسوء داخل تلمسان ، حتى كان عام ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) وفيه اغتيل السلطان ابو يعقوب يوسف المريني .. وبدا تنازع ولده واخيه وحفيده على الملك .. وكانت النتيجة فك الحصار



يقول المثل: «تلمسان لها سبعة أسوار، وأهلها ما ناموا ليل ولا نهار» دلالة على شجاعة السكان .. وهذه صورة جزء من هذه الأسوار السبعة الباقية !

عن تلمسان .. فخرج أهلها وأعملوا معاولهم في «المنصورة» فخربوها وحطموها انتقاما لأنفسهم من بنى مرين ، وطمسا لمعالم الهوان والذل بأرضهم.

وما زال نصف صومعة جامعها الكبير قائما الى الآن يعاند الزمن رغم اصابته القاتلة التى شطرته الى نصفين .. ومن حوله اشجار الزيتون التى زرعها الفرنسيون مكان القصور والحمامات والاسواق المرينية ..

عاصمة العراق : سوريا !

وتحت ظلال سور المنصورة المتهدم يستظل أهل المنطقة من وهج الشمس .. واردنا ان نختبر احدهم فسألناه من الذى بنى هذه الصومعة .. فاجابنا : « الاتراك » !! ؟ .. في حين أن أبى يعقوب امير فاس هو الذى بناها ..

ولا يجهل السكان تاريخ مدينتهم فقط ، وانما يجهلون كل شيء عن البلاد العربية .

وفي ثانوية الشهيدة مليحة حميدو طلبنا من تلميذات الثانية الثانوية ، ان يذكروا لنا اسم عاصمة العراق ؟

فكانت الاجابات كالآتي : ـ عاصمة العراق هي سوريا !!

ـ عاصمة العراق هي ايران !!

ـ عاصمة العراق هي الموصل !!

واجابت الرابعة : عاصمة العراق هي بغداد..

واحتج الاستاذ على القاء هذا السؤال بحجة ان الفتيات لم يتعلمن بعد هذا الجزء من العالم ؟!

المغارات المجهولة

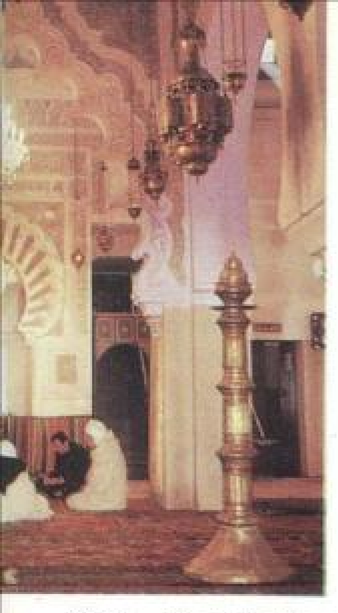
ولماذا نذهب بعيدا .. ان جميع الكتب التى صدرت أثناء الاحتلال الفرنسي تحوى صورا ومقالات عن مغارات في جوف الجبال المحيطة بتلمسان .. وقد أحصاها أحد الكتاب فوجدها مائة مغارة مزدانة بستلاكتيت وستالجميت ... وسألنا كل من قابلناه عن هذه المغارات ، فكان يبدى دهشته اذ يسمع عن وجود مثل هذه المغارات في تلمسان ! وقررنا التوجه الى عين فزا حيث تقول الكتب ان غار بنى عاد موجود هناك وانه أكبر غار .. وسارت السيارة على طريق فرعى مهده الفرنسيون خصيصا ليؤدى الى المغاور .. واراد أحدهم أن يثبط همتنا فقال : ذهابكم فيه مخاطرة كبيرة ، فداخل المغارة ألغام وضعها



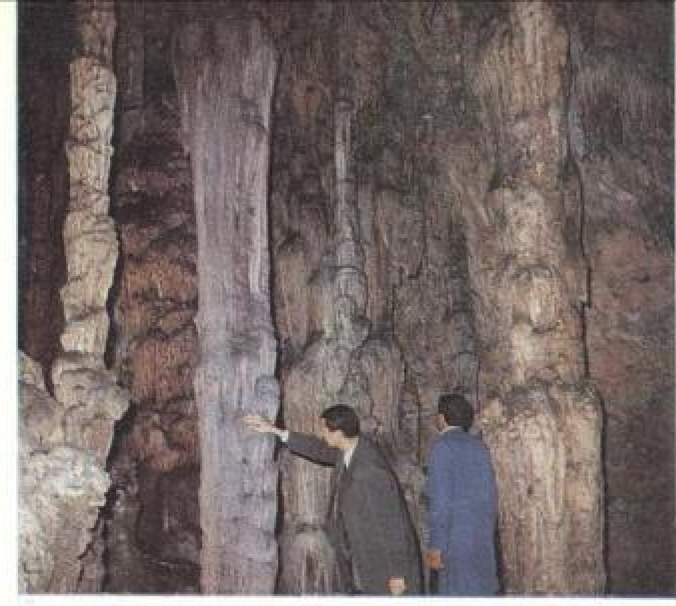
من وسط تلمسان ترتفع صومعة جامعها الكبير الى ٣٥ مترا في السماء وتاريخها يرجع الى أيام بانيها الملك يَغْموروسان من بنى زيان الذى حكم منذ ٧٣٢ عاما .

الفرنسيون عند المدخل ! ولكنا لم نأبه لكلامه لاننا كنا نعلم ان قصة الالغام كونت عقدة عند أهل تلمسان ، فبعد الاستقلال عاد الاهالى الذين كانوا قد هاجروا الى المغرب من الجزائر .. عادوا الى اراضيهم في تلمسان ، فوجدوها مزروعة بالالغام في كل مكان .. وكانت النتيجة امتلاء مستشفيات تلمسان بجرحى الالغام ، حتى زاد عدد الذين بترت اطرافهم عن ٢٠٠٠ نسمة ، بين نساء ورجال واطفال ..

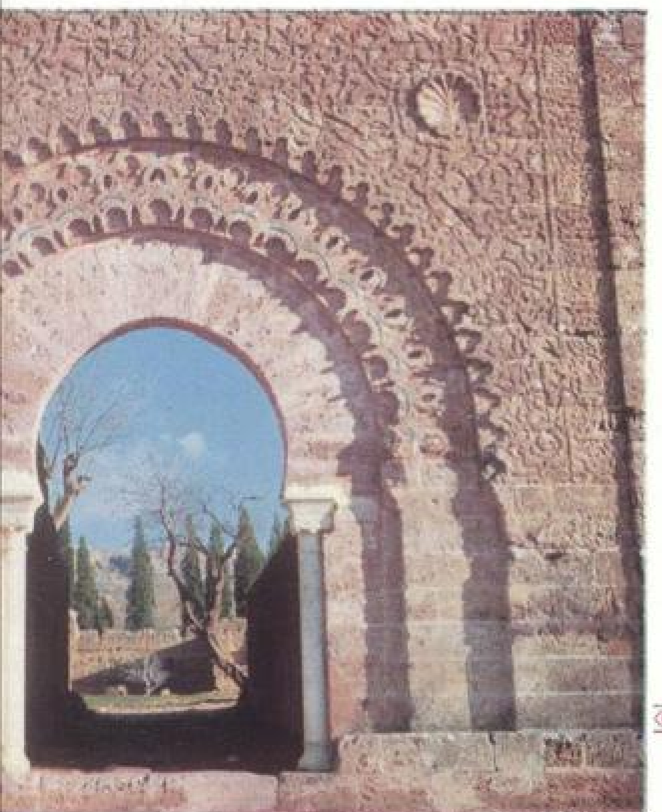
وبعد مسيرة ساعة على طريق مهجور وصلنا الى مدخل مغارة فزا .. ودفعنا الباب الحديدى ودخلنا ، وعلى ضوء شعاع الشمس ، شاهدنا اجمل منظر لاجمل مغارة من هذا النوع وقع عليها نظرنا.. ان مغارتى جعيتا وقاديشا في لبنان، ومغارتى هرقل في طنجة وجبل طارق ، هذه المغارات ذات الشهرة العالمية ـ لا توازى شيئا الى جانب جمال وروعة وضخامة مغارة (فزا) في تلمسان !! التى بامكانها اجتذاب الوف السياح



محراب الجامع الكبير ، قطعة مصغرة من محراب جامع قرطبة العظيم .. ويقال ان الملك يغموروسان مدفون قرب هذا المحراب .



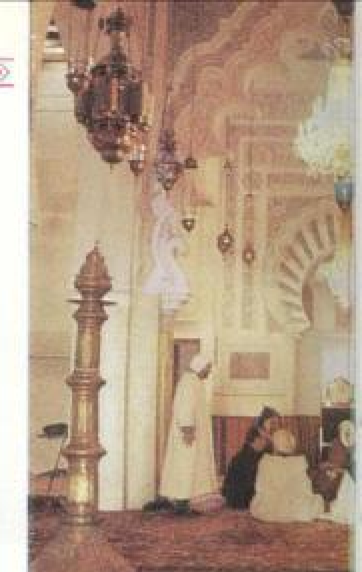
في ضواحي تلمسان مغارة تتضاءل امام روعتها جميع المغارات في الوطن العربي ، ولكنها للاسف مغلقة مهملة بحجة أن المسئولين أمامهم أمور كثيرة مستعجلة ، أهم منها !! والذين دخلوها قديما قالوا لنا : ان رسوب الاملاح عليها كون فيها اشكالا رائعة ، فهناك شكل سيارة ، وهناك شكل حفلة عرس كاملة ، اذ يعتقد الاهالي أن زفافا اقيم داخل المغارة فتحول الجميع الى اشكال من ملح ؟!





أجادير .. اسم تلمسان القديمة التي شيدها مولاي ادريس على أنقاض اطلال مدينة بوماريا الرومانية . وهذه الصومعة هي الباقية بمفردها من مسجد اجادير .

الى اسفل : نصف صومعة .. هو ما تبقى من جامع المنصورة الكبير الذى شيده السلطان ابو يعقوب المريني أثناء حصاره لتلمسان .. انها قطعة من الفن الاندلسي المغربى الجميل . ويردد أهالي تلمسان أسطورة تقول : ان السرعة التى كان يريد بها أبو يعقوب بناء صومعته دفعته للاستعانة بعمال يهود مع العرب ، وان الواجهة الجنوبية المنهارة هى التى شيدها اليهود



الى اسفل : الباب الرئيسي لصومعة المنصورة المنهارة ، ما زال رغم تعاقب السنين محتفظا بجمال زخرفته ونقوشه .. أما مسجد المنصورة فقد اندثر



من مختلف الاركان اذا اصلحت .. فما بالك اذا انضمت اليها آثار وجمال الطبيعة في تلمسان؟!

اندثار الآثار !!

ان كثرة الآثار الاسلامية في تلمسان جعلت الكتاب والمؤرخين يلقبونها بـ « غرناطة افريقيا » .. ولكن اغلب هذه الآثار تحطم أو تهدم للأسف بفعل الحروب .. وما لم تهدمه الحرب تحول الى منطقة عسكرية محظور دخولها .. فقلعة المشوار التى شيدت عام ٥٥٠ هـ (١١٤٥ م) . كانت مقرا للملوك الموحدين ثم بنى زيان .. وسميت بالمشوار لأن الملوك كانوا يجمعون أعيان المدينة ويتشاورون معهم فيها .. ان المشوار فقدت حاليا اى قيمة اثرية لها ، لأنها استعملت ثكنة عسكرية في عهد الاحتلال الفرنسي ، وما زالت حتى الآن منطقة عسكرية محظورا دخولها ..

وصهريج الماء الهائل ومساحته ٢٠٠ الف متر مربع وعمقه ثلاثة امتار ، الذى أمر يوسف بن تاشفين بحفره منذ ٦٥٠ عاما ليكون مصدرا لمياه الحدائق ومسبحا لكريمته ، والذى اغرق في مياهه ٢٢ أميرا من أمراء بنى زيان بعد سقوطهم عام ١٥١٨ ، هذا الصهريج أصبح جافا اليوم ،وارضه تستعمل ملاعب لكرة القدم !!

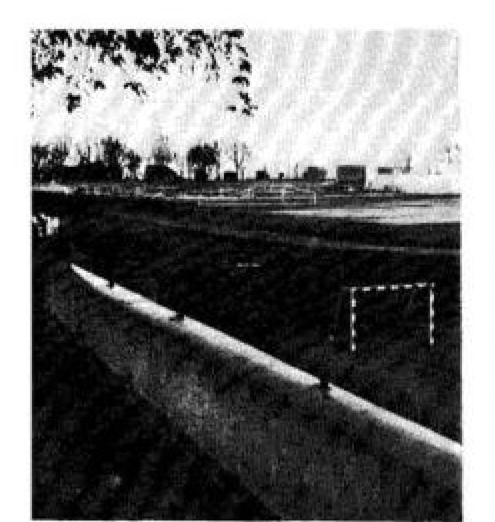
والآثار الوحيدة القائمة في تلمسان هى الاضرحة والصوامع والمساجد التى يبلغ عددها ٤٠ مسجدا، في مقدمتها المسجد الكبير ذو الثريا ذات الـ ٢٦٥ مصباحا بعدد أيام السنة ! لقد شيد في القرن الخامس الهجرى ، واقتطع ثلاثة ارباع صحنه لعمل ميدان الامير عبد القادر ..

ويلى المسجد الكبير في الأهمية ، جامع سيدى بومدين ، أو النسخة المصغرة من جامع قرطبة! نقوش وزخاف وآيات محفورة في غاية الروعة والجمال ! وقد نعود اليه في استطلاع قادم مستقل

حامية المدينة

وتزدحم تلمسان بأضرحة الاولياء ، الـذين يؤمن الاهالى بكراماتهم ايمانا راسخا ، حتى انهم يقسمون باسمائهم للدلالة على الصدق ..

وفوق الجبل المشرف على تلمسان يرفرف علم حريرى أخضر ، كأنه رمز السلام ، فهنا ضريح « للاسيتى » حامية المدينة ومنقذتها فيما مضى من الزمان ، من حصار مرير ، بفضل حيلةاحتالتها على المحاصرين ، اذ عمدت الى اطعام مجموعة



صهريج الماء الهائل : نطعة من عهد يوسـف بن تاشفين .. تحـول اليوم الى ملاعب لكرة القدم !

من الماعز بكمية كبيرة من القمح ، واطلقت القطيع صوب معسكرات الاعداء ، الذين دهشوا من رؤية القمح في امعاء الماعز بعد ذبحه ، واعتقدوا ان اهل تلمسان عندهم فائض غذاء ، فرفعوا الحصار ورحلوا عن تلمسان .. بفضل حيلة للاسيتى !!

نهاية أسطورة لطيفة !

وهذا ضريح ابو اسحاق الطيار ، الذى كان يطير من مكان لآخر .. وذاك ضريح سيد الحلوى ، حبيب الاطفال لأنه كان يقدم لهم الحلوى ..وهذه عين الحوت .. ما بال أهلها تعساء ؟! تقول احدى الاساطير ان أميرة جميلة علراء هربت من ملاحقة الامير جعفر ، ابن احد ملوك تلمسان ، حتـى وصلت الى تلك العين ، فانقلبت الى سمكة قفزت داخل مياه العين لتعيش فيها ، وظل الاهـالى محافظين على الأسماك ، حتى جاء غريب لرؤيتها ، وكان يحمل معه سمكة ميتة ، فالقاها في المـاء قائلا : ان الحياة ستعود اليها عند مجاورتهـا للأسماك الاسطورية ! ولكن المياه تعفنت ،والاسماك هلكت ، واستبدت التعاسة بأهالى « عين الحوت »

اما سيدى بلحسن فقد اشتهر بصوته الرخيم اثناء تلاوته القرآن الكريم ، وتحت ظلال ضريحه الملاصق للجامع الكبير ، يقوم « الخادم » بتربية نوع من الحمام يسمونه « الفختت » يتميز بأن

ولكن تلمسان عادت الى الامير عبد القادر بموجب معاهدة التفنة عـام ١٨٣٧ . ليعود الفرنسيون بعد خمس سنوات ويحتلوها نهائيا .

بصمات التاريخ

لقد تركت تلك الغزوات الاسبانية والتركية والفرنسية بصماتها ظاهرة على أهل تلمسان ، ذوى البشرة البيضاء والعيون الزرقاء .. وتروى قطع الآثار المهملة في المتحف قصص الحروب والامجاد الماضية .. ولكن تصوير هذه الآثار غير مسموح به الا بعد الحصول على تصريح كتابى من مصلحة الآثار بالجزائر العاصمة ، التى تبعد ٥٤٠ كيلو مترا عن تلمسان !

عملية تعجيز ، اتعبتنا أكثر من مرة في تلمسان .. انها المركزية اللعينة .. كل شيء يجب الرجوع فيه الى مكاتب العاصمة لتبدى رأيها .. كارثة يعانى منها وطننا العربى لان عامل البلد (المحافظ) يجلس صوريا في بلدته .. لا حول له ولا قوة ، مهمته تصريف الامور الفرعية فقط .. أما النهوض بالمدينة فلا يتم الا بعد رد مكاتب العاصمة (مدينة الجزائر) على « الرغبات » ، وهذا لا يحدث الا بعد ملاحقات واستعجالات .. وضـياع للوقت والمجهود ..

أين هو من الامس ؟

والوقت في تلمسان لا يعنى شيئا كثيرا .. تجد الواحد من الاهالى يجلس في المقهى امـام كوب الاتاى الاخضر (الشاى) والساعات تمر من امامه تباعا،وهو ينظر الى لاشيء،ويفكر في لاشيء ..! غافلا أن سـكان الجزائر يتزايدون بمقدار ..٢ الف نسمة سنويا ، في حين أن ارضه الخصبة لا تزيد رقعتها ولا تتسع ، وانما تنقص وتتدهور لقلة عنايته بها ..

حتى الصناعات التقليدية القديمة تدهورت،هى الاخرى .. كان آباؤه واجداده خير من يجيد صناعة الحايك الصوفي الجميل،والكساء والاحرام، ودبغ الجلود،وتطريز الحرير ، وغيرها من الصناعات التقليدية الرائعة .. فأين هو من ذلك كله ؟!

سؤال وجهناه الى مدير ادارة مراقبة المصنوعات الوطنية فى تلمسان ، فكانت اجابته مفاجأة لنا ، اذ قال : « لقد انقرضت الصناعات التقليدية الجميلة من تلمسان .. والمصنوع حاليا لا تصدره



الشيخ طالب بلعربى يجمع الميـاه «المجيبة» من أقفاص «الفخوت» التى تعيش في ظل ضريح سيدى بلحسن :

بقايا الماء الذى يشرب منه ، يقدم للاطفال الذين تأخروا في النطق ..وسرعان ما يتكلمون وينطقون!! هذا ما أكده لنا أكثر من واحد من اهل البلد !!

بايلك الغـرب

وتاريخ تلمسان موجود داخل مسجد سيدى بلحسن الذى تحول الى متحف يضم مختلف آثار اهل تلمسان ، من يوم أن كانت مدينة رومانية تحمل اسم (بو ماريا) ثم تحولت الى عاصمة دائمة للمغرب الاوسط في عهد بنى عبد الواد (بنى زيان) ٦٣٣ - ٩٦٢ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٤ م) حتى ساعة أفول نجمها بعد منتصف القرن الثامن الهجرى ،عندما تعرضت لهجمات الاسبان القادمين من الشمال والغرب ، وهجمات الاتراك القادمين من الشرق .. وانتهت هذه الفترة باسـتيلاء الاتراك على تلمسان عام ٩٢٣ هـ . (١٥١٧ م). فوقعت في ظلام العهد التركى ، واصبحت مدينـة عادية في « بايلك الغرب » ظل يتعاقب عليهـا الباشوات حتى ظهر الامير عبد القادر الجزائرى ، فحاصرهم داخل اسوار تلمسان ، فاسـتنجدوا بالفرنسيين - وكانوا قـد احتلـوا الجـزائر - فانجدوهم بقوة صغيرة ما لبثت أن اصبحت هى الاخرى محصورة داخل قلعة المشوار ، ولم يرفع هذا الحصار الا بعد وصول ستة الاف جنـدى فرنسي لنجدتهم ..





الى اليسار: ما تكاد الفتاة التلمسانية تبلغ الرابعة عشرة من عمرها حتى تبدأ فى صنع جهاز زواجها بيدها على ماكنة الخياطة .. ويطلقون كلمة « القش » على الجهاز ، أى تشبيها للفتاة بالعصفورة التى تصنع عشها بوضع قشة فوق الاخرى .

الى اسفل : « مليحة حميدو » هو اسم الشهيدة الذى اطلق على ثانوية البنات فى تلمسان ، واثناء وجود الفتاة فى المدرسة تنزع الحايك (الملاءة البيضاء) ، وتجلس سافرة بملابسها العادية وهذا فصل فى السنة الثانية الثانوية وتعليمهن باللغة الفرنسية

٩٦٢ طالبة يتعلمن مختلف الآداب والعلوم في ثانوية « مليحة حميدو » .. اما التدبير المنزلي والطبخ فتتعلمها الفتاة في منزلها .. لان الاكل التلمساني الشهي يقلب نظريات الطبخ المألوفة راسا على عقب .. فهو يخلط الحلو بالمالح في آن واحد !



الى اليمين : درب سيدي بلحسن ، وترى النسوة جالسات بجوار ضريحه، وهن مرتديات الحايك المقصب اللماع، أما الحايك المايل الى الصفرة فترتديه فتيات تلمسان فقط .

للخارج ، وانما نبيعه للاستهلاك المحلى داخل الجزائر .. »

وانتقلنا الى صانع « البلغة » الحذاء التقليدي، نستوضحه : اين بقية الصناع ؟ **فاجابنا دون ان يرفع رأسه عن البلغة التي يحيكها :** « كان عندى صناع ، وكان عندى مشترين .. أما اليوم فلم يعد عندى لا هذا ولا ذاك .. وانا اعمل بمفردي ثلاثة ازواج يوميا ابيع الزوج منها بتسعة دنانير جزائرية (٨٠٠ فلس تقريبا) .. يشتريها ابن الجبل والبدوى .. أما ابن المدينة فلم يعد يشتريها أو ينتعلها ! »

وتكلم صانع القفطان المخملى المطرز بالذهب فقال : « كنا ٥٠ صانعا نخدم هذه الصنعة ، لم يبق منا سوى تسعة فقط ، والذى يذهب لا يحل مكانه صانع جديد .. انما يترك فراغا دائما .. » .

الصناعة الحديثة

لقد تدهورت الصناعات التقليدية في تلمسان حتى كادت ان تنعدم ، ومع هذا قال لنا احد المسئولين : « الصناعة التقليدية اصبحت قاصرة على البلدان المتخلفة ، واليوم هو عصر الصناعة الحديثة الآلية ... ! »

وذهبنا لمصنع الغزل والنسيج .. ان مديره هو بلعطار عمار .. كان عاملا في المصنع منذ ٢٧ عاما ، وبعد الثورة اصبح المسئول عن ادارة المصنع ، الذى قفز انتاجه من ٥٤٦ طنا الى نحو ٢٠ الف طن في ظرف اربع سنوات !

وفي تعاونية صناعة السجاد تعمل ١٩٨ فتاة ، يدفعن شهريا خمسة دنانير جزائرية (اى اقل من نصف جنيه انجليزى) ليشتركن في الارباح التى توزع اخر العام ..

ومجلس ادارة الجمعية كله من النساء ما عدا رجلا واحدا يعمل مديرا عاما ، وهو في الواقع المحرك الحقيقى لهذا المصنع ..

اتحاد نسائى مجمد !

لقد ربحت المراة الجزائرية ثورة التحرير ، ولكنها خسرت ثورتها الاجتماعية التحررية !

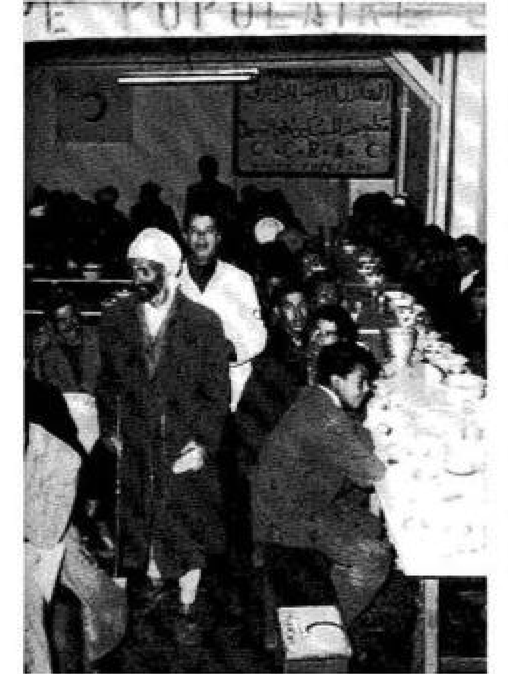
فالاتحاد النسائي في تلمسان مختوق ! وتنحصر مهمته في : « ابداء رغبة بعمل مشروع » **وبعدها لا بد من نقل هذه** « الرغبة » **الى سكرتارية جبهة التحرير في الجزائر العاصمة ، لتوافق عليها قبل تنفيذها ، وغالبا ما تضيع الاوراق في الجزائر ، او تتاخر الموافقة .. فيموت الحماس لاى مشروع .. وتكرر هذا حتى أصبح الاتحاد النسائي مجمدا ليس له اى تاثير او نشاط ، اللهم الا مركز تدريب الفتيات الذى يضم ٤٠ فتاة فقط ، والذى تنقصه المواد اللازمة ليعمل جديا ؟!**

« الفتاشة » !

لقد حاول الاتحاد النسائي دعوة نساء تلمسان الى نزع الحايك الابيض الذى يرتدينه ، فلم يحرز نتيجة او تقدما ، اذ لم تستجب المرأة الى النداء الموجه اليها ، خوفا من الرجال الذين يعتقدون أن براءة المرأة وطهارتها مرتبطان بارتداء الحايك ، لهذا يتمسكون بضرورة حجب وجه المرأة بحيث لا تظهر منه الا عين واحدة يسمونها « الفتاشة » لانها تفتش عن كل شيء بعين واحدة !! وليس صحيحا ما يشاع من ان حَوَل العيون شائع في تلمسان نتيجة التحجب بهذا « الحايك » .. فالمرأة في تلمسان لا ترتديه الا اثناء سيرها في الشارع فقط !

وسألنا احدى الفتيات في الثانوية : لماذا ترتدين

الى أسفل : يقوم فرع الهلال الاحمر في تلمسان بدور انسانى كبير ، وخاصة في شهر رمضان ، حيث يقدم ٣٠٠ وجبة مجانية يوميا





تقوم السيدة ناهضة بتعبجي المسئولة عن الاتحاد النسائي والآنسة شريف فاطمة زهرة بجهود مشكورة من أجل النهوض بالمرأة

الحايك ! فاجابتنا بصراحة : « لقد هددني والدى بمنعى من تكملة دراستى اذا نزعت الحايك .. تفضلت اكمال الدراسة وبعد تخرجى سأسافر الى وهران أو الجزائر حيث استطيع السير بدون هذا الحايك ، الذى يمنعنى من الحركة ! »

وفي جلسة مع بعض رجال تلمسان تبين لنا انهم فزعون من الحال الذى الت اليه المراة الجزائرية في العاصمة ، قالوا : ان الاسلام حث المرأة على الحجاب حتى لا تكون فتنة للجميع.. **أما الحديث عن حقوق المراة ، فهم يقولون** : « ان حياة المرأة كلها حقوق .. ولو فهم المجتمع الاسلامى حقوق المرأة لعاشت فى نعيم ، واصبحت فى مركز تحسدها عليه اخواتها الاوربيات .. » .

تقليد تحطم !!

واهل تلمسان اشبه ما يكونون بعائلة واحدة مترابطة ، يتزاوجون فيما بينهم ، ويعطون الاولوية لابن العم ، ثم ابن الخال ، فالقريب ، فابن البلد .. وان يكن هذا التقليد قد تحطم عندما تزوجت تلمسانيات بمدرسين فلسطينيين وسوريين يعملون في المدينة .

ويتزوج الرجال هناك عندما تصبح لديهم المقدرة المالية لدفع مهر العروس .. وبنات تلمسان هن اغلى بنات الجزائر مهرا .. وتتراوح قيمة المهر بين مليون ومليونى فرنك ! هكذا يقولون للتضخيم المبلغ الذى كان يتراوح بين ٧٥٠ و ١٥٠٠ جنيه استرليني ..

ويوم الزفاف ترتدى العروس حلى الذهب ، وتضع على راسها واذنيها وحول جيدها عشرات الادوار من عقود اللؤلؤ الطبيعى ، كل هذا بالاقتراض من الاهل والجيران (انظر صورة الغلاف)

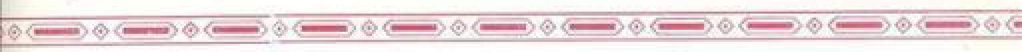
محنة اللغة من محنة الكتاب !

وتبدأ ليالى الافراح بالموسيقى والموشحات الاندلسية وكلها غزل في المحبوبة ووصف للطبيعة والليالى البيضاء ، وشروق الشمس والطيور والبساتين . ومع اصوات المطربين تختلط أصوات النسوة وهن يتحدثن بلهجتهن العامية الغريبة التى دخلها الكثير من الكلمات التركية ، والبربرية مثل قولهن : « كيفاش واش ما خممتوش فيها » .. اى : « كيف لم تفكر فيها .. » **والبعض الاخر يتحدث بلغة فرنسية صحيحة .**

أما اللغة العربية فقد عبر لنا أحد كبار رجال



من العادات الجميلة في تلمسان ، عادة ارتداء الطفلة ثيابا كثياب الزفاف ، والطواف بها مع أهلها في شوارع تلمسان وسط التهليل والتصفيق .. اعلانا عن فرحتهم بصيامها رمضان لأول مرة . وترى هنا الطفلة « لبيبة الهدام » مرتدية زيها الجميل ايذانا ببداية صومها شهر رمضان .



الى أسفل : تزدهر الصناعات التقليدية في الواحات بجنوب الجزائر ، ومن هذه الواحات يأتي العمال مع مصنوعاتهم الى مصنع النسيج بتلمسان ، حيث تمرر على آلات بها أسنان رفيعة لتبشر سطح القماش وتخرج منه وبرا يجعله لين الملمس

الى اليسار : اشتهرت تلمسان منذ قديم الزمان بصناعة السجاد ، حتى قالوا لنا أن نقوشها ورسومها الأصلية انتقلت الى القيروان .. واليوم تكتفي تعاونية السجاد في تلمسان ، بصنع أنواع السجاد الأبيض دون أي رسم أو نقش وذلك لحساب ألمانيا . وقد رفضت العاملات أن يتصورن قائلات : « ما نحبوش تروح صورتنا البلدان ، ولا تظهر في التلفزيون » .



٤٢ عاما مضت على « آر علي » وهو جالس يزخرف القفطان المخملي « والكراكو » (زي العروس) بخيوط الذهب .. كان عدد محترفي هذه المهنة في تلمسان ٣٠ عاملا، أصبحوا اليوم ٩ فقط !



التعليم في تلمسان عن حالتها بقوله : « لقد اصبحت اللغة العربية بالشلل في الجزائر » .

وهي نتيجة حتمية لمحنة الكتاب العربي في البلاد .. فالجزائر هي الدولة العربية الوحيدة التي تفرض ضريبة حكومية تبلغ ١١٪ على كل كتاب يدخلها ، ثم تطلب شركة التوزيع الجزائرية الحكومية ، وهي محتكرة توزيع الصحف والكتب في الجزائر ، تطلب منك توصيل الكتاب او المجلة حتى باب مكاتبها ، وبعدها تدفع ما يقارب ٥٠٪ من الثمن المكتوب على غلاف الكتاب نظير قيام الشركة بتوزيع الكتاب او المجلة في الجزائر !! واذا اضفنا الى هذه النسب ، اجرة الشحن ، لادركنا سر ارتفاع اسعار الكتاب العربي في الجزائر ، واختفائه من مكاتبها .. بعكس الكتاب الفرنسي ، الذي لا يتكلف مثل هذا الثمن لقرب الجزائر من فرنسا وسهولة المواصلات بينهما ..

وترتب على هذا ان اصبحت تلمسان نقطة تهريب الكتب والصحف العربية الواردة من المغرب الى الجزائر ، للتخلص من الضريبة المفروضة عليها !



فندق المسافرين : ويقع في وسط المدينة .. كان صاحبه « فيروز اليهودي » يقوم بنشاط معاد للعرب ، فأمم الفندق .. وهناك فندقان آخران في تلمسان .

حصن العربية يستغيث !

لقد اشتهرت تلمسان بكونها حصن العربية في الجزائر ، ولكن الامور اصبحت في حاجة الى التيقظ والمعالجة .. فمثلا : بائع الصحف يبيع ١٦٥ نسخة من الجريدة الفرنسية يوميا .. في حين لا يبيع من الجريدة العربية اكثر من ١٠ نسخ فقط .

وعلى اليافطات المنتشرة فوق المباني قرانا العناوين التالية بهذه الصورة « شركة الموسلات » .. « الامم المتحيدة » .. « صندوق الوطني للتوفير .. » !!

اخطاء املائية ما كان يجب ان تكون في المدينة التي انشاها مولاي ادريس الاول ويوسف بن تاشفين ، وتعلم في مدرستها ابن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ..

ومن الغريب انه حتى اللافتات المكتوبة بالفرنسية اصبحت من الصعوبة بمكان ، فهي لا تحمل الاوائل حروف الكلمات مثل F.L.N.A للدلالة على جبهة التحرير الجزائرية و P.T.T للبريد والبرق .. و T.R.C.F.A لشركة النقل . و C.A.A.R لمكتب للتامين .. بينما قرانا هذا الاعلان في الشوارع : مباراة بين فريقي J.S.M.T و I S T اى اسمي ناديين رياضيين !! وهكذا حياة غريبة يضيع فيها العربي والاجنبي على السواء .

تلماس ..

ان تلمسان التي تحتل المكان الخامس بين مدن الجمهورية الجزائرية ، بعد الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة وبون تقع على ارتفاع ٨٣٠ مترا من سطح البحر .. وتلفظ تِلِمْسان بكسرتين وسكون الميم ، ومفردها كلمة تِلِمْاس البربرية ، وتعني الينبوع .. وان كان البعض يقول انها مؤلفة من كلمتين تلم وماس اى السهل والجبل بالبربرية .

وعدد سكانها ..١ الف نسمة حسب احصاء عام ١٩٦٦ والمسافة بينها وبين وهران ١٢٨ كيلو مترا .. ومناخها متقلب .. تتبدل درجات الحرارة فيه بين يوم وآخر .. بحيث يمكننا القول : تلمسان بلد حار .. الجو فيه بارد !!

وعندما تهطل الامطار من اكتوبر لمايو ، تهطل غزيرة مدمرة فتقطع الطرق وتعزل المدينة لفترة تعود بعدها الشمس فتسطع من جديد ..



الى اليسار : في تلمسان مدرسة ثانوية تضم ٢٢٩٥ طالبا ، منهم ٤٩ طالبة في الفصول النهائية المختلطة لقد قال الفرنسيون عندما تركوا تلمسان : « غدا ستخرج، وبعد غد ستخرب هذه الكلية الجميلة لأنها ستقع في ايدى الجزائريين» وبعناد واصرار عمل المسئولون والطلبة الى تحويل مدرسة الشهيد بن زرجب الى مدرسة نموذجية .. وقد نجحوا في ذلك نجاحا باهرا ...

باربروس ينقذ أهل الاندلس

واهمية تلمسان الاستراتيجية تكمن في موقعها على الحدود بين الجزائر والمغرب ، حتى قال الادريسي المؤرخ: « لا يمكن الدخول للمغرب الاقصى او الخروج منه الا بالمرور على تلمسان » فكانت ملتقى الهجرات من كل مكان .. وخاصة هجرة أهل الاندلس ، الذين كانت تنقلهم سفن خير الدين باربروس القائد التركى ، من مياه الاندلس حتى موانى المغرب العربى ، واختار الالوف منهم تلمسان مقرا لهم ..

ارز بالسكر ، ولحم بالفاكهة !

لقد طبعت هذه الهجرة الاندلسية مجتمع تلمسان بطابعها ، وهو مجتمع مغلق لا يفتح ابوابه بسهولة امام الغريب ، ولكنك اذا استطعت دخوله فسوف تشعر وكان عصا سحرية قد نقلتك مئات السنين الى ايام الاندلس ، وعادات اهل الاندلس .. القفطان المخملى المطرز بخيوط الذهب .. والبابوج المطرز الموشى بالترتر المذهب .. والقيشانى الملون يغطى جدران الدار . والابريق والسماور مع اقداح الشاى والنعناع الاخضر .. والموسيقى الاندلسية الحالمة .. والماكولات الشهية الغريبة التى اشتهرت بها الاندلس ، خراف تطهى بالبخار ، وتحشى باللوز والفستق المقلى .. وارز يوضع فوقه السكر .. وبرتقال بالقرفة .. ولحم مطهى مع الفاكهة من برقوق وزبيب .. ناهيك عن طبق الكسكسى المرتفع وسط المائدة ، وكانه يعلن انه المفضل عند الجميع !!

« أريد أن أدفن في ترابك .. »

لقد عشق الفرنسيون هذا اللون من الحياة فالف احد ادبائهم كتابا كله شوق وحنين الى تلمسان ، قال في أحد أقسامه : « تلمسان .. ما زلت أحلم بك ليل نهار .. اتذكر ينابيعك ولياليك .. واتذكر الطريق الصغير المؤدى لجامعك الكبير . .تلمسان .. عندما اطأ ارضك تغمرنى السعادة ولا أعود أطمع فى اى شيء آخر .. فهنا اشعر دائما أن عمري عشرون عاما .. تلمسان : اريد أن ادفن في ترابك .. لانى أعلم أن الاموات هناك سعداء .. يعيشون كل موسم بين الزهور والورود التى تغطى الارض التى ينامون تحتها .. »

هذا حال الفرنسي الذى عشق تلمسان ..وهذا حال الفرنسيين الذين يقبلون العمل في تلمسان بنصف المرتب ما داموا يعيشون فى تلمسان ..

سر تلمسان ..

وحتى تعرف تلمسان جيدا يلزمك الكثير من الوقت .. لان التلمسانى لا يفتح لك قلبه الا بعد أن يعرفك ، ويثق فيك .. ومن الاسف انه عندما بدأنا نتعرف على أهلها ، وعندما بدات تتفتح أمامنا



مائدة الافطار بمنزل الحاج الاستاذ مختار الهدام
..وقد اجتمع الرجال وحدهم مع ضيوفهم للافطار



٤٠ فتاة يتدربن على اشغال الابرة والخياطة ، في
مركز تدريب الفتيات ، الذي فتح ابوابه عام ١٩٦٣

الى اسفل : تمارين رياضية في فناء ثانوية البنات .. وهي تمارين اجبارية مرتين في الاسبوع
لمدة ساعتين .. وهناك ساعتان اضافيتان لمزاولة مباريات كرة السلة ، والكرة الطائرة .

عشق الفرنسيون الحيافق تلمسان، فجلبوا اليها أشجار أوربا ليزرعوها تحت شمس افريقيا . وهذه مجموعة من أشجار الزيزفون تساقطت عنها أوراقها .

الى أسفل : تلمسان هي غرناطة افريقيا .. وأكثر ما يطرب له أهلها سماعهم للموشحات والموسيقى الاندلسية ، التي تنقلهم الى أيام الاندلس الغابرة .



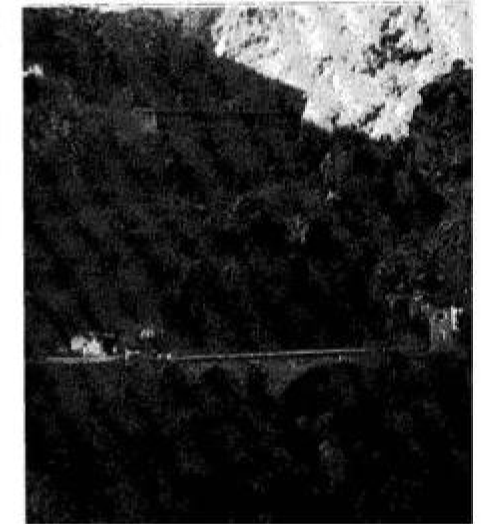




الالحان الاندلسية الاصيلة تسمعها في تلمسان .. وقال لنا الفنان عبورة خير الدين ، رئيس جوقة غرناطة : « الغناء الاندلسي ينقسم الى ٢٤ نوبة مختلفة ، اى أن أهل الاندلس كان لهم لحن جديد في كل ساعة من ساعات اليوم ... وما زلنا نجهل ثمانى نوبات فقط ، اما الباقى فعرفناه » .

الابواب ، بابا بعد باب ، كان موعد الرحيل قد ازف .. فرحلنا آسفين حاملين معنا سر تعلق المرء بتلمسان .. هذا السر ليس فى جمال مبانيها ، فمبانيها الجميلة نادرة ان لم تكن معدومة ، وليس فى طيب هوائها وقد علمت من جوها ما علمت ، وانما سرها فى رقة اهلها وحساسيتهم الزائدة ، ودماثة خلقهم . ولا صحة لما يقال عن بخلهم ، انما هم اقتصاديون وليسوا مسرفين .. واكبر دليل على كرمهم انهم ضحوا باجمل منظر طبيعى لديهم، ليقدموا المياه التى كانت تتساقط على هيئة شلالات فى وادى الوريط ، قدموا هذا الماء هدية ليشرب أهل وهران ماء عذبا بدلا من مياه الآبار المالحة التى كانوا يشربونها !

الى أسفل : وادى الوريط بعد أن تحولت مياه شلالاته الى مدينة وهران فأصبح واديا صامتا هادئا ..



قتيل الهوى ..

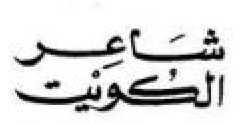
وتهب الريح من حولنا وتصفر وكأنها تريد أن تقول : « اننا نتقبل نقدكم بصدر رحب.. وموعدنا معكم بعد خمس سنوات ، لتروا المشاريع وقد تحققت .. والناس بدأت تعمل .. والمجتمع قد تغير .. !! »

وسكتت الريح وهدأت ، ووجدنا انفسنا نجيبها هامسين : « تلمسان .. يقولون ان الحبيب هو الذى يقسو على محبوبته لانه يريد أن يرى الكمال فيها .. وهذا حالنا معك، فقد وقعنا أسرى جمالك ورقة أهلك .. حتى أصبح حالنا ، اشبه بما ردده الموشح الاندلسى الذى سمعناه فى رحابك :

ضـربتنى بخنجـر مقلتاهـا
تـركتنى مخضبـا فى دمـائى
طرحتنـى على الطـريق وقالـت
مـن يصلـى علـى قتيل هوايا

■■

سليم زبال





بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ ليس من الانصاف ان نقارن بين من تهيأت له البيئة الناضجة فى الثقافة فأبدع ، وبين من كان مجال بيئته محدودا فى عهده ، فارتفع بجده وملكته القوية فاحسن . وليس من العدل ايضا ان نطلب من فاقد بعض الحواس مثل ما نطلب من موفورها ، لا سيما حاسة البصر التى تتيح لصاحبها مجالا من المشاهدة فى مختلف الوانه واشكاله ، يحاول أن يبلغه فاقدها بالتخيل ، قياسا على السماع ، وما ملأ أفكاره من محفوظات . لكن قوة البصيرة ، ودقة الحس ، قد يبلغان من التمثيل والتخييل ما يوحي بأن هناك رؤية حقيقية ، ركبت الصورة فى لون من الوان البيان . وهذا بشار بن برد الأعمى يضرب قوله مثلا في البلاغة اذ يقول :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ان حكمة الله التي سلبت شيئا ، قد تتجلى فى نعمة اخرى تعويضا عن النقص ، بأن يهب حافظة قوية ، وذاكرة معينة منجدة ، وحسا مرهفا مسعفا فيشيع الرضا والصبر الجميل ، ولله فى خلقه شئون .

كاد يكون صياد سمك

وشاعر الكويت فى عهده ، صقر بن سالم الشبيب ، حرم من نعمة البصر وهو فى السابعة من عمره . وكانت

ولادته سنة ١٨٩٤ . ولعل عماه هو الذى جنبه مهنة صيد السمك التي كان يزاولها والده الفقير ، ولم يمد الله فى عمر والديه بعد أن عمي الا بضع سنين، فتركاه ضعيفا معدما . ولم يكن لمثله من خير الا أن يحفظ القرآن ، ففيه طريق الى معاشه . وتداركته رحمة الله ، فأرسل الى الأحساء ، لينهل مما كان فيها من علوم شرعية ولغوية ، وهناك حفظ أيضا كثيرا من الشعر القديم ، فكان عونا على تفتح ملكته الشعرية ، حيث نظم اول ما نظم من الشعر فى المديح . ولما اكمل من عمره عشرين عاما عاد الى وطنه الكويت ، فكان يعظ فى المساجد ، ثم استمع الى ما كان يقرأ عليه من الأدب الحديث .

وكان معجبا بأبى العلاء المعرى ـ وهو اعمى مثله ـ فحفظ كثيرا من شعره، واراد ان يترسم خطاه . ولئن كان ابو العلاء قد تجنب أن يجني على احد ، فان صقرا تزوج اكثر من مرة ولم يجن على احد رغم انفه ، فهو لم يرزق من الذرية شيئا . وان احدى النساء لم تمكث معه اكثر من اسبوعين زادته فيهما شقاء .

حياة أدبية ونماء

وفى الكويت كانت الحياة الأدبية آخذة فى نموها وازدهارها ، فالمدارس ، تنشأ ، والبعثات ترسل الى مصر وغيرها من الاقطار ، والرعاية الحكومية ممدودة على كل من يطلب العلم ، ويجول فى مضمار الثقافة ، والعناية وافرة بأهل الفضل والأدب ، ممن يهبطون الكويت ، فينزلون على الرحب والسعة ، من امثال محمد رشيد رضا ، وحافظ وهبة ، ومحمد الشنقيطي ، والزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي ، فبعث كل هذا فى النفوس المجبولة على حب الأدب حركة ونشاطا .

ولم يكن صقر الشبيب بمنأى عن هذا ، بل كان يجول فى ميدان الأدب ، والدعوة الى العلم والعرفان .

والحق ان صقرا كان مكثرا ، لا يدع مجالا الا صال فيه ، وكان مطيلا فى أغلب قصائده مما يجعله أحيانا يتكلف فيميل شعره الى الكلام المنظوم .

ومن خلال شعره الذى يجاوز خمسة آلاف بيت من الشعر اقتطف نماذج فى مختلف الاغراض التي تناولها . وقد تكفل الأستاذ الجليل احمد البشر الرومي بنشر ديوان صقر الذى عهد به اليه قبل وفاته وجعله امانة فى عنقه ، اذ كان الأستاذ احمد البشر أشد الناس به اتصالا ، وأكثرهم لصقر عونا ورعاية . وانه ليُعِدّ عنه دراسة مستوفاة ليقدم بها الديوان .

واني اذ اكتب عنه أسوق من شعره ليدل عليه متعمدا الا أذكر الأسماء والمناسبات ، واتخير ما لم يسبق نشره فى الغالب فى مؤلفات من كتبوا عنه ، او مقالاتهم، كالمرحوم عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت ، والأستاذ فاضل خلف والأستاذ سيف مرزوق الشملان فى مقالاتهما ، والأستاذ خالد سعود الزيد فى كتابه ادباء الكويت .

فى المديح

لا يخرج مديح صقر عن المنهج القديم من الثناء على الكرم ، والبذل والاعجاب بالمروءة والسماحة مع اطراء الاخلاق الفاضلة ، والبشاشة ورحابة الصدر . الى جانب التعريض بسوء البخل والحرص على المال ، وقد يشير من خلال ذلك الى ما يعانيه من عوز واحتياج :

فلله مُزْنٌ من يمينك قد همَا
فابدلني ذاوي الرجاء بأخضر
الغاث ، ولم أسمع دويّ رعوده
وسحّ ومنه البرق لم أتنور
على حين رفد البعض غَرْس مواعد
متى استثمرت بالخلف والمطل تثمر
وبعضٌ ، متى يسال اخو الفقر رفده
يقطّب محيّاه ويَعبس ويَزجر

وبعض متى ما جاد جاد بتافه
واتبعه لؤما بمنّ مكدّر

بل انه يدعو على الباخلين ان ينزع الله ما لديهم من ثراء لأن ثراءهم نار تحرق افئدة المكارم :

اذا لم يرفد البؤساءَ مثر
فلا ابقى لديه الله ثروه
فابقاء الثراء لدى شحيح
بافئدة المكارم شر جَذوه

وهو يعترف بأن الحاجة قد تدعوه الى مدح من لا يستحق المديح ، وان بعضهم تتنازعه الرهبة من هجائه فيريد أن يجود ، والرغبة في حفظ ماله ، فيميل الى الامساك :

دعتني حاجاتي الى مدح معشر
فجئت اليهم طوع حاجيَ امدح
فكنت كأني من عُبوس وجوههم
تجاه مديحي جئت اهجو واقدح
يخافون ارفادي لأن نفوسهم
بهن الى امساكها الطبع يجنح
وان خيّبوني اشفقوا من قصائد
تشير كمينات العيوب وتفضح
فيا ليت ان الله ما كان محوجي
الى غيره ممن يشح ويسمح

في الرثاء

والرثاء تعداد لمآثر الفقيد والتصبر على حكم الاقدار والمواساة .. وصقر في ذلك يسير على نهج الاقدمين ايضا ولكننا نحس في رثائه صدق العاطفة وحرارة اللوعة .

عليك لشرقيّ الكويت يطول
بكاءٌ وان لم يُجده وعويل
وانّى لشرقيّ الكويت تجلد
وقد جدّ منك اليوم عنه رحيل

وهي قصيدة طويلة .

وله في مطلع قصيدة رثاء لآخر :

يعز علينا فقدنا ذلك الحَبرا
وايداعنا جثمانه الطاهر القبرا
فلو طلبت منا المنية فِديَة
فديت بنفسي ذلك العالم الحرا

انه لم يرث الا من كانوا جديرين بالرثاء،من السادة والأفاضل والمحسنين، ومن استشهدوا في سبيل الوطن .. ذلك ان اياديهم كانت على وطنه أو عليه ممدودة بالخير والتكريم .

وفي الهجاء

واذا كان المدح والرثاء ترنما بالمكارم وعرفانا للمآثر ، فان الهجاء سلب ونفي . ولم يخل شعر صقر من هذا اللون ، وكان هجاؤه انتصارا لنفسه واعتزازا بكرامته . وهذه ابيات من قصيدة قاربت التسعين بيتا اكثرها من جيد الشعر :

الخشى ان يذيع الشعر يوما
اذا ما جئتك ، الهفواتِ جهرا
اذن فتخل عما انت فيه
والا قلت فيك الشعر حرا
وتندم حين لا ندمٌ مفيد
وتعلم أن صقرا كان صقرا
وان مخالبي كانت حدادا
واني منك بالصدمات ادرى
فان يحلُلو طعمي للموالي
فطعمي للمُعادي كان مرا
الين لمن يلاينني واغدو
كاصلب نبعة ان رمت كسرا
لقد اسمعتني قولا غليظا
وما اسلفتُ قط اليك شرا
وليس جزاء شرك غير شر
كما يأتي جزاء الخير خيرا

★ ★ ★

اتابى غير ذلي او سكوني
وتبدي انت عجرفة وكبرا
واني صنت نفسي وهي نفسي
تعد خضوعها للناس كفرا
رأيتَ تواضعي فظننت اني
لحمقك لم اكن أعلوك قدرا
اهنت بشخصيَ الآداب طوعا
لأحقاد اضاقت منك صدرا
فلا تعجب اذا ما قمت ذبّا
وذودا عن كرامتها ونصرا

ولســت بذائــد عنهــن وحــدي
اذا ما عدت تلحقهــن ضــــرا
ولكــن في الكويت رجــال صــدق
ابَوا ان تشــكو الآداب جــورا

الشكوى

ان رجلا فاقد القدرة على العمـل ، بسبب فقدانه البصر ، وليس له من المال والثروة ما يعينه على مشـاق الحياة ، لا ننتظر منه الا الشكوى ، والضيق بما حوله ، في وقت لم تكن الأمور على خير ما يرام ، وهذه الشكوى تسرى فى كثير من شعر صقر الشبيب سواء أكان مادحا أم راثيا أم متفلسفا ، وما احسب كثرة الشكوى الا قبل ان تتفتح ابواب الرزق على مصاريعها لمواطنيه ، أما حينما أفاء الله عليهم من فضله ، حكومة وشعبا ، فقد لقى تكريما وتيسيرا ، كما كان يلقى من قبل من خيارهم بذلا فى اشد الضيق :

ان ايــلام فاقتــي لشـــــديد
آه منــــه لــو ان آه تفيــــــد
كلمــا قلــت ذات يــوم ســيمضي
منــه عنــي اشــتداده أو يَبيــد
عنّ خطب يقــول انى كفيـــــل
ان ســتبلى يا صــقر وهو جــديد
رُبّ ليــل ســهرتُ تحت دجــاه
ابدأ الفكــر فيــه ثــم أعيــد
باحثــا فيــه عــن طــريق خــلاص
مــن همــوم يشــيب منهــا الوليــد
فيولنى الدجى وكلّ طــــريق
خلت فيــه النجــاة لى مســدود

وفى شكواه يذكر انه خدم الأدب فصار له حق فى أن يصان :

خدمتُ منــذ الصــبا الآداب بينكــم
حتــى اتــى لقــواى الشــيب قماعا
كم ابرزت كلماتي الغــر اوجهـهــا
معشــوقة الحســن احسانا وابداعا
الزمنَ حتــى عِداتي ان تقــر لهــا
بانهــا جمعت نفعــا وامتاعــا
ولم أرد من بــلادى ان تجــازينى
بالصــاع كيلَ مُجازٍ منصــف صاعا

كــلا فمــا أنــا ممــن يبتغــون بمــا
يأتــون مــن خــدمة الاوطــان اطماعــا
لكــن شــيخوختي عــن حمــل ازمتها
ضــاقت فاســمعتكم شكــواى ملتاعا
وحــق شــيخوختي بــاد علــى وطنــي
ومثلــه صــان وجــه الحــق او راعى

ويتحدث ايضـا أنه كان فى طليعـة الداعين الى طلب العلوم ، ولئن قال هذا وهو الوقور فان سوء الحال هو الذى يدعوه الى الحديث عن نفسـه :

فشمس هــداى في الاوطــان اضحت
وليس علــى ســناها مــن غبــار
الــم اك في طليعــة مــن دَعَوهــا
الى مــا للمعــارف مــن منــار
ولســت اقــول هذا القــول فخرا
فلــم أُخلــق محبـــا للفخــار
ولكنــى بــه ســايرت فقــرا
مضــرا بالرزانــة والوقــار
وســوء الحــال كــم ادى وقــورا
الى مــا لا يحــب مــن الحــوار
اقــول وكــسر قلبى اليوم يرجــو
برعيكم الحصــول علــى انجبــار
ردّوا بى مَنهــل الانصــاف عَلّنــى
ارى بــردا لأضــلعيَ الحِــرار

ولقد قيـل له : مـاذا تكتب على صورتك ؟ فنظم الأبيات التالية :

هذا خيال امرىء مذ شبّ ما اشتملت
علــى المســرة حتــى شاب اضــلعه
ما ان تنــاول من آمــاله ســببا
الا رأى مديــة الأيــام تقطعــه
وأي صــاد مــن الاحــرار ما وقفت
دنيــاه عــن كل ما برويــه تدفعــه

وفى الغزل

وللغزل من شعر صقر نصيب ، لكنه قليل ، وهو فيه أيضا مقلد للاقدمين ، وما اظن ان له تجربة فيه الا ما حفظه من قصائد القدامى ، وما قرىء عليه من كتب الأولين ، ومع هذا يحسن القول ، ويطيل القصيدة ، شانه فى ذلك فى كل ما ينظم في أكثر الموضوعات . واني

لاقتبس بعض أبيات من قصائده الغزلية يقول :

عذلوني على اندفاعي مع الحـ
ـب كأني اندفعت معه اختيارا
جهل العاذلون أني آت
من غرامي ما بي اضطررت اضطرارا
فاطالوا في عذلهم فيه سرا
ثم جاءوا بالعذل نحوي جهارا
ثم عادوا باليأس من أن يروا لي
عن حبيبي تسليا واصطبارا
يئس العاذلون مني فقالوا
لوم هذا الفتى نراه خسارا
ما عسانا نفيد بالعذل صبا
قام دون النهى هواه ستارا
عاد ممن لتنتهم شدة الحـ
ـب سكارى وما هم بسكارى
صدق العاذلون اني لنشوا
ن وما ان حسوت قط عقارا
غير ان الهوى أدار كؤوسا
مترعات منه علي كبارا

وانه ليقلد بشارا في ان اذنه عشقت ، ولكنه يزيد أنه لجنونه في الحب يصفع من يلومه . وهذا بعض من مطولاته :

امعنت في النفار عني ظبية
كان بالامس لها جهري كناس
فاعتراني ما ترى من جنة
هل لمجنون الهوى تعرف آس
لا تقل انني لاعمى صبوة
اذني عيني ، وهل ثم التباس
لا تلمني وارتقبها صفعة
ـ ان تفه باللوم ـ تودي بالحواس
كم فتى قبلك وافى لائما
كاد من صفعيه يمضي دون راس

وهناك محبوبة يسميها زينب له فيها قصائد ، اذكر أبياتا من احداها :

اذاب فؤادي منك هذا التجنب
فبات دما من مقلتي يتصبب
فان كان لي ذنب اليك جنيته
على غير عمد فاغفري الذنب زينب
الى كم اقاسي من جفائك حسرة
لها بين احشائي وقلبي تلهب

يعتذر عن اللقاء ولا يخفي عماه

وصقر لا يخفي انه اعمى ، وانه يلاقي من ذلك شدائد وآلاما ، فيعتذر عن زيارة الناس خوفا مما يلاقي في طريقه ، ولقد كانت الشوارع اذ ذاك ضيقة ، ولم تكن المدينة قد اخذت مسلكها العظيم الذي نراه الآن في الكويت من رفاهيتها وروعتها وجمالها ووسائل انتقالها الراقية . وهو في قصيدة له مطولة يبدع في اعطاء صورة تثير الرثاء ، وان كانت أيضا تبعث على بسمات الاشفاق :

ولكنني ما سرت وحدي مرة
فعدت ولم تجرح جبيني يد الجدر
كأن لجدران الكويت جميعها
علي ترات غير منسية الذكر
فهن متى ابصرنني دون قائد
رددن نظيم الصبر مني الى نثر
فيسلمني هذا لذاك بصفعة
وذاك الى هذا بصفع له مثر
وليس لعكازي وان طال من غنى
تجاه صنيع الجدر او انملي العشر
فابقى شريد اللب حتى يتاح لي
كريم عن الاسعاف ليس بمزور
فيرجع بي للبيت اشكر فضله
وطورا أنال الجدر بالمنطق الهجر
فآوي الى بيتي وثوبي لا ترى
به أو بجسمي موضعا غير مغبر
فيتركني ذاك الفتى بعد قوله
أرى لك ان تبقى من البيت في القعر
فما لضرير من فراق مكانه
من الربح الا ما يقل عن الخسر
وما رقت الجدران يوما لحالتي
وهل رقة للطين ترجى أو الصخر
وان انج منها لم اعد قط ناجيا
الى منزلي من صدمة لي بالحمر
فكم أوجعت صدري صلاب صدورها
وكم عفرت ظهري بطرحي على العفر
ولم يرث لي من قد اقلت ظهورها
لقلة ما فيهم من الفهم والحجر
فمهما اقع مستلقيا لا تجد فما
على منظري من جهلهم غير مفتر

كانهـم شادوا بارسال ضحكهـم
زيادة ما قد الحقوني من الشر
وان كان فيهم عاقل كان عقلـه
بمشبـه شتمي من ملامي له يغرى
فهذا لـه ضحك وذاك ملامـة
خلال نهيق من حميرهم تكـر

ويقول أيضا :

لزوم البيت للاعمى سبيل
الى راحاتـه والى السلامه
فلا يسرح ضرير من ذراه
فغاية مسرح الاعمى ندامه
يصادفه فيقعصه حمار
عليـه مثلـه بادى الفدامـه
وكم صار منراق كل أعمى
يصادف فيـه ، ان يعثر ، حمامه

واذن فهو معذور في ان يلزم بيته . ولقد أكثر من ذلك في شعره ولجأ الى اعتزال الناس. يقول من قصيدة طويلة :

ولم ار باسا في لزومي منزلي
وان كنت فيه كالسجين اخى الغل
وكم قد أرتني الباس في السير عثرة
بها عقد حسن الصبر عاد الى حل
ولا غرو اذ بارحت بيتي سالما
وعدت جريح الرجل منقطع النعل
وكنت غنيا عن طبيب وخارز
لو انى لشخص البيت ما زلت كالظل
اذا خرج الاعمى لغير ضرورة
بلا قائد من بيته فهو ذو جهل
ولا يقل العكاز يكفى اخا العمى
اذا ما مشى فوق الطريق على مهل

وحقا قد اعتزل في منزله وانقطع عن الزيارات حوالى عشرين عاما الى أن مات.

نصائح للعميان وتشجيع

ولئن احب العزلة . وخشي على نفسه من مزالق الطرق وصدماتها ، ونصح العميان أن يلزموا دورهم ، فانه لا ينسى أن يرشدهم الى ما ينفعهم ويرفعهم ، ويضرب لهم الامثال بالقدامى كهوميروس الذى تفخر اليونان بالياذته وأوديسته ، وبالمحدثين ، الدكتور طه حسين الذى صار عميدا للادب العربي وصار وزيرا للمعارف وملأ اسمه مسامع الزمان : كما لا ينسي بشارا وأبا العلاء .

يمزقني انحطاط العمْى حزنا
وكلهم على العليا قدير
فان تعوز اكفهم رماح
يشوك شجاعتهم منها صرير
وتصفر من مدافع في دفاع
يهز كريمهم فيها هدير
ففى درس العلوم لهم رقى
تمنى مثلـه الشعرى العبور
وفي درس العلوم لهم محل
تود لو انجلت فيه البدور
لهوميروس في اليونان فضل
يفاخر منهم فيه الفخور
وطه قد بنى مجدا رفيعا
له بين الورى شان خطير
وفي هذين اسوة كل أعمى
لبيب قلبه قلب كبير

خيال واستعطاف

وفيما أقتطفه من قصيدته التى رفعها الى رئيس البلدية وهى طويلة تلمس شاعرية رقيقة وحسا دقيقا ، وخيالا بديعا ، وأسلوبا عذبا ، فيه مرح أيضا ودعابة . لقد كانت على المنازل ضرائب قليلة لا تكاد تذكر ، ولكن الفقر الذى ضيق الخناق على صقر جعله لا يستطيع ان يدفع الضريبة ، والحق انها تشبه القصة .

يا رئيس البلديه
لا اصابتك بليه
انظر اليوم فدتك النف
س لي في ذى القضيه
طلبوا مني ما تسـ
ليمه شق عليه

خفيت حالي عليهم
وهي بالفقر جليه
ما دروا اني لرامي الفقـ
ـر ما زلت رميه
فاتوا يبغون عندي
ما يدى منه خليه
ما راى الفلس مقتر
مستطابا بيديه
لو ترى حالي لرقت
منك لي النفس السريه
قرعة الجابي لبابي
غادرت نفسي شجيه
والقنا ان جيوبي
ليس فيهن خبيه
خالفا ان اعتذاري
منه لا يثني ابيه
فتململت كما تفتـ
ـل بالرمضاء حيه
ولزمت الصمت لو قلـ
ـص عن بابي فيئه(1)
واذا بالصمت قد زا
د من القرع دويه
فاثار القرع في نفـ
ـسي وكانت اشعبيه
طمعا خيل لي الجا
بي رسولا بهديه

وهكذا يمضي فيها على هذا النمط ، في أسلوب سهل ممتنع متماسك جميل وكذلك ما جاء فيها من مديح كله عذب رقيق .

اتهم بتهمة أبي العلاء

ولقد رمي صقر بالالحاد، وكاد بعضهم يأتي على حياته ، وأوشك أن يفارق المنطقة التي يسكن فيها خوفا على نفسه.

وله في ذلك شعر يبرىء نفسه مما رموه به . وناقش في قصيدة له مذهب الجبر ، ومذهب الاعتزال ، ومذهب الاختيار . ولم ينس أن يعلن تمسكه بالاسلام وانه يؤدى الصلاة ويصوم رمضان . ولم يسلم الدعاة المتعصبون الذين يفرقون بين الناس باسم الدين من لاذع شعره وقارس هجائه .

أغراض أخر

والدعوة الى الوحدة بين العرب كان لها في شعره نصيب . اما فلسطين فله فيها قصائد طوال تتناول الاحداث التي اصابتها ويدعو الى الجهاد بكل الوسائل، وبذل المعونة بالمال والسلاح، ويثير نحوه العرب والمسلمين لتحريرها من أيدى المغتصبين .

ان صقرا كان من الشعراء المكثرين يبالغ في التحليل والتعليل فلا يخلو في بعض شعره من ضعف وتكلف في التعبير، تمزقه أحيانا الجمل الاعتراضية والضرورات الشعرية ، على أن الجيد في شعره كثير وفيه الى جانب الاغراض التي تحدثت عنها أغراض أخر كالاخوانيات والمداعبات والفكاهات والحكم والعظات، فلا عجب أن يسميه مؤرخ الكويت المرحوم عبد العزيز الرشيد « شاعر الكويت » وان يقول عنه الشاعر الكويتي المرحوم خالد الفرج :

معرى الكويت وبشارها
هززت من النفس أوتارها

وفي فجر يوم الاربعاء ١٨ من ربيع الاول سنة ١٣٨٣ الموافق ٧ من اغسطس ١٩٦٣ توفي صقر في حجرته ، ولم يكن بجواره أحد . وكأنه كان يعنى ذلك حين قال :

فصرت بحيث لا زيد يراني
ولا عمرو الى يوم الحمام
عسى ان يستتب به صفائي
واحظى من سكوني بالمرام

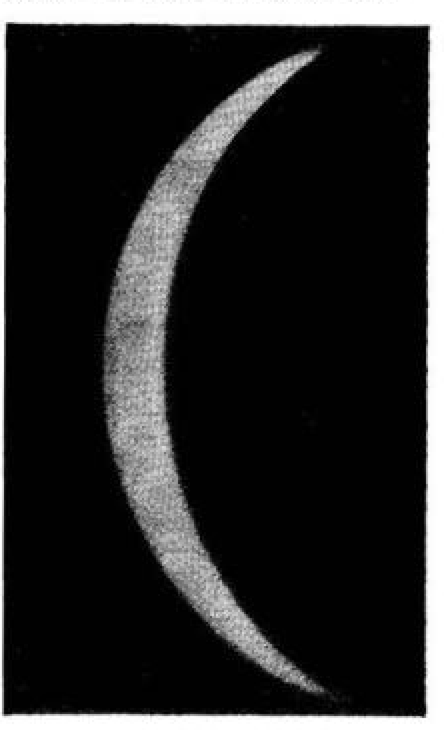
■■

عبد الستار فراج

---

(١) فيه مخفف فيئه اى ظله

● بحوث الفضاء بحوث طويلة ،والاستعداد لها يطول، فاذا اطلق الصاروخ مطلقوه ، بالعربة الى القمر او الى الكوكب ، وارسلت العربة باللاسلكي الى اهل الارض مما وجدت ما ارسلت ، طال انتظار اهل الارض حتى يفرغ العلماء من استخراج النتائج من الصور والارقام والرموز الكثيرة المعقدة التي حصلوا عليها . وكثير منها لا يدل على ما يريدون،ولكن باللف والدوران حوله، وبالحساب، قد يستخرج العلماء منه ما يريدون .


صورة فوتغرافية للزهرة وهي هلال اخذت بتلسكوب جبل بولمار

ومن هذا ما وقع للزهرة .

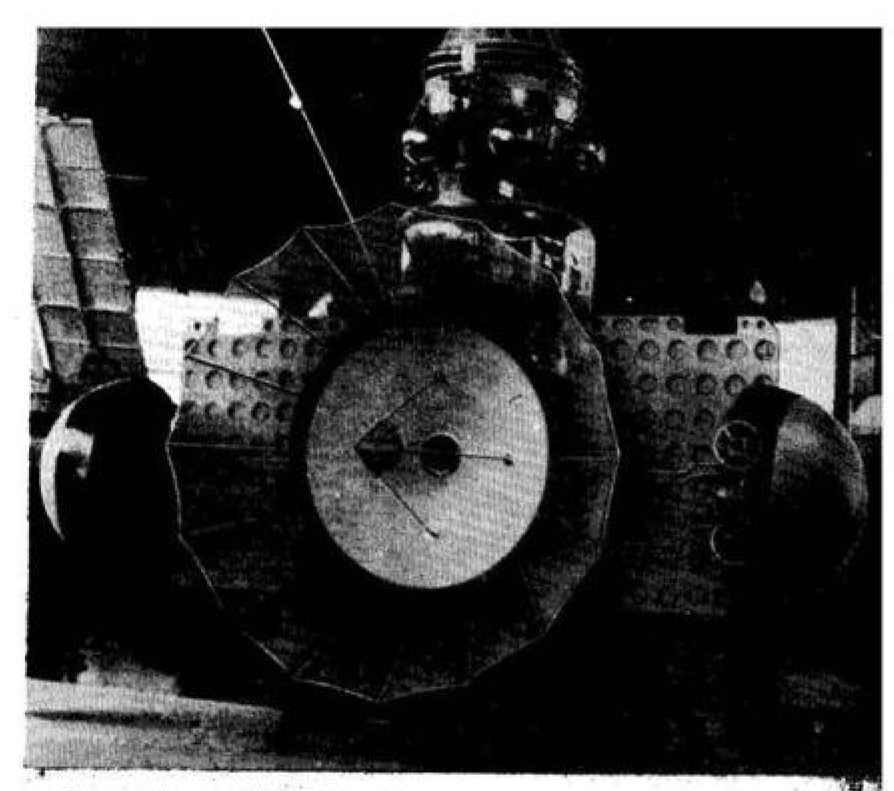
ففي يونية وفى اكتوبر الماضيين عكر على الزهرة سكوتها ووحدتها زائران من الارض ، الاول مركبة الفضاء الروسية « الزهرة رقم ٤ » Venera 4 ،وهي تهبط هبوطا رخيا على سطح القمر فى ١٤ من الشهر السادس ، والزائر الآخر مركبة الفضاء الأمريكية « البحار رقم ٥ » ،وقد مرت بالكوكب مرورا خاطفا ، واقتربت ، وسجلت ، وذلك فى التاسع عشر من الشهر العاشر .

وفقط منذ نحو ٣ اشهر ، ظهرت اول النتائج التي استخرجها العلماء .

والظن القديم كان أن الزهرة توأم الارض ، تقاربا حجما وشكلا ، وتباعدا عن الشمس بعدا متشابها .

وكان المظنون ان يلبس كل منهما من الأجواء يلفها حوله جوا واحدا ، ثم اختلفت الظنون .

ونحن هنا نأتي بالنتائج خالصة ولا



صورة من المركبة الروسية Venera 3 وهي تشبه تماما صورة المركبة التى ارسلها الروس الى الزهرة Venera 4 ، وذلك في يونيو عام ١٩٦٧ ،فلما جاءت الكوكب ، اخترقت جوه عبر ٢٥ كيلومترا ، ثم هبطت على سطحه الجامد هبوطالينا . وفي اثناء ذلك سجلت آلاتها العلمية ما سجلت ، وارسلت بنتائجها رموزا لها معانيهاعند العلماء الروس على الارض .

ندل على مصدرها ، ولا كيف جاءته اختصارا للقول .

دوران الزهرة حول نفسها

كان من الصعب جدا ، والزهرة يلفها جو سميك ، ان ترى التلسكوبات لها وجها ، تراه يدور ، فتستدل من ذلك على كم هي تدور حول نفسها . حتى الفلكيون المشتغلون بالردى Radio Astronomers لم يوفقوا اول الامر في الكشف عن ذلك . ثم توصلوا الى رقم صحيح يعتمد عليه في السنة الماضية فقط ،سنة ١٩٦٧ ،ذلك ان الزهرة تدور حول نفسها مرة واحدة كل ٢٤٥ يوما ، وفي اتجاه عكسي ، فاين هذا من الارض ، وهي تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة .

مغناطيسية الزهرة

وتكشفت مغناطيسية الزهرة عن قدر صغير يتفق مع دورانها هذا البطيء . ان مغناطيسيتها تساوي جزءا من ١٥٠٠ جزء من مغناطيسية الأرض .

ومغناطيسية الأرض تعزى الى ان قلب الأرض منصهر ، موصل ، وهو

يدور بدوران الأرض ، فتنتج من ذلك التيارات الكهربائية التي تنتج المجالات المغناطيسية . والزهرة ، ودورانها ما علمنا ، ضعفت اذن مغناطيسيتها لضعف دورانها .

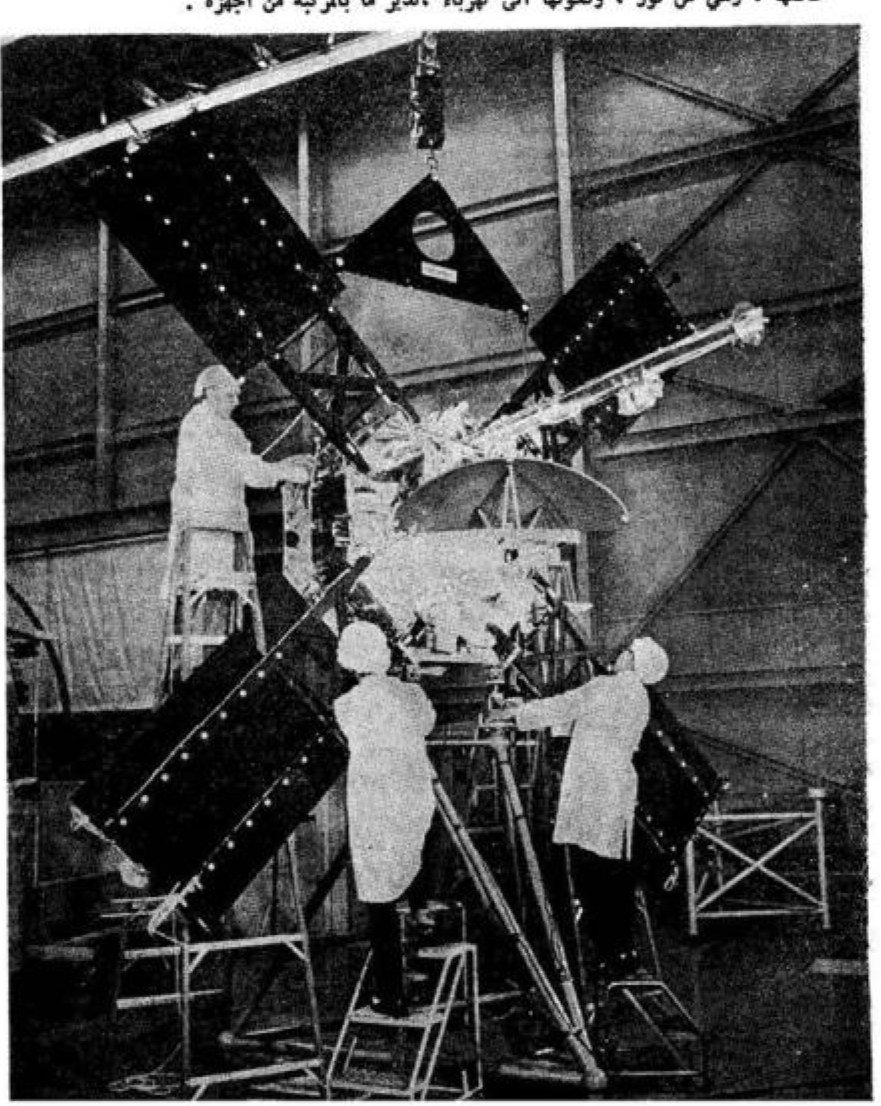
جو الزهرة

هو جو كثيف لا شك فى هذا .

ويتكون أكثره من غاز ثانى أكسيد الكربون . ووجد الروس ان به ما بين

صورة المركبةالامريكية الملاح رقم ٥ Mariner 5 تلك التى اطلقت في اكتوبر الماضي وغايتها كوكب الزهرة لتكشف ما تستطيع من أموره . واقتربتمن سطحه بنحو ...، كيلومتر . وسجلت من هذا البعد ما سجلت،والى الارض بنتائجها أرسلت.

وترى في صورة المركبة اربعة اجنحة ، هي فيالواقع بطاريات ضوئية كهربائية تاخذ من الشمس طاقتها ، وهي من نور ، وتحولها الى كهرباء ،تدير ما بالمركبة من اجهزة .



٩٠ الى ٩٥ فى المائة من هذا الغاز . هكذا وجدوه فى الـ ٢٥ كيلو متر التى قطعتها مركبتهم فى هذا الجو وهى هابطة الى سطح الزهرة .

ووجد الأمريكان ان به ما بين ٦٩ الى ٨٧ فى المائة من هذا الغاز ما بين ٦٠ الى ٧٠ كيلو متر من السطح .

وكلا الطائفتين من البحاث اثبتا ان الاكسجين يوجد بكميات لا تكاد تذكر . وكذا بخار الماء . وكلاهما كشف عن وجود هالة خارجة من الادروجين يمكن مقارنتها بتلك التي توجد حول الجو الارضي . وانفرد الروس بانهم لم يجدوا للازوت اثرا .

الضغط الجوى على ظهر الزهرة

وسجل الروس لجو الزهرة ضغطا جويا ارتفع عند سطحها الى ما لا يقل عن ٢٢ ضغطا جويا ارضيا .

وسجلوا درجة حرارة ارتفعت من ٤٠ درجة مئوية الى ٢٨٠ درجة . وذلك اثناء قطع المركبة الى سطح الزهرة مسافة ٢٥ كيلو متر ، وازدادت بالطبع درجة الحرارة كلما اقتربت المركبة من سطح الكوكب .

العلاقة بين الحرارة عند سطح الزهرة والجو الذى يحيطها

ان جو الزهرة فيه الكثير الاكثر من غاز ثانى اكسيد الكربون ، وهذا الغاز شفاف لاشعة الشمس ، تلك الاشعة التى تراها العين ، وتلك الأخرى الفوق البنفسجية (هواء الجو الارضي يمتص هذه فلا تصل الى سطح الأرض الا قليلا) . ولكن هذا الغاز يمتص الاشعة دون الحمراء من الطيف الشمسي التي هي الحرارة . فهو اذن يحبس هذه الاشعة عندما تنعكس على صخور سطح الزهرة وتريد العودة . وبهذا ترتفع الحرارة هناك .

وهذه الحرارة المرتفعة لا بد هي التي سببت تبخر الماء الذى قد كان محتملا وجوده عند سطح الزهرة . فهذا الماء لو انه ظل هناك ولم يتبخر ، لاذاب من ثاني اكسيد الكربون ما اذاب ، ولاتحد هذا بصخور الزهرة فانجمد كما انجمد فى الصخور بسطح الأرض ، ككربونات الكلسيوم (الحجر الجيرى) مثلا .

قلة الاكسجين والماء ماذا تعني ؟

وكشفت المركبة الروسيةعن وجود ما لا يزيد عن ١½ فى المائة من الاكسجين والماء فى جو الزهرة . فماذا تعنى هذه القلة .

انها تعنى ، فيما تعني ، ان الزهرة لا حياة فيها .

فاساس الحياة النبات ، والنبات يبنى جرمه من ثانى اكسيد الكربون ، وهو كثير هناك . وذلك بالعملية التى سميناها بالتمثيل . ان النبات يأخذ من هذا الاكسيد كربونه ، وبه مع الماء يبني نفسه ، ويطلق الاكسجين فى الجو ، فيكثر فيه الاكسجين ، فحيث لا نبات بقي اكسيد الكربون كما هو ، وخلا الجو من الاكسجين او كاد . والماء ، ان صح أنه كان موجودا ، تبخر بسخونة الجو ، ولم تستطع جاذبية الزهرة ان تحبسه ، فذهب فى الفضاء بددا .

ظواهر لعلها جميعا نشات من بطء دوران الزهرة حول نفسها

كل هذه الظواهر ، التي منعت الزهرة ان تلاحق ارضها ، التوأم ، من أن لا حياة على ظهرها ، ولا ماء ، ولا اكسجين ، ومن كثرة اكسيد الكربون ، كلها قد ترد آخر الامر الى بطء دورانها حول نفسها ، حول محورها . دورة واحدة كل ٢٤٥ يوما من ايام الارض ! ! ●●

● مرّ أبو طالب ومعه ولده جعفر، فرأى النبي يصلي والى يمينه ابنه عليّ . فقال لجعفر:

صلْ جناح ابن عمك وصلْ على يساره .

فكانت هذه اول جماعة اقميت في الاسلام .

● اختار النبي جعفرا لقيادة المهاجرين الى الحبشة. وبعثت قريش وراءهم عمرو بن العاص يناوش .. فافحمه جعفر فى النقاش أمام النجاشي ، وعاد بالمهاجرين والمسلمون فرحون بفتح خيبر .

جعفر بن أبي طالب

بقلم : حسن الامين

■ الرواد المسلمون الاوائل الذين اقبلوا على الاسلام في ضعفه ، موطنين نفوسهم على البلاء والمحنة ، فكابدوا الشدائد والاهوال ، وتحملوا التشريد والترويع ، ثم وقفوا نفوسهم على حمايته ونشره ، ولم يطمعوا بمغنم ولا فازوا بسلطان ، بل كان نصيبهم الاستشهاد ، او الكفاح من جديد لحماية الاسلام من بعض المسلمين .. هؤلاء الرواد الاوائل جديرون بالعناية والدرس ، ليكونوا القدوة والمثل ، ولتظل سيَرُهم أمام العيون وملء القلوب ، تلهم الناس الايمان والصبر والتجرّد والتضحية ، ومغالبة الظلم ومصارعة الباطل .

ومن اوائل هؤلاء الرّواد ، الشهيد جعفر بن ابى طالب .

ابوه وامه واخوته

كان لابى طالب ستة اولاد : اربعة ذكور وابنتان. والذكور اكبرهم طالب واصغرهم علي ، وبينهما عقيل وجعفر ، وكان كل واحد من هؤلاء يكبر اخاه بعشر سنين . والبنتان هما جمانة وامّ هاني ، امّهم جميعا فاطمة بنت أسد . وكانت هذه السيدة للنبى (ص) بمنزلة الام ، حين كفل زوجها ابو طالب ابن اخيه محمدا بعد وفاة جده عبد المطلب ، فاحتضنت محمدا (ص) وعنيت به عنايتها بأولادها . وقد حفظ النبى (ص) لها هذا الجميل فكان يجلها اجلال الولد لامه ، ولما ماتت كفنها في قميصه وصلى عليها ونزل في قبرها ، ثم خرج وعيناه تذرفان ، وحثا في قبرها . فقيل له : « رأيناك يا رسول الله فعلت

على هذه المراة شيئا لم تفعله على احد » . فقال : « ان هذه المراة كانت بمنزلة امي التي ولدتني » (١) . وكانت قد اسلمت وهاجرت الى المدينة وفيها توفيت .

وطالب الولدُ الاكبر لابى طالب كان ممن اكرهتهم قريش من الهاشميين على الخروج الى بدر ، هو وعمه العباس وغيرهما . وبعد بدر اختفى خبره فلم يعلم مصيره . ويبدو ان قريشا لما قُتِلَ زعماؤها الثلاثة : عُتْبَة وشَيْبَة والوليد بايدى الهاشمين ، حاولت الفتك بمن اخرَجَتهم معها من الهاشمين فاغتالت طالبا . فلما احس العباس وغيره بما يجرى لجاوا الى صفوف

ان يهاجروا من ديارهم ، اختار جعفرا لقيادة قافلة المهاجرين ، وكانوا خمسة وسبعين رجلا واثنتى عشرة امراة ، وذلك في السنة الرابعة او الخامسة من النبوة ، وقد خرج جعفر ومعه امرأته اسماء بنت عمس ، فولدت له هناك اولاده عبد الله وعونا ومحمدا (٤) . وكانت هذه الهجرة في حياة ابى طالب ، فنظمَ ابو طالب ابياتا من الشعر ارسلها الى النجاشي قال فيها :

ليعْلَمْ خيارُ الناس أن محمدا
نظيرٌ لموسى والمسيح بن مريم

شهيد مؤتة
من بلاد بيزنطة

المسلمين ، فاعتبرهم المسلمون اسرى واعتبرهم النبى (ص) كذلك ، واجبرهم على دفع الفداء .

اسلام جعفر

اسلم جعفر بعد اسلام اخيه عليٍّ بقليل ، بيوم او نحوه ، وذلك ان ابا طالب ، وكان معه ولده جعفر ، راى النبى (ص) وعليا يصليان ، وعلى قائم على يمين النبى (ص) فقال لابنه جعفر : « صِلْ جناح ابن عمك وصَلِّ عن يساره » (٢) فكانت هذه الجماعة اول جماعة اقيمت في الاسلام (٣) .

ومنذ اسلم جعفر حمل عبء الدعوة مع غيره من الابطال ، ولما اشتد الاذى بالمسلمين وراى النبى

وأنك ما تأتيك منا عصابةٌ
بفضلك الا أرجعوا بالتكرم (٥)

المناظرة امام النجاشي

ورات قريش في هذه الهجرة حماية للمسلمين فعملت على استرداد المهاجرين ، وأرسلت لذلك وفدا مؤلفا من عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ابن المغيرة (اخى خالد بن الوليد) ليفاوضا النجاشي في تسليم جعفر وجماعته . فجرت في مجلس النجاشي مناظرة طريفة بين زعيمى الفريقين اللذين جمع بينهما النجاشي ليسمع من كل منهما ما يقول قبل ان يقرر امرا بشانهما . وفيما يروى

(١) الحاكم في المستدرك
(٢) اسد الغابة
(٣) امالي محمد بن بابويه
(٤) طبقات ابن سعد
(٥) الحاكم في المستدرك

ابن عساكر كما يقول ابن كثير ، ان وفد قريش كان يتكلم باسم زعيمها ابى سفيان،وان ابا سفيان ارسل مع الوفد هدية للنجاشي وبطارقته .

وسأل النجاشي عَمْرا عما يقول، فأجاب عمرو: انه قد صار اليك ناسٌ من سَفِلتنا وسفهائنا ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، فادفعهم الينا .

ويبدو النجاشي في هذا الوقت دقيقا حكيما ، ويَظْهر وكأنه حاكم من حكام هذا العصر يدقق في طلب تسليم لاجيء من اللاجئين . فهو لم يرفض راسا ، ولم يوافق راسا ، بل درس الطلب ثم استجوب زعيم المطلوبين ، ثم اصدر قراره برد طلب التسليم . فكان بذلك سبَّاقا لمن وضعوا في عهودنا الحديثة أصول تسليم اللاجئين بين بلدين مختلفين . بل يمكن أن نقول انه أول من ميَّز بين المجرم العادي الذي يجوز تسليمه ، وبين المجرم السياسي ــ كما نقول في اصطلاحنا اليوم ــ الذي لا يجوز تسليمه ، كما سنرى بعد قليل.

شرحُ مبادىء الاسلام

وقد كان عمرو بن العاص بارعا حين أثار أمام النجاشي وبطارقته أمر اعتناق دين جديد .وادرك جعفر ما رمى اليه عمرو ، فركز جوابه علىتفصيل أمر الدين الجديد وما يدعو اليه من خير وما ينهى عنه من شر ، فقال ما خلاصته : أيُّها الملك ، كنا قوما أهلَ جاهلية ، نعبد الاصنام ونأتي الفواحش ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف صدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وامرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، وامرنا بصدق الحديث واداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقَوْل الزور وأكل مال اليتيم وقذْفِ المُحْصَنة وكل ما يُعْرَف من السيئات . وامرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام والصدقة وكل ما يعرف من الاخلاق الحسنة . فصدقناه وآمنا به واتبعناه . فعدا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان ، وأن نستحِل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك .

وكان هذا الدفاع الذى القاه جعفر عرْضا موجزا لاهم مبادىء الاسلام . وقبل ذلك سأل النجاشي عَمْراً : أهؤلاء عبيد لكم ؟ فقال عمرو : لا ، فقال النجاشي : فلكم عليهم دَيْن ؟ قال عمرو : لا .

اذن فاللاجئون ليسوا مجرمين عاديين : فلا هم عبيد آبقون، ولا هم مدينون فارون بحقوق الناس. بل هم (لاجئون سياسيون) ذوو مبادىء معينة اوضحها قائدهم ، وهى مبادىء لا يستطيع اى منصف أن يجعلها سببا في تسليم أصحابها لمن يناقضونها بوثنيتهم . واذا كانت دينا جديدا فليس فيه ما يؤخذ على اصحابه .

وهكذا صدر قرار النجاشيبرد طلب الاسترداد. فبرهن بذلك على انه علىأعلىمستوياتالانسانية.

دعوة جديدة

ولم يكن عمرو بنالعاص ممنيُهزَمون بسهولة، فتفتق ذهنه عن داهية راى . انها خير ما يُرْمَى به جعفر وأصحابه . فعاد يقول للنجاشي : « ان لهؤلاء رأيا في عيسي يخالف ما انت عليه »،فدعاهم النجاشي من جديد ، فكان وقع هذه الدعوة أليما في نفوسهم ، اذ حسبوا انه قد بدا للنجاشي ما غيَّر رأيه فيهم . وكان جعفر حين تلقى الدعوة الأولى قد عقد مؤتمرا من أصحابه ذاكرَهم فيه بما يجب أن يكون عليه جوابهم للنجاشي . وبعد المداولة أقروا كلهم رأى جعفر حين قال لهم : « يجب أن نقول ما علِمنا وما أمرَنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن »(١) .. لذلك رأيناه حين دخل على النجاشي يسلّم عليه تسليما بسيطا ويأبى السجود بين يديه على عادة جميع الداخلين عليه ، مع انه كان من المحتمل ان يثيره هذا التصرف ويغضبه ويسيء لمصلحتهم . ولكن جعفرا ابى ان يتصرف الا على أساس اسلامى بحت ، وأن لا يتنازل قيد شعرة عن مبادئه التى لا تجيز السجود لغير الله . ولم يمض هذا التصرف بلا مناقشة ، فقد تساءل النجاشي عن تصرفهم الذى خالفوا فيه قواعد الدخول على الملوك . فقال جعفر ما مفهومه اننبيَّنا حدد لناقواعد السلامبين الناس دون تمييز بينهم وامرَنا بذلك فحيَّيناك بالذى يُحيّى به بعضنا بعضا (٢) .. وكذلك رأيناه أيضا في جوابه الأول غير مُجمجِم ولا موارب ، كما كان حين اجاب عن رأيه في نبيهم

عيسي : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمتـــه القاها الى مريم العذراء البتول .

فلم يجد النجاشي في هذا الرأى ما يمكن أن يؤاخَذ به اللاجئون ، فانهم اذا كانوا لا يرون راى النجاشي في عيسي فانهم لا يتقيلون عنه احتراما له ولامه ، لذلك أيد قراره الاول بقرار جديد ، ورفض تسليم اللاجئين .

مكـة العاصمة

ويظهر مما قاله ابن اسحاق فيما حكاه ابن هشام في سيرته ، ان الأمر في مكة كان يدل على ان سلطتين تتنازعان امر مكة ، وأن اللاجئين كانوا يمثلون سلطة ، وعمرو بن العاص كان يمثل اخرى ، وأن الطلب لم يكن فرديا أو شخصيا . فعمرو بن العاص حمل معه هدايا للنجاشي وبطارقته وقدمها باسم أبى سـفيان ممثل السلطة الفعلية . ورأينا أن ابا طالب أرسل للنجاشي شعرا يشرح له وجهة نظر الفريق الآخر في طلب الحماية للاجئين .

وهنا ايضا عندما علم أبو طالب بما كان من أمر ارسال الوفد الى النجاشي عاد فارسل اليه شعرا جديدا ضمنه الحنين الى ولده جعفر ، ثم الثناء على النجاشي والاعتماد عليه في حفظ حق اللاجئين في « لجوئهم السياسي » .. ولعل في كل هـذا ما يدلنا على طبيعة العلاقات بين مكة وغيرها من العواصم قبل الاسلام وخلال الدعوة الاسلامية ، وعلى أن مكة كان معترفا بها عاصمة تفاوض وتطالب ، وان قريشا كان متسلما لها بالسلطة في مكة ، وان وفدها كان وفدا (رسميا) معترفا به .

كما قد يدلنا الشعر الذى ارسله أبو طالب مرتين على انه كان للغة العربية ولشعرها وادبها جذور خارج الجزيرة العربية ، والا فلماذا استعمل ابو طالب الشعر ، وكذلك فان ابن اسحق وغيره يرون ان النجاشي طلب من جعفر أن يقرأ له شيئا مما جاء به النبى (ص) فقرأ له صدرا من (كهيعص) وان النجاشي ومن في مجلسه تأثروا بما سمعوا من القرآن .

محاولة انقلاب على النجاشي

ويروى ابن اسحاق عن بعض المسلمين اللاجئين أن محاولة انقلاب جرت بعد هذه الأحداث كانت تستهدف النجاشي نفسه ، ولا يحدثنا الراوى عن أسباب هذه المحاولة وعما تذرع به الانقلابيون ، بل يكتفى بان يصف شعور اللاجئين حين سمعوا بالأخبار ، فيقول بهذا النص وهو يتحدث عن حسن صنيع النجاشي : « فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به ــ اى النجاشي » رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ، فالله ما حزنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه ، عند ذلك تخوفنا من أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي » .

وبالرغم من أن هذا الراوى لا يتحدث عن التفاصيل والأسباب ، فان من غير البعيد أن يكون المنازع للنجاشي قد استغل حمـاية النجاشي لأصحاب الدين الجديد وجعلها من عوامل ثورته وتحريض الناس عليه . لذلك حزن اللاجئون أولا ثم فرحوا ثانيا . ويدل على ذلك أن بعض أعوان النجاشي ممن حضر مجلس المناظرة لم يكونوا راضين عن الرعاية التى ظفر بها اللاجئون من النجاشي .

الرجوع من الحبشة

ثم مضت الحياة سليمة على جعفر واصحابه وكانوا يتنسمون اخبار الحجاز ، فعلموا بهجرة النبى (ص) وصحبه الى المدينة ، ثم تتابعت أنباء الانتصارات الاسلامية فمضت أيام بـدر واُحُد وبني النضير والخندق وبني قريظة واستقر امر الاسلام واصبح قوة تحمى نفسهـا واصحابها ، ثم يوم خيبر ، فاذا بجعفر واصحابه يصلون المدينة يوم النصر ، فيقول النبى : لا ادرى بايهما انا اشد فرحا : بفتح خيبر ام بقدوم جعفر .

قتل رسول النبي

الخطة التى ارادها النبى (ص) لنشر الاسلام لم تكن خطة الفتح والغزو على عكس ما يعتقد الناس وما جرى عليه الحال بعد النبى (ص) . بل كانت الخطة ارسال الرسل والدعاة مزودين بالاسلام بكل ما في مبادئه من حـرية وعـدالة اجتماعية واخوة ومحبة . وقد راينا نجاح هذه في البحرين واليمن مثلا . وفي يقيني انه لو امتدت الحياة بالنبى (ص) لما سلك غير هذا السـبيل

---

(١) ابن اسحاق

(٢) ابن كثير

ولما لجأ الى القتال الا اذا ألجىء اليه كما حدث حين ارسل في السنة الثامنة للهجرة رسوله الحارث ابن عمير الازدي داعية الى بلاد الشام فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني احد حكام العرب العاملين تحت سلطة الروم في بلاد الشام . ومن الطبيعي ان لا يسكت النبي لقتل رسوله المسالم.

غزوة مؤتة

لذلك أعد جيشا عدته ثلاثة الاف لتاديب المجرمين ، ووجهه الى البلقاء حيث كان قد وقع الاعتداء ، وجعل للجيش ثلاثة قواد يتناوبون القيادة في حال استشهاد أحدهم ، هم جعفر ابن ابى طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة . فاجتمع لحربهم جيش مكون من مائتي الف نصفهم من العرب ونصفهم من الروم ، فابوا ان يرتدوا وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة :

فرحنا والجيادُ مُسوَّماتٌ
تنفَّسُ في مناخرها الُسموم
أقامت ليلتين على (معان)
فاعقب بعد فُرقتها جُموم
فلا وأبي مآبَ لنأتينْها
ولو كانت بها عربٌ وروم
بذي لَجَبٍ كأن البيض فيه
اذا برزت قوانسها النجومُ

والتقت القوتان غير المتكافئتين واستشهد القواد الثلاثة . وعرف عن جعفر انه اخذ الراية بيمينه فقطعت يمينه فاخذ الراية بيساره فقطعت يساره، وحاول أن يضم الراية الى صدره بساعديه المبتورين حتى قتل . واجمع المؤرخون على انه وجد في جسده عشرات الجروح ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح. وانتهت الحرب بانسحاب المسلمين .

صدى الاستشهاد

وبلغ النبي الخبر فمضى الى منزل جعفر وسأل زوجته أسماء : أين بنو جعفر ، فجاءته بهم ـ وهم اطفال ـ فضمهم وقبلهم ثم ذرفت عيناه فبكى ، فقالت اسماء : يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء . قال : نعم انه قتل . ثم قال على مثل جعفر فلتبك البواكي .

مراثيه

قال كعب بن مالك الانصاري يرثيه من قصيدة:

صبروا بمُوْتَةَ * للاله نفوسهم
عند الحمام حفيظة ان يُنكلوا
ساروا امام المسلمين كأنهم
طَوْدٌ يقودهم الهِزَبْرُ المُشْبل
اذ يهتدون بجعفرٍ ولوائه
قُدَّام اولهِم ونعمَ الاولُ
حتى تقوضَّت الصفوف وجعفرٌ
حيث التقى جمع الغواة مجدَّل

وقال حسان بن ثابت من قصيدة :

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
الى الموت ميمون النقيبة ازهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم
ابىٌّ اذا سِيمَ الظلامَةَ أصعر
فطاعن حتى مال غير مُوسَّد
بمعترك فيه القنا متكسِّر

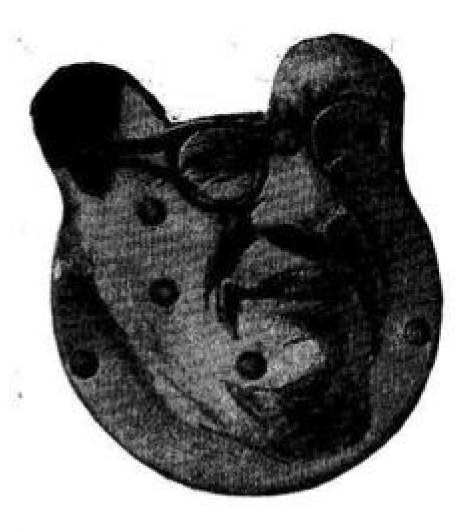
■■

بيروت ـ **حسن الامين**

---

* موضع جنوب شرق بحر لوط . حدثت فيه الموقعة المذكورة بين العرب والبيزنطيين ، وفيها قتل جعفر بن ابي طالب ، وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضوان الله عليهم اجمعين .





كيف صار قصاصا ؟

■ كثيرون هم من يريدون كتابة القصة .. وكثير منهم يحلم بالشهرة والمال والحياة الممتعة التي يتخيل أن القصاص يعيشها .. وكثير منهم ايضا يعتقد أن كتابة القصة أمر سهل هين لا يتطلب جهدا ولا وقتا !! .

والى هؤلاء يحكي القصاص الأمريكي « بول جاليكو » Paul Gallico وهو من أشهر كتاب القصة الأمريكيين المعاصرين وقد نشر له فى خلال خمسة وعشرين عاما ما يزيد على ١٣٠ قصة ومسلسلة وكتاب ، ترجم منها الكثير الى عدة لغات ، يحكي هذا القصاص .. كيف صار هو قصاصا .. ؟! .

بداية الطريق !

بدأ « جاليكو » حكايته قائلا :

« بدأت حياتي العملية عام ١٩٢٢ كمندوب صحفي فى قسم الرياضة بجريدة « الديلي نيوز » (١)

---

١ ــ الديلي نيوز كانت جريدة صباحية يومية تصدر فى مدينة نيويورك فى حجم المجلات Tabloid وقد اسسها جوزيف مدل باترسون صاحب جريدة الشيكاغو « تربيون » التى كانت تصدر فى مدينة شيكاغو .

التي تصدر في نيويورك .. وكلفت بعمل تحقيق صحفي عن استعداد لمباراة بطولة العالم في الملاكمة في الوزن الثقيل بين البطل الامريكي « جاك دمبسي » ومتحديه الارجنتيني العملاق « لويس آنجل فيربو » وطرأت لي فكرة جديدة لعمل التحقيق .. وشجعني على تنفيذها انني كنت امارس الملاكمة وانا طالب في الجامعة .. وطلبت من البطل « دمبسي » ان انازله في الحلقة حتى استطيع أن اصف للقراء مدى قوة ضرباته عن تجربة .. وقبل الملاكم المحترف أن ينازلني وهو مرتاب في الأمر .. وصعدت على حلقة الملاكمة .. وبعد مضي دقيقة واحدة و ١٧ ثانية كنت ملقى على أرض الحلقة بعد أن نالتني ضربة كالمطرقة من يد دمبسي هوت على ذقني ! .

ونشرت القصة في الجريدة .. واثارت اعجاب رئيس التحرير فاسند الي رئاسة القسم الرياضي وكلفني بكتابة عمود يومي بامضائي في صفحة الرياضة ! .

وكانت هذه هي بداية الطريق لتحقيق أمل ظل يراودني منذ أن كنت طفلا لم يتعد عمرى العشر سنوات ..

فقد كان عليّ ان اقوم بكتابة الف كلمة كل يوم .. وان اجد فكرة جديدة يوميا .. وساعدني هذا العمل الذي مارسته طوال ١٢ عاما على أن التزم نظاما دقيقا .. وان امارس الكتابة يوميا وبانتظام فلقد بلغ عدد الكلمات التي كتبتها في صفحة الرياضة طوال فترة عملي « بالديلي نيوز » خمسة ملايين ومائة الف كلمة .

ان اى فرد يريد أن يصبح كاتبا لا يوجد امامه سوى ممارسة الكتابة باستمرار لا أن يحلم بان يكتب .. ويفكر في الكتابة ولا يخرج بافكاره الى حيز التنفيذ ، فالكتابة اشبه بعضلة من العضلات كلما قمت باستعمالها وتمرينها كلما ازدادت مرونتها واستطعت استعمالها بسهولة تامة ..

رغبة منذ الطفولة

لم يكن الأمل في ان اصبح قصاصا وليد عملي بالصحافة .. ولكنه كان املا يراودني منذ طفولتي ، التي كانت مليئة بالتخيلات والأحلام والقصور الخرافية ..

واتذكر انني كتبت اول قصة في حياتي وعمرى ١٠ سنوات في احد فنادق مدينة « بروكسل » عاصمة بلجيكا عام ١٩٠٧ عندما اصطحبني والداى معهما لزيارة المعرض الدولي الذى كان يقام هناك في ذلك الوقت ..

وذات ليلة تركني والداى وحيدا في غرفة الفندق الذى كنا نقيم فيه وخرجا ليقضيا سهرة ممتعة واعتراني حزن شديد وجلست ابكى .. وفجأة انتابتني رغبة لا تقاوم في كتابة قصة كانت فكرتها تراود خيالي وانا في نيويورك مسقط راسي .. ووجدت قلما وورقة ، وجلست لاكتب أول قصة لي .

صراع داخلي .. !

كان للظروف الاجتماعية والمالية التي تعيش فيها عائلتي تأثير كبير على حياتي .. فقد كان والدى موسيقارا لا عمل ثابتا له .. ولذلك وبالرغم من الرغبة الشديدة التي كانت تتملكني لأصبح قصصيا محترفا آثرت أن ادرس الطب حتى استطيع أن أحيا حياة مستقرة من الناحية المادية .. وان يكون لي دخل ثابت .. وفعلا عندما تمكنت من دخول الجامعة قضيت عامين في دراسة العلوم تمهيدا للالتحاق بكلية الطب .

وقبل أن اقرر نهائيا أمر التحاقي بدراسات الطب انتابني صراع داخلي عنيف .. هل أضحي باحلامي وبرغبتي الجارفة نحو الكتابة لأحترف مهنة الطب واضمن دخلا ثابتا ؟! وجاء القرار النهائي حاسما .. انني لا استطيع أن التحق بدراسة الطب .. ولكن عليّ أن اكمل دراستي الجامعية في العلوم على أن اضيف اليها بعض المواد الأدبية .. وفعلا حصلت على بكالوريس في العلوم من جامعة كولومبيا .. في نفس الوقت الذى قمت بحضور فصول خاصة عن فن كتابة القصة ..

دراسة فن القصة .. هل هو ضرورى ؟!

عندما التحقت بفصول دراسة فن القصة لم اكن طالبا ممتازا .. ففي خلال هذه الدراسات لم استطع ان ابيع او انشر قصة واحدة من تلك القصص التي كنت اكتبها كجزء من البرنامج الدراسي .. في حين أن بعض الزملاء باعوا الكثير من انتاجهم القصصي .. وكنت انا انظر اليهم بعين الحسد والغيرة ..

وقد تعلمت فى هذه الدراسات قواعد كتابة القصة .. واحسست انني قد تشبعت بهذه القواعد لدرجة كبيرة ..

وعندما يسالني واحد من كتاب القصة الناشئين عن ضرورة دراسة فن كتابة القصة .. فان ردى يكون دائما بالايجاب .. لا لاقتناعي بأن هذه الدراسات قد تخلق منه كاتبا قصصيا ولكن عن ايمان بأن مثل هذه الدراسات لن تعود بالضرر على أى شخص وبالعكس قد تحقق له قليلا من الفائدة اذا كان يملك الموهبة ليكون قصاصا .

ان ٨٥٪ من هؤلاء الذين يلتحقون بالفصول الخاصة بدراسات القصة لا تتوافر لديهم المقدرة او الموهبة على الكتابة .. ولكنهم شبان صغار تنتابهم حالات نفسية من عدم الاستقرار ويجذبهم بريق الذهب والشهرة .. ويداعب خيالهم امل كاذب فى حياة سهلة مترفه .. واغلبهم يتصور ان القصاص ما عليه الا ان يجلس ليكتب قصته وقتما يشاء . ثم يبيع انتاجه بالاف الدولارات .. وبذلك يكسب المال والشهرة من اسهل طريق !! .

وفى الحقيقة ان امثال هؤلاء لن يصبحوا قصاصين أبدا ولو ظلوا يدرسون فن الكتابة القصصية لمدة مائة عام !! .

ولكن الحقيقة اذا التحق واحد او واحدة من هؤلاء الذين يملكون الموهبة الطبيعية فى التعبير عن النفس بالكلمة المكتوبة .. وكذلك الاصالة والابتكار والاذن التي تلتقط كل جديد طريف فى اية مناقشة عابرة ، فان مثل هذه الدراسات يمكن أن تحقق فائدة ما ...

وفى رايي ان الفائدة الوحيدة لمثل هذه الدراسات انها كثيرا ما توفر وقتا كبيرا للشخص الذى لديه ملكة الكتابة .. وتنقذه من الصراع والمقاساة فى محاولة صقل مواهبه وتعلم ماذا يجب أن يفعل وكيف ينفذه .. ! فهذه الدراسات تعطى لمثل هذا الشخص اساسا واضحا للاشياء التي يجب عليه أن يتجنبها عند كتابة القصة ..

١٠ سنوات بدون كتابة قصة واحدة !

امضيت حوالي ١٠ سنوات فى عملي الصحفي كمحرر مسئول عن صفحات الرياضة فى جريدة « الديلي نيوز » .. وقد الهاني النجاح المادى والادبى الذى حققته عن تحقيق املي الكبير فى أن اصبح قصاصا .. ولكن فى نفس الوقت أتاح لي هذا العمل الفرصة لكى أكون على اتصال دائم بمادة درامية ثمينة لا نهاية لها .. فهناك فى ميدان الرياضة تجد الخير ضد الشر ـ والاثارة ـ والنجاح والفشل ـ والقلق ـ وتحقيق الهدف ـ والبطل المحبوب ضد الشرير المكروه ..

باختصار لقد كانت حياتي فى هذه الفترة حياة سريعة فرحة وبديعة .. لا أكاد انتهي من موسم الألعاب الصيفية حتى ابدأ فى موسم الألعاب الشتوية .. واتاحت لي هذه الحياة ان اخالط الكثير من أبطال الرياضة وأن اعيش معهم فى مشاكلهم ..

لقد كان عملي الصحفي بمثابة حجر هام فى بناء مستقبلي كقصاص .

وبالرغم من الشهرة الصحفية التي حققتها .. فمقالاتي عن الرياضة تنشر فى كثير من المجلات .. فان درج مكتبي كان لا يزال مليئا بالقصص التي رفضت حتى المجلات الرخيصة نشرها لي وانا طالب فى الجامعة .. تذكرني بأمل كبير لم يتحقق بعد .

وفجاة تحقق الأمل

فى عام ١٩٣٣ وانا أبلغ من العمر ٣٦ عاما اى بعد مرور ربع قرن على أول قصة كتبتها فى حياتي اتيحت لي فرصة العمر التي طالما سعيت اليها .

فقد قام المحرر الليلي المسئول عن جريدة « الديلي نيوز » بعمل صحفي باهر ففي ليلة عيد الميلاد .. وبعد ان انصرف العمال الفنيون من الجريدة وانتهت مواعيد الطبعة الأخيرة .. حمل اليه التليفون خبرا خطيرا من احد مراسلينا وبالرغم من ان نشر الخبر كان اشبه بالمستحيل الا انه حقق المعجزة بفضل عناده ومثابرته وانتصر على كل مشكلة واجهته ليحقق نصرا صحفيا للجريدة التي يعمل بها ..

واثارت هذه الحادثة خيالي القصصي .. واختمرت الفكرة فى راسي واثناء تفكيري فيها شاء حسن الحظ ان اقابل رئيس تحرير مجلة « الساترداى ايفننج بوست » وهي من اشهر المجلات الأدبية فى ذلك الوقت .. وعرضت عليه فكرة القصة .. ووافق عليها .

هكذا ببساطة وجدت نفسي أحقق الأمل الذى كنت أسعى اليه .. وقد أعطاني نشر هذه القصة

الشيء الذى كان ينقصني حتى ذلك الوقت وهو الثقة فى النفس .

خطوة حاسمة

منذ أن نشرت لي هذه القصة عدت مرة اخرى لكتابة القصص التي بدأت تنشر فى مختلف المجلات الكبرى ..

وفى عام ١٩٣٦ اى بعد ٣ سنوات على نشر قصتي الأولى فى « الساترداى ايفنج بوست » قررت أن اتخذ خطوة حاسمة فى تاريخ حياتي .

استقلت من وظيفتي كمحرر رياضي والتي كانت تدر علي مالا ثابتا وفيرا وقررت ان اصبح قصاصا اعتمد فى حياتي على بيع انتاجي القصصي .. وما أن اتخذت هذه الخطوة الجريئة حتى بدأ الخوف من الفشل يتملكني .

وغادرت أمريكا الى انجلترا .. كاول بلد فى رحلة طويلة مستمره بحثا وراء أفكار قصصية جديدة ..

فبالرغم من سخافة الفكره التي أومن بها بان تغيير الأماكن والبلاد يتيح لي الفرصة فى كتابة قصص جديدة الا انني اعتبرها نوعا من التجربة التي بلورت شخصيتي ..

وقد استطعت أن احصل على منزل صغير على الساحل البريطاني .. وعلى فيلا فى المكسيك وعلى شاليه صغير فى التيرول النمساوى .. ولكن الحقيقة انه ولا واحدة من القصص التى اعتز بها قد كتبت فى واحد من هذه الأماكن ! .

ان كل ما يلزم المرء للكتابة هو فكرة جيدة .. وقلم وورق .. وسقف يحميه من التقلبات الجوية .. ثم ثلاث وجبات غذائية كاملة لان الكتابة عمل ذهني ويدوى يثير حاسة الجوع لدى الكاتب.. ! .

شعور مستمر بعدم الأمن !

بالرغم من مرور ٣٠ عاما على احترافي كتابة القصة وبالرغم من مئات القصص الصغيرة والمسلسلات والروايات التي نشرت لي .. بل وترجم بعضها الى لغات كثيرة فانني لا ازال اشعر بعدم الرضا عما أكتبه .. ولا يزال الشعور بعدم الأمن يصاحبني دائما ..

وانني أعترف بانه منذ اللحظة التي استقلت فيها من عملي كصحفي حتى اليوم لم أشعر بالأمن لحظة واحدة .. فعندما انتهى من كتابة قصة وارسلها للناشر ينتابني قلق شديد فى انتظار الحكم على عملي .. وهو نفس الاحساس الذى كان ينتابني وأنا شاب صغير عندما كنت اقوم بارسال قصة الى احدى المجلات الصغيرة ومعها ظرف عليه اسمي وعنواني وطابع بريد لكى ترد لي قصتي فى حالة عدم نشرها ! .

ان شعورى بالفرح عندما تنشر قصة لي يستمر اسبوعا أو عشرة أيام .. وبعدها ينتابني شعور آخر بالقلق والتساؤل :

- هل استطيع أن احتفظ بهذا النجاح .. ؟!
- هل استطيع أن اكتب قصة ثانية .. ؟!
- كيف سيكون شكل قصتي القادمة .. ؟!

انه لا يوجد شيء يؤثر فى نفسية القصاص مثل رفض نشر قصة له .. وكلما ازداد القصاص شهرة كلما ازداد تأثير رفض النشر على نفسه تدميرا .. فأول ما يتبادر للذهن القصاص عند رفض نشر قصة له هو انه قد انتهى كاتبا . وانه فقد الحاسة القصصية فيشعر باليأس وبانه انسان غير مرغوب فيه وبالطبع فان هذا الشعور ليس الا شعورا كاذبا .. بدليل أن القصاص سرعان ما يبدأ فى كتابة قصصه مرة اخرى .. واذا نشرت قصته التالية فانه يسترد ثقته بنفسه ويتربع على قمة العالم مرة اخرى .. ! .

عمل شاق

وانا افرض دائما أن القصاص الناجح هو فى الحقيقة رئيس تحرير ناجح .. فهو عندما يبدأ فى كتابة قصة صالحة للنشر فهذا معناه أنه قد اختار الموضوع الذى سيكتب فيه .. ودرس رغبات القراء .. واختار الأسلوب المناسب للمجلة التي ستنشر قصته .. وهو يفصل مادته ويحيكها ليجعلها تتناسب مع كافة هذه العوامل .. وهذا فى رأيي ما يميز رئيس التحرير الناجح .

وكلما ازدادت شهرة القصاص كلما ازدادت المتاعب امامه . .فغالبا ما يضع الناشرون قواعد اشد دقة بالنسبة للقصاصين المشهورين .. والقصاص يبذل جهدا كبيرا فى ايجاد فكرة القصة أولا .. ثم يُضيّع الكثير من الوقت والعمل الشاق فى بلورة هذه الفكرة وصياغتها فى القالب القصصي .. والنتيجة أنه بعد حوالي شهر يجد امامه قصة مكتوبة فى ٢٠ ورقة مثلا .. وهذه المجموعة من

الأوراق قد تساوى مبلغا كبيرا من المال اذا قبلها الناشر .. اما اذا قال الناشر « لا » فقيمتها تصبح صفرا !! ولا فائدة منها اللهم الا استخدامها فى اشعال النار فى المدفأة أثناء ليالي الشتاء الباردة !!

ولهذا السبب لا توجد فرصة للخطأ امام القصاص المحترف الذى يعيش على دخل قصصه .. اذ ان الخطأ يكلفه ما لا طاقة له به ..

لماذا يكتب الفرد القصة .. ؟!

هناك أسباب كثيرة تدفع الشخص الى كتابة القصة .. ومن هذه الأسباب الرغبة الملحة فى الكتابة ـ الحاجة الشديدة لازاحة شيء ما عن صدر الكاتب ـ لكي يعول اسرته ـ الأمل فى التعبير عن شيء جميل يحس به داخل نفسه ـ الرغبة فى تسلية الناس ـ لكي يحوز تقدير واعجاب الناس . ليتغلب على قلق نفسي يعتريه ـ أو حتى لمجرد الشعور بالسرور عندما يتناول فكرة معينة ويوضحها ويقوم بتحليلها وتتبع جذورها .

ان عقل الانسان هو عبارة عن مخزن كبير مملوء بملايين الأشياء عن الحياة .. فهناك التجارب الشخصية والذكريات .. والاحلام سواء اكانت احلام ليل أو أحلام يقظه .. والتخيلات الجميلة والسيئة .. والناس والأماكن التي يراها الانسان طوال حياته أو يقرأ عنها ويتصورها بعين خياله ... والأحاديث التي دارت وتدور أمامه .. والعواطف الانسانية كالكراهية والحب والخوف .. وغيرها وغيرها . كل هذه الأحاسيس والمعلومات موجودة داخل هذا المخزن الكبير فى انتظار مساعدتك على كتابة القصة التي تحاول أن تخرجها الى حيز الوجود والقصاص لا يحس بكل هذه الأشياء الا بعد أن ينتهي من كتابة قصته وعندما يعيد قراءتها يجد انه وضع فيها بعض الوقائع والذكريات التي مرت بحياته كانسان دون ان يدرى ..

كيف أكتب قصصي .. ؟!

هناك من يسألني دائما كيف تكتب قصصك ..؟!

وانا اجيب على هذا السؤال باختصار ..

ـ ان عملي يبدأ يوميا من الساعة التاسعة والنصف صباحا حتى الواحدة بعد الظهر حيث اتناول غذائي واستريح لمدة ساعتين ثم أعود للعمل فى الثالثة والنصف بعد الظهر لفترة قد تصل الى ٣ ساعات ..

والقصة تنبع من الفكرة .. وقد تجيء الفكرة من خبر صغير منشور فى احدى الجرائد أو من قصة واقعية سمعتها من صديق لك .. أو من شخصية رجل صادفته فى مكان ما فترك فى نفسك تأثيرا معينا .. وغير ذلك كثير ..

ولكن الصعوبة هي فى ترجمة هذه الفكرة الى قصة كاملة .. وانا استطيع أن أقول ان هذا هو اصعب عمل فى حياة القصاص ..

وانا عادة ابدا بتدوين مذكرات قصيرة للهيكل العام للقصة التي أقوم بكتابتها .. ثم أجمع هذه المذكرات واضعها بعضها لبعض لتكوّن الهيكل المتكامل للقصة .. وبعدها أقوم بتقسيم هذا الهيكل الى مناظر أو فصول واحدد كم صفحة يستغرقها كل فصل . لأن القصة القصيرة يجب أن تتراوح كلماتها بين خمسة أو سبعة آلاف كلمة على الأكثر . وبعد أن اشعر انني استطيع أن أروى قصتي فى هذا الحيز أبدأ فى رسم شخصيات القصة .. واسجل كل صغيرة وكبيرة عن كل واحد منهم حتى أشعر أنها شخصيات حية وانني استطيع أن اتكلم بلسان كل شخصية منهم وأن أتصرف تماما مثل أى واحد منهم ..

بهذا ينتهي الجزء الشاق من العمل ويبدأ الجزء الممتع منه وهو كتابة القصة نفسها . وهي تلك العملية التي تملأ نفس الكاتب بالفرح والسرور والسعادة والشعور بالرضا . وهي لا تزيد فى الواقع عن اضافة عناصر جديدة من التشويق والأسلوب الجميل للهيكل العام الذى بناه القصاص من الفكرة الصغيرة التي راودته فى بداية الأمر .

ومن عادتي بعد أن انتهى من كتابة القصة أن اتركها لمدة يومين أو ثلاثة ثم أعود اليها مرة أخرى واقرأها .. وفى هذه القراءة استطيع أن اكتشف نقط الضعف فيها .. فأقوم باعادة كتابتها مرة اخرى واخيرة حيث اعالج نقط الضعف .

وبعد ذلك ارسل القصة الى الناشر . واجلس فى بيتي اقرض اظافرى من القلق فى انتظار الحكم على عملي اما بالحياة واما بالموت !! . ■■

محمد طنطاوى



كيف شعر بالشيخوخة ؟

● كان هنرى فورد Henry Ford مؤسس شركة فورد لصناعة السيارات الذى كان يعتبر ثانى اغنى رجل فى العالم، يتمتع بحيوية ونشاط اثارا دهشة كل الذين عملوا معه وعرفوه . فقد ظل يذهب الى مكتبه فى الشركة ويباشر مهام منصبه الكبير حتى بعد بلوغه العام الثانى والثمانين من عمره .

وفجأة ، اعتكف مستر فورد فى بيته ولم يغادره . ومر اسبوع واسبوعان ولم يظهر صاحب الشركة فى مكتبه . واسرع ابنه ادسيل Edsil ، الى بيت والده يسأل عنه ويستفسر عن سر انقطاعه عن العمل ، فوجده جالسا على مقعد كبير يتفقد تصميما لسيارة جديدة ستنتجها الشركة .

وما كاد الأب يرى ابنه امامه ، حتى قال فى هدوء : « أعرف لماذا جئت . اذن فاعلم أننى قررت أن اعتزل ، لاننى لم استطع ان اطفىء الشموع التى وضعتها امك فى كعكة عيد ميلادى الثانى والثمانين .. لقد حاولت مرة ومرتين وثلاث مرات .. ولكننى لم اجد القدرة على دفع الهواء الكافى من فمى لاطفائها .. وعندئذ فقط احسست بأننى شيخ عجوز ! » .

من هو الرجل العبقرى

● طلبوا الى الكاتب الفرنسى كريستيان جاك Christian Jacque ان يضع لهم تعريفا للرجل العبقرى ، فقال : « انه الرجل الذى يستطيع ان يقنع زوجته بانها تبدو اكبر من سنها الحقيقى بعشر سنوات على الاقل فى معطف الفراء الجديد الذى تريد ان تشتريه ! » .

زوج الملكة !

● قال الامير فيليب زوج الملكة اليزابيث ، ملكة بريطانيا ، انه مدين بنجاحه فى فهم الدور الذى يقوم به كزوج للملكة ، للامير البرت الذى تزوج الملكة فكتوريا فى عام ١٨٤٠ .

ثم قال : « قبل ان تتولى زوجتى الملكة اليزابيث العرش فى عام ١٩٥٢ ، على أثر وفاة والدها الملك جورج السادس ، لم اكن اكثر من مجرد زوج لصاحبة السمو الاميرة . وقد شعرت بخوف من المسئولية الخطيرة التى تقع على عاتقى . الى أن كان احد الايام عندما وقع فى يدى مصادفة كتاب عن حياة الامير البرت .

« وما كدت انتهى من قراءة الكتاب حتى ادركت الفارق الكبير بينى وبين البرت . فقد كان هو زوجا لاقوى ملكة

أسرار الخطط العسكرية ! فوق المائدة !

● دعي الرئيس الامريكي الاسبق دوايت ايزنهاور ، عندما كان قائدا لقوات الحلفاء في اوربا ، لمأدبة عشاء اثناء احدي زياراته للندن . وجاء مقعده بجوار سيدة عجوز ناهزت عامها السبعين .

وراح الجنرال الامريكي يحدثها عن الطقس والطعام الجيد وحنينه للعودة الى بلاده ، الى امريكا اما هي فقد اصرت على مواصلة حديثها عن الحرب ، الى ان سألته : « قل لي يا جنرال ، كيف تضع خططك العسكرية ؟ »

فقال ايزنهاور وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، « اذا استطعت انت أن تشرحي لي كيف يعد طبق المايونيز الشهى ، الذى قدم لنا الآن ، فلن اتردد فى أن أروى لك تفاصيل الاعداد للمعارك الحربية ! »

فقالت السيدة : « الواقع انني اترك كل شيء لبناتي ، انهن خبيرات فى اعداد الاطباق الشهية ، ولكن لا بأس من توجيه النصيحة اليهن من وقت لاخر ! »

وقال ايزنهاور : «وهذا هو بالضبط ما افعله انا ياسيدتي. انني اترك مهمة وضع الخطط العسكرية لزملائي الضباط الذين يعملون تحت قيادتي ، وهم يعرضونها عليّ بعد الانتهاء منها ، تماما كما تتذوقين انت طبق المايونيز قبل تقديمه لضيوفك ! »

وبذلك تخلص القائد العظيم من الاساءة الى هضمه بالحديث فى الحرب !

جلست على عرش بريطانيا ، وبالرغم من هذا كان يسيطر على زوجته الملكة ويرسم لها الخطوط العريضة لسياسة حكومتها الخارجية، وبذلك استطاع ان يلعب دورا رئيسيا فى منع نشوب الحرب بين بريطانيا وامريكا .

« أما أنا فقد اكتشفت أنني مجرد زوج ومرافق لسيدة جميلة يحبها الشعب ويحترمها ، ولكنها لا تتمتع بأية سلطات دستورية » .



برناردشو والزهور

● ذهب احد الأصدقاء لزيارة الفيلسوف البريطاني الساخر برنارد شو فى بيته ، ولاحظ الصديق أن شو لا يحتفظ بآنية واحدة للزهور فى اى مكان من البيت ، الأمر الذى أثار دهشته لعلمه أن برنارد شو من عشاق الزهور !

فقال الصديق متسائلا : « هذه اول حالة من نوعها . . رجل يعشق الزهور وليس فى بيته زهرة واحدة ! » .

وقال برنارد شو : « هذا صحيح يا عزيزى . . ومن أجل حبى للزهور ، حرصت دائما على الا احرمها من الحياة. ان مكان الزهور يا صاحبى فوق اشجارها ففوق هذه الاشجار تنمو وتتفتح ، لا من اجل ان نقطفها ، ولكن من أجل أن ننعم بالنظر اليها ، ونملأ أنوفنا بشذاها العطر دون أن نلمسها ! » .



رِحلَة إلى بُرشِلونَه

بقلم : محمود تيمور

■ قرات فيما قرات ان ثمة مئة يوم مشهورة ، تغير بعدها وجه التاريخ ، هي الأيام المئة التي تقع بين نفي « نابليون الاول » الى « جزيرة البا » وخروجه منهـا ، ليخوض معركـة « ووترلو » الفاصلة .

وليس لي شان « بنابليون » ونفيه وموقعته ، فلن اتحدث في هذا بقليل او كثير ، ولكنني معنيّ بمئة يوم اخرى ، لا يقل خطرها في نظرى عن ايام « نابليون » ..... تلك هي الأيام التي قضيتها في جراحة عيني ، وما تلا الجراحة من فترة النقه والاستجمام .

وبين ايامي وايام « نابليون » مشابهات ، فهي مثلها في العدد ، وهي بالنسبة لي مدة نفي ، وخوض معركة فاصلة في تاريخ حياتي الشخصية ... معركة النور والظلام ، وما خروجي منها سالما الا انتصار علـى عوامل الهزيمة والفنـاء ،

...وفي بلعباء العيش من جديد مع اخواني البشر ...موكب الحياة العظيم .

ولكل امرىء في دنياه ايامه الخاصة ... ايام ...مقاودات في وقت معلوم ، هي مرحلة شك وترقب ...وتجربة وامتحان.. لتكن مئة يوم عدا ، ولتكن اقل او اكثر ... في كتاب كل انسان صحائف معينة تتقاضاها منه الحياة ، هي ضريبة عليه ان يؤديها ، عليه ان يذعن لحكمها في غير نقاش ولا جدل ، وليستعن على ذلك بان يسوس نفسه ويروضها على ان تجتاز تلك العقبة في مصانعة ومصابرة واحتمال ، حتى يخرج من غمائها بسلام .

ها هي ذي ايامي المئة مقبلة عليّ ، احس كانها اعصار عارم لا املك له دفعا ، الا ان اجاهد نفسي في الثبات له ، والا ان اتجنب مكارهه ما استطعت الى التجنب سبيلا .... فليكن لقائي لهذه الايام العاصفة في بشاشة الثقة والتفاؤل ، ولاوكل الامر الى المقادير تجري في اعنتها ، ولاكن جهد امكاني هانيء البال .

لقد هتف « نابليون » من اعماق قلبه ، وهو في ختام ايامه المئة : « الى ووترلو ... » ، ثم زحف زحفه الجبار ، اما انا فاهتف في فاتحة ايامي المئة : « الى برشلونة » ، الى معركة النور والظلام ! .

واقلتني الطائرة ، على اسم الله .

قدوم على « برشلونه »

لم يكن بين « جنيف » و « برشلونة » الا



ساعة وبعض ساعة في الطائرة ، وقد امضيت هذا الوقت فى تناول طعام ، وتصفح نشرات وكتيبات . وقد اخذت عيني جملة نعت الكاتب فيها « برشلونة » بانها « المدينة الخادعة » فالبلدة في نظره قد اصبحت متامركة ، طمست معالمها الأصيلة حضارة زائفة ، فهي في سحنة اهلها ذوى الشعر الأشقر واللون الوردى ، وفي آلية حياتهم الصناعية الجارفة ، تبدو كأنها غريبة في «اسبانيا» ... فان طلبت الأسبان على حقيقتهم في السحنة والبيئة والمظهر ، فدونك الجنوب ، بلاد الاندلس ... هنالك المواطن التي تستنشي منها عرف « اسبانيا » العتيقة العريقة ، وتجتلى ملامحها الطريفة الأخاذة .

لا عليك يا « برشلونة » من هؤلاء الذين يزدرون منك اخذك بمظاهر الحضارة الجديدة، ومحاولتك التخلص من ظواهر متخلفة ، وتقاليد بالية ، وطابع فيه الكثير من نقائص الماضي وشوائبه ، طابع يانس بطرافته الأجنبي الراغب في العجائب والغرائب ، ولكنه في كنه الحقيقة ليس الا مظهر تاخر عن ركب الزمن الحاضر في سعيه الدائب وسيره الموصول .

اذكر أن سائحا قدم بلادنا منذ قليل ، وكان قد زارها منذ بعيد ، فنعى عليها تطورها السريع ، والحسرة تعصر قلبه : أين « التكايا » و « دراويشها » القابعونفي الصوامع ، على صدورهم تسترسل اللحى ، ومن اعناقهم تتدلى السبح ؟! اين المكارون يحثون المطايا ، ويتنافسون في اصطياد الراكبين ؟ أين النساء الشرقيات الحالات يتهادين في الملاءات والحبرات ، أو يتخايلن بعيونهن فى البيوت وراء المشربيات المطلة على الطرقات ؟ أين الأندية الشعبية الصميمة التي كان يتحلق فيها الرواد في السهرات حول الراوى ينشد قصائده في وصف معارك الهلالية على انغام الربابة والأرغول ؟ .

عفوا سيدى السائح الهيمان ! .

انت تريد أن تستبقى لمتعتك صور الماضي ، ولو بقيت لكانت آية ارتكاس وجمود وركود . اما نحن فلا نرضي لأنفسنا أن نظل في خمول ونعاس ، بغية ان نكون لأمثالك مورد سلوة وايناس .

لو انك طلبت من الشرق جوهر فضائله وخصائصه لما فقدتها بيننا ، وان اخذنا باسباب حضارة العصر . وانك لمستطيع ان تستشعر بيننا شرقيتنا الأصيلة بما لها من سماحة واريحية وروحانية لا تطمسها جدة الظواهر ، ولا ينال منها مر الايام .

ورن مكبر الصوت يقول : لقد اخذت الطائرة تصوب الى مطار « برشلونة » ... ليشد كل منكم نطاقه .

بين المطار والفندق

زايلنا الطائرة ، وفي ايدينا من المتاع ما خف حمله ، ووجهتنا مبنى المطار : مبنى متطامن متخاضع ، ليس فيه ما يملا العين ، وتراءى لنا مكان مسور يحتشد فيه خلق ، واستقبلتنا زيطة عارمة ، يختلط فيها الكلام والصراخ بالاشارة والتلويح ، وصافحت آذاننا زغردة النساء منطلقة من الحناجر ، كأنهن في عرس ...

انها زيطة الشرق ورب السماء .. زيطة انمتها شواطىء البحر الابيض ، والهبتها شمسه المتوهجة، ونفخت فيها رياحه الخفاقة .. انها زيطة بلادنا ، وما تلك الأغاريد التى سمعناها الا اغاريد « بنت البلد » فى موطننا الأصيل ، تعبر بها عن فرحة صاخبة ، واهتياج مشبوب !

مرقنا من « الجمرك » مروق السهم ، وانست على الفور بما للأسبانى من دعة ولطف واحتفاء بالغريب .

واخذت السيارة تنهب الأرض على طريق ممتد ، تحف به حقول البرسيم .. لكاننا فى طريق من طرق الوجه البحرى فى « مصر » ، بزرعه وضرعه ، بشمسه وهوائه .. وعلى مشارف المدينة لاحت لنا اللافتة التقليدية ، عريضة عالية ، تجلجل بقولها : مرحبا بكم فى « برشلونة » .

وجزنا بمبنى ضخم مستدير ، ملون بالحمرة الدكناء ، رمز الدم المراق ، ذلك هو ساحة مصارعة الثيران .. ان مرآة الجهمليشعرك برهبة وتخوف، ويشيع بين جنبيك قشعريرة اشمئزاز .

وطالعتنا المدينة القديمة ، ذات الطابع الأثرى ، وما لبثت السيارة ان اقتحمت المدينة الحديثة ، وانزلتنا عند باب « فندق دانتي » .. قال سعيد وايم الله .. وما اطيبها من ايام تلك التى يقضيها الزائر فى ضيافة ذلك الشاعر العظيم ، شاعر الحب والجمال .. اترى يواتينا الحظ بلقاء « بياتريس » ربة الهوى والهيام ؟

بين المستشفى ومطعم « البائية »

واقبلنا على المستشفى « كلينيكا باراكير » ، بيت القصيد في هذه الرحلة ، وراعني على الفور من مظهره هندسة بنائه ، ولون طلائه . امستشفى هذا ام قصر ظريف اسباني تتجاذبه نزعتان : توقر وتحفظ ، في تجديد وابتكار . هو كتلة قائمة مكسوة وجهتها بالحجر البنى الصناعي والرخام الأسود .

ودفعت بقدمي دفعا الى البوابة الضخمة،وقلبي يغشاه قتام ..

واخذت عيني سيارة عن كثب من المستشفى تحمل بجانب رقمها اسم مملكة المغرب .. هاك زميلا عربيا أتنسم منه روح الطمانينة والتفاؤل . وشاع بين جنبي أمل براق ، فحثثت الخطا غير هياب ، وما أسرع أن احتواني بطن المستشفى ، فاذا هو من الرخام الأسود ، وحوائطه رمادية اللون ، واذا الجو مكيف ، والاضاءة خافتة .. كل ما يحيط بنا عون على راحة العين ، وهدوء الأعصاب .

واحتوتنا قاعة مستديرة ، تحليها تماثيل رومانية مذهبة ، واعلى القاعة قبة مضاءة كنبة الفلك ، على حافاتها صور تمثل أبراج السماء ، كالعقرب والثور والجوزاء .. هذه احدى قاعات الانتظار ، تحفل بالرواد من شتى الأجناس . المقاعد وثيرة ، تتحلق حول موائد ضخمة ، وكلها مثبت في أرض القاعة لا يتزحزح قيد انملة .. عليك أن تلزم مكانك بوضعه الذى اختير لك ، وان هذا لأول درس تتلقاه في المستشفى : ان تقبل ما يفرضونه عليك ، وأن تكيف نفسك وفق ما يريدون .. بداية طريقة لأخذ النفس بالنظام ، وكبح الرغبات .

طال انتظاري في خلوة يقطعها بين حين وحين ظهور الممرضين والأعوان في لبوسهم الأبيض ، ينادون المرضى ، ويقودونهم الى حجرات الكشف والفحص .. ان المريض ليخيل اليه في مهلة الانتظار انه يجتاز حقبة من حقب الدهر ، أليس هذا هو الدرس الثاني الذي تتلقاه في ذلك المعهد العظيم ، درس ترويض النفس على فضيلة الصبر والأناة ؟

وجهر ممرض باسمي ، فنهضت ، وسار امامي فتبعته ، واذا هو يقودني الى قاعة ثانية ، طالبا مني ان انتظر ... انها بلا مراء ، المرحلة الثانية من مراحل النظام والصبر .. ودرت بعيني في أرجاء القاعة ، فاذا انا محوط بتماثيل اربعة لقطط فرعونية ، جالسة على قواعدها جلسة الركانة والثبات ، مرفوعة الهامة ، يتجلى في نظراتها بصيص من فلسفة أسلافنا القدامى .... وانتظرت ، وامتد انتظاري ، وانا في صحبة القطط الفرعونية .

وجهر المنادى باسمي ، وقفوت أثره ... ثمه قاعة ثالثة ، تزدان بنقوش وصور بارزة ، قاعة انتظار أيضا ... أليست قاعات الانتظار هذه على نسق الدرجات الصوفية التي يرقاها المريد درجة بعد درجة ، تمتحن في كل منها نفسه ، وتمحص نزعاته ، حتى يبلغ بصفاء روحه ذروة التحرر والتطهر ، ذروة الفناء النهى ؟

واخيرا لقينا طبيب ، فاجرى فحصا .. ثم توالى علينا الاطباء ، كل منهم يسلمنا الى من يليه ... وفي النهاية الفينا المستشفى يلفظنا ، ليسلمنا الى عرض الطريق .

وكان وقت الغداء قد حان ، فهمس في اذننا رفيق :

هل لكم في أن تطعموا « البائية » Pealla

ـ وما « البائية » يا مولانا ؟

ـ خلطة شهية من اصناف متباينة ، تجمعها وحدة متميزة ، هى المذاق الاسباني ... اذا طعمتها فكأنك تأكل « أسبانيا » بأسرها لحما وعظما ، وكأنك تحتسيها حتى الثمالة ماء وخمرا كل ما في « أسبانيا » من لذائذ مثيرة تحسب انك تلتهمها وأنت تلتهم هذه « البائية » .

واحدقنا بالمائدة ، وشمرنا عن سواعدنا ، ثم خضنا المعركة ، وما هي الا ان ألفينا صحن « البائية » يبتلعنا ولا يكاد يبقى لنا من أثر !

زعموا هنالك أن العربي المجاهد ابان فتحه للاندلس ، كان يجوس خلال المناطق ، فكلما مر ببقعة من البقاع التقط منها شيئا يصلح لطعامه ، ويلقى به من فوره في زكيبة : دجاج ، سمك توابل ، خضر ، حلواء ، ارز فاكهة ، الى غير ذلك مما يؤكل ... كل هذا يكدسه في الزكيبة تكديسا حتى اذا بلغ غاية المطاف ، افرغ حمله في القدر ، مختلطا بعضه ببعض ، وأوقد تحته النار ، وسرعان ما تتخلق « البائية » وتستبين معالمها ناضجة

شهية ... ويقبل عليها ذلك العربي المجاهد ، فيفتك بها في غمضة عين ، وكان « الاندلس » قد استقرت في جوفه ، وسرت مسرى الدم في عروقه .

و « البائية » فيما يظن بعض الظرفاء ، هي « البهية » ، اصابها تحريف وجب تصحيحه فاذا كان ذلك حقا فان الصحن باسمه الجديد ، بعد أن رد اليه اعتباره العربي ، يزداد عندي بهاء وتألقا واثارة .

المدينة والناس

وقضينا اياما ، نختلف تارة الى المستشفى لاستكمال الكشف والفحص ، ونجوب المدينة طورا للتعرف والاستطلاع .

ووضحت لنا « برشلونه » عظيمة رائعة في تخطيطها وهندسة بنائها : شوارع فساح ، وميادين رحاب ، ومنازه نضرة يزينها النخيل الفارع ، والفسقيات المرمرية المتضوئة ، وناهيك الابنية الضخمة على وتيرة واحدة من النسق والنظام .... وانت على الفور تحس نسمة رخاء تتنفس بها المدينة ، نسمة تتميز بها مدن الصناعة وفي هذا الحي القوطي خليه طريفة تمثل «برشلونة» سوق حرة (لاسبانيا) تلتقي فيها السلع من شتى انحاء المعمورة .

انشئت المدينة اول ما انشئت في المنطقة التي تحمل اسم « الحي القوطي » ، وهي النواة الأولى للبلدة ، فيها نمت وترعرعت وتفرعت وفي هذا الحي القوطي خلية طريفة تمثل «برشلونة» القديمة في عهودها الغوابر ، مدينة اثرية كاملة يسكنها أهلوها ، وما زالت حتى اليوم محتفظة بمظاهر حضارتها الغاربة ، من اضاءة بالغاز ، ومن دروب ثعبانية ضيقة ، مرصوفة بالحجارة ، ومن دور تكاد شرفاتها على الجانبين تتعانق ،ونوافذها تتبادل الهمسات والقبلات على استحياء .

وازهى درب في هذه المدينة هو « شارع الفردوس » ، وما احرى أن نسميه : « زقاق الفردوس المفقود » ... ويشوقك أن تجوز بدروب تلك الفراديس الآفلة لتستنشي ساعة أو بعض ساعة عبير الماضي السحيق ،وما يحويه من مشاهد عجائبية لطاف غرائب التصورات .

هذا الحي القوطي عامر بأبنية وصروح ، مما خط الزمن على جبينة أساطير الاولين ، وتواريخ الماضين . فثم « الجامعة » بمظهرها الوقور ، والكنيسة الرئيسية بسمتها المهيب ، ودارالبلدية التي التقى فيها الماضي والحاضر في تمازج وتدامج، تقدم اليك عن طيب خاطر ذخائرها وكنوزها من طرز معمارية رفيعة ، ومن تحف ولوحات فنية غالية ... وانك لتزايل ذلك المتحف الفاخر ، بل هذه المتاحف المتلاحقة المتشابكة ،

وقد امتعت ببدائع الفن ذوقك ، وتزودت بزاد من أصيل المعرفة لعقلك .

وتواصل طوافك في طرقات « برشلونة » ،وفي كل خطوة تخطوها تلقاك بالبشاشة وجوه سماح ، وتحييك بكلمات الحفاوة والترحيب شفاه بواسم ان « الأسبان » حقا شعب ممراح طروب بفطرته ، متوهج العاطفة لا عن تكلف ، غارق في الحب حتى اذنية ، فنان الروح ، لياليه يحييها في سهر وسمر ، بين كأس مترعة ، ورقصة صاخبة ، ومناجيات هيمى تبعث بها قلوب عشاقه على نغمات القيثار الى عرائس الاحلام .

ويا لهذا الغرام العجيب بالطير والزهر ... ان الأسباني ليبلغ من غرامه بهما أن يقيم في « الرملة » قلب المدينة الخافق سوقا حافلة باصناف الطيور والوان الرياحين ، ولكأن السائر في هذه السوق بين خمائل غناء فواحة تشدو على أيكها البلابل ،وتهفو على أوراقها همسات الصبابة والهوى .

شعور مرهف ، وعاطفة جياشة، وليان ومسالة. ذلك ما يختص به شطر من شخصية « الأسباني ». أما الشطر الآخر من شخصيته فله خاصة على النقيض ، خاصة الولع بمصارعة الثيران ، حيث تتجلى وحشية الآدمي في سفك الدماء ، تحت ستار اللهو والسلوى ... ليس في هذا التناقض من شذوذ ، بل هو ضروري للتعادل والموازنة .... الافراط في المحبة والملاينة من جهة يدفع الى افراط في القساوة والعنف من جهة اخرى . ذلك رجع طبيعي ، أو ما يسمى « رد الفعل » . فالكائن البشري في غريزته الجمع بين الضدين ، ليكون انسانا سويا ، لا وحش فلاة ، ولا ملكا من ملائكة السماء ، انسانا فيه الطبيعة البشرية بما فيها من امشاج ومتناقضات .

البحر والحدائق

ربما لبث الزائر ما لبث في « برشلونه » ، ورحل عنها دون أن يفطن الى أنها مدينة ساحلية من مدن البحر ... جل نشاط البلد مقصور على احيائها البعيدة عن الشاطيء ، حتى نسيم البحر لا يكاد يشعرك بوجوده ، فاذا راق لك أن ترتاد المنطقة الساحلية ، فابحث لك عن سيارة أجرة ، او اتخذ مركبة الكهرباء ، وامض في طريق ممدود يقسم البلد شطرين ، وفي نهايته يطالعك عمود مشيق يعتليه بطل الكشف العالمي « كرستوف كولومب » في طيلسان سابغ ، مطلا عليك من عليائه، يرحب بك ويمد لك ذراعه ، مشيرا الى بقعة نائية في الأفق العريض ، كأنه يقول لك : هنالك في الطرف الآخر من المحيط ما كشفت لك الغطاء عنه من ارض العالم الجديد ، وما هو في الحق بجديد ، بل قديم ازلي !

وتحس نسمة رطبة تتمسح بوجهك ، تحمل اليك تحية البحر ... وما هي الا أن تروعك زرقة الماء الصافية تلتمع تحت السماء الصاحية ... ويتراءى لك الميناء الرشيق ، تتراص عليه عرائش البحر من قوارب خفاف وبواخر ثقال . فاذا ما اشبعت ناظريك بما انبسط امامك من مباهج في عالم الحقيقة والخيال،فالتفت يسرة الى الرصيف البحري يساير الشاطيء مسافة طويلة ، ويشرف على ظلات الحمامات ومقاصيرها في مجموعات موزعة على الطوائف والفئات ... رصيف ساذج لايأخذ العين منه الا صف ممتد من نبات الصبار ، ويضيق صدرك به ، وينفذ صبرك عليه ، نفسك الى لون آخر من النبات ، فتسمع صوت الهاتف يقول : الى حديقة ميرامار Miramar

وترقى بك السيارة تلا الى تلك الحدائق العجيبة التي توحي اليك صورة حدائق « بابل » المعلقة ... في هذه الحدائق نوادر النبات مجلوبة من مواطنها القاصية المختلفة ، منسقة على شرفات مدرجة تلوح لك زاهية في اوضاعها الطريفة ، كأنها تروى لك أفانين من قصصواساطير ، او تبعث اليك باغنيات رقاق تستشف من نبراتها الشجون والحنين .

وتمعن في الصعود ، فتحتضنك حدائق أخرى ، هي حدائق مونجويك Monjouick تكسو مساحات شاسعة ، أغاباتهي متلاحقة ، أم متاهات من الادواح العوالي في دنيا الخرافات والاساطير ؟

تقبل أخيرا على « القرية الاسبانية » احدى طرائف معرض سنة ١٩٢٩ ، بقيت بعد انفضاض سامره ، لتكون معرضا مصغرا دائما مع الدهر ... وتجول في تلك القرية صاعدا هابطا تسلمك ساحة الى باحة ، ويفضي بك درب الى زقاق ، وتمر بالابنية ودور العبادة والحوانيت ، وكل منها يمثل طرازا من العمارة الاسبانية في شتى المواطن ، فانت حين تذرع القرية من اقصاها الى اقصاها تخترق « اسبانيا » في رحلة كشف تستطلع ما حفلت به من بدائع العمارة على مدار العصور .... هذه القرية الاسبانية مظهر حي لمتاحف الهواء الطلق ، تكسب به متعة وسلوى ، كما تفيد منه درسا في حضارة الانسان .

وتستهويك الحدائق والمشاهد الخلوية ، فتحدث نفسك قائلا : هل من مزيد ؟ فتنطلق بك السيارة الى طرف آخر من المدينة ، بقعة جبلية ، طيبة الهواء ، يربض تحت اقدامها القطار الصاعد « الفينيكولير » ... لكأن تتخيره مرقاة الى ذروة الجبل ،

ولك ان تبقى حيث انت في سيارتك فترقى بك مدارج الطريق ، حتى ضاحية « تيبيدادو » Tibidado ولقد أنصف من قال ان هذه الضاحية هي الرئة الضخمة لمدينة « برشلونة » تتنفس بها مستروحة بما فيها من فنادق ومشارب واندية سمر ، وبما ينبسط على أرضها من مروج خضر ...

وجبل « التيبيدادو » عجيب في مفارقاته ، فالكنيسة الرئيسية تتساوق عن كثب من « مدينة الملاهي » ، واناشيد المرتلين تمتزج بصياح اللاهين، فاذا هي صورة للنغمة التوافقية التي تقضي بها طبيعة الحياة ، ويأنس بها طابع الانسان ....هذا الجبل يهبك ما تصبو اليه نفسك من متع ورغاب ، فهو مثوى عبادة،وموطن انس ومعابثة، ومراد راحة وجمام ، في جوطيب ، ومنظر بهيج .

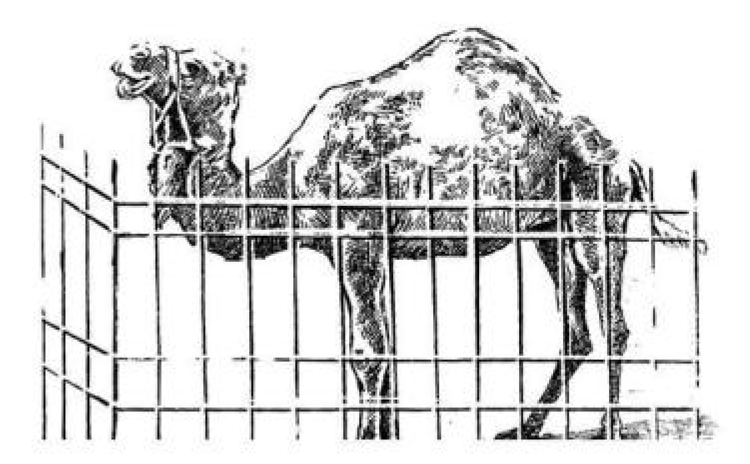
وتهبط بك تلك الضاحية الى جانب من جوانب « برشلونة » تقوم فيه « حديقة القلعة » ذات الشهرة الضافية في عالم المتنزهات وحدائق الحيوان ... وفي الميدان الرحب ، امام الحديقة ،

يلاقيك نصب تذكاري عظيم، هو قوس نصر مبنية بقوالب الآجر الاحمر ... وتجتاز البوابة الكبرى للحديقة وسط أبنية تخلفت عن كيان القلعة القديمة ، واتخذت لها مظاهر عمرانية جديدة . انها اليوم دور للتعبد ، واماكن للتحف والآثار . وما ان توغل في الحديقة حتى تشعر بالضياع في ذلك الخضم الفسيح من المروج والخمائل والادواح . وانه ليجهدك أن تقطها طولا وعرضا ، وأن تستبطن خفاياها يمنة ويسره ، فتقنع منها ببعض جولات قريبة تحت ظلال وارفة تصد عنك وقدة الشمس ، وتنعشك بطراوة النسيم . فاذا دفعت بخطاك الى ناحية منها ، ألفيت نفسك في حديقة الحيوان .. .. حديقة غاية في الطرافة ، تجمع لك في مكان رائع التنسيق فرائد من أجناس الحيوان وانواعه على تباين بيئاته ورتبه . وان الحديقة لتتيح لك ان تزور نزلاءها في طوفة او طوفتين على متن قطار صغير يماثل لعب الاطفال ، ويروقك حتما ان تتشبه بالصغار في لهوهم ، فتتخذ وسائل تسليتهم وتطرح عنك الجد والوقار ، وتقبل عى القطار في مرح الصغار ... انه لا يزيد عى مركبتين تقطرهما جرارة تتنكر في مظهر دراجة بخارية يقودها سائق، ويدق الجرس، وكانه جرس المدرسة يحث التلاميذ ، فتهرع لتاخذ مكانك ، وانت تدفع بمنكبيك الزحام ... ويتابع القطار سيره وئيدا في طريق على جانبيه تتراصف الاشجار والازهار ، أو تقوم مسارح الحيوان ، ويستوقف نظرك حظائر القردة والقنافر والقياطس والافيال وما اليها من طرائف المخلوقات .... ولما بلغ بنا القطار مناخ الجمل ، نزلت في لهفة لاحيي ذلك الصديق العزيز ، ذلك المواطن العربي الأصيل وتقدم مني الجمل متخطرا في مشيته المهيبة وخطوه الرزين ، ومثل بجوار سوره الشائك يحدق الى بعينيه السوداوين المكحولتين ، وكانه يسر الى تحية قائلا : « سلاما أيها المواطن ، كلانا مغترب ، نـا عن الدار ، وشط به المزار ، بيد أني معتقل حبيس ، وانت حر طليق ، فاحمل عني عند اوبتك حنين القلب الى حياة البداوة في رمال الصحراء . » ووقفت مليا أناجيه : كم أنت رائع في وقفتك أيها الصديق خلف الأسلاك والقضبان ، انها وقفة العزة والاباء ، وقفة المصابرة والاحتمال . وددت لو استطعت اقتحام معقلك ، والامساك بزمامك ، لافسح لك طريق الفكاك والخلاص ، لتنعم بحياة الحرية والانطلاق !

الجبل المنشور « مونتسرات »

MONTSERRAT

لم يبق الا يوم وبعض يوم ، ويفغر المستشفى فمه ليلتقمنا في جوفه ، كما التقم الحوت نبي الله « يونس » في قديم الزمان .... فلنعجل الى اتمام زياراتنا وطوفاتنا للتعرف والاستطلاع ... ثمة ضاحية بعيدة خليقة بالمشاهدة ، تقتضينا يوما كاملا من مطلع الشمس الى المغيب ... انها « مونتسرا » أو : الجبل المنشور ... هلم اليه ، نستطيع طلعه ، ونقص اثره ... وصعدنا الى الحافلة السياحية « أوتوكار » ، وكانت عامرة برواد الكشف والمغامرة ، من رجال ونساء ، شبان وشيب ، في غمرة من مرح والتنـاس . الكل في لبوس رياضي ، صدور مفتحة ، واكمام مشمرة ، وحقائب على الأكتاف تترنح ، فكأني في رفقة من تلاميذ في رحلة جماعية للتفرج والنزهة . وما أسرع ان زججنا بانفسنا معهم ، ومضت السيارة بنا في جد ، وما هي الا ان خلفت وراءها المدينة ،



واوغلت في طريق الضواحي : قرى واشباه قرى ، حقول واشباه حقول ، عرائش كرم ، واشجار زيتون ، فلا عجب أن تحفل تلك البلاد بالرائق من صهباء « الشمبانيا » والفاخر من الزيت الطيب .

واخيرا طالعنا من بعيد ذلك الجبل المنشور .. انه لمنشور حقا ، كأن منشارا ضخما انهال عليه ، وحاول على مدى الحقب المترادفة أن يمزق اوصاله ، ولم يستطع الا أن يحيل سفحه شقوقا عميقة جعلت منه شيخا أسن ، على وجهه التجاعيد والاخاديد ، يبعثك مرآه على رثاء واشفاق .

وكلما تقدمت الحافلة السياحية بنا ، توضح الجبل واستبان كيانه ، انه محوط بغابات وادغال ، وكأنه على أعناقها محمول ، أو لكأنه نجم منها واستطال ، وأما قمته فانها تتفرع فروعا وتتعدد رءوسا ، كابراج متراصة يعانق بعضها بعضا .... وتدنو من الجبل المنشور ، فاذا الابراج قد تحولت الى ما يشبه تماثيل هائلة ، جالسة او قائمة ، تذكرك بتماثيل « ابى سنبل » الرائعة الضخامة ، المهيبة فى صمتها الابدى .

ونبدأ التصعيد فى سفح الجبل ، والطريق حلزونى يدور بنا ولا يفتأ يدور ، وأشباه التماثيل ، او بالحرى تلك الرؤس الصخرية المسننة ، ذات الاشداق المهدلة تكشف عن سماتها على مهل ، والوديان تتهاوى على الجانبين ملتقية بالسهول الخضر المترامية الاطراف .

وتبدت لنا على البعد جبال « البرانس » عظيمة مديدة ، تزهو بملاءتها الثلجية الخالدة فى بياضها الناصع ، كأنها فى رسوخها وشموخها وانتظامها سور الصين القديم ... ووثبت فى خاطرى على الفور أسماء « طارق بن زياد » و « موسى بن نصير » و « عبد الرحمن الغافقى » ، أولئك القواد الذين اقترنت بهذه الرواسى اسماؤهم فى صفحات التاريخ ، فقد استلانت لهم على جبروتها ، فجازوا بها فى فتوحاتهم المظفرة ، واظلوها حقبة من الدهر براية العروبة والاسلام ... ما اقوى الطبيعة فيما تقيم من أسوار وسدود ، ولكن هذه الاسوار والسدود لا تستعصى على ارادة الانسان ، وبخاصة حين تلهب ارادته جذوة الايمان !

وتوالى الحافلة السياحية تصعيدها ، وتلك الوجوه ذوات الاخاديد الفاغرة ، والاشداق المتهدلة ، والعيون الغائرة تفرض علينا صحبتها ، لا تحول ولا تزول .

وتبلغ نهاية الشوط الاول فى الصعود : محطة متوسطة طريفة على شفير الجبل ، ذات ساحة تحتوى على فندق ومشرب ودير ... دير عجيب تحفل كنيسته بكنوز من الفن الرفيع ، فحيثما حللت فى مقاصيرها وقاعاتها ودهاليزها وسراديبها امتعت ناظرك بالالواح والصور والزخارف والايقونات والألطاف . ولعل أثمن ما فى هذا المتحف الدينى الفنى صورة « العذراء السمراء » ، تطل عليك من عليائها بوجه اسمر ذهبى ، وهى تحمل على صدرها وليدها القدسى ، وانها للصورة الفذة تبدو فيها العذراء فى بشرة سمراء ، وما هى الا الروح الاسبانية ممثلة فى « العذراء » ، أو لكأنها « عذراء » اسبانية تمثلت فيها خصائص القدسية والايمان .... ولا تلبث القاعة الكبرى فى الكنيسة أن تحتشد بالزوار ، والضوء شحيح ، والجو خاشع ، وتبدو فرقة المرتلين من الاطفال فى ثيابهم البيض ، وتنبعث أنغام « الارغن » لتراسل نشيد الاطفال فى ضراعة وابتهال .

وتبارح متحف الدير ، أو دير المتحف ، الى القطار الصاعد ، لكى تستتم رحلتك بالوصول الى قمة الجبل المنشور ، والاشراف على كل ما فى المنطقة من مشاهد ومباهج ... ويتحرك بك القطار المشدود بالامراس ، فكأنه يشق بك اخدودا فى جوف الجبل ، يشقه فى مغالبة وجهد . وياله

من اخدود رائع ، تكسوه الخضرة من كل جانب ، خضرة تنبت في الصخر .... فاذا بلغت القمة استقبلتك تلك الوجوه المجعدة ، بأشداقها المهدلة ، عن كثب منك ، تدعوك الى مصاحبتها ساعة او بعض ساعة ... وتلقى بنظرك الى الوادى المترامى ، فيستبين لك على الفور انك فى منقطع عن العمران ، فى موطن ليس فيه الا ذلك الدير العجيب ... هذه بقعة دينية ، يحج اليها العباد ، ليلتمسوا فيها طهر النفس ، وشفاء الروح، وقد استطاعت السياحة ان تجعل منها مزارا لعباد الجمال والفن من خلق الطبيعة أو من صنعة الانسان .

فى المستشفى

دخلت المستشفى ، متأبطا ما يلزم من متاع ، وكنت وانا اجوز ببابه الاسود الضخم ذى الشارات المذهبة ، كأنما اجوز بباب معبد لأقضى فيه أيام صلاة واستغفار ومتاب .

واطوف ببصرى فيما حولى ، فلا تقع العين الاعلى لونين متقاربين ، هما اللون الاسود واللون الرمادى .

واصعد الى حجرتى ، فاذا اللونان يلاحقاننى ، ويحدقان بى من كل صوب وحدب .

وملكت عينى على الفور لوحات فرعونية تزدان بها الجدران ... انها على نمط الرسوم الحائطية، أو الصور البارزة ، تمثل فى مجموعها تقديم القرابين للآلهة ... قال حسن وايم الله ... نماذج رفيعة من الفن الفرعونى ، تستقبل مواطنا من أرض الفراعنة ، قدم هنا ليقدم قربانه ، عسى أن يلقى حسن القبول ... وعلمت ان الفن المصرى القديم له فى كل ارجاء المستشفى مقام كريم ... ان « باراكير » الأب ، طبيب العيون العالمى ، ذلك الذى انشأ هذه المستشفى ، وتعهد كل صغيرة وكبيرة فيه بعبقرية فذة جامعة ، كان صديقا لبلادنا وفيا ، وكان بفنها الفرعونى ولوعا .

وجلت ببصرى فى الحجرة ، أتفقد ما حوت ، كل ما حولى يوحى الى باننى فى صومعة راهب متبتل ، أو فى مسكن طالب منقطع للدرس والبحث فى العصور الوسطى ، او لكأنى فى خلوة من خلوات الفلاسفة الاقدمين ... هذا محراب للتأمل فى حقيقة الكون ، وكنه الخليقة ، بل انه لمثابة صالحة لمحاسبة النفس على ما فرط منها ، والتكفير عما كان ... ومن ذا الذى سلم من زال وخطل ، ومن ذا الذى فى غنية عن تحرر وتطهر وخلوص ؟

واستقربى المقام فى مسكنى ...

وبدأت حياة المرض ، وانا فى أتم صحة !

واقبلت على نفسى ، اتأهب لما يفرضه علىّ الغد من قيود والتزامات .

وتوالت علىّ الزيارات ، يؤنسنى بها اخوة عرب يحفل بهم المستشفى ، وانك لتصافح سمعك فى كل وقت لهجة من لهجات المواطن العربية ، فتحس بانك بين اهلك الأقربين ، ناعما بما يسبغون عليك من عطف ولطف واحتفاء .

وطفقنا نتزاور فى صوامعنا ، ثم خرجنا الى الابهاء نتلاقى فى جنباتها ، ونحيلها مشارب شرقية، نترشف فيها القهوة ، ونتطارح الاحاديث ، ويبث بعضنا بعضا شكواه ، ليتخفف مما يثقله من مخاوف وهموم .

وكان يطيب لنا ، ونحن فى زوراتنا تلك ، أن نرقب المحفات فى اهتمام ، وهى محملة بالمرضى ، فى طريقها الى قاعات العمليات أو فى أوبتها منها .

واخيرا حل اليوم الموعود ، يوم الجراحة .

وفى الأصيل ، طرق باب حجرتى ذلك الشباب الأمرد الفارع ، فى ميدعته الناصعة البياض ، وهو يدفع بالمحفة فارغة الجوانب ، فادركت كل شىء ... واخذ الفتى يعيننى على أن أستوى على المحفة ، وما أسرع أن عصب عينى ، ولفنى بدثار ، ودفع بالمحفة خارج الحجرة . وأحسست وانا أمر بالبهو ، حيث يلتئم شمل الرفاق ، بانهم عن كثب يحيوننى فى صمت ، فلوحت لهم بيدى ارد التحية، وكأنى أشد بهم أزرى فى مواجهة ما انا ملاقيه .

وبعد رحلة قصيرة فى الممرات والمصاعد ، بلغت محطة الوصول .

واشتد خفوق قلبى ...

من يدرى ؟ ربما كانت هذه الدقائق القصار التى اقضيها الآن ، هى كل ما بقى لى من رصيد العمر .

فليكن ما يكون ، ولابد مما ليس منه بد .

وشعرت بيد الطبيب تلمس ساعدى ، وما هى الا أن وخزنى بابرة ، وتسلل الخدر الى جسمانى،

ورف على ذاكرتى فى خاطره خاطفة طيف « سقراط » على فراش الاحتضار ، وقد اشتف كاس السم حتى القرارة ، وانصرف الى من حوله يدير بينه وبينهم الحوار ، والموت يسرى فى جسده عضوا عضوا ، لا يباليه .

وجمل الخدر يسلبنى شعورى .

وبغتة احسست تيارا عنيفا يعصف بى ، واذا انا افقد الوعى .

وثابت الى يقظتى ، فعلمت أن الجراحة قد تمت ، ومكثت اعانى الحياة فى كهف الظلام عشرة ايام ... فى هذه الايام العشرة انكشف لى من سرائر نفسى ما لم ينكشف فى اعوامى الطوال .

حياة الظلام ... حياة التامل العميق ، حياة استنباط القوى الهائلة المستقرة فى طوايا الوجدان .

حياة الظلام هذه ، والهدوء شامل ، فلا حركة ولا اثارة ولا صخب ، هى ضرورة من ضرورات الطبيعة ، يتوافر فيها للمرء ما لا بد منه من تعادل واتزان .

لزام أن يعقب العاصفة سكون ، فيه راحة من عناء الكد والجهد والاهتياج .

لا تحسبن ساعات الظلام وقت خواء وفراغ ... انها ملأى بالشاهدات الباطنية ، تدركها ببصيرتك، وتستشفها بنورانيتك ، وتستخلص فيها من الدقائق والحقائق ما لا يريكه الضوء الوهاج .

وان ساعات الظلام هذه لترهف من سمعك ، وتحد من يقظتك ، فى تمييز الاصوات بعضها من بعض ، وان دقت وتشابكت ، فتدهش من نفسك ، كيف اصبحت لك تلك المقدرة التى لم يكن لك بها عهد من قبل .

ولم يمض طويل وقت حتى اتقنت لغة جديدة طارئة ، هى لغة الاقدام... هذه مشية القهرمانة، جاءت تتعهد الصومعة بالتنظيف والترتيب ، وذلك وقع اقدام رئيس السفرة ، جاء يتعرف ما تتخير من مطعم ومشرب ، وتلك خطا الطبيب المشرف على جراحتى ، حضر ليتفقد سير العلاج ... وثمة عشرات من الاقدام لم اعد أخطىء اصحابها ، لكل منها وقع مميز ، أو بالاحرى نبرة تعبير ، ودلالة تخصيص .... وهنالك حفيف عجلات الطعام ، وهى تسير فى خفة الظباء ، تحمل الصوانى العامرة ... وان لحفيفها الرهيف اثره البالغ فى تنبيه أشواق المعدة واثارة الاحشاء ... وان المرضى لينصتون الى ذلك الحفيف الحبيب ، انتظارا لما يساق اليهم من الوان الطعوم .

واصبح للموائد سلطانها على « الزمن » فى المستشفى ، فهى التى توقت لنا اقسام اليوم ، نحس اشراقة الشمس مع الفطور ، وتوهج الظهيرة مع الغداء ، وطراوة الاصيل مع الشاى ، وغبشة المساء مع العشاء .... وهكذا شاركنا المبصرين احساسهم بالزمن على تعاقب الدائبين : الليل والنهار !

وكان مما يبعث السرور فى نفسى أن أستمع الى جارى الليبى ، وصومعته تجاه صومعتى ، والبابان غير مغلقين ، وهو يزعق مناديا القهرمانة فى لهجة استغاثة ثائرة :

كمريرة سينوريتا ... كمريرة ... سينوريتا !

وبعد حين يطرق سمعنا خفق خطا «السينوريتا» متوخية صومعة الجار المستجير ...

ـ فيم هذه النداءات المتلاحقة يا سنيور ؟

فيجيب بصوت واهن :

شربة ماء !

ـ الماء منك قريب ، وكثيرا ما تناولته دون عون .

فقال وصوته يرق رقة النسيم :

ولكننى اريده الساعة منك ... أريد أن أتناوله من يدك الرفيقة الحنون !

ـ لك رغبة ملحة فى اضاعة الوقت على غير طائل ... انا مشغولة يا « سنيور » !

ـ وأنا عطشان يا « سنيوريتا » !

ـ هاك قدح الماء !

ـ ويدك ؟

ـ اقدح الماء تريد أم يدى ؟

ـ ان طلبت الصراحة فيدك التى أنشد !

فتتضاحك القهرمانة ، وتمد اناملها تلاطف بها خد المريض ، وهى تقول :

ـ حسبك هذا !

ـ الا تمكثين وقتا ؟

ـ انت طماع ... لقد أنلتك ما طلبت ... ان وقت راحتك قد حل ... فالزم الهدوء ، ولذ بالصمت .

ونسمع خفق خطاها الهينة ، تزايل الحجرة ،

على حين نكاد نحس زفرات الزميل يصعدها في تحسر وتحنان .

وتتوارد اللحظات ، ولا يلبث السيد الليبي أن يجأر بصوته عودا على بدء ، وقد اشتد به الظمأ ، أو بالاحرى تلهب شوقه واستعر .... وتتردد الأنشودة مدوية :

كمريرة سينوريتا ... كمريرة سينوريتا ... شربة ماء يا ناس !

وأخيرا حلت ساعة رفع الضمادات عن عيني بلا رجعة ، على أن تحل النظارة محلها وقتا لا أدريه .

وفي ضوء الحجرة الشحيح ، رأيت الدنيا تبدو لعيني كأنها مغشاة بضباب .

لقد أبصرت عيناي .

وشددت على يد الطبيب أحمد اليه الله الذي كتب على يده تلك النعمة البالغة ، أن أرى النـور !

وبدأت فترة النقة ، ولعلها أشد من مرحلة العلاج ايلاما وقساوة ... في تلك الفترة يتنقد المرء نفسه ، فلا يجد له من كيان واضح . شخصية الناقه مائعة ضائعة ، لا هو مريض في أسر الحدود والقيود ، ولا هو صحيح يستمتع في تصرفاته بالحرية والانطلاق ... لقد وكل اليه أمر نفسه ، فاذا لم يكن منه على نفسه رقيب ، فالويل له كل الويل من الانتكاس ... عليه أن يسوس عيشه في حكمة واعتدال ، والا ذهب ما كسبه من العلاج أدراج الرياح .

هذا الضباب الذي ران عليّ ، وملأ الدنيا من حولي ، ما برح يلازمني ، وان أخذ يرق شيئا بعد شيء .

القراءة والكتابة منالهما مني بعيد ، والساعات تتزحزح في تثاقل يسلمني الى سأم وملال .

لا عمل لي الا اللياذ بركن في الحجرة أتابع فيه التثاؤب كرة بعد كرة ، وأنا أعالج اصطياد النعاس أو شبه النعاس من خدر واسترخاء .

ولقد كانت عناية الله أرأف بي من أن تدعني فريسة للوحشة والفراغ والضجر ... هنا كانت نفس سخية بحنانها تلتزم المكث بجانبي ، تتعهد أمري ، وتهون علي ما ألقى ... هنا كانت شريكة حياتي ورفيقة عمري تحيل أوقاتي الحرجة فيضا من الايناس .

وعادت بنا الحياة رويدا على النهج المألوف ... فجعلت أبادل الرفاق في المستشفى لقاءات التعرف والتودد ، واتخذت معهم في البهو مجلس السابق ، أشاربهم القهوة ، وأطارحهم الحديث ، والمخفات تمر قريبا منا في ذهاب وجيئة ، بين الحجرات وقاعات الجراحات ، يرافقها ذلك الفتى الامرد الفارع موشحا بالبياض ، فنرقبها في أمن واطمئنان ، اذ لم يعد للرهبة منها في نفوسنا مكان !

على هذه الوتيرة مرت الايام ، وحان أن نغادر المستشفى الى الفندق ، حيث نقضي ما بقي لي من فترة رقابة واشراف .

في الفندق

ــ صباح الخير .

ــ صباح النور .

سلام عليك .

ــ عليك السلام .

بهذه التحية القصيرة التي أتبادلها أنا وصديق فنزويلي في بهو الفندق ، كنت أستهل نهاري .

ويشير الصديق الى مقعد بجانبه ، فأجلس عليه ، ويمضي الوقت ، ونحن صامتان ، تتناقل النظرات والبسمات ، وأمام كل منا كوب مترع بعصير الشمش نترشف منه على هينة ، وقد تتقلب بين أيدينا مجلة مصورة نتصفحها على عجل ، ونحن نشير الى ما حوت من صور ، وكلانا يبرطم ويمأمىء ، لا يبين ... فهو لا يعرف من اللغات الا لغة وطنه ، والا تلك التحية العربية التـي احتملها معه من « الجزائر » ، حين زارها منـذ عهد عهيد ...

لقد ألفني وألفته ، كما يألف الأبكم رفيقا له في مثل علته ، وكم بين البكم من أنس وصفاء يعز عليك أن تجده بين المفوهين !

هذا الصديق الفنزويلي يؤثر البقاء في الفندق، لعاهة لزمت ساقه ، ويطلق لأهله حرية التنقل والتجوال في المدينة ، يزورون متاجرها ، ويشترون من معروضاتها ما يتخيرون ، فالرجل من عيشـه في بحبوحة ، لا يضيق بمطالب الأهل وان غلوا في الطلب .

اني أقضي ساعات الصباح مع هذا الصديق ، في راحة وأمان من شقشقة اللسان ، فاذا جاء

الاصيل خرجت الى مشرب الفندق الخارجي اتناول الشاى ، ثم انهض الى جولة فى الحي من حول الفندق ، لا اعدوه ...

اسير وادور بخطا متمهلة ، متطلعا الى وجهات المتاجر ما وسعني التطلع ، وفى ذلك ترويض للعين على استجلاء المرئيات فى غير عنت .

وعلى الرغم من أن مجالي الحيوى فى هذه البقعة محدود غير ممدود ، فقد كان لي دنيا رحيبة فسيحة لا امل فيها الطواف .

ولم يستوقفني فى هذا الحي على وفرة ما فيه من متاجر ومشارب ودور سينما ، الا متجر صغير ، يعرضون فيه للبيع طائفة من ضروب الطير والحيوان والأسماك .

الجراء فى اقفاصها تحبو ، وهي تحدق الينا فى شغف ، وتتواثب امامنا فى مرح ، تنفض لنا مشاعرها فى نباح اشبه بنداء المستغيث ، ولعلها تعني أن تقول : رفقا بنا ، لا تتركونا ... ليس لنا سواكم من عائل ... ستلقون منا اذعانا وطواعية !

وثمة الأسماك المتوهجة ، تمرق فى مسابحها مروق سهام النور فى الفضاء الحالك ... وتلك العصافير الملونة الزاهية متنقلة على الأعواد فى الاعشاش ، كاطفال يتواثبون على الأراجح فى يوم عيد .

وعن كثب سرب الببغاوات متربعة على عروشها، منتفشة فى طيالسها الثمينة ، عاقدة الجبين فى استعلاء ، وهي تتطارح التحايا ، وتتقارض غرائب الأحاديث .

وهنا وهنالك افانين من رياحين الزينة ، تتخلل المسابح والاقفاص والاعشاش ، وديعة رفيقة ، تسبغ على ضروب الحيوان مباهج الحياة .

امام هذا البستان الحالي بالطرائف والألطاف، طاب لي أن اقضي اطول وقتي ، فى صحبة اولئك الاصدقاء ، وانا هانيء ناعم البال .

فى انتظار الرحيل

ما يزال الضباب الرقيق ، على ترادف الأيام ، يبسط غلائله على المرئيات من حولي .

وما برح الطبيب يفرض عليّ رعايته ورقابته . وفى كثافة الجو ، واحتباس الهواء ، ووقدة القيظ ، ما يزيد النفس من رهق وانقباض .

ان وقت الرحيل لم يحن بعد .

ولا سبيل الي غير الاذعان ، ولا حيلة الا مطاولة الحياة على أى نحو تكون .

واذا انا احس بان ذلك النطاق المحدود الذى اعيش فيه يزداد من تصاغر وضيق ، حتى ليغدو محبسا نمت وتعالت حوله الأسوار .

واذا انا اضجر به اشد الضجر ، ولا أجد لي متنفسا منه الا فى ذلك المتجر الطريف ، يؤنسني بما احتوى من زهر وطير وحيوان .

ليسترسل الطبيب فى عناده ، غير آذن بالرحيل، فاني منتزع لي عملا يشغلني على الرغم منه ... لاكون حارس ذلك البستان العامر الأنيس ... ولكنني وجدتني مع الايام ابرم بهذا الشغل الذى حسبته متعة لي ومسلاة .

هذا العواء المتواصل من جراء الكلاب يبعث كامن سخطي .

وهذه الشقشقة الببغاوية العجماء تهيج سأمتي وتململي .

وتلك الأحواض التى تتردد فيها الأسماك ، والاقفاص التى تتنقل فيها العصافير ، تذكرني على الفور بالمضايق والمحابس والقيود .

حتى ذلك الفردوس الصغير فقدت الأنس به ، والارتياح اليه ، واستحال فى عيني جحيما لا يطاق.

ما احتيالي فيما انا فيه الا أن أصبر والاين ؟ ثمة امور لا يجدى فيها الا الانقياد والاستسلام .

واخيرا انجلى الضباب عن عيني أو كاد ، واخذ الطبيب يخفف من غلوائه ، حتى اطلق لي حرية الارتحال .

يا لها محنة قاسية مرت بي !

لقد طامنت من زهوى ، وحدت من غرورى ، وبصرتني بضعفي ، امام جبروت المرض القاهر ...

على ان هذه المحنة أرهفت من حسي ، وأذكت من بصيرتي ، فاستطعت أن اتنور من أسرار الوجود وطبائع النفس بعض ما لم يكن لي به علم .

وما أعظم هذا كسبا فى معترك الحياة !

■■

محمود تيمور

استطلاع
الكويت

الخدمات الإجتماعية في الكويت

■ وزارة الشئون ترعى المواطن طفلاً وشاباً وشيخاً.

■ ٤ دنانير شهرياً لتملك منزل من منازل ذوى الدخل المحدود.



■ استعرضنا فى العدد الماضي العناية الصحية التى يلقاها المواطن الكويتي منذ اللحظة التى يدخل فيها الى الحياة الدنيا ، حتى اللحظة التى يخرج منها الى الحياة الآخرة .. واليوم نقلب الصفحة لنستعرض العناية الاجتماعية التى يلقاها المواطن فى الكويت ، والتى تنافس فى اهميتها ، العناية الصحية التى يلقاها نفس المواطن .

تبدأ العناية الاجتماعية فى الوقت الذى يبدا فيه الجنين يتحرك فى بطن امه .. وذلك اذا كانت الام قد فقدت زوجها ، او عائلها ، او كانت فى حاجة ماسة الى المساعدة ، ففي هذه اللحظة الحاسمة تقوم وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، بصرف مبلغ ١٥ دينارا شهريا للمرأة الحامل فى فترة حملها ..

أمل للاطفال المعذبين

وتستمر الرعاية الاجتماعية للمواطن الطفل بعد مولده .. فتقوم وزارة الشئون والعمل بدور

٥١٤٩٢ مواطنا كويتيا من ذوى الدخل المحدود ، اصبحوا يقيمون فى منازل شيدتها لهم الحكومة ، وقدمتها لهم بايجار اسمى .

الباحثات الاجتماعيات يقمن بدور كبير للتعرف على مشكلات المواطنين وحالاتهم ، قبل تقرير المساعدات لهم .



الاسرة لهذا المولود اذا كان مجهول الابوين او يتيم الام ..

وبالرغم من المجهودات التى كانت تبذل لرعاية هؤلاء الاطفال فى مؤسسة دار الطفولة (التى بدأت عملها فى عام ١٩٦١) فانهم كانوا يعيشون بها دون اى امل او مستقبل او الشعور بحرارة عاطفة الاسرة .. حقيقة ان الوزارة تؤمن لهم كل شىء ، من مأكل وملبس ورعاية طبية ونفسية وترفيهية ورياضية وتعليمية ، ولكن كان ينقصهم دائما الشعور بالامن العائلى، والتمتع بحنان الاب والام .

وجاء يوم ١٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ يحمل لهؤلاء الاطفال جديدا .. ففي ذلك اليوم قام وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، الاستاذ خالد المضف ، بتوقيع قرار وزارى بوضع لائحة نظام الحضانة العائلية .. وما كاد القرار يوقع حتى عم الفرح مؤسسة دار الطفولة،وعلت الابتسامة وجوه الاطفال الابرياء .. وعاد الى نفوسهم الامل فى العيش فى حياة عائلية مملوءة بدفء الحنان والعطف الاسرى الذى كانوا يفتقدونه ..

لقد صدر هذا القرار بعد مناقشات كثيرة على صفحات الجرائد والمجلات ، ودراسات مطوله من خبراء وزارة الشئون الاجتماعية ، فجاء نظاما جديدا ليس فيه اى تعارض مع الدين الاسلامي



مؤسسة دار الطفولة لايواء الاطفال المجهولي الأبوين ، أو اليتامى بدون امهات .. لقد دخل الأمل الى هذه المؤسسة بعد صدور قرار نظام الحضانة العائلية ..

مؤسسة ضعاف العقول : وفيها تقوم وزا
الضعف العقلي منذ ولادتهم .. وتحوى قد

الحنيف ، بل ان الدين يدعو له ويحبذه .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ، كما ورد في صحيح البخاري. هذا ماسمعناه من وزارة الشئون نفسها .

ولا تقوم الوزارة بتسليم الطفل الى طالب حضانته الا بعد ابحاث ودراسة طويلة وشاملة عن حالته .

وقد فسرت المادة الاولى من هذا القانون ، المعنى المقصود بالحضانة العائلية ، بالآتي : « وضع طفل أو اكثر في كنف أسرة كويتية بهدف قيامها بايوائه ورعايته رعاية كاملة ، مع تحمل مسئولية تنشئته نيابة عن الدولة بالشروط والاوضاع التى تقررها هذه اللائحة » .

يوم عيد

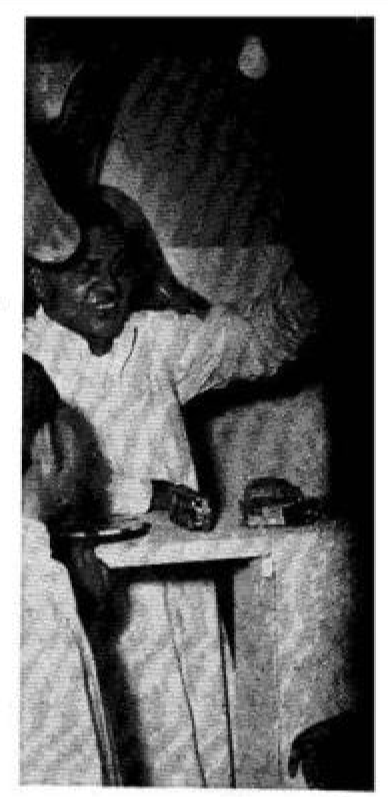
ولم يكد يصدر هذا القرار حتى تقدمت ١٩٢ اسرة كويتية طالبة حضانة هذه الاطفال .. وبعد دراسة مستفيضة لحالتها تقرر الموافقة على ٨٤ طالبا .. وكان يوم عيد عندما وجد ٨٤ يتيما ابا واما لهم .. ووجد المحرومون من نعمة الاطفال ، املا لهفي هؤلاء اليتامى.. وتعرض الطلبات المتقدمة لطلب الحضانة العائليةعلى لجنة مشكلةمن مندوبي وزارات الصحة العامة والعدل والداخلية والشئون الاجتماعية والعمل ومن الجائز تقرير مساعدة مالية شهرية او دفعة واحدة ، للعائلة الحاضنة ، اذا طرات عليها ظروف اقتصادية مباغتة ..

ولا تنقطع صلة الوزارة بالطفل بعد تركه المؤسسة بل تتابع الاشراف على شئونه ، مع أهله الجدد ..

والطفل العادي أيضا

ولنترك هؤلاء الاطفال في رعاية اسرهم الجديدة .. ونتطلق وراء الطفل عموما .. لقد اقامت له الشئون الاجتماعية حدائق خاصة - ستعمم في جميع مناطق الكويت - يلعب فيها ويمرح ..





الشئون برعاية المصابين بالعته او البله او للنساء وآخر للرجال، ومجموع نزلائها ٧٨ شخصا

حتى العجزة والمسنون ، لا يقف عجزهم أو شيخوختهم حائلا دون اعدادهم للعودة الى المجتمع ، عن طريق تدريبهم مهنيا فى مركز التدريب المهنى ..

وجعلت فى كل حديقة مشرفة اجتماعية ومكتبة للاطفال بالاضافة الى مختلف انواع الالعاب ..

والهدف ، أن تتعاون الوزارة مع الاسرة فى تنشئة الاطفال تنشئة سليمة ، بعيدا عن المشكلات الاجتماعية التي قد يتعرضون لها فى حياتهم اليومية المنزلية .

مراكز الشباب والنشاط الرياضي والثقافي

وعندما يبلغ الطفل العاشرة من عمره ، وحتى سن الثامنة عشرة تتعاون وزارة الشئون مع الاسرة والمدرسة فى رعايته ، وتتيح له الفرصة لمزاولة كافة الوان الانشطة الرياضية والثقافية والفنية اثناء اوقات فراغه داخل مراكز الشباب الثلاثة المنتشرة فى الكويت .. التي توفر الظروف الملائمة لظهور القيادات الطبيعية ، والمواهب الفنية والقدرات الرياضية بين الشباب .. وفى العام الماضى اقيمت ٣٤٢ مباراة رياضية فى مراكز الشباب هذه ..

وما يكاد الشاب يبلغ الثامنة عشرة حتى ينتمي الى جمعية او ناد وعددها ١٩ ناديا و ٢٣ جمعية ثقافية واجتماعية وفنية ومهنية ، وخمس اتحادات رياضية .

وتدعم وزارة الشئون نشاط هذه الاندية الاهلية لكى يسير مع جهود الوزارة فى ميدان العمل الاجتماعي ، وتسندها فنيا وماديا ، وتقدم لكل ناد اعانة سنوية تتراوح بين ٦٠٠٠ آلاف و ١٥ الف دينار ، كما تقدم مبلغ ٤٠ الف دينار سنويا لمساعدة اللجنة الاولمبية ..

وبلغ مجموع المساعدات التي قدمتها وزارة الشئون الاجتماعية للاندية ٣٥٦ الف دينار كويتي خلال عام ١٩٦٧/٦٦ كل هذا لتخلق شبابا صالحا جسميا وعقليا وخلقيا ..

مؤسسة للشباب المنحرف

وحتى الشباب المنحرف ، او المعرض للانحراف،

لا تهمله الوزارة بل تحاول اصلاح اعوجاجه فى مؤسسة دار التربية للشباب .. وتتبع المؤسسة نظام « الباب المفتوح » مع الاحداث الذين لم تصدر ضدهم احكام جنائية ، فترسلهم الى المدارس العادية ، ليعودوا فى نهاية اليوم الدراسى للنوم فى المؤسسة ، على أن يذهبوا لزيارة ذويهم أيام الخميس والجمعة من كل اسبوع .

ان هؤلاء الاحداث هم الذين تعجز اسرهم عن تربيتهم بسبب عقوقهم او ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، وعددهم لا يتجاوز ٤٩ شابا فى المؤسسة .

فى مرحلة الشيخوخة

وعندما يصل المواطن الى سن الشيخوخة تتولى الوزارة العناية به فى مؤسستها لرعاية المسنين ، فتوفر له اسباب الحياة الكريمة وتوفر له الغذاء والكساء والرعاية الصحية والترفيهية بقدر يحقق له السعادة والاستقرار فيما تبقى له من عمر .

ويبلغ عدد النزلاء فى هذه المؤسسة ٧٢ حالة منهم ٤٢ من الرجال و ٣١ من النساء ، وكلهم تجاوزوا الخمسين من العمر ..

مساعدات عامة

هذه هى بعض أوجه النشاط التي تؤديها وزارة الشئون الاجتماعية نحو الافراد .. الى جانب هذا تقوم الوزارة بتأدية الكثير من الخدمات والمساعدات العامة . فهي تهتم منذ انشائها بمساعدة الفئات الضعيفة والعاجزة ، مثل الأرامل والمطلقات ، والايتام ، والعاجزين عن العمل ، والحوامل ، والمرضعات ، وأرباب أسر الطلبة ..

لقد اصبحت هذه الفئات تجد صعوبة فى مواجهة الاعباء المتزايدة نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة ، والتطور المفاجىء السريع الذى تعرضت له الكويت فى السنوات الأخيرة ، لهذا تخصها الوزارة بالمساعدات الفعالة لمساعدتها على الحياة الكريمة..

ويبلغ الحد الأدنى للمساعدة ١٥ دينارا للفرد ، والحد الاقصى ٤٣ دينارا ونصف ، عدا علاوة السكن واقصاها ١٠ دنانير ..

وفى عام ١٩٦٦ بلغ عدد الأسر المنتفعة بقانون المساعدات العامة ٨٧١٦ اسرة تضم ٣٧٨٩٤ فردا تقاضت مساعدات بلغت جملتها نحو مليونى دينار فى السنة .

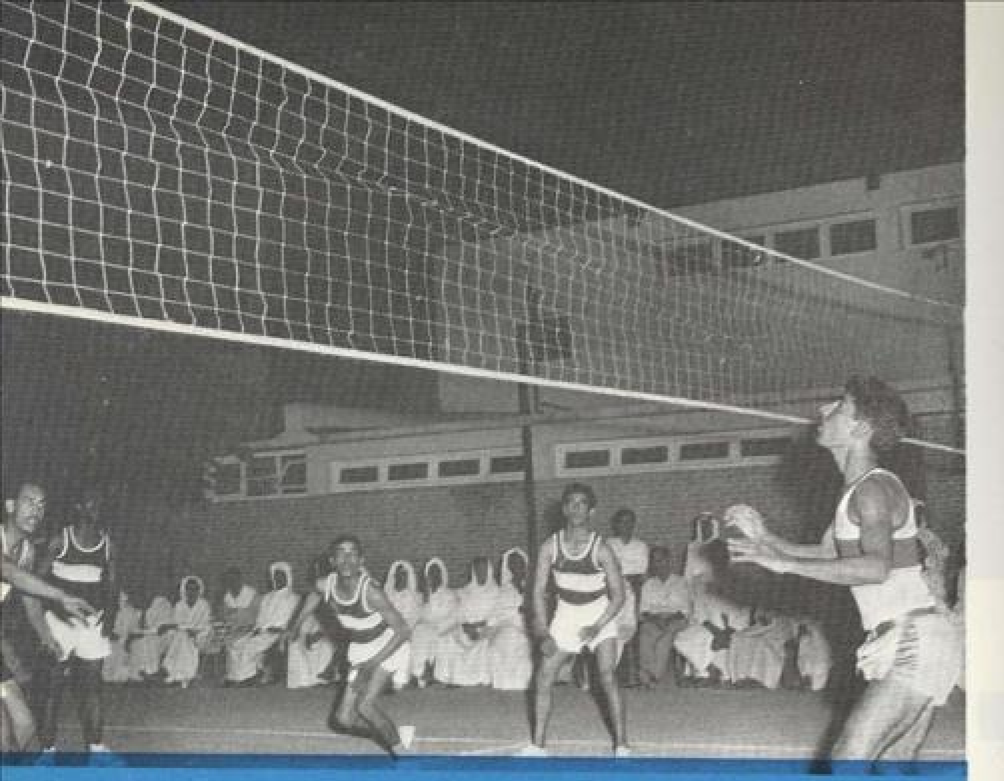
وهذا الجدول يوضح فئات هذه الأسر والمساعدات التي صرفت لها خلال عام ١٩٦٧ .

ويجرى الآن مناقشة قانون جديد لرفع قيمة هذه المساعدات .

٦٥ كشكا فى الكويت

وحتى تثمر المساعدات فى بعض المنتفعين تعمل الوزارة على مساعدتهم فى الاعتماد على أنفسهم واعالة اسرهم ، عن طريق العمل بدلا من الاعتماد على المساعدة .. لهذا تقدم لهم اكشاكا فى اماكن متفرقة من المدينة يقومون فيها ببيع المرطبات والسجاير .. وتدار هذه الاكشاك تحت اشراف وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، الى أن يصبح

نوع الحالة	عدد الأسر	عدد الأفراد	المبلغ	
			فلس	دينار
عجز عن العمل	٧٩٦	٤١٣٢	—	٢٤٦٨٥٣
شيخوخة	٢٩١٠	١٢٤٠٨	٧٥٠	٧٥٩٥٠٣
أسر طلبة	١٢٥	٩٠٦	—	٤٦٠٤٣
ارامل	١٦٢١	٧٩٩٣	—	٤٢٢١٥٥
مرضى	٣٥٦	١٨١٨	٥٠٠	١١٢٤١٢
ايتام	٥٧١	٢٨٠٠	٧٥٠	١٢٤٣٣٩
مطلقات	٨٢١	٣٩٠٩	—	١٧٣٤٣٦
عجز مادى	٦١٦	٢٩٢٨	٧٥٠	١٧٣٤٨٠
المجموع	٧٨١٦	٣٧٨٩٤	٧٥٠	٢٠٦٨٢٢٣



لدعم وزارة الشئون الاجتماعية والعمل نشاط الاندية الاهلية، تتقدم لكل ناد اعانة سنوية تتراوح بين ٦ الاف و ١٥ الف دينار سنويا .

اصحابها قادرين على ادارة عملهم بانفسهم . وقد بلغ عدد الاكشاك التي قدمت للمواطنين حتى الآن ٦٥ كشكا في المناطق الحيوية في البلاد .

مساكن لذوى الدخل المحدود

ولا تقتصر المساعدات على المحتاجين ، انما تمتد الى ذوى الدخل المحدود .. وهؤلاء تمدهم الوزارة بمسكن مشيد لهم ولأسرتهم يملكونه ، هادفة الى ان يصبح لكل مواطن كويتي من ذوى الدخل المحدود مسكن صالح لاستقرار الأسرة بعيدا عن المشكلات الاجتماعية التي تنتج عن المساكن غير المناسبة ..

ويتكلف المسكن الواحد قرابة خمسة الاف دينار تشمل ، قيمة الارض والبناء .. يسدد المواطن قيمته على اقساط شهرية قيمتها ثلاثة دنانير و ٧٥٠ فلسا شهريا ! كحد ادنى ، وذلك للفئات التي تتقاضى مساعدات من الوزارة .

وبلغ ما وزع من هذه البيوت الى الآن ٨٥٨٢ بيتا ، متوسط عدد ساكنى كل منها ٦ اشخاص ، اى ان عدد المنتفعين بهذه البيوت بلغ ٥١٤٩٢ مواطنا .

وتخفيفا للضغط الزائد على طلب هذه المنازل نشأت فكرة تقديم قسائم من الاراضي ، وقروض لذوى الدخل المحدود ، حتى يقوموا بعملية البناء بانفسهم ..

وبلغ عدد الذين اخذوا قسائم حتى الآن ٨٢٧ منتفعا .

والعمال ايضا

والى جانب كل هذا تقوم وزارة الشئون الاجتماعية برعاية المواطن العامل فتنظم علاقته باصحاب الأعمال ، لضمان توفر الأمن والاستقرار لطرفي الانتاج ، وتحقيق السلام الصناعي .. كما تعمل على تنظيم هجرة الأيدى العاملة الى الكويت

بعد اتساع سوق العمل في السنوات الأخيرة ..

ويقوم قسم الفتوى والتحكيم بالرد على الاستفسارات التي ترد اليه من القطاعين الاهلي والحكومي .. ويبحث حالات اصابات العمال ، ويعمل على تسوية الشكاوى العمالية ، ومكافاة نهاية الخدمة للعمال اليوميين غير الكويتيين في في القطاع الحكومي . وقد تم في عام ١٩٦٧ تسوية مكافآت ١٤٣٨ عاملا .

ونتيجة لاتساع سوق العمل في الكويت وازدياد الايدى العاملة انشات الوزارة اربع مكاتب عمل في الكويت ، وحولي ، والاحمدى ، والخفجي ، لتيسير اتصال العمال واصحاب العمل بها .. وهذه المكاتب قامت بصرف ١٤٣٠٦ بطاقة للعمال غير الكويتيين خلال عام ١٩٦٧ وبلغ عدد الشكاوى العمالية ١٧٥٧ شكاوى ، خلال عام ١٩٦٧ .

وتقوم الوزارة بمساعدة النقابات والاتحادات العمالية في عملها فتقدم ٣ الاف دينار سنويا لكل نقابة و ٦ الاف دينار لكل اتحاد عمالى ، اما اتحادات أصحاب الأعمال فتعطى معونة تاسيسية قدرها ٣٠٠٠ دينار عند التاسيس فقط . وتضم الكويت تسع نقابات عمالية ، واتحادين عماليين ، واربعة اتحادات لأصحاب الاعمال .

وتهتم الوزارة بالثقافة العمالية لاهميتها في رفع مستوى العامل ولهذا نظمت دورات ثقافية للعمال يشترك في اعداد محاضراتها اخصائيون وخبراء في شئون العمل والعمال ..



تعمد وزارة الشئون الاجتماعية والعمل الى توجيه ذوى الايراد المحدود الىالاعتماد على أنفسهم عن طريق العمل بدلا من المساعدة .. فتقدم لهم اكشاكا في أماكن متفرقة من المدينة ، يقومون فيها ببيع المرطبات والسجاير .

معهد جديد للتدريب

وتهتم وزارة الشئون الاجتماعية والعمل برفع كفاية المواطن في المجال الذى يعمل فيه واتاحة الفرصة أمام كافة المواطنين للاستفادة من برامج التدريب والتاهيل والدورات الثقافية المختلفة ..

ففى بداية هذا العام افتتحت الوزارة مركز التدريب المهني لتخريج العمال الفنيين ، ومدة الدراسة فيه سنة واحدة .. وقد وصل الى الكويت في العام الماضي خبير من منظمة العمل الدولية من اجل اعداد المركز المذكور .

ويتسع المركز لستين عاملا فقط ، حسب الاتفاق مع منظمة العمل الدولية ، في حين أن عدد الطلبات التي قدّمت بلغ ١٤٠٠ طلب حتى الآن .. وقد وضعت الوزارة خطة انشاء مركز جديد يتسع لـ ٢٤٠ متدربا في العام الواحد ..

الاهتمام بالفنون الشعبية

وتهتم وزارة الشئون بالفنون الشعبية باعتبارها مرآة صادقة تعكس حياة المجتمع فيماضيه وحاضره وتحدد نظرته الى المستقبل .. وقد حرصت الوزارة على جمع هذه الثروة من التراث الشعبى لحفظها من الضياع ، والعمل على تطويرها والاستفادة منها ، فانشأت مركز رعاية الفنون الشعبية عام ١٩٥٦ ويعتبر أول مركز من هذا النوع ينشأ في العالم العربي . زودته بكافة الأجهزة والامكانيات اللازمة ، وهو يضم مكتبة للأدب الشعبي وأخرى للتسجيلات الصوتية ، من فنون الغناء ، وشعر الشعراء الشعبيين .

ان محاولة تتبع وجوه النشاط جميعا الذى تؤديه وزارة الشئون الاجتماعية والعمل للمواطنين في الكويت من الصعوبة بمكان لتشعبه ودخوله في كل مجال من مجالات الحياة في الكويت .. فهى وزارة تهدف الى بناء مجتمع عربى ، على أسس من التعاطف والترابط والتعاون .. يكون أشبه بالأسرة الواحدة منه بمجتمع مدينة . ■■

س . ز

كتاب الشهر

معنى النكبة مجددا

معنى.. النكبة مجددا

للدكتور قسطنطين زريق

بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ هذا كتاب يحسن بكل عربي تقلقه احداث هذه الايام في وطننا ، أن يقرأه بتأن ، ويتأمله فهو تحليل موضوعي لاسباب النكبة الثانية ، يهديه مؤلفه « الى شباب الجيل ، القلق على المصير » . ولا يعسر على القارىء الواعي أن يلمس أن المؤلف من المؤمنين بمسؤولية الكاتب عن كل كلمة يخطها ، ولهذا فهو يختار الفاظه اختيارا دقيقا ، ولا يقدم لنا الفكرة الا بعد تأمل طويل .

وهذه المحاولة هي الثانية في دراسة أسباب النكبة للمؤلف : اما الاولى فكانت بعيد النكبة الاولى سنة ١٩٤٨ ، وكانت بعنوان « معنى النكبة » ، ومما قاله فيها : « ليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكسة البسيطة ، أو بالشر الهين العابر ، وانما هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ومحنة من أشد ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل ، على ما فيه من محن ومآس . »

وهذه النكبة الثانية اشد من الاولى ، وادهى وامر .

للنكبة اسباب قريبة ، واخرى بعيدة

ويرى المؤلف ان للنكبة اسبابا قريبة ، واخرى بعيدة ، وان وسائل العلاج ايضا بعضها قريب ، وبعضها الاخر بعيد . ويمكن رسم خطة العلاج القريب بمايلي : تقوية الاحساس بالخطر وشحذ ارادة الكفاح ، والتعبئة المادية في ميادين العمل كلها ، وتحقيق اكبر قسط من التوحيد الممكن بين الدول العربية ، واشراك القوى الشعبية في النضال ، واستعداد العرب للمساومة والتضحية ببعض المصالح لدرء الخطر .

اما العلاج البعيد فيقوم على « تبدل اساسي في الوضع العربي ، وانقلاب تام في اساليب تفكيرنا وعملنا وحياتنا بكاملها .. ولبلوغ هذه

الغاية يجب ان تتخذ خطى عديدة تقلب حياتنا من اوضاع العصور الوسطى والقديمة الى وضع العصر الحديث . »

ونحن نجد فى الكتاب الاول ، كتاب « معنى النكبة » ، تفصيل هذه الخطى التي يرى المؤلف انها كفيلة بقيام كيان عربي ، متقدم قادر على ان يدرأ اي خطر اجنبي ، مهما كان قويا ، عاتيا .

وجهان للنكبة : التخلف العلمي والضعف النضالي

ويؤكد المؤلف فى كتابه الثاني ، كتاب « معنى النكبة مجددا » ، على أن من أبرز وجوه نكبتنا وجهين ، هما : التخلف العلمي ، والضعف النضالي ، ويبدأ بالحديث عن الوجه الاول ــ التخلف العلمي ــ فيرى أن الفرق بيننا وبين المجتمع الاسرائيلي فرق حضاري ، فرق بين الجهل والعلم ، فرق بين الذهنية التى تتناول الامور تناولا عاطفيا ، والذهنية التي تعتمد العقل اولا وسيلة للمعرفة .

العلم مصدر القوة

ويعرّف المؤلف العقلية بانها ليست هي العقلية التي اقامت المصانع الضخمة ، وفجرت الانتاج الغزير ، وابدعت المخترعات الباهرة فحسب ، بل هي ايضا العقلية التي لا ترضى بالوهم ، وتؤمن بالواقع . فالعلم ، فى جوهره ، اسلوب تفكير ونظام حياة .

واذا تأملنا فى احوال الامم المتقدمة ، وجدنا ان اكتسابها لهذه العقلية العلمية ، هو سر تقدمها ، ومصدر قوتها فى كل الميادين .

وانطلاقا من هذا القول : انه لا يكفي أن نملك الاسلحة الحربية الحديثة المعقدة ، بل لا بد بجانب هذا من ان نحسن استعمالها ، واستغلالها الى اقصى حد ممكن ، للدفاع عن الوطن . فالانسان المعد اعدادا جيدا لاستخدام منتجات الحضارة ، يأتي قبل السلاح . والايدى المدربة ، والعقول المتعلمة ، هي القادرة على التسلط على الطبيعة ، واستخراج ثرواتها . وبالعلم ، وعلى ضوء العلم ، تصلح حياتنا السياسية ، لا بالعواطف الفياضة ، والمشاعر الدافقة . واذا صدق هذا القول على امورنا الحربية ، والاقتصادية والسياسية ، فهو صادق ايضا بالنسبة لكل ناحية من نواحي حياتنا .

وقد يعترض معترض بأن سبب هزيمتنا لا يعود الى تخلفنا العلمي ، بقدر ما يعود الى القوة الهائلة التي نجابهها ، قوة اسرائيل ومن هم معها . وردا على هذا الاعتراض ، يبدأ المؤلف فيسلم باننا نجابه قوة عاتية ، ولا مناص لنا من هذا لان هذا هو قدرنا ، وتبقى بعد هذا حقيقة اخرى لا نستطيع تجاهلها ، وهي : اننا لا نستطيع الصمود امام هذه القوى ، الا اذا اكتسبنا العقلية العلمية . وليس اكتساب هذه العقلية بالامر اليسير الهين ، ولكنه ليس امرا مستحيلا ، فى الوقت نفسه ، واسطع دليل على ذلك اليابان .

والروح المعنوية العالية صنو العلم

وقد يقول قائل : وما مكانة العلم من هذه الحرب الدائرة الآن فى فيتنام ، حيث نرى مجموعة من الثوار تدوخ اقوى دولة فى العالم اليوم ؟ ! وردا على هذا السؤال نقول : ان الروح المعنوية لشعب من الشعوب ، لا تقل قيمة ــ فى اى صراع ــ عن العامل التكني العلمي . والحقيقة الباقية التي لا تنقض فى رأينا ، هي : ان الانسان يأتي اولا ، وهو المعوّل عليه قبل اى شيء آخر .

ولقد تضافرت اسباب معينة جعلت الفيتنامي هذا الانسان الذى نعجب ببطولته ، واستعداده للتضحية : فالثائر الفتنامي يؤمن ان الحرب التي يخوضها هي حرب حياة او موت بالنسبة له ، أما الجندى الامريكي فلا يملك مثل هذا الشعور . والانسان الفتنامي انسان قد تدرب على فنون القتال : فقد انخرط فى الجيش الفرنسي ، وخاض معارك طاحنة ، واكتسب بذلك خبرة فى استعمال الادوات الحديثة ، واساليب القتال ، وآمن بالانضباط . وهذه الخبرة هي التي مكنت الفتناميين ، فيما بعد ، من محاربة الفرنسيين ، وطردهم من بلادهم ، والتصدى لليابانيين بعد ذلك ، وللامريكيين اليوم . وهذا القول نفسه ينطبق على ثورة الجزائر .

سؤال لا بد منه

واذا كان العلم هو عماد القوة ، ومصدر

الثروة ، فان السؤال التالي يفرض نفسه علينا ، وهو : كيف نستطيع أن ننقل المجتمع العربي من مجتمع انفصامي ، توهمي ، ميثولوجي ، الى مجتمع عقلاني علمي ؟

وجوابا على هذا السؤال يرى المؤلف ان الخطوة الاولى في هذا السبيل ، هي : الايمان بالعلم ايمانا يمتزج بالشعور والفكر ، وتهتز له الاعصاب ، وتتطلع اليه النفوس . وبدون هذا التوق الجارف الى العلم يعسر نقل مجتمعنا من مجتمع توهمي متخلف ، الى مجتمع علمي سبّاق .

واذا تحققت هذه الخطوة الاولى ، فان للدولة دورها ، وللشعب دوره .

دور الدولة

ودور الدولة هو خلق المجتمع العلمي المتطور ، وهو دور ذو شقين : احدهما يتعلق بوظيفة الدولة ، وثانيهما يتعلق بسياستها .

أما وظيفة الدولة ، فلا تقتصر على ادارة شؤون المجتمع ، وانما لا بد لها من أن تعمل على تطويره وبنائه . « والدولة لا تستطيع أن تبني مجتمعا منتجا ، الا اذا كانت هي ذاتها منظمة على اساس العلم ، ومنصرفة الى الانتاج ، ومعنى هذا أن جهازها ذاته يجب أن يكون متناسبا والغرض العظيم الذى تدعو اليه ، ومؤهلا للقيام بفروضه ، ومثالا صالحا للعقلية وللأساليب المبدعة المطلوبة فى هذا العصر . فليس من المعقول أن نطلب من عقلية بدائية أن تخلق عقلية علمية . »

وأما سياسة الدولة ، فيرى المؤلف أنها يجب أن تقوم على القواعد التالية :

١ ــ الانتاج والانماء

وهذا يعني أن على الدولة أن توجه اهتماما خاصا للاجهزة التي تسهم فى الانتاج القومي ، سواء كان هذا الانتاج ماديا ، أم بشريا ، وذلك بتخصيص المال اللازم لها فى موازنتها . وهذا القول يصدق أيضا على الانماء ، الذى هو « اعداد منتظم ، مستمر ، للانتاج فى المراحل القادمة ، وهو يقدم على التضحية بالمكاسب الحاضرة فى سبيل تهيئة مكاسب أعظم فى المستقبل . » ولا يمكن أن يكون هناك انتاج وانماء ، دون علم .

٢ ــ التخطيط

واذا كان الارتجال من صفات الشعوب غير المتطورة ، فالتخطيط هو ما يسود كل أعمال الشعوب المتحضرة . ونحن قد عانينا الكثير ، وحلت بنا المصائب ، نتيجة عدم التخطيط ، ولاننا قد كتب علينا أن نجابه عدوا تقوم حياته على التخطيط والتصميم . وغني عن القول أن كل ما نعاني منه انما خطط له العدو من سنوات بعيدة ، ثم كان فى كل مرة ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض علينا .

واذا كانت الصهيونية تخطط من أجل الغزو والتوسع ، فان واجبنا مضاعف ، لاننا يجب أن نخطط من أجل القضاء على التخلف ، ومن أجل مجابهة العدو الغازى .

٣ ــ البحث العلمي

« العلم اليوم يقوم على البحث »

واذا انعدم البحث ، انعدم الانتاج ، والانماء ، والتخطيط . ونحن نجد البحث العلمي فى الغرب ليس مقصورا على الدول ، بل تقوم به حتى الشركات والمؤسسات الخاصة . ورسالة الجامعة الاولى ، هي أن تعنى بالبحث ، وتساهم فى الكشف عن الجديد ، مما يغني المعرفة الانسانية ويساهم فى رقي المجتمع . واذا ادركنا كل هذا هان علينا بذل الكثير من أجل دعم البحث العلمي ورعايته .

٤ ــ حشد الكفاءات

وعلى الدولة ان تذكر دوما أن الغِنى الحق هو فى الغنى البشرى ، ولكنه ليس غنى قائما على العدد ، بل على الكفاءة المكتسبة بالعلم ، والتدريب ، وتفجير الطاقات . وبقدر ما تبذل الدولة فى هذا السبيل ، تستطيع السيطرة على موارد الطبيعة ، والاستفادة منها . « ومن المؤلم المدمي حقا أن نرى بعض دولنا تهرب الكفاءات وتبددها ، بدلا من أن تجتذبها وتحشدها ، وبخاصة عندما نذكر أن هذه الكفاءات قد اعدت على نفقة المجتمع،وان اعداد امثالها يتطلب سنوات

وسنوات ، في حين أننا في سباق مع الزمن . ومن المؤلم المدمي أيضا أن نرى شبابنا الأكفاء يبقون في البلاد المتقدمة التي ارسلوا للتدريب أو للاختصاص فيها ، والتي تمتصهم بشوق ونهم ، كما تمتص امثالهم من جميع بقاع الارض ، مع انها لا تحتاج اليهم كحاجة أوطانهم ، فاذا شعوب متخلفة مثلنا تسهم في اغناء شعوب متقدمة غنية ، وما ذلك الا لاهمالنا ، وقلة حرصنا . »

دور الشعب

على الشعب أن يتصرف ، وهو مؤمن أن المعركة معركته ، وليست مقصورة على فئات معينة . ولكن الشعب يبقى مشلولا ما لم يتمتع بالحرية ، وبدونها لا يستطيع أن يشارك في النضال ضد العدو الغازي ، ولا في بناء المجتمع .

ولكي يستطيع الشعب ان يقوم بدوره في هذه المرحلة المصيرية ، لا بد له من أن يتحلى باربع صفات هي : العقلانية ، ومحبة العمل والقدرة عليه ، والانضباط والانتظام ، والتقشف .

والعقلانية تعني : حب الحقيقة ، وكراهية الجهل ، والتنكر للخطأ والخداع والانخداع ، والحرص على معرفة الواقع كما هو ، لا كما نشتهيه ونتخيله . ونحن لا نطلب المستحيل هنا بان نقول اننا نريد من كل فرد من افراد الشعب أن يكون على هذه الصورة ، بل ان ما نريده هو أن تشيع العقلانية في المجتمع بحيث تصبح طابعة العام .

ومحبة العمل والقدرة عليه تفرضان علينا ان نعمل بجد ، والا نضيع وقتنا في عبث لا طائل تحته .

واما صفة الانضباط والانتظام فتحفظ طاقات الامة من أن تذهب هدرا ، وتنسقها بحيث تأتي باجل المنافع . واقتباس هذه الصفة من الامور العسيرة ، لانها مخالفة للفطرة ، ومع هذا فاكتسابها ممكن عن طريق التدريب ، ورياضة النفس عليها .

ونحن اليوم أمة في اشد الحاجة الى التقشف ، بسبب المسؤوليات الضخمة التي نجابهها ، ولكن « من يلقي نظرة على احوالنا ، يرانا نتصرف تصرف الرجل الفقير الذي يقلد الغني في مظاهر عيشه ، فنقلد الشعوب القادرة الغنية في ترفها واسرافها ، دون أن يكون لنا قدرتها وغناها . ولقد طغت علينا هذه الشعوب بالمستحدثات من وسائل الراحة ، واسباب التنعم ، فاقتبسناها ، واخذنا نهدر مواردنا في سبيلها ، بل في السبل التي تتجاوز تبديد الموارد المادية الى افساد الخلق ، واضعاف المناعة الفردية والقومية . هذه وتلك ليست سبل الشعوب التي تطلب العزة والمجد ، او حتى التي تتوخى مجرد البقاء في هذه الايام العسيرة . وانما سبيل البقاء والعزة هو التقشف ، وحرمان النفس ، والصبر ، والنفس الطويل ، والبذل ، والتضحية باليسير الزائل في سبيل الجليل الباقي ... أتدل دلائل عيشنا ، وتبذيرنا ، على اننا نحس بالاخطار الرهيبة ، العاجلة والاجلة ، ونوفر لها مواردنا وطاقاتنا ؟! »

مؤسسة الدراسات العربية

وبعد هذا يقترح المؤلف انشاء مؤسسة للدراسات العربية « تعنى بمعالجة مشكلات البلاد العربية معالجة علمية موضوعية في سبيل تفهم حقيقتها ، وتنوير الرأي العام العربي بشأنها ، وتخطيط اساليب معالجتها على ضوء العلم والاختصاص . » والواقع اننا لسنا بحاجة الى مؤسسة واحدة ، بل الى مؤسسات عدة لهذه الغاية . وقد كشفت الاحداث الاخيرة عن جهلنا الفاضح حتى بالنسبة لقضيتنا القومية الاولى ، قضية فلسطين ، فما بالك بمشكلاتنا في ميادين الاقتصاد ، والاجتماع ، والتربية ، وغيرها ؟ ان هذا الواقع المر هو الذي يجعل من الضروري المبادرة الى انشاء مثل هذه المؤسسة وهي مؤسسة يجب أن تمولها الجهات الرسمية والخاصة ، وتحشد لها الكفاءات . ومن المؤكد ان مؤسسة واحدة لا تكفي لدراسة مشكلاتنا ، ولن تكون هذه المؤسسة سوى خلية من خلايا عدة توجد في اجهزة الدولة ، وفي الجامعات ، وغيرها .

الضعف النضالي

واذا كان التخلف العلمي هو الوجه الاول من وجوه نكبتنا ، فان الضعف النضالي هو الوجه الثاني .

وضعف الروح النضالية ، او قوتها ، يعود الى اسباب موجودة في النفس ، منها : وضوح الغاية وتغلغلها في النفس ، وبروزها في الذهن على اية غاية اخرى . ومن الواضح ان احداث السنوات الماضية اثبتت ضعف روحنا النضالية لانتفاء هذا السبب من حياتنا .

ومن مظاهر ضعف الروح النضالية عندنا انعدام الارادة العربية الواحدة ، او الاتجاه العربي الواحد . ومن الواجب ان تتحقق هذه الارادة الواحدة ، بحيث تعم الافراد ، وتتغلغل في جميع الفئات . والتوعية في هذا المجال من واجبات رجال الفكر ، والمسؤولين . وعلينا جميعا ان نذكر ان المعركة ليست معركة افراد ، وانما هي معركة وطن ، وان الهزيمة عندما تقع فانما تصيب الامة بكاملها . ولهذا كان لابد من تعبئة كل فرد من افراد الشعب ، بحيث يعرف كل واحد دوره في المعركة .

« وبعد هذا ، وذاك ، فالنضال نتاج خلق وفضيلة : الخلق دعامته ، والفضيلة سياجه . ذلك ان النضال يقتضي الحرمان ، والبذل ، وقهر الشهوات ، والتضحية بالنفس ، وبما هو اعز من النفس ، في سبيل المبدأ ، ومن أجل الاجيال القادمة . »

وهذا ، في رأيي يقضي باعادة بناء الانسان العربي ، من جديد . ■■

محمود السمره



تاريخ الكويت / الجزء الاول

تأليف : الدكتور احمد مصطفى أبو حاكمة
الناشر : مطبعة حكومة الكويت

● كتاب يعنى بدراسة تاريخ الكويت بطريقة علمية خالصة ، فيعرض الاحداث عرضا موضوعيا متحريا عرض الحقيقة مبتعدا عن محاولة فرض النتائج واصدار الاحكام القاطعة . وقد أسهمت الدولة في تأليف هذا الكتاب حيث كونت لجنة خاصة سمت نفسها « لجنة تاريخ الكويت » لكتابة تاريخ الكويت بطريقة علمية حديثة . وفي هذا الجزء يتناول المؤلف نشأة الكويت والاوضاع العامة للخليج العربي في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، ثم دراسة عن دويلات العتوب وتجارة الخليج والحركة الوهابية في ذلك الحين .

مسالك الافهام الى آيات الاحكام

تأليف : العلامة جواد الكاظمي
الناشر : المكتبة المرتضوية — طهران

● كتاب في تفسير آيات الاحكام في القرآن الكريم ، فيقوم بتفسير آيات العبادات واحكام الفرائض وقد قسم الكتاب الى فصول ، أطلق على كل فصل اسم كتاب مثل كتاب الصلاة وكتاب الصوم ، على نحو ما هو متبع في ترتيب ابواب معظم كتب الفقه .

وجوب النهضة لحفظ البيضة

تأليف : السيد محمد الحسيني البغدادي النجفي
الناشر : مطبعة القضاء — النجف الاشرف — العراق

● مجموعة مقالات ارشادية تدعو الى تعاضد المسلمين وتآزرهم لحفظ الدين الاسلامي من كل تشويه .

مصادر نهج البلاغة

تأليف : عبد الزهراء الحسيني — الناشر : مطبعة القضاء — النجف الاشرف — العراق

● كتاب يتضمن تاريخ نهج البلاغة والبحث عن مصادره والتحقيق عن أصوله وقيمته العلمية

والادبية والاجتماعية مع وثائق مؤلفه الشريف الرضي ومكانته من العلم والدراسة .

غوطة دمشق

تأليف صفوح خير / مراجعة الدكتور نظمي الموصلي
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي /سوريا

● دراسة في الجغرافيا الزراعية تهدف الى كشف الملامح الرئيسية لغوطة دمشق ، وتقوم هذه الدراسة على تسجيل المعلومات الواقعية كاساس سليم لتحقيق اى اصلاح او تنمية ، وقد قسم الكتاب الى اربعة ابواب يعالج الاول منها : الضوابط الطبيعية للانتاج الزراعى في الغوطة ، ويختص الباب الثانى بدراسة المياه ومصادرها ، والباب الثالث يدرس الضوابط البشرية للانتاج الزراعى ، والباب الرابع يدرس استثمار الارض في غوطة دمشق في الوقت الحاضر .

الاسلام والقضية الفلسطينية

تأليف عبد الكاظم البديرى ـ الناشر مطبعة النعمان
النجف الاشرف ـ العراق

● كتاب يبين الخطوط العريضة لمعتقدات اليهود ومبادئهم وكتبهم ، ودورهم الفعال في انحراف الاخلاق وجر البشر الى ويلات الحرب .. ثم يبين الاسباب الحق العربى ، وعدالة القضية العربية ، ودور علماء الاسلام ومواقفهم من الاستعمار والصهيونية .

المبسوط في فقه الامامية

الجزء الاول / تأليف : محمد بن الحسن بن على
الطوسى ـ المكتبة المرتضوية ـ طهران

● كتاب في فقه الامامية يتناول المسائل الشرعية الفقهية بالتحقيق الدقيق وقد قسم المؤلف الكتاب الى فصول اطلق على كل فصل اسم كتاب ، فكتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الصوم ، وكتاب الاعتكاف ، وكتاب الحج ، وكتاب الضحايا والعقيقة .

المدخل الى الهندسة اللا اقليدية

تأليف : كابى درديان
الناشر : المطبعة التعاونية بدمشق

● كتاب يبحث في هندسة لوباتشيفسكي وموقفه من موضوعة اقليدس الشهيرة في موضوع المتوازيات ، ومحاولة ايجاد منظومة مغايرة لمنظومة اقليدس . وقد اعتبر لوباتشيفسكى سلسلته التى انشاها هندسة قائمة بذاتها واطلق عليها الهندسة اللا اقليدية ، وهى ثورة فكرية علمية على المعطيات والموضوعات والفرضيات التى كبلت العقل البشرى احقابا طويلة .

الارشاد لمن طلب الرشاد

تأليف محمد حسن النائيني . الناشر : مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف ـ العراق .

● مجموعة من الايات القرانية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة ومواعظ وارشادات قيمة تهدف الى العظة والعبرة .

الناجون

تأليف جيرهارت هاوبتمن / ترجمة محمد جديد
الناشر / مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى / سوريا

● مسرحية تقع في فصول خمسة،يلعب الجمهور فيها دور البطل الذى يشكل محور الاحداث ، وقد نجح المؤلف في تركيز انتباه القراء الى الجانب الانسانى من هذه المأساة المؤثرة ، واستطاع بذلك ان يغلب فيها جانب الفن على الجانب السياسي المذهبى في المسرحية .

مع ايليا ابو ماضي في طلاسمه

تأليف : أحمد الشيخ عبد الحميد السماوى
الناشر :مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ العراق

● رباعيات يرد فيها الشيخ السماوى على قصيدة « الطلاسم » لايليا ابو ماضي ، ويحاول ان يدفع الشبهات والشكوك التى اثارتها تلك الطلاسم .

وقد قام المؤلف بشرح هذه الرباعيات وما تضمنته من البراهين العقلية والادلة الفلسفية ، فجاء هذا الشرح متمما لفائدة النظم .

الاقتصاد المخطط

تأليف جاك روميف / الناشر : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى / دمشق

● دراسة علمية لموضوع التخطيط في الاقتصاد،

تاريخه ودواعيه ومقتضياته، ثم تعريف عن الخطة، ثم الحديث عن التخطيط السوفييتي ومفاهيمه والمراحل التي مر بها الى أن انتهى الى شكله الحالي ، والتخطيط في الجمهوريات الشعبية وتعدد اشكاله وقد تحدث المؤلف في القسم الأخير عما اخذت به البلدان ذات النظام الراسمالي من اشكال التخطيط واساليبه .

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم

تأليف : محمود شيت خطاب

الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت

● قاموس كبير يقع في جزئين يورد المصطلحات العسكرية التي وردت في القرآن الكريم ويرمي الى توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية بعامة ، وقد ارجع المؤلف كل مصطلح عسكري الى الفصل الماضي الذي اشتق منه هذا المصطلح . ثم أورد بعض الآيات القرآنية أمثلة لاستعماله ثم ذكر مشتقات الكلمة ومعانيها اللغوية واخيرا سجل المصطلحات العسكرية المشتقة من كلمات القرآن وذكر معانيها الحديثة المستعملة في الجيوش العربيـة .

قصة الصحافة العربية في مصر

تأليف : الدكتور عبد اللطيف حمزة

الناشر : مطبعة المعارف ـ بغداد

● دراسة عن الصحافة في مصر منذ بدايتها الى عصرنا الحاضر. يتناول فيها المؤلف الاجواء الفكرية للصحافـة المصريـة والصحف والمجـلات التي كانت تصدر في ذلك الوقت ، ثم دراسة عن الرواد الأول للصحافة المصرية ، ومدى مساهمة الصحافةفي الحركات الفكرية والتحررية في البلاد.

تفسير ارجوزة ابي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع

تأليف : أبو الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق : محمد بهجت الاثري ـ الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية

● شرح أرجوزة لأبي نواس أثر فيها الغريب وأورد فيها أشد الكلمات اعرابية وتعتبر من اجزل شعر ابي نواس الجاد وقد ضمنها فضائل الفضل ابن الربيع أحد وزراء الدولة العباسية .ويتضمن الكتاب كذلك ترجمة للفضل بن الربيع وأبو نواس وابن جنى ثم شرحا وافيا للارجوزة .

تصميم وتنسيق الحدائق في الكويت

تأليف : خالد عيد ـ خليل السالم

الناشر : وزارة الاشغال العامة ـ الكويت

● كتاب أصدرته وزارة الاشغال العامةبالكويت في سلسلة كتب الارشاد الزراعي يبحث في أمور انشاء الحدائق وتنسيقها ، والاشجار التي ثبت نجاح زراعتها في الكويت .. وقد زود الكتاب بمجموعة كبيرة من تصميمات الحدائق العامـة وحدائق المنازل .

سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل عصر

تأليف : العلامة السيد على خان المدني ـ

الناشر : المكتبة المرتضوية ـ طهران

● كتاب في الأدب العربي يترجم لمجموعة مـن الشعراء يتناول بالدراسة اشعارهم ومؤلفـاتهم وسيرهم وعاداتهم ، وقد رتب المؤلف الكتاب على خمسة اقسام . القسم الأول تناول فيه شـعراء الحرمين الشريفين ، والقسم الثاني لشعراء الشام ومصر . والقسم الثالث لشعراء أهل اليمن . والقسم الرابعفيشعراء العجم والبحرين والعراق. والقسم الخامس في محاسن أهل المغرب .

الاركان الاربعـة

تأليف : أبو الحسن على الندوى . الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت

● كتاب يتناول أركان الاسلام الأربعة وهـي الصلاة والزكاة والصوم والحج وعن وضعهـا السماوي وحقيقتها الشرعية وتشريعها في الاسلام ومكانتها في الدين،وفي الحياة الفردية والاجتماعية في ضوء الكتاب والسنة ، ثم مقارنتها مع الديانات السماوية الأخرى .

اخلاق الوزيرين

تأليف : أبو حيانعلى بن محمد التوحيدى . حققه : محمد بن تاويت الطنجى . الناشر : مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

● كتاب في مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد . ويمتاز نقد المؤلف بانه نقد مر لاذع لا تكاد عينه تخطىء مواطن النقص وحسمرهف مع قدرة لغوية فائقة لنقل احاسيسه عن الناس .

■■

أنتَ تسأل .. ونحنُ نجيب

اتفاقية جنيف واسرائيل!

● نقرأ في الصحف أن أعمال اسرائيل في الاراضي العربية التي احتلتها اخيرا هي خرق صارخ لاتفاقية جنيف ، فما هي هذه الاتفاقية ،ومتى وقعت ، وكم عدد الدول التي وقعتها والتزمت بنصوصها ؟

محمد سليم / عمان

★★★

ـ اتفاقية جنيف ، اتفاقية دولية تهدف الى تحسين احوال الجرحى والمرضى من الجنود المحاربين في ميدان القتال . وقد وضعت اول ما وضعت في عام ١٨٦٤ ، ووقعها ١٢ مندوبا يمثلون ١٢ دولة اوروبية على اثر صدور كتاب جان هنري دينان ، الكاتب السويسري Jean Henry Dunant مؤسس جمعية الصليب الاحمر الذي روى فيه قصصا تقشعر لها الابدان لآلام الجنود الفرنسيين والايطاليين والنمسويين في حرب عام ١٨٥٩ ، نتيجة لعدم وجود العناية الطبية الكافية لاسعاف الجرحى والمرضى من هؤلاء الجنود .

فقد دفعت حوادث هذا الكتاب احد زملاء دينان وهو سويسري ايضا ويدعى جوستاف موينيه Gustave Moynier الى الدعوة الى عقد مؤتمر غير رسمي في جنيف في عام ١٨٦٣ ، مما حدا بالحكومة السويسرية نفسها الى تبني الدعوة ، الامر الذي اضفى على المؤتمر الصفة الرسمية . وفي هذا المؤتمر ولدت اتفاقية جنيف الاولى .

ولكن هذه الاتفاقية ما لبثت ان تطورت بعد ذلك وادخلت عليها عدة تعديلات ، وازداد عدد الدول الموقعة عليها والملتزمة بنصوصها . ففي عام ١٩٢٩ صدرت اتفاقية ثانية وقعتها ٤٧ دولة ، وفي عام ١٩٥٠ صدرت اتفاقية ثالثة وارتفع عدد الدول الموقعة عليها الى ٦١ دولة من بينها اسرائيل ! ويبلغ عدد نصوص هذه الاتفاقية ٢٣ نصا اهمها :

١ ـ تحسين احوال الجرحى والمرضى من الجنود المحاربين في ميادين القتال .

٢ ـ تحسين معاملة اسرى الحرب .

٣ ـ حماية المدنيين اثناء اندلاع القتال .

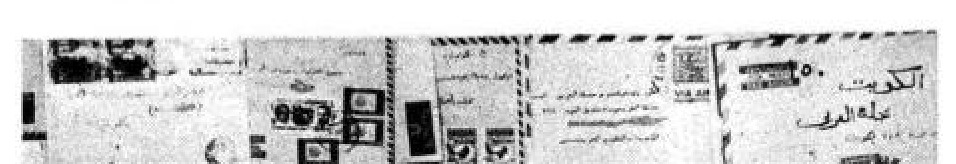
كما تضمنت الاتفاقية كذلك نصوصا اخرى تحرم اللجوء الى اعمال القسوة والعنف .

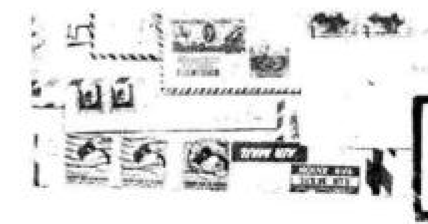
خرق اسرائيل للاتفاقية

هذه هي اتفاقية جنيف Geneva Convention وننتقل الى الشق الاول من سؤالك ، عن اعمال اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة وما تنطوي عليه من خرق صارخ لنصوص الاتفاقية المذكورة .

ونترك احد قراء صحيفة الأوبزرفر البريطانية يرد على مزاعم اسرائيل التي جاءت على لسان مستشارها الصحفي شارون Sharon ، في لندن .

وقد جاء في الخطاب الذي نشرته الصحيفة لهذا القارىء : « لقد نفى شارون ان ما تقوم به اسرائيل في الاراضي العربية ينطوي على خرق لاتفاقية جنيف . ووصفه بانه اجراءات امن ضرورية . وأعتقد ان هذا القول يحتاج الى رد ، وخاصة من رجل عاد لتوه من قطاع غزة ، فالواقع ان اعمال اسرائيل هناك تعد انتهاكا صريحا لنصوص هذه الاتفاقية . والا فكيف تفسرون مثلا عملية نسف اربعة منازل للاهالي الآمنين في شارع الوحدة بغزة ، كرد على انفجار قنبلة يدوية مصنوعة محليا . ولو انهم نسفوا بيتا واحدا لانه مركز للاعمال العدوانية لكان ذلك خرقا لاتفاقية جنيف ،





يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

فما بلكم بنسف وتدمير اربعة منازل مقابل انفجار قنبلة واحدة . ان هذا العمل لا يمكن ان يوصف الا بانه عمل انتقامي وحشي » .

وفي مقال بعث به مايكل آدامز Michael Adams مراسل صحيفة مانشستر جارديان البريطانية في القدس المحتلة ، كتب يقول « ان التدابير التي يتخذها الجيش الاسرائيلي المحتل ضد المدنيين العرب في قطاع غزة تنطوي على تجاهل تام لنصوص اتفاقية جنيف التي تدعو الى حماية المدنيين وقت الحرب » .

« فقد فرض الاسرائيليون العقوبات الجماعية على سكان غزة (وغالبيتهم من اللاجئين الفلسطينيين) بغض النظر عن اعمارهم وسواء كانوا من الرجال ام النساء . كرد على الحوادث الصغيرة التي وقعت في هذه المنطقة العربية ، ومن بين هذه العقوبات حظر التجول لايام عديدة ، والاعتقالات التعسفية والسجن بلا محاكمات ، ونسف وهدم المباني والممتلكات الخاصة لهؤلاء المعتقلين الذين امتلات بهم السجون » .

ichael Adams

Jerusalem, January 25

In the measures it is now taking against the civilian Arab population in the Gaza Strip, the Israeli army of occupation is disregarding the provisions of the 1949 Geneva Convention for the protection of civilians in time of war.

In response to a series of minor incidents in the last three weeks, the Israeli Army has imposed collective punishments on the population (mainly refugees from Palestine) regardless of age and sex. They include curfews lasting several days during which no proper provision is made for the distribution of foo[d] [an]d water, arbitrary arrests, ... [ran]dom demolition of h... ... belong...

وهذا مثل واحد ، والامثلة على وحشية اسرائيل كثيرة ، وكلها انتهاك صارخ لاتفاقية جنيف .

(م . ن)

أغلى لوحة في العالم

● ذكرتم في معرض كلامكم عن « كلود مونيه » ان لوحة « الشرفة » التي رسمها ، والتي بيعت بمبلغ ٧٠٠ مليون فرنك فرنسي قديم ، أصبحت تحتل المرتبة الخامسة بين اللوحات العالمية من ناحية الثمن .. فهل يمكنني معرفة أسماء اللوحات الاربع التي تسبق هذه اللوحة ، والاسعار التي بيعت بها كل منها ؟

سلامة صادق/عمان/الاردن

ـ اغلى لوحة في العالم هي التي رسمها « ليوناردو دافنشي »، واطلق عليها اسم Portrait of Ginevra وقد بيعت بمبلغ ٣ مليار و٢٠٠ مليون فرنك فرنسي قديم ، واللوحة الثانية هي Aristote التي رسمها الفنان « رمبرادنت » وبيعت بمليار و٥٠٠ مليون فرنك .. واللوحة الثالثة لرمبرادنت ايضا واسمها Portrait de Baigneuse وبيعت بمليار و١٧٠ الف فرنك .. والرابعة رسمها الفنان « سيزان » تحت اسم Grande Baigneuse وبيعت بمبلغ ٧٥٠ مليون فرنك فرنسي قديم . واخيرا بيعت هذه اللوحة التي رسمها « مونيه » بمبلغ ٧٠٠ مليون فرنك فرنسي قديم ، وهذا المبلغ الاخير كان يساوي ٥٦٠٠٠٠ استرليني ، وهذا بالطبع قبل انخفاض الاسترليني الذي وقع في اواخر عام ١٩٦٧ .

س . ز

جنات عدن ليست في عدن

● قال الله تعالى « جنات عدن تجرى من تحتها الانهار » .

هل معنى عدن هنا بمعنى عدن عاصمة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، اذا كان الجواب بالنفى فما معناها اذن ، ولماذا سميت هذه المدينة بذلك الاسم ؟

على سعيد مزاحم باجابر
المكلا ـ ج. ى. ج. ش

ـ هناك فرق بين اللفظين . ذلك ان جنات عدن، بسكون الدال ، وعدن عاصمة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بفتح الدال . وجنات عدن معناها جنات الاقامة ، يقال : عدن بالمكان يعدن عدنا « بسكون الدال » أى أقام ، وسميت بذلك لان الاقامة الحقيقية وهي الخلود تكون في الجنات في الآخرة .

اما عاصمة ج.ى.ج.ش. فاختلف في سبب تسميتها ، قالوا انها مأخوذة من عدن بالمكان أى أقام . ولكن المصدر بسكون الدال لا بالفتح . وقالوا انها كانت تسمى قديما « عدن أبين »وأبين هذا رجل من حِميَر أقام بها .

وقيل ان الاحباش في الجاهلية عبروا في سفنهم الى اليمن ، فخرجوا من مكان عدن فقالوا : عدونا ، ومعناها بلغتهم خرجنا ، فسمى المكان « عدن » ، وكلها تعليلات ، والأسماء في الحقيقة لا تعلل ، لانه لا يعرف واضعها الاول ، وماذا كان يقصد حين سمى . على أننا نرجو أن يعود لليمن جميعه ما كان عليه من مزروعات وجنات دنيوية ، مثل ما كان لأجدادهم السبئيين والحميريين والمعينيين ، ان شاء الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

(ع.ف)

الشاعر المحارب

● قرأت في أحد الكتب المدرسية أن المرحوم محمود سامى البارودى رثى زوجته وهو في منفاه بسيلان ، ومن جملة ما قال :

يا دهر فيم فجعتنى بحليلة
كانت خلاصة عدتى وعتادى

ولكنه عاد من منفاه سنة ١٩٠٠ وتوفي بمصر سنة ١٩٠٤ فقامت زوجته على طبع ديوانه .

فيا ترى هل تزوج البارودى بعد رجوعه من منفاه ؟ مع العلم أنه كان مكفوفا ، أو كانت له زوجتان قبل أن ينفى من مصر ؟

حسين جمعة
دبى ـ ساحل عمان



كيف تختلف

● نظرت الى ساعتى في الكويت فوجدتها الثانية عشرة ظهرا .. فلم أدر كم كانت في القاهرة وفي تونس .. وفي لندن .. وفي نيويورك .. وفي باريس فما السبيل الى ذلك .. ؟ !

عصام فوزى ـ الكويت

★★★

ـ انت تعلم ان الشمس تدور حول الارض وتقطع الدائرة التى هى ٣٦٠° طولية او خطوط طول في ٢٤ ساعة .. فهي اذن تقطع الدرجة الوحدة في ٤ دقائق ..

وانت تعلم ان لندن (جرينتش Greenwich بالضبط واقعة على الخط الطولي الذى درجته صفر° .. والقاهرة على الخط الطولى الذى درجته ٣٠° شرقا . فالشمس لتقطع المسافة بين

محمود سامي البارودي



محمود سامي البارودي

ـ لم تكن للبارودى بمصر زوجتان قبل منفاه ، وانما كانت له بها زوجته التى رثاها وهوبسرنديب في سيلان حين بلغه موتها ، ولكنه تزوج في منفاه، واغلب الظن أن الزواج كان بعد وفاة الزوجة الأولى . والتى تزوجها بمنفاه هى بنت أحد زعماء الثورة العرابية الذين نفوا مع من نفى ومنهم البارودي . واسم هذا الزعيم يعقوب سامى ، وبالطبع ليس أخا للشاعر محمود سامى البارودى ، وقد توفي يعقوب سامى فى خلال سنوات النفى وظل محمود سامى البارودى سبعة عشر عاما منفيا ، وعاد مع زوجته الثانية الى مصر شبه مكفوف ، ثم كتفة نهائيا فى مصر ، وهذه المرأة الثانية هى التى قامت على طبع ديوانه .



(ع.ف)

السّاعات فِي العَواصِم ، وَالْوَقْت واحِد ؟

القاهرة ولندن تحتاج الى ٣٠° × ٤ دقائق = ١٢٠ دقيقة اى ساعتين .

والكويت واقعة على خط طول ٤٥° شرقا فالشمس تقطع المسافة بين الكويت ولندن فى : ٤٥° × ٤ دقائق = ١٨٠ دقيقة اى ثلاث ساعات .

ونيويورك واقعة على خط طول ٧٥° غربا فالشمس تقطع المسافة بين لندن ونيويورك فى : ٧٥° × ٤ دقائق = ٣٠٠ دقيقة اى ٥ ساعات .

واذن فعندما تكون الساعة ١٢ ظهر يوم الجمعة في الكويت تكون في القاهرة الساعة الحادية عشرة صباحا من نفس اليوم .

وتكون فى لندن الساعة التاسعة صباحا من نفس اليوم .

وتكون فى نيويورك الساعة الرابعة صباحا من نفس اليوم . كل هذا جغرافيا .

ولكن وجدت بعض الدول المتجاورة ان هذا قد يتعارض مع ظروف الحياة وان الخير في أن يصحوا سكان هذه الدول رغم اختلاف الزمن الجغرافى فى وقت واحد .. وبناموا في وقت واحد ويعملوا ويتعاملوا في وقت واحد . ولهذا اتفقوا على توقيت موحد سموه بالتوقيت السياسى ، وعملوا به ولو خالف التوقيت الجغرافي وسبب آخر هو رغبة بلد ما فى أن يصحو أهله باكرا لينتفعوا بنور الشمس الباكر وبذلك يوفرون الاستهلاك من النور الكهربائي فى الليل . ولمثل هذا اتخذت حكومة القاهرة توقيتها الصيفي بتقديم الساعات ساعة واحدة فى الصيف .

م . ط

كل شيء عن مدينة الكويت

● متى تأسست مدينة الكويت ، ومن هو مؤسسها ، وهل لكلمة الكويت من تفسير أو معنى. وهل هو الاسم الاصلي لها ، أم أنها كانت تعرف باسم آخر ؟ وكم مساحتها ؟ وكم عدد سكانها ؟ .

محمد مروان علي ـ الكويت

ـ الجزء الأول من السؤال يجيب عنه كتاب : « تاريخ الكويت » الذى الفه الدكتور احمد مصطفى أبو حاكمة بمساندة لجنة تاريخ الكويت ، حيث يقول :

« من العسير جدا أن نحدد تاريخا ثابتا لتاسيس مدينة الكويت ، لافتقاد الباحثين الى مثل هذا . ولكن يمكن القول ان الكويت بدات تظهر كمدينة ناشئة في مطلع القرن الثامن عشر ، اى حوالى عام ١٧١٦ م. وان يكن فضيلة الشيخ القناعي يعود بتاريخ تاسيسها الى عام ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م) .. ومهما يكن من أمر فان الكويت على أغلب الظن ، كانت قرية صغيرة اتخذها بعض الصيادين مقرا لهم في وقت ما من القرن السابع عشر ، واستقر هؤلاء حول « الكوت » الذى انشاه شيخ بنى خالد فيها . وعلى تلك القرية الصغيرة وفدت جماعات « العتوب » ، وهم مجموعات من الاسر العربية المختلفة النسب ، وأسسوا المدينة التى اصبحت اليوم عاصمة الكويت .

« وكلمة الكويت تصغير لكلمة « الكوت » بمعنى القلعة . وفي القرن الثامن عشر كانت تسمى « القرين » وهو تصغير لكلمة القرن ، بمعنى قرن الحيوان » .

أما عدد سكان الكويت فبلغ ٤٦٧٣٣٩ نسمة في عام ١٩٦٥ .

س. ز

بغداد قبل أبي جعفر المنصور

● من المعروف عن مدينة بغداد عاصمة الجمهورية العراقية أنها بناها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور ، وهو يعتبر أول من وضع أساس بغداد . ولكنى قرات في أحد الكتب أن رجلا في عهد الامام علي كرم الله وجهه قص قصة عنه وهذا الرجل هو المعمر بن علي بن أبي عبدالله البغدادى . فهل كانت بغداد مبنية قبل المنصور، أو هناك قبيلة يطلق عليها البغداديون ؟

حامد سليمان عمران
الحبانية ـ الجمهورية العراقية

ـ في أيام الفرس ، قبل الفتح الاسلامى ،كانت بغداد يقوم فيها في كل شهر سوق عظيمة ـ كما يقول ياقوت في معجم البلدان ـ او في راس كل سنة ، كما يقول الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد ، ولما زحف الاسلام الى العراق ، وكان القائد المثنى بن حارثة ، قال أهل الحيرة للمثنى: ان بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة ياتيها تجار فارس والاهواز وسائر البلاد ، يقال لها بغداد . وأن الأموال التى تصل اليها للتجارة كثيرة تنفع جيوش المسلمين .

وفعلا زحف اليها المثنى بن حارثة ببعض الجنود وكبسوها على حين غرة ، واستولوا على ما فيها . من هذا تعلم أن بغداد كانت قبل أبى جعفر المنصور ، وقبل مجيء الامام على الى العراق .

أما أبو جعفر فهو الذى بناها لتكون عاصمة لخلافته ، ومن عهده اشتهرت وقصدها الناس من جميع الأنحاء .

ع. ف

العربي

العدد ١١٤
صفر ١٣٨٨
مايو
(أيار) ١٩٦٨



جيل الغد .. في الشارقة

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	لبنان	١٠٠ قرش	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	الأردن	١٠٠ فلس	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	سورية	١٠٠ قرش	تونس	٢٠٠ مليم
اليمن	٢٫٥ شلن	ج.ع.م	[illegible]	الجزائر	٢٠٠ سنتيم
العراق	١٢٠ فلسا			المغرب	٢ درهم



● فتاة من فيتنام .. ترتدى ثوبا حريريا مفتوحا من الجانبين ، فوق سروال من الحرير .. وهـذا هو الزى التقليدى لفتيات مدينة « هوى » .. ويسمونه « آوداى » .. لقد اختفى هذا المنظر من شوارع المدينة بعد أن دمرتها المعارك الطاحنة التى دارت فيها بين قوات امريكا وقوات جبهة التحرير الفيتنامية .

(انظر ص ١٢٥)



عزيزى القارىء

● جاءتنا منك ومن اخوان لك خطابات تشكون فيها كتابا يكتبـون لنا ، شهـيرين ، وشعراء معروفـين ، وشاعرات ، ارسلوا الينا من نتاجهم الفكرى ما رحبنا به ، ونشرناه بالعربي ، ثم اتضح ان هذا النتاج نتاج قديم منشور .

ولقد بحثنا هذا الموضوع فوجدنا صـدق هـذه الشكوى ، ولو ان العربي علم بنشر لهذا الانتاج سابق ، ما قام بنشره ، وليس عند العربى جهاز يدور عـلى كل الصحافة العربية في كل الازمان والعصور يستقصي ما سبق نشره فيها حتى يستطيع ان يمنع .

فلا سبيل لنا غير ابداء الاسف ، لهذه الزلة التى وقع فيها كتاب كرام علينا . ونحن لانذهب الى ما ذكر احد القراء حينما قال متسائلا « هل اصبح نشر القديم بدعة جديدة .. ابتدعها رجالات العرب تطورا مع الزمان ولحاقا بركب الامم الناهضة » .

المحـرر



العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والا... [illegible]



ALARABY = No. 114 May 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

● سلطت الاضواء على ساحل عمان ، ذلك الساحل المجهول ذى الامارات السبع التى اعلنت اتحادها مع امارتى البحرين وقطر .. والعربى ينقلك اليوم الى « الشارقة » ، احدى امارات هذا الساحل ، انها تبنى حاضرها ومستقبلها ، ومع حركة البناء هذه بدات المراة تتحرك بعد ان ظلت قابعة او سجينة فى منزلها عشرات السنين ، وانطلق الجيل الجديد من الفتيات يتلقى العلم فى المدارس التى شيدت لهذا الغرض ، والى جانب العلم تكونت اول فرق كشفية من المرشدات والزهرات .

(انظر استطلاع الشارقة ابتداء من صفحة ٧٦)

طب

شعر

تربية

كتب

قصص

منوعات

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



واجب كل عربي

● بانتباه زائد قرات مقالة الاستاذ فاضل سامي الجندي، بالعدد ١١٢ ، فهالني ما أورد من حقائق مولمة حول وسائل اعلامنا للخارج ،واعجبني ما اقترح ، بل انني شعرت لتوى بانه بات لزاما علي كعربي أن أبادر حالا لتلبية دعوة الاستاذ .ولكن كيف ؟ . هذا هو السؤال الذى طرح نفسه . نعم كيف وماذا أعمل ؟ وتزاحمت الافكار في رأسي ،ولكن فكرة واحدة سيطرت والحت . الفكرة هي ان اكتب لمجلة (العربي) ذات الرسالة الواضحة الابعاد والمعالم وهي خدمة العروبة وابنائها ، مقترحا وطالبا أن تتبنى هي أمر هذا الاكتتاب .

ومع ثقتي التامة بان العربي لن تعدم الوسيلة الا اني أقترح الحاق (كوبون) باحد الاعداد ذى قيمة تعادل قيمة العدد وتوضيح الهدف منه ،وهو هدف سام ولا شك ، وارسال ما يتجمع نتيجة لذلك لمكتب الجامعة العربية في باريس أوغيرها عن طريق المجلة . هذا مجرد اقتراح لوسيلة، الا أن الامل بان ينظر الى اقتراحي حول الاكتتاب بعين الاعتبار لن يخبو . وبذلك تضيف العربي مأثرة جديدة الى سلسلة مآثرها . وكلنا جنود في المعركة . والله من وراء القصد .

خلف القاسم محاسنة

العربي : شكرا على الاقتراح وسوف ندرسه .

بروتوكولات حكماء صهيون

● طالعت في عدد شباط بحثا بقلم السيد الدكتور محمود السمره الاستاذ في الجامعة الاردنية عن بروتوكولات حكماء صهيون . قال الدكتور في معرض بحثه ان البروتوكولات المذكورة لم تكن معروفة في البلاد العربية قبل اول تعريب لها أصدره عام ١٩٥١ الاستاذ محمد خليفة التونسي .

واني لأرى من واجبي ـ خدمة للحقيقة والتاريخ ـ أن أوضح هذه الناحية .

فمنذ عام ١٩٢٧ وجد من نبه العرب الى هذه البروتوكولات وخطورتها ، وهو المرحوم فريديريك زريق ، من كرام أبناء لواء الاسكندرون ، حيث كان مديرا للمعارف ثم نزح الى دمشق بعد فصل اللواء عن سورية وشغل وظيفة في وزارة المعارف مدة من الزمن أحيل بعدها على التقاعد .

نشر فريديريك زريق في عام ١٩٢٧ كتيبا بعنوان « أهداف الصهيونية » طبعه في مطبعة ابن زيدون في دمشق وضمنه الابحاث التالية :

١ ـ لمحة عن البروتوكولات .

٢ مقدمة بحث فيها تاثير اليهود في السياسة

الطاقة الآلية ، اسلوب .. واسلوب

● طالب في الجامعة ، رجعت من دراستي في المساء ، منهكا متعبا من تراكم الدروس ، لا استطيع تنحيتها جانبا ، ولكنني تركتها مؤقتا ومددت يدي الى « العربي » لأجد فيها لذة الراحة النافعة ، فكانت دهشتي واعجابي حينما بدأت اقرأ موضوع الدكتور احمد زكي « الطاقة » . فهذا الموضوع في صميم دراستي ، ولكن شتان ما بين كتب الجامعة، ومقال الدكتور الفاضل . فالاسلوب سهل، ويقرب الموضوع من العقل ، ويمزجه بأسلوب شيق ممتع . « الميكانيكا » ذلك اللفظ الاصم نفقهه حينما يوضحه الدكتور « بالطاقة الآلية » « القوة ـ الشغل ـ القدرة ـ الطاقة » . يجد الانسان لذة وهو يقرأ عنها بهذا الاسلوب المشوق . هذا الكون باتساعه مادة وطاقة . المادة نراها بينما الطاقة نحس آثارها تماما كالازدواج الحاصل بين الجسم والروح .

انني سررت حينما قرأت ، واردت ان اسجل التحية لأصحاب الفضل ، أسرة تحرير « العربي » وعلى رأسهم رئيس التحرير الوالد .

مواضيعها جيدة ، وتستحق التقدير الكبير فلكم منا كل تحية .

محمد عبد الرحيم عبد السلام/الاردن
كلية الطب ـ جامعة الازهر

ثقافتنا بالانجليزية

● صدر العدد رقم ١٠٩ وانا في الولايات المتحدة الامريكية ووصلتني نسخة من احد الاصدقاء ، وفي اثناء قراءتي لها شاهدها احد الاجانب الذين لا يعرفون العربية ، واعجب بالغلاف وبجميع الصور التي احتوى عليها هذا العدد .الا انه سالني : « هل لديك نسخة من هذه المجلة باللغة الانجليزية ؟ وطبيعي كان جوابي له بالنفي... ولكنني حاولت بعد ذلك ترجمة ما استطيع ترجمته له باللغة الانجليزية .

ترى لماذا لا تصدر مجلتنا « العربي » باللغتين الانجليزية والفرنسية وتغزو اسواق امريكا واوروبا كما يحدث في عالمنا العربي الذي غزت اسواقه صحف ومجلات هذه البلاد .

محمد ابراهيم/تكساس/امريكا

العالمية قبل وخلال وبعد الحرب العالمية الاولى وقصة البروتوكولات .

٣ ـ ترجمة البروتوكولات .

٤ ـ صورة المذكرة التي قدمتها اللجنة العربية العليا الى لجنة الانتداب عام ١٩٣٧ بتوقيع الحاج محمد أمين الحسيني والسيد فؤاد صالح سابا تفنيدا لتقرير اللجنة الملكية لفلسطين الصادر في ٧ تموز ١٩٣٧ ولبيان السياسة البريطانية المعلن بنفس التاريخ .

جورج جبارة / دمشق

ردود خاصة :

الى الانسة ليلى ـ الاردن ـ عمان

ـ « العربي » تشكرك على كلماتك الرائعة الجميلة لرئيس التحرير الذي يأسف لانه لم يستطع الرد على رسالتك بسبب عدم ذكر عنوانك .

حديث الشهر

قصة مأساة من مآسي

التقاء وصراع بين :

البوذية
والشيوعية
والإمبريالية

بقلم رئيس التحرير

■ انها حرب عرفناها بالحرب الفتنامية . وتسأل الناس كم دارت ، فيقولون بضع سنين ، اربعة أو نحوها. وتسأل من اشترك فيها ، فتعلم ان الذى اشترك فيها اساسا الفتناميون والامريكيون . وبداها الامريكيون وخالوا انها شغلة عام أو بعض عام ، ثم يأتيهم النصر مؤزرا . وخيبت الايام الظنون . ويزيد الامريكان في جندهم ، ويتأبى النصر عليهم ، وكلما أصروا على البقاء فيها ، غارت اقدامهم في وحلها . وجن جنون المارد أن يفعل به هذا القزم ما فعل . ويقصف من فتنام جندها ، ويقصف قلاعها ، ويقصف مواصلاتها ، ويقصف مدنها وعاصمتها ، ويقصف الشيوخ والنساء والاطفال في بيوتها ، وينظر فلعل النصر هلت بشائره ، فلا يجد غير بشائر الخذلان . وامام هذه الكبرياء المحطمة ، لاكبر دول الارض واعتاها ، واثراها ، واكثرها علما ، واكثرها تكنية ، خال من خال منهم ان لا سبيل الى انتشال الكرامة الامريكية من هذا الوضر الا باستخدام القنبلة الذرية !!

حروب هدفها : مَن يملك زمام الارض؟

كل هذا والعالم ينظر .

ووصفوها بانها الراسمالية تصد الشيوعية .

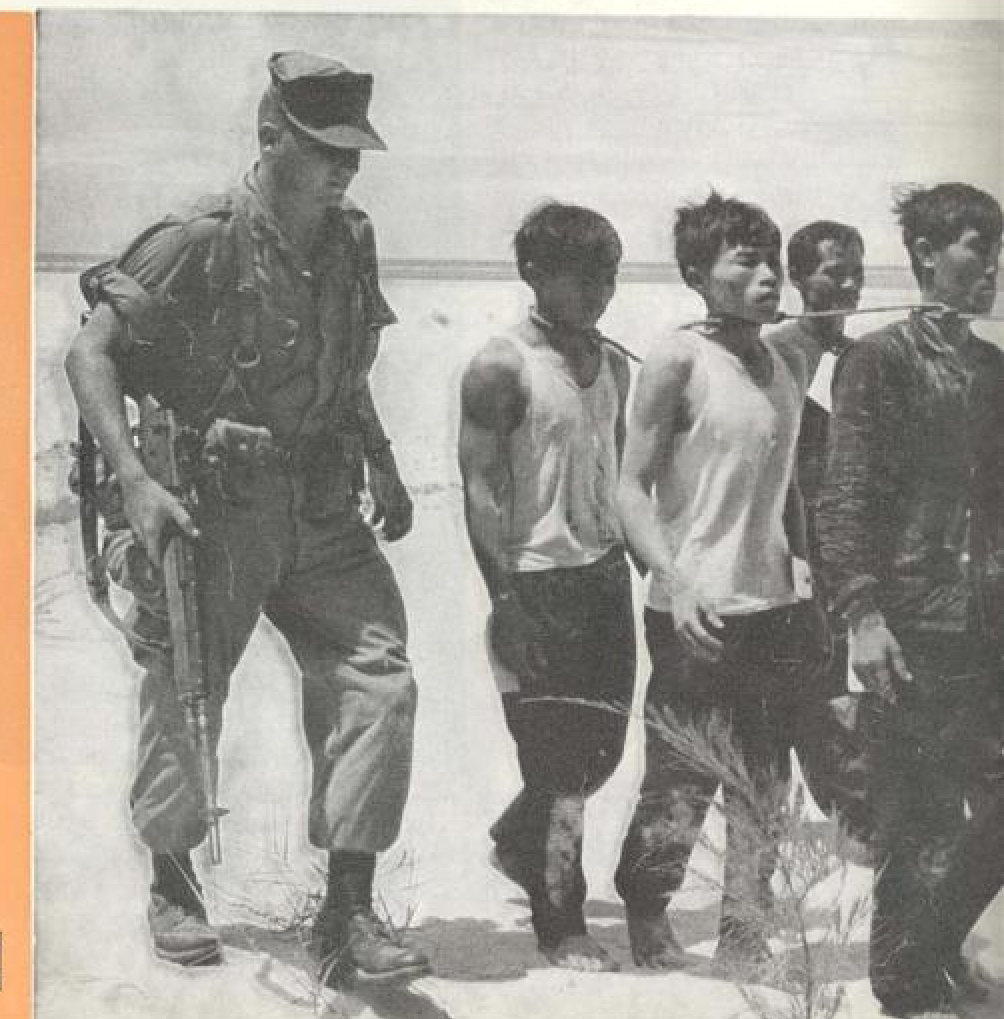
وشايع امريكا من شايع من اصحاب المذاهب الراسمالية .

وشايع فتنام من شايع من اصحاب المذاهب الشيوعية .

ثم تبدل الحال . تبدل الحال عندما تبدل الصراع ، ونسي الشيوعي شيوعيته ، ونسي الراسمالى راسماليته . تبين للناس انها الروح الامبريالية ، القديمة ، التى لم يطل بها القدم المدة الكافية لتنسى ، هى المسيطرة ، وهي المتحفزة ، وهى المتفجرة ، وهى المشرعة نابا قديما وظفرا . وتبين لهم ان الخصومة الامريكية للدول الشيوعية عامة ، وعلى الاخص لكبراها ، اصبحت ، فى هذه السنوات

الحياة الدولية، آذنت باختتام

إنها القصة الفيتنامية
بعض الهند الصينية
بعض آسيا الجنوبية الشرقية



العشر الحديثة الماضية ، وبعد ان مات ستالين ، اصبحت لا تتصل بشئون عقائدية بقدر ما تتصل بشئون امبريالية، فيها تتصارع الامم من شيوعية وراسمالية على امتلاك زمام هذه الارض.

فالولايات المتحدة ، اذ تحارب فتنام، هي في الحقيقة تحارب ما وراءها . تحارب الصين. وهي اذ تحارب الصين، لا تحارب الصين العقائدية ، بقدر ما تحارب الصين الامبريالية التى تنذر الايام بانها قد تصبح دولة كبرى ، واذن تحكم هذا الجانب الشرقي من الارض .

ان انجلترا ما حاربت الصين ، وما ودت . وهي تسالمها وتتاجر معها وتتعاون . وذلك ايمانا منها بانه لا خوف عليها من شيوعيتها ، واطمئنانا الى ان مصالحها الجديدة الحاضرة تأذن لها بأن تقول : « ان لكل دولة مطلق الحرية في شئونها، وان لكل دولة أن تحمي نفسها، على السواء ،من سلاح تراه جائرا ، وعقيدة تراها جائرة » . ولكن مسالمة انجلترا للصين على الاكثر مصدرها الاكبر ان انجلترا رفضت القيام بدورها العالمي في ادارة هذه الارض . ولم ترفض الصين . ولم يرفض الروس . ولم ترفض الولايات .

وخاصمت الصين ، وخاصم الروس الصين ، على الرغم من تشابه في العقائد. ولكن جمعهما على الخصومة الضخامة ، ورغبة في اقتسام هذا الكوكب، واقتسام النفوذ فيه .

ظواهر وبواطن

ان السياسي يعلم ان احداث الدنيا لها ظواهر وبواطن . والامم تظهر الظواهر ، وتبطن البواطن . وكثيرا من حركات هذه الايام ظاهرها يتصل اما بالشيوعية ، حربا لها أو عليها ، او يتصل بالراسمالية ، حربا لها أو عليها . ولكن في كل حركة من هذه الحركات الظاهرة عنصر قوي من عناصر الامبريالية الحديثة باطن .

واذا كان لمتنبيء ان يتنبأ، فالامبريالية سوف تطول عمرا ، بينما الشيوعية تقصر اجلا . وان تكن لكل نبوءة دليل، فدليل قصر عمر الشيوعية اقتراب اهلها اليوم من نقطة في منتصف الطريق بين امم الشرق وامم الغرب (انظر ما يجرى اليوم في رومانيا وتشيكوسلوفاكيا، وحتى بولندة ، وفي روسيا نفسها) . وقصر عمر الشيوعية معناه قصر عمر الراسمالية ، فاهلها يقتربون كذلك كل يوم من نفس تلك النقطة التي في منتصف الطريق بين امم الشرق وامم الغرب .

وتبقى الامبريالية مدى الدهر قائمة لا تبلى ، يتغير زيها ، ويتبدل ثوبها ، وقد يحلو حتى لسانها ، ويبقى الطمع الانساني هو رائد الامم ، ويبقى الحق للقوة ، وعلى الضعف والضعفاء العفاء .

حرب
بدات حرب عقيدة ،
فصارت حرب تحرير

قلت: تبدل موقف الناس من الحرب الفتنامية عندما تبدل الصراع ، ونسي الشيوعي شيوعيته ، ونسي الراسمالي راسماليته ، وتبين للناس أنها الروح الامبريالية القديمة اطلت براسها من جديد طويلة مديدة .

عندئذ لم يكد يبق في فتنام من لم يرد أن يقوم يدفع عن تربة ارضه ، فتناما جنوبية كانت او كانت شمالية .

صارت الحرب حرب تحرير من جانب اصحاب الوطن الضعفاء .

وصارت الحرب حرب ابادة من جانب الوافدين الغرباء الاقوياء .

وفزع أهل الدنيا من أن تبلغ حرب الابادة هذا الحد . فزع من ذلك الشرق



اخ كبير ، يحنو على اخ صغير

وقد سال الدم من ذراعه
في عينيهما الخوف والذعر
اشد ما يراهما انسان في عين انسان

واهل الغرب على السواء. وفزع القسيس وفزع الشيخ . والبابا فزع وصاح يذكر برحمة الله . والامريكان أنفسهم ، من كل ذي راى او كل ذي علم ، وكل ذى رجاحة فكر ، ثاروا جميعا محتجين ومتظاهرين .

واقترب موعد انتخاب رآسة الجمهورية في الولايات ، فقام الى جانب رئيس الولايات المتحدة الحاضر رؤساء يرشحون انفسهم دونه . وكان في اول برامجهم اذا انتخبوا وقف ذلك الدم المسفوح الجارى على ارض فتنام، ذلك الدم الاحمر ، خرج من جسم كبير ابيض سمين ، او جسم صغير اسمر نحيل هزيل .

وادرك رئيس الولايات الحاضر أنه ، في غلوائه وعناده وقسوته ، اصبح كالحجر الذى انطلق منحدرا من فوق جبل . فقد القدرة على التوقف . ورأى الهاوية تنتظره ، تلك الهاوية التي فيها هلاكه هو نفسه ، وضياع سمعة أمته ، ففاجأ العالم بأن امر جنده بوقف القصف الجهنمي في فتنام . وطلب الصلح من الفتناميين . ولكي يؤمن ظهره، انسحب من انتخابات رآسة الولايات .

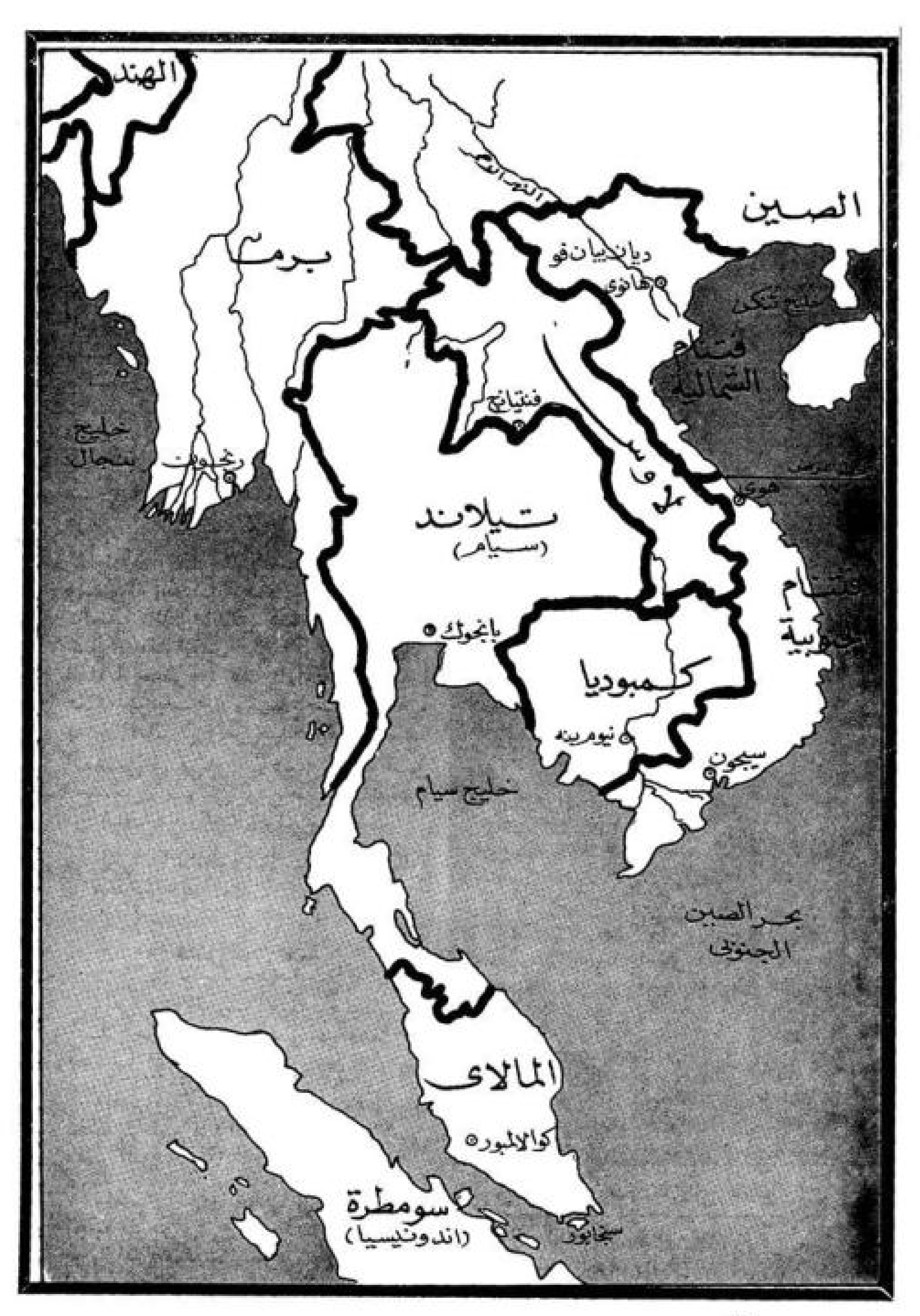
الحرب الفتنامية قاربت اذن الانتهاء، او هكذا نرجو .

فصل من قصة

ولكن هذه الحرب الفتنامية ليست الا فصلا أخيرا من قصة . وهي قصة كل فصولها المآسي .

ولفهم واقع ما حدث في فتنام اليوم، يجب الرجوع الى الامس . فبفهم الامس يفهم اليوم .

ولفهم واقع ما حدث في ارض فتنام يجب الرجوع الى ما حدث فيما حولها من أراض ، ففتنام جزء من كل ، وهى اصبع فى يد تضم اصابع خمسا . شعوب


الهند
الصين
برمة
ديان بيان فو
هانوي
فنتيانغ
تيلاند
(سيام)
خليج بنجال
رنجون
بانجوك
كمبوديا
نوم بنه
سيجون
خليج سيام
بحر الصين
الجنوبي
الملايو
كوالالمبور
سومطرة
(اندونيسيا)
سنغافورة

بينهما من وشائج النسب ، وروابط الدين ، ومن التاريخ الواحد ما بينها .

الهند الصينية

والناس تقول الهند الصينية ، وقليل منهم من يدرك ما هي . ان الهند الصينية Indochina تتألف في الخرائط الجغرافية الحديثة (انظر الخريطة المرفقة) من دول ثلاث ، فتنام Vietnam ولاوس Laos وكمبوديا Cambodia .

واذا اضيف الى هذه الثلاث تايلاند Thailand ، وبرما Burma ، فقد جمعنا بين الدول الخمس التى تجمعها شبه الجزيرة التى يحيط بها من الشرق بحر الصين الجنوبي ، ومن الغرب البحر المعروف بخليج بنغال Bay of Bengal ،

آسيا الجنوبية الشرقية

اما آسيا الجنوبية الشرقية فتضم اصطلاحا كل هذه الدول الخمس السابقة ، يضاف اليها الملاى ، وسنغابورة ، ثم هذه الجزر الكثيرة ، التي منها الكبيرة ، ومنها الصغيرة ، التي تمتد في المحيط الى شرق اميالا طوالا واعني بها اندونيسيا .

الاستعمار بلغ أوجه في أوائل هذا القرن

انه ما هل القرن الحاضر ، القرن العشرين ، حتى كان الاستعمار قد بلغ غايته . امبراطورية كبرى لا تغيب من مستعمراتها الشمس ابدا ، ولها البحار « تتحكم ما تشاء في امواجها » . والى جانبها امبراطوريات اصغر فاصغر . كلها من اهل الغرب . ودولة من اهل الغرب رات انها لم يكن لها من الاستعمار نصيب ، فراحت تجور وتعتدى . انتزعت ليبيا من الترك ، والحبشة من النجاشي . تلك بالطبع ايطاليا . والمانيا ، لم تجد في مستعمراتها ما يتناسب مع مكانتها بين الدول ، فكانت الحرب العالمية الاولى . كانت حربا ، بين السادة من الدول ، من اهل الغرب ، هدفها اعادة « العدالة في توزيع المستعمرات بينها وفقا لمراتبها واقدارها » .

وكانت كل افريقيا مستعمرة .

وآسيا ، الجنوب منها ، والشرق ، مستعمرات عدة .

واعان الكثير من المستعمَرين ، المستعمِرين ، في الحرب العالمية تلك ، لقاء وعود في استقلال يُعطى لهم عند انتهائها .

وممن ساهم في ذلك العرب . وممن ساهم الهند ولم تكن تقسمت . وآخرون كثيرون .

وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء عام ١٩١٨ .

فما بَر احد منهم بوعد .

بل لقد زادت الفئة الغالبة الباغية نصيبها من استعمار .

فيما بين الحربين
الحرب العالمية الأولى
والحرب العالمية الثانية

وننظر الى جنوب آسيا ، خاصة ، بين هاتين الحربين .

دول مغلوبة على امرها . خدعها سادتها عندما لوّحوا لها بمعنى للحرية ما خطر ببالهم أن يوفوا بوعدهم فيه ابدا .

وكان بين الحرب والحرب عشرون عاما ، قضاها رجال هذه الأمم المغلوبة في توعية شعوبها ، وتفسير معنى الاستعمار ومعنى الاستقلال ، ومعنى الغالب والمغلوب في طعام وكساء ، وعلم وفن وكرامة وذل ، ورفع راس وخفضها . واستكفاء بالدون من ماديات الحياة وروحانياتها .

وحدث حدث في الدنيا كان له وقع عظيم .

ذلك قيام دولة الروس بثورتها في

ذيول الحرب العالمية الأولى ، ثم تنشئها على السنين ، وتضخمها ، وزيادة وزنها وتدرجه ليلتقى بأوزان دول الغرب الكبيرة الثقيلة .

وقالوا امبريالية جديدة ، تخاصم امبريالية قديمة .

وقال الضعفاء من الأمم : وما ضر ذلك الضعيف .

واخذ الضعفاء ينصتون الى ما يعدد الروس لأهل الغرب من مساوىء في استعمار ، هي مساوىء استغلال . واهابوا بهم ان يعملوا للحرية والاستقلال .

وقال المرتابون : نستقل ليأخذونا ؟

وقال آخرون : ان صح هذا ، فلن نؤخذ الا بعد استقلال . فلنستقل اولا ، ثم نرى .

ولقي سادة الغرب من هذا وغير هذا في مستعمراتهم عنتا كبيرا . وكانت أحاديث الحرية هي احاديث كل ساعة وكل يوم وكل عام .

في الحرب العالمية الثانية

وجاءت الحرب العالمية الثانية . بدأت عام ١٩٣٩ وانتهت عام ١٩٤٥ .

واشترك الروس مع خصمائهم من اهل الغرب فيها . وابلى الروس فيها آخر الأمر بلاء طيبا ، ايقظ النائم من حلفائهم من اهل الغرب .

واستوى في الحرب ناصر ومنصور ، وداحر ومدحور .

ونظر الحلفاء من اهل الغرب الى الأوضاع الجديدة ، ومنها الوضع الروسي ، فرأوا ان يكفوا عن استعمار الأرض ، وقد بلغ الوعى بأهل الدنيا ما بلغ .

الهند وباكستان

وبادر الانجليز باعطاء الهند استقلالها ، اعطوه بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٤٧ . وتقسمت الهند الى هند وباكستان . واخذ الرأى في بقائهم في منظمة دول الوحدة البريطانية ، او الخروج منها ، فرضي الاثنان بالبقاء فيها . وشهد هذا للانجليز آخر الأمر بحسن معالجتهم للاحداث .

وكذلك فعلت سيلان .

الاستعمار في شبه جزيرة الدول الخمس

وهي من غرب الى شرق : برما . تايلند . لاوس . كمبوديا . فتنام .

ومن الثلاث الدول الأخيرة تتألف الهند الصينية ، كما سبق ان ذكرنا .

وكانت كلها مستعمرات .

الا واحدة .

هي تايلند ، وهي سيام في التسمية القديمة . فقد حافظت على استقلالها ، وكان لها ملوك مشاهير .

وفصلت تايلند ، بين استعمارين ، فرنسي ، فذلك الهند الصينية ، وما تضمنته من فيتنام ولاوس وكمبوديا ، وبريطاني ، وذلك برما والهند (انظر الخارطة) .

واختلف الاستعماران مزاجا ، على نحو ما عرف منهما العرب .

اما الاستعمار البريطاني في غرب تايلند فانفك واستقر بما ارضى برما والهند وباكستان وسيلان .

واما الاستعمار الفرنسي ، في شرق تايلند ، في الهند الصينية ، فتعقد ، وتشبث ، وتمسك ، وحاور ، وداور ، تماما كما فعل في الجزائر .

ثم خرج آخر الأمر على كره منه .

وما الحرب الفتنامية هذه الحاضرة الا ذيل من ذلك الاستعمار الفرنسي الذاهب .

واليك البيان :

محنة فرنسا في الهند الصينية

كانت الهند الصينية ملكا لفرنسا خالصا قبل نشوب الحرب العالمية

الثانية ، وكانت الهند الصينية أخطر مستعمراتها ، واكثرها سكانا ، واعودها بالخير عليها . ولما قامت تلك الحرب ، وغزت اليابان تلك البقاع من الأرض ، وجدت كثيرا من الترحيب من اهلها ، كراهة منهم في الاستعمار الأوروبي الأبيض الذى طال ، وإيمانا ، بأنه ان يكن استعماراً ، ولا خلاص من استعمار، فالياباني الآسيوى الأسمر أولى به من الأوروبي الأبيض ، ولعله اخف وارحم للذى بين الطرفين من شبه في جنس ودين وطقوس وعادات بلاد .

وانتهت الحرب بهزيمة اليابان ، فانسحبت ، وما انسحبت حتى قامت في الهند الصينية الحروب .

وفي السابع من سبتمبر عام ١٩٤٥ أصدر الحزب الوطني برآسة الزعيم هو شي منه Ho Chi Minh ،وكان شيوعيا (وقيل عاطفا فحسب) ، أصدر اعلانا باستقلال البلاد ، وبأن الحكم سيكون في مدينة هانوى Hanoi .

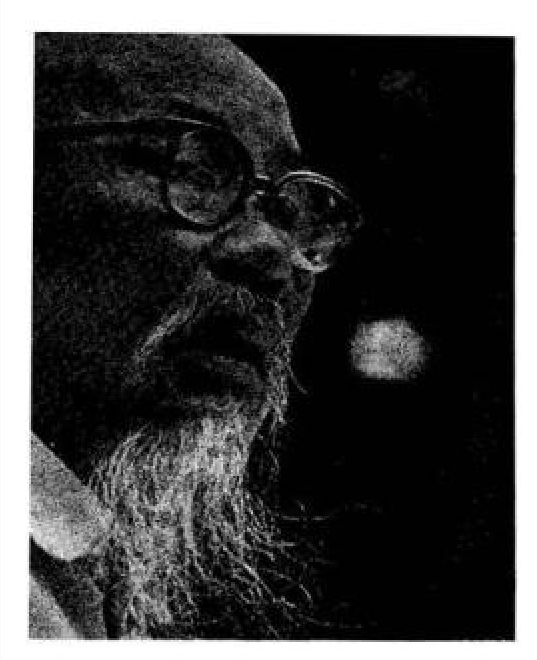
ولم ترض فرنسا بالطبع عن ذلك .

والظاهر أن الولايات المتحدة لم ترض عن ذلك . وهذا ظاهر من أن سفنها حملت من الجيش الفرنسي الى الهند الصينية ما حملت ، ليعيد هذا الجيش هذه البلاد الى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية من استعمار .

وكان هذا اول تدخل للولايات المتحدة صارخ فى النزاع. ودليلا على أن المستعمر للمستعمر غالبا أخ وحبيب ، وعون عند النوائب .

ولكن تعثر الأمور على الفرنسيين انتهى باتفاق أمضي في باريس في مارس ١٩٤٦ ، اتفق فيه الطرفان على ان تظل الجمهورية التي أنشأها « هوشي منه » دولة حرة ، ولكن في الاتحاد الهندى الصينى وداخل الوحدة الفرنسية .

وعند التطبيق تحولت الحال الى حرب سافرة . وانضم الى هوشي منه من لم يكونوا شيوعيين ، ولا هم مع الشيوعية ضالعين ، عندما وعدهم هذا



الرئيس الفتنامى
هُوشِي مِنه

فعل بالفرنسيين ما فعل
وفعل بالامريكيين
جمع بين الشيوعية والمطالبة بالحرية
فانضم تحت لوائه من الناس صنفان متباينان .

الزعيم بالاستقلال التام ، وبطرد الفرنسيين ، وبالاصلاح الزراعي ومحو الأمية .

وفي هذه الأثناء قام « هوشي منه » واتباعه بتعليم الفلاحين شتى أساليب القتال ، لا سيما حرب العصابات في تلك الأدغال المنتشرة في البلاد .

وحاولت فرنسا أن تضرب الزعيم « هو » ضربة سياسية . فعمدت الى تنصيب امبراطور على فتنام ، هو باءو داى Bao Dai ، في يونية عام ١٩٤٩ ، ليكون لعبة في يدها . ونصبت ملكا زائفا في لاوس ، وآخر مثله في كمبوديا .

وسارعت الولايات المتحدة بالاعتراف بكل هذا ، تماما كما سارعت بالاعتراف

بدولة اسرائيل ولم تكن قد خلقت تماما. انها الاعيب السياسة والاستعمار ، ابعد ما تكون عن اخلاق ، وعن طهارة مبدأ ، وعن خجل من سلوكٍ نابٍ .

وقام اهل هذه البلاد جميعا يرفضون ما يصنع بهم ، وناصروا الزعيم (هو) وصرفوا النظر عما اعتنقه من مبادىء ، وضنوا بوقتهم في تلك الأزمات ، ان ينفقوا منه ساعة يكرسونها للنظر في هذه المبادىء قبولاً بها أو رفضا .

وبلغ جيش الفرنسيين ١٥٠٠٠٠ جندى .

وانفق عليه فى العام بليون من الدولارات .

وأعانته الولايات المتحدة ، اعانة بالنفقة ، وبالمدافع والدبابات والطائرات. وبلغ ما أعطته للجيش الفرنسي هناك ، الى عام ١٩٥٢ مائة الف طن من المتفجرات .

ولست بمتحامل على الولايات في ذلك . فانما انا انقل عن كتابها .

ولم يحرز كل هذا لفرنسا نصرا .

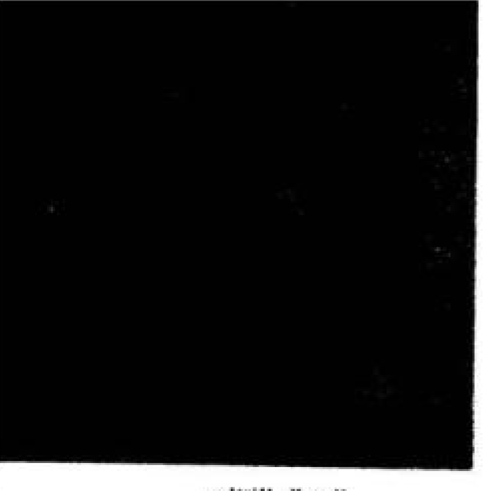
والذين ماتوا في جيش فرنسا كانوا جزائريين ، وتونسيين ، وسنغاليين ومن الفرقة الأجنبية الفرنسية ، وكانت خسائر فرنسا الكبرى من ضباطها .

وجاء وقت لم يكن في ايدى الفرنسيين غير ساحل فتنام ، وسيجون . وهانوى ، ودلتا النهر الأحمر كانتا على وشك الضياع . واستولى الثوار على الريف كله تقريبا .

وتلخص الموقف فيما يلي :

فرنسا لا تتصور ضياع مستعمراتها الغنية ، مع انها اصبحت وليس في مقدورها كسب الحرب أو انهاؤها .

والولايات المتحدة خشيت غزو الصين للهند الصينية من الشمال ، بحسبانها دولة شيوعية ، او بحسبانها دولة امبريالية ، أو بالحسبانين معا ، فناصرت



الجنرال الفتنامي
جياب

هازم الفرنسيين في موقعة ديان بيان فو
قيل انه عبقرية عسكرية نادرة الوجود

المستعمر الفرنسي ، وناصرت ما نصب من دُمًى في المستعمرة مما اسماه المستعمر أباطرة واسماه ملوكا .

والفلاحون ناصروا الزعيم « هوشي منه » بحسبانه يقود حرب الوطن ضد المستعمر الأبيض .

الخاتمة الفاجعة

ولما بلغ وضع الجيش الفرنسي حدا ينذر بالهزيمة ، رأى قواده ان ينزلوا بالطائرات جنودا ، خمسة عشر الفا ، في واد سحيق في داخل البلاد ، عند مدينة ديان بيان فو Dien Bien Phu ، وذلك ليَشغلوا بها الثوار من وراء .

وخاب ظنهم . فقد هاجمهم الفتناميون بقيادة قائدهم جياب Giap ولم يمض غير شهرين حتى أسروهم جميعا . واصبح الجيش الفتنامي من القدرة بحيث يستطيع أن يحتل كل الهند الصينية اذا هو شاء .

مائدة المفاوضات عام ١٩٥٤

لم يكن بعد هذا الا مائدة المفاوضات.

واختصارا عقد مؤتمر الهدنة في جنيف في ٢٦ ابريل ١٩٥٤ . وحضره ممثلون عن فتنام ولاوس وكمبوديا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا والصين وغير هؤلاء .

وفي ٢١ يوليو ١٩٥٤ وقعت اتفاقية الهدنة .

وقضت هذه الاتفاقية بتقسيم الهند الصينية الى فتنام، ولاوس ، وكمبوديا، وكل له استقلاله . وقسموا فتنام بخط عرض ١٧ الى شمالية مع زعيمها (هوشي منه) ومع عقائديته ، والى جنوبية ومعها الرئيس الكاثوليكي الروماني (نجو دنه ديم) Ngo Dinh diem ، عدو الشيوعية وخصيم البوذية معا .

وكان بفتنام الشمالية ١٤,٠٠٠,٠٠٠ من السكان .

وكان بفتنام الجنوبية ١١,٠٠٠,٠٠٠ من السكان .

ولم يكن في هؤلاء وهؤلاء غير مليونين من الكاثوليك .

ومضى هوشي منه يثبت مكانة فتنام

راهب بوذي

في فتنام الجنوبية ، اراد ان يحتج على ماتصنع الحكومة الكاثوليكية بالمقدسات البوذية ، فصب على نفسه الزيت ، واشعل النار . انها عشر دقائق كلها صبر ، وكلها عزيمة ، لا يتحرك فيها الراهب ، تقربا من بوذا ، وفداء ، ثم ينتهي كل شيء .



الشمالية واستقلالها بالاصلاح الزراعي .
ومضى ديم يثبت مكانة فتنام الجنوبية بدستور يجعل منه حاكما مطاعا ، ويجعل من بلاده محمية من محميات الولايات المتحدة .
وقضت اتفاقية الهدنة باستفتاء فتنام ، شمالها وجنوبها ، في مسألة ضمهما في دولة واحدة ، ورفض « ديم » أن يكون هناك استفتاء . وبلغة أخرى رفض الأمريكان .
ومسّ هذا الحاكم المسيحي شعور رجال الدين من البوذيين . ومن ذلك ان كان لهذا الحاكم اخ اكبر ، وكان اسقفا كاثوليكيا ، بمدينة هوى Hue .
فما كان من الحاكم ، في عيد من اعياد البوذيين ، ان اصدر امره بمنع البوذيين في هذه المدينة من رفع اعلامهم فيها .
واحتج البوذيون ، وتظاهروا ، واطلقت الشرطة الرصاص عليهم .
وكان من ذلك ما كان من حرق بعض الرهبان انفسهم بزيت البترول يصبونه على ثيابهم في قارعة الطريق احتجاجا واشهادا على ما كان .

وبدأت الحرب من جديد

وبعد ؟
سفر العداء بين فتنام . جنوبها وشمالها ، ودخلت الولايات المتحدة الحرب جهارا نهارا ، على ما عرفه القراء .
ومد الروس بالعون الفتناميين ، ومدت الصين .
وَوَحِل الامريكيون في مثل ما وَحِل فيه الفرنسيون .
حرب من اشد الحروب ، مما عرف البشر من ضراوة وقسوة ، ومع هذا هي لا تبشر بنصر . والتراجع عنها صعب وماء الوجه محفوظ . والدنيا تصرخ ولا يبالي مصروخ بصارخ .
ثم تحرج موقف الدولار ، وكاد يسقط حيث سقط اخوه الاسترليني من قبل ولو لغير هذا السبب .
كان اذن لا بد من شرب الكأس على ما بها من مرارة حتى الثمالة .
وابتلع جونسون كبرياءه آخر الأمر ، وامر بوقف القصف على ما سبق ان ذكرنا .

لقاء بين الشيوعية والبوذية

لقد اتينا فيما سبق على ما كان من لقاء بين الشيوعية والامبريالية ، وذكرنا

البوذية

هي دين اتباع جوتاما بوذا Gautama Buddha ، نشأ في القرن السادس قبل الميلاد ، متفرعا عن الهندوسية التى كانت منتشرة في شمال الهند . ومن الهند انتشرت في ما حولها من بقاع . واليوم يدين بالبوذية من السكان .

في برما ٩٠٪
في تايلند ٨٩٪
وسيلان ٦٠ في المائة
في اليابان ٦٠ في المائة
وفي الصين ١٧٪

والبوذية في الهند الصينية يختلف بعضها عن بعض ، ففي انام (فتنام) بوذية مشتقة من بوذية الصين ، وهي تشبه عبادة الآباء والاجداد ، اما بوذية لاوس وكمبوديا فمن الهند .

والهند لا يبقى فيها اليوم من البوذيين غير اعداد طفيفة ، مائتى الف او يزيدون قليلا .

راجع ما كتب في « العربي » عن البوذية بعدد فبراير عام ١٩٦٤ بصفحة ١٤٢ .

كيف ان اقواما كثيرين من الفتناميين وغير الفتناميين ، راوا في الزعيم هوشي منه زعيمين ، زعيما عقائديا ، وزعيما محررا للاوطان من استعمار . ولم يرحبوا كثيرا بزعامته الاولى ، ورحبوا كل الترحيب بزعامته الثانية ، ولم يكن هناك غيره ، فشبوها حربا شعواء على كل ذي وجه ابيض جاء يعيد الذلة واستغلال كل وجه اسمر . وقد كانوا عانوا في ماضي القرون من ذلك ما عانوا . من برتغال ، الى هولنديين، الى اسبان ، الى فرنسيين وبريطانيين ، واخيرا امريكيين .

وفي لقاء البوذية والامبريالية ، مما اثار العداء بينهما ، ما كان من اقامة حكومة كاثوليكية في الجنوب من فتنام لتحكم كثرة بوذية ، ثم سخف هذه الحكومة فيما اتته من اعمال دلت على غباء سياسي شديد .

اما لقاء الشيوعية والبوذية ، فكان في اول امره لقاء ودّ وحسن جوار . فالبوذيون المستعمَرون سمعوا عن الشيوعية اول ما سمعوا باتصالهم بها عن طريق لندن خاصة ، وعن طريق باريس ، وعلموا انها تشجب الاستعمار ، وتشجب استغلالهم للامم المستضعفة ، فوجدوا فيهما من هذه الناحية خير نصير .

وكان هؤلاء السامعون الزائرون للندن وباريس عندئذ شبانا ، ثم صاروا من بعد ذلك قادة زعماء .

وتبين للكثير منهم في كهولتهم ، ما لم يكن تبين في الصبا .

ونضرب مثلا بالزعيم الكبير الشهير اونو U NU *، زعيم برما البوذية ، وهاديها في طريقها الطويل الى استقلالها واستقرارها . قال في مؤتمر سياسي انعقد عام ١٩٥٨ :

« عندما كنا صغارا لم نكن بعد درسنا المركسية بالتفصيل ، ومن كل وجه . ولم نكن درسنا البوذية بالتفصيل ومن كل ناحية . وسمعنا عن المركسية مما روى الراوون ، وقرانا عنها على عجل ، وخرجنا من ذلك نشيد بها ، ونقول ان المركسية هي صنو البوذية . ونحن الآن نأسف على اننا راينا هذا الراى ابدا . فهو راى خاطىء لا شك فيه » .

وهذا راى طريف .

يزيد من طرافته آراء نسمعها اليوم بيننا عن المركسية ، ذما وقدحا ، من قوم لم يعلموا عن المركسية الا سماعا .

وآخرون قراوا عن المركسية، فجعلوا منها دينا . وجعلوا من كتابها قرآنا وانجيلا . وطوعوا عقولهم لعمل من



بوذا

صاحب دين
او صاحب فلسفة

عاش على الارجح فى القرن السابع او السادس قبل الميلاد .
له اليوم من الاتباع ١٥٠ مليونا من البشر .

* هذا الاسم يذكّر باسم اوثانت U Thant سكرتير الامم المتحدة وكلاهما من برما ! .



امام الباجودا

حيث يوجد الرهبان البوذيون

تجمع طلاب المدارس وطالباتها هكذا ،يحيون رجال الدين الذين عزموا على الصيام حتى الموت . احتجاجا على ما حل بالبلاد منفجائع ، وشنت قوات الحكومة الكاثوليكية بزعامة « ديم » هجوما على هؤلاء الطلبةوالطالبات فجرحت منهم خمسينا .

اعمال البشر تجوز عليه الصحة ويجوز البطلان .

وسالت بوذيا عن شبه بين دينه وبين ما جاء به ماركس في كتابه ، فقال :

« اعلم اولا ان البوذية ليست بدين ، وانما هي فلسفة حياة . وما كان بوذا الها ، وما كان رسولا ولكن كان بشرا يأكل الطعام . وعنه قال نهرو انه كان أبنا من أبناء الهند الكرام . ثم فعل به من جاءوا بعده الأفاعيل ، وجعلوه الها ، ومثلوا له التماثيل . أما عن البوذية فهي تدعو الى المساواة بين البشر ، وترفض الربح ، وترفض الحرص والبخل وجمع المال طبقا فوق طبق . واعلم انهذا هو بعض اسلامكم . فهل من أجل هذا يحق لسائل ان يأتي يسألكم عما بين المركسية ودينكم من اشباه ! » .

أحمد زكي ••



حقائق وأرقام

* ان ما تنفقه أمريكا على حرب فيتنام يكفى لمضاعفة دخل كل رجل وامراة وطفل في فيتنام الجنوبية والشمالية ، لو انه وزع على السكان ، فيصبح نصيب الفرد ٧٠٠ دولار في العام او ستة اضعاف متوسط الفرد العادى في الوقت الحاضر.

■ ■ ■

* بلغت زنة القنابل التى القتها أمريكا على فيتنام الشمالية،وعلى الثوار في فيتنام الجنوبية منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن ١٫٦٣٠٫٥٠٠ طنا . وهو رقم يزيد كثيرا على مجموع ما القته امريكا من قنابل في أوروبا ابان الحرب العالمية الثانية .

■ ■ ■

* بلغ عدد الطائرات التى فقدتها امريكا في حرب فيتنام منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن ٢٠٥٠ طائرة يبلغ ثمنها ٢٥٠٠ مليون دولار .

■ ■ ■

* تستخدم أمريكا ٥١٠ باخرة حربية من بواخر التموين التى تنقل الرجال والعتاد الى فيتنام من اوروبا وامريكا ، وتقطع المسافة بين الولايات المتحدة

ضحايا الحرب من الامريكيين والثوار من عام ١٩٦١ حتى نهاية ١٩٦٧

من الجانب الامريكى :

١٧٫٧٦٣ قتيلا

١٠١٫٢٦٦ جريحا

٩٩٧ اسيرا

من جانب الثوار :

٢٧٤٫٨٠٠ قتيلا (طبقا لتقديرات أمريكا)

٧٫٥٦٦ اسيرا (طبقا لتقديرات أمريكا)

عدد القوات المشتركة في القتال

فيتنام الجنوبية وحلفاؤها :

٧٠٠٠٠٠ جندى نظامى في جيش فيتنام الجنوبية

٥٨٦٠٠٠ جندى امريكى

٧٢٠٠٠ جندى من دول أخرى حليفة لامريكا

الثوار وحلفاؤهم :

١١٨٠٠٠ مقاتل من رجال العصابات

٩٠٠٠٠ جندى نظامى

١٥٠٠٠٠ جندى من قوات فيتنام الشمالية

(هذه الارقام ماخوذة من مصادر رسمية امريكية، وقد وجب التنبيه على ذلك) .

وجنوب شرقى آسيا ويبلغ طولها ١١ الف ميل بحـري .

■ ■ ■

* يبلغ وزن ما نقلته السفن الامريكية من عتاد حربى وامدادات لقواتها في فيتنام حـوالى عشرة ملايين طن .

■ ■ ■

* تقوم الطائرات الحربية الامريكية باكثر من ٩٠٠ رحلة شهريا بين امريكا وفيتنام لنقل شحنات العتاد العاجلة للقوات المحاربة عبر المحيطين الاطلسى والهادى .

■ ■ ■

* بلغ عدد الكتب التى صدرت عن حـرب فيتنام حتى الآن ستة الاف كتاب .

■ ■ ■

* عدد الصحفيين الاجانب الذين يقومون بتغطية انباء القتال في فيتنام الشمالية والجنوبية ٥٠٠ صحفى .

نتيجة مسابقة العدد ١١٢

أرقام قياسية .. عكسية !!

أقل المسابقات إجابات .. وأكثرها أخطاء !

■ سجلت نتيجة مسابقة العدد ١١٢ رقماقياسيا - ولكنه عكسي - في عدد المشتركين فيها اولا ، ونسبة الاجابات الصحيحة ثانيا ، كماكشفت عن ظاهرة يؤسف لها ، هي جهل معظم ابناء الوطن العربي بجغرافية وطنهم الكبير ..فقد انخفض عدد الاجابات الى أقل رقم عرفته مسابقات « العربي » كما انخفضت نسبةالاجابات الصحيحة الى اقل مما كنا نتوقع بكثير ، مع ان المسابقة تتالف من عشرة اسئلة طلبنا الاجابة عن ثمانية منها فقط .. ومع ذلك تضمنت الاجابات معلومات غريبة ! .

فالملكة التي لها عاصمتان تارجحت بين المغرب والسعودية والاردن ثم تونس ! بينما هي ليبيا ... والامارة العربية التي تتالف من جزر صغيرة ويكثر الحديث عنها هذه الايام قالوا انها ابو ظبي ، أو « امارة » اتحاد الجنوب العربي ، في حين انها البحرين . ! .

والنيل الازرق قالوا انه يلتقي بالنيل الابيض في القاهرة .. بدلا من الخرطوم ! .

والمدينتان اللتان تحتلهما اسبانيا في المغرب قالوا انهما قرطبة وطنجة ، في حين أنهما « سبته » و « مليلة » .. وهكذا .

الاجابات الصحيحة

١) المملكة التي ينص دستورها على أن لها عاصمتين هي ليبيا ، والعاصمتان هما : بنغازي ، وطرابلس .

٢) شط امرب .

٣) المملكة العربية السعودية .

٤) البحرين .

٥) يتقابل النهران عند الخرطوم .

٦) سبته ومليله .

٧) نهر العاصي ، ونهر الفرات .

٨) سواكن وبور سودان .

٩) سلسلة جبال اطلس .

١٠) القاهرة ، بغداد ، الدار البيضاء ، الاسكندرية ، الجزائر .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :

ابراهيم احمد عيسى محمد - الكويت ببوت ذوى الدخل المحدود رقم ١ - النقرة .

● الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا : فاز بها محمد خيرى فضل - حلفا الجديدة - السودان .

● الجائزة الثالثةوقيمتها عشرة دنانير فاز بها : فاضل عبد السلام ابو عاصي - السويداء - جبل العرب - سوريا .

● ٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ - تربه عبد الرحمن الشريف - جامعة الرياض - المملكة العربية السعودية .

٢ - خميس احمد قاسم - الجامعة الاردنية - عمان .

٣ - عبد الخالق احمد عبيد - نمرة ١٢٥٨ سجن ليمان طره ورشة الخزف رقم ١ - ج.ع.م.

٤ - حسين سعيد الدباس - شارع الرشيد - بغداد - العراق .

٥ - محمد خلفان راشد الراوى - خور فكان - الشارقة .

٦ - اسكندر باسيلي - ص.ب ٢٩٠٤ بيروت - لبنان .

٧ - احمد عبد الله العزومى - قزان - ليبيا .

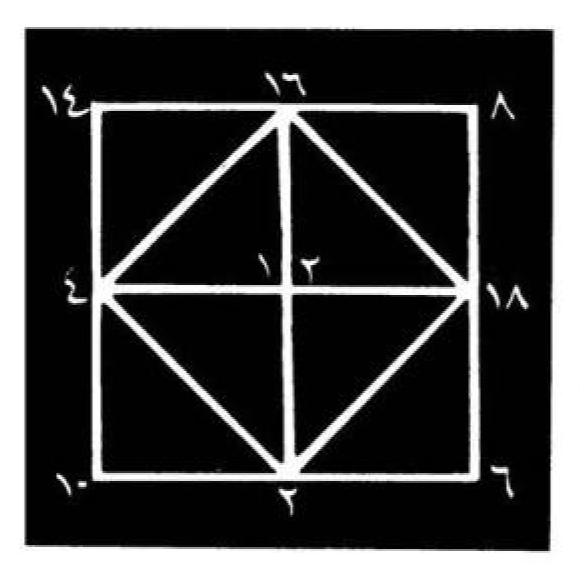
٨ - هنيدة ضناوى - ص.ب ١١٠٣ - اكرا - غانا .

وسوف ترسل الجوائز لمستحقيها ■■

مسابقة العربي

٦ مربعات = ٤٠

ضع الأرقام في مكانها الصحيح واربح جائزة



■ يتألف الرسم موضوع هذه المسابقة من اربعة مربعات صغيرة ، يربطها مربع خامس أكبر منها ، ويضمها جميعا مربع سادس أكبر من الخمسة . وضع على كل زاوية من الزوايا التسع لتلك المربعات رقم زوجي ، من ٢ الى ١٨ ، وقد وضعت هذه الارقام اعتباطا دون مراعاة اى ترتيب ، والمطلوب منك هو أن تقوم باجراء حركة تنقلات بين هذه الارقام بحيث يكون مجموع الارقام الموضوعة على الزوايا الاربع لكل واحد من المربعات الست : ٤٠ ، بشرط الا تخرج من الارقام الموضوعة على الرسم أو تنقص منها أو تزيد عليها او تكرر رقما منها .

بعد ذلك اجمع الارقام الاربعة التي على كل زاوية من زوايا المربعات الستة ، فاذا كان مجموعها (٤٠) فقد وفقت الى الحل الصواب .

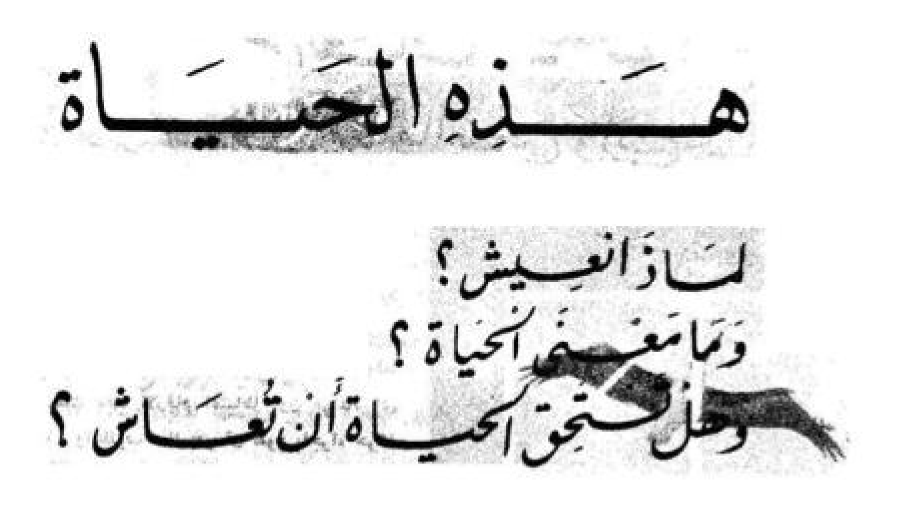
شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٤ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٨
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ **جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .





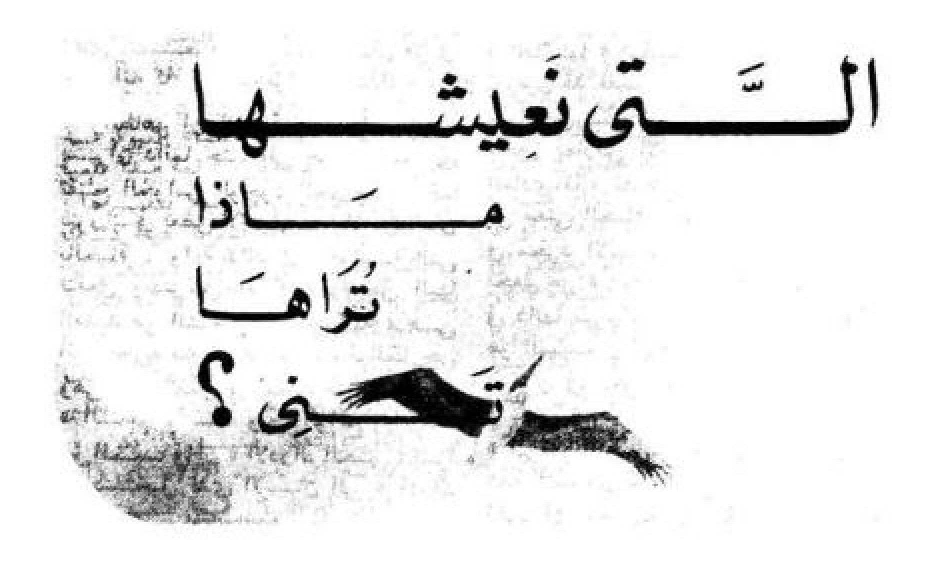
بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية – عمان

■ ... لماذا اعيش ؟ وما معنى الحياة؟ وهل تستحق الحياة أن تعاش ؟ تلك اسئلة طالما أثارها الانسان في كل زمان ومكان ، دون ان يتمكن يوما من الاجابة عليها اجابة شافية كافية . وقد يقتنع الانسان أحيانا باثارة هذا التساؤل الفلسفي عن **((معنى الحياة))**، واثقا في قرارة نفسه بانه هيهات له أن يصل يوما الى ازاحة النقاب عن ((**سر الوجود**))، ولكنه مع ذلك يأبى الا أن يمضي في عملية طرح هذا الاشكال ، وكأنما هو يتمسك – على الأقل – بحقه المشروع في التساؤل والتعجب والدهشة وحب الاستطلاع !

وليس بدعا أن يتساءل الانسان عن معنى الحياة ، فان الانسان هو الكائن الوحيد الذي لا يكاد وجوده ينفصل عن عملية تساؤله عن الوجود ، خصوصا وان « وجوده » ليس مجرد « واقعة » تدخل في نطاق « ما هو كائن » ، وانما هو « واجب » يدخل في نطاق «ماينبغى أن يكون » . وهذا هو السبب في أن الانسان يشعر دائما بأنه لم يوجد بعد ، وانما لا زال عليه أن يوجد !

انا جميعا نعرف ((قيمة)) الحياة

وهنا قد يقال ان الحياة – أولا وقبل كل شيء – **واقعة** ليس علينا الا أن نتقبلها، بدليل اننا لم نطلب الوجود ، بل قد وجدنا أنفسنا أحياء على الرغم منا ،



ودون ان يكون لارادتنا في ذلك مدخل ! ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي بسكال حينما قال : « لقد ابحرت بنا السفينة ، وليس في وسعنا سوى أن نمضي ! » فالوعى البشرى لا يتفتح على الوجود ، الا لكى يجد نفسه منخرطا في سلك الحياة ، مدمجا في تيار الوجود . ونحن لا نعرف من اين جئنا ، ولكننا نعرف ــ على الأقل ــ ان « الوجود » هبة مجانية ! ومهما اختلفت آراؤنا في الحكم على « قيمة » هذه « الهبة » فان من المؤكد ان الغالبية العظمى منا تتمسك باهداب الحياة ، وترى في « الوجود » نعمة كبرى لا تعادلها نعمة أخرى ، وربما كان هذا ما عناه « مالرو Malraux » حينما كتب يقول : « ان الحياة لاتساوى شيئا ، ولكن شيئا لا يساوى الحياة » ! صحيح أن ثمة اشخاصا ينتحرون ، ولكن المنتحر يعرف قيمة الحياة ، بل هو يعلق عليها من الاهمية اكثر مما تستحق : بدليل أنه على استعداد للتنازل عن الحياة نفسها ، اذا لم تجيء كما يطلبها هو .. فالمنتحر لا يتخلى عن الحياة ، الا لأنه يحب الحياة اكثر من اللازم .. انه يفضل « الموت » على « حياة » لا تكون من الخصب والامتلاء بحيث تستحق أن تعاش ! فليس في « الانتحار دليل على تفاهة الحياة ، بل ان فيه اعترافا ضمنيا بقيمة الحياة ، والا لما اقدم المنتحر على التخلص من الحياة ، لمجرد انها لم تحقق له كل ما يهدف اليه من « أسباب البقاء » .

الحيا تحمل في ذاتها مبررات وجودها !

والحق أن الانسان العادى يشعر تماما بأن الحياة تمضي من تلقاء نفسها ، وانها تحمل في ذاتها مبررات وجودها ، وقد نتساءل أحيانا عن معنى « حياة » ذلك

الانسان العاطل الذى يقضي كل وقته في الشمس ، ولكن من المؤكد أن « الدفء » الذى يستشعره مثل هذا الانسان هو في حد ذاته كاف للاستمرار في البقاء !

والظاهر ان الحياة وحب الحيـــاة يسيران دائما جنبا الى جنب . فان في تفتح الحواس للوجود الخارجي ما قد يبرر ــ في بعض الأحيان ــ تعلق الانسان بالحياة . وآية ذلك أن حواسنا التى تنفعل وتهتز ، وتدرك ، وتحمل الينا العديد من الشحنات الوجدانية ، هـى التى تجيء فتوثق صلتنا بالعالم الخارجي وهى التى تعمل في العادة على تحقيـق « التناغم » بيننا وبين الواقع . وهذا هو السبب في ان « الادراك الحسي » كثيرا ما يستحيل لدى الانسان الى « ادراك جمالى » Aesthetical وليس من شك في أن هذا « الادراك الجمالى » هو الأصل في تلك « المتعة » البدائية التى يستشعرها الانسان حين يوجد بازاء الطبيعة ، أو حين يتملى جمال بعض الكائنات . وليس من الضرورى ان يكون المرء فنانا ، لكى يستشعر مثل هذه « المتعـــة » وانما حسبه أن يفتح نوافذ حسه ، حتـى تنفعل ذاته بآلاف من الشحنات الادراكية والوجدانية . فالادراك الحسي نفسه اداة من أدوات التعلـــق بالحيـــاة ، والاستمتاع بالحياة ، والاقبال علـى المزيد من أسباب الحياة !

وهنا قد يعترض معترض فيقول : ولكن اذا كانت هذه هى سُنّة الحياة مع الانسان ، أو سُنّة الانسان مع الحياة ، فما بال الكثيرين يتساءلون عن معنـى الحياة ، وكأنما هم لا يجدون لها طعما ، ولا يرون لها قيمة ؟ وردنا على هـــذا الاعتراض ان التساؤل عن « معنى الحياة » كثيرا ما يقترن بضعف « سَوْرَة الحياة » أو بعجز الانسان عن مقاومة بعض مصاعب « الحياة » . فالناس ــ في العادة ــ لا يشرعون في التساؤل عن معنى حياتهم اللهم الا حين تكون حياتهم قد فقدت « تلقائيتها » الطبيعية ، وبالتالى حينما يكونون قد فقدوا « مبررات » وجودهم . وأما حين تسير الحياة سيرها الطبيعي ، وحين يمارس الانسان نشاطه التلقائى العادى ، فانه قد لا يُعنّى نفسه بالتساؤل عن معنى الحياة ، لأنه يشعر عندئذ بأن في مجرد الاستمرار على قيد البقاء ما يجعل من « الحياة » قيمة سوية تحمل في ذاتها مبررات وجودها . ولعل هذا هو السبب في ان بعض علمـــاء النفس يرَوْن في مجرد تساؤل الانسان عـن « معنى » حياته عَرَضا من أعـراض « المرض النفسي » ، لأنهم يعرفون أن هذا التساؤل قلّما يُلحّ على الانسان ، اللهم الا حين تكون حياته قد شرعت تنحدر الى هاوية « العبث » أو « المحال » أو « اللامعقول » .. ولكن فيلسوف القرن العشرين قد اصبح يدرك ان وجود الانسان لا يمكن ان ينفصل عن عملية تساؤله عن معنى وجوده ، فهو لا يجد مانعا من أن يطرح هذه المشكلة الوجودية بصورة واضحة صريحة ، بدلا من أن يدع الانسان المعاصر نهبا لمشاعر القلق ، والخواء ، والضياع ، والعدم !

ومن هنا فقد يحسن بنا أن نحاول القاء بعض الأضواء على هذا الاشكال ، واثقين من ان الوجود البشرى لا يثير هذه المشكلة ، الا لأنه هو نفسه ربيب « المعنى » ، ونصير « المعقول » ومبدع « القيم » ..

مشكلات عديدة حول السؤال عن « معنى الحياة »

ولو أننا تساءلنا الآن : « ماذا تعنى الحياة ؟ » لوجدنا ان هذا التساؤل نفسه يحمل بدوره علامات استفهام كثيرة ،

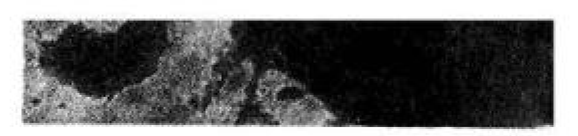
يدور جانب منها حول مدلول كلمة « يعنى » ، ويدور الجانب الآخر منها حول مدلول كلمة « الحياة » ونحن حين نتحدث في العادة عن « معنى » أيةعبارة او اى قول ، فاننا نقصد بهذه الكلمة « دلالة هذه العبارة أو « مضمون »ذلك القول . وقد اجد نفسي بازاء عبارة يقولها احدهم فلا افهم مراده ، او لا ادرك مقصده ، وعندئذ قد يحدث ان اسائله : « ماذا تعنى بهذه العبارة ؟ ». ولكن المفروض في « العبارة » ان تجيء حاوية لمعناها ، بحيث تكون دلالتها متضمنة في ثناياها . وحين يقول بعض الفلاسفة المنطقيين ان معنى أية عبارة متضمن في صميم تركيبها اللغوى ،فانهم يعنون بذلك أن في وسعنا عن طريق التحليل اكتشاف هذا المعنى ، على شرط أن يكون تركيب العبارة سليما .. ولكن ، هل يكون **معنى الحياة** متضمنا — على هذا النحو — في باطن الحياة نفسها ؟ او بعبارة اخرى : هل نجد سبيلا — عن طريق التحليل — الى استخلاص « معنى الحياة » من صميم الحياة ؟ لا شك انه لن يكون فياستطاعتنا ان نجيب على هذا السؤال بالايجاب ، فان الحياة اعقد من ان تكون مجرد « ظاهرة مركبة » يمكننا ان نحللها الى عناصرها البسيطة ، كما نحلل العبارة « مثلا » الى مفردات ..

ثم هناك صعوبة اخرى تكمن فيكلمة « الحياة » نفسها : اذ ما الذى نعنيه هنا بهذه الكلمة ؟ هل نعنى بها حياة الفرد ، أم حياة النوع ؟ أو بعبارة اخرى : اترانا نتحدث هنا عن حياة الانسان ، أم عن حياة البشرية بأسرها ؟ وهل تشير بهذا اللفظ الى الحياة **البيولوجية**على المستوى الطبيعى الصرف ، أم نحن نتحدث ايضا عن الحياة النفسية والاجتماعية والحضارية للكائن البشرى،بكلماتنطوى عليه من تنوع ووفرة وتعقيد ؟ واذا افترضنا ان لحياة النوع البشرى ـ ككل ـ « معنى » ، فهل ينسحب هذا «المعنى» على حياتي — كفرد — ؟ واذا كان في استطاعتنا ان نفسر الحياة البيولوجية الصرفة (على افتراض ان ثمة مبدأ علميا او مبادىء علميةتتكفل فعلا بتفسيرها ؛ فهل نكون بذلك قد فسرنا حياة ذلك « الكائن الحضارى » الذى استطاع ان يخترع اللغة ، والعلم ، والآلة ،والتكنية .. الخ ؟ !!

كل تلك أسئلة يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر ، وهى تحتاج الى الكثير من التأمل والتفكير قبل أن يكون في استطاعة اى باحث الادلاء بأى رأى (يقينيا كان ام ظنيا) فيما تتضمنه من مشكلات . ولكن الذى لا شك فيه ان الفيلسوف المعاصر حين يتحدث عن « معنى الحياة » فانه يعتنق في العادة وجهة نظر الموجود الفرد الذى يثير هذه القضية لحسابه الخاص ، محاولا تأكيد وجوده الذاتي في وجه شتى امارات « اللامعقولية » و « العبث الشامل » و « عدم الاكتراث » بل و « الموت » !! فالانسان الذى يثير هذه المشكلة : انما هو ذلك « الموجود الناطق » الذى لا يستطيع ان يتصور ان تكون الحياةمجرد « اقصوصة يرويها احمق » لأنه هو نفسه «كاشف المعانى» و «خالق القيم»، بل لأنه الموجود الذى يشعر في قرارة نفسه انه لولاه هو ، لصارت الحياة خلوا من كل معنى أو قيمة !

الموت هو الذى يخلع «معنى» على الحياة!

بَيْد ان البعض قد يقول انه ايا كانت الحياة ، فانها لا يمكن أن تنطوى على اى « معنى » ، ما دام « الموت » هو الخاتمة الأليمة التى لا بد من أن تجيء فتذرو



هذه الحياة مع الرياح ! واصحاب هذا الراى يؤكدون **ان سم الموت هو الذى يجعل للحياة طعم الرماد !** والا ، فقل لى – بربك – ماذا تعنى حياة لا بد من ان تفضي – في خاتمة المطاف – الى تلك النهاية التعسة التى تحيل « الذات » الى مجرد « موضوع » ؟ ما قيمة كل تلك الجهود التى يبذلها الانسان ، اذا كان لا بد لها يوما من ان تتحطم على صخرة الموت العاتية ؟ ..

كل تلك صيحات طالما ارتفع بها صوت الانسان ، منذ عهد النبى سليمان الذى قال « الكل باطل وقبض الريح » ، حتى عصر بعض فلاسفة الوجودية الذين اعلنوا اكثر من مرة ان الانسان « نزوة عابرة لا طائل تحتها » Passion Inutile

... ولكن الانسان الذى طالما تمرد على الموت ، كثيرا ما ينسى او يتناسى ان الموت هو الذى يخلع على حياته معنى ! والا فهل كانت الحياة لتعنى شيئا ، لو انها كانت مستمرة الى ما لا نهاية ، او ممتدة الى غير ما حد ؟ أليس الموت هو الذى يخلع على الحياة قيمتها ، لأنه هو الذى يشعرنا بأن اللحظات الموجودة بين ايدينا محدودة معدودة وان الزمان الذى نتمتع به مقدور موقوت .. ان الانسان الذى يحيا في الزمان « موجود متناه » يدرك ان الفرص لا تعوض ، وان الماضي لا يقبل الاعادة ، وان الحياة لا تحتمل التأخير . فهو يدرك قيمة الحياة حين يفطن الى ان زمانه محدود ، وان لحظاته قصار معدودات ! واما لو كانت الحياة امامي لا متناهية ، لما كان ثمة ما يدعو الى التعجل بعمل ما اريد : فان ما لا استطيع عمله اليوم ، يمكنني ان انهض بادائه غدا ، او بعد غد ، او بعد ملايين السنين !! ولن يكون ثمة معنى للعمل او النشاط ، في كنف حياة ابدية (لا نهاية لها) ، فان الشرط الاول للعمل او النشاط ان تكون ثمة حاجة ملحة لتحقيقه او النهوض به . واما حيث لا يكون ثمة وجه للعجلة او الالحاح او الضرورة ، فلن يكون هناك وجه للحاجة الى التنفيذ او الانجاز او التحقيق .. وهذا هو السبب في ان الزمان نسيج وجودنا البشرى ..

... اننا لنريد ان نحيا ، ولكننا ننسي انه **لا بد لنا ايضا من ان نموت لكى نحيا** ! وليس « الموت » هنا سوى ذلك « الحد » الذى يضع للحياة « خاتمة » حتى تكتمل . انه « اللمسة الاخيرة » التى يصبح بعدها « العمل الفنى » موضوعا جماليا متحققا ! ولو كانت حياتنا مستمرة لا تعرف لها نهاية ، لكانت جهدا عابثا لا معنى له ولا غاية ! فنحن نموت لانه لا بد لنا من ان نحيا ، والحياة نفسها هى هذا السير الوئيد (او السريع) نحو التحقق والاكتمال !

وحين قال احد العلماء (واظنه بيشا Bichat) **« ان الحياة هى الموت »** ، فانه لم يكن يتلاعب بالالفاظ (وليس هذا شأن العلماء) وانما كان يعبر عن هذا السير المحتوم نحو لحظة الفناء ، وهو ما يمثل الجهد المتصل المضطرد الذى تقوم به الحياة في سبيلها الى « التحقق » . فما بالنا نتمرد على « الموت » ، وهو الذى لولاه لما صارت الحياة حياة ؟

الحياة توتر مستمر بين « ما هو كائن » و « ما ينبغى ان يكون »

على ان ثمة تشابها عجيبا بين الحياة والموت ، طالما حرصت « حكمة الشعوب » على ابرازه : فان الانسان يولد بمفرده ويموت بمفرده ، كما ان الانسان لا يولد الا مرة واحدة ، ولا يموت الا مرة واحدة !

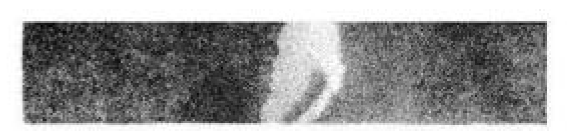
ومعنى هذا اننا هنا بازاء ظاهرتين فرديتين لا بد لكل انسان من أن يعيشهما لحسابه الخاص ، دون أن يكون في وسع احد ان يعانيهما بدلا منه .. وبين لحظة الميلاد ولحظة الوفاة تبدو الحياة اشبه ما تكون بطريق لا بد من ان يقطعه الانسان ومهما اختلفت اساليبنا في قطع هذا الطريق ، فان من المؤكد انه ليس في وسع احد أن يحدد امامي معالمه ، بحيث لا يكون عليّ سوى ان انهج سبيلا واضحا مرسوما من ذي قبل .. وليس عنصر «المجهول» الذي تنطوي عليه كل حياة سوى مجرد تعبير عن هذا التساؤل الذي يرتسم بالضرورة حول كل وجود فردي ، لمجرد كونه وجودا جديدا أصيلا ..

والواقع ان حياتي او حياتك لا تزيد عن كونها حزمة من الامكانيات التي تفتقر الى التحقق حتى تستحيل الى أفعال او وقائع . وليس وجودي او وجودك سوى هذا السعي المستمر الذي يضطلع به كلّ منا في سبيل العمل على تحقيق ذاته ، عن طريق تحويل « الامكان » الى « واقع » .. وقد تختلف الامكانيات الموجودة بين ايدينا ، ولكن احدا منا لا يمكن ان يكون مفتقرا تماما الى كل امكانية ، والا لما كان امامه « فعل » يحققه أو « حياة » يعيشها .

وانت حين تفرغ من تحقيق بعض امكانياتك ، فانك لا بد من أن تجد نفسك بازاء امكانيات أخرى ما زال عليك ان تحققها ، والا لما كان ثمة معنى لاستمرار بقائك .. وهناك فروق فردية بين الناس في هذا المضمار : فان البعض يتعجل بتحقيق امكانياته ، في حين يتباطأ البعض الآخر في تحقيقها ، وهلم جرا . ولكن الذي لا شك فيه أن الحياة البشرية لابد من أن تتخذ باستمرار طابع التوتر بين « ما هو كائن » و « ما ينبغي أن يكون » ، وليس هذا « التوتر » سوى تعبير عن ذلك « البون النفسي » الذي يفصل « امكانيات» الانسان عن « عالم الواقع » . فانت لا تستطيع أن تعيش دون أن تعبىء كل طاقاتك الجسمية والنفسية لتحقيق امكانياتك الضمنية التي ما زالت تلتمس الخروج الى عالم النور . والانسان حين يسير على طريق الحياة ، يَحِسّ في كثير من الأحيان بأنه محصور بين ضغط الماضي وجذب المستقبل ، فهو لا يملك سوى مواصلة السير في حاضره المستمر الذي لا يخرج عن كونه توترا بين « ما قد كان » و « ما سوف يكون » . ولو احس الانسان بأنه قد حقق كل شيء ، دون أن يكون امامه ما يحققه في المستقبل لكان معنى ذلك ان حياته قد اجدبت او اقفرت ، وما الاجداب او الاقفار سوى الموت ! صحيح ان الشيخوخة قد تقترن في بعض الاحيان بضيق دائرة الامكانيات الفردية ، ولكنها لا يمكن ان تعني تماما انعدام كل امكانية .. ولو قدّر لأي فرد منا أن يشعر فعلا بأن كل امكانياته قد تحققت ، وأنه لم تعد امامه اية امكانية (ولو ضئيلة) تقبل التحقق ، لكان هذا الشعور نفسه موتا قبل الموت! ولكن الانسان ــ لحسن الحظ ــ قلّما يقع ضحية لمثل هذا الاحساس المَرَضِي المضاد لطبيعة الحياة .

« انا افعل ، فانا اذن موجود » !

لقد كان الفيلسوف الفرنسي ديكارت يقول : « انا افكر » ، فانا اذن موجود ، وكان « الفكر » هو الذي يكوّن ماهية « الوجود » البشري . ولكن هذه



القضية لم تلبث أن تعرضت للكثير من المآخذ على أيدى الفلاسفة اللاحقين لديكارت ، الى أن جاء المفكر الفرنسي مين دي بيران Marine de Biran فقال قولته المشهورة : **« أنا أفعل ، أو أنا أريد ، فأنا اذن موجود » !** وكانت حجة دي بيران في هذا الصدد ان المرء لا يوجد حقا الا حين يدخل على العالم الواقعي تغييرا أصيلا يحمل طابعه الخاص ، بحيث يجعل من « فعله » شهادة شخصية على قدرته الابداعية . والحق أن الحياة في صميمها فعل ، لأن الموتى وحدهم هم الذين لا يعملون ! ونحن حين نعمل فاننا لا نعدل من العالم الخارجي فحسب ، بل نحن نتغير أيضا مما بأنفسنا . واذا كان البعض قد وجد في « العمل » المعنى الاوحد للحياة الانسانيه ، فما ذلك الا لأن العمل هو الظاهرة الوحيدة المساوقة للوجود البشرى بصفة عامة . وآية ذلك ان الانسان لا يستطيع أن يحيا دون أن يعمل ، وهو لا يستطيع أن يعمل دون أن يحقق ذاته في عالم الواقع . وحتى لو نظرنا الى الحياة على المستوى البيولوجي الصرف ، لوجدنا أن حياة الكائن العضوى لا بد من أن تتخذ طابع الممارسة السوية لوظائفه الحيوية . وليس من شك في أن هذه الممارسة لا يمكن أن تقف عند حد النشاط التلقائى والتقبل السلبى ، بل هي لابد من أن تمتد أيضا الى مجال التحقيق الخارجي والانتاج الايجابى . وكلما زادت درجة الكائن الحى من الحيوية ، زادت بالتالى درجته من الانتاج . فالحياة ــ بهذا المعنى ــ عمل ، ونشاط ، وجهد ، وانتاج ، وخصوبة ، وإثمار ، ووفرة ، وابداع . والانسان الذى يعمل قلما يشعر بالحاجة الى التساؤل عن معنى وجوده ، لأنه يشعر بأن في نشاطه الابداعى ما يحمل في ذاته مبررات وجوده . وأنت حين تأخذ على عاتقك النهوض برسالة هامة تعمل في سبيلها فانك تستشعر عندئذ ان ثمة غاية تحيا من أجلها . ولما كانت الغايات والأهداف والمشروعات هى التى تولد في نفوس الأفراد الرغبة في القيام بالكثير من الجهود والاعباء والمحاولات ، فان الحياة لا تكتسب معنى الا في أعين أولئك الذين يجعلون من انفسهم قنطرة يعبر عليها « الواقع » نحو « المثل الأعلى » !

... لقد كان عيسى عليه السلام يقول : **« ان الشجرة التى لا تثمر ، تقطع وتلقى في النار . . من ثمارهم تعرفونهم »** . . فليس في وسع الانسان أن « يحيا » ، دون أن « يثمر » اللهم الا اذا ارتضى لنفسه ان يكون شجرة جرداء لا تعطى ثمرا ! وليس أيسر على الانسان من أن يهبط بنفسه الى مستوى الجدب والاقفار ، ولكنه عندئذ يحكم على نفسه بأنه غصن ذاو لم يعد يصلح الا للنار ! وأما حين تنشط في أعماق الفرد سورة الحياة ، فهنالك لا بد للانسان من ان يشعر بأنه كالينبوع لا يملك الا ان يفيض . وكما أن الشمس لا تملك الا أن تضيء ، بل كما ان الضوء لا يملك الا ان يشيع الدفء فان الحياة البشرية الخصبة لا تملك الا أن ترسل أنوارها ، وتعطى ثمارها ، وحين تضعف في نفسك معاني الوجود ، فما عليك الا أن تهتف مع الفيلسوف : **« أنا أريد ، أنا أفعل ، اذن فأنا موجود » ! الحياة قلب فارغ ، عليك أنت أن تملأه . .**

... ولكنك قد تقول : « انني أعلم أنني موجود ، وأما الذى لا أعلمه ــ على وجه التحديد ــ فهو معنى هذا الوجود » !

ومثل هذا القول ـ في رأينا ـ يتجاهل حقيقة هامة لا بدّ لنا العمل على ابرازها، وتلك هي **ان الوجود قالب فارغ علينا نحن ان نملاه** . فليس معنى الحياة كامنا في الحياة ، كما يكمن الثعبان في جُحْره، او كما يكمن الجنود في مخابئهم ، وانما يكمن في معنى الحياة فينا نحن اكثر مما يكمن فيها ! ومعنى هذا ان الحياة في ذاتها « مادة عقل » او « هيولى محايدة» (ان صح هذا التعبير) ، علينا نحن ان نخلع عليها ما نشاء من « الصور » . وربما كان الخطأ الأكبر الذى طالما وقع فيه القائلـــون بالعبث او اللامعقـــول Absurde ، انهم قد راحوا يبحثون في الحياة عن « صورة » او « معنى » او « ماهية » ، فلما لم يجدوها راحـوا يعلنون انه لا معنى للحياة على الاطلاق !

وفات هؤلاء انك لا يمكن ان تسائل الرخام او المرمر عن معناه ، ولكنك تستطيع ان تتطلع الى تماثيل ليوناردو دافنشي او ميكائيل انجيلـــو او رافائيل ، فتدرك عندئذ معنى الرخام او المرمر ! فليس في الحياة ذخيرة حاضرة من « المعانى » ، بل هناك قوى كامنة تستطيع ان تصنع منها ما تشاء من « المعانى » .

واذا كان البعض قد شاء ان يجعل من **« الحب »** معنى الحياة ، فما ذلك الا لان « الحب » كثيرا ما يكون هو الكفيل بملء قالب الحياة الفارغ ! وآية ذلك انك حين تحب ، فانك تشعر بانك لم تعد « زائدا عن الحاجة ـ De trop » (كما يقول التعبير الفرنسي ـ) ما دمت تستمد من «المحبوب» مبررات وجودك! وان المحبين ليتطلعون الى العالم فيرونه بعيون جديدة ، وينظرون الى الطبيعة ، فيخيل اليهم انهم يرونها للمرة الاولى ، وما ذلك الا لانهم قد أحسوا ـ على حين فجأة ـ بأن **القالب قد امتلأ** ، وان الاطار الفارغ قد أصبح يضم صورة ! لقـد كانت حياتهم خاوية فارغة جدباء ، فصارت بعد الحب عامرة حافلة فياضة ! ولما كان من شأن « المعنى » ان يرقى مـن الجزء (او الأجزاء) الى الكل ، فليس بدعا ان يكون اللقاء القصير او النظرة الخاطفة او الحديث العابر ، هو الكفيل باشاعة « المعنى » في الحياة **بأسرها** . ولكن من شأن المعنى ايضا ان يهبط من الكل الى الجزء (او الأجزاء) . فالحياة لا يسترها دافع قوى ، سواء اكان هو العمل او الحب او الأمل او الدفاع عن الانسـانية ، او غير ذلك . . لا بد من ان يشيع في أصغر احداثها واتفه مظاهرها احساس عارم بالهدف ، وشعور حـاد بالمعنى . ومن هنا فان حركة المعنـى المزدوجة : من الاجزاء الى الكل ، ومن الكل الى الأجزاء ، هى بمثابة السَوْرَة الحية L'elan vital التى تشيع لدى الانسـان القدرة على مقاومة العبث، ومجاهدة « اللامعقولية » . وحين يدرك الانسـان انه « وان كان العالم أقوى من الانسـان ، الا ان **معنى العالم اقوى من العالم »** على حد تعبير الكاتب الفرنسي المعاصر اندريه مالرو ، فهنالك لا بد للانسان من ان يفهم انه هو ربيب المعنى، وانه لولاه لصار الوجود واقعا غفلا لا يعني شيئا ! وماذا عسى أن يكون «معنى الحياة البشرية » في النهاية ، ان لم يكن هو الاعتراف بأن **الانسان اعظم واقوى من « لامعقولية » الاشياء !** ■

زكريا ابراهيم

طرائف عربية

اختبــار

ارسل عمر بن هبيرة الى اياس بن معاوية ، فاتاه . فقال له اتقرا القرآن؟ قال : نعم . قال : اتفرض الفرائض ؟ قال نعم . قال : اتعرف من ايام العرب شيئا ؟ قال : نعم . قال : اتعرف من ايام العجم شيئا ؟ قال : انا بها اعرف . قال : اني اريد ان استعين بك على عملي. قال أ ان فيّ خلالا ثلاثا لا اصلح معها للعمل . قال . وما هي ؟ قال : انا دميم كما ترى ، وانا حديد ، وانا عييّ . قال: اما دمامتك فاني لا اريد ان احاسن الناس بك . واما العي ، فاني اراك تعبر عن نفسك، واما الحدة فان السوط يقوّمك، قم قد وليتك . قال : فولاني واعطاني مائة درهم ، فكانت اول مال تمولته .

يحسدونه على الصلب

حكي الأصمعي قال كان رجل من اهل البصرة بذيئا شريرا ، يؤذي جيرانه ويشتم اعراضهم فاتاه رجل فوعظه ، فقال له : ما بال جيرانك يشكونك ؟ قال انهم يحسدوني . قال له : على اى شيء يحسدونك؟ قال: على الصلب. قال: وكيف ذاك ؟ قال : اقبلْ معى ، فاقبل معه الى جيرانه ، فقعد متحازنا ، فسالوه عن سبب حزنه . فقال طَرَقَ الليلةَ كتابُ معاوية ان أصلب انا ومالك بن الحذر وفلان وفلان ، وذكر رجالا من اشراف البصرة ، فوثبوا عليه ، وقالوا : يا عدوَّ الله انت تصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك ! والتفت الى الرجل ، وقال له : اما تراهم قد حسدوني على الصلب، فكيف لو كان خيرا ؟

ليال متنوعة

ذكرت النساءُ عند الحجاج فقال : عندى اربع نسوة : هندٌ بنت المهلب ، وهندٌ بنت اسماء بن خارجة ، وام الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وامةُ الله بنت عبد الرحمن بن جرير . فاما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين الفتيان يلعب ويلعبون. واما ليلتي عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ، واما ليلتي عند أم الجلاس فليلة اعرابى مع أعراب في حديهم واشعارهم . واما ليلتي عند أمة الله بنت عبد الرحمن فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

يتماوت من

روى الاصمعي قال : كنت عند رجل من ألأم الناس وابخلهم ، وكان عنده لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف . فقال : لا اموت او اشرب من لبنه . فاقبل مع صاحب له حتى اذا كان بباب صاحب اللبن تفاشي وتماوت ، فقعد صاحبه عند راسه يسترجع ، فخرج اليه صاحب اللبن ، فقال : ما باله ياسيدى ؟ قال : هذا سيد بني تميم ،

* موت فى دولة وعز خير من حياة فى ذلة وعجز .
* انفرد بسرك ،ولا تودعه حازما فيزول، او جاهلا فيخون.
* كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ، ومرهوب منه ينفع ولا يضر

قد أجزت . . قد أجزت !!

روى صاحب العقد الفريد قال :

كان لرجل اربع نسوة ، فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات متنازعات فقال : الى متى هذا التنازع ، ما اخال هذا الامر الا من قبلك ، يقول ذلك لامراة منهن ، اذهبي فانت طالق . فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ، ولو ادبتها بغير ذلك لكنت حقيقا . فقال لها : وانت ايضا طالق ، فقالت له الثالثة : قبحك الله . فوالله لقد كانتا اليك محسنتين ، وعليك مفضلتين . فقال : وانت ايتها المعددة طالق ايضا . فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرك عن ان تؤدب نساءك الا بالطلاق . فقال لها : وانت ايضا طالق .

وكان ذلك بمسمع جارة له ، فاشرفت عليه ، وقد سمعت كلامه ، فقالت : والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ، ابيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة . فقال : « وانت ايضا ايتها المؤنبة المتكلفة ، طالق ، ان اجاز زوجك » . فأجابه من داخل بيته . « قد اجزت ، قد اجزت » .

حلم لم يتحقق

حكى أن ناسكا كان له سمن في جرة معلقة على سريره ، ففكر يوما وهو مضطجع على السرير وبيده عكاز ، فقال: ابيع الجرة بعشرة دراهم ، واشترى بها خمس عنزات ، فأولدهن في كل سنة مرتين ، فيبلغ النتاج في عشر سنين مائتين ، وابيعهن فابتاع بكل عشر بقرة . ثم ينمو المال بيدى فابتاع العبيد والاماء، ويولد لى ولد فان عصاني ضربته بهذه العصا . وأشار بالعصا فأصاب الجرة فانكسرت وصب السمن على وجهه وراسه .

أجل لبن

اتاه امر الله ها هنا ، وكان قال لي : اسقني لبنا .

قال صاحب اللبن : هذا هين موجود ، ائتنى ياغلام بعلبة من لبن ، فاتاه بها . فاسنده صاحبه الى صدره وسقاه ، حتى اتى عليها ثم تجشا . فقال صاحبه لصاحب اللبن: أترى هذه الجشاة رائحة الموت !؟ قال : « أماتك الله واياه » ، وفطن الى انه خدعه .



الصورة تمثل المريض راقدا ، وأمامه الطبيب الكاهن قائما ، يستعين بدعاء الآلهة نيابة عن المريض حينا ، وبعض التعليمات الى الكاهنين الأصغرين اللذين الى جانبه فيما يختص بمزج العقاقير وسحقها ، وفقا لما تسطر في ألواح الطين التي رفعها بيديه . وترى أحد الكاهنين حمل شاة ، ستوضع الى جانب المريض حتى تيسر لشياطين المرض أن تخرج من جسم المريض اليها . وعندئذ تذبح الشاة قربانا للآلهة ، وتدرس جثتها للتأكد من أن ما طلبوه من شفاء المريض قد تم .

الطب في بابل القديمة

■ ان بابل مدنية ، ومدنية قديمة ، كان مكانها بين النهرين ، دجلة والفرات .

وهذه الارض كانت لا شك منبتا من منابت الحضـــارة الانسانية الأولى .

وقد أساء الى هذه الحضارة ، من حيث الاحتفاظ بآثارها ، انه لم يكن حيث وجدت جبال من حجر ، يبقى على الدهور ، فتتمثل فيه آخر الدهر ما صنع هؤلاء الأقوام في حياتهم الاولى .

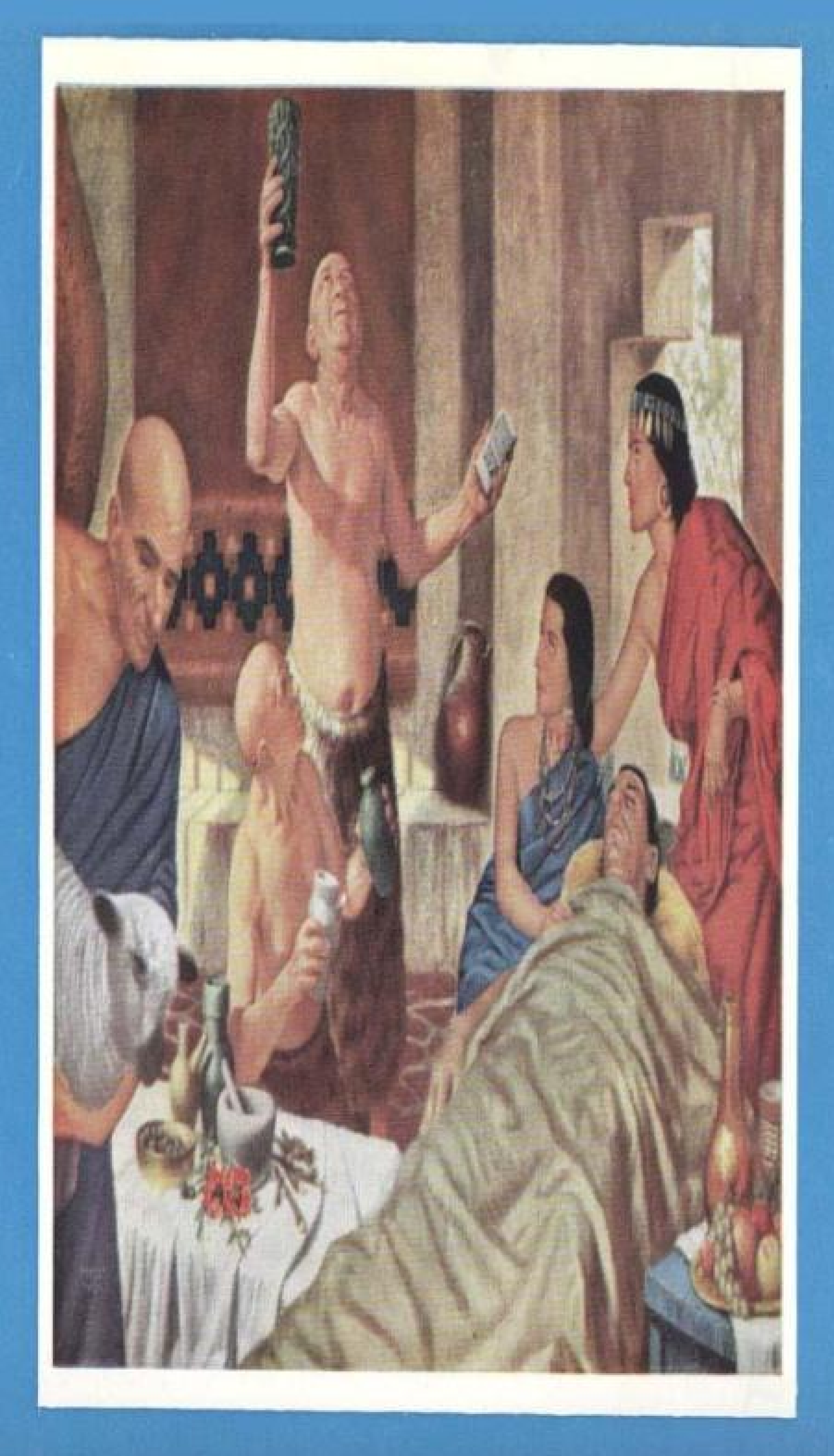
ولكنهم تعوضوا عن الحجر بألواح من الطين كتب عليها من سكنوا هذه البقاع ، من البابليين ، ومن السومريين آراءهم ، وأعمالهم ، ومعاملاتهم . ومن حسن الحظ ان كشف الاثريون عن كثير من هذه الألواح التي حفظ لها طبخها في النار عمرا طويلا . وترجموا ما على هذه الألواح . وخرجوا من هذه السجلات على أصول كثيرة ، بادئة ، في الطب والصيدلة ، وغيرهما ، اتخذها هؤلاء القدماء ، اتضح أن منها ما تطور على الدهر فكان ما نعرف اليوم من علم الكثير من أشياء دنيانا .

وقد اتضح من هذه السجلات الخزفية سبق القوم في كثير من شئون الحضارات . وكانت بدائية لا شك في هذا . ولكن ظهر منها كذلك ان بابل ، بموضعها الجغرافي كانت مصدرا للاشعاع . فخرج منها الكثير ، على ظهور القوافل ، شرقا الى الهند ، وجنوبا بغرب الى الجزيرة العربية ، وغربا الى مصر .

وبالطبع ، على عادة القدماء ، خلط هؤلاء الناس بين الطب والعقاقير ، وبين ما تصنع السَّحَرة والارواح وما تشاء الآلهة !

من اجل هذا جمع الطبيب بين مهنة الطب والصيدلة والكهانة .

وقد نسخر مما كان من هذا الجمع الغريب ، وننسى ما كان يصحب هذا الايمان ، على علاته ، وما يصحب هذه التعاويذ ، والأدعية يتغنون بها ، من اثر في انفس القوم . انه الأثر النفساني ، الذي ينعش الأمل الذاوي ، ويحيي الرجاء اذ اضمحل . والانسان الضعيف دائما ينظر الى أعلى ، الى ما هو أخفى وأقوى ، الى السماء . وبمقدار علمه وفهمه ، وبمقدار ما أتيح له من فطانة ، الزمن معطيها ومانعها ، هو يتأثر بما يخال انه هناك ، صح هذا في رأى الفضلاء والعلماء او لم يصح ، لأنه في عهده ، لم يكن درى ما الفطانة وما العلم .





دردشة

عدوى الضحك

● وقف المخرج السينمائى العالمى سيسيل دى ميل ثائرا في الاستديو يوما بعد عرض الفيلم الكوميدى الجديد في حفل خاص قبل توزيعه على دور السينما . وقال: « ليست هذه كوميديا لأننى لم اضحك مرة واحدة ! » .

وتوقع الجميع الفشل للفلم الهزلى الجديد الذى انفقوا على اخراجه ملايين الدولارات !

وعرض الفيلم اخيرا، واشفق سيسيل دى ميل على نفسه من الصدمة فقرر عدم الذهاب لحضور حفلة العرض الأولى . ولكن احد اصدقائه الح عليه، فقبل فى النهاية ، ووصلا الى دار العرض في منتصف الفيلم تقريبا !

وكم كانت دهشتهما شديدة عندما وجدا جمهور المتفرجين يضجون بالضحك ، وصوت ضحكاتهم يدوى في القاعة كلها !

ووقف دى ميل وصديقه برهة يرقبان الفيلم الذى توقعا له الفشل ! فاذا بهما يضجان بالضحك ، وكأنهما يشاهدانه لأول مرة !

والتفت دى ميل الى صديقه وقال : الآن فقط آمنت بأن الضحك عدوى» .

ولهذا حرص مخرجو التلفزيون دائما على ان يسمعونا صوت الضحكات التى تصاحب كل تمثيلية كوميدية ، تعرض على شاشة التلفزيون الصغيرة في البيت!»

العربى :

ليس الضحك وحده هو الذى ينتقل بالعدوى ، فالعرب يقولون :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد

وقالوا أيضا :

بال حمار فاستبال احمر .

وهذه الامثلة على ما قد يكون فيها من فكاهة فهى تعبر عن حقائق واقعية لا سبق فيها .

زوجة المليونير !

● يروى عن جون روكفلر المليونير الامريكي الذى بدأ حياته عاملا بسيطا ثم اصبح اغنى رجل فى العالم ، انه كان يخصص سائقا معينا يقود له سيارته الخاصة التى يستخدمها فى تنقلاته هو وزوجته بعد أن تقدمت بهما السن قبل وفاته مباشرة فى عام ١٩٣٧ .

وفى احد الايام أوصله السائق الى النادي الذى تعود ان يقضي فيه سهراته بمدينة كليفلاند الامريكية ، فاخرج روكفلر نصف دولار واعطاه للسائق « بقشيشا » .

ونظر سائق السيارة الى القطعة الفضية ، وقال : « اريد ان اعرف ياسيدى لماذا تصُر دائما على ان تمنحني نصف دولار فقط بينما مسز روكفلر تغدق عليَّ العطاء ، وما من مرة اوصلتها بسيارتي ، الا ونفحتني ورقة مالية من فئة الخمسة دولارات !

ورد روكفلر قائلا : « الفرق واضح بين مسز روكفلر وبيني ياعزيزى ، فهي كما تعلم زوجة رجل مليونير ، اما انا فزوج لامرأة مسرفة متلافة ! »

الحب في لوحة فان جوخ !

● بين اللوحات الرائعة التي رسمها الفنان العالمي الهولندي فنسنت فان جوخ Vincent Van Gogh لوحة اسماها « الحب » ، وفي اللوحة مصباحان متشابهان تماما ، أحدهما مطفأ وهو بعيد منزو في ركن من اللوحة ، والثاني مشتعل يملأ اللوحة بضيائه !

سألوه : « أين الحب الذي عنيته بهذه اللوحة ؟ »

فقال جوخ : « في المصباح المشتعل بطبيعة الحال . انه المصباح المطفأ ، ولكن امتدت اليه تلك اليد الحنون فاشعلت ذبالته ، فاقترب منه الناس ليستضيئوا بضوئه بعد أن كان كما مهملا لا يهتم به احد أو يشعر بوجوده . وهكذا القلب. انه لا ينبض بالحياة الا اذا عرف الحب ! »

قالــوا ..

* لقد كان لي رغبة خفية ما زالت تتملكني وتعاودني من حين لآخر ، وهي ان امتلك فندقا في الريف ، اشرف بنفسي على ادارته .

« ادوارد هيث »

زعيم حزب المحافظين البريطاني

* لم يحدث ابدا ان جاء وقت نام فيه كل سكان العالم ، لا بسبب اختلاف التوقيت ، ولكن لان غريزة الشر تسيطر على قسم كبير من اهل الارض ، فعندما ينام ثلث سكان العالم نجد الثلثين الباقيين يدبران المكائد لهم في الظلام .

« دين راسك »

وزير خارجية امريكا

تولستوى .. والطفولة

● يصدر قريبا كتاب جديد يحوي مذكرات الكاتب الروسي الشهير ليو تولستوى Leo Tolstoy ، وقد جاء في جزء منها ان تولستوى استوحى قصة الطفولة Childhood من حادث صغير وقع في قريته التي تسمى ياسنايا بوليانا Yasnaya Polyana . فقد شاهد يوما صبيا صغيرا ينهال ضربا على ابن احد عمال المزرعة التي يمتلكها والد تولستوى ، ويقول له : « كيف تجرؤ على أن تمد يدك القذرة الى كرتي وتلعب بها ؟ » .



وعاد تولستوى الى بيته ، وأمسك بقلمه ليكتب قصته : « الطفولة » . التي كانت اول أعماله الادبية ، وهو شاب لم يناهز بعد عامه الرابع والعشرين ... كتب يقول : « ما اقسى طبيعة البشر .. لقد كانا طفلين أحدهما اعطته الحياة كل شيء .. والثاني حرمته الحياة من كل شيء .. ولقد كانت هذه هي جريمته الوحيدة ومن أجلها استحق العقاب .. »

وفي صباح اليوم التالي كان تولستوى يقف بجوار الصبي المحروم ، ويلعب معه بكرة جديدة اشتراها له !

ابنك .. كيف تحميه من :

شلل الأطفال

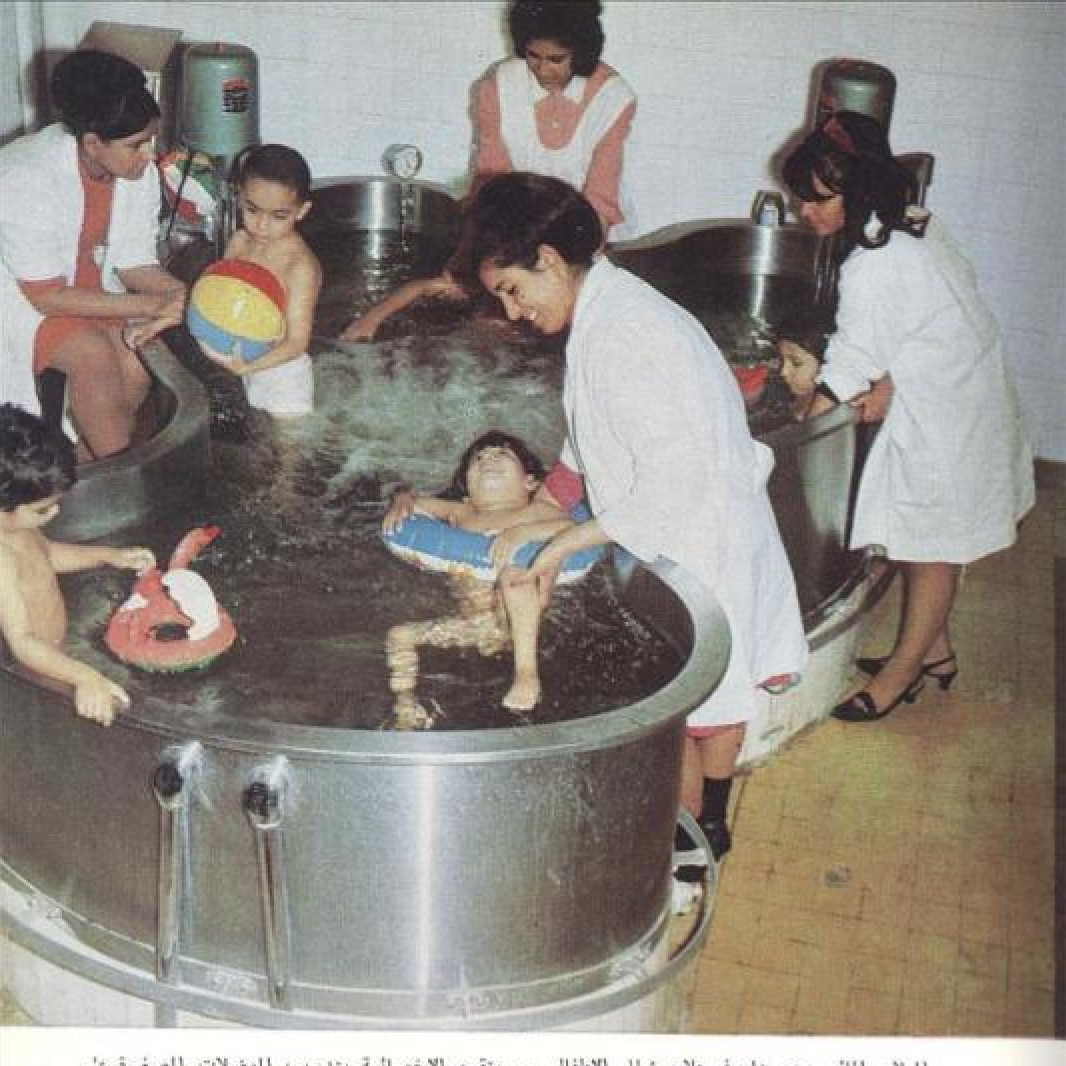
● أطفال من عشرة أقطار عربية يعالجون بالكويت

عملية تنشيط بالكهرباء للعضلات التي أصيبت بالشلل حتى لا يصيبها الضمور .. ونرى الآنسة الغديري أمام هذا الجهاز .



في حالات الشلل الشديد يحفظ الطفل المريض في جبائر خاصة لمنع حدوث التشويهات ومساعدته على الوقوف بأجهزة خاصة .





العلاج المائي جزء هام في علاج شلل الاطفال .. وتقوم الاخصائية بتدريب العضلات الصغيرة على الحركة في الماء الذى تبلغ درجة حرارته ١٠٢ ف فالماء الدافىء الى جانب كونه يسهل الحركة فانه أيضا ينشط الدورة الدموية ويزيل الآلام .

- خمس فتيات كويتيات يكرسن جهودهن لعلاج ضحايا الشلل .

- أنت وحدك تستطيع إنقاذ ابنك من براثن هذا المرض .



■ ما يكاد اسم هذا المرض اللعين يطرق آذاننا حتى نشعر بالأسى ، وتنفيض قلوب الامهات والآباء ، وهم يرون فلذات اكبادهم مشلولة عاجزة عن الحركة ، فاقدة لنشاطها وحيويتها ، وحتى مستقبلها !

وشلل الاطفال Polimelitis لفظ يدل على فقدان المريض للقدرة على تحريك جزء من جسمه ، وغالبا ما يصيب الاطفال فى سن مبكرة جدا .. ولكنه قد يصيب الرجال كذلك ، كما حدث مع فرانكلين روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الذى أصيب بشلل الاطفال وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ! ولكن هذه الحالة وامثالها نادرة الحصول ..

لماذا ..؟!

واذا نظرت الى عيون اى طفل مصاب بهذا المرض لوجدت تساؤلا ينطوى على صرخة مكتومة : « لماذا ؟ ! نعم لماذا لا أستطيع السير أو الوقوف دون هذا العكاز ؟ ! لماذا لا استطيع التحرك والجرى ؟ ؟ لماذا .. لماذا ؟ !

الدكتورة زينب البندارى رئيسة قسم العلاج الطبيعى والتأهيل بين المرضى



الآنسة منيرة القطامى رئيسة المعالجات ، تستقبل طفلة أخرى كانت ضحية مرض شلل الاطفال ، وقد سارع والدها باحضارها للعلاج .

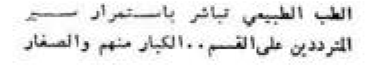
وتحتار فى الرد عليه ، هل تعترف له بالحقيقة ؟ .. هل تقول له أن محبيه هم السبب المباشر فى اصابته ؟.. هل تقول له انهم لو اعطوه ثلاث نقط فقط من طعم « سابين » ، لما أصيب بالشلل ؟ !

.. ثلاث نقط من طعم سابين ، توضع على قطعة سكر ، او فى قليل من الحليب ، وتعطى للطفل ثلاث مرات ، بين كل جرعة والثانية شهر من الزمان ، كفيلة بتحصين الطفل تماما من هذا المرض اللعين !

امصال للوقاية

وظهر هذا المرض فى جميع انحاء العالم سواء المتمدن او المتاخر منه ، وفى عام ١٩٥٠ بلغ عدد المصابين به ٣٣٣٤٤ مريضا .. وبحثوا عن




الطب الطبيعي تباشر باستمرار سير المترددين على القسم .. الكبار منهم والصغار



والقسم مزود بعدد كاف من أحدث الاجهزة اللازمة لعلاج وتأهيل المرضى . الى جانب عدد من المتخصصات ، وترى في الصورة واحدة منهن ، وهى المس فرو

الامصال للتغلب على هذا المرض ، فلم يجدوا شيئا الا الابتعاد عن المريض ، حتى كان عام ١٩٥٥ عندما اكتشف « سالك » مصله المشهور ، الذى كان يعطى للاطفال بحقنهم مرتين .. ولكن في عام ١٩٦٢ اكتشف مصل جديد يعطى بالفم هو « طعم سابين » .

الكويت تحارب المرض

وسارعت الكويت بجلب كمية هائلة من طعم سابين في عام ١٩٦٣ ، وجعلت التطعيم به متيسرا لكل من يتراوح عمره بين ثلاثة شهور و ٢٠ سنة ، وهى الفترة التى يكون فيها الجسم مستعدا لتقبل الميكروب ..

ولم تكتف وزارة الصحة الكويتية بجلب الطعم والدعاية له ، بل جندت أجهزتها كلها ووضعتها تحت تصرف قسم الصحة المدرسية ، لتطعيم ١٥ الف من الطلبة والطالبات والتلاميذ والتلميذات كل يوم ، وامتدت الحملة الى مراكز رعاية الطفولة والامومة ، فاعطى الطعم لكل طفل بلغ ثلاثة أشهر من عمره .. وفى خلال عشرة أيام بلغ عدد الذين تحصنوا بهذا الطعم نحو ربع مليون شخص !

وظهرت النتائج سريعة ، واطمأن الاهالى على اطفالهم الذين تحصنوا من هذا المرض اللعين ، الذى لايمكن ان يصيب اى طفل تناول المصل .

اما الذين اصيبوا بشلل الاطفال قبل ظهور طعم سابين فقد أنشيء لهم قسم خاص في مستشفى الصباح ضمن قسم العلاج الطبيعي الذى يتولى العناية بالمريض وعلاجه ليقلل من قيمة العجز الذى

تحتاج بعض حالات المرض الشديدة الى استعمال الاجهزة الطبية المساعدة لتمكين الطفل من المشي .. وهذه الآنسة مريم الجبيلي تدرب أحد الاطفال على المشي بين المتوازيين تمهيدا للخطوة التالية وهي الاعتماد على النفس في السير .. ووجود مرآة أمام الطفل اثناء التدريب تساعد على سرعة استعادة الثقة في قدرته ..



الى اليسار : طفلة قد تم علاجها وأصبحت تسير مستعملة جهازا طبيا ، بعد ان كانت لا تستطيع السير كليه .. وترى بجانبها الدكتورة آمال أبو النجا بعد أن فحصتها الفحص الاخير ، قبل خروجها من المستشفى

قد يتخلف بعد مرض او اصابة .

والشلل بين الاطفال ناتج عن سببين مختلفين كلية ، فشلل الاطفال العادى ناتج عن ميكروب او فيروس الشلل يتسرب الى جسم الطفل عن طريق طعام ملوث ، اى ان الطفل يكون سليما تماما ثم تنتقل اليه العدوى فتظهر عليه عادة اعراض أولية خفيفة ، تتراوح بين الصداع الخفيف ، والحمى ، والتهاب في الحلق ، والدوار ، والقيء ، والاسهال والقلق ، والميل الى النوم .. وترتفع درجة الحرارة ببطء حيث تصل الى قمتها في خلال يومين او ثلاثة ، ثم تهبط بعد ذلك بسرعة .. لحسن الحظ فانه اكثر من ثلثى الاطفال المرضى الذين تظهر عليهم هذه الاعراض الخفيفة يتماثلون للشفاء ولا تظهر عليهم اية اعراض لضمور عضلاتهم .

اما في حالة اذا كان المرض شديدا فتظهر على الطفل الام في ظهره وفي سيقانه ويحدث ارتخاء في العضلات وتصلب في الرقبة .. وهذا هو دليل وصول « الفيروس » الى العضلات وبداية حدوث الشلل ..

اما النوع الآخر من الشلل الذى يصيب الاطفال ، غير ناتج عن الاصابة باى ميكروب ، اى انه غير معدر ، لانه ينتج عن خلل في المخ والجهاز العصبي ، وهذا الخلل قد يكون الطفل مولودا به ، على الرغم من عدم ظهور اعراضه في الشهور الاولى من العمر ، ثم يظهر تاخره في اكتساب الحركات الطبيعية للطفل الصحيح . وقد يكون الخلل في المخ او الاعصاب نتيجة اصابة بحادث او في اعقاب حمى شديدة ..

وهناك اسباب اخرى للشلل ، ولكنها نادرة الحدوث في الكويت .

ومن دلائل الوعى الصحى في الكويت أن بعض الآنسات من كرائم العائلات تبذّلن حياة الترف وكرسن انفسهن للعمل بقسم العلاج الطبيعي بمستشفى الصباح ، حيث يتاح لهن العناية بهؤلاء الاطفال الذين يصابون بالشلل ، الى جانب العناية بالمترددات على القسم .

وهؤلاء الآنسات الاخصائيات حصلن على شهادة معهد التمريض في الكويت ، ثم سافرن الى ج.ع.م حيث اكملن تدريبهن بقسم العلاج الطبيعي ، في كلية الطب بجامعة الاسكندرية ، وحصلن على شهادة اخصائيات في العلاج الطبيعي ..

وهؤلاء الاخصائيات يعملن الى جانب أربعة طبيبات واطباء متخصصين في علاج الشلل ..

طرق الوقاية

وهنا ترتفع مجموعة اسئلة : هل ثمة امل في علاج شلل الاطفال ؟ وما هي وسيلة الوقاية من عدواه ؟

سؤالان وجهناهما الى الدكتورة زينب البندارى الطبيبة التى قضت ٨ سنوات تعمل في معالجة آثار هذا المرض في مستشفيات لندن والكويت ، حتى اصبحت اليوم رئيسة لقسم العلاج الطبيعي في مستشفى الصباح حيث تقوم بالاشراف على ٦٠٠



طفلة داخل حمام حرارى تمهيدا لاعطائها التمرينات العلاجية .. وهذا « الحمام » يساعد على تنشيط الدورة الدموية وازالة الآلام .. وهذه الآنسة شيخة الغربللى تكتسب ثقة الطفلة بالمداعبة والصبر معها حتى تتمكن من اعطائها العلاج اللازم



اطفال تم علاجهم وتأهيلهم صحيا بقسم الطب الطبيعى فحولوا للدراسة بمعهد الشلل التابع لوزارة التربية .. والمعهد مزود بجميع التسهيلات للمساعدة فى تنشئتهم .

طفل مريض جاءوا من المملكة السعودية والعراق وامارات ساحل الخليج للعلاج فى الكويت ، وهؤلاء بالاضافة الى الاطفال المصابين بهذا المرض فى الكويت نفسها .

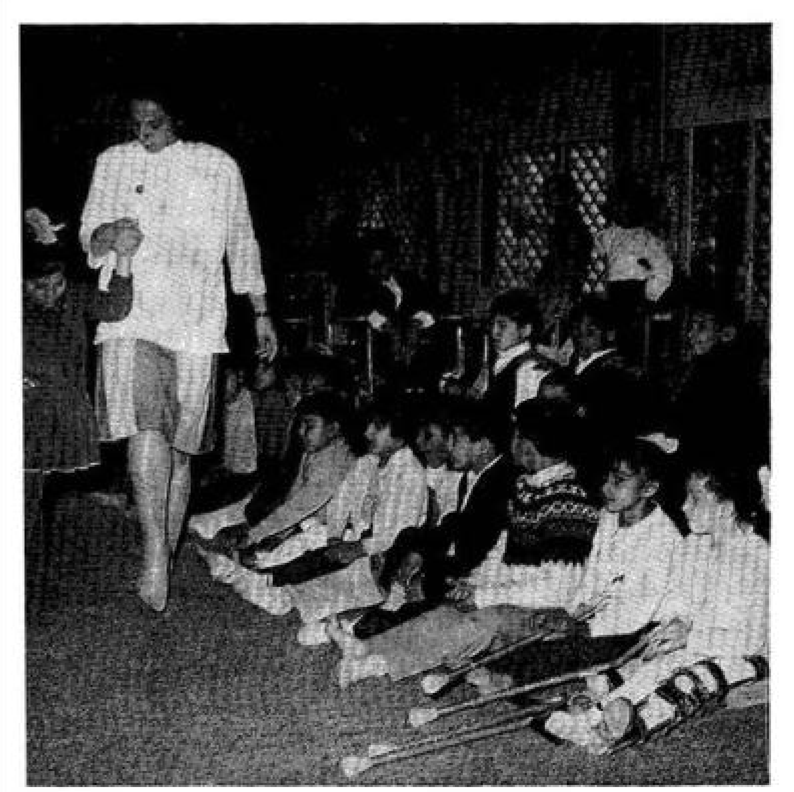
وقد اجابت الدكتورة زينب البندارى على اسئلتنا بقولها : « من الاسف انه ما زالت تأتينا اصابات كثيرة بمرض شلل الاطفال ، وكلها بين اطفال لم يحصنوا او يطعموا ضد المرض ، ولو حرصت كل أم على تطعيم طفلها ضد هذا المرض لقضينا عليه ، وهذا ما حدث فى كثير من البلاد الاوروبية ، حيث تم القضاء عليه نهائيا ، لان جميع الاطفال يحصنون ضده .

« والى جانب التطعيم يجب الاهتمام بالنظافة، فالاصابة غالبا ما تكون عن طريق تعاطى طعام ملوث بالميكروبات ولذا يجب الحرص الشديد على نظافة طعام الاطفال ، وعدم تعريضه للذباب الذى يلعب دورا كبيرا فى نقل عدوى هذا المرض .

« اما أسباب الشلل الاخرى من نقص فى الجهاز العصبى او امراض الاوعية الدموية ، أو الحمى الشديدة، فليس هناك وسيلة للوقاية التامة منها، ولكن يمكن الاقلال من حدوثها اذا اهتمت الأم بصحتها أثناء الحمل ، لأن هذا يؤثر فى النمو الطبيعى لأنسجة الطفل المختلفة .

خطوات العلاج

وتنتقل الدكتورة زينب الى الحديث عن خطوات العلاج اللازمة عندما يصاب الطفل بمرض شلل الأطفال فتقول : « غنى عن القول انه اذا مرض الطفل فيجب عرضه فى الحال على الطبيب، فاذا ظهر انه مصاب بشلل الاطفال فان الطبيب يحوله الى مستشفى الحميات ، ومن مصلحة الطفل وجميع افراد المنزل ان يعزل الطفل فى المستشفى خلال الأسابيع الأولى من مرضه ، لانه فى هذه الفترة بالذات يكون المرض متعديا ، ويكون انتقال المرض الى من يخالط المريض سهلا اذا لم تتوفر النظافة التامة والطرق الصحية فى التخلص من افرازات



تستمر الرعاية الصحية للاطفال أثناء الدراسة ، ولذا زود المعهد بقسم للعلاج الطبيعى يتردد عليه الاطفال بين فترات الدراسة لحفظ لياقتهم البدنية .. وهذه « ماما ايفا » تدرب طفلة على المشي بطريقة صحيحة .

المريض .. واهم نقطة في علاج المرض في اسابيعه الأولى هى الراحة التامة في اوضاع صحيحة للجسم، ويجب تطعيم جميع الذين يخالطون الطفل المريض.

وتستطرد الدكتورة زينب فتقول : « وبعد انقضاء الاسابيع الاولى يصبح المرض غير معد ، فنبدأ بعلاجه في قسم العلاج الطبيعى بمستشفى الصباح .. وينحصر العلاج في اجراء التدليك وتمرينات لمنع حدوث اى تشوهات قد تنتج من اهمال العضلات المصابة .. الى جانب تنشيط كهربائى ، وعلاج مائى لبعض العضلات..

« وبعض الحالات تحتاج الى أن يظل الطفل المصاب في وضع خاص طول الليل والنهار ، لهذا نضعه داخل جبائر من الجبس حتى لا يتحرك .

« وعلاج شلل الاطفال يستغرق وقتا طويلا قد يمتد الى سنوات عديدة في بعض الاحيان ، قبل ان توصف للطفل اجهزة خاصة تساعده على الحركة والمشي .. واحيانا ننصح باجراء عملية جراحية حسب نوع الحالة التى تصيبه ..

احتمالات الشفاء

« واحتمالات الشفاء النهائى ممكنة ، اذا أعطى الطفل علاجا مبكرا .. أما الاصابات الشديدة فلم يتمكن الطب بعد من شفائها نهائيا ، ولكن علاجها ضرورى ، لأنه كما ذكرنا يمنع حدوث مضاعفات تؤدى الى عجز كامل للطفل اذا لم ينل العلاج الذى يخفف من شدة الاصابة ويمنع المضاعفات ، ويؤهل الطفل للحياة بالرغم من وجود بعض الضعف أو الشلل .

« ومع الرعاية الدائمة ، وبعد أن يستكمل الاطفال المرضى علاجهم بقسم الطب الطبيعى ، ينقلون الى معهد شلل الأطفال التابع لوزارة التربية والتعليم حيث تكمل مباشرتهم وعلاجهم ، الى جانب تعليمهم ، وتدريبهم على أعمال تتناسب مع عجزهم البدنى ، وبذلك يستكملون تاهيلهم مهنيا ، بعد ان يكونوا قد اكملوا تاهيلهم الصحى.

■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

نستانس حيوان الارض فلم لا نستانس حيوان البحر ؟!

● في عام ١٩٦٥ قامت جماعة من العلماء ، من ملاحى الاعماق Aquanauts بتجربة العمل تحت سطح البحر ١٥ يوما ، على عمق ٦٢ مترا ، في مسكن اسموه Sealab 11 .

وفي هذه الفترة استخدموا حيوانا من تلك الحيوانات المعروفة بخنازير البحرية في العثور على من يضل من ملاحى الاعماق في البحار ، وانقاذهم ، وكذلك في توصيل العدد، والرسائل، وغير ذلك من الاشياء.

ومنذ هذه التجربة ، استمر هذا الخنزير البحرى وغيره من خنازير البحار في القيام بهذه الاعمال تحت رقابة علماء في البحرية .

والغرض من ذلك هو محاولة الكشف عن نوع سلوك هذه الاحياء الذكية، وهى

النساء والدكتوراه

● قامت الاكاديمية القومية للعلوم، في امريكا باحصاء دل على أن النساء يعزفن عن العمل في الحصول على الدكتوراه . وذلك رغم الجهود التى بذلت بعد الحرب العالمية الثانية لتشجيعهن على مواصلة الدرس، لا سيما في العلوم الطبيعية ، لايجاد عدد اكبر منهن يهتم بالوصول الى هذه المستويات.

فقد دل الاحصاء على أن نسبة النساء التى نالت الدكتوراه بين مجموع ما نالها، هى هى لم تتغير هذا العام عما كانت في عام ١٩٦٠ .

كانت النسبة عام ١٩٦٠ هى ١١ في المائة .

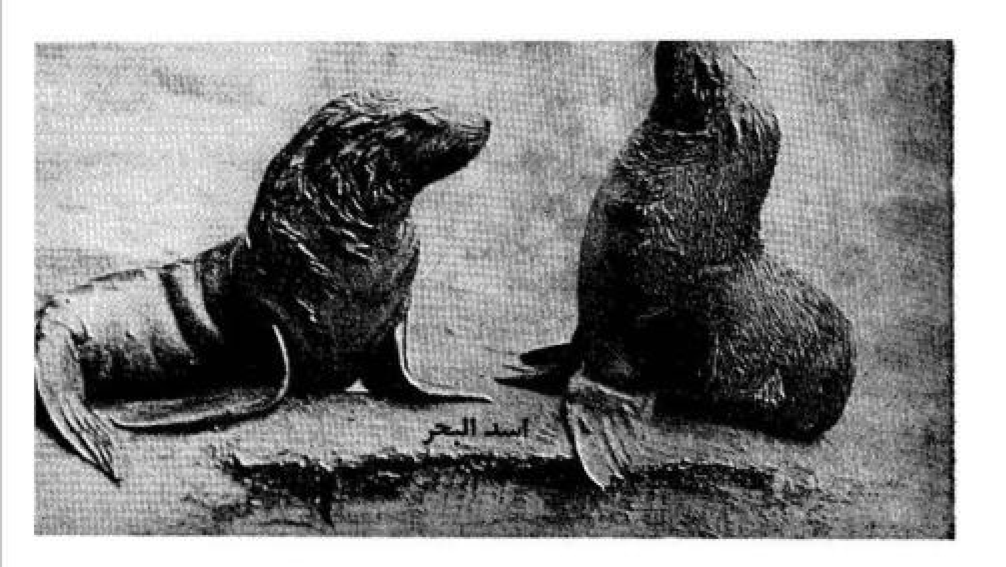
وكانت النسبة عام ١٩٥٠ هي ٩ فى المائة .

وكانت في عام ١٩٢٠ هي ١ في المائة .

فهى في هبوط .

على أن النساء تتجه أكثر اليوم الى الحصول على بكالوريوس الآداب B. A. فقد بلغ ما نلنه العام الفائت منها ٤٠ في المائة من كل ما حصل عليه الحاصلون . وما تزال النسبة في ارتفاع .



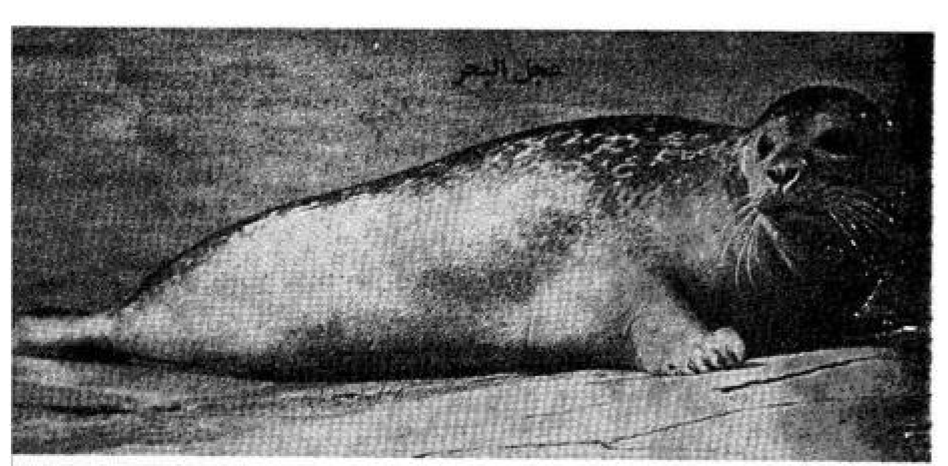


من الحيوانات الثديية ، ومقدار احتمالها الجثماني للعمل عامة ، ثم تدريبها على القيام بواجبات في البحر تساعد العاملين فيـه .

ومن الامثلة التي وقعت أن الخنزير الاول ، واسموه توفي ، نزل في البحر بطقمه الذي هو كطقم الفرس ، الى عمق ١٦٧ مترا ، وعاد الى سطح الماء ، وذلك في نحو دقيقتين وخمس واربعين ثانية .

ومن الحيوانات البحرية الاخرى التي دربّت ، واستجابت للتدريب ، أسـد بحر Sea Lion وعجل بحر من النـوع المعروف بالفيلي ، اما أسد البحر فقـد امكنه ان يغطس الى عمـق ٧٣ مترا ، والمظنون انه يستطيع ان يغطس الى أعمق من ذلك . واما عجل البحر فاستطاع ان يبقى في بطن الماء ٤٥ دقيقة !

نحن في الارض نستخدم حيواناتها ، من كلاب الى قردة ، الى صقور للذى فيها من ذكاء . فلم لا نستخدم حيوانات البحار .



جرينتش
مرد حساب الوقت حول
الارض

● ذات مرة أعلن علماء الفلك أن القمر سيخسف ، وان خسوفه سيبدأ في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بوقت جرينتش .

والواقع ان كل حدث عالمي خطير ، له وقت يبدأ فيه أو ينتهي ، لا بد ان يذكر ذاكروه متى يبدأ حسب ساعة يحملها رجل من سكان بلدة جرينتش بانجلترا Greenwitch ، لا حسب ساعة يحملها زيد في تونس او يحملها عبيد في بنغازى بليبيا، او ثالث في الاسكندرية، أو غير ذلك من مدن الدنيا جميعا . ان هذه المدن على خطوط مختلفة من الارض ، وفرق درجة واحدة في خطوط الطول بين موضعين معناه فرق ٤ دقائق في الزمن بينهما . فرق ٤ دقائق في طلوع الشمس في كليهما ، وفي غروبها ، وفي كل ساعة يقرأها قارىء في النهار أو الليل بينهما .

والجغرافيون ، عندما ابتدعوا خطوط الطول هذه ليحددوا مكان المدن وغير المدن على الارض ، وجب ان يأخذوا بترقيمها حتى تحمل الخطوط اعدادا تدل عليها. وعندما بدأوا برسم الخرائط رقمت كل أمة بالصفر خطا لطول ذلك الذى يمر بمرصدها الفلكي ، وجعلت رقمه صفرا . ومنه أخذت ترقم سائر خطوط الطول حول كرة الارض . فالولايات المتحدة اتخذت الخط الذى يمر بمرصدها الحربى بواسنجطن اصلا، ترد اليه سائر الارض ، واعطته رقم الصفر . والفرنسيون اتخذوا مرصد باريس ، والانجليز اتخذوا المرصد الملكي ببلدة جرينتش . ولكن عندما تفوقت انجلترا في ركوب البحار ورفعت رايتها عالية في البحار السبعة ، وحذقت فن الملاحة والتخريط ارتفع مكان مرصد جرينتش فوق ما ارتفعت سائر المراصد، واذعن الناس فاتخذوا من خط الطول الذى يمر بهذه البلدة مردا يحسبون منه مواقع سائر الارض .

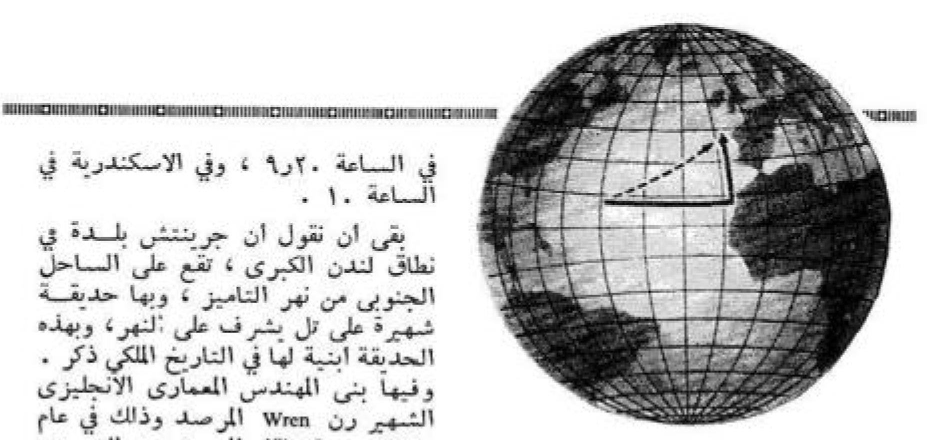
والذى صح لحساب المكان صح لحساب الزمان . فعندما يراد تحديد وقت ما يهم اهل الارض ، ولا يدرون أى ساعة يتخذون ، وقد اختلفت الساعات جميعا ، اتخذ اصحاب هذه الشئون الوقت في جرينتش ، اى عند ذلك الصفر من خطوط الطول ، وقتا يعلنونه . وعلى سائر اهل الارض أن يحسب كم يناظر

قرص الذاكـرة

● شاع في الايام الاخيرة وجود عقاقير كيماوية تنفع في أحياء الذاكرة المتضاعفة وتنشيطها .

ومن هذه العقاقير بيمولين المغنسيوم Magnesium Pemoline.

وقد قام بحاث مختصون في العقاقير النفسانية بجامعة انديانا ببحث الامر فخرجوا على ان هذا العقار تنشيطه للجهاز العصبي أحق بالقول من تنشيطه الذاكرة .



لتعيين اى موضع على سطح الارض ، وجب ان يكون هناك خطوط طول وخطوط عرض ، تنسب اليها هذه المواقع . اما خطوط العرض فقد سهلها وجود القطبين ، ودائرة خط الاستواء . وسموه هذا الخط بالصفر ومنه بدأوا الترقيم . وجاءوا الى خطوط الطول فجعلوا الخط القاطع لجريننش هو خط الصفر (لأسباب تجدها في النص) ، ومنه اعطوا خطوط الطول ارقاما ، شرقا وغربا .

هذا الوقت الوقت الذى تدل عليه ساعاتهم كانوا عند ذاك في ليل أو نهار .

فاذا قيل ان القمر يخسف ليلة كذا ، في الساعة الثامنة تماما ، كان معنى هذا أنه سيخسف في تونس في الساعة ٨٫٤٠ (تونس على خط طول ١٠) وفي بنغازي في الساعة ٩٫٢٠ ، وفي الاسكندرية في الساعة ١٠ .

بقى ان تقول أن جريننش بلدة في نطاق لندن الكبرى ، تقع على الساحل الجنوبى من نهر التاميز ، وبها حديقة شهيرة على تل يشرف على النهر ، وبهذه الحديقة ابنية لها في التاريخ الملكي ذكر . وفيها بنى المهندس المعمارى الانجليزى الشهير رن Wren المرصد وذلك في عام ١٦٧٥ . وقد نقل المرصد بعد الحرب العالمية الثانية الى مقاطعة سسكس Sussex بعيدا عن دخان لندن وضيائها في الليل . ومع هذا ، فزائر البلدة اليوم لا يزال يرى فيها الساعة الكبيرة التى يقرأ عليها وقت جريننش العالمى ، وكذلك يرى « خط الطول » (الصفر) الذى اليه يرد تخطيط الارض مرسوما هناك على الارض .

بقى الخبر الذى اوردنا كل هذا الحديث من اجله .

ذلك ان الانجليز ارادوا من سنوات ان ينتفعوا في الصيف بنور الشمس عندما تبكر في الشروق ، فقدموا ساعاتهم ساعة زمان . فالساعة السادسة صباحا جعلوها في ساعاتهم تقرأ الساعة السابعة . والسابعة تقرأ الثامنة . وهلم جرا . وسموا هذا بالزمن الصيفى . ذلك انهم كانوا يردون الساعات الى اصلها عند انتهاء الصيف .

ولكن بدا لهم ان يستمر الزمن الصيفى في كل فصول العام الاربعة . وقدموا ساعاتهم ساعة زمان منذ منتصف ليلة ١٧ فبراير عام ١٩٦٨ . وبذلك صارت هي وساعات الجانب الغربى من اوروبا القريب من انجلترا شيئا واحدا . وفي هذا نفع عملى .

ولكن بقى وقت جريننش العالمى هو هو ، ترد اليه اوقات أهل الارض جميعا .

لا ينفع الذاكرة شيئا

ان البيمولين بشروا به تبشيرا واسعا بحسبانه عقارا يحسن الذاكرة ، ومنذ ذلك الحين ، اى منذ سنين ، وهذا المركب هدف لأبحاث عدة . والنتائج التى خرج عليها الباحثون لم تقنع الشكاكين بأن لهذا المركب عملا اكثر من انه يجعل متعاطيه احذق في عمله وانشط .

وهو من حيث التنشيط يعمل عمل العقار الامفيتامين Amphetamine .

جبال في البحار ولكنها مغمورة

● الانسان يتصور البحر ماء ، وله عمق ، وفي الأعماق ، الارض منبسطة . وليس أبعد عن الصواب من مثل هذه الصورة التى يتصورها البسطاء من الأطفال وبعض الرجال .

ان الأرض ، كما بها النجاد والوهاد ، وكما بها الجبال والوديان ، فكذلك في البحار والمحيطات ، ولكن غمرها البحر غمرا .

ولقد كشفوا قريبا عن جبلين في البحار عظيمين ، يبعدان عن جزيرة هاواى Hawaii بالمحيط الهادى في الجنوب الغربى منها بمقدار ٢٠٠٠ كيلومتر . ففى هذا القاع المستوى الذى هناك يقوم جبلان ، أحدهما يرتفع ٤٢٥٠ مترا فوق قاع المحيط ، وله قمة مفرطحة عرضها ٦٠ كيلومترا . يغمرها عمق من الماء مقداره ١٤٥٠ مترا ، والثانى يرتفع ٣٧٢٠ مترا فوق قاع المحيط ، وله قمة مفرطحة عرضها ٥٠ كيلو مترا . ●●

عقار جديد بدل المرفين لقتل الآلام

● اذنت ادارة الاغذية والعقاقير في الولايات المتحدة ببيع عقار جديد ذاهب بالآلام ، لا يخلف في مستعمله عادة الادمان ، عُرف عنه انه من حيث القدرة كالمرفين ذهابا بالأوجاع . وهذه أول مرة يؤذن فيها بهذا الوصف يطلق على عقار من حيث هذه القدرة .

اما اسم العقار فهو طلوين Talwin ، واسمه الكيماوى Pentazocine . والكيماويون خلقوه منذ ٩ سنوات . وهو ظل طوال هذه المدة تحت التجربة في المستشفيات ، جرّبوه في نحو من ١٢٠٠٠ مريض في الولايات .

وهذا العقار ، لا يأذن بشرائه غير طبيب، ويمكن استخدامه بدل المرفين في بعض الحالات لتخفيف الالم في السرطان ، والولادة والروماتزم المفصلى، والجراحة. أو هكذا يقول صانعوه وهم Winthrop Laboratories.

وللعقار آثار جانبيةمحتملة منها التموع والدوخة وحتى القيء .

وفى عام ١٩٦٦ اقترحت هيئة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة على ادارة الاغذية والعقاقير بالولايات المتحدة ان لا تضع هذا العقار الجديد في قائمة المخدرات حتى لا يعوق ذلك استعماله .



- القَبَلِيَّة تُفرِّق بَيْنَ الشَّعبِ الوَاحِد.. والإسلام يجمع شملهم.
- القَبَلِيَّة تئد الأطفال .. والإسلام يحميهم.
- القَبَلِيَّة تجعل من الزواج صفقة.. والإسلام يرعى حقوق المرأة.
- القَبَلِيَّة تبيح الترخص الجنسي .. والإسلام يأمر بالعفة.

رسالة الإسلام في افريقيا

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت

■ من الحديث المعاد أن الاسلام يجد في افريقية ارضا خصبة . وقد اعترف بهذه الحقيقة رجال الغرب الذين اتصلوا بالافريقيين سواء عن طريق التبشير ام الوظيفة أم الدراسة . ولكنهم اختلفوا في تقييم الآثار المترتبة عليه ، وبالتالي في تحديد موقفهم منه . فرحبت به قلة منهم لأنها رات فيه سبيلا لارتقاء القبائل الافريقية سلم الحضارة والمدنية ، ووسيلة لتحقيق نوع من الوحدة والانسجام في معتقداتها وتقاليدها ييسر حكمها ويسهل ادارة شئونها . اما غالبيتهم فكانت تنظر وما زالت الى انتشار الاسلام في افريقية نظرة خوف مقترنة بغيظ وحنق . ولذلك راح هؤلاء يؤكدون أن ليس من مصلحة افريقية انتشار الاسلام بها . واخذوا يبثون في مؤلفاتهم عبارات الاتهام للاسلام والتهجم عليه وتجريح العرب والحملة عليهم .

والمجال هنا لا يتسع لتتبع كتابات هؤلاء الناقمين، ولا مفر من الاكتفاء بذكر بعض الامثلة وهي كافية للتدليل على ما يعتمل في افئدتهم من حق دفين وما تنطوي عليه حملتهم من تجن ظالم وكذب مفتوح .

فها هو احدهم ـ سوييه Sohier ـ وقد كان

يشغل منصب النائب العام في الكونجو البلجيكي (كونجو كينشاسا الآن) يقول في كتاب له بعنوان « مبادىء قانون الكونجو البجيكي » : « اذا بدت أخلاق الاهلين في كثير من الاحيان بربرية كأكل لحوم البشر ، والرق ، والابتلاءات ومحاربة السحرة ، والقرابين البشرية ، فان ذلك لم يكن دائما ولا في كل مكان . وكثير من هذه العادات كان مخالفا للقانون وجاء بخاصة تحت تأثير العرب » .. ويسوق المؤلف اتهامه في هذه العبارة الغامضة دون أن يحدد أى هذه العادات جاء عن طريق العرب ، ولا كيف جاءوا بها .

ويقول مؤلف آخر — ميراب « Merab » — في كتاب له عن النظم القانونية في الحبشة وفي صدد الكلام عن تعدد الزوجات لدى « الجلا » احد شعوب الحبشة — ان هذا الشعب الذى يعيش على الفطرة بعيد عن محاكاة تعدد الزوجات الذى لا ضابط له عند العرب وفي المدن الاسلامية في آسيا وافريقية .

ويقول ثالث — وسترمان « Westermann » — « كون الاسلام يمثل في افريقية شكلا حضاريا اكثر سموا يجعل من السهل ادراك لماذا يحظى بتقدير وتعاطف كثير من الاوربيين وفي بعض الاحيان يوصي به بوصفه أكثر الديانات ملاءمة للافريقي . واولئك الذين يتبنون هذا الرأى ينبغى لهم — مع ذلك — الا يتجاهلوا أن الاسلام يخفق في بعض الوجوه ، ومن المشكوك فيه انه بحضارته الارقى قد ادخل اخلاقا أكثر سموا » .

ويقول رابع — كنج « King » — في كتاب له عن « الطوارق او الملثمين » وفي معرض المقارنة بين المرأة العربية والمرأة الطوارقية ان « الفتاة العربية يبيعها أبوها في الواقع ، الى زوجها . وليس لها تقريبا اى دور في اختيار هذا الزوج. وبعد الزواج تكاد تقوم بكل العمل اليدوى الثقيل في الاسرة ، وهى تعامَل من قبَل زوجها — لا سيما في الطبقات الفقيرة — معاملة لا تختلف كثيرا معاملة الحيوان الاليف ، بل انها في بعض الاحيان تشدُّ الى المحراث ! اما لدى الطوارق فلا نسمع على الاطلاق عن وضع مشابه ، لان لصوص الصحراء هؤلاء يعاملون زوجاتهم باحترام مماثل تقريبا لما يلقاه الزوجات من احترام في معظم البلاد الاوروبية المتمدنة » .

ومن الواضح أن هذه الاقوال لا تخرج عن كونها مجرد افتراءات لا نصيب لها من الصحة

وقد عن لي أن أستعرض في هذا المقال بعضا من الجوانب المشرقة للاسلام في افريقية مما يدحض أقوال هؤلاء الناقمين ويكشف عن زيفها . وسأقصر حديثي على الموضوعات التالية: العصبية القبلية، وأد الاطفال ، ملاحقة السحرة ، شرب الخمر ، الترخص الجنسي ، تعدد الزوجات ، وضع المرأة.

العصبية القبَلية

كان النظام القبَلى وما يزال الطابع المميز للحياة الاجتماعية في افريقية وفي ظل هذا النظام يكون ولاء المرء لقبيلته ولا ولاء عنده لغيرها . ويسود بين أفراد كل قبيلة شعور الاعتزاز بالانتماء اليها والاعتقاد في أن بنى قبيلتهم اشرف الناس واكرمهم واجدرهم بالحياة . ويحكم العلاقات بين القبائل المختلفة الاحتقار والكراهية المتبادلان ، والنظام القبَلى يمثل مرحلة من مراحل تطوُّر المجتمعات البشرية . وهو في هذه المرحلة يبدو شكلا طبيعيا يحتوى حياة الانسان السياسية والاجتماعية . لكن عندما يدخل المجتمع مرحلة اكثر تطورا يصبح هذا النظام أذىً وعنصر اضطراب . ويبدو عندئذ التخلص منه أمرا ليس مرغوبا فيه فحسب ، وانما أيضا لا غنى عنه . وفي ظل ظروف الحياة الحديثة لم يعد هناك محل لبقاء النظام القبَلى في افريقية ، كما حدث بالفعل في دول مستقلة يتكوّن كل منها من عدد قلّ أو كثُر من القبائل . وبقاء النظام القبَلى حيا من شأنه أن يهدد كيان هذه الدول ويدمر استقرارها . وترك القضاء على النظام القبَلى لعامل الزمن يستتبع الانتظار وقتا طويلا ، ولن يتحقق الا فوق آلاف الجثث وعبر أنهار الدماء . وهنا تظهر أهمية الاسلام بوصفه عاملا هاما من عوامل اضعاف العصبية القبَلية ، وبالتالى سببا هاما الى تحقيق التوافق والانسجام بين أعداد كبيرة من البشر مختلفة العروق والانساب . فاعتناق الاسلام وتغلغله يحرر الفرد من اطار القبيلة ويدمجه في مجتمع أوسع يضم أفراد قبيلته كما يضم أفراد غيرها من القبائل . والاسلام وان كان يعجل بتفكك النظام القبَلى الا أنه لا يترك الفرد القبَلى فريسة الشعور بالضياع ونهب التمزق النفسي ، وانما يمنحه بديلا لمجتمعه السابق مجتمعا أرحب تسوده أيضا قيَمُ المودة والاخاء والاخلاص والوفاء . والاسلام بادخاله الافريقى المسلم في المجتمع الاسلامى

لا يجعل منه عضوا من الدرجة الثانية بل يسوّى بينه وبين غيره من المسلمين أيّا كانت صورهم والوانهم ، وايّا كانت السنتهم وأوطانهم . وقد اقر بذلك مؤلفو الغرب انفسهم . فها هو احدهم ـ مورل «Morel» ـ يقول : « ان الاسلام يأخذ بيد الزنجي ، ويمنحه المساواة مع الناس جميعا . فمنذ اليوم الذى يعتنق الوثنى فيه الاسلام لا يقدر اى مسلم من الساميين أن يتمسك في مواجهته بسمو في الجنس . فالاسلام بالنسبة للزنجى سلّم نحو مفهوم اسمى للوجود ، حيث يلقى في صدره بالثقة في مصيره ويتشرب روحه ايمانا قويا بنفسه وجنسه » .

وأد الاطفال

تنتشر في المجتمعات القبلية عادة وأد الاطفال . وهم يلجأون الى وأدهم لعديد من الاسباب فقد يوأد الطفلان لأن القدر شاء ان يأتيا معا وقد يوأد احدهما ويُبْقَى على الآخر . وقد يوأد الطفل لأنه أطل على الدنيا بقدميه أولا بدلا من أن يطل عليها برأسه ، أو لأنه وُلِد بدون ذراع أو ساق ، او لأنه ولد واحَد كفيّه ينقص أو يزيد اصبعا . وقد يوأد لأن قواطعه العليا ظهرت قبل أن تظهر قواطعه السفلى على خلاف المعتاد . كل ذلك اعتقاد بأن الروح الذى أتى بالطفل روح شرير ، وانه نذير شؤم ، وأن من شأن الابقاء عليه أن يجلب على اهله المصائب والكوارث ، فيسارع القوم الى التخلص منه . قد تدفع امه أو احدى النساء اللاتى يرافقنها الى فمه بكرة من الطين او العجين ، او قد تكتم انفاسه ، حتى يلفظها ، او قد يُغْرَق في نهر او يُعلق الى فرع شجرة او يترك في حفرة طعاما للوحوش . ولا شك أن بعض حالات الوأد من الممكن تفسيرها بالرجوع الى الظروف الاقتصادية الشاقة التى تعيش في ظلها هذه القبائل والتى تتطلب أن يكون كل انسان قادرا على العمل والتى لا يقوى فيها المجتمع او لا يرغب في اعالة اناس زَمْنَى أو ضعاف .

ومن المعروف أن الاسلام أنكر على العرب زمن الجاهلية قتلهم اولادهم وشدّد في النكير . قال تعالى : « قد خَسِر الذين قتلوا اولادهم سَفَهًا بغير عِلْم » وقال تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خِطْئًا كبيرا » وركز القرآن الكريم على وأد الاناث : « واذا الموؤدة سُئِلت بأى ذنب قُتِلت » ، واذا بُشّر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسْودًّا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به ، أيُمْسِكه على هُون ام يَدُسّه في التراب ، الا ساءَ ما يحكمون » . واعتناق الافريقيين الاسلام يستتبع تخليهم عن هذه العادة اللاانسانية . وبالفعل قل أن نسمع لدى القبائل الافريقية التى اعتنقت الاسلام عن وأد الاطفال اذا استثنينا اولئك الذين يأتون نتيجة علاقة غير مشروعة . بل ان الخوف والكراهية التى ترتبط بالتوأم في القبائل الافريقية لا تقتصر عليهما وانما تمتد الى الام المسكينة ، ففى أكثر من قبيلة يُنْظَر الى الام التى تلد توأما نظرة تشاؤم وخوف ولذلك فانها تُطْرَد من القرية ! وقد روى لنا بعض الباحثين كيف أنه وجد في بعض جهات افريقية قرى تقع في الادغال لا يقطنها سوى النساء اللاتى شاء لهن القدر ان يَلِدْن توأمين ، وهنّ يَعِشْن في هذه القرى حياة بؤس وشقاء في عزلة وانطواء كاملين عن باقى أفراد الجماعة .

ملاحقة السحرة

يسود في القبائل الافريقية الاعتقاد في السحر ، ويخشى الناس السحرة خشية عظيمة . وجزاء من تحوم حوله شبهة السحر جزاء بالغ الشدة . فالرجل او المرأة الذى تنتشر الشائعات بممارسته السحر يُحرَّق او يُغرَّق في النهر أو يُضرَب عنقه بالسيف أو يُضرَب بالعصى حتى الموت . والغالب أن يكون ضحايا الاتهام بممارسة السحر اناسا جلبوا على انفسهم لسبب أو آخر سخط المجتمع وكراهيته . وقد يكونون اناسا فضلوا لهذا السبب أو ذاك الحياة في عزلة وانطواء عن الجماعة ، فتحيطهم الشائعات وتوجه اليهم التهم وتُنسَب الى عملهم الحاق الأذى بالناس أو اموالهم . ويقرر العرف القبلى بالسحر ويجعل منه جريمة يعاقب فاعلها عقابا غليظا . فمن اقيمت عليه الدعوى بممارسة السحر وثبت اتيانه افعالا سحرية بقصد ايذاء الآخرين حكمت المحكمة عليه حكما قاسيا ، غالبا ما يكون الاعدام . واعتناق الاسلام يستتبع اختفاء هذه العادات ، فلا تسمع الدعوى بالسحر ، ولا يلاحق الناس بعضهم بعضا بتهمة السحر . ومن ثمّ

يزول سبب من أسباب ظلم الانسان لأخيه الانسان، وهو ظلم مصدره الجهل ومبناه الوهم .

شرب الخمر

ومن العادات الشائعة في المجتمعات القبَلية الافريقية الوثنية تعاطي مشروبات مسكرة . فلا تكاد توجد قبيلة دون أن يكون لها شرابها الخاص ذو الطبيعة المسكرة . ويصنع هذا الشراب من المواد التي تكون في متناول يدها . فقد يُصنَع من الشعير أو القمح أو الذرة او الموز أو عسل النحل أو التمر .ويُقبِل الافريقيون على تعاطي هذه المشروبات ، وبخاصة في حفلاتهم ومواسمهم واوقات فراغهم . وقد استغل الاوربيون هذه العادة في الافريقيين فاغرقوهم بانواع خمورهم .. وقامت للخمور في افريقية تجارة جنَى الأوربيون منها أرباحا طائلة ، ودفع الافريقيون ثمنا لها من كدهم وصحتهم وحياتهم . وهنا يظهر الفارق الواضح بين موقف الاسلام وموقف الحضارة الغربية . فالاسلام يدعو الناس الى الامتناع عن تعاطي المسكرات ، ولذلك فان اعتناقه يستتبع تخلي الافريقيين عن عاداتهم القديمة . اما الاوربيون فيجدون فيها فرصة لاستغلالهم واستنزاف أموالهم وتدمير صحتهم .

ومما لا شك فيه أن ازدياد الثقافة الدينية وترسخ العقيدة الاسلامية في نفوس الافريقيين يؤدي في النهاية الى تخليهم عن عادة تعاطي المشروبات المسكرة . وقد اعترف بهذه الحقيقة حكام البلاد التي خضعت للاستعمار الاوربي .

فقد بعث السير جورج دنتون مثلا ــ وكان حاكما لغامبيا ــ تقريرا رسميا الى وزارة المستعمرات يصف زيارته لداخل البلاد في يناير ١٩٠٢ ومما جاء في هذا التقرير : « لقد لاحظت في هذه الزيارة شيئا واحدا هو تقدم الاسلام في هذه المنطقة من العالم . فمنذ وقت قصير كان هناك عديد من السونينكي الوثنيين والفولا الوثنيين ايضا . والآن يزداد في كل يوم عدد المرابطين وقبل طويل سيصل عددهم الى ثلاثة ارباع عدد السكان على الاقل . واعتقد ان ذلك سيكون في الجملة ذا فائدة مؤكدة للمستعمرة ولو أن الدخل من تجارة المشروبات الروحية ، وهو ليس كبيرا بالنسبة لغامبيا ، سيهبط دون شك ، لكنني اعتقد ان من الممكن تعويض القدر المفقود من مصادر اخرى».

فالتقرير يشير في وضوح الى الارتباط بين انتشار الاسلام وبين ما يصيب تجارة الخمور من بوار . كما يشير من ناحية أخرى الى مدى الاهمية التي كانت الدول الاستعمارية تعلقها على هذا النوع من التجارة .

الترخص الجنسي

وفي كثير من القبائل الافريقية يسود نوع من الترخص الجنسي فتجيز تقاليد بعضها لشبابها وفتياتها الاتصال جنسيا قبل الزواج . بل ان قيَمها الاخلاقية لا تنكر حتى أن تلد الفتاة طفلا او اثنين من رجل او رجلين قبل الزواج . وفي البعض الآخر تبيح التقاليد نوعا من العلاقات الجنسية بين الذكور والاناث لا ينطوي على وطء حقيقي . وباعتناق الاسلام تختفي هذه التقاليد القبَلية وتحل محلها القيم الاسلامية التي تحرم كل اتصال جنسي سابق على الزواج . كذلك تسود في كثير من القبائل الافريقية عادات ومعتقدات تشجع على ترخص الازواج. فالعُرف يحرّم معاشرة الزوج زوجته اثناء الحمل او على الاقل خلال الشهور الأخيرة منه وطيلة الفترة التالية للولادة حتى الفطام . وتمتد هذه الفترة عادة الى سنتين وقد تمتد الى ثلاث ، ولا يستطيع الزوج أن يصبر على الحرمان من المتعة الجنسية طيلة هذه المدة، ولذلك يتساهل العرف في نظرته الى العلاقة الجنسية التي يكون مثل هذا الزوج طرفا فيها . وباعتناق الاسلام تزول هذه العادة ويزول بالتالي سبب هام من اسباب الترخص الجنسي اثناء الزواج .

تعدد الزوجات

تمارس القبائل الافريقية تعدد الزوجات ،وليس في تقاليدها حدٌ اقصى لعدد الزوجات اللاتي يجوز للرجل الجمع بينهن . ومن زعماء القبائل وشيوخها من يحوز منهن العشرات بل المئات . ومن الواضح أن تعدد الزوجات الذي تتخذه هذه الصورة هو مجرد مظهر من مظاهر التباهي والتفاخر بين العظماء . ومن البديهي ان اكثار الاغنياء والوجهاء من حيازة النساء من شانه ان يقلل فرص الآخرين في الزواج او يصعبه عليهم . والزوجات اللاتي يصل عددهن الى العشرات والمئات زوجات جد تعسات لا تنالهن من الزواج

سوى قيوده والتزاماته دون حقوقه ومزاياه . وكيف يتصور ان يقوم رجل واحد بحق عشر من النسوة بل عشرات او مئات ، والاسلام بوضعه حدا اقصى لعدد الزوجات يضع حدا لسوء استعمال نظام فرضته او قد تفرضه ظروف معينة. وفي الواقع اذا استثنينا زعماء القبائل وشيوخها لوجدنا ان الوضع العادى لتعدد الزوجات هو الجمع بين زوجتين او ثلاث . ومن سمات تعدد الزوجات في افريقية وجود زوجة ينظر اليها بوصفها الزوجة العظيمة او الكبيرة . وهي تتمتع بامتيازات لا تتمتع بها الزوجات الاخريات ، بل انهن مدينات لها بالاحترام والتبجيل. وقد يعترف لها في بعض القبائل بسلطة الامر والنهى عليهن ، فتراقب اعمالهن وتوجه سلوكهن ، وتسائلهن عن اخطائهن . ومع الاسلام يختفى نظام الزوجة العظيمة وتسود المساواة بين الزوجات .

كما ان اباحة الاسلام تعدد الزوجات يسمح للمجتمعات القبلية بان تحقق تطورها دون التعرض لهزات عنيفة تهد كيانها وتدمر قيمتها .. وقد طالب بعض المبشرين كنائسهم باعادة النظر في موقفها من تعدد الزوجات بالنسبة للافريقيين او على الاقل التساهل معهم في شانه نتيجة للمصاعب والمشاكل الاجتماعية التى تنشا عندما يعتنق احد الافريقيين المسيحية ويكون له اكثر من زوجة واحدة .

وضع المراة

يعتقد كثير من المؤلفين الغربيين أن تأثير الاسلام في وضع المراة الافريقية من الامور التى تحسب عليه لا له ، فهم يؤكدون ان انتشار الاسلام في افريقيا يستتبع انحطاط وضع المراة عما هو عليه في ظل التقاليد القبلية . ونكتفى هنا بالاشارة الى احدهم ــ وهو ترمنجام Trimingham الذى يقرر ان اثر الاسلام في وضع النساء يختلف تبعا لمدى تغلغل العقيدة الاسلامية ، وانه كقاعدة عامة كلما اشتدت قبضة الاسلام ازداد وضع النساء انحطاطا . وهي دعوى ظالمة مالها من اساس . فمن يتناول بالدراسة الجادة وضع المراة في التقاليد ووضعها بعد اعتناق الاسلام ، لا يملك الا ان يقر بالاثر الحميد للاسلام في هذا المجال .

ونشير هنا الى بعض مظاهر التحسن الذى يطرا على وضع المراة عند اعتناق الاسلام .

ففى التقاليد القبلية لا يعتبر المهر حقا للزوجة وانما حقا لاوليائها ، بينما هو في الاسلام حق للزوجة نفسها . ويستتبع اعتناق الاسلام الاعتراف للمراة بالحق في المهر الذى يدفع بمناسبة الزواج منها . ولا يتحقق هذا التطور دفعة واحدة وانما يتم بصورة تدريجية . حيث يعترف للمراة بالحق في الحصول على نصيب من مهرها بينما يحصل اهلها على النصيب الاخر . ومع الزمن يزداد نصيب المراة ويقل نصيب الاهل حتى ينتهى الأمر باعتبار المهر حقا خالصا للمراة طبقا لما هو مقرر في الشرع الاسلامى .

ولا تعترف التقاليد القبلية كقاعدة عامة ، للزوجة عند انحلال الزواج باى حق في حضانة اولادها فيما عدا الاطفال الرضع الذين يصحبون امهم ويبقون معها الى حين فطامهم حيث يعودون الى الاب . وقد ظهر تاثير الاسلام هنا في الاعتراف للمراة بالاحتفاظ باولادها معها الى حين بلوغهم سنا تتجاوز بكثير هذا الحد الادنى .

وليس للمراة في ظل التقاليد القبلية ،كقاعدة عامة ، اى حق في الميراث ، لا سيما بالنسبة لعناصر الثروة الرئيسية وهى الماشية لدى القبائل الرعوية والارض لدى الشعوب الزراعية . واعتناق الاسلام يستتبع الاعتراف للمراة بالحق في الحصول على نصيب من التركة . ويتدرج هذا النصيب من كونه مجرد نصيب تافه الى ان يصبح النصيب المقرر لها في الشرع الاسلامى .

وفي التقاليد القبلية ترد بعض القيود على حرية الارملة حيث تلزم بمعاشرة احد اقارب زوجها . وفي كثير من الاحيان تضطر المراة الى معاشرة رجل لا تكون راغبة في معاشرته . ويتجه هذا التقليد لدى القبائل الافريقية التى اعتنقت الاسلام نحو الاختفاء . وابسط الأمثلة على ذلك ان الزواج لدى « الجلا » اذا أبرم طبقا للتقاليد القبلية ألزمت الأرملة عند وفاة زوجها بالزواج من اقرب اقاربه . اما اذا تم الزواج امام قاضي مسلم لم يتولد عنه هذا الحق ويكون للارملة حرية الزواج ممن تريد .

وبعد فلعل في هذا العرض السريع لبعض الآثار الحميدة للاسلام في افريقية ما يدحض مزاعم المتقولين عليه والجاحدين فضله . ■■

محمود سلام زناتي



حتى الطب دخله الدجل .. في أمريكا .. !!

● انتهز بعض الأطباء في امريكا الاقبال الجنونى من الشعب الامريكى على الوسائل المختلفة لتخفيف أجسامهم .. وانتهزوا أيضا الحقيقة التى تدل عليها الاحصائيات بأن نحو ٥٠ مليون امريكى وامريكية يعانون من زيادة وزنهم .

وقام هؤلاء الاطباء بانشاء عيادات خاصة بازالة السمنة ..ووصل عدد هذه العيادات الى خمسة الاف عيادة يقوم بادارتها ٥ الاف طبيب .. كل منهم أسبغ على نفسه صفة اخصائي في ازالة السمنة وتخفيف الوزن .. !

الى هنا والمشكلة لا تزيد عن رغبة الامريكيين في تخفيض اوزانهم الثقيلة .. والعودة الى الرشاقة وخفة الوزن .. .

ولكن ثبت من تحقيق اجرته احدى لجان الكونجرس الامريكى مؤخرا .. أن هناك عملية نصب خطيرة تكمن وراء عيادات ازالة السمنة .. ان الاطباء الخمسة آلاف يقومون بالاتفاق على اخذ « عمولة » معينة من شركات تنتج حبوبا وادوية ضد السمنة ثبت ضررها على الذين يستعملونها ومنعتها الحكومة من التداول .. وذلك نظير ترويج هذه الحبوب والادوية بين زبائنهم الذين يبحثون عن الرشاقة باية طريقة .. !!

واعترف الدكتور لويس روبل Louis Rubel وهو أحد الاطباء الذين قاموا بفتح عيادات ازالة السمنة في ولاية « الينوى » .. اعترف هذا الطبيب امام لجنة التحقيق بالكونجرس أنه قد كسب مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ دولار في العام الماضي هو وسبعة من مساعديه من ٨٥ الف رجل وسيدة من ذوى الوزن الثقيل .. وانه قام بارشادعدد من الأطباء الى كيفية فتح عيادات مماثلة لعياداته . ولم تقتصر اعترافاته على هذا فقط بل اعترف ايضا انه كان يتقاضى « عمولة » كبيرة من احدى شركات الأدوية التى تقوم بانتاج حبوب معينة لازالة السمنة نظير وصف هذه الحبوب لزبائنه.

وقال طبيب آخر من نيويورك وهو الدكتور فرانك تشامبرز Frank Chambers ان احدى شركات الأدوية في تكساس وعدت الأطباء بدخل لا يقل عن ٢٦ الف دولار سنويا اذا قاموا بفتح عيادات ازالة السمنة ! ..

وهكذا دخلت جرائم النصب في امريكا ميدانا جديدا ! ميدانا يتميز أبطاله بانهم ملائكة الرحمة! كما يتميزون ايضا بمقدار كبير من العلم والثقافة!!

نشرت هذا الخبر جريدة الصانداى تلغراف اللندنية لمراسلها في واشنطن .

وهكذا هى امريكا .. موطن الشر وموطن الخير معا ، والفقر والثراء معا ، والغفلة واليقظة معا .

إذا لم تدمجونا في الدولة فلننشئها دولة داخل دولة !

● وجد الشعب الزنجي في أمريكا انه يعيش تحت نير الاضطهاد والتفرقة العنصرية البغيضة .. فقرر ان يأخذ زمام المبادرة في يديه ..

ولعل ما قام به الشاب الزنجي جيس جاكسون Jesse Jackson وهو قس زنجي يبلغ من العمر ٢٦ عاما يعتبر مثلا طيبا لكل شعب مغلوب على أمره .

لقد وجد جاكسون أن توفر المال يتبعه تحقيق الكثير في كل الميادين .. ولاحظ أن هناك كثيرا من رجال الاعمال البيض الذين يقومون بفتح محلات تجارية في أحياء الزنوج في مدينة شيكاغو وانهم يقومون باستغلال زبائنهم السود استغلالا بشعا وفي نفس الوقت يرفضون تعيين أى عامل منهم للعمل في هذه المحلات ..

وبدأ جاكسون عمله وطلب من اخوانه الزنوج ان يمتنعوا عن الشراء من أى شركة أو محل لايقبل اعطاء السود فرصة العمل فيه .. وبدأ تنفيذ الخطة اول ما بدات مع احدى شركات الالبان .. ونجحت الفكرة نجاحا مذهلا ، فقد رضخت الشركة المذكورة وقامت بتعيين ٤٤ زنجيا فنيا .. وهو ما



جيس جاكسون

يقدر بنسبة ٢٠٪ من عدد العاملين بها .

وبدات الشركات الاخرى ترضخ هي الأخرى واحدة بعد واحدة .. واتيحت فرص العمل لثلاثة آلاف من الزنوج الذين كانوا محرومين من العمل على أساس من التفرقة العنصرية ..

ولم يكتف جاكسون بالنجاح الذى حققه في تشغيل اخوانه من الزنوج بل قرر أن يعمل على تسويق المنتجات اليدوية التى يقوم الزنوج بانتاجها في منازلهم أو في مصانعهم اليدوية الصغيرة .. وفعلا قبلت كثير من المحلات التجارية أن تعرض هذه البضائع ضمن معروضاتها الأخرى ..

وما ان توفر لدى جاكسون ومعاونيه بعض المال عن طريق اكتتاب الكثير من الزنوج الامريكيين حتى قام بافتتاح سلسلة من محلات البقالة في الاحياء الزنجية المنتشرة في الولايات المتحدة الامريكية .. وانشا ايضا شركة خدمات تقوم باعمال النظافة في هذه الاحياء .

وحققت أعمال جاكسون زيادة سنوية في دخل زملائه الزنوج تبلغ ٢٢ مليون دولار .

ويؤمن جاكسون أنه بتحسن الوضع الاقتصادى لزنوج أمريكا فان وضعهم السياسي والاجتماعى سيتحسن أيضا ويصبح لهم كلمة مسموعة في الانتخابات .. وفي مختلف الامور الاقتصادية .. وبذلك يستطيع الزنوج أن يندمجوا في الدولة التى تتحكم فيها البيض .

وفي نفس الوقت الذى نجح فيه جاكسون في اجبار الشركات التى يملكها البيض في اتاحة فرص العمل بها لزملائه من السود .. لا تزال هناك الكثير من الشركات التى تصر على التفرقة العنصرية .. ولهذا ونتيجة لعدم اتاحة فرص متكافئة للسود .. يقوم بعض زعماء الزنوج بالمناداة بانشاء دولة زنجية مستقلة تكون قوامها ٥ ولايات من الولايات الامريكية ..

وهكذا ينادى زنوج امريكا اليوم بالاندماج في الدولة .. واذا لم يتحقق هذا فنداؤهم هو انشاء دولة مستقلة داخل الدولة تتاح فيها فرص الحياة الكريمة لهم .



الصهاينة يحاولون اقتلاع رئيس جمهورية المانيا الغربية

لا تزال المانيا الغربية ترتعد فرائصها كلما اتهمها الصهاينة بان احدا من اعضاء حكومتها ، او حتى من الجمهور الالماني الحاضر ، كان له ضلع كائنا ما كان فيما جرى لليهود في عهد هتلر من اضطهاد . ومن آخر ما سمعناه ، الاتهام الذى وجهه الصهاينة الى الدكتور لوبكه Lubke رئيس جمهورية المانيا الاتحادية ، بان تاريخه السياسي ارتبط ارتباطا مباشرا في وقت من الاوقات بجرائم النازى ، في المانيا .

والاتهام ليس جديدا ، فقد اثير منذ اربع سنوات تقريبا .. ولكن الجديد هو اهتمام رئيس الجمهورية بالرد عليه أخيرا بعد أن نشرت مجلة « دير شتيرن » Der Stern ، اكبر المجلات الاسبوعية في المانيا الغربية نبا تقول فيه ان فى حوزة حكومة المانيا الشرقية وثائق تحمل توقيع الدكتور لوبكه ، لبناء معسكرات الاعتقال التى لقى فيها الالوف حتفهم في عهد المانيا الهتلرية ، وان احد خبراء الخطوط الامريكية ، اكد أن التوقيع الموجود على هذه الوثائق هو توقيع الدكتور لوبكه بعد أن زار المانيا الشرقية واطلع عليها .

وقرر رئيس الجمهورية ان ينقل قضيته الى الشعب ، فظهر في التلفزيون حيث أدلى بحديث قصير قال فيه :

« انه لا يستطيع أن يتذكر بطبيعة الحال كل ورقة وقعها منذ ربع قرن من الزمان ، ولكن الذى يستطيع أن يذكره عن ماضيه أنه كان يعمل محاسبا في مكتب للهندسة المعمارية في برلين اثناء الحرب، وكان المكتب يصمم منازل العمال ، ولكنه لم يشترك ابدا في تصميم معسكرات الموت التى بناها هتلر .

وما كاد لوبكه ينتهى من حديثه حتى أجمعت الصحف في المانيا الغربية وتحت ضغط الصهيونية مرة اخرى ، على أن « رد رئيس الجمهورية جاء متاخرا ، كما جاء غامضا ! » .

واستانفت مجلة « دير شتيرن » حملتها على رئيس الجمهورية، فراحت تدلل على ضعف ذاكرته بتسجيل صوتى لزيارة لوبكه لمدينة هيلمشتدت Helmstedt عندما وقف يتحدث للجمهور قائلا : « لقد سعدت بزيارة مدينتكم .. مدينة .. مدينة » ثم جفت الكلمات في حلقه ، فصاح الجمهور مذكرا رئيس الجمهورية باسم المدينة .. هيلمشتدت .. هيلمشتدت !!

ان المراقبين السياسيين يؤكدون انه لن يمض وقت طويل ، الا ويقدم رئيس الجمهورية استقالته.

ضحية جديدة من ضحايا الصهيونية.. تناصرها الحكومة الحاضرة الالمانية ، ومن دار في فلكها من الصحف .



يهودي آبق !

● نشرت صحيفة تورنتو ديلى ستار Toronto Daily Star ، التى تصدر بمدينة تورنتو بكندا ، نبا لمراسلها في واشنطون تحت عنوان : «صحفى يهودى يواجه المتاعب لأنه انتقد اسرائيل».

واما الصحفى فهو آ. ف. ستون I.F.Stone وهو يصدر صحيفة اسبوعية اقليمية تحمل اسمه في واشنطون ويعتبر من اقوى معارضي سياسة التدخل الامريكى في فيتنام .

واما قصة متاعبه التى تحدثت عنها الصحيفة الكندية ، فبدات حوادثها عقب نشوب العدوان الاسرائيلى على الأمة العربية في ٥ يونيو الماضي بايام قليلة عندما كان يهود امريكا يهللون للنصر الذى حققته اسرائيل .

فقد كتب ستون يقول : « لا . ليس هذا نصرا نبيلا . ان علاج امر اليهود المشردين فى العالم ، بتشريد العرب واخراجهم من منازلهم وديارهم ليس سوى مظهر آخر من مظاهر «العمى العنصرى » الذى يعانى منه الجنس البشرى ،

قلق روسيا لعدم ازدياد سكانها !

● في الوقت الحاضر نسمع ان كل الدول تشكو من تفجر سكانها وتطلب الحد من النسل ونسمع نغمة غير هذه بالمرة تنبعث من ارجاء روسيا. فقد اذيع اخيرا ان الاتحاد السوفييتي يعاني من مشكلة تناقص سكانه لا ازديادهم . ففي الاتحاد السوفييتي من السكان حسب آخر احصاء أجري في عام ١٩٦٢ (٢٢٥ مليون نسمة) ، والاحصائيات تدل على أنهم في تناقص مستمر . ففي عام ١٩٦٠ مثلا بلغ عدد المواليد في جميع انحاء البلاد ٣ ملايين و٨١٢ الفا ، بينما انخفض هذا العدد في عام ١٩٦٥ الى مليونين و ٥٦٣ الف مولود ، وتوحي كل الدلائل الى ان رقم المواليد سوف يسجل انخفاضا جديدا في الاحصاء القادم الذي سيجري في عام ١٩٧٠ .

واخشى ما يخشاه الروس ان تؤثر هذه الظاهرة الخطيرة على برامج التنمية الاقتصادية الطويلة الامد ، التي تحتاج الى مضاعفة الايدي العاملة .وخاصة ان هذه البرامج قد وضعت كلها على اساس متوسط نسبة الزيادة التي كانت قائمة قبل عام ١٩٦٠ والتي كان مقدرا لها ان تصل بسكان الاتحاد السوفييتي الى ٣٠٠ مليون نسمة في عام ٢٠٠٠ .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى، فان الاتحاد السوفييتي يشعر انه في حاجة الى المزيد من القوى البشرية لمواجهة تحديات جارتهم الكبرى الصين التي بلغ تعداد سكانها حسب آخر تقدير في عام ١٩٦٥ اكثر من ٧٣٠ مليون نسمة .

ان الخلافات تحتدم فتتشعب بين الدولتين الكبيرتين .. من نزاع على الحدود الى خلاف سياسي قد يبدو في احيان كثيرة خلافا عقائديا ،وان كان في واقع الامر صراعا بين الدولتين العملاقتين على تزعم العالم .

ويدفعه دائما الى الحروب واراقة الدماء » .

وناشد ستون اليهود ، العودة لتاريخهم الحافل بالاضطهاد والتعذيب ، فلعلهم بذلك يفهمون الجذور الحقيقية للشعور بالمرارة الذي يشعر به العرب . ثم قال : « ان سياسة اسرائيل كانت دائما سياسة قصيرة النظر ، لانه فاتها ان تكسب صداقة الرئيس جمال عبد الناصر !!

يجب ان تعلم اسرائيل انها لا تستطيع ان تبقى قاعدة للغرب وسط العالم الافريقي ـ الآسيوي، الذي تخلص من السيطرة الغربية » .

وما كاد مقال ستون يظهر في صحيفة ستون حتى قامت دنيا اليهود ولم تقعد . فقد ثار يهود امريكا عليه ونبذوه ، واوشكوا ان يفعلوا به ما فعله يهود هولندا بفيلسوفهم القديم سبينوزا Spinosa (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) الذي تعرض للاضطهاد والحرمان من دخول الكنيس ، لأنه وضع سلسلة من المبادىء الفلسفية التي عدها اليهود كفرا باليهودية وخروجا على هذه الديانة.

وبالرغم من هذه الحملة ، فقد مضى «اسبينوزا الجديد » في تفنيد مزاعم اسرائيل وفضح الحياة وراء حدود الاراضي المغتصبة .

فقد كان ستون قد زار اسرائيل خمس مرات منذ قيامها في عام ١٩٤٨ ، وعاد يؤكد :

« ان سياسة اسرائيل الرسمية تنكر على العرب الذين يعيشون داخل اراضيها حقهم في الحياة السياسية والاقتصادية أسوة باليهود ، لانها دولة يهودية مائة في المائة . فاليهودية في اسرائيل تدافع عن مجتمع لا يعترف بالزواج المختلط ، ولا يؤمن بالمساواة بين اليهودي وغير اليهودي .. ويعتبر العنصرية والانعزالية مبادىء مثالية » .



رسالة جريئة .. تفرق بين الشيوعية ..

● تلقى زعماء الاتحاد السوفييتى تحذيرا خطيرا بانهم سيواجهون معارضة متزايدة من جانب العمال والفلاحين والشبان اذا لم يغيروا من سياسة الضغط وخنق الحريات والقبض على الشبان الذين يقومون بمعارضة النظام السوفييتى .

جاء هذا التحذير فى خطاب مفتوح الى ميخائيل سوسلوف Mikhail Suslov احد سكرتيرى الحزب الشيوعى السوفييتى والذى يعتبر احد المفكرين فى الحزب ومن اهم راسمى خططه المذهبية .

وكاتب الخطاب هو ايفان ياكيموفيتش Ivan Yakimoivch رئيس احدى المزارع الجماعية فى لاتافيا بالاتحاد السوفييتى .

يقول ياكيموفيتش فى خطابه « ان القبض على الشبان ومحاكمتهم بتهمة معارضة آراء الحزب الشيوعى السوفييتى ، امر خطير للغاية وخاصة فى بلد يبلغ عدد سكانه الذين لم يبلغوا بعد الثلاثين من العمر أكثر من ٥٠٪ من عدد السكان الكلى . ان مستقبل روسيا لن يتقرر بالذين يحكمونها الآن ، أو بهؤلاء الذين يقولون نعم دائما ، أو المنافقين — وان كان هناك الكثير منهم — ولكن مستقبل البلاد سيقرره هؤلاء الشبان الذين يتميزون بنشاط وشجاعة ولديهم من المبادىء ما يدافعون عنه . انه من الغباء أن نعتبر مثل هؤلاء الشبان أعداء للنظام السوفييتى — فهم ليسوا كذلك، ومن

● ●

الشعب البريطانى لا يناصر أمريكا فى حرب عالمية

قامت صحيفة صانداى تايمز البريطانية باجراء استفتاء لقرائها فى أهم مشكلة تشغل الرأى العام العالمى فى الوقت الحاضر ، وهى احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة .

وقد أسفر الاستفتاء عن أن القسم الاكبر يرى ان تتجنب بريطانيا توريط نفسها فى الموقف الدولى الراهن، فلا تنحاز الى اى جانب من طرفى النزاع.

وكانت الصحيفة قد صاغت السؤال الذى وجهته الى قرائها على النحو التالى :

« اذا نشبت أزمة دولية حادة تهدد بنشوب حرب بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، فهل ترون أن تساند بريطانيا الولايات المتحدة الامريكية وتساعدها ، أم تقف على الحياد ؟ » .

وجاءت الردود كما يلى :

٦٣٪ يفضلون وقوف بريطانيا على الحياد

٢٨٪ يرون أن تساند بريطانيا امريكا .

٩ ٪ لا رأى لهم .

كبير الروس ..

● « ان العدوان الامريكى فى فيتنام يعقد الموقف الدولى باكمله . وكل الاحداث التى تقع فى العالم ينظر اليها اليوم من داخل اطار ما يجرى فى فيتنام » .

هذا بعض ما قاله الكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى فى الحديث الهام الذى أدلى به لمجلة لايف Life الأمريكية . وقد رأينا ان ننقل بعض فقراته للقراء .

لقد كان حديث الرئيس السوفييتى يتسم بالمرارة والتساؤل معا . وبدلا من ان يجيب على الاسئلة التى وجهتها اليه المجلة الامريكية ، راح هو يسأل أمريكا :

« اذكروا لى انتم سببا واحدا لوجود الجنود الأمريكيين فى أراضى فيتنام ؟

« لقد تردد أحيانا فى أمريكا أن هذه الحرب الغرض منها الدفاع عن مصالح حكومة فيتنام الجنوبية ، التى دعت القوات الأمريكية للتدخل.

مع الحرية والشيوعية بدونها..

الأغبى ان تتركهم يتعفنون داخل السجون ، انه ليوم تعس ،ذلك اليوم الذى لا نستطيع ان نتفق فيه مع مثل هؤلاء الشبان .

انه من المؤكد ان هؤلاء الشبان سيقومون بانشاء حزب آخر لو استمر الضغط عليهم . وما علينا الا ان نعود بنظرنا الى التاريخ لكى نتأكد من هذا الأمر .

انكم لا يمكن أن تدمروا الافكار بالرصاص أو السجون ، وكل من لا يفهم هذه الحقيقة فهو ليس بسياسي أو بماركسي » . .

ثم يقول ياكيموفيتش في رسالته مخاطبا الزعماء السوفييت : « فليكن لديكم الشجاعة لتصححوا اخطاءكم قبل أن يتخذ العمال والفلاحون زمام المبادرة في هذه المسائل » .

ثم يطالب الخطاب بان يقوم الرئيس بودجورنى بالعفو عن الكتاب سنيافسكى ودانيل وبوكوفسكى وجنسبرج الذين حوكموا اخيرا .

وهذا الخطاب المفتوح الذىأرسلالى سوسلوف يعتبر أول خطاب من نوعه يصل الى مسئول في الحزب الشيوعى السوفييتى .

وتقول جريدة « الصانداى تلجراف »البريطانية ان هذا الخطاب هو أول انذار بالثورة الشعبية في تاريخ الاتحاد السوفييتى .

يتساءل عن الغاية من حرب فيتنام

« ولكن اى حكومة تلك التى تدافع عنها امريكا في فيتنام الجنوبية . اى شعب هذا الذى تمثله هذه الحكومة ؟ ان الذى يعرفه الجميع ان حكومة فيتنام الجنوبية المزعومة لم ينتخبها احد ، ولا تتمتع بتأييد الشعب ، ولا بتأييد الرأى العام العالمى .

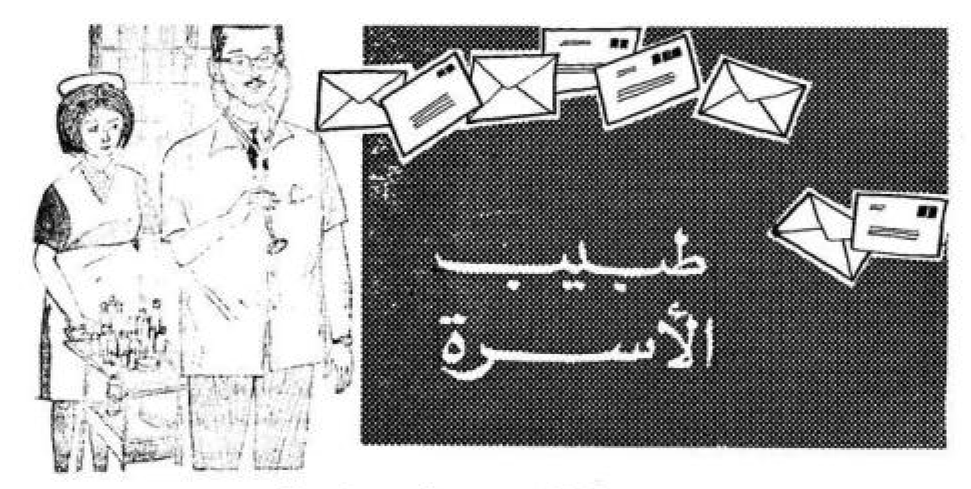
« ان المرء يسمعأحيانا ان هيبة الولايات المتحدة الأمريكية ، هى التى تمنعها من نبذ هذه الحرب والانسحاب من فيتنام . وانا أسأل امريكا عن الكسب الذى حققته هيبتها بعد سنوات طويلة من هذه الحرب التى تتنافى مع المبادىء الانسانية»

ومضى الرئيس السوفييتى يتساءل : « اذكروا لى شخصا واحدا في الولايات المتحدة الامريكية يشعر بسعادة لأن بلاده تقتل الفيتناميين وتقتل جنودها ؟ انا شخصيا اعتقد أن هذا الشخص لا وجود له الا وسط ذلك الفريق من الناس الذين اسكرتهم هستيريا الحرب » .

ودعا كوسيجين الى النظر بعين الاعتبار الى المطالب التى تقدمت بها جبهة التحرير الوطنية في فيتنام ، وهى تتلخص في اجراء انتخابات حرة في البلاد واقامة حكومة ديموقراطية . ثم قال الرئيس السوفييتى : « ولكن امريكا ترفض هذه المطالب لأنها تريد في الواقع حكومة فاشية تحكم البلاد ، وهى تفرضها بالقوة على شعب فيتنام الجنوبية .

وقال الرئيس السوفييتى اخيرا : «ان مفتاح السلام في يد امريكا ، فهى التى تستطيع أن تضع نهاية لهذه الحرب ، او تستمر فيها .

« أما الاتحاد السوفييتى ، فسوف يقوم بكل ما في وسعه لانهاء هذه الحرب في أسرعوقت ممكن، ولكن ليس من مركز القوة الذى تقفه بلادكم ، ولا أيضا من مركز النظر الى فيتنام على أنها دولة مهزومة .. فالولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع أبدا أن تنزل الهزيمة بفيتنام » .



عمل البيت ، هل يمرض ؟

● قرات في مجلة مقالة بقلم دكتورة في الصحة النفسية تقول ان اشتغال المراة ببيتها واولادها يكفى ، وان عليها ان تجد لنفسها عملا خارج البيت يكسبها الصحة في جسمها وعقلها معا. فهل معنى ما تقوله هذه الدكتورة ان اى امراة ليس لديها غير بيتها واولادها لابد تصاب في جسمها وعقلها ؟

ــ لا اظن انك قرات فأحسنت قراءة بعضا وتركت بعضا . فهذا الذى فهمتيه ما قالته السيدة الدكتورة ، او انك قرات لا يقول به احد ، وهو السخف كل

الاسهال عندما يصير وباء

● انا عامل فني في مصنع نسيج ،وقد حدث لى اسهال ، ثم عاد يحدث. وعلمت ان هذا الاسهال جاء المصنع كوافدة اصابت كثيرين منا . وفي سبيل مقاومتها ، وخشية ان تعود ، غير المصنع كل المراحيض التي فيه بمراحيض صحية ، ثم نشر بين العمال وكل من في المصنع امرا بان لا يترك احدهم بيت الخلاء الا ليلعب الى حوض الماء ويغسل يديه بالصابون . وفي الأمر الذى نشر شيء مفاده ان هذا الامر مقصود به صحة العمال اولا ، ثم تجنب خسارة المصنع بسبب تغيب عماله بسبب هذا المرض . فهل تتكرمون فتزيدونا علما بعلاقة هذا الاسهال الوبائي بغسل الأيدى ؟

ــ اولا نبدأ بخسارة المصنع لنفرغ الى الناحية الطبية . ان تغيب العمال بسبب المرض انما هو اجازة بأجر . وهذا اجر بلا عمل . والغياب الجماعى معناه بالطبع خسارة كبيرة . وهى اذا تعددت بتعدد الوباء كانت أفدح . ومع الاجازة صرف الدواء بالمجان. وقد بلغ ما يخسره مصنع من المصانع الكبيرة بسبب غياب العمال واجرهم والعناية الطبية بهم ما يقدر بخمسة ملايين من الجنيهات كل عام .

اما عن الاسهال ، ومعه ما تصف من قيىء ، فهذا يحدث بسبب دخول أنواع



السخف ، وامهاتنا في القرون الماضية عملت لبيوتها واولادها وما علمنا انذلك اساء الى ابهن او اساء الى جميعهن .

والحق ان النساء، ونساء اليوم خاصة، امزجة شتى ، بعض يفضل عمل البيت ، وبعض يفضل عمل الخارج ، مما يختص به النساء ومما سبق اليه الرجال .

ومن النساء من يملن الى الجمع بين عمل الداخل والخارج .

وظروف البيت ، والعلاقة بالزوج ، هي التي تدفع بالمراة الى العمل في الخارج. انه طلب الطمأنينة حين لا تكون طمانينة. والقلق اذا استسلم له الانسان صار مرضا . وكذا الفقر دافع . والفقر له مستويات تختلف باختلاف الأزمان .

وعمل البيت ، والعناية في الداخل بالزوج ، وبالاطفال الصغار ، في البيت الهانيء ، ومع الزوج المحب المؤاسي المشارك ، سيبقى دائما عمل الاكثرية من نساء اي امة ، وعملا له خير الجزاء .

من المكروب الى المعدة او المِعَى بمقادير كافية لاحداث المرض .

ولا بد ان تعلم أن هذا المكروب يتناسل بسرعة هائلة ، فالمكروبة الواحدة تتكاثر في بضع ساعات فتبلغ الملايين . وبعض هذا المكروب ينتج سموما تحدث في الرجال القيء والاسهال .

وقد يكون المكروب بكتيرا ، مثل Shigella و Sabmonella, وكذا الـ Staphylococci وهى اسماء لا حاجة الى ترجمتها فهى اسماء أعلام .

ومن الفيروس ، وهو ادق من البكتير ، ما يحدث الاسهال .

اما عن العدوى كيف تنتقل ، فقد اصبح امرها واضحا . ان المكروب يخرج مع افراغ الامعاء، فبيت الخلاء موضعه.

من اجل هذا جاء الأمر بغسل الأيدى بعد زيارة بيت الخلاء .

وهى تغسل قبل الطعام ، لأنها تحمل الطعام الى الفم . فاذا كانت ملوثة ، دخل ما لوثها من المكروب الى المعدة فالمعى .

من اجل هذا كان من ادب الطعام غسل اليدين قبل تعاطيه ، في شرق وفي غرب .

والعناية ببيوت الخلاء لابد ان تبلغ في غرب وفي شرق مداها. فبيت الخلاء مكان الافرازات من سائل وغير سائل ، ويدخلها اكثر من شخص واحد ، فهى للعدوى سبيل ميسور .



رجل زوج
لا يستطيع أن يكون أبا

● مضى على زواجي من زوجي الآن اكثر من خمس سنوات ولم ننجب من الأولاد شيئا . وقد بدأ يتغير على ،واتضح لى بعد ذلك انه يود الخلف ، ويتهمنى بالعقم . وتقول لى صاحباتى ان هذه دائما هى عادة الرجال ،العقيم عندهم دائما هى المرأة ، وسبب كل مصيبة هى المرأة . أليس العقم مرض، وهل مرض مثل هذا يفرق بين الرجال والنساء ؟! وقد رجوته بأن يذهب لِيراه الطبيب ، فهاج ، فكأنما اهنت رجولته . فهل هذا وضع من الزوج سليم تجاه زوجته ؟! .

ـ مسألتك يا سيدتى ليست الاولى ، ولن تكون الأخيرة .

أما اهتياجه لرميك اياه بالعقم ، فكان لأنه ربط بين عقم الرجل ورجولته ،وهذا أول الخطأ . فالرجل قد يكون قويا ، وقد يكون شديدا في المعنى الذى يعبر عنه الناس بالرجولة في هذا الصدد ، ومع هذا قد يخلو مَنِيّه من ذلك الحيوان المنوى الذى يتحد ببيضة الزوجة فينتج لهما البنت والولد .

ولعل هذا الربط الخاطىء بين العقم والمقدرة الجنسية هو الذى يحمل الرجال دائما على تبرئتهم انفسهم من العقم ، ورميهم به النساء .

ولمواصلة الحديث لابد أن نفهم عملية الحصول على الولد والبنت بالتقاء الأم والأب . ان الذى يحدث أن السائل المنوى يجرى في المرأة ، وبه الحيوانات المنوية ، ووجهته مَدخل الرحم .

واذن توجد عند هذا المدخل الحيوانات المنوية . وعند هذا الموضع تلتقى الحيوانات المنوية بافرازات تدخل فيها وتسبح عبر فجوة الرحم في طريقها الى بويضة الزوجة .

تريد أن تزيد طعام ابنتها
بيضا نيا

● عندى ابنة كادت أن تتم عامها الاول ، وهى لا تأكل الكفاية ، وتعاف الكثير من ألوان الطعام . وهى تحب اللبن الحليب ، ولكنها تكره البيض المسلوق . وقد خطر لى لأزيد مقدار البروتين في طعامها أن اخلط لها مع اللبن الحليب البيض النيىء ،واضربه حتى يتم خلطه . فما الرأى في هذا ؟

ـ اما من حيث أن البيض طعام كثير البروتين فأمر لا خلاف عليه ،فالبروتين، لولا الماء ، يكاد يكون كل شيء فيه ، ان البيضة دجاجة لم تنشأ بعد .

اما من حيث الطَعم ، فأنا من الناس اعاف طعم البيض النيىء . ولكن غيرى كثير يستسيغونه . والأمر هنا هو استساغة ابنتك اياه .

والى هذا الحد من الوصف قد اتينا على الشرط الاول لنجاح الاخصاب وهو وجود عدد كبير من الحيوانات المنوية الحية عند مدخل الرحم ،ومن بعد التقاء الرجل بالمرأة .

هذا أمر لابد من استيثاق الطبيب انه تحقق قبل أن يخطو اى خطوة أخرى في البحث والتحقيق .

وهذا يستدعي من الطبيب النسائى امتحان الزوجة في صبيحة الليلة التى حصل فيها اللقاء . وهو امتحان سريع سهل يعرف بامتحان ما بعد اللقاء Post Coital .

فاذا كشف هذا عن الواقع المنتظر الذى وصفناه ، دل هذا على اخصاب الرجل ، وان اللقاء تم كما وجب ، وافرازات المرأة لا عيب فيها .

واذن يتجه الطبيب النسائى الى فحوص اخرى نسائية تتصل بقناتى البيض عند الزوجة ونحو ذلك من الفحوص التى قد يكون من بينها كشط جدار الرحم وغير ذلك .



اما اذا كان امتحان « ما بعد اللقاء » سالبا ، دل ذلك اما عن أن سبب الاخفاق يعود الى الحيوانات المنوية في الرجل ، أو انه لا يستطيع ان يضع هذه الحيوانات حيث يجب وضعها ،أو أن افرازات المرأة غير صالحة لهذه الحيوانات المنوية .

والخطوة التالية تتجه الى منى الرجل بمتحنه . والمنى يستحضر من الرجل في المختبر . ونتيجة هذا الامتحان يظهر بعد قليل من الساعات .

ثم يأخذ الطبيب ينظر في أسباب مايظهر في منى الرجل من عقم . ولن ندخل في تفصيل ذلك .

ثم هو يحاول علاجه ان كان مما يأذن بعلاج .

ولكن بقي شيء ، بل شيئان .

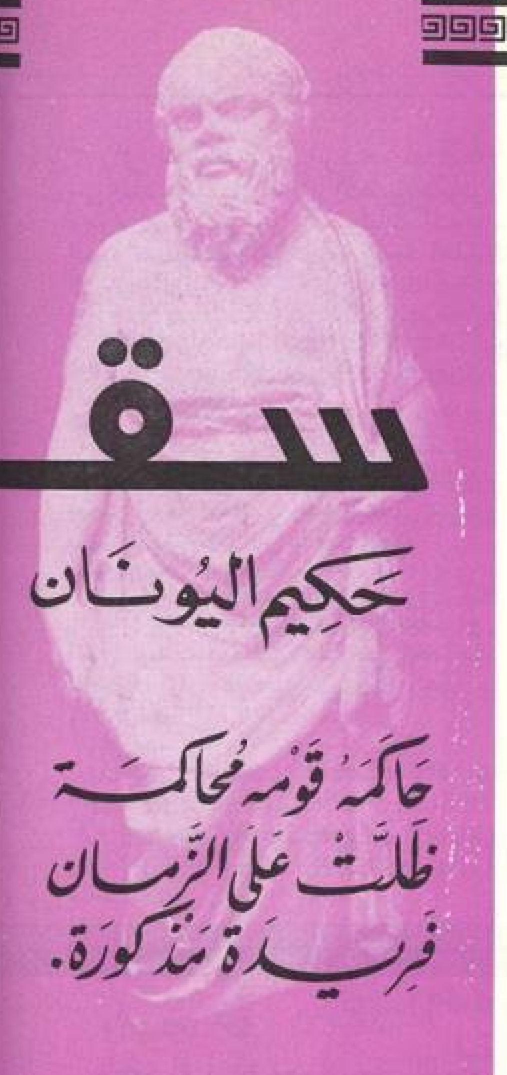
الشيء الأول انه ثبت ان بيض البط ينقل العدوى . واذن فقد جاز ان بيض الدجاج ينقل العدوى كذلك . والامر في ذلك أمر المصدر الذى يأتى منه البيض الطازج النظيف من الشركات المعتمدة .

الشيء الثانى هو حرصك على زيادة



الطعام الذى تتناوله ابنتك. وهذا حرص الأمهات جميعا . ولكن من الأمهات من تبالغ في هذا ، وتنسى أن الاطفال يأكلون بحكم الطبع الكافي لحاجة اجسامهم ، والكثير منهم يأكلون فوق الكافي . والخير في ترك الطفل يأكل ما يريد . وان كف، كففنا ، حتى تأتى ساعة الوجبة الثانية. فاذا حدث أننا لم نتدخل في فترة ما بين الوجبتين بالطعام نزفه اليه زفا ، فهو لا شك يقبل على وجبته هذه الثانية ويأكل منها كفايته . ●●

بقلم : علي أدهم



سقراط حكيم اليونان

حاكمه قومه محاكمة ظلت على الزمان فريدة مذكورة.

■ يعد سقراط من كبار الفلاسفة وشيوخ الحكمة الذين أثروا في تطور الفكر البشري ، وتقدم الفلسفة رغم انه لم يكتب شيئا ، وليس له مؤلفات يرجع اليها ويعتمد في تحديد مواقفه الفكرية عليها ، ولكن ما خلفه تلامذته الذين اخذوا عنه ، واقتدوا به ، يعد من انفس الآثار الفلسفية ، وابقاها على الدهر ، وقد قدم سقراط للعالم مثلا نادرا في سمو التعاليم ، والوقوف الى جانب ما اعتقد انه الحق ، والتضحية بالذات في سبيل حرية الراى ، والاستهانة بالاخطار الراصدة والمخاوف المحدقة .

ولم تتعرض شخصية سقراط للشك الذى تعرضت له بعض الشخصيات التاريخية ، فحياته في اثينا من المسائل المسلم بصحتها ، ولكن الآراء مع ذلك مختلفة في تحديد معالم شخصيته ، ووصف مواقفه ، وتحرى اخبار حياته ونشأته . وفي مدى علمى انه يمكن القول بان البحث التاريخى لم يصل بعد الى نتائج حاسمة ومقررات نهائية لا يعتورها الشك في هذا الصدد ، وتسمو على المراجعة والتفنيد . والمحاكمة التى ختمت بها مأساة حياته تعد من المحاكمات التاريخية التى طالما عنى بها المفكرون ، وشغل بها الناس ، مثل محاكمة جان دارك وغيرها من المحاكمات التاريخية المأثورة .

المحاورات

واهم المراجع التى يعتمد عليها في تعرف أخبار سقراط ومطالعة آرائه هى « المحاورات » الخيالية التى كتبها افلاطون ، أعظم تلامذته ، وابعدهم شهرة ، واسماهم مكانة في عالم الفكر ، وكذلك ما كتبه عنه اكسانوفون ، وان قصر عن مدى افلاطون ولم يبلغ مبلغه في الدقة وصحة الفهم . وافلاطون في محاوراته يوضح لنا الجوانب المختلفة لشخصية سقراط ، وحقيقة أن هذه المحاورات خيالية ، ولكن افلاطون كتبها في عهد قوم عاصروا سقراط وعرفوا الكثير عن حياته واتجاهاته الفكرية ، فاذا

• مهد له تلاميذه سبيل الهرب من السجن ، فرأى ذلك خروجاً على القانون الذي ظل حياته يحترمه .

سراط

• قال له في السجن بعض تلاميذه انهم يشكون في بقاء الروح بعد الجسد . فأكد لهم ان الروح لا تولد مع الجسد وهي لا تفنى بفنائه .

كان اعجابه الشديد بأستاذه قد دفعه الى تجميل الصورة ونسبة بعض افكاره الخاصة الى افكار سقراط فانه مع ذلك يمكن الى حد ما التحقق من صدق الصورة وصحة الآراء بشيء من الرجوع الى ما كتبه اكسانوفون وما رواه بعض المعاصرين عن سقراط ، واذا كان اصدقاء سقراط وتلامذته قد غالوا في الاشادة بمزاياه وفضائله فان خصومه قد بالغوا كذلك في تسفيه آرائه ، وانتقاص قدره ، وعلى راسهم شاعر الملهاة الكبير ارسطو فانيز Aristophane فقد قدم لنا صورة في مسرحية السحب ، ملأى بالسخرية من سقراط ، واهدار مكانته ، وتشويه آرائه . وقد كان سقراط مثل الكثيرين من عظماء الرجال وأفذاذ الانسانية يبعث الحب والاعجاب والتقدير في قلوب بعض الناس ، ويثير العداوة الصماء والحقد الشديد في قلوب فريق آخر منهم . وكان ارسطو فانيز من هؤلاء الذين اساءوا فهم سقراط ، ولم يستطيعوا ان يتبينوا حقيقة رسالته ، وخالوه من السفسطائيين الذين حفل بهم عصره .

مولد سقراط ونشأته

وقد ولد سقراط سنة ٤٦٩ قبل الميلاد على مقربة من اثينا بعد موقعة سلاميز بعشرة أعوام ، وهي الموقعة التي انتصر فيها الأثينيون بمساعدة اسبرطة وقضت على قوة اكسرسيز الفارسي ، وفي اكثر الروايات ان اباه سوفرونيسكاس Sophroniscus كان مثالا ، وان والدته فيناريت Phaenarete كانت قابلة . ويروى انه هو نفسه بدأ حياته باتخاذ صنعة ابيه ، وانه نحت تمثالا لهرمس وآخر لربات القدر الثلاث أقيم قرب مدخل الاكروبوليس ، وكان من الفكاهات التي لا ينفك ينطق بها عن نفسه قوله انه لم يفعل اكثر من مواصلة حرفة امه ، ولكنه نقلها الى مجال الافكار فكان يساعد غيره من الناس على أن يخرجوا للعالم افكارهم الكامنة في بواطن نفوسهم .

وفي اكثر الروايات انه كان فقيرا ،وقد عني عناية كبيرة بصحة جسمه ، وكان في اغلب أيامه قوى البنية،جيد الصحة، وتجلت شجاعته وقوة صبره واحتماله في أثناء حرب البلوبنيز ، وقد حارب في بوتيديا Potidaea سنة ٤٣٢ وفي ديليوم Delium سنة ٤٢٤ وفي امفبوليس سنة ٤٢٢ . وانقذ في بوتيديا حياة السبياديز وهو من الشخصيات اللامعة في تاريخ اثينا ومن اشهر تلامذة سقراط الذين أساؤا الى سمعته وكانوا من اسباب محاكمته ونكبته ، وقد نزل له سقراط عن جائزة الشجاعة . وقد بزّ سقراطُ الجميع في قوة الاحتمال ، والصبر على المتاعب دون أن يشكو ، ولم يكن سقراط كلفا بالاسفار والرحلات ولذلك لم يترك أثينا الا في الحملات الحربية وأوقات الجهاد .

زوجتـــه

وقد تزوج من زانتيب Xanthippe وقد عرفت بسلاطة اللسان ، وكانت تعيب عليه اهماله لشؤون أسرته ،وكان هو نفسه يعترف بعدالة شكواها،ويتقبل نقدها له بصدر رحب ، ويثني على كرم اخلاقها وحسن اضطلاعها بشؤون المنزل وتعهد اطفالها .

شكله ودماثته

ولم يكن سقراط مقبول الشكل ،فقد عرف بانفه الافطس، وشفتيه الغليظتين، ولحيته الكثة ، وعينيه الجاحظتين ، ولكنه كان ساحر الحديث ، وكان مريدوه لا يعدلون شيئا بالاستماع الى احاديثه المستطابة وعباراته الخلابة ،وتستهويهم دماثة شمائله ، وسراوة اخلاقه ،وفطنته الحادة ، وبصيرته النفاذة ، وبساطته في عرض أفكاره ، ومنطقه المتماسك وقدرته الفائقة في الجدل والنقاش .

مخالطته الناس

وكان سقراط يقنع بثوب بسيط رث طوال السنة ، ويؤثر أن يسير بغير حذاء أو خف ، وكان مثلا شرودا في امتلاك زمام النفس ، والسيطرة على الأهواء ، والقناعة والزهد . وبرغم ذلك لم يسلك في حياته مسلك القديسين ، ولم يحرم على نفسه طيبات الدنيا . وكان يستطيع ان يتناول الشراب كما يفعل اى رجل مثقف دون ان يفقد اتزان عقله وحسن خلقه ، وكان لا يأبى الدعوة الى ولائم الأثرياء ، ولكن دون أن يفرّط في كرامته ، أو أن ينزل عن آرائه . وكان يرفض هدايا الكبراء والملوك . ولم يكن يفارق ميله الى الدعابة ورقة الحاشية ، قال عنه افلاطون « كان بحق اعقل واعدل واحسن من عرفت من الناس في حياتى كلها » .

جدله

وقد كان سقراط بطبيعته ميالا الى النقاش والجدل ، وقد عمد الى دراسة الفلسفة ، واعجب حينا ما بالسفسطائيين الذين تكاثروا في اثينا أيام شبابه ، وقد التقى في الاغلب بيار منيدس وبرونا غوراس وغور غياس وغيرهم من فلاسفة عصره ، وليس ببعيد ان يكون قد رأى زينون حينما زار أثينا حوالى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، ويرجح انه عرف انكساغورس .

ما قالت عنه عرّافة دلفى

وقد تحول من علم الطبيعة الذى مال اليه في مطلع حياته الى علم الاخلاق، واخذ يختبر معتقدات الناس ليرى الاسس التى قامت عليها هذه المعتقدات، وكان يطلب ممن يوجه اليهم الاسئلة اجابات دقيقة محددة لا يشوبها التناقض ، ويخيف من يعجز عن أن يكون واضحا في تفكيره ، منطقيا في حديثه . وكان يصارح الناس بانه لا يعرف شيئا، وأنه ليس سوى هاو من هواة الفلسفة ، وحينما سأل صاحبه كريفون Chaerephon عرّافة دلفى عن من هو أكثر رجال أثينا حكمة ، قالت العرافة انه ليس هناك من هو اكثر حكمة من سقراط . وقد عزا

سقراط وصفه بالحكمة الى انه كان لا يعرف شيئا ويجهر بذلك ، والفرق بينه وبين غيره من الناس انه يعلم جهله، وهم يظنون انفسهم عقلاء وحكماء ، ويعرفون كل شيء .

وما قالته الكاهنة بعث سقراط على التفكير العميق ، وعده شبه امر له ليعمل به ويقوم بتنفيذه . وهكذا صار سقراط ، الفقير الذى لا مال له ولا جاه ولا سيطرة سوى نفوذ بعض اصدقائه من معاصريه الممتازين ، صار يعتقد ان له رسالة مقدسة . وكان الرجل يؤمن بالله وبالقيم الروحية ، وكان بطبيعته دينى النزعة ، ولكنه كان لا يؤمن بحرفية الاساطير الشائعة ، ويعتقد انها وليدة اخيلة الشعراء ، ولا يرى مع ذلك بأسا في انتقالها من جيل الى جيل . وصار سقراط يعتقد ان عمله في حياته هو ان يختبر ويحلل ويكشف اذا استلزم الامر حكمة غيره المزعومة ، وكان هذا بدء المتاعب !

بدء المتاعب

فاخوانه المواطنون لم يستريحوا لهذا الكشف الذى يظهر تهافت افكارهم ، واصبح سقراط في رأيهم رجلا مولعا بالاسئلة المعقدة ليشبع حب الاستطلاع الذى سيطر على نفسه ، فما هدفه ؟ انه لا يعمل شيئا ، ولا يقدم جوابا ، وانما يثير شكوك الناس في آرائهم ، ولا يستطيع احد ان يجاريه في ميدان الجدل والنقاش .

وعرف سقراط انه سيثير عداء الكثيرين ، ولكن هذا لم يثن عزمه ، وحاول في بادىء الامر ان يجرى تجربته على احد السياسيين البارزين في عصره، وكان هذا السياسي يخال نفسه غاية في سداد الرأى وحسن السياسة ، ولم يجد سقراط عند هذا السياسي صحة المعرفة واتساق الآراء وتماسك المنطق ، وادرك انه احسن منه حالا لان هذا السياسي لا يعرف شيئا ويحسب انه يعرف كل شيء ، في حين ان سقراط يقر بجهله وقلة معرفته . وقد صار هذا السياسي يمقت سقراط اشد المقت لأنه اربكه واوقعه في حيرة من امره .

وكان هذا هو حال الكثيرين ممن حاول سقراط ان يبلو علمهم،ويختبر حكمتهم، وكشف بعد ذلك سطحية آرائهم،وتفاهة تفكيرهم . وبرغم كراهة بعض معاصريه له وتحاملهم عليه فقد ادركوا انه رجل ثاقب التفكير ، ولم يكن هو يريد ذلك ، مما سبب له الحيرة ، وكان سامعوه يعدونه حكيما ، وهو يعتقد ان الله وحده هو الذى تفرد بالعلم والحكمة ، واما نحن البشر فخير ما نعلمه ان نعرف اننا لا نعرف شيئا !

ولسنا نعرف التاريخ الذى بدأ فيه سقراط يشعر بصوت وحى داخلى اشبه بصوت الضمير بل اقوى منه سيطرة ، وهو كثير الاشارة الى هذا الهاتف الداخلى ، وقد تعود طاعته والخضوع لنواهيه، وكان هذا الهاتف سلبيا يخبره بما يمسك عن فعله لا بما يمكن ان يفعله.

طريقة سقراط في نقاشه

وكانت طريقة سقراط في نقاشه ان يدعى الجهل ويتلقى اجابة محدثه بالتسليم ، ثم يلقى عليه الاسئلة التى تثير الشكوك وتوقع محدثه في التناقض والاعتراف بالجهل . وهذا ما عرف بالسخرية السقراطية . وكان يرمى من وراء ذلك الى اظهار المعرفة الخاطئة ، وحث الناس على تحرى الحقائق، وطلب المعرفة الصحيحة . وكان في المرحلة الثانية يلقى الاسئلة في ترتيب منطقى يجعل من الميسور الانتهاء الى الحقائق ، وكان هذا ما اسماه سقراط نفسه بالتوليد اى مساعدة الناس على ان يستخرجوا الحقائق بانفسهم ، وكان يوجه عنايته الى تحديد الالفاظ والمعانى التى تحتويها على خلاف السفسطائيين الذين كان عدم التحديد يتيح لهم الفرصة للاغراق في المغالطات والتشكيك في الحقائق .

وقد قال عنه اعداؤه الذين لم يحسنوا

ادراك غرضه أنه يهدم ولا يبنى ، ويرفض ولا يجيء بشيء من عنده ، وأنه من اجل ذلك أفسد الاخلاق ومهد السبيل لسريان الشكوك ، وزاد الامور غموضا وبلبلة . ومن سوء حظه انه كان من تلامذته كرتياس الذى كان يستمتع بتهكم سقراط على الديمقراطية والذى لعب بعد ذلك دورا سياسيا جعله بغيضا الى الاثينيين ، كما كان منهم السبياديز الفتى النابغة المدلل ، وكان من صفوة تلامذة سقراط ومن اصدقائه المقربين ، وقد أساء الى أثينا ، وتنكر لها ، وحالف اسبارطة ، واعانها على أثينا . وكان كذلك منهم ابن الزعيم الديمقراطى اينوس ، وهو شاب آثر ان يستمع الى حديث سقراط ويغفل العناية بعمله ، وهو الاتجار في الجلود ، مما حمل اباه اينوس على القول بأن سقراط قد افسد عقل الشاب بما بث فيه من شكوك ، فلم يعد يبجل اباه أو يحترم الآلهة .

سقراط والسياسة

ولم يكن سقراط يميل الى المشاركة في الاتجاهات السياسية ، ولا يتطلع الى المناصب الادارية ، وقد شاء القدر أن يكون عضوا في مجلس الخمسمائة من سنة ٤٠٦ الى سنة ٤٠٥ قبل الميلاد ، وكان دائما في مواقفه السياسية يتحرى جانب الاعتدال والرفق ، وكان هو الوحيد الذى دافع عن القواد المنتصرين في معركة ارجنوسي البحرية Arginusae فقد اتهم ثمانية من هؤلاء القواد المنتصرين بأنهم تركوا بحارة خمس وعشرين سفينة من السفن التى اغرقها العدو يموتون غرقا على اثر عاصفة بحرية ولم يعملوا على انقاذهم ، وحكم عليهم بالاعدام ، ولم تجد معارضة سقراط ، ونفذ الحكم في ستة من هؤلاء القواد .

حكم الأليجاركيين

واستولى بعد ذلك على الحكم في أثينا ثلاثون من الأليجاركيين ، وكان حكمهم ارهابيا ، فصادروا أموال الكثيرين من اغنياء التجار ، ونفوا من المدينة الكثيرين من الديمقراطيين ، واعدموا الفا وخمسمائة آخرين ، ولم يتورعوا عن قتل من خالفهم ومن كانوا غير راضين عنهم سواء لأسباب سياسية أو لدوافع شخصية محضة ، وقضوا على حرية الاجتماع ، . وحرم اكريتاس ــ الذى كان يوما ما من تلامذة سقراط ــ على سقراط مواصلة احاديثه في الاسواق والاماكن العامة . وأراد الثلاثون أن يعرضوا الفيلسوف للشبهات ويشركوه في آثامهم ، فأمروه بالذهاب مع أربعة آخرين للقبض على التاجر الديمقراطى ليون ، فأطاع الأربعة الامر ، وأبى سقراط الاشتراك في ذلك معرضا نفسه للانتقام والأخذ بالشدة .

عودة الديمقراطيين

وازدادت جرائم الأليجاركيين ، وامعنوا في الاضطهاد والطغيان مما أدى الى سقوط حكمهم ، وزوال دولتهم . وعاد الحكم الديمقراطى الى اثينا في سنة ٤٠٣ قبل الميلاد ، وسارت الجمعية التى تولت الحكم سيرا معتدلا ، فلم يصدر حكم بالاعدام الا على بعض زعماء الثورة على النظام الديمقراطى ، وسمح لهم بالنجاة من هذا الحكم بطريق تيسير الخروج من المدينة . وأعلن بعد ذلك العفو العام عن جميع من ساعد الأليجاركيين من غير هؤلاء الزعماء ، وكان من شأن هذه السياسة الحكيمة ان تعيد الى اثينا الاستقرار والأمن والسلام الذى كانت في اشد حاجة اليه بعد الحروب الدامية وعواصف الخلافات العاتية .

اتهام سقراط والحكم باعدامه

ولكن هذه الديمقراطية السمحة لم تلبث ان تورطت في خطأ من اكبر الأخطاء التى تورطت فيها حكومة من الحكومات ، وهذا الخطأ البالغ هو محاكمة الفيلسوف سقراط بعد أن نيف على السبعين وإصدار الحكم باعدامه .

وكانت التهمة الأولى التى وجهت الى



موت سقراط

سقراط هى انه لا يؤمن بآلهة المدينة ، ويدعو الى عبادة غيرها من الآلهة . وكانت التهمة الثانية هى انه افسد اخلاق الشبان ، وجراهم على الاستهانة بالتقاليد والخروج على طاعة آبائهم .

وكان من زعماء الحزب المنتصر انيتوس ، وكان شديد الحقد على سقراط لاعتقاده انه افسد عليه ابنه ، ولم يشفع لسقراط عند انيتوس انه ابى ان يطيع امر الطغاة الثلاثين في ابان سطوتهم ، وعلو كلمتهم . واخذ ملتيوس وليكون وانيتوس على عاتقهم رفع الدعوى على سقراط ، واحيلت القضية على محكمة مشكلة من قضاة منتخبين من عامة الشعب بطريق الاقتراع ، وليس للكثير منهم نصيب من الثقافة أو المعرفة المستفيضة ، وكان عددهم خمسمائة ، وبعضهم من النوتية والتجار وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن المختلفة .

وقد اكد سقراط للمحكمة انه يؤمن بالوهية الشمس والقمر ، واظهر لمتهميه تناقضهم في اتهامه قائلا لهم : « انكم تقولون أولا انى لا اومن بالآلهة ثم تتبعون ذلك بقولكم انى اومن بانصاف الآلهة .. ان مثلكم هذا كمثل من يؤكد وجود البغال ثم ينكر وجود الخيل والحمير » .

واشار الى اتهام ارسطو فانيز له بالمروق وتأثير هذا الاتهام في نفوس قضاته ، وقال لهم انه مكلف بالقيام بأعباء رسالة الآهية مضمونها لرشاد الناس الى الحياة الصالحة ، وانه لايثنيه شيء عن القيام بما تتطلبه هذه الرسالة ، وانه لا يخشى الموت في سبيل أدائها . وصارحهم قائلا « اذا قلتم لى ، يا سقراط ، انا سنعفو عنك الآن ، ولا نشترط عليك الا ان تكف من هذه الساعة عن متابعة البحث والتفكير على هذا النمط ، فانني ساجيبكم قائلا انى أحبكم يا اهل اثينا واحبكم ، ولكنى ساطيع الله ولا اطيعكم ، ولن امتنع ما دمت حيا وما دامت لدي قوة عن الاشتغال بالفلسفة ، وتعليمها للناس ، وعن القيام بوعظ كل من القاه على طريقتى الخاصة » .

وساء ذلك القضاة بطبيعة الحال وراوا فيه ما يمس كرامتهم ، وينال من كبريائهم ، فامروه بأن يكف عن الاسترسال فيما راوا فيه استهانة بشأنهم ، ولكنه مضى في دفاعه غير عابىء بما اظهروه من الضيق والتبرم واسترسل قائلا : « احب ان تعرفوا انكم اذا اقدمتم على قتل رجل مثلى أسأتم الى انفسكم أكثر من اساءتكم لى .. لانكم ان قضيتم علىّ لن يتيسر لكم أن تجدوا رجلا آخر مثلى ، فأنا اذا سمح لى أن ألجأ الى هذا التشبيه المضحك السخيف كذبابة بعثها الله الى الدولة ، والدولة شبيهة بجواد عظيم كريم بطىء

الحركة لضخامة جسمه ، وهو في حاجة الى ما يبعث فيه الحياة .. وإذا كنتم لن تجدوا مثلى فنصيحتى لكم ان تبقوا على » .

وفوض أمره لقضاته بعد أن اكد لهم انه يابى ان يستعطفهم، ويستلين قلوبهم، ويلتمس منهم الرحمة ، ولم يعجب القضاة هذا الترفع والاباء ، وعدوه لونا من الوان التحدى لهم والاستهانة بهم .

الحكم

واعلنت نتيجة المحاكمة بعد اجراء الاقتراع فاذا بالاغلبية تقرر ادانته وتعده مذنبا ، وكان القانون يخول له حق مناقشة العقوبة المطلوبة، واختيار العقوبة التى يرضاها لنفسه ، ولكن سقراط اصر على رفض اى نوع من انواع العقوبة لان قبوله اية عقوبة يتضمن الاعتراف بالذنب ، وهو بحسب تقديره برىء من الذنوب ، ومن حقه ان يثاب على ما يبذل من النصيحة وحسن التوجيه ، ومن حقه على الدولة أن يعيش على نفقتها . والح عليه أفلاطون وغيره من الأصدقاء ان يقبل تأدية غرامة في نظير العقوبة ، وتكفل أفلاطون وسائر الأصدقاء والاتباع بأن يضمنوا تعهده، ولكنه كان قد أغضب القضاة ، وأثار نقمتهم عليه ، فلما أخذ الرأى للمرة الثانية زاد عدد أصوات الذين حكموا باعدامه .

سقراط ينتظر في سجنه أوبة الحجاج

ويقول الأستاذ يوسف كرم في كتابه عن تاريخ الفلسفة اليونانية « وكانت أثينا ترسل كل سنة حجيجا الى معبد ابولون في جزيرة ديلوس ، فاتفق أن كلل مؤخر المركب في اليوم السابق على صدور الحكم ، وكان قانونا مرعيا أن لا تدنس المدينة باعدام طوال زمن الحج ، وقد استغرق تلك السنة ثلاثين يوما . فانتظر سقراط في سجنه أوبة المركب ، وكان تلاميذه يختلفون اليه كل يوم يتلاقون عند الفجر في المحكمة ، فاذا ما فتح باب السجن دخلوا ، وكثيرا ما كانوا يقضون معه النهار باكمله ، وكان هو ينظم في اوقات الفراغ ، فنظم امثال ايوب ونشيد الابولون ، ولم يكن قد نظم الشعر قبل ذلك » ..

وعمل تلامذته على ان يمهدوا له سبيل الفرار . والراجح ان قضاته كانوا يؤملون ان ينتهى الأمر على هذا النحو ، لأن هدفهم الاصيل كان ابعاده عن أثينا والتخلص منه ، ولكنه أبى الفرار ، وعده نوعا من الخروج على قوانين بلاده التى يحترمها ، وقد نشأ وعاش في ظل تلك القوانين فكيف يرضى لنفسه أن يستهين بها ويخرج عليها ؟ وجاءته زوجته باكية وبين ذراعيها أصغر اطفالها فأخذ يواسيها وطلب الى اكريتون ان يصحبها الى دارها. ولما قال له أحد تلاميذه المتحمسين « انك لا تستحق هذه الميتة » أجابه سقراط :

« هل تريد اذن ان استحقها ؟ » .

وعادت المركب وحان موعد الأجل ، وبكر تلاميذه بالحضور. واتفق ان افلاطون كان مريضا في ذلك اليوم فلم يستطع الحضور ، وكان سقراط يبدو منشرح الصدر ، مطمئن النفس ، واثقا كل الثقة من ان الموت انتقال من عالم الدثور والفناء الى عالم الخلود والبقاء . ودار حديث بينه وبين بعض أصدقائه من الشبان أبدوا فيه ما خالجهم من الشكوك عن بقاء الروح بعد فناء الجسد ، فأكد لهم أن الروح لا تولد مع الجسد ولا تفنى بفنائه ، وانما تشارك في الأبدية الحق والخير .

يشرب السم آخر الأمر

وعند غروب الشمس ودعه حاكم السجن وهو يبكى لأنه لم يجد في حياته سجينا ارق منه حاشية وأثبت جنانا . وجاء الحارس الذى يحمل جرعة السم، فتناول سقراط الكاس في هدوء وشرب كل ما فيها دون ان يبدى اى تردد أو تقزز، وهكذا كانت خاتمة هذا الفيلسوف الكبير .

على ادهم



■ الامساك مرض يصيب الكثير من الناس .. وهو مرض غيرمعد وليسهناك ميكروب معين بسببه، وفي الحقيقة فان أسباب هذا المرض ـ اذا صح أن ندعوه مرضا ـ تعود الينا نحن .. الى طريقة معيشتنا .. الى طبيعة الاطعمة التي نتناولها .. الى طريقة نشأتنا بعد مولدنا .. الى بعض معتقداتنا الخاطئة عن طريقة عمل جهازنا الهضمي .. والى اقبالنا على استعمال الملينات سواء كانت حبوبا أو شرابا أو املاحا دون استشارة طبيب أو طلب نصيحته .

كل هذه الأشياء يمكن ان تؤدى الى الامساك.. والى نتائج اقلها متاعب يومية . الانسان في غنى عنها لو علم بعض الحقائق عن كيفية عمل جهازه الهضمي .

كيف يعمل الجهاز الهضمي ؟

اذا ما استعرضنا عمل الجهاز الهضمي لدى كل واحد منا لوجدنا انه يبدأ عمله في نفس اليوم الذي يولد فيه . فالطفل الحديث الولادة تقوم معاه باخراج اول ما تخرج مادة لينة لونها أخضر على اسود ، ثم بعد ذلك يتغير هذا اللون بمضي الأيام .

وفي حالة ما اذا لوحظ على الطفل الحديث الولادة أن جهازه الهضمي لا يقوم بمهمته في اخراج الفضلات كما يجب وبحالة طبيعية سهلة في خلال يومين من ولادته فمن المستحسن في مثل هذه الحالة أن تستنصح الطبيب .

والأطفال الذين يتناولون تغذية طبيعية من ثدى الأم ، كثيرا ما يتبرزون اكثر من مرة في اليوم الواحد وغالبا ما يحدث هذا بعد تناولهم طعامهم.

والجهاز الهضمي يتكون من جهازاسطوانى واحد يبدأ بالبلعوم وينتهي بالشرج .

وتختلف اسماء اجزاء هذا الجهاز تبعا للعمل الذى يقوم به هذا الجزء . كالهضم والامتصاص والتخزين .

وللجهاز الهضمي عملية رئيسية كبرى وهي عملية الطرد ومؤداها السير بالطعام الى نهاية القناة .. ويسير الطعام عن طريق حركة كحركة الدود تعرف بالحركة الدودية ويسميها الأطباء Peristalsis .

وعندما يصل الطعام الى معدة الطفل تتمدد المعدة ، وتحدث موجات من الحركة الدودية في اماكن أخرى من المعى لكى تسبب حركة الطعام داخل بقية الجهاز الهضمي للطفل . وكنتيجة لهذه الحركة فان محتويات الشرج تخرج هي الأخرى

من القناة الشرجية الى خارج الجسم .

الامساك عند الاطفال

عندما يصبح عمر الطفل شهرا فان تبرزه يقل نسبيا ، وعندما يبلغ عمره الثلاثة شهور فانه في الغالب يتبرز مرة واحدة يوميا . وهذا يعني ان جهازه الهضمي قد اصبح اكثر كفاية في القيام بعمله .

وفي بعض الاحيان يحدث ان الامعاء تستطيع ان تقوم بتخزين محتوياتها لمدة يوم او اكثر .. ولكن عندما تقوم باخراج هذه المحتويات فانها تخرج بسهولة وتكون لينة ، وفي مثل هذه الحالة فلا داعي للقلق او القول بان الطفل يعاني من الامساك.

اما اذا شوهد على الطفل احمرار في الوجه وهو يقوم ببذل مجهود كبير لاخراج فضلات مِعاه، فهذا يدل على انه من الصعب تحريك هذه الفضلات، والسبب في ذلك يرجع الى نوع الطعام ، فالفضلات اكثرها جامد ولابد من تليينها .

وفي مثل هذه الحالة فمن المستحسن اضافة قليل من الفواكه او الخضروات المهروسة والسكر الى طعام الطفل لمساعدة حركة الجهاز الهضمي.

فاذا لم يؤد هذا الى القضاء على الامساك فعليك باستشارة الطبيب وتجنب تماما استعمال تجاربك او وصفات الجيران التي قد تؤدي الى ضرر كبير .

ومن المهم ان نتذكر دائما ان الامساك ليس مخيفا الى الحد الذي نتصوره فانه ببساطة ياتي نتيجة لما ذكرنا من سوء الغذاء وسوء توقيته .

الامساك عند الكبار

عندما تنتهي مرحلة الطفولة فان الجهاز الهضمي يترك عادة لتادية عمله دون الالتفات اليه . فهذه الاعضاء ذات الكفاية العالية تقوم بعملها بسهولة ويسر طالما ليس هناك اى تدخل خارجي .

ولكن قد يحدث ان يشعر واحد منا بانه يعاني من الامساك . ويكون هذا عادة بسبب تغيير عاداته الطبيعية او نتيجة لتغير في ظروف حياته او بعد تقليل كميات الطعام العادية نتيجة لمرض استمر عدة ايام .

ومرة اخرى نكرر هنا انه من المستحسن في مثل هذه الحالات استشارة الطبيب قبل ان تهرع الى الصيدلية لشراء هذا الملين او ذاك الدواء .

وعادة ما يكون الطفل الذي يعاني من الامساك المزمن ابنا لأب او ام يعاني من نفس المرض . وليس معنى هذا ان الامساك مرض وراثي .

ولكن غالبا ما تؤدي الافكار الخاطئة عن كيفية حركة وعمل الجهاز الهضمي الى نشوء هذا المرض. ولذلك يجب ان نعيد النظر في معلوماتنا حتى نستطيع ان ننقذ انفسنا من الامساك . وأن ننقذ انفسنا ايضا من الدخول في عصر يسمى بعصر المسهلات او الملينات .

ان الجهاز الهضمي قد يكتسب عادات سيئة ، مثلما يكتسب العادات الحسنة .

ولذلك فانه قد يرفض العمل بدون ملعقة دواء او كوب املاح او حبة ملينة اذا ما عودناه على مثل هذه الأدوية .

والامساك في الكبار عادة ما ياتي كاستمرار للامساك الذي كانوا يعانون منه وهم صغار .. ولكن في كثير من الاحيان يحدث الامساك بعد الشفاء من مرض او عملية وضع بالنسبة للنساء. وفي مثل هذه الاحوال فان اى جهاز هضمي في العالم ، مهما كان قويا ، يحتاج الى مساعدة خارجية سواء بالملينات او اللبوسات او الحقن الشرجية .

الملينات

والملينات هي في الغالب مركبات كيمائية معقدة تعمل بطرق مختلفة .

بعضها يؤدي مهمته عن طريق تهييج الامعاء . ومثل هذه الملينات يكون مفعوله قويا في بادىء الامر ولكن باستمرار استعماله يفقد اى تاثير له لان الامعاء تتعود عليه ..

وبعض الملينات يقوم بتنشيط الحركات الدودية بطريقة طبيعية مثل زيادة حجم محتويات الامعاء او تنشيط الاعصاب التي تتحكم في الحركة الدودية .

اما سائل « البرافين » مثلا فهو يقوم بتزليق محتويات الامعاء ويجعل حركتها سهلة عند الضرورة، وسائل « البرافين » وان كان يبدو مثاليا في اعين الكثيرين الا ان له عيوبا جانبية ولذلك لا يجب استعماله بانتظام .

اللبوسات والحقن الشرجية

واللبوسات تقوم بعملها عن طريق تهييج انسجة

القناة الشرجية والجزء الاخير من الامعاء . وتقوم الحقن الشرجية بنفس العمل ولكنها أيضا تقوم بتوسيع نهاية الامعاء من ناحية الشرج وبذلك تخلق تنشيطا لحركة الجهاز الهضمي الدودية .

الزائدة الدودية والامساك

ومن المدهش أن هناك عدة أمراض للجهاز الهضمي ولكن ما نعرفه عنها قليل فمثلا الالم الذى يبدأ عادة حول السرة ويصحبه قيء ثم ينتقل هذا الألم تدريجيا الى الناحية اليمنى من اسفل البطن .. هذا المرض هو التهاب الزائدة الدودية. وبالرغم من أن الأطباء لايعلمون على وجه اليقين السبب الحقيقى وراء هذا المرض ـ المعروف عند الناس بالتهاب المصران الأعور ـ الا أن هناك بعض الآراء التى تقول ان الامساك وتراكم الفضلات في المعى الغليظة ربما يكون احد أسباب التهاب الزائدة الدودية .

مرض غامض

ومن أحد الأمراض الغامضة في الجهاز الهضمي مرض بدأ الأطباء يلاحظونه بكثرة في هذه الأيام بعد أن لم يكن متفشيا من قبل . وهو عبارة عن اكياس صغيرة أو بالونات تبرز من الجهاز الهضمي وخاصة من نهاية الامعاء الغليظة . وهذه الاكياس تسبب ألما في الناحية اليسرى من البطن .وكذلك اضطرابات في الجهاز الهضمي عندما تلتهب .

وهناك كثير من الاطباء الذين يعزون اسباب هذا المرض ـ الذى انتشر حديثا ـ الى تغير طبيعة الاغذية في هذا العصر .. وبعضهم يعزو اسبابه الى العادات الاجتماعية التى تستنكر اخراج الارياح عند الشعور بالحاجة في اى وقت.

والنظرية التى يميل اليها أكثر الأطباء الآن هى أن الناس تقوم باخراج فضلات الجهاز الهضمي بطريقة غير طبيعية . فمن المعروف من الناحية التشريحية ان انسب وضع للتبرز هو ان يكون الانسان قاعدا القرفصاء فهذا يؤدى الى مساعدة عضلات فتحة الشرج والى أن تقوم عضلات جدار البطن بمساعدة حركة الجهاز الهضمي الطبيعية . ولكن لسوء الحظ فان المراحيض الحديثة التى صممت للجلوس عليها عند التبرز تجعل الانسان في وضع غير سليم . مما قد يؤدى الى حدوث هذه الاكياس او البروزات في الجزء الاخير من المعى او الى حدوث مرض البواسير .

ويستدعى علاج هذه الاكياس أو البواسير اما باجراء عملية جراحية أو اتباع نظام غذائى محدد وتناول بعض الملينات طبقا لرأى الطبيب المعالج .

دم أو مخاط

وهناك أيضا شيء يتفق عليه جميع الاطباء وهو أهمية اجراء بحوث طبية عند حدوث أية تغييرات في حركة الجهاز الهضمي وعلاج أية افرازات مخاطية أو دموية تظهر في البراز . فهذه الافرازات قد تكون علامة مبكرة لأحد الامراض الخطيرة في الجهاز الهضمي . وان كانت في كثير من الاحيان لا تعنى شيئا من هذا .

ولكن بالرغم من هذا الاحتمال فانه يجب الاهتمام باجراء فحوص طبية ومعملية أو فحص بالاشعة ، في مثل هذه الحالات ، حتى يمكن الكشف عن اى مرض وهو لا يزال في مبدئه فيكون علاجه امرا سهلا .

الجهاز الهضمي والاعصاب

ومن المعروف أن الأعصاب قد تؤثر على عمل الجهاز الهضمي بطريقة او اخرى . فهى قد تتسبب في الامساك وقد تتسبب في الاسهال . وهناك علاقة ـ غير ثابتة ثبوتا قاطعا حتى الآن ـ للاعصاب بمرض آخر من امراض الجهاز الهضمي وهو « القرحة » Ulcer .

وهناك ابحاث تجرى الآن لمعرفة علاقة الاعصاب بمرض القرحة حتى يستطيع الأطباء اما شفاء هذا المرض او الوقاية منه .

نصيحة هامة

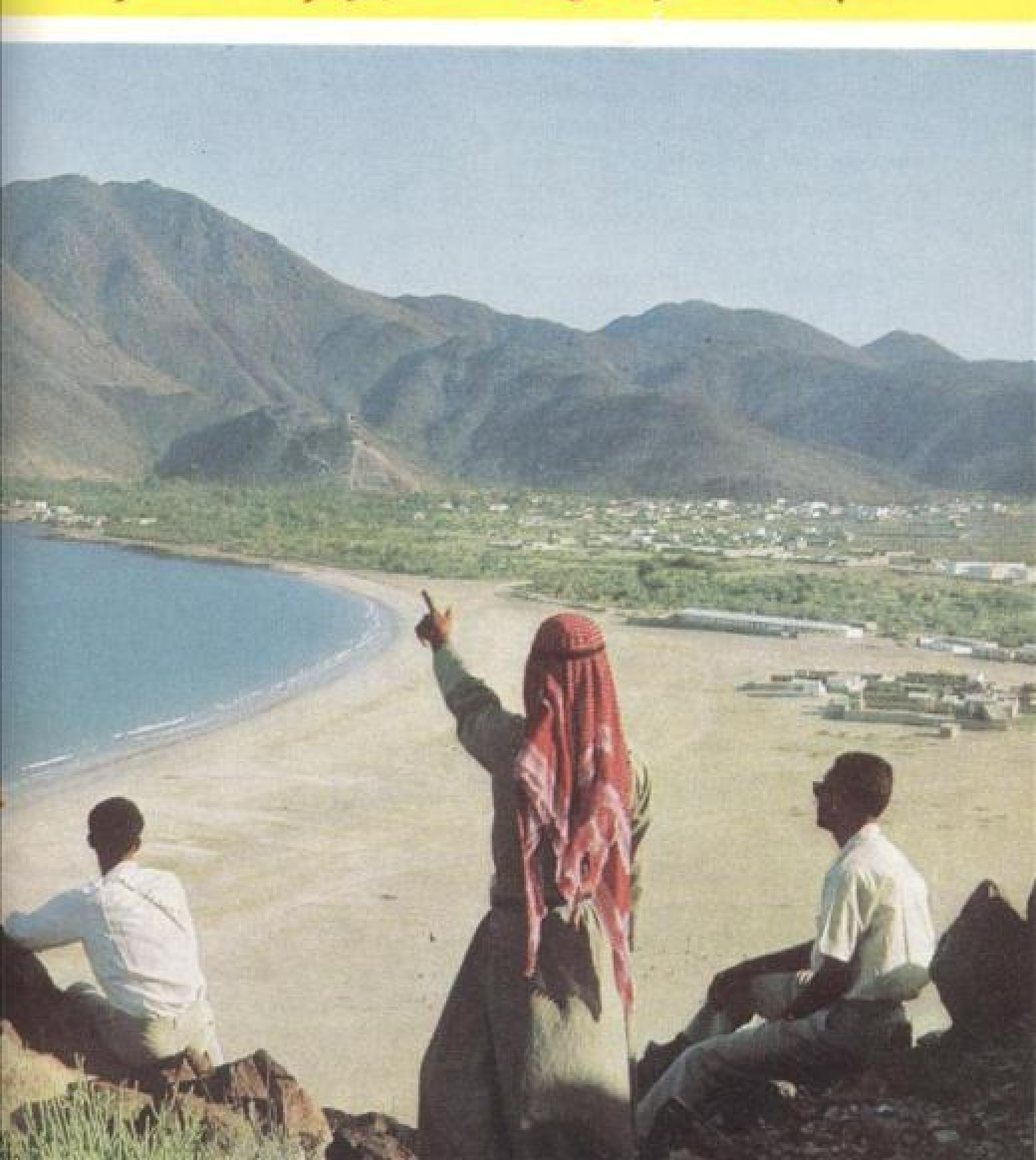
ان العناية بالجهاز الهضمي أمر يجب أن يهتم به الفرد والطبيب على حد سواء .

ويجب عليك أن تتذكر دائما ان الجهاز الهضمي الطبيعى ليس في حاجة الى تنظيف من الداخل . وعندما تشعر بحاجتك الى ملين فعليك أن تعلم انك في الحقيقة في حاجة الى استشارة طبيب . وعندما لا يصف لك الطبيب دواء او ملينا ، فلا تصاب بخيبة امل فان اغلب الاطباء اليوم يؤثرون عدم استعمال الأدوية الملينة . وهم على حق في هذا .

اعرف وطنك أيها العربي

الشارقة

البلد الذى يختلط فيه القديم





قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

أوسكار

الماضي والحاضر يجتمعان في صورة واحدة بالشارقة !

الى أسفل: هذه الصورة ليست لساحل «الريفيرا» أو «ميامي بيتش»، ولك
لأجمل خليج في وطننا الكبير، انه «خورفكان»... ترى هل يصبح ريفيرا أخر

مَعَ الجَدِيد

■ لأول مرة وبعد ستار كثيف مـن الظلام ، الذى بدا في وقت من الاوقات ، وكأنه لا نهائي .. انطلقت الأنوار تغمر بأضوائها امارات ساحل عمان .

وانطلقت الاذاعات تعلن مولد «اتحاد الامارات العربية » الذى شهد النور في نهاية شهر فبراير (شباط) ١٩٦٨ والذى نرجو أن يكون بداية لوحدة المنطقة وأن تذوب فيه الفوارق ويحظى برضى الشعب وتأييده .

« والعربي » التي عاصرت هـذا الساحل منذ بدء تفتحه ، عندما قدمت عنه اول استطلاع ملون منذ ثماني سنوات ، ترسل اليوم مرة ثانية بعثتهـا لتشهد عن كثب شعب هذه المنطقة ، وهو ينطلق من الحياة القبلية ، الى الحياة العصرية بكل تعقيداتها ومتاعبها .

فهناك تخوض أربع امارات ، معركة عنيفة من اجل الدخول الى دائرة المجال الاقتصادى والتكني اللذين يسيران العالم الحديث :

« الشارقة » تحاول أن تجدد شبابها ، مستندة الى التطور الذى بدا واضحا في المنطقة والى ما تختزنه أرضها من معادن قديسفر التنقيب عن فوائدها وخيرها الكثير .

و « دُبَيّ » تقف كالعروس مزهوة بجمـال خورها ، وامتلاء أسواقها ، ورشاقة سفنهـا السريعة ، انها تستعد لتصبح امارة مُصَدِّرة للنفط في العام القادم ..

ومن « أبى ظَبْي » ، تنطلق جلبة تصم الآذان .. انه بلد يبنى نفسه ، بعد ان تفجر النفط من تحت رماله ومياهه في آن واحد ..

وفي « رأس الخيمة » التي تشارك الشارقة في امجادها يسود هدوء غريب .. فالجميع هناك يُصغون ، ويعدون دقات آلة الحفر ، وهي تندفع الى أعماق البحر بحثا عن الذهب الاسود !

تعمير وبناء وآمال كبار ، في بلاد لم يكن فيها للغنى المادى اى قيمة كبيرة .. كانت قانعة بغنى النفس ، والاعتزاز بالكرامة العربية التي تفوق قيمتهما قيمة الذهب الاصفر الرنان .

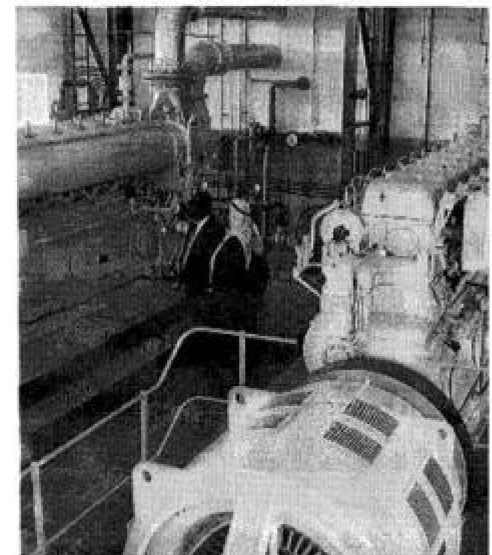
القواسم والصقور والفوالة !

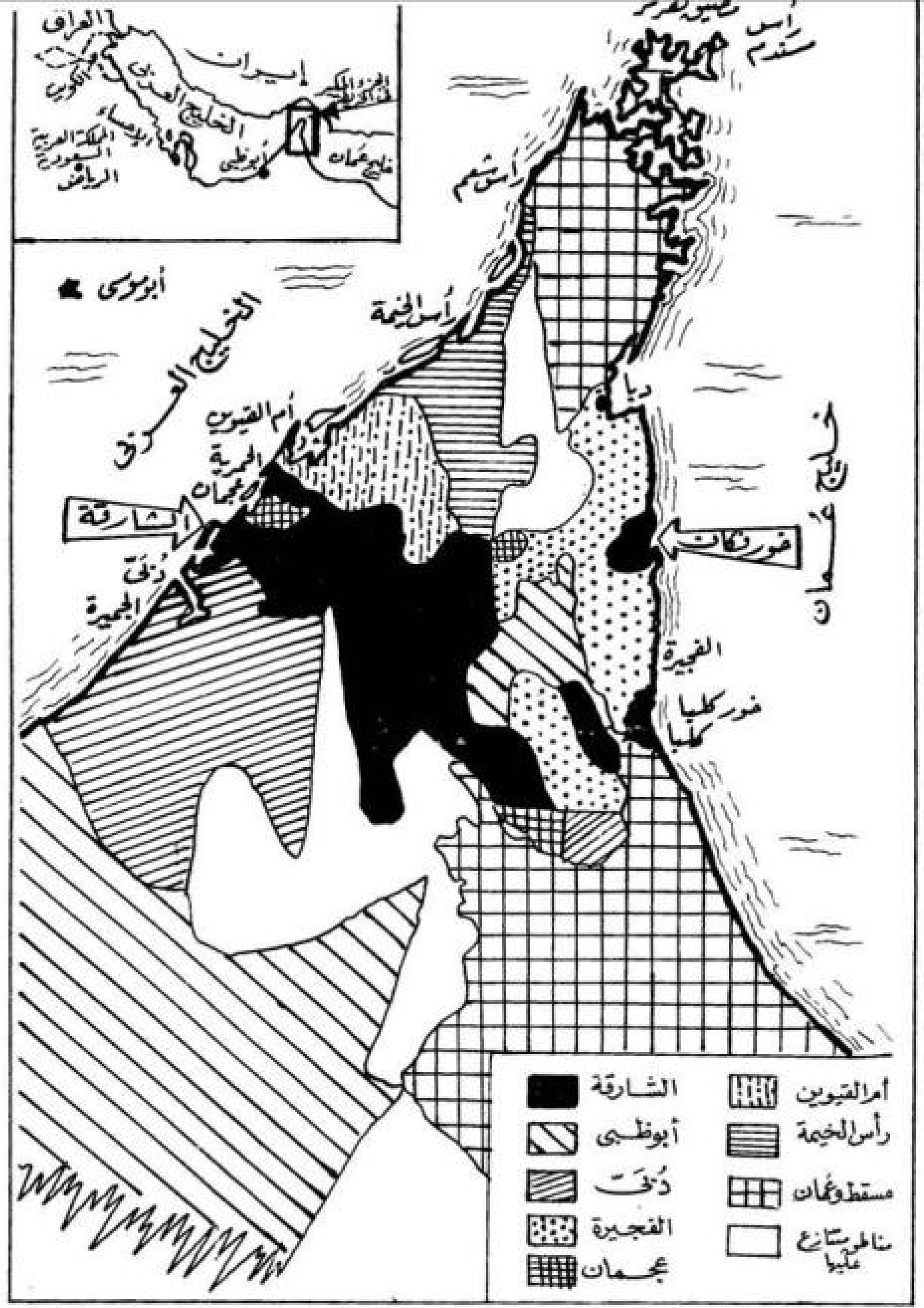
والشارقة من أكثر الامارات السبع حفاظا على التراث والتقاليد العربيـة ، فما تكـاد الأعياد تطل حتى يهرع اليها أهالي الساحل من كل حدب، يرقصون « العرضة » رقصة الحرب العربية . ويصطادون بالصقور ، ويأكلون «الفوالة» اى الفاكهة والحلوى ، قبل شرب الشاى والقهوة !

وعن أجدادهم ، القواسم ، ورث أهل الشارقة الاصالة العربية القديمة ، فناموا عليها وجمّدوها دون أن يطوّروها .. ومنذ سنتين فقط تفتحت عيونهم على ما حولهم ، فهالهم أن كل شيء يجذبهم ويشدهم الى « القديم » .. ولكن تفتحهم العلمي البسيط رفض هذا النوع من الحياة ، فبدأوا حركة اندفاع جماعية نحو « الجديد » لم تلق اية معارضة .. لأنهم شعب تعب من العيش مع « القديم » المهترىء .. تعبوا من الركض وراء الجمال الشاردة .. تعبوا من شرب مياه الآبار المالحة .. تعبوا من النوم تحت « الصرائف » وفي الخرائب .. تعبوا من أكل الرز والسمك كوجبة طعام وحيدة ! .

تعبوا من كل هذا « القديم » .. ولكن «الجديد» الذى يهدفون اليه ، ما زالت صورته غير واضحة تماما .. لقد سمعوه يدق أبواب جيرانهم، وشهدوه في البلاد الأخرى خلال أسفارهم .. فاشتاقوا اليه، وهم الذين كانت سطوة أجدادهم، ونفوذهم

بعد اسابيع سوف تدور محركات هذه المولدات الكهربائية الجديدة ، وستغمر الاضواء شوارع الشارقة ، ولن تنقطع الكهرباء عن المدينة





كانت « العربي » أول من نشر هذه الخريطة بالالوان لامارات ساحل عمان في عددي يوليو ١٩٦٠ ونوفمبر ١٩٦٦ وقد نقلها عنا المؤلفون والصحفيون واصبحت جدران المدارس في المنطقة مزدانة بها .. ويضم ساحل عمان سبع امارات ، ستا منها تطل على مياه الخليج العربي ، وواحدة على ساحل خليج عمان ، وهي الفجيرة .. أما مساحة المنطقة فتزيد عن ٣٢ الف ميل مربع .. وتعداد سكانها التقريبي ١٢٠ الفا .. والشارقة هي الجزء الاسود في الخريطة ، وتنقسم الى عدة اقسام : قسم يطل على الخليج العربي ، حيث عاصمة الامارة ، وبقية الاجزاء تطل على خليج عمان



هل نجح زحف المدنية في اخفاء صورة حياة البادية في الشارقة ؟.. لقد اختفت الخيام هاربة تبحث لنفسها عن مكان آخر وجاء البعض ليروا الصورة الجديدة عن كثب .. ولم يجيئوا وحدهم ، وانما جاءوا يجرون نياقهم تلك التي عاشوا معها ، وشربوا لبنها ، وحملوا متاعهم على ظهورها .. فأصبحت جزءا من حياتهم .. وكانت مفاجأة لهم في البداية ، ولكنهم ما لبثوا أن انضموا الى ركب الحضارة الوافدة ، وفي وسط هذا المجتمع الجديد بدأوا يتحضرون ولكن ... هل تركوا حياتهم القديمة التي اعتادوا عليها والفوها ؟.. لا ... لقد نقلوها معهم



... تعلوا عاداتهم وتقاليدهم العربية الاصيلة ، وهكذا عاش القديم والجديد جنبا الى جنب .. صورة رائعة لما يمكن أن يحدث من تآلف بين حياة بدوية أصيلة ، وحياة عصرية وافدة .. واذا زرت الشارقة في مناسبة دينية أو قومية وجدتهم هناك في الميادين والساحات يرقصون رقصاتهم العربية (العيالة) على دقات الطبول وأنغام البادية ... نفس الميادين الكبيرة التى تشرف عليها المحال التجارية الحديثة .. هذه هى الشارقة التى تنفرد بصورة من الحياة فريدة ، تجمع بين الماضي الذاهب والحاضر الوليد ..

التجاري ، يمتدان الى شواطىء الهند ، وسواحل افريقيا ، منذ عهد قديم يعود الى ما قبل ظهور الاسلام ..

فاسكو دى جاما ، هو السبب !

واول سؤال يتبادر الى الاذهان هو : ما الذى حدث لهذه السطوة وهذا الجاه ، حتى تركا مكانهما للفقر والجمود ؟

ونبحث عن كتاب عربى ثقة يعطينا الاجابة الشافية فلا نجده ، أو لا نعرف بوجوده ..وأخيرا ظهر كتاب بالانجليزية تحت اسم The Portuguese Off The South Arabian Coast كشف النقاب عن الدور الخطير الذى لعبه المكتشف البرتغالى فاسكو دى جاما في القضاء على المجد العربى القديم ..

وتبدا القصة عندما انطلق « دى جاما »صبيحة يوم ٨ يوليو عام ١٤٩٧ من البرتغال ، ودار حول افريقيا مكتشفا طريق راس الرجاء الصالح ، وزار الجاليات العربية على سواحل افريقيا الشرقية ، فاستقبلوه مرحبين .. وتابع سفره حتى وصل كاليكوت بالهند ، واهمل الكتاب ذكر ابن ماجد الذى أوصل فاسكو دى جاما الى الهند .. ثم قفل « دى جاما »راجعا الى البترتغال ، ليعود مرة ثانية، على نفس الطريق عام ١٥٠٢ تتبعه قوةبحرية مؤلفة من ١٥٠٠ محارب ارسلتهم البرتغال عام ١٥٠٥ من أجل اقامة ستمراكز حربية بين افريقيا والهند ، والقضاء على سطوة التجار العرب ، الذين كانوا ينقلون البضائع بين الهند والحبشة ومصر والشام ومنها تاخذها البواخر الى اوربا .. وراى البرتغاليون أن خير حل لتحقيق هدفهم هو اغلاق مدخلى البحر الاحمر والخليج العربى.. وسارت قوتهم البحرية بقياة البوكرك Alboukerke السفاح ، تحرق الموانى العربية ، وتغرق اساطيلها التجارية .. وكان ميناء خورفكان ـ التابع للشارقة حاليا ـ من الموانىء التى احرقها « البوكرك » ، ومثل باهلها ابشع تمثيل : جدع انوفهم وصلم اذانهم ، وقطع رقاب الألوف منهم ، حتى تحول لون مياه البحر الازرق الى احمر ، فامتنع الناس عن صيد الاسماك واكلها ، لانها شربت دماء آدمية .

وبهذا الاسلوب البربرى الوحشي قضى البرتغاليون على تجارة العرب في المنطقة التى ازدهرت منذ عهد دولة معين ، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وتحت قيادة ناصر بن مرشد اليعربي ، قام العرب بمحاربة البرتغاليين وطردهم من سواحلهم.

الفرق بين الجهاد والقرصنة !

وبعد البرتغاليين جاء الهولنديون والفرنسيون والانجليز ، وكثر المغامرون والقراصنة الاوروبيون، يرتكبون الجرائم ويغرقون السفن العربية التجارية، ويحرقون الموانىء .. ولم يطق العرب سكوتا فقاموا قومة رجل واحد ، داعين الى الجهاد .. وظهر « القواسم » عام ١٧٤٧ كقوة بحرية عربية ظلت تنقوى ، حتى بلغ عدد وحداتها ٨٧٠ سفينة يسيرها نحو ١٩ الف بحار ..

وفرضت هذه القوة العربية سلطانها على المنطقة ، فقضت على القراصنة الاجانب ،وحمت



في حصة التدبير المنزلي ، فتاة من الشارقة اصبحت تجيد عمل « الكيك » و « الكريم كراميل » ، لقد ادخلتهما الى منزلها ، فأحبهما الاهالى ..



تحيط بالشارقة مناطق صحراوية غنية بالاعشاب والمياه الجوفية ، يعيش فيها البدو مع نسائهم وجمالهم تحت خيام مصنوعة من وبر الجمال

السفن العربية التجارية ، وامتد نفوذها حتى اغارت على سواحل الهند ..

واطلق الاجانب لفظ « القراصنة » على القواسم .. ولكن احفادهم في الشارقة يرفضون هذا الاتهام ويقولون : « كان آباؤنا مجاهدين ولم يكونوا قراصنة .. كانوا يجاهدون لتخليص المنطقة من السفن الاجنبية وسفن القراصنة التى اغرقت السفن العربية ، وقطعت موارد رزق اجدادنا .. فهل الدفاع عن النفس يسمى قرصنة؟ قد يكون هذا التعبير صادقا في عرفهم ، اما نحن فنعتبره جهادا قام به أجدادنا الذين عاشوا في الشارقة ورأس الخيمة ، وساحل عمان . »

دبا تنافس برلين !

وكانت الشارقة « الشرْجة » - كما ذكرها النبهاني في كتابه صفة جزيرة العرب - هى نقطة اشعاع المنطقة الموحدة .. اما اليوم فالشارقة مبعثرة على خمس قطع متفرقة .. واحدة على الخليج العربى بمياهه اللازوردية الخضراء .. وثانية على خليج عمان بمياهه الزرقاء الداكنة ، التى هى جزء من مياه المحيط الهندى .. وقطعة ثالثة واقعة في مناطق لا تصلها السيارات ، مثل عين غمور الكبريتية الصحية ، وقرية دبا التى نافست برلين في تقسيمها ، اذ يخضع طرفها الشمالى لمسقط، وطرفها الجنوبى لامارة الفجيره، وطرفها الأوسط للشارقة !!

اما خورفكان فهى ليست أجمل المناطق في الشارقة وحسب .. بل من اروع المناطق الطبيعية في وطننا العربى الكبير .. اغدقت عليها الطبيعة دون حساب .. فهنا الماء العذب على عمق بضع اقدام .. وهنا الارض الطيبة تعطى اشهى الثمار والخضراوات .. وفي البحر ثروة سمكية خيالية تباع بابخس الاثمان .. وبين الجبال خلجان تحتاج الى لمسات لتصبح جنة للسياح .. ولو كان هناك طريق موصل اليها لهاجر كل اهالى ساحل عمان الى خورفكان الغنية الطيبة .

الاسماك بدل السماد

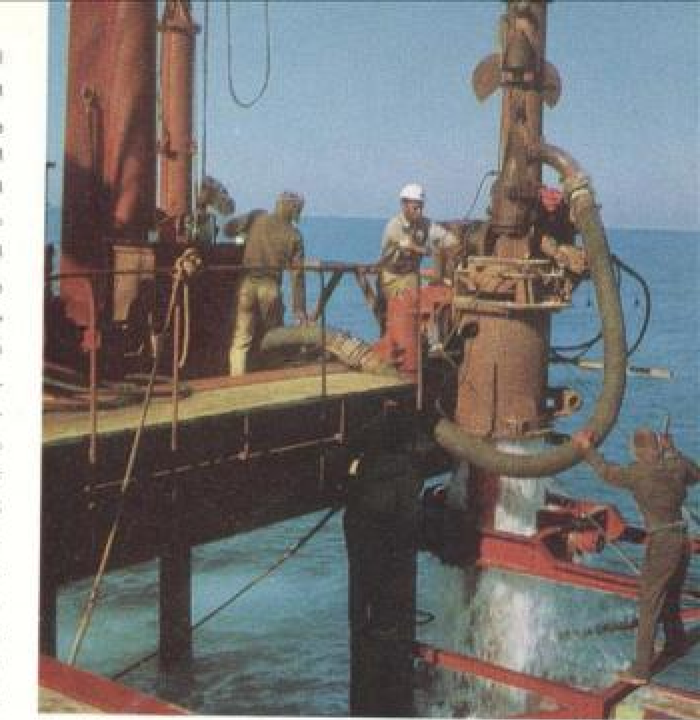
ولكن من يفكر في الزرع او الرعى ؟

ان رائحة النفط المتصاعدة من آبار الكويت والاحساء والبحرين ، جذبت اليها العديد من اهالى خورفكان فقصدوها ليعملوا في صناعة النفط، تاركين الشيب والنساء والاطفال لزراعة الارض ، التى وزعها شيخ الشارقة عليهم بالمجان .. ولولا طيب التربة لجاءت المزروعات هزيلة مثل الايدى التى تفلحها ، والتى تستعمل الاسماك الصغيرة كسماد للمزروعات ، وتضع الاسماك الكبيرة في مجرى مياه الرى فتهترى وتتعفن لتصبح سمادا طبيعيا للزراعة .. وفي نفس الوقت تصبح موطنا للبعوض والذباب ينشران المرض في المنطقة !

طبيب وطبيبة لخورفكان

وقد حاول مكتب الكويت في الامارات ، ارسال

اغلقت الرمال ميناء الشارقة القديم فتدهورت التجارة ، وتعرض مستقبل البلاد الاقتصادي للخطر ؛ لهذا صمم الاهالي والحاكم على ضرورة عمل ميناء جديد ، ورغم جميع المحاولات شرعوا في التنفيذ ... واليوم كاد العمل ان ينتهي من مد رصيف بطول ٨١٠ مترا داخل البحر ، لتقف عليه — ولاول مرة — السفن من حمولة ١٠ آلاف طن .. ان هذا الرصيف هو الاساس الذي تعتمد عليه الشارقة من اجل نهضتها الحديثة ، لهذا جندت جميع امكانياتها من أجل الانتهاء منه .. وقد استعمل حتى الآن ١١ ألف طن من الخرسانة المسلحة لارساء قواعده ، كما ترى في الصورتين اليمنى والسفلى .



ميناء الشارقه
PORT SHAR

الشارقة الحديثة .. لم تكن هذه العمارة موجودة منذ عامين .. ولم تكن السيارات تسير لانه لم تكن هناك طرقات ... اما اليوم فالتطور السريع لمس بعصاه السحرية مدينة الشارقة ، فانطلقت تبنى وتعمر وتفتح ابوابها امام الجميع .



نورما ، وبيترا بجوار قبر الزوج والاب ... انه المهندس الالمانى برنار الذى عشق الشارقة واهلها ، فأوصى أن يدفن في ثراها ، ويكتفي بتعلقيها ، ان قبره لا يخلو ابدا من زهور يضعها فوقه الاهالى تمجيدا لرجل عمل في تشييد مبانيهم وعشق ارضهم الطيبة



طبيب ليعمل في خورفكان ، ولكنه ما كاد يقضي اسبوعين هناك حتى عاد هاربا ، مفضلا العيش في منطقة مزدهرة قريبة .. ولم يقبل اى طبيب عربى العمل في خورفكان ، حتى تقدم أخيرا طبيب هندى مع زوجته هو الدكتور « مالك ازهر ايمام » ووافقا على الذهاب للعمل هناك ..

ونحن نسجل اسمه على صفحات « العربى » تكريما له ، واعجابا بعنايته بمائة وخمسين مريضا ومريضة يأتونه يوميا في السيارات وعلى ظهور الجمال من مسقط والشارقة والفجيرة وعمان ، يشكون من فقر الدم ، وآلام الاسنان ، والسل ، والعمى ، والملاريا ، وأمراض النساء !

المدرسون والمدرسات !

ومقابل تسجيل موقف هؤلاء الاطباء ، نسجل بالاعجاب موقفا مضادا لست مدرسات وتسعة مدرسين يتولون التدريس في مدارس الكويت ، ويقومون بتعليم ١٧٠ طالبة و ٢٧٨ طالبا من أبناء خورفكان ، بأسلوب يبعث على الفخر والاعجاب ، حتى ان فريق كشافة خورفكان مثل امارة الشارقة كلها في المخيم الكشفى العربى العام ..

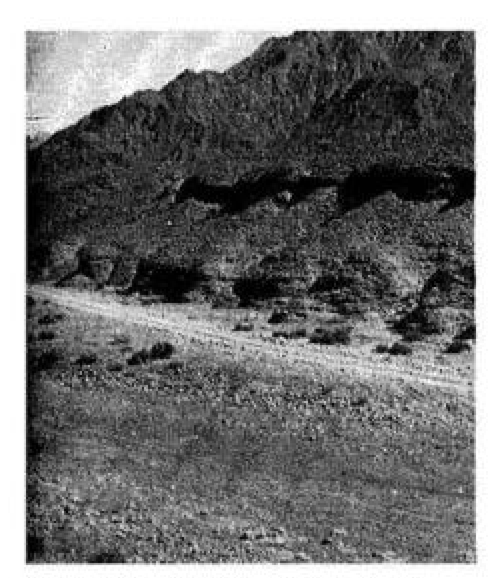
وعوامل الازعاج الاربعة التى تنغص الحيـاة بخورفكان في طريقها الى الحل السريـع ... فالكهرباء ينتظر أن يبدأ دوران محركات المولدات الجديدة قريبا جدا ، بدلا من المولدات الصغيرة الموجودة حاليا .

والماء .. كاد العمل ينتهى من بناء خزان كبير.

والعلاج الطبى أصبح شبه مأمون ، بعد افتتاح المستشفى الذى شيدته الكويت ، وجعلت فيه عشرين سريرا للنساء والرجال .. ولكن العقبة هى في العثور على الايدى الرحيمة التى تقبل العمل هناك ..

من يعبد الطريق ؟

والمشكلة الرابعةهى انشاء طريق يربط خورفكان بمدينة الشارقة ، والمسافة بينهما حوالى ١٧٠ كيلومتر تقريبا ، والطريق الحالى يمر على الرمال حتى قرية الزبد التى تبعد ٧٥ كيلومتر تقريبا من الشارقة ، وهذه المسافة تكفل الشيخ زايد حاكم ابو ظبى ، بتعبيدها .. ويسير الطريق بعد هذا في وادى حام بين سلسلة جبال عُمان المرتفعة،



وادى حام المؤدى الى خور فكان .. لقد تمت عط
ان تتقدم دولة عربية وتتولى تعبيده لتحيى النط

وقد قامت طائرات سلاح الطيران الملكى البريطانى وقوة ساحل عمان ، بالتقاط الصور الطوبوغرافية لهذه المنطقة ، وتكلفت عملية التصوير خمسـة آلاف جنيه استرلينى دفعها مجلس حكام الامارات!! أما تكاليف تعبيد الطريق فلم يظهر بعد الشخص أو الجهة التى ستدفع ثمن تعبيده !

متاعب نفطية

والشارقة ليست بلد غنى .. ولكنها في نفس الوقت ليست بلدا فقيرا .. فالنفط موجـود تحت تربتها ، ولكنه لم يتدفق منها حتى الآن لاختلاطه بقصص كثيرة يروى الاهالى والمسئولون تفاصيلها بقولهم : « الشركات لا تريد لنفطنا ظهورا بسبب تيارات خفية عالمية .. » .

وحدث في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٦٨ ان أصدر حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمـد القاسمى بيانا قال فيه : « ليكن معلوما لدى الجميع ان هذا البيان الذى يحمل توقيعى وختمى الغرض منه أن يخطر كل من يهمه الأمر أن الامتياز الذى منح الى السادة جون دبليو ميكوم للتنقيب عن البترول في منطقة الشارجة ، قد انتهى في ٣٠ يونيو ١٩٦٧ وبناء عليه فقد رفضنا تجديده ،وهذا لا يؤثر اطلاقا على اى محادثات مع أى طـرف آخر .. » .


التقاط الصور الطوبوغرافية لـه .. والمطلوب الآن التى لا يستطيع احد أن يصلها ، رغم روعتها وجمالها

بلاد في حاجة الى أيد خبيرة

وبالرغم من هذه « المتاعب النفطية » فـان الشارقة تبنى وتعمر .. وكل يوم ينقضي يأتى بتغيير جديد على تخطيط المدينة الممتدة علىساحل الخليج العربى،والتى جئناها منذ سنتين فانتهزنا الفرصة وقابلنا حاكمها : الشيخ خالد بن محمد القاسمي ، وفي معرض الحديث اعتذرنا له عن عدم امكاننا عمل استطلاع عن بلاده لعدم وجود شيء حديث يمكن تصويره !!

وفي هذهالمرة قابلنا الشيخ خالد وهو يقول لنا: « أملى ان تجدوا اليوم شيئا يستحق التسجيل في الشارقة .. لن أطيل الحديث .. ولكنى أتركه للمنشآت الجديدة التى أقمناها خلال العامين الماضيين .. اننا فيبداية الطريق ، والبداية دائما صعبة ، ولكن المهم اننا بدانا .. ان الشارقة هى بلادكم ، كما أنها بلاد كل عربى ، لقد فتحنا ابوابنا أمام اخواننا العرب .. من يريد ان يشيد منزلا أعطيناه قطعة ارض بسعر زهيد .. ومنأراد اقامة مصنع ، أو مشروع زراعى ، قدمنا له الارض مجانا وسهلنا له مهمته .. ان بلادنا ما زالت بكرا .. وثروات الشارقة خيالية : عندنا المعادن على اختلاف أنواعها مخفية بين صخور جبالنا ... وعندنا ثروة سمكية هائلة ..وأرضنا الزراعيـة تنبت فيها اشجار الغاف والسدر تلقائيا ، فما بالك لوتعهدتها يد خبيرة ؟! »

القديم يواجه الحديث

وانطلقنا في مدينة الشارقة وشوارعها فاتحين أعيننا وآذاننا .. فرأينا صورا لم تكن تخطر لنا على بال .. صورا لصراع من نوع غريب ، يجرى بين الماضي والحاضر .. بين القديم والحديث .. البدوى يبنى صرائفه بسعف النخيل ، والعامل يبنى عمارة البنك العربى بالاسمنت والحـديد .. والسوق الحديث يبيع احـدث المنتجات ، والسوق التقليدي المبنى بالطين واللبن ، يبيع ضمن ما يبيع ، التوابل والارز وصلصة الطماطم التى لا غنى عنها في كل طعام .. وبجانب شجرة الرولة التقليدية تمر سيارة كاديلاك مسرعة ، تهتز لها اغصان الشجرة العجوز، ويتعجب البدوى وجمله من سرعتها الزائدة !! وهنا عند هذا المشهد تتلخص مشكلة المنطقة كلها ، وهى : كيف يمكن تكييف البدوى البسيط مع تعقيدات المدنية الحديثة ؟!

كيف يمكن أن نحرره من جمله ليقود السيارة .. كيف يمكن ان نقيده داخل شقة في منـزل وهو الذى تعود العيش في صحراء واسعة .. وكيف يمكن اقناع ساكنى الصرائف ان السجادة والحصيرة لن تظلا مرقدا لنومهم ، بل ستتحولان الى اداة زينة .. كيف يمكن ان نفهمهم ان مواقد الغاز ستحل مكان تنور الحطب .. كيف يمكننا افهامهم ان الغسالة الكهربائية ستحل مكان المرأة التى تقضي يومها في « غلى الملابس ، وتصبينها وتزهيرها وتفويحها ثم نشرها على الحبال » .. كيف يمكن اقناعهم بأن مكيفات الهواء ستعطيهم هواء رطبا يفوق الهواء الذى يأتيهم من فتحات « البادجير » ؟!

أسئلة تبدو وكأنها صيغت بصورة التعجيز .. ولكن لا .. فاصلاح هذا الوضع ممكنوميسور كما اثبتت التجارب .. والعلاج الوحيد الناجع هو : التعليم .. الذى يأتى في مقدمة كل عمل آخر ..

تطور مذهل !

والشارقة كانت المهد ، الذى ولد فيه التعليم بامارات ساحل عمان عام ١٩٥٣ عندما أرسلت

الى اسفل : هل تصدق انه في عصر الصواريخ والفضاء ما يزال عدد كبير من نسائنا العربيات يمشين على هذه الصورة ... !!



مازالت الموارد الاقتصادية للشارقة محدودة ، لهذا استعانت بأقطار عربية شقيقة لتساعدها في نشر التعليم ، وكانت الكويت أولى الاقطار التى مدت لها يد المساعدة وتلتها الجمهورية العربية المتحدة، والبحرين ، وقطر ... وهكذا انطلق التعليم في الشارقة بتصميم قوى من الحكومة، وعون من الاقطار المذكورة ورغبة هائلة من الشعب المتعطش الى المعرفة ... وهؤلاء مجموعة من الطالبات بزيهن الكشفي الجميل يتطلعن بثقة وايمان الى المستقبل ... انهن أمهات الغد اللواتى يرتكز عليهن مجتمع الشارقة للقضاء على التحجر والتقاليد البالية : من ايمان بالسحر والشعوذة ، الى العلاج بالزار والاحجبة !! والى اليمين بعض الفتيات يعرضن على زميلات لهن تفاصيل زيهن الكشفي الجديد .



٢١ استاذا تركوا بلادهم العربية ، وجاءوا على نفقة دولة الكويت و ج.ع.م. من أجل تثقيف ٤٨٦ تلميذا ، في مدرستي المهلب بخورفكان ، وسيف اليعربي بكلبا .. ان هؤلاء الاساتذة هم مثال يحتذى في التضحية بالراحة والهدوء ، من أجل رفع شأن اخوة عرب ، يعيشون في أقصى الطرف الشرقي

الكويت اول بعثة تعليمية ضمت معلمة واحدة وثلاثة أساتذة ..

لقد تطور التعليم في الشارقة بشكل مذهل خارق ، لا يمكن وصفه الا بمراجعة احصائيات السنوات العشر الماضية ، التي تقول : ان عدد الطالبات في المرحلة المتوسطة تضاعف ٥٠ مرة .. اذ كان عددهن ٦ فتيات اصبحن اليوم ٢٨٥ طالبة، .. والمرحلة الابتدائية قفز عدد طالباتها من ١١٢ الى ١٠٠٠ طالبة !

اما الطلبة الذكور فقد تضاعف عددهم نحو خمسة اضعاف اذ كانوا ٣٦٩ طالبا اصبحوا اليوم ١٩٦٠ طالبا ..

وعدد المدارس كان مدرستين اصبحوا ١٣ مدرسة والمدرسون ازدادوا من ١٣ مدرسا الى ١٢٦ مدرسا ومدرسة .. وعدد الفصول قفز من ١٣ فصلا الى ٨٨ فصلا .. كل هذه الزيادات حدثت في العشر سنوات الماضية ، اى بين عامى ١٩٥٨ و١٩٦٨ ليس هذا فحسب بل ان عدد الذين لم تستطع المدارس استيعابهم بلغ ٤٠٠ تلميذ في العام، كما ذكر المشرف على التعليم في الشارقة ..

ويوم افتتاح المدارس يكون دائما يوما عصيبا مشهودا في الشارقة ، تذهب فيه الامهات الى مقر الشيخ خالد يبكين وهن يطالبن بافتتاح مدارس جديدة لبناتهن اللواتي لم يجدن مكانا في المدارس!

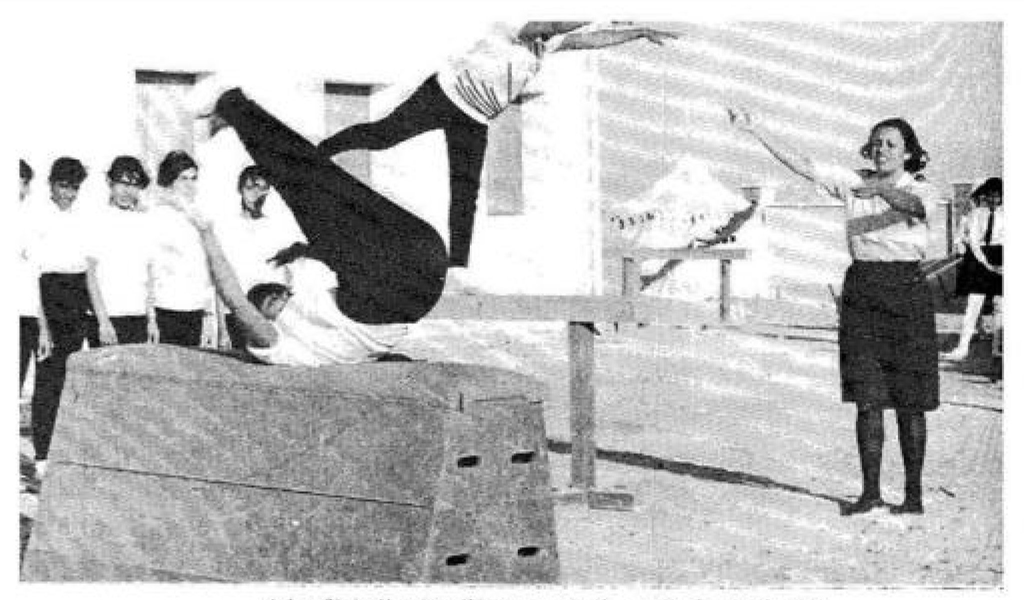
ويسقط في يد الشيخ ، وتزداد حيرته عندما تصله مكالمة من ناظر مدرسة ، يبلغه أن الاهالي متجمعون عند باب المدرسة مع ابنائهم الذين لم تتسع لهم المدارس .. ويطلب ارسال الشرطة لتفريق المتجمعين !

دور الكويت هو دور الأخ نحو أخيه ..

لقد التى التقرير الذى اعدته بعثة الجامعة العربية على الدور الكبير الذى تلعبه دولة الكويت من اجل النهضة التعليمية في امارات ساحل عمان .. فهى التى قامت بتشييد ٣٤ مدرسة من أصل ٣٥ موجودة في الامارات وهى التى تقوم بتجهيز هذه المدارس بجميع ما تحتاجه من اثاث وكتب وقرطاسية كاملة من الفها الى يائها ، كما تقوم بتقديم الكساء والاحذية ووجبة طعام خفيفة لعموم التلاميذ ..

واردنا معرفة المزيد عن خدمات الكويت ، فاتجهنا الى السيد محمد احمد السعد مدير مكتب الكويت في امارات الساحل ، الذى قابلنا قائلا :

« تربطنا مع ابناء ساحل عمان وشائج كثيرة .. ونحن هنا نقوم بتأدية الدور الذى يحتمه واجب



العقل السليم في الجسم السليم .. وهؤلاء بنات الشارقة يزاولن
الالعاب الرياضية الشاقة تحت عين مدرستهن الساهرة عليهن دائما

الاخ نحو اخيه .. وليس لدى ما ازيده على هذه الكلمات .. »

توصية لتنفيذ توصية !

وقد حظى التعليم في ساحل عمان « باهتمام» وزراء التربية والتعليم العرب ، عندما اجتمعوا بالكويت في فبراير ١٩٦٨ واصدروا توصية غريبة، نصها كالآتي : « المؤتمر يقدر الجهود المشكورة التى تقوم بها بعض الدول العربية لتطوير التعليم والثقافة في ساحل عمان ، ويهيب بالدول الاخرى أن تحذو حذوها لتقديم المزيد من المساعدات لهذه المنطقة ، ويوصي بالمبادرة بتنفيذ قرارات المؤتمر الثانى لوزراء التربية والتعليم العرب المنعقد في بغداد عام ١٩٦٤ بخصوص هذا الموضوع » .

وهكذا تدور الحياة عندنا .. مؤتمر يُعقد ليصدر توصية بتنفيذ توصية سبق ان اتخذها المؤتمر السابق منذ اربع سنوات .. ولم ينفذ منها شيء !!

البداية في نقطة النهاية !

ان «المشكلة التعليمية» في الشارقة ، هى في الواقع مشكلة شعب بجميع افراده يريد العلم لأبنائه !

ان هذا الشعب العربى ما كاد يحتك بالحياة العصرية ، حتى ظهر طيب معدنه واصالته .. انه يريد قفز عشرات السنين مرة واحدة .. ولايريد البدء من نقطة بداية كل بلد عربى .. لا .. بل يريد البدء من نقطة النهاية التى وصلت اليها هذه الشعوب !

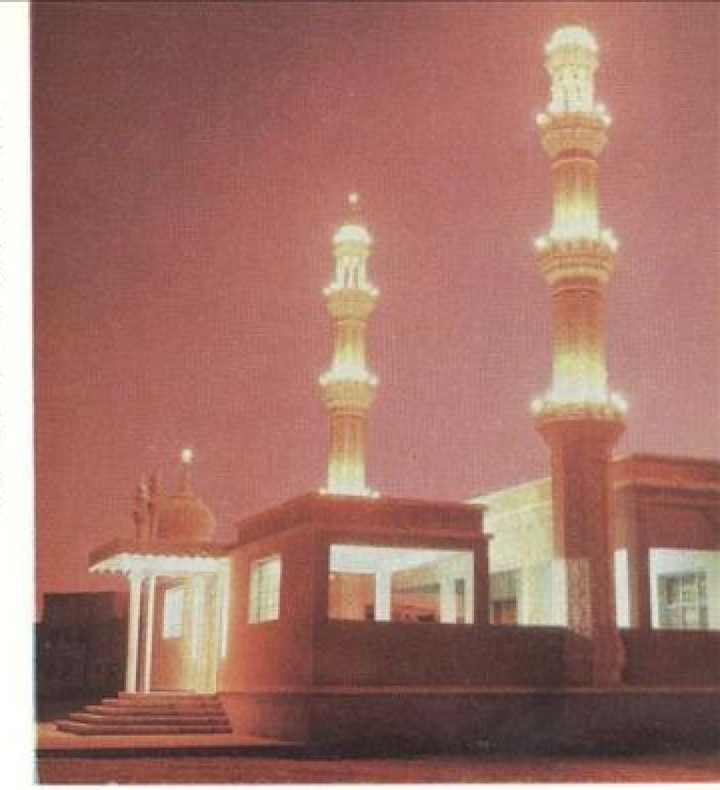
ولكن ما زالت المنطقة في حاجة الى الكثير ، والدول العربية الاخرى مدعوة لتلعب دورا اكثر ايجابية في مساعدة اخوة لنا ، ظلوا يعانون من جمود سياسي طويل،خضعوا خلاله لتفكير ووصاية عالم آخر ، فلم يستطيعوا تكييف انفسهم حسبما يريدون ..

واليوم وبعد ان أعلنت بريطانيا عن نيتها في الجلاء عن المنطقة عام ١٩٧١ فان الثقة المشوبة بالتردد ، بدأت تعود للاهالى .. الثقة بانهم كائن حى لديه موهبة الابداع ، والقدرة على التطور ومجاراة الحياة ..

شبكة طرق ..

وقد بدأت الشارقة تنفتح على بقية المدن والامارات بشبكة طرق حديثة ، طريق منها يوصل لدُبَى وطوله ٨ اميال ونصف ، وهذا انتهى العمل فيه .. وطريق ثان يوصل الشارقة بعجمان وام

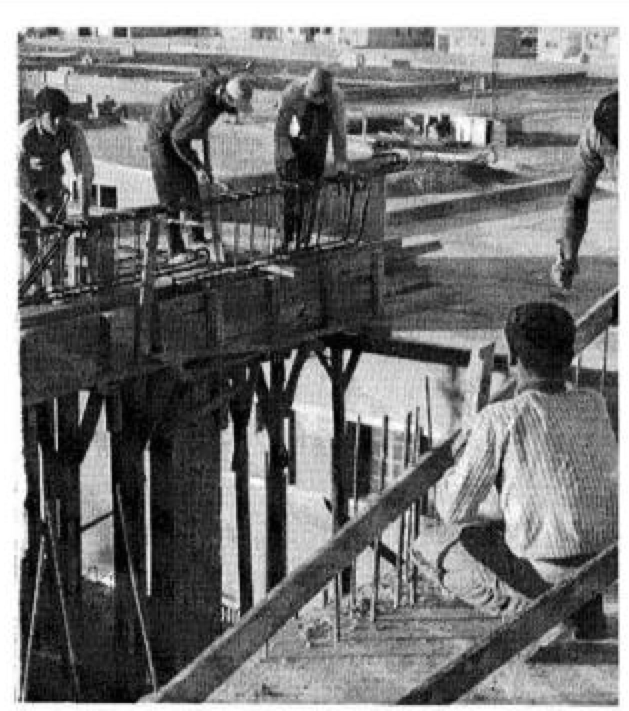
الى اليمين : الانوار تسطع في مسجد البدو الجديد الذي افتتح في مطلع شهر رمضان الماضي .. انه أول مسجد يرتفع بمئذنتين رفيعتين في الشارقة ، وقبل هذا كانت جميع المساجد تقام بدون مآذن .. وهذه المآذن الرفيعة الجديدة ، لا تسمح لأحد بصعودها ، لهذا اكتفوا بتعليق مكبرات للصوت في عاليها تنقل صوت المؤذن الى ابناء مدينة الشارقة ..



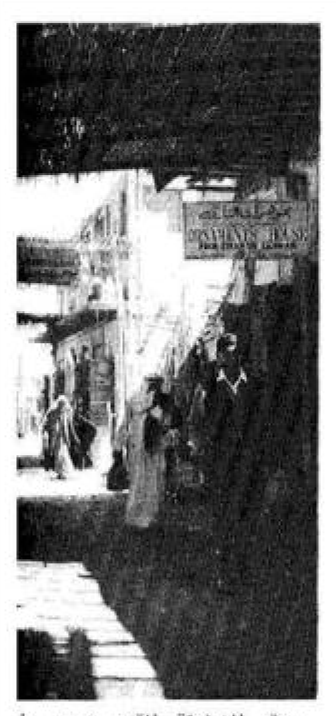
الى اسفل : زراعة التبغ ، ناجحة في منطقة « كلبا » التى تبعد عن مدينة الشارقة مسافة ١٧٠ كيلومترا ... وعندما يتم جمع اوراق التبغ وينتهي تجفيفها، يأتي تاجر من البحرين وينقل المحصول كله لبيعه في بلاد الخليج العربي . والى جانب التبغ يزرع الاهالى « الهمبا » أى (المانجو) **والزيتون ، هكذا يسمون الجوافة**، والبيدان، أى اللوز الهندى ، والليمون الذى يُجفف ويُصدر للكويت وقطر والبحرين بكميات كبيرة ...



سألنا حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي : « **هل تعتقد ان النفط موجود في الشارقة ؟** » ولم يتردد الشيخ الشاب لحظة في الاجابة « نعم النفط موجود عندنا بالتأكيد ، لأنه من غير المعقول أن يتفجر هذا السائل الاسود في عبادان والبصرة والكويت والاحساء والبحرين وقطر وأبو ظبي ودبي ويتوقف عند حدودنا !! لقد حفرت الشركات عدة آبار في أرضنا وتحت مياهنا ، وكانت النتائج كلها ايجابية ، وفي مرة ظلت النيران مشتعلة في غاز منبعث من بئر لمدة شهر كامل، وفي مرة من المرات جمعت بيدى كمية من النفط الخام من أحد الآبار التجريبية وارسلته للتحليل الى معامل شركة شل فجاءني الرد التالى : « عينة النفط التى جرى تحليلها أثبتت ان نسبة الجازولين فيها تبلغ ٢٥٪ وهذا يدل على نسبة متميزة عن النفط الخام الموجود في الشرق الاوسط عادة ... واذا كانت العينة المرسلة الينا قد تم تحضيرها بواسطة شخص خبير في شئون النفط ، فان المزيج النهائي يدل على أن تحضيرها قد تم بمهارة وكفاءة » .. ويستطرد الشيخ خالد حديثه ، وهو يعرض علينا كمية من هذا النفط الخام داخل كوب من الزجاج : « لقد ثبت لنا ان نفطنا من أجود الانواع، ونحن الآن نسعى لاحلال شركات أخرى مكان الشركات التى قالت ان نفطنا غير موجود بكميات تجارية .. »



تتيح حركة العمران الزائدة ، في الشارقة وبقية الامارات ، الفرصة امام اليد العاملة العربية للعمل .. وهؤلاء هم بعض الشباب اللبناني والفلسطيني يعملون في بناء حديث ، يعاونهم عمال ايرانيون



سوق الشارقة القديم تحت جل .. ان « الجديد » يزحف الى منا القادم « الجديد » ..

القيوين وراس الخيمة ، وطوله ۹۰ كيلومتر والعمل جار فيه تحت رعاية المملكة العربية السعودية التى تكفلت بتغطية جميع مصاريفه .. وطريق ثالث بدأ اعداد تصاميمه ، وينطلق من الشارقة الى قرية الزيد الزراعية على مسافة ۷٥ كيلومتر ، وقد سبق التحدث عنه ..

اما داخل المدينة نفسها ، التى لم تكن تحوى طريقا واحدا معبدا ، فقد انفقوا مبلغ ۲۰ الف جنيه استرليني من اجل شق طرق جديدة وسط احياء مكتظة بالصرائف والعشش ..

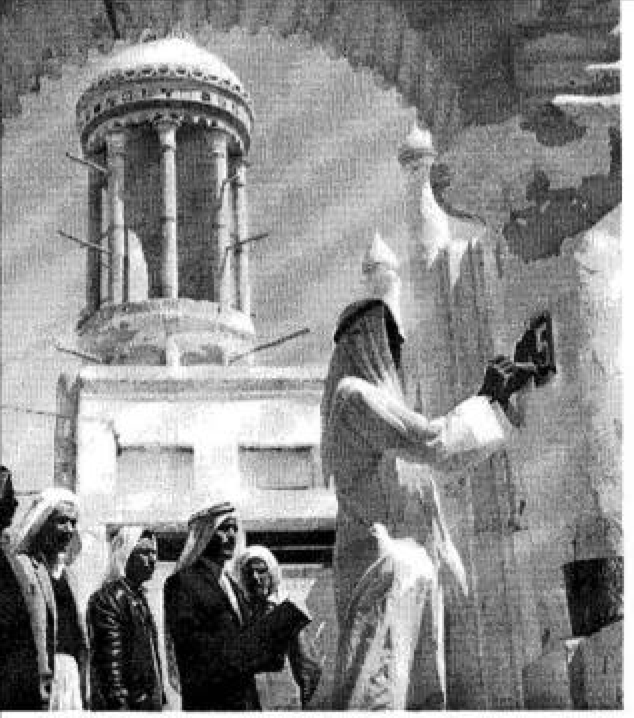
اهمية الشارقة

وما كادت معالم الطريق الرئيسي تتضح حتى بدأ البناء على جانبيه ، فظهرت لاول مرة في الشارقة عمارة من خمسة طوابق ، والعمل يجرى حثيثا في بناء عمارة ضخمة من تسعة طوابق في عاليها سيقام مسبح وكازينو .. وهذه المبانى الجديدة قد تساعد في حل جزء من ازمة المساكن الخانقة في الشارقة ، والتى اوصلت ايجار الشقة الواحدة الى الف ريال شهريا ، اى ۷٥ دينارا !

وليس مجتمع الشارقة هو الذى يعيش في هذه العمارات الجديدة ، انما عائلات اصحاب المحلات والشركات التى بدات تفتح فروعا لها في الشارقة، بعد ان ادركت اهمية هذه المدينة التى تقع في مركز الوسط بالنسبة لبقية الامارات ..

تطور المرأة ..

اما مجتمع الشارقة فما زال يخوض آلام المخاض ، فهو مجتمع في طور الولادة بعد .. بالرغم من ان الفتاة المتعلمة فيه ، تطورت من مرحلة الأم والزوجة الى مرحلة الادراك بانها كائن له حقه في ان يلعب دورا رئيسيا في تطوير بلاده .. واثناء وجودنا في الشارقة وافق حاكمها على انشاء جمعية نسائية لاول مرة في تاريخ الساحل .. والآمال كلها معقودة على هذه الجمعية لتحد من



اول تعداد للسكان يجرى في الشارقة .. ومن النتائج الاولية اتضح ان عدد مساكن مدينة الشارقة هو ٤٥٠٠ مسكن ، و ٢٣٠٠ مسكن في بقية القرى ، اى أن عدد السكان يقرب من ٤٠ الف نسمة



النخيل وسعفه ، أصبح شبه مهجور الشارقة القديمة ، لافساح المجال أمام

انانية الرجال ، التى تابى عليها الجلوس على نفس المائدة التى ياكل عليها ، ويا ويلها لو مضغت او لاكت الطعام وهى امامه !! انها تحترق كالشمعة تنتظر له رجوعا بعد سهراته مع اصحابه في المقهى!

ان معاملة بعض الرجال للمراة هناك اوحت لنا وكانهم يعاقبونها تكفيرا عن ذنوب جدتها التى كانت السبب في خطيئة الرجل الاول !!

ورغم هذا كله فان المراة في الشارقة هي اكثر سيدات ساحل عمان تفتحا ، تقرض الشعر بالسليقة دون ان تتعلم حرفا ، وانما تحفظه وتردده في مجتمعها الصغير ..

ومن العوامل التى ساعدت على تطوير المراة في الشارقة ، البرامج التى يقدمها تلفزيون الكويت، والتى اصبحت تدخل كل منزل في الشارقة بعد تقوية محطة البث .. يشاهدها الكبار والشباب والاطفال في كثير من الاوقات .

ومن محاسن مجتمع الشارقة الوليد ان الفتى والفتاة بنفس المستوى الفكرى ، لان تعليمهما بدا مع بعضهما مباشرة ، وهناك ثلاث فتيات يكملن دراستهن الجامعية في القاهرة والكويت .

وقد دخلت الفتاة مجال التمريض لانها خير من يتفهم امراض بنى جلدتها ، فعملت ٢٠ فتاة كممرضات في مستشفيات ومستوصفات الكويت على الساحل ..

الكريم كراميل والهريس !

لقد استطاعت فتاة الشارقة المتعلمة ان تطور بعض الشيء في مجتمعها الجامد .. لقد تعلمت في حصة التدبير المنزلى بالمدرسة ، طريقة عمل الكفتة باللحم،والكيك، والكريم كراميل والجيلاتين. فبدات تجربها في منزلها ، فاحبها اهلها وبدا انتشارها كماكولات الى جانب السمك والعيش (هكذا يسمون الرز) والهريس ، والفرنى ، والفريد !!

اول ميناء كبير على الساحل

وعند الأصيل وقبل غروب الشمس يهرع الناس



ارتفع عدد الطالبات في المرحلة المتوسطة بمدارس الشارقة من ٦ طالبات الى ٢٨٥ طالبة في خلال عشر سنوات فقط !! ان تعليم الفتى والفتاة أصبحا المطلب الشعبى لأهالى الشارقة ، التى شهدت مولد أول مدرسة على ساحل عمان عام ١٩٥٣ .

الى أسفل : تحية اعجاب وتقدير نقدمها لست مدرسات (احداهن كانت متغيبة اثناء التقاط الصورة) يعملن في صمت وهدوء من أجل تعليم ١٧٠ فتاة في خور فكان، البلدة التى يرفض الأطباء العرب الذهاب اليها

توفير وسائل المواصلات للطالبات في الشارقة ، من الامور الضرورية لنقلهم من منازلهم المتباعدة الى المدرسة . ولولا هذه السيارات لانقطعت الطالبات عن الذهاب الى المدارس ... وتوجد حاليا أربع سيارات خاصة ، تقوم بنقل الطلبة والطالبات .



الى اليسار : الرجل .. تراه المرأة في الشارقة ، ولكنها لا تعرفه الا زوجا ، او اخا ، او ابا .. وفي الصورة مجموعة من الفتيات في مختبر المدرسة الثانوية حول نموذج لجسم رجل ... ان أول شيء اهتممن بالبحث عنه هو قلبه، لقد سارعن بانتزاعه من مكانه ، وامسكن به يفحصنه ويتأملنه .



اراضي خصبة على امتداد البصر في خورفكان ... ولكن اليد الزراعية ـ رغم قلتها ـ تتعثر في الطرق والاساليب القديمة .. ويقول المسئولون : « ان الشارقة بحاجة الى المزارعين الفنيين اكثر بكثير من حاجتها الى شباب متعلم يحمل شهادة الدراسة المتوسطة او الثانوية ... »

الى رصيف ميناء الشارقة الجديد ، الذىسيمتد مسافة ٨١٠ أمتار داخل البحر ، لترسو بمحاذاته السفن حمولة ١٠ آلاف طن . انه اول ميناء ينشأ في ساحل عُمان كله ، لقد شيدته الشارقة من أموالها الخاصة رغم متاعبها المالية ، وكثرة مشاريعها المستعجلة ، ايمانا منها بأن انشاء رصيف كبير كفيل باعادة المجد التجارى القديم للشارقة .. ولكنه بينما كان العمل يسيربحماس زائد في بناء الرصيف اصيب المهندس الالمانى برنار ، وهو المسئول عن الميناء بازمة قلبية حادة، فهمس لزوجته : اريد ان أدفن في الشارقة ، ولكن كفنى زى عربى وعلم الشارقة مع علم بلادى ..

ويوم الجنازة اقفلت جميع متاجر الشارقة وسار الناس خلف جثمانه على الاقدام وفي السيارات في موكب طويل امتد من المطار حتى المقابر ..

افتحوا أبوابكم لأبناء الشارقة

واخيرا وقبل اختتام هذا المقال الذى قد تؤول بعض فقراته على انها اغراق في التشاؤم (او مبالغة في التفاؤل) بينما هى ـ في حقيقة الامر ـ نظرة واقعية لا بد منها لتحقيق الآمال الكبار .. اننا نرفع صوتنا عاليا برجاء الى الحكومات العربية ، جميعها ـ لااثنتان منهافقط ـ نقول لها فيها انها مدعوة الى فتح أبوابها واسعة امام أبناء الشارقة ، تدربهم على كل شيء .. على الزراعة..والادارة ..والحسابات .. والتعاون .. والصناعة الخفيفة ، لانالدوائر التى فتحت أبوابها لاول مرة في الشارقة ، في حاجة ماسة الى يد مدربة لادارتها ، ويجب ان يكون مديروها من ابناء البلد ، فهم ادرىبعادات وتقاليد بلادهم .. خصوصا وان هذا الشعب الحر الابى ، لا يتحمل بسهولة فرض قيود عليه، بأى صورة من الصور ..

ان الطريق امام الشارقة طويل .. طويل .. وليس كله مفروشا بالزهور !! ■■

سليم زبال

طيور الفتوة

وأثرها في الأدب

بقلم: الدكتور مصطفى جواد
كلية التربية ـ جامعة بغداد

■ كان رمي الطيور بالبندق عن قوس الجلاهق (١) معروفا منذ اواخر عصر الخلفاء الراشدين ، ودأب المعنيون باصطياد الطير على استعمال هذه القوس وتطويرها ، والافتنان في تحسينها ، طوال عصور ودهور ، حتى جاء عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي « ٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ » فانه جدد الفتوة في العالمين من العرب المسلمين وغيرهم من أهل الاسلام ، وجدد اصول الرمي بهذه القوس ، واعتده من كمالات الفتوة ، وافانين الشجاعة والقوة ، وعين أنواع الطيور التي يوجب رميها للفتى الرامي حقا في مقامات الفتوة ، ويكسبه فضلا في هذا الفن من فنون الرياضة البدنية ، وينيله درجة من درجات الرماة ، ويحله مرتبة من مراتب الصُّدّاة البارعين الحاذقين .

والطيور التي عينت لرمي الفتيان وعُدّ صيدها قانونا من قوانين الفتوة اربعة عشر نوعا ، هي والتمّ والمرزم والبجع ، وعرف بمصر باسم الكيّ ايضا ، والانيسة والحيْرج وهو الحُبارى والنسر والعقاب والكركي والغرنوق (٢) واللغلغ ، واللقلق وسمي أيضا السَّبيطر باصطلاحهم والعنّاز والضُّوع واوز ، وسُميت « طير الواجب » و « الطير الجليل » ووضعت لصيدها قواعد واحكام وشروط ، وصدرت في امورها فتاوى تشبه الفتاوى الفقهية ، والفت كتب في ذلك منها كتاب « المقترح في المصطلح » تاليف الشيخ العالم محمد بن اسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الفقيه الشافعي ، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ قال في أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وعلى واسطة العقد ، ومالك الحل والعقد ، والمؤيد باتباع الحق ، والمسدد بكلمة الصدق ، المتخلق باخلاق الله الناصر لدين الله .. وبعد فاقول : انه قد استوجب عليّ حقا ان اجمع في طريقة البندق مختصرا حاويا لما تفرق من احكامه ومسائله ، وأبين كيفية استيعاب اواخره عن أوائله ، وأن اجمل له

١) الجلاهق هو قطعة كروية من طين مجفف أورصاص ترمى بها الطير وهي فارسية وعربيها البندق ، ومن البندق اشتقت البندقية على طريقة النسبة .

٢) سماه علي بن عدلان الموصلي في شرح ديوان المتنبي المنسوب غلطا الى أبي البقاء العكبري « الارنوق » تراجع نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣١٠٥ و ٣٢١ .

القواعد الشرعية كالضابط والمردّ والاصول الفقهية دعامة في القبول والردّ .. وجعلته عشر مراتب ، كل مرتبة على حال الرامي من الابتداء الى الانتهاء » . (١) . وسر بعد ذلك المراتب ، وهي كيفية دخول الرماية وما يكمل به الرامي ، والقدمة وحكمها وهي من مصطلحاتهم وما يتحقق بصرعه الفضيلة من الطير المذكورة آنفا ، والشهادات والتحكيم والمراهنات والمقاولة والتحريم والتكذيب والاهدار ، ثم قال : « وهذا الفن وضع لتهذيب الاخلاق ، وتزكية النفوس ، وتكميل المروءة ، وعلى هذا حرم على الرامي اخذ العوض عن طير صرعه» لاشعاره بالدناءة ، واخلاله بالمروءة » (٢).

خليفة ترأس وباسمه يرمون

وكما ترأس الخليفة الناصر لدين الله على جميع الفتيان في مذهب الفتوة في العالم الاسلامي لتوحيده ، كذلك ترأس عليه في الرمي بحسب أحكام الفتوة ، فكان جميع الرماة من هذه الطبقة يرمون باسمه ، ويعترفون برئاسته ، قال ابن الاثير عز الدين : « ومنع الناصر لدين الله الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له «ابن السفت» « من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام ، فأرسل اليه يرغبه في المال الجزيل ، ليرمي عنه وينسب في الرمي اليه ، فلم يفعل ، فبلغني ان بعض اصدقائه انكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال « يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا احد الا رمى للخليفة الا انا » (٣) .

قال احد المؤلفين في هذا الفن ، وهو العلامة عبد المجيد : « اني أحببت أن اذكر ما صرعه الناصر احمد العباسي مجدد هذا الفن ــ رحمة الله عليه ــ نقل انه حاز من جملة اصناف الطير الجليل من الاربعة عشر المذكورة عشرة اصناف .. جملتها الف واربعمائة وخمسة واربعون طيرا ، تفصيلها من الكراكي اربعمائة وخمسة واربعون طائرا ومن الاوز سبعمائة واربعة وثلاثون طائرا ، ومن اللقالق واحد وعشرون . ومن العقبان عشرة ، ومن السبيطرات ــ يعني اللقالق ــ ستة وستون طائرا ، ومن المرازم ثمانية وعشرون ، ومن الكيئات ــ يعني البجع ــ واحد وعشرون ، ومن الغرانيق مائة واربعة عشر ، ومن الشموم اربعة اطيار ، ومن العنانيز اثنان ، فهذه عشرة اصناف » .

قال : « واما السلطان الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابن ايوب (الأيوبي) فنقل انه صرع في ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الاخرة سنة ثمان وستمائة من الهجرة النبوية ــ على صاحبها افضل الصلاة والسلام ــ طيرَ اوز ، ورمى لاخيه (٤) الملك الكامل ناصر الدين محمد .. وانتقل الى الخليفة الناصر أحمد في التاسع والعشرين من ذي الحجه سنة احدى عشرة من الهجرة النبوية ، ولهذا الملك المذكور من اصناف الطير الجليل ثلاثة عشر صنفا » (٥) يعني انه لم يفته من طيور الفتوة الاربعة عشر الا نوع واحد .

قوسه بحر الدم

قال : « وممن ولع بهذا الفن السعيد السلطان الملك المظفر .. تقي الدين ابن الملك المنصور ابن شاهنشاه بن ايوب .. ومفتي الافاق فتى العراق وشاطر الشطار النقيب نظام الدين سليمان ابن

---

(١) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٦٣٩ و٤ ، ٥

(٢) المرجع المذكور و ٦ ، ١٣

(٣) الكامل في التاريخ « حوادث سنة ٦٢٢ »وابن السفت هذا اسمه « عمر » وفي الدنيا شذوذ كثير .

وانما ذكر ابن الاثير هذا الخبر تشفيا من الناصروابن الثرى من الثريا !

(٤) يعني رمى باسمه معترفا برئاسته .

(٥) ذيول كتاب المصطلح في المقترح في تعليم الرمي بالبندق .

داود بن المختار (١) ، فانه فات من قبله في المقام والمقال ، ذكر انه كان له قوس يسميها «بحر الدم» ويلثمها مرارا بالعين والفم ، ويقال انه صرع في برزة واحدة مائة وثلاثة وثمانين طيرا من الجليل ، في ذلك الأمد القليل » .

نثر وشعر

ونحن لم نعقد هذا المقال لبيان المصطلحات والاحكام والفتاوى في هذا الفن ، بل أردنا التمهيد لبيان اثر هذه الطيور ورميها في الأدب العربي ولا سيما الشعر ، فقد نظم الشعراء في طرديات هذا الرمي ضروبا من الشعر ووصفوا خروج الرماة الى اصطيادها ونعتوا قسي البندق ، ونشا ادب خاص بوصف جميع ما يتعلق بهذا الفن ، كوصف انواع الطيور انفسها نثرا وشعرا ، وان كان الشعر أكثر من النثر كما ذكرت آنفا ، واستبق الكتاب المنشئون في تحبير أوصاف الطير وتحرير اصنافها ، كشهاب الدين محمود الحلبي ، في كتابه المشهور في الانشاء ، وابن حبيب الحلبي في كتابه « نسيم الصبا » نثرا وشعرا قال في الفصل الثالث والعشرين في رمي البندق : « برزت يوما مع رفيق، يسر بمنادمة الصديق ، لا يخرج عن الواجب ، ولا يحجبه عن ذكر الجليل حاجب (٢) .. الى روضة انيقة تهدى الأنق ، وتضيء في جوانبها وجوه الملق .. فنزلنا بفنائها ، وشممنا الارج من ارجائها ، واجتلينا محاسن ازهارها ، وطربنا لسماع نغمات اطيارها ، .. ورأينا بها عصبة من الرماة،وفرقةتفرّق منهمالأبطال والكماة .. بايديهم قسيّ قدودها رشيقة ، وملابسها مدبجة انيقة .. ومعها للرمي بنادق ، اسرع في الاصابة من الفيالق كانها كرات دوريّة ، لا بل كواكب درّيّة ، تمرّ بهم عساكر الطيور المختلفة ، وهي تختال في برودها المفوّفة .. عنّ لصاحبي اوزة فضية اللون ، بينها وبين المرزم (٣) في الحسن بَوْن ، كانما خاضت في اللهب ، وكرعت من ماء الذهب ، تسبق الريح في المطار ، وترتفع الى ان تغيب عن الابصار ، فرماها في حال بعدها عن العيون ، وصرعها عاجلاً اسرع ما يكون .. فلما شاهدت من احوالهم ما راقني ، ومن نوالهم ما قيدني عن غيرهم وعاقني ، اثنيت على منْ بهم عرّفني ، وبالطيب المسكي من انفاسهم عرّفني (٤) وقمت ناشرا وصف المواقف والاطيار ، قائلا على سبيل التشوق والتذكار :

ياصاح قم نسعى الى الأَمـــلاق (٥)
فنحوَها قد ذُبت من أشـــواقي
لله مـــا أحلى حلِـــى أوقـــاتها
وأملح الولدان في جنّاتهـــــــا
والجوّ يُجلَى في ثياب دُكْـــنِ
يستلب اللُبَّ بفرط الحُسْـــنِ
والسحب قد تتابعتْ وفودهـــــا
وانفرطت على الربَـــى عقودها
وروضة الأنس يفوح طيبهـــــا
ويثنى دَوْحها رطيبهـــــا

---

(١) من بني المختار أي السادة العلويين النقباءبالعراق . قتل منهم هولاكو صبرا بهاء الدين داود ابن المختار ونقيب النقباء العلويين شمس الدينعلي بن المختار مع من قتلهم من رجال الدولة العباسية .

(٢) في ذكر « الواجب والجليل » تورية عنطيور الفتوة .

(٣) هو نوع آخر من أنواع طيور الفتوة وقدذكرناه .

(٤) من العرف بوزن الشمس وهو الريح طيبةكانت أو منتنة وقد عين الكاتب طيبها هنا .

(٥) الاملاق جمع الملق بوزن الذهب وهو الارضالمستوية .

ونغمات الطير بالألحـــــان … فالتم يبدو في لباس يَقَـــقِ
تغنى عن الجُنوك (١) والعيـدان … كأنه مركّب مـــــن وَرَقِ
أحسِنْ بها يا سعدُ من أطيـــار … في الرأس منه نقطة تحكى السبَجْ
تلوح كالأنجم للأبصـــــار … من الرماة نحوه تصبو المُهَـجْ
تخالها إذا سجا جنح الغَسَـقْ … والكىّ (٢) شيخ أبيض جلبابُـهُ
كأسطر خُطّت على وجه الملَق … معلّق في عنقـه جرابُـــهُ
من وارد وصادر وواضــــع … منقاره كخرْبةٍ من أسَـــلِ
وناهض وطائر وواقـــــع … وظهره محدّب كالحَبَـــلِ
وأبيض كالصبح إذ تبلّجـــا … وللإوز نغمـة الأوتـــار
وأسود محلولك يحكى الدُّجَى … إذا بدت تختال في المطـــار
وأخضر مدبّج اللبـــــاس … فِضّية منقارها من عسجـــد
وأزهر يزهو على النـــبراس … ياسعد في حبّى لهاكن مُسعـدى
مختلفات في الحِلى والشكـــل … واللغلغ المسكىّ كـــالإوز
عن حصرها يعجز أهل الفضل … في الحسن والوصف وفرط العز
لكنّها جليلهـا معـــــروف … لكل له مثل اللجين غُـــرّة
وهو لدى أربابها موصـــوف … تُدنى لمَن يصرعُه المَسَـرّة
فهاكها من بعد عشر أربـــع … وحبذا الأنيسة (٣) الملوّنَـــهْ
كعُمْر بدْر التّمّ حين يطلع … لباسُها المنقوش يا ما أحسنَـهْ
قد جمعت أوصاف كل طائـــر … يبكى عليها الصَّبُّ بالدمـــوع
مبيّنات المجد والمـآثـــر … لأنها عزيزة الوقـــوع

---

(١) جمع جنك من آلات الطرب

(٢) قدمنا أن الكى هو «البجع» وفي نسخة نسيم الصبا المطبوعة بمطبعة التمدن بعابدين ــ ص ٩٦ والكل، وهو تصحيف الكى، ولم نعلم من صفحة الناسخ أم الطابع ؟

(٣) يظهر لى أن الأنيسة هى المسماة بالعراق الخضرية .

خذ يا أخا الرمى صفات الجرج
يحكي القطا في لونه المدبّج
يألفُ أيام الربيع الزاهرة
فيجتنى ويجتلى أزاهرَهْ
والنسر راميه شديد الأسهم
لأنه عال كنسر الأنجم
أقرعُ ذو مخالب حِداد
يذكر عصر تُبّعٍ وعاد
وبعده وصف العقاب الكاسرة
تلك التى للوحش تغدو آسِره
مغبرّة ظافرة أظفارها
بالصيد كم أدنى الردى منقارها
ثم تَجتل الكركيّ تحت الشفقِ
فقد بدا في ثوب خزّ أزرق
ومدَّ جيدا ياله مِن جيد
وأطرب الأسماع بالتغريد
إذا بدا الغرنوق في الفضاء
شَبّهْتُهُ بالغمامة الدكناء
كأنه الكركيّ في لباسه
سوى سواد عنقه وراسه
والصُّوغ مبيضّ شبيه الفلقِ
أطواقه مصبوغة بالعَلَقِ

يختال في الحمرة والبياض
كخد من قد زاد في الاعراض
ومرزم يا حسنه من مرزم
كأنه قد خاض في بحر الدم (١)
أبيض وضّاح طويل العُنُق
راميه قد فاز بفضل السَّبْق
وتِلوه السّبيطر (٢) المسوم
أبيض ضخم وصفه معلوم
يسكن في الأماكن العليّة
وطعمه الحيّة والسحليّه
وأقبل العُنّاز بعد الجمع
أسود ذا صدر كضوء الشمع
قد جمع الضدّين صبحاً ودُجى
مَن يرمه يُعَدّ من أهل الحجى
وهذه تكملة الأطيار
أعني طيور الواجب المختار (٣)

ضرب خاص من الآداب

وقد تناول الادباء والشعراء هذا الموضوع الادبي الطريف في عامة الاقطار العربية حتى صار ضربا خاصا من الآداب العربية ، محدود الصفات ، معلوم السمات ، واضح الطريقة ، واكثر منظومه على عروض الازدواج او التخميس ، فلصفي الدين وحده عدة تخاميس فيه ، يقول في واحد منها :

---

(١) اراد ان ساقيه حمراوان .

(٢) قدمنا انه يسمى اللقلق أيضا وهو مشهورمعروف جدا .

(٣) نسيم الصبا « ص ٩٥ — ١٠١ من الطبعةالمذكورة » .

قم بي فقد ساعدنا صرف القـــدَرْ
وجاء طيب عيشنا على قـــدَرْ

فكم علا قدر امرئٍ وما قـــدَرْ
فارضع بنا درَّ المنا إن تلقَ درْ

فالشهم من حاز السرور إن قدَرْ

ويقول في آخر :

دارت على الدوح سُلاف القَطْرْ
فرنّحت أعطافـه بالسُكـــر

ونبّه الوُرق نسيم الفجــر
فغرّدت فوق الغصون الخـضر

تُغْنِي عن العود وصوت الزَّمْرِ

وفي ثالث :

انهض فهذ ا النجم في الغرب سقطْ
والشيب في فود الظلام قد وَخَطْ

وفي رابع :

اهلا بها قوادماً رواحـــــلاَ
تطوى الفلا وتقطع المراحـــلا

وللرامي الشهير عمر بن السفت المقدم ذكره مخمسة مسمّطة في ثلاثة وثمانين تخميسة ، وهي مع ما فيها من اللحن واللغة العامية تفيض رقـة وحلاوة وطلاوة يقول في اولها :

هيّج لى البرق على الخيف أضـا
طيبَ لياليـنا على وادى الغضـى

مع طيب عيش قد تولى ومضـى
آه له لما تولّى وانقضـــى

بـل آه والهفى على تلك الـدولْ

أتْهَم في أفق السما وأنجـــدا
وقهقه الرعد به ثم حـــدا

فصحت ما حلّ بى واكمـــدا
ياسعد إن كنت زميلا مُسعـدا

قف بالحمى دون كلا الكثيبين وسَلْ

والباحث يجد في كتاب « المصايد والمطارد » شيئا من الطرديات الطريفة ، وقليلا في ديوان ابن المعتز وغيرهما ، الا ان ذلك غير هذا الادب المبني على نظام الرمي في الفتوة وقواعده المقررة . ■■

مصطفى جواد

نصائح للملوك

● خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : ما رأيت مثل اربع كلمات تكلم بها اليوم انسان عند هشام فقيل له « وماهن » ؟ قال : « **دخل رجل على هشام** فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك . فقال هاتهن . فقال : لاتعدَنّ عدة لاتثق من نفسك بانجازها قال : هذه واحدة فهات الثانية : قال : لا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا . قال هات الثالثة قال : ان للاعمال جزاء فاتق العواقب . قال : هات الرابعة . قال : واعلم أن للامور بغتات فكن على حذر » .

المصدر الصناعي

■ مصادر الأفعال معروفة
مثال ذلك :
اكل يأكل اكلا
وكتب يكتب كتابة
واكرم يكرم اكراما
وانطلق ينطلق انطلاقا
واستغفر يستغفر استغفارا

والمصادر من الأفعال الثلاثية سماعية . أما الافعال غير الثلاثية فمطردة القياس كما رأيت من الأمثلة السابقة

المصدر الصناعي

والمصدر المعروف المشهور المعتاد في اللغة هو لفظ يعبر عن الحدث من حيث هو حدث . فالاكل يعبر عن الحدث الذى هو الاكل . وتصفه فتقول انه اكل سريع او بطيء ، او اكل حلال او حرام . وهلم جرا .

وهناك مصدر يؤتى به باضافة ياء النسبة مع تاء التانيث الى الكلمة ، وهو عندئذ يدل على معان شتى ، لا تتصل بالحدث الواقع كما يدل عليه المصدر ، ولكن تتصل بالكينونة الناشئة عن ذلك او ما يتصل بها ،ومثال ذلك الوجودية ، والفاعلية ، والمسئولية ، والكيفية ، واللائية ، والديمقراطية .

ومن ذلك ترى أن المصدر الصناعي ينشأ من اضافة الياء المشددة والتاء الى المصدر . أو الى اسم مشتق كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، وحتى من «كيف» ، «وأنا» وحتى من «لا» . وكذلك من الاسم الجامد مثل الديمقراطية .

ويختلف المعنى الناتج من ذلك باختلاف الاستعمال .

فالوجودية اسمٌ ضربٍ من الفلسفة تتصل بالوجود .

وكذا الديمقراطية اسم ضرب من الفلسفة السياسية يتصل بالشعوب .

والفاعلية موقف الشيء من أن يكون فاعلا ، اضعيف هو أم قوى ، وغير ذلك .

والمسئولية موقف المرء حين يكون مسئولا ،هل احتمل اعباء ذلك مثلا او ناء به .

والكيفية هى صفة الشيء وحالته ، وكل ما كنتَ تجيب عنه لو انك سئلت : كيف هو .

والانوية او الانانية : هى أن يكثر الانسان من « أنا » «أنا » مزكيا نفسه أو مؤثرا لها .

واللائية هى أن يقول الانسان لا ، لا ، لا دائما أبدا ، بحسبانها خاصة فيه .

أمثلة أخرى

وقد جاء بعض هذه المصادر من قديم .

ففى القرآن الكريم سورة الحديد الآية ٢٧ : ورهبانية ابتدعوها .

وفي الحديث : انك امرؤ فيك جاهلية .

وقال الشاعر العربى :

وانى على ما كان من عبْدَ هيئتى
ولوثة اعرابيتى لأريب

وسمعت الفاظ كثيرة مثل الرجولية والطفولية والربوبية والخصوصية واللصوصية والعروبية والعنجهية

المجمع اللغوى جعل المصدر الصناعى قياسيا

والى عهد قريب اقتصر الأمر في المصادر الصناعية على ما يسمع من العرب ، لكن مجمع اللغة العربية في القاهرة ، منذ نيف وثلاثين عاما ، رأى الحاجة ماسة ، وخاصة في التعريب ، الى ان يكون المصدر الصناعى قياسيا . لأن ما قيس على كلام العرب هو من كلام العرب . ■■

ع . ف

الصحابة وتفسيره

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » - الكويت

■ حين نقول ان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يفهمون معانى القرآن ينطبع في أذهاننا مباشرة انهم كانوا يفهمونه على النحو التفصيلى الذى نراه الآن في كتب التفسير بحيث لم تكن هناك كلمة أو عبارة غامضة عليهم ، لا سيما وهم عرب فصحاء والرسول صلى الله عليه وسلم معهم ، يعلمهم ويرشدهم ، ويستطيعون سؤاله عن كل شيء يدق فهمه عليهم ..

فهل كان الامر كذلك ؟ ..

واذا شئنا ان نضع هذا السؤال في صيغة أخرى فانه يمكن ان نقول : الى أى حد كان الصحابة يفهمون القرآن ويفسرونه ؟

وللاجابة عن هذا السؤال لا بد ان نضع أمام اعتبارنا الامور الآتية :

١ - ان القرآن عربى والصحابة عرب فصحاء .

٢ - انهم لم يكونوا سواء في الفهم او الذكاء ، كما لم يكونوا سواء في قربهم من الرسول وبعدهم عنه .

٣ - ان الوقت كان وقت دعوة وبناء للعقيدة ودفاع عنها بالحجة او السيف ..

٤ - ان الصحابة كان همهم الاول الايمان مع التطبيق والسلوك ..

٥ - ان آيات نزلت واحاديث صدرت من الرسول تحدّ من تتبع المتشابهات ومن كثرة السؤال ..

٦ - ان البيئة العربية في ذلك الوقت لم تكن بيئة علمية بالمعنى المعروف ..

هذه الاعتبارات يجب ان نضعها امامنا ، ونحن نتحدث عن فهم الصحابة للقرآن او تفسيرهم له .



اعتبارات لابد من مراعاتها للقرآن

ويمكن ان نتناول كل اعتبار من هذه الاعتبارات بشيء من البسط والتوضيح.

لقد نزل القرآن باللغة العربية في عهد ازدهرت فيه هذه اللغة ، فلم يكن قد داخل الالسنة شيء مما داخلها بعد ذلك، حين اختلط العرب بغيرهم من ابناء البلاد التى اعتنقت الاسلام ، ولقد امتن الله سبحانه على العرب بكون القرآن بلغتهم، وفي متناول فهمهم « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » سورة يوسف . « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » سورة الخزف . « ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته » سورة فصلت « نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » من سورة الشعراء . الى ان قال « ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين » «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » سورة فصلت ..

ومؤدى هذا كله ان القرآن نزل بلغة العرب واضحا وبينا ، لكى يعقلوه ويتدبروه ، ويصلوا عن هذا الطريق الى الايمان به ، وبالذى انزله ، وبمن انزل عليه .. وقد جعل الله معجزة رسوله في هذا القرآن ، وتحدى العرب ان يأتوا بسورة من مثله في بلاغته وبيانه .. وهذا يقتضي بالطبع ان يكونوا مدركين له ، وللمعاني التى احتوت عليها الآيات وعبرت عنها الكلمات .. اذ بغير ادراك المعانى لا يمكن تذوق البلاغة ، ولا الاحساس بالعجز عن مجارة القرآن في التعبير عنها بمثل هذا الاسلوب ..

وهذا هو الذى كان .. فقد اتخذ الرسول من بلاغة القرآن اقوى سلاح لدعوته .. فكان يحرص في مجالات الدعوة للايمان على آن يقرا على المشركين من العرب آيات منه ، وهو مدرك تماما انهم يتفاعلون مع تعبيراته ، ويحسون ما فيهامن روعة تفوق كل روعة يحسونها من كلام الخطباء ، وشعر الشعراء .. حتى كانوا يضطرون وهم في ذروة معارضته ، والحملة عليه الى اعتراف بعضهم لبعض سرا بأن هذا ليس من كلام البشر ، ولكنهم اتهموه امام العامة بأنه سحر مبين . واصدر زعماؤهم تحذيرا

عاما من الاستماع اليه خوفا من تأثيره عليهم « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » سورة فصلت .

وقد وجدنا في قصة اسلام عمر ان استماعه لآيات من سورة طه ، أطفأت ما في نفسه من حمية جاهلية ، وقلبته من رجل يتوعد الرسول ، ويستعد لقتله ، الى رجل هادىء ، وادع ، يستسلم للرسول ، ويؤمن به ، ويعز الله الاسلام بجرأته .

هذا — وامثاله كثير — يدلنا بلا شك على ان القرآن كان مفهوما للعرب بمجرد ان يسمعوه ، اذ لو لم يفهموه لما تأثروا به ، ولما سحرهم بقوة بيانه وبلاغته ..

ولكن أي فهم كان ؟

لقد نزل القرآن يتحدث عن العقائد ، كما يتحدث عن التشريع ، وقصص السابقين ، وعن خلق الكون ، وبعض مظاهره ، وذلك بأسلوب جديد عليهم في قوته وبيانه ، مستعملا الحقيقة والمجاز والكناية . وكثير من الموضوعات التى تحدث عنها جديد عليهم ، فالى اى مدى كان فهمهم للآيات التى تتحدث عن هذا كله ؟

هل كان فهمهم مستوعبا لكل آية ، وكل كلمة وعبارة ، في اى موضوع من الموضوعات التى تحدث عنها القرآن ؟ او انهم مع تأثرهم العام ببلاغة القرآن لا يلزم ان يكونوا ملمين بمعانى القرآن كله ، بل كانت تفوتهم معانى بعض الكلمات او العبارات ، والغرض المراد منها ؟ اما تبعا لاختلاف مستوياتهم في الفهم والذكاء ، او لقربهم من الرسول — مصدر الاشعاع — وبعدهم عنه ، أو لظروف أخرى غير ذلك ؟ .

ان الاجابة عن هذا تحتاج الى ان نعرف الجوانب التى كانت تستحوذ على الرسول وصحابته في بناء حياتهم الجديدة ، لأن هذه الجوانب هى التى يمكن ان تبين لنا ما اذا كان عندهم وقت فراغ يتيح لهم التوسع والاستيعاب ، وتبين لنا المنهج الذى كان يتناسب مع هذه الحياة الجديدة ، أو يفرض نفسه فرضا عليها .

كما ان الاجابة تحتاج الى معرفة المحصول العلمى الذى كان لدى الصحابة قبل اسلامهم ، واستقبلوا به القرآن وما جاء به من معارف وعلوم ، لأن الرجل المحدود المعرفة قد يكفيه من الفهم السطحى العابر ، أو الاجمالي العام ، ما لا يكفى الرجل الواسع المعرفة والثقافة . فكلاهما له نظرته الخاصة فيما يقرؤه او يسمعه ، وله تساؤلاته ومناقشاته ، وموضوعاته التى يمكنه ان يخوض فيها ، ويسأل عنها ، كما هو مشاهد محسوس الآن ، من الفرق بين الجو العلمى للوسط المثقف ، وبين الجو العلمى للوسط الذى لم ينل حظا من الثقافة ، من حيث الفهم والدقة فيه ، ومن حيث نوع الاسئلة التى تطرح للاجابة عنها ..

وعلى أساس تحديد الجوانب المهمة في الحياة الجديدة ، والوقوف على ما كان لدى الصحابة من محصول علمى سابق يمكن تحديد الاتجاه الذى اتجهوا اليه في فهمهم للقرآن وتفسيره ، لأن الطابع الثقافي العام للحياة في أى عصر من العصور له تأثيره القوى على الاتجاه العام للناس في فهم القرآن .

فطابع الحياة في عهود الاختلاف ونشوء الفرق مثلا اضفى على تفسير القرآن اتجاها يتناسب معه ، كما نلمس ذلك في بعض التفاسير ، وفي توجيه المفسر للآية ، وفهمه لها على حسب اتجاهه السياسي او المذهبى .. والطابع العلمى الذى يمتاز به عصرنا دفع كثيرا من الناس الى اضفاء الثوب العلمى على كثير جدا من آيات القرآن وفسروها تفسيرا علميا . حتى خرجوا أحيانا عن الحد المناسب .. وهكذا ..

بناء العقيدة أولا

لقد كان أهم شيء في الحياة الجديدة هو ــ أولا : ــ بناء العقيدة السليمة ــ عقيدة التوحيد، والقضاء على كل المظاهر التى تتنافى معها ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل في بيئة مرنت على الشرك ، وعبادة الأصنام، والتعلق بالخرافات ، والاستهانة بالعقول الى حد أنها كانت تحكّم الطيور والأحجار فيما تقدم عليه من أفعال .. وكانت تعد الخروج على شيء من ذلك ، خروجا على مقدسات الآباء الموروثة وتقاليدهم ، وثورة على ما تواضع عليه المجتمع ، تجب المبادرة بقمعها والقضاء عليها ..

ومن هنا كانت العنـــاية المركزة في القرآن الكريم ، وفي دعوة الرسول ، على عقيدة التوحيد والبعث ..

كان الاشراك قد تحصن في عقـــول العرب ، حتى أصبحوا يعدون ما عداه أمرا غريبا يلفت النظر ، ويدعو الى العجب ، والدعوة الى التوحيد مـؤامرة تستدعي الحذر « أَجَعَلَ الالهة الها واحدا انّ هذا لشيء عُجاب . وانطلقَ الملأُ منهم أن امشوا واصبروا علـى آلهتكم ان هذا لشيء يراد .. » من سورة ص .

فهذا الحصن هو الذى يقف أمـام دعوة الاسلام . ولا يمكن أن يلجأ الداعون للتوحيد الى التسلّل من ورائه وتركه .. لا بد من مجابهته ، وهدمه حجـرا حجرا ، بل لا بد من ازالة انقاضه ، وترابه ، وغباره ، وكل أثر من آثاره .. وهذا كله ليس بالأمر السـهل ، فان هدم الحصون الحجرية ــ أو الخرسانية بلغة العصر ــ قد يكون أسهل كثيرا من التغلب على الحصون العقلية والتقليدية ..

ومن هنا يمكن أن نتصور أى شيء كان يجابه الرسول ومن آمن معه ، ويأخذ منهم كل أوقاتهم وجهودهم ..

والقارىء يعلم بلا شك تلك الظروف التى عاش فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون القليلون معه في مكة مدة ثلاث عشرة سنة .. كما يعلم الظروف التى عاش فيها الرسول مـع صحابته بعد ذلك في المدينة ..

وكلها ظروف تحتم توجيه أكبر قسط من الجهد والعناية للأمور الأكثر أهمية بالنسبة للدين الجديد . من الدعـوة اليه والتمسك بمبادئه وتشريعاته مـن ناحية ، والدفاع المستميت عنه ضـد أعدائه من ناحية أخرى ، أو بلغة العصر الحديث : بناء جديد قوى للدعـوة في الداخل ، ودفاع وحماية لها من أعدائها في الخارج .

الجانب العملي

وهذا هو الذى كان ، فلقد انصرف الرسول وصحابته ، بكل ما يسعهم من جهد وطاقة الى تدعيم العقيدة في النفوس والعناية بالتطبيق لكل ما جاء به الدين من تشريعات ، والاستعداد التام لمجابهة كل عدو والوقوف أمامه .

وهذا يعنى أن الناحية العملية كانت هى الجانب الأهم في حياة الرســـول والمؤمنين ، وكان المسـلمون ينصرفون اليها بكل جهودهم ووقتهم ، بعد أن يعلمهم الرسول القائد ما عليهم مـن واجبات ..

ثم لا ننس أنهم كان عليهم واجبـات معيشية أخرى غير واجبات دينهم ..

ولا ننس أيضـا أنهم ، مع حرصهم الشديد على التجاوب التام مع دينهم ، وعلى حفظ القرآن ، لم يستطع أكثرهم متابعة ما ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من القـــرآن بالحفـظ والاستظهار .. ولم يكن هناك أمر في القرآن ، ولا في كلام الرسول يوجب عليهم استظهاره كله .. لأن ذلك شيء قد

يشق عليهم ، ولا يستطيعون احتماله ، والله لا يكلف نفسا الا وسعها . . وليس المهم الحفظ والاستظهار . وانما المهم في الدرجة الاولى : التنفيذ والعمل . . وهو ما حرصوا عليه ، وقاموا به .

صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحرص على ان يحفظوا ، وكانوا هم الاخرون يتسابقون الى الحفظ، ويعتبرونه مفخرة ، لكن ذلك كله لم يصل الى حد أن كل واحد منهم قد وجد الفرص الكافية لحفظ القرآن كله . . . وان كان كل واحد منهم لم يفته ان يحفظ شيئا من القرآن . .

وكانوا يتفانون في هـذا الحفظ ، ويتفاضلون به ، فحفظ كل قدر ما يستطيع ، على حسب ما يتيسر له ، وان كان هناك من الصحابة جم غفير عُرف عنهم انهم حفظوا القرآن كله في عهد رسول الله .

ولا شك في أن الواحد منهم انما كان يُعنى بتفسير او فهم ما يحفظ ، على قدر استطاعته، أو بالاستعانة بالرسول، او بغيره من الصحابة ، ممن يتوسم فيهم المعرفة . اما ما لا يحفظه فاننا لا نستطيع القول بانه عني بفهمه أو بتفهمه، اللهم الا اذا سمع احدا يقرؤه .

ومؤدى هذا كله أن الصحابة رضوان الله عليهم مع عنايتهم الشديدة بالقرآن لم يتيسر لجمهرتهم حفظه كله كما لم يتوفر لهم بالتالي تفسيره وفهمه

. . وان كان هناك من خواصهم من تيسر لهم حفظه ، وتوفر على فهمه .

وفي ذلك نروى ما قاله مسروق « جالست أصحاب محمد عليه السلام فوجدتهم كالاخاذ — يعني الغدير — فالاخاذ يروي الرجل ، والاخاذ يروي الرجلين، والاخاذ يروي العشرة ، والاخاذ يروي المائة ، والاخاذ لو نزل به اهل الارض لأصدرهم » يعني يرويهم . يعبر بذلك عن اختلاف مستوياتهم العلمية ، ومحصولهم من فهم القرآن ، كما تختلف الآبار في كمية مياهها . .

ويقول ابن قتيبة: ان العرب لاتستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه ، بل ان بعضها يفضل بعضا في ذلك . .

وهذا أمر طبيعي كما سبق أن قررناه . . وقلنا انه يرجع الى استعداداتهم الفطرية ، كما يرجع الى قربهم من الرسول . . — مصدر الاشعاع — وبعدهم عنه . . وان كان من الممكن أن نقول : انه كان هناك قدر مشترك بينهم في فهمهم العام لما يقرءون أو يسمعون من القرآن باعتبار انهم عرب . . كما قررنا من قبل .

واذا كانت الدعوة الجديدة قد أخذت من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه جهدا ووقتا في دعوة الناس اليها ، وفي الدفاع عنها بالحجة اوبالسيف ، مما اضفى على حياتهم الطابع العملي الجاد ، فلقد كان من مستلزمات ذلك الا تكون هناك عناية الا بما يتصل بهذه الناحية العملية ، وأن يحد هذا من الاسترسال وراء شهوة الكلام والجدل ، واثارة الاشكالات والشبه ، فان ظروف المسلمين فيما بينهم لا تسمح بذلك ، كما ان ظروفهم امام أعدائهم المحيطين بهم من كل جانب لا تستسيغه ، والبناء الجديد يقتضي احتياطا وعناية لا بد منهما .

ومن هنا تحدد المنهج الذى وجب أن يسير عليه الصحابة في حياتهم العلمية ، وكان لذلك اثره في فهمهم للقرآن وتفسيرهم له . . وذلك ما سنبدأ به حديثنا الآتي ان شاء الله . ■■

عبد المنعم النمر

ضرورة ملحة



بقلم : عبد الكريم الفهرى الفاسي

■ كلما راى الملاحظ الأحداث تتعاقب في الشرق والغرب ، كلما زاد ايمانا بضرورة التكتلات ، لأنها كثيرا ما تكون في بعض الجهات ضرورات حيوية لا بد من تحقيقها ، ومن ذلك تكوين المغرب العربى الكبير الذى يتعين على هذا الجيل من رجال الفكر والسياسة فيه ان يعملوا على تحقيقه .

ولعل المغرب العربى الكبير وحده ـ او يكاد أن يكون وحده ـ التكتل الذى تتوفر العوامل لتحقيقه ما بين طبيعية وتاريخية واجتماعية وحضارية .

تامل الوحدة الجغرافية

اما العوامل الطبيعية التى هى عوامل جغرافية ، فان من بينها التكوين الجيولوجي الواحد الذى يجعل من قرني شمال افريقيا في اتجاه اوروبا مع فاصل حوض البحر المتوسط شيئا متشابها في ما يكنه من خيرات في بطون ارضه ، تكونت على مر الأجيال حسب التفاعلات الجيولوجية المعروفة . ثم ان هاته الاراضي ، ذات المناخ المتشابه ، المحدودة بالبحر من شمالها وغربها والمحدودة بالصحراء الكبرى في جنوبها ، بجعلها ذلك تتشابه في مناخها كما تتشابه في مواردها .

عامل الثروة الطبيعية

ومصادر الثروة فيها لا يختلف بعضها عن بعضها ، فكلها تزخر بالبترول الكثير او القليل ، كما انها تزخر بالفسفات وبالحديد والفحم وبغير ذلك من المعادن الكثيرة المتنوعة ، ناهيك بمواردها الزراعية التى لا تختلف من قطر الى قطر ، بقطع النظر عن الكثرة هنا والقلة هناك ، واكثر تلك المحاصيل ، كالزيت والحوامض والتمور وغيرها يستهلك محليا ، ثم يتكون من استصداره للخارج موارد تنفع في معادلة ميزانية بعض تلك البلاد او جميعها . وناهيك كذلك بما حبت الطبيعة البلاد من جبال وسهول تفيد في السياحة العالمية التى اصبحت موردا من موارد اجتلاب الاموال الخارجية بالعملة الصعبة خاصة .

ان المغرب العربى الكبير حين يتم تنظيم مصادره الطبيعية واستغلالها ، ويتم تزويد اكثر بلاده او بعضها بما هى في حاجة اليه من خزانات المياه والسدود لكثرة ما يتهاطل عليها من امطار ـ سوف يتمكن من الاكتفاء الذاتى ، وتتحسن المعيشة فيه وتتيسر الحاجيات اليومية فيه بعد تطوير الفلاحة وتحسين انتاجها على أن تصدير الفائض من هذه المنتجات القومية يتطلب توحيد الجهود وتبادل الاراء ، كما يتطلب توحيد الأساليب لاستغلال الاسواق الخارجية نظرا لكثرة الدول المصدرة التى تغشاها كاسبانيا وايطاليا واسرائيل وغيرها .

عامل التاريخ

والى جانب العوامل الطبيعية . تضاف العوامل التاريخية وهي من الكثرة والعمق بحيث تزيد في الالحاح بضرورة قيام المغرب العربي الكبير على غيرها .

لقد شملت الفتوحات الاسلامية المغرب العربي من أدناه الى أقصاه وكان المغرب الأقصى منه معبرا ومجازا لفتوحاتهم في أوروبا وفي اسبانيا على الخصوص . ولم يكتف المغرب العربي بأن يكون جسرا لتلك الفتوحات الباهرة، بل أسهم فيها بقسط واسع من سكانه البرابرة ، السكان الأصليين الذين تكونت منهم قيادات وتكونت بطولات بفضل الشرارة الاسلامية التي صهرتهم في بوتقة واحدة مع العرب ، فكان منهم طارق بن زياد ، وأمثال طارق بن زياد كثير .

ولقد كان الفتح الاسلامي فرصة للمغرب العربي لأن يتوحد ، وفعلا وحد لأول مرة في تاريخه تحت امارة المسلمين، وسواء في عهد دول عربية ، كالأغالبة والأدارسة وغيرهما ، أو في عهد دول بربرية محلية كان رائدها في قيامها الحوافز الاسلامية أكثر من الحوافز القومية ، وقد مدت في عمر الاسلام في أوروبا دهرا طويلا .

وقد مر المغرب العربي في شتى فترات عهوده ، اذ حكم من طرف دولة واحدة أو ملك واحد من حدود الديار المصرية ، أي من برقة ، الى المحيط الاطلسي ، وكذلك كان الشأن أيام المرابطين والموحدين وحتى بني مرين ، زيادة على تبعية الأندلس لهاته الامبراطورية الشاسعة الأطراف التي لم يكن يجمع بينها الا رابطة الدين التي هي رابطة حرية الفكر والتسامح .

العهد التركي

ثم جاء العهد التركي الذي شمل جميع بلاد المغرب ، ووقف عند حدود المغرب الاقصى ، فقد رفض المغرب الاقصى الدخول في السيطرة التركية ، فكان لذلك خارجا عن منطقة النفوذ التركي الذي شمل معظم البلاد الاسلامية، من ايران الى واد ملوية في المغرب ، كما شمل بعض الشعوب الاوروبية في أوروبا الوسطى والبلقان وفي ما حولها حتى أسوار فيينا في النمسا .

وبقيت آثار السيطرة التركية في المغرب سواء في وجود بعض الاسر ، اما تركية الأصل أو مخضرمة ، ما بين تركية وعربية . وكذلك لتظهر تلك الآثار في العوائد واللغة وغيرها . ناهيك بالتعاطف الملموس الى اليوم بين تركيا وبين ممتلكاتها القديمة كليبيا وتونس والجزائر ، وقد برهن المغرب العربي على ذلك التعاطف حين تأزم الحال بالجمهورية التركية وتهافت الاستعمار على ترابها للقضاء عليها ، فكان أبناء المغرب العربي كلهم بقلوبهم على الأقل مع خالق تركيا الفتاة ومنقذها الغازي مصطفى كمال . وظهر ذلك التعاطف من قبل تركيا لما كانت حرب الجزائر فأعانت عليها تركيا اعانة فعالة ، سواء بالسلاح أو بالمال ، أو بالدعم المعنوي في المجامع الدولية . وقد لاحظنا ذلك بالعين كما اقتنعنا به بالرواية .

وحتى الاستعمار وحد بين أجزاء المغرب العربي الكبير

ومن مظاهر ذلك التعاطف الذي لا زال حيا عند الأتراك ، ما نلمسه من الرعاية من طرف الاتراك للرعايا التابعين لدول المغرب العربي ، فهم دائما محل تقدير نظرا لما يتمتعون به من شجاعة وجرأة في مقاومة الاستعمار الذي حل بهم، ذلك الاستعمار الذي هو أتى على النفوذ التركي في غربي حوض البحر المتوسط ، وهذا الاستعمار قد تمثل في السيطرة الايطالية والافرنسية التي شملت المغرب العربي من حدود مصر الى المحيط الاطلسي ، فكانت الجزائر هي الاولى التي تسقط في قبضة الاستعمار ، ثم تلتها تونس الخضراء فالمغرب الاقصى ، ثم في النهاية طرابلس الغرب (ليبيا الآن) .

كل هذه المآسي وحدت بين أجزاء المغرب الكبير فجعلت من سكانه قوما ذوي حساسية معادية للاستعمار يجعلهم ينظرون الى الأشياء نظرة تكاد تكون موحدة ، وحين لا تكون موحدة فما ذلك لاعتبارات محلية أو طارئة أو مستوردة بل لاعتبارات خاصة، ولكن الجميع يحس بضرورة العمل اليوم لأن المصالح توحدهم، كما عملوا بالأمس لأن مصلحتهم كانت في التعاون على الاستعمار .

وذلك ما يحدونا للكلام عما يتطلبه الوقت الحاضر من سكان المغرب العربي. وأهم ما يتطلب هو العمل بقصد التكامل الاقتصادي في الانتاج للاستهلاك المحلي ثم للتصدير عند الحاجة بعد تكتيل جميع الجهود لاستغلال جميع الامكانيات الطبيعية والخيرات الفلاحية التي يزخر بها المغرب العربي

توحيد الثقافة

والتكتل الذي ربما أفضى الى وحدة في يوم من الايام يقتضي التدرج والتصاعد من ميدان الى ميدان آخر ، فليس هناك ما يمنعنا من توحيد الثقافة ، بل توحيد وسائل الثقافة حيث ان ثقافة الجميع الاصلية هي الثقافة العربية ، وحيث ان وسائل الثقافة عند الجميع هي العربية فلا أسهل على الجميع من توحيد برامج التعليم ووسائل المعرفة حسبما يقتضيه حال كل بلد من الوعي والنضج .

وتوحيد في الاقتصاد

وما قيل في الثقافة يمكن أن يقال في الاقتصاد ، حيث ان أصوله واحدة في جميع الاقطار فلم يبق الا العمل على توحيد وسائل الانتاج والاستغلال والاستهلاك ، ولوجود الطاقة الضرورية للتصنيع اي البترول وما اليه ، فان الأمر يهون على الجميع لأنهم لن يستوردوا طاقة من بعيد للقيام بانشاء الصناعات الضرورية ، سواء للاستهلاك المحلي او للتصدير عند الحاجة .

فوسائل التكتل ناشئة من وسائل التكامل ، وينبثق عن جميع ذلك أن بلاد المغرب العربي بذلك كله توحد مواقفها من القضايا العالمية الكبرى مع الاحتفاظ لكل دولة باتخاذ مواقف في بعض الظروف تقتضيها مصالحها التي تعتبر انها حيوية .

سبيل المغرب الكبير في السياسة

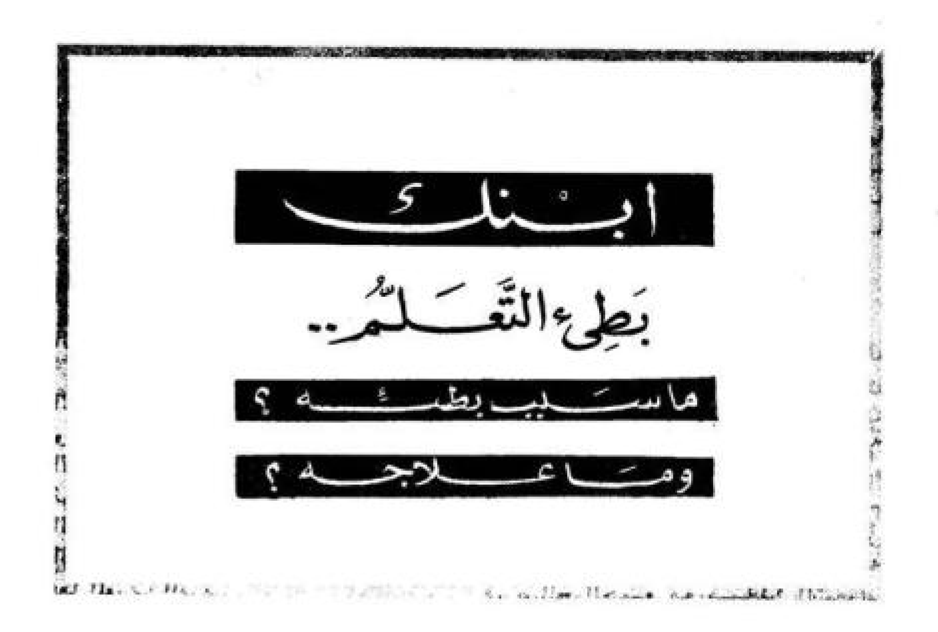
أما عملها في الميدان العربي وفي الميدان الافريقي فهو معروف ، لأنه ينبثق عن التضامن بين سكان المغرب العربي وبين العرب الذين يجمعهم القرآن ولغة القرآن والتقاليد الحضارية ، الشيء الذي لا ينازع فيه احد ، أما تضامنهم الافريقي فهو ناشيء من اقليمية لا مناص منها تقتضي التعاون مع الدول الافريقية في صالح الجميع مع مساندة الشعوب التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار القديم .

موقف المغرب الكبير من أوروبا

ومواقف المغرب العربي تجاه الغرب معروفة لوجود مصالح مشتركة تسمى في لغة الاقتصاد تبادل المنافع ما دام المغرب العربي في حاجة الى خبراء وزبناء ومتعاملين ، فمواقفه من الغرب تمليها عليه مواقعه الجغرافية وتصريف انتاجه وحاجته للخبرة الغربية التي ما زالت ملحة .

ولعل شؤون العالم الآن تقضي بضرورة التكتل اذ لم يبق للدول المنفردة ، وخصوصا الصغيرة ذات الموارد المحدودة مجال للعمل بمفردها ، وهذه من البديهيات التي يصطدم بها كل من يدعي الاستقلال عن الشرق والغرب وعن الشمال والجنوب ، واذا به لا يجد مندوحة من أن يمد في الصباح يدا للغرب وفي الظهيرة يدا للشرق وقبل الغروب يدا أخرى للشمال وفي المساء يدا رابعة للجنوب . ■■

عمان **عبد الكريم الفاسي**



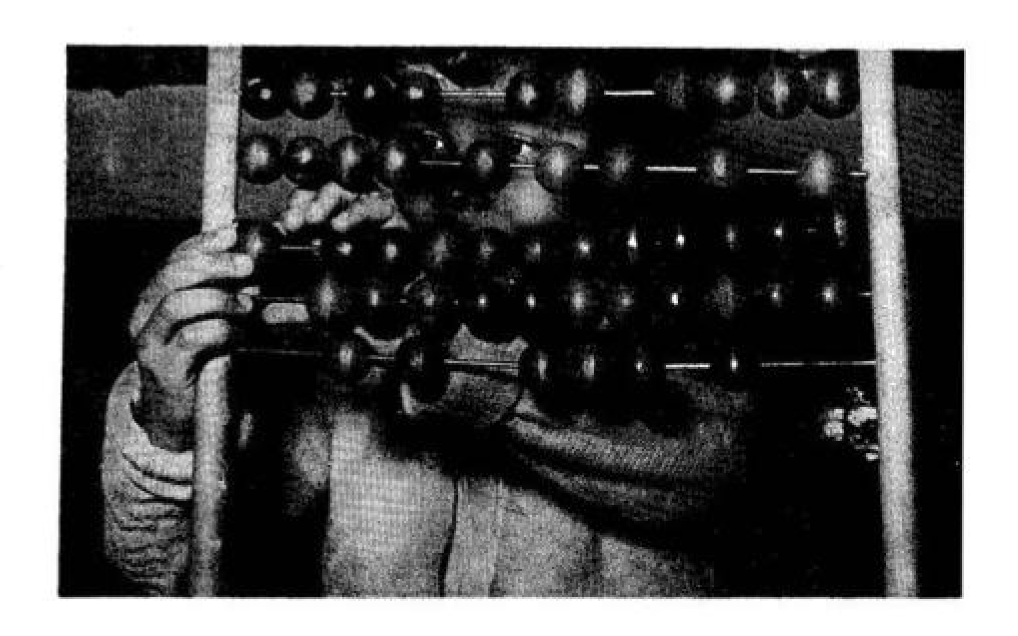
بقلم : محمد طنطاوي

■ انت اب .. ولك اولاد .. وككل اب يصبح املك ان ترى اولادك يتعلمون ويحصلون على اعلى درجات علمية .. ليبنوا لانفسهم مستقبلا مضمونا ان لم يكن مستقبلا باهرا .. وانت عندما تعود من عملك .. وعندما ترى اولادك عائدين من مدرستهم فان اول سؤال يطرا على ذهنك هو كيف كان يومهم الدراسى وما مدى ما حصلوه من العلوم المختلفة .. وكثيرا ما تقوم بسؤالهم فى علومهم .. وتتنابك السعادة عندما تشاهد ابنك الصغير يقرأ فى كتاب المطالعة لاول مرة .. ويحاول ان يحل الرموز والطلاسم التى امامه وينطق بالكلمات بطريقة خاطئة فى كثير من الاحيان وبطريقة صحيحة فى قليلها .. ولكن قد تشوب سعادتك حالات من فقدان التحكم فى الاعصاب وهدوء النفس عندما ترى ان احد ابنائك يسير سيرا بطيئا فى التعليم .. او على الاقل ابطا بكثير من اشقائه وبدافع من حبك لابنك هذا وبدافع من حرصك الشديد على مستقبله تقوم بتوبيخه بشدة .. واحيانا تقسو عليه بعنف .. وتكون النتيجة فى كثير من الاحيان ضررا بالغا على هذه الزهور اليانعة التى لم تتفتح بعد .

انك تنسى ان هناك اسبابا كثيرة قد تؤثر على قابلية الطفل للتعلم وعلى مدى سرعة تحصيله للعلوم المختلفة ومن هذه الاسباب البيئة المنزلية والمدرسة .. وشخصية المدرس واستعداد الطفل لتقبل العلوم والمواد الدراسية ، وكل هذه الاسباب خارجة عن ارادة الطفل .. وترتبط هذه العوامل بعضها ببعض وتتشابك كالاشجار فى الغابة الكثيفة فلا تدرى أيها من أيها ..

من هو بطيء التعلم ؟

ان واجبك الاول نحو طفلك ان تضع امامك حقيقة ثابتة واحدة وهى أن كل طفل يختلف عن الطفل الآخر .. تماما كما تختلف اصابع اليد



الواحدة.. ولهذا السبب وحرصا على تربية الاطفال وخلق جيل جديد مثقف متعلم قام خبراء التربية فى الخارج وفى العالم العربي ببحوث تربوية على اسس من علم النفس وعلم الاجتماع كمحاولات للكشف عن طرق جديدة يعالجون بها مشاكل الاطفال فى مراحل تعليمهم الاولى .

ومن أهم المشاكل التي تعرض لها خبراء التربية هي مشكلة الطفل البطيء التعلم.. وخاصة ان الاحصائيات قد دلت على وجود نسبة كبيرة من هؤلاء الاطفال تبلغ حوالي الـ ٢٠٪ من عدد اطفال مدارس المرحلة الاولى .

وكان أصعب سؤال أمام علماء التربية هو سؤال لا يزيد عن اربع كلمات فقط وهو .. « من هو بطيء التعلم ؟! » .

وقد استغرقت الاجابة على هذا السؤال سنوات من البحث .. وتطلبت اجراء اختبارات للذكاء واحصائيات عن السن بين طلبة الصف الواحد فى مدارس مختلفة.. وتجميع معلومات عن درجاتهم المدرسية .. وحالتهم الصحية والاجتماعية وتلخصت النتيجة فى ان الطفل بطيء التعلم هو طفل يصل الشبه بينه وبين غيره من الاطفال الى درجة كبيرة ويحمل فى داخل نفسه وفى ذاته اكثر من نوع واحد من انواع الشخصية .. ولديه نفس صنوف القدرة التى توجد فى اى طفل اخر الا انه اقل قدرة على التعليل والتجريد ..

صفات جسمية .. وعيوب صحية

ودلت الأبحاث أيضا على أن هناك بعض الصفات الجسمية التى كثيرا ما تصحب الطفل بطيء التعلم .. فمثلا وجد أن معدل النمو لدى الاطفال البطيئي التعلم اقل من معدل نمو الأطفال العاديين فهو اقل طولا واقل وزنا واقل تناسقا .. وتتفاوت درجات عدم التناسق حتى تصل فى بعض الاحيان الى درجة غير ملحوظة لا تسترعى النظر ..

وهناك ايضا من الناحية الصحية احتمال انتشار ضعف السمع وعيوب الكلام ومرض اللوزتين والغدد وعيوب الابصار لدى الاطفال بطيئى التعلم بدرجة اكثر من الاطفال العاديين .. وهنا يجب أن تنتبه الى هذه العيوب الصحية بين الأطفال البطيئي التعلم وان نحاول علاجها بسرعة لأن التغلب

عليها يزيد من فرصة الطفل للوصول بقدرته العقلية الى أقصى حد ممكن .. والواقع انه ليس في هذا جديد فالمثل يقول : ان العقل السليم في الجسم السليم .

نفسيتان مختلفتان

وقام علماء النفس بدراسات تحليلية عن شخصية الاطفال .. واتضح من هذه الدراسات التفصيلية التي قورن فيها بين الاطفال البطيئي التعلم والاطفال السريعي التعلم وجود بعض الاختلافات التي لها اهميتها الاحصائية .. انفرد بطيئو التعلم بصفات منها : عدم الثقة بالنفس – عدم الاحترام للنفس – الاعتماد على الغير ..والاحترام الزائد للغير .. وفي نفس الوقت لوحظ ان الصفات المتوافرة في الاطفال السريعي التعلم كانت تتلخص في : القدرة على تكوين الاصدقاء – القيادة – التنافس – التركيز – المشاركة الوجدانية للاصدقاء – السيطرة – الثقة في النفس – الخلق – الابداع والابتكار – حب الاستطلاع – الشجاعة – الدفاع عن النفس – واللعب .

وقد كان الاختلاف واضحا بين الفئتين من الاطفال في الصفات التي ذكرناها في حين انهما كانا يشتركان في صفات اخرى هي : التملق – التعاون – الانانية – العدوان الجسماني – الطاعة – العطف – معارضة السلطة – والكرم .

وفي العقلين اختلاف

وكما يختلف الاطفال البطيئي التعلم عن اقرانهم من العاديين في الشخصية وفي النواحي الصحية والجسمية فانهم يختلفون ايضا عنهم في السمات العقلية وخاصة ما يتصل منها بالادراك السمعي والبصري . والاختلاف بين المجموعتين لا يظهر بوضوح ولكنه يبدو جليا عند اداء الطفل البطيء التعلم لبعض العمليات كالتعريف والتمييز والتحليل . ويظهر ضعف التلميذ على وجه الخصوص في العمليات العقلية المعقدة مثل التعليل والتفكير .. وهذا شيء طبيعي لأن التعليل يعتمد على الذكاء كما يعتمد ايضا على استخدام القوى العقلية في مواجهة المواقف المعقدة وتحديد معرفة المشكلة المطلوب حلها او الموقف المطلوب التفكير فيه وايجاد الحلول الممكنة واختيار هذه الحلول على ضوء الخبرة الماضية .. وكل هذا يجب أن يحدث بسرعة داخل العقل .. ومن هنا يتضح سبب ضعف التعليل لدى التلميذ البطيء التعلم .. والواقع ان ضعف قدرته على التعليل هو السبب في بطء تعلمه . وبما انه لا يوجد بديل للتعليل فان تحسين القدرة على التعليل لدى الطفل يعتبر من أهم وجوه الاصلاح التي يهتم بها التعليم الحديث .

القلق .. ظاهرة أساسية

والقلق احد الصفات التي يتميز بها الطفل بطيء التعلم فهو دائما يريد أن تكون نتائج عمله سريعة وينتابه القلق اذا ما تاجلت هذه النتائج او كانت غير ملموسة وهو لذلك يميل للوصول الى النتائج دون تفكير في الاحتمالات الأخرى ومن غير ان يحاول التامل في الموضوع الذي يبحثه . وهو على استعداد لقبول اقرب حل او نتيجة اكثر من كونه حذرا تجاه الموقف الذي يواجهه.. وهو ايضا مستعد للاشتراك في اى نشاط دون تفكير .

الانحراف

والراى الذى يقول ان كل طفل بطيء التعلم لديه استعداد للانحراف هو راى خاطيء من اساسه .. وينبغى علينا أن نعرف ان احتمال انحراف الطفل البطيء التعلم هو نفس احتمال الانحراف بالنسبة لاى طفل آخر .. وغالبا ما يكون السبب الرئيسي للانحراف بين الأطفال هو البيئة التي يعيشون فيها وليس اى سبب آخر ..

هل نفصل بين بطيئى التعلم وسريعه في فصول خاصة بهم

بعد أن انتهى خبراء التربية من الاجابة على السؤال الصعب وهو كيفية التعرف على الطفل

البطيء التعلم وتعريفه .. اصبحت المهمة امامهم هي ايجاد حل لهذه المشكلة .. وطريقة للتعليم تتلاءم مع القدرة العقلية لهؤلاء الاطفال .

وكان اهم سؤال امامهم هو : هل يوضع التلاميذ البطيئو التعلم في مجموعات منفصلة ؟

وكانت الاجابة على هذا السؤال شبه عسيرة .. فهناك آراء كثيرة تؤيد انشاء فصول خاصة لبطيئي التعلم وآراء اكثر تعارض في عزل هؤلاء الطلبة عن بقية التلاميذ .. وكانت اقوى حجة لمعارضي عملية الانفصال انه من المستحيل تكوين مجموعة منفصلة لبطيئي التعلم تكون متجانسة في اكثر نواحيها .. وثانيا ان عملية الفصل دون اعادة تنظيم المنهج الدراسي تكون قليلة الفائدة .. وثالثا ان عزل مثل هؤلاء الاطفال عن بقية التلاميذ يؤدى الى تكوين اتجاهات عدائية ضد المجتمع وجعلهم يشعرون بالنقص مما يؤدى الى آثار نفسية ضارة .

ويقول مؤيدو انشاء مجموعات منفصلة للاطفال البطيئي التعلم انه يتيح تجانسا اكبر بالنسبة لمشروعات المدرسة التي تعتمد على القدرة العقلية وهذا يوفر الوقت على كلا الصنفين من الطلبة فالطفل بطيء التعلم لا يضيع اذا هدف المدرس اكثر الى الطلبة سريعي التعلم ، وكذا الطالب السريع التعلم ، على الانفصال ، يكون اسرع تقدما في دراسته ..

ولا تزال مسالة انشاءمجموعات منفصلة للاطفال بطيئي التعلم محل اخذ ورد بين التربويين ... وان كان من المسلم به هو عدم انشاء فصول خاصة بهم الا في حالات شاذة وقليلة ..

الحس والادراك

وتطورت طريقة شرح الدروس للاطفال نتيجة للدراسات التربوية فاصبحت تعتمد على اساس حسي ادراكي .. ومن الطرق التى تستعمل الآن استخدام «التلفاز» في الفصول كمساعد للمدرس على تسهيل مهمته في افهام التلاميذ عن طريق الشرح والصورة معا .. ولم يقتصر الأمر على « التلفاز » بل تعداه الى الاشرطة المسجلة والافلام السينمائية . .وبهذا يكون الشرح مبنيا على نواحى النشاط الواقعى الذى يستطيع الطفل ان يراه ويسمعه ويلمسه أو يتذوقه ويشمه .

المشاكل الشخصية

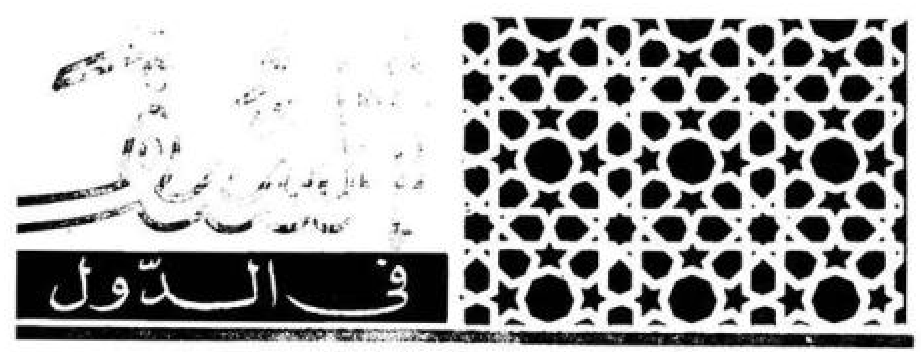
وكذلك اصبح من مهمة المدرس الحديث ان يحاول تفهم وحل المشاكل الشخصية لتلاميذه الصغار ولا يستطيع اى مدرس ان يقلل اهمية مشكلات التلميذ الشخصية .. لأن شخصية التلميذ هى كل متكامل يرتبط كل جزء منها بالآخر .. وعلى كل مدرس يرغب في ان يهيىء للتلميذ الفرصة لكى ينمو نموا متكاملا ان يهتم بكل عامل يؤثر في حياة التلميذ وتعلمه .. سواء في المنزل او في المدرسة .. او في المجتمع الذى يعيش فيه وان يبذل اقصى جهده في سبيل تحسين ظروف التلميذ والنهوض بمستواه الفكرى والنفسي والاجتماعى بغض النظر عن مسئولية غيره في ذلك.

وعلى المدرس يقع عبء كبير في معالجة الكثير من المشكلات التى تنشأ عند الاطفال في المدرسة مثل الانطواء على النفس والبعد عن بقية الاطفال .. وعدم الاحساس بالأمن والطمأنينة والسلوك العدائى نحو بقية الاطفال او منهم .

● ● ●

وبعد .. لا تفقد اعصابك عندما ترى ان ابنك بطيء التعلم ولكن عالج الأمر بطريقة علمية .. ابحث عن السبب فربما يكون سببا صحيا .. وربما يكون سببا يرجع اليك انت والى طريقة تربيتك لابنك ، وقد يكون خللا في نظام بيتك او العلاقة بين افراد اسرتك . وربما يكون سببا نفسيا يعود الى شخصية طفلك .. ولكن المهم انه بالصبر وبالمعرفة وبالتحليل سيتعلم طفلك ويصبح طفلا عاديا . ويلحق بزملائه في موكب العلم والحياة . ■■

محمد طنطاوى



سفراء من القضاة والفقهاء

بقلم : حسن فتح الباب

ماجستير فى العلوم السياسية

■ استقر الاصطلاح فى العصر الحديث على ان السفير هو وكيل حكومته المرخص بتمثيلهالدى دولة اخرى فى جميع المفاوضات الهامة . فالسفير فى عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسميا من دولة الى اخرى ليكون نائبا لا وكيلا .

ولقد كان هذا المعنى الحديث معروفا فى تاريخ العرب والاسلام ، فكانت السفارة فى الجاهلية من المناصب التى دانت لقريش وبطونها ، وكان معناها عندهم انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وارادوا المخابرة بشان الصلح بعثوا سفيرا ، وان نافرهم حي لمفاخرة جعلوا السفير مفاخرا ورضوا به .

اما معنى السفارة فى صدر الاسلام فلم يتغير عن معناها فى الجاهلية ، اذ كانوا يتبادلون السفراء للصلح والمخابرة ، كما سفر على بن ابى طالب بين الناس وبين عثمان ابن عفان فى الفتنة التى حدثت قبل مقتله . واستمرت الحال كذلك فى عهد بنى امية فكانوا فى حروبهم وفتوحهم اذا تداعوا الى الصلح مشى السفراء بينهم . الا انهم لما تحضروا واخذوا باسباب المدنية بعد رسوخ قدمهم فى مملكتهم الواسعة الاطراف وكثرت علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم يتغير معنى السفارة عندهم قليلا .

فكانوا يرسلون السفراء - وعلى الاخص فى عهد العباسيين - الى الملوك والامراء ، ليس فى احوال الصلح فقط ، بل كذلك فى المخابرات والمفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة .

ولم تقتصر السفارات على الخلفاء والامراء المسلمين بعضهم وبعض بل شملت علاقاتهم التجارية والسياسية مع رؤساء الدول الاجنبية . فجرت السفارات الاسلامية بين العباسيين وملوك الشرق فى الهند والصين ، كما جرت بين ملوك اوربا وملوك الاسلام فى الشرق والاندلس . والتاريخ حافل باخبار السفارات التى كانت لا تنقطع بين الخلفاء المسلمين فى الاندلس وبين ملوك الافرنج .

السفارة مهنة العظماء

ويتبين من استعراض الاغراض التى كانت تستهدفها السفارات الاسلامية مدى اهمية الاعمال التى كان يضطلع بها السفراء فى الدول الاسلامية بوصفهم جماعة من الممثلين الرسميين الدائمين او المؤقتين الذين ياخذون على عاتقهم تنفيذ سياسة حكومتهم فى الخارج، والذين يتخذون من هذا العمل وظيفة لهم تتسم بشرف ادائها ودقتها وخطورتها على المجتمع الانسانى باسره . فهى من اعظم المهن



والمحدثين والعلماء، والمتصوفة والتجار

التى يكرس الفرد النابه حياته لاتقانها والافادة من رسالتها .

فالفن الدبلوماسى ـ كما يطلق علىهذه الوظيفة فى المصطلح الحديث ـ يمثل قوة الدولة فى صلاتها بالعالم الخارجى ، لانه يجمع بين جنباته العوامل المختلفة التى تمثل هذه القوة ، ويحاول رجاله استغلال هذه العوامل بمهارة فى دعم سلامة الدولة والمحافظة على كيانها ، وذلك بكسب الاصدقاء وشل ارادة الاعداء وتحطيمها . ويصل التوفيق بهؤلاء الرجال الى الذروة عندما ينجحون فى تحويل الاعداء الى اصدقاء او على اقل تقدير الى محايدين . وهم يقومون بدور الدعاة لقوة الدولة وامكاناتها واليهم يرجع الفضل فى تبوؤ الدولة المركز اللائق بها والذى تؤهلها له مقوماتها حين يحسنون اداء واجبهم ويعرفون كيف يكونون راس مال من الثقة والصداقة فى ميدان السياسة الدولية .

السفير عنوان دولته

لهذا ، فانه ينبغى أن تتوافر فى السفير المواهب والمؤهلات التى يدونها لن يستطيع الوفاء بالتزاماته الكبيرة . فهو يمثل مصالح بلاده ويعبر عن سياستها لدى الموفد لديهم . ومن ثم يجب ان يكون مثلا عاليا فى الخلق الممتاز لانه عنوان دولته والناطق بلسانها . وهو كذلك يتتبع انباء البلاد المضيفة وينقلها اولا باول الى حكومته مع محاولة التنبؤ مقدما باى اتجاه جديد قد يظهر فيها . ولذلك يجب ان يتصف بالكياسة والذكاء فى عمله .

ولما كانت المهمة الاولى للسفير هى توثيقعلاقات دولته مع الدول الاخرى حتى تطمئن الى سلام يساعد حقا على السير قدما فى جو من الاستقرار دون الزج بها فى حماة التهور السياسى وفقدانها مكانتها الدولية وانغماسها فى مغامرات قد تضيع عليها مصالحها الحيوية ، مما يضعف من شأنها ويورث الشعب الوهن ويفقده قوى هامة مادية ومعنوية وقد يزج بها فى حرب مدبرة تقضى على مستقبل الامة . لما كان الامر كذلك فلا مناص من اختيار السفراء ممن يتصفون بالقدرة علىالمفاوضة لان تنظيم العلاقات الدولية انما يبدأ بالتفاوض فعقد الاجتماعات ثم ابرام الاتفاقات والمعاهدات . وقد يسير هذا العمل سيرا منتظما كمجرى النهر الضخم فى الوادى المنبسط السهل . وقد تعترضه العقبات والشلالات فيتعثر فى السير . والسفير الكفء هو الذى يتلافى المنازعات ويحل المشكلات ويكسب المعركة بالاقناع والتاثير فى الطرف الآخر تاثيرا خفيا او ضمنيا دون أن يظهر لهفته وتهافته على حل المشكلة .

فن السفارة عند معاوية

ونظرا الى انه لم تكن ثمة دراسات تدريبية منظمة ـ بالمفهوم الحديث ـ للسفراء في العصور القديمة لتربية ملكاتهم وتنمية كفاياتهم وتوفير عدد كبير من المتخصصين في الفن الدبلوماسي ، فقد كان اختيار السفراء يتم في الدول الاسلامية على اساس المواهب والملكات الفطرية والتجارب ، فلا ينتقون من طبقة ممتازة او غنية لانه لا طبقية في الاسلام ، وانما يختار الرجل القدير الذي يجمع بين سعة الافق والاحاطة بظروف الدولة التي يمثلها والدولة التي يوفد اليها وبين اتساع الثقافة وسمو العقل والمنطق . ولقد عبر معاوية بن ابي سفيان عن جوهر الصفات والمناقب التي يجب ان يتحلى بها السفير في قولته المأثورة :

« لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، اذا ارخوها شددتها ، وان شدوها ارخيتها » .

وفي هذا التعبير المجازي عن تعريف الشؤون العامة للدولة وسياسة الحكم، في اتصالها بالافراد والقبائل والامصار في الداخل ، او بتنفيذها في علاقاتها الدولية في الخارج، يقدم لنا معاوية تعريفا لما اشتهر به من مرونة ومهارة دبلوماسية في لقاء خصومه وكسب اعوانه وتنفيذ سياسته في الداخل والخارج . ويتم هذا التعريف عن اصالة الفهم لما يجب ان يتصف به فن السفارة من خصائص ابرزها : الاتصال بالواقع ، وعدم الانعزال عن الناس ، ومعالجة الامور باللين والحزم ، والاخذ والعطاء ، والصبر والذكاء والروية والاناة . كما ان تشبيه العلاقات السياسية بالشعرة ، هو بلوغ الغاية في روعة التصوير لما تكون عليه هذه العلاقات من دقة وحساسية تتطلب معالجتها مهارة خاصة ، هي ما نعرفه بالدبلوماسية .

اساليب اختيار الممثلين الدبلوماسيين واختبارهم

وعلى الرغم من عدم تنظيم دراسات تدريبية للسفراء في العصور الاسلامية ، كما هو الشأن في العصور الحديثة ، فقد كان السفراء المسلمون يختارون وفق ادق القواعد التي لا تختلف عن النظم التي تتبعها الدول الحديثة اليوم عند انتقاء سفرائها . والمعروف ان هذه الدول تتبع اسلوبين في اختيار الممثلين الدبلوماسيين : الأول اختيار المبرزين الاولين في مسابقات علمية عامة ، يجرونها بعد اختبار دقيق للمرشح ، وتتبع لاحواله وصفاته، اذ تكشف هذه المسابقات عادة عن مبلغ فهم المرشح وثقافته . وفي اغلب الاحيان يكون هذا الاسلوب خاصا بانتقاء الدبلوماسيين المبتدئين .

اما الاسلوب الثاني ، فهو اختيار من لمست فيه الكفاية والركانة وعرف بالدهاء ليكون رسولا او سفيرا دون امتحان يجرى او مسابقة تعقد .

وقد اتبع العرب نفس هذين الاسلوبين مع تعديل يسير في الاسلوب الاول اذ كان الخلفاء المسلمون يقومون بانفسهم باختيار المرشحين للسفارة . وكان في الدولة الاسلامية في صدرها الاول ديوان يسمى ديوان الرسائل يختص بالمكتبات مع الملوك وغيرهم من رؤساء الدول المجاورة للدولة الاسلامية . وقام كتاب الرسائل في العصر الاموي والعباسي بالتمهيد لاختيار السفراء واعداد الكتب التي يحملونها .

بين الخليفة عبد الملك بن مروان وبين الشعبي

ولقد حفلت المصنفات العربية القديمة بامثلة لتلك الاختبارات الطريفة التي كان يحرص الخلفاء على اجرائها بانفسهم ، ومن ذلك ما حدث لاحد المرشحين للسفارة الى بلاد الروم لتمثيل الخلافة الاموية ، وهو عامر بن شراحيل الشعبي . فقد كان هذا المرشح من فقهاء الكوفة وعلمائها وحجة في تاريخ العرب قبل الاسلام وانسابهم واشعارهم. ووقع عليه اختيار الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق اذ ذاك ، ليبعث به الى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، الذي اراد ان يوفده سفيرا الى البلاط البيزنطي .

وعندما قابل الشعبي الخليفة جرى الاختبار التالي :

ـ قال الخليفة : يا شعبي ، ما العلم ؟

ـ فقال : هو ما يقربك من الجنة ، ويباعدك من النار .

ـ قال الخليفة : يا شعبى ، ما العقل ؟

ـ فقال : ما يعرفك عواقب رشدك ، ومواقع غيك .

ـ قال الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله ؟

ـ فقال : اذا كان حافظا للسانه ، مداريا لاهل زمانه ، مقبلا على شانه .

ـ ثم قال الخليفة عبد الملك : يا شعبى ، انشدنى احكم ما قالته العرب واوجزه .

ـ فقال الشعبى : يا امير المؤمنين ، قول زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يَفِرْهُ ، ومن لا يتق الشتم يُشتم !

وقول النابغة :

ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث ، اى الرجال المهذب !

وقول عدى بن زيد :

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقول طرفة :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وانتقل الخليفة عبد الملك بن مروان بعد ذلك الى اختبار الشعبى اختبارا اشبه باختبارات الذكاء اليوم فنجح ايما نجاح ، واثبت قدرة على ضبط النفس ، وسرعة خاطر ، ومقدرة على اجتياز المآزق ، وعلما غزيرا .

ولقد جرت العادة على ارسال من يقع عليهم الاختيار للسفارة فى مهام محلية بسيطة ، لاختبار مدى ما عندهم من مواهب . وفى بعض الاحيان كان يخفق المرشح للسفارة فى هذا الاختبار . وعبّر احد الشعراء عن هذا الاخفاق بقوله :

وكنت اذا بعثت به رسولا
يدانى قبل أن يمضى بياس
وانسانى وما وجهتُ فيه
على أنى ذكورٌ غير ناس
ويرجع ـ لا رعاني الله فيه ـ
اليَّ بخيبةٍ بعد احتباس
يردُّ براسه ابدا جوابى
اراني الالهُ بغير راس

ونستدل من هذا على انه كان هناك ما يشبه تدريب المرشحين لاعمال السفارات الاسلامية ، يتم قبل تقلدهم مناصبهم وارسالهم الى خارج البلاد .

ملامح شخصية السفير

وقد كان العرب يختارون سفراءهم من بين الشخصيات البارزة فى الدولة ذات المنزلة العامرة والمشهورة بحصافة الراى ، وبلاغة القول ، ورجاحة العقل، وسرعة البديهة ، واحتيال الحيل، وتقليب الامور ، مما يجعلهم اهلا لما يعهد به الخلفاء والسلاطين اليهم من أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم . وقد حفلتْ المؤلفات العربية بالوصايا التى خلفها الحكماء والقادة والحكام فى شأن السفارة وصفات السفير ووسائل اختباره واختياره ، وما يستحب فيه من طباع وأوصاف ليكون أهلا للرسالة وتمثيل مرسله . فلم يكن يقع الاختيار الا على الاكفاء لأداء السفارات ، من ذلك ان الخلفاء المسلمين قد عهدوا بالسفارة الى القضاة والفقهاء كالشعبى رسول عبد الملك بن مروان الى الروم كما سبق أن بينا ، والمحدثين كالزينبى ، والعلماء كيحيى بن الربيع ، والمتصوفة كالسهرَوَردى رسول الخليفة الناصر الى كبار موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والاطباء كعبيد الله بن نصر، وكبار التجار كالسلامى رسول السلطان الناصر محمود لعقد الصلح مع أبى سعيد ملك المغول .

ولعل ابلغ ما كتب فى صفات من يصلح للسفارة ما جاء فى رسل الملوك لابن الفراء على لسان احد الحكماء :

« أختر لرسالتك ، فى هدنتك وصلحك ، ومهماتك ومناظرتك ، والنيابة عنك ، رجلا حصيفا حوّلا قلبا ، قليل الغفلة ، منتهز الفرصة ، ذا رأى جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط وقلب حديد ، فطنا لِلطائف التدبير ، ومستقبلا لما ترجو او تحاول بالحزامة واصابة الراى ، ومتعقبا له بالحذر والتمييز، ساميا الى ما يستدعيه اليك ويستدفعه عنك .. حاضر الفصاحة ، مبتدر العبارة ، ظاهر الطلاقة ، وثابا على الحجج مبرما لما نقض خصمك ، ناقضا لما ابرم ، يحيل الباطل فى شخص الحق ، والحق فى شخص الباطل .. عالما باحوال الخراج والحسابات وسائر الاعمال .. وليكن من اهل الشرف والبيوتات ، فانه لا بد مقتف آثار أوليته ، محب لمناقبها مساو لاهله منها .. » .

رُواء فى المظهر وسمو فى الروح

والصفات التى تشترط فى السفير على نوعين : اولهما خاص بالمظهر الخارجى ، والثانى خاص بالطباع والخصائص النفسية .

ومن اخبار السفراء المسلمين الذين عرفوا بالوسامة وبهاء الطلعة والرواء فى المظهر والزى ان نصر بن الازهر - وكان رسول المتوكل الى ميخائيل بن نيوفيل امبراطور الروم سنة ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م . وصل فى ابهى زينة متشحا بالملابس السوداء ، وهى الزى الرسمى للعباسيين ، وعلى راسه قلنسوة ، متمنطقا سيفا وخنجرا ، فابى القائم بامور الامبراطور ادخاله عليه بهذه الهيئة ، ولكن السفير حرص على تقاليد دولته الدبلوماسية، ودخل على الامبراطور وجلس فى مكان قرب سريره الكبير بملابسه الكاملة .

ومن أشهر السفراء المسلمين فيما اتصفوا به من رواء المظهر ، سفير عبد الرحمن الثانى خليفة الاندلس الى ملك النورمان سنة ٢٣١ هـ - ٨٤٥م الملقب بالغزال نسبة الى جماله الظاهر ، وكان شاعر الخليفة اديبا مشهورا بين ادباء عصره . وقد ابتدأ الى جانب قيامه بمهمته من ضروب النشاط واجادة فنون الرياضة واللباقة وسعة العلم ما اثار اعجاب النورمان وملكهم وملكتهم « نود » التى اعجبت بدعاباته معها وتغزله فى شبابها وجمالها .

ونخلص من تحليل الصفات التى كانت تستحب فى السفير الموفد لاداء رسالة ان منها ما يتعلق بصحة الجسم ، وما يتعلق بالقيافة وحسن الهندام ، وما يتعلق بحسن النطق وسلامة الاداء ، فيستحب فى الرسول « تمام القد وعبالة الجسم ، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا .. » ، فاعين الملوك تسبق الى ذوى الرواء من الرسل .. يملا العيون المتشوفة اليه فلا تقتحمه ، ويشرف على تلك الخلق المتصوبة له فلا تستصغره » « صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعبارة ، بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه ، صدوق اللهجة » . وقد أوصى الوزير السلجوقى نظام الملك فى مؤلفه « سياسة نامة » اى فن الحكم ، أن يكون السفير «مشتئا عالما » .

لماذا الرواء .. ؟

ويستدل مما أولاه الخلفاء والحكام المسلمون من عناية بمظهر سفرائهم - اذ كان الرواء شرطا عند اختيار السفير - على سعة أفقهم ، وعمق نظرتهم وسلامة بصيرتهم ، ذلك ان الصفات العقلية والخلقية لا تكفى وحدها ولا تكفل بذاتها نجاح السفير فى مهمته مما يرجع الى طبيعة السفارة واغراضها بوصفها وظيفة رسمية تعنى بالشكليات المتعارف عليها والمراسيم التابعة من العرف والتقاليد السائدة . كذلك ، فان أهمية الشكل فى عالم الدبلوماسية ترجع الى ماله من تأثير فى الموضوع ، وفى النص السالف اشارة الى هذا المعنى : « فاعين الملوك تسبق الى ذوى الرواء من الرسل » . ومن الثابت فى النظريات الحديثة ان الشكل هو اطار الموضوع الذى يحدد ابعاده ،

او هو الوعاء الذى يحتوى المضمون ويصوغه فى قالبه ويخلع عليه لونه وطابعه .

المقومات العقلية والمناقب النفسية

اما الصفات التى تتعلق بالطباع والخصائص العقلية والنفسية التى ينبغى أن يتحلى بها السفير فهى حسن الراى ، ورجاحة العقل ، والتصرف ، والنزاهة عن بيع الامانة او خيانة مرسله ، والحذر من تجاوز ما رسم له أو تغيير شىء من رسالة من اختبر ثقته أو رد من ارسل اليه . ويعدد ابن الفراء هذه الصفات فى عبارة أخرى فيقول : ان السفارة تقتضى حسن اخلاق السفير كأن يكون عفيفا نزيها ، امينا لا امين عليه ، بحيث لا يقبل الرشا ، ولا يستدره العطاء ، فيقصر فيما يجب لصاحبه ، ويبالغ فيما لا ينبغى لمن ارسل اليه ، وان يكون جيد اللسان لا تبدر منه البذيئة ، كاظما للغيظ لا تلحقه سورة الغضب ، يؤثر الصدق فى القول ، محتالا فى محاورته ومكائده ، يناظر كلاًّ بحسب ما يراه من صوابه وخطئه ، وان يكون وقورا ذا حزامة ، حليما ذا اصالة راى ، جريئا لا يرتاع لتهديدات مرهبة ، ولا يتغير باطماع مرغبة، بل يضع الامور فى مواضعها ، ويقابل كل فعل بما يليق به .

قال البحترى فى وصف الرسول :

وكـان الـذكاء يبعـث منـه
فى سـواد الامور شعلة نار

وقال الآخر :

وابعـث رسـولا فى ملاطفـة
قد أحكمتْ احكامَـهُ الحِيَلُ

ومن الابيات المشهورة :

اذا كنـت فى حاجـة مرسـلا
فارسـل حكيمـا ولا توصـه

ومن الصفات التى اشترطها العرب فيمن يحمل الرسالة ويقوم بالسفارة الا يكون ميالا للنساء حتى لا يستخرجن أسراره ، أو ممن يحب شرب النبيذ . « فان كان شارب خمر فليتركه فى ذلك الوقت بالكلية ، فان الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما فى نفسه من الاسرار . فقد كانت الحَزَمَةُ من ملوك الفرس تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه الاعناق عند المخالفة » .

وثمة خلال ومناقب أخرى من مقومات شخصية السفير وهى أن يكون غزير العلم واسع الثقافة ، كأن يكون جامعا للشريعة والسنن والاحكام والسير (التاريخ) ، اديبا ، راوية للشعر وما يتبعه من جودة البيان وقوة اللسان وحكمة الاوائل وامثالها عالما بأصول فرض الضرائب وتحصيلها وبالقواعد المالية ، وهى علوم من يصلح للسفارة من القضاة والفقهاء والعلماء كما تقدم .

هل يشترط الالمام بلغة الدولة الموفد اليها والتخصص فيما أوفد له ؟

ولم يشترط المسلمون المام السفير بلغة الملك المبعوث اليه ، لان العادة قد جرت على استخدام التراجمة فى هذا الشان ، وان كان المماليك قد بعثوا الى المغول رسلا من جنسهم والعارفين بلغتهم . كذلك جرت العادة فى القرنين السابع والثامن للهجرة أن يقوم بالسفارة من تخصص فى الغرض منها كأن يبعث احد رجال الجيش بقصد المفاوضة فى عقد هدنة ، واحد الفقهاء أو العلماء لتبادل المسائل العلمية او بحث الشئون الفقهية . على أنه يلزم أن يكونوا جميعا من المتأدبين « بأدب الله تعالى فيما أدب رسله الكرام حيث يقول : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » . وليس أدل من هذا على المنزلة العالية التى رفع المسلمون السفراء اليها ، من أنهم لم يكفهم اشتراط المقومات القيادية فى السفير بل اشترطوا أن يتخلق بأخلاق الرسل والانبياء اشارة الى سمو مهمته وجلال قدرها .

واخيرا ، فقد كان يشترط فى صفة السفير أن يكون شريف الاصل نبيل المحتد ، وذلك حتى يكسب سفارته المهابة والجلال ، لان الاصل العريق سبيل للسلوك الحسن واقتفاء آثار الاجداد بتراثهم . وفى هذا ايضا يقول نظام الملك : « ان

نبالة السفير تكون سببا فى علو قدره وما يلقاه من اكبار واجلال وترحيب » ، على ان هذا الشرط قد انعدم بانتقال السلطة الى غير العرب ، لا سيما فى عصر المماليك .

سفيران ..
بل سفراء لدى دولة واحدة

فاذا لم يجد الخلفاء والسلاطين فى رجل واحد من يصلح لمهام السفارة من حيث توافر الشروط والصفات اللازمة كونت السفارة من اكثر من شخص ، كان يكون « احدهما صاحب سيف والآخر من اهل الشريعة ، وقد تعزز بثالث من الكتاب . فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ منها ويدفع ما لا يسوغ ، وصاحب السيف يرتب ما لا مضرة فيه على الملك ولا جنده ولا حيف ولا مخاطرة ، والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبات » .

وقد يزيد عدد اعضاء البعثة تبعا لاهميتها وعلو قدر السفير رئيس البعثة ، ورئيس دولته . من ذلك ان سفارة قتيبة بن مسلم الى بلاد امبراطور الصين سنة ٩٦ هـ قد بلغت حوالى ١١ او ١٢ شخصا . وازداد عدد افراد هذه البعثات زيادة كبيرة فى عهد سلاطين المماليك حتى بلغت احدى سفاراتهم الى بغداد (سنة ٧١٣ هـ = ١٣١٣ م) ١٧٤ شخصا . تلك هى خلاصة المناقب والسجايا التى كان يشترطها رؤساء الدولة الاسلامية عند اختيار مبعوثيهم لدى الدول الاخرى تقديرا لجلال المهام التى كانوا يوفدون من اجلها واثرها البالغ فى سلامة الدولة الاسلامية واستقرار احوالها الخارجية وانعكاس ذلك على شئونها الداخلية .

بين سفراء العرب وسفراء اوربا

وفى مجال المقارنة بين سفراء العرب والمسلمين وبين سفراء اوربا فى العصر الوسيط فيما كان يشترط فيهم من صفات مميزة تتكافأ مع سمو رسالتهم ، نجد أن الامر عند الغربيين لم يجر على النهج الذى ترسمه المسلمون . فلم تجر العادة منذ البداية على اختيار ملوك أوربا وامرائها لسفرائهم من بين النبلاء او ابناء الاسر المعروفة ، بل كان منصب السفارة لا يلقى حفاوة او ترحيبا من قبل ابناء هذه الطبقة ، لما كان يفرضه على من يتولاه من تكاليف مالية وشروط فى العمل ورقابة على تصرفاته ، فضلا عن ابتعاده عن مسقط راسه وحرمانه من المشاركة فى السياسة الداخلية لوطنه . ولهذا كانت السفارة تفرض على بعضهم قسرا فى البندقية ، وتوقع الغرامات المالية على من يرفض منهم قبولها كما جاء برسوم سنة ١٢٧١ . واشارت الى ذلك تعليمات مماثلة صدرت عن حكومة فلورنس سنة ١٤٢١ بتوقيع العقوبات الجنائية واسقاط الحقوق المدنية عمن يرفض القيام بالسفارة . حتى اذا جاء القرن السادس عشر اشار جيسباردينى فى كتاباته الى تهرب نبلاء فلورنس من قبول مهمة السفارة ، ومن ثم اضطرت حكومة فلورنس ان تختار سفراءها من بين كتاب الدولة وموظفيها المدنيين امثال نيقولا ميكافيلى .

ويرجع السبب فى ذلك الى أن أوربا كانت تنظر الى السفراء بوصفهم رجالا محترفين يقومون بتمثيل بلاط بعد بلاط ، ويخدمون كل فترة من الزمان احد الملوك ، حين لم يكن عنصر المواطنة اساسا فى اشتراط من يقوم بمهام السفارة . على ان هذه النظرة قد تغيرت فيما بعد حين تقدمت الدبلوماسية فى أوربا وتنظمت اساليبها واستقرت تقاليدها .

اما السفارة عند العرب فلم تكن احترافا بقصد الحصول على مغانم ، بل كانت شرفا يتسابق اليه كبار الشخصيات ، ورسالة يتنافسون فى ادائها مهما كلفهم الامر من تضحيات ، اذ كانت تقترن فى نفوسهم برفعة الدولة الاسلامية ونشر العقيدة الدينية . ولم تكن مقصورة على طبقة دون اخرى ، وانما هى حق وواجب فى الوقت ذاته لمن تتوافر فيهم الصفات التى تؤهلهم لهذه الرسالة ايا كانت فئتهم .

فلا غرو ان يحرز السفراء المسلمون نجاحا فى مهامهم ، وان يسهموا فى توطيد دعائم الدول الاسلامية التى كانوا يمثلونها وبسط نفوذها وتحقيق اهدافها السياسية والاقتصادية والفكرية.

■■

حسن فتح الباب

صورة الصفحة الثانية ـ ظهر الغلاف الاول :

فتاة من فيتنام

■ رقيقات كالنسيم .. جميـلات كالزهور اليانعة .. متمسكات بتقاليد بلادهن .. يعشقن زهور اللوتس التى توجد في كل مكان بمدينتهـن .. والتى هى رمز النقاء . ولذلك يغلين اوراقها مع الشـاى .. ويطبخن بلورها مع الارز !

هؤلاء هن فتيات مدينة « هوى » « Hue » .. تلك المدينة الفيتنامية التى تعرضت للتدمير ولويلات الحرب الدائرة بين القوات الامريكيـة وقوات فيتنام الجنوبية من ناحية وبين قـوات جبهة التحرير الفيتنامية وقوات فيتنام الشمالية من جهة اخرى !

وماتت « زهور اللوتس » .. قتلتها القنابل والمدافع .. واختفت بنات « هوى » من الشوارع، اختفين بملابسهن الجميلة وزيهن التقليدى الذى يسمى « آوداى » وهو رداء حريرى مفتوح من الجانبين يرتدينه فوق سروال من الحرير .. !

وتحولت شوارع « هوى » الى خرائب .. يملؤها شبح الموت .. ويخيم عليها جو ثقيل من الحزن والفزع .. ارواح القتلى في كل مكان .. وكانما القدر يريد أن يعاكس اهل « هوى » بالذات ... لأنهم يؤمنون ايمانا كبيرا بالارواح الشريرة .. والارواح الطيبة .. ارواح السماء .. وأرواح الارض .. فملأ لهم مدينتهم بأرواح القتلى !!

وحتى القلعة القديمة .. والمدينة الامبراطورية التى لها مكانة خاصة في نفوس افراد الشـعب الفيتنامى .. لأنها ترمز للوحدة الفيتنامية .. « فهوى » كانت يوما ما عاصمة امبراطورية .. فعندما وحد الامبراطور « جيالونج » Gialong فيتنام بعد حرب اهلية استمرت قرنين من الزمان (١٦٠٠ ــ ١٨٠٢) اتخذ من مدينة هوى عاصمة لامبراطوريته وانشأ بها القلعة والقصر الامبراطورى.

حتى هذا الرمز..رمز الوحدة .. رمز التاريخ .. نال قسطا وافرا من التدمير ... وتحولت اجزاء كبيرة منه الى خرائب .. !! انها الحرب .. قضت على الاحياء .. وقضت على المبانى .. ولم ترحم حتى الآثار التاريخية .. فدمرت جزءا كبيرا منها !

اما فتيات « هوى » .. واللاتى يعتبرن مـن اجمل فتيات « فيتنام » فقد جعلتهن الحـرب يتركن مدارسهن .. ويتركن اعمالهن اليـدوية التى اشتهرن بها وهى انتاج القبعات ..وحقائب اليد من البامبو ..

تركن نزهتهن اليومية على شاطىء نهر الروائح .. وتحت اشـجار جوز الهنـد ، والاماكـن الخلـوية التـى تحيـط بمدينتهـن .. لا لانهن يردن ذلك .. ولكن لان الاشجار دمرت .. اقتلعتها نيران الحرب التى لم ترحم ولم تفرق بين جماد وبشر .. أو بين زرع وشجر !!

شيء واحد بقى في مكانه في مدينة « هـوى » .. هو صورة لفتاة من فتياتها ... صـغيرة في عمر الزهور .. تحمل قصة لعلها تمثل طبيعـة الشعب الفيتنامى سواء شمالا أو جنوبا .. هذه الفتاة احرقت نفسها حية امام احد معابد مدينة « هوى » عندما قامت حكومة فيتنام الجنوبيـة باضطهاد البوذيين .. وكانت ثورة البوذيين ضد حكام سايجون .. يومها قررت هذه الفتاة أن تعلن احتجاجها بطريقة لا يمكن ان يتجاهلها احد .. واحرقت نفسها حية .. في سبيل مبادئها .

وقد جئنا على حديث « هوى » وكل بلد في فيتنام اصبحت « هوى » وحل الخراب والدمار مكان الانتعاش والازدهار .

امة هى اكبر امم الارض واقواها واعتاها تجرب عضلاتها في امة من أصغر امم الارض وألينها عريكة في السـلم .

وتسال لماذا كل هذا؟ ولا تجد حتى من الامريكيين انفسهم جوابا مقنعا .. او غير مقنع . والكثير منهم كفر بهذه الحرب . حتى وجدنا القوم يرشحون انفسهم لمنصب الرياسة وأساس ترشيحهم الوقف لهذه الحرب بدون شرط ولا قيد . ■■

■ طفلك الصغير يا سيدتي ، كيف ننمي فيه روح الاعتماد على النفس ؟ كيف نعلمه المسئولية في سني حياته المبكرة ؟

ان الطفل في الدول الآخذة في النمو غيره في الدول التي سبقتها . تربيته ، تعليمه ، حياته في البيت ، وفي المدرسة ، وفي الشارع . ثم علاقته بابويه وبالناس !

ولا شك ان الاختلاف الظاهر في طريقة تربية الاطفال عندنا وعندهم ، يخضع لعدة عوامل هامة ، كالبيئة والعادات والتقاليد .. وما نراه نحن خروجا على المألوف ، نجده عندهم شيئا عاديا لا يستوقف النظر او التفكير .

وليس المجال هنا ، مجال تفضيل طريقة على طريقة ، او اسلوب على اسلوب ، وانما هو مجرد عرض لآراء بعض رجال التربية وعلم النفس في افضل الوسائل لتربية الطفل وتنشئته نشأة تغذى فيه الشعور بالمسئولية وتنميه ، بحيث يشب رجلا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه اينما كان .



عالم صغير

يقول هؤلاء ان الطفل يولد وسط عالم صغير محدود يضم والديه واخوته ، اذا كان له اخوة سبقوه الى هذه الدنيا ، فامه ترضعه وتقدم له وجبات طعامه في مواعيدها وهي تعنى به وترعاه ، فتسرع اليه اذا بكى ، وتغسل له جسمه كلما اتسخ . وابوه يدلله ويحمل اليه اللعب والهدايا ، واخوته يحيطون به وينظرون اليه في عطف احيانا ، وفي غيرة في كثير من الاحيان ، لانه يحظى بكل هذه الرعاية وكل هذا الاهتمام .

وفي تلك الاشهر الاولى من حياة الطفل نجد صورا كثيرة قد انطبعت في ذهنه ورسخت في عقله . فهو قد تعلم الاعتماد على والديه في كل شيء ، فهما دنياه التي لم يرَ دنيا اخرى غيرها . ويزداد تعلق الطفل بوالديه كلما احس بعجزه عن ان يقوم باي عمل وحده ، او كلما اراد شيئا ، واعوزه التعبير عن رغباته بالكلام . ومن هنا يلتصق الطفل بامه ويلازمها ويرفض البقاء في فراشه وحده بعيدا عنها !

اسلحة جديدة

وتتغير نفسية الطفل بعض الشيء عندما يتزود باسلحة جديدة كان يصبح قادرا على المشي مثلا ، فمن امتع اللحظات في حياة الطفل واكثرها اثارة تلك التي يجد نفسه واقفا على قدميه لاول مرة وهو يخطو خطواته الاولى في خوف ، ولكن في سعادة لا تعادلها سعادة . فهو يميل في هذه السن الى الخلوة بنفسه بعيدا عن عيون الرقباء ليلهو ويعبث بكل شيء طالما تاق الى الوصول اليه ، وكأنه يستكشف عالما جديدا .

تعلق الطفل بوالديه

ولكنه يظل متعلقا بوالديه ، ويزداد تعلقه بهما كلما احس بخطر او اصابه سوء . فهو لا ينسى مثلا ذلك اليوم الذي حمل فيه آنية الزهور ليضعها في مكان آخر ، كما تفعل امه . فسقطت الآنية على قدمه الصغيرة واصابت اصبع قدمه بجروح واورام ! وهو يذكر تلك المرات العديدة التي خرج فيها وراء الخادم ، ضاربا بتحذيرات امه عرض الحائط ، فسقط على السلم واصيب بجروح ورضوض في جسمه كله !

فالاعتماد على الابوين اذن يبدأ في الطفولة ، ولكنه لا يلبث ان يتخذ صورا واشكالا اخرى ، عندما يكبر الطفل ويستعد للذهاب الى المدرسة .

كيف نعلمهم الشعور بالمسئولية والاعتماد على النفس ؟

بقلم : منير نصيف

اول لقاء مع المال

وفي هذه الحياة الجديدة ، التي لم يستطع التعود عليها الا بعد مجهود كبير ربما اضطر الام الى مرافقته مرات عديدة وحتى الجلوس معه في الفصل .. يبدأ الطفل يعتمد على والديه في اشياء اخرى ، في مقدمتها مصروف جيبه .. فهو يذهب الى والده كل صباح ويمد اليه يده الصغيرة ليقبض مصروفه الذي يشتري به قطع الحلوى التي يحبها ، والتي كانت تشتريها له امه دائما من السوق .

وفي المرة الاولى التي يرى فيها الطفل شكل هذه القطعة الفضية الصغيرة ويسمع فيها رنينها، في سن السادسة أو السابعة ، تراه قد وقع فريسة لانفعالات شتى .. فهو اليوم سيقف امام بائع الحلوى الذي يرابط بجوار باب المدرسة ، كما يفعل بقية الاطفال ، وسيقوم بعملية مبادلة صغيرة .. سيعطيه قطعة النقود وسيملأ البائع له جيبه بالحلوى التي يشتهيها !

لقد غزا الطفل عالما جديدا في هذا اليوم ، فهو لم يعد يقف يرقب زملاءه وهم يملاون جيوبهم « بالشيكولاته » ، دون أن يكون له نصيب في هذه العملية التي تتم امام عينيه كل يوم .. ولم يعد يرجو صديقه أن يعطيه قطعة من هذه الاصابع الطويلة الملونة التي كانت تحضرها له امه من السوق ، وكان يتصور انها تصنع خصيصا له !

دور المدرسة

وتلعب المدرسة دورا في تعريف الطفل باشياء اخرى يمكن أن يستفيد منها في عالمه هذا، فمدرسة الحساب مثلا استطاعت أن تشرح له كيف يمكنه أن ياكل الحلوى ويحتفظ ببعض نقوده ! لقد علمته انه يستطيع أن يحصل على الحلوى التي يحبها ، ثم يحتفظ بعد ذلك بقطعة نقود اصغر قليلا من القطعة التي اعطاها له والده ، وبذلك يستطيع ان يقتصد وان يملأ حصالته الصغيرة التي تضعها له امه في دولاب ملابسه .

ولكنه قد تعلم ايضا من تجربته في عالم البيع والشراء ، انه كلما كبرت قطعة النقود الفضية

التى يعطيها له والده ، ازدادت كمية الحلوى التى حصل عليها من البائع وتنوعت .

وعلى الابوين وحدهما تقع مسئولية تعليم الطفل مزايا الاقتصاد ومساوىء الاسراف بفضل هذه العملية الحسابية البسيطة التى تعلمها فى المدرسة .

موقف الوالدين

وتمر السنون ، ويكبر الطفل وتزداد مطالبه ، ويتضاعف مصروفه .. فكيف يكون موقف الوالدين من هذا الصبى الصغير الذى ينفق كل مصروفه فى ايام قلائل ، ويعود الى والديه طالبا المزيد كلما احس بان جيبه قد خلا من قطع النقود !

لقد كبر الآن ، ولم يعد يشترى الحلوى التى كان يحبها منذ اربع او خمس سنوات مضت . فقد تنوعت هواياته وتعددت . انه يريد ان يذهب الى دور السينما ، ويريد ان يشاهد مباريات كرة القدم ، ويرافق زملاءه فى الرحلات التى تنظمها المدرسة . وهو لا يكف عن مطالبة والديه بشراء كل ما هو جديد فى السوق ، اسوة ببقية زملائه الذين يتفاخرون بملابسهم ولعباتهم فى الاعياد والمناسبات .

ماذا يفعل الاب مع مثل هذا الصبى الذى يرهق ميزانيته بمطالبه التى لا تنتهى ؟

يقول علماء النفس ان هناك اطفالا يفهمون ويقدرون، واطفالا لا يفهمون ، او بمعنى ادق لا يريدون ان يفهموا ، فكل ما يعنى هذا الفريق الاخير منهم،هو الحصول على ما يبتغون ويشتهون.

الاسراف والاقتصاد

والاسراف والاقتصاد من الصفات التى تلازم الطفل منذ سنى حياته الاولى وتنمو معه وتتطور بفضل البيئة التى تترك اثرها فى نفسية الطفل وتفكيره وتصوره للامور .

فعقل الطفل اشبه ما يكون بصفحة بيضاء ، لا تلبث أن تمتلىء بصور لكل حدث يمر به فى حياته .. وتترك هذه الاحداث بصماتها واضحة فى ذاكرته فتنعكس على سلوكه وتصرفاته ومواقفه تجاه كل الذين يعرفهم ويلتقى بهم فى سنى حياته المقبلة .

البيئة واثرها

جاء اب يوما يعرض حالة ابنته التى لم تتجاوز بعد عامها الحادى عشر على احد الاخصائيين فى علم النفس . قال الاب : « اننى فى حيرة من امر هذه الصبية . فهى ليست كبقية الاطفال . انها ترفض الخروج من البيت ، وتمضى معظم وقتها فى الحديث معامها عنمشاكل البيت ومتاعبالحياة.. حدث مرة ان صادفتنا ازمة مالية عندما قرر الاطباء اجراء عملية جراحية عاجلة للام .واسرعت الطفلة الى دولاب ملابسها الصغير ، وعادت تحمل فى يدها مبلغ ثلاثين جنيها قدمتها لامها وهى تقول : « لا تحملى هما يا امى . ساكون دائما بجوارك ، حتى تعودى الينا سالمة » .

وذهلت الام وسالت ابنتها : « ومن اين اتيت بكل هذا المال ؟ » .

وقالت الطفلة : « لقد اقتصدته من مصروفى طوال السنوات الخمس الماضية . اقتصدته من اجلك انت يا امى ! » .

تجربة قاسية

ولم يكن عسيرا على الطبيب ان يكتشف اسباب حرص الصبية على مالها عندما روى له الاب بقية القصة . فقد قال : « لقد مرت ابنتى بتجربة قاسية عندما كانت جدتها لامها تعيش معنا فى البيت . فقد كانت الجدة مريضة وكانت ابنتها — اى زوجتى وام الطفلة — تعنى بها وتسهر على راحتها ، وتقدم لها الدواء ، وكم من مرة اعوزها المال لشراء الدواء فكانت تلجا الى الاستدانة حتى تراكمت الديون على الوالدين اللذين اضطرا الى بيع اثاث البيت للانفاق على علاج الجدة المريضة التى ما لبثت ان وافتها المنية فحملوها امام عينى الطفلة الصغيرة الى حيث قالت لها امها : « لقد ذهبت جدتك يا صغيرتى لتسكن الى جوار ربها » .

وانطبعت هذه الصورة فى ذهن الطفلة الصغيرة التى ازدادت تعلقا بامها وحرصا عليها حتى لا يحدث لها ما حدث لجدتها !

قيمة المال بالنسبة للطفل

وقد لمست الطفلة دور المال فى ماساة جدتها ،

عندما كانت تشاهد امها وهى تستدين لشـراء الدواء . فما كان منها الا ان حرصت على جمع نقودها الصغيرة وادخارها . حتى لا تضطر هى الى الاستدانة اذا مرضت امها !

فالطفـل يعرف قيمة المال اذا اعوزه أو اذا احس بالجهد الذى يبذل فى سبيل الحصـول عليه . فهو لا يعرف كيف يحصل والده على المال، وانما كل الذى يعرفه انه ما من مرة لجا الى والده يطلب مالا ورفض له طلبه ! واغلب الظن ان والده يفعل نفس الشيء مع شخص آخر يهبه هذا المال !

كيف نشرح لمثل هذا الطفل ان المال لا يوهب ، وانما يؤخذ مقابل عمل نقوم به ؟

ان آية محاولة تبذل فى مخاطبة هذا العقـل الصغير لشرح معنى العمل واهميته لكل من يريد ان يحصل على المال ، مصيرها الفشل !

العمل في البيت

فلا بد اذن من اتباع وسائل اخرى توصلنا الى هذا الهدف . والوسيلة الاولى هى ان تكلف اطفالك القيام باعمال محددة في البيت في اوقات فراغهم ، كلما لجاوا اليك يطلبون مالا ! فيستطيع الاب مثلا ان يطلب الى ابنه ان ينظم له ادراج مكتبه ، او ان يعاونه في ترتيب كتبه الجديدة ، اذا كان يريد ان يحصل على ثمن تذكرة الذهاب الى السينما !

وتستطيع الأم ان تكلف ابنتها بمعاونتها فى طهى الطعام وغسل الاطباق في المطبخ ، اذا ارادت ان تشترى « العروسة الجميلة » التى شاهدتها امس فى واجهة محل اللعب !

وقد لا تكون تلك المساعدة من الاهمية بمكان ، بل وقد يضطر الأب فى كثير من الاحيان ان يعيد ترتيب الكتب بعد ذهاب ابنه ، وقد تقوم الأم بغسل الاطباق التى عاونتها ابنتهـا في غسلهـا مرة أخرى . ولكن مجرد احساس الطفل بانه قام بعمل بذل فيه جهدا للحصول على المال الـذى يطلبه ، يشعره بقيمة هذا المال ويجعله أكثـر حرصا عليه .

ان العمل فى البيت يؤهل الصبى للعمل خارج البيت ، كما ينمى فيه روح الاعتماد على النفس والشعور بالمسئولية . واجمع الاخصائيون فى علم النفس انه لا بد من اعداد الشاب للحياة العملية فى سن مبكرة وحتى قبل اتمام دراسته الثانوية.

وعند الاسر المتنورة المتقدمة يعمل الصبى في أوقات فراغه من الدراسة ، وفى اجازته السنوية ، حتى يستطيع ان يجمع نفقات تعليمه الجامعى بعـد اتمام دراسته الثانوية . واذا تركنا الحـديث عن المزايا المادية التى ستعود على الأسرة بفضل ما يكسبه الابناء من مال يعاونهم على مواجهة اعباء الحياة ، وقصرنا حديثنا على أثر هذا العمل المبكر على شخصية الشاب ومسلكه، لوجدنا أن ما يتعلمه فى هذه « المدرسة الجديدة » .. مدرسة الحياة ، العملية يوازى أضعاف ما يحققه من كسب علمى في المدارس والجامعات . فحتى شباب الجامعة لايكاد الواحد منهم يلتحق بالكلية التى اختارها ، حتى يبدأ في البحث عن عمل يؤديه في أوقات فراغه ..

عمل يعاونه على دفع نفقات تعليمه ، ويعلمه كيف يعتمد على نفسه ويستقل بشخصيته بعد أن اصبح رجلا .

طريق النجاح

وفى سبيل ذلك يعمل الشاب فى كل عمل شريف ويشغل كل وظيفة تعرض عليه ، طالما أن مواعيد هذا العمل لا تتعارض مع مواعيد دراسته فى الجامعة ، وطالما انه يحقق له ما يصبو اليه من أمل فى حياة مستقلة لا يعتمد فيها على احد الا نفسه ؟

فقد يبيع الشاب الجامعى الصحف فى الطريق. ويعمل حاجبا وبوابا وجليسا للاطفال بل قد لا يرفض وظيفة خادم فى مطعم ينظف الموائد ويغسل الاطباق !

مثل هذا الشاب طريقه النجاح .. وكم من رجال نجحوا في حياتهم وتبوأوا ارفع المناصب بعد ان بداوا حياتهم العملية من أدنى مراتب الحياة . سالوا انورين بيفان الزعيم الأسبق لحزب العمال البريطانى ، والخطيب المصـقع الذى طالما الهب حماس الجماهير:« كيف استطعت ان تصل الى هذا المنصب الخطير ؟ » .

فاجاب : « عن طريق باب ضيق مظلم يقع تحت مستوى البحر باكثر من مائتى قدم .. فقد بدات حياتى العملية عاملا فى منجم للفحم . وفى ظلام المنجم تعلمت أشياء كثيرة .. اهمها ان الشمس لا تشرق الا بعد ظلام حالك » . ■■

منير نصيف



هناك هناك بعيـــدا بعيـــدا خلال السماء وعَبْر الأثـــيرْ
هنالك حيث نسيـج الشعـــاع تحوك سُـداه أيـادى الدهـورْ

هنالك حيث الوميـــض القَبَــس
وحيــث الصبــاح سريع النفـس

هناك نظرت ، نظـرت بعيـــدا لعل ضياء يضل طريقـــــه
فيهبط نحوى ويمحـو ضـــلالى فإنى أهـيم وراء الحقيقـــه

فأين الحقيقة أين الحقيقـــــه
أفي لج موج تناءت غريقـــــة ؟

★★★

قطعت الفيافي قتلت الزمـــــنْ وطالعت كل كتاب وفـــــنْ
فكان حصادى ضـــلال السراب وكان جناى ثمارُ الوهـــنْ

وعدت أجرر ذيـــل الفشـــل
ولم يبق في النبع غـــير الوشـــل

وعاد المنادي وعـــاد النـــداء وأصَممتُ أذنيَ عن صـــوتـــــه
ومات النّـــدا في أنين الصـــدى وعاد الضجيـــج إلى صمتـــــه

وصرت وحيدا وحولي الـــــورى
ورحت أنادم طيـــف الـــكرى

وما من هدوء ولا من رقــــاد ولا من صديق صفيّ الـــــوداد
ولا من مـــلاذ ولا ملجــــأ ولا من امام فيجـــلو السواد

وصحـــت الحقيقة أيـــن وأيـــن
وكيـــف الوصـــول إليهـــا إذن

★★★

أفي السهل في الصخـــر فوق الجبل أفي الخلق في الكائنـــات الأُوَل
أفي العُجْم في البُهْم أم في الضباب أفي الجهل في السخف أم في الخطل
وهل يستطيع الأريب اللبيـــب بيان الحقيقة أو ينخــــذل
سؤال تحيَّـــرُ فيـــه العقـــول تروح وتغدو بمتن الـــــزلل

■■

الخليل ـ(ابو العريف) **محمد الحرباوي**



أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيب

ماذا فعل العرب لتفنيد مزاعم اسرائيل ؟

● نفت اسرائيل على لسان ممثلها في الامم المتحدة انها تقوم بأعمال في القدس العربية ، تتنافى مع اتفاقية جنيف والقانون الدولي ، بينما تقوم القوات الاسرائيلية كل يوم بأعمال وحشية في الارض العربية المحتلة . وترتكب أجراءات انتقامية ضد الابرياء من العرب المسالمين . فكيف نفند أكاذيب اسرائيل ونفضح سياستها الارهابية للعالم كله ؟ الم يحن الوقت لكي نولي هـذا الموضوع اهتمامنا لكسب الرأى العام العالمي ؟

ابراهيم محمد ـ عمان ـ الاردن

ـ بالرغم من خضوع معظم صحف الغـرب الكبرى للنفوذ الصهيوني ، وخاصة في امريكا ، الا انه ما تزال هناك بعض الصحف الحرة تنشر مقالات واخبارا تدين اسرائيل وتستنكر اعمالها الوحشية في الارض العربية المحتلة . مثال ذلك ان صحيفة الاوبزرفر البريطانية نشرت وما تزال تنشر بين حين وآخر مقالات واخبارا عن جرائم اسرائيل ، كما ان صحيفة الجارديان البريطانية تفعل مثل ذلك هي الاخرى . وكذلك فعلت مجلة نيوزويك Newsweek الامريكية التى روت قصة النزاع الذى نشب بين العمدة الاسرائيلى للقدس المحتلة ويدعى تيدى كوليك Teddy kollek من جانب وبين حكومة تل ابيب من جانب آخر ، عندما اتهم العمدة الاسرائيلى ، السلطات الاسرائيلية بعدم الاحساس بالمشاكل السيكولوجية والاجتماعية التى يعاني منها العرب الذين يقيمون في الارض المحتلة ، ثم عاد فاشتبك مع موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلى في معركة مريرة ، بسبب اقدام القوات الاسرائيلية على نسف بيت لأحد الفدائيين العرب ، وتدمير عدد كبير من المنازل التى يملكها

الطائفة الختمية

● تلبية لنداء المعرفة ، ابعث اليكم سائلا ومستفسرا ، ولو بشيء من التفصيل ، عن الطائفة الختمية التى قرأت في الحادى والعشرين من شهر فبراير الماضي عن وفاة زعيمها الحسيب النسيب السيد علي الميرغنى .. فما هى هـذه الطائفة ، ومن الذى انشأها ، وهل لها مثيل في الوطن العربى عدا السـودان ...؟

ياسر حادو ـ طولكرم ـ الاردن

ـ الطريقة الختمية الميرغنية انشأها السيد محمد عثمان الميرغنى ، العالم الصـوفي الحنفى الذى ولد بمكة ونشأ بها ، واتصل بكثير من علمائها . وقد أسس هذه الطريقة على اصول طرق خمس رمز اليهـا بكلمة « نقش جم » فالنون للنقشبندية وهي طريقة شيخه سـيدى احمد بن ادريس ، والقاف للقادرية ومؤسسهـا سيدى عبد القادر الجيلانى ، والشين للشاذلية ومؤسسها سيدى ابو الحسن الشاذلى ، والجيم للجنيدية ومؤسسهـا السـيد الجنيد ، والميم للميرغنية وهى طريقة جده السيد عبد الله الميرغنى المحجوب ، المدفون بالطائف .

وقد سميت بالطريقة الختميـة لان شـيخها وصل في سلوكه الى مرتبة « الختم » ، وهي مرتبة



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

مواطنون عرب في القدس العربية المحتلة .

ومضت المجلة تقول : « وما كاد العمدة الاسرائيلي يرى ما حدث ، حتى أصدر أوامره باصلاح هذه المنازل فورا ، ثم أرسل فاتورة بنفقات الاصلاح الى موشي دايان ليتولى هو دفعها من ميزانية وزارة الدفاع الاسرائيلية » .

وطبيعي ان العمدة لم يفعل هذا بدافع الرحمة او الشفقة على العرب ، وانما فعله لأنه يخشى النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على مثل هذه الجرائم الوحشية في منطقة هو مسئول عن صيانة الامن فيها . ولكن الذى يهمنا من هذه القصة ، هو انها تضمنت اعترافا صريحا بهذه الجرائم التى تحاول اسرائيل اخفاءها بواسطة تصريحات ممثليها.

اننا نرى ان تقوم جامعة الدول العربية بجمع مثل هذه القصص وغيرها في كتيب يوزع على جميع الاعضاء في الامم المتحدة .

(م.ن)

من الصوفية لا يصل اليها الا القليل في كل قرن..

وقد سافر السيد محمد عثمان الميرغنى الى مصر والى السودان وتزوج من بنات بعض امراء السودان ، ومنهن والدة السيد محمد الحسن جد المغفور له السيد على الميرغنى الزعيم الراحل للطائفة الختمية .

وقد انتشرت الطريقة الختمية في السودان في اواخر ايام سلطنة « الفونج » وكان انتشارها كبيرا في كسلا بين قبائل الحلانقة وبنى عامر والحباب. وفي دنقلة بين النوبيين والشايقية والكبابيس والنشارية والعبابدة .

وللطريقة الختمية الميرغنية اتباع في مصر واليمن وباكستان وبعض البلاد الاسلامية الاخرى . وهى تمتاز بخلوها في اذكارها واورادها من البدع كالطبل والزمر والتصفير ، وسائر ما طرأ على اكثر الطرق الصوفية من بدع ليست من الدين في شيء .

م . ط

المدينة التى احتار العالم في اسمها !؟

● نسمع كثيرا ، عن الصومال البلد الاسلامي وعاصمته موجاديشيو ، فمن اين جاء اسم هذه العاصمة ، وكيف يكون لفظها الصحيح ؟

جاسم عبد الرزاق ــ الكويت

ــ يقول الشريف عيدروس العلوى فى كتابه « بغية الآمال فى تاريخ الصومال » ما يلي :

« لا يوجد اسم سطت عليه عوامل التصحيف والتحريف والتعديل والتبديل والتحوير والتغيير ، بقدر ما سطت على الثغر الصومالي الذى اصطلح قدماء الجغرافيين والرحالين العرب على تسميته بمقدشوه ، وهو اقدم مدن الصومال ، ومن أقدم مدن العالم » .

« واذا تقصيت هذا الاسم حسب ما كان يورد فى الصحف العربية والكتب الغربية لوجدت انه كان يتشكل تحت سن قلم الكاتب والمترجم باشكال شتى ، نقتصر على ان نذكر منها للتمثيل ، لا للحصر ، ما يأتي : موجوديشيو ، موجدوشكو ، موجاديشيو ، موقاديشيو ، مقدشيكو ، مقديشو ».

حتى الافرنج احتاروا فى طريقة كتابته

« ويذكر بعض المؤرخين ان اصل كلمة مقدشو هي « مقعد الشاه » وقد تحور الى « مقدشاه » ثم الى مقدشوه حتى وصلت الى مقدشو .. ومن المؤرخين من يقول ان اسم مقدشوه هو اشارة الى الموضع الذى تجتمع فيه الاغنام للبيع .. »

(لزيادة المعلومات عن « مقدشوه » راجع استطلاع العربي عنها في العدد رقم ٤١ ــ ابريل ١٩٦٢ .

صراع بين أمريكا وروسيا حول سيادة البحار !

● دخل سباق التسلح بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي ميدانا جديدا وهو ميدان الاساطيل البحرية الضخمة .

فهل لكم أن تفيدونا عن قوة الاتحاد السوفييتي البحرية مقارنة بقوة الولايات المتحدة الامريكية ؟

سليم عبد التواب ــ القاهرة

ــ في القرن الماضي كانت بريطانيا هي سيدة البحار .. ثم جاء القرن الحاضر ليشهد أسطولين عظيمين في البحار ــ ليس بينهما الاسطول البريطاني ــ وهما الاسطول الامريكي والاسطول السوفييتي .

ومن الاشياء التي لا بد من علمها ، ليعلم الانسان منها مستقبل هذا العالم ، خيرا يكون أو شرا ، قوة هذين الاسطولين الجبارين وما سيكون منهما اذا ما قامت حرب عالمية ثالثة ، أو كان سلام .

وقد بدأ الاتحاد السوفييتي في بناء اسطوله الحربي في عام ١٩٥٧ واليوم يجيء الادميرال « سيرجي جورشكوف » Sergi Gorskov قائد هذا الاسطول ليعلن « ان علم الاسطول السوفييتي يرفرف الآن فوق جميع محيطات العالم ، وقريبا سيكون على الولايات المتحدة الامريكية ان تعلم انها لم تعد وحدها سيدة البحار » .

وبمقارنة قوة الاسطولين التي تتمثل في السفن الآتية :

القوة العددية	أمريكا	روسيا
حاملات طائرات	١٥	صفر
حاملات هليكوبتر	١٧	٢
بوارج	١٤	١٩
مدمرات وفرقاطات	٣٢٠	١٧٠
غواصات ذرية	٧٥	٥٥
غواصات	٨٠	٣٠٥
زوارق صواريخ وطوربيد	صفر	٥٦٠

يتضح من هذه المقارنة ان الاتحاد السوفييتي يملك اكبر اسطول غواصات في العالم .. وان كانت الولايات المتحدة الامريكية تملك غواصات ذرية اكثر مما لدى روسيا . وتملك أيضا ١٥ حاملة طائرات بينما لا يملك الاتحاد السوفييتي ولا حاملة طائرات واحدة .

ويقوم الاتحاد السوفييتي بانتهاز فرصة اشتغال امريكا بحرب فيتنام والتي تكلف الميزانية الامريكية ١٠ آلاف مليون جنيه استرليني في العام الواحد (حسب الميزانية الامريكية لعام ١٩٦٧) وهو ما يبلغ نحو ثلث الميزانية الكلية للقوات المسلحة الامريكية والتي تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر٢٤ جنيه استرليني سنويا ، يقوم الاتحاد السوفييتي بانتهاز هذه الفرصة لزيادة تدعيم اسطوله الحربي وتعويض ما فاته من وقت كان لا يهتم فيه ببناء قوة بحرية فعالة .

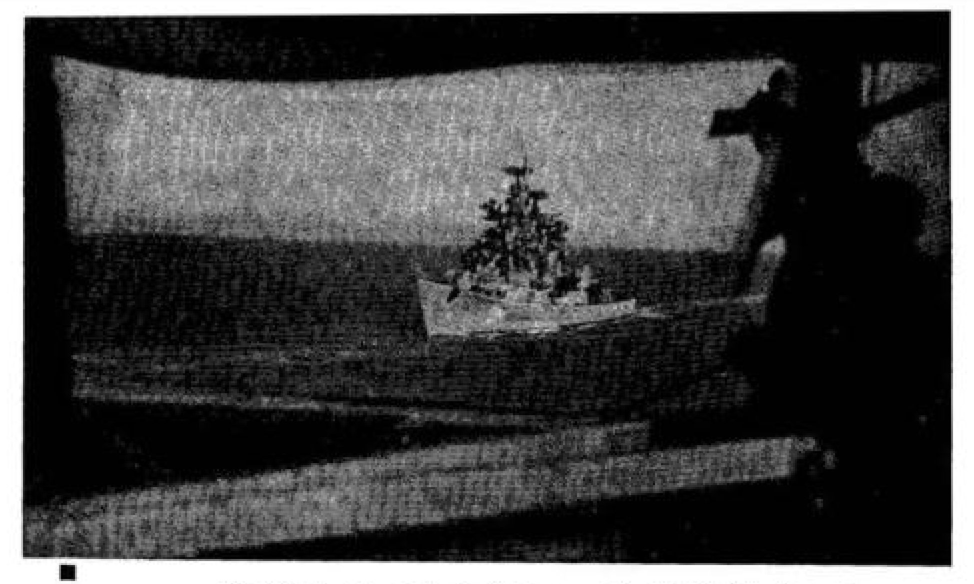
هيتشكوك !

● لاتكاد دور السينما تعلن عن عرض فيلم جديدللمخرج الانجليزي الفريد هيتشكوك ، حتى يتهافت الناس على مشاهدته ، وكثيرا ما يستمر عرض الفيلم أسابيع طويلة . فهل لكم ان تقدموا لنا نبذة قصيرة عن حياة هذا الرجل الذى نسمع باسمه ونراه احيانا على الشاشة وهو يقدم لكل فيلم جديد من اخراجه ؟

محمود عبد الرحمن الاحمدي ــ الكويت

ــ الفريد هيتشكوك Alfred Hitchcock مخرج سينمائي انجليزي ، ولد في لندن في ١٣ اغسطس من عام ١٨٩٩ وتلقى علومه في مدارسها . وبدأ هيتشكوك حياته العمليةمصمما ورساما للاعلانات .

وفي عام ١٩٢٣ بدأ يعمل في شركة جينسبورو Gainsborough للسينما ، كمخرج فني وكاتب



احدى قطع الاسطول السوفييتي وهى تقتفى أثر احدى المدمرات الامريكية في البحر المتوسط .. التقطت هذه الصورة من على ظهر المدمرة الامريكية .

وتتميز قطع الاسطول السوفييتي بحداثتها في حين ان ٦٠٪ من قطع الاسطول الامريكي يبلغ عمرها اكثر من ٢٥ عاما !

ومن اهم اغراض الاتحاد السوفييتي في تقوية اسطوله الحربى العمل على عزل الولايات المتحدة الامريكية بحريا عن أوربا وآسيا في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة. وكذلك يعتقد الاتحاد السوفييتى ان وجود قوات بحرية له ذات قوة ضاربة كبيرة فى محيطات العالم ، يمكنه من سرعة الحركة فى حالة وقوع أحداث فى أية منطقة من مناطق العالم، وبذلك لا يترك لامريكا حرية الانفراد في معالجة هذه الاحداث .

ونذكر فى هذا الصدد تلك الشبكة الدفاعية التى تقوم كل من امريكا وروسيا باقامتها حول اراضيها وتخرج منها صواريخ لتضاد الصواريخ النووية المهاجمة فتفسدها فى الجو قبل وصولها الى أهدافها. واليوم وقد انتشرت الغواصات التى تحمل هذه الرؤوس النووية حتى شواطىء الاعداء ، لم تعد هذه الشبكات الدفاعية تستأهل النفقات الهائلة التى تتكلفها مقابل النصيب من الدفاع الذى تقوم به لو أن حربا قامت .

م . ط

حوار ، وبعد عامين اصبح مديرا للانتاج فيها . وكان اول فيلم اخرجه بعد توليه هذا المنصب ، هو فيلم « ابتزاز Black Mail » . وقد حقق نجاحا منقطع النظير .

وما لبث هيتشكوك ان ترك عمله هذا ليلتحق بالشركة البريطانية الدولية Ea'tish International حيث اخرج مجموعة من الافلام البوليسية الرائعة وفى مقدمتها « الجريمة » و « زوجة الفلاح » وغيرها كثير . وقد زار هيتشكوك بعد ذلك مدينة السينما فى هوليود ، وعاد الى لندن ليخرج فيلم « ربكا » Rebecca ، الذى فاز بجائزة اكاديمية السينما للفنون والعلوم فى عام ١٩٤٠ . واستقر المخرج الكبير بعد ذلك فى مدينة لوس انجلس بولاية كاليفورنيا الامريكية ، حيث عكف على اخراج مجموعة هائلة من الافلام التى حققت اكبر نجاح فى عالم السينما ، مع انه لم يتعلم فن الاخراج فى مدرسة ! وكان اول عمل فنى له وهو تلميذ لايتجاوز الثالثة عشرة من عمره عندما وقف يعاون احد اساتذته فى اخراج اول تمثيلية على مسرح المدرسة .

م . ن

★★ ابو زيد الهلالي سلامة

● قرات بمجلتنا العربي في العدد (١١١) فيباب « انت تسأل .. ونحن نجيب » أن أبا زيد الهلالي اسمه « سلامة بن رزق » ، فارجو انتعرفوني : من اى بلد هذا المسمى سلامة بن رزق ؟ وهل كان اسود اللون كما يقول الكثيرون ؟

سليمان البحرى بن صوفية
طرابلس – ليبيا

– يقول ابن خلدون في تاريخه « كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية . وكانوا احياء ناجعة بمجالاتهم من قفر الحجاز بنجد .. وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء اطراف العراق والشام فيغيرون على الضواحي .. » ثم انضموا للقرامطة، ولما تغلب الفاطميون على مصر والشام نقلوا بنى هلال وسليم فانزلوهم بصعيد مصر .

وفي ايام المستنصر الفاطمي (٤٢٧ – ٥٠٠ هـ) خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين وبايع العباسيين في سنة ٤٣٧ ، وكان احياء هلال بالصعيد قد عم ضررهم ، فوجههم المستنصر باشارة من وزيره الى حرب صنهاجه وقال لهم : « قد اعطيتكم المغرب » .

هذا والمستنصر رابح في حال نصرهم بالفوز ، وفي حال هزيمتهم بالتخلص منهم . وفعلا زحفوا بجموعهم وتغلبوا على البلاد واقتسموها (٤٤١ – ٤٤٣) فكان لهلال من تونس الى المغرب .

وارسل صاحب تلمسان جيوشه مع وزيره ابى سعدى خليفة وهو من زناته ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة .

يقول ابن خلدون : « وكان في هؤلاء العرب – اى الهلاليين – لعهد دخولهم افريقية ، رجالات مذكورون ، وكان من اشرافهم حسن بن سرحان ، وماضي بن مقرب ، وسلامة بن رزق ، وذياب بن غانم ..

ولدخول الهلاليين افريقية حكايات غريبة . يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز، ويسمونه شكر بنابي الفتوح،وانه اصهر الىالحسن بن سرحان في اخته الجازيه .. » الخ .

كوريا الشمالية .. وسفينة التجسس !

● رددت الانباء منذ فترة غير بعيدة أن حكومةكوريا الشمالية قد قررت الافراج عن بحارة سفينة التجسسالامريكية بيبلو Pueblo ، فلماذالم يفرج عنهم حتى الآن ؟ وهل ينوى الرئيس الامريكى جونسون التدخل عسكريا ، كما سبقأن هدد بذلك ، لاطلاق سراح البحارة الاسرى بالقوة ؟

اسماعيل الطوبل – دمشق – سوريا

– كانت كوريا الشمالية تفكر بالفعل في اطلاق سراح بحارة سفينة المخابرات الامريكية بيبلو ، مع الاحتفاظ بالسفينة ، بشرط ان تعتذر حكومة الولايات المتحدة الامريكية رسميا عن الحادث . ودارت مفاوضات طويلة بين الوفد الامريكي من جانب ووفد حكومة كوريا الشمالية من الجانب الآخر في « بانمونجوم » على الحدود بين شطرى كوريا ، للاتفاق على صيغة بيان يقبله الجانبان ! ولكن المفاوضات تعثرت لرفض الحكومة الامريكية التقدم باعتذار رسمى عن الحادث ، نظرا لما يتضمنه مثل هذا الاعتذار من اعتراف بحقيقة المهمة التى كانت تقوم بها السفينة ، وهو امر انكرته حكومة الرئيس جونسون بشدة عندما اسرت السفينة ببحارتها !

★★

وكتب الشيخ حسن العطار المولود في القاهرة ١١٩٠ والمتوفى ١٢٥٠ هـ واصله من المغرب وقد صار من شيوخ الازهر ـ كتب على هامش احدى مخطوطات تاريخ ابن خلدون ما يأتي .

« قصة ابي زيد التى تحكى في قهاوى مصر اصلها هذه الواقعة ، كما اشار لذلك المؤلف ، وكثيرا ما كنت اتطلب لها اصلا من التواريخ فلم اجده الا في هذا المحل ، فرحم الله المؤلف فلقد بيّن أصولا كثيرة يحتاج اليها كل ناظر في فن التاريخ » .

هذا ومن نسب الحسن بن سرحان وسلامة بن رزق نجد انهما من بني الاثبج بن ابى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر .

والقصاصون الشعبيون ومن الف عن الهلاليين يقولون « ابو زيد الاسمر سلامة » ويذكرون خليفة الزناتي وابنته سعدى ، وما نقلناه عن ابن خلدون يؤيد حقيقة خليفة وانه ابو سعدى ، ولكنه كان وزيرا ، ولا يذكر ابن خلدون لون سلامة بن رزق ولا كنيته ابا زيد ولكنه يتفق مع القصص الشعبي في ان اسمه سلامة بن رزق .

(ع . ف)

اما تدخل امريكا عسكريا الآن لتحقيق الافراج عن بحارة السفينة فهو امر قد يبدو بعيد الاحتمال نظرا لانشغال امريكا بحربها في فيتنام ، فضلا عن سوء مركزها الاقتصادى .

وتقول صحف الغرب ان كوريا الشمالية لن تعيد بحارة السفينة الاسرى الى بلادهم ، الا بعد انتهاء انتخابات الرئاسة التى ستجرى في امريكا في شهر نوفمبر القادم ، لانها ترى ان الافراج عن البحارة الآن ، سيساهم بطريق غير مباشر في تدعيم مركز جونسون في المعركة الانتخابية ، وذلك ما لا تريده كوريا الشمالية ، كما لا تريده الدول التى ترى ان الرئيس الامريكي جونسون انما يدفع بسياسته الحالية ، العالم كله الى حافة حرب ذرية مدمرة !

(م.ن)

صرخة لانقاذ آثار الاجداد

● قرأنا ان وزير معارف الجنوب اليمنى استصرخ مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب ، الذى عقد آخيرا في الكويت ، طالبا العمل على انقاذ الآثار العربية القديمة الموجودة في بلاده ، فهل يمكنكم اعطاؤنا فكرة عن تلك الآثار ، والعصور التى ترجع اليها ، والدول التى ازدهرت في اليمن قبل الاسلام ؟

صالح عبد السلام

قصيعر (حضرموت)

ـ المعروف ان هناك ثلاث دول عظيمة ظهرت قبل الاسلام في اليمن وهي : مَعين .. وسَبأ .. وحِمْيَر .. كما قامت بعض الدول الاقل شأنا منها ، وهي : قتبان وحضرموت واوسان ، وجبا او جبان ، وسمعان واربع .. وقد آل امر هذه الدول الصغيرة الى الانضمام للدول الثلاث الكبيرة ، ولا سيما دولتا سبأ ، وحِمْير التى اتسعت رقعة مملكتها وشملت جميع الدول التى كانت قائمة في اليمن وحضرموت ، بما فيها دولة سبأ وما اشتملت عليها .

ويقول الاستاذ محمد بن يحيى الحداد في كتابه « تاريخ اليمن السياسى العام » ان المؤرخين ذهبوا في تاريخ قيام كل دولة مذاهب شتى ، كل منهم يختلف عن الآخر لعدم ظهور دليل قاطع حتى الآن . ولكن يمكن القول ان دولة مَعين كانت اول حكم سياسى معروف في اليمن ، ويقدرون انه بدا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، واستمر حتى عام ٦٨٠ ق.م عندما قامت الحروب بين دولة مَعين الهرمة ، ودولة سبأ الفتية ، فتغلبت سبأ واخذت مكان مَعين .. وفي عام ١١٥ بعد الميلاد ، اصبحت السلالة السادسة من ملوك سبأ تعرف باسم الملوك الحميرين ، واستمر حكمها حتى عام ٢٤٥ بعد الميلاد .

ان آثار هذه الدول العظيمة ما زالت تحت الرمال .. والموجود منها فوق الارض اصبح في حالة يرثى لها من فرط الاهمال .. ■■

(س . ز)



العرب في نظر

■ وسط الدعاية الصهيونية المسيطرة على الغرب ، تظهر أحيانا ، هنا وهناك ، جمعيات تتحدى التيار الجارف ، وتحاول ان تفتح عيون المواطنين على الحقائق التى طمستها الأبواق المضللة وتسمى كل جمعية من هذه الجمعيات نفسها عادة : « جمعية الصداقة العربية » متلوة باسم البلد الذى تنتسب اليه ، ومن هذه الجمعيات : «جمعية الصداقة العربية البريطانية ، وجمعية الصداقة العربية الامريكية .. وجمعية الصداقة العربية الهولندية ، التى تأسست سنة ١٩٥٥ ، وهى التى أصدرت هذا الكتاب الذى نقدمه ، وعنوانه : Eight Studies .

وقد بدأ اهتمام الهولنديين بالعالمين العربى والاسلامى منذ منتصف القرن السابع عشر ، بدوافع متعددة منها : رغبتهم في معرفة الكثير عن الاسلام والعرب من أجل التبشير بالمسيحية بينهم ، وحاجتهم الى معرفة العربية بسبب صلاتهم المستجدة مع العالم العربى في بداية عهد الاستعمار ، يضاف الى هذا الدوافع العلمية البحتة عند بعض المستشرقين . وقد ازدهرت الدراسات العربية الاسلامية في هولندا في القرن التاسع عشر ، بسبب حاجة الحكومة الهولندية الى اداريين متخصصين في مثل هذه الدراسات ، للعمل في جاوه . وهولندا هى التى أنجبت عددا من المستشرقين الاعلام ، يأتى على رأسهم المستشرق المشهور سنوك هرخرونيه Snouck Hurgronje .

وقد أصدرت « جمعية الصداقة العربية الهولندية » هذا الكتاب سنة ١٩٦٦ ، بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها (١٩٥٥–١٩٦٥) وهو كتاب يبدأ بمقدمة لرئيس الجمعية لانشوت Lanschot ويضم ثمانى دراسات بأقلام عدد من كبار المتخصصين ، والمهتمين ، بالقضايا العربية في الغرب ، وهذه الدراسات هى :

المياه والتربة والزراعة في العراق ، الأدب العربى الحديث ، العرب في نظر الغرب ، بداية تحرر المرأة في العالم العربى ، الدين الاسلامى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربى ، المياه في سوريا ، الجزيرة العربية في ميدان التطور.

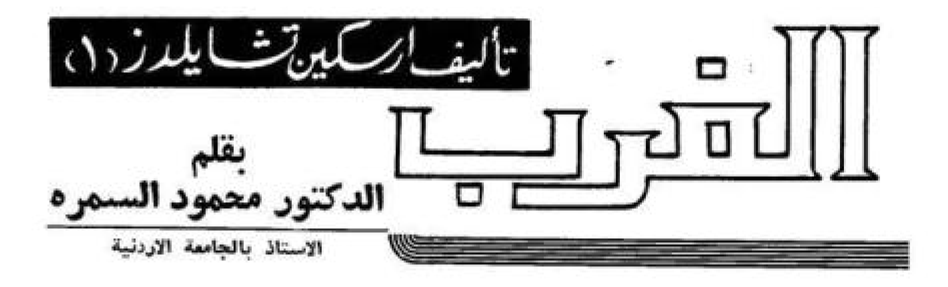
وسأقف عند مقال : « العرب في نظر الغرب » ، وهو للكاتب البريطانى ارسكين تشايلدرز ، مؤلف العديد من الكتب عن العرب ، والمعروف بمقالاته التى ينشرها في مجلة Spectator ، دفاعا عن القضايا العربية .

★ ★ ★

والحقيقة الأولى التى أحب أن أقررها هى : أنه اذا كانت صلة الغرب ، بالبلاد والثقافات غير

العربية ، قد بدأت ببداية الاستعمار الغـربي ، فان صلته بالعالم الاسلامي قديمة جدا ، تعود الى ايام الامويين ، يوم كان العـرب يهـددون الامبراطورية البيزنطية بالزوال،ثم هاجموا اسبانيا واسسوا دولة العرب في الاندلس ، واحالوا البحر المتوسط الى بحيرة عربية،واحتلوا جنوب فرنسا، ومنطقة الرفييرا ، وجنوب ايطاليا ، وسيطروا على شمالها ايضا وتوغلوا في سويسره حتى جنيف، وبقوا سادتها مدة اربعين عاما . ولو كتب للعرب ان ينتصروا في معركة « بلاط الشهداء » لكان الاسلام هو دين اوروبا اليوم .

من الصفات والنعوت ما ولده هذا العداء في نفسه . اما صلة العالم الغربي بالبلدان الاخرى، فقد بدأت متأخرة ببداية عصر الاستعمار ، حين كانت الدول الغربية متحضرة متفوقة ، وتلك البلدان متأخرة متخلفة .وهنا يكمن السر في الفرق بين نظرة الغرب الى العرب ، ونظرته الى الامم الاخرى : فهو لا يكاد يسمع باسم العرب ، حتى يعبر بخياله ذاك التاريخ الطويل لأصحاب هذا الدين الذين كانوا قاب قوسين او ادنى من السيطرة التامة على كل اوروبا . وليس عهد سلاطين آل عثمان ، وهم يدقون ابواب فينا ، عنه ببعيد .



ولم يكن غزو العرب لأوروبا غزوا عسـكريا فحسب ، بل كان غزوا فكريا ايضا . والحضارة العربية هي الحضارة الوحيدة التي غزت اوروبا في قلبها ، وتحدتها ، وتفوقت عليها . وقد استطاع العرب ، خلال ثلاثة قرون من الزمان ، أن يقدموا للعالم حضارة اصيلة تمتد من بغداد الى قرطبه، وتنتشر فيها المكتبات ، والمراصد ، والمستشفيات، والجامعات .

ومنذ العصر الأموي الى يومنا هذا ، والصلة بين العرب والغرب متصلة دون انقطاع ، وهي صلة طابعها العام العداء ، وان تخللتها احيانا لحظات من الصفاء ، تبادل فيها الخلفاء والملوك والأمراء السفراء .

★★★

واذا كانت صلة العرب بالغرب قديمةومتصلة، فان الطبيعة الأولى لهذه الصلة ، هي التي حددت صورة العرب في نظر الغرب : فقد وجد الغرب نفسه امام حضارة متفوقة ، ذات قوة لا قبل له بها ، فحمل لها العداء والكراهية ، وأسبغ عليها

وهذه الروح هي التي دعت القائد البرتغالي البوكيرك Albuquerque الى أن يخطب في رجاله ، قبل احتلاله ملقه ، فيقول : « ان أجل خدمة نقدمها بعملنا هذا ، هي اننا سنرضي الرب بطرد العرب من هذه البلاد ، وخضد شوكة الاسلام ، بحيث لا تقوم له قائمة بعد اليوم .. وانا على يقين من اننا اذا انتزعنا تجارة البهارات والأفاويه من يد العرب ، فان الدمار سيحل بالقاهرة ومكة ، وستتوقف تجارة البندقية مع الشرق العربي ، ويجد تجارها أنفسهم مضطرين الى شراء بضائعهم من البرتغال » .

وليس هذا العداء للعرب والاسلام مقصورا على القادة الغربيين ، بل اننا نجده حتى بين الناس العاديين : فانت لو سألت قطاعا من المواطنين في الغرب ، عن ايحاءات كلمة « عربي »فينفوسهم، لأجابوا : « انه بدوي يركب الجمل ، ويتمنطق الخنجر ، متأهبا للانقضاض على خصمه لأوهى

(١) Erskine Childers, The Western Image of The Arabs.

الاسباب، وخيمته تعج بالعديد من النساء المحجبات، وهو في الوقت نفسه ناكر للجميل، محتال، ماكر.» ونضرب هنا صفحا عن المعانى الاخرى الثانوية لكلمة عربى ، التى توردها القواميس الأوروبية على انها من الاستعمالات العامية ، لانها بلغت درجة قصوى من الاسفاف .

هذا هو ايحاء كلمة « عربى » في نفس الغربى ، وغاب عن باله ان هذا العربى هو اكثر انسان ساهم في بناء هذه الحضارة التى ينعم بها ، ويظن انها من صنع يديه وحده .

★ ★ ★

ولعل من الطريف ان يقف المرء في ميدان « الطرف الاغر » Trafalgar Square في لندن ، ويتامل في ما حوله : فالبنوك التى تحيط بالميدان تستعمل الصكوك في معاملاتها ، وهى صكوك كان العرب اول من استعملها في التجارة ، ثم انتقلت الى اوروبا فاصبحت « الشيكات » . وهذه البنوك تستعمل الارقام ، كما يستعملها كل اوروبى ، وهى ارقام عربية ، وما زالت الى اليوم تعرف بهذا الاسم .

اما المجارى التى شقت تحت الميدان ، فهى من ابتكار العرب في بغداد وقرطبة ، في زمن كانت فيه لندن وكل مدينة في اوروبا ، تزكم روائح فضلاتها الانوف ، وتغوص اقدام سكانها في الوحل والنفايات .

وهذه القبة الزرقاء تزينها نجوم ما زالت تحمل اسماءها العربية ، لان الفلكيين العرب هم الذين اكتشفوها في مراصدهم .

وهذا القائد نلسون الذى يناطح تمثاله السحب، انما استطاع ان يجوب باسطوله البحار ، ويصل الى « الطرف الاغر » في اسبانيا ، بفضل التحسينات الكبيرة التى اضافها الملاحون العرب الى السفن ، يوم كانوا يسيطرون على اطول خط بحرى عرفه العالم القديم ، يمتد من البحر الاحمر والخليج العربى حتى كانتون في الصين . ولما ارادت بريطانيا العظمى ان تكرم قائدها لانتصاراته الباهرة، لم تجد بين القابها ارفع من لقب Admiral المنقول عن العربية « امير البحر »

وهذا الماء الذى تنفثه النوافير عند قاعدة تمثال القائد الكبير ، ما كان ليكون نقيا ، لولا الكيمياء التى للعرب فضل كبير في وضع اسسها ، وتطويرها .

وحول هذا الميدان ، وليس بعيدا عنه ، يقف المحاضرون في القاعات ليتحدثوا عن التراث الاغريقى حديث اعجاب وانبهار ، وهو تراث ما كان ليصل الى الغرب لولا ان العرب ترجموه ، وحفظوه ، واضافوا اليه ، في كل زمن كانت فيه اوروبا غارقة في الجهالة .

وهذا الميدان نفسه ، ما كان الانجليز بقادرين على ان يقيموه ويشيدوه ، الا بفضل ما اخذوا عن العرب من علوم الحساب ، والجبر، والمثلثات.

واذا افتخر المواطن ، الذى يعبر هذا الميدان، بان الحضارة الغربية قد يسرت له سبل العناية الصحية ، فان الفضل في كل ما وصلت اليه هذه الحضارة في ميدان الطب ، يعود الى الاطباء العرب . واضيف ان كتاب الرازى في الطب ، ظل المرجع الاساسي في اوروبا لمدة تزيد عن اربعمائة عام ، دون ان يزاحمه اى مؤلف خطته يد كاهن من كهنة الاديرة ، وهم الذين كانوا يقومون باعمال الطباعة في اوروبا . وقد بلغ من تقدير الباريسيين للرازى ان اقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبرى في مدرسة الطب ، كما علقوا صورته في قاعة اخرى كبيرة تقع في شارع سان جرمان ، بحيث يراها طلبة الطب كل يوم . اما ابن سينا فقد حجبت شهرته ، في اوروبا شهرة جالينوس .

واخيرا ، وليس آخرا ، فان طلبة الجامعات عندما يدخلون واحدة من هذه المكتبات الكثيرة ليشتروا كتابا في علم الاجتماع ، وفلسفة التاريخ ، فان عليهم الا ينسوا الرائد الاول ، وهو عربى . انه ابن خلدون .

ان مثل هذه الحقائق قد تفجا المواطن في الغرب، لانه اليوم – بسبب من عداء قديم موروث – لا يعترف للعرب باى فضل في بناء حضارته ، مع انه يعترف لامم اخرى بما هو دون هذا بكثير .

★ ★ ★

والانكى من هذا ان الغرب لا ينكر على العرب فضائلهم فحسب ، بل ينسب اليهم احداثا مشينة لا صلة لهم بها ، ولكنه الحقد الاعمى . ومن الامثلة على هذا ، مكتبة الاسكندرية : فقد اشاع الغربيون ان العرب هم الذين احرقوا مكتبة الاسكندرية التى كانت تحوى خير ما انتجه العقل

الافريقي ، وذلك بعد فتحهم لها . وقد ثبت ان هذا الاتهام لا اساس له من الصحة ، فقد احرق نصفها قبل الفتح الاسلامي بزمن طويل ،وحافظ العرب على نصفها الباقي ، الى ان احرقه الصليبيون في هجوم لهم مفاجيء على الاسكندرية.

واقول : ان هذه التهمة راجت ، لاول مرة ، بعد الفتح العربي لمصر بخمسمائة سنة ، وقد ردها المؤرخ المشهور جيبون Gibbon في كتابه « انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية » ، وكذلك الفيلسوف الفرنسي ارنست رينان في مقاله « الاسلام والعلم » وناقشها مناقشة تفصيلية (بطلر) في كتابه القيم « الفتح العربي لمصر » . واجمع المؤرخون على انه لم يكن للمكتبة وجود سنة ٦٢٤م ، اى سنة فتح العرب لمصر ، كما ان مؤرخى القرن الخامس والسادس والسابع لايجرون لها ذكرا. وجل المؤرخين على ان بطريرك الاسكندرية قام باحراقها سنة ٣٩١ م ، بامر من الامبراطور تيودوسيوس ، وذهبت قلة منهم الى ان يوليوس قيصر هو الذى احرقها . ومن الكتاب العرب المحدثين الذين تعرضوا لهذه القضية : محمد عبده ، وجرجى زيدان ، ومحمد كرد على في مجلة «المقتبس» ، وعبدالوهاب التنير في «النبراس»...

★★★

ونجد مثالا آخر على تشويه الغرب للحقائق واضحا في تلك الانشودة التى ذاعت في عصر الفروسية ، وعرفت باسم « انشودة رولان » ، وهى انشودة ما زال طلاب المدارس يرددونها من اقصى مكان في اوروبا الى كليفورنيا على الساحل الشرقى من الولايات المتحدة ، وهى انشودة تصف المسلمين بانهم وثنيون ، يعبدون الها شبيها بالاله ابولو ، وتمجد انتصار رولان عليهم .

وهذه الاشارة العابرة من تشايلدرز تحتاج الى ايضاح : فالانشودة بعيدة عن وقائع التاريخ ،وهى نورمانية الاصل ، ظهرت لاول مرة في القرن الحادى عشر ، اى بعد الموقعة بنحو ثلاثة قرون ، ويبلغ عدد ابياتها اربعة آلاف بيت.وهى تشير الى معركة باب الشزرى ، التى وقعت في ١٨ اغسطس(آب) ٧٧٨م ذى القعدة سنة ١٦١ هـ ، بين العرب في الاندلس وحلفائهم البشكنس النصارى من جهة ، وشارلمان ملك الفرنجة من جهة اخرى ..

ويقع باب الشزرى ، او ممر رونسفال ، في طرف جبال البرانيز الغربية ، وهو احد ممرات عدة كانت تستعمل منذ عهد الرومان لاختراق البرانيز من الشمال الى الجنوب ، وهى ممرات وعرة ضيقة ، لا يستطيع الغزاة الوصول الى اسبانيا من الشمال الا عن طريقها . وفي هذا الممر الضيق ، ممر رونسفال ، وقعت المفاجاة المذهلة ، اذ ما كاد الجيش الفرنجي يبدأ بعبور الجبال ، حتى اشرف المسلمون وحلفاؤهم عليه ، وهاجموا مؤخرته بشدة ، وفصلوها عن الجيش، واسفرت المعركة عن نتيجة باهرة : فقد ابيدت مؤخرة الجيش ، وقتل عدد كبير من فرسان جيش الفرنجة ، وتردد صدى هذه المعركة في كل اوروبا . ومن الذين سقطوا في المعركة (رولان) ، بطل الانشودة المشهورة ، واسمه الحقيقى (هردولاند) وكان حاكم قصر شارلمان .

وهذه هى الانشودة ، وهذه هي وقائع التاريخ، وشتان بين خيال الشاعر ووقائع التاريخ !!

★★★

وهناك دعوى شائعة في الغرب بان العرب والمسلمين قساة ، غلاظ الاكباد ، يتلذذون بقتل من ليسوا على دينهم . واحداث التاريخ تكذب هذا : فقد ابدى المسلمون نحو سكان البلاد المفتوحة رحمة لم يسجل لها التاريخ مثيلا ،وليس هذا مكان استعراض احداث التاريخ ، ولكنا نورد بعض الامثلة للتوضيح : فالعرب كانوا يكتفون من سكان البلاد ، القادرين على حمل السلاح ، بدفع الجزية ، وهى مبلغ زهيد ، وكان يعفى منها الاطفال ، والنساء والعجزة . وعندما فتحوا القدس ، تركوا اليهود والمسيحيين احرارا في ممارسة طقوسهم الدينية ، وهنا يحضرنا ما فعله الصليبيون عند دخولهم بيت المقدس ، فقد اقترفوا من الجرائم ما كتب التاريخ حافلة بها . ويكفى ان نقارن بين حسن معاملة العرب لليهود ، وسوء معاملة الغرب لهم : فوفود اليهود الاسبان جاءت الى الجيوش العربية في المغرب تستصرخها مساعدتهم للتخلص من اضطهاد الاسبان لهم، وتحت الحكم العربى تسنم عدد كبير من اليهود مناصب عالية في الدولة ، بينما لقى اليهود على ايدى الغرب الوانا من الاضطهاد لا تحصى ، منها ان

الصليبيين ، عندما احتلوا بيت المقدس ، جمعوا يهود المدينة في الكنيس ، ثم أحرقوهم فيه أحياء!!

★ ★ ★

وهذا العداء القديم الموروث للعرب ، عبر عن نفسه في العصر الحديث في ناحيتين : الوحدة العربية ، والقضية الفلسطينية . واذا كان الغرب ، في الماضي ، قد بذل كل جهده لتفكيك عرى الرابطة الدينية ، فانه في العصر الحديث يقف بكل ضراوة ضد اى حركة تهدف الى توحيد البلاد العربية . انه يقف هذا الموقف من الوحدة العربية،بينما يشجع الحركات القومية فيافريقيا، ذلك لانه يعرف أن توحيد البلاد العربية سيؤدى حتما الى القضاء على مصالحه في منطقة من أهم مناطق العالم . ولا يخفى على مسيرى الامور في الغرب أن العرب أمة تتوفر فيها مقومات الوحدة اكثر من أمم أخرها توحدت ، كالهند التى لا تجمع اهلها لغة مشتركة ، ولا تراث واحد . وهذا العداء القديم الموروث هو الذى دفع الغرب الى تقطيع أوصال العالم العربى ، ابتداء من القرن الماضي ، وانتهاء بمؤامرات الحلفاء في الحربالعالمية الاولى، وبعدها .

★ ★ ★

اما القضية الفلسطينية فهى أم القضايا ، وبها بلغ العداء الغربى ، ورد الفعل العربى ، ذروته .

لقد تحمس للدعوة الصهيونية لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا انذاك ، واخذ يردد بمناسبة واحيانا بدون مناسبة ، ان دولة يهودية يجب أن تقوم فيفلسطين ،وتمتد «من دان الى بئر السبع». وصبر رجال الخارجية البريطانية على رئيس الوزراء آملين ان يرعوى ، ولكنه غالى واشتط ، عندها لم يجدوا بدا من مصارحته بانه لا يوجد على خريطة فلسطين القرن العشرين مكان باسم «دان». ولكن هذا لم يزحزح رئيس الوزراء عن موقفه .

وذهب لويد جورج الى مؤتمر الصلحفيفرسايل، وهو مصمم على أن يضع على خريطة فلسطين سنة ١٩١٩ ، حدود دولة يهودية تمتد من « دان الى بئر السبع ». وقد شعر زعماء الصهيونية بالحرج ازاء موقف لويد جورج هذا ، لانهم كانوا يخططون لدولتهم حدودا أوسع من هذه الحدود بكثير ، فهى في مرحلتها الاولى تشمل : فلسطين ، وأجزاء من صحراء سيناء ، وشرق الاردن كله ، وجميع جنوب لبنان،وجنوب سوريا الى مشارف دمشق. وقد حاول زعماء الصهيونية زحزحة لويد جورج عن موقفه ، ولكنه بقى يردد : « من دان الى بئر السبع » .

وبلغت المهزلة ذروتها ، عندما نشر رجال وزارة الخارجية البريطانية ، على مائدة المؤتمر خريطة لفلسطين في عام الف قبل الميلاد ، زمن داود وسليمان ، ووقف لويد جورج وكليمنصو يحدقان فيها . ولما طلب رئيس وزراء فرنسا من زميله الانجليزى أن يريه « دان » على الخريطة ، اخذ يبحث عنها دون جدوى ، لانها مكان لا وجود له الا في مخيلة رئيس وزراء بريطانيا العظمى !!وعلى هذه الخريطة الاثرية العتيقة ، قرر حلفاء العرب بالأمس رسم حدود دولة يهودية تقوم على ارض عربية ، وطرد سكانها العرب منها ، ونسبتهم تزيد عن ٩٠٪ من مجموع عدد السكان ، وهو عمل لا مثيل له في التاريخ .

وماذا كانت نتيجة هذا ؟

لقد استحالت أرض السلام الى منطقة من أخطر مناطق العالم ، وأسرعها تفجرا .

★ ★ ★

كل هذا الذى قيل صحيح ، واكثر منه ايضا .

ونحن لا يمكن أنننسى أن صلتنا القريبةبالغرب، تتمثل في مذابح المغرب ، والمليون شهيد جزائرى، ومجازر بنزرت ، وجبروت الاستعمار الايطالي في ليبيا ، وضحايا التل الكبير وبورسعيد وسيناء، واللاجئين الفلسطينيين ، وأرضنا الرازحة تحت نير الاحتلال الصهيونى ، وقتلى مناوشات الحدود .. الخ .

وفوق هذا كله اكاذيب تطلقها عنا ، كل يوم ، صحفه ، وكل وسائل اعلامه .

تاريخ أسود من مبتداه الى منتهاه !!

ومع هذا ، فنحن نؤمن أن الامة الحية تجعل المصالح ، لا العواطف ، هى الاساس الذى تنطلق منه في علاقاتها مع الأمم الاخرى . ■■

محمود السمره



الايام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها

تأليف : محمود شيت خطاب

الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت

● مجموعة مقالات عسكرية تهدف الى خلق وعى عسكرى بين ابناء الشعب وتستثير الهمم لحشد الطاقات المادية والمعنوية للجهاد ثم ابراز ما يمكن ان يحدث في الحروب حتى لا يؤخذ بالاحداث على حين غرة فتنهار معنوياته .

دراسات فلسطينية

وصلتنا الكتب التالية من منظمة التحرير الفلسطينية .

١ ـ العرب في اسرائيل : تاليف صبرى جريس

٢ ـ اسرائيل في اوروبا الغربية . تاليف عقيل هاشم وسعيد العظم

٣ ـ المؤسسات العلمية والثقافية والفنية في اسرائيل : تاليف ـ يوسف مروه . نورما دندن .

٤ ـ في الادب الصهيونى ـ تاليف : ـ غسان كنفانى

٥ ـ علماء الطبيعة في اسرائيل ـ تاليف يوسف مروه .

عالم الالكترون

تاليف : جواد مصطفى جواد وعبد الحميد صادق المنشىء وناجى مزهر عبد الرحمن . الناشر : مطبعة الشمال ـ كركوك ـ العراق

● كتاب يبحث في عالم الالكترون واهميته في حياتنا ، وقد تناول الكتاب أهم المخترعات الالكترونية الحديثة العميمة الفائدة ، والشائعة الاستعمال فقام بشرحها وبيان اجزائها المختلفة . كما زود الكتاب بقاموس للمصطلحات الالكترونية باللغة الانجليزية ومرادفاتها باللغة العربية .

التصنيع الآلي للمباني والمساكن الجاهزة

تأليف : عقيد مهندس عبد الرحمن يس الطحاوى

الناشر : المجلس الاعلى للبحث العلمى ـ القاهرة

● بحث قيم في مجال الانتاج الآلى للمساكن وانتاج الاجزاء الخرسانية المكونة لهيكل المبنى من الخرسانة المسلحة مع عديد من الرسومات الهندسية التوضيحية .

العلم : البارحة واليوم وغدا

اقتباس الدكتور مرسيل دافر / مراجعة هانى حداد / الناشر / مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى/دمشق

● كتاب يقدم فكرة واضحة عن تطور المفاهيم العلمية على مر العصور ويشرح في فصوله العديدة ما انجزه الفكر البشرى من نظريات وقواعد علمية واختراعات دفعت عجلة الحضارة الى الامام ، وقد قام المؤلف بشرح للمخترعات الحديثة من محركات بخارية وكهربائية وذرية واهمها الآلات الالكترونية .

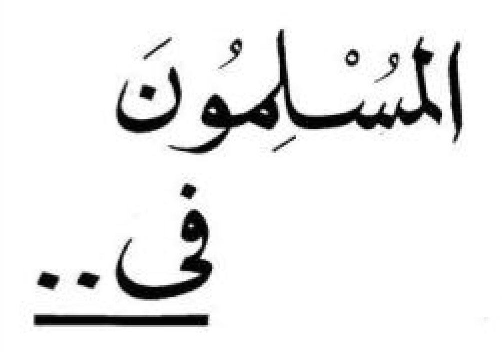
التقرير الاقتصادى العربى

● تقرير يصدره الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية يتضمن بحوثا في الاقتصاد العربى واستعراض للتطورات الاقتصادية في كل بلد عربى وفي مجال التعاون الاقتصادى بين البلاد العربية .

تاريخ الكوت

تأليف : الدكتور عادل البكرى ـ الناشر مطبعة العانى ـ بغداد

● دراسة وافية عن الكوت منذ القديم حتى الوقت الحاضر ، والاحداث الكبيرة التى عانتها عبر التاريخ وقد بحث المؤلف عن تاريخ انشاء الكوت وتسميتها وتطورها،مع عناية فائقة باريافها وعشائرها . ■■



المسلمون في..

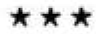
بقلم : جمال الفرا

■ في اقصى الشمال من المعمورة ، في فنلندا ، يدين جماعة من الفنلنديين بالاسلام . **ولما قدمت « هلسنكي »** عاصمة هذا البلد ذى الآلاف المؤلفة من البحيرات ، اجتمع الي فريق من وجوه هؤلاء المسلمين واحتفوا بى احتفاء ما ازال احفظ له ابلغ الاثر في نفسي، فانست اليهم كما يأنس الأخ الى أخيه في الدين في البلد الغريب .

ان امر هؤلاء المسلمين في فنلندا ليدعو الى الاعجاب والتقدير حقا : انهم قلة ، واى قلة ، اذ لا يتجاوز عددهم الالف نسمة في بلد يبلغ عدد سكانه خمسة ملايين عدا ، وهم في بلدهم النائي في شبه عزلة عن العالم الاسلامى ، فلا يتصلون به الا قليلا . وتمر السنون تلو السنين وهم ذوو حفاظ على دين النبى العربى محمد بن عبد الله ، يتناقلون تعاليمه ووصاياه ، ويقيمون شعائره ويعتزون بنعمة الاسلام .

لقد ثبت ايمانهم امام كل شيء .

★★★



من اين جاءوا ؟

واصل هؤلاء المسلمين من بلاد التركمان في أواسط آسيا ، وقد انجبت هذه البلاد بعيد الفتح الاسلامى عقدا من اعلام العلماء، وهى اليوم احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى . وقد قدم هؤلاء الأخوة في الدين فنلندا منذ عهد قياصرة الروس سعيا وراء تجارة الفرو واستقروا **فيها ولما يزل الكثيرون منهم يتحدثون** فيما بينهم اللغة التركمانية ويتكلمون اللغة التركية . ويقرأ بعض شيوخهم القرآن الكريم باللغة العربية ، ويحفظون شيئا من الحديث الشريف والأدعية والاوراد .

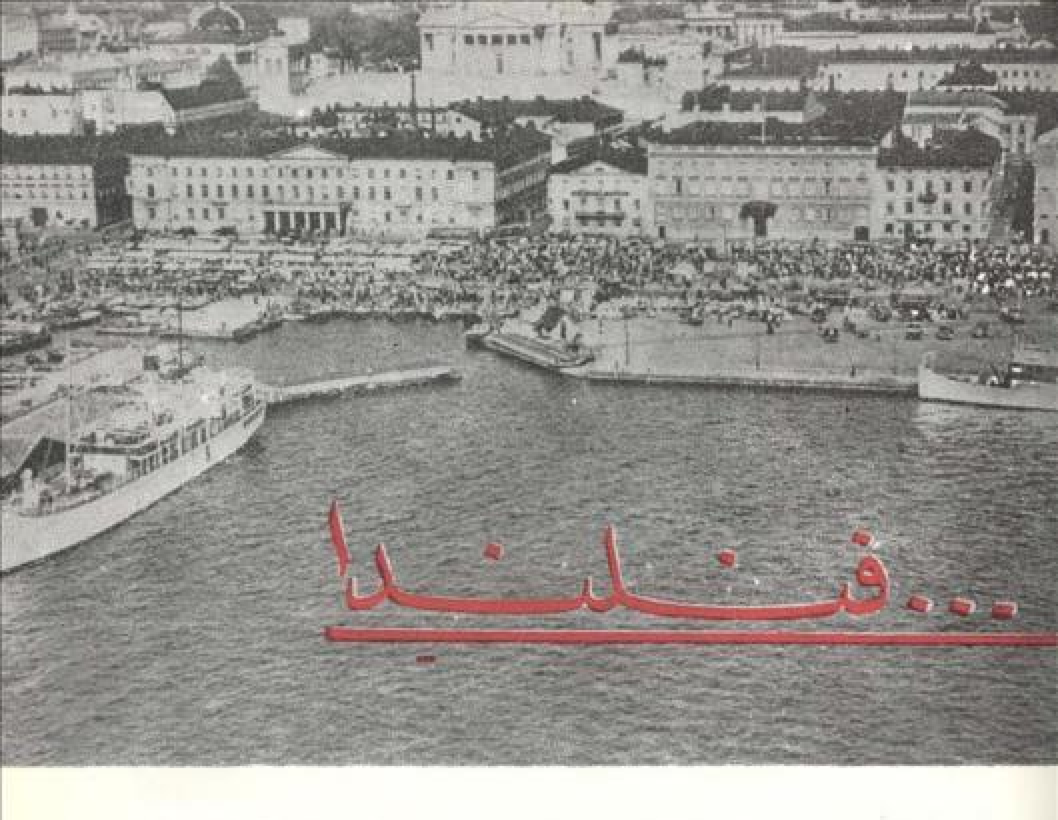
ويعتبر أهل فنلندا هؤلاء المسلمين مواطنين صالحين ، ويقدرون لهم حسن سيرتهم وتمسكهم بأهداب الشرف والفضيلة ، وفي الحرب الفنلندية ــ الروسية الأخيرة سقط منهم ثمانية شهداء ــ وهو عدد ذو شأن بالنسبة الى قلة المسلمين ــ وقد اثر فيّ حين زرت نصب الشهداء الكبير أن شهدت اسماء هؤلاء الشهداء من المسلمين منقوشة في زاوية منه ، ومن فوقها صورة الهلال وآية من الذكر الحكيم بالعربية .

★★★



ثلاثة اجيال

ولهؤلاء المسلمين جمعية في هلسنكى هى رابطتهم الوثقى ، تعمل على تثقيفهم في شؤون دينهم ، وتتخذ من قاعات مكاتبها مسجدا تقيم فيه الشعائر في أيام الجمعة والعيدين .



وقد دعتنى هذه الجمعية الى حفلة عشاء في دار رئيسها ، ولبيت الدعوة ، واجتمعت فيها بعدد كبير منهم ، وكانت حفلة فريدة انيسة ، ستظل ذكرياتها قائمة في خاطرى طويلا .

بدأ الحفل بدعاء تلاه بالعربية مرشد الجمعية الامام احمد ، وامن عليه الحاضرون جميعا ، وان لم يفهموا منه الا قليلا ، وتجاذبنا اطراف الحديث ، ثم دعينا الى مائدة سخية ، صفت عليها الوان من الاطعمة الشرقية الشهية ، وقد امتنع الكثيرون عن الشراب ، وان كان للضرورة أحكام في بلاد الصقيع والظلام !

وتبين لى خلال الحفل ان بين جلسائى ثلاثة أجيال ، تتفاوت ، لا فى الأعمار فحسب ، بل في التفكير وفي نهج الحياة :

ويتمثل الجيل الأول فى الامام احمد ، وهو مرشد الجمعية ، ويناهز الثمانين من عمره ، قوى البنية ، كبير الراس ، ذو لحية مهيبة بيضاء ، وقد عرف الامام احمد عهد القياصرة وسلاطين بنى عثمان ، وهو يحفظ القرآن الكريم ، ويروى الحديث الشريف ، وقد سبق له ان درس فترة قصيرة في الجامع الازهر في مصر .

ويتمثل الجيل الثالث في الآنسة « هاليما » ـ واصل اسمها حليمة ـ وهى فتاة جامعية في مقتبل الشباب ، نشأت في عهد الماريشال « ماكنيهايمر » بطل فنلندا في الحرب الوطنية الأخيرة ، وتتذوق موسيقى المؤلف الفنلندى الكبير « سيبيليوس » وتدرس في كلية الآداب في هلسنكى ، وتجيد رياضة الثلوج .

وبين هذين الجيلين يأتى الجيل الثانى ويتمثل في السيد «زهور» رئيس الجمعية وهو صاحب متجر كبير للفرو ، ويبدو انه يحاول التوفيق بين الحفاظ على

التقاليد الاسلامية ، وبين مسايرة الزمن وما فيه من اوضاع في هـــذا المجتمع الفنلندى، فكانه وسط بين تزمت الشيخ احمد ، وبين تحرر الآنسة هاليما .

★★★

استفتــاء

ودار الحديث في السهرة سجالا حول امور دينهم ودنياهم .

حدثني رئيس الجمعية عن مشـــروع بناء مسجد في هلسنكى ، وكيف ان قلة عدد المسلمين وما تبرعوا من اجله يحول دون انجازه سريعا .

واعرب لى بعضهم عن لهفتهم لزيارة بيت الله الحرام والروضة الشريفة ، وعما يقف في طريقهم من نفقات لبعد الشقة لا قبل لهم بها .

وابدى آخرون رغبتهم في الاتصــال باخوانهم في الدين بالاقطار الاسلامية ، وتساءلوا : كيف السبيل الى ذلك ؟

وشكت الىَّ الآنسة «هاليما» ما يلقاه بنو قومها من مشقة وعناء من صيــام شهر رمضان حين يقع في ابان الصيف ، حيث يبلغ طول النهار في تلك الربــوع احدى وعشرين ساعة أو اكثر ، ولمّحت الى ان الامام أحمد لم يجد للامر مخرجا، .. ورد الامام احمد مستشهدا بالآيـــة الكريمة « وكلوا واشربوا حتى يتبـــين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » . وقالت « هاليما » ما معنـــاه ان الدين يسر وان الاحكام تتبدل بتبدل الازمان والاوضاع .. ونهرها الامام احمد واحتكما الى .

ووجدتني في موقف حرج : اذ لم اكن راغبا في تأييد الامام في تصلبه ولا في دفع « هاليما » في طريق بدعة جـــديدة . وانصت القوم يستمعون ..

وحضرتنى قصة سمعتها منذ زمن ، وتتصل بما نحن فيه ، ورأيت ان ارويها لهم فقلت :

كان جماعة من الهنود المسلمين يعملون على مراكب من الاسطول البريطاني قبيل الحرب العالمية الاخيرة . واتجهت هــذه المراكب يوما في مناوراتها البحرية الى اقصي بحر الشمال . وكان الصيف في ابانه ، والنهار متصلا بالنهار اذ ذاك في تلك الربوع . والتبست على القوم مواعيد صلوات المغرب والعشاء .. واقبل شهر رمضان فلم يعرفوا متى يمسكون ومتى يفطرون ، واتجهوا الى قائدهم يشكون له ما وقعوا فيه من حرج في امور دينهم فابرق من فوره الى وزارة البحرية في الامبرالية في لندن، واتصلت هذه بمرجع دينى اسلامى كبير فافتى بأن يتبع القوم في صلواتهم وصيامهم مواقيت مكة المكرمة ام القرى .. وهكذا كان ، وقضي الامر الذى فيه تستفتيان .

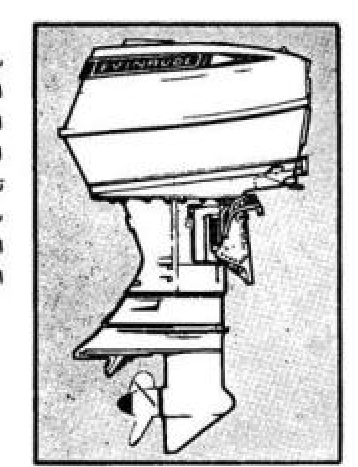
ولما انتهيت من رواية الحكاية اخــذ الامام احمد يهز رأسه الكبير يمنة ويسرة ، ويمر بأصابعه في لحيته المهيبة ، وبدا لى ان هذه الفتوى لم ترق له .. أما «هاليما» فقد اشرقت أسارير وجهها وكأنهــا اعتبرت الحكم لصالحها وتبنت الفتوى .

العربى ينشر رسالتهم

وبعد فقد حملنى هـؤلاء الجمــاعة الطيبون من اقصي الشـــمال في الأرض التحيات المباركة الى اخوانهم في الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وأبدوا رغبتهم في الاتصال والتعارف باخوانهم في العالم الاسلامى .

ومن أجدر من مجلة «العربى» بنشر هذه الرسالة ، وحمل الامانة . ■■

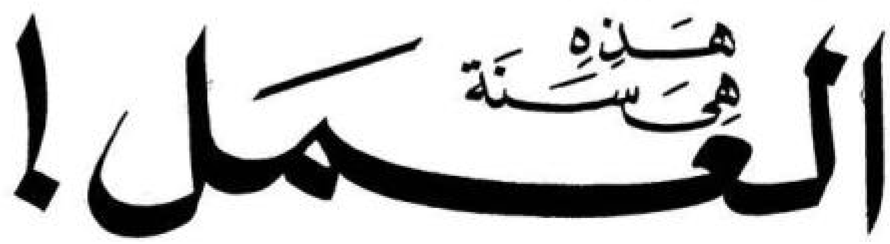
جمال الفــرا



احتفظ وسريعا ما تسمع صوت ماكنة افنرود للقوارب التي سوف تأخذك الى حيث تصطاد الاسماك الكبيرة . خذ ماكنة افنرود ١٠٠ ـ س ذات قوة ١٠٠ حصان التي لا تزال حائزة على الرقم القياسي العالي لسباق الماكينات الخارجية للقوارب . انها تسحب المتزلجين على الماء باقصى سرعة كما بامكانها ان تتهادى ببطء طوال اليوم . انها ، بالطبع ، مشمولة بضمان لمدة سنتين لاستمرار التمتع بها . لدى وكيل افنرود كل ماكنات القوارب الخارجية من قوة ٢/١١ حصان الى ١١٥ حصانا . اتصل به سريعا .

EVINRUDE
The power of experience

للمزيد من المعلومات يرجى الكتابة الى *
Outboard Marine , Bruges , Belgium





عَوْدَةُ الأَسِير

بقلم : أندريه موروا

■ ليست هذه قصة من وحى الخيال ، انها قصة وقعت احداثها ابان عام ١٩٤٥ في قرية فرنسية ، ندعوها هنا « شاردوى » خلافا لاسمها الحقيقى الذى اردنا تجاهله لأسباب واضحة . وتبدا خيوطها في القطار الذى كان يعيد الأسرى الفرنسيين من المانيا في ختام الحرب العالمية الثانية .

كانوا اثنى عشر اسيرا . يجلسون في حجـرة لا تتسع الا لعشرة اشخاص ، يتزاحمون متعبين منهكين ، ولكن السعادة كانت تملأ قلوبهم لأنهم سيعودون اخيرا الى بلدهم ، ومنازلهم ، واسرهم.

ولا شك ان الصورة التى كانت تسيطر عليهم خلال الرحلة كانت صورة المرأة ، يفكرون فيهـا مفعمين بالحب ، والأمل . وبعضهم يخامـرهم القلق . فهل سيلتقون بها ثانية ؟ وهل ما زالت امينة على حبها ؟ ترى بمن التقت خلال وحدتها ؟ وكيف قضت اوقاتها ؟ وهل ستصبح الحيـاة المشتركة سهلة بينهما ؟

كان القلق اقل نسبيا لدى الآباء منهم . فلا بد ان نساءهم انشغلن باولادهن طوال غيبتهم . ووجود الأطفال وما يضفونه على حياة الأسرة من جو مرح ، سوف لا شك يسهل عيشهم المشترك في الايام الاولى على الاقل .

وفي ركن من الحجرة كان هناك شاب طويل هزيل يجلس على مقعده هائما ، محموم العينين . انه رينو ليمارى من قرية شاردوى . وكان يتحدث الى جاره بينما ينساب القطار في ظلام الليل ،والصافرة تنفلت من عقالها انفلاتا يتناسب ورتابة صوت العجلات . وكان يقول :

ـ هل انت متزوج يا ساتورنان ؟

ـ طبعا متزوج .. وقبل ان تنشب الحـرب بعامين .. ولدى طفلان .. وزوجتى تدعى«مارت» فهل تريد ان تشاهدها ؟

وسحب ساتورنان القصير القامة ، البشوش الوجه صورة قديمة ممزقة من حافظـة نقوده الوسخة ، واراها لرينو . فقال له :

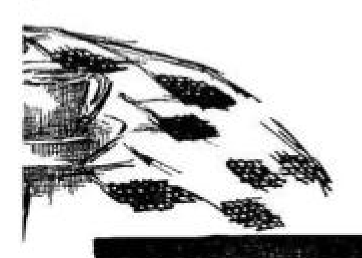
ـ حقا انها جميلة . الست قلقا بسبب هذه العودة ؟

ـ كيف القلق ؟ وانا اكاد أطير فرحا .

ـ لأنها جميلة ، وكانت وحدها .. وهناك آخرون غيرك من الرجال ..

ـ تضحكنى يا صاح . ليس في حياة مارت اى رجل سواى .. وساريك الرسائل التى كتبتها لى منذ خمس سنوات .

ـ دعك من مثل هذه الرسائل ! فهى لا تؤكد





شيئا. انا مثلك تلقيت الرسائل المفصلة بالشوق . ومع ذلك اشعر بالقلق .

ـ الست واثقا من زوجتك ؟

ـ بلى .. وربما كنت اكثر الرجال ثقة بنسائهم .. وقد تزوجنا منذ ست سنوات لم تعكرها سحابة واحدة .

ـ فما هو السبب اذن ؟

ـ انها مسالة الطبيعة .. فانا من الرجال الذين لا يؤمنون بالسعادة . وكنت احدث نفسي

دائما بان هيلين كانت ذكية جميلة ، وطيبة في نظري ، وهي امراة مثقفة ، وعلى الرغم من ذلك فانا اقول لنفسي ان قريتنا ازدحمت باللاجئين ، وبينهم من هو افضل مني .. وربما كان غريبا او حليفا ..ويجتذب بصر أجمل امراة في القرية .

ـ واذا كانت تحبك ؟

ـ حتى لو كانت تحبني . فلماذا نتجاهل وحدتها خلال خمس سنوات ؟ وشاردوى ليست مسقط راسها ، والاغراء محتّم طالما ليست لها اسرة فيها .

ـ تضحكني يا صاحبي .. فلا شك أن عقلك قد اختل .. ولنفرض ان هذه العلاقة كانت قائمة فماذا تعني الآن اذا كانت قد نسيتها ؟ واذا كنت انت الوحيدً الذى تهتم هي به اليوم ؟ انه لو قيل لي ان مارت زوجتي قد خانتك فساجيب : « انها زوجتي ، والحرب هي السبب وقد طالت الوحدة ٥ سنوات. اما الآن فقد عاد السلم،ولنبدأ من الصفر » .

قال رينو :

ـ لن افعل مثلك . واذا علمت ان هناك شيئا ما ..

ـ ماذا ستفعل ؟ ستقتلها .

ـ لا لن اؤذيها ، حتى لن الومها . ولكنني ساغيب عنها ، وأعيش في مكان آخر باسم مستعار بعد ان اترك لها المال ، والبيت . لست بحاجة لشيء . فلدى مهنة أستطيع ان أعيد بها بناء حياتي من جديد .. ربما وصفتني بالحماقة . ولكنني أصر على هذا السلوك : فاما ان احصل على كل شيء او أعف عن اى شيء .

وصمت الرجلان كما صفرت القاطرة ، ودخل القطار المحطة .

كان عمدة شاردوى رجلا شجاعا ، بصيرا فطينا فاضلا ، يعمل معلما للقرية . ولما تلقى نبا عودة رينو في العشرين من شهر آب عزم ان يذهب بنفسه ليبشر زوجه . فوجدها تعمل في حديقتها التي كانت اجمل حدائق القرية ، ومنظر شجرتي الورد المتسلقتين يضفيان عليها سحرا خاصا . فقال لها :

ـ اعرف يا مدام ليمارى انك لست من النساء اللائي يجب ان ينبئهن لعودة ازواجهن ليدخرها مفاجاة خطيرة سارة .. لا يا سيدتي .. اذا سمحت لي فاود ان اقول لك ان سلوكك ،وتحفظك كانا موضع اعجاب الناس جميعا .. حتى الثرثارات اللائي لا يشفقن على غيرهن من النساء لم يجدن شيئا يطعن به شخصيتك .

فقالت باسمة :

ـ ثمة اشياء دائما تثير الثرثرة يا سيدى .

ـ هكذا كنت اظن .. لكنك تغلبت على الظنون كلها .. وليس لهذا السبب جئت ، انما جئت لأرى فرحتك بعودة زوجك ، فاحقق رغبتك في تحضير اللقاء الحار .. وأنت مثلنا لا تستمتعين بتناول اطيب الطعام الا في مثل هذه المناسبة ...

ـ اى ساعة تقصد ؟

ـ ابلغتنا الوزارة ان القافلة ستغادر باريس في الساعة الثالثة والعشرين .. ولكن قافلة القطار تدرج الهوينا .. ولا بد له أن ينزل في محطة تيفيي ، ويمشي على قدميه اربعة كيلومترات ، فيصل الى هنا قبيل الظهر .

ـ أؤكد لك يا سيدى انني ساعد له وجبة طيبة .. ولكنك تدرك طبعا انني ان أدعوك لتشاركه فيها فانه سيكون لي وحدى .

ـ ان سكان شاردوى يحبونك كلهم . وقد تبنّوك ، وان كنت غريبة عنهم .

ونهضت هيلين من سريرها صباح ذلك اليوم العشرين في الساعة السادسة . ولم تنم طوال الليلة المنصرمة التي قضتها تنظف المنزل . وقد زارت « مارتال » حلاق شاردوى فاتقن تسريحتها. واستلقت على سريرها بحذر لئلا تعبث المخدة بشعرها . وكوت ثوبها الحريرى الذى لم تلبسه خلال وحدتها الطويلة ، والذى خاطته بيديها .

وتذكرت قبل أن تعد وجبة الغداء ما كان زوجها

يحبه من انواع الطعام .. لكن فرنسا في هذا العام كانت تفتقر لأشياء كثيرة .. اجل هذا ما يفضله ، ولكن الشوكولاته تنقصها ، وهو يحب البيض المقلي ايضا ، وكان يقول انها تتفوق في قليه على النساء جميعا .. ثم يحب اللحم الاحمر ، والبطاطس .. ولكن جزار شاردوي قد اغلق حانوته منذ يومين . ومع هذا لديها دجاجة ذبحتها الليلة الماضية ، وسوف تشويها .

وسار كل شيء على ما يرام . الى ان التقت بجارتها التي اكدت لها أن الشوكولاته تباع في المدينة القريبة ، فعزمت ان تذهب لشراء شيء منها . وحدثت نفسها : « اذا ذهبت الساعة الثامنة اعود الساعة التاسعة .. واهييء كل شيء قبل ذهابي ، ولا يبقى عليّ بعد العودة الا تحضير الطعام » .

كانت مفعمة بالغبطة . واشعة الشمس في الصباح الجميل تتلالا في الوادي ، كانما تشاركها فرحها ، فبدات تعد مائدة الطعام : غطاء المائدة الاحمر ، والابيض الذي استعملناه في الوجبة الاولى من حياتنا الزوجية .. وهذه الصحون الوردية التي كانت تسليه .. ثم زجاجة النبيذ المعتق .. وكان يحب منظر الازهار على المائدة ويقول انها تجيد تنسيقها خيرا من غيرها .

وشكلت باقة مثلثة الالوان . ثم اتكات على الدراجة قبل أن تغادر البيت ، وتطلعت الى الغرفة من النافذة المفتوحة . حقا انها تبدو جميلة مرتبة . فلا بد ان يفاجا رينو بعد سنوات التعاسة والشقاء حين يشاهد زوجه ، ومنزله . وهاهي تتطلع الى وجهها بالمرآة . ما زالت كما هي ، لم تتغير الا قليلا . وتبدو اكثر نحافة ،لكنها اتصع بياضا ، مفعمة بالحب ، والشباب ، والسعادة . وحدثت نفسها : « يجب أن أذهب . كم الساعة الآن ؟ التاسعة يا الهي . لكن العمدة قال لي انه لن يصل الا قبيل الظهر . فلامضين على ان أعود قبل الموعد » .

كان بيت ليماري معزولا عن القرية . فلم يشاهد احد ذلك الجندي النحيف ، المتاجج العينين ، وهو يتزلق الى الحديقة .. وهناك ظل فيها مبهورا بالنور ، والسعادة ، تملا بجمال الازهار ، مسحورا بطنين النحل . ثم نادى :

ــ هيلين ؟

فلم يجبه احد ، فكرر :

ــ هيلين .. هيلين .. ؟

واخافه الصمت ، فدنا من النافذة . وشاهد المائدة المعدة لشخصين ، والأزهار القابعة عليها برفقة زجاجة النبيذ ، فاجتاحته موجة غضب عاصفة عنيفة ، حتى انه اضطر ان يستند الى جدار لشدة الصدمة . وقال : « يا الهي انها لا تعيش وحدها » .

ولما عادت هيلين بعد ساعة واحدة قالت لها جارتها :

ــ لقد شاهدت رينو يعدو على الطريق ،فناديته لكنه لم يلتفت الي .

وصاحت الزوجة المسكينة :

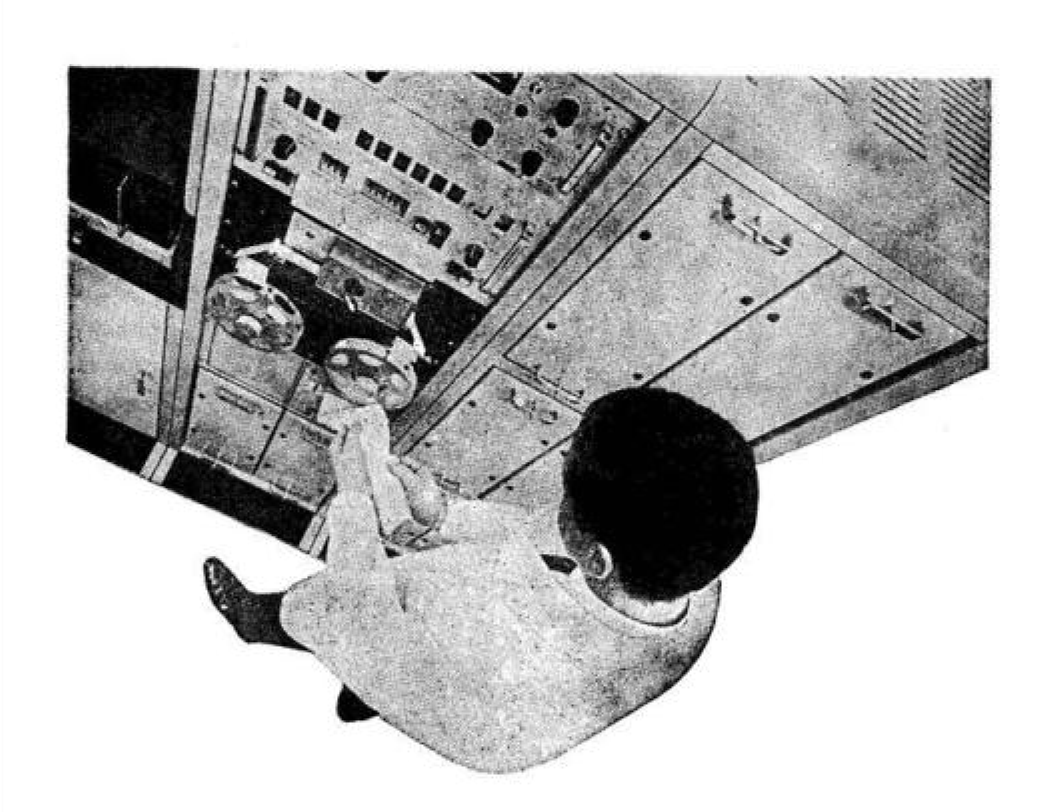
ــ يركض ؟ وباي اتجاه ؟

وخفت الى بيت العمدة الذي لا يعرف شيئاً وقالت له :

ــ يتولاني الرعب يا سيدي لقد جاء رينو اثناء غيابي ، وشاهد مائدة الطعام المهيأة لشخصين فظن ، وهو الغيور الحساس ، انني انتظر غيره .. يجب ان تجده لي .. يجب ، ان يعود ..

وارسل العمدة راكب الدراجة النارية ، ونبه رجال الدرك . فلم يعثروا له على اثر . اما هيلين فقد بقيت واقفة امام مائدة الطعام طوال الليل تنظر الى الازهار التي بدات تذبل في حرارة الجو ، وفقدان ماء الحياة . ■■

ترجمة : جروان السابق



هوكر سدلي تصنع معدات T.R.A.C.E.
الإليكترونية للبحث عن
الاضطرابات .. بسرعة

وطائرة الاستطلاع البحرية النفاثة ﻫ. س. نيمرود تقوم بنفس المهمة!

إن معدات في. آر. أي. سي. إي. تقوم بتعقب سواحل العرب في أجهزة الطائرات التي تستطيع أن تخترق ١٠٠٠ موضع في الساعة. إنها تؤدي هذه الخدمة لطيران أيتاب، وبي. أو. أي. سي، وبان أمريكان، والسلاح الجوي الملكي البريطاني، والأسطول البريطاني، والحكومة الفرنسية. كما يجري الآن بيع هذه المعدات الهامة لحساب الخطوط الجوية الأمريكية، وبي. إي. أي. وبرنيخ، والخطوط الجوية الاسكندنافية.

وطائرة الاستطلاع البحرية النفاثة ﻫ. س. نيمرود لا تقل أهمية عن هذه المعدات بالنسبة الى السلاح الجوي الملكي البريطاني، نظراً لسرعتها الفائقة في الانقضاض على سواحل الاضطرابات، حيث يمكنها مراقبة المنطقة عدة ساعات

وشركة هوكر سدلي تقوم أيضاً ببناء وتجهيز محطات الكهرباء.. كما تصنع المحركات الديزل من قوة ١,٥ حصان الى ٨٥٠ حصان. وفي واقع الأمر يضم فهرسها الهندسي مجموعة هائلة من المنتجات والخدمات الأساسية. ولهذا ما يجعل هذه الشركات مجموعة عالمية السمعة والتي تبلغ قيمة انتاجها السنوي نحو الملايين من الجنيهات.

HAWKER SIDDELEY GROUP 18 ST JAMES'S SQUARE, LONDON S.W.1.

معدات رئيسية ميكانيكية وكهربائية وجوية مع مراكز للبيع والخدمة في كافة أطراف العالم




البنك التجاري

المركـز

تأسس

بموجب مرسوم من صاحب السمو الشيخ

راس المال المصرح به والمد

سجل تجارى رقم ٧٧٠٦ – اله

الميزانية العمومية

١٩٦٧ دينار كويتي	الموجودات	١٩٦٦ دينار كويتي
٨ر٤٢٤ر٤٥٥	النقد والارصدة لدى البيوت المصرفية	٦ر٤٥٠ر٢٤٧
١٢ر٦٩٢ر٩٠٧	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الامد	١١ر٣٦٣ر٨٠١
٥٣٥ر٣٣٥	سندات مصرفية ممتازة	١ر٦٣١ر٨٥٣
٣٢ر١٢٧ر٢٨٢	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	٢٦ر٧٦٢ر٤٠٥
٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قرض بكفالة الحكومة الكويتية	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
١٤ر٦١٠ر٣٨٠	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات اخرى	١٤ر٧٩٣ر٦٨٠
٢٤٤ر٩٤٤	استثمارات متنوعة غير مسعرة – بالتكلفة	٢٤٤ر٩٤٤
٢٧٩ر٦٩٠	العقارات والاملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ المستهلكة .	٢٨٨ر٢٥٢
١١ر٠٠٩ر١٣٩	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل) .	٨ر٨٢٨ر٧٢٤
٨٢ر٩٢٤ر١٣٢		٧٣ر٣٦٣ر٩٠٦

حساب الأرباح والخسائر للس

١٩٦٧ دينار كويتي		١٩٦٦ دينار كويتي
٥٠٤ر٥٦١	ارباح العام المنتهي في ١٩٦٧/١٢/٣١ بعد استنزال جميع المصاريف واقتطاع احتياطات الطوارىء واستهلاكات الاصول الثابتة .	٥١٢ر١٤١
٤٣ر٥٧٥	الرصيد المرحل من العام السابق	٤١ر٤٣٤
٥٤٨ر١٣٦		٥٥٣ر٥٧٥

دبليو . اف . آدامز

المدير العام



يسي الكويت

م ١٩٦٠

الله السالم الصباح امير دولة الكويت الراحل

...ر..٥ر١ دينار كويتي

البرقي : بنكتجاري ـ كويت

في ٣١ ديسمبر ١٩٦٧

١٩٦٦ دينار كويتي	المطلوبـات		١٩٦٧ دينار كويتي
٠٠٠ر٥٠٠ر١	راس المال المصرح به والمدفوع ٠٠٠ر٢٤٠ سهم بسعر ٧/٥٠٠ دينار كويتي للسهم الواحد مدفوعة بالكامل .		٠٠٠ر٨٠٠ر١
٨٥٧ر٢٠٧	الاحتياطي القانوني	٣١٣ر٢٥٨	
١٤٣ر٩٤٢	الاحتياطي العـام	٦٨٧ر٠٩١ر١	٠٠٠ر٣٥٠ر١
٥٧٥ر٤٣	حسابات الارباح والخسائر		١٣٦ر٤٦
٥٧٥ر٦٩٣ر٢			١٣٦ر١٩٦ر٣
٦٠٧ر٦٣١ر٦١	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التبعات .		٨٥٧ر٤٦٦ر٦٨
٠٠٠ر٢١٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه .		٠٠٠ر٢٥٢
٧٢٤ر٨٢٨ر٨	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل) .		١٢٩ر٠٠٩ر١١
٩٠٦ر٣٦٣ر٧٣			١٣٢ر٩٢٤ر٨٢

ملاحظة : لم تنظم الميزانية العمومية ولا حساب الارباح والخسائر وفقا للملحق (جـ) من اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ وانما نظمت وفقا للاصول المصرفية المتعارف عليها .

المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٦٧

١٩٦٦ دينار كويتي			١٩٦٧ دينار كويتي
٢١٤ر٥١	حول الى الاحتياطي القانوني	٤٥٦ر٥٠	
٧٨٦ر٢٤٨	حول الى الاحتياطي العام	٥٤٤ر١٩٩	
٠٠٠ر٢١٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه بواقع ١٤٪ (١/٠٥٠ دينار لكل سهم)	٠٠٠ر٢٥٢	٠٠٠ر٥٠٢
٥٧٥ر٤٣	الرصيد المنقول الى ما بعده		١٣٦ر٤٦

عبد العزيز الاحمد البحر

رئيس مجلس الادارة



تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبكِ وحدك

حلاق !

● التحق شاب صغير باحد صالونات الحلاقة للعمل بدون مقابل الى ان يجيد هذه المهنة الجديدة ! وفجاة دخل احد الزبائن لحلاقة ذقنه . فاسرع الشاب الى صاحب الصالون يقول له : «ارجوك ان تسمح لى بان احلق ذقن الزبون ، فسيكون هذا تمرينا طيبا لى ! »

وقال الحلاق : « لا باس يا بنى .. ولكن حذار ان يجرح الموسي اصابعك!»

قصة جندي بطل !

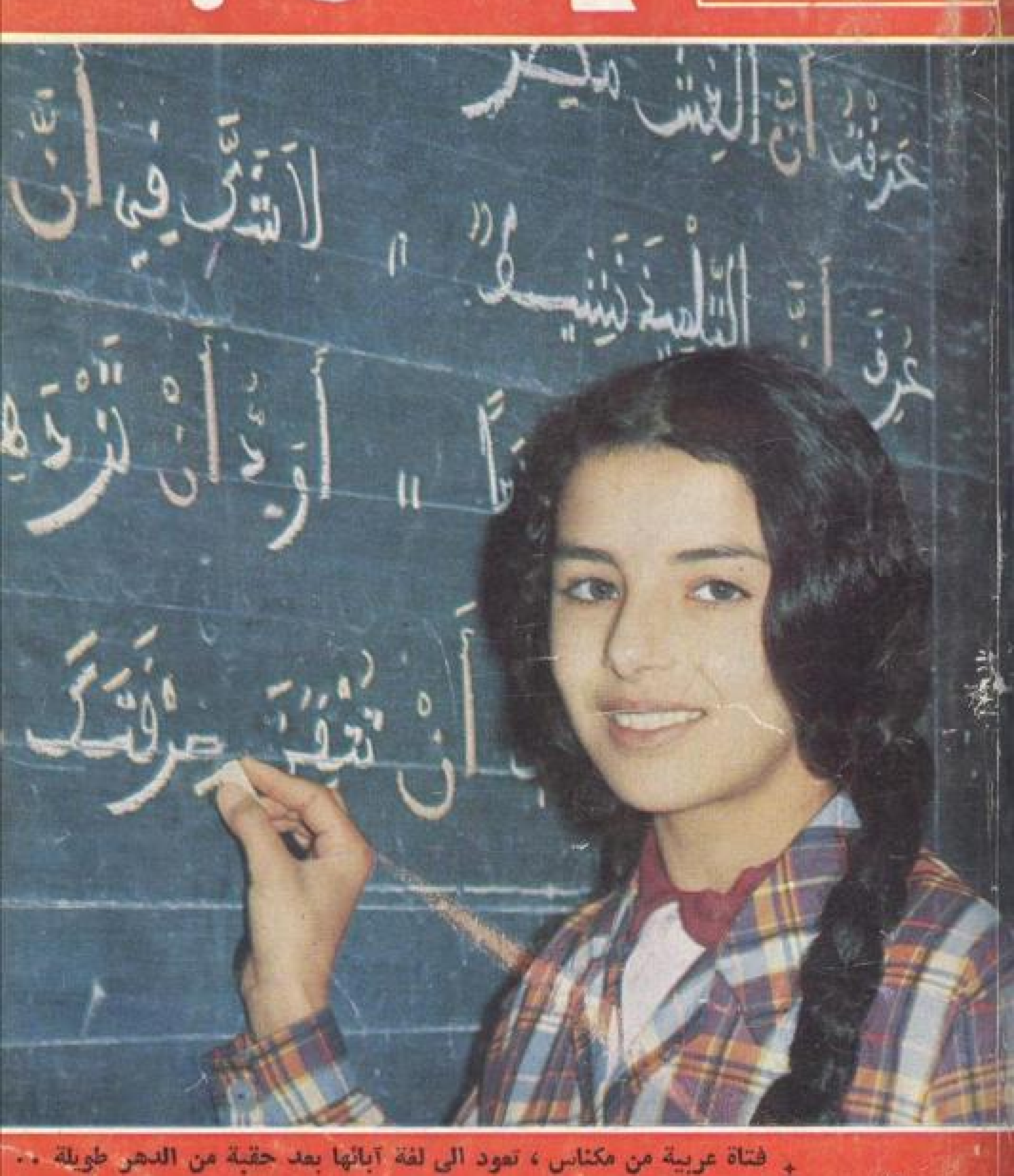
● جلس الجندى « البطل » يروى قصة فوزه بوسام البطولة ، فقال : لقد حصلت عليه رغم انفى فانا لم اقم باى عمل بطولى !» .

وذهل الحاضرون وتساءلوا :« وكيف كان ذلك ؟ » .

فقال البطل : « كنت اقف في صف طويل مع بقية جنود فرقتى عندما طلب القائد ان يتطوع احد الجنود بأن يتقدم خطوة الى الامام للقيام بعملية انتحار ! ولكنه ما كاد ينهى حديثه حتى كان كل الجنود قد عادوا خطوة الى الوراء . وفجاة وجدت نفسي اقف وحدى دون ان اتحرك من مكانى . ثم الغيت العملية ولكنى فزت بالوسام ! » .

العربي

العدد ١١٥
ربيع الاول ١٣٨٨
يونيو
(حزيران) ١٩٦٨

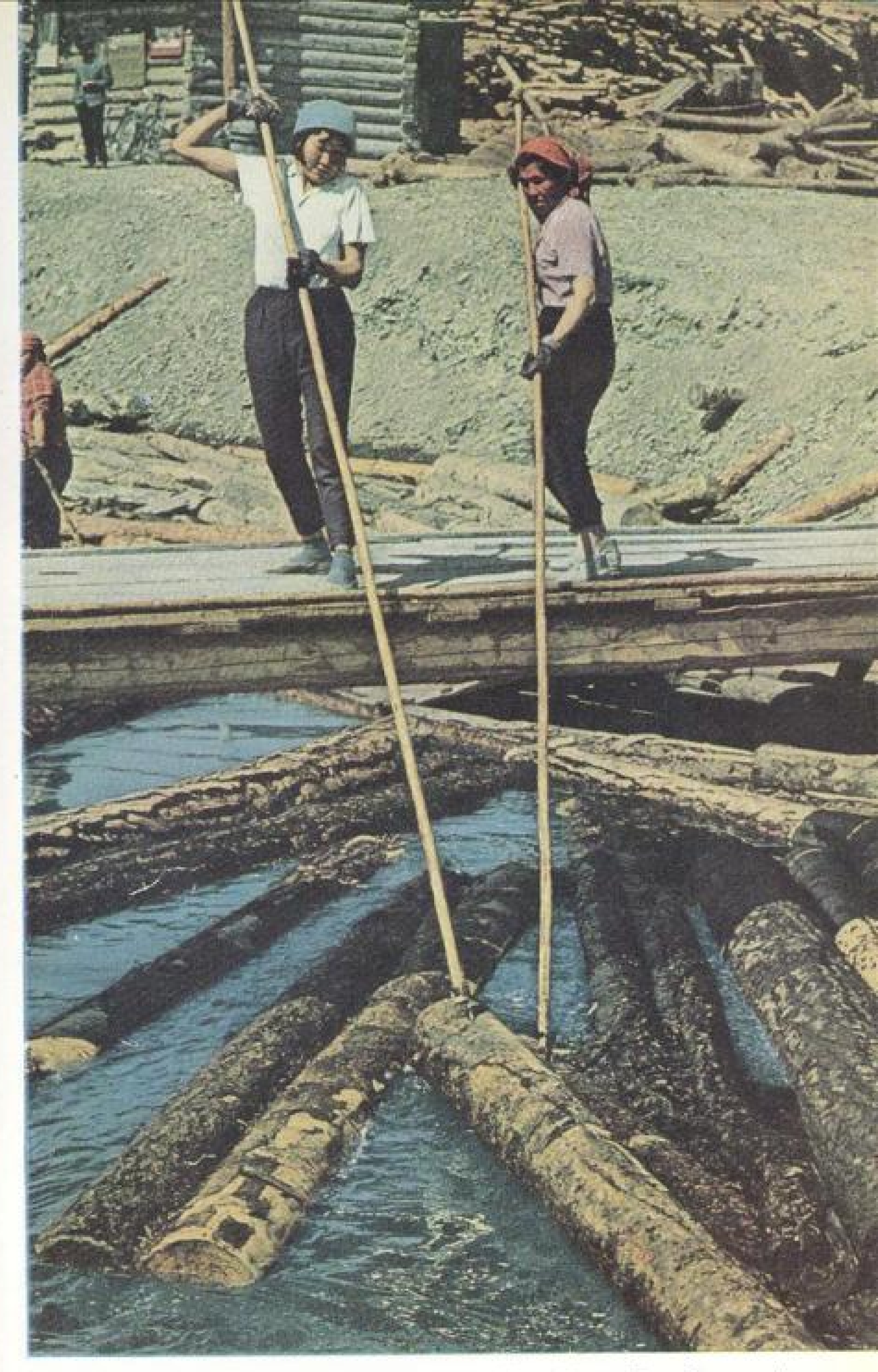


فتاة عربية من مكناس ، تعود الى لغة آبائها بعد حقبة من الدهر طويلة ..

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

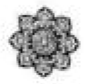
الثمن

الكويت	١١٠ فلوس			السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
اليمن	٣ شلن	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
العراق	١٢٠ فلسا	[illegible]	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



فى سيبيريا .. الارض المجهولة .. يدور صراع رهيب بين الانسان والطبيعة ..

(اقرأ موضوع سيبيريا ، الارض مجهولة ، على صفحة ١١٧)



عزيزى القارئ

● اتانا منك ومن كثير من اخوان لك ، كتب يسالوننا فيها عن أعداد من « العربى » لم تصلهم . ولو انهم سالوا اخوانا لهم وجيرانا ، عن « العربى » ، لشكوا مثل شكواهم ، والسبب أن تلك الاعداد من « العربى » لم تكن وصلت الى بلدهم ولن تصل .

ان « العربى » لم تنقطع شهرا واحدا عن الصدور طوال السنوات الماضية ، وقد قاربت العشر . وهي تغمر الاسواق الآن شهريا بنسخ عددها ١٢٥٠٠٠ نسخة ، ومن العدد الخاص ب ١٦٠٠٠٠ نسخة ، لا يرجع الينا منها من الاسواق العربية شيء . والنسخ التى يتعذر عليها دخول باب من أبواب بلد من البلاد ما أسرع ما تجد الابواب الاخرى مفتحة لها تمتصها ، وتمتص أضعافها .

و « العربى » يبذل جهد المستميت في ارضاء كل الاخوة الواقفين على الابواب ، وهي اليوم اربعة عشر بابا ، ولكن للجهد الانسانى حدود في سبيل التوفيق بين النزعات المختلفة التى هى اليوم صفة المجتمع العربى . ونحن نحترم النزعات جميعا ، ولا نضمر الا الخير للبلاد جميعا ، وهل يضمر العربى للعربى غير ذلك ؟!

المحرر



العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

طب .. وعلوم :

ركن الاسرة والمرأة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 115 June 1968 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤١٠٤١ ،٣٩٤ ــ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● المعروف أن لغة التعليم في المغرب كانت ايام الاحتلال الفرنسي هي اللغة الفرنسية ، وقد بدأت العربية تدخل المدارس حتى عمت التعليم الابتدائي ولخلو الكتابة العربية من حروف المد ، التي تقوم مقام التشكيل في الكلمات عند الافرنج وجب ادخال التشكيل في العربية ، لا سيما عند البدء بتعليمها .. وهذه فتاة من مكناس تكتب على « السبورة » وتقوم بتشكيل كل كلمة !

انظر استطلاعنا عن مكناس ابتداء من صفحة (٧٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن ● العراق ١٢٠ فلسا ● سوريا ١٠٠ قرش ● لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ● السعودية ٢ ريال ● السودان ١٠ قروش ● ج.ع.م ١٠ قروش ● تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ● المغرب ٢ درهم ● اليمن ٥ر٣ شلن ● ليبيا ٥١ قرشا ●

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .





بريد القراء

اللغة العربية في تلمسان

● لشد ما اسفت عندما قرات الاستطلاع الذى نشرته مجلة « العربى » عن تلمسان ، بعد أن لمست الحالة التى هي عليها من جهل للوطن العربى . وتاسفت اكثر عندما قرات أن التعليم فى تلمسان العربية ، باللغة الفرنسية ، وأن الضرائب الباهظة تفرض على الكتب العربية الواردة . ولكنني لا ألوم تلمسان وحدها ، ولا حكومة الجزائر ، وانما الوم الحكومات العربية بصفة عامة ، والحكومات الغنية منها بصفة خاصة ، لعدم تقديم المساعدات لمثل هذه البلاد وامدادها بالكتب العربية والمكتبات العربية ، وتزويدها بالمدرسين العرب ليدرسوا « اللغة الام » .

رضوان درديرى
دمشق – سوريا

زواج المتعة

● ان ما ذهب اليه فقهاء الشيعة في اباحة زواج المتعة ، هو خير حل لمشكلة الجنس في عصرنا الحاضر ، لصيانة أخلاق الشباب . وردا على ما نشر في العدد ١١٢ من «العربي» ، اقول ان الالتزام بالمهر والعدة لثبوت نسب المولود شرط أساسي في زواج المتعة . فالبعض من الفقهاء لا يحللون زواج المتعة الشرعي ، ويديرون وجوههم الى الوراء عندما يواجهون الحقيقة بازدياد الفساد وانتشار دور البغاء علنا في أكثر الدول الاسلامية ، فلماذا لا نكون واقعيين وندرس الامر دراسة وافية لنخلص مجتمعنا من شر عظيم .

عبد الله بن سبا
كربلاء – العراق

العربى : ولماذا المتعة ؟! ولم لا يكون الزواج زواجا عاديا يتحمل فيه الزوج والزوجة كل مسئولياتهما . ويسهل هذا أن الطلاق أمره مباح في الاسلام . ثم ان العلم سهل أيضا امتناع المرأة عن الحمل ما شاءت ، الى أن يحين الظرف الذى يحمد الزوجان فيه الولد ويتهيآن للنفقة عليه .

مظاهرة احتجاج عربية

● ان تعاقب الاحداث على أمتنا العربية الحبيبة ، وما ترتب عليها من مشاكل ، كان له أكبر الاثر في نفوسنا ، نحن الشباب العربى في السويد . وبعد حرب يونيو من العام الماضي ، نظم الشباب العربى في مدينة استوكهلوم بالسويد مظاهرة ضمت الآلاف من العرب والسويديين على السواء . وعندما اعلنت اسرائيل اصرارها على الاستمرار في عدوانها ضد العرب بضم الاراضى المحتلة اليها ، لم نجد وسيلة لاعلان احتجاجنا على هذا الاجراء التعسفى ، سوى الخروج في مظاهرة اخرى يوم الاحد ١٠ مارس سنة ١٩٦٨ . وانطلق المتظاهرون العرب والسويديون الذين اعلنوا تضامنهم معنا في كفاحنا العادل .. انطلقوا جميعا في شوارع استوكهلم الرئيسية حاملين لافتات كتب عليها :

« فلسطين عربية . من هم الخونة . كفانا كلاما نريد عملا . ثوار فلسطين يحيون ثوار فتنام. اسرائيل قاعدة عدوان وتهديد مستمر للسلام العالمي » . وكانت اللافتات كلها مكتوبة باللغات الثلاث .. العربية والانجليزية والسويدية .

أستاذ العربية في قطر

● هل لديكم كلمة تتوجهون بها الى اساتذتنافي جميع انحاء الوطن العربي،حول طريقة التعليم. نحن في عصر الذرة ، وما يزال العلم يقدم لنا كل يوم جديدا . لكن استاذ اللغة العربية « مش واخد باله » كما يقولون . فهو يدخل الحصةليقول للطلبة : « افتحوا صفحة كذا .. ثم اقرأ يا بُنَي ! » .. بربكم كيف يستطيع الطالب أنيقرأ ، او ان يفهم ما قرأ !؟ .

على احمد سعيد : مدرسة التجارة الثانوية ـ قطر

مسائل ومشاكل واحداث

● مرحى لما احرزتموه من نجاح في اختياركم لباب « مسائل ومشاكل واحداث » مكان البابين السابقين مرآة الرأى العربي ، ومرآة الـرأى الغربي ، في مجلتنا العربي الغراء ، فقد صار هذا الباب يجتذب عددا اكبر من القراء ، لما احتواه منمواضيع شيقة .

توفيق شما : جامشورو ـ باكستان الغربية

استطلاعات فى أندونيسيا

● تحية للعربي من اندونيسيا ، ثم اتساءل :« لماذا لا تقوم مجلة «العربي» بعمل استطلاعات مصورة عن اندونيسيا ، منبع الحضارات الاسلامية في الشرق الاقصى ، وغيرها من الدول دول العالم الاسلامي ؟ » .

انني اعتقد أن مثل هذه الاستطلاعات سوف تساهم في ايجاد المزيد من التقارب بين المسلمين العرب واخوانهم في الدول الاسلامية الاخرى خارج الوطن العربي .

غالب عبدات
صولو ـ اندونيسيا

ضد اسرائيل في السويد

ترى متى نخرج في مظاهرة لاعلان فرحتنا بالنصر؟

محمد الاسعد
استوكهلم ـ السويد

صورة للمظاهرة التى قام بها الشباب العربى والسويدى فى استوكهلم احتجاجا على ضم اسرائيل للاراضى العربية المحتلة اليها .



حرب العصا

بقلم رئيس التحرير

■ حرب العصابات حرب قديمة قدم الدهر ، ما قامت خصومة بين فئتين غير منظمتين من الناس .

ومع هذا فالحرب حتى في قديم الزمان ، فيما ذكر التاريخ وسجل ووصف ، كثيرا ما كانت حربا بين جند نظاميين ، لهم ترتيب وتنظيم ، وعلى رؤوسهم قادة . ويشتبكون ويلتحمون ، ويضربون بسيوفهم من فوق ظهور الخيل ، ويضربون وهم وقوف صمود على الأرض ، ثم يكون منهم بعد ذلك غالب ومغلوب .

وهكذا كانت الحرب القديمة بين فارس واليونان .

وجيوش الاسكندر كانت من هذا النوع ، صفوف صنوف في الحديد يتقدمون ، وآخرون يتريثون ، واوامر تصدر لهم من عل صفتها الدرس والحزم والتقدير .

فتلك هي الحرب ، كما وجبت أن تكون .

حروب لا يتعادل فيها الخصمان

ولكن من الحروب ما لا يتعادل فيه الخصمان ، أو يتقاربان عددا ووزنا ، واذن يكون اللقاء محتوم الهزيمة للقوم القليلين ، أو للقوم الأضعفين . ويابى الاضعفون الذل والمسكنة من بعد مواجهة في حرب ، واذا تقوم حرب العصابات .

انها حرب مناوشة .

حرب ضرب وهرب .

من أجل هذا نقول ان كلا الحربين ، من نظامية وغير نظامية ، عهد ابن آدم بهما في الزمان سحيق .

الزمان يغير حتى معنى الخير والشر

ولكن الأشياء القديمة كثيرا ما يتغير معناها ، ويتبدل معناها . حتى معنى الخير الذى كان من الف عام ليس هو تماما معنى الخير في هذه الأيام . ولا معنى الشر هو معنى الشر الذى كان . ومعنى الصدق والكذب ، ومعنى الكرامة والمهانة ، ومعنى القوة والضعف ، ومعاني في القواميس شتى ، من حسن الحظ ان القواميس لم تتناولها تفصيلا ، والا لزم تغييرها اجمالا ، منها ما يلزم تغييره كل



ـابات

بضع من قرون ، ومنها كل قرن ، ومنها كل عشر من السنين .

وكذا حرب العصابات تبدل معناها القديم .

حرب الجيرلة

وكان من دلالة ذلك ان أطلق على الصيغ الجديدة لهذه الحروب حروب الجيرلة . وهو ، ككل معنى حديث ، ماخوذ من لغة أهل الغرب ، احدث أهل الأرض حضارة في حاضر هذه القرون .

والجيرلة Guerrilla لفظ اسباني وهو صيغة التصغير للفظ الحرب الذى هو فى الاسبانية جرا Guerra .

ولا صلة له بالغورلا ، القرد المعروف ، فهذا يكتب Gorilla

احدهما اسم حرب .

والآخر اسم قرد .

وشيوع هذا الاسم الاسباني ، في كل اللغات العالمية ، دليل على انها حـــرب اكتسبت في العهد الحديث ، صفات ، وادوات ، ورجالا ، واسبابا لم تكن لها في سالف الأيام .

نابليون والعصابات الاسبانية

وحرب الجيرلة عرفت ، بل ولدت وصنعت في عهد نابليون الاول عندما غزت جنوده اسبانيا ، وذلك فيما بين عام ١٨٠٨ وعام ١٨١٤ .

والذى جرى في اسبانيا في هـــذه الخمس من السنوات ، من حرب غير نظامية ، بين جيش نابليون والجيرلة الاسبانية ، ضرب للناس أروع صورة لحرب عصابات حديثة ، ناجحة ،انتهت بانتصار الاسبان على الغزاة الفرنسيين .

انها قصة جديرة بالحكاية .

غزا نابليون اسبانيا واحتلها وقال انه باق فيها ، واقترح أخاه ملكا عليها ، كل هذا ، وهو ناس أثر هذا الغزو في الاسبان وما احدث في قلوبهم من مرارة قاموا على أثرها يدفعون بكل ما يستطيعون .

وكان على الابواب القائد الانجليزي ولنجتون ، يجرى وراء نابليون حيث جرى .

وراى ولنجتن امله في هذه العصابات التى قامت تناوش جند نابليون . فاتصل بهم ، وزودهم بالزاد والعتاد ، وأرسل لهم من احكم تنظيمهم ، وامّن ولاءهم وطاعتهم ، وطاعة رؤسائهم ، وازدادوا على الأيام عددا ، وازدادوا بالحرب الخاطفة خبرة .

وفعلوا بالجيش الفرنسي الأفاعيل .

هاجموا وحداته حين كانت قلة ، والمعسكرات قطعوا ما بينها من صلة . والقوافل التى كانت تحمل الزاد والعتاد حيل دون وصولها ، وكثيرا ما اتلفوا زادها وعتادها . وتحاول وحدات من الجيش الفرنسي أن تقتفى أثر العصابة ، فتضل وتسوء عقبى .

واعان الاسبان خشونة البقاع ، وانحراف الطرق ، وعلم بالارض، وجهل العدو الغازى بها .

واعانهم فوق هذا وذاك روح دفاقة كالتي وصفها الشاعر فقال انها « ترى المذلة كفرا » .

وانتهى الحال بأن افلت أمر البلاد من يد الجيش الفرنسي ، وكان بلغ ٣٠٠٠٠٠ مقاتل ، انصرف أكثر من نصفهم الى مقاومة هذه العصابات . ولم يبق من يواجه جيش ولنجتن غير نحو ٧٠٠٠٠ وكانت النتيجة المحتمة انخذال الفرنسيين ، وخروجهم عن اسبانيا محطّمين ، فلم يقووا بعد الذى كان على غزو ما كان اعتزمه نابليون من أوروبا .

فهذه هى العصابات التى اسموها جيرلّة .

وفى الحرب الاهلية الامريكية

ومن العصابات التاريخية الشهيرة عصابة الضابط الفارس جون مسبى John Mosby في الحرب الأهلية الامريكية .

فنحن نعلم انه بين عام ١٨٦٠ وعام ١٨٦٥ خرج من اتحاد الولايات المتحدة احدى عشرة ولاية ، وانشقت على

فدائيان عربيان يعبران الماء في فلسطين الى الاعداء، ومن ورائهم فدائي يؤمن مسيرتهم الى الامام .



الحكومة وكونت بينها نظاما كنفدراليا ، وحاربت الحكومة الفدرالية القائمة معا، وكانت بقيادة الرئيس ابرهام لنكلن . والولايات المنشـــقة الكنفدرالية هي الولايات التي عرفت بالجنوبية .

وكان مسبي كنفدراليا منشقا .

وبدأ عام ١٨٦٣ بطائفة من المجاهدين قليلة ، وهاجموا اطراف جيوش الحكومة فأذاعوا الاضطراب فيها . وبلغ من جرأته هو ورجاله انهم نفذوا في خطوط جيوش الشمال الى حد ان اسروا ضابطا كبيرا في مركز قيادته دون ان ينالهم اذى يذكر .

وكان بينه وبين رجاله علاقة ما بين ضابط مرابط وجند ، ومع هذا ظلت لهم صفة العصابة الأصيلة وهي تخلخلهم ، وضعف الروابط التي تربطهم ، ذلك الضـعف الذي يعطيهم من حرية العمل والقدرة على الانطلاق الباغت الشيء الكـثير .

وكانت قيادته من الحكمة بحيث كسب رجاله الكسب الكثير . فالقيادة الحكيمة في مثل هذه العصابات لها أثر بالغ . من ذلك ان مسبي عرف مقدار قوته ومقدار ضعفه . فلم يكن يضرب قوة كبيرة من الأعداء ، وكان ما أسرع ما يرتد اذا زاد عليه الضغط .

وكان يضغط دائما على العدو في أكثر من نقطة حتى يوهمه بأن الهجوم سيأتي من هنا ، أو هنا او هناك . عشرات النقاط يخال العدو أنها ستكون موضع هجوم محتمل فيوزع عليها قواه ، فيضعف .

وخطوط المواصلات حمل عليها حملات جعلت العـدو الشمالي يزوّد قوافله بالعدد الكبير من الجند ليؤمن مسيرها . وهو بذلك يخرج اعدادا كبيرة من جنود هذا العدو من ميدان القتال حيث القتال ناشب .

ومن الخدمات التي قدمها مسبي ما اتصل بالمخابرات . فهو كان ينقل الى قيادة الولايات الجنوبية المنشقة كل خبر ذي بال .

وبالطبع هزمت القيادة الجنوبية آخر الأمر ، وذهبت مع هزيمتها جهـود مسبي ورجاله .

ولكن بقي ما صنع مثلا يهتدى به بعده من قام في الحروب بعصابات .

الفدائيون العرب يسيرون على سـنام من الارض ، يتحسسـون طريقهم في حذر .



الحرب العالمية الثانية جعلت من حرب العصابات فنا لم يكن لها من قبل

والسبب في ذلك نوع الحرب التى شنها هتلر .

كانت الحرب العالمية الاولى حربا بطيئة نسبيا . حربا هدفها الاول امتلاك أرض العدو ، قطعة من بعد قطعة .

اما حرب هتلر، الحرب العالمية الثانية، فكانت حربا على عجل، تديرها محركات، تحمل الجنود ، في ثقيل سلاحهم ، بسرعة البرق الى كل بلد .

فاذا بجيوش الالمان تنساح على كل اوروبا .

وهذا الانسياح ارق كثافة الجند الغازين في كل ارض . وهو انسياح ترك وراءه الكثير من المناطق غير محتلة . وتباعد ما بين اطراف جيوش هتلر ، فترك ذلك بينها فراغا ملأته حرب العصابات .

وكان العلم تقدم . والمواصلات باللاسلكى وغير اللاسلكى الفت . وكان في مكنة العصابات ان تعين الجيوش النظامية الصديقة في حرب بالذى يتيسر لها من ادوات النضال ، خفيفها والثقيل

ولعبت حرب العصابات هذه ، في فرنسا ، في روسيا ، في البلقان ، أدوارا اساسية أعانت جهود الحروب النظامية على اسقاط هتلر ونظامه .

وقصة هذه الحروب العصابية غير النظامية طويلة .

ولكن يكفى ان يقال ان منها خرج فن جديد ، له اساليب للنضال جديدة . وهو اختلف يقينا باختلاف الأرض التي جرى فيها هذا النضال ، اصحراء هي ، عارية جرداء ، ام جبال هي ووديان وامطار ، ام هي ادغال كادغال الهند الصينية وسيام وفتنام .

ولا بد ان يقال ان هذه الحروب ، حروب العصابات ، بقيت على طبيعتها الاولى ، حروبا غير نظامية ، مفككة العرى ، بالقدر الواجب لانطلاق الحركة وحرية العمل ، مع الطاعة العمياء للقائد او القواد .

حروب العصابات بروسيا

وحروب العصابات بروسيا يذكرها الروس بالشكر الكثير .

فقد ضرب هتلر ضربته السريعة حتى نفذ فى البلاد الروسية نفوذا سهلا كما تنفذ السكين فى العجين . وكان من هذا الغزو الخاطف ان خلف هتلر وراءه خطوطا للمواصلات طويلة بعيدة جعلت قيام العصابات الروسية امرا ظاهر الصلاح .

ولما قامت اختلف الجانبان فى تسميتها.

اما الروس فسموا رجال عصاباتهم المحاربين ، محاربي حرية .

واما الالمان فسموهم قطاع طريق .

تماما كما يصف الغرب اليوم حرب العصابات بفلسطين .

ان الغرب يسميهم الارهابيين .

ونحن العرب نسميهم الفدائيين .

وتحيتنا ، نحن رجال « العربى » ، لهم اجمعين .

حرب العصابات ترهق الجيش النظامى ولا تهزمه

حرب العصابات تقلق الجيوش النظامية على نحو ما وصفنا فى الحرب الفرنسية الاسبانية والحرب الأهلية الامريكية والحرب الروسية وغيرها . انها تشغل هذه الجيوش عن القيام بحربها القائمة ، والتركز عليها ، وتصرف الكثير من رجالها الى مقاومة هذه المناوشات والاحتفاظ بسلامة المواصلات، وكذا تأمين جهاز الحرب والعتاد .

ولكن ما كانت حرب عصابات لتكسب

وحدها نصرا على العدو . ذلك النصر الذى لايتحقق الا بالصدام المتركز ، الا في ظروف خاصة .

ان بين وحدات العصابات رباطا يربطها ورباطا ، ولكنها روابط طويلة ، مرتخية ، وفى ارتخائها سرُ قوتها ، فهي اقدر على الحركة . اقدر على اختيار مكان ، واقدر على اختيار زمان . وهي دائمة التنقل دائبة التستر ، وتختار طرق مواصلاتها كيف تشاء ، وعندما تشاء ، ووفقا للظروف القائمة ، وتحمل قلوبها على كفيها .

ورجل العصابة اوسع مجالا ، واكثر حيلة ، واقدر على استخدام دهائه من الجند النظامي .

وان يكن النظام له فوائده ،فغير النظام له فوائده .

ولكلٍ هدف يهدف اليه لايستطيع ان يهدف اليه اخوه .

الفدائيون والقانون

من المضحك فى هذه الأيام ، حيث لا قانون الا القوة ، ان نذكر القانون ، وان نذكره خاصة ونحن فى صدد حرب فداء ، حرب غير نظامية .

ومع هذا ،فالقانون الدولي، بعد تردد طال ، يكاد يكون قد انتهى بأن رجال حروب العصابات التي هدفها التحرير يعتبرون عند الأسر اسرى حرب على شرائط معينة ، منها ان يكون لهم رئيس مسئول عن تصرفاتهم ، وان يكونوا ذوى زي واحد للحرب يدركه الناظر من بعيد، وان يحملوا سلاحهم اعلانا ، وان يجروا حروبهم وفقا للقوانين الدولية والأعراف القائمة .

والفدائيون يعملون فى ارض احتلها العدو .

فلابد لهذه المناسبة من اثارة ما يأذن به القانون الدولي للدولة المحتلة فى الأرض المحتلة من أمور ، وما لا يأذن به . وقد كان هذا امرا لا ضابط له ولا رابط حتى قننوه فى قواعد سنوها فى لاهاى عام ١٩٠٧ ، وهي تقضي بالأمور الآتية :

ان العدو المحتل عليه حفظ النظام فى الأرض المحتلة ، وعليه ان يحترم القوانين القائمة فى البلد المحتل ، وان يحافظ على حياة سكان البلد المحتل واملاكهم ،وان يحافظ على شرف العائلات ويحفظ لهم حقوقهم ، وان يبقى على اديانها وسائر طقوسها . وليس مباحا للدولة المحتلة ان تطلب من السكان ولاء لها ، او ان تستمد منهم خبرا يتصل بحرب .

انهما قانونان :

قانون يعترف بوجود الفدائيين .

وقانون يحترم حقوق البلد المحتل .

صارت كلها فى هذه الأيام كسائر قوانين اهل الأرض . ان كنت ضعيفا وتخشى الملامة ، فانت تتقبلها وتحاول فيما ظهر منك ان تخضع لها . وان كنت قويا فمن ذا الذى سوف يطالبك من بعدُ بحساب .



نوع من اللغم ، يزرعه الفدائيون العرب ، فى الطرقات وفى سبيل السيارات .

أزمة الملونين

لم تكد الولايات المتحدة تفرغ من ازمة زنوجها التي عادت الى الاحتدام بقتل زعيمهم الكبير ، الدكتور لوثر كنج Luther King ، حتى ترددت اصداء هذا الحادث فى بريطانيا ، وهي الدولة الانجلوسكسونية الثانية التي يلعب فيها لون الجلد الذى تصطبغ به وجوه بعض انسان هذه الأرض دورا يقلق بال اهلها ويولد للحكومات الصعاب .

كان من نتائج قتل الزعيم لوثر كنج ، حامل جائزة نوبل للسلام ، ان حاول الرئيس جونس ان يضع قانونا فى الولايات المتحدة يهدف الى اعطاء زنوج امريكا مزيدا من الحرية من حيث انهم مواطنون امريكيون لهم نصيب من ذلك الهواء الأمريكي ، فوجب ان يكون لهم نصيب مثله من العمل للرزق تتحقق به الذات على الكرامة حتى لا يشقى بهم عيش .

وفطنت الحكومة البريطانية الى مثل الحاجة الى هذا القانون او اشباهه ، وارادت ان تستبق الحوادث فتضع هذا القانون وفتنة اللون نائمة . .

وضعته ، وعرضته على البرلمان .

وهو يحرم على كل صاحب عمل ان يمنع من تشغيل عامل بسبب لونه ، او ان يضعه الموضع الدون ، او ان يعطيه الأجر الدنىء بسبب بشرته . .

وعند وشك قراءة القانون فى البرلمان للمرة الثانية قام احد زعماء حزب المحافظين فالقى فى مدينة برمنجام خطابا هاجم فيه الملونين باشد ما هاجم به رجل ابيض رجلا ملونا فى تاريخ بريطانيا كله .

واحدث هذا المقال شرخا كبيرا فى الجبهة التى اقامتها الحكومات البريطانية، تلك التي قضت دائما وتقضي ، ولو رسميا ، باحترام الرجل الملون والمراة الملونة .

وكان ان فزع حتى حزب المحافظين من هذا المقال . وكان الخطيب المذكور ، المستر باول Powel مرشحا ليكون وزيرا للحزب عند فوزه فى الانتخابات . والغى رئيس الحزب هذا الترشيح احتفاظا بسمعة حزبه .



المدارس تؤلف بين الابيض والاسود ، وتجعل منهما فى المظهر، والمخبر، واللسان، والهندام ، والفكر ، شيئا سواء .

الخِلافُ فى الثَّقافة أكثرُ تفرِيقًا مِنْ خِلافٍ فى لَوْن !

وكان لهذا الخطاب هزات عنيفة ، فى البيض والسود على السواء .

واختلف البيض ، حتى قام عمال منهم بمسيرة نحو البرلمان يناصرون المستر باول فى معارضته للقانون .

حكم الطبع فى الانسان والحيوان

والناظر فى هذا الأمر يستجليه ، تتضح له أشياء ، وتنبهم أشياء . وهو ككل ظاهرة اجتماعية لها جذور ، بعضها الضحل ، وبعضها العميق .

ان البريطانيين البيض ، وانا اتحدث عن كثرتهم ، لا يُغرَمون اغراما بالسود ، ولا ما قارب السواد . وتسأل العالم النفساني والاجتماعي عن السبب ، فيقول لك انه حكم الطبع ، لا يألف اللون المخالف . وكما لا يحب البيض اللون الأسود ، فكذلك السود لا يحبون اللون الأبيض . واعود فاقول انه حكم الطبع . وحكم الطبع تؤثر فيه مؤثرات كثيرة ، فتخرج به عن حكمه . والأبيض لا يعزف عن الأسود فحسب ، فهو كذلك يعزف عن الأصفر . يعزف عن الصفرة فى وجه الصيني والصفرة فى وجه الياباني . ولم أسأل ياباني بعدُ عن حبه البياض .

وهكذا هو حكم الطبع فى الحيوانات يكره الشيء المخالف . ولكن من رحمة بها ان الكثير منها عنده عمى اللون . ولكن فى الحيوان ، كل من خالف الخلقة الطبيعية فى جمهور من الحيوان بعينه ، عزله الجمهور الحيواني .

والانجليزى الأبيض يميل عن الفرنسي الأبيض والبولندى الأبيض والتشكى الأبيض الى الانجليزي الأبيض ، بحكم الطبع كذلك. انه اختلاف لغة واختلاف عادة . والمسألة فى هذا الأمر ليست مسألة اخلاقية او انسانية او غير ذلك . انه حكم الطبع وكفى .

الخلاف فى الثقافة أكثر تفريقا من خلاف فى لون

وبصرف النظر عن أمر اللون ، هناك ، الى جانب اختلاف فى لسان ، اختلاف



فى ثقافة ، واختلاف فى مراتب عيش ، واختلاف فى تقاليد . ولا يمنع من هذا ان الرجل الملون قد يكون أعلى فى العيش مرتبة واصح عادة . انه الاختلاف وكفى. وان يكن اختلافا بالخفض ، دون الرفع ، كان أفعل فى التباعد .

وهذا الاختلاف يقل فى الجيل الثانى من المهاجرين الملونين . ذلك انه جيل درس مع البيض ، وفى مدارسهم ، والف العيش معهم ، واكتسب لسانهم . واكتسب عاداتهم ، حتى لم يبق الا اللون . وهذا اقل العوامل أثرا فى احداث تنافر .

والأمريكيون البيض الذين حرموا السود من تربية ، وحرموهم من علم ، وحرموهم من فن ومن عمل ومن رزق ، جنوا على مجتمعهم جناية يجنون اليوم عواقبها ، ولكنهم انما فى الأمس البعيد صنعوها .

ان أزمة اللون يردها الناس فى امريكا وانجلترا والمانيا وغيرها من البلاد ، الى اللون ، لأنه الشيء الحاضر الذى يملأ العين . ولكن عندى ، واكرر هذا واؤكده ان مردها الأكبر والأكثر والأفعل الى اللغة ، والى التعليم ، والى مستوى المعيشة (وعلاج هذا تيسير الرزق للبيض والسود على السواد) والى التقليد الذى لا يكون واحدا ، والى العادة التي لا تكون واحدة فى طعام او شراب او سير ، او حب او كراهة ، او انفعال بحوادث الايام وما يصيب الوطن الواحد من خير ومن شر . عندئذ ، وعندئذ فقط ، اى عندما يستوى الناس فى هذه الأمور ، يصبح اللون قليل الخطر موضوعا .

لو ان ولسن او جونسن استيقظ فى صباح يوم عن وجه اسود

وللايمان بذلك تصور ان المستر هارولد ولسن ، رئيس وزراء بريطانيا ، تحول لونه بغتة ، ذات ليلة ، من بياض الى سواد ، فهل كان هذا يفقده رآسة الوزراء . او هل كان السواد مانعا له من انجاز اعماله على نفس النحو الذى هو به ينجزها اليوم .

وقل ذلك عن جونسون ، وعن كندى .

وهذا هندى ، نال من الثقافة الغربية ، واصطبغ باصباغ المدنية ، ما جعله لا يختلف عن الابيض الا فى صبغة وجه . وقد يرتفع فى القيم فوقه درجات .



والعكس ، هل اذا تحولت انديرا غاندى ، ذات ليلة ، من سيدة سمراء ، الى سيدة بيضاء ، هل يزيد هذا وينقص من جدارتها .

ان اللون كما قال المتنبي :

انما الجلد ملبس" ، وابيضاض النـ
ـفس خير من ابيضاض القبـاء

والقباء هو الثوب يلبس فوق الثياب

انجلترا تريد ان تحتفظ بسود مستعمراتها

على اني ارى ان وراء عمل الحكومة الانجليزية ، من حيث تسهيل عيش الملونين القائمين اليوم بها ، يتصل اتصالا وثيقا بوثاقة العلاقات التي لا تزال اليوم قائمة بينها وبين سابق مستعمراتها ، وكلها من اهل السمرة والسواد .

فالحكومة البريطانية تتحرك فيما تتحرك فيه ، خطوة من اجل الاعتبارات الانسانية ، وخطوتين من اجل المنافع التجارية ، وحسن السمعة العالمية .

والحكومة البريطانية بالطبع لا تريد ان تزيد فيما لديها من مهاجرين، فحزب العمال وحزب المحافظين فى هذا سواء .

ومن دلائل هذا ان الحكومة البريطانية اعلنت انها على استعداد لان تنفق على كل مهاجر يريد ان يعود الى وطنه حتى يصل ويستقر هناك .

كل وطن احق باهله

والحق اني لا ارى الهجرة من افريقيا وآسيا الى بلد فى اوروبا ، بقصد البقاء فيه واتخاذ وطن منه ، لا ارى فيها خطوة صائبة .

اني ارى ان كل وطن احق باهله . وانا مع شوقي حين يقول :

وطني ، لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه فى الخلد نفسي

وحين يقول :

كل دار احق بالأهل الا
فى خبيث من المذاهب رجس

جدل" كشف عن حقائق ذات بال

على أن هذا الجدل الذى قام ، على اثر خطاب المستر باول ، كشف عن حقائق كثيرة دلت على ان ما احتواه ذاك الخطاب كان فيه مبالغات صنعها الحقد ، وصنعتها الرغبة فى اثارة الجماهير على المهاجرين من ذوى اللون .

عدد المهاجرين بين سكان بريطانيا الاصليين

فمن ذلك ان المستر باول ، زعم انه لن يأتي عام ٢٠٠٠ حتى يكون عدد المهاجرين فى بريطانيا قد بلغ ما بين ٥ الى ٧ ملايين ، اى نحو عشر السكان .

وكشف البحث عن تقديرات اخرى دلت على أن النسبة لن تبلغ هذا الحد ، ومنها تقدير قامت به مجلة الايكنمست الشهيرة المعتمدة ، كشف عن انه سوف يكون فى بريطانيا فى ختام هذا القرن نحو من ٣ ملايين من المهاجرين الملونين فى عدد من السكان شامل يبلغ ٧٠ مليونا ، اى نحو ٤ فى كل مائة من السكان .

علما بأن نسبتهم الآن تبلغ اثنين فى كل مائة .

ضغط المهاجرين على الخدمات العامة

ومن الأشياء التي تنسب الى المهاجرين الملونين ضغطهم على الخدمات، من خدمات صحة ، الى خدمات تعليم ، الى تأمين من بطالة وشيخوخة ونحوها. ويقول المدافعون انه ان يكن هناك ضغط فهو من المهاجرين السود والبيض على السواء . وان الناس تنسى أن فى بريطانيا اليوم ٦٠٠٠ من قبرص ، و ٣٠٠٠

من مالطة ، و ٦٠٠٠٠ من استراليا ونيوزيلندة ، و ٦٠٠٠٠ من كندا . ومن ارلنده جاء الى بريطانيا منذ عام ١٩٤٥ نحو من ٥٠٠٠٠٠ مهاجر . هذا عدا ٢٠٠٠٠ حديثي المجيء من شرقي أوروبا وغيرها .

وهؤلاء جميعا يزيدون بالطبع الضغط على الخدمات ، ولكنهم جميعا يقومون بنصيبهم من رفع اقتصاديات البلاد .

والصناعة والصناعيون

وسمع رجال الصناعة اقتراح المستر باول ترحيل المهاجرين السود الى أوطانهم فلم يفهموا لهذا فى الاقتصاد البريطاني مغزى .

فهم يقولون ان الملونين منتشرون اليوم فى صناعات كثيرة متباعدة . واكثرهم جاء الى البلاد فى وقت كان الاقتصاد البريطاني فيه يتسع : فهم سدوا عند ذاك حاجة . وما تزال هذه الحاجة قائمة .

وقال رجال الصناعة ان عند هؤلاء الملونين كفايات ومهارات كثيرة يغفل عنها السواد من الناس .

وقالوا ان صناعة البناء ، والهندسة واشغال المسابك تعتمد على هؤلاء المهاجرين الى حد كبير . وكذا اعمال غير خطيرة اخرى، ولكنها ضرورية ، يعافها البيض، ولا يتعالى المهاجرون عن أن يقوموا بها .

فصناعة النسج ما كانت لتنتعش فى شمال بريطانيا لولا جهود الآسيويين . فأكثر مصانع النسيج فى يوركشير يدير طرائحها فى الليل باكستانيون .

والمصاهر ، وهي تحتاج الى اعمال ثقيلة فى اجواء حارة ، ما كان يكون مصيرها لولا العمال الملونون .

والمواصلات فى المدن لا يمكنها ان تعمل لولا هؤلاء المهاجرون ، وقد قدروا كم هم ، فوجدوا ان سائقي السيارات العامة ، الأمنوبيس ، منهم، يبلغون خمس عدد السواقين جميعا ، وذلك فى كل من لندن وبرمنجهام .

والبريد لا يستطيع ان يعمل بدون هؤلاء المهاجرين غير البيض .

ويقترح المستر باول اعادة المهاجرين الى أوطانهم ، فكيف تجرى الخدمات الصحية لو انهم عادوا . ان نحوا من خمسين فى المائة من الأطباء الشبان فى

لندن لا تستغني فى مواصلاتها عن الملونين ، فقد وجدوا انهم فى سياقة السيارات العامة يكونون خمس السائقين



المستشفيات من المهاجرين . ونحو ٢٠ في المائة من الممرضات المدربات والقابلات من المهاجرات .

وهناك دعوى أن هؤلاء المهاجرين يشغلون الأعمال التي وجب أن يشغلها البريطانيون ، واذن يحدثون البطالة .

ويقول المدافعون ، وهم من ارباب الاحصاء الرسميين ، ان الاقاليم التي تكثر فيها البطالة هي اقل الاقاليم حظا من مهاجرين .

ناحية تقضي الامانة كشفها

هذا كله كلام طيب .

ولكن لهذا المشكل ناحية اخرى تقتضي الأمانة كشفها .

تلك ان هناك من المهاجرين قلة قليلة لا تريد أن ترعى لتقاليد البلاد ولا لاحاسيسها حرمة ، فهذه هي التي يشكو منها من يشكو من البريطانيين ، لا سيما النساء .

من هؤلاء النازحين زنوج ، رأيتهم يأتون من أواسط افريقيا الى لندن ، ويريدون ان يعيشوا فيها كما كانوا يعيشون فى الأدغال ، يحملون اليها طرق عيشهم ، والشعر الكثير النابت فى وجوههم وعلى رؤوسهم ، ولا يبالون بهندامهم . وهذا قد يكون محتملا بحسبانه امرا هو عندهم لا غبار عليه ، وانما تجمّع عليه الغبار بالانتقال الى مثل لندن . ولكن منهم ، وأعود فأقول انها قلة قليلة ، تحاول أن تستعمل ذكاءها فى الكسب الحرام ، وفى المسالك المريبة ، تلك التي تحتل من القانون اطرافه فتكاد تضل عند الحدود . والأمثلة التي سمعتها وقرأتها حاضرة ، ولكن من الأشياء ما لا يجمل أن يقال .

وهذه الأشياء القليلة تفوح روائحها



ومن الملونين من لهم خبرة ومهارة،حتى لاصبحت بعض الصناعات فى بريطانيا لا يمكنها فجاة أن تستغنى عنهم .

ثقيلة كريهة . واهل الوطن يسيئون وتنسَى سيئاتهم . والمهاجرون غرباء ، والذى يسىء منهم لا تنسَى سيئته . وهي تزيد سوءاً عند السماع بقدر ما فيها من لون .

وصلاح ذلك عند السفارات، أو هكذا يظن .

ولكن المهاجر قد استوطن، فهو خارج عن سلطة السفارة ، وسلطة السفارات، حتى على غير استيطان ، لا تحمد بها دائما استغاثة .

والحل الوحيد لصلاح الحال لا بد أن ينبع من النازحين انفسهم ، يكون منهم الاصلاح ، والنصح والهداية . والقسر والقوة ان كان فيما تعمل القلة ما يسىء الى سائر النازحين ، تلك الكثرة الكبرى التي انما طلبت الرزق الحلال فى غير اوطانها لمّا ضاقت بها الأوطان . ●●

احمد زكى



بقلم : احمد السقاف

■ فى اليوم السادس عشر من شهر مارس المنصرم عقد فى القاهرة مؤتمر الادباء العرب السادس وقد امتد هذا المؤتمر الى مساء يوم الثلاثاء حيثاختتم باصدار القرارات والتوصيات ، وقد خصص الاربعاء والخميس من نفس الاسبوع لمهرجان الشعر الثامن . ولقد كان لي شرف رئاسة وفد رابطة الادباء في الكويت الى هذا المؤتمر كما كان لي شرف المساهمة بالجهد الذي استطيع فىالاجتماعاتالتي عقدها رؤساء الوفود، وفي رئاسة بعض الجلسات وفي تقديم التوصيات وما الي ذلك مما يوجبهالعمل ويطلبه التعاون الاخوى البناء .

لذلك رايت ان من الواجب علي أن ابدى رايي فى المؤتمر وفي المهرجان بعد ان قرات ما كتب عنهما فى بعض الصحف من حملات شديدة تكاد تحجب ما بذله القائمون على اعدادهما وتنظيمهما من جهود مضنية فى ظرف يختلف كل الاختلاف عن الظروف التي عقدت فيها مؤتمرات الادباء السابقة .

لا شك أن نجاح اى مؤتمر او فشله انما يقاس بالقرارات التي تصدر عنه فاذا ما نظرنا الى القرارات والتوصيات التي صدرت عن مؤتمر الادباء السادس وجدنا ان المؤتمر قد حقق الغرض كاملا ، ولا اعتقد أن المؤتمر الذى سبقه ـ وهو المنعقد ببغداد فى شباط عام ١٩٦٥ ـ قد اصدر من القرارات ما يفوق قرارات هذا المؤتمر . كما لا اعتقد أن الانسجام الذى ساد اجتماعات رؤساء الوفود كان له شبيه فى المؤتمرات السابقة . ولا اعتقد ان اعتراضات عضو من الاعضاء التابعين لوفد من الوفود يمكن ان تقلل من نجاح المؤتمر او تؤثر فيه ، فمثل هذه الاعتراضات سواء أكانت صحيحة ام كانتباطلة لا يخلو منهامؤتمر وهيإندلت على شيء فانما تدل على الحيويةوالتطلع نحو الاحسن .

الوفود والبحوث

بقيت قضيتان اثارهما كاتب فى نقده اللاذع للمؤتمر بملحق لاحدى الصحف

أعنف من كل مؤتمر وكل مهرجان

اليومية البيروتية. الاولى : نوعية الوفود المشاركة فى المؤتمر ، والثانية البحوث المقدمة اليه . وفى اعتقادى ان الوفود الممثلة للجمعيات الادبية كانت ادنى الى التمثيل الصادق للحركة الادبية فى بلادها من الوفود المرسلة من حكوماتها ، ذلك ان تدخل بعض الحكومات العربية فى اختيار الادباء او الشعراء لمثل هذه المناسبات يضعف من منزلة هؤلاء مهما كانت قدراتهم ومهما كانت مواهبهم ونشاطاتهم ، ولقد اوصى المؤتمر بان يسارع الادباء فى بقية الاقطار العربية الى تكوين الجمعيات الادبية لتكون الحركة الادبية فى منأى عن تدخل الحكومات ونفوذها ، وليكون الاتحاد العام للادباء العرب عبارة عن مجموع الاتحادات المتكونة فى الاقطار العربية ، فالادباء المشاركون فى المؤتمر ، فى غالبيتهم ، كانوا من ذوى المكانة الادبية المرموقة في بلادهم ، ولا داعي الى ذكر الاسماء ، مع اعتقادى بان الاسماء التي تمنى حضورها الكاتب الذى أعز ــ على جلالة قدرها ــ لا تستطيع اليوم ان تساهم في المؤتمرات وكفاها فخراً ماضيها الجليل واثرها الخالد وتقدير هذا الجيل لها تقديرا يتجدد بتجدد الايام .

أما البحوث فشانها شان البحوث التي قدمت فى المؤتمرات السابقة ولا اعدو الحقيقة ان قلت ان أكثر البحوث المقدمة فى هذا المؤتمر قد حظيت بجهد مقدميها ، ولست مسلما لأحد بأن اى اديب يمكن ان يتقدم ببحث مرتجل الى مؤتمر من المؤتمرات ، فالبحث الذى يقدمه الاديب فى مثل هذه المناسبات انما هو عنوان لاطلاعه وثقافته وادبه وفهمه وهو مقياس له ولمكانته الادبية . ولقد قلت آنفا ان المؤتمر قد خرج بقرارات هامة تجعله بحق مؤتمرا ناجحا برغم الظروف الخاصة التي تم انعقاده فيها ولست قادرا فى عجالة كهذه ان اثبت جميع قرارات اللجان وانما اكتفي بالآتي :ــ

مكافحة الامبريالية والاستعمار

قرارات وتوصيات بشان رسالة الاديب العربي فى مكافحة الامبريالية والاستعمار الجديد :

١ ــ يناشد المؤتمر ادباء وشعراء العروبة فى ان يعملوا على اذكاء الروح القومية فى الجماهير العربية وان يدفعوها

الى تحقيق الوحدة العربية أمل الامة الحقيقي .

٢ ـ ينبه الكتاب والادباء العرب الى خطورة بقاء القواعد العسكرية الاجنبية فى بعض البلاد العربية ويطالبون بوجوب تصفيتها فورا .

٣ ـ يؤيد المؤتمر بجميع قواه الجهود الرامية الى تثبيت عروبة الخليج العربي والبحرين وعمان وفضح المؤامرات الاستعمارية التي تستهدف طمس هويته العربية .

٤ ـ يطالب المؤتمر فى ان يتحرر الاديب العربي من الخوف وان يرعى امانة القلم والكلمة وان يرتفع الى مستوى المعركة المصيرية ويجهر بالرأى الصريح وينقد بشجاعة كل وضع يراه معوقا للزحف العربي نحو التحرر الكامل .

٥ ـ دعوة الكتاب والصحفيين ودور النشر الى التركيز على موضوعات الامبريالية والاستعمار الجديد وعلى تكوين المواطن العربى تكوينا اخلاقيا وقوميا مسؤولا يكفل له الصمود فى وجه مختلف الاغراءات التي يستخدمها الاستعمار .

٦ ـ التصدى بوعي وحذر لجميع الدعوات الفكرية والمذهبية والطائفية والعصبية والاقليمية الرامية الى تشويه المواطن العربي نفسيا واخلاقيا وقوميا .

٧ ـ العمل على صبغ التربية والتعليم فى البلاد العربية بالصبغة القومية وتكوين المواطن العربي الجديد الواعي لاخطار الامبريالية والاستعمار .

٨ ـ مطالبة رجال القلم فى البلاد العربية ان يترفعوا عن الابتذال فى معالجة الموضوعات القومية والاجتماعية التي تمس مصير الامة العربية والاجيال الناشئة وان تكون الموضوعات التي يعدونها للانتاج السينمائي والتلفزيوني والاذاعي متسمة بالجدية والعمق والصدق .

٩ ـ يدعو اتحاد الادباء جميع الحكومات العربية الى ان تتخذ تدابير جذرية لمكافحة الافلام السينمائية والتلفزيونية والمطبوعات الاجنبية التي تعتمد على الاثارات الجنسية الصرفة والقتل للقتل وتصوير اجهزة المخابرات والقوة العسكرية للغرب على انها لاتقهر وتقديم صور مشوهة ومفرضة عن شعوب بلاد العالم الثالث .

ومن قرارات وتوصيات رسالة الاديب العربي فى مكافحة الصهيونية اقتطف ما يأتي :ـ

مكافحة الصهيونية

١ ـ دعم المقاومة العربية في الارض المحتلة بمختلف السبل المادية والمعنوية وتوفير الطرق والوسائل لتصعيد العمل الفدائي ونشره على اوسع نطاق ممكن والدعوة الى تأييده ونصرته وازالة العقبات من طريقه ويرى المؤتمر ان كل عرقلة للعمل الفدائي او تعطيله خروج على ارادة الامة العربية .

٢ ـ يوجه المؤتمر تحيته الصادقة الى اخواننا فى النضال فى الارض المحتلة من مناضلين وكتاب وشعراء ، ويقدر لهم كل التقدير الدور البطولي الذى يؤدونه فى معركة امتهم العربية ، ويناشد الامة العربية كلها واحرار العالم جميعا ان ينصروا حركة المقاومة العربية فى فلسطين بجميع صورها واشكالها وان يقدموا لها كل عون ودعم .

٣ ـ يؤمن المؤتمر ان الوحدة العربية سلاح حاسم فى تصفية الوجود الاسرئيلي ويدعو الادباء العرب الى توعية الجماهير العربية وتعبئتها حول هذا الهدف .

٤ ـ يدعو المؤتمر الى وحدة اداة النضال والعمل الفدائي العربي بعد ان اصبح هذا التوحيد ضرورة ملحة للارتفاع الى مستوى المعركة ومجابهة العدو بكل

ما تحت تصرفه من موارد وطاقات وقدرات .

٥ ـ يوجه المؤتمر تحيته الى جنود الامة العربية الابطال الذين يرابطون على خطوط النار والذين يتاهبون بشرف ورجولة لمعركة التحرير كما يوجه المؤتمر تحية الاكبار الى شهداء معاركنا الطويلة والمستمرة مع الاستعمار والصهيونية والى كل من ضربوا امثلة البطولة فى تلك المعارك .

٦ ـ يرى المؤتمر ضرورة التصدى للحرب النفسية التي يشنها العدو علينا لاضعاف ثقتنا بانفسنا وايماننا بقدراتنا وطاقاتنا . ومقاومة عمليات التشكيك الواعية واللاواعية التى تتعرض لها امتنا العربية في جدوى تصميمنا على المضي فى معركتنا الى نهايتها الظافرة .

٧ ـ الحرية شرط اساسي للاديب لكي يمارس دوره الطليعي والطبيعي فى مكافحة الصهيونية لذلك يلتزم المؤتمر بالدفاع عن حرية الاديب فى التعبير والاطلاع وتوجيه الجماهير العربية وتوعيتها .

٨ ـ يوصي المؤتمر ان تقوم الاتحادات والجمعيات الادبية فى البلاد العربية بتوعية الجماهير العربية بحقائق القضية الفلسطينية مع التاكيد على ضرورة بقاء ابناء فلسطين فى الارض المحتلة وعدم نزوحهم منها ليؤدوا واجبهم المقدس فى مقاومة العدو الغاصب كما يوصي المؤتمر الحكومات العربية بالغاء الاجراءات المعقدة التي تعطل تحرك الفلسطينيين فى البلاد العربية اسوة بغيرهم من المواطنين العرب .

ادب المقاومة العربي

ومن قرارات وتوصيات ادب المقاومة العربي اقتطفت ما ياتي :ـ

١ ـ توصية الى الجامعة العربية والهيئات الادبية بنشر ادب المقاومة وتوصيله الى جماهير الامة العربية ، وان تتصل باجهزة التربية والتعليم فى الدول العربية لتضمين نماذج من ادب المقاومة فى برامج التعليم والنشاط المدرسي والجامعي .

٢ ـ فى تراثنا القصصي وفى السير الفصيحة والشعبية الوان مجيدة من البطولات والمقاومة يوصي المؤتمر ان يعنى الادباء باسمائها واخراجها فى ثوب عصرى يربط الماضي بالحاضر ويؤكد تاريخ الامة العربية العريق فى الكفاح والمقاومة .

٣ ـ يتوجه المؤتمر الى اجهزة الاعلام والثقافة فى الدول العربية بان تولي ادب المقاومة مزيدا من العناية مع الحرص على المستوى الفني اللازم .

٤ ـ يتوجه المؤتمر الى المؤلفين ودور النشر بالعناية بادب الاطفال والناشئة وتضمينه صورا جيدة من ادب المقاومة فى اخراج مشوق واسلوب فني جذاب يتناسب مع ميول الاطفال والناشئين .

٥ ـ يوصي المؤتمر بزيادة العناية بادب المقاومة فى الارض المحتلة من فلسطين وذلك بجمعه ونشره والتعريف بمؤلفيه وما يلقون من اضطهاد وبترجمة ما يصلح منه للترجمة .

٦ ـ التوصية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية باعتبارها المظهر البارز للشخصية العربية القومية .

واذا كنت قد قدمت لمحة سريعة عن مؤتمر الادباء السادس سواء اكانت هذه اللمحة مقنعة للناقدين والمنتقدين ام لم تكن فان الحديث الان عن مهرجان الشعر الثامن والحديث عن هذا المهرجان حديث يطول والمجلة هنا لاتحتمل الكلام الكثير فلكتابها عليها حقوق، وللصورة والاخراج حقوق وحقوق فلم تعد المجلات الثقافية كما كانت منذ ربع قرن او اكثر ، والقارىء

بعد ذلك يريد خلاصة الموضوع فوقتـه ضيق والحياة حياة سرعـة ويجـب ان يراعي السرعـة كل انسـان ، وان كان كاتبا يريد ان يتحدث الى القراء عـن موضوع ذي بال .

دعوة الشعراء العرب

وعلى اية حال فلقد وجهت الدعوة الى الشعراء العرب ليساهموا فيمهرجان الشعر الثامن ولقد قيل عنـد توجيـه الدعوة انه سيقام في الاسكندرية فظننا ان في اقامته بها غاية واعد الشعراء مـا جادت به القرائح ، وكنت واحدا ممن اعد قصيدة لهذا المهرجان، وفي القاهرة علمت اثناء مؤتمر الادباء ان المهرجان لن يقام في الاسكندرية وانما في القاهرة وفي قاعة الشـعب بمبنى الاتحـاد الاشتراكي ، فاستبشرت خيرا . فقاعة الشعب ببغداد كانت لمهرجان الشعر السابع في شباط عام ١٩٦٥ اهم الف مرة من سوق عكاظ ، فالالاف من العراقيين كانوا واقفين بعد ان امتلأت كراسي قاعة الشعب بارباب العلم والادب وبالسيـدات والانسـات اللواتي يعشقن الشعر اكثر من الملابس والعطور ومساحيق الوجه وتسريحـات الشعور ، واقتـرب موعـد المهرجـان فاخبرنا المشرفون على امره انه سيقـام (ببور سعيد) وكتبت الصحـف ذلك ولربما اذاعت الاذاعات في القاهرة هذا القرار ، ولقد قلت لنفسي ايجوز ان يقام مهرجان الشعر في بور سعيد ؟ ان المنطقة منطقة هامة يعرف هذا العدو والصديق وليس من الحكمة ان ينطلق من القاهرة الى هذه المنطقة من يستطيع ان يكتم ما يـرى ومـن لا يستطيـع ومتى كانـت بور سعيد محتاجة الى الشعر في ظرف كهذا الظرف ؟ وقبيل المهرجان بيوم واحد علمنا ان القرار قد الغي وان المهرجان سيقام بقاعة الشعب في القاهرة وبحثت في الصحف لعلي اجد كلمة حول هـذا العدول ولكني لم اجد شيئا وبقيت بين مصدق ومكذب حتى ازف يوم الاربعاء وفي مسائه اقيم المهرجان بقاعة الشعب والناس على علم بانه سيقام ببور سعيد ودخلنا القاعة ولم نجد سوى الوجـوه الكريمـة التي نعيش معهـا في فنـدق (شيرد) وجوه الوفـود وتلفت اعـد الكراسي الفارغة ثم عدلت لان بوسعي ان اعد الحاضرين بسرعة . وفكرت طويلا في تقـديم قصيـدتي « اللقاء العظيم » للاستاذ عزيز اباظـة رئيس مهرجـان الشعر وفاتحت صديقا في الموضوع كانت تراوده نفس الفكرة ولكنه استطاع ان يقنع نفسه بان الالقاء خير مادام الشعراء قد تقدموا الى الالقـاء غـير عابئين بكل الذي حدث لهذا المهرجان ولقد اقنعت نفسي بعد ذلك بالصعود لالقاء القصيدة .

الشعر والحرب

والحقيقة التي لا مراء فيها البتة ان مهرجان الشعر قد واكبه سوء الحظ من جهات كثيرة فهو اولا يقام في فترة عصيبة تعيشها الامة العربية وكل شعر في هذه الفترة مهما كان رائعا وعظيمـا لا يغني عن الطائرات شيئا ثم هو يقام في بلد يحتل العدو جزءا غاليا منه والشعب فيه لا يتحدث الا عن الجولة القادمة ولا يفكر الا في الاستعداد والتضحية بالنفس لانقاذ شرف الوطن ، ثم هـو بعـد ذلك يشاع عنه انه سيقام في الاسكندرية ثم يعلن عنه انه سيقام في بور سعيد فاذا به فجأة يقام في القاهرة . هكذا بدأ مهرجان الشعر في مساء الاربعاء ٢٠ مارس ١٩٦٨ ولم يجد الشعراء بدا من ان يقبلوا هذا الوضع وماذا عسى ان يكـون ان كتبت الهزيمة لمهرجان الشعر . اما الشعراء فقد تخلف بعضهم عن الحضور لظروف هم اعلم بها وادرى ، وفريق من هؤلاء المتخلفين له وزنه ومكانته وكان في حضوره لوحضر قوة للمهرجان ، وليس معنى هذا ان الشعراء الذين شاركوا في المهرجان

قد قصروا كما شاء ان يصور الامر واحد ممن شارك فيه في صحيفة من صحف العراق ، وانما الامر كما قلت اكثر من مرة يعود الى القلق الذى نعيشه اليوم وهو فوق طاقة الشعر ولا يستطيع الشاعر في مثل هذه الايام ان يحقق للنفوس القلقة ما تريد وان اذاب قلبه وكتب بدمائه ملاحم لا تخطر على بال ، فالناس كل الناس تستمع اليوم الى اخبار المعارك وتتبع بشوق ولهفة بطولات الفدائيين في فلسطين واستعداد هذا البلد او ذاك للجولة القادمة .

كيف نحكم على القصائد

اما الشعراء فهم فنانون شانهم شان غيرهم من الرسامين والنحاتين والموسيقيين ، والحكم على قصيدة من القصائد يجب ان يصدر عمن يعيش بوجدان صادق حياة الفن ، وما كان الشاعر في يوم من الايام ولن يكون كمهندس معماري يقال له غير رسم هذه الحجرة من الشمال الى اليمين ، واجعل حجرة الضيوف عشرة أمتار بدلا من تسعة . ولا بد لي هنا من ان اؤكد ان الدخول الى صلب الموضوع من اول شطر ليس ضروريا وبخاصة في المناسبات الكبيرة كهذه المهرجانات الشعرية ولقد خطر ببالي كما خطر ببال الشاعرين احمد رامي وصالح جودت ان الشعراء سيبداون الجدية والحماس من اول بيت ولذلك فان من المناسب جدا ان يكون للنسيب نصيب ترويحا للنفس وتهدئة للاعصاب ولقد قال الرسول الكريم « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها ان كات عميت » . ثم متى كان النسيب حتى في اقسى الظروف واشدها غير محمود ؟ الم يقف كعب بن زهير امام رسول الله وقد دخل المسجد متنكرا — وكان الرسول قد اهدر دمه — ليعتذر ويعلن التوبة فيبدأ قصيدته العصماء المعروفة بالبردة بقوله : —

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا اغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول

وبعد النسيب الرقيق يتطرق الى الموضوع فيقول : —

نبئت ان رسول الله اوعدني
والوعد عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى اعطاك نافلة القرآن
فيها مواعيظ وتفصيل

ولا تاخذ ني باقوال الوشاة ولم
اذنب وقد كثرت في الاقاويل

الى اخر ما جاء في قصيدته العصماء.

وما زالت هذه القصيدة في ذاكرة كل اديب وشاعر وهي اكثر شهرة بمطلعها الغزلي الرفيع من اسمها المعروف في بطون الكتب .

القديم والحديث

ومهما يكن من امر فان للشعراء التقليديين نهجهم وهم بهذا النهج راضون ولمن يدعون التجديد نهجهم الذى ارتضوه لانفسهم ولا تثريب عليهم ولا جناح والبقاء للاصلح . واني لمتفق مع الكاتب الذى شارك في مهرجان الشعر ثم كتب ما كتب في احدى صحف بغداد فيما قال عن العراقيين وعن شغفهم بالشعر واعجابهم بالجيد منه ، فلقد تغنى العراقيون وما زالوا يتغنون باجود ما قيل في مهرجان الشعر الذى اقيم في شباط ١٩٦٥ وهم لا يقل شغفهم بالنسيب عن شغفهم بالحماسة والدعوة الى الحرب والقتال .

واخيرا يأتي الحديث عن نزار قباني

تتمه لحديثي عن مهرجان الشعر ، ولكم وددت الا اكتب عنه مكتفيا بما كتب في صحف القاهرة وبغداد غير اني اخشى ان اتهم بعدم الدقة في سرد احداث المهرجان ، ونزار قباني شاعر يعرفه الكثيرون له مواضيعه التى لا يتعداها وبقدرة قادر يخرج نزار قباني في الصيف الماضي يكيل السباب البذيء للامة العربية باسرها زاعما ان هذا الجيل انما هو جيل السعال والقيء والزهري وان الامة العربية ما هي الاحذاء قديم ممزق ولقد كانت قصيدته تلك متجاوبة مع ما يبثه العدو الاسرائيلي من اكاذيب وافتراءات لتثبيط الهمم واضعاف العزائم ، ولقد انبرى له اكثر من شاعر وكاتب يردون عليه ويكشفون المخطط المشبوه الذى يلتقي فيه دعاة الهزيمة ومثبطو العزائم حتى كان مهرجان الشعر فى القاهرة فاذا بنزار يظهر فجاة بين الوفود فثارت ثائرة بعض الشعراء عليه واعترضوا على وجوده بينهم ، وكنت مع الاسف ممن دافع عنه ، والتمس له شيئا من العذر فيما جناه بحق الامة العربية وكنت من المصفقين له حين تقدم للالقاء وكل اعتقادى انه سيكفر عما نشره فى الصيف من سباب وشتائم وجهها الى الامة العربية من المحيط الى الخليج وهي شتائم لاتليق بشاعر عربي له الشرف العظيم بالانتساب الى الامة العربية العظيمة وقلت لنفسي ولبعض الزملاء لا شك ان الصمود العربي قد ايقظ ضميره ، ولا بد ان الكفاح المسلح فى الارض المحتلة ، واستعداد بعض الدول العربية استعدادا عسكريا ممتازا سيوحيان اليه بقصيدة تسر النفس وتملؤها بالثقة والامل والتطلع نحو النصر .

نزار قباني يصف نفسه

ولكن نزار قباني بدلا من ان يخرج من جيبه هذه القصيدة التي نريد اخرج من جيبه مرآة ونظر فيها ثم اخذ يصف نفسه. فالسباب البذيء والشتائم المقذعة والاوصاف غير المؤدبة التي كالها للشعراء والادباء لا تصلح لاحد سواه ولاتليق باحد غيره ، ولقد صعق الحاضرون لهذا الاستهتار الغريب وتطلعوا الى من يقوم للرد عليه ، وانتظرت حتى جاء دورى فالقيت قصيدتي « اللقاء العظيم » ثم استاذنت رئيس المهرجان للتعليق على ما جاء فى قصيدة نزار وقلت ما قلت دفاعا عن كرامة الشعراء والادباء .

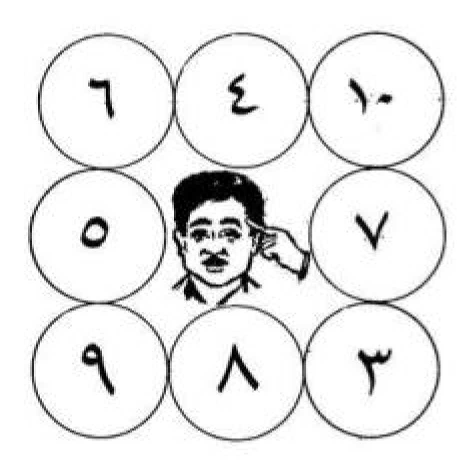
وفى اليوم التالي ردت عليه الشاعرة ملك عبد العزيز بقصيدة ممتازة ورد عليه شاعر فلسطين هارون هاشم رشيد وثالث ورابع من الشعراء ثم تناولته الصحافة .

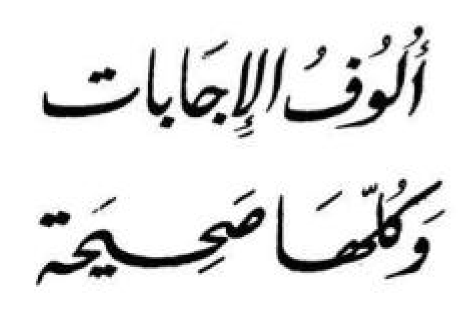
وفي اعتقادى ان الرجل طالب شهره ومن اجل هذه الشهرة لجا الى هذا الاسلوب الذى ترحب به اسرائيل ويطرب له الاستعمار لتشكيك العرب في قدرتهم على الكفاح والصمود ، بتثبيط عزائمهم، وبزعزعة ثقتهم بانفسهم وباضعاف ايمانهم بالمخلصين من قادتهم ، والدول تدفع الملايين لشن الحرب النفسية على اعدائها ، ولقد كانت وما زالت الحرب النفسية من اخطر الحروب .

■■

الكويت ـ **أحمد السقاف**

نتيجة مسابقة العدد ١١٣





■ تميزت نتيجة مسابقة هذا العدد بكثرة الاجابات ، التى وصل عددها الى ما يزيد على سبعة آلاف اجابة .. جاءتنا من البلاد العربية والاجنبية ، وقد أجاب معظم المتسابقين اجابات صحيحة. وأجريت القرعة فكانت الجوائز من نصيب هؤلاء :

● الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

خالد عبدالمحسن التريكى ــ السعودية ــ طريق بالزلفى .

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

الطالب الصديق ــ ٨ ساحة مفوض الشرطة ــ جورندون ــ وهران ــ الجزائر .

● الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :

محمد سبع العيش ــ شارع الملك حسين ــ عمان ــ الاردن .

● ٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :

١ ــ خالد محمد عبد العزيز الجاسر ــ الكويت ــ ص.ب ٢٥٩٠ .

٢ ــ جمال الدين عبد العظيم احمد عويس ــ البلينا ــ الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ــ محمد أبو القاسم عطا المنان ــ أم درمان ــ السودان .

٤ ــ وليد عبد الله حداد ــ اللاذقية ــ سوريا .

٥ ــ جهينة احمد شهاب الدين ــ جامعة بغداد ــ العراق .

٦ ــ خلفان خميس عبد الله ــ ص.ب ١٤٠ ــ مسقط ــ عمان .

٧ ــ محمد الريس ــ ميناتوكو ــ طوكيو ــ اليابان .

٨ ــ لطيفة ابو سلمى ــ تونس ــ الجمهورية التونسية .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها .

■■



هذا هو رجل السلام الذى قتلوه !

● كان الوقت ليلا ، واضواء النيون تتلألأ فى سماء مدينة واشنطون الامريكية ، وكان يمشي وحده ، وقد حمل باحدى يديه لفافة صغيرة ، بينما امسك بيده الاخرى كتابا .. وكان يقف احيانا ثم يقترب من احدى واجهات المحال التجارية ويتطلع فيها باهتمام وكأنه يبحث عن شيء بين المعروضات التي صفت فيها !

وفجأة احس الرجل بيد قوية تربت على كتفه بعنف فتهز جسمه هزا . وقال صاحب اليد فى صوت خشن : « انت ايها الزنجي ، انني ابحث عن محل لبيع التبغ فى هذا الشارع . هل لك ان تدلني عليه ! »

وابتسم الرجل الزنجي فى هدوء وقال : « آسف جدا ، يا سيدى فانا غريب عن هذا البلد مثلك تماما ! »

وقال الرجل الآخر فى غضب شديد : « مثلى تماما ، هل جننت ؟ انا لست غريبا عن اى بلد ، فكل بلد فى امريكا بلدى لانني رجل ابيض ، اما انت ، فكل بلاد امريكا غريبة عليك ، لانك اسود ولو كنت مكانك لعدت فورا الى بلادى فى احراش افريقيا ! »

وعاد الرجل الاسود يقول فى هدوء : « سافعل ذلك ، فان لي اخوة هناك فى جنوب افريقيا .. وهم ايضا يتألمون مثلى ! »

وثار الرجل الابيض ، وضم يده الثقيلة ليوجه بها لكمة قوية الى فك الرجل الاسود ، سقط على اثرها على الارض والدماء تنزف من فمه بغزارة !

وتجمع الناس وجاء رجال البوليس لينقلوا الرجلين الى مركز الشرطة .

وعلى مقعد صغير جلس الرجل الاسود يمسح دماءه . وبدأ الضابط يحرر محضرا بالواقعة ، ولكنه احس بيد تمتد اليه فى رفق وصوت يقول فى حزم : « لا ! لقد عفوت عنه . انا الان بخير . ولم يصبنى اذى كبير . وأريد ان انصرف لاننى على موعد هام ! »

وفجأةتذكر شيئا راح يبحث عنه كالمحموم . انها اللفافة الصغيرة التى كان يحملها ، ولم يجدها فى يده !

وقدمها له الشرطى الذى كان اول من وصل الى مكان الحادث ، وقد تمزق الورق الملون الذى كان يلفها ، ففتحها ليعيد لفها من جديد ! كانت « عروسة » صغيرة اشتراها منذ ساعات قليلة ليقدمهاهدية لطفلة سوداء فى عيد ميلادها الرابع.

ولم يكن لون العروسة أسود ، وانما كان ابيض ، لان الطفلة السوداء لم تكن تحب الاطفال البيض كثيرا لانهم يرفضون أن يلعبوا معها ! وهو يريد ان يعلمها كيف تحبهم !

قناة السويس ستظل شرياناً مائياً حيوياً

● بعض الدوائر تحاول ان تهون من امر استمرار اغلاق قناة السويس ، ذلك الشريان المائي الحيوى الذى يربط ما بين الشرق والغرب ! فتارة تقول ان ناقلات البترول الضخمة التي تستطيع ان تنقل اضعاف الكميات التي تنقلها الناقلات الصغيرة ، قد عوض الزيادة في اسعار الشحن . وتارة اخرى تقول ان الدول



هذا هو مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجي الامريكي الذى قتلوه منذ شهور مضت. الرجل الذى فاز بجائزة نوبل للسلام .. تقديرا لدعوته الى نبذ العنف وحل مشاكل زنوج امريكا بالحب وبالمنطق .

البحرية قد تعلمت ان تنقل تجارتها كما لو كانت قناة السويس غير موجودة !

ولكن الحقيقة غير هذا الادعاء . فالارقام تؤكد ان خسائر الدول البحرية التي تعتمد على السفن في نقل تجارتها ، في ازدياد مستمر .

وفى نبأ نشرته صحيفة التايمز اليابانية ، جاء أن الزيادة في أسعار الشحن قد كلفت اليابان مبلغا يتراوح بين ٢٠٠ مليون و ٣٠٠ مليون دولار خلال الفترة الواقعة بين ٦ يونيو عام ١٩٦٧ ، وهو اليوم التالى مباشرة للعدوان الاسرائيلي على الامة العربية ، وبين اول مارس من العام الحالي . وقد ادى هذا بدوره الى زيادة العجز في الميزان التجارى في اليابان الى ١٢٠٠ مليون دولار خلال السنة المالية الحالية .

وقالت الصحيفة ان اسعار الشحن قد تضاعفت تسع مرات منذ اغلاق قناة السويس ، كما بدا سباق محموم بين دول اوربا الغربية ، وهي الدول التي تعتمد اعتمادا كليا على بترول الشرق الاوسط ، للفوز باكبر عدد ممكن من الناقلات الضخمة التي تستطيع أن تحمل اليها ما يكفيها ويسد حاجتها من البترول عبر طريق رأس الرجاء الصالح .

ومضت الصحيفة اليابانية تقول ان الدول البحرية لم تكن مستعدة لمواجهة الموقف الناجم عن اغلاق قناة السويس ، ونتيجة لذلك فان عدد الناقلات الضخمة وسفن الشحن التجارية التي شرعت هذه الدول في انتاجها لم تكن كافية لمواجهة الطلبات المتزايدة من جانب الدول البحرية التي تريد تسويق تجارتها من الشرق الى الغرب وبالعكس . وكان من نتيجة ذلك ان تكدست السلع فوق ارصفة الموانىء في انتظار الفرج !



الدول النامية تطالب بإنشاء أسطول تجاري لها يدفع عنها استغلال أهل الغرب

● بعد ان عقد مندوبو ١٢١ دولة ٩٦٠ اجتماعا استمرت حوالي شهرين في بداية هذا العام واستغرقت محاضر جلساتها ٢٨ مليون صفحة من الورق الكبير . اختتم مؤتمر التجارة والتنمية الدولي التابع للامم المتحدة والذى انعقد في نيودلهي اجتماعاته بقرارات اقل ما يقال عنها انها كانت مخيبة للامال التي عقدتها شعوب الدول النامية على هذا المؤتمر .

ومع ذلك فان هناك واحدا من هذه القرارات تسبب في رد فعل عنيف بين شركات الملاحة العالمية .. وينص هذا القرار على دعوة الدول المتقدمة الى مساعدة الدول النامية على تكوين اساطيل تجارية خاصة بها وان تقوم ببيع السفن التجارية الى هذه الدول على ان يكون تسديد ثمنها على آجال طويلة وبفوائد صغيرة . واوصى المؤتمر ايضا بعقد مؤتمر ملاحي لبحث تخفيض اسعار الشحن التي تعتبرها الدول النامية اسعارا باهظة بالنسبة لها وكذلك تخفيض اسعار التامين واعادة التامين بالنسبة للبضائع المصدرة او المستوردة من والى الدول النامية .

وما ان سمع اصحاب الشركات بقرار عقد مؤتمر ملاحي لبحث تخفيض اسعار الشحن والتامين حتى دقوا ناقوس الخطر .. وعقدوا اجتماعات بينهم وذلك ليتخذوا موقفا موحدا تجاه هذا الخطر الذى يهدد أرباحهم الخيالية .

ان الصيد الثمين يوشك ان يفلت من بين شباكهم . فهو سيسعى اولا لتخفيض اسعار الشحن .. ثم يبدأ في تكوين اسطول تجارى خاص به وبذلك يوجه ضربتين قاضيتين لهذه الشركات التي كانت تعتمد على استغلال هذه الدول الفقيرة لتحقيق ارباح كبيرة ! ! .. وتحاول الشركات الملاحية الان ان توقف عملية بناء سفن تجارية جديدة للدول النامية عن طريق تقديم طلبات شراء من الدول التي تبنى السفن بشروط اكثر سخاء من العروض التي تتقدم بها الدول الفقيرة التي تحاول ان تنمو .

وهكذا الدنيا عراك . بين الفقر والغنى وبين الضعف والقوة .

أعلى سلطة صهيونية في إسرائيل

● زار الجمهورية العربية المتحدة أخيرا الدكتور وليام ماليسون William malison استاذ القانون الدولي في جامعة جورج واشنطون، ومستشار المجلس الامريكي لليهودية . وفي مقر جامعة الدول العربية في القاهرة ، القى ماليسون سلسلة من المحاضرات عن الحركة الصهيونية العالمية . قال الاستاذ الامريكي اليهودى :

« ان اعلى سلطة صهيونية موجودة في اسرائيل نفسها ، وهي تتمثل في المجلس الذى يطلق عليه اسم « مجلس التنسيق » ، ويضم ممثلين للصهيونية وللوكالة اليهوديةوللوزارة الاسرائيلية.

« ومهمة هذا المجلس تخطيط اهداف

جاجارين رائد الفضاء الأول كان يخشى الطائرة !

● عندما هبط يورى جاجارين Yuri Gagarin الى الارض عائدا من رحلته التاريخية الى الفضاء ، وقف الكسندر نسميانوف Alexander Nesmeyanov رئيس اكاديمية العلوم السوفييتية فى حفل الاستقبال الرسمي الذى اقيم لرائد الفضاء الاول يقول : « الان اصبح الطريق الى الكواكب الاخرى ممهدا . ان رحلة جاجارين قد فتحت صفحة جديدة لا فى تطور العلوم فحسب ، بل وفى تاريخ البشرية كلها . »

وكان هذا يوم ١٢ ابريل من عام ١٩٦١ عندما انطلقت سفينة الفضاء السوفييتية ، اول سفينة من نوعها فى التاريخ تحمل انسانا وتدور به فى الفضاء دورة كاملة حول الكرة الارضية ، وقطعت الرحلة فى ١٠٨ دقيقة !

وانطلقت بعد سفينة جاجارين ، عشرات السفن السوفييتية والامريكية تحمل رجالا فى رحلات طويلة استغرقت اياما .. وخرج الرجال من سفنهم وسبحوا فى الفضاء ثم عادوا اليها .. ولكن بقيت « فوستوك ١ » وهو اسم السفينة الرائدة .. وبقي اسم جاجارين ، عالقا بالاذهان فى جميع انحاء الدنيا !



سالوه يوما وهو يقوم بجولاته وزياراته التي طاف خلالها بدول العالم كلها غربا وشرقا كسفير فوق العادة لبلاده : « منذا كان شعورك وانت جالس فى سفينتك ؟ »

فقال : « انا طيار هاو وكنت احب الطيران دائما ، ولكنني كنت اخشاه ! اما فى هذه الرحلة الطويلة القصيرة ، البعيدة القريبة ، فقد احسست لاول مرة بان الخوف قد فارقني . لقد كنت اشعر اننى نائم فوق فراش وثير ، واحلق فى دنيا اخرى غير تلك التى اعتدت عليها خلال رحلاتي بالطائرة ! »

حتى اذا جاء ٢٧ مارس عام ١٩٦٨ ، لقى جاجارين حتفه ..

ولكن كيف ؟

شاء القدر ان لا يموت فى مركبة فضائية .. ولكن ان يموت محطما فى طائرة ارضية . الطائرة التى كان يخشاها . ■■

الصهيونية العالمية ، وفى مقدمتها تجميع اليهود الذى تنطبق عليهم مواصفات معينة ، ثم تجنيدهم لنشر اهداف الحركة الصهيونية وتهجير اعداد كبيرة منهم الى اسرائيل ! »

وقال ماليسون : « ان اغلبية الشعب الامريكي يمكن ان يقال عنها انها مؤيدة لليهود بشكل عام ، لاعتبارات كثيرة ، ولكن لا يمكن ان يقال عنها انها مؤيدة للصهيونية بالرغم مما يدعيه زعماء الحركة الصهيونية ، بانهم يتحدثون باسم اليهود جميعا . »

من أنا .. هل تعرفني ؟

١٠ أسئلة .. وجوائز ١٠٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في الاجابة على سبعة أسئلة من مجموع عشرة أسئلة ، نقدمها لك على هذه الصفحة .. انها أوصاف تعبر عن شيء محدد، والمطلوب منك قراءة الاوصاف ومعرفة أسماء هذه الاشياء التى تعبر عنها :

١ **انا اعلى جبل في اليابان ، يبلغ ارتفاعي ٣٧٧٨ مترا . كنت بركانا ثائرا حتى عام ١٧٠٧ هدات بعدها، واصبحت الجبل المقدس في اليابان ، ومقصدا للسياح .. فمن انا ؟**

كليمنجارو ــ افرست ــ فوجي ياما

٢ **في يوم ٢٥ يونيو ١٨٥٧ كنا في طريقنا من زنجبار الى النيل نبحث عن منابعه وكان معي زميلي ريتشارد فرنسيس بيرتون .. ووصلنا الى بحيرة تنجانيقا ، واعتقد زميلي بيرتون انها منبع النيل ، ولكني تابعت سيري بمفردي حتى وصلت عام ١٨٥٩ الى جنوب بحيرة فيكتوريا نيانزا .. وفي عام ١٨٦١ قمت برحلة ثانية من زنجبار مع جيمس أوجست جرانت ، قاصدين شمال بحيرة فيكتوريا ، ولكني انفصلت عن زميلي جرانت ، وتابعت سيري شمالا حتى اكتشفت لأول مرة منبع النيل عند خروجه من بحيرة فيكتوريا .**

فمن أنا ؟

ستانلي ــ ليفنجستون ــ سبيك . Stanley - Livingstone - Speke

٣ **ولدت في النمسا عام ١٨٨٩ وأصبحت رئيسا لأقوى دولة في عام ١٩٣٤ ومن عام ١٩٣٩ اجتاحت جيوشي كل دول أوروبا تقريبا ، ثم ساء حظي وغلبت على امري . وفي عام ١٩٤٥ فضلت الانتحار على أن أقع في أيدي الاعداء ..**

فمن أنا ؟

٤ **هناك العديد من الكواكب السيارة التى تدور حول الشمس ، ولكني اتميز عنها جميعا باني ابعدها عن الشمس ، وقد اكتشفني اهل الارض عام ١٩٣٠، ويقدرون المسافة التي بيني وبين الشمس بنحو ٣٦٧١ مليون ميل ..**

فمن أنا ؟

المريخ ــ بلوتو ــ نبتون .

٥ **اما انا ، فاني اقرب الكواكب السيارة الى الشمس ، واكاد احترق من ذلك ، وحاول الانسان ان يراني ما حاول فلم يستطع ، لان حولي غلافا كثيفا يمنع رؤية سطحي . والمسافة بيني وبين الشمس لا تتعدى ٣٦ مليون ميل تقريبا .. فمن انا ؟**

الزهرة ــ عطارد ــ زحل .

٦ أنا حيوان أعيش في البحر بين الأسماك ، ومع هذا فانى الد الأولاد ، ولى أثداء .. فانا اعيش في بيئة السمك ، ولست بسمك ! .. وحجمى أكبر الأحجام ، ومع هذا لا افترس السمك ، انما طعامى كل ما يطفو في الماء من صغار الكائنات المعروفة بالطافيات .. فمن أنا ؟

٧ أنا مادة للبناء لا يستغنى اليوم عنى اى بَنّاء ، ولا أخرج الى الوجود الا بعد المرور بنار اشبه بنار جهنم ، وانا أصنع من الحجر الجيرى والطفل .. فمن أنا ؟

٨ أنا شاعر عربى عشت في كنف احد الأمراء الذى اتخذ من حلب الشهباء عاصمة ، وحارب الروم وحاربته ، وحضرت الكثير من وقائعه وسجلتها بقصائدى ، ثم اختصمت معه ورحلت عنه .. واستدعانى اليه ، فقلت قصيدتى التى أولها :

اتانى الكتاب أبرُّ الكتب ... فطوعا لأمر أمير العرب
وشوقا له وابتهاجا به ... وانْ قصَّر الفعلُ عما وجب

ومع هذا لم اعدْ اليه خشية من حسادى الذين كانوا حوله فمن أنا ؟!

٩ نحن ثلاثة فلاسفة من فلاسفة اليونان كل جيل بعدنا ظل يذكرنا، واحدنا اسموه « المعلم الاول » وبقيت تعاليمه تدرس الى نحو القرن الخامس عشر.. فمن نحن ؟

١٠ أنا بحر أفصل بين قارتين ، واصل بين بحرين ، واقع في بلاد أكثرها عربية ، وطولى ١٤٠٠ ميل ، واقصى عرض لى ٢٣٠ ميلا ، واسمى مضلل ، لا يعبر عن حقيقتى .. فمن أنا .. ؟

بحر العرب ــ البحر المتوسط ــ البحر الاحمر .

شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ أكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلةالعربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٥ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز)١٩٦٨ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا .. **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ **جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



صفحة من الطب المصور

الأحشاء

■ الاحشاء ، ومفردها الحشا ، هي كل ما ملأ بطن الانسان (او الحيوان) وصدره من اعضاء . وبديهي انه جاء من الفعل ، حشا يحشو .

والاحشاء تتضمن اجهزة خطيرة عدة منها في الصدر القلب ، وهو المضخة التي تدور بالدم فى الجسم كله ، ليمتص الغذاء حيث يكون امتصاصه ، ويتحمل فى الرئة باكسجين الهواء ، ويوزع من هذا وذاك على بقاع الجسم كلها ، ويحمل عنها نفايا الاحتراق .

ومن الاحشاء الجهاز التنفسي ، وهو في الصدر كذلك ، ويتضمن الرئتين . والرئتان ضما بينهما القلب لقرب ما بينهما وبينه من اتصال . والقصبة الهوائية هي بالطبع بعض هذا الجهاز ، فهي تصل الرئتين بالفم فبهواء الجو .

ومن الاحشاء الجهاز الهضمي ، ويبدأ بالفم فالمريء فالمعدة فالمعاء الدقيق فالمعاء الغليظ ، فالمستقيم ، فالاست . وقليله فى الصدر ، والكثير الاكثر فى البطن .

ومنها الكبد ، وهى اقرب ما تكون ارتباطا بالجهاز الهضمي ، وهي تفرز ما يساعد الهضم ، وهى تغيّر من الطعام وتختزن . والكبد اكبر غدة فى الجسم ولها وظائف شتى حتى لسميت بمختبر الجسم الاول والاكبر ، ومع الكبد حويصلة المرارة وهي تختزن الصفراء .

ومنها الجهاز البولى ، واساسه الكليتان ، يمر بهما الدم فترشح منه الماء ، ومعه بقايا التفاعلات الكيماوية الحيوية التي تجرى فى الجسم ، وهي بقايا لابد من خروجها منه والا تسمم . والذى ترشحه الكليتان ، وهو البول ، يسير ليتجمع فى المثانة .

وهناك الطحال .

وهناك البنكرياس .

والصورة المرفقة تمثل ما يراه الرائي لو جاز لنا ان نشق صدر رجل وبطنه من امام ونفتحهما فتح الباب بشقيه شق الى اليمين وشق الى اليسار .

عند ئذ لانرى من الاحشاء الا ما نراه هنا .

ويلاحظ اختفاء المعدة خاصة ، وهي تظهر وتختفى كلما امتلات او فرغت ونلاحظ طغيان الكبد على الصورة وهى لهذا اقرب الى الجس من ظاهر الجلد من كثير من الاحشاء .

●●

اعْرِفْ جِسْمَكَ فَهُوَ أَقْرَبُ الأَشْيَاءِ إِلَيْكَ





معهد الكويت للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي

■ التخطيط اساس البناء ... فهو عملية تنظيمية شاملة لكل بلد يريد ان يأخذ بأسباب التقدم والازدهار على اسس علمية سليمة ... والكويت ، شأنها في ذلك شأن بقية دول الوطن العربي الكبير ، تمر اليوم بمرحلة البناء ... وقد خطت في ذلك خطوات واسعة مذهلة خلال سنوات لا تزيد على اصابع اليد الواحدة .

واذن كان لابد من ارساء قواعد هذا البناء وانطلاقا من هذه النظرية العلمية انشأت حكومة دولة الكويت ، معهد الكويت للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، رغبة منها في تقديم خدمات في التدريب والبحوث التخطيطية لها وللدول العربية المجاورة .

وقد اقيم المعهد في اوائل عام ١٩٦٦ ، بمساعدة من برنامج الامم المتحدة للتنمية (الصندوق الخاص) ، واسندت للامم المتحدة ادارة المشروع خلال السنوات الخمس الاولى (١٩٦٦ - ١٩٧١) . كما عينت المنظمة الدولية مديرا للمعهد ، مسئولا تجاهها عن توجيه وتنفيذ المشروع ضمن اطار خطة العمل المعتمدة .

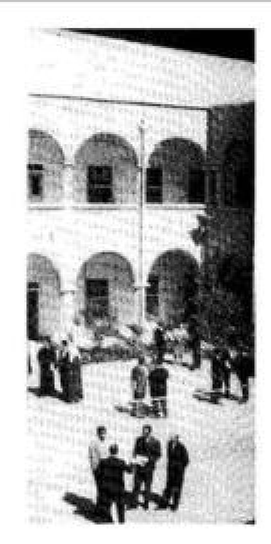
مساهمة الكويت

وساهمت حكومة الكويت في المشروع بمبلغ ٦ ملايين و ٩٠٠ الف دولار ، وعينت مديرا ثانيا للمعهد . وتشتمل هذه المساهمة على تعيين اعضاء الهيئة الادارية للمعهد ، والمساعدين لهيئة التدريب الدولية ، وتقديم المنح الدراسية للذين يقع عليهم الاختيار للاشتراك في الدراسة التدريبية ، وشراء المعدات الخاصة بالمعهد ، والاموال اللازمة لاقامة المباني الخاصة بالمقر الدائم له .

اما الصندوق الخاص لبرنامج الامم المتحدة فقد ساهم بمبلغ ٩٠٤ الف و ٦٠٠ دولار خلال نفس المدة ، قبل تسليم المشروع نهائيا لحكومة الكويت .

نشاط المعهد

وهكذا بدأ معهد الكويت للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي نشاطه في شهر اكتوبر من عام ١٩٦٦ ،



الى اليمين : معهد الكويت للتخطيط هيئة ذات استقلال ذاتي ، ويشرف على سياسته مجلس الأمناء مكون من تسعة اعضاء ،يتولى وضع برامج العمل السنوية للتدريب والبحوث ويقر اللوائح والتنظيمات الخاصة بالمعهد ، ويرأس المجلس سعادة صالح عبد الملك الصالح وزير التربية ، ويضم مدير عام مجلس التخطيط ومدير عام الصندوق الكويتي للتنمية العربية ووكيل وزارة المالية والنفط ووكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ووكيل ديوان الموظفين ومديرى المعهد . ويحضر اجتماعات المجلس ممثل الامم المتحدة فى الكويت بصفة مراقب .



المتدربون فى معمل الاحصائيات ، اثناء عملهم على الماكينات الحاسبة تحت اشراف احد المدربين الكويتيين.

وحضر الدورة الدراسية التدريبية الاولى ٢٧ موظفا من العاملين فى الادارات الحكومية والهيئات العامة المسئولة عن تخطيط برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتنفيذها فى الكويت.

وفى اكتوبر من عام ١٩٦٧ بدأت الدورة التدريبية الثانية ، وكان معظم المتدربين فيها من الدول العربية الشقيقة ، فقد ضمت مجموعة من الموظفين العاملين فى مجال التخطيط من خمس دول عربية ، تحقيقا لرسالة المعهد التى تهدف الى حل مشكلة ندرة الافراد المدربين والمتخصصين فى مجالات التنمية والتخطيط الاقتصادى والاجتماعي، واعداد البرامج وتنفيذها .

وضمت الدورة التدريبية الثانية التى تنتهي فى شهر يونيو القادم ، ثلاثة موظفين من المملكة العربية السعودية ، واربعة من العراق ، وخمسة من الاردن ، واثنين من لبنان ، واربعة من السودان واثنين من الكويت .

المرشحون للتدريب

فال لنا الاستاذ سليمان المطوع المدير الثانى للمعهد المعين من قبل حكومة الكويت : « ان اختيار المرشحين لهذه المنح التدريبية يتم وفقا لشروط خاصة ، فيشترط فى التقدم لبرنامج



المتدربون في مكتبة المعهد التي تحوي عددا كبيرا من المراجع العلمية والمطبوعات التي ترد اليها من الأمم المتحدة مباشرة ، الى جانب الكتب التي يشتريها المعهد من الاعتمادات التي خصصتها حكومة الكويت ضمن مساهمتها في المشروع . ومن المنتظر ان تصبح المكتبة بمعداتها الحديثة ومستوى اعدادها من أحسن المكتبات ومراكز التوثيق في التخطيط والتنمية في الشرق الاوسط .

●

في قاعة المحاضرات جلس المتدربون أمام مكاتبهم يستمعون الى محاضرة يلقيها أستاذ الاقتصاد الهندي باللغة الانجليزية.

الأساتذة وموظفو المعهد
العربيات، يتناولون الشا





وأعضاء هيئة السكرتارية من السيدات والآنسات والقهوة في فترة الراحة التي تستغرق نصف ساعة.



في حديقة المعهد وقف الاساتذة والمتدربون يتبادلون أطراف الحديث
الصورة مديرا المعهد الدكتور محمود الشافعى والاستاذ سليمان المطو



التدريب النظامي ان يكون حاصلا على مؤهل جامعي او ما يعادله في فرع او اكثر من الفروع المتصلة بمجالات التدريب في المعهد ، ويفضل من تكون مؤهلاته في علوم الاقتصاد والاجتماع وادارة الاعمال والعلوم التجارية والهندسية والاحصاء .

ولو ان المعهد يملك حق قبول غير الحائزين على مؤهلات جامعية في احوال خاصة ، اذا توافرت لديهم من الخبرة والمران ما يغني عن تلك المؤهلات ولكن هناك شرط اساسي في المرشح، وهو ان يجيد اللغتين الانجليزية والعربية ، فهما اللغتان الرئيسيتان المستخدمتان في التدريس بالمعهد . كما يشترط في المتقدم ان ترشحه احدى الوزارات او البنك المركزي او احدى الهيئات الحكومية الاخرى في البلد التابع له .

الشرق الاوسط وافريقيا

ويتكفل معهد الكويت باستضافة المتدربين الذين سيقع عليهم الاختيار ، وكذلك نفقات سفر المتدرب من بلده الى الكويت والعودة بالطائرة ، وتوفير السكن والغذاء والمواصلات ، طوال فترة التدريب ، وهي تسعة اشهر .

ويخدم الدول العربية والافريقية معهدان ، اشتركت الامم المتحدة في انشائهما . وهما المعهد الافريقي في داكار ، ويخدم الدول العربية في افريقيا ، والدول الافريقية الاخرى ، ثم معهد الكويت للتخطيط لدول الشرق الاوسط . وهو الاول من نوعه في هذه المنطقة ، وذلك لان معهد التخطيط القومي في القاهرة انشأته حكومة الجمهورية العربية المتحدة بدون مساعدة من الامم المتحدة .

قلنا للدكتور محمود الشافعي ، المدير المعين من قبل الامم المتحدة ، والمسئول عن توجيه تنفيذ المشروع خلال السنوات الخمس الاولى : « لاحظنا ان هناك خمسة متدربين من السودان الشقيق ، فلماذا اختاروا معهد الكويت لدول الشرق الاوسط ، ولم يلتحقوا بالمعهد الافريقي في داكار ، وهو اقرب اليهم من المعهد الكويتي » ؟

صندوق الكويت للتنمية العربية

فقال الدكتور الشافعي : « ان اختيار متدربين من خارج منطقة الشرق الاوسط يخضع لنظام المعونات التي يقدمها صندوق الكويت للتنمية العربية ، لدول عربية خارج المنطقة الجغرافية للشرق الاوسط . والسودان يحصل على قروض من الصندوق الكويتي . وما حدث بالنسبة للمتدربين السودانيين ، يمكن ان يحدث لاى دولة عربية اخرى يقوم الصندوق بتقديم قروض مالية لها » .

وحدثنا الدكتور الشافعي عن الدراسة التدريبية بالمعهد ، فقال : « الواقع ان الدراسة ليست قاصرة على البرنامج النظامي ، ولكنها ايضا تشتمل على برامج خاصة في صورة ندوات وحلقات مناقشة . ففي عام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ ، عقد المعهد برنامجين نظاميين ، استغرق كل منهما اربعة اشهر ، وحضر البرنامج الاول ٤٤ متدربا ، وحضر البرنامج الثاني ١٧ متدربا . وكلهم من الموظفين المسئولين في حكومة الكويت . وكان موضوع البرنامجين ، التخطيط العام » .

برنامجان للتدريب

كما اقام المعهد في نفس هذه السنة الدراسية برنامجين للتدريب الخاص ، احدهما ندوة اقتصاديات البترول . وحضرها ٣٦ متدربا كويتيا من وزارة النفط وشركات البترول العاملة بالكويت . والثاني ندوة عن مشاكل التنمية والتخطيط ، وحضرها ٥٥ متدربا ، كلهم من الوزارات والمؤسسات العامة بالكويت .

وننتقل الى المحاضرات في البرنامج النظامي ، وهي ذات جانبين ، جانب نظرى عام ، وجانب تحليلي لمشاكل التنمية والتخطيط في الدول العربية ، ودراسات لحالات قائمة بالفعل في بعض الدول العربية في الشرق الاوسط . اى ان المحاضرات تشمل الجانب النظرى والتطبيقي في آن واحد . وهذه المحاضرات اساسها التخطيط الاقتصادى والاجتماعي في الدول النامية ، وبعض الدول المتقدمة التي تتبع اسلوب التخطيط القومي في تنمية مواردها . والتخطيط الاقتصادى يشمل بطبيعة الحال ، التخطيط الصناعي والزراعي والمالي . اما التخطيط الاجتماعي فيشمل التعليم والقوى العاملة والخدمات الاجتماعية الاخرى .

هية التدريس

وتتألف هيئة التدريس بمعهد الكويت من



في قاعة الاستراحة الخاصة بالمتدربين، يقضي المتدربون نصف ساعة كل يوم في شرب الشاي ومباريات الشطرنج وكرة الطاولة وغيرها من وسائل الترفيه.

ستة اساتذة دائمين ، بما فيهم مدير المعهد ، واحد هؤلاء الاساتذة عراقي والثاني امريكي والثالث لبناني ، والثان من الهند . هذا الى جانب الاساتذة الزائرين من الامم المتحدة الذين يستضيفهم المعهد . والاساتذة من الكويت والخارج ، الذين يدعوهم المعهد للاشتراك في حلقات المناقشة .

اما المتدربون فيمنحون شهادات في نهاية السنة الدراسية ، ويشترط للحصول على هذه الشهادة ان يحضر المتدرب ٨٠٪ على الاقل من المحاضرات وحلقات المناقشة ، فضلا عن تقديم بحث في احدى المشاكل التخطيطية او الانمائية في البلد الذى ينتمي اليه . ثم يناقش هذا البحث ، ويمنح صاحبه الشهادة اذا وجد المعهد ان البحث جيد ، وان المتدرب قد وصل فيه الى المستوى المطلوب .

استشارات في مشاكل التخطيط

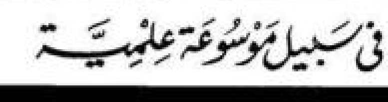
وحدثنا الاستاذ سليمان المطوع المدير الثاني للمعهد ، قال : « الواقع ان نشاط المعهد لا يقتصر على الدراسات التدريبية والندوات وحلقات المناقشة ، وانما يشمل ايضا تقديم الاستشارات في كل ما يطلب اليه في مجال التخطيط للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة بدولة الكويت وغيرها من الدول العربية الاخرى ، بناء على طلبها ، لمساعدتها في حل مشاكل معينة في مجالات التخطيط والتنفيذ . وقد قام المعهد بالفعل باعداد دراسة عن التعليم في منطقة الخليج ، بناء على طلب الهيئة العامة للجنوب العربي والخليج . كما يعمل المعهد الآن بالاشتراك مع مجلس التخطيط الكويتي في الاشراف على تنفيذ الخطة الخمسية الاولى لدولة الكويت .

مستقبل المعهد

وقال الاستاذ سليمان المطوع : « اننا نتطلع بثقة الى الدور الكبير الذى سيقوم به معهد الكويت في المستقبل ، بعد ان يتم بناء المقر الدائم له في منطقة الشويخ . فقد قدمت حكومة الكويت الارض اللازمة للبناء الذى اوشك المهندسون على الانتهاء من وضع تصميمه ، وسيبدأ العمل فيه بمجرد موافقة وزارة الاشغال العامة عليه » .

« ان هدفنا الآن هو نشر رسالة المعهد في الدول العربية كلها . وسيتحقق ذلك عندما يعود المتدربون الى بلادهم ، وتلمس حكوماتهم المساهمة الفعالة التى سيقومون بها في مجال التخطيط » .

(م ٠ ن)



بصمات الأصابع

بين الشرطة والعلم

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ امراة سائرة في الطريق ، لقيها رجل فتحدث اليها ثواني ، ثم اذا به يخطف حقيبة يدها ويولى الادبار . وتصرخ المراة . ولكن الرجل كانت تنتظره سيارة ما أسرع ما اختفت به . ولم يتبين الناس من أمر السيارة شيئا .

ويأتي رجال الشرطة يبحثون .

ان طريقة الشرطة في ذلك انها تحتفظ لديها باسماء كل المجرمين بالحى ، وتعلم ان المجرم لا بد عائد الى مثل جريمته ، واذن يكون اول ما تفعله ان تعرض على المراة صاحبة الحقيبة صورا من هؤلاء المجرمين لعلها تتعرف على احدهم وتقول نعم هذا هو الخاطف . وقد تحضر الشرطة بعض المشبوهين ، وقد تخلطهم بغيرهم ، وذلك بقصد صدق التعرف على الخاطف .

ونقول هذه طريقة الشرطة ، وهي طريقة الشرطة القديمة التى لا تساير الزمن . خصوصا عندما يكون الاجرام أخطر من خطف حقيبة ، كأن يكون قتلا مثلا .



في الذاكرة الانسانية

وهنا يتدخل الباحث في صدق هذه الطريقة او بطلانها ، في الذاكرة الانسانية ، كم تصدق ، والى كم من الوقت يكون الانسان في حاجة الى النظر لكي يذكر ، ثم بعد ذلك الى كم مدى من الزمن تستطيع الذاكرة ان تحتفظ بالصورة او الصور التى رات .

وقد تبين ان الذاكرة الانسانية تختلف من انسان لانسان . وكثيرا ما يدخلها الهوى من حيث لاتدرى فترى الاجرام في شخص وتحسب انها رأته . ويصدقها الناس ، وتصدقها الشرطة ، ثم يتبين ان هذا الشخص كان بحيث لم يكن من الممكن ان تراه قط .

لندن في اواخر القرن الماضي

وننتقل الان في التاريخ الى لندن ، في اواخر القرن الماضي .

ففي لندن وضع رجال شرطتها القواعد العامة في التعرف على المجرمين ، وابتدعوا في ذلك من التجارب ما ابتدعوا ، ثم نقل عنهم سائر الامم ما وصلوا اليه ، في غير كثير من التحوير والتدوير .

كان التعرف على المجرم هناك ، في اواخر القرن الماضي ، كما كان في سائر الارض ، لا يسير على قاعدة . لم تكن هناك قواعد .

كانت براءة المجرم أو ادانته ، حتى في حوادث العنف والقتل ، ترتكز على شهادة الشهود ، من شرطة وغير شرطة ، ممن يزعم انه رآه راى العين .

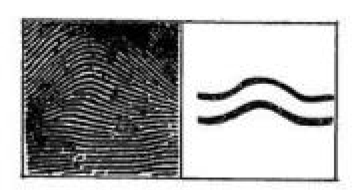
وحدثت حوادث مفجعة بسبب ذلك . من ذلك أن رجلا ، اسمه ادلف بك Ado ph Beck ، شهدت عليه نساء بانه احتال عليهن ، واستلبهن مالا وغير مال . وتبينوه بعد ذلك في الطريق . ونادوا الشرطة فقبضت عليه . وحكم عليه بالسجن ، مرة خمس سنوات . ثم اطلق . وبعد سنوات طويلة يجرى لبعض النساء مثل ذلك الذى جرى اول مرة . ويتعرفن على نفس الرجل فى الطريق . ويسجن ٧ سنوات . ثم وهو في السجن تعود الجريمة على نفس هذا الاسلوب . ثم يتضح أن الرجل المسجون بريء ، وان المجرم غيره . ويقبض على المجرم .

وتقوم الصحف تلعن الشرطة ، وتلعن الحكومة ، وتقول افي عصر العلم (كان هذا في العشرة الاخيرة من القرن الماضي) يحدث مثل هذا ! ؟

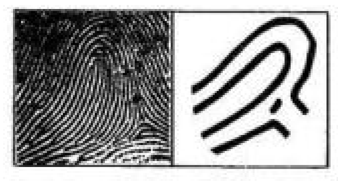
لجنة من الشرطة والعلماء في عام ١٨٩٤

واقامت الحكومة البريطانية في عام ١٨٩٤ لجنة تنظر في : كيف يمكن التعرف على من عادته الاجرام ، وكيف يتالف سجل يحتوى من صفات المجرم او المشتبه فيه مايكفل الرجوع اليه عند الحاجة حتى لايؤخذ البرىء بجرم غير البرىء .

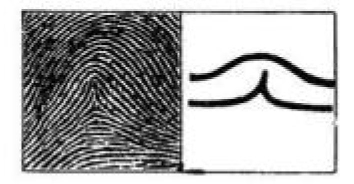
وكان في فرنسا رجل يدعى الفونس برتيون Alphonse Bertillon ، وكان رئيس سجل المجرمين في باريس . وكان ابتدع نظاما لتسجيل المجرمين بناء على



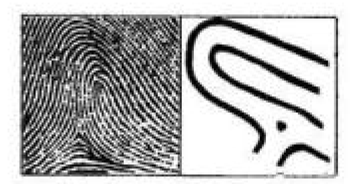
ذات القوس البسيط



ذات الانشوطة الكعبرية (اليد اليمنى)



ذات القوس ذى راس الخيمة



ذات الانشوطة الزندية (اليد اليمنى)

هذه هي الثمانية الاشكال الرئيسية التى اليها صنفوا بصمات الاصابع . ولكل شكل من هذه فروع ، واستمدوا منها فروعا ، بحيث صار من الممكن ، اذا ارسل احد الى الشرطة بصمة نشأت في جريمة قائمة ، درسوها وردوها

آراء الاستاذ لمبروزو Lombrose في تورين Turin بايطاليا . ويقضي هذا النظام بأخذ مقاييس دقيقة لاجسام المذنبين في سجونهم ، حتى اذا عادوا الى الاجرام أمكن التعرف عليهم بغير خطأ . او حتى اذا قامت حولهم شبهة او اصابهم اتهام وهم بين الناس طليقون .

اوصت اللجنة باتخاذ هذا النظام لتسجيل المجرمين ، وبأن يفتح اسكتلنديارد الجديد New Scotland yard (وهو الاسم الشهير في العالم ، وهو مركز البحوث الاجرامية في بريطانيا) ان يفتح سجلا يدخل فيه كل الاوصاف التى ذكرها نظام هذا الفرنسي .

ومن عام ١٨٩٤ اخذت كل السجون تقيس من السجناء :

١ ــ طول الراس

٢ ــ عرض الراس

٣ ــ طول الاصبع الوسطى في اليد اليسرى .

٤ ــ طول القدم اليمنى

٥ ــ طول الذراع اليسرى

وهذه المقاسات الخمس للفرز الاول للمجرمين . ولزيادة تصنيفهم من بعد ذلك تقاس الاشياء الآتية :

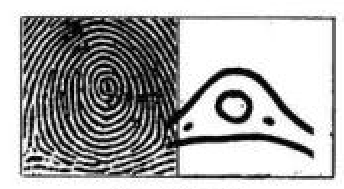
١ ــ طول جذع الرجل وهو قاعد

٢ ــ طول الاذن اليمنى

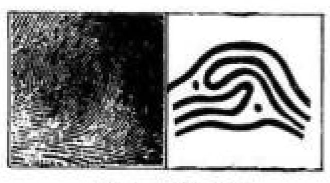
٣ ــ عرض الوجه

٤ ــ طول الاصبع الوسطى من اليد اليمنى .

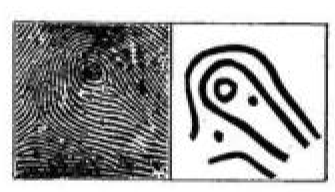
٥ ــ لون العين .



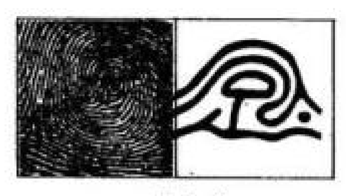
الدوامة البسيطة



الأنشوطة المزدوجة



الأنشوطة الجيبية المركزية



العرضية

الى صنفها من بين تلك الاصناف العديدة . ثم قارنوها ببصمات الصنف الاخير الذى انتهوا اليه ، وتعرفوا على صاحبها ان كان لها في السجل مثيل. وفي مكتب المباحث الفدرالية بالولايات المتحدة نحو من ١٧٠ مليون بصمة محفوظة في السجلات .

عقبات تقوم في سبيل هذه القياسات

وقامت عقبات في سبيل هذه القياسات . فهي اولا كان لابد ان تقاس بالمتر ، والانجليز لم يتعودوا الا على القياس بالياردة والبوصة . ثم قياس جسم مجرم ! بعض المجرمين يطيع ، وبعض يشاكس ولا تنفع معه حيلة ، او هو عند القياس لايستقيم .

ثم هذه القياسات لم يكن عليها من يراجعها ، فقبلها المكتب الرئيسي للجريمة في اسكتلنديارد على علاتها .

لجنة في عام ١٨٨٩

ولم يمض طويل من الزمن حتى اتضح بما لايدع للشك مكانا ان هذه المقاسات لم تبلغ الدقة الواجبة . وهي لاتنفع لها بغير الدقة . لهذا انشأت الحكومة لجنة جديدة تنظر في الامر من جديد .

وانتهت اللجنة الى القول بان طريقة برتيون الفرنسي طريقة لها قيمتها ، ولكنها لاتنفع في الظروف القائمة في بريطانيا عند ذاك .

ثم بحثت اللجنة في التعرف على الاشخاص بواسطة بصمة اصابعهم . ولم يكن بالطبع عرف الناس عن هذه الطريقة الكثير ، ولا كان عرف عنها الكثير من العلماء .

ثم تراءى للجنة ان تجمع بين الطريقتين ، طريقة قياس الجسم وطريقة بصمة الاصابع .

تاريخ بصمة الاصابع

كان من اوائل من لاحظوا ان بجلد

الاصابع بروزات ذات اشكال معينة الاستاذ بركنجي Purkinje استاذ التشريح وعلم وظائف الاعضاء بجامعة برسلاو Breslau ببولندة .

وفي عام ١٨٥٨ أثبت السير وليم هرشل Herschel أن الشكل الذى رسمته الطبيعة على جلد باطن الاصبع يدل على صاحب هذا الاصبع ويثبت فرديته .

وفي عام ١٨٧٧ ابتدع الدكتور هنري فولدز Faulds طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع .

وفي عام ١٨٩٢ أثبت السير فرنسيس جالتون Galton ان صورة البصمة لاى أصبع تعيش مع صاحبها طول حياته فلا تتغير .

ريبة

وعلى الرغم من ذلك بقيت هناك في امر هذه البصمات ريبة ظلت منتشرة بين الناس وحتى بين القضاة حينا .

لم يصدق الناس ما قال العلماء عن البصمات ، وانها تدل على الفرد الواحد وحده ، وانها تدوم طول حياته مع ان شكله يتغير .

وممن عارضوا هذه البصمات محاكم اسكتلندة وقضاتها . قالوا عنها انها «بدعة جديدة» ورفضوا ان يعملوا بها .

وجرت في المحاكم الاسكتلندية محاكمات عن جرائم قتل ، ادين فيها غير جناتها ، وذلك بسبب ان هذه المحاكم لم تأخذ بشهادة البصمات .

سباق بين قياس الاجسام وبصمات الاصابع

ومضت الشرطة تسجل سجناء السجون والمجرمين بقياس الاجسام على طريقة برتيون ، وكذلك تأخذ بصمات اصابعهم .. وكان لا بد أن يمضي وقت حتى تتكون في السجلات أعداد كبيرة من البصمات يمكن الرجوع اليها . فهي مراجع يرجع اليها عندما يأتى الى الشرطة متهم بالاجرام جديد .

ولم يتجمع العدد الكافي النافع من البصمات لتبدأ الشرطة باستخدامه في التعرف على الاشخاص الا في عام ١٩٠٢ .

وفي هذا العام استخدمت الشرطة هذه السجلات للتعرف على ٦٨٢٦ حالة ، تعرفت منها على هوية ١٧٢٢ شخصا .

القانون لا يكفي لا بد من اقناع الشعب

بهذا تقضي الروح الديمقراطية .

واحتاج اقتناع الشعب بالبصمات بعض الوقت .

وحوادث قتل جرت في انجلترا ، ذعر لها الناس ، وغضبوا ، وكان همهم كشف المجرم أو المجرمين ، فلما كشفت البصمات في هذه الحوادث عن مجرميها ، ثبت ايمان الناس بها ، وتأكد عندهم صدقها .

جريمة دبتفورد الشهيرة

انها الجريمة التى كان أهم أشخاصها ، لا القتلة ولا المقتولين ، ولكن بصمة الاصبع التى كشفت عن الجريمة بما لم يدع هناك مجالا للشك ابدا . وهي الجريمة التى قضت على الشك الذى ساور الناس ، في أى مكان كان ، ولكل الازمان .

انها مدينة دبتفورد Deptford بانجلترا . عاش بأحد شوارعها المستر توماس فارو Farro وزوجته . وكان بيتهما منزلا ودكانا لبيع الزيت ، ظلا يعملان فيه عشرين عاما . وكانا قد بلغا السبعين من

FINGER PRINT SYSTEM OF IDENTIFICATION.

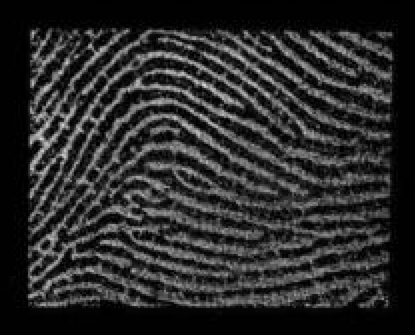
DEPTFORD MURDER.

REPORTED IN DAILY PAPERS [illegible] MAY, [illegible]

PHOTOGRAPHIC ENLARGEMENT OF MARK ON CASH-BOX



PHOTOGRAPHIC ENLARGEMENT OF IMPRESSION OF RIGHT THUMB OF PRISONER.



SKETCH SHOWING THE CHARACTERISTICS COMPARABLE IN ABOVE PHOTOGRAPHS



CASH BOX
FINGER IMPRESSION INDICATED BY ARROW



صورة تاريخية ، حفظتها السجلات جميعا للبصمة الأولى التي ذهبت بشكوك الناس في قيم البصمات ودلالتها على الاجرام ، الى الأبد ، في كل قطر من أقطار العالم . وهي البصمة التي كشفت عن المجرم في القصة الاخيرة التى اوردناها في النص ، قصة جريمة بلدة دبتفورد . والبصمة التى الى اليمين هي بصمة الرجل المشتبه فيه وقد اخذتها الشرطة من اصبعه ، والبصمة التي الى اليسار هي البصمة التى وجدها المحققون على حرف صندوق النقود ، وهو باسفل الصورة الى يمين . اما الرسم الذى الى جانب الصندوق الى اليسار ، فهو تحليل أجراه مصنفو البصمات للبصمة ليضعوها بعد ذلك في سجلاتهم في وضعها الصحيح .

عمرهمـا . وجاءهما هـذا بالقـدر الكافي من الكسب بلغة عيش . ولكن جرت في الحي اشاعة بأن المستر فارو رجل ثرى ، وانه يحتفظ في بيته او دكانه بقدر كبير من المال .

وفي صبيحة ٢٧ مارس ١٩٠٥ وصل الى الدكان المساعد الذى كان يعينهما في البيع والشراء . ولما وجد الباب مغلقـا في مثل تلك الساعة من الصباح على غير عادة ، دقه ثم دق . فلما لم يجد جوابا، اتصـل بالشرطة . وجـاءت الشرطـة واقتحمت الباب فوجدت الرجل الشيخ راقدا على الارض محطما وقد فـارق الحياة ، ووجدت اثاث الدكان مقلوبا . ودرجاً تحفظ فيه النقود وجدوه انتزع بقفله انتزاعا ووقع على الارض . وطلبوا الزوجة فوجدوها في حجرة نومها ، قد ضربوها حتى حطموها وافقدوها الوعي. وحملتها الشرطة الى المستشفى وماتت دون أن تعي .

ونوجز القصة فنقـول ان البوليس استخدم سجلاته لمعرفة المشبوهين في الناحية ، وبدأ يسألهم اين كانوا ليلة الجريمة. وكان من بينهم شاب في الثانية والعشرين من عمره اسمه الفرد ستراتون Alfred Stratton ولم يستطع اقناع الشرطة بأين كان في تلك الليلة .

ثم حدثت المفاجاة . رئيس قسم البصمات في الشرطة كان يفحص المخلفات في الدكان، فوقع على بصمة اصبع، كانت هي بصمة الشاب الفرد ستراتون .

وكانت البصمة في الغد على الصفحات الاولى من صحف لندن .

وسـموها البصـمة التاريخية التى حسمت امر البصمات . واحتفظوا بهـا في المتاحف ، وفي الكتب ، ذخيرة مـن ذخائر التاريخ .

وانك لواجد صورتها مع هذه الكلمة كما ظهرت في احد هذه المصادر .

تصنيف البصمات

ان سجلات الشرطة تحتوى على مئات الالوف من البصمات ، بل ملايينها ، فاذا جاءت الشرطة ببصمة لرجل مشتبه فيه ، يراد مقارنتها ببصمات لمجرمين سبقت ، فلعله احدهم ، فكيف تصنع الشرطة لتبحث عن مثل هذه البصـمة الواحدة بين مئات الالوف من البصمات او ملايينها ؟

عمل يتطلب سنين .

ولهذا عمدوا الى تصنيف البصمات ، فهي رغم اختلافها في التفاصيل تتشابه في كثير من الاشكال . وجعلوها اشكالا اساسية أربعة وفق ما بها من خطوط متماوجة ، على بساطة ، ولا شيء غير هذا . ووفق ما بها من انشوطة مفتوحة او اخرى مغلقة ، وهلم جرا .

ومنهم من جعل الاشكال الاصـلية ثمانية تجدها في صفحة ٤٤ و ٤٥ ، وفيها التفسير الكافي .

وفرعوا هذه الاشكال بعد ذلك حتى يخرج من الصنوف صنوف .

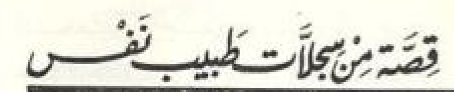
فاذا جاءت الشرطة بصمة ، درسوها اولا ليعرفوا صنفها الاخير . ثم ردوها الى ما عندهم من بصمات هذا الصنف وتبينوا ان كان لصاحب هذه البصمة سجل اجرام لديهم .

وكان عمل التصنيف هذا من اخطـر الاعمال الذى جعل الشرطة تكشف عـن المجرم المشتبه فيه في وقت غاية في القصر .

ان الاجرام ذو كلفة . وهو يقتضى اضاعة وقت العلمـاء . واضاعة وقت رجال الشرطة . ولكن الاجـرام بعض الحياة ، فكلفته هى بعض ضريبة هـذه الحيـاة .

••

احمد زكي





أَصْعَبُ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ فَهْمًا وَأَعْسَرُهَا عِلَاجًا..

■ انطلقت صفارة سيارة الاسعاف تدوى في الهزيع الاخير من الليل.. وكان صوتها اشبه بصوت ذئب يعوى وسط السكون الرهيب الذى يسود المدينة .. وعلى باب المستشفى توقفت العربة وترجل منها رجال الاسعاف وهم يصطحبون شابة في حالة هياج شديد .. وتعالت صرخاتها وهم يحملونها الى داخل المستشفى ..

واعلنت حالة الطوارىء في قسم العلاج النفسي بالمستشفى .. وقام الأطباء بمحاولات تهدئة المريضة الشابة .. ولكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل مع تلك المريضة التى تحولت الى قطة مفترسة تهاجم كل من يحاول ان يقترب منها .. واضطر الأطباء الى حقنها بمادة مخدرة .. ووضعها في غرفة منفصلة وتحت رقابة صارمة ..

استيقظت الفتاة على ضوء الشمس يغمر الحجرة التى ترقد فيها .. انها حجرة غريبة عليها ليست حجرتها .. وشعرت بصداع شديد .. وبرغبة ملحة في الصراخ .. وفجأة احست بعيون تراقبها وصوت رقيق يقول لها صباح الخير .. انها لا تدرى أين هى .. ؟ ومن هى صاحبة هذا الصوت الحنون ؟! وارادت أن تتكلم .. ولكن صوتها لم ينطلق .. انها لا تستطيع الكلام ..

فهناك شيء ثقيل يجثم على صدرها ويمنع الكلام من الخروج وهدات حركتها في السرير .. استرخى جسمها .. واغمضت عينيها .. لتنام مرة اخرى .

انفصام الشخصية

وبدا الأطباء يضعون الفتاة تحت الملاحظة .. وقرروا بعد الفحص الدقيق انها مصابة بمرض انفصام الشخصية المسمى Schizophrenia وهو من اكثر الأمراض العقلية انتشارا واكثرها غموضا في نفس الوقت ، حتى ان بعض الأطباء يطلقون عليه اسم « لغز الأمراض النفسية » .

والسبب في صعوبة تشخيص هذا المرض ان أسبابه لا تزال محل أخذ ورد وكذلك تأثيره الباثولوجي غير معروف .. وان كان يتميز بأن الشخص المصاب به يقوم بتصرفات غير عادية ويفكر تفكيرا شاذا ..

وينشأ هذا المرض غالبا عند هؤلاء الذين يبدون ميلا منذ صغرهم لعدم التلاؤم مع المجتمع الذى يعيشون فيه والهروب من النشاط العادى الذى يمارسه اى شخص عن طريق الانغماس في الأوهام واحلام اليقظة ..

٤ أنواع

اما امراض انفصام الشخصية او الديمنيشيا برايكوكس Dementia Praecox وهو الاسم العلمى لهذا المرض — ليست واحدة في كل الحالات .. ولذلك يقسمه الأطباء النفسيون الى اربعة أنواع وتختلف الاعراض المصاحبة لكل نوع من الاعراض التى تصاحب النوع الآخر ..

واول نوع من أنواع « انفصام الشخصية » يسمى فصام المراهقة Hebephrenic ويلاحظ على المريض في هذه الحالة الشذوذ في كل تصرفاته وحديثه .. فهو غالبا ما يغرق في الضحك بدون سبب .. وتنتابه حالات من التخيلات المستمرة وهو لا يسمح لأحد بمناقشته .. وغالبا ما يعتقد انه يستطيع ان يرى الغيب ويتنبأ بالمستقبل .. وقد تنتابه حالات الهلوسة وعادة يظهر هذا المرض في سن المراهقة .

والنوع الثانى من هذا المرض يسمى الفصام التخشبى Catatonic ويظل المريض بهذا النوع على حالة واحدة من الجمود لعدة ساعات طويلة فمرة يمتنع عن الكلام .. ومرة اخرى يمتنع عن تناول الطعام ويرفض تغيير حالته بالرغم من اى اغراء يتعرض له .. وغالبا ما تنتهى حالة الجمود هذه بثورة عصبية عنيفة تصل الى درجة الخطورة في بعض الأحيان .

والنوع الثالث يدعى الفصام الهذائى Paranoid ويستطيع المريض بهذا النوع ان يخفى انه مريض نفسي عن المجتمع الذى يعيش فيه فهو دائما يجد حلولا وسطا لكل مشاكله عن طريق التخيلات . وان كان يؤمن ان هناك قوى خفية تعمل ضده ويشعر ان هناك تكتلات تعمل على عدم تحقيق امانيه .

ولا يستطيع احد اكتشاف امر المصاب بهذا النوع من المرض الا عندما تنتابه حالات من الهياج الشديد في حالة الغضب .

والنوع الرابع والأخير من أنواع انفصام الشخصية يسميه الأطباء بالنوع « البسيط » Simple ويتميز بتدهور تدريجي في القوى العقلية للمصاب به وفقدان لكل الاهتمامات بالعالم الخارجى .

علاج طبي .. وعلاج نفسي

استقر الاطباء على أن حالة الفتاة المذكورة هي حالة فصام تخشبي Catatonic Schizophrenia وعلى ضوء هذا التشخيص بدأ العلاج .. بالصدمات الكهربائية .. والحقن « بالانسولين » .. واستمر هذا العلاج ٦ اشهر .. خرجت بعدها «المريضة» من المستشفى بعد أن نصحها الأطباء المعالجون بأن تقوم بعرض نفسها على محلل نفسي .

ذهبت الفتاة الى احد مراكز التحليل النفسي حيث بدات جلسات طويلة مع احد المحللين النفسانيين .. وبدأ العلاج بأن قامت الفتاة في جلسات متتابعة برواية قصة حياتها منذ أن كانت طفلة صغيرة حتى تاريخ اصابتها بالانهيار العصبي الذى نقلت بسببه الى المستشفى .

في الجلسات الاولى روت قصة طفولتها وكيف كانت امها دائمة الشجار مع والدها بسبب انفاق مرتبه كله على موائد القمار .. وكيف أن امها كانت دائما مريضة وانه كان عليها وهي في السادسة من عمرها أن تقوم باعطاء أمها الدواء وترتيب المنزل وملاحظة اختها الصغيرة ـ علاوة على ذهابها الى المدرسة .. وكيف كانت امها تقسو في معاملتها دائما وتقول لها انت لا تستطيعين اجادة اى عمل تقومين به ؛ باختصار كانت أمها تسيطر عليها سيطرة تامة .

وانتقلت «الفتاة» بعد ذلك الى وصف مرحلة شبابها .. وكيف كانت دائما تعامل رئيسها في العمل كأنه آله .. وكيف كان ينتابها القلق بشأن كل ماتعمل وما تقول وكيف انه لم يكن لديها اية ثقة في نفسها فقد كانت تعذب نفسها عذابا شديدا عندما ترتكب اى خطأ مهما كان صغيرا .. وكانت دائما تشعر بعذاب نفسي داخلى لا تدرى له سببا .. فهي تريد أن تتزوج وخاصة بعد أن تزوجت شقيقتها الصغرى ولكنها في نفس الوقت تشعر بخوف شديد من الجنس ويعتريها الرعب اذا ما مرت بتجربة من هذا النوع .

كشف ما روته « الفتاة » عن طفولتها وشبابها أن حالة « انفصام الشخصية » التى تعانى منها قد نشأت بسبب معاملة امها الشاذة التى دمرت شخصيتها تماما عن طريق التحقير الدائم لكل عمل تقوم به .. كما دمرت ايضا قوة الخلق والابتكار لديها .. وبذلك لم يعد لدى « الفتاة » اى شعور بالأمن أو احترام النفس والثقة بها .

وبدأ العلاج النفسي بالمرحلة الأولى ، وهى اقامة صلات صداقة حقيقية متينة بين المحلل النفساني والمريضة وذلك حتى تكتسب الشعور بالأمان العاطفى وتحس بانها انسان له كرامة وكيان ..

وبعد ذلك بدات المرحلة الثانية بكشف حقائق ما يدور داخل عقل المريضة لها .. وشرح كل التأثيرات التي نتجت عن الظروف البيئية والاجتماعية التى مرت بها في طفولتها .. وعن طريق التكرار والاعادة بدات الفتاة تتعرف على ذات نفسها ..

واستمر هذا العلاج لعدة اشهر وتحسنت حالة المريضة النفسية والعقلية الى درجة كبيرة اكتسبت ثقة بنفسها وبدات تحس بكيانها وبحقها في تكييف حياتها بالشكل الذى تراه .. واثبتت الاختبارات النفسية التى اجريت لها انها أصبحت انسانة مختلفة عن الانسانة المريضة التى جاءت تلتمس المساعدة والعلاج . ■■

م . ط





هل يحدث

بقلم : الدكتور ابراهيم أنيس

عميد كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

■ حين نقرأ في كتب القدماء من اللغويين نراهم يشيرون أحيانا الى أن من طرق الوضع اللغوى الارتجال . فاذا بحثنا عن معنى ما يسمونه بالارتجال وجدناهم يضطربون في شرحه بعض الاضطراب ، ولا يكادون يستقرون على أمر في تفسيره . على اننا نستشف من كلام القدماء أنهم كانوا في كثير من الأحوال يريدون بالارتجال الاختراع ، او الخلق من العدم ، كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في صورتها ، جديدة في معناها ، فلا تكاد تمت لمواد اللغة بصلة ، أو تناظر صيغة من صيغها !!

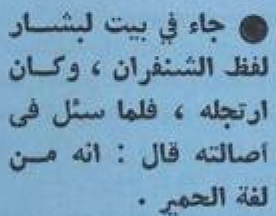
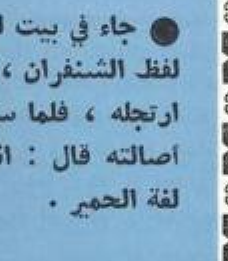
فيحدثنا ابن جنى في فصل من كتابه الخصائص عنوانه « في الشيء يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره » ، ويروى عن ابن احمر الباهلى كلمات لم تسمع من قبل ، ويقول معقبا على تلك الكلمات ما نصه « فاما أن يكون شيئا أخذه عمن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، واما أن يكون ارتجله ابن احمر ، فان الأعرابى اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به ، فقد حكى عن رؤبة وابيه العجاج أنهما كانا يرتجلان الفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها » !!

رؤبة وارتجال الالفاظ

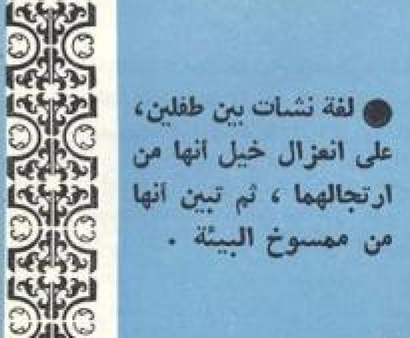
فاذا رجعنا الى أراجيز رؤبة وأبيه في تلك المجموعة القيمة التى الفها وشرحها « البكرى » في كتاب سماه أراجيز العرب ، نرى المؤلف يشرح معانى الالفاظ في سهولة ويسر ، ولا يذكر مطلقا أن احدى تلك الكلمات كانت من صنع الراجز أو ارتجاله ، أو أن احد الرواة قد وصفها بمثل هذا الوصف . حقا أننا نلحظ أن معظم كلمات الاراجيز من الحوشي الغريب ، ولكن شتان بين ما هوغريب حوشي وما هو مخترع مرتجل .

أما رواية يونس بن حبيب عن « رؤبة » فتكاد تكون نصا في أن بعض رواة اللغة كانوا يلحون على رؤبة ليمدهم بالغريب النادر ، فكان يستجيب لهم ، ويشبع رغبتهم بكلمات لم يألفوها ، واقيسة لم يعهدوها . ثم سئم رؤبة من هذا في اواخر أيامه ، وصاح في يونس بن حبيب حين طالبه بالمزيد قائلا : « حتى متى تسألنى عن هذه الاباطيل وازوّقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك » !!

ومن العسير بعد هذا أن نفترض أن رؤبة كان

● جاء في بيت لبشار لفظ الشنفران ، وكان ارتجله ، فلما سئل فى اصالته قال : انه من لغة الحمير .



● لغة نشأت بين طفلين ، على انعزال خيل انها من ارتجالهما ، ثم تبين انها من ممسوخ البيئة .

أن ترتجل الكلمات ؟

حقا يرتجل الالفاظ ويخترعها من العدم ، أو ان شيئا مما رُوى عنه لا يمت لمواد اللغة بصلة .

ما قال الخليل في مصنوع الكلام

وقد نجد في كلام بعض أصحاب المعاجم من القدماء ما يشير الى ظاهرة ارتجال الألفاظ ،مثل ما جاء في معجم الجمهرة لابن دريد ، قال الخليل: اما « ضهيَد » وهو الرجل الصلب فمصنوع لم يات في الكلام ، وكذلك « عفشج »للثقيل الوخم»!!

وبشار يخترع اللفظ لم يسبقه اليه احد

كذلك قد نعثر في ثنايا كتب الادب على ما يفيد ان بعض الشعراء قد ارتجلوا لفظا او لفظين رغبة في التفكه والتظرف ، كتلك القصة الطريفة التى يرويها صاحب الأغانى عن بشار بن برد ، والتى ينسبها المسعودى في مروج الذهب لأبى العنبس ايام المتوكل ، من أن بشارا أو أبا العنبس جاء الى أصدقائه يوما فقال له أحدهم : مالك مغتما فقال : مات حمارى ، فرأيته في النوم ، فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن اليك ؟ فانشد الحمار :

سيدى خُذْ بى أتانا
عند باب الأصبهانى

تيمتنى ببنانٍ
وبدلٍّ قد شجانى

الى أن قال :

ولها خدٌّ أسيلٌ
مثل خدّ الشنفرانِ

فقال أحد أصحاب بشار : ما الشنفران ؟ فأجاب بشار وما يدرينى ؟ هذا من غريب الحمار فاذا لقيته فاسأله !!

اللغويون المحدثون وظاهرة الارتجال

اما نظرة اللغويين المحدثين الى ظاهرة ارتجال الألفاظ فيلخصها ما أشاروا اليه عن تلك الاحداث التاريخية التى يعوزها التحقيق الدقيق .

فهناك تجربة ظلت في كل العصور التاريخية تداعب عقول المفكرين من اللغويين ، غير أن أحدا منهم لم يجرؤ على القيام بها حتى الآن ، وتلك التجربة هى عزل طفلين أو ثلاثة منذ ولادتهم مع امدادهم بالغذاء ووسائل العيش في صمت عميق بحيث لا يسمعون كلاما انسانيا قط ، ثم مراقبة نموهم عن كثب عدة سنوات ، لننظر هل ينطقون باصوات انسانية كالتى نألفها ؟ أتنشأ لهم كلمات يتفاهمون بها ، أم يظلون في صمتهم ؟

وظلت هذه التجربة تبرق لأعين اللغويين وتمر

بمخيلاتهم ، دون أن تتاح لأحدهم فرصة تنفيذها. وذلك لأنها تنافي الروح الانسانية وتتطلب من التضحية أمرا لا تقره القوانين ولا العادات .

غير أن التاريخ يروى لنا أن بعض الملوك في العهود القديمة قد حاولوا مثل هذه المحاولة ، وقاموا بما أبته الانسانية في العصور المختلفة بعدهم ، كالذى رواه « هيرودوت » من أن أحد الفراعنة أراد البرهنة على أناللغة المصرية القديمة هى لغة الانسان الأول ، أى أصل كل اللغات !! فعزل طفلين في مكان ما فترة من الزمن ليتعرف على أول كلمة يمكن أن ينطقا بها . ولما جاءه أعوانه بتلك الكلمة تصادف أنها تنتمى الى لغة أخرى غير المصرية القديمة ، مما خيب ظن فرعون وأغضبه !!

قصتان فريدتان

ولكن الذى أباه الانسان ، ورفض القيام به عن عمد وقصد ، تكفلت به ظروف الحياة عن طريق المصادفة البحتة ، فقد حدثنا اللغويون عن حادثتين فريدتين هما :

(١) قصة تلك الفتاة التى وُلدت في مزرعة بجزيرة « جرينلند » في أوائل القرن التاسع عشر وبدأت تتكلم مع أخيها التوأم بلغة غير مفهومة لمن حولهما . وقد لوحظ تعلق احدهما بالآخر ، وشغفهما بالانعزال عن الناس ، فشق ذلك على الوالد وصمم على عزل الأخ عن اخته ، مما أدى الى وفاة الصبى ، وبقيت الفتاة وحدها تصر في عناد على التكلم بتلك اللغة الغامضة المجهولة . ولما حاول أهلها تعليمها لغتهم تبين لهم استحالة هذا ، وبدأوا هم في غباوة وسوء تقدير يتعلمون لغتها ، وأصبحوا يتفاهمون معها بتلك اللغة الغريبة النشأة .

ولما شاع أمر الفتاة بدأ بعض العلماء يبحثون كلامها ، وخيل اليهم في أول الأمر أن كلامها لا يمت للغة البيئة بأية صلة . غير أن أحد هؤلاء العلماء استطاع بعد ذلك أن يكشف الغطاء عما حاط كلماتها من غموض ، وبرهن على أنها لا تعدو أن تكون كلمات من لغة البيئة في صورة ممسوخة مبتورة .

(٢) أما القصة الثانية فتلك التى حدثنا عنها « جسبرسن » العالم الدنيمركي من أن طفلين توأمين عاشا في « كوبنهاجن » مع أمهما الأرملة . وقد أهملتهما هذه الأم بشكل شائن ، فشبا وحدهما منعزلين عن الناس زمنا ما ، ثم كان أن مرضت الأم ودخلت المستشفى للعلاج تاركة الطفلين زمنا طويلا في كنف عمة صماء بكماء . فلما اكتشف أمرهما أدخلا في احدى مدارس الجمعيات الخيرية لتربيتهما والعناية بأمرهما .

ويقول « جسبرسن » انه زار الطفلين عدة زيارات وتودد اليهما وعمل على كسب ثقتهما ، حتى استطاع أن يدون كلمات وعبارات كثيرة من تلك اللغة الغامضة التى كانا يتفاهمان بها في طلاقة . ثم أجرى بحثه على تلك الكلمات والعبارات فوجدها تتصل اتصالا وثيقا بلغة البيئة غير أنها ممسوخة مبتورة . ولكن جسبرسن يعترف أنه لم تسعفه الفرص لاتمام البحث ، وانقطع عنه فترة من الزمن ، فلما عاوده وجد الطفلين في مدرستهما الجديدة قد كادا ينسيان كل شيء عنها .

هاتان الحادثتان الفريدتان وأشباههما مما رواه بعض اللغويين في القرن التاسع عشر قد أثار بين علماء اللغات جدلا عنيفا حول ارتجال الالفاظ أو اختراعها من العدم . فأصحاب علم النفس منهم يأبون اباء شديدا أن يعترفوا بشيء اسمه الارتجال في لغة الاطفال ، ويقولون : ليست لغة الطفل الا أثرا لبيئته ، والطفل في هذا الأمر لا يعدو أن يكون أداة سلبية !!

في حين أن بعض اللغويين يرون امكان أن يرتجل الطفل كلمات اذا أتيحت له فرصة لهذا الارتجال .

خلاف في تحديد معنى الارتجال

وربما يرجع سر الخلاف بين الفريقين الى تحديد المراد بالارتجال ، فالذين رفضوه قد فهموا الارتجال على أنه الخلق من العدم ، وبذلك ضيقوا من دائرة معنى الارتجال ، وقصروه على تلك الكلمات الجديدة في لفظها ومعناها ، والتى لاتمت لمواد اللغة أو صيغها بصلة ما . وهم يرون أن تلك الكلمات الجديدة التى نسمع عنها في

اللغات الاوربية وقد اطلقت عـلى مستحدثات جديدة ، قد اشتقت أصولها من اليونانية او اللاتينية في غالب الحالات . فليست تلك الكلمات في رأيهم من الالفاظ المرتجلة ، فقد كان لهـا اساس سابق على اختراعها .

وليس مما نهدف اليه هنا أن نحاول البحث عن أثر الارتجال في نشأة الكلام الانساني لنعرف ما اذا كان الانسان الاول قد لجأ الى الارتجال في وضع الكلمات ، لان البحث في تلك النشـأة الاولى للغة الانسان قد أصبح الآن يشبه البحث فيما وراء الطبيعة . كذلك لا تكفي تلك الامثلة التى رويت عن ارتجال بعض الاطفال واختراعهم الكلمات اختراعا . ذلك لان تلك الامثلـة او الحوادث يحوطها الابهام والغموض ، ولا تكفى للفصل في قضية ارتجال الاطفال برأى حاسم قاطع .

عملية الارتجال ممكنة ، في ظروف خاصة

لذلك نكتفي بالتساؤل عن مدى امكان ارتجال الكلمات بين الكبار ، وأثر ما يمكن أن يرتجلوا في اللغات . فنرى أن عملية الارتجال ممكنة ، ولا تتطلب قدرا كبيرا من الثقافة ، بل في امكان كل منا ان يرتجل متى شاء وأنى شاء . فنحن نستطيع في سهولة ويسر ان نرتجل كلمات عربية ما أنزل الله بها من سلطان ، وان نخلع عليها ما يشاء لنا الهوى من دلالات . وقد كان بعض الطلبة من الشباب يسخرون من الكلمات الحوشية في الشعر الجاهلي وينظمون على نسقه أبياتا معظم كلماتها مما لا يمت لكلمات اللغة بصلة ، مثل :

ومدعشرٍ بالعشلمـين تفنطحت
سلفا قنـاه كبزٌ فرع الفنشطـلِ

ومثـل :

لا تصحبِ الفتندعلَ فهـو مهبـثلٌ
هفلٌ همردلٌ خنزويـلٌ نهشـلٌ

وقد مر معظمنا بمثل هذه التجربة ، ومارس هذا الهذيان والهراء أيام الشباب ، فلم يكـن اختراع الالفاظ بالامر العسير ، ولكن مثل هذا العبث يفنى بفناء أصحابه ، دون أن يخلف أى أثر في اللغة ، بل دون أن يكتسب صفة الشيوع في منطقة متسعة من بيئة اللغة . وقد لاحـظ الأوربيون أن نوعا من هذا العبث يشيع في بعض أوساط الشباب في الكليات والجامعات . ففى جامعة أكسفورد كلمات متعارفة بين طلبتها لا تكاد تمت الى الانجليزية بصلة في معناها او لفظها ، وكذلك في كمبردج ، وغيرهما من الجامعات القديمة ذات التقاليد العريقة . فاذا تخرج الطلبة في تلك الجامعات وأصبحوا في غمار الحياة العملية نسوا تلك الكلمات ولم يبق في أذهانهم منهـــا سوى الذكريات .

كذلك قد تلجأ بعض الطوائف الخاصة من أصحاب الصناعات والحرف الى اختراع كلمات لا يعرفها غيرهم ، رغبة في التعمية والتمويه على من ليس منهم ، بل للصوص والصعاليك كلمات مخترعة تشبه المصطلحات والرموز وتعيى رجال الامن وحفظة القانون .

ولا شك ان بعض تلك الكلمات يدين في نشأته لطرق أخرى غير الارتجال من مثل الاشتقاق او النحت او الاقتراض ، ولكن مما لا شك فيـه أيضا أن بعض تلك الكلمات قد اخترع اختراعا ، واصبح مألوفا في محيطه الضيق زمنا ما ، ثم يفنى في غالب الاحيان ، ولكن القليل او النادر من تلك الكلمات قد تتسع دائرته ، ويكثر شيوعه ، ويصبح مما يسمى بالعامية التى يتكلم بها المرء مع أهله وأصدقائه .

فاذا مرت على تلك الكلمات العامية فترة أخرى زاد فيها شيوعها ، فقد تكتسب احترام الناس ، وحينئذ تقتحم حصون اللغة المعجمية ، وتصبح عنصرا من عناصرها .

ذلك هو التطور الطبيعي للكلمات المرتجلة في اللغات التى تترك وشأنها ، نهبا لكل تطور او تغير . أما في لغتنا العربية فقد أحاطها اللغويون القدماء بسياج حصين ، ولذلك اقتصرت تلك الكلمات المخترعة على الشيوع في لهجاتنا وعلى ألسنتنا ، ولم يرق لفظ منها في أى عصر من عصور اللغة الى مستوى لغتنا الفصيحة .

■■

ابراهيم أنيس



● الاكثرية من الجامعات العربية مؤسسات تعليمة لا ترقى الى المستوى الذى تتطلبه نهضتنا وتحتاج اليه وثبتنا .

الجامعات العربية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

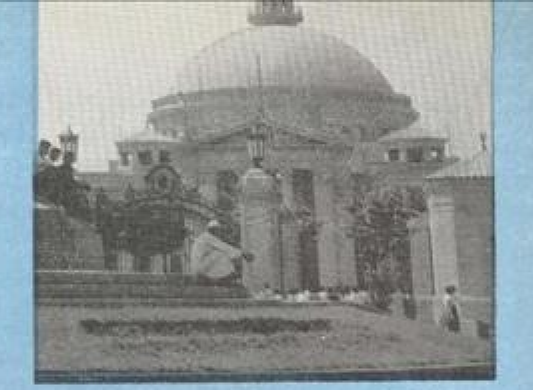
الاستاذ بجامعة دمشق

■ في البلاد العربية اليوم ما ينوف على خمس وعشرين جامعة منها ثلاث أجنبية (١) والباقي جامعات وطنية . كما أن فيها عددا مماثلا أو اكثر من مؤسسات التعليم العالي ومعاهده المختلفة . وعلى هذه الجامعات تعتمد البلاد العربية ـ بصورة رئيسية ـ في تنشئة اجيالها القادمة واعداد اختصاصييها في مختلف حقول المعرفة وميادين العمل الفني . وصحيح ان عددا كبيرا من أبناء البلاد العربية يقصدون اليوم جامعات الشرق والغرب للدراسة والتخصص ولكن عدد هؤلاء أصبح اقل بكثير من عدد الذين يدرسون في البلاد العربية ، كما ان الدراسة في الجامعات الخارجية اخذت تقتصر على مراحل التخصص العليا والدراسات التي تلي الدرجة الجامعية الاولى . واخيرا فان الدارسين في الاجنبية هم غالبا من طلاب البعثات الحكومية أو من أبناء الاسر القادرة على تحمل نفقات العلم في الخارج .

وما دام عدد الجامعات العربية قد ناف على اثنين وعشرين ، وما دام ، عدد معاهد التعليم العالية الاخرى يكاد يقارب هذا العدد أو يفوقه فقد أصبح من المفيد أن نقف عند هذه المؤسسات الخطيرة وقفة تستقصي أحوالها ونتعرف على مشاكلها ونحاول تشخيص ادوائها . هذا ويشمل

---

(١) هي الجامعة الامريكية في بيروت والجامعة اليسوعية في بيروت أيضا والجامعة الامريكية في القاهرة ، وهذه الجامعات معظم طلابها من العرب ولكنها مع ذلك مستثناة من حديثنا لأسباب واضحة.



● معظم الجامعات العربية منعزل عن المجتمع يعيش في برج عاجى ، لا يتصل بالحياة من حوله ولا يشارك فيها .



● أبرز ظاهرة تتميز بها جامعاتنا العربية ضعف الالمام باللغات الأجنبية ، مع أن العلوم الحديثة تتطلب الماما كافيا بهذه اللغات .

حديثنا عن الجامعات معاهد التعليم العالي وان لم نشر اليها دوما .

جامعات حديثة

وان الجامعات العربية حديثة النشأة عموما فباستثناء الجامعة الازهرية وجامعة الزيتونة انشئت كل هذه الجامعات فى قرننا العشرين هذا ، فهى اذن جامعات فتية ما زال معظمها فى مرحلة الشباب الباكر ان لم يكن فى الطفولة الاولى ، ولذلك فان الناظر في امرها، المنصف للقائمين عليها ، لا يملك الا أن ينظر بعين العطف الى جهودها فى تثبيت أقدامها وترسيخ تقاليدها ، ولذلك أيضا فان حديثنا عنها ونقدنا لها انما يتسمان بروح العطف والتفهم والتشجيع اكثر من اللوم والتقريع .

على أن بعض هذه الجامعات أو بعض كلياتها على الاقل ـ مضى عليه اليوم ما يزيد عن خمسين عاما من العمر وهي مدة كافية لكي ينظر اليها نظرة جدية وتحاسب حسابا فيه شيء من العسر .

ونحب أن نسجل هنا ان عدد كليات هذه الجامعات وعدد طلابها بل وعدد أعضاء هيئاتها التدريسية ـ أحيانا ـ يقفز قفزا يكاد يضيع على هذه الجامعات توازنها العلمي واتزانها المعرفي لا سيما اذا ركزنا البصر على زيادة عدد الطلاب بالذات . ان بعض هذه الجامعات يضم أعددا من الطلاب ضخمة جدا تبلغ عشرات الالوف أو تزيد . وبديهي أن مثل هذه الاعداد الهائلة لا تتوفر لها اعداد كافية من الاساتذة والمدرسين ، كما لا تتوفر لها الامكانات اللازمة من التجهيزات الفنية ووسائل البحث العلمي والابنية والملاعب وما الى ذلك من مستلزمات الدراسة الجامعية .

وهنا يقف الانسان ليتساءل عما اذا كان هذا النمو الكمي السريع يرافقه النمو الكيفي اللازم ؟ فياتيه الجواب ـ للاسف ـ بالنفي القاطع وهو امر سنحاول أن نقف عنده ونتقصي أسبابه .

أهميـة الجامعة

على اننا نحب قبل ان نمضي في ذلك أن نشير اشارة سريعة الى أهمية الجامعات في حياة الامم وتقدمها عامة وحياة الامم الناشئة ونهضتهـا خاصة . فالجامعات ـ كما هو معلوم ـ يفترض فيها أن تضم الصفوة المختارة من أبناء الامة ، وفي يدها مستقبل الشعب وآماله وعليها تتوقف نهضته وتقدمه ، يضاف . الى هذا كله ان الشعـوب العربية في هذا الوقت بالذات تعمل على تطوير حياتها واستثمار البلاد بما تحتاجه من أخصائيين وما تتطلبه من فنيين وما تتوق اليه من علم ومعرفة وتكنيـك .

مؤسسات للدرس لا للبحث

ولعلنا لا نظلم الجامعات العربية ـ معظمها على الاقل ـ حين نقول انها مؤسسات تعليمية من نوع لا يرقى الى المستوى الذى تتطلبه نهضتنا وتحتاجه ثورتنا . فنحن نفتقد فيها البحث العلمي الصرف والدراسات التطبيقية والاهتمام الخاص بمشاكل الوطن العربي وخصائصه ، ذلك بان الجامعة ليست مكانا للتعليم فقط بل هي بعد ذلك مخابر (معامل) وامكنة للبحث والتنقيب ودراسة المشاكل واقتراح الحلول لها ، وبهذا المعنى تكاد جامعاتنا العربية تخلو من كل بحث وتمحيص . وحتى اذا التفتنا الى الدرس والتدريس بمعناهما البسيط فاننا نفتقد التدريس الجامعي الصحيح الـذى يشارك فيه الطالب ويساهم فيه الاستاذ ويعتمد على العمل المخبرى والقراءات الخارجية والنقاش العلمي والتتبع المعرفي .

هذا ونحن نعرف الاسباب التى تمنع من ذلك وتجعله عسيرا ان لم يكن مستحيلا ، فقاعة محاضرة تضم مئات بل الوفا من الطلاب ، ومخبر فقير ، وآلات مفتقدة ، ومكتبة فارغة وميزانية ضحلة ، والمام باللغات الاجنبية لا يكفي لقراءة كتاب او مقال فيها ، وغير ذلك من الامور يجعل التدريس الجامعي في بلادنا قاصرا على محاضرة يلقيها الاستاذ وامالي يدفع بها الى الطلاب وقراءات لا تتعدى ـ ان وجدت ـ بعض المصادر العربية الهزيلة التى لا تسمن ولا تغني من جوع . ولا ننس أن نشير الى سبب هام من أسباب قصور البحث العلمي وهو التهاء الاستاذ بالبحث عما يسد رمق عياله ويوفر لهم القوت الضروري وأسباب الحياة الكريمة ، ذلك بان ضآلة الرواتب التى تدفع للاستاذ الجامعي في كثير من الجامعات العربية تحول بين الاستاذ وامكان التفرغ للبحث والدرس والتنقيب . وقد يقال بان بعض الجامعات العربية تدفع بسخاء ولكننا نلاحظ ان هذه الجامعات بالذات انما تدفع هذه الرواتب لغير ابنائها من الاساتذة الزائرين وهم أساتذة متعاقدون لا يشعرون بالاستقرار ولا يستطيعون بالتالي أن ينصرفوا الى بحث أو درس . ولن نترك هذا القسم من حديثنا قبل أن نذكر حقيقة ذات دلالة وهي أن في الجامعات العربية اشخاصا يدرس الواحد منهم ما بين عشرين وثلاثين حصة اسبوعيا فهل في امكان الواحد من هؤلاء أن يفكر أو يقرأ بله أن يبحث ويدرس ؟

وقد يسأل سائل عن السبب في هذا العدد الضخم من الحصص التى يدرسها عضو الهيئة التدريسية فياتي الجواب بسيطا الا وهو ضآلة المرتب الذى يدفع له وارتفاع تكاليف الحياة التى يطمح اليها بالنسبة لنفسه ولعياله . واذا كان الامر مختلفا بعض الشيء بالنسبة لبعض الاساتذة الكبار وأرباب الاختصاص ، من أطباء ومهندسين ومحامين ، فان الكثرة الكاثرة من أعضاء الهيئات التعليمية تتقاضى رواتب لاتفي بضروريات الحياة ناهيك بالحياة الكريمة التى يطمح اليها انسان من مستوى استاذ جامعي .

الكليات العلمية والكليات الادبية

وثمة ظاهرة أخرى واضحة في جامعاتنا العربية وهي الفرق في عدد الطلاب بين الكليات العلمية والكليات الادبية ، بين الكليات العملية والكليات النظرية . فبينما ترى عدد الطلاب في الكليـات الادبية النظرية يعد بالالوف بل وعشرات الالوف ترى عدد الطلاب في الكليات العلمية والعملية لا يتعدى المئات . واسباب هذا الامر عديدة منها نقص الاختصاصيين من الاساتذة ، ونقص المخابـر والادوات ، ونقص الوسائل والمكتبات وغير ذلك

من أسباب كثيرة . وعلى أن هذا لا يعني ـ بحال من الاحوال ـ ان عدد الاختصاصيين في الآداب والعلوم النظرية كاف وموفور وانما يعني فقط ان بالامكان حشر مئات الطلاب في قاعة واحدة ، بعضهم جلوس واكثرهم وقوف ، ليستمعوا الى محاضرة يلقيها الاستاذ فيسمعوها او لا يسمعوها. أضف الى ذلك ان الكثير من كليات الجامعات العربية تعتمد في عملها والتدريس فيها على المعيدين أو المحاضرين الموقتين ممن لا تتوافر فيهم شروط الاختصاص .

ولعل انكى ما في الامر أن معظم جامعاتنا العربية لا تعمل جديا على تهيئة الاجيال القادمة من مدرسيها وأساتذتها ولا تحضر العدد اللازم لحاجاتها المقبلة ولذلك فهي تكتفي بالاعتماد على الاقطار الاخرى واستقدام الاساتذة الزائرين ، أو التعاقد مع المحاضرين دون ان تفطن الى ما سوف تقع فيه في المستقبل القريب من مشاكل واحتياجات .

اللغات الاجنبية

وثمة ظاهرة ثالثة تتجلى في جامعاتنا العربية وهي مسألة ضعف الالمام باللغات الاجنبية ، ذلك بان معظم جامعاتنا قد جعلت اللغة العربية لغة التدريس في جميع الكليات وسائر حقول المعرفة وهو أمر واضح الضرورة صريح الاهمية ، فامة تريد النهوض وتعمل على التقدم وتجهد في سبيل تبوء مكانتها بين الامم لا تستطيع الا ان تعمل على احياء لغتها وتجديدها وتطويرها بحيث تتسع لمختلف انواع المعرفة وتعبر عن كافة فروع المعرفة ، واللغة العربية ـ بحمد الله ـ قادرة على ذلك اهل له ، ولها من ماضيها خير دليل على ما نقول .

لكن العلوم الحديثة تقدمت كثيرا واتسعت فروعها وزادت مصطلحاتها وتعددت مبتكراتها ولا بد لكل ع من فروع العلم وكل حقل من حقول المعرفة من مصطلحاته الخاصة به وتعابيره اللازمة له ، بل ان اللغة العربية ـ بوصفها لغة ـ بحاجة الى تخليصها من التعابير الفضفاضة غير الدقيقة وحصرها في اللغة العلمية الدقيقة المحددة لتستطيع ان تعبر عن حقائق العلم ، وكل هذا يقتضي الماما كافيا باللغات الاجنبية بعد تعمق في اللغة العربية، وهي أمور لا تتوفر في طلابنا وقد لا يكون وجودها مؤكدا عند اساتذتنا انفسهم .

والى ان تستطيع اللغة العربية ارضاء حاجات ابنائها وقرائها،بل وبعد أن تستطيع ذلك،وبسبب من التقدم العلمي المتزايد وما يكتب عنه في اللغات الاجنبية يستشعر الجامعيون ـ اساتذة وطلابا ـ الحاجة الماسة الى معرفة اللغات الاجنبية معرفة تمكنهم من الاطلاع على ما يكتب في اللغات الاجنبية من جهة وتساعدهم على تطوير لغتهم العربية من جهة اخرى . ولكن ، طلابنا العرب ـ بالذات ـ لا يعرفون اللغات الاجنبية معرفة تساعدهم في هذا الامر وتمكنهم من ملاحقة اختصاصاتهم بلغة اجنبية يعرفونها معرفة كافية . والطلاب العرب في هذا الصدد اثنان : احدهما متخرج من المدارس الوطنية وهو في الاعم الاغلب ضعيف الالمام باللغة الاجنبية بسيط المعرفة للغة العربية . وثانيهما متخرج من المدارس الاجنبية وهو قليل الالمام باللغة العربية بسيط المعرفة للغة الاجنبية . وهكذا يتبين اننا بحاجة الى تهيئة اجيال تتقن اللغة العربية وتتعمق فيها من جهة وتحسن لغة اجنبية او اكثر وتستطيع الافادة منها لا في متابعة التحصيل والدرس فحسب وانما في اغناء اللغة العربية وتركيزها وتحديدها .

ولا ننس ـ قبل أن نترك هذه النقطة من حديثنا ـ ان نندد بقصور المجامع اللغوية والهيئات العلمية والتعليمية في هذا الخصوص وحثها على بذل المزيد من عنايتها لهذه الغاية .

الحرية الجامعية

والظاهرة الرابعة التي تتجلى في جامعاتنا العربية ارتباطها الوثيق بالحكومات عامة وبوزارات التربية والتعليم العالي خاصة. فالجامعات العربية كلها حكومية تعتمد على ميزانية الدولة في شؤونها المالية، واذا استثنينا بعض الجامعات القليلة مثل الجامعة الاردنية التي منحتها الحكومة الاردنية شيئا من استقلال فان كل الجامعات العربية خاضعة للحكومات في توجيهها وادارتها وتسمية رؤسائها الاداريين بل واعضاء الهيئة التدريسية فيها . ولقد مر على بعض الجامعات العربية حين من الدهر حاولت فيه الحصول على بعض استقلالها كان تكون تسمية مدير الجامعة او عمدائها بالانتخاب من بين اعضاء الهيئات التدريسية فيها وان يكون

لمجلس الجامعة الكلمة الفصل في شؤونها ولكن معظم الحكومات العربية لم توافق على ذلك وعمدت الى ربط الجامعات بوزارات التربية والتعليم العالي بشكل او بآخر الامر الذى حدد نشاطها وعرقل تقدمها واخضعها لاعتبارات كثيرا ما تكون بعيدة عن المصلحة الجامعية والجو الجامعى .

ان حاجة الجامعات للمعونة المالية الحكومية واعتمادها على ميزانية الدولة من اجل نفقاتها يجب ان لا تكون حائلا دون منح هذه الجامعات الحرية اللازمة لتقدمها وازدهارها . واذا كان الجامعيون ـ اساتذة وطلابا ـ لا يستحقون الاستقلال والحرية وهم صفوة المجتمع وزبدة الامة فان الامة بأسرها لا تستحق الاستقلال وليست اهلا للحرية . صحيح أن بعض الجامعيين قد يسيىء فهم هذه الحرية واستقلالها ولكن هذا ليس سببا كافيا لحرمان جميع الجامعيين من الحرية والاستقلال . واذا كانت التربية الحديثة اليوم تنادى بوجوب اطلاق الحرية لكل مدرسة بل لكل معلم فما احق الجامعة بمثل هذه الحرية وذلك الاستقلال !

وهنا يجب أن ننبه الى ان هذه الحرية يجب أن لا تقتصر على شكليات ظاهرة وانما يجب ان تكون حرية حقيقية تتناول البحث العلمى وحق التعبير عن الرأى وامكان التوجيه الاجتماعى وما الى ذلك من امور لا تستقيم الحياة الجامعية بدونها . وبديهى ان يكون ذلك كله ضمن حدود لا تسيىء الى الدولة ولا تضر بمصالح الامة ولا تعرض استقرارها وامنها للتصدع والخلل .

كما اننا نحب أن ننبه الى أن هذه الحرية يجب ان تكون عامة متسلسلة بحيث يكون لكل كلية حريتها في اداء عملها على الوجه الذى تراه مناسبا ولكل قسم حريته في صياغة اهدافه وتعيين طرائقه على الشكل الذى يرتئيه لعمله ولكل استاذ او عضو في هيئة التدريس حريته في القيام بعمله على الطريقة التى تحددها مفاهيمه وتتطلبها مهمته ، بل ولكل طالب حريته في ان يحيا حياته الجامعية على الشكل الذى يحقق امكاناته ويطور قدراته ويهيئه لمقبل ايامه .

نظم التعليم ومناهجه

والظاهرة الخامسة هى مسالة نظم التعليم في هذه الجامعات العربية ، فكل الجامعات العربية باستثناء الازهر والزيتونة قد انشىء على غرار الجامعات الاجنبية، ولما كان بعضها قد تاثر بالنظم اللاتينية والآخر بالنظم الانكلوسكسونية فقد جاءت الجامعات العربية نسخا مهزوزة عن هذهالجامعات الاجنبية . هذا من جهة ومن جهة اخرى فانه لما كانت الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) اقدم هذه الجامعات ، ولما كان الاساتذة المصريون وخريجو الجامعات المصرية منتشرين في كثير من الجامعات العربية فقد تاثرت الجامعات العربية ولا سيما في المشرق العربى بنظم الجامعات المصرية وبهذا المعنى كانت الجامعات المصرية عامل توحيد بين جامعات المشرق ، بيد أن الجامعات المصرية نفسها تاثرت بالجامعات الغربية ، بل وان كلياتها المختلفة تاثرت بنظم مختلفة بما خلق بينها ـ في وقت من الاوقات ـ كثيرا من البلبلة .

ونحن لا ندعو طبعا الى جعل الجامعات العربية نسخا طبق الاصل بعضها عن بعض ، ففى اختلاف نظمها وتنوع مناهجها كثير من الخير والفائدة ، كما ان فيه اضفاء شخصية مستقلة على كل منها . ولكننا بعد ذلك ندعو الى نظم جامعية عربية موحدة وان اختلفت ، متنوعة وان تشابهت . اننا نعتقد أن النظم الجامعية العربية يجب أن تمثل الحياة العربية الماضية والحاضرة وأن تعبر عن تطلعاتها المستقبلة، وهى بهذا المعنى ولهذا السبب لا بد لها أن تكون ذات شخصية مستقلة وطابع خاص وخصائص مميزة . ولا بد لها بعد ذلك من قدر ادنى من التشابه فيما بينها بحيث تيسر التبادل والتعاون فيما يخص الطلاب واعضاء الهيئات التدريسية والكتب والبحوث وغير ذلك من الامور.

ولا بد في هذا الصدد من الاشارة الى واجب الجامعات العربية في احياء التراث العربى وانشاء مؤسسات خاصة لدراسته وايضاحه وتعريف العالم به .

الجامعات والحياة العربية

والظاهرة السادسة تتصل بالدور الذى تلعبه الجامعات العربية في الحياة العربية حولها ، فالجامعة ـ كما هو معروف ـ يفترض فيها أن توجه

الحياة من حولها او ان تؤثر فيها على الاقل ، واذا كان هذا الامر صحيحا مرة بالنسبة للجامعات في البلاد المتقدمة فانه يجب ان يكون صحيحا الف مرة بالنسبة للمجتمعات المتخلفة او المجتمعات الآخذة بالنماء من مثل البلاد العربية .

ان بلادنا العربية تضع خططا للتنمية تهدف منها الى النهوض باقتصادها ومجتمعها ، ومفروض في الجامعات ان تلعب في هذه الخطط دورا اساسيا طليعيا ، ذلك بان الجامعات هى التى تهيىء المختصين والفنيين الذين ينفذون هذه الخطط وينوضون بأعبائها ، ولكن جامعاتنا ـ معظمها على الاقل ـ ابعد ما تكون عن هذه الخطط ، ذلك بان جامعاتنا نفسها تفتقد الخطة لعملها والتخطيط لنموها وتقدمها .

ان معظم الجامعات منعزل عن المجتمع يعيش في برج عاجي (او خشبي) لا يتصل بالحياة من حوله ولا يشارك فيه . ولقد آن الاوان لكي يعاد النظر في عمل جامعاتنا وصلته بالمجتمعات العربية حولها وتكييفه بحيث يصبح قادرا على تطويرها والتطور بها .

وهذا الذى قلناه عن صلة الجامعة بالحياة من حولها يفتح لنا باب الحديث عن خريجي الجامعة وعملهم في المحيط من حولهم ومستقبلهم . لقد شكا مرة وزير التربية في بلد عربى من أن عدد الطلاب من ابناء بلده في قسم الفلسفة ثمانمائة طالب في حين ان مدارس ذلك القطر لا تحتاج لاكثر من معلمين اثنين للفلسفة . وقال ان هؤلاء الطلاب وذويهم والمجتمع من حولهم سيضغطون من اجل تعيينهم في التعليم مما سيجبره على تعيين بعضهم ـ على الاقل ـ لتدريس مواد اخرى غير الفلسفة مما يضر بمصلحة التعليم ولا يرضيهم ، ناهيك بانه سيترك عددا كبيرا منهم بلا عمل . وهذا الذى قيل عن الفلسفة قيل عن الآداب وفروعها والحقوق والمختصين بها ، ويقابله نقص فاضح في المعلمين المؤهلين وبالمختصين في العلوم والاطباء والمهندسين وامثالهم .

لقد آن الاوان لجعل توجيه طلاب التعليم العالى مرتكزا على اسس علمية مدروسة متصلة بقدرات كل طالب وامكاناته اولا وبامكانات الجامعة ومؤسساتها ثانيا وبحاجة البلاد وخطط التنمية فيها ثالثا .

اما ان يترك لكل طالب ان يتوجه الاتجاه الذى يتيسر له بغية الحصول على شهادة جامعية لتحسين وضعه المالي فقط فامر لم يعد يصح السكوت عليه .

وهنا محل الاشارة الى الدراسة الجامعية من حيث الاصل : فاذا كانت الدراسة الجامعية حق لكل راغب فيها قادر عليها عقليا فان من حق المجتمع والدولة ان يفيدا من كفاءات ابنائهما وتوجيه هؤلاء الابناء الى ما يحتاجانه من اختصاصات ومهن . أما أن يترك الامر فوضى دون ضابط أو رابط فشيء لم تعد تحتمله المجتمعات العربية التى تعمل على تطوير نفسها واللحاق بغيرها من المجتمعات المتقدمة .

الحياة الجامعية

والظاهرة السابعة هى انعدام الحياة الجامعية الصحيحة في الجامعات العربية وافتقاد التقاليد الجامعية فيها . واذا وجدنا لجامعاتنا الحديثة عذرا في عدم وجود التقاليد الجامعية فيها بسبب من حداثتها فما عذر جامعاتنا القديمة ، او بعضها على الاقل ؟ ولم لا توجد لها تقاليد متبعة ترسخ الحياة الجامعية فيها وتحكم الصلات بين مختلف مؤسساتها ؟ ثم ان كثرة عدد الطلاب في بعض هذه الجامعات العربية يجعلها امكنة للدرس فقط بل واحيانا للامتحان فحسب مما يفقد الجامعة معناها ويحرمها من روحها وفي هذا ما فيه من ضرر بالغ ، ذلك بان الجامعة ليست محاضرة تلقى او امتحانا يجرى او درسا يدرس ، وانما هى صلة بين الاستاذ والتلميذ وبين التلميذ والتلميذ كما انها طريقة في الحياة والتعامل .

أما بعد

فهذه ملاحظات سريعة عن الجامعات العربية ورأينا ان نسوقها بين ايدى المسؤولين عن هذه الجامعات والمهتمين بامرها من مواطنين عسى أن يكون فيها ما يحفزهم الى النظر في أمر هذه الجامعات ومحاولة اصلاحها وايصالها الى ما يجب ان تصل اليه لتساهم في نهضة الوطن العربى مساهمة جدية فعالة . ■■

فاخر عاقل

ابْنَتِي

شعر : حسن السوس

■ يا دُمْيتي ، يابسمة العصر   يا نشوةَ الاحساس والفكرِ
يازهرة ملأت محاسنها   عينِي ، وغذّت بالشذى صدري
أغلى وأحلى أنت - في نظري -   من كل هذى البيض والسمر
ان مر يوم لا أراك به   - في الدهر - لم احسبه من عمري

■ ■ ■

لله ما أحلاك لاهيةً   لا تعبثين بكل ما يجري
كفَراشة البستان حائمةً   في الحقل من زهر الى زهر
تثبين من كفِي الى صدري   أو تسكنين هناك في حجري
ويمرُّ كفّك ، في أناملها   سحرٌ ، على عنُقي وفي شَعْري
وفمي يجول بها يقبلها   ويمر فوق الخد والنحر
وتثرثرين وانت في حِجري   فالسر عندك ليس بالسر
أو تعبسين وتبسمين معا   أو تأمرين مُطاعةَ الامر
وحديثك العذب الشهي اذا   ينساب في أذنيَّ كالخمر



تهفـو لـه روحي ويغمرهـا ... شيء يشابه نشوة السُكر

■■■

مرآك يجلـو النفس من صدأٍ ... ويذيب كل الهم في صدري
فـاذا ذكرتك - بعدُ - في شعري ... فلأن حبَّـك مُلهم الشِّعر
فمتى أراك - حبيبةَ العمـر- ... تتَبِين من خمس الى عشر
وأرى صبـاك منورا أفقـى ... ومشعشعا في البيت كالبـدر

■■■

انى أهيم بها واعشقها ... وتُحبُّني بفؤادها الفطرى
هى - دائما - ثرثارة تحكى ... هى - دائمـا - مفترة الثغر
هى - بعد - راضيـة وغاضبـة كملائك الرحمن في الطهر
ما خلت بيتا ، ليس يؤنسه ... طفل بطلعته ، سوى قبر
أولادنا أكبادنا نِعَمٌ ... لله توجب أعظم الشكر
فاذا رأيت أبا بطفلته ... كلِفـاً ، ترى فى أمره أمرى ■■

بنغازى - ليبيا **حسن السوس**

أنباء الطب والعلم والاختراع

أحلى من السكر ١٥٠٠ مرة

● لا . ليس السكرين اعنى .
ولا السيكلامات Cyclamate قرين السكارين . وكلاهما مصنوع من بنزين . انما المادة الجديدة ، فهى مادة نباتية مستخلصة من عنيبة من نيجيريا اسمها Serendipity Berry .

ويتحدث عنها الدكتور جورج انجلت Inglett ، من المختبر الاقليمي الشمالي للولايات المتحدة ، فيقول ان العثور على هذا النبات انما كان بعد بحث طويل اختبرت فيه ثمرات كثيرة ، لبضع مئات لنباتات شتى ، في كل من افريقية واندونيسيا ، وذلك بحثا عن مادة حلوة تحلى بها الأطعمة بدلا من تلك المواد الاصطناعية التي تستخدم اليوم للتحلية ويجد الانسان في طعمها الحلو تلك المرارة التي تصحب دائما تلك الحلاوة او تعقبها في لسان الطاعم .

ووجدوا لهذه المادة الجديدة المستخلصة من هذه العنيبة النيجيرية حلاوة تعادل ١٥٠٠ مرة حلاوة وزن مثلها من السكر . ونحن نعلم ان مادة التحلية الشائعة اليوم (وهى غير السكارين Saccharin) ، اعنى بها المادة المسماة بسيكلامات الصديوم Sodium Cyclamate حلاوتها لا تزيد على حلاوة السكر غير ٣٠ ضعفا .

ان هذه العنيبة لا تزرع اليوم في وطنها ، وانما تنبت في الارض من ذات نفسها ، ولا يستخدمها الأهالى ، ولكنها اذا استزرعت فانها قد تصبح مادة تجارية ذات بال لأهل المناطق الاستوائية تدر عليهم مالا كثيرا .

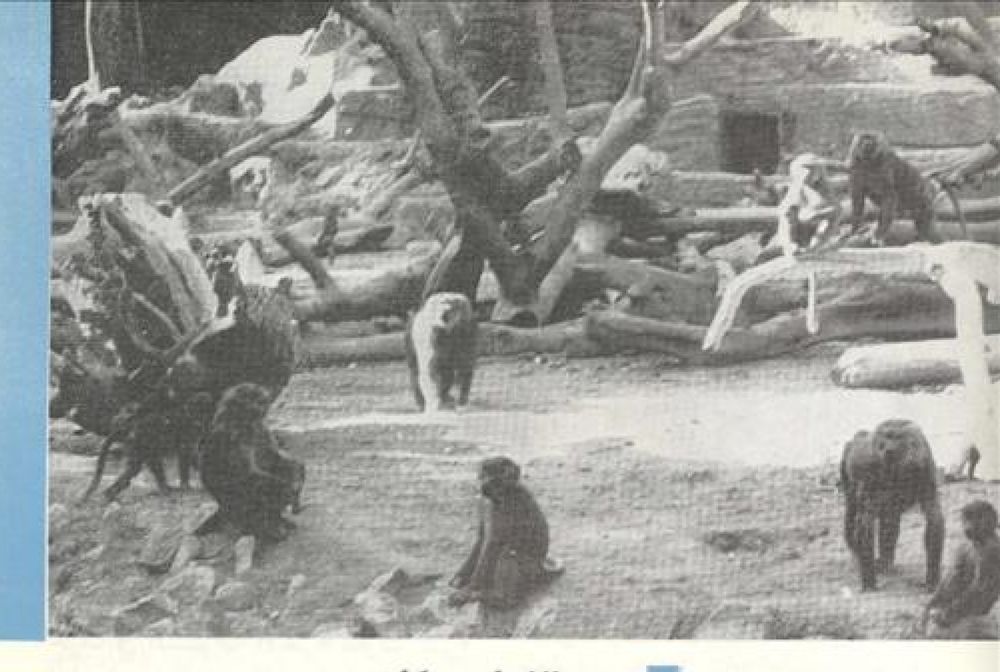
محطة في روسيا قدرتها ٥٠٠٠٠٠ كيلووط كهرباء

● فرغت الآن روسيا من التخطيط لاقامة محطة نووية تربينية تنتج من الكهرباء ٥٠٠٠٠٠ كيلووط .

ومعنى هذا ان الانتاج السنوى لهذه المحطة مقدرا بالكيلووط ساعة سيبلغ ٤٠٠٠ مليون !

ومن المحطات الكبيرة التي تنتج الكهرباء حاليا محطة في Novo-Voronezh بروسيا الوسطى وقدرتها ٢١٠٠٠٠ كيلووط . ومحطة اخرى تشتغل في عام ١٩٦٨ تنتج ٣٧٥٠٠٠ كيلووط .

فلنقرن هذا بما عندنا نحن العرب من ذلك .



انفجار سكان ولكنه من القردة

ان الارض تنفجر بسكانها .

واذن لم لاتنفجر بالقردة وغير القردة.

وهل الانفجار الا كثرة السكان بحيث تضيق بهم الارض .

وهذا ما حدث في جزيرة بربادوس Barbados في البحر الكاريبي ، قرب فنزويلا في امريكا الجنوبية .

فقد كانوا جاءوا بنوع من القردة معروف في الغرب من افريقيا ، بقصد التلهي به ، فاذا به يستوطن الغابات ، ويتكاثر كثرة اصبحت خطرا على البلاد. ان البلاد عماد ثروتها قصب السكر ، وهي ارادت ان لا يكون لها مورد زرعي واحد، فأخذت تدخل الى الزراعة صنوفا اخرى من شتى الانواع . ولكن ظهر ان هذه الأنواع الجديدة كانت اطيب للقردة طعاما . فهي تهبط على المزارع، وتاكل منها ما تشاء ، وتفسدها افسادا، ثم تعود الى الغابات الكثيفة تحتمي فيها .

كثر الطعام فكثرت القردة ، وطابت لها الحياة .

والمراد الآن التخلص من هذه الكارثة. ايقتلون القردة بالسم ؟ فالقردة تسميمها ليس بالأمر السهل . وفوق هذا هناك الحرج الأخلاقي الذى يمنع قتل حيوان بريء كالقردة .

واخيرا قرر بعضهم ادخال العدوى ، عدوى الفيروس اليهم ، فيروس قاتل . فهذا اذا انتشر في القردة قتل .

وعلاج آخر اكثر رحمة . أن يربوا القردة ، وبالاشعاع يعقمونها ، فلا تلقح ولا تلقح ، ثم يطلقونها في الغابات . وتتصل بسائر القردة ، ويعمل بينها عامل الجنس ، ولكن لا يكون من ذلك الولد . وعلى السنين ، وزيادة التعقيم تنقرض القردة .

وكنا اتينا على مثل هذه الطريقة في « العربي » تخلصا من بعض الحشرات الضارة .

الامراض العقلية
هل تسببها مركبات كيماوية
واذن تصلحها مركبات
مثلها كيماوية عضوية

● ونضرب مثلا بالفصام العقلي Schizophrenia . وهو الذى يخلق في الرجل شخصية أخرى الى جانب شخصيته الاولى . وهو من الامراض الكثيرة المنتشرة كما سبق ان ذكرنا وكررنا .

فهذا المرض العقلى يعزى بعض سببه الى الوراثة والى انعصار نفسي ، ولكن جرت في السنوات الاخيرة بحوث كثيرة تدل على ان العامل الاكبر في احداث هذا المرض قد يكون اضطرابات تحدث في كيمياء المخ .

ويعزز هذا ان كثيرا من المستشفيات حملت تقاريرها أنباء تفيد أنه ، في حالات كثيرة ، اعطى فيها المريض جرعة كبيرة من العقار المنشط المنعش الشهير ، الامفيتامين Amphetamine ، فأحدث اعراضا تشبه اعراض مرض الفصام ، حتى ليشتبه الامر وينبهم على الطبيب الفاحص .

وقام ثلاثة اطباء دنمركيين ، فأجروا تجارب في الحيوان ، عرفوا منها ان لها عرضين بينين ، اولهما تصلب بعض اعضاء الجسم في وضع خاص لزمن ، وثانيهما القيام بعمل واحد جامد متكرر يجرى بانتظام ولا يتوقف .

وهؤلاء الاطباء قاموا بحقن المخ ، ما بين شقيه ، بجرعة من الامفيتامين ، فحدث لصاحب المخ ان ظهر عليه عرضا مرض الفصام ، الاثنان المذكوران ، وظلا هناك لمدة ساعات .

وهذا يؤكد ما جاء في تقرير المستشفيات من أثر هذا العقار فى احداث اعراض الفصام أو ما شابهها .

ويزيد اقتناع المرء بما بين الامفيتامين والفصام من الصلة انهم فصلوا من المخ مركبين (Dopamine, Noradrenaline) وبينهما وبين الامفيتامين شبه فى التركيب ، فأحدث هذان المركبان فى الحيوانات سلوكا غير طبيعي .

هذا يثبت على الاقل أن بين المركبات الامينية والسلوك الحيوانى والانسانى غير الطبيعي ، علاقة قائمة .

وقد نستنتج من هذا أيضا ان الفصام الذهنى قد يكون بسبب انتاج المخ لقدر من امينات خاصة هى فوق المعدل الذى يحتاجه الرجل السليم .

من منافع الذرة

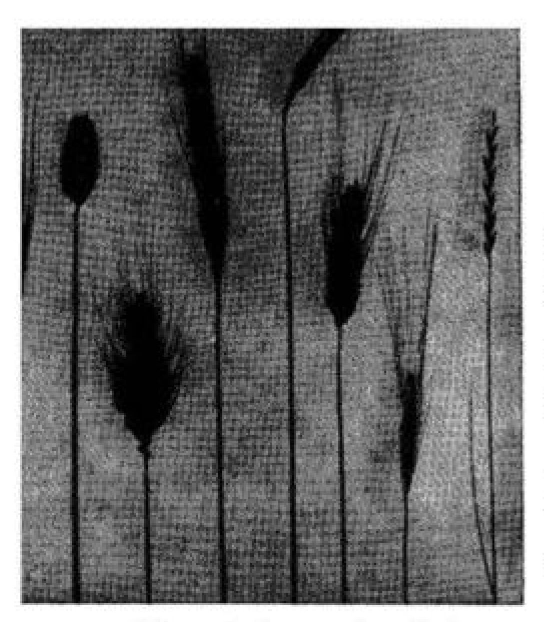
● بينما يفكر الامريكان في استخدام الذرة سلاحا يخرجون به من الورطة التى ورطوا انفسهم بها في فتنام بدون داع ، وبينا يفزع العالم من مثل هذا التفكير ، وتتخلى انجلترا عن امريكا في صراعها هذا اذا هى استخدمت الذرة ، وبينا يلعن الناس الذرة ، ومَن فلق الذرة ....

اذا بالاخبار تأتى لتؤكد أن الذرة مظلومة .

انها كالسلاح . انها كالسكين ، ينفع ، ويذبح .

فمن اخبار الذرة ما صنعه بواسطتها العلماء من تحسين نتاج أطعمة الناس ، نتيجة لما أجروا من ابحاث في السنتين الماضيتين .

وقد اعلن ذلك في مجتمع قريب لفئة



طعام" لأهل الارض

من علماء مختصين في علم الانسال النباتية، جاءوا من ١٤ دولة ، مهدت له الوكالة الدولية للطاقة الذرية مع مؤسسة الاغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة .

ووصفوا عدة من هذه الانتجة الزراعية التى نالها التحسين ، منها خمسة تزرع الآن فعلا زراعة ترسل للأسواق .

فول الصويا : نجحوا في زراعته ابكر من عادته ، وهذا له مغزى اقتصادى عظيم .

الأرز : زادوا من حصيلة النبتة الواحدة منه ، في اليابان .

الخوخ : خوخ اكبر حجما ، وابدر نضجا ، في الارجنتين .

القمح : قمح نسبة البروتين فيه اكبر ، في الهند .

الشعير : شعير أحسن ، في الولايات المتحدة .

وهذه البحوث جرت بانشاء سلالات جديدة عن طريق الاشعاعات والكيماويات من هذه النباتات .

وعن قريب يعلنون عن سلالة قمح جديدة من الارجنتين ، وسلالة شعير من السويد .

الافيون ، الافيون
يعوض زارعوه عن زراعته

● للأفيون منافع في الطب لا شك فيها ، فمنه يستخرج المرفين المسكن الشهير لآلام المرضى .

والمطلوب من الافيون في العالم لهذه الغاية يقدر بنحو ١٠٠٠ طن في العام ، ولكن يزرع منه خلسة ما يخرج ١٢٠٠ طن تتسرب تهريبا الى الاسواق . وتعاني الامم في ضبطها ما تعانى .

ويوجد بين الدول دول تعتمد على زراعة الخشخاش الذى يستخرج منه الافيون موردا للرزق . وهؤلاء القوم قبائل في جبال لاوس وبرما وتيلاند ، وكذلك مستأجرو اراض في تركيا .

وقد نشطت السلطات العالمية المختصة بمقاومة تهريب الافيون ووضعت مشروعا مفاده ان تتصل بزارعي الخشخاش وتعينهم على التحول الى زراعة محاصيل غيره ، وتعوضهم أثناء ذلك على ما يتعرضون له من خسائر .

ونذكر بهذه المناسبة ان المجلس الدولي لمراقبة المخدرات يتألف من ٦٢ دولة كلها مهرت الاتفاق الذى انشأ هذا المجلس بامضائها .

وقد اقترح رئيس هذا المجلس اخيرا انشاء معاهدة دولية هدفها ضبط انتاج العقار L. S. D. في الامم جميعا . ذلك العقار الذى سبق أن كتبنا عنه في « العربى » وعن آثاره .

ملايين من الآباء تهجر أبناءها والاسر

● ظاهرة غريبة يحار فيها علماء النفس وعلماء الاجتماع معا .

هى في بلاد المكسيك خاصة ، ولكنها تنتشر في كثير من بلاد امريكا الجنوبية .

تلك هي هجر الآباء اسرهم وابناءهم، ثم لا تسمع الاسرة عنهم بعد ذلك شيئا .

وتسأل الحكومة المكسيكية عن ارقام واحصاء ، فلا تجد عندها شيئا ، ولكن تجد الاحصاء والارقام عند الكنيسة الكاثوليكية . والكاثوليكية هي دين القوم هناك . وكان آخر ما ينتظر ان يسود هذا في بلد للكاثوليكية فيه اثر كبير . ومن خصومها حق الطلاق ، فما بالك بالترك على زواج . ومن غير زواج ؟!

وقد عدت الكنيسة مائة عائلة هجرها رجلها العائل في السنوات العشرين الماضية .

وهم يتهمون نعرة شاعت في البلاد اسموها الماشستو ، ولو ترجمتها عن الاسبانية لكانت الذكورة او الرجولة، ومعنى ذلك اشتدادها في الرجل الذكر . وقد صارت جائحة كجوائح المرض تكتسح البلاد ، يصحبها معنى من معاني البطولة زائف حبيب .

وصفة الذكور الماشست تظهر في الرجل فيعتوره شيء من الفخار بها اذا هو انتقل من حضن امراة لحضن اخرى، على الزواج او غير الزواج ، وهو في الطريق يولد الانسال من الاولاد والبنات ولا يبالي . انه يختفي . ومن صفة الماشست ان يشرب الخمر كثيرا ويقوى على احتمال الكثير . ومن صفته انه على غدره بالنساء يحتفظ بزمالة الرجل ولا يتركه يسقط اذا ساءت به الحال . ومن صفته أن لا يحتمل اهانة مهما صغرت .. ومن صفته أن يزدرى بالنساء وأن يضعهن في اماكنهن الدنيا حيث وجب أن يكن ، ولو بضربهن .

واحيانا يتقاعد الرجل منهم وقد جمع حوله طائفة من النساء ، تشتغل وتعطيه ويحلبها كما تحلب الابقار .

ومن اجل هذا شاع في المراهقين الجنوح وشاعت الآثام . والشحاذة صارت مهنة الكثيرين وامتلأت بهم الشوارع .

ان وافدة المرض الجثماني تجتاح ، ويجد لها علم الطب بعد البحث، العلاج . ولكن من الوافدات النفسية ما هى اخفى واعز كشفا .

ونسب بعض العلماء هذا التحول الى الفقر الشديد . ونسبوه الى الجهل . ونسبوه الى السرعة الشديدة التى انتقل بها الناس من الريف الى المدينة . وكل جائز . والحقيقة ما تزال مستورة مكنونة . فلعلها لا بسبب واحد كان ما كان . فكل هذه الاسباب التى ذكرت تحدث في اماكن من الارض شتى . ولعلها مجموعة تالفت من عناصر صنعت مجتمعة ماتصف من امر هؤلاء التعساء . والتاريخ لا يجب أن ننساه . ●●

موقف المعتزلة

من: تفسير القرآن والأحاديث المروية

قوم اتخذوا العقل منهجاً هو منهجهم
ثم تعسفوا في تطبيقه
ومع هذا كان لهم فضل غير منكور.

بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجويني
مدرس البلاغة ـ جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم

■ لقد وقف المعتزلة منذ البدء من تفسير القرآن والحديث المروى موقفا عقليا واضحا ، وذلك أنهم اعتبروا العقل قبل الشرع ، وعلى هذا ارتضوا خمسة أصول فكرية لم يخالفوا فيها ـ وان خالفوا فى مسائل فرعية عنها ـ وهي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) .

يضيء موقفهم هذا ما يحكيه الخياط المعتزلى من انه سأل جعفر بن بشر عن قوله تعالى : « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » وعن « الختم والطبع » فقال : أنا مبادر الى حاجة ، ولكنى القى عليك جملة تعمل عليها ، اعلم انه لا يجوز على أحكم الحاكمين أن يأمر بمكرمة ثم يحول دونها ، ولا ان ينهى عن قاذورة ثم يدخل فيها . وتأول الآيات بعد هذا كيف شئت (٢) .

المعتزلة ملتزمون بالمبدأ العقلي

ودلالة هذا الخبر ذات أهمية واضحة ، فالمعتزلة ملتزمون بالمبدأ العقلى أولا وهو هنا مبدأ العدل ، وتتفرع عنه مسائل منها المسألة الواردة فى الخبر المسوق ، وهى هل الارادة الانسانية حرة

(١) الانتصار للخياط ص ٤٩ ـ ٦٠ .
(٢) المنية والأمل للمرتضى ص ٤٣ .

مختارة او مجبرة مسيّرة ؟ اما العقل فيشير الى استحالة ان يجبر الله امرءا على فعل ثم يحاكمه عليه ، واذن فلنتأول الآيات فى هذا المجال الفكرى بعدئذ بفنون وحيَل .

اما وقد اصبح للمعتزلة اسمهم العقلية ، فهم بعد يجولون بنظرة عقلية كاشفة جامعة فى خلال القرآن كله ، وينتهون الى ان ما وافق ظاهرُ معناه مبادئهم فهو مُحكَم ، وما لم يوافق ظاهرُه اصولهم الفكرية فهو متشابه . ولعل اول اشارة صريحة الى هذا نراها فى مسالة انبنَى عليها تاسيس فرقة المعتزلة ، وهي مسالة مُرتكِب الكبيرة ومدى عقوبته . فارتأى مؤسِّسا مدرسة الاعتزال ، واصل وعمرو ، ان المُحكَمات ما أعلم الله سبحانه من عقابه للفساق كقوله « ومن يقتل مؤمنا متعمّدا » وما أشبه ذلك من آى الوعيد ، والمتشابه هو ما أخفى الله عن العباد عقابه ولم يبين انه يعذب عليه كما بين فى المحكم منه (٣) .

واذن تصبح رسالة التفسير عند المعتزلة هي تاويل ما لا يتفق مع مبادئهم العقلية ، اى نظم معنى ما هو متشابه فى سلك ما هو محكم. وحكموا بان من فى قلبه زيغ يتبع المتشابه كاتباع المشبِّهة والمُجبِرة ظاهرَ ما فى القرآن فذمهم الله تعالى بذلك ، والواجب اتباع الدليل ، وليس فى المتشابه آية الا ويقترن بها ما يدل على المراد ، والعقل يدل على ذلك (٤) .

معنى « التأويل » عند المعتزلة

على انه قبل التعرضُ لبعض أساليب المعتزلة فى التاويل يحسن بنا أن نتبين مفهوم المصطلح « تاويل » لديهم ، ونتبينه عند امام من ائمتهم هو الجاحظ (٥) . يورد الجاحظ خبرا يحدث فيه عن العرب انه كان يقول احدهم فى موضع الكفارة والامنية : اذا بلغت ابلِى كذا وكذا ، وكذلك غنَمى ، ذبحتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نَسُك الرَّجَبية ، والجمع عتائر ، والعتائر من الظباء ـ فاذا بلغت ابلُ احدهم او غنمُه ذلك العدد ، استعمل التأويل .

وقال : انما قلت انى اذبح كذا وكذا شاة ، والظباء شاءٌ كما ان الغنم شاءٌ ، فيجعل ذلك القربان شاءً كله مما يصيد من الظباء (٦) . فالتاويل هنا انما هو توجيه اللفظ عن الوجهة المعنوية الأولى المرادة الى وجهة ثانية وفق الهوى ، مع استغلال مرونة اللغة فى ذلك ، فالظباء شاء ، والغنم شاء . والعربى كان قصد بقربانه الى الغنم أولا ، لكنه ضن بغنمه لما تكامل عددها ، وجعل قربانه مما صاده من الظباء .

هذا المعنى بعينه للتاويل نرى المعتزلة يترسمونه فى منهجهم فى تفسير القرآن وتفهم الحديث جميعا . ثم هذا التاويل كان لا بد له من ادوات اجملها كلها الشريفُ المرتضى فى وقفته عند آية من سورة يوسف نصها : « ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » .

قال : (انه اذا ثبت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال ، والمجاز ، ووجوه التأويلات ، أن المعاصي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام ، صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة الى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما يُفعل مثل ذلك فيما يَرد بظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز) (٧) .

أدوات التاويل عند المعتزلة

فالأدوات هي : العقل يساند أصول الاعتزال ،

---

(٣) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ٥٢ .

(٥) للقوم نقاش في هذا المجال أورده السيوطي في اتقانه ولعل أوضحهم تمييزا للفرق ما بين التفسير والتأويل هو الراغب الأصفهاني مولب فكرة الراغب تدور حولها رسالة ابن تيمية (الاكليل فى المتشابه والتأويل) .

(٦) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ١٨ .

(٧) أمالي المرتضى ج ٢ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

واللغة ، والخبرة الممارسة للتأويل .

اما اولى الادوات فلن نقف امامها ، لان مجالها كتب الكلام ، واشار صدر البحث الى امهات مسائلهم فيها . لكن ما يقفنا قليلا هنا انما هو اللغة ، التي حظيت بجانب عظيم من اهتمام المعتزلة واخضعوها الى حد كبير لمنهجهم العقلى فبادىء ذى بدء ، حين راوا ان اهل السنة ــ ويمثل رأيهم ابن فارس ــ يقولون بان اللغة توقيف (٨) ، وان في قولهم هذا يكمن الراى بخلق الله لافعال العباد ، وهو معتقد اهل السنة ، قال المعتزلة من جانبهم ــ ومثل رأيهم ابن جنى وابو علي الفارس ــ ان اللغة اصطلاح ، ورفضوا المواضعة لان القديم سبحانه لا يجوز ان يوصف بان يواضع احدا على شيء ، اذ ان المواضعة لا بد معها من ايماء واشارة بالجارحة ، والقديم لا جارحة له فيصح الايماء والاشارة (٩) .

واذا كانت فعالية اللغة تخضع لارادة انسانية حرة ، فيصبح من ثم للفظ معان قد تتخالف اذ تستخدم في مواطن تعبير مختلفة ، وتحوطها ظروف متغايرة . وعلى حد قول الجاحظ : (قد يشبه الاسم الاسم في صورة تقطيع الصوت وفي الخط وفي القرطاس وان اختلفت اماكنه ودلالته ، فاذا كان ذلك فانما يعرف فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عنتوا بالكلام) (١٠) .

ويبقى ثمة مجال بعد لتمرن اللغة في ايدى المعتزلة وتطوع اكثر . فذهبوا الى انه (ليس يجب ان نؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها اكثر) (١١) والمجاز كما نعلم صورة من صور التعبير الادبى ، فيه من المنافذ الى التاويل ما لا نجده في الاسلوب التحقيقي الذى لا يبيح اللفظ ان يحتمل اكثر من معنى او معان محددة الاستعمال .

ومن هنا تنشا عند المعتزلة مسالة وجوه المعاني . وهذا امر طبيعي حدوثه ، فهم اولا مدرسة عقلية لها مبادئها . وهم ثانيا كانوا في موقف المدافع عن الاسلام ضد هجوم الديانات الاخرى ، واقتضاهم التامل العقلى للآى القرآنى تلمس الوجوه المناصرة ، وكلما كثرت ادلتهم وزادت براهين حجاجهم كان هذا مدعاة لارباك الخصم المناظر او استسلامه . واعانهم على مهمتهم مرونتهم العقلية كمتكلمين درسوا الفلسفة والمنطق من ناحية ، وكفصحاء ذوى دراية باللغة والادب من ناحية ثانية . وكذلك تتضخم ثروة التفسير عندهم من موروث نقلى لا يعارض مبادئهم ، واعتزالى تناقلته اجيالهم ، ومستحدث يضيفه كل جيل الى ما لديه ، ومن ثم نجد عند مثل المرتضى مثل هذه العبارة (ويمكن في الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه ..) (١٢) .

بل ان المرتضى نفسه ينبه في صراحة ــ وان لم ينص على القرآن ــ ما يتبع في تفسير الكلام ، يقول : (الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعانى) (١٣) .

والآن لنر الى اى حد عانى المعتزلة في تطبيق هذا المنهج بتقليب النص على كل الوجوه المعنوية المحتملة في اطار مبادئهم الفكرية . هذه آية ظاهرها يصدم في صراحة راى المعتزلة في التوحيد . والمسالة فيها هي : هل البصر يستطيع رؤية الله على التحقيق ؟ يمهد الشريف المرتضى للتقليب المعنوى للنص بقوله (اعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته) . وهكذا في تحديد قاطع يضع المبدا الاعتزالي واضحا نصب العين . ثم يتطرق من هذا الى تاويل مفهوم (النظر) فهو عنده ينقسم اقساما كثيرة :

---

(٨) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٥ .

(٩) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٩ .

(١٠) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٣٠٥/٣٠٦ .

(١١) امالى المرتضى جـ ٢ ص ٣٦ .

(١٢) مثلا امالى المرتضى جـ ٢ ص ٩٧ و جـ ٢ص ٥٤ ومواضع اخرى ..

(١٣) امالى المرتضى جـ ١ ص ١٤ .

(ومنها : تقليب الحدقة الصحيحة في وجهه المرئي طلبا لرؤيته ..

ومنها : النظر الذى هو الانتظار ..

ومنها : النظر الذى هو التعطف والرحمة ..

ومنها : النظر الذى هو الفكر والتامل ...) .

ويخلص الى انه (اذا لم يكن في اقسام النظر الرؤية ، لم يكن للقوم بظاهرها تعلق ، واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الآية من غير جهة الرؤية) ثم يذكر أن بعض المفسرين تاول « النظر » على الانتظار للثواب ، وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا ، والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة . ثم اذا انتهى المرتضى من تقرير ذلك كله في تاويل النظر على انه ليس الرؤية ، يعود فيسلم بان النظر قد يكون من اقسامه الرؤية بالبصر ، ولكن رؤية ماذا ؟ (وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئى في الحقيقة) .

ومن بعد ذلك العناء كله يحاول الشريف المرتضى أن يهدأ بالا فينتهي الى راى بعض المعتزلة في تاويل الآية : (وها هنا وجه غريب في الآية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر ، او الى تقدير محذوف ، ولا يحتاج الى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية او لا يحتملها ، بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو أن يحمل قوله تعالى « الى ربها » الى انه أراد نعمة ربها لأن الآلاء النعم (١٤) ..) .

وليس من شك انه اذا كان المرتضى قد ارتاح الى هذا التاويل الأخير ، فلسنا نرتاح اليه لما يحمل من تعسف وتمحل واضحين ، اذ « الى » هنا حرف جر وليست اسما بمعنى النعمة .

واذا كان طبيعيا أن مثل هذا المنهج الذى اتبعوه في تفسير القرآن دعاهم الى التعسف والتكلف فيما ورد من آى قد تعارض مبادئهم من ناحية ، الا انه كان لهذا المنهج من ناحية أخرى فضل غير منكور .

منهج دعا الى التعسف لم يخل من فضل غير منكور

منه هذه الوقفات العقلية من تفسير القصص القرآني لآيه .فاوصى النظام المعتزلي بالا نسترسل الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة واجابوا في كل مسالة ، فان كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير اساس ، وكلما كان المفسر اغرب عند العامة كان أحب اليهم . وضرب مثلا بعكرمة والكلبي والسدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وابى بكر الاصم ، ودعا الى عدم الوثوق بتفسيراتهم ، فقد قالوا في قوله عز وجل « وان المساجد لله » ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها بل انما عنى الجباه ، وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وأنف وثفنة .. وقالوا في قوله تعالى « ويل للمطففين » ، « الويل » وادر في جهنم ، ثم قعدوا يصفون ذلك الوادى ، ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف كان في الجاهلية قبل الاسلام وهو من اشهر كلامهم .. وقال آخرون في قوله تعالى « عينا فيها تسمى سلسبيلا » قالوا : أخطأ من واصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وانما هي (سل سبيلا اليها يا محمد) فان كان كما قالوا ، فاين معنى تسمى ، وعلى أى شيء وقع قوله تسمى ، فتسمى ماذا ؟ وما ذلك الشيء .. الخ (١٥) .

ومن حسنات ذلك المنهج أيضا فطنتهم الى ملاحظ ادبية ذات قيمة تبلغ اوجها في تفسير واحد منهم هو الزمخشرى ، ولكن ليكفنا هنا ما نجدهم وفقوا اليه من استشفاف ما في النص من معان نفسية، من مثل ما نجد من صنيع الجاحظ حين يفسر قوله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » فيقول (لأن الانسان عن

---

(١٤) امالي المرتضى جـ ١ ص ٢٨ .

(١٥) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٢٤٣ – ٢٤٦ .

الانسان افهم وطباعه بطباعه آنس ، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه) (١٦) وينظم الآى :

أ ـ « كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

ب ـ « في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة » .

جـ ـ « فاما من أوتى كتابه بيمينه » .

د ـ « وأما من أوتى كتابه وراء ظهره » .

هـ ـ «اقرأ كتابك بنفسك اليوم عليك حسيبا» .

ينظمها في تفسير نفسي واحد فيقول : (ولو لم تكتب أعمالهم لكانت محفوظة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ، ولكنه تعالى وعز علم أن كتاب المحفوظ ونسخه اود وابلغ في الانذار والتحذير ، واهيب في الصدور (١٧) .

موقف المعتزلة من الحديث المروى هو موقفهم من القرآن

والموقف عينه الذى وقفه المعتزلة من تفسير القرآن يقفونه من الحديث المروى ، مع فارق هام وهو أن النص القرآنى نص موثوق معتمد في الدرجة الأولى من حيث متلقى الوحىّ والمُوحَى به ، فحرية المعتزلة فيه حرية تاويل . اما الحديث فلقد يوضَع ويزيّف ، ومن ثم يُجَرَّح المَتْن كما يُجَرَّح السَّنَدُ والرواة ، واذن حرية المعتزلة في الحديث مطلقة .

لقد يتفق أن تجد سلسلة رواة هي هي في حديثين ، لكن أبا علي المعتزلي مع توثيقه لهذه السلسلة يجول بعقله ناقدا متن احد الحديثين ، غير ملتفت هنا الى السند الذى وثقه هناك . (سأل البركاني أبا علي فقال : ما تقول في حديث أبى زياد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ؟ فقال أبو علي : هو صحيح.) ، فيقول البركانى : فبهذا الاسناد نقل حديث حج آدم موسي . فقال أبو علي : هذا الخبر باطل . فيجيبه البركاني : حديثان باسناد واحد ، صححت احدهما وابطلت الآخر ؟ فيرد أبو علي قائلا : لان القرآن يدل على بطلانه واجماع المسلمين ودليل العقل .. أليس في الحديث ان موسي لقى آدم في الجنة فقال : يا آدم ، انت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، واسكنك جنته ، واسجد لك ملائكته ، أفعصيته ؟ فقال آدم : يا موسي ، أترى هذه المعصية فعلتها انا أم كتبها الله عليّ قبل أن اخلق بالفى عام ؟ قال موسي : بل شيء كان كتب عليك . قال فكيف تلومني على شيء كان قد كتب عليّ ؟ قال فحج آدم موسى . قال أبو علي للبركاني : أليس هذا الحديث هكذا ؟ قال : بلى .

قال أبو علي : أليس اذا كان عذرا لآدم يكون عذرا لكل كافر وعاص من ذريته وأن يكون من لامهم محجوجا ؟ فسكت (١٨) .

وهكذا فمع أن السند الراوى موثق عنده ، لكنه غير ملتفت اليه لان متن الحديث يصدم فكرة المعتزلة في حرية الارادة الانسانية ، ومتن الحديث ظاهر اشارته الى أن ارادة البشر مسيرة غير مخيرة .

لكنا نلحظ أنه وان استخدم أبو علي آلة المنطق والعقل في نقد الحديث لم يأتنا بدليلي القرآن والاجماع .. على كل حال فلقد نادت بالمعتزلة تشريحاتهم العقلية لمتن الأحاديث للتنبه الى أمور ينبغى للمشتغل بالحديث التفطن لها ، منها مناسبة الحديث وسبب روايته ، وصلته بنسقه المعنوى ، بما قيل قبله أو بعده من كلام ، وبما لابسه من ظروف القول وعلله . وينبهنا الى هذا ما نسمعه من الجاحظ اذ يقول مرة في حديث قتل الوزغة : (.. وبعد ، فلعل النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا القول ، ان كان قاله على الحكاية لاقاويل قوم . ولعل ذلك كان على معنى كان يومئذ معلوما فترك الناس العلة ورووا الخبر سالما من العلل ، مجردا غير مضمن . ولعل من سمع آخر هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد أوله

---

(١٦) الحيوان جـ ١ ص ٤٥ .

(١٧) الحيوان جـ ١ ص ٦٢ .

(١٨) المنية والامل للمرتضى ص ٤٦ .

ولعله عليه الصلاة والسلام قصد بهذا الكلام الى ناس من اصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شيء . وكل ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدفوع) (١٩) .

ويقول في موضع ثان : (ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعتبة بن ابى لهب « آكلك كلب الله » . فاكله الأسد ... والنبى صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا قط وان كان قاله فعلى صلة كلام او على حكاية كلام) (٢٠) .

وبين ان المعتزلة لم يتوقفوا مثلا عند مسالة السند أول الأمر – صنيع المحدثين – يوثقون او يضعفون لتسهل لهم بعدئذ مهمتهم النقدية ، لكنهم قصدوا قصدا الى متن الحديث يخضعونه لعقلهم سواء على فرض صحة روايته او عدمها . فيروى الجاحظ في شان طعن بعض الملحدين من المعاندين ، او بعض الموحدين من الاغبياء المنقوصين . في ملك الخصي وبيعه وابتياعه انهم يذكرون في هذا السبيل الخصي الذى كان المقوقس عظيم القبط اهداه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع مارية القبطية ام ابراهيم عليه السلام ... ويقول ناقدا : (.. قبل كل شيء لا يخلو هذا الحديث من ان يكون مرضي الاسناد صحيح المخرج ، او يكون مسخوط الاسناد فاسد المخرج . فان كان مسخوطا بطلت المسالة . وان كان مرضيا فقد علمنا انه قبله منه بعد ان علم انه خصي ، وعلى ان قبول الهدية خلاف الابتياع .. الخ) (٢١) .

وهكذا يمضي الجاحظ في تشريحه العقلى للحديث ، ولا يخدعنا تشكيكه في سلسلة الرواة بصيغة الفرض والاحتمال ، فقد كان يمكن ان يعفينا ويعفى نفسه مئونة نقد الحديث لو انه انتهى فيهم الى راى بجرح او تعديل ، ولكن همه المتن اولا واخيرا . ولقد امعن المعتزلة في منهجهم النقدي هذا تجاه الحديث المروى اتصل بمبادئهم ام لم يتصل .

وكان لموقف المعتزلة هذا من الحديث رد فعل عند اهل السنة ، فتصدى ابن قتيبة لهم يؤلف كتابه (تاويل مختلف الحديث) والمعتزلة هم قصده بتاليفه . قال : (ونحن لم نرد في هذا الكتاب ان نرد على الزنادقة والمكذبين بآيات الله عز وجل ورسله ، وانما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين الى المسلمين) (٢٢) .

وفي مجال التفسير والحديث معا نعى ابن حنبل على المبتدعة – ومن بينهم المعتزلة – انهم يعتمدون على العقل واللغة ، ولا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وانما يعتمدون على كتب الادب ، وكتب الكلام وضعتها رءوسهم (٢٣) .

ثم .. هل من مآخذ على منهج المعتزلة ؟ .

انهم اخطأوا حين وقفوا من ظاهر النص القرآني موقفين متعارضين : الظاهر ما ساند مذهبهم ، والا رفضوه ونادوا بالتاويل واعمال العقل يمرون التماسا لما في رءوسهم من افكار . والحق ان خطأهم الاكبر انما يكمن في اعتمادهم لمبادئهم الفكرية اعتمادا قاطعا باتا ، حاولوا به ان يخضعوا الدين – وفيه من الغيبيات ما فيه – لتلك المبادىء . وكانت التهم الاولى في ذلك العقل الذى جمحوا به جموحا اوردهم موارد الشطط والتعسف مسخرين في سبيل تلك الغاية ما وعوا من معارف .

ولئن كانت بدايتهم دفاعا عن الاسلام من طعنات اعدائه ، فلقد كانت نهايتهم تعصبا مذهبيا لغاية التعصب وردد صدى ذاك كله تاويلهم النص القرآني . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى
جامعة القاهرة – فرع الخرطوم

(١٩) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٣٠٤ – ٣٠٦ .
(٢٠) الحيوان للجاحظ جـ ٢ ص ١٨١/١٨٢/١٨٤
(٢١) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ١٦٣ – ١٦٦ .
(٢٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٥٣ .
(٢٣) الايمان لابن تيمية ص ٤٨ .

الجمع ، متى يوصف بالمفرد ، ومتى يوصف بالجمع

■ ١) أ ـ « جنات معروشات » سورة الانعام الآية ١٤١ .

ب ـ « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب » سورة مريم الآية ٦١ .

٢) أ ـ « اياما معدودات » سورة البقرة الآية ١٨٤ وآل عمران الآية ٢٤ » .

ب) « أياما معدودة » سورة البقرة الآية ٨٠ .

القسم الاول « جنات » جمع مؤنث سالم لغير العاقل ، وصف بالجمع ، ووصف بالمفرد المونث . والقسم الثاني « أيام » جمع تكسير لغير العاقل ، وصف بالجمع ، ووصف بالمفرد المونث .

٣) « ولهم فيها ازواج مطهرة» سورة البقرة الآية ٢٥ .

« انا أحللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن » سورة الأحزاب الآية ٥٠ .

هذا القسم « ازواج » جمع تكسير للعاقل ومع ذلك وُصف مرةً بالمفرد ووُصف مرةً بالجمع .

القاعدة المستنتجة

أ ـ جمع غير العاقل يجوز وصفه بالمفرد المؤنث ويجوز وصفه بالجمع المناسب له كما فى القسمين (١) و (٢) .

ب جمع التكسير الدال على العقلاء يجوز ايضا وصفه بالمفرد المؤنث ويجوز وصفه بالجمع المناسب له كما فى القسم (٣) . ويؤيد القاعدة عودة الضمير فى الفعل . ففي قوله تعالى « واذا الرسل اقتت » سورة المرسلات الآية ١١ يجوز ان تقول رسل مؤقتة . وفى قوله تعالى « بلى ورسلنا لديهم يكتبون » سورة الزخرف الآية ٨٠ يجوز ان تقول رسل كاتبون .

٤) «رب هب لي من لدنك ذرية طيبة» سورة آل عمران الآية ٣٨ .

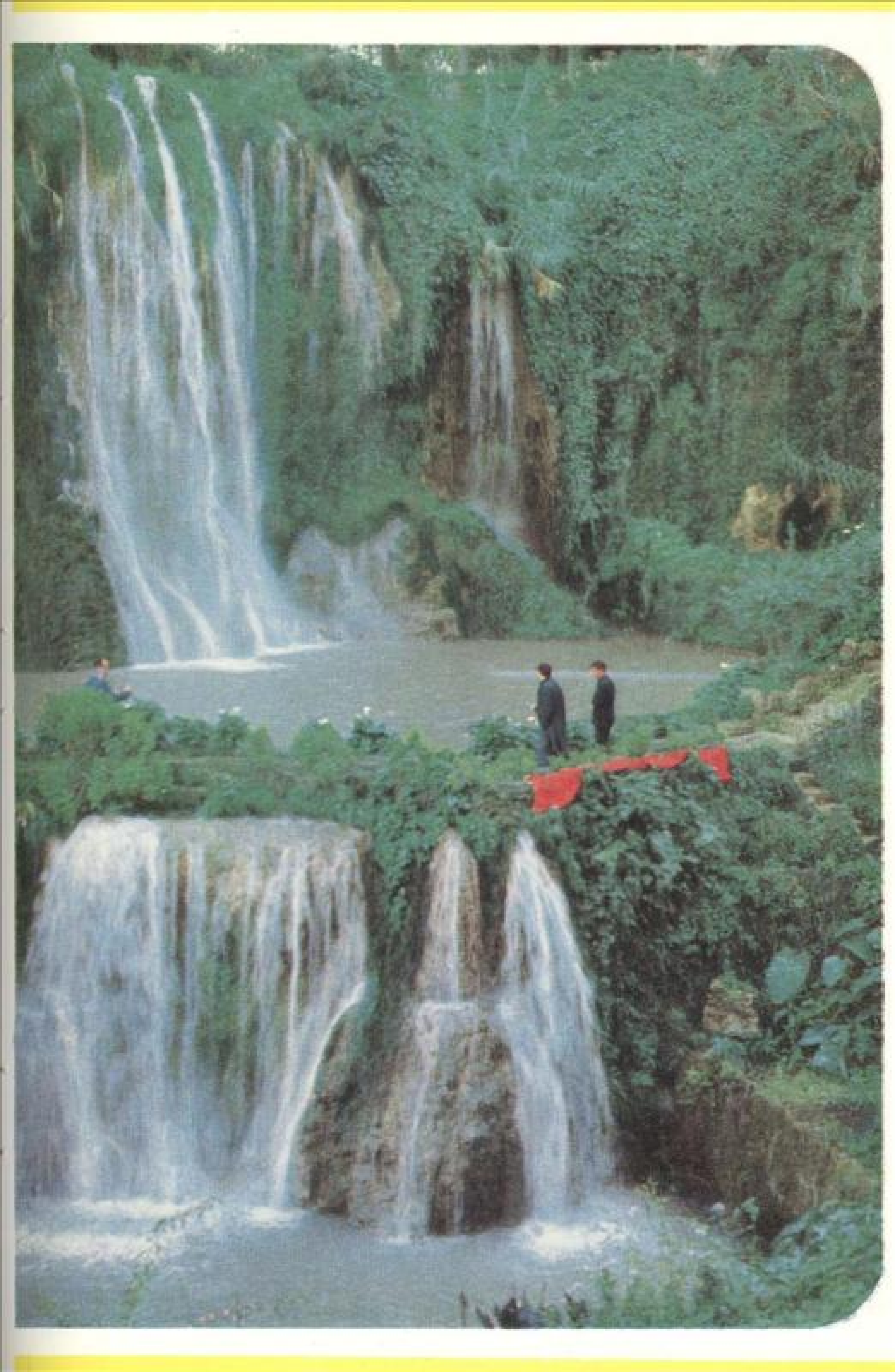
ب ـ «وله ذرية ضعفاء » سورة البقرة الآية ٦٦ .

جـ ـ « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا » سورة النساء الآية ٩ .

هنا لفظ ذرية ، مفرد ولكنه يدل على جماعة ، فجاز وصفه بالمفرد كما فى المثال (أ) وجاز وصفه بالجمع كما فى المثالين (ب ، جـ) .

هذا وقد استنتج الاستاذ عباس حسن عضو مجمع اللغة العربية فى كتابه النحو الوافي من بعض كتب التفسير ان جمع المؤنث السالم للعاقلات يجوز وصفه بالمفرد المؤنث ، ووصفه بجمع المؤنث السالم ووصفه بجمع التكسير تقول السيدات الفاضلة والسيدات الفاضلات والسيدات الفواضل : ■■

عبد الستار فراج





مكناس

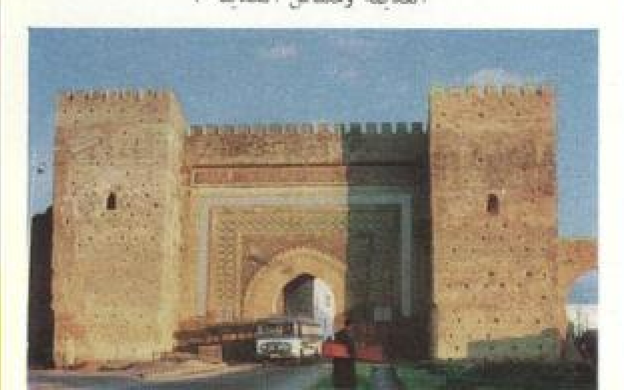
مدينة مولاي إسماعيل تغط في نوم عميق

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري

الى اليمين : كل شيء سكن وخمد في الوادى السعيد .. ولم يعد باقيا فيه من مظاهر الحياة سوى صوت لدفق المياه !

بوابة الربيع .. انها واحدة من ١٥ بوابة اثرية تربط بين مكناس القديمة ومكناس الحديثة .



■ مكناس ... مدينة مغربية فقدت طابعها الاندلسي الجميل الذى كانت تتميز به !!

كانوا يسمونها « المدينة الملكية » وهذا شرف عظيم حظيت به مع ثلاث مدن مغربية اخرى ، هى : مراكش ، وفاس ، والرباط ..

وظلت مكناس متمتعة بمزايا هذا اللقب الملكي طوال فترة حكم مولاى اسماعيل ، التى استمرت خمسين عاما كاملة (١٦٧٢ – ١٧٢٦م) وبوفاة مولاى اسماعيل خرجت مكناس من دائرة الضوء ، وراحت تغط في سبات هادىء عميق ، تحت ظلال جبال زرهون العالية ، التى هى جزء من جبال اطلس الوسطى .

هجرة يومية

ولم تستيقظ مكناس من نومها الا مرة واحدة، عندما اقلقتها أصوات معاول العمال ، وهدير الآلات التى جلبها الفرنسيون عام ١٩٢٠ ليشيدوا بها – بمواجهة مكناس القديمة – مكناسا حديثة ، بشوارع فسيحة ، وعمارات رشيقة ، تكون مقرا



وادى بو فيكران .. ومنازل الصفيح التي يعيش فيها النازحون الى المدينة .. وفى الطرف الآخر عمارات مكناس الحديثة ..

لسكناهم ، كعادتهم في جميع بلاد المغرب العربى !

ولعبت الفترة الجديدة بقلوب اهل مكناس القديمة فاجتذبتهم من خلف اسوارهم العالية الواحد تلو الاخر ، ومن حاول منهم الثبات ، وجد نفسه منساقا تلقائيا مع التيار البشرى المندفع كل صباح على الاقدام ، وفوق الدراجات ، وداخل الحافلات ، الى مكناس الجديدة ، حيث مقر الوزارات ومكاتب الشركات ، والمتاجر والاندية ، وكل اسباب الحياة الحديثة .

وادى السلحفاة والفلفلة

وفي أثناء هجرتهم اليومية يعبر الاهالي فوق جسرين حجريين مقامين على الوادى الفاصل بين المكناسين ، والذى يطلقون عليه اسم وادى بوفكران ، أى وادى السلحفاة .. وان كان بعضهم يطلق عليه اسم وادى اللؤلؤ أو وادى الفلفلة ..

ومن المكناسين القديمة والحديثة ، تتدفق المياه الزائدة ، فتروى مزارع البنجر والبطاطس « والخضروات » ، التى زرعها بعض المزارعين والبدو الذين بهرتهم أضواء مكناس فقصدوها ، معللين النفس بحياة رغيدة ، ولكنهم سرعان ما يصطدمون بحقيقة الانوار الخداعة ، ولكن كرامتهم تأبى عليهم العودة الى قراهم بخفى حنين، لهذا جعلوا وادى السلحفاة سكنا لهم ، فاقاموا أشباه منازل من الطين والصفيح ليعيشوا داخلها، وسط المياه الزائدة المتدفقة عليهم من المكناسين..

الفم والانف ..

ووسط هذا التيه البشرى المتنقل بين المدينتين القديمة والحديثة ، تسير المرأة بزيها التقليدى الذى ما زالت متمسكة به : جلباب يغطى الجسم، ومنديل يغطى الفم والانف ، ولكنها طورتهما ، فزادت من طول الفتحة الجانبية للجلباب مظهرة منها أطراف قماش البروكار والنايلون ، اللذين ترتديهما تحت الجلباب .. أما المنديل الذى تخفى به انفها وفمها ، فقد طورته هو الآخر بتطريزه ، وتنويع الوانه ، من الاخضر والاحمر الى الازرق والابيض !

تأمل وتسكع

وتذهب المرأة بلباسها التقليدى الى مقر عملها

خريطة المغرب العربي .. وقد ظهر عليها موقع مدينة مكناس انها خامس مدن المغرب ، من حيث عدد السكان ، اذ تتقدمها الدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس .. وعدد سكان مكناس ٢٣٠ ألف نسمة ، وارتفاعها ٥٢٢ مترا عن سطح البحر .

في مكاتب الحكومة والشركات بمكناس الجديدة ، وبمجرد دخولها الى غرفة مكتبها تنزع المنديل عن وجهها ، وتخلع الجلباب الذى تخفى تحته زيا حديثا عاديا ، وتجلس تعمل سافرة في مكتبها، ولكنها تعاود ارتداء الجلباب وتضع المنديل على وجهها عندما تنصرف الى منزلها في مكناس القديمة ..

وعند الاصيل تتكرر « الهجرة » وخاصة هجرة الشباب الذين تمتلىء بهم مقاهى مكناس الجديدة، وتغص بهم شوارعها ، وعلى الارصفة يسيرون جماعات متفرقة ، يتطلعون الى واجهات المتاجر الحاوية لآخر المبتكرات الحديثة في كل فن وصناعة ... ولكن اغلبهم لا يشتريه وانما يكتفى بالتأمل، حتى يحين موعد بدء الحفلات في دور السينما ، فيدخل احداها ليشهد فيلما ناطقا بالفرنسية دون ترجمة عربية !

واحة وسط بحر من الخضرة

والاغنياء من اهل مكناس ـ وما اكثرهم ـ يملكون في العادة منزلين : واحدا في المدينة القديمة وآخر في المدينة الحديثة ..

واذا كانت مكناس اليوم تنقسم الى مدينتين مختلفتين تماما ، فان مكناس الأمس بدأت بثلاث قرى ، كل منها تحمل اسما مختلفا، فهذه مكناسة تازة ، وتلك مكناسة الزيتون ، ثم تاجرارت فيما بعد .

وكلمة مكناسة هى الأصل الذى اشتقت منه كلمة مكناس ، ومكناسة هى قبائل قدمت مع جمالها ، وماشيتها من الشرق ، في طريقها الى ساحل المحيط الاطلسي في القرن الخامس الميلادى، وعند وادى بوفكران توقفت هذه القبائل وشيدت قراها فوق حافة هذا الوادى الغنى بالينابيع وعيون الماء .

وساعدت هذه المياه المتدفقة ، والارض الخصبة الطيبة ، على تحويل رجال قبائل مكناسة من بدو رعاة ، الى فلاحين ، يزرعون الزيتون والفواكه من تفاح وتين وكمثرى ، في واديهم الكبير ، الذى مر به ابن بطوطة فذهل وكتب يقول : « وصلت الى مكناسة العجيبة الخضرة النضرة ، ذات

الحاج محمود جالسا على الارض في الهواء الطلق ، ممسكا بالمغرفة الطويلة ومناديا على بضاعته .. انه يبيع حب المزار ، « والسكنجبيل » والكمون ، والعشب .. وعود النوار والفلفل الحار والشطه .. انها بعض انواع التوابل التي يبيعها لك لتضعها في طعامك .. فتفتح شهيتك وتلهب جوفك !



الى اليسار : ينتشي اهل مكناس عند شربهم الاتاى (الشاى الاخضر) المخلوط بالنعناع .. وفي سوق العطارين يكثر بيع الاطقم المعدنية المطلية بالفضة ، التى تستعمل لصنع الاتاى .. وثمن الطقم ٣٢٥ درهما (نحو ٦٤ دولارا) ويتكون من الموقد والبراد والصواني ، واطباق الحلويات ، ومجموعة الصناديق لوضع الشاى والنعناع والسكر .

جائزة الشرف من معرض مكناس ، حص
عليها العامل الفنان احمد بن محمد ، الل
برع في زخرفة قماش المبرد (القطيفة) بالخيو
الذهبية .. وترسل اليه النساء القفاط
وحقائب اليد وملابس ختان الاطفال وطرابيش
المصنوعة كلها من القطيفة لكي يزركشها بخيو
المذهبة ، ورسومه الزخرفية .



الى اليمين : تميل نساء مكناس الى ش
الاقمشة ذات الالوان الزاهية المتعددة
يرتدينها تحت الجلابة ذات اللون الواحد
وهذه امرأة ، تساوم البائع على ثمن قطعة
قماش البروكار المحلى بخيوط ذهبية ، لتص
منه فستانا ترتديه ابنتها في العيد .

البساتين والجنات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها » ..

ووسط هذه السهول الخضر ، التى تضم مليون شجرة زيتون و ٢٠٠ الف شجرة فاكهة ، ومصنعا كبيرا لتعبئة الزيتون وأكبر مصانع المغرب لصنع النبيذ والشمبانيا والفرموت .. وسط هذا كله تقع مكناس ، على ارتفاع ٥٢٢ مترا من سطح البحر ، مستظلة من الشمال بجبال زرهون المكللة هاماتها بالثلوج البيضاء ، ومن الجنوب تحميها جبال الأطلس ذات الاحجار الوردية ، من عواصف ورمال الصحراء .

اختراق حجب الزمان

وتحيط بمكناس أسوار قديمة ضخمة متداخلة تتخللها بوابات هائلة الحجم ، جميلة المنظر لكن ينقصها التناسق الهندسي .. فهذه بوابة المنصور الضخمة التى ترتكز على أعمدة مرمرية قصيرة لا تتناسب اطلاقا مع ضخامة البوابة .. لقد جلبوا هذه الأعمدة القصيرة من الآثار الرومانية في مدينة وليلى Volubulis الرومانية القديمة ..

وما نكاد نعبر احدى هذه البوابات حتى نشعر وكأنك اخترقت حجب الزمان ، وانتقلت الى عصر لا يمت الى هذا العصر بصلة ..

فهنا منازل متلاصقة تمنع أشعة الشمس من الدخول .. بينها ازقة ضيقة ملتوية تندفع في وسطها المياه الزائدة الآسنة .. وعلى الجانبين متاجر ودكاكين متتابعة ، واحدة يجلس فيها عامل فنان يزخرف القفطان المخملى والبابوج والطربوش بخيوط الذهب .. وثانية يجلس فيها بائع « البلغة » .. ما زالت بضاعته رائجة ، ولكنه يبدو وكأنه خجلان من مهنته أو يريد التخلص منها ، فتجده يضيف الشموع والأحزمة والاحذية الى جانب البلغ القديمة .. وهذا بائع الزرابى (السجاد) ذو الرسوم القبلية .. وذاك بائع الصوف الملون المصبوغ ، يبيعه بالكيلوجرام للسيدات ..

وفي ساحة مكشوفة يجلس بائع الملح الجبلى يبيع بضاعته للسيدات ، اللواتي يعتقدن ـ مثل الطوارق في الجزائر ـ بأن نتائج استعمال الملح الحجرى في الطعام ، تكون دائما عظيمة الفائدة ..

ويأتى البدو الى سوق صوف الغنم ، يبيعون صوفهم للنساء بستة دراهم للكيلوجرام الواحد ،

بعد قرون من الحروب المدمرة ظهرت مكناس الملكية في القرن السابع عشر الميلادى ، كعاصمة لمولاى اسماعيل .. وما زالت مكناس القديمة على حالها

الى اسفل : المنديل الذى تضعه المرأة المغربية المحافظة على وجهها وفمها ، هو الشيء الوحيد الذى يفرق بين الرجل والمرأة .. فاللباس الشعبى يكاد يكون واحدا لا اختلاف فيه عند الجنسين .



وفي منزلها تغزل المرأة الصوف الخام ، وتجعله على هيئة خيوط تنقلها الى السوق وتبيعهـــا بعشرين درهما للكيلو ..

المدينة الفاضلة

ووسط هذا البحر الزاخر بالناس من كل لون، والمندفع في الأسواق المسقوفة التى لم يتبدل معظمها منذ ۳۰۰ عام ، يتعالى صوت بائع النعناع الاخضر ، فيرد عليه بائع اللويزا (نوع من الاعشاب الخضراء يستعمل مثل الشاى) كل من البائعين يريد بيع بضاعته قبل الآخر ..

ويطغى عليهما صوت بائعة خبز الشعير ، وهى تنادى على ارغفة خبزها الخاص الذى يأكلونه مع صحن الكسكسي المفضل .. ويرتفع صوت بكاء الاطفال المحمولين داخل أكياس فوق ظهور أمهاتهن، ويزيد هذا الزحام ظهور حمار محمل بحزمة هائلة من الأخشاب ، يريد المرور بها وسط الوف البشر، واعتقدنا انها ضرب من المحال ، ولكن سرعان ما انساب الحمار بحمله الكبير وسط الجموع ، ومن خلفه صاحبه يصيح بملء فمه : بالك .. بالك ..

وتمتعض الفتاة القادمة من مكناس الحديثة بسبب هذه الفوضى ، فترطن بالفرنسية ، وتزداد رطانتها عندما يصيبها رشاش من مياه حنفية ساحة التوتة ، التى يشرب ويلهو تحتها الصبية منذ عهد مولاى اسماعيل !

ومن هذه الزنقات والدروب المتشابكة ذات الارض الحجرية تتصاعد روائح كثيرة غير مستحبة، يسير عليها فتيات وفتيان مدرسة « لالا عودة » غير عابئين بشيء مما حولهم ..

لقد اصبحت المدن العربية القديمة تشكل عبئا ضخما ينوء به كاهل المدن الحديثة ، حتـى اضحت عملية اصلاح القديم لا تجدى نظـرا لنفقاتها الباهظة ، ولم يعد هناك سوى حل واحد هو الهدم ، مع الابقاء على المباني القديمة ذات القيمة الفنية والأثرية .. واخشى ما يخشاه الانسان هو موقف مصالح السياحة في كل بـلاد العالم وفي بلاد الشرق خاصة ، فهى تفضل دائما الابقاء على الطابع القديم ، الذى يجذب في رأيها حفنة من السائحين كل عام !

أزمة ... ولا كل الازمات !

بلدية مكناس تعيش في مبنى واسع جميل ..

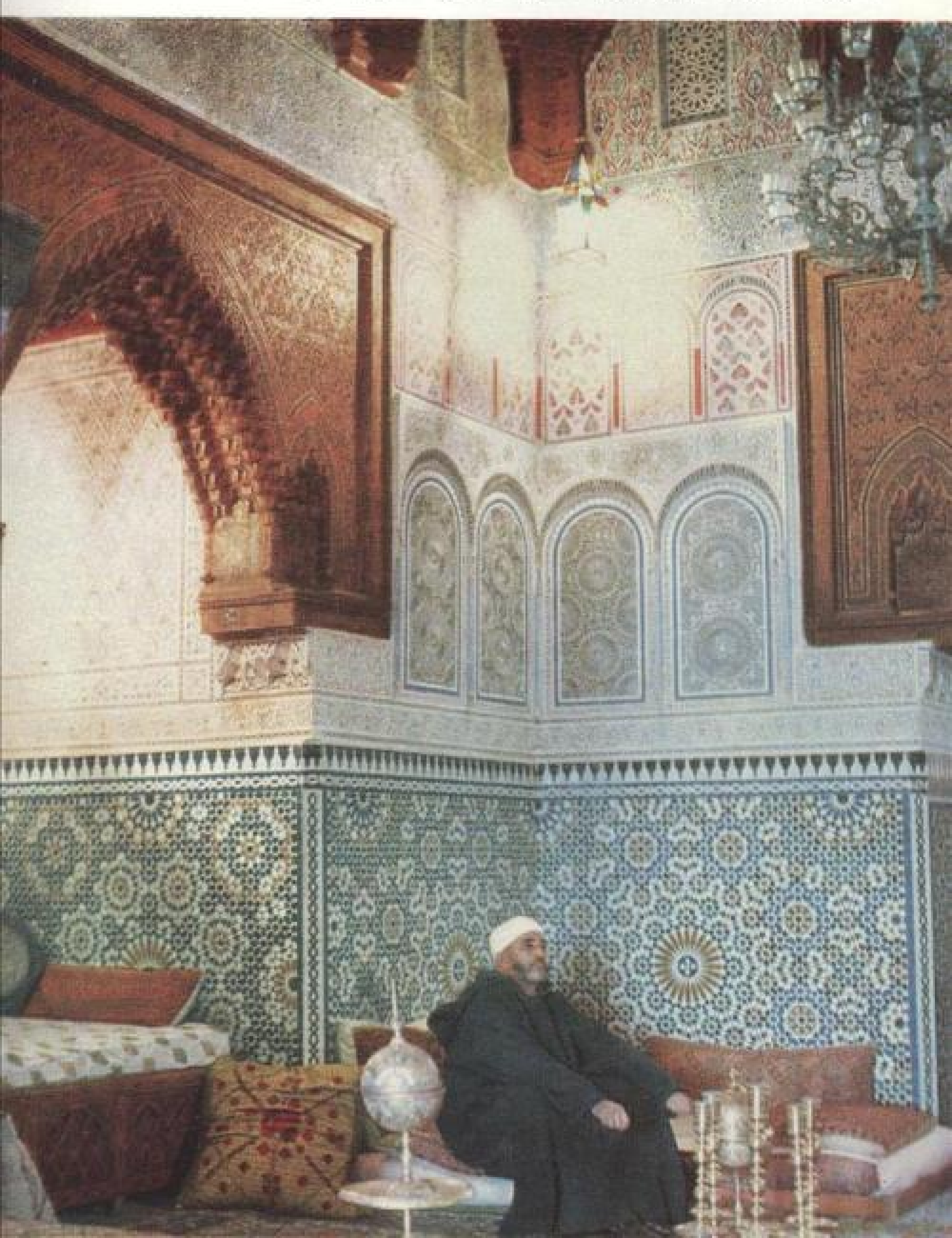


بنات الجيل الجديد في مكناس ، هجرن الجلابة واقبلن على ارتداء التنورة والبنطلون ، اما المنديل الذى كان يغطي الوجه ، فقد انتقل الى الرأس ليحمي شعورهن من عبث الريح ! .

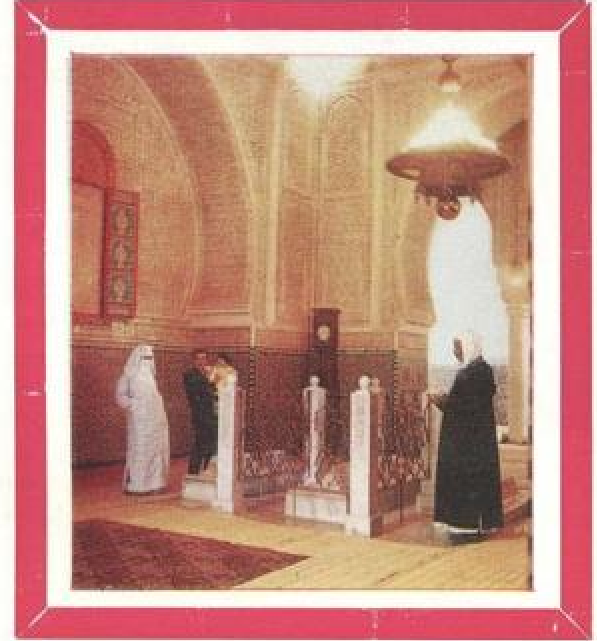
الى اسفل : افتتحت بلدية مكناس معهدا لتعليم الموسيقى والرقص الكلاسيكي والتمثيل .. ويتلقى الطلبة والطالبات دروسا يومية في الموسيقى الكلاسيكية العالمية ..



الى اسفل : متحف « دار جماعي » .. صورة من حياة الترف التى كانت سائدة في القرن التاسع عشر . وقد تحولت الدار الى متحف يضم مجموعة من الاثاث والمجوهرات والسجاد المنسوج بايدى نساء جبال الاطلس الاوسط تحت الخيام ، كما يضم مجموعات اخرى من الصعب حصرها لتفرقها في مختلف غرف هذا المبنى ، الذى زينت جدرانه بنقوش وزخارف من الجص والزليج وخشب الارز تنطق بجمال الفن المغربي الاندلسي .. (التقطت هذه الصورة خلسة لان التصوير ممنوع ، كما نبهنا الحارس الظاهر في الصورة !!)



ورث المغرب الصناعات التقليدية التي كانت مزدهرة في الاندلس .. وشهر ديسمبر (كانون الاول) من كل عام هو شهر الصانع المغربي ، يعرض فيه انتاجه من حديد مطروق وخشب منقوش ، وجلد مدبوغ ، ونحاس محفور ، باسمان مخفقة .. ان هذه الصناعة التقليدية تجد لها اسواقا مفتوحة في مختلف انحاء العالم .



الى اليمين : هنا يرقد مولاى اسماعيل باني مكناس الملكية .. ويأتي الناس للتبرك بالضريح ومعهم اطفالهم ، يوقدون الشموع ويضعونها عند رأس الضريح ، ثم يقرأون الفاتحة وينصرفون .

تشق طريقا .. وتشجع الصناعات الوطنية .. والموسيقى الاندلسية .. ورقص الباليه .. وتجند اغلب موظفيها عندما تنفجر ازمة الشاى ، وما ادراك ما هو الشاى ، وتأثيره في مزاج اهل مكناس .. انهم يشربونه في اكواب كبيرة تتكدس فيها أوراق النعناع الأخضر .. وكنا في مكناس عندما تفجرت احدى ازمات الشاى ، وكان لها تأثير كبير علينا.. فقد حدث أن كلف « باشا مكناس » أحد موظفى بلديته مرافقتنا .. وفي اليوم والساعة المحددين جلسنا في انتظار مرافقنا ، فتأخر ساعات ... دخل بعدها مندفعا دون سلام أو تحيةوهو يصيح: « لا يمكننى أن اريكم شيئا في مكناس .. فعندى عمل اهم بكثير من اصطحابكم .. ان ازمة الشاى بدأت أمس .. »

قالها وكان حدثا عالميا قد وقع .. وتركنا مذهولين مصعوقين نفكر في الشاى ، وتأثير الشاى الذى شغل اختفاؤه على ما رأينا كثيرا من رجال ادارة مدينة يزيد عدد سكانها على ٢٢٠ الف نسمة ؟ ..

وللشاى سلطان في هذه العصور الحديثة عجيب ، فله في الشرق سلطان ، وفي الغرب سلطان ، وحاولت القهوة في كثير من الأمم أن تحل مكانه ولم تفعل ..

وكثيرا ما تحدث مثل هذه الأزمة لأن مكناس باعتبارها عاصمة الاطلس الاوسط تقع عليها مسئولية تموين اهل المنطقة ورجال القبائل الجبلية الذين يقصدون اسواقها لبيع حطبهم وصوف اغنامهم وجلودها .. وشراء الشاى والحبوب والتوابل والأقمشة والأدوات المنزلية .

العيسوية ..

ويحلو للاجانب التغنى بهذا المثل : « من قال اسبانيا قال الأندلس .. ومن قال مكناس قال العيسوية » ..

واردنا التعرف على هؤلاء العيسوية فاتجهنا من باب الجن الى ضريح سيدى محمد بن عيسي الذى تنتسب اليه العيسوية .. وقبل أن نصعد الدرج وجدنا جماعات ملتفة حول أحد المشعوذين وكان يرتدى ملابس رثة ، ويتفوه بالفاظ لا أصل لها ولا معنى ، واضعا قطعا من الزجاج في فمه يلوكها كالطعام ، وسط قرع الطبول .. فقد اشتهرت العيسوية بأنها الطائفة التى تأكل



تطرز اطراف الجلابة بخيوط الحرير ، ويقوم الاطفال بتأدية دور آلة الحياكة.. يمسكون اطراف الخيوط الحريرية ويحركونها بحركات سريعة تشبه حركة النول ، بينما الخياط في الطرف الآخر يغرس الابرة بين الخيوط لاظهار النقش المناسب.



ترد التمور على مختلف انواعها من الصحراء الى مكناس ، فيقبل أهل المدينة والقرى على شرائها .. والذ انواع التمر عندهم هو تمر « المجهول »

العقارب والزواحف والنباتات السامة دون أن يؤثر ذلك فيها شيئا.. وقال لنا أحد شيوخ العيسوية : « ان هذا راجع الى « كرامات » ولينا سيدى محمد بن عيسى ، الذى قال لبعض اتباعه الذين جاءوه يشكون من الجوع : كلوا أى شيء، حتى لو كان سما ، فهو لن يؤثر فيكم .. واستنادا الى هذا القول سار الاتباع في الطريق فوجدوا بعض العقارب والزواحف، فأكلوها دون أن يصيبهم مكروه .. وما زال بعض الاتباع يأكلون العقارب الحقيقية دون أن يصيبهم مكروه ! »

وفي ذكرى مولد سيدى محمد بن عيسي ، الذى توفي عام ١٥٢٣ م ، يتجمع حول ضريحه في مكناس نحو ٥٠ الف شخص من أتباعه القادمين من تونس والجزائر والمغرب ، للاشتراك في الاحتفالات الصاخبة التى تجرى خلالها مختلف انواع البدع، من زار وذكر ومضغ للعقارب ، ومصارعات قاسية تسيل فيها الدماء ، وسط دقات الطبول وصرخات التشجيع من الاتباع والسياح !!

حروب في أربع جبهات

وجولة بين الاطلال والآثار الباقية من عهد مولاى ادريس ، تشبيك العيسوية ..

ومولاى ادريس هو ثاني ملوك الأسرة العلوية (الحاكمة الآن في المغرب) كان واليا على مكناس قبل أن يصبح سلطانا على المغرب ، ودفعه حبه للمدينة الى جعلها عاصمة جديدة له ، بدلا من مراكش عاصمة السعديين .. وهذا تقليد كان شائعا بين سلاطين المغرب الأقوياء ، الذين كانوا يختارون عاصمة جديدة لهم ..

وبلدة مكناس التى تعاقبت عليها أسر المرابطين والموحدين والمرينيين ، أضاف مولاى اسماعيل اليها مكناسا جديدة ملكية تليق بطموحه ، بنى فيها القصور والمساجد، وزرع الحدائق والبساتين، واحاطها بسور طوله ٤٠ كيلومترا تتخلله بوابات ضخمة هائلة كبوابة المنصور والبردايين ونسيبا والخميس .

لقد شيدها فسيحة واسعة لتنسجم مع طبيعة البدوى الذى عاش دائما في مناطق فسيحة مترامية .. وخلال فترة حكمه (١٦٧٣ - ١٧٢٦ م) أى مدة ٥٣ عاما ، نعم المغرب بهدوء لفترة ٢٠ عاما فقط .. والباقى كان حروبا في كل الجبهات .. مع البرتغاليين والاسبان في الغرب .. ومع الانجليز



بائع الكتب القديمة في سوق مكناس ، وامامه اغرب مجموعة من الكتب التي يمكن ان تجدها في مكان واحد ! .. فهناك مغامرات ارسلين لوبين وانت الحب ، وكيف تتعلم الفرنسية بدون معلم ، وقصة فتوح اليمن الكبرى ، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ، وغيرها من كتب التاريخ والحروب



الصوف الخام يأتي به أهل الجبل الى مكناس ، يغسلونه في مياه العيون ، ويتركونه يجف ثم يبيعونه لاهل مكناس الذين يغزلونه في منازلهم .

الى اليمين : يقصد مكتبة الجامع الكبير بمكناس القديمة ما يقرب من ٨٠ شخصا يوميا للقراءة والاطلاع .. وتخصص الادارة اوقات الصباح للنساء ، وبعد الظهر للرجال ، ولكن ضيق المكان جعل المسئولين يسمحون بالمطالعة المشتركة ، كما ترى في الصورة !

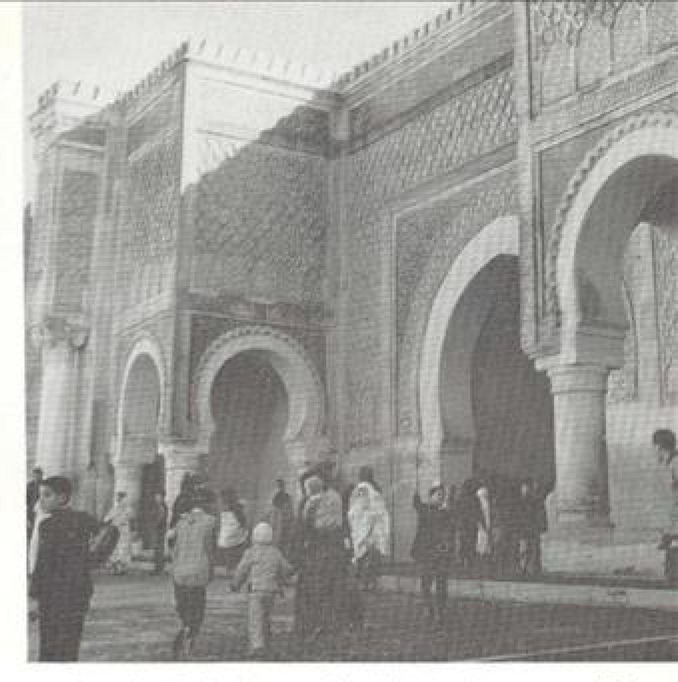


الى اسفل : تفرض الحكومة ضريبة مقدارها ١٥ فرنكاعلى كل كيلو لحم يخرج من سلخانة المدينة ، وقد بلغت حصيلة هذه الضريبة ١٦ مليون فرنك (الجنيه الاسترليني قبل التخفيض = ١٤ درهما) في السنة الماضية، تدمتها بلدية مكناس الى الجمعية الخيرية الاسلامية ،لتساعدها في تربية وتعليم وايواء نحو ٨٠٠ شخص .. وهؤلاء بعض الطلبة والطالبات يقراون ، كل اثنين في كتاب واحد بمدرسة الجمعية .. لأن تشكيل جميع الكلمات بمدارس المغرب يجعل الكتب المشكلة باهظة الثمن .. والطالب في المغرب لايكتب اسمه الا مشكلا !

الطلبة والطالبات ، يجلسون جنبا الى جنب بالفصول الدراسية في اكبر مدارس مكناس ، التي تتبع نظام التعليم المختلط .. وتنقسم الدراسة في هذا المعهد ، الى تعليم عادي تابع للمنهج المغربي ، حيث اللغة العربية هي اللغة الاولى وتعليم فرنسي اللغة الفرنسية فيه هي السائدة .. وتعليم مهني يضم ٤٠٠ طالب وطالبة انهوا السنة الثالثة الثانوية ، واستمروا ليتابعوا دراستهم ، للحصول على الدبلوم الفني المغربي في الكهرباء او الحدادة ، وهندسة السيارات ، والطباعة ، والتجارة ... والصورة العليا لبعض الطالبات والطلبة خلال حصة الكهرباء العملية ، وتقوم بتدريسهم مدرسة فرنسية .. والصورة اليسرى خلال حصة نظرية .. ومما يذكر ان عدد طلبة المعهد ٣٠٠٠ طالب وطالبة ، وعدد الفصول ٨٢ فصلا منها ١٨ فقط تابعة للمنهاج الفرنسي .. والبقية تتبع المنهاج المغربي ..







بوابة المنصور .. . . اضخم بوابات المغرب ، ترتكز على اعمدة مرمرية قصيرة .. بدأ بناؤها في عهد مولاى اسماعيل ، وانتهت في عهد نجله مولاى عبد الله عام ١٧٣٢م . وعند الغروب تسلط عليها الاضواء

بقايا اصطبل خيول وبغال مولاى المغرب ان هذا المكان كان يتسع اليوم اطلال تروى قصة

في الشمال عند طنجة ، ومع الأتراك في الشرق عند حدود الجزائر .. ومع القبائل الصنهاجية البربرية المتمردة في الجنوب .. وكان جيشه يضم نحو ٥٠ الف جندى جلبهم من اواسط افريقيا .

فرسـاى المغـرب

وانتهت الحروب بانتصار مولاى اسماعيل في كل الجبهات ، واستتب السلام ، وأصبحت مكناس جوهرة المغرب .. وبدأ مولاى اسماعيل في تجميلها ، فأراد أن يهيىء حولها جو البحر الذى يبعد عنها ١٣٦ كيلومترا ، فأقام حوضا هائلا ، يشبه حوض الأجدال في مراكش ، لتجميع مياه العيون والأمطار .. وما زال هذا الحوض قائما الى اليوم تروى مياهه المزروعات في « حدائق السلطان » .

وبجوار هذا الحوض أقام السلطان مخزنا للغلال ، غرس فوقه حديقة عجيبة تضم عددا من الأشجار ، كالتين والزيتون .. والتى ما زالت تثمر الى اليوم .. وشيد بجوار هذا المخزن اصطبلا هائلا يتسع لنحو ١٢ الفا من الخيل ، ما زالت آثاره باقية الى الآن ، وان كانت هناك رواية تؤكد انه لم يكن اصطبلا بل مخزنا ثانويا ملحقا بمخزن الحبوب .. وتحت الارض اقام كهفا هائلا يزعم بعض المؤرخين انه حبس فيه ٢٥ الف أسير أوروبى ونحو ٣٠ الفا من المجرمين وقطاع الطريق » .

لقد قالوا عن مولاى اسماعيل : « كان المغرب في عهده يسبح في بحيرة من الدم ، وفي الوقت

مولاى اسماعيل .. بانى مكناس الملكية .. حكم من عام ١٦٧٢ حتى ١٧٢٦ م .





اسماعيل .. ويقول المؤرخون
لنحو ١٢٠٠٠ حصان .. وهو
مجد مكناس الملكية القديمة ..



مدرسة بوعنانيا : اصبحت اثرا يزار ، فهي قطعة رائعة من الفن الاندلسي المغربي .. جدرانها مكسوة بزخارف جصية وخشبية .. وعلى الجدران عبارة كتبت عشرات المرات وهي **العزة لله . الملك لله**

نفسه كان يعيش منغمسا في الملذات » .. وقد ذكر المؤرخ المغربي الزياني ان مولاى اسماعيل ترك ٥٢٨ ولدا ومثلهم من الاناث كانوا يحتلون ٥٠٠ دار بسجلماسة حيث كانت توزع عليهم المنح .. ويضيفون ان حريمه كان يضم ٥٠٠ امراة ، وان خدمه بلغ عددهم ٣٠ الف عبد .

وكان مولاى اسماعيل معاصرا للويس الرابع عشر ملك فرنسا ، فارسل اليه مولاى اسماعيل سفيرا يحمل هدايا تشمل أسودا ونمورا .. ولما عاد السفير حدث مولاه عن فرساى وعظمتها ، وعن روعة جمال كريمة ملك فرنسا ، فطار النوم من عينيه ..

وعلى الحديقة العجيبة المقامة فوق مخزن الغلال ويسمونها حديقة فرساى ، جلسنا نستمع الى تفاصيل قصة حب مولاى اسماعيل « لمارى آن دى بوربون » الابنة الشرعية للويس الرابع عشر، ومجملها انه عرض الافراج عن الأسرى الاوروبيين الذين فى حوزته مقابل الزواج بالاميرة ، ولكن محاولته لم يكتب لها النجاح ..

والمهم أن الآثار والحدائق الباقية الى اليوم ، تنطق بما كانت عليه مكناس من عظمة وسؤدد في عهد باعث نهضتها مولاى اسماعيل .

ولم يقتصر الازدهار على مكناس العاصمة بل امتد الى جميع انحاء المغرب حتى قالوا : كانت في المغرب ٢٥٠ مدينة تضم كل منها ٣٠ الف نسمة في عهد مولاى اسماعيل .

العاصمة تجهل أحوال مكناس !

وبعد موت مولاى اسماعيل انتقلت العاصمة من مكناس لتستقر في فاس ثم مراكش والرباط.. ولم تعد ابدا الى مكناس ..

ويستند أهالي مكناس على بقايا آثار مولاى اسماعيل في مدينتهم لجلب السائحين والسائحات.

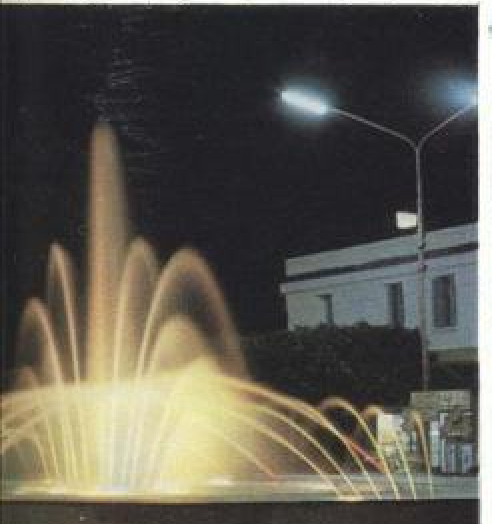
ولكن هؤلاء السياح يكتفون بالمرور من مكناس في طريقهم من الشمال الى الجنوب لرؤية مراكش .. اما مكناس فلم يعد يهتم بها احد ، حتى ولا المسئولين عن السياحة والانباء بالرباط العاصمة، فقد طلبنا منهم نشرة عن مكناس ، او خطاب

شارع السوق حيث المتاجر ومحلات الازياء ، في مكناس الحديثة التي شيدها الفرنسيون عام ١٩٢٠ مكان مزارع

أشجار النارنج تضفي طابعا خاصا على شوارع مكناس .



نافورة المياه الراقصة الملونة تقطع كآبة ليالي مكناس .



مكناس مولاى اسماعيل ، أو مكناس القديمة .. لا يتجاوز عمرها ٣٠٠ سنة ، ومع ذلك تبدو وكأنها وجدت منذ أن وجد الانسان على الارض .. ويعيش في مكناس القديمة ١٧٠ الف نسمة تقريبا ، في حين لا يزيد عدد سكان مكناس الحديثة عن ٦٠ ألف نسمة .. ويفصل بين الاختين وادى بوفكران



زيتون الحمرية



بائع الصوف المصبوغ بألوان صارخة ، يبيعه بالكيلو جرام في القيصرية القديمة بمكناس .



تقديم لمندوبيهما في مكناس فكان ردهما : نأسف لا توجد لدينا فروع للسياحة او الانباء في مكناس .. عليكما مقابلة المسئولين هناك مباشرة ؟

وكم تعجبنا عندما وجدنا مكتبا للانباء وآخر للسياحة في مكناس لا تعلم بهما الرباط ، وفي الوقت نفسه لايعمل المكتبان شيئا في مكناس سوى الارشاد الى احد التراجمة ، الواقفين على كل زاوية وعند كل باب !

الوادى السعيد .. تعيس !!

وقالوا لنا ان لم تزوروا الوادى السعيد فكانكم لم تشهدوا مكناس .. انه جنة عدن على الارض .. وتحمسنا مع المتحمسين ، واتجهنا الىالوادى السعيد .. لقد تحول الى واد تعيس لا اثر فيه لحياة الا صوت المحصل يطالبك بدفع ثلاثين فرنكا، لرؤية الوادى وحيواناته التعيسة .

لقد جادت الطبيعة على هذا الوادى بسخاء عجيب ، فاشتراه المسيو بانيون أحد الفرنسيين في عهد الحماية وحوله الى لوحة طبيعية رائعة ، بمساعدة المساجين الذين كانوا في سجون مكناس .. وابدل اسمه من « وادى دار أم سلطان » الى « الوادى السعيد » وجلب الزهور والورودالنادرة .. زرعها فيه .. واستغل عيون المياه فاقام لها مساقط صناعية كالشلالات .. وانبت البرتقال والزيتون .. وجلب مولدا للكهرباء .. وأقام حديقة للحيوانات .. وجلب الاسماك الحمراء .. لتسبح في الينابيع المائية الخمسة والأربعين التى تتفجر في بطن « الوادى السعيد » حتى اصبح مقصدا للجميع يغص بهم في كل زمان ..

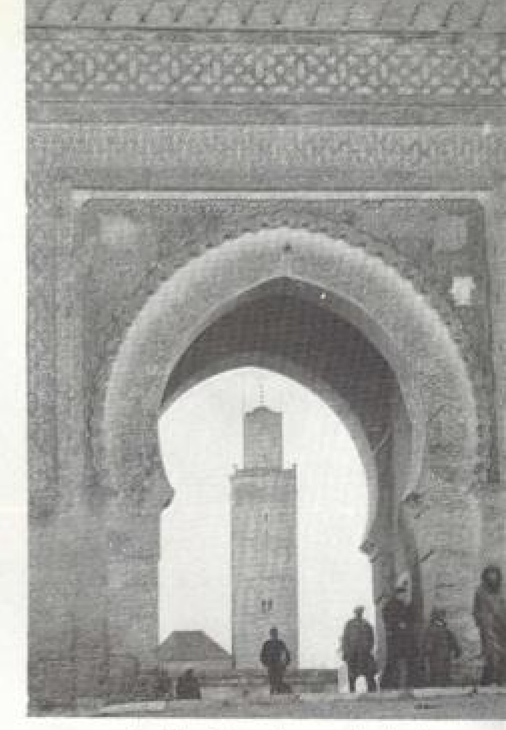
وحصل المغرب على استقلاله .. ومات «بانيون» صاحب الوادى السعيد ، وجاء ورثته وعرضوا على المسئولين اخذ الوادى السعيد مع ادارته وعماله ، وحدث اخذ ورد ، انتهيا برفضالمسئولين تحمل مكافآت العمال الموجودين ، وقالوا للورثة ادفعوا لهم مكافآتهم واصرفوهم ، ونحن ناخذ



يقبل أهل مكناس على استعمال الملح المستخرج من جبل « تراث » القريب من مدينتهم ، لاعتقادهم بفوائده الجمة .. ويستعمل بوجه خاص لحفظ الزيتون ويباع الكيلو منه بعشرين فرنكا ..



تؤكد كتب السياحة أن مناخ مكناس جاف تظهر فيه الشمس ٣٠٠ مرة في السنة .. وصدقنا كتب السياحة ، ولكننا ما كدنا نصل الى مكناس حتى داهمتنا الثلوج وانخفضت الحرارة الى ١٠ تحت الصفر !



باب البردايين .. اى صانعي الجوارب.. ويقع في الجزء الشمالي من المدينة على الطريق المؤدى الى طنجة .. وقد بناه مولاى ادريس في نهاية القرن السابع عشر..

الوادى !!ولم يكن من المنطق « اخذ الثمار وترك رعاية الاشجار » فقطعت الاتصالات ، وظل الوادى السعيد يتدهور فبيع منه عشرة هكتارات ..ونقص عدد العاملين فيه من ٨٦ عاملا الى ٢٢ .. وتوقف مولد الكهرباء فعم الظلام .. ونبتت الاعشاب بين الممرات .. وتشققت الاحواض ونفق النعام الذى نقلوه من قصر البيضاء.. وماتت الحيوانات من البرد .. وكادت البقية الهزيلة الموجودة منها ان تموت من الجوع .. وهكذا تحول الوادى السعيد ـ الذى يمكن وصفه بانه اجمل واد في وطننا العربى الكبير ـ تحول الى واد منبوذ .. لا احد يريده ولا احد يزوره .. لقد حكموا عليه بالموت .. بينما هو ينبض بالحياة ، التى يمكنها اعادة الحياة للسياحة الخاملة في مكناس ..

« الفينكس » الأسطوري

وكثيرا ما توقفت الحياة في مكناس لتعود أقوى مما كانت ، حتى شبهناها بطائر الفينكس الاسطورى الذى صورته الميتولوجيا اليونانية بطائر يلقى بنفسه الى التهلكة على كومة الجمر الملتهب ، ولكن الحياة تعود اليه ، فيطير ويصبح اقوى مما كان !! .. وكذلك الحال مع مكناس ، فكم من مرة خربت وهدمت لتعود فتظهر اقوى مما كانت .. الموحدون حاصروا المرابطين فيها عام ١١٤٨ حصارا مريرا ، سقطت بعده المدينة في أيديهم فنهبوها وهدموها . وما أن هدأت روح التدمير في نفوسهم حتى أعادوا بناءها على الطراز الأندلسي المغربى ، واصلحوا جامعها،وأوصلوا المياه اليها.

ونعم الموحدون بحياة رغيدة سهلة اتخمتهم واضعفتهم ، فلم يستطيعوا الثبات امام هجمات بني هلال وحلفائهم بنى مرين ، الذين هدموا مكناس ودمروها ليعيدوا بناءها على نمط أجمل مما كانت عليه ، وظهرت مدرسة بوعنانيا التى كان يجلس فيها الطلبة ٨ سنوات يقرأون القرآن .. وينامون ويأكلون في ٤٥ غرفة مستقلة تتسع كل منها لشخصين ، قبل أن يتوجهوا لتكملة علومهم في جامعة القرويين ..

لقد تحولت هذه المدرسة الى قطعة فنية اثرية لما تحويه من زخارف ونقوش رائعة ، وتوقفت الدراسة فيها لتنتشر في مكناس الجديدة ،حيث يدرس الطلبة وفق منهاجين مختلفين : المنهاج المغربى والتعليم فيه باللغة العربية ، والمنهاج الفرنسي وكل العلوم التى تدرس فيه بالفرنسية.

أعظم مشاكل المغرب

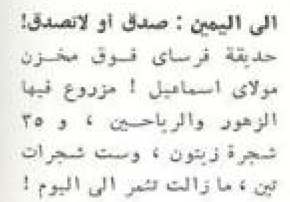
والتعليم الابتدائى اغلبه ـ ان لم يكن كله ـ اصبح معربا ، ولكن مستواه لم يرتفع في جميع المواد ، فمثلا أساتذةمادة الحساب لغتهم الفرنسية متغلبة على العربية ، لهذا يجدون صعوبة في تدريس الحساب بالعربية ، وأحس مفتش عام وزارة التربية والتعليم السابق الاستاذ محمد زبان بمشكلتهم ، فترك عمله وتفرغ في معهد التعريب بالرباط يؤلف كتابا في تعريب المصطلحات الرياضية للمعلمين في التعليم الابتدائي..وسألنا الاستاذ بن زبان ان يحدثنا عن رأيه في مشكلة تعريب التعليم في المغرب ، وهو الذى كان يعمل مفتشا عاما لوزارة التربية فاجابنا بقوله :

« محنة اللغة العربية والمشاكل التى تعانيها وتتخبط فيها بالمغرب ، سببها أننا بدأنا عملية



الى اليسار : جزء من الوادى السعيد .. مازال جماله الطبيعى يسحر القلب ، رغم انعدام العناية به تقريبا .. جمال طبيعى لم تمسه يد منذ أن قام نزلاء السجون بتجميل هذا الوادى اثناء الحكم الفرنسي وكانت مساحته ١٧٠ هكتارا .. ولكنها اليوم أخذت تنكمش أثر بيع أجزاء منه .. انه في حاجة الى التفاتة قبل أن يندثر ، ويضيع..



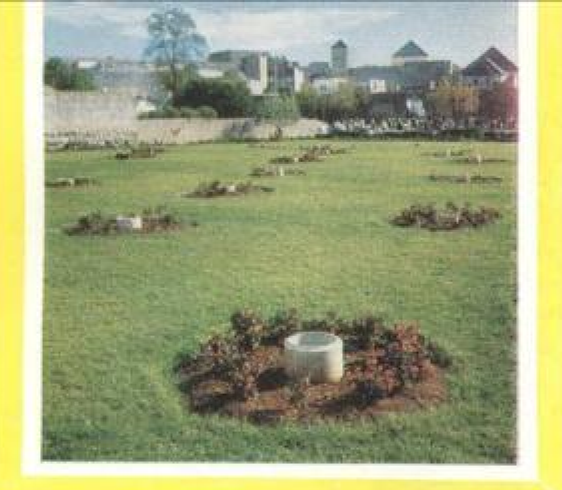


الى اليمين : صدق او لاتصدق!
حديقة فرساى فوق مخزن مولاى اسماعيل ! مزروع فيها الزهور والرياحين ، و ٣٥ شجرة زيتون ، وست شجرات تين ، ما زالت تثمر الى اليوم !



الى اليمين : لا تصدق الدليل عندما يقول لك : « مولاى اسماعيل أمر باقامة هذه البركة ، ومساحتها اربعة هكتارات، لتستحم فيها كريمة لويس الرابع عشر ! » لقد اقامها من أجل رى الحدائق المنتشرة بجوارها ، وما زالت البركة تقوم بمهمتها حتى اليوم ..

تميزت فترة حكم مولاى اسماعيل بكثرة الحروب ، التى استمرت سجالا بينه وبين البرتغاليين والاسبان والانجليز لفترة ٣٥ عاما، خرج بعدها ظافرا منتصرا ، وآسرا لخمسة وعشرين الف محارب، وان كان المؤرخون الاوروبيون يقولون ان عدد اسراهم لم يتعد خمسة الاف اسير، كانوا يقيمون في مغارات واسعة تحت الارض (الصورة السفلى) بجوار باب المنصور ، ويتنفسون الهواء من خلال فتحات في السقف ، تراها في الصورة الى يسار هذا الكلام ..

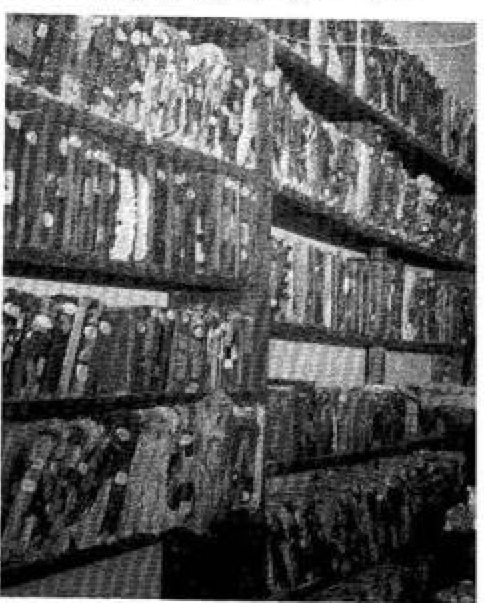


التعريب دون ان يكون لدينا الجهاز والاطارات اللازمة لمثل هذه العملية .. كان يجب أن تترك التعليم الاجنبي على ما هو عليه ، حتى تنتهي من اعداد المدرسين والمعلمين اللازمين لتطويره » .

وبتابع الاستاذ بن زيان كلامه بقوله : «انظروا الى حالتنا اليوم لقد تم تعريب التعليم الابتدائي برمته ، ولكننا لم نستطع تعريب الثانوي أو العالي لعدم وجود الكادر اللازم لهذا العمل .. ومما يزيد الطين بلة أن الطلبة الذين أنهوا تعليمهم الابتدائي العربي يتزايدون كل عام ، وهؤلاء نرسلهم الى التعليم الثانوي الذي ما زال فرنسيا .. والمشكلة تزداد تفاقما عاما بعد عام .. انها أعظم مشكلة يعيشها المغرب في عصره الحديث .. »

الغاء مجانية التعليم الفرنسي

وبينما المسئولون يبحثون عن حلول لمشاكل التعليم ، ظهرت في مارس الماضي ١٩٦٨ مشكلة جديدة عندما قررت الحكومة الفرنسية الغاء مجانية التعليم الفرنسي بالمغرب في مرحلة الأطفال



تضم مكتبة الجامع الكبير ١٤ الف كتاب مجلد و ٥٠٠ مخطوط كان الملوك يرسلونها هدية الى المكتبة .. وهذا أمين المكتبة أمام مجموعة المخطوطات القديمة التي اكل عليها الدهر وشرب!

والمراحل الثانوية والتمهيدية العليا . وهذا القرار ينطبق على مدارس البعثة الثقافية الفرنسية في المغرب ، وقد هاجمت الصحف المغربية هذا القرار ، وقالت : « انه يتناقض مع مبدأ مجانية التعليم ، وانه سيجعل تعليم الفرنسية وقفا على القادرين عليه ، وأن نتائج هذا القرار ستكون في غير صالح التعليم الفرنسي ، والتعليم في المغرب.. »

ولكن الذى لا شك فيه أن هذه الخطوة هى في صالح الحركة الواسعة التى تجرى في المغرب لاعادة اللغة العربية الى سابق مجدها وعزها ..

أما مجد مكناس ، وعزها فلا يفكر فيه أحد بالرغم من أن موقعها الاستراتيجي الهام يؤهلها لتلعب دورا أهم بكثير من دورها الحالي ، فهي تقع على الطريق الرئيسي المؤدى من فاس شرقا الى العاصمة ، الرباط ، غربا .. وتقطع الطريق الهابط من طنجة شمالا الى تافيلاليت جنوبا ..

تناقض !

وتحيط بمكناس مجموعة من المدن الأثرية والسياحية .. ففى الشمال بلدة مولاى ادريس: مؤسس أول أسرة عربية حكمت المغرب .. والى جانبها بلدة وليلى الرومانية التي ازدهرت تحت حكم الامبراطور كراكالا ، وعلى قمة الجبال العالية تكمن ايفران المصيف والمشتى الخلاب ..

وهذه المراكز الجميلة تجذب السائحين والمصطافين الذين يمرون على مكناس مرور الكرام ... فلا شيء يجذبهم اليها ... انها مدينة ثقيلة الظل لا تأسرك بالمرة .. أهلها صائمون .. وتصرفاتهم عجيبة .. وتفكيرهم غريب .. ومرد ذلك هو التناقض في كل شيء .. فهناك المدينة القديمة والمدينة الحديثة .. وهناك الجلباب الطويل والميني جوب القصير .. وهناك التجاذب تيار يطالبك بأن تكون وفيا للماضي بتقاليده .. وتيار يشدك ويطلب منك القطيعة مع الانسان التقليدى ، وطى الماضي في كفن ارجواني !

وحتى يعثر أهل مكناس ، والشباب منهم خاصة ، على ذاتيتهم الجديدة .. تكتفي مكناس بالفصل الذهبي القديم الذى سجلته في تاريخ المغرب .. اما الحاضر الجديد فتكتفى مكناس منه بركن صغير على هامش الصفحة الاخيرة من تاريخ المغرب الحديث !! ■■

سليم زبال



الصُداع عَرَضٌ لا مَرَض

بقلم : الدكتور محمد أبو شوك

رئيس قسم الأمراض الباطنية

المستشفى الأميري ـ الكويت

■ لعلني لا اكون مبالغا لو قلت انه لو اعترى الجسم اى مرض من الامراض لكان له صداه فى الراس مما يسبب لنا ما نسميه بالصداع . ومن منا لم يعتره الصداع يوما او اياما حتى حرمه لذة العيش وبهجة الحياة . وقد يكون الصداع سهلا هينا يمكث فترات قصيرة يذكر صاحبه بمرض في جسده ، أو يكون مبرحا شديدا مؤرقا ومجهدا فتضيق الدنيا بصاحبه وتسود فى عينيه فيأبى الا أن يفتدى صداعه بما ملكت يداه وما أوتي من سطوة وجاه . والأمثلة في التاريخ كثيرة تربنا كيف كان تفكير الملوك والعظماء وما يجره على من حولهم من خوف وفزع عندما تنتابهم نوبات الصداع ، وقصة « النمرود » وصداعه وما جره على قومه من مصائب وكوارث لا تخفى على معظمنا .

موضع الصداع وموعده :

وللصداع مواضع تختلف باختلاف الأمراض التي تسببه . فهناك الصداع في الجبهة ، والصداع خلف الراس والرقبة ، والصداع النصفي والصداع الذى يلف حول الراس ، وذاك الذى يعترى قمة الراس .

ثم نوع الصداع : فهناك الصداع الوخزى ، والصداع الضاغط ، والصداع الذى يصحبه أصوات غريبة في الراس . ثم ذلك الصداع الذى يحدث بتحريك الراس الى اى جهة ، وغير ذلك من أنواع شتى يصفها كل مريض حسب احساسه وشعوره . ويختلف هذا حسب تصور كل فرد .

ثم موعد الصداع : فهناك صداع يحدث في الصباح المبكر عند الذين ينامون نوما متقطعا ، أو من تؤرقه احلامه وأوهامه ، أو من أدمن في شراب طيلة ليلة . وهذا الصداع الذى يحدث عند القراءة لمدة طويلة، او ذلك الذى ينتاب الشخص عند احساسه بالجوع او ذلك الذى يستمر طوال الليل ويوقظ مريضه من نومه . ثم لا ننس الصداع الذى يعترى النساء عند حلول العادة الشهرية او بلوغ سن الياس وغير ذلك من انواع الصداع ومواعيد الصداع التي يقابلها المريض كل حسب مرضه .

وماذا يهمنا عن نوع الصداع وموعده ؟ .

سؤال طالما راود أفكار المريض ولعله يسأل نفسه لماذا كل هذه الأسئلة ، ولماذا يتعب الطبيب نفسه ويستفسر عن كل هذه الاشياء ، بل ومن المرضى من يتهم الطبيب بانه ثرثار يحب أن يقحم نفسه في كل شيء ، ولا يدرى المريض أن هذه الأسئلة ما هي الا خيوط ضوء تتجمع وتتجمع حتى تلقي ضوءا ساطعا يمكن للطبيب أن يشخص سبب الصداع وبالتالي ينير السبيل الى علاجه والقضاء عليه اذا كان ذلك في الامكان . ثم على هذه الأسئلة المتعددة يكون اساس الفحص الذى يوصلنا الى معرفة سبب الصداع . من هذا نرى اهمية الأسئلة التي تطرح على من يشكو من صداع لعل من خلالها يصل الطبيب المعالج الى معرفة سبب الصداع وبالتالي الى وصف العلاج الناجع لـه .

اسباب الصداع :

اولا : ان معظم أسباب الصداع ناتج عن أسباب نفسية متشعبة ، وما أكثر هذه الاسباب في عصرنا الذى نعيش فيه ، فلا يمر يوم الا ويعترى كل فرد منا ما يعكر صفو حياته سواء في عمله أو بيته ، او مما يسمع ويرى . كل هذا يتبعه صداع في معظم الحالات . والذى يهمنا في هذا المجال هو ان نتوصل الى السبب العميق لهذه الاضطرابات النفسية التي تصعب معرفتها على الطبيب في معظم الأحيان . لذا نرى أن الذين يعانون من صداع ناتج عن اضطرابات نفسية هم اصعب المرضى في الحصول على نتيجة سريعة وحتمية لعلاج صداعهم لانه طالما كان السبب قائما كان الصداع ملازما ويا حبذا لو فهم كل مريض ما يتخلل حياته من هذه الاضطرابات بنفسه ، او شارك طبيبه في علاجها ، فانه من المحتمل جدا انه بذلك يشفى من صداعه .

ثانيا : ان كل جهاز في الجسم اذا تاثر فانه في معظم الاحوال نجد الصداع واحدا من أعراضه . فلو أخذنا مثلا الجهاز العصبي لوجدنا انه في معظم الامراض التي تعترى المخ وما حوله من اغشية وما فوق الاغشية من عظام كلها تسبب صداعا شديدا . خذ على سبيل المثال التهاب السحايا أو التهاب المخ ـ اورام بالمخ ـ انسداد شريان المخ ـ نزيف داخل المخ ـ ارتجاج بالمخ بعد الحوادث، كلها تسبب صداعا شديدا ولكنها أسباب نادرة اذا قيست بالاسباب الأخرى . وهناك أعراض أخرى تصحب الصداع تشير الى وجود ورم بالمخ . لذا يسهل على الطبيب التفرقة بين هذا الصداع والصداع الذى يصحب اعراضا أخرى .

ثالثا : الامـــراض التي تعترى الأنف ـ من انسداد لوجود زوائد في الأنف Adenoids ـ التواء حاجز الأنف ـ التهاب الجيوب الأنفية Sinuses . كل هذا يكون مصـــحوبا بصداع الوجنتين أو في الجبهة . ويزداد عندما تزداد حدة الانسداد . ولا بد انه مرت بكل واحد منا فترة عندما يصـــاب بزكام . فعندما يجرى السائل من انفه لا يحس بصداع وعندما يتوقف ذلك يحس بالم شديد في رأسه . وما دمنا في ذكر الأنف فلا بد أن نعطي للاذن واللوزتين دورهما في الصداع عندما يلتهبان .

رابعا : ولا بد لنا من وقفة طويلة عند الاسنان وما تسببه هذه من آلام في الراس تستمر باستمرار مرض الاسنان ولا يزول هذا الصداع الا اذا عولج ســن المريض . لــذا كــان من الواجب الاعتناء بالاسنان ولا ننسى دورها في حدوث الصداع .

خامسا : أمراض العين : من التهابات . أو اصابة العين بالزرق أو الماء الأزرق Glaucoma وهو ارتفاع في ضغط العين ، ويحدث ذلك في العقد الخامس أو السادس عندما يظهر الم داخل العين مصحوبا بصداع شديد جهة العين المريضة ، ولا يجدى نفعا في هذا الصداع الا عمليـة تجرى في العين لتخفف من الضغط داخلها . ثم ضـعف الابصـــار بما في ذلك قصر النظر وطول النظر والانحرافات في العينين كلها تسبب صداعا خصوصا عند القراءة او اجهاد البصر .

سادسا : وما دمنا في الحديث عن الراس فلا ننس انه في بعض الحالات وكثيرا مايحدث ذلك صيفا وشتاء عندما تصاب العضلات الموجودة في الرقبة خلف الراس أو الموجودة على الجبهة كلها ، اذا اصيبت بالتهابات روماتيزمية سببت صداعا يزول بمثل هذه الالتهابات .

سابعا : ارتفاع ضغط الدم من الأسباب التي تواجهنا كثيرا خصوصا وقد زادت نسبة مرضى ارتفاع ضغط الدم في هذه الايام ولن أكون مبالغا اذا قلت أن الصداع هو الميزان الحساس عند هؤلاء المرضى عندما يرتفع الضغط . ـ وتزداد حدة الصداع عندما يرتفع الضغط ويكون في الجبهة او خلف الرأس . وفي بعض الاحيان يعم الراس

جميعها ، وفى بعض الاحيان يكون سببا فى ايقاظ المريض من نومه .

ثامنا : امراض الجهاز الهضمي ـ ولعل معظمنا لاحظ كيف يحدث الصداع عندما يشكو الفرد من امساك ، ثم الانتفاخ وتلبك الامعاء وامراض المرارة. كلها أسباب للصداع تزول عندما يتم علاج هـذه الأعراض .

تاسعا : هناك مرض « الشقيقة » او الصداع النصفي Migraine وهو معروف لمعظمنا . هو في معظم الحالات وراثي ويأخذ دوره لفترات طويلة ربما سنين . ويحدث الصداع من آن الى آخر ربما كل شهر أو كل شهرين ثم تنقضي الفترة بين النوبة والنوبة . وهناك من الاسباب ما يساعد على حدوثه كاكلة دسمة أو قضاء فترة طويلة في مشاهدة فلم او الاجهاد النفسي أو الجسدى او الجوع وعند حدوث الطمث « العادة الشهرية عند السـيدات » . ويكون الصـداع فى احـد جانبي الـراس شـديد الوطأة يؤثر على العين ويكون مصحوبا بوجع فيها وفى بعض الحالات ينزل سائل منفتحة الانف جهة الصداع،وتظهر هزات ودوامات من الاضواء امام العين ويشتد الصداع ويحدث للمريض غثيان وقيء وعندما يحدث ذلك تهدأ الحالة وينام المريض وتذهب عنه النوبة لتعاوده بعد فترة ويظـل فى انتظارها . و الآلام التي تسـببه لـه تجعله فى حيرة من أمره وفى توتر عصبي شـديد لا يحسد عليه .

وعلاج مثل هذه الحالات أن يبتعد الشخص عما يزيد من حدوث النوبة . ثم هناك اقراص خاصة تؤخذ عند بدء حدوث النوبة فانها تمنع حدوثها . اما اذا اخـذت بعد حدوثها فانها لا تؤثر على النوبة وتاخذ النوبة وقتها وحدتها . هذه الاقراص تختلف باختلاف الشركات التي تصنعها ولكن مفعولها واحد وهي : اقراص كافرجوت Caf-ergot اقـراص مجريل Migril . وقد وجد أن اقراص ستميتيل Stemitil لها أثر فعال في تخفيف حدة النوبة .

ولا يفوتني ايضا في هذا المجال ان انوه بالمرض المعروف بـ « ألم العصب الخامس » وهو العصب الثلاثي الذى يمد الوجه بالحس . وهذا المرض يعترى الاشخاص في العقد الخامس من حياتهم ويأتي على نوبة فجائية بآلام شديدة ربما عقب حركة بسيطة للوجه او حتى لمسه او غسـله او تعرضه للفحة هواء او الاجهاد النفسي . ويستمر الألم فترة وجيزة ينتهي بعدها وكأن شـيئا لم يحدث ليعاود المريض في أى وقت وبنفس الشدة وفي منطقة أو مناطق تفرع العصـب الخامس فى الجبهة فوق العين على الوجه على الفك العلوى أو الاسفل .

والعلاج في هذه الحالة هو بالمسكنات وفي بعض الحالات يحقن العصب بمادة مخدرة موضعية او في الحالات الاخرى بمادة الكحول ليخدر العصب لمدة طويلة وفي الحالات المستعصية بعملية قطع فرع العصب الذى يحدث منه الألم وفي عمليات اخرى استئصال العقدة الموجودة على العصب داخل المخ .

تشخيص الصداع وسببه :

اظن بعد أن سردت بعض اسباب الصداع يرى القارىء معي اهمية الأسئلة الكثيرة عندما يصاب المرء بصداع ـ اسئلة ربما سببت صداعا او زادت من حدته ... ولكنها مفيدة لانها تلقي الضـوء الكثير بل وربما كانت الخيط المتين الذى يوصل الى التشخيص ومعرفة سبب الصداع . فالى كل من يتنابه صداع أن يكون صادقا في تاريخ مرضه ، صادقا مع طبيبه ، بل ومجتهدا في اعطائه صورة كاملة عنه .

ثم انه اذا لم يعرف السبب من تاريخ المرض هناك الكشف الدقيق والتحاليل المخبرية وعمل الاشعات اللازمة وغير ذلك من الوسائل التى تيسر للطبيب معرفة سبب الصداع .

العـلاج :

مما لا شـك فيه أن العلاج يرتكز على معرفة السبب فاذا عرف السبب وعولج كان الشفاء . ونصيحة اسديها الى من ينتابهم الصداع بين فترة واخرى نتيجة للاجهاد ويرى انه بحاجة الى مسكن فليستعمل مركبات الاسبرين ولا ضرر من استعمالها الا في حالات خاصة ـ في حالات هؤلاء الذين عندهم حساسية لهذا العقار ، خصوصا مرضى الربو ، أو الذين عندهم قرحةبالمعدة او كان عندهم قرحة بالمعدة او الاثنى عشر ، لانه في بعض الحالات يكون سببا في حدوث نزيف منقرحة المعدة والاثنى عشر . ونصيحة للسيدات أن لا يستعملن الاسبرين بكثرة أثناء حدوث العادة الشهرية اذ أن هذا يكثر من نزيف العادة ■■

محمد أبو شوك

اسلام

بقلم : وجيه بيضون

■ أبو طالب ، واسمه عبد مناف ، وهو ابن عبد المطلب جد النبي (ص) ، وفرع من الأرومة التي طالما ملكت السيادة على الناس الى جانب سيادتها في الأخلاق والمكارم ، فكانت سماء على الارض لا يغيب فيها نجم الا أعقبه نجم ، فيتصل ضياؤها متعاقباً ممتداً ، ويتصل معه تفردها متميزاً متجدداً ، كانما خصّ بها من دون أهل الجزيرة طراً .

عهد عبد المطلب واقعة عام الفيل

وهو الذى جرت في عهد ابيه واقعة الحبشة وعُرفت بعام الفيل ، فكان قريباً منهـا ومن معجزتها حيث انهال الأحباش على الحجاز بجيشهم المتراص المتماسك كالقلعة جارفاً ممتداً كالسيل ، يحملهم شوق الغزو والفتح والغنم ، ويزدهيهم هوى النصر والغلبة ، وقد جعلوا في مقدمتهم افواج الفيلة الجبارة كالقلاع المتحركة لا عهد بمثلها للعرب ، ولهـا من أصواتها النكرة وخراطيمهـا المتطاولة المهتزة وانيابها من تحتها كرؤوس الرماح، واقدامها كانها الركائز من الصخر أو الحديد ، ما يبعث الرعب ، ويتعاظم به الخطب ، ويذهب بشجاعة الفرسان مهما أوتوا قوة بأس وثبات جنـان . وكانت المعجـزة ، معجزة الطبيعة في نواميسها ، كان لها من خفي بصيرتها وحسّها ما استثار كوامن غضبها وحفيظتها حتى جنّ جنونها ، فراحت ترعد وتبرق في سمائها ، وتنوح وتعصف بريحها ، وتمطر العداة الغزاة بسجّيل من الحجارة كانها القنابل قذفت بها أفواه المدافع، ثم ما هو الا القليل حتى اندحر الأحباش مولين الادبار يبؤون بالخزى والعار ، وكان فيَلتهم وقد ارتدت عليهم تطاردهم وتدوسهم ، لم يأتوا بها الا لتأتي عليهم ، ولم يلحقوها الا لتلحقهم بكل مهلكة وهزيمة .

عهد أبى طالب وانبثاق الدعوة فيه

وكما تميّز عهد عبد المطلب بهذه الواقعة التي كان من خطرها في أثرها أن راح القوم يؤرخون بها وقائعهم وأحداثهم ، فقد تميز عهد ابنه أبي طالب بان انبثقت فيه تباشير الدعوة الاسلامية بظهور الرسول الكريم محمد (ص) وبتجديد الكعبة بعد الذى أصابها من هدم وحريق . وكما أن عبد المطلب كان أول من كفل حفيده محمداً بعد يتمه من والده ، وهو ما برح حدثاً في مطلع أيامه ، لكذلك كفله أبو طالب بعد وفاته ولما يمض على كفالته غير العامين، وما زال لابن أخيه راعياً ، ولدعوته مناصراً وداعياً ، يلف عليه ويحوطه ، ويتحمل المكاره في سـبيله وخصومة الناس من حوله ، واقفاً منه كالمجنّ يحميه من كل أذى يصل اليه ، الى أن فارق دنياه وهو في الخامسة والثمانين أحـوج ما تكون الدعوة الحديثة الى عونه ، وأشجى ما يكون الرسـول لفقده وفقد زوجه خديجة من بعده ، وقد لحقت به لأيام

ابي طالب

● رأى ابو طالب ابنه عليا يصلي عن يمين الرسول ، فقال لابنه جعفر : صل ابن عمك وصلّ عن يساره .



● ابو طالب اذن لزوجته فاطمة بنت اسد بأن تسارع الى الاسلام ، كما اذن لابنه علي بأن يسلم وهو ما يزال حدثا .



● ابو طالب امر بنيه واخوته بأن يرقدوا على فراش محمد حمية على المشركين أن يصيبوه بأذى .

معدودة ، اي قبل أن يهاجر صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بثلاثة اعوام وأربعة أشهر .

وأبو طالب هو الذي تعددت رحلاته الى أرض الحجاز واليمن وبقاع الشام ، وقابل في احداها بحيرة الراهب في بصرى الشام ، وكان معه محمد ، فانباه بأن سيكون لابن اخيه هذا شان واي شان ، واوصاه به خيراً .

صفة أبي طالب وذريته

وكان في خلقته ابلج اللون ، متين الكاهل ، قويّ الشكيمة ، عضب المَهَزّ . ومن خلائقه السخاء والوفاء والعفة والنخوة والشجاعة . ومن خصائصه أيضاً انه كان شاعراً حكيماً مدح النبي (ص) بقصائد عدة ، وكانت له السقاية في مكة ، كما ان له ولقومه في الكعبة الباب وللناس الجدران والظهور . ولد له من الذكور أربعة هم : طالب وعقيل وجعفر وعلي ، ومن الاناث ثلاث وهن أم هانيء وفاختة وجمانة . وكانت زوجه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، وقد اسلمت بعد عشر من المسلمين .

اسلام أبي طالب والخلاف فيه

بيد ان الروايات في اسلامه متضاربة ، ففريق على أنه مات غير مسلم ، وفريق على أنه لم يلفظ انفاسه الأخيرة الا والشهادة ملء فيه ايماناً بالله ورسوله ، وهو ما عليه الشيعة قاطبة ، لا تأخذهم

فيه اي شبهة او ريبة . وللفريقين قبائل من الراي بين التأييد والانكار ، والتدليل والتعليل ، بما لا يرتجع بغير الغموض والابهام ، ثم الشك والحيرة ، والبعد عن مطلب الصواب في حقيقته ، والحقيقة في صوابها . وما أقبح العصبية اذ تنتهي من تعنتها والاصرار على عنادها الى ان يغلب الهوى على العقل ، فاذا المتمتحن بها كالاعمى ، اذا افادته عصاه منعاً من التسكع فما تفيده تبصراً بالطريق اللاحب القويم .

والذي عندنا هو ان البحث في اسلام ابي طالب او عدم اسلامه ، ما كان يستلزم ما استغرق من مداد في سبيله ، ولا انهماك الافكار فيه في مثل حرب مستعرة الأوار ، ثم قطع الوقت في غير مرتجع وتوسيع شقة الخلف في غير طائل ، فقد كان من سداد الراي تعلقه من وجهته العامة حيث تكمن حقيقته ويستبين مقطع الحق ، لا اخذه باضعف ما فيه فيؤدي الى الحكم ضعيفاً لا يتخيل بالصواب الا مثل ما يتخيل اشراق الشمس حجبت عليها السحب ، فهي في مثل الغسق الفاحم .

خطة البحث الواجبة

وان من شروط البحث في صحته ان تقدر النتائج بمسافها من سابقها ، فيحكم عليها بروح مما لابسها وأثر فيها ، لا ان تجعل هي الحكم الجزم ، ثم تعتسف الاسباب اليها اعتسافاً لتورد غير موردها ، وتحمل كل معنى الا معناها ، ويهول بانها محط الصواب وهي الخطأ الذي لا صواب فيه .

فان اخذنا بهذه الخطة القويمة واليها التجرد الفكري السليم ، لا يميل مع العاطفة المذهبية حيث تميل ، فما شك في اننا نقف من قضية اسلام ابي طالب الموقف الذي يدنينا من الصواب في واجب حكمه وحكم يقينه ، وينأى بنا عن مواطن الشبهات لا دليل يقطع فيها بالراي الجازم ، حتى اذا بقي ثمة شيء من الشك مسحنا عليه بما يفرضه العقل ترجيحاً هو الأصوب والأوجب .

قالوا ان ابا طالب لم يعلن اسلامه وقد حق للمسلم احيانا ان يفعل

اننا نقطع باسلام ابي طالب اذ كانت الأدلة على ذلك اقوى وابين منها على خلافه . وهاك بادىء بدء الحجة التي يستمسك بها المنكرون وهي عدم اعلان اسلامه وايمانه ، وهي اكبر حججهم ، تجدها أوهن من ان تنهض دليلا على انه لم يكن مؤمنا ، اذ كان من شأن الايمان ان يصح فيه الكتمان والاعلان على سواء ، وبخاصة فيما يتحرج به الدين ويستلزم التقية ضرورة من ضرر . وما اكثر ما نعتقده جزما ونؤمن به قطعا ثم نتعمد فيه الخفية والاسرار من غير ان يكون ثمة معنى للانكار ، وما اكثر ما نصدر عن مآت واحوال لو اخذت على علاتها من ظاهرها لما ترجمت بمكنونها من مخبئها ، ولا حقيقتها من سببها ، فالظاهر لا تنم ابداعن الحقائق ، والحقائق تتلبس غير صورها حتى كانها صورة هي بعينها . وليست العبرة الا في الاثر يترجم عن الاصل كالكهرباء اذا لم تكتنهها بدليلها فان آثارها تدلنا عليها . وآثار ابي طالب في جملتها شاهد على ايمانه وصدق اسلامه ، تنفي عنه كل النفي اي تهمة بالشرك أو الكفر بدعوة الرسول والدين الجديد . وأنى له غير ذلك وهو الذي طالما اشتهر بالصدق في حياته لم يجرب عليه الكذب ، وعرف كذلك في ابن اخيه الصدق آمن ما يكون على قول الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، وان حديث ابن اخيه ونبوته على لسان الراهب بحيرة ما برح ملء سمعه ، وليس في كل ما تقع عليه عينه وبصافح سمعه الا ما يشير أبلغ اشارة الى تمخض الزمن عن الحديث الجديد ، يطهر ارض الحجاز من ارجاس الجاهلية التي بلغت غايتها من الوثنية والعادات المستوخمة ، بعد اذ آن لليلها الطويل ان ينفرج عن الفجر المرتقب المبين .

ابو طالب اذن لزوجته ان تسلم ،ولابنه علي ، وسائر ابنائه واقربائه

واذا فسر عدم اعلانه الاسلام بظاهره من معناه دون معانيه الاخرى من حمى ابن اخيه ونصرته والاخذ بيده ومحاسنة قريش في ذلك باعتبار ان

الدعوة غضة اول عهدها وان الاعداء والمناوئين الب ضدها ، فكيف نفسر سماح ابي طالب لزوجه فاطمة بنت اسد بأن تسارع الى الاسلام ، ثم لابنه علي بأن يسلم وهو ما يزال حدثا غض العود ، ثم لابنه جعفر بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة على يساره ، ثم لبنيه واخوته وبني عمه بأن يرقدوا وهم في (الشعب) على فراش محمد تعمية على المشركين أن يصيبوه اذا ما حاولوا اذاه ؟!. فهل تراه فيمافعل غير الصادق في طويته على الايمان، والصادق في ايمانه في الدعوة ، والصادق في عقيدته يترجمها ماثلة في عمله ؟ ... وهل لمثله وهو شيخ قريش وسيدها وصاحب الرأي فيها ان ينحرف مخالفا او ينفرد متعسفا وانه ليرى حمزة يسارع الى الانضواء تحت لواء النبي ، وكذلك عماته ، واليهم آل عبد المطلب جميعاً ، ومن ورائهم عبد مناف ، ايخرج على مثل هذه الارادة المجتمعة والخطة الجامعة ليعود من نهاية الشوط الذى قطعه رفدا وعونا وتضحية الى حيث يكذب نفسه ، ويكذب عشيرته ، ويكذب من احبه وآثره حتى على بنيه ؟

موقف ابى طالب من قريش حين جاءوا يشكون محمدا ويتهددون

واذا نحن تدبرنا موقف ابي طالب حين جاءه سادات قريش وأشرافها ساخطين متوعدين يستعدونه على ربيبه وحبيبه بقولهم : « انا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، او تنازله واياك حتى يهلك احد الفريقين » ، ثم خطابه لابن اخيه بقوله : « اي بني ، ابق علي وعلى نفسك ، ولاتحملني من الامر مالا اطيق » ، ثم ما أجاب به النبي ساعتئذ مستعبرا : « ياعم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ماتركته » ، ثم قول ابي طالب وقد اخذته المأوية والعزة معا : « والله لن أسلمك ابدا » ... قلنا اذا نحن تدبرنا هذا الموقف بحق معانيه وابعدنا النظر في مطاويه ، اذن لخلصنا منه الى حديث مبطن خفي قد استتر لشدة ماظهر ، حديث بلفظه لايستوي صحيحاً بغير معناه من غايته ، ولا يدرك بغايته الا بأنه مزيج عقل وقلب آلف بينهما الحب ، فجاء امتحاناً للمحنة في اوجها ، واستطلاعاً للقوة بلغت النهاية من طاقتها ، لم يبق الا أن تؤول معجزة . فليس هو الحرص على الحياة لا ولا العجز عن تحمل الشاق ما حدا ابا طالب الى قول ما قال، بدءا واستدراكه آخرا ، ثم ما هو تخذيل لابن أخيه وفت في عضده لتحويله عن مقصده ، وانما هي الأبوة الحادبة ، مع العصبية الغالبة ، في الشيخوخة المتقدمة تريغ الطمأنينة على المعجزة المرتقبة لا طاقة بحمل رسالتها لبشر الا ان يكون فوق البشر ، ولابد فيها من العون وان كانت ممتدة بأسباب من السماء .

ناصر ابو طالب الرسول حيا ، ومات فبكاه الرسول بأثخن العبرات

ان من يتدبر مواقف ابي طالب من الدعوة وما بذل من ذات نفسه وماله في سبيلها ، لايسعه الا أن يعترف له بجميل الفضل ورجاحة العقل ، فقد ابلى خير بلاء في المنافحة عن الرسول (ص) ، ولطالما كان سناده وعماده يرد عنه عوادي قريش ، ويأبى ان يسلم به ولو كانت في ذلك حياته ، ويغيثه وينصره ويشد من ازره حتى كأنه أمينه في تحقيق دعوته كما كان هو رسول ربه في أداء رسالته . وما هو بالبدع بعد هذا اذا بكاه النبي (ص) بالثخين من عبراته عند وفاته ، واستشعر من حوله الفراغ لفقده ، ثم أجمع العزم على الهجرة الى المدينة في عامه من حزنه . وما كان به ذلك لولا ان فقد من كان يصل جناحه ويؤازره بعطفه وعونه . وان امرا هذا شأنه ، وتلك مأتيه ومآثره ، لحري والله بالمحمدة كفاء احسانه ، لابالغض من كرامته وتغليب الشبهات في حقه ، ثم هو حري بالا يعترف الا باسلامه وفاق ما عرف الاسلام من كريم بلائه في الذب عن حوزته ، وعظيم ولائه في نصرته .

ما كان يحدث لو أن أبا طالب كشف اللثام عن اسلامه

ومن يدري ما قد عسى يعترض الرسول (ص) لو عجل ابو طالب كفره في كشف اللثام عن

اسلامه والانضمام الى القلة التي لاذت به مؤمنة بدعوته ؟ ... اما كان من منطق الحوادث وطبيعة الحال ان يتورّد النبي من البلاء فوق ما تورّده ، وينزل به ما يباعد بينه وبين غايته ؟ فان قيل ان للدين ربًا يحميه فعلام لانقول ان الله جلّت حكمته هو الذى خصّ ابا طالب بهذه الحماية ؟ وان قيل ان ابا طالب ما كان له مثل موقفه من الدفاع عن ابن اخيه لولا عصبية القربى وطولُ الزمن فى تبنيه حتى كأنه احد بنيه ، فما بالنا لانعكس الآية لنقول ان عوامل العصبيّة والتبني خليقة بان تجعله أول المؤمنين ؟

لو ان ابا طالب مات غير مسلم ، ما فات معاوية أن ينوه بذلك

هذا ومما فات الباحثين ان ينتبهوا اليه من أدلة اسلام أبي طالب أن الحرب الكلامية كانت سجالا بين الامام علي ومعاوية ، وقد تَنَلّ كلاهما ما فى كنانته مما يغتمض الآخر ويغض منه ، ولقي ابن أبي سفيان من خصمه مثل المطارق تنديدا وتعريضا ، سواء بأبيه الذى اسلم والسيف فى محز عنقه ، او بأمه آكلة الاكباد ومشوهة الاجساد ، وعلى ذلك لم نعثر فيما اورده معاوية من الردود ذودا عن نفسه وخفضا من شان خصمه على أي تعريض ، بل اى اشارة ، بل اى ايماءة ولو خفية مما يتّصل بأبي طالب والد علي ، فلو صحّ انه كان على غير الاسلام لما فات مثل معاوية ان يعرِّض لذكره ويُعَرّض بكفره، ويُسقط عن نفسه اللائمة تبكيتا بأبيه بمثلها عدلا عند ابي عاذله ، فيستوى حسابُهما واحدا ، وتستوى به الضربة عند أحدهما مرتدة على الآخر .

المرء بهمته ، لا برمّته

وهنا نحب ان نسأل : ترى ما الذى يضير مثل علي (ع) وهو هو فى كرامته وفخره من جلال قدره ، ـ تنقّصُ أبيه بعدم اسلامه ؟ ماذا يضيره وكل من اعتنق الاسلام كان الى آباء واجداد غارقين فى سبات الجاهلية والوثنية ؟ اما ان الخطر لأقل مما يتصور ، وفضل علي لأكبر من أن يستصغر ، اذ كان المرءُ بهمته لابرمّته ، كالورد هو من الشوك ولكنه بأريجه ونضرته ، وكالسيف يُنظر الى مضائه وصليله لا الى أنه من الحديد ، وكل امرىء بما كسب رهين .

ونردف بسؤال آخر : فليس منا من لا يؤمن بصدق الرسول الامين (ص) ، ولا يقطع بأمره حجةً هي برهانُ نفسها ، فلو استوحيناه بروحه سؤالا عن عمه الذى حضنه ورباه ، وكفله ورعاه وذاد عنه وحماه : أترانا نستلهم الجواب الا مؤيدًا اسلامه ، موثقا ايمانه ، شاهدا بفضله ومكرما مثواه ؟ ... اما وهو كذلك عند نبي المرسلين وأصدق الصادقين فهل من الرأى وحكمة القول ان نكذّبه نحن ؟ ... ثم ماذا نقول ايضا بمثل علي (ع) وقد اشتهر بالحق يدور معه حيثما دار ، لا يصانع ولا يوارب حتى في أحرج المواقف والمطالب حيث تقتضيه السياسة بعض الملاينة والمداهنة ، ماذا نقول فى شهادته وقد شهد لأبيه بانه لفظ الشهادة وكان من المؤمنين ■■

دمشق : وجيه بيضون

تواضع محمود

● دخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوما من قريش قد تحلّقوا حلقة قرب الكعبة ، فلما راوه رموا بابصارهم اليه ، فعدل اليهم ، فقال : أحسبكم كنتم في شيء من ذكرى ؟ قالوا : اجل كنا نماثل بينك وبين اخيك هشام ، ايكما افضل ، فقال عمرو : ان لهشام عليَّ اربعة : امه ابنة هشام بن المغيرة ، وامي من قد عرفتم ، وكان أحب الناس الى ابيه منا ، وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد ، واسلمَ قبلي ، واستشهدَ وبقيتُ .





أبغض الحلال إلى الله ... الطلاق

بقلم : منير نصيف

■ املئي قلبك دائما بالضحك .. دعي الامس يمر بهمومه ، واستقبلي يومك الجديد بابتسامة مشرقة . تعلمي دائما أن الحياة سلسلة من المفاجئات التي يخبئها لنا القدر . وهي مفاجئات سعيدة احيانا مؤلمة احيانا ..

ولكن الزوجة العاقلة هي التي تستطيع أن تقلب الأحداث ، فتحول الهزيمة الى نصر ، والفشل الى نجاح .

فالزواج حياة جديدة ، يبدأ بعلاقة مليئة بالبشائر الحلوة .. انه أشبه بالمفتاح الذى يفتح بابا يحجب وراءه مستقبلا بعيدا ، ترن فيه صيحات الاطفال الذين سيجيئون ثمرة لهذا الارتباط الروحي والجسدي ... انه عش صغير مليء بالدفء والراحة والمشاركة في كل ما تأتى به الايام .. فى الشباب والشيخوخة .. فى الصحة والمرض .. فى السراء والضراء .

الحياة في تقلب مستمر

وليست كل ايام الزواج شبابا وصحة ومالا . فالحياة فى تقلب مستمر .. يوم لك ويوم عليك . والدنيا تبتسم احيانا وتعبس احيانا أخرى .. والشمس لا تشرق الا من بعد ظلام ، ولكنها ايضا قد تبقى غائبة محتجبة وراء السحب أياما وأياما .. وكل يوم يمر فى حياة الزوجين يحمل معه احداثا جديدة ..

الرجل يعمل ويكد ليجمع ما يكفيه ويكفي أفراد اسرته من مال يواجهون به أعباء الحياة . والمرأة تعيش فى عالمها الصغير فى البيت ، ان كانت غير عاملة خارج البيت ، من أجل توفير سبل الراحة والسعادة لرجلها واطفالها .. وهكذا تمضى السفينة تشق امواج الحياة .. وكثيرا ما يكون البحر هادئا لا موج فيه ، فتمضى السفينة فى طريقها فى يسر وهدوء .. لا شيء يزعجها ، ولا عائق يعترض طريقها ! .

الأسرة والمجتمع

ولكنها قد تصطدم فجأة بصخرة فى الطريق ، أو قد تهب عليها عاصفة هوجاء فترتفع الأمواج ، وتهتز السفينة وتتمايل ، وكثيرا ما تشرف على الغرق ! .

وهذه الصخور والعواصف هي المشاكل وهي المتاعب التي تعترض حياة الزوجين .. ونحن لا نستطيع أن نمنع حدوثها ، ولكن الذى نستطيع ان نفعله حتما هو الا ندعها تعصف بسفينة الزواج وتغرقها ! .

ففشل الزواج .. اى زواج .. مصيبة على

الاسرة وعلى المجتمع ، وكارثة لا يقل أثرها عن الموت نفسه ! فالاسرة هي كيان المجتمع ، وهي الدعامة التي تسنده وترتقي به وتدفعه الى التقدم والازدهار .

حتى أن حوادث الطلاق أصبحت اليوم معيارا لمدى تقدم المجتمعات ورفاهيتهـا . فاذا زادت نسبة الطلاق فى مجتمع ما ، كان ذلك دليلا على تفكك هذا المجتمع وانحرافه ، واذا انخفضت هذه النسبة، ازدادت فرص المجتمع في الرقي والتقدم.

مشاكل .. ومشاكل

ونعود الى مشـاكل الازواج .. ولكن قبل أن نعدد بعضها ، ونتحدث عن المتاعب التي تصادف الزوجين فى حياتهما ، نقف قليلا لنتسـاءل : « هل هي حقيقة مشاكل تستحق الاهتمام الذى نوليه لها ؟ » .

ولكي نجيب على هذا السؤال ، لا بد لنا أن نفرق بين المشاكل العادية التي تصادفنا فى حياتنا اليوميـة وأثرها على حياتنا وتصرفاتنا ، وبين المتاعب الحقيقية التي تواجهنا ، والتي قد تتطور وتتضخم في بعض الاحيان !.

ونبدا بمشاكلنا اليومية .. مشاكل الزوج فى عمله ، ومشاكل الزوجة فى عملها داخل البيت أو خارجه .. ثم مشاكل الأولاد ..

وهذه ليست مشاكل بالمعنى الصحيح.. ولكنها مجرد منغصات ، لا تلبث أن تزول ويزول أثرها بشيء بسيط من الحكمة والتفكير والتعقل .

منغصات الحياة

فالزوج الذى يعود الى بيته عابسا ثائرا لأن رئيسه في العمل وبخه على تقصيره واهماله، فينهر ويشخط فى وجه كل من يلقاه ! .

او الزواج الذى يترك مائدة الغداء سـاخطا ناقما ، لانه لم يجد طبق الطعام الذى يحبه ! ثم يدخل بعد ذلك فى مناقشة حادة مع زوجته ، قد تنتهي بخصام يستمر اياما ! .

او الزوج الذى يفاجا بان زوجته قد نسيت ان ترفي جواربه الممزقة ، فيثور ويرفض أن يرتدى جوربا آخر غير ممزق .

او الزوج الذى ينسى اين وضع كتابه ، ثم يلوم كل من فى البيت ، وينهال ضربا على أولاده الذين لا يتركون شيئا فى مكانه ! .

ثم الزوجة التي تفقد اعصابها لان آنية الزهور التي تعتز بها قد سقطت على الأرض وتحطمت فتمضي يومها كله فى غم ونكد !

او الزوجة التي تثور وتضرب طفلها الصغير ضربا مبرحا ، لأنه سقط فى وحل وهو فى طريق عودته منالمدرسة ! .

او الزوجة التي تحـزن وتكتئب لأنها دفعت ضعف ما دفعته جارتها ثمنا للحذاء الجديد الذى اشترته من تاجر آخر ! .

سحابة كئيبة

هذه كلها بعض المنغصات التي تصادف الزوجين فى حياتهما اليومية .. وهي كما رأينا ليست مشاكل بالمعنى المعروف . ولكنها لسوء الحظ تترك أثرها فى نفوسنا ، وينعكس هذا الأثر على تصرفاتنا ، وكثيرا ما يؤدى الى توتر فى العلاقات بين الزوجين ، فتختفى الضحكات من البيت ، وتلفه سحابة كئيبة قد تتطور الى غمامة سوداء تغطى كل شيء ، فتحجب المشاعر الحقيقية لكل منهما عن الآخر ! .

ومثل هذا الشعور ، اذا تطور ، اتاح الفرصة لكل من الزوجين الى التفكير والتساؤل ، فيسال الرجل نفسه : « ترى هل اخطات بزواجي من هذه المراة العصبية المزاج ؟ » .

اما هي فقد تندب حظها العاثر الذى القى بها فى طريق هذا الرجل الذى لا يريد أن يفهمها !.

اجراء بغيض

والعجيب فى الأمر أن مثل هذه المنغصات ، ما زالت سببا فى تحطيم كثير من الزيجات التي كان من الممكن أن تصبح زيجات سعيدة . والأعجب من ذلك ان كثيرا من الازواج والزوجات انفصـلوا بالطلاق وهم لا يدرون سببا حقيقيا لهذا الاجراء البغيض الذى اقدموا عليه ! .

كل ما يعرفه الزوج هو انه لم يعد يطيق الحياة مع امراته .. وكل ما تشعر به الزوجة انها لم تعد تحتمل العيش مع رجلها ! .

دور المراة

والمجتمع يظلم المراة ، فهو يلوم كل امـراة فشلت فى الاحتفاظ برجلها ، والذى لا شك فيه ان المراة تلعب دورا رئيسيا فى بناء الأسرة وسعادتها

.. ولكن هذا لا يعفى الرجل تماما من المسئولية عن فشل حياته الزوجية ! .

والمرأة العاقلة هي التي تنظـر الى مثل هذه المنغصات التي تصادفها وتصـادف زوجها فى حياتهما اليومية ، نظرة فلسفية ، فتسخر من نفسها كلما احست بالدم يغلى فى عروقها ، وتهون من شأن هذه المتاعب ولا تضخمها ! .

والمرأة العاقلة هي التي تسـتقبل زوجها بابتسامة عند عودته من عمله مرهقا ، حتى لو كانت هي ايضا متعبة ! .

والمرأة العاقلة هي التي لا تدخل فى مناقشات مع زوجها عن مشاكلها الخاصة ، ومشاكل اطفالها ، بل تحاول دائما ان تبدو وكأنه ليس هناك مشكلة تشغل تفكيرها . فاذا وجدت بين هذه المشاكل ما يستحق فعلا البحث والنقاش مع زوجها ، اختارت الوقت المناسب لتفعل ذلك .

والمرأة العاقلة هي التى ترضى بما قسم الله لها مع الرجل الذى ربطت حياتها بحياته ومصيرها بمصيره ، فلا تحاول ان تقارن بين حياتها هي وحياة جارتها الثرية ! .

الصفح والغفران

والمرأة العاقلة اخيرا هي التى تصفح وتغفر وتنسى من أجل سعادة بيتها واطفالها ..

والمرأة بطبيعتها متسامحة اكثر من الرجل ، وهي على استعداد لأن تصفح عن زوجها وتغفر له كل اخطائه ، الا اذا احست أن انوثتها فى خطر . فالمرأة لا تصفح ابدا عن زوجهـا اذا علمت انه يخونها ! .

المشاكل الحقيقية

ومن هنا ننتقل الى المشاكل الحقيقية التي تصادف الزوجين فى حياتهما .. وهذه المشكلة التي ذكرناها تأتي فى المقدمة .

وليس هناك من يستطيع ان يلوم اية امرأة تطلب الطلاق من زوجها لأنه يتصل بامرأة غيرها !

وهناك متاعب اخرى حقيقية تصادف الزوجين ، ولكن تستطيع الزوجة أن تفعل الكثير للتخفيف من أثرها ، كأن يفقد الزوج وظيفته مثلا ، أو يرسب الابن فى الامتحان ، او ان يكتشف الزوجان بعد مضى سنوات على زواجهما انهما سيحرمان من انجاب الاطفال ، لأن الزوجة عاقر او لأن الزوج عقيم .

حقيقة ان هذه كلها مشاكل تتطلب من الزوجين معا ، أن يواجهاها بشجاعة ، ولكن الدور الذى يقع على عاتق المرأة أكبر وأهم من دور الرجل ، رغم أنه وحده الذى يملك فى كثير من الحالات ، حق اتخاذ القرارات .

تأثير نفسي

فتأثير المرأة فى مثل هذه الظروف ، تأثير نفسى ، اكثر من أى شيء آخر ، وكل تصرف من جانبها من شأنه أن يضـاعف أو أن يخفف من حدة هذه الازمات فهي مثلا تستطيع أن تهون على زوجها اذا عاد اليها يوما يقول انه فقد وظيفته ، فتجلس اليه وتحدثه فى هدوء مؤكدة له انه رجل كفء ومجد ، ولا بد واجدا وظيفة افضل من وظيفته السابقة ..

بهذا تستطيع المـرأة ان تمنع اليأس من أن يتطرق الى قلبه ..

والابن الذى يرسب فى الامتحان مصيبة ، ولكن المرأة مرة اخرى تستطيع أن تهون من وقع هذه المصيبة على الاب ، بعد أن يفرغ ما فى صدره من غضب ، كأن تؤكد له على انفراد أن ابنهما قد بذل كل جهده ، وانه ما زال صغيرا ، وقد يكون فى اعادته لهذه السنة الدراسية ، ما يفيده حتى يستطيع أن يستقبل العام الدراسي المقبل ، وهو أكثر قدرة على استيعاب الدروس .

الشاطىء الهادىء

والمرأة مرة ثالثة هي القادرة وحدها على انقاذ زواجها وبيتها عندما يكتشـف الزوجان انهما سيحرمان من انجاب الاطفال الى الأبد . فسواء كانت هى السبب أم كان زوجها ، يجب الا تأذن للفرصة بالقاء اللوم على احدهما ، بل يجب أن تفكر حالا فى وسيلة لسد هذا الفراغ الذى يحتوى حياتهما .. والملاجىء مليئة بالاطفال الذين تركهم اباؤهم ورحلوا .. ان الزوجين يسـتطيعان ان يتبنيا طفلا يعطيانه كل حبهما ..

فى يدك وحدك الان انقاذ سـفينة زواجك من الغـرق .. فالامواج تكون عاتية فى وسط البحر ، ولكنها لا تلبث أن تهدأ عندما تصطدم بالشاطىء الهادىء .. وانت شاطىء الحياة الذى تلجأ اليه السفينة هربا من صخب الأمواج الثائرة ! ■■

منير نصيف

من أخطاء القضاء

ضحية ..

الخلافات الحزبية والأحقاد المحلية

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ تخرج بييرفو - وهو احد الضحيتين اللتين سنشرح قضيتهما - من مدرسة المعلمين بمدينة ماكون احدى المدن الواقعة على نهر الرون - شمال مدينة ليون . وعين - في سنة ١٨٤٤ مدرسا بقرية لونجبيير احدى القرى التابعة لتلك المدينة . وذكر في القرار الصادر بتعيينه انه اثبت طوال مدة دراسته انه على خلق كريم وانه اكتسب ثقة وتقدير رؤسائه .

ولم يكن يزيد عدد سكان لونجبيير في ذلك الوقت على سبعماية نسمة . ولذلك فان فو تولى اعمال المدرسة وحده واضيفت اليه في الوقت ذاته وظيفة سكرتارية العمدة . وقد اظهر من النشاط في وظيفته ما حبب فيه اهل القرية وخاصة آباء التلاميذ فقد اعتنى باثاث المدرسة فجدده وبتلاميذ المدرسة فضاعف من عددهم وحمل مجلس القرية على اصدار قرار بمجانية التعليم ليشجع الفقراء على ارسال ابنائهم للمدرسة . وهكذا اصبحت له منزلة مرموقة بين اهل القرية وكلمة مسموعة .

★★★

وقام بين اهل القرية نزاع مستحكم بخصوص مراع مساحتها اكثر من مائتى فدان مملوكة للمجلس القروى ومتروكة لاهل القرية مرعى لمواشيهم . واهالى القرية ينقسمون الى فريقين فريق يملك عددا كبيرا من المواشي من مصلحته ان تبقى المراعى على المشاع بينما الفريق الذى يملك عددا محدودا منها يطالب بتقسيم المراعى الى أجزاء صغيرة تؤجر لمن يشاء بحيث يستقل فيها بمواشيه . وانحاز بييرفو الى صغار الملاك فحقد عليه كبارهم فلم يعبا بذلك لان مبدأه في الحياة « اعمل واجبك وليكن ما يكون » .

وعندما قامت ثورة ١٨٤٨ - التى كان من زعمائها الشاعر العاطفى لامارتين - خرج فو من تحفظه واندفع بكلياته في التيار الحزبى وكان يطلق على نفسه انه جمهورى أحمر .

وجرت انتخابات لعضوية المجلس القروى فرشح نفسه وانتخب واضاف الى وظيفته صفة عضوية المجلس القروى . ولكن تصرفاته لم ترق للحكومة المركزية التى جاءت عقب انتخاب البرنس لويس نابوليون رئيسا للجمهورية فاصدرت امرا بايقافه عن العمل بالمدرسة لمدة ستة اشهر ثم قدمته لمجلس تاديب قضى بفصله من المدرسة باغلبية ثلاثة أصوات ضد اثنين .

وطلب محافظ المقاطعة من المجلس القروى فصله من سكرتاريته ولكن العمدة تضامنا مع الراى العام لم يقبل تنفيذ الفصل ففصل بدوره وتضامن



مجرد أن ظهر اللهب اسرع الشرطي الى منزل بالو فوجده قد عاد لتوه من الخارج وهو يلهث من الجرى وقد تلوث حذاؤه من الطين كما تلوثت يداه من البترول . وقبض عليه وسلمه الى قاضي التحقيق الجديد .

نائب العمدة مع العمدة المفصول فصدر قرار من رئيس الجمهورية بحل المجلس واجراء انتخابات جديدة ...

وكان من ضمن سكان القرية صاحب حانة ومتجر دخان اسمه جاليمار يعد نفسه لتولى منصب العمودية ورأى ان يستفيد من حب اهل القرية لبيير فو فتودد اليه وقبل ان يكون أحد افراد القائمة الانتخابية التي اعدها بيير فو اعتقادا منه أن فو لن ينافسه على منصب العمودية. وفعلا نجحت قائمة فو بكامل اعضائها البالغ عددهم اثنا عشر واصبح المجلس كله من رجال فو .

وفي الجلسة الاولى التى عقدها مجلس القرية فاز بالعمودية بيير فو بأغلبية تسعة اصوات في اول اقتراع . اما جاليمار ـ الذى كان يطمع في المركز والذى لم يكن يتصور أن ينافسه فو فانه لم يحصل على مركز نائب العمدة الا بعد الاقتراع الثالث وزاد من حقده أن الذى كان ينافسه هو شاب صغير السن يكاد يكون أميا اسمه جان بيتى وقد نال كل منهما ستة أصوات وأعطى المركز لجاليمار بحكم السن .

واخطر فو محافظ المقاطعة باختياره فوصله منه الرد الآتى « اذا أثبت بتصرفاتك انك قطعت كل صلة لك بالجمهورية الحمراء ـ وهو ما ارجوه واتوقعه من انسان في مثل ذكائك ـ فان من الممكن أن تعود الى وظيفة التدريس والا فلن استطيع الاحتفاظ بك عمدة للقرية » .

ولم يكن فو ممن يتاجرون بمبادئهم فرد على المحافظ يقول له « انه لا يقبل أن يكون آلة فى يده ويفضل أن يقدم استقالته » .

اما ما كان من أمر جاليمار الذى وفد الى القرية منذ ربع قرن واشترى بأموال سرقها من مخدومة الحانة ومتجر الدخان فقد عمل على اكتساب ثقة أهل القرية بالتملق والتظاهر بتأييدهم فجعل من حانته المنتدى الذى يجتمع فيه أهل القرية وأعضاء مجلسها وكان يحرض سكان القرية في أحاديثه مما حمل السلطات على سحب ترخيص حانته الا انه عندما دب الخلاف بينه وبين فو قلب لسكان القرية ظهر المجن وبيت في نفسه أمرا وبدا يتحين الفرص ليثبت للحكومة انه من انصارها . وواتته الفرصة حين اقترح فو احياء ذكرى ثورة ١٨٤٨ وعارض جاليمار فصمم الاعضاء على رأيهم وقاطعوا جاليمار .

ونال جاليمار ثمن خيانته فاصدر محافظ المقاطعة امرا بانتدابه عمدة للقرية ضاربا عرض الحائط بانتخاب الاغلبية . الا ان جاليمار لم يقنع بذلك . وحملته نفسه الشريرة الى رغبة التخلص من خصومه بكل الوسائل مما سنبينه في حينه .

ابتليت القرية بعدة حرائق اشاعت الرعب والفزع بين أهلها . ففى الفترة ما بين ٢ مارس ١٨٥١ و ١٢ مارس ١٨٥٢ أى في مدى سنة واحدة شبت ثمانى حرائق . لم يكن هناك ادنى شك في ان تلك الحرائق متعمدة ومن فعل فاعل . فقد اكتشف في كثير منها آثار احتكاك اعواد الثقاب بالحوائط المجاورة وكان يختار لها وقتا تشتد فيها الرياح لتنتشر . فهى من فعل وتدبير عصابة لها رئيس يدبر لها افعالها الاجرامية . فمن ترى يكون هذا الفاعل .

★ ★ ★

منذ اللحظة الأولى ـ أى بعد اول حريق ـ اتجهت شكوك جان بيتى الى جاليمار وزوج ابنته بيشون . ذلك انه قبل حصول اول حريق بساعة واحدة كان خارجا من حانة جاليمار فسمعه يقول لبيشون زوج ابنته « هل أنت مصمم على تنفيذ ذلك الليلة » وقال له بيشون « نعم . يجب أن افعل ذلك الليلة » . وأجابه جاليمار « هذا يكفى ». وكان مع بيتى صديق آخر سمع هذا الحديث ولكنهما اعتقدا أن هذا الحديث خاص بادخال خمور مهربة من الضريبة للحانة فلم يعيراه اهتماما. ولكن بعد حدوث الحريق بدا لهما خطورة ذلك الحديث فافضيا بشكوكهما الى صديق ثالث من اعضاء مجلس القرية . فقرروا ارسال خطاب ـ غفل من التوقيع الى قاضي التحقيق ولكن قاضي التحقيق بدلا من أن يستجوب جاليمار دعا بيير فو باعتباره شاهدا ولكن الاسئلة التى كان يوجهها اليه تشعر بانه يعتبره متهما اذ كانت تدور حول وجوده في القرية اثناء الحريق ومقابلاته

لأحد المتهمين وهل هو من أنصار تقسيم المراعى وما اشبه ذلك ؟ وأخيرا سأله ان كان يظن ـ كما يظن بيتى ونيقولو انجاليمار هو مرتكب الجريمة؟ ولكن فو لم يوجه أى اتهام لجاليمار .

ولما سئل بيتى في التحقيق اصر على توجيــه الاتهام الى جاليمار ولم يفعل ذلك دفاعا عن نفسـه لأنه ـ حتى تلك اللحظة ـ لم تكن قد وجهت اليه اية تهمة .

وكان من سوء حظ العدالة ان قاضي التحقيق كان على صلة قوية بجاليمار ـ الذى يشـغل منصب العمودية والذى هو من المقربين الى الهيأة الحاكمة . لذلك فحين استدعاه قاضي التحقيق ليستجوبه استطاع جاليمار في سهولة أن يوجه الاتهام الى انصار التقسيم وقال ان الانتخابات الماضية جرت على هذا الاساس ومع أنه لم يتهم فو بالاسم فان أقواله لقيت عند قاضي التحقيق ترحيبا كبيرا فاصدر امره بالقبض على فو وريشار اللذين كانا موجودين امامه وانتدب قاضي التحقيق في القرية التى انتقل اليها بيتى ليستجوبه ويرسله مقبوضا عليه . ولكن تحقيق القاضي المنتدب اثبت ان بيتى لم يكن موجودا بمحل الجريمة وقت ارتكابها وانه لا يد له فيها . وأصر بيتى في استجوابه على اتهام جاليمار وزوج ابنته .

ولم يسع قاضي التحقيق الا الافراج عن فـو وريشار ، وقد اعتقلا في يوم ٧ مايو ولم يستجوبا كمتهمين الا في يوم ١٢ مايو ولم يفرج عنهما الا في يوم ٣١ مايو حين لم يظهر التحقيق اية تهمـة ضدهما .

★★★

ويقول فو في مذكراته التى تركهـا لأسرته « وزارنى في السجن المحافظ ومعه وكيل المحافظة وعدد من اتباعه ورأيت في ملامحه مدى سروره برؤيته لى بين جدران السجن وقال لى متظاهرا بالأسى « مما يؤلمنى أن اراك هنا . انك ولاشك سوف تخرج من هذه التهمة . ولكن نظـرا لسوابقك فان الأمر مؤلم . » وقد اعتبرت اقواله وزيارته مهينة لى فلم أرد واكتفيت بالنظر اليهم جميعا بازدراء وابتسمت » .

ولكن جاليمار لم يقف مكتوف اليدين .فارسل للمحقق شاهدا اسمه بالو وجه الاتهام في حوادث الحريق الى سافيه الأب وبيتى ونيقولو . كما أرسل له خطابا يقول له ان تحرياته دلت على أن امرأة اسمها بولى تقول ان ابنة بيتى قالت أمامها ان اباها حضر في ليلة الحريق الأول من الخارج وقال لهم ان حريقا شب في القرية في منزل مارى جرو ثم وقف على باب المنزل وقال لهم «لاتتحركوا فقد أخمد الحريق » .

ولو أن المحقق كان جادا في تحقيقه لانتقـل الى منزل بيتى ولتبين له ـ خصوصا بعد أن انكرت ابنة بيتى صدور هذا الحديث منها ـ استحالة رؤية منزل مارى جرو من باب منزل بيتى . ولكن سوف يظهر التحقيق ـ بعد فوات الأوان ـ أن قاضي التحقيق لم يكن الا مخلب قط في يد جاليمار يوجهه حيثما يشاء بل كان جاليمار هو الذى يوجه الأسئلة والتحقيق ولم يكن القاضي بولانجيـه الا آلـة في يـده يثبت الاسئلة التى يوجهها جاليمار كما لو كانت صادرة من القاضي نفسه بل أكثر من ذلك لا يثبت من الاجابات الا ما يوافق جاليمار على اثباته ولا يتورع عن تغييرها اذا راق ذلك لجاليمار .

وبالرغم من كل تلك المحاولات لم يستطع المحقق الا الافراج عن فو فقد كان الشاهد الوحيد ضده بالو متهما بجريمة تزوير ـ أى أنه ممن لا يثق القضاء باقوالهم أما تلميحات جاليمار من أنه ـ أى فو ـ متحمس لفكرة التقسيم والخصومة القائمة بينهما واتصالاته بأعضا المجلس القروى ونفوذه عليهم فانها كلها لا تنهض دليلا جنائيا خاصة وقد شب في القرية حريقان أثناء اعتقاله ، وهكـذا صدر قرار بحفظ التحقيق بالنسبة لفو ومن معه واحيل ميشو وبالو الى المحاكمة بتهمــة التزوير فحكم على ميشو بالسجن سبع سنوات وحكم ببراءة بالو لعدم كفاية الادلة .



وبمجرد الحكم ببراءة بالو تقدم من جديد يطلب اتمام اقواله السابقة التى زعم أنه لم يفض فيها بكل ما يعلم لأنه كان خائفا من تهديد من يتصل بهم الأمر . وقال في اقواله الجديدة ان ميشـو

اعترف له بان شركاءه في جرائم الحريق هم جان دومون وفو وسافيه الأب وموريس نيقولو وجان بيتي . وظهر من مناقشة القاضي له ـ في اقواله الجديدة ـ انه غير مقتنع بصحتها لأنه لم يفض بها الا بعد مرور سنة من حدوث الحرائق ولكنه ـ بتأثير من جاليمار ـ العمدة المقرب من السلطات والذى يستطيع ان يجعل القاضي محل رضائها او غضبها ـ قدم المتهمين الخمسة الى المحكمة ولا دليل عليهم الا اقوال بالو وتزكية جاليمار له. واثبت في تقرير الاتهام ان اثنين من المتهمين هما ميشو وسافيه اصيبا بفزع شديد حين وجه اليهما الاتهام وتحدثا عن عزمهما على الانتحار ولكنهما زارا فو في منزله وخــرجا من عنــده وقد استردا اطمئنانهما فعد ذلك دليل اتهام ضد فو . كما اعتبر دليلا آخر ضده انه قال ذات مرة « لو ان الاعتماد الذى اقره مجلس القرية للاحتفـال بذكرى الثورة كان قد سلم لجاليمار لما حدث اى حريق في القرية . »

وهذا القول ـ ان صح ـ فانما يدل على ان فو يتهم جاليمار باحداث الحرائق او بالتحريض عليها ـ ولكن الغرض مرض كما يقولون ـ فـاذا به يفسر على انه دليل ادانة ضد فو .

ونظرت القضية وصدر الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة ضد المتهمين الخمسة . وقوبل الحكم من اهالى القرية بوجوم وعدم اقتناع بصحته على عكس ما تقابل به أحكام القضاء عادة اذ أن الحكمة من علانية الجلسات هى اشعار الناس بعـدالة الأحكام وبانها عنوان الحقيقة .

★★★

ويوم صدر هذا الحكم كتب فو الى النائب العام خطابا لا يصدر الا من شخص برىء معتز بكرامته مؤمن بأن الحقيقة سوف تظهر في يوم من الأيام . قال :

« انى احترم قرار المحلفين . ومهما تكن آلامى بسبب الحكم الخاطىء الذى اصدروه ضدى وضد زوجتى وابنائى الاعزاء فانى لن اشكو من هـذا الحكم الا لله سبحانه وتعالى قاضي القضـاة الذى لن يتخلى عنى وعنهم . ولا تظن يا سيدى اننى احمل اى ضغينة لقضاتى فقد خدعوا . وحين تحين ساعة ظهور الحقيقة فلا يخامرنى اى شك في انك ستعمل على تحقيق العدالة . اننى في الواحدة والثلاثين من عمرى في اتم صحة وقوة. والعمل هو كل حياتى . فارجو ان تأمر بارسالى الى المنفى في جزيرة كايين ـ ان كان ذلك ممكنا ـ لاضع جهودى في خدمة الهيأة الاجتماعية التـى اتهمت بأننى عدو لها . »

وكتب لزوجته يشجعها على تحمل الصـدمة الأليمة ويطلب منها ان لا تيأس فهى تعلم انه برىء وانه كان في جوارها في اوقات حصول الحرائق . ويوصيها باولاده وبامه وباخوته ويطلب منها ومن ابنائه ان يذكروه في صلواتهم فان الله سيلبى طلباتهم حين يرفعون اليه ايديهم الصغيرة يطالبون بعودة ابيهم اليهم .

وكتبت اليه زوجته تطلب منه ان يوقع التماسا الى الامبراطور نابوليون الثالث بالعفو عنه فرد عليها بانه يرفض تقديم ذلك الالتماس لان المذنبين وحدهم هم الذين يلتمسون العفو عن جرائـم ارتكبوها ولأن مثل هذا الالتماس يكسوه بالعـار ويكون ثمنا غاليا لحريته التى فقدها بدون جريرة. وقال انه يفضل الف مرة ان يقضي حياته كلها بملابس السجن وأن يموت في المنفى على أن يكذب امام الله وامام نفسه . ويصرخ في ختام خطابه « اننى برىء اطلب العدل اما العفو فلا حاجة لى به . »



وتقدم اهالى لونجيبير بعرائض وقعها معظم اهالى القرية يطالبون بالعفو عن فو وأحيل الطلب الى النائب العام لأخذ رأيه ـ كما جرت العادة ـ فقدم النائب العام تقريرا يدل على انه سادر في تحيزه فطعن في سلوك فو السياسي ومناوأته للحكم وتركه مدرسته للدعاية الانتخابية وقال ان سلوكه لم يتغير بعد صدور قرار المحلفين بادانته فقـد القى كلمة امام القاضي يؤكد براءته ويزعم انـه ضحية خطأ قضائى . وانه منذ ابعاده الى المنفى

لا يتوقف عن اتهام كرام الناس ـ وخاصة السيد جاليمار ـ الذى ظهر اثناء التحقيق بانه الساعد الامين للعدالة ـ بالتهم التى ادين بها. يفعل ذلك فى خطاباته لأسرته وفى النشرات التى ينجح فى تهريبها من منفاه . فهو ـ فى تقدير النائب العام ـ لا يستاهل اى عطف .

★★★

ولكن الله يمهل ولا يهمل . والعدالة ـ وان تباطات فى بعض الاحيان ـ تنفذ من خلال الغيوم مهما تكاثرت .

لقد اتهم بيتى وزميلاه جاليمار بارتكاب الحرائق. واتهمه سافيه الابن والأب صراحة . فسافيه الابن يقول للمحقق . « لو اردت ان افضى اليك بشكوكى فيمن هم الاشخاص الذين اشعلوا الحرائق لقلت لك اننى موقن ـ وان لم يكن تحت يدى الدليل انهم بالو وبيشون ـ زوج ابنة جاليمار ـ وجاليمار نفسه . »

واتهم سافيه الأب ـ قبل ترحيله الى المنفى ـ جاليمار بانه هو الذى بذل المال لاحداث الحرائق. كما كتب من المنفى يقول « اننى هنا اعانى متاعب المنفى بينما المجرم الحقيقى فى لونجبيير يتمتع بنفوذه وسلطانه . »

وكانت تصرفات جاليمار قد بدأت تكشف عن بواطن نفسه .

فمهما يكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

فبعد ان ادلى بشهادته امام محكمة الجنايات التى زكى فيها اقوال « بالو » عاد الى داره مفكرا مهموما ، فلما ساله من كانوا بالدار ومنهم زوجته عن سبب همومه قال « اننى اخشى ان يصدر الحكم بادانة فو . » فساله احدهم « هل تعتقد ان فو مذنب » ؟ .. فاجاب بعد تردد « فو لم يرتكب جرما ولكنهم يريدون التخلص منه . »

★★★

وكانت ادانة فو الشغل الشاغل لأحاديث اهل القرية . وافضت احدى سيدات القرية ـ ارملة اسمها بونجور ـ ان جاليمار حين علم بوجود نزاع بينها وبين احد المدرسين ـ عرض عليها ان تساعده على الانتقام من اربعة من خصومه ـ وانها فهمت من حديثه ان المقصود اشعال النار فى منازلهم ـ فلما رفضت هددها بان مصيرها سيكون السجن اذا هى ذكرت شيئا عن حديثه معها .

وبدأت الشكوك ضد جاليمار تتجسم . وكان المحقق الاول قد نقل من القرية واصبح من غير المرغوب فيه الابقاء على جاليمار فى وظيفة العمودية. فاستدعاه محافظ المقاطعة وطلب منه تقديم استقالته ولكنه رفض فقال له المحافظ انه ان لم يقبل فسيطلق يد النيابة العمومية فى التحقيق ضده . فوقع طلب الاستقالة على مضض .

ويبدو ان الادارة ـ اعترافا منها بخدماته السابقة ـ تباطات فى تعيين خلف له . ولكن اعضاء مجلس القرية جميعا قدموا استقالتهم ضنا بانفسهم ان يجلسوا معه حول مائدة واحدة . فلم يسع الادارة الا الرضوخ للراى العام . وهكذا زالت عنه هيبته وضعف سلطانه .



وشب بعد ذلك حريق فى دار الراهبات بالقرية. وكان جندى الشرطة يقظا هذه المرة بعد ان تركزت الشكوك حول جاليمار واعوانه . فبمجرد ان ظهر اللهيب اسرع الشرطى الى منزل بالو فوجده قد عاد لتوه من الخارج وهو يلهث من الجرى وقد تلوث حذاؤه من الطين كما تلوثت يداه من البترول. وقبض عليه وسلمه الى قاضى التحقيق الجديد . فانهار بالو واعترف ان جاليمار بعث له برسول يقول انه يريد اشعال الحريق فى دار الراهبات ، وايدت زوجة بالو اقواله واضافت ان جاليمار زارهم مرتين فى اليوم السابق وكان يختلى بزوجها. وتاكد المحقق ان عصابة اشعال الحرائق ـ الحريق الاخير والحرائق السابقة ـ تتكون من جاليمار

الرأس المدبر و « بالو » اليد المنفذة و «كينار» الوسيط الذى ينقل التعليمات .

وادرك قاضي التحقيق السابق مدى تورطه في تحقيقاته السابقة بسبب صداقته لجاليمار وانسياقة وراءه وانه ضلل واستغفل وخشي من افتضاح امره فحاول بكل الوسائل تعطيل التحقيق ولكن القاضي الجديد كان حازما فاصدر امرا بالقبض على جاليمار وايداعه السجن . ومتى وقع الثور كثرت السكاكين .

وحاول جاليمار من داخل السجن الاستعانة ببعض اعوانه ومنهم احد رجال الشرطة واحد القسس ولكن قاضي التحقيق الجديد كان له بالمرصاد فلم يمكنه ـ كما مكنه قاضي التحقيق السابق من التلاعب بالتحقيقات والاتصال بالشهود وتحريف اقوالهم .

وضيق المحقق على جاليمار حتى لم يعد قادرا على الرد على الاسئلة وأمر المحقق بارجاء التحقيق الى الغد واعادته الى زنزانته في السجن .ورفض ان يتناول طعامه . ولم يوجه أى كلمة لحارسه وفي صباح الغد وجدوه قد شنق نفسه . وكان هذا الانتحار ابلغ دليل على صحة التهم الموجهة اليه . فاذا اضفنا الى ذلك اعتراف بالو بارتكابه الحرائق التى ادين بسببها فو وبيتى ـ فقد اصبح من الواضح ان خطأ قضائيا قد وقع وان الواجب يقتضي من النيابة أن تعمل على اصلاحه .

ولكن النيابة في ذلك الوقت كانت متأثرة بعاملين: تحزبها ضد خصوم نابوليون الثالث وكرهها للاعتراف بخطأ وقعت فيه . لذلك أصدر النائب العام قرارا بانقضاء الدعوى بالنسبة لجاليمار وبحفظها بالنسبة لبيشون زوج ابنته بدعوى عدم كفاية الأدلة .

وهكذا بقى فو وبيتى ـ اللذان وضحت براءتهما ـ رهيني المنفى .

وكتب فو الى الامبراطور يعرض حالته ، وأيده عدد كبير من رؤسائه في المنفى لا يطلبون عفوا بل اصلاح الخطأ ولكن صرخاتهم جميعا ذهبت عبثا . وكل ما نجحت فيه تلك الجهود المتواصلة أن صدر أمر بالسماح لزوجته وأبنائه بالانتقال الى المنفى على حساب الدولة وذلك بعد عشر سنوات من صدور حكم الادانة .. ثم صدر امر آخر بانزال مدة العقوبة المؤبدة الى عشرين عاما وفي مناسبة اخرى الى ١٥ عاما .

وشاء القدر ان يموت فو وزميله بيتى في المنفى بعد أن قضيا فيه ثلاثة وعشرين عاما وخمسة وعشرين عاما للثاني .

★★★

ثم صدر في أواخر القرن التاسع عشر القانون الذى يبيح لأسر المحكوم عليهم خطأ بطلب اعادة المحاكمة . وتقدم من كانوا ما يزالون على قيد الحياة من اسر الشهيدين بطلب اعادة المحاكمة . وتبنى وزير العدل وتبنت النيابة العمومية هذين الطلبين وتقدم النائب العام بنفسه ـ ليترافع امام الغرفة الجنائية بمحكمة النقض ليطلب منها الغاء الحكمين بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على صدورهما .

وفي اثناء مرافعة النائب العام بدأ يتلو خطابات فو لأسرته فبلغ به التأثر حدا ان حالت الدموع التى تجمعت في عينيه من الاستمرار في القراءة فتوقف لحظة ، ثم قال .

« اننا لا نعتذر عن تأثرنا فانه تحية منا لذلك القلب الكبير الذى ذهب ضحية خطأ كبير ارتكبه افراد من اسرتنا القضائية التى لا يضيرها أن تعترف بالخطأ وتصححه ولو ان الاوان قد فات. ان الذين ارتكبوا هذا الخطأ المؤلم فريقان . منهم من ارتكبه عامدا فيجب أن يلطخ حكمكم ذكراهم بالعار . ومنهم من خدعوا ولا يسعنا الا ان نسأل الله ان يغفر لهم خطاياهم . أما التعويض الذى يطلبه الورثة فلا اسمح لنفسي أن اطالب بانقاصه فلسا واحدا فهو تكفير من الدولة عن جرم ارتكبه أعوانها . ■■

حسن الجداوى



سيبيريا الأرض المجهولة

صراع بين الانسان... والطبيعة!

■ ثلاجة كبيرة .. يعيش داخلها ...،٥٥٨ر٢٢ من البشر وسط الثلوج وتحت درجات حرارة تصل في كثير من الاحيان الى ٩٦° فهرنهيت تحت الصفر اثناء الشتاء القارس الذى يستمر ٨ أشهر كل عـام .

أما مساحتها فتبلغ ..١ر٣٠٤ر٤ ميل مربع أى انها اكبر من الولايات المتحدة الأمريكية كلها بحوالى ٢٦٧ر٧٢٧ر٤ ميلا مربعا (تبلغ مساحة الولايات المتحدة ٦٣٣ر٦٧٥ر٣ ميلا مربعا) .

اسمها سيبيريا .. Siberia ويسميها الروس « سيبير » Sibir .. ويكاد الناس خارج روسيا لا يعلمون عنها شيئا سوى القليل وسوى انها كانت منفى لمعارضي النظام القيصرى والنظام السوفييتى على السواء حيث يطويهم النسيان بين الثلوج والدببة القطبية والطبيعة القاسية التى لا ترحم .

ولكن الحقيقة تختلف عن هذا اختلافا كبيرا .. فالى جانب معسكرات العمل التي يودع فيها المحكوم عليهم ، توجد ايضا المدن الكبيرة الحديثة، وتوجد المصانع ومعاهد البحوث ، والسدود التي تولد الكهرباء ، وحقول البترول الغنية ، ومناجم الذهب،والقصدير ، والفحم،والماس ، والغابات التي تمثل ثروة خشبية ضخمة .

من هم سكان سيبيريا ؟

والى جانب هذا كله يوجد سكان سيبيريا .. بعضهم من أصل آسيوى واغلبهم من اصل سلافي ولكنهم جميعا تربط بينهم رابطة واحدة قوية وهي صراع الطبيعة .. الطبيعة القاسية .. الصراع من اجل الحياة .. ولكنك تجد اختلافا كبيرا في ملامح وجوههم فالسكان الاصليون من اصـل منغولى ، وهم قلة الآن ، واغلب هؤلاء لا يزال عملهم الأصلي هو صيد الحيوانات وتربية الغزلان ويعيشــون تحت نظام قبلي يرحلون مع قطعان حيواناتهم من مكان الى مكان .. ولهم لغتهـم الخاصة وهي لغة مشتقة من اللغة التركية .. وتكثر هذه القبائل في المناطق التي تقع على حدود الصين ومنغوليا .

وتحافظ السلطات السوفييتية على اللغة

الأصلية لهذه القبائل .. وقد افتتحت لهم مدارس تقوم بالتدريس بهذه اللغات في المرحلة الأولى ولكن التدريس في المراحل العليا يتم باللغة الروسية وذلك لعدم توافر المراجع والكتب باللغة الأصلية لهذه القبائل .

الدين

ويدين سكان سيبيريا بالدين المسيحي الارثوذكسي كالروس . ولكن بعضهم لا يزال يؤمن ببعض الاساطير والخرافات القديمة .. ومن هذه الخرافات مثلا أن أى شخص يقتل دبا دون ان يكون ذلك دفاعا عن النفس قد يصاب بمصيبة أو تواجهه ظروف عصيبة .. ومن الحكايات التي نسمعها عن هذا الاعتقاد ان رجلا قتل دبا وهو نائم بين الثلوج .. ولم يمض يومان الا وابتلع الثلج ابن هذا الرجل الصغير في نفس المكان الذى قتل فيه الدب !! .

أما السكان السلافيون فهم الاغلبية وتبلغ نسبتهم الى السكان الآسيويين ٩ الى ١ .. وهم من أصل أوربي ويبدو الفرق بينهم وبين الآسيويين واضحا على ملامح وجوههم . وهم يتكلمون اللغة الروسية ويعملون في المشروعات الصناعية والانشاءات التي تملأ كل مكان في سيبيريا الآن .

ماكولات دسمة .. وملابس من الفراء

والجو في « سيبيريا » هو الذى يتحكم في حياة أهلها .. في ماكولاتهم .. في شرابهم وفي ملبسهم أيضا .. والشتاء يستمر ٨ أشهر .. الثلج في كل مكان .. الانهار تتجمد وتتحول الى كتل من الجليد الصلب .. الأشجار يصبح لونها أبيض فهي أيضا تختفي تحت رداء من الثلج . وفي المدن ضباب كثيف يلف كل مبانيها وشوارعها .. وتستعجب من هذا الضباب – فمن المعروف أن الضباب يختفي عند وجود الثلوج .. وعندما تبحث عن الحقيقة تعرف انه ضباب تسبب فيه الانسان نفسه .. ففي درجات الحرارة الشديدة الانخفاض .. يتسبب تنفس الانسان في هذا الضباب الكثيف وذلك عندما يخرج الهواء من صدره ، وفي المدن حيث توجد المصانع ويعيش أغلب الناس ومعهم حيواناتهم .. يتسبب هذا كله في ضباب كثيف يلف المدينة كلها .. وعندما تغادر حدود المدينة تعود الى رؤية الشمس الساطعة على جبال الثلج ويختفي هذا الضباب المصنوع .. !!

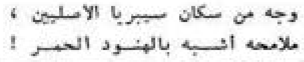
واهل سيبيريا يقبلون على الماكولات الدسمة حتى تكتسب اجسامهم أسعارا حرارية كافية تعينهم على تحمل البرد القارس .. وهم أيضا لهم ماكولاتهم الوطنية ولعل أشهرها السمك النيء المجمد .. الذى يؤكل بعد اضافة الشطة الحمراء اليه . ومن الاطعمة المفضلة لديهم لحم الخيل .

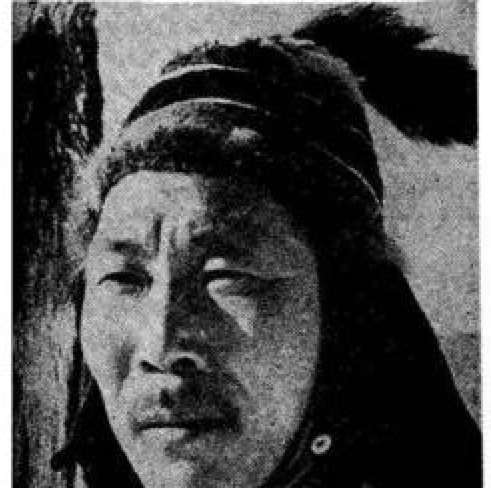
ومع كل وجبة يشرب سكان سيبيريا مشروبا كحوليا تبلغ نسبة الكحول فيه ٩٦٪ !! .. ومع كل رشفة من هذا المشروب القوى يدب الدفء في أجسامهم المقرورة ! فكأنما هي حاجة اقتضاها الجو ..

ويرتدى السيبيريون معاطف من الفراء الثقيل .. واردية صوفية ثقيلة .. وقفازات من الفرو .. وأحذية صنعت من جلود الحيوانات القطبية وفرائها .. كل هذا ليتغلبوا على برد الشتاء القارس .

حر في الصيف !

وكما تشتد البرودة في الشتاء .. فان الحر يشتد في الصيف أيضا .. والصيف قصير ولكنه حار ورطب .. أشبه في حرارته بالمناطق الاستوائية .. وقد تصل درجة الحرارة فيه الى ١٠٠° فهرنهيت أى نحو ٣٨° درجة مئوية وتذوب الثلوج .. وتتحول شوارع المدن الى برك ومستنقعات


وجه من سكان سيبريا الأصليين ، ملامحه أشبه بالهنود الحمر !





يقبل أهالى سيبريا على الطعام الدسم لمواجهة البرد القارس الذى تعمر موائدهم بأصناف منه متعددة

وتبدأ أسراب الناموس في مهاجمة السكان . وهكذا يكون الصيف أيضا قاسيا .

ولكن هذه الطبيعة القاسية لم تمنع الانسان من أن يقوم باستغلال الطاقات والثروات الطبيعية التى حبا الله بها هذه الارض..ففىسيبيريا يوجد اكبر مشروع لتوليد الكهرباء منالمياه في العالموهو مشروع سد انجرا الذى تتدفق فيه المياه الى التوربينات التي تدور فتنتج الكهرباء تماما كالذى في السد العالي .. وحول هذا السد تقوم مصانع الالونيوم ومصانع قطع الاخشاب ومصانع الورق وذلك للاستفادة من الطاقة الكهربية الناتجة .

مدينة العلوم

وفي سيبيريا أيضا مدينة فريدة من نوعها تسمى مدينة العلوم Akademgorodok وتوجد بها ٢٠ مؤسسة علمية .. وهي تقوم بابحاث في الذرة والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجي والاقتصاد .. وفي هذه المدينة يقوم العلماء من جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي باجراء البحوث العلمية التى تتيح استغلال الثروات الطبيعية المدفونة تحت جبال الثلج .. وقريبا ستنشأ في سيبيريا مدن مقفولة يعيش سكانها تحت أسقف مبنيةتحميهمن التقلبات الطبيعية التي تهاجم أراضيهم ..

وهكذا يثبت الانسان دائما أنه يستطيع أن يهزم الطبيعة القاسية ما دام لديه عقل يفكر به .. وقد تحسن هنا الملاحظة التي تقول بأن العامل الاول في تقدم الاتحاد السوفييتى انما هو العلم.

أرض المتناقضات !

وسيبيريا ـ هذه الارض الواسعة ـ تجمع بين كثير من المتناقضات .. ففي المجاهل الشمالية يسود الليل القطبى اشهرا طويلة ، وتستمر العواصف بضراوة طيلة أسابيع كثيرة ، أما في الجنوب ، فان الغابات تتكاثف وتنتشر في المراعى قطعان هائلة من الابقار ، وفي الشرق ، على ساحل المحيط ، تتراقص الامواج فوق الصخور الجرانيتية الصلبة ، والى الغرب توجد السهول الخصبة التي تزدهر فيها الزراعة .

وفي سيبيريا في الشتاء يكون النهار قصيرا جدا .. اما في الصيف فتشرق الشمس بعد غروبها بساعة واحدة.. انها الطبيعة..بكل غرائبها .. !

■■

دردشة

وصية ستالين

● عندما مات ستالين فى صبيحة يوم ٦ مارس ١٩٥٣ ، ترك خطابين ، اوصى بعدم فتحهما الا بعد وفاته . وكتب على الخطاب الاول : « يفتح فى حالة وجود متاعب فى الدولة » . اما الخطاب الثاني ، فقد كتب عليه يقول : « لا يفتح الا اذا ازدادت الاحوال سوءا » .

ومرت السنون ، وثارت المتاعب واحتدم الصراع على السلطة ، ففتح الزعماء السوفييت خطاب ستالين الاول ، وقرأوا فيه العبارة التالية : « انا الملوم فى كل ما حدث ، القوا مسئولية كل هذه المتاعب عليّ » .

وهدأت المشاكل بعض الشيء ، ولكنها ما لبثت ان ازدادت تعقيدا ، فاسرعوا بفتح الخطاب الثاني ، فاذا بستالين قد كتب فيه يقول : « ليس امامكم الآن الا ان تفعلوا ما كنت افعله انا فى مثل هذه الظروف » .

نشرت هذه القصة صحيفة صانداي تلجراف البريطانية .



ميكي ماوس عاش في دولاب ملابس والت ديزني!

● سألوا والت ديزني Walt Disney رسام الكاريكاتير العالمي الذى توفى فى العام الماضي ، « كيف توصلت الى ابتكار شخصية « مكى ماوس » الفار الصغير الذى اثارت مغامراته اعجاب الناس فى كل افلام رسومك المتحركة »

فقال ديزني : « لقد كان هذا الفار يعيش فى دولاب ملابسي ثلاث سنوات كاملة . بعد ان فشلت كل محاولاتي فى اصطياده ، الى ان كان احد الايام التي تصورت فيها انني تخلصت منه الى الابد . فقد اختفى الفار تماما ولم اعثر له على اثر !

« وفى هذا الاسبوع نفسه ، قررت السفر الى نيويورك لقضاء اجازة قصيرة ، وحزمت حقائبي وتركت بيتي فى مدينة لوس انجليس ، ونزلت فى فندق والدورف استوريا !

« وفى مساء يوم وصولي دعيت الى حفل اقامته زوجة احد كبار رجال الاعمال تكريما لى وارتديت ملابسي وذهبت الى بيتها لقضاء السهرة .

ووضعت يدى فى جيبي لاخرج منديلي ، واذا بي اصرخ الما واخلع سترتي والقي بها على الارض ..

« وفجأة شاهدت الفار يخرج من جيب سترتي في هدوء ، ثم يقفز بين المقاعد ليختفي فى بيت صديقتي » .





جيل الامس واليوم !

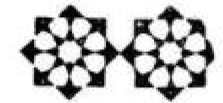
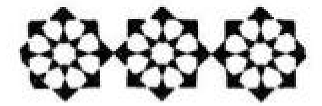
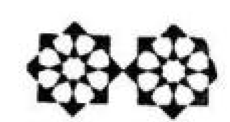
● زار لال بهادور شاستري رئيس وزراء الهند الراحل يوما احدي المدارس الابتدائية في نيودلهي . وما كاد يبدأ جولته في المدرسة حتى اقترب منه بعض الطلبة الصغار وشكوا من قِدَم السيارات التي تقلهم الى المدرسة ، وكيف انها لم تعد تصلح للاستعمال ، وطالبوا بسيارات جديدة .

وابتسم شاستري الذي كان تولى رئاسة الوزارة الهندية بعد وفاة نهرو ، ثم دعاهم الى الجلوس امامه ، وراح يروي لهم قصة حياته هو عندما كان في مثل سنهم ، وكيف كان يذهب الى المدرسة ، قال :

« لقد كنت اعيش في بيت والدي الفقيرين في قرية صغيرة تبعد ثلاثة كيلومترات عن المدرسة التي اتلقى فيها علومي ، وكان يفصل بين القرية والمدرسة نهر صغير تسير فيه قوارب صغيرة تنقل الناس من ضفة الى اخرى . ولم اكن املك دائما اجر العبور بالقارب ، فهل تعلمون ماذا كنت افعل ... لقد كنت اعبر النهر سباحة .. »

وهنا سأله احد التلاميذ الصغار ، وماذا كنت تفعل بكتبك وكراريسك ؟

فقال شاستري : كنت احزمها بملابسي واضع الملابس فوق راسي ، حتى لا تصل اليها المياه وتبتل » .

قالــوا ...

*** هناك فرق كبير بين الاسرة التي تبيع سيارتها القديمة لتشتري سيارة جديدة، وبين الاسرة التي تبيع السيارة القديمة ، حتى تتمكن من نقل ابنائها الى مدرسة افضل .**

« والتر ليبمان »
الملق السياسي الامريكي

*** منذ عامين ونحن نحاول ان نعالج اقتصاد بلادنا بطريقة لم يعالج بها اقتصاد اية دولة من قبل .**

« جورج براون »
وزير خارجية بريطانيا

*** نعم عندنا فقر ، ولكن فقرنا من نوع غريب ، لانه موجود في مجتمع حقق اعظم قدر من الرفاهية ، ومن اجل ذلك يبقى الفقر مختبئا حتى عن اعيننا نحن .**

« روبرت ماكنمارا »
وزير الدفاع الامريكي السابق

*** شكرا لك يامسيو ديجول ، فوجودك وحده هو الذي منع شعوب آسيا وافريقيا وغيرهما من القارات الاخرى ، من ان يفقدوا ثقتهم تماما في الغرب .**

الامير سيهانوك
امير كمبوديا



يا أمّ المُقتَدر

بقلم : سنية قراعه

■ يوم اقدم أمير المؤمنين المعتصم بالله ، على ترك بغداد العاصمة العربية العظيمة الى سامراء ، او « سر من رأى » عاصمته الجديدة التى بناها ليبتعد بنفسه ومماليكه من الترك ، عن شعبه ، ويجعل منهم عصبته التى يحتمى بها ، وجيشه الذى يدافع عنه ، ويثبت دعائم خلافته ـ لم يكن يتصور انه بعمله هذا ، كان يمكن غير العرب من التحكم فى مصيره ، واقدار خلفائه من بعده ، وانه قد وضع الخطوط العريضة لتمزيق التراث العربي الشامخ ، والقضاء على الملك العباسى العريق ...

وقامت سامراء العاصمة الجديدة ، ودخلت باب التاريخ ، وكان قيامها بعثا جديدا لدولة الموالى التى قضى الخليفة العربى المصلح « هارون الرشيد » على أخت لها من قبل يوم ازال سلطان البرامكة ... وعاش المعتصم هناك وسط بيئة غريبة عنه بكل مقوماتها وشخوصها الذين ارتاح اليهم ، وشرب من موردهم ، وتطبع بطباعهم ، فاضعف ذلك من وجوده العربي ، وقوى شوكة الغريب الدخيل ...

ثم سكن سامراء أمير المؤمنين « المتوكل » واكمل ما نقص من شامخ مبانيها ، ثم وقف امامها فى زهو طفل غرير يقول انه قد عرف الآن فقط انه ملك حقا اذ بنى لنفسه مدينة سكنها ...

وضحك القدر ساخرا من المتوكل العباسى ، كما ضحك من قبل ساخرا من أبيه المعتصم ، فلا المدينة الجديدة ، بالقادرة على حماية صاحبها، ولا جيش الغرباء بمستطيع ان يدعم وجود خليفة لم يحصن نفسه بقومه ، ولم يحاول ان يقوى وجوده باخلاص وحب عشيرته الاقربين ، وهاهوذا يستيقظ من أحلامه الوردية المستكينة ذات يوم ، ويصحو على الواقع المؤلم المخيف ، ويجد نفسه قد تبدّل به الحال ، وتغيرت الدنيا ، واذا هو عبد لمن ظنهم رقيقه الرخيص الذى اشتراه بماله ، واذا هو لا شىء فى قبضات اياديهم وقد تكاثروا عليه وحاصروه وتحكموا فيه ، الى حد التطاول والاجتراء ، واذا بهم ينقلبون عليه ويقدمون فى وحشية على قتله ، والتخلص منه ، واذا بالامر كل الامر يصير الى فئة الخدم والمماليك المشتراة، واذا بهم بين لحظة تمرد وخيانة ، يملكون الجاه ويصبحون أصحاب التحكم والغلبة والسلطان ...

وهكذا بدات البذرة الوحشية التى استجلبها الخليفة المعتصم ، وزرعها فى الارض العربية تؤتى ثمارها الرهيبة القاتلة ، واذا بها تفتك أول ما تفتك بابنه المتوكل فتطوى من الوجود صفحة وجوده ، وتفتح من جديد صفحة أخرى جديدة للمغامرات والوثوب والتطاول ، المغامرات من أجل سيادة الغرباء !!

وعاد الزمن يمضى فى مسيره الرتيب ... ومع مسيره راحت تتكرر الاحداث والوثبات ... وبدات سامراء ، العاصمة ، تشهد لونا عاصفا من الوان الحياة والحكم غير المستقر الذى لايكاد يقوم



حتى يسقط ، ولا تكاد دعائمه تثبت بالليل ، حتى يطاح بها فى النهار ، واذا بالعاصمة الآمنة . « سر من راى » ملاذ الأمن والطمانينة والرخاء ، والجاه ، تنقلب الى مسرح للمؤامرات ، كانت الغلبة فيه دائما للخونة ، والسيادة لكل شرير ، متطاول دساس ...

ورغم هذا الاضطراب البغيض ، وعدم استقرار صولجان الحكم فى اليد القادرة ، ظلت الحياة تسير فى « سامراء » على ذات الوتيرة التى استنها المعتصم العباسى ، ووضع أسسها ، وهى الاكثار من المماليك ، واستجلاب الرقيق ، وامتلاء قصور الخلفاء بهم ، وكان هؤلاء الخلفاء يتبارون فى غير وعى لتجميع من يخرجون عليهم ويبطشون بهم ،

ويجرؤون حتى على قتلهم ، والتخلص منهـم ، ومحوهم من الوجود ...

وكما بالغ خلفاء بنى العباس فى شراء المماليك ، كذلك تملكتهم حمى التنافس فى شراء الجوارى ، من متباين الجنسيات الطورانية ، ذوات الملاحة والحسن والجمال ..

وكما قرب هؤلاء الخلفاء من قبل ، طائفـة مماليكهم ورفعوا أقدار الاجراء المتهورين منهم حتى وصلوا بهم الى ارفع مناصب الدولة ، واجلسوهم في مراتب الصدارة والحكم .. كذلك فعلوا باولئك الجوارى الفاتنات ... !!

واستمر الزمن فى مسيره ... نهار بعده ليل ... وليل فى اثره نهار ... والليالى من الزمان حبالى يلدن كل عجيب ... وكان العجيب المذهل ، فى تلك الايام الخوالى ما قد اعتادت العاصمـة الجديدة ، ان تبهر به العيون ، وتقرع به الآذان من روائع الفاجئات ..

لقد تسربت الجوارى لا الى القصور الخليفية فحسب ، بل الى اعماق قلوب امراء المؤمنـين انفسهم ، ممن لم يكتفوا بالتسابق فى جمعهـن وحشدهن في القصور ، بل جعلـوا مـن أولئك القريبات بين عشية وضحاها ، الزوجات الاثيرات المقربات صاحبات الكلمة المسموعة ، والنفـوذ المطلق والجاه العريض ، ومالبثن بعد هذا ان اصبحن شريكات فى الحكم والسلطان ، و ... امهات لأولياء العهد ، وامراء الدولة من الصيد القطاريف من بنى العباس ...

وهكذا اصبحت سامراء العاصمة الجديـدة ، دولة دخيلة ، فى قلب الدولة العربية الاصيلة ، دولة تتنازع ابهة السلطان فيها ثلاث جبهات ، تمثل كل منها وجهة من وجهات الرغبة فى ممارسة لون الحكم الذى تهوى وتشاء ...

كان هناك المماليك ... وكانت هناك الجوارى ثم ... صاحب الحق اللاهى الذى اسلم اموره ، وشارات سلطانه ، الى الخدم ... والى النساء الغريبات ...

وضحك القدر ، وكان لاصداء ضحكاته دوى فى الآذان ، جعل اهل سامراء ينطلقون ضاحكين ...

بالسعادة الوهمية التى لا وجود لها الا فى رءوس السكارى !!

ليل ... وشراب ... ومجون واسراف ... ثم انقضاض وبطش ، وخيانة ، ومؤامرات ..

وسامراء ... المدينة الجميلة ، هادئة ، صامتة ، تبدو فاتنة ، جميلة رائعة الحسن ، تغمرها اشراقة مجلوة رائعة تبدت معها، ساحرة يحار امام روعتها البصر الكليل ، وقد راح يتطلع اليها فى ريبـة وتوجس ، فقد كان يرى غير ما يسمع ، ويسمـع خلاف مايرى ...

وبلغ الترف بالعاصمة الجميلة ومن فيها الى حد التخمة ، فلا عجب ان انقلبت الاوضاع جمعاء ، واذا بالجوارى الساحرات المحجبات ، ينقلبـن الى وحوش كاسرة ، راحت تثب وتنهش ، وتخطف ، وقد فقدن كل شعور بالحب او احساس بالرحمة والحنان ...

اعماهن بريق الذهب ، وخطف عيونهن البصرة ، فلم تعد ترى غير التماعه المشع ، ولا تسمـع الا رنينه العذب ...

واذا قلنا ان النساء فى ذلـك العهد ، قهـرن الرجال ، وتملكتهم فاننا نستطيع ان نقول أيضا ، ان الذهب والرغبة العارمة فى تكديسه قد تملكت عقول اولئك النساء ...

لقد كـن كثيرات ... كثيرات لايتسع المقام لذكرهن ، ولكننا نقف امام احدى الامهات مـن جامعات الذهب ... هاويات السلطان ، هـى السيدة ام امير المؤمنين المستعين بالله ...

هذه السيدة ، افقـدها حب الذهب ، ارق المشاعر البشرية جمعاء ... افقدها الشعـور بجلال البنوة ، فاذا هى ، وتحت تأثير حمى التملك تتآمر مع تابعين من اتباع ولدها ، ثم يعظم امر هذه المؤامرة ، وتكون نتيجتها طرد المستعين بالله من عاصمته سامراء كلها ... بل ... من كرسى الخلافة ، لتحكم الأم الجارية السـابقة ، وتطلـق يدها كما تشاء ، فتجمع المال ، وتذل الرجال !!

واذا كان التاريخ يروى لنا قصة ام المستعين بالله المتآمرة ، التى عملت على طرد ابنها، وابعاده، وسلبه حقوقه ، فنذهل ، ونعجب ، فان صحائف هذا التاريخ تأبى الا ان تذهلنا ، وهى تفتح امامنا على صورة ام جديدة من هذا الصنف من الامهات الطامعات .. تلكم كانت ام امير المؤمنين المعتز باللـه ...

اجـل ... ام المعتز باللـه ... الجاريـة ، الشديدة ، المتحجرة القلب ، التى لم تكد تستشعر دفء المكانة العالية ، وجلالها المرموق ، حتى فقدت كل احساس نبيل ، وها هى ذى تابى ان تفتدى حياة ابنها المعتز بالله ، ببضعة آلاف من الدنانير ، وتسلمه الى اعدائه فيتواثبون عليه كالضوارى الجائعة ، ويفتكون به دون رحمة او اشفاق ثم ...

ثم ... لما فتشت بعد ذلك خزائن تلك الأم ، التى لا قلب لها ، ولا عاطفة ، ولا دين ... وجدوا خزائنها تفهق بالمال ، وتكاد تختنق بما تكدس فيها من ذهب ، وجواهر نفيسة لم تكن قيمتها تقل ابدا عن مئات الالوف من الدنانير !!

اى عصور كانت هذه العصور ... عصور جمعت الافاقات ، ورفعتهن الى مكان الصدارة فكن وبالا على العصر ، ومن فيه وخاصة على فلذات القلوب !!

واى امهات كن هؤلاء الأمهات !! ان وصفهـن بالوحوش لايكفى ، ورغم هذا كن امهات !! ومن هذا الصنف الغريب ، وفى هذا العصر بالذات ، نجد انفسنا امام صورة لأم ثالثة ... أم كانت من الجوارى قفز بها جمالها الى اسمى مقام ، فاذا هى مـع الزمـن « ام أمـير المؤمنـين المقتدر باللـه العباسى » !!

ذلكم عصر نقف امامه فى دهشة ... عصر غريب جامع للمتناقضات ... لقد ارتقى المقتدر عـرش الخلافة عام ٢٩٥ هجرية الموافق عام ٩٠٢ ميلادية، وكان من الهوان، والضعف والانحلال، بحيث اطمع فيه مماليكه ، وافسح المجال لامه كى تمارس الحكم، وتزاول السلطان وتامر ، وتنهى ، وتقضى فـى حوائج الناس بما تشاء ، ورغم هذا ، طـال امد حكم المقتدر ، حتى جاوز ربع القرن ...

ربع قرن من الزمان ، كان المقتـدر خلالها ، اسوأ مثل لأسوأ حاكم ... وكانت امه ، اسوأ مثل ، لأسوأ أم ...

حاكم منصرف عن شعبه ... وامير المؤمنين ، قصّر من اول ايام حكمه وعجز عن تحمل تبعات الحكم ، وناءت بها كتفاه الضعيفتان فتنازل عن شارات حكمه ، وصولجان سلطانه ، لتابعه ، وترك لغيره من المماليك والخدم والجوارى حرية التصرف فى امور الدولة ، لينصرف هو الى دولته الخاصة

... دولة الترف والملاذ ... والى شعبه الحبيب الى قلبه ... القريب الـى نفسـه ... شعب الليالى الماجنة والسهرات العابثة ... والترف والاسراف ... شعب الجوارى الحسان والمحظيات الفاتنات !!

وكان من الطبيعى امام هذا الوضع الغريب ، وانصراف امير المؤمنين المقتدر بالله الى ملاهيـه وملذاته وشئون المحظيات والجوارى ، أن تجد ام المقتدر سبيلها الممهد السريع الى ما كانت تطمع فيه من جاه ، بل الى أبعد مما كانت تشاء وتحلم به من سلطان ... !!

وام المقتدر قيل ان اسمها كان « شغب » ولم يجد هذا الاسم الغريب من يحققـه ، أو يهتـم بتصحيحه واعادته الى أصله ، لان شهرة هـذه السيدة ، غلبت ، اسمها ، والتصاق اسم ابنهـا المقتدر بها ، وهـو امير المؤمنـين ، ورأس بنى العباس ، يومها جعل مناداتها باسم شهرتها هذا ، اقرب ، واعظم نفوذا،واشد تاثيرا،فعرفت باسم ام المقتدر ، ونوديت بهذا الاسم ، وذكرها التاريخ به، ولم يهتم باسم آخر سواه ...

ونعود ، ثانية لنقول ان أم المقتدر هذه ، كانت جارية قفز بها جمالها الى مكان الصدارة ، واجلسها حظها حيث تمنت أن تكون ، وسيدة مثلها مـن صائدات الحظ ، لا بد أنها كانت آية فى الحسن ، وفوق هذا آية فى الدهاء ... والا ما وصلت الى اكثر مما تمنت ، ولما استطاعت بعد وصولها هذا ، ان تقحم نفسها على بلاط ابنها امير المؤمنين ، وتفرض وجودها عليه وتجعل من نفسها ، صورة اخرى منه ، تعزل وتولى وتحكم ، وتتحكم ، وتدفع ما يجرى من الامور الى حيث تشاء ، وترفع من تشاء ، وتعزل من تشاء ...

وام المقتدر ، كما اسلفت ، كانت آية فى الدهاء ... كانت تفوق الافعى الرهيبة فى دهائها ... وكانت تعرف متى تكمن ، ومتى تستكين ... وتعرف أيضـا متى تتحرك لتتحسس الطـريق ، وتتعرف على مكان الفريسة ، ثم تتحين بعد ذلك الفرصة للانقضاض ، بحيث تكون ضربتها هـى الضربة الاخيرة ... ضربة الموت !

لقد تولى المقتدر شئون الخلافة العباسية عام ٢٩٥ هجرية ... وسعدت امه بولايته ، وراحت تفرض ظلها على مجتمعه المنحل فى سامراء ، فى

لين ، ودون قسوة أو عنف فاستطاعت ان تسير بمراكب أحلامها الى شواطىء الامان والثقة ، وان تتفادى التيارات المضادة ، وشتى عواصف المطامع وأعاصيرها ، حتى خبرت الطريق جيدا ، وعرفته عن يقين ، وراحت ترتاده بعد ذلك فى يسر متحاشية تماما ان تتصادم مع غريم ، أو أن تخلق لها عاذلا ، او عدوا ...

واستطاعت أم المقتدر بسياستها هذه ، أن تجعل الطامعين ، والصائدين ، تجار المنافع من بلاط ابنها ورجال حاشيته ، ودولته ، يرتاحون اليها ، بل وأن يجعلها بعضهم شفيعته فى قضاء حاجة عويصة ، أو الوصول الى مأرب عزيز ، فلما تمكنت من نفسها ، واصبحت مكانتها مدعمة بين الجميع ، اذا بها تظهر علانية على مسرح الاحداث فى سامراء ، واذا بها ترفع النقاب عن وجهها وتظهر على حقيقتها ، واذا بها تتقدم الصفوف ، وتؤخر الرجال ، لتصل هى ...

والى اين كانت تريد الوصول تلك السيدة المغامرة الطامعة ...

كانت تريد الحكم والسلطان ، من وراء ستار مهلهل ، رقيق اسمه المقتدر بالله ... فأحكمت الخطة ، وابدعت التدبير ، وعبّدت الطريق فى مهارة ثم ... واذا بها وبعد عشر سنوات طوال من تسلم ولدها صوريا مقاليد السلطان ، تقفز الى الامام ، وتخرج من مكمنها علانية ، ويغلبها شيطان مطامعها ، وتستبد بها رغبتها فى التملك فتقدم على ما لم يجسر عليه الرجال وتعين جارية لها اسمها « ماثل » (١) لتأخذ مكان القاضى ، وتجلس ظهر كل جمعة فى الرصافة ، تتلقى مظالم الناس وشكاواهم وتفصل فيها ...

لقد كانت جراة اى جراة ، أقدمت عليها أم المقتدر ، حتى لقد ذهل الناس ، وطارت نفوسهم هلعا ورهبة وهم يرون كيف تستباح الحرمات ، وكيف استطاعت أم المقتدر أن تهون من شأن الرجال فجعلت من جارية لها قاضية تحكم ، وتفصل فى ادق الأمور ، برغم أنها رقيقة غير كاملة الأهلية .

وقد كان من الطبيعى والحالة هذه ، وأمام مثل تلك الجراة التى لم يكن لأحد عهد بمثلها من قبل، أن انصرف الناس متذمرين عن مجلس مظالم الجارية « ماثل » وأبوا فى مجموعهم أن يرضوا بما حدث ، وكرهوا ان يسلموا بما أقدمت ام المقتدر على فرضه من الرضوخ الشائن المذل ، واقرار ولاية الجارية عليهم ، واجترائها وهى الرقيقة التى لا تملك حرية نفسها ـ على التصرف فى شكاوى احرار الناس وقضاياهم فيهم رغم أنه جلس حول « ماثل » هذه فى مجلسها المعيب فقهاء عصرها ، وقضاته ، والاعيان ، لتكتمل للمجلس صفته القضائية ، ويكمل شكله ، وتكون لأحكامه وفتاوى رئيسته وقاضيته الجارية ، واوامرها ، صفة التنفيذ ، وقوة الالزام ...

ابتعد الناس عن ذلك المجلس الذى لا ولاية لمن تصدرته ، ولا صفة لها تؤهلها للحكم ، ولا مكانة تجلسها هذا المجلس العظيم الشان ، وراحوا يتندرون بالجارية ، ويسخرون من سيدتها ولكن ...

ولكن ام المقتدر ... أم أمير المؤمنين العابث اللاهى ... هل كانت ممن يحنى رأسه للعاصفة التى يثيرها الشعب ، وهل كانت تقبل مثل هذه الهزيمة التى تقلل من شأنها ، وتهون من جليل أوامرها ، وهى الداهية ، الحصيفة ، الشديدة الذكاء الواسعة الحيلة !!

ابدا ، ما كانت أم المقتدر لتسلم برأى ارتضاه الشعب وها هى ذى تلجأ الى الخديعة والمكر ، لتلبس باطلا أرادته ثياب الحق ، وترغم الناس ، أيا كان رأيهم فى جاريتها ، على قبول الوضع المشين ، واحناء رءوسهم للواقع الشاذ ، فكان ان او عزت الى القاضى النابه أبى الحسن ، بأن يجد المخرج ، ويفتى بصحة جلوس ، « ماثل » للقضاء والفصل فى ظلامات الناس وشكاوهم ...

واستجاب أبو الحسن لأمر سيدته ام المقتدر ، ونسى جلال مركزه ، وعظيم مكانته وانقلب ينادى بشرعية الباطل ، وصحة الوضع ، وراح يتكلم فى تكوين المجلس ، وصحة قيامه ، وقوة أحكامه وكان الشيخ من البراعة ، بحيث جعل من الباطل حقا ، ومن القبيح حسنا ، ووجد حديثه صداه

---

(١) فى مآثر الانافة ٢٧٦/١ اسمها شمل . وفى الوزراء للصابى ٤٨ اسمها ثمل

لدى الخاصة والعامة فمال الناس الى قوله ، ولجا المظلومون واصحاب الشكايات جميعا الى مجلس قضاء « ثمائل » الجارية يسألونها ، ويطالبونها باجراء العدل ...

وهكذا عظم شأن أم المقتدر ، وتعاظم ، فعلت وتعالت وعز امرها ، وامر من حولها من الاعوان حتى أصبح أهل الحل والعقد في بلاط أمير المؤمنين يرهبونهم ويخشونهم ويتلمسون رضاهم ...

واستمرت أم المقتدر بعد هذا في الطريق الذى اختطته لنفسها ، ومضت فيه قدما ، وهي ترجو أن يتضاءل الجميع الى جانبها ، وتخبو أضواؤهم الباهتة الى جانب ضوء أمجادها الباهر اللألاء ، وانها وهي في طريقها هذا تسعى فيه قدما، تعمل جاهدة على ان تصيب عصفورين بحجر واحد ، ففي الوقت الذى تسخر فيه من ارادة الشعب ، وتعمل على اضعاف معنوياته ، والقضاء على أية فكرة تهدف الى تكتله ، أو تكوين رأى عام له ، نراها تسارع الى ترضية هذا الشعب ، فتنشىء بيمارستانا في « سوق يحيى » لعلاج العامة والخاصة ، تسرف في سخاء لسرعة اقامته وتأثيثه بما يليق بمكانتها ، وتنفق من أجل اتمام هذا الأثر الانساني ، ما يقرب من ستمائة الف دينار ، ثم تأمر الطبيب سنان ابن ثابت الحراني ، بأن يشرف على أعمال هذا البيمارستان ، ويتولى ادارته ، بعد ان يفتتحه رسميا للعلاج ...

امرأة ذكية شديدة الدهاء ولا شك ، تعرف كيف تجعل رياح الحوادث ، تسير في صفها ، وتسخر هبوبها ، لصالحها وحدها ، كي تتقدم هي ، ويتأخر كل من سواها من الناس ..

وكانت أم المقتدر بحكم حياة البلاط الخليفي التى عاشتها ، تعرف جيدا أقدار الرجال ، وتعرف كيف ترفع ، وتضع ، وكيف تحارب هذا بذاك ، وتقضي على نفوذ كل طامع بمن هو أشد منه طمعا، وأكثر ضراوة ، فضمنت لنفسها الغلبة وهي بعيدة عن مجال الصراع ، ونالت قصب الفوز في كل نضال أرادته ودون أن تشارك فيه ، أو تظهر في ميدانه ...

لقد كانت أم المقتدر نمرة مفترسة ، اخفت انيابها القاطعة الرهيبة خلف ستار محاسنها وابتساماتها ومظاهر الطيبة والعطف التى كانت تبديها ... كما اخفت مخالبها الحادة وراء مظاهر النعومة النسائية والتظاهر بالحنان والحدب على من حولها ، ولكن من حولها كانوا يعرفونها جيدا ، كانوا يعرفون أن ابتسامتها زمجرة وتوثب ، وبشاشتها ، استعداد للهجوم ، وترحيبها البادى ، هو التخدير القاهر لكل فريسة يوقعها سوء الحظ بين أنياب المرأة النمرة !!

كان حنان أم المقتدر ، هو الفخ الذى لايفلت الفريسة ابدا ... اذ كان هذا الحنان هو عنفوان القسوة ، ورهبوت التجبر والوحشية ، وكان القوة المغناطيسية التى لايستطيع أن يقاومها انسان ، فاذا ما استسلم له ، وأمن للنمرة المفترسة ، عرفت كيف تتفنن في تعذيبه بعد ذلك وكيف تطيل أمد التعذيب والعذاب ...

كانت تعتبر التغاضي عن المسيء عقابا ... وترك عقاب المخطىء تعذيبا له وانتقاما منه ، وكان تغاضيها هو أروع مظاهر دهائها عن هفوات المخطئين أو من يتجاوزون حدودهم المرسومة أحيانا ، أو يحاولون التهاون في واجب خدمتها والاخلاص لها .. وكانت تعرف أن اهمال شأن المخطىء هو بداية تعذيبه المستمر ، لأنها كانت تؤمن أن الخوف من المجهول أشد رهبة من وقوع البلاء ، فالترقب هو اعتصار النفس ، وتعذيبها بسلاح القلق والترقب الذى لا آخر له ولاحدود ...

من اجل هذا خشيها الجميع وتحاشوا طريقها وسلموا لها بما كانت تريد قبل ان تعلن انها تريد ...

كانت اشاراتها مستجابة ، وكان في ايمائها أمر لا يعصى ...

ولقد تحاشاها الجميع توقيا لصفاتها تلك ، ولم يأمنها أحد من خدمها أو عبيدها أو جواريها ، الا بمقدار، ولكن ... كانت جاريتها الاثيرة «ثمائل» على عكس من عملن معها جميعا ، اذ عرفت كيف تستحوذ على ثقة مولاتها وحبها، وان تكون موضع السر ... مفتاح المؤمرات والوثبات المفترسة أيضا ...

وكان من سوء طالع « الخصيبي » أن عمل أول ما عمل في خدمة مولاته أم المقتدر ... وكان ذكيا ، شديد الاخلاص ، عرف كيف يدبر لها ديوانها الخاص ، وضياعها واملاكها غير المحدودة ، وكيف

يجبى اموالهـا ، ويزيـد فى غلتهـا ، ويضـاعف ارباحهـا ...

وكان الرجل من النشاط ،والمقدرة على التصرف بحكمة فى كل الامور ، بحيث اثار انتباه سيده امير المؤمنين المقتدر بالله فاحب ان يجعله فى رجاله ، وان يستخلصه لنفسه فتخيـره للوزارة ، وكانت قفـزة رائعة ماتوقعهـا الخصيبى ابدا ، فاسـرع ينتهزها ، وقبل عرض امير المؤمنين وترك واجب خدمة امـه ...

وتمنت ام المقتـدر للخصيبى حـظا سعيدا ، وتوفيقا اكثر فى خدمة ابنها ، وراحت فى صمت تعد الشرك للرجل الذى اعتبرت استجابته لامر امير المؤمنين ، وعمله فى خدمته ، خيانة لهـا ، وخروجا عليها ... وها هى ذى تسر الى « ماثل » الجارية الخطيرة وموضع اسرارها ، ان تبحث لها عن بديل يملأ مكان الخصيبى ، يتميز بالطاعة ، ويحب الاستقرار ، ولا تبطره النعمة ، لا يتمنى مزيدا عما وصل اليه ، ولا يفكر فى ترك واجب خدمتها ذات يوم ليقوم على خدمة غيرها ، ولو كان هذا الغير هو ابنها امير المؤمنين ...

واسرعت « ماثل » الذكية ، تتفحص الرجال ، وتتعرف اخبارهم ، وتختبر مالهم من اخلاص ، وقدرة على الوفاء حتى استطاعت فى النهاية ان تجد ضالتها فى ابن سهل الذى باعد الحياة العامة فى القصور ، وجانب الناس عن ضيق بهم وتبرم بوسائلهم ، وعكف فى بيته يعيش على ايراد ارض كانت له .

وتقربت « ماثل » من ابن سهل ، وعرفت كيف تستدرجه ليخرج من عزلته ، ويقبل العمل مع ام المقتدر ، وهو اعلم الناس بها ، واكثرهم خبرة بطباعها ، فقبل عن طيب خاطر ، وهو يعلم ان معرفته هذه للنمرة الباطشة سوف تحميه ولا شك منها وتجنبه وثباتها وحدة انيابها وبطش مخالبها اذا هى فكرت فى الوثوب عليه ، او الغدر به ...

وهكذا دخل ابن سهل خدمة ام المقتدر وفى يقينه انه سوف يكون عند حسن ظنها به وموضع ثقتها الدائمة ...

ونجح الرجل الذكى ... وعرف كيـف ينال رضاء النمرة الرهيبة اذ ادار اموالها وضياعها فى حزم وكياسة وامانة ... وبالغ فى تنمية اموال سيدته ، ومضاعفتها بما لم تشهده من غيره من قبل ثم ...

ثم راح ابن سهل الذكى ، يتجه ببصره الى حيث اعتادت مولاته ان تتجه ببصرها وتزمجر فى ضيق وتبرم وحقد ... ثم ابتسم ... وخطا خطوتـه الاولى ليكون اداة انتقام سيدته من الخصيبى الامين ، فضيق عليـه الخناق وحاصر جهـوده ونشاطه ، وسلط عليه الاضواء فكشفت حقيقـة اخلاصه ، وبانت حقيقة معدنه الزائف .

واحس الخصيبى بالنهاية .... وارجف من هول انتقام ام المقتدر ، ورجلها الجديد ابن سهل، وضاقت فى وجهه المسالك ، وهانت فى عينيه الدنيا، وما حوت من مظاهر ، وشعر بانه لا شيء ، وانه مجرد من كل سلطان ، وانه اضعف من ان يغامر او ان يحاول التقرب الى سادته من جديد ، فالمال قد قلت موارده ، والموارد العديدة قد روقبت ، واحاطت بها العيون المبصرة ، فلم يجد الخصيبى الا ان يتوارى عن الاضواء ويزحف الى الظل مـن جديد ، ويقنع من مغامرته بالهروب ، ومن حياته بالاعتكاف ...

وانحسر ظـل الخصيبى ، وتوارى الرجـل فى ظلمات النسيان ... وكانت هزيمته تلك بدايـة شجعت ام المقتدر ، على المضى قدما فى اقحام نفسها فى امس شئون امير المؤمنين ... ومراقبة رجاله ومن يعملون تحت امرته ، وكلهم من طائفة المماليك والعبيد،الذين لا عمل لهم الاتصيد المنافع والجرى حيث المغانم ...

واستقرت عينا ام المقتدر فى النهاية على اقرب مماليك ابنها الى نفسه واشدهم لصوقا به ، وهو مؤنس المظفر ، مملوك المقتدر ،وموضع رعايته وثقته ثم راحت ترقبه فى حذر وتتابع خطواته فى دهاء ، وتحدد مدى صلاته بالغيـر فطنة وريبـة ، حتى استطاعت ان تكشف المستور من امره ، وتصل الى سره وحقيقة نواياه ، فعرفت عنه فى اقصر امد ، ماقد افلح اعواما طوالا فى اخفائه عن سيدة المقتدر نفسـه ...

عرفت النمرة الباطشة ان مؤنسا المظفر ، كان يدبر للغدر بسيده والوثوب عليه ، فتربصت هى

به ، واقسمت بينها وبين نفسها ان تتخلى هى به، قبل أن يتعشى هو بابنها الغارق فى اللهو الى اذنيه ...

ودبرت أم المقتدر مؤامرتها باحكام ... واعدت العدة للقضاء على مؤنس الخائن .. ورصدت له من يتربص به ليقتله ، ولكن عيون مؤنس استطاعت ان تكشف المؤامرة وان تعرف من أين كانت ستهب عليه الريح ...

ولما كان مؤنس على عظيم صلاته بالبلاط ، وعلى كثرة ماله من الاعوان ، اضعف من ان يقف فى وجه ام المقتدر فى تلك الفترة بالذات، خشية انتتكشف حقيقته كلها ، فتضعف مكانته وتضيع فرصته التى كان يرجوها ـ فقد اسرع هو الآخر ينسحب فى هدوء،متجنبا ان يثبت فىمعركة حتى لا يصاب فيها باذى ، وكان ان ظل حيث هو ، وابتعد عن المكان الذى تربص له فيه من سوف يقتلونه، ثم طلب من امير المؤمنين آن ياذن له فى مبارحة سامراء كلها ، حيث اختار لاقامته ثغرا من الثغور يعيش فيه ، مستظلا بظل المقتدر ، عاملا على خدمته فى ميدان جديد ...

ونزل المقتدر على رأى مملوكه الاثير ... وسمح له بماأراد ، وأذن له فى الخروج حيث اراد ...

وترك مؤنس المظفر سامراء وهو لا يصدق انه قد نجا من مخالب النمرة وانيابها القاطعة ... ولجا الى المكان الذى تخيره حيث عاش هادئا ناعم البال لايخشى فتنة ولااغتيالا ..

ومرت الايام ... وبدات الاحوال تضطرب ... والجو تسوده غيوم المفاجئات غير المتوقعة التى لم يحسب لها امير المؤمنين المقتدر بالله ولاعوانه اى حساب ، بل ولم يفكروا فيها على الاطلاق ، واذا بهم ، وفجاة ودون مقدمات يذهلهم الحادث ، وتفجع بهم الواقعة ، فاكفهر الجو ، وتلبدت السماء ولم تنذر بخطر فحسب ،بل كان السيل المدمر الرهيب وقد سال وفاض ، واخذ يتقدم مجتاحا كل ماكان امامه من حدود وفواصل وسدود ...

انهم القرامطة ... اصحاب المذهب الباطنى الهدام ، الذى استغل الدين وسماحته ، والدين منه براء ، فحرم الحلال ، واحل الحرام ، واباح المحظور ، وخرج على العرف ، ولم يعبأ بتقاليد ، وتجاهل الفرائض ولم يهتم بالسنن ، ولم يفعل أكثر من انه احاط راس المذهب بسياج من التقديس والجلال كاد يخرج به عن حدود البشرية، ويرفعهفىعيون مريديه واتباعه الى مكانةالتقديس..

لقد خرج القرامطة ، وقد قويت شوكتهم ، وعظم امرهم ، واصبحوا قوة يحسب لها حساب ... خرجوا من مكانهم واماكن تجمعاتهم المريبة ، ليبشروا بمذهبهم الهدام ، وينشروا عقيدتهم الالحادية ويجبروا الناس على الدخول فى زمرتهم العاصية ، ويتملكوا الجاه والنفوذ والسلطان .

خرج القرامطة بكثرتهم التى لايحصرها عد ، ولايشملها نظام ، وهاجموا الثغور وعاثوا فى الارض فسادا بعد فساد ... وتعرض لهم اول ماتعرض مؤنس المظفر وهو يومها فى الثغر الذى تخيره لمقامه، فاضطرب امره هناك ، ولم يستطع ان يقاوم الاعصار الجارف المدمر ، فهرب ناجيا بحياته ، وعاد الى سامراء لينبه امير المؤمنين الى الخطر الداهم ويطالب بسرعة الخروج لرد المارقين وتاديب العصاة الزنادقة ...

وسخر المقتدر من أوهام مؤنس .. وتصور أن ماقاله له ماهو الا مبالغة من مبالغاته فهون من شان القرامطة ، ولم يسارع الى اطفاء نيرانهم التى اخذت تمتد وتجاوزت الثغور الى المدن واذا بالزنادقة الذين لا يحكمهم عرف ولادين يصلون الى بغداد ...

يالها كانت من لحظات حرجة ، وموقف عصيب وجد المقتدر نفسه فيه ، فافاق برغمه من غاشية لهوه ، وصحا من غفلة مجونه ، وأراد ان يخرج بجيشه وأعوانه من المماليك لصد القرامطة ولكن ... انى كان له المال ليستطيع أن يدير به عجلة الحرب ويذكىنيرانها ويحقق النصر على الخارجين!!

وأسرع المقتدر الى أمه ، الواسعة الثراء ، الكثيرة المال ، يسألها كي تعينه على ضائقته بما يفرج عنه الكربة ويبعد خطر القرامطة ، والح وتوسل ، ولم تجد الام غير أن تستجيب للابن...

لقد كانت ام المقتدر فى هذا الموقف اكثر نبلا

واعظم خلقا من سابقتيها ، ام المستعين بالله ، وام المعتز بالله ، فمدت الى ابنها يد العون ، وزودته بما اراد من مال أربى على ملايين الدنانير ، لأنها كانت تعرف أن زوال سلطان المقتدر هو زوال حتمى لسلطانها ، وهذا أمر كانت لاتحبه أبدا ، ولاتتصور ان يحدث او ان يكون ...

واجتراء القرامطة ، ثم خروجهم ، ثم عصيانهم للدولة ، وتهوينهم من شأن الخليفة العابث كان بمثابة الهـزة الشامخـة القويـة ، التي أيقظت الشعب ، وفتحت عيونه على حقيقة القصر الخليفي ومخازيه وآثام ومجون من فيه ، فكان أن ارتفعت الاصوات تطالب بالاصلاح واليقظة والالتفات الى مصالح الشعب والحـد مـن الترف والاسراف ، وتدخل النسـاء في شئون الحكم وأس أمـود الخـلافة ...

وابى المقتدر اللاهي العابث أن يستجيب لصيحة الاصلاح ، وركن الى بطانة السوء التى هونت له الامر ، وصغرت من شأن قومة الشعب ، فاستمر في غيه وضلاله ، واذا بالشرر يتجمع ، ويضطرم في الهشيم المكدس ويصبح نارا ، عرف مؤنس المظفر كيف يستغلها لصالحه وتحقيق احلامه ، فانضم الى صفوف الشعب برجاله وأعوانه ، وقادوها ثورة على المقتـدر الـذى حوصر في قصره ، واجبر على التنازل عن حقه في الخلافة الى أخيه غير الشقيق محمد الذى نودى به اميرا للمؤمنين باسم « القاهر بالله » ..

ولقد كان غريبا بعد هذا النجاح الذى احرزه الشعب في خلع الحاكم الماجن المتبذل أن تتحول الثورة الى لون من ألوان الهياج المضطرب الذى يرتكز الى اية اسس تدعم بقاءه ، وتعلى من شأنه، واذا بالانتصار يستحيل جموحا ، واذا بالنـاس يظنون أن خلع امير المؤمنين واقصاءه عن تصريف امورهم، استباحة للحرمات وتطاول على كل شيء، وخروج على مألوف الامن ، وعرف النظام ، واذا بالغوغاء يركبون رؤوسهم ويهاجمون قصر الخليفة فينهبون بعض مابه ، ثم يهاجمون بعدها قصر أم المقتدر، فيسرقون الكثير من نفائسه وأموال صاحبته

ثم ، بعدهذا كله اتجهوا الى أمير المؤمنين الجديد!! وذعر القاهر ، وارجف ، وخشى غضبة الشعب الهائج، وماأسرع مافر تاركا القصر ، بل ... ومقاليد الحكم وصولجانه ...

وركب الشعب رأسه .. وادهشه أن يفر أمير المؤمنين ، وأن يخلو منه قصره ... وكأنما حلت اللعنة على الشاغبين فعادوا الى حيث سجنوا المقتدر فأخرجوه من محبسه ، وعادوا به الى قصره أميرا للمؤمنين مرة ثانية !!

وعلا شأن المقتدر مرة أخرى ... وجاءه أخوه نادما مستغفرا يعلن طاعته وشديد أسفه ، وولاءه لأخيه أمير المؤمنين الذى رحب به ثم مالبث أن أمر بسجنه ، وتخير محبسه في قصر أم المقتدر التي تولت من قبل تربية القاهر بعد موت أمه ، فكانت له أما ثانية ترعاه ، وتعطف عليه ...

واحست أم المقتدر بجفوة من ابنها أمير المؤمنين ... وشعرت انه قد بعد عنها بحسه وعواطفه ، لأنها تقف الى جانبه ... فاقبلت على أخيه غير الشقيق ، الذى احتضنته طفلا وتولت تربيته ، فراحت توليه من حنانها أضعاف ماكانت توليـه للمقتدر نفسه ، وقد رمت بذلك الى هدف كانت ترجوه .

كانت ام المقتدر ، تعرف أن أمر المقتدر لن يلبث أن يضعف ، وأن سلطانه ، لابد أن ينهار مادام مؤنس المظفر يعظم شأنه ، ويتكاثر أعوانه ، وأن خلع ابنها ان لم يتم اليوم ، فسيتم غدا ، أوبعد غد ، وأن القاهر ... ذلكم الصغير العاجز ... هو رجل الغد المنتظر ، ولاشك ... ومن أجل هذا يجب ان تأخذه في صفها ، وتجعله ورقتها الرابحة في مباراة السلطان ، ومحاولة الاحتفاظ بمظاهره وعظمته ، فلم تبخل على سجينها المسكين بمـال وأمتعة ، وراحت تشترى له الجوارى ، وتوفر له أسباب اللهو والترف والمجون ، وأغدقت عليه اغداقا كانت ترجو أن يـرده اليها في المسـتقبل القريب ...

وصح ماتوقعته ام المقتدر من أن الاستقرار لن

يدوم طويلا فى [illegible] نس المظفر هذا ، طليق، حر ، يفعل ما يشاء [illegible] م امره بين العامة ، ويتكاثر اعوانه ويتضاعف عدد من يلتفون حوله ، واذا بامير المؤمنين يشعر اخيرا ان عرشه يهتز من تحته ، وان مؤنسا هو سبب كل شر وبلاء ، فاصر على حربه والقضاء عليه ..

ومرة اخرى لجأ المقتدر الى امة يسألها العون ويطلب منها أن تمده بالمال يستعين به على حرب مؤنس والقضاء عليه ولكن حب المال هذه المرة ، غلب حب الام ، وطمس معالم حنانها وخوفها على حياة ابنها،فلم تمده باية مساعدة كان يرجوها على الاطلاق ، ورغم هذا ، كره المقتدر ان يعيش فريسة يتلهى بافزاعها مؤنس المظفر ، فخرج اليه لحربه والقضاء على نفوذه الذى كان يستمتع به ولكن...

ولكن المقتدر الذى خذلته امه ، خذله الحظ هو الآخر ، وتخلى عنه ، فسقط فى ميدان المعركة !!

والتاريخ يقول لنا فى هذا الصدد ، ان مؤنسا المظفر حزن لمقتل سيده ، ووجد أن خير ما يعبر به عن ولائه للخلافة العباسية ، هو أن يوعز بضرورة المناداة بولده « ابى العباس احمد » اميرا للمؤمنين ...

وكانت التزكية الوحيدة التى عزز بها مؤنس المظفر مقترحه النفعى هذا،هى أن أبا العباس هذا، لم يزل بعد حدثا ، ومن أجل هذا هو يطمئن اليه ويثق به الى حد بعيد ، ويعرف فيه حبه الشديد للابتعاد عن دائرة المشاكل أيا كانت هذه المشاكل، ومن اجل هذا سيكون اداة طيعة فى يد مؤنس ، ومن ظاهروه فى حركته ...

وزاد مؤنس بعد هذا على ماقال ، أنه قد خبر ابا العباس احمد بن المقتدر الخبرة الكافية ، لأنه هو الذى تولى امر تربيته واشرف على تنشئته وتعليمه واعداده للسلطة وتسلم أمور الحكم ...

ولكن ... كانت هناك تيارات معارضة ، ورءوس اسمى ، واكثر علوا من رأس مؤنس ، وربما كانت هى التى تسانده فى الخفاء ، وتشجع حركته فى الخروج على مولاه ، وابت هذه الرءوس المدبرة القاهرة ان تنزل على رأى مؤنس ، أو أن تترك له مزيدا من الفرصة ليظهر ويتقدم ، ويعظم شأنه ، فوقفت تعارضه ، وضربت برأيه عرض الحائط ، وارتفع صوت أبى يعقوب اسحق بن اسماعيل النوبختى يسفه ماقال مؤنس ويدحض حجته ويقول انهم تنفسوا الصعداء اذ استراحوا من خليفة تحكمه أمه والنساء من أقاربه ، ويتصرف فيه خدمه ، فلماذا يريد مؤنس ان يعود بهم الى نفس الدائرة البغيضة من جديد ويوصى بتولية امير للمؤمنين له جدة باطشة ، وام واقارب من النساء ومن ورائهم جيوش من الخدم والمماليك والعبيد .

ووجدت كلمات النوبختي صداها فى كل النفوس، وارتاح لها الناس اجمعون ، وعادوا يصغون الى الرجل الحازم وهو يطالب فى اصرار بان يكون امير المؤمنين الجديد ، رجلا كاملا قادرا على تدبير أموره الخاصة ثم أمور رعيته ...

مرة اخرى قفز الى مكان الصدارة ، اسم محمد ابن المعتضد بالله اخى المقتدر غير الشقيق ، والذى ولى امارة المؤمنين من قبل ، ولفترة قليلة باسم القاهر بالله ... فارتضاه الجميع ، واعلنوا له الطاعة ، وبايعوه اميرا للمؤمنين بنفس الاسم الذى تلقب به من قبل وهو القاهر بالله...

وهكذا شاء القدر أن يخرج القاهر من محبسه عند أم المقتدر ، ليجد نفسه فى مكان اخيه المقتدر مرة اخرى حيث نودى به اميرا للمؤمنين ورأسا للدولة العباسية .

ولقد كادت الدنيا تضيق بام المقتدر ، وهى ترى القاهر يضفرون له اكاليل المجد ، ويلبسونه شارات السلطان ، ويعدون له المواكب تلو المواكب، وقد وقف كبار رجال الدولة خضوعا فى حضرته ... ودهمها احساس بالراحة جعلها تتصور أنها لم تفقد المقتدر ولدها ، الا لتجد القاهر اخاه لابيه ، عوضا عنه ، وانه سوف يعزز مكانتها ، ويكون وجوده مدعاة لاستمرار سلطانها وتحكمها واستمرارها فى الثراء وجمع المال ...

وضحك القدر مرة أخرى ... ضحك سخرية

من اسراف أم المقتدر فى التفاؤل ... ضحك سخرية من المرأة البالغة الذكاء التي ظنت ان الدنيا ، زادت عليها اقبالا ، وانها ستظل حيث ارادت متحكمة ، قادرة ، قوية ، تستطيع فى يسر ان تحرز الفوز بعد الفوز والانتصار فى كل جولة ، وكل مضمار .

وبدات سامراء تشهد مع بداية حكم القاهر لونا مريبا من الوان الهدوء الذى تنذر سكينته وصمته بقرب قيام العاصفة ،وفوران الاعصار ... وراحت استار الواقع تتهدل عن الحقيقة المؤلمة ، وانتبه الغافلون من أحلامهم على أمير المؤمنين القاهر ، وقد كشف النقاب عن وجهه البشع ، ونفسه الحاقدة ، فبانت حقيقته التي اخفاها وراء قناع انعزاليته الاولى ، ويالها كانت من حقيقة مريرة بشعة !!

وارتاعت أم المقتدر ، واعتصر الخوف قلبها ، واحست بالارض تميد تحت قدميها ، وماأسرع ماأحست ضياع الاماني ، وخيبة الرجاء فى « القاهر » الذى احتضنته وليدا ، وربته يانعا ، ثم استضافته سجينا شريدا فاغدقت عليه النعم واغرقته فى الترف وكفلت له أساليب المجون فوق ماكان يبغي ويريد ...

لقد ارادت أم المقتدر شيئا ، وأراد الله غير ماأرادت ..

لقد ظنت أن « القاهر » سيعوضها عن المقتدر ، فاذا بالحقيقة الاليمة تخرجها منفراديس أحلامها، وهاهو ذا ربيبها تظهر بواطنه ، فاذا هو عدو لدود وخصم مبين !!

وعرفت أم المقتدر ، وقد ثارت عليها عواصف غدر القاهر وبدات تجتاحها تيارات حقده القديم، عرفت متاخرة انها يوم ضنت بالمال على ابنها لتعينه فى جهاده ضد مؤنس المظفر ، أنها انما كانت تبيع دم المقتدر ولدها بأبخس الاثمان ، وتبيع معه حقها ، وتتنازل عن عليائها ، وتتدنى الى المرتبة الوضيعة المجردة من العواطف البشرية ، والمشاعر الانسانية ،واحساس الامومة المقدس ،الذى وصلت اليه قبلها ام المستعز أمير المؤمنين ... بالله ... وانه يجب عليها ان تخشى مازرعت ، وان تنتظر الجزاء العادل ...

وفوجئت ام المقتدر ذات يوم بالقاهر ، وهو يطالبها بمالديها من مال ... ويسألها عما كان لديولدها المقتدر منجواهر وعروض ... وراوغت ... وانكرت ... وتباعدت ، ولافائدة ، اذ كان القاهر واعوانه لها بالمرصاد ، وهاهوذا ، وبعد ان فشل فى استجواب أم آخيه ، يلجأ الى الوسائل الرهيبة ليرغمها على الاعتراف ...

وابت ام المقتدر رغم الايذاء والبطش ان تعترف واذا بالقاهر يدعو العلماء وأهل الرأيويخرج اليهم ام اخيه ، وزوج أبيه المعتضد ليشهد عليها انها قد حلت أوقافها ، واباحت بيعها والتصرف فيها . ومرة اخرى وقفت أم المقتدر صامدة امام القاهر وابت ان تقر تصرفه ، أو تشهد من جاء من أهل العلم على أنها حلت أوقافها وقالت انها لاتملك ذلك فهي موقوفة على جهات البر والاحسان وعلى الضعفاء والمساكين ...

ورغم الموقف الدقيق الذى وضعت أم المقتدر فيه أمير المؤمنين القاهر ابى أن يسلم بالهزيمة... واستمر فيجولته،وقد حلا له النضال ضد السيدة التي ناضلت ، وثبتت وظلت تناضل وتكافح طوال عهدى ابيه واخيه حتى وصلت الى ما لم تصل اليه امرأة من قبل ... وأعلن بقوة مكانته مارفضت هى اعلانه ... وجردها من كل ما كانت تملك .

ومر عام علىمقتل المقتدر،الذى عرفتامه مكانته بعد قتله ، وعرفت أنها هى الاخرى قد قتلت يوم قتل ... مر عام بشهوره وايامه .. والصراع على اشده بين القاهر وام المقتدر حتى شاء الموت أن يضع النهاية ويسدل الستار ، فماتت ام المقتدر ، وقد اشتدت بها العلل وأثر فى قواها هول التعذيب والايذاء اللذين انزلهما بها القاهر ، وطوى الموت صفحتها المليئة باغرب الاحداث ، لتكون ذكرى للذاكرين وعبرة لمن القى السمع وهو شهيد ...

■■

سنية قراعه



بقلم : محمد طنطاوى

■ اذهلت نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ العالم العربى كله .. وادمت كل قلب يخفق بالشعور الانسانى الكريم .. ومما لا شك فيه ايضا ان آثار هذه النكسة ستبقى معنا لفترة طويلة ..

وقد اختلف الناس فى تفسير أسباب هـذه النكسة او النكبة .. وتعارضت آراؤهم ... وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ..

البعض عزى النكسة الى انعدام الحكم الديمقراطى فى اكثر البلاد العربية .. وركز البعض الآخر على ضعف أجهزة الاعلام وعجزها ، بينما ذهب الاخرون الى القول بأن السبب الرئيسي يعود الى عداء الدول الغربية الكبرى للعـرب وخشية الغرب من أن تقوم الأمة العربية بتحقيق اهدافها القومية بالوحدة العربية ، لأن هـذا قد يؤدى الى الاضرار بمصالح الدول الغربية الكبرى وخاصة فى المجال الاقتصادى .

ولكن هل يستطيع اى انسان بمفرده أن يقوم بعمل استقصاء دقيق لادراك كل أسباب نكسة يونيو ١٩٦٧ ؟!

هذا هو السـؤال الذى يطـرحه الدكتور

عبدالرحمن البزاز في المقدمة الضافية عن النكسة وغيرها والتى استغرقت فصلا كاملا من فصول كتابه الأخير بعنوان: « نظرات في التربية والاجتماع والقومية » .

ويجيب الدكتور البزاز على هذا السؤال اجابة موضوعية في سطور قليلة قائلا : « ان الاستقصاء الدقيق المستوفي لادراك كل علل هذه النكبة واسبابها لن يتأتى لانسان بمفرده ، مهما أوتى من فكر ثاقب ، وعلم غزير ، وموضوعية متزنة في معالجة اخطر الأمور ، ولا بد لنا من أن نمكن فريقا ممن يحملون عقولا نيرة ، وأرواحا عالية ، وشجاعة في الرأى فائقة ، وعلما بحقائق الأمور ، وادراكا لطبائع الافراد والجماعات ، وفهما لعبر التاريخ ، ليفرغوا الى دراسة هذه النكبة المفجعة من جميع وجوهها ، ويشيروا على أمتنا بما يجب عليها الأخذ به ، والسير بمقتضاه ، على هدى ما تنكشف عنه نتائج دراسة هذا الفريق وتحرياته » .

وليس معنى هذا الكلام الذى ذكره الدكتور البزاز ان يمتنع ذوو الرأى عن ابداء آرائهم فرادى في النكسة انتظارا لتكوين مثل هذا الفريق .. ولكن لا بد أن تتوافر لنا الشجاعة الأدبية لنقد النفس ، مهما كان ذلك مؤلما ..

ويقوم المؤلف .. وهو الذى تبوأ مناصب سياسية كبيرة .. وكان في يوم من الايام رئيسا لوزراء العراق .. بسرد لأسباب النكبة أو النكسة كما يراها هو بحكم تجاربه في السياسة والتربية .. وبحكم دراساته للمجتمع العربى الذى يعيش فيه .

وفي هذا المجال يرجع المؤلف أسباب النكسة الى عدة عوامل منها «سوء في تربيتنا» و«اضطراب» في تكوين مجتمعنا » ، اى ان سر الهزيمة يكمن داخل انفسنا ويرجع الى هزال قيمنا الروحية ، وضعف بنائنا الاجتماعى .

٨ أوجه للنقص

ويستعرض الدكتور البزاز بعد ذلك ثمانيه اوجه للنقص تكشفت بعد النكسة ثم يشير الى طرق علاج هذا النقص وتلافيه ، وأوجه النقص الثمانية التى اوردها المؤلف تتلخص في :

اولا : أن أية دولة عربية ، مهما أوتيت من قوة ، لن تستطيع ان تتغلب بمفردها على قوى البغى الصهيونى ولا بد للعرب من مجابهة اسرائيل مجتمعين .. ولهذا يجب أن نعمل جادين على اقامة قيادة عسكرية موحدة .. يكون لها ما يجب أن يكون لكل قيادة عسكرية من سلطان حقيقى على الجيش العربي كله في كافة شئونه بعد أن أثبتت الأيام تعثر القيادة العربية الموحدة التى انشأتها جامعة الدول العربية .

ثانيا : ثبت أن الدول العربية كانت تسلك سياسات خارجية متباينة بعض الشيء احيانا ، ومتعارضة بعض التعارض او كله في أحيان أخرى .

والنصر العسكرى لن يتأتى لنا الا حين تكون لنا سياسة خارجية واحدة .. والسبيل الى ذلك كمرحلة أولى ـ هو تطوير الجامعة العربية الى ما يشبه « الاتحاد الكونفيدرالى » .

ثالثا : لزوم توحيد اجهزة الاعلام والنشر .. أو على الاقل «تنسيقها بحيث لا يستفيد العدو من التناقضات والمهاترات التى اضعنا فيها جهدا هائلا لا طائل وراءه .

رابعا : ان طابع الانفعالية وعدم التفكير العميق بعواقب الامور احيانا كانت تسود اغلب تصرفاتنا واعمالنا .. وكنا نفتقد التخطيط والدراسة . وأن أية دولة من الدول لا تستطيع ان تعيش اليوم وهى تواجه تحديات كالتى تواجهها امتنا العربية الا اذا أخذت بمبدأ التخطيط في السياسة والاقتصاد والحرب والدعاية والتنظيم الشعبى ، وفي كل أمر جليل أو بسيط من امورنا.

خامسا : ان الدول العربية في حاجة الى من يذكرها بأن علاقات الدول ، والدول الكبرى خاصة ، تقوم أولا وقبل كل شيء على المصالح ، وأن مصالح الدول كمصالح الافراد قابلة للتطور والتغير ، فمن الخير لنا الا نفرط في حب ، ولا نغالى في بغض ، وأن نترك لانفسنا سبيل العودة مفتوحا .

ولعل فيما قاله السياسي البريطانى بارملستون عن هذا الموضوع بالذات يعطينا مثلا واضحا على هذا الكلام .. لقد قال بارملستون«ليس لبريطانيا أعداء دائمون ، ولا أصدقاء دائمون ، بل لها مصلحة دائمة ..» .

سادسا : كشفت نكبتنا الاخيرة عن بعض جوانب عيب نفسي دفين تقاسي منه الأمة العربية.

وهو اننا نميل الى تحميل غيرنا تبعة أخطائنا .
ان عوامل الضعف في وجودنا من هذه الناحية ستحتاج الى جهود جبارة لاقتلاع جذورها ، وستحتاج الى قسط وافر من الشجاعة الأدبية لنتعلم كيف نتحمل مغبة أخطائنا . ولنسعى جاهدين للحيلولة دون تكرارها .

سابعا : حقيقة بالغة الأهمية وهي أن اسرائيل خطر في ذاتها . .ويجب أن لا نقلل من شان خطورتها بتكرار القول بانها «قاعدة للاستعمار الغربي» فلا جدال في ان بين الاهداف البعيدة التى كان يرمى اليها بعض ساسة بريطانيا من وعد « بلفور » واقامة « وطن قومي لليهود في فلسطين » هو الانتفاع من ذلك الكيان في خدمة الأغراض الاستعمارية للامبراطورية البريطانية حينذاك .

ولكن بعد ان قوى نفوذ اسرائيل ، واستقرت بعض الشيء دعائمها ، ليس من مصلحتنا القومية في شيء ، ان نتصورها تبعا مساقا لا ارادة مستقلة له ، ولا سياسة خاصة به ، يسير في ركاب الغرب حيثما سار .

والخلاصة انه كما ان لأمريكا اليوم شانا في التاثير في سياسة اسرائيل فان لاسرائيل والصهيونية العالمية شانا في التاثير في سياسة أمريكا . .وهناك صهاينة يخططون بمكر ودهاء لاحالة الولايات المتحدة الامريكية كلها قاعدة لاسرائيل .

ثامنا : اننا في حاجة شديدة الى تعبئة كلية شاملة لكل قوانا . . تعبئة معناها أن تكون كل جيوشنا واجهزتنا وطاقاتنا ومواردنا وميزانياتنا جميعا معدة ومهياة على أساس أننا كنا وما نزال في حرب مصيرية مع عدو قوى ماكر تمده قوى خارجية لا حصر لها .

عوامل القوة التى نملكها

بعد ان اورد الدكتور البزاز هذه الاسباب الثمانية خلص الى نتيجة تتلخص في أن النقائص والأخطاء التى تسببت في النكسة ليست مقصورة على بلد عربى خاص أو جيش عربى معين وانما هى نقائصنا وعيوبنا واخطاؤنا جميعا بوصفنا امة عربية واحدة . وهى من التعدد والتشابك والعمق بحيث تكون اية محاولة لتبسيطها أو حصرها أو تحديد مداها المكانى والزماني والشخصي محاولة تنم عن عدم ادراك لطبيعة المشكلة الكبرى من حيث الاساس .

ولذلك تعتبر محاولة تحميل أى قطر أو جيش عربى أو زعيم عربى مغبة آثار هذه النكسة كلها ليست مجافية للعدل فقط بل تدل على جهلنا بطبيعة الأشياء وأسس علم الاجتماع البشرى وتكوين الامم .

وعلى الرغم من عوامل الضعف الكثيرة التى تكشفت عنها هذه النكسة ، والتى قد تتكشف عنها ، فاننا بوصفنا امة عربية واحدة ما زلنا نملك من عوامل القوة ما يمكننا اذا ما عملنا جادين متحدين مخلصين من الوقوف على اقدامنا ومن ثم السير قدما الى تحقيق اهدافنا ، واقامة كياننا الشامل في هذا الوجود أحرارا . . أعزة آمنين على سلامة بلادنا ومستقبل أجيالنا .

قطاعات واسعة من واقع مجتمعنا العربى

بعد هذه المقدمة الضافية عن النكسة وعن حرب يونيو ١٩٦٧ والتى تستغرق ٣٢ صفحة من كتاب « نظرات في التربية والاجتماع والقومية » ينتقل الكاتب الى موضوع الكتاب الاصلى . . ويجمع في فصول الكتاب المختلفة والتى تبلغ ١٢ فصلا مجموعة من محاضراته وأحاديثه ومقالاته وبحوثه التى نشرها أو القاها خلال الخمسة وعشرين عاما الماضية . . وقد اختار المؤلف من أحاديثه ومحاضراته ما يمس حياة العرب في مختلف ميادين علم الاجتماع والتربية والقومية .

ويكفى هنا ان نورد عناوين فصول الكتاب ، ثم نستعرض بشيء من التلخيص فصلا منها لنرى كيف أن المؤلف يعالج في كتابه عدة قطاعات واسعة من نواحي مجتمعنا العربى .

وفصول الكتاب هى : من مشكلات الجيل ، تربية المراة ، الانكليز كما عرفتهم ، نظرات في حياتنا الاجتماعية ، واجب العربى ، الأمة العربية في مفترق الطرق ، وجهة العرب ، من آفاتنا الاجتماعية ، نداء العراق ، من مكاسب الثورة ، من وحى البعث العربى ، ثم الخاتمة .

من مشكلات الجيل

لخص المؤلف مشكلات الجيل (جيل الذين ولدوا بعد الحرب العالمية الاولى . . وشبوا قبل الحرب العالمية الثانية وبلغوا ربيعهم الفكرى أثناء

هذه الحرب أو في السنوات التى تلتها) في ٥ مشكلات رأى أنها هى أهم مشاكل تواجه أفراد هذا الجيل والمشكلة الاولى التى أوردها الدكتور البزاز هي القلق .. وفي هذا المجال يقول الكاتب:

« ان أول مشاكل هذا الجيل ، وأخطرها هو « القلق » ، القلق الظاهر في الاقوال والمتجلى في الأفعال ، والبين على التصرفات ، والشاهد في السلوك والآداب ، قلق لجليل الامور ، وتافهها ، حتى يصل القلق ببعض أفراد الجيل الى حد الاضطراب الكلى ، والفوضى النفسية ، والتحطم الذهنى » .

« ولا شك في ان اضطراب المجتمع وفوضى الحياة العامة ، وانحلال الحياة الخاصة قد تجمعت وانعكست في اذهان الناشئة فلم يعودوا يصدقون ما يرون ، او يفهمون ما يسمعون ، وهذا الاضطراب ليس بالأمر الهين ، اذ انه يجر وراءه آفات خطيرة ، واذا ما نمى مع الفرد فستنمو شخصية ذلك الفرد هزيلة مضطربة ، لا تعرف الاستقرار ولا تنعم بالطمأنينة ولن يصبح ذلك الفرد مواطنا صالحا مهيئا لمتطلبات الحياة » .

الانتهازية

اما المشكلة الثانية التى تعرض لها المؤلف فهى الانتهازية وفي هذا يقول :

« الانتهازية مظهر من مظاهر الانانية التى هى من دون شك من الغرائز الفطرية التى جاءت الأديان والفلسفات والاخلاق لتهذيبها وتحديد مجالاتها ، والا فقد الانسان أهم ميزاته وخصائصه واستحال الى بهيم لا يسيره اى شيء غير غريزتى اللذة والألم .

ولست بطبيعة الحال أزعم بأن كل فرد من افراد هذا الجيل انتهازى ، أو ان الاجيال التى سبقته لم تعرف الانتهازية ، ولم تمارسها ،ولكن اقول ان روح الانتهازية بدأت تقوى ، وتظهر حتى في سن مبكرة وفي أناس كانوا أقرب الى الطهر والمثالية فيما مضى . ولا شك ان الحرب العالمية الثانية وما حل بسببها في العالم من نكبات ، قد زادت في تقوية شعور حب الذات الى حد جاوز المعقول ، واضعفت القيم الروحية عند كثير من الناس في مختلف الاقطار ، والاجيال، ولكن هذا الداء قد تفشى بطريق العدوى الاجتماعية بين كثير من شباب هذا الجيل وشاباته في بلادنا » .

وبعد أن يقوم المؤلف بسرد مثال عن الانتهازية .. يقول :

« ولا سبيل لمكافحة الانتهازية الا بالمثل الصالح، والتضحية الصادقة ، فاذا استطاع كل مدرس واستطاعت كل مدرسة الا يكون انتهازيا في سلوكه وحياته ووفق لعرض هذه الخصلة الحميدة عرضا صحيحا ، محا هذه النزعة من نفوس التلاميذ محوا . والمعلم المثالى أجدى في انشاء الجيل ، وتقويم الاخلاق ، من مائة كتاب وألف مقال يدعو لترك الانتهازية .. » .

ضعف الثقافة

اما المشكلة الثالثة التى يعانى منها هذا الجيل فهى في رأى الكاتب « ضعف الثقافة » فالدراسة الثانوية لم تحافظ على مستواها .. وانصرفت العناية الى « الكم » لا « الكيف » فازداد خريجو المدارس الثانوية وضعف المستوى الثقافي الى حد كبير .. ثم يورد المؤلف عدة امثلة يدلل بها على ان ضعف الثقافة يشمل الكثير من النواحى ومنها اللغة والاملاء واسلوب الكتابة والموازنة العقلية : واضطراب التفكير ، وضحالة المعلومات التاريخية وهزال الادراك العام ونقص الثقافة العامة .

النزعة النظرية

وينتقل الكاتب الى المشكلة الرابعة من مشاكل هذا الجيل وهى النزعة النظرية .. ويخلص الى انه لا بد لنا من توجيه دراستنا وجهة عملية ولا بد من العمل اليدوى بين ساعات الدروس والمطالعة ولابد لنا ان نصرف هذا الجيل والأجيال القادمة عن القول الكثير ، ونوجهها الى العمل الكثير ويقول المؤلف « اننا في عصر نحتاج فيه الى كل يد عاملة » .

« ولا بد لنا ان نغير طرق تفكيرنا في كل ناحية من نواحى حياتنا ، ونوجه نشاطنا وجهة عملية مجدية » .

الحيرة

والحيرة .. هى المشكلة الخامسة والأخيرة التى يتكلم عنها الدكتور البزاز في موضوع مشاكل الجيل ومن رأيه أن هذا الجيل جيل « حائر » فهو يمر بمرحلة انتقال ويتعرض لتجربة هائلة ..

وهو في حيرته ينقم على أشياء وينكر أشياء ليس من مصلحته ولا من مصلحة الاجيال القادمة ان ينقم عليها كل هذه النقمة .

وكثير من افراد هذا الجيل ينفرون من التقاليد حتى السليمة منها . وقد زاد في اضطراب هذا الجيل وحيرته التعارض الظاهر بين البيت والمدرسة وبين المدرسة والحياة . ولقد كان لبلبلة التعليم وتنوع مصادر الثقافة وضحالتها تأثير كبير على هذه الحيرة .

فضائل الجيل

قبل أن ينهى المؤلف هذا الفصل من كتابه وينتقل الى الفصل الذى يليه يقوم بتوضيح نقطتين اساسيتين اولاهما انه ليس من المتشائمين الذين لا يرون مجالا لاصلاح ما في هذا الجيل من نقائص .. وأن لهذا الجيل فضائله الى جانب نقائصه . وثانيتهما انه بالاعتراف بتلك النقائص مظهر سليم ودليل قوى على فقاهة الأمة ويقظتها .

وأن من أول واجبات رجال الفكر أن يكونوا أحرارا فيما يعتقدون ، جريئين في اعلان أفكارهم .. على حد ما قال أفلاطون :

« مجانين ان لم نستطع ان نفكر .
ومتعصبون أن لم نرد أن نفكر .
وعبيد ان لم نجرأ على أن نفكر » .

وكتاب الدكتور البزاز بالرغم من انه قد كتب على فترات متباعدة .. الا أن القارىء لا يشعر بتباعد هذه الفترات .. فالمشاكل والموضوعات التى يعالجها الكاتب .. لا تزال هى هى نفس المشاكل والموضوعات التى يعيشها مجتمعنا وذلك بالرغم من مضي حوالى الربع قرن على بعض الموضوعات التى تناولها الكاتب !

والبزاز يحاول في كتابه هذا أن يربط بين النكسة التى تعرض لها العالم العربى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وبين هذه المشاكل المزمنة التى تعانى منها الأمة العربية وقد نجح في هذا الربط نجاحا كبيرا .

واذا كانت بعض الامثلة التى أوردها الكاتب تبدو للوهلة الاولى امثلة سطحية غير عميقة الا انها في الحقيقة امثلة ذات جذور متاصلة في نفوسنا وهى امثلة من حياتنا اليومية . ولعله اختارها خصيصا لتبسيط الأمور على القارىء العادى . ومن الواضح ان هذه المجموعة من المقالات والأحاديث تلتقى بالرغم من تباين موضوعاتها عند هدف واحد وهو معالجة مشاكل الامة العربية ، سواء كانت مشاكل اجتماعية او تربوية او سياسية أو اخلاقية .

وقد نجح الكاتب نجاحا كبيرا في الربط بين مشاكل الامة العربية وبين النكسة ، والتى جاءت في الحقيقة نتيجة لهذه المشاكل .. وهذا التباين في المجتمع العربى . ■■

محمد طنطاوى

من الكتب التى وصلتنا

الانجيل والقرآن في كفتي الميزان

تأليف : محمد بهجة البيطار . الناشر : المطبعة الجديدة ـ دمشق

● محاولة جديدة للتقريب بين الانجيل والقران في الاصول الاولى لوحدة الاديان وأخوة الرسل ودعوتهم للتوحيد والعمل الصالح والايمان باليوم الاخر .

الكعبي : شاعر الثار

تأليف : نعمة هادى الساعدى ـ الناشر : مطبعة الآداب ـ النجف ـ العراق

● بحث موجز عن الكعبى وآثاره الأدبية وخصائص شعره ، ثم دراسة عن الثار في شعره .

ورد وأشواك

تأليف : عبد المجيد الربوعى ـ الناشر : مطابع وزارة الاعلام والثقافة ـ طرابلس ـ ليبيا

● مجموعة مقطوعات شعرية تتناول جانب الوطن والوطنية في كثير من هذه المقطوعات .



انقطـاع الحيـض ..ليس مضرا ..

● انا سيدة فى العشرين من عمرى متزوجة ولي ثلاثة اطفال ... بدات اشعر باعراض غريبة بعد ولادة طفلتي الاولى ... العادة الشهرية اخذت تخف تدريجيا مع ضمور فى الصدر ..وبعد ولادة طفلي الثالث انقطعت العادة الشهرية تماما ... واصبح صدرى صغيرا بشكل لافت .. فهل هناك ضرر صحي لانقطاع العادة الشهرية ، ومـاهي الوسيلة لعلاج مثل هذه الحالـة؟

ــ لمثل شكواك يا سيدتي طائفة من الأسباب . بعض الوالدات اذا ارضعن مواليدهن فترة اطول مما ينبغي اصابهن شيء من ضمور الرحم يقل معه الحيض او يمتنع ، وتختلف الحساسيات فى هذا الشأن. . كذلك تحدث حبوب منع الحمل اعراضا مشابهة عند قلة من السيدات وان كانت تنتج اعراضا عكس ذلك عند بعضهن .. فاذا كانت ولادتك قد تخللها او اعقبها نزيف فان ذلك قد يسبب تلفا جزئيا في الغدة النخامية الموجودة في الدماغ والتي تؤثر بدورها على الثديين والرحم عن طريق هرموناتها المنشطة للثدى والمبيضين . وهناك طائفة من الامراض العامة تسبب خللا في افرازات الغدد ، او تؤدى الى النحافة والهزال ، وسواء اكانت امراضا عضوية ام نفسية، فانها قد تؤدى الى مثل ما ذكرت .

كذلك فان ندرة من السيدات يبلغن سن اليأس فى سن مبكرة جدا ، لأن المبيضين فيهن لا يحتويان الا على عدد محدود من البويضات يستهلك سريعا ، بدلا من مئات الألوف من البويضات التي توجد فى المبيض العادى فتكفي لحدوث التبويض الشهرى فى الفترة ما بين البلوغ الى سن اليأس وموعدها عادة بين سن الأربعين الى الخمسين . اما العلاج فيتوقف على اكتشاف السبب . فاقصدى الطبيب المختص ليفتش عنه بالفحص وبسلسلة من الفحوص المخبرية تلقي بالضوء على سلامة اعضائك وتوازن افرازات غددك .

واما انقطاع الحيض في ذاتـه ، ما لم يكن وراءه مرض يستدعي العلاج ،فليس بنفسه مضرا ، وغير صحيح ما تعتقده كثير من السيدات من ان دم العادة خبث ينبغي ان يلفظه الجسم كل شهر والا اختزنه فتسمم به أو مرض منه .

الحمل الكاذب . . حالة نفسيه



● سمعت عن « الحمل الكاذب »، فما هو وكيف ينشا وما هي اسبابه ؟ وهل يترك اثرا سيئا في اعضاء الجسم؟

ـ نوعان من النساء يحدث فيهما الحمل الكاذب ، وتعريف بهما يلقي ضوءا على اسبابه : النوع الأول هو السيدة شديدة الرغبة في الحمل ... كالعاقر التي اوغلت في السن .. او الأم التي توقفت عن الانجاب سنوات ... او الزوجة التي تخشى عزوف زوج يحب المزيد من الذرية !! مثل هذه السيدة تجنح بها الرغبة عن واقع فيه العقم الى حلم فيه الحمل ... وهي تستطرد في هذا الحلم استطرادا مخلصا لا كذب فيه ولا ادعاء .

اما النوع الثاني ، فالمراة شديدة الرهبة من الحمل ... شديدة الخوف ان يكون قد وقع .. خاصة عندما يشكل هذا الحمل كارثة عائلية او عبئا صحيا او فضيحة اجتماعية !! والأم التي كبر اولادها ولعلها اصبحت جدة ولم ينقطع حيضها بعد وتخشى اكبر الخشية أن تحمل من جديد . هي اشيع الأمثلة في هذا الباب .

اما انه كاذب فلأنه ليس حملا ولأن صاحبته ليس في احشائها جنين !! واما انه حمل فلأن سائر اعراض الحمل تصاحبه ... ينقطع الحيض ، ويثقل الثديان، وتعرض فترة من الوحام والقيء، ويكبر البطن رويدا رويدا ، فكأن فيه جنينا ينمو شهرا من بعد شهر ... ولو استمر الأمر دون تداخل طبي حتى تبلغ اشهر الحمل لجاءها مخاض كاذب ، بل استدماء وطلق كطلق الولادة .. الا انها لا تلد شيئا على الاطلاق ، فلم تبلغ حتى مبلغ الجبل الذي تمخض فولد فارا ...

كل هذا دليل على ما للحالة النفسية من اثر ، لا على العقل الواعي فحسب ، ولكن حتى فيما لا ارادة فيه ولا وعي : كانقطاع الحيض ، وكبر البطن بانتفاخ الأمعاء وتغير نغمة عضلات البطن شدا وارتخاء !! مثل هذه السيدة تقصد الطبيب النسائي فلا يجد فيها جنينا يحس او يسمع ، ولا يجد في البطن الكبير الا انتفاخا رنانا ، ويفحصها فاذا الرحم قابع في مكانه بالحوض صغيرا متضائلا !

ويتلطف في مصارحتها فان اقتنعت شفيت تلقائيا ..

وان لم تقتنع فعلاجها التخدير .. وتحت البنج يشاهد البطن وهو يضمر من جديد .. وتنتهي الأسطورة فتصحو من المخدر ومن حلمها في آن واحد .



اللحية .. والشارب !

● بالرغم من ان عمرى الآن حوالى٢٢ سنة ، الا انه لايوجد شعر في ذقني او في شاربي مما يجعلني اخجل من نفسي وانا في هذه السن ومقبل على الزواج ، فما هي اسباب تاخر نموالشعر في ذقني ..؟ وما الذي يجب ان اعمله لعلاج هذه الحالة ؟

ـ لعل ندرة شعر لحيتك وشاربك او تأخر ظهورهما سمة طبيعية فيك لا تعني مرضا ولا نقصا .. كما هو الحال في بعض من الأفراد او بعض من العائلات او بعض من الأجناس .. فان كان الأمر كذلك فلا شك أنك موضع غبطة الآلاف والملايين ممن فرضت عليهم الحلاقة كل يوم وكتبت عليهم ضريبة اللحية والشارب!

على أن ظهور الشعر في الوجه وعلى سائر الجسم هو واحد من سلسلة تغيرات تبدأ عند البلوغ وتشكل ما يسمى « التغيرات الجنسية الثانوية » تحدثها الهرمونات. وهي افرازات عدد من الغدد اهمها الغدتان الجنسيتان وهما الخصيتان .

من هذه التغيرات عدا كثافة الشعر وهيئة توزعه على الجسم ، خشونة صوت الرجل ،وحجم اعضائه التناسلية، وهيئة الهيكل العظمي وتوزيع الشحم في الجسم وغير ذلك .

اقصد الطبيب اذن ، فان اطمأننت الى سلامة تكوينك واعتدال ميزانك الهرموني فلا تيأس ولا تحزن ، ولا عليك من لحية او شارب .

الشعر الغزير في جسم المرأة ..
اما صفة طبيعية أو عرض مرض ..

● انا فتاة في العشرين من عمري مشكلتي هي الشعر الغزير الذى ينتشر في اكثر جسمي ، وانا استعمل الطرق الشائعة لازالته ، ولكنه سرعان ما ينمو بغزارة في فترة وجيزة .. وقد قرات اخيرا عن جهاز الكتروني يزيل الشعر نهائيا .. وانا اريد ان اعرف راى الطب في مثل هذا الجهاز ، وهل هناك ضرر من استعماله ؟ او هل هناك طرق طبية للتخلص من الشعر الغزير في الجسم نهائيا ؟

ـ ليست غزارة الشعر في جسم المراة دائما عرضا لمرض .. فهي صفة طبيعية لبعض الاجناس كسكان شواطىء البحر الابيض او القارة الهندية او لأسر بذاتها من بين سكان اقليم واحد ، او سمة شخصية لانثى بذاتها من دون أخواتها.

فان كان الأمر خارج نطاق المرض فلتطمئن السيدة .. ولا حيلة لها بعد ذلك الا اتباع الطرق الشائعة او حتى غير الشائعة : مثل الأشعة السينية او المزيل الالكتروني للشعر .. بتوجيه واشراف من الطبيب المختص في الأمراض الجلدية او في التجميل .

على أن غزارة الشعر قد تنشأ عن وفرة غير طبيعية للهرمون الذكرى في جسم الأنثى .. فمن بين الأورام المبيضية

نوع يفرز الهرمون الذكرى فكأنه خصية رجل !! والغدتان الكظريتان (واحدة فوق كل كلية) تفرزان طبيعيا قدرا ضئيلا منه .. ولكن هذا القدر يزداد ويتفاقم ان اصاب الغدة ورم ،او افرطت الغدة فى الافراز لخلل فيها ، او خلل فى الغدة النخامية (الكائنة اسفل المخ)التي تفرز بدورها هرمونا ينشط الغدة الكظرية ويحفزها على مزيد من افراز .

وفي الغالب الأعم ان تصاحب هذه الأحوال المرضيةاعراضاخرى كاضطراب الحيض او خشونة الصوت او نماء شارب ولحية على وجه السيدة !! . . . مهمتك اذن يا آنستي ان تقصدى الاخصائي النسائي . . . ومهمته بالمعاينة والفحوص المخبرية ان تعلمي اصحيحة انت ام مريضة .. فان كانت الثانية حدد موطن الداء ورسم له الدواء .

حب الشباب .. علاجه فى يدك

● سمعت ان هناك ماكولات معينة يجب ان يتجنبها كل مصاب بحب الشباب ، فهل هذا الكلام له سند من الحقيقة في عالم الطب ؟ واذا كان حقيقيا ، فما هي هذه الماكولات التي يجب تجنبها وعلى كل حال فما هو علاج حب الشباب ؟



ــ ليس حب الشباب مرضا بالمعنى الصحيح .. بل عارض يكون بعض الناس اكثر عرضة له من بعض .

في جلود كل الناس غدد تفرز مواد دهنية لترطيب الجلد ووقايته .. الا ان هذه الغدد لدى بعض الناس اكثر عددا وانشط افرازا . . . ومن وفرة ما تفرز من دهن فانه يتراكم فيسد فتحات هذه الغدد فيحتبس فيها افرازها . . . ولا يلبث بدوره ان تحط عليه المكروبات التي لا يخلو منها جلد وتجد فيه لها مرتعا خصبا ، فتلتهب هذه الغدد لتبدو على هيئة هذه البثرات المعروفة .

اهم شيء اذن ان نحول دون انسداد فتحات الغدد بما تفرز من دهن ،واجدى سلاح لذلك هو غسل الجلد بالماء والصابون مرات ومرات في اليوم الواحد، ليذوب الدهن ويزول اولا بأول .

ونصيحة نقدمها لهؤلاء المرضى : هي الا يطلوا جلدهم بالمساحيق او الكريم لأن هذه بدورها تسد فتحات الغدد .

كما ان هناك بعض الأدوية تفيد باقلال الافراز الدهني وتطهير الجلد من المكروبات بعض الشيء .. بعض الوقت .

بقي اذن موضوع الطعام الذى ورد في صدر سؤالك : ولعلك ترى بوضوح ان الافراط في تناول الدهن والدسم ، او الاطعمة التي تتحول في الجسم الى دهن ودسم (كالسكاكر والحلوى والنشويات كالأرز والخبز والمكرونة) تؤدى الى تفاقم حالتك واجتنابها اولى وافيد .

اقرأ هذه مرة اخرى ، وستستبين أن علاجك بالدرجة الأولى فى يدك انت ، وانك فيه طبيب نفسك . ■■

اقبال كان صوفيا من نوع..

● عرف اقبال على ما نعلم بأنه فيلسوف ولكن عرف أيضا بأنه صوفي وأن صوفيته غير صوفية القدماء وأنها صوفية حية تجارى الحياة .

فهل في الامكان استزادتنا عن حقيقة هذه الصوفية وكيف خالفت ما عرف في الاسلام من صوفيات آخر .

ابو الفضل الحبابي

بغداد ـ العراق

ـ محمد اقبال فيلسوف باكستاني ولد في مدينة سيالكوت سنة ١٨٧٣ وتوفي سنة ١٩٣٨ ، سافر الى عدة بلدان طلبا للعلم ثم عاد الى وطنه سنة ١٩٠٨ حيث عمل بالمحاماة وقرض الشعر . وقد ذاع صيته في الهند وكثر عشاق ادبه ومريدو فلسفته . وقد دعا في شعره الى نبذ التصوف العجمي الذى يؤدى الى اماتة الامة وبشر بالتصوف العملى الذى يدعو الى العمل والجهاد . وتدل اشعاره وقصائده على تمجيد الشخصيات الاسلامية كلها ، فعمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب يمثلان عنده القوة في الحق والاستقامة والعدل ، وفاطمة زوجة على تمثل المراة في ايمانها وجهادها وعنايتها بتربية اولادها ورعاية زوجها .

وتقوم فلسفة اقبال على (الذات) التى هى عنده حق لا باطل وهدف الانسان الدينى والاخلاقى اثبات ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق ذاته أو واحديته يقرب من هذا الهدف ، وتنقص فردية الانسان على قدر بعده عن الخالق . والانسان الكامل هو الاقرب الى الله وليس معنى ذلك أن يفنى وجوده في الله كما ذهبت اليه فلسفة الاشراق ووحدة الوجود عند ابن العربى واسبينوزا بل هو عكس هذا يمثل الخالق في نفسه والحياة عنده



الشاعر محمد اقبال

رقى مستمر وهى تسخر كل الصعاب التى تعترض طريقها وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات . وان قوة الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات . واذا قهرت الذات كل الصعاب التى في طريقها بلغت منزلة الاختيار فالذات في نفسها فيها اختيار وجبر .

وحسبنا ان نقول ان اقبال يدعو الى ادراك الذات وتقويتها والى العمل الدائب والجهاد الذى لا يفتر ، ويرى أن الحياة في العمل ، والجهاد والموت في الاستكانة والسكون .

(ص . ى)

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

اعلى الجبـال واوطى المنخفضات في القارات الخمس

● كان المعروف لدينا أن أعلى جبل فى أوروبا هو مونت بلان Mount Blanc فى الالب ولكنني قرأت ان جبل البروس Mount El'brus في الاتحاد السوفييتي هو اعلى جبل في أوروبا فهل هذا صحيح .. ؟ وبهذه المناسبة أرجو أن تتكرموا باعطائي فكرة عن أعلى الجبال واوطى الوديان والمنخفضات فى القارات الخمس ؟ .

محمد صادق ـ القاهرة

ـ ان ما قرأته عن ان اعلى جبل فى اوروبا هو جبل البروس في الاتحاد السوفييتي صحيح .

فجبل البروس يبلغ ارتفاعه ١٨٫٤٨١ قدما فوق سطح البحر بينما يبلغ ارتفاع « مونت بلان » ١٥٫٧٧١ قدما ، ولعل الفكرة التي كانت لديك عن ان مونت بلان هو أعلى قمة في أوروبا جاءت من الاعتقاد الخاطىء بأن جبل البروس يقع فى آسيا وليس فى أوروبا فهو فى الحقيقة على الحدود الفاصلة بين كل من أوروبا وآسيا وهو من سلسلة جبال القوقاز Caucasus التي تقع بين البحر الاسود وبحر قزوين Caspian Sea ولهذا السبب حدث هذا الخلط .

اما عن الجزء الثاني من سؤالك فان أعلى الجبال فى آسيا هو قمة افرست ويبلغ ارتفاعها ٢٩٫٠٢٨ قدما اما اوطى منطقة فهو البحر الميت الذى يبلغ انخفاضه عن سطح البحر ١٫٢٩٦ قدما . وهو يقع بين الاردن وفلسطين المحتلة .

وفي افريقيا فان قمة كيبو Mount Kibo وهي في جبال كيلمنجارو بتنجانيقا تعتبر أعلى نقطة ويبلغ ارتفاعها ١٩٫٣٤٠ قدما . واوطى منطقة هي منخفض القطاره فى الجمهورية العربية المتحدة ويبلغ انخفاضه ٤٣٦ قدما تحت سطح البحر .

وفى امريكا الشمالية يعتبر مونت ماكينلي Mount Mckinley اعلى قمة بها ويبلغ ارتفاعه ٢٠٫٣٢٠ قدما وهو يقع فى الاسكا اما وادى الموت فى كاليفورنيا فهو اكثر الوديان انخفاضا اذ يقع على ٢٨٢ قدما تحت سطح البحر وسمى وادى الموت لانه لا يوجد فيه اى اثر للحياة بسبب حرارة الجو .

وفى امـريكا الجنوبية يبلغ ارتفاع جبل « اكونجاجوا » Aconcagua بالارجنتين ٢٢٫٨٣٤ قدما وهو بذلك يعتر اعلى جبل بها وفى نفس الوقت يوجد بالارجنتين اوطى واد بامريكا الجنوبية وهو يسمى سـاليناس جرانديس Salinas Grandes وهو يقع على عمق ١٣١ قدما تحت سطح البحر .

وفي اوروبا يعتبر جبل البروس كما ذكرنا في اول الاجابة عن سؤالك اعلى جبل بها اما اوطى منخفض فهو بحر قزوين بالاتحاد السوفييتي وهو على عمق ٩٢ قدما تحت سطح البحر .

وفى استراليا يبلغ ارتفاع جبل كوسكيوسكو Kosciusco ٧٫٣١٦ قدما وهو اعلى جبل بهذه القارة بينما اوطى منخفض بها هو بحيرة آير Lake Eyre وهي على عمق ٣٩ قدما تحت سطح البحر . (م . ط)

موتسارت.واللحن الجنائزى

● من هو صاحب اللحن الجنائزى .. وما قصته ؟

احمد على ـ عمان

ـ صاحب اللحن الجنائزى The Requiem Mass هو الموسيقار النمسوى العالمى موتسارت ، واسمه بالكامل ولفجانج امادیس موتسارت Walfgang Amadus Mozart ولد بمدينة ساليزبورج Salisburg بالنمسا لأبوين فقيرين في يوم ٢٧ يناير عام ١٧٥٦ ، وكان اصغر اشقائه الستة . وقد شاء القدر أن يموت خمسة منهم في سن الطفولة ، ويعيش هو وشقيقته ماريا آنا Maria Anna التى تكبره بخمسة أعوام .

وقد بدأ هذا الموسيقار العبقرى يؤلف الموسيقى وهو طفل صغير في العام الرابع من عمره ، حتى اذا ما بلغ السادسة جلس هو وشقيقته ، يعزفان اول مقطوعة كتبها بقلمه الصغير ، أمام امبراطور وامبراطورة النمسا في العاصمة فيينا .

وفي هذه المدينة التقى موتسارت بالمؤلف الموسيقى الكبير هايدن Haydin ، ونشأت بينهما صداقة قوية . عقب رحلة طويلة قام بها موتسارت في دول اوروبا بصحبة أبيه الذى كان عازفا للكمان. وفي أوروبا وضع الشاب الصغير أجمل موسيقاه ، ولكنه بلغ القمة عندما استقر في ساليزبورج مسقط رأسه ، فقد وضع عصارة قلبه وفكره في كل انتاجه الفنى الغنى بالمشاعر والاحاسيس .

كانت حياته مأساة كبرى .. أحب مغنية نمسوية تدعى الويسيا ويبر Aloysia Weber عندما بلغ الحادية والعشرين ، وكان يؤلف لها الموسيقى التى تصاحب أغانيها .. ولكنه لم يكتشف حبه لها الا بعد أن تزوجت .. ولم تمض فترة طويلة قبل ان يخفق قلبه بالحب مرة أخرى .. وتشاء الصدف أن تكون محبوبته الجديدة هى كونستانزا Constanze ، شقيقة الويسياء وتزوجا في يوم ٤ اغسطس عام ١٧٨٢ .

وتوالت المتاعب على العروسين بعد الزواج .. فقد ساءت حالتهما المالية ، واضطر موتسارت الى الاستدانة من أصدقائه، حتى تراكمت عليه الديون .. وما لبثت حالته الصحية أن تدهورت ،وأحس الشاب بالمرض يزحف الى جسمه .. وكان هذا هو الوقت الذي اختاره ليكتب فيه لحنه الجنائزى.

ويقول الذين عرفوه أن ثمة شعورا غريبا انتابه وهو يضع اللحن الحزين . كان يشعر أنه يكتب لنفسه ، وأن حياته قد اقتربت من نهايتها !

وصدق شعوره ، ففي صيف هذا العام نفسه ، وهو عام ١٧٩١ أصيب موتسارت بحمى روماتيزمية وفي شهر اكتوبر من العام المذكور ، ساءت حالته بصورة خطيرة . ولكنه ما لبث أن استعاد صحته في الشهر التالى ، وشوهد في نزهة خارج بيته . ولكنها كانت صحوة الموت .. فقد وافته المنية بعد ذلك بشهر واحد ، في الساعة الواحدة صباحا من يوم ٥ ديسمبر عام ١٧٩١ .

ومات موتسارت ، الموسيقى العبقرى عن ٣٥ عاما ، ودفن في مقبرة كنيسة القديس مارك بفيينا دون أن يكمل لحنه الحزين الاخير ، فأكمله تلميذه الوفي سوسماير Sussmayr

وفي مدينة ساليزبورج . وهى مصيف عالمى تحتفل النمسا كل عام بذكرى موتسارت وتقام الحفلات الشهيرة التى يهرع اليها أحباب الموسيقى وعشاقها من أرجاء أوروبا وامريكا .

(م. ن)



سكان العالم .. والاديان ..!

كم يبلغ عدد سكان العالم الآن .. وكم عدد من يدينون بكل دين من الاديان الموجودة الآن .. ؟ !

م . ا ـ سوريا

ـ يبلغ عدد سكان العالم حسب الاحصائيات التقديرية لعام ١٩٦٥ وهي آخر احصائيات نشرت ٣ر٢٩٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة .

ويبلغ عدد من يدينون بالدين الاسلامي من بين هؤلاء السكان حوالي ٥٦٦ مليون نسمة وفقا لبعض المصادر .

بينما يبلغ عدد الذين يدينون بالدين المسيحي حوالي ٩٤١ مليون نسمة منهم ٥٧٥ مليون كاثوليكي و ٢٢٤ مليون بروتستانتي و ١٤٢ مليون ارثوذكسي .

ويبلغ عدد الذين يعتنقون الديانة اليهودية في العالم كله ١٣ر١٢١ر٠٠٠ نسمة منهم ٦ر٥٧٩ر٠٠٠ يعيشون في الولايات المتحدة الامريكية وكندا !! .

ويبلغ عدد الذين يؤمنون بالديانة الهندوسية ٣٥٠ مليون اغلبهم في الهند .

ويوجد أيضا ١٦٠ مليون نسمة يؤمنون بالبوذية و ٥٠ مليون يؤمنون بالديانة التي تسمى التاوية Taoism وهي ديانة نشأت في الصين في القرن السادس قبل الميلاد . ويؤمن ٢٤٣ مليون شخص بالكونفوشيه .

وحوالي ٥٢ مليون نسمه بالشنتو واغلب هؤلاء يعيشون في اليابان .

اما بقية سكان العالم فهم لا يزالون من الوثنيين أو الذين لا دين لهم ويصل عدد هؤلاء الى حوالي ٩٦٩ مليون نسمة !! .

وهذه الاحصاءات بطبيعة الحال تقريبية . واختلفت المصادر فيها . (م . ط)

أين دفن الخليفة المأمون ؟

● سافرت الى جنوب تركيا ، ومنها الى مدينة طرسوس ، وزرت مسجدها (أولو جامع) وفي جناحه الشرقي مدفون الخليفة العباسي المأمون ابن هارون الرشيد، نرجو معرفة ما كتبه المؤرخون عن وفاته ، ومكان دفنه .. ؟

المحامي عبد الكريم السمان ـ حلب

ـ كان المأمون غازيا بجيشه الى بلاد الروم ، وهي بعض تركيا الآن ، ووافته المنية في «البذندون» وهي قرية قريبة من طرسوس . فلما توفي حملوه الى طرسوس ، ودفن فيها وصلى عليه المعتصم أخوه وخليفته من بعده .. وذلك في شهر رجب سنة ٢١٨ هجرية ، وفي هذا يقول الشاعر أبوسعد المخزومي :

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ ... مون في عز ملكه المأسوس
غادروه بعرصتي طرسوس ... مثل ما غادروا أباه بطوس

(ع . ف)

الفجر

● من هم الفجر ؟ والى اية دولة ينتمون ؟ هل لكم ان تقدموا لنا فكرة عن أصلهم وعاداتهم وتقاليدهم ؟

اسماعيل محمد
الموصل ـ العراق

ـ الفجر ويسمونهم بالانجليزية Gypsy اسم يطلق على قوم رحل يعيشون في بلاد كثيرة ، ويعرفون بأسماء مختلفة ولكنهم لا ينتمون الى بلد معين ، اما كلمة « جيبسي » فتقول دائرة المعارف البريطانية انها مشتقة من Egyptian اى مصرى ، وبعض فئات الفجر اسموهم « لوردات مصر الصغرى» ، عندما وصلوا الى بريطانيا لأول مرة .

وتقول كتب التاريخ ، استنادا الى اللغة التى يتكلمونها دون أن يكتبوها ، لأن غالبيتهم أميون ، ان الفجر قدموا من الهند ، ولو ان احدا لا يعرف متى غادروا الهند ، ولا سبب هذه الهجرة التى نقلتهم الى عدد كبير من بلاد الدنيا . ولكن المؤكد انهم ظهروا في ايران سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ، وهناك انقسموا الى فرعين .. اتجه فرع منهم الى الجنوب والغرب عن طريق مصر وشمال افريقيا .. والفرع الآخر اختار الطريق الشمالى الى اوروبا ودول البلقان .

وفي عام ١٤١٧ وصلو الى الاجزاء الغربية من المانيا ، وفي عام ١٤٢٢ جاءوا الى بولندا وفي عام ١٤٢٧ نصبوا خيامهم امام مشارف باريس .

وقد تعرض الفجر خلال تاريخهم الطويل الى الاضطهاد في كل مكان حطوا فيه رحالهم من خليج مسينا بايطاليا الى البلطيق ومن روسيا الى اسبانيا ، فكانوا يعذبون ويرسلون الى السجن ويعدمون أحيانا ، لا لسبب ، الا لأنهم غجر .. وكانوا لعنة أيضا على كل من اتصل بهم وتعاون معهم . ففى القرن السادس عشر ، صدر قانون في بريطانيا يقضي باعدام كل من يصادق الفجر ، ويجرده من أراضيه وممتلكاته .

وللفجر عادات وتقاليد غريبة ينفردون بها ، وهم يسكنون الاكواخ والكهوف ، والخيام ، ونفر قليل منهم يعيش في منازل مشيدة .. وتخضع ظروف حياتهم بطبيعة الحال ، لطقس البلد الذى نزحوا اليه وللحالة الاقتصادية فيه .. ففيأمريكا مثلا أصبحوا يتنقلون الآن في السيارات التى تقطر وراءها منازل خشبية صغيرة متنقلة ، وفي بريطانيا يتنقلون في العربات التى تجرها الخيول .

وهم يطهون طعامهم فوق النار الموقدةفي العراء. ويأكلون الفواكه والخضر،ولحم الخنزير والدجاج الذى يقال انهم تخصصوا في سرقته من المزارع والحقول التى يمرون بها خلال رحلاتهم من قرية الى اخرى ، ومن بلد الى بلد !

وللفجر قانون يحكم تصرفاتهم ، ولعل أهم مواده ، وأطرفها هي : « أن تسرق من شخص أكثر منك فقرا جريمة » تماما كالجريمة التى يرتكبها الفجرى .. اذا سرق شيئا لا ينفع ولا يفيد » .

فلا بد أن يسرق الفجرى اذن من الاثرياء .. ولا بد أن يسرق شيئا نافعا،حتى ينجو من العقاب.

(م. ن)

زرياب

● سمعنا عن زرياب .. فمن هو ؟ اشاعر هو أم قائد حرب أم زير نساء ؟ وفي أى عصر عاش ؟

سالم مفتاح الهجرس
طرابلس ـ ليبيا

ـ عالم في فن الغناء ، وهو من موالى الخليفة العباسي المهدى . اسمه على بن نافع ، وزرياب لقب غلب عليه من اجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله ، تتلمذ على يد اسحاق الموصلى واخذ عنه الغناء والعزف على العود ، وبرع فيهما حتى فاق اقرانه ، بل تفوق على استاذه . وقد احضره اسحاق الموصلى مرة الى الرشيد فغنى له فاعجب به غاية الاعجاب مما ادى

الأرض الطيبة

● قرأنا في الصحف أن فيلما سينمائيا يجرى اخراجه الآن عن حياة الكاتبة الامريكية بيرل باك ، مؤلفة قصة « الارض الطيبة » ، فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة قصيرة عن حياتها ؟

سعيد حامد ـ القاهرة



بيرل باك

ـ بيرل باك Pearl Buck ، مؤلفة قصصية ، ولدت بمدينة هيلز بورو بأمريكا، في يوم ٢٦ يونيو من عام ١٨٩٢ ، أى ان عمرها الآن ٧٦ عاما . ولكنها نشأت في الصين ، وأمضت سنى شبابها في مدينة شين شيانج ، حيث كان والداها يعملان في التبشير. وقد تلقت تعليمها الابتدائى فيشنغهاى ثم سافرت الى أمريكا لتكمل علومها الجامعية ، ولكنها ما لبثت ان عادت الى الصين مرة أخرى عندما تخرجت لتعمل مدرسة في جامعة نانكين Nanking . وتأثرت بيرل باك بالحياة في الصين وبعادات أهل هذه البلاد وتقاليدهم وفلسفتهم ، وسجلت انطباعاتها وأحاسيسها في سلسلة من المقالات والقصص . وقد نشرت كلها في المجلات الامريكية في عام ١٩٢٣ . ثم ما لبث اسمها انذاع وعرفها العالم كله عندما وضعت كتابها « الارض الطيبة » Good Earth الذى حصل على جائزة بولتيزر Pulitzer للادب،وترجم الىعدةلغات.وهى تصف في هذه القصة كفاح فلاح صينى وزوجته ، وكانت جارية رفيقة تباع وتشترى ، في سبيل الحصول على قطعة من الارض الطيبة. (م.ن)

هجر المشرق ولمع في المغرب

الى اشعال الحسد والحقد في صدر اسحاق،وساءه ذلك ووجد في سلوك زرياب شيئا من التطاول على مكانته ومحاولة الاستعلاء عليه . ولما كان زرياب يعلم بمكانة اسحاق وعلو شهرته وقوة نفوذه ومكانته في نفوس كبار الدولة فقد عقد العزم على الهجرة واختار الفرار من ميدان المنافسة غير المتكافئة ، فمضى زرياب يبغى المغرب وكاتب أمراء الأندلس فرحبوا بقدومه وسهلوا له الطريق الى قرطبة فكان المغنى الاثير لديهم وصاحب الحظوة عندهم .

وقد زاد زرياب بالاندلس في اوتار عوده وترا خامسا اذ كان العود اربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الاربع . فزاد عليها وترا خامسا فاكتسب به عوده فيرأى معاصريه الطف معنى واكمل فائدة .

وقد اشتهر زرياب كذلك بأنه سن القواعد ووضع القوانين التى تتبع في التنسيق والتجميل كما انه تفنن بالملابس فجعل كل صنف من الثياب في الزمان الذى يليق به فكانوا يلبسون الملابس البيضاء من اول حزيران ثلاثة أشهر متوالية ، ويلبسون بقية السنة الملابس الملونة ورأى ان يلبسوا في الفصل الذى بين الحر والبرد جباب الخز والملحم والدراريع التى لا بطائن لها .

(ص. ى)

وطني

شعر : هانم النبوية محمد زكي

وطني يا أقدسَ أقداسي   ياقلبي الحرَّ وإحساسي
أفديك بروحي إن عزّت   أرواحُ الناس على الناس

★★★

وطني يا مُلْهِم أشعاري   يانوراً في الظُّلمةِ ساري
ألحاني أنت وقيثاري   بورِكْتَ دياراً وأناسي

★★★

وطني يا مَهْد الأحرار   لن نسكت عن مَحْوِ العار
والنار ستخمد بالنار   ويَهبُّ الذاكرُ والنّاسي

★★★

الحرم الثالثُ والقدسُ   تبكيه عُطاردُ والشمسُ
أضحى والطُّهر به رِجْسُ   ياثاراتِ للأقداسِ !

★★★

وكَنيسةُ عيسى الصدّاحَهْ   لَبِستْ من حُزْنٍ طُرّاحَهْ
ثكلى ، ما زالت نوّاحَهْ   في إكليلٍ أو قُدّاس

★★★

يامَسرَى طه لبيّْكَ   وتحياتُ الله عليكَ

أيدينــا تمتــدُّ إليــكَ   كي تغْسِل رجْسَ الأنجاسِ

★★★

لا الدَّمعُ يفيدُ ولا الحسْرَهْ   والنكْســةُ كم ساقتْ عبْره

ستدورُ على الباغِـي الدَّوْرهَ   بصَواعِـق نـارٍ ونُحـاسِ

★★★

ياسِبْـط يهوذا لَن تَسْلَمْ   ستذوقُ على البَغْـي العلْقَمْ

وستَنْدم ، والباغِـي أظْلَـمْ   وسَنبْقى كالطَّودِ الرَّاسـي

★★★

وطني يا مجتمعَ العُــرْبِ   من مُغْتَرِب أو مُقْـتَرِب

النَّصـر يُهرْول عن كثَـبِ   فانْهَـضْ للمَجْد ولِلْبَاسِ

★★★

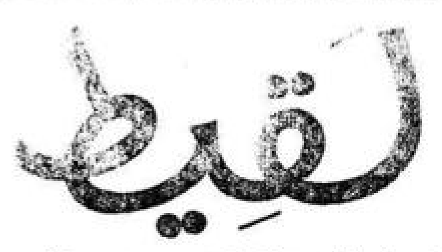
واللهُ يبارِكُ مسعاكــا   والله يدمِّـر أعــداكا

واللــهُ تعالــى يرعاكـا   ويعيـذُك من شرِّ النـاسِ

هانم النبوية محمد زكي

كلية البنات الاسلامية
الجامعة الازهرية





قصة بقلم : الدكتور بديع حقي

■ كان يدور في خلد العكازة ، فيما كانت تدب على الارض المغسولة بمداد الليل ، والفجر لما ينشق بعد ، أن الدنيا كلها ملك لها ولصاحبها الاعمى حمود ، وان الدرب يتسع هنا لتمضي خفيفة طليقة ، ويضيق هناك لتستعين بالجدار ، متئدة ، حذرة ، وكان يخيل اليها أن لنقراتها ريشا يكسوها ، في العتمة ، فترفرف ، مجنحة كخفافيش تائهة ، في الليل . كانت أصداء نقراتها واضحة ، بينة ، فكان حديثها الى نفسها كان يترقق ، هامسا ، في وضح النهار ، صاخبا ، مدويا في دجنة الليـل .

لا ، لم يكن يضرب في الدرب المؤدي الى جامع الورد سوى اقدام معدودة ، كانت اصداء همسها ، تخِزُ الصمت ، متجاوبة ،متلاشية ، وظلت نقرات العكازة متميزة من بينها ، كأنها شرارات تقدحها على الارض ، لا لتنير الطريق لحمود فحسب ، بل لتتحدَّثَ اليه ، لتؤنسه . ههنا تنفسح الطريق ثم تضيق ، ثم تعود فترحُب ، ههنا ينبغي له ان يستعين ، لا بالجدار بل بحَيْد الرصيف الناتىء ، وسمع حمود دبيب قدمين تقتربان ثم تنأيان .

ها هو ذا قد وصل الى الجامع ، وتلمَّست راحته حجرا يعرف موضعه من الجدار ، فههنا يظلُّ مصباح كهربائي دلّه عليه صديق ، ليكون في وسعه أن يجلس في مكان يراه القادمون الـى الصلاة . واتخذ حمود مجلسه ووضع عكازته خلفه ، ومدَّ طرحته امامه . ونفخ في راحته ، فالبـرد ما يزال لاسعا يهرأ الجسم .

وانساق الى سمعه خفق اقدام يتردَّد ، في هداة الليل ، خافتا ، مقتربا . انها مشية ، منسرقة الخطو ، مهموسة ، مشية امرأة تتَصَّف ، ولا ريب ، فاذناه الواعيتان لاتخطئان البتة .

وتميَّزت ، بين خطوتين مترفقتين من خطاها ، صرخة صغيرة ، صرخة طفل وليد ، ندَّت في البدء ، لينة قصيرة ، ثم اتصلت وعلت ، ماعسى أن تفعل امراة تحمل هذا الطفل ، وتسعى في ساعة متاخرة من الليل ؟ واغذَّت الامراة سيرها ، مقتربة منه ، رويدا ، رويدا . ودنت منه وانحنت ، حتى شعر بلهاثها يهينم على وجنتيه ، وبدا له انه لو بسط ذراعه لصدمت وجه الامراة . لاريب انها حدَّقت الى وجهه وادركت أنه اعمى ، فلعلها ان تكون أول من يتصدَّق عليه . انه لايراها ، ولكنه يحس بنظراتها الثاقبة تنغرز في اهابه .

وقالت الامراة :

ـ دخيلك يا اخي ، امسك ابنى هذا الصغير ، قليلا ، ساعود اليك بعد دقيقة .

ووضعت الطفل في حضنه دون انتظار جوابه ، ومضت مسرعة . والفى الطفل في حضن حمود دفئا جديدا . ثم تململ وانفرجت شفتاه عن صرخة ممهدة للبكاء ، واذهلت المفاجاة حمودا فلم يعرف كيف يمسك بالطفل ودنت راحته تلتمس في وجنته نعومة انسانية طاهرة ، وهدهده قليلا ، هاهو ذا يستسلم الى غفوة . واحس حمود بلهاث الطفل ينسم بين انامله ، ومثل في وهمه ان هذا اللهاث نسمة عليلة مقبلة اليه من الجنة .

لقد انقضت فترة مديدة ، ولم ترجع الامراة لتاخذ طفلها ، لاباس عليه ، لينتظر ولينتهز هذه الفرصةَ السانحةَ ليضمَّ هذا الطفل البرىء . وتململ الطفل وبكى ، فهزَّه ، هزة رفيقة ، وامسك الطفل عن البكاء قليلا ، وجعل يلهجُ بحرف واحد لايعرف غيره (غ . غ . غ) لاشك انه جائع ، ترى اين ذهبت امه الملعونة ، لِمَ لاتعود لاخذه ؟ وتناهى الى سمعه أذان الصبح يتعالى ، سمحا ، رطبا ، ندريًا . واستانف الطفل بكاءه ، وبدا



لحمود ان يتلو له آية الكرسي ، فلعلها ان تغريه بالنوم ، فشرع يتلوها بصوت حزين ، واسلس الطفل الى غفوة مريحة هنيئة ، وشعر حمود بحنان دافق يغمر نفسه فقرّب الطفلَ من شفتيه ، وأحس بلهاثه يتخلج ، رقيقا عذبا ، وقبّله من وجنته الطرية .

وصافح سمعه ركز يتدانى (لقد اقبل الناس الى الصلاة ، فماذا افعل يارب ؟) ، وتهاوى فرنك على الطرحة ولم يشأ حمود ان يشغل فكره بتمييز الفرنك من رنينه ، فقد شغله هذا الطفل عن أي شيء سواه ، وانهمرت الفرنكات متلاحقة والطفل في حضنه غاف . لاريب أن المتصدقين قد حسبوا الطفل ابنه . ولكن .. اين ذهبت امه ، ؟ واقصى حمود عن ذهنه خاطرا جريئا خطفً ، فجاة ، ثم عاد فغزا راسه : من يدري لعله طفل لقيط ...

بيد انه لم ييأس من عودة ام الطفل ، وهل يعقل ان تترك ام طفلها أكثر من ساعتين ، دون طعام ، بين يدي اعمى ، لا يدري ماذا يعمل من اجله ؟؟

ودسّ راحته ، داخل القماط ، باحثة ، مستطلعة . ان انامله لاتخطئه . هذه خمس ليرات

قضية ، وسحب راحته كأن الليرات قد لسعته ، وسمع شخصا يقول له :

ــ حرام ، يا شيخ ، كيف تأتي بطفلك في هذا الصباح ؟

كانت لهجة الاستنكار تسري في كلماته ، واجاب حمود :

ــ ليس هذا بطفلي ، لقد أودعتنيه امرأة قبل صلاة الفجر ، زاعمة انها ستعود لأخذه ولكنها لم تعد حتى الآن .

وسمع حمود لغطا ، لا يأتلي ينمو ، محدقا به ، مطوقا له ، وجعلت الحلقة تضيق . انها فرصة نادرة للتطلع الممتع ومنفسح رحيب للتعليقات الجمة :

ــ الله يلعن والده .

ــ ايه ، هذه أخلاق هذا الجيل الفاسد .

وتنهدت امرأة ، في حرقة وغمغمت :

ــ مسكينة امه ، مسكينة !

وعلق شيخ زميت وقور على كلمتها، مستنكرا:

ــ مسكينة !! برقبتها سكينة ؟

وقالت بنت صغيرة تخاطب اباها :

ــ دخيلك يابابا ، من شان الله ، لنأخذه معنا الى البيت ، لألعب به .

وزجرها الاب :

ــ امشي يابنتي ، دعيني من وجع الراس .

واقترح رجل أن يؤخذ الطفل الى مخفر الشرطة لارساله الى ملجأ اللقطاء ، وضم حمود الطفل ، متمسكا به ، كأنه كنز خصه الله به ، فلا يريد أن يتخلى عنه . وقال آخر :

ــ دعوه . من يدري لعل امه تأتي لأخذه . ولكن .. ها هوذا شرطي قد اقبل والحمد لله .

وانحرفت الاحداق الى شرطي يهرول قادما ، وبينما كان يشق الحلقة الملتئمة على حمود والطفل ، متطلعا ، زاجرا ، فتوسع له طريقه ، هتفت امرأة مشيرة باصبعها الى الطفل :

ــ انظروا ، انظروا ، انه يضحك للملائكة .

كان فم الطفل ينفرج عن ابتسامة صغيرة ، ثم يحاكي حركة شفتين تلتقمان حلمة ثدي موهوم ، وكان جفناه مغمضين ، فلعل هذا اللغو فوقه قد اغراه بالنوم الهنيء ، فبدأ مطمئنا ، مستريحا ، غافلا حالما بالثدي الطري السخي ، يرتشف منه اللبن الطيب ، قطرة ، قطرة ، قطرة .

وساروا بحمود والطفل الى المخفر وفتل رئيس المخفر ، شاربيه الغليظين ، قبل أن يلقي سؤاله ، ونظر الى حمود ، نظرة سابرة ثاقبة ، وأجال السؤال في ذهنه ، كرة اخرى ، وقلب طرف شفته السفلى ، بحركة تجلو معنى الشك ، ثم ترك السؤال يمد عنقه ، بغمزة من عينه اليسرى ، في اتجاه الشرطي .

ــ وما ادراك ، وانت ضرير ، انها امرأة في منتصف العمر ، تلك التي سلمتك الطفل ؟

كان السؤال يدل على ذكاء متقد ، واهتزت سبلتا شاربيه ، تيها ، ثم قرتا واصغتا الى الجواب :

ــ من مشيتها ، من خطواتها ، من صوتها ياسيدي .

ــ هـاه ..

وابتسم رئيس المخفر ابتسامة مستريبة ، والقى بسؤال آخر يشف عن الفطنة وشفعه بغمزة ذات تأويل مضمر خفي ــ حسنا ، وماذا كانت ترتدي ؟

لا ادري ياسيدي ، انا ضرير لا أبصر .

ــ وكيف عرفت انه صبي ؟

ــ هي قالت لي دخيلك امسك لي ابني هذا .

وصمت رئيس المخفر ، لحظة ، ورفع رأسه الى السقف يستلهم منه سؤالا ، ثم قال :

قل لي الآن ، ما الذي اتى بك في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟

ــ سيدي كنت الى جانب جامع الورد ، انتظر صدقات المحسنين .

بيد أن التحقيق لم ينته الى نتيجة ترضي الفضول ، فلم يكن بد من اسئلة اخرى .

ــ اسمك ؟

ــ حمود حلاوة

ــ عمرك ؟

لا ادري ، يمكن عشرون سنة .

ــ هل انت من دمشق ؟

ــ لا ، ياسيدي من جوبر .

ــ وماذا جئت تعمل في دمشق ؟

كان السؤال ، بارتفاعه الملحوظ خطيرا ذا

دلالة ، وحسرت ابتسامة صفيرة عن أسنان ، استعارت بعض الالق من ناب ذهبية وتمثت بصفرتها على الفة دائمة مع السيجارة .

وكان الطفل الوليد ، مايزال سادرا في اغفاءته غافلا عما يجرى حوله ، وكان يشغل حيزا صغيرا من منضدة خشبية ، توزعت فوقها ملفات وأوراق ومنفضة سجاير وحاملة أقلام ، وآلة هاتف سوداء ، جاثمة ، ذات حبل طويل ، كأنها هرة سوداء ، لافة ذيلها ، مقعية . ولعل يدا خفية ارادت أن تنحي السؤال الاخير ، امدا قصيرا ، فجذبت ذيل آلة الهاتف ، لتموء في رنين متصل ، وأمسك رئيس المخفر بالسماعة :

ـ الو ، نعم ، مرحبا ، ماذا ؟ لا ، لااستطيع القدوم ، انا مشغول بقضية مهمة ، مع السلامة .

ووضع السماعة واطرق مفكرا ، وفتح الطفل الوليد عينيه ، فقد أيقظه رنين الهاتف المزعج من سباته . كانت عيناه نقطتين سوداوين ، يجول فيها ماء ، يوشك أن يسيل دمعا ، فالمعدة خاوية والجوع كافر ، وخرج صوته في البدء ضئيلا ، نحيلا ، ثم ارتفع مطالبا بثدي أمه . وكان سؤال رئيس المخفر ـ بعد سكوت رنين الهاتف ـ قد انكفأ مطلا ، ماثلا ، كأن صداه يأبى أن يغادر الغرفة ، ولكن بكاء الطفل صدّ السؤال ، من جديد ، واقصاه الى امد . وكان حمود يتنحنح ، يمنة ويسرة ، وعكازته تحفر ، بنقرات خفيفة مكانها ، حائرة مضطربة .

وانساقت الانظار الى الطفل الباكي ، وبدا بكاؤه نغمة ناشزة ، في أعقاب الاسئلة التى ترادفت على شفتي رئيس المخفر ، لعله كان صرخة استياء من رنين الهاتف الذى زمجر هنيهة . بيد ان رئيس المخفر كان يريد ان ينحو بالتحقيق الى اتجاه مثير ، وغرق سؤاله الاخير ، فترة قصيرة في لجة البكاء ، وخيل الى حمود أن في ميسوره التهرب منه ، ولكن الطفل أمسك قليلا عن البكاء ، فهبط السؤال مرة أخرى ، ونشر جناحيه في جو الغرفة ، مدوّما ، مرفوفا :

ـ اى نعم ، قل ، ماذا جئت تعمل في دمشق ؟

ـ جئت لأزور أختى ، انها تشتغل خادمة .

وأخرج رئيس المخفر علبة سجاير ـ انه منذ أمد بعيد ترك عادة لف التبغ ، وحين تحنّ أنامله اللبقة الى اللف فانها ترتفع الى شاربيه فتفتلهما بأسلوب مقارب ـ وتناول سيجارة واشعلها .

ـ لماذا لم تعد الى جوبر ، بعد ذلك ؟

ـ لأن الرزق هنا أحسن ، ياسيدى .

واشتفّ رئيس المخفر سيجارته ، كأنما كان يستصفي روحها ليخلطها بروحه ، ثم نفث من منخريه الدخان ، وأراح سيجارته على طرف فمه ، وخرج الدخان ، سحابتين ، التأمتا وتعانقتا وتلوّتا ، حلقة تلتهم حلقة .

وتقلصت قسمات وجه حمود ، فقد أمسكت حلقات الدخان بخلاصيمه وترنحت عكازته وكادت تهوى أرضا . وحنت السيجارة رأسها الى أسفل ، وجعل طرف السيجارة الملتهب يضفر خيوط جذوة حمراء ، فانعقد الدخان كثيفا متماسكا . واستنشق الطفل هواءً بغيضا مرئدا مشحونا بالدخان ، فاطلق صرخة نائحة وهزّ الشرطي رأسه أسفا ، وانحنى على الطفل فهدهده ، في هيئة ، وقد جاذبه شعور زاخر بالرأفة ، وضؤل صوت الطفل حتى تراخى الى أنة خافتة ، وهمّت ذبابة أن تحط على وجهه ، فذادها الشرطي بيده وغمغم : (مسكين) ، وانساب من شفتي رئيس المخفر سؤال ممزوج بمرارة عقب السيجارة :

ـ هل سلمتك الامرأة شيئا آخر ، نقودا مثلا ؟

ـ لا ياسيدى ولكني وجدت خمس ليرات فضية ضمن القماط وأبقيتها في مكانها .

ـ خمس ليرات فقط ؟

ـ أجل ياسيدى .

ـ خمس ليرات ؟ لأى شيء تكفي خمس ليرات ؟

ـ لا أدرى ياسيدى ، هذا ما وجدته .

ورفع رئيس المخفر صوته مهددا :

ـ اسمع ، اذا لم تذكر الحقيقة ، فانني سأكسر هذه الهراوة على قدميك ، أترى هذه الهراوة ؟

وأجاب حمود بصوت مرتجف :

ـ لا ياسيدى ، انا أعمى مسكين .

ـ هراوة ضخمة أثخن من رجل الكرسي ، وسألحق بها عكازتك التى بين يديك فاكسرها على رأسك .

وأجفلت العكازة ، واقتربت من صدر حمود ، ملتجئة اليه ، كبنت صغيرة تتمسك بذيل أمها خائفة .

ـ والله العظيم ياسيدى ، لم يكن في القماط سوى خمس ليرات فقط .

وتقدم رئيس المخفر من الطفل ، يريد ان يتحقق من ذلك ، كانت نار السيجاره قد اقتربت من فمه ، فقد تضاءل عودها وتبقى عقبها ، ملتهبا ، يهدد الشفتين بجمرته الصغيرة . واخرج رئيس المخفر علبة السجاير ، وسلّ منها سيجارة رشقها على فمه ، واطبقت سبابته وابهامه على العقب الاحمر الذاوي ، وقرّباه من سيجارته المترنحة على شفتيه ، ليهب لها منه قبسا ، كحمامة ، تزق بمنقارها الاحمر فرخها الصغير المتطاول اليها بمنقاره الغض .

واغمض رئيس المخفر عينه اليسرى المغلفة بالدخان ، وفتح اليمنى لتحدق الى الطفل ، فيما كان يحلّ قماطه بيديه المرتبكتين ، فوجد الليرات الخمس جاثمة ، وحدث نفسه (بهذا الراسمال الصغير سوف يشق طريقه في الحياة) ثم حلّ لفة اخرى من القماط ، هاهو ذا مصحف صغير ، لعله وضع ، ثمة ، ليحفظ الطفل من اى اذى وتصفحه رئيس المخفر ، وقرا آية منه ، ثم نزع السيجارة من فمه وادنى المصحف من شفتيه وقبّله خاشعا ، ومس به جبينه ، وفتح درجا ووضعه فيه ورصف الليرات الخمس الى جانبه ، وأعاد السيجارة الى فمه ، لتمد رأسها الملتهب المتطلع وجعل ينزع قماط الطفل ، كما ينزع عن ثمرة موزة قشرتها الرقيقة ، فالفى نفاضه مبتلا ذا رائحة خفيفة ، ومسح رئيس المخفر راحته الملوثة بورقة وهو يهز رأسه متمتما : (لاحول ولا قوة الا بالله) .

ولعبت يدا الطفل ورجلاه في الفضاء وهو عريان ، مستلق على قماطه ، وبدا كسلحفاة ، قلبت على ظهرها فجعلت تمد اطرافها من قفصها وتجهد ، عبثا ، ان تنكفىء على بطنها ، وردد رئيس المخفر :

ـ أجل ، انه صبي . مسكين !

وشعر الطفل ، بعد ان حلّ قماطه انه طليق محرر من اي قيد يضايقه ، وبرعمت على شفتيه ضحكة هنيئة ورفع قدميه العاريتين ، ملوحا بهما ، غير آبه للعيون المتطلعة اليه ، تحدجه بنظرات حدب ورأفة ، وبدا له ان يصوب الى هدف مجهول نافورة ماء ، انطلقت من بين ساقيه الصغيرتين ، نحيلة ، مختصرة ، سريعة ، غسلت آلة الهاتف ، وأصاب رذاذها الملفات الرسمية ، وصرخ الشرطي :

ـ يخرب بيتك ما اشطنك !

وعقب رئيس المخفر :

ـ ابن حرام من القماط .

ولم يرد الطفل على الاهانة الا بحرف يعرف ان يلهج به : (غ . غ . غ) جعل يمطه ، يتذوقه ، يزلقه من شفتيه الحمراوين ، كقطرة ندى صافية طاهرة ، تتحدر من فوف وردة .
واعاد الشرطي لف الطفل بعناية ، ومسح بخرقة ، آلة الهاتف والدفتر المبتل ، مبتسما ، ثم جلس ، وجعل يسارق رئيس المخفر ، بنظرة صابرة ، مغلفة بسحب الدخان ، منتظرا ان يملي عليه صيغة المحضر ليكتب بخط منسق :

« بالخدمة ، وفي الساعة الثامنة صباحا ، احضر الى المخفر المدعو حمود حلاوة من جوبر ، ومعه طفل في الشهر الثالث من عمره تقريبا ، وجرى ضبط الافادات وفق الاصول كما يلي » .

وسجل الشرطي افادة حمود ، وتلتها افادته وانهاها بذكر الموجودات : مصحف صغير وخمس ليرات .

ووقع رئيس المخفر واضاف : حفظت الاوراق ضد مجهولة الى ان تظهر ادلة جديدة .

ووقع الشرطي ، وامسك بابهام حمود (ماذا يريدون من اصبعي يارب) وضغطه على شيء مبتل ثم ادناه من صفحة الضبط ، وكبسه عليها فخلفت بصمته ، بقعة زرقاء ، تراءت في مضطرب الصفحة، بحيرة مموجة زرقاء ، تتعرج فوقها الكلمات والحروف ، كانها جداول تريد ان تنصب فيها .

وسنحت لرئيس المخفر فكرة ، لم تشر اليها التعليمات ، ولكنها تفتقت عن فطنته وبعد نظره ، فاخرج يد الطفل من القماط وامسك بابهام الطفل الصغير ، كان ابهاما طريا غضا ، وبكى الطفل ثائرا ، محتجا ، جائعا . وغمس رئيس المخفر الابهام الصغير بالحبر ، وادنى منه صفحة الضبط ، وضغطه ، الى جانب بقعة بصمة حمود ، فخلف بقعة مدورة زرقاء صغيرة ، تدور في فلك البقعة الكبيرة .

كانت هذه البقعة الصغيرة اول توقيع مبكر للطفل في السجلات الرسمية . ■■

دمشق　　　بديع حقي

العربي

العدد [illegible]
ربيع الثاني ١٣٨٨
يوليو
(تموز) ١٩٦٨

اطلب
العربي الصغير
مع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الفن الشعبي
في
غوطة دمشق

الثمن

ويت	١١٠ فلوس
خليج العربي	٢ روبية
سعودية	٢ ريال
مان	٥ر٣ شلن
راق	١٢٠ فلسا
نان	١٠٠ قرش
ردن	١٠٠ فلس
سورية	١٠٠ قرش
ع.م.	١٠ قروش
سودان	١٠ قروش
يا	١٥ قرشا
س	٢٠٠ مليم
جزائر	٢٠٠ مليم
رب	٣ درهم



من فوق مئذنة أحد جوامع مدينة كراتشي فى باكستان ، وقف المؤذن يدعو الى الصلاة ..

(أنظر باكستان والاسلام ص ١٤٠) .

عزيزى القارئ

● لا ادرى هل لاحظت التغيير الذى احدثناه فى صفحة رقم ٢ منذ شهر مايو ، او لم تفعل ..

لقد كنا درجنا من نحو سنة على أن ننشر فى الصفحة رقم ٢ صورا من عمل الفنانين العالميين ، ذات اربعة الوان ، نلحقها بصفحة فى داخل العدد بكلمة موجزة عن الفنان الذى رسم هذ الصورة . وكان لهذا صدى واسع طيب بين القراء .

ثم بدا لنا ان نغير ، فالشيء الحسن اذا هو طال يخشى معه أن يصاب الناس فيه بالملل .

لهذا عملنا على أن ننشر في الصفحة رقم ٢ صورة لبلد من بلاد العالم غير البلاد العربية ، والحقناها بكلمة موجزة عن تلك البلاد التى تاتينا منها هذه الصورة .

وقد بدات تاتينا من آخوة لكم من القراء الرسائل التى تقول انهم يجدون في هذه الصور الجديدة ، وما نلحقه بها ، متعة .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

لغة وآداب :

عروبة :

استطلاعات صحفية مصورة :

اسلاميات :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم نفس :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 116 July 1968 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● فتاتان سوريتان بالملابس الوطنية جاءتا الى غوطة دمشق .. وتحت شمسها الدافئة ، وفوق ارضها الخضراء ، انطلقتا كالفراشات ترقصان على انغام موسيقى فرقة الفنون الشعبية .. الفن والطبيعة في أجمل صورهما.

(اقرأ الاستطلاع عن الغوطة ابتداء من ص ٧٦) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس.مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .





أصحاب المواهب .. لا الالقاب

● تلبية لدعوتكم للوقوف على آراء القراء في مجلتهم الحبيبة « العربي » ، اقدم لكم رأيي المتواضع الصريح ، رائدي في ذلك كمال «العربي» ورفعة شأنه . وموجز هذا الرأي ، انني اقترح الاخذ بيد الناشئين من أصحاب الاقلام الغضة في وطننا الكبير ، فبين هؤلاء العديد من اصحاب المواهب الذين يكتبون ويدفعون بانتاجهم اليكم ، ويعيشون وفي صدورهم امل كبير .. ان يأتي هذا اليوم الذي يرى فيه انتاجهم النور .. ارجو ان يكون « الكيف » ، هو اساس اختيار المواد التي تنشر في العربي ، بغض النظر عن اي اعتبار آخر .. مثل الشهادة التي يحملها صاحب المقال ، وهل هو صاحب اسم كبير لامع أم لا . فليست العبرة بالشهادة ولا بالاسم .. وفي رأيي ان العربي بوصفها المجلة العربية الاولى في وطننا الكبير ، مسئولة مسئولية تاريخية عن مصير المواهب الضائعة للشباب الناهض .

احمد جبر علي ـ عمان/الاردن

العربي : الظاهر أن صاحب هذا الخطاب لا يتابع قراءة العربي ، ولهذا لا يدري أن ما ينصح به هو أول ما اتبعناه في كل ما ينشر بالعربي . ومن أجل عدم حرصنا على أسماء الكاتبين ومنازلهم في مجتمعاتهم أخرجنا فهرس المقالات خلوا من أسماء الكاتبين تنبيها الى ان يعنى القراء بما يكتب لا بمن يكتب .

يبحثون عن أخ لهم في ليبيا

● في استطلاع البيضاء بالمملكة الليبية ، نشر « العربي » صورة لشيخ وقور ، هو الشيخ حسين عجيل الزليتني أثناء قيامه بتحفيظ القرآن لبعض تلميذات مدرسة حفظ القرآن . ولما كنا نحن آل العجيل بمدينة جبله في محافظة اللاذقية بسوريا قد افترق عنا أخ لنا ، منذ ما يقرب من خمسين عاما . فنرجو التكرم بموافاتنا بعنوان هذا الشيخ ، حتى نتمكن من مراسلته ، فلعله يكون شقيقنا الذي نبحث عنه منذ سنوات وسنوات.



يحيى ديب العجيل

شارع فيصل ـ جبله ـ سوريا

العربي : نحن ننشر الخطاب الذي ورد لنا وننشر صورة الشيخ حسين عجيل الزليتني ، فلعله يقرأ هذا النداء . فنحن لا نعرف الا أنه مدرس في مدرسة حفظ القرآن بالبيضاء .

خطأ وأخطاء

● اثناء تطوافي في صفحات المجلة عثرت على بضع ملاحظات وغلطات مطبعية ، واني ارجو من ذكرها الفائدة :

١ ــ ورد في الصفحة (٣٥) من العدد (١١٢) مطلع الآية القرآنية (ما يكون نجوى) وتصويبها (ما يكون من نجوى) وهي الآية السابعة من سورة المجادلة .

٢ ــ ورد في حاشية الصفحة (١٤١) من العدد نفسه عزو الآية الكريمة (واتخذ قوم موسى) الى سورة (الاعراب) بالباء ، وتصويبها (سورة الاعراف) بالفاء .

٣ ــ ورد في الصفحة (٧٥) من العدد نفسه ذكر الصحابي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ (ابى مخدورة) بالخاء والدال بعد الميم في سبعة مواضع وهو خطأ ، وصوابه (ابى محذورة) بالحاء والذال بعد الميم ، كما في القاموس المحيط وشرحه تاج العروس والاصابة في تمييز الصحابة ، والاستيعاب في أسماء الاصحاب ، وغيرها من كتب اللغة والرجال .

كامل القصار ــ دمشق

العربي : ليست هذه كل الأخطاء ، فقد عددنا منها العشرات ، وخطابكم يجب أن يوجه الى المصححين الذين قاموا بتصحيح هذا العدد ، والعربي لا يحمل مسئوليتهم .

الرسوم العلمية

● لقد نشرتم في « العربي » كل شيء تقريبا عن الاسماك وارجو نشر المزيد من الرسوم التوضيحية في مثل هذه المناسبة مثل الرسوم المنفصلة للأجهزة الداخلية ــ كذلك ارجو ان تنشروا في كل عدد من اعداد العربي بشيء آخر كما فعلتم في عدد ابريل مثل (الضفادع ــ الطيور ــ الحيوانات المستأنسة) او من علوم النبات مثلا .

اسماعيل هنداوى محمد ــ القاهرة

في سبيل موسوعة علمية

● حُرمنا في عدد ابريل من الموسوعة العلمية : كما لاحظت ان الموضوعات الادبية بدات تطغى على الموضوعات العلمية ، وانا لا ادعو الى الغاء الموضوعات الادبية ، ولكنني ارجو الاكثار من الموضوعات العلمية ، لان بلادنا في حاجة الى العلم والعلماء .

ولنتذكر دائما ان النهضة الادبية لا تجيء الا نتيجة للنهضة العلمية .

عبد الجبار الحاج ابراهيم
كلية العلوم ــ جامعة الموصل

العربي : عادت الموسوعة الى مكانها في العربي.

● ● خطاب مفتوح للجامعة العربية ● ●

● كانت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية قد اختارت واتفقت على ترجمة وطبع السفر الجليل « قصة الحضارة » لمؤلفه ويل ديورانت ، وكان المرحوم الاستاذ محمد بدران قد أسهم في ترجمة أكبر قسط من هذه المجموعة القيمة . ثم توقفت عن الاصدار عند العدد (٢١) وهو نهاية المجلد الخامس .

وكان المرحوم بدران قد نوه في العدد (١٧) من تلك السلسلة الممتعة بأن هذا السفر الرائع سيصدر عام ١٩٦٢ حسب وعد المؤلف نفسه وعلى هذا فان المجلدين السادس والسابع اذاً قد صدرا واصبحا في الأسواق ، فهل لى أن اعلم لماذا توقفت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية عن متابعة نشر هذا الكتاب القيم وهل يصعب عليها ان تجد المترجم الكفء للقيام بهذا العبء ؟؟؟ ثم هل يجوز ان تبقى هذه السلسلة الذهبية مبتورة بالنسبة للقارىء العربي .

عبد الرحمن الزهراوى ــ حمص/سورية

العربي : الاستاذ محمد بدران توفي منذ عدة سنوات ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد كان مترجما من خيرة المترجمين وأصدقهم وأكثرهم نشاطا وعملا وانتجم ، وبموته انقطعت السلسلة .

حديثُ الشهر

الفَنّ والفَنّانون بَيْنَ العَبْقَريّة وَالجُنون

■ الفن يشمل الشعر ، والأدب ، والغناء والموسيقى ، والرسم بالزيت وبغير الزيت ، والتصوير والنحت ، وضروبا أخرى أدق وارق واخفى .

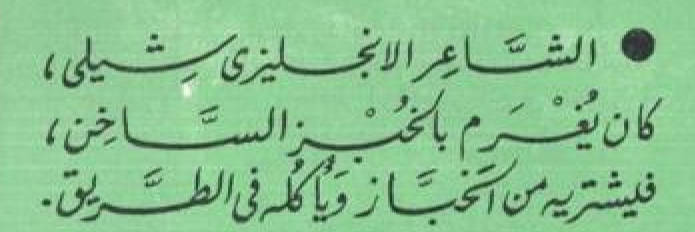
وأصحاب هذه الشئون يعرفون بالفنانين .

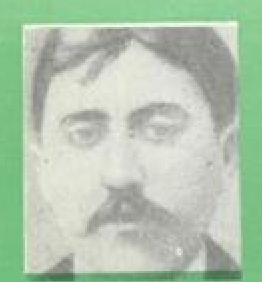
ومن الغريب أن الفن اتصل من قديم الزمان بالجنون .

والفنان اذا فاق ، سموه عبقريا . والعبقرية قالوا ان لها حظا من الجنون .

والذكاء الخارق عند الناس عبقرية خارقة فجنون خارق . ذلك ان العقل والجنون يسكنان الخط المتقوس الذى هو محيط الدائرة ، فهما اذا اشتدا وامتدا التقيا من وراء على قوس ذلك المحيط .

ودستوفسكى Dostoevsky ، الكاتب الروسي الشهير ، كان مصابا بالشنج ،


● الشاعر الانجليزى شيلى، كان يغرم بالخبز الساخن، فيشتريه من الخباز ويأكله فى الطريق.


● والكاتب الفرنسي بروست، كان ينام فى فراشه بكامل ثيابه، ثياب الشارع، حتى الكوفية كانت حول رقبته والقفاز فى يديه.

بقلم رئيس التحرير

يصيبه من حين لحين . وكتب قصته « قوم مساكين » ، وكانت بشارة لمجده المنتظر ، وصادف ظهورها مع ظهور الشنج فيه .

وتابعه هذا المرض ، وتابع انتاجه . وتابع دستوفسكى في نفسه المرض والانتاج معا ، فكان المريض النفسانى ، والعالم النفسانى في آن .

ونتشه Nietzsche ، الفيلسوف الالمانى ، لم يتهيا له الاطلاع على مؤلفات دستوفسكى الا في وقت متأخر من حياته (عام ١٨٨٧) ، ولما درسه قال عنه ان اكتشافه اياه كان احدى هبات الحظ السعيد، وأن ما وجد به كان خير ما يجد الدارس من مادة نفسية ثمينة .

وشارلس لامب Charles lamb ، الكاتب الانجليزى المعروف ، اصيب في شبابه بمسة من جنون، واصيبت اخته .

وفي ازمة من تلك الأزمات قامت فطعنت امها بخنجر في قلبها . ورأى شارلس بعد ذلك أن يكتب كتابه الشهير « في سلامة عقل العبقرية الصادقة » .

وزولا Zola ، القصاص الفرنسي الشهير ، حدث انه ، بسبب شيوع تلك العلاقة ما بين الابداع الفني والعبقرية المجنونة في الانسان ، رضي بأن يفحصه ١٥ طبيبا نفسانيا ، وذلك خدمة للعلم والمعرفة . وفحصوه وخرجوا بالنتيجة وهي تقول : أن عبقريته تستقي جذورها من عناصر عصابية مَرَضية موجودة في مزاجه النفسي .

ومن الشائع عند دارسي الفنون أن الشقاء ، شقاء الفنان ، كثيرا ما كان سبب ابداعه . والشقاء ، من فقر أو حب أو ظلم ، انما هي أزمات نفسية متلاحقة .

وحافظ ابراهيم كان في الجيش في السودان جنديا مضطرب الحال مضطهدا .

وفي السودان هو جاء بأحسن شعره . وجاءه الرفه فخبت عبقريته درجات كثارا .

الفنان رجلان
رجل حياة ، ورجل فن
في رجل واحد

وهناك رأى اعتنقه الكثير من الدارسين .

ذلك أن الفنان هو ، في حياته العادية

دستوفسكي

● القصّاص الروسي (١٨٢١ – ١٨٨١) ، بلغ بالادب الروسي عهده الذهبي في القرن الماضي ، يشاركه في ذلك الكونت تولستوى . ورفعه الى مصاف كبار القصاص العالميين قصصه التالية : الجريمة والعقاب ، العبيط The Idiot ، والممسوس Possessed والاخوة كرامازوف .

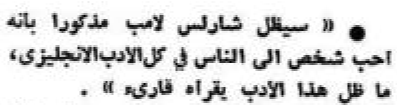
وفي اعقاب الثورات الأوروبية في عام ١٨٤٨ ، قبض عليه هو ورفاق له بانهم ثائرون على حكم القيصر . وصدر الحكم عليهم بالاعدام . وبينا هم امام المشانق ، وقد انتظموا صفا واحدا ليتقدموا للموت بعد دقائق ، والجمهور حاشد ، أعلن العفو عنهم ، واستبدل الموت بالنفي الى سيبريا حيث نفي صاحبنا ٩ سنوات . وذهبت هذه المفاجأة بصواب بعض رفاقه ، وزادت من حدة الشنج الذى كان اصابه هو .

ونرى اثر ذلك فيما ابتدع من اشخاص في قصصه ، فمنهم الممسوس ، ومنهم المختل ، ومنهم المعذّب نفسه . وزعم ان دستوفسكي نصب نفسه للدفاع عن الفقراء والبؤساء ، وضحايا الظلم ليستعيدوا كرامة الانسان التى ضاعت ، فقد كان مسيحيا صادقا ، وكان محافظا ، وتولى في آخر أيامه تحرير مجلة محافظة .



شارلس لامب واخته ماري

(١٧٧٥ - ١٨٣٤ م)



● « سيظل شارلس لامب مذكورا بانه احب شخص الى الناس في كل الادب الانجليزي، ما ظل هذا الادب يقراه قارىء » .

وُلد شارلس في القلب من لندن ، في بناية تتضمن الكثير من مساكن المحامين ومكاتبهم . وكان ابوه كاتب محام . ووصفه ابنه بانه كان من اشد الناس ثقة عند الناس وانمهم امانة . وارسله ابوه في سن السابعة الى مدرسة ابتدائية . فيها التقى بصبي فقير آخر ظل صديقه طول حياته ، فذلك هو الشاعر كولردج Coleridge ، وفي سنه السابعة عشرة اشتغل شارلس لامب كاتبا في مكتب محاسبة ، وفيه بقي الى ان تقاعد بعد ٣٣ عاما . وعند بلوغه الحادية والعشرين أصيبت اخته ماري بالجنون ، وكان وراثيا في العائلة. وقتلت امها ، وأرسلت الى دار المجانين .وعاد اليها صوابها مؤقتا ، فأُطلق سراحها بعد ان تعهد اخوها ان يتعهدها طول الحياة .وضحى شارلس بكل شيء في سبيل اخته . كانت ادبية تعاونه في كتاباته وتاليفه . وكان منزله من اشهى صالونات لندن ، يجتمع اليهما فيه صفوة الادباء والشعراء ، وكل من يريد ان يستمتع ببهجة جُلاسه . ولكن كان المرض يعاود اخته من حين لحين ، فياخذ بيدها ، وتاخذ بيده ، ويسيران معا الى دار المجانين ، في حزن شديد ووجوم وكانما يسيران في جنازة .

واشهر ما كتب لامب انما هى مقالاته . لم يستهدف فيها هدفا ، وكان يختارها جزافا . وكان منها الخفيف التافه ، ولكن بمسة قلمه كان يخرج منها الجميل الضاحك . ومن اجلب مقالاته للضحك مقالته « اطروحة في شواء لحم الخنزير » ومن اجلبها للشفقة والاسى والرثاء مقالته « اطفال احلام » .

كسائر الرجال ، حتى اذا جاءه الالهام وقعد للشعر او الموسيقى او الرسم او النحت ، تبدت له صفات ليست بسائر الرجال .

ان الفنان ، في فنه ، غير الفنان في الشارع ، وفي السوق ، وبين ولده واهله .

وليس ادل على ذلك من ان تقرأ شعرا يهزك ، او صورة تستهويك ، وتحاول منها ان تتصور الفنان كيف هو ، وما شكله ، وما خلقته ، وما هويته . فان انت لقيته فما اكثر البعد بين ما رأيت وما خمّنت .

ان الفنان له صفات سائر الرجال ، وهو ماض يعمل كما تعمل الأحياء في الحياة، فاذا جلس الى الفن المبدع فعندئذ تعلو وتطفو من اعماق نفسه كفايات من خيال ، ومن ابداع ، ومن تقدير وتقنين، لا عهد لأهله بها . اهله يعرفون منه صفاته على الوعي ، اما المستخفية

المستصرخة في الاعماق فالذى يعرفها المرسم للرسام ، او ركن المكتب الهادى للشاعر، او جلسة عند ماء ، فوق عشب، وتحت ظلال من اوراق خضر ، وزهر وثمر . او لعلها في الليل الدامس حيث لا نور الا نور النجوم في الصحراء البعيدة الخلاء . انه مكان الالهام ، وكدت اقول الوحي ، ولم افعل .

وكثيرا ما ينفض الفنان ريشته او قلمه من عمله . وتمضي الايام او حتى السنون . ويعود يرى ويتأمل ، او يعود يقرأ ، فيتهاله ما يرى او يسمع او يقرأ . اهذا من عمل يده ؟ وتكاد نفسه ان تجيب : لا . ويعود فيقول : لا والله ، ما كنت في هذا وحدي . كان هناك ايحاء ، وكان موح . والعرب تقول كان شيطان . ولست اذكر الشاعر العربى الذى قال في شاعر آخر ، يضعه دونه : شيطانته انثى ، وشيطاني ذكر .

اميل زولا

(١٨٤٠ – ١٩٠٢ م)

● انه القصاص الفرنسي ، امه فرنسية ، وابوه ايطالي يوناني . ولد في باريس . ونشا في فقر متصل ، يتنقل من شغلة الى شغلة . ثم بدا يكتب . ولم يشع اسمه الا بطيئا ، وبعد سنوات طويلة عجاف ، ثم اثرى .

على انه كان له في حياته معركتان كبيرتان ، احداهما الدفاع عن خطته في القصة ، وانها واقعية تصف حالة الناس كما هم ، وانها دراسات قد تقسو على نفس القارىء احيانا ، ولكن لا بد منها للاصلاح . ونجح آخر الأمر في هذه المعركة .

نوادر تحكى عن الفنانين

ولقد قرات كثيرا من نوادر تحكى عن الفنانين ، ويقراها الناس بغبطة، لا سيما ان كان بها شذوذ عن المألوف . وهي عندهم انها شذوذ الفن . وان العبقرية هكذا تكون .

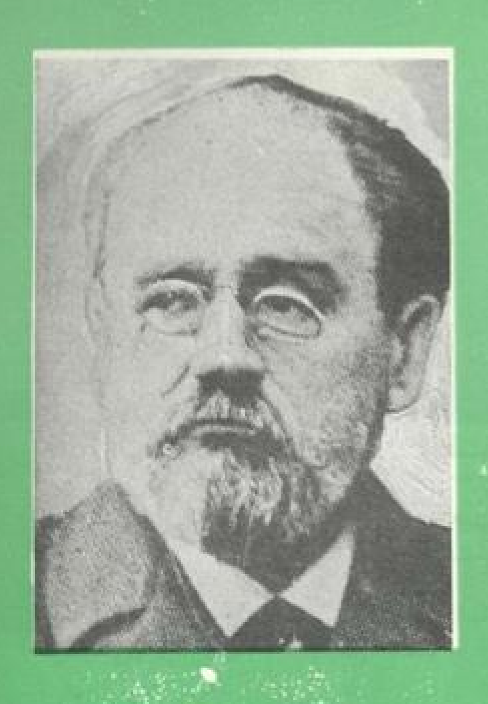
ولكني، بعد ان قسمت الرجل الفنان، او شئت المراة الفنانة ، الى شخصين ، شخص عادى يمارس الحياة كما يمارسها الناس ، وشخص تأتيه نفحات العبقرية عندما يجلس الى فنه ، بعد هذا اقول ان هذه النوادر انما تتصل بالفنان الذى يمارس الحياة مراس الناس ، لا الفنان وهو مكب على فنه ، وفي فمه اثداء عبقرية يرتوى منها .

ان هذه النوادر التي تحكى عن الفنانين ، تحكى العشرات من امثالها على غير الفنانين ، لو ان احدا دار بين الناس وتنسم اخبارهم . وهذا امر صعب ، لا يصل اليه علم المستعلم الا عفوا . فالفنان له تاريخ معروف يؤرخه الناس في حياته ، ومن بعد مماته ، فأحداث حياته مقصودة مدروسة ، اما سائر الناس فأحداث حياتهم مهدورة ، تحيا ، ولكن في حظيرة من الأسرة والأهل والأصدقاء ، الا اذا سارت بها لأمر ما احاديث الركبان .

ولنضرب مثلا لما نسمع من هذه النوادر عن الفنانين ، وعن الكتاب والشعراء والقصاصين خاصة .

تولستوى

تولستوى Tolstoy ، الكونت تولستوى



اما المعركة الثانية فكانت معركة دريفوس Dreyfus وكان هذا الرجل اتهم بانه باع للالمان اسرارا عسكرية ، وحوكم ونفى من جراء ذلك الى جزيرة الشيطان . وانقسم الجمهور الفرنسي،فمن قائل ان الحكم خاطئ، ومن قائل انه صحيح . وتحدى زولا هذا الحكم . ونشر مقالته الشهيرة التيعنوانها « انا اتهم » ، وحوكم . وانتهى الامر ببراءته وبراءة دريفوس .

والصفة الغالبة على قصص زولا انها كانت دائما تهدف الى ان الناس ، البؤساء منهم والفقراء والمجرمين ، انما هم ضحايا البيئة والوراثة معا ، وانهم مجبورون لا مخيرون الا قليلا . والذى اخذ على رواياته انها ، مع قوتها ، ودقة وصفها ، وسرعة جريان الاحداث فيها ، لم تمثل واقع فرنسا تماما في ذلك الزمان .

(١٨٢٨ ـ ١٩١٠) ، اشهر كتاب الروس في القرن الماضي ، وكاشف فقرهم ، والمدافع عن فلاحهم ، والناطق بلسان جماهيرهم ، والنازل عن ثروته ، وعن طبقته ، الى مستوى الفقراء ، يعمل بيده كما يعملون . ويأكل مما يأكلون ، والمسجل لكل آرائه واحاسيسه في قصصه الخالدة التى منها « الحرب والسلم » ، ومنها « آنا كارنينين » ، هذا الرجل كان شقيا في اسرته ، لانها لم ترض اراءه . وكان اكثرهم خصومة له زوجته . وضاق بهم آخر الامر ، فخرج ليلا من بيته متسللا ، على غير هدى ، وحيدا الا من ابنته الكسندرا ، وذلك في ٢٨ اكتوبر ١٩١٠ ، وساءت صحته . وفي نوفمبر ١٩١٠ كان راقدا موسدا في حجرة ناظر المحطه ، محطة صغيرة اسمها استابو فو ، يشكو الاعياء . وفي الثامن من نوفمبر ، اى بعد عشرة ايام من تركه بيته ، اسلم روحه الى الله .

ويحكى عنه ، فيما يحكى ، انه كان يكتب ذكرياته كل يوم ، ويدون فيها آراءه من غير خفاء . وكانت تفعل زوجته وترك كلاهما هذه الذكريات ميسورة لكل عين تقرا ، وقرا لها ، وقرات له . وقيل ان هذا كان سبب النفار الطويل والخصام الذى لم يكن يهدا حتى يثور .

فان صح هذا ، فليحمد الازواج الله ان جعل راى الزوج في زوجته ، وراى الزوجة في زوجها ، في حصن من العظام حصين ، تلك الجمجمة التى بها من الاسرار ، ما لو تكشف لاشعل في كثير



تولستوى

الارستقراطى الديمقراطى الكاتب الذى بلغ بالأدب الروسي عصره الذهبي في القرن الماضي

من الدور ، لا كلها ، نارا من خصومة لا تهدأ ابدا .

وهمنجواى

وارنست همنجواى Ernest Hemingway (١٨٩٩ – ١٩٦١) ، الكاتب القصاص الأمريكى ، الذى كتب العديد من القصص ، وزار الكثير من الأمم ، وحضر الحرب الأهلية الاسبانية التى وقعت بين الفاشية والشيوعية ، وشارك فيها الكاتب بانتمائه الى عصبة فدائية ومهدت له فكتب أحسن قصصه واسمها « لمن تدق الأجراس » For Whom the bell tolls ، ثم حاز من أجل كل هذا جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٤ ، ارنست همنجواى هذا :

كان به شذوذ في اعتدال فيما يختص بملابسه . كان يكره شراء الملابس الجديدة . وكان لا يلبس من تحت ملابسه الخارجة ملابس داخلة ، من قميص ونحوه ، وكان يتجنب اللباس الرسمى فلا يلبسه مهما كانت المناسبة . وسرواله (بنطلونه) كان يرفعه عند وسطه ويشده بحزام قديم كان قبل ذلك بعض هندام عسكرى لجندى ألمانى .

وكان فوق ذلك يكره استعمال التلفون ويخشاه .

وكان لا يكتب في يوم أحد قط .

وكان يحمل في جيبه تعويذة تقيه الشر .

وهو مات في اليوم الثانى من الشهر السابع من عام ١٩٦١ . وكان سبب وفاته ايضا غير عادى . مات من رصاصة انطلقت من يده هو ، فأصابت صدره .

هل انطلقت الرصاصة عفوا .

ام هو اطلقها انتحارا .

لا يدرى أحد .

ولعل الخير فى ان لا يدري أحد .

نسينا ان نقول انه لم يتزوج ولم تكن له أسرة .

وسومرست موم

وسومرست موم Somerset Maugham ، الكاتب الانجليزى (١٨٧٤ ــ ١٩٦٥) ، القصاص وكاتب المسرح ، وكاتب القصة القصيرة . وقد افردنا له مقالا فى « العربى » بمناسبة وفاته (اقرأ « العربى » عدد فبراير ١٩٦٦) .

فمن نوادره انه كان لا يسافر الا ويحمل معه حقيبة يد ملأى بالنقد الورقى ، وسبب ذلك انه في عام ١٩٤٠ كان في فرنسا ، واجتاح الالمان فرنسا بسرعة خارقة اضطر معها سومرست ان يغادرها ، وليس عليه الا ملابسه العادية وبها محفظة ليس بها من النقود غير القليل . واخذ عهدا على نفسه عند ذاك أن يتخذ دائما احتياطه لهذه المفاجآت .

ومن شعراء الانجليز

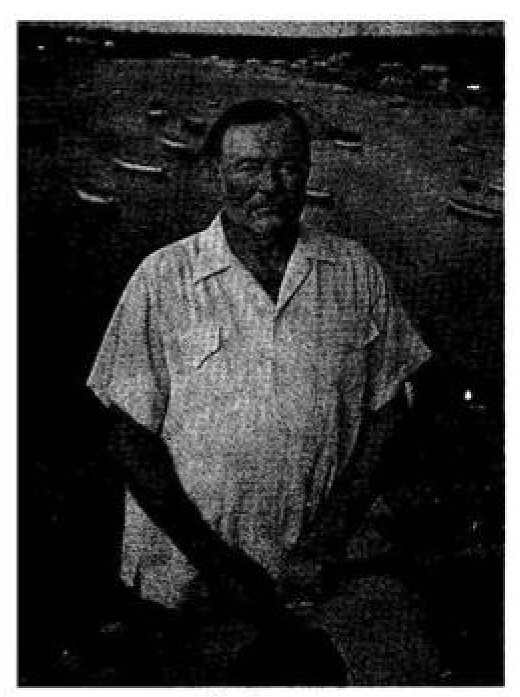
أمثا بيرون Byron فكان يخشى السمن . وكان يدعى الولائم ، ويذهب، ثم يعكر صفو ربة البيت بأن لا يأكل غير بسكوتة واحدة ومعها كوب من ماء الصودا .

ووردزورث Wordsworth وزوجته كانا لا يشتهيان طعاماً . ولهذا ألفيا الجلوس الى المائدة،وكانا يأكلان ما تيسر واقفين في الكرّار .

وشلي Shelley كان يُغرَم بالخبز الخارج من الفرن أغراما . ويذهب الى دكان الخبز ويشترى منه الرغيف الساخن ويأكله في الشارع بلا ادام .

بروست

وبروست Proust (١٨٧١ ــ ١٩٢٢)



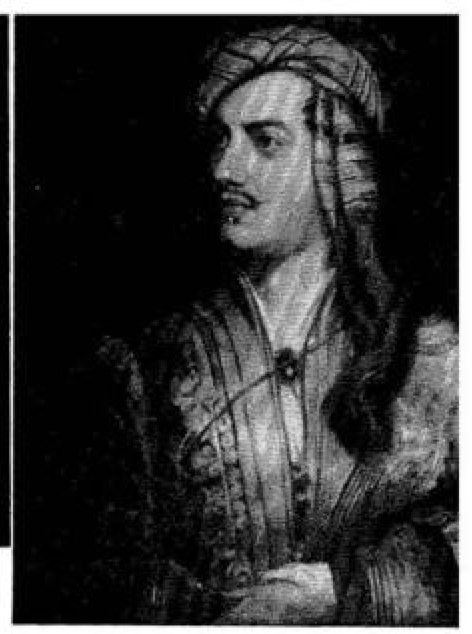
همنجواى

الكاتب الامريكى . كان لا يلبس تحت ثيابه الخارجة ثيابا داخلة

موم

الكاتب الانجليزى . كان لايسافر الا ويحمل معه حقيبة يد ملأى بالنقد الورقى .





الشاعر بيرون

كان يُدعى للوليمة فيكتفي ببسكوتة وكوب ماء

الشاعر وردز ورث

كان لا يشتهي الطعام ، فلا يجلس الى مائدة . ويأكل هو وزوجته ما تيسّر وهما واقفان في الكرار

الكاتب الفرنسي الشهير ، اشتهر بسترته الصوفية . فقد كان يلبسها في كل مكان وكل زمان ، وفي البيت وخارج البيت . وكان لهذا سبب . كانت دورته الدموية سيئة ، فكان لا بد ان يدفأ .

ولكن الذي يذكر ، وقد لا ينكر ، انه كثيراً ما نام في فراشه بملابسه التي يلقى بها الناس في الشارع كاملة ، وعلى رقبته كوفية ، وفي يديه قفاز .

رجل عاقل .

لا بد أن يدفأ .

وآخرون

ان النوادر كثيرة .

والفنانون كثيرون .

وفيما أوردنا الكفاية للتمثيل ، وقصرناه على أهل الاقلام .

ثم نعيد القول بأن هذه النوادر ، بل هذا الشذوذ يعزوه الناس الى عبقرية الفن ، فالى جنونه . ويرتاحون لذلك . وما هو من الفن وعبقريته في شيء ، ذلك ان هذا الشذوذ شركة بين اهل الفن وغير أهله . وهو ان صدر عن الفنان ، فانما يصدر شيمةً من شيم الرجل العادي فيه ، لا الرجل الآخر الذي ينتسب الى عبقر ، وتتقمصه العبقرية ساعة يهبط عليه الفن بأوهامه والهامه .

●●

الدكتور أحمد زكي



حركات ضمير الغائب «الهاء»..

■ جاءتنا الكلمة الموجزة الآتية من الأستاذ عبد الهادي الفضلي مدرس اللغة العربية بكلية الفقه بالنجف الأشرف يقول:

لضمير الغائب المفرد المذكر المتصل (الهاء) في الاستعمال العام حركتان: ـ

الأولى: بناؤه على الضم اذا وقع بعد ضمة كقولنا: (هذا كتابه) .. أو بعد فتحة مثل: (قرأت كتابه) أو بعد واو، نحو: (هذا أبوه) .. أو بعد ألف، كقولك: (رأيت أباه).

الثانية: بناؤه على الكسر اذا وقع بعد كسرة مثل: (نظرت الى صورته) .. أو بعد ياء ساكنة نحو: (مررت بأبيه) و (نظرت اليه).

هذا ما نستعمله الآن في النحو التطبيقي.

وهناك استعمال آخر خاص، نرجع اليه في دراسة النصوص القديمة وهو استعمال الضمير المذكور مضموما، مطلقا (في جميع الأحوال).

ومن شواهده: قراءة « حفص » قوله تعالى: (بما عاهد عليه الله)، وقراءة « حمزة » قوله تعالى: (لأهله امكثوا)

ونسب هذا الاستعمال الأخير لأهل الحجاز، ونسب الاستعمال الأول للعرب غيرهم.

وقرب بعض المحدثين أن تكون كسرة الهاء اللهجة الغالبة في استعمال الحضر بسبب طبيعة الحياة الناعمة الوادعة، وضمها اللهجة الغالبة في استعمال البدو استجابة لما تفرضه طبيعة الخشونة والجفاء.

وجمع بين هذين الاستعمالين استقرار اللغة العربية في مرحلة نضجها، واستقرار قواعدها ومصطلحاتها بعد ذلك.

عبد الهادي الفضلي

وهذه كلمة من الاستاذ عبد الستار فراج في نفس الموضوع تزيده ايضاحا:

ونحن اذ نشكر للأستاذ الفضلي ما قدمه ونبه اليه، نفصل أمر الضمير ونصحح ما يقال فيه:

١ ـ « قال له صاحبه وهو يحاوره » ضمير الغائب قبله فتحة أو ضمة وبعده متحرك، يضم الضمير وتشبع حركته الى أن تقارب الواو.

٢ ـ « يضل به كثيرا » .. الضمير قبله كسرة

وبعده متحرك ، يكسر الضمير وتشبع حركته الى ان تقارب الياء .

٣ ـ « قوله الحق » . « وله الملك » . « أن آتاه الله الملك » . « تذروه الرياح » . الضمير قبله ضمة او فتحة أو ساكن غير الياء ، وبعده ساكن ، يضم الضمير ولا تشبع حركته .

٤ ـ « الذى أنزل على عبده الكتاب » . « واليه المصير » . « ويأتيه الموت من كل مكان » الضمير قبله كسرة او ياء ساكنة ، وبعده ساكن. يكسر الضمير ولا تشبع حركته .

٥ ـ « منه آيات محكمات » . « اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . » . « خذوه فغلوه » الضمير قبله ساكن صحيح أو قبله الف أو واو وبعده متحرك ، يضم الضمير ، والاغلب أن لا تشبع حركته ، اما ابن كثير من القراء السبعة فانه يشبع الضمة الى أن تقارب الواو .

٦ ـ « فيه هدى للمتقين » . « لولا نزل عليه آية »قبل الضمير ياء ساكنة وبعده حركة ، يكسر الضمير،والاغلبان لا تشبعحركته،اما ابن كثير فانه يشبع الكسرة الى أن تقارب الياء ، ووافقه حفص من رواة عاصم فى اشباع الكسرة فى قوله تعالى « ويخلد فيه مهانا » . انظر رقم ٩ .

٧ ـ « فقاللاهله امكثوا » فيسورة طه « قال لأهله امكثوا » فى سورة القصص ، القراءة الغالبة هي كسر الهاء ، وحمزة من القراء السبعة ضم الهاء ـ ويلاحظ ان الضمير قبله كسرة وبعده ساكن وبعد الساكن ضمة . وفى قوله تعالى « يأتيكم به انظر كيف » فى سورة الانعام ، فالاصبهاني عن اصحاب ورش عن ورش عن نافع احد القراء السبعة ضم الهمزة ، وتلاحظ ايضا انه كسابقه فيه ضمة بعد الساكن التالي للهاء .

ويبدو ان اللهجة التي جرت عليها قراءة حمزة وطريق الاصبهاني كانت حركة الصوت فيها متاثرة بالضمة التالية للسكون . والساكن حاجز غير حصين ، كما يقول النحويون .

٨ ـ « ومن أوفى بما عاهد عليه الله » القراء يكسرون الهاء الا حفصا روايةعن عاصم احد القراء السبعة فانه ضم الهاء . ويلاحظ أن التالي للضمير هو « الله » وتفخيم هذا اللفظ ناسب تحريك الهاء بالضم لتنسجم مع التفخيم ، اما الذين يكسرون فلا يفخمون هنا لفظ « الله » .

٩ ـ « وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره » هذا الضمير قبله ياء ، وبعده كسرة بعدها سكون والقراء العشرة يكسرون الهاء الا حفصا من رواة عاصم فانه ضم الهاء .

ويلاحظ انه توجد ميسرات لهذه الحركةالمغايرة تجعلها لا تفقد انسجامها مع ما قبلها وما بعدها وهي حركة وساكن . وحركة ومد وحركة ومد ، ثم تلا الضمير كسر فسكون ، وهذا يجعل نطقه غير قلق ولا عسير . واذا نظرنا الى المثالين فى رقم ٦ « فيه هدى للمتقين » . « لولا نزل عليه آية » لا نجد احدا من القراء حرك الهاء بالضمة ولو حاولنا ذلك لوجدناه قلقا عسيرا .

وقد قالوا ان لهجة الحجازيين فيها تحريك الضمير المكسور الى الضم فيما سبق (٩،٨،٧).

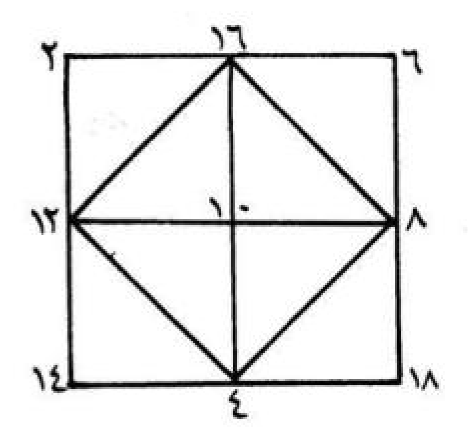
١٠ ـ بعض القراء أيضا سكن الضمير الذى قبله حركة وبعده حركة ، ولا شك ان هذا بسند متصل عن رسول الله وتؤيده بعض اللهجات العربية الفصيحة التي تسكن الوسط اذا كثرت الحركات ، من ذلك رواية حفص عن عاصم « قالوا أرْجِهِ وأخاه » « اذهب بكتابى هذا فألقِهْ اليهم » وممن سكن بعض هذه الضمائر من القراء السبعة ابو عمرو وحمزة . وبعض القراء يختلس الحركة اختلاسا ، وهذا التسكين او الاختلاس فى مواضع عدتها عشرون لفظا منالقرآن.

ومن الامثلة التي ذكرناها ، ومن قولهم ان الحجازيين هم الذين حركوا بعض الضمائر المكسورة الى الضم يبطل قول بعض المحدثين ان كسرة الهاء اللهجة الغالبة فى استعمال الحضر وان الضمة هي اللهجة الغالبة فى استعمال البدو . ذلك ان الحجازيين وفيهم قريش هم اهل الحضر فى تلك العهود .

كما ان تحويل حركة الكسرة فى الضمير الى الضمة ليس على اطلاقه وانما هو فى بعض الحالات للحظ لطيف ومبررات . ■■

عبد الستار فراج

نتيجة مسابقة العدد ١١٤



مسابقة سهلة ..

واجابات قليلة !

■ بالرغم من أن مسابقة العدد ١١٤ كانت سهلة الحل ، الا ان عدد المشتركين فيها لم يصل الى نصف الرقم الذى تعود ان يشترك في مسابقات العربي السابقة .. والى جانب هذا الكلام ننشر الحل الصحيح للمسابقة .

الفائزون

وقد اجرينا القرعة بين الاجابات الصحيحة، ففاز الآتية أسماؤهم بالجوائز التى بلغ مجموعها مائة دينار كويتى :

❋ **الجائزة الاولى** ، وقيمتها ثلاثون دينارا ، فاز بها : هانى طلعت مصطفى ـ ٣٢ شارع الفريد ليان ـ رشدى ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م .

❋ **الجائزة الثانية** ، وقيمتها عشرون دينارا ، فاز بها : محمد عبد البارى العريقى ـ صنعاء ـ اليمن ـ شركة اهازيج واغاريد .

❋ **الجائزة الثالثة** ، وقيمتها عشرة دنانير ، فازت بها : لولوة صالح محمد المنصور ـ الكويت /منطقة الشامية .

❋ **٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :**

١ ـ عبد المحسن على الدوسرى ـ ادارة التعليم بالمنطقة الشرقية ـ الدمام ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ محى الدين قاسم محمد خليل ـ ص.ب ٩٩ عطبرة ـ جمهورية السودان .

٣ ـ خالد عبد الخالق أحمد ـ ٢٦٨ شارع الاردن ـ الشيخ عثمان ـ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

٤ ـ اعجاز غفار ـ طالب لغة عربية ـ مراد اباد ـ امروها ـ الهند .

٥ ـ فاطمة زعرب ـ شارع لبس ـ بيروت ـ لبنان .

٦ ـ صادق شاكر ـ الصباغ ـ الكوفة ـ الجمهورية العراقية .

٧ ـ يسرى غبرا ـ وزارة الصناعة ـ دمشق ـ الجمهورية السورية .

٨ ـ أسعد صادق الخورى ـ فندق الاردن ـ عمان : المملكة الاردنية الهاشمية

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد . ■■





ديكارت

نحو ثقافة عربية معاصرة

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

■ فكرة تؤرقني كلما اصبحت او امسيت ، واحسبها مؤرقة لكثيرين غيرى ، ممن يعنيهم ان تكون لنا ــ فى عصرنا هذا بكل خصائصه ــ ثقافة عربية لاتخطئها عين ولا اذن ، ام هل يكون هذا السعي وراء تفرد متميز ، سعيا وراء اوهام واشباح ، فى عصر من خصائصه ان تقال الكلمة هنا ، فتدور حول الارض في مثل اللمحة بالبصر ؟

ماهي الصفة او الصفات الرئيسية ، التي عنها تتفرع صفات ، اذا ما وقعت عليها عين الرائي فى صورة او تمثال ، او استمعت اليها اذن فى قصيدة او قصة ، قال الرائي من فوره ــ أو السامع ــ هذا فن عربى وهذا ادب عربى ، أنشيء في النصف الثاني من القرن العشرين ؟ أم ترى ليس لسؤال كهذا من جواب ؟

الثقافة الفرنسية

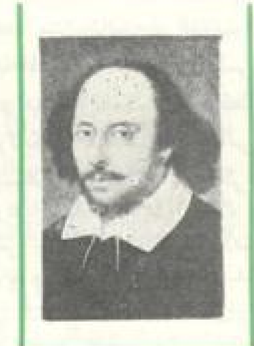
اما ان الثقافة الاقليمية قد كانت لها الخصائص المميزة فى العصور السابقة ، فذلك ما لست اظنه موضع خلاف ، فقد كان معلوما ، ومتفقا عليه ، أن الفرنسيين ، ــ مثلا ــ يتميزون فى فكرهم بالوضوح الرياضي ، الذى يضع لنفسه المقدمات اليقينية ليستنبط منها نتائج يقينية كذلك ، كما استن لهم امامهم ديكارت ، وانهم من اجل هذه الرغبة فى كمال الدقة ــ او دقة الكمال ــ بذلوا عناية ملحوظة فى الصقل الشكلي كلما انتجوا ادبا وفنا ، حتى لو جاء هذا الشكل المصقول على حساب المضمون نفسه ، فالمسرحية عند راسين اوكورنى ، هى ــ كالنسق الفلسفى عند ديكارت ــ بناء محكم ، متصلة حلقاته في غير زائدة هنا أو ناقصة هناك ، بل ان العارفين بالحياة الفرنسية فيما مضى ليقولون كذلك ، ان نظم الحكم واساليب الادارة ، كانت عندهم بهذه الدقة نفسها ــ او قل بهذه الآلية نفسها ــ التى عرفوا

● جاءت حياة العربي في لغته، أكثر مما جاءت في أشياء بيئته.

● تراثنا الفكري يؤهلنا لنكون أمة الاعتدال في الفكر والعمل.

المنفلوطي





شكسبير

بها في مجالات الفكر والادب والفن ، فلم يكن ثمة فرق – من حيث الجوهر – بين النسق الديكارتي ، والمسرحية الكلاسية، وبيروقراطية الادارة في دواوين الحكم

الثقافة الانجليزية

وكان معلوما – ومتفقا عليه – ان الانجليز – وهذا مثل آخر – يتميزون في فكرهم بالتقريبية او الاحتمالية التي تتناسب مع ادراكات الحواس ، وهي الادراكات التي يعولون عليها ، فلم تكن المسالة عندهم مسالة اتقان في الشكل نضمن به يقين المقدمات والنتائج ، مهما بعد هذا الشكل عن لحم الحياة ودمها ،

ابن المقفع



بل المسالة عندهم كانت اولا وآخيرا ، ادراكا حسيا للحقائق ، يكفى أن يشترك فيه الناس ليكون معتمداً ومقبولا ، ولا غرابة ان تشيع بين الانجليز ، في حياتهم اليومية وفي حياتهم العلمية على حد سواء ، عبارة Common Sense التي تترجم حرفيا بقولنا « حس مشترك » ، اى اشتراك الناس في ادراك معين بالحواس ، وما دام هذا موقفهم من الفكر ، فقد كان حتما كذلك ان يكون هو نفسه موقفهم من الفن او الادب ، فالمسرحية عند شكسبير لا تلتمس كمالها عن طريق البناء المحكم ، بقدر ما تلتمسه في فوران التيار وجيشانه ، فلا باس من زائدة هنا او ناقصة هناك ، ما دام العرق ينبض بالحياة من اول سطر في المسرحية الى آخر سطر ، وهل تلتزم

الحياة احكاما فى بناء كائناتها ؟ هل تتحرج الحياة من ان تمتد فروع الشجرة طويلة هنا قصيرة هناك ، غنية باورقاها فى الجانب الايمن ، فقيرة بها فى الجانب الايسر ؟ لكن الشجرة مع هذه الحرية كلها فى طريقة نمائها ، هي الشجرة الحية فى وحدتها وكيانها .

الثقافة الامريكية

وكان معلوما – متفقا عليه – ان الامريكيين – وهذا مثل ثالث – قد بنوا فكرهم على قاعدة المنفعة ، فالفكرة تقاس بنفعها ، فهى صواب اذا نفعت وهى خطأ اذا لم تنفع ، ولايكفي عندهم ان يقاس صواب الفكرة بسلامة استدلالها من فكرة غيرها ، والا دارت الطاحونة على خلاء ، وامحلت الارض وسكنت العجلات وجاعت البطون ، وانك لتجد لهذا المبدأ انعكاسات شتي فى السياسة والتربية والادب والفن ، فليس للسياسة عندهم غايات في ذاتها تدوم دوام الابد ، بل ان وقفاتها لتدور مع المنفعة المرجوة وجودا وعدما، وليس للتربية مواد يتحتم درسها في المعاهد مهما تكن الظروف، بل التربية اعداد للفرد يعينه على النجاح في المصانع والاسواق، والادب عندهم ملىء بأمثلة تدل على ان مدار القيمة هو على النجاح ، وعلى ان هذا النجاح يقاس بمقدار الكسب ومن سدت امامه موارد الكسب اضطربت نفسه الى حد الموت فى كثير من الاحيان.

وقفة عند الثقافة العربية القديمة

وان الحديث ليطول بنا اذا تعقبنا الثقافات الاقليمية كيف كانت تتنوع بخصائص تميز احداها عن سائرها ، لكنه لابد لنا من وقفة عند الثقافة العربية القديمة ، لنسأل عن خصائصها البارزة المميزة ، تمهيدا لانتقالنا بعد ذلك الى الحديث عن الثقافة العربية المعاصرة ماذا نريد لها ان تكون . واحسبني لا اضل طريقي الى الصواب ضلالا بعيدا ، اذا زعمت ان المقدمة الاولى التي استطيع ان استخرج منها الخصائص الفرعية للثقافة العربية القديمة هي التعارض الحاد بين الذات والموضوع ، فلا سبيل عند العربى الى خلطه بين ذات نفسه من جهة ، والاشياء في عالم الواقع من جهة اخرى ، فهو هنا فى ناحية وهي هناك فى ناحية اخرى ، وعليه بعد ذلك ان يحدد علاقته لها : ايجعلها علاقة الزاهد فيها التارك لها ، ام يجعلها علاقة الغالب المنتصر المسيطر ؟ انه لايدع نفسه تسرى فى الاشياء ، ولا يدع الاشياء تسرى فى نفسه ، انه بالنسبة اليها في عزلة ووحدة ، ولكنه – وهذه هي النقطة الهامة الخطيرة التي اجازف فاقذف بها قذفا – ولكنه يستعيض عن « الاشياء » « بالفاظ » ، ومن ثم جاءت حياة العربي في « لغته » اكثر مما جاءت في اشياء بيئية ، ومن هنا ايضا كان للغة العربية ما كان لها من سيطرة عليه ومن جذب له، فكم الف بحثا اداره العربي حول لغته ؟ وكم جعل العربي لغته منظارا ينظر خلاله الى ما اراد النظر اليه ؟ اذا اراد تقويم قطعة ادبية فذلك انما يكون بالنظر فى الفاظها وتركيب تلك الالفاظ قبل ان يكون بالبحث عن المضمون وما يستتر فيه من اضواء وظلال . اني لاذكر فى شيء من الغموض قول اديب عربى حديث – لعله مصطفى لطفي المنفلوطي – حين قال انه يفضل ان يقرأ وصفا جميلا لبستان، على أن يشهد البستان نفسه ، وسواء قالها المنفلوطي ، أو قالها سواه ، أو لم يقلها احد ، ففي هذه العبارة صدق يكاد يجعل منها مفتاحا لخصائص الثقافة العربية كما كانت طوال العصور – والكلام هنا بالتعميم والاجمال ، لا بالتفصيل والتحديد .

اننا لنزداد لذلك فهما ووضوح رؤية، اذا وضعنا نصب اذهاننا هذه الحقيقة الاتية، وهي ان هنالك في حياة الانسان عالمين يعيش في احدهما او في كليهما بنسب متفاوتة : عالم الطبيعة من جهة ، وعالم الرموز (وخصوصا رموز اللغة) التي يبتكرها الانسان ليشير بها الى الطبيعة واشيائها وكائناتها ، فهناك الشجرة التي هي نبات، وهنالك الى جنبها «الشجرة» التي هي كلمة تكتب او تقال، فمن مجموع الاشياء يتكون عالم ، ومن مجموعة الالفاظ والرموز يتكون عالم آخر ، وقد تجد من الناس من يؤثر الخوض في العالم الاول ، وقد تجد منهم من يؤثر السكنى في العالم الثاني ، الاولون يعالجون الاشياء ذاتها بالرؤية واللمس والتشكيل ، والاخرون يكتفون من الاشياء برموزها ، فيكتبون ويستنبطون عبارة من عبارة ويشتقون لفظا من لفظ ، ويؤولون النصوص ويفسرون الاحاجي والمعميات، والزعم هنا هو ان المثقف العربي كان يفضل الاقامة في عالم اللغة اكثر جدا مما يطيل البقاء في عالم الاشياء .

ابن المقفع يصف العرب

اقرأ معي حديث الليلة السادسة في كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، وهي امسية كان الحديث فيها عن خصائص الامم ، وكان المتحدث هو ابن المقفع ، فاوجز الحديث عن العرب في قوله انهم « اهل بلد قفر ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكره ونظره وعقله » وهو انما قال ذلك ليدل به على ان العرب خير الامم جميعا ، فهم لاينقلون العلم عن احد ، انما يعتمدون جميعا على ومضات بصائرهم اى ان العربي لايحيا « في » الاشياء . بل يحيا « معها » ، وهو في انفصاله هذا عن الاشياء ، تراه يلحظها ويدون صفاتها كما يرصد الصانع عدته ، لا كما يؤاخي الصديق صديقه « علموا أن معاشهم من نبات الارض » ـ كما يقول ابن المقفع من السياق الذى ذكرناه ـ « فوسموا كل شيء بسمته . . . ثم علموا ان شربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الانواء . . واحتاجوا الى الانتشار في الارض ، فجعلوا نجوم السماء ادلة على اطراف الارض واقطارها فسلكوا بها البلاد » اى ان اشياء الطبيعة عند العربي ادوات تستخدم للنفع ويجتنب بها الضرر ، ولكنه يقف منها ـ قبل ذلك وبعد ذلك ـ موقف المعتزل المحايد ، الذى لايحب ولا يكره . اما الذى ينغمس فيه مرحا فرحا نشوان ، اما الذى يعاشره متغزلا متعشقا مأخوذا بجماله هيمانا بفتنته ، فهو « اللغة » يتذوق الفاظها وتراكيبها كأنه يتذوق طعاما يأكله وشرابا يشربه .

بين الفن الاسلامي وسائر فنون الامم

ان نظرة طائرة سريعة الى الفن الاسلامي ، كافية للتفرقة بين هذا الفن والفن اليوناني ـ مثلا ـ او الفن الهندى، او الفن الفرعوني القديم ، الفن الاسلامي هندسي يقيم اشكاله من خطوط وزوايا ومربعات ومثلثات ودوائر . انه لايرسم كائنات الطبيعة واشياءها لان هذه الكائنات لاتمتزج بنفسه ، ولا العربي الفنان يسعى الى مزج نفسه بها ، انه اعلان من الفنان العربي بانفصال ذاته انفصالا تاما عن الارض وكائناتها . انه احتجاج على المتناهي ولياذ باللامتناهي ، لان عين الرائي اذ هي تتابع قطعة من « الارابسك » لاتصدمها نهاية تفرض عليها الوقوف عندها بل هي تسترسل في سلسلة الاشكال الهندسية الى غير نهاية معلومة ، وكذلك قل في قصيدة الشعر عند الشاعر العربي ، لماذا يحددها « بوحدة » عضوية تحكم اولها وآخرها ؟

لماذا لايدع ابياتها ــ كوحدات التركيب الهندسي ــ تتعاقب الى غير نهايةمفروضة محددة ؟ وانه لما يزيد مسافة البعد بين المثقف العربي والاشياء، انه لم يكن ينظر الى هــذه الاشياء علـى انها مجســدة لقوانين ، ولو فعل لازدادت عنايته بها ــ لامن اجـل ذاتها ــ بـل استخراجا للقوانين الخافية وراءها .

ولهذه النقطة الاخيرة عندنا اهميتها البالغة ، لانك اذا نظرت الى اشياء الكون على انها كائنات مفردة لاتجمعها قوانين ، وقفت منها وقفتك من كثرة ، لا وقفتك من كيان موحـد ، وبالتالي احسست بدهرك وقد تحول الى لقطات وومضات ولحظـات ، وان هــذه اليقظات ــ على وقدتها وسطوعها ــ من شأنها ان تحل فكرة المصادفة المفاجئة محل القانـون الدائم ، وفكرة العفوية التلقائية محـل الخطة الطويلة المدى .

الثقـافات الاقليميـة ، هــل تبقى لها مميزاتها فى زماننا هذا الحاضر

واعود الى اسـتئناف الحديث فيما بدات به، وهو ان الثقافات الاقليمية كان لها من الخصائص ما يميزها ، واحدتها عن الاخريات ، وقد نصيب الان او نخطىء فى تشخيص الملامح الرئيسـية لكل ثقافة على حدة ، لكن المبدأ العام متفق عليه ، والسؤال الان هو :هل تبقى هذه الفوارق فى عصرنا بكل ما فيه من وسـائل النقل السريع ؟ واذا بقيـت ، فمـاذا نـريد لخصائص الثقافة العربيـة المعاصرة ان تكون ؟

اما السؤال الاول فجوابه عندى هو ان وسـائل النقل السريع فى عصرنا لن يسعها ان تنقل الا ما يمكن نقله ، فهى تنقل الافكار والاخبار ، ولكنها لن تنقل نبضة من قلب الى قلب ، واذن فستبقى الخصائص المميزة للثقافات المفردة ، مهما اتسع النطاق المشترك بينها فى حقائق العلم وفى قيم الاخلاق وفى عادات العيش وطرائق العمل والفراغ ، اننا لا نقـول بهــذا ان بين الامـم فـوارق بحكـم الفطــرة او بحكــم التكوين ، لكنهـا فـوارق تنشــأ نتيجـة لعوامل التاريخ ولكل امة تاريخها ، ولكل امة ماضيها الذى اصبح ــ او يجب ان يكون ــ جزءا من حاضرها ، فمثقفو اليوم بغير تراث ينظرون اليه ، هم حبات مفردة يعوزها الخيط الذى يسـلكها فى عقد واحــد ، وكذلك لو هبط علينا التراث بغير مثقفين يتنـاولونه تناولا خلاقا فيــه مشاركة وابداع ، يظل قشرة ولا لباب .

اى الخصائص نطلب للثقافة العربية المعاصرة

واما السـؤال الثـاني فهـو مربط الفرس،وجوابه هو ما يثير في نفوسنا القلق والحيرة : ماذا نريد لخصائص الثقافة العربية المعاصرة ان تكون ؟ والجـواب الذى القي به هنا راجيا ان يكون موضوعا للمراجعة وموضوعا للتصحيح ، هو ان نبني على اساس تقليدنا الثقافي طابعا جديدا ، يبقى على الاساس ، لكنه يضيف اليه ، فاذا كنت قد اصبت حين زعمت ان « روح » تراثنا الثقافي ، هو ايثار السـكنى فى عـالم اللفظ على معالجـة الاشياء ، والفتنة باللغة في ذاتها حتى لتصرفنا ــ او تكاد ــ عن دنيا الكائنات والحادثات التي ما جاءت اللغة الا لتكون رموزا مشيرة اليها ، فانني اود لو أننا احتفظنا بهذا الحس الجمالي نحو اللغة ، ثم اضفنا اليه حسا آخر ، يجاوز اللغة الى ما عداها ، يجاوزها الى دنيا الطبيعة

والحوادث . ان الماء السائغ الزلال لذيذ حين يطفيء الظمأ ، لكنه لو زاد على هذا الحد فقد يؤدى الى شرق او غرق ، وكذلك اللغة الجميلة الفاتنة ، يكون لها سحرها ما دمنا نقف منها عند حدود فنونها ، لكنها تنقلب الى ما يشبه المخدر اذا جعلناها حجابا يحجب عنا ما وراءها، واذن فلا بد للثقافة العربية المعاصرة ان تضيف الى اللغة الجميلة لغة « قبيحة » ـ وانا اتعمد هذه المغالاة في اللفظ لالفت النظر ـ نعم ، لابد ان تضيف ثقافتنا العربية المعاصرة الى الجانب الجميل من اللغة ، لغة شائهة قبيحة ينفر منها النظر والسمع ، فيسرع الانسان الى مجاوزتها الى دنيا الوقائع الكائنة على ارض الحوادث .

انه اذا كانت الترجمة من لغة الى لغة اخرى امرا متعذرا في جميع الحالات ، فهي لا شك اكثر تعذرا اذا اردنا ترجمة ما يكتبه مثقفونا بلغتنا العربية الجميلة ، وذلك لان هؤلاء المثقفين تفتنهم الالفاظ وجرسها ، فيقفون عندها ويطيلون الوقوف ، فينتهي بهم الامر الى غير حصيلة فكرية يمكن نقلها بالترجمة الى لغات اخرى ، فلكي تكون لنا رسالة فكرية نسهم بها في عالمنا الصخاب بمذاهبه ودعاواه ، فلا بد ان يكون لدينا ما نقوله ، اى انه لابد ان نجعل من اللغة اداة لا غاية في ذاتها ، فنضيف بذلك « فكرا » الى « ادب » .

من اللفظ الجميل الى اللفظ الدال

على ان هذه الخطوة التي اقترح ان نخطوها من اللفظ الجميل الى اللفظ الدال ، من جرس اللفظ الى مدلوله ، من تركيب الجملة الى بنية الواقع ، هذه الخطوة قد خطونا جزءا كبيرا منها في الادب الحديث حين انتقلنا من فسيفساء المقامات الى شخصيات القصة ومواقفها، ومن كتب الاخبار المنثورة الى المسرحية وحوارها ، ومن قصيدة الطبل الى قصيدة الخبرة ، اما في مجال الفكر فما زالت طاحونة اللفظ هي صاحبة الدوى الاعلى ، مع اننا نعيش في عصر مزدحم بقضايا الانسان التي تمس حقوقه وواجباته ومعاملاته واقداره ، وهي نفسها القضايا التي كنا نستطيع ان نستلهم فيها تراثنا الفكرى فيمدنا هذا التراث بزاد دسم يغنينا عن هذه الزوابع اللفظية التي نثيرها في الجو حتى تمتلىء بعثيرها الخياشيم فتفقد قدرتها على الحس والتمييز .

تراثنا الفكرى يؤهلنا لنكون امة الاعتدال في الفكر والعمل

ففي العصر الذى ذهبت فيه العصبيات اخطر مداها ، نجد من تراثنا ما يعطينا دستور المعادلة بين مختلف الاقوام والثقافات: « . . فلكل امة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساو ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال وتقصير ، وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مفاضة على جميع الخلق مفضوضة بين كلهم » (الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ص ٧٣) ، وفي العصر الذى اشتدت فيه عنصرية اللون والجنس والدين، وازداد البطش واتسع الظلم ، نجد في تراثنا الفكرى ما يضع بين ايدينا وقفة مثلى ، فيها التسامح وفيها العدل والاعتدال ، وفيها المساواة وفيها تدرج القيم من الاعلى الى الادنى ، خطة للسلوك السوى ، ولو نسجنا من هذه الخيوط نسجا ثقافيا يتناول قضايا عصرنا ، كان لنا بذلك ما يصح ان نوصف بسببه بأننا امة الاعتدال في الفكر والعمل،

امة تجمع بين العقل والدين ، بين الدنيا والآخرة ، بين الفرد والجماعة ، أمة ـ لو سار حاضرها على نهج ماضيها ـ جمعت بين ثقافة الروح وحضارة العيش ، في هذا العصر الذى كادت الثقافة والحضارة ان تفترقا الى غير تلاق ، فاما جماعة تتقلب في السيارات والثلاجات والناطحات ولكن بغير اعماق ، واما جماعة ركنت الى طمأنينة الأعماق ثم كستها بأكواخ الطين وهلاهل الثياب وشظف الرغيف.

نحن احد رجلين : ناقل فكر غربى ، او ناشر فكر قديم عربى

والسؤال نطرحه من جديد: ما سبيلنا الى ثقافة عربية معاصرة ؟ لقد قدمت من جوانب الاجابة جانبا واحدا ، وهو ضرورة الخروج من دنيا اللغة الى دنيا الأشياء ، ثم استدركت بقولى اننا قد خطونا خطوة طيبة في هذا السبيل بما غيرناه من تصورنا للأدب فيما نحاوله اليوم من قصة ومسرحية وقصيدة ، لكننا ما نزال في دنيا الفكر متخلفين ، الى الدرجة التى أستأذن القارىء في ان اقول عنها انها الدرجة الدنيا التى ليس لنا فيها فكر يوصف بانه فكر عربى معاصر ، مع ان تراثنا ـ كما قدمت ـ يمدنا بالخامة الولود التى يمكن ان نتخذ منها محورا لموقف عربى أصيل ازاء القضايا الانسانية الكبرى المطروحة على الالسنة والاقلام . ومع ذلك ترانا احد رجلين : فاما ناقل لفكر غربى ، واما ناشر لفكر عربى قديم ؛ فلا النقل في الحالة الاولى ، ولا النشر في الحالة الثانية بصنع مفكرا عربيا معاصرا ؛ لأننا في الحالة الاولى سنفقد عنصر « العربى » وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر « المعاصرة » ، والمطلوب هو ان « نستوحى » لنخلق الجديد ، سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب ، أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الاقدمين .

فاذا أوحت الينا الثقافتان بخلق ثقافي جديد ، فيه النظرة العربية وفيه الوقفة العصرية ، كان من أهم ما يميز هذا النتاج الجديد ـ فيما أرجح ـ خروجنا الى عالم الوقائع والاحداث ، بالمعايير نفسها التى كنا ننسجها لفظا ثم نكتفى منها بذلك ، فننظر الى ذلك العالم الخارجي النظرة التى تلتمس فيه القوانين المطردة التى تنظمه ، والتى على أساسها يمكن التخطيط لمسارات المستقبل تخطيطا يحقق الأهداف المأمولة ، بدل ان ننظر الى ذلك العالم النظرة التى تجعله ضاربا في تيه من المصادفات ، لا ندرى معه بماذا يجيء الغد فيفجؤنا حين يجيء .

واختصارا

واختصارا ، ان وقفة الفنان العربى التى وقفها وهو ينشيء فنه الهندسي في النوافذ والشرفات ، وعلى جدران المنازل ، ومنابر المساجد ومآذنها ، هذه الوقفة الرياضية الدقيقة المحكمة ، التى عبرت عن روح الحياد المعقول عند العرب الأولين والتى كانت هي نفسها الوقفة التى هندس بها الشاعر تفعيلاته وقوافيه ، وزخرف بها كاتب المقامة سجعه ونغماته ، هذه الوقفة التى تضع المفرد الجزئى المتناهى المحدود ، في مكان من تركيب يشمله ، بحيث يجيء التركيب كله موحيا بالمجرد الكلى اللامتناهي واللامحدود ، هذه الوقفة التى وقفها المتصوف العربى حين رأى في فردية ذاته ومجسد خبرته حقيقة الكون في تجردها وشمولها ، وفي الفرد الواحد الانسانية باسرها ، هذه الوقفة التى نراها منبثة في تراثنا من عقيدة وادب وفن وفكر ، هي التى ندعو الى ان تكون وقفتنا التى ننظر منها الى قضايا الانسان في عصرنا الراهن ، فتنتج لنا ما يجوز بحق ان يسمى بالثقافة العربية المعاصرة .

■■

زكى نجيب محمود

إرادة الحياة ..
تهزم شبح المجاعة
في الهند



■ تآمرت الطبيعة بكل جبروتها وقسوتها على ولاية بيهار الهندية .. واتلف الجفاف والعواصف الحارة ثلاثة اخماس مزروعات الولاية على مدى عامين متتاليين . واصبح شبح المجاعة الرهيب بكل ما يحمله معه من موت للانسان والحيوان يطل براسه على الولاية التي يبلغ تعداد سكانها ٥٣ مليون نسمة وتنبأت كل الاوساط في الهند وخارجها بان عدد ضحايا هذه المجاعة المنتظرة مع بداية عام ١٩٦٨ لن يقل عن ثلاثة ملايين قتيل بسبب الجوع والاوبئة التي ستنتشر في المناطق المنكوبة . كما حدث تماما في المجاعة التي تعرضت لها ولاية البنجاب الغربية في عام ١٩٤٣ .

ولكن شبح المجاعة الرهيب بعد ان امسك بمنجله ليحصد ارواح سكان ولاية بيهار وبدأ يستعد ليمارس هوايته المحببة في قتل الملايين جوعا .. اختفى من الميدان فجاة هاربا امام التعاون المنظم بين الجمعيات الخيرية الهندية وبعض الجمعيات الخيرية في مختلف انحاء العالم .. لقد تم توزيع ٢ مليون طن من الدقيق ، جزء منها تم توزيعه مجانا بواقع ١٩ رطلا شهريا لكبار السن والاطفال الذين لا عائل لهم .. اما الباقي فقد جرى عرضه للبيع باسعار رمزية زهيدة تصل الى نصف شلن للرطل .. !

وعلاوة على الدقيق قامت الجمعيات الخيرية في الهند بانشاء مطاعم مجانية في الولاية وبلغ عدد الوجبات التي تقدمها يوميا مليون وجبة .. وقامت هيئة « كير » Care الدولية بتقديم وجبة يومية لخمسة ملايين طفل وامرأة من الحوامل بثمن زهيد جدا .

وفي نفس الوقت لم تقف حكومة الهند مكتوفة الايدي .. بل قامت بتدعيم جهازها الاداري في الولاية ..واعلنت حالة الطوارىء .. وبدأت في ايجاد اعمال مؤقتة لكل الفلاحين الذين فقدوا محاصيلهم ، وقامت بتقديم سلف ومعونات نقدية لهم . ثم كونت جهازا للاشراف على اعمال الهيئات الخيرية والتنسيق بين كل هيئة واخرى ونتيجة للتعاون بين اجهزة الدولة والجمعيات الاهلية المحلية والدولية بدأ مشروع آخر جديد وهو محاولة تأمين الولاية الهندية الكبيرة من خطر المجاعات في المستقبل.وبدأت عملية مسح جيولوجي منظم لكل اراضي الولاية وصحاريها اشتركت فيها الهيئات العلمية الهندية وبعض الخبراء من الخارج . وبدأ حفر الآبار الارتوازية كما بدأ تركيب مضخات المياه عليها .. وتم اكتشاف مخزون كبير من المياه الجوفية في اراضي بيهار وقدر مخزون هذه المياه بانه يكفي لري ١٠٠ الف فدان من الاراضي الصحراوية .

ان خطر المجاعة قد كشف للهند ان هناك دائما طريقا للقضاء على الجوع وان الامكانيات موجودة دائما في باطن الارض وعلى ظهرها . ولكنها في حاجة لن يكتشفها او يبحث عنها .. ثم يقوم باستغلالها عن طريق العمل الجدي المنظم .

على كل حال كانت هذه معركة هائلة بين الانسان والطبيعة احتاجت الى نمط من الادارة والخيال والصبر واسع كثير . ونجاح الهند في مثل هذه التجربة يعد-بصرف النظر عن المجاعة وما تخوفوه منها ، نصرا في الحكم كبيرا ، فالمجاعات من شانها ان تنشر الفوضى والعمل الذى قامت به الهند انما نشر النظام والطمانينة.

■■

- الكويت تبحث عن مصادر للثروة جديدة
- متوسط دخل الفرد ٣٠٠٠ دولار سنويًا
- ٨٠ مليون دينار كويتي لدعم المجهود الحربي
- غطاء الدينار الكويتي ٨٥٪ ذهبا

بقلم : سليم زبال

دَوْلَةُ البترول .. دَوْلَةٌ

■ كيف تصرف الكويت أموالها ؟ .. من هو المسئول عن توزيع حوالي ٢٥٠ مليونا من الدنانير سنويا ؟ واين تذهب هذه الملايين ؟

اسئلة تتوارد على الخاطر عند الحديث عن هذا البلد الصغير ذي المورد الكبير .. البلد الذي يحلو للبعض اظهار أهله بشكل اسطوري وكأنهم يغترفون الذهب اغترافا من بحر لا يفنى .

ان الحقيقة صورة عكس هذه الصورة تماما ... وبعض هذه الحقيقة هو ان الكويت تتمسك بأهداب من الحرية الاقتصادية تكاد تكون مطلقة .. والحقيقة الكاملة تكمن في ان هذه الحرية الاقتصادية ليست فوضى ، وانما ترتكز على تخطيط اقتصادى وصناعى طويل

٣٢٫٤ ٪
قطاع الخدمات العامة ويشمل :
الخدمات التنظيمية ٥٫٨ ٪
الخدمات المالية والتجارية ٩٫٢ ٪
الدفاع والأمن والعدالة ١٧٫٤ ٪

٥٫١ ٪
قطاع الخدمات الاقتصادية ويشمل

٣٢٫٧ ٪
قطاع الخدمات الاجتماعية ويشمل :
الخدمات التعليمية والثقافية ١٧٫١ ٪
الخدمات الصحية ٦٫٥ ٪
الخدمات الاجتماعية ٢٫٦ ٪
الاستملاكات ٦٫٥ ٪

٢٠٫٢ ٪
قطاع خدمات المجتمع ويشمل :
الاسكان والمرافق ١١٫٤ ٪
الكهرباء والماء ٨٫٨ ٪

٩٫٦ ٪
الالتزامات الدولية

بلا ضرائب



الامد، اوجد ميزانيات محددة لكل وزارة ... واوجد نظاما للموظفين والعمال .. ومشروعات صناعية وانشائية واقتصادية يرسمها كلها هذا التخطيط المدروس ، الذى يشترك فيه رجال المال والاقتصاد ورجال التخطيط والتنظيم العاملون في خدمة هذا البلد .

ومن اهم الاجهزة التى تقوم بهـذا

التخطيط ويرتكز عليها هذا الاعداد وزارة المالية والنفط التى تقوم باعداد مشروع الميزانية العامة والتقرير الاقتصادى اللذين يحددان معالم الطريق لاثنى عشر شهرا مقبلا .

٣٩ ميزانية

واعداد هذه الميزانية ليس بالامر اليسير ... فعندما تتجمع في حجرة الوكيل المالي ٣٩ ميزانية للوزارات والادارات والهيئات الحكومية المختلفة ، تعقد لجنة الميزانية العليا اجتماعها برئاسة وزير المالية والنفط ، وتستعرض هذه الميزانيات ، للتعرف على الايرادات والمصاريف الاجمالية لكل جهة من الجهات المعنية ...

ولكنها قبل ان تتخذ قرارا بشأنها ، ترسل المشاريع الانشائية المقترحة الى مجلس التخطيط لدراستها وابداء الراى فيها .. وترسل تقديرات الرواتب والاجور الى ديوان الموظفين لمناقشتها مع الوزارة صاحبة الشان .. وتحتفظ وزارة المالية بمشاريع خاصة بالمصاريف الجارية لتتم هى دراستها ..

وما تكاد تنتهى هذه الدراسات ، وتحدد كل من وزارة المالية ومجلس الخطيط وديوان الموظفين الاحتياجات الضرورية ، حتى تظهر الميزانية الموحدة للدولة ، فتعرض على مجلس الوزراء لدراستها قبل تحويلها الى مجلس الامة لاقرارها ، كما نص على ذلك الدستور .

ميزانية تقشف

وميزانية الكويت هذا العام ، عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، كانت مثار بحث ونقاش طويلين ، في لجنة الشئون المالية والاقتصادية بمجلس الامة ، وقد عقدت ٢٤ جلسة متتالية ناقشت خلالها الوزراء ومندوبيهم في محاولة لخفض المبالغ المخصصة لوزاراتهم .. لأن ميزانية هذه السنة ميزانية تقشف ، روعيت فيها التزامات الدولة والتحديات الخارجية التى تواجه وطننا العربى الكبير .

وفي مجلس الأمة ، وقف وزير المالية السيد عبد الرحمن العتيقى ، يلقى بيان وزارته عن مشروع الميزانية العامة ويقول فيه :

« لقد هبت الكويت الى دعم المجهود الحربى العربى لمواجهة العدوان الاسرائيلى الغادر ، بالرجال والمال معا ، فأرسلت لواء كاملا من قواتها المسلحة ليقف مع سائر الجيوش العربية في ساحة القتال ، وادرجت في ميزانية عام ١٩٦٧/١٩٦٨ مبلغ ٢٥ مليون دينار كويتى لدعم المجهود الحربى للدول العربية التى اشتركت في القتال ، تم تمويلها من الاحتياطى العام ، وحولت قيمتها بالكامل الى الدول الشقيقة خلال شهر يوليو ١٩٦٧ » .

ويتابع وزير المالية حديثه الى النواب قائلا : « وفي مؤتمر القمة الرابع المنعقد في الخرطوم سارعت الكويت الى الالتزام بدفع ما قيمته ٥٥ مليون جنيه استرلينى سنويا للدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان ، وذلك الى حين ازالة آثار هذا العدوان .. وقد وافق مجلسكم على اخذ مبلغ ٥٥ مليون دينار من الاحتياطى العام ومن الاعتمادات المدرجة لهذا الغرض بالميزانية العامة للدولة لتغطية هذا الالتزام » .

الصندوق الكويتي

للتنمية الاقتصادية العربية

والى جانب دعم الكويت للمجهود الحربى والدول المتضررة من العدوان ، يقوم الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية بتقديم القروض للدول العربية لمساعدتها في تطوير استغلال ثرواتها الطبيعية ، ودعم صناعاتها الاساسية ، ومشاريعها الانشائية .. وبهذا أصبح مجموع القروض التى التزم بها الصندوق حتى ٣١/ديسمبر ١٩٦٧ قرابة ٦٨ مليونا من الدنانير .

« ... وما كان للكويت ، الذى لم يبخل بدماء بنيه الزكية ، ان يضن بالمال اللازم لنصرة الكفاح العربي ، من اجل الذود عن كيان الامة العربية ، وصون كرامتها .... »

من بيان وزير المالية والنفط امام مجلس الامة الكويتي

تخفيض الميزانية .. واهتمام بالاحتياطى

ونعود الى الميزانية العامة التى تركناها في أيدى أعضاء اللجنة المالية بمجلس الامة، لنجدهم قد انتهوا الى قرار بتخفيض الميزانية المقدمة. لقد قدمت لهم الحكومة ميزانية بلغت في مجموعها ٢٥٨ مليونا من الدنانير ، فخفضوها الى ٢٥٤ مليون دينار ، مضيفة الفرق الى الاحتياطى العام للدولة .

وهذا الاحتياطى يحظى باهتمام الدولة البالغ ، من اجل تنميته والمحافظة عليه ، وهى تتبع لتحقيق ذلك سياسة استثمارية متحفظة ، فتجدها توزع ارصدتها الفائضة بين اسواق عالمية مختلفة ، وبعملات متنوعة ، مسترشدة بذوى الاختصاص والخبرة من رجال المال والاقتصاد العالميين . فهى تراعى عند تخطيط سياستها الاستثمارية ضرورة دعم الصالح العام الاقتصادى، الكويتى والعربى،بحيث بلغت نسبة المستثمر من المال الاحتياطى في الكويت والبلاد العربية الشقيقة أكثر من ٧٠ ٪ من مجموع ذلك الاحتياطى ..

ماذا بعد البترول ؟

ويلعب النفط الدور الرئيسي في ايرادات الكويت فهو يمثل ١ر٩٢ في المائة من مجمل الميزانية الجديدة . اذ يبلغ ٢ر٢٣٨ مليون دينار سنويا . اى ان الكويت تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على البترول من حيث هو مصدر ثابت للثروة .

ومن هنا تساءل البعض : « ترى .. ماذا بعد البترول ؟ ». ومع هذا التساؤل ارتفعت الاصوات محذرة من احتمال الاستغناء بالذرة عن النفط ، لتوليد الطاقة في العالم ..

وكان لا بد اذن من دراسة سريعة للموقف ، على ضوء التحديات التى تهدد البترول في المستقبل . واستهدفت هذه الدراسة تنويع مصادر اخرى للثروة بدلا من الاعتماد على مصدر واحد ،الذى هو النفط .

واتجهت الدولة الى التصنيع ، وكان ان ولدت مدينة الشعيبة الصناعية جنوب الكويت العاصمة ، وهى تتضمن برنامجا متكاملا ، جعل من هذه المنطقة الصحراوية مدينة صناعية ، لها ميناؤها الكبير،ومحطة لتحلية مياه البحر بالتقطير فضلا عن توليد الكهرباء بقدر وفير . وقد انشىء في تلك المنطقة حتى الان مصفاة للبترول ، ومصنع للسماد الكيماوى ، وهو ملك مشترك للحكومة ولشركات صناعية كويتية مختلفة ، تسهم في تنويع دخل الكويت القومى فضلا عن تنميته .

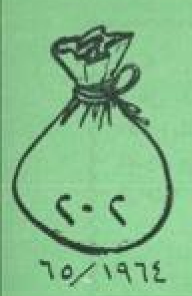
النشاط الاقتصادى المشترك

وعمدت الحكومة الى تشجيع القطاع الأهلى الخاص فاشتركت معه في تمويل مصانعه وتقوية رأسماله ، حتى بلغت حصتها ٦ر٥١ مليون دينار ، ساهمت بها في المشروعات الخاصة حتى آخر ديسمبر ١٩٦٧ .

واعطت هذه السياسة ثمارها الطيبة فبدات المصانع في الانتاج والتصدير معلنة ان النفط لم يعد السلعة الوحيدة التى تصدرها الكويت ، آملة ان يبلغ تصديرها شأوا يرفع من قيمة الصادرات غير النفطية .

اعلى مستويات الدخل

وتبعا للنمو الاقتصادى ، ارتفع الدخل القومى للبلاد ، من ٥٣١











ميزانية الكويت من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٨ وكل كيس من هذه الاكياس يحمل في داخله رقما يمثل ... ١٩٦٧ و ١٩٦٨ والعام الحالى . فنلاحظ ان ميزانية هذا العام قد انخفضت عن العام السابق ، ذلك لانه ... الحالى خصص ٥٥ مليون دينار اخذت من الاحتياطي

مليون دينار في عام ١٩٦٥ / ٦٦ الى ٥٧١ مليونا من الدنانير عام ١٩٦٦/ ١٩٦٧ فاصبح متوسط دخل الفرد الكويتي من اعلى الدخول في العالم ، اذ بلغ ثلاثة آلاف دولار سنويا .. كما تؤكد ذلك ادارة الاحصاء في مجلس التخطيط .

بلد بدون ضرائب

ان الشيء الذى يميز اقتصاد الكويت عن اقتصاد اية دولة في العالم ، هو انك عندما تربح من عملك دينارا يصبح هذا الدينار ملكا لك بأكمله ، في حين ان الذى يربح دينارا في اى بلد آخر لا يكون هـذا الدينار ملكا خالصا له .. ومن هنا تختلف الكويت عن بقية دول العالم ، في خلوها من الضرائب التي تجبى من الافراد . اذ ان الضريبة الوحيدة التى تحصلها الحكومة ، خلافا لضريبة الدخل على الشركات الاجنبية ، هى الضريبة غير المباشرة التى تستوفى على الواردات ، وهى ضريبة بسيطة اذا قيست بمثيلاتها من الدول الاخرى ، فهى لا تتجاوز ٤٪ على جميع انواع الواردات .

٨٥٪ الغطاء الذهبى للدينار

والكويت ، رغم حداثة عهدها بالنظم الاقتصادية الحديثة ، تجد نفسها اليوم في مركز مالى راسخ وازدهار اقتصادي كبير ، مضافا الى ذلك وجود عملة وطنية قوية لها هى الدينار الكويتي ، الذى اعطاه قانون النقد الكويتي قوة وضمانا ، عندما اشترط الا يقل غطاؤه الذهبى عن ٥٠٪ وعندما حدث تخفيض الجنيه الاسترليني بنسبة ١٤٫٣٪ اعتبارا من ١٨ نوفمبر/ ١٩٦٧ ، وكان الدينار يساوى جنيها استرلينيا ، قررت الكويت الابقاء على سعر التعادل الذهبى لدينارها كما هو دون تغيير . وفي نفس الوقت رفعت نسبة الغطاء الذهبى للدينار الى اكثر من ٨٥٪ وهى نسبة عالية جدا .

تشجيع الادخار

وفي محاولة الحكومة تنمية مدخرات الافراد ، وبالأخص المواطن الصغير ،

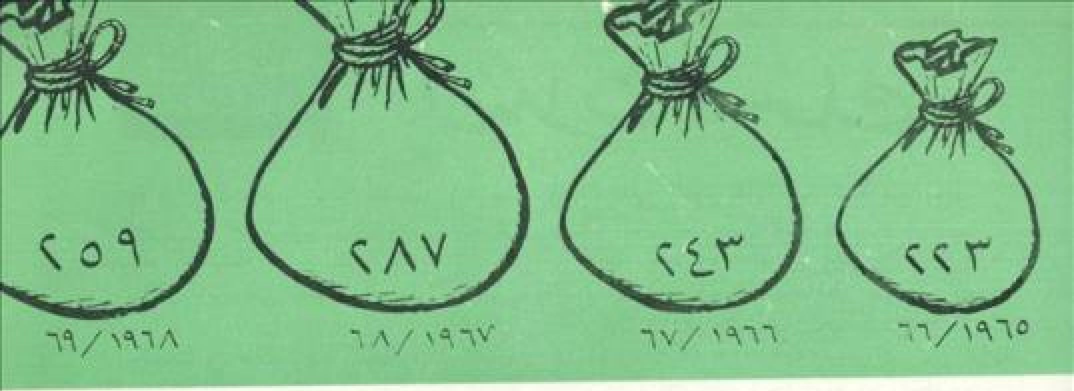
الميزانية العامة بالارقام
للسنة المالية ١٩٦٨/١٩٦٩

جملة تقديرات الايرادات : ١٤١٫٦٧٦٫٢٥٨ دينارا .

المبلغ المقتطع للانشاءات والاستملاكات : ١٨٠٫٥٨٧٫٥٧ .

المبلغ المخصص للمصروفات العادية : ١٧٨٫٤١٧٫١٩٦

المبلغ المقتطع للاحتياطي : ٤٫٦٧١٫٧٨٢



الميزانية بملايين الدنانير .. والملاحظ ان ارقام الميزانية في تصاعد مستمر ، باستثناء ما حدث في عامي كان هناك ٢٥ مليون دينار كويتي اضيفت للميزانية العامة لدعم المجهود الحربي في سنة ٦٨/٦٧ . بينما في العام العام للدولة ، ولذلك فلم تظهر في الميزانية العامة الجديدة .

وسعت صلاحيات بنك الائتمان، فجعلته بنكا للتسليف والادخار ، يتولى جمع مدخرات الراغبين من المواطنين بأن يقوم باستثمارها لصالحهم .

وتهدف هذه العملية الى تنمية النشاط الاقتصادي في البلاد .. لقد كان راسمال هذا البنك ٧،٥ مليون دينار ، رفعته الحكومة الى عشرة ملايين ثم الى ٢٠ مليونا من الدنانير . وهي بصدد زيادته الآن وقريبا .

وقد بلغت قيمة اموال القطاع الأهلي الموجودة في صناديق الادخار ببنوك الكويت ١٨٧ مليون دينار ، حسب احصائيات مجلس النقد الكويتي .

كيف تلبي الميزانية حاجة الجمهور

وتقضي ميزانية الكويت التي ذكرنا بانفاق ما يزيد مجموعه عن ١٤٦ مليون دينار تقريبا على الافراد في شكل خدمات عامة مباشرة ، في حين ان مجموع الايراد من الافراد لا يتجاوز ١٦ مليون دينار . ويتمثل الايراد من الافراد في رسوم نقل الملكية ورسوم المرور وتراخيص السلاح والبريد والبرق والهاتف ، وخدمات الكهرباء والماء، ورسوم قضائية وقنصلية .

ومن البنود الهامة في تلك الميزانية بند الاستملاكات الذي خصص له في ميزانية ١٩٦٩/١٩٦٨ مبلغ ١٧ مليون دينار ، اي بنسبة ٦،٦٪ من اجمالي تقديرات المصروفات في مشروع الميزانية .

ومن اهداف الاستملاك ، فضلا عن كون مايستملك يكون للاغراض التنظيمية، فانه عامل من عوامل اعادة توزيع الثروة في البلاد ، اذ تشتري الحكومة الارض او المبنى العتيق من المواطن، وتدفع له الثمن نقدا، وبسعر فيه كثير من الاغراء. تشجيعا له على بناء سكن صحي يتفق وسياسة النهضة الشاملة بالكويت .

ولو تتبعنا أوجه الصرف الأخرى باختصار لوجدنا أن اعتمادات المشروعات الانشائية بلغت ٤٠ مليون دينار ، اي بنسبة ١٥،٥ من اجمالي المصروفات .

اما المرتبات والأجور في الميزانية المذكورة فقد بلغت ٨٩ مليون دينار ، اي بزيادة ٢ مليون ونصف مليون دينار عن ميزانية السنة الماضية ..

ويسير التخطيط المالي في الكويت وكانه يردد القول التالي : « علينا ان نكسب المال لكي نعيش .. ولكن علينا ايضا ان ندخر المال لكي نتقدم ونزداد مقدرة في مساعدة ومساندة اخواننا العرب لتحسين أوضاعهم الاقتصادية ! »

سليم زبال

عضلات جسمك

■ في عدد شهر ابريل عام ١٩٦٨ من « العربي » جئنا على وصف الجهاز العظمي للانسان .

والآن نأتي على وصف الجهاز العضلي للانسان .

ولسنا في هذا وذلك نحاول أن نبلغ بالموضوع الغاية ، وانما هي لمحات أولية عابرة ، تعطي فكرة ولو مقتضبة ، حيث لا توجد فكرة قط .

ان الحياة حركة . والجسم الانساني قابل للحركة فالحياة .. ومن حيث وسائلُ الحركة قد جهزُ الجسمَ مُخطّطه بالعظام ، وهي أشياء كالعصيّ جوامد ، وبالعضلات التي تلبسها العظام ، فتنقبض وتنبسط ، وتحرك العظام .

فالمشي حركة . والقيام حركة . والقعود حركة . والكلام حركة . وكل عمل في مطبخ او مصنع أو مكتب حركة . ووراء كل هذه الحركات العضلات .

ووظيفة أخرى للعضلات غير تحريك العظام . تلك ربط اجزاء الجسم وضمها ، وابقاؤها في الوضع الذى وجب أن تكون فيه . فالعضلات تحمل والعضلات تلف . والعضلات تشد ، والعضلات ترخي ، وهي في شدها وارخائها تعمل على توازن الجسم الذى تشده وترخيه .

خذ راس الانسان . ما الذى يبقيه هكذا قائما ؟ انها شتى العضلات في القفا وغير القفا . وهي تقوم بذلك والانسان واعٍ صاحٍ . وانظر ما يحدث للراس اذا اغفى صاحبه . ان الراس ينكفيء الى اسفل ، والجفن المفتوح يغمض .

وخذ الرجل وهو قائم . ما الذى يسنده ؟ شتيت من العضلات ، يظل دائما يوازن هذا الجسم حتى لا يميل يسارا ، ولا يمينا . ولا امام ولا خلف . وذلك مع قيام الوعي في الانسان . فاذا زال الوعي في الانسان ، انهدم الجسم القائم على الفور فاذا هو كتلة من لحم وعظم انساحت على الارض .

ولقد حسب حاسب عدد العضلات التى نحتاج اليها لنحافظ على اتزان اجسامنا ، فوجد انها نحو من ٣٠٠ عضلة .

وجذع الانسان ، من أمام ومن خلف ، من عند صدر وبطن ، وما وراء ذلك من ظهر ، تكسوه العضلات كسوا . وبالعضلات يتغطى الهيكل العظمي .

والعضلات في جوفها هذا تحتفظ بالاحشاء ، في صدر ، وفي بطن .

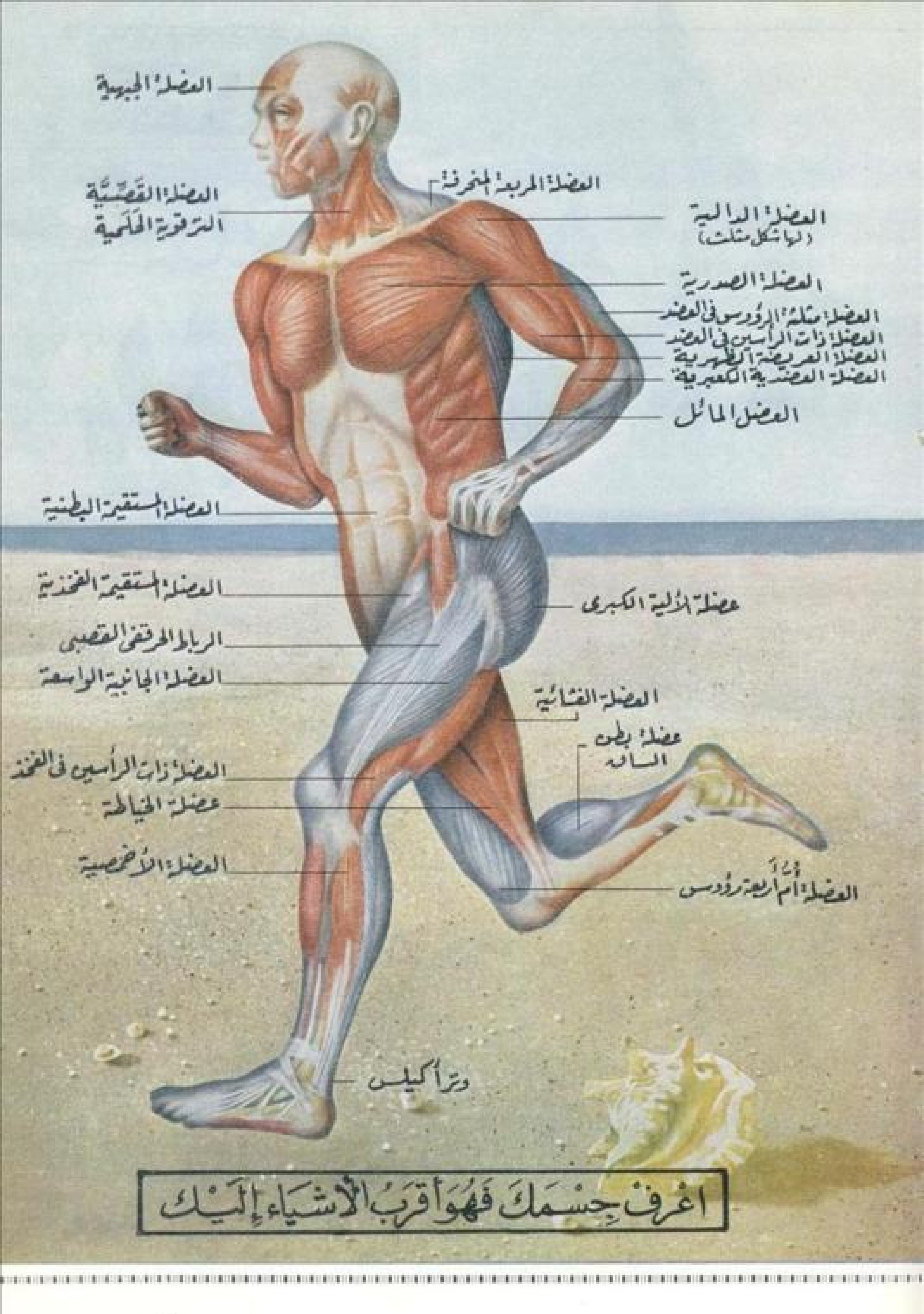
وفي الاحشاء عضل ، ولكنه لا يعتمد على عظم . فالقلب عضل ، والمعدة عضل .

ثم تلك العضلة التي تفصل بين الصدر والبطن ، تلك التى نسميها بالحجاب الحاجز . انها تنخفض مع امتلاء الرئتين بالهواء شهيقا ، ثم تتقاصر وتعلو ، عند ما يزفران بالهواء . والتنفس قائم دائم ، في النوم واليقظة . فهذه عضلة لا تستريح أبدا . وحسب حاسب كم حركة تصنع هذه العضلة في حياة رجل فخرج على انها تصنع نحواً من نصف بليون .

وكلمة في عضلات البطن خاصة . فهذه تتالف من عدة عضلات مفرطحة تلف الجسم ، متعارضة . انها تبدأ مشدودة قوية ، تضم ما داخلها من الاحشاء ضما . واكثر الفتيان واكثر الفتيات الضامر والضامرة . ثم مع السن تضعف العضلات وترتخى مع الكسل وقلة الرياضة . وفي المراة مع الحمل وعدم العناية بالعضلات بعده .

ولم نأت بالطبع في الرسم المرفق بكل العضل ، ولكن بطائفة منه ظاهرة مُجملة ، فيها نفع لا شك فيه . والنفع فيما يتبقى عندك من بعد قراءة ، ولو نسيت كل هذه الاسماء التى ذكرناها لهذه العضلات .

●●


العضلة الجبهية
العضلة القصية الترقوية الحلمية
العضلة المربعة المنحرفة
العضلة الدالية
(لها شكل مثلث)
العضلة الصدرية
العضلة مثلثة الرؤوس في العضد
العضلة ذات الرأسين في العضد
العضلة العريضة الظهرية
العضلة العضدية الكعبرية
العضل المائل
العضلة المستقيمة البطنية
العضلة المستقيمة الفخذية
عضلة الألية الكبرى
الرباط المرفقى القصبى
العضلة الجانبية الواسعة
العضلة الغشائية
عضلة بطن الساق
العضلة ذات الرأسين فى الفخذ
عضلة الخياطة
العضلة الأخمصية
العضلة أم أربعة رؤوس
وتر أكيلس
اعرف جسمك فهو أقرب الأشياء إليك



■ نعم ، انه الاسم المخوف لكل من ينزل الى ماء البحر ، في الصيف ، وفي غير الصيف ، ينعم بما ينعم به الانسان من سباحة .

انهم يحذرونك من القرش ، وهم يقصون عليك القصص الكثيرة ، بعضها الصادق ، وبعضها الزائف، بعضها الذى كان ، وبعضها الذى خيل وما كان .

والحقيقة تتبين في شيء من التفصيل .

فأولا : ليس كل ماء بحر فيه خطر القرش مائل ، والبحار بعضها احب مواطن الى سمك القرش من بعض. على أن سواحل البحار ، في كل من المناطق الاستوائية ، والمناطق المعتدلة ، يجوز عليها خطر القرش. وهى المناطق الواقعة بين خط عرض ٤٠ شمالا و ٤٠ جنوبا .

وثانيا : ينسى الناس ان القرش عدة انواع ، تجمعها صفات تجعل منها جميعا قروشا ، وتختلف في صفات تجعل منها صنوفا . وتختلف الصنوف فيكون لها اسماء . منها :

القرش الابيض	White Shark
والقرش الأزرق	Blue Shark
والقرش الدرّاس	Thresher Shark
والقرش المتشمس	Basking Shark

وهو كبير ، والقرش المعروف بكلب البحر Dog Fish وهو صغير .
وليس كل نوع منها بمفترس .

أَخْوَفُ اسمٍ لِسابحٍ فى ماء فى المناطِق الاستوائيّة والمُعْتدِلة على السّواء



وهذه الأنواع تختلف طعاما ، وتختلف لينا وقسوة .

ففي البحار التى هى مواطن القروش خاصة ، وحيث يوجد من هذه القروش ما يتخذ من لحم الانسان غذاء طيبا ، يكمن بالطبع الخطر على السابحين والسابحات من بنى الناس .

وفي مناطق السباحة ، حيث خطر القرش ، يقيمون ابراجا عالية يقبع فيها مراقبون ينظرون الى البحر دائما ، حتى اذا لمحوا سمك القرش قادما دقوا الأجراس أو نفخوا في الصفارات انذارا للسابحين .

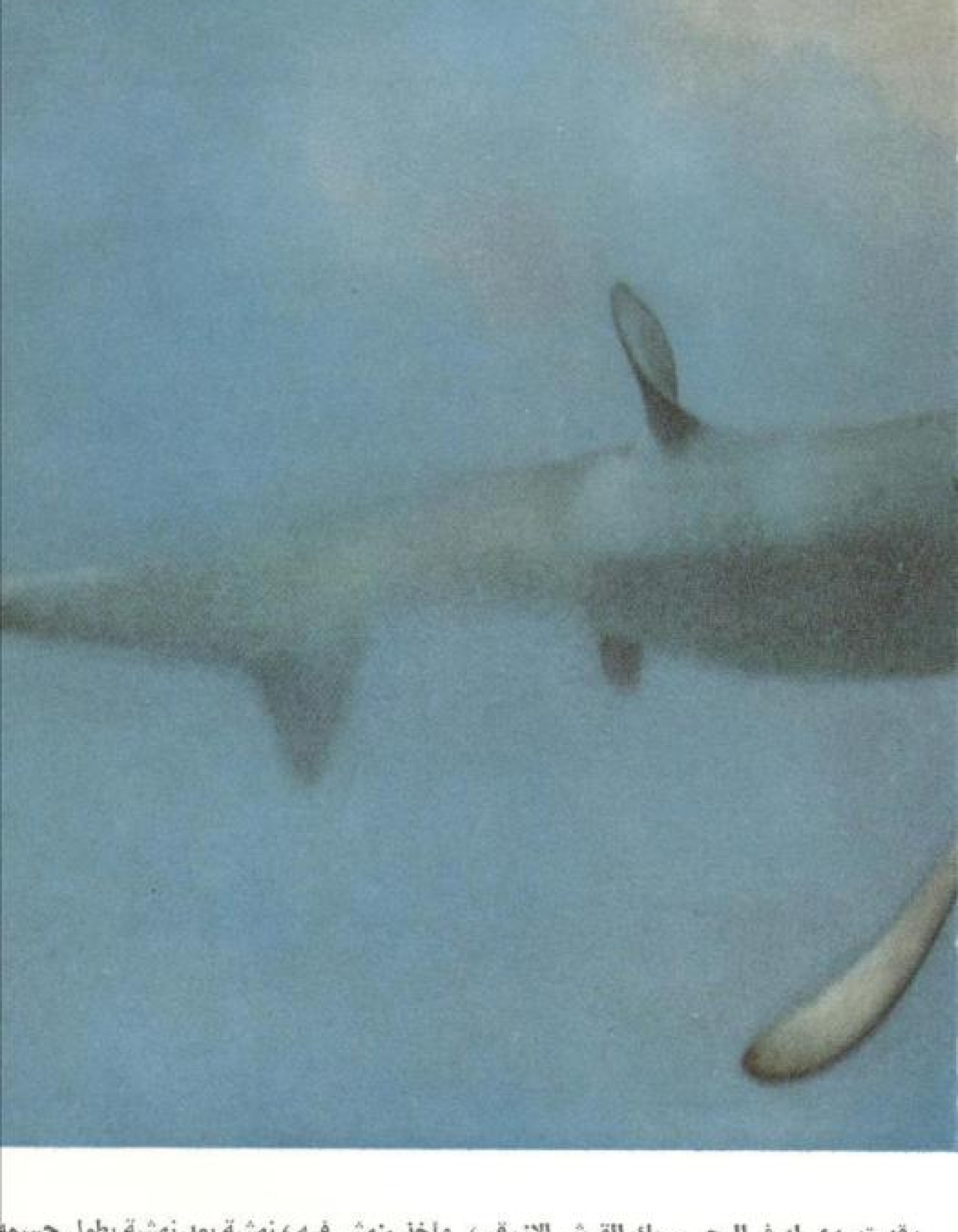
والقرش الذى يهاجم الانسان يقضم من لحمه قضما ، وقد يذهب في القضمة الواحدة برجل ، وقد يذهب بذراع . ويقال ان رؤية الدم تزيد القرش افتراسا .

والغريب ان الرجال تهاجمهم القروش اكثر مما تهاجم النساء .

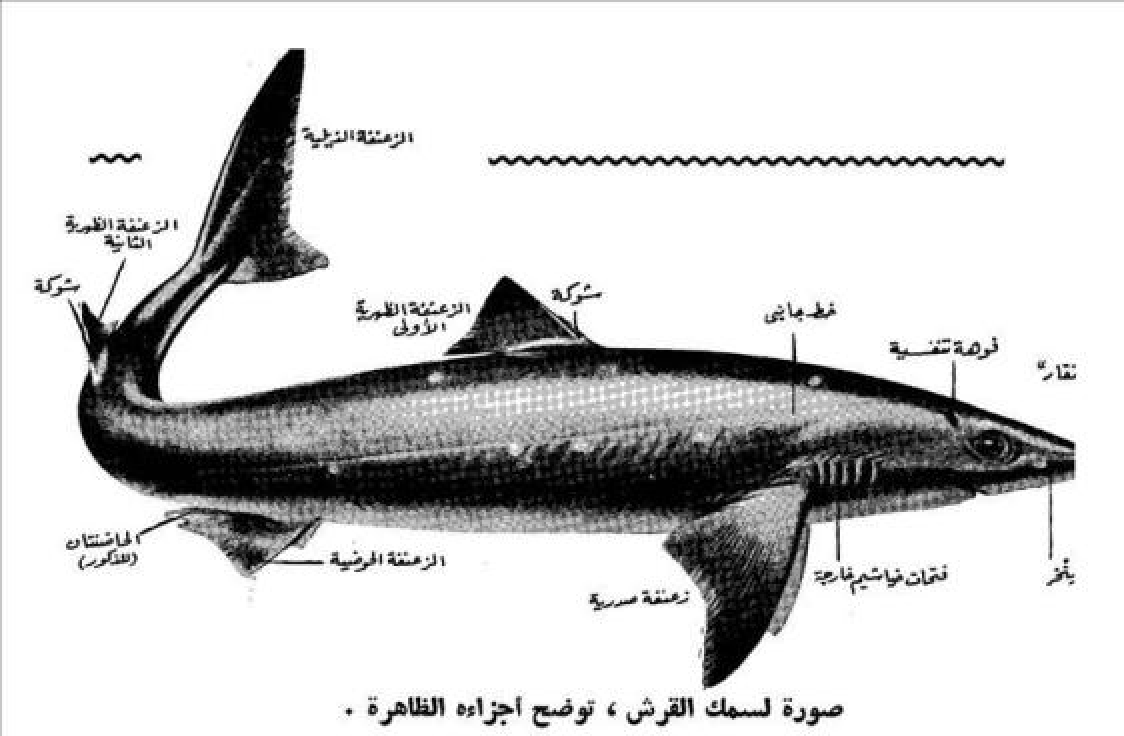
وقد جمع جامعو الأخبار ما وقع من حوادث القرش للناس في الخمسين عاما ، ما بين عام ١٩١٦ – ١٩٥٧ ، فكانت اكثر من ٤٠٠ حادثة ، اكثر من نصفها كان مميتا . وكان منها ١٥٠ حالة وقعت في استراليا و٥٣ حالة وقعت في الولايات المتحدة . وكان سائرها في سائر البلاد . وبالطبع هذا لم يكن حصرا شاملا. وعدُّوا ما وقع من هجمات القرش على



صورة للدرفيل Dolphin ، ذلك الحيوان البحرى الوديع الذى تراه في حدائق الحيوانات ،



وقد تصدى له في البحر سمك القرش الازرق ، وأخذ ينهش فيه ، نهشة بعد نهشة بطول جسمه



صورة لسمك القرش ، توضح أجزاءه الظاهرة .

الناس عام ١٩٥٩ فكان ٣٦ حالة ، لم يكن الانسان بادئها .

وقد حاولت السلطات ان تحول دون خطر القرش على المستحم في السواحل، وفشلت كل المحاولات ، الا ان تقام الحواجز في البحر لتحول دون سمك القرش ، فلا يدخل الى المنطقة التى تخصص لسباحة السابحين .

ونصحوا من يرى قرشا قادما على المدى البعيد ، وهو سابح ، ان لايحاول تحريك الماء او احداث أصوات ، كائنة ما كانت ، زعما أن هذه تطرد القرش فلا يقترب . وقال العارفون ليس في شيء من ذلك حماية . ونصحوا من يرى قرشا يقترب ان يخرج من الماء بأقصى سرعة ودون ان يضطرب فتسوء العقبى .

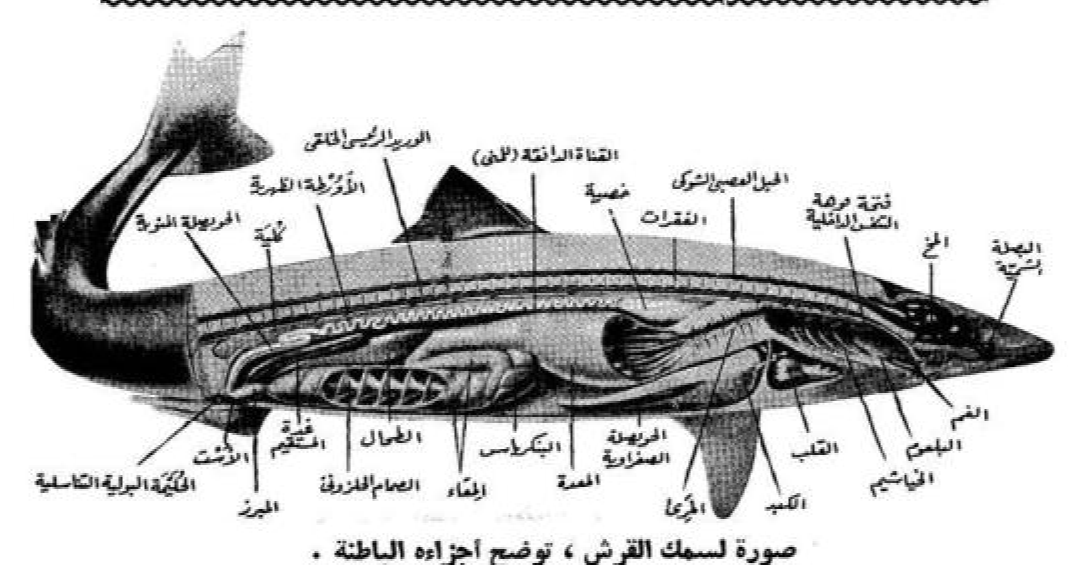
هذا علما بأن من القروش ما يدخل الى الماء الضحل ولا يبالى ، بل أن اكثر الضحايا تكون في الماء الضحل .

بعد هذا نعود الى القرش ندرسه من حيث أنه سمك ، حيوان .

جسم القرش

على الرغم من سوء سمعة القرش نجد ان جسمه من أحسن الاجسام انسيابا وجمالا . وهو يشق الماء كالطوربيد استقامة وقوة وسرعة . وينفلت في سيره انفلاتا بالغا قويا اذ يرى صيدا ، وفي سرعة البرق يضرب بأسنانه الضحية .

والراس مدبب من أمام ، وفيه ينفتح الفم ، ولكن من اسفل ولهذا يقال ، ان القرش اذا اراد ان يقضم بفمه انقلب براسه حتى يكون فمه الأعلى . وهذا غير صحيح . فهو حين يعض يرفع راسه الى الأمام قليلا ، ثم يبرز فكه الاعلى من تحت شفته ، ويلتقى الفكان في الضحية .



صورة لسمك القرش ، توضح أجزاءه الباطنة .

والفم له شكل الهلال .

وداخل الفم توجد الاسنان صفا من بعد صف ، من بعد صف ، للغرز ، فالتمزيق ، والدق والهرس .

وفي الراس عينان متباعدتان على كل جانب .

والزعنفتان الأماميتان تخرجان من الجسم من جانبى الصدر، فهما الزعنفتان الصدريتان ، وهما ظاهرتان بيّنتان كانهما الذراعان ، اكثر عملهما توجيه جسم القرش لا سيما عندما يندفع في الماء اندفاعا ، ثم يريد ان يدور على زعنفتيه القويتين ليلحق بصيد باغت .

والزعنفتان الحوضيّتان ، وهما قرب الذيل ، لهما عمل خاص في تلقيح الانثى نذكره عند ذكر ذلك .

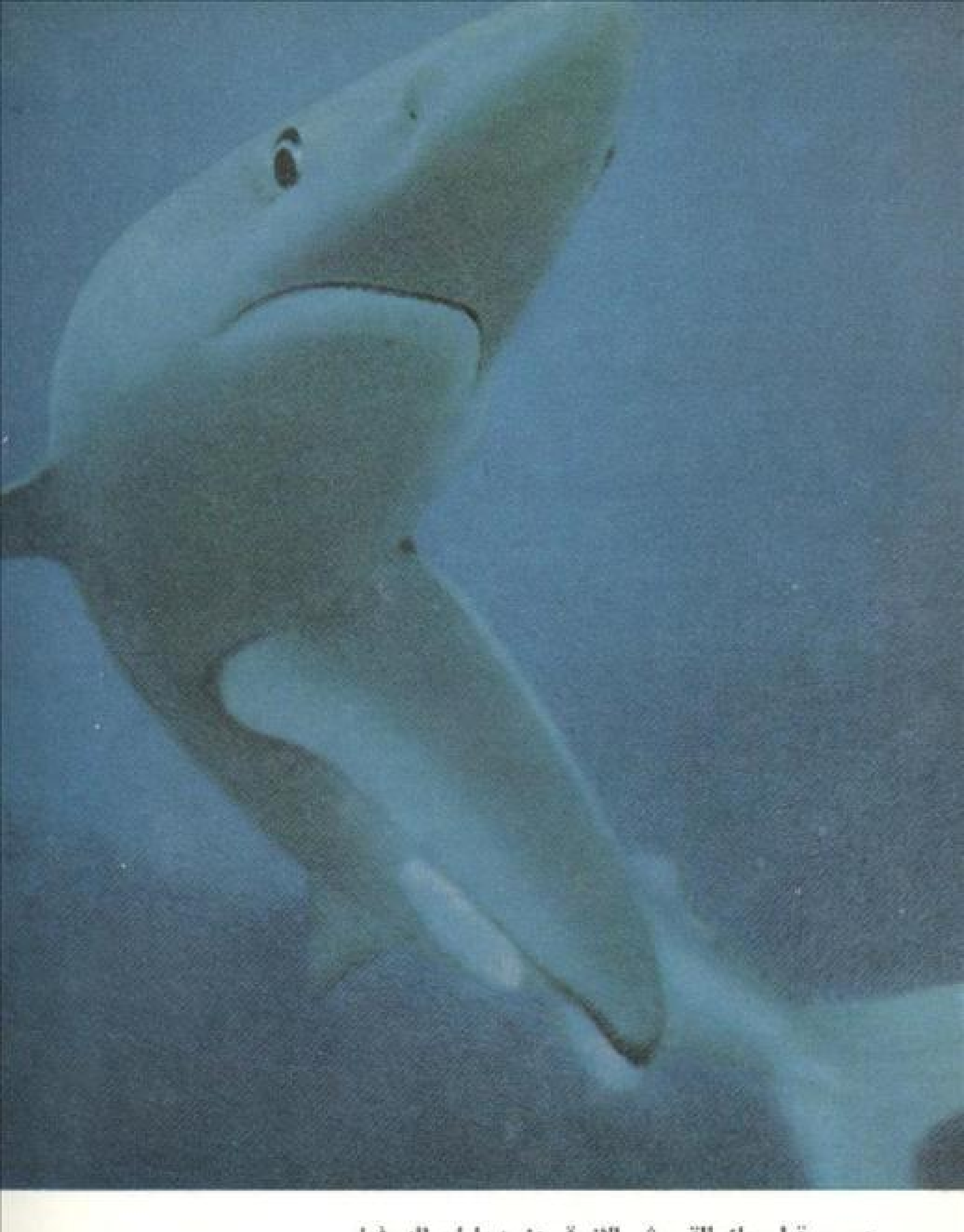
والظهر عليه الزعنفة الواحدة والزعنفتان حسب نوع القرش .

والذيل وهو من عضل رق طرفه حتى صار كطرف السوط .

وفي راس القرش شقوق على كل جانب تنفتح على خياشيم السمكة مباشرة . وهى خمس أو ست أو غير ذلك تبعا لنوع القرش كذلك .

وباحشاء القرش كل ما سبق أن وصفنا للاسماك (انظر « العربى » عدد ابريل ١٩٦٨ من مخ وقلب وكبد وجهاز تنفس وجهاز دموى ومعدة ومِعاء وبنكرياس وكلية وجهاز تناسل وما الى ذلك .

ونذكر هنا أن مِعاء القرش قصير لا يكفى طوله لامتصاص الغذاء السائر فيه لهذا اتخذت امعاؤه شكلا حلزونيا كمجرى المسمار المبروم ليطول سير الغذاء في المعاء من غير أن تطول المِعاء .



صــورة لسمك القــرش الازرق عنــدما لمح الدرفيل
(انظر الصورة السابقة) فاستدار كلمح البصر ليهاجمه

القروش انواع كثيرة

ونقول القروش ، لأنها انواع عدة تبلغ نحوا من ٣٠٠ .

والحق انها تؤلف مرتبة من مراتب السمك كبرى ، تنقسم الى مراتب ثلاث صغرى ، أولاها تتصف بأن لها فتحات خياشيم ستا أو سبعا ، وزعنفة ظهرية واحدة .

وثانية هذه المراتب الصغرى تتصف بأن لها فتحات خياشيم خمسا ، ويندر أن تكون ستا . وزعنفتين ظهريتين تسبقهما شوكة . والى هذه المرتبة ينتسب القرش المعروف بكلب البحر ، وهو قرش صغير ، يعيش في المناطق المعتدلة، يدور في البحر للصيد قطعانا. واليها ينتسب قرش جرينلند ، ويطول الى ٢٥ قدما ، ومنها القرش الملائكى ، ويعيش في الأعماق .

وثالثة المراتب تتصف بأن لها فتحات خياشيم خمسا ، وزعنفتين ظهريتين لا شوك بها ، وزعنفة شرجية . والى هذه المرتبة تنتسب القروش التى يخافها الانسان .

آمن القروش أكبرها حجما

ومن عجيب أمر القروش ، ان أكبرها حجما أبعدها عن الشر .

من ذلك القرش المتشمس Basking Shark ، وهو يعيش في مياه المناطق المعتدلة الشمالية ، ويبلغ من الطول ٤٥ قدما .

وكذا القرش المسمى القرش الحوت ، وهو شكل القرش المتشمس الذى يعيش في المناطق الاستوائية .

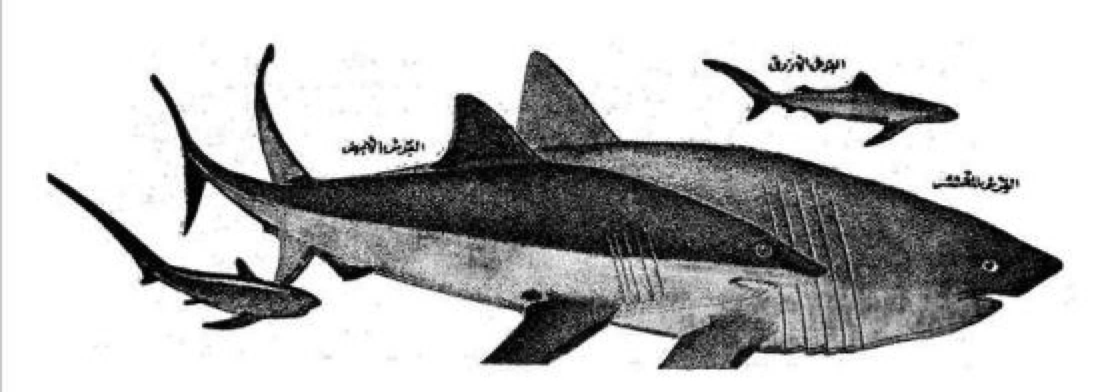
كلاهما عظيم الحجم ، هادئ الخلق ؛ بطيء الحركة كسول يطفو على الماء لينعم بدفء الشمس .

اما طعامهما ، فالكائنات الضئيلة الحيوانية المعلقة في ماء البحر عند سطحه ، وتعرف بالعوالق Planktoon وهى نباتية وحيوانية . ومن طعامهما كذلك الاسماك الصغيرة .

غذاء القروش

على أن القروش من آكلات اللحم . ومن أكثرها نهما واكبرها القرش الأبيض ، ويطول فيبلغ ٤٠ قدما . وهو يفترس عجول البحر Seal ، وسلاحفه Turtles والسمك الكبير والانسان احيانا .

على أن القروش تقتات عادة من السمك ، وهى تهاجمه ماضية اليه قطعانا في البحر . والقروش التى تعيش في المحيط



الطلق تطلب فريستها عادة عند سطح الماء ، ومنها القرش الماكرل Makerel
والقرش الماكو Maco Mhark
والقرش الدراس Thresher Shark

والقروش التى تصيد صيدها في القيعان لها اجسام بدينة تميل الى التفرطح واعين كبيرة .

القروش في سلم النشوء عريقة عتيقة

والقرش من اقدم الحيوانات الفقرية التى لم ينلها التغير النشوئى منذ ان كانت قبل ٣٥٠ مليون عام الا في القليل .

انها عاشت فريدة ، في شبه انعزال عن سائر الخلائق . وتتغير الظروف من حولها ، وتتحول البيئة ، وهى تحاول ان تستجيب الى هذا التحول والتغير ، بما تستطيع ان تبتدعه من ذات نفسها .

وهى من المخلوقات القديمة التى ظل هيكلها العظمى الى اليوم بدائيا ، من الغضروف ، لا من العظم ، بينما اكثر الأسماك اليوم هيكلها من عظام .

والخياشيم لا غطاء لها .

وليس بها الحويصلة الهوائية التى تعينها على الطفو في طبقة الماء التى تشاء ، وفقا لما تحمل في الحويصلة من هواء . ومعنى هذا ان القرش لا يستطيع اليوم ان يبقى ساكنا في الماء . انه يسقط فيه . لا بد له من حركة دائبة حتى لا يسقط .

القروش كيف تتناسل

والقروش ان تكن احتفظت بالكثير من بدائيتها الاولى ، الا انها تقدمت على سائر اجناس السمك في امر التناسل والتلقيح لانتاج « البنين » و « البنات » .

ان الأسماك من ذكر وانثى ، تجتمع من اجل الانسال في المكان الواحد من البحر . وتنتج الاناث البيض وتطرحه في البحر ، وكذا تفعل الذكور فتلقى بحيواناتها الذكران . وتلتقى هذه الحيوانات ، الذكر ، بالبيض الأنثوى ، في الماء ، فيلقح بعضه بعضا . وكثير منها لا يلتقى وفي هذا ضياع كبير وخسارة كبرى .

اما القرش فيلتقى القرش الذكر بالقرش الانثى ، ويطلق حيواناته المنوية في حيث تدخل الى مبيض الأنثى . وهو يستعين في توجيهها بالزعنفتين اللتين في مؤخرة الجسم من أسفل حتى لا تضل الطريق . ومن اجل هذا سميت الزعنفتان بالحاضنتين Claspers

واكثر القروش التى تعيش في البحار الطلقة ولود Viviparous لا بيوض . اى انها تلد الولد ولا تبيض ومعنى هذا ان الجنين ينشأ في قناة البيض ، ويتغذى اثناء ذلك على صفار البيضة الكثير . وفي بعض الانواع يتكون الخلاص ، أو شيء شبيه به ، وعن طريقه يتغذى الجنين من غذاء الأم عن شيء أشبه بالحبل السرى .

القرش في صناعة صيد الاسماك

صيد القرش لا يشغل عددا كبيرا من صادة السمك في الارض . ومع هذا فتوجد في الارض مناطق تصيده .

وهى تفعل ذلك لزيته ، ففيه فيتامين ا . وهم لجأوا الى الزيت ، زيت القرش ، لما قل زيت كبد الحوت .

كذلك يستخدم الزيت في دبغ الجلد ووجوه من الصناعات أخرى .

وفي استراليا صناعة صيد للقرش كبيرة ، فمن لحمه يصنعون شرائح للاكل يبلغ مقدارها سنويا بضعة ملايين من الأرطال . وقد قلت حصيلة استراليا من سمك القرش في السنوات الأخيرة ، فقلقت لذلك قلقا كثيرا .

والغريب انه حيث يباع سمك القرش ، لا يسمى بسمك القرش . والسبب ظاهر . فالناس لا تستسيغ لحم الأسد والنمر والفهد لو أن لحمها يساغ . ●●

احمد زكى

٨ كرات و٨ أرقام

جوائز مجموعها ١٠٠ دينار للفائزين

٦	٤	٢
٥		٧
١	٨	٣

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في ثمانية ارقام .. تبدأ من ١ حتى ٨ ، وهذه الارقام موجودة داخل ثماني كرات موضوعة على شكل مربع .. ومجموع ارقام كل ضلع ، وهو مكون من ثلاث كرات ، هو ١٢ .

والمطلوب تبديل اماكن الكرات ، وترتيبها من جديد ، بحيث يظل ناتج أرقام كل ضلع مساويا للاضلاع الاخرى، وانما يكون عددا آخر غير ١٢ .

حاول ايجاد الحل ، وتستطيع ذلك بأن تحضر ٨ اوراق صغيرة ، ثم تكتب في كل منها الرقم الموجود داخل كل كرة من هذه الكرات ، وترتبها كما في الشكل، وتبدل من أماكنها حتى تجد الحل الصحيح المطلوب .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٦ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٨ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■





هجرة الأدمغة

مشكلة خطيرة

بقلم : الدكتور الياس زين

■ تواجه البلدان الآسيوية والعربية اليوم ، الى جانب المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، مشكلة خطيرة أخرى ، ألا وهي هجرة « الادمغة » Brain Drain الى خارج أوطانها ، خاصة الى الولايات المتحدة الاميركية ، ونعني بكلمة « الادمغة » هنا : - رجال العلم والاختراع والطب والفكر والهندسة والتكنية والبحث العلمي والتربية والتعليم والادارة .

وقد تزايدت هذه الهجرة بصورة ملحوظة بعد الحرب العالمية الثانية ، والهجرة هذه اذا لم تعالج بحكمة سوف يكون لها عواقب وخيمة بالنسبة للدول النامية في آسيا والعالم العربي .

والغرض من هذه المقالة أن نظهر عدد المهاجرين من رجال العلم والاختصاص ، وأهمية «الادمغة» في بناء الامم ، وذكر أسباب الهجرة وطرق معالجتها .

هجرة العلماء والمفكرين

يقول مدير معهد ادلاى ستيفنسون بشيكاجو السيد وليم بولك William R. Polk ان البلدان النامية تخسر ٢٥٪ من المفكرين ورجال الاختصاص من جراء الهجرة الى خارج بلادها .

وجاء في دراسة أشرفت عليها الامم المتحدة عام ١٩٦٦ أن الدول النامية تخسر عددا كبيرا من اخصائييها الى الدول المتقدمة ، خاصة الولايات المتحدة .

فالأخيرة تستقبل ...ر٥ مهندس كل سنة ، جلهم من الدول النامية التى تحتاج الى علومهم وخبرتهم .

والولايات المتحدة تحصل أيضا على ٥٠٪ أى (...ر٧) من الاطباء الذين تحتاج اليهم ، من الدول النامية مع العلم انها تحتاج الى ...ر١٤ طبيب كل عام ، ولكن مدارس الطب هناك لا تخرج سوى ...ر٧ طبيب كل سنة .

ويقول السيد صلاح هدايت المستشار العلمي لرئيس الجمهورية العربية المتحدة في حديث له في مجلة آخر ساعة : « الدول الاستعمارية وجدت ان الافكار العلمية هي اكثر الاستثمارات ، ربما على الاطلاق ، لذلك نجد اغلب الدول الاستعمارية تتسابق لجذب اكبر عدد ممكن من باحثينا النابغين اليها وخطفهم بالاغراء المادى . ولكن يجب أن نقاوم هذا الاتجاه بكل قوة . »

هذا ويجمع المطلعون على القول بأن الولايات المتحدة نجحت نجاحا باهرا في هذا المجال ، اذ تجمع لديها رصيد كبير من « الادمغة » المستوردة ، مما يشكل اكبر مجموعة من الادمغة في العالم .

هجرة « الادمغة » في البلدان الآسيوية

تقول الصحيفة الفلبينية « مانيلا كرونيكل »



تواجه الدول الآسيوية والعربية

Manila Chronicle أن هجرة الاطباء والمرضات من الفلبين الى امريكا الشمالية تعد بالالوف .

وهذه المشكلة أزعجت الرسميين هناك . ففي ولاية نيو جيرسي New Jersey الامريكية التقى السناتور الفلبيني جانسون Ganson بـ ٣٠٠ طبيب وممرضة من الفلبين يعملون في مستشفيين فقط .

وهناك ٢٤٧٤ طبيبا من الفلبين مقيمين دائمين و ٥٦٣ طبيبا في طور التدريب . هذا يعني أن ٢٥٪ من مجموع الاطباء الاجانب في الولايات المتحدة البالغ عددهم ١٣٨٢٩ ، هم من الفلبينيين . ويبلغ عدد الممرضات الفلبينيات في كافة الولايات المتحدة ٦٠٠٠ وفي كندا يبلغ عدد الاطباء والمرضات من الفلبين ٨٠٠ .

وقال السناتور الاميركي ولتر منذال Walter Mondal « ان عدد الاطباء الفلبينيين الذين يأتون الى الولايات المتحدة كل عام يبلغ ضعف عدد الاطباء الذين يتخرجون من جامعات الفلبين . » ويبلغ عدد الذين يتخرجون ١٠١٠ سنويا .

وأما في الباكستان فتقول صحيفة « الباكستان تايمز » Pakistan Times « ان العدد الكبير من

وجاء في تقرير اعده ونشره عام ١٩٦٦ مجلس التربية العالمي للشئون التعليمية والثقافية Inter- Agency Council on International Education and Culture Affairs .

ان ثمة ٣٠٠٣٩ عالم ومهندس واخصائي وفني دخلوا الولايات المتحدة ، اى ٩٫٣٪ من مجموع كافة المهاجرين، بينما بلغت نسبة رجال الاختصاص الآسيويين ٢٠٪ من هؤلاء .

ومما يجدر قوله ان عدد رجال العلم والاختصاص كان عام ١٩٦٣ نحو ٢٧٩٣٠ رجل .

أهمية « الادمغة » في بناء الامم

لقد ادركت الولايات المتحدة الامريكية، بتجاربها وبعد نظرها ، اهمية الدور الحاسم الذى يلعبه رجال العلم والتكنية والاختصاص في بناء الامم ورفع شأنها .

فراحت بعد الحرب الثانية تفتش بجهد كبير على رجال العلم والمفكرين في الجامعات الامريكية ، حيث يكثر الطلاب والعلماء الاجانب ، مستعينة على بلوغ مراميها بمختلف أساليب الاغراء .

العلماء والمفكرين والاداريين الذين يهاجرون مرتفع جدا لدرجة انه يدعو الى القلق » .

وذكرت الصحيفة ان من بين هؤلاء : اطباء اخصائيين ومهندسين ومعلمين ومحامين وخبراء فنيين في عدة حقول علمية .

واليابان ، الدولة الصناعية ، تعاني ايضا من هذه المشكلة . فقد بدأت هجرة العلماء منها عام ١٩٤٨ عندما هاجر الدكتور هنديكي يوكاوا Hindeki Yukawa الحائز على جائزة نوبل وذهب الى الولايات المتحدة .

وتفيد احصائيات وزارة التربية والتعليم اليابانية ان ثمة ٣٥٤ر٤ من العلماء والمفكرين هجروا اعمالهم الجامعية ما بين ١٩٥٩ – ١٩٦٣ وذهبوا الى الخارج لمدة اكثر من ستة أشهر . هذا وما تزال هجرة العلماء مستمرة . واما على الصعيد اللبناني ، هناك اكثر من ٠٠٠ر١ عالم لبناني يعملون في الخارج اليوم مقابل ٣٠٠ في الداخل .

هجرة الطلاب الآسيويين واللبنانيين

وتعاني الدول الآسيوية مشكلة هجرة الطلاب الذين يتابعون دراساتهم في الولايات المتحدة ، فقد ثبت ان نسبة كبيرة منهم لا ترجع الى بلدانها . ولعل الصين الوطنية وكوريا الجنوبية وايران ولبنان يتأثرون بذلك اكثر من غيرهم . وأفاد السناتور ولتر مندال استنادا الى احصائيات من دائرة المهاجرين الاميركية .

US Immigration and Naturalization Service

« ان ٣٠٪ من الطلاب الآسيويين الذين يتابعون دروسهم في الولايات المتحدة يتحولون من طلاب الى مقيمين دائمين » .

ولعل الصين الوطنية تأتي في المرتبة الاولى في هذا الصدد . يقول وزير الاقتصاد الصيني الوطني ، (K. Y. Li) ك . ي . لي :

« ان بين كل مئة طالب صيني ممن يتابعون تعليمهم الجامعي في الخارج يرجع ٥٪ فقط . وان هذا العدد في ازدياد سنة بعد سنة . ومن المعلوم ان الصين الوطنية ترسل الى الخارج سنويا ٠٠٠ر٢ طالب وطالبة ، وهم افضل الطلاب الجامعيين ، ولكن لا يرجع منهم سوى هذه النسبة الضئيلة .

وكوريا الجنوبية تعاني تقريبا نفس الازمة . ان ٩٠٪ من الطلاب الكوريين الجنوبيين الذين يتابعون تعليمهم في امريكا لا يرجعون الى بلادهم .

وجاء في دراسة للجريدة العالمية كريستيان ساينس مونيتور Christian Science Monitor ان عدد الاطباء الايرانيين الذين درسوا في امريكا وأقاموا في نيويورك وحدها اكثر من مجموع الاطباء في كافة انحاء ايران .

ولبنان يخسر ٥٠٪ من طلابه في الولايات المتحدة وهناك اليوم حوالي ١٥٠٠ طالب لبناني يدرسون في الجامعات الاميركية .

هجرة الطلاب المصريين

لقد حصلنا على دراسة موضوعية ، أجريت لليونسكو مؤخرا في الجمهورية العربية المتحدة عن هجرة « الادمغة » خلال العشر سنوات ١٩٥٦ – ١٩٦٦ وقرئت النتائج في مؤتمر العلوم والتكنية الذي انعقد في الجامعة الاميركية في بيروت في ديسمبر الماضي . وركزت الدراسة على درس ملفات ١٤٨ طالب مصري ممن بعثوا الى الخارج، بمنح ، ولم يعودوا .

وتفيد الدراسة ان الاكثرية من هؤلاء (٧٢٪) استقروا في الولايات المتحدة بالرغم من ان الاكثرية من المهاجرين ، كما ترى في الجدول (١) ، لم يدرسوا في جامعاتها . واليك جدولا احصائيا كما نشر في الدراسة :

جدول (١) هجرة الطلاب المصريين الى الخارج

اسم البلد	عدد الطلاب الذين درسوا	عدد الطلاب الذين استقروا
الولايات المتحدة	٨٥	١٠٧
انجلترا	٢٢	٩
المانيا الاتحادية	٢٤	١٦
سويسرا	٦	٥
ايطاليا	١	١
هولندا	٢	٢
البلدان الاشتراكية	٨	٨
المجموع :	١٤٨	١٤٨

والجدول الثاني يظهر ان اكثرية المهاجرين هم من الاخصائيين في العلوم التطبيقية ، خاصة الهندسة ، التي هي العامل الاكثر اهمية في بناء اقتصاد مصر :

جدول (٢) هجرة الاخصائيين المصريين

مادة الاختصاص	عدد المهاجرين	النسبة الى الولايات المتحدة
العلوم	٢٤	٢٢٪
الهندسة	٤٨	٢١٪
علم الحياة والزراعة	١٤	١٤٪
طب	٢٠	٩٪
اقتصاد	١١	١٣٪
آداب	٣١	٢١٪

وافادت الدراسة ان الاغلبية من المهاجرين من حملة الشهادات الاكاديمية العالية . منهم ٧٠٪ كانوا يحضرون للدكتوراه ، و٥ر١٧٪ للماجستير في العلوم ، و ٦٪ أنهوا دراساتهم .

أسباب الهجرة

ما هي أسباب هجرة العلماء ورجال الاختصاص والطلاب من الدول الآسيوية والعربية الى أمريكا ؟ لعل أهم الاسباب ، كما أفاد المطلعون ، تتلخص بما يلي :

١ ـ المال والربح المادى . ان حامل الدكتوراه في الولايات المتحدة يربح عشرة أضعاف ما يمكن أن يربحه في آسيا . ويربح حامل الدكتوراه الباكستاني ١٥ مرة أكثر من معدل دخل الفرد في بلاده . ويبلغ راتب الاستاذ الجامعي في الصين الوطنية ٦٣ دولارا بالشهر ، بينما نفس الاستاذ يستطيع أن يربح أكثر من الف دولار بالشهر في أمريكا .

ويبلغ راتب الاستاذ في الجامعة اللبنانية ٦٠٠٠ ليرة لبنانية في السنة بينما يستطيع ان يربح في الولايات المتحدة نحو ٢٠٠٠٠ ليرة لبنانية.

يتبين اذن ان رواتب حاملي الشهادات العالية ضئيلة جدا في آسيا والعكس في الولايات المتحدة. لذلك نرى العلماء والمفكرين يفضلون العمل في امريكا حيث لا يتوجب عليهم ان يعملوا في أكثر من مجال حتى يستطيعوا أن يكسبوا لقمة العيش الكريمة .

٢ ـ عدم توفر فرص عمل للاختصاصيين : يعود رجل الاختصاص الى بلده ، في آسيا أو الدول العربية ، فيكافح ويتألم حتى يجد عملا ملائما في دائرة اختصاصه . يقول المستر « شاجلا » Chagla وزير خارجية الهند عام ١٩٦٦ في البرلمان : « ان هناك علماء عاطلين عن العمل لانه ليس ثمة اعمال مناسبة لهم في الهند في دوائر اختصاصهم » .

وجاء في احدى الدراسات الهندية ان ثلث ٤٠٠٠ عالم تكنى في الهند ، اما عاطلون عن العمل أو يعملون في حقول لا تمت الى اختصاصهم بصلة .

٣ ـ عدم احترام وتقدير العلماء : ان المجتمع الآسيوى والعربي ، مع الاسف ، لا يقدر قيمة العلماء والمفكرين كما هو الحال عند أهل الغرب . يشعر العالم ، مثلا ، في الولايات المتحدة ان المجتمع يقدره أكثر من مجتمع بلاده .

٤ ـ الزواج من أجنبيات : جاء في الدراسة المصرية ان ٥٧٪ من الذين استقروا في أمريكا متزوجون من أمريكيات .

٥ ـ عدم الاستقرار السياسي والاقتصادى في عدد كبير من الدول الآسيوية والعربية .

٦ ـ عدم وجود تخطيط تربوى وتوجيه وارشاد مهني .

كيف تعالج هجرة « الادمغة »

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن الآن هو : ما هي الاجراءات التى اتخذتها الدول المعنية لمواجهة هجرة « الادمغة » ؟ لقد اهتم المسؤولون لايجاد حل لهذه المشكلة في بعض هذه الدول وحتى في الولايات المتحدة نفسها فاتخذوا بعض الاجراءات للحيلولة دون هجرة العلماء والمفكرين . واليك بعض هذه الاجراءات :

١ ـ ايجاد أعمال مناسبة بأجور محترمة : لقد اتخذت الجمهورية العربية المتحدة بعض الاجراءات لحل هذه المشكلة وذلك بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب في دائرة اختصاصه ، وعقد مؤتمر للعائدين للتاكد من أن كلا منهم وضع في المكان الذى يستطيع فيه الانتاج والاثمار . وفي الباكستان حث المجلس الوطني للقوى العاملة ، National Manpower Council حث الحكومة على أن تؤمن أعمالا مناسبة لرجال الاختصاص لدى رجوعهم ، واعطائهم رواتب مغرية واعفائهم من الجمارك اذا ما ادخلوا معداتهم الفنية .

٢ ـ تغيير قوانين الهجرة الدولية : لقد اقترحت الجمهورية العربية المتحدة على منظمة اليونسكو اصدار بيان عالمي لاقناع الولايات المتحدة خاصة والدول المعنية الاخرى عامة الى تعديل

انظمة وقوانين الهجرة بالنسبة للعلماء والاختصاصيين .

٣ ـ بناء مراكز لتدريب الاخصائيين في الدول الآسيوية : عقد في مانيلا عاصمة (الفلبين) في نوفمبر ١٩٦٦ مؤتمر حضره أعضاء من ست دول من جنوب شرق آسيا واتخذوا اجراءات ايجابية للحيلولة دون هجرة العلماء والمفكرين . ومن ضمن المشاريع التي وافق عليها المؤتمرون : انشاء معهد للتكنية في بانكوك عاصمة (تايلاند) ، ومعهد اقليمي آخر للدراسات العليا والابحاث في الزراعة في الفلبين ، ومركز اقليمي للتربية والعلوم والرياضيات في ماليزيا ، ومركز اقليمي للغة الانجليزية في بانكوك ، ومراكز للطب في كل من اندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند وفيتنام الجنوبية .

هذا ورحب السيد يوجين بلاك مستشار الرئيس الامريكي جونسون « لبرنامج التنمية الآسيوية » بهذه المراكز واصفا اياها بانها « اقليمية لعالم افضل » وقال انها يمكن ان تعطي جنوب شرق آسيا عددا أكبر من العلماء والمهندسين والاطباء والخبراء . ووعد المستشار الامريكي بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية المالية والفنية لهذه المشاريع .

٤ ـ تعديل قوانين الهجرة . وفي الولايات المتحدة الامريكية نفسها اثار ازدياد هجرة الادمغة من الدول النامية الى امريكا اهتمام بعض الرسميين . فاقترح السناتور ولتر مندال في اكتوبر ١٩٦٦ وجوب تعديل قوانين الهجرة الامريكية خاصة بالنسبة الى العلماء والاختصاصيين. واقترح السناتور على بلده أن تتخذ ثلاثة اجراءات :

(ا) عدم منح الطلاب الاجانب حق الاقامة في الولايات المتحدة الا بعد أن يرجعوا الى بلدانهم فور تخرجهم ويمكثوا هناك مدة سنتين .

(ب) عدم اعطاء تسهيلات الدخول الى الولايات المتحدة لرجال العلم والفكر الذين يتركون فراغا علميا وتكنولوجيا وفكريا في بلادهم .

(ج) عدم اعطاء حق الاقامة في الولايات المتحدة للذين يتعهدون ، قبل مجيئهم اليها ، بالرجوع الى بلدانهم والعمل فيها .

وبالاضافة الى ذلك ، يجدر بالدول العربية والآسيوية أن تتخذ ، في اعتقادنا ، الاجراءات التالية لوقف هجرة الادمغة .

١ ـ تقوية الجامعات الوطنية ومعاهد التدريب التكني وحشد جميع الامكانيات ـ من رجال ومال ـ لجعلها مراكز للعلم والتكنية والابحاث .

٢ ـ العمل على قيام تخطيط تربوي وعلمي ، يوجه سياسة البلد بالنسبة لاحتياجاته من العلماء والمفكرين ورجال الاختصاص .

٣ ـ فصل السياسة عن العلم وذلك باعطاء الحرية العلمية الكافية للعلماء ولرجال الاختصاص للعمل بحرية في مشاريعهم العلمية .

٤ ـ تأسيس علاقات أوثق بين الطلاب ورجال الاختصاص في الخارج وبين الدول العربية والآسيوية عبر السفارات .

٥ ـ انشاء مكاتب توظيف حكومية خاصة برجال العلم والاختصاص ، تهدف الى ايجاد وظائف مناسبة لهم في الوطن .

والخلاصة :

فالأمة العربية اليوم بحاجة ماسة الى علماء وباحثين وأطباء ومخترعين ومهندسين ـ هؤلاء عماد التقدم والازدهار الاقتصادي والحضاري في عالم اليوم ـ فحري بالدول العربية أن تدعو الادمغة والعقول العربية الموجودة في الخارج للعمل في الوطن العربي لرفع شأنه بين الامم الراقية بعلومهم وخبراتهم . نحن العرب نفتخر عن طيبة قلب ، باننا نرسل الى الخارج رجالا مثقفين ، ولكن يجب علينا ان نفتخر باننا نستطيع ان نستخدم عقول رجالنا في بناء وازدهار الوطن العربي . ■■

صيدا ـ لبنان **الياس زين**

العربي : عانت بريطانيا من هذه الهجرة ما عانت . واقترح عليها أن تضع قوانين تسد على المهاجرين الطريق . ورفض الرأي العام والحكومة ذلك لسببين أولهما انه يجب أن لا تقام سدود دون الحريات البشرية وثانيهما ان الغصب لا يزدهر عليه عمل . فعلى الامم التي يهرب منها علماؤها أن تجعل من بلادها مكانا أطيب يغري هؤلاء بالاقامة فيها . وفي سبيل ذلك اقترحت بريطانيا زيادة الرواتب زيادة كبرى وتسهيل وسائل البحوث للشبان .

التفسير والمفسرون

اشتغل المسلمون فى حياة الرسول بإرساء الدين، ومحاربة المشركين، فلم يفرغوا لمناقشة المتشابه فى القرآن الكريم.

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة « الوعي الاسلامى »

■ سبق أن تحدثنا عن اهم الامور التى كانت تشغل بال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وتأخذ منهم جل وقتهم وجهدهم وهو الدعوة الى التوحيد والمبادىء الاساسية في الدين الجديد، وسط قوم تحجروا على اصنامهم، وبيئة ترفض كل جديد عليها، وافد على عقائدها وتقاليدها، ثم ما يتبع ذلك من التوفر على المبادىء التى يدعون اليها. والدفاع عنها بالحجة أو السيف، وقلنا ان ذلك جعل الحياة في البيئة الجديدة في حالة طوارىء مستمرة، تفرض طابعها العملي، الذى يُعنى بالامور الاكثر أهمية، ولا يدع مجالا لما يمكن أن يسمى بالترف الفكرى، ولو في اولى درجاته، ومن هنا كان من الطبيعي أن يجنب القائد الموجه اتباعه كل ما من شأنه ان يثير شبهات أو مناقشات فكرية جدلية، تهز بنيانهم الجديد، أو تشغلهم عن تعبئة كل طاقاتهم الفكرية والجسدية للدفاع عن دينهم الذى امنوا به .. وقلنا : ان ذلك اقتضى أن يكون لهم منهج محدد في حياتهم الفكرية والعملية أيضا .. ووعدنا بالتحدث عن هذا المنهج الفكرى الذى يتصل كل الاتصال بموضوعنا ـ الذى هو فهم الصحابة للقرآن ..

هذا المنهج الفكرى كان من الضرورى ان يكون ملائما ومتناسقا مع الحياة الجديدة وضرورتها وفي اطارها، واذا امكن ان نستعمل مصطلحات العصر الحديث، قلنا : انه كان من الضرورى ان يكون في خدمة الحياة الجديدة ومتطلباتها، كما يقال الآن : يجب ان يكون العلم في خدمة الانتاج مثلا، وان يغذى الانتاج الفكرى الاهداف العامة للدولة، وذلك من أجل تماسك البناء، وهو ما يزال جديدا، وعدم اصابته بهزات عكسية تترك عليه آثارها من التخلخل والتشقق.

فكل ما يتصل بالعقيدة وتمتين بنائها مقبول بل مطلوب. اما ان تثار حولها شبهات ومجالات نظرية تدخلنا في التيه فذلك أمر غير مقبول ..

وكل ما يتصل بتصحيح العمل ـ عبادة كان ام معاملة ـ فالكلام والسؤال والجواب فيه مقبول. بل مطلوب كذلك، ولكن بقدر ما يصحح العمل، دون الاسترسال وراء شهوة الكلام والجدل والافتراضات.

ولقد كان القرآن ينزل في شان هذا وذاك، والرسول يتابعه بالبيان القولي او التطبيقي، بحيث لا يترك شيئا يحتاج الى بيان الا وضحه .. ومع ذلك فمن الجائز أن يبقى هناك شيء غامض لدى بعض الناس. وهذا يحمد منهم أن يستوضحوا أمره .. ومن الجائز ان تنزل آية، ويفهم منها الصحابة شيئا من التكليف غير المستطاع او شيئا

يخالف ما فهموه من قبل فيلجأوا الى الرسول ويسألوه ، فيوضح لهم الامر مسرورا باقبالهم على فهم دينهم ..

المراد بالظلم

فمثلا .. حين نزل قوله تعالى من سورة الانعام وهي مكية « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون » شق ذلك على اصحاب رسول الله وقالوا : اينا لم يظلم نفسه ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ليس بالذى تعنون . الم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ان الشرك لظلم عظيم (١) .

فهذا الذى فهموه من الآية ازعجهم ، لانه يتصل بحياتهم في الآخرة ، وهم يحرصون على ان تكون حياة طيبة ، فسألوا رسول الله ، فبين لهم ان معنى الظلم في الآية هو الاشراك ، واحالهم على اية أخرى حكت عن لقمان قوله لابنه : (يا بنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) وبهذا انتهى الاشكال واطمان الصحابة ..

من حوسب عذب

والسيدة عائشة رضي الله عنها لما سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من حوسب عذب » رات ان هذا القول في ظاهره يخالف قوله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى اهله مسرورا (٢) فهناك اذن من يحاسب ، ثم يلقى اهله مسرورا في الآخرة ولا يلحقه عذاب . والحديث يقول بصيغة التعميم (من حوسب عذب) فتلجأ الى الرسول ، وتحتج بالآية وكأنها تعارضه ، فتقول له : « أو ليس يقول الله عز وجل «فسوف يحاسب حسابا يسيرا»، فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم (انما ذلك العرض) وفي رواية (ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض) اى عرض الاعمال على الله تعالى وتجاوزه عن السيئات منها ، ثم قال الرسول : (ولكن من نوقش الحساب يهلك ، او من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) روايات مختلفة والمعنى واحد .

وسؤال عائشة رضي الله عنها كان في امر مهم يتصل بمصير الناس في الآخرة وما فهمته عنه من الآية الكريمة ..

ورواية أخرى عن عائشة ايضا في هذا الموضوع تقول (سمعت رسول الله يقول في بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا) فلما انصرف قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ فقال : (أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه . انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك) (٣) وهو سؤال لتوضيح معنى يتصل بالآية السابقة . ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغضب من معارضة عائشة بل سر لها واخذ يوضح المراد بالآية .

الخيط الابيض

ويروى البخارى في صحيحه ـ في باب الصوم ـ عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال : لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) (٤) عمدت الى عقال أسود ، وعقال ابيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر الى الليل ، فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فقال : انما ذلك سواد الليل وبياض النهار » .

وفي رواية أخرى عن عدى ايضا بلفظ آخر « لما نزلت وكلوا واشربوا .. الآية» فعمدت الى عقالين : احدهما أسود ،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ سورة الأنعام فى تفسير الآية .

(٢) سورة الانشقاق آيات ٧ ـ ٩

(٣) انظر صحيح البخارى فى باب العلم وابن كثير فى تفسير الآية من سورة الانشقاق جـ ٤ ص٨) طبعة الحلبى .

(٤) من سورة البقرة آية ١٨٧ .

والآخر ابيض ، فجعلتهما تحت وسادتي . قال : فجعلت انظر اليهما ، فلما تبين لى الابيض من الاسود امسكت (اى امتنعت عن الطعام وبدأت الصيام) فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذى صنعت ، فقال : (ان وسادك ــ اذا ــ لعريض . انما ذلك بياض النهار من سواد الليل) .

وتعليق الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله له (ان وسادك لعريض) مبنى على انه وضع تحته الخيطين اللذين جعلهما الله كناية عن بياض النهار وظلمة الليل ، فصار وساده بذلك كأنه بعرض الافق الذى يضم هذين الخيطين .

وفي رواية أخرى أنه قال له ايضا (انك لعريض القفا) وبعض الناس تفهم من هذا أنه يرميه بالبلادة في فهم المراد من الآية .. ولكنه من مستلزمات (ان وسادك لعريض) فما دام الوساد عريضا الى هذا الحد فلا بد أن القفا الذى يستلقي عليه عريض كذلك بما يتناسب معه .

وهى كلها تعليقات طريفة على هذا الفهم البدائى الذى اخذ ما في الآية على حقيقته ، ولم يفطن الى ان ذلك كناية عن خيط النور ، الذى يشق ظلام الليل ، مؤذنا بطلوع الفجر ..

والشاهد في هذه الرواية هو ان الرجل فهم فهما في القرآن ، ثم لم يطمئن اليه بعد التجربة التى اجراها ، فذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض عليه هذا الفهم ، ويستوضحه الحقيقة فيه ، فبين له الرسول حقيقة المراد في الآية ، واتبعه بهذه التعليقات اللطيفة التى تناسب طرافة هذا الفهم ..

وامثال هذه الاستفسارات لا بد انها كانت كثيرة وان لم يرو لنا منها الا القليل .. وقد كانت امرا لا بد منه في فهم الصحابة للآيات التى تشرع لهم في امر عباداتهم أو معاملاتهم .. ومن الطبيعى ان الرسول كان يتقبل هذه الاستفسارات بصدر رحب ، ويجيب عنها بما يوضح لهم الفهم الصحيح . لأنها كانت تدخل في صميم الحياة العملية لهم .. ويتوقف عليها تصحيح الخطى في هذه الحياة ..

■ ■ ■

لكن العقل البشرى له جولاته فيما يعدو نطاق الحياة العملية ، وله تساؤلاته فيما يغيب عنه ، وكثيرا ما يدفعه الفضول او الرغبة في الاطلاع على المجهول الى أسئلة يرجو الاجابة عنها ..

● وقد نزل القرآن موجزا مجملا ، وفيه متسع لمن يريد السير وراء الأسئلة التى من هذا النوع . ولا سيما في القصص مثلا ـ حيث يركز على موضع العبرة منها ، تاركا فيها بعض الجوانب التى يتطلع العقل الى معرفتها عادة ..

● كما ان في القرآن بعض الآيات التى تبدو في ظاهرها متناقضة .. فالله « ليس كمثله شيء » كما تقرر آية ، ثم تأتى آيات اخرى فتتحدث عن ان لله يدين (بل يداه مبسوطتان) ووجها (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وعينا (ولتصنع على عينى) ، وسمعا وبصرا (ان الله كان سميعا بصيرا) .. الى غير ذلك من الآيات التى تبدو على غير اتفاق مع قوله تعالى (ليس كمثله شيء) مما اطلق عليه انه من المتشابهات في القرآن .. بمعنى عدم جلاء معناه عند قراءته أو سماعه كما يفهم من قوله تعالى مثلا : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) .. (والهكم اله واحد لا اله الا هو ..) .

● وهناك الفاظ في القرآن جاءت على غير ما اعتاد العرب في كلامهم (الم . الر . المص . طسم . حم . ص . ق . ن) مما بدأ الله به بعض سور القرآن . وهى حروف مجموعها ١٤ حرفا ، جمعها بعضهم في هذه الجملة : **نص حكيم قاطع له سر »** .

● وهناك آيات في القرآن الكريم تنص على أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) . « وما تشاءون الا أن يشاء الله » وآيات اخرى صريحة في مجازاة الانسان على

ضلاله وعلى عمله، وينتج عن هذه وتلك، هذا الاشكال المزمن : هل العبد مسير او مخير ؟ وكيف يحاسب الله العبد على شيء ، نفذ به مشيئة الله ، وليس له فيه حينئذ خيار .

آيات كثيرة فيها امثال هذا وذاك وذلك .. ومرت القرون عليها ، والناس مختلفون متجادلون في فهم المراد منها .. وستمر قرون كذلك ، دون ان يصل فيها العقل الى راى قاطع حاسم ، فماذا كان موقف صحابة رسول الله منها ؟ .

هل فهموها ، ووصلوا فيها الى حل مريح ، او سألوا الرسول عنها فبينها لهم ؟

لو انهم فهموها او بينها لهم الرسول لروى لنا هذا الفهم وهذا الحل، اذ ليس من المعقول ان يندرس مثل هذا البيان عن هذه الآيات المشكلة ، فلا يرث علمهم احد ممن اخذ عنهم ، ولا نتوارثه ، مع ان الروايات ، نقلت لنا الكثير من اقوال الرسول واقوالهم ، مما هو اقل شأنا من موضوع فهم هذه الآيات ، ومع أن عهد التابعين قد كثرت فيه الاسئلة عن غوامض القرآن . ولو كان هناك شيء مأثور عن معناها لنقل الينا .

وما دمنا لم نعثر على حديث صحيح عن الرسول ، او على راى للصحابة موثوق بنسبته اليهم ، فالمعقول انهم لم يفهموها ولم يسألوا عنها ...

ولكن كيف مرت دون أن يفهموها ، ودون أن يسألوا عنها ؟ وهي التي تشغلنا الآن، كما انها شغلت من قبلنا ، وستشغل من بعدنا ، ويكثر في فهمها الاختلاف ، كما كثر من قبل ، دون الوصول الى راى قاطع ..

- ما المراد بقوله تعالى في أوائل السور: الم . المص . الر . حم .. الخ ؟
- ما المراد بيد الله وسمعه وبصره وعينه ؟

الم يفسرها الرسول تفسيرا قاطعا ؟ الم يتطلع الصحابة لمعرفتها فيتركوا لنا فيها تفسيرا مقنعا ؟

تروى بعض كتب التفسير عن ابى بكر وعمر انها مما استأثر الله بعلمه .. ولو صحت هذه الرواية لكان معنى ذلك انهم يعلمون ذلك من الرسول .. ولقطعت هذه الرواية حبل الاجتهاد على كل متحدث يريد شرحها وفهمها .. ولكن حبل الحديث والتفسير والاجتهاد في فهمها لم ينقطع ، حتى بلغت الاقوال في معنى الحروف المقطعة مثلا عشرات . ومغزى هذا أن هذه الرواية عن أبي بكر وعمر لم تصح او لم تعتمد لدى المفسرين جميعا . فبقى باب الفهم والاجتهاد فيه مفتوحا ..

فرأينا فريقا من المفسرين يقف عن تفسيرها ويقول (الله أعلم بمراده) وآخرين منهم يفسرونها بما يمكنك الاطلاع عليه في كتب التفسير .. وكلها تفسيرات اجتهادية ترجع الى عقل المفسر وترجيحه .

والسبب في ذلك كله أننا لم نرث عن الصحابة رواية صحيحة معتمدة فيها .

كيف تترك هذه الأمور غامضة دون توضيح ؟ .. وهل يعقل أن تكون معانيها غامضة عليهم ، ثم سكتوا فلم يسألوا الرسول وهو المرجع الاعلى في تفسير القرآن وفهمه ؟ ..

أسئلة اجدها كلها نابتة من جونا العلمى والفكرى الذى نعيش فيه ، والذى دأب الناس فيه على أن يسألوا عن كل شيء حتى ما لا يحتمل السؤال .. وفي هذه الاسئلة التي نتساءلها شيء من الاستغراب عن موقف الصحابة واحجامهم عن السؤال .. وشيء من الاماني الغالية أن لو كان الصحابة سألوا عنها الرسول فبينها وأراحنا ..

فهل يلام الصحابة لعدم سؤالهم أو بيانهم .

انه لا بد لنا لكى نفهم موقفهم ونقدره أن نحاول بتفكيرنا العيش معهم في الجو الذى كانوا يعيشون فيه ، ونقدر مع ذلك البساطة العربية ، التى كانت تنفر من التعقيد ، والتى كانت طابعهم العام، ونعرف في الوقت نفسه أن وقتهم كان وقت تعبئة عامة ، وتركيز حول المسائل المهمة التى تأخذ من حياتهم الاهتمام

الاول ، وهى : العقيدة وبناؤها ، والاحكام والالتزام بها، والاعداء الكثيرون المحيطون بهم وضرورة مجابهتهم .. واولا واخيرا امة جديدة في كل شيء تزرع وسط حقول الغام ، ولا بد لها من الحذر والحيطة التامة في سيرها ..

فهل يحتمل هذا الجو ــ مع ما نعلمه من البساطة العربية ــ ان ينصرف الصحابة ــ وكل منهم في حالة طوارىء ــ الى مناقشات حول موضوعات كهذه لا تدخل في صميم عقيدتهم ، أو عباداتهم ومعاملاتهم .. وهى موضوعات اثيرت فيما بعد ، بدافع من الأمن والفراغ ، واتساع الحركة الذهنية والعلمية، وكثرة الداخلين في الاسلام من غير العرب ؟ .

لقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته نحو عشرين سنة كانت هى مدة الدعوة الى الدين الجديد بعد امره بانذار عشيرته الاقربين ، وامره بتبليغ الدعوة جهرا الى الناس .. وقد قضى من هذه المدة نحو نصفها في مكة في حالة ضغط مستمر عليه وعلى أصحابه واضطهاد عنيف تحملوه صابرين .. ومطاردة ومصادرة لهم في افكارهم وتحركاتهم ، بل وحياتهم .. فلم يكن من المعقول في هذا الظرف ان تثور مناقشات نظرية حول هذه المتشابهات .. وقد نزل اغلبها في مكة .

وقضى رسول الله في المدينة نحو عشر سنوات كذلك ، قضاها كلها في دفاع وحروب مستمرة فرضها عليه أعداؤه.. فكانت كلها سنوات طوارىء بلغتنا الحديثة .. وفي حالات الطوارىء لا يقبل فيها من الكلام والمناقشات ما يقبل عادة في حالات الامن والرخاء . بل تفرض التعبئة العامة جوها على الحياة وعلى الأفكار ..

هل يكون من المقبول المستساغ لدينا ــ اذا كنا في حالة حرب او طوارىء وتعبئة ــ أن نثير بحوثا ومجادلات نظرية تشغل الافكار وتمزقها ، ولو كان ذلك حول بعض المسائل الدينية ؟ .

هل يستساغ ان نثير في مثل هذه الحالة بحثا حول جواز ترجمة القرآن مثلا أو عدم جوازها ؟ أو حول من كان احق بالخلافة : ابو بكر او على ؟ . او حول المراد من الحروف المتقطعة التى بدئت بها بعض السور ، او حول القضاء والقدر وهل الانسان مسير او مخير ــ او حول القرآن وهل هو مخلوق أو غير مخلوق .. او نثير بحثا حول الشعر القديم والشعر الحديث .. او نعيد سيرة البيزنطيين فنتناقش: ايهما الأصل: البيضة أم الدجاجة ؟!!

واذا كنا لانستسيغ ذلك في حالة الحرب مع شهوتنا الملحة دائما في الكلام والجدل ، فكيف يمكن ان نطلب من الرسول .. وصحابته ، وقد كانوا في حالة طوارىء مستمرة ، وحالة حرب وخطر الحرب ــ ان يسألوا ويبحثوا في أشياء نظرية، وبعضها قد يثير الأضطراب الفكرى ، ويبعثر الجهود ، ويشتت الأفكار ويؤدى الى الدخول في التيه ؟..

ولكن أليس في فهم معنى يد الله وسمعه وبصره اتصال بالعقيدة ؟

نعم .. كان له اتصال .. ولكنهم فهموه فهما اجماليا وتركوه ، واكتفوا بهذا ، ولم ينساقوا الى ما وراءه ، مما أثير بعد ذلك .. اكتفوا واكتفى منهم الرسول بأنهم مؤمنون بالله وبصفاته كما جاء في كتابه ، وليس لهم أن يشغلوا انفسهم وأفكارهم بالبحث عن : كيف ، ولماذا ؟ مما قد يؤثر في الحياة الجديدة ، ويشغلها بأمور جانبية ليس من الضرورى اثارتها في هذه الحالة .

ومع أن طابع الحياة العملية وظروفها التى عاشوا فيها قد أملى عليهم هذا الاتجاه ، كان هناك بجوار هذا أو قبل هذا توجيهات من القرآن الكريم ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبذ هذا او تدعو اليه ، وترسمه منهجا لتفكيرهم وأسلوب فهمهم للقرآن، وللدين الجديد الذى اعتنقوه .. مما سنتناوله في حديثنا المقبل ان شاء الله . ■■

عبد المنعم النمر



يوم في حياة خروشوف

● يعيش نيكيتا خروشوف الزعيم السوفييتي الاسبق حياة هادئة مع زوجته نينا ، فى بيتهما الريفي الذى يبعد ١٥ ميلا عن مدينة موسكو (العاصمة) . وهو يستيقظ فى الساعة السادسة والنصف صباحا ويتناول كوبا من عصير الفاكهة ثم يقرأ الصحف وفي مقدمتها صحيفة « برافدا » .

وفى الساعة الثامنة يتناول طعام الافطار ثم يخرج فى نزهة فى حديقة البيت برفقة اربت Arbat وهو كلبه الكبير الذى لا يفترق عنه ابدا . ويحمل على كتفه جهاز راديو صغيرا ترانزستور .

وفى الثانية بعد الظهر يتناول خروشوف طعام الفداء الذى يتالف اساسا من الحساء الساخن ، بعد ان منعه الاطباء من تناول اللحوم المقددة على اثر اصابته بحصاة فى المرارة .

شيء واحد افتقده الزعيم السوفييتي السابق ، وهو الخمرة التي لم تعد تدخل جوفه ابدا . ولو انه يحتفظ بقبو كبير في بيته مليء بجميع انواع الخمور .

ولكن خروشوف يعيش فى تقاعده حياة يحسده عليها كل الزعماء السوفييت الذين سبقوه مثل بولجانين ومولوتوف وكاجانوفتش وغيرهم . فهو يتقاضى معاشا كبيرا يوازي ٢٢٠ جنيها استرلينيا فى الشهر، وتدفع الحكومة كل فواتير مصاريف البيت الذى يشرف على خدمته فيه اثنان من الطهاة وسائقان لسيارته يتناوبان العمل ليل نهار، ومدبرة للبيت .

وهوايته الوحيدة الآن هي التصوير الفوتوغرافي ، وهو يلتقط الصور ويحمضها ويطبعها بنفسه فى الحمام الذى حوله الى معمل للتحميض والطبع والتكبير !

رأى ديجول في جونسون !

● تحدث ديجول رئيس جمهورية فرنسا عن الرئيس الامركي جونسون وعن رايه فيه فقال : ان جونسون راعى بقر ، ولو انه كان من مواليد اوربا ، لما بقى فيها ، فقد كان حتما سيغادرها الى افريقيا لاصطياد الجاموس الوحشى أو الى امريكا بحثا عن الذهب . انه رجل كفء ولكن بلا اسلوب . انني احب جونسون لانه لا يكلف نفسه مشقة التظاهر بالتفكير . لقد كان روزفلت كما كان كندى قناعين

ثمن النجاح !

● تلقى الكاتب الامريكي المشهور ارنست هيمنجواى يوما خطابا من زميل فاشل عاصر هيمنجواى وهو يرتقى سلم النجاح .

وما كاد الكاتب الكبير الراحل يفض الخطاب ، حتى وجد بداخله ورقة مالية من فئة الدولار ، وبضع كلمات تقطر حقدا وسما ، فقد قال الزميل الفاشل للكاتب الكبير : « سمعت اخيرا انك تتقاضي مبلغ دولار كامل ثمنا لكل كلمة تكتبها ، وانا ارسل لك ثمن كلمة واحدة من كلماتك الثمينة ، وارجو ان تبعث لي بهذه الكلمة كعينة ، لعلي استشف منها هذه القيمة الادبية الرائعة التى تتمتع بها ! »

ورد هيمنجواى على زميله بخطاب كتب فيه بالحرف الواحد : « أشكرك ، واتمنى لك نجاحا مماثلا » !.

وفى ذيل الخطاب كتب ملحوظة صغيرة قال فيها : « لقد دفعت لي ثمن كلمة واحدة ، ولكنني كتبت خمس كلمات ، فلا تنس أن ترسل لى شيكا بقيمة الكلمات الاربع الاخرى ! » .

يخفيان وجه امريكا الحقيقي . اما جونسون فهو يمثل صورة صادقة لبلاده . فهو يفضح امريكا ويعريها امامنا .. بلادا وعرة خشنة خامة . ولو ان جونسون لم يكن موجودا لاضطرارنا لابتكار شخصيته » !

وقد ضمن ديجول هذا الراى الشخصي في الرئيس الامريكى جونسون كتابا جديدا صدر فى فرنسا بعنوان « الجنرال » Le General ، بقلم الصحفى الفرنسي بيير جالان Pierre Galante احد محررى صحيفة بارى ماتش Paris Match الفرنسية .





قالوا ...

* لم يكن الرجل الاسود هو الذى استخدم الغازات السامة والقنابل الذرية ... ولم يكن الرجل الاسود هو الذىارسل الملايين من النساء والاطفال والرجال الى الافران المشتعلة ليحترقوا احياء ...

السناتور روبرت كنيدى
المرشح لرئاسة امريكا

★ ★ ★

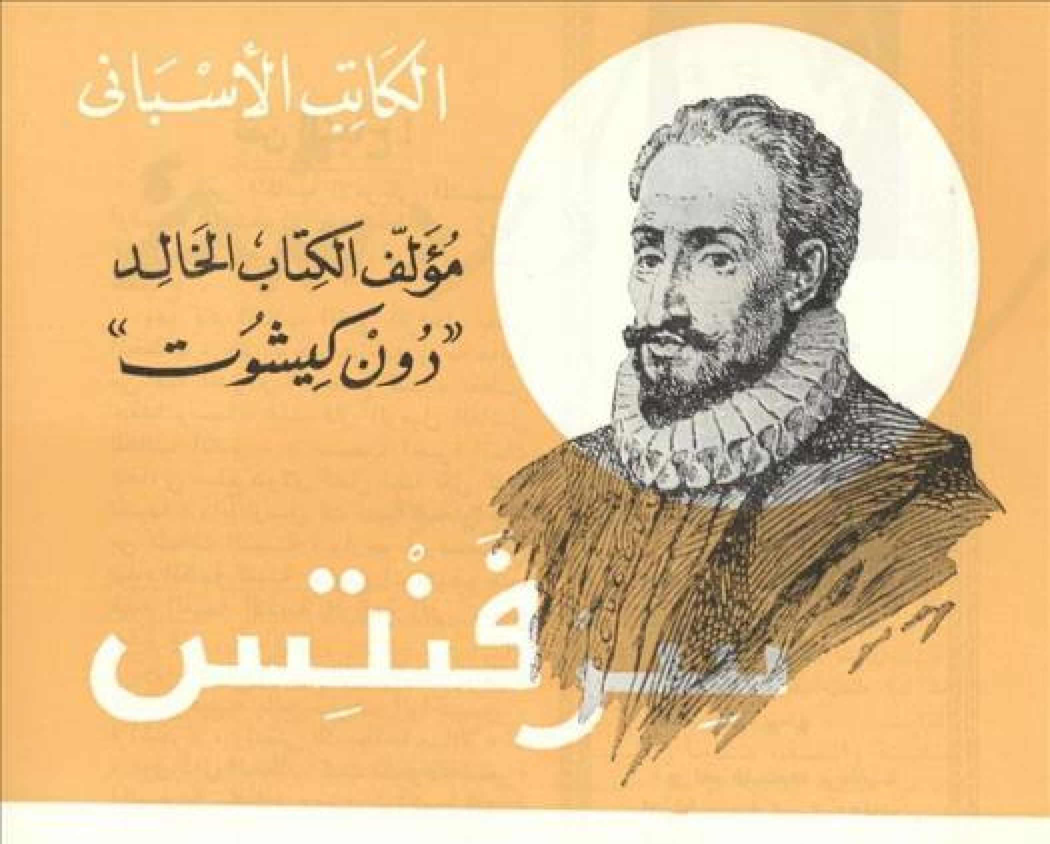
* لقد فقدت بريطانيا امبراطورية كبرى وخففت كذلك من وزن عملتها .. ولكنها حققت بذلك شيئا واحدا ، وهو تخفيف الكبرياء عن قلوب الانجليز ، تلك القلوب التي كانت ترزح تحت حمل ثقيل عندما كانت بريطانيا تتزعم العالم كله قرونا طويلة .

« مجلة تايم الامريكية »

★ ★ ★

* من الطريف أن نذكر أن صحيفة التايمز اللندنية تصدر كتابا كل ٢٥ عاما تعترف فيه بالاخطاء التي وقعت فيها اثناء عرضها للمشاكل العالمية خلال السنوات الخمس والعشرين التي سبقت صدور هذا الكتاب .

هارولد ماكميلان
رئيس وزراء بريطانيا الاسبق



بقلم : علي أدهم

■ كثير من عظماء الرجال وافذاذ الانسانية لم تقدر عبقريتهم ويعترف بفضلهم في أثناء حياتهم، وقد يظفر بعضهم بعطف قلة من معاصريهم ، ويحظى بتشجيعهم ، ولكن اعمالهم برغم ذلك تظل عرضة للشك ، ومثار جدل وخلاف ، حتى تنقضي حقبة من الزمن يختفي فيها من الميدان الرجال الأقل قيمة ، والادنى منزلة ، الذين نالوا مكانة لم يكونوا بها جديرين، واصابوا من الاعجاب والتقدير ما لا يستحقون ، ويظهر حينذاك فضل هؤلاء الذين عقتهم عصرهم ، وغمطهم حقهم . وكثيرا ما يحدث ان هؤلاء الذين ملأوا عصرا من العصور ضجة ودويا ، ووصلوا بين معاصريهم الى المكانة الشماء ، يجر عليهم النسيان أذياله ويطويهم الزمن في غياهبه ، فلا تحفل الاجيال التالية بآثارهم ، وتعرض حتى عن ذكر اسمائهم في حين ان الرجال العظماء حقا يعيشون في اعمالهم الخالدة ، ويبقى ذكرهم ما بقيت الانسانية ، ومنهم من ذاق مرارة الاخفاق ، وعرف آلام الحرمان .

رواية دون كيشوت

ورواية دون كيشوت Don Quichotte من اشهر الروايات العالمية ، واحدى الطرف الادبية المعدودة ، وقد اشتهرت

قلّ أن يجد الباحث في حياة الكتّاب أشقى منه، ولا وهم يكتبون أفقر منه وأجوع، ولا فيما طرقوا من أبواب الحياة أكثر إخفاقا. وكتب كتابه الشهير على شيخوخة. ومات ولم يُعرف له قبر.

مغامرات بطلها هذا ، او بالاحرى حماقاته المسلية ، وكيف كان يسير مع تابعه سانكو بانزا ، ويثبت اقدامه وشجاعته وميله الى الاخذ بيد الضعفاء ومناصرة المظلومين بأساليب مختلفة تدل على الغفلة والسذاجة المقترنة بطيبة النفس والمثالية العمياء . ولا يعد هذا الكتاب الذي سجل مغامرات هذا الفارس المغوار ، وتابعه المسكين ، مجرد قصة ، وانما هو صورة لاسبانيا في عصره وحياتها من شتى نواحيها في القرن السادس عشر ، فهي تمثل افكار الشعب ، وتصور مشاعره ، تصويرا لا يستطيعه سوى فنان عبقري موهوب حادّ الفطنة نافذ البصيرة .

كتاب عرفه العالم قبل ان يعرف صاحبه

وحينما ظهر الكتاب في اسبانيا سنة ١٦٠٥ لم يكن احد يدري انه سيكون من الكتب العظيمة الخالدة ، وانه سيترجم الى لغات العالم جميعها ومنها لغتنا العربية ، ولم يعْنَ احد بمعرفة مؤلفه او بذكره بعد موته ، ولكن حينما عرف مواطنوه الاسبانيون انه اصبح له شهرة عالمية أخذوا في بحث سيرته ، وتحرّي اخبار حياته ، ووجدوا انه يستحق الشهرة الواسعة بوصفه انسانا ، فضلا عما يستحقه من الشهرة بوصفه احد كتاب العالم المعدودين .

مؤلف جندي

كان سرفنتس Cervantes جنديا، وليس من عادة الجنود ان يشغلوا بكتابة القصص ، ولكنه لم يكن جنديا في جيش منظم يتلقى التدريب كل يوم في الثكنات، وانما كان جنديا آثر ان يذهب الى الحرب ، ويخوض غمارها ، ويستهدف اخطارها ويحتمل في صبر وجلد مشقاتها، وقد افاد من ذلك معرفة ، واكتسب خبرة بالحياة والمجتمع ، اعانها خياله الخصب وشاعريته وقدرته الفنية .

نشأته

وقد ولد سرفنتس في سنة ١٥٤٧ ، وكان ابوه بيطارا بمدينة قلعة ايناريس ، وكانت هذه المدينة حينذاك مركزا هاما من مراكز العلم المسيحي ، فقد اوجد فيها الكاردينال اكزيمنيس جامعة في سنة ١٥٠٨ ، ولكن سرفنتس لم يلتحق بهذه الجامعة ، لان اهله كانوا فقراء ، ولكنه عمل على ان يتلقى من اللاتيني ما يمكنه من قراءة الآثار اللاتينية الادبية . وقد استدل الذين ترجموا له على فرط ميله الى القراءة من قوله انه كان يقرأ كل ما يقع في يده حتى قصاصات الورق التي يلتقطها من الطريق . وقد اعتاض عن الدراسة المنظمة بمعرفة

الناس والحياة معرفة يغبطه عليها الدارسون والعلماء .

يلتحق بخدمة قسيس

وقد حاول الكتابة مبكرا ، ونظم قصيدة وهو في العشرين من عمره بمناسبة وفاة ملكة اسبانيا ، اثنى على القصيدة استاذه ، ومرت سنوات قبل أن يستطيع ان يفرغ للادب ومعالجة الكتابة والتأليف. وكان يشعر بانه يملك الموهبة ، ولكن ظروف الحياة القاسية لم تتح له الفرصة لاختبار قدرته وشحذ ملكته . وكان مطبوعا على حب المغامرة، فاغتنم اول فرصة لاحت له لممارسة الحياة ومعاناة التجارب ، فقد التحق بخدمة القس الايطالي الشاب اكوفيفا Aquaviva بوصفه رئيسا للخدم . وكان البابا قد ارسل هذا القس الى الملك الاسباني فيليب الثاني ، وغضب الملك عليه ، وامره بمغادرة اسبانيا خلال شهرين . وقد انتقل معه سرفنتس الى ايطاليا عند عودته اليها ، ولكن سرفنتس لم يرض عن الحياة المملة الخالية من الحوادث الشائقة في ظل راعيه القسيس، ولم يكن ممن يحسنون الملق والمداهنة والدس ، ولذلك استقال من عمله .

والتحق بالجندية

والتحق بالجندية في الفرقة الاسبانية التي تكونت في ايطاليا، وكان البابا بيوس الخامس ينظم حينذاك حلفا مقدسا لوقف تقدم الاتراك العثمانيين في اوربا ، وكانت فتوحاتهم العظيمة وانتصاراتهم الباهرة قد ادخلت الرعب في قلوب الحكومات الاوربية ، ولكن كانت هناك صعوبة في توحيد الكلمة وجمع الصفوف والاتفاق على خطة لصد تيار الهجوم التركي . كانت المنافسات بين الدول الاوربية لاتمكن من عقد الاتفاق والتغلب على اسباب الخلاف والشقاق ، واخيرا وبعد ابطاء طويل قضاه سرفنتس في نابولي تكوّن الحلف من البابا، والبندقية، واسبانيا ، تحت قيادة دون جيوان النمساوي ، وكان قائدا بارعا ، وهو اخو فيليب الثاني ، وكان اسطول هذه الدول الثلاث يعد اعظم اسطول يحمل علم المسيحية ، وكان فيه سفن يجدف بها عدد من البحارة كلهم من المجرمين المحكوم عليهم . وفي سفن الاتراك كانت البحارة من الجنود الانكشارية . وكان هدف المتحالفين استرداد جزيرة قبرص من الاتراك ، ولكن قبل وصول الحلفاء الى الجزيرة نشبت معركة رهيبة عند خليج ليبانتو Lapanto الواقعة عند مدخل خليج كورنت انتصر فيها الحلفاء بعد جهاد شديد .

وبرغم ان سرفنتس كان يعمل جنديا بسيطا فقد اظهر شجاعة استرعت الانظار وحازت التقدير ، وكان مصابا بالحمى في نابولي ولكنه اصر على الاشتراك في المعركة برغم مرضه، واختار مكانا معرضا للهجوم الشديد من السفن المعادية ،وقد اصيب في المعركة بثلاث قذائف ، اثنتين في الصدر والثالثة في يده اليسرى ، وظلت يده مشلولة طوال حياته . وقد اكسبه موقف البطل هذا اعجاب زملائه، وظل هو نفسه يرى ان هذا الموقف هو انبل مواقف حياته واحقها بأن يفخر به.

وقتل من الاتراك في هذه المعركة الدامية قرابة عشرين الفا، وفقدوا مائة وسبعين سفينة ، ولم تقض هذه المعركة على قوة الاتراك ولكنها اوقفت تقدمهم ، واقنعت الحلفاء بان الاتراك يمكن هزيمتهم وكانت انتصارات الاتراك المتلاحقة قد جعلت الاوربيين يشكون في قدرتهم على ايقاع الهزيمة بالاتراك وردهم على اعقابهم .

وهبت عاصفة في اثر المعركة ، وابحر دون جيوان النمساوي الى مسينا ومعه

جرحى المعركة،وكان من بينهم سرفنتس الذى كان جرحه بالغا ، واعطيت له هبة من المال لقاء شجاعته ، ولكنه كان شديد التوق الى العودة الى ميدان القتال، ولم يمض زمن طويل حتى عاد الى الانضمام للجيش ، واشترك في محاولة دون جيوان الثانية للتغلب على الاسطول التركى ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح .

وتلا ذلك هجوم على افريقية واستيلاء على تونس ، ولكن سرعان ما استردها الاتراك ، واستغرقت هذه المحاولات والمغامرات اربع سنوات عاني سرفنتس في خلالها شدائد الحرب ، وتعاورته محنها ، وذاق لذة الانتصار ، وتجرع مرارة الهزيمة ، وقد صار بعد هذه التجارب المرة جنديا مريضا مبتور اليد. وعرَف ما يعرض لحياة الجندى من الاعمال العظيمة ، ولكنه عرف كذلك الاخفاق وخيبة الرجاء .

في الاسر خمس سنوات

ولما كان قد غاب عن بلاده ست سنوات فقد التمس العودة اليها ، ومنح هذا الحق ، وترك نابولى في سفينة قاصدة الى اسبانيا ، وكان يحمل رسالتين يشيدان ببطولته وحسن بلائه ،احداهما من دون جيوان نفسه والاخرى من دوق سيسا Sessa لفيليب الثاني ، وكانت هاتان الرسالتان من اسباب نكبته ،فقد هاجمت السفينة التى تحمله سفن القراصنة من الجزائريين في الريفيرا الفرنسية . واخذته اسيرا مع جماعة من الاسبانيين. ولما وجد القراصنة معه الرسالتين ظنوا انه من علية القوم ، وان له شأنا ، وغالوا في طلب الفدية ، وقد حمل سرفنتس مع سائر الاسرى الى الجزائر ، ووضع تحت حراسة رجل من اصل يوناني اعتنق الاسلام ، وكان فظا غليظ القلب .

واظهر سرفنتس في اثناء اسره الذى استمر خمس سنوات شجاعة نادرة ، واظهرت الاحداث التى توالت عليه ما تنطوى عليه نفسه من نبل وسماحة ، ودبر خططا للهرب من الاسر ولم يمنعه اخفاق احدى الخطط من محاولة تدبير خطة اخرى . وفي اول محاولة افسد الخطة احد المغاربة، وكان قد اتخذه دليلا فافشي سر المحاولة في اللحظة الاخيرة ، واضطر الهاربون مع سرفنتس الى العودة للجزائر ، واحتمل هو التبعة ، وعوقب من اجل ذلك عقابا شديدا . وفي السنة التالية ارسل والداه مبلغا من المال لافتدائه ، ولكن المبلغ المرسل لم يكن كافيا ، واطلق سراح اخيه رود ديجو ، فعاد الى اسبانيا ومعه طلب من سرفنتس يوصى فيه باعداد سفينة وارسالها للجزائر لتمكنه من الهرب مع زملائه من الاسرى ، واعد العدة للهرب ، وخبا نحو خمسين من الاسرى الاسبانيين في كهف خارج المدينة ، وظل يقدم لهم الطعام مدة ستة اشهر ، واخيرا جاءت السفينة المنتظرة ، واستعد هو ورفقاؤه للهرب والابحار عليها ، ولكن شاء سوء الحظ ان يكشف امرهم في اللحظة الاخيرة ، واحاطت بهم قوة مسلحة من الجند الاتراك ، وابى سرفنتس الا ان يحمل الوزر كله وحده، وبرغم تهديده بالتعذيب والموت فانه رفض القاء التبعة على احد من رفاقه . ولم يكن الحاكم التركى الذى مثل سرفنتس بين يديه بتردد في اصدار الحكم بالاعدام في امثال هذه الحالة ، ولكن يبدو ان ثبات سرفنتس واصراره على الانفراد باحتمال التبعة اثرا في نفسه وحملاه على الظن بأن هذا الاسبانى الجرىء لا بد ان يكون له شأن خاص ، وربما امكن الحصول على فدية ضخمة من وراء الابقاء على حياته .

واتفق تاجران اسبانيان على تجهيز سفينة مسلحة تتسع لستين من الاسرى

ولكن راهبا اسبانيا كان يكره سرفنتس لأسباب مجهولة افشى سر المحاولة ، وكان في استطاعة سرفنتس ان يهرب بسهولة ويتخلص من حياة الاسر الشاقة لو انه وافق التاجرين على ان يهرب بمفرده، ولكنه ابى ان يهرب ويترك رفقاءه في الاسر . ولكي يجنبهم التبعة قدم نفسه للحاكم ، وقد سيق اليه وحول عنقه حبل ، واظهر شجاعة كعادته امام الحاكم ، وكان المنظور هذه المرة ان يحكم عليه بالشنق او على الاقل بجدع أنفه او تقطع اذنه ، ولكن الحاكم اكتفى هذه المرة بحبس الاسباني المقطوع اليد مقيدا بالأغلال مدة خمسة اشهر .

وقامت محاولات في اسبانيا لافتدائه ، وكان والده قد توفى، ولكن والدته واخوته عملوا على جمع ما يستطيعون من المال ، وقدم الملك اعانة لوالدة سرفنتس لقاء خدمته في الجيش كما امدتها بعض المؤسسات الخيرية بمبلغ من المال ، وارسل راهب اسباني الى قرصان الجزائر للمساومة في اطلاق سراحه ، ويروى انه لو تأخر الراهب قليلا لكان سرفانتس قد نقل الى القسطنطينية ليباع بها في سوق الرقيق العام .

يعود الى اسبانيا

ولما عاد سرفنتس الى اسبانيا ترك الجندية للاشتغال بالأدب ، ونظم شعرا وكتب تمثيليات وروايات ونقدا ادبيا ، ولكنه لم يوفق في ذلك كله . وكان يعاني الضيق ، وقد انفقت الاسرة ما عندها ليستعيد حريته . ولو عاش مثل هذا الرجل في عهد انتشار الصحافة لاشتهرت مغامراته في الخافقين ، وعُدّ من ابطال العصر وشخصياته اللامعة . وكان راعيه دون جيوان قد مات حين وصوله الى اسبانيا ، فلم يجد احدا يقدر ماضيه وحسن بلائه ، ويقول عنه كلمة طيبة تقربه من أصحاب السلطة والنفوذ ، وكانت اسبانيا حينما عاد اليها في سنة ١٥٨٠ قد بلغت الذروة في المكانة بين الدول الاوروبية ، وكان ملكها فيليب الثاني لا يحكم اسبانيا وحدها ، وانما يحكم معها كذلك البرتغال والاراضي المنخفضة وجزءا كبيرا من ايطاليا وجزءا من شاطيء افريقية الواقع على البحر الابيض المتوسط والدنيا الجديدة من شيلي الى فلوريدا او قرابة ثلاثة ارباع القارة الجديدة .

وكانت اسبانيا مسيطرة في البر والبحر مما أثار المنافسة الشديدة بينها وبين الدول الطامعة في توسيع رقعتها وبسط نفوذها ، ولكن هذه العظمة كانت قائمة على اتساع الحجم وترامي الحدود ، في حين أن الفساد كان متغلغلا في صميم الدولة ، فقد ملكت شهوة جمع الذهب والطمع في التوسع النفوس مما يوضح لنا ان عبادة القوة وشره حب الامتلاك يؤديان الى السقوط والخراب ، فقد شرعت الناس تفخر بما تملك من الاميال المربعة وما تسيطر عليه من النفوس ، وشغل تفكيرها بالاهداف المادية المحضة ، واتخذت الدولة سياسة العدوان والتوسع في بسط السلطان ، واهملت الحاجة الى الاصلاح الاجتماعي والاصلاح الاقتصادي ، ولم تُعنَ باحوال الطبقة الفقيرة ، بل حاولت ان تستغلها ، واثارت الكثير من الحروب ، ولم يكن عجيبا اغفال امر الجندي الباسل الفقير المغمور سرفنتس في مثل هذه الأحوال .

سرفنتس يتزوج

وقد الف رواية اسماها « جالتيا » ضمنت له الشهرة ، ولكنها لم تدر عليه من المال ما يكفي للاقبال على التأليف ، والافادة من مواهبه الأدبية . وتزوج سرفنتس في السابعة والثلاثين من عمره

من سيدة تسمى كاتالينا حملت معها له بائنة مكونة من اربع خلايا نحل، وملاءتين من الكتان وثلاث من القطن وبطانية جيدة واخرى مستعملة، واربعين دجاجة وملكية مزرعة كروم صغيرة. وعجب جيرانه من امر هذه السيدة التي تقبل الزواج من مثل هذا الجندى المقطوع اليد الذى لا يملك شروى نقير ويكبرها بسنوات كثيرة .

سرفنتس يكتب ويؤلف

واقبل سرفنتس على الكتابة والتاليف، وبذل جهده ، ولكنه عجز عن منافسة معاصره المؤلف الدرامي الشهير لوب دى فيجا Lope de Vega ، فقد كان ذائع الصيت ، كثير الانصار والمعجبين ، وكانت له قدرة على الابتكار لا تبارى ، ويروى انه الف الفا وثمانمائة مسرحية غير الاشعار التي نظمها والقصص التي كتبها ، ولم يبق من آثاره سوى القليل ، وقد كانت الدرامات الاسبانية هي الامثلة التي احتذاها كتاب الدراما في انجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الاوربية .

وطلب اعمالا صغيرة للعيش

واضطر سرفنتس الى البحث عن عمل آخر ليعيش منه ويعول اسرته ، وكانت الحكومة الاسبانية حينذاك تعد اسطولها الارماد Armada لمهاجمة انجلترا ، واستطاع سرفنتس ان يحصل على وظيفة متعهد لتوريد الاغذية والاخشاب وما اليهما وبيعها للاسطول ، وكان هذا العمل مما يضيق عنه ذرعه . وعين بعد ذلك في الوظيفة المتواضعة وظيفة جابي الضرائب ، وسرعان ما ابغض هذه الوظيفة وعاني مشكلاتها والتمس من الحكومة ان تعينه في وظيفة اخرى ، ولكن التماسه اهمل ، وظل في الوظيفة الكريهة ، وعصره الفقر حتى كان يجد صعوبة في الحصول على الملبس، واثار عجزه في المسائل العملية الشبهة في امانته وحبس في اشبيلية لوجود عجز في عهدته ولم يعطف فيليب الثاني على هذا الجندى القديم والكاتب المكافح . وحينما مات فيليب الثاني ، وخلفه ابنه فيليب الثالث ، اغفل هو كذلك شأن سرفنتس ولم يعمل على انصافه ، وتفريج ازماته .

سرفنتس يكتب قصته الخالدة

وفي غمرة هذا الشقاء وخلال هذه المثبطات ومواجهة هذه الصعاب شرع سرفنتس في تاليف كتابه العظيم وروايته الخالدة . وفي سنة ١٦٠٥ ظهر الجزء الاول منها ، وبرغم النجاح الذى لقيته واقبال القراء على قراءتها والاعجاب بها فان الكنيسة لم ترض عنها ، وكتب لوب دى فيجا المؤلف الموفق الناجح يقول عن معاصره التعس الحظ « ليس هناك شاعر اسوأ من سرفنتيس ولا شيء اسخف من امتداح دون كيشوت » .

وكانت الناس في ذلك العصر تقرأ روايات الفروسية التي تروى مغامرات سخيفة مشحونة بالمبالغات التي لا يقبلها العقل عن الفرسان وجولاتهم لاجتذاب الاميرات الحسان ، واستنزالهن من القلاع والحصون ، وقد اراد سرفنتس ان يسخر بهذا النوع من البطولة الزائفة، ويكشف ما تنطوى عليه من سخافات وحماقات وتهويلات ومبالغات . ومكنه خياله الخصب وتجاربه المنوعة من ان يقدم لنا في كتابه صورة شاملة للحياة الاسبانية في عصره من خلال تصويره لبطله الذى افسد عليه تفكيره امعانه في الاطلاع على اقاصيص البطولة ،

وتابعه الذى كان يحاول عبثا ان يبصّره بالواقع .

ودون كيشوت نفسه برغم أنه شخصية تثير الضحك ولكنه مع ذلك سيد كريم النفس ، نبيل الخلق ، مطبوع على الرفق والعطف ، وكلمة « الدون كوشيتية » اصبحت في شتى لغات العالم تحمل المعنى الذى مثلته اخلاق هذا الفارس المغوار حامي الضعفاء ، ونصير المظلومين ، وطالب المثل الأعلى ، وباغى الاصلاح والسمو بالانسانية ، والذى يؤمل فيها خيرا ، ويتطلع الى الكمال وتحقيق أحلام الفلاسفة . ولم يكن الكتاب تاليف عالم متمكن واسع الاطلاع، غزير المعرفة ، وانما هو ثمرة عبقرية استخلصته من تجارب الحياة وواقع المجتمع ، وقد صدق فيه قولهم « ان الاطفال الصغار يقلبون صفحاته ، والشبان يقبلون على قراءته ، والكهول يفهمونه ، والشيوخ يمتدحونه » .

وللجزء الثاني من الكتاب قصة طريفة ، فبينما كان سرفنتس ماضيا في كتابته كتب انسان اسمى نفسه أفالانيد Avellanedal كتابا ادعى انه الجزء الثاني من رواية دون كيشوت، وقدمه للطبع ، وظهر الكتاب ، وكان محاكاة للاصل بارعة ، ولكن بطبيعة الحال تنقصها الاصالة والمزايا الموفورة في الاصل ، وقد حمل مؤلف هذا الجزء على سرفنتس في مقدمة كتابه ، ووصفه بانه طريد السجون ، وكافر النعمة ، وعيّره بيده المقطوعة ، قائلا ان لسانه اطول من يده ، واغضبت هذه الحملة الظالمة سرفنتس وحفزته الى الاسراع باتمام الجزء الثاني من القصة .

وقد كتب الكتاب جميعه ومؤلفه يجاهد جهادا شاقا للحصول على الخبز، ولكن الكتاب مع ذلك لا أثر فيه لمرارة النفس او الحقد على المجتمع ، وقد اتم الجزء الثاني وهو مشرف على السبعين من عمره الحافل بالمتاعب والاخفاق والحرمان ، ولكن بشاشته وما طبع عليه من الميل الى المرح لم يفارقاه ، وقد كان اسقف طليطلة احد الافراد القلائل الذين صادقوه . وحينما سأله عنه بعض زواره من الفرنسيين قال « انه كان شيخا وجنديا وجنتلمان وفقيرا » . وقد اجابه احد هؤلاء الزوار قائلا « اذا كانت الضرورة هي التي ترغمه على الكتابة فنرجو الله أن لا يوسع عليه حتى يستطيع بفقره ان يجعل الدنيا غنية » .

وقد عاش سرفنتس بضع سنوات في احد الاحياء الفقيرة بمدينة فالادوليد Valladolid ، وقد كان فيليب الثالث جعل منها عاصمة ، وكان يعول اسرة مكونة من زوجته وابنته وشقيقته واثنتين من قريباته ، ولكن فقره المدقع لم يفسد ملكته ولا طباعه ، ولو لم يكتب روايته المشهورة « دون كيشوت » لكانت مجموعة القصص المسماة « القصص المثالية » كفيلة بتخليد اسمه . وقد أثر كتابه وقصصه في الأدب الاوربي جميعه ، وكتاب الرواية في انجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الاوربية جميعهم مدينون لهذا الرجل العبقرى الفذ .

وقد مات سرفنتس في ١٩ ابريل سنة ١٦١٦ في مدريد ، ودفن بدون احتفال ، ولم يميّز قبره اى نصب تذكارى ، ولذلك لا يعرف قبره الآن . ولم يظفر سرفنتس بالتقدير اللائق بمكانته ، ولكنه ارضى نزعته الفنية ، وحقق مثله الأعلى ، وقد ترك للانسانية ذخيرة باقية كافية لوضع اسمه في سجل الخالدين .

وقد مات في السنة نفسها التي مات فيها نظيره في الأدب الانجليزي وليام شكسبير ، وفي بعض الروايات انهما ماتا في اليوم نفسه . ■■

علي أدهم

كُلَّ يَوْمٍ فى الهَوى أقْرَعُ سِنًّا



■ أشرق الصبح بنور الله فينـا يملأ القلب رشادا ، ويقينـا
فاشهدِ الروض ، وقد زاد فتونـا واسمعِ اللحن ، وقد فاض حنينـا
إنـه الحب حيـاةُ العاشقينـا

قم ترنّم بنشيـد العنـدليـبِ بين أحلامٍ ، وفردوس، وطيبِ
وأهازيج ، ولَحْنٍ ، ونسيـب ونسيم بـاردٍ عذب ، رطيـب
وصباح باسم طَلْـق طـروب

باكر الفرحـة ، لن تَسكبَ دنًّا روحهُ عنا غريـب ، ليس منا
طالما بالراح ، والراووق هِمنا وغوَينا بهواه ، وشَبِمْنـا
كل يـوم في الهـوى أقـرع سنا

فمتاع النفس في عيش طليـقِ وحياةٍ رحبـة من كل ضيـق
وهى كأس من صَبوح ، أو غبـوق لا تسلّى عن صبابات الرحيـق
أو غـزال ناعـم الخـد رشيـق

طالمـا همت بفردوس الجمـالِ وهوى ظبيٍ غرير ذى اختيـالِ
لا تسل عنه ، وقد أشجى خيـالى وهو في روعـة حسن ، ودلالِ
لا أباليـه ، وما مـنى يبالى !!

محمد هارون الحلو

الاتصال



بقلم : الدكتور علي أحمد على

دكتوراه في التوجيه النفسي والتربوي / جامعة كولمبيا ـ نيويورك

■ يعتبر الاتصال Communication من الموضوعات الهامة التى تشغل بال الكثير من المتخصصين في مختلف الميادين : الصناعية والتجارية والاقتصادية والتعليمية والترويحية وغيرها .

ما الاتصال ؟

وهناك الكثير من التعاريف للاتصال ، منها التعريف الذى قدمه ليلاند براون Leland Brown وهو : « ان الاتصال عبارة عن عملية نقل وتلقى الحقائق والآراء والشعور والاتجاهات والاحساس وطرق الاداء والتفكير بواسطة رموز من شخص الى آخر » . فكل حقائق او معلومات او خبرة او اتجاه او احساس ينقل من شخص الى آخر ، او من شخص الى مجموعة من الاشخاص ، أو من مجموعة لشخص ، كل ذلك يدخل دائرة الاتصال .

فانت عندما تقابل صديقا لك وتناقشه في مسألة صغيرة تهمك وتهمه ، فانكما في الحقيقة قد قمتما بعملية اتصال . وهذا الاتصال قد تم وجها لوجه. وقد استخدم فيه بعض الرموز وهى اللغة في هذه الحالة . فاللغة ما هى الا رموز قد نظمت بطريقة خاصة تجعل لها معنى عند الافراد الذين لديهم دراية وخبرة بهذه اللغة .

والتعريف السابق للاتصال اقتصر على الاتصال القائم بين فرد وفرد ، ولكن الاتصال يمكن ان يتم بين الاشياء والافراد . فعندما يخرج الرجل من منزله ويدرك ان الجو بارد ، فكأنه في الحقيقة قد تلقى رسالة خاصة تخبره بأن الجو بارد . وقد جاء ذلك عن طريق احساسه بالبرودة ، وأن عليه أن يتخذ كافة الاحتياطات من ناحية الملبس لكى يواجه برودة الجو . فالاتصال قد تم هنا بين الرجل والشيء ، والشيء هنا هو الجو . ولكن الاتصال في هذه الحالة يحدث من جانب واحد وفي اتجاه واحد . فالرجل نظرا لقدرته على الادراك يستطيع أن يتلقى الرسالة من الجو فيدرك برودته أو حرارته أو رطوبته ، ولكن الرجل لا يستطيع ـ اذا تصورنا هذا جدلا ـ ان يوصل رسالة معينة الى الجو نظرا لعدم قدرة الجو على الادراك .

الاتصال أساس أى نظام اجتماعي

لا يمكن لأحد أن يتصور اى نظام اجتماعي بدون خطوط اتصال بين مختلف أعضائه واجزائه . وسواء أكان هذا النظام بسيطا في تكوينه كالاسرة، او معقدا كما في المؤسسة الكبيرة أو الشركة الضخمة ، وسواء اجتمع اثنان او نفر قليل من الناس أو حشد كبير منهم ، فان هذا لا يغنى عن الاتصال او يقلل منه .

وقد يسأل سائل : نفرض ان رجلين اجتمعا دون أن يتحادثا . فهل يمكن القول بأن هناك اتصالا قد تم بينهما ؟ والجواب على ذلك بالايجاب. فحتى مع جلوس هذين الرجلين صامتين فانهما يتصلان احدهما بالآخر عن طريق حاسة الابصار وحاسة الشم والسمع وغيرها . فقد يكون احدهما



دروس وانتفعوا بها في شتى مرافق الحياة وشئونها

واضعا طيبا فوق ثوبه ، فيدرك الآخر هذا عن طريق انفه ، وهذا نوع من الاتصال بين الرجلين دون كلام او سلام . وقد يكون تنفس احد الرجلين واستنشاقه للهواء بصوت مسموع ، فيدرك الآخر بأن عنده صعوبة في التنفس نتيجة لالتهاب فى جيوبه الانفية او نزلة برد او غير ذلك . فمن اخبره بذلك . لقد حدث في الحقيقة اتصال بين الرجلين عن طريق الصوت المسموع دون ان ينطق احد الرجلين بكلمة او يتجاذبا اطراف الحديث .

والواقع ان الافراد اذا ارادوا أن يعملوا فى سبيل تحقيق تفاهم مشترك أو عمل مشترك لا بد لهم من الاتصال وذلك لايصال الخبرة وتبادل الراى .

الاتصال في يوم من حياة أحد منا

لكى نوضح للقارىء وظيفة الاتصال في حياتنا اليومية نعطى هذا المثال القريب من الواقعية في حياة مدير لاحدى الشركات لنرى كيف ان الاتصال يلعب دورا هاما في حياة هذا المدير ، وان الجزء الاكبر من ساعات عمله يقضيه في عمليات كلها اتصال .

يخرج المدير من منزله فيركب سيارته ، واذ ينظر الى اشارات المرور الضوئية، يقف عندما ترمز هذه الاشارات بالوقوف ، ويتحرك بالسيارة عندما ترمز هذه الاشارات بذلك . فهذا نوع من الاتصال قد تم عن طريق الرموز .

ويصل المدير الى مكتبه ويبدأ في قراءة البريد الوارد . وهذا يعتبر نوعا من الاتصال الكتابى . وقد يكون بين البريد الوارد بعض الاشياء المطبوعة التى تحتوى على بعض الصور . وهذا يعتبر نوعا من الاتصال المصوّر . وقد يسمع المدير أثناء قراءته للبريد الوارد بعض جوانب من حديث يصدر عن الراديو من بعيد ، وقد يسمع المذيع وهو يعلن عن شيء ما وهذا اتصال منطوق . وقد يدخل عليه السكرتير بينما هو منشغل في حديث تليفونى ، ويلقى عليه تحية الصباح فيردها بايماءة من رأسه نظرا لانشغاله . وهذا نوع من الاتصال عن طريق الاشارات .

وقد يعقد المدير اجتماعا عاما مع مرؤوسيه لبحث بعض المسائل الهامة ولكى يحصل منهم على بعض الآراء المفيدة ويزودهم في نفس الوقت بتوجيهاته وتعليقاته . وهذا يعتبر نوعا من الاتصال الجماعى Group communication .

وقد يقابل المدير بعد ذلك مندوب احدى الصحف اليومية ، ويعطيه حديثا تنشره الصحيفة ويقرأه عدد كبير من المواطنين . ويطلق على هذا النوع من الاتصال : اتصال جماهيرى Mass communication . وبعد هذا كله يخلو المدير الى نفسه بعض الوقت، يفكر في بعض الموضوعات الهامة. وهذا التفكير يعتبر في حقيقته نوعا من الاتصال بين المدير ونفسه Communication with Self

وعندما يحين وقت الغداء يذهب المدير الى احد المطاعم لتناول وجبة غداء سريعة ، فيقرأ قائمة الاطعمة (اتصال عن طريق الكلمة المكتوبة) ، ولكنه قد يشم رائحة اللحم المشوى فيعجبه ويتأثر به ، ويطلب طبقا منه . وهذا نوع من الاتصال الكيميائى .

وفي طريق عودة المدير الى منزله في المساء قد يعرّج على احد المحلات لشراء بعض الجوارب ، ويختبرها بين اصابعه ، ليعرف شيئا عن نسيجها وهذا اتصال عن طريق اللمس . ويخرج المدير من المحل ويتجه الى منزله . وفي أثناء قيادة سيارته يسمع جرس سيارة الاسعاف فيقف بسيارته جانبا



ليفسح لها الطريق . وهذا نوع من الاتصال عن طريق الصوت .

وهذه الامثلة بعض من كثير مما يجريه المدير ، او يجرى عليه من الاتصال في حياته اليومية . وقد اثبتت الدراسات أن حوالى ٨٠٪ من وقت عمل المديرين يقضونه في الاتصال : اما متحدثين ـ موجهين أو موصلين للمعلومات والخبرة وذلك اثناء المقابلات الشخصية التى يعقدونها مع مرؤوسيهم أو مع العملاء والوكلاء وغيرهم ، أو خلال الاجتماعات المختلفة التى يشتركون فيها ، واما منصتين لمختلف الآراء والشكايات والمقترحات وغير ذلك .

وفي الوقت الحاضر كبر حجم المؤسسات والهيئات والشركات واتسع نطاق العمل بهـا واصبحت تضم احيانا عشرات الالوف من العاملين، بحيث اصبح من المتعذر على المديرين أن يتصلوا اتصالا مباشرا بجميع العاملين ، لذلك فان المديرين عادة ما يتصلون بهم عن طريق التعليمات المكتوبة والنشرات ولوحات الاعلانات والنقابات وغير ذلك من الطرق .

ظهور فئة من المتخصصين في الاتصال

أصبح موضوع الاتصال يهم الكثير من الافراد في مختلف مجالات الحياة . فالمعلم يجب أن يكون خبيرا في الاتصال ، لان وظيفته الاساسية هى توصيل المعرفة الى التلاميذ . والعاملون في المسرح والسينما والصحف والمجلات يجب أن يكونوا خبراء في الاتصال . فمؤلف المسرحية ومخرجها والممثلون يعتبرون خبراء في هذا المجال. فالمسرحية تهدف الى توصيل فكرة أو اتجاه أو قيمة من القيم الى الجمهور والتأثير فيه . وكلما راعى المسئولون عن المسرحية قواعد وأسس الاتصال الفعالة كانوا اقدر على توصيل رسالتهم الى الجمهور وكانوا اقدر على التأثير فيه . ومن الواجب معرفة رد فعل الجمهور للمسرحية ووجهة نظره فيها.والواقع أنمعيار نجاحالمسرحية لا يقاس فقط بالوقت الممتع الذى يقضيه الجمهور مع المسرحية ، ولكن معيار نجاحها يتوقف على قدرة المسرحية على تحقيق اهدافها التربوية والثقافية.

وفي السوق الآن خبراء متخصصون فيالاتصال، ومن هؤلاء خبراء العلاقات العامة Public Relation Specialists . وقد أصبح في معظم المنشآت والمؤسسات الكبيرة والوزارات في مختلف البلدان لا سيما المتقدمة ادارات للعلاقات العامة ، وظيفتها تعريف الجمهور بحقيقة مايجرى داخل هذه المنشآت ، وذلك بهدف زيادة تأييد الجمهور ورضاه عما تقوم به من اعمال أو تمارسه من انواع النشاط . كما أن من وظائف ادارات العلاقات العامة توصيل رأى الجمهور الى المسئولين في المنشأة فيما يتعلق بمختلف الموضوعات التى تربط بين الجمهور والمنشأة .

كذلك يوجد الآن خبراء في قياس الرأى العام وخبراء في ابحاث السوق والاعلان ، ومهمتهم معرفة اثر وسائل الاتصال الجماهيرى على الطبقات المختلفة من الناس .

الاتصال على المستوى الدولى

اذا تركنا الاتصال على المستوى الفردى او المستوى المحلى ، واتجهنا الى مستوى اعلى ـ فاننا نواجه اتصالا على مستوى الدول .فالاتصال بين الدول المختلفة يتم عن طريق السفارات والقنصليات بواسطة ممثلين لهذه الدول . كما أن الهيئات الدولية تعتبر وسيلة من وسائل الاتصال بين الدول . فمثلا الجمعية العامة للامم المتحدة تعتبر وسيلة من وسائل الاتصال التى تمكن كل دولة من عرض وجهة نظرها ورأيها في المشكلات الهامة التى تواجه المجتمع الدولى . ومنظمة اليونسكو مثلا ، وهى المسئولة عن التبادل التربوى والعلمى والثقافي ، تقوم في اساسها على توصيل وتبادل الخبرات في المجالات السابقة بين مختلف الدول . فالاتصال يلعب دورا هاما في حياة هذه المنظمة .

ويتوقف فهم المجتمع الدولى لقضايا دولة معينة على قدرة هذه الدولة على التخطيط لبرنامج فعال للاتصال بمختلف الدول ، وعلى قدرتها على استخدام الوسائل المناسبة للاتصال واختيار وسائل الدعاية الموجهة لهذه الدول بحيث تكون متناسبة مع ظروف كل دولة ومع التيارات الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية السائدة فيها. وهذا يعتبر امرا اساسيا اذا أرادت الدولة اقناع غيرها من الدول بعدالة قضاياها وسلامة موقفها من هذه القضايا .

أهداف الاتصال

منذ القدم وموضوع الاتصال يشغل الاذهان وقد ذكر ارسطو الفيلسوف الاغريقى القديم أن الهدف الأساسي من الاتصال هو الاقناع . وقد ذكر جوانب أخرى يمكن تحقيقها عن طريق الاتصال ولكن تركيزه الأكبر كان على الجانب الاقناعى وذلك في محاولة من المتحدث لكى يحول الناس الى وجهة نظره . وقد ظل هذا المفهوم هو السائد حتى اواخر القرن الثامن عشر .

وقد ظهر بعد ذلك تقسيم آخر يرى أن هناك أهدافا ثلاثة لعملية الاتصال، وهذه الاهداف هي :-

أ - أهداف معرفة . وهى تقوم أساسا على توصيل معلومات أو خبرات بين عدد من الأفراد كثر عددهم أو قل .

ب - أهداف اقناع : والهدف من الاتصال في هذه الحالة التأثير على الناس عن طريق النواحي العاطفية والانفعالية لاقناعهم بوجهة نظر معينة أو برأى أو بفلسفة محددة .

جـ - اهداف ترويحية : حيث يكون الهدف الاساسي من الاتصال هو الترويح . فمشاهدة فلم أو مسرحية يعنى أن اتصالا قد تم بين أفكار المؤلف وأسلوب المخرج وأداء الممثلين وبين الجمهور . وهذا كله يتم بهدف الترويح .

وقد لاقى التقسيم السابق لأهداف الاتصال بعض المعارضة ، اذ رأى البعض ان فصل هذه الاهداف عن بعضها لا يتحقق في الحياة العملية ، فالاتصال الذى يهدف الى توصيل قدر من المعلومات والخبرات لا يمكن ان يحقق اهدافه ما لم يصحبه بعض الجوانب الاقناعية . فمثلا لا يمكن أن يوصل المعلم قدرا مناسبا من المعلومات الى الطالب ما لم يقنعه بقيمة المادة التى يدرسها أو المعلومات التى تقدم اليه . كما أن الاتصال بهدف الترويح عادة ما يتضمن بعض جوانب المعرفة وجوانب الاقناع . فالفرد عندما يشاهد فلما معينا قد يكون الهدف الظاهر الترويح ، ولكن هذا الترويح عادة ما يكون مقترنا بالاقناع . وقد يضيف المشاهد الى معلوماته الشيء الكثير عن طريق مشاهدته لهذا الفلم . فالاتصال في هذه الحالة قد حقق أهدافه الثلاثة في وقت واحد .

وأيا كانت النظرة الى الهدف من عملية الاتصال، فاننا لكى نصل الى اتصال فعال لا بد أن نحدد بوضوح هذا الهدف وأن يكون واضحا في الاذهان نوع ومدى الاستجابة Response التى نأمل الحصول عليها من وراء عملية الاتصال .

عناصر الاتصال

ذكر ارسطو ثلاثة عناصر للاتصال أو الاقناع وهذه العناصر هى : -

أ - المتحدث . ب - المستمع . جـ - الحديث نفسه . وكل عنصر من العناصر السابقة لازم لعملية الاتصال . وعلى هذا فانه يمكن تنظيم عملية الاتصال تحت ثلاثة موضوعات رئيسية . (أ) الشخص الذى يتكلم والذى يوجه الرسالة . (ب) الحديث الذى يؤدى ويمثل موضوع الاتصال . (جـ) الشخص الذى يستمع أو يتلقى الرسالة .

وهذه العناصر وان أضيف اليها الآن عدد آخر من العناصر الا أنها تمثل الهيكل الرئيسي لعملية الاتصال حتى وقتنا الحاضر .

نموذج الاتصال ❋

يمكن القول أن كل اتصال انسانى له مصدر Source من نوع ما ، قد يكون شخصا أو عددا من الاشخاص ، ووراء الاتصال هدف Purpose أو سبب يدعو للقيام به أو الاشتراك فيه - ومع فرض وجود مصدر للاتصال مزود بالافكار والمعلومات والخبرات وله حاجات واغراض معينة يسعى الى اشباعها وتحقيقها ، فان عملية الاتصال لا يمكن أن تتم بغير وجود طرف ثان ، ويطلق عليه المستقبل Receiver للرسالة وهو الذى يتلقى الرسالة . وتحقق أهداف المصدر عن طريق رسالة معينة Message حيث يترجم المصدر آراءه ورغباته في صورة

❋ أكثر الكاتب من ذكر اللفظ الاجنبى للفظ العربى . وقد وافقناه على ذلك توخيا للنفع ، ذلك لان موضوع الاتصال موضوع ذو نشأة حديثة ومؤلفاته ومصطلحاته هى اليوم افرنجية لم تتدرج بعد بسهولة في اللغة العربية . وسوف نغفل بتكاثر التأليف - العربى



رمزية Symbolic وعادة ما تمثل اللغة هذه الصورة الرمزية . وتنتقل الرسالة من فرد الى آخر عن طريق قناة Channel أو وسيط معين Medium ينقل الرسالة . وقد يكون ذلك عن طريق الرؤية أو السمع او اللمس أو الذوق أو الشم .

ويتوقف نجاح عملية الاتصال على اختيار المحتوى المناسب للرسالة موضوع الاتصال ، وكذلك على اختيار القناة المناسبة لنقلها .والواقع ان قيمة اية رسالة تتوقف على مدى فاعلية هذه الرسالة وتاثيرها . ولا يمكن التاكد من ذلك الا اذا عرفنا اثر الرسالة على الشخص المستقبل لها. فالمعلم لا يمكن أن يتاكد من نجاحه في مهمته من حيث توصيله المعلومات للتلاميذ ما لم يعرف اثرها عليهم ويستطيع أن يتاكد من ذلك عنطريق الاسئلة وعن طريق الاختبارات بكافة انواعها ، وكذلك ملاحظة التغيير الذى يحدث على سلوك التلاميذ وتفكيرهم .

الاتصال الفعال وكيفية تحقيقه

اذا كان للاتصال هذه الاهمية في مختلف مجالات الحياة ، فكيف نستطيع ان نجعل هذا الاتصال اكثر فاعلية ؟ وكيف يمكن ان يحقق مدير عمل مثلا نتائج افضل في الاتصالات التى يجريها مع مختلف العاملين والوكلاء والعملاء ؟ وكيف يحقق المعلم اتصالا اكثر فاعلية مع تلاميذه ؟ وكيف يستطيع الشخص العادى أن يكون اكثر تاثيرا في الاتصالات التى يجريها مع الغير ؟ وفيما يلى بعض النصائح التى تفيد في هذا المجال :

١ ـ يجب ان يحدد الهدف الرئيسي منالاتصال.

ففى شركة صناعية كبرى مثلا قد يكون الهدف من الاتصال احاطة العاملين بأمر من الامور أو تزويدهم ببعض التعليمات والتوجيهات . وقد يتم الاتصال من أعلى الى اسفل ، من الادارة الى الى العمال ، أو العكس ، فقد يتم الاتصال من اسفل الى أعلى ، من العمال الى الادارة . وكلما وضح في الاذهان الهدف من الاتصال قبل القيام به كان ذلك ادعى لنجاحه وتحقيقه لأهدافه .

٢ ـ التعرف على الافراد المراد الاتصال بهم . فالأفراد مختلفون في نواح كثيرة : فهم مختلفون في قدرتهم العقلية على الفهم والتفكير ، وهممختلفون في دوافعهم وظروفهم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية . وهذه كلها امور يجب أن توضع في الاعتبار قبل القيام باى اتصال . فلكى يقنع رئيس العمل احد العاملين بوجهة نظر معينة فلا بد له من أن يكون فاهما لحقيقة هذا العمل ولظروفه ولدوافعه . وبغير ذلك فان الرئيس قد يفشل في اتصاله به ، ولا يستطيع أن يبلغ به الأثر المطلوب . والمعلم اذا أراد أن يحسن القيام بمهمته داخل الفصل وان يحقق اتصالا فعالا بتلاميذه ، فلا بد له من دراسة هؤلاء التلاميذ دراسة شاملة وان يتعرف على الفروق الفردية القائمة بينهم .

٣ ـ اختيار وسيلة الاتصال بعناية . فعلى اساس من دراسة الافراد المطلوب الاتصال بهم يمكن تحديد وسيلة الاتصال . فقد تكون هذه الوسيلة حديثا شفهيا أو مكتوبا ، وقد تكون خطابا دوريا ، وقد تكون اتصالا شخصيا مباشرا او اتصالا تليفونيا . وهذه كلها أمور تحددها طبيعة الرسالة المراد توجيهها وطبيعة الافراد المطلوب الاتصال بهم . فاذا كان الشخص الذى تريد الاتصال به أمّيا مثلا ، لا يعرف القراءة والكتابة ، فمن المتعذر الاتصال به عن طريق الكلمة المكتوبة بل يكون اسلوب الاتصال الامثل هو الكلمة المنطوقة .

٤ ـ تحديد الوقت المناسب للاتصال .فالاتصال يجب ان يتم في الوقت المحدد له لان تاخيره يؤدى الى اضرار وخيمة . فموظف المخازن في أحد المصانع قد يلحق بالانتاج ضررا بالغا اذا لم يتصل بالجهات المسئولة في المصنع ويخطرها بنفاذ أحد المواد الخام الرئيسية المستوردة حتى يمكن التعاقد على كميات منها في الوقت المناسب وحتى لايتعطل الانتاج بالمصنع .

والعمال قد يعارضون ادخال بعض التعديلات والتغييرات على نظم الانتاج لأن أحدا لم يتصل بهم ويخطرهم بالتغيير قبل حدوثه . ولعلالاتصال بهم بعد حدوث التغيير واخطارهم به لا يؤدى الى النتائج المرغوبة .

٥ ـ تقييم نتائج الاتصال . لا بد لكل خطة اتصال من تقييم لنتائجها Evalution of Results حتى تتأكد من تحقيق هذه الخطة

لأهدافها ، وحتى يمكن التعرف على العوائق التى تحول دون تحقيق اتصال فعال . وعادة ما يكون تقييم نتائج الاتصال عن طريق معرفة أثر الرسالة المرسلة على الفرد أو الافراد المستقبلين لها ، وكذلك عن طريق دراسة رد فعل هؤلاء الافراد لهذه الرسالة موضوع الاتصال .

معوقات الاتصال

هناك الكثير من المعوقات التى تقف عقبة في سبيل تحقيق اتصال فعال . ومن هذه المعوقات ما يأتى : —

● **المرشحات الخاصة :**

فمثلا عندما يسمع شخص معين جملة ما فانه يدركها باسلوبه الخاص ، وهو في ذلك يكون متأثرا بوجهات نظره Atitudes وقيمه Values وخبرته السابقة Past Exeprience . واذا سمع عدد من الافراد نفس الجملة فقد يدركها ويفهمها كل واحد منهم على نحو مختلف .فالكلمات عندما يتلقاها الفرد يحدث لها عملية ترشيح Filteration فيختلف ادراك الفردلمضمونها بعد عملية الترشيح مما قد يؤدى في بعض الاحيان الى تحريف وتشويه مضمون الرسالة موضوع الاتصال . والمرشحات هذه تتكون من اتجاهات الفرد وظروفه النفسية وتجاربه السابقة وغير ذلك من العوامل ، وهى تختلف من فرد الى فرد.

● **التعصب للرأى :**

ويعتبر التعصب للرأى من معوقات الاتصال الفعال . وبعض الافراد عندما يدخلون في مناقشة مع الغير بشأن قضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات ، فانهم يحاولون الانتصار لآرائهم والتعصب لها بغض النظر عن قيمة وقوة الحجة التى يسوقها الغير . وهذا التعصب عادة ما يقف عقبة دون تحقيق اتصال فعال . لذلك كان لزاما على الفرد ان يدرب نفسهعلى اعطاء الاهميةالكافية لآراء الغير ووجهات نظرهم والا يرفضها دون مناقشة او تحليل .

● **التسرع في الحكم :**

والتسرع في الحكم على المواقف وعلى الاشخاص كثيرا ما يعطل حدوث اتصال فعال بين مختلف الأفراد ، فقد يناقش شخص ما مشكلة معينة مع آخر فيتسرع في الحكم عليها دون أن يعتمد على قدر كاف من المعلومات عن هذه المشكلة .

وكثيرا ما نفترض أن للكلمات نفس المعنى لدى الغير مثلما لها لدينا ، ومع ذلك فان هناك...١٤ معنى لل ..٥٠٠ كلمة الشائعة الاستعمال في اللغة الانجليزية مثلا ، كما سجلها قاموس وبستر.

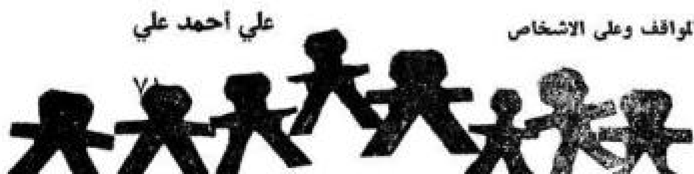
وبعض الناس يفترض أن الشرح المنطقى يكفى لتحويل الناس الى وجهة نظرهم ويعتقدون أن الحقائق تتكلم عن نفسها ، ويفترضون أن هذه الحقائق كما يرونها ويشعرون بها سوف تظهر بنفس الطريقة للاخرين . ومع ذلك فنحن نعلم أن بعض الحقائق بالرغم من وضوحها بالنسبة لعدد من الافراد ، قد تبدو بعيدة عن اذهان البعض الاخر .

عدم توافر مهارة الاتصال

لكى نحقق اتصالا فعالا بين مختلف الافراد في مختلف الميادين والمجالات ، فانه يجب أن ندرب الافراد على مهارة الاتصال Communication Skills . ومن هذه فن الحديث . فالافراد يجب أن يدربوا على كيفية التحدث في مختلف المناسبات ومع مختلف الأفراد . وفن التحدث يتضمن القدرة على استخدام الصوت المناسب واساليب التشويق المختلفة . كما يتضمن فن التحدث معرفة المتحدث أثر الحديث في سامعيه ومعرفته لظروفهم ومستواهم العقلى والثقافي والاقتصادى والاجتماعيحتى يجعل الحديث مناسبا لهذا المستوى .

ويدخل تحت مهارة الاتصال ، القدرة على الانصات. فالاتصالعملية نشيطة موجبة وليسعملية سلبية . فالفرد عندما ينصت لما يقوله الغير فانه ينصت بعقل متفتح وبانتباه كامل واهتمام لكل ما يقال . وقد ثبت أن عددا كبيرا من الناس لا يحسنون الانصات وهذا يقف عقبة دون تحقيق اتصال فعال بينهم وبين غيرهم من الأفراد . ■■

علي أحمد علي



حصة الأم



في توجيه ابنها في الحياة

■ « ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر وتصير رجلا ؟ »

سؤال تقليدي يوجهه الكبار الى الصغار فى كل مناسبة يلتقي فيها الجيل القديم بالجيل الجديد ..

ولكن الاجابة عليه تعتمد على اشياء كثيرة .. فاهتمامات الطفل فى سنى حياته الاولى ، وقدراته ، وهواياته والنصائح التى تقدم اليه من مدرسيه ومن والديه .. كل هذه العوامل مجتمعة يكون لها أثرها فى اختياره لخط سيره فى الحياه .

فالصبي فى هذه السن المبكرة تستهويه اشياء كثيرة، كما تترك البيئة التى تحيط به والمجتمع الذى ينشأ فيه ، أثرها ايضا فى نفسه . فاذا كان يعيش فى مجتمع صناعي مثلا ، وجد ميوله تتجه الى العمل اليدوى .. وخاصة اذا كانت الصناعات البيئية هي السائدة فى مثل هذا المجتمع ، لانها كما نعلم صناعات متوارثة ، ينقلها الابناء عن الآباء عبر السنين .

واذا عاش فى مجتمع زراعي ، احب الارض وازداد تعلقا بها والتصاقا بخيراتها ..

وليس معنى هذا ان ابن الفلاح لابد ان يكون فلاحا ، أو ان ابن الصانع لا يمكن الا ان يصبح صانعا .. فهو فلاح طالما بقي بجوار أبيه فى حقله .. وهو صانع ما دام لم يعرف دربا آخر يسلكه !

فرص الحياة

من اجل هذا نجد ان هناك عاملا آخر يأتي فى مقدمة هذه العوامل التى تؤثر على الصبي وتحدد معالم الطريق الذى سيسير فيه مستقبلا .. وهو الفرص التى تتاح له للحصول على التعليم والتدريب اللذين يكفلان له دخول الميدان الذى اختاره . فابن الفلاح مثلا قد يصبح طبيبا ، اذا ترك القرية وذهب الى



المدينة ليتعلم .. وابن الصانع قد يصبح عالما ، اذا ابتعد عن جو المصنع ، واتيحت له فرصة الحياة خارج مؤثرات البيئة التى عاشت فيها اسرته .

حفيد النجار .. عالم

وفي حياة المؤرخ والمؤلف السكتلندي الشهير توماس كارليل Thomas Carlyle اكبر دليل على صحة هذه النظرية .. فقد نشأ توماس فى قرية فقيرة ، وكان جده ، نجارا ، وكان ابوه مزارعا .. اما هو فقد ارادت له اسرته ان يصبح قسيسا .. وكانت امه تعده لهذا المستقبل الذى رسمته هي له ، فتجلس اليه وتقرأ من الكتاب المقدس ، وتشرح له كل ما جاء فى كتاب الله . حتى اذا بلغ العاشرة ارسلوه الى مدرسة القرية ليتعلم قواعد اللغة !

الطريق الى الجامعة

ولكنه ما كاد يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، حتى اسرع الصبى بحزم ملابسه ويغادر القرية الصغيرة الى غير عودة .. وفى الطريق الطويل الى مدينة ادنبرة ، شوهد توماس ، وهو يسير فى اصرار عجيب ، ليدخل جامعة ادنبرة ، قاطعا مائه ميل مشيا على الاقدام فى ثلاثة ايام وثلاث ليال .

وعرف الفقر وذاق مرارة الحرمان .. فعمل فى أوقات فراغه ، ومارس كل مهنة يمكن ان توفر له بعض المال ، يخفف عنه جوعه وفقره ، حتى اكمل تعليمه وتخرج فى الجامعة ليصبح مؤرخا من اشهر المؤرخين فى العالم .

وهكذا نجد من قصة كارليل ايضا ، ان الميول التى تحدد شكل المستقبل ، تبدأ عادة فى سن الطفولة ، فقد كان الصبي يعرف ما يريد ، فصمم على ان يحصل عليه .. ولو بقي فى القرية مع اخوته الثمانية ، ثلاثة أولاد وخمس بنات لما صار ما صار . ولقد كان هو اكبرهم سنا ، وربما كان هذا هو السبب الذى حدا بشقيقه الاصغر جون انيحذو حذوه بعد أن سمع اهل القرية وهم يتحدثون عن « توماس » الصغير فتى الجامعة ، وعلى وجوههم الشي الكثير من الفخر والاعتزاز ..

وابن الفلاح .. طبيب

فقد سار جون فى نفس الطريق الذى سار فيه شقيقه الاكبر ، واصبح بدوره طبيبا وعالما ، ثم ترك الطب ليتفرغ للادب والترجمة، وترجم جحيم دانتى Dante Inferno

ولكن ماذا يعني هذا ؟ هل يعني اعفاء الوالدين تماما من الاشتراك فى مسئولية تحديد مستقبل الابناء . والجواب لا ! فدور الابوين باق لاشك فى هذا ، ولكنه لكي يكون مثمرا ، فلابد ان يقوم على اساس من الدراسة والفهم والتحليل لشخصية الابناء وميولهم واتجاهاتهم .

والام بصفة خاصة اقدر من الاب على معرفة ميول اطفالها ، لانها اكثر قربا منهم وتعلقابهم .. ولان مشغوليات الاب فى عمله ، وتفكيره المستمر فى مشاكل الحياة واعبائها ، يشغله عن الاهتمام بابنائه الى حد ما ، ولان الوقت الذى تقضيه الام ، بعد ذلك فى البيت وسط اطفالها ، اطول من الوقت الذى يقضيه الاب معهم !

دور الام

ومن اجل هذا نجد ان المسئولية الواقعة على عاتق الام اكبر بكثير من تلك التي يحملها الاب ، فهو فى الغالب لايتدخل ، الا اذا كان هناك ما يوجب التدخل، وقد جاء فى الدراسات التي قام بها علماء النفس أن الاب لايهتم بأبنائه، الا في حالات ثلاث .. اذا اصابهم المرض، او فشلوا فى دراساتهم ، او تأخر احدهم عن موعد عودته الى البيت بعد انتهاء اليوم الدراسي لسبب من الاسباب .

اما الام ، فهي التي تشرف على تربية اطفالها ، وهى التي تعنى بغذائهم وملبسهم ، وهي التي تراقب تصرفاتهم وتحاول أن تصلح ما يصيب أخلاقهم من عوج ، حتى اذا عجزت ، لجأت الى الاب كوسيلة اخيرة لمعاونتها فى هذه المهمة .

الشخصية والثقافة

وشخصية الام ، ومدى ما وصلت اليه من مستوى ثقافى ، من العوامل الرئيسية التي تساهم فى تنشئة الابناء تنشئة سليمة .. لان الام المثقفة خير عون لابنائها فى الحياة ، فلم تعد وظيفة المراة الآن قاصرة على الحمل وانجاب الاطفال والاشراف على شئون البيت .. لقد اصبح لها وضع آخر بعد أن نالت حريتها وحققت المساواة بالرجل في كل ميادين الحياة ..

ولكن هذا موضوع آخر ، وكل ما يعنينا منه أن المراة اصبحت اليوم طبيبة ومهندسة ومحامية ، كما تولت ارفع المناصب فى الدولة ، ولو انها بعد هذا كله ولم تنس واجبها الاول ، كأم وربة بيت .

المراة الحديثة

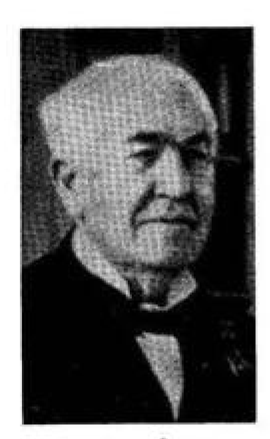
فقد قام علماء النفس باجراء بحث فى دور المراة الحديثة ، اسفر عن نتائج عديدة في مقدمتها انه لاتكاد المراة المتعلمة، سواء كانت صاحبة مهنة او وظيفة .. لاتكاد مثل هذه المراة تتزوج ، حتى تبدأ فى تثقيف نفسها بقراءة الكتب فى علم النفس ودراسة احدث الاساليب المتبعة فى تربية وتنشئة الاطفال .

ومثل هذه القراءات تفيد الزوجة عندما تصبح اما ، وتعاونها في دراسة شخصية ابنائها ، وادراك اسباب تصرفاتهم التي تبدو احيانا كما لو كانت الغازا تثير الحيرة !

ماذا تفعل الام ؟

ومهمة الام تبدأ منذ تلك اللحظة التي يرى فيها طفلها النور . ثم لاتلبث مسئولياتها ان تتضاعف وتتعقد كلما كبر الطفل الصغير ! فهي التي تعاونه فى استذكار دروسه ، وهي التي تراقب التقارير

المدرسية لتعرف منها مواطن الضعف والتفوق . وهي التي تشجعه على ممارسة هواياته سواء في البيت او المدرسة . وهي التي تفرض من نفسها رقيبة على سلوكه وتصرفاته ، بشرط الا تشعره يوما بسلطانها او سيطرتها عليه. فلا بد أن يشعر الابناء بالانطلاق ، ولكن في حدود . يجب ان تعرف الام كيف تكسب صداقة ابنائها ، فلا يخفوا عنها شيئا ، كما اخفى توماس كارليل سره الدفين الذي احتفظ به في قلبه حتى بلغ الرابعة عشرة .. فقد كتب يوما يقول « كنت اخاف على امي من الصدمة ، اذا قلت لها انني احب الرياضيات ، وان رداء الكهنوت لايروقني ! »



اديسون





كارلايل

المدرسة الاولى

فالام هي المدرسة الاولى ، وهي التي تستطيع وحدها ان تفهم شخصية ابنها وان تكتشف اهتماماته وهواياته فترعاه، وتشجعه وتعده ، للمستقبل الذي اختاره .

والتاريخ مليء بالامثلة على الدور الذي يمكن ان تقوم به الام ، لا في تحديد مستقبل ابنها فحسب ، بل وفي تغيير مجرى حياته من اساسه .

نبوءة تتحقق

حدث يوما ان عاد صبي صغير الي امه يقول : « لقد طردني ناظر المدرسة يا امي ، وقال عني ، انني ولد ابله ! »

وحملت الام ابنها الطفل ، وعادت به الى المدرسة ، لا لتحاول اقناع الناظر باعادته اليها ، ولكن لتقول له : « ان ابني يحمل فوق كتفيه رأسا فيه من الذكاء اكثر مما في رأسك انت ، ومما في رؤوس كل زملائك المدرسين ! »

ومضت السنوات وكبر الطفل وعاشت الام لترى النبوءة تتحقق ! فقد حولت بيتها هي الى مدرسة ، كان ابنها هو التلميذ الوحيد فيها ، فكانت له خير مدرسة .. وضعت كل علمها وخبرتها اللذين اكتسبتهما بفضل ممارستها لمهنة التدريس قبل الزواج وبعده ، في خدمة هذا الطفل الذي قالوا عنه : « اما ان يكون عبقريا أو مأفوفا »

توماس اديسون

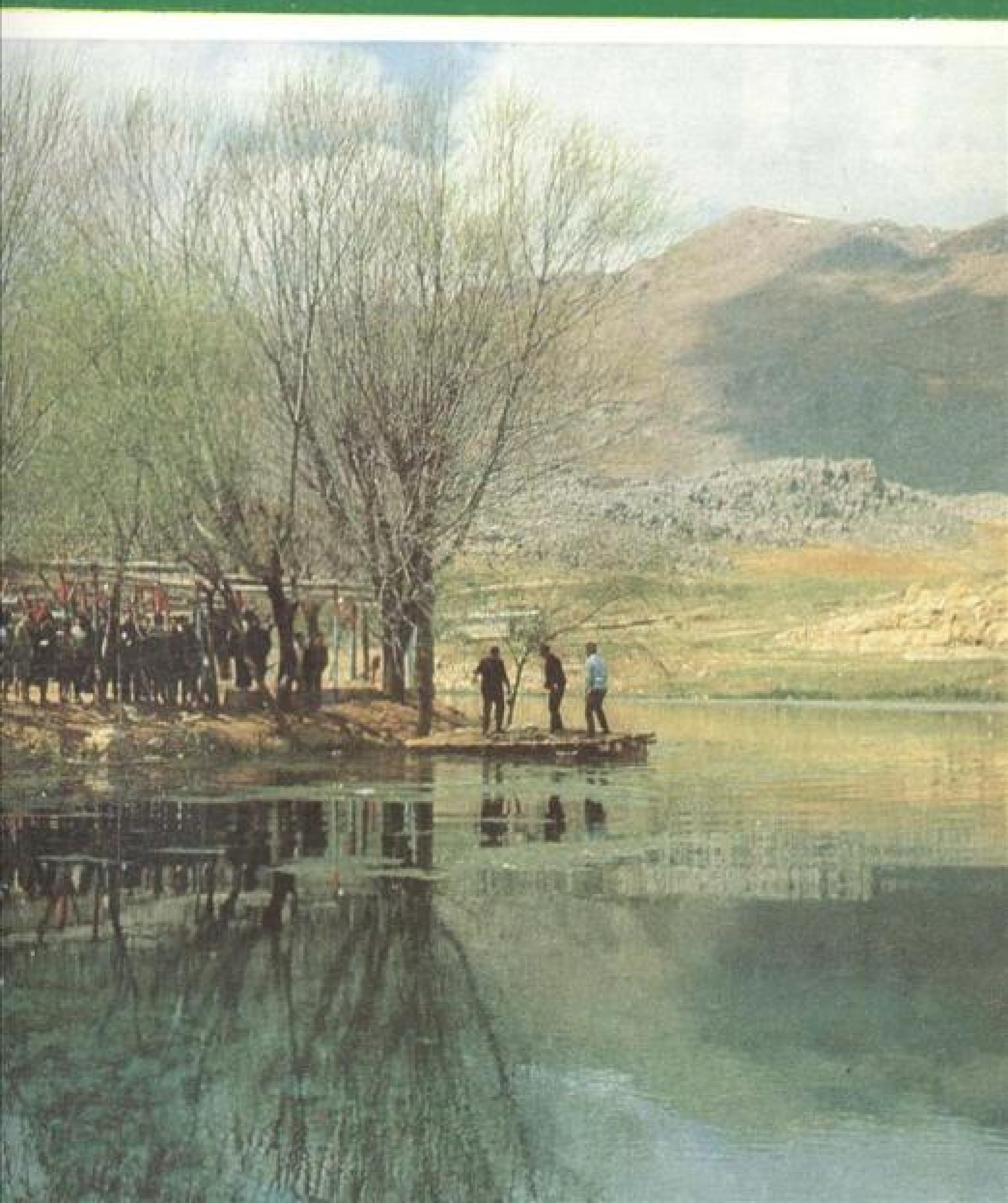
ولم يكن هناك شخص غير الام يؤمن بعبقرية هذا الطفل الذي اصبح فيما بعد العالم الامريكي الكبير توماس اديسون Thomas Edison ، الذي ولد في عام ١٨٤٧ وتوفي في عام ١٩٣١ ، وقدم للبشرية مئات من الاختراعات التي ماتزال تحمل اسمه حتى اليوم !

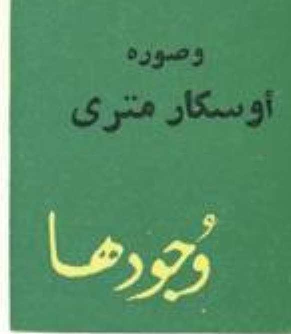
■■

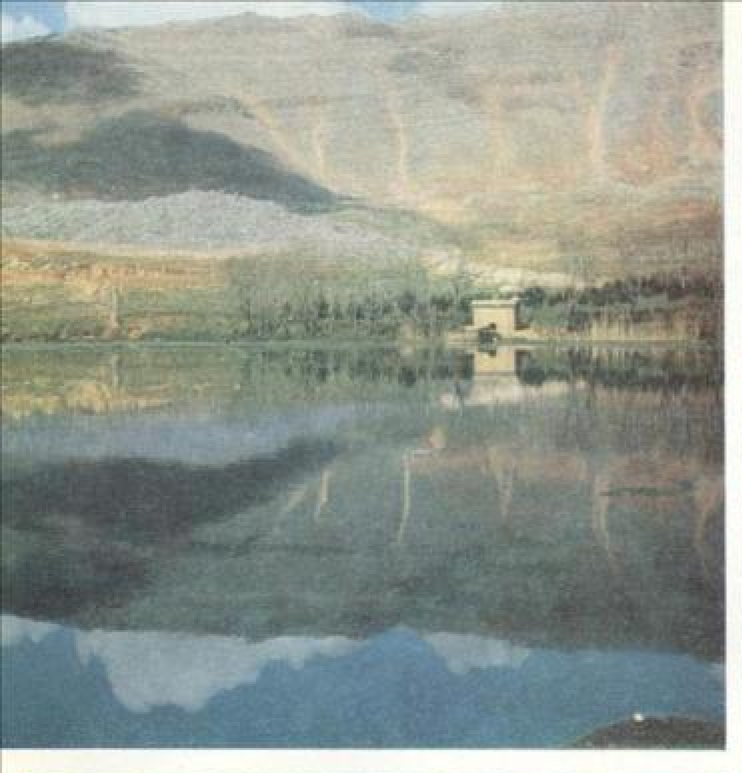
الغُوطَه

جَنّةُ دمشق وَرِئتُها ومُتنفّسُها وسَبب

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف









منبع نهر بردى في منطقة الزبداني .. وعلى ضفاف البحيرة التي صنعتها مياه الأمطار المتساقطة ، أقاموا منتزها يأتي اليه الناس لرؤية مصدر الخير للأرض الظامئة .. انها الطبيعة في أجمل صورها .

تحت فتاة دمشقية تقطف الزهور من بساتين الغوطة فتملأ بها سلتها .



■ في ربوعها تلين الطبيعة وتقسو .. وتغضب وترضى .. تشح وتسخو .. وفي سمائها تعربد الغيوم وتنقشع ، وتسطع الشمس وتحتجب ... صيفها ثمار ناضجة .. وربيعها زهور اينعت وحان قطافها .. شتاؤها صقيع ... وخريفها مياه تتساقط ومياه تجرى في القنوات والجداول ، فتختزنها الأرض الطيبة ، ليوم تجف فيه السماء وتبخل على الوادى بخيرها .

هذه هي الغوطة ، غوطة دمشق .. او ان شئت قل الغوطتين ، كما قال الشاعر القديم :

سقى الله ارض « الغوطتين واهلها
فلي بجنوب الغوطتين شجون

ويبدو أن القدماء كانوا يقصدون بالغوطتين الغوطة الغربية والغوطة الشرقية .. والغوطة هي الأرض المطمئنة .

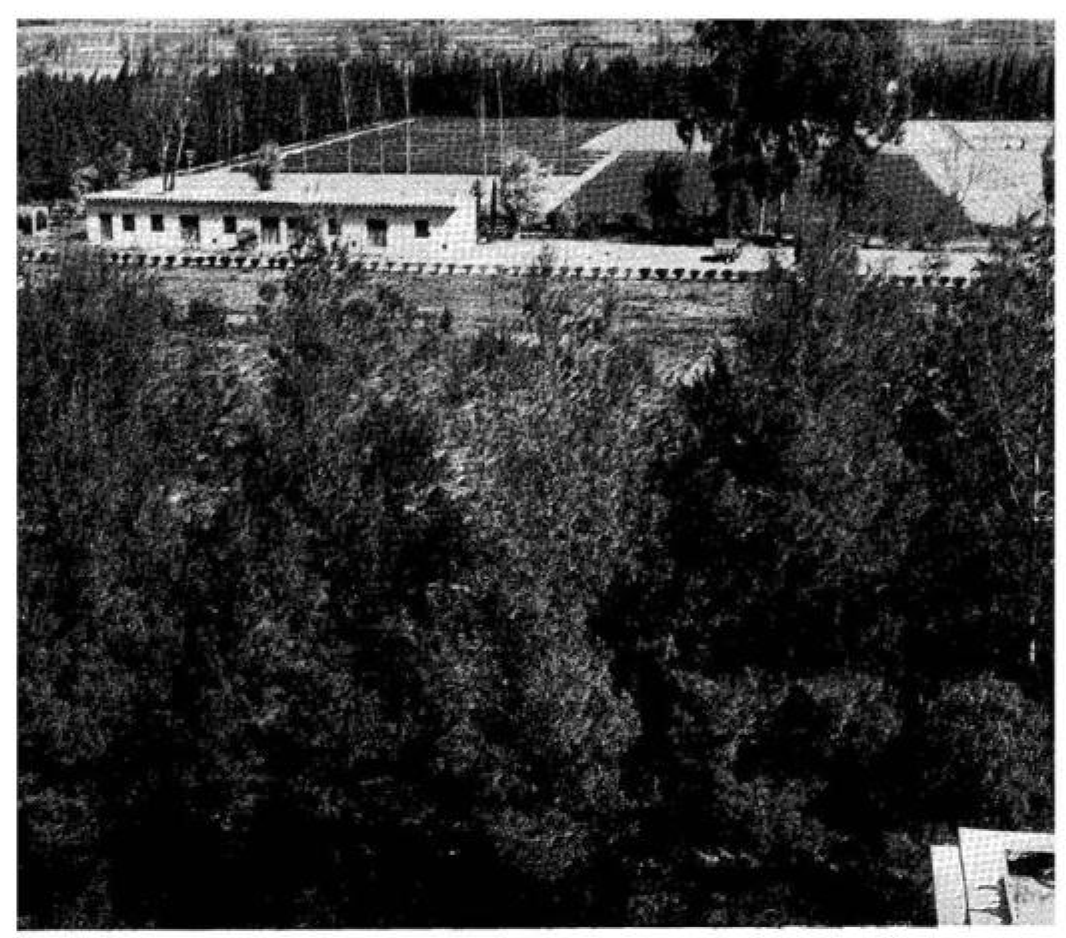
والى غوطة دمشق او الغوطتين طارت بعثة « العربي » لترسم لك صورة للحياة ، والناس الذين يعيشون فوق هذه الارض .

لماذا الغوطة ؟

ولكن لماذا غوطة دمشق ؟ أو ليس العالم مليئا بالريف ومزارعه ؟ ماالذى يميزها عن غيرها حتى تلقى هذا الاهتمام ؟

والجواب على هذا بسيط . فالغوطة تتميز بخصائص كثيرة .. فلولاها ما كانت دمشق ، وما كانت هناك حياة في دمشق ... حتى لقد اسموها قديما الشام ، وما كانت دمشق الا مدينة بها كبرى ، فهى كل ما يحيط بالمدينة من ارض مزروعة شرقا وغربا .. شمالا وجنوبا .. حتى عندما قاسوا مساحتها اخيرا ، احتسبوا دمشق ضمن ارض الغوطة ، فبلغت المساحة ٧٥ الف هكتار (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) اما طول الغوطة فيقدر بنحو خمسين كيلو متر ، بينما يتراوح عرضها بين عشرة كيلومترات و ١٥ كيلومتر .. وترتفع ارض الغوطة كلها عن سطح البحر ، يبلغ اقصى ارتفاع لها ٧٥٠ مترا في المناطق الجبلية الغربية من حدود لبنان غربا ، بينما يصل اقل ارتفاع الى ٥٠٠ متر ، فالأرض تنخفض تدريجيا كلما اتجهنا شرقا حتى تبلغ اقصى انخفاض لها عند بحيرة العتيبة ، مصب نهر بردى ، هذا النهر الصغير الذى يتجه من الغرب الى الشرق ، فينبع من منطقة جبلية عند قرية الزبداني ، ويصب في

خريطة توضح مجرى نهر بردى من منبعه الى مصبه .



منظر عام لجانب من الغوطة الشرقية عندمنطقة خرابو ، وهي نفس المنطقة التي تقوم فيها كلية الزراعة التابعة لجامعة دمشق .. والغوطة ، أو الغوطتان ، هي كل ما يحيط بدمشق (العاصمة) من أرض زراعية شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا .. وهذه الارض تبلغ اقصى اتساع لها في المناطق الشرقية .. وتزرع بها جميع أنواع الفواكه والخضروات .

بحيرة العتيبة ، كما ذكرنا مخترقا مدينة دمشق. مارا بشوارعها وميادينها ، ومتفرعا الى قنوات وجداول تضيق احيانا وتتسع احيانا ..

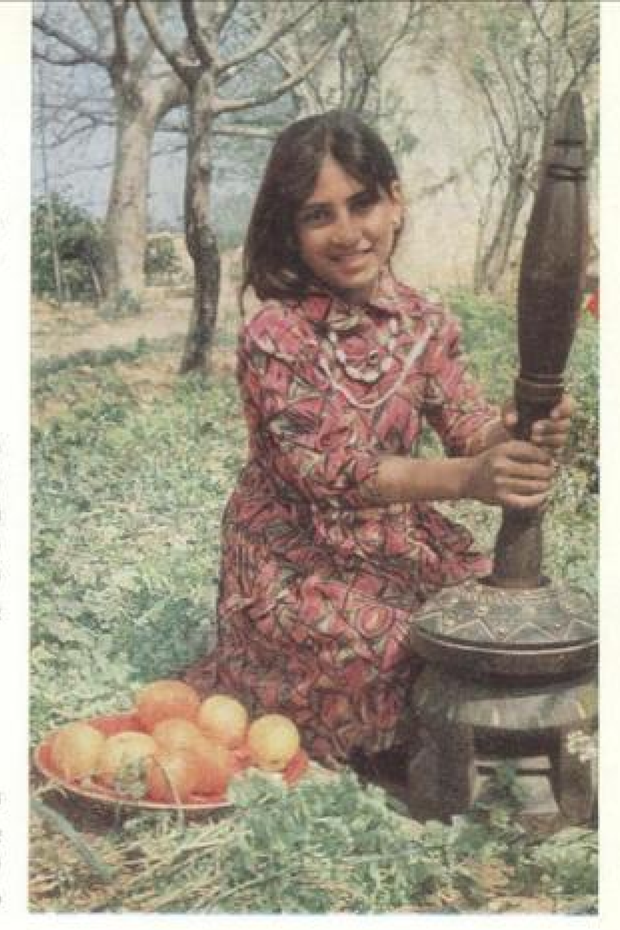
مصدر الحياة في الغوطة

وعلى هذا النهر الصغير الذى يبلغ اتساعه بضعة امتار لا تزيد على عدد اصابع اليد الواحدة.. تعتمد الزراعة كلها في الغوطة .. عبرنا الجسور التي اقيمت فوقه في قلب دمشق ، فخيل لنا اننا نعبر ترعة صغيرة .. وسالنا مرافقنا عن كمية المياه التي يحملها النهر الصغير الى الأرض الظامئة ، فقال :

« ان متوسطة كمية مياه الأمطار المتساقطة في هذه المنطقة الصحراوية ، لا يزيد على ٢٥٠ مليمتر في السنة . فهي تنخفض في سنوات القحط والجفاف الى ١٠٠ مليمتر .. بينما ترتفع في سنوات الخير الى ٣٥٠ مليمتر » .

الى اليمين : طفلة من ريف الغوطة تطحن البن في الجرن او (المهباش) كما يسمونه هناك .. وعلى الارض طبق من الفاكهة .. فهم يكرمون ضيوفهم بتقديم القهوة المرة والفواكه

الى اليسار : قرية « جُديدة الوادي » احدى القرى الجبلية في الغوطة الغربية .. وقد شيدت المساكن على السفح مع انحدار الجبل ، فوق بعضها البعض عملا بنظرية التوسع الرأسي .



تحت: فلاح وامرأته يحرثان الارض، بمحراث يجره حماران .. **ان المرأة** الغوطية تعاون زوجها في عمله وتحمل عنه بعض العبء .

بين الزهور .. وفوق الحشائش الخضراء .. ومن حوله البقر يرعى رقد هـذا العامل في يوم عطلته يستمتع بتدخين النرجيلة ويتأمل جمال الطبيعة من حوله .





توزيع المياه

وقد استغلت كل قطرة من مياه النهر الصغير احسن استغلال ، فمنذ أقدم العصور وزعت مياهه توزيعا طيبا عن طريق القنوات والجداول العديدة التي تتفرع من مجرى النهر الاصلي. وتخضع طريقة توزيع المياه الى نظام دقيق متوارث منذ احقاب طويلة ، بحيث تحصل كل ارض على حقها من الماء حسب مساحتها ونوع المزروعات فيها ، فلا تقوم الخلافات حول المياه ، الا في سنوات الشح الشديد عندما تجف المياه من مجرى النهر او تكاد .

عين الفيجه

وكان لا بد اذن من البحث عن مصادر اخرى للماء .. ولم يعدم الانسان حيلة ، فحفر الآبار ، واخرج المياه من جوف الارض . ولم يكتف بهذا ، بل راح يبحث عن مصادر جديدة لمياه النهر الصغير .. وفي قرية الفيجة ،احدى قرى الغوطة الغربية .. شاهدنا لقاء غريبا .. لقاء ماء الجبل بماء السماء .. هناك في قلب هذه القرية اندفعت المياه قوية عاتية من عين فيجة ، وهي عين مياه عذبة ، لتصب في مجرى النهر وتختلط بمياه الامطار المتساقطة التي يجمعها النهر من المنبع .. فيرتفع منسوب المياه فيه ، ثم لا تلبث ان تندفع الى القنوات والجداول ، لتروى الأرض القريبة والبعيدة .

ومن مياه عين فيجه تشرب مدينة دمشق عن طريق المواسير التي تنقلها الى سكان المدينة بعد

تقوم المدارس بتنظيم الرحلات لطلبتها وطالباتها الذين يأتون الى الغوطة لقضاء عطلة نهاية الاسبوع ، وفي الصورة طالبات مدرسة القاعة المحدثة .. لقد جئن الى البساتين والحقول الواسعة لتمضية يوم بين الماء والخضرة وزهور الربيع .

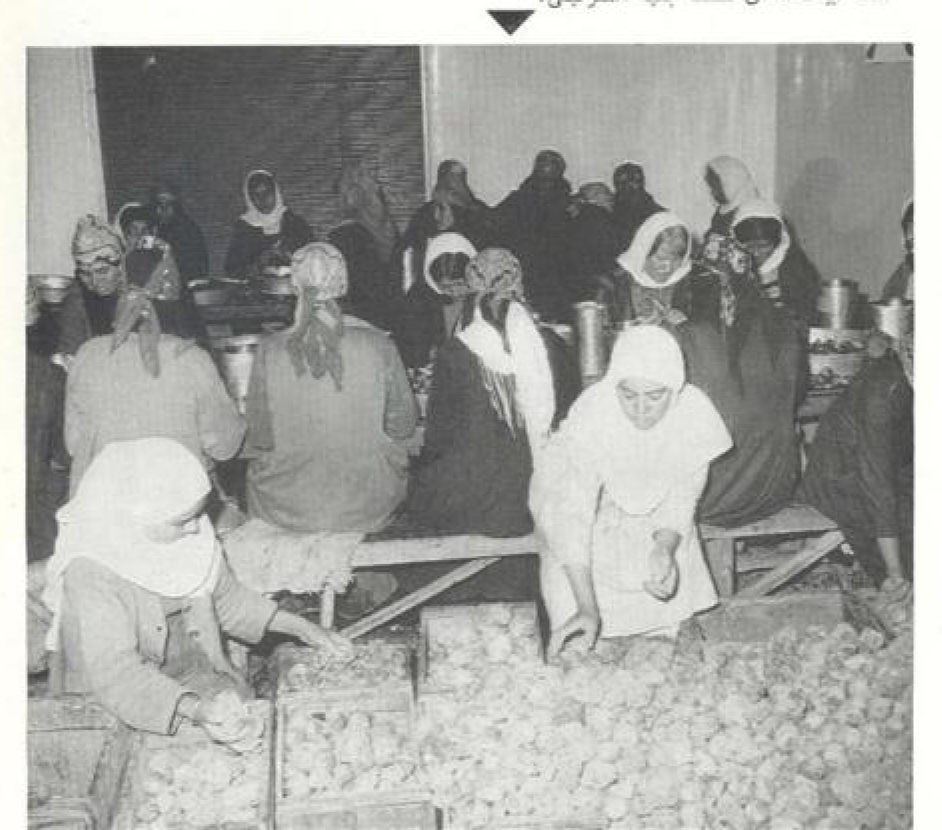
تعمل المرأة الغوطية جنبا الى جنب مع الرجل في المصنع .. وفي الصورة مجموعة من النساء العاملات في مصانع الشركة واسمها « الشركة الحديثة للكونسروه والصناعات الزراعية المؤممة » وقد انهمكن في فرز ثمار الكما ، وهو نبات بري يشبه البطاطس ، استعدادا لغسله وتنظيفه وحفظه في العلب .. ويبلغ ثمن العلبة الواحدة التي لا يزيد وزنها على رطلين ست ليرات ، أي نصف جنيه استرليني.

أن أضحت مياه عين بردى غير صالحة للشرب ! لقد بقيت المياه نقية صافية حتى مطلع القرن الحالي ، ثم كثر السكان والقوا فيها بالاوساخ والقاذورات، فلم يعد احد يقربها .. اما الفائض عن حاجة المدينة من مياه العين السخية ، فيتدفق كله في مجرى النهر الذى اقاموا على جانبيه المقاهي والكازينات ، وجاء اليها الناس ليتعموا بمنظر شلالات المياه المتدفقة ، حيث ، اقيمت محطات لتوليد الكهرباء ، وليشربوا القهوة ويدخنوا الارجيلة ويسمعوا طيور الغوطة وهي تغني لهم اعذب الأنغام .

الحياة في الغوطة

ولكن ليس كل ما تسمعه فى الغوطة غناء ، فلا يكاد الظلام يهبط وتأوى الطيور الى اعشاشها، حتى ينصرف الناس عائدين الى بيوتهم .. وينطلق نعيق البوم ونباح الكلاب وعواء ابناء آوى ،شاقا سكون الليل المقمر والمظلم معا .

وبين الصبح والمساء .. بين صياح الديكة



الى اليمين : الماشية عماد الفلاح في حقله وفي بيته .. وقد أقاموا لها الحظائر قرب بيوتهم ، حيث تقدم لهم نتاجها والبانها ..

تحت : الفلاح في الغوطة يكد ويتعب .. انه يحب أرضه ويتعلق بها ، ويخلص لها ، ويبادلها وفاء بوفاء .. فهو يصحو مع الفجر وينام مع الغروب .. ويمضي ليله يحلم بخيرها المرتقب .





الى اليمين : وجوه مستبشرة ، وسواعد قوية تحمل الفؤوس .. هكذا يكون لقاء الفلاح بأرضه .. انه يفرح لكل شجرة يغرسها، ولكل ثمرة جديدة يجمعها .

تحت : في منطقة عين فيجة ، وقفوا يتأملون مياه العين السخية ، وهي تندفع قوية لتختلط بمياه نهر بردى الذى ينقلها الى أرض الغوطة .

ونقيق الضفادع ، تماميء الاغنام ، وثغو الميز ، ويخور البقر وتصهل الخيل وتنهق الحمير ..

وعلى جانبي مجرى النهر الصغير الهادىء تتكرر الصورة التي لا تغيب عن عينيك ابدا .. صورة الفلاح والفأس فى يده ترتفع وتنخفض لتضرب فى الأرض الطيبة .. في كل حقل .. فى كل بستان .. تراه يعمل ويكدح ، وحده احيانا .. وتراه مع امرأته فى كثير من الأحيان . فهي دائما بجانبه تعاونه وتفلح معه الأرض ، وتزرعها ثم تمضي ايامها ترقب الشجيرات الصغيرة ،وهي تكبر وتنمو فتملأ كفيها بثمارها ..

شقاء .. وهناء .. عسر .. ويسر .

ولكن اليست هذه هى الحياة ؟!

الغوطة فى قديم الزمان

والغوطة عرفت الرخاء واليسر ، والبناء والهدم ، والازدهار والاضمحلال يتعاقبان عليها منذ قديم الزمان .. فقد اصاب الغوطة ما اصاب دمشق من خراب وعمران نتيجة للغزوات والحروب .. فكان ، اذا ما جاءها غزو ،انتشر الخراب بين جنباتها ، وهجرها اهلها ، حتى اذا ما عاد الأمان والاستقرار سارع الفلاحون عائدين الى ارضهم وزرعهم ليبنوا من جديد .

فقد كان فى الغوطة ، كما جاء فى قول المؤرخ الظاهرة ثلاثمائة قرية ، وهو عدد يزيد كثيرا عما فيها من قرى فى الوقت الحاضر .

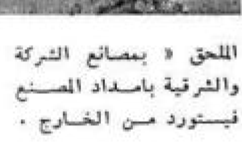
الحياة تدب من جديد

حتى اذا مازالت المحن ، وانزاح ظل العثمانيين والاتراك ، وصحت سورية من كابوس الاستعمار الفرنسي البغيض ، الذى خرب ودمر كثيرا من قرى الغوطة ابان الثورة السورية .. بدأت الحياة تدب من جديد فى ربوع غوطة دمشق وجناتها .. فاتسعت القرى وازدادت حتى بلغ عددها اليوم ٦٠ قرية ، تنتشر فى ارضها .. وبعض هذه القرى كبيرة ، اقرب الى المدن الصغيرة منها الى قرى الريف .. ولكن الاغلبية قرى صغير متناثرة هنا وهناك على جانبي الوادى .. وفى القرى الكبيرى او المدن الصغيرة، قامت المساكن الجميلة الحديثة ، المشيدة بالطوب والأحجار .. وفيها العمارات الصغيرة ، وهي قلة بطبيعة الحال ، وقد قامت فى قرى دوما وحرستا وبرزه وداريا وغيرها،وهي اسماء آرامية ويونانية.

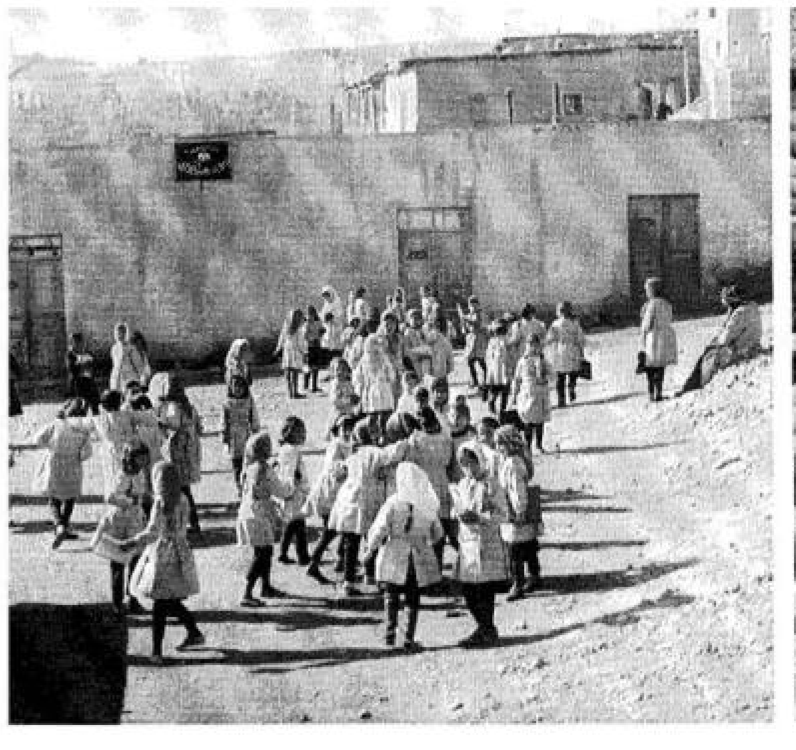
العمال ينقلون أشجار الحور الى مخزن الاخشاب العربية للكبريت » .. وتقوم الغوطتان الغربية بثلث ما يستهلكه من أخشاب . أما الثلث الباقي

اما المنازل الريفية السائدة فى قرى الغوطتين، الكبيرة منها والصغيرة ، فتتألف من طابق واحد ، شيدوا جدرانه بتراب الغوطة واستخدموا اشجار الحور التي تنتشر على جانبي الطريق الرئيسي الذى يشق الغوطة وتسير فيه السيارات





الملحق « بمصانع الشركة والشرقية بامداد المصنع فيستورد من الخارج .



فى كل قرية من قرى الغـوطةمدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرسة اولية للبنات ، وهى تابعـة لوزارة التربيـة ،والدراسة فيها بالمجان . وفى الصـورة تلميذات قرية جديدة الوادى ، وهىمدرسة أولية تضم ٨٣ تلميذة .

والأتوبيسات .. استخدموا هـذه الاشجار فى بناء سقوف البيوت ، ثم صفوا فوقها اشجار الصفصاف ، وغطوها بطبقة من الآجر واللبـن ، وجعلوا السقوف مسطحة ، لقلة الأمطار من ناحيـة ، ولامكـان الاستفادة منهـا فى تجفيف الحاصلات التي تعرض فوقها لأشعة الشمس طوال اشهر الصيف .

البيت العربي

ويحرص الفلاحون في الغوطة على تزيين بيوتهم فيطلون جدرانها من الداخل بالجير الملون المخلوط بالغراء .. وتتميز بيوتهم بحفظها للحرارة شتاء ، والبرودة صيفا ، نظرا لسماكة جدرانها ، والبيت العربي ، هو البيت العربي ، لا يتغير ابدا .. غرفتان أو ثلاث،وفي الوسط قاعة مفتوحة على ساحة البيت الداخلية او (الايوان)، وفي قلب الساحة بئر ماء جوفي ، ثم ملحقات البيت من حظيرة للمواشي ، ومخزنين ، احدهما لمؤونة اهل البيت من قمح وفول وزيتون وغيرها.. والآخر لعلف الحيوانات التي يعتمد اهل البيت على لبنها ولحمها وجلودها ..

الموظفون فى الريف

بقيت المنازل الحديثة والعمارات السكنية التي شيدت اخيرا فى قرى الغوطة الكبيرة ،وهذه يسكنها الموظف والمدرس والمهندس ، وهم يقبلون

الى اليمين : فتاتان من دمشق جاءتا الى الغوطة مع الالوف الذين يقصدونها لقضاء عطلاتهم وسط بساتينها .. وتحت شجر الدراق (الخوخ) ، وقفتا تتأملان الزهور التي تفتحت معلنة بداية الربيع .

الى اليسار : شجرة مشمش وسط فناء احد المنازل الريفية بالغوطة الغربية ، وتحت الشجرة جلست هذه الأم تغنى لصغيرها لينام ، بعد أن مهدت لنومه الارجوحة المتدلية من اغصانها .



الى اليمين : في الغوطة القريبة يضيق وادي نهر بردى وينحسر .. ويمضي النهر الصغير في طريقه بين الجبال شاقا الارض ومتفرعا فيها الى جداول وقنوات .

الى اليسار : في هدوء وطمأنينة راحت الاغنام ترعى في ارض الغوطة وبين اشجارها .. ومن ورائها راعيها يهش بعصاه ، وينادي عليها اذا بعدت عن عينيه .

على الحياة في الريف بعيدا عن ضجة المدينة وصخبها ، نظرا لقرب هذه القرى من مقر اعمالهم في دمشق من ناحية ، ولرخص ايجارات المساكن فيها من ناحية اخرى ، وتوفر وسائل المواصلات، حيث تجري سيارات الأوتوبيس ، كما ذكرنا في خطوط منتظمة تبدا من دمشق الى الغوطتين غربا وشرقا ، فتربط العاصمة بضواحيها ، كما يسير قطاران لنقل الركاب والبضائع من دمشق ، احدهما يصل الى الزبداني على بعد ٤٠ كيلومتر والثاني الى بيروت على بعد ١١٠ كيلو متر ، ويقوم القطاران بهاتين الرحلتين يوميا .



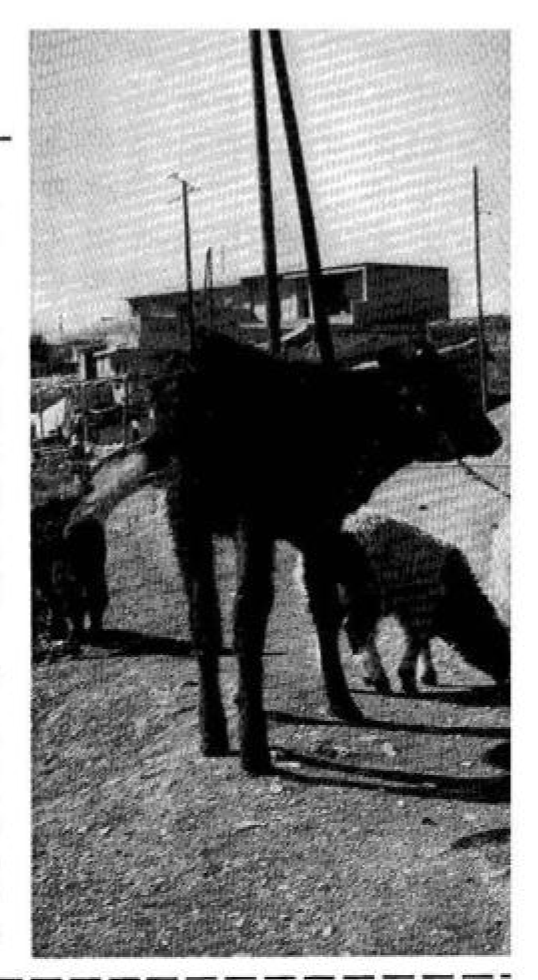
ويبلغ تعداد سكان قرى الغوطة ومزارعها طبقا لآخر احصاء اجرى اخيرا ، حوالي ٢٠٠ الف نسمة .. ويتراوح عدد سكان القرية الصغيرة بين ٥٠٠ و١٠٠٠ نسمة ، اما سكان القرى الكبيرة فيصل الى بضعة آلاف . وفي كل قرية من قرى الغوطة مدرسة ابتدائية للبنين ، وأخرى للبنات ، وهي تابعة لوزارة التربية والدراسة فيها بالمجان كما أن هناك اكتفاء ذاتيا ، بحيث يجد سكان كل قرية ما يحتاجون اليه من خدمات اجتماعية دون أن يضطروا للانتقال الى قرية أخرى .

اهل الغوطة

ولكن من هم أهل الغوطة ؟

من هم سكان هذه الارض الذين ربطوا مصيرهم بمصيرها .. وحياتهم بحياتها .. انهم جميعا من العرب المشتغلين بالفلاحة .. والفلاح هو الفلاح في كل زمان ومكان .. ذلك الرجل الطيب الذى يعمل ويصبر فيمضي حياته كلها ينتظر .. ينتظر الماء الذى يهطل عليه من السماء ليروى أرضه وينتظر الحبوب التي ينثرها في الارض ، حتى تصبح شجيرات صغيرة .. وينتظر الشجيرات تكبر وتثمر ثم ينتظر الثمار حتى تنضج .. فيجمعها ليبيعها ، ويشترى بثمنها لباسا يستر به جسمه .. وغذاء يسد به رمقه ..

والفوطى رجل جاد في عمله . جده أكثر من هزله .. وشغله اطول من بطالته .. كل تعب يهون عليه في سبيل تعهد حاصلاته وجمعها وبيعها .. يفرح لكل شجرة يغرسها ، ولكل ثمرة جديدة يجمعها .. وهو حريص على ارضه ، يخلص لها ويبادلها وفاء بوفاء .. فلا يفترق عنها الا في أيام الجمع حيث يذهب لتادية فريضة الصلاة ، وفي أيام المناسبات والأعياد .. وأهل الغوطة يقيمون الصلوات في مساجدهم وجوامعهم ويصلون جماعة، ويحرصون على صيام رمضان ، والحج الى بيت الله الحرام ، فقد صادف أن كنا هناك في ذلك الموسم .



شيخ عجوز .. التقينا به وهو يسير وراء بقرتيه وشاته في الطريق الجبلى المؤدى الى الحقول في الغوطة الغربية .. وتفنا نتأمله وهو يمشي في هدوء وطمأنينة ممسكا بأطراف حبال ثلاثة ، طوقت أطرافها الاخرى رؤوس حيواناته .. واقتربنا منه وحدثناه ، فلم يرد .. وزدنا اقترابا حتى لامسنا كتفه ، فاذا بالشاة تقفز وتشد الحبل في حركة غير طبيعية .. واذا بالبقرتين تخوران في ذعر .. وعندئذ فقط احس الشيخ بنا والتفت الينا محييا وقال : لا تؤاخذونى .. فأنا شيخ ضرير ثقيل السمع .. وقد نبهتنى الحيوانات الى وجودكم !

قالت لنا حفيدته الصغيرة : ان جدى لا يرى ، ولا يسمع ..

قلنا وكيف يسير وحده في هذا الطريق الجبلى ؟ قالت : « انه يعتمد على حيواناته فهى التى تقوده » .. ثم أمسكت بيد جدها تهزها وصرخت في أذنه ، تدعوه الى الحديث .. فقال : نعم .. اننى أعتمد عليها ، وأطمئن لها فقد حفظت طريقها الى الحقل .. نفس الطريق الذى تسير فيه يوميا ، حتى لقد عوضتنى عن نور عينى » .

المراة والحجاب

والمراة تخلع الحجاب عندما تقف في الحقل بجانب زوجها تساعده في عمله .. ولكنها لا تكاد تترك الحقل عائدة الى بيتها حتى تسارع الى تغطية وجهها .. وهى لا تظهر سافرة أبدا في ازقة القرى وحواريها ..

فالمراة الغوطية تقتدى باخواتها من نساء دمشق ، وتقلد زينتهن وأزيائهن .. ولكنها تضطر الى اخفاء هذا كله تحت الحجاب ، وتحت زيها الوطنى ، وهو ثوب واسع فضفاض ، تلبسه المراة لتخفى مفاتنها .. ويختلف هذا الثوب من قرية الى قرية من حيث اللون وطريقة التفصيل ، وبعض هذه الأثواب تخفى الراس والوجه فلا تظهر منه غير العينين .. والبعض الآخر ينتهى عند العنق .

وقد بقيت المراة في بيتها وحقلها دون أن تنال اى قسط من التعليم حتى عهد قريب ، أما أبناء الجيل الجديد في الغوطة فقد دخلوا المدارس وتعلموا ، سواء كانوا ذكورا أم اناثا ، واكملوا تعليمهم الابتدائي ونحوا الى دمشق ، والى المدن الاخرى القريبة ليكملوا تعليمهم الثانوى والجامعى ، ومنهم اليوم محامون وقضاة ومهندسون واطباء وعمال فنيون في المصانع والمؤسسات .

الى اليمين : قامت بعض الصناعات التي تعتمد على الانتاج الزراعي في الغوطة ، وهذه صورة داخل مصنع « الكونسروه » او الاغذية المحفوظة في العلب، وقد زود المصنع بالات التعليب الاوتوماتيكية . ويعمل فيه٢٢٧ عاملا دائما الى جانب عدد آخر من العمال الموسميين الذين يتراوح عددهم بين ٣٠٠ و١٠٠٠ عامل .. وفي المصانع ايضا تعمل المرأة جنبا الى جنب مع الرجل .. ويقوم هذا المصنع بتعليب كل انواع الخضر والفواكه .

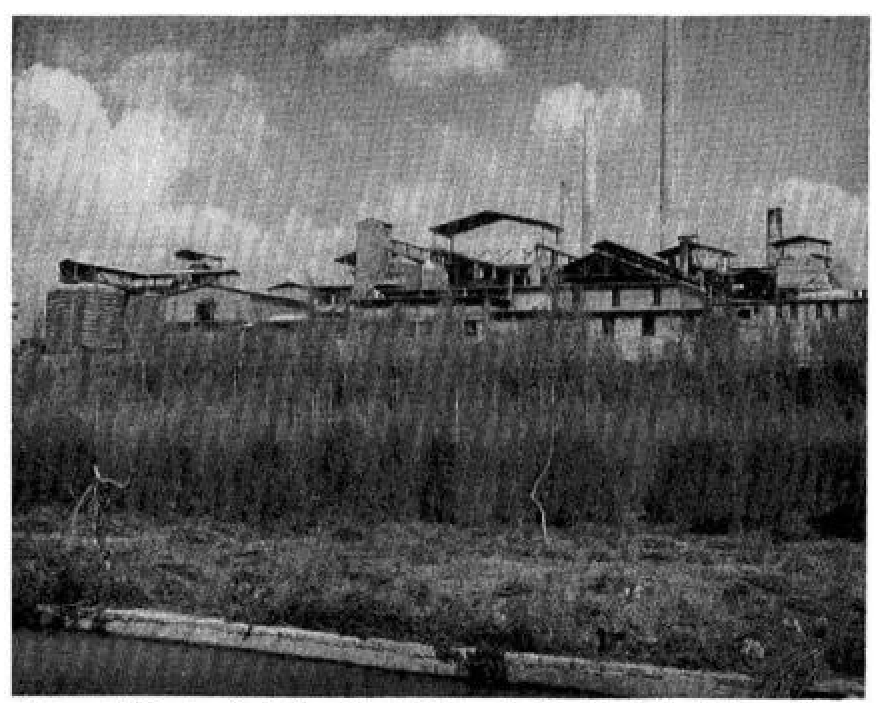
وفي عام ١٩٦٠ تم انشاء مصنع الكبريت ،ويقوم هذا المصنع بانتاج نصف مليون علبة كبريت يوميا، ويعمل فيه ٢٧٠ عاملا، والعمل مستمر في المصنع لمدة ١٦ ساعة ، مقسمة على مناوبتين كل مناوبة منهما ثماني ساعات، وتعتمد صناعة الكبريت على أشجار الحور التي تنمو بكثرة في الغوطة .. والصورة اليمنى تبين عملية تغطية العيدان الخشبية بمادة الاشتعال أما الصورة اليسرى فتبين عملية نشر الخشب .



فوق : تقوم شركة الصناعات الحديثة في الغوطة بإنتاج الخيوط الصوفية ، والصوفية الممزوجة ، كما تنتج أيضا قماش الديولين . وتغني هذه الشركة بحاجة معامل «التريكو» للخيوط الصوفية التي تنتج بدورها الملابس الصوفية الجاهزة .

وتعمل مصانع هذه الشركة ٢٤ ساعة متواصلة على ثلاث مناوبات .

وبالرغم من أن الصوف يستورد الآن من الخارج ، إلا أن الأمل معقود على الاعتماد على صوف أغنام الغوطة مستقبلا . والصورة تبين ماكينات غزل الصوف الرفيع ، وهي تضم مئات المغازل .



مصنع الاسمنت في الغوطة الغربية .. انه يقع وسط غابة صغيرة من أشجار الحور ، بالقرب من مجرى نهر بردى .. فقد اقتلعوا بعض الاشجار ليقيموا المصانع ، ولكنهم عندما أحسوا أن المباني بدأت تقتطع من الارض الزراعية الخصبة وتحتل مساحات كبيرة منها ، أوقفوا الزحف وبدأوا يبحثون عن أماكن أخرى للمصانع ، وخاصة تلك التي لا تعتمد الصناعة فيها على انتاج أرض الغوطة ..
لقد تقرر منذ بضع سنوات حصر المباني الجديدة في منطقتي المزة وبرزه وهما ضاحيتان من ضواحي دمشق

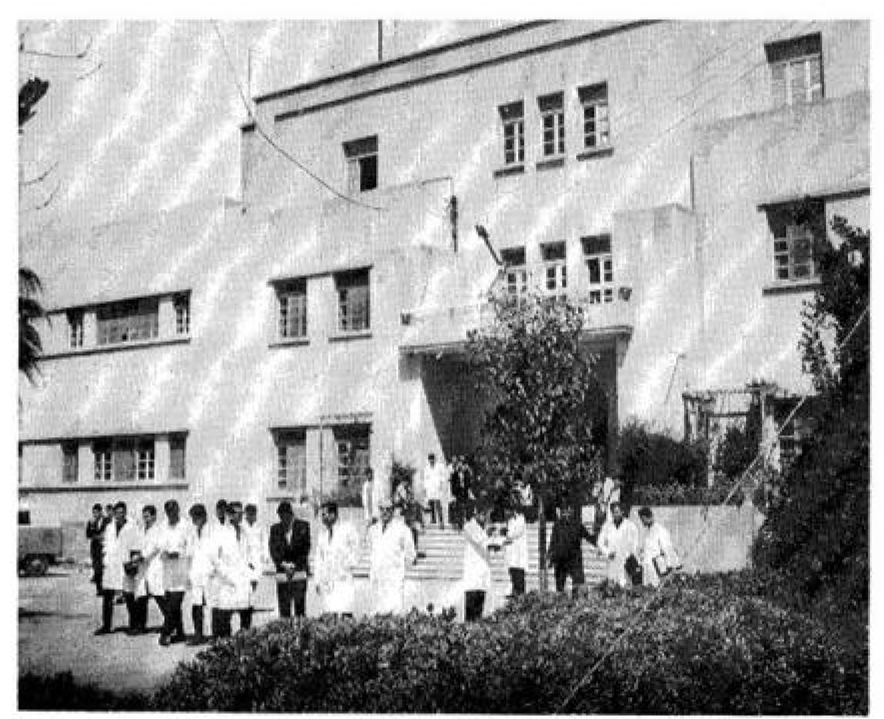
الزواج ... والاولاد

ويتزوج الغوطي في سن مبكرة ، في العشرين او ما دونها .. بينما تتزوج الفتاة في الخامسة عشرة .. ومهما بلغ الفلاح الغوطي من رقة الحال، فهو يسعد ويفرح اذا انجبت له زوجته الكثير من الاولاد الذكور ، فهو يعتقد أن كثرة النسل بركة ، فالمولى كفيل برزقهم . وهو يفضل الذكور على الاناث ، حتى يستطيع أن يستخدمهم في سن مبكرة في الاعمال الزراعية .

وبعض أهل الغوطة يخلعون ثوب القداسة على بعض الاشجار بقصد الابقاء عليها ليجعلوا من ثمرها طعاما لأبناء السبيل ، فيهبوا الشجرة التي يريدون حفظها لأحد الاولياء او الصحابة ، أو المشايخ .

زحف المباني على الغوطة

وهذه البدعة ، انقذت كثيرا من اشجار الزيتون والجوز والتين والتوت ، من فؤوس المحتطبين .. ومن زحف المباني على الغوطة .. فقد قامت المصانع في قلب الغوطة ، واقتلعت أشجار الجوز واللوز والدراق والمشمش .. لتفسح مكانا للمباني الجديدة التي احتلت مساحات كبيرة من الارض الزراعية الخصبة . قلت لمرافقنا : « ألم تجدوا



كلية الزراعة التابعة لجامعة دمشق أنيمت في الغوطة الشرقية ، وقد شيدت في عام ١٩٤٤ ، على أرض تبلغ مساحتها حوالى ٦٠٠ دونم (الدونم ألف متر مربع) وتضم الكلية ٤٠٠ طالب . ويقوم العمال التابعون لمزرعة الكلية بزراعة الفواكه ومختلف أنواع الخضروات والقطن والشعير والبقول.. كما يقومون أيضا بتربية المواشي والحيوانات التى يعتمد عليها الفلاح في عمله . أما دور الطلبة فهو يقتصر على الدراسة النظرية والعملية لمراحل هذه الاعمال المختلفة والاشتراك فيهما عمليا مع عمال المزرعة

مكانا آخر تشيدون فيه المصانع والمعامل، فتنقذوا الاشجار والمزروعات التى حكمتم عليها بالاعدام ؟ »

المصانع فى الغوطة

قال: « لقد نتج هذا عن افتقارنا الى التخطيط السليم عند بدء عملية التصنيع في سوريا .. ولقد كان هناك رأى معارض ورأى مؤيد .. أما أصحاب الرأى الأخير ، فقد اعتمدوا في تأييدهم للمشروع على أساس أن منطقة الغوطة هى أقرب المناطق للمدينة دمشق . ولتوفر الايدى العاملة من الفلاحين في هذه المنطقة الريفية ، فلم يعد عمل الفلاح قاصرا على الزراعة وحدها اليوم ، وانما أصبح يعمل في الحقل والمصنع معا ، نظرا لقلة الأيدى العاملة في سوريا كلها ، حيث لا يزيد تعداد سكانها على خمسة ملايين نسمة ينتشرون في أرض تبلغ مساحتها ٦٦ ألف ميل مربع . وأخيرا لأن معظم الصناعات التى قامت داخل الغوطة تعتمد على انتاجها . فمصانع الكبريت مثلا تعتمد على خشب أشجار الحور . ومصانع «الكونسروة» وهى كلمة مأخوذة عن الفرنسية Conserve أى الفواكه والخضروات المحفوظة ، تعتمد على انتاج أرض الغوطة .. وصناعة الخيوط والأقمشة الصوفية ، قامت في الغوطة أيضا لأنها ستعتمد



لى اليسار : في أحد الكازينات التي
ثيمت في قلب الغوطة ، جلسن
تسامرن .. أنزن مجموعة من المدرسات
للواتي خرجن لتمضية عطلة نهاية
لأسبوع وسط بساتين الغوطة .. !

حت : الطريق الرئيسي الذي يخترق
لغوطة مارا بين صفين من أشجار
لحور ، وأشجار الجوز العتيقة التي
صل عمر الواحدة منها الى الاربعين
اما أو يزيد .. وفي الصباح ، أيام
عطلات ، يزدحم الطريق برواد هذا
نتزه الكبير ورئة دمشق ومتنفسها ..
هم يأتون اليه بالدراجات والسيارات ،
سيرا على الاقدام في كثير من الاحيان .



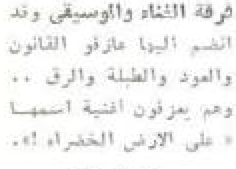
شباب دمشق وحسانها يقطفون الزهور ويرقصون ويغنون للغوطة .. انهم أعضاء فرقة الفنون الشعبية .. التقت بهم عدسة العربي وهم يتدربون على احدى الرقصات الجديدة وسط البساتين ..

بعض راقصات الفرقة بملابسهن التقليدية ، وهن يجمعن الزهور ، ويملأن بها سلالهن ..



الشباب والفتيات يؤدون رقصتهم على أنغام الموسيقى وغناء المجموعة «الكورس».





فرقة الغناء والموسيقى وقد انضم اليها عازفو القانون والعود والطبلة والرق .. وهم يعزفون أغنية اسمها « على الأرض الخضراء ».



★★★

ان جميع أعضاء هذه الفرقة الشعبية موظفون بوزارة الثقافة والارشاد.. وقد نقلوا فنهم للخارج عندما سافروا لعرض رقصاتهم في الجزائر والمغرب والعراق وتونس والصين واليونان .

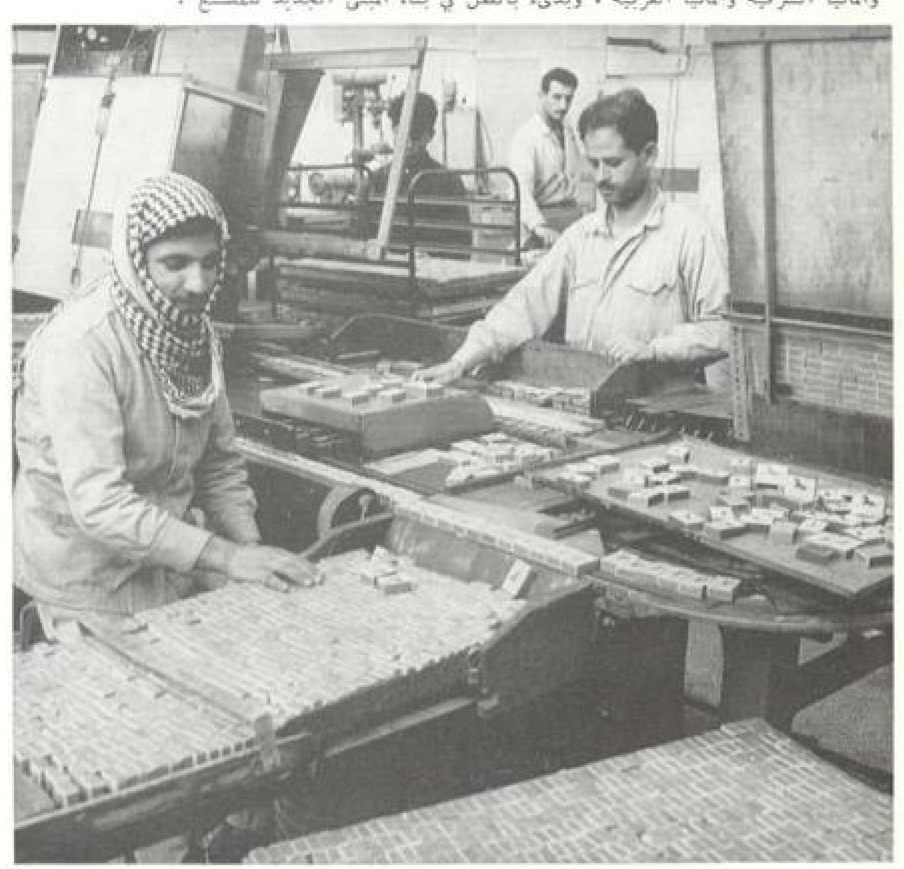
مستقبلا على صوف الاغنام التى ترعى في الغوطة .. ان الصوف يستورد الان من الخارج ، ولكن الامل معقود على امداد هذه المصانع بالانتاج المحلى في المستقبل » .

عروس الشام

وتدخل الغوطة مع الآلاف من أبناء دمشق الذين يأتون اليها بالسيارات والدراجات لقضاء الاجازات والعطلات في المقاهى والكازينات،فيجلسون تحت أشجار المشمش والخوخ والبرقوق واللوز والجوز والفستق .. وكل أنواع الفاكهة التى تزخر بها هذه الارض .. وهم ينشدون :

ع الغوطة ياللا نروح ياللا ع الغوطـــــة
عـــروس الشــام الحلوة بَدنَا زلغوطـة
وتسير في الطريق الرئيسي الذى يخترق الغوطة

علبة الكبريت في مراحلها الاخيرة بعد ملئها بالعيدان وتغطية جانبيها بأكسيد الفوسفور الاحمر وهو مادة الاشعال عندما يلتقى بالعود .. وتتم صناعة الكبريت بطريقة آلية في مختلف مراحلها .. وتنوى شركة الكبريت بناء مصنع جديد لزيادة الانتاج ، وقد تعاقدت بالفعل على شراء مصنع بكامل معداته من السويد والمانيا الشرقية والمانيا الغربية ، وبدىء بالفعل في بناء المبنى الجديد للمصنع .





قرية حتيته ، وهي احدى قرى الغوطة الشرقية .. على مقربة من مصب نهر بردى ، حيث يتسع الوادى ، وتقل المرتفعات وتكثر زراعة الخضروات .

مارا بين صفين من أشجار الحور، واشجار الجوز العتيقة التى يزيد عمر الواحدة منها على الثلاثين والاربعين عاما ، وبعضها بلغ السبعين .. ويطول بك السير فتنحرف يمينا أو يسارا لتبحث لنفسك عن مكان تجلس فيه لتستريح فوق الارض الخضراء وتتلفت حولك فترى العروس الحلوة التى جاءوا يطلقون لها « الزلاغيط » او « الزغاريد » .. فالغوطة متنزه المدينة ورئتها ومتنفسها .. وهى الى جانب ذلك بستانها الخالد الذى يقدم لها كل ما تحتاج اليه من فواكه وخضروات والبان ولحوم وزيت وزيتون والياف قنب ودبس وعنب .

الاهتمام بالغوطة

من هنا بدا المسئولون يهتمون بالغوطة، ويوقفون زحف المبانى عليها .. فاتجهوا الى التوسع الرأسي بدلا من التوسع الافقى ، فشيدوا المنازل على الجبال فوق بعضها البعض في الغوطة الغربية ، حيث تكثر الجبال والمرتفعات ، ويضيق الوادى وينحسر .. اما في الغوطة الشرقية فلم يرتفع مبنى واحد جديد خلال السنوات القليه الماضية ..

دخان المصانع افسد جنة دمشق

لقد بدأت دمشق تعترف بفضل الغوطة عليها ، فاعطتها الكهرباء التى دخلت بعض القرى وهى في سبيل الدخول الى قرى جديدة .. واعطتها الماء الحلو النقى الذى يجرى اليها في المواسير .. وشيدت المستشفيات والمدارس في قراها .. ولكن هل استطاعت دمشق بهذا أن ترد بعض ما تعطيه لها الغوطة ؟ والجواب لا . فما تقدمه المدينة للغوطة لا يقاس بما تقدمه الغوطة التى هى اساس وجود دمشق وحياتها ..

هذه هى غوطة دمشق .. الطبيعة في اجمل صورها .. ولولا دخان المصانع الذى يتصاعد هنا وهناك لبقيت « عروس الشام » على حالها .. يتغزل الشعراء في جمالها .. ويطلق لها الناس « الزلاغيط » !

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

الدفاع
ضد القذائف النووية الغازية

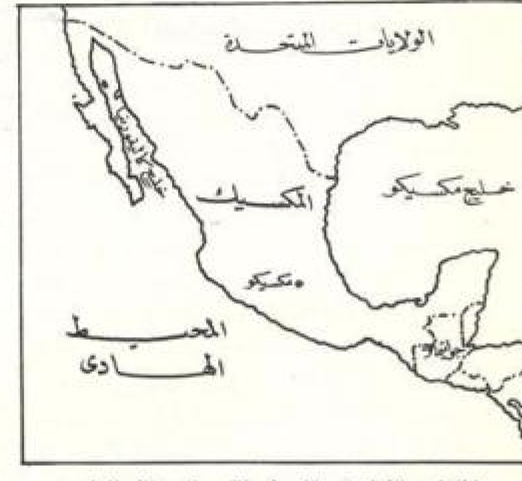
هذا الدفاع هو الآن هدف كل من الولايات المتحدة والروس على السواء . فكل يستطيع ان يرسل الى كل قذيفة نووية تحدث الدمار ، تتلوها اخرى فاخرى ، ومن اجل هذا ابتدعوا وسائل للدفاع ضد هذه القذائف هدفها اتلاف القذيفة النووية وهي في الفضاء وقبل ان تصل الى اهدافها .

والسبيل الى ذلك اطلاق قذيفة تلحق بها قبل وصولها الى هذه الاهداف ، تتفجر فيها او قريبا منها ، وتطلق اشياء تفجر القذيفة النووية الغازية .

وهذه الأشياء ثلاثة : اشعة سينية ، ونيوترونات ، وضغط ذو انفجار .

والاشعة السينية افعل هذه الثلاثة لانها اوسع مساحة عند انتشار .

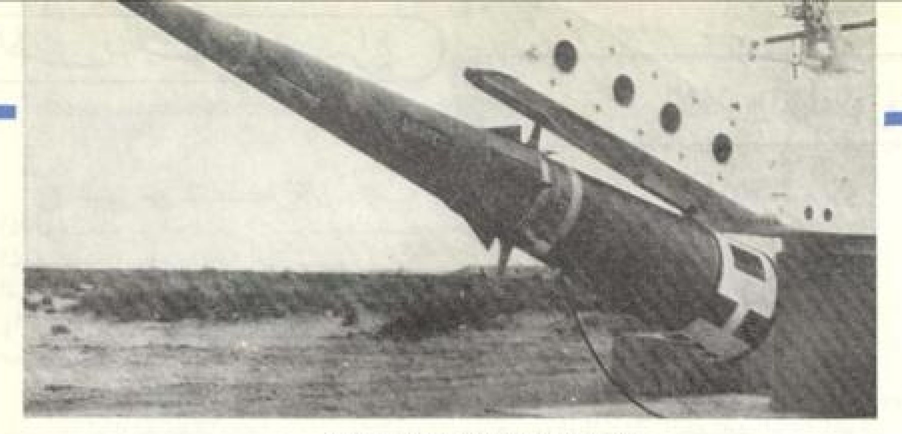
حاجة الشرطة الى الكشف



الألعاب الأولمبية تقام في المكسيك هذا العام ، وتخشى السلطات استخدام العقاقير للاعبين فيها

طلبت هيئة الامم المتحدة من لجنة المخدرات التي بها ان تقوم بتنظيم ومناسقة بين بحوث عالمية للكشف عن طرائق بسيطة لتقدير مقدار اثر المخدر في متعاطيه ، وذلك استجابة لرجال الطب الشرعي وللشرطة ، وذلك للاستعانة بها فيما يقع من الحوادث بسببها .

وقد اتصلت لجنة المخدرات بنحو ٨٤ باحثا علميا في ٢٩ دولة هم قائمون اليوم في معاونة اللجنة في اعمالها ، اتصلت بهم تخبرهم ان الحاجة ماسة جدا لاختبارات



قذيفة امريكية ضد القذائف النووية

اما النيوترونات فتحتاج الى تصويب ادق، لأن فعلها ليس واسعا في مساحته.

واما الضغط الانفجاري فهذا بالطبع لا يكون في الفضاء ، وانما يكون في هواء الجو .

وأمل المدافعين ضد القذائف النووية الغازية هو اصابتها وهي خارج النطاق الجوى . وهذا هو من عمل القذيفة المضادة المعروفة باسم اسبارتن Spartan وتجد صورتها مرفقة مع هذه الكلمة .

ولكنا نجد ، مع الأسف ، انه في هذه المنطقة بالذات ، تلك التى هي فوق الطبقة العالية من الجو ، يستطيع العدو ان يلعب بالاعيبه .

ومن هذه الالاعيب ان يرسل العدو قذيفة تنتهي قبل دخولها الجو بان يندفع منها ما يشبه القذائف تتجه الى أهداف في الارض شتى . ويخال المدافع انها قذائف نووية حقا ، فيلاحقها وهي كاذبة . وبذلك يغفل عن القذائف التى تأتي صادقة مدمرة .

ومن حيل العدو ان يطلق في الفضاء ، امام القذيفة النووية ، مقدارا كبيرا من الاسلاك النحاسية الصغيرة فتقوم تهوش على جهاز الرادار الذى يستخدمه المدافعون في التعرف على كل جسم في السماء غاز ، فتحجب الرؤية عن القذيفة الغازية .

والخطر الاكبر الذى تخشاه الولايات المتحدة الآن آت من الصين ، ففي استطاعتها في السنوات القادمة ان تطلق على الولايات المتحدة القذائف النووية المخربة، ولو لم تكن بلغت حدا من الاتقان عاليا .

والخلاصة ان العلماء يشكون اليوم في قدرة هذه النظم الدفاعية على الدفاع .

عن المخدرات في متعاطيها

تكشف عن المارجوانا Marjuana (الحشيش) في من يتعاطونه . لا سيما في حوادث السيارات . والمارجوانا هو العقار الذى انتشر تعاطيه في الولايات المتحدة وامريكا عامة .

ويزيد اهتمام الناس في هذا العام بهذه الكشوف بسبب الالعاب الاولمبية التى ستقام في عاصمة المكسيك هذا العام . ومما يخشى في هذه الالعاب ان اللاعبين يستخدمون العقاقير التى تزيد في قوة مثابرتهم ، أو سرعة ادائهم ، الى حين ان تتم أدوارهم ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون .

الاخذ والاعطاء

ليس من لا يسمع الآن بأزمة المدفوعات . انجلترا تشكو ازمة المدفوعات ، وتعني بها انها تستورد من امم الارض اكثر مما تصدر اليها ، والنتيجة فى آخر العام دين على انجلترا محقق .

والولايات المتحدة بدأت تشكو من نقص فى موازنة مدفوعاتها .

وهذا كله في امر البضاعة . البضاعة المزروعة ، او المصنوعة .

ولكن هناك صنف من البضاعة جديد، لا هو مزروع ، ولا هو مصنوع ، ولكنه يصدر ويستورد تماما كما تصدر البضائع .

فهذا الصنف هو « الرجال ذوو الادمغة » .

انهم هم القائمون وراء الزراعة يروجونها ، ووراء الصناعة يقدمونها . رجال الفن . رجال العلم . رجال التكنية . والمهندسون والأطباء وغير هؤلاء وهؤلاء .

وقد شكت انجلترا من ضياع نسبة كبيرة من خيرة رجالها بالذهاب الى الولايات المتحدة والبقاء والعيش فيها . وترحب بهم الولايات وترحب بالانجليز منهم ، وبالألمان ، وبالفرنسيين ، وحتى بمن هم وراء الستار الحديدى او ما كانوا يسمونه الستار الحديدى . وزمرة من أهل الشرق ، من العرب ، اغرتهم الولايات فسافروا اليها للتعلم ، وتلبثوا بعد ذلك هناك للعلم ، ثم لم يعودوا .

وخبر اليوم يأتي من استراليا .

يقول المتحدث عنها ان « ميزان المدفوعات » فيما يختص بالأدمغة الانسانية لا يزال في صالحها . ويقول ان استراليا تخسر من ابنائها ذوى العقول الثمينة عددا يخرج عنها ، مهاجرا ، ولكن يأتيها كذلكلا سيما من انجلترا عدد مهاجر ، الى استراليا ، ليعيش ويبقى فيها . وقد كسبت استراليا فى الست السنين الماضيةنتيجة



حفرة صنعها تفجر قنبلة ذرية

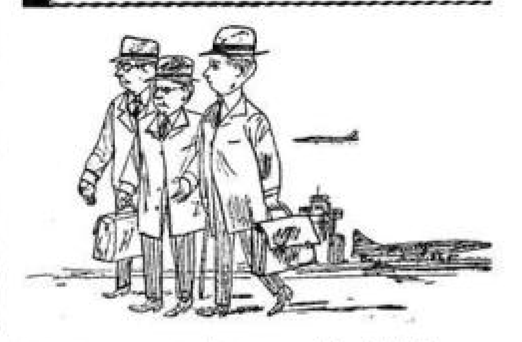
الذرة فى خدمة السلم

واستخدامها هذه المرة فى الحفر.

وقد قامت لجنة الطاقة الذرية بتفجير حفرة بلغعمقها ٨٠ قدما وعرضها ٣٠٠ قدم وطولها ٩٠٠ قدم ، واستخدمت فيها قنبلة ذرية قدرتها الف طن من المادة المفرقعة ت . ن . ت المتخذة وحدة لهذه القوى .

وهذه تجربة من عدة تجارب تحاول فيها اللجنة أن تقلل ما امكن من بقايا الاشعاع الذرى الضار بالانسان الناتج

فى سوق الادمغة



لهذا التبادل ..١٤٠٠ طبيب و ..١٦٠٠ عالم واكثر من ..٤٠٠ مهندس و ..٣٥٠٠ مهندس معمارى ومساح . وبلغ مجموع اهل هذه المهن الداخلين الى استراليا في بحر هذه المدة ...٣٦٠٠ ، وهو يمثل عشر كل المهاجرين الى استراليا فى هذه المدة .

بعض الامم اذن تكسب، وبعض يخسر .

ومن الخاسرين باستمرار فى هذه السنوات الأخيرة انجلترا .

واقترحوا لوقف هذه الهجرة سن قانون ينظمها ، اى قانون فى الحقيقة يحد منها . وقام رجال انجلترا ، حتى غير الراضين على هذه الهجرة ، يعارضون حتى فكرة سن مثل هذا القانون .

انها الحرية الفردية عندهم لا يعدلها فى الدنيا شيء .

فان شاءت الدولة أن تحتفظ برجالها فلتنظر ما سبب هجرة قوم عن بلادهم ، ومسقط رؤوسهم ، ثم تصلح ما اختل . اما ان تبقي الأمور على خللها، ثم تستعمل القوة والقسر فى حبس الناس فيما لا يودون ، فسُنّة كرهها الانسان فى كل الازمان ، والسجون كالقبور ، تقام للموتى لا للأحياء .

وأمام هذا نفت الحكومة البريطانية انه خطر لها من ذلك حتى الخاطر وحده.

من مثل هذا التفجر .

وحفرة اخرى احدثوها بتفجير قنبلة قدرتها ..٢٥٠ كيلو من ت.ن.ت. اى نحو عشر قدرة قنبلة هيروشيما ، وهي للتفجير فى الأرض الصخرية .

وهي تجرى هذه التجارب لأنها توفر المجهود الهائل الذى لا بد أن يبذل فى حفر قناة كمثل قناة بنما ، بقوة العضل الانسانى كما حدث في حفر قناة السويس ، او بقوة البخار كما يحدث هذه الأيام فى الحفارات الميكانيكية من صغيرة وكبيرة .

مرض الفصام العقلى

● واسمه بالافرنجية Schizophrenia وهو مرض عقلى ينفصم فيه العقل فيتخذ شخصية ثانية الى جانب شخصيته. وهو مرض ، من الأمراض العقلية ، واسع الانتشار .

وهناك مؤسسة تدعى بالمؤسسة الأمريكية للفصام ، وقد ادعت منذ أشهر انها وضعت نظاما يستخدم فيه حامض النيكوتين الذى هو احد فيتامينات ب علاجا لهذا المرض .

وادعت كذلك أن ..١٥٠ من المرضى نال الشفاء منهم نحو من ٨٠ في المائة عن طريق هذا العلاج .

ولقاء هذه الدعوى خصصت ولاية نيوجرزى وجامعة رتجرز Rutgers معا ، مبلغ ...٥١٧ دولار ينفق في بحر ٤ سنوات لامتحان هذا العلاج ، وقد قام حوله نقاش كثير .

ان صح امر هذا العلاج كان منها للانسانية خير كبير جدا .

نجم يولد

● ان للنجوم اعمارا كما للناس أعمار .

والناس ، اذا كتبت تاريخ انسان ، بدات من ولادته ، ومرت بطفولته وصباه وشبابه ورجولته وشيخوخته حتى هرمه ، ومع هذا كله صُوَرٌ من تلك الفترات من الحياة .

ورجال الفلك يأخذون الصور من النجوم ، فى كل الأعمار ، الا أعمار الطفولة . وهم يودون لو فعلوا .

وقد حانت اليوم فرصة خال معها الفلكيون ان نجما فى السماء يكاد يولد . يكاد يولد وفقا لما يتصوره الفلك اليوم من معنى ولادة النجم ، والأطوار التى يتطورها ليصبح نجما وليدا .

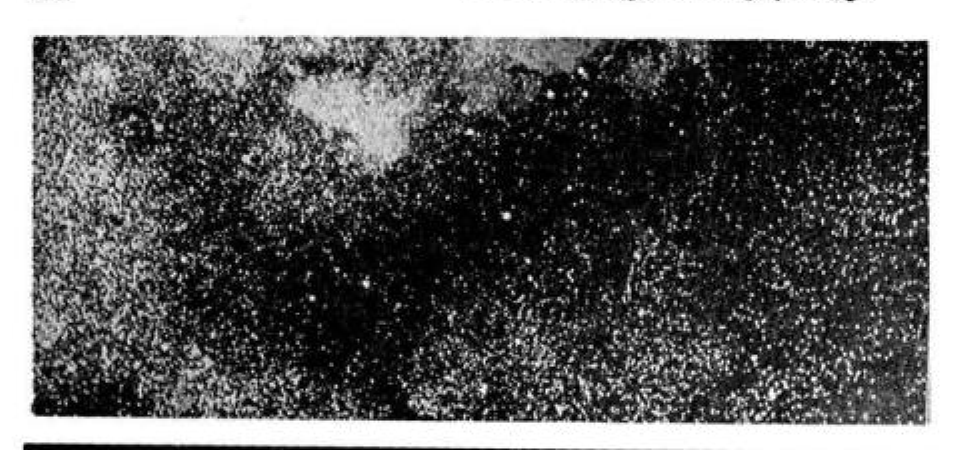
ورجال الفلك يحدثونك عن كيفية تكون النجم فى السماء فيقولون انه يتكون فى سحب من غاز وغبار مما هو منتشر حول العالم . وذلك أنه يحدث فى هذه السحب ، بطريقة غير معروفة ، ظروف تجعل هذا الغاز يبدأ فى التكثف .

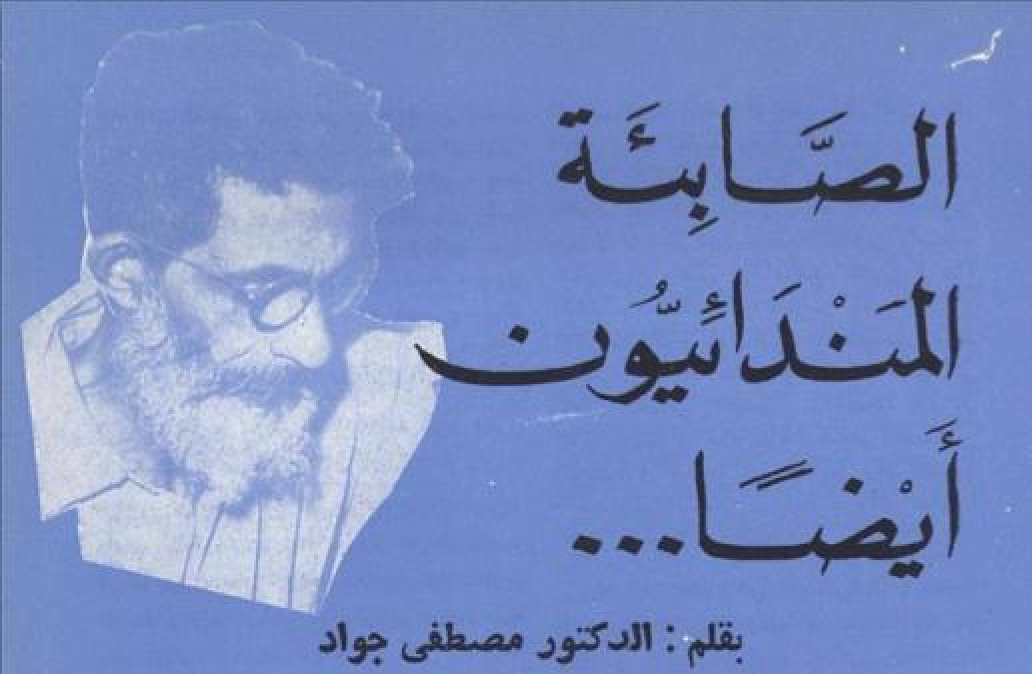
واذ يبدأ في التكثف تتقارب ذرات هذا الغاز بعضها من بعض ، ويشتد تجاذبها . وكلما حلت مقادير كبيرة من الذرات فى مكان صغير ، احترت ، ثم ازدادت حرارة بالانضغاط ثم ازدادت ، واخيرا يأخذ الوهج النووى يظهر للعيان .

ولكن هذا التجمع لا يبدأ حارا . ان هذه السحب تكون باردة جدا حتى لتبلغ ٣٠٠ درجة فهرنهيته تحت الصفر . وعندما تبدأ ترسل الاشعاع الذى ينبىء بوجودها ، يبدأ هذا الاشعاع لاسلكيا فى أقصى الطيف المعهود . وكلما احتر الغاز انتقل الاشعاع فى الطيف الى ما دون الأحمر ، ثم هو يدخل الطيف المرئي .

وقد دل البحث على وجود موضع في السماء ، به سحابة ، من غاز ، تبعد عنا خمسة ملايين بليون ميل ، بها بقعة من ادركسيل (ذرة اكسجين متحدة بذرة ادروجين) ، عرضها ٦٠٠ مليون ميل ، يخال أنها نجم فى سبيل الميلاد .

●●





الصابئة المندائيون أيضاً..

بقلم : الدكتور مصطفى جواد

الاستاذ بجامعة بغداد

■ قرأت في الجزء ١١٢ من « العربي » مقالة بعنوان «صابئة البطائح وصابئة حرّان(١) هل هم الذين ورد ذكرهم في القرآن؟ » وهي مقالة مفيدة لان تاريخ الأديان من الموضوعات الطريفة . ولكنه عسير فوجدتها ناقصة البحث ، واذ كان ما ينشر في « العربي » يغلب عليه أن يكون مرجعا للباحثين في مستقبل الزمان رأيت أن اكمل بعض نقصان المقالة فاقول :

معنى مندائي

ان صابئة البطائح عرفوا في تاريخ الأديان باسم « المَنْدائيّين » عند الغربيين والشرقيين ، ولذلك سمى الباحث الراحل (عبد الحميد بكر عبادة) كتابه في تبيان نحلتهم « مندايي أو الصابئة الأقدمين (٢) » وقد نشر كتابه هذا ببغداد سنة ١٩٢٧ م = ١٣٤٥ هـ قال ــ رحمه الله ــ في شرح كلمة الصابئة فيما قال : « وقالوا انها كلمة سريانية معناها الغسل والوضوء ، ولها مناسبة معهم ، وان أصل تسميتهم مندايي أى القديم، أما تسميتهم بالصابئة فلوجود ذكرهم في القرآن المجيد في ثلاثة مواقع ، في سورة البقرة ، والمائدة ، والحج ، فادخلوا انفسهم مع أهل الكتاب وليسوا منهم (٣) » . وجاء في الصفحة ٣١ قول يحيى : « تبارك اسمك يا مندايي » .

وكاتب المقالة أثبت لهم هذا الاسم في أثناء بحثه بقوله : « يعتقد الصابئة المندائيون أن الخالق جل شأنه واحد أزلي أبدي (x)» . ولم يذكر هذه النسبة في أول المقالة ، وانما رعَفَ بها البحث ، فكانت فاجئةً للقارىء مُحيِّرة .

أسرة مندائية أسلمت

وقد أسلمَتْ أسرة من هؤلاء المندائية قديما في بعض نواحي واسط بالعراق وانجبت فظهر فيها قضاة ومحدثون ومؤرخون وادباء ، قال ابن خلكان في ترجمة الحريري مؤلف المقامات: « وروى القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد المندائي الواسطي عنه(٤) ملحمة الاعراب للحريري وذكر أنه سمعها منه عن الحريري وقال : قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، فسمعتها منه . وتوجه مُصعدا الى بغداد فوصلها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بها ــ رحمه الله تعالى ــ » ثم قال ابن خلكان :

« اما ابن المنداني المذكور فهو محمد بن ابي العباس احمد بن بختيار بن علي بن محمد بن ابراهيم ابن جعفر الواسطي المعروف بابن المنداني ، وقد اخذ عنه جماعة من الاعيان كالحافظ ابي بكر الحازمي (٥) وغيره ، وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة بواسط ، وتوفي بها في الثامن من شعبان سنة خمس وستمائة ـ رحمه الله ـ والمنداني : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة (٦) » .

ومن المؤرخين من يزيد الفا بعد الميم فيقول (الماندائي) كما فعل ياقوت الحموي قال : « احمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي ابو العباس الواسطي ـ (٧) » . وذكر انه كان اديبا قاضيا بواسط محدثا بالحديث النبوي ، والف تاريخ القضاة وتاريخ البطائح (٨) ، وتوفي ببغداد سنة ٥٥٢ ومولده في سنة ٤٧٦ .

واذا اعتمدنا « جعفرا » المذكور اول من اسلم من هذه الاسرة المندائية يكون اسلامها قبل آخر القرن السادس بستة اظهر ، بمعدل خمسين سنة للظهر الواحد فيكون اسلامهم في المائة الثالثة للهجرة تقريبا . وهذه المدة كافية في تطويرهم وتغييرهم وانكارهم لاصلهم بسبب ديانتهم وهو ما حدث حقا ، قال شمس الدين الذهبي في ترجمة القاضي ابي الفتح محمد بن احمد المنداني المذكور آنفا : « وسئل عن معنى (المنداني) فقال : كان اجدادي قوما من العجم تاخر اسلامهم فسموا بذلك . والماندائي : الباقي بالفارسية(٩) » والظاهر انه لم يرد ان يقول اننا من الصابئة المندائية ، فقد تغير الدين ، وتبدل اليقين ، وبلغوا بالاسلام المناصب الرفيعة ، والحال البديعة ، وصاروا لاعتزازهم بالاسلام ، وتمسكهم به على المذهب الشافعي ، يانفون من ذكر الماضي ، ولا يكادون يتصورون امكان حدوثه . وهذا من تطورات المجتمعات المشهودة .

راى المسعودى المؤرخ

ويرى المسعودي المؤرخ العالم بتاريخ الامم والاديان ان صابئة البطائح من البابليين الكلدانيين قال : « وذكرنا في كتاب المقالات في اصول الديانات وكتاب خزائن الدين وسر العالمين اقاويل الامم في العوالم الاربعة في عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ومراتب الروحانية والجواهر العلوية والاجسام السمائية وسائر الوسائط والفرق بين النار والنور ، وما قاله كل فريق منهم في ذلك من الهند وقدماء الفلكيين واصحاب الاثنين ومن وافقهم من اصحاب التاويل في هذا الوقت والحنفاء (والكلدانيين وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرايا هناك وتوجههم في صلاتهم الى القطب الشمالي والجدي ... وصابئة المصريين الذين بقيتهم في هذا الوقت صابئو الحمدانيين وتوجههم في صلاتهم الى التيمن وهو القبلة واستدبارهم الشمال .. (١٠) » وذكر صابئة الصين وصابئة اليونانيين .

ومما نقلت يعلم وَهَمُ الاستاذ « هـ . ريتر » المستشرق الالماني في زعمه ان صابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرؤوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان(١١) .

وسموا المغتسلة

وقد سماهم ابن النديم « المغتسلة » لاعتماد دينهم على الاغتسال قال : « المغتسلة هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح وهم صابئة البطائح ، يقولون بالاغتسال ويغسلون جميع ما ياكلونه ورئيسهم يعرف بالحسيح (١٢) وهو الذي شرع الملة ويزعم ان الكونين ذكر وانثى ، وان البقول من شرع الذكر ، وان الكشوث من شرع الانثى وان الاشجار عروقه ولهم اقاويل شنيعة تجري مجرى الخرافة وكان تلميذه يقال له شمعون ، وكانوا يوافقون المانوية في الاصلين ، وتفترق ملتهم بَعْدُ . وفيهم من يعظم النجوم الى وقتنا هذا (١٣) » . ثم قال « مقالة الشيليين : كان شيلي من المغتسلة الا انه كان يخالفها وكان يلبس الخشن وياكل الطيب ، وكان يميل الى مذهب اليهود وياخذ به (١٤) » .

وفي هذا ما يثبت ان صابئة العراق القدامى هم المندائيون المعروفون عند العرب المغتسلة ، وان صابئة حران انتحلوا اسمهم منذ اواخر ايام المامون في الربع الاول من القرن الثاني للهجرة كما ذكر ابن النديم في الفهرست في موضع آخر منه .

وذكرهم الجاحظ

وقد ذكر الجاحظ هؤلاء الصابئة المغتسلة المندائيين في الكلام على الخصاء قال : « وكل خصاء في الدنيا فانما أصله من قبل الروم ... فاما الصابئون فان العابد منهم ربما خصى نفسه فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي فيما اظهر من حسن النية ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام وبادخاله النقص على النسل كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي ، وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون اليه ويسمعون منه ويسمر عندهم للذى يجدونه عنده من الفهم والافهام وطرف الاخبار ونوادر الكتب وكان قد اربى على المائة ولم اسمع قط بأغزل منه ، وان كان يصدق عن نفسه فما في الارض ازنى منه (١٥) » . قال الجاحظ « حدثني محمد بن عبّاد قال : سمعته ـ يعني ابا المبارك الصابي ـ يقول ، وقد جرى ذكر النساء ومحلتهن من قلوب الرجال : حتى زعموا أن الرجل كلما كان عليهن احرص كان ذلك ادلّ على تمام الفحولة فيه (١٦) » . وذكر اقوال ابي المبارك في ذلك وهي تصلح لان تكون من احدث الدراسات النفسية الجنسية (١٧) ، ثم قال الجاحظ : « الله تعالى ارحم بخلقه واعدل على عباده من ان يكلفهم هجران شيء قد وصله بقلوبهم هذا الوصل واكده هذا التاكيد » . يعني ميل الرجال الى النساء . وقال بعد ذلك : وقد خصى نفسه (١٨) من الصابئين رجال قد عرفناهم باسمائهم وانسابهم وصفاتهم واحاديثهم وفي الذى ذكرنا كفاية ان شاء الله تعالى (١٩) » .

الطيب من مواطنهم

ويظهر لي ان بلدة الطيب الدائرة بشرقي العراق كانت من مواطن هؤلاء الصابئة القدامى وكانت قريبة من أرض العمارة الحالية التي تشبه المنصورة بمصر ، كما يقال ، واحسبهم انتقلوا الى البيات ثم الى العمارة منها ومما حولها بعد شيوع الخراب، قال ياقوت الحموى : « الطيب بالكسر ثم السكون وآخره باء موحدة .. بليدة بين واسط وخوزستان واهلها نبط الى الآن ولغتهم نبطية ، حدثني داود بن احمد بن سعيد الطيبي التاجر ـ رحمه الله ـ قال : التعارف عندنا ان الطيب من عمارة شيث بن آدم ـ عليه السلام ـ وما زال اهلها على ملة شيث وهو مذهب الصابئة الى ان جاء الاسلام فاسلموا (٢٠) » . وقال لسترنج المستشرق المشهور : « الظاهر ان بيات كانت حيث بلدة الطيب التي ذكرها ابن حوقل بقوله : تتخذ بالطيب تِكَك تشبه الارمني . وكانت الطيب بلدة قليلة الشان في أيام العباسيين وتجاور خرائبها بقايا بلدة بيات الحادثة بعدها ، وروى ياقوت ان اهل الطيب نبط ولغتهم نبطية ويرجعون نسبهم الى شيث بن آدم (٢١) » .

كانت اصلا من اصول المانوية

وذكر الاستاذ المؤرخ « كريستنسن Arthur Christensen » هؤلاء الصابئة المندائيين قال : « ومعظم الكنوستيكيين الذين عرفنا طرقهم بعض المعرفة من سكان الولايات الشرقية من الانبراطورية الرومانية ، ومن بين فرق الكنوستيكيين فيما بين النهرين وبابل فرقة المانديين والفرقة التي يشار اليها في الآداب العربية بكلمة المغتسلة التي كانت اصلا من اصول المانوية ، وقد اعتنق العرب مذهب الكنوستيكيين في الشرق ، الذين انتشرت آراؤهم الى العهد الاسلامي تحت اسم الحنفاء او الصابئة (٢٢) » ثم قال : « كان ماني ايرانيا من اسرة عريقة وتقول الروايات ان امه كانت من العائلة المالكة الاشكانية وكانت لاتزال تحكم ايران حين ولد ماني ، وليس بعيدا ان يكون ابوه فاتك (٢٣) من الاصل نفسه . وقد هاجر فتق هذا من بلدة همذان (اكبتان القديمة) الى بابل ، فاقام في قرية في وسط ولاية ميسين (٢٤) وهناك كان يحضر مجالس المغتسلة ، وهي احدى الفرق التي وجدت في الاقاليم الواقعة بين الفرات ودجلة وفي هذه القرية ولد ماني سنة ٢١٥ او ٢١٦ وقد نشا الطفل الصغير على مذهب المغتسلة ، ولكنه تعمق بعد ذلك في درس اديان زمانه : الزردشتية والنصرانية والمذاهب الكنوستيكية وخاصة مذهب ابن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة (٢٥) ».

فتوى الاصطخرى فيهم

وكما تعرض المأمون للحرنانيين تعرض بعده القاهر بالله للمندائيين المغتسلة صابئة البطائح ، في الثلث الاول من القرن الرابع للهجرة ، قال الخطيب البغدادى في ترجمة أبي سعيد الحسن

بن احمد الاصطخري الفقيه الشافعي القاضي : « وكان القاهر الخليفة قد استفتاه في الصابئين فافتاه بقتلهم ، لانه تبين له انهم يخالفون اليهود والنصارى . وانهم يعبدون الكواكب ، فعزم الخليفة على ذلك حتى جمعوا بينهم مالاً كثيراً له قدر فكف عنهم (٢٦) » . وجاء في رسالة ارسل بها الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن فضلان قاضي القضاة الشافعي الى الخليفة المستنصر بالله (٢٧) يشكو فيها تطاول اهل الذمة « الصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمة لهم وكان في قديم الزمان لهم ذمة فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الاصطخري من أصحاب الشافعي في حقهم فافتاه باراقة دمائهم وان لاتقبل منهم الجزية فلما سمعوا بذلوا له خمسين الف دينار فامسك عنهم ، وهم اليوم لاجزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء . وهم في حكم المسلمين والامر أعلى » . قال المؤرخ : « فلما وقف الخليفة على رقعته لم يُعِد عنها جوابا » .

وقال ابن سعيد العماري المغربي في وصف دجلة : « ومن المدائن تلتوى دجلة فتقرب حتى تقع واسط في الجزء الرابع ، كما تقدم ، ثم تقع بطائح واسط والبصرة من الانهار الخارجة من دجلة تحت واسط .. وأكثر اهلها كلدانيون على ملة شيث ــ عليه السلام ــ والناس يسمونهم صابئة، وهم اعداء الصابئة (٢٨) » .

أكثر صابئة العرب كانوا باليمن

ويظهر لي أن أكثر صابئة العرب كانوا باليمن ، قال الهمداني في كلامه على رئام : « اما رئام فكان مُتنسكا يُتنسك عنده ويُحج اليه وهو في رأس جبل اقوى من بلد هَمْدان ، ينسب الى رئام بن نهفان بن تبَّع بن زيد بن عمرو بن همدان ..وثَمَّ قَصْرٌ مملكته وقُدَّام باب القصر حائط فيه بلاطة فيها صورة الشمس والهلال فاذا خرج الملك لم يقع بصره على أوّلَ منها(٢٩) ، فاذا رآها كَفَّر لها بان يضع راحته تحت ذقنه عن وجه يستره ثم يخر بذقنه عليها (٣٠)». ثم قال في الكلام على « مَدَر»: « وفي مسجد مَدَر اساطين مما نزع من تلك القصور وليس في المسجد الحرام مثلها ، وهي أكثف منها واحسن تجزّأ كانها مُفرغة في قالب ، وقبالة قصر الملك منها بلاطة فيها مستقبلة للمشرق وصورة الشمس والقمر تقابلانه اذا خرج الملك (٣١) » . فهذا السجود من أركان عبادة الصابئة ، وقال الهمداني : « وهو في معنى قول الله ــ عز وجل في بعض التفسير : ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (٣٢) » .

قلت : كان الهمداني حريًا أن يستشهد في هذا الموضع بقوله تعالى : «وجئتك من سبأ بنبأ يقين» اني وجدت امراة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون (٣٣) » . وقد أثبت القرآن الكريم ان قوم بلقيس كانو يسجدون للشمس ، فهم صابئة العرب .

مباحث كتاب مندايي

واود أن أختم هذا الاستدراك بذكر المباحث الواردة في كتاب « مندايي أو الصابئة الاقدمين » المذكور آنفا فان مؤلفه أخذ معارفه من شيخ من شيوخ الصابئة المغتسلة المندائيين هو الشيخ دخيل وقد رأيت انا هذا الشيخ بالناصرية من العراق سنة ١٩٢٥ ولم أكلمه في أمور دينه وهذه هي مباحث الكتاب « مندايي او الصابئة الاقدمون» هل هم عبدة نجوم ؟ هل هم كلدانيون أم سريانيون ؟ مساكنهم القديمة وكتبهم المقدسة ، اعتقاد الصابئة في الله ، اعتقادهم في بدء الخلق ، عمر الدنيا ، بحث مختصر من كتاب الكنزة (المقدس) اعتقادهم في ولادة يحيى ، كيفية قبض روح يحيى، اعتقادهم في الجدي ، درجة علمائهم : حلالي ، تلميذة ، كنزبرة ، الارشمة اى رأس الامة، الرباني، وظائف العلماء ، الذبح الخاص بالعلماء ، الذبح لسائر الصابئة، ذبح الدجاج ، هل يجوز للمسلمين اكل ذبيحتهم ؟ كيفية تعميد الاطفال ، كيفية تعميد الاشخاص ، تسمية الاشخاص ، الرشامة اى الاغتسال والوضوء ، ما يفسد الوضوء وينقضه ، كيفية الاذان ، كيفية الصلاة واوقاتها ، الصوم ، ماحل لهم في شريعتهم ، ما حرم عليهم ، الارض والسماء والشمس والقمر ، السنة والشهور والايام ، عطلة يوم الاحد ، عيد البنجة أو الطنجة ، العيد الصغير ، عيد الكرصة ، أى عيد التكريس ، الخطبة وعقد الزواج ، الحيض والنفاس ، العدة والطلاق ، تعدد الزواج ، هل

تجوز تزوجاتنا منهم ؟ الاموات وما يتعلق بهم ، القبر ، البكاء والنياحة ، الوصية وتقسيم المواريث، اول مصير الأموات والعقوبات الآخروية، وظائفهم (وحرفهم) الرئيسة ، خدمة (الصابئة الحرانيين الاصل) للاسلام ، التحية والسلام عندهم » .

ومجموع الكتاب ست وستون صفحة من القطع الصغير وهو وحيد بابه وان جاز ان يكون شيخهم المسؤول قد وارب وما قارب في الكشف عن اشياء من امور دينه . ■■

مصطفى جواد

الشروح

(١) حرّان بفتح الحاء وتشديد الراء قال ياقوت في معجم البلدان : « يجوز أن يكون فعّالا من حرن الفرس : اذا لم ينْقَد ويجوز أن يكون فعْلان من الحرّ ، يقال : رجل حرّان أي عطشان وأصله من الحرّ وامرأة حرّى » . « والنسبة اليه حرناني بعد الراء الساكنة نون على غير قياس كما قالوا منّاني في النسبة الى ماني والقياس ما نوى وحراني والعامة عليها .

(٢) أضاف كلمة «كتاب» فاستوجب الاسم الجر فهو كتاب مندايي»

(×) هذا القول منقول من كتاب مندايي (ص١٣) من غير اشارة الى الكتاب .

(٣) كتاب مندايي أو الصابئة الاقدمين «ص٥ طبعة مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٧ » .

(٤) عن المطهر بن سلام صاحب الحريري .

(٥) نشر له مجمع اللغة العربية بمصر كتاب «عجالة المبتدى وفضالة المنتهى » في النسب سنة ١٩٦٥ – ١٣٨٤ .

(٦) وفيات الاعيان « ١:٥٨،٤٥٩،٤ طبعة ايران وهي اصح الطبعات الى الان » .

(٧) معجم الادباء «١ : ٣٧٩» طبعة مرغوليوث الاولى .

(٨) ليذكر القارىء الكريم ارتباط الاسرة بالبطائح .

(٩) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٨٥٢ الورقة ١٥٠ » .

(١٠) التنبيه والاشراف « ص ١٣٧،١٣٨ طبعة دار الصاوي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ = ١٣٥٧ » .

(١١) العربي « ج١١٢ ص٨١ » . وقال عبدالحميد عبادة : « قال البعض من المؤرخين انهم من الكلدان وهم أول من سجد للاصنام .. » (مندايي ص ٨)

(١٢) وفي نسخة أخرى «بالحسيس» .

(١٣) فهرست ابن النديم « ص ٤٧٧ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر » .

(١٤) المرجع المذكور في الصفحة المذكورة .

(١٥) كتاب الحيوان « ١:١٢٥ طبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

(١٦) المرجع المذكور « ص ١٢،٦ » .

(١٧) نقل هذه الاقوال ابن قتيبة في عيون الاخبار ٤:٩٨ طبعة دار الكتب المصرية وفيها تصحيف فظيع حتى قالت لجنة التصحيح : « ولم نطمئن الى بعض عبارات وردت فيها ولم نوفق الى تصويب نطمئن اليه فأبقيناها كما هي ، اذ لم نعثر عليها في مصدر آخر » فأين كانوا من كتاب الحيوان للجاحظ ؟!

(١٨) الصواب « نفوسهم أو أنفسهم » .

(١٩) الحيوان « ١ : ١٢٨ » .

(٢٠) أراد : أسلم منهم من أسلم .

(٢١) بلدان الخلافة الشرقية « ص٨٩ من الترجمة العربية للاستاذين كوركيس عواد وبشير فرنسيس، طبعة مطبعة الرابطة » .

(٢٢) ايران في عهد الساسانيين «ص٢٩ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب » .

(٢٣) في فهرست ابن النديم « فتق » .

(٢٤) الصواب « ميسان » عند العرب .

(٢٥) ايران في عهد الساسانيين « ص١٧١،١٧٢ » .

(٢٦) تاريخ بغداد « ٧ : ٢٦٩ طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ – ١٩٣١ » .

(٢٧) كتاب الحوادث الذي سميناه «الحوادث الجامعة» غلطا « ص ٦٩ » وجاء فيه انه ارسل بها الى الناصر لدين الله وذلك وهم من المؤرخ .

(٢٨) جغرافية ابن سعيد «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٢٣٤ الورقة ٧٥ » .

(٢٩) يعني شيئا قبلها، استعمل اسم التفضيل على حقيقته .

(٣٠) الاكليل «٨: ٨٣ طبعة مطبعة السريان ببغداد»

(٣١) المرجع المذكور « ص ١١٥ ، ١١٦ » .

(٣٢) المرجع المذكور « ص ٨٣ » .

(٣٣) سورة النمل ، الآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

الفدائيون ..

للشاعر : عبد الهادى كامل

■ حَيِّ الجهادَ بطولةً وصمودا ... وفدىً وبذلاً للنفوس ، وجودا
والى الفدائيين من أبطالنا ... أزجِ التحايا اليومَ والتمجيدا
السائرين الى الجهاد أشاوساً ... النافرين الى القتال أسودا
الواهبين الى الفداء نفوسَهم ... الرافعين الى الكفاح بنودا
المقسمين على الجهاد وقُدْسِه ... ألاَّ تحكّمَ في البلاد يهودا
لولاهُمُ لم تسمع الدنيا لنا ... صوتاً ولم تعرفْ لنا مجهودا
قد ترجموا الآمال عزماً صادقاً ... وتيمموا درب الفداء عنيدا
واستعذبوا وِرْدَ المنون فسطَّرُوا ... لهُمُ وللوطن العزيز خلودا
رهطُ الفدائيين بورك فيهم ... ما مِثلُ جودهِم المؤزّر جودا
بالروح جادوا وهي أسمى غايةٍ ... في الجود لم أستطعْ لها تحديدا
حملوا النفوسَ على الأكفّ وأقدموا ... لا يرهبون النار والبارودا
رهطٌ تحدّى الظالمين وبطشهم ... والسجن والجلاد والتصفيدا
وأشِيدُ (بفاطمةَ*) التي ارتضت الفدى ... درباً لها لم تبغ عنه مَحيدا



(*) هى فاطمة البرناوى التى اعتقلها اليهود وزجوا بها في السجن بتهمة وضع قنبلة موقوتة في سينما صهيون في القدس



المجاهدة العربية
فاطمة البرناوي

أعظمْ بها رهنَ الأسار سجينةً ... باتتْ تُعاني البطش والتهديدا
رضيتْ ظلامَ السجن ترزحُ تحته ... كيلا ترى في (قُدْسها) تهويدا
وأستبدلت بدل الأساور والحُلى ... فوق الزنود سلاسلاً وحديدا
الغانيات تَزينهن جواهرٌ ... وحُلَىٌ وملبوسٌ يرفُّ جديدا
ويزينُ (فاطمةَ) الجهادُ ،وحليُها ... عزمٌ تفجر ثورةً وصمودا
قل للغوانى القابعات لدى الحمى ... اللابساتِ من الحرير برودا
ما ينفع الثوب الموشَّى إنْ يَكُنْ ... مَنْ يرتديه على الهوان قعيدا
لا تنفع الأقوامَ بيضُ وجوههم ... إنْ كانت الأخلاقُ منهم سودا
أختَ العروبة يا سليلة (خولة) ... يامن لها ماضٍ يشع مجيدا
أهلوك قد سادوا الزمان وركّزوا ... في كل أُفقٍ رايةً وبنودا
فعلام تَرْضَيْنَ الحياة كَدُمْيَةٍ ... في البيت أهملها الزمان وجودا
قومى انفضى عنك الكرى هيَّا انهضى ... وتيمَّمى التدريب والتجنيدا
قومى احملي الرشاش يزأر صوْتُهُ ... فَوْقَ الهضاب مغردا تغريدا
وتفجرى نارا تصبُّ على العدى ... حمَمَ الرَّدى لتزيدهم تنكيدا
أختاه صاح بنا الجهاد مؤذنا ... فقفى الغداةَ الموقف المحمودا
وخذى سبيلك للجهاد وللفدى ... كأخيك بذلاً للنفوس وجودا
فالمرء إمَّا أنْ يعيش مكرَّماً ... في أرضه أوْ أنْ يموتَ شهيدا



دمشق : **عبد الهادى كامل**

أمراض شائعة



مرض ارتفاع ضغط الدم

بقلم : الدكتور يوسف الكيلاني

اخصائي الامراض الباطنية بمستشفى الصباح

■ ان وظيفة القلب هي دفع الدم الى جميع أجزاء الجسم واعضائه الحيوية عن طريق الشريان الاورطي الذى تتفرع عنه الشرايين المتوسطة والدقيقة والشعرية . وحين يضع الطبيب جهاز الضغط على ذراع المريض فانه يقيس قوة ضغط الدم فى الشرايين الدقيقة ويسجل ذلك في قراءتين ، الاولى تمثل ضغط الدم والقلب فى حالة الانقباض والثانية تمثل ضغط الدم والقلبفىحالة الارتخاء . وتختلف درجة الضغط الطبيعيةباختلاف السنوالوزن والجنس والحالة النفسية . ففي سن العشرين يمكننا اعتبار (١٢٠/٨٠) مائة وعشرين على ثمانين مليمترا من الزئبق قراءة طبيعية، بينما هي في سن الستين طبيعية اذا كانت القراءة (١٦٠/٩٠) مائة وستين على تسعين مليمترا من الزئبق، والرقم الأول للضغط والقلب منقبض ، والرقم الثانى للضغط والقلب مرتخ .

ان درجة الضغط تعتمد على المقاومة التي يلقاها الدم اثناء جريانه فىالشرايين الدقيقة ، فانقباض هذه الشرايين أو تصلبها يزيد من درجة الضغط .

ودرجة انقباض هذه الشرايين تعتمد على نشاط الجهاز العصبي السمبتاوى وهو جهاز الطوارىء في الجسم ، ويزيد نشاطه وافرازه لمادتي الادرنالين والنور ادرنالين فى حالات القلق والغضب والتعرض للبرد،كما يزيد بتأثير افرازات اورام بعض الغدد الصماء (الغدد الكظرية الموجودة فوق الكليتين) أو نتيجة أمراض الكلى والمجارى البولية .

اما تصلب الشرايين فيحصل عادة فى

القلب منظوراً من أمام

ـسن متقدمه كمظهر من مظاهر الشيخوخة ، وذلك بترسب المواد الدهنية كالكلسترول على الفشاء الداخلي للشرايين على مر السنين مما يؤدى الى ضيق مجراها وتصلبها ،ولكن ظاهرة تصلب الشرايين تحصل فى سن مبكرة في المصابين بالسمنة ومرض البول السكرى او ارتفاع ضغط الدم ، كما تحصل فى بعض العائلات كمرض وراثي نتيجة عجز اجسامهم عن تمثيل المواد الدهنية والانتفاع منها ، فيترسب الكلسترول في مجارى الشرايين كما يظهر على شكل اكياس تحت الجلد وفي اماكن اخرى . ومما مريتضح ان لتصلب الشرايين اكثر من سبب ولكن من اهم عوامله المساعدة اهمال علاج ارتفاع ضغط الدم .

ان العامل الثاني الذى يحدد درجة الضغط هو مقدار الدم الذى يدفعه القلب للدورة الدموية في الدقيقة الواحدة ، ويمكن تلخيص ما قلناه بالمعادلة التالية :

معدل ضغط الدم = مقدار الدم الذى يندفع من القلب للدورة الدموية فى الدقيقة الواحدة × المقاومه التي يلقاها الدم في الشرايين .

ومن هذا يتضح ان زيادة درجة الضغط تزيد من المقاومة التي يلقاها القلب حين ضخه للدم في العروق فيؤدى ذلك اولا الى زيادة في قوته وتضخم فى عضلته ولكنه فى النهاية يصاب بالعجز والهبوط ما لم يبادر المريض للعلاج في الوقت المناسب .اما ضيق الشرايين الدقيقة وتصلبهافيؤدى الى قلة الدم المندفع الىالاعضاء الحيوية في الجسم كالدماغ والكلى والقلب نفسه ، ويؤدى ذلك الى عجز فى اعمال هذه الاعضاء الحيوية .

اسباب ارتفاع ضغط الدم :

ان عامل الوراثة يسبب من ستين الى ثمانين في المائة من حالات الضغط ولذلك ينصح بعدم تزاوج الأقارب والمصابين بهذا المرض رحمة بصحة ابنائهم. اما امراض الكلى والمجارى البولية وبقية الأسباب فتسبب من عشرين الى اربعين بالمائة تقريبا من حالات ضغط الدم ما لم تعالج فى اطوارها المبكرة ، ومن الاسباب النادرة للضغط تحسن الاشارة الى حالة الحلقة الضيقة فى الشريان الأورطي وهي مرض خلقي يولد بها المريض واورام بعض الفدد الصماء (الكظرية) وحالات تسمم الولادة او التسمم ببعض مركبات الكورتيزون او الرصاص .

اعراض ارتفاع ضغط الدم :

اذا كان ارتفاع ضغط الدم معتدلا فان المريض لا يشكو منه لسنوات طويلة ولكن مع مضي الزمن تصاب الشرايين بالتصلب والضيق والقابلية للانفجار ونتيجة لذلك تقاسي الأعضاء الحيوية في الجسم كالدماغ والعين والقلب والكلى والساقين من قلة وصول الدم اليها فمثلا تصلب الشرايين التاجية التي تغذى القلب يؤدى الى الذبحة الصدرية وما يترتب عليها من مضاعفات وتصلب شرايين الدماغ يؤدى الى الصداع او الدوخه وضعف الذاكرة ، وانفجار هذه الشرايين يسبب النزيف في الانف او الدماغ أو في قاع العين . ولقد ذكرنا كيف ان القلب مع مضي الزمن يصاب بالتضخم ثم بالهبوط وكيف تصبح الكلى عاجزة عن اداء وظيفتها وهي تنقية الدم . وحين يصل المرض لهذه الدرجة يسميه الأطباء ضغط الدم الخبيث .

وبهذه المناسبة فانني اود ان أذكر ان هذه الاعراض ليست وقفا على مرض الضغط وحده فالصداع ونزيف الانف مثلا لهما أسباب عدة غير الضغط ، وكذلك الأمر فى تصلب الشرايين كما اسلفنا . ومعرفة هذه الأسباب يجب ان تترك للطبيب وما على المريض اذا شعر ببعض هذه الاعراض الا ان يعرض نفسه على طبيبه ، وقراءة الضغط لا تأخذ منه اكثر من لحظات يمكن بعدها تطمين المريض بانه غير مصاب بالضغط ، وفي هذه الحالة لا داعي لاجراء فحوصات المختبر والأشعة وتخطيط القلب التي تجرى فقط اذا وجد الضغط مرتفعا . وينصح المريض حين زيارته للطبيب ان يكون مرتاح البال والجسم لان القلق والخوف والاجهاد كما أسلفنا تؤدى الى ارتفاع طارىء فى الضغط يزول بعد دقائق من الخلود للراحة فى سرير الكشف ويعود بعدها الضغط لدرجته الطبيعية .

علاج ضغط الدم :

ليس بالادوية وحدها يعالج الضغط فمن المعروف أن السمنه تزيد من عمل القلب وتساعد على تصلب الشرايين ، وكذلك الأمر فى مرض السكرى . فاذا كان المريض مصابا بالسمنه أو السكرى فمن الطبيعي ان يأتي علاجهما فى المقام الأول .

ثانيا ضرورة تجنب القلق ومواقف الانفعال وذلك بالتعود على تقبل أمور الحياة بحلوها ومرها برحابة صدر وبشاشة وربما يحتاج الطبيب لتقديم النصيحة للمريض فى معالجة مشاكله مع وصف المهدئات النفسية له . ويجب ايضا تجنب الاجهاد الجسمي وذلك بتنظيم اوقات العمل وزيادة اوقات الراحه كالقيلولة بعد الظهر والنوم المبكر مع عدم الممانعة من ممارسة رياضة السير على الأقدام والسباحة فى بعض الحالات .

ثالثا بالاضافة الى وصف غذاء خاص بانقاص الوزن ينصح المريض ايضا بتقليل الملح فى الطعام لان كثرة تعاطيه تؤدى الى زيادة كمية الدم في الدورة الدموية وهذا يزيد من عمل القلب وربما يلجأ الطبيب في هذه الحالة لوصف مُدرات البول للمريض مع التساهل معه فى تناول كميات معتدله من ملح الطعام وذلك لأن مدرات البول تؤدى الى تخلص الجسم من الملح عن طريق ادرار البول .

ان علاج ضغط الدم يتوقف أولا : على درجة ارتفاعه (معتدلة ، أو شديدة)

ثانيا : على درجة تأثيره على الاعضاء الحيوية كالكلى والقلب والدماغ بالاضافة الى شدة ارتفاعه ويسمى فى جميع هذه الحالات ضغط الدم الخبيث .

ثالثا : على أسبابه .

ان الأمور الثلاثة التى ذكرناها أعلاه يجب أن تتبع كقاعدة عامة لعلاج جميع درجات الضغط وتأثيراته وأسبابه وهي كافية لعلاجه فى اطواره المبكرة الخفيفه.

اما اذا كانت درجة ارتفاعه شديدة وقد بدا بتأثيراته الضارة على القلب (اصبح ضغطا خبيثا) بالاضافة الى علاج السمنه والسكرى (ان وجدت) واستعمال المهدئات والمدرات فيجب أن يضاف الى هذه المجموعة الأدوية ذات الفعالية الاقوى فى تخفيض الضغط وينصح فى هذه الحالة بادخال المريض المستشفى حتى يمكن اولا اختيار الدواء المناسب له من مجموعة هذه الأدوية العديدة كما يمكن اختيار الجرعة المناسبة لأن الكمية الفعالة تختلف من مريض الى آخر حتى ولو كانا مصابين بدرجة ضغط واحدة ، كما يمكن مشاهدة مضاعفات كل دواء عن كثب . وفى هذه الحالة اما أن يغير الطبيب الدواء أو يضيف له دواء آخر يخفف من مضاعفاته.

اما علاج أسباب الضغط فيختلف باختلاف طبيعتها فالتهابات المجارى البولية تعالج باستعمال المضادات الحيوية حتى يتطهر البول من الجراثيم. واما علاج ضيق الأورطي وأورام الغدد الكظرية فهو بازالتها بالعمليات الجراحية ونتائج هذه العمليات باهرة خاصة اذا اكتشف الضغط وسببه فى سن مبكرة .

واما علاج حالات تسمم الولادة المصحوبة بالضغط المرتفع فهو توليد الحامل قبل موعدها ببضعة أسابيع وبذلك يزول الخطر عنها وعن وليدها ، وأما حالات الضغط المصاحبة لاستعمال مركبات الكورتيزون فيكون بتخفيف جرعة هذه المركبات أو استبدالها بغيرها .

علاج مضاعفات ضغط الدم

وعلاج مضاعفات ارتفاع الضغط يختلف ايضا باختلافها . فهبوط القلب يعالج بالاضافة الى ما ذكرناه أعلاه بمركبات الديجوكسين والمدرات مع الحد من زيادة الملح في الطعام وضرورة تجنب الاجهاد . وحين يؤثر الضغط على شرايين القلب أو الدماغ أو الكلى فيحسن عدم تخفيضه الى درجات منخفضه تقارب الضغط الطبيعي لأن ذلك يزيد من قلة وصول الدم لهذه الاعضاء الحيوية ويستحسن الوصول بدرجة الضغط الى الحد الوسط .

ان معظم العمليات والأدوية الفعالة التي اشرنا اليها قد أصبحت فى متناول ايدينا منذ عقدين من عمر الزمان فقط، وان تعددها يدل على أن البحث العلمي لم يصل بعد الى اكتشاف الدواء المثالي، ولكنها بالرغم عن ذلك قد ضمنت للملايين من المصابين بارتفاع الضغط في العالم جوا من الضغط الطبيعي يمكنهم من الحياة الطبيعية سنوات أطول من العمر مملوءة بالسعادة لهم ولذويهم وللأطباء الذين يعالجونهم . ■■

الكويت **يوسف الكيلاني**

طبيب الأسرة

اللبن الحليب .. هل هو غذاء كاف للاطفال ؟!

● لي طفلة عمرها سبعة اشهر .. بدات بتعويدها على تناول مختلف انواع الطعام ، ولكنها الآن تغلق فمها بمجرد أن ترى الملعقة في يدى .. وفي كل مرة ادخل الاكل الى فمها سواء كان عصيرا أو خضارا مهروسا رغما عنها ، لا تلبث ان تخرجه .

انني في حيرة من امرى ، هل استمر في محاولاتي ، أم اتركها ؟.. وهل يكفي اللبن طعاما لها ولنموها نموا طبيعيا في هذه السن ؟.

ــ رغم أن الحليب غذاء ممتاز ، ويكاد يكون غذاء كاملا للطفل الرضيع في الاشهر الاولى من عمره ، الا أنه لا يكفي لنموه نموا طبيعيا مع تقدمه في السن . فبعض المواد الغذائية الاساسية مثل الحديد وفيتامين « د » لا تتوفر في الحليب بالقدر الذى يكفل للطفل نموا طبيعيا . كما أنه كلما كبر الطفل وزادت احتياجاته الغذائية ، كان من الصعب استيفاؤها كلها بغذاء سائل كالحليب ، الا بتناول كميات تفوق طاقة المعدة . وعلى ذلك فمن الضرورى اعطاء الطفل الذى تجاوز من العمر خمسة شهور ، أنواعا مختلفة من الطعام ، بالاضافة الى الحليب . ومن هذا ترين يا سيدتي انه يجب عليك أن تستمرى في محاولاتك لاطعام طفلتك التي تبلغ من العمر سبعة اشهر ، لا أن تتركيها وتيأسي من تقبلها للطعام .

ولكن .. كيف السبيل الى ذلك ، ما دامت طفلتك تخرج الطعام من فمها كلما اطعمتيها !

السبيل الى ذلك ميسور ، اذا اتبعنا بعض الارشادات العامة في تغذية الطفل ، واولها تنظيم مواعيد الوجبات بحيث تنقضي اربع ساعات تقريبا بين اى وجبة وسابقتها ، فهذا يعطى معدة الطفل فرصة للراحة ، بعد هضم الوجبة السابقة تمكنها من تقبل الوجبة الجديدة بشهية .

النصيحة الثانية هي ان اى لون من الطعام يجب أن يعطى في بداية الوجبة ، حين يكون الجوع على اشده ، ثم نتبعه بكمية من الحليب تكفى لاشباع الطفل . اما اذا بدانا الوجبة بالرضاعة ثم اكملناها بالطعام فان الطفل لا يقبل على الطعام ، وهو لم يعتده بعد ، خاصة بعد أن يكون قد شبع من رضاعة الحليب .

وهناك ملاحظة هامة ، هي أن الطفل في هذا العمر لا يكون قد تدرب بعد على بلع الطعام ، لان عملية بلعه تختلف في طبيعتها عن بلع السوائل ، وعلى ذلك فهو يضغط الطعام بين لسانه وسقف حلقه ، بدلا من دفعه الى الخلف وتكون النتيجة ان يخرج جزء من الطعام من فمه ويظن الوالدان أن طفلهما لا يرغبه .

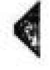
أعانى من ربو مزمن منذ ٢٠ عاما

● انا اعانى من ربو شعبي مزمن منذ اكثر من عشرين عاما وقد احتار الطب في علاجي واخيرا أعطاني احد الاصدقاء « سمكة الشفاء » كما يسمونها واوصاني أن اضع السمكة في شاى بارد محلى بالسكر واشربه بعد مرور ٢٤ ساعة واكرر هذه العملية يوميا .. فما هو رأى الطب في هذا العلاج ؟!

ـ الربو الشعبي مرض ينتج عن تقلصات في العضلات المبطنة للقصبات الهوائية مع ارتشاحات مائية في غشائها المخاطي ، مسببة اختناقا في التنفس . وقد اختلفت الآراء في مسببات المرض ، وانحصرت الابحاث التى أجريت في أن هذه المسببات اما أن تكون بسبب الحساسية ، أو التهابات الجهاز التنفسي التى تبدأ بالانف والجيوب الانفية ، وتنتهي بالرئتين . واما بسبب اضطرابات نفسية .

وتختلف الحالات فيجوز أن تكون بسبب احد الاسباب الآنفة الذكر أو بسببين أو كل الاسباب مجتمعة . كما يكون الاختلاف ايضا في حدة الازمات وتكررها فبعضها يكون خفيفا يستمر وقتا قصيرا ويتكرر على فترات متباعدة ، وبعضها يستغرق وقتا طويلا ويستمر اياما طويلة . وبعض الحالات مرتبط بأجواء معينة كزيادة نسبة الرطوبة في الجو ، أو الغبار المتصاعد في الجو ، وبعضها يظهر في أوقات معينة من السنة ، وغالبا ما تكون في ايام الربيع .

ولضيق المقام فان علاج الازمة يحتاج لدراسة كل حالة على حدة ، دراسة مستفيضة ، يلزم فيها تعاون المريض والطبيب . والعلاج يستغرق وقتا طويلا ، مع الاستعانة وقت دراسة الحالة ، بالعقاقير المعروفة بفك تقلصات العضلات المبطنة للقصبات الهوائية كالأدرينالين ، والافيدرين ، والأمينوفيللين ، مع



المضادات الحيوية والأدوية المضادة للحساسية. وفي بعض الحالات يستعمل الكورتيزون مع علاج المريض من الناحية النفسية .

وبخصوص الشق الثاني من السؤال، فانه ثبت علميا ان ما يسمى خطأ «بسمكة الشفاء » ، ما هو الا نوع من الفطريات ينمو بواسطة الشاى المحلى بالسكر . وقد ثبت انه لا علاقة ، ولا فائدة منها اطلاقا ، في علاج الربو الشعبى اللهم الا اذا كان باقناع المريض من الناحية النفسية ، وما يصاحب ذلك من ارتياح قد يعطى المريض بعض الراحة .وانى انصح السيد القارىء ان يتصل بأحد اخصائيى الامراض الصدرية ، لدراسة حالته دراسة مستفيضة، حتى يستطيع ان يجد معه علاجا لحالته ، التى نرجو له منها الشفاء ، وهناك حالات كثيرة تم شفاؤها بعد دراستها . ويحتاج العلاج الى الصبر من ناحية الطبيب والمريض على حد سواء .

البرود الجنسي

● انا شابة في الخامسة والعشرين من عمرى تزوجت منذ ٧ سنوات وليلة زفافى اصبت بصدمة نتيجة لجهلي الجنسي .. وتسببت لي هذه الصدمة في برود جنسي يجعلنى ارفض القيام بواجباتى الزوجية نحو زوجى الذى احبه .. فهل هناك علاج لمثل حالتى ؟

ــ ان اسباب البرود الجنسي او الرغبة في عدم ممارسة الاتصال الجنسي كثيرة جدا لا يتسع المجال لشرحها هنا .ولكن من اهم هذه الاسباب الصدمات النفسية التى قد تحدث في اول فترة الزواج ، وتكون نتيجة للجهل الجنسي عند المرأة والرجل او كليهما معا مما يؤثر تأثيرا سيئا يسبب احجام المرأة عن ممارسة الاتصال الطبيعى .

وعلاج ذلك سهل ميسور في معظم الحالات فالتثقيف الجنسي وقراءة الكتب العلمية المبسطة للجنس قد تكشف عن اخطاء كثيرة يمكن تفاديها واصلاحها .

ومن الواجب في حالتك ان تستشيرى اخصائى لامراض النساء اولا للكشف عن احتمال وجود سبب عضوى قد يكون وراء حدوث الم وقت التقاء الزوج بالزوجة ، مما يجعل المرأة تحجم وتخشى هذا اللقاء وبالشرح المفصل من جانب الطبيب للزوجة والزوج وتقديم بعض الارشادات الواجب اتباعها يمكن معالجة هذه الحالة .

واذا كان هناك سبب عضوى في الرحم وملحقاته او المهبل، يمكن للطبيب معالجته.

الوليد الذى لم يستتم ٧ اشهر فى بطن امه

● كثيرا ما اسمع عن سيدات يضعن مواليدهن في الشهر السابع من الحمل .. فهل هناك اسباب معينة لذلك ..؟ وهل يعيش الطفل ابن سبعة اشهر او قبل ذلك حياة طبيعية؟

ـ من المعلوم أن بعض الاطفال يولدون قبل اتمام اشهر الحمل التسعة، ونسبة هؤلاء ٧٪ من مجموع الولادات الطبيعية.

والطفل الناقص النمو ، هو ما قل وزنه عن ٢٫٥٠٠ جم أو ٥ر٥ رطل ، وفرص الحياة بالنسبة لهؤلاء الاطفال الناقصي النمو كالآتي :

يعيش طفل واحد بين كل ٣٠ طفلا ممن يقل وزنهم عن رطلين ، اما من كان وزنه ٣ ارطال فتزيد النسبة لفرصه في الحياة الى ١ من بين كل ثلاثة .

وهؤلاء الاطفال الناقصو النمو معرضون للموت في الفترة الاولى من حياتهم ، فنصفهم معرض للموت في الاربع والعشرين ساعة الأولى ، و١٥٪ في الاربع والعشرين ساعة الثانية . اى ٢/٣ (ثلثا) الوفيات تحدث في الثماني والاربعين ساعة الاولى لحياة الأطفال ناقصي النمو . وأسباب الولادة المعجلة للاطفال ناقصي النمو كثيرة جدا . ولكننا نجد ان :

٧٥٪ منها ليس له سبب ظاهر معروف اكلينيكيا .



١٢ ٪ سببه الحمل التوامي .

١٣ ٪ لأسباب كثيرة منها ما يصيب الام من مضاعفات للحمل ، كالتسمم الحملى ، وارتفاع ضغط الدم والاندغام المعيب للمشيمة . ومنها الامراض التى تصيب الجنين داخل الرحم، كالتشوهات الخلقية، والزهرى ، والعوامل الوراثية .

ومنها ما يصيب الرحم أثناء الحمل ، كالاصابات المباشرة أثناء الحوادث، وكذلك الصدمات النفسية ، والامراض الشديدة التى قد تصاب بها الأم ، كالتهاب الكلى المزمن ، والانيميا الشديدة ، وأمراض القلب .

اما فرص هؤلاء الاطفال في العيش حياة طبيعية ، فتزيد كلما قرب موعد ولادتهم لنهاية الشهور التسعة الرحمية ، او كان وزنهم اقل قليلا من ٥ر٥ رطل .

اما فرص الحياة فتقل تدريجيا ، كلما كان وزن الطفل اقل . والامل ضعيف جدا في ان يعيش الطفل الذى يولد قبل سبعة أشهر رحمية .

ولقد اثبتت الاحصائيات ان التأخر العقلى في الأطفال ناقصي النمو كان ٨٪ ، مقابل ٦ر١ ٪ في الاطفال الطبيعيين . وتزيد هذه النسبة في السن ما بين ٨–١١ سنة بنسبة ٢٢ ٪ للناقصي النمو ، مقابل ٧ر٩ ٪ في الطبيعيين .

وتختلف هذه النسبة تبعا لامداد الطفل بالاكسجين ، سواء كان ذلك داخل الرحم ، او في الفترة الاولى من حياة الطفل ، اذ يؤثر ذلك على خلايا المخ ويؤثر مستقبلا على قواه العقلية اذا شح الاوكسجين ويؤدى الى التأخر العقلى .

ولكن ليس هناك ما يحول دون نمو الطفل « ناقص النمو » ، بصورة طبيعية وقد أثبت التاريخ ان بعضهم كان عبقريا كاسحاق نيوتن ولو ان هذا لا يمنع أن كثيرا منهم متأخر عقليا . ■■



خطورة الاحصاء .. فى التخطيط التربوى

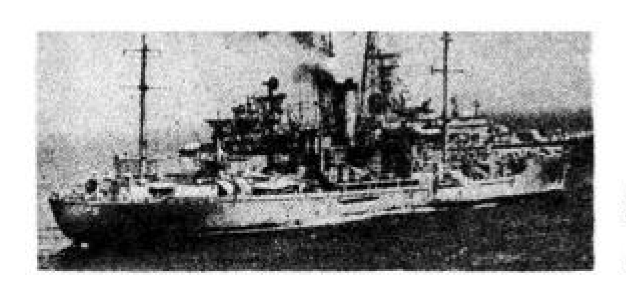
● التخطيط التربوى اصبح ضرورة قصوى بالنسبة للأمة العربية كلها حتى تستطيع ان تعوض ما فاتها فى عصور السيطرة الاستعمارية .. ثم تبدأ السير بسرعة تلاحق بها انطلاق العالم الحديث فى عصر الذرة والفضاء .

وعلى الرغم من الايمان باهمية التخطيط التربوى فان هناك بعض البلاد العربية التى تفتقر الى الخبرة اللازمة لذلك وبعضها يحتاج الى تدعيم هذه الخبرات ، وهناك أيضا مشاكل أخرى تواجه التخطيط التعليمى بالبلاد العربية ومن أهم هذه المشاكل مشكلة الاحصاءات السكانية العامة .. فهناك بلاد لا يوجد فيها احصاءات عامة للسكان وهناك بلاد توجد فيها احصاءات لا تمثل الواقع السكانى الفعلى بها .. وفى بعض الاحيان لا تقدم البيانات الكافية فى الاحصاءات السكانية بصورة يستطيع الذين يخططون للنهضة التعليمية الاستفادة بها . وحتى البلاد التى أقامت احصاءاتها على أسس فنية شاملة لا تقوم باجراء احصاء سكانى الا كل خمس او عشر سنوات ويؤدى طول الفترة بين كل تعداد وآخر الى عدم استفادة المخطط التربوى الاستفادة الكاملة من هذه الاحصاءات نتيجة للتغيرات التى تحدث فى المجتمع خلال تلك المدة .

وتأتى اهمية الاحصاءات بالنسبة لواضعى الخطط التربوية فى انه على اساس هذه الارقام يتم وضع الخطط لانشاء المدارس والفصول وتوفير الادوات المدرسية والمدرسين .

ويعانى عدد من البلاد العربية من ارتفاع معدل النمو السكانى بدرجة تعتبر من أعلى المعدلات العالمية فى النمو . وقد ترتب على هذه الزيادة السكانية المطردة زيادة فى أعداد التلاميذ وبخاصة فى مرحلة التعليم الالزامى مما أدى الى تأجيل الاستيعاب الكامل لتلاميذ هذه المرحلة الى فترة زمنية أبعد مما كان مقدرا لها فى خطط التربية الموضوعة . وأدى أيضا الازدحام السكانى الى ازدحام الفصول والى استخدام مبان غير مناسبة كمدارس . وأنتج هذا كله ضعفا فى مستوى التعليم فى كثير من الحالات وظهور مشكلة التناقض بين الكم والكيف فى تخطيط التعليم .

وتبذل الدول العربية الآن جهدا كبيرا لتوفير الاحصاءات الدقيقة التى يمكن الاستفادة بها فى مهمة التخطيط التربوى وذلك بالنسبة للسنوات القادمة لتلافى الأخطاء التى وقعت فيها الخطط السابقة بسبب عدم توافر الاحصاءات .



سفينة التجسس الأمريكية

ليبرتي

سر اعتداء إسرائيل عليها

● نشرت مجلة نيوزويك الامريكية تفاصيل جديدة غريبة عن حادث قصف الطائرات الاسرائيلية ، سفينة التجسس الامريكية ليبرتي Liberty ، وهو الحادث الذى اسفر عن مصرع ٣٤ بحارا امريكيا ، وأثار حيرة المعلقين السياسيين فى حينه ، وهم يرون امريكا ، لاتحرك ساكنا لهذا الاعتداء ، مكتفية بقبول اعتذار اسرائيل عن الخطا الذى وقعت فيه ، وخاصة لان هذه السفينة الامريكية نفسها هي التي ساعدت اسرائيل بفضل التقاطها لكل الاشارات اللاسلكية التي تحمل اسرار التحركات والاستعدادات العسكرية للجيوش العربية .

قالت المجلة الامريكية : « الان فقط نستطيع ان نزيح الستار عن ظروف هذا الحادث وملابساته .

« ان تسلسل الاحداث كان كالآتي :

اولا) اعلنت القوات الاسرائيلية التي احتلت العريش ، انها استولت على مراكز المدافع المضادة للبحرية ، ثم ما لبثت ان دوت الانفجارات فى هذه المراكز ، التي اتضح فيما بعد انها مخازن للمتفجرات .

ثانيا) على اثر هذا الحادث ، وقع احد جنود وحدة الرادار الاسرائيلية فى خطأ ، وهو ينقل سرعة السفينة الامريكية ليبرتي ، وكانت تسير فى ذلك الوقت على بعد ١٤ ميلا من الشاطىء . فقد ذكر الجندى الاسرائيلي فى برقية لاسلكية للسلطات الاسرائيلية ان السفينة تسير بسرعة ٢٢ عقدة ، بينما لم تكن سرعتها فى الواقع تتجاوز نصف هذه السرعة .

« وعلى الفور تحركت الطائرات الاسرائيلية لتضرب السفينة ، على اساس النظرية البحرية القائلة بان اى سفينة تسير بسرعة تزيد على عشرين عقدة ، فى حالة الحرب ، فلا بد ان تكون سفينة حربية مكلفة بمهمة للقتال .

وكان الاسرائيليون ، يجهلون جنسية السفينة حتى هذه اللحظة .

« فخرجت المقاتلات الاسرائيلية ، وزوارق الطوربيد لمهاجمة السفينة ، ظنا منهم انها سفينة حربية مصرية . ولم يستطع الطيارون الاسرائيليون ان يكتشفوا جنسية السفينة اثناء هجومهم من الجو . الا ان احدهم عاد يؤكد ان السفينة ليست مصرية . وانما هى سفينة سوفييتية .

« واسقط فى يد اسرائيل ، وخاصة لان السلطات الاسرائيلية كانت تعلم ان هناك سفنا للمخابرات السوفييتية تتجمع تجاه شواطئها ، الى جانب السفن الامريكية التي كانت اسرائيل تعلم بوجودها .

« وراح الاسرائيليون ينتظرون ردا انتقاميا من جانب السوفييت على هذا العمل العدوانى . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ! واخيرا اكتشفوا ان السفينة امريكية ، وليست سوفييتية ، وهنا فقط تنفسوا الصعداء !! »

انتهت القصة كما نشرتها المجلة الامريكية !



فساد

● التماس انساني صادر من أعماق الغابات الاستوائية الضخمة التي تكسو اراضي البرازيل. اثار ضجة في العالم وكشف الستار عن جرائم وحشية ترتكب من اجل القضاء على البقية الباقية من قبائل الهنود الحمر في البرازيل .

والقصة قديمة .. وان كانت تدل على شيء فانما تدل على فساد استشرى وعلى وحشية تفوق التصور .

لقد تم انشاء ادارة حماية الهنود في البرازيل في عام ١٩١١ لحماية ملايين الهنود ، في ذلك الوقت ، من الابادة التي كانوا يتعرضون لها من جانب البيض الذين جاءوا لاستغلال الاراضي الشاسعة في هذه البلاد . ولكن ابادة الهنود في البرازيل لم تتوقف .. وبدلا من ان تكون ابادة غير منظمة قامت الادارة التي انشئت لحماية الهنود بتنظيم حملات ابادة هذه القبائل بطرق وحشية رهيبة .. وظلت هذه الحملات تتم تحت ستار من السرية حتى تم فضحها في تحقيق خطير قامت به الحكومة البرازيلية مؤخرا نتيجة للالتماس الانساني الذي وصل الى رئيس الجمهورية ووصلت صور منه الى الصحف الكبرى في ريودي جانيرو وباريس وواشنطن ولندن .

وكشف التحقيق الواسع النطاق عن فساد رهيب داخل ادارة حماية الهنود في البرازيل .. وادى الى القبض على الكثيرين من المسئولين في هذه الادارة ووجهت اليهم تهم القتل بالجملة وشن حملات الارهاب على القبائل الهندية لاجبارهم على اخلاء الاراضي التي يقيمون بها ، حتى تستولي الحكومة عليها باعتبارها اراضي خالية من السكان. وطبقا للقانون فان هذه الاراضي المستولى عليها يتم بيعها باسعار رخيصة لمن يريد أن يمتلكها ، وعادة يقوم موظفو ادارة حماية الهنود بشراء هذه الاراضي باسعار بخسة ثم يقومون ببيعها باسعار مرتفعة محققين بذلك مكاسب عالية . ولعل بعض الامثلة التي وردت في التحقيق تعطينا فكرة عن بشاعة الجرائم الوحشية التي كانت ترتكب ضد الهنود في البرازيل .. وبأيدي من .. بايدي هؤلاء المكلفين بحماية مصالح الهنود .. !!

× اثبت التحقيق ان مدير ادارة حماية الهنود قد قام بارتكاب ٤٢ جريمة ضد الهنود خلال عامي ٦٤ و ٦٦ ، منها عدة جرائم تحريض على القتل والتعذيب وبيع اراضي بعد الاستيلاء عليها من اصحابها الهنود بطرق غير مشروعة .. وقد وجد

لبنان يعلن الحرب على زراعة الحشيش !

● بعد ١٥ عاما من فشل الحملة البوليسية والعسكرية الكبيرة التي قامت بها حكومة لبنان ضد زراع « الحشيش » القنب الهندى Kanabas Indian ، في جبل الهرمل .. نجحت الحكومة اللبنانية في ايجاد حل يبشر بالقضاء على زراعة هذا المخدر في اراضيها . والامل كله يتركز في نبات تصلح زراعته على سفوح الجبال ويعطي ربحا كبيرا مشروعا وان كان اقل من الارباح الخيالية التي تعود على زراع المخدرات .. وهذا النبات هو « عباد الشمس » Sunflower

واثبتت التجارب نجاح زراعة هذا النبات في سفوح الجبال . وبدأت السلطات اللبنانية في تنظيم حملة دعائية كبيرة بين سكان المناطق التى تتفشى فيها زراعة الحشيش . واعلنت انها ستمد الزراع ببذور نبات عباد الشمس وانها ستقوم بشراء المحصول منهم باسعار مغرية تبلغ ٧٥ قرشا لبنانيا للكيلو الواحد وان دفع الثمن سيتم فور استلام المحصول .. وكتجربة لهذا المشروع

الارض نسبيا تم القضاء على اغلب القبائل الهندية فى المنطقة عن طريق القتل المباشر بالرصاص والديناميت مما ادى الى هبوط عدد الهنود فى هذه المنطقة من ٥٠٠٠ هندى فى عام ٦٢ الى ٣٠٠ هندى فى عام ١٩٦٧ !!

ولم يقتصر الامر على ذلك بل تعداه الى ان تكونت شركات بين بعض الافراد وبعض موظفي ادارة حماية الهنود تعمل على بيع هؤلاء الهنود كعبيد يعملون فى المزارع الكبيرة .. !

ان البقية الباقية من قبائل الهنود الحمر فى البرازيل لايزيد عددهم الان عن ٧٥ الف نسمة فى حين انها كانت تعد بالملايين . وهم يعيشون الآن تحت اسوأ الظروف التي يمكن ان يعيش فيها انسان .. ولكنهم يتعلقون بأمل ضعيف فى ان يتم انقاذهم من الوحشية والفساد الذى تعرضوا له وهم اصحاب الارض الاصليين .. وذلك بعد أن تم القبض على ٤٢ من موظفي ادارة حماية الهنود .. !!

ومن هذا نرى ان الجشع الانساني يتشكل اشكالا ، ويتلون الوانا ، لترتد جميعا الى اصول واحدة ، وما الذى صنعته اسرائيل بعرب فلسطين ببعيد الشبه عن هذا الذى صنعه المجرمون فى البرازيل .



هنود البرازيل .. مهددون بالفناء

ان رصيد المتهم فى البنك قد وصل الى ٣٠٠ الف دولار فى خلال هذين العامين .

× قام موظفو ادارة حماية الهنود فى ولاية باهيا Bahia بالقضاء على قبيلتين من الهنود عن طريق تطعيمهم بفيروسات حية لمرض الجدرى.

× وفى ولاية « ماتو جروسو » قامت الادارة بتوزيع كميات من السكر المخلوط بالزرنيخ على قبيلة هندية وبذلك تم القضاء على جميع افرادها.

× وفى بارانا Barana حيث ترتفع اسعار

قامت الدولة بزراعة الف دونم (٢٥٠ فدان) بهذا النبات فى عام ١٩٦٦ وارتفعت مساحة الارض المزروعة به الى ١٥ الف دونم (٣٧٥٠ فدان) فى عام ١٩٦٧ .

اما فى هذا العام فتقدر المساحةالتىتعد لزراعة عباد الشمس ب ٤٠ الف دونم (١٠ آلاف فدان) وعباد الشمس يستخرج منه زيت صالح للتغذية ويشبه فى تركيبه الكيمائى زيت الزيتون ، اما الفضلات الناتجة بعد استخلاص الزيت الذى به فتستخدم كعلف للحيوان .

ولكن المعركة لا تزال مستمرة بين الخير والشر على سفوح وجبال منطقة الهرمل .. فما ان شعر تجار المخدرات بان مكاسبهم فى خطر حتى سارعوا الى رفع اسعار شرائهم لمحصول الحشيش من المزارعين وذلك لاغرائهم على عدم ترك زراعة هذه السموم .

وفى نفس الوقت اتخذت السلطات اللبنانية اجراء حاسما فوجهت انذارا شديدا بانهــا ستستخدم كل الطرق القانونية بما فيها استخدام قوات البوليس والجيش للقضاء على زراعة الحشيش وخاصة ان زراعة عباد الشمسستعوض المزارعين عن خسائرهم وتعود عليهم بارباح مجزية .. وتتوقع سلطات لبنان ان تحقق الامل الذى ظل يراودها هى ومكاتب مكافحة المخدرات التابعة للجامعة العربية وللامم المتحدة خلال عامين على الاكثر .



اليهود يهربون من بولندا ولكن إلى أين ؟

● غادر بولندا اخيرا المئات من اليهود البولنديين ،على اثر البيان الذى اصدره جومولكا سكرتير الحزب الشيوعي البولندى ، بابعاد كل يهودى بولندى يعلن ولاءه لاسرائيل !

فقد نشرت صحيفة الاوبزرفر Observer ، البريطانية تحقيقا عن اسباب هجرة يهود بولندا، قالت فيه ان السبب الاساسي ، يرجع الى حركة التطهير التى بدأتها السلطات البولندية ، وهي تهدف الى التخلص من كل العناصر اليهودية عقب المظاهرات التى قام بها الطلبة فى شهر مارس الماضى ، واشترك فيها عدد كبير من اليهود .

وقد شملت هذه الحركة المئات من اليهود الذين يشغلون مناصب هامة فى الحزب الشيوعي وفى الصحافة وفى المجالين الفنى والاكاديمي . كما امتدت ايضا لتشمل كل من يظهر عطفا على اسرائيل . حتى ولو لم يكن يهوديا !

ثم قالت الصحيفة البريطانية انه كان من نتيجة هذه الحملة المعادية للسامية ان استبد القلق والفزع بيهود بولندا الذين يزيد تعدادهم على عشرين الف يهودى ، فبدأ الالوف يتقدمون طالبين السماح لهم بالخروج .وقد ضاعف من هذا القلق، حملات الهجوم التى احتلت اماكن بارزة فى صحف بولندا ، ضد عملاء الصهيونية فضلا عن التفرقة فى المعاملة التى بدأ يشعر بها يهود بولندا فى كل مكان يذهبون اليه فى جميع انحاء البلاد .

ترى الى اين يذهب اليهود الفارون من بولندا؟ سؤال يجدر بنا ان نهتم به ونحن نرقب مطامع اسرائيل العدوانية التوسعية .

النحل يهاجم الناس فى البرازيل !

● اعلنت البرازيل الحرب على النحل !

ولهذه الحرب قصة بدأت منذ بضع سنوات مضت،عندما اضطرت حكومة البرازيل الى استيراد مجموعات كبيرة من النحل من افريقيا ، بعد ان تأكد المسئولون البرازيليون من المزايا العديدة التى ينفرد بها النحل الافريقي ، وفى مقدمتها مهارته فى التنقل بين الزهور وامتصاص رحيقها !

وجاء النحل الافريقي ، ليعيش فى الخلايا التى اعدت له ويختلط بالنحل البرازيلى ويتزاوج وينتجوا نوعا جديدا من النحل الافريقي ـ البرازيلي.

ومضت سنوات ، قبل ان يكبر هذا النتاج الجديد من النحل الذى تميز بنشاط عجيب فى جمع العسل ! وفرك المسئولون ايديهم ارتياحا ، وهم يرون انتاج العسل يتضاعف عاما بعد عام .

وفجأة تحول النحل السعيد الى وحش يفتك بالناس ! فقد انطلقت جحافل النحل تهاجم كل من يعترض طريقها .. من الناس والحيوانات .

ودقت وزارة الزراعة ناقوس الخطر ، وقدر ضحايا النحل بالمئات كل عام .

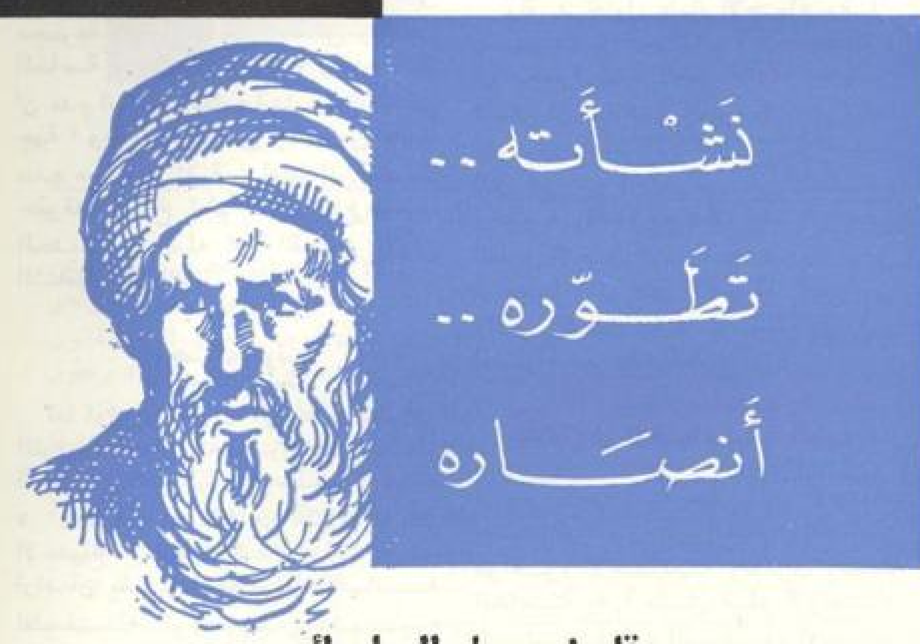
فاصدرت النشرات التي تحذر الناس من الاقتراب من اماكن تربية النحل وخلاياه !

وفى احد الايام تلقت الحكومة البرازيلية عرضا غريبا من الولايات المتحدة الامريكية ، فقد اقترح الامريكيون ان تسارع البرازيل باستيراد انواع جديدة من النحل النمساوى !

وقالوا انهم على استعداد لتمويل هذه العملية. ثم راح الامريكيون بعد ذلك يعددون مزايا هذا النوع الجديد من النحل الذى اقترحوه ، لشهرته بانتاجه الوفير ، وعدم تعرضه للانسان .. واخيرا قدرته على مهاجمة اى نوع آخر من النحل الغريب.

ثمة سؤال كان يحير البرازيليين ، وهو سر اهتمام امريكا باستيراد النحل النمساوى ؟ ولكن حيرتهم لم تدم طويلا عندما جاءت تقارير وزارة الزراعة البرازيلية معلنة ان اسراب النحل « المتوحش » بدأت تهج مقتربة من حدود الولايات المتحدة الامريكية .

عِلمُ الاجْتِمَاع



بقلم : سهيل السامرائى

■ علم الاجتماع او الـ «Sociology» هذا الاصطلاح يتكون من جزئين هما «Socio» وتعنى المجتمع و«Logy» وتعني «علم» وباختلاط الجزءين خرجت كلمة «السوسيولوجيا» اوعلم المجتمع .

فعلم الاجتماع اذن علم المجتمع او الاجتماع البشرى ، العلم الذى يدرس سلوك الانسان داخل مجموعته وكذلك الترابط بين الكائنات البشرية ، فهو علم يحاول ان يتفهم الغاية من التجمع البشرى والطرق التى يتعامل بها الناس فيما بينهم . فهو من هذه الناحية يحاول بهذا ان يفهم الطريقة او الطرق التى بواسطتها يتكيف الناس مع مجتمعاتهم .

وبمقارنة هذا العلم بالعلوم الاخرى المعروفة لدينا يظهر علما حديثا يمكننا القول عنه بانه ظهر وتميز فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

ابن خلدون

ولكن هذا لايعنى ان مواضيع علم الاجتماع لم تطرق الا في هذه الفترة

التاريخية القريبة ، فلقد اشار قبل ذلك بكثير الى هذه المواضيع ، العلامة العربي « ابن خلدون » في كتابه « علم العمران والاجتماع البشري » . ولقد توصل هذا الرجل المفكر فعلا الى مجموعة لا باس بها من الحقائق والطرق الخاصة « بعلم الاجتماع » وحده ، الا ان عدم انتشار افكاره انتشارا كافيا من جهة ، وعدم المتابعة من جانب من جاءوا بعده من جهة ثانية ، ادى الى غمط حقوقه كمؤرخ لعلم الاجتماع بمعناه الحديث وبتوصله الى القوانين الاولى الشاملة لهذا العلم .

اوجست كونت

اما اول من تطرق الى هذا العلم من الغربيين بعد ابن خلدون فهو العالم الاجتماعي الفرنسي « أوجست كونت » « Comte » فهو أول من اطلق اسم علم الاجتماع Sociologie . وذلك حينما اراد ان يضع الخطوط الاساسية لفلسفته الوضعية المشهورة « Positivism » ، ولكن افكار هذا الرجل كما يظهر لنا مؤرخو هذا العلم ، جاءت خيالية وروحية أكثر منها علمية مما جعله وافكاره عموما نقطة ضعف في كون الدراسات الاجتماعية « لاعملية » كبقية العلوم ، باعتبار ان هذا الجانب من التفكير ليس فيه قوانين ثابتة وليس له القابلية على التنبؤ كما تفعل العلوم الاخرى ، وبهذه المناسبة فان بعض معارضي هذا العلم حاولوا التقليل من شانه ووصفوه بانه فرع من المعرفة لايمكن اطلاق صفة العلم عليه ، وذلك بغية الخروج به عن جادة العلم الاصلية « هربرت سبنسر » وذلك للسبب الذي ذكرناه سابقا من ان علم الاجتماع ، لايستطيع ان يقوم بتجارب مختبرية مثلا لتثبيت قوانينه كما يقوم بذلك علم الاحياء او الكيمياء او العلوم الطبيعية الاخرى .

دوركهايم

ولقد حاول علماء الاجتماع وعلى راسهم « اميل دوركهايم » « Durkheim » ان يجعلوا لهذا العلم حدودا خاصة لايمكن ان نجدها في العلوم الاخرى ، كما اشار دوركهايم الى كثير من المواضيع التي هي من اختصاص علم الاجتماع وحده ، ولكننا مع ذلك نجد ان بعض العلوم الاخرى تشاركه فيها او في دراستها مثل علم الاقتصاد السياسي والعلوم السياسية ، مما يجعله على قدم المساواة مع هذه العلوم .

علاقة علم الاجتماع ببقية العلوم

ومن ناحية ثانية نجد ان علم الاجتماع يعتمد على كثير من العلوم لتفسير ظواهره الاجتماعية وطرق البحث الخاصة به ، مثل علم الاقتصاد السياسي، العلوم السياسية، الاحصاء، التاريخ . لهذا قامت مجموعة من العلماء ادعت ان هذا العلم ما هو الا « علم طفيلي » « Parasite » يعتاش على بقية العلوم في استخراج مادته وقوانينه، وللرد على ذلك بيّن علماء الاجتماع ، وخاصة اميل دوركهايم وصموئيل كوبنج ،ان هذا الكلام حقيقي الى حد ما ، ولكنه لايعني ان العلوم الاخرى وخاصة الاقتصادية والسياسية ليست طفيلية بهذا المعنى ، لانها ايضا تعتمد على الظواهر الاجتماعية في تفسير قوانينها . وبما ان الظواهر الاجتماعية هي الموضوع الاساسي لعلم الاجتماع ، فان هذا يدلنا على فكرة اكيدة وهي ان علم الاجتماع كغيره من العلوم له قوانينه الخاصة التي تشاركه بقية العلوم في الاستفادة منها ـ

حيث لايمكن لاى علم من العلوم ان يقوم بذاته دون الاستفادة من بقية العلوم في انشاء كيانه . .

وبعد هذه النبذة المختصرة ، نجد **لزاما علينا ان نذكر الاهداف التي يحاول هذا العلم تحقيقها ، وما هي الاسباب** التى ظهر من اجلها .



اوجست كونت

اهداف علم الاجتماع

فعلم الاجتماع يدرس الحقائق الاجتماعية « Social Facts » وكيف تطورت هذه الحقائق ، وما الذى التصق بها من مظاهر الفكر الاخرى ، والدعائم الاخرى التى ترتكز عليها ، كالفقر ، والجنوح ، والجريمة الاجتماعية ، ومن هنا يمكننا ان نستخلص الهدف الثانى لعلم الاجتماع وهو : العلاقات الموجوده بين هذه الحقائق الاجتماعية : وهذا يعني ان كل حقيقة اجتماعية لايمكن ان توجد منفردة ومنعزلة عن غيرها من الحقائق فهناك اذن ترابط وتداخل بين هذه الحقائق ، وبدون دراسة هذا الترابط تصبح لامعنى لها . فالفقر **مثلا ظاهرة اجتماعية سلبية لايمكن ان تعتبر ظاهرة خرجت وتجسمت بنفسها دون تأثير لاى عوامل اخرى موجودة فى** المجتمع الذى نشأت فيه هذه الظاهرة ، فان جردنا هذه الظاهرة من عوامل **نشوئها كنا كمن يطلب المستحيل** ، والدليل واضح على ذلك ، فالبغاء مثلا **واحد من المشاكل التي تعاني منها كثير** من المجتمعات ، واذا تفحصنا مليا اسباب البغاء وجدنا الفقر عاملا اساسيا **فى نشوئه وتطوره وانتشاره** ، فبدون دراسة شاملة لمشكلة الفقر واسبابه تستعصي علينا دراسة مشكلة البغاء وهكذا يمكن القول عن بقية الظواهر الاجتماعية . وبهذه المناسبة يمكننا ان **نقول انه كلما زادت نسبة الفقر فى مجتمع** من المجتمعات زادت نسبة البغاء . ولذا يمكننا استنتاج قانون اجتماعي يشبه القوانين الطبيعية .

فعلم الاجتماع اذن يدرس القوانين **الاجتماعية . القوانين التي تخضع الظواهر** الاجتماعية لتأثيرها . حيث ان اى قانون **اجتماعي يستطيع ان يبين نشوء وتطور** وتاريخ هذه الظاهرة ، ومن ثم يمكن ان **يبين ناحية خاصة تعتبر ايضا هدفا اساسيا من اهداف** علم الاجتماع الا وهو **وظيفة الظاهرة الاجتماعية . فلكل ظاهرة** اجتماعية وظيفة معينة يظهر تأثيرها جليا بدراسة عملها ، فموضوع الوظائف الاجتماعية يعتبر من اكثر المواضيع حساسية بالنسبة لعلم الاجتماع بالذات . حيث انه يبين بصورة اساسية اهمية الترابط الاجتماعي في كل مجتمع وخاصة المجتمعات القديمة التى كنا وما نزال نعتمد عليها اعتمادا كليا في تفسير ما يستجد من مفاهيم حديثة في تكوين المجتمع الجديد .

من هذه النبذة المختصرة جدا ، والتى تكاد ان تكون مخلة ، ظهر لنا جليا ان مهمة علم الاجتماع ليست مهمة **خيالية وغير عملية كما اعتقد ويعتقد** بعض القائمين على دراسة العلوم الاجتماعية ، وانما **هي مهمة علمية في** اساسها عملية في شكلها ومحتواها . .

سهيل السامرائى

طرائف عربية

تزوج خيرا منها

● لما توفيت رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان، عرض عليه عمر بن الخطاب ابنته حفصة . فسكت عنه عثمان، وقد كان بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يزوجه ابنته أم كلثوم، فشكا عمر الى رسول الله سكوت عثمان عنه. فقال له: سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان، ويزوج عثمان خيرا من ابنتك، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر، وتزوج عثمان أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نصائح

● قال الحجاج بن يوسف لطبيبه : صف لى صفة اخذ بها نفسى ولا اعدوها فقال له : لا تتزوج من النساء الا شابة ، ولا تاكل اللحم الا فتيئا ، ولا تاكله حتى تنعم طبخة ، ولا تشرب دواء الا عن علة، ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ، ولا تاكل طعاما الا اجدت مضغة ، وكل ما احببت من الطعام واشرب عليه ، فان شربت فلا تاكل . وان اكلت بالنهار فنم ، وان اكلت في الليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة .

لقد حَشيتَ كرما

● سأل ابراهيم السندي رجلا من وجوه اهل الكوفة لا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته فى قضاء حوائج الناس، وادخال السرور على قلوب الضعفاء : « اخبرني عن الحالة التى خففتَ عنك النَّصبَ، وهوَّنتْ عليك التعب فى القيام بحوائج الناس، ما هى ؟ » قال : « قد والله سمعت تغريد الطير بالاسحار، فى فروع الاشجار، وسمعت خفق اوتار العيدان، وترجيع اصوات القيان، فما طربت من صوتٍ قط، طربي من ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد احسن، ومن شكر حرٍّ لمنعم حرٍّ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر » . فقلت له : « لله ابوك ! لقد حَشيت كرما » . .

كاد أن

● امر المأمون ان يحمل اليه عشرة من الزنادقة، سموا له بالبصرة، فجمعوا، وابصرهم طفيلي . فقال : « ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع! »، وانسل ودخل وسطهم ومضي بهم الموكل حتى انتهى بهم الى زورق قد اُعِدّ لهم، فدخل الزورق، فقال الطفيلي : « هي نزهة »، فدخل معهم . فلم يكن بأسرع من أن قيّدوا وقيّد معهم الطفيلي . ثم سيرَ بهم الى بغداد، فادخلوا على

● قال حكيم لاصحابه : شاوروا في حربكم الشجعان من اولى العزم ، والجبناء من اولى الحزم ، فان الجبان لايألو برأيه ما يبقى مهجكم ، والشجاع لايعدو ما يشد بصيرتكم . ثم اخلصوا من بين الرايين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان ، وتهوُّر الشجعان ، فتكون انفذ من السهم الزالج والحسام الوالج

هدية جميلة

● اهدت جارية من جوارى المأمون تفاحة له ، وكتبت اليه : انى يا امير المؤمنين لما رايت تنافس الرعية في الهدايا اليك ، وتواتر الطافهم عليك ، فكرت في هدية تخف مؤونتها ، وتهون كلفتها ، ويجل موقعها فلم اجد ما يجتمع فيه هذا النعت الا التفاح ، فاهديت اليك منها واحدة في العدد كثيرة في التصرف ، واحببت يا مولاى ان اعرب لك عن فضلها ، واكشف لك عن محاسنها ، واشرح لك عن لطيف معانيها ومقالة الاطباء فيها ، حتى ترمقها بعين الجلالة ، وتلحضها بمقلة الصيانة .

فقد قال ابوك الرشيد : احسن الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدرية ، والحمرة الخمرية والشقرة الذهبية ، وبياض الفضة ، ولون التبر . يلذ بها من الحواس العين ببهجتها ، والانف بريحها والفم بطعمها .

فان وصلت اليك يا امير المؤمنين فتناولها بيمينك واصرف اليها يقينك ، وتأمل حسنها بطرفك ، ولا تخدشها بظفرك ، ولا تبعدها عن عينك ، ولا تبذلها لخدمك ، فان طال لبثها عندك ، ومقامها بين يديك ، وخفت ان يرميها الدهر بسهمه ، ويقصدها بصرفه ، فيذهب بهجتها ويحيل نضرتها ، فكلها .

« هنيئا مريئا غير داء مخامر »

والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال المأمون احملوا اليها من كل ما اهدى لنا في هذا اليوم .

يقتل

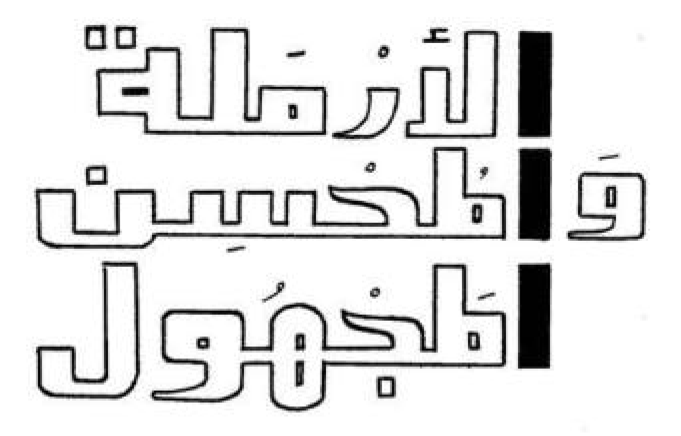
المأمون ، فجعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا ، فيأمر بضرب رقابهم . حتى وصل الى الطفيلي ، فقال المأمون للموكلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به .

فقال له المأمون « ما قصتك » . قال : يا امير المؤمنين ، امراتي طالق ان كنت قد عرفت من احوالهم شيئا ، ولا مما يدينون به ، انما انا رجل طفيلي رايتهم مجتمعين فظننتهم ذاهبين لدعوة ، فضحك المأمون وعفا عنه .

أمير أحمق

● وقف معاوية بن مروان وكان من الحمقى على باب طحان ، فراى حمارا يدور بالرحى وفى عنقه جلجل ، فقال للطحان ، لم جعلت الجلجل فى عنق الحمار ؟ قال : « ربما ادركتنى سآمة او نعاس ، فاذا لم اسمع صوت الجلجل علمت انه وقف ، فصحت به ، فانبعث » قال مروان : « افرايت ان وقف وحرك راسه بالجلجل هكذا وهكذا !؟ » .

فقال له الطحان : « ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الامير » ؟



قصة بقلم : نورا نويهض حلواني

■ شبكت' يديها على حضنها وارخت' جفنيها تريح جسدها من اجهاد مستمر يرنح عروقها . ولداها في المدرسة . عبلة ، في الرابعة عشرة ، وحامد يصغر أخته بسنوات ثلاث . ولدان زالت هموم طفولتهما ، ولكن متاعب حداثتهما ما تزال في بدايتها تضاعف التعب في نفسها واعصابها .. عبلة اصبحت صبية صغيرة تعشق المرآة وتدقق طويلا في تقاطيع محياها الفاتن . انها تدرس باجتهاد ، ولكن بين فترة وفترة ، تعطى مراهقتها حقها من الاحلام الحلوة والتخيلات الناعمة العاطفية .

وحامد يتارجح بين دنيا الطفولة المتلكئة ودنيا الحداثة المطلة القريبة . انه يشعر باقتراب المسئولية الضخمة التى ستلقى على كتفيه ، وفي الوقت نفسه يتجاهل اقترابها ويعيش حياته بمرح يكاد يكون مصطنعا مخلخلا في اغلب الاحيان.

زوجها مات منذ سنوات اربع . زوجها الكريم الوفي الذى احبه الناس مثلما احبته هى واكثر.. ذكراه لا يمكن ان يتلاشى عطرها ، فهو دائما امامها وخلفها وبين يديها ، يهمس لها مشجعا مواسيا وكان يده التى اذابها العفن لا تزال حية قوية ، تقودها بحنان فوق الصخور الناتئة وعلى الدروب السوداء المقفرة .

علته الوحيدة كانت في كرمه الزائد بلا حدود ، وبالتالى في خلاء جيبه من المال قبل حلول آخر الشهر بعشرة ايام او اكثر ، والذى كان يزيد الطين بلة ، استطابته الاستدانة من هذا وذاك مدعيا انهم اصدقاء اوفياء ، لا يبالون اذا تاخر قليلا في سداد الديون .

انها تذكر اليوم الذى خطبها فيه من اهلها . تذكر تكورها كالقطة خلف الستائر ، تتصت الى الحديث الحلو الدائر بينه وبين ابيها . قال آنذاك انه لا يملك مالا او عقارا .. يملك فحسب الاسم الطيب والسمعة النظيفة.اعترف بانه كان متزوجا واضاف بان زوجته توفاها الله وهى تضع طفلها البكر ..

استرقت اليه النظر من خلال الستائر المخملية، فاحست بقلبها يهتز بين ضلوعها كما لم يهتز مرة من قبل . لم تستطع تحويل بصرها عن عينيه اللوزيتين المكحلتين يوشيهما حنان ونبل لا يخفيان على عصفور . ولما سالها ابوها رايها في الخاطب الجديد ، اطرقت براسها فكان جوابها ابتسامة عذبة ، زادت خديها لورة ونورانية عذراء .



فستان عرسها لا يزال معلقا كشبح ابيض في الخزانة ، وفوقه الطرحة التى ازاحها بيده ليلة العرس بحنانه الكبير .

وكرت الاعوام بالسعادة والهناء ، فلا هى تشعر بكرها ، ولا الاعوام تتوقف عن مدها بالغبطة .. ذاقا معا أيام فقر مدقع وايام بحبوحة لذيذة وكان اذا نفد المال من جيبه بسرعة ، تتظاهر بالغضب وتقول : « من اين ناكل الآن يا كريم الكرماء ؟ هل تراك نسيت أن الشمس تطلع كل صباح ومع طلوعها تتحرك اجسادنا تطالب بالطعام والكساء ؟ كان يجيبها بضحكة عارمةتفيضبالحب ، تكتسح غضبها وكانها طفل يثور من أجل قطعة حلوى ، سرعان ما يستعيض عنها بقبلة حارة او ضمة حنون .

اما حين كان يستدين ويحاول اخفاء ذلك عنها فلا يستطيع ، فكانت تثور عليه ثورات حقيقية ، وتشيح عن كلماته المهدئة المعسولة . ويمضي يوم او يومان وهو يتألم مقطبا حاجبيه هما وكمدا فلا

يسعها الا أن تفتح له ذراعيها وتقبل رأسه وجبينه بلهفة وندم ، غافرة له فعلته ، مناشدة اياه أن يكف عن الاستدانة التي تبدو سهلة في البدء وتنتهي بالمذلة والقلق وتبكيت الضمير .

هكذا كانت حياتهما معا ، لعبة سحرية بين طفلين كبيرين ، لا يصدقان ان الحياة تفرق قلبيهما بكل هذا الحب الذى يساوى أموال الدنيا بأسرها .

وفجاة وفي صباح يوم صاف دافيء . توقف قلبه الكبير عن الخفقان . أسلم الروح وهو بعيد عنها ، في مكان عمله وبين زملائه وقد صعقوا .. لم تصرخ حين حملوه اليها جثة هامدة .. فتحت عينيها على اتساع مخيف ثم تمددت الى جواره تتحسس وجهه وشعره وتهيب به أن ينهض وينهي مزاحه الثقيل ذاك .

ومر اسبوعان كانت خلالهما تجمد كالخرساء الصماء العمياء ، فهى لا ترى أحدا .. ولا تسمع عويلا ، ولا ترد على متعزّ حزين تجرى الدموع في عينيه . ثم بدأت تتحرك وتحنو على ولديها اليتيمين بلهفة مريعة تقرب الى الهوس ، حتى أن جاراتها رحن يتهامسن عن غرابتها : ان المسكينة ستجن ، حزنها على زوجها سيفقدها صوابها . ولكنها استردت وعيها ومنطقها بعد صراع داخلى رهيب تغلب فيه ايمانها بالله على صراخ قلبها المحطم ، وراحت تركز اعصابها وافكارها على مساومة الدائنين الكثيرين الذين هجموا عليها كالدبابير يطالبون بحقوقهم المالية المختلفة .. لم تفكر مرة بأن تلوم زوجها الراحل على المتاعب التى تركها لها لتفكها عقدها واحدة بعد أخرى بلا معين او صديق .. ابوها ساعدها بمبلغ سخى غطى تكاليف الجنازة والدفن وبقي منه جزء معقول وزعته على الدائنين لتسكت شرهم مؤقتا ، وعندما تجرأ ابوها يوما ، وانتقد زوجها على تبذيره وعدم تحسّبه للمستقبل ، رفعت صوتها في وجهه لأول مرة ، وطلبت اليه بحدة الا يتهجم على الاموات في قبورهم .

الليالى الحالكة الطويلة كانت لها وحدها ، تقضيها في جحيم واقع لا يطاق ، فهى الى جانب فقدها شريك عمرها وانفاسها وروحها ، كان عليها أن تفكر في اعالة ولديها .. فالاصدقاء القلائل الذين دسوا في يدها مبالغ صغيرة وهم يضغطون على اصابعها معزين مشجعين ، اداروا لها ظهورهم ، وكأنهم باعطائها تلك الاوراق الزهيدة ، قد انهوا واجباتهم الانسانية تجاهها . لقد شكرتهم في قرارة نفسها على كل حال ، وانثنت تستعين بابرتها ، ومن ثم تبيع اشغالها اليدوية بربح بسيط ، حاولت جهدها ان تجعله ليّنا مطاطا ، يكفل لهم ثمن الخبز واللبن والزيتون .

وعلى حين غرة تسلمت شيكا ماليا بالبريد .. شيكا بثلاثمائة ليرة من محسن مجهول .. وزاد عجبها حين استمرت تتسلم هذه الشيكات شهرا بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، وكلما قصدت البنك لتصرفها كان الموظف المسئول يرفض الافضاء باسم صاحب الشيك ، زاعما انه محسن كريم يصر على كتمان اسمه كتمانا تاما .. كم من مرة تساءلت عمن يكون هذا الملاك البشرى ، وهزت رأسها استغرابا من وجود انسان تسمو نفسه لدرجة تجعله يعيل يتيمين وارملة بلا تردد او تراجع او انقطاع .. انه حتما ليس من اقاربها او اقارب زوجها ، والا كانت عرفته .. ثم ان جميع هؤلاء الاقارب ليسوا بمستوى التضحية والبذل المستمرين ، فهم لا يزورونها الا نادرا ، واذا تنازل احدهم وشرفها بزيارة طويلة ، يروح يتكلم عن اى شيء الا عن وضعها المالى ، ويسأل عن اى شيء الا عن احتياجها الى المساعدة .

فركت اصابعها تبعث فيهما دفئا غاب عن يديها منذ وقت طويل .. ما لها ولاجترار الذكريات الحلوة المرة ، التى لا تزيد المرء الا ضيقا وحنينا يشبه الاختناق .

في المطبخ كومة من الثياب القذرة تنتظر الغسيل ، وعلى النار لحم يجب أن يرفع من الماء ، ليضاف الى البطاطا ، انه عشاء ولديها لتلك الليلة . نهضت تشد غطاء رأسها المتهدل ، وما أن وصلت باب المطبخ حتى أجفلها رنين الجرس يشق الصمت برنتين متتابعتين . من يطرق بابها في هذه الساعة وجاراتها يعرفن نفورها من الزيارات الصباحية الثقيلة .. سارت الى الباب تفتحه بحذر وفضول . رجل أسمر طويل يقف على العتبة . رجل لم تره من قبل وانما تشعر بأنها رأت وجهه مرة يطل من صورة عتيقة باهتة الاطراف .. وقال الغريب : هل انا بحضرة السيدة عفاف زوجة المرحوم كمال ؟ .. نعم تفضل ، انك لم تخطيء الاسم او العنوان .

مشت أمامه تدعوه الى الجلوس على أفضل

مقعد في غرفة الاستقبال ، وجلست قبالته تضم ركبتيها المرتجفتين على حين غرة :

ـ اسمي راجح جبرى . شفيق لمياء .. زوجة المرحوم الاولى .

ـ اهلا وسهلا .. الآن اتضح لي كيف واين رأيت وجهك من قبل .. كان المرحوم يحتفظ لك بصورة قديمة تبدو فيها شابا صارما من النادر ان تبتسم .

(هل جالت في مقلتيه دمعتان أم أن بصرها خدعها فظنته يبكى ؟)

ـ كان المرحوم نسيبى وصديقى المقرب الحميم .. كان الصديق الوحيد الذى قدست صداقته وزرعتها في اعمق مكان في قلبى .

ابتسمت بالم وقالت تعاتبه بلطف كسير :

ـ تقول انه كان اعز صديق لديك .. ولم تأت تطرق بابى معزيا بعد وفاته أو يوم اختاره الله الى جواره ؟

ـ كنت مع الرجال .. شاركت بحمل نعشه على كتفى .. اما بصدد احجامى عن زيارتك فيما بعد ، فكان السبب عدم رغبتى في فرض نفسي عليك كشقيق للمرأة التى احتلت قلبه قبلك » .

شهقت على الرغم منها وتركت دموعها ترطب خديها بلا حياء :

ـ سامحني فالمرارة والشقاء تجعلان المرء ظالما متسرعا .. انى كما ترى أعيش وحدى مع الذكريات ، لا يعزيني الا وجود ولدى القابلين حولى .

تنحنح وكأنه يحاول سحق بحة تسد حلقه :

ـ اعرف ان المرحوم لم يترك مالا .. فكيف تدبرين اموركم يا سيدة عفاف ؟

ـ الله جل جلاله قيض لنا رجلا وفيا نبيلا ، اخذ على عاتقه مسئولية اعالتنا منذ سنوات .. ان اجره عند الله كبير لانه يصر على كتمان اسمه عنا ، وهذا لعمرى منتهى الانسانية وقمة العطاء الصامت المنزه عن التظاهر والمفاخرة .

ركز بصره على مربع اخضر في السجادة الذابلة ، وقال بصوت هامس :

ـ انا صديقكم المجهول يا سيدتى .. ولولا بعض الظروف القاهرة ، لما طرقت بابك وعرفتك بى .

هبت من مكانها فرحة وتقدمت منه تحاول تقبيل يده الوفية السخية ..

ـ استغفر الله يا سيدتى .. انى لم ارد جزءا من دين كمال علىّ بعد .

عادت الى مقعدها وقالت تغالب الدموع :

ـ وماذا فعل لك كمال ؟ هل اعطاك شيئا أثمن من قلبه وصداقته ؟

ـ اعطانى سمعة اختى وشرفها .. وهذا يوازى في نظرى كنوز الارض ظاهرا وباطنا .

ـ عفوا .. هل تقصد انها خانته فغفر لها خيانتها ؟

ـ لا .. شرفها ضيعته قبل أن تتزوج المرحوم .. كانت حاملا عندما تزوجها .

ـ لا افهم شيئا .. هل حملت منه قبل عقد القران ؟

ـ حملت من كمال الشريف النبيل ؟ لا .. لقد حملت سفاحا من حيوان قذر .. عرفت من احاديث البعض انها كانت تحب شابا ملوثا متشردا .. ولما واجهتها بالحقيقة ، انهارت واعترفت بانها على صلة حميمة به .. وانها ايضا تحمل منه جنينا يرفض الاطباء ان يجهضوه .. لن انسى تلك الليلة السوداء العاصفة ما حييت .. ليلة اعترفت بجرمها .. فخلعت حزامي وانهلت عليها ضربا ولطما وتجريحا .. لم اكف بهذا ، توجهت الى طاولتى لاسحب مسدسي .. مصمما على قتلها وغسل عارها فورا .. في تلك اللحظة كسر كمال قفل الباب وهجم يقف كالمارد بينى وبينها .. كان آتيا لزيارتى ولما سمع صراخ اختى يشق جدران البيت ، دخل علينا عنوة ليحميها منى .. اخبرته القصة المخزية بينما كانت هى منبطحة على الارض تدفن وجهها في البلاط وتشهق بعنف واختناق . جمد امام صراخي وهذيانى وشتائمى ، ثم حدق الي بهدوء عجيب وقال وهو يتجه صوبها ، منهضا اياها عن الارض « سأتزوج لمياء غدا وأقبل راضيا ان اصبح ابا لقطعة اللحم في احشائها .. ولكنى أريد منك شيئا واحدا .. اريد وعدا قاطعا صادقا بان لا تمسها او تذكرها بزلتها ابدا .. » كان يحبها حبا غريبا يسمو على حب الذات الرهيب .. عرفت الحقيقة آنذاك ولكن غضبى المستعر لم يدعنى ارضخ لاية حقيقة .. اتهمته بالجنون ، حقرت شفقته على مخلوقة لا تستحق ذرة من الشفقة ، ناشدته ان يفكر في الامر قليلا قبل ان يجنى على نفسه ويتزوج فتاة منحطة لا تقيم وزنا للشرف والفضيلة .. تركنى أتكلم وكأنه يستمع الى طاغية مسعور لا يدرى ماذا يقول . كان طوال

الوقت يمس شعرها ويمسح دموعها ويضغط على كتفها مناشدا اياها الكف عن شهيقها المذعورذاك.

تزوجها بعد مرور ثلاثة أيام على تلك الليلة العاصفة السوداء..اقام عرسا فخما وبدا كأسعد العرسان ، وهو يرفع الطرحة البيضاء عن وجهها، طرحة العذرية التى لم يكن من حق اختى ان تلبسها .. احاطها بحنانه وحبه وكرمه ، وهكذا استطاع ان يقطع ألسنة الناس ويحملهم على تقديرها واحترامها..اما هي فراحت تعبده بتفان وصمت وتخدمه بوفاء لم أشهد له مثيلا .. كانت أحيانا تفاقله وتقبل رجليه ولما كان يؤنبها على ذلك بحدة ، تخفض رأسها وتقول « أنت حياتي وشمس وجودي ولا فرق لدي بين تقبيل رأسك او قدميك»

وهيئا للطفل اسمين ، واحدا لصبي وآخر لبنت . ولما حانت ساعة وضعها واختلت بها القابلة في غرفة النوم ، امضى ساعات الانتظار يدور حولي كالمحموم ، تارة يشعل سيجارة وطورا يدفن رأسه بين كفيه ويهتف « انها تخاف الموت .. تخافه بشكل رهيب .. تقول ان الله سينتقم منها، سيجعلها تموت لانها أم لسفاح » .. بعد لحظات ولد الطفل ولم يصرخ ، وبعده صمتت أختى الى الابد . لم اجد كلاما اعزيه به .. كان يجب أن ابكي عليها أكثر مما بكى هو ، ولكنى لم أكن قد غفرت لها زلتها بعد .. لهذا السبب لم يسمح لي بمس كتفه ، قال وهو يزيحني عنه بعنف غريب « لقد استرحت الآن يا راجح وأرحتها .. أما انا فلا ادري اذا كنت ساهدأ يوما او استريح » .

ومرت أعوام ثلاثة ، انضجته وانضجتني .. فلم نشعر الا وسر المأساة يوحد قلبينا بحب متين لا تزعزعه تقلبات الايام مهما تقلبت .. لقد ادركت عظمته متأخرا .. ادركت مدى ما تحمل من ألم وهو ينتشل حبيبته من وحل تمرغت فيه مع رجل سواه .. لقد ابتلع كرامته المهانة برجولة فذة وانكر ذاته بارادة خارقة ، ورغم الألم والعذاب والصمود انسلت حبيبته من بين أصابعه في غمضة عين صامتة .

صمت الرجل يشعل سيجارة واردف ناظرا الى مضيفته بجرأة رقيقة : عندما رآك واعجب بك ، جاء يستشيرني في أمر زواجه منك .. عانقته بفرح وتمنيت له السعادة من كل قلبي .. لم ازركما هنا ابدا .. كنت اقابله في امكنة مختلفة ، وازعم باني لا اجرؤ على دخول بيت كانت تحتله اختي .. اما السبب الحقيقي فكان كما ذكرت سابقا : عدم رغبتي في فرض نفسي عليك كشقيق للمرأة التى امتلكت قلبه قبلك .. وفي صباح يوم صاف ، فاجأني الهاتف بخبر موته المفاجيء .. دفنت رأسي بين أكوام الاوراق على مكتبي ، ولما رفعته وحدقت الى الاشياء حولي .. عرفت أن دنياي قد انقلبت رأسا على عقب وأنها قد فقدت نورها الوهاج برحيله عنها .

سكت يبتلع غصة مؤلمة وقالت الارملة وكأنها تحدث نفسها : « كانت لمياء حبه الاول والاكبر وربما الاخير ، ولكن قلبه اتسع لي أيضا .. شمل كل شبر فيّ .. أغرقني بالحب من رأسي حتى أصابع قدمي » .

نهض يوقظها من شرودها قائلا : أرجو أن تقبلي هذا مني .. انه شيك بعشرة آلاف ليرة ، واجبي نحوكم لمدة سنتين أغيب خلالهما في رحلة طويلة حول العالم .. لم تحاول تقبيل يده ولم تفتح كفها لتأخذ الورقة .. أشاحت برأسها تبكي بذلة وحرقة كبيرين .

دس الورقة في جيبها وقال برفق : « لو ان اختي عاشت وعاش الطفل ، لكان كمال لا يزال حتى اليوم يربي طفلا من غير دمه ولحمه .. فدعيني اشاركك مسئولية ولديك مستعيضا بهما عن اولاد لي لم يخلقوا .. ان زوجتي عاقر يا سيدة عفاف ولم يطاوعني قلبي يوما على طلاقها .. والآن استودعك الله واعد بزيارتكم عند رجوعي الى الوطن » .

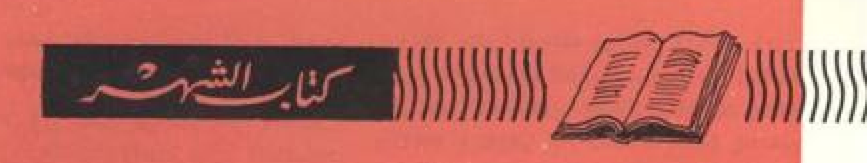
تركته يخرج بهدوء كالشبح من غير أن تودعه بكلمة واحدة تعبر عن شكرها الكبير له .

قلبها يستقبل جرحا جديدا ، جرحا لا ينزف ولا يؤلم وانما يواجهها بعظمة راحل حبيب كان في حياته يرتفع عن مستوى البشر وكأنه ليس واحدا منهم .

انفها لا يشم رائحة لحم يحترق على النار .. انه يشترك مع حواسها في الانصات الى صوت مجلجل يهتف باخلاص :

« لا تخافي يا حياتي .. سأسدد ديوني كلها .. باستثناء ديون خاصة يرفض صاحبها استردادها » . ■■

بيروت ـ لبنان **نورا نويهض حلواني**



١٥ كاتباً فرنسياً يؤكدون :

ستزول إسرائيل

بقلم : الدكتور محمود السمره

الأستاذ بالجامعة الأردنية

■ هذا كتاب يضم مقالات لخمسة عشر كاتبا فرنسيا ، ينتهون في مقالاتهم الى النتيجة التالية ، وهي : ان اسرائيل ستزول ، للأسباب التالية : فهي اداة استعمار والاستعمار مهما طال عمره سينحسر ، وهي لاتستطيع البقاء لأنها تعتمد في حياتها على المساعدات الامريكية اولا ولا تملك في ذاتها مقومات البقاء ، وهي قد قامت على ارض امة شاسعة الاوطان فكان قيامها عدوانا صريحا على هذه الامة ، ثم ان هذه الامة العربية مصممة اكثر من اي يوم مضى ، على الدفاع عن ارضها ، واسترداد ما اغتصب من وطنها .

★★★

لقد ولدت اسرائيل عام ١٩٤٧ بقرار اتخذته منظمة الامم المتحدة ، وكانت مدة الحمل خمسين عاما بالتمام ، بدات بالمؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ ، وفي هذا المؤتمر حددت الحركة الصهيونية هدفها بانه « اقامة وطن للشعب اليهودى في فلسطين ، يؤمنه القانون العام » . وقد كانت هذه الحركة منذ نشاتها حركة هرمية بدات من فوق الى تحت : فقد قام بها نفر من قادة اليهود الغربيين ، وعلى راسهم تيودور هيرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » ، ولايعدو ان يكون عمل هؤلاء القادة في راينا ، ايجاد المبررات للاستعمار الغربي لكي يسيطر على منطقة الشرق العربي ، ذات الموقع الاستراتيجي الهام ، والثروات الطبيعية الهائلة .

ونحن نلمس هذا المعنى في الاتصالات التمهيدية التي قام بها هيرتزل من اجل كسب المؤيدين لمشروعه : فقد اتصل ببسمارك وبعم قيصر المانيا وليم الثاني ، كما قابل في فلسطين عام ١٨٩٨ القيصر نفسه . وكان في جميع هذه المقابلات يؤكد ان الدولة المشروع ستكون ، دولة نموذجية ، وجسرا يربط الغرب بالشرق ، ونقطة اشعاع الحضارة الغربية . ولم تستطع المانيا القيصرية ان تستجيب لطلب هيرتزل ، لأنها كانت على يقين من ان تأييد مثل هذا المشروع يجب ان يسبقه انتصارها على بريطانيا ، الدولة المنافسة لها في

المنطقة . وهكذا أخذت تعد عدتها لخوض الحرب ضدها ، فكانت الحرب العالمية الاولى .

واخذ هيرتزل يبحث عن حام آخر ، فاتجه بانظاره الى بريطانيا ، واتصل بوزير المستعمرات تشمبرلين ، ودار الحديث حول اقامة هذه الدولة في صحراء سيناء بالمنطقة المحيطة بالعريش . وقد اكد هيرتزل لتشمبرلين بان دولتهم ستخدم المصالح البريطانية في المنطقة ، فقد كتب اليه يقول : « حينما يجيء الوقت الذى نعيش فيه تحت ظل العلم البريطاني في العريش ، فان فلسطين ، بدورها ، ستقع في فلكه » .

ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح ، فاتجه الصهاينة عام (١٩٠٣) الى روسيا ، وعرضوا خدماتهم عليها ، فلم يجدوا عندها الاستجابة الكافية لمخططهم .

وهكذا كان على زعماء الصهيونية أن ينتظروا حتى الحرب العالمية الاولى ، حين تهيأت لهم الفرصة للتحدث عن مشروعهم ، الذى لقي من بريطانيا ترحيبا حارا لانه يحقق لها ما تريد في المنطقة ، فمثل هذه الدولة لن تكون سوى اداة في يدها . ويؤكد هذا الترابط الوثيق بين الصهيونية والاستعمار رسالة بعث بها حاييم وايزمن ، زعيم الصهيونية بعد هيرتزل ، الى صحفي مقرب من الحكومة البريطانية ورد فيها ما يلي : « نستطيع القول بصدق انه اذا سقطت فلسطين في فلك النفوذ البريطاني ، واذا ما شجعت بريطانيا اقامة اليهود فيها ، فانه سيصبح فيها بعد خمس وعشرين او ثلاثين سنة ، مليون يهودى او اكثر . وسوف يقوم هؤلاء اليهود بتطوير البلاد وانمائها ، وسيعيدون اليها الحضارة ، كما أنهم سيشكلون خير دفاع فعلي لقناة السويس » .

وفي الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩١٧ ، صدر بيان الحكومة البريطانية على صورة رسالة موجهة من بلفور الوزير البريطاني ، الى روتشيلد الزعيم الصهيوني ، وهو بيان يعلن « ان حكومة جلالته تنظر بعين الرضى الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودى في فلسطين » وهو بيان متناقض مع الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب .

وانتهت الحرب العالمية الاولى بالطريقة التى نعرفها .

وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٩ صدرت اربعة « كتب بيضاء » عن المسألة الفلسطينية : سنة ١٩٢٢ و ١٩٣٠ و ١٩٣٧ و ١٩٣٩ . وآخر كتاب منها هام جدا بدا فيه ان بريطانيا قد غيرت من سياستها تحت ضغط كفاح الشعب الفلسطيني ، فهو يسلم بقيام دولة فلسطينية عربية في المستقبل ، ويتخلى عن فكرة اقامة وطن قومي يهودى فيها .

ولكن بريطانيا لم تعد فارس الميدان ، فقد برزت الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، كزعيمة للعالم الغربى ، ولها في منطقتنا مطامع:فالمنطقة العربية تقع جنوب المعسكر الاشتراكى الأوروبى ، وهى تحتوى على ثلثى احتياطى البترول في العالم .

وكان زعماء الصهيونية يدركون هذا التحول في الزعامة من بريطانيا الى أمريكا ، فقد كتب بن غوريون عام ١٩٤٠ يقول : « اما انا فلم اكن اشك في ان مركز الثقل ، بالنسبة لعملنا السياسي ، كان قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة التى كانت قد احتلت المرتبة الأولى في العالم ».

★ ★ ★

وقد تبنت امريكا أحلام الصهيونية بحماسة واندفاع لا نظير لهما : فكتب وايزمن في كتابه « مولد اسرائيل » يصف مقابلته للرئيس الأمريكى روزفلت عام ١٩٤٢ ، قائلا : « كان موقف الرئيس روزفلت ايجابيا للغاية .. وقد عبر عن اعتقاده بان امريكا على استعداد للاسهام في اقامة الوطن القومى اليهودى .. »

ونشطت المنظمة الصهيونية الأمريكية ،فاصدرت « برنامج بلتيمور » ، الذى اصبح برنامج الصهيونية العالمية ، وهو برنامج ينص على : اقامة دولة يهودية في فلسطين كلها ، وبناء جيش يهودى ، ورفض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وتيسير الهجرة الى فلسطين دون حدود او قيود . وهكذا اصبح صهاينة فلسطين ، وصهاينة امريكا، هم المسيطرين على الحركة الصهيونية ، وقد بدا هذا واضحا في المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين، الذى عقد في عام ١٩٤٧ .

واخيرا رضخت بريطانيا للضغوط الأمريكية ، واحالت القضية الى هيئة الامم المتحدة ، التى اقرت في شهر نوفمبر (تشرين الثانى) تقسيم

فلسطين بين العرب واليهود . وقد اعترف وايزمن بالدور الهام الذى لعبته امريكا فى قيام اسرائيل، وذلك فى رسالة بعث بها الى ترومان فى ١٢ مايو (ايار)١٩٦٨،وفيها يقول : « ان الدور القيادي الذى قامت به الحكومة الامريكية،بوحي‌منكم،جعل من الممكن اقامة دولة يهودية » .

ومنذ قيام اسرائيل ، وهى تعتمد اعتمادا تاما على الولايات المتحدة الامريكية .

يقول جورج فريدمان ، الكاتب المعروف بميوله للصهيونية ، فى كتابه « هل ينتهى الشعب اليهودى ؟ » : « يجب على اسرائيل ان تحصل على ما يقرب من (٣٥٠) مليون دولار من الايرادات الخارجية سنويا، حتى تتمكن من موازنة ميزانيتها فى حدودها الراهنة » .

والسؤال : كيف استطاعت اسرائيل اذن ان تبقى ؟

لم يكن هذا ممكنا الا بفضل‌المساعدات الأمريكية التى انصبت على اسرائيل ، منذ عام ١٩٤٨ ، امطارا غزيرة من الذهب . وهذه المساعدات انواع :

فهناك القروض التى تمنحها الحكومة الأمريكية لاسرائيل، وهناك الاموال التى تتبرع بها الجاليات اليهودية فى امريكا وتحول الى اسرائيل كتبرعات خيرية معفاة من الضرائب ، وكذلك المساعدات الفنية ، وفائض المواد الغذائية ، وما يباع فى الولايات المتحدة من سندات القرض الاسرائيلى التى اشترت منها الحكومة الامريكية وحدها بما قيمته ٦٥ مليون دولار . وقد تلقت اسرائيل فى السنة الأولى من قيامها مساعدات امريكية تبلغ (٤٠٥) مليون دولار ، ويلغ مجموع ماتلقته من مساعدات اقتصادية بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٥ما قيمته(٦٠٠٠)مليون دولار،عدا مساعدات‌الجاليات اليهودية ،واشترى الرأسماليون الامريكيون اثنتى عشرة مؤسسة كبرى فى اسرائيل .

ومنذ شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، ازدادت المساعدات الأمريكية لاسرائيل ، فجمع مبلغ (٤٧٥) مليون دولار « لتعويض نفقات اسرائيل الناجمة عن العمليات العسكرية » . وفى التاسع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٧ عقد أصحاب الملايين من الصهاينة اجتماعا فى القدس ، للبحث فى‌الوسائل الكفيلة بمنع « انهيار الاقتصاد الاسرائيلى » ، ووضعوا تحت تصرف اسرائيل‌الملايين‌من‌الدولارات.

وليس المال هو الوسيلة الوحيدة التى تلجأ اليها أمريكا لتأمين بقاء اسرائيل،فهناك المساعدات العسكرية ، التى بلغت ذروتها عام ١٩٦٧ ، تمهيدا للعدوان : ففى خلال الفترة من شهر مارس(آذار) الى شهر مايو (آيار) ١٩٦٧ ، حصلت اسرائيل على اكثر من (٤٠٠) دبابة حديثة الصنع ، و (٢٥٠) طائرة جديدة ، وصواريخ تطلق من الارض للجو من طراز (هوك) ، وكميات ضخمة من العتاد الحربى اللازم للقوات البرية .

وتعاونت اجهزة الاستخبارات الأمريكية مع اسرائيل،وامدتها بالمعلومات السياسية والعسكرية اللازمة لها ، وكذلك فان الأسطول السادس موجود فى البحر الابيض المتوسط لحماية الشواطىء فى اسرائيل، وتهديد الشواطىء العربية . وقد نشرت الصحف الأمريكية تصريحا لرئيس وزراء اسرائيل، ليفى اشكول ، جاء فيه ان الحكومة الامريكية قالت له : « لا تنفقوا أموالكم هدرا ، فنحن موجودون .. والأسطول السادس موجود أيضا .»

ولم تتخل الحكومة الامريكية عن اسرائيل حتى فى الأمم المتحدة ، وفى مجلس الامن ، بعد عدوان الخامس من حزيران .

كل هذا يقودنا الى النتيجة التالية ، وهى : لم يكن بالامكان ان تبقى اسرائيل ، لولا المساعدات الأمريكية الضخمة .

★★★

فاذا تركنا هذا الى النظر فى تركيب اسرائيل الداخلى ، وجدنا انها تقوم على ثلاثة اركان : العنصرية ، والعنف والارهاب ، والتوسع .

والعصبية العنصرية هى الأساس الذى تقوم عليه العقيدة الصهيونية ، وهذه العنصرية تؤدى الى القول بنقاء السلالة اليهودية وتفوقها .ويقول هيرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » : « ان الفضل الاول والاخير للحفاظ على اليهود كشعب واحد ، وجنس نقى خالص ، يرجع الى قوانين الزواج التى‌كانت عثرة فى‌سبيل تداخل السلالات».

وهذه العصبية هى التى تدفع الصهيونية الى التخلص من العناصر غير المرغوب فيها بوسائل شرسة وحشية .

وقد لجأت الصهيونية الى العنف والارهاب لطرد العرب من فلسطين ، فكانت المذابح الكثيرة

التى منها مذبحة دير ياسين في التاسع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٨ التى سقط فيها (٢٥٠) ضحية من رجال ، ونساء ، واطفال ، من مجموع سكان القرية الذين يبلغ عددهم نحو اربعمائة نسمة . وحدث مثل هذا في قرية ابو غوش (سبتمبر ١٩٥٣) ، وقرية كفر قاسم (اكتوبر ١٩٥٦) ، وعكا (يونيو ١٩٦٥) وما حدث في كفر قاسم يستحق ان يروى : فبعد ان احتلت القوات الاسرائيلية القرية ، فرضت نظام منع التجول ، ثم تصدت للمزارعين العائدين من حقولهم ولا علم لهم بما جرى ، فقتلت منهم في دقائق واحدا وخمسين وجرحت ثلاثة عشر .

واليوم يتعرض العرب في المناطق المحتلة لشتى انواع القمع والارهاب ، ونسف المنازل ، بحجة انهم يساندون كفاح الفدائيين الفلسطينيين .

والتوسع هو سياسة اسرائيل الدائمة منذ قيامها .

★★★

ورغم وجود اربعة عشر تشكيلا سياسيا في اسرائيل ، فان كل الأحزاب اعضاء في الوكالة اليهودية، التى تقوم بتنسيق جميع قوى الصهيونية في العالم . والوكالة اليهودية هى التى تمثل القيادة السياسية الحقيقية في اسرائيل ، وما برامج الاحزاب المتراوحة بين أقصى اليسار ، واقصى اليمين ، سوى دعاوى ، لا حقيقة لها .

واهم الأحزاب الاسرائيلية حزب (ماباى) ، وجميع رؤساء الوزارة في اسرائيل منه ، فقد تولى الرئاسة ثلاثة هم : بن غوريون (١٣ سنة) ، وموشي شاريت (سنتان) ، وليفى اشكول منذ ١٩٦٣ ، وكلهم من الماباى .

ويدعى هذا الحزب أنه يسارى اشتراكى ، ومع هذا نجد أنه حليف لكل استعمار : فقد أيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وتعاون مع بريطانيا وفرنسا في الاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦، ويناصر امريكا في حربها في فتنام . ويحتل هذا الحزب مع منظمة قريبة منه تدعى (اهدوت هاعافودا) ٥٤ مقعدا في البرلمان الاسرائيلى الذى يبلغ مجموع عدد المقاعد فيه (١٢٠) مقعدا .

ويدعى حزب (مابام) انه أكثر اشتراكية من حزب ماباى ، وانه يناصر مبدأ «التعايش السلمى بين مختلف الطبقات » ، ولكنه في الحقيقة ليس اقل صهيونية من جميع الاحزاب الاسرائيلية الأخرى : فقد أيد بحماسة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، ونظم المظاهرات مطالبا بضم قطاع غزة الى اسرائيل .

وهناك حزبان يمثلان الدوائر الدينية ، هما : مزراحى ، وهابوبل مزراحى .

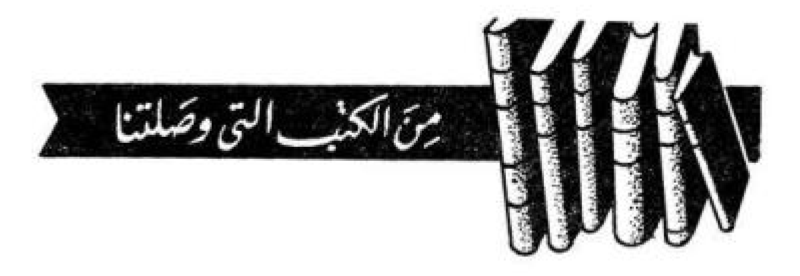
ومن الاحزاب اليمينية المتطرفة حزب (حيروت)، وهو منذ قيامه ينادى بضرورة احتلال الضفة الغربية ، ولعل هذا هو السبب في تعيين زعيم الحزب (مناحم بيجين) فى منصب وزارى ، عشية حرب حزيران .

اما حزب (رافي) فيستحق أن نقف عنده وقفة اطول ، فهو حزب جديد ، نجم عن الانشقاق الذى حدث في صفوف حزب (ماباى) ، وقادة هذا الحزب هم : بن غوريون ، وموشي ديان ، وسيمون بيرز . وهو حزب يمثل الصهيونية الأكثر تصلبا، وتشددا، ويؤمن بحتمية الحرب مع الدول العربية ولهذا فهو ينادى دوما بضرورة شن هجوم عسكرى على الدول العربية قبل أن تتقوى ، وباعطاء الاولوية لشراء الأسلحة الحديثة . ويعتمد هذا الحزب في قوته على الجيش الذى له فيه شعبية طاغية ، وعلى الجيل الجديد الذى ولد في اسرائيل . وقد اكتسب حزب (رافي) في السنوات الاخيرة تأييدا اكثر من ذى قبل ، لسبب المشاكل الاقتصادية ، والبطالة المتزايدة في اسرائيل ، مما جعل سياسته الداعية الى التوسع ، تبدو هى السياسة الصالحة اذا اريد لاسرائيل البقاء .

وفي رأيى ان الأمة العربية ، في كفاحها ضد الصهيونية ، لا تستطيع أن تتغلب عليها الا اذا وقفت متحدة . واذا اتحدت هذه الأمة ، فان اسرائيل لا تعود مشكلة ، لأن الامة العربية تملك من الامكانيات الشيء الكثير : قوى بشرية هائلة ، ومصادر زراعية هامة ، وثروات كثيرة كالبترول ، والفوسفات ، والحديد ، والفحم ، والرصاص . وفيها صناعات تتطور باستمرار ، كالصناعات الكيماوية ، وصناعة النسيج ، والاسمنت ..

لقد آن للأمة العربية أن تكف عن البكاء ، وأن تختار بين طريقين : النصر أو الفناء . ويوم تقرر ان تقف مثل هذا الموقف ، فان النصر حليفها باذن الله . ■■

محمود السمره



تنشر « العربي » هذه الاعلانات عن الكتب بالمجان ، على أن تصلنا نسخة منها او نسختان ، وذلك خدمة للثقافة ألتى هى علة ما قد نرى في الوطن العربي من تخلف ، علاجه التثقيف على المدى الطويل . والاسبق الى النشر هو الاسبق في الورود الينا ، فاذا تاخر نشر عن كتاب ، فلأن الكتب التي سبقته كثيرة ، وكل ياخذ دوره .

اللمعة الدمشقية

تاليف/الشهيد السعيد : محمد بن جمال الدين مكى العاملى (الشهيد الاول) ومعه شرح اللمعة الدمشقيةالمسمىالروضة البهية لزين الدين الجبعى العاملى « (الشهيد الثانى) / منشورات جامعة النجف الدينية / العراق

● كتاب في الفقه الجعفرى يقع في اربعة اجزاء كبيرة ، يتناول بالبحث والدراسة المسائل الشرعية وحلولها ومعضلاتها واحكامها ، وقد قام المحقق بتوضيح وشرح بعض المقاطع التى قد يلتبس الأمر فيها على القارىء . كما زود الكتاب ببعض الرسوم التوضيحية في ابواب متفرقة كالقبلة والوقت ، ثم الصوم والحج والارث وغيرها .. وقد تضمن الكتاب كذلك مقدمة مستفيضة عن تاريخ وتعريف الفقه الجعفرى ، وبيان جذوره الأصلية ،وتاريخ تطوره منذ بزوغه حتى عصرنا الحاضروكيفيةانتقال مراكزه بين البلدان الاسلامية .

الجراحة الطارئة : في الحروب والكوارث

تأليف : الدكتور عبد اللطيف البدرى / الدكتور يوسف النعمان / الناشر : مطبعة الارشاد/بغداد

● كتاب يتناول الجراحة في ظروف الحـــرب ، والتخطيط والتنظيم لمختلف الظروف التى ترافق حدوث الاصابة مبتدئا بحماية اجزاء من الجسم لتدفع عنها الاصابة او لتخفيفها ومنتهيا باصلاح آثار الاذى الجسمى والنفسي والاجتماعى .

والكتاب يقع في اربعة اجزاء يتناول في الجزء الاول انواع الجروح والاصابات ، ثم اســتجابة الجسم للجروح والاصابات ثم الاعتبارات العامة في تدبير الجروح واخيرا الاصابات والجروح في مختلف مناطق الجسم .

تقويم جامعـة الكويت

١٩٦٧ ــ ١٩٦٨

● يتضمن هذا التقويم اسماء اعضاء هيئة التدريس والمحاضرين والمعيدين واعضاء البعثات ، واختصاص كل واحد منهمومؤهله العلمى.ويتضمن كذلك خطة الدراسة وعدد السنين والمواد التى يدرسها الطالب في مختلف كليات جامعة الكويت . ثم كلمة موجزة عن النشاط الطلابى في الجامعة ومكتبة الجامعة ثم قائمة باسماء المتفوقين مـن الطلبة .

دراسات في أصول الفقــه شرح على (كفاية الاصول)

تأليف السيد محمد كلانتر / الناشر : منشورات جامعة النجف الدينية / النجف

● يتناول هذا الكتاب البحث في « مباحث الالفاظ » من أصول الفقه ، والكتاب شرح مبسط لكتاب كفاية الاصول للمحقق الخراسانى يستعرض بعض ما يستجد من راى في الاصول بعد المحقق الخراساني، وقد وضع الكتاب ليكون عونا للطالب على تفهم « كفاية الأصول » ودراسته واعـداده لتقبل الدراسات المتعمقة في هذا العلم .

الرحلة النجدية الحجازية

تاليف : محمد بهجة البيطار الدمشقى . الناشر : المطبعة الجديدة ــ دمشق

● مذكرات لرحلة تصور واقع الجزيرة العربية تصويرا دقيقا لفترة مضطربة من حياة الجـزيرة العربيـة كانت تتخطف فيهـا الأرواح وتسلب الاموال . ■■



(انظر صفحة ٢)

باكستان والإسلام

■ ١.٥ ملايين مسلم وأكثر يعيشون الآن في باكستان من بين مجموع سكانها الكلى الذى يبلغ حسب الاحصائيات الاخيرة ١١٦ مليون نسمة .

وباكستان دولة قامت على الاسلام .. دولة انشأها المسلمون فى عام ١٩٤٧ بعد صراع طويل من اجل الاستقلال والتحرر من الاستعمار البريطانى الذى بث الفرقة بين الطوائف الدينية المختلفة فى شبه القارة الهندية .

والاسلام دخل الهند في القرن الثامن بعد الميلاد على يد الفاتح العربي الشهير محمد بن القاسم وذلك فى عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك حين دخلت جيوشه ولاية السند والتي تقع الان فى باكستان الغربية .. وتوالت الفتوحات الاسلامية مما ادى الى اتساع رقعة الدولة الاسلامية في الهند شيئا فشيئا .. وكان من بين الفاتحين محمود بن سبكتكين الغزنوى وشهاب الدين محمد

٣٠٠ الف مسلم احتشدوا في جامع «بادشاهى» فى مدينة « لاهور » الباكستانية لاداء صلاة عيد الفطر

الغوري .

وفي مستهل القرن الثالث عشر الميلادي وفي عام ٦٠٢هـ الموافق ١٢٠٦ ميلادية قامت في الهند دولة المماليك على يد السلطان قطب‌الدين‌أيبك ، واستمرت هذه الدولة الى عام ٦٨٨ هجرية . وقامت بعد ذلك الدولة المغولية على يد ظهير الدين بابر في مستهل القرن السادس عشر الميلادي ..

وتم سقوط الدولة الاسلامية في الهند على يد الانجليز في منتصف القرن الثامن عشر . وبذل الاستعمار البريطاني جهودا كبيرة للقضاء على الاسلام والمسلمين في الهند .. قاموا بابعاد المسلمين عن أراضيهم وبمحاربتهم في تجارتهم .. واغلقوا المدارس الاسلامية .. وقاموا بالايقاع بين الهندوس والمسلمين .. متبعين بذلك سياسة فرق تسد الشهيرة !! .

وانشئت الجامعة الاسلامية في عام ١٩٠٦ .. وبدات المناداة بانشاء دولة للمسلمين تاخذ شكلا جديا واسع النطاق في عام ١٩٣٠ تحت‌قيادة محمد علي جناح ومحمد اقبال . وفي عام ١٩٤٧ تم انشاء دولة باكستانية منفصلة عن الهند .. ومنح البلدان استقلالهما عن بريطانيا .

وباكستان تنقسم الى جزئين .. جزء غربي تبلغ مساحته ٣١٠٤٠٣ اميال مربعة ويبلغ عدد سكانه حوالي ٥٢ مليون نسمة .. وجزء شرقي تبلغ مساحته ٥٥١٢٦ ميلا مربعا ويبلغ عدد سكانه ٦٣ مليون نسمة .. !!

ويفصل بين باكستان الغربية وباكستان الشرقية الف ميل من الاراضي الهندية !

ولغة اهل باكستان الغربية هي الاوردو بينما يتحدث اهل باكستان الشرقية باللغة البنجالية.. ويرجع أصل سكان باكستان الغربية الى‌السلالات العربية والبلوخستانية « البلوش » بينما يرجع اصل سكان باكستان الشرقية الى البنجاليين ... الشيء الذى يجمع بين باكستان الشرقية والغربية هو الاسلام .. الدين السائد فيهما ..

وقد وصف محمد اقبال شاعر باكستان وفيلسوفها واحد المنادين بتاسيس دولة باكستان سكان هذه الدولة قائلا :

« لسنا افغان .. او اتراك .. أو من ابناء التتار .. ولكننا من حديقة واحدة .. ومن جذع شجرة واحدة .. »

وسكان باكستان يتمسكون‌بتقاليد الاسلام تمسكا كبيرا .. وفي نفس الوقت لا تزال بعض العادات والتقاليد القديمة التى كانت موجودة قبل الاسلام سارية ، خاصة عندما لا تعارض هذه التقاليد مع الاسلام ..

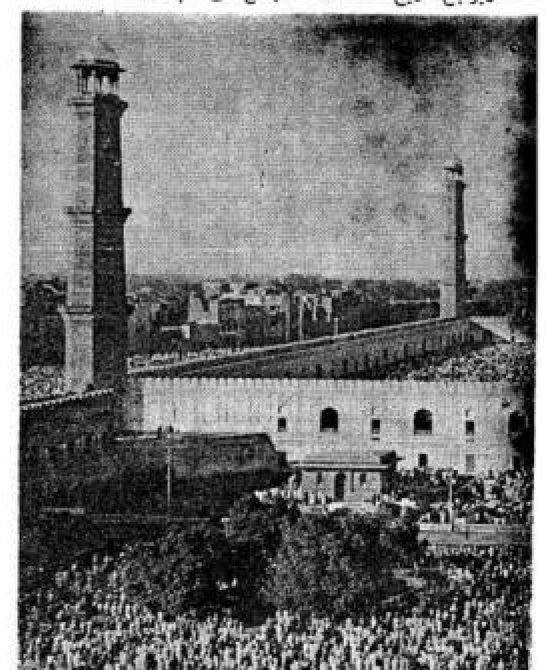
وفي باكستان توجد جوامع عديدة .. واغلبها على الطراز الفارسي ..

ومشكلة باكستان الكبرى‌هي تضخم عدد السكان ففي خلال ٢٠ عاما من اليوم سيكون امام حكومة باكستان مشكلة توفير اعمال جديدة لـ ٢٨ مليون يد عاملة جديدة .. وهذا الرقم وحدة يزيد على مجموع عدد الايدى العاملة‌في المانيا الغربية مثلا !!

وتبلغ كثافة السكان في باكستان الشرقية الف ساكن في‌كل ميل‌مربع وهي من‌اعلى النسب‌السكانية في العالم .. ولمواجهة هذه المشكلة تقوم باكستان الآن بتنفيذ مشروعات صناعية وزراعية .. ومن اهم هذه المشروعات مشروع زراعة القمح المكسيكي الذى يمكن أن يضاعف انتاج البلاد من القمح .. وتبشر هذه التجارب بالنجاح ويتوقع علماءالزراعة الباكستانيون ان يصل انتاج الفدان الواحد من القمح الجديد الى ٣ اطنان بدلا من طن ونصف بالنسبة للاصناف القديمة . ■■

(م . ط)

..ويرجع تاريخ انشاء هذا الجامع الى عام ١٦٤٧.



أنت تسأل .. ونحن نجيب

الشرق الأوسط ينام على أكبر

● كم هي كمية احتياطي البترول في العالم ؟
وكم هي الكمية التي تم انتاجها في عام ١٩٦٧ من البترول ؟ وهل احتياطي البترول العربي بخير ؟
أم أن زيادة الانتاج ستؤثر عليه ؟

فؤاد الزين

- أولا نحب ان نطمئنك يا سيد فؤاد الى ان الاحتياطي العربي من النفط بخير .. ومن الخريطة التي بجوار هذا الكلام والتي نشرتها مجلة Oil & Gas وهي المجلة العالمية المعتمدة في شئون البترول ، يمكنك أن ترى مقدار احتياطي النفط الذي تحت أرضنا .. أما مقدار الانتاج في عام ١٩٦٧ في العالم كله فقد بلغ ١٨٢٨ر١ مليون طن من البترول الخام .
واذا ترجمنا هذا الرسم البياني الى الارقام لوجدنا الآتي :

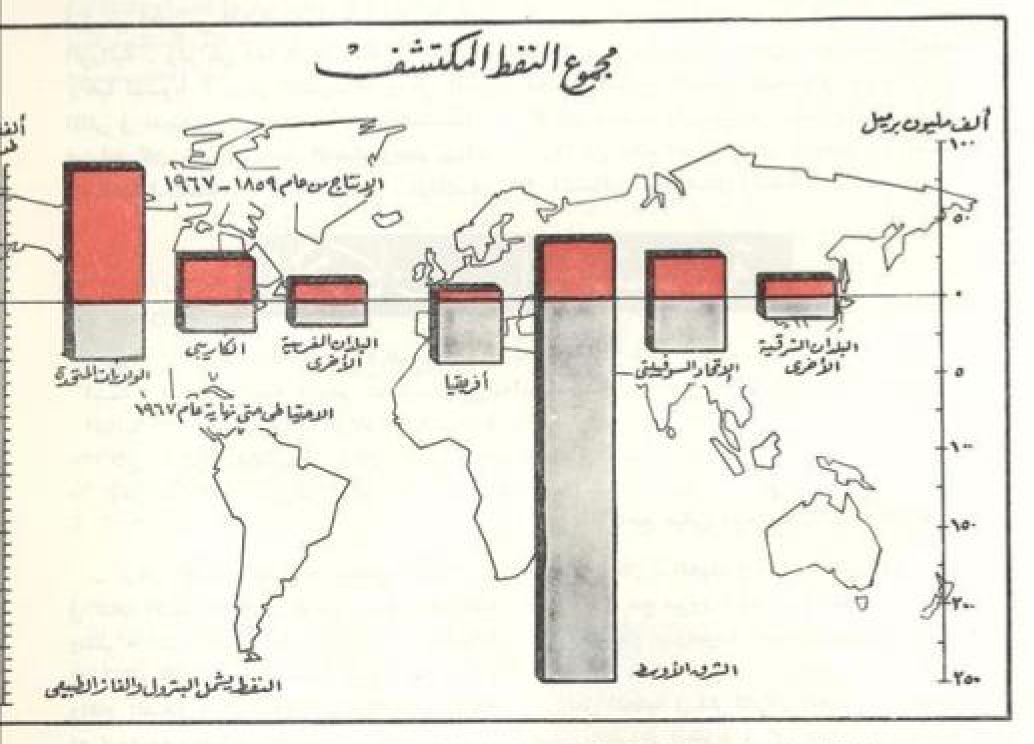
احتياطي النفط الخام حتى نهاية عام ١٩٦٧

المنطقة	الكمية ببلايين الاطنان في عام ١٩٦٧	النسبة الى الاحتياطي العالمي
الولايات المتحدة	٥ر٢	٢ر٩٪
كندا	٣ر١	٢ر٢٪
الكاريبي	٢ر٨	٩ر٤٪
مناطق أخرى في الجزء الغربي من الكرة الارضية	١ر١	٩ر١٪
مجموع الجزء الغربي من الارض	٤ر١٠	٢ر١٨٪
اوروبا الغربية	٤ر٠	٧ر٠٪
افريقيا	٦ر٥	٨ر٩٪
الشرق الاوسط	٩ر٣٣	٨ر٥٩٪
روسيا واوروبا الشرقية والصين	٩ر٤	٦ر٨٪
دول أخرى في الجزء الشرقي من الكرة	٦ر١	٩ر٢٪
مجموع الجزء الشرقي من الارض	٤ر٤٦	٨ر٨١٪
العالم كله	٨ر٥٦	١٠٠٪

ملحوظة : البليون يساوي الف مليون .

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

احتياطي من النفط في العالم



من هذا الاحصاء يتضح لنا أن الشرق الاوسط ينام فوق ٥٩٫٨٪ من احتياطي النفط في العالم .. وتعتبر الكويت اكبر دولةفي العالم تمتلك احتياطيامن النفط . ويقدرونه بنحو ٦٨٠٠٠ مليون برميل .. في حين اناحتياطي النفط في الاتحاد السوفياتيلا يتجاوز ٢٢٥٠٠ مليون برميل . (س. ز)

علم الوراثة

● من هو أول باحث في علم الوراثة ؟ ومتىبدأ الاهتمام بهذا العلم ؟

حامد جوهر / عمان

ـ اذا كان علم الوراثة قد نال كثيرا من اهتمامالعديد من العلماء في مطلع القرن الحالى ، من امثال مورجان Morgan ، واضع أسس علمالوراثة الحديث ، وغيره مثل العالم مولد Mold

ودى فريز De Vires ووايزمان Weismann الا اننا لا نستطيع أن ننسى فضل العالم الكبير مندل Mendel ، الذى كان أول من بحث في كيفية انتقال الصفات من جيل الى جيل قبل بداية القرن العشرين بزمن طويل .

فقد كان جريجور جوهان مندل Gregor Johann Mendel وهذا اسمه بالكامل . أول من اهتم من العلماء بدراسة سلوك الصفات الوراثية . ولم يكن هذا الرجل عالما ، وانما كان راهبا نمسويا ، درس الكهنوت ، ودخل الدير الملكي في مدينة برون Brunn بالنمسا ، غير انه كان يعشق دراسة الأحياء ويهتم بزراعة النباتات في الحديقة الملحقة بالدير . وكان من بين هذه النباتات ، نبات البازلاء . وقد لاحظ مندل أن سلالات هذا النبات تختلف عن بعضها البعض اختلافا بينا ظاهرا في أشكالها الخارجية ، وأثار هذا الاختلاف في سلالات النبات الواحد اهتمامه، فراح يدرس كل صفة على حدة ، ثم بدأ عملية التلقيح الخلطي بين نباتات البازلاء التى تحمل صفات متضادة ، وكانت نتائج هذه الدراسات هى حجر الاساس في قاعدة علم الوراثة .

وعلى الرغم من أن مندل قدم نتائج ابحاثه لجمعية التاريخ الطبيعي بالنمسا في عام ١٨٦٥ ، الا انها أهملت ولم تجد من يهتم بها حتى عام ١٩٠٠ اى مطلع القرن الحالى ، عندما بدأ العلماء في اكتشاف أعمال مندل وابحاثه . (م. ن)

الأركان الخمسة

● قرأت في مجلتنا « العربى » العدد ١١٢ وفي باب « من الكتب التى وصلتنا » موجزا لكتاب اسمه « الاركان الاربعة » وهو كتاب ديني مؤلفه ابو الحسن على الندوى ويتضمن الكتاب الاركان التالية : ١ ـ الصلاة ٢ ـ الزكاة ٣ ـ الصوم ٤ ـ الحج.

فأين الركن الخامس من أركان الدين ، وهو الجهاد في سبيل الله .

وهل هذا الأخير ليس من أركان الدين الخمسة،وكيف اصبحت أربعة ؟

ناجح عباس البصيص/النجف الاشرف

ـ اركان الاسلام كما في « صحيح البخارى » في كتاب الايمان هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس (١) شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (٢) واقام الصلاة (٣) وايتاء الزكاة (٤) والحج (٥) وصوم رمضان .

ومؤلف كتاب الأركان الأربعة انما يتكلم عن اربعة منها ، وعن وصفها السماوى وحقيقتها الشرعية وتشريعها في الاسلام ، ومكانتها في الدين وفي الحياة الفردية والاجتماعية في ضوء الكتاب والسنة ، ثم مقارنتها مع الديانات السماوية الاخرى .

اما الجهاد فلم يذكر في الاركان الخمسة . وهذا لا يقلل من شانه ففي البخارى ايضا في كتاب الايمان الباب ١٨ « أن رسول الله سئل : اى العمل افضل ؟ فقال ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور » وفي سنن الترمذى « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » .

ولعل الحكمة في ذكر الاركان الخمسة انها فرض عينى بالشروط المطلوبة في كل منها ، كالاستطاعة مثلا ، والعقل والبلوغ .. ولا يسقط ركن من هذه الأركان بقيام بعض المسلمين به دون بعضهم الاخر اذ ليس كل منها فرض كفاية . ومعنى فرض الكفاية انه اذا قام به بعض سقط عن الآخرين ، واذا لم يقم به أحد أثموا جميعا .

على أن الشهادتين هما في الحقيقة العماد الاول الذى لا تصح الأركان الاربعة بدونه . فلا يقبل حج ولا صيام ولا زكاة ولا صلاة بدون الشهادتين ، والله أعلم .

(ع. ف)

الأماكن المقدسة في العالم

● استولى اليهود الصهاينة على القدس واستولوا بذلك على أقداس للمسلمين والمسيحيين مشهورة ، فارجو التكرم بأن تذكروا لنا أماكن أخرى تضم أقداسا أخرى للمسلمين والمسيحيين وكذلك لغيرهم من سائر الأديان !

عبد الجليل عبد الله ـ أم درمان

ـ ان هناك أماكن أخرى كثيرة غير مدينة القدس تضم أقداسا أخرى للمسلمين والمسيحيين وغيرهم من سائر الاديان ولعل من اشهر هذه الاماكن بالنسبة للمسلمين :

* مكة المكرمة : وهي من اقدس المدن الاسلامية وتوجد بها الكعبة الشريفة وهي مقصد الحجاج المسلمين من جميع انحاء العالم .. وقد ولد النبي « صلعم » في مكة .

* المدينة المنورة : حيث يوجد قبر الرسول محمد « صلعم » والمسجد النبوي .. وهي مقصد الملايين من المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج كل عام .. وأيضا الألوف التيتقوم بالعمرة الرجبية.

* كربلاء والنجف : في العراق الاوسط حيث يوجد مرقد الامام علي في النجف ومرقد الامام الحسين في كربلاء ، رضي الله عنهما، وتعتبر مزارا للمسلمين وبخاصة لأهل المذهب الشيعي .

اما بالنسبة للمسيحيين فمن اشهر الاماكن المقدسة لهم بعد القدس :

* روما : وهي عاصمة ايطاليا والمركز الروحي للمذهب الكاثوليكي وفي روما يقع الفاتيكان الذي يقيم به البابا وكان أيضا مسرحا للصراع الذي بدا ببداية الدين المسيحي والمدينة التي استشهد فيها القديسان بطرس وبول وياتي اليها الحجاج المسيحيون .

بيت لحم : وهي من اقدم مدن فلسطين وبها ولد السيد المسيح بينما يقول اليهود انها كانت مقاما للنبي داود .

* الناصرة : وهي من ضمن الاراضي التيتحتلها اسرائيل وقد كانت مقاما للسيد المسيح .

وهناك اماكن مقدسة بالنسبة للاديان الأخرى اهمها :

* مدينة بنارس في الهند بالنسبة للهندوس فهي تقع على نهر الجانج المقدس ويقوم الالوف من الحجاج الهندوس بزيارة بنارس للاستحمام في نهر الجانج ليطهروا انفسهم من الذنوب .

* بودجايا Budh Gaya وهي قرية صغيرة في الشمال الشرقي بالهند وبها تقع الشجرة التي تحتها تلقى بوذا نور المعرفة ويحج اليها البوذيون من كل مكان .

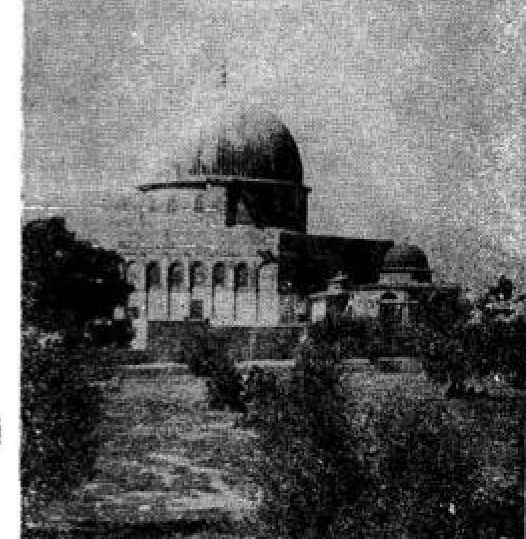
* لهاسا Lhasa هي عاصمة التبت ومركز اللامات .

* تاي شان Tai Shan وهو جبل في شرق الصين ويعتبر من اقدس الاماكن بالنسبة للديانة التاوية .

* آيس ستي Ise City باليابان وهي من اقدم مراكز ديانة الشنتو .

(م. ط)

قبة الصخرة في القدس



الاحساس بالمصائب قبل وقوعها

● قرات في احدى الصحف الامريكية اخيرا ان السبب الرئيسي الذى حدا بالرئيس جونسون الى اتخاذ قراره بعدم اعادة ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة ، هو احساسه بالهزيمة قبل وقوعها . فقد قيل انه كان يجلس يوما في مكتبه بالبيت الأبيض في ساعة متأخرة من الليل ، وعندها سمع صوتا يقول له : « لن ينسى لك الامريكيون ماصنعته بأبنائهم في فيتنام . فلا تستمع لنصائح المنافقين ، واعلن انسحابك الآن » وفي صباح اليوم التالى اعلن جونسون أنه لن يدخل معركة الرئاسة . فما مدى صحة هذه القصة ؟ وهل صحيح ان الانسان يرى الأحداث أحيانا قبل وقوعها ؟

راشد محمد / القاهرة

ـ يقول علماء النفس ان الانسان يحس احيانا بالاحداث ، ويراها قبل وقوعها بفعل العقل الباطن الذى يقوم بدور كبير في التنبؤ بنتائج أكثر منطقية من نبوآت العقل الواعى .

ومن المحتمل جدا أن يكون الرئيس الامريكى جونسون صادقا في روايته كما نقلتها الصحيفة ، فقد هيأ له تفكيره انه قد سمع صوتا يدعوه الى العدول عن ترشيح نفسه، والواقع أن هذا الصوت لم يكن سوى صوت ضميره الذى لم يكف عن تأنيبه بسبب الأرواح العديدة التى ضاعت في هذه الحرب الخاسرة .

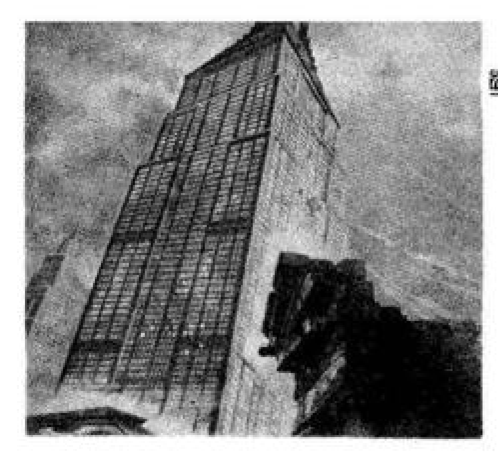
ولو قرات مذكرات تشرشل ، « الحرب العالمية الثانية » The Second World War لوجدت قصة مشابهة لتلك التى وقعت لجونسون، ولكن مع فارق واحد وهو أن تشرشل قاد بلاده الى النصر في الحرب العالمية الثانية . اما الرئيس جونسون ، فانما يسعى الى جر امريكا الى موقف ينذر بالهزيمة على أيدى ثوار فيتنام .

فقد روى تشرشل في الجزء الاخير من مذكراته انه في يوم ٢٥ يوليو عام ١٩٤٥ ، استقل الطائرة عائدا الى بريطانيا ، بعد حضور مؤتمر بوتسدام، وما كاد يصل الى بيته حتى ذهب الى فراشه لينام ، وهو مقتنع تماما بما قاله له القائمون بالحملة الانتخابية لحزب المحافظين في الانتخابات العامة آنذاك . فقد أكدوا له أن الشعب البريطانى يريده أن يستمر في الحكم .

ونام تشرشل .. ولكنه ما لبث أن صحا من نومه مذعورا قبل طلوع الفجر بقليل ، وهو يشعر بألم حاد في ظهره وكان احدهم قد وجه اليه طعنة نافذة .. ولم يتمالك رئيس الوزراء نفسه من التفكير في هذا الحلم المزعج الذى سيطر عليه تماما . وقال لنفسه .. لا بد أن شيئا سيحدث..ولكن ما هو؟ واخيرا اقتنع بانها الهزيمة..الهزيمة في الانتخابات وراح ينتظر نتيجة الانتخابات . .ومع ساعات الصباح الاولى ، بدأ حلم تشرشل يتحقق .. وعند الظهر كانت بريطانيا كلها قد عرفت أن حزب العمال البريطانى ، وليس المحافظين ، هو الذى سيحدد مستقبل البلاد بعد الحرب .

اما تشرشل ، فقد كان هناك شيء واحد يسيطر على تفكيره بعد النصر . فقد كان يخشى أن يكون الشعب البريطانى قد تعلم من الخطأ الذى وقع فيه بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما أعاد الانجليز انتخاب زعيم الحرب الاولى لويد جورج Lloyd George ، بعد ان قدم لهم وعودا ملأت صدورهم بالأمل .. ومضت السنوات ولم يتحقق وعد واحد من وعوده الكثيرة .

(م. ن)



ناطحات السحاب

● يقولون ان مبنى « الامبايرستيت » هو أعلى مبنى في العالم .. فهل هذا حقيقي ؟ ومتى تم بناء هذا المبنى وهل هو أول ناطحة سحاب .. ؟؟

طلال جميل عنبتاوى
الكويت

ـ يبلغ ارتفاع مبنى الامبايرستيت في مدينة نيويورك ١٢٥٠ قدما وتتكون من ١٠٢ من الطوابق.. وهي اعلى مبنى في العالم كما سمعت .. وقد تم انشاؤه في عام ١٩٣٠ ووضع تصميماتها واشرف على تنفيذ مبانيها ثلاثة من المهندسين الامريكيين هم شريف Shreve ولامب Lamb وهارمون Harmon . والامبايرستيت ليست اول ناطحة سحاب تم بناؤها ، ففي منتصف القرن التاسع عشر لم يكن هناك مبانى اعلى من ٤ او ٥ طوابق على الاكثر لأن السكان او المترددين على المبنى كانوا يرفضون الصعود الى الادوار العليا لما في ذلك من مشقة عليهم ، وفي نفس الوقت كانت اسعار اراضي البناء في المواقع التجارية قد بدات في الارتفاع في حين أن المؤسسات التجارية والاقتصادية زاد عددها وضخامتها ولم يكن الحل امام كل هذه المشاكل الا الارتفاع الافقي ..وعندما اخترع اليشا جريفس اوتيس Elisha G. Otis المصعد الكهربائي في عام ١٨٥٠ كان هذا بداية الانطلاق نحو بناء ناطحات السحاب او بمعنى أدق المباني العالية الارتفاع .

ولعل أول مبنى يبلغ ارتفاعه ضعف الارتفاع المعروف في ذلك الحين هو المبنى الذى اقيم في نيويورك في عام ١٨٧٠ لتحتله مكاتب شركة اكويتابل للتامين Equitable Life Assurance وكان ارتفاع هذا المبنى ١٣٠ قدما . وفي عام ١٨٧٣ ارتفع مبنى شركة الوسترن يونيون الى ٢٣٠ قدما .. وفي نفس العام بلغ ارتفاع مبنى جريدة النيويورك تريبون ٢٦٠ قدما .. وكلا المبنيين في مدينة نيويورك . وانتشرت المباني العالية في مختلف بلاد الولايات المتحدة الامريكية وان كانت لا تزيد في ارتفاعها عن ١٤ طابقا .

وفي عام ١٩٢٩ بدأ عهد ناطحات السحاب فانشيء مبنى كريزلر في نيويورك وبلغ ارتفاعه ١٠٤٦ قدما وتكون من ٧٧ طابقا . اما الامبايرستيت فقد بنيت بعد مبنى كريزلر بعام واحد . وما تزال حتى الآن اعلى مبنى في العالم .

وانتشرت ناطحات السحاب التى تصل الى ١٠٠ طابق في المدن الكبرى بالولايات المتحدة الامريكية .. وقد بدات هذه الناطحات تغزو بعض مدن أوروبا ومنها مدينة لندن .

ولا ننسى أن نذكر أن الذى مهد لهذا الارتفاع الشاهق التطور الهندسي الذى امكن به صناعة هيكل هذه المبانى كلها من الحديد الصلب . فهذه الناطحات تبنى في الواقع من حديد صلب اولا .. ثم تملأ حيطانها بالطوب او الزجاج . ■■

(م. ط)

لم تكد المركبة تقطع ميلا أو ميلين حتى مرت فتاة جميلة تخطو بخفة تنبىء حتما بأن قلبها الصغير يرقص داخل صدرها . ربما كانت هذه الحركة المرحة (هل هناك اية غضاضة في أن نقول ؟) هي التي جعلت عقدة رباط الجورب تنفك . واذ أحست بأن الرباط الحريرى (هذا اذا كان حريريا حقا) قد تراخى اتجهت جانبا، تلوذ بأشجار الاسفندان وهناك الفت شابا ينام على ضفة النبع !





قصة
للكاتب الامريكي
نافانييل هوثورن

أطياف

● لا تعدو معرفتنا ان تكون جزئية .. حتى بالنسبة للاحداث التي تؤثر فعلا على مجرى حياتنا ، وعلى مصيرنا النهائي . بيد ان هناك عددا لا يحصى من احداث اخرى (اذا صح ان تسمى احداثا) تكاد تحل بنا ، لكنها تمضي بعيدا، دون آثار فعلية ، بل دون ان تنبيء باقترابها جاعلة ضوءا او ظلا يعبر مخيلتنا . ولو قدر لنا ان نعرف جل تقلبات مصائرنا لامتلات الحياة بالامل والخوف ، بالنشوة او خيبة الامل ، فحرمتنا من ساعة واحدة نقضيها في طمأنينة حقة . وقد نستطيع ان نصور هذه الفكرة اذا نحن رجعنا الى صفحة من التاريخ السري لديفيد سوان ..

هانحن نراه فتى في العشرين من عمره ، سائرا في الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين موطن راسه ومدينة بوسطن ، حيث يتجر عمه بالبقالة على نطاق صغير ، وحيث يزمع استخدام ديفيد سوان وايقافه وراء طاولة البيع . يكفي ان نقول هنا ان ديفيد سوان من مواليد نيوهامبشاير ، وانه من ابوين طيبين ، وانه تلقى تعليما عاديا ، اضيفت له لمسة كلاسيكية حين قضى عاما في اكاديمية جلمانتون ...

وكان الوقت صيفا . وكان ديفيد قد سار على قدميه منذ شروق الشمس حتى الظهيرة ، تقريبا ، حتى احس بالتعب وبتزايد لفح الحر ، فقرر ان يهجع الى اول ظل يقابله ، في انتظار ظهور مركبة تجرها الجياد ، لتقله الى حيث يريد .. وسرعان

ما وقعت عيناه على مجموعة صغيرة من الاشجار يتوسطها مكان جميل للاستراحة ، وكان هـــذه الاشجار زرعت خصيصا لاستقباله .. وبجانب هذا كله نبع تتدفق منه المياه ، وكانه لم يكشف عن تالقه لأى عابر سبيل غير ديفيد سوان .

لم يهم ديفيد ما اذا كان النبع نقيا او ملوثا ، فقد قبله بشفتيه العطشاوين ، ثم تمدد على حافته ، وصنع لراسه مخدة ، من بعض القمصان وبنطلون يجمعها في ربطة منديل من القطن المخطط. عجزت اشعة الشمس الملتهبة عن الوصول اليه . اما غبار الطريق فلم يرتفع بعد ـ بسبب مطر الامس الغزير . وكان عرين الشاب ، المؤلف من العشب، اجمل عنده من فراش من ريش الطيور الصغيرة . ومن خلفه اخذ النبع يتمتم ناعسا ، وفروع الاشجار تتمايل ناعسة ومن فوقها سماء زرقاء . وحل بديفيد سوان نوم عميق ، نوم ربما يخفى في اغواره الاحلام .

غير ان مهمتنا تتلخص في ان نحكى احداثا لم يرها ديفيد سوان في احلامه .

فبينما راح هو في نوم عميق ظليل ، كان الاخرون جد مستيقظين ، يروحون ويجيئون ، سيرا على الاقدام ، أو فوق صهوة جواد ، او في مركبات مختلفة الاشكال والالوان ، سائرين في الطريق المشمس المار بمخدع ديفيد سوان . بعض المارين لم يلتفت ذات اليمين أو ذات اليسار ، ولم يعلم بوجوده بالمرة ، والبعض اكتفى بالقاء نظرة عابرة عليه ، دون أن يسمحوا لهذا النائم بان يحتل مكانا بين الافكار التى تشغلهم . وضحك البعض الاخر وهو يرى كيف راح هذا النائم في سبات عميق . وطفحت قلوب نفر آخر بالسخرية ... فبصقوا على ديفيد سوان . ومرت ارملة في منتصف العمر ، ولما لم تر احدا في الطريق مدت راسها قليلا حيث يهجع النائم في تجويف الشجر . واقسمت ان هذا الشاب يبدو ساحرا في نومته . كذلك رآه واعظ يحث على الامتناع عن المسكرات ، فما كان منه الا ان زج بديفيد المسكين في الموعظة التى سيلقيها في المساء ، كمثل صارخ على السكر البين على قارعة الطريق . غير ان الانتقاد والمديح والمرح والسخرية وعدم المبالاة .... كل هذا كان شيئا واحدا بالنسبة لديفيد سوان النائم . او بعبارة ادق : لم يكن شيئا على الاطلاق .

لم تمض على نومه سوى لحظات قلائل واذا بمركبة بنية ، يجرها جوادان أصيلان ، تمرق في الطريق ثم تتوقف فجأة امام استراحة ديفيد تقريبـا .

لقد سقط مسمار المحور فانفلتت احدى العجلات . كان التلف بسيطا ، لم يسبب سوى انزعاج مؤقت لتاجر كبير السن قليلا ، وزوجته ، وكانا عائدين في المركبة متجهين الى بوسطن . وبينما انصرف السائق واحد الخدم الى اعادة العجلة الى مكانها لجات السيدة والسيد الى ظل اشجار الاسفندان . وهناك لمحا النبع الذى يخرج منه الماء ، وديفيد سوان يرقد بجانبه . واهتزا للجلال الذى يشع من حول أهون النائمين شانا ، فكان ان سار التاجر باقصى ما يستطيع من خفة ، اما زوجه فحرصت على الا تحدث جونلتها الحريرية حفيفا ، حتى لا يصحو ديفيد بغتة .

وهمس السيد العجوز « بالعمق نومه ! من اية اعماق يتنفس بهذه الطمأنينة ! ان نومة كهذه النومة، تحل بصاحبها دون حاجة الى مخدر ، لاثمن عندى من نصف دخلى ، فمعناها أن صاحبها معافى البدن لاتشغل رأسه أكدار » .

قالت السيدة « ومعناها ايضـا انـه يتمتع بالشباب . فالأصحاء اذا كانوا مسنين لا ينامون كهذا . نحن لا نشبهه في صحونا او نومنا » .

وكلما أطال الزوجان العجوزان النظر ازداد اهتمامهما بهذا الشاب المجهول الذى تحول جانب الطريق وظل الاسفندان الى حجرة خفية تؤويه ، بينما أستار الدمقس بظلها الثرى تحنو عليه . ولمحت السيدة كيف انفلت شعاع شمس فسقط على وجهه ، فما كان منها الا ان ازاحت احد فروع الشجر جانبا ، فحجب الشعاع عن الوجه واذ انتهت من هذا المظهر البسيط من مظاهر العطف بدات تحس وكانها ام له .

وهمست لزوجها « يبدو وكان العناية الالهية قد ارقدته هنا ، وقادتنا الى هذا المكان كى نجده، بعد خيبة املنا في حفيد عمنا . يخيل الي انه يشبه ابننا الراحل هنرى . لماذا لا نوقظه ؟ » .

تساءل التاجر بعد تردد « ولماذا ، ونحن لا نعلم شيئا عن شخصية هذا الشاب ؟ » .

ردت الزوجة بنفس الصوت المهموس ، وان تكلمت بحماسة « الا ترى هذه الملامح المنبسطة ! وهذه النومة البريئة ! » .

في الوقت الذى تردد فيه هذا الهمس لم ينبض قلب النائم ، ولا تلاحقت انفاسه ، ولا انبات ملامحه بادنى بادرة اهتمام . لم يحدث شيء من هذا رغم ان الحظ كان منحنيا فوقه ، على استعداد لاغراقه بالذهب .

لقد فقد التاجر العجوز ابنه الوحيد ، ولم يكن من وريث لثروته سوى قريب من بعيد ، قريب لا يرضىهذا التاجر عن سلوكه . وفي حالاتكهذه يقدم الناس احيانا على خطوات لا ياتى بها ساحر ، كان يوقظوا شابا تتفتح عيناه على الابهة والثراء وهو الذى نام فقيرا .

مرة اخرى تساءلت السيدة تحاول ان تغرى السيد « لماذا لا نوقظه ؟ » .

من خلفهما جاء صوت الخادم « العربة جاهزة يا سيدى » .

بوقت الزوجان العجوزان،علت وجهيهما حمرة، واسرعا مبتعدين وهما يتعجبان : كيف خطر ببالهما هذا المشروع المضحك جدا ! واسترخى التاجر في المركبة وشغل راسه بمشروع مصحة رائعة لرجال الاعمال التعساء . واثناء ذلك كان ديفيد سوان ينعم بغفوته .

لم تكد المركبة تقطع ميلا او ميلين حتى مرت فتاة جميلة ، تخطو بخفة تنبيء حتما بان قلبها الصغير يرقص داخل صدرها . ربما كانت هذه الحركة المرحة (هل هناك اية غضاضة في ان نقول ؟) هى التى جعلت عقدة رباط الجورب تنفك . واذ احست بان الرباط الحريرى (هذا اذا كان حريريا حقا) قد تراخى اتجهت جانبا ، تلوذ باشجار الاسفندان . وهناك الفت شابا ينام على ضفة النبع ! وعلتها حمرة ـ كأى وردة ـ اذ وجدت انها اقتحمت مخدع رجل ، واقتحمته للسبب السالف الذكر ، فما كان منها الا ان همت بالهرب على اطراف اصابعها . لكن ، ثمة خطر يحدق بالنائم . ثمة نحلة متوحشة تهيم على وجهها فوق راسه ـ زززز ، زززز ، زززز ـ تطير بين اوراق الشجر ، ثم اذا بها تبرق وسط اشعة الشمس الساطعة ، ثم اذا بها تغيب في الظل الداكن . الى ان بدا انها ستستقر في النهاية على جفن ديفيد سوان . وان للنحلة لدغة مميتة احيانا . كانت الفتاة عطوفة وبريئة ، وهكذا هاجمت النحلة الدخيلة بمنديلها ، وخبطتها بعنف ، وازاحتها بعيدا عن الشجر الظليل . ما احلاها من صورة ! واذ انجزت هذا العمل الرائع تلاحقت انفاسها وازداد وجهها تفرجا وهى تسرق نظرة الى الغريب الشاب الذى حاربت من اجله تنينا يطير في الهواء .

وحدثت نفسها « يالجماله ! » وازداد وجهها تفرجا .

لماذا،اذن ، لم يتفجر بداخله حلم ملؤه النعمة، حلم يبلغ تفجره انه ينشق نصفين ، فيسمح له بان يلمح الفتاة وسط اطيافه ؟ لماذا (على الاقل) لم يشرق وجهه بابتسامة مرحبة ؟ لقد اقبلت العذراء التى تقول الفكرة القديمة الجميلة ان روحها انفصلت عن روحه ، العذراء التى يحن هو الى لقائها وسط تشوقاته الغامضة العارمة في نفس الوقت . هى وحدها التى يستطيع ان يحبها الحب كله . هو وحده الذى تستطيع ان تحتويه في اعمق اعماق قلبها . والان ، ها هى ذى صورتها تتضرج بدماء شاحبة ، في مياه النافورة ، بجانبه. وحين تنصرف مبتعدة فان نورها الرائع لن يفيء حياته من بعد ابدا .

وتمتمت الفتاة « يا لسباته العميق ! » .

ورحلت ، لكنها لم تعد تخطو في الطريق بنفس الخفة التى اقبلت بها .

ولقد كان والد هذه الفتاة تاجرا ريفيا ازدهرت اعماله في الناحية المجاورة ، وتصادف ، في ذلك الوقت بالذات ، ان كان يبحث عن شاب في مثل صفات ديفيد سوان تماما . ولو قد تعرف ديفيد على هذه الفتاة وسط الطريق ، لاصبح سكرتير الاب ، ثم تتابعت الاحداث على نسقها الطبيعى . ها هو ذا الحظ ـ اروع الحظوظ جميعا ـ يتسلل ويقترب جدا لدرجة ان رداءها احتك بديفيد . غير ان ديفيد لم يعلم عن الامر شيئا .

لم تكد الفتاةتغيبعن الانظار حتىانحرف رجلان جانبا وتسللا تحت ظل الاسفندان . كان للاثنين وجهان داكنان ، يضاعف من تاثيرهما « بيريه » من القماش يميل فوق الحاجبين . وكانا يلبسان ثيابا رثة لكن بها شيئا من اناقة . كانا شريرين يعيشان على المهام التى يكلفهما بها الشيطان . والان وخلال فترة الاستراحة التى تسبق مهمتهما القادمة ، قامرا بالارباح المشتركة التى ستدرها الجريمة المقبلة ، قامرا بها في لعبة ورق ستتحدد نتيجتها هنا تحت هذه الاشجار . لكن ، ما ان عثرا على ديفيد نائما عند ضفة النبع حتى همس احد الشريرين في اذن رفيقه :

«اسـ ســ ســ ت. .أترى هذه الربطةتحت رأسه ؟»

اوما الشرير الاخر ، وغمز بعينه ، وتطلع بشراهة .

قال الاول « اراهنك على كأس براندى » بأن هذا الاخ يحمل محفظة او يخبىء كمية صغيرة من الفكة وسط قمصانه . فاذا لم تكن هنا فستجدها في جيب بنطلونه » .

تساءل الآخر « فاذا استيقظ ؟ » .

فتح رفيقه الصديرى واشار الى مقبض خنجر واوما .

تمتم الشرير الثانى « فليكن هذا ! » .

واقتربا من ديفيد الغائب عن الوعى ، واذ وجه احدهما خنجره تجاه قلبه ، بدأ الآخر يفتش في الربطة التى يتوسدها رأسه . انحنيا فوق ضحيتهما ، بوجهيهما العابسين المتغضنين ، المرهبين ، بفعل الاثم والخوف . بدوا مرعبين جدا لدرجة انه لو استيقظ فجأة لظنهما شيطانين . بل لو القى الشريران بنظرة خاطفة الى النبع لما عرفا وجهيهما المنعكسين على صفحة الماء . اما ديفيد سوان فلم يسبق ابدا ـ حتى وهو ينام على صدر امه ـ ان بدا اكثر اطمئنانا مما هو الآن .

همس احدهما « لا بد ان ازيح الربطة من تحت رأسه » .

تمتم الآخر « اذا تحرك فساطعن » .

لكن ، حدث في تلك اللحظة ان اخذ كلب يتشمم الارض ، ثم يقف تحت اشجار الاسفندان ، ثم ينقل نظره بين الرجلين الشريرين ، ثم على النائم الهادىء . وفي النهاية اخذ يلعق من ماء النبع .قال احد الشريرين « آف ! لانستطيع الآن أن نفعل شيئا . فلا بد أن صاحب الكلب على بعد خطوات منه » .

قال الآخر « لنشرب شيئا ونبتعد » .

اعاد صاحب الخنجر سلاحه الى صدره ، ثم اخرج مسدسا صغيرا ، لكنه لم يكن من النوع الذى يقتل بطلقة واحدة . لقد كان قارورة خمر ، بغطاء من الصفيح . تناول كل منهما جرعة سخية ، ثم ابتعدا عن المنطقة . وما اكثر ما رددا من كلمات السخرية والاستهزاء ، وما اكثر ما ضحكا لفعلتهما التى لم تتم فصولا ، لدرجة انه يمكن القول بانهما سارا في طريقهما ملؤهما الجذل . ولم تمض ساعات قلائل الا وقد نسيا الامر كله . وما خطر ببالهما قط أن الملاك المكلف برصد اعمالهما قد ادان روحيهما وسجل عليهما بالفعل جريمة قتل ، بحروف تدوم دوام الابدية . اما ديفيد سوان فكان لايزال ينام مطمئنا . لايشعر بظل الموت حين ران فوقه ظل الموت ولايشعر ايضا بوهج الحياة التى كتبت له من جديد حين انحسر ظل الموت .

نام ، لكن ليس بالهدوء الذى نام به في البداية. فراحة ساعة قد ازاحت عن هيكله المرن التعب الذى خلفته ساعات من العمل الشاق . وها هو ذا يتحرك . وها هو ذا يحرك شفتيه بلا صوت . ثم ها هو ذا يخاطب ـ بصوت داخلى ـ اطياف الظهيرة التى طافت بأحلامه . لكن ضجيج عجلات يقرقع فوق الطريق ويعلو صوتها ويعلو . الى ان اندفع الضجيج واخترق ضباب نعاسه ، ذلك الضباب الذى اخذ ينقشع . وها هى ذى عربة تقل المسافرين على الطريق . وبسرعة نهض والافكار تزاحم رأسه .

وصاح « هالو ياسائق ! ـ عندك مكان لمسافر ؟ » .

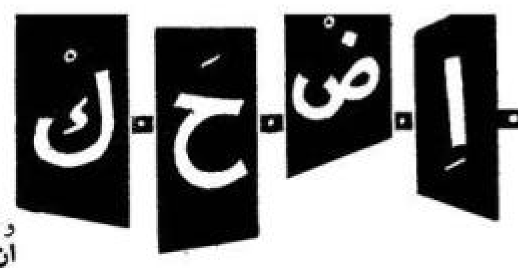
اجاب السائق « فوق السطح ! » .

والى سطح العربة صعد ديفيد ، واتجه الى بوسطن بسرعة وقد امتلأ فرحا ، واكتفى بنظرة عابرة الى النافورة الحالمة . ولم يدر بخلده ان طيفا من اطياف الثراء قد القى بشعاع ذهبى على مياهها ، ولا ان طيف حب قد تنهد بعذوبة منصتا الى تمتمة مياه النبع ، ولا ان طيف موت قد هدد بتخضيب المياه بالدم القانى ، وان هذا كله حدث في الساعة العابرة التى نامها .

وسواء كنا نائمين ام مستيقظين فانا لا نسمع وقع تلك الاقدام الخفيفة خفة الهواء ، اقدام الاشياء الغريبة التى تكاد تحدث لنا ثم لاتحدث .

اليس مما يثبت وجود العناية الآلهية ان حياة البشر لاتزال تسير على نظام رتيب رغم ان الاحداث المجهولة غير المتوقعة ، تقتحم طريقنا دوما ؟ ■■

القاهرة ـ ترجمة: محمد عبد الله الشفقى



تضحك الدنيا معك
ابك تبك وحدك

أينشتين أمي !

● حدث مرة ان ذهب العلامة اينشتين الى احد المطاعم ، وكان قد نسي في البيت نظارته ، التي لم يكن يستطيع القراءة بدونها . وعندما حضر الجرسون بقائمة الطعام ، همس العلامة في اذنه قائلا : « **ارجو ان تقرأ لي القائمة** » .

فابتسم الجرسون وكان لايعرفه وقال : « **آسف يا سيدي .. فأنا امي مثلك تماما !** »

سر النجاح !

● دخل السكرتير على مدير الشركة ، وقال له : « **هناك شخص يقول انه يريد ان يسألك عن سر نجاحك في الحياة ، فهل تسمح باستقباله** » ؟

ففكر المدير برهة ، ثم قال : « **اسأله اولا ، اهو صحفي ام من رجال البوليس !** »

اجازة من المدرسة

● سأل الاب طفله الصغير : **هل اخبرت الناظر ان ماما قد وضعت توأمين ؟**

فقال الطفل :

– كلا .. لقد اخبرته انها وضعت طفلا واحدا فقط ،لكي أستطيع الحصول على عطلة اخرى في الاسبوع القادم ، عندما اخبره بنبأ الطفل الثاني !! ■■



العدد ١١٧
جمادى الاول ١٣٨٨
أغسطس
(آب) ١٩٦٨

نسمات صيف بين مزارع الكروم ..

جوائز

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس			السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا



في الاعياد الدينية .. وخاصه في احتفالات المولد النبوى ..
تحمل الاندونيسيات فوق رؤوسهن اكوام الارز المحلاة بالزهور والفواكه .
ويذهبن بها الي شيخ البلد الذى يقوم بتوزيعها على الفقراء ..



عزيزي القارئ

● نعتذر عن أن كثيرا من الكتب التى تأتينا منك ، وتحتاج منا الى جواب ، نتأخر في الرد عليها . وذلك لكثرتها . وقد تضخم بريد « العربى » حتى زاد على الطاقة التى لدينا .

والكتب التى تأتينا لا تأتي من البلاد العربية فحسب، فقد حصرناها فوجدنا أن البلاد غير العربية التى تأتينا منها مكاتيب تبلغ نحوا من ٢٦ دولة هي :

باكستان ـ غانا ـ ليبيريا ـ النمسا ـ كندا ـ المانيا ـ الهند ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ الولايات المتحدة ـ ايران ـ اسبانيا ـ انجلترا ـ نيجيريا ـ المانيا الشرقية ـ سويسرا ـ الحبشة ـ روسيا ـ هولندا ـ بولندا ـ بلجيكا ـ يوغوسلافيا ـ اليابان ـ تركيا ـ تانزانيا ـ سيراليون .

وقد سر «العربي» لذلك . وسره كذلك ان الكثير من جامعات العالم تقتنى « العربي » . ومعنى هـذا ان « العربى » خرج عن النطاق الأول الذى رسم له .

ومع هذا فقد اعتزمنا على أن نجيب عن كل ما يصل الينا مما هو خطير ونافع .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات .. وآداب :

اسلاميات :

عروبة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

تربية .. وعلم نفس :

شعر :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 117 - August 1968 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● الى ربوع الطبيعة الرحبة خرجت تنعم بنسمات الصيف بعيداً عن حر المدينة الخانق .. وبين مزارع الكروم المنتشرة في سهل البقاع بلبنان ، وبين عناقيد العنب وقفت تبتسم للنسيم العليل وهو يداعب وجهها الذى لفحته شمس الصيف الحارة .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



القومية ليس معناها اخفاء الحقيقة

● وردت خريطة للمغرب الاقصى في صفحة ٧٩من العدد ١١٥ في الاستطلاع حول مدينة مكناس ، اشرتم فيها الى ما وصفتموه « بالصحراءالاسبانية » . وكان هذه التسمية لم تكفكم فاضفتم اليها عبارة (ريو دى اورو) .

وانا اقول لكم انكم تعلمون أن هذا الجزء قطعةلا تتجزا من المغرب العربي ، لا بل من العالم العربي الكبير . فكيف تقتطعونه وتنسبونه الىالدولة المستعمرة اسبانيا .. ؟

حقا انه ما يزال خاضعا للسيطرة الاسبانية ،ولكن المغرب يعمل سلميا لاستعادة هذا الجزء من ترابه . لذا ارجو ان تنتبهوا لمثل هذه الاخطاء .

ع . الادريسي – بيروت

العربي : ان المقصود من الخريطة التيذكرتموها هو تذكير العالم العربي بان هناك قطعة منارض المغرب ما تزال واقعة تحت نير الاستعمار.وليس معنى نشر كلمة الصحراء الاسبانية اننا نعترف باستعمار اسبانيا لهذه الارض العربية .. والقومية ليس معناها اخفاء الحقيقة .. ولكن معرفة الحقيقة هي الاساس الاولللقومية والوطنية حتى يستطيع العرب ان يعرفوا حقيقة ما يحدث على ارضهم . ويكثفوا اعمالهم في سبيل تحرير كل شبر من ارض العرب على ضوء هذه الحقيقة مهما بلغت من السوء ... ان اخفاء رأسنا فيالرمال كالنعام لن يفيدنا في شيء ... ولن يحرر ارضنا. ولذلك يجب ان نواجه الحقائقبالعمل لا بالعواطف والحماس فقط !

ويضيف العربي أن جميع كتب الجغرافيا والاطالس العربية تسمى هذه الصحراء بالصحراء الاسبانية . ولا يعنى هذا أن العرب يعترفون باستعمار اسبانيا لهذه الارض العربية مهما سميت .

والعربي يشارك القارىء في امله بتخليص كل قطعة ارض عربية من الاستعمار او الاحتلال الاجنبي .

جمعية للشباب العربي

● لفت نظرى ما كتبتموه عن الشارقة في استطلاع العربي « اعرف وطنك » عن طموح اهلها وحاكمها بالانفتاح على العالم وحضارته الجديدة ، ولكن عدم وجود المال اللازم للمشروعات الحضارية يعوق ذلك . واني اود ان اقدم اليكم هذا الاقتراح الذى يتلخص في انشاء جمعية للشباب العربي من جميع اقطار الوطن العربي . ويكون عمل شباب هذه الجمعيه هو الخدمه المجانية فيالاقطار المختلفة من بلدنا العربي ، والعمل فى بناء المدارس وتعبيد الطرق وارشاد المواطنين صحيا وثقافيا ودينيا .. ومثل هذا المشروع يتم تمويله عن طريق انشاء صندوق تشترك فيه الدول العربية الغنية وتحت رعاية جامعة الدول العربية . وهو يعود على العالم العربي بفائدة كبرى .

وليد عيسى خربه – الكويت

العربي واللغة العربية

● ليس لي من حديث اقوله في مجلتكم سوى انني اطلب لكم الجزاء عليها من الله ، حيث ربيتم وتربون عليها اجيالا عربية عارفة طريقها الى النور ومتلمسة سبيلها اليه . وانطقتم بها وتنطقون السنا خرسا كادت تقضي عليها عوامل النطق الاخرس ، لولا ما تبذلون في سبيل اللغة من طاقات جديدة .. فاسمحوا لي ان اتقدم اليكم بالشكر على ما تبذلونه في مجلتكم الغراء في سبيل رفعة اللغة العربية والحفاظ على تراثها ..

محمد سليم الدسوقي ـ بورسعيد/ج.ع.م

الاحشــاء

● قرات ما نشرته العربي في عدد يونيو عن « الاحشاء » والمعلومات العلمية المبسطة التي يستطيع كل قارىء عن طريقها وعن طريق الصورة الملونة التي تصحب المقال ، ان يعرف اعضاء جسمه المختلفة ، فهو كما قال عنوان الصورة اقرب الاشياء الى الانسان . وانا ارجو أن تستمر العربي في نشر موضوعات عن بقية اعضاء الجسم واجهزته المختلفة .

محمد عبد الرحمن /الكويت

غلطه مطبعية

● في الاستطلاع الذى قامت به « العربي » من الشارقه .. وعند التعرض لتاريخ الشارقة رايت هذه الغلطة : وهي ان كتاب صفة جزيرة العرب « للنبهاني » ، والصحيح انه للهمداني وليس النبهاني . لهذا اردت ان الفت نظركم لهذا الخطا .

عبد العزيز العائض

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

العربي : هذه الغلطة جاءت نتيجة خطأ مطبعي . ونشكر القارىء على ملاحظته .

من باكستان

● لقد كانت قراءة مجلة « العربي » عادة تمكنت مني عندما كنت في بلدي العراق ، وها انذا الان بعيد عن ارض العرب واصبح حصولي على مجلتي العزيزه امرا مرهونا بكرم اصدقاء لي يتفضلون بارسالها شهرا وينقطعون عن ارسالها شهرا آخر .. ان الشهر الذى القى فيه مجلتكم اشعر بانني قد اصبحت قريبا من ارض العروبه.. وارض الوطن .. وياليت اصدقائي يعرفون هذا فيوافونني باعداد العربي بانتظام .

دريد عبد القادر آل ذكر

رسالبور ـ باكستان

استطلاعات عن آثار العرب في سواحل افريقيا الشرقية

● لماذا لا تقوم مجلة « العربي » باستطلاعاتمصوره عن آثار العرب في سواحل افريقيا الشرقية كما قامت بعمل استطلاعات عن الآثار الاسلاميةفي الاندلس وآثار الرسول في استنبول ؟ !

ان في هذه السواحل وفي جزيرة زنجبار مبانيأثرية قديمة بناها العرب منذ عام ٧٠٠م ، كما توجد ايضا بها آثار سلاطنة آل بو سعيد الذينجاءوا الى افريقيا من عمان بالخليج العربي . ومن اهم هذه الآثار القصر الذى بناه السلطانبرغش بن سعيد في عام ١٨٧٦ واسماه بيت العجائب .وهو قصر حافل بالآثار العربيةالجميله.اما مدينة دار السلام فقد انشاها السلطان ماجد بن سعيد في عام ١٨٦٠ وما تزال بها بعض المبانيالعربية الاثرية . وفي مدينة ممباسا التى تعتبر الان من اكبر موانيء شرق افريقيا توجد « قلعةعيسى » وهي تلك القلعة التي شاهدت انتصار العرب على البرتغاليين في عام ١٦٩٨ م . ويوجدبهذه القلعة آثار عربية قديمة متنوعة .

وما ذكرت من هذه الآثار الا القليل من كثير ..وكل املي في ان تقوم « العربي » بتحقيق هذه الرغبة التي تراود صدور الكثيرين من الافريقيينالذين ينحدرون من اصل عربي .

علي سعيد بلقاسم با جابر / المكلا



بقلم رئيس التحرير

■ الى القارىء الذى اثار معايير الخطأ والصواب فيما يفعل الانسان على هذه الأرض اقول :

ان اعمال الانسان انواع .

فاعمال لا معنى للخطأ والصواب فيها . مثال ذلك : انا احب الدجاج ، وانت تحب اللحم ، فاينا المصيب ، واينا المخطىء ؟ لا احد . الا اذا افتعلنا النقاش افتعالا .

واعمال ، المنطق هو الحكم الاول فيها ، والخطأ فيها خطأ منطق ، لا اكاد الام عليه او تلام .

مثال ذلك : ولد لي او لك ، انهى دراسته الثانوية ، ونريده ان يدخل الجامعة . انت تقول انه اشبه بالهندسة ، وانا اقول انه اشبه بقسم اللغات في كلية الآداب وانجح . وعندك حجتك ، وعندى حجتي ، والمنطق بيننا . ولعل استبانة خطأ هذا المنطق او ذاك لا تكون الا بعد سنين ، بعد الخبرة التي يجدها الولد في دخول هذه الكلية او تلك وما يقدر له فيها من نجاح ومن خيبة . ومع هذا قد ينجح ويظل المنطق المعارض سليما ، فالنجاح انما جاء لأسباب طارئة لم تكن هناك عند النظر .

اعمال تتصل بالسلوك والأخلاق

ونوع آخر من الأعمال ، تلك التى تتصل بمسالك الانسان الخلقية في الحياة ، تلك التي يتحمل فيها صانعها التبعة فيما ينتج عنها من نفع او ضر ، ومن خير او شر .

فهذه الأعمال انما تجرى في المجتمع الذى انا فيه ، والمجتمع الذى انت فيه ، وفق ما ساد في هذا المجتمع من قواعد ، اقرها المجتمع ، فهذه صحيحة ، وهذه خاطئة ، والناسج عليها مصيب ، والناشز مخطىء .

وهذه القواعد انا اسقاها ، وانت تسقاها ، في وقت من العمر باكر ، يكاد

الأخ

إذا عجز العقل عن القول فيها قامت معايير أخرى تدعم قواعد السلوك والأخلاق



قواعد للمجتمع تسقاها
مع السقيا الاولى للبن الام

يبدا مع السقيا الاولى من لبن الام . وفي الصبا يزيدنا المجتمع اقلمة ، ويزيدنا في الشباب والكهولة والشيخوخة ، انسجاما مع المجتمع . مع قواعد في السلوك والأخلاق هو ارساها .

وهي قواعد تتضمن الخير والشر . وابن آدم المسالم يأخذ من خيرها ، ويصبر على شرها ، حتى يأتيه قضاء الله فيرتاح من ورطته .

وهذه المسالك التي سنها المجتمع ، وهي تختلف على سطح الأرض من مجتمع الى مجتمع ، هي في اصولها مما يرضاه الناس غالبا ، وقد يكون الضرر من تطبيقها .

واقول يرضاه الناس . والناس التي تتأقلم بجو تنشأ بالطبع على الرضا به .

معايير يقاس بها السلوك والأخلاق

ولكنك تسألني يا صاحبي عن معايير

الخطأ والصواب في مسالك الناس على هذه الأرض .

ومعنى هذا انك تفتش وراء رضى الناس بالأقلمة ، او قلة رضاهم بها ، عن صحة تلك القواعد والصواب في تلك المسالك التي سنها المجتمع .

وتلك رياضة عقلية لا بأس .

هي في نظرك انها تمجد العقل ، هبة الله الأولى .

ولكنها في نظري قد تحدُّ من هذا المجد العقلي ، وتنزله الى المرتبة التي شاء ربك أن ينزله اليها في كثير من الشئون الغامضة .

ومن الشئون الغامضُ .. ومن الشئون البيِّن .

خذ مثلا هنا النقاش ، الذى وقفت عنده طويلا . انه جرى بين اثنين ، لهما مثل حبك تفتيقَ الأمور بصرف النظر عما يكشف عنه هذا التفتيق مما تضيق به النفس او تتسع وترتاح :

ــ انت يا فلان لا بد ان تعنى برياضة جسمك .

ــ ولماذا ؟

ــ ليصح جسمك .

ــ ولماذا يصح جسمي ؟

ــ لتكون عضوا في المجتمع سليما ؟

ــ ولماذا اكون سليما ويكون المجتمع سليما .

نقاش لا نهاية له .

انه وقف عند المجتمع ، وتساءل لماذا يكون سليما . ولماذا لا يفسد ويهلك ويصبح كأنه ما كان ؟

سؤال لا جواب له الا ان الناس اتفقوا على هذا الهدف ، ان يكون المجتمع سليما .

وهم بالطبع ما اجتمعوا واتفقوا ، وانما نما فيهم بتوارث الثقافة . ان المجتمع السليم خير . وما توقف احد ليسأل : ولمَ يكون المجتمع سليما ؟

انها عشرات الأشياء ومئاتها ، يتقبلها الرجل في الحياة ، وتتقبلها المرأة ، كأنها بداءه . ولا يخطر لأحد ان يجازف فينظر في اصولها العقلية . وهو لو ايقظ العقل ليعمل ، فكثيرا ما يعجز في هذه الشئون عن عمله .



لماذا نحمد الكرم وهو ينقص مالكا ؟

القتل مسلك قبيح ، لا شك في هذا ، ولكن لماذا ؟

ان القتل مسلك قبيح . ولكن لم كان القتل مسلكا قبيحا ؟ وإذا كان مسلكا قبيحا ، فلمَ يمارسه الإنسان في الحروب ، وعلى السلم عند القدرة ؟ ولم تمارسه الحيوانات في البرارى والأدغال ؟

اجب يا عقل ، وبسرعة ، والا كان ابطاؤك دليلا على ان هذا السؤال لم يسبق فيخطر لك على بال .

ويجيب العقل . ويبنى ذلك على حجج . ولكن هذه الحجج ذاتها محتاجة الى حجج تسندها .

ولم لا يسرق الانسان ، والبعض من بني الناس يسرق ، ويعظم السارقين ؟

ولم لا يكذب الانسان ، وكثير من الساسة في شتى بقاع الأرض ، وفي سائر القرون كذبوا ويكذبون ، وكانوا بسبب الكذب من الناجحين .

والكرم محمود . لماذا ، وهو ينقص ماله ؟

والبخل مذموم . لماذا ، وهو يبقى على مالكه ؟

ولم لا يخون الانسان ، ولم ، ولم . .

جبل من صوان ، يرتد اليه العقل ، ليس له وراءه مذهب

ان هذا التساؤل من جانبي قد يشعر بان الأمور فوضى .

ولكن امور الناس ما كانت بهذه الفوضى .

فمنطق الناس ، في كثير من هذه الأشياء ، يرتد آخر الأمر الى اركان في الحياة صلبة .

ان العقل يسأل فيعجز فيتقهقر ، ثم يسأل فيتقهقر . وهو يتقهقر من حقل الى حقل ، حتى يجد آخر الامر أن ظهره التصق بحجر أصم ، وينظر فاذا هو جبل من صوان ، ليس وراءه للعقل مذهب .

بل هي ثلاثة اركان يرتد اليها الانسان يستمد منها معاييره في اختيار اساليب السلوك في هذه الحياة . هي موائل ثلاثة اخيرة له ليس بعدها موئل :

(أ) الدين .

(ب) قانون الطبيعة .

(جـ) الجبلة البشرية .

والانسان في انطلاقه الفكري قد يجمع بينها .

الدين ، موئلا للعقل اخيرا

اما الدين فمن الله . حتى عند المجتمعات البدائية التي لم تكن تتصور الله كما نتصوره نحن ويتصوره اهل الكتاب ، كان مرد الكثير من انماط سلوكها الى ما خفي وراء ظهورهم وابصارهم من هذه الحياة . فطبيعة الانسان العاجزة ، حتى في هذا العصر الذى يزهو فيه الانسان بقدرته ، تدفعه الى طلب المعونة من صاحب كل هذه المظاهر المهيبة والظواهر الدنيوية الرائعة العجيبة ، بحسبانه المصرف الأول لحياة هذه الأرض وموَاتها ، وفيما سفل من هذا الوجود وما علا . تدفعه الى طلب المعونة منه بحسبانه اقدر واعلم واشمل ، وهو منشىء هذا الوجود الغامض الذى بعضه الانسان ، هذا الغامض .

فهذا ركن اول من اركان البشر ، يرتدون اليه في طلب معايير السلوك في الحياة .

وليس عند الناس في هذا السند الأول نقاش .

وعند هذا السند يتعطل العقل . وكيف لا وهو يقف لدى صانع العقل .

حتى الذين لا يؤمنون بالله ، يشعرون بعجز العقل الانساني كلما اقترب من



يتقهقر العقل ويتقهقر مخذولا في التصويب والتخطيء حتى يرتد ظهره آخر الامر مستندا الى جبل من صوان .



الكون في شموله ، وذكروا دوافعه والغايات . وهم يستبدلون بالله صورة اخرى للكون فيها كثير من الصفات التي يدين بها المؤمنون بالله . ولا اقصد بهؤلاء اصحاب العقول الخفيفة الوزن ، من شباب ورجال ، اولئك الذين انكروا لهذا الوجود ولو شيئا يضمه ويشمله . وهم ما عرفوا الوجود ولا درسوا الكون، فهؤلاء اميون ، ولو حملوا عندما يكتبون اقلاما من ذهب .

الطبيعة وقوانينها مرجع للانسان في استنباط قواعد سلوكه

واما قوانين الطبيعة ، وان شئت فقوانين الكون ، فاعنى بها مرجعا ان ينظر الناس في الخلائق ، من جوامد لا حياة فيها ، ومن نبات حيٍّ ، ومن عالم انساني ، ويكتشفون مما يجرى في هذه الدنويات الثلاث ما توحي به الطبيعة من خير ومن شر . وما وحي الطبيعة الا من وحي الله . وبالقياس يهتدون الى اصول الخير والشر في مسالكهم ، فعمل العقل في هذا هو النقل، هو القياس .

مثال ذلك ان الأرض تنمي الشجر ، وتخرج الثمر ، والانسان يعيش على الثمر ، من فاكهة وحب ، وبذلك تكتمل حلقة من حلقات الحياة . والانسان لم يوجد هذا الشجر ، وهو لم يخرج هذا الثمر . وهو لم يوجد حتى نفسه . وليس هو الذى واءم بين ما تنتج الأرض من حب وثمر ، وبين ما في خلقته هو ، وخاصة جهاز هضمه ، من مناسقة لتحويل هذا الطعام الى حياة . وهي طرق من التحويل لم يفهمها الانسان طوال القرون . وهو حتى في هذا القرن الحاضر والذى قبله انما فهمهما شيئا ما ولم يكد .

اذن ففى الطبيعة نسق لا شك فيه .

وهو نسق فوق مقدور فهمه ، فهم



الطبيعة انتجت القمح وابدعت في جسم الانسان الهضم ، وهي تهدف بذلك الى وصل الحياة . اذ مشيئة الطبيعة الحفاظ على الحياة . ومشيئة الطبيعة من مشيئة الله

الانسان . دعْ عنك خلق هذا النسق وابداعه .

والانسان امام عجزه هذا ، وامام تلك القدرة التي تكشفت له في الكون ، لا بد ان يمنح هذا القدرة الحق في أن تهديه ، وعليه ان يسمع منها وان يعي ، وعليه ان يفهم منها ما تقوله في صمت وبغير لغات ، فماذا يفيده في هذا الموقف وامثاله الكلام .

وموقف الانسان هذا من الطبيعة ، وموقف الطبيعة منه ، يوحي له في شئون المعتقدات ، وفي استنباط قواعد السلوك في الحياة ، أشياء شتى .

ومن هذه الأشياء أن حياة الانسان واستمرارها هدف الطبيعة ، والقتل ينقضها ، ينقض الطبيعة، ويلغى هدفها ، فهو حرام .

وعلى هذا النحو يستنبط الباحث في الكون وانماطه وانماط الخلق جميعا ، قواعد السلوك في الحياة .

العقل كم تدخل في هذا ؟

تدخل في القليل الأقل . تدخل في

الشكل ، في النقل ، دون الموضوع .
ومثل آخر :

ان الزواج الانساني ، والأسرة الانسانية هدف من أهداف الطبيعة

يتضح هذا من النظر في الحيوان . ان الطبيعة جعلت منه الذكر وجعلت الأنثى . وما كان لهذا معنى او مغزى الا ان تكون الطبيعة قصدت به ان يكون بينهما ، بين الذكر والأنثى ، التقاء ، لانتاج الولد .

اذن الطبيعة تبيح التقاء الذكر بالانثى.

واذن فالطبيعة تهدف الى النسل . انه بعض غاياتها . والنسل الجديد يعوض عمن يموت . اذن من هدف الطبيعة حماية النسل . اذن فالذى يستبيح القتل يعمل على غير ما تهدف اليه الطبيعة . انها تريد الوجود ، وهو يبغي العدم . فالقتل ليس من قواعد السلوك في شيء .

ثم ننظر في الحيوان مرة اخرى . انه صنوف لا حصر لها .. ومنه الذكر والأنثى . ومنه الذكر الذى يلتقي بالانثى ثم يختفي . ومنه يلتقي بالانثى وهو


الاسرة في الطير : الأم ترقد على البيض لينسل، والاب يأتي بالطعام ويرقب

بحكم طبعه يقيم ، ويرتبط بالأم وبالولد. فهذه هي الأسرة في ابسط اشكالها .

والانسان من هذا الحيوان .

انه من الصنف الذى يرتبط بالأم وبالولد . وزاد في ذلك وانسجم معه . ان الطبيعة جعلت هذا الولد الانساني لا يمكن ان ينفرد بنفسه وبالحياة الا بعد حضانة سنوات . انها الطبيعة التى فعلت ذلك . فالطبيعة في كل ما صممت للانسان وخططت ، هدفت لبقاء الأم والأب والولد معا . وهذه هي الاسرة . وهذا هو وجه من وجوه تبريرها بناء على ما نخاله مشيئة الطبيعة ، ان تكن هناك حاجة الى تبرير .

وما مشيئة الطبيعة الا مشيئة الله .

والحيوان ، منه الوحشي ومنه المستأنس . منه الذى يجتمع ، حتى على الأسرة ، ومنه الذى يتفرق . والقرود في أعلى الدرجات الحيوانية لها مجتمعات . والنمل والنحل في واطيء الدرجات الحيوانية له مجتمعات . وهي لم تصنعها عن عقل وعن تدبير ، انما هي الطبيعة اودعت فيها حوافز الاجتماع ، فكانت لها المجتمعات .

والانسان ، اودعت فيه الطبيعة ما اودعت في النمل والنحل والقردة ، على

واوجدت الطبيعة باذن الله الذكر والانثى ففهمنا من ذلك انها تريدهما ان يلتقيا ، وانها تريد الولد . تريد الايجاد . والقاتل يريد العدم . فالقتل لاترضاه الطبيعة ، فهو حرام .



مستوى بالطبع اعلى كثيرا ، وارقى كثيرا، فكانت المجتمعات .

فالمجتمع من اهداف الطبع الانساني اذن ، فقواعد السلوك الانساني يجب ان تتفق مع هـذا . فمن الاجرام هـدم المجتمعات ، او افسادها ، والاخلال بنظمها .

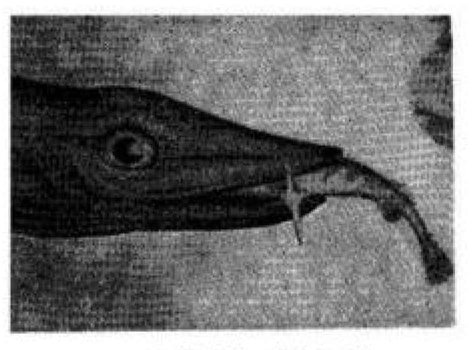
عندما تناقض الطبيعة مسالك الاخلاق تفعل ذلك ظاهرا

وهنا يقول قائل، اننا نستلهم الطبيعة، ظواهرها وقوانينها ، لنتأكد من صدق المسالك الأخلاقية التي نسلكها ، فما بالنا نقع من الطبيعة على ما يناقض ما ألفناه من صادق هذه المسالك . مثال ذلك ما يجرى في الحياة من قتل كل يوم وكل ساعة ، وكل دقيقة . انها حياة الوحش في البرارى والأدغال ، وحياة الأسماك في البحار . كلها قائمة على مبدأ أخلاقى ينافي ما اصطلح عليه الانسان من المبادىء . فالمبدأ القائم في الكثرة الكبرى من حيوانات البر والبحر ، ان الكبير يأكل الصغير ، ويأكل القوى الضعيف . والسباع ، من أساد ونمور وفهود وما اليها ، تفترس كل ذى حافر من ابقار وغزلان ، وغير ذوات الحوافر . والسمك الكبير يبتلع الصغير ، والصغير الأصغر .

ثم يسأل قائل هذا : هل هذا هـدف الطبيعة ، وهل هو ينسجم مع مفهومنا الأخلاقى . .

والجواب : ان الطبيعة لم تجعـل في جهاز هذا الوحش ما يأذن بأكل النبت . لابد من اللحم . فالاسد لا يفترس الثور من بعد اختيار . انه يفترسه بالضرورة لانه اللحم ، وما جعلت له الطبيعة ، من اجل الحياة ، الى غير اللحم سبيلا .

واذن لا بد ان نفترض ان افتراس الحيوان لا يتعارض مع المسلك الطيب ، فيما بين الحيوان . ولا عتب على الطبيعة في ذلك. لأننا انما استنتجنا حرمة القتل، قتل الانسان للانسان ، لا بناء على قواعد



السمك الكبير يأكل الصغير ،
والصغير يأكل الأصغر .

عندنا أخلاقية سبقت ، ولكن الى ما وجدناه واستنبطناه من الطبيعة ، واهدافها ، فيما يتصل بالانسان .

وليس للمنطق ، في اجازة القتل للوحش ، وتحريمه في الانسان ، شيء يقوله . فليست الحياة غاية مرغوبة محتمة واجبة اطلاقا ، والا ما سنّت الطبيعة الموت بعد الهرم ، في انسان وحيوان . وحتى الشجر يهرم ويموت. وكذلك ليس الموت ، ولو افتراسا ، غاية ذميمة اطلاقا وفي كل الظروف . وكيف يكون ذلك ، ونحن في تمام وعينا نرحب بموت من يدافع عن حريمه وعن ولده واهله ، ويستشهد في ذلك استشهادا .

جبلة الانسان ، بحسبانها مرجعا يرتد اليه الانسان في استنباط قواعد السلوك والاخلاق

بقى الركن الثالث .

كان الركن الأول الدين .

وكان الركن الثانى الطبيعة وما أودع بها الله من قانون .

وبقيت جبلّة الانسان ، يُستشهد بها في عمل الشَر وعمل الخير ، او فيما يجب ان نصفه بأنه الخير ، وما يجب ان نصفه بأنه الشر .

اضرب لذلك مثلا :

هذا رجل سمين قوى بالغ ، وهـذا رجل نحيف ضـعيف متهالك . والأول يوسع الثاني ضربا .

اجد في جبلتي ، من حيث لا ادرى ،

ان اذهب ، واسأل ، وانتصر للضعيف . وفي انتصاري للضعيف اشجب استخدام القوة اداة للظلم . فهذه الاستجابة التى ينهض لها الانسان هي معنى ذلك الاحساس الذى رضيناه ، وحمدناه ، وحمدنا عواقبه وسميناه عدلا .

اما حمدنا عواقبه فقد سبقه استجابة الجبلة . كانت هي اولا ، ثم جاء الحمد ثانيا لأنه حمد عواقب .

ومثل آخر :

انت تأكل حتى تشبع ،وتخرج فتجد صبيا زرى الحال يتحسس القمامة ، ويلقم فمه منها بعض ما يجد .

عندئذ تجد شيئا ثار في نفسك . انه يؤلمك . واذا بك تذهب الى الصبي وتعطيه مالا . اما الاحساس الذى ثار فسميناه الرحمة . وهي في جبلتنا . واما الاعطاء ، فليذهب بالذى اصاب دخيلتنا من الم . وهذا الاعطاء هو الذى سميناه كرما . وهو كذلك في جبلتنا .

والرحمة والكرم غير العدل .

وكلها مستمدة من جبلة الانسان اذا لم يفسدها مفسد .

انها غرائز في طبع الانسان ، لا مكان للعقل فيها ، ولا للمنطق .

تحذير

كل هذا الذى قلناه ، فيما يتصل باشياء يعجز فيها العقل ، انما يجوز فقط في بحث قواعد السلوك والاخلاق في هذه الحياة . في بحث آساسها .

ان العقل يعجز في استنباط هذه القواعد ودعمها ، لأن العقل يفتقد في هذا الاستنباط المعطيات الاولى التي يبنى عليها احكامه .

ولكن من السخف ان ننقل ما تحدثنا فيه عن عجز العقل الى امور معطياتها وفروضها الأولى حاضرة ، تراها العين ، وتسمعها الاذن ، وتحسها المشاعر .

ومن هذه الأمور العلوم الطبيعية ،علوم الأرض الجامدة والحية من فزياء وكيمياء وعلم حياة وعلم ارض وعلم فلك وصنوف اخرى كثيرة شتى . هذه العلوم وسيلتها التجربة والخبرة والملاحظة ، وكلها تخضع للحواس ، وما ينشأ عنها يرتكز على أصول من العقل والمنطق ثابتة البنيان ، ثابتة الاركان .

ونعم توجد اشياء من هذه يعجز العلم عنها ويعجز العقل .

ولكن هذا يكون بسبب افتقاد المعطيات الأولى .

فكثير من اشياء الطبيعة يعجز العلم عن استنباطها والكشف عنها ، لافتقاده المعطيات التى عمادها السمع والبصر وما اليهما ، او ما استنتج صوابا منها .

وكثير مما وراء الطبيعة يعجز العلم عنه لأنه ليس مما يوزن في المختبرات او يقاس ، فهو خارج عن نطاق العلم ونطاق بحثه . وليس له ان يقول فيه نعم او يقول لا .

فالعالم الذى ينفي او يثبت شيئا مما وراء الطبيعة لا يفعل ذلك عن علم ، ولا بناء على ما كشف في المختبر والمختبرات ، وانما عن طريق ركن من تلك الأركان الثلاثة التى يرتد اليها العقل عند عجزه ، لانتشاله من وهدته ، أعني الدين ، او الطبيعة وقوانينها ، او ما طبعت عليه جبلته حين تقبل او ترفض . وهي كلها مفتوحة الأبواب ليدخلها العلم ، لا قاضيا ، ولكن شاهد نفي او شاهد اثبات ، في حقل من حقوله ، لا سيما فيما يتصل بالكون ، ومبدع الكون .

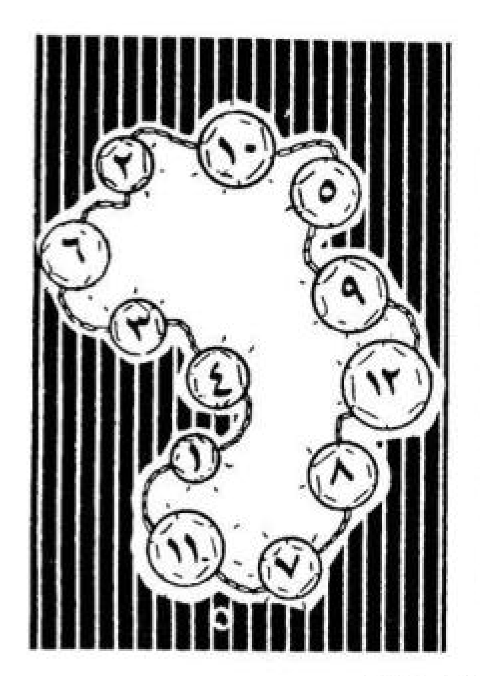
واني كثيرا ما وقفت عند الآية القرآنية : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » . ويعنى الكون في نظامه ، والحياة في انسانه وحيوانه . فقلت ليس مثل افضل من هذا في تدخل الجبلة البشرية للاغراء بالايمان بالله .

●●

احمد زكي

مسابقة العربي

كيف يتم تقسيم العقد؟
وجوائز ١٠٠ دينار



■ مسابقة هذا العدد تتلخص في كيفية تنفيذ وصية جدة عجوز أوصت لحفيداتها الثلاث بعقدها الماسي الثمين ، على أن يقسم هذا العقد بينهن بالتساوى وان يقطع في ثلاثة مواضع تنتج ثلاثة اجزاء متساوية القيمة .. ولكن واجهت الحفيدات الثلاث مشكلة .. أن العقد به ١٢ ماسة متفاوتة فى الثمن .. فأولاها يبلغ ثمنها الف دينار ، والماسة التى تليها في الرقم يبلغ ثمنها ٢٠٠٠ دينار ، وهكذا يتدرج ثمن الماسات كل واحدة تزيد الف دينار على التى تليها في الرقم .. حتى يصل ثمن آخر ماسة في العقد الى ١٢ الف دينار .. والمطلوب منك ان تجد كيف قسمت البنات الثلاث العقد بينهن مع الاستعانة بالرسم المرفق الذي يوضح لك كيفية ترتيب الماسات في العقد . والرقم الموجود على كل ماسة يدل على قيمتها بألوف الدنانير .

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٧ » .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة



الحرب النفسية

ماصنع العدو بها وماصنعنا؟

بقلم :

الدكتور عبد الله ناصر

■ في هذه الفترة التاريخية الحاسمة يتعرض العرب الى حرب نفسية خطيرة يشنها الاعداء من اجهزة اعلامهم وابواق دعاياتهم هادفين من ذلك الى اضعاف ثقة المواطن العربي في نفسه وزعزعة ايمانه بمثله وقيمه وتشكيكه في مقدراته وفي مستقبله . ولذا فنحن في اشد الحاجة الى فهم طبيعة تلك الحرب ومعرفة اساليبها وتقدير خطرها ، حتى نستطيع أن نفوت على العدو اهدافه ونحبط خططه .

ليست الحرب النفسية وقفا على العصور الحديثة

ان استعمال الانسان للمبادىء النفسية في الحروب قديم قدم الانسان نفسه . فقد استعمل الرجل البدائي في العصور القديمة معرفته النفسية بالانفعالات والدوافع البشرية عندما كان يلطخ وجهه بالوان غريبة ، ويتشبه بوحش مفترس ، لكي يلقي الرعب في نفوس اعدائه ويزيد في ذات الوقت من شجاعته ومن ثقته في نفسه . واستعملها فئة من المحاربين اليونانيين القدماء في فتحهم لمدينة طروادة ، واستعملها المحاربون العرب قديما عندما

حملوا الاشجار ليستتروا وراءها في زحفهم على قبيلة زرقاء اليمامة حتى يفاجئوها دون أن تكون على استعداد للقتال . وقد استعمل الكتاب المقدس المبادىء النفسية في أسلوب « فرق تسد » الذي ورد ذكره في العهد القديم. ويعتبر القرآن الكريم من اغنى المصادر بالمبادىء النفسية ، فاستعمل اسلوب الترهيب والترغيب وحث على عدم التفرقة وعلى رفع الروح المعنوية للمحاربين .

ولكن الحرب النفسية في العصر الحديث تطورت تطورا كبيرا بفضل التقدم العلمي والتكني الهائل ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، فاصبحت علما منظما يعتمد على النظريات والمبادىء النفسية القائمة على الدراسات الدقيقة الشاملة للدوافع والانفعالات والميول والاهتمامات عند الافراد والجماعات . والمبدا الذي يعتمد عليه القائمون بالحرب النفسية ينعكس في القول الشائع بأن قوة العدو المادية يمكن ان تنكسر وتتحطم دون ان تتحطم روحه ، ولكن المحارب الذي يتمكن من تحطيم روح العدو ونفسه يستطيع ان يدخل بلاده بسهولة ويستولى عليها دون مقاومة . ويتوقف نجاح الحرب النفسية او حرب الدعاية على المعرفة الواسعة بالمبادىء النفسية والمقدرة على تطبيقها . ولقد زاد التقدم العلمي اساليب الحرب النفسية تنوعا وتنظيما ووفر لها كثيرا من وسائل الدعاية والاعلام . وقد اظهرت الدراسات التي اجريت في هذا الميدان ان اساليب الحرب النفسية تتخذ اتجاهين اساسيين هما :ــ

أولا :ــ توجيه هجوم الدعاية ضد العدو والتركيز على مخاوفه ومواطن الضعف والشك عنده .

ثانيا :ــ توجيه الدعاية نحو تنمية مواطن القوة عند المواطنين وذلك بواسطة تصحيح المفاهيم الخاطئة عنها او بواسطة اخفاء نقاط الضعف عن العدو مع العمل الحازم السريع على معالجة ذلك الضعف.

وتسمى عادة الدعاية النفسية ضد العدو بحرب الاعصاب ، وتسمى الدعاية التي تهدف الى تنمية روح القوة وزيادتها بتقوية الروح المعنوية .

حرب الاعصاب

لقد اظهر تاريخ النصف الاول من هذا القرن أن الاستعداد النفسي للحربين العالميتين الاولى والثانية بدأ قبل نشوب المعارك بعدة سنين ، وذلك عن طريق نشر الدعاية المركزة لكسب عطف الامم وضمان تأييد الدول التى ليست لها مستعمرات . وقد ابدت كل من المانيا النازية وايطاليا الفاشستية نشاطا واسعا في هذا المجال . وقد اظهر ايضا ان حرب الاعصاب قد تستمر سنوات كما حصل بعد الحرب العالمية الثانية في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى .

وتتطلب حرب الاعصاب عمليات كثيرة ومتنوعة يمكن تلخيصها في النقاط الهامة الآتية :ــ

١ ــ جمع البيانات والمعلومات عن العدو لمعرفة نقاط الضعف ونقاط القوة عنده . ويمكن ان يتم ذلك بواسطة مكتب خاص تابع للاعلام او للقوات المسلحة .

٢ ــ بث الدعاية على نطاق عالمي لازالة الشك في سوء النية وتنمية الثقة في حسن النية لتسهيل عملية جمع البيانات واستكمال الاستعدادات أو زيادتها . ومن الوسائل التى استعملت لتحقيق هذه الاهداف على سبيل المثال بعث حركات السلام العالمية ، ونزع السلاح ، والدعاية الاسرائيلية العالمية لاظهار نيتها السلمية نحو العرب ، واستعدادها للتفاوض المباشر معهم للبرهنة على صدق تلك النية .

٣ ــ نشر الاشاعات في بلاد العدو التى من شأنها ان تزعزع ثقة الناس في حكوماتهم

وفي نفوسهم وفي جنودهم وفي امتهم ، وتنمية الخلافات المحلية من حـزبية وطائفية وعنصرية ، وتغذية روح التذمر والاستياء وعدم الرضا عنـد الناس . وكذلك تشجيع النقد الذاتي الزائد عن الحد بواسطة المبالغة في اظهار العيوب والاخطاء لاضعاف روح المقاومة واثـارة روح التمرد عند أفراد الشعب والجيش.

وفي حرب الاعصاب لا داعي الى اثارة شكوك جديدة او خلق كره جديد نحو زعيم او قائد محبوب فبدلا من ذلك يجب تركيز الحملات على مخـاوف العدو وفضح اغراضه ومقاصده . ويمكـن تحقيق ذلك بالضرب على وتر الحزازات والخلافات الموجودة لكي تزيد النـار اشتعالا، اذ لا تخلو اية أمة من الحزازات والخلافات .

٤ ـ تغذية روح الانهزامية وتقـوية الوهم أو الامل الكاذب واليأس والملل ، وكذلك تقوية القيمة التشاؤمية للحرب، والتشكيك في مـاهمة الحلفاء والانصار وفي وفائهم بعهودهم وفي مقدرتهم علـى تقديم المعونات والمساعدات .

٥ ـ وعود مثالية لمن عندهم استعداد للتعاون . ولا لزوم لان تكون هـذه الوعود واقعية ، ولكن من الضروري ان تتفق مع رغبـات الناس وميـولهم واهتماماتهم . فمثلا يمكن أن تشمل هذه الوعود اصلاح الاحوال الفاسدة ، ورفـع الظلم الحاصل على الناس ، وتخفيض الضرائب وتوفـير الغـذاء وتحسين أحوال الموظفين وغير ذلك ممـا له علاقة بالافراد والجماعات .

تقوية الروح المعنوية

وفي الوقت الذى تعمل فيه الحـرب النفسية على تحويل العدو عن اغراضه واحباط خططه وعدم تحقيق اهـدافه فانها أيضا تعمل على دعم الحماس الوطنى ورفع الروح المعنوية للشعب في الداخل وللقوات المسلحة في الجبهة .

ويقصد بالروح المعنوية المقـدرة على البقاء والاستمرار على العمل والنضال الشاق الطويل عن تصـميم ورغبة . وبعبارة أخرى انها عكس البلادة والجمود والاستسلام .

وقد اظهرت التجارب ان الجنود ذوى الروح المعنوية المنخفضة يحاربون بضعف ويهزمون بسرعة ويتكبـدون نسـبيا إصابات أكثر من الجنـود ذوى الروح العالية. وتنمية الروح المعنوية وتطويرها من اهم المشاكل التى تواجه القيـادات العسكرية واصعبها . فهى تعتمـد على عدد كبير من العوامل بعضها خفي ولا يمكن قياسه بدقة . ولكن يبدو أن تقوية الروح المعنوية عمل يعتمد اساسا على عوامل الحيوية لدى الجنود والدافعية والثقة بالنفس وقوة الارادة .

وفيما يلى بعض القواعد الهامة التى يراها علماء النفس لرفع الروح المعنوية وينصحون القادة العسكريين في مختلف الرتب باتباعها : ـ

١ ـ اجعل كل رجل يشعر بأن لـه قيمته الكبيرة في وحـدته وأن وحدته محتاجة اليه كما أن عمله فيها مهم .

٢ ـ لا تجعل الرجل ينسى ابدا انـه عسـكرى وانه جنـدى له احترامه وشخصيته في جيش بلاده .

٣ ـ اجعل من الواضح لكل فرد في الجيش بأن كل وحدة أو سرية لها وظيفتها الهامة في كسب الحرب .

٤ ـ شجع كل وحدة على الافتخار بما أنجزته من أعمال وحققته من أهداف.

٥ ـ أعط الثناء والتشجيع باخلاص لمن يستحق لان تقدير العمل عادة يفيد اكثر من اللوم او الذم .

٦ ـ لا تقلل من شان اى رجل او تحاول اتهامه أمام الاخرين الا في حالة الطوارىء الحربية ، كالمعركة التى تتطلب الحالة فيها الاصلاح السريع . وعندما تكون هناك ضرورة للتوبيخ فافعله على انفراد واجعل من الواضح عند قيامك بذلك أن الذي يوبخ أو يعاقب هو العمل وليس الشخص .

٧ ـ حاول دائما ان تجعل الجنود في حالة من النشاط والعمل وابعدهم ما استطعت عن الخمول والكسل ، ولكن وفر لهم وقتا لقضاء الفراغ والترويح عن النفس .

٨ ـ اتح الفرصة لكل جندي للتدريب على كل عمل مفيد وعلى اية مهمة تتطلبها الحرب وافهمه ان هذه الاعمال التى يتعلمها تقلل من مخاوفه وتجعل منه محاربا مدربا قويا .

٩ ـ اتح الفرصة للرجال للعمل معا في جماعات ما امكن ، لان العلاقات بين الجماعة تزيد فعالية الفرد .

١٠ ـ اشعر الجندى الذى يقوم بواجبه في الاماكن النائية المنعزلة بانه رجل لا غنى عنه وانه ليس شخصا منسيا مهملا .

ويكمن وراء هذه التوصيات عوامل اكثر اهمية في اسسها ، وتوفرها امر ضرورى لنجاحها . فيجب ان يكون الرجل المحارب لائقا للخدمة العسكرية ، وان يتحلى بروح المخاطرة وبالبنية الجسمية القوية وبخلوه من الاعباء والامراض ، كما يجب ان يحارب عن دوافع صادقة وذلك عن طريق فهمه وتقديره لنتائج الحرب وللامال المتعلقة على النصر وللمخاطر المتعلقة بالهزيمة . كما يجب ان تثار مكارهه وأحقاده على العدو اذا اردنا أن يحارب حتى الموت ، كما يجب على المحارب أن تكون لديه ثقة قوية في نفسه وفي وحدته وفي أمته . فالجندى المثالى يؤمن بانه ينتمى الى احسن وحدة في أحسن جيش لاحسن امة ، ويعرف ان أسلحته ممتازة وامداداته العسكرية لا تجارى ، وان قواده وزعماءه مكرسين جل جهودهم وعقولهم اليه والى الامة . فالى الحد الذى يرتاب فيه الجندى في هذه القيم فان روحه المحاربة تضعف وتموت .

ابحاث قام بها علماء النفس في الجند

وقد اجرى علماء النفس ابحاثا عديدة أثناء الحرب العالمية الثانية لاكتشاف اتجاهات الجنود وميولهم والوسائل التى لها تأثير على روحهم المعنوية . وسنذكر اهم الطرق والوسائل التى توصل اليها اولئك العلماء نتيجة أبحاثهم : ـ

١ ـ تكرار التاكيد على اهمية نتائج الحرب وعلى ضرورة هزيمة العدو هزيمة كاملة .

٢ ـ اعداد الاجهزة والاسلحة واعداد برنامج منظم دقيق للتدريب بشدة واتقان .

٣ ـ شرح الخطط والاعمال الحربية وتفسيرها بقدر المستطاع على شرط ضمان سلامتها من الوصول الى اجهزة تجسس العدو ، فقد اظهرت التجارب ان القواد الذين كانوا يشرحون لجنودهم المهمة الملقاة على عاتقهم مقدما نجحوا في خلق روح معنوية عالية في جنودهم اكثر من القواد الذين لم يقوموا بمثل ذلك الشرح .

٤ ـ ابقاء العلاقات الديمقراطية بقدر الامكان بين الضباط والجنود .

٥ ـ توفير المعيشة اللائقة المحترمة للجنود وذلك بتوفير الطعام الجيد والمأوى والملبس والامتيازات البريدية والترفيهية

٦ ــ اصلاح الاساءات بقدر الامكان والاستماع الى مظالم الجنود والعمل على ازالتها .

٧ ــ مراعاة العدالة في محاكمة ومعاقبة المسيئين ، وتوفير الفرصة للمسيء غير المزمن لاصلاح نفسه .

٨ ــ تجهيز خدمات طبية شاملة للمرضى والجرحى تكون على جانب عال من الكفاءة .

٩ ــ اتاحة الفرصة للجميع للترقيات والترفيعات والجوائز والنياشين والاوسمة .

١٠ ــ توفير الارشاد والتوجيه والمساعدة في الشئون والمشاكل الشخصية والمسائل القانونية .

اجهزة الاعلام العربي ساعدت العدو في اعلامه

واذا القينا نظرة على تاريخنا القريب نجد اننا ساهمنا في تحقيق كثير من اهداف العدو في حربه النفسية ضدنا . ففي حرب ١٩٤٨ ساهمت أجهزة الاعلام العربية، عن جهل بطبيعة الحرب النفسية واساليبها ، في تنمية روح الانهزامية بين ابناء الشعب وبث الرعب في نفوسهم عن طريق التهويل في وصف المذابح التى كانت تقترفها العصابات الصهيونية ضد القرى العربية الفلسطينية . وكان من الواضح أن هدف الدعاية العربية اظهار الاسرائيليين بمظهر المجرمين المتوحشين امام الرأى العام العربى والعالمى . ولكن فاتها أن تقدر أخطار التهويل في الدعاية على الشعب كما فاتها ان تدرك أن العالم الخارجي في معزل عن تلك الدعاية وذلك لانحصارها ضمن حدود البلاد العربية . وكان الاولى بها أن توجه تلك الدعاية باللغات الاجنبية لكى تبين للعالم الصورة البشعة لاسرائيل .

ومن اخطائنا التى تدل على جهلنا بطبيعة حرب الدعاية واساليبها والتى استفادت منها اسرائيل واستغلتها لكسب تأييد الرأى العام اليهودى والعالمى ما كانت تذيعه أجهزة الاعلام العربية قبل معركة حزيران من تهديد ووعيد وما كان يذاع عن تحركات الجيوش العربية ووصول النجدات والعتاد ، وغير ذلك كثير مما لا مجال هنا للخوض فيه . اما معرفة العدو لطبيعة الحرب النفسية واساليبها فواضحة من التنظيم الدقيق لدعايته الداخلية والخارجية خصوصا الدعاية المسمومة الموجهة ضد العرب .

مسئولية وزارات الاعلام العربية

والآن لا يسع المرء الا ان يتساءل الى اى حد تنبهت أجهزة اعلامنا ، بعد الخامس من حزيران لخطر تلك الحرب التى تشن علينا ؟ والى اى حد قامت بحرب نفسية مضادة ؟ والى اى حد راجعت أخطاءها وقامت بدراستها دراسة علمية ؟ لا شك ان المسئولية تقع على وزارات الاعلام في العمل على تطوير الوسائل والاساليب الاعلامية وتحسينها. ولضمان هذا التطور والتقدم عليها أن تنشيء معاهد خاصة للبحوث ويشرف عليها علماء على جانب كبير من الكفاءة العلمية ، وعليها أن تجند ذوى الكفاءات العالية للقيام بالابحاث والدراسات المطلوبة . وهنا يجب أن نذكر الجامعات العربية بدورها الطليعى فى هذا الميدان عن طريق القيام بالابحاث الدقيقة الشاملة التى تكاد أن تكون معدومة في مجتمعنا . ولكى تتحقق الفائدة يجب أن يتم تبادل هذه الابحاث ومناقشة نتائجها بين الجامعات المختلفة في سائر اقطار الوطن العربى . ■■

عبد الله ناصر
قسم التربية وعلم النفس
الجامعة الاردنية



الحرب ليست صراعا بين جيش وجيش فحسب ،

ولكن اشد منها ، صراع بين مخابرات ومخابرات

● « الفرقة رقم ٣٩ » هو اسم الكتاب الجديد الذى صدر فى بريطانيا ، وروى فيه مؤلفه دونالد ماكلاكلان Donald Mclachlan ، رئيس التحرير السابق لصحيفة صانداى تلجراف البريطانية ، اسرارا جديدة عن الحرب العالمية الثانية .

ومن بين الحقائق التي يحتويها الكتاب ، نجاح الالمان فى معرفة اسرار المراسلات الدبلوماسية بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، فك رموز الشفرة المستخدمة بين الدولتين قبل نشوب الحرب الثانية بزمن طويل .

وقد تمكن الالمان من معرفة هذه الاسرار عن طريق التجسس على البرقيات التي كان سفير بريطانيا فى برلين سير نيفيل هندرسون ، يبعث بها الى وزارة الخارجية البريطانية .

حملة تنظيم الأسرة

● نجحت حملة الرئيس الباكستاني ايوب خان لتنظيم النسل في بلاده . ويقول الخبراء الدوليون ان عدد المواليد فى باكستان قد انخفض بمقدار ١٨٠٠٠٠ مولود ، منذ ان بدات هذه الحملة مع بداية مشروع السنوات الخمس الثالث فى عام ١٩٦٥ ، اى فى اقل من ثلاث سنوات . واذا استمر الانخفاض فى عدد المواليد على معدله الحالى ، فينتظر ان يتحقق الهدف من الحملة قبل حلول عام ١٩٧٠ ، وهو انخفاض عدد المواليد بنسبة ٢٠٪ سنويا .

ونعود قليلا الى الوراء .. الى اليوم الذى اعلن فيه الرئيس الباكستاني عزمه على وقف الزيادة المخيفة فى عدد المواليد ، وكان فى صيف عام ١٩٦٥ كما ذكرنا . لقد كان رد الفعل المباشر لهذه الحملة ، معارضة شديدة من جانب بعض العناصر الدينية ، والسياسية ، التى رأت فى حملته اعتداء على الحياة الخاصة للناس !

ولكن الرئيس ايوب خان ، لم يعبأ بهذه الحملة المضادة ، ونزل يطوف بالمدن والقرى فى جميع انحاء البلاد داعيا الى وقف الزيادة المستمرة فى عدد السكان ، الذين بلغ تعدادهم ، حسب آخر



روميل　　　　مونتجمرى

ويقول مؤلف الكتاب ، الذى اعترفت وزارة الخارجية البريطانية بكل ما حواه من حقائق ومعلومات ، يقول ان نجاح الالمان فى الحصول على هذه الاسرار ، كان من بين الاسباب المباشرة التى ادت الى الكوارث التى حلت بالحلفاء فى معركة الاطلسى من ناحية ، وفى فشلهم فى انقاذ النرويج من الاحتلال النازى من ناحية اخرى .

ويعترف المؤلف فى كتابه بان تفوق المخابرات البحرية الالمانية ، بدا يتاكد منذ غزو موسولينى للحبشة فى عام ١٩٣٦ ، عندما كان الالمان يلتقطون كل اشارة لاسلكية صادرة من السفن الحربية البريطانية التى كانت ترابط فى البحر الاحمر ، طوال فترة الحرب .

وقد تأكد هذا التفوق مرة اخرى اثناء حملة الجنرال الالماني روميل Rommel فى شمال افريقيا ، ويقول ماكلاكلان :

ان الالمان كانوا يلتقطون محتويات كل رسالة لاسلكية يبعث بها الكولونيل فليرز Fellers ، الملحق العسكرى الامريكي فى القاهرة ، الى واشنطون فى ذلك الوقت . وكان الانجليز يطلعون فيلرز على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بمركزهم العسكرى واستعداداتهم ، نظرا لحاجتهم للمساعدات العسكرية الامريكية من دبابات وطائرات وذخيرة وغيرها .

وهكذا استطاع روميل ان يحصل على كل ما يريد من معلومات عن طريق التجسس على المصادر الامريكية . فعرف كل شيء عن قوة الجيش الثامن ، والحالة المعنوية بين صفوف الجنود الانجليز ، والخطط العسكرية التى كانت تعد للمستقبل ، والتعزيزات التى ينتظرها الجيش من امريكا وغير ذلك .

ولولا اكتشاف الانجليز لعملية التجسس الالمانية على رسائل فيلرز لحكومته فى واشنطون فى الوقت المناسب لما تمكن الفيلد مارشال مونتجومرى من تحقيق انتصاره الساحق على الجيش الالماني فى شمال افريقيا .

ثم يقول المؤلف : « حقيقة كانت هناك عوامل اخرى ساهمت على هزيمة رومل ، ولكن المؤرخين اهملوا دور المخابرات الالمانية تماما فى الهزائم التى منى بها الجيش البريطاني الثامن ، قبل ان يتحقق له النصر فى الحرب العالمية الثانية » .

فى باكستان ونتائجها

احصاء اجرى فى عام ١٩٦١ ، ٩٢٨٣١٩٨٢نسمة .

وقال الرئيس الباكستاني : « اما ان نضاعف الانتاج ، ونخفض من الاستهلاك ، واما ان نتحول جميعا الى اكلة لحوم البشر » .

اما الخطوة الثانية التى اقدم عليها فى سبيل دعم حملته ، فكانت زيادة الاعتمادات المخصصة لتنظيم الاسرة من ٢٤ مليون روبية (حوالي ١٨٠٠٠٠٠ جنيه استرليني) الى ٢٨٤ مليون روبية (اى ٢١ مليون جنيه استرليني) لسنوات المشروع الخمس ، التى انقضى منها ثلاث حتى الآن .

الا ان الفضل الاول فى نجاح هذه الحملة يرجع الى ادخال عامل الحافز الفردى ، فقد قرر الرئيس الباكستانى صرف مكافئات للاطباء الذين يساهمون فى اقناع الازواج ، من الرجال او النساء على السواء بقبول اتباع احدى الطرق المالوفة لتنظيم النسل .

فقد ظهر من احصاء اجرى اخيرا ان باكستان قد نجحت فى تحقيق نصف هدفها من تحديد النسل ، وذلك بالطريقتين المعروفتين واولاهما طريقة وضع اللوالب فى الارحام والثانية سد الحبل المنوى فى الرجال .

الاستعمار فى أفريقيا يلفظ

● على الساحل الافريقي للمحيط الاطلسي تندلع نيران حرب قاسية .. بين قوى الاستعمار البرتغالي وقوى التحرير الافريقية .. وهذه الحرب عمرها ٩ سنوات الان .. انها الحرب التي يقوم بها حزب الاستقلال الافريقي في غينيا المسماة بالبرتغالية ضد قوات الاستعمار البرتغالي .. وتكبد البرتغال خسارة حربية ومادية كبيرة ربما تكون اكبر من الخسارة والجهد الذى تتكبده الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام اذا ما ادخلنا فى اعتبارنا النسبة بين امريكا والبرتغال كدولتين.

ان تعداد السكان فى غينيا (البرتغالية) لايزيد عن ٦٠٠ ألف افريقي من قبائل مختلفة متعددة .. أما قوات البرتغال العسكرية فقد وصلت الى ٣٥ ألف جندى اغلبهم محصور فى مناطق محدودة من البلاد .. بينما تسيطر على بقية المناطق قوات الفدائيين الوطنية التابعين لحزب الاستقلال الافريقي .. ولا تستطيع قوات الجيش البرتغالي الخروج من داخل الحصون المتفرقة التي اقامتها فى اماكن متفرقة. وفى نفس الوقت لايريد الفدائيون الاستيلاء على هذه الحصون ، فهم يعلمون ان لا فائدة لهم من الاستيلاء عليها سوى تعريض قواتهم للضرب من الجو بقنابل النابالم الحارقة التي تقوم الطائرات البرتغالية بالقائها على الفدائيين .. أما جنود هذه الحاميات فهم يتلقون تموينهم بواسطة طائرات الهيليكوبتر أو بالباراشوت تماما كما كان يحدث فى قاعدة خي سان الامريكية فى فيتنام اثناء حصار الفيت كونج لها ..

وفى خلال التسع سنوات الاخيرة اتحدت كل القبائل فى غينيا البرتغالية تحت راية حزب الاستقلال وانضمت الى حركة التحرير ضد البرتغاليين . وبذل البرتغاليون جهدا كبيرا وانفقوا مبالغ طائلة فى مجهود يائس للمحافظة على مواقعهم الحالية فى غينيا .. لا لشيء الا لعلمهم بان انسحابهم من غينيا معناه زيادة حرج موقفهم فى انجولا وموزمبيق والتي بدات الثورة تشتعل فيهما ايضا بالرغم من وجود قوات برتغالية بهما تصل الى ٧٥٠ الف رجل .. !!

ويبدو أن الوطنيين يتبعون نفس الاسلوب الذى اتبعه ثوار فيتنام من قبلهم وذلك تحت قيادة زعيم شاب اسمه «اميلكار كابرال» Amilcar Cabral الذى يشرف الان على عمليات الفدائيين العسكرية وفى نفس الوقت على اقتصاديات المناطق الواسعة التي حررتها قواته من ربقة الاستعمار البرتغالي .

واخيرا حاول الحاكم العام البرتغالي أن يثبت عن طريق الدعاية ان حركة التحرير لا قيمة لها .. فجاء رد (كابرال) ردا عمليا جريئا ، لقد اغارت قواته على العاصمة « بيساو » وهى معقل القوات البرتغالية وانزلت بهذه القوات خسائر فادحة

جرائم العالم

● بعد الحرب العالمية الثانية اجتاحت العالم زيادة كبيرة فى عدد الجرائم .. ويومها قالوا هذا من اثار الحرب .. وان هذه الموجة ستنتهي بعد عودة الاستقرار والعمران الى البلدان التي تعرضت للتدمير ولكن ما حدث جاء مخيبا لآمال اشد المتشائمين .. ان موجة الجرائم فى ازدياد مستمر .

ولعلنا اذا اخذنا بلدا كبريطانيا كمثال لزيادة الجريمة لاعطانا هذا فكرة واضحة عن المشكلة التي يعاني منها العالم كله الآن .

ان الارقام الرسمية فى بريطانيا وحدها قد تجعل الصورة اشد وضوحا .. ان عدد الجرائم التي ابلغ عنها البوليس فى بريطانيا فى عام ١٩٣٨ كانت ٢٨٣٠٠٠ جريمة وفى عام ١٩٥٩ ارتفع هذا الرقم الى ٦٧٥٠٠٠ جريمة وعاد الى الارتفاع



.. كما انها ايضا دمرت عدة طائرات برتغالية كانت رابضة على أرض المطار .. ولم يستطع الحاكم البرتغالى بعدها ان يضلل الرأى العام بتصريحاته الكاذبة .

ويتوقع المراقبون الغربيون أن يتم تحرير غينيا البرتغاليةفىخلال العام المقبل على الاكثر وخصوصا بعد أن اصبحت القوات البرتغالية محصورة تماما فى مواقعها ولا تستطيع الحركة بالرغم من أنها تقوم باستعمال طائرات حلف شمال الاطلنطى ضد الفدائيين الوطنيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة والمدفعية المتوسطة .



وهكذا يثبت الفدائيون فى العالم كله أن ارادة الحياة والحرية اقوى من كل اسلحة التدمير والبطش .

فى ازدياد

مرة أخرى فى عام ١٩٦٢ ليصبح ٨٩٦٤٢٤ وفى عام ١٩٦٤ ارتفع عدد الجرائم مرة اخرى ليصل الى ١.٠٦٦٤٦٧ جريمة .. !! وذلك فى نفس الوقت الذى زاد فيه عدد رجال البوليس والامن الى ٨٠ الف رجل بعد أن كان ٧٠ الفا فى عام ١٩٥٤ .

وتكلف الجرائم بريطانيا خسائر مادية تصل الى ٣٠ مليون من الجنيهات سنويا وهى القيمةالنقدية للمسروقات .. وهذا الرقم قد يصل الى ١٠ اضعافه اذا ما ادخلنا فى حسابنا الاضرار التى تنتج عن الجرائم الاخرى غير السرقة مثل الحريق المتعمد أو الالاف ممتلكات الغير وغيرها من حوادث القتل أو ابتزاز الاموال أو الخطف .

والمشكلة الرئيسية التي تواجه العالم الآن هي معرفة اسباب زيادة عدد الجرائم بهذه الصورة المذهلة .. وقد جرت عدة دراسات حول أسباب هذه الزيادة من الناحية الاجتماعية خلص منها الدارسون الى ان هناك عدة أسباب لزيادة عدد الجرائم أهمها :

* حالة الضياع النفسي التي يشعر بها نسبة كبيرة من افراد الجيل الجديد فى المجتمعات الحديثة .. وادمانهم على المخدرات وفقدانهم للاحترام التقليدى للقانون فهم يبدأون بتحدى القانون فى اشياء صغيرة غير ملحوظة وسرعان ما يتحول هذا التحدى البسيط الى عادة تقودهم الى تحديات اكبر وارتكاب جرائم اكبر ..

* الفوارق الاجتماعية الضخمة بين الذين يملكون كثيرا ، والذين لا يملكون شيئا . وقلة التعاطف بين الجانبين .

* فشل اجهزة الامن فى تطبيق القانون بسبب ضعف اجهزة البوليس من ناحية الثقافة والاعداد الصحيح لرجل البوليس والنقص العددى بالنسبة لزيادة عدد الجرائم بصورة كبيرة .

ومعمعرفةهذهالاسباب بدأ دور العملالاجتماعى والنفسي والقانوني لمواجهة هذه الزيادة الكبيرة فى عدد الجرائم الذى يجتاح العالم الآن اشبه بالنار التي تكتسح كل شيء امامها .. !!

السجون ..

بين الماضي والحاضر .. !

● مشكلة السجون .. مشكلة قديمة كل القدم .. ولكنها ايضا مشكلة تتجدد مع كل عصر وزمان .. والعالم عرف السجون منذ عهود قديمة جدا .

ولعل من اقدم الشعر الذى قيل فى السجون هو ذلك الشعر الذى قاله المعتز بالله الخليفة العباسي الثالث عشر الذى عزل عن الخلافة والقى فى غياهب السجن حيث مات فى عام ٨٦٩ ميلادية أى منذ حوالى ١١٠٠ عام قال المعتز بالله يصف سجنه :

تعلمت فى السجن نسج التكك
وكنت امرءا قبل هذا ملك

ومع تطور الزمن .. تطورت السجون ايضا ..
وبعد أن كان من يدخل السجن فى العهود الماضية يفقد الامل فى خروجه حيا نتيجة لسوء معاملة الحراس والربط بالسلاسل والنوم على الارض الصلبة وسوء التغذية وتفشي الامراض ..

تغيرت الصورة تماما .. وجاء التغيير نتيجة لجهود الكثيرين من المصلحين الاجتماعيين ومن اقدمهم جون هوارد John Howard ، الذى كان يعمل رئيسا للبوليس فى بلدة بد فورد شير بانجلترا عام ١٧٧٣ وراعته المآسي التي رآها فى السجون .. فقام بشن حملة كبيرة لاصلاحها وتطويرها .

واليوم وبعد ١٩٤ عاما من قيام جون هوارد بحملته لاصلاح السجون .. نرى اكبر مثل على تطورها فى « السويد » .. فسجون السويد لا اسوار لها .. ولا توجد بها زنزانات مغلقة الابواب .. والمسجون يقوم بالعمل فى مزرعة او مصنع ملحق بالسجن لمدة ٦ ساعات يوميا يتقاضى عنها اجرا .. وهو يتناول ٣ وجبات من الطعام يوميا تخضع لاشراف طبي دقيق .. وفى السجن مكتبة يستطيع ان يطلع فيها المساجين على الصحف والمجلات والكتب وهناك عرض سينمائي كل اسبوع .. وجهاز للتليفزيون وملاعب رياضية ..

الى هنا والسجون فى كثير من انحاء العالم قد تتشابه مع سجون السويد ولكن الغريب فى النظام السويدى انه يبيح منح اجازات شهرية للمساجين يقضونها خارج السجن دون اية رقابة .

ومن التجارب الجريئة ان السويد الغت عقوبة الاعدام منذ حوالى ٢٠ عاما .. فالقاتل يعتبر مريضا نفسيا به مس من جنون ، ولولا ذلك ما قتل ، فهو عندهم يحتاج الى علاج يعيد اليه صحة عقله . ولهذا فان عقوبة القتل لا تزيد عن ١٠ سنوات يقضيها القاتل فى السجن .. وعادة يقضي العام الاول فى مصح نفسي تحت اشراف مجموعة من الاطباء النفسانيين .. وبعدها ينقل الى سجن به بعض اجراءات الامن

قال القاضي :

"جمال المرأة

● كم يساوى جمال المرأة ؟

فى امريكا رفعت حسناء فى الثانية والعشرين من عمرها تدعى هيدى بالمر ، قضية على احدى شركات انتاج مستحضرات التجميل ، تطالب فيها بمليون دولار تعويضا عن جمالها الذى فقدته نتيجة لاصابتها بحروق فى وجهها اثناء تادية عملها .

ولم يكن محامي هيدى فى حاجة لاكثر من ان يبرز جواز سفر موكلته وفيه صورتها قبل الحادث ثم يقدم الفتاة لهيئة المحكمة ، والحروق تملأ وجهها ، لكى يحكم القاضي بالتعويض المطلوب .

وقال مدير شركة التامين التي تؤمن فيها الشركة على موظفيها وعمالها ، وهو يقدم شيكا بالمبلغ للفتاة التي شوهت النيران وجهها : « قد يقال ان المبلغ كبير ، ولكنني شخصيا يا سيدتي اعتقد انه ليس هناك شيء فى الدنيا يمكن ان يعوض المراة عن جمالها ، فهو كل ثروتها ، وهي ثروة كبيرة لا تقدر بمال ! »

وفى مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية وقف احد المحامين امام محكمة الجنايات يطالب زوجين امريكيين بدفع تعويض قدره عشرة آلاف جنيه



ثروة لا تقدر بمال »

استرليني لموكلته الصغيرة ، التي روعت هيئة المحكمة عندما كشفت عن آثار التعذيب التي شوهت وجهها وجسمها فحولتها الى فتاة دميمة.

ولم يجد الزوجان المتهمان شيئا يدافعان به عن انفسهما سوى الانكار ! ولكن الفتاة الصغيرة التي لم تجاوز الثامنة عشرة من عمرها استطاعت بكلماتها البسيطة ان تقنع المحكمة بصدق روايتها .

قالت : « انا يتيمة الابوين ، عشت طفولتي في احد ملاجيء مدينة ازمير بتركيا .. في صباح يوم ممطر جاء رجل وامراة الى الملجا وقالت لي السيدة العجوز الطيبة التى ترعانا ، انه يجب ان استعد لمغادرة الملجا لاعيش مع هذا السيد وزوجته، اللذين سيتكفلان بتربيتي .. واحسست ان السماء قد ارسلت لي ابوين اخيرا بعد سنوات طويلة من الحرمان . وكنت في العاشرة من عمرى. عندما ذهبت لاعيش في البيت الجديد ..

« ولكن آمالي ما لبثت ان انهارت ، عندما اكتشفت انني لست سوى خادمة لهذا السيد وزوجته .. وشيئا فشيئا بدأت معاملتهما لي تتغير .. كانت السيدة تنهرنى وزوجها يضربنى بلا سبب .. وكنت امضي ليلتي اتوجع والن من اثر الضرب ، الذى ما لبث ان تحول الى شتى الوان التعذيب . كانا يضربانني ويكويان جسمي بالابر التى تستخدمها السيدة فى شغل الصوف بعد تسخينها على النار .. وفى احدى المرات اشعلت السيدة النار فى شعرى ، وضربني زوجها ، وسقطت على الارض مغشيا على .. وعندما افقت وجدت نفسى فى المستشفى ! ».

واستمع القاضى الى قصة الفتاة فى انفعال شديد ، ثم نظر الى المتهمين ريموند بيرش وزوجته بيرسن ، وقال : « لقد حكمتم على هذه الفتاة المسكينة بالاعدام ، بعد ان فقدت ما تزهو به كل امراة .. وهو جمالها .. ومن اجل هذا فسوف تدفعان لها التعويض الذى طلبه محاميها ، وكم كنت أتمنى لو أنه ضاعف المبلغ عشرات المرات. ان راسمال المراة هو حسن وجهها حتى لو كانت خادمة ! »

حيث يؤهل لعمل صناعي زراعي وفي هذا السجن يوضع المسجون القاتل تحت رقابة طبيب نفسي يجرى له الاختبارات النفسية بين الحين والاخر فاذا اثبتت هذه الاختبارات ان نفسية المسجون قد تحسنت فانه ينقل الى سجن آخر لا اسوار له .. حيث يقضي بقية المدة المحكوم عليه بها .

وفي هذا السجن الثاني يسمح للمسجون بان يتزوج اذا لم يكن متزوجا على ان يقوم هو او زوجته بدفع نفقات اكل الزوجة .. وتبدا ادارة السجن فى السماح للمسجون بالخروج الى العالم الخارجي لقضاء اجازات شهرية دون اية رقابة.

وعند انتهاء العقوبة يقوم الاخصائيون الاجتماعيون بايجاد عمل للمفرج عنه .. وحتى فى حالة ما اذا كانت جريمته قد اثارت ضجة لبشاعتها فانهم يقومون بتغيير اسمه .. وتدبير عمل له فى مكان يبعد عن المدينة التي ارتكب فيها جريمته .

وبالطبع جرت أمم أخرى على مثل ما جرت عليه السويد على الاقل فيما يختص باعتبار جريمة القتل جريمة رجل غير مسئول لما يصيبه اثناء اتيانها من جنة ولو مؤقتة ورفعوا عقاب الشنق عن القاتل ولكن أتت نتيجة هذا الاجراء بزيادة فى الاجرام . مما حدى الكثير من المسئولين برفع الصوت لاعادة حكم الاعدام باعتبار انها تجربة انسانية ظهر خطؤها . ■■

في المعركة

للشاعر : محمد التهامي

■ ألأنني الانسانُ ثارت عزة الانسان فيّ

ألأنني الانسانُ قد ادركت أني اليوم حيّ

الأني الانسان قد اطلقت في حقي يدي

يتحرك الوحشُ الكبير بكل قوته اليّ

ويروح يرعد بالسلاح وبالنباح وبالدويّ

ويظن أن جيوشه ستمدُّ باطله بشي

لا أيها الوحش الكبير ، أنا الكبير ، أنا القوي

★★★

لاتحسبنّ صراخك المحموم يعلو مسمعي

أو تحسبَنّ مهازل الاذناب قد جازت علي

أو تحسبن ضخامة الاصنام تخدع مقلتيّ

أو تحسبنّ الناب والاظفار تثني قبضتيّ

إني لويتُ ذراعك الجبارَ – ياجبارُ – ليّ

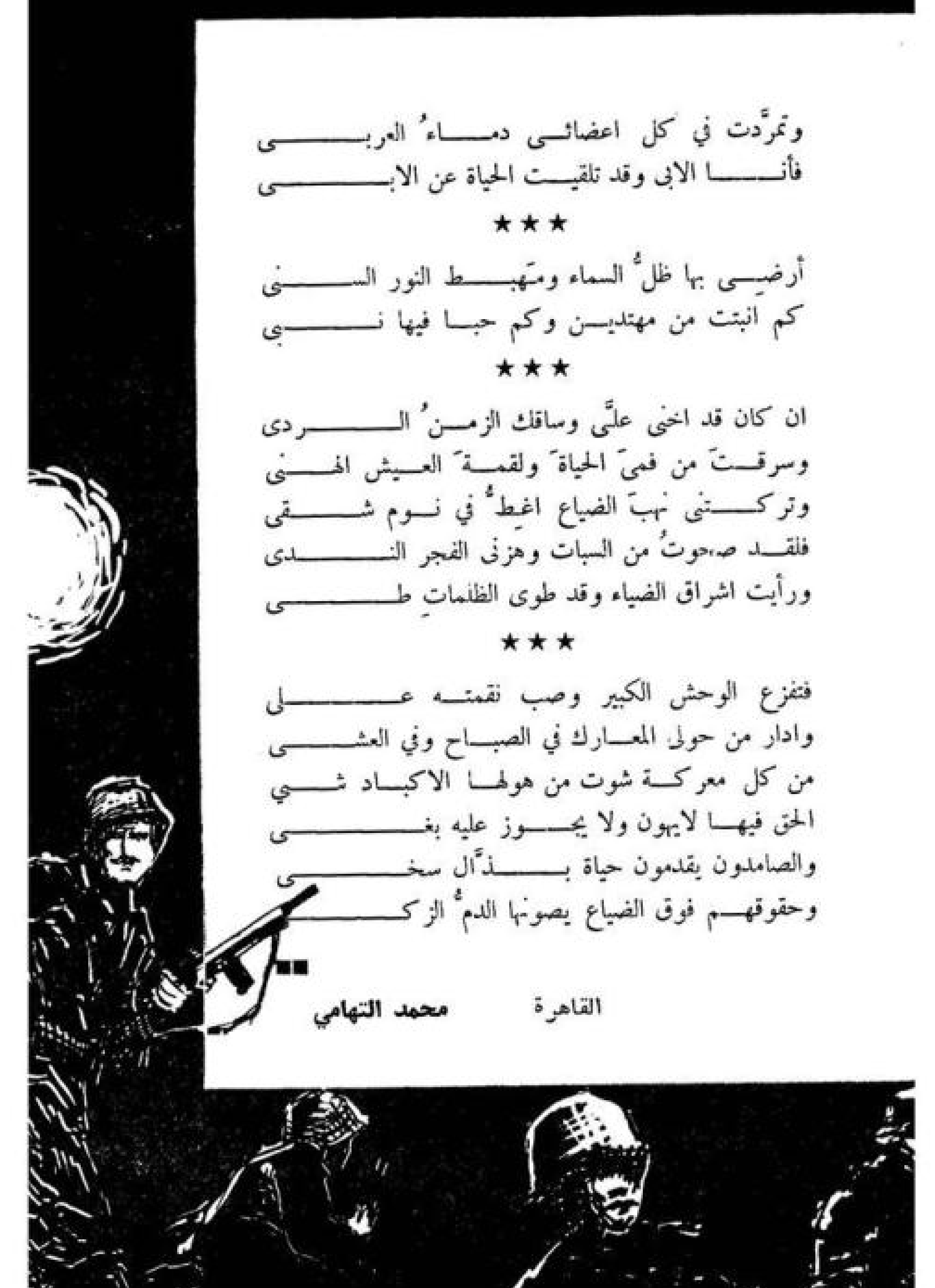
وملأت من دمك الاثيم ، وقد تدفق ، راحتيّ

سأعيشه عبأ وان القى مدى الايام رَيّ

حتى اراك وقد مضيت ولا رجعت من المضي

★★★

اني تنسمت الحياة وذقت معناها الشهي



وتمرّدت في كل اعضائي دمـاءُ العربـي
فأنـا الابى وقد تلقيت الحياة عن الابـي

★★★

أرضِـي بها ظلُّ السماء ومَهبـط النور السنى
كم انبتت من مهتديـن وكم حبـا فيها نـبي

★★★

ان كان قد اخنى عليّ وساقك الزمـنُ الـردى
وسرقـتَ من فميَ الحياةَ ولقمـةَ العـيش الهنى
وتركـتنى نهبَ الضياع اغـطُّ في نـوم شـقى
فلقـد صحوتُ من السبات وهزنى الفجر النـدى
ورأيت اشراق الضياء وقد طوى الظلماتِ طـي

★★★

فتفزع الوحش الكبير وصب نقمته عـلى
وادار من حولى المعـارك في الصبـاح وفي العشـي
من كل معركـة شوت من هولهـا الاكبـاد شـي
الحق فيهـا لايهون ولا يجـوز عليه بغـي
والصامدون يقدمون حياة بـذّال سخـي
وحقوقهـم فوق الضياع يصونها الدمُ الزكـي

القاهرة محمد التهامي



دردشة

أثر الايحاء فى الشفاء

● روى عن الدكتور بورثر الطبيب الانكليزي المشهور انه راى فتاة من مرضاه تخطو الى الموت بخطى وئيدة ولاحظ انها تقرأ قصة مسلسلة تنشر تباعاً فى احدى المجلات . وكانت بطلتها تعانى نفس العلة التي تعانيها المريضة . فأتصل الدكتور بورثر بمؤلف القصة ولاحظ أن القصة ستنتهي بموت البطلة ، فرجاه أن يبدل خاتمتها ويجعلها تنتهي بشفائها . فلما قرات الفتاة المريضة خاتمة القصة تحسنت حالتها وما لبثت ان شفيت تماما من مرضها ! .

تعريفات

* الملل ، رجل يحرمك من الاختلاء بنفسك ، وهو عاجز عن ان يكون لك رفيقا وصديقا يؤنس وحدتك .
* القلق ، شعور يصيب الانسان اذا اخطأ وكان له ضمير يؤنبه .
* الحماس ، انتحار اجتماعي او سياسي. ولكي لانتتحر ، يجب الا نقف مدافعين عن فكرة او مبدأ مهما بلغت درجة اقتناعنا بهما ، كما يجب الا نقف معارضين .. وانما يجب ان نجلس ونناقش آراء المعارضين والمؤيدين .. فاذا وصلنا الى نتيجة قلنا ما نراه صوابا فى هدوء وانصرفنا .
* الفشل ، هو الشيء الوحيد الذى يستطيع ان يحققه الانسان دون ان يبذل اى مجهود !
* النجاح شراب يدير الراس ، اذا نام شاربه اخفق ، واذا انتشى اصابه الغرور ، اما اذا تمالك نفسه واستطاع ان يقف على قدميه ويستمر فى طريقه ، فقد نجا من السقوط !



برناردشو وجائزة نوبل

● عندما عرضت جائزة نوبل للآداب على الفيلسوف الساخر برنارد شو عام ١٩٢٥ رفض قبولها قائلا :

لست بحاجة الى هذه الجائزة . انها اشبه بطوق النجاة يلقى الى السابح بعد أن يصل الى الشاطىء سالما ! .



التفاح .. والذهب

● كان أهل كاليفورنيا يستخرجون الذهب من باطن الارض ، ولكن صاح فيهم « ستارك » صيحته المشهورة « لا تعطلوا الارض باستخراج الذهب منها .. بل ازرعوها ذهبا » .

وعندما سئل . كيف يزرع الذهب ؟ أجابهم : « ازرعوا تفاحا فتجنوا ذهبا » .. وهكذا نهض (ستارك) بزراعة التفاح في كاليفورنيا حتى اصبحت أغنى بقعة في الارض ! .

وستارك هو مؤكد نوع التفاح المشهور والمسمى « ستاركن » نسبة اليه ..

معنى السعادة

السعادة ان تكون قانعا بما لديك سعيدا بما انت عليه ، كريما ازاء نفسك وازاء الناس ، غير نادم على شيء فات ، ولكنك دائم التطلع الى حياة افضل في اصرار ولكن في هدوء .

« جلادستون »

لويد جورج « السادس » !

● كان لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا يتنزه في ارجاء الريف في سيارته ذات مساء . فنفد ما في السيارة من بنزين وتعذرت عليه العودة الى لندن ، فرأى ان يبحث عن مكان يبيت فيه ليلته هذه فوجد مبنى كبيرا حسبه قصرا ، فذهب اليه وضرب جرس الباب فخرج اليه أحد الخدم يسأله ما يريد .

قال لويد جورج : اريد ان أبيت هنا الليلة لان بنزين سيارتي نفد .

قال الخادم : ليس هذا بفندق ولا بيت ، بل مستشفى للمجانين .

قال لويد : وليكن . اريد ان ابيت هذه الليلة. واحب ان اعرفك بنفسي . فانا لويد جورج رئيس الوزراء السابق .

فقال الخادم ضاحكا : اذن تفضل فان لدينا خمسة يدعي كل منهم انه لويد جورج . فلتكن أنت لويد جورج السادس !! .

تعبيرات لاذعة

* أعلم انك اشرفت على الشيخوخة ، اذا ابتسمت لفتاة ، فخيل اليها انك احد اقاربها .
* لا تطعن في ذوق زوجتك .. فقد اختارتك اولا ! .
* الضمير لا يحفظ الرجل من ارتكاب الخطأ ، انه فقط يمنعه من الاستمتاع به وهو يرتكبه ! .
* لا تنس الاعتذار للرجل اذا كنت مخطئا ، والاعتذار للمرأة اذا كنت مصيبا ! .
* يستطيع بعض الزائرين ان يمكثوا خلال ساعة ، اطول مما يمكثه الاخرون خلال اسبوع ! .
* كانت العجلة اعظم اختراع حققه الانسان .. الى ان جلس وراءها ! .

الكتاب المدرسي العربي

من العسير خلق وحدة سياسية أو اقتصادية بين الدول العربية، لا تدعمها ثقافة مشتركة.

بقلم : محمد العربي الخطابي

■ عرف العالم العربي منذ فجر الحضارة الاسلامية كتبا تواضع العلماء والاساتذة على استعمالها في المعاهد والجامعات ، يتناولونها بالدرس والتعليم والشرح ويرجع اليها الطلاب .

القرآن الكريم

وكان القرآن الكريم ، فيما نعلم ، أول كتاب اجتمع الطلاب لدراسته وحفظه واستنباط ما فيه من تشريع وأحكام ، والاستفادة من تراثه البياني واللغوي، وتليه كتب التفسير والحديث والقراءات والفقه والعقائد والتصوف واللغه والبيان والادب، ثم كتب العلوم والرياضيات والطب ، والفلك والفلسفة ، والتاريخ ، والجغرافية ، واشتهر كثير من الكتب التي كانت عمدة المعاهد والجامعات شهرة واسعة في جميع انحاء العالم الاسلامي ، وجعلت لها شروح وحواش ومختصرات .

المختصرات المنثورة والمنظومة

وقد انتقد ابن خلدون في مقدمته ميل بعض المعاهد والجامعات الى المغالاة في استعمال المختصرات المنثورة والمنظومة واهمال أمهات الكتب، ورأى في ذلك فسادا في التعليم واخلالا بالتحصيل.

ومن أمثلة هذه المختصرات « ألفية ابن مالك » و « مختصر الشيخ خليل » ، ورسالة أبي زيد القيرواني ، وكان المغاربة اكثر استعمالا لمثل هذه المختصرات يحفظها الطلاب ويستظهرونها .

وكتاب سوسين

وقد ذكر المستشرق الالماني « ألبرت ديتريش » Dietrich في محاضرة القاها في المغرب (١٩٦١) عن الدراسات العربية في المانيا أن عمدة المستشرق في تعلم اللغة العربية كانت مجموعة من الكتب أخذت عن العرب طريقتهم ، وخضعت في الوقت نفسه لمنهج الغرب في دراسة اللغة ، لتقريب النحو العربي الى اذهان الاوربين، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب « سوسين » الذي أفاد فائدة كبرى من « الفية ابن مالك » وشرحها لابن عقيل ، واعتمد « بروكلمان » على كتاب « سوسين » في وضع كتابه المعروف في نحو اللغة العربية ، كما قال « ديتريش » .

وكتب عربية أفادت منها النهضة العربية

ومن الجدير بالذكر أن بعض الكتب العربية في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والتاريخ والجغرافيا تجاوزت نطاق العالم الاسلامي الى أوربا حيث أفاد منها رواد النهضة وبقيت عدة أجيال مرجعا هاما للعلماء والطلاب في المعاهد والكليات الغربية ، ونذكر منها ، على سبيل المثال : الجبر والمقابلة للخوارزمي ، وكتب جابر



بعض وزراء التربية العرب أثناء مؤتمرهم الثالث الذى عقد في الكويت في فبراير عام ١٩٦٨

أسبابُ تعوّق توحيد في الوطن العربي

ابن حيان فى الكيمياء ، والحاوى للرازى « موسوعة طبية » ، وزيج البتاني ، وقانون ابن سينا ، (فى الطب) ، والمناظر والبصريات لابن الهيثم ، والقانون المسعودى للبيروني ، وتاريخ الهند له ايضا ، والتعريف لأبي القاسم الزهراوي (فى الجراحة) ، وكليات ابن رشد (فى الطب) فضلا عن رسائله الفلسفية ، وكتاب فى المثلثات لنصر الدين الطوسي ، والتلخيص لابن البناء الأزدى المراكشي (في الرياضيات) ، ومقدمة ابن خلدون.

فى النهضة العربية الحديثة

وحينما بدا العرب يحتكون بأوربا فى العصور الحديثة اخذ الاهتمام بالتعليم يشغل من جديد بال المستنيرين من أبناء بعض البلاد العربية ، وخاصة فى مصر ولبنان ، ففتحت المدارس ، وفكر المصلحون فى وضع كتب مدرسية تتلاءم ، بقدر الامكان ، مع المناهج التربوية الجديدة وتفيد من العلوم والآداب والمناهج الغربية ، فاكبوا على نقل بعض الكتب الأجنبية الى اللغة العربية ووضع كتب مدرسية ملائمة لتوفير أدوات العمل التعليمي وجعلها فى متناول الأساتذة والطلاب .

وكان دخول المطبعة الى بعض العواصم العربية واستعمالها عنصرا حاسما عظيم الأهمية في هذا الباب . وكان من بين أوائل الكتب الدراسية المُحدَثة فى العالم العربي فجر النهضة مؤلفات فى النحو والصرف والهندسة والطبيعيات والفلسفة والحساب ومسك الدفاتر ، وضعها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مؤلفون رواد نذكر منهم من لبنان : جرمانوس فرحات ، ويوسف سابا ، وبطرس البستاني .

ونشطت في مصر حركة وضع الكتب المدرسية وتعريبها بعد أن عادت البعوث الأولى التى وجهت الى أوربا منذ مطلع القرن التاسع عشر .

الشيخ رفاعه الطهطاوي والكتاب المدرسي

وفى هذا المضمار برزت شخصية فذة من أعلام النهضة فى العالم العربي هو الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى يرجع اليه الفضل فى تأسيس مدرسة الألسن (١٨٣٥) ، هذه المدرسة التى كان لها أثر جلي فى النهضة العربية الحديثة :

وخاصة في ميدان الترجمة والتعليم العالي المنظم .

ويرجع الى الشيخ رفاعة الطهطاوي - الذى اطل اطلالة مستنيرة على المعارف الحديثة أثناء مقامه في باريس مع بعثه من الطلاب المصريين : يرجع اليه الفضل في تنشيط حركة التعليم والمساهمة في ايجاد الكتاب الدراسي العربي الحديث بما وضعه من كتب في الهندسة ،والتاريخ، والأدب ، والنحو ، والتربية ، والجغرافية ، وبما استنبطه من مصطلحات والفاظ حين ممارسته للترجمة والتاليف .

وقد اتت هذه الحركة المباركة التي بداها رواد مؤمنون بضرورة التطور وبما يكمن في أعماق اللغة العربية من قابلية الانبعاث والتجديد والاستفادة من المعارف الحديثة اتت هذه الحركة ثمارها الطيبه حيث مهدت السبيل لمن أتى بعدهم من الرجال الذين واصلوا خدمة التعليم العربي بالتدريس وتاليف الكتب الدراسية ، والدعوة الى تعميم واحياء التراث الحضاري العربي على ضوء العلوم والآداب العصرية .

وقد استنبط هؤلاء الرواد بمحض اجتهادهم عددا كبيرا من المصطلحات الحديثة والالفاظ المولدة التي شاعت وذاعت ببلاد العرب كلها .

اعداد الكتب المدرسية

لتتمشى مع حاجة التعليم

ومع اتساع نطاق التعليم وتزايد المدارس في اقطار العالم العربي المختلفة تضاعفت الجهود لجعل الكتاب الدراسي متمشيا مع حاجة التعليم بقدر الامكان ، ووافيا بالغرض العلمي والتربوي . واضطلعت الحكومات بهذا العبء ، في الغالب ، فالفت لجانا من الأساتذة المتخصصين لوضع الكتب الدراسية اللازمة في شتى المواد العلمية والادبية والاجتماعية ،وبذلك سدت حاجة المدارس في كثير من الاقطار العربية الى هذه الاداة التربوية الضرورية ، وخاصة بالنسبة للمرحلتين الابتدائية والثانوية ، واصبحت كتب الدين والاخلاق واللغة والادب والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، والعلوم والرياضيات واللغات الحية في متناول التلاميذ والطلاب سواء في التعليم العام او في التعليم المهني والتكني . وظهرت كتب التعليم الجامعي في بعض فروع العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم البحتة ، موضوعة او منقولة.

اوجه النقص

في الكتاب المدرسي العربي

ومع ذلك كله فان الكتاب الدراسي العربي ما يزال يعاني من بعض اوجه النقص من حيث الموضوع والمادة العلمية ، ومن حيث الشكل والتنوع ايضا.

ويمكننا ان نلخص اوجه النقص هذه فيما يلي :

- قلة المراجع الدراسية الجامعية ، لا سيما العلمية منها ، ولهذه المشكلة مظاهر متعددة منها : الحاجة الماسة والمتزايدة الى المصطلحات في كثير من فروع العلم والتكنئية ، ونقص المعاجم والموسوعات ، واستمرار استعمال اللغات الأجنبية في معظم الكليات العلمية بالبلاد العربية ، وضعف العناية بالبحث العلمي في هذه الكليات ، بصفة عامة .
- تعدد كثير من المصطلحات المستحدثة واختلافها باختلاف الاقطار العربية ، وانعكاس هذه الظاهرة على الكتب الدراسية .
- اختلال المعلومات المتصلة بجغرافية شتى الاقطار العربية وتاريخها وآدابها في الكتب المقررة في كل قطر عربي .
- ازدواجية لغة التعليم في بعض الاقطار العربية ، وتتجلى هذه الظاهرة ، بشكل اخص ، في مدارس المغرب العربي ومعاهده حيث لا يزال يلقن بعض المواد باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الفرنسية . ومن الواضح أن بقاء هذه الازدواجية يتسبب في نقصان الكتب الدراسية العربية وخاصة في مواد العلوم الطبيعية والرياضيات والتاريخ العام والجغرافيا .
- اختلاف اسس المناهج الدراسية بين الاقطار العربية في مختلف مراحل التعليم ، وما ينتج عن ذلك من صعوبة استعمال كتب دراسية موضوعة لقطر عربي في اقطار عربية اخرى .

الحاجة الى التبسيط والايضاح

واذا اضفنا الى ذلك حاجة الكتاب المدرسي الى مزيد من التبسيط والايضاح من حيث حروف الطباعة والشكل واسلوب الكتابة ، وضعف التاليف في كثير من الاقطار العربية ، فاننا نرى أن الحاجة لا تزال ماسة الى بذل كثير من الجهود المشتركة لتوفير الكتاب الدراسي الصالح ، مادة وشكلا ، وجعله كفيلا بتزويد الطلاب العرب

بالمعارف الضرورية المسايرة للتطور السريع الذى تشهده العلوم والآداب فى عصرنا ، وتلقينهم ، فى نفس الوقت ، القدر اللازم المشترك من المعلومات التي من شانها ان توجد بين الطلاب فى مختلف الاقطار العربية تكاملا فى التفكير والاحساس ، وتقاربا فى التطلعات والأهداف ، وان تتيح لهم ادراكا اوسع لوحدة المصير العربي ، ومعرفة اعمق بكل ما يتصل بهذه الاقطار من معلومات جغرافية وتاريخية وادبيةواجتماعية واقتصادية وسياسية.

محاولات بذلت لهدم الحواجز

ويقتضينا المقام ان نذكر بعض المحاولات التي بذلت ، على مستوى العالم العربي ، لتقريب المسافة بين اقطاره فى ميدان التعليم والثقافة ، وهدم الحواجز المصطنعة التي طالما فصلت العرب بعضهم عن بعض وباعدت بينهم اجيالا .

ترجع المحاولة الاولى فى هذا الصدد الى سنة ١٩٤٥ حينما وافق مجلس جامعة الدول العربية على المعاهدة الثقافية التي نصت على ان « تسعى دول الجامعة العربية الى توحيد المصطلحات العلمية بواسطة المجامع والمؤتمرات واللجان المشتركة التي تؤلفها ، وبالنشرات التي تنشرها هذه الهيات ، وتعمل على الوصول باللغة العربية الى تادية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث . وجعلها لغة الدراسة فى جميع المواد فى كل مراحل التعليم فى البلاد العربية » ، كما نصت المعاهدة على ان « تتفق دول الجامعة العربية على ان تدخل فى مناهجها التعليمية من تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها وادبها ما يكفي لتكوين فكرة واضحة عن حياة هذه البلاد وحضارتها ، وتعمل على انشاء مكتبة عربية للتلميذ » .

وفى سنة ١٩٤٧ أوصى المؤتمر الثقافي العربي الأول المنعقد فى بيت مرى (لبنان) ، باعداد اطالس وخرائط جغرافية للبلاد العربية ، تتناسب مع مراحل التعليم الابتدائي والثانوى والعالي ، وعهد بهذا الأمر الى الادارة الثقافية بجامعةالدول العربية . كما اوصى نفس المؤتمر بان تتولى جامعة الدول العربية تاليف لجنة فنية للوقوف على اعداد « مؤلف مفصل يتناول جغرافية البلاد العربية جميعا ، يكون بمثابة مرجع جغرافي يحوى آخر ما وصل اليه العلم » .

الثقافية العربية المشتركة

وفى سنة ١٩٥٢ وافق مجلس الجامعة العربية على قرار « يوصي الحكومات بالا تقرر جهات الاختصاص للتدريس الا الكتب التي عني مؤلفوها باستيعاب القدر المشترك من عناصر الثقافةالعربية الذى حدده المؤتمر الثقافي الأول المنعقد بلبنان سنة ١٩٤٧ لمناهج اللغة العربية والتاريخ والتربية الوطنية والجغرافيا » .

واوصت اللجنة الثقافية ، فى سنة ١٩٥٢ « بالعناية بترجمة الكتب التي توضح اصول تدريس العلوم الى اللغة العربية او تاليف تلك الكتب وتزويد الحكومات العربية بنسخ منها » .

وفى سنة ١٩٥٤ وافق مجلس الجامعة العربية على قرار يوصي بالعمل على تاليف كتاب فى تاريخ النهضة العربية الحديثة وكتاب نموذجي للتربية الوطنية ، على أن يقوم بتاليفهما لجان مشتركة من المؤلفين فى البلاد العربية * .

واصدر مؤتمر التعريب ، الذى انعقد فى الرباط — تحت اشراف جامعة الدول العربية — (أبريل ١٩٦١) توصيات فى موضوع الكتاب المدرسي العربي منها :

— وضع كتاب فى قواعد اللغة العربية والنحو يراعى فيه أن يكون مبسطا واضحا سهل التناول ومزودا بفهارس دقيقة .

— العمل على توسيع المجال الذهني والعاطفي للطفل العربي عن طريقة المطبوعات والأدوات السمعية والبصرية .

— لا بد من أن تهدف كتب المطالعة المدرسية الى تقوية روح الوحدة العربية ، اما عن طريق الموضوعات التي تتكلم عن العالم العربي وبلاده ومفاخره واسس وحدته أو عن طريق المختارات الأدبية التي تمثل الانتاج الفكرى فى شتى البلاد العربية .

معجم فى المصطلحات

وقد اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب معجما اعتمد فى وضعه على المصطلحات التي تم الاتفاق عليها بين الدول العربية خلال مؤتمرات انعقدت لهذا الغرض ، مرتكزا فى ذلك على نماذج كثيرة من الكتاب المدرسي العربي ، فاستخلص من عمليات الجرد والمقارنة (التي عهد بها الى لجان خاصة) :

أ ـ مصطلحات في اللغة ، وما يتعلق بالمحادثة والمطالعة .

ب ـ مصطلحات في الحساب ، والجغرافيا ، والأشياء ، والتربية الوطنية ، والرياضة ، هادفا من وراء كل هذا الى تحقيق رغبة الشعوب العربية التي تتطلع الى وحدة الجيل العربي الحالي في ميادين الفكر والثقافة من جهة ، والى جعل اللغة العربية اداة علمية موازية للغات الحديثة من جهة اخرى ** .

ميثاق الوحدة الثقافية العربية

وقد كان من الأحداث الهامة ، في هذا السبيل ، موافقة المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية والتعليم (بغداد ١٩٦٤) ، على ميثاق الوحدة الثقافية ، كما وافق على انشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على نمط اليونسكو .

نصوص ميثاق الوحدة الثقافية

ومما جاء في ميثاق الوحدة الثقافية :

ـ تعمل الدول الاعضاء على بلوغ مستويات تعليمية متماثلة عن طريق تنسيق انظمة التعليم فيها ، وبخاصة توحيد السلم التعليمي ، وتوحيد اسس المناهج ، وخطط الدراسة ، والكتب المدرسية ...

ـ تعمل الدول الاعضاء في المجال الثقافي على تعريف ابنائها بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في سائر البلاد العربية ، وذلك بواسطة الكتب المدرسية وبواسطة التليفزيون والاذاعة والتمثيل والصحافة ...

ـ توافق الدول الأعضاء على تاليف « الكتاب الأم » الذى يعد المرجع الرئيسي لما يؤلف من الكتب المدرسية في تاريخ البلاد العربية وحضارتها وجغرافيتها ولغتها وادبها ومقومات المجتمع العربي .

ـ توافق الدول العربية على أن تسعى الى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية ، وعلى أن تساعد حركة التعريب بما يحقق اغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها ، وذلك بالتعاون مع المكتب الدائم للتعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ... *** .

وقد اوصى المؤتمر ايضا بان « توحد أسس المناهج الدراسية في البلاد العربية تبعا لمقررات المؤتمرات واللجان وحلقات الدراسة العديدة التي دعت اليها الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية» ، كما اوصي بان « يحدد القدر المشترك من الثقافة العربية الذى يجب ان يتوافر في كل مقررات الدراسة بجميع مراحلها في البلاد العربية تبعا لمقررات المؤتمرات واللجان التي سبقت الاشارة اليها .

توصيات مؤتمر وزراء التربية الاخير

وقد اوصى مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب الذى انعقد بالكويت في شهر فبراير الأخير عام ١٩٦٨ ب :

ـ الموافقة على توصيات الحلقات الخاصة بتوحيد المناهج الدراسية في البلاد العربية .

ـ اعداد معجم للمصطلحات العلمية المستعملة حتى المرحلة الثانوية ، والعمل على تعريب الكتب العلمية القيمة من اللغات الأجنبية الحية .

ولست اريد أن ابحث في هذا المقال عما آلت اليه التوصيات والقرارات العديدة التي اتخذت على صعيد الجامعة العربية منذ سنة ١٩٤٧ وما نفذ منها وما لم ينفذ ، وان كنت أراني مضطرا الى القول بان الوحدة الثقافية العربية ما زالت تبدو بعيدة المنال ، من الوجهة العلمية ، رغم الأسس السليمة التي وضعت لها ، ومنها ميثاق الوحدة الثقافية الذى اشرت اليه .

واذا كانت بعض الاقطار العربية قد حققت بمجهودها الانفرادى تقدما ملموسا في حقل الكتب المدرسية العربية في شتى العلوم والآداب، وترجمة بعض المراجع الهامة عن اللغات الأجنبية ، فان العالم العربي لم يتمكن حتى الآن من انجاز اعمال أساسية مشتركة تمهد السبيل للوحدة الثقافية المنشودة .

قرارات تنتظر التنفيذ

ومن القرارات والمشاريع الأساسية التي ما زالت تنتظر التنفيذ ، والتي لها صلة مباشرة بموضوع هذا المقال :

ـ توحيد أسس المناهج وخطط الدراسةوالكتب المدرسية .

ـ تاليف الكتاب « الأنموذج » أو « الأم » كما سماه ميثاق الوحدة الثقافية العربية .

ـ توحيد المصطلحات العلمية والحضارية ، والسير قدما في ميدان توليد الألفاظ العلمية

والتقنية وتعريب ما تدعو اليه الحاجة منها وبكيفية تتناسب مع التقدم المذهل الذي يشهده العالم .

ـ نشر المعاجم اللغوية والعلمية التي تفتقر اليها الحياة العلمية والثقافية في العالم لعربي .

معاجم لتعريب العلوم

ومن الجدير بالذكر في هذا الباب ان « المكتب الوطني لتنسيق التعريب في العالم العربي « قد اعد معاجم لتعريب بعض العلوم مثل : الكيمياء ، والفيزياء ، والرياضيات ، والأشغال العمومية ، والفقه والقانون ، ومعجم مدرسي مصور .

وقد وزعت نماذج من هذه المعاجم علىالوزارات المختصة والهيآت العلمية والمجامع اللغويةفيالعالم العربي للنظر فيهــا بغيــة توحيد المصطلحات وتتميمها ، وقــرر المكتب الدائم اتمام اعماله المعجمية ، ضمن خطة يســتغرق تنفيذها عشر سنوات .

وقد علمت أن دعم نشاط هذا المكتب كان من بين التوصيات التي صدرت عن المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العــرب الذي انعقد بالكويت في المدة الأخيرة (فبراير ١٩٦٨) . وقد نص ميثاق الوحدة الثقافية العربية على جعل هذا المكتب من المؤسسات التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي وضع دستورها وأقره وزراء التربية العرب في اجتماعهم ببغداد سنة ١٩٦٤ . ولم يبق الا التنفيذ حينما تصدق الدول العربية جميعها على هذا الميثاق ، ويقدم الدعم اللازم ، ماليا وعلميا وسياسيا ، للمكتب الدائم الذي ظهرت نتائج جهوده بما وضعه من خطط وأعده من مشاريع واعمال وبما عرضه من مقترحات علمية ولغوية .

أسس الوحدة الثقافية

منذ سنوات قلت في مقال نشر على صفحات هذه المجلة العربية الكريمة (فبراير ١٩٦٤) ان من العسير خلق وحدة سياسية واقتصــادية لا تدعمها قيم ثقافية مشتركة وان من الأسس التي لا بد منها لبناء الوحدة الثقافية المنشودة :

ـ وضع ميثاق عربي يرسم خطوطا رئيسية مشتركة لأهداف التربية والتعليم في العالمالعربي ووسائل تحقيقها .

ـ تقريب مناهــج التعليم وتوحيد الكتب الدراسية .

وقد تم وضع ميثاق الوحدة الثقافية ببغداد في شهر فبراير ١٩٦٤ ، وصدقت عليه حتى الآن سبع دول ، فيما علمت ، ويعتبر هذا الميثاق اساسا سليما لبناء الوحدة الثقافية بين اقطار العالم العربي . ولا ريب ان تنفيذ مبادىء هذا الميثاق اصبح امرا ضروريا اكثر من أي وقت مضى ، وكل تأخير في ذلك قد يحمل معه اخطار تباعد فكري وشعوري متزايد بين ابناء البــلاد العربية ، واقل هذه الاخطار ضررا ظهور لغات قومية متعددة تعدد الأقطار العربية نفســها ، واندثار اللغة العربيــة في بعض هذه الأقطــار باعتبارها لغة علم وثقافة وحضارة . وبوادر ذلك واضحة لكل ذي بصر نفاذ . ■

الرباط محمد العربي الخطابي

---

* يلاحظ الاستاذ ساطع الحصري ـ الذي نقلنا هذه القرارات عن كتابه « ثقافتنا في جامعة الدول العربية » بيروت ١٩٦٢ ـ أن الجامعةالعربية قد تناست في هذا القرار قرارا آخر اتخذه المؤتمر الثقافي العربي الاول (١٩٤٧) بتسمية مادة« التربية الوطنية » باسم « المعلومات الوطنية » في المدارس الابتدائية ، و « الدراسات الاجتماعية والمدنية » في المدارس الثانوية ، باعتبار هذه المادة علمية تربوية متعددة الجوانب .

** « المعجم المصــور » مقال نشر بمجلة« اللسان العربي » التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . العدد الثالث (اغسطس ١٩٦٥) . الرباط .

*** عن المطبوع الرسمي الذي أصــدرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، (١٩٦٤)، وهو يتضمن : ميثاق الوحدة الثقافية ، ودستور المنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم ، وتوصيات المؤتمر الثاني لوزراء التعليم العرب .



بقلم : محمد فاروق النبهان
ماجستير في الاقتصاد الاسلامي والشريعة الاسلامية

■ تحتل الدراسات الاقتصادية اليوم مركز الصدارة بين الدراسات الحديثة لأن المشكلة التى تعترض المجتمع البشرى هى مشكلة اقتصادية نشأت من وجود حاجات متعددة للافراد لا تكفى الموارد المحدودة لاشباعها . فتحاول كل من النظم الفردية والنظم الجماعية في العالم أن تقدم الحل المناسب للقضاء على هذه المشكلة .

الفكر الاقتصادى في العالم

ولو حاولنا ان نرجع الى نشأة الفكر الاقتصادى خلال التاريخ لوجدنا انه قديم منذ فجر التاريخ، وهو يختلف عن علم الاقتصاد اختلافا بينا . وعلم الاقتصاد علم ظهر في العصر الحديث .

والفكر الاقتصادى لا يعتمد على نظريات متكاملة بل هو مجرد ظواهر اقتصادية تعتمد على آراء فكرية تصدر من فيلسوف من الفلاسفة أو قوانين وضعية تحاول وضع تنظيم لحالة اقتصادية معينة دون أن تعتمد على دراسة اقتصادية دقيقة .

وقد تجلى الفكر الاقتصادى من خلال ما قام به بعض أباطرة الصين من تصرفات تنظيمية تتعلق بالاوضاع الاقتصادية كتحديد الاسعار وفرض الضرائب واقامة بعض المنشآت التابعة للدولة .

وظهر الفكر الاقتصادى في الديانات السماوية من خلال بعض الاحكام التى ذكرت في الكتب المقدسة أو بعض الآراء التى صدرت عن رجال الدين المسيحى .

وقد حاول بعض الكتاب المسيحيين خلال العصور الوسطى دراسة بعض المسائل الاقتصادية لبيان راى الكنيسة فيها .

الفكر الاقتصادى في الاسلام

وجاءت كتب الفقه والأصول مليئة بالافكار الاقتصادية ولكننا لا نستطيع أن نطلق عليها اسم العلم ، لأن العلم بحد ذاته هو كل بحث منظم متكامل الاجزاء يجرى طبقا لطرق محددة من طرق التحليل ويقصد به استخلاص القوانين العامة من الظواهر الفردية الجزئية البسيطة .

فلو رجعنا الى كتب الفقه لوجدنا أحكاما تتعلق بتحريم الربا والاحتكار وأحكاما أخرى تتعلق بتحديد الاسعار أو عدم جواز ذلك أو مراقبة الأسواق ، فهذه الأحكام هى أفكار اقتصادية ولكن لا نستطيع أن نطلق عليها اسم علم الاقتصاد .



اقتصاد لم يتعصب للفرد على حساب الجماعة، ولا للجماعة على حساب الفرد.

ظهور علم الاقتصاد

يعتز علماء الغرب بأنهم أول من أوجد علم الاقتصاد ويذكرون هذا في معرض الكتابة عن تاريخ علم الاقتصاد ، ثم ينطلق المؤرخون بعد ذلك مرددين هذا الرأى .

وأول من كتب في هذا الموضوع في رأيهم آدم سمث Adam Smith وهو الفيلسوف الاسكتلندى الذى كتب كتابا عن ثروة الامم عام ١٧٧٦ .

وقد اعتبر رجال الاقتصاد الغربيون أنهذا الكتاب أول كتاب أرسى قواعد علم الاقتصاد ، ولقبوا كاتبه بأبى الاقتصاد السياسي .

ابن خلدون وعلم الاقتصاد

على أن ابن خلدون كتب مقدمته العظيمة في القرن الثامن الهجرى ودرس فيها الظواهر الاقتصادية والعمرانية دراسة متينة ، وبين ما بينها من ترابط وتلازم ، معتمدا في ذلك على الاستقراء والقياس وهو نفس أسلوب العمل الذى قام به آدم سميث بعد أربعة قرون .

وقد أكد هذا المعنى الدكتور محمد على نشات الذى قام بدراسة علمية عن الفكر الاقتصادى في مقدمة ابن خلدون قال فيها :

« ان كتابة ابن خلدون جديرة بان تكون نقطة البدء للمدرسة العلمية في الاقتصاد فهى ليست مجرد جمع لمعارف منوعة ، ولكنها مجموعة معارف منظمة ومرتبة ينطبق عليها لفظ العلم في معناه الدقيق » .

الملامح الرئيسية للاقتصاد الاسلامى

واذا لم يظهر علم الاقتصاد في الاسلام كعلم مستقل متكامل ، فما أجدرنا نحن اليوم أن نستخرج من بطون الكتب الاحكام التى تتعلق بالاقتصاد،والتى نستطيع أن نكون بها علما مستقلا متكاملا .

فالكتب الفقهية مليئة بالاحكام التى تتعلق بالأموال ، ولو حاولنا أن نجمعها ، بعضها مع بعض ، لاستطعنا أن نكون منها مجلدات كثيرة .

ومع ذلك فان هناك كتبا متخصصة تبحث في كل ما يتعلق بأحكام الاموال في الفقه الاسلامى ، وأهم هذه الكتب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، والخراج ليحيى بن آدم ، والخراج لابى يوسف، والأحكام السلطانية للماوردى ، والحسبة لابن تيمية ، وغير ذلك من الكتب التى تعرض للأبحاث الاقتصادية التى كانت شائعة في ذلك الحين .

طبيعة الاقتصاد الاسلامى

وأهم صفة بارزة في الاقتصاد الاسلامى هى الاعتدال ، والاعتدال ينافي التطرف ، لان التطرف يجمع معه الحرج والمشقة ، وهو غير صالح لجميع

الأزمان ، ولا يحقق العدالة لجميع الافراد ،وغالبا ما يحدث نتيجة لردود فعل عكسية تنتهى بانتهاء أسبابها .

ويظهر هذا المبدأ بشكل واضح في مجال نظرية الحق التى انقسم علماء القانون فيها الى قسمين:

القسم الاول : اعترف بفكرة الحق المطلق الذى يوجد قبل وجود الانسان ، وقالوا ان الفرد يولد وهو متمتع بحقوق طبيعية مصونة سابقة في وجودها على القانون ، ويأتى القانون ليحمى هذا الحق وليمكن الفرد من ممارسته .

اما القسم الثانى : فينكر فكرة الحق المطلق ، ولا يجيز للفرد أن يتصرف في أى حق من حقوقه الا ضمن ما يعترف به القانون وما يسمح له به ، لان القانون هو المانح للحقوق ، وبالتالي يستطيع القانون أن يسترد ما قام بمنحه للافراد .

ويقف الاسلام بين هذين الرأيين وقفة الاعتدال، فلا يعترف بالحق المطلق ، لانه يلحق الضرر بالجماعة ، ولا ينكر فكرة الحق ،لان نكرانه اهدار لكرامة الفرد ، بل يعترف بوجود فكرة الحق ، ولكنه يقيده بألا يستخدمه صاحبه ، الا وفق ما تأمر به الشريعة .

نظرية الملكية الفردية

يعتبر موضوع الملكية من اهم الموضوعات التى اثارت انتباه الباحثين في العصور الحديثة ،وكانت موطن نقاش عنيف بين انصار المذهب الفردى وانصار المذهب الاشتراكى .

والملكية هى العلاقة التى اقرتها الشريعة بين الانسان وماله ، بحيث يتمكن من الانتفاع به بجميع الوسائل المشروعة ، ضمن الحدود التى اجازتها الشريعة .

ويختلف مفهوم الملكية في الاسلام عن مفهومها لدى كل من المذهبين الفردي والجماعى . وهذا المفهوم ينبع في الاساس من طبيعة الملكية الفردية في الفقه الاسلامى ، التى تختلف في نشأتها ومظهرها ونتائجها عن طبيعتها في النظم الأخرى، فهي ليست مطلقة ، لان النصوص صريحة في منع الافراد من التصرف في ملكياتهم بطرق تلحق الضرر بالجماعة ، ولذلك اقر الفقهاء جواز الحجر على السفيه ، لانه يتصرف في ملكيته تصرفا يلحق الضرر بالجماعة، وهى ليست ملكية جماعية ، لان النصوص واضحة في اقرار الملكية الفردية،ولكن عليها حقوق للجماعة لابد من وفائها .

القيود المفروضة على الملكية

وقد تعرض علماء الشريعة للقيود المفروضة على الملكية خلال بحثهم عن الضرر والنهى عن وقوعه ، فلا يجوز للمالك ان يستعمل ملكيته بطريقة تلحق الضرر بالآخرين . روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا ضرر ولا ضرار) . ويعتبر هذا الحديث ذا اهمية كبيرة في التشريع الاسلامى ، وهو قاعدة عامة شاملة لجميع انواع الضرر بأى صفة كانت .

الحقوق المترتبة على الملكية

ولم يكتف الاسلام بفرض القيود على الملكية ، بل أوجب على المالك بعض الواجبات والحقوق لمصلحة الفقراء والمحتاجين . واهم هذه الحقوق :

١ ـ الزكاة، وهى الالتزام المالى الذى يجب على المسلم ان يؤديه الى الفقراء ، وهو قدر معلوم من المال مفروض على رؤوس الاموال يدفع لاصحابه المستحقين .

٢ ـ التكامل الاجتماعي، وهو الحق الثانى الذى يجب على المالك ان يقوم به ، وهو حق زائد عن الزكاة . قال ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (الأموال) الذى يعتبر من المصادر الرئيسية لأحكام الاموال في الاسلام : (ان في المال حقوقا سوى الزكاة ، مثل بر الوالدين وصلة الرحم وقرى الضيف) .

مقارنة بين الزكاة والنظام الضريبى القائم

ويلاحظ كل متتبع لدراسة علم المالية العامة ان الاسلام قد طبق منذ ثلاثة عشر قرنا احدث ما توصلت اليه النظريات الحديثة في علم المالية في مجال تطبيق الضريبة ، وذلك حينما اخذ بمبدأ تعدد الضريبة على رأس المال ، واعفاء الحد الادنى من الدخل من الضريبة .

فقد فرض الاسلام الزكاة على جميع الاموال ، سواء أكانت اموالا نقدية ام اموالا عينية ،بنسب محدودة . وفائدة الضريبة المتعددة انها لا تشعر

دافع الضريبة بالثقل ، ولا ترهقه بالدفع ، لأنها موزعة على جميع انواع المال ، كما انها تحقق العدالة في توزيع الضرائب على المالكين .

ومن الجدير بالذكر ان النظم الضريبية المعاصرة كانت تأخذ الى عهد قريب بمبدأ الضريبة الموحدة المفروضة على اصل الثروة ، غير ان هـذا المبدأ لقي معارضة شديدة لان تلك الضريبة كانت تشكل عبئا كبيرا على المالك ، مما جعلها تتراجع أمام مبدأ الضريبة المتعددة المفروضة على جميع أنواع الدخل .

أثر الزكاة في تطوير فكرة الاحسان

وكانت معالجة مشكلة الفقر في العصر القديم تقوم على اساس الاعتماد على فكرة الاحســـان الاختيارى ، الذى يقوم به الغنى تجاه الفقيـر ، دون ان يكون الغنى ملزما بذلك ، ولما جاء الاسلام فرض الزكاة ، ونقل مفهوم الاحسان من فكـرة الاختيار الى فكرة الحق الواجب المفروض على الغنى ، وبذلك أصبح الفقير يشارك الغنى بجزء معلوم من ماله وهو مقدار الزكاة، بحيث لايستطيع الغنى ان يتخلف عن دفع هذا الحق . فاذا امتنع فعندئذ يحق للدولة ان تجبره على ذلك .

ولم يعترف المجتمع الغربى بحق الفقراء في أموال الاغنياء الا في عام ١٦٠١ عندما أصدرت ملكــة انكلترا اول قانون يعترف بحق الفقراء ، ســمته (قانون الفقراء) .

ولو حاول المسلمون اليوم تطبيق نظام الزكاة تطبيقا صحيحا لقضوا على مشكلة الفقراء قضــاء مبرما ، ولاستطاعوا ان يبنوا مجتمعا صالحا يقوم على اسس متينة من العدالة والكفاية ولاستطاعوا ايضا ان يقدموا للبشرية نموذجا مثاليا للمجتمعات الصالحة التى تقوم على الحب والتعاون والاخوة والسلام .

الوظائف الاقتصادية للدولة الاسلامية

ولا يقتصر عمل الدولة في الاسلام على حفظ الامن في الداخل ، والدفاع عن الوطن في الخارج فحسب، بل يجب عليها أن تقوم ببعض الوظائف الاقتصادية عندما تدعوها الحاجة لذلك ، ويتمثل عملها في شكلين :

الاول : الطرف الوقائى الذى يجب على الدولة ان تلجأ اليه لمنع الانحراف في المعاملات عن طريق مراقبة الاسواق والمعاملات الجارية بين الناس . وتعتمد في ذلك على (نظام الحسبة) الذى تعرض له الفقهاء وبينوا احكامه .

ويقوم ولي الحسبة بمنـع الغش والتدليس في المبايعات . وهناك كتب كثيرة تبحث في الحسبة، منها نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرازى المتوفى عام ٥٨٩ وفيه تكلم المؤلف عن عمل والى الحسبة في مراقبة الحرف والصناعات ، وكيفية منع الغش فيها .

كما كتب ابن تيمية كتابا عن الحسبة في الاسلام أو وظيفة الدولة الاسلامية .

الثانى : التدخل في الشؤون الاقتصادية ، ولا يكون ذلك الا عندما يحاول البائعون أن يجمعـوا ثروتهم عن طريق غير شرعى ، كالربا والاحتكـار والاضرار بالناس ، وعندئذ يجب على الدولة ان تتدخل لمنع هذه التصرفات ، لانها ضارة بالمجتمع.

وقد أجازت الشريعة لولى الامر أن يحـدد الاسعار اذا تمادى البائعون في غبن المشــترين. والاصل انه لا يجوز تحديد السعر ، الا أن الامام مالك أجاز التسعير لدفع الضرر عن الناس . وقال ابن تيمية ان التسعير واجب اذا اقتضته مصلحة الجماعة ، وبين أن النصوص التي تمنع التسـعير معللة بالا تؤدى حرية الاسعار الى الاضرار بالناس.

الاقتصاد الاسلامي اقتصاد اعتدال

ان الاقتصاد الاسلامي يقوم على اساس معتدل ، فلا يتعصب للفرد على حساب الجماعة، ولا يتحمس للجماعة على حساب الفرد ، بل يحاول ان يحقق مصلحة الفرد والجماعة على السـواء .

ونحن ندعو الباحثين في بلادنا الى العناية بدراسة الاقتصاد الاسلامي دراسة علمية موضوعية ، عن طريق استخراج الاحكام المتعلقة بالمال ، من بطون الكتب الفقهية ، وتلك الاحكام تستطيع أن تكون نواة لدراسة الاقتصاد الاسلامي ، فتنشوء علم اقتصادي عربى يجد مكانه رفيعا بين علوم هـذا الزمان الحاضر .

■■

الرياض **محمد فاروق النبهان**

في سبيل موسوعة علمية *

مدافع الهاون

بقلم الدكتور أحمد زكي

س : نسمع كثيرا في حرب فتنام أن الثوار استخدموا مدافع الهاون في هجوم على عاصمة فتنام الجنوبية ، سيجون . فما هو هذا الهاون . وهل هي كلمة افرنجية أم عربية . فالهاون بالعربية هي اداة المطبخ الذى يدق فيها الحب وغير الحب ليطحن ويهرس قبل اضافته للطعام .

ج : اولا عن الهاون الحربى ، ثم ننظر في اللغة .

الهاون مدفع خفيف نسبيا ، في العادة ، بسيط الصنع ، تستطيع الجيوش في خط النار الاول ان تحمله ، وتهيؤه للعمل بسرعة .

وهو استخدم كثيرا في الحرب العالمية الثانية لقصف أهداف فوق التلال او نحوها ، ليست بعيدة المدى . فهو يوجه الى حيث يوجه عاليا ، اى وانبوبته تصنع مع الأرض الافقية زاوية كبيرة .

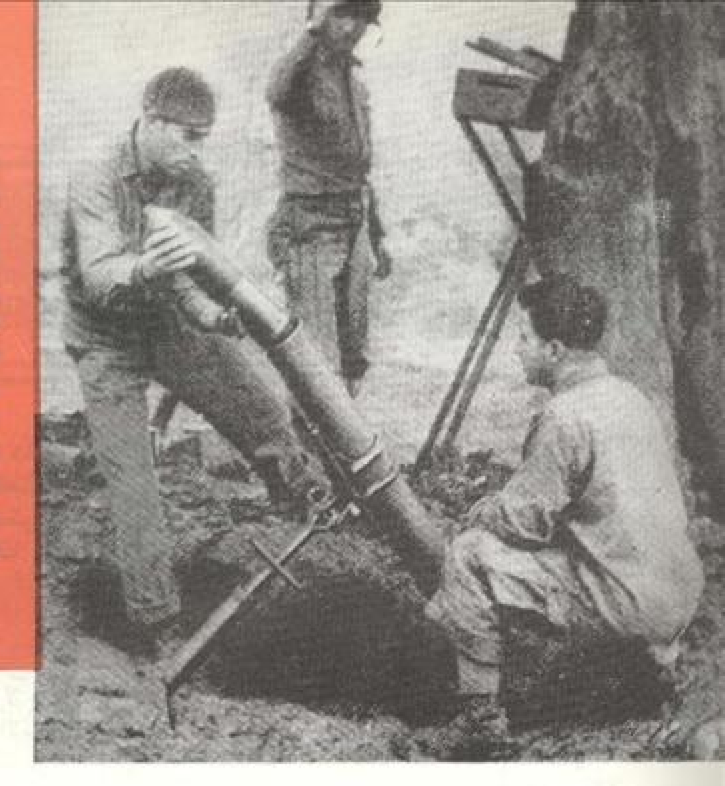
★ تجمعت لدينا بعض الاسئلة العلمية من القراء وجدنا منها ما ينفع ليكون موضوعا في هذه الموسوعة .

وانبوبة المدفع ملساء الا فيما ندر ، اى غير محلزنة ، اى ليس بها الحزوز الحلزونية التى بأنابيب البنادق .

والقذيفة توضع في المدفع في فم الانبوبة من اعلى ، وهى اذ تسقط في



صورة مدفع هاون ، بمدينة بيترزبرج بولاية فرجينيا بامريكا واسمه الدكتاتور . وقطر انبوبته ٣ر١٣ بوصة . وهو تاريخى . وعرضه كبير بالنسبة لطوله . ولعل هذا ما أعطاه معنى الهاون ، اداة الطبخ التى تدق بها المأكولات والتوابل .



جندى من مشاة الامريكان يحشو مدفعا هاونا ، بان يسقط في انبوبته ، وقطرها ٢ر٤ بوصة ، قذيفة . فهذه القذيفة عندما تصل الى قاع الانبوبة وتدقه ، يندق الزناد فيطلق الشحنة الدافعة من المفرقعات ، وتخرج القذيفة، وبها الشحنة الناسفة ، تجرى في الهواء تطلب هدفها .

الانبوبة يمس الزناد قاعها فتنطلق خارجة من فم الانبوبة الذى منه دخلت .

والذى يساعد القذيفة على البقاء في الاتجاه المرسوم لها ، فلا تزوغ عنه ، ريش او « زعانف » توجد في القذيفة ، وهي ماضية في الجو تمنعها أن تحيد .

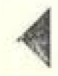
ونعلم أن المدافع والبنادق عندما تنطلق يرتد المدفع او ترتد البندقية بغتة الى الوراء بفعل القذيفة التى ذهبت مندفعة بغتة كذلك الى امام .

وليس في هذا المدفع ما يتقي رد الفعل هذا ، لان قاعدته مثبتة على الارض .

وأكثر مدافع الهاون انتشارا في الحرب العالمية الثانية كان قطر انبوبتها ٦٠ مليمتر ، وكان ٨١ مليمتر ، ومدى قذفه اختلف بين ٢٠٠ ياردة و ٢٠٠٠ ياردة او ٣٠٠٠ ياردة .

اما عن اللغة فاحسب في الصورة الثانية التى تصحب هذه الكلمة تفسير لها . فالاصل في هذا المدفع ، كما يصفه قاموس وبستر Webster العمدة الكبير ، انه مدفع له انبوبة قصيرة الطول بالنسبة الى قطرها ، تستخدم لرمى قذائف تخرج من فوهته بسرعة منخفضة وعلى زاوية من الارض مرتفعة .

وهذا هو هاون المطبخ . ومنه انتقل اللفظ الى المدفع . من المطبخ الى ميدان الحرب .





س : ظهر في هذا القرن الحاضر اشياء حديثة ، لم يكن بآبائنا عهد بها . وانى اعنى الآن تنظيف الملابس. كان دائما بالماء والصابون، ثم اذا بهم من سنوات يبتدعون ماأسموه بالتنظيف على الناشف . فما هو التنظيف على الناشف .وهل يجوز على الاجسام ما يجوز على الملابس ، فيكون هناك الاستحمام على الناشف ؟

ج : تنظيف الملابس واجب من واجبات الانسان المدني لا يمكن ان يتخلى عنه ، ما دام ان جسم الانسان ينضح بما يخرج الانسان عندما يسميه بالوسخ ، وما دامت هذه الارض وجو الارض ، تثيران من الغبار ، وغير الغبار ما يمتزج بوسخ الاجسام فيزيده سوءا .

اما الجسم نفسه فله الحمام . والاستحمام ضرورة اليوم ، كضرورة الطعام .

واما ما يلبس الجسم فله المغاسل ، سواء خاصة في البيت ، او عامة في المدينة .

ومن عنت النساء ان يكون غسل الملابس من واجباتهن ، كالطبخ . ومع هذا فالزمن يتغير بعض الشيء ، وتتغير عاداته . فنحن اليوم نرى ، لو استطعنا ان نشق بابصارنا جدران المنازل ، نرى الرجل يقوم بالغسل كما نراه يقوم بالطبخ، لا سيما الرجال الاعازب الذين يقومون اضطرارا، بما جعلته التقاليد من واجبات المراة .

وغسل الملابس غسلان :

(ا) غسلها بالماء والصابون، او بأبدال الصابون .

(ب) غسلها بغير الماء ، بالبنزين ونحوه .

ولا نسمى الغسل بالبنزين غسلا ، نسميه تنظيفا . ولا نصفه بأنه تنظيف بالبنزين ، فالبنزين كلمة فيها ابهام علمي كثير . وهي مواد متغيرة لم تثبت في الاستعمال على حال . وانما نسميه بالتنظيف على الناشف . والناشف كلمة عربية لا شك فيها . حتى اذا هي لم تكن ، فقد شاعت على السنتنا حتى صارت بعضها . والذي يصير الى هذه الدرجة بعض السنتنا هو بعض لغتنا . ومن شاء فليسمه التنظيف الناشف ، او ان شاء فالجاف . وهي كلها تفيد ان الماء وحده هو البلل ، وغيره من السوائل جاف .

وهذه التسمية تتفق مع التسمية العالمية. فهي بالانجليزية Dry cleaning
وهي بالفرنسية Nettoyage a sec
وهي بالالمانية Trockenreinigung
ولو عرفت الروسية لأتيت باسمها عندهم . فلهذه التسمية العربية فضل الاقتراب من الاسماء العالمية . لقد اخذنا عن العالم العملية كلها ، واخذنا ادواتها واجهزتها ، فما بالنا نقف عند اخذ اسمها .

على كل حال هذا هو الاسم الذى

علـى النَّاشِف

جرت به ألسنة السواد من الناس ، فليسعد به من يسعد ، وليشق من يشقى .

المواد المستخدمة في التنظيف على الناشف

هي مواد عضوية كيماوية ، اي اساس تركيبها الكربون .

وقد بدات في فرنسا في القرن الماضي باستخدام زيت التربنتينة . ثم استبدل بهذا الزيت مقطرات من زيت البترول ، وهي من خواصها ان تذيب الدهون والشحوم ، وهي الشحوم التى تتسخ بها الملابس اخذا من جلود لابسيها اذ يعرقون . واسموا هذه المقطرات البترولية جاسولينا Gasoline ، واسموها نفطا . وكانت لها ميزة الرخص ثمنا ، ولكنها كانت سريعة الالتهاب .

وفي عام ١٩٢٥ ابتدعوا قطارة من زيت البترول ، درجة غليانها عالية ، وكذلك الدرجة التى يشتعل فيها بخارها عند احتراره Flash Point . وهذا يقلل بالطبع من اخطار الحريق .

وجاءت كذلك مواد اخرى كلورينية ، هي عبارة من ادروكربونات زيت البترول نفسه ، ولكن البسيطة الاولى ، بعد احلال غاز الكلور محل ادروجينها . والذى درس الكيمياء العضوية في المدارس الثانوية يعلم أن السلسلة الدهنية (ومنها يتألف زيت البترول آخر الامر) تبدأ بالميثان ، ويحتوى جزيئه ذرة كربون واحدة ، واربع ذرات من الادروجين . والايثان ، ويحتوى جزيئه ذرتين من الكربون وستا من الادروجين وهلم جرا . وهذا الادروجين يمكن احلال الكلور محله بطرق مباشرة وغير مباشرة .

وينتج من هذا الاحلال سوائل عضوية شبيهة بقطرات زيت البترول من حيث اذابتها للشحوم الا أنها في مامن من اشتعال ، فمن خطر الحريق في مصانع التنظيف على الناشف .

واشهرها رابع كلوريد الكربون ورمزه الكيماوى ك كل ٤ (ذرة كربون واربع ذرات كلور) . واستعمل ثم استغنى عنه عندما اتضح انه سام ضار بالعمال .

وكذلك ثالث كلورى الاثيلين ، ورمزه الكيماوى ك ــ يد . كل٣ .

وكذلك رابع كلورى الاثيلين ، ورمزه الكيماوى ك٢ كل٤ .

ولا يمنع القارىء من متابعة الحديث ان لا يكون ملما بهذه الأحاجى الكيماوية ، اذ يكفى أن يعلم أن هذه المواد انما هي مواد برافينية ، من اصول مركبات زيت البترول ، داخل في تركيبها الكلور ، فحفظ لها خواص اذابة الدهون والشحوم ، وفي الوقت نفسه منع عنها اخطار الحريق .

ومع هذا فمعظم بيوتات التنظيف العامة بالولايات المتحدة ماتزال تستخدم منتجات زيت البترول المامونة الحريق .

اما خارج الولايات ، فيستخدمون البرافينات المكلورة التي ذكرنا . والكلورى الرابع افضلها ولو انه اعلاها ثمنا ، والكلورى الثالث اقل نفقة ، ويستخدم كذلك .

وفضل هذه السوائل العضوية على

الماء انها لا تؤثر في الثياب كما يؤثر الماء . فهي لا تغير من لونه ، ولا من نسجه ، ولا فيما ادخل عليه آخر الامر من لمسات تزيده نفعا أو رونقا .

وصف العملية في مصانعها

ينخلع من الملابس التى يراد تنظيفها كل ما يمكن ان يتأثر بهذه العملية أو يعوقها أو يعوق كيئها عند النهاية ، وتفحص لمعرفة ما بها من بقع ونحو ذلك، ويسجل كل هذا . ثم تعلم بالذى يدل عليها من بعد خلطها بغيرها . ثم تفرز الملابس وفقا لنوع نسيجها ووفقا لأصباغها .

ثم يضع العامل قدرا من هذه الملابس المتشابهة في وعاء التنظيف، وهو يحتوى على سائل التنظيف من بترول أو غيره ، ثم يغلق عليها .

ووعاء التنظيف هذا يختلف حجما ، ويختلف عملا . ولكن المهم فيه ان تظل الحركة قائمة بين الملابس الموسومة بالوسخ والسائل العضوى المذيب لأوساخها الدهنية،وان يظل هذا السائل المذيب دائم الجريان يترك الملابس ويعود اليها .

وهو اذ يتركها يحمل ما اذاب بها من دهن . ويحمل الأقذار غير الدهنية التى كان حبسها الدهن علىالملابس ثم تفككت، واذن فهى تتعلق بالسائل المذيب فيخرج بها عن الملابس ثم هو يترشح منها قبلأن يعود .

فاذا جرت عملية التنظيف هذه المدة الكافية وجب أن يفصل السائل المذيب عن الملابس .

وتستخدم لذلك القوة المركزية الطاردة .

وهى الدوران بالملابس المبتلة بالسائل في اوعية جدرانها مثقوبة ، تتحركبسرعة حول محور لها وهى قائمة . وهذه الحركة تطرد السائل بعيدا عن مركز الدوران ، فيخرج السائل من الوعاء المثقوبالجدران الىالوعاء الخارجالثابت الذى احتواه ، وفيه ينصب .

والملابس الخارجة من هذه العملية لا تكون جافة تماما ، ولاستخراجالسائل المتبقى فيها توضع في قلابات مغلقة يندفع فيها الهواء دفعا الى الملابس ،وهو اذ يخرج منها يحمل معه السائل الذى كان تمسك وتخلف .

ازالة البقع

ويعهد بالثياب بعد ذلك الى عمال ، وغالبا الى عاملات ماهرات تزيل البقع .

وعليهم او عليهن اولا أن يدرسوا البقعة ليعلموا شيئا عن كنهها . وهم بالخبرة عرفوا عنها الكثير . وعرفوا كيف يزيلونها واى السوائل او اية المواد الكيماوية افعل في ازالتها ، وعندهم منها العشرات النافعة .

التجهيز النهائي

ثم تكوى . والكى يسهل أمره في هذه البيوتات الصناعية منحيث نوعالمكاوى، ومن حيث ما تستند عليه الثياب عند الكى ، ولكل قطع من الملبسمسند مشكل على نحو شكلها .

وتستخدم المكاوى البخارية ، ثم يعاد الى الثياب ما كان خلع منها .

الاستحمام على الناشف

بعد شرح ما التنظيف على الناشف يصبح الاستحمام على الناشف سؤالا به بعض غرابة .

ولكن بالتروى يدرك المتروى ان الانسان كثيرا ما يمارس الاستحمام على الناشف . مثال ذلك المريض الذى لا يستطيع استحماما ، واتسخ جسمه، هو ينظفجسمه بماء الكولونيا . وما هو الا الكحول دخله شيء من الطيب .

وقدماء بنى الناس ، قبل الصابون ، كانوا يستحمون على الناشف ايضا ،وفي روما خاصة ولكن هذا موضوع غير الذى نحن فيه . ●●

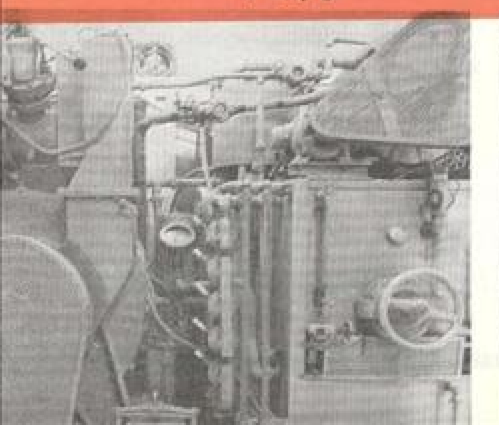
احمد زكي

جهاز من أجهزة التنظيف على الناشف المنتشرة في الكويت ، وهى لتنظيف الملابس بالمواد العضوية الكيماوية الناتجة عن البترول . وهى اساسا تذيب الأوساخ الدهنية العالقة بالملابس .. وقال صاحب الجهاز لنا ان تنظيف الملابس بداخلها ، بما في ذلك عملية التجفيف بالطرد المركزى في نفس وعاء التنظيف، يستغرق ٤٠ دقيقة. وهي تقوم باستيعاب ما وزنه ١٥ كجم من الملابس في كل عملية تنظيف .

صورة للفتحة التى بجهاز التنظيف على الناشف السابق ، وهى فتحة الوعاء الذى يكون به السائل العضوى للتنظيف . والعامل يلقمه ما يستطيع تنظيفه من ملابس ، ثم يغلقه قبل دوران الوعاء بالسائل والملابس . وبعد المدة المقررة يفصل السائل عن الملابس بقوة الطرد المركزيه .



صورة للجزء الخلفى من الجهاز، وتظهر فيه المكنات اللازمة ، وكذلك اجهزة التقطير التى تستخدم لتقطير السوائل العضوية بعد استخدامها لازالة الأقذار لكى تصفو لتستخدم من جديد .



غَدَرتُكِ..؟!

■ حَنانيكِ غانيتي الباكيه ... دعي النوحَ وابتسمي ثانيه
بكاؤك أدمى الفؤادَ الحزينَ ... فرِفقاً بمهجتيَ الداميه
ولا تَذرِفي الدمعَ ياحلوتي ... فما بكِ لا والهوى مابيه
عهدتُكِ فتنةَ هذا الوجودِ ... ونشوةَ أيامي الهانيه
وكانتْ عيونكِ فجرَ الهوى ... يفيض بأحلامه الزاهيه
فماذا دَهاكِ فجفَّ السنا ... وأصبحتِ ناحلةً ذاويه ؟

★★★

منحتُكِ قلبي فخلَّفته ... مَسفَّ الرياحِ على الرابيه !
وكنتُ حسبتكِ سلواي في الـ ... حياةِ فخيبتِ آماليه !
ظننتُكِ صادقةً في الوعودِ ... وهل صدقتْ وعدَها غانيه !؟
عجبتُ لقلبكِ ذاكَ الرقيقِ ... وكيفَ على الوُدِّ جافانيه !
بكيت عليكِ بكا يائسٍ ... وأرخصتُ أدمعيَ الغاليه
وأنتِ بمقربةٍ تشهدين ... وأسمعُ ضحكتكِ الداويه
دفنتُ الهوى والأماني العذاب ... وقطّعتُ أوتارَ قيثاريه
وعدتُ أروحُ وأغدو على ... طُيوفٍ من الذِّكَرِ الواهيه

★★★

نسيتِ لقاءاتنا الحالماتِ ... وأنكرتِ أُلفتنا الماضيه !
وأيامَ عشنا بحضنِ الهوى ... تظلّلنا الفرحَةُ الهانيه !
ألا تذكرينَ ليالي الغرامِ ... وأيامَ لذّاتنا الطاغيه !!
ليالَي كنّا بعرسِ الرُّبى ... ربيعاً من المتعِ الزاهيه
ويَرمقنا البدرُ في غبطةٍ ... ليرقصَ نشوانَ في جاميه
فخلّي البكا حلوتي وانظري ... بطرفكِ كيفَ غدتْ حاليه



للشاعر
محمد حسن آل الطالقاني

شبابي ذوى في ربيع الصبا   وأوشكتُ أن أردَ الهاويه

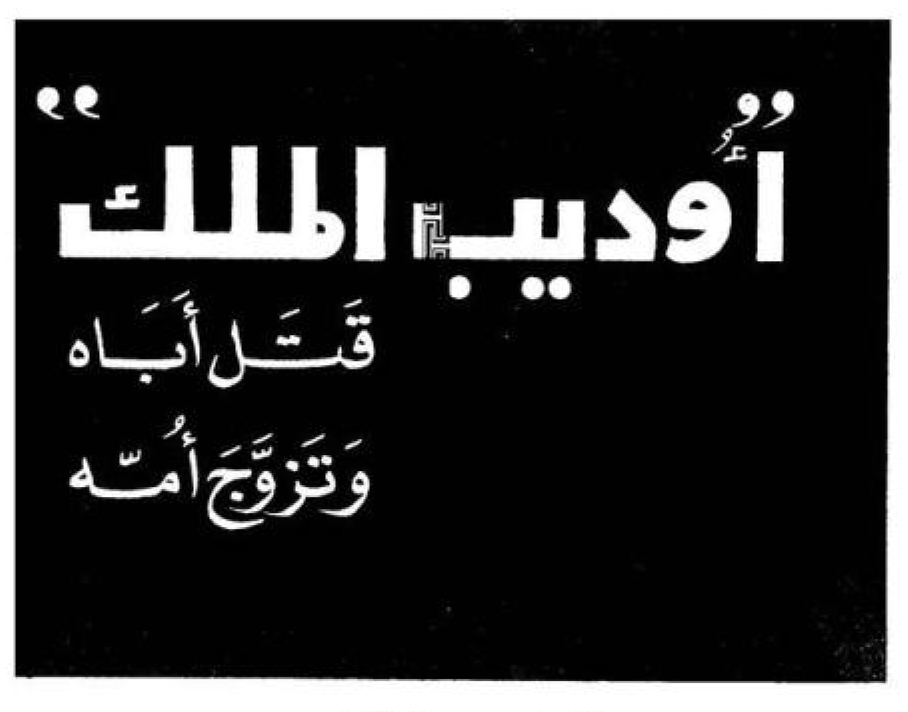
★★★

هجرتِ وتبكينَ ما قد مضى   فكفّي دموعَكِ يا باكيه
قطعتِ الوصالَ وعذّبتني   فهل تنفعُ المقلةُ الساجيه ؟
أأرضى عليكِ بهذي الدموعِ   ، وأنتِ التي خنتني راضيه
وترجينَ صفحيَ عن هفوةٍ   أهاجتْ سعيراً بأحشائيه ؟
وإنكِ أنثى فلا تؤمنينَ   وسوفَ تُسيئينَ لي ثانيه
خبرتُ هواكنَّ ياغادرات   وضيّعتُ فيكنَّ ألحانيه
ولكنّه الحبُّ يلوي الرقابَ   ويمتلكُ القلبَ والناصيه
وحوّاءُ تدري بأن الرجالَ   يلذُّ لها الأسرُ للغانيه
فراحتْ تمدُّ شباكَ الهوى   لتخضعَ أرؤسها العاليه

★★★

ونفسيَ وهي كما تعلمينَ   من الأنفس الحرةِ الساميه
إليكِ أقدّمُها راضياً   وان كنتِ ياحلوتي قاسيه
فلا تحزني واعلمي أنني   غفرتُ ذنوبَكِ ياجانيه

النجف الاشرف ـ العراق   **محمد حسن آل الطالقاني**



بقلم : محمد طنطاوي

■ نبهتنا علماء النفس الى ظاهرة كثيرا ما تتراءى في الاسرة ... وهى ان الاولاد الذكور يميلون الى امهاتهم اكثر من ميلهم الى آبائهم ..وان البنات يملن الى ابائهن اكثر من ميلهن الى امهاتهن ...

وقد تناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل العالم النفسانى « فرويد » Freud . ووقع ، فيما وقع عليه في سبيل هـذا البحث ، على المسرحية الاغريقية الشهيرة للمؤلف الاغريقي القديم « سوفوكليس » Sophocles ، تلك التى اسمها Oedipus Rex ، أو بالعربية « أوديب الملك ».

وقد ظهرت هذه المسرحية على المسرح العربى مرات كثيرة في القرن العشرين .. وكان من الذين مثلوا شخصية « اوديب » فيها الفنان المرحوم جورج ابيض .

وقع فرويد على هذه المسرحية ، وما صنعه «أوديب» بابيه، وما صنعه بامه، فعزى كل ذلك الى ظاهرة نفسية طبيعية هي تلك التى لاحظها النفسانيون في صغار البنين والبنات من ميل لأحد الابوين دون الآخر ...

وأسمى فرويد هذه الظاهرة النفسية « بعقدة أوديب » .

والآن نبدأ بذكر قصة « اوديب الملك » حتى نتفهم هذه العقدة من حيث وقوعها في مسرحية سوفوكليس ... ثم نتناول بعد ذلك ما فات « فرويد » من عقد نفسانية أخرى تمثلها « سوفوكليس » قبل ظهور العقد النفسية لا تقل خطرا عن العقدة التى وقع عليها « فرويد » واسماها بعقدة أوديب .

اوديب الملك

تتلخص مسرحية « أوديب الملك » في أن الملك



درس فرويد القصة واستخرج منها "عقدة أوديب" وكان في استطاعته أن يستخرج منها ظواهر نفسانية أخرى

« لايوس » Laius ، ملك طيبة ببلاد اليونان ، رزق بطفل من زوجته جوكاستا Jocosta . وكان المنجمون قد حذروه من ان هـذا الطفل سيقتله عندما يشب عن الطوق ... وامـر « لايوس » بقتل الطفل والقائه من فوق جبـل سـيثارون Cithaeron . وبقسوة شديدة تم ربط قدمى الطفل الوليد في عمود خشبي وسُلّم الى احـد الرعاة لتنفيذ القتل من فوق ذلك الجبل .

اخذ الراعى الطفل الصغير ليصنع به ما امر . ولكن قلبه لم يطاوعه على ان يقتل طفلا بريئا .. فقام بتسليم الطفل الى راع آخر من رعاة ملك آخر ، هو الملك « بوليبوس » Polybus ملك « كورنث » Corinth . ولم يكن « بوليبوس » ولا زوجته « ميلوب » قد رزقا باطفال ، ففرحا بالطفل اللقيط ، وقاما بتبنيه ، وأصبح ابنـا لهمـا .

نبوءة رهيبة

كبر « أوديب » وهـو يعتقـد انه ابن الملك « بوليبوس » من صلبه . وفي يوم من الايام بينما كان اوديب في صحبة مجموعة من أصدقائه قام احدهم يسخر منه ، ويشكك في بنوته للملـك بوليبوس .. وكانت هذه صدمة نفسية كبيرة « لأوديب » ... واثارت الشكوك في نفسه ... وقرر السفر الى مدينة دلفى حيث مهبط الوحي الالهي عند الاغارقة . وهناك استفتى الآلهة ، فجاءت أصواتها تنبىء بنبوءة رهيبة .. انه مقدر عليه ان يقتل اباه ويتزوج أمـه !! وينتاب « أوديب » الفزع من هذه النبوءة المخيفة ويقرر ان لا يعود الى « كورنث » وأن يعيش بعيداً عن والديه حتى لا تتحقق هذه النبوءة المفزعة .

كيف قتل « اوديب » والده ؟!

ويغادر « اوديب » دلفى هائما على وجهه . واثناء سيره في الطريق يقابل الملك « لايوس » ، وهو يجهل انه ابوه الحق . ولايوس يجهل ان اوديب ابنه الحـق .. وكان « لايوس » يركب عربته ويحيط به اربعة من الرجال الأشداء . وحاول الرجال تنحية « أوديب » عن الطريق لتمر عربة الملك «لايوس» .. ولم تعجب «أوديب»

الطريقة الخشنة التى حاول بها الرجال ازاحته عن الطريق ... ويشتعل الغضب في نفسه ، ثم يقوم بالاشتباك معهم في معركة يقتل فيها «لايوس» وثلاثة من رجاله ، ويتمكن الرجل الرابع من الهرب .. وبذلك يتحقق النصف الأول من النبوءة الرهيبة ... ويقتل « أوديب » والده دون ان يدرى !!

.. وكيف تزوج امه ؟!

وتمر الأيام و « أوديب » يجوب البلاد هائما على وجهه .. حتى يصل الى طيبة .. وهناك يعلم بقصة الوحش الرهيب ولغزه الذى لم يستطع احد حتى ذلك الوقت الاجابة عليه او حله. وتغرى «أوديب» الجائزة المخصصة للشخص الذى يحل هذا اللغز . وما كانت الجائزة غير الزواج من الملكة« جاكوستا » ارملة الملك «لايوس» وتولى حكم البلاد . وبالرغم من علمه بان مصير من يفشل في الاجابة على اسئلة الوحش هو الموت فانه يتقدم لهذا الامتحان الرهيب .. وينجح « اوديب » في حل اللغز ويخلص البلاد من الوحش الرهيب .. وينال الجائزة ، ويتزوج «جاكوستا» ويصبح ملكا على طيبة .

وبهذا يتحقق النصف الثانى من النبوءة المخيفة ..!

وتبدأ الحقيقة في الظهور

يصبح « أوديب » ملكا على طيبة ... وزوجا لأمه .. وفي يوم من الايام اجتاح البلاد وباء خطير. وقال المنجمون ان انتشار الوباء لن يتوقف الا بطرد قاتل الملك « لايوس » من البلاد ... وارسل « اوديب » في طلب العراف الأعمى « تيريزياس Teiresias » ليسأله عن شخصية قاتل « لايوس » .. ويتردد « تيريزياس » في الاجابة .. ولكنه ينطق اخيرا عندما يتهمه « اوديب » بانه هو القاتل وانه يحمى نفسه بالصمت .. ويقف « تيريزياس » ويقول « لاوديب » بل انت .... انت القاتل !!

لا يصدق « أوديب » ما سمعه .. ويرسل في احضار الرجل الذى نجا من بين الاربعة الرجال الذين كانوا في صحبة الملك عندما قتل ... وفي فترة الانتظار والقلق ، وقبل وصول هذا الرجل ،



الفنان المرحوم جورج ابيض مثل دور «أوديب» على المسرح العربى

تأتى الاخبار ان « بوليبوس » ملك « كورنت » قد مات ، وان الشعب هناك يطالب بعودة « اوديب » ليتولى الحكم .. ويرفض « أوديب » .. انه لا يزال يتذكر النبوءة المخيفة بالرغم من انها تبدو الآن باطلة بموت الرجل الذى يعتقد انه والده على فراشه ميتة طبيعية .. ولكن امه (المزعومة) ميروب لا تزال على قيد الحياة .. ومن يدرى فقد يتحقق النصف الثانى من النبوءة في حالة عودته الى « كورنت » ... وعندما يسمع الرسول الكورنتى أسباب رفض « اوديب » العودة الى « كورنت » يقوم باخباره ان « بوليبوس » ، « وميروب » ليسا والديه ، وانه هو نفسه الذى تسلم الطفل الصغير «أوديب» من احد رعاة الملك « لايوس » .

نهاية مفجعة

وتبدأ الحقيقة تتضح امام عينى « اوديب » .. ولكنه لا يريد ان يصدقها لبشاعتها . ويتشبث بخيط رفيع من الامل ، ان تكون كل هذه الدلائل كاذبة ، ويأمر باحضار الراعى العجوز الذى كلف بقتل ابن الملك « لايوس » ويعترف الراعى بان الملكة « جوكاستا » قد سلمته « اوديب » وهو طفل حديث الولادة للتخلص منه في الجبال .. لأن النبوءات كانت تقول ان هذا الطفل سيقتل والده .

وحل اليقين محل الشك في نفس « اوديب » .. ولم يستطع ان يتصور مدى بشاعة موقفه .. فيفقد اعصابه ويقوم بفقء عينيه .. ويتحول اوديب الى رجل اعمى ... يتعذب في الظلام مكفرا عن جريمتيه البشعتين .. وبهذه النهاية المفجعة اختتم « سوفوكليس » مسرحيته الشهيرة الخالدة « اوديب الملك » .

فرويد واوديب

يتضح من ذلك كيف استخلص « فرويد » من حوادث قصة أوديب تلك العقدة التي سماها بعقدة أوديب .. فقتل اوديب لابيه انما كان كراهية طبيعية موروثة فيه .. وزواجه من امه انما كان بسبب الميل الطبيعي للام الانثى ... واعتبر فرويد ان اوديب هو رمز هذه النزعات اللاشعورية في الانسان .

عقد أخرى فاتت « فرويد »

واثارت تحليلات « فرويد » الكثير من الآراء والمناقشات العلمية المستمرة بين علماء النفس حتى الان .. ومن احدث هذه الآراء الدراسة التي قدمتها صوفي لازارسفيلد Sophy Lasarsfield وهي من علماء النفس المعاصرين ، وفندت فيها آراء « فرويد » وتحليلاته لشخصية « اوديب » والأمور النفسية التي فاتت عليه اثناء تحليله لمسرحية « اوديب الملك » .

تقول صوفي لازارسفيلد في دراستها : « انه كثيرا ما يحدث في الاعمال العظيمة ان تطغى تفصيلات معينة على تفصيلات اخرى لا تقل عنها اهمية .. وان هذا هو ما حدث تماما عندما قام «فرويد» بتحليل مسرحية « اوديب الملك » . لقد قام « فرويد» بالتعمق في الناحية المتعلقة بالدوافع الجنسية فقط ، ومرّ مرور الكرام على بعض التفاصيل الهامة الأخرى ذات القيمة السيكولوجية الكبيرة .

مغزى اسم « أوديب »

وعندها ان من اهم التفاصيل التي اهملها « فرويد » معنى اسم « أوديب » في اللغة اليونانية القديمة . ان معناه « الرجل ذو القدمين المتورمتين » . وهو معنى لا شك له دلالته . ان ابطال الاساطير عادة يتمتعون بأجسام خالية من العيوب يكاد وصفها يفوق الطبيعة البشرية .. واصابة « اوديب » بعاهة في قدميه لا يمكن ان يكون مجرد مصادفة لم يعنها « سوفوكليس » . ولا بد ان يكون له مغزى عميق يكمن وراءها ، قصد اليه المؤلف . وهنا نرى أول ثغرة في تفسيرات « فرويد » .

« أوديب » ومركب النقص

ان دراسة العالم النفساني الشهير الفريد ادلر ، Alfred Adler للقصور الجسماني Organ Inferiority تلقى الضوء على هذه الناحية التي اغفلها فرويد من شخصية « اوديب » .. ان المشوهين او الذين يعانون من تشويه خلقي يكونون عرضة للاصابة بالمركب الذي اصطلح عليه باسم « مركب النقص » Inferiority Complex ، ذلك الذي يخلق الميل في صاحبه الى تعويض هذا النقص بطرائق مختلفة .. والقوة الدافعة وراء هذا الميل هي الخوف المستمر عند صاحب هذا النقص ان يكون صاحبه دون غيره مكانة ومنزلة .

والقصور الخلقي ليس هو وحده المتسبب في « مركب النقص » هذا .

فان هناك بعض اوجه العجز الاخرى التي قد تكون سببا في تكوين مركب النقص ، عوامل تتراكم يزداد بها مركب النقص وتزداد معه بالتبع وبدرجة كبيرة ، الرغبة في التعويض .

وقد تعرض « اوديب » الى ثلاثة اوجه من اوجه النقص :

اولها : التشويه الخلقي .

ثانيها : افتقاده الحنان الأبوي .

ثالثها : شعوره بعدم الأمان بالنسبة للمجتمع .

لقد كان « اوديب » طفلا غير مرغوب فيه ، ويخشى منه . ولذلك تخلص منه أبواه ، وكلفا احد اتباعهما بقتله وهذا يمكن وصفه تماما بانه فقدان للحنان الأبوي .

وكان « اوديب » يعيش مع والدين تبنياه وهو يعتقد أنهما والديه الحقيقيين . وفجأة ، دخل اليه الشك في حقيقة وضعه .. وهذا موقف خطير على النفس الانسانية .

وتقوم « صوفي لازارسفيلد » باستعراض احداث مسرحية « أوديب » ومشاهدها المختلفة وتناقشها مناقشة مستفيضة ، وتنتهي من هذه التحليلات الى ان الادلة متوافرة على اصابة « اوديب » بمركب النقص ، والى ان « عقدة اوديب » ليست هي العقدة الوحيدة التي كان «أوديب» مصابا بها .. بل ولعلها تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بالنسبة لمركب النقص الذي لبث انه يعانيه .

■

محمد طنطاوي

أمراض شائعة

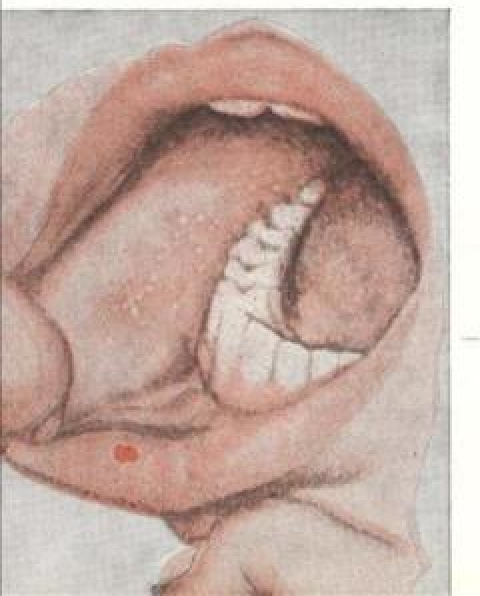
الحصبة

مصل جديد يحمي منها طول الحيا[ة]

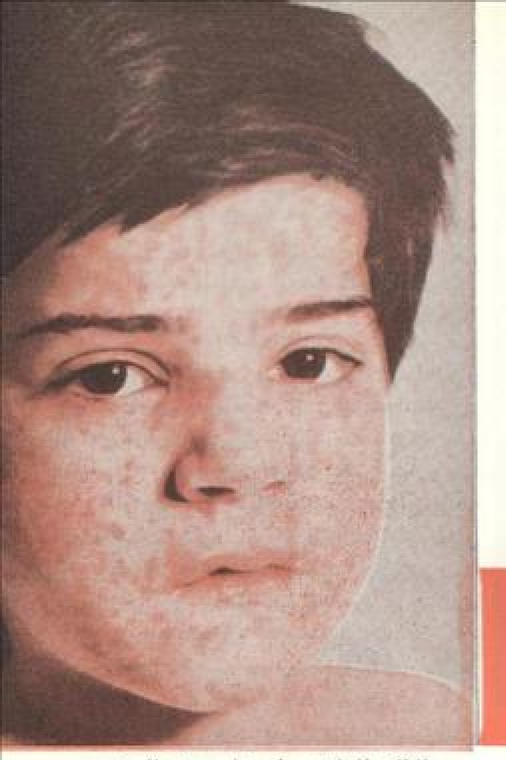
■ أحرز الطب فى السنوات الاخيرة انتصارات باهرة فى عالمي الطب والجراحة ، وكان من نصيب طب الاطفال تركيز البحوث الكثيرة لعلاج عدد كبير من امراض الاطفال ، وفى سبيل ذلك اكتشف الاطباء عددا من اللقاحات لوقاية الاطفال من امراض لاتقل عن عشرة : منها السعال الديكي Whooping Cough : ومرض الكزاز Tetanus: ومرض الخناق او الدفتيريا Diphtheria ، وشلل الاطفال Poliomyelitis : والجدرى Smallpox ، وداء السل ، والحصبة Measles والكلرة Cholera . وسيظهر قريبا فى الاسواق لقاح لمرض النكاف Mumps ولقاح لمرض الحصبة الالمانية German Measles . وما تزال الحصبة من بين هذه الامراض أكثرها انتشارا لحداثة العهد بلقاحها وعدم استعماله بالقدر الكافي للتخلص من المرض ومن مضاعفاته .

تاريخ المرض

والحصبة مرض معروف منذ القرن العاشر الميلادى ، ففي ذلك الوقت كتب ابو بكر الرازى، اشهر كتبه وهو كتابه فى الجدرى والحصبة ،وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وخرجت منه



بقع « كوبليك » وهي بقع صغيرة بيضاء تميل الى الزرقة وتظهر على الغشاء المخاطي المقابل لوضع الاضراس السفلى أو داخل الشفة السفلى وهي من العلامات المميزة لمرض الحصبة .



خطرها في مضاعفاتها

بقلم: الدكتور فضل أبو لبن
اختصاصي في امراض الاطفال

الطفح الجلدي يظهر على وجه المريض بالحصبه في اليوم الرابع .. ثم يبدا في الانتشار .

اربعون طبعه بين عام ١٤٩٨ وعام ١٨٦٦ . ثم جاء سيدنهام Sydenham الانكليزى فى القرن السابع عشر ليزيد اوصاف المرض وضوحا ، ويميزه عن امراض معدية اخرى مشابهة له .

مسببات المرض

وينتج مرض الحصبة عن الاصابة بفيروس الحصبة الذى وصفه اندرز Enders عام ١٩٥٤ ولا يصيب هذا المرض الا الانسان والقرود .

وفيروس الحصبة شديد المراس ، فهو يحافظ على حيوته وقدرته على العدوى لعدة ايام فى درجة الحرارة العادية ، ولعدة اسابيع فى درجات الحرارة التي تحت الصفر . لذلك كان مرض الحصبة سريع الانتشار . وتنتقل العدوى بواسطة الرذاذ الذى يتطاير من فم المريض وانفه اثناء السعال ، او على ذرات الغبار فى الاماكن المغلقة ، او قد يعلق الفيروس بملابس شخص ثالث ينقل العدوى من المريض الى شخص آخر فى حالات نادرة . وتكون العدوى على اشدها بين افراد المنزل الواحد ، لان فيروس الحصبة ينتقل الى الفريسة الجديدة بنسبة ٩٠٪ اذا كانت المسافة بين المريض والسليم اثناء السعال اقل من مترين.

ومرض الحصبة واسع الانتشار ، فقد ينتشر فى اى بلد من بلدان العالم ، ما عدا الاماكن المنعزلة النائية . وقد ينتشر المرض على مدار السنة ، ولكن اكثر الاصابات تحدث في فصل الشتاء واوائل الربيع . ففي الكويت مثلا تكثر الاصابات فى الاشهر الخمسة الاولى من السنة ، ولكن الاكثرية الساحقة تحدث فى مارس وابريل ومايو من كل سنة .

ومن المعروف ان الحصبة مرض من امراض الطفولة ، اذ ان اكثر الكبار يتمتعون بمناعة ضد المرض نتيجة لاصابتهم بالحصبة اثناء طفولتهم ، الا فى الاماكن المنعزلة ، او فى المجموعات المتنقلة من الناس كقبائل البدو الرحل ، فقد يظهر المرض فى كبارهم بنسبة كبيرة ، ومثال ذلك ان اكثر حالات الحصبة بين الكبار فى الكويت ظهرت فى بعض البدو الذين نزحوا من البادية ليستقروا فى

المدينة وبذلك تعرضوا للاصابة بمرض الحصبة لاول مرة في حياتهم ، وبسبب انهم لم يصابوا به ولم يتحصنوا دونه صغارا .

المناعة الطبيعية ضد المرض

واذا ما اصيب الانسان بالحصبة ، حصل على مناعة تامة ضد المرض مدى الحياة ، ومن النادر جدا ان يصاب به مرة اخرى . ويتمتع الطفل في الستة اشهر الاولى من حياته بمناعة مؤقتة ضد الحصبة حصل عليها من دم امه اثناء الحمل (هذا اذا كانت الام قد اصيبت بالمرض في طفولتها او شبابها قبل الحمل) ، ولكن هذه المناعة في الطفل تتضاءل تدريجيا حتى يصبح الطفل معرضا للاصابة بالمرض بعد الشهر الخامس من حياته ، او قد يصاب الطفل بالحصبة قبل ذلك بكثير اذا لم تكن الام قد اصيبت بالمرض في حياتها .

انتشار فيروس الحصبة في الجسم

ان طرق انتشار فيروس الحصبة في الجسم ، ورد فعل الجسم لهذا التعدى يجعل فهم اعراض الحصبة امرا واضحا سهلا . ان الفيروس يدخل الجسم عن طريق الغشاء المخاطي في الفم والانف والحلق ، ثم ينتشر منها الى الدم حتى يصل الغدد اللمفاوية والطحال ، حيث يتكاثر بسرعة ، وينطلق مرة اخرى في الدم تاركا اثره في الشعيرات الدموية وبعض الغدد في الجلد وفي الغشاء المخاطي في الفم والانف وبقية جهاز التنفس والجهاز الهضمي وفي ملتحمة العينين . والجسم يدافع عن نفسه بتورم الشعيرات الدموية واحتقانها في الاغشية المخاطية فيزداد افرازها بشكل واضح ، وينتج عن ذلك السعال والرشح الشديد ودمع العينين والطفح الجلدي ، وهذه تشكل اهم ظواهر مرض الحصبة . وما بعض مضاعفات الحصبة كالتهاب المخ والنخاع الشوكي سوى صورة اخرى لاحتقان الشعيرات الدموية المغذية للمخ والنخاع الشوكي، مع تورم فيهما وظهور بقع من النزيف على سطحهما.

اعراض الحصبة

وتظهر اعراض المرض عادة بين اليوم العاشر والرابع عشر من وقت تعرض الطفل للعدوى . وفي اكثر حالات الحصبة تظهر الاعراض والعلامات بتتابع منتظم يمكننا من تشخيص المرض حتى قبل ظهور الطفح الجلدي بايام . ففي اليوم الاول ترتفع درجة الحرارة فتكون عالية او متوسطة ، ويشعر المريض بصداع مع توعك عام . وفي اليوم الثاني يزداد الاحتقان في الشعيرات الدموية ، فيتورم الغشاء المخاطي ويزداد افرازه في جهازي التنفس والهضم وملتحمة العينين ، فتظهر اعراض السعال والرشح الشديد ، وتتورم العينان وتحمران وتدمعان ويضايقهما النور القوى ، وتظهر بقع حمراء في سقف الحلق ، كما يحمر اللسان ويفقد غطاءه الابيض العادى . وقد يصاحب هذه الاعراض اسهال شديد بسبب احتقان الامعاء . وفي اليوم الثالث تظهر في الفم احدى اشهر العلامات المميزة للمرض ، الا وهي بقع «كوبليك» Koplik's Spots ، وهي بقع صغيرة بيضاء تميل الى الزرقة ، تحيطها هالة حمراء . (انظر الصورة على الصفحة رقم ٥٤) . وتظهر هذه البقع على الغشاء المخاطي المقابل لموضع الاضراس السفلى او داخل الشفة السفلى ، وقد يكون عددها قليلا او قد تتكاثر ويحمر الغشاء المخاطي حولها فتظهر كذرات من ملح الطعام على قماش مخملي احمر اللون . وقد وصف هذه البقع الدكتور هنرى كوبليك Henry Koplik الامريكي (١٨٥٨ – ١٩٢٩) .

ثم يجيء اليوم الرابع ويظهر طفح الحصبة الجلدي ، الذى قد يتاخر ظهوره في بعض الاحيان حتى اليوم السابع . ويظهر الطفح الجلدي كبقع متباينة الحجم والشكل ، وردية او حمراء اللون، وهي تظهر اول ما تظهر على الجبهة قرب منابت الشعر ، وخلف الاذنين والرقبة حتى تجتاح الوجه والصدر واعلى الذراعين في اليوم الاول من ظهورها. ثم ينتشر الطفح الجلدي الى الظهر والبطن واسفل الذراعين والفخذين في اليوم الثاني ، حتى يصل الى القدمين في اليوم الثالث ، ثم يبدا الطفح في الاختفاء من الوجه ويتتابع اختفاؤه بنفس الترتيب الذى ظهر به حتى يختفي كله بعد ستة ايام تاركا وراءه بقعا بنية اللون تختفي تدريجيا بعد ايام قليلة .

اما ارتفاع الحرارة الذى كان في بداية المرض


ابو بكر الرازى طبيب الدولة العربية الاول ، أصدر كتابا عن الحصبة في القرن العاشر الميلادى .

فانه يزداد تدريجيا حتى يبلغ مداه وقت ظهور الطفح الجلدى ، ثم يبدأ في الهبوط تدريجيا حتى يعود الى الحال الطبيعى في اليوم الثانى او الثالث من ظهور الطفح الجلدى . وهذا هو ايضا مصير الرشح واحتقان العينين والتهاب الفم وبقع « كوبليك » ، فكلها تزداد بتفاقم المرض ، ولكنها تبدأ في الاختفاء تدريجيا بعد ظهور الطفح الجلدى حتى تختفى تماما في اليوم الثانى او الثالث من ظهوره . هذا ما عدا السعال المزعج الذى قد يستمر حتى اليوم العاشر من ابتداء المرض ، يعود الطفل بعده تدريجيا الى الصحة والعافية . ويبقى الطفل مصدرا للعدوى من ابتداء المرض حتى مرور ستة ايام على ظهور الطفح الجلدى .

حالات نادرة

ينطبق هذا الوصف على اكثر حالات الحصبة ، ولكن هناك حالات نادرة تشتد وطأة المرض فيها لدرجة تسبب هبوطا مفاجئا في القلب ، حتى قبل ظهور الطفح الجلدى ، وقد تسبب الوفاة. كما أن هناك حالة نادرة أخرى تسمى بالحصبة السوداء Black Measles والتى يصاب فيها المريض بارتفاع شديد في درجة الحرارة مع نزيف شديد من الفم والانف والامعاء وتسبب الوفاة في بعض الحالات .

مضاعفات الحصبة

لا خطر عادة من مرض الحصبة بحد ذاته ، الا اذا سبب هبوطا مفاجئا في القلب كما ذكرنا ، او كان من نوع الحصبة السوداء . ولكن الخطر كل الخطر يكمن في مضاعفات المرض . ومن الاعراض المنبهة لحدوث المضاعفات استمرار الارتفاع في درجة الحرارة او عدم هبوطها بعد ظهور الطفح الجلدى . وأهم هذه المضاعفات هي التهابات الاذن الوسطى والحنجرة والفم، والنزلات الرئوية Bronchopneumonia التى يصاحبها ضيق شديد في التنفس مع هبوط في القلب فى بعض الاحيان ، ثم التهابات المخ والنخاع الشوكى Encephalitis, Encephalo - Myelitis وفيها ترتفع درجة الحرارة لدرجة مزعجة ، ويصاب المريض بصداع شديد وتشنجات Convulsions ويغلبه نعاس متواصل ، وقد يبقى في حالة اغماء . وقد تصاب الاطراف بالشلل الذى قد يتحسن مع العلاج اذا بقي المريض على قيد الحياة ، ومن حسن الحظ ان عدد الوفيات من هذه المضاعفات اصبح قليلا جدا في هذه الايام بسبب الاستعمال الناجح للمضادات الحيوية والتحسن الشامل في طرق العلاج .

علاج مرض الحصبة

ويمكن علاج اكثر حالات الحصبة التى لم تخالطها المضاعفات في البيت ، وذلك بالراحة التامة في السرير ، مع تعريض المريض للهواء النقى وتدفئته في نفس الوقت ، ثم اعطائه الادوية كالاسبرين أو النوفالجين (Novalgins) لتخفيف الآلام ولتنزيل درجة الحرارة ، ومحلول الكودين (Codeine) للتخفيف من حدة السعال ، وقطرة الانف للرشح، مع العناية بالعينين بمسحهما بالماء الدافىء لمنع التهابهما . وتنظيف الفم لمنع التهاباته ايضا . ويستحسن ان يعزل المريض في غرفة هادئة خافتة

النور . اما الغذاء المفضل للمريض في هذه الفترة فهو اللبن الحليب وعصير الفواكه والمأكولات الطرية . وبعد أن تهبط درجة الحرارة يسمح للطفل بالتحرك داخل البيت ويرجع تدريجيا الى غذائه الطبيعي .

وليس من الضروري اعطاء مركبات السلفا أو المضادات الحيوية كالبنسلين ومشتقات التتراسيكلين الا في الطفل الرضيع او الطفل الضعيف البنية ، أو اذا اتخذ المرض احدى صوره الشديدة النادرة، أو اذا حصلت احدى المضاعفات ، فعندها يجب نقل المريض الى المستشفى واعطاؤه المضادات الحيوية وغيرها من الادوية لعلاج المضاعفات ومنع تفاقمها انقاذا لحياة المريض . واياك اياك ان تقوم انت ايها الوالد بالعلاج ، فهذا عمل الطبيب .

الوقاية من مرض الحصبة

وما ينطبق على كل الامراض المعدية ينطبق أيضا على الحصبة ، فالوقاية من كل هذه الامراض خير من علاجها . فبالوقاية نمنع الاصابة بالمرض وبالتالي نمنع الوفيات ، ونمنع آفات المضاعفات في الدماغ والرئة والعين ، التي قد تصاحب المريض مدى حياته وتتركه عالة على اهله وعلى مجتمعه .

فاذا تعرض انسان للحصبة ، فبامكان الطبيب ان يعطيه مناعة مؤقتة لمدة تقارب الشهر بواسطة مادة Gamma Globulin . وحتى لو اصيب الشخص بمرض الحصبة بالرغم من هذه المناعة المؤقتة خلال ذلك الشهر فان المرض يكون خفيفا نادر المضاعفات . وبالاضافة الى ذلك فان هذه الاصابة الخفيفة تعطي المريض مناعة طبيعية دائمة ضد المرض .

ولكن اهم حدث في تاريخ مرض الحصبة هو توصل اندرز Enders عام ١٩٥٩ في الولايات المتحدة الى تحضير لقاح Vaccine للحصبة يعطي الانسان مناعة دائمة . ولكن ارتفاع درجة الحرارة مع ظهور طفح جلدي عند بعض الاطفال ممن أخذوا لقاح الحصبة ، كان حافزا قويا لاضافة تحسينات على اللقاح . وهكذا تمكن شفرتس Schwarts عام ١٩٦٣ من تحضير لقاح الحصبة المثالي Mevillin فحقنة واحدة من هذا اللقاح في العضل أو تحت الجلد تعطي مناعة دائمة ضد المرض في ٨٥٪ الى ١٠٠٪ من الحالات. ويعطى هذا اللقاح عندما يبلغ الطفل ٩ الى ١٢ شهرا من عمره ، ولا يعطى قبل ذلك السن حتى لا تقلل المناعة المؤقتة التي حصل عليها الطفل الوليد من امه ، من مقدار المناعة الدائمة التي سيحصل عليها من اللقاح ويجب الا يقلق اهل الطفل اذا ما ارتفعت حرارة الطفل في اليوم الثامن بعد اللقاح او ظهر عليه طفح جلدي خفيف مع رشح وسعال ، فهذه كلها اعراض خفيفة تزول بعد يومين ولا ضرر منها ابدا . ■■

فضل ابو لبن

مستشفى الصباح ـ الكويت

هي دنيا وآخرة

● حكى الاصمعي قال دخلت على هارون الرشيد وبين يديه جارية حسناء ، عليها لمة جعدة ، وذؤابة تضرب الحقو منها ، وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب : « هذا ما عمل في طراز الله » فقال : يا أصمعي ، صفها فانشأت اقول :

كنانية الاطراف سعدية الحشا هلالية العينين طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف ونغمة داود وعفة مريم

فقال: أحسنت والله يا أصمعي، فهل عرفت اسمها ، فقلت لا يا أمير المؤمنين فقال اسمها دنيا . ثم أطرق ساعة وقال :

ان دنيا هي التي تسحر العين سافره
ظلموها شطر اسمها فهي دنيا وآخره



وليم بت

WILLIAM PITT

١٧٦٠م – ١٨٠٦م

أول من أدخل نظام ضريبة الدخل في العالم

بقلم : لطفي ملحس

▣ اختير وليم بت رئيسا للوزارة البريطانية عام ١٧٨٣ م وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره . وكان قد كلف بهذا المنصب مرة من قبل ولكنه رفضه . وقبل ان يصبح (بت) رئيسا للوزارة البريطانية ، شغل منصب وزير المالية ، وكان حينذاك فى الثالثة والعشرين من عمره ..

ظل وليم بت يدير شئون الحكم فى بريطانيا لمدة سبعة عشر عاما من السلم والحرب واليسر والعسر . لم يعرف التذبذب فى حياته فمنذ بدا يعي أدرك أن حياته ستكون مكرسة لزعامة مجلس العموم البريطاني ، وقد تحقق له ذلك طيلة سبع عشرة سنة .

مات وليم عام ١٨٠٦ وهو لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره ، وفى حياته القصيرة لم يكن له الا بضعة أصدقاء ، وكان الناس ينادونه (بمستر بت) ، وهو راض عن هذه التسمية المجردة من عبارات التفخيم التي لم يكن (بت) يرتاح اليها ابدأ لانه كان معتدا بنفسه لا يأبه بالآخرين ، بل انه كثيرا ما كان يسير فى الطريق دون ان يلتفت الى من قد يصادفه حتى وان كان من معارفه .

والتاريخ يشهد أن وليم بت عاش رئيسا للوزارة مدة سبعة عشر عاما دون ان يستغل منصبه للاثراء على حساب الآخرين رغم فساد الاوضاع فى الفترة التي عاشها ، حيث كانت الرشوة تلعب دورها الهام فى تسيير شئون الناس ..

عاش وليم بت وحيدا فى حياته ، فلم يتزوج ولكنه كان يسرف فى شرب الخمرة ، وقد يبلغ ما يشربه منها اربع قناني فى اليوم الواحد .. عاش فقيرا ، ولكنه خلف للشعب البريطاني أعظم تركة عرفها التاريخ .. انها (ضريبة الدخل) التي يشكو منها كل بريطاني فى الوقت الحاضر ..

وكتب (كنج) يرثي وليم بت قائلا :

(صار وليم رئيسا للوزراة لفترة طويلة، كان خلالها غير طامع في الجاه او النعم التي اعتاد الناس على استجدائها فى ذلك الحين . فقد عاش بعيدا عن المظاهر ، ومات فقيرا . والتركة الوحيدة التي خلفها للشعب البريطاني هي قواعد الحكم الصالح والنظام العادل لجباية ضريبة الدخل من القادرين على دفعها . وقد رسم وليم بت لبريطانيا سياسة مالية سليمة خلصتها من مفاسد النظام المالي الذى كان سائدا طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر) ....

فكرة ضريبة الدخل

فى السابع من شهر كانون الاول ١٧٩٨ نهض وليم بت من مقعده الخشبي فى مجلس العموم البريطاني ليلقي على اسماع اعضاء المجلس ، ومعظمهم من التجار واصحاب المصالح فى بريطانيا ، خطابا خطيرا ارسى به رئيس الوزراء الشاب الحجر الاساسي فى تشريع نظام ضريبة الدخل ..

كانت بريطانيا فى ذلك الحين مشتبكة فى حرب ضروس مع كل من فرنسا وهولندا واسبانيا وكانت خزانة الحكومة قد خوت ، فتزعزت ثقة الناس بقدرتها المالية . وفى ذلك الخطاب اخبر وليم بت اعضاء المجلس بان بريطانيا تحتاج الى تسعة وعشرين مليونا من الباوندات لسد نفقات السنة الثانية . وان نظام الضرائب السائد آنذاك لم يقدم للخزينة سوى ستة ملايين باوند فقط . لذلك كان من الضرورى البحث عن نظام جديد للضرائب يغذى خزينة الدولة التي باتت مهددة بالافلاس . ولتجنب هذه الكارثة قال وليم بت بانه ينبغي تشريع نظام جديد للضريبة يخضع له كل فرع من فروع الدخول المهمة . وكان الرئيس البريطاني يهدف من وراء ذلك الى جعل نظام ضريبة الدخل يشمل كل دخل قابل للمساهمة فى تحمل اعباء نفقات الدولة. وكان مؤمنا انه بمثل هذا النظام سيصبح من الممكن تحقيق العدالة فى توزيع المسؤوليات على القادرين على تحملها .

وحين انتهى وليم بت من شرح الاسباب الموجبة لتشريع قانون ضريبة الدخل ، كان اهتمام اغلب الحاضرين من النواب قد تركز حول تفاصيل هذا القانون الجديد الذى سيكون ضارا بمصالحهم التي جاءوا الى المجلس ليدعموها ..

نص النظام الجديد

وينص النظام الذى اقترحه وليم بت على أن تفرض ضريبة على كل دخل يتجاوز الستين باوندا فى العام ، فمن كان دخله السنوى ستين باوندا عليه ان يدفع لضريبة الدخل بنسين على كل باوند اضافي . وكانت هذه النسبة ترتفع بارتفاع الدخل السنوى حتى تبلغ شلنين عن كل باوند . اى بنسبة عشرة بالمائة من الدخل . ولم يكن تشريع مثل هذا النظام ليمر بسلام ، فقد علت صيحات الاحتجاج عليه من كل حدب وصوب، من الاغنياء والتجار واصحاب المصالح ورجال الاعمال فى لندن وغيرها من مدن المملكة . ووزعت آلاف النشرات تهاجم الضريبة الجديدة ، ولكن دون جدوى ، فقد تمكن الرئيس الشاب من اقناع المجلس بضرورة الموافقة على النظام الجديد . وصار قانونا فى التاسع من شهر كانون الثاني سنة ١٧٩٩ . وفى الخامس من شهر نيسان من العام نفسه الغى وليم بت نظاما سابقا كان المجلس قد اقره للحصول على بعض الاعانات للمساهمة في المجهود الحربي البريطاني، كما اقر المجلس زيادة فى نسبة ضريبة الدخل لتعوض عن هذه الاعانات الغير مستقرة.

كان نظام ضريبة الدخل الجديد غريبا ومعقدا بالنسبة للغالبية العظمى من الناس .. لذلك اصدرت الحكومة كراسا ليسهل فهم احكامه على كل من يستطيع القراءة . وقد وزع عدد كبير من النسخ رغم محاولات معارضى القانون لعرقلة

توزيع هذا الكراس . كما سخر الكثيرون من رجال بريطانيا بهذه الضريبة الجديدة حتى أن الصحف البريطانية أخذت تتهكم بها وتنشر الصور الكاريكاتورية لتظهر مدى ارهاق الضريبة الجديدة للفرد البريطاني .

اصلاحات وليم بت

وما زالت المبادىء التي وضعها (بت) لضريبة الدخل تعتبر اساسا لنظام ضريبة الدخل المتبع في بريطانيا حتى اليوم . وقبل ضريبة الدخل كانت الحكومة البريطانية معتمدة في جميع مواردها على ما كانت تحصله من ضريبة الارض ، ورسوم الجمارك والمكوس . وقد ابدل (بت) تلك التشريعات ، بعد ان وجدها غير صالحة . وخفض الرسوم المفروضة على بعض المواد المعاشية. من ذلك الشاي الذي كان الرسم المفروض عليه يبلغ ١١٩٪ ، وكانت هذه النسبة العالية سببا في تشجيع حركة التهريب. وهناك قصص كثيرة ممتعة عن مغامرات المهربين واشتباكاتهم معرجال الجمارك.

وكان الشاي اكثر المواد المهربة الى داخل البلاد فبالرغم من أن مجموع ما تستهلكه بريطانيا من الشاي كانوا يقدرونه بثلاثة عشر مليون رطل ، فأن الكمية التي كان في امكان السلطات الحكومية استيفاء الرسوم الجمركية عليها لم تزد على خمسة ملايين ونصف المليون من الارطال ولم يصعب على وليم بت حل هذه المشكلة فقد خفض الرسم المفروض على الشاي الى ٥و١٢٪ ، وعوض عن المبلغ المخفض بفرض ضريبة جديدة على عدد النوافذ الموجودة في الدور . وآثارهذه الضريبة ما تزال حتى اليوم ظاهرة على البناء في بريطانيا . فقد حاول الناس التهرب من دفعها ولجأوا الى بناء نوافذ متسعة ليقللوا من عدد النوافذ التي تحتاجها منازلهم ، وكان مسموحا لصاحب الدار ان يشيد سبع نوافذ ، واذا زادالعدد عن ذلك فان السلطات تستوفى رسوما عن كل نافذة اضافية .

ولما كان اعتماد بريطانيا على فرض الضرائب كثيرا ، فقد سعى (وليم بت) الى تنويع المواد التي تفرض عليها رسوم المكوس .. ففرضها على القبعات والشرائط والفحم والخيول والاقمشة والعربات والورق والطابوق (الآجر) .. بمثل هذه الاصلاحات الهامة تمكن (بت) من تحسين الحالة المالية في بريطانيا ، فالغى نظام تعدد الميزانيات بتوحيد جميع الواردات في ميزانية واحدة تدفع منها كافة النفقات ، وتمكن ايضا من تسديد قسط كبير من الدين العام الذي رزحت الحكومة البريطانية تحت اعبائه ابان حرب الاستقلال الامريكية .

ورغم نشوب الثورة الفرنسية ، واندلاع لهيبها ، فان رئيس الوزراء الشاب سار قدما في وضع خططه المالية، لانه كان يعتقد بان انكلترا ستكون بعيدة عن رذاذ الثورة والحروب التي تبعتها . وقد القى مرة خطابا في مجلس العموم قال فيه انه لايتوقع نشوب اضطرابات في اوروبا تزعزع اقتصادياتها . ولكن الواقع جاء بعكس ما تنبأ به اذ دخلت جيوش المانيا في عام ١٧٩٢ فرنسا واشعلت اوروبا بنار الحروب النابليونية طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، وكان من نتائج هذه الحروب تدهور اقتصاديات القارة الاوروبية واثقال كاهل بريطانيا بديون جديدة. ولم يتمكن «وليم بت» من مجابهة هذه الاعباء الجديدة بالواردات التي تحصلها القوانين المالية السائدة في ذلك الحين . لذلك قدم الى مجلس العموم قانون ضريبة الدخل .

كيفية تحصيل الضريبة

بالرغم من كافة الاعتراضات التي وجهت لقانون ضريبة الدخل فان هذه الضريبة الجديدة اعتبرت اكثر الضرائب

عدالة . فقد أعفى القانون الجديد الفقراء ، وفرض بنسبة عشرة بالمائة على كل ذي دخل يبلغ ستين باوندا او اكثر .. وكانت هذه النسبة مفروضة على كافة انواع الدخول مهما اختلفت مصادرها سواء كانت تلك الدخول آتية من الارض او التجارة او المسقفات او المهنة أو الارباح . وقد اعطى القانون المتزوجين وذوي الاولاد سماحات خاصة ، كما منح التخفيضات لمن كان دخله بين ستين ومائتي باوند . وكانت الهيئات التي عهد اليها بجباية هذه الضرائب معروفةبنزاهتها وحسن قيامها بهذه المهمة . وكانت صورة شهادة تقدير الدخل تشبه الى حد كبير الشهادة المستعملة في الوقت الحاضر . اذ كان على صاحب الدخل ان يدفع ما عليه من ضريبة ستة اقساط في السنة . واذا هو تخلف عن اعطاء المعلومات فانه يعرض نفسه لغرامة قدرها ٢٠ باوندا .

ولكن هذه الضريبة لم تجلب للخزينة المبالغ التي كان وليم بت ينتظرها . فقد قدر مبلغ ايرادها بعشرة ملايين باوند سنويا ، ولكن المعدل السنوي لمحصول ضريبة الدخل لم يتجاوز السبعة ملايين ونصف المليون من الباوندات .

وفي عام ١٨٠٢ ظهرت في بريطانيا علائم رخاء مادي اغرى رئيس الوزراء الذي خلف وليم بت بالغاء قانون ضريبة الدخل . ولكنهاعادها عام ١٨٠٣ ليتمكن من تمويل الجيش البريطاني الذي اعد لمواجهة نابليون . واستمرت هذه الضريبة طوال فترة الحرب التياشتركت فيها بريطانيا ضد نابليون . ولكن ماكادت اصوات المدافع تخفت في معركة واترلو بعد هزيمة نابليون حتى علت اصوات النواب في مجلس العموم مطالبين بالغاء الضريبة ، وقد تم لهم ما ارادوا بسهولة، فالغيت ضريبة الدخل نهائيا ..

ويصف كاتبمشهور مادار في الجلسة التي اتخذ فيها قرار الغاء ضريبة الدخل فيقول : « ما كاد رئيس المجلس يعلن نتيجة الاقتراح حتى اهتزت القاعة بتصفيق حاد وهتاف شديد دام بضع دقائق اشترك فيه النواب والحاضرون في شرفة الزوار ، وكذلك جموع الشعب المتجمهر خارج قاعة البرلمان ، وهكذا شعر كل فرد في بريطانيا ، سواء كان صاحب قصر او ساكن كوخ ، بان جباة الضريبةلن يطرقوا بابهم بعدهذا . وشعر الناس ان دخولهم عادت لتبقى لهم وحدهم دون ان تقتطع الدولة جزءا منها . » ..

الغاء الضريبة ثم اعادتها

وفي غمرة هذه النشوة قام رجال وزارة المالية بحرق كافة سجلات الضرائب وشهاداتها ولكن يبدو ان حماسهم قد اعماهم عما كانوا يحرقون ، اذ أن الكثير من هذه السجلات تم العثور عليه بين الاوراق الرسمية قبل الحرب العالمية الثانية ، وبقي الفرد البريطاني لا يدفع ضريبة عن دخله طوال ست وعشرين سنة ، ولكنفي عام ١٨٤٢ اضطر (بيل) رئيس الوزراء آنذاك الى فرض الضريبة من جديد وجعلها بنسبة سبعة بنسات عن كل باوند ، وفي هذه المرة كان المفروض أن تكون موقته تلغى بعد انتهاء الحاجة اليها ، ولكن السنين التالية برهنت للوزراء الذين تتابعوا على الحكم أن ضريبة الدخل ليست اجراء موقتا بل يجب ان تصبحدائمة اذا اريد تأمين دخل ثابت للبلاد . وبعد عام ١٨٦٠ صار كل من يفكر بالغاء الضريبة يرمى بانه غير واقعي . لقد اصبحت ضريبة الدخل اليوم ، رغم منغصاتها جزءا مقبولا في حياتنا الى حد ان معظمنا يدفع الضريبة قانعا او مسلما امره لله دون ان يعرف من الذي قدح هذه الشرارة بل ان يسأل من اوجد هذا النظام .. ■■

لطفي ملحس
الكلية العلمية الاسلامية عمان



عِندَما..
يُصْبح الطِّفْل أَبـًا..!

بقلم : منير نصيف

■ لاشك أن النظريات الحديثة فى التربية تلعب دورا هاما في توجيه وارشاد الآباء الى افضل الوسائل الحديثة في تربية ابنائهم . ولكن هناك عامل آخر يقوم بدور رئيسي في الطريقة التى يتبعها الاب والام في تربية الابناء. وهو التجارب الخاصة التي مرت بكل منهما فى الطفولة.

فالذكريات التى يحملها الاب عن طفولته ، سعيدة كانت أم غير سعيدة ، تؤثر تأثيرا مباشرا على موقفه من أبنائه وطريقة معاملته لهم . وحياة الطفل ونشأته تختلفان من اسرة الى اسرة تبعا لمركز والديه في المجتمع ، ومدى ما حققاه من ثقافة ومن نجاح في حياتهما العملية . . ومن تفاهم ووفاق في حياتهما الزوجية . .

وكذلك الام . . فان ذكرياتها عن سنى حياتها الاولى ، والاسلوب الذى سلكه والداها فى تربيتها ، يتركان

بصماتهما واضحة في كل تصرف يصدر عنها تجاه أبنائها ، وفي كل طريقة تتبعها في تربيتهم .

ذكريات الطفولة لا تنسى

فذكريات الطفولة تبقى حية دائما في مخيلتنا. ونحن قد ننسى أحداثا وتجارب ومحنأمرت بنا فى شبابنا وشيخوختنا ، ولكننا لا ننسىابدا أيامطفولتنا،وماتخللها من لحظات سعيدة أو مريرة . فما يراه الطفل في صغره ، وما يتعلمه في سنوات حياته المبكرة ، يترك اثره في عقله، وكانما قد نقش عليه نقشا ، او حفر على صخر فى جبل ! ذلك ان العقل فى هذه السن لا يكون مشغولا الا بما يدور حوله ، والا بما يراه ويسمعه ، وكأنه جهاز تسجيل صغير يختزن ليوم يجتر فيه كل ما عنده من مؤثرات وانطباعات .

كتب احد علماء التربية عن طفولته المبكرة : « لقد افسدنى حب امي ، واصلحتني كراهية ابي لي . فقد اعطتنى امي كل شيء . اما ابي فقد كان يضربني على كل خطأ ارتكبه » .

وكنت اتصور انه يكرهني ، ولهذا حاولت دائما ان اكسب عطفه علي . ومن خلال هذه المحاولات اصبحت ولدا مجدا في المدرسة » .

وهو يتحدث عنطفولتهويذكر احداثها كما لو كان يتكلم عن الامس القريب .

حديث الزواج

كيفتؤثر طفولةالوالدين على موقفهما من ابنائهما وطريقة تربيتهما لهم ؟

وفى الكتب الحديثة عن الزواج ينقل المؤلفون جانبا من الموضوعات التي يتناولها العروسان خلال فترة الخطوبة وفى شهر العسل ، والحديث كله عن الاطفال ، ثمرة هذا الارتباط الروحي والجسدى .

ويقول العريس انه يريد ان يملا بيته بالاطفال . وتصرخ العروس : « لا ! فالعبرة فى الكيف وليست فى الكم . يكفيني من كل نوع اثنان ! حتى استطيع أن ادللهم واقدم لهم كل ما يشتهون !!

ويقول العريس : « لقد عرفتمساوىء التدليل ، ولن اسمح بشيء من هذا . هل قرات الكتاب الجديد الذى اشتريته لك بالامس عن تربية الاطفال ؟ »

وتقول العروس : «انه مليء بالنظريات العلمية التي تصلح لان تكون عناصر رسالة فى علم النفس والاجتماع . وهي لا تروقني .. ولن افعل بأطفالي سوى ما فعلته امي بى عندما كنت طفلة ! »

وغير ذلك من احاديث اخرى عن الاطفال وتربيتهم وتعليمهم ..

طفولة سعيدة

ومثل هذه العروس التي لم ترقها نظريات العلماء ، والتي تريد ان تطبق تجربتها الخاصة على أطفالها، لا بد وان تكون قد قضت طفولة سعيدة فى بيت والديها .

غير أن هناك ذكريات اخرى لا تمت الى السعادة بصلة ، ذكريات مريرة ترسخ فى ذهن الاطفال وتلازمهم ، حتى اذا ما كبروا وتزوجوا واصبح لهم اطفال، كان كل همهم عدمتكرار التجربة القاسية التي مروا بها فى طفولتهم .

فهناك الام التي حرمت من الحنان والحب فى طفولتها لسبب او لاخر .. واسباب الشعور بافتقاد هذه العاطفة كثيرة ومتنوعة . وبعضها يرجع الى الوالدين انفسهما ، كان يكونا غير راغبين

فى الاطفال ، او لان مجيىء طفلهما قد حدث فى وقت لم يكونا فيه مستعدين تماما لاستقبال هذا الضيف الجديد وما يتبع وصوله من مسئوليات .

عندما تكره الام طفلها

فالزوجه التى تعمل مثلا لتعاون زوجها في مواجهة اعباء الحياة في بداية زواجهما ، لا تريد ان تنجب اطفالا قبل ان تستقربهما الامور ، وتتحسن حالتهما المالية ، بحيث تستطيع ان تترك عملها لتتفرغ الى واجبها الاول فى العناية باطفالها .. مثل هذه الزوجة ، كيف يكون موقفها عندما يقول لها طبيبها الخاص : « انت حامل ياسيدتي ، ويجب ان تستريحي فى فراشك ، والا عرضت حياتك وحياة طفلك للخطر ! »

ان رد الفعل المباشر لهذا الخبر ، الذى كان مفروضا ان تسعد له اى زوجة اخرى ، هو كراهية هذا الطفل الذى اختار مثل هذا الوقت غير المناسب ليعلن عن موعد وصوله ، حتى قبل ان يرى النور . وتزداد كراهية الزوجة لطفلها على مر الايام ، وهي ترى حالة زوجها المالية تزداد سوءاً نتيجة لانقطاعها عن العمل .

وقد يتغير شعور مثل هذه الام بعد وصول طفلها ، وقد لايتغير .. فهي قد تلوم نفسها لانها كرهت ثمرة زواجها فى وقت من الاوقات وتتحول كراهيتها الى حب جارف ينسيها كل ما فى الدنيا من متاعب .. وقد تزداد كراهيتها له ، وهي ترى نفسها وسط هذه القيود الجديدة التي فرضها وصول الطفل . وما يتحتم عليها من ان تقوم به تجاه هذا المولود الذى افقدها وظيفتها وحرمها من العمل والكسب فى سبيل توفير حياة افضل .

الاسراف فى الحب

مثل هذا الطفل سواء كان ذكرا ام انثى يشب فى جو يفتقر الى الحب والحنان اللذين ينشدهما كل طفل فى سني حياته الاولى . وترسخ صورة الحرمان من حنان والديه فى ذهنه ، حتى اذا ما كبر وتزوج كان كل همه الا تتكرر تجربته المريرة مع اطفاله . فتراه يغدق عليهما كل عطفه وحبه وحنانه .. تلك المشاعر التي عرفها عن طريق اختلاطه بغيره من الاطفال السعداء ، ولكنه كان محروما منها .

وهناك ايضا الطفل الذى ذاق مرارة الفقر وعرف الحرمان ، لرقة حال والديه .. فكان يرى احلامه كلها تتحقق في ايدى اصدقائه وزملائه من ابناء الجيران ، بينما هو يرى ويتلمس الاشياء الجديدة من ملابس ولعب وهدايا ، ولكنه لا يملك شيئا منها ..

مثل هذا الطفل نراه على استعداد لان يشترى الدنيا كلها ليضعها بين يدى اطفاله عندما يكبر ويتزوج وتمتلىء يديه بالمال الذى حرم منه والداه ، أو كان نصيبهم منه ضئيلا .

وهكذا نرى ان طفولة الوالدين وما يحملانه في راسيهما من ذكريات سعيدة أو تعسة عن طفولتهما هي التى تؤثر على موقفهما من ابنائهما ، وعلى طريقة تربيتهما لهم .

العقد النفسية واثرها

على ان هناك بعض الآباء الذين يعانون من عقد نفسية أصابتهم في طفولتهم ، وهذه أيضا تترك اثرها في الاسلوب الذى يتبعونه في تربية اطفالهم .

فهناك الاب الذى نجده دائم القلق على ولده اذا غاب عن عينيه لحظة واحدة .

والأم التى تحرص على أن تصحب ابنتها الى المدرسة في كل صباح ، وتظل ترقب عقارب الساعة تتحرك في بطء شديد .. حتى اذا ما حان موعد انصراف طفلتها، سارعت الى المدرسة مرة أخرى لتصطحبها في عودتها . وغير ذلك من مظاهر الحرص الشديد على الا يغيب الابناء عن عيون آبائهم مهما كانت الأسباب والظروف .

وهذه ظاهرة موجودة بين عدد من الآباء والأمهات ، ومردها الى عقدة نفسية اصابت الأب او الأم في طفولتهما .. كأن يكون الأب قد فقد شقيقا له عندما رآه يخرج معه في الصباح ، ولا يعود في المساء دون أن يعثر احد على اثر له .. أو تكون الأم قد فقدت شقيقة لها في حادث سيارة وهى تعبر الشارع وحدها !

آثار سيئة

ولا شك ان لهذا الحرص الزائد والاهتمام الشديد اثرهما على نفسية الأطفال الذين يجدون انفسهم فريسة لعوامل عدة تتنازعهم وتسيطر على تفكيرهم فيتصور الطفل المدلل نفسه ، انه ليس كبقية الأطفال، وانه يتميز عنهم، فهو ينعم بحب لا يتوافر لغيره من الاطفال ، وهو يحظى بعناية ورعاية يحسده عليها كل اترابه ، وهو يملك كل شيء تتوق نفسه اليه ، ويحلم به كل طفل في مثل سنه .

وتكون نتيجة هذا كله ان يصاب الطفل بالغرور والكبرياء فيتملكه مركب التعالى .. وبذلك تكون قد جنينا عليه وعلى مستقبله .

مهمة الوالدين

من أجل هذا ينصح علماء التربية بعدم تكرار تجاربنا مع أطفالنا .. فمهمة الوالدين الرئيسية ليست البذل والعطاء، وانما النصح والارشاد .. فنحن نسعد ابناءنا عن طريق مساعدتهم في تخطى ما يصادفهم من عقبات ومتاعب في حياتهم . ولهذا يجب الا نترك عواطفنا وتجاربنا الخاصة تتحكم في طريقة تربية أبنائنا ، وانما يجب أن نعاملهم على أساس من النظام المدرسي .. فنكافيء الطفل اذا احسن ، ونعاقبه اذا أخطأ . نعطيه من حبنا وحناننا وعطفنا ولكن بمقدار . فالاسراف في كل هذه العواطف مفسدة له ، وقضاء على معنوياته وشخصيته .

قال الشاعر البريطاني المشهور ييتس Yeats (١٨٦٥ – ١٩٣٩) في قصة حياته التى سجلها بقلمه ، انه كان طفلا تعسا !! ثم قال : « ولكن أحد لم يكن له يد في هذا الشعور بالتعاسة الذى كنت أحس به، فقد كان الجميع يحبونني. وشيئا فشيئا بدأت اشعر بالسعادة ، تماما كما لو كنت أقهر شيئا داخل نفسي، فالتعاسة التى كانت تنتابنى لم تكن من صنع انسان ، وانما كانت جزءا من تفكيرى » .

السعادة الحقيقية

فليست السعادة في الحب وحده ، أو في العطاء وحده .. وانما السعادة الحقيقية في أن يتعلم الطفل كيف يوازن بين ما يريده وما يحصل عليه .. بين نزعات الغضب والطمع وحب النفس ، وبين رغبته في أن يكون طفلا مؤدبا حتى يستطيع أن يفوز بحب والديه .

فنحن لا نستطيع أن نسعد اطفالنا .. ولكننا نستطيع أن نعولهم ونعاونهم ونوجههم ، وهم يتلمسون طريقهم الى السعادة . ■■

منير نصيف



عبد الوارث كبير

● توفي الى رحمة الله ، في يوم ٣ من شهر يوليو عام ١٩٦٨ الاستاذ عبد الوارث كبير عن نحو ٦١ عاما ، بعد أن شارك في ارساء مجلة العربي ، بوصفه سكرتير تحريرها ، نحوا من عشرة أعوام ، هي طول عمر « العربي » الا قليلا. وبوفاته خسرت أسرة العربي أخا كبيرا معوانا، كان في ساعة السرور بهجة الحفل،وفي ساعة الضيق مفرجا من ضيقها. وكانت له نظرة في الحياة تستخف بكل ارزاء الحياة حينا ، وحينا تثقل به فيثقل باخف أعبائها . كان انسانا صادق الانسانية حقا . وكان يؤمن بالله أكثر من ايمان الكثيرين من الراكعين الساجدين . وكان يشتد به الايمان فيقوم بالصلاة رغم المرض الشديد . وفي رمضان هذا الاخير قام كعادته في كل رمضان بالصيام ، وهو ذو القلب الذى يكاد يتوقف عن الضرب في اية لحظة ، وأغريه بالكف فيقول لا افعل حتى يبلغ بي العجز غايته .

هذا الرجل هو اليوم بين يدى ربه ، يحتمي بعدله ، وفوق العدل بمثوبة الله ورحمته . ولولا عدل الله آخر الامر ، ولولا رحمته ومثوبته، لضاق الناس بظلم الناس فوق سطح هذه الارض .

رحم الله عبد الوارث رحمة واسعة .

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١١٥

■ هذه هى الاجابات الصحيحه للمسابقة :

جبل فوجي ياما ـ سبيك Speke ـ ادولف هتلر ـ بلوتو ـ عطارد ـ الحوت ـ الاسمنت ـ ابو الطيب المتنبى ـ سقراط وارسطو وافلاطون ـ البحر الاحمر .

وقد اجرينا القرعة بين الاجابات الصحيحه ، ففاز الآتية اسماؤهم :

● الجائزة الاولى : وقيمتها ثلاثون دينارا ، فازت بها عائدة شحاده ـ سوريا . ● الجائزة الثانية : وقيمتها عشرون دينارا ، فاز بها : خيرى محمد صالح ـ بالجمهورية العراقية . ● الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير ، فازبها : هشام حسن فهمي ـ المغرب . ● ✽ ٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير ، فاز بها .

ـ احمد عبد المحسن عبد الرحمن ـ الكويت .

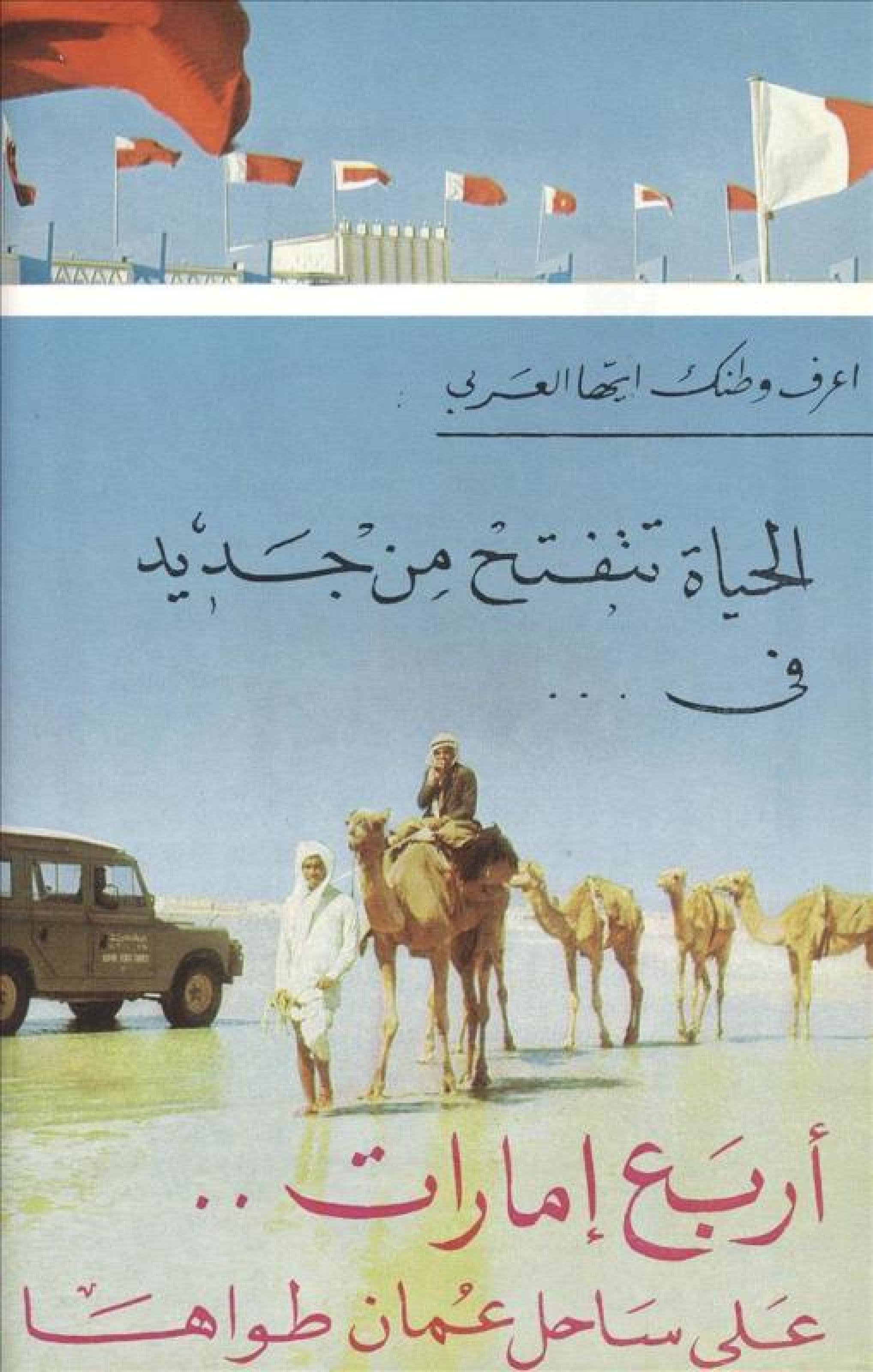
ـ حسين سلامة عبيدان ـ الاردن .

ـ فهاد مخلف المفرح ـ المملكة السعودية .

ـ العربى نور الدين نصرات ـ ليبيا .

ـ عبد الخالق عبد المجيد عبده ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ محمد فرج حماد عراوة ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ عيسى عبد الرحمن عتيق ـ أم القيوين ـ داود حسين ـ بريطانيا .

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها بالبريد. ■■


اعرف وطنك أيها العربي
الحياة تتفتح من جديد
في ...
أربع إمارات ..
على ساحل عمان طواها

اعلام امارات ساحل عمان الحمراء والبيضاء ، تخفق عالية معلنة قيام حياة جديدة بعد اعلان قرار بريطانيا الانسحاب في عام ١٩٧١ عن هذه الارض التي كاد ان يهجرها اهلها ، ولكنهم بدأوا في العودة اليها فوق ظهور الجمال ، سفينة الصحراء التقليدية .. وعلى متن سيارة اللاندروفر ، زورق الصحراء الآلي ..

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

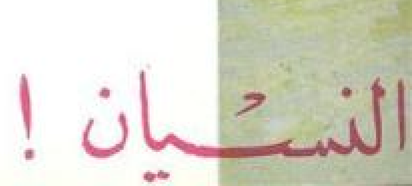
وصوره

اوسكار متري



الى اسفل : من مدينة صور في مسقط ، جاءوا للعمل في ميناء دبي .. هجرات متواصلة الى ارض المستقبل .





النسيان !

■ الى اين ... ؟

ــ الى امارات ساحل عمان ..

فجاة اصبحت هذه الامارات هدفاً لآلاف العرب .. يأتونها من كل مكان ، وهي التي كان دخولها بالامس محرماً عليهم .. فقد عملت الايدي الغريبة على احاطتها بسياج من فولاذ ، يتهاوى امام كل الاجناس ، ولكنه يقف صامداً امام كل عربي يريد ان يدخل هذا الجزء العزيز من وطنه الكبير !

وجئنا الى امارات ساحل عمان .. تلك البقعة المجهولة من الارض ، التي تبلغ مساحتها نحو ٥٠ الف كيلو متر مربع ، يعيش عليها نحو مائة وخمسين الف عربي مثلي ومثلك ، ارض فسيحة غنية ، وايد نادرة تبحث عن اخوة لها تؤازرها وتساندها ، وتعمل معها في استغلال ثرواتها المدفونة تحت الرمال ..

ولقد ظلت الصحف طوال الشهور الأخيرة تتحدث عن هذا الساحل ، ولكنه ، للاسف ، حديث لا يتجاوز النطاق السياسي ، فكله يدور عن الاتحاد الجديد لهذه الامارات . وعن المصير الذى ينتظره : هل يعيش ، ام انه اتحاد ولد ميتا ، قبل أن يرى النور ؟ !

أما الحديث عن الارض والناس ، عن آمالهم واحزانهم .. عن حاضرهم ومستقبلهم .. فلا احد يهتم به ، ولا أحد يلتفت اليه ! !

والعربي التى تسعى دائما الى سد هذا الفراغ ، تقدم لك في هذا الاستطلاع اربعا من امارات ساحل عمان ، التى يتجه اهلها اليوم اتجاها جديدا لا عهد لهم به من قبل ..

لقد بداوا يتململون ويصحون وينفضون عنهم غبار قرون من النوم والجفاف ، ويفتحون ابوابهم للتطور الذي راح يغير من صورة بلادهم وحياتهم تغيرا كاملا شاملا في جميع المجالات ..

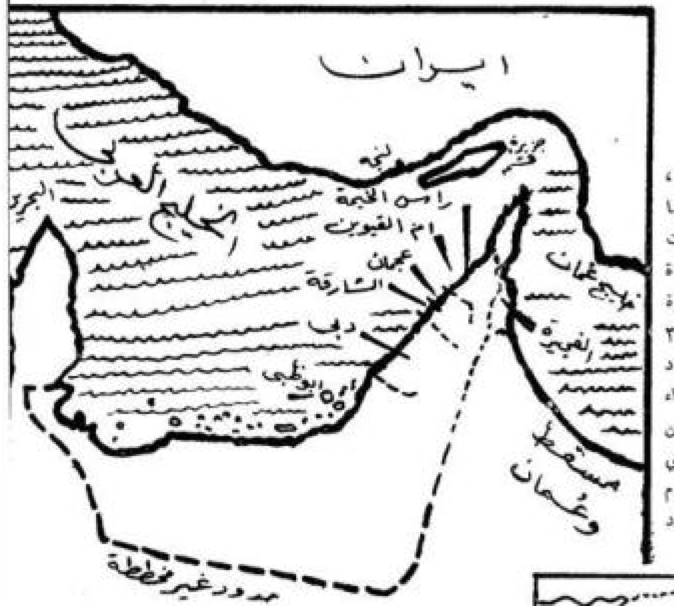
انهم ينطلقون بسرعة ، محاولين تعويض ما فاتهم من وقت ، فتراهم يتخطون السنين ، ويسبقون عقارب الساعة في دورانها ، فالعالم يسير بسرعة مذهلة ، ولا مكان فيه للواقفين والقاعدين ..

ضيق .. وفرج !

وتتركز الحياة على هذا الساحل في مناطق صغيرة معينة .. بعضها اخذ شكل المدن ، مثل دبي والشارقة ، وبعضها يسعى بسرعة الى النمو والتطور ، حتى يمكن ان يرتقى الى مرتبة المدن ، مثل ابو ظبي ورأس الخيمة .. وبعضها قانع بما هو عليه ، مثل ام القيوين وعجمان والفجيرة ، ولكنه مع ذلك لا يمانع في شق طريق جديد ، أو ادخال الكهرباء والماء الحلو النقي ..

ويمتد هذا الساحل ، من رأس مسندم الى حدود قطر (راجع الخريطة) . وهي المنطقة التى ظل الاجانب يطلقون عليها اسم ساحل القراصنة ، حتى عام ١٨٢٠ عندما جاءت بريطانيا وابدلت اسمه باسم الساحل المتهادن Trucial coast بعد توقيع المعاهدات مع شيوخ المنطقة .. ولكن

ما من شك في أن توقيع وثيقة اتحاد الامارات فيه الخير ، كل الخير ، للمنطقة .. والآمال كلها معقودة على الخطوات التنفيذية التي يجرى اعدادها الان



سبع امارات على ساحل عمان ، ربطت باول معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٢٠ ، ست من هذه الامارات تطل على الخليج العربي ، وواحدة تطل على خليج عمان ، هي الفجيرة .. ومجموع مساحة الامارات ٣٢ الف ميل مربع تقريبا ، اما عدد سكانها فلم تعلن بعد نتائج الاحصاء الرسمي ولكنهم يقدرونهم باكثر من ١٥٠ الف نسمة ، المصدر الرئيسي للثروة كان اللؤلؤ ، اما اليوم فالتجارة والنفط اصبحا المورد الرئيسي ..



العرب رفضوا هذه التسمية ، وابقوا على الاسم القديم : ساحل عمان ..

وكان اهالي هذا الساحل يعتمدون اعتمادا تاما على اللؤلؤ الطبيعي ، يجمعونه من اعماق مياه الخليج اللازوردية ويبيعونه ، حتى ظهر اللؤلؤ الصناعي فقضى على اللؤلؤ الطبيعي ، وبالتالي قضى على المصدر الرئيسي لثروة اهل المنطقة .. ووقع الناس في ضيق رهيب ، اشتد وزاد اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية .

ولكن الله يمهل ولا يهمل ، فما هي الا سنوات حتى تفجر البترول في اراضي الشقيقات : الكويت والمملكة العربية السعودية .. فحدثت هجرات على اوسع نطاق من امارات ساحل عمان ، الى بلاد البترول ، رغبة في الرزق الحلال وهربا من الجوع والفقر ..

الذهب الاسود يسيطر على العقول

ولكن سرعان ما جاء الدور على « ابو ظبي » ودبي فتفجر البترول من تحت اراضيهما ومياههما .. كما اكدت تقارير الخبراء ان البترول موجود في الشارقة ورأس الخيمة .. وتسلطت فكرة البترول على عقول ومخيلات الاهالي والشيوخ ، على حد سواء ، فازداد تمسك كل امارة باستقلالها واراضيها الصحراوية القاحلة فهم يؤمنون ايمانا راسخا بان الذهب الاسود موجود تحت اقدامهم ، وان دورهم في الانضمام الى الدول المنتجة للنفط آت لا ريب فيه ، لهذا تراهم يتحملون شظف العيش ـ الى اليوم ـ بنفس قانعة راضية ، في سبيل مستقبل افضل .. فالماء ، والارز ، والطعام يستوردونها باغلى الاثمان ، ولكنهم لا يفكرون ابدا في ترك ارضهم وبترولهم المرتقب .. وتأتي اليها فلا تجد فيها شيئا من مظاهر الحياة ، غير تلك الوجوه المطمئنة المستبشرة التي تتطلع في ثقة الى مستقبل افضل .. الى مستقبل البترول ..

موانىء .. ومطارات بالجملة !

وفي القرى الصغيرة القابعة وراء خور (خليج صغير) سدته الرمال المتحركة بدأت الحياة



الاوتوبيس النهرى .. ويعمل بين « سيريك » على الساحل الجنوبي لايران ، وبين دبي .. وهؤلاء مجموعة من الرجال الايرانيين عملوا في دبي ، جالسين في القارب يدخنون القِدُو ـ النارجيلة بالايرانية ـ قبل ان ينقلوا الى سيريك .. ويقطع القارب المسافة في ٣٠ ساعة ، ويتقاضى صاحبه عن كل راكب ٢٥ تومانا (العملة الايرانية) وتوازى دينارا كويتيا واحدا تقريبا .. وسألناهم هل تحملون جوازات ؟ فقالوا في حدة وغضب : « لا .. وانما نحمل اوراقا خاصة تحل محل الجواز .. اياكم ان تلتقطوا لنا صورا ! .. » ورغم هذا اختلسنا لهم هذه الصورة ، ولكننا لم نستطع ان نرى « الاوراق الخاصة » التي تحل محل الجوازات !



الى اليسار : ثروة سمكية هائلة تكمن في مياه رأس الخيمة، وفي الشتاء ، ومع موجات التيار الدافيء تتجمع كمية هائلة من الاسماك عند ساحل الخليج ، لدرجة أنها تعيق حركة السفن الصغيرة ، من فرط كثافتها ! ! أما القبقب (الرطان او السلطعون) (والاربيان اللوبستر) فكمياتهما اكبر من الاسماك !



الى اليسار : بدلا من الحطب الذي ظل وقودا اساسيا في البلاد .. بدأت انابيب الغاز المعبأة تدخل منازل اهل دبي والشارقة . وتصل الانابيب من السعودية .



تتفتح من جديد على هذا الساحل القديم ، ومع هذه الحياة الجديدة بدأ الاهل يعودون ليعيدوا الى الساحل امجاده .. فعلى تلك الاخوار المسدودة بدأت ثلاثة موانيء حديثة تمتد داخل مياه الخليج ، ولقد كان بالامكان الاكتفاء بميناء واحد كبير لكل هذه المنطقة ، ولكن لا ! .. فكل امارة تريد ان يكون لها ميناؤها الخاص بها وحدها ، وفي سبيل ذلك رصدت عشرات الملايين من الريالات ..

حتى المطارات .. كان من الممكن الاكتفاء بمطار واحد كبير ، لكن كل امارة لا تريد ان تشارك

الى أسفل : المشكلة الرئيسية في مجتمع امارات ساحل عمان أنه مجتمع لا يعيش عصره .. مجتمع يحتاج الى ثورات اجتماعية وعلمية ، من اجل خلق انسان عربي جديد ..

الباح .. افضل انواع الاسماك .. يتم تمليحها قبل تصديرها للبحرين ، حيث تباع الواحدة منها بريالين . ترى متى يأتي اليوم الذي نشهد فيه مصنعا لتعليب ولتجفيف الثروة السمكية !

غيرها في مطارها .. والكهرباء ايضا .. ان محطة كبيرة تكفي .. لكن كل امارة تريد محطة كهربائية خاصة بها .. وهكذا ..

ثورة على القديم

ومما لا شك فيه ان كل هذه المشاريع الزائدة يمكن ان تتحول مستقبلا لتصبح عناصر قوة ، ونقاط ارتكاز لازدهار الساحل .. علما بان هذا التطور السريع ، الذى تشهده المنطقة ، والذى يطوى سني التدهور والخمول ، يخيف الكثيرين من المسنين ، الذين يتحسرون وهم يشاهدون الحياة الاصيلة القديمة تختفى تدريجيا ، لتحل محلها حياة المدنية العصرية ..

فالتطور شباب .. والجمود شيخوخة وهرم .. !

ونقلنا هذا التخوف لاحد شيوخ الامارات ، فاجابنا : بشيء من الانفعال والحدة : « اذا كان هؤلاء المتشدقون بالحفاظ على التقاليد والحياة الاصيلة يؤمنون حقا بما يقولون ، فليأتوا الينا هنا ليروا باعينهم أنه لم يعد بامكاننا ان نستمر



الامارة الزراعية وامجادها

وبلد الامجاد على هذا الساحل هي راس الخيمة .. الامارة التي تحتل راس الساحل عند مضيق هرمز ، وهو المضيق الفاصل بين الساحل الايراني وساحل عمان ، والمسافة بينهما هنا لا تتعدى ٣٧ كيلو مترا ..

وقد عثر المنقبون الاجانب على اثار موغلة في القدم ، نقلوا جزءا منها الى بلادهم لفحصها ..

ويقول لك الاهالي : ان الزباء ـ ملكة تدمر ـ اقامت هنا !! .. وربما كانت الحقيقة ان تجارا من اهل تدمر وصلوا الى راس الخيمة عندما اتسعت طرق تجارتهم ..

وراس الخيمة هي الامارة الوحيدة التي تنتشر فيها الزراعة على مستوى تجاري ، تحت جبال عمان المرتفعة .. وبين اشجار هذه المزارع التي تضم نحو ٨٠٠ الف نخله ، اقام حكام الامارات الاخرى منازل لهم ، يأتونها في الصيف هربا من حر بلادهم ، لان راس الخيمة هي المصيف المفضل لاهل الساحل كله ..

وتشترك راس الخيمة مع امارة دبي ، في ظاهرة وجود خور يشطر البلد الى نصفين ، فتصبح وسيلة المواصلات هي الزوارق الصغيرة .

٣ سنوات بدلا من عشر !

وعلى شاطىء هذا الخور تستطيع سماع هدير الات الحفر ، وهي تثقب قاع الخليج بحثا عن النفط.. وسألنا حاكم راس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي عن النفط في بلاده وعن آماله للمستقبل فقال : « ان نتائج حفر الابار على اليابسة ، هي التي شجعت الشركة على الحفر تحت مياه راس الخيمة .. ويوجد احتمال قوى جدا في ان هذا الحفر سيأتي بثمار طيبة .. واذا حدث هذا فنحن نامل ان نحقق في ثلاث سنوات ، ما حققته الدول الشقيقة في عشر سنوات ..

« ولن يكون اعتمادنا في نهضتنا على النفط وحده ، فراس الخيمة غنية بمعادنها وارضها الزراعية ، ونحن نفكر في انشاء مصنع للاسمنت ، بعد ان اثبتت الدراسات وجود المواد الاولية لصنع اسمنت بورتلاند المعروف ، وغيره من انواع الاسمنت المختلفة ..

ويتابع حاكم راس الخيمة حديثه بقوله : وعندنا الرخام موجود بكثرة في جبالنا الشاهقة ..



انكسر خزان الماء في ام القيوين ، فقام الشيخ بجلب المياه في سيارة من منطقة بني محا .. وما كاد الصبيه يرون الماء العذب يتدفق حتى سارعوا تحته ليتمتعوا بحمام بارد يطفىء قيظ الحر ..

على هذا النمط من الحياة .. لم يعد بامكاننا ان نتنقل على ظهور الجمال ، ونشرب المياه المالحة ، ونأكل السمك والارز فقط ، دون سائر الاطعمة ، ونخلع الاسنان بالحبال والكماشات .. ونسهر الليالي على نور مصباح الجاز ؛ ونترك التراخوما تعمي ابصارنا ، والانيميا والسل والملاريا تنهش اجسادنا ، ولا شيء الا الخيام تحمينا من حر الصيف اللافح ، ومن سيول امطار الشتاء القارس »

وسكت محدثنا الكبير لحظة ، يستأنف بعدها حديثه قائلا : « اذا كانت هذه هي الحياة التي تريدونها لنا ، فنحن ندعوهم لكي يعيشوها.. اما نحن فقد قررنا ان ننتقل الى حياة القرن العشرين .. القرن الذي نعيش فيه .. وتعيش فيه معنا كل الشعوب .. اما حديثهم عن دمج المدنيتين العربية والاوربية ، وعدم الوقوف عند اخذ القشور من المدنية الحديثة ، فهذا امر طبيعي ، ولا يحتاج الى تذكير ، فنحن عرب ذوو امجاد وسنظل عربا وسنبني امجادا عربية جديدة .. »



الى اليسار : اوشك العمل على الانتهاء من بناء ميناء صغير ترسو عليه السفن في رأس الخيمة ..

الى اسفل : بالرغم من الخضرة المتوفرة في رأس الخيمة ، الا ان الاهالي يفضلون اكل السمك والعيش (الارز) ، ويصدرون محصولهم الزراعي الى بقية الامارات التي يعمل فيها الاجانب .. ان المطلوب هو ضرورة فتح مدارس للتعليم الزراعي ليتخرج منها الطالب ، فيبدأ في تطبيق احدث ما توصل اليه العلم لخدمة الزراعة

يبدو أن المشكلة التعليمية ستظل قائمة فى المنطقة الى ان يقوم وزراء التربية والتعليم العرب بتقدير جدى لمدى خطورتها ، فبالرغم من التقارير التي رفعت الى مؤتمرهم الاخير بشأن هذه المنطقة ، فان توصياتهم كانت اقل بكثير من ان توجد حلا ، ولو مؤقتا للمشكلة .. ان المنطقة فى حاجة الى زيادة ابنية المدارس (تكاليف بناء المدرسة الواحدة ذات الثمانية فصول ١٨ الف دينار) وفى حاجة الى مبان يقيم فيها المعلمون والمعلمات ، « تكاليف بناء المبنى الواحد لسكنى المعلمين هي ٢٠ الف دينار» .. ورغم المتاعب الكثيرة الاخرى فان التعليم فى راس الخيمة ينمو بسرعة مذهلة .. لقد بدأ التعليم فيها عام١٩٥٦ بمدرسة واحدة كانت تضم مائة تلميذ ، واليوم اصبح عدد الطلبة والطالبات نحو الثلاثة الاف ، يدرسون فى تسع مدارس شيدتها الكويت ، بين متوسطة وابتدائية وثانوية واحدة .. وتقوم الكويت حاليا ببناء مدرستين جديدتين للبنات ، وتنشىء جناحا جديدا للعلوم فى الثانوية .. وفى مدرسة المعيريض المتوسطة يدرس ٢٢٣ طالبا وطالبة جنبا الى جنب لعدم افتتاح مدرسة للبنات فى المنطقة .. وفى الصورة السفلى تمارين في الالعاب الرياضية لبنات راس الخيمة ..



والمياه المعدنية التى تتدفق من الينابيع التى في سفوحها .. والارض في راس الخيمة توزعها هبة على الاهالي ، نعطيهم قطعة زراعية وقطعة سكنية .. اما عن اخواننا العرب ، فنحن نرحب بهم في بلدهم وارضهم ، ونسمح لهم بالتملك والاستئجار كأى من المواطنين العاديين .. »

وسالناه عن التعليم ، فاجاب : « الناحية التعليمية تؤدى دورها لبناء الحياة الجديدة في رأس الخيمة .. والكويت كان لها السبق في معاونتنا في هذا المجال ، ولها حاليا ٧٤ مربيا من الجنسين ، يشرفون على تعليم وتربية اولادنا .. والجمهورية العربية المتحدة اوفدت لنا ١٥ مدرسا ومدرسة .. وكذلك البحرين وقطر ، وانضمت ابو ظبي اليهم فارسلت لنا هذا العام استاذين .. لقد بدأنا تعليم اولادنا في غرف شيدت من سعف النخيل ، وكانت بداية طيبة عظيمة .. ولكن شتان ما بين الامس واليوم .. فقد انتشرت منائر التعليم في اغلب انحاء راس الخيمة .. »

دور المرأة .. في راس الخيمة

وقلنا للشيخ صقر : « ما رايكم في تعليم الفتاة؟»

فاجابنا مستنكرا : « الفتاة .. ! .. ماذا تعني بكلمة فتاة .. هل هي مخلوق آخر غير الانسان؟ ! .. تستطيع ان تفرق بين انسان وحيوان .. وليس بين انسان وانسان .. ان بناتنا يتعلمن بحرية تامة ، ونحن نشجعهن ، ولكننا لا نضغط على آبائهن ، بل نترك هذا الامر لحسن ادراكهم .. »

واستطاع الشيخ صقر بهذه الكلمات القليلة المعبرة ان ينصف المرأة ويعطيها حقها .. وقد يعزى ذلك الى بقية من وفاء لها وعرفان بفضلها .. اذ لعبت المرأة في راس الخيمة دورا بطوليا تاريخيا ، عندما تسللت مع الرجال عبر اسوار راس الخيمة ليلة ٣ ديسمبر ١٨١٩ لتنقض على القوات الانجليزية والهندية المحاصرة للبلدة ، وتشترك في قتل مائتين منهم ، قبل ان يتنبه العدو ويفتح نيران مدافعه على المهاجمين ، فتسقط النساء الى جانب الرجال ، يروين بدمائهن الزكية ارض الوطن الغالي ..

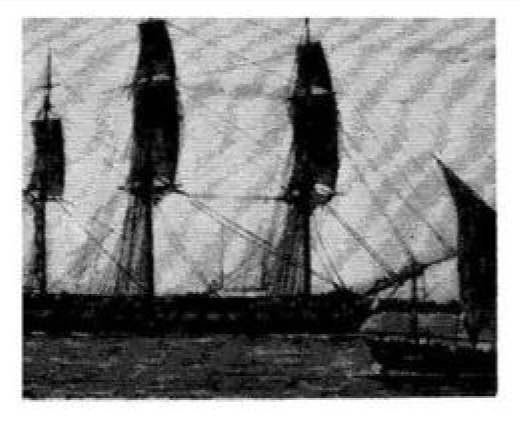
صوت من اعماق التاريخ يتكلم لاول مرة!

وهذه المعركة هي فصل صغير من سلسلة معارك ضارية بحرية وبرية ، دارت بين قبيلة القواسم وبين قوات حليفة مؤلفة من قوات شركة الهند الشرقية والقوات البريطانية وغيرها ..

ولنستمع معا لاول مرة الى قصة بطولة « القواسم » كما رواها فرانسيس ارسكين لوش Francis Erskins Loch **قائد الحملة البريطانية التي غزت راس الخيمة منذ اكثر من قرن ونصف من الزمان ، ولم تنشر الا اخيرا في كتاب** The Pirate Coast **لتشارلز بلجريف .. يقول قائد الحملة في مذكراته :** « كانت قبيلة القواسم القوية تتزعم المنطقة من عاصمتها راس الخيمة الحصينة ، وقاعدتها في جزيرة قشم ، ومدينة لنجه على الساحل الايراني ، اللتين كانتا تابعتين للقواسم .. ومن هذه القواعد كانت قوة القواسم البحرية تتحكم في مدخل الخليج ، وتنطلق مهاجمة اكبر سفن شركة الهند الشرقية البريطانية ، حتى استطاعت في صباح يوم من عام ١٧٩٧ ان تهاجم الطراد الحربي فيبر Viper وتجبره على الهرب .. وفي عام ١٨٠٤ استولى القواسم على الكنوز التي كان يحملها الطراد Fly في طريقه الى الهند. وفي عام ١٨٠٥ استولوا على سفينتين شراعيتين للمقيم البريطاني في البصره . وفي عام ١٨٠٨ استولوا على سفينة شراعية اخرى للمقيم ، واسروا الطراد سيلف Sylph ذا الثمانية مدافع .. وكان اسطول القواسم البحرى في ذلك الوقت

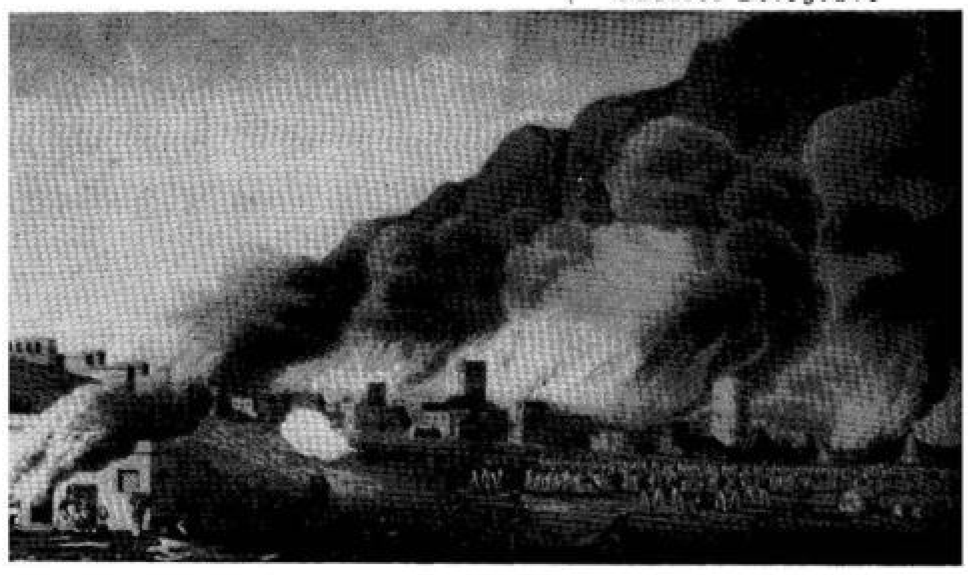


الشيخ صقر بن محمد القاسمي وولي عهده الشيخ خالد .. بالرغم من افتتاح عشر دوائر ، فان اهالي راس الخيمة يفضلون التعامل مباشرة مع حاكمهم ، يقصدونه في كل كبيرة وصغيرة ..



الى اليسار : هذه هي البارجة ليفربول ، المزودة بخمسين مدفعا ، والتي اشتركت في قصف موانيء رأس الخيمة والشارقة وام القيوين وعجمان ودبي عام ١٨١٩

الى أسفل : رأس الخيمة تحترق بعد قذفها بقنابل البوارج عام ١٨١٩ وتبدو القوات المهاجمة تستعد لدخول المدينة بعد هدمها .. (من كتاب The Pirate Coast تأليف Charles Belegrave)



بضم ٦٠ سفينة كبيرة وعدة مئات من السفن الصغيرة ، لايقل عدد من كان عليها عن ٢٠٠٠٠ نسمة ، وكان اغلب هذه السفن مسلحا بمدافع غنمها القواسم » ..

« وفي شهر سبتمبر ١٨٠٩ خرجت حملة بحرية من ميناء بومباى مؤلفة من ثماني سفن حربية ، وبارجتين واربع سفن نقل و ٢٠٠٠ محارب اوربي وهندي .

« ووصلت هذه القوة الضخمة الى رأس الخيمة وطلبت من القواسم الاستسلام فرفضوا ، وانطلقت المدافع تدك المدينة ، وتحرق ٦٠ سفينة كانت راسية في مينائها » ..

ويتابع الكابتن لوش مذكراته بقوله :

« وبعدها اتجهت قواتنا الى لنجه على الساحل الايراني واخرجت منها القواسم ، وفي جزيرة قشم دارت معارك ضارية مع القواسم فتراجعت القوات المهاجمة ، ثم عاودت هجومها بالليل ودخلتها ، بعد ان تركها القواسم ..

« وهكذا خرج القواسم من قشم ولنجه بعد ان حكموها فترة طويلة من الزمن ..

« وتصور الكثيرون ان قوة القواسم قد اضمحلت الى الابد ، ولكنهم سرعان ما اعادوا بناء قواتهم الضاربة ، وحصنوا مدينتهم راس الخيمة . وفي عام ١٨١٦ هاجموا سفينة Dariah Dowiat التابعة لشركة الهند الشرقية » ..

كماشة كبيرة ضد القواسم

وحاولت بريطانيا ان تقضي على قوة القواسم في راس الخيمة باستغلالها العداء المشترك الذي

ام القيوين او ام القوة كما كانت تسمى ، تعيش اليوم نائمة ساكنة ، كانت جزيرة متصلة مع الارض بجسر حجري،واتكسر الجسر ولكن الرمال المتحركة سدت الخرر ، فاتصلت المدينة مع اليابسة من الجهة الشمالية البعيدة.. ولكن الاهالي يفضلون ركوب القوارب للانتقال بدلا من اللف والدوران .

الى اليسار : ما زال اهالي ام القيوين يجمعون المحار بحثا عن اللؤلؤ ، ولكنهم يجمعونه من المناطق القريبة من الشاطىء ، وينقلونه الى اليابسة لفتحه وبيع لؤلؤه بخمسين ريالا للكبيرة وبريال واحد للصغيرة ! !

المرأة هي المرأة : أمام المجموعة الضخمة من الاساور والعقود الملونة وقفتا تتأملان وتنتقيان .. لقد جاءتا من الرمث في أقصى الطرف الشمالي من ساحل عمان للشراء من أسواق دبي .. أما الرجال ، الذين في **الصورة السفلى** ، فقد جاءوا بدورهم من عمان الداخلية لشراء الاقمشة المزركشة لنسائهم ، بعد ان نجحوا في بيع حملهم من الليمون والفحم الذي تنقلوه على ظهور جمالهم .

كان يكنه سلطان مسقط وابراهيم باشا نجل محمد علي الكبير ، للوهابيين ، فأرسلت الكابتن فورستر سادلييه G. Forster sadlier لمقابلة ابراهيم باشا ، وكان قد انتهى من محاربة الوهابيين في منطقة الاحساء – في محاولة لتوحيد العمل بين سلطان مسقط وابراهيم باشا، ودفعهما للقيام بحركة مشتركة تشبه كماشة كبيرة تطبق على القواسم الموجودين في رأس الخيمة .. ولكن الحظ لم يسعف القائد الانجليزى الذى لم يستطع مقابلة ابراهيم باشا الا عند « بئر علي » ، قرب المدينة المنورة ، بعد رحلة طويلة استغرقت ٣٠ ساعة دون توقف على ظهر جواد أنهكه الجرى فنفق عند نهاية الطريق . ولم تجد اقتراحات فورستر آذنا صاغية من ابراهيم باشا ، وهكذا نجا القواسم من هذه المكيدة ..

عجوز .. وثلاث قطط !

وتصاعد نشاط القواسم بعد ذلك ، حتى بلغ ذروته في عام ١٨١٨ ، وعندها صدرت الاوامر للبارجة البريطانية عدن ذات الستة والثلاثين مدفعا و ١٢٥ ضابطا وجنديا بالتوجه الى مياه الخليج العربى ..

ويروى الكابتن لوش في مذكراته ، كيف ان البارجة التى كان يتولى قيادتها ، ظلت تغرق وتحرق سفن القواسم أينما وجدتها من عام ١٨١٨ حتى نهاية عام ١٨١٩ عندما انضمت بعدها الى اكبر حملة شهدتها مياه الخليج العربى ، حملة مكونة من البارجتين ليفربول وعدن وبارجة ثالثة ، و٩ طرادات لشركة الهند الشرقية ، وعدد كبير من سفن النقل ، ونحو ٣٠٠٠ جندى منهم ١٦٠٠ أوربي ، ومجموعة كبيرة من المدافع .

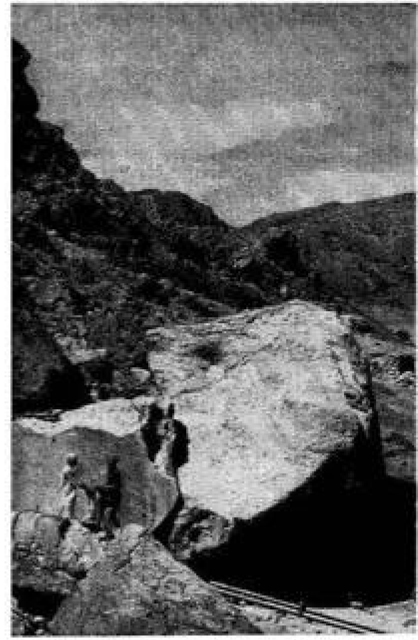
وفي ٣٠ نوفمبر ١٨١٩ تجمع هذا الاسطول الهائل امام رأس الخيمة ، ذات السور المبنى من صخر البحر والطين ، وبدأت مدافع الاسطول تصب نيرانها على معقل القواسم الذين صمدوا صمود الابطال يقودهم حسن بن رحمه القاسمى ، حتى يوم ٩ ديسمبر ١٨١٩ ، وكانت النيران مشتعلة في كل ركن من رأس الخيمة البطلة .. ودخلت القوات الغازية المدينة ، فلم تجد احدا سوى امرأة عجوز ، وثلاث قطط ، وبعض جثث القتلى !!

نسف رأس الخيمة

وانطلقت البارجة ليفربول لتدمر بقية الموانىء واحراق السفن فيها ، فقصفت ام القيوين ، وعجمان ، والشارقة ودبي ..

وفي يوم ١٣ ديسمبر ١٨١٩ اشعلت فرقة المهندسين البريطانيين فتيل الديناميت ، الذى وضع حول مباني وقلعة رأس الخيمة ، فنسفها جميعها ، ولم يبق من المدينة سوى بيت حجرى تركوه ليكون مقرا لهم ...

واليوم وبعد مضي نحو ١٥٠ عاما ، تعود راس الخيمة فتبنى نفسها من جديد ببطء وتأن ، حتى ليصعب على المرء ان يتبين الصورة التى سيكون عليها البناء الجديد .. وهل سيأخذ بكل مظاهر المدينة الحديثة ، أى بما لها وعليها ، ام



يستخرج الرخام من جبال عمان في رأس الخيمة .. وحتى تبني ابو ظبي ميناءها قدمت لها رأس الخيمة مليون و ٣٠٠ الف طن من الصخور هدية ، لانشاء المرحلة الاولى من الميناء .. وتسبب تفجيرات الديناميت قلقا لسكان الجبال من قبائل الشحوح

صور قد تبدو لك عادية في اى بلد آخر ، ولكنها في راس الخيمة تحمل معنى يدل على تطور سريع هائل .

من راس الخيمة الى الفجيرة

ولنترك راس الخيمة تبنى نفسها في هدوء على ارض مسطحة تآكلت اطرافها بفعل تيارات المياه ، التى تسللت الى قلب المدينة فشطرتها الى عدة اقسام ، وجعلتها اشبه بالجزر المتفرقة منها بالارض الواحدة المتصله .. لنترك هذا كله ونعبر معا سلسلة جبال عمان حيث تعيش قبائل الشحوح ، ونتنقل لنزور الفجيرة .. الامارة الوحيدة التي ليس لها شاطيء على الخليج العربى ، وانما تطل اراضيها على مياه خليج عُمان ، وهى جزء متمم لمياه الخليج العربي .

الحقيقة .. والسراب

لقد زرنا الفجيرة منذ ثماني سنوات ، ووصلنا اليها اليوم فوجدناها هي نفسها لم تتغير او تتبدل .. القلعة القديمة تقف متحدية الزمان تحت ظلال جبل سكّمكّم" .. ومبانيها اكواخ من المِداد (الطين) والدعون (سعف النخيل) ..

ولكن مهلا .. ما هذا الذى يحيط بالفجيرة ؟ تراه سرابا ام حقيقة ؟ !

هذه المنازل الصغيرة الانيقة ، متى ظهرت ؟ ويجيبنا الشيخ حمد بن سيف ممثل حاكم امارة الفجيرة قائلا : « لقد شيد مكتب حكام الخليج ٢٠ منزلا منها ، والشيخ زايد حاكم ابو ظبي ، بنى الخمسين الاخرى ، وانتهى بناؤها جميعا في آخر مايو ١٩٦٧ ولكنها مغلقة حاليا في انتظار الانتهاء من تشييد قصر الشيخ الذى سيكون مزودا بمصعد كهربائي .. »

وهذه المنازل الحديثة ستكون نواة الفجيرة الجديدة .. اما المدينة القديمة ، المبنية منازلها من الطين وسعف النخيل ، فالنية متجهة لهدمها وجعلها مزارع ..

لا تصدقهم !

وارض الفجيرة خصبة صالحة للزراعة في مجموعها ، والمياه الجوفية متوفرة على اعماق قليلة من سطح الارض .. والتبغ هو المحصول الزراعى الرئيسى في المنطقة .. وعندما يقولون



من الصباح الى المساء يجلس هذا الشاب ويعمل بقدميه على ادارة عجلة خشبية مربوط بها حبل يتدلى منه دلو ، لاستخراج المياه التى تستعمل في صنع ثلاثة الاف قطعة حجر جيرى يوميا .. ان جميع الامارات تقبل على شراء هذا النوع من الحجر الجيرى الرخيص . ومع التقدم الذى بدات علاماته تلوح في الافق ستختفى هذه الصورة ليحل محلها المضخات الآلية التى تستخرج المياه اللازمة لهذه الصناعة

سيختار منها ما يتفق مع بيئة وتقاليد هذا البلد العربى الجديد ؟

صور من التطور

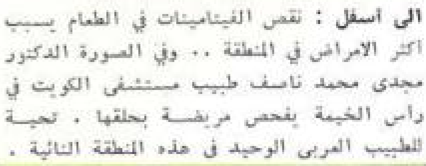
ان الانطلاق نحو الحياة الحديثة ، لا يمكن ان ينضبط بشكل او بآخر ، هكذا كان احساسنا ونحن نتجول بين ارجاء راس الخيمة ، فقد شاهدنا في الفندق الحديث ، المهندسين الايطاليين القائمين على أعمال شق اول طريق بين الامارات ، شاهدناهم يعيشون بعاداتهم وتقاليدهم وكأنهم في بلادهم . ثم دخلنا مدرسة متوسطة فوجدنا التعليم فيها مختلطا .. وجلسنا في غرف مكيفة الهواء ، ورأينا الاسمنت وقضبان الحديد تتجمع لتشييد المباني الحديثة ، وتزيح من امامها المنازل المبنية بالطين وجذوع النخيل .. وآلات التليفون تضاعف عددها اضعافا .. والمراة اصبحت تقصد عيادة الطبيب للعلاج مع طفلها ..



الى اليمين : بعد غياب دام خمسة أشهر عاد قارب صيد الاسماك الى عجمان ، من رحلته التى امتدت حتى الكويت .. اما في مياه ايران، فالصيد ممنوع ..

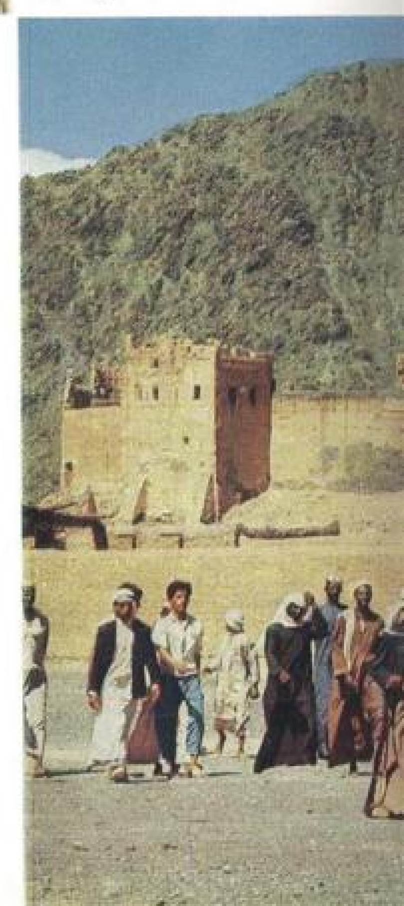
الى اليسار : حديث بين الشيخ راشد حميد النعيمي حاكم عجمان، وولي عهده الشيخ حميد بن راشد النعيمي ..

الى أسفل : الشيخ حمد بن سيف ، نائب شيخ الفجيرة ، في جولة تفقدية ، ومن ورائه ظهر جبل سكمكم" والقلعة القديمة التى شيدت لتكون معقلا لقبيلة الشرقيين، أيام المعارك مع القبائل المجاورة .. لقد انتهت الحروب وبقيت هذه الآثار تحكى فصلا من تاريخ الفجيرة



الى أسفل : نقص الفيتامينات في الطعام يسبب أكثر الامراض في المنطقة .. وفي الصورة الدكتور مجدى محمد ناصف طبيب مستشفى الكويت في رأس الخيمة يفحص مريضة بحلقها . تحية للطبيب العربى الوحيد فى هذه المنطقة النائية .





لك ان الفجيرة تنتج المانجو والبطاطا والموز والحمضيات ، فهذه كلها من قبيل الامال التى يرجى ان تتحقق مستقبلا .. حقا لا تخلو الفجيرة من المانجو وغيرها ، الا ان الموجود محدود ، وهو بحكم « العينة » لا يرجى ان يعم في المستقبل ! !

اما السبب المباشر لتدهور الزراعة في الفجيرة فهو الجهل وانصراف اليد العاملة عن الزراعة .. هل لانها شاقة ؟ . أم تراهم يفضلون الراحة والارتحال الى دول البترول للعمل فيها فراشين ، وعمالا ، تاركين زوجاتهم واولادهم وحيدين في البلاد دون اى رعاية او عناية لفترة قد تمتد سنتين او ثلاثا في بعض الاحيان ، يعودون بعدها بما ادخروه من أجرهم ومالهم !..

الغرفة وسكَمكَم ؟!

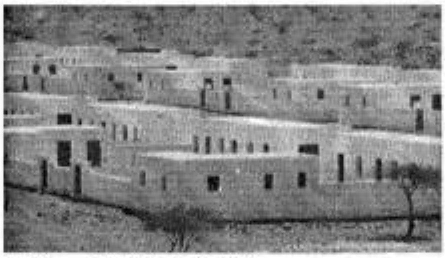
وتسأل عن أهل الفجيرة فيقولون لك : انهم افراد اسرة حاكمها الشيخ محمد بن حمد الشرقى ، وبعض المزارعين والعمال ..

والفجيرة اعلنت امارة رسميا عام ١٩٥٢ وعاصمتها تقع على بعد عشرة كيلو مترات تقريبا من شاطيء خليج عمان ، ولكن « المدينة الثانية » واسمها الغرفة اكبر من العاصمة واكثر تقدما وتفتحا منها ، وتقع على شاطيء خليج عمان مباشرة .. أما بقية القرى وهي سكَمكَم وجَرنَه ومِربَح وقِدفع ومجموعة اخرى نائية قرب دبا ، فهي تجمعات حول ابار للمياه اكثر منها قرى بالمعنى المعروف .

.. كل شيء طيب !؟!

والفجيرة ليس فيها كهرباء ، ولا ماء مقطر ، ولا تليفون محلى ، ولا كوى ثياب ، ولا حلاق ، ولا حتى عامل فني صغير يجيد اصلاح « وابور الغاز » .. والمستشفى الذى اقامته الكويت ، كامل البناء ، والناس تنظر افتتاحه ليؤدى الخدمات التى هم في امس الحاجة اليها .. فالملاريا منتشرة بين السكان بشكل مزعج .. واطفال المدرستين يتناولون اقراص الكنين للوقاية منها في مدارسهم .. والذباب يتطاير بالملايين فوق اسماك العومة المجففة التى تستعمل كسماد للزراعة ..

ومع ذلك تسالهم عن حالتهم ، وهل لهم شكوى ؟ فيجيبونك : « الحمد لله ، كل شيء طيب عندنا » ويخيل للمرء ان الفقر قد بلغ



منازل الفجيرة الحديثة .. أنتهي
فلا تجد فيها احدا .. انها كال

بهم حدا؟ لم يعودوا يفقهون معه لرغد العيش معنى ..

المراة في الفجيرة

وكذلك حال المراة هناك ، فقد راينا صبيا يافعا حول بئر للمياه ، يتحكم في شئون جميع نساء العائلة اللواتى تركهن ازواجهن وهاجروا الى بلاد البترول .. وعندما تبلغ الفتاة العاشرة من عمرها تضع البطولة السوداء (نقاب اسود) على وجهها ، ولا تنزعها ابدا .

للرجال فقط !!

وفي الفجيرة تذكرنا قول الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن وهي تحاضر عن المفهوم الاسلامي لتحرير المرأة : « .. ولسنا بهذا التقدم والتطور الذى مرت به المرأة العربية ندين الى مفاهيم اجنبية مستعارة من الغرب المحدث ، وانما هو مفهوم اسلامي حر تقرر منذ اربعة عشر قرنا في كتاب الاسلام ، ختام رسالات السماء .. والذين يحسبون أن تطور المرأة العربية بضاعة غربية طارئة وافدة ، اما ان يكونوا على جهل بحقيقة الاسلام ، واما ان يكونوا قد غاب عنهم فهمه فشدت اعينهم الى الغرب ، وفي ظنهم أنه هو الذى يورد لنا مفاهيم الحرية واصول التطور وذلك ضلال بعيد .. ان كتاب الاسلام يأبى أن تجحد انسانية المرأة المماثلة لانسانية الرجل بمقتضى وحدة الاصل : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . »

وما أجدر باهل الفجيرة وامارات ساحل عمان ان يطلعوا على هذه المحاضرة التى تحدد المفهوم الاسلامي لتحرير المرأة .

ام القيوين .. او أم القوه

ومن الفجيرة عبرنا جبال عمان ثانية ، في رحلة



ام وتصف ، وتبحث عن ساكنيها ،
ط الصحراء القاحلة .

شاقة بسيارة الجيب لنصل الى ام القيوين على ساحل الخليج العربي ..

و« ام القوة » كما كانت تسمى سابقا ، هي الامارة التى تحتل المرتبة الثانية بين الامارات ، في صغر الحجم .. اما عدد سكانها فلا يمكن حصره ، اذ يعمل عدد كبير من رجالها في السعودية والبحرين والكويت ، ولا يعودون الى ام القيوين الا في الشتاء ، وهو اجمل فصول السنة فيها ، مما جعلها المتجمع الشتوى المفضل لاهل ساحل عمان ...

ويعمل اهل ام القيوين على صيد السمك المتوفر بكميات هائلة في مياههم ، ويقومون بتصدير ثماني سيارات مليئة بالاسماك يوميا الى دبى .. واحسن انواع السمك هو « البياح » الطيب الطعم ، الذى يملحون كميات كبيرة منه ، ويصدرونها للبحرين ..

اما الاسماك الصغيرة « العومة » فيصطادونها بكميات هائلة من المياه الضحلة قرب الشاطىء ، ويتركونها على رماله حتى تجففها اشعة الشمس ، وبعدها ينقلونها الى مخازنهم الكبيرة التى يملكونها في دبى ، قبل بيعها وتصديرها ، لتستعمل سمادا او طعاما للماشية ..

وعلى مسافة ٥٠ كيلو متر من بلدة ام القيوين يقع فلج المعلى ، حيث الماء والارض الطيبة ، التى يزرعونها باشجار الفاكهة ومختلف انواع الخضروات .. ومن هذا الفلج يجرى العمل لمد خط انابيب يوصل الماء العذب الى العاصمة العطشى ..

وفي الصيف يهرب الاهالى من رطوبة الساحل الى فلج المعلى في الداخل ، حيث المناخ جاف والمياه متوفرة .. وهذه ظاهرة يتبعها معظم اهالى الامارات الاخرى ..

وتطور التعليم في ام القيوين ، خير شاهد على ما احرزته هذه الامارة من تقدم ، ففى رحلتنا السابقة منذ ثماني سنوات ، لم يكن تعليم الفتاة قد بدأ بعد .. اما اليوم فقد شهدنا ١٤١ طالبة في مدرسة الصباحية منهن ٢٨ فتاة اصبحن في المرحلة المتوسطة .. وبلغ عدد الطلبة ٢١٧ طالبا .

أخف الامارات دما !!

ومن ام القيوين انتقلنا الى عجمان .. حقيقة انها اصغر امارات ساحل عمان . فمساحتها لا تزيد على مائة ميل مربع ، ولكنها اكثر الامارات خفة دم .. فانت ما تكاد تجلس الى حاكمها الشيخ راشد بن حميد النعيمى حتى تأخذك الرهبة امام طلعته المهيبة ،ولكنك سرعان ما تكتشف فيه محدثا لبقا ينقلك بسهولة وسلاسة من موضوع الى موضوع . فهو موسوعة في تاريخ المنطقة، اذ يحكم عجمان منذ اكثر من ٤٠ عاما وحينما رجوناه ان يحدثنا عن عجمان ، قال :

« يتراوح عدد السكان بين ٥و٧ الاف نسمة يعمل الرجال منهم على ظهر ١٢٠ سفينة تخرج لصيد الاسماك وبيعها في البحرين والكويت والسعودية .. ويغيب الرجال اربعة الى خمسة شهور تاركين عائلاتهم في حمايتي ، فانا ابو العيال كلهم ، لا احد يتعدى عليهم ، واذا تجاسر اجنبي على دخول بيت بدون اذن اهله فانى اجلده عشر جلدات بيدى هذه ! » .

الحفاظ على التقاليد

ويتحدث الشيخ عن تعليم الفتاة فيقول :
« نحن نخشى من العار وستر نسائنا ، لهذا لم اسمح بتعليم البنات الا هذه السنة ، خوفا عليهن من الانحراف عن التقاليد الذي يرافق السفور .. ان الظروف الحالية التى تسود العالم هى التى دفعتني الى أن أترك البنت تلحق بركاب العلم والحضارة »

ويستطرد الشيخ راشد ضاحكا : « انا شوية شديد على النساء .. واحافظ على التقاليد الاولية ، ولم اجد اى مانع من السفر الى لندن بملبسى العربي وخنجرى ولحيتى .. »

وانتقل الحديث الى النفط ، فقال الشيخ راشد بلهجة الواثق : « ان البترول موجود عندنا في منطقة « الجرف » من جهة ام القيوين .. وقد قلت لرجال الشركة ان يضربوا الارض في ذلك المكان ، ولكنهم

يزدحم خور دبي بمئات السفن التي يدعي أصحابها انها سفن صيد ، ولتفريغ بضائع من البواخر الكبيرة التي لا تستطيع الاقتراب من الساحل لضحالته .. ان خلف كل سفينة قصة مثيرة !



الى اليمين : تضم بعثة الكويت التعليمية الى راس الخيمة ٧٤ مدرسة ومدرسا وتضم بعثة ج٠ع٠م ١٥ مدرسة ومدرسا ، وهناك ٢٢ مدرسا ومدرسة من البحرين وابو ظبي وراس الخيمة وقطر .. والشكوى الرئيسية لهؤلاء المدرسين والمدرسات هي عدم ملاءمة مباني سكناهم للحياة الحديثة ..والشكوى الثانية هي ضرورة تنسيق التعاون بين البعثات التعليمية والمشرفين عليها ، وايجاد مرجع اعلى في المنطقة يشرف على المدارس ، ويجعلها تتجه وجهة واحدة في النواحي التعليمية والادارية

الى اليسار : الآليات الضخمة تعمل على شق اول طريق ربط بين الامارات السبع ، وتتولى السعودية دفع تكاليفه، وطوله ٩٠ كيلومتر وعرضه ١١ مترا ، وينتظر الانتهاء منه بعد اكثر من عام .. وسيتخلله ٢٠ جسرا لحمايته من الانجراف نتيجة السيول ...

الى اسفل : في صبر وجلد انهمك هذا الرجل من اهالي عجمان ، في قص جذع شجرة نقلته المراكب من ساحل الباطنة على خليج عمان الى مدينة عجمان على الخليج العربي .. ومن هذه الاشجار تصنع قوارب الصيد العربية التقليدية .

لم يضربوا ولم يحفروا اي بئر .. فتخلينا عنهم.. وعقدنا اتفاقية جديدة ، مع شركة يابانية »

هونج كونج الشــرق

وانتهت جولتنا في عجمان ، وانتقلنا الى دبي وفي غرف فندقها المكيف الهواء ، ومياهها الباردة والساخنة ، احسسنا اننا قد اخترقنا حجب الزمان ، وانتقلنا من عصر الى عصر .. وخاصة عندما تناولنا عشاءنا على ضوء الشموع ، وسمعنا الموسيقى التي يرقص الاجانب على نغماتها الحالمة .. انهم يعيشون هنا وكأنهم في بلادهم .. فحاكم دبي الشيخ راشد بن مكتوم ، يعتقد بان ازدهار بلاده لايمكن ان يتم الا بتأمين الحرية الشخصية للاجنبي ، واحترام عاداته دون ان يكون في ذلك اى اساءة لاهل البلاد ..

ان اهل دبي يقولون : اننا هونج كونج الشــرق والحرية الواسعة التي تتمتع بها في بلادنا هي التي سيجعل اموال بلاد البترول تتدفق علينا من كل صــوب ...

اســتغاثة !

واخيرا لقد مست يد التبديل اشياء كثيرة في هذه الامارات الاربع التي سبق ان نشرنا عنهــا استطلاعــا في عــدد نوفمبر ١٩٦٠ ولكن العمــل المطلوب ما زال اكبر من امكانيات هذه الامارات ، التي تقف وحيدة على عتبات عصر النفط والذهب الاسود ...

ان المساعدات تأتيهم ــ على نطاق واسع ــ من دولة عربية واحدة هي الكويت ، التى قامت ببناء ٢٨ مدرسة تضم حاليا ١.٥٤٩ طالبا وطالبة .. وتقوم الكويت بتجهيز هذه المدارس بكل ما تحتاجه من كتب ومكاتب واثاث وقرطاسية ، كما تقوم بتقديم الكساء والاحذية ووجبة طعام خفيفة يوميا لجميع التلاميــذ والتلميذات ... وتتكفــل حكومة الكويت بتوفير المدرسين والمدرسات لهذه المدارس ويبلغ عددهم ٢٧٢ مدرسا ومدرسة .

والى جانب الناحية الثقافية ، تتولى الكويت مسئولية الناحية الطبية ، وقد اقامت حتى الآن ثلاثة مستشفيات وسبعة مستوصفات ، يعمل فيها ٢٦ طبيبا وطبيبة ، يعاونهم ٨٥ فردا من ممرضات وممضمــدين وصيادلة .. ويبلــغ متوسط عــدد المراجعين لهذه المستشفيات والمستوصفات ، ١٢٠٠ شخص يوميا ، يتلقون العلاج والدواء كاملا بدون مقابل ..

ولم تكتف الكويت بهذا ، بل تقوم حاليا باجراء عملية مسح جيولوجي شامــل لاراضي وجبــال امارتي الشارقة وراس الخيمة ، تبلغ تكاليفهــا نحو مائة الف دولار .. وتجرى الدراسات حاليا لانشاء محطة بث تلفزيوني في امارة دبي ..

ان دولة الكويت وهي تقدم مساعداتها الى هذه المناطق العربية لتثبت على اقدامها ، تؤمن ايمانا راسخا بان الوقت قد حان للكشف عن ثروات هذا الساحل العربي الاصيل لينتفع اهله بخيراته .

وكأنما استجاب القدر الى الدعاء ، فبدأ المارد المختفي تحت رمال هذا الساحل يتحرك ، ويزلزل صخور جبال عمان .. ولن يمضي وقت طويل ، حتى ينطلق من محبسه ، ليحيل الفقر الى غنى.. والركود الى حركة ورخاء ..

وغدا سوف تصبح امارات ساحل عمان مــن اغنى اجزاء وطننا العربي ..

وبعد غد سوف تنطلق الاشعاعات من هــذا الساحل ليساعد في بناء الاجزاء المتخلفة مــن وطننا العربي الكبير وتساهم في الحمل الكبير . الم اقل لك انها ارض المستقبل ؟! ■■

سليم زبال

الى اسفل : في دبي اناس من كل جنس ولون .. وهم يأتون اليها مع افراد اسرهم ، حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم .. ولا يكاد الليل يخيم حتى تمتليء قاعات الفنادق بالرواد ، الذين يتناولون العشاء على ضوء الشموع ويرقصون على نغمات الموسيقى .. ان اهل دبي يقولون : اننا هونج كونج الشرق ..





يعانى من الشيب المبكر ..

● انا شاب ابلغ من العمر ٢٠عاما ، وقد دب الشيب في شعر راسي مما يظهرني كانني رجل عجوز .. فماهو سبب ظهور الشعر الابيض في مثل هذه السن المبكرة ؟

ـ يقال أن الشيب وقار ـ لكنه اذا جاء مبكرا فانه يكون سببا في ازعاج صاحبه ـ

ويحدث بياض الشعر أو الشيب ، نتيجة لعدم تكون مادة الملانين Melanin المسئولة عن لون الشعر بواسطةالخلايا المكونة له وهي الميلانوسيت Melanocyte وهذه الاخيرة موجودة في بصيلة الشعر .

وعدم تكون هذه المادة ، اما ان يكون غير مصحوب بتغيرفينمو أو تكوين الشعر ، اى أن الشعر يكون سليما كما يحدث في حالات البهاق ، أو البياض الوراثى للشعر ، أو البياض الخلقى .

أو ان يكون مصحوبا بتغير في طبيعة الشعر ونموه كما هو ملاحظ في حالات الضعف الشديدة الملازمة للأمراض الطويلة ، أو الحالات المصاحبة لتأثير الاشعة السينية ، أو حالات الحميات الشديدة أو مرض الثعلبة .

وللشيب أو بياض الشعر سببان أساسيان هما :

١ ـ وراثى

٢ ـ مكتسب

والشيب الوراثي الكامل ، أن يولد الطفل وشعره كله أبيض كما هو مشاهد في حالات « عباد الشمس » وقد يكون جزئيا ، اى يولد الطفل وبه خصلةبيضاء غالبا على الجبين وهي تحدث في أفراد العائلة وتنتقل من جيل الى جيل .



اما الشيب المكتسب ، وهو الشيب المعروف والأكثر حدوثا ، بسبب تقدم السن ، وهو يعتبر علامة من علامات الشيخوخة . ويبدأ ظهوره غالبا في أواخر العشرينات أو الثلاثينات ويبدأ في الظهور على جانبي الشعر ، وقد يبدأ ظهوره في سن متقدمة ، وقد يظهر في سن مبكرة كما ان سرعة ظهوره تختلف من شخص لآخر ، وفي الغالب يكون لعامل الوراثة والتكوين الشخصي اثر كبير في تحديد سن وسرعة ظهوره .

والشيب المبكر ظاهرة غير طبيعية ، غالبا ما تبدأ في الطفولة حيث يلاحظ ظهور بعض الشعر الأبيض ، سرعان ما ينتشر وتصبح فروة الراس بيضاء في سن مبكرة .. وهذه الحالات المبكرة انعكاسات لعوامل وراثية وعائلية .

كما أن هناك بعض المؤثرات التى تساعد على ظهور الشيب بالراس ، ولكن هذه في الغالب تكون قابلة للشفاء مثل الحميات الشديدة والامراض الطويلة ، وسوء التغذية الشديد واضطرابات الهرمونات ، وبعض الامراض الخبيثة ، واخيرا وليس آخر الاضطرابات النفسية الشديدة .

وبهذه المناسبة احب ان اشير الى ما يتردد في بعض الأحيان من ظهور الشيب فجاة بالراس بين ليلة وضحاها ، فان هذا غير معروف علميا حيث انه لا يمكن ازالة اللون الموجود بالشعر فجأة اذ يتطلب ذلك أسابيع وشهورا حتى تصبح الشعرة بيضاء . الا انه يمكن ازالة لون الشعر فجاة بالمواد الكيماوية التى تذيب اللون .

علاج الشيب : اذا كانت هناك بعض المؤثرات التى ذكرتها فان في علاجها في بعض الحالات علاجا للشيب مثل البهاق والثعلبة والأمراض الطويلة والحميات وسوء التغذية الشديد . واضطرابات الهرمونات وغيرها .

اما اذا كان الشيب طبيعيا أو وراثيا فان علاجه الصبغات ، وهى ثلاثة انواع .

اما نباتية مثل الحنة ، وهى سليمة الاستعمال لا يحدث منها ضرر ولو أنها صعبة وتحتاج لمدة طويلة واللون الناتج غير متحكم فيه .

او أملاح معدنية وهى كذلك غير مضمونة اللون .

او كيماوية وهى سهلة الاستعمال ، سريعة ، تعطى اللون المطلوب تماما الا أنها تسبب في بعض الحالات حساسية شديدة بالراس والوجه والرقبة والايدى والجسم .

أعاني من ضعف

● انا شاب في السابعة عشرة من عمرى ، وعند قياس نظرى وجدت ان قوة ابصار عيني اليمنى هي ٦/٦ بينما عيني اليسرى ٦٠/٦ .. وعندما ذهبت للطبيب ، لعمل نظارة طبيه اخبرني بعد فحص قاع العين ، ان العين اليسرى سليمة ، ولكن العيب يكمن في العصب البصرى ، الذى يعاني من الكسل لعدم الاستعمال وان علاجي هو في اغماض عيني اليمنى واستعمال عيني اليسرى لمدة طويلة ... ولكن ماذا افعل ، وكيف استطيع ان اقرا او اسير ونظر عيني اليسرى ضعيف جدا وهل من علاج آخر يرد لعيني قوة ابصارها ؟

ـ يصادف احيانا ، أن قوة الابصار في احدى العينين تكون ضعيفة ، بالرغم من سلامة اجزائها تماما . مثل هذا الضعف يسمى بالكسل ، بمعنى انه حينما تقع صورة المرئيات على الشبكية، فان العين لا ترسلها الى المخ الذى يستطيع تمييز هذه الاجسام بكل دقة



البصر .. واجزاء عيني سليمة !

ولذلك تكون الصورة غير واضحة ولا تتحسن قوة الابصار فى هذه الحالة بنظارات طبية ، او عملية جراحية .

وقد يتسبب هذا الكسل عن :

١ ـ عدم توافق الانكسار فى كلتا العينين ، اى ان احدى العينين تكون طبيعية والاخرى غير طبيعية الانكسار كأن يكون بها طول نظر ، او قصر نظر شديد .

٢ ـ اصابة العين بمرض الحول فى مرحلة الطفولة ، حيث عولج فى حينه واختفى تماما الا انه ترك كسلا فى نفس العين .

٣ ـ اصابة القرنية بسحابة مركزية خفيفة ، وتنحرف العين بسببها الى الداخل او الخارج ، (حَوَل آنسي او وحشي) فتضعف قوة الابصار الى درجة شديدة ، ويطرأ على العين كسل مستديم غير قابل للعلاج .

فى الحالتين الاولى والثانية ، ربما تتحسن قوة الابصار قليلا بالنظارة الطبية وقد تتحسن اكثر من ذلك اذا غطيت العين اليمنى (السليمة تماما ، بغطاء فوق النظارة الطبية ، وتركت العين اليسرى بالنظارة الطبية غير مغطاة فترات طويلة ، للتمرين على الابصار بها ، ثم تقاس قوة الابصار مرة كل ثلاثة شهور لتتبع مدى الاستفادة من استعمال العين الواحدة

وهذا العلاج لايتعارض مع القراءة او الاستذكار .

واذا تحسنت قوة الابصار الى درجة ملموسة فانه يمكن تقوية المركز الحساس للرؤية في المخ بواسطة بعض التمرينات الخاصة على جهاز خاص يساعد على رؤية الضوء بكلتا العينين ..

واذا لم تتحسن حدة الابصار ، فمن الممكن فى حوالى ٢٠٪ من الحالات ، أن تتقدم بواسطة تنبيه الجزء المركزى من الشبكية للعين الضعيفة ، على جهاز كهربائي خاص يعمل على مشاهدة صورة ضوئية لفترات متقطعة . وقد يستغرق هذا العلاج بضعة شهور ويأتي احيانا بنتيجة فعالة فى تحسن قوة الابصار ولكنها لاتصبح كاملة كالعين الاخرى السليمة .

هل هناك علاج لقصر القامة؟

● انا طالب عمرى ١٦ عاما واعانى من قصر القامة اذ لا يزيد طولى عن ١٣٩ سم ، فهل يوجد علاج لزيادة طولى .. مع العلم بانه لا يوجد بين افراد اسرتى احد يعانى من قصر القامة ؟

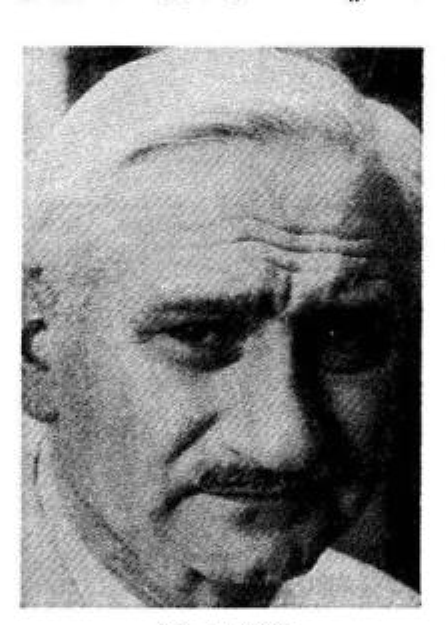
ـ الجواب على سؤالك يتوقف على معرفة السبب الاساسي لنقص نموك ، وهل هو ناتج عن عيب خلقى أو مكتسب، في العظام ، أو الجهاز الهضمي، أو الكلى، أو الكبد ، او القلب ، او امراض سوء التغذية ، او اختلال بعض الغدد الصماء .. الخ .

وهى كما ترى قائمة طويلة لا تساعد المعلومات المقدمة في السؤال على ترجيح بعضها وغالبا لا تغنى الكتابة عن مراجعة الطبيب لتحديد السبب ، ومعرفة امكان العلاج ، ومدى فائدته المرجوة ، او عدم جدوى شيء من ذلك . ■■



السرطان، هل سببه الفيروس؟

● ان عالما شهيرا قضى ٣٠ عاما فى بحث مرض شلل الأطفال ، وهو مرض يسببه فيروس خاص بهذا المرض ، هذا العالم يقول انه الى اليوم قضى ست سنوات فقط فى بحث فيروس السرطان، وانه سينهى حياته العلمية بضرب راسه في الحائط الى ان يثبت ان الفيروس



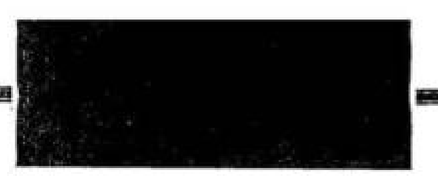
الدكتور سابين

يحدث السرطان ، وهو لا يبالي حطمت الحائط راسه ، او حطم راسه الحائط .

انه الدكتور البرت سابين Sabin صاحب دواء مرض شلل الأطفال الشهير، وهو يعمل فى مؤسسة البحوث بمستشفى الاطفال وفي كلية الطب بجامعة سنسيناتي Cincinnati بالولايات المتحدة .

انه يقول ان مئات من الناس قضوا أربعين عاما لانتاج تلك السلالة من الفئران التي اثبت العلماء في امرها انها تصاب بسرطان الدم ، وان سبب الاصابة الفيروس . ثم هو يستطرد فيقول : فاذا احدث الفيروس في الدجاج سرطانا شبيها بذلك الذى اصاب الفئران ، فكيف يمنع انسان من السؤال الذى لا بد منحدر من لسانه نتيجة لهذا المنطق، ليسأل : واذن فلم لا يكون الفيروس سبب اصابة الانسان بالسرطان كذلك .

وينظر الدكتور سابين في البحوث الجارية الآن فى مرض السرطان ، فيقول : ان العقاقير اطالت اعمار الاطفال المصابين بسرطان الدم خمسة اعوام وعشرة أعوام ، فمن يدرى ، فقد يحدث فى هذه الاثناء ان يقع البحاث على علاج يقتل السرطان قبل أن يدرك الانسان حقيقة اسبابه .



● لم يكن سبيل غير هذا .

الناس تزيد والأرض لا تزيد ، واكل المائة يصبح مقسما بين مئتين فالثلاثمائة على السنين . والفقر يزيد . والله نظم الكون ، وحدد معالم الرزق فى الحياة ، وجعلها سننا لايحيد عنها حائد الا هلك .

وباكستان ، اذ قررت أن تسلك هذا السبيل ، تأمل أن تعقم ...ر٥٠ رجل في الشهر .

وباكستان، باكستان شرقية ، واخرى غربية . والاكثف سكانا تلك الشرقية والمآسي التى تحكى نتيجة لكثرة سكانها محزنة مؤلمة . ومن أجل هذا خططت الحكومة الباكستانية ان تقوم بعمليتين للتعقيم لرجلين فى شرق باكستان كلما قامت بعملية واحدة لرجل واحد فى الغرب .

والحكومة بدات فعلا تعقيمها فى كل من الباكستانين . ولها وحدات للجراحة متنقلة . ووحداتها فى الشرق انجزت فى الأشهر الأخيرة ...ر٣٣ تعقيمة ، بينما هى لم تنجز في الغرب، في باكستان الغربية، غير مئات .

ويفسر الاطباء هذا الفرق بفرق توعية .

فالغرب من باكستان لا يحس من الضيق ما يحسه الشرق .

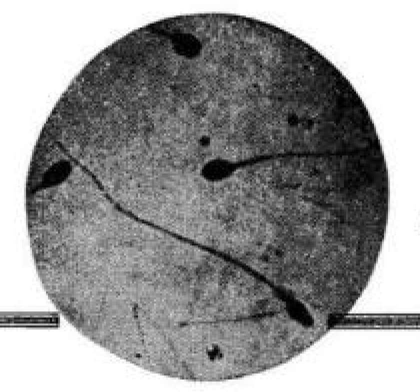
وستعنى الحكومة أول ما تعنى بأمر التوعية . فبالطبع لن يغصب احد على التعقيم .

وعملية التعقيم لا تستغرق اكثر من ١٠ دقائق . وهي تجرى تحت البنج الموضعي . وهي عبارة عن قطع خيط يصل الخِصيِ بالقضيب .

وتسأل الطبيب هل بعد قطع يمكن وصل ، فيعود الرجل الى انتاج الاطفال ؟

والطبيب يقول : أما نظريا فنعم . وأما عمليا فلا تصلح العملية العكسية الا في نحو ١٠ في المائة فقط من الرجال .

ورجال الصحة العالمية فى جنيف ، وهم وراء هذه الحركة العالمية ، يقولون ان تعقيم ...ر٥٠ شخص فى باكستان فى الشهر هدف صعب التحقيق . وهم يذكرون أن باكستان ، في أمر النساء ، استطاعت ان تحمل ...ر٥٠ منهن على ادخال مانع حمل الى الرحم . ولكن أمر التعقيم بالجراحة للرجال اصعب .



الحيوان المنوي

مخلوقات لله تنقرض من الارض

● نحن اهل هذا الجيل عرفنا من امر حيوان هذه الأرض ما عرفنا ، بعضا لقينا ورأينا ، وبعضا فى حدائق الحيوانات نظرنا ، وبعضا فى الصور والسينما والتلفاز .

ونألف هذه الحيوانات بحسبانها بعض المخلوقات القائمة الدائمة . ولكن الحقيقة غير ذلك .

فمن الحيوانات ما سبق وانقرض ، وما رأينا منه ولا عرفنا عنه شيئا . وبعض انقرض بفعل الطبيعة ، وبعض انقرض بفعل الانسان .

ومما نسمع به، ونألف من الحيوانات، كبراها ، تلك المسماة بالحيتان . وهي اكبر الحيوانات اجساما ، واكبرها عائدا على صائديها ، لهذا اتجه اليها الانسان بصيدها . وافتن العلم فى صنع اجهزة الصيد حتى بلغ بها حدا ليس معه للحوت مهرب .

والنتيجة ؟

كادت الحيتان ان تنقرض .

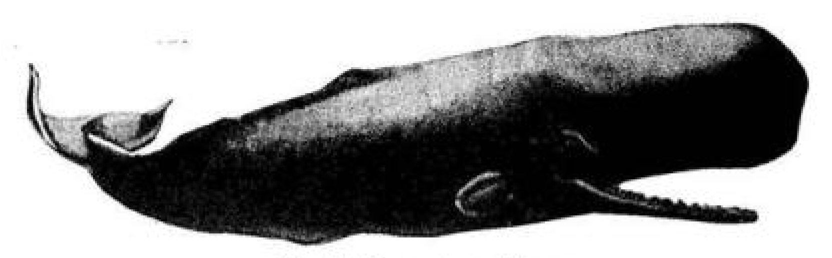
وهي لو فعلت ، وبقي اسم الحوت فى اللغة ، وسأل ابن من أبناء جيل جديد اباه عما يعنى بالحوت ، قال له حيوان منقرض صفته كذا وكذا .

ومن اجل هذا قامت عصبة الأمم فى عام ١٩٣١ بتكوين لجنة دولية اسمتها لجنة صيد الحيتان Whaling Commission هدفها حماية البقية الباقية من هذه الحيوانات حتى لا تنقرض، وذلك بتقرير منع صيدها فى فترة من الزمن تأذن لهذه الحيوانات ان تتناسل ، فتعوض بعض الخسائر الذى يسببها الصيد .

وقد قررت هذه اللجنة منع صيد الحوت الأزرق ، وهو اكبر حيوان ثدبي فى أرض او بحر ، من ان يصيده صائد فى شمال المحيط الاطلسي قبل عام ١٩٧٠ . والحوت ذو الظهر الاحدب لا يصاد قبل عام ١٩٦٩ ، الا فى حدود عشرة حيتان ، وذلك من مياه جزيرة جرينلند .

وتمنع اللجنة صيد كلا الحوتين قبل عام ١٩٧١ في مياه شمال المحيط الهادى.

وهذا التقنين الذى تصنعه اللجنة تعهدت به ١٥ دولة منها الولايات المتحدة وروسيا وانجلترا وفرنسا واليابان .



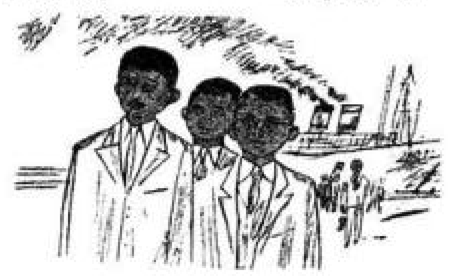
حوت العنبر ، وهو من أكبر الحيتان

هجرة الادمغة من الهند

● تشكو الهند ما تشكو منه انجلترا وسائر البلاد التى تخسر الكثير من علمائها بالهجرة عنها كل عام .

وقد كشف الاحصاء في الهند عن انها تخسر كل عام اكثر من ١٥ فى المائة من خريجي معاهد التكنولوجيا الهندية ، وهي غير المعاهد الهندسية فى الهند .

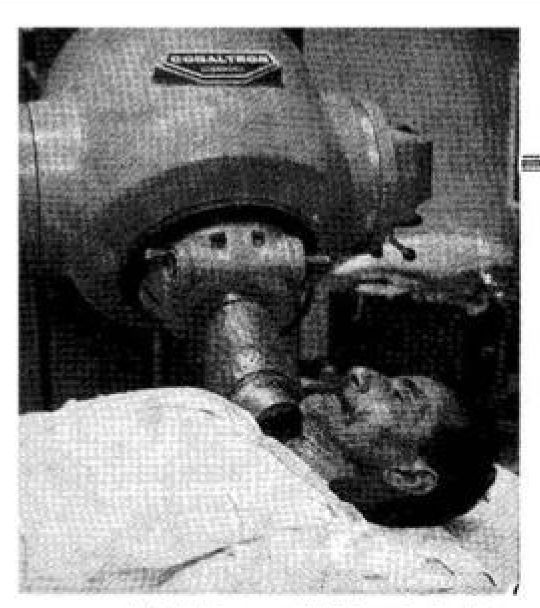
وهؤلاء الخريجون يذهبون الى خارج الهند لاستكمال دراستهم . ثم هم بعد استكمال لا يعودون لأنهم يجدون وظائف حاضرة لهم فى البلد الذى درسوا فيها ، فى حين يحوط الشك ما قد يجدون فى



بلادهم اذا هم رجعوا اليها من فرص للعمل ووظائف للرزق مناسبة .

والذى تقترحه الهند لذلك هو اقامة وكالة حكومية تكون وظيفتها تتبع هؤلاء الدارسين النازحين عنها وتبعث اليهم بما في بلدهم من فرص قائمة مغرية اذا هم عادوا اليها .

ولم يكن من سياسة حكومة الهند علاجا لذلك منع الدارسين من الخروج لاستكمال دراستهم ، ولا غصبهم بشتى الحيل الدبلوماسية على الرجوع الى اوطانهم يعملون فى حيث لا تتاح لهم الفرص الطيبة للعيش المناسب ، ولا الفرص العلمية للاستزادة من بحث وانتاج .



داخل خزينة من مادة التنجستن Tungston يختفي « الكوبلت المشع ٦٠ » ولا يستعمل هذا الجهاز الا لعلاج الاورام الخبيثة التى في الراس والعنق ... وتبلغ قوة اشعاعه مليون و ٢٠٠ الف الكترون فولت .

الاشعاع يشفي وحده من السرطان

● يعالج السرطان اليوم بالجراحة وبالاشعاع وبالعقاقير ، ولكن ثبت الآن ان الاشعاع وحده يمكنه شفاء بعض انواع السرطان .

بهذا اخبر الدكتور رالف فيلبس Ralph Phillips رئيس قسم العلاج بالأشعةفى مستشفى السرطان والأمراض المشابهة Sloan - Kettering Memorial Hospital For Cancer & Allied Diseases بمدينة نيويورك ، وذلك فى خطاب القاه فى ندوة عن العلاج بالاشعاع ، انعقدت فى تلك المدينة .

ومما ذكره ان هذا العلاج يحتاج لنجاحه الى دخول المريض المستشفى واعطائه من الراحة ، والخلو من العمل ؛ ومن القلق مثل ما يعطى المريض الذى اجريت عليه عملية جراحية تماما .

النفقة على السلاح
طغت على اقتصاد الولايات المتحدة

● « ان الانفاق على صناعة السلاح اصبح جزءا لا يتجزأ من حياتنا الحاضرة ، من حياة اقتصادية ، الى حياة سياسية ، حتى لا يستطيع احد أن يتوقف ليسأل رجال السلطان هل حسبوا وقدّروا كم من السلاح يحتاجون ، وعند كم من انتاج أجهزته يقفون » .

ان اهل الحل والربط ، لو سئلوا في هـذا لهالهم السؤال ، لانه لم يخطر لهم ببال .

فالنفقة على السلاح أصبحت بعض نفقات الحياة التى لا تتوقف ابدا .



تنفق الدول الكبرى على السلاح بلا حساب

اما واضع السؤال ، فالدكتور رالف لاب Ralph Lapp ، وهو عالم نووى امريكي اشتغل فى مشروع مانهاتن الذى انتج القنابل الذرية التى كسبت بها الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية .

وهو سأل هذا السؤال فى كتاب له جديد اسمه Weapon's Culture

وهو فى هذا الكتاب جاء على كثير من المعلومات الطريفة .

منها أن الولايات المتحدة تستطيع انتاج ١٠٠٠٠ قنبلة ذرية فى العام الواحد، كتلك التى اسقطتها على هيروشيما فى الحرب العالمية الثانية .

ومنها ان الروس في اوائل عام ١٩٧٠ سيكون لديهم من القنابل الذرية ذات المليون طن قدرةَ تفجير ، عددٌ يزيد اربعة أضعاف على ما سوف يكون عند الولايات .

ومنها ان الذين اشتغلوا في شئون الدفاع الأمريكي فى عام ١٩٦٧ بلغوا ٤ر٧ مليون ، منهم رجال الدفاع أنفسهم . وهي تبلغ عشر عمال الولايات المتحدة .

ومنها ان الصناعات القوية المتصلة بالدفاع مكانها الولايات التى لها صوت قوى في الكونجرس الأمريكي ، وان اكثر ربح هذه الشركات انما يأتي مما تبيعه من السلاح للحكومة الأمريكية .

ويقول المؤلف انه انما يريد ان يسجل ان النفقة على السلاح الامريكى طغت على الجهاز الاقتصادى الأمريكي بحيث وجب ان يقف به المسئولون ليتساءلوا الى كم من السلاح هم فى الحقيقة محتاجون .

●●



لا تقل في اللغة
إن هذا جائز ... وهذا لا يجوز
إلا بعد استقصاء

■ كتب اللغة لم يرد في موادها كل ما جاء عن العرب المستشهد بنثرهم وشعرهم. وقد يكون الجامعون الأولون لألفاظ اللغة لم يسمعوا تصريفاً للفظ، وسمعوا لنظره تصريفا ، فتحرجوا ان يقيسوا ذاك على هذا . وبالغ بعضهم فوقف عند المسموع، مانعا ان يقاس ما لا يسمع عن العرب على ما سمع عنها ، في حين انه لا توجد علة مانعة او معقولة الا عدم السماع . وانه لمن التحكم الجائر ان يتسرع انسان فيزعم ان هذا يجوز ، وذاك لا يجوز ، بمجرد ان يلقى نظرة على مادة في كتاب لغة ، ولعل الكتاب الذى جالت عيناه في احدى مواده أورد الاستعمال في مادة أخرى استطرادا . ولا يزعم احد انه استقصى كل ما في لسان العرب أو تاج العروس فضلا عن غيرهما من كتب اللغة التى طبعت والتى ما تزال مخطوطة .

وقد قال أبو عمرو بن العلاء امام النحو واللغة ، واحد القراء السبعة : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » . ويقول ابن سيده صاحب كتاب المحكم والمخصص « ومن هنا قلنا ان صاحب اللغة ان لم يكن له نظر احال كثيرا منها وهو يرى انه على صواب ، ولم يؤت من امانته وانما أتى من معرفته » . فهو يريد منه الخبرة والدراية لا الرواية وحدها . وهذا مثال :

انس به واليه والمؤانسة

يذكر في اللسان وتاج العروس «انس به واستأنس به » وهذا يوهم ان التعبير بقولهم « انس اليه واستأنس اليه » غير صحيحين . لكن ذلك جاء عن العرب ، وذكره الزمخشرى في أساس البلاغة ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها
زؤورا ولم تانس اليّ كلابها

وهذا الشاهد جاء في اللسان وتاج العروس في مادة « زور » شاهدا على كلمة « زؤور » ، ونسيا ان يضعاه في مادة انس شاهدا على كلمة انس اليه .

واستشهد الزمخشري « على استأنس اليه » بقول الطرماح وهو ممن يستشهد بشعره :

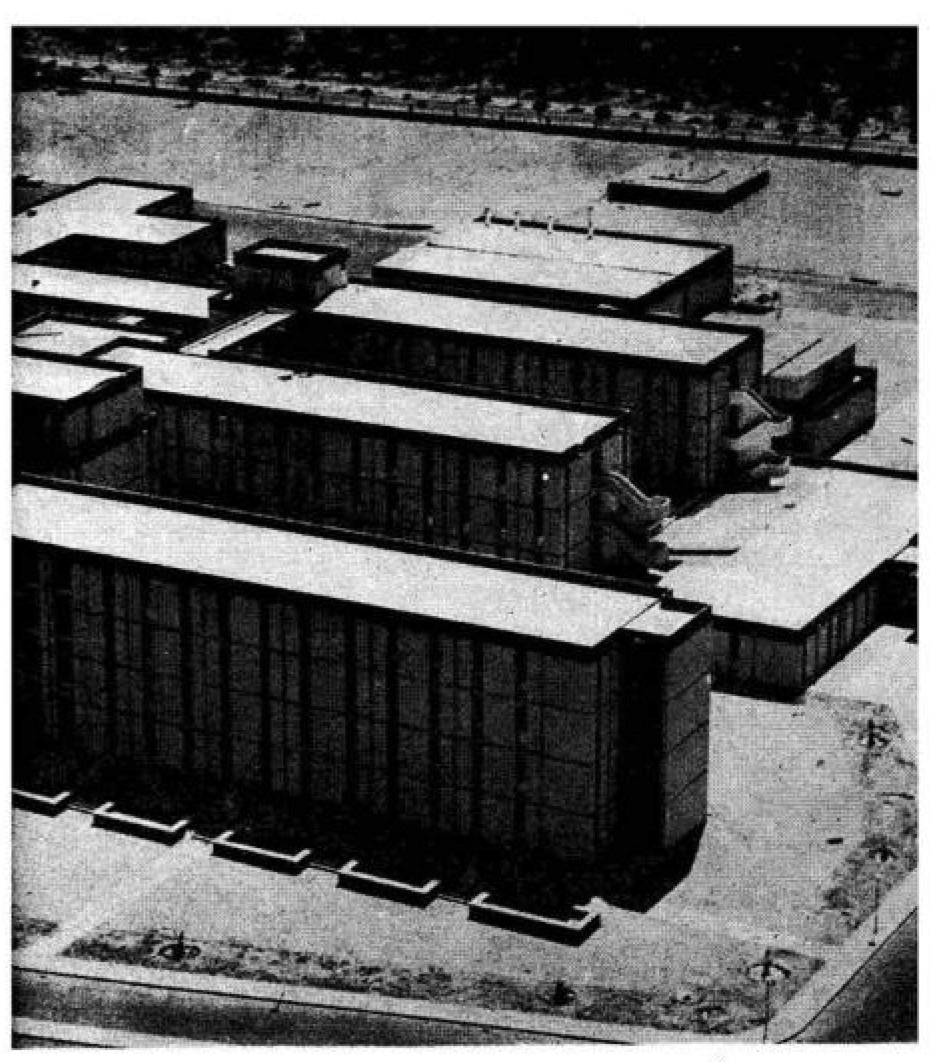
كل مستأنس الى الموت قد خا
ض اليه بالسيف كل مخاض

وفي تعريفهم لافعال الانس قالوا في اللسان وتاج العروس آنسه يؤنسه ايناسا فهو مؤنس ولم يقولوا آنسه يؤانسه مؤانسة فهو مؤانس . في حين أنهم أوردوا المؤانسة والمؤانس استطرادا في المادة . قال ابو حاتم « الانس حديث النساء ومؤانستهن » . وقال صاحب القاموس « الانيس : المؤانس » .

هذا والصاغاني مؤلف التكملة والعباب في اللغة ، كشف عن الفاظ عربية ومعان فاتت من سبقوه ، استفاد من بعضها صاحب القاموس وشارحه .

وانا ، كاتب هذه الكلمة ، في تحقيقي لشرح اشعار الهذليين الذى نشر منذ اعوام ، علقت على عدة كلمات شرحها السكري في هذه الاشعار لم اعثر على نصها في موادها في اللسان والتاج واشرت الى ذلك . والسكرى حجة فيما يرويه. ■■

عبد الستار فراج



استطلاع الكويت

مستشفى للولادة جديد

يضم ١٢ مبنى كبيرًا و ٤٠٠ سرير

عدد المواليد كان ٤٠٠ مولود وأصبح ٣٠٠٠٠ مولود



■ في الكويت وفي عام ١٩٦٧ بالضبط تمت ٣٠ الف ولادة .. ! ولعل هذا الرقم يعتبر من أعلى النسب فى العالم اذا قارناه بعدد السكان .. !

وفى خلال ستة عشر عاما ارتفع عدد المواليد من ٣٧٦ مولودا فى عام ١٩٥٢ الى ٣٠٠٠٠ مولود في عام ١٩٦٧ .

ومع هذه الزيادة وجدت السلطات المسئولة ان الحاجة قد اصبحت ماسة الى مستشفيات حديثة للولاده ، لان عدد مستشفيات الولادة الموجودة اصبحت تعاني من ضغط شديد .. ولم يعد هناك فيها سرير واحد خاليا .. واصبحت مهمة الحصول على سرير بها اشبه بالبحث عن ابرة وسط كومة من القش .. ! !

ومن هنا بدا التفكير فى اقامة اكبر واحدث مستشفى للولادة فى الشرق الاوسط .. ولكن قبل أن نتحدث عن هذا المستشفى الذى افتتح فى الشهر

فى مدة ١٥ عامًا - ٦٥٪ من نساء الكويت يلدن في المستشفيات

الماضي نعود بذاكرتنا قليلا الى الوراء ..

الى ما قبل عام ١٩٤٩ اى قبل افتتاح المستشفى الاميري ، لنرى كيف كانت تتم حالات الولادة فى الكويت ..

صفحات من الماضي..



كانت القابلات والزائرات الصحيات يقمن بعمليات الولادة فى البيوت ، فى ظروف غير ملائمة لصحة الام او المولود .. وكانت حالات الولادة المتعسرة فقط هي التي تعرض على الطبيب فى العيادة القريبة من مبنى وزارة الصحة العامة .. اما اطباء الولادة الاخصائيون ، فلم يكن هناك واحد منهم فى الكويت .

وبافتتاح المستشفى الاميري عام ١٩٤٩ خصصت ثلاثة اسرة لحالات الولادة .. التي لم يكن يقبل منها سوى الحالات التي تحتاج الى عمليات جراحية .

ومرت السنون ، وازداد عدد الاسرة من ثلاثة الى ثلاثين في عام ١٩٥٤ . وفي عام ١٩٥٥ خصص الجناحان التاسع والعاشر فى المستشفى الاميري للولادة.. ولكنهما لم يسدا الحاجة ، فاضيف اليهما جناحان جديدان . وارتفع عدد اطباء الولادة الى تسعة.. وازداد اقبال السيدات الحوامل على التوجه الى المستشفى للوضع تحت اشراف الاطباء المتخصصين ، واضطرت وزارة الصحة الى تخصيص مبنى مستقل ليصبح اول

مستشفى الولادة الجديد الذى صمم على احدث النظم العالية يتطلب اطباء ذوى خبرة كبيرة للعمل به .. وقد اسندت وزارة الصحة ادارة المستشفى للدكتور احمد كامل نعيم الذى مضى عليه ١١ عاما يعمل في مستشفيات الكويت.

مستشفى للولادة .. ضم ١٥٠ سريرا ، ومائة وعشرة موظفين من اطباء وممرضات قانونيات ومضمدين وصيدلى ومحلل كيماوى ومصور اشعة .

ضغط هائل

ومع انتشار الوعى الصحي فى البلاد شهد مستشفى الولادة ضغطا هائلا عليه ، واحصوا عدد حالات الولادة التي تمت فيه خلال عام ١٩٦١ فوجدوها ٣٦١٩ حالة ، وهذا الرقم يشمل ستة اشهر فقط من بدء افتتاح المستشفى وفي عام ١٩٦٢ بلغ عدد الولادات التى تمت فى المستشفى ٧٠٠٢ حالة ، من بينها ٢٣٨١ حالة اضطر الاطباء فيها الى اجراء عمليات قيصرية اى فتح بطن .

واصبحت عملية العثور على سرير خال فى مستشفى الولادة مشكلة ، فاين هي الام التي تستطيع ان تنتظر ؟ واين هو الوليد الذى يمكن أن يؤجل موعد وصوله ؟ !

وبدا المسئولون يخططون من اجل حل هذه المشكلة التي لا يمكن تأجيلها !

واتصلت وزارة الصحة بالمسئولين في وزارة الاشغال ، واضعة المشكلة بين أيديهم .. وعقدت عدة اجتماعات بين الطرفين انتهت بالاتفاق على وقف العمل فورا فى ملحق الامراض الصدرية وتحويله الى مستشفى للولادة على قطعة ارض مساحتها ٨٨ الف متر مربع ..

وعكف المصممون على تعديل رسوم البناء وهندسته ليصبح مستشفى للولادة من الدرجة الاولى ..

.. وبدا العمل فى المستشفى الجديد

وفى عام ١٩٦٥ طرحت الرسوم الجديدة فى مناقصة عامة وبدأ العمل فى بناء المستشفى الجديد على شاطىء خليج الكويت الهادىء .. وهذا المكان هو جزء من المنطقة الصحية فى الكويت

التي تبعد عشرة كيلو مترات عن قلب العاصمة ، بعيدا عن الضوضاء وطرق السيارات .. وتضم المنطقة عدة مستشفيات مثل مصح الكويت ، ومستشفى الصباح ، ومستشفى الامراض العصبية ..

وكانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لترك المستشفى القديم الذى بدأ السوس ينخر فى اخشابه ، وخاصة عندما بدأ الخوف من تلوث الجروح بالميكروبات يشغل اطبائه !

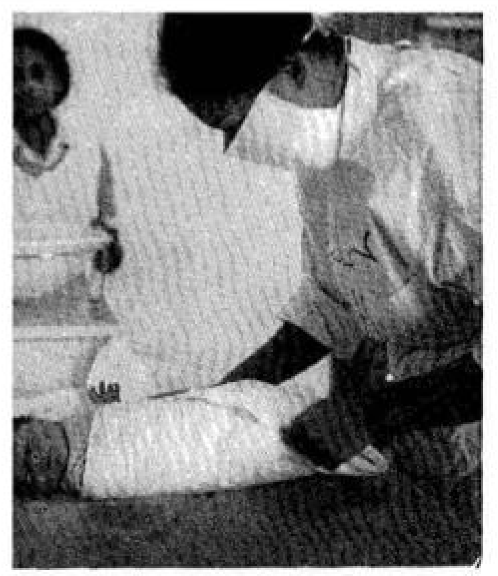
ومع زيادة عدد المترددات لم يعد بالامكان اجراء جميع العمليات الجراحية فى وقت واحد ، مما اضطر الاطباء الى تأجيل عدد كبير منها .

١٢ مبنى تكون مستشفى الولادة الجديد

وفى مطلع عام ١٩٦٨ انتهى بناء مستشفى الولادة وقام وزير الاشغال العامة سعادة السيد خالد العيسى الصالح ووزير الصحة العامة سعادة السيد عبد العزيزابراهيم الفليج بتفقده قبل أن تتسلمه وزارة الصحة رسميا من وزارة الاشغال العامة .. واثناء تجوالهما تفقد الوزيران الاثنى عشر مبنى التي يتألف منها المستشفى الجديد ، والتي ترتبط ببعضها البعض بواسطة ممرات مسقوفة مغلقة .. واحد هذه المباني خصص للادارة وآخر للعيادة الخارجية واستقبال الزوار .. وثالث لاستقبال حالات الولادة .. وثلاثة مبان ، يتكون كل منها من اربعة طوابق خصصت لاقسام الولادة وامراض النساء .. ومبنيان كل منهما مكون من اربعة طوابق ، خصصت أجنحة لنوم الامهات .. مع غرف خاصة لنوم المواليد الجدد ..

وتجول الوزيران فى المباني التي تضم الادارة الفنية ، والمختبر، والمستودعات، والتعقيم والغسيل والمطبخ ، والخدمات ..

واخيرا دخلا غرف العمليات ،



بعد الحمام اليومى للطفل ، تقوم الممرضة المختصة بتبديل ثيابه ورش جسمه بالبودرة ، للعناية بنظافته وتخفيفا لاعباء الام .

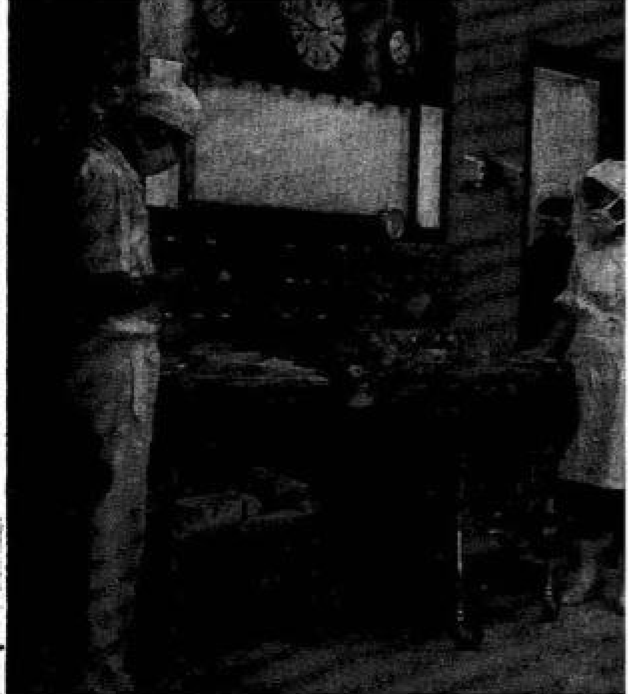
المشيدة على احدث طراز .. الاوكسجين واكسيد النايتروز ، تخرج مباشرة من انابيب مثبتة فى جدران الغرف فتسهل امداد المريض بها فى الحال عند الحاجة اليها .. انه اول مستشفى مزود بخدمات الغازات الطبية المباشرة .. وفى المستشفى تسعة مصاعد ، اربعة منها تتسع لوضع سرير المريض ، واربعة لنقل الزائرين والموظفين ، وواحد لنقل العمليات . والمستشفى مكيف تكييفا مركزيا صيفا وشتاء .

لغة الارقام

ومساحة الارض المقام عليها مستشفى الولادة ، بلغت ٢٣١١٧ مترا مربعا ، منها ١٣٧١٧ مترا للمباني ذات الطوابق و ٩٩٢١ مترا للمبانى التى تتألف من طابق واحد .

ومساحة الطرقات ومواقف السيارات ٢٣٦٤٥ مترا مربعا ، والحدائق ٣٥ الف متر مربع ..

ويضم المستشفى ٢٥٨ غرفة تتسع لاكثر من ٤٠٠ سرير ، منها ٦٠ غرفة خاصة درجة اولى مزودة بدورة مياه



غرفة العمليات الجراحية اثناء اعدادها لاجراء احدى العمليات .. وتلاحظ اجهزة التخدير والغازات التى تخرج من الحائط مباشرة .. كما تظهر لوحة الاشعة الخاصة المزودة بها غرفة العمليات ، وهي تسمح للطبيب بعمل اشعة اثناء العملية وعرضها مباشرة على اللوحة .. ومما يذكر ان ٩٠٪ من عمليات الولادة تتم طبيعيا ، و ١٠٪ فقط تحتاج الى جراحة .



بعد منتصف ليلة الاحد اول يولي
اول مولود يولد في مستشفى الولاد
استقبل المستشفى مائة حالة مر
اية مشكلات ، لان المستشفى يضم ٢٠
في امراض النساء والولادة .. فضا
مراكز التوليد بالوحدات المجمع

خاصة .. وخمس غرف للعمليات ، مزودة بأجهزة اشعة تلتقط الصور وتعكسها على شاشة عرض صغيرة مباشرة .. كما يحتوى المستشفى على غرف لتعقيم الآلات والاقمشة .. وجدران المستشفى عازلة للحرارة وللصوت في آن واحد .. وتحوى بقية الغرف عشرات المعدات الحديثة ، التى تستعمل في اكثر من مجال ..

والخلاصة ان هذا المستشفى يعتبر مفخرة للكويت ، فهو من احدث مستشفيات الولادة فى الوطن العربي ..

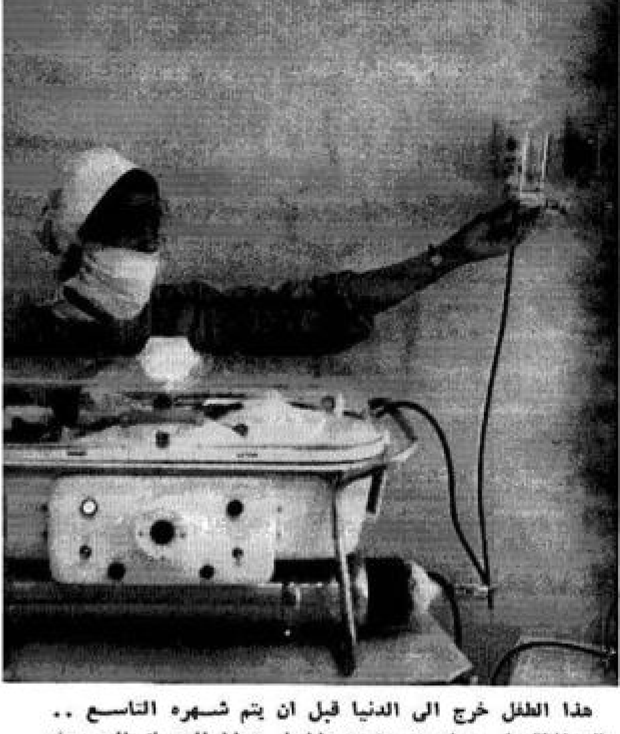
امان .. للام والطفل

ان الولادة فى هذا المستشفى الحديث بالكويت ، تعنى الامان للام ولطفلها معا .. اما بالنسبة للام فهي خير ضمان لاسعافها فيما لو كانت الولادة متعسرة وكانت في حاجة الى رعاية الطبيب الجراح ..

واما بالنسبة للطفل فهي تعني رعاية له ولصحته ، فى هذه الايام الاولى من حياته ، ونظاما دقيقا لغذائه تستطيع الام أن تسير عليه بعد خروجها من المستشفى وهي مطمئنة تماما الى ان طفلها سيكبر وينمو نموا طبيعيا .. فمنذ الساعات الاولى لولادته يضع له الطبيب نظام الغذاء الذى يجب أن تتبعه الام فى كل اسبوع وفى كل شهر ، وفى كل مرحلة من مراحل طفولته حتىيشتد عوده .. فهي لا تراه الا فى مواعيد الرضاعة ، وهي ترضعه اذا ثبت ان



١٩٦٨ ارتفع في غرفة الولادة صراخ الجديد .. وفي خلال ١٢ ساعة فقط واحدة .. وبالرغم من هذا لم تحدث سريرا ، ويعمل به ٢٠ طبيبا اخصائيا من ٢٠ طبيبا اخصائيا آخر يعملون في ويتناوبون العمل مع اطباء المستشفى .



هذا الطفل خرج الى الدنيا قبل ان يتم شهره التاسع .. وللمحافظة على حياته تم وضعه داخل هذا الجهاز الحديث (الحاضنة) الذى يحتفظ بدرجة حرارة ثابتة طبقا لاوامر الطبيب . وترى الممرضة وهى تقوم بتوصيل الاوكسيجين اللازم للطفل داخل الجهاز من انابيب خاصة موجودة فى حائط الغرفة ، وهذا النظام يعتبر من أحدث النظم فى عالم المستشفيات .

لبنها ، بعد تحليله ، صالح لغذائه ، والا فسوف يحدد الطبيب نوع اللبن الصناعي الذى يجب ان تقدمه الام لطفلها اذا لم يكن لبنها صالحا للرضاعة

هدف .. وآمال

ان الهدف من افتتاح مستشفى الولادة الجديد هو الارتفاع بمستوى الخدمات الصحية في البلاد ، ورفع نسبة عدد السيدات اللواتي يلدن فى مستشفيات الكويت .. تلك النسبة التى وصلت في بعض السنين الى ٦٥٪ من مجموع حالات الولادة .. وهو رقم يدل على التقدم الكبير فى الوعى الصحى ، اذا ما قارناه بانجلترا مثلا التي تبلغ النسبة فيها ٦٦٪ ..

والجدير بالذكر أن البلد الذى يحتل المرتبة الاولى فى هذا المضمار هو السويد ، اذ تبلغ نسبة السويديات اللواتى يلدن في المستشفيات ٩٦٪ ..

والامل معقود على ان يساعد هذا المستشفى الجديد على حل اكثر مشاكل الولادة القائمة فى الوقت الحاضر .. وان يضع حدا للجواب الذى الفه الكثيرون فيما مضى وهو : « انتظرى فليس لدينا غرف خالية .. ! »

■■

طرائف عربية

رحلة درهم

● قال رجل لسهل بن هارون : هبني ما لا مرزئة عليك فيه . قال : وما ذاك يابن اخي ؟ قال : درهما واحدا . قال يا بن اخي لقد هونت الدرهم ، وهو طابع الله في ارضه الذى لا يعصى ، والدرهم ويحك عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الالف ، والالف دية المسلم . الا ترى يا بن اخي الى اين انتهى الدرهم الذى هونته ؟ وهل بيوت المال الا درهم على درهم ؟!..

عُرَى الايمان

● قال البراء بن عازب كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اتدرون اى عرى الايمان اوثق ؟ قلنا : الصلاة . قال : ان الصلاة لحسنة ، وما هى بها . قلنا الزكاة . قال وهى كذلك حسنة ، وما هى بها . وذكروا شرائع الاسلام ، فلما رآهم لا يصيبون قال : ان اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله .

الدماء لا تُسفك بالاحلام

● كان شريك القاضي يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدى ، فحمل الربيع المهدىّ عليه . فدخل شريك يوما على المهدى فقال له المهدى : بلغنى انك ولدت في قوصرة ، فقال ولدت يا امير المؤمنين بخراسان والقواصر هناك عزيزة . قال : انى لأراك فاطميا خبيثا قال : والله انى لأحب فاطمة وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم . قال المهدى : وانا والله احبهما . ولكن رايتك في منامى مصروفا وجهك عنى . وما ذاك الا تبغيضك لنا ، وما اراني الا قاتلك لأنك زنديق . قال : يا امير المؤمنين ان الدماء لا تسفك بالاحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسف النبى ، واما قولك بانى زنديق فان للزنادقة علامة يعرفون بها . قال : وما هى ؟ قال شرب الخمر والضرب بالطنبور . قال صدقت أبا عبد الله ، وأنت خير من الذى حملنى عليك .

لا تُبعدْ قلبى عن قلبك

● خطب عثمان بن عنبسه بن ابى سفيان الى عتبة بن ابى سفيان ابنته . فاجلسه بجانبه واخذ يمسح على راسه . ثم قال : أقربُ قريب خطب احبَّ حبيب . لا استطيع له ردا ، ولا اجد من اسعافه بدا ، قد زوجتكها وانت اعز على منها ، وهى الصق بقلبى منك ، فأكرمها يَعذُب على لسانى ذكرك ، ولا تهنها فيصغر عندى قدرك ، وقد قربتك مع قربك ، فلا تُبعدْ قلبى من قلبك .

● أوصى بعض الحكماء أخا له فقال : اى اخى . آخ الكريم الأخوة ، الكامل المروءة ، الذى اذا غبت خلفك ، وان حضرت كنفك ، وان لقى صديقك استزداه ، وان لقى عدوك كفه ، وان رأيته ابتهجت ، وان اتيته استرحت .

طفيلي فكه

● نظر رجل من الطفيليين الى قوم من الزنادقة يساربهم الى القتل ، فراى لهم هيئة حسنة ، وثيابا نقية ، فظنهم يدعون الى وليمة ، فتلطف حتى دخل فى لفيفهم وصار واحدا منهم . فلما بلغ صاحب الشرطة قال :

اصلحك الله لست والله منهم ، وانما انا طفيلي ظننتهم يدعون الى صنيع ، فدخلت في جملتهم . فقال صاحب الشرطة : ليس هذا مما ينجيك منى ، اضربوا عنقه فقال : اصلحك الله وابقاك . ان كنت ولا بد فاعلا فامر السياف ان يضرب بطنى بالسيف فانه هو الذى ورطنى هذه الورطة . فضحك صاحب الشرطة وكف عنه ، فأخبروه انه طفيلي معروف فخلى سبيله.

دفن بين الرياحين

● شرب المأمون ويحيى بن اكثم القاضي وعبد الله بن طاهر . فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى . فغمز المأمون يد الساقى فاسكره ، وكان بين ايديهم رزم من ورد ورياحين ، فأمر المأمون فشق له لحد فى الورد والرياحين وصيروه فيه ، ثم عمل بيتي شعر ودعا قينة ، فجلست عند راسه وحركت العود وغنت :

دعوته وهو حي لا حراك به
مكفن في ثياب من رياحين
فقلت قم ، قال رجلى لا تطاوعنى
فقلت خذ ، قال كفي لا تواتيني

فانتبه يحيى بن اكثم لرنة العود وقال مجيبا لها :

يا سيدى وامير الناس كلهم
قد جار في حكمه من كان يسقيني
انى غفلت عن الساقى فصيرني
كما ترانى سليب العقل والدين
لا استطيع نهوضا قد وهى جسدى
ولا أجيب المنادى حين يدعوني
فاختر لبغداد غيري انني رجل
الراح تقتلني والعود يحييني

تصميم

● خطب الحجاج في يوم جمعة فاطال الخطبة فتململ الناس وتضايقوا فقام اليه رجل وقال :

ان الوقت لا ينتظرك ، والرب لايعذرك . فامر به الى الحبس . فأتاه آل الرجل وقالوا : انه مجنون وليس على المجنون حرج ، فاطلق سراحه . فقال الحجاج : ان أقر على نفسه بما ذكرتم اطلقت سراحه وخليت سبيله ، فقال الرجل : لا والله لا ازعم انه ابتلانى وقد عافانى .





تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

شاعر قصّاص

● ذهب اديب ناشىء الى المرحوم الشاعر كامل الشناوى وقال له : **« ما رأيك يا استاذ كامل .. هل اكتب شعرا ام قصة » ؟**

فقال له : **« اكتب قصة »** .

وهنا قال الشاب فى فخر : **لاريب انك قرات لي قصصا .**

فرد عليه كامل الشناوى فى هدوء : **كلا .. قرات لك شعرا !!**

منطق !

● الزوجة لزوجها : « انا لا استطيع ان افهمك ابدا يا عزيزى فانت رجل متقلب .. يوم الثلاثاء كنت تحب الفاصوليا، وكذلك يوم الاربعاء والخميس والجمعة .. وقد اكلتها بشراهة في الغداء ، واذا بك اليوم فجاة لا تحبها .. ماذا دهاك يا عزيزى ؟! » .

الشيخ عبد اللطيف

● عاد الرجل بعد ان ادى فريضة الحج ، وفوجىء باحد اصدقائه يستقبله مهللا : **« حمدا لله على سلامتك يا شيخ عبد اللطيف » !**

فصاح فيه هذا قائلا : **« اترانى قد انفقت ما انفقت ، وتجشمت كل هذا التعب لاعود فتقول لي يا شيخ عبد اللطيف ؟! »**

خَرَسُ الزوجة

● سافر الزوجان بالقطار ، وكانت الزوجة خرساء ، فحدث تصادم ذعرت له الزوجة اشد الذعر ، فانحلت عقدة لسانها ، وشفيت من الخرس . وفى اليوم التالي رفع الزوج قضية على هيئة السكك الحديدية يطالبها بتعويض !!



حواء القرن العشرين !

● عاد الأب يوما الى بيته في المساء فوجد ابنه الصغير ينهال على اخته ضربا وركلا !

فسأله : « لماذا تضربها ؟ »

وقال الصبى: لأنها خدعتنى يا ابى. كنا نقوم بتمثيل قصة آدم وحواء ، وكانت هى تمسك تفاحة كبيرة بين يديها ، ولكن بدلا من ان تغرينى على اكل التفاحة ، راحت تلتهمها وحدها، مؤكدة لى ان حواء القرن العشرين قد تغيرت وانها اذكى من جدتها ! » .



٣٠٠٠ جزيرة ، ٢٥٠ لغة ، ١٠٧ مليون نسمة

(انظر صفحه ٢)

■ مجموعة من الجزر يبلغ عددها ٣ آلاف جزيرة .. منها عدد من الجزر الكبيرة يعد على الاصابع .. ويعيش في هذه الجزر ١٠٧ ملايين نسمة يتركز أغلبهم في الجزر الكبرى وهي مجموعة جزر سوندا الكبرى « Greater Sunda » وتضم سومطرة وجاوا وكاليمانتان وسولاويزى .. ومجموعة جزر سوندا الصغرى التي تضم جزر بالي وبومبوك وملقه وايريان الغربية (غينيا الجديدة) ..

هذه الجزر الثلاثة الاف تكون دولة اندونيسيا .. تلك الدولة التي حصلت على استقلالها في عام ١٩٤٩ متخلصة بذلك من الاستعمار الهولندى الذى ظل يستغل ثرواتها منذ عام ١٦٢٣ عن طريق شركة الهند الشرقية الهولندية ثم بعد ذلك عن طريق الاستعمار الهولندى المكشوف ..

وفي اندونيسيا توجد ٢٥٠ لغة محلية ، ولغة رسمية واحدة تسمى « بهاسا » « Bahasa » ، و ٩٠٪ من الاندونيسيين يدينون بالاسلام .. بينما يعتنق باقي السكان المسيحية او البوذية او الهندوسية .

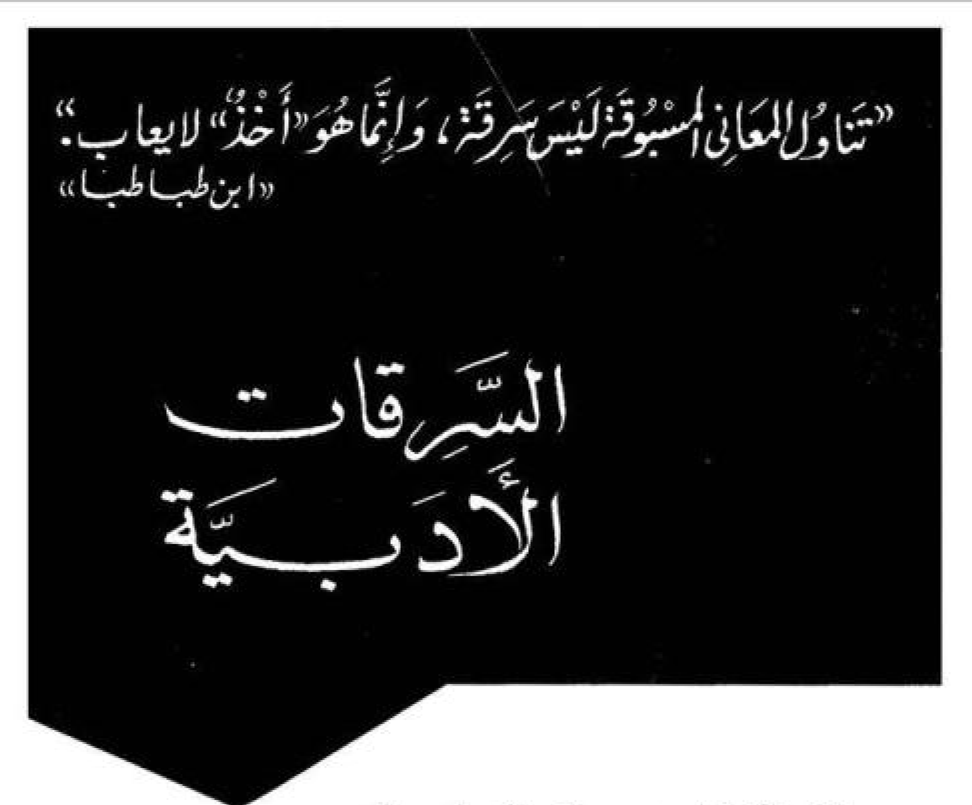
وفي الماضي كانت توجد عادة صيد رؤوس الادميين بين قبائل النياس والداياك .. « Nias and Dayaks » ، وانتهت هذه العادة في القرنين الماضيين لتعود الى الظهور مرة اخرى في أواخر عام ١٩٦٧ عندما ثارت قبائل «الداياك» على سكان جزيرتهم الذين ينحدرون من اصل صيني .. وبدا الداياك في ممارسة عادتهم القديمة باصطياد رؤوس اعدائهم .. !!

افراح واحتفالات بموسم الارز

وبالرغم من الخلافات السياسية التي فرقت اندونيسيا في الاعوام الاخيرة .. الا ان الشعب الاندونيسي شعب يحب المرح .. وهو ينتهز فرصة موسم حصاد الارز الذى يعتبر محصولا اساسيا في البلاد،ليقيم احتفالات كبيرة ومهرجانات في المدن والقرى .. وتتميز هذه الاحتفالات بطابع شرقي به الكثير من الفن الهندى .. كما تتميز العروض الفنية التي تقام في هذه المناسبة بتاثرها بالاساطير الهندوسية القديمة .. وكما يحتفل الاندونيسيون بعيد الارز يحتفلون ايضا بالاعياد الاسلامية ويتميز احتفالهم بمولد النبي محمد (صلعم) بمهرجانات تحمل اكوام الارز مرصوصة بطريقة جذابة ومحلاة باهرامات من الزهور والفواكه يقصدون بها الى امام البلدة حيث يتبرعون بها لتوزع على الفقراء في هذا العيد (وهي التي في الصورة ص ٢) .

ويتركز ٦٠ مليون نسمة من سكان اندونيسيا في جزيرة جاوا وحدها .. ويعتمدون في معيشتهم على زراعة الارز .. والشاى .. والمحاصيل الزراعية الاخرى .

وتنتج اندونيسيا المطاط الطبيعي كما انها ايضا تعتبر الدولة الرئيسية في الشرق الاقصى بالنسبة لانتاج البترول . ■■



بقلم : الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى
مدرس البلاغة ـ جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم

■ شغل موضوع السرقات حيزا كبيرا من اهتمام العرب ودراستهم ، منذ قامت المعارك الادبية حول تجديد الشعراء المحدثين في الادب العربي بعامة ، والخصومات الادبية التى دارت حول ابي تمام والبحترى ، ثم من بعده حول المتنبي بخاصة .. وانما عُنِيَ العرب بالسرقات لانها مقياس بلاغة الشاعر وآية تفوقه ، وهم يقصدون طبعا من وراء ذلك الى الوقوف على مدى اصالته وابتكاره ، او تقليده واتباعه .

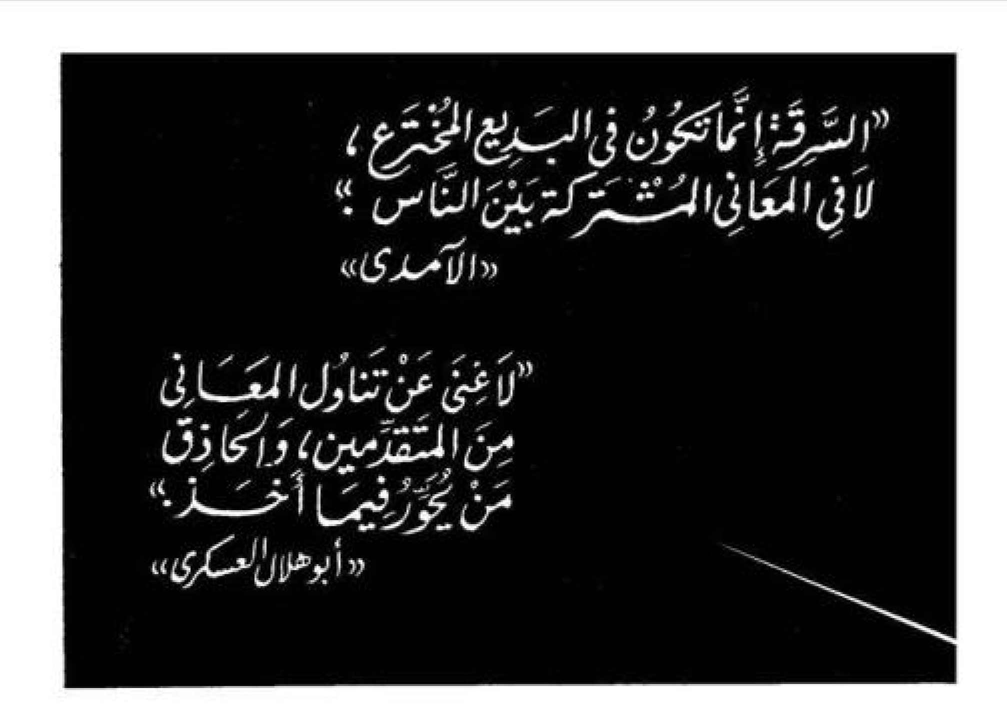
هذا ما سعت اليه الدراسة العربية الادبية القديمة في الماضي ، كما تسعى الدراسات الادبية في الآداب العالمية في الحاضر الى تبين مدى اصالة الاديب ، وقدر ما فيه من رواسب ماضية ، وما يتبقى لعبقريته الذاتية المتفاعلة مع حاضره .

أما عند العرب فسنجد الادب ـ وغالبيته العظمى أدب جزئيات ـ يعني ببيت الشعر ، ويعنى بالنص النثرى بتعبير فيه او تعبيرات لايطول مداها ، ومن ثم نجد الدراسة العربية للسرقات محكومة بهذا المجال وحده .

فموضوع السرقة الشعرية مبحث من مباحث تاريخ النقد العربي ، يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الادب ومضمونه في عصوره . وينحصر اكثر ما ينحصر في الشعر ، ويدور اكثر ما يدور حول المعنى وحده ، او اللفظ وحده ، أو كليهما معا ، لايعدو ذلك ، وكل ربط بين هذا الموضوع في تاريخ النقد العربي بمثيل له في أدب أوربي معاصر محاولة متكلفة ، هي من قبيل الحذلقة الثقافية .

مسائل تؤخذ في الاعتبار

على أنه لم يؤخذ في الاعتبار في بحث مثل هذا الموضوع ، جوانب لها أهميتها ، منها جانب التلمذة ، وأن كل معاصر او مُحْدَث هو ، بصورة



ما ، امتداد لقديم بشكل من الاشكال . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان جوانب التأثر والتأثير في الحقل الادبي لا يمكن تجنبها ، سواء بالتلقي عن عصور سبقت أو بالمعاصرة . وفي هذا الشأن فان الشاعر أو الأديب عموما حين يتتلمذ على أستاذ أديب أو شاعر فانك تجده يقلده ويتكيء على افكاره وعلى صوره وأساليبه ، حتى تستوي شخصيته الأدبية ، ويستغني عن التعلق بغيره . وهذا ظاهر في تاريخنا الأدبي ، فان مشكلة القدماء والمحدثين في العصر العباسي انما نتجت حين فشا مذهب الصنعة ، واتكأ الادباء على تقليد الشعر الجاهلي والاستمداد من صوره ومعانيه وأساليبه . وكان لابد ـ حتى لاتجيء القصائد قوالب متشابهة الصبّ ـ أن يحوّر الشعراء في الصوّر والمعاني والاساليب ، وكشف عن هذا مؤرخو الادب ونقاده . والذي دعا الى هذا كله هو انحصار الأدب العربي في نظرة جزئية ضيقة . بل انه حتى ، بغير وعي ، فان الانسان ـ متأثرا بما قرأ أو روى ـ قد يجيء بالجملة او بالمعنى أو الصورة ، ترسبت في لاشعوره ، ثم جاءت مناسبتها فبرزت الى السطح ، دون قصد الى سرقة أو عمد الى اغتصاب . ومثل هذه المسائل من اسرار عمليات الخلق الفني .

الجانب النفسي .. والنظرة الاخلاقية

ومن الجوانب التي أغفلت رغم أهميتها ، الجانب النفسي في الموضوع ، وهو أن المحكمين في السرقة يحكمون بهواهم النفسي لا الفني ، فيهجمون بثقلهم كله على شاعر يتهمونه بانه سارق متتبع ، وآخر بانه سابق مبتدع . هذا الى ما نجده للشعراء من أحكام في مثل هذا المجال تتحكم فيها الأهواء والنوازع من غيرة وحسد ، هي أمور طبيعية بين أبناء الفن الواحد او التخصص المفرد .

ثم ان بعض الباحثين ينظر الى المسالة نظرة اخلاقية ، هي اثر من آثار الاتصال بالفلسفة الارسطية ، ويحكم فيها المقاييس الحِكَمية ، حين يعدو الشاعر على فنية غيره الادبية فيحتازها. ومصطلح « السرقة » نفسه يكفي في هذا المجال . ولكن سنجد من الباحثين العرب الاقدمين من ينظر في اصالة الى مثل هذا المقياس ، على أنه بعيد عن الجواء الادبية الخالصة ، فينحيه ، اذ أن المجال أدبي وليس اخلاقيا .

وانه لمن الطريف أن نلتقي في بحث هذا الموضوع بشعراء ، مثل ابن طباطبا وابن وكيع ، وبنقاد

كالجاحظ والجرجاني والامدى وغيرهم ، مما يبعث في البحث حيوية ويعطيه قيمة وتلوينا واقعيا .

نقاد السرقة في القرنين الرابع والخامس

وبادىء ذي بدء نجد ان اخصب ما كتب عن السرقات في الدراسات الادبية العربية انما كان في القرن الرابع الهجرى ـ وان تلمسنا شيئا من هذه الخصوبة وجدناه فيما اشار اليه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ـ عند ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) في « عيار الشعر » ، والقاضي ابي الحسن الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) في «الوساطة» ، والامدى (ت ٣٧١هـ) في « الموازنة » ، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » ، وابن وكيع التنيسي (ت ٣٩٣هـ) في « المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي » ، وابي هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) في « الصناعتين » .

اما في القرن الخامس الهجرى فلن نجد جديدا عند الثعالبي (ت ٤٢٦هـ) في « اليتيمة » ، ولا عند ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) في « العمدة » . والذى نظفر به انما هو عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، وما تلا بعد انما هو دوران في فلك ما سبق . ومن هذه النظرة المحلقة يحق لنا ان نتلبث عند كل راى وفكرة :

فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بعقله الكبير ، وذهنيته الفسيحة الابعاد ، يشير اشارات خاطفة ، ولكنها عميقة وموحية الى ابعاد الموضوع . يعرض في كتاب (الحيوان) ـ ومباحثه جميعا موسوعات ادبية ـ لموضوع السرقة عرضا واقعيا ، من حيث ان كل صورة جزئية او معنى بديع او تعبير مخترع عرضة اما للتناهب ، واما للاستعانة والاستمداد ، اللهم الا التصوير الفرد الذى يتحاماه غير صاحبه من الادباء .

السرقة في راى ابن طباطبا

فاذا انتقلنا الى الشاعر ابي الحسن محمد بن طباطبا العلوى (ت ٣٢٢هـ) نراه لايعيب « الاخْذَ » . والملاحظ هنا انه لايسمي تناول المعاني المسبوقة سرقة ، بل « اخذا » . ويومىء وهو الشاعر الفنان الى مجرين في مذهب التحوير: ا ـ في الموضوع ، ب ـ في اللون الادبي .

ونسال : .. ماهو مذهب التحوير ؟ ويجيبنا ابن طباطبا بقلمه « اذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق اليها فابرزها في احسن من الكسوة التي عليها ، لم يُعَبْ ، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه . ويحتاج من سلك هذه السبيل الى الحيلة ، وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها ، حتى تخفى على نقادها والبصراء بها ، وينفرد بشهرتها كانه غير مسبوق اليها ، فيستعمل المعاني الماخوذة في غير الجنس الذى تناولها منه ، فاذا وجد معنى لطيفا في تشبيب او غزل استعمله في المديح ، وان وجده في المديح استعمله في الهجاء ، وان وجده في وصف ناقة او فرس استعمله في وصف الانسان ، وان وجده في وصف انسان استعمله في وصف بهيمة ، فان عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذر على من احسن عكسها واستعمالها في الابواب التي تحتاج اليها ..

وان وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام او في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان اخفى واحسن ، ويكون عند ذلك كالصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما باحسن مما كانا عليه ، والصباغ الذى يصبغ الثوب على ما راى من الاصباغ الحسنة . فاذا ما ابرز الصائغ ما صاغه في غير الهيئة التي عهد عليها ، واظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذى عهد قبل ، التبس الامر في المصوغ والمصبوغ على رايهما . فكذلك المعاني واخذها واستعمالها في الاشعار على اختلاف فنون القول فيها » ..

ان التحوير الادبي ببساطة ، هو اخفاء معالم الاخذ .

ما يُعَدّ سرقة ، وما لا يُعَد .. عند الجرجاني

ونظرات العرب الى ميدان السرقات تكشف لنا ان اول من حد الحدود بين ما يعد سرقة او لايعد ، ووضع مبادىء في ذلك هو القاضي ابو الحسن الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) . يحدثنا عن السرقة وجذورها ، كاساس من اسس التربية الادبية في اطار الادب الجزئي يقول : (ومتى انصفت علمت ان اهل عصرنا ، ثم العصر الذى بعدنا اقرب فيه الى المعذرة وابعد من المذمة ، لان من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها واتى على معظمها ..

ثم ينظر الجرجاني ابو الحسن الى المعاني فيراها :

أ) معاني عامة يشترك في ادراكها بداهة الناس جميعا مثل حسن الشمس والقمر ، ومضاء السيف وبلادة الحمار وجود الغيث وحيرة المخبول .

ب) تشبيهات سبق بها اصحابها ، ثم تدوولت من بعد واستفاضت حتى لحقت بالعام المشترك ، كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب او البرد ، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها ، والمهاة في حسنها وصفائها .

والتفاضل هنا انما يحدث بالتحوير والتفنن فيه .

ج) السرقة هي الاغتصاب للانتاج الادبي ، ويسوق في هذا المجال قصة عبد الله بن الزبير واغتصابه أبيات معن بن اوس . هذا الاغتصاب سرقة ، وتماثل اللفظ والمعنى والوزن جميعا سرقة ايضا .

وكل هذا من أبي الحسن سديد .. ولكنه يقع فيما وقع فيه البلاغيون حين مضوا يدعون السرقة على ما فيه شبهة الالم بالمعنى او نظر اليه . وهكذا نرى ابا الحسن الجرجاني يضطرب رايه حين يشرح مفهوم السرقة الخفي عنده ، فيصرح بان اول ما يلزمك في هذا الباب الا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا الى نفسه ، دون ما كمن وتفصّح عن صاحبه ، والا يكون همك في تتبع الابيات المتشابهة والمعاني المتناسخة طلب الالفاظ والظواهر دون الاغراض والمقاصد .

ويحدث عن اختلاف الموضوع والمعنى واحد فيقول : ولا يغرك من البيتين المتشابهين ان يكون احدهما نسيبا والاخر مديحا وان يكون هذا هجاء ، وذاك افتخارا ، فان الشاعر الحاذق اذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه ، وعن وزنه ونظمه ، وعن رويه وقافيته ، فاذا مر بالغبي الغفل وجدهما اجنبيين متباعدين واذا تاملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما والوصلة التي تجمعهما ، قال كثير :

أريد لانسى ذكرها فكانما
تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقال أبو نواس :

ملك تصور في القلوب مثاله
فكانه لم يخل منه مكان

فلم يشك عالم في ان احدهمامن الاخر ، وان كان الاول نسيبا والثاني مديحا .

ومن لطيف السرقه ما جاء به على وجه القلب ، وقصد به النقض ، كقول المتنبي :

الحبُه واحب فيه ملامة
ان الملامة فيه من اعدائه

انما نقض قول ابى الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم

وهذا القول من أبى الحسن الجرجاني نقض لرايه في مذهب التحوير ، والذى اخرجه ـ قبل ـ كلية هو والمعاني العامة من حيز السرقة . ترى ما العلة ؟ أهو الحماس العلمي للبسط والافاضة وان أوقع هذا في التناقض ؟! أم هي النزعة الفلسفية التي تركت طابعها على العلوم العربية ، والتي اغرمت بالتفريع والتقسيم والتحليل ؟

وبروح القاضي الذي يزن الامور بموازين حساسة يرى الجرجاني أن مقياس السرقة دقيق ، وان غالبية مستخدميه متعصبون ، ومن لم يضطرب في أيديهم . ويوصى في النهاية بالحذر من التعصب في الحكم بالسرقة ، « فوراءك من النقاد من يعتبر عليك نقدك ومن لايستسلم للعصبية استسلامك » .

وواضح من وجهة نظر الجرجاني أبي الحسن ان الروح الخلقية تسيطر على رأيه باعتباره الحكم بالسرقة حكما اخلاقيا على عمل أدبي من ناحية ، هذا الى ما يحركه من دافع عملي في بحثه لسرقات المتنبي بحثا يستهدف فيه الدفاع عن صاحبه من ناحية اخرى » .

السرقات عند الآمدي

واذا كان القاضي الجرجاني ابو الحسن قد شغل بالمتنبي ، فقد شغل الآمدي (ت ٣٧١هـ) بالخصومة الادبية حول أبي تمام والبحترى ، ومن هنا انشغاله بمشكلة السرقات . والسرقة عند الآمدي من المساوىء ، ولكنها ليست من كبير عيوب الشاعر عنده بل انه يرى ان المنحرفين عن أبي تمام لايجعلون السرقات من كبير عيوبه لانه باب" ما يَعْرى منه أحد من الشعراء الا القليل .والذى اثار عند الآمدي تتبعه لسرقات أبي تمام من المعاني هو ان انصاره يرون فيه مبدعا مطلقا ، هذا التطرف لابي تمام في ناحية يستدعى تطرفا عليه من ناحية اخرى ، ونذكر هنا أن ابا تمام قد قصد قصدا الى درس التراث الشعرى السابق عليه

كله والانتخاب منه كما تشهد بذلك حماسته وغيرها من اختياراته التي سجلتها اخباره ، واذن نشاهد التأثر هنا لايُدْفَع .

ويبدو الآمدي في موازنته آمْيَل قليلا الى البحتري ، واذن نراه في مجال السرقات يهتم بتخريج سرقات أبي تمام من الشعراء بعامة بدعوى ان اصحابه يدعون له ابتكار معانيه أصلا ، بينما هذه الدعوى لاتلحق البحتري ، ومن ثم يبحث الآمدي فحسب سرقات البحتري من أبي تمام خاصة .

على أن الآمدي يرى أن الباحثين في السرقات قد اضطربت المقاييس في ايديهم ، فابن أبي طاهر خرّج سرقات أبي تمام فاصاب في بعضها واخطأ في بعضها ، لانه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لايكون مثله مسروقا . ومما نسبه فيه ابن أبي طاهر الى السرّق ما ليس بمسروق لانه مما يشترك فيه الناس من المعاني والجارى على السنتهم . ومنه ما نسبه الى السّرق ، والمعنيان مختلفان .

فمن الاول قول أبي تمام :

الم تمت يا شقيق الجود مذ زمن
فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

وقال : أخذه من قول العتابي :

ردت صنائعه اليك حياته
فكانه من نشرها منشور

ومثل هذا لايقال له مسروق ، لانه قد جرى في عادات الناس ــ اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل وأُثْنِيَ عليه بالجميل ــ أن يقولوا : « ما مات من خلّف مثل هذا الثناء ، ولا من ذُكِرَ بهذا الذكر » ، وذلك شائع في كل امة وفي كل لسان .

تعصب « ابن الضياء » ضد البحتري

وهذا أبو الضياء بشر بن تميم الكاتب يتعقب ما أخذه البحتري من معاني أبي تمام خاصة ، غير أن أبا الضياء استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السّرق في شيء ، ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب . وأتي بضرب آخر ادّعى فيه ايضا السّرق والمعاني مختلفة ، وليس فيه الا اتفاق الفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد ان يأخذه من آخر ، اذ كانت الالفاظ مباحة غير محظورة .

وتبلغ قمة هذا التعصب في ادعاء السّرق على أبي تمام في قول أبي علي محمد بن العلاء السجستاني : انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان . .

واذن فما السّرق عند الآمدي ؟ « ان السّرق انما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في امثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : أخذه من غيره » .

وواضح أن السرقة تبحث هنا لانها ثقل يوزن به كل من أدب البحتري وأبي تمام . ويبدو أن كفة الميزان هنا في صالح البحتري لانه لم يستكثر استكثار أبي تمام في الاعتماد على الصنعة في الميزان الشعري وخاصة المعاني والصور .

بين المتنبي والصاحب بن عباد

ونعود لنلتقى مرة اخرى بموضوع السرقات متركزا حول المتنبي ، وصاحب هذا الدرس هو الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) . ويحكي الثعالبي في « اليتيمة » أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان ومديحه شابا فلم يُقِمْ المتنبي له وزنا ولم يُجِبْه ، فاخذ الصاحب منذئذ يتتبع عليه سقطاته في شعره .

ويبدأ الصاحب في رسالته بالاعتراف بان السرقة ليست عيبا لاتفاق شعراء الجاهلية والاسلام عليها ، ولكنه يعيب بها المتنبي لانه يغير على المعاني ولايعترف بالاغارة . والصاحب لخصومته من المتنبي يندفع في هذا السبيل بهواه النفسي جاعلا موضوع رسالته ــ كما هو عنوانها ــ (الكشف عن مساوىء شعر المتنبي) فالهدف تجريحي ، والمنطق هنا يحتار فكيف لاتكون السرقة عيبا ، ثم هي في الوقت عينه عيب ان لم يتصارح الشعراء جميعا بانهم قد سرقوا ؟!

مقياس ابن وكيع للسرقة

على أنه يصادفنا بعد ذلك درس خصيب لابن وكيع التنيسي الشاعر المصري (ت ٣٩٣ هـ) هو « المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي » (وهي نسخة خطية محفوظة بمكتبة برلين) . ابن وكيع اذن شاعر ولا ننسى أنه يغار فنيا من المتنبي ،

ومن ثم فهو بهواه النفسي ليس مع المتنبي ، ومبحثه انما هو عرض لوجهة نظره ضد انصار المتنبي في انه مبتدع معانيه وليس متبعها .

يبسط ابن وكيع اولا دعوى انصار المتنبي ، ودعوى المتنبي نفسه لنفسه ، ويعترف ابن وكيع للمتنبي بمنزلته الادبية ، ولكنه بهواه الفني ليس معه .

والطريف في نقاش ابن وكيع هنا تمثيله للحوليات التي اطيل فيها النظر ولم تسلم مع ذلك من الثائر بما قيل قبلها ، وهو قول يصدق على كل نتاج أدبي مهما بلغت الاصالة فيه مبلغها .

وفي فلك النظرة الجزئية للادب يرى أن المنظوم استأثر بكل المعاني ، ثم يبسط القول بسطا شافيا في مذهب التحوير الفني مبينا ان هذه هي مقاييس السرقة المحمودة : (اعلم وفقنا الله واياك للسداد ، وقرن أمرك بالرشاد ، ان مرور الايام قد انفذ الكلام فلم يبق لمتقدم على متأخر فضلا الا سبق اليه ، واستولى عليه . فاحذق شعرائنا من تخطى المنظوم الى المنثور لان المعاني المستجادة والحكم المستفادة ، اذا وردت منثورة كانت كالنوادر الشاردة ، وليس لها شهرة المنظوم السائر على السنة الراوين المحفوظ على قائله كالتدوين . فالعارف بأخذ المنثور قليل ، والجاهل به كثير . وقد بقى لناقل الحكم المنثورة لسارقها من فضيلة النظم ، ما يزيد في رونق مائها ، وبهجة روائها . فهي كالحسناء العاطلة ، وحليها في نظامها . فاذا حلاها النظم نسبت الى السارق واستحقت على السابق . والمعنى اللطيف في اللفظ الشريف ، كالحسناء الحالية . فقد استوفى بالنظام غاية الحسن والتمام . وقد فاز قائلها بالحظين واستولى على الفضلين فلا يشركه السارق في فضيلته ، ولا البارع في براعته) .

فابن وكيع يعذر سارق الالفاظ المتداولة والمعاني المتداوله ما دام قد دخلها التحوير ، [illegible] يدخلها في باب السرقة . والمقياس الذى [illegible]ستخدمه ابن وكيع في بحثه للسرقات مفضلا احد الشاعرين على الآخر هو المقياس البديعي اولا ، تنضاف اليه مقاييس ادبية اخرى ، اى هو في التحوير الفني يستخدم مقاييس أدبية منها : رد اعجاز [illegible] والمبالغة ، والتشبيه ، ومقايي[illegible] العربية ، والمطابقة ، الخ ..

((أخذ)) حسن .. و ((أخذ)) قبيح !

ولا يزال القرن الرابع يمدنا بدراسات خصبة في موضوع السرقات ، فيعقد ابو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) بابا للسرقات في كتابه «الصناعتين» يَعُدُّ من اصل مباحثه . فهو لا يَعُدُّ السرقة من المعايب ، بل انه يفرّق بين الوان السرقة تفريقا فيسميها ((أخذا)) ، منه الحسن ومنه القبيح ، ((والاخذ الحسن)) عنده هو ما يجرى وفق مذهب التحوير . ونلتقي في مبحثه هذا بمسائل ذات قيمة من غير شك . فقد فطن مثلا الى ما لم يفطن اليه غيره من الباحثين ، فطن الى انه في مجال كالادب لا بد من سليقة لغوية يتحتم فيها اعادة ما يقال .

وعن خبرة ممارسة تحدث عن التوارد دون قصد الى سرقة (وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ، ولكن كما وقع للاول وقع للآخر . وهذا أمر عفته من نفسى ، فلست امترى فيه ، وذلك انى عملت شيئا في صفة النساء : ((سَفَرْنَ بُدُوراً وانتَقَبْنَ أهلّةً)) ، وظننت انى سبقت الى جمع هذين التشبيهين في نصف بيت ، الى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين ، فكثر تعجبى وعزمت على الا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما) .

ويأخذ نقاش ابى هلال سبيله في دائرة بحث اللفظ والمعنى ــ وأبو هلال نصير لقضية اللفظ ــ ففي رأيه :

ا) ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم ــ اذا أخذوها ــ ان [illegible]وها الفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض تاليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الاولى ، ويزيدوها في حسن تاليفها وجودة تركيبها ، وكمال حليتها ومعرضها ، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها .

ب) ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتاليفها ونظمها .

جـ) ان ابتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة ترجع الى المعنى ، وانما هو فضيلة ترجع الى الذى ابتكره وسبق اليه فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط ، والردىء ردىء وان لم يكونا مسبوقا اليهما .

وكلام ابى هلال هنا يتسم بعدم الوضوح فبينما

يتضح من كلامه ان قيّـم المعاني تستند الى مبتدعيها يعود فيجعلها في جواهرها .

ويعود ملحاً على ان المتقدمين والمتاخرين قد اطبقوا على تداول المعاني بينهم، فليس على احد فيه عيب الا اذا اخذه بلفظه كله او اخذه فافسده ، وقصر فيه عمن تقدمه . ويشير الى انه قد ياخذ الشاعر القول المشهور ولا يبالي ؟ وفي اغلب الظن ان هذا اعتزاز منه بقدرته الفنية ، وهذا لون من الوان الصلف الفني الذي تابى فيه انانية الفنان ان يكون لغيره ابتكار يؤثر .

وعند ابى هلال ان الحاذق في الاخذ الادبي هو من يحوّر فيما اخذ ، مخفيا دبيبه الى المعنى ، بان ياخذ معنى من نظم فيورده في نثر ، او من نثر فيورده في نظم ، او ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح ، او في مديح فينقله الى وصف ، الا انه لا يكمل لهذا الا المبرز والكامل المقدم .

ومع النظرات السديدة التي وفق اليها ابو هلال في مشكلة السرقات اعتد ـ شانه شان غيره من البلاغيين او النقاد ـ القالب التعبيري ، سواء اكان استعارة ام مجازا ، سرقة ، وهذا تعنت . فهنا طريقة تعبيرية وأسلوب فني يحتذى، ولا مجال لسرقة ..

وهو يوسع مفهوم الاخذ الادبي ليشمل القرآن والحديث . ونعلم ان الاخذ الادبي من القرآن او الحديث يسمى اقتباسا ، ولكن هكذا شاء ابو هلال . ولا يفوته في هذا السبيل أن يبيّن مدى التقصير الادبي للاخذ دون ما اخذه ، اى هو يوازن بين نصوص القرآن او الحديث وبين النصوص الادبية الاخرى موازنة سريعة احكامها خاطفة .

ويخصص فصلا لقبح الاخذ بين مفهوم السرقة المستهجنة (وقبح الاخذ أن تعمد الى المعنى فتتناوله بلفظه كله او أكثره ، أو تخرجه في معرض مستهجن) ويبين هنا انه لا يسميها سرقة بل اخذا قبيحا .

وطريف من ابى هلال أن يتنبه الى ظاهـرة نفسية سديدة ، هى انه اذا كان القوم في قبيلة واحدة ، وفي ارض واحدة ، فان خواطرهم تقع متقاربة ، كما ان اخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة. ويدلل على ذلك بخبرته الشخصية يقول :

وانشدت الصـاحب اسـماعيل بن عباد : « كانت سراة الناس تحت أظله » ، فسبقني وقال : « فغدت سراة الناس فوق سراته » وكذلك كنت قلت .

الثعالبي .. والعميري

ويجيء القرن الخامس الهجري فنجد مبحثين يشغلان بالمتنبي وفنه احدهما للثعالبي (ت٤٢٩هـ) في « يتيمة الدهر » يكشف فيه عن أن المتحاملين على المتنبي مثل الصاحب انما يصدرون في ذلك عن اهواء ، ويعقّب بعد بذكر فصل عنوانه (قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بالفاظه ومعانيه في الترسل) . ثم يورد الثعالبي ذكرا لمن قبسوا من كلام المتنبي من صدر الكتاب : ابو اسحاق الصابي ، وابو العباس الضبي ، وابو بكر الخوارزمي .. ويعرض الثعالبي بعد فصلا بعنوان (انموذج لسرقات الشعراء منه) ويختم بذكر سرقات المتنبي من الشعراء غير ما ذكره القاضي ابو الحسن الجرجاني متوقفا عند اللفظ او المعنى بما لا ياتي فيه بجديد يؤثر ، عارضا في موازناته لاحكام تاثرية خاطفة .

والبحث الثاني لابى سعيد العميري (ت٤٣٢هـ) وهو بعاطفته ليس مع المتنبي ، يرمى انصـار المتنبي بجهلهم بمذهب التحوير الفني في المسروق الادبي . ثم هو بهواه الفني ليس مع المتنبي ايضا ذلك انه يعترف بفضل المتنبي شاعرا ويصفه باجمل النعوت ، ومع هذا هو عنده سارق مفضول بمثل شعرية اخرى ، ويكشـف صراحة بعد عن عاطفته ازاء المتنبي بالقياس الى مثله الشعرية ، وما تمليه هذه العاطفة عليه من صنيع (ولولا انه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى اساميهم في مجالس الرؤسـاء ويزعم انه لا يعرف الطائيَيْن وهو على ديوانهما يغير ، ولم يسمع بابن الرومي وهو من بعض اشعاره يمير ويسبهم اذا قيل في اشعارهم ابداع ، ويعيبهم متى انشد لهم مصراع ، لكان الناس يغضون عن معائبه ، ويغطون عن مساويه ومثالبه ..

السرقة في راى ابن رشيق

كان هذا جهد النصف الاول من القرن الخامس الهجرى ، وفي نصفه الاخير تجد جهدين آخرين ، احدهما يصرفه صاحبه الى صنعة الشعر ونقده ونعنى به ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) في كتابه العمدة . ولن نجد جديدا عنده ، لكنه الم

بمسائل سبقت ، فسرد القابا للسرقة ذكرها الحاتمي في حلية المحاضرة ، مع انها فرأى ابن رشيق ليس لها محصول اذا حققت . وذكر العامل الزمني في موضوع السرقة ، فالشاعران اذا ركبا معنى كان اولاهما به اقدمهما موتا واعلاهما سنا ، فان جمعهما عصر واحد كان ملحقا باولاهما بالاحسان ، وان كانا في مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وانما هذا فيما سوى المختص الذى حازه قائله واقتطعه صاحبه .

وتحدث عن مذهب التحوير . ويرى أن اجل السرقات نظم النثر وحل الشعر . وهذا الحديث كله طبعا في دائرة النظرة الجزئية الى العمل الادبي . ويشير ناقدا الى ابن وكيع الذى لم ينصف المتنبى في كتابه (المنصف) .

رأى الجرجاني في السرقة والاحتذاء

ثم تكون وقفتنا عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) . ونلحظ بدءا أن عبد القاهر لم يخصص للسرقة بابا في كتابيه « اسرار البلاغة » « ودلائل الاعجاز » ، وانما عرض لها هنا وهناك حيث يقتضيه الجدل في منافحته عن المعنى ضد انصار اللفظ . ولكن على كل حال تتلاقى افكاره فنلحظ بسطه الفلسفي لهذه القضية الأدبية اذ يقول :

اعلم أن الشاعرين اذا اتفقا لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم ، او في وجه الدلالة على الغرض .

واما وجه الدلالة على الغرض فهو أن يذكر ما يستدل به على اثباته له الشجاعة والسخاء مثلا ، وذلك ينقسم اقساما : منها التشبيه بما يوجد هذا الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة كالتشبيه بالأسد وبالبحر في الباس والجود ، وبالبدر والشمس في الحسن والبهاء والانارة والاشراق . ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة من حيث كانت لا تكون الا فيمن له الصفة ، كوصف الرجل في حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله :

كأن دنانيرا على قسماتهم
وان كان قد شف الوجوه لقاء

وكذلك الجواد يوصف بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤية المجتهدين . والبخيل بالعبوس والقطوب وقلة البشر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر ..

واما الاتفاق في عموم الفرصة فما لا يكون الاشتراك فيه داخلا في الاخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة .

ونلحظ انه لا يوضح فرق ما بين هذه المسميات (الأخذ .. السرقة .. الاستمداد .. الاستعانة) .

وفي كتابه « الدلائل » نجده لا يسميها سرقة بل « احتذاء » ، ويرى الاحتذاء في النظم ، وهذا منه طريف . وقد استدعى اهتمامه بهذه الناحية كفاحه الذى لا يفتر عن قضية النظم . وقد قسم الاحتذاء الى جلي وخفي ثم يعود في النهاية فيسوى بين الاحتذاء والأخذ والاستراق عند علماء الشعر ، على انه يعود بعدئذ ملحا على مذهب التحوير الفني فيرى أن المشترك العامى من المعنى اذا غير من صورته دخل في قبيل الخاص والمبتكر ، ويمثل لذلك ويحلل جماليا مبينا التألق النفسي للنظم .

اما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فيجب - في نظر عبد القاهر - أن ينظر ، فان كان مما اشترك الناس في معرفته فان حكم ذلك - وان كان خصوصا في المعنى - حكم العموم ، من ذلك التشبيه بالأسد في الشجاعة وبالبحر في السخاء ، وبالبدر في النور والبهاء ، وبالصبح في الظهور والجلاء .. وان كان مما ينتهي اليه المتكلم بنظر وتدبر ، وينال بطلب واجتهاد ، فهو الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق والتقدم والاولية .

بعد هذا البسط المشرق نرى عبد القاهر في كتابه « الدلائل » يحاول بالتطبيق العملي - بالشاهد وبالمثال - أن يدلل على قضيته ويزيد حجاجه قوة فيسوق جملة من الشعر توارد فيه الشعراء على معنى واحد .

ويلح عبد القاهر على التحوير الفني ، أو هو يدلك على أن السرقات الشعرية تكون في الصورة (او النظم) وذلك في معرض بيانه أن التفاضل بين معنيين متحدين انما يكون في النظم وليس في اللفظ .

وبالجملة فاننا نرى عنصر الحجاج المنطقي يشارك التحليل الجمالي في بحث مسالة عند عبد القاهر والتي يسخرها في خدمة قضية النظم .

ثم تتوالى على الاعصر مؤلفات البلاغة ، وتتناول بين ما تتناوله هذه المشكلات الأدبية ، وكلها يدور في فلك ما سبق من افكار . ■■

مصطفى الصاوى الجويني

زينب بنت علي

بقلم : سنية قراءة

■ كانت جالسة امام خيمتها تنظر كالذاهلة الى الرمال المنبسطة .. الى ما وراء الافق .. وقد راحت صور الماضي والحاضر ، والمستقبل ايضا .. تتبدى لخيالها على تلك الحبات الذهبية اللامعة ..

وراحت في دهشة من انكرت هذا الخيال تنظر برغمها في حبات الرمل وكأنها تستطلعها أسرار الغيب المجهول الذى بدأت ترق غواشيه وتنجاب دجنته وبين مستوره المظلم ..

وعلى ضوء الحاضر راحت زينب تستعرض الماضي وترى صوره ومن بين هذه الصور لمعت صورة فريدة .. انها طلعة جدها العظيم رسول الله ـ ووجه أمها الزهراء ـ البتول فاطمة .. وأحزنها ان تطوى هاتان الصفحتان الزاهرتان وأن تبدأ عتمة القدر تحتاط البيت الهاشمي ..

وتبدى لزينب صورة مَنْ كرّم الله وجهه .. وجه أبيها « على » الباسل الشجاع وكيف انتهت حياته .. فقد حدث يوم خرج « على » ينادى المسلمين للصلاة أن اعترضه أحد الخوارج هو « عبد الرحمن بن ملجم المرادى » فضربه بالسيف فاصاب جبهته الى قرنه ، ووصل الى دماغه واقام على الجمعة والسبت .. وتوفي ليلة الاحد متأثرا بجراحه ..

وقد رثاه ابو الاسود الدؤلى بقوله :

ألا ياعين ويحكِ اسعدينا
ألا تبكى أمير المؤمنينا
وتبكى ام كلثوم عليه
بعبرتها وقد رات اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا
فلا قرت عيون الحاسدينا :
أفي شهر الصيام فجعتمونا ؟
بخير الناس طرا اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ، ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها
ومن قرأ المثانيَ والمبينا
وكل مناقب الخيرات فيه
وحبُّ رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين
رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير
نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه
ويعدل في العدى والاقربينا
وليس بكاتم علما لديه
ولم يخلق من المتكبرينا
كأن الناس اذ فقدوا عليا
نعام حار في بلد سنينا
فلا تشمت معاوية بن صخر
فان بقية الخلفاء فينا

ومن كلمات « على » رضي الله عنه التى لاتنسى: « ان للنكبات نهايات ، ولا بد لاحد اذا نكب من أن ينتهى اليها ، فينبغى للعاقل اذا أصابته نكبة ان ينام لها حتى تنقضي مدتها ، فان في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها » .

بن أبي طالب

ثم عادت زينب بخيالها الى صـورة أخيهـا «الحسن» سبط محمد وريحانته ..

« وُلّي الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فاقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار اليه معاوية ـ والأمر الى الله ـ فارسل اليه الحسن يبذل له تسليم الأمر اليه ، على أن تكون له الخلافة من بعده ، وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه ، وعلى أن يقضي عنـه ديونه ، فاجابه معاوية الى ما طلب ، فاصطلحا على ذلك ، فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : « يصلح الله به بين فئتين من المسلمين » ونزل له عن الخلافة .

فكان أصحابه يقولون له : يا عار المؤمنين .

فيقول : العار خير من النار .

وقال له رجل : السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال : لست بمذل المؤمنين ، ولكنى كـرهت أن اقتلكم على الملك .

وقال أيضا : قد كان جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت،ويسالمون من سالمت ،فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد عليه الصلاة السلام ..

ثم ارتحل الحسن عن الكوفة الى المدينة فاقام بها (١) .

وتوفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموما ، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، دس اليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ،ففعلت ـ فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها !!

فقال : انا لم نرْضـك للحسن أفنرضـاك لأنفسنا ؟!

وجود به أخوه أن يخبره بمن سقاه ، فلم يخبره وقال : « الله أشد نقمة ان كان الذى اظن والا فلا يُقتَل بى والله بريء » !!

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين وقيل : في خامس ربيع الاول سنة خمسين .

تذكرت زينب العزيزة كل هذا.. ثم .. ما لبث الفكر أن عاد بها في سرعة الى الحاضر الاليم لترى سبط الرسول وعترته وأحب الناس اليها ـ أخاها « الحسين » في نفس موقف أبيه « على بن أبى طالب » وأخيه « الحسن » ممن استغاثوا بأبيها وأخيها ليدفعها عنهم الظلم فتخاذلوا عنهما .. وان القصة لتكرر مـع « الحسين » وان مواطنيهم ومناصريهم يتخاذلون للمـرة الثالثة عن نصـرة الضحية الثالثة من آل بيت الرسول . .

ولم يكن استدعاؤهم اياه ، والحاحهم عليه ليلحق بهم كي يستخلصوا له الخلافة من البيت الأموى ـ غير خدعة للايقاع به والقضاء عليه حتى لا يكون هناك معارض أو مطالب بحق في خـلافة المسلمين !!

كان الحال يسير من سيء الى أكثر سوءا ، وكانت الهزائم تترى على الفئة القليلة التى التفت حول أخيها « الحسين بن علي » بينما كان العدد يزداد كل يوم قوة ومنعة وضراوة !!

وراح طنين الماضي يحمل الى أذنيها أصـداء صوت أبيها وخطاباته لأهل الكوفة والعراق مستحثا اياهم على الجهاد وهم على حالهم من التواكل..

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ للامام الحافظ جلال الدين السيوطي .

ثم ما لبثت ان رفعت عينيها لترى صورة للحاضر الأليم ..

انها النهاية ولا شك .. لقد بعث اهل العراق الى الحسين الرسل والكتب يدعونه اليهم ،فخرج من مكة الى العراق في عشر ذى الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالا ونساء وصبيانا، فكتب يزيد الى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله ، فوجه اليه جيشا اربعة الاف عليهم عمر بن سعد بن ابى وقاص ، وليت الحسين أطاع عقلاء الحجاز فظل حيث هو ولم يخرج في اهليه مصدقا وعود الذين اقسموا انهم معه وانهم سيستخلصون له الخلافة من يزيد .. لقد خذله أهل الكوفة كما خذلوا اباه من قبله ..

كانت الدمدمة تدوى والصيحات ترتفع والبنود المتعالية في زهو تتقدم سائرة نحو النصر ،والحسين ابن على عند باب فسطاطه واجم مطرق الراس يفكر وهيهات ان ينقذه او يخرج به من مازقه ذلك التفكير ..

ونظرت زينب من مكانها فرات ما رات وراعها ان تتقدم جيوش عبيد الله بن زياد نحو اخيها وان يظل هو في مكانه امام فسطاطه محتبيا سيفه لا يريم ولا يتحرك .

واسرعت اليه . هلِعة مبهورة الانفاس ، لا ترد عنه القضاء ، ولا لتنبهه الى خطورة الموقف ، ولا لتثير حميته الى قتال كان راغبا عنه حقنا للدم الاسلامى ، ولكن لتقول له في همس حنون :

ــ يا أخى .. أما تسمع .. ان الاصوات تقترب .. فانصت .

وفي هدوء رفع الحسين الى اخته راسه الشريف .. وفي نبرة جليلة اجابها قائلا :

ــ انى رايت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا وهو يدعونى اليه ..

وصرخت زينب في جزع وأسى ولطمت وجهها بيدها ، وقالت :

ــ يا ويلتاه !!

وفي ثبات المؤمن المستسلم الى قضاء الحق وقدره أجابها الحسين :

ــ ليس لك الويل يا أُخَيَّة .. اسكتى رحمك الرحمن .. ارحم الرحمين ، وليس عليك ويلٌ زينب ..

ولم يكن من السهل الهين على زينب وقد قالها لها اخوها ما قال أن تسكت وأن يتبدد فزعها ومخاوفها ، فعادت تولول وقد راحت تتخيل نهايته .. بل قتله في ارض غريبة بين قوم باعوه.

ــ واثكلاه !! ليتنى مت يوم ماتت امى فاطمة ، وابى على ، واخى الحسن .

ثم ما لبثت ان صاحت مزمجرة في وجه اخيها كمن تريد اثارة حميته :

ــ يا خليفة الماضي وثمالة الباقي .. تقدم .. كافحْ .. دافع عن نفسك وعن الاسلام ..

ورفع الحسين الى زينب الثائرة الجزعة وجهه السمح الهادىء وقال :

ــ يا اخية .. لا يذهبن بحلمِك الشيطان ..

واذا بها تقول له في عطف المواسية الحنون :

ــ يا أبا عبد الله .. بابى انت وامى .. استُقتِلتَ ، نفسي فداك ..

وامتلات عينا الحسين بالدمع وقال :

ــ لو ترك القطا ليلا لنام ..

فقالت : ياويلتاه .. افتغصب نفسك اغتصابا، فذلك اقرح لقلبى واشد على نفسي .. ووجدها « الحسين » وقد لطمت وجهها واهوت على جيبها وشقته ثم خرت مغشيا عليها .. فاسرع اليها الحسين .. وصب على وجهها الماء وقال لها :

ــ يا اخيّة .. اتقى الله وتعزّى بعزاء الله ، واعلمى ان اهل الارض يموتون ، وان اهل السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك الا وجه الله الذى خلق الارض بقدرته،ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد واحد .. ابى خير منى ، وامى خير منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله اسوة .. يا اخية .. اقسم عليك فابرّى قسمى ،لا تشقى علىّ جيبا ، ولا تخمِشي علىّ وجها ولا تدعى علىّ بالويل والثبور اذا انا هلكت ..

« فلما رهقه السلاح ، عرض عليهم الاستسلام والرجوع ، والمضي الى يزيد ، فيضع يده في يده، فابوا الا قتله ..

وسقط الحسين رضوان الله عليه شهيدا في ساحة الجهاد ، وتفرقت الجموع القليلة التى كانت تؤيده ، وان زينب لتمر ــ بعد أن هدأ النقع الثائر ــ وتتفحص جثث القتلى فتجد فيهم الحسين شقيقها المحبوب ، فنسيت وصيته لها وصاحت معولة :

ــ يا محمداه ... يا محمداه صلتْ عليك ملائكة السماء يا محمداه ... هذا الحسين

بالعراء مزَمّل" بالدماء ، مقطع الاعضاء .. يا محمداه .. وبناتك سبايا ، وذريتك قد لقيت التقتيل ..

وظلت تصيح وتندب وصوتها المتهدج الجريح يصل الى قرارات القلوب فيعتصر حباتها ويشي الدمع فتذرفه العيون دون تفرقة بين عدو وصديق او محب للبيت الهاشمي ، او مظاهر للسلطان الاموى الباطش الشديد ..

ورفعت زينب فى النهاية عينيها لترى الناس ، وتتفحص وجوههم وقد احاطوا بجثة الشهيد سيد شباب الجنة ـ فرات القائد الظافر عمر بن سعد وهو يدنو من جسد الحسين فصاحت فيه قائلة :

ـ ايقتل ابو عبد الله وانت تنظر اليه يا عمر ابن سعد ؟! .

وحـزت كلمات زينب فى نفس رجل الأموين فاسالت دمعه على خديه ولحيته وجعلته يشيح عن الشقيقة الثكلى بوجهه كى لا ترى عليه سيما الأسى والألم ...

وحمل المنتصرون راس الحسين الشـهيد فى طست مع السبايا من اهل بيته وبنيه وبناته الى القائد الرهيب « عبيد الله بن زياد » ليرى فيهم رأيه بعد ذلك النصر الدنيوى الذى ناله .

وكانت زينب اسنّ من حمل اليه واكبرهم ..

ووقفوا بباب ابن زياد ينتظرون اوامره واذ ذاك لبست زينب بالى الثياب ودخلت على القائد وحواليها جواريها واماؤها .. ثم جلست وتبعها من كان معها من اهل البيت .

ونظر عبيد الله الى زينب ثم قال متسائلا :

ـ من هذه الجالسة ؟! .

وكررها ثلاث مرات فلم تجبه فى واحدة منها ، فصاح مزمجرا طالبا جواب سؤاله واذا باحدى امائها تجيبه :

ـ هذه زينب بنت فاطمة ..

واعتدل ابن زياد فى جلسته وشاع السرور على وجهه وقال متشفيا :

ـ الحمد لله الذى فضـحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم .

وفى نبرة هادئة رزينة اسرعت زينب ترد عليه قائلة :

ـ الحمد لله الذى اكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا تطهيرا ، لا كما تقول انت .. لانه انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر .

وعاد ابن زياد يقول وكأنه لم يرد أن تنتصر عليه الهاشمية الفصيحة فى ميدان القول :

ـ فكيف رأيت صنع الله باهل بيتك ؟! .

فاجابته فى ثبات وحزم :

ـ كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهـم فتحاجئون اليه وتتخاصمون عنده .

فغضب ابن زياد وزمجر فى حنق .. فقال له عمرو بن حريث :

اصلح الله الامير ، انها امـراة وهل تؤاخذ المراة بشىء من منطقها ، انها لا تؤاخذ بقول ، ولا تلام على خطل ..

فقال لها ابن زياد متشفيا :

لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصـاة المردة من اهل بيتك .

فبكت زينب وقالت :

ـ لعمرى قتلتَ كهلي ، وابرت اهلي، وقطعت فرعى ، واجتثثت اصلى .. فان يشفك هذا فقد اشتفيت .

فقال لها عبيد بن زياد :

ـ هذه لعمرى شجاعة ، ولقد كان ابوك شاعرا شجاعا ..

قالت فى حسرة ..

ـ ما للمراة والشجاعة .. ان لى عن الشجاعة لشغلا ، ولكنى اعنى ما اقول ..

وسكت ابن زياد لحظة كان يتفحص خلالهـا الاسرى والسبايا من آل هاشم فراى بينهم غلاما حدثا احس بكراهيته وخشى ان يكون مع الايام القادمة شوكة رهيبة فى حلق الأموين .. فالتفت اليه يساله ما اسمك ؟ .

واجابه الغلام : علي بن الحسين ..

ـ اوَ لم يقتل الله علي بن الحسين ؟! .

فسكت الصغير ولم يجبه .. فصاح فيه ابن زياد :

ـ مالك لا تتكلم ؟! .

واجاب « علي » الصغير بعد أن كرر ابن زياد عليه السؤال :

ـ الله يتوفى الانفس حين موتها ، ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ...

وتولت الدهشة زيادا وقال فى غضب :

ـ والله انك منهم .. أيها القوم اكشفوا عنه فان كان قد بلغ مبالغ الشباب فاقتلوه .. فكشف عنه « مرى بن معاذ الأحمرى » فقال :

ـ نعم .. لقد بلغ مبالغ الشباب ..

فقال ابن زياد : اقتله ..

وساله في هدوء :

ـ واذا قتلتني يا ابن زياد فمن توكله بهؤلاء النساء ؟! .

وأسرعت زينب الهالعة المذعورة الى ابن أخيها فاحتضنته وهي تقول لعبيد الله الباطش :

ـ يا ابن زياد .. حسبك منا ما روّيت من دمائنا ، وهل ابقيت منا احدا ؟ واسالك بالله ان كنت مؤمنا .. فان كنت قاتله فاقتلني معه ..

واسرع « علي » الثابت الجنان يقـول هو الآخر :

ـ يا ابن زياد ... ان كان بينك وبينهم فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام ..

ونكس القائد رأسه طويلا وشغلته وساوسه وافكاره .. ثم تكلم في النهاية وقد عصـفت بعواطفه كلمات الغلام ورجولته المبكرة وقال يحدث نفسه :

ـ عجبا لصلة الرحم ، والله اني لأظنها ودت لو أني قتلته معه .. وسرعان ما صاح في رجاله :

ـ دعوا الغلام ..

ثم التفت الى علي الصغير وقال :

ـ انطلق مع نسائك ..

وخرج « علي » مع أهل بيته قاصدا الشـام الى دار الخلافة ، حتى أتى يزيد وهو في بطانته..

ووقف أهل البيت طويلا امام الخليفة المنتصر المزهو .. وتطلع رجل ممن معه فابصر فاطمـة الصغيرة بنت الحسين فوجدها طفلة وضيئة ذات جمال فهفت اليها نفسه وأحب أن تكون له واسرع يصارح سيده يزيد برغبته تلك قائلا :

ـ يا أمير المؤمنين .. هب لي هذه ..

وخافت فاطمة ان ينتزعها ويهبها للرجل فاسرعت الى عمتها زينب وتعلقت بثيابها متوسلة مستنجدة فهدات ثائرتها والتفتت الى الرجل وقالت :

ـ كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك ولا له ...

وغضب يزيد لتحديها اياه علانية فقال :

ـ بل كذبت والله انت ان ذلك لي ولو شئت ان افعله لفعلت ..

اجابته زينب الغاضبة غير عابئة بجلال مكانته وعلو سلطانه :

ـ كلا والله ما جعل الله لك ذلك الا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ..

وثارت ثائرة يزيد وصاح فيها :

ـ الي تقولين هذا القول ؟! انما خـرج من الدين ابوك وأخوك !! .

واجابته زينب :

ـ بدين اللـــه ، ودين أبي ، ودين أخي .. اهتديت أنت وابوك وجدك ..

فقال : كذبت يا عدو الله ..

فقالت في حزن المقهورة وعجز الضعيف :

ـ انك لأمير ، وصاحب سلطان تستطيع بسلطانك أن تقهر وتشتم .

فاستحيا يزيد .. ونكس راسه وسكت .. ثم التفت الى الرجل الذى عاد يطالب بفاطمة وقال له :

ـ اذهب .. وهب الله لك حتفا قاضيا ..

وذهب الرجل .. وقامت البطانة .. وبقي يزيد واسراه من آل البيت.. وبين يديه وضعوا الراس الطاهر فراح ينكث ثناياه بقضيب كان في يده وهو يرتجز الشعر فاثار زينب فقالت له :

ـ يا يزيد .. « كان عاقبة الذين اسـاءوا السوأى أن كذبوا بآياتنا وكانوا بها مستهزئين ..» اظننت انك أكرم منا على الله حين أخذ علينا باطراف الارض وأكناف السماء فاصبحنا نساق كما يساق الأسارى ، أم أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة ، وأن هذا لعظيم خطرك فشمخت بانفك ونظرت فيعطفك جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسقة لك والأمور متسقة عليك وقد امهلت ونفسـت وهـو قـوه اللــه تـبارك وتعالى « لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خـيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » .

« أمن العدل يا ابن الطلقاء (١) تخديرك نساءك واماءك ، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هتكت ستورهن .

---

١ ـ تشير الى قول جدها رسول الله عندما قال لاسرى مكة في يوم الفتح العظيم « اذهبـوا فأنتم الطلقاء » ...

يحدو بهن الاعادى من بلد الى بلد يتشوفهن القريب والبعيد ، ليس معهن ولى من رجالهن وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر الينا بالشنف والشنآن الاحن والاضغان . اللهم خذ بحقنا ، وانتقم لنا ممن ظلمنا . والله ما افريتَ الا في جلدك ، ولا حززت الا في لحمك ، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك ، وعترته ولحمته في حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم اني والله يا عدو الله استصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، غير ان العيون عبرى ، والصدور حرّى، وما يجزى ذلك او يغنى عنا . وان يوجب لهم المزيد من فضله فانه ولى قدير .

وقالت فاطمة بنت الحسين وكانت اكبر من سكينة : ابنات رسول الله سبايا يا يزيد ؟!! .

فقال يزيد : يا ابنة اخى انا لهذا كنت اكره !!

قالت : ما ترك لنا خرص .

قال : يا ابنة اخى وما اتى اليك اعظم مما اخذ منك .

ثم اخرجهن فادخلن دار يزيد بن معاوية فكانت المناحة الكبرى .. اذ خرجت بنات امية نادبات معولات يبكين الحسين ويندبنه ، فلم تبق امراة من آل يزيد الا اتتهن . واقمن على الحسين المناحة ثلاثا . وارسل يزيد الى كل امرأة ماذا اخذ لها . وليس منهن امرأة تدعى شيئا بالغا ما بلغ الا قد اضعفه لها فكانت سكينة تقول : ما رايت رجلا كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية .

وقال يزيد لعلي بن الحسين : لعن الله ابن مرجانة اما والله لو اني صاحبه ما سالني خصلة ابدا الا اعطيتها اياه ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ولكن الله قضى ما رايت ، كاتبني وانه كل حاجة تكون لك .

ثم قال يزيد : يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلح وابعث معهم رجلا من اهل الشام امينا صالحا وابعث معه خيلا واعوانا فيسير بهم الى المدينة . ثم كساهم واوصى بهم ذلك الرسول فخرج الرسول بهم فكان يسايرهم بالليل فيكونون امامه حيث لا يفوتون طرفه فاذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو واصحابه حوله كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث اذا اراد انسان منهم وضوءا او قضاء حاجة لم يحتشم فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسالهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة .

ثم قالت فاطمة لاختها زينب : يا اخية لقد احسن هذا الرجل الشامي الينا في صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ .

فقالت : والله ما معنا شيء نصله به الا حلينا.

قالت لها : فنعطيه حلينا . فاخذت فاطمة سوارها ودملجها واخذت اختها سوارها ودملجها فبعثتا بذلك اليه واعتذرتا اليه وقالتا له : هذا جزاؤك بصحبتك ايانا بالحسَن من الفعل . فقال الرسول : لو كان الذى صنعت انما هو للدنيا ، كان في حليكن ما يرضيني دونه لكنه والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما دخلوا المدينة خرجت امراة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهى تبكى وتقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم
ماذا فعلتم وانتم آخر الامم

بعترتي وباهلى بعد مفتقدى
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم
ان تخلفوني بسوء في ذوى رحمي

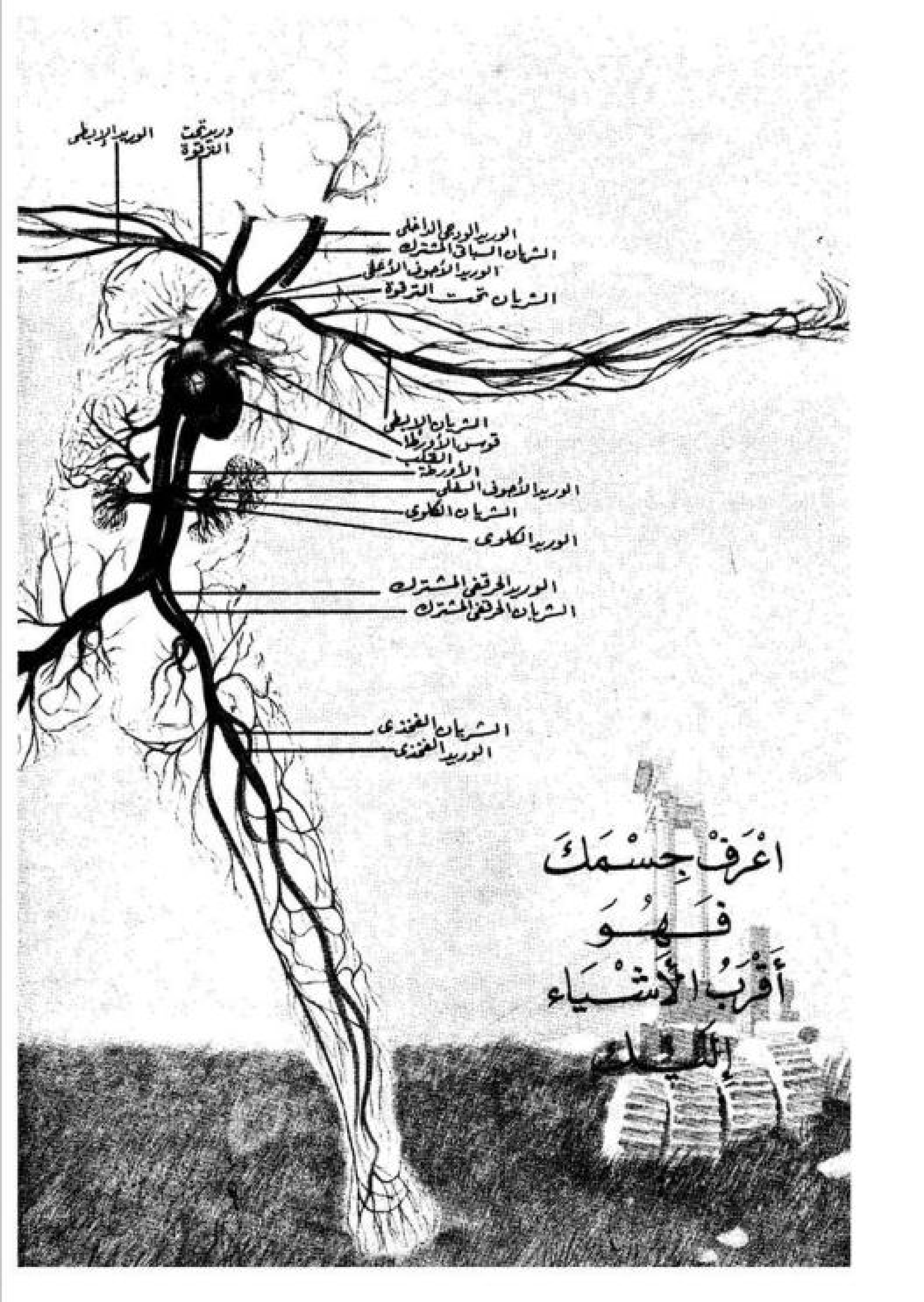
ومن كلام زينب انها كانت تقول : من اراد أن يكون الخلق شفعاءه الى الله فليحمده . ألم تسمع قولهم « سمع الله لمن حمده » فخف الله لقدرته عليه واستح منه لقربه منك .

ولدت زينب قبل وفاة جدها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، تزوجت ابن عمها « عبد الله بن جعفر » وانجبت الزواج محمدا ، وعليا ، وعباسا ، وأم كلثوم ، وعونا الأكبر ..

وينسب اليها في مصر مسجدها . وفي سنة ١١٧٣ هـ جدد بناؤه . وتوفيت سنة ٦٥ هـ ودفنت بقناطر السباع بمصر ويزار ضريحها ويتبرك به .

لقد كانت السيدة الجليلة العظيمة زينب الصغرى بنت على بن ابى طالب كرم الله وجهه، ذات عقل راجح وصاحبة رأى سديد ، وفصاحة ، وبلاغة جعلتها جديرة بأن تكون على رأس مسلماتنا الخالدات . ■■

سنية قراعة


الوريد الإبطي
وريد تحت الترقوة
الوريد الوداجي الداخلي
الشريان السباتي المشترك
الوريد الأجوف الأعلى
الشريان تحت الترقوة
الشريان الإبطي
قوس الأورطا
القلب
الأورطة
الوريد الأجوف السفلي
الشريان الكلوي
الوريد الكلوي
الوريد الحرقفي المشترك
الشريان الحرقفي المشترك
الشريان الفخذي
الوريد الفخذي
اعْرِفْ جِسْمَكَ
فَهُوَ
أَقْرَبُ الأَشْيَاء
إِلَيْك

صفحة من الطب المصور

الدورة الدموية



■ ليس من مثقف في القرن العشرين لا يعلم شيئا عن الدورة الدموية ، دورة الحياة الاولى ، وان يكن من الصعب تفضيل بين دورة ودورة من دورات الحياة .

القلب قطب هذه الدورة . وهما قلبان متلاصقان ، لا يتصل احدهما بالآخر ، ايمن وايسر .

ثم شرايين تخرج من القلب بالدم ،

واوردة بالدم الى القلب تعود .

ثم رئتان يتنقى فيهما الدم الوريدى ويتطهر ويصلح قبل ان يعود يضخه القلب الى الجسم مرة ثانية فثالثة .

وعضو آخر مهم من اعضاء الجسم ، تلك الكبد ، وفيها يتشعب الدم الوريدي ، لتجرى به الكبد اشياء هي ضرورية للحياة .

واليك قليلا من التفصيل في ايجاز شديد .

القلب الايسر

وهو أذين وبطين ، والاذين اصغر الحجمين .

والدم يأتي الاذين الايسر من الرئة عن طريق وعاء دموى يعرف بالوريد الرئوى Pulmonary Vein (وريد من كل رئة) وسمي وريدا مع انه يحمل من الرئة الدم بعد نقائه ، احمر فاقعا شريانيا ، لا ازرق داكنا وريديا . وسبب ذلك الاتفاق على تسمية كل وعاء ذاهب الى القلب بالوريد بصرف النظر عما يحمل من دم ، وتسمية كل وعاء ذاهب بعيدا عن القلب بالشريان ولو حمل دما وريديا ازرق داكنا .

ومن أذين القلب الايسر ينتقل الدم الى بطين هذا القلب،وهذا البطين يدفعه عندما ينقبض بقوة الى شريان الجسم الاكبر ، الاورطة ، ويسمى ايضا الوتين.

القلب الايمن

هذا القلب يقع من حيث وظيفته بين الرئتين والقلب الايسر .

ان الدم الوريدى فى الجسم جميعه يعود من الجسم عن طريق اوردته فيصب فى أذين القلب الايمن ، ومنه يذهب الى بطين هذا القلب ،وهذا يدفعه بالضخ الى الرئتين عن طريق الشريان الرئوى (سمى شريانا ولو به دم وريدى داكن) .

وفى الرئة هو يتنقى ويتصلح ، قبل ان يندفع فى الوريد الرئوى لكل رئة الى اذين القلب الايسر كما سبق ان وصفنا. القلب الايمن اذن محطة لنقل الدم الوريدى الى الرئتين .

الشرايين

هي الاوعية الخارجة من القلب ، واخطرها شريان الجسم الاكبر ،الاورطة

وهي تخرج بالدم النقي الصالح الاحمر من بطين القلب الايسر ، وهي تبدأ سيرها الى عل ثم تتقوس من فوق القلب ثم تهبط الى اسفل فى الجسم .

وهذا القوس الاورطي لا يكاد يعلو حتى يخرج معه الشريانان التاجيان (الايمن والايسر) اللذان يمدان عضلات القلب بالدم ، واللذان يتمثلان كثيرا فى امراض القلوب .

ومن القوس الاورطي تخرج شرايين هامة ثلاثة للوفاء بحاجات الراس والرقبة والطرفين العلويين اعني الذراعين من دم . وهما :

الشريان «خفي الاسم» او العضدى الراسي Innominate Or Braciocephalic .

والشريان السباتي المشترك الايسر Left Common Carotid .

وشريان ما تحت الترقوة الايسر Left Subclavian .

وتهبط الاورطة بعد التقوس فى الصدر الى اسفل على مقربة من فقرات الظهر الصدرية ، وتخترق الحجاب الحاجز الى البطن وتسير امام الفقرات القطنية الى الفقرة الرابعة ، وعندها تتفرع الى فرعين هما الشريانان الحرقفيان المشتركان وهما للوفاء بحاجات الطرفين الاسفلين اى الرجلين من دم .

والاورطة ، وهي هابطة فى الجسم ، تخرج منها فروع تزود الاحشاء بالدم ، ومن اكبر هذه الفروع الشريانان الذاهبان للكليتين .

فهذه هي الشرايين الكبرى مجملة .

وجدران الشرايين من عضل ، وهي مطاطة ، تستقبل ضربات القلب ، فتتسع ثم تضيق .

الاوردة

هي كالشرايين تعم الجسم ، وحيثما سار شريان حامل للدم الاحمر الى الاعضاء ، سار وريد راجع بالدم الداكن من هذه الاعضاء .

فأوردة تعود بالدم من الراس والعنق والاطراف العليا ، واوردة تعود بالدم من الصدر والاحشاء والاطراف السفلى .

ومن أخطر الاوردة الوريد المسمى بالوريد الاجوف السفلي ، وهو مَجمع الدم الوريدى الآتي من اوسط الجسم واسفله ويصب فى اُذَين القلب الايمن ،

والوريد المسمى بالوريد الاجوف العلوى ، وهو مَجمع الدم الوارد من الراس والعنق والاطراف العليا ، ويصب كذلك فى اُذين القلب الايمن .

ومن هذا الاذين يذهب الدم الوريدي الى بطَين القلب الايمن ، ومنه يَضَخّ الى الرئتين كما سبق ان ذكرنا .

والاوردة ليست مرنة الجدران كالشرايين ، وليس فيها نبض . والذى يمنع الدم فيها من التراجع صمامات تأذن للدم باتجاه نحو القلب واحد .

الدورة فى الرئتين

ان الدم الوريدى يحمل من بطين القلب الايمن ، عن طريق الشريان الرئوى الى الرئتين . وهو فى الرئتين يتشعب ويخرج منه بالتنفس ثاني اكسيد الكربون الذى كان جمعه من الجسم وهو نتيجة احتراق الاغذية فى خلاياه ، ويتزود بالتنفس باكسجين الهواء اللازم لاحتراق الاغذية الذى سوف يكون . ثم يحمل الدم من الرئتين الى اذين القلب الايسر عن طريق الوريدين الرئويين (وريد من كل رئة) ، ومنه الى البطين فالى الاورطة وهلم جرا .

الدورة فى الجهاز الهضمي

انها لجمع الاغذية ، ما انهضم منها . وكفى .

الدورة فى الكبد

وهي تقع من حيث الوظيفة ما بين الدم الآتي من الجهاز الهضمي اعني المعاء ، وبين القلب الايمن . والكبد اكبر غدة فى الجسم .

واهم وظائفها تجهيز ما في الغذاء الذى يحمله الدم الآتي من المعاء بكربوادراتات وبروتينات لانتفاع الجسم بها . وكذلك خزن الزائد من الكربوادراتات على صورة جليكوجين Glycogen ثم افراز الصفراء .

الشعريات

وهي الغاية التي يهدف اليها هذا الجهاز الدموى كله .

فالشرايين تتفرع ، ثم تتفرع الفروع، حتى تنتهي الى هذه الاوعية الغاية فى الصغر ، والغاية فى الرقة حتى ليمتزج ما بها بما فى انسجة الجسم التي تخدمها، فتعطيها من اغذيتها ومما حملت من انسجتها ، وتأخذ عن هذه الانسجة ما تكون فيها من مخلفات احتراق الاغذية ، وذلك الاحتراق الذى يعطى الحياة .

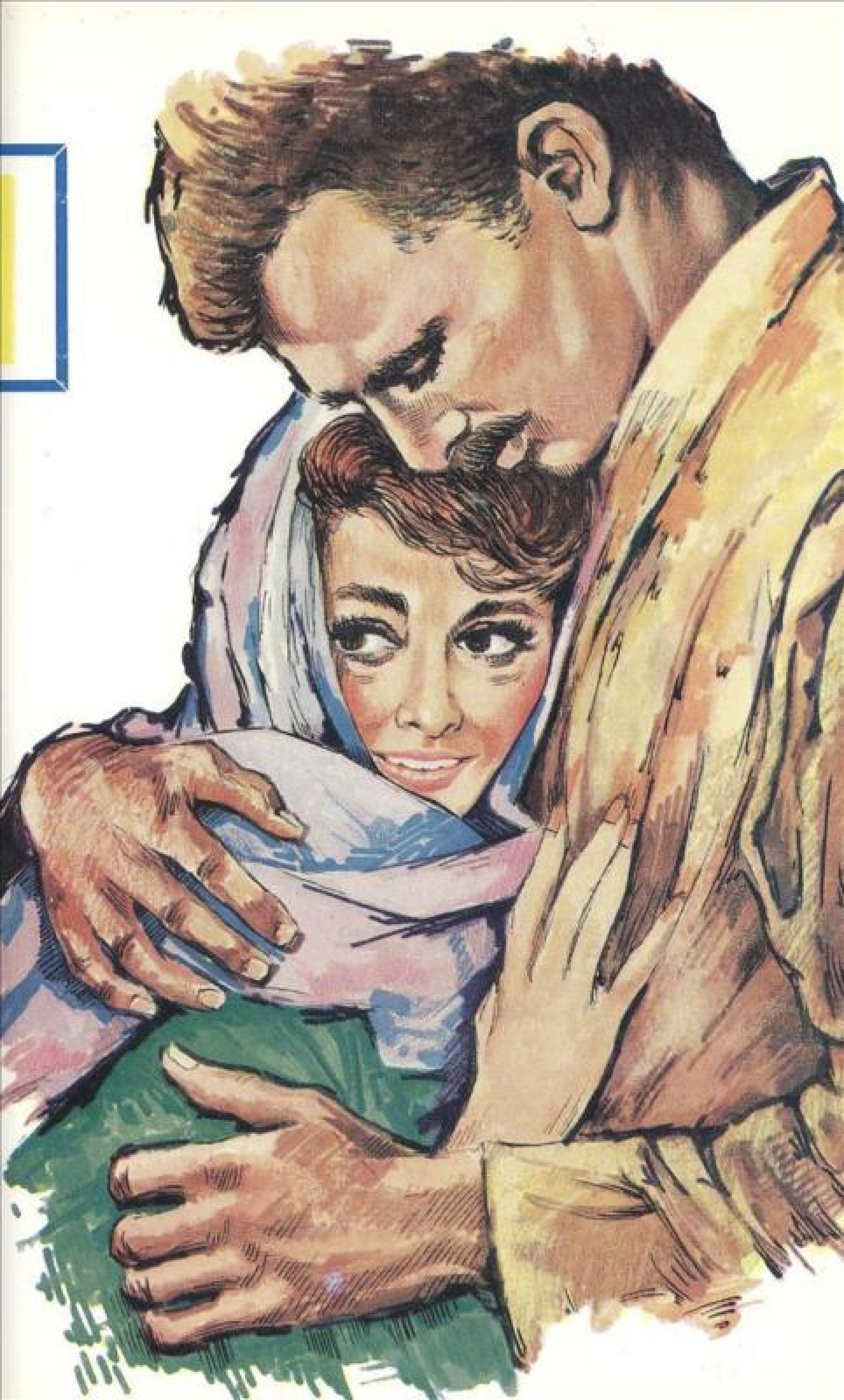
وتتجمع هذه السوائل ، لا لتخرج الى شعريات شريانية ، ولكن الى شعريات وريدية ، تكبر بالتجمع ، ثم تكبر حتى تصبح اوردة كبيرة ، تحمل الدم الى القلب على ما وصفنا .

الدورة فى الكليتين

ويخرج من الاورطة شريانان ، يذهب واحد منهما الى الكلية اليمنى والآخر الى الكلية اليسرى . وبعد ان تصنع الكليتان صنعها في الدم ، بأن تعدلا من محتوياته ، وتمتصا منه النفايا الناتجة من التفاعلات الكيماوية التي وقعت فى الجسم والتي لا بد من خروجها منه . وتمتصا كذلك الماء من الدم . ومن هذا كله يتألف البول الذى تجريه الكليتان فى الحالبين ففي المثانة فالى خارج الجسم . والبول يتضمن الماء والبولينه وحامض البوليك واملاحا وغير ذلك .

والدم الذى جاء به الشريانان لا بد ان يعود الى الدورة ،فيحملها اليها وريدان، وريد يخرج من كل كلية ،وكلاهما يصب ما فيه فى الوريد الاجوف السفلي .

●●



حكاية أبو عوف

بقلم : محمود تيمور

■ اني أعرفك يا صاحبي صحفيا نابهـا ، تتصيد الاخبار في مهارة وحذق، وتتلقط الموضوعات في خفة الساحر ، وتدبج الاستطلاعات في أسلوب يثير الشوق ويبعث الفضول .

وقد تخيرتني اليوم ، فانا صيدك السمين... نعم انا لك صيد سمين ، أو ثمين ، لان جعبتي ملأى بما يشبع النهم ، ويروى الغليل .

بيد انك لا تريد أن تدير معي حديثا ذا شجون، بل تبغى أن تلقى سؤالا واحدا ، ولا تطلب عنه الا جوابا واحدا .

فلتطب نفسا ... فليس عندى الا جواب واحـد عن سؤالك ، وان كان جوابا مفعـم الجوانب ، مكتنزا بالاحداث .

انصت الي كل الانصات ، حتى لا يفلت منك شيء مما ينبس به لساني ...

كل كلمة أفضي بها اليك لها وزن واعتبار .

انك تسالني :

ما أكبر حادث وقع لي في حياتي ؟

أستطيع أن أجيب عن سؤالك هذا جوابا وافيا شافيا .

ثمة حادث وقع لي ... حادث أعده الحادث الفريد في حياتي كلها طولا وعرضا ... ولكن رواية هـذا الحادث لا تجزئ فيها سـطور معدودات ، بل انها تستوعب صفحات وصفحات .

لك أن تسمي ما أروى قصة ، أما أنا فاسميه حكاية ... مجرد أحدوثة على طراز ما يسمر به الناس في ندوات المساء .

سأقص عليك حكايتي ، وانت وشانك بها ، تصوغها في الأسلوب الذى ترتضيه .

انا « أبو عوف » ، وزوجتي « أم عوف » اذ كان لنا ولد اسمه « عوف » ... ولقد كانت زوجتي امرأة صالحة طيبة بالغة الطيبة ، في طبعها هـدوء ، وفي نفسهـا سماحة ، ربة بيت يضرب بها المثل . وكنت أحبها ، ولكن احترامي اياها كان أكبر من حبي وأجل ، لما تحلت به من صفات تبعث على المهابة والتوقير ..

وحبتنا عناية الله بطفل وحيد ، ازدانت به حياتنا عشرة أعوام ، ثم قضت مشيئة الله ان نحتسبه ، فاختاره الى جواره . ويا لها من فجيعة نالت مني انا وزوجتي كل منال : ولكن لم يكن بد من التصبر والاحتمال .

وعاشت زوجتي حبيسة حزن صامت كمين : واقبلت على بيتها تنفض فيه نفسها ، زاهدة في الوان الملذات والمتع ، آخذة من ضروب العبادات باوفر نصيب .

وعلى توالي الأيام استبدت بها نزعتها الدينية ، فانطبعت بها تصرفاتها جميعا ، وتطورت شيئـا فشيئا حتى صار لها سمت شيخة تقية ، ذات

طرحة بيضاء ، وسبحة لا تبرح أصابع يدها في غدو ورواح .

واحسست أن شخصيتها بوصفها زوجة تبتعد عني ، وتفلت مني ، وتحل محلها شخصية أخت كبيرة لي وأم رءوم . فان اقتربت منها شعرت باني الوذ بمحراب قدسي ، في رحابه أجد طمانينة القلب وسكينة الروح .

على اني أعترف بأن ذلك الجفاف العاطفي في حياتي البيتية قد دفع بي الى أحضان الرذيلة... استطبت الشراب وبدأ اول الامر ، وتركت لعيني أن تحدق في مفاتن النساء . ورايتني على الأيام اكلف بالخمر ، حتى اصبحت من مدمنيها الخلصاء . وكنت أعود الى البيت في غسق الليل مخمورا أترنح ، فتستقبلني زوجتي مشفقة عليّ ، معنية بامري ، واجدني في الصباح قاصدا اليها استغفر مما فعلت ، فتمسح على رأسي ، وتطلب لي الهداية والصلاح .

وتواردت الأيام ، وانا منغمس في غواية الليل ، على حين كانت زوجتي تزداد من انصراف الى التهجد والتعبد ، ومن عجب أن التناقض بين حياتي وحياتها لم يكن مدعاة شقاق وفراق ، بل كان على العكس من ذلك باعث ترابط والتئام .

لقد وجدتني زوجتي في حاجة منها الى رعاية وتفقد فلم تضن عليّ بكل ما تستطيع ، وشدما كنت في قرارة نفسي استشعر تبكيت الضمير ، فالجا اليها استجير بدعائها مما أعانيه .

ومرة سمعتها تقول :

اسمع يا « أبو عوف » ، لقد أزمعت الحج ، وأنت معي ... اريد لنفسي أن ازداد من الله قربا ، واريد لك أن تتوب الى الله توبة المستغفر من ذنبه .

وشغلني حديثها .

لم لا نحج ؟ وطفقت افكر في انفاذ العزم ... وجئتها يوما ، وقد ازف موسم الحج ، اقول :

في وسعنا هذا العام أن نقصد بيت اللـــه الحرام ... كل شيء ميسور ...

وكانت تعايشنا فتاة اسمها « كريمة » ، أتت بها زوجتي لتعين في العمل المنزلي ، وطفلنا يومئذ في عامه الاول ... فتاة يتيمة لم تكن قد جاوزت السابعة من العمر ، تمت الى زوجتي بقرابة بعيدة : وكانت مهمتها يوم جاءت أن تؤنس الطفل وتلهيه وتعني بأمره ، وكبرت الفتاة في البيت ، فاصبحت جزءا منا لا ينفصل . ولما وقعت الفاجعة اشتد بالفتاة الحزن ، وطلبت منا أن نخلي لها وجه الطريق ، فان من كانت تتولى شانه قد رحل ، ولم يبق لها في البيت من عمل ذي بال ، فاقبلت عليها اقول :

اننا في محنة ، وما أحوجنا اليك .. فلا تفكري في التخلي عنا ، وما كنا لنتخلى عنك ، وأنت منا في مكان ابنة عزيزة .

فبكت «كريمة» وقبلت يدي ، فقبلت رأسها...

وانها لفتاة وادعة وفية خدوم ، حملت عبء البيت ، وصارت لزوجتي خير ساعد ومعين . وكثيرا ما رايتها تأتي بالطست والابريق بين يدي زوجتي تصب لها ماء الوضوء ، ثم تتناول الفوطة لتجفف لها قدميها ، وهي فيما تفعل قريرة العين .

وكنت ارقب « كريمة » في حنو شامل ، معترفا بما تسديه من جميل .

وليلة السفر للحج مع « أم عوف » ، اشتدت رغبتي في أن اتذوق قليلا من الخمر ، بعد أن انقطعت عن الشراب بعض حين ، وكأنما يزج بي الى الحانة حافز ليس الى مقاومته من سبيل ... انها الليلة الأخيرة التي أسمح فيها لنفسي بمعاقرة المنكر ، ولن يكون بعدها الا المتاب ... على هذا صح مني العزم ، وكانت سهرة شعواء ، لبثت فيها الى منتصف الليل أعب من الخمر مع الصحاب . وعدت الى الدار ارتمي على المتكأ في البهو في غير وعي .

وساورتني في تلك الليلة أحلام عجيبة مفزعة ، فلما استعدتها في الصباح خجلت منهـا أعظم الخجل .

وبينما نحن على اهبة الخروج ، للسفر ، اقبلت « كريمة » تودعنا وعلى سيمائها حزن بالغ .

ولما مددت اليها يدي اصافحها ، لم تستطع أن ترفع نحوي عينيها وفيهما يتألق دمع .

واحسست وانا اتطلع الى وجهها بحيرة وقلق.

وهمت « كريمة » غير مرة وهي تسايرنا الى الباب ، أن تفضي اليّ بكلمات ، كأنما تريد أن

تفشي سرا ، ولكن السر ظل وراء شفتيها لا يبين .

وودعتها ، وانا مثقل الضمير بهم كبير .

ومضينا لطيتنا نؤدى شعائر الحج ومناسكه ، وهنالك جهرت بتوبتي ، ضارعا الى رب الكعبة ان يعفو عني ، وأن يتقبلني بقبول حسن ... وعدت مع الحاجة « أم عوف » وانا احس بان الأحمال تنزاح عن كتفي ، احمال الماضي الدنس ، وأني استقبل حياة راضية نقية ، اعاف فيها الخمر ، واعف عن المعاصي والآثام .

وعند وصولنا الى البيت ، لقيتنا « كريمة » بفرحة يشوبها اضطراب وارتباك ، وتلقت هدايانا في صمت وهدوء ، وكان من بين هذه الهدايا بعض أثواب من الحرير الملون ، ناولتها زوجتي اياها ، وهي تقول لها :

ستكون هذه فاتحة جهازك يا « كريمة » ... جهاز العرس ... لقد تحدثت الى « أبو عوف » في هذا الشأن ، واتفقنا على أن نختار لك زوجا كفا .

فنظرت الينا ممتقعة الوجه ، ورددت في تأكيد :

زوج ... زوج ... لا ... لا ...

ــ امرك عجيب .. ولم لا ؟

فاجابت واليأس يشع في نبرات قولها :

لا أريد زوجا ... حسبي من الدنيا خدمة ستي « الحاجة » ... ذلك كل املي في الحياة .

واستوقفني ما تفوهت به ، فيم اصرارها على أن تأبى الزواج ، ومن في سنها من الفتيات ينشرح صدرها لقبوله .

وترادفت أيام ، وأنا الاحظ أن « كريمة » يحاصرها هم ، وأنها تزداد من قلق وضيق ، وكأنها فريسة محنة طاغية .

وفطنت الى أنها تحاول أن تتجنب لقائي .

انطوت ثلاثة اشهر ...

كان كل شيء يجرى في مجراه ، والحاجـة « أم عوف » ماضية في اعداد جهاز « كريمة » على مهل، الا ان «كريمة» كانت كلما جاء ذكر زواجها ارتسم الفزع على محياها ...

وصبح يوم دخلت عليّ الفتاة مطأطئة الرأس ، تتحير في مآقيها دموع ، وهمهمت :

سيدى الحاج ... سيدى « أبو عوف » ...

ــ ماذا يا « كريمة » ؟

ــ اني راحلة ..

ــ راحلـة ؟

ورددت الكلمة ، وانا لا افهم ماذا تعني بها « كريمة » .

ــ اقول يا سيدى الحاج بصريح العبارة اني راحلـة .

فصحت : راحلة ؟ الى اين ؟ ولم ؟

ــ لا حياة لي بينكم بعد اليوم .

فجعلت اتفحصها محاولا استكناه ما تخفيه .

ــ وما الباعث على أن ترحلي ؟ وهل أسانا اليك يا بنية ؟

ــ لا أدرى ... وحقك لا ادرى .

ــ أيكون قد بدر منا دون قصد شيء تكرهينه ... تكلمي .

ــ من المحتمل ... بل لا شيء ... لا شيء ...

ــ ما هذه الألغاز يا « كريمة » ؟ ... اوضحي ... تكلمي ... افتحي صدرك لي ... لا تكتمي عني شيئا ... تعالي اليّ ... اقتربي مني ... والفيتني أنا الذى أدناني منها : فنأت عني في انزعاج : وقالت :

اتركني أرحل ... اتركني يرحمك الله ...

ــ لا افهـم ...

ــ لا تستطيع أن تفهم يا سيدى الحاج ...

وانخرطت دفعة واحدة في البكاء ، وقد غطت وجهها بكفيها ... فدنوت منها أحيطها بذراعي ، فاجفلت متصايحة كأن عقربا لسعتها ، وهـي تردد :

لا تمسني ... لا تمسني ...

فوقفت مبهوتا بادى القلق ، وقد ساورني ألم : وقلت :

أهكذا تردين يدى ؟ ... أكذلك تعاملينني ؟... لم أكن أنتظر ذلك منك يا بنية .

فاشتدت غاشية الحزن على قسماتها وقالت :

معذرة يا سيدى ... معذرة ...

وخفضت من رأسها ، وهي تقول :

الم تكن تدرك ما بي ؟ اني حامل ...

ففغرت فمي ، وقلت دهشا :

حامـل !

ـ نعم ، انا حامل ... اما كنت تظن ذلك يا سيدي ؟

ـ كيف ؟ كيف حدث ذلك ؟

ـ لقد اعتدى عليَّ شخص .

ـ ماذا تعنين ؟ أي شخص ؟

ـ شخص لا تجهله ... انه انت ...

فباغتني غضب ثائر : وقلت :

اتجرئين ؟

ورايتني ارفع يدي لاهوي بها على وجهها ، ورايتها تتقدم مني ، وهي تعرض صفحة خدها لتتلقى اللطمة ، وهي تقول :

اضرب بيدك وجهي ، أو اركلني بحذائك : وان شئت فاقتلني ، وخلصني من عاري .

وهبطت يدي الى جنبي .

ورايت محياها الكاسف تكسوه الدموع ، واذا هي يستبد بها شهاق تنقطع له نياط القلوب .

وسنحت في خاطري صورة لهذا الوجه الحزين ، وتينك العينين الباكيتين ... لقد لاحت لي هذه الصورة من قبل ... أين ؟ ومتى ؟

ووجدت « كريمة » تفترش الأرض عند قدمي ، وشرعت تتكلم مخفوضة الصوت ، كانها الى نفسها تتحدث .

وارهفت لها سمعي ...

ـ اتذكر يا سيدي تلك الأمسية ، اقصد ليلة السفر ، سفرك انت وسيدتي الحاجة ... لقد عدت الى الدار في تلك الليلة سكران لا تتمالك ، وطرقت حجرتي ، وهجمت على فراشي وانا نائمة ، فاستيقظت مذعورة : واردت دفعك والخلاص منك ولكنني لم استطع منك الفكاك . لقد ملكني خوفي وهلعي ، فخارت قواي ، وانعقد لساني ، وتخاذلت اوصالي ، واصابني تهافت وانهيار ... وفي الصباح وقع في وهمي أن ما حدث في الليل كان حلم منام ، ولكن الحقيقة توضحت لي . وكنت احسب ان الأمر يظل في طي الكتمان ، ويمكن أن يسدل عليه ستار ، ولكن خاب فالي ، وبان لي اني احمل في أحشائي جنينا منك ... ياللفضيحة ، ويا للعار ... من الملوم ؟ أانت وقد كنت مخمورا لا تعي ما تصنع ؟ ام انا وقد انهارت قدرتي وفقدت سلطاني على نفسي ؟ لا لوم عليَّ ولا عليك ... انه المقدور ، ولا مفر لبشر من قدر ! ... ولقد حاولت جهدي ان اتخلص من حملي ، فباء الجهد بالاخفاق ، وحاولت أن اتخلص من نفسي ، وفي اللحظة التي اقدمت فيها على انفاذ عزمي ، اختلج الجنين بين جنبي ، فانبهني الى أن ثمة مخلوقا يطالبني بحقه في الحياة ... ودق الجنين ضلوعي مرة أخرى ، فأحسست بقلبي يتواثب ، واذا انا دفعة واحدة أبكي . وادركت اخيرا ان بكائي من فرح ... سأحمي جنيني ، فانا امه رضيت أو أبيت ... لقد وكل الله اليَّ ان احميه ... لأردن عنه السوء ما حييت .

وكانت وهي تنفض نفسها في هذا الحديث ، كانما ترفع الستر شيئا فشيئا عن مشاهد تلك الليلة الليلاء ، فتتمثل لي المشاهد في ذاكرتي وتتوضح على التوالي ، كانها في تعاقبها تبرز من غياهب جب سحيق ، وتمر امام ناظري واضحة المعالم ، تثبت جرمي ، وتؤكد اداني ...

وما كادت تفرغ من حديثها ، حتى ملت عليها ، انهضها ، وانا اقول في عزم راسخ :

ساكون عونك في حماية الجنين ... لن أهرب من تبعتي ... ان ما كنت أحسبه حلما مزعجا يراودني بين حين وحين ، لم يكن الا حقيقة ...

وربت كتفها ، وانا اقول في صدق واخلاص :

اتركي لي الأمر ... ساعالجه بحكمة .

وفارقت الحجرة على الفور ، ثابت الخطو ، رابط الجاش ، وتوخيت حجرة « ام عوف » ... الفيتها على الصلاة مسترسلة في تسابيح، فجلست عن كثب منها خاشع البصر . وما أن اتمت اذكارها حتى التفتت نحوي تقول :

خير يا « ابو عوف » ...

فاجبتها ناكس الراس :

ليس خيرا يا « ام عوف » ما احمله اليك الساعة من حديث ... لقد أجرمت في حقك ...

أتيت منكرا لم أتبينه الا اليوم ... منكرا من مخلفات الماضي البغيض .

فتوقفت حبات السبحة بين أصابعها ، ونظرت اليّ في تفرس ، ووجهها الصبيح تحيط به طرحتها البيضاء ، وقالت :

أي منكر تعني يا « ابو عوف » .. لقد تطهرت في الحج ... وزالت عنك المعاصي بعد توبتك ...

فامسكت بيدها اشد عليها ، وأنا مطرق ، ثم قلت :

سامحيني يا « أم عوف » ... سامحيني يرحمك الله ...

ــ اتطلب أن أسامحك ، وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر ؟

ــ لتدع ما لله لله ، انني أقصد ما يخصكانت يا « أم عوف » ... لقد أتيت منكرا في هذه الدار التي هي أشبه بمسجد طهور ، منكرا استحق عليه الرجم حتى الموت ، واني لقابل منك العقاب صاغرا ، لو أردت أن تنزليه بي .

ــ ليس لي أن اعاقب أحدا ... الله وحده بيده الثواب وبيده العقاب ... ماذا تقصد بقولك ؟ افصح .

فسموت اليها ببصري ، وقلت جرئ اللهجة :

ان « كريمة » حامل ... وأنا أبو الجنين ...

فاتسعت حدقتاها وازهرتا .. وقالت في صوت خشن حبيس ؟

اجارنا الله ... هل جرؤت على أن تفعل ذلك يا « أبو عوف » ... ومع من ؟ مع ابنتنا التي نشأناها في حجرنا ، وآويناها في بيتنا ! اعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

فصحت مختلج الصوت :

كنت مخمورا لا أعي من أمري شيئا ... كان ذلك قبل سفرنا الى الحج ...

كان في ليلة السفر ... باغتها فلم تستطع لي دفعا ... وفقدت وعيها على الأثر .

فاخفت « أم عوف » وجهها بين يديها ، وسمعت لها نشيجا أليما ، وظلت كذلك وقتا ، وأنا في مكاني لا انبس ولا أتحرك ، وقلبي يرجف . وهدأت « أم عوف » رويدا وجففت عينيها ، ونهضت تغسل وجهها من ابريق الماء ، ثم جاءت بزجاجة ماء الورد ، فتعطرت بشيء منه ، وعادت الى سجادتها وهي تعيد احاطة وجهها بالطرحة البيضاء ، وما هي الا ان اجتذبت السبحة تنقل حباتها بين أناملها ، وقالت هينة الصوت :

لا عليك يا « أبو عوف » ... لقد وقع المحذور ، وانتهى الأمر ... وراعتني ابتسامة لاحت على طلعتها ، وواصلت هي حديثها :

الا تدرى أن الخير قد ينبت من الشر ، وأن الصلاح قد يتولد من الاثم ...

لم لا يكون هذا الجنين ابنا لنا ؟

وازداد اشراقها ، وأرسلت ضحكة هادئة لطيفة.

ــ « كريمة » ابنتي ، وأنت أخي ، والوليد ابننا جميعا ...

فهبطت على يمناها أغسلها بدمعي ، وأنا اردد :

لست من البشر يا « أم عوف » ... ما أنت الا ملك كريم !

وتم زواجي « بكريمة » ، وعشنا نحن الثلاثة في بيت واحد ، تظله الطمأنينة والرضا ... وكانت الحاجة « أم عوف » أسعدنا حالا ، اذ كانت تترقب الطفل بنافد الصبر ، وهي تعد حاجاته من ثياب وفراش ...

ولم يخيب الله رجاءها ، فولدت « كريمة » طفلا ذكرا تلقفته الحاجة بفرحة غامرة ، وهي تقول مهتاجة :

« عوف » ... « عوف » ابننا ، لقد لطف الله بنا ، فأعاده الينا ...

تلك هي حكايتي أيها الصحفي النابه ...

اتراك قد ظفرت باستطلاع صحفي طريف يطيب لقرائك الاعزاء ؟ ■■

محمود تيمور

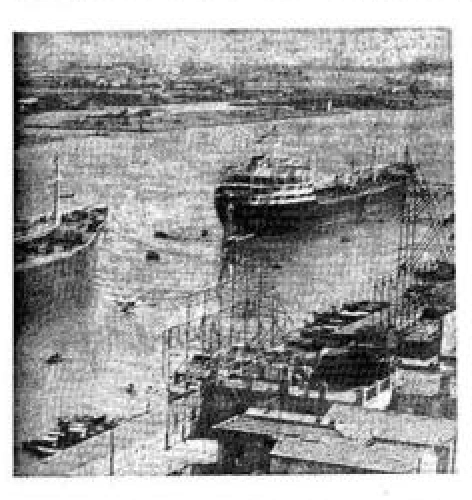


ناقلات النفط الضخمة وصلتها

بمستقبل قناة السويس

● هل صحيح أن شركات البترول الاجنبية قد أوصت على بناء عدد كبير من ناقلات النفط الضخمة وانها فعلت ذلك بقصد الاستغناء عن قناة السويس ، ذلك الممر العربي الحيوى ..!!

– حقا ان شركات البترول الاجنبية تقبل على بناء ناقلات النفط الضخمة اقبالا منقطع النظير . ويصدق ذلك على شركات شل ، وقد بلغ مجموع قيمة الناقلات الاثنتين والعشرين التى أوصت عليها ، والتى تتراوح حمولة الواحدة منها ١٧٥٠٠٠ – ٢٠٠٠٠٠ طن ، نحوا من ١٠٠ مليون جنيه !! ويصدق ذلك ايضا على سائر شركات البترول الاخرى ، اسو وستاندرد اويل وموبيل وجالف وغيرها . ولعل شركة جالف هذه تتقدم سواها من الشركات من حيث حمولة الناقلات التى أوصت عليها ، وقد جاوزت الثلاثمائة الف طن للواحدة منها في أكثر الحالات ..



وتجدر الاشارة الى أن عددا لا يستهان به من هذه الناقلات الضخمة قد تم بناؤه وباشر أعماله .

من تلك البواخر ناقلة حمولتها ٢٠١٠٠٠ طن واخرى حمولتها ٢٠٥٠٠٠ طن وكلتاهما قد مضى على انزالهما الى البحر اكثر من سنة . وثمة ناقلة ثالثة ، وهى الاخرى يابانية ، ولا تقل حمولتها عن ٢٦٠٠٠٠ الف طن ، لم يمض على انزالها الى البحر سوى شهور قليلة .

ويبدو أن الاقبال المتزايد على بناء الناقلات العملاقة يرافقه اقبال آخر متزايد على بناء الاضخم ، وتصميم الاكثر ضخامة من تلك البواخر .. ومع اننا لا نعرف بالضبط مدى الاقبال الاول ، الا اننا نستطيع ان نذكر ان اليابان ، وقد بلغت التخمة بعدد الناقلات التى التزمت ببنائها ، لم تعد تقبل مزيدا من تلك التوصيات ، وافسحت المجال بالتالى لبريطانيا وهولنده والسويد وغيرها من دول اوروبا ، ومكنتها من اللحاق بها (اليابان) في بناء مثل تلك الناقلات . اما فيما يتصل بالاقبال على الحمولة الاضخم والاكثر ضخامة فتكفي الاشارة الى أن أعمال بناء ناقلتين حمولة الواحدة ٥٠٠٠٠٠ طن ، وحمولة الاخرى ٦٠٠٠٠٠ طن ، تكاد تبدأ في سكوتلانده وهولندا على التوالى . وقد لا يمضي زمن طويل حتى نسمع عن مباشرة العمل في ناقلات بحمولة ٧٥٠٠٠٠ طن ، بل ومليون طن ، وقد اجرت شركة لويد دراسات



لاستشفاف ما لهذه الحمولات الهائلة من حسنات وسيئات .

ونأتى الآن الى الشطر الثانى من سؤالك وهو الذى تتحرى فيه الاسباب والبواعث التى تدفع بشركات البترول الى هذا الاقبال المتزايد . ولعل أهم هذه الاسباب والبواعث ما اتصل منها بتوفير أجور النقل ، اذ لا تقل اجور نقل البترول الخام من مصادره في الخليج العربى الى بلدان اوربا الغربية كبريطانيا مثلا عن ٣٠ شلنا للطن الواحد ، في حالة الشحن عبر قناة السويس ، وبواسطة الناقلات المتوسطة الحجم (حمولة ... ٧٠ طن تقريبا) . على أن تلك الاجور لا تزيد عن ٢٠ شلنا للطن الواحد ، في حالة شحن ذلك البترول بواسطة الناقلات الضخمه ... ٢٠٠ طن ! هذا بالرغم من ان هذه الناقلات الكبيرة تلف القارة الافريقية وتدور حول رأس الرجاء وتقطع بذلك مسافة قدرها ... ١١ ميل ، في حين ان الناقلات المتوسطة التى تمر بقناة السويس لا تبلغ المسافة التى تقطعها اكثر من ... ٦ ميل !

غير أن هذا التوفير لا ينفى بالضرورة وجود رغبة ملحة لدى شركات البترول الاجنبية في الحد من اعتمادها على قناة السويس . ولكن الرغبة شيء وتحقيق الرغبة شيء آخر . وثمة عوامل هامة تجعل تلك الرغبة متعذرة التحقيق .

من تلك العوامل حاجة أوروبا الغربية الى البترول ، وخاصة البترول العربى ، حاجة كبيرة أصلا ، وهى تتزايد سنويا بنسبة لا تقل عن ٨ر٥٪ ! ومن تلك العوامل ايضا وجود عدد كبير ومتزايد ايضا من ناقلات النفط التى تستطيع عبور قناة السويس .. أضف الى ذلك أن في الامكان تعميق القناة العربية وتوسيعها بما يكفل مرور عدد لا يستهان به من ناقلات النفط العملاقة عبرها .

(ى . ز)

[redacted]

● أنا طالب عربى أدرس بجامعة استنبول ، وفي اثناء احدى المحاضرات قال الأستاذ المحاضر ان « الفارابى » من اصل تركى .. فوقفت وقلت ان « الفارابى » عربى .. ودارت مناقشة اشترك فيها طالب ايرانى قال ان « الفارابى » من أصل ايرانى . وانا الجأ الى مجلة « العربى » لكى توضح لى هل الفارابى عربى ، واين عاش ، وفي أى العلوم اشتهر ، ومتى مات ؟ .

عبد الحفيظ خلف

كلية العلوم ـ جامعة استنبول

ـ الفيلسوف أبونصر الفارابى هو محمد بن محمد ابن طوفان ، سمى بالفارابى نسبة الى ولاية فاراب من بلاد الترك والتى ولد بها . فهو تركى المولد ، وان كان بعض المؤرخين قد ذكر أن أباه كان فارسي الأصل .. ومهما يكن الامر فان الفارابى بجملة ثقافته ومؤلفاته ولغته فيلسوف عربى حتى ان بعض المستشرقين وصفوه بانه مؤسس الفلسفة العربية .

وقد كان الفارابى ، مولعا بالاسفار منذ صغره ، تنقل في كثير من البلدان حتى استقر في بغداد حيث تلقى علوم الفلسفة . وارتحل من بغداد الى حلب واتصل بالامير الحمدانى سيف الدولة وتزيا بزى أهل التصوف ، وصحب الأمير في حملته على دمشق سنة ٩٥٠ ميلادية حيث وافته المنية بدمشق فى ذلك العام وهو يناهز الثمانين من عمره .

وقد نشرت مجلة العربى موضوعا مفصلا عن « الفارابى » في عددها الخمسين الصادر في يناير عام ١٩٦٣ ويمكنكم الرجوع اليه في حالة طلب المزيد من المعلومات عن هذا الفيلسوف العربى مهما اختلفت الآراء عن مولده .

(م . ط)

الاجزاء التى صدرت من تاج العروس

● دأبت وزارة الارشاد والانباء الكويتية على اصدار الكتب القيمة التى كانت مفقودة من المكتبة العربية أو في حكم المفقودة ، مما لا استطيع حصره ، وعلى سبيل المثال جندت امكانيات ضخمة ، وأقدمت على طبع كتاب « تاج العروس » الذى يعتبر بحق أعظم موسوعة في اللغة العربية ، نرجو اخبارنا عما صدر من أجزائه ، ومن أين يطلب ، أو يوجد ؟

عبد الرحمن العثمان ـ الرياض

ـ صدر من « تاج العروس » الاجزاء ١ و ٢ و٣ و ٤ والخامس أوشك على الظهور ، والمطبعة تجمع الجزء السادس ، ونرجو ان يتوالى اصدار الكتاب في مدة قليلة .. وهو يوجد في كل المكتبات بالبلاد العربية وبوزارة الارشاد والانباء بدولة الكويت .

(ع . ف)

قاهر قمة افرست .. حمال هندى !

● نحن نعلم ان أعلى قمة جبل في العالم ، هى قمة افرست في جبال هيمالايا ، اذ يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٢٩٠٢٨ قدما . فهل نجح الانسان في الوصول اليها ، ومتى كان ذلك ؟ ثم متى بدأت رياضة تسلق الجبال ؟

محمود الشال ـ الكويت

ـ بقيت قمة افرست Everest ، تتحدى الانسان اعواما طويلة ، بعد ان فشلت كل الجهود في بلوغ هذا العملاق الشامخ بأنفه فوق أعلى جبل في العالم . الى أن جاء عام ١٩٥٣ ، عندما خرجت بعثة بريطانية ، هى الثامنة من نوعها خلال ثلاثين عاما ، في محاولة لقهر قمة افرست .وكان رئيس البعثة هو الكولونيل جون هانت الذى قام بعدة محاولات سابقة لتسلق الهيمالايا في أعوام ١٩٣٣ و١٩٣٧ و١٩٤٠ .

كيف يتم انتخاب رئيس الولايات المتحدة ؟

● اقترب موعد انتخابات رئيس الولايات المتحدة الامريكية . لهذا أرجو التكرم بالاجابة عن من الذى ينتخب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ؟ هل هو الحزب الديمقراطى أم الحزب الجمهورى .. أم شعب الولايات المتحدة ؟

م. عبد الله ـ الكويت

ـ ان عملية انتخاب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية تتم مرة كل ٤ سنوات وهى عملية الانتخاب الوحيدة التى تتم على مستوى الولايات كلها في امريكا وتضم كل الناخبين بها . ويشترط في المرشح لرياسة الجمهورية أن لا يقل عمره عن ٣٥ عاما وأن يكون من مواليد امريكا وأن لا تقل اقامته في البلاد عن ١٤ سنة .. وفي الحقيقة فان المرشح لمنصب الرياسة في امريكا عليه أن ينجح في معركتين انتخابيتين للوصول الى رياسة الجمهورية. المعركة الانتخابية الاولى هى معركة الحصول على ترشيح الحزب الذى ينتمى اليه .. وتتم هذه المعركة في مؤتمر الحزب الذى ينعقد عادة في صيف العام الذى ستجرى فيه الانتخابات العامة . ويختار الحزبان الكبيران في الولايات المتحدة الامريكية وهما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى ممثلى الحزب الذين يحضرون المؤتمر على أسس مختلفة .. ولكن الاجراءات التى تتبع في مؤتمر كل حزب منهما فهى متماثلة تماما .

وتختلف طريقة انتخاب ممثلى الحزب في المؤتمر من ولاية الى ولاية حسب القانون الذى يسرى

أما البعثة نفسها فقد كانت تضم فلاحا نيوزيلنديا يدعى ادموند هيلارى ، يعمل في تربية النحل في بلاده ، ويهوى تسلق الجبال ، وكذلك اثنين آخرين هما جورج مالورى George Mallory ، واندرو ارفين Andrew Irvin ثم انضم الى الرجال الاربعة في الهند حمال هندى يدعى تنسنج نورجى Tenzing Norgay.

وبدأت البعثة رحلتها الطويلة الى القمة ، حتى جاء يوم ٢٩ مايو عام ١٩٥٣ عندما أذيع أن البعثة البريطانية نجحت اخيرا في الوصول الى اعلى قمة جبل في العالم ، وأن ادموند هيلارى الفلاح النيوزيلندى الذى أمضى حياته في تربية النحل ، هو الذى حقق هذا النصر الكبير . وأن البعثة فقدت اثنين من اعضائها هما مالورى وارفين فقد لقيا حتفهما فوق الثلوج التى كانت تغطى قمم الجبل على هذا الارتفاع الشاهق .

ووصل النبأ الى لندن عشية اليوم الذى كان الانجليز يحتفلون فيه بتتويج اليزابيث ملكة على بلادهم ، فخلعت الملكة الجديدة لقب سير على قاهر افرست وعلى الكولونيل جون هانت الذى قيل انه صاحب الفضل الاول في تنظيم البعثة . كما منحت الحمال الهندى تنسنج وسام الملك جورج ..

ولكن قيل بعد هذا أن تنسنج الحمال الهندى الذى أمضى حياته في ممارسة هذه الرياضة ، كان في الواقع يتقدم هيلارى فوق قمة الجبل العالى ، وهو الذى وضع العلم البريطانى !

أما رياضة تسلق الجبال ، فهى رياضة حديثة لم تنتظم الا بعد عام ١٨٥٠ في جبال الالب الايطالية ولو أن تاريخ هذه الرياضة يؤكد ان الانسان وصل الى اعلى قمة في أوروبا وهو الجبل الابيض Mont Blanc قبل ذلك بسنوات بعيدة ولكن في رحلات فردية غير منظمه !

(م.ن)

في هذه الولاية .. وفي الاغلب الاعم يتم انتخاب هؤلاء الممثلين في مؤتمر يضم اعضاء الحزب في الولاية ولكن في بعض الولايات يتم اختيار هؤلاء الممثلين عن طريق الانتخابات التمهيدية .. ومن هنا تأتى اهمية دخول مرشحى الحزب الواحد في معركة الانتخابات التمهيدية التى تبدأ مع بداية عام الانتخابات وتنتهى قبل انعقاد مؤتمر الحزب .. فان كل مرشح يفوز في هذه الانتخابات التمهيدية يضمن أن يقوم ممثلو الولاية في مؤتمر الحزب بتأييد ترشيحه عن الحزب لخوض غمار معركة الانتخابات الفعلية ضد مرشح الحزب الآخر .

وفي مؤتمر الحزب يبدأ ممثلو الولايات المختلفة في ترشيح من يرغبون لكى يكون مرشح الحزب في انتخابات الرياسة .. وتبدأ هذه العملية طبقا للحروف الابجدية للولايات .. ويتم التصويت على المرشحين .. وغالبا ما تتم عملية التصويت عدة مرات قبل حصول أحد المرشحين على الاغلبية المطلوبة ليصبح مرشح الحزب لرياسة الجمهورية.

وبعد تحديد مرشح الحزب لمعركة الرياسة تبدأ معركة الانتخابات الفعلية على نطاق الولايات المتحدة كلها .. ويجيء يوم الانتخابات ويحدده الدستور الامريكى بأنه اول يوم ثلاثاء يأتى بعد اول يوم اثنين من شهر نوفمبر . ويدلى الناخبون باصواتهم لاختيار رئيس الجمهورية . ومن الناحية الفعلية فانهم لا ينتخبون رئيس جمهوريتهم مباشرة ولكنهم يقومون بانتخاب ممثلين عنهم يبلغ عددهم نفس عدد أعضاء الشيوخ والنواب الذين يمثلون الولاية في الكونجرس الامريكى (ويبلغ عددهم ٥٣٨ عن جميع الولايات) . وفي يوم الاثنين الاول الذى يأتى بعد ثانى يوم اربعاء من شهر ديسمبر يذهب الممثلون المنتخبون في الانتخابات العامة الى عواصم ولاياتهم حيث يقومون بانتخاب رئيس الجمهورية ، وترسل صناديق الانتخاب الى الكونجرس الامريكى حيث تفتح في اجتماع مشترك بين الشيوخ والنواب وتعلن نتيجة الانتخابات واسم رئيس الجمهورية الفائز

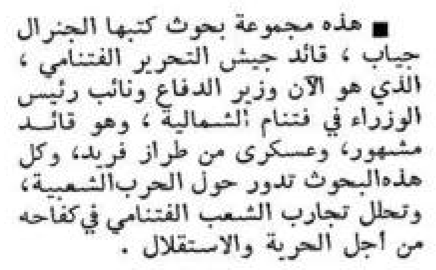
(م . ط)



بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بالجامعة الاردنية





■ هذه مجموعة بحوث كتبها الجنرال جياب ، قائد جيش التحرير الفتنامي ، الذي هو الآن وزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء في فتنام الشمالية ، وهو قائد مشهور، وعسكري من طراز فريد، وكل هذه البحوث تدور حول الحرب الشعبية، وتحلل تجارب الشعب الفتنامي في كفاحه من أجل الحرية والاستقلال .

ونحن اليوم يستهوينا الحديث عن الحرب الشعبية ، لاننا نعيش ظروفا كتلك التي عاشها ، ويعيشها الشعب الفتنامي ، ونحب أن نستفيد من تجارب الآخرين ، لا أن ننقلها نقلا حرفيا ، بسبب اختلاف ظروف كل من البلدين .

وقد اثبت التاريخ القريب بأن حرب المقاومة الشعبية ، أو حرب العصابات ، هي من الوسائل الناجحه في تحقيق النصر ضد الغزاة ، وتحضرنا الآن انتصارات الجزائر ، وكوبا ، وفتنام .

■ ■ ■

وعدد البحوث التي يضمها هذا الكتاب، خمسة: حرب التحرير الشعبية الفتنامية ، والحرب الشعبية والجيش الشعبي ، والتجارب العظيمة التي كسبناها ، وديان بيان فو ، وخصائص حرب التحرير . وقد قام بترجمة هذه البحوث ناجي علوش ومنير شفيق .

وتمتد فتنام على حافة المحيط الهادى على شكل حرف S اللاتيني ، وتضم فتنام الشمالية التي تشكل مع دلتا النهر الاحمر منطقة غنية بامكانياتها الزراعية والصناعية ، وفتنام الجنوبية التى تشكل سهلا غرينيًا تشقه فروع نهر الميكونغ وهي منطقة زراعية بشكل خاص ، ثم وسط فتنام وهو حزام ضيّق طويل من الارض يصل بين شمالي فتنام وجنوبها . وتقرب مساحة فتنام من (٣٣٠) الف كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها الثلاثين مليونا .

وفي اواسط القرن التاسع عشر احتل الفرنسيون فتنام ، ثم ضموها الى الهند الصينية مع كمبوديا ولاوس .





وعندما سقطت فرنسا في قبضة المانيا الهتلرية في الحرب العالمية الثانية ، تحولت فتنام الى مستعمرة يحكمها اليابانيون ، ولكن هذا الحكم لم يمتد طويلا ، لان اليابان هزمت في الحرب العالمية الثانية ، واستسلمت قواتها في اغسطس (اب) من سنة ١٩٤٥ ، وتشكلت في فتنام حكومة مؤقتة برئاسة هوتشي منه في ٢ سبتمبر (أيلول) وجعلت مقرها في هانوي العاصمة .

ولم يكن من السهل على فرنسا أن تتخلى عن مستعمراتها في الشرق الأقصى ، ولهذا فانها بعد ثلاثة اسابيع من اعلان الحكومة الوطنية المؤقتة ، وجهت قواتها للقضاء عليها ، وهكذا بدات حرب دامت تسع سنوات ، ابدى فيها الشعب الفتنامي ضروباً من البطولة لا حد لها ، وانتهت بانتصاره الساحق في ديان بيان فو .

■ ■ ■

وبعد هذه المقدمة نحب أن نقف عند موضوعين ، هما في الحقيقة اهم ما وقف عندهما الجنرال جياب ، وهذان الموضوعان هما : معركة ديان بيان فو . والدروس المستفادة من حرب التحرير الشعبية في فتنام .

كانت ديان بيان فو معسكرا للفرنسيين محصناً تحصيناً قويا ، وكانت خطة الفتناميين تهدف الى تجميد القوات الفرنسية في هذا المعسكر المحصّن ، ثم مهاجمة المواقع الفرنسية الاكثر ملاءمة للهجوم . وقد نجحت هذه الخطة الى حد كبير . وكانت فتنام ، اثناء ذلك ، تزيد من قدرتها على الهجوم ، الى أن حان الوقت الذي اخذت تفكر فيه في مهاجمة ديان بيان فو نفسها . وكانت السلطات العسكرية الفرنسية على يقين من ان معسكر ديان بيان فو لا يقهر ، وان اي هجوم للفتناميين عليه لا يزيد عن كونه عملا انتحاريا ؟ لا بد ان يفشل : فقد كان للفرنسيين في هذا المعسكر سبع عشرة كتيبة من المشاة ، وثلاث كتائب من المدفعية ، عدا وحدات الهندسة والمدرعات والطيران والنقل .. وكلها عناصر مختارة من القوات الفرنسية في الهند الصينية . وكان في المعسكر ايضاً تسعة واربعون موقعا قويا ، ومراكز مدفعية ، ومطار ، كما كان فيه مركز القيادة الفرنسية . وكان رأى الجنرال نافار ، قائد الحملة الفرنسية ، أن مدفعية الحصن وقواته الجوية ، قادرة

على سحق اي هجوم فتنامي عليه ، قبل ان تتمكن القوات الفتنامية من اتخاذ مواقعها في الوادي ، والاقتراب من المعسكر .

ولكن كل هذا انهار أمام تصميم الشعب الفتنامي ، واستبساله . وقد مهد الفتناميون لهجومهم بأن انشأوا عبر الجبال والغابات طرقا تصلح لسير الشاحنات ، من أجل نقل مدافعهم الى المواقع الملائمة ، وبنوا حصوناً للمدافع ، وحفروا خنادق من الجبال الى الوادي ، وغيّروا التضاريس الطبيعية ، وخلقوا بعزيمتهم كل الظروف الملائمة لسحق العدو . ولم يكن ليوقفهم عن استمرارهم في العمل ما قابلهم به الفرنسيون من قذفهم بقنابل النابالم ، وكل أسلحة القتل والحرق . وكان اذا سقط فتنامي صريعا ، اندفع آخرون الى أمام ، وكأنهم المد الكاسح . ومن الاحداث المألوفة ان الفتنامي كان يلقي بنفسه تحت عجلات المدفع ليمنعه من الانزلاق الى الوراء . وبهذه الروح استطاع الفتناميون احتلال ديان بيان فو ، بعد ان قضوا على ١٦ الف جندي من خيرة جنود فرنسا ، وتقدر خسارة فرنسا خلال حملة شتاء ١٩٥٣ وربيع ١٩٥٤ ، بمئة وعشرة آلاف رجل . وبفضل هذا النصر قامت حكومة وطنية في فتنام الشمالية ، عاصمتها هانوي .

■ ■ ■

والدروس المستفادة من حرب التحرير الفتنامية كثيرة ، منها :

أن الفتناميين كانوا قوة ضعيفة امام قوات فرنسا ، ولهذا وطنّوا انفسهم منذ البداية على أن تكون حربهم طويلة الأمد ، وعقدوا العزم على الاعتماد على انفسهم . وكانت خطتهم احراز الانتصارات الصغيرة ، من اجل تحويلها اخيرا الى نصر كبير ، ولهذا لم يكونوا يهاجمون الا عندما يكون النصر مؤكدا ، وفي الوقت نفسه كانوا يبنون قواتهم اثناء سير القتال ، حتى أصبحت عندهم قوات متحركة تتحلى بالمبادرة ، والمرونة ، والسرعة ، والمفاجأة . ولو لم تتحول حرب العصابات الى حرب متحركة ، لما استطاعوا ان يصلوا الى هدفهم ، وهو : ابادة قوة العدو البشرية .

وقد تبنّوا بايمان رفع الروح المعنوية عند المقاتلين الفتناميين ، والاعتماد على بطولاتهم للتغلب على التفوق المادى للفرنسيين . واعتمدوا على حرب العصابات ، وخاصة في بداية الحرب ، ونجحت هذه الحرب نجاحا كبيرا ، مما يثبت لنا أن الشعب المؤمن بقضيته ، المصمم على انتزاع حقه ، قادر على الانتصار على جيش قوي مجهز باحدث الاسلحة .

وقد عقد النصر للحرب الشعبية التحريرية الفتنامية ، لان الفتناميين كوّنوا جبهة وطنية متحدة تضم كل الطبقات ، وهبّوا هبة رجل واحد للدفاع عن الوطن ، وجعلوا حربهم التحريرية حربا شعبية ، يشترك فيها كل مواطن . ومما جاء في نداء الرئيس هوتشي منه قوله : « يجب على كل الفتناميين ، بغضّ النظر عن العمر والجنس والمعتقد والاتجاه السياسي والقومي ، أن يهبوا للدفاع عن الوطن ، وانقاذ البلاد ، فالذين يمتلكون البنادق فليستعملوا بنادقهم ، والذين يملكون السيوف فليستعملوا سيوفهم ، اما الذين لا يملكون بنادق ولا سيوفا فليستعملوا المعاول والمجارف والعصي . على كل واحد أن يبذل كل جهده لانقاذ الوطن ، وردّ الغزاة » .

وقد استجاب الشعب الفتنامي لهذا النداء ، فقاتل جنبا الى جنب مع الجيش ، ومن كان منهم في المؤخرة جاء ليزيد الانتاج ويساعد بهذا القوات المقاتلة . وكان الشعار الذي رفعوه هو : « لتحمل كل الامة السلاح » ، وكان من

نتيجة هذا ان أصبح كل مواطن جنديا . وكل قرية حصنا ، ونظمت الميليشيا في كل مكان ، وتعلم الانسان الفتنامي استخدام السلاح ببراعة .

■ ■ ■

والى جانب فرق العصابات ، اخذ الفتناميون في بناء جيش نظامي ، وكان الانضمام للجيش ، لعدة سنوات ، قائما على اساس التطوع ، ثم اصبحت الخدمة العسكرية فيه اجبارية . وقد قابل الشعب هذه الخطوة بحماسة كبيرة ، لأن التجنيد الاجباري قوى تنظيمات الدفاع المدني ، ووفر للجيش اعدادا ضخمة من الاحتياطي ، وكل هذا التدرب والتعلم انما تم خلال القتال .

وقد كانت القوات تتدرب على احدث الأساليب ، وتنتفع بالدروس العملية التي تستنتجها من معاركها ، ويحيا افرادها حياة ديمقراطية بكل معنى الكلمة ، لا فرق بين الضابط والجندي، فكلهم اخوة في السلاح ، وكلهم نذر للوطن دمه .

وكان الانسجام تاما بين الجيش والشعب ، حتى أن قسم الشرف الذى يقسمه المقاتل الفتنامي ينص على : ان يحترم الشعب ، ويساعده ، ويدافع عنه .. من أجل كسب ثقته ومحبته . وهكذا قامت بين الطرفين روابط قوية من المحبة والثقة والتعاون . وهذا بدوره ادى الى التنسيق بين فئات الشعب العاملة في شتى الميادين ، وخاصة بين جبهة حرب العصابات ، والجيش ، من اجل دفع حرب المقاومة الى امام، وسحق اكبر عدد من قوات العدو ، وتحقيق انتصارات اعظم . وبهذا التنسيق اخذت حرب العصابات تتسع ، كما تصاعدت الحرب المتحركة ، وكانت النتيجة ارهاق العدو ، وخلق الظروف الملائمة لهزيمته .

■ ■ ■

والى جانب الاستعداد العسكرى ، كانت هناك عملية تثقيف تسير معه جنبا الى جنب : فقد كان لا بد من تبصير الشعب بالاتجاهات الخاطئة التي ظهرت مرات عديدة خلال سنوات الحرب ، ومن هذه الاتجاهات الخاطئة : الاتجاه المتشائم الانهزامي ، الذى يقول انه ليس بمقدور الفتناميين مواجهة العدو المتفوق عليهم عسكريا ، والذى يرى أن فتنام بلادا صغيرة ، وعدد سكانها قليل ، واقتصادها متخلف . وهناك ايضا الاتجاه المتلهف على تحقيق انتصار سريع ، وقد ظهر هذا في الخطط الحربية في عدد من المناطق ، وخاصة في بداية الحرب، حينما كان هناك تفكير في القيام بهجوم كبير ، بينما لم تكن الظروف تعين على شن مثل هذا الهجوم ، ولو تم لكان ضربة ، ربما كانت قاصمة ، لحرب المقاومة الشعبية . ونجح الاتجاه السليم القائل بأن الحرب التي يخوضها الشعب حرب طويلة الامد ، لأنه يواجه عدوا متفوقا عليه ، مؤقتا ، ولا سبيل له الى تحقيق انتصار سريع ، وهو بحاجة الى الزمن كي يتغلب على مواضع ضعفه، ويزيد من مواضع ضعف العدو . وقد نجحت هذه الخطة فعلا، اذ مرت الحرب الفتنامية بمراحل ثلاث : الدفاع ، فالتعادل ، ثم الهجوم . وقد بدات مرحلة الهجوم منذ سنة ١٩٥٠ فصاعدا، وانتهت الى انتزاع زمام المبادرة من الفرنسيين في جبهة الشمال ، وتوجت بمعركة ديان بيان فو . وقد احبطت هذه الخطة ما رسمه الفرنسيون من استراتيجية للحرب الفتنامية ، وهي استراتيجية يمكن تلخيصها في العبارة التالية : الضرب بسرعة ، واحراز النصر بسرعة .

■ ■ ■

ولم يكتف الشعب الفتنامي بالقتال في ساحة المعركة فقط ، بل قاتل ايضا في المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية : فزاد في تعليم المواطنين ، وقضى على محاولات التفريق بين الافراد وتضليلهم ، وبذل الجهد لكسب تأييد الشعوب لقضيته ، ونسق بينه وبين الشعوب المجاورة المتطلعة الى التحرر ؛

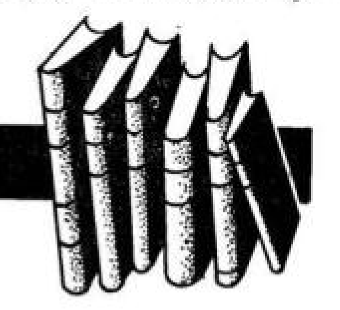
وبذل جهودا جبارة لبناء اقتصاد حرب مقاومة ، ولزيادة الانتاج ، وتحقيق الاكتفاء الذاتي ، وسعى دون كلل لتخريب اقتصاد العدو . واذا كان الشعب الفتنامي قد ادرك اهمية العطف والتأييد العالميين لقضيته ، فانه آمن في الوقت نفسه انه لا يستطيع ان يحرز النصر الا بالاعتماد على نفسه .

■ ■ ■

هذه هي الدروس المستفادة من حرب فتنام ، كما يعرضها لنا الجنرال جياب، وهي آراء متناثرة مفرقة في الكتاب تحتاج الى جمع واعادة تنسيق وترتيب، وتركيز ، وهو ما حاولت ان افعله .

وعند التأمل في هذه العبر ، يُخيّل لنا وكأن هذا القائد المشهور يتحدث الينا ، ويعنينا بقوله : « ان بامكان امة ضعيفة ، اذا ما اتحدت ،وناضلت بحزم، أن تكون لها القدرة الكاملة على دحر جميع القوات المعتدية ، ويمكن لهذا النضال أن يكلل بالنجاح ، عن طريق الكفاح المسلح الطويل الأمد . » ■■

عمان : محمود السمره



سجل الخالدين (شهداء فلسطين)

تأليف صبحى طوقان / الناشر الشركة المصرية للطباعة والنشر / القاهرة

● سجل باسماء الشهداء في معارك فلسطين ، وما قدموه من تضحيات جسام في معارك الشرف والبطولة ويتضمن هذا الكتاب قوائم باسماء الشهداء ونبذة قصيرة عن حياة كل منهم والمعارك التى اشتركوا بها والامكنة التى استشهدوا فيها في الوية فلسطين المختلفة .

تاريخ جباع (ماضيها وحاضرها)

تأليف على مروه / الناشر / دار الاندلس /بيروت

● دراسة تاريخية لمدينةجباع ماضيها وحاضرها يتناول القسم الاكبر من الكتاب تراجم المشهورين من نوابغ جباع من فقهاء وعلماء وأدباء امثال الشيخ زين الدين الجبعى والشيخ عبد الله نعمة الكبير ، يليه فصل آخر عن الحوادث والكوارث التى منيت بها جباع ومنطقة جبل عامل باسرها.

عدى بن زيد العبادى الشاعر المبتكر

تأليف محمد علي الهاشمي / الناشر : المكتبة العربية بحلب / سوريا

● دراسة وتحليل وتجربة لنتاج عدى بن زيد العبادى احد الشعراء المغبونين تناولت بيئة الشاعر وحياته وما جاء به من تجديد في الشعر العربي حيث كان نتاجه منحصرا في وصف الحياة الحضرية التي عاشها بين ملوك الحيرة ، وما شهدته قصورهم من احداث .

العامة في بغداد في القرن الخامس الهجرى

تأليف : بدرى محمد فهد / الناشر / مطبعة الارشاد / بغداد

● بحث تاريخي للحياة الاجتماعية لجماهير بغداد يتناول مفهوم العامة وذكر المنتمين اليهم واحوالهم المعيشية من طعام ولباس ، وتصوير افراحهم واتراحهم ثم علاقاتهم الاجتماعية سواء كانت في بناء العائلة او علاقات الجوار ، وقد خصص المؤلف الفصل الاخير من كتابه فتكلم عن ثوراتهم وشعورهم الوطني .

الخطر اليهـودى
بروتوكولات حكماء صهيون

تأليف محمد خليفة التونسي / تقديم الكتاب / عباس محمود العقاد / الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان

● كتاب يقيم ويستعرض بروتوكولات حكماء صهيون والكتاب اول ترجمة امينة عن النسخة الانجليزية يبين محاولات اليهود لافساد العالم وانحلاله واخضاعه لمصلحة اليهود وسيطرتهم على العالم دون سائر البشر ، كما يكشف الكتاب عن معرفتهم الواسعة بالطرق التى يستطاع بها استغلال القوى الشريرة ولمصلحة اليهود ، ويكشف كذلك الوسائل الناجحة التى اعدها اليهود للوصول الى هذه الغاية .

جنة الحيوان
فى عهود الانبياء

تأليف : احمد الجبالي / الناشر : مطبعة التدريب المهني بدمنهور / ج ٠ ع ٠ م

● كتاب يعالج حياة الانبياء وسيرهم ومعجزاتهم فى اسلوب حوارى جميل ، والكتاب يتضمن اربعة عشر قسما وكل قسم من هذه الاقسام يعالج حياة نبي من الانبياء المشاهير الذين وردت اخبارهم فى القرآن الكريم . والمؤلف يحاول ابراز جوانب العظمة الانسانية والقوة الاخلاقيـة فى حياة الانبيـاء .

داود باشـا
ونهاية المماليك فى العراق

تأليف : الدكتور يوسف عز الدين / الناشر : منشورات دار البصرى

● بحث قصير موجز عن داود باشا احد ولاة الاتراك فى العراق والدور الذى لعبه فى التاريخ العثماني ومحاولته تقليد علي الكبير والى مصر فى انشاء دولة كبيرة لو اقيمت لكان لتاريخ العراق شان اى شان ..

الامير الصغير

تأليف : انطوان وسانت اجزوبيرى ترجمة : حمادة ابراهيم / الناشرة : دار المعارف بمصر

● قصة رمزية للاطفـال .

سيناء أرض القمر

تأليف : اللواء رفعت الجوهرى ـ الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة

● كتاب يلقى الضوء على شبه جزيرة سيناء ويتحدث عن تضاريسها واهم معالمها الاثرية ، ثم دراسة ضافية لقبائلها وسكانها وعاداتهم وعن الأسر والتجارب التى عاناها المؤلف فى تجواله فى الصحارى المصرية .

لو ينطـق النابالم

تأليف محمد علي الخفاجي / الناشر : مطبعة اهل البيت / كربلاء / العراق

● مجموعة مقطوعات شعرية وطنية كتبت بعد النكسـة .

دراسة فى قضية
تعـدد الزوجـات

تأليف عبد الناصر توفيق العطار / الناشر : دار الفكر العربي / القاهرة

● كتاب يسلط الضـوء على قضية تعـدد الزوجات مـن النواحي الاجتماعيـة والدينيـة والقانونية ، ويعرض المؤلف لمدى صلة قضية تعدد الزوجات بقضايا تحرر المراة . ويبين القسم الاول اسباب تعدد الزوجات ومشاكله. وفي القسم الثاني شرح لاحكام التعدد فى الاديان السماوية اليهودية والمسيحية والاسلام . اما القسم الثالث فيتناول دراسة احـكام الزوجات فى القـوانين العربيـة والاجنبية .

عدن وجنوب اليمن في ملوك العرب

تأليف : هارولد ف . يعقوب ـ ترجمة : احمد المضواحي ـ الناشر : مطبعة العلم ـ دمشق

● كتاب يصور الممالك والامارات المتعـددة الاشكال في شبه الجزيرة العربية ويصف تلـك البلاد العريقة التى تكاد تكون اليوم غير معـروفة وهى اليمن الخضراء . وقد بدأ الكتاب بذكـر المحاولات التركية الاولى لاخضاع اليمن والاتصال البريطانى المبكر باليمن ، ثم الاستيلاء على عدن ومؤلف الكتاب من الساسة الذين مارسوا حكم الجنوب العربى وعاشوا فى هذه المناطق .

هيت في اطارها القديم والحديث

الجزء الثاني

تأليف : رشاد الخطيب الهيتي / الناشر : مطبعة اسعد بغداد / العراق

● دراسة مسهبة عن مدينة هيت منذ القديم الى الوقت الحاضر ، وقد تعرض المؤلف لحياة مدينة هيت بكل مظاهرها المتعددة من تاريخية وادبية وجغرافية وادارية وفلكلورية ، وذكر قضاة مدينة هيت وحكامها وعلماءها ، ثم عرض بعد ذلك لشعراء وادباء هيت ونماذج من نتاجهم الفني .

الثعلب والعنب

تأليف : جولهيرم فيجويردو / ترجمة فيصل الياسري / مراجعة : محمد جديد / الناشر : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي دمشق

● مسرحية تقع في ثلاثة فصول تعالج قضية الانسان في اطار كوميدي ساخر ، وقد ترجمت هذه المسرحية الى لغات حية عديدة وعرضت في عديد من دول الشرق والغرب .

دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية

تأليف عباس محمود العقاد/ الناشر مكتبة غريب القاهرة

● مجموعة مقالات أدبية واجتماعية كتبها العقاد في فترات متباعدة وفي مناسبات متعددة جمعت من بعض الصحف والمجلات الادبية التي ساهمت في تشييد الكيان الفكري للأدب العربي ، وتدور موضوعات هذه المقالات حول القضايا الأدبية المعاصرة والتيارات الاجتماعية والمذهبية المختلفة التي عرفها القرن العشرين .

فتح الله الصقال/الرائد الانساني الكبير

تأليف : البدوي الملثم / الناشر : مطبعة الضاد حلب / سوريا

● دراسة وترجمة لحياة فتح الله الصقال ، من خلال مؤلفاته وخدماته في ميدان العمل الوطني، ودفاعه عن الزعيم ابراهيم هنانو ، ثم أعمال البر والاحسان التي قام بها في حياته واصلاحاته الاجتماعية ثم دراسة عن أدبه ورحلاته .

الصهيونية قبل العدوان وبعده

تأليف : عرفات حجازي

● كتاب يعرض لنشوء الفكرة الصهيونية ، والعوامل التي ساعدت على ابرازها والوسائل التي اتبعت لانجاحها والاسرار التي حرص اليهود على اخفائها . والكتاب محاولة لاطلاع الرأي العام العالمي على حقيقة المخططات الصهيونية التي رسمت قبل مائة عام تقريبا ، كما زود الكتاب كذلك بوثائق واسرار تزيد من الايمان بان الصهيونية هي حركة عنصرية فاشية تستهدف القومية العربية ، وانها تغلف نواياها بالديانة اليهودية .

القراءة وطرائق تعليم المبتدئين

تأليف : محمد مصطفى يحيى ـ الناشر : مطبعة الجامعة ـ بغداد

● كتاب يوضح أسهل الطرق وأكثرها فائدة في تدريس المبتدئين وأبحاث القراءة من النواحي العلمية الخاضعة للتجربة والتمحيص والمعتمدة على الاحصاء ، ثم طرائق تعليم مبادىء القراءة للمبتدئين ، منها الطرائق التركيبية والطرائق التحليلية وغيرها .

العباسة

تأليف : عدنان مردم بك/الناشر: منشورات عويدات بيروت

● مسرحية شعرية تقع في أربعة فصول تتضمن نكبة البرامكة ، والأسباب التي أدت الى هذه النكبة . فمنها أسباب شخصية مردها الى الانفة العربية أو أسباب ودوافع سياسية بحتة مردها الى تغلغل النفوذ الفارسي في الدولة العباسية .

المنصفات

جمعها وحققها : عبد المعين الملوحي / الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي / سوريا

● دراسات لعدة قصائد من شعر المنصفات مع تخريج ذلك كله من المراجع العربية القديمة ، ويراد بالمنصفات ان الشاعر حين يفتخر لا ينسى ان ينصف عدوه غير مستهين بقوته في حالتي النصر والهزيمة ، فالحرب سجال ، يوم لك ، ويوم عليك . ■■

المجرم الذى برىء ..!

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ الراى السائد لدى رجال الفقه والمشتغلين منهم بالقانون الجنائي والذى يجرى عليه العمل فى تكوين عقيدة القضاء حين يصدر احكامه ، هو ان تبرئة الف مذنب اخف وطأة على الضمير من ادانة برىء واحد .

لذلك ظللنا نعتبر ان الخطأ القضائي ينحصر في ادانة برىء والحكم عليه ، ثم اكتشاف انه برىء .

والواقع ان الهيأة الاجتماعية تضار ببراءة المذنب لما قد تؤديه من استهتار بالاحكام وانتشار للجرائم . وطبيعي أن يفسر الشك لمصلحة المتهم ، ولكن ليس من الحصافة ولا من المصلحة ان يلتمس القاضي اسباب البراءة حين تكون اسباب الادانة واضحة كما حدث في القضية التى نحن بسبيل عرض وقائعها .

نحن فى عام ١٨٧١ فى مدينة الهافر فى فرنسا .

كان يقيم فيها محام فرنسي ثرى مستشار سابق بمحكمة الاستئناف اسمه ماسيه دى فودروى . وله ابنة وحيدة مدللة اسمها بلانش فى السادسة عشرة من عمرها . لم تستطع مقاومة نداء الجنس فحملت . وكان لا مفر من تغطية تلك الفضيحة فارسل المحامي ابنته الى ضيعة بعيدة يملكها حتى وضعت جنينها وكتبوا فى شهادة ميلاده أن اسمه هيبوليت مينالدو ، وأن اباه طاه ايطالي فى خدمة والدها . ثم وضع الغلام فى حضانة حائكة ملابس فى مدينة اورليان اسمها ماريا سيث .

وبدا التفكير فى البحث عن زوج متساهل لبلانش يغطي باسمه فضيحتها فنشر فى جريدة البروجريه كبرى جرائد ليون اعلانا هذا نصه :

« آنسة ـ ١٨ سنة ـ جميلة ـ ٢ مليون فرنك دوطة ـ تتزوج شابا فقيرا من اسرة نبيلة » .

ومبلغ كهذا فى عام ١٨٧٢ مبلغ كبير يسيل له لعاب الكثيرين . وتقدم ليطلب يد الفتاة عدد من الشبان ابناء البيوت العريقة التي فقدت ثروتها . ولم يجد الأب صعوبة فى اختيار واحد منهم على حد قول القائل « من اخصب تخيّر » .

ووقع اختياره على مركيز اصلى اسمه دى نيف كونت دى جوانفيل شيفالييه دى كومبل سثيود دى لورجيران، ابوه ضابط سابق بالبحرية الفرنسية وملحق سابق بسفارة فرنسا فى الولايات المتحدة ، وامه من اسرة رئيس برلمان باريس هارلى .

وفى ذلك الوقت كان الأب قد ترك الوظائف الحكومية وعمل منتجا فى احدى شركات التامين ،



بينما توظف أبنه مساعد محصل فى مصلحة الأموال المقررة ولا يكاد يربح كلاهما ما يكفى لمعيشتهما ، فوجدا ان الفرصة المعروضة جديرة باهتمامهما . بينما وجد الأب انه يشترى ابا لابن ابنته ويغطى عارها فتصبح ماركيزة محترمة فى اعين الناس . وهكذا اصبحت بلانش ماركيزة دى نيف ..

ومضت سنوات الزواج وتحولت حياة الماركيز من الضيق الى السعة ، وحياة الزوجة من القلق الى الهدوء والكرامة . وقام الزوج بواجب الزوجية خير قيام فانجب فى خلال عشر سنوات ثلاثة ابناء .

اما ابن الزوجة الأول فقد ترك فى كنف مربيته ، ولكنه ظل موضع اهتمام جده لأمه ، يغدق على مربيته ويحيطه بعطفه . ولما وافاه الأجل ترك للغلام مينالدو فى وصيته مبلغ ستين الف فرنك يصرف ريعها على تعليمه وتسلم اليه عند بلوغه سن الرشد . ذلك ان الغلام أظهر نبوغا فى دراساته ونجاحا فى المدرسة الداخلية التي الحقه جده بها ، ولكن الأسرة من الجد الى الأم الى زوج الأم كانوا حريصين على أن لا يعرف الابن صلته بهم خشية الفضيحة .

وكان من سوء حظ الغلام أن مات جده وتولى أمره بعد ذلك زوج امه الذى لا تربطه به اية صلة قرابة . والذى بدأ يدبر طريقة للتخلص منه .

ذهب المسيو دى نيف فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ الى أورليان وقابل السيدة ماريا شيت وابلغها انه قرر ادخال مينالدو مدرسة داخلية ليتفرغ لدراسات اعمق على يد أساتذة أكبر . ووعدها

باستمرار دفع النفقة المتفق عليها وباستمرار صلتها بربيبها الذى تأثر كما تأثرت هي لفراقه .
وفعلا ذهب الماركيز الى اورليان فى أول اكتوبر واخذ معه مينالدو وأبلغ ماريا انه سيلحقه بمدرسة بونديفوازان فى السفوا .

وكان اختيارا غريبا . فتلك المدرسة التى يتولى امرها بعض رجال الدين كانت خاضعة خضوعا تاما للماركيز الذى وضع شروطا شاذة وغريبة لالحاق مينالدو بها وقبلها مدير المدرسة بدون اى اعتراض . وأية شروط ؟ اشترط أن لا يسمح لأى زائر بمقابلة الغلام لا بمفرده ولا بحضور رقيب . وأن لا يسمح له بالكتابة الا للماركيز وللماركيزة وبشرط أن يسلم الخطاب الى مدير المدرسة الذى يكتب العنوان اذ يجب ان لا يعرف مينالدو شيئا عن اسرته لا اسمها ولا عنوانها . كذلك اشترط على مدير المدرسة أن يفض الخطابات التي ترد باسم مينالدو من الماركيز او الماركيزة ويسلمها مفضوضة بدون مظروفها لمينالدو حتى لا يحاول معرفة طابع البريد لان الغلام غاية فى الذكاء سريع الخاطر وقد بدأ يوجه اهتمامه لمعرفة من هي تلك الأسرة المجهولة التي تهتم بأمره وتغدق عليه ومع ذلك تحافظ على السرية التامة فى علاقتها به .

ولكن مينالدو تمرد على تلك الشروط واظهر غضبا شديدا وخاصة لمنعه من الاتصال بحاضنته ماريا شيت ، واستطاع بطريقة ما أن يتصل بها ويتبادل معها مراسلات ، وحاول مرتين أن يهرب من المدرسة واستطاع مدير المدرسة فى المرتين أن يعيده . وكان يصارح المدير بانه يريد أن يعرف من هي أمه وانه لن يصبر على سجنه فى المدرسة .

وخشي المدير من العاقبة فكتب للماركيز يطلب منه أن يحضر لاستلام مينالدو لانه لا يضمن بقاءه فى حراسته .

وفعلا حضر الماركيز وتسلم مينالدو وانصرف .

فما الذى حدث لمينالدو ؟ ذلك ما سينكشف عنه الغطاء بعد عشر سنوات تقريبا .

● ● ●

أخذه الماركيز الى ايطاليا من غير ان يذكر خبر ذلك لأحد . ترك فرنسا يوم ٥ نوفمبر ووصل الى روما بعد يومين ثم ترك روما الى كاستيلا ماري يوم ١٠ ، ولم يقيد اسمه حيثما نزل الا باسم السيد مارتن . وبحجة أن يطلع الغلام على منظر من أجمل مناظر العالم ، مشيا فى الطريق المحاذى للبحر والمرتفع نحو ستين مترا .

في الطريق مر بهما أصحاب عربة فوجدوا أن الغلام مرهق لا يكاد يقوى على السير فعرضوا عليهما أن يوصلاهما الى اقرب مدينة ولكن الماركيز – الذى قالا عنه فيما بعد انه كان يحاول اخفاء وجهه – رفض .

ووقف مينالدو على حافة الطريق يستمتع بالنظر الى البحر والمناظر الجبلية فجاء الماركيز من خلفه ودفعه فهوى جثة هامدة . وتركه أحدهم بعد ذلك يعود بمفرده محاولا اخفاء وجهه. ثم ذهب الى نابولي وقيد اسمه « مارتن » فى الفندق ثم اخذ ينتقل من بلد الى بلد من غير أن يفكر فى الكتابة الى أحد حتى ولا زوجته واولاده الى أن عاد يوم ٢٧ نوفمبر .

نعود الآن لنذكر ما حدث عند اكتشاف جثة مينالدو . لقد عثر بعض الصيادين على جثة غلام في الخامسة عشرة من عمره ووضح من شكل الجثة وما أصيبت به من رضوض وكسور أن الغلام سقط من الطريق المحاذى للبحر فتهشمت اضلاعه وانكسرت جمجمته ومات لساعته .

وجاء البوليس الايطالي واحتار فى تفسير الواقعة . أهي جريمة ؟ أم حادث ما وقع ؟ أم انتحار ؟ . تلك كانت الاحتمالات الثلاثة امام البوليس .

أما الحادث فقد استبعده البوليس الايطالي من أول وهلة . فلا يذكر أحد أن حادثا واحدا وقع فى ذلك المكان المأمون فان السيارات لم تكن قد اخترعت بعد وجنون السرعة لم يكن له وجود .

وأما الانتحار ؟ فان انتحار الأطفال أمر نادر الوقوع فى تلك الأيام على الأقل . وقد شهد أصحاب العربات الذين مروا بذلك المكان والذين استجوبهم البوليس أنهم رأوا الغلام بصحبة رجل قد رفع ياقة معطفه ليخفي وجهه وكان الغلام بادى الفرحة سمعوا رنين ضحكاته اكثر من مرة فلا يتصور أن يفعل ذلك اذا كان معتزما ان يقضي

على نفسه . كما اكدوا أنهم رأوا الرجل الذى كان مع الغلام يعود بمفرده اكثر حرصا على اخفاء شخصيته .

لم يبق اذا الا افتراض الجريمة . وقد احدث ظهورها ضجة كبيرة فى الاوساط الايطالية وقام البوليس بالبحث فى جميع الفنادق والبنسيونات لمعرفة شخصية الغلام فلم يوفق . وكل ما امكن معرفته انه تلميذ فرنسي اذ وجد معه حجابان بهما صلوات باللغة الفرنسية كما وجد على جواربه وقميصه ومنديله رقم « ٥٧ » .

ونشرت الصحف الايطالية هذه البيانات كما نشرتها بعض صحف فرنسا . وبدأ الخوف يدب الى قلب الماركيز . واخذ يرتب رواية يرويها .

اسرع الماركيز وقابل مدير المدرسة وروى له المازق الذى وقع فيه وخشيته من أن الرقم الذى وجد بملابس القتيل وهو رقم « ٥٧ » قد يوصل المحققين الى المدرسة والى معرفة اسم القتيل ورجاه — ومن الغريب أن مدير المدرسة قبل الرجاء — أن يعطى ذلك الرقم الى تلميذ آخر حتى اذا انتهى البوليس فى بحثه الى المدرسة يجد أن صاحب هذا الرقم « ٥٧ » حى يرزق .

وفى يناير سنة ١٨٨٦ ارسلت ماريا شيث هدية رأس السنة لربيبها — وهي لا تعلم طبعا انه فارق الحياة — تسلم مدير المدرسة الهدية ولم يردها اليها مخافة « أن يلعب الفار فى عبها » بل ارسلها الى الماركيز . وسارع الماركيز — من جانبه — الى مقابلة ماريا وعندها فقط — اى بعد اكثر من خمسين يوما على وفاة مينالدو — أبلغها ان مينالدو مات غرقا اثناء رحلة مدرسية . فلماذا كذب عليها ان كان بريئا ؟ ولماذا لم يرو لها الواقعة كما حدثت ان كان صادقا ؟ .

ولكن قلب « الام » كما يقول المثل دليلها . ان ماريا بدأت تشك وتحركت وذهبت الى المدرسة تسال عن تلك الرحلة المزعومة وعن ظروف غرق ربيبها ولم تكف عن البحث برغم أن الماركيز ضاعف لها المعاش الذى كان مقررا لها ولكن الموت وضع حدا لتحرياتها وتنفس الماركيز الصعداء .

وفكر الماركيز فى تغطية نفسه — اذ كان يدرك أن عدم تبليغه عن الحادث سوف يضعه فى موضع الريبة فجمع مجلس اسرة ما أغربه من مجلس . فقد كان مكونا من ثلاثة من رجال القانون من اصحاب المصلحة فى الاحتفاظ بصداقة الماركيز هم روبير ماسيه — أخ بلانش — وبنسوا موتق الماركيز ، ومحام ثالث اسمه لوجران . وأبدى امامهم ان التبليغ سيؤدى حتما الى اكتشاف سقطة الماركيزة وفضيحة تلحق بالأسرة . ومن عجب أن المحامين اقروه على رأيه واعتبروا أن السكوت من ذهب وبأن الزمن كفيل بالقاء الظل على جثة الصغير مينالدو الذى ليس له من يسأل عنه .

وانقضت تسع سنوات وكسور وجريمة الماركيز لا يعرف أحد عنها شيئا وقد اسدل عليها الستار او كاد ولم يبق الا بضعة اشهر ليسقط الحق فى رفع الدعوى الجنائية عليه .

ولكن بلانش التي تسترت على زوجها فى اول الأمر خرجت لأمر ما عن صمتها وكتبت فى يوم ٢٤ يونيو ١٨٩٤ الى النيابة العمومية تتهم زوجها بانه القاتل وبانه يسيء معاملتها واولادها منه . كان الماركيز فى ذلك الوقت فى سويسرا وصدر الأمر بالقبض عليه فانتظره احد رجال الضبطية القضائية وقبض عليه فى محطة الوصول يوم ١٨ يوليو ١٨٩٤ . وانهار الماركيز ولم يعارض أو يسأل عن سبب القبض عليه وانهار على أحد المقاعد . ثم بدأ تحقيق استمر ثمانية عشر شهرا قضى منها الماركيز ستة أشهر فى زنزانة بمفرده لم يسمح له اثناءها حتى بمقابلة محاميه اذ ان القانون الذى يحرم استجواب متهم الا بحضور محاميه لم يكن قد صدر فى فرنسا .

ولما سأل المحقق الماركيز عن سبب سفره بمينالدو الى ايطاليا قال انه أراد تهدئة أعصابه واعتقد انه قد يجد فى ايطاليا مدرسة داخلية يتركه فيها بضعة اشهر . وكان من الممكن تصديق ذلك القول لو أن الماركيز لم يخف عن زوجته اخبار تلك الرحلة قبل الاقدام عليها .

ووجه اليه المحقق الاتهام فى صيغة سؤال واضح .

س : انك منذ اليوم الاول قررت التخلص من ذلك الغلام لانه اذا اختفى لم تعد مطالبا برد مبلغ الستين الف فرنك الموصى له بها . ولانك خشيت

أن يكتشف صلته بزوجتك فيخلق لك المتاعب . ويؤيد ذلك ما اثبته التحقيق من انك لم تكن تسافر مع مينالدو الا ليلا وتقيد اسمك فى الفنادق باسم مارتن ثم انك سرت فى الطريق المحاذى للبحر مع مينالدو تبحث عن مكان يصلح لارتكاب جريمتك ؟ .

ج : كنت أريد أن أريه منظرا من أجمل مناظر العالم .

س : ـ ان كان هذا غرضك لماذا ـ والغلام مرهق لا يستطيع جر رجليه ـ لم تقبل دعوة أصحاب العربة الذين عرضوا حملكما الى اقرب مدينة ؟ لم عثر على الغلام بعد نصف ساعة جثة هامدة ؟ .

ج : لقد انصرفت لقضاء حاجة ولما عدت لم أجده .

س : ولكنك لم تهتم بالبحث عنه ؟ الم يكن من الطبيعي ان تبلغ البوليس ؟ او عمدة المدينة ؟ او ادارة الفندق على الأقل ؟ .

لقد بقيت كل هذه الأسئلة بدون جواب من الماركيز ثم قال : « لقد فقدت كل قدرة على التفكير » .

س : ولماذا اخترت اسما مستعارا فى كل فندق نزلت فيه ؟ .

ج : كان مينالدو معي ولم اكن اريد أن يعرف اسمي الحقيقي لانه لم يكن يعرفني الا بهذاالاسم.

س : ولكن ثبت انه كان يعرف أنك الماركيز دي نيف ؟ اكد ذلك الأب ريجيه كما اكد ان حقائبك كانت تحمل اسمك الحقيقي واسمك المستعار ؟ .

وبقي الماركيز فى الحبس الاحتياطي وفى اثناء التحقيق ظل مصرا علىروايته حتى مثلامام محكمة الجنايات فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٩٥ وتولى الدفاع عنه الاستاذ البير دانيه المحامي الكبير يعاونه الاستاذ لوريدو الذى أصبح فيما بعد عضوا بمجلس النواب ووزيرا ... واستمرت المحاكمة تسعة أيام .

كان الجمهور متلهفا لرؤية الماركيز بعد ان شغلت الصحف الرأى العام طوال ستة عشر شهرا باخبار الجريمة فاذا به امام انسان قصير القامة اصلع الراس غزير الشارب حتى ليخفى شفته العليا الغليظة مفرطح الانف فاستثقله الجمهور ولم يبدِ نحوه اى عطف .

وجلست بلانش فى مقاعد الشهود عجوزا مع انها لم تبلغ الاربعين وبجوارها ابناها هنى ورينيه . ولم تستدع النيابة احدا من الشهود الإيطاليين الذين قابلوا الغلام حيا والذين شاهدوا الجثة والذين اجروا التحريات اكتفاء باستدعاء المحقق الايطالي الذى سمع اقوالهم ودونها .

وكان جو القاعة واضح التحيز ضد المتهم اثناء مناقشة رئيس المحكمة له . وعندما وصل الاستجواب الى كيفية حصول الحادث تظاهر المتهم بالتأثر ولكنه لم يحسن التمثيل ، وحاول تجفيف دموع لا وجود لها فى عينيه ، واخذ يطرق المنضدة بقبضة يده مؤكدا انه كان يحب مينالدو ويحيطه بعطف ابوى .. وادعى ان زوجته انما اتهمته بتحريض من القسيس روسلو الذى اصبح موضع سرها .. ملمحا بذلك الى اكثر من ظاهر الكلام .

واستمعت المحكمة الى اقوال القسيس فقسى على الماركيز واتهمه باشنع التهم الاخلاقية واكد ايمانه الراسخ بان الماركيز هو القاتل . واخذ الماركيز يقاطعه اثناء شهادته ويوجه اليه اقذع الفاظ السباب .

وادلت الزوجة بشهادتها بصوت قاطع كحد السيف واتهمت الماركيز دى نيف ـ لانها لم تقل ابدا « زوجي » اثناء شهادتها ـ بانه قذف بابنها عمدا ليلقى حتفه ، وأنه حين عاد من رحلة ايطاليا لم يذكر شيئا عن الرحلة ولا عن الحادث ولكنها علمت بالحادث من الصحف . ولما قرأت وصف الغلام القتيل ورقم « ٥٧ » على الملابس تأكدت أن القتيل هو ابنها .

فقلت له ـ « انتَ الذى قتلته » فاعترف لى . وعللت عدم تبليغها فى ذلك الوقت بانها خشيت الفضيحه وانقادت لنصيحة المجلس العائلى . وكان الصدق واضحا فى اقوالها فصدقها سامعوها واعتقدوا ان حياة الماركيز قد انتهت . واتجهت الانظار الى الماركيز فاذا به قد انطوى على نفسه واجهش بالبكاء .

وسال الرئيس الماركيزه « هل ابلغت عن زوجك من تلقاء نفسك او بناء على نصيحة احد ؟ »

ترددت الماركيزة ثم قالت : « هذا امر يخصنى وحدى » .

واثار هذا الرد ضجة بين الحاضرين فوجدت الشاهدة نفسها مضطرة ان تقول شيئا فقالت : « موظف بمكتب موثق بنيفير هو الذى اشار على بالتبليغ » .

وهنا وقف محامى المتهم وقال « لقد قدمت الشاهدة بلاغها يوم ٢٨ يونيو وكان زوجها مسافرا فى سويسرا ومع ذلك كتبت لزوجها بتاريخ ٣٠ يونيو اى بعد التبليغ بيومين خطابا نصه .

« عزيزى لوسيان . يبدو لى انك تقوم برحلة جميلة وممتعة . لاجديد هنا . ربتيه مستمر فى معالجة « اسنانه . قامت امس زوبعة مخيفة سقطت اثناءها ثلاثة صواعق . الى اللقاء . لك قبلاتنا جميعا » وقدم الخطاب للمحكمة .

وهنا قال أحد المحلفين موجها الحديث الى رئيس المحكمة .

« لم يعد من المقبول ان تخفى الشاهدة اسم الكاتب الذى نصحها بتوجيه التهمة .

وقالت الماركيزة انها لاتعرف اسمه ولكنها سترسل برقية لصديقتها التي عرفتها بالموثق لتتحرى عن اسمه ووعدت بذكره فى جلسة الغد. آخر ايام المحاكمة .

وفى الغد فتحت الجلسة واعطى الرئيس الكلمة لممثل الاتهام الذى قال :

« كان يجب ان تعرض هذه القضية عليكم منذ اكثر من عشر سنوات . فقد نجح المتهم فى اقامة ستار من الصمت بحجج واهية .. خشية الفضيحة .. التهديد .. استغلال مصالح المحيطين به .. لقد اسكت حتى عاطفة الامومة التي ما كان يتصور ان تتستر على قاتل ابنها مهما كانت صلته بها .. ولكن العدالة .. وان تاخرت لا تضيع ..

ومع ذلك اذا كان هذا الاتهام قد جاء متاخرا فان هناك شخصا كان يخافه ويخشاه ولم يندهش حين ظهرت التهمة ، ذلك هو المتهم الماركيز دى نيف . ففي يوم ١٤ يوليو يوم القبض عليه ، وهو يخرج من محطة سان كيز ، استوقفه أحد رجال الامن واطلعه على امر قاضي التحقيق بالقبض عليه . فتبعه الى نقطة البوليس ساهما لايتكلم . ولما وصل اليها سأله رئيس النقطة ان كان لديه ما يقوله قال « لا شيء » ان الظروف كلها ضدى .. »

ولنعد الى تصرفاته بعد ان عاد منذ عشرة اعوام من ايطاليا بعد ارتكابه الجريمة . لقد بقى ثلاثة اسابيع يتنقل فى ايطاليا لايدرى كيف يواجه ام الغلام ، او جدته ، أو القس ماميه الذى يعرف كل الظروف ويعرف ايضا ان الماركيز ذهب الى المدرسة واخذ الغلام معه . ماذا فعل ؟ « دخل الى غرفة القسيس وارتمى على قدميه يبكي وقال له « لقد انتهيت..سيقولون اننى الذى قتلته » . وقال له القسيس ماذا ؟ الم تخطر البوليس او السلطات او النيابة العمومية ؟ لا . لقد خفت وطار صوابى وهربت . ماذا سنفعل ؟ كيف نخطر الحاضنة ؟ ماذا نقول لماريا شيت ؟ ..

ويقول الاب ماميه « ان اقوال الماركيز بدت لى غريبة .. كرهت ان اعتقد ان جريمة وقعت وقبلت اقواله كما قالها (على علاتها) .

واذا كان الاب ماميه لم يقبل الاقوال الا على علاتها فما العمل وقد نشرت الصحف اخبار الحادث بعناوين ضخمة . لتجمع اذا مجلسا عائليا لتحصل منه على قرار يساعدنا على الكتمان . وذلك ما كان وما كان يمكن الا ان يكون . لقد اعتقدوا ــ مهما ادعوا غير ذلك ــ ان جريمة ارتكبت وقد مضى عليها شهر كامل دون تبليغ . ولم يقتنعوا بالرواية التي رويتها لهم وآمنوا انك اذا ذكرت ان الغلام القتيل هو ابن زوجتك فادانتك محتومة . ولو انهم اقتنعوا بروايتك واعتقدوا ان العدالة ستصدقها لكان رأيهم ان تبلغ السلطات لتستريح وتريح .

وفى اختيار المتهم لمجلس الاسرة من رجال القانون المقيدين ــ مثل القس ــ بسر المهنة دليل على احساسه بالخطر : فان قالوا له « لاتبلغ » فقد اتبع رأى رجال القانون . وان قالوا له « بلغ » ولم يبلغ فهم مقيدون بسر المهنة ولا خطر يمكن ان ياتيه عن طريقهم .

وانظروا تصرفاته الاخرى . اتفاقه مع مدير المدرسة لتغيير رقم « ٥٧ » واخفائه صورة ميناللدو المسكين لئلا تنشأ مقارنة بينها وبين جثة القتيل .

من اين اذا يمكن ان يأتي الخطر ؟ من بلانش دي نيف وحدها . ولكن هل يمكن ان تتكلم هي فترفع الستار عن عارها الذى حرصت على اخفائه خمس عشرة سنة .. وفعلا ظلت صامتة تعيش مع قاتل ابنها الى ان جاء يوم لم تستطع على محنتها صبرا ، وامضت السنين مرتعبة منه تخشى ان احس منها بفكرة التبليغ ان يكون مصيرها مصير ابنها .. وهكذا انتهزت فرصة غيابه لتبلغ .

وتابع ممثل الاتهام حديثه :

ثم قل" لي ياسيدى الماركيز ، حين عدت من قضاء حاجتك ولم تجد الغلام ، لقد تصورت كما قلت ـ انه فر . فلماذا لم تبحث عنه ؟ انك ان كنت تخشى الفضيحة كما تدعي فان عثورك عليه هو الذى يمنع الفضيحة لاتركه حرا يتخذ ما شاء من اجراءات اثبات بنوته . ان العقل والمنطق ومصلحتك ومصلحة اسرتك في ان تجده .ولكنك لم تبحث لانك كنت تعرف انه قد مات . واذا كنت تعرف انه قد مات فذلك لانك انت الذى قتلته .

ثم استمعوا يا قوم الى ماريا شيت تقول « لقد قال لي الماركيز بحضور مسيو لوكونت سادفع لك ايرادا شهريا مدى الحياة ٣٢٠ فرنكا .. وطلبوا مني ان لا اتحدث عن موت ميناللدو . واضافت الماركيزة حتى ولا لاصدقائك .

ولكن ماريا شيت تحركت وبدأت تستشير فاشار عليها لوكونت ان تصمت والا فقدت الايراد الشهرى ، ولكنها لم تسكت . طلبت الى احد جيرانها الذى يعمل في السكك الحديدية ان يتحرى عن حادثة غرق ميناللدو التي ابلغها لها الماركيز فجاءها الرد قاطعا بان ذلك لم يحدث .

ان الاحتياطات الكثيرة التي اتخذها المتهم لم تكن بقصد اخفاء فضيحة مضى عليها خمس عشرة سنة وانما كان المقصود ان ظهور الفضيحة كان سيؤدى حتما الى ظهور الجناية .

وسواء كانت مدام دى نيف قد قدمت شكواها آخر الامر من تلقاء نفسها او بناء على تحريض احد ـ وليكن الاب روسيلو ـ فان ذلك لا ينفي ان الجريمة ارتكبت وانها ثابتة وقد قام عليها الف دليل .

وما كاد يتم المدعي العام مرافعته حتى بدا في جو القاعة من محامين وصحفيين وجمهور ومن حركات الماركيز نفسه ان قرارا بالادانة لابد سيصدر .

وترافع الدفاع بروى شباب المتهم ويحاول ان يجد من ماضيه ما يستبعد به ارتكابه تلك الجريمة . ولكن رئيس المحكمة قاطعه ليبلغه وصول رسالة من سيدة اسمها جان جلادون تلا نصها كاتب الجلسة وهي تنطوى على ثلاث تلغرافات وصلتها من الماركيزة ، يقول الاول « ارجو أن تتبيني من الموثق الذى أرشدتيني عنه ان كان لا يزال محتفظا بالكتبة الذين كانوا عنده لانهم يريدون معرفة اسم الكاتب الذى ساعدني في تقديم بلاغي وان تساليه ان كان لا يمانع في ان اذكر اسمه . ارجو اخطارى باسم الموثق وارسال الرد باسم رئيس المحكمة » . والثاني تقول لها فيه « ارسلي لي تلغرافا بعد الرد الذى ترسلينه لرئيس المحكمة تقولين فيه ان الموثق قال ان الكاتب توفى » والتلغراف الثالث « اذا كان الشخص لايريد ان يذكر اسمه فيكفي ان يرسل الموثق الى رئيس المحكمة بان الكاتب لايريد ذكر اسمه » .

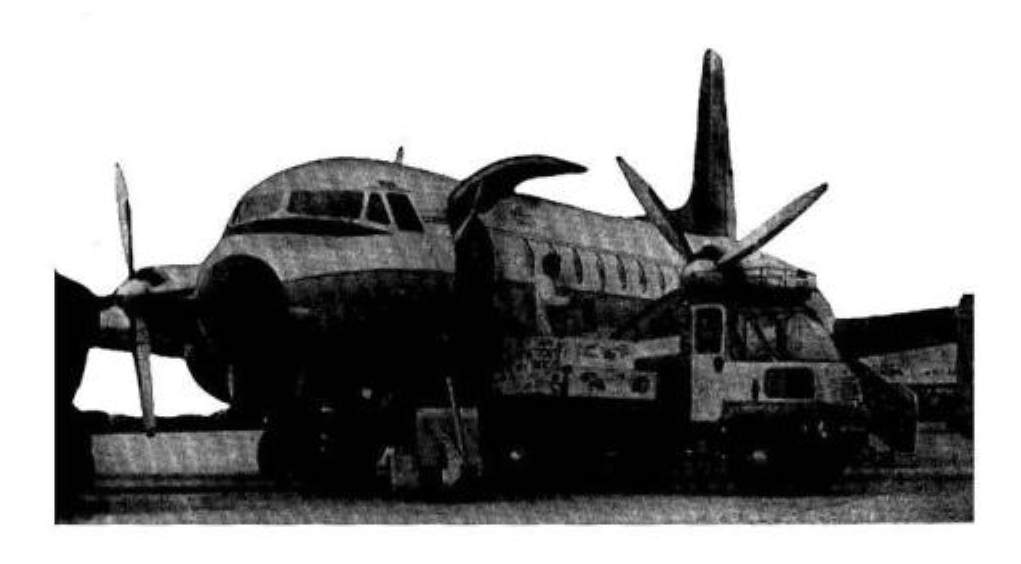
وواضح ان هذه التلغرافات انما هي محاولة من الماركيزة لتخفي اسم الاب روسيلو ، ولكنها لا اثر لها على ان الاتهام صحيح . ومع ذلك كانت هذه المحاولة هي الحد الفاصل بين الادانة والبراءة . ولم تستغرق مداولة المحلفين الا دقائق .

ويقول الصحفيون الذين حضروا المحاكمة في جميع تعليقاتهم على الحكم : « لقد صدر قرار ببراءة الماركيز ولكنه غير برىء . فقد قاموا بتحقيق بين المحلفين فلم يجدوا واحدا منهم جرا على الدفاع عن القرار باخلاص » .

وهي براءة خير منها الادانة لانه سيعيش معذب الضمير محتقرا من معارفه . وقد حاول ان يختفي من الناس تحت اسم دى كوميل ولكن العمر لم يطل به ومات معذب الضمير يلاحقه شبح ميناللدو في نومه ويقظته .

القاهرة : حسن الجداوى

لقد خصَّصْنا الكثير
فى صُنْع طائرة



مِنَ الوقت والعمَل والمَال

(هـ . س . ٧٤٨ .)

وهذا هُوَ ما تحْصُل عَليْه أنت مِنْها :

لقد جلب الرواد في كافة انحاء العالم الرفاه للعديد من المناطق الجديدة وذلك بقدرتهم على التكيف وبالعمل في أشق الحالات واكثرها خشونة. ولقد ساعدت طائرة مثل (دى . سي ـ ٣) التى تملك تلك الخصائص الرائدة على تعجيل عملية التوسع .

والآن فان طائرة (٧٤٨) تحمل هذه التقاليد بطيرانها يوما بعد يوم بسلام وثقة في اوعر الحقول وفي اصعب البيئات ، حاملة معها احدث مستويات السلامة والسرعة والراحة .

ان الطائرة (٧٤٨) تنشط بالعمل الشـــاق . ومعدل طيرانها اليومى هو تسع ساعات من الطيران الفعلى ـ وهذا انجاز لا يستهان به في عمليات النقل القصيرة المدى دون تسهيلات الطـيران الليلى . انها تتسع لـ (٦٢) راكبا ، كما يمكن تكييفها في غضون دقائق بحيث تحمل حمـــولات مختلفة من الركاب والبضائع .

وطريقة صيانتها المتقدمة تكفل عدم سحبها من الخدمة لكى تجرى عليها الاصلاحات الكبرى ، لذلك فان تكاليف الصيانة واوقات عودتها مـــن رحلاتها منخفضة بشكل دراماتيكى .

ليست هناك طائرة تعمل بمثل هـــذه القوة لضمان معيشتها اكثر من طائرة الـ (٧٤٨) . ولهذا فانك تجد في كل قارة طائرة الـ (٧٤٨) توسع الخطوط المختلفة وتضع اسس المستقبل .

Hawker Siddeley-the largest aerospace group in Europe

Richmond Road Kingston upon Thames Surrey England Tel 01 546 7741 Cables Hawsidar Kingston upon Thames Telex 23726

ان مجموعة شركات هوكر سيدلى تزود المعدات الميكانيكية والكهربائية والجوية الاساسية ، كما ان مصانعها وخدماتها منتشرة في جميع انحاء العالم .

البحث عن موَرّدي المنتجات في ولاية نيويورك لا يكلفكم شيئاً

نتولى عنكم مجاناً خدمة البحث عن المنتجات فنمكنكم من الاتصال بأية من مؤسسات الانتاج والتوريد في ولاية نيويورك البالغ عددها ٥٠٠٠٠ مؤسسة تقريباً والتي تستطيع ان تؤمن لكم افضل الخدمات. وايًا كانت المنتجات التي تبحثون عنها، سواء المواد الكيماوية، او المعدات الالكترونية او الاجهزة المنزلية، او الآلات الصناعية، العادي منها وغير العادي، فاننا نستطيع ان نساعدكم على ايجاد الموردين المختصين. ان مرافق النقل في نيويورك لا تضاهى، وهي تؤمن لكم التسليم ايثما شئتم وحيثما اردتم.

أرسلوا لنا القسيمة الواردة ادناه بالبريد، او اكتبوا الينا على اوراق المراسلات التي تحمل اسم مؤسستكم، ذاكرين المنتجات او المعدات التي تودون الحصول عليها، مع ذكر اسم المصرف الذي تعتمدونه. وكلما زدتم تفصيلاً في وصف المنتجات ونواحي استعمالها زادت قدرتنا على مساعدتكم.

NEW YORK STATE SENDS ITS BEST

from the trading center of North America

تملأ هذه القسيمة وترسل بالبريد الى العنوان التالي:

NEW YORK STATE DEPARTMENT
OF COMMERCE, INTERNATIONAL DIVISION
DEPT. KA10, 230 PARK AVENUE, NEW YORK, N.Y. 10017, U.S.A.

PLEASE TYPE OR PRINT — يرجى الكتابة بحروف مطبعية

Firm ____________________

Address ____________________

City ____________________ Country ____________________

Bank reference ____________________

CHECK BELOW

☐ We wish to purchase the products listed.

☐ We wish agencies for the products listed.

____

____

____



العدد ١١٨
جمادى الثاني ١٣٨٨
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٨

عربية من شنقيط تتطلع الى المستقبل ..

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قر[illegible]
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قر[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

جوائز ١٢٠٠



منظر ليلي رائع لشلالات نياجارا على حـدود امريكا وكندا . . ان المصابيح

عزيزي القارئ

● في احدى دور الكتب في روما رايت نسخة من عدد يونيو من مجلة « العربي » ، وامسكت بالمجلة ثم اتجهت الى امينة المكتبة اسالها :

ـ هل تشتركون في هذه المجلة ؟

ـ لا

قلت : وكيف وصلتكم اذن ؟

ـ لقد جاء بها طالب عربي ، واودعها المكتبة حتى يستطيع ان يقرأها اكبر عدد ممكن من اخوانه العرب ، بعد ان تعذر عليهم شراؤها . وهو يفعل ذلك كلما وصله عدد جديد ، ثم يستعيده بعد انقضاء شهر على تاريخ ايداعه .

وحاولت أن اعرف اسم هذا الطالب العربى ، ولكننى فشلت .. كل ما استطعت ان اعرفه عنه أنه جاء الى ايطاليا منذ عامين ليدرس الموسيقى في احدى جامعاتها .. وفي خلال هذين العامين لم ينقطع مرة واحدة عن زيارة المكتبة كل شهر ليودع العدد الجديد ويستعيد العدد القديم الذى قرأه معه عشرات من زملائه العرب وغير العرب .

تحية له من العربى . وتحية لكل عربى يساهم في نشر ثقافة بلاده في الخارج .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

اسلاميات :

عـروبة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شعـر :

تربية وعلم نفس :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 118 - September 1968 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ظلت المرأة في شنقيط ، بجمهورية موريتانيا ، تعيش على هامش الحياة وكأنها متاع يباع ويشترى حتى استقلت البلاد فاستعادت المرأة حقوقها .. انها اليوم تشترك مع الرجل في محاولة اعادة الحياة الى هذا البلد العربي المجهول ، فالمرأة في شنقيط اكثر نساء موريتانيا نشاطا وعملا ، ولو انها في الوقت نفسه اكثرهن تمسكا بالتقاليد ..

(انظر استطلاع شنقيط ص ٦٨)

طب وعلوم :

ركن الاسرة والمرأة :

كتب :

قصص :

متنوعــات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ ريال او ٢٠٠ فلس بحراني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢,٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



مقالات القراء هل من المكن اعادتها اليهم اذا لم تنشر ؟

الاعداد القديمة من العربي

• لماذا لا تفكرون في اعادة طبع النسخ الناقصة من « العربي» وتطرحونها للبيع في الاسواق ؟ لقد ضج القراء من كثرة ما بذلوا من محاولات يائسة للحصول على الاعداد الناقصة واستكمال مجموعاتهم من مجلة « العربي » . فلم هذا الدلال على القراء من جانبكم ؟ أؤكد لكم ان الاقبال على اقتناء الاعداد القديمة من « العربي » لن يقل عن الاقبال على شراء الاعداد الجديدة .

هاني حجرات عمان ـ ص.ب (٨٩)

دكتور واحد .. أم دكاترة ؟

• اقرأ للدكتور أحمد زكي رئيس التحريرفاخال انه دكتور في اللغة العربية ، ثم اقرأ ما يكتبه في الطب،فيخيل الى انه حائز علىالدكتوراهفي الطب .. ثم أعود الى كتابه « مع الله في السماء » فاكاد اجزم بانه دكتور في العلوم .

اعلمونا في اى المجالات هو حائز على الدكتوراه،فوالله ما استبدت بى حيرة ، كتلك التى تنتابنى، وانا اقرأ لرئيس تحرير العربى في الأدب والطبوالعلم والاختراع ، فاقرأ لاديب وطبيب وعالم ومخترع .. هل هو دكتور واحد أم دكاترة ؟

على الخطيب ـ عمان ـ الاردن

العربى : سألنا رئيس التحرير في أن نكتب شيئا عن تاريخ حياته لكثرة السائلين . فقال ان مبدأ العربى أن يهتم القارىء بما يقرأ لا بمن يقرأ !

تصويب

• في مقال « الفن والفنانون » بين العبقرية والجنون في عدد يوليو ١٩٦٨، في صفحة ١٤ وردت العبارة الآتية في ذيل الكلمة الواردة عن الكاتب همنجواى ، وهي : « نسينا ان نقول انه لم يتزوج ولم تكن له اسرة » . وموضع هذه العبارة الصحيح هو ذيل الكلمة الواردة عن شارلس لامب بنفس المقال .

استطلاع مكناس

• اعجبنى استطلاع العربى عن « مكناس مدينة مولاى اسماعيل » والذى نشر في عدد يونيو .. واكثر ما اعجبنى فيه الموضوعية والنقد البناء اللذان اتبعهما كاتب الاستطلاع والمعلومات التاريخية الوافية عن تلك المدينة القديمة مع مقارنتها بالحاضر . وفي نفس الوقت أتمنى أن يستمر اسلوب النقد البناء في استطلاعاتكم عن عالمنا العربى فنحن احوج ما نكون الى هذا النقد في مرحلتنا الحالية ، حتى نستطيع أن نبنى عالما عربيا يذكرنا بمجدنا القديم .

راشد محمد سلطان ـ الخليج العربى

خطوة موفقة

● لاحظت في الأعداد الاخيرة من مجلة «العربي» أن هناك تطويرا للصفحة الثانية فبعد أن كان ينشر بها صور من اعمال الفنانين الكبار بدأتم بنشر صور عن بعض البلاد ثم الكتابة عن ناحية من نواحي الحياة في هذه البلاد .. وقد أعجبني هذا التطور وارجو ان يكون هذا بداية من مجلتنـــا الحبيبة لعمل استطلاعات عن العالم كله ، وأن لا تقتصر استطلاعاتها القيمة على البلاد العربية فقط .. حتى تصبح مجلة « العربي » نافذة لنا نحن العرب على العالم كله ..

م٠ع ـ القاهرة

● ارسلت الى « العربي » قصيدة شـعرية منذ اكثر من ٣ شهور .. ولكنها لم تنشر .. فهل من الممكن ان تعيدوا هذه القصيدة الى .. ؟

عيسى محمد ـ البحرين

« العربي » تتلقى مجلة « العربي » مئات من القصائد الشعرية في كل شهر وتختار من بينها الصالح للنشر . اما الذي ترى عدم نشره فليس من الممكن اعادته مرة أخرى لكاتبه لما يستلزمه هذا من جهد كبير ، علاوة على أن العادة قد جرت في الجرائد والمجلات المختلفة على عدم رد المقالات او القصائد المرسلة من قرائها والتي لا تنشر . ويستثنى من ذلك حالات خاصة لظروف خاصة .

نرجو أن نكون عند حسن ظنهم

● تلقت العربي هذا الخطاب :

« تزخـر مكتبتي بمجلدات « الانسيكلوبيديا العربية » التي ساهمت كثيرا في نشر الثقافة الرفيعة في وطننا العربي . فاثارت الاذهان وثقفت العقول . واصبح لها مكانة العملاق بما جادت به من كل ثمين ورصين . وفرضت نفسها فرضا على الاسواق العربية . فاصبح الجمهور المثقف ينتظرها بشغف كل شهر . معذرة لم اقل اسمها .. ولكن هذه السمات العريضة لم تتوفر لغيرها .. فهي واحدة .. افضل من آحاد .. هي مجلة العربي ».

احمد علي الكسار ـ ج٠ع٠م

« العربي » هذا كلام كريم يأتينا منه من اخواننا العرب الشيء الكثير . وجوابنا عليه هو أننا نرجو ان نكون عند حسن ظن القراء دائما وابدا ..

أم المقتدر كانت ببغداد لا بسامراء

● قرأت في العدد ١١٥ مقالة تاريخية مطعمة بالآراء الخاصة لكاتبتها السيدة الفاضلة « سنية قراعة » عنوانها « أم المقتدر » وقد سردت سيرتها واحوالها باعتبار انها كانت بسامراء ، والصحيح ان سيرتها واحوالها مرت ببغداد ، لان بغداد عادت عاصمة للدولة العباسية منذ أواخر خلافة المعتمد على الله العباسي ، المتوفي ببغداد سـنة ٢٧٩ والمقتدر جاء بعد المعتمد وقضى خلافته ببغداد وقتل بها وكانت امه معه وبقيت بعده كما هو معلوم . وفي مقالتها من التواريخ ما يؤكد ذلك الا ان الغلط في الموضع حسب كما ذكرت آنفا .

الدكتور مصطفى جواد ـ بغداد

الهمداني وليس النبهاني

● في الاستطلاع الذى قامت بـه « العربي » عن الشارقه .. وعند التعرض لتاريخ الشارقة رايت هذه الغلطه : وهي أن كتاب صفة جزيرة العرب « للنبهاني »، والصحيح انه للهمداني وليس النبهاني . لهذا اردت أن الفت نظركم لهذا الخطأ .

عبد العزيز العائض

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

العربي : هذه الغلطة جاءت نتيجة خطأ مطبعي . ونشكر القارىء على ملاحظته .

حديث الشهر لندن فى صيف

• أساتذة الجامعات صاروا كمدرسي المدارس. انقطعت صلتهم بالطلاب فكانت الثورة الحاضرة !

• مشكلة اللون دخلت بريطانيا، فكادت أن تسمم سياستها بالتمييز العنصري

• اضراب العمال عند الانجليز، كالمطر عندهم، لا حيلة لهم فيه إنه بعض نتائج الحرية التي يقدسونها.

بقلم رئيس التحرير

■ هذه لندن .. وهذا مطارها

ونزلنا من باب الطائرة لندخل على الفور الممر الطويل المسقوف الذى يحمينا من المطر، ونحمل معنا فيه ما خف من المتاع مما كنا أبقيناه فى الطائرة تحت أيدينا . ووصلنا الى رجال الامن فلم نتوقف عندهم أكثر من دقيقة ونصف دقيقة. ووصلنا الى رجال الجمرك ومعي الحقيبة يحملها الحمال .

ــ هل معك شيء تستحق عليه الضريبة ؟

ــ لا

ــ هل معك هدايا لأحد فى هذه البلاد؟

ــ لا

ــ اذن تفضل

كان اليوم يوم احد ، وكانت الساعة فى المساء ، ولو لم يكن قد اظلم الليل كما يظلم في الشرق باكرا.

خرجنا من المطار فلم نجد تكسية ، ولا وجدنا سيارة من سيارات المطار . وبعد حديث طريف طال مع حمال الحقائب ، وقد ابى أن ينصرف حتى يؤمن ركوبي ، جاءت سيارة المطار فبلغت بي قلب

• خبر العرب فى التلفاز البريطانى معركة مع الصهاينة

عام ١٩٦٨

نعمة سابغة ورخاء منتشر، وراءهما العمل المرهق والجهد المتواصل

العاصمة الكبيرة في نحو اربعين دقيقة ، حيث مجمتع هذه السيارات ، واليه تنتهي .

وبقيت لي رحلة اخرى الى الشمال من لندن ، حيث استقرت زوجتي ، وكانت سبقت اليها .

ووقفنا في المجتمع صفا ، نركب تكسيات المدينة بالدور . وجاء دوري ، وركبت التكسية ، وحمل الشيال حقيبتي الواحدة اليها . واعطيت للسائق العنوان . قال :

ـ الاجر مضاعف .

ـ لماذا ؟

ـ لان هذا العنوان خرج عن العشرة الاميال التي تحددها اللوائح ، وأنا اذا عدت ، عدت بدون راكب ، واليوم الاحد ، والساعة مساء .

ـ رضيت .

واستقر بي المقام في الدار آخر الامر ، واجتمع الشمل الذي كان فرّقه القدر ، وليس كالمرض مفرقا للاحباب !

في شوارع لندن

ونزلنا في الغد الى قلب المدينة .

الناس هم الناس ، وازدحام الشوارع بهم ، وازدحام المواصلات هو كما عهدناه من عشرات السنين . والمطر الهاطل يهطل في الوقت الذي يشاؤه هو ، لا الذي يشاؤه القوم . ووجه السماء يعتكر ثم لا يلبث أن يصفو ليعتكر ويصب الماء بغير انذار . ويشقى بذلك المتفائلون الذين ابتسمت لهم السماء صباحا ، فاطمأنوا الى ابتسامتها ، وخرجوا من بيوتهم بغير مظلة تقي ولا رداء يدفع عنهم البلل .

ان السائر في لندن ، انما هو احد رجلين .

رجل يسير بعينين كل ما يجب عليهما ان يسلكا به في الزحام مسلكا سهلا ، مؤدبا ، فلا يرتطم

• البريطانيون يضيقون برائحة "الكاري" التي تفوح من لوازم الطبخ الهندي !

وكان لابد أن يخسروا .

كتفه بهذا السالك في الطريق او هذه السالكة . وغير ذلك لا ترى عيناه شيئا . وفكره لعله مشغول بتقرير ما يريد ان يستبضع من اشياء هذه العاصمة التي قيل عنها ان الانسان واجد فيها حتى لبن الجدي ، اي واجد المحال الذي لا يخطر على بال.

ورجل آخر يسير وهو مستشعر انه يسير في خضم حياة من حيوات البشر عظمى . فهو يمشي يتوسم كل وجه ، ويقيس كل جسم ، ويفسر كل خطو ، ويحاول ان يستشف من داخل هذه الشواخص المتحركة ما هي ، وكم هي ، وكيف هي بين صنوف البشر ، واين هي من عراك هذه الحياة وكم حظها من نصر ومن هزيمة ، وكم حظها من طعام وشراب ولباس ، ومن مفارح هذه الدنيا ومن فواجعها . وهو في استشفافه هذا يتكشف له الشيء الكثير .

واخترت لنفسي أن أسير متوسما متتبعا مستشفا ولو بعض حين ، وقلت لنفسي ان حظوظ الناس من حياة تتمثل للعين الخاطفة في اجسام وملابس .

اما الاجسام فتدل على الاكثر على نصيب الفرد مما اعطت الطبيعة اصحابها من خير ، من خير الاجسام ، وما منعت . واما الملابس فتدل في بعض ما تدل على نصيب الفرد مما يسرته له المقادير من عيش ، وما عسرت .

الاجسام

والاجسام تقاس بما فيها من حظ يوصف عادة بالجمال ، وحظ يوصف عادة بالقبح . والملابس منها الجديد والمستهلك ، دليل الفقر والغنى ، ومنها الذي صحبه عند تفصيله الذوق ، ومنها الذي غاب عنه .

اقول اخذت أتوسم هذه الجموع وهي ماشية سادرة على سجيتها في الاسواق فوجدت اختلافا عجيبا في الانسان ، من حيث هو انسان حيوان ، اختلافا شديدا لا شك انا واجده في مثل هذه الكثرة من الخلائق في عواصم الدنيا ، وخلت لو ان قطيعا من الاغنام به مثل هذا الاختلاف والتناقض، تقدم به صاحبه للبيع في السوق ما وجد له مشتريا . ان قطيع البقر الذي تنشؤه نشأة علمية واحدة يخرج وكأنه صب كله في قالب واحد او كاد .

انه العلم ، وانها السنن الكونية ، التي آمن بها الانسان ، ورضي أن يسترشد بها في تنشئة الحيوان ، ورفض ان يسترشد بها في نفسه ، فكان من ذلك في الحيوان انسجام لم يكن له مثيل في الانسان .

خيل السباق ، انظرها ، كيف بدأت ، ثم على العلم ، وعلى الاخص علم الانسال الذي عليه تنشأت ، كيف انتهت .

ان الله جميل يحب الجمال . والله خلق الانسان في احسن تقويم . والله يحسن ، ويبخل بالحسن الانسان . على الفقر يذهب الجوع بجمال الفطرة ويذهب المرض . وعلى الغنى ، تذهب التخمة ويذهب الايغال في اللذة باستقامة العود ودقة الخصر ، وتستبدل بصباحة الوجوه صفرة ، وباشراق الطلعة كآبة . والزواج يجرى اعتباطا ، فتمزج الامشاج المختلفة مزجا ، فلا يخرج من لقاء الاحمر بالاخضر غير الفوضى .

ونسمى النحول رشاقة . ونسمى السمن بضاضة . والضآلة نقرنها بضآلة الدمى لكى نقربها الى القلوب . والطول البالغ نسميه

قطعة تذكر بمصر
على شاطيء نهر التاميز
وهي ليست من مصر
انها من صنع المثال الانجليزي فليامي
(١٨١٧ – ١٨٨٦)



فراغة . والقصر نهنىء صاحبه بانه اقرب الى الارض . وعندى ان كل ما خرج عن معدل الاجسام انما هو شيء ينتظر مشيئة الله ان تفتح على خلقه باب الحكمة التى يكون بدخوله حظ الناس من الجمال أكبر وأتم .

ومع هذا فقد وجدت في وجوه هذه الجموع في لندن جمالا ، الا ان اكثره كان جمال حضارة ، كذلك الذى وصفه المتنبى حين قال :

حُسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

ودلتنى نظراتي هذه العابرة على أن الجمال ، مجلوبا او غير مجلوب ، انما هو شيء نادر في الامم جميعا . والجمال المكتمل اندر من الماس ، ومن أجل هذا كان ، كالماس ، غالى الثمن .

وجمال الوجه قد يكتمل وقد لا يكتمل . ومقياس الجمال عينك الباصرة . فالوجه المكتمل الجمال هو الذى يكون فيه من الحسن ما يجعل العين تغفل عما فيه من نقص . فكم وجه تنظر اليه فلا يأخذك منه غير العينين والحاجبين في جمال لهما مفرط ، وتغفل بذلك عن سائر الوجه ونعم ما تصنع .

والوجه قد لا يكون فيه جمال لافت ، حتى اذا ابتسم اشرق . والعكس صحيح ، فكم وجه يكون اكثرُ جماله وهو عابس .

ووجدت كذلك الجمال غير مكتمل في الاجسام ، اجسام هذه الجموع . عود كالخيزران يحمل وجها له انف كالساطور ، ولا تثريب على صاحبه او صاحبته ولا ملامة .

والمعنى المستفاد من كل هذا أن الجمال بين الناس قليل . فليس لشاب كائن من كان ، وفي اى ركن من اركان الارض كان ، ان يطلب في حياته حظا منه فوق ما جاز ان يكون له نصيبا ، نزرا .. ولا تطلب فتاة .

ولكم رأيت فيما توسمت في هذه الجموع الرجل الوضيء يصحب زوجة غير وضيئة ، والزوجة الوضيئة تصحب زوجا غير وضيء ، فاقول في نفسي ، عندما انظر الى الاطفال ، ان في هذه المراة او في هذا الرجل من ضياء الانفس مالا بد قد اغنى عن ضياء الاجسام .

والملابس من بعد الاجسام

وذكرت الاجسام ولم اذكر ما عليها من ملابس .

والحق ان للاجسام المقام الاول ، وللملابس المحل الثاني .

والملابس على كل حال ملحقة بالاجسام . والملابس كانت في اول امرها غطاء للبدن ، ثم طورها الانسان فكانت غطاء وزينة .

والملابس التى وقعت عليها عينى اكثرها زينة الوان . وتراها معلقة وحدها في نوافذ المخازن فلا تهتز ، انت ايها الرجل ، لها ، ولكنك تهتز لها وتدرك مفاتنها ، مفاتن هذه الثياب ، وهي على المراة .ذلك ان « التثويب » اصبح اليوم فنا . وهو فن يهدف الى شيئين : ابراز ما في الجسم من مفاتن ، او اخفاء ما فيه من مناقص .

ووجدت في نساء لندن ، هؤلاء السائرات السادرات ، جمالا في أثوابهن رائعا ، يجمع بين اشياء ثلاثة : الرخص ، فهي من قطن او ما قاربه . وهي ، لقلة ما تحمل منها المراة الغادية الرائحة السريعة الخطوات ــ وكلهن هذا ــ لا تزن الا القليل . ثم البساطة ، ولم اجد ابسط مما يلبس نساء لندن واخص فتياتها .

انه معرض متنقل ، تجد فيه العين ، من جمال البشر ، وما يلبس البشر ، مالا تجده في الطير وما يلبس الطير من رياش ذات الوان اذ يحط على الشجر الاخضر متعة نقية بيضاء مبرّاة من كل سوء .

وهو كالمعارض ، وان لم ينتصب عمدا . يدل على ان القوم من الرخاء في موضع رفيع .

ولندن ليس فيها شحاذ ، الا ان يعزف لك بالموسيقى وانت تجود له بما تجود ، فهو شحاذ فنان . والا ان يبيعك علبة كبريت ، فهو شحاذ تاجر . ولن

ترى في البلاد كلبا الا وله صاحب ، وله بيت هو بعض اهله . ولن ترى قطة فتفزع منك وتهرب ، وهي دائما لها بيت ولها صاحب وصحاب . وفي الحدائق يقترب منك الطير الصغير يستجدى منك قطعة خبز . وتلقيها اليه فيلقطها ويطير . والحمام عند الكنائس الكبرى يرمي له الناس بالحب ، فيقع منه شيء بين قدميك وانت واقف ، ويقترب منك ويلتقطه على هوادة . انه حمام عوّده الناس ان يأمن شرهم فنشأ على هذا .

كل هذه مظاهر عادية لا تفوت احدا ممن يزور هذه البلاد .

وفى المخازن والمطاعم

ودخلنا المخازن ، واخص الكبير منها ،فوجدناها مساحات من الارض واسعة كالملاعب ضمّ بعضها الى بعض ، وهي فوق ذلك طبقات حمل بعضها بعضا ، وتسير فيها وتنظر وانت تعي ما ترى ، ثم اذا بك تنظر وانت لا تعي لكثرة ما اختلف عليه واليه النظر . كل ما كان اداة في عيش الانسان هناك ، واكاد اقول وكل ما امكن ان يكون . الف شيء والف ثم الف . الملابس كلها هناك ، للرجال والنساء ولكل الاعمار ، وللولائد . والزينة صنوف عرفنا ، واخرى خفيت علينا لجدتها . والاثاث من كل طراز . والثريات والمصابيح والكهرباء ، وما ابتدع لها وابتدع بها المبتدعون ، كله هناك . والمطابخ والمآكل ما كنت احسب ان لها كل هذه الادوات المئات . والخضروات والفواكه والاطعمة من لحم وغير لحم احتلت مكانا لقد والله اتسع لمباراة كرة . والكتب صفوفا صفوفا ، مصنفة مفرقة . كل شيء وجدناه في هذا المخزن الكبير مما يتصل بالحياة ، وان كان لا بد من استثناء فتوابيت الموتى .

وكان لا بد ان ننظر الى ما وراء كل هذا المظهر الجميل ، بل المظاهر الشتى ، التى توحي بمعنى النعمة الشاملة والراحة القصوى .

ونظرنا الى وراء كل هذا فذهب بنا البصر بعيدا عن العاصمة ، حيث المصانع الف ، يعمل بها العاملون ملايين . هناك لا تجد للحياة مثل هذا البريق الذى وجدناه في العاصمة ، وهناك لا توحى لك الحياة بمثل هذه النعمة السابقة التى وجدنا في هذه البيوتات الفخمة .

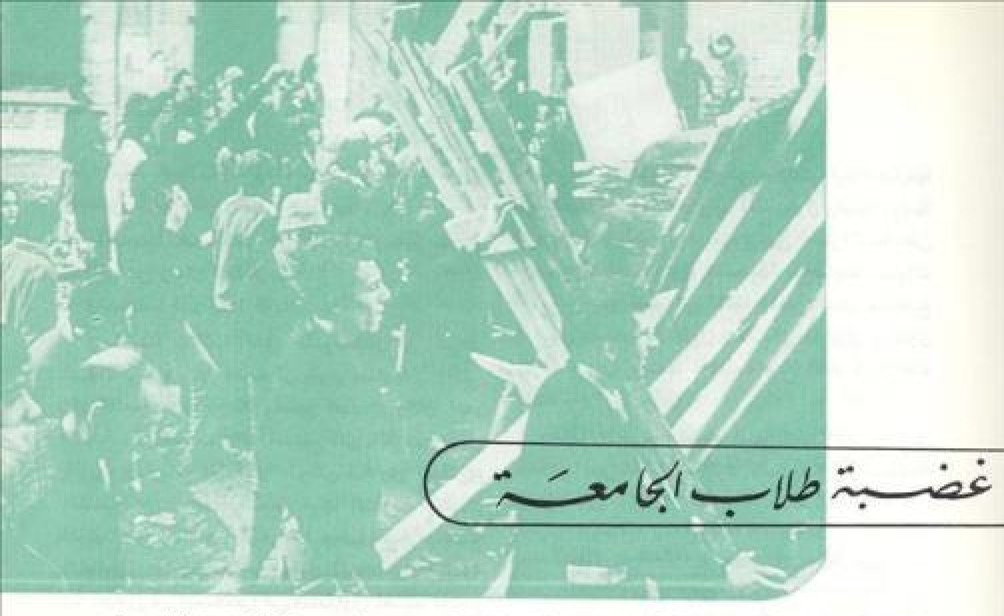
ودخلنا المطاعم ظهرا فوجدناها مزدحمة بالعمال والعاملات ولكن من مراتب اخرى . انهم اولئك الذين يعملون او يعملن بالقلم والالة الكاتبة والحاسبة ، لا بالمطرقة والمخرطة .

فعلمنا ان هذه النعمة السابقة وهذا الرخاء انما كانا من هذا العمل ، في بدلة زرقاء كان العامل والعاملة ، او في حلة بيضاء .

ان القوم هنا فقدوا ، بفقد امبراطوريتهم الواسعة ، خيرا كثيرا ، فاحرجوا من بعد ذلك حرجا كبيرا . وكانت من بعض هذا متاعبهم الاقتصادية . ولكنهم تعلموا على السنين ان كل درهم من انتاج لا بد ان ينتسب الى قطرة من عرق جبين . ومن الخطأ ان يتوهم بعض اهل الشرق ، ممن يزورون ديار اهل الغرب ، أن رخاءهم بعض ما تتحلب به السماء ، فهم يصيبونه من غير عناء . ان وراء هذا الرخاء كدّ الرؤوس بالفكر ، وارهاق الاجسام بالعمل .

مدنية حاضرة في اعلى مراقيها

ان هذه الجموع تتمثل فيها المدنية الحاضرة في اعلى مراقيها ، نظافة ، ونظاما ، وامنا ، وتخليق اشياء وابداع حاجات ، ورفاهة عيش ، وثراء واستنارة . وقد نشجبها في نواح كثيرة ، ولا شك نشجبها لماض لها استعمارى كريه ، ومع هذا تظل ، هي وامثال لها في شمال الارض خاصة، في القمة مما بلغ الانسان الحاضر من مدنية مادية. وادع الروحانية الان جانبا فلا امسها خشية ان اسيء اكثر اهل الارض فيها .



مظاهرة من مظاهرات الطلبة في باريس التي كادت ان تودى بالجمهورية الفرنسية الخامسة .

غضبة طلاب الجامعة

وانتقل من ملاحظات لي خفيفة عابرة خاطفة عن جيل من الناس وهو يُجرى الحياة على نحو ما سنّ القدرُ وسنّت عزائم القوم ، الى ذكر بعض ما شغل الرأى العام بتلك الجزيرة شغلا حدا به الى الظهور في صحف واذاعة وتلفاز ، والتّح في الظهور زمانا قصر او طال .

ومن ذلك تلك الغضبة التي غضبها طلاب جامعة باريس ، وتحولت الى عراك بل معارك مع رجال الشرطة ، ثم رجال الحكومة ، ثم النداء بسقوط الرئيس ديجول هكذا اعلانا في مظاهرات عنيفة دامية ، تحولت بها العاصمة الفرنسية الى شوارع اقيمت فيها المتاريس وحُطّم بها الشجر وقلت بها وسائل المواصلات . واقتلعت منها احجار ترصف شوارعها لتكون قذائف في ايدى الطلبة يقذفون بها الشرطة . وباقتران كل هذا باضراب عشرة ملايين من عمال فرنسا عن العمل ، اخذ النزاع يتشكل ويهدف الى حرب اهلية ، اطلقوا عليها هنا في لندن اسم الثورة الفرنسيةالجديدة، تمييزا لها عن الثورة الفرنسية القديمة العتيقة الشهيرة .

وكان طبيعيا ان تهتم بريطانيا بوقائع كهذه تقع في دولة جارة ، وصحب هذا الاهتمامَ خشيةُ ان ينتقل مثل هذا الحال بالعدوى اليها . وكان من اسباب هذه الخشية ان ثائرة طلبة جامعة باريس لم تكن الحادثة الواحدة من نوعها ، فقد سبقتها ثائرات مثلها عدّة ، في مدن وعواصم عدّة ، في برلين والدول الاوروبية الغربية ، وحتى في بعض الدول الاشتراكية كيوغوسلافيا ،وحتى في امريكا، في جامعة بركلى ، وفي الجامعة الحصيفة الرزينة جامعة كولومبيا بنيويورك . وحتى الطلبة الاتراك جروا على غرار أضرابهم فياوروبا فاحتلوا جامعة استانبول .

وظهرت هذه الخشية في بريطانيا عندما استدعى طلابها رئيس طلاب جامعة باريس ، الطالب كون الاحمر Chon The Red وسموه الاحمر لحمرة شعره ،دعوه الى ان يزورهم في لندن ليطلعهم على ما كان ، فلم تاذن له حكومة العمال بالبقاء في بريطانيا ، اذا هو حضر ، غير ٢٤ ساعة . وقام حزب المحافظين في البرلمان ينعى على حكومة العمال أن تاذن لهذا الطالب بالحضور ولو ساعات . وضحك رجال حزب العمال من حزب المحافظين أن يبلغ بهم الخوف من طالب الى هذا الحد ، وعتبوا على حكومتهم ، حكومة العمال ، ماكان منها ، فزادت اذنتها بالاقامة الى اسبوعين .

في التلفاز البريطاني

وكان التلفاز البريطاني هو كذلك قد استدعى هذا الطالب ، وطلابا آخرين من بلاد ثار طلابها ، طلاب جامعاتها ، على حكوماتها وعلى رجال السلطة فيهم ، وذلك للظهور على الشاشة في لندن ، في

ندوة ينشر فيها راى هؤلاء ، كائن ما كان ، على الجمهور البريطاني نشرا .

واجتمعوا بضعة عشر فتى وفتاة ، ومعهم مدير النقاش من رجال التلفاز .

واستمعنا لهم زمنا طويلا

واستمعنا للطالب الذى خشوه،فكان من اكثرهم اعتدالا . ونفى عن نفسه ان يكون يساريا . وادلى كل طالب برأيه . فكان منهم الهادىء وكان منهم الثائر . واشفقت وانا استمع الى اكثرهم . كل يقول ويشكو مر الشكوى . ولكن شكاوى كشكاوى الشعراء من زمانهم . ليس بينها الملموس المحدود الذى يضع الانسان عليه يده ويقول هنا موضع الشكوى حقا وصدقا . ويقول لهم مدير المناقشة انا احاول ان استخلص من الشكاوى أشياء يجتمع عليها رايكم . ويعيد الكرة ولايفلح . وقد يقع على شكوى محددة ، فيسأل عما يقترحون من علاج ، فيكون الجواب اما مبهما ، او اقتراح من جهل الكثير من شئون الحياة . ولا عجب فهم طلاب لم يمارسوا الحياة بعد . وانتهى النقاش وليس في قلبي ، مما سمعت ورايت ، الا الحب والعطف والشفقة . استثنى من ذلك كلمة قالها طالب باكستاني اسمه طارق علي ، قام متدفقا يقول ، وبدون ان يطلب احد منه القول ، ما كاد ان يعكر صفاء الحفل . كان يساريا متطرفا ،وصاح يدعو الى اليسارية باشد مما يقوله لسان ، ويقول ان هذا يحل مشاكل الدنيا . واختصر مدير المناقشة قوله لانه لم يكن في موضوع الساعة . كان نشازا . واحسسنا ونحن نسمع له كانه طالب يستغل الحفل للدعاية لنفسه .وفي الصباح قرانا ما قالت الصحف ، واشار رجل من رجال الحكم مسئول الى هذا الطالب ، فوصفه بانه Play Boy ، اى طالب « دلوعه » عظيم الثراء . وفهمنا من ذلك انه يتخذ من الدعوة الى اليسارية المفرطة هواية لما عزت مع الثراء الهوايات .

انتهت الندوة التلفازية بدون اعقاب . والذين خشوها اطمانوا بل ارتاحوا لها . وانا دائما ارى ان الراى الحر ، المنظم ، لاخطر منه أبدا . انما الخطر في الراى المكتوم المكبوت .

ان تشيكوسلوفاكيا ، بينها اليوم وانا اكتب هذا ، وبين الروس خصومة خطيرة .

تشيكوسلوفاكيا بلد اشتراكي. ولست متعرضا لها من حيث ذلك . وهي تريد ان تظل اشتراكية كما يريد الروس ، ولكن تريد اشتراكية تصيغها هي لنفسها بنفسها . وفي ذلك يقول رئيس دولتها للروس : « نحن نريد أن نرسى اشتراكيتنا على مراسى ثابتة من عقول الشعب . نريد بعد سنوات غير كثيرة ان نقيم في بلدنا الجو الذى يستطيع فيه كل انسان أن يقول اعلانا كل ما يرى ، بدون خوف ، وان يحتفظ بذلك ، ومع ذلك ، بكرامته الانسانية »

وهكذا الحرية ، يعود اليها آخر الامر ، كل صاحب تجربة ، اشتراكية كانت ، او رأسمالية، او بين بين .

مطالب الطلاب واسباب ثائرتهم

وتسالني ما مطالب هؤلاء الطلاب ، وما اسباب ثائرتهم ؟

فاقول ، معتمدا فقط على هذه الندوة التلفازية وما شهدته من ندوات غيرها، وعلى ما روته الصحف في لندن وردّدته ، وعلى ما طلعت علينا به الكتب، وما كان اسرعها في السوق ظهورا ،اقول ان الطلاب ليسوا فئة واحدة ، وليس لهم مطالب واحدة . ويمكن تقسيمهم الى صنفين ، صنف يحصر نقده في الجامعات ، وصنف يتعداها الى سائر انظمة الحياة .

اما الصنف الاول فقد يشكو من ضيق اماكن الدراسة ، او عدم وفاء المختبرات ، او من سوء المرافق ، او سوء الخدمات. والكثرة تنقل شكواها الى البرامج الدراسية وانها لاصلة بينها وبين الحياة الحاضرة ، ولا صلة بين الكثير منها وما يؤهل الطالب بعد ترك الجامعة الى التكسب بالعمل . وهم يقترحون حلا لذلك ان يشترك الطلبة في ادارة الجامعة . وعندهم ان المرفق الطلابي الصرف لا يقوم به غير الطلبة . واما برامج الدراسة ، وما يدرس وما لايدرس ،فيشترك الطلبة في وضعها مع الاساتذة . ثم يكون للطلبة ممثلون في مجالس الكليات وحتى مجلس الجامعة .

واما الصنف الثاني فيسخط على النظم القائمة في الدنيا ، من سياسية ، الى اقتصاديه الى اجتماعية .ويضرب الامثال من حرب فتنام .جريمة انسانية كبرى ،واضح فيها من الظالم ومن المظلوم، والعالم كله قائم ينظر ، واكثره يخشى حتى ان يقول للسفاح كفى .

فهؤلاء الآخرون لا يريدون ان تكون الجامعات

اماكن علم فحسب ، وانما أماكن تناقش فيها كل امور الحياة ، من خاصة وعامة . تناقش فيها الحياة الانسانية من جميع وجوهها على سطح هذه الارض . وعندهم ان اساتذة الجامعات الحاليين ، في اوروبا وامريكا وغيرها ، ليسوا جديرين بهذا العمل . فعلى الطلبة ان يتدخلوا حتى لو اقتضى الامر في اقالة الاساتذة وتعيينهم .

انا بهذا انما احكي ولا أعلق . كلها آراء ظاهر صائبها ، ظاهر باطلها . وارى ان الخطأ الاكبر في ان يقرأها القارىء ثم ينساها . ان حركة الطلاب حركة عالمية ، وبين طلاب كل دولة روابط دولية ، والعصر الذى نعيشه اليوم عصر متحرك سريع الحركة ، فيجب ان نجاريه ، وبسرعة ، فيما يظهر وجه الحق فيه ، ونقف دون الباطل .

الصلة بين الطلبة والاساتذة

ومع انى لا أعلق لا أرى بدا من القول بان اكبر اسباب هذا القلق انقطاع الصلة في الجامعات بين الطلبة والاساتذة . نشأنا شبانا على أن الذى يميز الجامعة التقاء الطلاب باساتذتهم ، والتآلف والتناصح الجارى بينهم ، ثم دخلنا الجامعات طلابا ، وكنا بها اساتذة ، فلم نجد شيئا من ذلك .

استاذ الجامعة اليوم كمدرس المدرسة الثانوية. يلقى الاستاذ درسه ، ثم يختفي .ولا يراه الطلاب الا في المحاضرة التالية . ومع هذا لاتزال هذه الاكذوبة قائمة : التواصل بين طلبة واستاذهم .

واستثنى اقسام التخصص العليا والابحاث . انه من اجل هذا ، وبسبب ما صارت اليه الجامعة من قلة الوصل بين استاذ وطالب ، سوف تقوم الجامعات التلفازية بعد سنوات ، يلتحق بها من يلتحق ، ويظل في بيته من يلتحق ، ومن بيته ينصت للمحاضرات ، ويرى الاستاذ صورة ، ويسمعه صوتا .

والعمال يضربون

ومما حضرناه في لندن اضراب العمال . وما اذكر اننا حضرنا هذه البلاد صيفا الا وكان فيها اضراب من صنوف شتى . واول اضراب حضرناه هذا الصيف اضراب عمال السكك الحديدية . وبدأ نصفا ، ليكون بعد ذلك كاملا . وارهق الشعب ، وارهق الدولة . فمطالب العمال انما كانت هذه المرة مطالبة اجور من الدولة لا من اصحاب اعمال . وانتهى الاضراب بعد خسائر فادحة بلغت الملايين مُنيت بها البلاد ، في حين بريطانيا في حاجة الى كل جنيه في ازماتها المالية الحاضرة .

واعقب اضراب عمال السكك اضراب طيارى مؤسسة الطيران لما وراء البحار B.O.A.C. وتحول المسافرون الرائحون والغادون الى شركات طيران غير بريطانية ، وبلغت الخسائر ملايين .

ونوع جديد من الاضراب . مئات من النساء اضربن في مصانع فورد للسيارات فاخرجن باضرابهن هذا عن العمل آلاف العمال من الرجال. وضاع على الشركة ، وعلى الامة البريطانية كذلك ملايين .

ثم السيارات العامة ، الاوتوبيس ، وعليها عماد الحياة في كل بلد نما ، قد انذرت ، وانا اكتب هذا ، بالتوقف ، وضربت له موعدا ، كذلك بسبب الاجور .

ازعاجات لا أدرى كيف تكون في امة حديثة مستنيرة – او على الاقل تفرض فيها الاستنارة – في الوقت الذى تعالج فيه اقتصادها المؤذن بانهيار .

وليست بريطانيا وحدها في هذا الامر . فمثل فرنسا قريب . عشرة ملايين من العمال اضربوا فهددوا نظام الدولة . والفرنك ، عملة البلاد ، كادوا ان يطيحوا به .

صار الاضراب عندهم ، كالمطر ، عادة اجواء

والعجيب ان امم الغرب جميعا ، لاسيما اهل بريطانيا ، يستقبلون هذه الهزات الشديدة من الاضرابات استقبالهم المطر ، اذ ينزل متى يشاء ، واذ يكف متى يشاء ، وهم عن كلا الحالين راضون.

وتبحث عن هذا الجمود فتجد جذوره الخافيه تنبت من معان عندهم للحرية عميقة . فالعامل عندهم له الحرية في ان يعمل ، وله الحرية في ان لايعمل . والطريق الذى تراضوا عليه في الامم الراسمالية ، من اوروبية وامريكية ، ان يستخدموا هذه الحرية للحصول من اصحاب الاعمال على ما يحسبون انه الاجر المجزى . وقد تغير الحال ، في بعض الاحوال ، فصار صاحب العمل الدولة ، ولم

يغير هذا من الامر شيئا . وعندما يضرب عمال المرافق والصناعات والخدمات انما يتظاهرون بالجمهور ، وهم لاشك يؤذونه ، وهم لاشك يعلمون انهم يؤذونه ، ومن هدفهم ايلام الشعب والضغط عليه ليصيح ، لا في وجوههم ، ولكن في وجوه الحكومة القائمة لتضغط على اصحاب الاعمال ، او من كانوا في حكمهم ، ليعطوا العمال مايريدون من اجور .

والمسألة لها وجوه من التعقد تضرب في اصول الحياة .

الجمهور دافع كل زيادة في الاجور

ومن نتائجها الظاهرة ان اى زيادة في اجور السكك الحديد مثلا ، لاتلبث ان يظهر اثرها زيادة في اجور السفر يدفعها الجمهور . فالجمهور هو آخر الامر الدافع .

ثم ان فئات العمال ليس اضرابهم ذا أثر في الجمهور ، ففي الحكومات ، واحد . فالفئة الاقوى ، من حيث اصابتها الجمهور في الصميم ، هي دائما الفائزة بنصيب الاسد مما تريد . والفئة الاضعف لها النصيب الاقل . ومن الفئات من لايقوى عددا ، ومن لايقوى عُدّة ، على الاضراب او على اطالته فيرضى بالمقسوم .

السيارات العامة في لندن ، وهي ذات طابقين ، وقد انذر عمالها باضراب ، ان وقع شل الحياة . والاضراب حق من حقوق الحرية التى تقوم عليها الديمقراطية الغربية .



ولانسى ابدا حقيقة هذه الاضرابات لشتى فئات العمال مجموعة معا . ان كل فرد في الدولة عامل . وكاتب الالة عامل ، والمدرس عامل ، والطبيب وهلم جرا .

كل هؤلاء يتنازعون فيما تكون انصبتهم ، بالاضرابات او بغير اضرابات ، من دخل الدولة العام ، ودخل الناس كافة لادخل حكومة فحسب .

ليس في الموازين ميزان يزن الاعمال

والسؤال المتبادر : كيف توزن كل هذه الاعمال على اختلافها ، لتتقدر لها اجورها . سائق الاتوبيس هل يؤجر في اليوم اجر الطبيب ، ام دونه ، ام يزيد عليه . ثم ان المهنة الواحدة ذات مراتب ،فكيف تقدر اجور هذه المراتب وباى ميزان توزن ، وباى مقياس تقاس .

مشكلة كبرى من مشاكل البشرية ليس من نصيبها الحل السهل الواحد . ولابد في الامة ، اى امة ، معاصرة حديثة ، من تربية اجتماعية واسعة تزيد نصيبها من قبول للحل الذى ترتضيه اكثر العقول الانسانية رجاحة ، وابعدها عن طلب منفعة ، واقدرها على الانطلاق مع الزمان .

موقف العمال من التحكيم

ومن وسائل حل الخلافات بين العمال واصحاب العمل ، ولو كانت الدولة صاحبته ، التحكيم . ولكنى شهدت ندوة ذكر ذاكر فيها "التحكيم" فاذا قائل من العمال يصيح : لانرضى التحكيم . ليس شيء في الدنيا يقال له التحكيم .

يقصد بذلك انه من المستحيل ان يضم مجلس التحكيم اعضاء لايميلون ، اما يمينا ، واما يسارا ، بحكم النشأة والثقافة ، وحتى بحكم المزاج النفسى .

والعجيب ان هذا الصائح تبعه صائحون يعززون صيحته . هؤلاء قوم يريدون من غير البشر حكما .

دخل اللون بريطانيا ، مشكلة من مشاكل الحياة جديدة

ماذا بقي من مشاكل القوم هنا مما لم اذكر ؟

بقي الكثير الذى يضيق به كتاب . وكلها مشاكل انسانية ، عميقة اصولها في انفس البشر من بيض وسود والمشكلة التي انا ذاكرها الان هي مشكلة اللون تحمله الوجوه النازحة الى شواطىء هذه



المنزل الشهير رقم ١٠ بشارع دونتج ستريت : منزل رئيس وزراء بريطانيا ، ينزل فيه الآن بحكم منصبه المستر هارولد ولسن ، وهو يعاني من اقتصاد بريطانيا المتأزم ، وقلق الشعب من تجميد الاجور مع رفع الاسعار ، وضياع الثقة في حزب العمال الذى كشفت عنه الانتخابات الفرعية للبرلمان . وليس يسوء شعبا كالضيق الاقتصادي

الجزيرة ، لا لتزور ثم تعود ، ولكن لتستقر بها استقرارا ، وليكون لها بعد حين حقوق المواطن بها كاملة ، وبالطبع وواجباته

ان في انجلترا ، كما سبق ان كنت ذكرت ، مليون نازح . وكان الشان فيهم نائما فاستيقظ . ايقظه امران :

اولهما مايجرى في الولايات المتحدة بين بيض وسود من عراك عنيف شديد . وتحاول الحكومة هناك ان تساوى بين اللونين قانونا ويابى السكان البيض للقانون تطبيقا ، ومن رضى به فانما يرضى استسلاما لامر لايجد منه مفرا . فهذه هي حقيقة مشاعر الامريكيين البيض ، وهم الاغلبية الكاسحة، ودع عنك ما يلوكه القوم من الحرية والديمقراطية واشباه ذلك .

اما الامر الثاني الذى ايقظ الفتنة في انجلترا فهو قرار كينيا ، بافريقيا ، الذى يحتم على كل من سكنها ، من سُمر وسود هنود ، وحمل جنسية غير الكينية ، ان يتخلى عنها ويصبح كينيا ، والا غادر البلاد . وكان للكثير من هؤلاء الحق في النزوح الى انجلترا بحكم انهم حملوا جنسية الامبراطورية البريطانية القديمة المتهاوية .

واتجه الزحف ياخذ طريقه الى انجلترا آلافا مؤلفه . وفزع أهل هذه البلاد .

والمضحك في هذه المشكلة انها من ناحيتيها انما هي مشكلة لون . فهرب السمر والسود من كينيا انما كان هربا من حكم السود . ومعارضة الانجليز للالاف الزاحفة انما هي كراهة للسمر والسود معا ، ان يحلوا بينهم .
ويشاركوهم محاصيل الحياة ، من مطعم وملبس ومسكن ، ومن تعليم وتطبيب وسائر ثمرات العيش المدني جميعها .

وشق اللون حزب المحافظين

وقام صارخ منهم ، هو احد الاعضاء المحافظين في البرلمان ، يصرخ في دائرته الانتخابية صرخة دوت اصداؤها في كل اركان بريطانيا وجاوزت الحدود . قام يعارض حكومة العمال فيما اخذت تسن من قانون يحد من هذه الهجرة ، ولكنه في نفس الوقت يجعل حرمان الرجل الملون او المراة الملونة ، المقيم في بريطانيا ، من العمل وممارسة حقوق المواطن ، بسبب اللون ، عملا يشرّع له القانون عقابا . نادى المستر باول Powel (فهذا اسمه) برفض القانون جملة ، وبمنع النازحين من الاقامة كلية .

وانشق اربعون من اعضاء البرلمان المحافظين على المستر هيث Heath رئيسهم ، لما قرر الموافقة على القانون . والحق ان الذين وافقوا على القانون من المحافظين لم يوافقوا قلبا ، ولكن وافقوا اضطرارا حتى لايقال ان الحزب يمارس التمييز العنصرى ، وهي تهمة اصبحت هذه الايام، على الصعيد الرسمي ، تهمة لاتغتفر . واقول على الصعيد الرسمي ليتاكد هذا المعنى .

رأى استاذ في اللون

سالت استاذا له في الراى اعتدال ، ما حقيقة احساس الشعب البريطاني في هذا الامر . قال سلني عن احساسي انا . قلت فما احساسك ؟
قال : « انى احب الافريقيين وارجو لهم الخير وأعين عليه ، ولكن لا افهم معنى ان يتركوا بلادهم لينزلوا في بلدنا الوفا مؤلفة ، على اختلاف ما بيننا وبينهم في أكثر وجوه الحياة . انهم لاينسجمون

ولو طالت السنون . والذين ينزحون الينا ليس من خيرة القوم » .

« انا ارضاهم الفا او الفين في المدينة الواحدة. اما الكثرة التي تصبح عنصرا ذا بال من عناصر السكان فلا ارضاها . وهم دائما بيننا في عزلة ، لايختلط الابيض بالاسود في وقت الفراغ . ويعزف الاسود كما يعزف الابيض وبدرجة سواء . والملونون انفسهم متعازلون بيننا . ان الهنود يعيشون وحدهم ، والباكستانيون وحدهم ، والسود من جميكا وحدهم . وحتى سود جميكا لايختلطون بسود افريقيا . انها العناصر تفرق . وانها اللغات . وان البلد الواحد يزيد في متاعبه ان يقل فيه الانسجام بين عناصره . ثم قل لي ، لماذا يترك الملونون بلادهم التي جعلها الله لهم ليتخذوا مواطن غيرها . »

قلت : لعل بلادهم تضيق بهم فيطلبون حياة افضل .

فسالني : وعلى حساب من هذا ؟

قلت وانا ابتسم : « على حسابكم اولا ولا أنكر هذا ، وثانيا على حساب جماهير امتهم تلك التي هربوا منها طلبا لعيش افضل » وارتاح الاستاذ لجوابي .

رأى ربة بيت في اللون

وسيدة عندها شقق في بيت لها تؤجرها . وكنت يوما من ٦جرانها . وسالني صديق هندى عن بيت في لندن يستأجره . فذكرت له صاحبتنا هذه . ولقيته بعد ذلك فعلمت انها لم يكن عندها شقة خالية . وعندما لقيتها عرفت الحقيقة . انها ترفض سكنى الاسر الهندية لان سكان البيت الاخرين يضيقون برائحة « الكرى » الهندية التي هي عندهم من لوازم الطبخ . واخذتني على جانب ثم قالت : « انا لست من ضيق الذهن بحيث اضيق بمعاني الحرية والتحرر التي تتسم بها الاجيال الحاضرة ، ولكني ارى في مشكلة اللون هذه التي اثاروها زوبعة كبرى ، ان الناس فيها تنسى الطبع الانساني الذى اودعه الله فينا ، من ميل الانسان الى جنسه ، فانا ، ولا غضاضة في ذلك ، اميل الى ابن جلدتي وبنت جلدتي ، كما الاسود اميل الى ابن جلدته وابنة جلدته » .

واقتبطت « لابن جلدتي » هذه « وابنة جلدتي » لانها احتوت على قصرها معنى له في الحجاج للون ، او على اللون ، قوة العاصفة .

العرب واسرائيل في الميزان

طال الحديث واريد ايجازه

ولكن حدثا وقع هنا ، وانا في لندن ، لا يمكن اغفاله . انه يتصل بالعروبة ومشكلتها الحاضرة . دبر التلفاز البريطاني ندوة توازن بين الحق يطلبه العرب ، والحق يطلبه الاسرائيليون . واجتمعوا لذلك في قاعة من قاعات الاذاعة . ووضعوا في اوسط القاعة مائدة ، وعند رأسها جلس مدير المناقشة ، والى جانبها الايمن جلس المدافع عن الوجهة العربية وهو انجليزى عضو في البرلمان معروف ، والى جانبها الايسر جلس المدافع عن الوجهة الاسرائيلية وهو انجليزى كذلك وعضو في البرلمان معروف .

ومقعد في مواجهة مدير النقاش من المائدة يجلس عليه الشاهد الذى يستجوبه المدافع ليؤكد وجهة نظره . ولكل مدافع ان يحضر من الشاهدين خمسة . فهم عشرة الشهاد اذن .

وكان امام مدير النقاش ومائدته مدرج جلس فيه المحلفون ، وهم نحو من ثلاثين ، وهم يقضون للعرب او عليهم بناء على ما يسمعون . ووراء مدير النقاش ومائدته مدارج جلست عليه طائفة غير قليلة من الجمهور . ولكن الجمهور الاكبر ، ولا بد بلغ الوف الالوف ، جلس عند المستقبلات التلفازية في البيوت القريبة والمترامية في البلاد كلها يسمع ويرى .

قلت لصاحبي ، وانا اشهد ما يشهد الناس ، وقبل ان تبدأ هذه المحكمة الشعبية في اجراءاتها ، قلت لا اشك في نتيجة الحكم . قال ما هي ؟ قلت لاسرائيل وعلى العرب .

وقد كان . المحلفون الذين حكموا للعرب كانوا سبعة ، والذين حكموا لاسرائيل كانوا واحدا وعشرين والمسالة هنا ، نجاحا وخيبة ، انما هي مسالة محلفين . ما كان يمكن لهيئة عامة في انجلترا ، كمؤسسة التلفاز ، او في اى بلد من بلاد الغرب فيه اليهود قوة ، ولهم فيه مسالك

ومنافذ وروابط عديدة متشعبة ، ان تجمع الاعضاء المحلفين لمثل هذا النقاش اعتباطا . كان لا بد من اختيار المحلفين لينتج عنهم الحكم المطلوب .

ومع هذا فقد قال لي صاحبي ، وهو من اهل البلاد : ان يكن خسر العرب حكم هؤلاء المحلفين ، فقد كسبوا لاشك حكم الشعب الانجليزى ، او اكثره ، بهذا العرض المجيد . وهذه كلمة حق وقعت في نفسي قبل ان اسمعها .

اعتراض

ومع هذا فلي اعتراضان على من قاموا بعرض القضية العربية على هذا النطاق ، ولاشك شارك العرب فيه .

انهم احسنوا باختيار احد الشهود يهوديا من رجال الدين ، راى غير ما يرى الصهيونيون . ودافع عن العرب واحسن دفاعا . ولكنهم اخطاوا عندما جاؤا بشاهد آخر ، شيخ متهالك ، قيل انه كان مختار مدينة القدس العربية ثم شلحه اليهود من منصبه . فمع احترامي للرجل واكرامي لشيخوخته وعجزه ، كان ظهوره على المسرح ضد العرب لا معهم . جهل الانجليزية الا كلمات . وتاتا في قوله حتى ظننا انه عاجز عن الكلام باى لغة . ويساله المدافع عن العرب فيكون جوابه دائما انه يترك له الجواب عن السؤال . اذن فلاى شيء أحضروه من القدس . ولا بد قال المشاهدون هذا لابد زعيم من زعماء العرب والا ما كانوا نصبوه مختارا للقدس .هذه اخطاء جدير بالعرب ان يتجنبوها ، فالمظهر نفسه كان جديرا بان ينفى اثر حجج كثيرة في الحق تقال .

وخطا آخر يقع فيه المجادلون العرب . لاحظت دائما ان الصهيوني عندما يجادل عربيا ، في حفل عام ، لا ينال صلب الموضوع ، ولكن يحوم حول اطرافه فيما لا يتصل بصميم القضية في شيء . مثال ذلك مجزرة دير ياسين هل قتل اليهود من العرب اكثر ، ام قتل العرب .

شرم الشيخ هل كان من الجائز منع السفن الاسرائيلية من اجتيازه . والعرب ، الم ينادوا بقذف الاسرائيليين في البحر .

مواضيع تثار ، الغرض منها اثارة الضباب لاخفاء موضوع القضية الاصيل البسيط : انّ قوما غرباء جاؤا بحكم القوة الى ارض قوم مسالمين ، فاحتلوها غصبا ، واجلوا اهلها بشتى صنوف

موضوع القضية الاصيل ، قوم غرباء جاءوا بحكم القوة الى ارض قوم مسالمين ، فاحتلوها غصبا ، واجلوا اهلها بشتى صنوف الارهاب ، فلم يكن لهم غير الصحراء موطنا .

الافزاع والارهاب عن منازلهم ، واستولوا على كل ما ملكت ايديهم ، فلم يكن لهم غير الصحراء موطنا ، ولم يبق عندهم من متاع الحياة شيء .

هذا هو الموضوع الاصيل البسيط الذى يتجنبه الصهيوني المجادل ، ويجر مناقشه العربي بعيدا عنه ، ويرضى العربي فى غفلة منه بان ينجر بعيدا عن النقاش الاصيل. وهذه المواضيع الثانوية التي تثار ، كثيرا ما يتارجح الحكم فيها (وقد يكون بها اخطاء اخطاها العرب على الاقل فى نظر الرجل الغربي) فتفيض هذه الارجحة على القضية الاصيلة فتضعفها.

على انه ما جدلٌ بنافع ، لا فى الاصول ولا فى التوافه التوابع .

فالذى اخذ بالسيف ، لايردّه الا السيف .

ونحن مع الزمان ،مهما طال ،صامدون صابرون .

●●

لندن ٢ اغسطس ١٩٦٨

احمد زكي



العودة

بقلم الدكتور محمد الفرا

مندوب الاردن لدى الامم المتحدة

في مكتبي فى القاهرة .. اجلس لأعد مشروع قـرار لمجلس الوحدة الاقتصادية يقضي بالغاء جوازات السفر وتسهيل التنقل فى الوطن العربي الواحد ..

تقف أمام السفارة سيارة .. يسرع بالنزول منها شيخ عجوز .. اراه يسأل بواب السفارة سؤالا ثم يهرع نحو مكتبي .. يصعد سلم العمارة الملتوى في خفة غريبة ، رغم ثقل الشيخوخة المضنى .. يدخل مكتبي ويلقى بنفسه على يدى مقبلا . وفجأة اجد احدى يدىّ مغمورة في لحيته القضية الطويلة .. واحس دموعه تتساقط على يدي واهبُ مذعورا متسائلا منفعلا .. والتفت الى هذا الرجل الوقور .. الدموع تنهمر من عينيه ينظر الىّ نظرة الرجل الكبير المحطم .القلب الضائع.الذهن الموزّع الفكر السارح في عالم كله قسوة والم .. وآخذ اهدىء من روعه .

يجلس الى جانبي ويشرع يقص علي قصة من مأساة . وقضيت ساعة أسمع قصة سبعة عشر عاما بعثت في نفسي انفعالات مختلفة .. هادئة مرّة .. ثائرة اخرى .. اعادت الى ذاكرتي القضية المفقودة .. المتداولة في سوق المساومات والآهات والتمني .. بثنى لوعته وحزنه وغيرته على شرفه ..

قال :

قصتي ياعم تبدا ساعة ضاعت فلسطين فى ١٥ أيار ١٩٤٨.. عندما احتل اليهود المنطقة المجاورة لقريتي « الشيخ مونس » . سمعنا بوحشيتهم

« عالية » بكل رعاية وعناية وما يكتبه اللهلنا يكتبه لها .. اذهب وتوكل على الله . »

قبّلتُ « عالية » الملتفة في نصف متر من قماش أسود وسلمتها الى ضيفي المصرى الذى كان يحضر كل سنة طلبا للرزق ويقيم عندى وفى أرضي وبلا مقابل فى أثناء موسم البرتقال .

وبعد ساعات ازداد الضغط اليهودى علينا واخذت أخبار القتل والبطش والتشنيع تشق طريقها الينا .. فهربنا وتوزعنا ايدى سبأ .. رمتنى الايام في معسكر اللاجئين بنابلس ولما يمض ثلاثة ايام على موت زوجتي .. ولم اعرف اين استقر بابنتي المقام .

وعشت حياة الخيام.. والذل .. والحاجة .. وقست الايام والدنيا على .. وانتظرت أخبار ابنتي .. اين هي ؟ كيف هي ؟ استيقظ فيالليل واحدث النجوم المنثورة في السماء عن همي .. أسال في ظلام الليل أين أنت يا « عالية » .. كيف حالك يا « عالية » .. واروح أحدث نفسى في سكون الليل ألوانا من الاحاديث .. ثم أنتهى الى القول لا يمكن ان يجمعنا مكان الا « الشيخ مونس » .. هنالك افترقنا وهنالك اللقاء ..وتختلط أحاديثي اذا ما اصبح الصباح بأغاني العائدين واذاعات عن وعود حكام العرب وتجار السياسة من العرب وما اكثرها .. وما أكثرهم .

وطال المقام .. وتأخرت العودة وكبرت ابنتي في عالم لا أعرفه..وأنا تائه لا أدرىاينأتجه..أعرف طبعا ابنتي مع الأسرة التي كانت تقيم في ديارنا من بادية سينا .. ولهذا اشعت الاخبار مع كل متجه الى غزة وسالت عن ابنتي كل ات .

وأخيرا وبعد خمسة عشر عاما جاءني لاجىء يقول ان ابنتي بمصر فى عزبة « اكس » القريبة من المنصورة وانه التقى بأبيها المتبني فى احد حقول القطن ورآها تجمع القطن هناك مع بعض اللاجئين الذين جاءوا منأجل العيش.. تماما كما كان يعمل الحاج حسين فى حقول البرتقال الجميلة فى بلدى المغتصب الحبيب ... وكادت المفاجأة وشدة الفرح ان تقضيا على .. ووجدت نفسي اهب فرحا مقبلا هذا الرسول الطيب الخير الكريم.. والملم ملابسي وآخذ بعض نقود من ولدى الجندى الرابض على خط الفداء .. وأهم بالسفر الى



واعتدائهم على النساء وقتل الاطفال فدب الذعر فينا واخذ عربنا في الرحيل .. وكان ترحيلالنساء والاطفال هو الواجب الاول .

« وشاءت الظروف ان ياتي زوجتي المخاض في تلك اللحظة فتضع طفلة هي « عالية » وتموت الزوجة بعد الوضع بساعات وانهمك فى دوامة من المآسي ، هذه الزوجة لابد من الاسراع في دفنها في مسقط رأسها .. وهذه طفلة فى المهد فى حاجة الى مرضعة فى الحالوهؤلاء الاطفال بانتظار الرحيل .. وهذا انا أقف حائرا لا أدرى كيف الطريق الى الفرج .. ماذا اعمل ؟ اين اتجه ؟ ادور فى حلقة مفرغة .. وابقي واقفا حيث انا .. ويأتي لى « الجار حسين » ويقول : « يا أبا فلاح لاتجزع ولا تيأس .. اهتم بدفن الزوجة ، واعطني الطفلة .. وسترعاها زوجتي وتعتبرها طفلتها فهيأمطفل رضيع آخر .. »

ثم يعيد :

« لاتيأس .. ولا تحزن .. ان الله كريم .. افضالك علينا كثيرة يا أبا فلاح ، وستحظى

ارض الكنانة .. وسرعان ما يسقط في يدي عندما اجد أن « الدار قفر والمزار بعيد » . العلاقة بين بلدين في الوطن العربي الواحد لا تسمح بالسفر .. والاتصال يجب ان يؤجل .. واذن لابد من توكيل من يحضر الفتاة لي .. وظننت أن الامر بهذه السهولة ..

وارسلت الوكالة الى قريب لي في قطاع مقطوع من الوطن الحبيب . وذهب الوكيل بعد ان سمع له بتخطى الحدود والسدود . واستخدم البوليس .. وجيء بابنتي في حراسة الشرطة .. وحز في نفسها ان يكون اول اتصال لابيها بها عن طريق امن .. وشرطة .. رات بنادق .. وسلاحا ولمست الخوف .. من جديد .. وتصورت أن اباها جبار قاس لايعرف الحنان . وحال وصولها الى مخفر الشرطة اعلنت ان لا ابالها الا المتبنى ولا تريد عنه بديلا . واعطيت حرية الاختيار .. واعادها البوليس الى العزبة .. ووصل الخبر الى فازدادت تعاستي .. ولملمت احزاني وذكرياتي ومآسي لاعيش فيها من جديد ..

عدت لاعيش في جو اللاامل .. في مخاوف والام الماضي . اتطلع الى عدالة السماء : زوجتي فقدت حياتها . وابنتي تنكرت لي وآثرت ان لاتعود الى، وهكذا انتزعت قسوة القدر ارضي وزوجتي وابنتي بل كل شيء لي في هذه الحياة .

ووجدت أن لا أمل لي الا بمحاولة اخرى اقوم بها بنفسي ، لعل الله تعالى يكتب لي النجاح .. لكن هذه المحاولة تحتاج الى سفر والسفر مربوط بتغيير العلاقات بين بلدين عربيين من وطن واحد .. !

ومرت الايام وازداد هول المصيبة بعد ما جرى .. تجدني استيقظ صباحا لاسمع الاخبار من عمان والقاهرة ، اطوف في المخيم وكلما وجدت لاجئا يقرأ الصحف اقف عنده واناشده بالله العظيم ان يقرأ لي ما يتعلق بعلاقات الدولة العربية التي اقيم فيها مع تلك التي تقيم فيها « عالية » .. وهكذا دواليك اصل ليلي بنهاري ونهاري بليلي انتقل من اذاعة الى اذاعة ومن جريدة الى اخرى .. سنتان كاملتان واخيرا لاحت بوادر الفرج ..

اعلن مؤتمر القمة العربي الاول والتقى « الاخوة » وتحسن الجو .. وسافرت الى القاهرة لاكون عندك الآن .

هذه هي قصتي وهذا هو عنوان ابنتي ويا عم انا داخل عليك .. وعلى كل واحد من عائلة « الفرا » .. ساعدني . انا لا استطيع البقاء هنا طويلا ، لانني لا احمل الا القليل من النقود ، ولا اريد ان اكون عالة على غيري من الناس . ان الله اخذ مني كل شيء ، وابقى لي عزة النفس . وانت لا تريد ان احرم هذا و « أكسر نفسي » في هذه السن .. ارجوك . »

حزت قصة الشيخ في نفسي حتى اذا ما تنفس الصبح كنت مع هذا الرجل الفاضل اقود سيارتي مسرعا الى المنصورة ، احمل في جيبي كتابا من وزارة الداخلية في القاهرة الى المسؤولين هناك لتسهيل مهمتي .. وانقضت ساعات ، التقينا بعدها بالغالية « عالية » .. رآها والدها فراح يبكي .. اما هي فأعرضت عنه وابت مصافحته . قالت انها لا تعرفه .. لا تريده . انه بعث اليها بالشرطة .. وبالبنادق والسلاح .. انها نامت ليلة كاملة مع العابثات بالقانون .. وازداد بكاء العجوز الشيخ ، وحز في نفسه انها لا تعلم من امر القصة شيئا.

قالت اذا كان هو اباها فلماذا لم يتعرف عليها من قبل ؟؟ لماذا سكت سبعة عشر عاما ثم تذكرها .. الا انها كبرت ؟ اهو دافع الانانية ؟ اهو الطمع في مهر وكسب ؟ لا .. لا .. انها لا تريده .

وقليلا قليلا اخذ ضابط شرطة المنصورة الرجل الطيب الخبير بنفسية اهل العزبة يوضح لها ما جرى .. ما كابده والدها .. الايام الطويلة المضنية .. الارق والسهر والعذاب .. واخذ يستشهد بي .. واخذت أحدثها عن النكبة وظروفها ونصيبها منها .. قلت لها أنها لن تؤخذ بالقوة او الخطف ـ كما كانت تظن وانني أقف الى جانبها ضد أي عنف .. ولن يتدخل البوليس الا لمصلحتها . ولن تأخذها الا بعد رضاء تام ورغبة اكيدة ، وبعد ضمانة مني وتعهد مكتوب .

ثم جاء الحاج حسين .. انه لم يعد يقوى على المشي الا بعكاز طويل يتكيء عليه .. يلبس جلبابا طويلا أبيض ..

ويغطي راسه بطاقية من الوبر ملفوفة بشال من القطن الشفاف الناعم . انه ذو شارب طويل ولحية قصيرة اقعدته الايام وهدته الحاجة ومتطلبات الحياة فقصر نظره واصبح لا يرى الا قليلا . وهمس في اذني انه ابو «عالية» بالتبني. واستطرد :

ـ عالية كل شيء لنا .. هي التي تعولني انا الرجل المقعد العجوز..وهي التي تعول زوجتي التي ارضعتها وربتها .. وهي المدبرة لعيشتنا ، الساهرة على راحتنا .. ولك ان تتصور ما يتركه في نفوسنا رحيلها هذا بعد ان كبرت وترعرعت بيننا واعتمدنا على الله وعليها .. ومع ذلك هي يا ابني امانة ابي فلاح .. هي دمه ولحمه وشرفه، هي امانة له في عنقي حافظت عليها .. ولم افرط فيها .. لقد كنت انا الشيخ العجوز المقعد اسافر الى القاهرة كل عام لتجديد اقامة عالية لانها فلسطينية .. ادخر القروش طيلة العام لتغطية نفقات السفر ولدفع الرسوم . اتكبد كل هذه المشقة وانا الرجل الذى ترى .... لا لشيء الا للمحافظة على اسمها الصحيح لانني كنت اتوقع مثل هذا اليوم .. ان ابا فلاح رجل طيب اكرمني واحسن الي وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .. انني سعيد وفرح بلقائه .. ومع ذلك انا شارد الذهن تعس اشعر كان الدنيا برحابتها تضيق في وجهي بسبب قرب سفر عالية .. غير انني يا ولدى لي رجاء هو الا تاخذوا البنت الا برضاها .. ليسكن معنا الوالد اسبوعين او ثلاثة .. تراه ابنته كل يوم .. تتعود عليه .. يقدم لها ثوب العيد .. وهدايا الابوة ثم يغادر ويعود وتتصل انت بعالية .. تتعود عليكم فيرق قلبها ، وانا كفيل بالنجاح .. واتفق على هذا ..

وعاش ابو فلاح مع ابنته عدة ايام ثم عاد الى مخيمه وبقيت البنت واخذت استصحب ابن عم الفتاة الى العزبة والمنصورة بين الحين والآخر الى ان ايقنت عالية بحقيقة حالها كما انها لم تعد تسأل ، هل سنأخذها الى اسرائيل .. لم تعد تقول انا سنلقي بها في احضان العدوان الصهيوني . بل اخذت تسأل عن ابيها ـ وتحن اليه . ثم طلبت عودته ليرافقها الى مخيم العائدين . وجاء ابو فلاح ووقعت للحاج حسين التعهد والضمان ووصل التسلم .. واحتفظ بسذاجة بهذه الورقة كشهادة تنطق ببراءة ذمته ، وهي في الواقع تشير الى ما تميز به الرجل من نخوة وشرف ومروءة واعتراف بالجميل .. ووعدت الحاج حسين أن تحضر له ابنته كل سنة في يوم العيد . وهب سكان العزبة كلها .. يبكون تارة ويتفننون ويضحكون اخرى .. اصوات صافية مجلوة تنبعث: « مع السلامة يا عالية .. اذكرينا يا عالية » وخرج الرجال وعمدة القرية وشيخ الخفر يرسلون كلمات الهناء وعبارات السرور .. المزوجة بحزن الوداع . الكل ينادى مودعا يا حبيبتنا يا عالية ، العزبة كلها،القلوب كلها تحتفل بعيد عالية .. مع السلامة يا عالية ثم تلا ذلك نحيب غريب . انها اصوات انسانية عذبة تصدر من شعب كله طيب وتمثل ارق العواطف الانسانية واصدقها .

تراءى لي انه بكاء لا على حظ البنت العاثر فحسب بل على مأساة الرجل الذى تعذب واهين .. ومأساة اكبر تبعث الحسرة والاسى والالم مأساة المليون لاجىء اصحاب المشاكل المشكلة ، والذكريات المؤلمة .. كلها تتطلع الى يوم العيد .. عيد العودة بعد ضروب الذلة والجور والهوان .. كان منظرا مؤلما هز النفوس .

ثم ..

لم تنته القصة عند هذا الحد .. فقد مضت السنة الاولى ونقلت الى نيويورك لاجد امامي في شهر العيد رسالة من الاب المقعد المتبني « عم حسين » يطالبني بالعهد ان العهد كان مسؤولا .. لم تحضر ابنته من مخيمها الى المنصورة والى عزبة اكس بالذات .. كما توقع .. لم تحضر يوم العيد وما زال ينتظر العودة .. ويتطلع الي لأفي بالعهد ان العهد كان مسؤولا .

■■

محمد الفرا

نيويورك

الأوعية اللمفاوية

■ الرجل المثقف يعلم عن الدورة الدموية الشيء الكثير . يعلم عن القلب، والشرايين ، والاوردة . وصلة هذه بتلك ، وخطر كل ذلك في حياة الانسان.

ولكنك تحدثه عن الاوعية اللمفاوية ، وهي أوعية تكاد تسير في الجسم مع الاوعية الدموية جنبا الى جنب، لا سيما الاوردة ، فلا يكاد يعرف الرجل المثقف عنها شيئا .

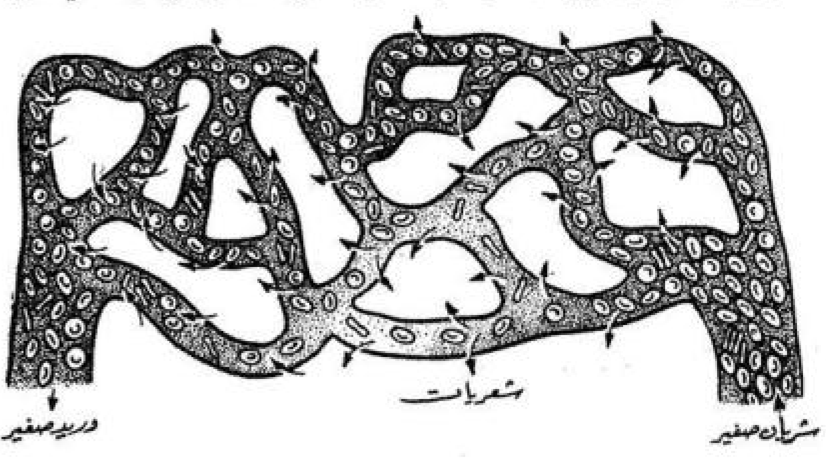
حيث تلتقي الشرايين بالاوردة في الجسم

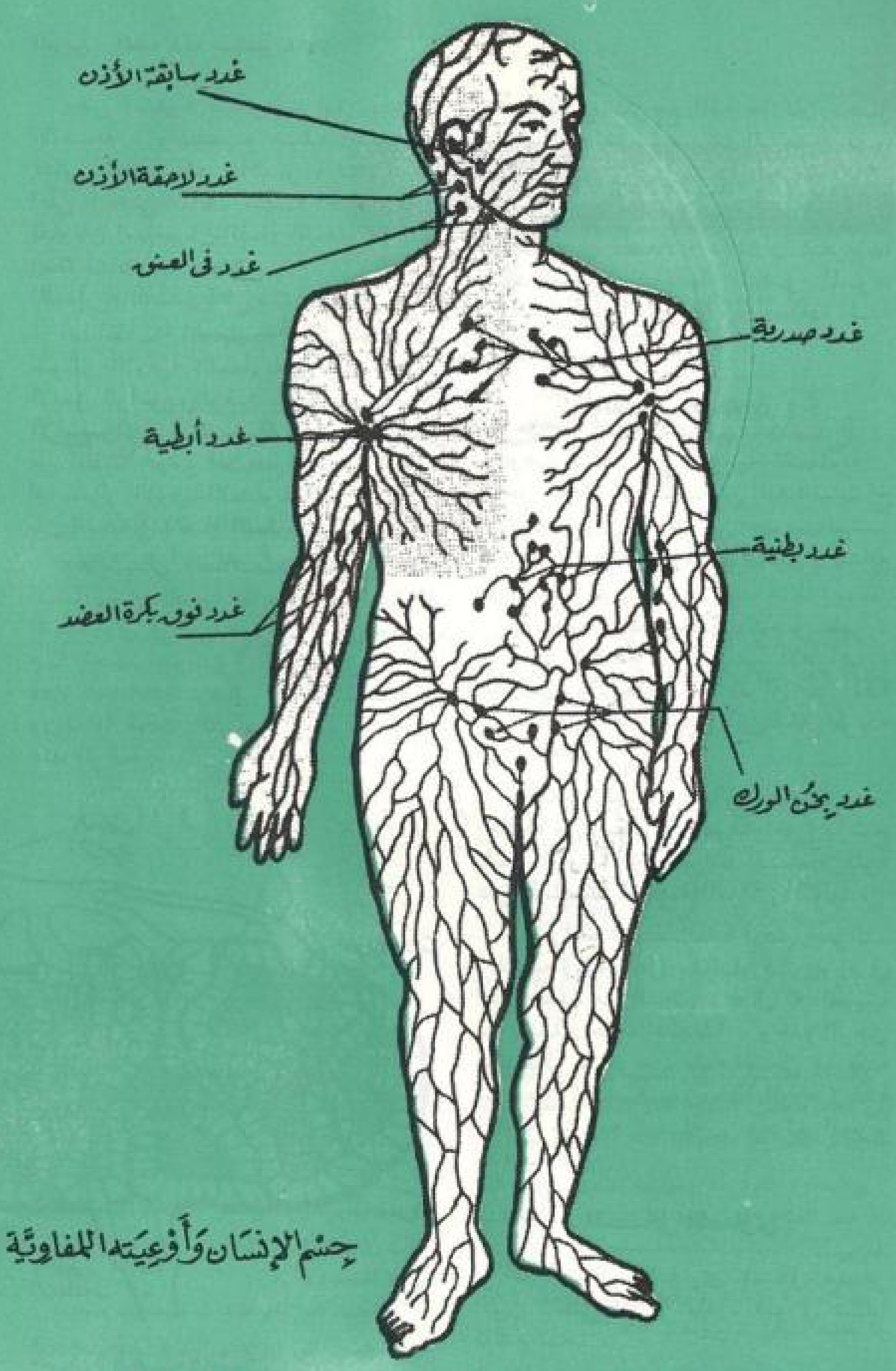
ولنعد الى الدورة الدموية برهتين من الزمان .

ان الشرايين تتفرع وتتفرع ، وتصغر ثم تصغر حتى تكون شعريات . وترق جدرانها حتى تستطيع ان تخرج منها بلزمة الدم (الدم بدون كراته) وبها من الاغذية الذائبة ما بها ، الى انسجة الجسم لتأخذ من هذه المواد حاجتها . ولا تلبث جدران الشعريات الوريدية أن تمتص من هذه البلزمة السائلة ما تخلف منها ، لتعود به الى الاوردة فالى الدورة الدموية .

ولكن هذه الشعريات الوريدية لا تمتص كل ما يدخل الى الانسجة من سوائل . هناك فضل من هذه السوائل ، فتقوم الاوعية اللمفاوية بامتصاصه .

الى اليمين الشعريات الدقيقة التى تفرعت اليها الشرايين بدمها الاحمر ، والى اليسار الشعريات الدقيقة التى تتجمع لتكوّن الشعريات التى تكون الاوردة الدموية ذات الدم الداكن . وبين الصنفين من الشعريات شعريات رقت جدرانها حتى لتخرج منها بلزمه الدم (سائله دون كراته) الى أنسجة الجسم لترويها ، ثم يعود الكثير منها الى شعريات الاوردة الى اليسار . ومع هذا تتبقى من السوائل في الانسجة بقية يجب ان تمتص . فهذه تمتصها الشعريات اللمفاوية على ما وصفنا في النص.





جسم الانسان وما يدور فيه من اوعية لمفاوية تجمع فضل السائل المتبقى من الدورة الدموية في الانسجة ، وتعود تصبه في نفس هذه الدورة الدموية ، في وريدين منها عند العنق على ما وصفنا في النص . والنقاط التى في الرسم تظهر مواقع بعض الغدد اللمفاوية .

وهي تمتصه بشعريات لها تبدأ في الانسجة ، وتتجمع هذه الشعريات فتكون اوعية اكبر فأكبر ، تتجه الى اعلى ، حتى يتألف منها اخيراً وعاءان لمفاويان اساسيان،القناة اللمفاوية اليمنى Right Lymphatic Duct والقناة اللمفاوية الصدرية Thorasic Duct .

اما القناة اللمفاوية اليمنى فتجمع سوائل الاوعية اللمفاوية في كل من الجانب الايمن للراس والرقبة والصدر والذراع الايمن والرئة اليمنى والجانب الايمن من القلب ، ومن السطح المحدب للكبد. اما سائر الاوعية اللمفاوية الاخرى فتنتهي بأن تصب في القناة اللمفاوية الصدرية .

وهاتان القناتان اللمفاويتان الاساسيتان تصب ما بهما من السائل اللمفاوي في الدم ، الاولى في وريد ما تحت الترقوة الأيمن Right Subclavian Vein ، والثانية في وريد ما تحت الترقوة الأيسر ، وذلك عند الرقبة .

غدة لمفاوية

الغدة اللمفاوية ، يدخلها السائل اللمفاوي ، ويخرج منها وقد تطهر وتصفى من المكروب وغيره

وبذلك يسترجع الدم ما كان عجز من استرجاعه بشعرياته الوريدية من فضل السوائل في انسجة الجسم .

وعمل آخر خاص تقوم به الاوعية اللمفاوية في المعاء ، ذلك أن شعرياتها هناك تمتص من الطعام المهضوم المواد الدهنية ، من اجل هذا كان سائلها اشبه باللبن .

الغدد اللمفاوية

وهي منتشرة في الاوعية اللمفاوية . يدخل الوعاء الى طرف من الغدة لينساح سائله فيما في الغدة من جيوب ، ثم يتجمع السائل في وعاء للخروج ليتابع طريقه .

وفي هذه الغدد يتنقّى الدم ويتطهر . والسائل اللمفاوي الآتي من الاطراف ، الذراعين والرجلين ، لا بد أن يمر بغدة واحدة على الاقل قبل أن يأخذ طريقه الى الدم .

والغدد تطهر السائل اللمفاوي مما احتواه من البكتير وسمومه، فهي مرشح طيب ، وبها من الكرات البيضاء كثرة على استعداد لمهاجمة الغزاة وافنائها .

وكثيرا ما تلتهب الغدة في هذا العراك. وطبيب زاره رجل يشكو من ورم في اعلى فخذه من الباطن ، فقال له الطبيب ان بقدمك جرحا صديدا . وخلع الرجل نعله فاذا به جرح ، علمه الرجل ،و لكنه لم يفطن ان بينه وبين هذا الورم (غدة لمفاوية متورمة) صلة . وعولج الجرح فذهب الورم .

السائل اللمفاوي

اما السائل اللمفاوي فسائل مصفر اللون يتجبن اذا تركناه . فهو في هذا كالدم تماما .

وفي هذا السائل خلايا لمفاوية Lymphocytes شبيهة بخلايا الدم البيضاء .

●●

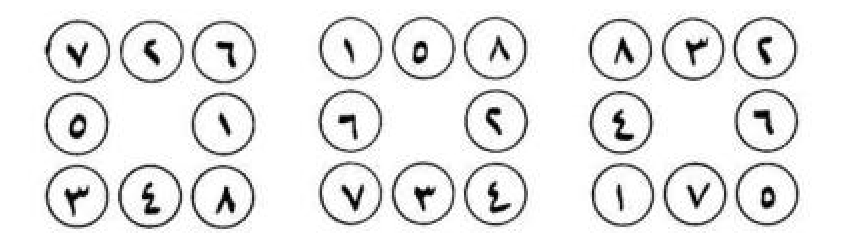
نتيجة مسابقة العدد ١١٦

رقم قياسي في الاجابات
وثلاثة حلول صحيحة، بدلاً من حل واحد

■ تميزت الاجابات على مسابقة العدد ١١٦ بظاهرتين. أولهما أن عدد المشتركين في المسابقة سجل رقما قياسيا، والثاني أن القراء لم يكتفوا بحل واحد، وانما قدموا ثلاثة حلول، وكانت كلها صحيحة.

فقد رتب المشتركون الارقام الموجودة داخل الكرات الثماني الموضوعة على شكل مربع، بحيث جاء مجموعها مرة ١٣ ومرة ثانية ١٤ ومرة ثالثة ١٥.

وفيما يلي الاجابات الصحيحة الثلاث:



وقد اجرينا القرعة بين المشتركين الذين توصلوا الى احد الحلول الثلاثة ففاز الاتية اسماؤهم بالجوائز التى بلغ مجموعها مائة دينار كويتي.

* الجائزة الاولى، وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها عبد الفتاح على محمد ـ البحرين ـ الخليج العربي.

* الجائزة الثانية، وقيمتها عشرون دينارا فاز بها محمد بيومي ـ بيروت ـ لبنان.

* الجائزة الثالثة، وقيمتها عشرة دنانير فاز بها مسعود بن زايد بالجزائر.

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها خمسة دنانير فاز بها:

١ ـ محمد اسماعيل محمد حسن ـ الكويت

٢ ـ ازهر عبد القادر ـ مزرعة الزعفرانية ـ بغداد ـ العراق.

٣ ـ محمد على حسن علاوى ـ اربد ـ الاردن.

٤ ـ محمود اديب، موسكو، الاتحاد السوفييتي.

٥ ـ رقيه ابراهيم الخليفي ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٦ ـ محمد امين الراشد ـ حمص ـ سورية.

٧ ـ حسن علي ابراهيم الشيخ ـ الاسكندرية ـ الجمهورية العربية المتحدة.

٨ ـ طه عبد الفتاح عثمان ـ مدرسة عطبره الثانوية ـ السودان.

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد ■■

مسائل ومشاكل وأحداث

الفينيقيون هم المكتشفون الأوائل لأمريكا

● ذكرنا في العدد (١١٠) من « العربي » ان الفضل في اكتشاف القارة الامريكية انما يعود الى الفايكنج سكان جزيرة جرينلند وسكاندنافيا الأصليين ، لا الى كريستوفر كولومبس ، كما اعتقد الجميع . وذكرنا ايضا أن قراصنة الشمال هؤلاء قد وصلوا الى العالم الجديد قبل وصول كولومبوس اليه بنحو خمسة قرون . واعتمدنا في ذلك كله على ما أثبتته الحفريات التى اجروها في جزيرة نيوفوندلند ، فضلا عن خريطة الفايكنج لأمريكا (فنلاند Vinland) ، وهى التى عثرت عليها ونشرتها ، قبل نحو عامين ، جامعة ييل Yale في الولايات المتحدة الامريكية .

الا ان الفايكنج لم يكونوا ، على ما يبدو ، هم السابقين الى الوصول الى امريكا . فقد تبين أن الفينيقيين قد سبقوهم الى العالم الجديد بنحو ١٦٠٠ سنة ، فوصلوا البرازيل حوالى سنة ٥٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م . هذا ، على الاقل ، هو ما يؤكده البروفسور سيروس هـ . جوردون Cyrus H. Gordon أستاذ الدراسات الخاصة بحضارات البحر المتوسط في جامعة برانديس Brandis فقد نشرت له مجلة (اوريانتالا Orientala) قبل حين بحثا مفصلا يوضح فيه وجهة نظره تلك ، ويدعمها بوثيقة خطيرة عثر عليها واقام الأدلة على صحتها واصالتها .

وليست هذه الوثيقة سوى صورة أمينةوموثوقة لنقوش حجر « باراهيبا » الشهير ، على حد قول البروفسور جوردون . وليست نقوش هذا الحجر الذى اكتشف عام ١٨٧٢ ، والذى لم يلبث أن فقد اثر اكتشافه ، الا الكتابة الفنيقية التى نقشها الفنيقيون المكتشفون ، وأوجزوا فيها قصة رحلتهم البحرية الطويلة .

ومن الطف مافي هذه القصة بدايتها التى يقولون فيها : « نحن ابناء كنعان ، ومن اهل صيدا مدينة السلطان ! انها التجارة التى دفعت بنا الى هذه الشواطىء النائية .. »

فأر واحد .. لكل إنسان

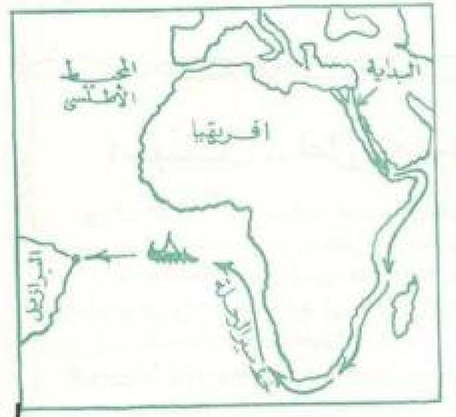
● في العالم الان حوالي ٣٥٠٠ مليون فار .. اى فار واحد لكل انسان واحد .. !! ، وفقا لاخر احصائيات منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الامم المتحدة ، وتسبب هذه الفئران متاعب كثيرة للانسان .. فهي تأكل سنويا ما يصل الى ٣٣ مليون طن من الارز والحبوب .. وآلاف الاطنان من الجبن والمأكولات الاخرى التي تصل اليها اسنان الفئران الحادة في المصانع او المخازن او سفن الشحن . تلك المأكولات التى تشتد حاجة الانسان لكل حبة منها يوما بعد يوم لمواجهة التفجر السكاني ولسد الافواه الجائعة التي تتزايد بصورة مخيفة في العالم الان .

والفئران ايضا لها اسنان حادة .. لاتفرق بين الاطعمة والادوات .. فأسنانها اشبه بالنشار تأتي

وتروى القصة بعد ذلك كيف بدات تلك الرحلة الشاقة باحدى عشرة سفينة ، انطلقت من خليج العقبة ، وتمكنتمن الدوران حول افريقيا ،وكيف ضلت احداها السبيل بفعل الرياح والعواصف العاتية ، ثم كيف وصلت السفينة في النهاية الى المكان المعروف باسم « باراهيبا » من شواطىء البرازيل ، وهى تحمل ١٢ رجلا وثلاث نساء .

على أن هؤلاء الذين وصلوا سالمين لم يلبثوا أن فقدوا واحدا منهم . ولم يكن فقيدهم هذا سوى ذلك الذى ضحوا به ارضاء لآلهتهم وقربانا . ويذكر هنا أن رحلة الفنيقيين هذه الى امريكا لم تكن الوحيدة ، وان كانت الاولى . فقد تكرر سفرهم الى العالم الجديد بعدها .

وتجدر الاشارة الى أن البروفسور جوردون لم يقف في اثبات وجهة نظره عند وثيقته تلك ، بل تعدى هذا الدليل المباشر الى ذكر ادلة اخرى غير مباشرة . فالمدنيات القديمة في أمريكا الوسطى والجنوبية تتسم ، في نظر البروفسور جوردون ،



خط سير الرحلةالتى قام بها الفنيقيون الى البرازيل قبل ٢٥٠٠ سنة .

بطابع مدنيات البحر المتوسط . ويتجلى ذلك الطابع ، كما يقول العالم المذكور ، في الاهرامات المدرجة ، وفي أساليب الرى التى اعتمدها الهنود الامريكيون وقد شابهت ، الى حد كبير الاهرامات وطرق الرى التى اشتهرتبها الحضارة الفرعونية، احدى حضارات البحر المتوسط .

واحد على سطح الأرض

على كل شيء حتى الادوات والاوراق والصناديق التي تجدها امامها ..وبذلك تكلف الانسان خسائر مادية كبيرة فى هذه المعدات .. ولا يقتصر الامر على ذلك بل ان الفار ينشر الامراض الفتاكه مثل الطاعون والتيفوس وحمى عضة الفار .. ولذلك يلقبه بعض العلماء الان بانه عدو البشرية رقم «١»

وبدأت حملات لابادة هذا العدو .. وبدأ العلماء يقومون بالتجارب على انواع من السموم للتخلص من هذه الفئران ، بعد ان فشلت اغلب الطرق المستعملة حتى الان فى التخلص من هذا العدو ، الذى يتناسل بسرعة تفوق سرعة الكثير من الحيوانات ، ويتميز فى نفس الوقت بدهاء ومكر يمكنانه من تجنب السموم والمصايد . وخرجت

الى حيز الوجود فكرة جديدة للقضاء على الفئران عن طريق استعمال عقار جديد لايقتل الفار ولكن يمنعه من التناسل .. وبدأت التجارب ولكن بحرص شديد لان الفار الماكر يستطيع ان يهرب من هذه العقاقير ويتركها لغيره منالحيوانات الاليفة تاكلها ، ويسبب بذلك خسارة مضاعفة للانسان .

ان الحرب مستمرة بين الانسان والفار .. حقيقة انها حرب غير متكافئة ، ولكن الفار لايزال صامداً حتى الان بمكره ودهائه وسرعة حركته واختفائه فى الجحور .. والى ان يأتي اليوم الذى ينتصر فيه الانسان سيبقى الفار عدوا دائما له فى اكثر الحالات اللهم الا فى ناحية واحدة يستطيع الانسان ان يستفيد من الفار فيها وذلك باستعماله كحيوان للتجارب العملية ، والطبية منها خاصة .

اسكتلندا .. هل تنفصل عن شقيقتها انجلترا ؟

● ان المشاكل التي تواجه هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا تتزايد وتتفاقم يوما بعد يوم .. وآخر مشكلة تواجه ويلسون هذه الايام هي مشكلة لم تكن تراود مخيلته منذ ان جاء الى الحكم .. ان اسكتلندا تريد ان تنفصل عن انجلترا .. وان يصبح لها برلمان وحكومة، وتقيم حدودا سياسية بينها وبين انجلترا .. !! وهذه الرغبة ربما كانت قديمة .. لكن لم يكن احد يعيرها اى اهتمام من قبل .. فالمنادون بها كانوا قلة لاوزن لهم فى ميدان السياسة او الحياة العامة .. حقيقة انهم انشأوا حزبا فى عام ١٩٣٦ اسموه بحزب الوطنيين الاسكتلنديين Scottish Nationalist Party الا ان عدد اعضاء هذا الحزب لم يكن يزيد عن الالف شخص ، ولم يكن يحظى باى تأييد من الاسكتلنديين انفسهم .

وفى الانتخابات المحلية التي اجريت اخيرا فى اسكتلندا استطاع هذا الحزب ، الذى كان الجميع يستخفون به ، ان يحقق مفاجأة سياسية ضخمة وان ينزل الهزيمة بحزب العمال الحاكم ، وان ينتزع اغلبية كبيرة فى اغلب المجالس المحلية فى اسكتلندا .

وابتدات طبول الانفصال عن بريطانيا تدق باصوات عالية بعد ان كانت خافتة من قبل . ان آرثر دونالدسون ، وهو رئيس هذا الحزب واحد الذين اشتركوا فى تأسيسه منذ اكثر من ثلاثين عاما يقول ان الوقت قد حان الان لكي تصبح اسكتلندا دولة مستقلة عن انجلترا ، لها سيادتها وحدودها ، وخاصة ان انجلترا تهمل مصالح الاسكتلنديين ولا تعمل حكومتها الا لخير الانجليز وحدهم .

وقد دعا هذا النصر الكبير حكومة ويلسون الى اعادة النظر فى سياستها تجاه اسكتلندا .. ودعا «ايضا ادواردهيث» زعيم حزب المحافظين المعارض لحكومة العمال الى أن يضع ضمن برامج حزبه الانتخابية المناداة بانشاء برلمان لاسكتلندا ومنحها الكثير من الاستقلال فى الحكم الذاتي على ان تكون مرتبطة مع انجلترا فى مجالات السياسة الخارجية والاقتصادية والجيش .

مشاكل بالجملة تواجه دورة الألعاب

● لم تواجه فترة الاعداد لدورة من الدورات الاولمبية السابقة ما واجهته فترة الاعداد لدورة المكسيك الاولمبية من صعوبات ومشاكل .. فمنذ اختيرت المكسيك كمكان لدورة عام ١٩٦٨ للالعاب الاولمبية حتى بدات المشاكل . وكانت اول مشكلة تواجه الدول المشتركة هي نقص الاوكسجين فى الجو بسبب ارتفاع مدينة المكسيك عن سطح الارض بحوالي ٧ الاف قدم . واستطاعت اللجنة الاولمبية ان تنتصر على هذه المشكلة بان يقوم اللاعبون الرياضيون بالتدريب فى اراض تماثل فى ارتفاعها عن سطح البحر ارتفاع المكسيك .

وجاءت ازمة سياسية عرضت الدورة كلها لخطر شديد ، وذلك عندما اعلن ان حكومة جنوب افريقيا البيضاء ستشترك فى هذه الدورة بفريق من لاعبيها .. واتخذت الدول الآسيوية والافريقية ومن بينها كل الدول العربية .. قرارا بانسحابها من الدورة اذا اشتركت فيها جنوب افريقيا .. وتدخلت اللجنة الاولمبية الدولية ومنعت اشتراك جنوب افريقيا فى الدورة ، وبهذا تم انقاذها من الفشل الذى كانت ستمنى به .

وأخيرا ظهرت مشكلة جديدة .. اكتشفها طبيب بريطاني ذهب الى المكسيك لاجراء تجارب على الطبيعة حول تأثير الجو المرتفع على اللاعبين . لقد اكتشف هذا الطبيب واسمه دكتور جريفث باو « Griffith Paugh » ان هناك تلوثا فى الجو المحيط بالقرية الاولمبية التي تقع بجوار مدينة المكسيك والتي ستقام عليها الالعاب الاولمبية ، والسبب وجود مصنع للاسمنت على الطريق المؤدى الى هذه القرية ، تلوث مداخنه الجو بنسبة كبيرة تجعل الرياضيين عرضة للاصابة بالنزلات الصدرية والتهاب الشعب الرئوية ، اذا بذلوا مجهودا كبيرا .. !!

فرقة اسعاف

من الأطباء

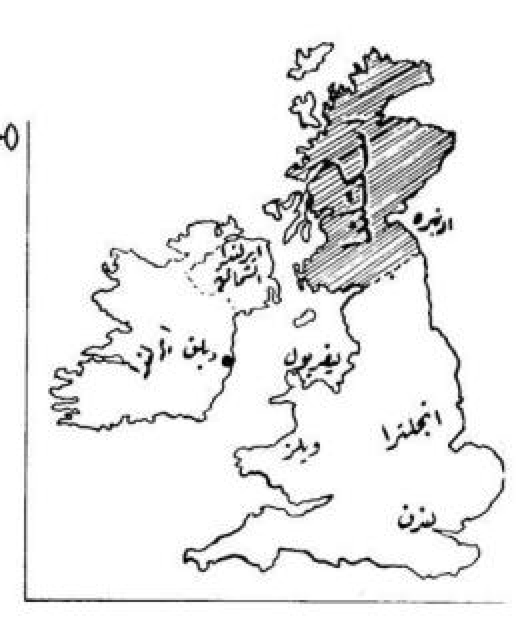
ازدادت حوادث المرور بصورة مخيفة ، وارتفع عدد المصابين في هذه الحوادث التي تتضاعف في المناسبات والاعياد . وقد أثبتت الدراسات التي قام بها المسئولون في مختلف عواصم العالم أن نسبة كبيرة من المصابين في هذه الحوادث يموتون على الرغم من اسعافهم ، بأسباب تتصل بحاجات طبية سريعة ملحة كان الواجب اجراؤها قبل تحريك المصابين .

ومن أجل هذا قامت جماعة تتألف من واحد وثلاثين طبيبا بريطانيا ، في لندن بمشروع من نوع طريف يقضي بتأليف فرقة منهم تكون دائما متهيئة للشخوص على الفور بمجرد استدعائها لاسعاف الجرحى والمصابين في حوادث المرور بمقاطعة يوركشاير البريطانية ، داخل منطقة تبلغ مساحتها الف كيلومتر مربع .

وقد شرح أطباء الفرقة الجديدة عملهم بمزيد من التفصيل ، قالوا : « ان الدقائق الاولى عقب وقوع حادث في الطريق ، هي التي تقرر مصير المصاب ، ووجود طبيب أخصائي في مكان الحادث خلال هذه الدقائق يعني ازدياد فرص الحياة بالنسبة لهذا المصاب . فليس سرا ان معلومات رجال الاسعاف محدودة فضلا عن أن الاسعافات الاولية التي يقدمونها للمصابين بعد الحادث كثيرا ما تكون غير كافية او غير مطابقة لما يجب أن تكون عليه مما قد يؤدي الى وفاة المصاب قبل وصوله الى المستشفى » .

ويقول هؤلاء الاطباء ان عملهم هذا لا يعني الغاء مهمة رجال الاسعاف الذين يؤدون مهمتهم بكفاءة واخلاص في حدود ما تسمح به امكانياتهم ، ولكن معناه ، أن ينضموا الى رجال الاسعاف في تأدية هذه الرسالة النبيلة . وهم يأملون أن تنتشر هذه الخدمات الطبية في جميع أنحاء بريطانيا وغيرها .

ويبدو أن هذا الامل سوف يتحقق بعد أن أقرت الجمعية الطبية البريطانية المشروع الجديد ووعدت بتشجيعه ومساندته .



ان الحركة السياسية التي بدأت منذ ٣٠ عاما ، وكان الجميع يسخرون منها او يضحكون عليها وعلى القائمين بها ، تسبب الان تصدعا كبيرا في الجبهة الداخلية وتشكل مشكلة خطيرة تواجه « هارولد ويلسون » رئيس الوزراء الذى تحيط به المشاكل الان من كل ناحية ..

الأولمبية في المكسيك

وتأزم الموقف نتيجة للتقرير الذى رفعه هذا الطبيب الى اللجنة الاولمبية .. ولكن المكسيك بعد أن تكلفت ملايين الدولارات في انشاء الاستاد الاولمبي الضخم ، والقرية الاولمبية التي تضم مساكن اللاعبين والاداريين ووسائل راحتهم ، واعدت العدة لاستقبال آلاف السياح الذين سيتوافدون على المدينة لمشاهدة الدورة قررت أن تقوم باغلاق ابواب مصنع الاسمنت طوال فترة الدورة وكذلك ايضا كل المصانع الاخرى التي تحيط بمدينة المكسيك وذلك حتى تضمن عدم تلوث الجو بنسبة تعرض صحة اللاعبين للخطر .

وتنتظر المكسيك بصبر نافذ حلول شهر أكتوبر وبدء الدورة حتى تتخلص من المتاعب التى صاحبت فترة الاعداد لها وهذه هي اول دورة تقام في المكسيك منذ بداية الالعاب الاولمبية حتى الان .

الأمية .. والإنتاج

● في العالم الان حوالي ٧٤٠ مليون أمي (١) لايقرأون ولا يكتبون .. وذلك بالرغم من حملات محو الامية التي قامت بها اغلبية دول العالم ..

ان الدراسات التي قامت بها الامم المتحدة ووكالاتها المختصة بالتعليم والثقافة اثبتت أن اغلب هذه الحملات لم تؤد الى النتيجة المرجوة منها من القضاء على الامية لاكليا ولا حتى بنسبة كبيرة .. والسبب الرئيسي يكمن في ان حملات تعليم الاميين كانت تتم على نطاق واسع ودون اعداد برامج محددة مدروسة ، وكان الغرض الوحيد منها هو تعليم الاميين مبادىء القراءة والكتابة .. وسرعان ما تنتهي الدراسة المقررة ويخرج الاميون من هذه المدارس حيث ينسون ما تعلموه من مبادىء القراءة والكتابة . وبالرغم من شهادة محو الامية التي يحملونها .. وبالرغم من أن الاحصائيات والارقام تعتبرهم من ضمن سكان العالم الذين يعرفون القراءة والكتابة ، فان الحقيقة الواقعة انهم لايزالون لايقرأون ولا يكتبون ..

واثبتت الارقام والاحصائيات ان البرامج الواسعة النطاق التى قامت بها بعض الدول على عجل دون دراسة لم تأت بنتيجة في الحرب التى يشنها العالم على الجهل ، ذلك العدو الرهيب والحليف الثالث لاعداء الانسانية الفقر والمرض .

وبدأت الامم المتحدة في دراسة مشكلة الامية عن طريق منظمات اليونسكو .. وبدأت هذه الدراسة ببحث ناحية معينة من المشكلة .. وهي ربط محو الامية بالناحية الانتاجية وبالاقتصاد .. وان تكون برامج محو الامية معدة اعدادا مدروسا ومبنية على خطة طويلة الاجل . وادت هذه الدراسات الى ان يتبنى اليونسكو خطة جديدة نحو محو الامية بين البالغين على اساس ربط الحملة الجديدة بالانتاج وبالتدريب المهنى لهؤلاء الذين يتلقون دروس محو الامية . وان يتضمن برنامج الدراسة تدريبا مهنيا يهيء للدارسين فرص العمل المنتج المثمر بعد انتهائهم من الدرس ويشعرهم باهمية التعليم بالنسبة لزيادة دخلهم وانتاجهم .

وبدأ تنفيذ الخطة في ثمانية بلدان هي باكستان وايران والجزائر وتنزانيا ومالي وغينيا وفنزويلا واكوادور . ورصد لها مبلغ ٣٠ مليون دولار على ٥ سنوات تقوم الامم المتحدة بدفع ٤٠٪ منها بينما تتكفل الدول التي تتم بها التجربة بدفع بقية المبلغ .. وتتوقع دوائر الامم المتحدة انه سيتم تعليم ١٫٥٠٠٫٠٠٠ شخص خلال هذه الخمس سنوات .. وان النجاح لن يقاس بعدد هؤلاء الاشخاص ولكن بما سيقدمون من زيادة في الانتاج عن طريق استغلالهم للمعلومات التي حصلوا عليها من دراساتهم . وقدتم فعلا حتى الان اعداد الخبراء الذين سيقومون بهذه التجربة واعداد المواد الدراسية المكتوبة والمسجلة والتلفزيونية . ويتوقع خبراء الامم المتحدة ان ينجح هذا البرنامج الجديد لمحو الامية في القضاء على الامية فعليا .. وايضا في تحسين اقتصاديات البلاد التي تعاني من التأخر الاقتصادى والثقافي . اذ ان العامل او الفلاح الذى يستطيع ان يقرأ ويكتب يستطيع ان يستوعب التدريب المهني اسرع من زميله الامي .

وبذلك يعوض بانتاجه ما تنفقه عليه حكومته من اموال لتعليمه ..

ان التجربة ما تزال حتى الآن في مراحلها الاولى .. ولكن هناك امل كبير في ان تحقق املا فشلت في تحقيقه تجارب اخرى قبلها .. ترى هل يستطيع العالم ان يتخلص من احد اعدائه الالداء الثلاثة وهو الجهل وفي نفس الوقت يضرب عدوا آخر له وهو الفقر !!

---

(١) هذا اذا اعتبرنا الاميين هم الذين تبلغ اعمارهم بين ١٥ عاما و ٥٠ عاما ممن لايعرفون القراءة والكتابة . اما اذا ادخلنا الاطفال من عمر ٦ سنوات حتى ١٥ سنة فان الرقم يزيد على ذلك كثيرا . وتبلغ النسبة التقريبية لسكان العالم من سن ١٦ حتى ٤٥ حوالي ٤٠٪ من تعداد السكان في العالم اى حوالي ١٫٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نصفهم اميون حسب الرقم المذكور في احصائيات الامم المتحدة .



١٠ أسئلة وجوائز ١٠٠ دينار!

■ ان مسابقة هذا العدد تختلف عن مسابقات الاعداد الماضية .. اذ انها تتناول موضوعات كثيرة مختلفة .. فاسئلتها لا تقتصر على موضوع واحد.. بل تتناول عدة موضوعات مختلفة من الشرق والغرب .. انك اذا اجبت على ٧ اسئلة من ١٠ تستطيع ان تربح احدى جوائز مسابقة « العربي » التى تصل الى ١٠٠ دينار شهريا .

١ – من هو اول رجل سار في الفضاء : جون جلين – اليكسى ليونوف – فيرجيل جريسوم ؟

٢ – ما هي الاسماء الجديدة للدول الافريقية الاتية : (أ) روديسيا الشمالية (ب) ساحل الذهب (جـ) مدغشقر (د) نياسالاند . (غانا – مالاجاشي – زامبيا – مالاوى) ؟

٣ – اين يقع اقليم بيافرا الذى يشتبك في حرب اهلية ويتعرض لمجاعة خطيرة . (جنوب افريقيا – كينيا – نيجيريا) ؟

٤ – ما هو عدد الجمهوريات التى يتكون منها الاتحاد السوفييتي : (٥ – ١٥ – ٢٣) ؟

٥ – ان هناك الان عدة سفن تجارية تسير بالطاقة الذرية .. فهل تتذكر اسم اول سفينة تجارية تم تجهيزها بالات تسير بالطاقة الذرية . (نوتيليوس – لينين – سافانا) ؟

٦ – من هو مؤسس الحركة الكشفية : (بادن باول – ليفنجستون – ابن بطوطة) ؟

٧ – كتاب الذخائر والتحف .. قام بتأليفه : (محمد بن القاسم الانبارى – الرشيد بن الزبير – الحافظ الذهبي) ؟

٨ – قال شاعر عربي قديم :

يمرون بالدَّهْنا خفافا عِيابُهم
ويرجعن من دارين بُجْرَ الحقائب

فاين تقع دارين التى ذكرها الشاعر : في الخليج العربي – في بحر العرب – فى البحر الاحمر ؟

٩ – انتصرت الجيوش العربية على الجيوش الفارسية ابان الفتح الاسلامي في موقعتين هامتين هما القادسية ونهاوند بقيادة : سعد بن ابي وقاص – خالد بن الوليد – ابو عبيدة عامر بن الجراح . ؟

١٠ – كم عدد الدول التى وقعت ميثاق الامم المتحدة في سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ ؟ (٣ – ٢٨ – ٥١) ؟

شروط المسابقة

١ – ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتي :
مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٨ » .
٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٨ .
٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



مِنْ .. وَحْيِ صُورَة لِفَنَّانٍ رَاحِل

للشاعر : نور الدين أبو ريشة

■ عشقتُكِ في صمتِكِ المُجهد — على ورق حائل أربَـدِ
وحولك من خشب هالـك — إطارٌ يحدث عـن مولـد
يصارع فيك أكف الفناء — ويخشى عليك من المعتدى
وهل يستطيل عليك الزمـانُ — ويعبث في غصنك الأملد
ومضجعُ مثالـك لو تعلمـين بين الجوانح والأكبـد
فأنت حياةُ خيال الـذى — أتاحك للفـن في معبـدى
وأنت خواطـره المُلهمات — تَنقّلُ من روحـه لليد
تحاور ريشـته الحادثـات — وتسكب من قلبـه الايـد

لألقاكِ أنت كما لُحتِ لي حنينَ الكمال ..وحلُمَ الغد !

* * *

وهل أنت إلا الجمال المتوف بطرفٍ كحيلٍ وثغر نَدِي ؟

تجمعتِ من فِكَرٍ مُلْهمات بخاطر مُبْدعك المهتدى

تملأك في نفحات الشباب وفي لَهَفات غريب صَدِي

وكنت عروسا لاحلامه تصبّاك من قبل أن توجدى

وغذّاك من خَلَجات الفؤاد وأنفاس مستلهِم أصيَدِ

ولما وُجدت عراه خبالٌ وجُنَّ برسمك والمشهد

ففى مقلتيك تشع الحياة وتنبض في حلمات الثُدِي

تنام على صدرك المستباح ضفائرُ من شَعرك الأسود

تراختْ لتسكر من نَبْعه فأغفتْ عليه .. ولم تَنْهد

وكم من عزيز أمام الجمال تهادَى صريعا ولم يَصْمُد

عباقرةُ الفن لم يخلدوا ولا استسلموا للتراب الردى

فمجدهم فوق جاه كَذوب وفوق المناصب والسؤدد

قناديلهم .. أبدا في الطريق تنير السبيل لمن يهتدى

فلم ترتعش في ظلام الخطوب ونورٌ على الدهر لم يَخْمُد

كأنهم في الذى أبدعوا أرادوا تحدى الزمان العَدِى ! !

■■

نور الدين ابو ريشة

في سبيل موسوعة علمية *



السلاحف

بقلم الدكتور أحمد زكي

س : السلاحف ، الى اى قسم من اقسام الحيوانات تنتسب ؟ وهل هى تلد ؟ وهل هى تؤكل ؟ واذا لم تكن تؤكل ، ما هذا الحساء الذى نقرأ عنه في القصص ، وانه خير طعام أهل الدنيا ؟ انهم يسمونه حساء السلاحف .

ج : ان السلاحف من الزواحف . فان كنت تذكر ما الزواحف ، فقد علمت بذلك الشيء الكثير عن السلاحف .

انواعها ومساكنها

والسلاحف بها نحو ٢٥٠ نوعا منتشرة في المناطق الاستوائية والمعتدلة ، ولها عادات مختلفة ، وبيئات مختلفة ، واذن اشكال وتطورات في اجسامها مختلفة لتوائم البيئة . مثال ذلك سكان الارض من السلاحف وسكان البحار . فسكان الارض لها ٤ ارجل ، وسكان البحار تحولت ارجلها الى شبه زعانف تستخدمها في السباحة في الماء . كذلك زعانف الماء لا تستطيع ان تدخل وتنكمش داخل بيتها القرني ، داخل ترسها ، كما تفعل سلاحف الارض .

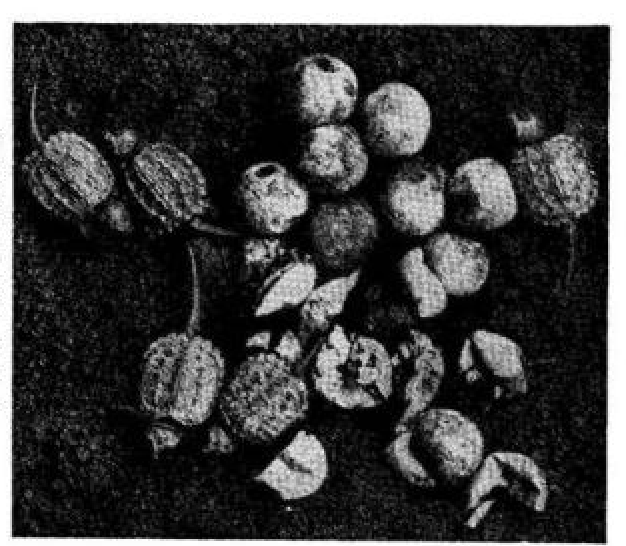
ومن السلاحف ما يعيش على الارض الجافة ، وحتى الرملية ، ومنها ما يعيش

---

* تجمعت لدينا بعض الاسئلة العلمية من القراء وجدنا منها ما ينفع ليكون موضوعا فى هذه الموسوعة .



سلحفاة عمرها ١٠١ عام ، والى جانبها سلحفاة صغيرة عمرها عام واحد



بيض السلحفاء المعروفة بالغاضبة Snapping تلك التي تدفع عن نفسها ، على غير عادة السلاحف ، بالعض بفكيها القويين حتى لتقضم اصبع طفل . وترى في الصورة البَيْض ، وقد تفقس عن صغار السلاحف .

في الغابات الرطبة ، ومنها ما يعيش في القيعان الوَحِلة للانهر ، او في المستنقعات المالحة ، او في البرك الرائقة .

وكاختلاف في البيئة ، اختلاف في الحجم . من السُّلَحْفاء الصغيرة التي تسكن الوحل ، وطولها نحو ٣ الى ٤ بوصات ، الى السلحفاء ذات الظهر الجلدي ، الضاربة في البحار ، وطولها من ٧ الى ٨ اقدام ، ووزنها ما بين ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ من الارطال .

ترس السلحفاء

وهو فوق وتحت . اما الفوق فيتألف على العموم من العمود الفقرى للسلحفاء واضلاعها ، وقد نمتْ معاً ، تضمها صحافٌ من عظم . اما التحت فالقسم الأوطأ من الترسة ، التحم بعظمة الصدر .

والترس الشديد الجامد له غطاء من قرن يغطى ذلك الغطاء العظمى ، وهذا الغطاء القرنى يتشكل اشكالا جميلة ، والوانا ، تختلف باختلاف النوع من السلاحف .

راس السلحفاء وعنقها

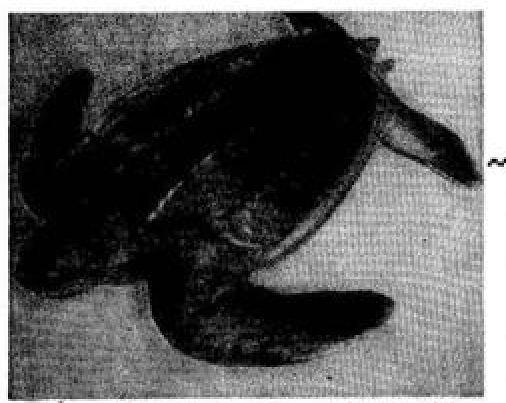
وراس السُّلَحْفاء كراس الثعبان ، وبه عينان لا جفن لهما ، ولكن عليهما غشاء .

ورقبة السُّلَحْفاء طويلة تتثنى ، تذهب بالرأس والعينين بعيدا عن الجسم في كل اتجاه ، تبحث عن الطعام .

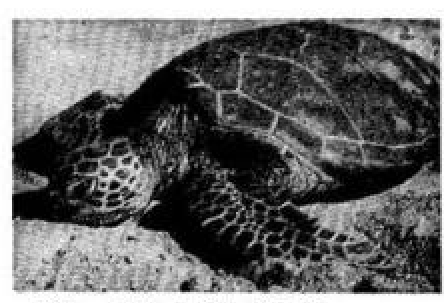
والسلحفاء تشم وتذَوق ، ولكن سمعها ضعيف ، او لعلها صماء .

غذاء السلحفاء

وغذاؤها السمك الصغير ولحوم القواقع والحشرات . وسُلَحْفاء الارض تاكل من النبات الغض والثمر الرطب .



السلحفاء ذات الظهر من جلد ، وهى تعيش في البحر وتسبح ، وهى اكبرها جميعا ، قد يصل طولها ٨ اقدام ، ويبلغ وزنها ١٥٠٠ رطل . وهي سريعة في السباحة رشيقة الحركة .



السلحفاء الخضراء ، وهى سلحفاء عظيمة تسكن المحيطات

سلحفاء من استراليا . لها عنق طويل ، وراس ، يذكران بعنق الثعبان .

ومن سلاحف البحر الكبيرة ما يصيد طير الماء . يمسك رجله بفكيه ، ويغوص به في الماء .

والسلاحف تبدأ الطعام بأن تكسره أو تمزقه بفكيها ، ثم تبلعه بلعا ، فهى لا اسنان لها .

نوم السلاحف شتاء

والسلاحف تنام الشتاء فتدفن نفسها في الوحل في قاع بركة او نهر ، أو تحفر لنفسها حفرة من الأرض الرخوة .

بيض السلاحف

والسلاحف تبيض ، وهي جميعا ، من ساكنة ارض أو ساكنة بحار ، لا بد أن تذهب الى الأرض لتبيض . وتحفر الأنثى في الارض لبيضها ، ثم تسقطه فيها ، وتغطيه بالتراب . وبهذا تنتهى كل واجباتها نحو الأجيال الجديدة من السلاحف .

وعدد البيض يكون خمسا او ستا ، ويكون الفا ، وما بينها . وهو يفقس تبعا للحرارة القائمة والرطوبة . والسلحفاة المعروفة بالصندوق يفقس بيضها فيما بين ٨٠ الى ١٠٦ من الايام . والانسان والحيوان والزواحف والثعابين والطيور كلها تأكل هذا البيض ما صادفته .

من السلاحف طعام يسوغ

ومن هذه السلاحف ما يؤكل ويطيب طعاما ، ويطيب حساء لاسيما سلاحف البحر . والحساء الذى ذكرت مشهور في أوروبا ويعرف بـ Turtle Soup عند المتكلمين بالانجليزية ، وهي سلحفاة البحر غالبا .

احمد زكى



التفسير والمفسرون..

كيف فهم الصحابة القرآن؟

متشابهات في القرآن

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة الوعي الاسلامي ـ الكويت

■ قلت في احاديثي الماضية عن الصحابة وتفسيرهم للقرآن الكريم ان هناك اعتبارات لا بد من مراعاتها في بحث هذا الموضوع .. وذكرت هذه الاعتبارات ، ثم تكلمت عن الكثير منها .. وبقي القليل ..

وفي الحديث الماضي .. تعرضت لموقف الصحابة من تفسير المتشابه ، مثل : يد الله ، والحروف المقطعة ، التى بدئت بها بعض السور ..وخرجت بنتيجة ـ حسب رأيي ـ أن الصحابة لم يفسروها ولم يسألوا عن تفسيرها . والا لورثنا رأيهم فيها ، مع الدواعي الكثيرة التى حدثت بعد ذلك ، وكانت تستدعي الوقوف على رأيهم .. فلو كان هناك رأى لهم معتمد ، او سؤال منهم للرسول ، اجابهم عنه في هذا المتشابه ، لوصلنا ، ولعرفناه واسترحنا من الخلاف حول تفسيرها ..

وتساءلت ـ ولا بد ان الكثيرين معي يتساءلون ـ كيف تمر هذه المتشابهات على الصحابة دون ان يعرفوها ، ودون ان يسألوا عنها ؟

وذكرت بعض الظروف التي ادت الى هذا الموقف ، وكان اهمها اكتفاءهم بفهم القرآن فهما اجماليا مع اهتمامهم بما يتصل بتصحيح العقيدة ، وتصحيح العمل ، دون ان يشغلوا انفسهم بالبحث عن : كيف ولماذا ، ثم انصرافهم بعد ذلك للدفاع عن الاسلام امام اعدائه المحيطين به ، مع مشاغلهم الحياتية الاخرى ..

وقلت في ختام حديثي الماضي « ومع ان طابع الحياة العملية وظروفها التي عاشوا فيها ، قد املى عليهم هذا الاتجاه ، كان هناك بجوار هذا ، او قبل هذا ، توجيهات من القرآن ، ومن الرسول ، تحبذ هذا او تدعو اليه ، وترسم نهجا واضحا لتفكيرهم ، واسلوب فهمهم للقرآن ، ووعدت بالحديث عن هذا ..

والان اتناول هذه النقطة ، واذا اتسع المجال تكلمت عن النقطة الباقية من هذه الاعتبارات ، وهي البيئة العلمية ، او المقدرة العلمية ، التي استقبل بها الصحابة القرآن وفهموه على ضوئها.

وقد سبق ان قلت ان ظروف الدعوة مع مناوئيها والمتربصين بها قضت على المؤمنين ان ياخذوا من القرآن ومن الرسول تفصيل الاحكام ،

« لا تَسْئلوا عَنْ أشياءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ »

« سورة المائدة ١٠١ »

« ذَرُوني ما تَرَكْتُكُمْ فإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم واختِلافِهِم على أنبيائهِمْ »

« حديث »

مرّت على الصّحابة

فلم يسألوا الرسول عنها

ولا ينصرفوا بعد ذلك لمناقشات لا تناسب حالة الحرب بل هي الى الترف العقلي اقرب ..

ومن هنا لم نجد احاديث في تفسير القرآن في غير مواضع الاحكام .. كما لم نجد اسئلة من الصحابة الا في هذه ايضا ..

الحد من الأسئلة

ومع ان هذا الاتجاه كان مما تقتضيه طبيعة الحياة ، كان هناك توجيه من القرآن ، وتوجيه من الرسول ايضا بنهيهم عن الاسئلة فيما لا يتصل بتصحيح ما يكلفون به ، ونهيهم عن الخوض في موضوعات او كلمات من الايات لا يتوقف عليها تصحيح العقيدة او العمل ..

والمعروف في تاريخ الاديان حتى الوضعية منها ان الدور الاول فيها يكون الجهد فيه منصرفا الى القواعد العامة ، والى اشعال الروح ، والى التطبيق العملي لتعاليمها .. اما التفريعات والتعليلات ، أو التماس فلسفة لهذه القواعد وهذه التعاليم ، فذلك يكون بعد ارساء القواعد ، وتكميل البناء ، وغالبا ما يصاحب ذلك شيء من خمود الروح ولو نسبيا عما كانت عليه في الدور الاول .. دور الحماس وفوران العاطفة ..

من اجل هذا وجدنا القرآن الكريم يتعرض لاناس يكثرون من سؤال الرسول ، حتى ادى شغفهم بكثرة الاسئلة الى ان يسال واحد منهم رسول الله : اين ابي ؟ فيضطر الرسول الى ان يخبره انه في النار ، وكان قد مات على الكفر .. ويسال آخر : من ابي ؟ وآخر : اين ناقتي ؟ وآخر يساله عن الحج . أواجب مرة في العمر ام في كل سنة ؟ .. الى غير ذلك ، فانزل الله آية تحسم هذه الحالة ، وتحد منها ، لانها لا تتناسب مع الرسول ووقته ، ولا مع الصحابة وما ينبغي ان ينصرفوا اليه . فقال « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تُبْدَ لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين يُنَزَّل القرآن تُبْدَ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١) » .

---

(١) سورة المائدة الايتان : ١٠١ ، ١٠٢

وفي الفاظ الآيتين ، وترتيبهما المنطقي من قوة الردع والزجر ما تنخلع منها القلوب ، وتخرس الألسنة : « ان تبد لكم تسؤكم . وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » ثم « قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين » . ردع عن الاسترسال في توجيه اسئلة للرسول لا داعي لها فوق انها تشغله .

وما كان هذا الردع القوى الا لان « الناس » كانوا كما جاء في حديث انس رضى الله عنه « سالوا نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى احفوه بالمسالة » . وفي حديث آخر يوضح المعنى « فلما اكثروا عليه المسالة غضب » .

وكان من أثر غضبه عليه الصلاة والسلام ان قال لهم : ذروني ما تركتكم ..

لم غضب الرسول ؟

واجدني في حاجة لان اقف قليلا لاوضح : لم غضب الرسول ؟ حتى لا اترك في ذهن القارىء علامة استفهام كبيرة لا جواب عنها ..

سبب الغضب يمكن ان يبينه هذا الحديث « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ـ ان الله قد فرض عليكم الحج . فقال رجل ـ في كل عام ؟ فسكت عنه . حتى اعاده ثلاثا .. فقال : لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما قمتم بها .. ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، فاذا امرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه . »

فمثل هذا السؤال من الرجل « في كل عام ؟ » لا محل له .. اذ لو كان كل عام لبينه الرسول دون حاجة الى سؤال احد . ثم كان على الرجل ان يكون فطنا حين لم يرد عليه الرسول ، فيسكت هو الاخر ويفهم ، ولا يتمادى في السؤال ، كانه الحريص وحده على البيان .. ومثل هذا الموقف كثيرا ما يدخل صاحبه في باب التنطع ، الذى قال الرسول عن المتصفين به : «هلك المتنطعون» والاسلام ذوق ، وجمال ، واحساس ، وجَوّه لا بد ان يشيع فيه هذا كله .

والذين مارسوا مهنة الدعوة او التدريس ، هم أكثر الناس ادراكا وفهما لمثل هذا الموقف .

فكثيرا ما يجابه المدرس باسئلة تنطلق من بعض الطلاب كالرشاش (في القاضي والمليان) وقبل الشرح احيانا ، وخارج موضوع الدرس . ولو استرسل المدرس مع السائل لتشتت الموضوع ، وضاع الوقت ، وتبرم الباقون . ولو سكت الطالب (المتسائل) لجاءه الشرح الذى ينبغي له ان يفهمه ، ولا يزيد عليه ، وخرج هو وزملاؤه بالفائدة المرجوة ، ولكنها الحذلقة والتنطع او التظاهر !

فكان لا بد للرسول ان يغضب من هذه الحالة التي تضيع الوقت ، وتبعد من الطابع الجدى الوقور الذى يجب ان يكون طابع مجالس الرسول ، ومجالس العلم بعامة .

ومن هذا يتضح جليا سبب الغضب ، ويبعد عن الاذهان ما قد يناوشها ـ من ان الرسول لم يكن يحب ان يساله احد عن بيان امر شرعي ، يتصل بتصحيح عقيدة المؤمن وعمله ـ لان ذلك الظن يتنافي مع طبيعة الرسالة ومهمة الرسول ..

ليست الاسئلة فقط ولكن محادثته ايضا

ولعل الامر يزداد وضوحا اذا ذكرت هنا آية اخرى في هذا المقام ـ ولو ان الاستطراد قد يطول ـ لكن هذه النقطة لا بد من أن اوضحها تماما .. ولا اترك لها مخلفات في الاذهان . هذه الآية من سورة المجادلة تقول ـ « يأيها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ، ذلك خير لكم واطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم » (١)

كيف هذا ؟

هل مناجاة الرسول ومحادثته تقتضى ان يتصدق المتحدث قبل أن يقدم على مناجاته ؟اليس الرسول مبيّنا ، ومن مهمته أن يتحدث للناس ويستمع اليهم ؟

بلى . من مهمته ذلك .. ولكن حسن خلقه وسيره على طبيعته الرسالية ، أطمع من حوله في ان يتحدث معه ، ويناجيه ، وقد ينفرد به ، وقد يشغله ، وقد يقتحم عليه أوقات راحته ، وقد يتحدث معه في توافه الامور . فكان تواضعه وحسن خلقه سببا في ايجاد شيء من عدم الدقة

---

(١) الاية ١٢ من سورة المجادلة

في فهم مقام الرسول ، وما ينبغي ان يكون عليه الحديث معه .. ولما يجب من توفير وقته للمهم من الامور ، أو ـ كما نقول ـ سببا في «رفع الكلفة» في الحديث معه .

فكان لا بد من وقفة أو من هزة تنبه الجميع الى ما يجب ان يكون عليه الحديث مع الرسول واختيار الوقت المناسب والموضوع المناسب للحديث فليس هو مثلهم .. انه رسول .. واذا كان قد رباه ربه على التواضع ، فليس معنى ذلك ان تزيلوا كل حجاب (او ترفعوا الكلفة) بينكم وبينه .. ان مقامه عظيم ، ومقام المحادثة معه عظيم .. يقتضي كل من يريد الحديث معه أن يقدم صدقة . نعم . لا حجاب : ولا حراس ، ولا استئذان ولكن صدقة من مال . افهمتم مقام الرسول ؟ . افهمتم خطورة التحدث معه ؟ لا بد ان تحتاطوا اذن وتقتصدوا في احاديثكم معه ايضا لا في اسئلتكم له فحسب .

وعرفوا قدر المحادثة مع الرسول ومناجاته .. واحجموا .. حتى اقرب الناس اليه : علي رضي الله عنه : لما اراد ان يحدثه قدم صدقة قبل ان يتحدث معه .. ثم تحدث .. وكان المهم ان يعوا هذا الدرس ، ويعرفوا انهم يتحدثون مع رسول الله ، ولا بد ان يكون الحديث مناسبا لمقامه . وقد فهموا هذا ووعوه ، فادركتهم رحمة الله سريعا واعفتهم من هذه الصدقة ، لكن بعد ان فهموا وتعلموا فقال الله « أاشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » ومنه حفظكم لمقام الرسالة والرسول وتادبكم في الحديث معه ، وعدم اشغاله بالمهم والتافه من الأمور .

وفي معنى هذا ايضا يقول الله « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » من سورة النور ، وقوله من سورة الحجرات « يأيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون . ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (كما ينادون امثالهم) اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم .. »

أدب مع النبوة ، في الاسئلة وفي الحديث معه ، يجب ان يتادبوا به . فلما غفلوا عنه غضب الرسول وغضب الله له .. وغضب كذلك حتى لا يكون هؤلاء « المتنطعون » سببا في الاثقال على غيرهم .. كما قال الله « ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » . وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت . ولما استطعتم . »

سؤال النبي ، منع عن المقيمين ، وأبيح للوافدين

ولقد كان هذا الدرس نافعا ومفيدا ، بل ذهب في نفوس الصحابة الى اكثر من مداه .. وهذا هو شاهدنا وموضع هدفنا من الآية واثرها ..

فلقد تخوف الصحابة من السؤال اى سؤال ، وتحرجوا منه ، مما يمكن ان نعده رد فعل لما كانوا عليه اولا ، قبل أن يغضب الرسول وتنزل الآية .. فقد أداهم الخوف والخشية الى ان يحجموا عن الاسئلة خوفا من أن يبدر منهم ماقد يكون محل مؤاخذة فاثروا العافية ..

روى مسلم في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال « كنا نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، وكان يعجبنا ان يجيء الرجل الغافل من أهل الباديه (اى الذى لم يبلغه امر النهي كما بلغنا) فيسأله ونحن نسمع (١) .

واخرج الامام أحمد في مسنده عن أبي امامة قال ـ لما نزلت ، يأيها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء . الآية ، كنا قد اتقينا ان نسأله صلى الله عليه وسلم ، فأتينا اعرابيا ، فرشوناه برداء ، وقلنا : سل النبي صلى الله عليه وسلم . » والاعرابي ليس بملتزم ما يلتزمه المقيمون مع الرسول .. والرشوة هنا ليست هي الرشوة المحرمة طبعا ، فهي تحريض على خير يريدونه ولا يستطيعونه .

وروى مسلم ايضا عن النواس بن سمعان قال ـ اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة بالمدينة ما يمنعني من الهجرة الا المسألة ،

---

(١) من تفسير المنار جـ ٧ ص ١٤٨ نقلا عن فتح الباري

كان احدنا اذا هاجر لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم » .

فلم يتخذ النواسي صفة الاقامة حتى لا ينطبق عليه ما ينطبق على المقيمين مع الرسول . وظل سنة كذلك لتكون له الحرية في سؤال الرسول عما يريد . لان المنع كان خاصا بالمقيمين لا بالوافدين .. لانهم يتزودون بالعلم ويرحلون .

وروى أبو يعلى عن البراء « ان كان لياتى عليّ السنة اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتهيب . وان كنا لنتمنى الاعراب » اى قدومهم ، ليسألوا فيسمعوا هم اجوبة سؤالات الاعراب فيستفيدوها .

★ ★ ★

الى هذا الحد بلغ اثر هذا الدرس الذى فهموه من الاية ـ احجام عن السؤال مع رغبتهم الشديدة فيه ، حتى يحرضوا الاعرابي ليسأل بدلهم ، ويدفعوا له مالا في مقابل السؤال واستماعهم معه للجواب .. مبالغة في الادب والطاعة ، مع حرص شديد على العلم .

ومع ان الاية ـ كما يفهم من مدلولها ـ لم تنههم عن السؤال ايا كان موضوعه بل نهتهم عن اسئلة من نوع خاص ، بينته لهم « ان تبد لكم تسؤكم » كما ان الحالة التى نزلت الاية تعالجها كانت مفهومة عندهم ، اقول مع ذلك احدثت الاية في نفوسهم اثرا زائدا عن الحد المطلوب فيها .

ولو انهم ـ مع هذا المعروف عنهم لم يغفلوا اول الامر عما كان يجب عليهم من مراعاة مقام الرسول ، والحفاظ على وقته الثمين ، الذى يجب صرفه كله للامور المهمة ، لما حصل هذا كله .. ولكنه درس لهم ، ولكل من ابى ، أو يأتي من بعدهم ، حتى لا تشغلهم التوافه عن العظائم ، ولا يتشددوا فيشدد الله عليهم ، وحتى يوفروا للعلماء ولمن يدبرون لهم الامور اوقاتهم وينزلوا الناس منازلهم .

وهنا وعلى الهامش احب أن أهمس في اذن بعض الناس الذين يشكون من اصدقائهم ما يعدونه عدم وفاء منهم ، لانهم لا يزورونهم كثيرا ، ولا يجلسون معهم وقتا طويلا يتحدثون ، او لا يقبلون منهم المزاح امام الناس ، كما كانوا يفعلون قبل أن يلوا مناصبهم الكبيرة ويتحملوا أعباءها .

تهيُّب" عام من السؤال ، لم يمتد الى ما تمس الحاجة اليه

ونعود بعد هذا لنتساءل ـ هل معنى هذا انه لم يعد بعد نزول الآية استفسار من الصحابة للرسول عن امور تهمهم في دينهم .

اظن . لا .. اذ لا يمكن ان تزول ظاهرة السؤال والجواب .. ما دام الرسول حيا .. ينزل عليه الوحي بتشريعات جديدة تحتاج احيانا ولدى بعض الناس على الاقل الى استفسار وتوضيح ..

فما معنى تهيب هؤلاء الرواة ، وغيرهم طبعا معهم ، حتى كانوا يستعينون بالوافدين عليهم او ينتظرون قدومهم ليسمعوا اسئلتهم وجواب الرسول عنها ؟

الذى افهمه من جملة النصوص ومن طبيعة الرسالة معا انه حدث تهيُّب" عام من الاسئلة بعد نزول الآية ، لم يمتد الى الضرورى مما تمس الحاجة الى السؤال عنه .. ولكنه وضع حدا لطوفان الاسئلة فيما لا تمس الحاجة اليه ، ولا تتوقف صحة العقيدة والعمل عليه .. بالاضافة الى ان بعض الناس رأى من باب الاحوط أن يأخذ نفسه بعدم السؤال عن شيء ، خوفا من الوقوع في الحرج ، مكتفيا بما يسمعه من سؤال الوافدين على الرسول ، واجابته لهم او ببيان صحابي له ، يكون اكثر ادراكا وفهما منه ..

ومما لا شك فيه ان هذا الجو الذى احدثه نزول هذه الآية كان له تأثيره فيما يتصل بالاستفسار عن بعض ما في القرآن من الفاظ وموضوعات ذكرنا شيئا منها في مقالاتنا السابقة وتساءلنا ـ كيف تمر في عهد الرسول دون ان يسأل احد من الصحابة عنها ، ودون ان يصلنا شيء موثوق به عن معناها وتفسيرها ، كان من الممكن ـ لووجد ـ ان يقطع كل خلاف بين العلماء حول تفسيرها ..

ومع ذلك لم تكن هذه الآية هى كل ما في الموضوع ، بل كان هناك غيرها ، يشاركها في تأثيرها مما نرجيء الحديث عنه الى مقال قادم .

ومن الله العون والتوفيق

■■

عبد المنعم النمر



بقلم : الدكتور عثمان امين

الاستاذ بجامعة القاهرة والاسكندرية

■ من الأمور البينة بذاتها ، الثابتة منشواهد الماضي وتجارب الحاضر ، في الشرق والغرب على السواء،ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع لايتيسر حصوله بدون لغة مشتركة يستعملونها ، فتكون مجلى لافكارهم وترجمانا له.ولا خلاف اليوم على ان لغة قوم من الاقوام هي اقوىعوامل الوحدة والتضامن بينهم ، حتى لقد ذهب عالم من علماء اللغات الغربيين الى أن اللغة توشك أن تكوناعظم قوة تجعل من الفـــرد كائنا اجتماعيا . وبين الفيلسوف الالمانى « فشتة » Fichte أن للغة اثرا بالغا في تطور الشعوب فقال : « ان اللغة تلازم الفرد في حياته ، وتمتد الى اعماق كيانه ، وتنفذ الى أخفى رغباته وخطراته . انها تجعل من الامة الناطقة بها كلاً متراصا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان » .

ولست أعرف لغة من لغات العالم يصدق عليها قول الفيلسوف الالمانى اكثر مما يصدق على لغتنا العربية : فما من شك في أن للغتنا العربية اثرا في تكوين عقليتنا وتدبير تفكيرنا وتصريفافعالنا وهداية سلوكنا يفوق كل اثر سواه ، وانتا اذا اردنا أن ندعم وحدتنا القومية فواجبنا ان نحافظ بكل ما في وسعنا على خصائص لغتنا،وأننستمسك في الوقت نفسه بالخصائص الفكرية الأصيلة التى تجعل لهذه اللغة فلسفة متميزة .

المثالية الغربية والمثالية العربية

وأول الخصائص التى تتميز بها اللغة العربية هى انها تنحو نحوا مثاليا في التعبير لا نظير له في

اى لغة من اللغات التى نعرفها : فلسفة هذه اللغة تفترض لأول وهلة « مثالية » عميقة صريحة تحسب حساب « الفكرة » و « المثال » ، وتضعهما في مكان الصدارة والاعتبار .

ومنذ افلاطون ومفكرو الغربيين يجاهدون ،من وراء لغاتهم ، لرفع النقاب عن هذه المثالية ، فلم يستطع استكشافها منهم الا اثنان من كبار فلاسفتهم المحدثين : « ديكارت » في القرن السابع عشر ، و « كانط » في القرن الثامن عشر . وكان مؤدى مثاليتهما انه يوجد الى جانب صور الحس صور ومعان عقلية ، وأن حقيقة العالم الخارجي ـ أو عالم الاعيان كما يقول المتكلمون المسلمون ـ هو كونه مدركا بالذهن الانساني .

غير أن هذا الاكتشاف الذى توصل اليه الفيلسوفان الغربيان بعد جهد جهيد لم يثبت بعد في أذهان الناس ، ولا يزال موضع جدال وتفنيد : وآية ذلك ما لا نزال نسمعه من القضايا المعارضة التى يدلى بها أنصار المذاهب المادية والحسية والوجودية والوضعية ، وكلها دالة على مغامرات « الانسان الممزق » في القرن العشرين ، ومعبرة عن ضراوة خصومتها للاتجاهات الروحية عامة والمثالية خاصة .

ولايضاح مثالية اللغة العربية نقول :

ان لغتنا في طبيعة تركيبها لا تحتاج الجمل الخبرية فيها الى اثبات ما يسمى في اللغات الغربية « فعل الكينونة » : فنحن نقول في العربية على سبيل الاخبار : « فلان شجاع » ، دون حاجة مثلهم الى أن نقول : فلان هو شجاع » ، ونقول : « كل انسان فان » دون حاجة الى ان نقول : « كل انسان يكون فانيا » ، او « كل انسان يوجد فانيا » ، او « كل انسان كائن فان » كما هو شأنهم في تركيب كلامهم . واذا قلنا مثلا ان « الأمة العربية واحدة » ثبت هذا المعنى في أذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شيء من الخارج، لا فعل الكينونة ولا اى رمز آخر من رموز اللغة او اى أمر من أمور الحس . والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة ماثلة دائما في نفس العربى ، يلتفت اليها حين يواجهه المعنى ، فاذا أراد أن يبرزها او ان يؤكدها مثلها بلفظ كقوله : « انه هو الحق » .

ومعنى هذا أن الاسناد في اللغة العربية يكفى فيه انشاء علاقة ذهنية بين « موضوع » و« محمول» او مسند اليه ومسند ، دون حاجة الى التصريح بهذه العلاقة نطقا او كتابة ، في حين أن هذا الاسناد الذهنى لا يكفى في اللغات « الهندو ـ اوربية » الا بوجود لفظ صريح مسموع أو مقروء ، يشير الى هذه العلاقة في كل مرة ، وهو «فعل الكينونة» في اصطلاحهم . ولعل هذا الاضطرار في اللغات الغربية الحديثة سبب من أسباب ما اعتاده الناس في الغرب من التماسهم شهادة خارجية حسية لكل قضية عقلية تحتمل « الصدق » أو « الكذب » ، وكان معيار « الحق » عندهم هو مطابقة ما في الذهن لما هو خارج الذهن ، خلافا لما يقضي به المنطق الاصيل للغة العربية .

شهادة الفكر وشهادة الحس

ومما له دلالة كبيرة في هذا المقام أننى عرضت مرة للمقارنة بين لغتنا وبعض اللغات الاوروبية ، في محاضرة ألقيتها على جمهور فرنسي ، وكان موضوعها :

« ديكارت واللغة العربية » ، فخيل اليّ حينئذ ان المستمعين قد بدأوا يقتنعون بما ذهبت اليه من أن « فلسفة ديكارت » هي في نظرى أقرب الفلسفات الغربية مطابقة لمنطق اللغة العربية . غير أن شيئا واحدا كان عندهم موضع استغراب، وهو أن تخلو اللغة العربية مما يسمونه « فعل الكينونة » . ولكنى بينت لهم فيما بينت أن دلالة الكينونة التى استغربوا خلو العربية منها هي على التحقيق الأمر الذى أراه ميزة فلسفية امتازت بها لغتنا على غيرها من اللغات : فالعربية ترى من نافلة القول ان نضطر الى اثبات هذه الكينونة في كل قضية عقلية لكى نصدق بها . بل أكثر من هذا ، أن العربية تفترض ابتداء و « أولانيا » أن مجرد اخطار المعنى في الذهن ، ومجرد ثبوت « الانية » كما يقول الفارابى وابن سينا ـ كاف وحده لاثبات هذه المعنى . وبعبارة اخرى نقول ان اللغة تفترض دائما ان شهادة الفكر أصدق من شهادة الحس .

وبتعبير فلسفى شائع لدى فلاسفة العرب ومتكلميهم، نقول ان العربية بطبيعة بنيتها وصياغتها تقرر أن « الماهية متقدمة على الوجود » ـ وغنى عن البيان أن التقدم » الذى يقصده فلاسفة العرب هو تقدم « الرتبة » و « القيمة » لا تقدم الزمان

او الوضع في المكان : وذلك هو الامر الذى انتهت اليه المعرفة الانسانية حينما ارتفعت الى مقام العلم او مقام الفلسفة .

« جوانية » اللغة العربية

واللغة العربية قد امتازت بخاصية أخرى فريدة قد خلت منها اللغات الأخرى التى نعرفها ، واعنى بها خاصية ما قد سميته بالحضـــــور « الجوانى » للانية الواعية ، أى ادراك معنى الأشياء بنوع من الكشف الداخلى ، من غير حاجة الى الوسائل الخارجية كاللفظ والاشارة وما اليها. ولبيان ذلك اقول ان « الذات العارفة » أو « الانا المفكرة » ماثلة في كل قضية صيغت صياغة عربية . وحضورها حضور روحى داخلي ، يسرى في الضمائر والافعال الداخلة في بنية الالفاظ ، دون حاجة الى اثباتها بالرموز والعلامات الظاهرة: ففى حين أن اللغات الغربية مثلا تضطر غالبا الى اثبات هذه « الانية » عن طريق ضمير المتكلم أو المخاطب او الغائب ، مصرحا بـه في كل مرة ، بحيث لا تفهم نسبة الفعل أو الفاعل بدون هذا التصريح ، نجد العربية قادرة على التعبير عن الانية تعبيرا جوانيا ، لأن الفعل فيها لا يستقل بالدلالة بدون الذات ، والذات متصلة دائما بالفعل في نفس تركيبه الاصلي ، ولا يوجد في العربية فعل مستقل . عن ذات ، كالفعل « المصدرى » في اللغات الاوروبية الحديثة .

وكذلك الاضافة في اللغة العربية تتم بانشاء علاقة ذهنية ـ وبالتالى جوانية ـ لا تحتاج الى لفظ يشير اليها . مثال ذلك قولنا : « كليـــة الاداب » ، فهو كاف لايقاع الاضافة بين «الاداب» و « الكلية » ، خلافا للغات الأخرى التى تعمد الى اثبات لفظ خاص يدل عليها . وفي هذا المعنى قال ابن خلدون « ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعــانى ، مثل الحركات التى تعين الفاعل من المفعول ، والمجرور اعنى المضاف ، ومثل الحروف التـــى تفضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف الفــاظ اخرى . وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب . واما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كـلام العجم في مخاطبتهم اطول مما نقدره بكلام العرب».

الصدارة للمعنى

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالألفاظ فذلك من اجل المعانى ، أى لكى يقع القول من نفس السامع موقعا يهيىء له الحالة النفسية التـى تحفزه الى العمل . ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر ما لاعجاز القرآن ملفظه ومعانيه من قوة على استنهاض العزائم والسعى الى بلوغ المطالب . ويطيب لى ها هنا ان انقل عبارات من«الخصائص» لابن جنى واضحة الدلالة، قال في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفالها المعاني : « فاذا رايت العربقد اصلحوا الفاظها وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبهـــا وارهفوها ، فلا ترين أن العناية اذ ذاك انما هى بالالفاظ ، بل هى عندنا خدمة للمعانى وتنويه وتشريف » ثم قال : تاكيدا لرايه وكانه عالم من علماء عصرنا يدفع أوهام بعض المعترضين : «فكان العربانما تحلىألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعانى التى وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها .. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من الشعر لحكمة وان مـن البيـان لسحرا . فاذا كان رسول الله يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التى جعلت مصائد وأشراكا للقلوب ، وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعانى ، والمخدوم أشرف من الخادم . والاخبار في التلطف بعذوبة الألفاظ الى قضاء الحوائج أكثر من أن يوتى عليها .. »

والحق فيما قال ابن جنى : فاللغة العـربية من أكثر لغات الارض دلالة معنوية . بل ان الكثير من الفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسـية : فالفعل « عقل » معناه « فهم » ، وهو ماخوذ من « عقل الناقة » أى ربطها ، والاصل في معنى « الفصاحة » قولهم : « فصح اللبن » اذا ذهبت رغوته ، ثم قيل « فصح » بمعنى « وضـح » . «والراي» أصله من « راى » أى شهد بعينيه .

وفي اللغة العربية صيغ وأبنية وقوالب دالة على معان وصفات وأحوال : فصيغة « فعـلان » مثلا تدل في الاغلب على الحركة والاضطراب ، كالنزوان ، والغليان والجيشان ، والهيجان . ووزن « فعلان » يدل على صفات من احوال ، كالعطشان ، والشبعان ، والريان ، والغضبان . ووزن « فعللة » يدل على حكاية الاصوات ،

كالصرصرة ، والقرقرة ، والقعقعة ، والخشخشة. ووزن «مفعال» يدل في الاغلب على عادات الاستكثار، نحو : مطعام ، ومضياف ، ومهذار ، ومزواج ، ومئناث .

وصيغ الافعال وأوزانها في العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة في اللفظ ، ومع الاحتفاظ بطابع التركيز الذي تميزت به لغة القرآن . فصيغة « فعل » ترد بمعنى المبالغة ، وبمعنى النسبة . وصيغة « فاعل » تدل على المبادلة ، وصيغة « تفاعل » تدل على المشاركة ، وترد ايضا بمعنى التظاهر بأمر غير الواقع ، وصيغة « تفعل » ترد بمعنى التكلف ، أو بمعنى أخذ الشيء أو تلقيه .

وخاصة اخرى تجعل اللغة العربية اكثر مرونة من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهي أنها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق . باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدى معاني الحضارة الحديثة على اختلافها . ويقوم الاشتقاق في العربية بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الاصلي وتلوينه ، اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ، ومبالغة وتعدية ومطاوعة ، ومشاركة ومبادلة ، ومما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة. وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين « الجواني » و «البراني» بين ما هو حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح العربية تفرق مثلا بين « الكبر » و « التكبر » ، و« العلم » . و « الفقه » و « التفقه » وما الى ذلك .

وقد التفت المستشرق الفرنسي « كارادو فو » الى هذه الظاهرة ، فلم يسعه الا أن ينوه بها في كتابه عن « الغزالي » ، فقال : « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي » : الداخلي هو استعداد في النفس ، والخارجي ناتج من افعال الجوارح . واللفظ الفرنسي الذى يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى أن يكون مرادفه الفرنسي Supérbe

ولاحظ « كارادوفو » أيضا أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات الاخرى ، وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوى عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق « ما دام أن أحداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة التي تطابقها » .

ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها في اللغات الاخرى ، في نطاق التركيز الجواني الذى هو شيمة الاسلوب العربي الأصيل.

الحركة والقوة

وسمة أخرى تميزت بها اللغة العربية ، وهي « الدينامية » أو الحركية : فاللغات الاخرى لا ترى مانعا من بدء الكلمات بالحروف الساكنة . اما اللغة العربية فلسفتها تمنع الناطق بها من النطق بحروف ساكنة ، لانها تفترض ان كل«قول» اذا كان قولا جادا ينبغي أن ينزل منزلة « الفعل » والفعل يقتضي الحركة ، وأى قول لا يكون فيه حركية او تهيؤ للفعل فهو عبث او لهو ، وفلسفة اللغة العربية تريد أن تنزه أهلها عن اللغو والهذر. فقد كان للكلام عند العرب سلطان وأى سلطان . وقيمة الكلمة في حياة العرب اعظم واشد منها في الامم الاخرى : ذلك ان القول والتفكير والعمل متلازمة في الحياة العربية الواعية : فقول العربي تفكيره ، وتفكيره بدء لعمله . ولذلك اعتبره زهير الشاعر الجاهلي أحد شطرى الانسان ، اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف فؤاده » .

وحركية اللغة العربية وقوتها ظاهرتان لا يخلو من ان يلتفت اليهما الباحثون في علم اللغات الحديث، كما التفت اليهما شعراء العرب وكتابهم قبل ذلك بقرون . ولم يبالغ ابو تمام في تقديره لدور الشعر العربي في خدمة المجتمع حين قال :

ولولا خلال سنّها الشعرُ ما درى
بناة العلا من أين تؤتى المكارم

تلك بعض سمات اللغة العربية : اعلاء من شان الذهن ، وتأكيد لقوة العقل ، وصدارة للمعنى ، ودعوة الى الحركة ، واتجاه الى الفعل . وعزة العروبة في المحافظة على الميزات التي تميزت بها لغة العرب : انها لغة ذات فلسفة متميزة ،تربط القول بالفعل ، وتوجد بين الفكر والعمل . ■■

القاهرة : عثمان أمين

المُسْتَشْرِق الكَبِير العَلاَّمَة

ادوارد وليم لين

E. W. LANE

مُؤلف «مَدّ القَامُوس» بالعربية والانجليزية

١٨٠١ - ١٨٧٦

بقلم : جورج سلستي

■ هو الابن الثالث لكاهن هيرفورد Hereford « ثيوفيلوس لين » ، أما والدته فالسيدة « صوفيا جاثار » حفيدة الرسام الانكليزي « جينز بره » Gainsborough اخترم الموت أباه سنة ١٨١٤ ، وهو ما يزال يافعا رطب العـود ، فرعته امه بعطفها وحنانها ، واشرفت بنفسها على تثقيفه في مدارس هيرفورد وباث Hereford & Bath فاظهر منذ صباه الباكر تفوّقا مرموقا في الآداب والرياضيات ، وقد كان جلّ مناه الحصول على درجة علمية من جامعة كمبريدج ، ثم الالتحاق بسلك الكهنوت ، ولعلّ لوالدته يدا في رغبته في الانتماء لذلك السلك ، فقد كانت متدينة حقا الى جانب ما خصتها الله به من هبات ، فلم تدّخر تلك الأم الصالحة وسعا في تنشئته واخويه وأخته على خير ما تكون التنشئة والتثقيف مما حدا بادوارد نفسه الى القول فيما بعد انه مدين في نجاحه في الحياة الى ما بثته فيه تلك الأم الرؤوم من علم ومن خلق .

ولئن كان صـاحبنا قد تخلى عن رغبتيه في الانتماء الى كمبريدج ثم الى سلك الكهنوت ، الا انه ظل امينا في تعلقه بالعلم والفن ، فالتحق باخيه « ريتشارد » الذى كان يمارس الطباعة الحجرية والحفـر الفني فاتقنهما الى جـانب تعلقـه بالمشرقيات ، وادى به شغفه هذا مع اهماله لصحته الى الهزال فالتعرض للاصابة بحمى

التيفوس . فاضطر الى الاقلاع عن الحفر لما يستلزم من انطواء ، وصرف جل همه الى العربية.

مخطوطته ((وصف مصر))

وحفزه التطلع الى اتقانها والى انتجاع العافية معا للسفر الى مصر ، فقام باولى رحلاته الثلاث اليها عام ١٨٢٥ وظل فيها سائحا ، متنقلا دارسا ثلاث سنوات كاملة وضع خلالها مخطوطته في « وصف مصر » زينها بمئة رسم ورسم ، واعتبرها كل من اطلع عليها من الثقات كتابا فريدا من نوعه لو قدر له الاخراج .

كتابه ((المصريون العصريون))

وفي عام ١٨٣٣ قام بزيارة مصر ثانية ، وظل فيها حتى عام ١٨٣٥ في سبيل اخراج كتاب عن « المصرين العصرين » The modern Egyptians وذلك بناء على توصية اللورد « بروجهام » لجمعية نشر المعارف المفيدة التي كان اللورد احد اعضاء لجنتها ، وقد لقي الكتاب رواجا قل ان عرف نظيره في ذلك الحين على الرغم من صدوره في مجلدين ، واعيد طبعه مرارا خلال امد يسير . كما ترجم الى الالمانية وتجاوزت شهرته القارة الاوروبية فطبع في امريكا مرارا كذلك نظرا لما انطوى عليه من دقة التصوير وامانة الوصف وسلاسة الأسلوب .

ترجمته الف ليلة وليلة

وتنشر بين ١٨٣٨ و ١٨٤٠ ترجمته القيمة « لالف ليلة وليلة » مع ايضاحات وشروح جمة جعلت « الليالي العربية » ــ كما كانت تدعى في اغلب الاحايين ــ شبه دائرة من المعارف عن العادات والتقاليد والفروسية العربية . وكان لترجمته تلك صداها البعيد في الناس ، وتداولتها ايدى طلاب العلم والأدب بشغف بالغ ، واعيد طبعها مرارا عديدة في حياة لين نفسه وما زالت حتى اليوم ينبوع غبطة ومسرة وعلم لمن تسحره ليالي الشرق .

مختاراته من القرآن

ولم يلبث « لين » أن دفع الى النشر قبل عودته الثالثة الى القاهرة سنة ١٨٤٢ بـ « منتخبات من القرآن الكريم » Selections From the Kuran لاطلاع العالم الغربي على الناحية الروحية من الرسالة النبوية . ولا ريب في أن كتابه هذا قد أدى ما كان يستهدف اليه فيه من امانة وصدق ـ لا سيما في طبعاته الأخيرة التي اشرف على تصحيحها بنفسه ـ في تفهم الاسلام على حقيقته المثلى .

قمة آثاره
((مد القاموس)) استغرق تاليفه ٣٤ عاما

وسرعان ما غدا «لين» عالما من علماء الاستشراق يشار اليه بالبنان لا بين زملائه البريطانيين وحسب بل في العالم بأسره ، وغدا حجة ومرجعا في العربية نفسها حتى قال فيه احد المستشرقين : لقد كان الالمان يحملون لواء الاستشراق حتى اطل عليهم « لين » فبوأوه الزعامة ، ورفع لواءها الخفاق في اصقاع العالم الكبير ، وتلكم هي سنة العلم وخلقة العلماء .

اجل ، لقد عاد « لين » للمرة الثالثة الى مصر واستقر في القاهرة من ١٨٤٢ حتى سنة ١٨٤٩ بناء على رغبة « الدوق اوف نور ثمبرلند » الذى غدا فيما بعد اللورد « برودهو » Lord Prudhoe لوضع كتاب لا يتعلق ببلد وحسب ، بل يهم العالم العربي بأسره . وسرعان ما اكب لين على وضع ذلك الكتاب الذى يهم دائرة العلماء الا أن اسمه سيظل من جرائه ابدي الترديد . ذلكم الكتاب هو « مد القاموس » في العربية والانكليزية الذى يقع في ثمانية مجلدات والذى استغرق تاليفه اربعا وثلاثين سنة قضاها مؤلفه في العمل الدؤوب الذى لا يعرف الكلل . ولم يسر لين في تاليفه على سنة « جوليوس » Golius أو « فريتاج » Freytag من واضعي المعاجم العربية اللاتينية اعتمادا على الترجمة وحسب ، بل على أوثق ما وصلت اليه يداه من المصادر العربية والمراجع المعجمية في تدقيق منقطع النظير .

صحيح أن « لين » قد اعتمد « تاج العروس » أساسا ، الا أنه لم يدخر وسعا في مقارنته بالمراجع اللغوية الأخرى التي كان يمده بها علماء القاهرة على يدى زميله الشيخ ابراهيم عبدالغفار

الدسوقي أو سواه ، وذلك ليستوثق من صحة كل لفظة من الفاظ معجمه كل الاستيثاق ، ونذكر من هاتيك المراجع على سبيل المثال :

صحاح الجوهري وعليه هوامش ابن بري والبستي

والقاموس للفيروزابادي ، وفصيح ثعلب .. ، والعباب للصغاني ، وفقة اللغة للثعالبي .. ، والعين للخليل ، والمضاف والمنسوب للثعالبي .. ، والتهذيب للازهرى ، واصلاح المنطق لابن السكيت ، والمحيط من صحيح ابن عباد ، والخصائص ـ لابن جنى..، والمجمل لابن فارس، .. وسر الصناعة ـ لابن جني ، .. والجمهرة والخصائص ـ لابن جنى..، والمجمل لابن فارس، والمغرب للمطرزى .. ، ومختار الصحاح للرازى .. ، والنهاية لابن الاثير .. ، ومغني اللبيب لابن هشام ،.. ولسنا العرب لابن منظور .

ولقد عاد الى انكلترا سنة ١٨٤٩ بعد مكوثه في القاهرة ثماني سنوات متوالية ومعه اربعة وعشرون مجلدا من مخطوطات معجمه العتيد ، وظل يعمل على تنقيحها حتى ادركته الوفاة في « وورثنج » Worthing في العاشر من آب سنة ١٨٧٦ ، وكانت قد ظهرت له في حياته خمسة اجزاء من معجمه الفذ بين الأعوام ١٨٦٣ و ١٨٧٤ .

ابن اخته ستانلي لين بول

وقام ابن اخته من بعده المستشرق الكبير « ستانلي لين بول » S. L. Poole فصرف خمس عشرة سنة في المراجعة والمقارنة والتحقيق حتى أخرج الأجزاء الثلاثة الباقية من مؤلف خاله العظيم .

ولقد كان « لين » يامل في اخراج معجمه في كتابين :

الأول الذى صدر في ثمانية مجلدات .

والثاني ليشمل الغريب من مفردات اللغة ولم يصدر قط .

ويقول العلامة « ستانلي لين بول » انه لم ير ضرورة للعمل على انجاز ما بدأ به خاله في هذا الصدد نظرا لصدور « تكملة المعاجم العربية » الذى أصدره المستشرق الهولاندى الكبير « راينهارت دوزى » Dozy في مجلدين عام ١٨٨١ والذى تكامل به عمل « لين » الموسوعي الجبار . وهكذا صرف النظر عنه .

ولا نرى بدا قبل ختام هذه الكلمة الموجزة من القول ان مؤتمر المستشرقين العالمي ـ على الرغم من صدور الأجزاء الثلاثة الباقية من معجم لين بعد وفاته على يدى ابن اخته ـ قد درس مرارا أمر انجاز معجم لين بالدقة المتناهية نفسها التي صدرت بها الأجزاء الخمسة الأولى في حياته وقد اعتبر أمر هذا الانجاز في سبيل العلم نفسه من الاهمية بمكان عظيم ، وهكذا بدأ المستشرق جورج كرايمر من « توبنجن » بالعمل من حيث انتهى « لين » بالحرف كاف ، وظهرت النشرة الأولى منه بالعربية والالمانية والانكليزية سنة ١٩٥٨ وما يزال العمل فيه متواصلا .

تقدير العالم لعمل لين

تقول دائرة المعارف البريطانية في معجم « لين » انه عمل مثالي في العالم الموسوعي ، وهو من عدة نواح نموذج حي للدقة المتناهية التي تكتب بها امثاله من الموسوعات .

وقال الدكتور « ج بادجر » في تعريف له بمعجم لين :

« ان هذا العمل الرائع في شموله وغناه ، في بحثه العميق ودقته ، وفي بساطة ترتيبه ، ليفوق الى حد بعيد أي معجم كان في اية لغة في العالم».

وقال المستشرق الكبير « جول مهل » في المعجم نفسه : « ان كل نبذة في هذا المؤلف هي جامعة مانعة ، واقعة في المحل المختص بها ، وهي كافية وافية تغني الطالب عن مراجعة الاصول التي استقى منها » .

وغني عن البيان أن دوائر الاستشراق في العالم كله تعتبر معجم « لين » الموسوم « بمد القاموس» عملا موسوعيا جبارا عز فيه النظير ، وقل المثال ، وحري بكليات العالم العربي وجامعاته وبالعاملين في حقل الترجمة والعلم أن يعتمدوا هذا السفر النفيس فيما له صلة باعمالهم ودراساتهم. ■■

جورج سليستي

بيروت

طرائف عربية

في صحبة السلطان

قال ابن المقفع : لا تكن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم . فكن حافظا اذا ولوك ، حذرا اذا قربوك . امينا اذا ائتمنوك ، ذليلا اذا ضاموك، راضيا اذا اسخطوك . تعلمهم وكانك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكانك تتادب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر .

الحرب وثمارها

الحرب رحى ثقالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة. فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة . ثم ان الحرب بين الناس سجال، والراى فيها ابلغ من القتال.

من يشترى مائة بثمانين

كان ابراهيم بن هرمة مغرما بالشراب ، فضاق عمال المدينة به ، واقاموا عليه الحد عدة مرات . فدخل يوما على المهدى وانشده قصيدة اعجبته ، ثم ساله عن حاجته قال :

تأمر لي بكتاب الى عامل المدينة ان لا يحدني على شراب . فقال له : ويلك ، كيف تأمر ذلك ، لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت . قال : يا أمير المؤمنين لو عزلت عامل المدينة وليتني مكانه ، اما كنت تعزلني ايضا وتولي غيري ؟ قال : بلى .

فقال المهدى لوزرائه : ما تقولون فى حاجة ابن هرمة ، وما عندكم فيها من التلطف ؟ قالوا : انه يطلب ما لا سبيل اليه ، وهو اسقاط حد من حدود الله .

قال المهدى : ان عندى له حيلة اذا اعيتكم الحيل فيه : اكتبوا له الى عامل المدينة : من اتاك بابن هرمة سكران فيضرب ابن هرمة ثمانين ، ويضرب الذى يأتيك به مائة .

فكان ابن هرمة اذا مشى فى ازقة المدينة يقول من يشترى مائة بثمانين .

بعث السيف

ذكر صاحب العقد الفريد قال : بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معديكرب الزبيدى ان يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به اليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان بلغه عنه ، فكتب اليه في ذلك . فرد عليه : انما بعثت الى امير المؤمنين بالسيف ولم ابعث اليه بالساعد الذى يضرب به .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبت ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها : واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

الحق أنطقها والباطل أخرسه

جلس المأمون يوما للمظالم ، فكان آخر من تقدم اليه وقد هم بالقيام ، امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت :

يا خير منتصف يُهدى له الرشد	ويا اماما به قد اشرق البلدُ
تشكو اليك عميد القوم ارملة	عدي عليها فلم يترك لها سندُ
وابتزّ مني ضياعي بعد منْعتها	ظلما وفرق مني الأهلُ والولدُ

فاطرق المأمون حينا ، ثم رفع راسه اليها وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد	عني واقرح مني القلب والكبد
هذا اذان صلاة العصر فانصرفي	واحضري الخصم في اليوم الذى اعد
فالمجلس السبت ان يقضَ الجلوسُ لنا	ننصفكِ منه والا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس المأمون وتقدمت المراة . فقال المأمون : اين الخصم ؟ فقالت : الواقف على راسك ، واشارت الى العباس ابنه ، واجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام الآخر ، فقال لها احد الحاضرين : يا امة الله ، انك بين يدي أمير المؤمنين . وانك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك . فقال المأمون : دعها يا هذا ، فان الحق انطقها ، والباطل اخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها اليها .

كيف نسوس الرعية

كتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : اني ايقظت رايى ، وانمت هواي ، فادنيت السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحرب الحازم فى امره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما ، اعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظرى ، وصرفت السيف الى المتهم المسيء ، والثواب الى المحسن البرىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب .

ولم يبحث الساعد

وقال احد الشعراء في هذا السيف :

سيف عمرو وكان فيما سمعنا
خير ما أغمدت عليه الجفون

اخضر المتن بين حديه نور
من فرند تمتد منه العيون

فاذا سللته بهر الشمس ضيـ
ـاءً فلم تكد تستبين

ما يبالى من انتضاه لضرب
اشمالٌ سطت به أم يمين



السجين رقم ٣٠٦٦٤ !

● قال المؤلف القصصي الامريكي المشهور او هنرى O' Henry (١٨٦٢ ـ ١٩١٠) يوما « ان احسن قصصي هي تلك التى كتبتها في السجن . فقد كنت اكتب لاعول ابنتي الصغيرة مارجريت بعد ان ماتت امها ! »

فقد دخل « او هنرى » السجن عندما حكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاث سنوات ونصف سنة ، بعد ادانته بتهمة الاختلاس من البنك الذى كان يعمل فيه ! وعندما خرج من سجنه كان يحمل في حقيبته الصغيرة تسع قصص قصيرة للنشر .

وأقبلت الصحف على شراء القصص التي حملها لهم هذا الشاب المجهول الذى يحمل اسم O'Henry وهي لا تعرف من امر هذا الشاب شيئا . الى ان جاء احد الايام اتصل فيه قارىء برئيس تحرير الصحيفة التي تنشر قصص « او هنرى » وقال ، انه يعرف مؤلف هذه القصص فقد قراها عليه اثناء وجودهما معا في السجن . وقال القارىء : ان اسم صديقه وزميله الحقيقي ليس « او هنرى » ، وانما هو وليام سدني بورتر William Sydney Porter السجين رقم ٣٠٦٦٤ !

وشاء رئيس التحرير ان يكتم السر . ومضى او هنرى يكتب حتى مات في عام ١٩١٠ وبلغ عدد القصص التى كتبها اكثر من ٦٠٠ قصة !

كيف اصبح مخترعا !



● سألوا العالم الامريكي الشهير جراهام بيل Graham Bell « كيف اصبحت مخترعا ؟ » فقال : « كنت كلما تقدمت بنظرية علمية حديثة ، وجدت عشرات العلماء قد سبقوني الى التفكير فيها .. ولكن نشاطهم كان قاصرا دائما على مجرد التفكير ! »

الزراعة فلسفة !

● قيل انه مات في يوم واحد بطل وحسود وعاشق وفيلسوف . ففتحوا ادمغتهم ليشاهدوا ما بداخلها ، فوجدوا في دماغ البطل ثورا ينطح وفي دماغ الحسود حية تسعى وفى دماغ العاشق شمعة تحترق فتذوب .. اما في دماغ الفيلسوف فوجدوا فلاحا يزرع !.

ما اهمية التاريخ !

* تناسى المؤرخون أن الظروف السيئة اضطرت يوما الامبراطور العظيم نابليون أن ينخرط في سلك باعة الكتب الجائلين في باريس ، حيث كان يطوف شوارعها وقد تأبط مجموعة من الكتب لا تتناسب مع قامته القصيرة ، ليعرضها للبيع هنا وهناك ! .

* عثر بين المخطوطات القديمة المهملة على ما يثبت ان لنكولن قضى فترة من حياته مديرا لاحدى الحانات .. وقد وجدت رخصة تلك الحانة مكتوبا عليها اسم لنكولن وشريكه ، واسمه « بيرى » وكان يعاونه على ادارتها ، وتوفير الراحة للزبائن المتواضعين ! .

* ان فاجنر ، الموسيقار العبقرى ، كان مجرما خطيرا يبتز أموال النساء وحليهن ويهددهن بافشاء اسرارهن مما جعل ادارة البوليس تسجل اسمه بين أسماء الخطرين ، وتصدر النشرات باسمه وصناعته واوصافه وصورته ، طالبة القبض عليه عقب كل حادثة من هذا القبيل ! .

حمام سباحة وملعب تنس في طائرة المستقبل !

● قالت المضيفة لركاب الطائرة قبل اقلاعها من مطار موسكو : « نحن نرحب بكم في الرحلة رقم ١ الى الولايات المتحدة الامريكية . ستطير الطائرة على ارتفاع ٦٠ الف قدم من سطح البحر وبسرعة ٢٠٠٠ كيلو متر في الساعة . وسنقطع المسافة في ثلاث ساعات واربعين دقيقة» .

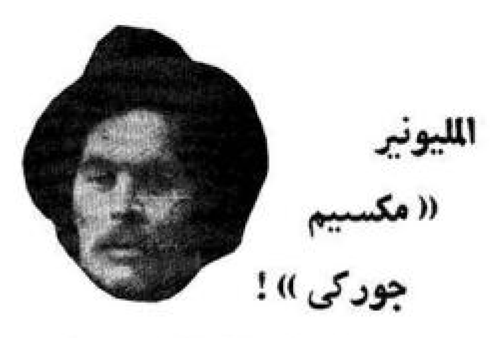
« وسنقدم وجبة الغداء في قاعة الطعام الامامية . بعد ساعة بالضبط سنعرض فلما سينمائيا في قاعة الشاى بالطابق العلوى . والذين يفضلون السباحة فيستطيعون ان ينعموا بحمام دافيء في الطابق السفلي . اما ملعب التنس ففي الجناح الايسر للطائرة .

« اما الجناح الايمن ، فقد خصص للحفل الراقص الذى سيفتتحه قبطان الطائرة . »

« نرجوكم الان ان تربطوا احزمة النجاة وتمتنعوا عن التدخين ! »

هذه هي الصورة التى رسمها احد كبار العلماء السوفييت لطائرة الركاب بعد عشر سنوات ، ونشرتها مجلة العلوم السوفييتية .

المليونير « مكسيم جوركى » !



● روى احد اساتذة اللغة الروسية قصة طريفة عن مكسيم جوركى Maxim Gorky ، الكاتب الروسي الشهير عندما كان طفلا فى العاشرة . قال الاستاذ : « طلبت الى تلاميذى يوما ان يكتبوا موضوعا انشائيا بعنوان : « ماذا تفعل لو اصبحت مليونيرا ! »

« وعلى الفور امسك كل التلاميذ باقلامهم وراحوا يكتبون (اما مكسيم الصغير ، فقد جلس ساكنا لايبدى حراكا . واقتربت منه وقلت : « لماذا لاتكتب . ان جميع اخوانك يعملون ؟ »

ورد مكسيم على الفور : « وهل تتوقع مني ان اقوم باى عمل ، عندما اصبح مليونيرا ؟! » .

■■

كمالُ شخصيتكَ في حرفين..

بقلم الدكتور عبد الرحمن حميده

الاستاذ بجامعة دمشق

■ من المستطاع دوما قول كلمة «نعم» ، في حين ليس من الميسور دائما التلفظ بكلمة « لا » أو اجادة استعمالها ، هذا بالرغم من أن النطق بها اسهل من النطق بالكلمة الاولى .

ومعرفة قول « لا » بطلاوة ولطف وحزم ، تؤلف فنا قلَّ من يملكه .

ترى كم ارتكبت من أخطاء ، وكم فقد الناس من سعادتهم ، وكم تراكمت علينا المتاعب والاحزان لاننا لم نتعلم نطق هذه الكلمة القصيرة ؟

من المحتمل جدا ان أول كلمة لفظناها ونحن اطفال صغار كانت كلمة « لا » بعد كلمتي « بابا » و « ماما » وربما قبلهما . وقول الطفل « لا » ، وهذا ما نعتبره نزوة من نزواته ، هي الطريق الوحيدة لاثبات وجوده وتأكيد شخصيته .

ونحن عندما نصبح رجالا أو نساء تظل كلمة « لا » بالنسبة لنا تعني التأكيد ، تأكيد « الانا »، ولكنها « لا » من نوع جديد ، « لا » شعورية ذات مسئولية وقد تكون خطيرة النتائج . فقولها يتطلب منا التبصر ، والحزم ، قبل لفظها كما يجب علينا ان نتحلى ، عند النطق بها ، بالحذر والكياسة .

ونبدأ بآدم : لو عرف ابو البشر آدم عليه السلام قول كلمة « لا » لما قال « نعم » لاغراء ابليس ، ولما تناول تلك الفاكهة المحرمة ، التي كان من جرائها ، أن طرد من الجنة وهبط الى الارض التي لا تعطيه عسلها ولبنها الا بعد جريان جداول حقيقية من العرق .

« لا » التي قالها الرسول الكريم

ونثني بالرسول العربي الكريم ، محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ، عرف أن يقول « لا » لعمه ابي طالب عندما اراد في أول أمره أن يثنيه عن رسالته خوفا عليه من قريش ، وحدبا ، فلم يظفر منه بأكثر من جوابه الرائع الشهير : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن اترك هذا الامر ما تركته » .

وبذلك استطاع ان يجيب بـ « لا » ودخل بالعرب التاريخ من بابه العريض .

وهكذا انتشر دين العرب ، وبالتالي حضارتهم ، في رقعة تشمل ثلث مساحة العالم القديم ، واعتنق الاسلام اقوام يزيد تعدادها اليوم على اربعمائة مليون نسمة ، ومن الطريف الذي يذكر أن اول ركن من اركان الدين الحنيف يبدأ بلفظ لا : لا اله الا الله .

قولك « لا » فيه دائما معنى « نعم »

ترى كم من المصائر قد تبدلت في سبيل هذين الحرفين الصغيرين . ذلك ان « لا » عند البالغين ليست اداة نفي فحسب . ان قول « لا » هو نتيجة اختيار . والاختيار أول بادرة في طريق التحقيق والانجاز ففي كل مرة تجيب فيها شخصا ما ، أو على شيء ما ، بكلمة « لا » فمعنى ذلك أن وجدانك ، أو عقلك أو قلبك قد « أجابوا » بـ « نعم » على شيء آخر على النقيض .

وكم من المرات وضعت نفسك في الموقف الحرج لانك لم تجرؤ على الرفض ، خشية أن تسبب الضيق لاحد الناس ، أو تزعجه ، أو أن تسوء نظرة الآخرين اليك ، أو استجابة لضعفك ؟ ترى ماذا جرى لك نتيجة ذلك ؟ نعم ، لقد اصبحت مضطرا لتنفيذ ما قبلت ، عن كره منك ، ولكنك حينئذ تكون قد ضحيت براحة ضميرك ولم تكن ممتنا من نفسك ابدا .

لقد حاولت أن تتخلص من احراج عندما كانت اجابتك انهزامية مائعة مثل : ساعمل ذلك ان شاء الله ، أو اتركها للتيسير . وانت وان لم تقل «لا» فانت لم تقل تماما « نعم ». فلم يعرف أحد غايتك ولم يكن أحد راضيا عنك . نعم ربما تنكر ذلك فيما



استخرِ الله، وقُلْ: «لا» حيثُ وجبَ أنْ تُقال

بعد ، ولكن سيقال انك نكثت بعهدك ولن تكون فخورا جدا بموقفك هذا .

وعلى كل لم تكن شريفا تجاه ذاتك ، وقد شعرت تماما بتخاذلك.ولقد اصابك ما اصابك لانك تراجعت امام هذه الكلمة الصغيرة التي كانت قادرة على تحريرك . الواقع نحن بحاجة للشجاعة من اجل قول كلمة « لا » .

« لا » تقولها لغيرك

اولا ــ « لا » للملتمسين

ينتسب الاناس « الطيبون » الى نوع من الناس نادر ، وشهرتهم تجعلهم معروفين عند الكثرة التي حولهم . وبما انهم لا يرفضون اى خدمة مطلقا ، نجد الناس يقصدونهم دوما وابدا .

وبالفعل كثيرا ما يكون من الصعب رفض عون يرجوه صديق ، ولكنك ستصادف دائما اشخاصا لا يخضعون لرقابة ضمائرهم ، لاهدف لهم الا استغلال مسايرتك اياهم ، أنت الرجل الطيب ، ولا يدور بخلدهم ابدا ان قولتك « نعم » لهم قد تنالك بضرر ابدا . فهؤلاء ليس أصلح من قوله « لا » تقال لهم . وقد تكون « لا » هنا مصلحة الملتمس ذاته تستدعيها .

ــ وقد يكون لديك صديق من أصدقاء الطفولة، يداه كالغربال ، يتصف باللامبالاة وبالتبذير ، ويعتقد انه من المألوف جدا أن يقصدك في منتصف كل شهر . وكم من مرة حرمت نفسك وأسرتك الكثير كي تنجده ببعض المال حتى يتم شهره بسلام .من المصلحة هنا لكليكما أن تكون حاسما وتقول لا أعطي . هو سيوآخذك ؟ فليكن ! فاذا كان ذكيا فسيعرف بسرعة أن سلوكه لطائش ، ولو اتخذ كل معارفه نفس الموقف لتعلم بعد برهة الا يعتمد الا على نفسه وسيتبنى عادات أخرى .

ــ أنت محترم جدا في وسطك المهني ، وقد سمحت لك علاقاتك العديدة ، أكثر من مرة ، بان تخدم أصدقاء لك يبحثون عن مركز أو وظيفة. وقد تطلب منك توصية لشخص تعرف أنت .. انه غير مرغوب فيه . فاذا كنت تجهل الرفض ، فمعنى ذلك انك ستخدع اولئك الذين تعمل على التوصية بهذا المخلوق عندهم استنادا الى ثقتهم بك . وتتكشف الحقيقة ، فيتكشف خداعك اياهم

ــ وانت يا فتاتي ... قد تظهر على الشاب الذي يحبك ، والذي سيتزوجك بعد فترة من الزمن ، دلائل نفاد الصبر . فما زال الزفاف بعيدا ، لظروف مادية او لأسباب مختلفة اخرى . وها هو يطلب منك أن تعطيه ما يسميه بعضهم « اكبر برهان على الحب » .

وأنت التي تحبينه من أعماقك ، ترددين ، وتخشين أن يظن أن حبك له دون الكفاية . واجبك عندئذ ، اذا كنت تشعرين فعلا بسمو هذا الحب ، أن تقولي « لا » بقوة . وهذا الرفض سيجعلك تكبرين في عيني هذا الشاب ، لن يكون عنده ، ان كان شريفا صادقا ، سوى المزيد من التقدير لك ... فكوني مطمئنة .

عندما يلتمس الناس منك اي شيء كان،ابدا حالا، وبعناية ، بوزن النفع والضرر ، والحق والباطل ، اذ لا يجوز أن يتلاشى حكم العقل امام ضعفك .

ثانيا ــ « لا » للاولاد :

ان الآباء والامهات ، الذين يتراخون ويسمحون لأولادهم بكل شي ، رغبة منهم في أن يجعلوا حياة أبنائهم أكثر بهجة ، انما يتجهون ، حتما ، في طريق معاكس للهدف الذي يرمون اليه . فالولد

بحاجة الى انضباط ، وهو يجب أن يشعر أن فوقه سلطة تمنح نفسه الثقة وتحثه . ويؤلف فقدان الانضباط مصدر مصاعب ونزعات داخلية ، لأنه غير قادر على التمييز من نفسه .

فهؤلاء المراهقون يمقتون الفوضى رغم كل تبرمهم وشكواهم ، واليكم البرهان : ففي نواديهم أو جمعياتهم نجدهم يفرضون على انفسهم نظماً أكثر صرامة مما يمكن أن يفرضه عليهم البالغون .

فتحريم صريح لعدد من التصرفات يشكل نقطة ارتكاز أكثر من عقبة كأداء . اطرح على نفسك السؤال التالي عندما لا تعرف فيما اذا كان يجب عليك أن تقول « نعم » أو « لا » : هل سيساهم ما سأسمح به لولدي او ما سأمنعه عنه في حصوله على السيطرة على ذاته وعلى اكتسابه الصفات الضرورية كي يعيش بانسجام مع اقرانه ؟

« لا » تقولها لنفسك

ان الملتمسين الذين يحاولون ، بلا ضمير ، أن يسيئوا استغلال كرمك ، والمزعجين الذين يأتون لاقلاق راحتك أو لافساد عملك ، والذين لا يحترمون حياتك الخاصة ، والذين يقصّون عليك شجونهم وهمومهم دون أن تطلب منهم ذلك . اقول ان كل اولئك ليسوا الوحيدين الذين يمتحنون فطنتك وحزمك ، فهناك آخرون يتخذون مظهراً أكثر غدراً، فلا تتردد في أمرهم كثيراً ، وعليك أن تعرف أن تقول « لا » لهؤلاء وأولئك ، « لا » ترميها في وجوههم كقذيفة من مدفع .

اولا : « لا » للمغريات .

« لا » لذلك الكاس من الخمر ، الذي يلح اصدقاؤك أن يقدموه لك ، والذي ربما دفعك في المستقبل لتناول مئات الكؤوس التي تفتك بكبدك وبعقلك وتختصر حياتك .

« لا » للسيكارة التي يناولها اياك صديق يعتقد أن تدخينها يساهم في طرد احزانك ونسيان مشاكلك تلك التي لن تجد لها حلا الا بالنظر اليها وجها لوجه ، ان اسلوب النعامة التي تطمر رأسها بالرمال عند الخطر لا يساعدها مطلقا على النجاة .

« لا » لقطعة الحلوى الدسمة التي تراود معدتك من خلف واجهة الحلواني الزجاجية ، والتي ستكون هي واخواتها مسئولة عن زيادة وزنك بضعة كيلوجرامات ، تضطر فيما بعد للتخلص منها خوفا من البدانة وأمراضها .

« لا » للتحفة العديمة الفائدة التي تروق لك، والتي قد يؤدي شراؤها الى اختلال ميزانيتك.

« لا » للحفلات التي تجعلك تهمل عملا مستعجلا قد لا تتداركه في اسبوع كامل .

ثانيا : للمواطف الرديئة

وانت أيتها الزوجة الفاضلة ، عليك أن تقولي « لا » للغيرة التي تدفعك الى اساءة الظن في كل من حولك . و « لا » للحسد الذي يحرمك من متعة القناعة دائما . و « لا » للمزاج السيء المسئول عن الجو المتوتر في بيتك وعن المشاحنات المتواصلة . و « لا » للكسل الذي يقودك للاهمال والفوضى والقذارة .

فاذا ما خضعت واستسلمت للمغريات وللعواطف السيئة فلن تسيئي الا الى نفسك . قولي لي : لماذا تعاملين نفسك بأسوأ مما تعاملين به الناس .

ثالثا : « لا » للهموم

اذا تركت الضجر والهموم تجتاحك أو تهيمن عليك ، واذا كنت لا ترى الحياة الا من خلال المنظار الاسود فكيف ستقوى على قول « نعم » للسعادة . لعله من البساطة بمكان ، بعد كل تفكير وتقدير ، ان تغلق قلبك امام كل هذه الهواجس كي تفتحه امام التفاؤل .

واليك القصة القصيرة : « قالت لي مؤجرتي العجوز ، في باريس ، ذات يوم من أيام عام ١٩٥٥ ما يلي : بعد زواجي بعامين ، رزقت في آخرهما بولدي الوحيد ، جاءني نبأ مصرع زوجي ، وأخي ، وزوج شقيقتي في خلال شهر واحد من سنة ١٩١٦، في معركة الفردون ، أثناء الحرب العالمية الاولى . وعندما قلت لها .... ولكن هذا حدث فظيع يهد كيان الانسان ، أجابت بكل رباطة جأش : لقد كانت خسارتي في ثلاثة . ولو اني اطلقت للحزن مداه ، وقضيت نحبي ، لكانت الخسارة أربعة ! »

رابعا : « لا » للتعب وللمرض :

اليكم أسوق مثلا جميلا يمكن للقارىء أن يستفيد منه

قالت ام تسعة أطفال ذات يوم : انا لا أعرف المرض أبدا

فقيل لها : حتى ولا نزلة صدرية بسيطة ؟

قالت : لا .. ليس لدي الوقت للمرض ، فعندما اشعر بأخف عرض من أعراض النزلة ، اقول لنفسي : اذن خذي حبة من الدواء او كأسا ساخنا من مغلي الاعشاب الطبية ، وأؤكد لك ان النزلة لا تقرع الباب مرتين بل تذهب لمكان آخر .

واقول نفس الشيء عندما احس بالتعب . فانا اتحاشى استغلال قواي لاقصى حد ، بل افرض على نفسي راحة لمدة خمس دقائق واسترخي ، ومن ثم استجمع قواي من جديد . وهكذا ارفض التعب كما ارفض المرض .

قول كلمة « لا » فن

ليس هناك طرائق متعددة لقول « نعم » بينما هناك مائة اسلوب لقول « لا » .

هل تعرف الصيغة الآتية : « اذا قال الدبلوماسي نعم ، فمعنى ذلك انه يقول « ربما » ، واذا قال ربما فيقصد أن يقول « لا » ، واذا قال « لا » فليس برجل دبلوماسي . واذا قالت امراة عصرية « لا » فمعنى ذلك انها تقول « ربما » واذا قالت « ربما » فهي تقصد بقولها « نعم » اما اذا قالت نعم فهي ليست بامراة عصرية .

اما بالنسبة لنا فليس من حقنا تمثيل الكوميديا ، لا مع الآخرين ، ولا مع انفسنا . فعندما نقول « نعم » فنحن نقصد بذلك نعم ، وكلمة « لا » التى تعني « لا » هي افضل صيغة نملكها . انها طريقة الاناس الشرفاء .

ولكن الصدق لا يرادف الفظاظة ، ومن الصعوبة بمكان ان تجعل الآخرين يقبلون الرفض . ومعرفة قول « لا » تعني أحيانا معرفة قولها باسلوب آخر .

انه لمن المكن التعبير عن « لا » مع احتفاظها بكل قوتها ووضوحها ، دون ان نمس كرامة الشخص الموجهة اليه . وفى هذا النوع من المهارة التعبيرية ، وفى هذا الضرب من البراعة فى فن الرفض يكمن معظم ما تملكه من تهذيب ولطف .

وبصورة عامة يجب دوما ان نبرر رفضنا وان نشرح اسبابه ، وحتى الطفل الصغير يستطيع ان يفهم ذلك . فكلمة « لا » تلفظ بشكل رديء قد تقيم سورا بين المراهق وبين ذويه ، كلمة «لا» لوحدها قادرة ان تخلق سوء تفاهم ذا ابعاد لا يمكن التنبؤ عن مداها .

واذا كنت لا تنوى ان تحدث ضيقا فى نفس مخاطبك ، او اذا كنت لا ترغب فى أن تظهر امامه شخصا منفرا ، فاسلوب الرفض يرضيه ، حتى لو كان جوابك غير مرض فلن يستطيع ان يؤاخذك .

فعندما يسالك احدهم ، مثلا ، اذا كان شيء ما يعجبك ويرضيك ، فانك تتردد بين الصدق الذى يدفعك لقول : «لا» انا لا احب هذا ابدا » وبين الرغبة فى الا تحزنه أو «تكسفه». اذا عليك ان تكون منحازا ، للصدق فى المضمون ، وللمداراة فى الشكل . كان تقول له : بما انك تطلب رأيي ، فانا متاكد بانك ترجح أن اكون صادقا ، واذن انا اعترف لك بان هذا لا يسوغ فى ذوقي مطلقا ».

لقد قال اختصاصي كبير فى التحليل النفسي اشتهر بخفة الروح : لا يوجد فى الدنيا أكثر من نوعين من الافراد :

١ ـ الذين لا يترددون ابدا فى الطلب

٢ ـ الذين لا يجراون ابدا على الرفض

والفريق الثاني يعيش على حساب الفريق الاول .

ولكن الواقع ان هناك مكانا لفئة ثالثة ، هم اولئك الذين يتصرفون ببصيرة ويعرفون ما يريدون. ومما لا ريب فيه ان عدد هذا الفريق اقل بكثير ، ولكنهم موجودون بالفعل وبمكنك ـ قارئي الكريم ـ ان تكون منهم .

فالى الفريق الاول اتوجه بقولي : ان ما يؤخذ حياء انما يؤخذ غصبا . وأما الفريق الثانى فاقول لهم : الخجل فى الرجال يورث الفقر .

واختم كلمتي هذه بحادثة لا تزال ماثلة فى خاطرى ، حادثة رواها زميل لي فى الدراسة فى ديار الغرب ، قال :

قمت بصحبة زوجتي فى ظهيرة احد ايام شهر رمضان برد زيارة لصديق عربي يدرس فى جامعة باريس ، وتشاء الصدفة ان يكون عنده صديق له اوروبي يدرس فى احد المعاهد العليا التى لا يدخلها الا نخبة الطلاب المتفوقين . وبعد مضي بعض الوقت فى حديث ممتع ، تقدمت زوجة صديقي ببعض الحلوى والشاى لزوجتي فاعتذرت بسبب الصوم . وعندما جاء دورى اعتذرت لنفس السبب. وعندها التفت صديقي لزميله الفرنسي قائلا : اما من جهتي فانا ملحد ، لا أومن بدين ، وربما كنت انت من رأيي من حيث المبدأ .

فما كان من هذا الشاب الا أن قال بلهجة كلها حزم ورجولة ما ترجمته : « لا » فانا كاثوليكي من حيث المبدأ ..

وهنا اودعك ، أيها القارئ الكريم ، تاركا لك تقدير وقع هذا الجواب الصاعق فى نفس صاحبنا المضيف ولا سيما كلمة « لا » . ■■

دمشق : **عبد الرحمن حميده**



بقلم : حسن الامين

■ اذا كان المدح قد فرض على الشعر العربي فاصبح الشاعر ولا حيلة له الا صوغ المدائح ليستطيع العيش ، فقد كانت حظوظ الشعراء في هذا السبيل مختلفة ، مختلفة لان شاعرا قد يوفق لممدوح لا يخجله مدحه لبطولة فيه او سجايا حميدة ، مما لا يبدو معه الشاعر بادي الكذب ظاهر الدجل واضح الاستجداء . كما قد لا يوفق شاعر آخر لمثل هذا الممدوح ، وقد يكون في مجموعة اولى بالذم والتجريح منه بالثناء والمديح . ومع ذلك فالشاعر مسوق الى مدحه مدفوع الى الاشادة به لان الرزق في يديه ، والمال رهن كلمته .

على ان حظ الشاعر الواحد قد يختلف بين ممدوح وآخر ، فحظ المتنبي وهو عند سيف الدولة غير حظه وهو عند كافور . واذا كانت قصائد المتنبي في سيف الدولة هي في اصلها مدحاً، فانها أيضا اعجاب ببطولة البطل العربي الثابت في وجه الغزو الاجنبي، المكافح عن الحمى الوطني. والمعارك التي شهدها المتنبي مع سيف الدولة جديرة بان توحي اليه بمثل ما اوحت حتى ولو لم يكن المتنبي يقصد المدح او لم يكن الكسب من غاياته .

والأمر مع المتنبي يجري على هذا القياس حتى وهو يمدح غير كافور ممن لم يكن يزرى مدحهم في ذلك العصر مثلما كان يزرى مدح كافور . فالمتنبي وهو يمدح عضد الدولة كان في موقف غير موقفه وهو يمدح سيف الدولة ، واذا كان عضد الدولة من الملوك الذين لا مغمز فيهم ، وله من المآتي ما يصح معه ان يكون ممدَّحا . فهو على كل حال ليس في وضع يشبه وضع سيف الدولة . وهو لم يكن الجندي المقاتل للعدو الخارجي ، ولا وضعته الاحداث في لهوات الحرب الوطنية . فما يمكن ان يوحي به لشاعر كالمتنبي يستطيع ايُّ امير ان يوحي بمثله .

ومن هنا تراجعت قصائد المتنبي في مدح عضد الدولة عن قصائده في مدح سيف الدولة . وقد كان هذا التراجع واضحا لكل ذي حسٍّ شعري ، واعترف به المتنبي نفسه .

والواقع ان ما كان يهز المتنبي وهو يشهد معركة « الحدَث الحمراء » * مثلا مع سيف الدولة فينطقه بهذا القول :

هل الحدث الحمراءُ تعرف لونهـا ... وتعرف ايّ الساقيين الغمائـمُ
سقتها الغمامُ الغرُّ قبل نزولـه ... فلما دنا منهـا سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنـا ... وجيش المنايا حوله متلاطـمُ

---

* مدينة في الاناضول من مدن الثغور بين العرب وبيزنطة قديما .



وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقــف
كأنك في جفن الردى وهو نائـم
تمر بك الابطال كلْمَى هزيمـة
ووجهك وضاح وثغرك باسـم
ومن طلب الفتحَ الجليل فأنمـا
مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

لم يكن عند عضد الدولة مثله ليهتز له المتنبي، وبالعكس من ذلك ، عندما مست قلب المتنبي عاطفة جياشة فراى جمال الطبيعة في شعب بوان، ثم لم يسمع في تلك المغاني لسانه العربي ، عاد متاثرا لما يرى ويسمع ، ففاض الشعر من حنايا نفسه فابدع ما ابدع :

مغـاني الشّعب طيبـاً في المغانى
بمنزلة الربيـع مـن الزمـان
ولكـن الفتى العربي فيهـا
غريب الوجـه واليـد واللسان
ملاعب جِنّـة لو سـار فيهـا
سليمـان لسـار بترجُمـان

متنبي المغـرب

ومن الشعراء الذين وقفوا بممدوح جـديـر بمدحهم الشاعر محمد بن هانيء الاندلسي شاعر المعز لدين الله الفاطمي الذى اطلق عليه معاصروه لقب (متنبى المغرب) .

وربما كان ما يجعل ابن هانى جديرا بهذا اللقب هو ان مواضيع مدح ابن هانى للمعز ، هى عين مواضيع مدح المتنبى لسيف الدولة . فقد كانت ظروف كلا الممدوحين متشابهة،وكان كلاهما مندفعا لمقاومة الخطر الخارجى المهدد للبلاد الاسلامية يومذاك ، بل ان مسؤولية المعز كانت اكبر ، فهو مسؤول عن جبهة طويلة ممتدة على مدى شواطىء افريقيا الشمالية كلها ، ثم هو مسؤول عن الجزر الاسلامية المهددة وفي طليعتها جزيرة صقلية .

ولم يكن الوضع الاسلامى والوضع العربى يومذاك مما يقوى العزائم ويشحذ الهمم ، بل كان شمل العرب والمسلمين ممزقا واختلافاتهم مشتدة ، لا الهدف يجمعهم ولا الخطر يوحدهم .

وكان الاجنبى الطامع يعرف ذلك كله ، وكانت نار الانتقام متاججة في نفوس البيزنطيين (الروم) الذين لم ينسهم تطاول الايام ذكريات هزائمهم الماضية ، وجلائهم عن بلاد الشام وغيرها ، وكانوا يحنون للعودة اليها من جديد . بل ان نقفور فوقاس الثانى كان يهدد بالاستيلاء حتى على المدينة ومكة ، واستطاع تحقيق الكثير من امانيه وفي ذلك يقول ابن هانى :

أسفي على الاحرار قلّ حفاظهـم
لو كان يُجدى الحرّ ان يتأسفَـا
ياويلكم أفمالكم مـن صـارخ
الا بثغر ضاع او دين عفَـا
فمدينة من بعد أخرى تُستبَـى
وطريقةٌ من بعد أخرى تُقتفَـى
حتّى لقد رجفت ديار ربيعـة
وتزلزلت ارض العراق تَخوّفـا
والشـام قد اودى واودى اهلـه
الا قليلا والحجاز على شـفا

وطنى مناضـل

هذه صرخة وطنيء مناضل يرى بلاده تتساقط

امام ضربات الاعداء ، ويرى قومه متخاذلين . هذه صرخة وطني مناضل أكثر منها نغمة شاعر مداح .

والواقع أن المعز لدين الله الفاطمي كان في ذلك العهد أمل العرب والمسلمين ، وكانوا يتطلعون اليه من كل مكان ، حتى من الارض البعيدة عنه غير الخاضعة لسلطانه . فعندما شعرت مثلا جزيرة اقريطش (كريت) بالخطر الداهم ، ولاحت لها طلائع الغزو مطلة من بعيد ، كان همها أن توصل نداءها الى الرجل المأمول . ويحدثنا الدكتور حسن ابراهيم حسن وهو يتحدث عن كتاب (المجالس والمسايرات) للنعمان فيقول : « وعرض النعمان غير مرة لعلاقة المعز بالدولة البيزنطية فاوضح اعتماد حاكم الاندلس عبدالرحمن الناصر الاموي على الروم في صراعه مع الفاطميين، وصور ما حل بالروم وحلفائهم امام اساطيل المعز تصويرا رائعا ، وذكر الرسائل التي بعث بها اباطرة الدولة البيزنطية لاستدرار عطف المعز ومهادنته . ولاول مرة نسمع ان مسلمي جزيرة اقريطش (كريت) الذين كانوا تحت الحكم العباسي يطلبون النجدة من المعز لحرب الروم . ومن دراستنا للوثائق التي تبودلت بين أهل اقريطش وبين المعز لدين الله نرى ما وصلت اليه الدولة الفاطمية من قوة نفوذ » .

وابن هاني يدرك ذلك ويدرك أن ممدوحه اهل لما علق عليه من آمال فيقول :

لا تيأسوا فالله منجز وعده
قد ان للظلماء ان تتكشفا

الاسطول العربي

لقد كان المعز جديرا بالظرف الحرج الذى وضعته فيه الايام ، فلم يدع الوقت يذهب عبثا وادرك للوهلة الاولى انه امام خطر بري وآخر بحري قد يكون هو الاشد . لذلك صرف جهده اول ما صرفه الى انشاء أسطول ضخم يتناسب مع المهمة الثقيلة التي تنتظره وهي حماية الشواطىء الافريقية الشمالية من اى غزو متوقع ، وبذل لهذا الاسطول اقصى ما يستطيع بذله حتى اصبح اسطوله سيد البحر المتوسط ، وحتى صار مهددا للاعداء بعد أن كان الاعداء مهددين له ، وحتى صاروا يخشونه بعد ان كانت البلاد تخشاهم .

وقد كان هذا الاسطول اعظم ما يمكن أن يصل اليه اسطول في ذلك العصر ، مجهزا بأحدث الالات الحربية والادوات النارية . فاثار هذا الاسطول حماسة الشاعر وراى فيه المخرج من الاخطار والحماية من النوازل ، وهاج فيه اعتزازه وحميته ، فانطقه ذلك بقصيدة هي بحق من فرائد الشعر العربي :

لك البر والبحر العظيم عُبابه
فسيّان أغمارٌ تُخاض وبيدُ
وما راع ملكَ الرومَ الا اطلاعُها
تُنشَر اعلامٌ لها وبنودُ
عليها غمام مكفهر صَبيرُه
له بارقاتٌ جمّةٌ ورُعود
مواخرُ في طامي العُباب كأنه
لعزمك بأسٌ أو لِكفِّكَ جود
أنافتْ بها أعلامُها وسَمَا لها
بناءٌ على غير العَراءِ مَشيدُ
من الراسيات الشمِّ لولا انتقالها
فمنها قِنانٌ شُمَّخٌ ورُيودُ
من الطير إلا أنهن جوارح
فليس لها الا النفوس مَصيدُ
من القادحات النار تضرم للصلى
فليس لها يوم اللقاء خمود
إذا زفرت غيظا ترامت بمارجٍ
كما شبَّ من نار الجحيم وقود
فأنفاسهن الحاميات صواعق
وافواههن الزافرات حديد
لها شُعَلٌ فوق الغمارِ كأنها
دماءٌ تَلقّتْها ملاحف سود
تعانقَ موجَ البحر حتى كأنه
سَليطٌ لها فيه الذُّبالُ عتيدُ

ثم يصف وصول وفود الروم متذللة تطلب الصلح ، مخاطبا المعز مشيرا الى ما كان من تغلغل الروم قبل ذلك في بلاد الشام :

فلا غرو أن أعززت دين محمد
فأنت له دون الانام عقيد
غضبت له أن ثُلّ في الشام عرشه
وعادك من ذكر العواصم عيد
وقلت أناس ذا « الدمستق » شكره
اذا جاءه بالعفو منك بريد
تناجيك عنه الكتب وهي ضراعة
ويأتيك عنه القول وهو سجود
اذا انكرت فيها التراجم لفظه
فادمعه بين السطور شهود
ليالي تقفو الرسل رسل خواضع
ويأتيك من بعد الوفود وفود

انتصارات

ويمضي الاسطول العربي في اداء رسالته ، وتجوب قطعة البحر المتوسط متحدية كل من تحدثه نفسه بالشر ، وتعلن سفنه بنفسها عن نفسها ، ثم تلتقي على غير موعد بسفن الاعداء فلا تلبث ان تصطدم بها ، ويتهاوى الفريقان في نار الوغى ويتجالدون اعنف جلاد، تحفز الروم ثارات متاصلة وأوتار دفينة . وتحفز العرب اخطار منتظرة وشرور مرتقبة ، ويتطلع العرب بقلوبهم الى الوطن العربى العزيز ويتخيلون ماذا سيحل بتلك الارض الطيبة، اذا هم تزحزحوا عن موقفهم او تزلزلوا في حربهم فيندفعون مكبرين وينطلقون مهللين فتنجلى المعركة عن نصرهم البحرى الحاسم في معركة المجاز . ويكون الشاعر معهم بكل شعوره وكل جوارحه ، متلهفا لمعرفة الخبر الاخير ولما يبلغ اذنيه نبا الفوز ينطلق مزهوا متغنيا بالبطولات :

يوم عريض في الفخار طويل
لاتنقضي غُرَر له وحُجول
مسحت ثغور الشام ادمعها به
ولقد تبل التُّرب وهي همول
قل للدمستق مورد الجمع الذى
ما أصدرته له قنا ونصول
سل رهط «منويل» وانت غررته
في اى معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعا
تبا له بالمنديات قفول
وبعثت بالاسطول يحمل عدة
فأثابنا بالعدة الاسطول
ادى الينا ما جمعت موفرا
ثم انثنى باليم وهو جفول
ومضى يخف على الجنائب حمله
ولقد يرى بالجيش وهو ثقيل
لم يتركوا فيها بجعجاع الردى
الا النجيع على النجيع يسيل
نحرت بها العرب الا عاجم انها
رمح أمَقّ ولهذم مصقول

ثم ينتهي الى مدبر ذلك كله وقائد النصر ومعد الاسطول ومهيء الجيش ، الى المعز :

لاتعد منك امة أغنيتها
وهديتها تجلو العمى وتنيل

وتتكرر معارك الاسطول العربى وتتكرر انتصاراته فيحرص الشاعر على الاشادة بالاسطول:

وسفن اذا ما خاضت اليم زاخرا
جلت عن بياض الصبح وهي غرابيب
تشب لها حمراء قان أوارها
سبوح لها ذيل على الماء مسحوب

وتلتقي جيوش الروم وأساطيلهم بجيوش الفاطميين واساطيلهم اكثر من مرة وتقع المعارك

البرية والبحرية في اوقات متقاربة وينتصر الفاطميون وتحمى بانتصاراتهم ديار الاسلام والعروبة فيقول ابن هاني مشيرا الى ان الروم كانوا قبل اليوم سادة البحر المتوسط ، تجول فيه اساطيلهم وتصول بلا رقيب ولا منافس ، والى ان جيوشهم البرية كانت كذلك :

لو كان للروم علم بالذى لقيت
ما هنئت ام بطريق بمولود
ألقى « الدمستق » بالاعلام حين رأى
ما انزل الله من نصر وتأييد
فقل له حال من دون الخليج قنا
سمر واذرع ابطال مناجيد

ثم يخاطب المعز :

ذموا قناك وقد ثارت اسنتها
فما تركن وريدا غير مورود
حميته البر والبحر الفضاء معا
فما يمر بباب غير مسدود
قد كانت الروم محذورا كتائبها
تدنى البلاد على شحط وتبعيد
وشاغبوا اليمّ ألفى حجةٍ كملاً
وهم فوارسُ قارِيّاته السُّود
فاليوم قد طمست فيه مسالكهم
من كل لاحب نهج الفلك مقصود
هيهات راعهم في كل معترك
ملك الملوك وصنديد الصناديد

من الاندلس الى افريقية

وابن هانى اشبيلي المولد ، اندلسي النشاة ، فقد ولد سنة ٣٢٠هـ او ٣٢٦هـ في قرية سكون من قرى مدينة اشبيلية وكان صديقا لوالي اشبيلية مقربا اليه . وكان الحكام في الاندلس لا يحبون الدولة الجديدة التى اخذت تشب ويقوى ساعدها في افريقيا فاخذوا يعملون على زعزعتها . ولم يتورعوا عن التحالف مع الاجنبي للقضاء عليها .

وكان هوى ابن هانى مع الفاطميين وقلبه متجها اليهم ، وكان كغيره يرى في شباب دولتهم ما يمكن ان يعيد الشباب الى الوطن العربى . ويبدوا انه كان لا يتورع عن الجهر بآرائه والدعوة اليها ، مما لم يكن يخفى على الحاكمين ، فدبروا له تهمة الاخذ بالفلسفة ، وهي تهمة كانت هناك في ذلك الوقت كافية لاستحلال الدماء . ويبدو ان صديقه الوالى الاشبيلي قد احس بما يدبر للشاعر في الخفاء فنصحه بترك اشبيلية فاخذ الشاعر بالنصيحة ، واتجه الى العدوة الافريقية حيث اتصل في المسيلة بجعفر بن علي ، فلم يجد جعفر هدية يقدمها لخليفته اثمن من هذا الشاعر ، فاوفده اليه . وكان المعز في امسّ الحاجة لمثل ابن هانى ليكون لسانه الناطق في تطور دولته وتقدمها، وليكون وسيلته الاعلامية ، واذاعته القوية ، فاحتفى به وقربه اليه . وظل ابن هانى يسجل انتصارات المعز ويعدد وقائعه الى ان خطا المعز خطوته الحاسمة فارسل قائده جوهرا لضم مصر الى خلافته . ودخل جوهر الاسكندرية متقدما الى العاصمة فاذاع ابن هانى النبا بهذا الشكل .

يقول بنو العباس هل فتحت مصر؟
فقل لبنى العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر
تسير به البشرى ويقدمه النصر

نهاية الشاعر

ويتهيا المعز للذهاب الى مصر وانشاء عاصمته الجديدة (القاهرة) ، ثم يمضي اليها على ان يلحقه شاعره ليكون هناك كما كان هنا المديح البليغ . وكان حكام الاندلس متابعين لخطر الشاعر ، عالمين بما فعله شعره للدولة المتقدمة ، وما يمكن ان يفعله بعد ان تطورت من حال الى حال . ورأوا في شعره خطرا لا يقل مضاء عن السيف فقرروا حرمان الدولة الحديثة منه ، فارسلوا اليه من اغتاله وهو في الطريق الى مصر عند برقة سنة ٣٦٢ وهكذا انتهى هذا الشاعر الفريد نهاية اليمة غير متجاوز مراحل الشباب . ولا شك انه لو قدر له الوصول الى مصر لترك في احداثها وحياتها وطبيعتها الشيء الكثير الثمين .

بيروت : حسن الامين ■■

النضوج في الزواج



بقلم : منير نصيف

■ متى يتزوج الشاب ؟ ومتى تتزوج الفتاة ؟ في عادات وتقاليد الامم والشعوب ، سن معينة ، اذا ما بلغها الشاب ، بدأ اهله يبحثون له عن عروس ، كما أن هناك سنا معينة يحسن الا تبقى الفتاة بعدها بلا زواج !

فالسن اذن هي التي تحدد موعد الزواج عندنا ، وعند كثير من شعوب الارض التي تخضع للتقاليد والعادات الموروثة ، ومتوسط سن الزواج عندنا هو ٢٢ سنة للشاب و ١٨ للفتاة . ولا شك أن الزواج المبكر نعمة ، وخاصة في مجتمعنا المحافظ ، الذي لا يسمح بالاختلاط الا بمقدار !

ولكن هل نجحنا حقا في اسعاد قلوب شباننا وفتياتنا ؟ هل استطعنا ان نوفر لهم الحياة التي ينشدونها ، ونحن نفرض عليهم الزواج في سن معينة ، لانه لا يجوز لهم البقاء بعدها بلا زواج ؟

النضوج ، العقلي والعاطفي

والجواب لا ! لم ننجح ! لاننا اغفلنا ناحية هامة في الشاب الذي نرشحه للزواج ، او الفتاة التي نزفها لعريسها . وهي ناحية لم تكن ابدا موضع اهتمامنا ، بينما كانت دائما محل دراسة الكثيرين من علماء النفس في الدول الاكثر تقدما .. الا وهي النضوج .. النضوج العقلي ، والنضوج العاطفي.

وليس للنضوج سن معينة ، فكثيرا ما ينضج الشاب في سن مبكرة ، فتراه يسلك سلوك الرجال ، ويتصرف تصرف العقلاء ، وهو بعد لم يبلغ العشرين .. وكثيرا ما يتاخر النضوج فنرى رجلا في الاربعين او الخمسين ، ما زال يعاني من المراهقة .. فهو مراهق في تصرفاته ومراهق في تفكيره !

والفتاة ايضا ، قد تتخطى مرحلة المراهقة في السابعة عشرة او الثامنة عشرة ، فتراها وقد اصبحت امراة ناضجة بلغت مبلغ النساء في كل تصرف يصدر عنها ، فهي تفكر بعقل واع وتزن الامور بتفكير سليم ، وتعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات .

وقد تطول فترة المراهقة فنجدها ما زالت نفس الطفلة الصغيرة التي تبحث عن اللهو ، وتبحث معه عن كلمات الاطراء من الجنس الآخر ، لترضي بها غرورها وكبرياءها ! وقد تصبح مثل هذه الفتاة زوجة واما ، ولكنها تبقى بعيدة عن النضوج الذي ينشده كل رجل في امراته .

فالنضوج اذن هو العامل الذي يلعب الدور الرئيسي في حياة كل زوجين .. والسعادة الزوجية تقاس بمدى ما حققه الزوج والزوجة من نضوج .

ونقف هنا قليلا لنتساءل :

من هو الشاب الناضج ؟

ومن هي الفتاة الناضجة ؟

قبل الزواج لا بعـده

ويقول علماء النفس ، ان النضوج في الزواج ، لا بد ان يبدأ قبل الزواج ، بمعنى أن الزواج لا يصنع النضوج والشاب لا يمكن ان ينضج في حياته الجديدة مع امرأته ، الا اذا كان قد نضج بالفعل قبل الزواج . وهكذا الفتاة أيضا .. ان نضوجها قبل الزواج هو الذى يوفر لها الحياة السعيدة التى تنشدها كل امرأة في زواجها .

والنضوج بمعناه العلمى هو مجموعة من الصفات التى يتحلى بها المرء ، وتميزه عن أى شخص آخر غير ناضج .

فلا بد للشخص الناضج رجلا كان أم امرأة ان يعرف كيف يسيطر على عواطفه ، فلا يظهر انفعالاته بالأحداث التى تمر به ، فور وقوعها ، حتى لا يصدر عنه تصرف قد يوقعه في خطأ ، وبالتالى يسيىء اليه او للآخرين . فعلاقة الشخص بافراد المجتمع الذى يعيش فيه ، وتصرفاته ازاء الاشخاص الذين يلتقى بهم والمواقف التى تواجهه ، هى التـى تظهر مدى ما يتمتع به من نضوج عقلى وعاطفى . فاذا واجه موقفا حرجا معقدا ، فلا يكفى ان يتصرف فيه بالطريقة التى تنقذه وحده من مثل هذا الموقف ، ولكن يتحتم عليه أيضا أن يضـع في اعتباره علاقة الآخرين بهذه المشكلة ومدى تأثيرها عليهم ، حتى لا يورط غيره فيها .

وبلوغ النضوج العاطفى لا يتحقق الا عن طريق المعرفة ، والا عن طريق العلم . فاذا تعلم المرء كيف يبنى علاقاته بالناس في هذا العالم الكبير المعقد ، واذا تعلم كيف ينمى معلوماته ويرتقى بها ، واذا عرف كيف يواجه مشاكل الحياة ويبحث لها عن الحلول الصحيحة فى ترو وحكمة ، فهو قد بلغ من النضوج مرتبة تؤهله لخوض غمار الحيـاة العمليـة .

من هنا كانت اهمية النضوج في الزواج ، ولكن الزواج عندنا يتم لأسباب خاطئة ، في مقدمتها الاهتمام الزائد بمشكلة الجنس ، دون النظر بعين الاعتبار لمدى استعداد الشاب أو الفتاة لهـذه الحياة الجديدة .

الزواج عندنا

ونسوق مثلا لما يحدث في مجتمعنا لشاب نعده للزواج . لقد اكمل تعليمه الجامعى والتحق بوظيفة صغيرة ، شانه في ذلك شان كل شاب في بداية حياته العملية .

ويشاء هذا الشاب ان يتزوج ، أو تشاء له اسرته ان يكمل دينه بالزواج .. وتبدأ عمليـة البحث عن العروس الجميلة ، التى ستختارها أم العريس لابنها ، بعد ان يكون قد اسر اليهـا بما يريده من صفات في زوجته المقبلة .

وينتشر الخبر بين الأهل والاصدقاء .. ويتطوع البعض للاشتراك في عملية البحث .. وتستعرض الأم اسماء الفتيات في الأسرة وبين الاقارب والمعارف .. ثم تستعرض المرشحات انفسهن .. وتطول عملية البحث وتتعقد الى ان يقع اختيار الأم في النهاية على الفتاة التى تريدها زوجة لابنها ، فتعود لتزف اليه النبأ السعيد : « لقد وجدتها .. فتاة رشيقة وجميلة .. قوامها مثل غصـن البان ، وفمها كخاتم سليمان ! ست بيت ومن اسرة محافظة ذات حسب ونسب » .

ويلتقى العروسان ، وتبدأ الافراح والليالى الملاح .. ثم يكون الزواج !

النضج في الحيـاة

ولا بأس من هذا كله .. فهذه تقاليد مجتمعنا المحافظ .. وكثيرا ما تنجح مثل هذه الزيجات .. ولكن ما أكثر ما تفشل ايضا ! ذلك أن الأم لم تجعل نصب عينيها عند البحث الا جمال الفتاة ، والا ما عندها من ثروة .. لم يخطر لها فى بال ان تسأل عما بلغته هذه العروس المنتظرة مـن النضج .. النضج في الحياة أولا . ثم النضـج في حياة الزوجية .

وكذلك اهل العروس ، لم يفكروا على الاغلب الا في قدرة الزوج المنتظر على النفقة ، لم يسألوا عن مقدار نضجه في الحياة عامة ، وعن نضجه في الحياة الزوجية خاصة . فمن أول مظاهر النضج ، كما ذكرنا ، النجاح في علاقات المرء بالآخرين ، وما العروس الجديدة ، الا شخص جديد سيمارس الزوج انشاء علاقات بينه وبينها .

ولسنا هنا في صدد تعديد الاسباب التى تؤدى الى فشل الحياة الزوجية ، فهى أسباب كثيرة ومتنوعة . ولكننا نستطيع ان نقول استنادا الى النتائج التى توصل اليها الباحثون الاجتماعيون في أبحاثهم أن حـالات الطـلاق بين الزوجين

الناضجين ، لا تكاد تصل الى ٣٪ من مجموع حالات الطلاق التى تتم في العالم كل عام .

معنى الزواج

ان الزواج مسئولية ، والزواج تضحية ، والزواج كفاح من أجل بناء الأسرة والمجتمع . فاذا كان الشاب على استعداد لان يتحمل وحده مسئولية اعالةهذه الاسرةالجديدة التىسيتضاعف عدد أفرادها على مر السنين . واذا كان الشاب على استعداد للتضحية بجزء كبير من وقته في سبيل اسعاد هذه الأسرة . واذا كان قادرا على المضي في الكفاح من أجل رفاهية اسرته .. اذا فهم الشاب هذه المعانى الكبيرة للزواج فهو قد بلغ من النضوج حدا يؤهله لان يكون زوجا صالحا .

فالزواج ليس نزهة ، كما يحلو للكثيرين ان يصفوه ، والزواج ليس عسلا دائما كما يتصور بعض المتفائلين، كما انه ليس طوقا من حديد في رقبة الرجل وخاتما من الماس في اصبع المراة كما يصفه المتشائمون المتحيزون .

ليس الزواج بهذا ولا ذاك ، وانما الزواج صداقة وتعاون تسودهما روح من الحب والوفاء والاخلاص .. هو رحلة العمر التى يقوم بهاالرجل مع المراة التى اختارها وسط العواصف والأنواء .. وسط زهور الربيع ، وتحت أمطار الخريف ، بكل ما في الحياة من صحة ومرض .. افراح واتراح .. شباب وشيخوخة .. ضيق وفرج ..

اذا ادرك الشاب هذا كله ، فهو رجل ناضج يعرف تماما ان حياته قبل الزواج تختلف اختلافا بينا عما يجب أن تكون عليه حياته مع امرأته بعد الزواج ، فهو لن يكون حرا بعد اليوم في قضاء سهراته مع أصدقائه خارج البيت ، لان هناك شريكا له ينتظر عودته .

وهو لن يكون حرا في تصرفاته، لان هناك شخصا يهمه مصلحته ، ولا بد له من أن يشاركه الرأى في كل ما يتعلق بحاضره ومستقبله .

صفات الزوج الناضج

وفي استفتاء اجرى اخيرا بين عدد من الزوجات، ثبت ان اهم صفات يجب أن يتحلى بها الزوج هى: الصبر ، والاخلاص والعطاء ، والعطف ، وطيبة القلب ، والمرح .

فاذا وجد الشاب انه على استعداد لان يتنازل عن طيب خاطر عن قسط كبير من حريته ، وانه قادر على الاعتماد على نفسهفيبناء حياته الجديدة، وانه يتمتع بهذه الصفات الاساسية التى تنشدها كل امراة في رجلها ، فهو شاب ناضج يستطيع ان يسعد بيته وزوجته وأولاده سواء تزوج في العشرين او في الثلاثين !

تجربة كبيرة

وننتقل الآن الى الفتاة الناضجة ... وهى الفتاة التى تعرف انها مقبلة على تجربة كبيرة ، هى تجربة الحياة نفسها .. وان فشل هـذه التجربة او نجاحها ، انما يعتمد على شخصيتها هى وتصرفاتها ومسلكها الى حد كبير .

ثم هى بعد ذلك الفتاة التى تعرف أن ما قرأته في القصص والروايات عن الفارس الوسيم الذى يحمل اميرته على ظهر جواده ويطير بها ، ليبنى لها قصرا فوق السحب ، ليس سوى صور جميلة تظهر للعذارى في احلامهن !

ولكن من أين للفتاة أن تعى هذا كله وتدركه ؟

وتلعب الأم دورا كبيرا في صقل شخصية الفتاة وتبصيرها بحقائق الحياة ،و قديما قالوا : « البنت سر أمها » . فهى اكثر قربا اليها من الابن ، واكثر معرفة بدقائق التجربة التى مرت بها أمها في زواجها وقد دلت الاحصائيات على ان ٨٠٪ من الفتيات يعرفن قصة حياة أمهاتهن منذ ذلك اليوم الذى بدأن فيه تجاربهن الكبرى في الزواج .

والفتاة الناضجة هى التى تحاول أن تستفيد من تجربة أمها ، ومن الدروس التى تعلمتها الأم في حياتها مع رجلها ..

صفات الزوجة الناضجة

وفي استفتاء مماثل أجرى بين عدد من الازواج، ثبت أن أهم صفات يجب أن تتحلى بها الزوجة هى : أن تكون ربة بيت ممتازة ، وأما مثالية ، وطاهية ماهرة ، وأن تكون صبورة ، طيبة القلب ، وأن تعرف قبل كل شيء متى يجب أن تتكلم ومتى يجب أن تسكت . وأن تعنى بعد هذا دائما بمظهرها حتى تستطيع أن تحافظ على زوجهـا وتحرص عليه . ■■

منير نصيف

اعرف وطنك ايها العربي

تحت هذه الرمال ترقد شنقيط

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
اوسكار مترى

■ شنقيط . . اسم يثير في النفس احساسا غامض
اليك انك تعرفه وتعرف أنه اسم بلد عربي عريق . .
وتشحذ ذهنك وترهق عقلك لتعرف المزيد عن هذ
ولكنه يزيدك حيرة على حيرتك . . وتهرع الى دور
ان لم تكن معدومة عن شنقيط . .

والواقع ان هذا النقص له مبرراته . . فانت لكي
ان تصل اليه وتراه . . والوصول الى شنقيط يكاد
لوعورة الطريق المؤدى اليها . .



احد ابناء شنقيط يطل على العالم



وشعورا مبهما .. فيخيل
ولكن ماذا بعد ذلـك .. ؟
البلد ، فتفتح القاموس ،
الكتب فتجد مصادرها فقيرة،

تكتـب عـن بلـد ، لا بـد
يكون ضربا من المستحيلات

الرمال الزاحفة وقد خنقت النخيل ،

ورغم هذه الصعوبة ، وصلت بعثة العربي الى شنقيط ، بعد رحلة مرهقة على طريق قوافل الجمال القديم الذى لاترى فيه أثرا « لأنس ولاجن » وانما سحالى وزواحف ضخمة ، وثعالب وغزلانا تسرع الخطى عندما تسمع صوت محرك سيارة اللاند روفر وهي تصعد جبال ادرار في شمال موريتانيا .. انها جبال غريبة شاهقة ، تصعد اليها فتجد على قممها سهولا فسيحة واسعة، تغطيها الزهور البرية واعشاب الاذخر ، ذات الرائحة الزكية ، وعلى السهول التي فوق قمم هذه الجبال يعيش الناس فى قرى ومزارع ، مثلهم في ذلك مثل سكان الجبل الاخضر فى ليبيا .. ولكن الارض هنا ليست كلها خضراء ، وانما صخرية رملية شبه جرداء ..

مفاجأة مذهلة !

وبعد رحلة شاقة وصلنا الى تل عال من الرمال، جلس فوقه مرافقنا ، داعيا ايانا للجلوس .. وكاد صبرنا ينفد ، فقلنا له فى عصبية : « لانريد ان نستريح وانما نريد رؤية شنقيط .. فاين هي شنقيط ؟ » فاجابنا بهدوء : « انتم تقفون الان فوق شنقيط نفسها .. »

وصعقنا .. وبحركة غير ارادية رفعنا اقدامنا عن الارض ، فلم نجد سوى الرمال المتحركة .. وعلى مدى البصر اشجار النخيل ، وقد خنقت الرمال جذوعها، فلم يعد يظهر منها سوى رؤوسها !

وهالتنا الحقيقة المؤلمة ؛ لقد غطت الرمال المتحركة شنقيط القديمة فلم يعد لها وجود !!

وارتسمت الحسرة وخيبة الامل على وجوهنا ، هل قطعنا كل هذه المسافة وتكبدنا كل هذه المشاق لننظر الى اصبع مرافقنا وهو يشير به الى الرمال الصفراء ويقول : « هنا كانت شنقيط ! » ولكن سرعان ما استدرك المرافق بقوله : « حقيقة ان شنقيط القديمة التي شيدت عام ١٦٠هـ ، قد اندثرت وغطتها الرمال ، ولكنها عادت مرة ثانية للحياة عام ٦٦٠هـ ، عندما قامت شنقيط الجديدة التى تقع على مسافة ميلين من البلدة القديمة ، وارثة عنها امجادها وتراثها ومكملة رسالتها .. »

لماذا غضب الاهالي ؟

وقصة موت وحياة شنقيط اكبر دليل على مدى عروبة هذا البلد الذى اهمله العرب ..

« كانت شنقيط القديمة ، واسمها « آبير » مدينة عظيمة تموج بالنشاط العلمي ، وتعج بالسكان العرب المسلمين ، محافظة على اقامة حدود الله وفقا للتعاليم الاسلامية وتشريعاتها ، حتى حدث ان ارتكب احد علمائها جريمة قتل .. وكانت العقوبة الواجبة هي القتل ، لكن الخوف من حرب اهلية جعل كبار المسئولين يكتفون بنفي القاتل ، فغضب اكثر الاهالي لاهمال حد من حدود الله ، فهجروا مدينتهم الى مختلف انحاء موريتانيا .. واجتمع القاتل بثلاثة من اهل شنقيط ،وقرروا بناء شنقيط جديدة على مسافة ميلين من القديمة، ونجحت المدينة الجديدة ، وازدهرت ، وما كادت

الى اسفل : رقص وغناء في الشوارع احتفاء بمقدم بعثة العربي .. انها اول بعثة من الشرق تزور هذه المنطقة .. ومن العادات المحرجة في هذه البلاد عادة « سفرو » التى تحتم على كل من يصل لاول مرة ان يقدم خروفا او ماعزا هدية لاهل البلد .. ولكننا لم نلتزم بهذه العادة لسبب بسيط وهو انهم خجلوا منا ؛ فلم يخبرونا بها الا عندما عدنا الى العاصمة !



الساقية الحمراء

الجزائر

موريتانيا

تيرس زمور

آدرار

تكاجانت

الحوض الشرقي

الحوض الغربي

البراكنة

العصابة

اترارزة

نواكشوط

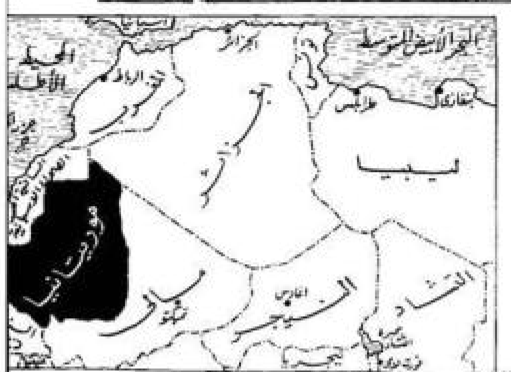
شنقيط

اطار

نواذيبو

السنغال

مالي



خريطة موريتانيا : وعليها يظهر الطريق الذى سلكته بعثة العربي للوصول الى شنقيط ، مع ذكر لاهم المدن التى جاءت في المقال .. ومساحة موريتانيا مليون و ٣٠ الف كيلو متر مربع .. وعدد سكانها اكثر من مليون .. العاصمة نواكشوط (انظر استطلاعنا عنها في العربي رقم ١٠١ ابريل ١٩٦٧) .

تبلغ الاربعين من عمرها حتى كانت شنقيط القديمة مهجورة تماما من سكانها !!

العصر الحجرى فى القرن العشرين !؟

واسرعنا الخطى الى شنقيط الجديدة لرؤيتها والتجول فى شوارعها وبين مزارعها .. ورأينا وياهول ما رأينا .. فشنقيط « الجديدة » تكاد تكون مدينة تشابه مدن العصر الحجرى القديم ..

طرقها : ازقة رملية ضيقة ..

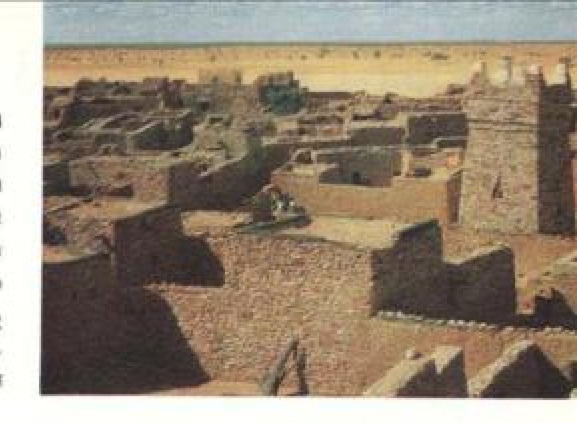
منازلها : احجار متراصة فوق بعضها البعض ..

مياهها : يستخرجها الصبية من بطن الارض فيقومون بدور الدواب لاتزال خشبة الاشيلال (الشادوف) الطويل لجلب المياه من الاعماق .

الكهرباء : لم يسمع عنها احد ..

وبحثنا عن مظهر واحد من مظاهر حياة القرن العشرين ، فلم نجد له اثرا .

الى اليمين : هذه هي شنقيط « الجديدة » انها تقع على ارتفاع ٥٠٠ متر فوق جبال الادرار شمال موريتانيا .. وشنقيط هو الاسم الشائع فى المشرق ، وكانت فى الماضى تكتب « شنجيط » اما الان فتعرف باسم « شنقيطى » .. كما كان اسم شنقيط يطلق سابقا على جمهورية موريتانيا باكملها .. ويبلغ عدد سكان البلدة نحو خمسة الاف نسمة ، وهو ربع ما كانوا عليه .



الى اسفل : تتميز منازل شنقيط بطريقة البناء القديمة الخاصة بها .. تؤخذ الصخور كما هي من الجبال وتوضع بينها طبقة من الطين الخاص .. لاحظ طريقة بناء النوافذ وصغر حجمها لتمنع الرمال من التسرب الى الداخل .



صومعة جامع شنقيط ، ويعود تاريخ بنائها الى عام ٦٦٠ هـ . وتتميز باستقامة الزوايا . أما بيض النعام الموجود فوقها ، فقد كان الاهالي يقدمونه هدية الى امام المسجد ، بعد صيد النعام في الصحراء المحيطة بشنقيط ويعتنق الاهالي المذهب المالكي .

« الركب الشنقيطى »

انها مدينة سعيدة تنام على همسات قصائد الشعر القديم الذى قيل فى وصفها :

شنقيط الحبيبة يا بلادى
ويا أخت الجزيرة والشام

وهي تمضي لياليها تحلم بالسمعة الطيبة التي اكسبها اياها « الركب الشنقيطى » او القافلة السنوية التي كانت تنطلق من شنقيط قاصدة الحجاز لتادية فريضة الحج ..

وفي الحجاز كان علماء شنقيط يبرزون لغزارة علمهم وسعة اطلاعهم ، اذ كان في كل شارع بشنقيط مدرسة .. أما اليوم فليس فيها سوى مدرسة ابتدائية مختلطة واحدة تضم ٢٨٧ تلميذا و ٥٠ تلميذة .. اما بقية مراحل التعليم فتستكمل في العاصمة وفي مدينة اطار التي تبعد مسافة ١١٨ كيلو متر .. ولها حاليا ٥٠ طالبا يدرسون فى المدارس الثانوية ..

اما المدارس التقليدية القديمة ، فلم يبق منها اى مدرسة في شنقيط ،انما مدرسة واحدة فقط في اطار (انظر صورها على صفحة ٧٦ و ٧٧)

الملح والزبد بدلا من البنج !

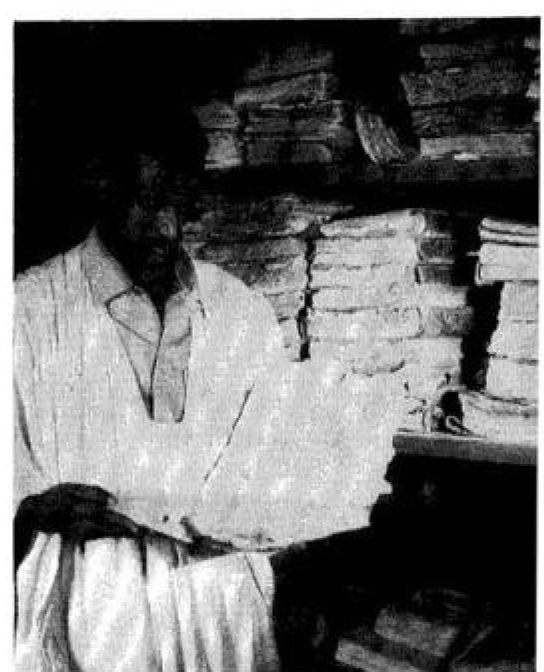
وعندما يمرض احد سكان شنقيط فلا بد أن تنقله سيارة خاصة الى مدينة اطار ، لان الطبيب لا يحضر الى شنقيط سوى مرة واحدة كل عدة شهور !

واذا شعر احد السكان بالم في اسنانه ،فليس هناك طبيب اسنان ، وانما رجل « خبير » اشبه « بحلاق القرية » القديم يقوم بنزع السن المريضة بالكلابة دون اى مخدر ، ويضع مكان الجرح ملحا مجروشا وقليلا من الزبد وينصحه بتناول شوربة اللحم !

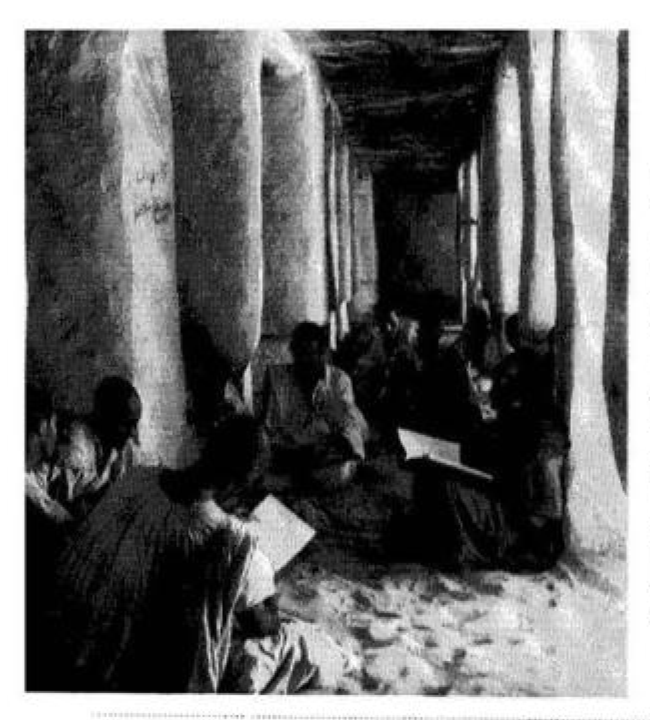
اما اذا تسوّس الضرس ولم يشأ ان يخلعه خوفا على حياته وجد له « طبيبنا المداوى » علاجا آخر .. فسرعان ما يضع له في تجويف الضرس قليلا من الفلفل الاحمر لتسكين الالام !!؟؟

قوافل الملح !

وسرنا في شوارع شنقيط ، وخيل لنا ان عدد الجمال فيها اكثر من عدد الاهالى ، فسألنا عن



الى اليمين : ٦٠٠ مخطوط فىمكتبة آل حبت في شنقيط .. لقد تكونت المكتبة في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى عن طريق القوافل ، التى كانت تنطلق من شنقيط الى مصر والحجاز ، وعند عودتها كانت تحمل الكتب لسيدى محمد بن حبت حتى تجمع لديه ١٤٠٠ كتاب ، فضلا عن الكتب التى الفها سيدى محمد نفسه .. ومن اهم المخطوطات في هذه المكتبة مخطوط : « البيان والتحصيل » للقاضي محمد بن رشد القرطبى ، الذى تراه في هذه الصورة في يد احد ابناء آل حبت . انها ثروة تاريخية وثقافية علاها التراب وطواها النسيان .



الى اليسار : جرت العادة في شنقيط ، ان يجتمع يوميا نخبة من علماء الحديث بعد صلاة الظهر في الجامع القديم ، ويبدأوا في قراءة فصول من صحيح البخاري مع شروحه ، وتستمر هذه القراءة من صلاة الظهر حتى صلاة العصر .. وبعد صلاة العصر يبدأون في قراءة الاغراض الخاصة باصحاب الطريقة التيجانية ، المنتشرين في شنقيط وضواحيها . وبين صلاة المغرب والعشاء تتلى يوميا آيات من القرآن الكريم .. وهكذا يستطيع المسنون منهم قضاء وقتهم من بعد صلاة الظهر حتى العشاء داخل المسجد .

السر في كثرة هذه الجمال .. فاجابوناقي دهشة:

« اين هي هذه الكثرة التي تتحدثون عنها .. ؟ كان يجب ان تروا شنقيط عندما كانت تملك اسطولا هائلا مكونا من ٥٠ الف سفينة من سفن الصحراء ، تحمل ملحنا الجبلي الموجود في كديت الجلد على هيئة الواح زنة اللوح منها ٣٠ كيلو جرام تقريبا ، وتنقله الى مدينة « سان لوى » عند مصب نهر السنغال في رحلة تستغرق شهرا في الذهاب وشهرا في الإياب وهي محملة بالثياب والذهب والفول والاذرة والسكر والارز ..

ومما يذكر ان كديت الجلد هي ارض سبخة تبعد ٣٠٠ كيلو متر عن شنقيط ، يأتيها الرجال مع جمالهم في الصيف لقطع الملح الواحا بمعدل ٢٠ لوحا يقطعها الرجل في اليوم ، وكان الانتاج السنوى يتراوح بين ٢٠ و٢٥ الف لوح ، يستطيع الجمل الواحد نقل تسعة الواح منها مرة واحدة خلال الرحلة الطويلة ..

والملح كان ـ وما زال على نطاق ضيق جدا ـ هو عملة التبادل الوحيدة بين سكان الصحراء الاصليين .. يتعاملون به كما لو كان ذهبا او فضة !! ..

ووصف ابن بطوطة ، هذا بقوله : « والمسافر بهذه البلاد لايحمل زادا ، ولا اداما ، ولا دينارا ، ولا درهما وانما يحمل قطع الملح وحلىّ الزجاج .. »

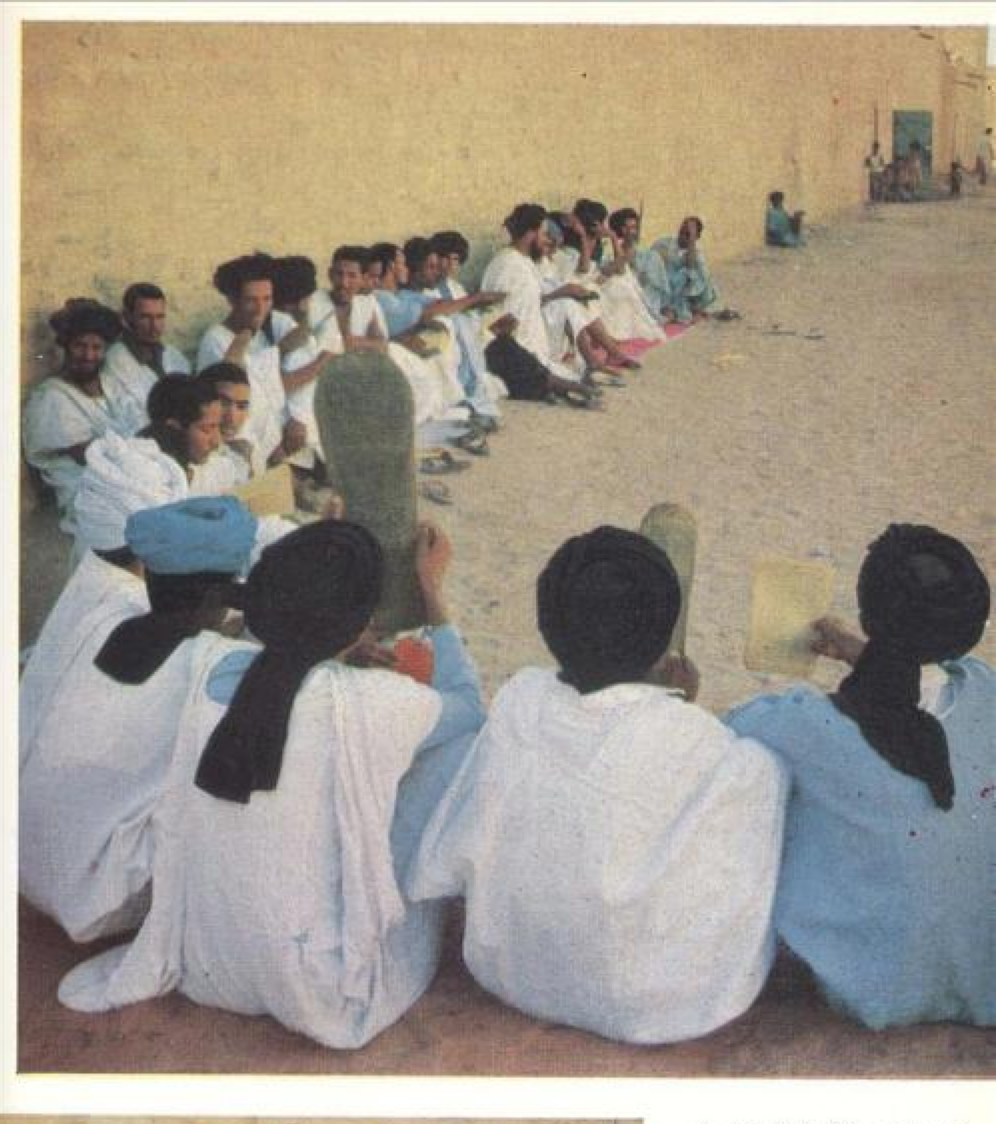
والسر في هذا الاقبال الغريب على ملح الجبال هو اعتقاد اهل افريقيا السوداء ، بان هذا الملح يحوى قوة دافقة تنعشهم وتقويهم !

معركة ضارية

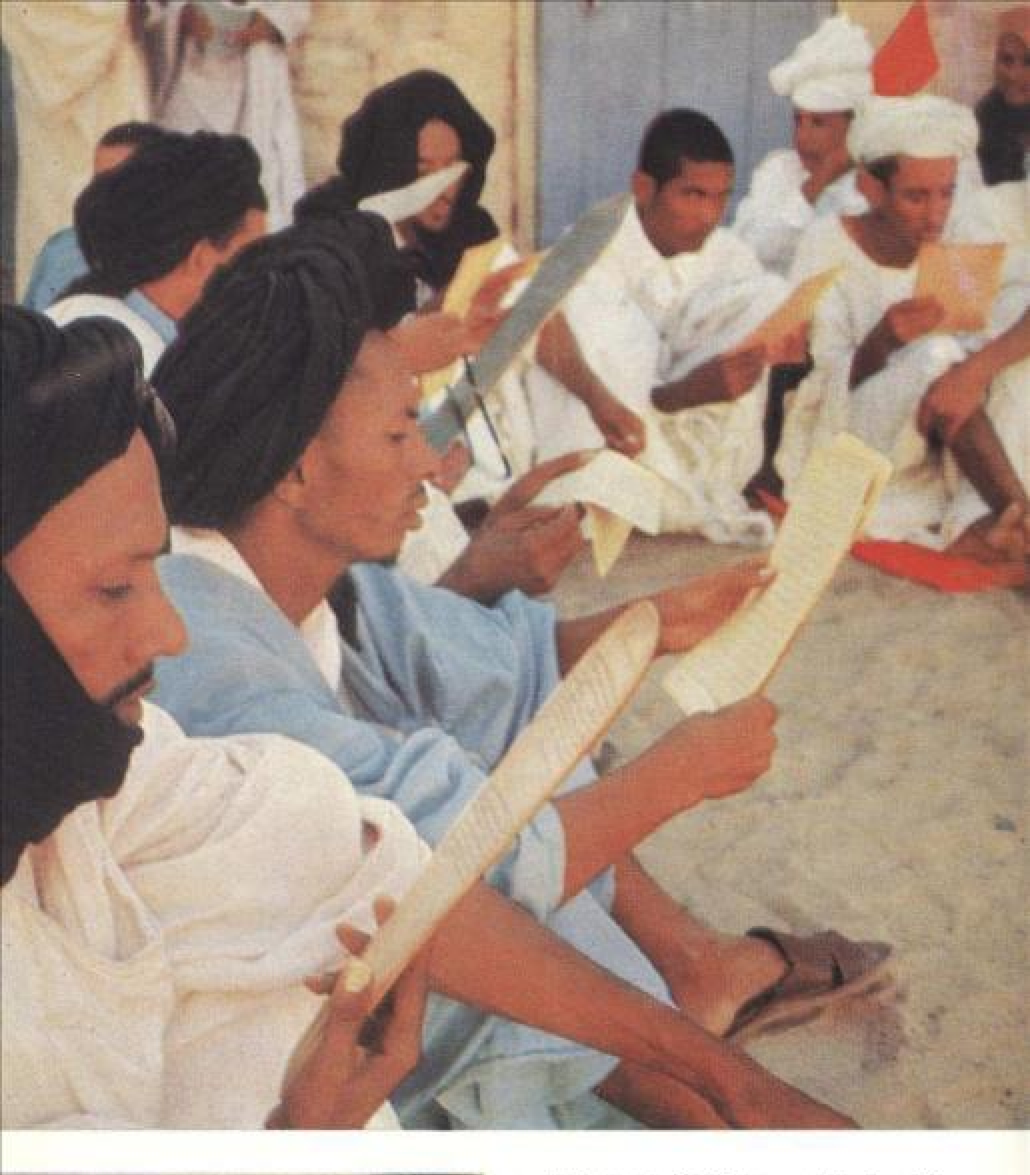
وظلت قوافل الجمال تسلك الطريق من شنقيط الى سان لوى وتمبكتو مدة ثلاثة قرون .. وفي عام ١٩٠٩ سلكت القوات العسكرية نفس طريق القوافل لاحتلال شنقيط ومنطقتها ادرار .. فقد جاءوها من الجنوب من السنغال .. وانتهت المعارك العديدة بمعركة ضارية في جهة جمدون صباح ٨ يناير ١٩٠٩ ، بفوز الاسلحة الحديثة على العرب المحاربين فوق ظهور الجمال .. وبعدها اصبح الطريق مفتوحا امام الفرنسيين ، فدخلوا شنقيط في شهر يوليو من نفس ذلك العام ..

انتقال مركز الثقل

وشعر اهل شنقيط ـ وشهرتهم في مجال التجارة لاينازعهم عليها احد ـ شعروا بحاستهم



اعجب مدرسة فى العالم ! : على قارعة الطريق جلس التلاميذ يقراون ويحفظون القرآن الكريم والادب العربي والتاريخ والسيرة والفقه والمنطق.. بمثل هذه المدارس حافظ اهل شنقيط على الاسلام ولغة القرآن . أن عروبتهم اقوى من عروبة أى بلد عربي آخر .. ومع ذلك يرفض اغلب العرب الاعتراف بهم ، ويتركونهم وحدهم يعيشون عيشة اجدادهم قحطان وعدنان .. فهم ما زالوا يكتبون على الواح انتزعوها من الاشجار ، ويكتبون باحبار مستخرجة من الثمار .. تحية من الاعماق لهؤلاء المثابرين

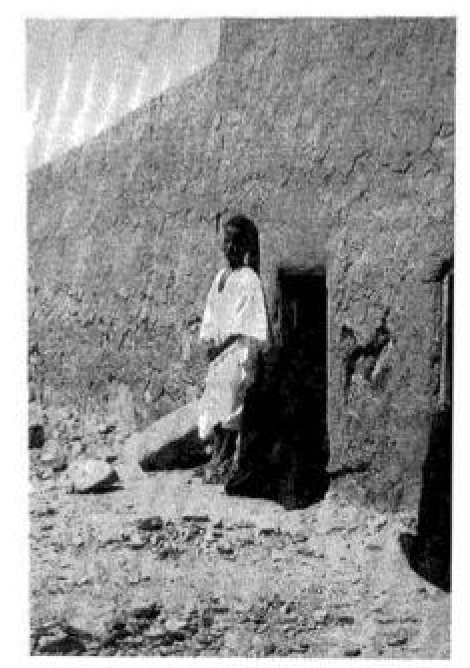


كانت هذه المدارس منتشرة فى كل شارع ، اما اليوم فلم تعد هناك سوى مدرسة واحدة فى الادرار هي مدرسة محمد الامين بن سيد احمد بن البشير ، يمكث فيها الطالب من ٢٠ الى ٣٠ سنة يتخرج بعدها بدرجة استاذ .. ويبدأ فى تلقي التعليم من سن ٤ سنوات.ونظام الداخلي موجود لابناء المناطق البعيدة بشرط ان يحضر الطالب معه عنزته او بقرته ليتغذى من لبنها .. واحيانا يكون الطالب فقيرا معدما ، فيساعده اهل الدشرة (البلدية) بالمال والغذاء ويتبرع بعض الناس بمنازلهم لينام فيها الطلبة..ولا يطلب صاحب المدرسة واستاذها اى اجر عن التعليم ، وانما يفعل هذا العمل الجليل طالبا للثواب فى الاخرة ..

السادسة أن التجارة لن تعمر طويلا ، وبالتالي تنباوا بافول نجم شنقيط السعيدة .. وزاد الطينة بلة انتشار آفة ذلك القرن ، وهي الحروب الاهلية بين القبائل العربية نفسها واصبحت الحياة في شنقيط مستحيلة ، فبدات هجرات جماعية من « اخت الجزيرة والشام » وتفرق الاهالي في كل مكان ، وخاصة في قرية صغيرة تدعى « اطار » ومعناها الطريق بلغة أهل جبال البربر .

ونتج عن هذه الهجرة انتقال مركز الثقل الى « اطار » فاصبحت في فترة وجيزة وارثة لعلوم وتراث « شنقيط الجديدة » .. وهكذا انتقلت من صفوف القرى المجهولة الى صفوف المدن المرموقة، وسرعان ما اعلنوها عاصمة ادارية للشمال الموريتاني .. وارتفع عدد سكانها الى عشرة آلاف نسمة .. وهو رقم ضخم بالنسبة لموريتانيا التي اشتهر اهلها بانهم بدو رعاة يكرهون حياة المدن وزخرفها .

الى اسفل : لاتوجد في المنازل « الحديثة » بشنقيط نوافذ ، وانما فتحات في اسفل الجدران، تقبع فيها المرأة الشنقيطية لتطل على العالم !! انها ابواب ونوافذ في آن واحد .. !



ولكنهم ما لبثوا ان تحولوا الى حياة الحضر مع اعلان مولد الجمهورية الموريتانية عام ١٩٥٩ ، عندما راى البدوى حكامه وكيف يعيشون ، فمال الى التشبه بهم وتقليدهم في الملبس والمأكل والراحة والدعة في ظل الدولة ، حتى كادت خشونة البداوة وعنف العصبية القبلية تضيعان وسط مظاهر الحياة الحديثة .

الخير من الشرق

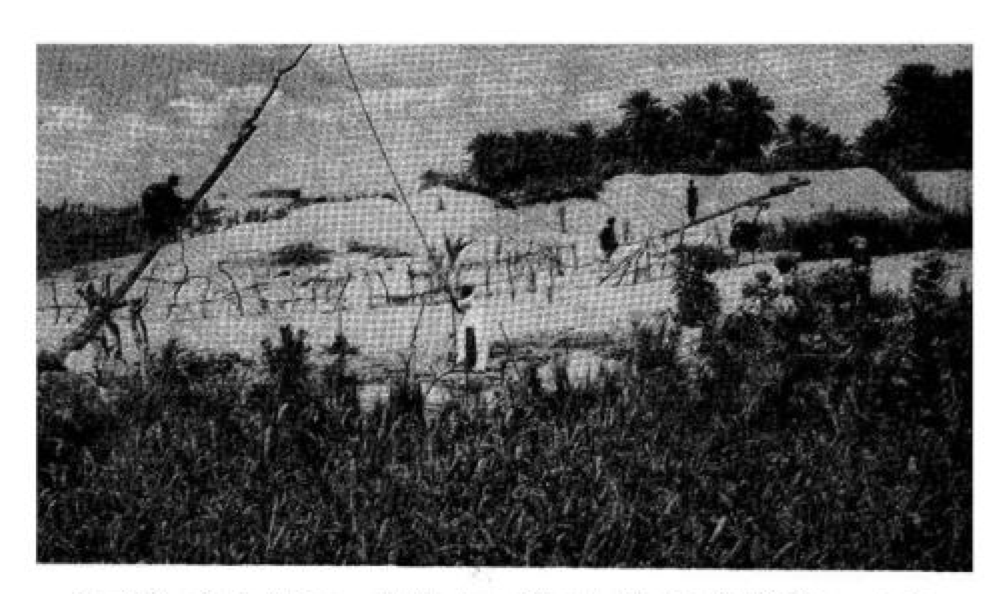
وتشتهر اطار بكثرة نخيلها الذى يقطف منه الف طن من التمر سنويا .. (وكان الحديث عن انشاء مصنع للتمور محل بحث اثناء وجودنا هناك)

واهلها يعملون في التجارة اكثر من عملهم في الزراعة ، يتنقلون من بلد الى بلد بسرعة اكبر من الاول ، فقد زادت متطلبات الحياة عندهم زيادة كبيرة .. حقيقة ان الكهرباء ما زالت تعتبر من الوان « الترف » التي لايقدر عليها الا بعض سكان « اطار » ولكنها غدا ستصبح في متناول الجميع .. والماء العذب سيدخل بدوره الى كل منزل بعد اكتشاف بحيرة جوفية تحت صخور الجبال..وغدا ايضا سوف يتم رصف الطريق حتى تيجكجة فياتي الخير من الشرق ، بعد ان كانت العواصف الرملية الخانقة المدمرة هي الشيء الوحيد الذى يأتي من الشرق فتمنع الناس من السير ، وتحجب عنهم الشمس ، وتخفى شجيرات النعناع والقضبه التي يزرعونها بكثرة .. والنعناع يزرعونه لانهم يخلطونه مع الشاى ، والقضبه لانها العلف المفضل للماعز، الموجود في كل منزل !

منافسة

أما الماء فيقول لك اهل اطار : « يمكنك ان تأكل الزلط وتهضمه بمجرد شربك لكوب من مياهنا .. اما مياه شنقيط فيجب ان تشرب وراءها املاحا مهضمة تساعدك على هضم مياهها ! »

ونقلنا هذا الكلام الى اهل شنقيط ، فاندفعت الدماء حارة في عروقهم وانطلقوا يقولون في غضب: « لا تصدق اهل اطار ، انهم يغارون من مياهنا ويحسدوننا عليها ، لان مياههم ليس فيها حلاوة



منذ خمس سنوات كان الشادوف الطويل ، الذى يصعد عليه الصبي وينزل ، هو الوسيلة الوحيدة لاستخراج المياه من آبار شنقيط لرى مزارع القمح والذرة والنخيل .. اما اليوم فقد أصبح في شنقيط الى جانب الشادوف ، ما يقرب من ٨٠ مضخة لسحب المياه ، وري المزروعات التى تضاعفت وتنوعت.

ولا عقوبة . اسالوهم عن سيارات النقل التي يرسلونها الى شنقيط محملة بالبراميل لتنقل مياهنا وفصائل نخيلنا اليهم ونحن نعذر اخواننا اهل اطار على كلامهم ، لان الحرارة الزائدة عندهم تجعل الحياة مستحيلة في مدينتهم .. اما عن هجرة اهل شنقيط الى اطار فهي مسالة اقتصادية فقط .. ولا تنسوا ان اهل شنقيط منتشرون في جميع مراكز موريتانيا .. ومختلف البلاد العربية »

لوحة طبيعية رائعة

وحرنا أى القولين نصدق ، وشربنا مياه اطار فوجدناها مطابقة لوصف اهل شنقيط ، وعشنا بين اهلها فوجدنا ان حرارة جوها تجعل الحياة فيها صعبة قاسية ، فيهرع أهلها الى الوديان التى تتخلل الجبال ، واجملها وادى « تيرجيت » .. انه يبدو كلوحة طبيعية من صنع الخالق ، الوصول اليه ضرب من المستحيلات لوعورة الطريق ، لكن جمال المنطقة ينسيك المشاق التي ستتكبدها في سبيل بلوغها .

و « تيرجيت » عيون ماء عذبة تتفجر من اسفل الجبل ، فتتدفع في شبه غدير ماء يسقى أشجار النخيل المتناثرة في المنطقة .. ويأمر رئيس البلدية بنحر الشاة وعمل الكسور اى الخبز مع المرق والكسكسى والارز ، تكريما للصحفيين القادمين من « الشرق » ..

وتتجمع الفتيات على حافة الغدير ، وتبدأ الانامل الناعمه في الدق على الطبول ، وهز الاوتار ، وتشدو احدى الفتيات بنغم هادىء رقيق ، تردده بقية النساء من بعدها .. وتسرع الاكف الفضة في دقاتها على الطبول ، ويعلو غناء الفتاة .. وتنتشى زميلة لها بالغناء والطرب ، فتقف وسط المجموعة تتمايل وتحرك يديها وساقيها مع الانغام المتصاعدة بحرارة ..

وعند منبع الغدير يجلس الرجال يتحدثون ويستمعون الى غناء زوجاتهم وبناتهم ، دون ان يجدوا في ذلك اية غضاضة ، بل على العكس يشتركون في الغناء مع الفتيات ، اللواتي يتعلمن فنون الغناء والرقص والقاء الشعر منذ نعومة اظفارهن ..

تأخرها نتيجة تأخر الرجل !

لقد ظلت الموريتانية تعيش على هامش الحياة ،

لم تعد المرأة في مدينة « اطار » تعيش على هامش الحياة ، بل اصبحت عضوا عاملا في حزب الشعب الموريتاني ، الحزب الوحيد في البلاد، فهي تحضر الاجتماعات وتستمع الى الاراء وتناقشها .. وتصنع الزرابي (السجاجيد الصغيرة) من صوف الضأن الممتاز في مركز النسيج التابع للحزب ، وهو بدوره يرسلها للعاصمة نواكشوط ، ويصدرها لفرنسا وداكار ، لأن الطلب على شرائها كبير نظرا لما تتمتع به هذه الصناعة من شهرة واسعة .. وتباع السجادة الصغيرة بعشرين الف فرنك للقطعة ، وهو انتاج المرأة الواحدة في الشهر .. سواء في مركز النسيج او في منزلها .. والى جانب هذا تقوم بعمل الحصر من سعف النخيل (الصورة اليسرى) وتعرضه للبيع في السوق



نفس « الثلاجة » التي شهدناها في حضرموت جنوب الجزيرة العربية ، شهدناها على بعد آلاف الأميال
في شنقيط .. انها قربة صغيرة من جلد الماعز الذي يوضع فيه الماء ويترك في مهب الريح ليبرد !



عندما تهطل الامطار وتتدفق السيول وتمتلىء البطحة (الوادي) بالمياه المتساقطة ترتفع الزغاريد من كل بيت ، ويخرج الرجال والنساء باجمل حللهم يتفرجون على المياه المندفعة كمياه النهر في الوادي .. اما نحن فكنا محاصرين داخل السيارة ــ الظاهرة في الصورة ــ لان الارض تحولت الى مستنقع خطر ، وبقينا في السيارة ، اربعة أيام الى أن جفت المياه ..



من العادات التي كانت متبعة ح المنطقة رجالهم الى مسافة . .. وفي حالة عثورهم على المرا في يوم معين متفق عليه يكون حال في الصورة ، ويدعى جارة امكجار فاذا رأوها ارتحلوا في اليوم التالي

كانها متاع يباع ويشترى ، ولا رأى لها ولا صوت .. حتى جاءت الجمهورية فاحست بها وبدورها في المجتمع ، وكان ان اعطتها جميع الحقوق مثلها في ذلك مثل الرجل .. ولكنها في كثير من المناطق ما زالت تعيش دون اى حق لها ..

والمرأة الشنقيطية ، اكثر نساء موريتانيا نشاطا وعملا ، وفي نفس الوقت اكثرها تمسكا بتقاليدها .. فهي الوحيدة ــ دون النساء ــ التي مازالت تلبس « الملحفة » السوداء ، لم تبدلها بالازرق او الابيض كبقية نساء موريتانيا ..

وتاخر المرأة الموريتانية هو نتيجة حتمية لتاخر الرجل نفسه .. ولكن الذى يثلج الصدر فعلا ، هو رؤية الاقبال الهائل من الجنسين على مدارس محو الامية ،فتجد فيها الاب والام والابناء يتعلمون ويتثقفون .

الكتاب قبل الكهرباء !

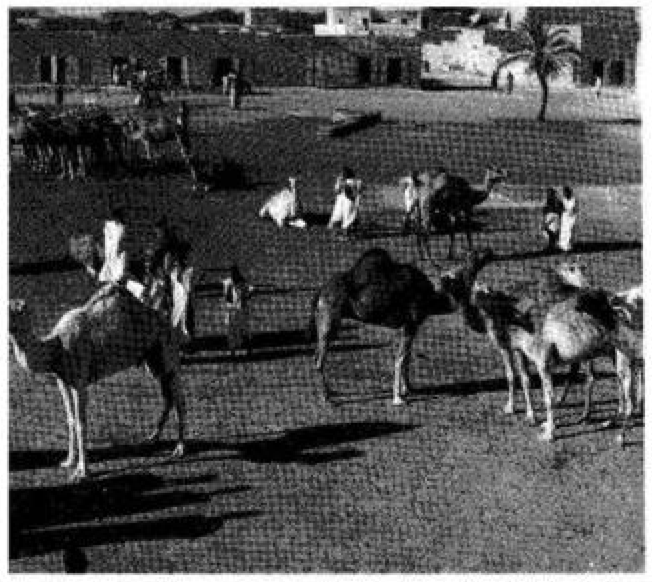
وفي « اطار » سألنا اعضاء نادى الشباب عن الامنية التي يريدون لها ان تتحقق في دنياهم الصغيرة الضيقة ؟ فقالوا بصوت واحد : « نريد ان نقرأ أكبر عدد ممكن من الصحف والمجلات العربية .. نرجوكم ان ترسلوا الينا كل كتاب او مجلة عربية لا تحتاجونها » . وذهلنا لطلبهم .. انهم يطلبون الثقافة قبل الكهرباء والماء والمسكن اللائق !

قسم .. وامان !

وفوق التلال الرملية التي تغطي شنقيط اجتمعنا الى مجموعة من رجالها .. انهم اكثر الناس تألما لحال مدينتهم . لهذا اقسموا أمامنا على أن الحياة والامجاد ستعود الى شنقيط من جديد .. أن الشباب منهم يرفض بشدة الجمود المفروض عليه؛ لهذا تجده وقد انطلق محطما تقاليد واعتبارات عفنة غريبة كانت تكبله وتمنعه من الاندفاع للاصلاح .. انه اليوم لم يعد يجد غضاضة في حفر الابار وحمل الاحجار والعمل في جميع المهن الاخرى ، دون الاكتراث لقولهم انها مهن حقيرة .. لقد شعر ان انكماش عدد سكان بلدته من ٢٧ الف نسمة الى



مطلع هذا القرن ، ان يرسل امراء كيلو متر شمالا بحثا عن اماكن للرعى يوقدون نارا هائلة على قمة جبل ايجل الظلمة ، وعلى قمة هذا الجبل الظاهر كان ندماء الامير يصعدون لشاهدة النار ما شيتهم !



سوق الجمال في اطار : الجمل الابيض يباع بـ ٣٥ الف فرنك ، والجمل العادى بعشرة آلاف فرنك في حين أن سعره في الجزائر والمغرب والصحراء الاسبانية يصل الى ٦٠ الف فرنك ، لهذا يأتي تجار هذه البلاد الى اطار لشراء الجمال منها .. ومما يذكر أن قوافل الجمال التى تحمل الملح الى « مالى » اصبحت تبيع جمالها هناك لارتفاع ثمنها اما اصحابها فيعودون بمفردهم محملين بالذهب الرنان !

« الاف » يعنى أن العيب فيه هو ، وأن الاصلاح لايمكن أن يتم الا اذا اصلح ما في نفسه هو اولا ..

وخطر لنا سؤال المجتمعين عن امنيتهم في الحياة، فكانت هذه المجموعة من الاجابات المتباينة :

قال نائب الحاكم : امنيتى التجول في مختلف البلاد .

وقال المعلم : « الحصول على دراسة عالية في الآداب والفلسفة » .

وقال المزارع : رفع المستوى المعيشى وبناء بيت في الجنة ، وحسن الخاتمة ..

وقال شيخ الجامع : تحرير فلسطين ، ووحدة العرب .

وقال مدرس آخر : ان تصبح موريتانيا دوله عربية ، وتدخل عضوا في الجامعة العربية .

وقال الموظف الحكومي : ان تصبح موريتانيا من ارقى الدول المتقدمة ، وتتحقق وحدة العالم الشاملة ..

عقبة في وادان

واحساس هذا الشعب بعروبته لايعادله احساس اى شعب عربي آخر .. ومع ذلك يعيش معزولا مبعدا عن اى نشاط عربي . واول اتصال له بالعروبة كان عام ٢٣ هـ . عندما اتجه بسر بن ابى ارطاة بامر من عمرو بن العاص الى وادان فافتتحها .. ولكن اهل وادان نقضوا العهد ، فخرج اليهم عقبة بن نافع بنفسه عام ٤٦ هـ . في اربعمائة فارس واربعمائة بعير يحملون ثمانمائة قربة ماء ، وفتح وادان ثانية

ان وادان ، ومعناها الواديان : العلمى ووادى النخيل (١٤ الف نخلة فيها) اصبحت اليوم اطلالا تسعى الحكومة الى اعادة الحياة اليها .. لاعتقادها انه يمكن تحويلها الى مزرعة ، تستطيع مد موريتانيا بحاجتها من القمح والشعير والبطيخ والخضراوات . فالمنطقة هي اخصب بقعة زراعية في الشمال ، وانقاذها يحتاج الى بناء سد قوى يكلف ٨ ملايين فرنك ، بدلا من السدود الضعيفة

● الماء .. والخضرة .. والوجه الحسن .. وحلاوة النغم ..



الماء .. والخضرة .. والوجه الحسن .. وحلاوة النغم اجتمعت كلها تحت جبل ترجيت قرب « اطار » .. انها اجمل بقعة في موريتانيا يهرع اليها الناس في اعداد قليلة لصعوبة الطريق المؤدى اليها ، فيجلسون في فجوة تحت الجبل يتسامرون ويأكلون .. بينما تجلس النساء والفتيات يشنفن الآذان بالانغام الشجية ، والاغانى المحلية واشهرها التي تقول : « موريتانى احرار ، والرئيس المختار » . وجميع نساء موريتانيا يرتدين « الملاحف » اى قطعة قماش زرقاء او بيضاء تغطى الجسم كله دون الوجه ، اذ لم تعرف المرأة الموريتانية معنى الحجاب في تاريخها ..



التى تكلفت اقامتها مليونا ونصف مليون فرنك ، ثم ما لبثت السيول ان جرفتها معها .

وفي صحراء وادان يعيش النعام والغزال والحمار الوحشى والوعل ، والارانب البرية التي تتكاثر بسرعة هائلة فتتلف المزروعات القليلة .. وصيد هذه الحيوانات ممنوع منعا باتا على الاهالي ولكنه مسموح به للاجانب بعد حصولهم على التصاريح اللازمة لذلك ..

ويتفاءل سكان شنقيط والمناطق المحيطة بها ، ببيض النعام ، الذى يجمعونه ويضعونه في اماكن بارزة داخل منازلهم .. وفوق صومعة (اى مئذنة) جامع شنقيط ترى بيض النعام على اطرافها العليا .

« العربي » في وادان !

وعند حاكم وادان الشاب احمد باباها رأينا بعض النسخ القديمة من مجلة « العربي » ، وتعجبنا من وجودها هنا ، فقال لنا الحاكم الشاب : اننا نحرص على شراء « العربي » التي تأتينا مع المسافرين القادمين من داكار عاصمة السنغال ، والنسخة الواحدة يستعيرها كل بيت لمدة اسبوع فقط ، يقرؤها كل افراد الاسرة ثم يعيدونها ثانية ، لنعيرها لاسرة اخرى وهكذا » .

فلسطين اخرى في الغرب

وبالرغم من تهدم جميع منازل وادان ، الا أن مسجدها المشيد على نمط مسجد شنقيط القديم ، مازال قائما الى اليوم ، وكأنه يعلن عن تصميم اهل المنطقة للاعتراف بعروبتهم التى آن الاوان للعمل على انقاذها ، من براثن هجرة وتسلل غير شرعيين يأتيانها من الجنوب ، عبر نهر السنغال ، بهدف طمس عروبة البلاد ..

ثروة اسطورية

وهذا القول لايعنى أن موريتانيا فقيرة ، بل على العكس فيها من المعادن والثروات والمياه ما لا يوجد مثيل له في اى بلد عربي آخر .. ولكنها ما زالت ارضا بكرا لم تمسسها يد ، ثرواتها دفينة تحت رمالها .. والجزء الضئيل من الثروة المستثمرة تحيط به مؤامرات دوليه تعرقل انتاجه وتوقف استغلاله ..

وحول شنقيط تقع ثروة موريتانيا الاسطورية.. الحديد .. الذى ينتشر على هيئة سلاسل من الجبال ، زار احدها الجغرافي العربي البكرى في اوائل القرن الحادى عشر ، ووصف منجم الحديد، فقال ان العمل كان قائما على قدم وساق في ذلك الزمن البعيد ..

ومن طريف ما حدث عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ان شكا الطيارون من حدوث تغيرات غريبة على مؤشر البوصلة في كل مرة يطيرون فيها ، فوق الجبال المحيطة بشنقيط ..

نتيجة مذهلة

ومرت الايام وتوقفت الحرب ، وجاء الخبراء لكشف سر هذه الظاهرة الغريبة .. وما كادوا يبدأون عملهم حتى اتضح لهم أن جبال «سفاريات» « وكديت الجلد » ما هي الا كتلة هائلة من الحديد تقريبا ! .. وفي الحال نقلوا نماذج من الاحجار الى المعامل المختصةفي داكار لفحصها عام ١٩٥١ وكانت النتيجة مذهلة فقد ثبت أن هذه الاحجار تحوى ٩٤ر٥٢٪ من اكسيد الحديد ، وهذه النسبة تضارع اعلى نسبة حديد موجودة في مناجم العالم ..

واجروا عملية حصر لكمية الحديد الموجود ، فوجدوا أنه يزيد عن ١٠٠ مليون طن ، منها ٤٠ مليون طن يمكن تجميعها من فوق سطح الارض ، بنسف جبل كديت الجلد الذي يمتد ٢٥ كيلو متر ويرتفع ٨٥٠ مترا عن سطح البحر .

وهنا رفعت شركة ميفرما المختصة والمؤلفة من مجموعة شركات كندية وبريطانية وفرنسية ، رأسمالها من ٣٠ مليون فرنك الى ٢٧٥ مليون فرنك ، وساهم الالمان في رأسمال الشركة وكانت المشكلة الرئيسية هي ايجاد ميناء لشحن هذا الحديد .. واقرب شاطىء يبعد ٢٨٠ كيلو متر عن جبل الحديد ويقع في الصحراء التي تحتلها اسبانيا التي كانت تعارض فكرة هذا الاستغلال .



الى اليسار : العريش او المحمل .. انه المنزل المنتشر حول مدينة شنقيط يعيش تحته الناس ، وهو مصنوع من سعف النخيل والاعشاب الطويلة .. ويوجد نوع آخر مستدير يسمى ، « تيكيت » .. وهو كثير الشبه بالاكواخ التى يشيدها الاهالى فى جنوب السودان .

واضطرت « ميفرما » الى مد خط سكة حديد طوله ٦٣٥ كيلو متر من فورت جورو او كديت الجلد حتى ميناء نواذيبو او بورت اتيان (لاغلب المدن الموريتانية اسم عربي وآخر فرنسي) واقترضت لهذا السبب مبلغ ٦٦ مليون دولار من البنك الدولي عام ١٩٦٠ بفائدة قدرها ٦٪ لمدة ١٥ عاما

وبعد عمل شاق فى مد خط السكة الحديد ، سار اول قطار عام ١٩٦٣ حاملا ١٠٠٠٠ طن من خام الحديد على ظهر ١٣٥ مركبة ، وتجرها ثلاث قاطرات ..

ومما يذكر ان الانتاج يمكن ان يصل سنويا الى اربعة ملايين طن .. وتتقاضى الحكومة الموريتانية ٥٠٪ من ارباح الشركة ..

اما منطقة سفاريات Sfariat فى الشمال الشرقي من فورت جورو ـ والتي تحوى كمية هائلة من خام الحديد فانها لم تستغل بعد .

نتائج المسح

وعلى طول طريق القوافل القديم الممتد من وادان الى شنقيط واطار ، تجد ارقاما ورموزا مكتوبة باللون الابيض على الاحجار .. ويقول لك الاهالي ان عملية مسح شاملة اجريت مرتين لثروات هذه المنطقة .. مرة فى عام ١٩٥٩ ومرة اخرى فى عام ١٩٦١ . ونحاول معرفة نتائج هذا المسح من المسئولين فلا نجد لها اثرا !! ونسأل ونستفسر فنعلم ان هناك على وجه التأكيد يورانيوم وكوبالت ومنغنيز وذهب وبترول وغيرها ..

مأساة النحاس والذهب ..

وقالوا لنا اذهبوا الى « اكجوجت » حيث جبال النحاس والذهب .. واتجهنا الى اكجوجت .. وليتنا ما اتجهنا .. فهناك رأينا ما يمكن ان تفعله الاحتكارات التجارية العالميةوالاستعمار الاقتصادى فى ثروات بلد ناشيء ..

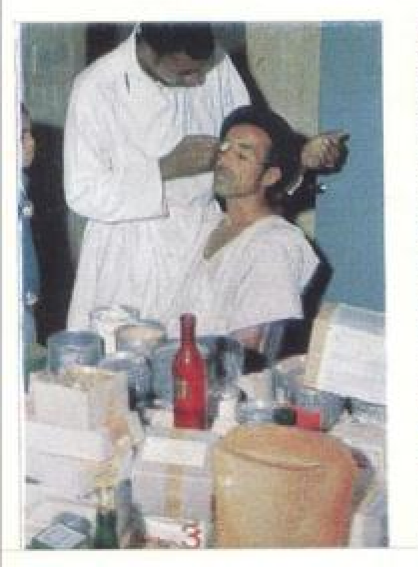
لقد اكتشف المساحون الاوائل بئرا قديمة فى اكجوجت جدرانه مغطاة ببقايا النحاس ، مما يؤكد استغلال الاقدمين لهذا المعدن .. اما نحن فاكتشفنا اطلال مصنع حديث غطته الرمال الزاحفة،واحرقته حرارة الشمس اللافحة ..

وهذه هي قصة النحاس والذهب من اولها وباختصار :

اكتشف النحاس عام ١٩٤٦ وقدروا الكمية التي يمكن استخراجها من هذا المعدن بنحو نصف مليون طن .. وتالفت شركة فرنسية هولندية ميكوما Micuma برأسمال قدره ..٤ مليون فرنك افريقي .. وكانت المشكلة الرئيسية امامها ، هي تامين مليون متر مكعب من الماء سنويا فى هذه المنطقة الجبلية الجرداء لاستخدامها فى عملية استخراج هذين المعدنين .

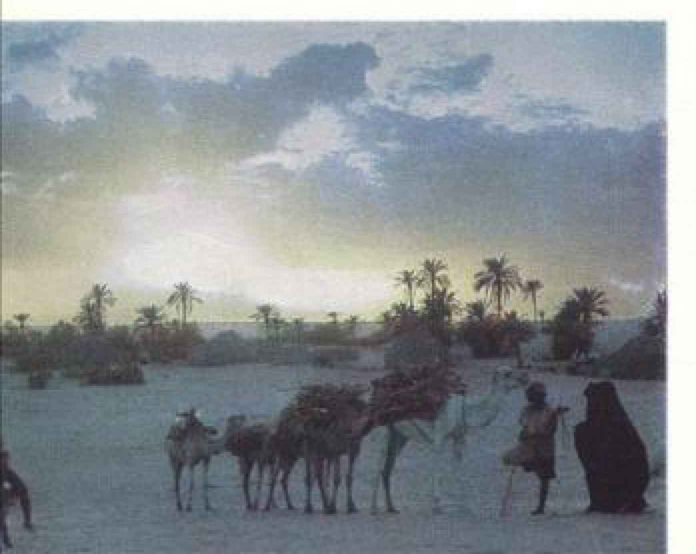
واجريت عملية مسح جديدة بحثا عن المياه ،

وادان .. مدينة ماتت في هدوء ، اطلالها تمتد على طول ثلاثة كيلو مترات ، تروى قصص الاحوال التي عاشتها هذه المدينة .. كانت تمر بها جميع قوافل الجمال المنطلقة من افريقيا الشمالية الى افريقيا السوداء ، فاصبحت مركزا اقتصاديا وثقافيا هاما . والشارع (الظاهر في الصورة السفلى) هو شارع الاربعين عالما .. وكان عدد سكان المدينة ١٩ الف نسمة انخفضوا عام ١٩٥١ الى ١٨٠ نسمة فقط .. ماذا حدث ؟ لقد اكتشفوا الموانيء على الساحل الافريقي فتحولت تجارة القوافل اليها .. ثم اندلعت الحروب





الاهلية بين قبيلتي كونتا وادو الحاج في مطلع القرن التاسع عشر فمزقت البقية الباقية من وادان وشتتت اهلها . وهم اليوم يحاولون ان يعيدوا الحياة اليها ، فافتتحوا مستوصفا ومدرسة ومركزا اداريا . ومع عودة الحياة بدأ اهل المدينة يعودون اليها ، وقفز عددهم الى ١٩٠٠ نسمة .. وعند الغروب تراهم عائدين مع قوافل جمالهم في نفس الطريق الذي سلكه آباؤهم واجدادهم من قبلهم .. وهكذا تذهب الحياة وتعود ، وتبقى الارض الخالدة .





اسفرت عن العثور على كمية مياه جوفية هائلة جنوب اطار يمكنها مد المصنع بنحو ٢٠ مليون متر مكعب سنويا ..

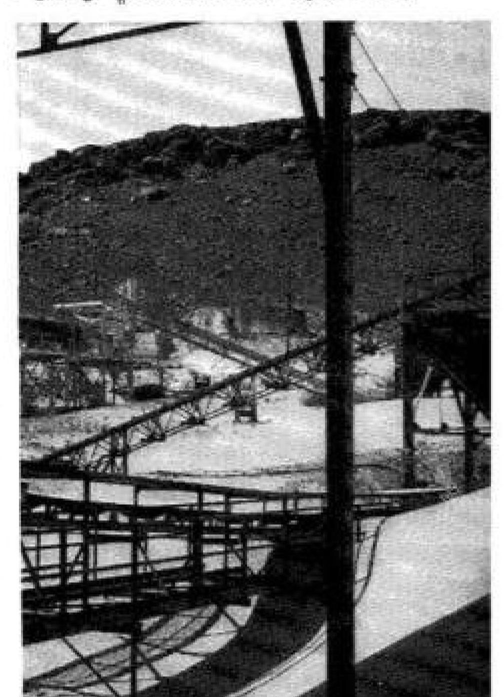
وبدا استخراج النحاس عام ١٩٥٣ بواقع ٩ الاف طن نحاس و ٦٠٠ كيلوجرام من الذهب سنويا .. والمعدن الاخير مخلوط بالنحاس بنسبة اقل من جرام فى كل طن .. واستمر العمل فى المصنع حتى عام ١٩٥٩ عندما اعلن استقلال موريتانيا..وعندها توقفت الشركة عن العمل بحجة صعوبة تسويق الانتاج فى اسواق العالم (!!) واستحالة توفير مبلغ مليار فرنك لجلب المياه .. والى جانب هذا وضعت الشركة شروطا مجحفة حاولت فرضها على الحكومة ، والغاء بعض الضرائب ، ورصف طريق من نواديبو الى اكجوجت .. فرفضت الحكومة جميع المطالب ، وتوقفت الشركة عن العمل ..

وتوصلت الحكومة الى اتفاق جديد مع شركة كندية لتحل محل الشركة السابقة « ميكوما » وتعوضها عن ثمن آلاتها .. ولكن رجال الشركة القديمة اوعزوا الى الشركة الكندية لوضع شروط مجحفة ، وفعلا تشددت الشركة الكندية فى شروطها ..

وعندما كانت بعثة العربي فى موريتانيا ، كانت الاتصالات جارية مع شركة امريكية جديدة ، من المنتظر ان تكون قد توصلت الى اتفاق مع الحكومة ..

ان توقف العمل فى هذا المنجم معناه انتزاع الروح من اهل اكجوجت الذين يعملون فى مختلف مرافقه ، فهو موردهم الوحيد ، وهذا التوقف سوف يجعل المدينة تموت مثل شقيقتها وادان ..

الى اسفل : منجم النحاس والذهب في اكجوجت .. غطته الرمال واحرقته حرارة الشمس اللافحة ، لاتسمع فيه سوى صدى الاهمال الذى طواه ثماني سنوات .. لقد ظل يعمل ٦ سنوات متواصلة ثم توقف ، وتفرق عماله الخمسمائة في كل مكان .



اسباب زهدهم فى الدنيا

ان الزائر لشنقيط ووادان واطار يشعر انه انتقل ليعيش فى عالم الروحانيات .. ولا يمت الى هذه الدنيا بصلة .. فكل من فيه يعمل لآخرته قبل ان يعمل لدنياه .

فما هو السبب فى هذا الشعور الذي دفعهم الى الزهد في الدنيا ؟ .

هل هي قسوة الحياة التي عاشوها وما زالوا يعيشونها ام هو الامل الذى فقدوه في حياتهم على الارض فراحوا يتطلعون الى السماء لتعوضهم عنه ؟

اذا لم يكن هذا ولا ذاك ، فهل هو يا ترى ذلك الاحساس بخيبة الامل الذي استبد بهم ، عندما بدا لهم بريق في الافق بعد ان استقلت بلادهم ، فتعلقوا به ثم مضت السنون وتحطم املهم الوحيد فى حياة جديدة عندما امتنعت غالبية الدول العربية عن الاعتراف بهم ومساعدتهم ؟

مهما كان السبب .. فنحن لا نلوم اهل شنقيط، بقدر ما نلوم انفسنا ؟!

■■

سليم زبال



لماذا تظهر البثور الحمراء على ذقني بعد الحلاقة ..؟!

● **كلما حلقت ذقني ، تظهر بعد الحلاقة بثور صغيرة تتحول الى حبوب حمراء متقيحة كريهة المنظر . وقد اتبعت جميع السبل ، من استعمال المطهرات والمراهم ، وتغيير أدوات الحلاقة دون جدوى .. فما هو علاج هذه الحالة .**

ـ يحدث التهاب الذقن لأسباب عديدة ، اهمها واكثرها حدوثا هو الالتهابات المكروبية ، وهى ما تسمى « بضعف الذقن » . وتحدث نتيجة لاصابة الجلد ، وبالتالى بصيلات الشعر بالمكروبات السبحية ، او العنقودية او كليهما ، ويحدث نتيجة لذلك احمرار بالجلد ، لا يلبث أن يتحول الى بثرات صغيرة ، ثم دمامل ، وهذه تكبر وتتقيح مخرجة صديدا ، لا يلبث ان يجف معطيا قشرة . وهذا الالتهاب غالبا ما يكون محدودا بمنطقة الذقن والشارب .

الا انه بجانب المكروبات المسببة ، توجد عوامل اخرى ثانوية ، تساعد على حدوث هذا الالتهاب ، منها عدم العناية بالصحة العامة ، والنظافة ، حيث أن كثيرا من هذه الحالات تحدث نتيجة لعدوى من محلات الحلاقة ، او استعمال أدوات شخص آخر غير نظيفة .

كذلك الضعف العام نتيجة للامراض الطويلة أو الشيخوخة ، يؤدى الى ضعف مقاومة الجلد للمكروبات التى تلامسه .

وعلاج هذه الحالات ، هو ازالة القشور المتكونة ، حتى يسهل وضع المراهم المضادة للحيوية Antibiotics لقتل المكروبات . وتزال هذه القشور ، بكمادات ساخنة ، او بعمل لبخات معينة يقوم الطبيب بوصفها .

وبعد ذلك تدهن الذقن بالمراهم المضادة للحيوية ، مثل مرهم الاوريومايسين أو الترامايسين Auriomycin and Teramycin وغيرها .

كذلك تعطى هذه المضادات الحيوية بواسطة الفم مثل كبسولات الترامسين او الاكرومايسين .

وفي معظم الحالات يشفى المريض ، الا انه في بعض الحالات القليلة المزمنة التى لا تشفى قد تحتاج الى علاج اشعة سينية سطحية وهذا يقرره الطبيب الاخصائى .

واحب ان الفت النظر الى انه من المهم جدا ان تراعى الاسباب التى تساعد على الالتهاب ، والتى سبق ذكرها .. كما أن حلاقة الذقن بصفة منتظمة وعدم تغيير ادوات ومستحضرات الحلاقة ، من العوامل الهامة التى تساعد على سرعة شفاء المريض ، حيث أن طول الشعر وتغير أدوات الحلاقة ، قد يؤدى الى تهيج الجلد وزيادة الالتهاب .

بجانب هذه الالتهابات المكروبية ، توجد بعض الامراض الاخرى التى تؤدى الى التهاب الذقن ومنها الالتهابات الفطرية ، وغيرها ولها علاج خاص ، لذلك ارى أن تعرض نفسك على اخصائى بالامراض الجلدية لتشخيص حالتك واعطائك العلاج المناسب .

يشكو من « الدوالي »

● أنا شاب فى الثانية والعشرين من عمرى ، فى خصيتي اليسرى دوالي ، فما هو مدى خطورة بقائها او الاضرار التي تعود على اذا لم اجر عملية جراحية .. ؟ وهل العملية الجراحية فيها شفاء كامل .. ؟

ــ الدوالي أوردة دموية متمددة ومتعرجة تحدث في حبل الخصية او فى الساقين والفخذين . اما دوالى الخصيتين وهي المقصودة في هذا السؤال ، فهي غالبا ما تحدث في الخصية اليسرى ، وهي في الدرجة الاولى قد تسبب انزعاجا للانسان لانه يحس اختلافا في شكل الخصيتين قد يؤدى به الى افكار سيئة ووهم شديد وآلام .. وقد تسبب هذه الدوالى اذا مضى عليها وقت طويل في ان تنزل الخصية اليسرى الى مكان اسفل من مكانها وتتدلى الى مستوى منخفض قد يعيق الانسان عن السير والعمل .

اما اذا بقيت الدوالي مدة طويلة في الخصية .. فقد تؤدى الى ضمورها لان تجمع الدم بقرب الخصية يؤدى الى ارتفاع درجة حرارة الخصية وهذا بدوره يقلل نشاط تكوين الحيوانات المنوية التى تتكون فى درجة حرارة اقل من تلك التى بداخل الجسم وهذا يفسر ايضا الحكمة فى وجود الخصيتين خارج البطن . فهما تكونتا داخل البطن ثم نزلتا الى كيس الصفن لتؤديا مهمتهما فى تكوين الحيوانات المنوية ، لان الكيس تقل حرارته بمعدل نصف درجة مئوية عن حرارة الدم والحرارة داخل البطن .

ولذلك يفضل اجراء جراحة للتخلص من الدوالى اذا خشى من العقم للرجل والعملية الجراحية تؤدى الى شفاء الدوالي شفاء كاملا .

الناسور الشرجي

● اصبت بناسور قرب الشرج ومر على اصابتى به ٣ اعوام لم اشعر خلالها باية الام او اعراض سوى خروج صديد من آن لآخر . وعلمت من احد الاصدقاء ان هذا المرض له مضاعفات سيئة قد تحدث في المستقبل لذلك ارجو شرح اسباب هذا المرض ومضاعفاته ... وهل له علاج آخر غير العملية الجراحية ؟

ــ الناسور الشرجي Anal Fistula قناة صغيرة أو مجرى دقيق ذو فتحتين ، خارجية بجانب فتحة الشرج واخرى داخلية في الشرج .

وهناك اسباب عديدة لتكوين الناسور ، لكن اهمها واكثرها هو انفجار تلقائي لخراج Abscess يظهر في منطقة الشرج ، ومثل هذا الخراج لو اجريت له عملية جراحية لاخراج الصديد لما نتج عنه ذلك الناسور الشرجي . ويتكون الخراج

اسبابه ومضاعفاتــه ..

عادة من التهاب بعض الغدد المخاطية الموجودة بأسفل الشرج .

اما الأسباب الاخرى لتكوين الناسور فهي اقل حدوثا وتكرارا ، فقد يحدث من شرخ شرجي مزمن أو قد يصحب بعض الأمـراض في الأمعـاء الدقيقـة والغليظة . وقد يكون الناسور في مثل هـذه الحالات هـو الظاهرة الوحيدة للمرض الداخلي في الأمعاء .

اما مضاعفات هذا المرض ، فهـي بالاضافة الى كونه مصدرا دائما للصديد الذي يلوث الانسان ويعطي رائحة كريهة فهي متعددة ومنها :

١ ـ تكرار انسداد فتحات الناسور والالتهاب فيه مما يؤدى الى تجمـع الصديد وتكون خراج من آن لآخر . وهذا قد يفتح تلقائيا ليؤدى الى فتحة اخرى ، وبذلك يصبح الناسور متشعبا (متعدد الفتحات) وقد يصعب علاجـه بعملية جراحية وقـد يمتد الى اماكن عميقة فوق مستوى عضلات قاع الحوض ، وهذا يؤدى الى خراج في الحوض وناسور علوى وهو ايضا صعب العلاج بعمليـة جراحية .

٢ ـ خروج الصديد المستمر يؤدى الى حكة شديدة عند بعض المرضى قد يؤدى الى التهابات جلدية شديدة .

٣ ـ ان اهم واخطر مضاعات الناسور هو السرطان الشرجي الذى يحدث في حالة الناسور المزمن .

٤ ـ قد يكون الناسور كما ذكرنـا سالفا احـد الاعراض لمرض داخلي في الأمعاء الدقيقة مثل مرض كرون Crohn Disease ، أو في الأمعاء الغليظة مثل مرض التهاب القولون التقرحي Ulcerative Colitis .

اما علاج الناسور ، فهو الوقاية في البداية ، بالنظافة المستمرة . وعـلاج الخراج بالعملية الجراحية اذا تكون . أما اذا تكـون الناسور فـلا عـلاج الا العملية الجراحية .

يعاني من كثرة التبول ..

● انا شاب عمري ٢٤ عاما .. مشكلتي انني اعاني من كثرة عدد مرات التبـول منذ كنت طفلا صغيرا ، ويبلغ عدد المرات التي اتبول فيها مرة كل نصف ساعة على الأقل . وكمية البول التى اخرجها فى كل مرة قليلة . وبالفحوص والتحاليل ثبت انني لا اعاني مـن اى مرض عضوى اومرضي .. واليوم انا اريد الزواج فهـل هناك تأثير لما اعانيه على الناحية الجنسية ..؟

ـ اذا سلمنا حقيقة بانك لاتعاني من اى مرض عضوى كما تقول فاننا بذلك نكون قد استبعدنا الاسباب التى تؤدى الى كثرة مرات التبول من زيادة كميـة البول ، ومنها التهاب الكلى المزمـن ، ومرض البول السكري ، وكذلك كثرة شرب الشاي والقهوة ، وهي معروفة بانها مدره للبول . واستبعدنا ايضـا الاسباب التى تؤدى الى كثرة مـرات البول دون زيادة الكمية ، مثل التهاب حوض الكلى أو المثانه او وجود حصوة بها او التهاب البروستاتا او فى الواقع التهاب اى من الاعضاء الموجودة بالحوض بالقرب من المثانة . واذا كانت هـذه هي الحالة فيغلب على الظن انك رجل عصبي المزاج سريع الانفعال .

ومثل ذلك معروف مشهور عنـد الطلاب او المرشحين للوظائـف قبيـل الامتحانات .

ولا اظن أن حالتك سيكون لها تأثير على الناحية الجنسية .

●●



الهند على ابواب ثورة زراعية علمية عارمة

بها تضرب الامثال لقوم غافلين

● ان الهند من اكبر امم الأرض سكانا ، ومع هذا فهى من اكثرها تعرضا لمجاعة .

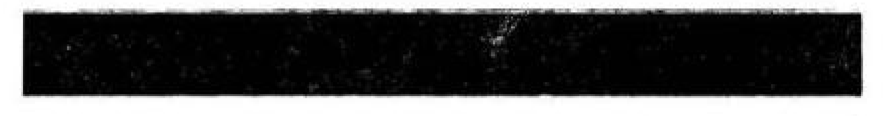
وفي الهند ٦٠ مليون اسرة تعمل في الأرض وتنتج ما يساوى اكثر من نصف ايراد الأمة الهندية ، ومع هذا فمحصول الفدان الواحد هو ، فى المتوسط وبالنسبة ، اقل محاصيل العالم .

بهذا ينبىء خطاب لرجل هندى خبير جاء من بمباى .

مجلس البحوث الزراعية فى الهند

من اجل هذا رسم مجلس البحوث الزراعية هناك برنامجا عظيما للبحث الزراعي يتضمن ٢٥ مشروعا يتكلف ٢١ر٦ مليون دولار. وقد وافقت الحكومة على المشروع وعرضته وزارة الزراعة والتغذية على البرلمان. هذا عدا مشاريع اخرى للبحث في سبيل التخطيط والتدبير .

وبسبب سعة القارة الهندية ،



● انه القمر الصناعي الذى اسمه « الصدى » رقم واحد Echo 1 اطلق فى ١٢ اغسطس ١٩٦٠ وظل يدور حول الأرض منذ ذلك الحين .

وهو بالون امتداده نحو ١٠٠ قدم ، وهو من اللدين ومكسو بطبقة من الالمنيوم ، لهذا رآه الناس فى اكثر حياته أسطع من النجوم .

وهو استخدم فى المواصلات التلفونية ، والموسيقى والكلمات والانغام اللاسلكية ، يردها صدى الى الارض .

ولما كان لكل اجل كتاب ، وحتى الجماد يفنى ، فقد قارب عمر « الصدى » رقم واحد على الانتهاء . لقد فعل فيه الزمن ما فعل وسوف يفعل بكل الاقمار . ان القمر الصناعي فى دورانه يحتك دائما بغبار الفضاء ، وبالفتات الذى لا شك ينفصل عن النيازك مهما دق ، وهو احتكاك يضعف من سرعته . وسرعته هي التى تقيمه فى فلكه . وتضعف السرعة فيقترب من الأرض .

في الهند ٦٠ مليون اسرة تعمل في الارض وتنتج مايساوى أكثر من نصف ايراد الامة الهندية ..

واختلاف مناطقها ، واختلاف اجوائها وتقسيمها الى ولايات ، سوف يتناسى الباحثون تقسم البلاد الى ولايات ، ويقسمونها الى مناطق هي من حيث الأجواء ومن حيث التربة متشابهة وهي اذن من حيث البحوث الزراعية واحدة.

وسوف يجعلون من كل منطقة ، ولو اختلفت تبعيتها الادارية ، وحدة من حيث البحث الزراعى متكاملة .

دراسات زراعية مختلفة

ويشمل البحث دراسات في الزراعة متباينة متباعدة ، فمن الهندسة الزراعية ، الى علم التربة ، الى سلالات من الأطعمة جديدة ، الى تجويد نتاج المحاصيل الكبرى ، الى ما يحتاجه حتى الحيوان من طعام .

ومشاريع هذا العام الحاضر ستشمل دراسات فى القطن وامثاله من الألياف ، وفول الصويا وبذور الزيت الاخرى ، والعدس والفول والفاصوليا واشباهها ، والأرز والشعير ، والبطاطس ، وشتى الفواكه .

ومشاريع اخرى قاربت التمام تختص بزراعة الطباق ، وقصب السكر ، وجوز الهند وكثير من الخضر .

وسيزيد اهتمام بعض الباحثين خاصة بالزراعات التى تنتج المحصول الوافر تحت جو متسم بالجفاف ، ومع انتشار ملوحة الأراضي .



وهكذا كان .

فهو بعد نحو من سبع سنوات ، اخذ يترنح فى مداره .

والعلماء فى بقاع الأرض استيقظوا يريدون ان يحضروا سقوطه الى الارض. كأنها جنازة شيء عظيم وجب ان لا تفوتهم .

ففي الارض مائة محطة و ١٢ كمرة فوتغرافية تجهزت لالتقاط آخر ذلك المطاف . وكان خيل أن موعده على الأرجح ابريل . ولكن من يدرى ؟

نقل الكلى
يدخل مرحلة الروتين

● سوف يحدث هذا في استراليا ، بمستشفى الأميرة الكسندرا ، في مدينة برسيان ، هذا العام .

هكذا قررت الحكومة هناك .

وقررت أن تبدأ بنقل الأعضاء التى بلغ نقلها من جسم الى جسم درجة كافية من النجاح .

وهى ، لهذا ستبدأ بنقل الكلى .

وهى تتهيأ لنقل ٢٠ كلية في مرضى الكلى في العام . ثم تزيد هذا العدد على السنين .

وعندها ان الكثير من الناس هناك يموتون بسبب مرض الكلى ، والنقل قد ينجيهم من الموت ، او هو يطيل الحياة.

والكلى سوف يحصلون عليها من ضحايا الحوادث ، وسوف يوائمون بين التواريخ ، بحيث يتفق موت ضحية بحاجة مريض منتظر . وهكذا الدنيا . موت هذا حياة لذاك .

وبالطبع سيكون نقل الكلى بالمجان ، سيكون بعض الخدمات الطبية المؤممة هناك .

ادخال الذرة الى زراعات الهند ومحاصيلها

والمعروف بالطبع ان الهند خطت في بحوث الذرة خطوات طيبة ، ولا تزال تذكر حزن العالم لوفاة العالم الهندى الذرى الدكتور بهابها Bhabha ، وكانوا نصبوه رئيسا للجنةالذريةالعالمية التى تبحث في استخدام الذرةفيالشئون السلمية.وكان هو رئيس مركز البحوث الذرى بمدينة بمباى اذ ذاك .

والهند تزمع اليوم اقامة مختبر للبحوث النووية في معهد البحوث الزراعية بالعاصمة نيودلهى .

وستهدف هذهالبحوث النووية فيما تهدف الى معالجة الحشرات الضارة وعلاج الامراض النباتية .

الاشعاع اطال حياة الثوم والبصل

وفي الوقت الحاضر تقوم دراسات في المركز الذرى ببمباى تدرس اثر الاشعاع الذرى المعتدل في الأطعمة . ومن ذلك انهم وجدوا ان الثوم والبصل والبطاطس، تزيد حياتها بعد الاشعاع من شهرين الى سبعة اشهر .

الاشعاع يبطىء نضوج الفاكهة

ووجدوا ان الاشعاع يؤجل نضوج الفواكه كالمنجة والموز ، وبذلك يطيل موسمها في الأسواق .

الاشعاع وحشرات المحاصيل

والاشعاع يقتل الحشرات التى تضر بالحبوب المخزونة ، وهى تسبب للهند خسائر سنوية فادحة . وقد اثبتت تركيا نجاح الاشعاع في ذلك .

الاشعاع يقصر طول النبات

وبحث له مستقبل كبير : ذلك تقصير طول النبات بالاشعاع الذرى ، او ادق تعبيرا بالاشعاع النووى ، فهو اشعاع نواة الذرة .

والغريب في أمر هذا البحث انه جرى في القمح . فالساق النباتية القصيرة تفسح المجال في الفدان الواحد لسيقان من النبات اكثر. والعجيب الذى خرجوا به أن هذا القصر يزيد فوق ذلك محصول الساق القصيرة الواحدة .

ونضرب مثلا . استنبطوا نبات قمح طوله ثلث طول النبات العادى،واخرجوا منه ٣ اضعاف قدر المحصول العادى .

أوروبا
بين الوحدة السياسية
والوحدة العلمية

● المعروف ان الوحدة السياسية الأوروبية بعيدة المنال في الوقت الحاضر. التاريخ واقف في سبيلها، قريبه والبعيد، والحذر والخوف.

والظاهر ان الوحدة العلمية الأوروبية قد تتحقق قبل الوحدة السياسية، وهى تسهل الطريق امام الوحدة السياسية. وهذا الالتقاء في ساحات العلم يذهب بالخوف، ويزيد في ثقة الانسان بالانسان.

وقد تم شيء من هذا الاتحاد العلمي فيما يختص ببحوث الذرة في خدمة السلم عن طريق مؤسسة استخدام الذرة في سبيل السلم Cern، وكذلك فى البحوث الحيوية الجزيئية

Molecular Biology Organisation.

واليوم تقوم الحركة لتوحيد الانتفاضات العلمية الأوروبية وتعاونها فيما يختص ببحوث الفزياء، وهو العلم الذى جرى في أوروبا شوطا ذا بال.

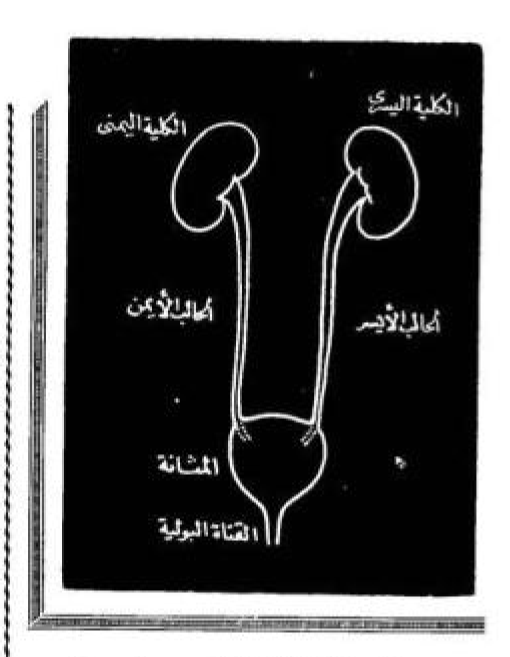
وسوف تقوم هذه المؤسسة الفزيائية قريبا. وهى تضم دول شرق أوروبا وغربها، عدا روسيا، فقد اعتذرت، ولكنها لم تستبعد قيام علاقة بينها وبين المنظمة في المستقبل.

اما الدول فهى: ايطاليا. بريطانيا. فرنسا. المانيا. سويسرا. بلجيكا. لكسمبرج. هولندة. السويد. يوجوسلافيا. هنغاريا.

بقي عضو آخر. اتدرى ما هو؟

انه اسرائيل! اسرائيل حتى في المنظمة الأوروبية.

وينتظر ان تدخل المنظمة كذلك: النمسا، والنرويج، والدنمركة، وفنلندة، وبولندة.



كان طول النبات القصير ما بين قدمين و ١ من ١٢ من الاقدام بينا الطويل ٦ اقدام. والمحصول الجديد كان نحو ٣٢٤٠ كيلو جرام من القمح للفدان الواحد، بينا ينتج الفدان الواحد ..٤٠ كيلو جرام فقط من الأرز!

والاشعاع انتج قمحا اكثر شوكا واكثف

نعم انتج سلالة، السنبلة الواحدة بها حملت كثيرا من الشوك اكثر مما فى السنبلة المعروفة، وهذا عوق الطير عن ارتياد الحقول فى طلب طعامه. انه وجد الشوك حاميا.

وانتج المعهد كذلك شعيرا قصيرا، هو الصنف الوحيد الذى بلغ مثل هذا القصر فى العالم. ان طوله قدمان.

على باب كفاية من طعام

انه بهذه الطريقة تستطيع الهند ان تكفى نفسها طعاما، باستنباط الجديد، وزيادة غلة القديم، ومنع الضياع الذى يذهب به التلف والحشر. ان التالف من الحب وغيره من الاغذية القابلة للتلف، تقدر في الهند اليوم بنحو ١٠ ملايين من الاطنان.



عقار يرفع الالم
عن ضحيته ٣ اسابيع كاملة

● كانت هذه الضحية حصانا .

وحقنوه حقنة محلية ذهبت بالالم عن رجله ثلاثة اسابيع كاملة .مع العلم بأن الحقن المحلية التي تعطى الآن للانسان قد ترفع عنه الالم لنحو أربع ساعات .

وهذا العقار الجديد مشتق من العقار الشائع الاستعمال في التخدير ، اعنى الليدوكين Lidocaine وقد غيروا تركيب جزيئه بحيث يزيدون في قدرة تعلقه بالمستقبلات العصبية Nerve Receptors وهو اذ يرتبط بالمستقبل العصبى يسد الطريق على فعل العصب .

وقد جربوا هذا العقار على الفئران وبعض الحيوانات المائية . وهم الآن يختبرونه من حيث ما قد يكون به من ضرر على الصحة كالتسميم ونحوه .

ان هذا العقار قد ينفع في الحالات التي يطول فيها الالم حتى لا يكون هناك وسيلة لوقفه غير قطع العصب . وقد يكون من نفعه تهدئة القلب الذى اختلت ضرباته .

[redacted]

● المعروف ان الهيموجلوبين ، وهي المادة الحمراء التي في الكرات الحمراء في الدم ، عملها حمل الاكسجين من الرئة عند التنفس ، الى خلايا الجسم . ثم يعود الدم من هذه الخلايا حاملا ثاني اكسيد الكربون الذى هو أحد انتجة احتراق الأغذية في هذه الخلايا .

والمقصود بالبديل هو المادة التي تقوم مقام الهيموجلوبين في هذه الوظيفة .

والمادة التي وجدوها بديلا من الهيموجلوبين هي مستحلب من الكربون المفلور ، وهو مادة تنشأ من احلال عنصر الفلور مكان الادروجين في الأدروكربونات العضوية مثل الميثان الذى رمزه الكيماوى ك يد٤ .

والذى حدث أن بحاثا في جامعة هرفرد احلوا هذا المستحلب الفلورى محل الكرات الحمراء بدم فأر ، فعاش الفار بعد هذا الاحلال نحو ٦ ساعات .

وهم كذلك احلوا هذا المستحلب محل الكرات الحمراء والكرات البيضاء وبروتين الدم ، فعاشت الفئران ٨ ساعات .

ومعنى هذا ان هذا المستحلب قام في عملية التنفس بما يقوم به الهيموجلوبين .

وكان المعروف عن هذه الكربونات المفلورة قبل ذلك انها تذيب الاكسجين وتذيب ثاني اكسيد الكربون .

بقى السؤال عن استخدام هذه التجربة فيما ينفع المرضي .

ان ذلك لا يزال في علم الغيب .

ومع هذا فقد يحدث أن يصاب مريض بمرض يستدعى ازالة كل خلايا دمه الحمراء ، واذن يستخدم الكربون المفلور بالتدريج لاحلاله محل هذا الدم والخلايا ، فاذا خرجت كلها من الجسم ، عاد الأطباء المعالجون فأحلوا في الدم خلايا حمراء سليمة مكان الكربون المفلور .

●●

هاء السّكت

■ فى سنة ١٩١٩ قامت سيدات فى القاهرة بمظاهرة تأييدا للثورة الوطنية ، فقال الشاعر المرحوم حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها :

خرج الغواني يحتجِجْن ورحتُ أرقب جمعهنَّهْ

واصل الكلمة « **جمعهن** »

والشاعر عبيد الله بن قيس الرُقيّات من شعراء الدولة الاموية يقول :

ذهب الصِّبَى وتركت غَيَّتِيَهْ ورأى الغواني شيبَ لِمَّتِيَهْ

واصل الكلمتين « **غيّتى** » ، « **لِمّتى** »

وقد يسألك انسان عن شىء فتجيبه مستفهما : « **لِمَهْ** »

واصل الكلمة « **لمَ** »

ان الكلمات لحقتها هاء ساكنة . يسمونها هاء السكت تجىء بها عند الوقف على الكلمة .

وفى رواية حفص عن عاصم احد القراء السبعة « **وما أدراك ماهيَهْ** » سورة القارعة الآية ١٠ »

ما اغنى عنى ماليَهْ ، هلك عنى سلطانيَهْ « سورة الحاقة الآيتان ٢٨ ، ٢٩ »

وفى الآيات :

« اني ظننت اني ملاق حسابيَهْ » ٢٠/ الحاقة

« فيقول ياليتنى لم أوت كتابيَهْ ولم ادر ما حسابيَهْ » ٢٥ ، ٢٦/ الحاقة .

ويعقوب احد القراء العشرة يلحق هاء السكت عند الوقف على ضمير الغائب « **هو** » وضمير الغائبة « **هي** » ، كما يلحق هذه الهاء بالنون المشددة من جمع الاناث فى مثل قوله تعالى « **أن يضعن حملهن** » « **من الأرض مثلهن** » ، ويلحقها ايضا بالمشدد المبنى فى مثل قوله تعالى « **ما يبدل القول لدىّ** »

وصاحب القاموس سمى هاء السكت التي تجىء فى الوقف فى القرآن « **هاء الاستراحة** » كما يقول عنه شارحه الزبيدى فى تاج العروس .

والقاعدة التي وضعوها لهاء السكت انها تكون لازمة واجبة عند الوقف على الفعل الذى يصير حرفا واحدا مثل الفعل وَعَى ، فان الامر منه « عِ » لكنك تقول « عِهْ » ، كما تكون لازمة واجبة فى « ما » الاستفهامية اذا كانت مجرورة ووقفت عليها مثل « **لِمَهْ** » و « **فيمَهْ** » و « **عمَّهْ** » « **بِمَهْ** » .

وتكون جائزة اذا وقفتَ على كل فعل حذف آخره للجزم ، مثل لم يرض « **تقول** » **لم يرضَهْ** « كما يجوز الوقف بهاء السكت على كل متحرك بحركة بناء لازمة مثل « **كيفَ** » و « **هنَ** » .

وتأتي الهاء لبيان الحركة فى مثل « **كتابيه** » وفى الندبه مثل « **وا أسفاه** » لكن هاء السكت لا تأتي فى الفعل الماضي ولا فى المبنى بناء غير لازم مثل قبلُ وبعدُ ولا أحدَ فى الدار ويا رجلُ .

■■

عبد الستار فراج

ابنك

ابدأ تعليمه المدرسي من سنته الرابعة ولا تخش شيئاً

بهذا ينصح علماء التربية الأحدثون

● أنت ككل اب .. تتساءل دائما عن السن المناسبة لادخال طفلك الى المدرسة .. وكثيرا ما تدور المناقشات بينك وبين زوجتك حول ارسال ابنك او ابنتك الى المدرسة عندما يصبح عمره او عمرها خمسا او ست سنوات ـ وفي بعض الاحيان تحاول أن تدخل ابنك الى المدرسة وعمره ٤ سنوات لتكسب له عاما أو عامين في حياته ، ولكنك تصاب بخيبة أمل عندما ترفض المدرسة قبول طفلك بحجة صغر سنه ! !

ومن أجلك .. ومن أجل مستقبل ابنك وأبناء الآلاف غيرك من البشر الذين يعتبرون أمل العالم فى المستقبل ـ قام فريق من علماء التربية والنفس باجراء تجارب عديدة على مئات الاطفال من اعمار مختلفة .. واضعين نصب اعينهم الوصول الى اجابة محدده على سؤال يعتبر من أهم الاسئلة التي تثار الآن فى ميدان تعليم الاطفال .. الا وهو : متى يبدأ الطفل فى تقبل المعلومات التى تدرس اليه ؟ .

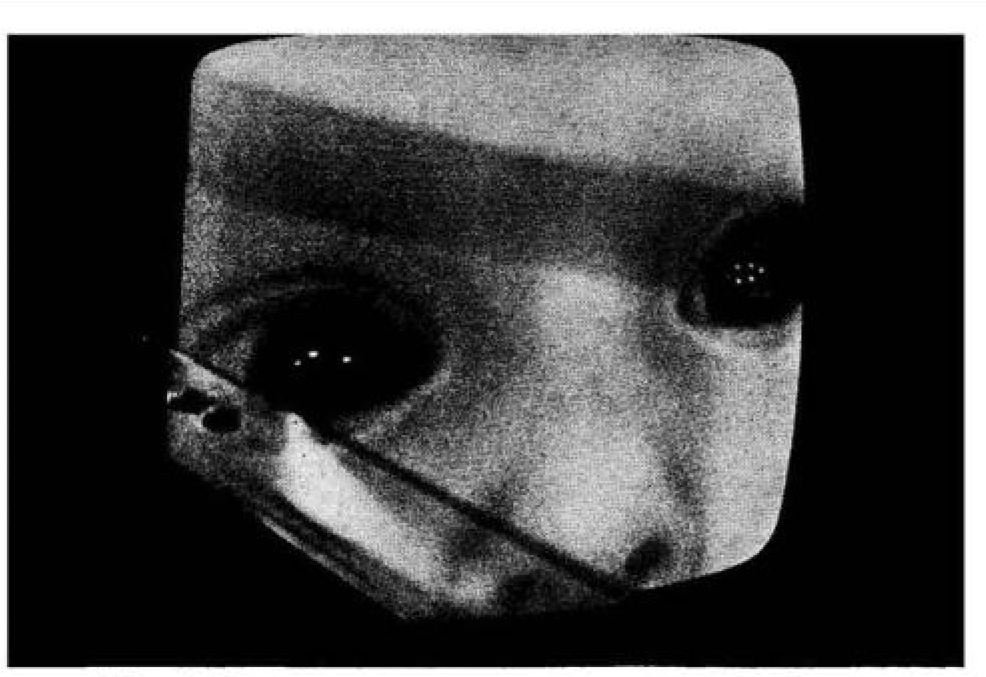
وما هى السن التى يستطيع فيها ان يستخدم حواسه لتحصيل هذه المعلومات وتذكرها ؟ !

طفل عمره ٤ سنوات .. لا يستطيع المشى !

وجاءت نتائج البحث لتثبت خطأ بعض نظريات التعليم القديمة والتي كانت تقول أن الاطفال يرثون ذكاء محددا .. وأن هذا الذكاء ينمو بدرجة محدده يتحكم فيها عمر الطفل .

وقد فوجىء أحد خبراء التربية اثناء قيامه ببحث عن أحد الملاجىء بوجود أطفال ـ فى هذا الملجأ ـ يبلغ عمرهم عامين ولا يستطيعون الجلوس .. واطفال آخرين عمرهم ٤ سنوات ولا يستطيعون المشى .. ! !

وبدراسة اسباب هذا النقص تبين



ان الطفل عبارة عن آلة تقوم بهضم اى شىء جديد يقدم اليها .. هكذا يقول العلماء بعد أبحاث استغرقت أعواما طويلة .. ومن هذه الابحاث تعريض عيون الاطفال الى انعكاسات ضوئية معينة .. وبتكرار تعريضه لهذه الانعكاسات نجد انه يتعلم كيف يقى عينيه منها وعمره لا يزيد عن شهور قليلة.

انه ناتج عن ان أحدا من المسئولين عن هذا الملجأ لم يكلف نفسه عناء تعليم هؤلاء الاطفال كيف يمشون أو كيف يجلسون !

الطفل آلة تهضم كل جديد

وقام الدكتور برتون هوايت Burton White استاذ علم النفس بجامعة هارفارد Harvard بالولايات المتحدة الامريكية بتجارب على الاطفال اثبتت أن تدريب الاطفال على أعمال معينة فى سن مبكرة يمكن أن يسفر عن نتائج باهرة بالنسبة لهؤلاء الاطفال .

اجرى الدكتور « هوايت » احدى تجاربه على طفل لا يزيد عمره عن ٤ اشهر فأحاطه بكثير من اللعب المختلفة الالوان .. ومرآة ، ثم قام الباحث بعد ذلك بمقارنة تقدم هذا الطفل من ناحية النمو العقلى باطفال آخرين لم يحاطوا بمثل هذا الجو ـ فوجد أن الطفل موضع التجربة قد تكونت عنده قوة الملاحظة وعملية تناسق حركة اليد مع العين قبل غيره من الاطفال .. كما انه فاق الاطفال الآخرين فى الاهتمام بما يحيط به ودرجة التنبه ..

ويقول الدكتور « جيروم كاجان » « Jerome Kagan » وهو ايضا يقوم بأبحاث على الاطفال فى جامعة « هارفارد » « أن الطفل عبارة عن آلة تقوم بهضم اى شىء جديد يقدم اليها .. وان تعريض الطفل يوميا لخبرات جديدة يجعله يتقدم باستمرار »

البيئة وتاثيرها على ذكاء الطفل

وقام علماء النفس بتجارب أخرى على

اطفال عمرهم ٤ سنوات .. وجاءت النتائج مذهلة ..

ان الطفل الذى يبلغ عمره ٤ سنوات ونشأ فى وسط عائلة مستقرة ماديا وادبيا ـ ويعيش فى منزل تتوافر فيه الكتب والمجلات ـ يستطيع ان يتعلم اى شيء بسهولة تامة .. ودرجة ذكائه عادة تكون اكبر من درجة ذكاء الطفل الذى ينشأ وسط الاحياء الفقيرة المهدمة ويعيش فى منزل لا يهتم احد فيه بالثقافة .

ويقول خبراء التربية ان الطفل فى الحالة الاولى يستطيع ان يتعلم اشياء كثيرة وعمره ٤ سنوات فى حين ان الطفل فى الحالة الثانية لا يستطيع ذلك وهو في عمر الست سنوات او اكثر .

مسئولية الاب والام

بعد ان اثبت علماء النفس والتربية امكانيات الطفل الصغير في التعلم .

بدات المطالبة بتغيير نظم التعليم في المراحل الأولى من حيث المنهج ومن حيث سن القبول في هذه المدارس بالنسبة للأطفال .

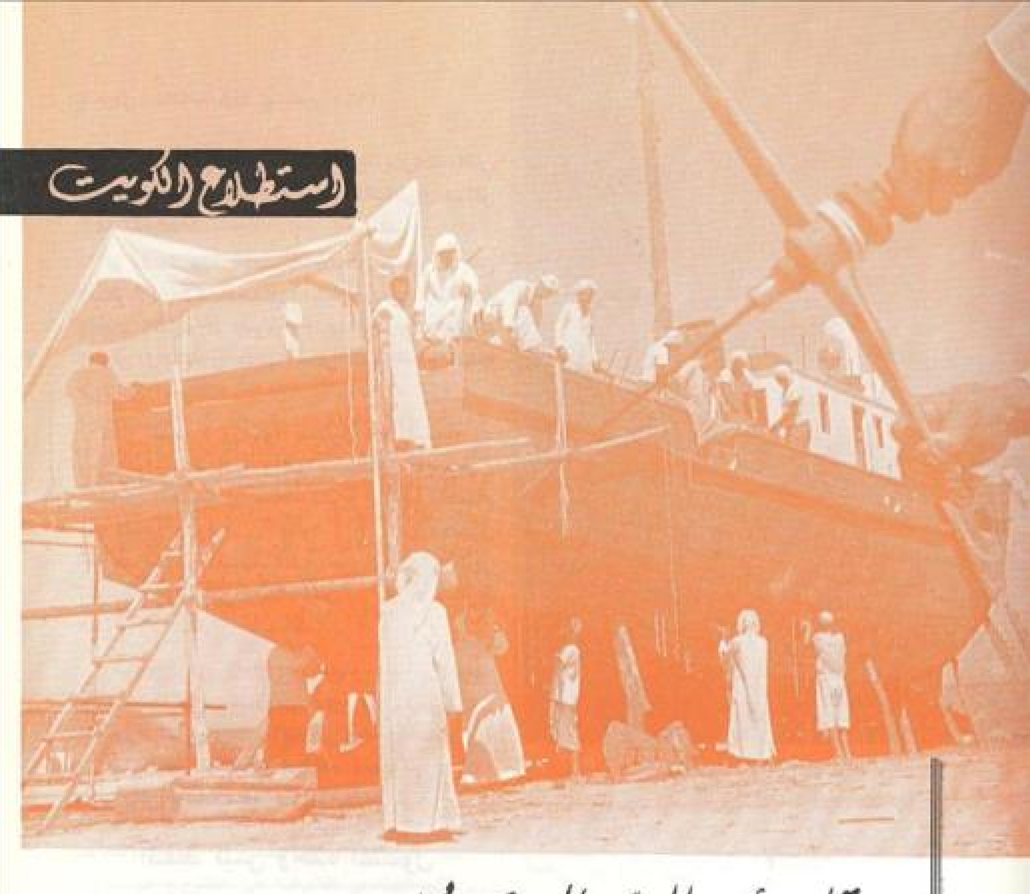
ولما كان هذا التغيير يتطلب الكثير من المال والوقت والمدرسين الكفاة.. أصبح من غير الممكن تحقيقه في وقت قصير .

ونتيجة لذلك أصبحت عملية تعليم الطفل من اهم مسئوليات الأم والأب في المنزل قبل الحاقه بالمدرسة . فعلى الأم والأب ان يقوما بتعريض أطفالهم لخبرة جديدة .. وخلق جو مختلف من اللعب والأشياء الأخرى حولهم .. والقيام بتعليمهم منذ الاسابيع الأولى لمولدهم .

وعلى الآباء والأمهات ان لا ينسوا أثناء قيامهم بتعليم ابنائهم في المنزل وقبل ارسالهم للمدارس شيئا هاما وهو ان لا يبالغوا في هذه المحاولات التعليمية حتى لا تصبح عبئا على الاطفال وتنقلب الى كراهية للتعليم عند ابنائهم وتصبح ضررا بليغا عليهم بدلا من ان تكون ذات فائدة لهم . ■■

محمد طنطاوى

طفل عمره ٤ شهور فقط .. أحاطه الدكتور بيرتون هوايت بجو مليء باللعب والاشياء الاخرى الملونة .. وكانت النتيجة ان هذا الطفل الصغير قد نمت لديه قوة الملاحظة وعملية تناسق حركة اليد مع العين .. فى حين ان الاطفال الذين لم يحاطوا بمثل هذا الجو لم تنمو لديهم هذه القدرات بنفس السرعة التى نمت بها فى هذا الطفل .



قارب الصيد العربي يدخل عصراً جديداً

القوارب التقليدية تتحول إلى سفن حديثة وتعيد الحياة الى أقدم صناعة فى الكويت..

■ كان البحر كل حياتهم ..
من مياهه يصطادون السمك .. وفى اعماقه يغوصون بحثا عن حبات اللؤلؤ .. وعلى صفحته تجرى السفن وتجوب البحار شرقا وغربا حاملة السلع والبضائع من الكويت واليها ..
وعلى الشاطىء الهادىء ، عاش ابناء الكويت يبنون السفن ، عماد حياتهم ووسيلتهم الاساسية لكسب قوت يومهم ، ونقل مياه الشرب الى منازلهم ، وسط الصحراء الجافة الظامئة ..
وازدادت السفن لتؤلف اسطولا تجاريا ضخما يضم اكثر من الف سفينة شراعية .. حتى كان مطالع القرن العشرين عندما بلغ انتاج السفن فى الكويت أكثر من ٣٠ سفينة سنويا . كما بلغ عدد المشتغلين بهذه الصناعة اكثر من ٣٠٠ رجل .
ومرت الاعوام .. وفى سنة ١٩١٢ بلغ عدد مراكب الغوص ٨٠٠ مركب يعمل عليها ٣٠ الف

بحار وغواص كما بلغ عدد السفن الشراعية التي خصصت لنقل السلع والبضائع والمسافرين حوالي ١٥٠ سفينة ..

ثم بدأت هذه الصناعة تنقرض وهجر الناس البحر .. وترك الصيادون شباكهم على الشاطيء لتجف ولكنهم لم يعودوا اليها أبدا .. وبقيت السفن راسية في مكانها تحكي قصة كفاح شعب من أجل الحياة ..

ماذا حدث ؟ وراحوا يبحثون عن السبب .. ومن افواه الصيادين والغواصين الكويتيين ، انسابت الكلمات في بساطة تشرح أسباب الخصام بين البحر ورواده .. قالوا : « كان محصول الواحد منا من السمك الذى نصطاده طوال اشهر السنة لا يزيد على اربعة اطنان .. أى ما يساوى مبلغ ٤٠٠ دينار في المتوسط .. » .

ولم يكن من الممكن أن يتعلق أبناء الكويت بالصيد والغوص في وقت تدفق فيه البترول من الصحراء التي بقيت ساكنة طوال هذه السنين .. فتركوا البحر ليلتحقوا بوظائف ومهن اخرى اكثر دخلا واقل مشقة .

النفط ليس وحده المسئول

ولكن لم يكن ظهور النفط وحده هو المسئول عن انكماش صناعة السفن محليا في الكويت .. بل كان هناك سبب آخر ، لا يقل أهمية عن تغير احوال المعيشة الذى صاحب تدفق الذهب الاسود ، وهذا السبب هو التكنية الحديثة في الصناعات المختلفة ومن بينها صناعة السفن .

فبالرغم مما تتميز به السفن المحلية للصيد من ميزات هي حصيلة الخبرة المتوارثة والتي مكنت الكويتيين القدامى من التجول بهذه السفن ليلفوا بها شواطيء شرق افريقيا والهند ، الا ان هذه المراكب لا تلائم التطورات الحديثة في صناعة الصيد ، ولا تتوفر بها مقومات استخدام الطرق الحديثة لصيد الاسماك ، ولا الاجهزة الميكانيكية التي تعتبر من أحد اعمدة تطوير عمليات الصيد في عصرنا الحاضر .

ونتيجة لهذا اتجهت شركات الصيد الكويتية الى الاسواق الخارجية لتغطية متطلباتها من سفن الصيد واستوردت ١٠٠ سفينة تقدر قيمتها بحوالي ١٠ ملايين دينار ! .



العمل يجرى في تجهيز مطبخ سفينة الصيد الجديدة بموقد للغاز ، وثلاجة كهربائية لحفظ المأكولات .. في حين أن السفن القديمة كانت تفتقر الى وسائل المعيشة المناسبة .

.. وتدخلت الدولة

دفعت الشركات الكويتية هذا المبلغ الضخم في الوقت الذى اصبح فيه صناع السفن في الكويت يعانون من قلة العمل ! ، بعضهم ترك مهنته الاصلية وبحث عن وظيفة أخرى .. والبعض الآخر بقي بلا عمل معتمدا على الاعانة الحكومية .

وهنا تنبهت الدولة الى أن صناعة السفن في الكويت في حاجة لانقاذ سريع .. ورأت كخطوة أولى ان تقوم بتنفيذ مشروع يهدف الى تطوير صناعة قوارب الصيد المحلية ــ ملتزمة في ذلك بأصول الصناعة المحلية مع ادخال التطورات الحديثة عليها حتى يجمع ذلك بين ميزات القديم وهو حصيلة الخبرة المتوارثة ، وبين ميزات الحديث وهو حصيلة العلم والتكنية .

وكبداية لتنفيذ هذا المشروع استطلعت وزارة الاشغال العامة آراء العديد من خبراء منظمة الاغذية والزراعة الدولية عن القوارب المحلية ..



بعض الفنيين الكويتيين يقومون بعمل « الكلفات » لجسم السفينة ، أى حشو ما بين الاخشاب بقطع من القطن المشبع بالزيت ، لمنع تسرب المياه الى داخل السفينة .

وقد اجمعت آراؤهم على أن القوارب الكويتية تتميز بالقدرة العالية على ارتياد البحر وتلائم الظروف المحلية . واشاروا فى تقاريرهم الى ضرورة المحافظة على الخطوط الاساسية للجزء الغاطس من المركب وان يكون التطوير فى السطح وعنابر المركب بما يتلاءم مع الأسس الحديثة ، كتوفير متطلبات حفظ الاسماك والمعيشة على ظهر المركب للبحارة العاملين عليه . وهذان الامران هامان بالنسبة لاطالة رحلات الصيد التي يمكن ان تستمر الى ١٥ يوما .

واستقدمت الوزارة خبيرا من الاتحاد السوفييتي ، فى نطاق اتفاقية التعاون الاقتصادى والفني المعقود بين البلدين . وبعد دراسة وافية قام الخبير السوفيتي بوضع تصميم لمركب نمطى من واقع الخطوط الرئيسية للمركب الكويتي مع ادخال التحسينات الحديثة عليه .

لماذا ترك الصيادون مهنتهم ؟

وقد اتضح للخبير السوفييتى ان المراكب الكويتية القديمة لا تتوافر فيها المرافق لمعيشة العاملين عليها ، وان حجم خزانات الوقود بها لا يكفى لان تطول رحلة الصيد ، ولا توجد ثلاجات لحفظ الاسماك مما لا يسمح بان تتعدى رحلة الصيد ٤٨ ساعة فقط ثم تعود المركب الى البر ، وفي ذلك ضياع للجهد وللوقت . وبسبب هذا كله يتراوح متوسط حجم الصيد للصياد الواحد فى السنة بين ٣ر٥ ــ ٤ر٥ طن وهو ما يحقق دخلا سنويا للصياد يقدر بحوالي ٤٠٠ دينار . ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذى دعا المواطنين الى الانصراف عن الاشتغال بالصيد والبحث عن مهن أخرى . وبالاستعانة بالطرق الحديثة فى الصيد نجد ان متوسط حجم الصيد للصياد الواحد فى السنة يمكن ان يرتفع الى ٧٥ طنا . ويتيح ذلك المجال لزيادة دخله الى حوالي ٣٠٠٠ دينار سنويا . وهذا وحده كفيل بعودة الصيادين الذين تركوا مهنة الصيد الى مهنتهم مرة اخرى . وذلك يؤدى بالتبعية الى زيادة الطلب على سفن الصيد وازدهار هذه الصناعة مرة أخرى .

المركب الجديد

بعد اكتشاف اوجه النقص فى المراكب القديمة .. ذكر المهندس المشرف على المشروع ميزات المركب الجديد وهي تتلخص فى ان مدة رحلات الصيد تصل الى ١٠ أو ١٥ يوما وجميع متطلبات ذلك متوفرة ، فسعة خزان الوقود تسمح بتشغيل الماكينات باستمرار لمدة ١٨٠ ساعة . ويوجد بالمركب جهاز توليد كهرباء يكفي لتركيب آلات التبريد وتشغيل طلمبات الحريق ، وتفريغ الماء المتسرب للقاع الذى يعتبر من أهم متطلبات الامان بالنسبة للمراكب الخشبية . وتوجد ايضا رافعة هيدروليكيه تسمح باستخدام احدث طرق الصيد كاستعمال شباك الجر والشباك الكيسية ، وفى هذا توفير للعمل اليدوى وبذلك يقل عدد العاملين على المركب . وفى المركب أيضا خزان للسمك يسمح بحفظ ١٠ اطنان ويحميها من التلف طوال الخمسة عشر يوما التي تستغرقها رحلة الصيد .

وهناك ايضا جهاز الكتروني لاستكشاف حقول الاسماك فى اتجاه افقي وراسي وهذا يساعد على عدم اضاعة الوقت سدى فى القاء الشباك وسحبها.

وعلى المركب جهاز لاسلكي يسمح بالاتصال



على سطح سفينته ، بعد ان اعتلت صفحة المياه ، وقف مبارك الفتجرى ينظر الى امواج البحر وهي تداعب جوانب السفينة الخشبية .

بالمركز الرئيسي للثروة السمكية لتلقى التوجيهات عن مراكز تجمعات الاسماك وعن حالة البحر والارصاد الجوية .

وبدأ التنفيذ

وفى أوائل هذا العام بدأ تنفيذ بناء المركب الجديد بأيد كويتية مارست هذه الصناعة من قبل وتوارثتها عن آبائها واجدادها .. وعملت تلك الايدى الماهرة على تشكيل أخشاب الساج المتينة .. بحذق وفن أثارا اعجاب الخبير الفني . وسرعان ما اتخذ القارب شكله النهائي .. وبدأت عملية البناء تدخل فى ادوارها الاخيرة تمهيدا لانزال القارب الى المياه وتجربته .

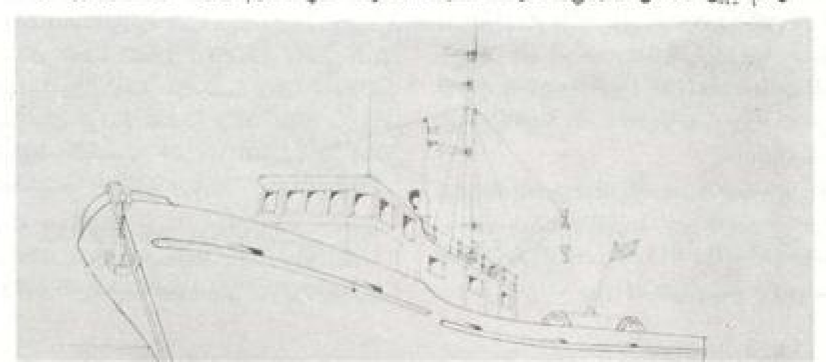
وتكلفة هذا المركب هي في حدود ثمن الوحدات المشابهة التي تستورد من الخارج في حين انه يتفوق على مثيله المستورد ، لأنه مصنوع من خشب الساج بينما المستورد مصنوع من الخشب الابيض . وكذلك يمكن انتاج المركب المحلي فى فترة زمنية لا تزيد عن خمسة اشهر فى حين أن مدة تسليم المركب المستورد تزيد عن السنة . وهذا أمر له اهميته في المشاريع الانتاجية .

وهناك نقطة اخرى وهي أنه فى حالة انتاج وحدات متكررة من هذا النوع من المراكب على نطاق تجارى فان تكاليف انتاج المركب الواحد ستنخفض وبذلك يصبح سعرها أقل من سعر المراكب المستوردة .. في حين أن خاماتها والمواد المستعملة بها أجود من تلك المستعملة في المراكب المستوردة .

عودة الحياة .. الى صناعة قديمة

ويقول كبار المسؤولين بوزارة الاشغال العامة ان هناك فوائد اقتصادية واجتماعية ستترتب على بناء السفن محليا .. وذلك فضلا عن مميزات هذه السفن من الناحيتين الفنية والعملية . كما وأن المشروع يتضمن العمل على تعميم هذه القوارب المحسنة على الصيادين من الافراد فى نطاق مشاريع التمانية وبناء ورشة حديثة لصناعة المراكب لصالح الصناع

رسم يبين الشكل النهائي لسفينة الصيد الحديثة التي تقوم وزارة الاشغال ببنائها .





سفينة « العنجرى » فى طريقها عبر شوارع مدينة الكويت الى مياه الخليج ..

القدامى مع تقديم المساعدات الفنية والاجتماعية لهم.

ويتضمن المشروع ايضا تطوير الاسلوب المحلي فى بناء المراكب على ضوء التجربة الحالية ومثال ذلك استخدام الآلات الميكانيكية لتقطيع الاخشاب وتشكيلها للحد من العمل اليدوى ، واستعمال عدد اقل من الاضلاع .

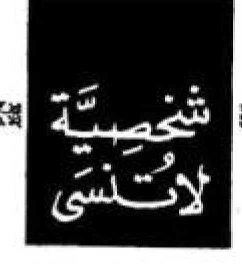
اما المرحلة التاليه من المشروع فهي انتاج المراكب على نطاق واسع لتلبية متطلبات الشركات المحلية والاسواق الخارجية .

ومن الناحية التاريخية فهناك اهمية خاصة لهذا المشروع لأنه يكفل المحافظة على الخبرة المتوارثة فى صناعة بناء المراكب . حيث تم تسجيل طريقة البناء على وثائق ورسوم لأول مرة وهذه الوثائق تعتبر مرجعا لهذه الصناعة .

والافراد ايضا ساهموا فى عودة الحياة الى عمليات بناء السفن

ان عملية بناء السفن فى الكويت قد بدأت تعود الى الحياة مرة أخرى .. فبعد أن اتخذت وزارة الاشغال الخطوة الاولى بدأ بعض الأفراد أيضا فى اتخاذ خطوات أخرى .. وكان أول فرد يقوم بخطوة فى هذا المضمار هو مبارك عبد المحسن العنجرى .. لقد عز عليه ان يرى عمليات بناء السفن فى الكويت وهي تنقرض رويدا رويدا .. فاقدم على مشروع جرىء .. قام ببناء سفينة خشبية طولها ٦٠ قدما، تم بناؤها على نمط جديد مستمد من النمط الكويتي القديم بعد ادخال تحسينات تساير التقدم الحديث في صناعة السفن .. وتم انزال سفينة « العنجرى » الى البحر في شهر يوليو الماضي بعد عمل شاق استغرق ٦ أشهر . كان العاملون فيها يقضون ١٦ ساعة يوميا في عمل دائب مستمر ليحققوا فكرتهم .. وليساهموا في احياء صناعة كادت ان تنقرض وتموت .

وينتظر صناع السفن القدامى الآن الى خليج الكويت .. والى شواطئه مع شروق الشمس كل يوم .. فى انتظار رؤية اسطول من سفن الصيد الجديدة تمخر عباب الخليج معيدا الى الذاكرة تاريخا بحريا مجيدا لشعب كانت حياته مرتبطة تماما بمياه البحر الزرقاء وما تخفيه من ثروات ..



محمد فؤاد عبد الباقي

صاحب فهارس القرآن والحديث

بقلم
الدكتورة نعمات احمد فؤاد

كنا طلبنا مقالا عن أعمال صاحب هذه الترجمة . فكتبت لنا الدكتورة نعمات ، ابنة اخيه هذا المقال . وفيما نحن في تجهيزه ، توفي الى رحمة الله عن عمر زاد على الثمانين .

■ كان في العقد التاسع من عمره ولكنك كنت تستطيع بسهولة ان تحذف من عمره ربع قرن ، فقد كان لا يبدو عليه من سنيه الطويلة العامرة غير ستين .. بل ان نشاطه وطاقته العقلية والجسمية كانت تتفوق به أو يتفوق بها على ابن الخمسين ، اما طموحه العريض فقد كان ينقص بدوره حلقة اخرى من عمره .. فهو في اهتماماته وايجابيته ومطامحه ابن اربعين ولا يزيد ..

رجل عجيب أليس كذلك ؟ .. وعندما نعرف تاريخ حياته يزداد عجبنا ولا يتبدد ... ان بداية حياته لا تسلم – اذا اخذنا بمقاييس المنطق ، منطق العقل والاشياء – الى النهاية ، ولكن لماذا أوحي اليك حكما أو رأيا خاصا قد نرى غيره .. لنبدأ معا من البداية . ان الرجل الذي نتحدث عنه ولد في مارس سنة ١٨٨٢ لأبوين مصريين ، اما الاب فمن بلدة (قمن العروس) من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط ، وأما الام فمن بلدة (برنبال) احدى بلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن البكر لأبويه ، وقد نشا في القاهرة في حي السيدة زينب ، الى ان بلغ الخامسة من عمره ثم سافر مع أسرته الى السودان ، وكان والده وكيلا للادارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الاسرة في وادى حلفا ، ثم حدثت معركة ود النجوم و (ود النجوم اسم قائدها السوداني وقد قتل في المعركة) وبعد هذا غادروا وادى حلفا الى اسوان ، وبقيت الاسرة هناك سنة ونصفا .. ودخل صاحبنا في هذه الاثناء مدرسة اسوان الابتدائية . ثم هبطت الاسرة القاهرة ، حيث تنقلت في سكناها بين أحياء العباسية وبولاق والبغالة من أحياء القاهرة الشعبية . وفي سنة ١٩٢١ توفى الوالد .

تعلمه ووظائفه

وفي القاهرة دخل محمد فؤاد عبد الباقي – الذى

تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى اوربا ـ مدرسة عباس الابتدائية .. وعندما بلغ امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٤ ، رسب القسم الفرنسي بأجمعه بها، فخلفها الى مدرسة الامريكان فى حي الازبكية American Mission حيث ظل هناك سنتين . وفى سنة ١٨٩٩ ترك مدرسة الامريكان . واشتغل مدرسا للغة العربية بمدرسة جمعية المساعى المشكورة فى مركز « تلا » ، ولكنه تركها بعد فترة ليعمل ناظرا لمدرسة باحدى قرى الوجه البحرى وظل شاغلا لهذا المنصب سنتين ونصفا ، ضاق بعدها على عادته الملول .

ولو انه عزف عن التعليم ووظائفه كلية لسهل تفسير الامر ، ولكنه ـ وقد يبدو هذا غريبا ، بل هو كذلك ـ بعد أن كان ناظرا اشتغل مدرسا .. ولمادة الرياضة .. فى مدرسة أخرى . على انه ما لبث أن ضاق بالرياضة أيضا بعد سنة من اشتغاله بها ، واختار العمل مع الأديب صادق عنبر فى المدرسة التحضيرية الكبرى بدرب الجماميز. ومن الطريف ان ناظر هذه المدرسة اشترط لقبولهما فى الوظيفة أن يقوما بانشاء القصائد والخطب ليقدمها باسمه الى الخديوى والسلطان عبد الحميد .

مترجم

ثم أعلن البنك الزراعي عن وظيفة مترجم فتقدم اليها ونجح وعين بالبنك فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة طويلا اذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل .. فقد ظل بها حتى ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٢ بل لعل من المحتمل ان أسبابها كانت تمتد به الى أبعد من هذا فهو لم يتركها الا عندما صفى البنك اعماله وأحيلت الى بنك التسليف[1] ..

دراسات ورجالات

على ان المدة التى قضاها فى البنك الزراعي تعتبر فترة استقرار فى حياته ، هيأت له القراءة الواسعة فى الادب الفرنسي ، وخاصة فيكتور هوجو ولا مارتين كما اقبل على أمهات الكتب فى الادب العربي ، فقرأ كثيرا ، كما حفظ كثيرا . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه ، وهؤلاء هم ـ بعد والده ـ الشيخ مصطفى عبد الرزاق،والدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ رشيد رضا . وهذا الأخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها واعادت تخطيطها لو صح هذا التعبير .

ففي سنة ١٩٢٢ تعرف الى السيد رشيد رضا صاحب المنار ، وكان لقاء لم يقدر له الفراق الا بعد أربعة عشر عاما .. ولم يكن فراقا ، بل قدرا خارجا عن ارادتهما ، فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وان الاستاذ فؤاد عبد الباقى ليذكر فيما يطوف به من ذكريات انه كان يلازم الشيخ

---

(١) عمل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى مجمع اللغة العربية ايضا بضع سنين .

رضا ملازمة المريد لأستاذه الشيخ . يذكر انـه فتح له آفاقا واسعة فى علم الدين والسنة ، ووجهه كثيرا ، حتى غدا الاستاذ الشيخ فى سنيه الاخيرة يثق بعلمه ، ويستعين به في كثير مما يعرض لـه .

مفتاح كنوز السنة

حدث فى سنة ١٩٢٨ أن بلغ السيد / رشيد رضا أن الشيخ احمد محمد شاكر ـ ابن وكيل الازهر وقتئذ ـ عنده الاصل الانجليزى لكتاب مفتاح كنوز السنة .

Handbook of Early Mohamedan Tradition

فارسل الشيخ رضا ، (محمد فؤاد عبدالباقي) مع ابن عمه الى الشيخ احمد محمد شاكر في بيته بالحلمية ، فاستعار له الكتاب لمدة اسبوعين .. ورأى الشيخ رضا أن يكل أمر تقديره الى محمد فؤاد عبد الباقى فلما اطلع عليه وبحثـه قال للشيخ رضا

ـ من الجرم الا يترجم هذا الكتاب الى العربية.

ـ اذن .. لتكن أنت صاحبه .

توسع فى الانجليزية

وهنا قرر محمد فؤاد عبد الباقى أن يتوسع فى الانجليزية ، فالتحق بمدرسة برلتـز Berlitz ولم ينتظر حتى يفرغ من الدراسة ، بل شرع فى الترجمة وهو يدرس . وهنالمسك بمفتاح مـن مفاتيح شخصية الرجل ذى الارادة الحديدية . ان راى أمرا احتشد له ومضى فيه كالسهم يمرق غير مبال بما يكتنف هذا العمل من مشاق .

وقد استغرقت الدراسـة والترجمـة خمس سنوات اى أنه انتهى من ترجمته ومراجعته فى اكتوبر سنة ١٩٣٢ .

المفتاح أوصل الى معاجم

والى هنا لم تنته قصة هذا الكتاب فان لهـا بقية تؤلف وحدها رواية طويلة فى حياة هـذا الرجل ، فقد طلب الى الدكتور ونسنك Wensinck تصريحا بالترجمة باعتباره مؤلف كتاب (مفتاح كنوز السنة) وبلغ من استجابة الدكتور ونسنك له انه لم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل اليه الفصل الاول من المعجم المفهرس للحديث النبوى. واذ اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا ارسله الى دكتور ونسنك فسر لذلك كثيرا وكتب اليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم . ومضى فى هذه الطريق الى ختام حياته .

واذا علمنا ان المعجم يقوم به اكثر من اربعين مستشرقا فى انحاء العالم لم يصحح عملهم مجتمعين الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، عرفنا قيمـة العمل الكبير الذى يؤديه الرجل .. قيمة الجهد الذى يبذله .. ثم بعد هذا او قبل هذا قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل .. وقيمة الكسب القومى . بل انى لا ابالغ اذا قلت ان كتب الاستاذ فؤاد عبد الباقى ، بما وراءها من صبر طويل ، وجهد دؤوب ، وطاقة الدقة والاتقان، واشواق حميمه الى الكمال الممكن ، بالاستقصاء والتنظيم والتجميع والتبويب والفهرسة .. كتبه بهذا كله اضافة علمية فى ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للاسلام .

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث

نعـود الى كتاب (المعجم المفهرس للحديث النبوى) نتعرف اليه ونعرف عنه شيئا اكثر .

المعجم المفهرس للحديث النبوى يقوم على رد الفاظ الاحاديث فى أشهر واصح كتب الحديث وهى تسعة معتمدة :

الصحيحان : البخارى ومسلم .

والسنن الاربعة : ابو داود والترمذى والنسائي وابن ماجـه .

سنن الدارمى .

موطأ مالك .

مسند احمد بن حنبل .

وتتعهد هذا المعجم مؤسسة الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، ومقر الاتحاد في ليدن بهولندا

Union Academique Internationale

ومن أوائل من قاموا بعملية التنسيق والاشراف على الطبع دكتور ونسنك الذى خلفه بعد وفاته ، منسنج Mensing الذى توفى ايضا بعده ببضعة اعوام .

وقد بدأوا نشره فى اوائل الاربعينات (حوالى سنة ١٩٣٣) وصدر منه حتى الآن واحد وأربعون مجلدا .

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة الرجل ، فقد وسعت جهوده العلمية :

ترجمة كتاب « مفتاح كنوز السنة » وهو يطبع الآن فى مصر .

ترجمة كتاب (تفصيل آيات القرآن الحكيم) Le Quran Analysa عن جول لا بوم Gules La Beame

مؤلفات وشروح

اما فى ميدان التاليف فله من الاسفار التى ظهرت حتى الآن :

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم .

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . وهو اصح كتاب فى الحديث نظرا لانه جامع ما اتفق عليه مسلم والبخارى .

معجم غريب القرآن .. وهو عبارة عن شرح الالفاظ الغريبة التي اوردها البخارى في صحيحه .. والبخارى بدوره كان قد اخذ هذه الالفاظ من كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة .

كما قام الاستاذ فؤاد عبد الباقي بشرح وفهرسة كتب :

موطا الامام مالك .

سنن ابن ماجه .

صحيح مسلم .

وقام بتخريج الاحاديث الواردة فى كتاب الادب المفرد للبخارى .

وتخريج الآيات والاحاديث والشواهد الشعرية الواردة فى كتاب :

شواهد التوضيح والتصريح لابن مالك .

وتخريج الاحاديث والشواهد الشعرية فى تفسير القاسمى .

اطراف الصحيحين وجامع المسانيد

وله من الكتب المخطوطة التى لم تنشر والتى يحتجب باحتجابها عنا ، خير" كثير :

كتاب : اطراف الصحيحين وهو من الف صفحة من القطع الكبير :

وفيه اضطلع بتجميع ولم" شتات مواضع احاديث البخارى . فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد فى مواضع عدة حسب المعانى الواردة به ، حين كان مسلم يورد الحديث فى موضع واحد حتى ليصح أن نسمى الكتاب : اطراف البخارى . وهو يطبع الآن فى مصر ،والكتاب الثانى : « جامع مسانيد صحيح البخارى » :

وفيه يورد النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها فى صحيح البخارى .

كما جمع احاديث كل صحابى على حدة مرتبا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد ان قسمهم الى قسمين :

الصحابة الرجال .

والصحابيات

وعدتهم جميعا ١٩٦ صحابيا .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر فى أن هذا الجهد الصابر قد استغرق ما يربو على الف صفحة من الحجم الكبير .

ولهذا الكتاب قصة ترويها محاضر المجمع اللغوى سنة ١٩٤٣ بما تضمنته من مكاتبات دارت حوله بين المستشار الفنى لوزارة المعارف يومئذ ، الدكتور طه حسين وبين المجمع .

كما تضم التقرير الذى وضعته اللجنة المكونة من الاساتذة :

احمد بك ابراهيم .

الشيخ ابراهيم حمروش .

الشيخ محمد الخضر حسين

ومع ما فى التقرير من تقدير واشادة بالجهد السخى الذى بذل فى الكتاب ، فقد انتهى الامر باعتذار المجمع عن النشر لأن الكتاب اد"خَل في باب السنة منه فى باب اللغة !

ولا يزال الكتاب ينتظر من ينشره من الهيئات لان تكاليف نشره ينوء بها جهد الفرد .

جامع الصحيحين

بل ان من كتبه ما تبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره ، واقصد كتابه : جامع الصحيحين .

فقد حدث أن وجه اليه فضيلة شيخ الازهر المرحوم الشيخ مامون الشناوى دعوة الى اجتماع

انعقد فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٠ من المشتغلين بعلم الحديث وكان الاجتماع مؤلفا من :

الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ عبد العزيز المراغي ، ووكيل الازهر الشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ محمد محيى الدين والشيخ الكوثرى (وكيل المشيخة الاسلامية فى الاستانة) والشيخ رضوان والاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

وبحث المجتمعون موضوع جمع كتب السنة الستة فى كتاب واحد وعلى أى غرار يكون الترتيب واتفقوا على أن يكون ترتيب الكتاب على حسب ترتيب صحيح مسلم .

وفى ١٥ ابريل وكل الى الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي العمل على جمع احاديث صحيحي البخارى ومسلم وانتهى العمل فى سنة ١٩٥٢ .

ثم تألفت لجنة من ثلاثة علماء لمراجعة الكتاب منهم الشيخ عبد الفتاح العناني شيخ المالكية .

ونسأل أين هذا الكتاب الآن مع شدة حاجة الدراسات الدينية اليه ؟ فاقول : انه يقبع الآن فى خزانة حديدية بالجامع الأزهر .

ننتقل الآن من الكتاب الى صاحبه لنلتقي بقصص أخرى .

منابعه الثقافية

وكان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يعتبر محدث مصر بعد وفاة الشيخ احمد محمد شاكر .

واصفى منابعه الثقافية ، عيون الادب العربي وفوق هذا بالطبع الكتاب الاول القرآن ، ثم كتب التفسير والحديث والفقه حتى ليعد (القرآن والبخارى ومسلم) خير ما قرأ على الاطلاق .

كما ورد الأدب الفرنسي ونهل منه كثيرا كما اشرنا من قبل ، فهو يجيد اللغة الفرنسية والانجليزية أيضا ، وان كانت صلته بالاخيرة اعتراها الضعف بعد ان فرغ من مهمة ترجمة كتاب (مفتاح كنوز السنة) من الانجليزية الى العربية . وقد مرت بنا قصة هذا الكتاب مفصلة.

تفصيل آيات القرآن الكريم

على أن هناك كتابا آخر من كتب الرجل له قصة ، فقد حدث عندما كان الشيخ محمد عبده يفسر آية من القرآن انه كان يأتي بالآيات المتشابهة، وسأله الشيخ رضا : أنّي له هذا ؟ فاجاب الشيخ محمد عبده بانه يستعين بكتاب عنده فى اللغة الفرنسية . وبعد موت الشيخ محمد عبده بحث الشيخ رضا عن الكتاب فى تركته فلم يعثر عليه .. وافضى بما فى نفسه الى الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي فقال له : ـ

ـ هذا الكتاب عندي بالفرنسية .

ـ انقله لي :

ـ حبا وكرامة .

وهنا قام الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بترجمة كتاب (تفصيل آيات القرآن الحكيم) الى العربية وقدمه الى الشيخ رضا وكان ذلك سنة ١٩٢٤ .

وفى سنة ١٩٣٤ جاء قريب للشيخ رضا وقال له :

ـ لماذا لا تطبع الكتاب ؟

ـ اى كتاب يا صاحبي ؟

ـ كتاب (تفصيل آيات القرآن الحكيم) الموجود عند الشيخ رضا .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ انا اطبعه لك وآتيك بالمال ثمنا له .

ـ ومال أيضا ؟؟

ـ نعم ..

ـ اذن لك نصفه .

وذهب الرجل وعاد اليه بالعقد ينص على أربعين جنيها ثمنا للكتاب .

وبر محمد فؤاد عبد الباقي بكلمته ونقده عشرين جنيها .

ومن الطريف أنه اهدى كتاب (تفصيل آيات القرآن الكريم) الى الأديب المصرى الساخر الاستاذ المازني ، فابتسم ابتسامته الشقية وقال له .. ما شأني به يا صاحبي ؟ قل لي فى اى موضوع هو .. ماذا تريدني أن أكتب عنه ؟

فقال له ، انه يتحدث فى كذا وكذا ..

ـ التقينا .

ثم كتب عنه المازني فى البلاغ مقالة ضافية ..

منهل مورود

ومحمد فؤاد عبد الباقي كان فى مصر مرجع كل من يلم فى كتابته بامر من امور القرآن او الحديث لا يستثني من هذا كبار الكتاب او العمالقة .

لم يضن قط على سائل علم . وقد يحبس نفسه

ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند الى الأصول الوثيقة ، والمراجع العمدة في الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصلح السؤال او على الأدق الاجابة عليه موضوعا متكاملا فيه غناء . والرجل يصنع هذا الصنيع مع كل سائل ولو لم يكن يعرفه من قبل .. انه لا يفعل هذا من اجل شخصه انما يفعله ايمانا بحق العلم عليه ، فهو يعيش في ميدانه بالرأى والهداية والمشاركة في صمت واخلاص لا يحفل بالذكر أو الاعلان .

حياة صائم الدهر

وحياة الرجل الخاصة تدخل في باب الغرائب ، فنحن في مصر كنا نسميه (صائم الدهر) فقد كان يصوم العام كله لا يفطر فيه الا يومين اثنين هما : اول ايام عيد الفطر .. واول أيام عيد الاضحى .

وطعامه نباتي ، فهو اول كل شهر يشترى ٣٠ علبة محفوظة من الخضروات دفعة واحدة فالفاصوليا ليوم كذا والبازلاء ليوم كذا .. الخ .

وكان يصوم بغير سحور اى انه يتناول وجبة واحدة كل ٢٤ ساعة . ويبدا فطوره بملعقتين من العسل الابيض ثم « علبة اليوم » ثم الزبادى والفاكهة وفنجان القهوة ، ويكون هذا بالطبع بعد اذان المغرب .

وفي تمام الساعة العاشرة بالضبط يشرب كوبا من الماء . وبهذا تنتهي صلته بالطعام والشراب حتى مغرب اليوم التالي ..

وبهذا تتحقق رغبته في الا يكلف انسانا من اهل بيته مشقة ما في طعامه او شرابه .

وحجرته الخاصة التي تضم مكتبته الكبيرة بها عدة مناضد على اثنتين منها غطاءات من البلاستيك ومجموعة من الاكواب والصواني ، بل ان كل شيء في هذه الحجرة التي تكون عالمه الخاص ، مجموعات : الكتب .. المناضد .. الصور .. الادوية .. الاقلام .. الساعات ..

وعلى ذكر الساعات ، نذكر انه لا يؤقت الا وفقا للساعة (العربي) فاذا قلت له : الساعة الخامسة مثلا قام على الفور بعملية حسابية يعرف بعدها الرقم الذى يقابل خمسة في الساعة العربي .

وكان محافظا في كل شيء فزيه يتكون من البدلة الكاملة صيفا وشتاء .. لايستطيع حر الصيف ان ينحى الكرافت او الدبوس كما لا تستطيع مواضعات العصر ان تمس المنديل الابيض في جيبه، او الطربوش القاني على راسه ، او العصا الأنيقة في يده .

ومن لازماته التي يحافظ عليها زيارة اخته صباح الجمعة من كل اسبوع حيث يقضي يومه ويعود الى داره في تمام العاشرة مساء .

وكان زاهدا في الاجتماعات والتعارف ، يفسر هذا وكانه يعتذر . ان التعرف الى الناس تقوم تبعاً له على الاثر حقوق لهم والتزامات واجبة الرعاية والوفاء . وليس عندى وقت لهذا ولا انا اطيق التقصير فيها لو لزمتني .

ذرية

وللرجل اولاد واحفاد كلهم يشغل منصبا مرموقا في الدولة ولكن الجدير بالذكر انه تعهد طفولتهم وصباهم . وقد شهدت مناضده سيرته معهم حين كانوا يتحلقون حوله على احداها يقرأ لهم أو يسمع منهم . فاذا تغيب احدهم لطارىء المرض سهر على سريره حتى يشفى .

ولعل تحرره وهو المشتغل بالدين وقضاياه ، يرجع الى نشأته الدينية ، مع أن الأزهر في وقته كان — يحتكر — أو يكاد — المحدثين والمفسرين .

لقد درس اصول الدين حبا في العلم وقد افادته تجاربه وعمقت في نفسه معنى الحرية والتحرر . فابنتاه تعملان ، بل ان عملهما عليه طابع العصر الذي نعيشه فاحداهما مفتشه عامة للرياضة البدنية بوزارة التربية والأخرى مديرة كلية النصر بالمعادى (فيكتوريا سابقا) .

وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التي آضت الى التبتل من اجل الدين في صورة مشرقة مشرفة هي أجدى عليه واقرب الى الله ..

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد ، .. شخصية لن تنسى » ■■

القاهرة : **نعمات احمد فؤاد**



بقلم : الدكتورة نوال أحمد مختار

■ لا يكاد يمر يوم في حياتنا العامة دون ان نسمع كلمة « روماتزم » فما ان يشعر احدنا بالم في ظهره او كتفه او اصبعه حتى يقال انه روماتزم .

ويتسع المدلول اللفظى لكلمة روماتزم ليشمل جميع الأعراض التى تشير الى آلام مفصلية ، او عضلية ، في مختلف الاعمار ايا كان سببها او مصدرها .

والحقيقة ان هناك لبس كبير في معنى كلمة روماتزم . فالروماتزم كلمة دارجة تشمل الحمى الروماتزمية Rheumatic Fever والآلام الروماتزمية Rheumatoid Pains والآلام الناتجة عن الالتهاب المفصلى الشبيه بالروماتزم Rheumatoid Arthritis والالتهاب المفصل العظمي Osteoarthritis الذى يصيب غالبا كبار السن، وغير ذلك من مظاهر الامراض التى تصيب المفاصل وما جاورها .

ولقد عرف الروماتزم وعرفت مشابهاته من قديم الزمن ، غير ان التفرقة بين نوع وآخر لم تكن لوقت قريب واضحة أو محدودة بأى حال . وهناك طرق مختلفة للعلاج وضعها المجتهدون من قدامى الاطباء والدجالين على السواء، وهى تملأ صفحات من الكتب الصفراء . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الكي والحجامة (كاسات الهواء) ولدغ النمل والدفن في الرمل وعلاج الطين واستعمال

الحمّى الرُّوماتِزميَّة

تشمل: روماتزم المفاصل وروماتزم القلب والروماتزم الرعّاش

الأساور المعدنية ، بخلاف العديد من المراهم والمساحيق الموضعية .

وتطور الطب وتقدمت العلوم وساعدت الفحوص المخبرية الحديثة على دقة التشخيص التفريقي Differential Diagnosis فتحددت معالم امراض عديدة تسبب آلاما روماتزمية، واصبحت الحمى الروماتزمية من بينها وحدة مرضية بذاتها .

وسنقصر حديثنا في هذه العجالة على اسبابها ومظاهرها وعلاجها .

الحمى الروماتزمية من أهم أمراض الطفولة المزمنة

تعتبر الحمى الروماتزمية من اهم أمراض الطفولة المزمنة ، وترجع اهمية المرض وخطورته الى الآثار المستديمة التي قد يتركها المرض في المريض وخاصة في قلبه . وتصيب الحمى الروماتزمية الأطفال والبالغين على السواء ولكنها تبدأ غالبا في سنوات الطفولة . وتكثر الاصابة بالمرض في المناطق الباردة العالية الرطوبة المزدحمة بالسكان ، خاصة عندما تكون الظروف الاجتماعية والصحية سيئة .

وقد ظهرت عدة نظريات لتفسر اسباب هذا المرض وثبت في النهاية أن الحمى الروماتزمية تحدث نتيجة لحساسية الجسم لنوع معين من المكروب السبحى Haemolytic Streptococci المسبب لالتهاب الحلق .

يبدأ المرض عادة بالتهاب في اللوزتين بالمكروب السبحى ثم يشفى الطفل من



هذا الالتهاب لتظهر عليه أعراض الحمى الروماتزمية بعد اسبوعين أو ثلاثة . ولا يحدث ذلك الا في حالة وجود استعداد شخصي في المريض ، اذ أن ٣ر٪ فقط من حالات التهاب الحلق تنتهي بالاصابة بالحمى الروماتزمية. ويكون هذا المريض عادة عرضة لنكسة روماتزمية جديدة مع كل التهاب في الحلق . ومن الملاحظ ان هناك عائلات عندها استعداد كبير للاصابة بالحمى الروماتزمية .

ولقد كانت نسبة الاصابة بالمرض مرتفعة في الماضي ، ولكن مع اكتشاف مبيدات البكتيريا والمضادات الحيوية مثل مركبات السلفا وانبنسلين هبطت نسبة الاصابة بالمرض هبوطا ملحوظا ، كما قلت مضاعفاته نتيجة للعلاج الفعال لالتهاب الحلق واللوزتين .

والحمى الروماتزمية مرض عام يصيب انسجة الجسم المختلفة ، وهو غير قاصر على التهاب المفاصل كما قد يتبادر الى الذهن . ويشكو المريض من ارتفاع في الحرارة مع فقدان للشهية وضعف عام. وتكون هذه الأعراض عادة مصحوبة بأحد مظاهر المرض التى قد تنبه الطبيب الى التشخيص الصحيح ، ومن اهم هذه الظواهر روماتزم المفاصل ، وروماتزم القلب ، والروماتزم الرعاش . ونعالج كلا منها على حدة .

روماتزم المفاصل Rheumatic Arthritis

يصيب عادة المفاصل الكبيرة مثل مفصل الركبة او الكوع او الكتف ، ومن اهم اعراضه ارتفاع في الحرارة وآلام شديدة وتورم في المفصل وعدم القدرة على الحركة . وتنتقل هذه الاعراض من مفصل لآخر ، ولذا يقال عنها آلام المفاصل المتنقلة. وجدير بالذكر أن نشير الى نوع من الآلام قد يصيب الاطفال في دور النمو ويسمى آلام النمو Growing Pains وتحدث هذه الآلام أثناء الليل فيشعر الطفل بآلام عامة في الساقين والركبتين والعضلات . وهذه الآلام في حد ذاتها ليس لها اية خطورة ولكن تكمن اهميتها في التفرقة بينها وبين الحمى الروماتزمية ، وشتان الفرق بينهما بالنسبة للمريض وللاهل .

روماتزم القلب Rheumatic Heart

يعتبر روماتزم القلب من اخطر ظواهر الحمى الروماتزمية وذلك لأنه غالبا يترك القلب في حالة عجز عن تأدية وظيفته على الوجه الأكمل . ويصيب الروماتزم عادة قلوب الاطفال صغار السن ومع كل نكسة روماتزمية جديدة تشتد اصابة القلب . ومن الغريب أننا كثيرا ما نكتشف مصادفة آثار روماتزم سابق في قلوب بعض تلاميذ المدارس أثناء الكشف الدورى عليهم دون وجود اية اعراض مرضية أخرى .

وقبل ان نتكلم عن روماتزم القلب يجدر بنا ان نذكر نبذة مبسطة عن تركيب القلب ووظائفه . فالقلب عبارة عن عضلة مجوفة تنقبض فتدفع ما بها من دم الى اعضاء الجسم المختلفة . ويكسو القلب من الداخل بطانة رقيقة Endocardium ويغلفه من الخارج غشاء آخر يحميه يسمى التامور Pericardium وينقسم القلب طوليا الى جانبين ، جانب أيمن يحمل دما وريديا داكن اللون ، وجانب أيسر يحمل دما شريانيا فاتح اللون ، كما ينقسم كل جانب عرضيا الى قسم علوى « أذين » ، وقسم سفلى « بطين » . ويتصل كل اذين ببطينه بواسطة صمام محكم يسمح بمرور الدم من الاذين الى

البطين ويمنـــع رجوعه من البطين الى الاذين ـ اى ان سريان الدم يكون دائما من الاذين الى البطـين في القلب السليم . كذلك يوجد صمام آخر عند مبدأ الشريان الرئوى والشريان الاورطـــى لهما نفس الوظيفة (انظر صورة القلب مفصلة في عدد يوليو ١٩٦٧ من العربى) .

ويصيب الروماتزم عضلة القلب وغشاء التامور والبطانة الداخلية بشكل عام الا انها تتركز بشكل خـــاص في صمامات القلب . ومن اهم اعراض روماتزم القلب ارتفاع درجة الحـــرارة وسرعة النبض وضيق التنفس وآلام في الصدر يصحبها تضخم في القلب وظهور لغط Murmur في دقاته يكتشفهما الطبيب بالجس والنقر والتسمع .

وتختفى هذه الاعراض المرضية عادة بالعلاج تاركة بصماتها على صمامات القلب التى تتليف ، حكمها في ذلـــك حكم اى نسيج يلتئم بعد التهابه ، كندبة الجرح في الجلد الرقيق . ويؤدى ذلك التليف الى ضيق فتحة الصمام Stenosis فيعوق ذلك مرور الدم من الأذين الى البطين أو اتساعها Incomptence فيسمح الصمام حينئذ برجوع الدم من البطين الى الاذين . وفي اغلب الاحيان يجتمع الامران معا بسبب عدم مرونة انسجة الصمام ، ويؤدى كل ذلك الى ارهاق عضلات القلب وهبوطه اى فشله في تأدية وظيفته كمضخة محكمة .

وصمام مترال Mitral Valve بين الأذيـن الايسر والبطـين الأيسر أكثر صمامات القلب عرضة للاصابة بالروماتزم، يليه الصمام الأورطى Aortic Valve واود هنا ان اذكر ان وجود « لغط في القلب لا يعنى دائما الاصابة بروماتزم القلب ، فهناك أسـباب عـديدة لظهور اللغط ، كما ان هناك نوع منه يمكن أن نسميه تجاوزا باللغط الحميد ـ لأنه لا يدل على مرض خطير ، وغالبا ينتج عـن فقر الدم ويختفى عادة بمرور الزمن او بعلاج فقر الدم .

الروماتزم الرعاش Chorea

تكثر الاصابة به في الاناث وتظهـــر أعراضه عادة فى سن متاخرة عن روماتزم القلب ، ومن اهم اعراضه عدم الاستقرار العاطفى كالبكاء والضحك دون مبرر ، والضعف العام في عضـلات الجسم ، والقيام بحركات لا ارادية أو عدم التحكم في الحركة الارادية ، فيصعب على المريض الكلام او الكتابة وتسقط الاشياء مـن يديه ، وتختفى هذه الأعراض نهائيـــا بالراحة التامة والعلاج ولا تترك اية آثار على الجهاز العصبى كما هو الحـال في روماتزم القلب .

وهناك اعراض وعلامات اخرى كثيرة قد تشير الى الاصابة بالحمى الروماتزمية الا ان وجودها بمفردها ليس دليلا قاطعا على الاصابة بالمرض مثل نزيف الأنف ، الطفح الجلدى وظهور عقد مؤلمة تحت الجلد او ارتفاع بسـيط في حرارة الجسم لفترات طويلة .

الوقـــاية

لقد دلت الاحصائيات الاخيرة علـى هبوط كبير في نسبة الاصابة بالحمـى الروماتزمية ابتداء من الاربعينيـات . ويعزو الاطباء هذا الهبوط الى قلة انتشار التهابات الحلـق واللوزتين كنتيجة لاستعمال مركبات السلفا والبنسلين اذ انه من الثابت قطعا ان التهاب الحلق

قد يؤدى الى الاصابةبالحمىالروماتزمية او الى حدوث نكسة روماتزمية في الاشخاص اللذين سبق لهم الاصابة بها. ومن هنا تظهر اهمية الوقاية من التهاب الحلق وعلاجه علاجا تاما ولمدة كافية حتى تختفى جرثومة المرض نهائيا من الحلق وبذلك نقلل من احتمال حدوث الحمى الروماتزمية. ومن الاخطاءالشائعة ان يبدأ المريض المصاب بالتهاب فيحلقه في تعاطى مركبات البنسلين مثلا وبمجرد أن يشعر بتحسن في حالته الصحية يتوقف عن العلاج ، وهنا الخطر لأن المريض يشفى ظاهريا غير أن جرثومة المرض تبقى في حلقه معرضة اياه للاصابة بالحمى الروماتزمية ان كان ممن عندهم استعداد لهذا المرض . اما بالنسبة للاشخاص الذين سبق لهم الاصابةبحمى الروماتزمية ، فيجب تحصينهم ضد التهاب الحلق واللوزتين لوقايتهم من احتمال حدوث نكسة روماتزمية أخرى، وذلك باعطائهم مركبات البنسلين يوميا عن طريق الفم ، أو مرة كل اسبوعين عن طريق الحقن ، ويستعمل في هذه الحالة نوع خاص من البنسلين مفعوله طويل الأجل يختلف عن البنسلين العادى . ويستمر هذا النظام الوقائى لمدة سنوات عديدة حتى يتجاوز الطفل مرحلة البلوغ وما بعدها .

العلاج

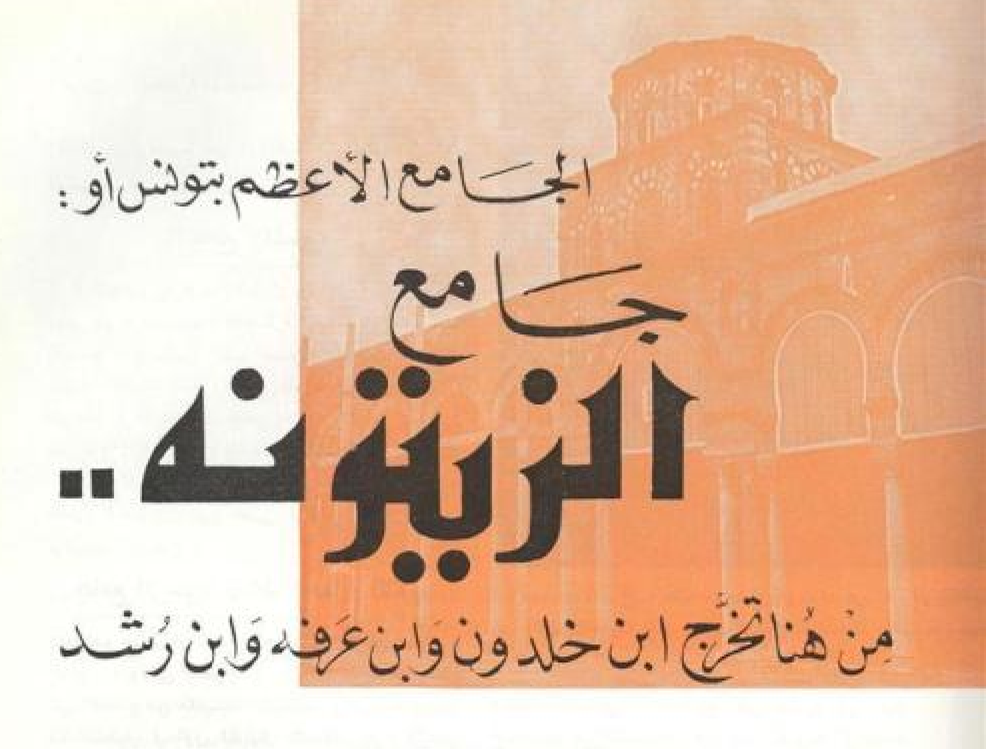
يختلف علاج الحمى الروماتزمية باختلاف دور المرض وحدته . والغرض الأساسى من العلاج هو تلافي اصابةالقلب وضعف قدرته . واهم ركن في العلاج هو الراحة التامة في السرير حتى تهبط الحمى وتزول الاعراض وتعود الفحوص المخبرية الى منسوبها الطبيعي . ولا مانع من دهن المفاصل بدهان مسكن للالم مثل الكافور او غيره . أما الدواء الفعال فهو الاسبرين او مشتقات الكورتزون Cortisone كما يتراءى للطبيب ويقال ان للاخيرة مفعول أكيد في الاقلال من نسبة حدوث تلف في القلب .

وبانتهاء الفترة الحادة للمرض ـ التى غالبا تستغرقمن شهرين الىثلاثة شهور يسمح للمريض بالعودة تدريجيا الى نشاطه حسب امكانيات قلبه . ويراعى تجنب التهاب الحلق واللوزتين بالمواظبة على تعاطى العقاقير المناسبة كما سبق أن اشرنا . ومن النقط الهامة مراعاة حالة المريض النفسية . ويستحسن تغيير الهواء والانتقال الى مكان جاف دافيء . وفي معظم البلدان المتقدمة توجد مدارس خاصة ودور نقاهة في اماكن جبلية جافة للناقهين من هذا الداء الوبيل .

ومع التقدم في جراحة القلب ظهرت بوادر أمل جديدة لمرض روماتزم القلب فقد أمكن التدخل جراحيا لاصلاح صمامات القلب التالفة بجراحة لشق وتوسيع صمام مترال Mitral Vulvotomy في حالة ضعفه او استبدال الصمام التالف بصمام آخر صناعى من الداكرون او ما شابهذلك يقوم بنفسوظيفةالصمام السليم تماما . واخيرا بدأ التنافس في الاوساط الطبية على اتقان عمليات زرع القلب ـ اى نقل قلب سليم من شخص حديث الوفاة الى شخص مهدد بالوفاة بسبب فشل قلبه ـ وهكذا ومن يدرى ماذا يخبىء المستقبل وتطور العلم من آفاق لصالح المرضى . . !! ■■

دكتورة نوال احمد مختار

استاذة طب الاطفال المساعدة بجامعة القاهرة
اخصائية الاطفال ـ مستشفى الصباح



الجامع الأعظم بتونس أو: جامع الزيتونه..

من هنا تخرج ابن خلدون وابن عرفه وابن رشد

بقلم : عثمان الكعاك

مستشار وزير الثقافة التونسي وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

■ طارت بعثة « العربي » الى تونس.. حيث قامت بعدة استطلاعات هناك وفي قلب مدينة تونس العاصمة قامت بعثة العربي بزيارة جامع الزيتونة او الجامع الاعظم .. وسجلت عدسة العربي صورا عديدة للجامع الكبير .. وفي نفس الوقت قرر « العربي » ان يترك الكتابة عن الجامع نفسه .. وكل ما يتعلق به لاستاذ تونسي مشهود له بالعلم هو الاستاذ عثمان الكعاك مستشار وزير الثقافة التونسي ، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .. ورات انه خير من يكتب عن هذا الجامع الكبير .

موقع الجامع من حيث المكان

يقع جامع الزيتونة في الوسط الهندسي من مدينة تونس العاصمة ، ويتقاطع فيه شارعان رئيسيان ، احدهما ينطلق شرقا وغربا ، والآخر شمالا وقبلة فيقسمان المدينة الى حاراتها الاربع.

وهو بهذا الموقع يحاكي مواقع جوامع العواصم الاسلامية في المغرب والمشرق (قرطبة ، فاس ، بجاية ، الجزائر ، عنابة ، طرابلس ، بنغازي ، القاهرة ، دمشق ، بغداد ، مكة ، المدينة ، الكويت ، اسطمبول) وكذلك كنائس العواصم : باريس ، روما ، مدريد ، لندن ، والمعابد القديمة عند اليونان والرومان والفينيقيين والاشوريين والمصريين والفرس والهنود .

الجامع من حيث الزمان

جامع الزيتونة هو رابع جوامع القارة الافريقية في الزمان ، فجامع الفسطاس انشىء سنة ١٣ هـ. وجامع الناقة بطرابلس (جامع عمرو بن العاص) سنة ٢٣ هـ . وجامع عقبة بالقيروان سنة ٥١ هـ. وجامع الزيتونة سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م .) الر فتوحات عبد الله بن الحبحاب وعبد الرحمن



جميع الاسواق المحيطة بجامع الزيتونة هي أسواق وظا
الطيبين حيث يشترى الناس الطيب تمسكا بالسنة،وم

الغافقي بفرنسا بين بردالة (بوردو) وبلاط الشهداء على نهر لوار (بواتيية Poitiers)

الجامع والمسجد

« الجامع » صفة شمول واستيعاب لموصوف مقدر هو « المسجد » فالعبارة الكاملة هي «المسجد الجامع » ويسمى ايضا مسجد الخطبة ـ اى خطبة الجمعة التي تجمع عامة مسلمي البلد الواحد فى « مسجد جامع » واحد ، اذ يستكره تعديد « الجمع » فى المدينة الواحدة بقد الامكان.

ولكن كلمة الجامع تطلق على الجامع لغير هذا المعنى ايضا . فهي معنى الشمول والاستيعاب لوظيفية الاسلام .

جامع الزيتونة رباط لحماية الثغور

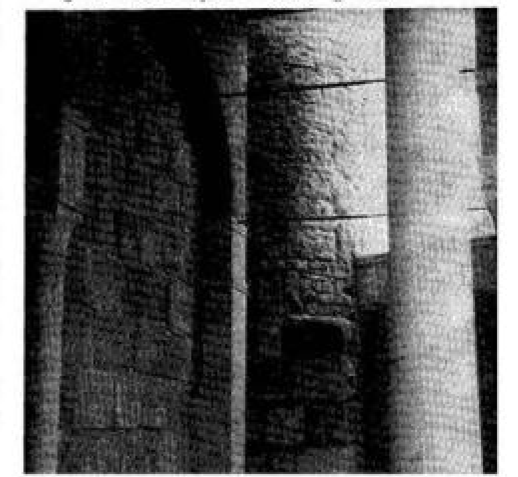
فالجامع رباط او ثكنة (حصن) للمتطوعين لحراسة الثغور ، ونحن بالمغرب فى « دار حرب » نحتاج الى الدفاع عن مكاسبنا الاسلامية والعربية وليس لنا اسطول فى أول المغازى الاسلامية ، فاسس المغاربة ألف رباط على الساحل من طنجة الى الاسكندرية لحماية الثغور وحراستها ووقايتها من « الكومندوس » والقرصنة . فجامع الزيتونة رباط وجامع ، بل رباط فيه جامع ، لان خطب الجهاد الدفاعي كانت تقع على منبره من عهد عبد الله بن الحبحاب الى عهد المقاومة الوطنية، ومظاهرات الجهاد والمقاومة كانت تخرج منه الى اخر يوم من أيام المقاومة والانقلاب الوطني وحتى بعد الاستقلال طالما خطب فخامة الرئيس من على منبره خطبا رنانة « فى الجهاد الاكبر » الذى هو جهاد النفس والمحافظة على مكاسب الانقلاب التونسي ، لذلك فان جامع الزيتونة رباط لحماية الثغور معماريا وتاسيسيا وسوقيا :

ـ ١ ـ معماريا : فهو يتركب من اربع قلاع ، فى كل ركن قلعة مبنية بصناديق الحجر الكبرى، وفيها صومعة مستديرة للاستكشاف والاستطلاع ومراقبة حركة العدو في البحر .

ـ ٢ ـ تاسيسيا : لا تنس أن تونس على قاب قوسين من صقلية ومن قوصرة Pantellaria ومن مالطة التي بها فرسان رودس ، وبالاضافة فرسان مالطة Malta Knights ، وأن جامع الزيتونة لا يبعد الا ٢٥٠ مترا عن « باب البحر » الذى كانت تدخل منه السفن الى العاصمة . وقد وصف لنا ياقوت هذا الوضع فى معجمه البلداني فاغنانا عن الزيادة ، وهو عين الوضع الموجود الان .

ـ ٣ ـ سوقيا : ان الاسواق التي حول جامع الزيتونة هي وظيفية بالاضافة الى الجامع ، فلما كان جامع الزيتونة رباطا وعلى مقربة منه باب

الى اسفل : جامع الزيتونة كان قلعة ومسجدا .. وكانت قلاعه الاربع المستديرة تستعمل لاستكشاف العدو .. وهذه آثار القلعة القديمة الباقية في الركن الشمالي الشرقي للجامع .







للجامع .. فسوق الشماعين يبيع الشموع للمصلين لاضاءة الطريق أمامهم اثناء صلوات الليل .. وسوق القنايرية اى صناع القنارات التى توضع فيها الشموع حتى لا تطفئها الرياح .

البحر الذى منه قد يدخل العدو فقد كانت الاسواق التي بينهما تصنع السلاح اللازم .

(أ) سوق السرائرية وبه الخراطون (بقي منهم واحد) الذين يخرطون القسم الخشبي من البنادق (ب) سوق الزنايدية الذين يصنعون الزناد والصوانة والانبوب من الحديد وهي القسم المعدني من البنادق .

جامع الزيتونة جامعة علمية اسلامية

جامعة علمية اسلامية ، فلا يجب ان ننسى ان التونسيين كانوا على مذهب الاوزاعي اولا . وقد جاء به الجند الشامي الى تونس ، ومنها انتشر بالمغرب والاندلس . ثم صارت على المذهب المالكي بعد وفاة الاوزاعي (١٥٧ هـ .) فانطلق هذا المذهب بواسطة على بن زياد ـ (توفي سنة ١٨٣ هـ . بتونس وقبره معروف واهتمت حكومة الاستقلال بتشييده) ـ من تونس الى القيروان ، ومن القيروان الى بقية المغرب والصحراء والاندلس وجزر البحر المتوسط .

وقد كان بالبلاد التونسية في الحقيقة ثلاثة مذاهب . فالحكومة الاغلبية (١٨٤هـ. ـ ٢٩٦هـ.) لما كانت تابعة للدولة العباسية فهي حنفية . وكان أسد بن الفرات فاتح صقلية (٢١٢ هـ .) يدرس المذهب الحنفي بالجامع الاعظم بالقيروان. والشعب العربي او المستعرب كان مالكيا . وكان سحنون يدرس المذهب المالكي بالجامع الاعظم بالقيروان . والشعب البربرى الضارب بالجبال (وسلات عريانه) والصحارى (الجريد : توزر ، نفطة ، تقيوس) ، والجزر (جربة ، قرقنة ، قوصرة) في معظمه على مذهب عبد الله بن الاباض. ولا يزال المذهب الاباضي في بعض مناطق جربة وطرابلس (زوارة ـ نفوسة) والجزائر (ميزاب). ومع أن المذاهب ظهرت في تونس العاصمة مبكرة . فان التعليم ظهر بالقيروان مسبقا . ولم ينتقل التعليم الى جامع الزيتونة رسميا الا بعد انتصاب الموحدين بها كدولة (٦٠٦ هـ .) بعد أن كان في عاصمة الاغالبة « القيروان » وعاصمة الفاطميين « المهدية » (ابتداء من ٣٠٦ هـ .) . وقد قام بهذا التعليم التونسيون ، والصقليون المهاجرون (ولا سيما آل الصقلي في تعليم الطب) والاندلسيون (ولا سيما في النحو : ابن عصفور وابن القصار ، وفي العلوم : القلعاوي والابلي والواد ياشي) خصوصا بعد سقوط اشبيلية بايدى الاسبان . فجاء امثال ابن خلدون وابن سعيد وابن ابي الحسين والمالقي والودياشي وابن عصفور وابن الابار واضرابهم .

واستجد الموحدون في اقامة التعليم الزيتوني على رجليه ببعض الليبيين ونخص بالذكر منهم ابا البركات عبد الحميد بن ابي الدنيا .

وكان التعليم الزيتوني يشمل ـ علاوة عن

العلوم اللسانية والدينية ـ العلوم الرياضية والطبيعية والطبية . وللحصول على معلومات عن ذلك فلتراجع مقدمة ابن خلدون فقد ذكر لنا برنامج التعليم وعائلة العلوم التي كانت تدرس واساليب تدريسها والكتب التي كانت تدرس فيها .

وذكر لنا الشيخ محمد مخلوف في كتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) طبقات الاساتذة والائمة والعلماء الذين تخرجوا من الزيتونة ودرسوا بها جيلا بعد جيل .

يبدأ التعليم بالطبقة الثالثة عشرة وينتهي الان بالسابعة والعشرين التي منها علماء هذا الجيل .

وناهيك ان من خريجي الزيتونة ابن خلدون وابن عرفة وابن راشد القفصي وماغوش ونظراؤهم .

وهناك حول جامع الزيتونة اسواق وظيفية تتعلق بمهمة التعليم وهي سوق الكتبيين «الوراقين» وسوق السفارين (المجلدين) . كما أن هناك مجموعة مدارس لمبيت الطلبة ومجموعة طباخين للقيام بشؤنهم فالحياة الطالبية حول الجامع ناشطة مفعمة بالحيوية .

جامع الزيتونة مكتبة كبرى

مكتبة اسسها أبو زكرياء مؤسس الدولة الحفصية واضاف اليها من جاء بعده من الخلفاء الموحدين أو من الامراء المراديين أو الحسينيين (أحمد باى ، الصادق باى) فتجمع فيها نحو ...ر٢٥ مخطوط منها المنفرد ومنها النادر ، ومنها النفيس ، ومن اقدم مخطوطاتها تفسير ابن سلام القيرواني (توفي ٢٠١ هـ .) على الرق بالخط الكوفي الجميل ، ويعتبر من أقدم التفاسير ان لم يكن اقدمها ، ومنها كتب في السياسة والحرب والطب والتاريخ واللغة والفقه والنوازل والحديث. ولها قانون للاعارة المحلية والخارجية .

جامع الزيتونة مجمع للمسلمين

مجمع للمسلمين بعد صلاة الجمعة يتعارفون ويبتغون من فضل الله ، ويعقدون عقود البيع والشراء والايجار والزواج في حفلات بهيجة فيها الانارة والتبخير والتعطير والرش بالآنية المزركشة المختصة المتخذة من الفضة غالبا .

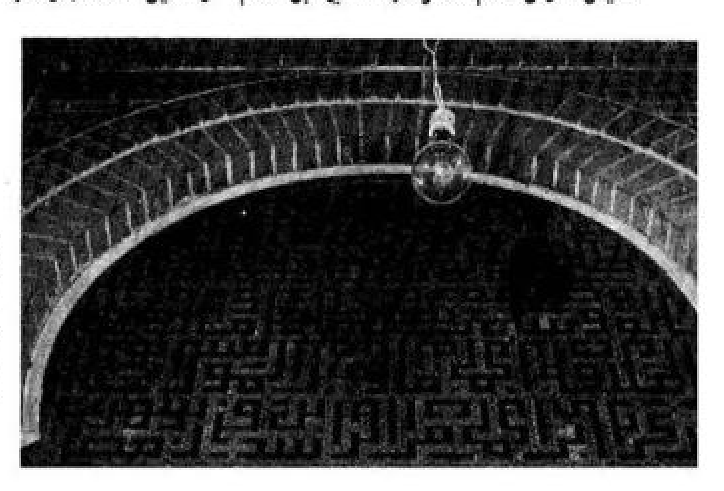
ولذلك كانت هناك من الاسواق الوظيفية التابعة لهذه المهمات سوق الشهود العدول (المأذونين) الذين يستحضرون بسهولة لكتابة نص العقد بعد الاتفاق عليه من الطرفين المتعاقدين.

وهذه السوق ملاصقة للزيتونة من الناحية القبلية . وكانت هناك سوق اخرى من الناحية الشرقية .

وهناك سوق صناعة الفضة الذى تتخذ منه المباخر والمجامر والمرشات والمراوح التي يُمَرْوِحُ بها الناس عند اشتداد الحر في هذه المواكب المنعقدة . وهناك سوق العطارين . وسوق الطيبيين أى باعة الطيب الذى هو البخور .

جامعة الزيتونة للحفلات الدينية

محل لانعقاد « المبائت » ، وهي الحفلات الدينية من انشاد وتقصيد (تلاوة القصائد بالصوت) ورقائق (انشاد الشعر التصوفي المرقق للقلب والمسيل للدمعة) وأهمها المولدية وهي سرد قصة



يعتبر مسجد الزيتونة متحفا فنيا للتراث العربى الاسلامى القديم، ويكاد ينفرد هذا الجامع بالخط الكوفى المكتوب على صورة زوايا قائمة.

جامع الزيتونة يحمل تاريخه .. وفوق المحراب تجد نقوشا رائعة على الجص من تشجير وتوريق وتغصين وكتابة بالكوفي الاندلسي في منتهى الجودة تمت على يد مصلح الجامع وامامه الاندلسي تاج العارفين البكري .. وفي مدار طمبور القبة كتب بالخط الكوفي المغربي الاغلبي البارز (٢٤٩ هـ) ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . مما امر بعمله المستعين بالله أمير المؤمنين الخليفة العباسي ابتغاء ثواب الله ورجاء مرضاته على يدي مولاه نصير سنة ٢٤٩ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . صنعه فتح البناء . »



الى اليسار : من جامع الزيتونة انطلقت الصومعة المستديرة ، كما أن الصومعة المربعة انطلقت من القيروان .. وهذه قبة بني خراسان التي تشرف على صحن الجامع ، وهي من ابدع

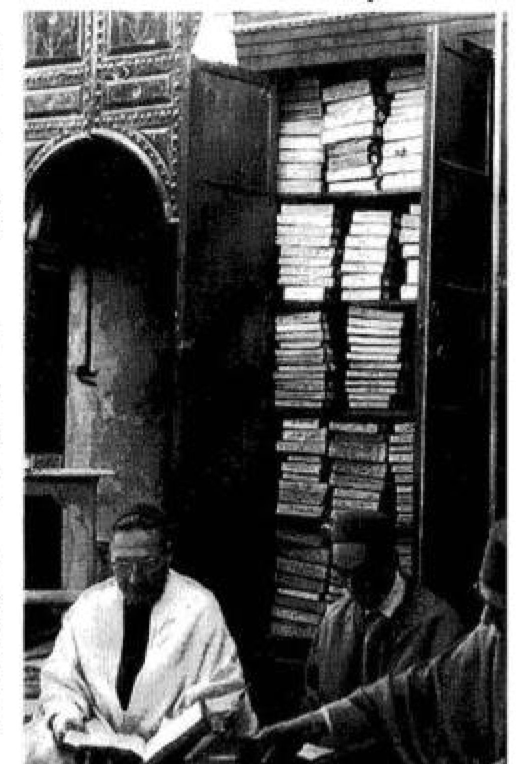
المولد الشريف بالصنعة التلحينية على اختلاف المقامات الصوتية . ومنها سرد البردة والهمزية صبيحة المولد وهلم جرا . هذا علاوة عن مواكب العيدين التي كانت تنعقد فى العهد الحفصي وقبل العهد التركي (٩٨٠ هـ . ـ ١٥٥١ م .) بالمصلي الذى هو خارج البلد ثم صارت تنعقد بالزيتونة .

والعادة عند أهل تونس ان تنعقد حفلات تلاوة البخاري وختم دروسه فى أيام رمضان . ويكون ختم جامع الزيتونة فى ليلة السابع والعشرين منه.

جامعة الزيتونة لاقامة الصلوات

وعلى الخصوص هو مسجد لاقامة الخمس

الى أسفل : تحوى مكتبة جامع الزيتونة ٦٧٢٢ مخطوطا و ١٥٠٠٠ كتاب في جميع العلوم والفنون .. وكانت عند تأسيسها تحوى ٤٠ الف مخطوط .. وكانت الدراسة تتم في صحن الجامع ، ولكنها انتقلت الآن الى جامعة تونس الحديثة .



والجمعة والتراويح والخوف. أما الاستسقاء فيقع خارج البلد فى الناحية القبلية منه بالمكان الذى كان به مصلي العيدين .

والجامع بهذا الاعتبار : ـ ١ ـ مجموعة اعضاء ووظائف سنتولى بيان تجزئتها وتشريحها وفيزيولوجيتها .

٢ ـ معمار اى نمط بنائي ينتسب الى المدارس المعمارية الخمس التي هي :

أ ـ المغربية (اندلسية ، مدجنة) ـ وهي فن معمارى اسلامي مطبق على بناء نصراني ومعدل بحسبة والمدجنون Mudedjar هم المسلمون الذين بقوا بجهات الاندلس بعد خروجها من أيدى العرب وبنوا كنائس الاوروبيين ومدارسهم وايرتهم وقصورهم وفق اصول الفن الاسلامي وبتعديلات يقتضيها الفارق الديني . وذهب الفن المدجن الى امريكا مع خريستوفيروس كولمبوس ، وجاء الى المغرب مع مهاجرة الاندلس الذين اجلاهم فيليب الثالث ملك اسبانيا سنة ١٠١٧ هـ . على عهد عثمان داى بتونس (١٦١٣ م .) .

والمغربية ايضا اندلسية اموية ثم موحدية ثم مرابطية، ومراكشية وجزائرية وصحراوية وتونسية وصقلية .

ب ـ المشرقية : وهي عربية وتركية وفارسية وهندية .

وسنجد آثرا لمعظم هذا بجامع الزيتونة الذى يحمل تاريخه بيده وفنه ومعماره بمشاهدته فنقول :

تشريح الجامع وفيزيولوجيته

يتركب الجامع من بيت الصلاة والصحن والمئذنة التي تسمى بتونس صومعة . وميضاة .

بيت الصلاة : ويكون فى الغالب مستطيلا من الشرق الى الغرب.وتكون به مجموعة من الاعمدة لرفع السقف ويتالف من ذلك : البلاطة Nef وهي ممر بين الاعمدة يتجه من الشمال الى القبلة ويكون بطبيعة الحال فى اتجاه المحراب .

وعدد البلاطات فردى دائما لكي يكون المحراب في الوسط بالتدقيق . تنصرف اليه بلاطة المحراب Fef Transeps التي هي اوسع من بقية البلاطات فى الجوامع الاميرية حتى تتسع لموكب الامير من خليفة او ملك او رئيس ولا عبرة لمن قال انها مقتبسة من الكنائس النصرانية بدليل انها لاتوجد فى الجوامع غير الاميرية .

● جامع الزيتونة ..

وهي حكمة ابتدعها المعماري المسلم في جامع عقبة اولا وفي جامع الزيتونة ثانيا . واقتبستها الكنائس فيما بعد بواسطة الفن المدجن Mudedjar Art ان الواقف تحت القبة امام المحراب ، والمتأمل في آيات الفن الاسلامي الاصيل يستطيع ان يؤلف كتابا كاملا عن هذاالقسم فقط من جامع الزيتونة. فالمحراب محرابان : محراب عبد الله بن الحبحاب (١١٤هـ) وامامه محراب المستعين بالله العباسي (٢٤٩ هـ .) مكسوة بالرخام المزركش والمثقوب لترى منه محراب عبد الله بن الحبحاب .

وفوق المحراب في واجهته من اسفله الى طمبور القبة نقش على الجص هندسة وتشجير وتوريق وتغصين وتزهير وكتابة بالكوفي الاندلسي في منتهى الجودة ، تمت على يد مصلح الجامع وامامه الاندلسي تاج العارفين البكري .

والقبةعالم في ذاته قدحلت مشكلتين هندسيتين: الاولى ، وضع نصف كرة على مربع فوصلت الى ذلك بمضاعفة المربع الى مثمن وسادس عشرى فبلغت الاستدارة ، وليس لنا نظير لذلك الا بجامع القيروان . والقضية الثانية : هي حل مشكلة الاضاءة الطبيعية مع ايجاد الزخرف الرائعبابتداع الشمسيات او القمريات Vitrail اى نوافذ من الجص المنقوش بتخطيط وتشجير وتوريق والمطعم بفصوص من زجاج ملون ، ترسل على ارضية المحراب شكلا هندسيا ملونا كانه طنفسة او مرج مزهر في صميم الربيع المغربي .

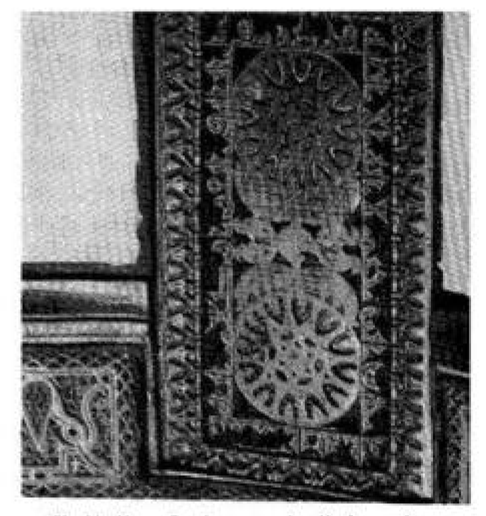
مقصورة الامام ودار الوقادين

وهم الموظفون بالجامع وهم :

١ ـ الائمة : وهم : امام اكبر للجمعة واربعة للخمس يتداولون ذلك اسبوعا بعد اسبوع

٢ ـ المزوار : من البربرية (امزوار بمعنى الاول او المتقدم) Appariteur وهو يمشي بلباس خاص وعمامة خضراء وعكازة كانه حاجب . وكانت ولا تزال هذه الوظيفة في عائلة احمد بن القصار الاندلسي النحوى الاديب العالم ، والعائلة مشهورة بالفضل والادب والعلم آبا من جد منذ القرن الثاني الهجرى .

٣ ـ الوقادون : وهم الذين يشعلون قناديل الجامع وشموعه ومثلثته ويذهبون لبيت الامام مبكرين بالفنارات ليتقدموه في الشوارع حتى يؤم لصلاة الفجر ويشيعوه بعد انقضاء صلاة العشاء.



في وسط المحراب توجد لوحة من الرخام نقش عليها « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وهي تبسط قضية اسلامية شغلت البال أيام المأمون وهي قضية « خلق القرآن » والتي ثارت بين السنة الذين يقولون بأن القرآن ليس بمخلوق لانه كلام الله . والمعتزلة الذين يقولون ان القرآن مخلوق .

ثم المسكبة : Tranée وهي ممر بين الاعمدة يقاطع البلاطة اى يتجه من الشرق الى الغرب . ويكون في الغالب اطول من البلاطة .

وتكون مسكبة المحراب في الجوامع الاميرية اى التي يفترض أن يصلى بها الامير اماما او ماموما ويحضر مواكب المواسم الاسلامية ودروس الاختام والمبائت وحفلات ختام الدروس ـ يفترض ان تكون تلك المسكبة اوسع لتحتوىعلى جميع افراد الموكب من امراء ووزراء وكبراء وضباط وجنود الخ ... وبجامع الزيتونة ١٧ بلاطة وسبع مسكبات .

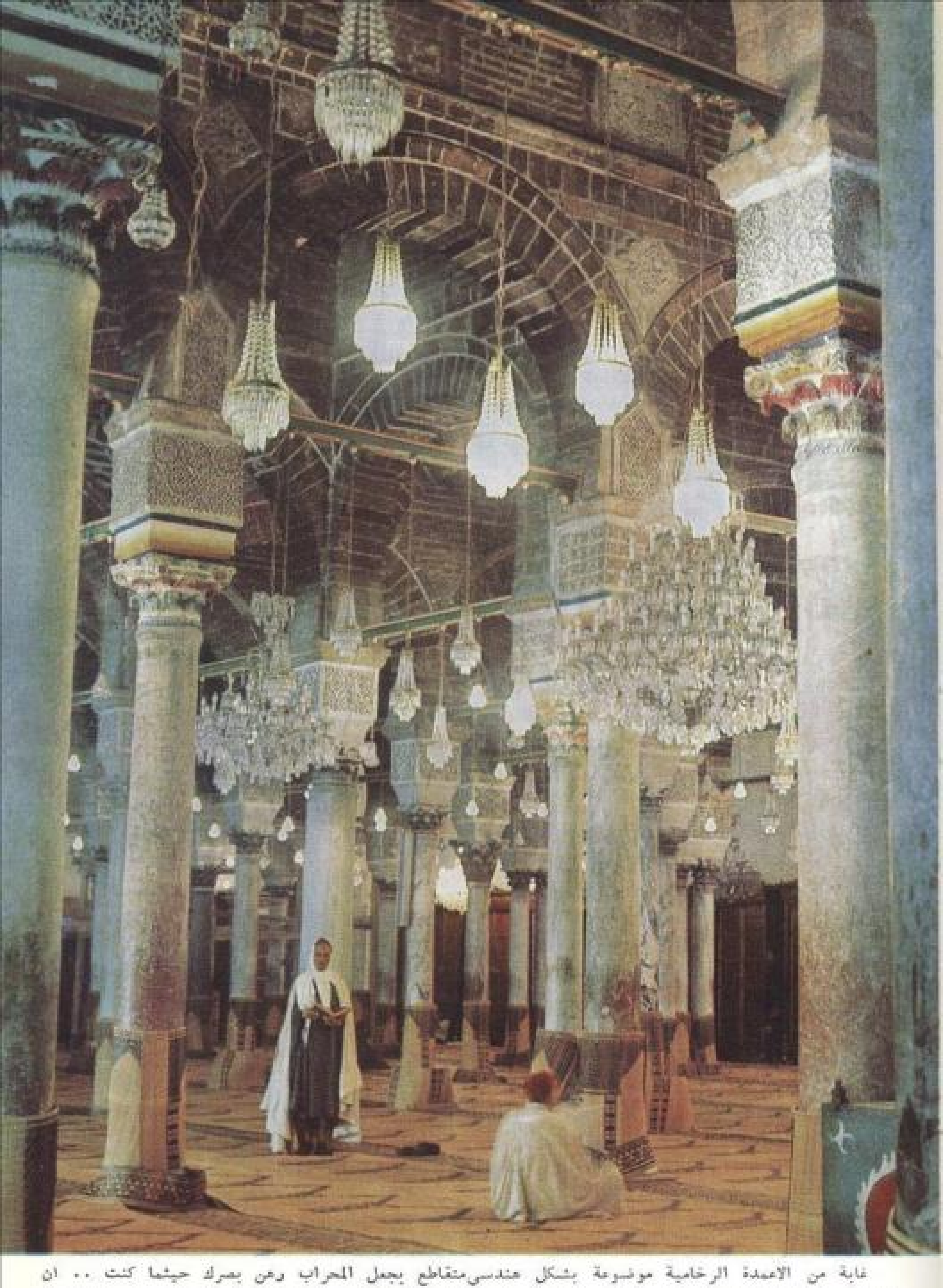
ثم المحراب : وهو كوة في الحائط تعلوها نصف قبة وفوق الكل قبة المحراب . فالمحراب الذى يكون دائما متجها للقبلة هو محل تكبير الامام وسجوده وركوعه ليأتم بـه المصلون ، فاهتمام المصلين وتركيز ذهنهم وانصراف قلبهم في اثناء الصلاة مركز على المحراب وامامه المتجهين الى القبلة . ففي اوقات ما بعينها من اليوم يكون تركيز تفكير المسلمين في نقطة واحدة بعينها .

ولزيادة الايضاح وتأكيد منزلة الامام ومحل وجوده بالاضافة الى المصلين جعلت قبة المحراب التي ترسل نورا وضاء على الامام دون المصلين الذين هم في نصف ظلمة المساكب والبلاطات .





غابة من الاعمدة
ومحراب رائع
وصومعة (مئذنة) مربعة :



غابة من الاعمدة الرخامية موضوعة بشكل هندسي متقاطع يجعل المحراب رهن بصرك حيثما كنت .. ان المهندس « فتح » الذى بنى المسجد فهم وظيفة المحراب ، فبنى هندسة المسجد عليها .. اما المحراب فهو قطعة فنية رائعة، وتظهر فيه المقابلة الجمالية والمقارنة الذوقية، التي هي ركن فى مفهوم الجمال فى الفن العربي من معمار وشعر وموسيقى ؛ فقد جعل على جانبي المحراب عمودين احدهما اسود والاخر ابيض .. فالسواد هو الظلام والجهالة والشر .. والبياض هو الاشراق والنور والخير والايمان..... والى أسفل اليمين صورة التقطت من فوق منزل تركي قديم لصومعة (مئذنة) الجامع المربعة وهي صومعة حديثة .

ولذلك كان من الاسواق الوظيفية قرب جامع الزيتونة :

سوق الشماعين لاشتراء الشموع للاضاءة على الشخص والمصلين والامام .

وسوق الفنابرية (جمع : فنائرى ، صانع الفنارات التي توضع فيها الشموع حتى لا تطفئها الرياح) .

ومعلوم ان الصلوات خمس ، ثنتان نهاريتان ، وثلاث ليلية . فلا بد من الاضاءة يوم لم تكن هناك بلديات وضوء محورى .

٤ ـ المؤذنون : وهم على عدد ابواب الجامع الاثنى عشر ، يؤذنــون بالصومعــة ثم ينــزلون فيتجهون كل الى باب من ابواب سوق فيتعرفون من لبى ومن لم يلب ، ويتحولون مُسمّعين عن الامام في التكبيرة والتسميع والتامين والسلام . فهم بالاضافة الى الامام ، ائمة صغــار في نظــام مرتب محكم شبيه بالعسكرى لما بين الجامــع والرباط والجهاد من صلاة وثيقة .

٥ ـ القرّاء . وكبيرهم صاحب الختمة التي لها صندوق وكرسي للتلاوة بتحسين الصوت . ويقرا القراء ويختمون حسب اوقاف وقفها الناس من ختم الاسبوع .

٦ ـ والحزّاب : هو الذى يقــرأ حزبا مــن احزاب القرآن عند اجتماع القراء في سماطين قرب باب الشفاء .

وهنالك قراء صحيح البخارى الذى يختم في درس مشهود ليلة السابع والعشرين من رمضان .

وغالب هؤلاء لهم دار خاصة داخل مقصورة الامام على يسار المحراب . ومقصورة الامام انيقة لطيفة فيها مكتبة صغيرة وفي سقيفتها متوضاة . ويقف في السقيفة الزوار والوقادون والمخبر عن المؤذنين للخروج بالامام للصلاة او تلاوة البخارى ثم الرجوع به .

صحن الجامــع

وهو في الشمال منه ، ويتركب من :

١ ـ براطيل : او مجنبات Portail يصلي فيه الناس في الفصل الحار من يونيو الى اكتوبر فمنهم من يطيق الهواء الطلق ومنهم من يلجأ الى المجنبات . وقد بنيت المجنبات في العهد الاغلبي بناها صــاحب الاشغال نصير وكتبت بها ايات قرانية كريمة بالخط الكوفي الطومار وذكر فيها اسم الخليفة ووزير الاشــغال نصير وزخــرفت بالزليج (القاشــاني) الاغلبي البديــع ، وزاد الموحدون (الحفصيون) على هذه المجنبات ستائر من مشاق الكتان تنشر على شرائط لتقي الناس الشمس والحر . وبني الخراسانيون ملوك عاصمة تونس من امراء الطوائف في العصر الصنهاجي قبة البهور التي هى من اروع قباب الاسلام .

الصومعة او المئذنــة

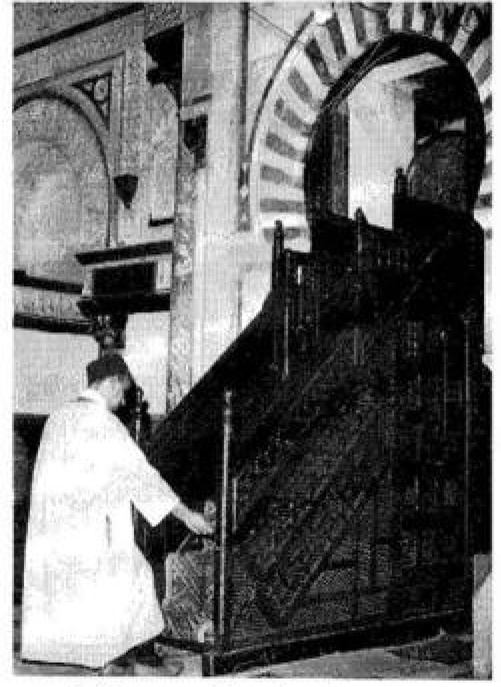
والصومعة الاولى المغربية صومعة القيروان ، هرمية مقطوعة لانها قلعة في رباط كبير ومعسكر عظيم هو جامع القيروان وتولدت منها مجموعة من المآذن الشرقية بتونس شمالا وجنوبا . ثم الصومة المستديرة وهي الصومعة الرباطية للاذان وحراسة الثغور وتربية حمام الزاجل .

وبجامع الزيتونة اربع صوامع من هذا النمط لا تزال ثنتان منها باديتين والصومعــة الرابعــة الموحدية وهي مربعة الاضلاع تبدأ من الكتبيــة بمدينة مراكش وتمر بصومعة الحسن بالرباط . فالجيرالدا باشبيلة ،فالمنصورة بتلمسان،فالجامع الكبير بالجــزائر ، فصومعــة الموحدين بتونس ، فصومعة الزيتونة المجددة الحالية . ثم الصومعة التركية المثمنة او المسدسة وهي صومعة الملوك المراديين التي كانت بالزيتونة ، فلما جددت كان تجديدها على الطراز الموحدى كما ذكرنا . وبقيت نماذج للصومعة التركية في جامع يوسف داى وجامع حمودة باشا المرادى وجامع الصباغين .

والمؤذنون بصومعة الزيتونة دول ، اى نوبة بعد نوبة ، وجماعة بعد جماعة ، ودولة بعد دولة ، اسبوعا بعد اسبوع ، لكل اسبوع دولة فمن كانت دولته بات بالصومعة للاناشيد الليلية « دفــن الليل » واجرى طعامه مما وقف من اوقــاف . ويبقى كذلك الى ان تنتهى دولته الاسبوعية .

الميضــــأة

الميضاة عند الحنفية داخــل الجامع لانهــا للوضوء فقط . واما عند المالكية فخارج الجامع لانها لقضاء الضرورة ثم الوضوء . واجل ميضاة للزيتونة هي ميضاة ابي عمرو عثمــان الخليفــة الحفصي التى تعتبر تحفة فنية ، ومعلما معماريا قائما بذاته ، وهى على خطوات من الزيتونة في الشمال منه بمكان يعرف بدرب ابن عبد السلام . واسست ميضاة صغيرة امــام الدروج الشرقيــة ازيلت من قريب لقبح منظرها ، ولانها كالثؤلول



منبر جامع الزيتونة ويعتبر تحفة من تحف الفن الخشبي الاسلامي . صنع سنة ٢٤٩هـ . من خشب على نمط منبر القيروان . ويخرج المنبر دفعا بالايدي فيتمشى على سكة ثم يعاد الى مقصورته على يمين المحراب اثر الخطبة الثانية وقبل اقامة صلاة الجمعة . والسبب في جعل هذا المنبر متحركاً هو ان المالكية يرون الجامع رباطا ، ويرون التصفيف والانتظام من مبادىء الفنون العسكرية ولهذا قاموا بتحويل هذا المنبر الى منبر متحرك بعد أن كان منبر الجامع الاصلي ثابتا . وتم هذا التحويل في القرن الرابع على ما يبدو على عهد محرز بن خلف الشاعر المؤرخ . وقد خطب على منبر جامع الزيتونة أمراء بني خراسان وخلفاء بني حفص علاوة على الائمة الفصحاء الذين يشار اليهم بالبنان .

في وجه الزيتونة الصبيح ، لا سيما والاسواق التي حول الزيتونة هي اسواق جميلة المنظر طيبة الرائحة . وهي وظيفية بالاضافة اليه .

المعمار الزيتوني

يكاد جامع الزيتونة يكون متحفا شاملا للانماط والمدارس المعمارية الاسلامية . فيه الفن المغربي من افريقي واندلسي ومراكشي ، وبه الفن

الفاطمي والعربي والتركي .

اما عن الفن المغربي : فجامع الزيتونة الاول الذى بناه عبد الله بن الحبحاب هو تجميع من الفنون البيزنطية والايرانية والعربية ، تولد منها الفن الافريقي البحث ، فالقلعة بيزنطية والصومعة المستديرة ايرانية والتأليف العام عربي يحاكي جامع الكوفة . ثم جاء الاغالبة وبنوا المحراب الثاني والقبة ومقصورة الامير وبيت الصلاة ومجنبات الصحن بمعمار اغلبي مغربي فيه الكوفة الاغلبي البارز البسيط والقبة المحكمة والزليج (القاشاني) الذى جلبه من بغداد اسماعيل الطلاء القيرواني ورؤوس الاعمدة المزخرفة بعرائش الكروم المفرغة والكتابة بالطومار على طول اعالي جدار الصحن مثل جامع سوسة (٢٣٧) وجامع ابن طولون بالقاهرة (٢٦٧) وقد انتشر هذا النمط كزخرف بالخط العربي في جامع باليرم (المرتورانه) وكنيسةلوبوى بفرنسا .

ونجد الفن الفاطمي في المجنبة الجنوبية وقبتها التي تحاكي قبة المدخل من جامع عبد الله المهدى بالمهدية وكذلك تيجان الاعمدة الفاطمية التي زخرفت بصور مجسمة في كل ركن من اركان تاج العمود الاربعة . ونجد الفن الصنهاجي في زخرفة الاعمدة والتيجان التي نقشتابدع نقش وزخرفت بالكوفي المزهر ابدع زخرفة . الخرساني الصنهاجي في باب العطارين وقبة البهور وطقيان الحجر الابيض والاحمر مثل ما تراه في القصور والجوامع العربية بصقلية . ونجد الفن الموحد في الكوفي المربع وابواب المدخل الشمالي لبيت الصلاة وصحن الجنائز والمكتبة العبدلية القديمة وخزانات الماء التي جلبت اليها المياه من زغوان (٧٠ كيلو متر) على حنايا فخمة لا تزال موجودة الى اليوم .

ثم نجد الفن الاندلسي في زخرف المحراب والاقسام السفلى من القبة بالخط الكوفي الاندلسي الرائع .. اما الفن التركي فنجده في ابوابدار الامام واقواس صحن الجنائز والخطوط المحشورة بالرصاص الاسود .

وبالجملة الزيتونة مركب اسلامي جامع . ولو اتيح لأحدكم ان يلقى سلسلة كاملة في تاريخ عظمة الاسلام لكان اعظم مخبر لذلك واروع معلم وافضل معهد جامع الزيتونة العظيم . وفوق كل ذى علم عليم . ■■

تونس ــ **عثمان الكعاك**



في ذلك الصباح ـ وقد شاءت الاقدار ان يكون صباح ليلة عيد الميلاد ـ وقعت حادثتان هامتان في وقت واحد ، فقد اشرقت الشمس ، واستيقظ من النوم السيد جان باتيست جود فروى .

ولكن آثار هاتين الحادثتين العظيمتين اختلفت اختلافا كبيرا ، ففى اثناء الليل كست الثلوج اشجار الدلب حلة بيضاء ، فاحال شروق الشمس الساحرة الاشجار الى عناقيد ضخمة من المرجان الأحمر اللون ، وتغلغل فادفأ قلب كل عابر سبيل.

.. وحمل بائع الخضر المصباح الى ركن في الغرفة وسلط ضوءه على فراش نظيف كان يرقد فيه طفلان وقد استغرقا في النوم ، وعرف السيد جودفروى ابنه .

للروائي الفرنسي فرانسوا كوبيه

Francois Coppeé

ترجمة : علي أدهم

اما السيد جود فروى فقد استيقظ من النوم معتكر المزاج ، وكان قد حضر في مساء اليوم السابق وليمة عشاء فاخر كالمعتاد ، ولذلك كان يشكو في الصباح عسر الهضم المالوف ، وحينما سمع شارل ، خادم حجرة نومه ، رنة الجرس ، واخذ يعد له الماء الساخن قال لمدبّرة شؤون المنزل « اني اعرف رنة الجرس هذه ، فالسيد اليوم منحرف المزاج ، وسيكون هذا اليوم يوم بؤس لنا جميعا يا جيرترود البائسة » .

وصعد الى حجرة سيده ، وهو يسير على اطراف اصابع قدميه ، وأزاح الاستار في خفة وحذر ملتزما اقصى مظاهر الاحترام والتادب في حركاته .

وساله السيد في ايجاز وهو يزر سترته المصنوعة من القطن والحرير على معدته التى كان يحمتلها أكثر مما يحتمل رجل في السابعة والاربعين «ما حالة الطقس اليوم ؟ » .

فاجابه « انه شديد البرودة ، ولكنى اظن انه سيتحسن في هذا الصباح » .

والقى جود فروى نظرة من النافذة على الاشجار الوردية اللون وابتسم ، ولم يكن يسعه الا ان يبتسم ، ولكنك لو كنت اخبرته بان صبي الفران يشاطره هذا الشعور بالارتياح لساءه ذلك وضايقه .

وسرعان ما اختفى الابتسام من وجهه ، فالنساء والشعراء يبتسمون للشمس ـ ولكنه عنده اشغال اخرى يقوم بها . وبطبيعة الحال كان هذا اليوم بوجه خاص من الايام الحافلة بالعمل ، فمن الساعة التاسعة الى الساعة العاشرة توالت مقابلاته لسادة غير عاطفيين حسني البزة هدفهم جميعا جمع المال ، وكان عليه أن يركب عربته الخاصة ويذهب الى سوق الاوراق المالية حيث يتبادل الحديث مع سادة غير عاطفيين غايتهم جمع المال ، وان يمضي سائر اليوم في لجان أصلية ولجان فرعية لان السيد جود فروى فضلا عن كونه من رجال المال الناجحين فانه كذلك كان نائبا .

ولما نزل من على الدرج الى الطابق الاسفل بدات مقابلاته للسادة غير العاطفيين الذين كانوا يبحثون معه مشروعات مختلفة من بناء مصنع ضخم في ضواحي باريس ، الى حفر منجم في احدى جمهوريات امريكا الجنوبية . ولم يكن يحفل بما يصنعه المصنع أو بما ينتجه المنجم ، فقد كان مناط اهتمامه المضاربة المربحة بأسهم الشركة في الاسبوع الذى يتلو جمع راس المال .

ولما انتهت المقابلات ذهب الى حجرة الطعام ليتناول وجبة مبكرة ، وكانت حجرة فخمة اصونتها وخزائنها جميعها مغشاة بالفضة . وبرغم تناوله كمية كبيرة من كربونات الصودا فان هضمه لم يتحسن ، ولذلك أمر باحضار وجبة ملائمة لهضمه المتعثر ، وجلس لياكل بيضتين مسلوقتين .

وفجاة فتح باب الحجرة ، ودخل راؤول الصغير ابن جود فروى البالغ من العمر اربع سنوات ، وكان طفلا حسن الوجه ، ولو ان الحلة المصنوعة من المخمل التى ارتداها كانت تظهره اقل حجما واكثر شحوبا ، وقد تعود أن يحضر الى الحجرة قبل تمام الساعة الحادية عشرة . وكان جود فروى يخصص ربع الساعة لاشباع عاطفة الابوة ، ولم يكن مرجع ذلك الى انه لم يكن ولوعا بابنه ، فقد كان يحبه كثيرا ، ولكن على طريقته ، والعمل هو العمل قبل كل شيء .

وقد ظن وهو في الثانية بعد الاربعين انه وقع في شباك الحب لابنة مركيز دى نيفونتين أحد اعضاء النادى الذى كان يغشاه ، وكان هذا المركيز مقامرا قديما ويسره أن تدفع له ديونه . وكان حب جود فروى لابنته لونا من الوان حب الظهور . وسر المركيز أن يجد من يدفع له ما عليه من الديون ويخلصه من فتاته المتعبة البالغة من العمر سبعة عشر عاما والتى كان همها الوحيد في الحياة التعصب الارستقراطى والاوهام الرومانتيكية . وكان السيد جود فروى ابن احد المحامين الريفيين الذين جمعوا ثروتهم بطرائق مستنكرة مما كان يؤلم مشاعر زوجته الارستقراطية النشأة وكان الخلاف بينهما سيؤدى حتما الى القطيعة والانفصال لولا أن الزوجة قضت نحبها وهى تلد راؤول .

وكان جود فروى يحب ابنه لأسباب عدة ، فهو

ابنه الوحيد ، وثانيا لانه ثمرة نسب بين أسرة جود فروى واسرة نيفونتين ، والسبب الثالث الهام هو انه كان الوارث الوحيد للثروة الضخمة التى جمعها ، وهى حقيقة كان جود فروى يقدرها، ولو انه هو نفسه الذى جمع هذه الثروة .

لذلك نشأ الطفل وهو يعامل معاملة ابناء الامراء وذلك برغم أن والده كان لا يختصه من وقته الا بربع الساعة كل يوم لانشغاله بجمع المال ، وكان الطفل يقضي وقته مع الخدم .

ولما دخل عليه الطفل وحيّاه قبّل جود فروى يده الصغيرة وسأل المربية الالمانية هل هى راضية عن راؤول ، فتورد وجهها حياء ، وعلته ابتسامة خفيفة ، واكتفى الوالد بذلك واسترسل جود فروى قائلا : « الجو اليوم صحو وان كان فيه برودة ، فاذا ذهبت مع راؤول الى حديقة مونسو فتأكدى من آن ما يرتديه من الثياب يكفى لدفع غائلة البرد » .

فابتسمت ابتسامة الطاعة ، وخرج جود فروى من الحجرة حينما بلغت الساعة الحادية عشرة .

وفي ختام يوم من الايام الحافلة بالاعمال المربحة تذكر جود فروى لُعَب ابنه راؤول ، وأمر السائق بالاتجاه الى حانوت كبير للعب الاطفال ، واشترى مجموعة كبيرة منها ، وفكر في ابنه وهو في العربة في طريقه الى منزله ، وقال لنفسه انه سينشئه نشأة الامراء لان الثورة الفرنسية جعلت الارستقراطية الوحيدة ارستقراطية المال ، وهو سيترك لابنه ثروة ضخمة .

وبينما كانت هذه الافكار الدنيوية تجول فيرأس الوالد المتكبر نسي أن هذا اليوم كان يوم عيد الميلاد، ميلاد طفل فقير وُلد في مِزْوَد ، وقد أعطى هذا المزود لاهله من قبيل البر والاحسان .

وحينما دخل السيد جود فروى المنزل وجد الخدم جميعهم في الردهة ، وقد استولى عليهم الخوف والاضطراب ، وكانت المربية الالمانيةجالسة في أحد الاركان، وحينما رأته صاحت باكية وخبأت وجهها الذى بللته الدموع وراء يديها .

فقال جود فروى وهو يتوقع ان يسمع اخبارا سيئة « ماذا حدث ؟ » .

فنظر شارل خادم جود فروى الخاص الى سيده وقد دمعت عيناه وقال متلعثما :

« السيد راؤول يا سيدى »

« ماذا حدث له ؟ »

« انه مفقود يا سيدى منذ الساعة الرابعة بعد الظهر،وسبب ذلك هذه الالمانية الحمقاء » فتراجع الوالد الى الوراء كأنما أصابته رصاصة ، وجثت المربية على قدميه تلتمس العفو .

وبدا الخدم جميعهم يتكلمون معا .

وظهر أن برتا لم تصحب الطفل الى حديقة مونسو ، وانما ذهبت به الى ناحية منعزلة من الاستحكامات ، وكانت على ميعاد مع عشيقها ، وبينما كانت مشغولة معه فقد الطفل .

فاندفع نحو المربية وامسك بذراعيها وهزها بعنف وقال لها « خبرينى أيتها الشقية اين كانت آخر نظرتك اليه ؟ قولى الحق والا خنقتك » .

ولكن برتا لمتستطع سوى البكاء وطلب الصفح.

وقال والد الطفل لشارل « مر السائق بالاستعداد لاني ذاهب الى قسم الشرطة ».

وخرج جود فروى مسرعا من المنزل ، وكانت العربة ملأى باللعب التى أحضرها لراؤول ، فما فائدة كل هذه الثروة ؟ وما قيمة مكانته ؟ وكانت فكرة واحدة تجول في رأسه وهى « أين طفلى ؟ »

ولكنه حينما وصل الى قسم الشرطة كانالوقت متأخرا ، ودفع هبة كبيرة للوصول الى المأمور

وتحركت عواطف المأمور لانه كان له أولاد ، فاتصل بالتليفون بالقسم الواقع في الحي الذى رئى فيه راؤول لآخر مرة ، واسرع عائدا الىالحجرة ليقول ، وقد علت شفتيه ابتسامة ، ان الطفل قد وجد ، فاستولى السرور على الوالد وكاد يكب على عنق المأمور مقبلا .

وقال المأمور « حسن ، لا بد أن اقول اننا سعداء ، ان للطفل شعرا ناعما ويبدو عليه شيء من الشحوب ، وهو يرتدى حلة من المخمل الازرق اللون ، أليس كذلك ؟ » .

قال الأب « نعم هو ابنى راؤول الصغير »

« انك ستجده في منزل الرجل الذى جاء الى مركز الشرطة ليخبره بذلك ، وهذا هو عنوان الرجل بشارع دى كايو على مسيرة ساعة بالعربة من هنا ، والذى عثر بالغلام بائع خضر متجول وبطبيعة الحال لن تجد ابنك في بيئة ارستقراطية ، ولكن ماذا يهم هذا ؟ » .

فاسرع جود فروى على الدرج وثبا في طريقه الى العربة ، وأدرك في هذه اللحظة معنى حبه لابنه في الحياة ، ومن الآن فصاعدا سيعمل على الاقلال من اهتمامه بشؤونه المالية ويوجه اهتمامه كله الى

ولده .. وجعلت العربة تطوى الراحل وتجتاز الطرق ، ومرت بالاستحكامات وشوارع ضيقة في الضواحي ، ووقفت أخيرا امام منزل قذر مبنى بالبلاط ، وفي ضوء مصباح العربة رأى جود فروى الباب يفتح وخرج رجل مبتور الذراع .. ونظر الى العربة وقال ببشاشة « هل أنت يا سيدى والد الطفل ؟ » اطمئن انه بخير ولم يحدث له شيء » .

وتراجع ليمر الضيف ، وقال وقد وضع اصبعه على فمه « لا تحدث ضجة فان الطفل مستغرق في النوم » .

كان المنزل غاية في الحقارة ، وفي ضوء مصباح زيتي واهن رأى جود فروى صوان ثياب ينقصه احد الادراج وبعض الكراسي البالية ومنضدة مستديرة عليها زجاجة نبيذ نصف فارغة وثلاث كؤوس ولحما باردا في طبق ، ورأى على الحيطان صورتين زيتيتين قديمتين فظيعتين .

وحمل بائع الخضر المصباح الى ركن في الغرفة وسلط ضوءه على فراش نظيف كان يرقد فيه طفلان وقد استغرقا في النوم ، وعرف السيد جود فروى ابنه .

وقال بائع الخضر وهو يحاول أن يلطف من خشونة صوته « انهما متعبان ، ولم اعرف بطبيعة الحال متى سيحضر احد ليطلب الصغير ، ولذلك اعطيتهما فراشي ، وفي اللحظة التى اغمضا فيها جفونهما ذهبت الى الشرطة ، وطفلى زبدور ينام عادة في الجزء الاعلى من الغرفة ، ولكنى رأيت أن اتركهما ليناما معا ، وكان في نيتى ان اظل ساهرا هذه الليلة لاخرج مبكرا في الغد الى السوق » .

ولم يكد السيد جود فروى يسمع كلامه ، فقد اختلجت في نفسه عواطف ليس له بها سابق عهد حينما نظر الى الطفلين الراقدين على سرير من الحديد الخشن وعليهما دثار غليظ رمادى اللون ، وبرغم ذلك كان المنظر مؤثرا ، فالطفل راؤول في سترته الزرقاء الحريرية راقد مع رفيقه الصغير في ثيابه الخلِقة ، وكان يحسد زبدور لنقاءبشرته وما يبدو على وجهه من علامات الصحة والقوة .

وسأله جود فروى قائلا : « أهذا ابنك ؟ » .

فاجاب « كلا يا سيدى ، فاني لست متزوجا وما احسبنى سأتزوج ، وقد فقدت ذراعى فيحادث كما ترى . انه ابن جارة لى ، وكانت ارملة ماتت وهو في الخامسة من عمره ، ولم يكن له احد في الدنيا حينما ماتت والدته ، ولذلك تكفلت به، ولم يكن ذلك شيئا يذكر ، وسرعان ما وجدتثواب عملى . وعمره الآن سبع سنوات ، وهو يساعدنى بمختلف الطرق ، ففى أيام الاحاد وأيام الخميس وفي ايام اخرى كذلك بعد ان يحضر من المدرسةيزن معى الخضروات ، ويساعدنى في دفع عربة اليد ، وهو عمل لا اجده سهلا ،وقبل ان افقد ذراعى كنت اقدر على العمل والسعى في طلب الرزق وكنت احصل عشرة فرنكات في اليوم ، وزبدور طفل مجد وهو الذى وجد ابنك » .

فقال السيد جود فروى متعجبا « هذا الغلام الصغير هو الذى عثر بنجلى ؟ » .

« نعم ، كان قادما من المدرسة حينما رأى ابنك يمشي على الطوار وهو يبكى ، فآنسه زبدور وطيب خاطره بقدر ما يستطيع ، ولم يستطع ان يعرف منه اسمه أو عنوان منزله فاحضره معه ، وكنت في أحد الامكنة أبيع الخضر ، وفي لحظة احاطتبنا النساء وصحن جميعا طالبات فيثرثرتهن المبادرة الى اخذه لقسم الشرطة ، ولكن زبدور عارض فيذلك وقالانهذا سيخيف الغلام الصغير، ولم يقبل نجلك أن يترك زبدور ، ونام الغلامان بعد أن تناولا وجبة العشاء » .

وطافت برأس جود فروى خواطر شتى ، وكان وهو قادم قد صمم على أن يمنح مكافأة سخية للذى عثر على ابنه ، وقد أزالت هذه الحادثة الستار الذى كان يحجب عن هذا الرجل الواسع الثراء حياة الفقراء ، وادرك انهم شجعان في لقاء الخطوب ومواجهة المكاره ، وانهم كرماء في علاقات بعضهم ببعض ، واثر ذلك في نفسه تأثيرا عميقا ، واخذ يفكر تفكيرا جديا في الموقف ، فليس يكفى أن يمنح الرجل هبة ، ووجد أن المروءة تقتضيه أن يتعهد بتربية الغلام زبدور ، وان يتولى بعنايته بائع الخضر ، ولو أن السادة غير العاطفين الذين لعبوا دورا هاما في حياة جود فروى المالية والسياسية علموا بما خالج نفسه في تلك الآونة لاصابتهم الدهشة ، وقد قام السيد جود فروى بخير عمل صنعه في حياته ، وذلك انه ادرك أن السماحة لم تفض ينابيعها في نفسه ، ولئن كان قد فكر في منح هذا الرجل الفقير جائزة فان الرجل الفقير من ناحيته قد نجح في تفجير ينابيع العطف في نفسه فهو كذلك قد احسن اليه .

وادرك جود فروى أنهناك كثيرا منذوى العاهات

والمقعدين غير بائع الخضر ، وسأل نفسه هل وظيفة المال الوحيدة ان يجلب مالا آخر وأن يظل هذا المال في تزايد وتكاثر ؟ اليس هناك في الحياة شيء خير وابقى من بيع الاسهم في الاسواق المالية حينما ترتفع الاسعار ؟

ونظر الى وجه بائع الخضر الصريح الامين وقال له : « يا صديقي ، انت وابنك المتبنى قد اديتما لي خدمة جليلة ، وسأثبت انني لست ناكرا للجميل قبل أن يمضي وقت طويل ، ولكن اليوم أود ان أترك لكما عربونا لما اريد ان افعله لكما ».

ولكن حينما وضع جود فروى يده في جيبه ليخرج محفظته أوقفه بائع الخضر قائلا « انني يا سيدى لا اود ان أجرح شعورك ، ولكني لن آخذ شيئا ، ونحن بطبيعة الحال لسنا في سعة من العيش ، ولكني كنت جنديا ، وربما كان يغلب على طباعي الشمم والكبرياء .. ولا احب ان أتناول خبزا لم ابذل جهدا في الحصول عليه ، وأى انسان آخر كان سيصنع ما صنعته » .

فاجابه جود فروى قائلا « ليكن ما اردت ، ولكن جنديا قديما مثلك يحسن أن يدبر له عمل آخر غير دفع عربة الخضر ، ومن واجبي أن اجد لك هذا العمل » .

فاجابه بائع الخضر شاكرا باسلوب الادب التقليدى في مثل هذه المناسبات وقد علت وجهه ابتسامة حزينة نمت على ما صادفه في حياته من نوبات خيبة الامل وعدم التشجيع .

وما كان اشد تعجب السادة غير العاطفين لو انهم رأوا السيد جود فروى وقد أوقفه في الحيرة والاضطراب اصرار بائع الخضر الاقطع ! ولكنه سيكون قادرا على أن يجد له مكانا في المصرف بوابا أو حاجبا ، وبائع الخضر لن يعرف نفسه في الحلة الرمادية الزرقاء !

وقال جود فروى « اظنك توافق على ان اعمل شيئا من أجل زيدور ! »

« نعم يا سيدى ، انه ليس له احد في الدنيا غيرى ، وهو حاد الذكاء ، واساتذته شديدو الاعجاب به » .

وتوقف بائع الخضر فجاة عن الحديث ونظر الى السيد جود فروى نظرة على انه يرى أن ما حدث مما لا يمكن تصديقه وان السيد جود فروى سينسى امرهما متى غابا عن ناظريه .

وقال « حسنا يا سيدى ، اظن ان علينا الآن أن نحمل نجلك الصغير الى العربة ، وسيجد عندكم من العناية اكثر مما استطيع توفيره له هنا ، وتستطيع أن تحمله بين ذراعيك فانه لن يستيقظ ، ويحسن أن نلبسه حذاءه اولا .

ورأى جود فروى امام الموقد الذى كانت تشتعل فيه قطعة صغيرة من الفحم ، حذاء راؤول الانيق والى جانبه حذاء زيدور الرديء الصنع ، وقد وضع في كل من الحذائين دمية صغيرة وورقة بها حلوى مشتراة من البدال .

وقال بائع الخضر في استحياء « لا شيء يا سيدى ، لقد وضع زيدور الحذائين هنالك قبل ان يأوى الى الفراش ، وترى يا سيدى ان هذين الطفلين لا يزالان يصدقان قصة حضور بهلول عيد الميلاد ومعه هدايا العيد ، ولذلك طاف بفكرى في اثناء عودتي من قسم الشرطة أن نجلك قد يقضي الليلة معنا ، ولذلك احضرت هذه الاشياء وحينما يستيقظان من النوم سيجدانها .

فامتلأت عينا السيد جود فروى بالدموع ، وخرج مسرعا من الغرفة وعاد بعد دقائق قليلة ومعه صندوق كبير به لعب اطفال ، ووضعه امام عيني بائع الخضر فاخذته الدهشة .

وقال « يا صديقي العزيز ان بهلول عيد الميلاد كان قد احضر هذه الاشياء لراؤول الصغير ، وأريد أن يراها هنا حينما يستيقظ ويقتسمها مع زيدور وهو صديقه منذ اليوم ، وصدقني انه سيكون من عملي أن ارعاك وارعى الطفل ، وحينما اقوم لكما بعمل كل ما استطيع فاني ساظل مدينا لكما ، لانكما قد صنعتما لي شيئا اكثر من عثورى على طفلي المفقود ، لقد ذكرتماني ان في الدنيا فقراء واني رجل ميسور وغير جدير بما صادفني من الحظ الحسن لانني اعتقدت انه مسألة مسلم بها ، واني اقسم بهذين الطفلين الراقدين انني لن انسى ذلك ما عشت » .

هذه هي المعجزة التي حدثت عشية عيد الميلاد ، واني موافق على انها تبدو غير قابلة للتصديق ، وبرغم اني اعرف أن السيد جود فروى لا يميل الى رجال الدين ، وأن الطفل زيدور لم يتلق تربية دينية في دراسته الابتدائية ، فانني لا أجد معدى عن أن اعزو ذلك الى الطاف ذلك الطفل المقدس الذى جاء الى العالم منذ الف وتسعمائة سنة ليوصي الناس بان يحب بعضهم بعضا . ■■

علي أدهم



قَضِـــيَّة خَاسِــرَة

قصة بقلم : الفة الادلبي

■ سيدى القاضي ! أنا امرأة فقيرة ، مسكينه ليس لي من سند الا الله وأنت ، الله يديم عزك يا سيدى ..

ويختنق صوتها بالبكاء فتغص بريقها وهي تكفكف دموعها . ويتفرس القاضي في الشبح الماثل أمامه فيرى عجوزا طويلة عجفاء ، تبدو صلبة العود على الرغم من شيخوختها ، ملتفة بملاءة سوداء ، وقد اسفرت عن وجه لا لون له ، حفر فيه البؤس أخاديد عميقة . أما عيناها فقد غارتا في محجريهما حتى لتبدو لمن يراها من بعيد وكأنها عمياء .

ويقول القاضي بلهجة فيها رفق وود :

ـ لا عليك يا خالة .. ما هي قضيتك ؟

وترد عليه بحرقة وانفعال :

ـ سرقوا مالي يا سيدى القاضي ! ... الله يقتص منهم .. أتدرى من أين سرقوه ؟؟ سرقوه من جوف ابني .. من أحشائه ! .. لاتستغرب قولي يا سيدى .. اني والله لا أكذب عليك ...

ويصرخ القاضي مندهشا :

ـ من أحشائه ؟ ......

ويتعجب الناس ويضحك بعضهم فتضج القاعة، حتى القاضي نفسه يخفي ابتسامته مراعاة لمهابة المنصب ، ويروح يحملق في العجوز ويتفحص وجهها فقد خيل اليه أنها مجنونة ..

أما هي فراحت تنظر الى وجوه الناس مبهوتة

متعجبة تتساءل فى سرها ما يضحكهم يا ترى ؟؟ لم يخطر لها ابدا ان مصيبتها الفادحة قد تثير الضحك .

يقول القاضي بلهجة جدية :

ـ احكي قصتك يا امراة ولا تخفي عني شيئا .

ـ وحياة الكعبة الشريفة يا سيدى القاضي لن اخفي عنك كلمة واحدة : نحن يا سيدى ناس فقراء نشتغل لنعيش . انا كنت اعمل غسالة ، وقد انقطع رزقي منذ اقتنى الناس غسالات الكهرباء . الله يقطع رزق من ادخلها بلدنا .. وكان ابني .. آه يا حسرة قلبي عليه ، يشتغل حمالا . اما زوجه فامراة بليدة ، ما تستطيع ان تجني شيئا لتساعد زوجها كغيرها من النساء ، وكيف تستطيع أن تعمل وهي من يوم دخلت بيتنا امّا حامل" ! .. وامّا نفساء ! ... ان الله يا سيدى القاضي يقول للغني كل عام : خذ هذا الكيس . وقد يكون الكيس مملوءا ذهبا او فضة.. ويقول للفقير كل عام خذ هذا الابليس ! ... وقد يكون لهذا الابليس فم لا يشبع ! ... وقد رزق ابني من هؤلاء الابالسة ستة لا يعرفون الشبع !...

كان ابوهم يا نار قلبي عليه يعمل من اجلهم واجل امهم من الصبح الى المساء . يحمل على ظهره ما يعجز البغل عن حمله . وذات مرة التوى ظهره تحت ثقل صندوق من حديد . فذهب الى الطبيب ليصف له دواء . قال له الطبيب . لم تعد تصلح حمالا ! رح فتش عن عمل آخر يناسب صحتك . ويعود ابني من عند الطبيب يائسا ما يعرف كيف يدبر أمره .

نحن يا سيدى تسعة اشخاص فى رقبته ، ما لنا كاسب غيره ، وهذا ليس بقليل ! ... رايته يبكي من ضيقه . ان بكاء الرجال صعب يفتت الكبد!... عندئذ اضطررت أن أعترف لابني انني املك قطعة ارض صغيرة فى قريتي البعيدة فى الشمال ، كنت قد ورثتها عن ابي ، وكتمت خبرها عن ابني . خفت أن يبيعها فيذهب ثمنها هدرا . كنت قد وضعت سند التمليك فى حجاب وعلقته فى عنقي وتركته ليوم شدة ، والآن قد جاء يوم الشدة . فرح ابني كثيرا عندما حدثته عنها . ظن انه قد وجد لضيقه مخرجا . لم ينم والله ليلتها من فرحته . كان يسالني عن الارض فى كل لحظة عن قيمتها ، ومساحتها ، عما ينبت فيها . وما يصبح الصباح حتى نسافر انا وهو لنبيع قطعة الارض . ضيعتي بعيدة يا سيدى . ظللنا فى السيارة من الصبح حتى منتصف الليل ، كدنا نهلك من التعب ، لا أحب ان اطيل عليك ، بعنا الارض بأرخص ثمن ، بعشرين ليرة ذهبية ، وهي والله تساوى خمسين . أختي باعت حصتها بخمسين . لكن المشترى استغل حاجتنا الى البيع . الله لا يبارك له ... وضعت الذهبات اى ثمن الارض فى كيس وأخفيته فى صدرى . كان ابني يحدثني طول الطريق عما يريد أن يفعل بالمال فيقول لي :

ـ اسمعي يا أمي : خمس ليرات نفي بها الديون ، ليرة لكسوة الاولاد والمراة ، اربع ليرات اجرة الدكان ، عشر ليرات ثمن البضاعة فاكهة وخضار ، وما يلزم الدكان من عدة ، ثم يقول لي :

ـ ستقعدين انت في الدكان حين اذهب الى السوق كل صباح لأتبضع . وستربح يا امي كثيرا باذن الله . جارنا الخضرى عمر بناية من وراء دكانه الصغير . وسيشبع الاولاد . سآتيكم كل مساء بما يتلف فى الدكان من فاكهة وخضار .

ولطول الطريق علينا ، تعطلت السيارة ثلاث مرات . وكان المطر يتدفق من السماء كالانهر . كدنا نموت من البرد . واذا انا أسمع احد الركاب يقول لزميل له :

ـ الآن وصلنا الى مكان الخطر .. الله يسلمنا من شرهم .

سالته : من هم يا اخي ؟ قال :

ـ اللصوص وقطاع الطرق .. كثيرا ما يخرجون من بطن هذا الوادى الذى نمر به الآن ، فيوقفون السيارات ويسلبون ركابها كل ما يملكون . هلع والله قلبي من كلامه ، كان كالبوم بشرنا بالشؤم . وما تم كلامه حتى سمعنا صوت الرصاص يلعلع فى الفضاء . وتتوقف السيارة فجاة ، ويصعد اليها رجلان مسلحان يسحبان سائقها وينزلانه الى الارض .. فلم نشك ابدا انهما من اللصوص .

ويقترب ابني مني ويوشوشني قائلا :

ـ اخرجي الذهبات دون أن يشعر بك احد ، وتعالي نبلعها انا وانت ، هذه خير وسيلة لانقاذنا .. والا فقدناها كلها .. المال عزيز يا سيدى كالروح تماما . كان معي ابريق مليء بالماء ، ناولت ابني ليرة ، وحاولت أن ابلع ليرة ، ولكني لم أستطع ، شرقت وكدت اختنق .

قال لي ابني :

ـ لا عليك يا أمي ، سابلعها انا وحدي .

ورحت اناوله ليرة،ليرة وهو يبلع حتى بلغ عددها العشر واذا الكيس يفرغ فكدت أجن .. لم البث ان عرفت انني قد غلطت .. كنت احمل كيسا آخر فيه عشرة فرنكات وهي كل ما كان معي من النقود عدا الذهبات ، والفرنك كما تعلم يا سيدي بحجم الليرة تماما ، لا يمكن التفريق بينهما باللمس .

ويضحك الناس، ويقول أحدهم بصوت مسموع :

ـ الله لا يعطيك عافية على هذه الغلطة الكبيرة...

وترد العجوز وهي تتنهد :

ـ ما ذنبي يابني ؟ كنت والله ارتجف من الخوف ، وكان الظلام حالكا ، وكنت لا اعي ما افعل .. ولما قلت لابني غلطت وقد ناولته الفرنكات عوضا عن الليرات سبّ ديني . يا ربي اغفر له ، وسامحه ! كان والله دينا ، تقيا يصوم ويصلي ، وما يكفر ابدا ، وما شتمني مرة . كظم غيظه وقال لي :

ـ هيا اسرعي ناوليني الذهبات الآن . ورحت اناوله ليرة بعد ليرة ، وهو يبلعها بسرعة عجيبة حتى بلغ عددها العشرين ذهبة ، احلف لك يا سيدي ان ابني بلع عدا العشرة الفرنكات عشرين ليرة ذهبية أم حصان لم تنقص واحدة . حين انتهى من بلعها كلها ، عاد السائق ومعه رجلان يحملان آخر جريحا ، علمنا فيما بعد ان الرجلين ليسا من اللصوص أو قطاع الطرق ، انما خشيا الا ينتظرهما السائق ريثما يصل رفيقهما الجريح فاضطرا أن ينزلاه من السيارة كي لا يغدر بهما . قال لي ابني :

ـ لا تهتمي يا أمي ، هذه قسمتنا ، غدا لا بد أن تخرج الذهبات من جوفي والفرنكات أيضا ، وساعيدها اليك كاملة . الفرنكات طبعا ، ويضحك ...

ونصل الى البلد ، ويمضي يوم ، ويومان ، وثلاثة ولم تخرج الليرات ولا الفرنكات من جوف ابني ! ... وبدا يشعر بآلام كأنها تمزق احشاءه . كان حين يربت على خاصرته اليمنى نسمع خشخشة النقود ، ويصبح المسكين موضع تسلية أولاده ، واحد رائح وآخر آت يربتون على خاصرة أبيهم يسمعون الخشخشة ثم يفرون من امامه ضاحكين .. صغار ما يدركون شيئا ! .. احيانا كانوا يصطحبون معهم أولاد الجيران ليسمعوهم الخشخشة .

وتضج القاعة بالضحك مرة أخرى ، وتتحول العجوز ثم تستأنف : كلامها :

صار ابني ياسيدي القاضي يخشى الخروج من البيت ، لا سيما في الليل ، لان الخبر كان قد شاع في حارتنا ، وربما تعقبه أحد أولاد الحرام ، فاذا سنحت له الفرصة بقر بطنه ليسرق منه المال . أولاد الحرام كثار .. والفقر كافر ! ... ويضطر ابني أخيرا ان يذهب الى المستشفى ليعرض نفسه على الاطباء . قالوا له : لا بد من اجراء عملية جراحية والا فحياتك في خطر . رضخ لاقوالهم . ودخل ، ياناز قلبي عليه ، الى غرفة العمليات على رجليه . مثل الحصان : طول ، وعرض ، وصحة ، وبعد ساعة أخرجوه لي ميتا ! طار عقلي من راسي .

وراحت تجهش بالبكاء . وتقول : أنا والدة يا سيدي ، وقد رايت وحيدي جثة هامدة ! .. نسيت أن أسالهم عن الذهبات . بعد ثلاثة أيام رايت أولاد ابني حولي يبكون من الجوع .. قمت وجررت نفسي الى المستشفى ، وهناك طالبت بمالي . واذا هم يدفعون لي عشرين فرنكا ، وعشر ذهبات فقط. قالوا لي :

ـ هذا ما وجدناه في جوف ابنك ! ...

اقسم لك يا سيدي القاضي ان الفرنكات كانت عشرة ، والذهبات عشرين انكليزية أم حصان كما قلت لك . وقد فحص ابني كل واحدة منها على الوجهين قبل أن يقبضها ، ودفعها اليّ واحدة اثر واحدة ، وانا وضعتها كلها في الكيس وعلقته في عنقي ، ثم اخفيته في صدري الى جانب كيس الفرنكات ، ثم بلعها ابني كلها ونحن في السيارة . فكيف انقلبت الفرنكات في جوفه الى ذهبات ، والذهبات الى فرنكات ؟؟؟

أنا يا سيدي القاضي ، امراة مغلوبة على أمرها ، فقيرة ومسكينة ، وعندي ايتام ، وليس لي من سند سوى الله وانت ، الله يديم عزك ...

سيدي ، نسيت أن أقول لك أن امراة ابني وضعت بعد موت زوجها باسبوع واحد توامين بنات ، لقد اصبحنا عشرة ، عشرة أفواه لا تعرف الشبع ، وانّى لها أن تعرفه ؟! ■■

دمشق **الفة الادلبي**

كتاب الشهر

طبائع الاستبداد

للسيد عبد الرحمن الكواكبي



صورة تذكارية للسيد عبد الرحمن الكواكبي تنشر لاول مرة . وقد نشرت العربي فى عددها رقم ١٢ الصادر فى شهر نوفمبر ١٩٥٩ مقالا وافيا عن حياته . كتبه حفيده وسميه عبد الرحمن الكواكبي.

بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بالجامعة الاردنية

هذا كتاب كان له ، حين ظهوره فى مطلع هذا القرن ، ضجة كبيرة . ومؤلفه هو السيد عبد الرحمن الكواكبي ، أحد اعلامنا المصلحين ، واذا كان الكواكبي قد عاش فى ظل الارهاب الحميدى ، واكتوى بناره ، فان كتابه دراسة ناقدة للاستبداد فى كل زمان ومكان ، وهو ثمرة من ثمار الالتقاء الفكرى بيننا وبين الغرب .

ونحن نستطيع أن نتبين موقفين واضحين لكتابنا ، فى مطلع هذا القرن ، من الحضارة الغربية : موقفا فيه دفاع عن التراث العربي ، وبيان أن كل ما هو حسن فى الحضارة الغربية موجود فيه .. وموقفا يحاول تفسير اسباب تأخر العرب ، ويرده الى اسباب لا صلة لها بالتراث العربي نفسه .

واذا كان كتابنا قد اختلفوا حول طرق النهوض بالامة ، فانهم اتفقوا فى أسباب التخلف ، واجمعوا على أن الاستبداد



عبد الرحمن
الكواكبي

السلطان
عبد الحميد

فيتوريو
الفييري

العثماني ، والحميدي خاصة ، يأتي على راس كل اسباب التاخر .

وكتابنا يرسمون صورة قاتمة للاستبداد الحميدى الذى بلغ من هوله ان كلمات : استقلال ، ويقظة العرب ، والامة العربية ، والثورة الفرنسية ، والحرية ، والاخاء ، والمساواة .. كانت محظورة ، وممنوعا ورودها فى صحف تلك الايام . كما منعت السلطات استيراد حروف المطابع من الخارج ، وحظرت نقلها من بيروت الى غيرها من الاماكن فى بلاد الشام .

ويعترف كتابنا ان الوعي انما اكتسبوه عن طريق اتصالهم بالحضارة الغربية ، وخاصة عن طريق اطلاعهم على كتابات اولئك الكتاب الذين مهدوا للثورة الفرنسية التي بلغ من اعجابهم بها ان راوا ان وجه الارض قد تغير منذ حدوثها ، وان آراء كتاب هذه الثورة هي التي دفعت العرب للتقدم . ونحن نجد اسماء فولتير ، وجان جاك روسو ، ومونتسكيو ، وغيرها ، ترد فى كتاباتهم كثيرا ، ممزوجا ذكرهم بالاجلال والتعظيم ، لان ما ورد فى كتاباتهم كان يعبر عن واقعهم ، ونكبتهم بالاستبداد الحميدى .

وسط هذا النشاط الفكرى حول الاستبداد نشأ السيد عبد الرحمن الكواكبي . ولكن كان له موقف يخالف موقف كتابنا المجددين فى زمنه من ناحيتين :

فهو اولا الكاتب الوحيد بينهم الذى وضع في الاستبداد كتابا كاملا هو «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» وهو ثانيا لم يتاثر بكتاب الثورة الفرنسية ، وانما بكاتب مسرحي ايطالي هو فيتوريو الفييرى (١٧٤٩ — ١٨٠٣) ، وهو كاتب لا نجد له ذكرا عند اى من كتابنا غيره .

وكتاب « طبائع الاستبداد » مجموعة مقالات نشرت سنة ١٣١٨ هـ في جريدة « المؤيد » القاهرية ، دون ان يكشف كاتبها عن اسمه ، فظن الناس انها بقلم

الشيخ محمد عبده ، ولكنهم عادوا فاستبعدوا هذا للجفوة التي كانت قائمة بين الأستاذ الامام والشيخ علي يوسف صاحب المؤيد . ولما عرفوا ان كاتبها هو السيد عبد الرحمن الكواكبي عظموه، واحلوه من نفوسهم المكانة اللائقة به ، حتى لقد ذهب بعضهم الى أن هذه المقالات لم تجد بمثلها اقلام فلاسفة الغرب والشرق في أي عصر من العصور.

ولما رأى السيد الكواكبي اقبال القراء على مقالاته نشرها في كتاب اسماه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ؛ وهي كلمات حق وصيحة في واد ، ان ذهبت اليوم مع الريح ، فقد تذهب غدا بالاوتاد » ، وذلك بعد ان زاد عليها « تلك المباحث خصوصا فى الاجتماعيات كالتربية والاخلاق » . وطبع الكتاب بعد هذا عدة طبعات كانت آخرها طبعة جديدة منقحة ، اضيفت اليها صفحات كان قد عثر عليها حفيده الدكتور عبد الرحمن الكواكبي وهي صفحات لم تنشر من قبل ، وقد صدرت هذه الطبعة في حلب سنة ١٩٥٧ . ولو كان بالامكان أن نقارن بين المقالات كما صدرت في جريدة « المؤيد » ، والطبعات المتعددة للكتاب ، لنلاحظ الفروق بينها ، لكانت هذه المقارنة نافعة لبيان قيمة هذه الزيادات ، وتفسير دواعيها .

ومع ان هذا الكتاب قد نشر قبل كتابه الاخر « سجل مذكرات جمعية ام القرى » بسنة ونيف ، الا ان موضوعه يدل على أنه يأتي تاليا لكتاب « ام القرى» في ذهن الكواكبي : لانه ليس سوى تفصيل لموضوع ورد في « ام القرى » . ففى « ام القرى » جمع الكواكبي علماء المسلمين من شتى بقاع الارض في مكة في الحج ، وادار على السنتهم آراءهم في اسباب تأخر المسلمين ، فكان من اسباب التأخر التى اوردها انتشار الاستبداد في البلاد الاسلامية ، وفي « ام القرى » حديث مقتضب عن الاستبداد.

ويبدو لنا أن الكواكبي قد شغله هذا السبب من اسباب التخلف ، فجعله اولا بين كل الاسباب واداره في ذهنه ، ثم نشره في الصحف .

★ ★ ★

وعند الحديث عن « طبائع الاستبداد» تجبهنا القضايا التالية :

❋ كيف عرف الكواكبي آراء الفييرى ؟

❋ والى أى مدى تأثر به ؟

❋ ولماذا تبنى آراءه بدلا من آراء كتاب الثورة الفرنسية ، وهي الاراء التى كانت تتردد على السنة كل دعاة الاصلاح في زمنه ؟

❋ وما قيمة هذا الكتاب ؟

وقد آثر الذين كتبوا عن الكواكبي أن يتجنبوا حل القضية الاولى :

١ ـ فالاستاذ أحمد أمين وقف منها موقف الباحث الذى لا يصدر الا عن يقين ، فقال : « وقد اقتبس فيه (يعني كتاب طبائع الاستبداد) كثيرا من أقوال الفييرى ، ولا أعرف كيف وصلت اليه» . وفي هذا القول اعتراف مستحب يؤكد دقة استاذنا رحمه الله . وهذا القول لا يضيف الى معلوماتنا شيئا جديدا ، لان الكواكبي نفسه يشير في كتابه الى « الفياري المشهور » .

٢ ـ وتجنب الخوض في هذه القضية الدكتور محمد احمد خلف الله في كتابه عن الكواكبي ، وكذلك فعل قدرى قلعجي . وأشار الدكتور سامي الدهان الى رأى الاستاذ احمد امين ، ثم استنتج ان « الكتاب ليس اقتباسا من الايطالية كله ، وليس جمعا من مصادر عربية وحدها ، وانما هو مجموعة مقالات وفصول أخذت من كل مصدر بنصيب» . وحجته في ذلك أن السيد محمد رشيد رضا قال في الكواكبي « ان ينبوع علم

هذا الرجل صدره ، وانه كان يزداد في كل يوم فيضانا وتفجيرا » .

٣ ـ وتناول نوربرت تابيرو الكواكبي في دراسة مفصلة ، ولكنه لم يجر ذكرا لالفييرى ابدا . وافترض تابيرو ان الكواكبي كان يعرف الفرنسية وانه استقى آراءه من كتاب الثورة الفرنسية . والثابت أن الكواكبي لم يكن يعرف سوى اللغة العربية والتركية بشهادة ابنه الدكتور أسعد .

وهكذا تبقى المشكلة معلقة .

عبد الرحمن الكواكبي في سطور

* ولد في حلب في ٢٢ شوال ١٢٧١ هـ . الموافق عام ١٨٥٤ م .
* والده هو احمد مسعود الكواكبي امين الفتوى والمدرس في الجامع الاموى بحلب .
* اقام في انطاكية بعد وفاة والدته حتى عام ١٢٨٤هـ وبعدها عاد الى حلب والتحق بالمدرسة الكواكبية ، حيث تعلم العلوم الدينية واللغوية .
* مارس المحاماة واصدر جريدتا «الاعتدال» و «الشهباء» واقام الدعاوى مرارا على جميل باشا والي حلب ليسترد منه اراضي اغتصبها من المزارعين الفقراء .
* هاجر الى مصر فرارا بحياته حيث نشر كتابيه « ام القرى » و « طبائع الاستبداد » ثم قام بتنظيم بعض مذكراته عن رحلاته في افريقيا وآسيا وجمعها في كتابين هما « صحائف قريش » و « العظمة لله » وقد فقدا وهما مخطوطان .
* وافته المنية في مصر يوم ٦ ربيع الاول عام ١٣٢٠ هـ (١٤ حزيران ١٩٠٢ م) عن ٤٨ عاما .

ونحن نجد الجواب عنها عند كاتب تركي معاصر للكواكبي هو احمد شعيب : فهو يذكر في كتابه « الدولة والجماعة » ان الكواكبي قد عرف آراء الفييري عن طريق حصوله على نسخة من الترجمة التركية لكتاب الفييرى « في الاستبداد » بقلم عبد الله جودت . ويضيف احمد شعيب أن كتاب الكواكبي ليس سوى ترجمة لكتاب الفييرى مع اضافات وتعديلات طفيفة . وهذا رأى خطير لا نستطيع ان نقطع بصحته او خطئه الا بعد مقارنة نجريها بين الكتابين . وهذا يقودنا الى مناقشة القضية الثانية التى أثرناها .

★ ★ ★

وبمقارنة كتاب « طبائع الاستبداد » للكواكبي بكتاب « في الاستبداد » لالفييرى نجد ان الكواكبي قد استمد جل آرائه من الفييرى ، وهي اكثرها نقل حرفي عنه ، الا ما زاده من استشهاد بالتراث العربي الاسلامي ، ودفاع عن الاسلام ؛ وسنأخذ مثلين للتطبيق ، وما نقوله فيهما ينطبق على الفصول الاخرى .

ان الموضوعين الرئيسيين في كتاب « في الاستبداد » هما الفصلان الاولان المعنونان **الاستبداد والدين و الاستبداد والعلم** ، وهما ايضا الموضوعان الرئيسيان والفصلان الاولان في كتاب « طبائع الاستبداد » . وكل فصل عند الكواكبي له نظيره عند الفييرى .

يرى الفييرى في الفصل الذى عقده للصلة بين الاستبداد والدين ؛ **أن الدين احد الاعمدة الرئيسية التى يقوم عليها الاستبداد ، لما للدين من سيطرة على نفوس البشر .**

والفييرى هنا لا يهاجم الدين من حيث هو دين ، ولكنه يهاجم العقيدة الدينية التى أفسدها رجال الدين لمصالحهم الخاصة . وفي رأيه ان الانبياء»

والقديسين ، والمصلحين الدينيين ، هم من أشد أعداء الاستبداد ، وأقوى أنصار الحرية . وهو يرى في البروتستانتية حركة دينية اصلاحية كان لها آثار بعيدة في حياة اتباعها ، وهي في جوهرها ثورة على ما أصاب المسيحية الخالصة من تشويه . والدين المسيحي في جوهره يدعو الى التحرر ، ويدفع معتنقيه الى جليل الاعمال .

وبقراءتنا لكتاب الكواكبي نلمس بوضوح انجذابه الى آراء الفييري ، واعجابه بهجومه على السلطة الدينية في الكاثوليكية ، وعلى التشويه الذي أصاب الدين المسيحي . ونحن لا ندهش لانبهار الكواكبي بهذه الآراء : فهو نفسه — كمعاصريه من كتابنا المجددين — كان يؤمن بأن رؤساء الدين سبب من أسباب تأخر المسلمين ، لانهم حالفوا المستبدين ، وافسدوا الدين خدمة لاغراضهم . وفي رايه انه عندما استحكم الاستبداد في العالم الاسلامي ، رفض العلماء الاجلة التعاون مع المستبدين ، فحلّ في وظائف القضاء والافتاء من لم يكونوا أهلا لها .

وانا انقل هنا عن الكواكبي افكاره الرئيسية في فصل «الاستبداد والدين» ، ومنها يبدو ان نقله عن الفييري حرفي الى حد بعيد : فالكواكبي يرى أن **« الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني ... فهما اخوان ، ابوهما التغلب ، وامهما الرياسة ، او هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الانسان » . والقسوس وامثالهم « لا يأذنون للناس بالدخول ما لم يعطوهم ، مع التذلل والصغار ، ويرزقوهم باسم نذر او ثمن غفران .. ويذللوهم بالقهر ، والقوة ، وسلب الاموال ،حتى يجعلوهم خاضعين لهم . » والحكماء « يحكمون بان بين الاستبدادين السياسي والديني مقارنة لا تنفك ، متى وجد احدهما في أمة جر الاخر اليه ، أو متى زال زال رفيقه .. ويبرهنون على أن الدين أقوى تأثيرا من السياسة اصلاحا وافسادا ، ويمثلون بالسكسون ، أى الانجليز والهولنديين والاميركان والالمان ، الذين قبلوا البروتستانتية ، فأثر التحرير الديني في الاصلاح السياسي . »**

ولكن الاستبداد ليس من طبيعة الدين المسيحي ، ولكنه « لما انتشرت النصرانية ، ودخلها قوم مختلفون ، لبست ثوبا غير ثوبها ، كما هو شان سائر الاديان التى سلفتها ، فتوسعت برسائل بولس ونحوها ، فامتزجت بازياء وشعائر وثنية .. وهكذا صارت النصرانية تعظم رجال الكهنوت الى درجة اعتقاد النيابة عن الله ، والعصمة عن الخطأ .. مما رفضه اخيرا البروتستان ، أى الراجعون في الاحكام لاصل الانجيل . » ومثل هذا حدث في الاسلام ، حيث نرى « بعض العلماء الاعاجم ، وبعض مقلديهم من العرب المتاخرين ، قد افتروا أقوالا على الله ورسوله ، تضليلا للامة . »

وفي هذا الفصل اضافات نجدها عند الكواكبي ، وهي في حقيقتها ليست اضافات ، بل تعقيبا على آراء الفييري يقصد بها نفي الاستبداد في الاسلام ، وهو يسوق لذلك الايات القرآنية ، ويستشهد بأحداث التاريخ ، لينتهي الى القول « **ان القرآن الكريم مشحون بتعاليم اماتة الاستبداد ، واحياء العدل والتساوى .** »

★ ★ ★

والامانة توجب علينا أن نقرر أن الكواكبي لا ينسب هذه الآراء التى

أوردها في الصلة بين الاستبداد والدين الى نفسه ، ولكنه يقدم لكل راى بمثل قوله « **تضافرت آراء اكثر العلماء ..** »، « **يقول هؤلاء المحررون ...** » ، « **ويقولون ..** » ، « **ويرون ..** » ، « **ويقررون ...** » الخ وبمقارنة الكتابين نجد أن واو الجماعة عند الكواكبي لا تعني في الواقع غير فيتوريو الفييرى .

وفي الفصل الذى جعلا عنوانه « **الاستبداد والعلم** » ، نصل الى النتيجة نفسها التى وصلنا اليها بمقارنة فصل « **الاستبداد والدين** » : **فهما يريان أن الاستبداد يتعارض مع العلم الحق ، والمستبد ترتعد فرائصه من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية ، والفلسفة العقلية ، والتاريخ المفصل ، والخطابة الادبية ، ونحو ذلك من العلوم التى توسع العقول . ولهذا فان بين الاستبداد والعلم حربا قائمة ، فهما ضدان متغالبان ، والسعيد من العلماء من نجا بنفسه ، وتمكن من الهجرة عن دياره ، وهذا سبب أن كل الانبياء العظام ، وأكثر العلماء الاعلام ، والأدباء النبلاء ، تقلبوا في البلاد ، او ماتوا غرباء .**

★ ★ ★

واذا تركنا هذا الفصل الى غيره ، فاننا نجد تشابها في فكرة رئيسية في كل من الكتابين : فالفييرى كاره للعامة ، وهو لا يرى فيهم خيرا . وليس هذا مستغربا من الفييرى الارستقراطي المولد ، الثرى ثراء فاحشا . انه يريد نوعا من النظام على غرار جمهورية أثينا ، يتولى مقاليد الامور فيها رجال الفكر . ومثل هذا يرى الكواكبي ، ولكن مرشده في هذا عقيدته : **انه يريد خليفة عربيا يطبق نظام الشورى الاسلامية ، وهي عنده « الشورى الارستقراطية ، اى شورى اهل الحل والعقد في الامة ، بعقولهم لا بسيوفهم .** » وهكذا نرى أن الفكرة عندهما واحدة ، وقد وجد الكواكبي في الشورى حلا يرضيه ، ويتفق مع الدين . ورأي الكواكبي هنا قريب من رأى الاستاذ الامام الذى كان يرى أن سبيل النهوض بالامة انما يكون بالمستبد العادل ، المعتمد على الشورى الارستقراطية .

ويختلف الكواكبي عن الفييرى في أمر واحد هو طريق الخلاص من الاستبداد : **فالفييرى لا يرى لذلك من وسيلة سوى القوة .** وهذا هو ما كان يراه الافغاني . **اما الكواكبي فقد قال بما قال به الاستاذ الامام من ان التعليم هو الوسيلة الوحيدة للاصلاح ، فاذا تعلم الشعب أصبح قادرا على العمل ، وقادرا على الاحتفاظ بمكاسبه .**

★ ★ ★

وجوابا عن القضية الثالثة نقول : لعل الصدفة وحدها هي التى حددت للكواكبي طريقه ، حين وقعت في يده الترجمة التركية لكتاب الفييرى . وفوق هذا يبدو لي ان لغة الفييرى الرومانسية المتدفقة ، وافكاره الثائرة المفككة المتحللة من قيود المنطق ، استهوت الكواكبي اكثر من آراء فلاسفة الثورة الفرنسية العميقة المنطقية المترابطة . والسر كامن في ضعف ثقافة الكاتبين الثائرين ، وتاريخهما شاهد على ذلك . ونحن نستطيع ان نلمس بسهولة التفكك البين في كتابي « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » : فالآراء جميلة جذابة ، ولكنها غير مترابطة ، واللغة براقة ثائرة مؤثرة ، ولكنها تعز على التقييم المنطقي .

واذا كان هذا هو الكواكبي ، كما نراه ، فما قيمة كتابه اذن ؟ ولماذا احدث كل هذه الضجة عند ظهوره ؟

ان الكواكبي ، رغم كل ما قيل ، يبقى مصلحا يستحق كل تمجيد ، لانه جرؤ ان يكتب مثل هذا الكتاب في ظل الاستبداد الحميدى ، وفي وقت كان

العرب فيه محتاجين الى مثله ، لبعث الهمم ، وتنوير العقول . ولقد كان الكواكبي مؤهلا لاداء هذه الرسالة ، لانههو نفسه عانى من هذا الاستبداد الوان الاضطهاد في بلدته حلب : فسجن سنة ١٣٠٣ هـ متهما بالتآمر على حياة الوالى ، ولكن اطلق سراحه بعد ان حوكم وثبتت براءته ، وهوجم بيته ، واحرقت اوراقه وكتبه ، ولفقت السلطة له تهمة الخيانة العظمى ، وكانت نجاته من الاعدام اعجوبة .

وقيمة الكواكبي انه اول كاتب كرّس جهده لاخراج كتاب كامل في هذا الموضوع ، وهو ما لم يفعله احد من كتابنا الى زمنه . وقيمته قبل كل هذا انه كتب هذا الكتاب ، في هذا الموضوع ، في هذا الوقت .

واذا كان الكواكبي قد اخذ آراءه من الفييرى ، فان هذا لا يقلل من قيمة كتابه ، لاننا كنا في دور نقل عن الغرب ، والكواكبي لم يكتف بالنقل ، بل زاد فعرض هذه الاراء من خلال تراثنا العربي الاسلامي ، وواقع امتنا الذى كانت تحياه . ثم ان الكواكبي قد عرض هذه الاراء بأسلوب مشرق مؤثر ، جعل النفوس تقبل عليها ، وتفكر فيها . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

عبد الرحمن الاوزاعى : شيخ الاسلام وامام أهل الشام

تأليف : الشيخ طه الولى / الناشر : دار صادر / بيروت

● ترجمة وتحليل لحياة عبد الرحمن الاوزاعى تتناول نتاجه الادبى واجتهاداته الفقهية واقواله المأثورة في الأخلاق والحكمة ، وقد زود الكتاب كذلك ببعض الوثائق والصور لضريح الاوزاعى ومقامه وصور لبعض آثاره الأدبية .

تاريخ النظم القانونية

تأليف : الدكتور محمود سلام زناتى / الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة

● يتضمن هذا الكتاب دراسة نشأة النظم القانونية وتطورها والوقوف على كيفية نشأتها وظروف تطورها ، وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة أجزاء تناول في الجزء الاول المجتمع البدائي ومعالجة ابسط صورها وفي الجزء الثانى تناول دراسة المجتمع القبلى ، وعنى بالقاء بعض الضوء على طبيعة النظم السائدة في المجتمعات القبلية وما صحبها من تغيير وتطوير اما الجزء الاخير فتناول دراسة المجتمع المدنى والنظم القانونية التى سادت الشرق الادنى مثل النظم المصرية القديمة والنظم البابلية .

تذكرة الفقهاء / كتاب البيع

تأليف الحسن بن يوسف المطهر المعروف بالعلامة الحلى ، قام بنشره والاشتراك بتصحيحه الاستاذ محمد كلانتر/الناشر/مطبعة النجف / العراق

● كتاب البيع يقع في الجزء السابع والجزء الثامن من كتاب تذكرة الفقهاء ، وهو كتاب في الفقه المقارن بين المذاهب الاسلامية المختلفة ، ويقوم بتلخيص فتاوى العلماء وقواعد الفقهاء في المسائل الفقهية المختلفة ويتناول المؤلف في الجزء السابع من الكتاب اركان البيع وانواع البيع ثم في وثاقة عقد البيع وضعفه ، اما الجزء الثامن فيتناول بيع النقد والنسيئة ثم الشفعة .

■■

شلالات نياجارا..

انظر الصورة
على صفحة ٢

أشهر شلالات فى العالم وليست أكبرها .... !

■ فى العالم عشرات الالاف من الشلالات ومساقط المياه . من بينها عدة مئات فقط ذات احجام تذكر .. اما الباقي فهي شلالات صغيرة .

واعلى شلالات فى العالم هي شلالات آنجل « Angel » فى فنزويلا بامريكا الجنوبية ويبلغ ارتفاعها ٣٢١٢ . يليها شلالات توجيلا Tugila فى جنوب افريقيا ويبلغ ارتفاعها ٣١١٠ اقدام .. ثم شلالات يوسميت « Yosemite » فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية ويبلغ ارتفاعها ٢٤٢٥ قدما ..

وارتفاع الشلالات ليس هو المقياس الوحيد لاهميتها .. اذ ان كمية المياه التي تتدفق خلال هذه الشلالات ذات اهمية قصوى بالنسبة للفوائد التي تعود على الانسان منها .. ومن هذه الناحية تعتبر شلالات جوايرا « Guaira » التي تقع بين البرازيل وباراجواى فى امريكا الجنوبية اكبر الشلالات فى العالم اذ تبلغ كمية المياه التي تتدفق منها ٤٧٠ الف قدم مكعب فى الثانية الواحدة ..

ويلى شلالات جوايرا شلالات نياجارا Niagara وهي تقع فى اراضي الولايات المتحدة الامريكية وكندا وتبلغ كمية المياه المتدفقة منها ٢١٢ الف قدم مكعب فى الثانية الواحدة وذلك بالرغم من ان ارتفاع هذه الشلالات لايزيد عن ١٦٧ قدما .

ومن اكبر الشلالات فى افريقيا شلال فيكتوريا الذى يقع بين زامبيا وروديسيا الجنوبية وتبلغ كمية المياه التي تتدفق منه فى الثانية ٣٨٤٣٠ قدما مكعبا .. بينما لا يزيد ارتفاعه عن ٣٥٥ قدما ويصب فى بحيرة فيكتوريا .

وفى الماضى كانت الشلالات تعتبر معوقات طبيعية للملاحة .. وبذلك كانت نقمة على الانسان ..

واليوم تعتبر هذه الشلالات نعمة ، ولا كل النعم ، فمن هذه الشلالات تولد الطاقة الكهربية الضخمة بتكاليف زهيدة .. ومع الطاقة الكهربية يبدأ العمران الصناعي .

ولعل شلالات « نياجارا » تعطينا فكرة عن الخيرات التي يستغلها الانسان من مساقط المياه الان .

ان ٢١٢ الف قدم مكعب من الماء تتدفق فى كل ثانية من شلالات نياجارا وهي قادمة من بحيرات ميتشجان وهورون وآيرى وسوبرير عبر نهر نياجارا .. ويتم توليد ٤ ملايين كيلو واط كهرباء بواسطة توربينات تدور عن طريق تدفق المياه .. وبذلك تعتبر محطة توليد الكهرباء فى نياجارا من اكبر محطات توليد الكهرباء بواسطة التوربينات فى العالم الغربي .

وهناك اتفاقية بين الولايات المتحدة الامريكية وكندا تقضى باقتسام هذه الطاقة الكهربية وذلك لان الشلالات يقع بعضها فى كندا والبعض الاخر فى الولايات المتحدة .

وبالرغم من أن شلالات نياجارا ليست اكبر شلالات فى العالم .. فهناك ١٠٠ شلال اكثر ارتفاعا منها .. وهناك شلال تتدفق منه كمية مياه اكبر من كمية المياه المتدفقة من نياجارا .. الا ان شلالات نياجارا تعتبر اشهر شلالات فى العالم .. ولعل السبب فى هذا يعود الى التنظيمات السياحية التي قامت بها امريكا وكندا فى المنطقة .. والى طرق انارة الشلالات .. والى الدعاية الضخمة التي احيطت بها هذه الشلالات .

وهكذا يقوم الانسان اليوم بتحويل ما كان اجداده يعتبرونه نقمة الى خير وبركة .. ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الصلوات والتسليم في الآذان

● في كتب الفقه والحديث نجد أن الأذان للصلوات هو « الله أكبر » مرتين أو أربعا « أشهد ان لا اله الا الله » مرتين « أشهد أن محمدا رسول الله » مرتين « حي على الصلاة » مرتين « حي على الفلاح » مرتين « الله أكبر » مرتين، ثم يختم الأذان بجملة التوحيد « لا اله الا الله ».

غير أننا نجد في بعض البلاد كبلاد الجمهورية العربية المتحدة أن بعض المؤذنين يقولون عقب ذلك « الصلاة والسلام عليك، يا رسول الله » وأنواعا من هذه الصلاة والتسليم. فهل هذا مما كان في عهد الرسول والصحابة ؟

عواد محمد ـ الكويت

ـ ما يهتف به بعض المؤذنين عقب الأذان المنتهي بقول « لا اله الا الله » هو شيء لم يكن في عهد رسول الله ولا صحابته ولا من تبعهم في عصور الاسلام الاولى، وانما هو ـ كما يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ـ أمر حدث في سنة ٧٩١ هجرية في شهر شعبان في خلافة المتوكل على الله، وان الذى امر به هو المحتسب نجم الدين الطنبذى.

والمتوكل على الله هو سابع الخلفاء العباسيين في مصر أيام المماليك، تولى سنة ٧٦٣ هجرية وخلع سنة ٧٧٩ لمدة ثلاثة أشهر، ثم عاد، ثم خلع سنة ٧٨٥ ثم أعيد للخلافة سنة ٧٩١، وظل الى ان توفي سنة ٨٠٨.

ومن نص السيوطي يبدو لنا ان هذه الصلوات والتسليمات التى تتلو الأذان مستحدثة، وفي مصر، وان اكثر البلاد الاسلامية خالية منها. وقد الغت وزارة الاوقاف في الجمهورية العربية المتحدة هذا المستحدث، فلا تسمعه في اكثر المدن ولا يذاع في الاذاعة وليس له من بقايا الا في بعض القرى ذلك انه ليس من التشريع الأصيل.

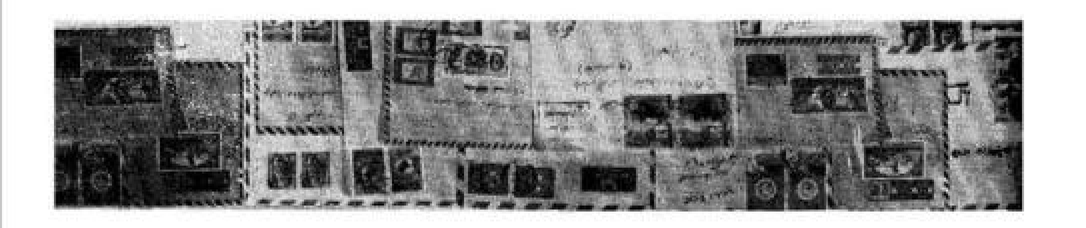




● سعدت بقراءة الاستطلاع الشيق عن « الشارقة » في العدد ١١٤ من مجلة « العربي » الواسعة الانتشار، ومما لفت نظرى واحببت ان ازيد معلوماتي عنه ما اشرتم اليه في هذا الاستطلاع عن قصة « فاسكو دي جاما » التى نشرت في كتاب انجليزى، وذكرتم ان هذا الكتاب قد اغفل ذكر ابن ماجد الذى اوصل فاسكو دي جاما الى الهند .. ولم تذكروا في استطلاعكم شيئا آخر عن ابن ماجد ولثقتي في مدى ما تحاولونه لنشر المزيد من المعارف والمعلومات لتوعية الشباب العربي فاني اطلب بعض المعلومات عن ابن ماجد.

جاسم احمد الجاسم
المملكة العربية السعودية

ـ ابن ماجد هو شهاب الدين احمد



أول مسجد في الإسلام

● في أي سنة بني أول مسجد للاسلام ؟ وفي أي مكان ؟ وما اسمه ؟

الزداك محمد ـ القنيطرة ـ المملكة المغربية

ـ أول مسجد بني في الاسلام بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مهاجرا ، فنزل بقباء وباطراف المدينة وكانت على ميلين منها في ذلك الوقت ، وكان نزوله على بني عمرو بن عوف، فبنى مسجده المعروف « بمسجد قباء » واسمه أيضا مسجد التقوى ، وهو الذى نزل فيه قول الله تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المُطَّهِّرين » سورة التوبة الآية ١٠٨ » وهو موجود الآن بالمدينة .

وقيل ان هذا المسجد بناه المتقدمون في الهجرة من اصحاب رسول الله ومن نزلوا عليهم من الانصار فلما هاجر الرسول وورد قباء صلى بهم فيه .

أما المسجد الحرام . وكانت الصلاة يقيمها فيه من لا يخشى باس قريش ، فان البيت الحرام قديم لم يبن في الاسلام ، وانما بناه ابو الانبياء ابراهيم، هو وابنه جد العرب المستعربة اسماعيل « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » سورة آل عمران الآية ٩٦ « أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » سورة البقرة الآية ١٢٥ .

أوصل فاسكو دي جاما إلى الهند

ابن ماجد بن محمد النجدى ، ولد حوالي عام ٨٣٦ هـ (١٤٣٢ م) في جلفار (رأس الخيمة الان) وعاش حتى بلغ عمره المائة عام . وقد قام ابن ماجد بكتابة عدة مؤلفات تصل الى الاربعين مؤلفا ، واشهرها « حاوية الاختصار في أصول علم البحار» ، وهي ارجوزة في الف بيت صاغ فيها علوم البحر بلغة عامية متحللا من قواعد النحو واللغة . وللأسف فان العرب لم يطبعوا شيئا من كتب ابن ماجد ، ولم يكتبوا عنه اية دراسات وانما الذى قام بذلك المستشرقون وخاصة : جابريل فران ، وثيودور شوموفسكي ، وكراتشكوفلسكي . وقد كتب المؤرخ البرتغالي « كستانهيدا » يصف ارشاد ابن ماجد لفاسكودي جاما الى طريق الهند قائلا « وصل فاسكو دي جاما الى مالندى » على الساحل الشرقي من افريقيا شمال مدغشقر) في ١٥ مارس (آذار) ١٤٩٨ ، وأرسى في فرضتها .. فصعد الى سفينته مسلمون منهم مسلم اسمه احمد ابن ماجد ، أحب ان ينعم برفقة دى جاما وبحارته ، ورضى ان يذهب معهم فيدلهم على طريق الهند .

هذه هي بعض المعلومات السريعة عن ابن ماجد وقد قامت مجلة « العربي » في عددها التاسع والعشرين الصادر في ابريل نيسان (١٩٦١) بنشر موضوع واف عن بحار العرب الاول .. ويمكنكم الرجوع الى هذا العدد في حالة طلب معلومات اوفى .

الفدائي الفرنسي الشهيد كان يعمل في الكويت

● أعلنت منظمة فتح منذ بضعة اسابيع عن استشهاد فدائي اجنبي قيل انه فرنسي ، أثناء احدى معارك الفدائيين ضد العدو في الاراضي المحتلة . فمن هو هذا الفدائي ؟

سالم محمد/عمان ـ الاردن

ـ الفدائي الاجنبي الذى اعلنت « فتح » عن استشهاده ، هو شاب فرنسي في الثانية والثلاثين يدعى روجيه كود روى Roger Coudroy ، كان يعمل في الكويت مديرا فنيا لاحدى وكالات السيارات الفرنسية العاملة فيها . واستطاع « روجيه » خلال هذه الفترة التي قضاها في الكويت ـ وتقرب من سنتين ـ ان يقيم علاقات صداقة بعدد كبير من ابناء البلد .. وتعلم العربية، وتعلم عن طريقها اشياء كثيرة كانت خافية عليه قبل مجيئه الى هذا الجزء من العالم .

وقد ادرك هذا الشاب الفرنسي عدالة القضية العربية بحيث اصبح من المهتمين بتتبع احداث العالم العربى ، واخبار المؤامرات الصهيونية التى تحاك ضده .

قال يوما لاصدقائه : « هل تعرفون انني كنت جنديا في الفرقة الاجنبية Legion Etrangere ومن خلال تجاربي في هذه الفرقة تعلمت أن الثورة للحق لا تموت ابدا . »

المسدسات والبنادق تباع

● قرأنا أخيرا بمناسبة اغتيال السناتور روبرت كنيدى ان القانون فى امريكا يبيح حيازة السلاح وشراءه وبيعه بالبريد وكأنه سلة من سلال الفاكهة او علبة من علب السجائر . فهل هذا صحيح ؟

ـ نعم صحيح . فحيازة السلاح فى الولايات المتحدة تقليد قومى ، ومأساة قومية فى الوقت ذاته . ولا احد يستطيع ان يعرف على وجه التحديد كم عدد قطع السلاح الموجودة فى حيازة المواطنين فى امريكا . ولو ان مجلة نيوزويك Newsweek الامريكية قد ذكرت ان التقديرات تتراوح بين ٥٠ مليون و ٢٠٠ مليون قطعة سلاح فى جميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية . والرقم الاخير هو نحو تعداد سكان البلاد .

ومعنى هذا ان هناك بعض الافراد الذين يملكون اكثر من قطعة سلاح واحدة ، لانه من غير المعقول ان يملك كل طفل وامرأة مسدسا او بندقية !

وفي احصاء اجرته دوائر الامن الامريكية فى عام ١٩٦٦ ، ثبت ان انتشار الاسلحة فى ايدى المواطنين قد تسبب فى وقوع ٦٥٠٠ جريمة قتل و ١٠ الاف حادث انتحار و ٢٦٠٠ حادثة انطلقت فيها الرصاصات بطريق الخطأ . كما اثبتت الاحصائيات

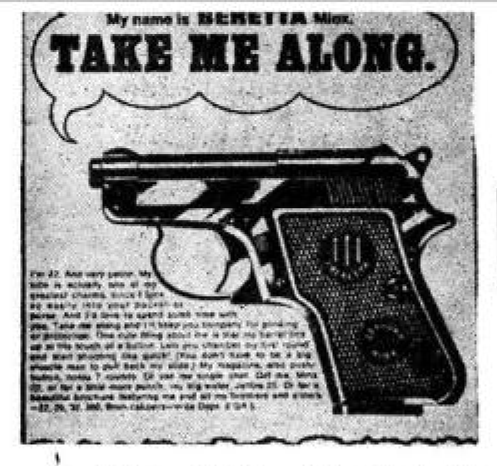
أكبر زلزال فى التاريخ !

● قرأت أن الزلازل صفة ثابتة من صفات الارض فكم زلزلة تحدث بالارض في العام ؟ وما هي أشهر الزلازل التى وقعت في الخمس سنوات الاخيرة ؟ ثم ما هو أكبر زلزال في التاريخ وما عدد ضحاياه ؟

حسام عسل ـ القاهرة

ـ هناك حوالى ١٠ الاف زلزال تحدث سنويا في الارض ولا يزيد عدد الزلازل التى يكون لها تأثير على كوكبنا لحسن الحظ عن ٥٠ زلزالا سنويا تتراوح في قوة تدميرها .. وتبدأ الزلازل عادة بهزات ارضية خفيفة سرعان ما تتخذ شكل هزة عنيفة وتنتهي برجات تأخذ في الضعف بعد الهزة الكبرى . وعادة ما تحدث هذه الزلازل نتيجة لضغط غير عادى يحدث في باطن الارض ينتج عنه تشقق في القشرة الارضية .

واشهر الزلازل التى وقعت في العالم خلال



كعب السجاير في أمريكا

ايضا ان ۷٥۰ الف امريكي قتلوا رميا بالرصاص في حوادث فردية في جميع انحاء الولايات المتحدة منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم ، وهو رقم يفوق عدد الامريكيين الذين قتلوا في كل الحروب التي خاضتها امريكا خلال القرن الحالي .

ولقد تسببت هذه الظاهـرة الخطيرة بطريق مباشر في مصرع العديد من الزعماء البارزيـن في امريكا كان آخرهم السـناتور روبرت كنيدى ، ومن قبله مارتن كنج الزعيم الزنجي الحائز على جائزة نوبل للسلام ، ومن قبله الرئيس الامريكى السابق جون كندى ، ولا احد يعرف من الذى سيسقط غدا اذا بقيت هذه المستودعات الضخمة من الاسلحة في ايدى الافراد .

من اجل هذاكله ، عرض على الكونجرس الامريكي مشروع قانون لمكافحة الجريمة في امريكا ، وتنص بنود هذا القانون الجديد على فرض رقابة على الاسلحة ، باعتبارها اداة الجريمة ، ويحرم القانون حيازة السلاح الا بعـد الحصـول على ترخيص . ويحصل الامريكيون على الاسلحة من ولايات اخرى غير الولايات التي يقيمون فيها ، اذا رفضت السلطات المحلية منحهم تراخيص حمل السلاح . وكانت هذه الاسلحة من مسـدسـات وبنادق وغيرها تصل اليهم بطريق البريد ، كما او كانت كتبا جديدة او هدايا من هدايا عيد الميلاد .

كما يحرم القانون ايضا على الاشرار واصحاب السوابق ، حمل السلاح ، حتى المحاربين القدامى لايسمح لهم بالاحتفاظ باسلحتهم بعد تسريحهم من الجيش الا اذا كان لهم سجل مشرف طوال مدة خدمتهم في الجيش .

وقد قال الرئيس جونسون في تصريح اذاعـة اخيرا على الشعب عقب مصرع السناتور كنيدى : « ان القيود المفروضة على حمل السلاح في الدول المتحضرة كان لها اكبر الاثر في الحد من الجريمة، ويكفى ان نعلم أنه بينما تبلغ عدد جرائم القتل رميا بالرصاص في امريكا ۶٥۰۰ جريمة في العام الواحد ، نجد ان عدد هذه الجرائم لا يزيد على ۳۰ جريمة في انجلترا و ۹۹ في كندا و ۶۸ في المانيا الغربية و ۳۷ في اليابان . »

الخمس سنوات الاخيرة وهي :

* عام ۱۹۶۲ : شـمال غـرب ايران في اول سبتمبر وبلغ عدد ضحاياه ۱۲٫٤۰۳ أشخاص .

* عام ۱۹۶۳ : زلزال سكوبلى Skoplje في يوغسلافيا يوم ۲۶ يوليو وبلغ عدد ضحايا هذا الزلزال ۱۰۱۱ نسمة ودمر المدينة كلها .

* عام ۱۹۶٤ : زلزال الاسكا في امريكا وبلـغ عدد ضحاياه ۱۱٤ نسمة فقط ولكن خسائره المادية بلغت ۷٥۰ مليون دولار .

* عـام ۱۹۶٥ : زلزال بالقـرب من مدينـة سانتياجو في شيلى (أمريكا الجنوبية) وبلغ عدد ضحاياه ٤۰۰ نسمة وحدث في ۲۸ مارس .

* عام ۱۹۶۶ : في هذا العام وحده حدثت ۹ زلازل تسببت في ضحايا عديدين وكان اكبر هذه الزلازل زلزال تركيا في ۱۹ اغسطس . والـذى بلغ عدد ضحاياه ۲۰۰۰ نسمة .

* عام ۱۹۶۷ : ۳ زلازل شرق مدينة استانبول في ۲۲ يوليو تسببت في قتل ۲۱۳ شخصا .

اما عن الجزء الاخير من سؤالك الخاص باكبر زلزال في التاريخ فهو الزلزال الذى حدث فى شنسي « Shensi » بالصين في ۲٤ يناير عـام ۱٥٥۶ وبلغ عدد ضحاياه ۸۰۰ الف قتيل .

الطبرى .. من هو؟

● تقرأ فى مقالات المؤرخين والمفسرين قولهم « قال الطبرى » « رواه الطبرى » فمن هو هذا العالم .

اشتى اسماعيل شاويس
العراق ـ السليمانية

ـ طبرستان بلاد واسعة كانت عاصمتها « آمل » وفى « آمل » سنة ٢٢٤ هجرية ولد محمد بن جرير ابن يزيد الطبرى ابو جعفر . سمع خلقا كثيرا من علماء العراق والشام ومصر ، حتى صار من الائمة المجتهدين ، وقد استوطن بغداد واقام بها الى حين وفاته سنة ٣١٠ قال عنه بعض من له به صلة : انه مكث اربعين سنة يكتب فى كل يوم منها اربعين ورقة ، له اعظم كتاب فى التاريخ اشتهر باسم « تاريخ الطبرى » واسمه « أخبار الرسل والملوك » وله ايضا اضخم كتاب فى التفسير فى عهده اشتهر باسم « تفسير الطبرى » واسمه « جامع البيان فى تفسير القرآن » وهذان الكتابان هما اعظم آثاره وله غير ذلك من المؤلفات يضاف الى هذا انه كان يقول الشعر ، ومن شعره :

اذا أعسرتُ لم يعلم رفيقي
وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي
ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحت ببذل وجهي
لكنت الى الغنى سهل الطريق

وله أيضا :

خُلقان لا أرضى طريقهما
بَطَرُ الغنى ومذلة الفقرِ
فاذا غنيتَ فلا تكن بَطِراً
واذا افتقرت فتِهْ على الدهرِ

■■

العربي

العدد ١١٩
رجب ١٣٨٨
اكتوبر
(تشرين الاول) ١٩٦٨

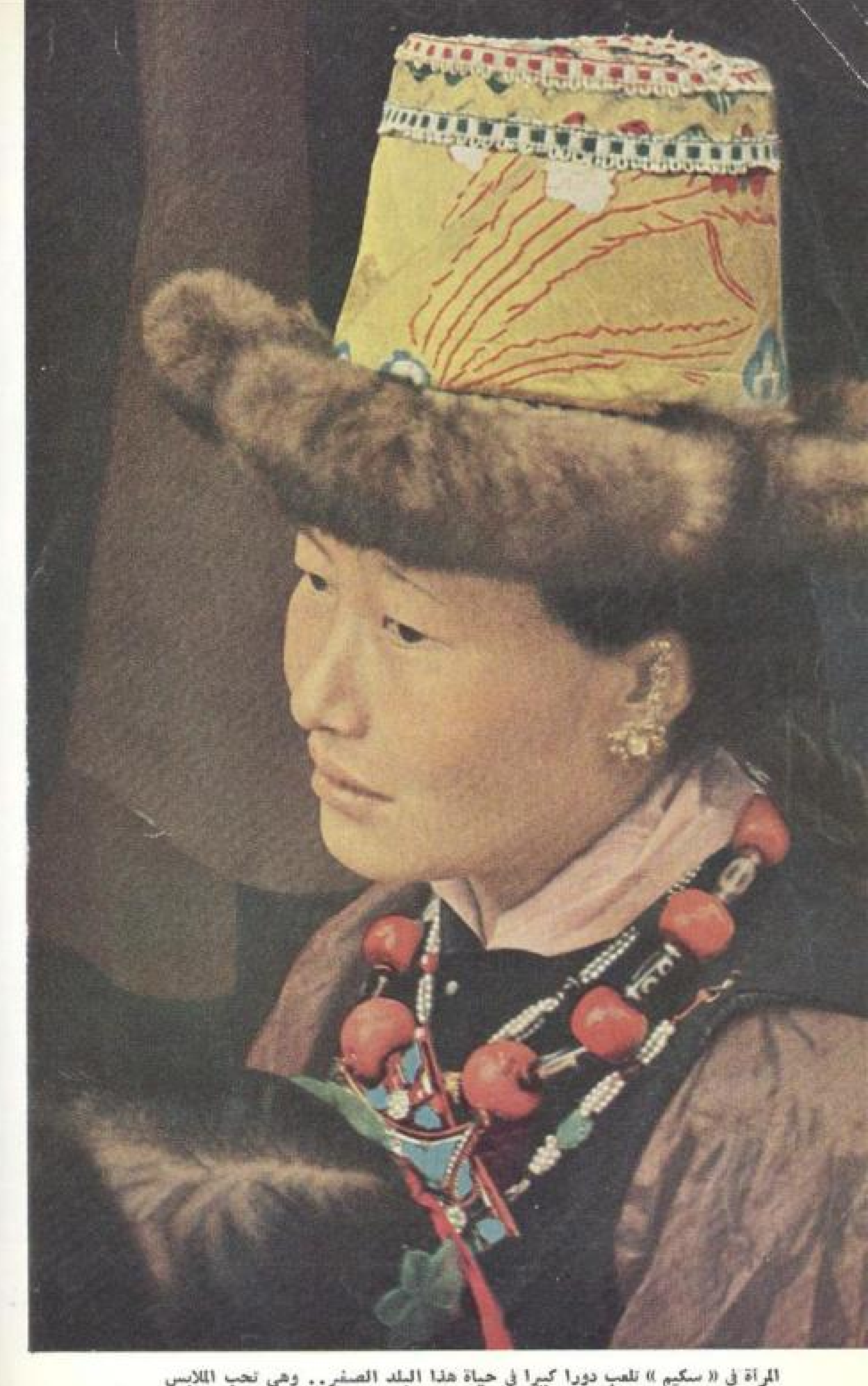


ابتسامة الرضا والسرور • بعد محصول وفير من الزيتون في تونس •

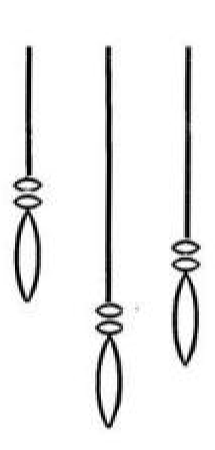
جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرو
الخليج العربي	٢ ريالـ	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشـ
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليـ
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليـ



المرأة في « سكيم » تلعب دورا كبيرا في حياة هذا البلد الصغير.. وهي تحب الملابس الزاهيـة الالوان والحلي المزخرفـة . (انظر سكيم بلد الزهور على ص ١٢٥)



عزيزي القارئ

● اقترب اول عام ١٩٦٩ الذى فيه نخرج العدد الممتاز من « العربي » ، وفي هذا التاريخ سيستتم « العربي » من حياته ١٠ سنوات كاملة ، وهو موقف من الزمان له خطورته . ففيه يقف رجال « العربي » ينظرون الى ما تحقق من موضوعاته في هذه السنوات الطويلة ، وما يرجى لهذه الموضوعات من تغيير وتحسين يوافق مجرى الزمن ويأتلف مع حاجة القراء الى التجديد دائما .

« والعربي » لم تجمد في هذه السنوات على ابواب بذاتها ، فهي قد اتخذت سياسة التغيير البطيء المتصل الذى قد لا يحس به القارىء ويعرف هذا ، القارىء ، اذا هو قارن فهارس عام ١٩٦٨ بفهارس عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩ .

ونحن نهيب بالقراء ان يرسلوا الينا على عجل رغباتهم فيما يودون من موضوعات « العربي » السالفة ، من حذف ، وما يودون اضافته اليها من زيادة . على ان يتفق ما يقترحونه بابقاء حجم « العربي » على ما هو عليه ، فمن يقترح زيادة باب ، عليه ان يقترح الباب الذى يحذف ليتسع المجال للباب الجديد .

« والعربي » لكل متعاون من القراء شاكر .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

اسـلاميات :

عروبـة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

شـعر :

تربية وعلم نفس :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 119 - October 1968 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● الزيتون ، ثروة يزخر بها وطننا العربي الكبير .. انه من المحاصيل القليلة التي تحرص المرأة قبل الرجل على الاشتراك في جمعها واعدادها طعاما وزيتا .. وهؤلاء بدويات من تونس فخورات بما جمعته ايديهن .. لم لا ، والزيتون خير مهر للعروس التونسية !

(انظر استطلاع الزيتون صفحة ٧٦)

طب وعلوم :

ركن الاسرة والمراة :

فن حياة :

كتـب :

قصص وجرائم :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ،مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ ريال أو ٢٠٠ فلس بحراني ،العراق ١٢٠ فلسا ،سوريا ١٠٠ قرش ،لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



« العربي » واسرائيل

● خطر لي أن اتصفح بعض اعداد « العربي » القديمة ... وفي العدد ٧٩ لفت نظري حديث الاستاذ الدكتور احمد زكي رئيس التحرير في ذكرى مرور ١٧ عاما على نكبة فلسطين عام ١٩٤٨. لقد دق سيادته ناقوس الخطر في هذا العدد .. الذى صدر منذ اكثر من ثلاثة اعوام .. منبها الى تخلف العرب وسبق اليهود في المجال العلمي .. واشار سيادته الى مشاركة اليهود لأهل الغرب في الذرة والصاروخ والتكنية . وقارن ذلك بتخلف العرب وعيشهم في ماضيهم اكثر من حاضرهم .. ثم طالب في نهاية دراسته العلمية الممتعة بضرورة سعى العرب الى التقدم العلمي .

كان هذا الحديث في شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٥ وفي نفس الشهر من عام ١٩٦٧ قامت اسرائيل بعدوانها الغادر .. وبعدها تكشف للعرب أهمية التقدم العلمي والتكنولوجي . وظهر للجميع أن ما طالبت به (العربي) منذ عامين لم يكن من قبيل الدردشة ولكن لتنبيه الأمة العربية الى عدو خبيث استخدم فعلا الوسائل العلمية لتحقيق اطماعه التوسعية ..

فهل لنا عبرة من امثال هذا الحديث .. حتى نسارع الى العمل بكل قول صالح ! !

جرجس عوض بطرس
كلية الاداب ـ جامعة القاهرة

من اليابان

● انا طالب عربي أدرس في جامعة طوكيو باليابان .. أعيش في عزلة عن العالم العربي نظرا لبعد المسافة .. ولكن عندما تصل الى يدى مجلة « العربى » يبدو لي كأنها شمس تشرق في حياتي .. وتجرى الدماء في عروقي ، وينفتح قلبي ، وتشتعل كل احاسيسي ، وتنتابني نشوة ما بعدها نشوة .. نشوة الفرح ، نشوة الحنين الى الام .. الى الارض ، الى الماء ، الى الهواء .. الى العالم العربي .

رشاد محمد قبيصي
طالب من ج.ع.م
جامعة طوكيو ـ اليابان

شكر على عزاء

● تلقى العربى من القراء كثيرا من برقيات وخطابات التعزية في وفاة المرحوم الاستاذ عبد الوارث كبير سكرتير تحرير مجلة العربى . واسرة المجلة تشكر كل الذين تفضلوا بتعزيتها ومواساتها . وترجو أن يعتبر كل منهم هذا الشكر خاصا به وحده . رحم الله الفقيد الكريم رحمة واسعة والهمنا وآله الصبر والسلوان .

العربي .

تصويب

● صورة الصفحة الثانية لعدد اول اغسطس كتب معها كلام صحته ما يلي : فتيات فارعات من جزيرة بالي يحملن على رؤوسهن ، الفواكه والزهور ، ويمررن امام معابد مانجوى . وبعد ان يبارك الكهنة هذه الهدايا ويقتطعون منها اجزاء للالهة ، يقتسم القرويون في الجزيرة ما تبقى منها .

ومعنى هذا ان الجزيرة ما يزال بها الدين الوثني منتشرا ، علما بان عدد المسلمين في اندونيسيا يبلغ ٩٠٪ من سكانها .

وفي المقال المتصل بهذه الصورة في ص ١٠٩ ذكر بالسطر الثامن اسم جزيرة ملقه وصحتها مالوكو كذلك ذكر المحرر المسئول ان اندونيسيا نالت استقلالها في عام ١٩٤٩ ، وصحة ذلك ١٩٤٥ . والعربي تحرص دائما على التصويب مهما كلفها ذلك .

زيدونا من اخبار العلم

● نحن نقرا كل ما يحويه العربي من اخبار وبحوث ودراسات علمية بشغف وولع شديدين .. وفي كل مرة يطلع علينا العربي بموضوع علمي جديد ، نحس بعد قراءته اننا استكشفنا اغوارا مجهولة .. زيدونا بالله عليكم من العلم واخباره ومن دراسات العلماء وابحاثهم . فالعلم هو المستقبل ، وهو الطريق الى عالم افضل وحياة اعظم وارقى .

محمد تهامي مصطفى
جده / السعودية

نتيجة مسابقة العدد ١١٧

■ تميزت اجابات المشتركين بكثرتها وبصحة الحلول التي تضمنتها . واجريت القرعة بين المشتركين ففاز الاتية اسماؤهم :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عيسى سليم عبد الله ايوب ـ سلاح الجو الاردني .

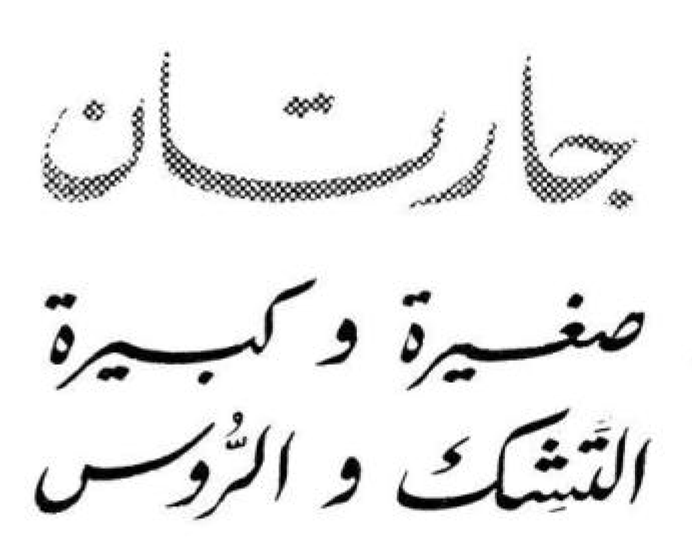
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : علي حسين راضي المشهدي ـ المدينة المنورة ـ السعودية

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : الهادي البرجي حدغيان ـ جزيرة جربة ـ تونس

٨ جوائز قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ زينب عيسى ابراهيم رجيب ـ فيلكا ـ الكويت ٢ ـ فاضل مهدي ياس ـ معهد الهندسة التطبيقية العالي ـ بغداد ـ العراق ٣ ـ وائل بن جلون ـ ولاية مينيسوتا ـ الولايات المتحدة ٤ ـ حسن حسين حلفاوي ـ حلفا الجديدة ـ السودان ٥ ـ هناء طارق احمد سالم ـ تعز ـ اليمن ٦ ـ ابراهيم النجدي صالح ـ الدقي القاهرة ـ ج . ع . م ٧ ـ كمال قعفراني ـ عيناثا ـ جنوب لبنان ٨ ـ هيام الياس بازجي ـ دمشق ـ سوريا .

وسوف ترسل الجوائز لمستحقيها ■■



بقلم رئيس التحرير

■ لم يقع حدث هز العالم في الشهور الأخيرة كالحدث الذى وقع في تشيكوسلوفاكيا منذ اسابيع . ذلك انه بين يوم الثلاثاء ٢٠ اغسطس والاربعاء ٢١ منه ، غزا جيش روسيا ، مع جيوش حلفائها الأربع في حلف وارسو ، اى المانيا الشرقية ، وبولندا ، والمجر وبلغاريا ،غزو ارض الحليفة السادسة ، تشيكوسلوفاكيا .

ولم يكن الجفاء بين تشيكوسلوفاكيا وحلفائها بلغ ذروته في تلك الليلة من شهر اغسطس ، خاصة ، ولا حتى اثناء شهر اغسطس . ان الجفاء سبق الغزو باشهر . وكنت في لندن اثناء ذلك . وظلت القضية تعرض على الملأ في الصحف ، وفي الاذاعة ، وفي التلفاز .

الشعب التشكي يؤيد زعماءه

وفي التلفاز خاصة راينا جموع الشعب



دوبشك ، الزعيم الاشتراكي التشكي ، وقد تكوكب من حوله جماعة من مؤيداته يحيينه فى لهفة ظاهرة .

في تشيكوسلوفاكيا تتهافت على توقيع العرائض تناصر زعيم حزبها الشيوعى ، السيد دوبتشك Dubcek ،وزعماءالحزب فيما يرونه من آراء زعموا انها لا تخرج بهم عن دائرة الشيوعية التى تجمع بينهم وبين الروس ، وسائر حلفائهم ، ولكنها تحرر شيوعيتهم مما فرضه عليهم رئيس حزبها السابق المعزول نوفتني Novotny من نوع من الدكتاتورية الاستالينية التى تمحو الفرد وتمحو ارادته ، وتكاد تمحو وجوده ، وعلى الأخص بحبس الافواه أن تقول ، ومنع الأقلام ان تكتب ، الا في الحدود الضيقة التى وضعها لهم نوفتني ، او هكذا زعموا .

وتراءى لنا،مما رايناه بأعيننا وسمعناه بآذاننا في لندن ، ان الروس آمنوا بما ارتأى التشك ، واثر فيهم وقوف الشعب صفوفا متلاحمة الأكتاف واحدة وراء زعمائهم ، حتى في ارضيّات المصانع . واحترموا الرغبة العامة ، واجتمعوا بالتشك في قرية تشيكية عند الحدود ، واتفقوا ، وترروا في اجتماعهم هذا ان يغادر الروس تشيكوسلوفاكيا ،

وان يتركوا زعماءها يفعلون ما يشاءون ، في غير مغالاة .

اختلاف من بعد اتفاق

كان هذا في اواخر يوليو الماضي .

ثم انقلب الحال .

واذا بالروس تعود جيوشهم تدخل تشيكوسلوفاكيا ، ومعهم هذه المرة حلفاؤهم ، وذلك فيما بين العشرين والحادى والعشرين من اغسطس كما ذكرنا .

كان بين الاتفاق ونقضه اسابيع قليلة . فما الذي حدث حتى انقلب الحال هكذا سريعا ؟

قيل فيما قيل ، ان ادوات النشر التشكية ، من صحف واذاعة وتلفاز ، عدت ذلك الاتفاق في فرحة الانتصار اباحة مطلقة ، وانطلق الكتاب والمذيعون والتلفازيون ـ وكان النظام الجديد يقضي باطلاق الحرية لهم بلا رقابة ـ انطلقوا يكتبون ويذيعون ما افزع الروس . وزاد في افزاع الروس تهليل صحف الغرب لهم .

وكان في زعماء الروس المعتدلون ، وكان فيهم المتشددون .

فالذي حدث واستجد في تشيكوسلوفاكيا بعد الاتفاق رجح كفة المتشددين ، فكان هذا الغزو الجماعي .

اول رد فعل من الغرب

وجاء اول رد فعل لهذا الغزو من رئيس الولايات المتحدة .

طالب الروس على الفور ، وقبل ان تنجلي ظلمة الليل ، في رسالة اعلنها ، بسحب قواتهم الغازية على الفور .

لماذا ؟

لأن هذا اعتداء .

ورأيت نفسى ابتسم ملء فمي عندما قرات الخبر . وخلت الالوف المؤلفة تبتسم معي ، ممن قرأوا الخبر مثلي ، ومنهم طائفة غير قليلة من الامريكيين .



هذا جانب من الشعب التشكي ، وقد الجمع بين الشيوعية كما يفهمونها ،

غازي فتنام ، وهي على بعد آلاف الأميال منها ، يطلب من غزاة تشيكوسلوفاكيا ، وهي لصقهم ، وقد تذهب بأمنهم ، يطلب اليهم ان ينسحبوا لان غزوهم اعتداء .

ودعوة الانسحاب دعوة واجبة على كل حر ، الا ان تاتي ممن غزا ، واشاع الدمار والخراب فيمن غزا ، وظل يغزو ويدمر ويخرب ، وتطلب الدنيا منه ان يكف ، او يخف ، ويابى لدعوة الدنيا استماعا .

وقد دعا الروس الى الانسحاب اعداء للروس واحباب .

تصرف فيه من الخطأ اقل مقدار

والروس تصرفوا بعد ذلك ، والى الوقت الذى اكتب فيه هذا ، تصرفا ، فيه من الخطأ اقل مقدار . فمن ذلك انهم احترموا ارادة الشعب التشكي فحملوا زعماءهم الى موسكو ، لا ليأسروهم ، ولكن ليفاوضوهم . وهناك اطلقوا سراحهم ليعودوا الى وطنهم . وقيل الى مثل وظائفهم وزعاماتهم . ومن ذلك انهم سارعوا فبداوا في سحب جنودهم ، استجابة لا شك لصوت الشعب الصارخ ، ولصوت شعوب الدنيا ، واستمالة .

دوافع عقائدية ، ودوافع سياسية

ان الدارس للأسباب والنتائج لا يلبث ان يدرك الدوافع التى ادت الى هذا الصدام .

وهي دوافع صنفان : دوافع عقائدية ، ودوافع سياسية .

اما الدوافع العقائدية ، فظاهرة بينة . تشيكوسلوفاكيا ، بعد عشرين سنة من التجربة الاشتراكية ، تريد لنفسها اشتراكية ليس من الضرورى ان تكون على غرار اشتراكية موسكو . وهذا حقهم . والروس سبق ان قبلوا ما طالبت به يوغلافيا من مثل ذلك ،

اجتمع يؤيد زعماءه فيما اعتزموه من واطلاق الاقلام لتكتب والالسنة لتقول.

خاصموها دهرا ثم اصطلحوا . وكذلك رضيت بالذى حدث من مثل ذلك في رومانيا . والظاهر انهم خشوا الان ان يتسع الخرق على الراقع ، لا سيما وقد بدرت في الروسيا نفسها من ذلك بوادر .

اما الدوافع السياسية فهي خشية انفراط حلف وارسو .

ان حلف وارسو عقده الروس ، ومن حولهم حلفاؤهم ، في ١٤ مايو من عام ١٩٥٥ وخروشوف زعيمهم ، وذلك ردا على ادخال المانيا الغربية في حلف شمال الأطلسي وذلك في ٩ مايو عام ١٩٥٥ . ان حلف وارسو هو دعامة الروس في الدفاع عن النفس ، لا سيما بعد أن اذن لالمانيا (الغربية) ان تتسلح . والروس حساسون بالطبع لاى عمل يشم منه اضعاف هذا الحلف . وظهرت مثل هذه الحساسية منها في عام ١٩٥٦ عندما اعلنت هنغاريا خروجها من الحلف ، فما كان من الروس الا ان دخلوا البلاد بجيوشهم وضربوها ضربة في غير رحمة علقت ذكراها في التاريخ وسوف تعلق طويلا ، ذلك لانها عدت خروج المجر من حلفها انضماما الى حلف اعدائها . عمل سياسي اراعها ، ظهرت قسوته في قسوة الغزو الذى كان .

تشيكوسلوفاكيا في موضع جغرافي لا يأذن لها بالحركة الواسعة

ان المعسكر الشرقي ، الأديولوجي ، انشقت عليه يوغسلافيا من قديم ، وذلك في عهد ستالين . وخرجت منه البانيا . ولكن كل هذا ، من الناحية السياسية ، لم يؤثر في الروس التأثير الشديد المنتظر ، لبعد جغرافيتهما عن جغرافية الروس وجغرافية الحلفاء معا . ورومانيا كذلك ، واقفة على باب الخروج ، ولكنها بعيدة جغرافيا عن اعداء روسيا . وهي لصق الروس ، وفي لصقها امان للروس .

اما تشيكوسلوفاكيا ، فموقعها من الناحية الجغرافية ، فالسياسية ، خطير كل الخطر . انها ارض تجرى ممتدة من غرب الى شرق ، فتشق الوطن الشيوعي شقا . من فوقها شمالا المانيا الشرقية وبولندا ، ومن تحتها جنوبا النمسا وهنغاريا . وتتصل شرقا بروسيا . فهي معبر في اوسط العالم الشيوعي سهل لكل من يريد له اقتحاما من غرب .

والمقتحم المخوف ، المانيا الغربية ، وبها ٢٠٠٠٠٠ من الامريكان . انه الجيش السابع (انظر الخريطة)

لهذا سمعنا أن الروس سوف تنسحب من تشيكوسلوفاكيا ، الا من حدود بينها وبين المانيا ، حليفة الغرب . وهذا يؤكد العنصر السياسي في الأزمة ، وقد يضعه فوق العنصر المذهبي العقائدى .

هذا هو المنطق

هذا هو المنطق كما اراه بمعزل عن الشيوعية والراسمالية على السواء .

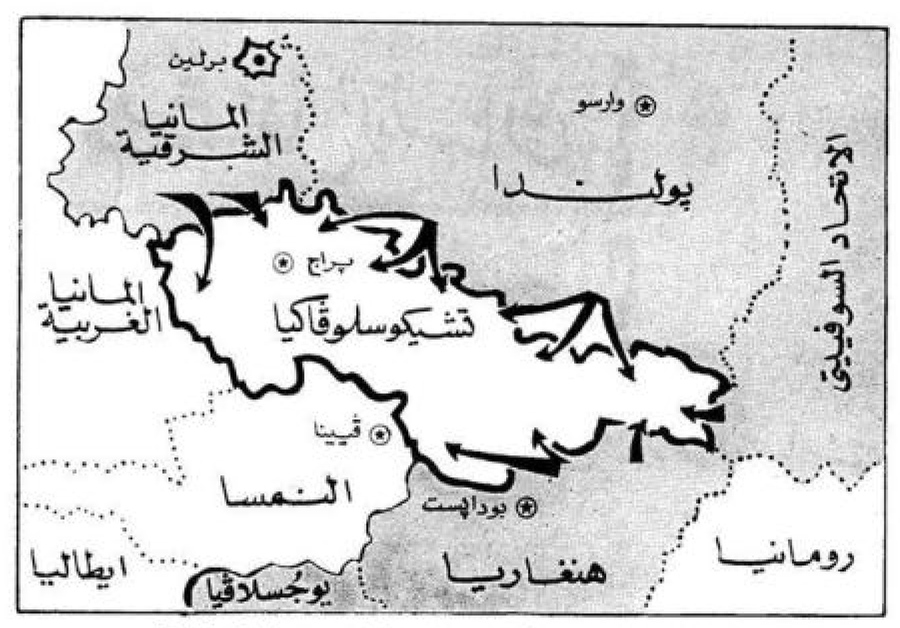
ان الناظر الى الاحداث بالمنظار الشيوعي يقول ان رغبة التشك في التحرر خيانة ، فليس في الدنيا افضل من النظام الشيوعي ، وليس نظام شيوعي افضل من نظام ترسمه موسكو .

والناظر في الأحداث بالمنظار الراسمالي الغربي يقول ان رغبة التشك في التحرر رغبة طبيعية انسانية ، وما النظام الرأسمالي الا نظام التحرر والحرية .

كل يغنى على ليلاه !

وليس هذا ولا هذا في منطق الاحداث بنافع .

ان الراسمالية الغربية حقيقة واقعة .



خريطة لدول اوروبا الشرقية ، ومنها ترى كيف تجرى تشيكوسلوفاكيا في اوسطها ، فتشقها شقا ، من المانيا الغربية ، الى اكرانيا الروسية ● ● والاسهم تشير الى المواقع التي دخلت منها جيوش حلفاء وارسو واكثرها روسي

والاشتراكية الشيوعية حقيقة واقعة .

والنظرتان لا بد ان تؤخذا في الاعتبار اذا ما اريد اليوم (واكرر اليوم) سلام على الارض .

ولا يمنع هذا ان يقوم الدعاة بالدعوة لمذهبهم ، ولتقويض مذهب اعدائهم ، من غرب كانوا او من شرق . ونحن العرب نرتبط في ورطتنا الحاضرة ، بالاحداث ، وباصحاب الاحداث ، ارتباطا يميل بنا حتما الى الوقوف موقفا يدفع عنا الذل الذى يريده لنا اعداؤنا ، ذلك الذى تتصاغر الى جانبه خصومة مذهبية لن تبلغ بنا الى مثل ذلك الدرك من الحقارة والمهانة ، درك العبيد الأذلاء .

ويزيدنا على هذا الراى ثبوتا ما علمنا، من ان حركة التحرر التشكية هذه ، ان يكن ظاهرها لله ، فبعض بواطنها للشيطان . ذلك انه داخلتها حركة صهيونية تزعم ان من التحرر ، التحرر مما فرضه الروس على البلاد من قطع علاقات التشك السياسية باسرائيل . واذن فهي حركة تطالب بوصل هذه العلاقات التى قطعت . يطالب بهذا في التشك جماعة كتابها ، وعلى راسهم عميدهم ، وهو يهودى صهيوني ، ونائبه، وهو يهودى صهيوني كذلك . وتسال كم في تشيكوسلوفاكيا من سكان ، فتعلم انهم ١٤ مليونا . وتسال كم بها من يهود ، فتعلم انهم بضعة عشر الفا . وتسال كيف بلغ بطائفة كتابهم ان تتهوّد الى هذا الحد ، وتتصهين ، فلا يأتيك من احد جواب .

١٩٦٨/٩/٢

كم يشتغل الانسان ؟

وكم يستريح ويتروح ؟

مسألة شغلت الأجيال من قديم الزمان

ولست اذهب في القدم الى ابعد من افلاطون ، فيلسوف اليونان الشهير الذى عاش في القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد ، تلميذ سقراط ، واستاذ ارسطو .

قال في صدد الشغل ، والفراغ منه ، ما معناه ، ان الفراغ شرط ضرورى لكسب الحكمة ، وانك من اجل ذلك لست بواجدها فيمن يملؤون زمانهم بالسعي في طلب الرزق ، ولكنك واجدها فيمن عنده ما يغنيه عن هذا الطلب ، او فيمن حملت عنه الدولة متاعب هذا الطلب والقلق من اجل اللقمة .

فافلاطون ربط بين الفراغ وكسب الحكمة .

وجاء ارسطو بعده ، وتحدث عن الشغل وعن الفراغ ، وربط الفراغ بحياة التأمل والتفكير واستكناه بواطن هذا الوجود .

فهو بذلك جرى في هذا الأمر ، هو وافلاطون ، في طريق واحد .

وهو فرّق بين الفراغ يقضيه المرء في التأمل ، وبين الوقت يقتله المرء في المتعة واللهو والتسلية .

ونحا نحو افلاطون وارسطو اكثر فلاسفة اليونان .

ونحن لو ترجمنا « حكمة » افلاطون ، و « حياة التأمل » التي عناها ارسطو ، لو ترجمناهما بلغة العصر لشملتا اوجها من النشاط الفكري ، والنفساني ، وحتى الروحاني ، كثيرة .

الشغل والفراغ قبل العصر الصناعي

والشغل والفراغ ، كم ساعة من اليوم تنفق في هذا ، وكم في ذلك ، مسألة لم تبرز الى الامام في اذهان الناس ، على مرّ العصور والقرون ، بروزها في العصر الصناعي الذى بدأ من نحو قرنين او ثلاثة قرون .

كان العمل في ماضي القرون اكثره الفلاحة تعطي الفلاح من فرص الراحة الوقت الكثير ، او على الأقل هي لا تزحمه كما تزحم العامل الأوضاع الصناعية الحديثة . وما كان من صناعة في تلك العصور السالفة كانت صناعات اكثرها فيها الفرد هو صاحب الأمر والنهي كله ، لأنها منه وله . ولم يكن

تجمع العمال مئات والوفا تحت ادارة واحدة ، تحكمهم ظروف للعمل قاسية ، كالتي صحبت عصر الصناعة الحديثة فى القرن الماضي والذى سبقه .

ساعات الشغل والفراغ في القرن التاسع عشر

ونهبط سريعا مع الزمن الى القرن التاسع عشر .

وليس من احد لا يذكر انه القرن الذى كاد ان يكون العمل فيه في المصانع سخرة . اشغال مرهقة ، وساعات طويلة ، واماكن جهمة عابسة ، ووسائل للصحة غائبة ، ومع كل هذا اجور للعمال والعاملات منحطة . واجبات صارمة ، وحقوق مهضومة .

وليس من احد لا يذكر ان القرن الماضي هو القرن الذى عاش فيه كارل ماركس Karl Marx ، وانه القرن الذى نشأ فيه المذهب الشيوعي الماركسي ، وانه فى عام ١٨٤٨ منه نشر ماركس وصاحبه انجلز Engels ، البيان الشيوعي الشهير ، وفيه تحددت مبادىء هذا المذهب ، واهدافه وغاياته .

وما كان هذا المذهب لينشأ لولا سوء حال العمال الذى وصفنا .

كان اهتمام اصحاب العمل بالجهاز المصنعي القائم ، وهو من فولاذ ، فوق اهتمامهم بالعمال والعاملات ، وهم من لحم ودم .

وكانت الأجهزة والمكنات غالية الثمن . وكان العمل رخيصا . وحرص اصحاب العمل على الجانب الغالي ، ولم يلقوا كثير بال الى الجانب الرخيص من الصناعة ، جانب الرجال .

واشتدت منافسات الأمم الصناعية الناشئة في التجارة ، فزادوا نزولا بالاسعار ، فنزولا بالأجور ، وزيادة في الساعات ، وتعاسة للرجال العاملين والنساء .

والرجل القليل الاجر كان يفضل عمل النهار الطويل ليزيد اجره ، ليكسب حاجة نفسه وحاجة اهله .

الظلام ينحسر

ثم اخذت الظلامة تنحسر .

حسرها تكتل العمال فى انجلترا ، وذلك بنشأة النقابات العمالية . وقد اصدرت نقابات العمال فى بريطانيا فى هذا الصيف الماضي كتابا تذكاريا يؤرخ النشأة النقابية الانجليزية بمناسبة مرور مائة عام على مولدها ، فهي اذن ولدت فى عام ١٨٦٨ .

واخذت الحركة العمالية فى اصلاح حال العمال من اكثر من وجه .

والذى يهمنا فى هذه الكلمة ، وهي عن الشغل والفراغ ، عدد ساعات العمل ، وما لا بد ارتبط بها من اجور .

بحوث علمية تتدخل للمساعدة فى حسم امر الساعات

بدات النقابات على ما كان ينتظر تطالب باقلال الساعات وزيادة اجور العمال اجمالا . ونجحوا فى انقاص عدد ساعات العمل فى اليوم ، فى بعض الاقطار ، الى ١٢ ساعة فى اليوم الواحد . ولكن ظل هدف النقابات النزول بالساعات الى ٨ ساعات فى اليوم . وقد نجح الكثير منهم في حمل بعض الحكومات فى تقنين ذلك .

وتدخل البحث بالطرق العلمية فى اثر انقاص ساعات يعملها العمال فى اليوم ، فاتضح ان العامل ينتج فى الساعة ، وهو يعمل القليل من الساعات ، اكثر مما ينتج وهو يعمل الساعات الطوال . وهو ينتج اكثر واحسن على المهل ، ومع الرغبة الصادقة والمتعة القائمة الممكنة .

واتصلت البحوث بالمدى الذى عنده يأخذ مقدار الانتاج الاسبوعي ، فالشهرى ، فى الهبوط .



واقتنع الكثير من اصحاب الاعمـال بالنتائج ، وكانت خشيتهم الكبرى مـن نقص الانتاج الذى ينتجونه فى العام .

ومع تطور الزمان،واختلاف التجارب، ومراس ظروف السلم والحرب ، هبطت ساعات العمل ، في العصر الحاضر ، الى مثل ما تراه في الجدول الآتي ،وهي امثلة مختارة من متوسط عدد ساعات الشغل فى اليـوم :

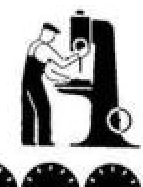
البلاد	الساعات	البلاد	الساعات
الولايات المتحدة	٣٠ر٧	الهنـد	٤٨ر٠
كنـدا	٤٠ر٦	المانيا الغربية	٤٨ر٦
فرنسـا	٤٤ر٥	ايطاليـا	٤٨ر٧
بريطانيا	٤٦ر٣	هولندة	٤٨ر٨
روسـيا	٤٨ر٠	اليابان	٤٩ر٨

ومن جراء قلة ساعات العمـل يلقى السائح فى اروبا وامريكا ما لا ينتظر ، اذا هو هدف الى معاملة يريدهـا في احدى الهيئات ، وكان هذا يوم السبت . انـه يفاجأ بأن الهيئة مغلقة الأبـواب ، وأن عطلة الاسبوع يومان ، السبت والاحد معـا .

فروق كانت متباعدة ، من حيث الفراغ ، تقـاربت

ولقد تقاربت اعداد ساعات العمل فى البلاد المتقدمة (كما تقاربت الأجور) بين بلد وبلد ، وتقاربت كذلك بين عمال المهن والحرف فى البلد الواحد . وتصاغرت الفروق بين ساعات يعملها ذوو الاقمصة الزرقاء وساعات يعملها ذوو الاقمصـة البيضاء ، اعني مَنْ اكثر عملهم باليد ، ومَنْ اكثر عملهم بالقلم .

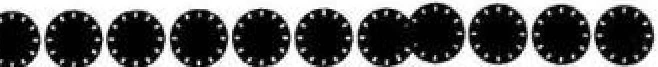
اما فى الزراعة فظلت ساعات العمـل



ساعات الفراغ | ساعات العمل

١٨٣

١٩٠



١٩٠



صورة رمزية توضح لنا في نظرة شاملة كيف قلت ساعات العمل الاسبوعي على السنين ، وكيف زادت تبعا لذلك ساعات الفراغ . وذلك في سـنة ١٨٣٦ و ١٩٠٠ و ١٩٤٦ . والدائرة السوداء تمثل عشر ساعات شغل ، والدائرة الحمراء تمثل عشر ساعات فراغ . واذن في عام ١٩٣٦ كان الرجل يعمل ٨٠ ساعة ، ويفرغ ٣٠ ساعة في الاسبوع

طويلة ، ذلك لأن العامل فى الحقل ، كما سبق ان ذكرنا ، يعمل على مهل ، فهو لا يتابع المكنات فى سرعتها ، تلك المكنات التي لا تتانى ليلاحقها العامل . والعامل فى الزراعة يعمل ويستريح عندما يحس بالتعب .

وغير ذلك الحال في الأمم المتخلفة ، فالظروف الاقتصادية القائمة تحدد ساعات العمل وساعات الراحة .

والفرق الكبير بين الأمم المتقدمة ، والامم المتخلفة ، ان الأولى عندها الآلات الميكانيكية الدوارة . وهذه تقوم بالعمل العضلي الذى كان يراد من العامل ان يقوم به ، وباكثر عمله الفكرى . ودخلت « الأطمطة » الى الصناعة ، وهي عمل الآلات من ذات نفسها ، وبقليل من التوجيه ، تلك التي اسموها Automation وان شئت فالتذويت (من الذات او ذات نفسها) ، فقل بذلك الجهد الذى يبذله العامل جثمانيا ، ولكن من الوجهة الفكرية دق ذهنه ، ورق ، وصار بالتعليم والتدرب اكثر احساسا، واسرع استجابة لهذه الآلات عندما تخطىء ، واتلقف رقيه الفكرى برقيها الفني فتجاوبا .

وبقي بذلك الانتاج ، مع قلة الساعات، عاليا .

ولم تصل الأمم المتخلفة بعد الى مثل هذا المستوى . ومن يدرى لعلها واصلة يوما .

ان الفراغ الذى طلبوه نعمة ، كاد ان يكون نقمة

ذلك لأن الحياة ما خلقت لفراغ ابدا . قالوا ان الطبيعة تأبى الفراغ . وكذا طبيعة الانسان تأبى الفراغ .

ان العامل ، بعد انتهائه من عمل ، لا يستطيع ان يسكن فى ركن من بيته سكون الحجر ، ثم يسمي هذا فراغا ممتعا . انه الموت للجسد الحيّ ، وللعقل الحيّ .

الفراغ اذن لا بد ان يملأ .



المكنات في عصر الصناعة الحديث تجربها مصادر للقوى هائلة ، توفر على الانسان قوى هزيلة تستمد من عضلاته . وفى هذه الصورة ترى هذه الفتاة قامت على هذا الجهاز العارم مقام مائة رجل ، وبقلة الايدى التى تعمل ، وبكثرة الانتاج ، امكن تخفيض ساعات العمل (وزيادة الاجور) . ولكن فتاة كهذه سبق لها من الدرس فى المدارس ، ومن التدريب على هذا الفن ، ومن الفطنة المكتسبة ، ما جعلها تشرف وحدها على عشرات الوحدات التى تعمل تحت رقابتها فتصلح على الفور ما اعوج منها .

والفراغ جزء من حياة الانسان ، فهو اذن لا يملأ بالعبث .

ولقد تحدث المتحدثون فى ماضي القرون عن الفراغ ، ولكن قليلا . وتحدث المتاخرون عن الفراغ حديثا كثيرا . وقالوا فيه قولة صدق : ان المرء يتعلم

ليملأ زمانه بالعمل ، ولكن عليه كذلك ان يتعلم كيف يملأ فارغ زمانه .

والناس تملأ زمانها الفارغ بأمور شتى ، منها الجلوس على المقاهي ، ومنها السينما والتلفاز ، ومنها مشاهدة الالعاب الرياضية والبهلوانية ، والعاب السرك اذا حضرت (ومنها الجلوس الى موائد الشيطان ، من خمر ومن قمار) .

وهذه يدخل اكثرها في باب التسلي ، والكثير منها تسترخي عليه النفس المجهدة المتوترة . وفي بعضها اثارة والاثارة انعاش . وتعاطي بعضها لا شك نافع . وفي التلفاز ، في بعض الامم ، ما ينفع ، فهو ثقافة ومتعة . وتعاطي هذه الأمور ، بالقدر المعقول ، لا يملأ زمانا فارغا ، والا فهو الادمان في غير طائل .

وهذا كله يعود بنا الى الكلمة التي بدانا بها حديث الفراغ ، تلك قولة افلاطون : ان الفراغ شرط ضروري لكسب الحكمة .

واذ قد هيأت الظروف الانسانية والاجتماعية في عصرنا الحاضر ، ان يسعى الانسان لرزقه ، ثم يكون مع هذا فراغ ، فقد انفتح السبيل لكل احد ان يطلب في فراغه الحكمة .

ولعل حكمة القرن العشرين غير حكمة القرن الخامس والرابع الذى عاش فيهما افلاطون .

● ● ● ●

طالبات في المدارس الثانوية ، يقضين وقت فراغهن في التدرب على تفصيل ملابسهن . مهارة لا شك تكسبها البنت نافعة .



حكمة اليوم تختلف باختلاف السن وبالفراغ الحاصل

ونحن ننظر في كل الناس ، وفي كل الاعمار ، فنجد عند كلٍّ فراغا .

طالب المدرسة عنده الفراغ . وهو يحار في ملئه ، ويحار معه ابوه ، وامه وذووه .

والطالب من بعد تخرج عنده الفراغ . وهو ، ان لم يجد من يهديه السبيل ، ينفقه هدرا .

وكذا الرجل النامي والرجل الكهل .

واشقى الناس بفراغهم اولئك الذين تقضي القوانين واللوائح باحالتهم على التقاعد . واشقى هؤلاء هم الذين لم يتعلموا قبل الفراغ كيف يملؤوه اذا هم فرغوا ، ويأتي الفراغ لهم بغتة ، ومعه الموت .

الطالب في فراغه

موضوع درسه التربويون كثيرا ، فيما يتصل بطلبة المدارس الابتدائية والثانوية . وهم درسوه على اساس ان المنزل غير مؤهل لينظم فراغ ابنائه . واذن فهم ابتدعوا ، فيما ابتدعوا ، ما اسموه « بالمدرسة الداخلية النهارية » .

فالى هذه المدرسة يحضر الطلبة صباحا ساعة الافطار ، ولا يغادرونها الا مساء . وفي اثناء النهار تعطى لهم الدروس الأصلية ، ثم تأتي ساعات الفراغ ، فيملؤها المسئولون باللهو الجماعي النافع ، وبممارسة الهوايات وشتى صنوف النشاط ، وهم بذلك يكشفون عن شتى المواهب الخبيئة في الطلبة ، تلك التى لا تتكشف في الدروس الرسمية .

ويقوم هذا بديلا مما كان يفعل الطالب في منزله في فراغه . انه في منزله يذاكر . وفي المدرسة الداخلية النهارية يتهيأ له وقت المذاكرة ، مع ارشاد الاستاذ المرشد القائم . وهو في المنزل يخرج الى الشارع او الحارة يبحث عمن يلعب معه ، وفي هذه المدرسة يجد بدون بحث من يلعب معه ، ويلعب معه مايسلي وينفع .



اب خرج هو وابنه الى الساحل ، او لعله شاطىء النهر ، ليصطادوا السمك في وقت الفراغ . اشتغال" فيه للاب متعة ونفع ، وفيه للصبي تعويد" على معنى الهوايات واكتسابها .

● ● ● ●

وهذه المدارس انتشرت في السويد ، اعلى بلاد اوروبا مستوى معيشة ، وذلك منذ عشرين عاما . ونجحت وما تزال .

الشاب في فراغه

ثم الشاب الذى دخل عالم العمل ؛ لبس قميصا ابيض او قميصا ازرق . انه في الشرق يقتل وقت فراغه قتلا ولكن في الغرب ، في الامم التي تحرص على شبابها ، وتحرص مع حرصها على الشباب على انتاجها ،وتحرص مع هذين الحرصين على سبقها في المضمار العالمي ، هذه الامم تفتح الأبواب للشباب ليدخلوا منها الى شتى الثقافات وصنوف الخبرة والمهارات . وكاد في بعضها ان تكون لياليها ، من حيث الدرس ، مثل النهار حركة طلاب،واستغلال مختبرات ودوران آلات كلها للتعليم .

والفكرة تعتمد على ركائز منها أن الشباب على الفراغ مُضيّع . ومنها أن المدارس لا تكشف عن خبايا النفس الانسانية والحنكة الفطرية ، ويكشفها الانطلاق الحر من بعد انعتاق من دراسة رسمية .

وشباب الشرق يدرك هذا ، ولكنه لا يجد السبيل .

ودليلي على هذا ما يأتي « العربي » من اسئلة يسأل اصحابها عن الجامعات العربية التي تقبل الدراسة بالمراسلة .

ودليلي على ذلك ان جامعة بيروت العربية ، وهي تقوم الى جانب واجباتها الدراسية اليومية ، بالتدريس بالمراسلة، قد اتسع نظامها الدراسي هذا الاخير حتى كاد ان يضيق به امكانها .

الشيخوخة والفراغ

فهذا اصعب الفراغات معالجة .

وقد عالجته الشركات في بلاد الغرب بأن جعلوا التقاعد تقاعدا متدرجا . يعمل الرجل نصف يومه ، ثم ربعه ، ثم يحال الى التقاعد .

وجعلوا للاشياخ منازل يعيشون بها سويا ، هم وزوجاتهم ، وبها تنظم اوقات فراغهم .

ويعتمد التحضير للفراغ على الرجل الدارج الى الشيخوخة نفسه . لا بد له من هواية او هوايات يهرع اليها من بعد تقاعد . وقد تكون عملا يتصل بأهله . وقد تكون عملا يتصل ببيئته ، وقد تكون في حدود خبرته .

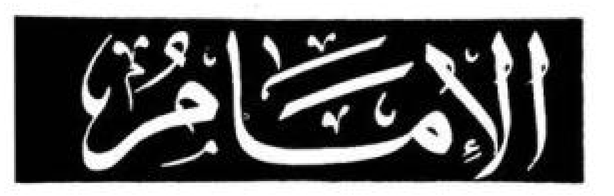
الوسائل كثيرة ومتنوعة .

الفراغ والحضارة

واختم بكلمة قالها رجل ذو خطر : قال ان باب الحضارة مفتاحها في يد الرجل الذى عنده فراغ . وان الفلسفة والموسيقى ، والفن عامة ، لا تنتعش في قوم يشتغل رجالهم في اليوم ، وتشتغل نساؤهم ، اربع عشرة ساعة .

●●

احمد زكي



أنزل الفلسفة من عليائها

بقلم : رفيق صديق

■ كان العصر العباسي الثالث مطبوعا بطابع الاسراف في التفكير وجموح الخيال ، نتيجة لنقل كنوز فارس والروم والهند الى العربية ، مما فتح آفاقا جديدة من التأمل والتفكير والتعبير ، الامر الذي أسلم عقول الناس وعقائدهم الى بلبلة فكرية لا تستقر في الملل والنحل والمذاهب ، حتى أصبح العلماء فيه أشبه الناس بالثوار في عصور الفوضى والاضطراب ، يلقاك في كل بقعة ثائر ، ويفاجئك في كل مزدحم فارس ملثم أو سافر .

في لجة هذا الطغيان الفكري الجامح أخذ سلطان الدين يضعف ويتوارى ، وسلطان المذاهب الفلسفية يمتد ويشتد . وفي هذا الخضم المتلاطم والمحيط العجيب ، نشأ الغزالي ، وتناول بعقله الجبار دراسة كل ما يحتويه عصره من الوان الخير والشر .

وكان قلب الغزالي قد رُوّع لما رأى الاسلام وهو دين الفطرة ، قد زايل القلوب السليمة الفطرة ، الى العقول المعتلة الفكرة ، الملتوية المنطق والاسلوب ، وان روح الاسلام قد طارت شعاعا في مماحكات لفظية لتحل محلها تعاليم فلسفية سافرة أو زندقة مستترة ، لا تلد الا العقائد المنحلة والافكار المضللة .

منزلة الغزالي

يروى الرواة عن أبي هريرة (رض)قوله : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها » .

وقد أجمع علماء التاريخ على أن مجدد المائة الاولى هو عمر بن عبد العزيز ، والمائة الثانية الإمام الشافعي ، والثالثة الامام الاشعري ، والرابعة الباقلاني ، والخامسة حجة الاسلام الغزالي .

ولعل الغزالي هو أكبر أصحاب المذاهب الفكرية وأبعدهم أثرا في التوجيهات الاسلامية لما كمن في شخصيته من قوة خفية ملكت بعجيب سحرها وعميق تأثيرها قلوب الجماهير وعقولهم .

والاستاذ الاكبر المراغي ، شيخ الازهر ، يتحدث عن تعدد جوانب العظمة في العبقرية الفذة في الغزالي ويقول :

اذا ذُكر ابن سينا أو الفارابي خَطَر بالبال فيلسوفان عظيمان ، واذا ذكر ابن العربي خَطَر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطورتها ، واذا ذكر البخاري ومسلم واحمد خطر بالبال رجال لهم اقدارهم في الحفظ والصدق والامانة والدقة ومعرفة الرجال ، أما اذا ذكر الغزالي فقد تتشعب الاتجاهات والنواحي ولا يخطر بالبال رجل واحد بل رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمته .

أصله ونشأته

هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (١)

---

(١) يضبط اسم الغزالي على وجهين اما بتشديدالزاي نسبة الى غزّال واما بدون تشديد نسبة الى غزَالة وهي علَم لبلدة قرب « طوس » .مقدمة كتاب الغزالي ـ تفسير شيخ الارض ص ٥ .



وجعل أسرارها علماً واضحاً لكل قارئ

المعروف بأبي حامد كنية بابن له توفاه الله صغيرا. ولد سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٩م) بمدينة طوس من أعمال خراسان ، من والد فقير صالح كان يشتغل بغزل الصوف ويحب مجالسة الفقهاء والمتصوفة وكان يتأثر بأقوالهم ، وكثيرا ما كان ينتهي الامر به الى البكاء والتضرع الى الله أن يعطيه ولدا صالحا مثلهم ويجعله فقيها واعظا ، بيد أن الله لم يمد في عمره ليرى امنيته تتحقق فانتقل الى جوار ربه وابنه « محمد » ما يزال صغيرا .

مات هذا الوالد التقي الورع ، والغزالي وأخوه يدرجان في مدارج الطفولة ، ولم يترك لهما الا قليلا من المال ووصية يقول فيها لاحد اصدقائه من المتصوفة

« كانت امنيتي في الحياة أن أتعلم الخط فاريد منك أن تحقق امنيتي في نجلي هذين ، ولا عليك أن ينفد في سبيل ذلك جميع ما خلفته لهما على قلتـه » .

وقد قام هذا الصوفي بما تمليه عليه حقوق الوصية حتى نفد ما لديه من المال فقال لولدين : اعلما اني قد انفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد ، لذا أرى أن تلجأا الى مدرسة كأنكما من طلبة العلم .

وهكذا دخل « محمد » وأخوه احمد المدرسة لتحصيل العلم ، وقد ثابر الغزالي على دراسـة الفقه في بلدة طوس على يد استاذه « أحمد بن محمد الطوسي » ثم تاقت نفسه الى المزيد فهاجر الى جرجان ليكون تلميذا لأبي نصر الاسماعيلي .

بيد انه ما لبث أن عاد الى « طوس » ، وفيما هو في عودته اليها داهمه بعض اللصوص وسرقوا منه فيما سرقوا كتبه . فعز عليه ان يتركها وينجو بنفسه فخاطر بحياته كي يرجعوها اليه .

وانا ادون هنا ما خطه في كتابه « المنقذ من الضلال » في سرد هذه الواقعة « قطعت علينا الطريق ، واخذ العيارون جميع ما معي ومضوا ، فتعقبتهم ، فالتفت الي مقدمهم ، وقال : ارجع ويحك والا هلكت !! فقلت له : أسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به ، فقال لي : وما تعليقتك؟ فقلت : كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعهـا وكتابتها ومعرفة علومها ، فضحك وقال : « كيف عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت مـن معرفتها وبقيت بلا علم ! »

ثم أمر بعض أصحابه فسلم اليَّ المخلاة ، وقلت في نفسي : هذا مستنطق انطقه الله ليرشدني به في أمرى » .

ومنذ هذه الحادثة أخذ « الغزالي » يستظهر كل ما يقع تحت يديه حتى لا يكون بحاجة اليه في حالة فقده أياه .

ثم انتقل بعد ثلاث سنوات الى نيسابور ليدرس على يد « ضياء الدين الجويني » رئيس المدرسة النظامية في نيسابور آنذاك فدرس عليه الفقـه والاصول والجدل والمنطق والفلسـفة . ولعله كان قد بدأ يصنف ويدرس . ولعل الشكوك ايضا كانت قد بدأت تتطرق الى علمه في أثناء هذه المدة .

وبهذا الصدد يميل الدكتور « كريم عزقول[١] » والمستشرق الهولندى « دي بور[٢] » الى حدوث الشك لدى الغزالي في هذه الفترة ، وذلك لأثر استاذه الجويني القوى عليه ، اذ يمكن ان نعتبر

(١) عزقول ، كريم ـ العقل في الاسلام ص٣٧ـ٣٨ (٢) دي بور ـ تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٩٦

ذلك حاسما في تطور « الغزالي » الروحي لأن هذا الاستاذ « الجويني » كان ضليعا في معارفه ، وجريئا في نقده ، لا يتردد في عرض الآراء الشائعة والتقاليد المتوارثة على محك النظر ، وابداء رأيه فيها بدون مواربة أو مصانعة .

وقد أصبح الغزالي بعد التحرر الفكرى المتهكم الاكبر في جيله ، كما أصبح الاستاذ الماهر في كل بحث ، مولعا بالمناقشة والجدل ، وكان يمتاز باسلوب بارع وقلم مطاوع وعبقرية نادرة ، لذلك رأينا الملاحم الجدلية يشتد أوارها بين الغزالي وابناء جيله .

الغزالي في بغداد وخروجه منها

بعد موت استاذه الجويني خرج الغزالي من نيسابور عام ٤٧٨ هـ قاصدا المعسكر ، وهناك تعرف بالوزير السلجوقي (نظام الملك) مؤسس المدرسة النظامية في بغداد فعينه استاذا فيها سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) . وفي المدرسة النظامية التف حوله عدد من الطلاب بلغ عددهم ٣٠٠ طالب ، جذبتهم اليه فصاحته وغزارة معارفه ودقة تحليله ، بيد انه كان يهتم الى جانب التدريس بالوعظ والتأليف ، وبالرد على الباطنية والفلاسفة اما في اعمق اعماقه فكان يمر بمرحلة هامة من مراحل تفكيره ، فقد ظهرت في هذه الحقبة ثمار ما زرعه استاذه الجويني في نفسه ، فانصرف يعمل لاعتاق فكره من قيود التقليد التي كانت ما تزال مستحكمة فيه حتى بلغ درجة الشك .

وكان قد انصرف الى دراسة الفلسفة دراسة عميقة ، فطالع كتب الفارابي وابن سينا بصورة خاصة والف على اثر ذلك كتابه «مقاصد الفلاسفة» الذى كان هدفه منه هو شرح آراء الفلاسفة قبل الاقدام على نقدها وابطالها .

ويقول الدكتوران « جميل صليبا » و « كامل عياد » في المقدمة التي قدما بها « للمنقذ من الضلال » : « ولئن امتاز كتاب « مقاصد الفلاسفة » ببحثه العلمي ، والتزامه الحياد التام، فان جميع الدلائل تشير الى أن الغزالي لم يؤلف هذا الكتاب عن رغبة مجردة في العلم ، بل سعيا لتطمين شكوكه الفكرية وتهدئة اضطرابه الباطني(١) » . وقد بلغت شكوك « الغزالي » درجة جعلته يعتزل التدريس ويترك الاهل واولاده والمال ويخرج من بغداد في سنة ١٠٩٥م . ولم يستقر رأيه على رفض ما ناله من جاه وتقدم وشهرة الا بعد تردد طويل ومجاهدات نفسية عنيفة (٢) .

والآن لنر ما يقوله هو في « المنقذ من الضلال » :

« وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني ، من أول أمرى وريعان عمرى .. حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لانشوءلهم الا على التهود، وصبيان المسلمين لانشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديثالمروى عن رسول الله (صلىالله عليهوسلم حيث قال : « كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه » فتحرك باطني الى حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة ، بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها على الباطل اختلافات .. »

ولكن الغزالي لم يلبث أن انتصر على نفسه ، ووضع حدا لتردده ، فخرج من بغداد قاصدا الحج . وخلال عشر سنوات قضاها تائها في زى الفقراء اخذ ينتقل من دمشق الى القدس ثم القاهرة والاسكندرية ، وكان يقضي كل أوقاته في العبادة ، معتكفا زاهدا ، يجاهد نفسه ويقهرها، يجول في البلدان ويزور المساجد ويأوى الى القفار وينزوى في المغارات ويتعرض لانواع المشاق والمحن ..

ثم انتهى الغزالي من هذه المرحلة بعد أن عزم على الدعوة الى الاصلاح عن طريق العمل . فرجع الى « نيسابور » وانقطع الى الدرس والوعظ والعبادة وقد انهت سنة ١٠٩٥م الأزمة النفسية التي صادفته في حياته بأن انقطع عن جهوده العلمية الموفقة ، وزهد المنزلة الرفيعة التي اكسبه اياها توفيقه في الدرس والتعليم وليطوى نفسه في عزلة الصوامع النائية عن دمشق وبيت المقدس .

ولما كانت مسألة الشك واليقين كما وردت في « المنقذ من الضلال » هي المحور الذى تدور حوله حياة « الغزالي » وكانت المسائل الاخرى متفرعة عنها ومرتبطة بها لذا فسأتتبع خطواته من هذه الناحية في بحثي هذا .

---

(١) جميل صليبا ، وكامل عياد : مقدمة المنقذ ،ص٢٦ . (٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ص٦٧ــ٦٨ .

نظرية الشك واليقين

ان المنهجية الشكية التي نادى بها « رينيه ديكارت » كأساس أو منطلق للوصول الى الحقيقة كان الغزالي قد نوه بجدواها وقال بضرورتها في البحث من قبل واشار الى أن « من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر عاش في العمى والضلال (١) » وقد يدعي البعض أن طريق السفسطائيين ، والواقع أنه وان لم يكن الغزالي لم يكن مبدعا في منهجيته هذه وانما ترسم ليعيب الغزالي ترسمه طريق السفسطائيين فان هؤلاء لم يقولوا بالشك المنهجي وان اشيع عنهم هذا وروّج .

ثم ان الغزالي لم يترك الامر عند هذا الحد من الشك وعدم الوثوق ، بل رسم الطريق التي يتعين على الباحثين سلوكها ، للوصول الى الحقائق الخالصة ، وحدد نقطة البدء في البحث بانكشاف الافكار للعقل انكشافا بدهيا وقال « ان مقياس اليقين (في العلم) هو الأمان ، ومعنى الامان الثقة ، ومقياس الثقة انكشاف المعلوم انكشافا لا يبقى ريبا ولا شبهة » . ثم قال أيضا « ثم علمت ان كل ما لا اعلمه على هذا الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا امان معه ، وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني (٢) » .

والغزالي بقوله هذا يريد أن يدلل على ان بحثه في العلوم ووصوله الى الحقيقة وايمانه بالمعرفة انما كان من بحثه الخاص وتفكيره الشخصي واستقلاله الفكري ، فقد كان منذ راهق البلوغ قبل العشرين والى أن بلغ الخمسين من العمر ، يقتحم لجة بحر المعرفة العميق ويخوض غمرته خوض الجسور ، ويتوغل في كل مظلمة ، ويتهجم على كل مشكلة ، ويقتحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، ليميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع .. وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبه وديدنه .. غريزة من الله وضعتا جبلته ، لا باختياره وحيلته (٣) ..

بدأ الشك « عند الغزالي » بانحلال رابطة التقليد عنه ، وبانكسار العقائد الموروثة عليه ، فتحرك باطنه الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية . وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الدائم البقري في كتابه اعترافات الغزالي : « .. هذه الحالة ، حالة المرض النفسي ، واليقين الفكري ، هي عند المفكرين والفلاسفة ، بل عند أصغر البحاث ، شيء خطير وأمر جلل ، ولهذا لا بد أن يكون لذلك أثران في حياة الغزالي وهما :

١ ـ اتباعه الاسلوب العلمي ، أسلوب البحث والتنقيب ، وعدم التسليم بالاقاويل الضعيفة ، والآراء الفطيرة والاحاديث غير الموثوق بها . مما يتناسب مع تحليله لنظرية الشك ، واعتصامه باليقين الذي وصل اليه ، والذي جعله لا يؤمن الا بالضروريات فقط .

٢ ـ وكان لا بد أيضا أن يكتب عن تلك الحالة : حالة الشك التي ساورته « حينئذ » وكيف تغلب عليها باحلال اليقين ، وذلك لكي تكون تسجيلا لما حدث، ولتكون طريقا واضحا للمتشككين يسيرون على معالمه ، وسبيلا الى صغار المتفلسفين والبحاث يهتدون بضوئه واقباسه .

فمن الواضح ان الحالة الطبيعية بالنسبة الى كل انسان هي حالة اليقين ، اما حالة الشك فهي حالة عارضة مهما طال أمدها بالنسبة الى بعض الافراد. فاليقين حالة نفسية لا تستقيم الحياة الا بها والشك نفسه ان لم ينته الى اليقين شل الحياة واعدمها .

بيد أن هنالك فرقا عظيما بين اليقين الفطري الذي لم يسبقه أي شك ، واليقين الفكري الذي لم يتأكد الا بعد أزمة حادة من الشك . ومعنى ذلك ان اليقين سابق على الشك من الناحية النفسية ، وانه ينبغي أن يكون نقطة البدء في تفحص كل نوع من الشك . وهذه الحال كانت حال « الغزالي » كما وصفها لنا في المنقذ ، فانه شك في التقاليد والعقائد الموروثة ، وشك في المحسوسات ، وشك في المعقولات ومن ثم انتقل الى اليقين بهذه الاشياء وكان يقينه فكريا وليس فطريا .

الغزالي يصرع الفلسفة

اظل الشرق زمان بسطت فيه الفلسفة جلالها وسلطانها ، حتى أوشكت فيه أن تحل محل الدين، وجرى الناس وراء النظريات والجدل جريا أتعبهم واتعب معتقداتهم ، بل اتعب الحياة معهم . أثرت الفلسفة في ادلة الفقه وطرائق بحثه،كما استخدمت

---

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال . (٢) المنقذ من الضلال . (٣) الغزالي : المنقذ من الضلال .

نظرياتها الفلسفية لتدعيم علم الكلام وتقوية حججه، وكادت تسحر بخلابتها عقول أصحاب العقول النيرة من المسلمين ، فدفعت الغيرة على حوزة الدين طائفة من علماء المسلمين أن يناهضوا الفلسفة ويجادلوها فابتدعوا لحربها علوم التوحيد .

نضج للغزالي عقله ونمت تجاربه وطبول الحرب تدوى باسم الدين لحماية الجماهير المظلومة من لوثة الوثنية وفلسفة التشكيك والتضليل . لذا لم ير الغزالي بدا من خوض المعركة بعد أن تهيأ له من اسلحة النزال والقتال ما لم يتهيأ لغيره ، وارسلها صيحة مدوية لله، وفي الله ، لا تعرف المواربة ولا المجاملة ولا اللين ، هاجم صرح الفلسفة الذى انشاه الاغريق ،وهذبه الفلاسفة المسلمون ، ثم انشا في حزم وعزم صرحا من الفلسفة الأخلاقية الدينية التي ما تزال تأوى الى ركنها حتى اليوم جماهير المسلمين .

كان للغزالي الفضل في انزال الفلسفة من عليائها، وجعل اسرارها علما واضحا لكل قارىء ، وتلك قوة لم تعرف في عالم الفكر الا للغزالي ، وقد الف كتابه « مقاصد الفلاسفة » تحقيقا لهذه الغاية النبيلة، فهو قد درس المذاهب الفلسفية جميعها، ثم ركزها في عشرين مسالة رئيسية، أخذ يكشف زيفها واحدة واحدة ، في قوة وعنف أثار عليه حفائظ الفلاسفة ، حتى كان ابن رشد يلقبه « بالجاهل الشرير » .

وكيف لا توغر عليه صدور الفلاسفة وتثير السنتهم وهو الذى قوض مجدهم الفلسفى ، وجعل اسم الفلسفة مرادفا لاسمي الزندقة والالحاد!

لم يجرح الغزالي من قواعد الفلسفة الا ما يتعارض مع أصول الدين ، فاما ماعدا ذلك فقد دافع عنه ونشره في الخافقين ، وفي هذا المعنى يقول الغزالي في مقدمة كتابه « تهافت الفلاسفة »: « ان الفلاسفة من عهد أرسطو الى عهدنا هذا قد بنوا مذاهبهم في الالهيات على ظن وتخمين ، من غير تحقيق ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية » وبهذا المنطق السديد الرشيد هدم الغزالي ما بنته اقلام الفلاسفة من صروح زائفة في الالهيات وعلوم ما وراء الطبيعة .

الغزالي يتحدث عن سيادة البيوت وصلات الازواج

تتوسم أحاديث الغزالي عن المرأة ـ كلما تحدث عنها ـ بسمات الرفق الرفيق والعطف الكريم ، انه يتحرى حين التحدث عنها مسايرة تعاليم الاسلام حتى يستطيع بذلك ان ينصفها وينصف منها .

فللرجل سيادة البيت غير منازع ، والا فسد نظام البيت وجانبته اسباب الراحة والسعادة ، وهذا هو دستور القرآن الكريم يقرره في غير لبس ولا خفاء ، أن يكون الزوج متبوعا لا تابعا ، وذلك في الآية الكريمة « الرجال قوامون على النساء ». ويخلع خلعة السيادة على الزوج فيقول: « والفيا سيدها لدى الباب» ثم يفرض على الرجال واجبات يؤدونها للمراة في غير تقتير ولا تقصير .

ولو حاولت المراة ان تضع لنفسها دستورا هو ارفق الدساتير لم تبلغ بنفسها ما بلغ الغزالي بها في قوله : « ليس حسن الخلق مع المراة كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها » .

والغزالي يامر الرجل ان يكون الزوج الفكه المرح مع زوجته ، المبسوط اليد بالانفاق عليها . وهو يدعو الى الاعتدال في الغيرة اذ يقول : « يجب على الرجل الا يتغافل عن مبادىء الأمور التى تخشى غوائلها، ولا يبالغ في الظن والتعنت وتجسس البواطن »

ويلزم الغزالي الزوج تعليم زوجته امور دينها، فان قعد عن هذا الواجب وجب على الزوجة ان تخرج لتتعلم ولا جناح عليها .

ما ابر الغزالي بالنساء ، وما اعطف قلبه عليهن وما اشفقه على ضعفهن ، فهو يكرر دوما وجوب الرفق بهن في أكثر من مؤلفاته .

يقبل كفنه ، ويستقبل القبلة ثم يموت !

واخيرا مات الامام المجدد ، والفقيه الحر ، والمتكلم الحامي للدين ، واليك ما كتبه (احمد) أخو الغزالي عند وفاة أخيه اذ يقول :

« لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضا اخي أبو حامد ، وصلى ، وقال : عليّ بالكفن ، فاخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال : سمعا وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه ، واستقبل القبلة ومات . »

رحمه الله رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جنانه . ■■

رفيق صديق
الموصل ـ العراق



بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

كلية التربية ـ جامعة بغداد

■ تذكر كتب تاريخ الامبراطورية الرومانية على اختلاف ازمنتها ومؤلفيها ان رجلا عربيا استطاع ان يصبح امبراطور روما ويحكمها لمدة خمس سنوات ونصف السنة ، ذلكم هو ماركوس يوليوس فيروس فيليبوس العربي الذي حكم من سنة ٢٤٤ الى سنة ٢٤٩ للميلاد . ففي شتاء عام ٢٤٣ ـ ٢٤٤ عندما كان الامبراطور جورديان (او غرديانوس كما يسميه المسعودي في « التنبيه والاشراف » يزحف على طيسفون مات والد زوجته تيمشيوس الذي كان يوجه الحملة فنصب الامبراطور مكانه مساعده يوليوس فيروس فيليبوس الذي كان ابن شيخ عربي من حوران . وتقول عنه الكتب الافرنجية انه كان من سكان بلاد العرب الاصليين . وقد عيّن ليكون مراقب الحرس الامبراطوري ، وكان طموحا ذكيا . ودل وصوله الى عرش الامبراطورية الرومانية ، في وقت كان لمجلس الشيوخ الروماني نفوذه ، على أن الرجل كان ذا قدرة هائلة وبراعة لا تجارى .

رجل طموح ، وامبراطور منهار

وفي حين ان تيمشيوس كان قانعا بان يمارس سلطته كحارس ومشاور لجورديان فان فيليبوس العربي سرعان ما أظهر ان مطامحه لا يمكن أن تطمئن الا بالسلطة الامبراطورية ذاتها ، ولم يكن حتما عليه ان ينتظر طويلا لينال بغيته فقد انتهز فرصة قلة الطعام لتأخر وصول سفن المؤونة والحبوب ليثير التذمر في صفوف الجيش ضد الامبراطور جورديان الذي قال عنه انه اصل المصائب . وقد كان ضعف الامبراطور وانهياره مثار اشمئزاز رجال الجيش . فقد قدم استقالته على ان يعمل تحت أمرة فيليب شريطة الا يتعرض لحياته بسوء. فاتجه فيليبوس او فيليب

صوب رجال الجيش يطلب منهم الجواب فجاء جوابهم سريعا وحاسما : لقد كانوا يريدون رجلا يحكمهم لا طفلا ، وقد وجدوا هذا الرجل في العربي الاسمر المفتول العضل فيليب ، ورأوا ان بقاء جورديان منافسا له في حاشيته قد يكون خطرا عليه ، وبالتالى على الامبراطورية نفسها ، فحكموا على جورديان الشاب بالموت ، فقتل في الخامس والعشرين من شباط سنة ٢٤٤ م ، وخلا الجو لفيليب وحده الذى عرف فيما بعد «بالامبراطور فيليب العربى» .

الاسم الحقيقى للامبراطور العربى

ويبدو ان اسمه الحقيقى قبل التحاقه بالجيش الرومانى كان امرا القيس او مرقس ، واضاف اليه بعد ذلك الاسماء الثلاثة الباقية التى كانت ضرورية لتمييزه عن سائر امبراطورة روما ، وهى : يوليوس فيروس فيليبوس .

لقد بعث فيليب ساعة ارتدائه الطيلسان الارجواني (الذى كان شارة تقلد امبراطور روما زمام الحكم) بأمر رسمي الى روما يعلن فيه موت الامبراطور جورديان موتا طبيعيا ، وتنصيبه من لدن الجيش امبراطورا . فوافق مجلس الشيوخ على هذا القرار ، وكان من الضرورى ، بناء على رأى قادة الجيش ، ان يعلن أن موت جورديان كان طبيعيا لئلا تحدث بلبلة في صفوف الشعب .

وقد امر فيليب جيشه في الوقت ذاته بتاليه الامبراطور القتيل ، على عادة الرومان عندما كانوا يفقدون اباطرتهم الراحلين ، وكان لا ينال هذا الشرف الا المحظوظون منهم ، وقد طلب الى مجلس الشيوخ المصادقة على ذلك وعلى منح اسرته اعفاء من التزامات الدولة فوافق المجلس على القرارين معا .

وكان اول عمل سياسي بارع قام به هو ان عقد الصلح مع ايران لانهاء حرب طويلة غير مجدية ، وكان يحكم ايران يومذاك سابور الاول بن ادرشير الذى ولى الحكم سنة ٢٤٢ وحكم احدى وثلاثين سنة على ما يذكر المسعودى في « مروج الذهب » .

الامبراطور العربي يكرم وطنه الاول

لم تكن بنود المعاهدة التى عقدها فيليب مع سابور متعارضة مع مصالح روما ، اذ بقى العراق وارمينيا الجنوبية في حوزة الامبراطورية الرومانية — وقد عين اخاه حاكما على العراق ، وجعل ولده يوليوس فيليب قيصرا ، وقبل أن يترك الشرق منح بعض مدن المنطقة امتيازات ، وشيد في وطنه الاصلى سوريا مدينة جديدة باسم « فيليبوبوليس » تخليدا لذكراه واعطاها امتياز « مستوطنة » ، في حين ان بصرى منحت لقب «العاصمة المستوطنه» . وقد اقام علاقات موفقة مع مجلس الشيوخ دامت مدة حكمه ، واستطاع بقوة شخصيته أن يبدد الشكوك التى حامت حول موت الامبراطور جورديان المفاجىء .

الامبراطور يقود الجيش في الدانوب

واضطربت الاحوال في الامبراطورية سنة ٢٤٦ م فترك روما وتقلد قيادة الجيش في الدانوب ، فحدثت معارك طاحنة مع القبائل الالمانية ، واحرز في السنة التالية نصرا حاسما على قبائل الكاربى . وعندما خرج المتحصنون منهم قابلهم الرماة العرب ، ويبدو انه كان يحتفظ بفيلق عربى لايام شدته ، وتحت الضغط العربى المتزايد طلب الاعداء الصلح ، فمنحهم اياه ، وعاد الى روما ليحتفل بنصره العظيم ، واحرز ابنه لقب «اغسطس» واتفق في الحادى والعشرين من نيسان سنة ٢٤٨ حلول الذكرى الالفية الاولى لبناء روما ، فاحتفل بها بما يليق بمقام الامبراطورية العظيمة ، وساد السلام والرفاه حاضرة القياصرة ، وكان هذا ذروة شهرة فيليب العربى .

اضطراب احوال الامبراطورية

وفي اوائل الصيف بلغت روما أنباء ثورة جديدة في الدانوب ، حيث نصب الجيش احد ضباطه المسمى « باكاتيانوس »

امبراطـورا . وقامت ثورة في العـراق بسبب الضرائب الثقيلة ، وأخـرى في سوريا ، وقام امبراطوران جديدان في هـذين الاقليمين ، فاضـطرب فيليب والتجأ الى مجلس الشيـوخ مقدمـا استقالته ، فقوبل بالصمت . ولم يتقدم اليه شيخ باقتراح ، الى ان قام ديكيوس ويسميه المسعودي داقيوس ، فأوضح له الا يخشى شيئا لان باكاتياتوس لا يصلح ان يكـون امبراطورا وسيقتله جيشه . وسرعان ما صدقت نبوّته ، ولم يقتـل باكاتيانوس وحده بل قتل معه ايتابياتوس الذي كان يزعم انه من سلالة الاسكندر المقدوني .

الجيش ينصب ديكيوس امبراطورا

ولكن مع ذلك لم تتبدد مخاوف فيليب نهائيا فطلب الى ديكيوس ان يتسلم قيادة الدانوب ، فوافق بعد تردد ، ونجح في مهمتـه ، فرفعـه جنـده الى منصب امبراطور في شتاء ٢٤٩ رغم احتجاجاته المتكررة ورفضه للمنصب ، ولقد كتب رسالة الى فيليب يوضح له بكل صدق واخلاص انه سيخلع الرداء الارجواني الذي اجبـره جنـده على ارتدائه حال عودتـه الـى رومـا ، غير ان فيليب - للاسف - لم يصدقه لان تقدمـه في السن زاد من هواجسـه وشكوكه حتـى تجاه ديكيوس اقرب الاصدقاء اليه .

فارتكب غلطته الكبرى وسـار نحوه على راس جيش لجب في حزيران مـن السنة ذاتها، وجرت بينهما معارك حامية الوطيس كان آخرها معركة فيرونا التي انتصر فيها ديكيوس ، رغم قلـة عـدد جنده ، وذلك لشدة تعلقهم به وايمانهم بمواهبه العسكرية ، ولشيخوخة فيليب، كما اسلفنا ، فصرع الامبراطور البطـل وابنـه في المعركة . وتقول رواية أخرى انهما قتلا صبرا في المعسكر الامبراطوري بعد وصول انباء نصر فيرونا ، ونحن اميل الى تصديق الرواية الاولى ، لانـه كان يعز على ديكيوس أن يقتل صديقه واخاه في السلاح صبرا .

فيليب العربي
اول من ادخل النصرانية الى روما

ولم يؤله فيليب ولا ولده بعد موتهما لانهما كانا قد اعتنقا النصرانية ، ذلك ان فيليـب العـربي كان اول مـن ادخل النصرانيـة الى رومـا ، وتسامـح مع معتنقيها ، فقامت الثـورات العسكرية بوجهه ولم تنته الا بمصرعه وعودة الوثنية الى روما . كان ذلك قبل ظهور الاسلام بنحو اربعة قرون .

ولقد انفـرد المسعودي بين مؤرخي العرب بذكره فقال عنه في كتابه « التنبيه والاشراف » وهو يعدّد اباطرة رومـا الثلاثين : « فيلبس قيصر ملك ست سنين ودعى الى دين النصرانية فأجاب، وترك ما كان عليه من مذاهب الصابئين، واتبعه على ذلك كثير من اهل مملكته فآل ذلك الى تحزبهم واختـلاف كلمتهم في الديانة ، وكان فيمن خالفه عليه بطريق من بطارقته يقال له داقيوس فقتل فيلبس واستولى على الملك » .

ويقـول بعض مؤرخي الغـرب ممن يكرهون العرب ان حكم فيليب العربي الذي اتسم بضرائب الجيش الثقيلة كان سببا من اسباب سقوط الامبراطورية الرومانية ، ونحن نقول ان هذه الضرائب لم تكن من مبتدعات فيليب فقد كانت موجودة قبله . ويصدق في نظرنا العكس فان ظهـور فيليب العـربي انعش الامبراطورية واطال بقاءها .

وعلى كل حال لا يمكن لاى مـؤرخ منصف ان يقول ان حكومة فيليب العربي كانت سـيئة ، فقد كان يؤمن بالحكم الدسـتوري ، وكانـت لـه قابليـات استراتيجية مدهشة ، وعنى بطـرق المواصلات في طول الامبراطورية وعرضها.

وملاك القول : ان حكم فيليب العربي كان قائما على الفضائل السائدة في العالم القديم يومذاك واتجـه في تسيير دفـة الامبراطورية الرومانية وجهة المبـادىء السليمة لرجل الدولة الحكيم . ■■

بغداد : **صفاء خلوصي**

في سبيل موسوعة علمية

السمك

حفظ بالتجفيف والتمليح والتدخين

■ حفظ الاطعمة حاجة قديمة من حاجات بني الناس ، تدرّ لهم مصادر الرزق الخير الكثير في يوم أو ايام، وتفيض بما فوق الكفاية اضعافا مضاعفة ، ثم تتراجع تلك المصادر في سخائها ، واذن تظهر حاجة الانسان الى ان يحفظ الفائض من طعامه في ايام الرخاء لأيام القحط .

وقد يحفظه اسابيع . وقد يحفظه اشهرا أو سنين .

وتأتي اللحوم والأسماك في أول هذه الأطعمة ، ولهذا اتجه الانسان الى ابتداع طرائق لحفظها منذ قديم الزمان .

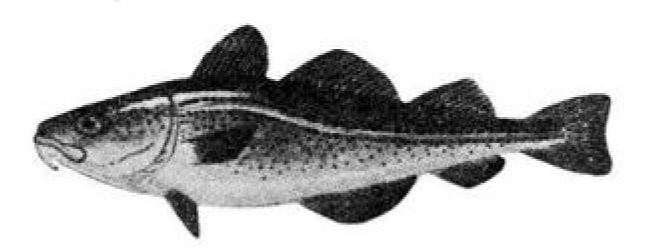
فساد الأسماك

والأسماك سريعة الفساد ، لا سيما في الأجواء الحارة ، وذلك بسبب فعل البكتير بها ، وفعل ما تتضمنه هذه الأسماك من انواع من الفطر تحدث عفنا ، كذلك بالذى تحمله في أجسامها من أنزيمات تعمل على هضم مادة اجسامها . ثم الهواء وما به من اكسجين يعمل على أكسدة هذه المادة .

وسائل منع الفساد

ووسائل منع الفساد عديدة ، منها التجفيف ، ومنها التمليح ، ومنها التدخين ، وقد نجمع بين أكثر من وسيلة واحدة لحفظ السمك . وبالطبع منها التبريد وهو آخر ما توصلت اليه التكنية الحديثة وذلك حيث تأذن الظروف الاقتصادية والاجتماعية باستخدامه .

ونقصر حديثنا هنا على التجفيف والتمليح . ونبدأ بالتجفيف عندما



سمك القدّ
(وهو البكلا مجففا)



سمك القد وهو يجفف معلقا من العصى ، فى الهواء

يستخدم وحده ، ثم بالتمليح يعقبه التجفيف ثم التدخين .

حفظ السمك بالتجفيف وحده

الماء ضرورى لكل حياة .

ومن هذه حياة البكتير والفطر ، وهما يسببان فساد السمك .

وبسبب هذا امكن استخدام التجفيف وسيلة من وسائل حفظ الاسماك . فبازالة الماء او نقص مقداره يقف نشاط الفطر والبكتير .

والسمك المجفف على هذا النحو هو بعض صناعة كل من النرويج وايسلندة منذ قرون عديدة .

والسمك المجفف الشائع سمك القد Cod Fish ، وهو الذى يعرف بعد تجفيفه او تقديده فى بعض بلاد الشرق باسم سمك البكلا ، وهو لفظ ايطالي Baccala ، وهو سمك القد المجفف . وفي مصر ، حيث يتخذ السمك طعاما في عيد الفطر ، يظهر هذا السمك وافرا فى الأسواق فى الظروف العادية .

عملية التجفيف

وعملية التجفيف تتضمن قطع راس سمك القد ، وشقه ، واخراج احشائه ، ثم تعليقه فى العراء من شبه عصى طويلة (اسم هذا السمك فى النرويج Stock Fish . و Stock هي Stick فى الانجليزية ، اى العصا) .

والسمك الكبير يشق عند تعليقه نصفين .

والتجفيف يستغرق زمنا يصل الى ستة أسابيع ، و فى هذا الزمن يهبط مقدار الماء فى السمك من ٨٠ فى المائة الى ١٥ فى المائة . وهذا القدر من الماء هو القدر الاقل الذى عنده يتوقف نمو الفطر . اما البكتير فيتوقف نشاطه عندما يبلغ مقدار الماء ٢٥ فى المائة .

وسمك القد المجفف هكذا يظل مقبولا للأكل بضع سنوات .

واغلب المصنوع من هذا السمك يصدر من انجلترا ومن النرويج وغيرها الى بلاد البحر المتوسط وافريقيا .

والى اليوم ظل تجفيف هذا السمك يجرى فى الهواء الطلق ، مع ان المجففات الاصطناعية قد ابتدعت وشاعت .

حفظ السمك بالتمليح والتجفيف معا

وفيه يقطع راس سمك القد Cod Fish وهو اكثر الاسماك استخداما ، ويشق بطنه ، وتزال سلسلة ظهره ، ولكن

يستبقى جزؤها الذيلي ليعطي السمك صلابة ومشاكا تمسك به اليد .

والنرويج وايسلنده ، وهما اشهر مصدرى هذا السمك ، لهما قواعد تتبع لكي تاتي النتيجة وفقا للمطلوب المرغوب. ومن ذلك ادماء السمك عقب صيده .

التمليح الثقيل

بعد ذلك يصفف السمك اكواما ، طبقات بعضها فوق بعض . طبقة من الملح ، فطبقة من السمك ، فاخرى من الملح ، وهلم جرا .

ويحصل عندئذ ان الملح يمتص الماء من السمك ، ويجرى الماء به ، وييسّر له الجريان بعيدا عن الكومة .

وبعد ١٥ يوما يكون الملح قد تخلل لحم السمك واشبع ما بقى به من ماء .

وفى انجلترا تجرى هذه العملية على الشاطىء . اما الفرنسيون والبرتغاليون وامم غيرهم فيجرونها على سفن الصيد نفسها . وعندئذ قد يبقى السمك فى ملحه ومائه أشهرا قبل تجفيفه .

وفى هذه الحالة يبلغ مقدار الماء الذى بالسمك ما بين ٥٣ الى ٥٨ فى المائة من وزنه .

تجفيف السمك المملح ثقيلا

يجرى هذا التجفيف دائما على الشاطىء .

اما فى النرويج وايسلندة فيجرى فى الهواء الطلق ، حيث يعرض السمك للشمس والريح معا .

اما فى انجلترا وكندا فيجرى التجفيف فى حجرات تدفأ بالتسخين .

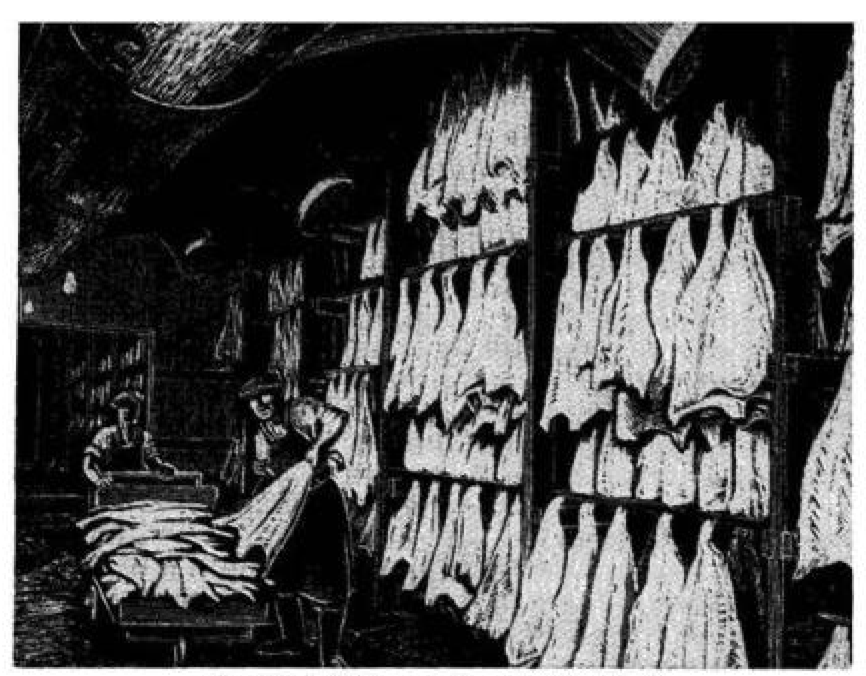
مقدار الماء والملح فى السمك المملح ثقيلا

يتوقف مقدار الماء على مقدار التجفيف وسمك السمك ، وهو يتراوح ما بين ١٠ الى ٣٠ فى المائة من وزن السمكة . وكذلك مقدار الملح يتراوح بين ٢٥ و ٣٥ في المائة .

والحاسبون يقدرون أن السمك ، يحتاج كل مائة رطل منه للتمليح الثقيل ، الى نحو ٣٠ رطلا من الملح .

سمك القد المشقوق المملح،مكوما ،يجرى منه ماؤه





سمك القد الملح وهو معلق في حجرة للتجفيف الاصطناعي

التمليح الخفيف

حدث منذ سنوات ان اسبانيا ، والبرتغال وايطاليا ، وهي من البلاد المستوردة للسمك المجفف ، ان رغبت بعض الشيء عن السمك الملح ثقيلا ، ومالت الى الاقل ملوحة .

وكانت ولاية كويبك بكندا تصنع سمكا قليل الملح لذيذ الطعم ، واخذ ينافس سائر الأسماك الجافة .

وبذلك عمد المصدرون الى انتاج سمك اقل ملحا ، طريقة تمليحه وتجفيفه تشبه طريقة التمليح الثقيل ، مع اختصار زمانها . ومن ذلك ان الملح يضاف ما بين ٧ الى ٩ ارطال منه فقط الى كل مائة رطل من سمك القد المشقوق .

ويجفف السمك اما في الهواء الطلق او في الحجرات المدفأة .

السمك قليل الدهن وكثيره

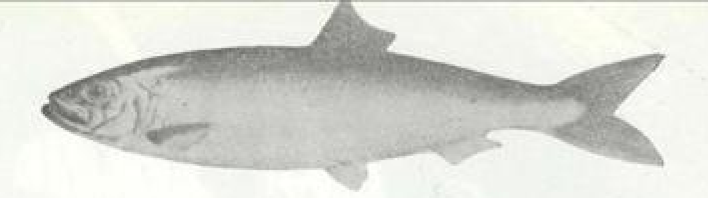
ان الدهن هو الصورة التي عليها يختزن الجسم ما يفيض عن حاجته مما يطعم فمه ، سواء كان الجسم جسم انسان او حيوان او سمك .

فالسمكة ان اكلت اكثر ما يحتاج جسمها اليه من طاقة لاجراء الحياة عمدت الى قلب هذا الفائض الى دهن له مكان من جسمها تختزنه فيه ، فقد تختزنه في كبدها ، او في راسها او في انسجة جسمها او غير ذلك من الأعضاء ، تبعا لصنف السمك .

ودهن السمك يقل ويزيد تبعا للفصل من العام ، فحين يكثر الطعام يزيد الدهن ، وحين يقل يقل الدهن .

واذا نحن تحدثنا عن سمك القد Cod الذي هو اكثر الأسماك مادة لصناعة السمك المجفف ، قلنا انه يختزن الدهن في كبده ، ولا يبقى في انسجة الجسم الا آثار . وبما أن التجفيف مادته جسم هذا السمك ، لا كبده ، فهو يعتبر في هذه الصناعة من الأسماك غير الدهنية . ولهذا يجفف ، أو يجفف ويملح على الطرق التي وصفنا .

أما سمك الرنجة Herring فمن



سمكة الرنجة

السمك الدهني ، والدهن منتشر فى جسمه . ومقداره يختلف اختلافا كثيرا فى فصول السنة . وهو يقل فى موسم البيض والافراخ . واجمالا يمكن القول ان نسبة الدهن في جسمه تبلغ في الصيف نحوا من ٢٠ فى المائة ، وفى الخريف من ١٠ الى ١٥ فى المائة ، وفى الشتاء ما بين ٥ الى ١٠ فى المائة ، اما فى الربيع فتهبط النسبة الى ٥ فى المائة .

ولأن سمك الرنجة سمك دهني ، فانه يحفظ بالتخليل فى الملح والماء ، لا بالتجفيف ، او التمليح يعقبه التجفيف .

وهذا وصف الطريقة :

تخليل السمك فى الملح والماء

تستخدم هذه الطريقة لحفظ السمك ذى الدهن ، كسمك الرنجة Herring ، وسمك الأسقمرى Mackerel وسمك سليمان Salmon .

وفيها يشق سمك الرنجة،وتستخرج احشاؤه ، مع الابقاء على البطارخ التي به ، وذلك بعد خلطه جيدا بالملح .

ثم يصفف السمك فى براميله على طريقة مالوفة ، تتضمن وضع طبقة من الملح فى قاع البرميل ، ثم طبقة من السمك بطنها الى أعلى ، ثم طبقة من الملح ، ثم طبقة من السمك اتجاه طول سمكها يصنع زاوية قائمة مع اتجاه طول الطبقة السمكية التى سبقت . وهلم جرا .

وبعد يوم او يومين ينكمش السمك فى البرميل ، فيستكمل بسمك وملح . ويترك اياما . ثم يصفى ما تكون به من ماء .

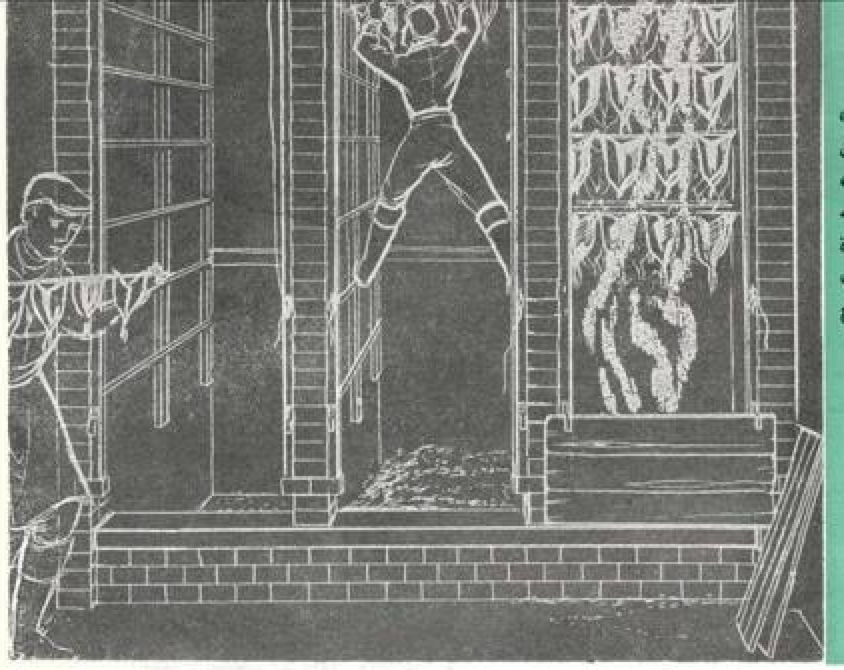
واخيرا يصبح البرميل مهيأ للخزن والتصدير .

تدخين الاسماك

ومع تمليح الاسماك ، ومع تجفيفها



تصفيف سمك الرنجة المخلل فى الماء والملح فى براميله



السمك المملح ، معلقا فى الفرن التقليدى ، يصعد اليه دخان نشارة الخشب المحترقة فى القاع فيدخنه

لا بد من معالجتنا موضوع تدخين الاسماك ليتم شطر من هذه الصناعة متكامل .

ذلك ان التدخين يأتي بعد التمليح . والسمك يهيأ اولا ووفقا للناتج المطلوب منه ، فهو اما يشق ويستخرج احشاؤه ، واما يؤخذ كما هو ، ثم يملح . وبعد التمليح يعلق فى افران تحرق فى قاعها نشارة الخشب ، ومن حريقها يتصاعد دخان ساخن يتشرب منه السمك ، وفى نفس الوقت يجف .

والناتج سمك مملح ومدخن وجاف .

قديم التدخين وحديثه

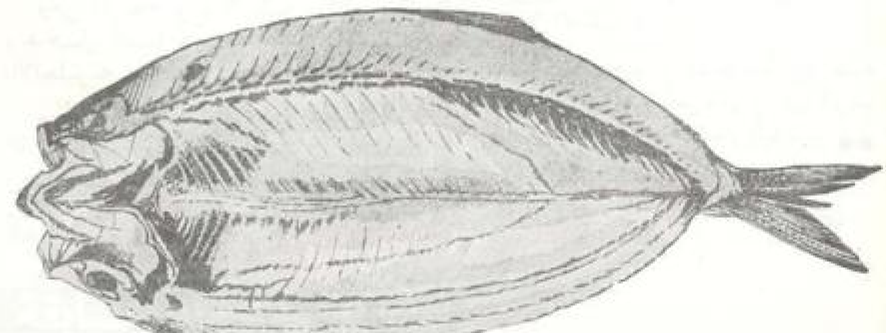
نشأت صناعة تدخين الاسماك فى اوروبا منذ القرون الوسطى . وكان اهم هذه الاسماك فى هذه الصناعة سمك الرنجة . وكان يملح تمليحا ثقيلا يستمر اسابيع ، ثم يدخن فى الافران لاسابيع كذلك .

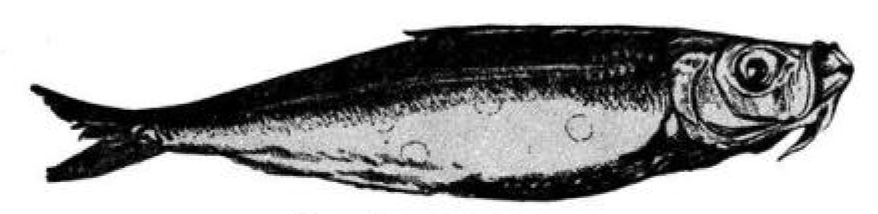
وكان الناتج الرنجة الحمراء الشهيرة « Red Herring » ملحها كثير، وطعمها طعم القار المكتسب من الدخان ، واقبل عليها الناس فى ذلك الزمان اقبالا كبيرا .

وبالطبع كان يعين ذلك على اطالة المدة التي يبقى فيها السمك غير فاسد .

ثم تغير ذوق الناس فى هذه العصور الحديثة لا سيما فى انجلترا ، فهم الآن يملحون السمك تمليحا هيّنا ،

سمكة الرنجة مشقوقة ومملحة ومدخنة





سمكة الرنجة مملحة ومدخنة بدون شق

ويدخنونه تدخينا هينا ، وذلك بقصد اعطائه المذاق اللذيذ المعروف ، لا بقصد حفظه طويلا من الفساد .

فهذا الناتج الحديث لا يبقى سليما فى درجات الحرارة العادية اكثر من اسبوع او نحو ذلك .

انواع السمك المدخن

اشهره سمك الرنجة Herring .

والرنجة تطلق فى البلاد العربية غالبا على هذا السمك بعد تجهيزه مدخنا ، فهكذا هو يصدر الينا .

ولكن لفظ الرنجة ، هو لفظ هرنج Herring الانجليزي محورا . ولا بد ان نطلقه على السمك الحي ، ونصنفه بعد ذلك بالمملح او المدخن وفقا لصنفه .

وهو من اشهر انواع السمك الذي يعرفه الانسان .

وهو يشق ، ويملح، ويصفف فى افران التدخين طبقا من فوق طبق . ويضاف اليه عند تمليحه شيء من الصبغ يعطيه لونه المعروف الاصفر والقاتم العميق . . وهذا الصنف هو الذى نطلق عليه فى الشرق اسم الرنجة عادة .

ويسمى بالانجليزية Kippers

ومن الرنجة نوع لا يشق ، بل يملح ويدخل كما هو ، كاملا . واسمه بالانجليزية Bloaters .

ومن اشهر الأسماك التي تدخن النوع الذي يجب ان نسميه بالحدوق Haddock وهو شبيه بالقد Cod ، الا انه اصغر منه . وهو شائع . ويدخن من بعد شقه وتمليحه . وهو يملح ويدخن خفيفا . ويضاف اليه الصبغ عند تمليحه ليعطيه لونه الأصفر .

وكذلك يملح ويدخن سمك القد ، وصنوف اخرى كثيرة .

تصنيع السمك فى الوطن العربي

الذي نعلمه ان تصنيع السمك من حيث التمليح والتجفيف والتدخين ، فى البلاد العربية ، لا يزال على الاكثر فى حالة بدائية . ومن امثلة ذلك اننا رأينا عرب الفجيرة ، على ساحل عمان ، يجمعون السمك الصغير ، اطنانا كثيرة ، يجففونها على الأرض فى الشمس ، ثم يبيعونها سمادا للزراعة او علفا للحيوان . وكذلك فى ام القيوين على الخليج العربي ،يملحون سمك البياح ، ويصدرونه الى البحرين، ولكنه تمليح لا يحفظه غير ما تستغرق الرحلة او نحو ذلك .

ثم نلاحظ ان هناك اختلافا كبيرا فى اسماء الأسماك فى البلاد العربية،واختلافا حتى فى جمع للنظائر تحت صنوفها العلمية الواحدة ، ذلك التصنيف العلمي الذي لا بد يسبق الأسماء ، ولا سيما ردها الى الأسماء العلمية التي تحملها اشباهها العالمية .

يقظة فى العرب لم تمتد بعد الى هذه المناطق المنزوية من العرفان ، على الرغم من علائقها الوثيقة باقتصاد البلاد . ●●

احمد زكي

مسابقة العربي

أجب على ٦ أسئلة

تربح جائزة من مجموع جوائز قيمتها ١٠٠ دينار

■ **معرفة القارىء لوطنه العربي ترتكز على ركائز كثيرة ، منها الركيزة الجغرافية . وقد بنينا هذه المسابقة على هذه الركيزة ، نريد بها ان نحيي ذكر الكثير من المواقع العربية .. وسوف يجد القارىء ، لا سيما الشاب ، انه في حاجة الى الاستعانة بالخريطة ، ولا شك ان كل قارىء عربي يحتفظ بخريطة للوطن العربي !**

وقد جعلنا مسابقة هذا العدد في عشرة اسئلة ، والمطلوب منك ان تجيب على ستة منها فقط لتفوز باحدى جوائز المسابقة :

١ - اذكر اسماء ثلاثة موانىء عربية تبدأ بحرف الباء ، واذكر اسماء ثلاث عواصم عربية تبدأ بحرف الباء ايضا .

بحيث لا يتكرر اسم اى بلد في الاجابتين .

٢ - اذكر مدينة واحدة في كل من : ج.ع.م - سوريا - ليبيا ، بحيث يبدأ اسمها بحرف الدال .

٣ - قليل من المدن العربية تبدأ اسماؤها بحرف (ص) فاذكر اسم ثلاث من هذه المدن ، تقع في ثلاث من الدول العربية .

٤ - مدينتان مشهورتان تقعان في بلدين عربيين ، وتطلان على حوض البحر الابيض المتوسط ، وتحملان نفس الاسم ، فما هو هذا الاسم ؟

٥ - جميع الدول والامارات العربية تقع في افريقيا او آسيا على اراضيهما المتصلة الواسعة ، ما عدا امارة واحدة موجودة على جزر في البحر ، فما هو اسم هذه الامارة العربية ؟

٦ - من المؤسف أن جزرنا في الوطن العربي تعيش في شبه عزلة عن الوطن الام .. حتى اسماء هذه الجزر تكاد تكون مجهولة تماما ، فهل يمكنك كتابة اسماء ثلاث جزر عربية على الاقل .. بشرط ان تكون كل منها في بلد عربي مختلف عن الاخر ..

٧ - من اشهر الواحات في الوطن العربي واحة تبدأ بحرف السين .. واخرى بحرف الفاء ، وثالثة بحرف الكاف ورابعة بحرف الباء ، وخامسة بحرف الدال ..

والمطلوب منك ان تذكر اسماء ثلاث واحات منها على الاقل ..

٨ - مضائق بحرية يطل عليها وطننا العربي .. اذكر اسماء ثلاثة منها على الاقل ..

٩ - اذكر اسماء ثلاث مدن في العراق تبدأ بحرف الكاف ..

١٠ - ثلاث مدن في سوريا تبدأ بحرف الحاء ، فما هي اسماؤها ؟

شروط المسابقة

١ - أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ - أكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ - ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي - صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١١٩ » .

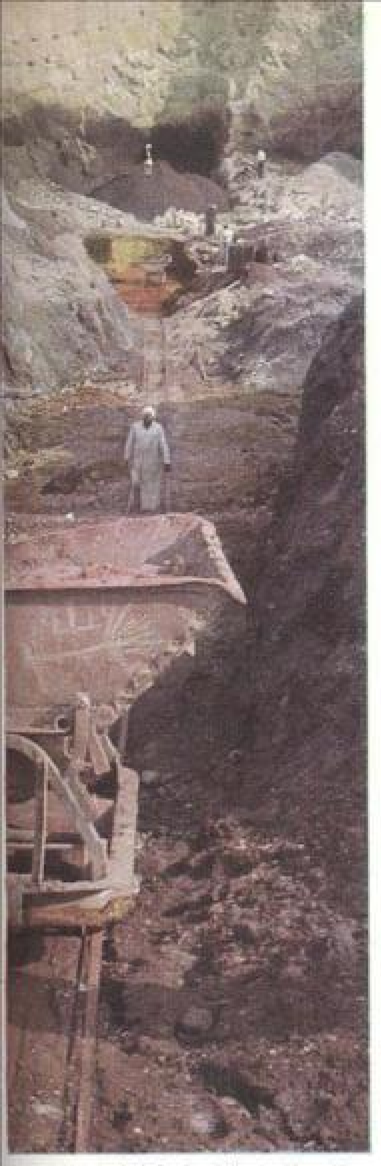
٤ - آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الرابع من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ .

٥ - كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير . **٨ جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..





شعور بالحنين يتملك اهل الشارقة عندما يشدون رحالهم ويستقلون السفينة الشراعية في طريقهم الى ارض

اعرف وطنك أيها العربي

جزيرة أبو

مدرسة تعيد



جزيرة ابو موسى .. الجزيرة الصغيرة الغنية بقناعة اهلها .. والغنية بثروات ارضها من اكسيد الحديد الاحمر .

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
اوسكار مترى

موسى

الحياة الى الجزيرة المهجورة وسط مياه الخليج

■ جزيرة صغيرة هادئة تقف عند مدخل الخليج العربي وتطل عليه، تماما كما يقف الحارس الامين امام خزائن المال الدفين ..
السفن تمر امامها سالكة نفس الطريق الاسطوري القديم .. طريق الثروات الطبيعية المذهله ، من توابل وحرير وبخور ولؤلؤ ، عندما كان اللؤلؤ اغلى من الماس !

وانطوت صفحة وبدات صفحة جديدة .. لم يعد الحارس يقف ليحرس قوافل التوابل .. وانما اصبح يقف ليرقب قوافل من نوع جديد .. قوافل ناقلات ضخمة ، تحمل في جوفها الذهب الاسود تمخر به عباب المياه الدافئه الهادئه المتعددة الالوان .. الوان وهبها الله لها فاضفت على هذا الشاطيء الهاديء سحرا وجمالا ..

وشيئا فشيئا تبتعد الناقلات عن الجزيرة الرابضة في مياه الخليج .. جزيرة ابو موسى .. وتهدأ الامواج التي خلفتها وراءها ، ويعود الصفاء الى المياه اللازوردية ، وترتفع الاشرعة البيضاء للسفن الصغيرة العائدة الى الحارس الامين ..

وفي مجلس الشيخ خالد بن صقر القاسمي حاكم الشارقة وتوابعها ، جلسنا نتحدث عن «ابو موسى» وعن رغبتنا في الذهاب اليها ، ولم يتردد الشيخ الشاب في الموافقة على سفرنا الى الجزيرة ، انها درة امارة الشارقة ..

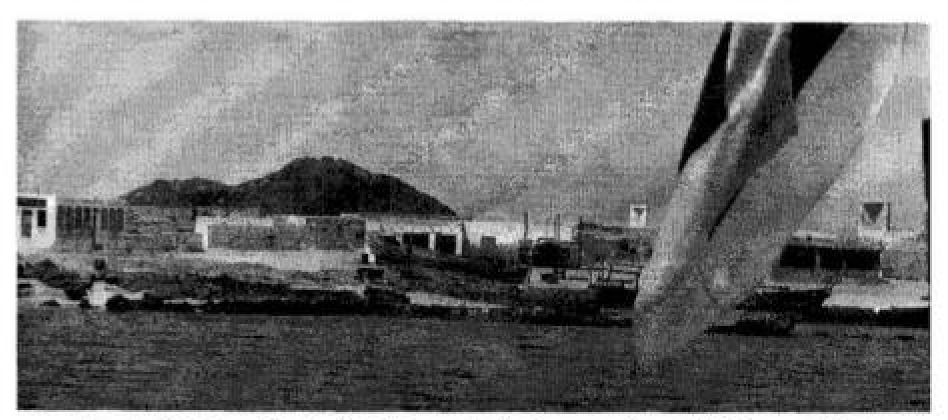
جبل وسط البحر

ومع خيوط الشمس الاولى كنا على ظهر السفينة « الصقر » او الجلبوت العربي التقليدي المزود بمحركين سريعين .. وانطلق بنا « الصقر » على صفحة المياه الهادئة .. وبعد اربع ساعات لاحت امامنا قطعة من الصخر ، وكأنها جبل انشق عنه البحر !! وهتف البحارة : «ابو موسى أمامنا..»

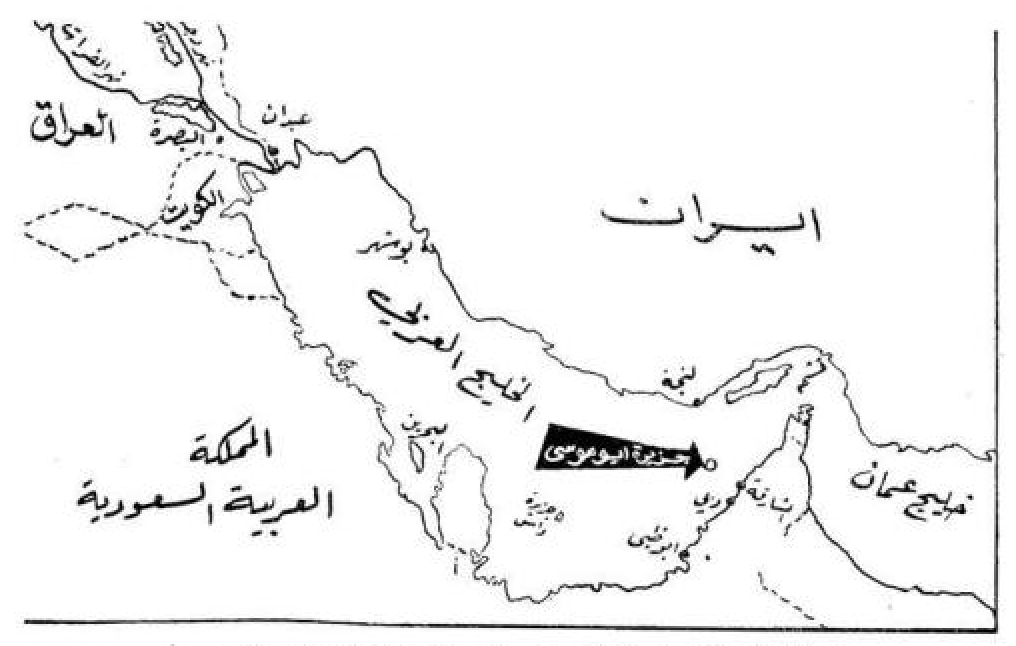
وتطوع احد اهالي الجزيرة بان يذكر لنا اسماء الجبال والتلال الظاهرة امامنا : « هذا جبل محروقة ..وذاك بَلَدٌ عَالي .. وهذا تل العماميل ..انها الجبال التي تتكون منها جزيرة ابو موسى..

واقتربنا من الجزيرة ، وراح النوخذا (القبطان) يهدىء من سرعة « الصقر » .. وتسمرت العيون على قاع المياه الشفافة ، وهي تكشف عما يخبئه قاعها من صخور مدببة ذات حواف مثل حد الموسى ، ان هذه الصخور قادرة على تمزيق قاع اى سفينة اذا مرت فوق احداها .

وبينما كان « النوخذا » يوجه دفة السفينة وفقا لحركات الايدي التي كانت ترتفع وتنخفض محذرة اياه من الصخور التي تشمخ برؤوسها المدببه تحت سطح الماء .. عدنا بذاكرتنا الى ما سبق ان ذكره ارنولد ويلسون الكاتب الانجليزي المعروف في كتابه « الخليج » عن التغيرات الطبيعية الهائلة التي شهدتها منطقة الخليج العربي في القرون السحيقة الماضية ، الممتدة الى العصر الجيولوجي الحديث القريب P.iocene المنتهى



جزيرة ابو موسى كما تبدو من البحر .. وقمة جبل محروقة تشرف على الجزيرة وتطل عليها ..



خريطة الخليج العربي ، وقد اشير بسهم الى موقع جزيرة ابو موسى التي تبعد ٤٥ ميلا عن مدينة الشارقة .. انها جزيرة صغيرة هادئة لا يزيد عدد سكانها عن ٧٠٠ نسمة ، طولها ٧ كيلومترات وعرضها ٥ كيلومترات تقريبا ..

منذ حوالي نصف مليون سنة .. ففي ذلك الوقت كانت التغيرات الجبارة للقشرة الارضية قد وصلت الى ذروتها فاعطت للخليج العربي شكله الحالي ، بعد ان كان شريطا ضيقا من الماء .. ونتيجة للضغوط الهائلة على كميات الاملاح المتراكمة منذ بدء الخليقة في باطن الارض ، ظهرت نتوءات ملحية دائرية على سطح الماء يتراوح قطر الواحدة منها بين ٤و٦ اميال .. ومع هذه الاملاح اندفعت بعض الصخور البركانية وخامات الحديد والنحاس من باطن الارض ، لتكون مجموعة من الجزر في الخليج العربي ، منها جزيرة ابو موسى ، موضوع هذا الاستطلاع .

اهمال .. ونسيان

وعلى صوت الاطفال ، الذين احاطوا بنا عند نزولنا الى شاطىء الجزيرة ، عدنا الى عالم الواقع .. عدنا الى عالم يعيش منعزلا منسيا ، مثله في ذلك مثل معظم البقاع النائية في وطننا العربي الكبير .. فكل همنا في هذا الوطن ، يتركز دائما في النهوض بالعاصمة ، ولا شيء الا العاصمة .. جميع الخدمات والمشاريع لرفع شان العاصمة ، وتوفير سبيل الراحة لاهل العاصمة .. اما القرى البعيدة والجزر النائية فمنسية دائما ومظلومة ابدا .. حتى لايكاد المرء يحس بوجودها .. فاهلها هم وحدهم الذين يشكون ويتالمون .

ثروة سمكية بارخص الاثمان

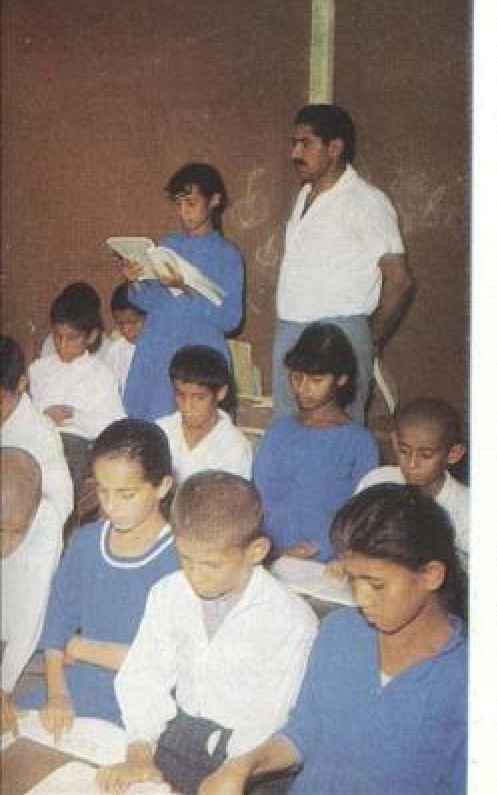
ويرتبط سكان جزيرة ابو موسى بالبحر الاخضر ارتباطا وثيقا .. ففي اعماقه كانوا يغوصون ، وباسماكه يتاجرون ويعيشون .. يخرجون كل صباح في لنشاتهم مع آذان الفجر ، ولا يعودون الا بعد ان يرخي الليل سدوله .. اربعون لنشا تخرج يوميا تحمل « الدَّبَّي » اى اقفاص السلك ذات الفتحة الصغيرة ، يلقونها في قاع مياه الخليج بالصباح ، ليعودوا الى جمعها في المساء .. يخرجون منها الاسماك لبيعها الى شركات الصيد الاجنبية التي ترسل سفنها يوميا ، الى الجزيرة ، تشتري اسماكها بابخس الاثمان .. كل « منّ » (٤ كيلوجرام) باربعة ريالات ، اى اقل من ربع دينار .. وهكذا يضيع مجهود اليوم باكمله بهذا السعر الزهيد البخس .. والصياد مضطر للبيع بالسعر الذى تفرضه الشركات ، لعدم وجود ثلاجات يحفظ فيها اسماكه !

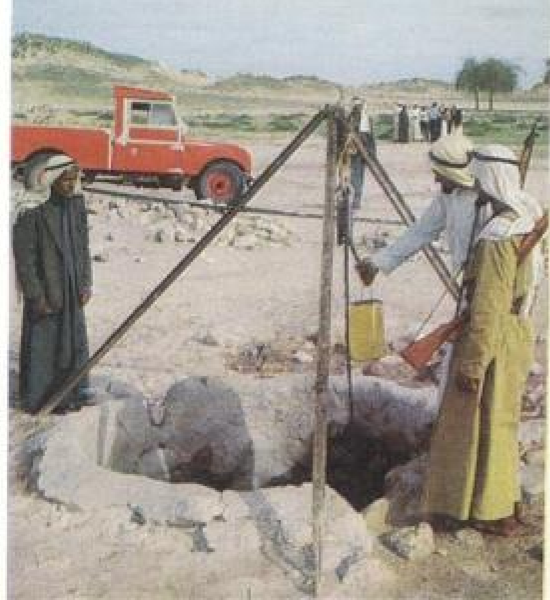
منذ مائة عام ..

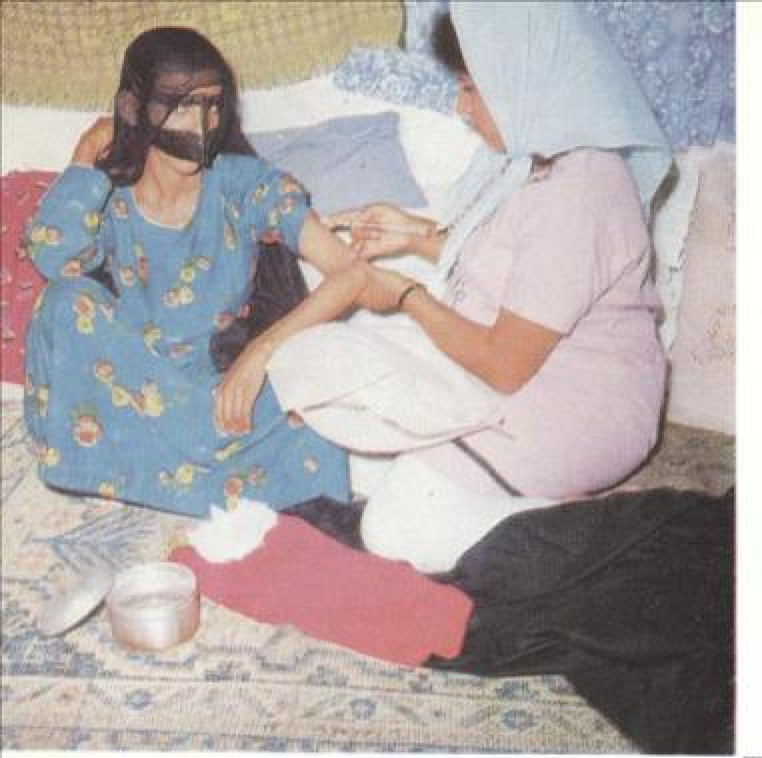
وعندما تصل الى جزيرة ابو موسى تشعر انك

اطفال الجزيرة في طريقهم الى المدرسة ، بينما خرجت امهاتهم ينظرن اليهم بلهفة وفرح .. والى اليسار الاستاذ محمود الحمارنه ناظر المدرسة داخل احد الفصول المختلطة ، ان محمود لم يعد وحده الآن فقد انضم اليه علي حمد بوغانم ، ومحمود ابراهيم محمد .. اردنا أن نلتقي بهما ، ولكنهما كانا في مهمة .

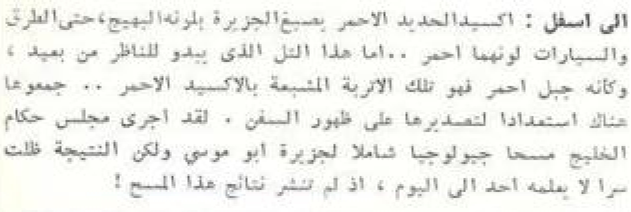
الى اسفل : الآبار المنتشرة في الجزيرة .. مياهها تميل الى الملوحة والاحمرار ، انها تصلح للزراعة فقط ولكنهم يشربونها







الى اليسار : « ابلة سامية » شعلة لاتنطفىء من النشاط .. لقد وهبت حياتها ووقتها لتلميذاتها واسرهن ، فهي ليست مدرسة فحسب بل ممرضه ايضا .. انها تقوم بتدريس ابنائها في الصباح ، فاذا انتهى الدرس راحت تعتني بالمرضى وتخفف عنهم الامهم .. فليس في الجزيرة طبيب او ممرضة .. ولكن عملها لاينتهي عند هذا الحد ، فهي ايضا مشرفة اجتماعية تقوم بحل مشاكل النساء في جزيرة ابو موسى .



الى اسفل : اكسيد الحديد الاحمر يصبغ الجزيرة بلونه البهيج، حتى الطرق والسيارات لونهما احمر .. اما هذا التل الذى يبدو للناظر من بعيد ، وكأنه جبل احمر فهو تلك الاتربة المشبعة بالاكسيد الاحمر .. جمعوها هناك استعدادا لتصديرها على ظهور السفن . لقد اجرى مجلس حكام الخليج مسحا جيولوجيا شاملا لجزيرة ابو موسى ولكن النتيجة ظلت سرا لا يعلمه احد الى اليوم ، اذ لم تنشر نتائج هذا المسح !







من هنا يتم تصدير اكسيد الحديد الاحمر الذي يستخرج من أرض ابو موسى.

امام صورة من صور الحضارة الزائلة .. ولكن لكي تدرك ما كانت عليه الحياة من رخاء في هذه الجزيرة فلابد أن تعود معنا قليلا الى الوراء .. فهذه الاغنام الهزيلة التي تراها اليوم تنهش بنهم الاعشاب النامية حول اطلال قصر الشيخ سالم بن سلطان ، هذه الاغنام هي كل ما بقي من اثر للحياة حول انقاض هذا القصر الذي شيده الشيخ سالم منذ ١١٠ سنوات .. ومن حوله ايضا بقايا النخيل الذي كان يزيد عدده عن ٢٠٠٠ نخله تنتشر حول الارض الخصبة المزروعة بالشعير والقمح والحبوب والبصل ، الذي كانت تصدره جزيرة ابو موسى الى الشارقة وبقية الامارات ..

هكذا كان الحال منذ مائة عام ، اما اليوم فقد اندثرت الزراعة تماما ، ولم نشهد لها اثرا في طول الجزيرة البالغ سبعة كيلومترات ، او عرضها الذي لايزيد على خمسة كيلومترات .. ان تربة جزيرة ابو موسى طيبة صالحة للزراعة في مجموعها، والمياه متوفرة في الكثير من الابار ، لكن نقص اليد العاملة هي المشكلة الكبرى التي تعاني منها الجزيرة . ومن اجل هذا يكتفي اهلها اليوم بزرع اشجار اللوز الهندي في « حوش » منازلهم حول البئر الذي يشرب منه اهل هذا المنزل ..

وتمتليء الابار بالماء العذب عندما تهطل الامطار ، ولكن ملوحة الماء تزداد عندما تشح الامطار كما حدث في السنوات الخمس السابقة مما اضطر الاهالي الى استيراد الماء بالسفن من الشارقة .

والطعام اليومي في الجزيرة هو السمك والعيش (اى الارز) . اما الخضروات فلم يذوقوا لها طعما في حياتهم .. ولكنهم بالرغم من هذه الحياة الجافة القاسية لايترددون لحظة في التضحية بخروفهم او معزتهم الوحيدة في سبيل اكرام اى ضيف يحل عليهم ..

الى اسفل : على ضوء « لمبة الجاز » ، وفي ظروف قاسية للغاية ، يقوم « محمود وسامية » بتصحيح كراسات الطلبة .



مع اشراقة شمس كل صباح يخرج رجال الجزيرة الى البحر سعيا وراء الرزق ، ولا يبقى سوى النساء والاطفال . الذين يخرجون الى الطرقات يمضون نهارهم بدون عمل في انتظار عودة الرجال

عين شمس فى ابو موسى !

وفي عام ١٩٦٦ شعر الشيخ خالد بالام اهل الجزيرة ، وما اكثرها من آلام .. فقرر البدء بفتح مدرسة ابتدائية ، ووقع الاختيار على « محمود وزوجته سامية » الاول من غزة والثانية من عين شمس بالقاهرة ليكونا اول مدرسين في جزيرة ابو موسى ..

وبعد رحلة ست ساعات في « البوم » وصل المدرسان الى الجزيرة .. واحسا بالرهبة وهما يطآن أرضها باقدامهما للمرة الاولى .. ولكن الترحيب الحار الذى لقياه من الاهالي ازال عنهما الشعور بالوحشة ، وسرعان ما بدأت عملية بناء حجرات الدراسة ، فالمنزل الذى خصص لهما لم يكن معدا لان يكون مدرسة ، وبدأ محمود في تجميع الواح الورق المقوى والاخشاب ، موصيا اصحاب المراكب لاحضار المزيد منها .. ومن هذه الاخشاب وقطع « الكرتون » تم تقسيم الحجرات الى فصول .. كان الهدف هو : « ضرورة بدء التعليم باية وسيلة ، وعلى اية صورة ، وفي أسرع وقت ممكن » ..

وفي المساء كان « محمود وسامية » يطرقان ابواب المائة منزل الموجودة في الجزيرة ، لحث الاهالي السبعمائة على ارسال أولادهم الى المدرسة .. ولكن الصبية كانوا يهربون كالغزلان الشاردة كلما وقعت عيونهم على مدرسيهما .

وفتحت المدرسة ابوابها عام ١٩٦٦ لتبدأ تعليما مختلطا : ٤٥ صبيا يجلسون الى جانب ٢٥ صبية .

الى اسفل : « ابلة سامية » ترتدى الزى التقليدى عندما تذهب الى زيارة نساء الجزيرة



وفي احدى المرات وبينما التلاميذ والتلميذات يدرسون ، هطلت الامطار بغزارة ، ولم يصمد الورق المقوى ، والاخشاب امام المياه فتداعى سقف حجرات قاعات الدراسة .. وفتح «محمود» باب غرفته الخاصة ليتعلم فيها التلاميذ فصلا من بعد فصل .. وهدأت الامطار ، وبدأ التلاميذ يصلحون الاضرار بايديهم تحت اشراف مدرسهم « وابلة سامية » التى اصبحت صديقتهم المفضلة .. لقد بدأوا يحبون المدرسة ..

ولا يقتصر دور « ابلة سامية » على التدريس ، وانما تقوم بوظيفة الطبيب لسكان الجزيرة مستعينة بالادوية التى ارسلها الشيخ خالد بعد ان اشتراها بنفسه من مختلف الصيدليات .

قناعة .. ما اروعها !

وسألنا نساء القرية اللواتي تجمعن حولنا : « ما الذى ينقصكم في الجزيرة ؟ » فاجبن بلهجة الشاكر : « عندنا كل ايشي .. الحمد لله »

قناعة .. ما اروعها !

ووضعنا السؤال في صيغة اخرى قلنا : « ما هي المشاكل الثلاث التى تضايقكن اكثر من غيرها ؟ » فاجبن : « الماء .. والكهرباء .. والدكتر .. (الدكتور).. نريد حليبا وبرتقالا لاطفالنا .. وملابس لاولادنا الذين في المدرسة » ..

ونقلنا الشكوى الى الشيخ خالد فاجابنا : « لقد بدأنا فعلا في حفر بئر عميقة لاستخراج الماء العذب .. والكهرباء قد يبدأ المحول الذى طلبناه للجزيرة ، في العمل قبل ان يصدر استطلاعكم .. اما الدكتور .. فارجو ان تبحثوا لنا عن دكتور عربي يقبل الاقامة في جزيرة « ابو موسى » .. »

وقلنا سوف نبحث .. وهذه دعوته .. ونحن ننقلها بدورنا على صفحات العربي الى الاطباء .

هجرة عكسية ..

لقد تغيرت صورة الحياة في جزيرة « ابو موسى » تغيرا جذريا بعد افتتاح المدرسة .. كان الاهالي يهجرون الجزيرة وراء ابنائهم الساعين الى العلم في مدارس الشارقة ودبي ، اما اليوم ، وبعد افتتاح المدرسة الإبتدائية الوحيدة فقد اصبحت الجزيرة مقصدا لهجرات من الجزر المجاورة لها ، من صير ، وصُرّى ، وطوم .. ان الاهالي يهجرون جزرهم قاصدين جزيرة ابو موسي من اجل تعليم اطفالهم في مدرستها الابتدائية .. فهي حدث لم يكن لهم عهد به من قبل ..

ان الاقبال على التعليم في المنطقة يشبه انكباب الظمآن على بئر الماء .. وهكذا اصبح فتح مدرسة سببا في اعادة الحياة الى المنطقة الميتة ..

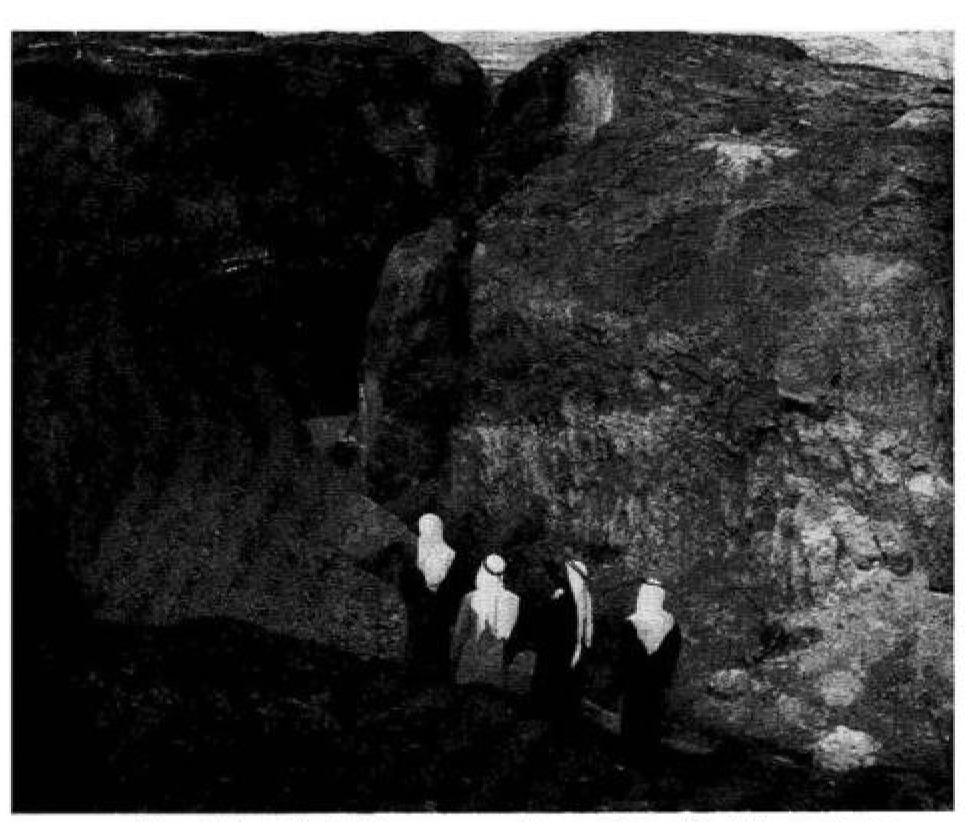
استغلال ٤٠ عام

وننتقل الى الوجه الآخر لجزيرة ابو موسي .. انك تراه في طرفها الشرقى..حيث مناجم اكسيد الحديد الاحمر المستعمل في صناعة الطلاء الاحمر المانع للصدأ . لقد ظلت الشركة الانجليزية ، تستغله منذ ٤٠ عاما ، وتصدر منه الوف الاطنان ، حتى كان العام الماضي الذى انخفض فيه الانتاج الى ٢٠٠٠ طن سنويا ، وانخفض عدد العمال من ٣٠٠ الى ٣٠ عاملا فقط ، لايتقاضى اكفؤهم اكثر من ١٥ روبية يوميا .. وعندما حدثت الانهيارات الجبلية التى دفنت تحتها عاملين ، رفضت الشركة ان تدفع تعويضا لذويهما ، الا بعد اصرار وملاحقة طويلين .

وفي هذا العام تركت الشركة العمل ، بعد ان حفرت الاخاديد والوديان العميقة ، مستخرجة منها الاكسيد الاحمر الثمين بمئات الالوف من الاطنان ، مقابل ثمن بخس زهيد ..

الى اسفل : اطلال قصر الشيخ سالم بن سلطان، الذى انشىء منذ اكثر من مائة عام ، وكان مقرا صيفيا لحاكم الشارقة في جزيرة ابو موسى .





وقفة وتأمل وسط الاودية السحيقة في جزيرة ابو موسى .. هنا امتلأت الارض بالاوكسيد الاحمر .. وهنا امضت الشركة سنوات طوالا تستغل هذه الثروة الطبيعية .. فلما ذهبت الشركة بقيت هذه الاخاديد تروي قصة استغلال وجشع ..

لقد تركت الشركة مناجم ابو موسى بعد استغلالها طوال فترة ٤٠ عاما ، لم تفكر خلالها في عمل شيء لاهل الجزيرة ، بخلت عليهم بالاجر المناسب .. ولم تفكر في فتح مستوصف صغير لهم ، او حتى شق طريق قصير يسير فيه عمالها .. كان كل همها جمع آلاف الاطنان من اكسيد الحديد الاحمر ، ومئات الوف من الجنيهات ، ولا شيء غير ذلك ..

واليوم توشك المفاوضات مع شركة نمساوية على الانتهاء من اجل اخذ مكان الشركة الانجليزية في استغلال اكسيد الحديد الاحمر الممتدة عروقه الى كل اتجاه في الجزيرة .

امل .. وعهد

ان جزيرة ابو موسى تطل على العالم اليوم بوجه جديد .. انها تتطلع الى المستقبل ، وتعيش على نفس الامل الذى تعيشه امارات ساحل عمان .. الامل في ان تتحول لتصبح مركزا لتعبئة ناقلات النفط الضخمة .. تعبىء هذا النفط من آبار مازالت مجهولة مطمورة في قاع الخليج ، تحت مياهه اللازوردية الهادئة ! ؟

وعند الغروب اتجهنا الى مركبنا « الصقر » .. وعلى الشاطىء وقفت « ابلة سامية » والاستاذ محمود ، ومن حولهما ابناؤهما الطلبة يلوحون لنا بايديهم ويصرخون مودعين .. ووجهنا اليهما تحية من الاعماق .. وقلنا ونحن نودع الجزيرة الصغيرة المنسية الهادئة : ثقوا اننا سننقل الصورة بأمانة ، وثقوا اكثر بان اخوانكم العرب لن ينسوكم ابدا » . ■■

سليم زبال



ليس العالم فى حاجة الى ثورات ، واضرابات ، واضطرابات

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بالجامعة الاردنية ـ عمان

■ سؤال واحد يتردد على ألسنة الجميع كلما طلعت علينا الصحف حاملة أنباء اضرابات الطلاب فى مختلف أرجاء العالم : **ماذا يريد الشباب ؟** .

لقد سمعنا أخيراً عن حركات الشباب فى بولندا ، وتشيكسلوفاكيا ، والمانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، ويوغوسلافيا ، وانجلترا نفسها (وهي صاحبة أعرق جامعات فى تاريخ العالم) ، كم حملت الينا البرقيات أنباء الاضطرابات العديدة التي حدثت بين صفوف الطلاب فى تركيا ، والسنغال ، وامريكا الجنوبية ، ومن قبل في أركان متفرقة من العالم كاليابان ، والهند ، واندونسيا ، وفيتنام الجنوبية .. الخ .

ويتساءل المراقبون عن السر فى اندلاع كل تلك الاضطرابات بين صفوف الشباب فى أرجاء المعمورة ، فلا يكادون يهتدون الى مطالب واضحة محددة ينادى بها الطلاب فى كل مجتمع ، ولا يكادون يعثرون على اسباب واحدة مشتركة تجمع بين كل تلك الحركات المختلفة المتباينة .

صحيح انه قد لا يكون من قبيل الصدفة البحتة ان تندلع كل هذه الثورات فى وقت واحد ، ولكن من المؤكد ان مطالب الشباب ـ ان كان ثمة مطالب ـ فى المجتمعات المختلفة ، وقد تنوعت بتنوع ظروف الطلاب فى كل مجتمع من هذه المجتمعات ، فضلا عن انها قد تشكلت





بقــدر ماهو بحاجة الى قدرات ، ومهارات وبرامج تخطيطية ..

بطابع الاوضاع السياسية التي نشأت في كنفها كل حركة من هذه الحركات .

وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا انه مهما كان من اختلاف مطالب الطلاب في كل مجتمع من المجتمعات فان ثمة حقيقة جوهرية تكشف عنها حركات الشباب في كل ارجاء العالم ، الا وهي ان ثمة شعورا عاما بعدم الرضا قد استقر في نفوس الغالبية العظمى من الشباب (وهو ما يسمونه في امريكا باسم : Student Discon - tent with Society) .. فلم يعد احد من الجيل الجديد يسلم في قرارة نفسه بان « هذا العالم خير العوالم الممكنة » ، او أن « الانظمة السياسية السائدة حاليا في العالم هي خير الانظمة الممكنة » ، أو أن « التنظيمات الاجتماعية المتبعة حاليا في معظم بلدان العالم هي خير التنظيمات الممكنة » .. الخ .

وسواء أطلقنا على هذا الشعور اسم «التمرد» ، أم اكتفينا بان نطلق عليه اسم «الشعور بالسخط» ، فاننا في كلتا الحالتين لن نستطيع أن نعفي ساسة العالم من مسئولية توليد هذا الاحساس العارم بالتذمر في نفوس الشباب . والواقع أن أقل ما يمكن ان توصف به حركات الشباب في معظم ارجاء العالم هو انها امارات استياء تكشف عن ضيق ذرع الاجيال الناشئة بأساليب القائمين على شئون العالم السياسية ، سواء في مضمار التنظيمات الداخلية ، أم في مضمار العلاقات الخارجية ، وكأن هذه الحركات هي مجرد اشهار علني لافلاس ساسة العالم في السيطرة على مصير الانسانية !

ليس المهم ماذا يريد الشباب ، بل المهم انه يريد

وحسبنا ان نمعن النظر الى معظم حركات الطلاب في مختلف جامعات العالم ، لكى نتحقق من أن لهذه الحركات ــ اولا وقبل كل شيء ــ طابعا سلبيا يتمثل في كلمة « لا » التي ارتفعت بها حناجر الطلاب وهي تصرخ في وجوه الحكام ، والساسة ، والمسئولين ، والمربين ، وغيرهم من

القائمين على شئون المجتمع . فالشباب الذى احتل المدرجات فى العديد من الكليات فى اوروبا لا سيما فرنسا ، ووضع المتاريس فى الطرقات ، واضرم النيران فى العشرات من الابنية والسيارات لم يكن يهدف من وراء هذه الاعمال السلبية الهدامة الى الحاق الاذى بمواطنيه او بمؤسساته او بممتلكاته ، وانما كان يهدف الى التمرد على السلطة ، واعلان الحرب على الخوف ! وحينما اعلن الطلاب فى فرنسا او ايطاليا او المانية الثورة على السلطات الجامعية ، او حينما عمدوا الى احتلال مدرجات بعض الكليات واغلاقها فى وجه المسئولين ، فانهم فى الحقيقة لم يكونوا يعربون بذلك عن مطالب محددة ، او يضعون بين ايدى المسئولين قضايا واضحة ، وانما كانوا يعلنون على الملأ انهم هم اصحاب الحق – وحدهم – فى تقرير مصيرهم ، وتقرير مصير امتهم فى المستقبل البعيد او القريب . وحينما تحقق المسئولون من تناقض حركات الشباب ، واختلاف الطلاب انفسهم فيما بينهم حول حقيقة مطالبهم ، فقد سارع البعض منهم الى القول بان هذه الحركات لا تزيد عن كونها مجرد نورات ، دون ان يفطنوا الى انه ليس المهم ماذا يريد الشباب ، بل المهم انه يريد !

والحق ان ثورات الشباب الجامعى فى معظم ارجاء العالم هي ادخل فى باب الفعالية والنشاط الزائد : Activism ، منها فى باب (الغائية) والنشاط الهادف . ولسنا نعنى أن هذه الحركات قد خلت تماما من كل هدف ، او أنها قد قامت لغير ما غرض ، وانما كل ما نعنيه انها لم تضع نصب أعينها – منذ البداية – بعض الاهداف المحددة ، كما أنها فى الوقت نفسه لم تستند الى موازنة صحيحة بين الوسائل والغايات . ولا غرو ، فان عدوى « الثورة » التي انتشرت بسرعة فائقة بين صفوف الطلاب فى شتى بقاع العالم ، لم تكن فى معظم الاحيان سوى تعبير عن رغبة الشباب فى التحرك ، وكان هذا الجسم الفائر الثائر قد وجد فى « التمرد » مظهرا حيا للاعراب عن قدرته وسورته !

وقد تحركت معظم جماهير الطلاب فى الكثير من بقاع العالم ، ولكن لا لانها كانت تعرف ما تريد ، بل لانها كانت تود ان تظهر للعالم أنها تستطيع ان تريد ! وليس بدعا ان تختلط المعايير على الكثير من ابناء الجيل الجديد ، او ان تتداعى القيم امام العديدين من الناطقين باسم الشباب المعاصر ، فان المهمة الكبرى التى قامت من اجلها معظم حركات الشباب هي اولا وقبل كل شيء العمل على تأكيد حق الشبيبة فى التكلم باسم مجتمع المستقبل ، وبالتالي رغبة الجيل الجديد فى تقويض أركان العالم الحاضر ! وهكذا جاءت حركات الشباب فى المجتمع الغربي ، لتعلن على العالم اجمع انهيار المعايير القديمة ، وتحطم القيم التقليدية ، مؤكدة فى الوقت نفسه رغبة الشباب فى العمل على تغيير المجتمع ، وايمانه بضرورة القيام بمشاركة فعالة فى عملية بناء « المجتمع الجديد » .

« ارادة التغيير » هي التي تحرك انتفاضات الشباب

والحق أن الدافع الاكبر الذى يكاد يكون هو المسئول عن معظم حركات الطلاب فى العالم المعاصر ، هو ما اصطلحنا على تسميته باسم « ارادة التغيير » . فالشباب الساخط على اوضاع مجتمعة ، الحانق على انظمة بلاده ، يسعى جاهدا فى سبيل تغيير تلك الاوضاع والعمل على قلب تلك الانظمة . ولئن تكن التجربة قد دلتنا اكثر من مرة على ان التغيير قد يكون فى بعض الاحيان نكوصا او انتكاسا ، الا ان « ارادة التغيير » التى تحرك معظم انتفاضات الشباب فى عالمنا الراهن كثيرا ما تصور لهم أن « التغيير » لا يمكن ان يكون الا الى ما هو أحسن !

والظاهر أن ثقة الشباب في قدرتهم الخاصة على التغيير هي التي تدفعهم الى الظن بأن المستقبل الذى سيصنعونه بأيديهم لن يكون الا افضل من الماضى الذى لم يشتركوا فى صنعه ، أو الحاضر الذى لم يعودوا يملكون القدرة على احتماله ! فالتغيير – فى نظر الشباب – لا يمكن ان يكون تغييرا الى ما هو أسوأ : لانه لا يمكن ان يكون هناك ما هو اسوأ من الحاضر ! .

وقد يطيب لبعض الساسة – فى طائفة من المجتمعات الغربية – أن يفسحوا صدورهم لمطالب الشباب ، أو أن يأخذوا على عاتقهم

تحقيق بعض هذه المطالب ، ولكنهم سرعان ما يتحققون من ان المطلب الرئيسي للشباب هو ان يتحقق « التغيير » على ايديهم هم ، لا على ايدى غيرهم من الساسة او الحاكمين ! والواقع أن انعدام ثقة الشباب في القائمين على ادارة مقاليد الامور من الساسة والحكام وغيرهم من المسئولين هو السبب الجوهرى في اقتناع الشباب بعجز هؤلاء القادة عن الاضطلاع باى تغيير حقيقي . وليس الغرور هو الذى يصور للشباب انهم هم ـ وحدهم ـ القادرون على النهوض بمهمة « التغيير » ، وانما يدفعهم الى هذا الظن احساسهم بانهم ابرأ طبقات المجتمع ، واطهرها ذيلا ، واكثرها رغبة في التقدم ، وأحرصها على التغيير الجذرى الاصيل ! واذا كان قد ذاع بين شباب الغرب الشعار القائل بان « المرء لا يستطيع ان يثق في شخص تجاوز الثلاثين » (١) ، فذلك لان تجربة الشباب مع قادتهم ـ على كافة المستويات ـ قد زعزعت من ثقتهم في رجاحة عقول اولئك الزعماء وليست قصة الاجيال الجديدة مع الاجيال القديمة بالشيء الجديد في تاريخ البشرية ، ولكن الجديد هنا ان شباب العقد السابع من القرن العشرين قد اصبح عاجزا تماما عن تحقيق اى ضرب من ضروب « التكيف » مع القائمين على ادارة شئونه من القادة والزعماء . ولعل هذا هو السبب في تزايد احساس الشباب بمسئوليتهم الخاصة عن مصير مجتمعاتهم ومستقبل اوطانهم ، وكأنما هم قد فطنوا الى ضرورة انتزاع مقاليد الامور من أيدى المتهورين من الساسة ، والعمل على وضع حد امام مغامرات صناع الحروب من القادة العسكريين ، حتى لا تحيا البشرية باستمرار على شفاهاوية حرب ذرية او نووية !

الدور الحضارى لمجتمع الطلاب في البلاد النامية ..

ولو اننا انعمنا النظر الى « الدور الحضارى » الذى يقوم به الطلاب في البلاد النامية لامكننا أن نتبين كيف ان حركات الطلاب في امثال هذه المجتمعات هي التي جعلت منهم وسائط فعالة لتحقيق التغير الاجتماعى . وحسبنا ان نرجع الى الاحداث التي وقعت في كل من اندونيسيا ، وفيتنام الجنوبية ، والسنغال ، والسودان وغيرها من البلاد النامية (في السنوات الاخيرة) ، لكى نتحقق من ان حركات الشباب في امثال هذه المجتمعات قد اسهمت ـ الى حد غير قليل ـ في تغيير بعض الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تشكو منها تلك البلاد وليس بدعا ان يكون للطلاب ـ في البلاد النامية ـ « دور حضارى » هام : فان الطلاب يمثلون ـ في تلك المجتمعات ـ مراكز الوعى السياسي ، فضلا عن انهم يضطلعون بدور ثقافى هام في بلاد ما زالت الامية فيها متفشية بين الغالبية العظمى من السكان . ولا شك ان الطلاب الجامعيين ـ في المجتمعات النامية ـ يمثلون الطبقة التي يفترض فيها انها ستخرج للبلاد الصفوة الممتازة . ومن هنا فان السلطات المسئولة في تلك البلاد تحرص اشد الحرص على معرفة اتجاهاتهم ، والظفر باصواتهم ، والحصول على تأييدهم . ولما كان الشباب المثقف ـ في المجتمعات النامية ـ هو الذى سيضطلع بمهمة التغيير الاجتماعى ، فلا جرم ان يهتم المسئولون بالعمل على اقامة ضرب من « الحوار » بينهم وبين جماعات الطلاب في الجامعات ، حتى يهيؤوا الشباب لتبوء مراكز القيادة في مجتمع المستقبل .

والواقع ان المجتمعات النامية (وغير النامية) لم تعد تستطيع أن تفرض على الطلاب حظر الاشتغال بالسياسة ، اذ لم تعد الجامعات مراكز اكاديمية للبحث العلمى الصرف ، بل هي قد اصبحت ـ الى جانب ذلك ـ « منظمات للشباب » يتم في رحابها تفاعل حيوى هام بين شتى الاتجاهات الفكرية في المجتمع الواحد . ونحن نعرف الدور القومى الذى قام به طلاب الجامعات في الحركات السياسية المختلفة التي شهدتها بلاد نامية عديدة ، كالسودان ، وبورما ، والهند ، وفيتنام ، واندونسيا ، وغيرها . صحيح ان العديد من حركات الشباب في البلاد الاسيوية

---

(١) بالانجليزية : You Can't trust any one over thirty .

والافريقية قد تعاونت مع الاتجاهات اليسارية المتطرفة ، ولكن من المؤكد ان معظم الانتفاضات القومية التي عرفتها تلك البلاد قد نمت وترعرعت في ظل التأييد الذى لقيته من طلاب الجامعات . وقد لا نكون مغالين اذا قلنا ان بعض الزعماء الذين قادوا الحركات الثورية في بلادهم ، لم يكونوا في الاصل سوى مجرد « طلاب ثائرين » تدربوا على الكفاح خلال مرحلة « نضالهم السياسى » في رحاب الجامعات ! وليس من شك في أن « تجانس » جماعات الطلاب ، نظرا لما يجمع بينها من توافق في السن والعقلية وغير ذلك من السمات النفسية والاجتماعية ، هو السبب الرئيسي في سهولة تحريك افرادها ، وحشد طاقاتها ، من اجل القيام باية حركة سياسية . ولعل هذا هو السر في تلك الفورات العديدة التي تزخر بها مجتمعات الطلاب في شتى بقاع العالم ..

والشباب ايضا هو صوت « المعارضة » حيث لا معارضة !

.. بيد انه اذا كانت معظم السلطات السياسية لا ترحب كثيرا بحركات الطلاب ، فذلك لان شباب الجامعات في اغلب المجتمعات اميل الى التطرف منه الى الاعتدال . وحتى لو نظرنا الى الحركات التي قام بها بعض طلاب الولايات المتحدة نفسها « كما حدث مثلا في جامعة بركلى Berkeley منذ حوالى ثلاث سنوات » ، لوجدنا ان هذه الحركات قد اتسمت بطابع يسارى واضح ، حتى لقد اطلق الطلاب على انفسهم اسم « اليسار الطلابى الجديد » New Student Left وليس من شك في ان انتشار الكثير من التيارات الايديولوجية الحديثة بين صفوف الطلاب ، فضلا عن اقتران مفهوم « التقدم » في اذهان الغالبية العظمى من الشباب بمفهوم « الثورة » ، قد عملا على اجتذاب طلبة الجامعات نحو الاتجاهات اليسارية، فاصبح من السهل ـ في بعض الاحيان ـ على اصحاب الحركات السياسية المتطرفة استغلال اضرابات الطلاب لتحقيق مآربهم السياسية . هذا الى ان قلة التزامات الطلاب في مضمار الحياة العامة ، بسبب انعدام تبعاتهم الخارجية ، سواء نحو الاسرة ام نحو الحزب ام غير ذلك ، قد جعلت منهم « قوة حرة » تستطيع التحرر من الانماط الاجتماعية التقليدية ، وتملك التكلم باسم بعض القوى العاملة في المجتمع كالطبقات العمالية او الجماعات الزراعية .. الخ . ومن هنا فقد لوحظ ان الطلاب ـ في بعض المجتمعات ـ كانوا بمثابة لسان حال للطبقات العاملة التى لم يكن لها صوت Voiceless في تلك المجتمعات كما حدث مثلا في اليابان منذ عدة سنوات ..

واما في المجتمعات السياسية التي تستند الى نظام الحزب الواحد ، فقد ادى انعدام المعارضة الى قيام حركات طلابية اريد بها ملء هذا الفراغ ، وكأن الطلبة قد شاءوا ان يكونوا هم بمثابة صوت المعارضة حيث لا معارضة ! والمتأمل في الحركات التي قام بها طلاب الجامعات آخيرا في كل من تشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، ويوغسلافيا (وغيرها) يدرك ان الهدف الذى كانت ترمى اليه معظم هذه الحركات هو الحصول على قسط أكبر من الحرية السياسية .. صحيح ان طلاب الجامعات قد اعلنوا ـ في بعض الاحيان ـ عن ضرورة القيام ببعض الاصلاحات الجامعية ، فضلا عن انهم قد حاولوا اقناع المسئولين بانهم لا يثورون على انظمة الحكم القائمة ، ولكن من المؤكد ان جانبا غير قليل من الحركات التى قام بها طلاب المجتمعات الغربية في الايام الاخيرة قد كان بمثابة « ضغط سياسى » على انظمة الحكم القائمة في تلك البلاد . وليس من الغرابة في شيء ان تنضم اصوات الطلبة الى اصوات المعارضة (سافرة كانت ام خفية) : فانه لمن الواضح ان جمهور الساخطين ـ وعلى راسهم الشباب ـ لا بد من ان يجدوا في المعارضة ملاذا طبيعيا يحاولون عن طريقه ان يخففوا من حدة سخطهم ! ولكن بعض المسئولين لم يجدوا في تلك الحركات اخطارا سياسية حقيقة تهدد انظمة الحكم القائمة ، لانهم ادركوا ان انتفاضات الشباب لا تزيد عن كونها فورات عارضة ، لن تلبث ان تزول تحت تأثير الاستجابات السوية

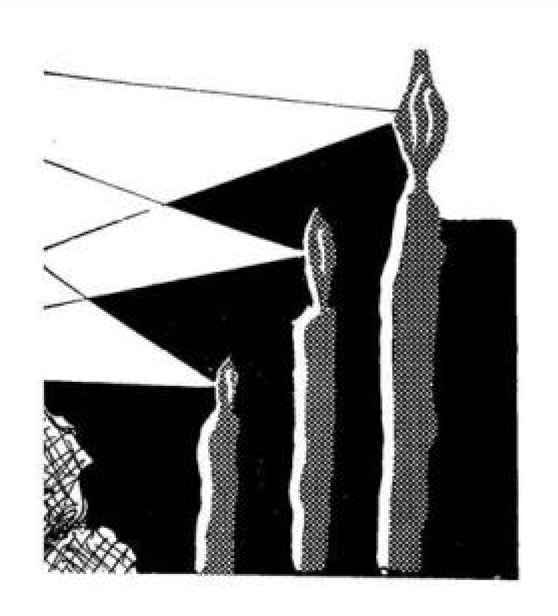
التي يقوم بها الجهاز السياسي المتكامل المتماسك ..

ولكن حماسة الشباب لن تصنع المعجزات !

ان احدا لا يستطيع ان ينكر ـ بطبيعة الحال ـ ان تزايد حركات الطلاب فى عالمنا المعاصر دليل واضح على نمو الوعى السياسي لدى الشباب ، وتزايد احساس « الجيل الجديد » بما عليه من مسئوليات تجاه وطنه من ناحية ، والعالم باسره من ناحية اخرى . ولكن من المؤكد ان هذا الشعور العارم بالمسئولية لا بد من ان يوجه التوجيه الصحيح ، حتى لا يستحيل الى مجرد « التزام » اجوف غير ذى موضوع . ولنضرب لذلك مثلا فنقول ان بعض حركات الشباب فى نطاق الجامعات قد استهدفت الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة او المظلومة او المحرومة ، ولكن من الواضح ان « مشكلة الفقر » فى اى مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان تحل عن طريق الاضرابات او الشعارات او الثورات ، بل هي تحل عن طريق التخطيط العلمي والاجراءات العملية الفعالة ، والبرامج الاصلاحية ذات المدى القريب او البعيد . وربما كانت مهمة الجامعيين ـ بوصفهم طبقة مثقفة واعية ـ هي العمل على اكتساب المهارات اللازمة لمواجهة مشكلة الفقر ومحاربة شتى مظاهر التخلف عن طريق التوسع فى دراسة « الاجراءات العملية » التي لا بد من اتخاذها لتحقيق « التغير الاجتماعي » المنشود . فليس يكفى ان تتوافر لدى الشباب « ارادة التغيير » حتى يزول « الفقر » بين عشية وضحاها، او حتى يتراجع « التخلف » من تلقاء نفسه ! وانما لا بد للشباب من ان يفهم انه فى حاجة الى الكثير من المهارات الاقتصادية ، والتكنية ، والاجتماعية ، حتى يكون فى وسعه ان يضع البرامج اللازمة لتوفير فرص العمل امام الجميع ، وايجاد المسكن الملائم لكل عامل ، وتحقيق التامين الصحى والاجتماعي للعامل واسرته .. الخ .

واذن فان حماسة الشباب لن تخلق المعجزات ، اللهم الا اذا صاحبها عزم قوى على المضى فى طريق البحث العلمي الشاق ، والجهد الاكاديمي المثمر . وقد استطاع الطلاب حتى الآن ان ينبهوا « **الرأى العام** » فى العالم اجمع الى ضرورة الحد من اطماع الساسة العسكريين المتهورين ، كما نجحوا فى ايقاظ « **الضمير العالمي** » للوقوف فى وجه الكثير من مظاهر الاضطهاد والظلم والاستغلال فى ارجاء متفرقة من العالم ، ولكن اصحاب النوايا الطيبة من بين جماعات الشباب انفسهم لا يريدون، لحركات الطلاب فى العالم ان تنحرف عن مقصدها الاصلي ، لكى تستحيل الى مجرد « اضطرابات سياسية » يستغلها بعض رجالات الاحزاب لمصلحتهم الخاصة . ولن يكون مجتمع المستقبل افضل من مجتمع اليوم اذا استحال طلابه الى ساسة ، وقادة ، وزعماء ، بل اذا صاروا اقدر على مواجهة مشكلات مجتمعهم ، عن طريق مضاعفة الجهد فى مضمار التقدم العلمي ، واكتساب المزيد من المهارات فى شتى ميادين التكنية . وقد لا يكون العالم فى حاجة الى ثورات ، واضرابات ، واضطرابات ، بقدر ما هو فى حاجة الى قدرات ، ومهارات ، وبرامج تخطيطية .. فهل يقدر يوما لشباب العالم الناضج الواعى ان يدركوا ـ فى خاتمة المطاف ـ انهم لن يستطيعوا ان يصنعوا المعجزات،اللهم الا اذا استحالوا هم انفسهم الى معجزات : معجزات فى العلم والتكنية والتخطيط ، والتغيير الاجتماعي .. اجل ، هذا هو السبيل ، ولا احسب ان ثمة سبيلا آخر غيره ■■

زكريا ابراهيم



شعر إلى أبي

للشاعر
محمد احمد العزب

■ أَوْقِدُوا الشَّمعَ وَأبقُوا لي حَرِيقَهْ   وازرعوا في مفرق الحُرِّ بريقـهْ
أَوْقِدُوا الشمع ألُوفاً لأَبـي   إنه خدّدَ في الصخر طريقـه
كبرياءُ الرَّفْض في مِجْدَافِـهِ   شَدَّت الريحَ إلى أرض الحقيقـه
واحترامُ التَّوْقِ في أعماقِـهِ   ما حكايا الفتح ؟ مازحفُ الخليقه ؟

★★★

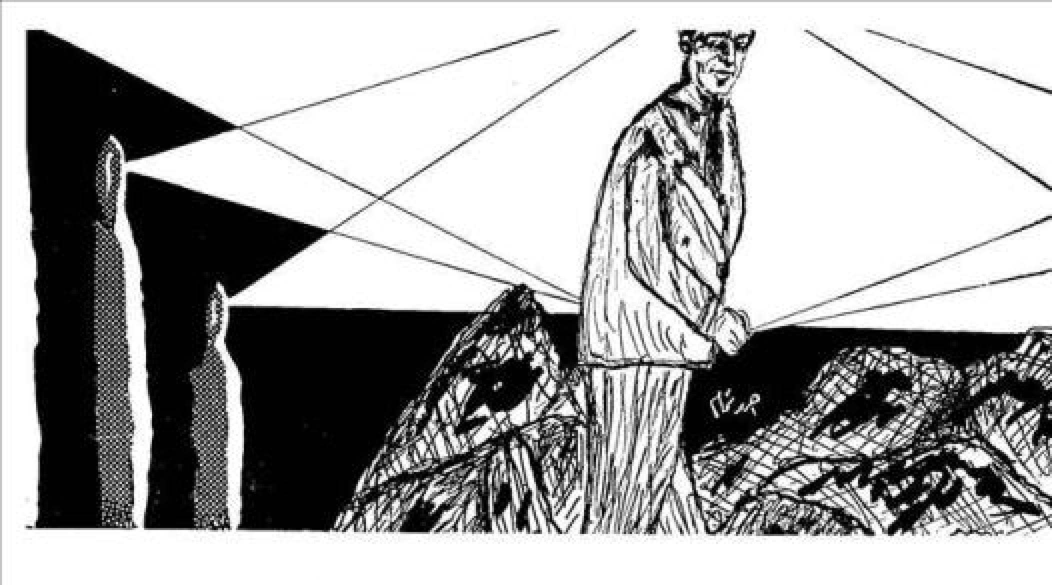
أَوْقِدُوا الشمع وأبقوا لي لظاهْ   وازرعوا في مفرق الحُرِّ سناهْ
من حكايا الأرض .. من آلامها   بَرْعَمَتْ إطلالةَ الوحْيِ يداه
عاشقاً للضوء قد عاش فلـم   يسترق يوماً إلى الظلّ خُطـاه
عمرُهُ الواعي حضورٌ دائـمٌ   وانبعاثٌ قدْرَ ما تهوى مُنَـاه

★★★

أوْقِدُوا الشمع وأبقوا لي دموعـه   وازرعوا في مفرق الحرّ سطوعـه
أنا للشعر ربابٌ ذابـلٌ   وهو فوق الفوق يستهدى نزوعـه
أيها الرَّمْزُ الذى علّمنـي   أنْ أحبَّ الحبَّ ..أنْ أهوَى طلوعه
زورقي بعد يباسٍ قابـضٍ   أنت حرّكْتَ على الموج قلوعـه

★★★

أوْقِدوا الشمع وأبقوا لي ظلالـه   وازرعوا في مفرق الحرّ انسيالـه



فالذى أنْموُ على حبي لـــــه ... واحتوانى روعةٌ كبرى حيالــه
فـــارسٌ فوق جوادٍ مؤمـــنٍ ... يتحدّى الليل ، يجتاح انســداله
سيفُهُ الحرْفُ الذى لم ينهزم ... إن لله — وللفكر — قتالـــــه

★ ★ ★

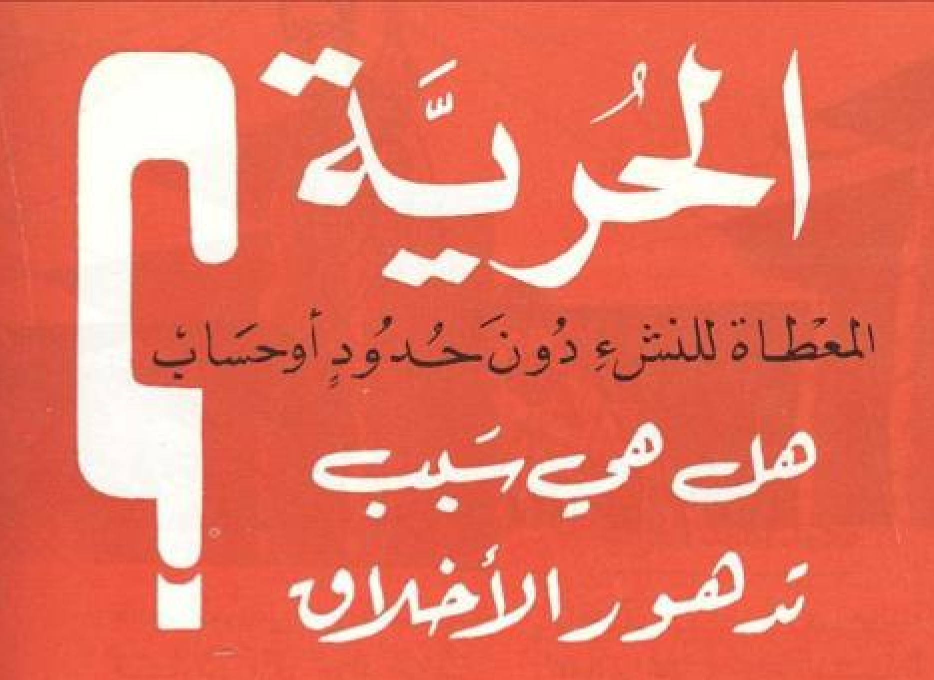
أوقدوا الشمع وأبْقُوا لى طيبـــه ... وازرعوا في مفرق الحرّ رطيبـــه
طِفْلَهُ المجنونَ قد كنتُ فمـــا ... أغْلق القلْبَ ولا ألوى وجيبـــه
ياأبى .. شِعْرى جنونٌ رائـــع ... فرحةُ العمر حكاياهُ الغريبـــه
بعضُها أنى تحسيْتُ الشّـذَى ... وتَقَحّمْتُ على النجـم دروبه

★ ★ ★

أوْقِدُونى نبْضةً تُهدَى لقلبهْ ... أوْ مساراً وامضاً يسْعى لدربــه
أوْ صدًى حلوًا يناغى حولـــه ... مهرجانَ الحبّ في موسـم حبــه
أوْ عبيرًا شـــارفاً في أُفقِـهِ ... ينحنى .. يلثم مسْراه بهدْبــه
أوْ قدونى — جذوةً .. لا تنْطفــى ... آن لانّهر رُجُوعَ لِمَصَبّـــه

■■

القاهرة : **محمد احمد العزب**



العالم تحت تأثير الضغط والعصا ، أنظف منه

بقلم : اسمى طوبى

■ من اكبر مظاهر هذا العصر الذىنعيش فيه انه يتميز بالقلق ؟ لا بسبب المخترعات الحديثه المخيفة ، ولا بسببعدم الاستقرار الذى يسود الدنيا وحسب ، بل بسبب تعدد النظرياتالعلمية من نفسية وتربوية وتبدلها بين يوم وآخر حتى لقد تحير الناس ماذايفعلون لانهم لو أخذوا بالنظرية الواحدة اليوم لجاء من ينقضها في الغد . . وهكذا.

والنظرية فكرة تخطر ببال رجل لابدان يكون مفكرا محللا ولكنها على كل حال شيء يرسم على الورق ثم ياتي دورالتطبيق فتثبت او تنقض .

والنظريات المنقوضة كثيرة ولكناهمهاهو ما يتعلق بالجيل الجديد اطفالا



ألف مرة ، مع هذه الحرية المعطاة دون حساب !

فأحداثا ، لان على سلامة هذا الجيل تتوقف سلامة اوطان الناس .. فمستقبلهم .

ولقد كانت النظرية التربوية التى نادى بها سليمان الحكيم وهي « **ادب ابنك بالعصا فمتى كبر لا يحيد عن الطريق** » كانت هذه النظرية هي الحكمة الذهبية حتى اوائل القرن الحالي « **فالعصا لمن عصى** » والعصا في يد الام والاب ومعلم القرية ، وحتى معلم الصناعة كالنجارة والحدادة الذى يحق له ان يأخذ اللحم ويرجع العظم ، العصا هذه كانت اداة التهذيب .

وعاش الناس اجيالا تحت تأثير ما يسمى ضغطا ، كان للاب هيبته واحترامه فكان الابناء يحسبون حساب كل خطوة يخطونها ! وكان للام هيبتها ومراقبتها فشبت الفتيات وهن يسرن على الصراط المستقيم ، وكان للدين هيبته واحترامه ، وهكذا .

وبغتة برزت النظرية الجديدة وهي **الضرب ممنوع .. ممنوع حتى للحيوان** . ثم دعموا نظريتهم بان الضرب يقتل شخصية الولد فاذا ما شب شب جبانا رعديدا فاقد الشخصية .

وقال الكثيرون يومئذ وقد وصفوا بالرجعيين ، وكيف كبرنا نحن وكوّن كل منا شخصيته مع ان تصيبنا من العصا كان كحصة الاسد .. ؟

واخذ الكثيرون بالنظرية الجديده ومضوا يطبقونها فماذا كانت النتيجة ..؟

يلاحظ اولا ان الاباء والامهات الذين يركضون خلف كتب حديثه تحمل نظريات تربوية حديثه وتبحث نواحي سيكولوجية الولد المختلفة ليسوا هم بالطبع من الطبقة الجاهلة بل من التى تسير ابدا مع العصر ، وليسوا هم كذلك من الطبقة التى تشغل عن اولادها بالملاهي وتسلمهم للخدم ، وبالتالى فهي طبقة تعرف كيف تطبق النظرية ، فاذا وجد خطا بعد ذلك فهو في النظرية نفسها لا في كيفية تطبيقها .

لقد فتن الجميع بالنظرية الحديثة ، وابتدأ الصغار يُوَجهون عن طريق الاقناع بدل العصا ، او يتركون ليفعلوا ما يحلوا لهم لا عصا ولا توجيه لان الخوف على شخصية الطفل ان تُقتَل بلغ حده .

جديدا

وشب جيل جديد فاذا بالدنيا تمتلىء بالاحداث المجرمين .. واذا بهم قبل السابعة احيانا يسرقون ويقلبون القطارات ويحتسون الخمر بل يقتلون ، واجمالا يفعلون كل ما يشاؤون .

واسست لهم محاكم خاصة ، وسجون خاصة اطلق عليها اسم اصلاحيات الاحداث فكانت تغص بهم .. ولا تكاد تتسع لهم .

وتكلم بعد صبر طويل واختبار اطول رئيس محكمة الاحداث بلندن السير باسيل هنريك .. الرجل الذى يعد قوله حجة لكثرة ما حاكم احداثا وراقبهم ودرس نفسياتهم ، ورأى دموع والديهم ، وسمع مع شهاداتهم في المحكمة كلمات الندم المريرة .. ثم خرج من كل ذلك بنتيجة هي ان سبب كل هذا التدهور في الاخلاق .. وكثرة الاجرام بين الاحداث يعود الى « نظريات فجة » عن علم النفس والتربية .. والى ان الوالدين اعطوا الصغار حرية كاملة لم يعرفوا كيف يستعملونها .. ويضيف السير باسيل هنريك بالحرف هذه الكلمات :

« ان فلسفة الاحداث اليوم هي.. انني ارى.. واريد .. وآخذ .. مضافا اليها .. دعني استمتع ما استطعت وكل ما كان ذلك في مقدوري » .

بين القديم والحديث

ولقد تمتع الاحداث فاذا بالنظرية « الفجة » تنهار .. لقد لحظ الناس انه بين كل ضغط القديم كما يحلو للبعض ان يسميه ، برز عشرات علماء الرجال وعظيمات النساء .. لم تقتل الشخصيات ولم تعج الدنيا بالجبناء .. لم تمتلىء المصحات بالمجاذيب .. كان الاحداث المنحرفون قلة .. والشباب الفاخرون بغرامياتهم جماعة وقحة يرغمها المحيط على التوارى .. والعالم تحت تأثير الضغط والعصا انظف الف مرة منه مع هذه الحرية المعطاة للنشء دون حدود او حساب .

ادباء آخرون

وتتعالى الاصوات بالاستنكار هنا وهناك .. ويعلو مع صوت السير باسيل هنريك صوت الاديب الامريكي الدكتور فوزدن صاحب كتاب محك الاخلاق وغيره يقول :

« لقد اعطي هذا الجيل حرية لم ينل مثلها جيل في التاريخ .. اعطيت له وهو صغير فأساء استعمالها .. تعاطى الشبان والشابات الخمر بزهو وافتخار فاخذت حياتهم تتراقص مع الرياح .. لقد تركت النبتة الطرية دون ركائز فنمت عوجاء .. وما الركائز في نظرى سوى مراقبة دقيقة وتوجيه لطيف ان فشلا فعصا تحمل القسوة المحببة المنبثقة من قلوب تقصد الخير لا الانتقام والتشفي » .

كيف نميز ؟

اذا هل كان هذا ما ركض الناس خلفه في القرن العشرين : ثم كيف للناس بعد اليوم ان يميزوا بين النظريات الناضجة بينما هم يعتقدون ان العالم يسير الى الامام وان عليهم ان ياخذوا بكل نظرية تربوية حديثه .. ؟ وماذا يفعلون وكل عالم او كل

تجربة تنقض ما قبلها .. ؟ ثم اى ثمن يدفع — وهذا هو الاهم — ومن هم ضحايا هذه الاراء التربوية المنقوضة بكل سهولة الا هذا الجيل الذى اصبح شعاره « دعني اتمتع ما استطعت ».. والا هذا المجتمع المنهار .. وبالتالي هذه الاوطان الغالية .. ؟

عوامل اخرى

وتاتي مع النظرية عوامل اخرى عديدة من اهمها انشغال الام بالعمل او بالملاهي وتركها النشء فى حضن الخدم او رعاية الجدات ينهل من جهل الجدات او من ذل الخدم .

لقد اجمع المؤرخون على ان الدولة العباسية وصلت الاوج رقيا وثقافة وفتوحات الى ان امتلات قصورها ومنازلها بالسبايا والجوارى فشب نشء ذليل كذل السبايا .. مستهتر كاستهتار الجوارى فكان الانهيار .

وتاتي عوامل اخرى ايضا منها السينما والتلفاز واعطاء النشء حرية ان يشاهد كل ما يريد مشاهدته .. انه اجرام واى اجرام ان ندع هذه الملاهي الجهنمية تحفر على دماغ الصغير ما تريد حفره وتدعه يعتقد ان هذه هي الحياة وان القتل والاحتيال وكل ما يراه هو معقول وجميل ويحسن تقليده والاخذ به .

الام

ونسال الام عن ذلك وهي انما تفعله لاسباب منوعة .. اما لان الامهات الاخريات يفعلنه ... واما لانها تخشى الضغط على صغيرها لئلا تقتل شخصيته .. واما لانها مشغولة عن صغيرها فهو يفعل ما يريد ..واما لانها جاهلة لا تقدر مدى الانطباعات التى تحفرها هذه المشاهد على دماغه ، وما تتركه من تاثير في خلقه وتصرفاته .

اذا ..

اذا ما العمل .. ؟ هل تعود الدنيا الى ما قبل هذه الفترة من الزمن .. ؟ وهل يصلح ما كان في اول القرن العشرين لنصفه الثاني وقد تعلم الجيل واصبح يشعر بكيانه وسار فى الطريق .

هل يظل الناس امهات وبيوتا ومدارس .. هل يظلون على الاخذ بنظرية رسمها اصحابها على الورق فلما طبقت كانت فاشلة .. ام يأخذون بنظرية جديده هي نتيجة دراسات الاف الاحداث ومراقبتهم واختبار نفسياتهم واثر الحرية الكاملة فيها في ارقى بلاد العالم ؟

وهل يعود المسؤولون بعد اليوم الى مراقبة النشء والتوجيه الحنون .. فاذا ما فشل الرفق اخذوا بحكمة سليمان ونصح رئيس محكمة الاحداث بلندن وصرخات عشرات الادباء والمفكرين، فتناولوا العصا عن الرف وهم يرددون مع المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

■■

لبنان : **اسمى طوبى**

أخذ بخلائق أربع

● دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو ابن العاص ، فجلس سويعة ثم انصرف . فقال معاوية ما أكمل مروءة هذا الفتى واخلقه ان يبلغ ، فقال عمرو يا امير المؤمنين ان هذا الفتى اخذ بخلائق اربع ، وترك ثلاثا : اخذ بأحسن الحديث اذا حدث ، وبأحسن الاستماع اذا حدث . وبأيسر المؤونة اذا خولف ، وباحسن البشر اذا لقى . وترك مزاح من لايوثق بعقله ولا دينه ، وترك مخالفة لئام الناس ، وترك من الكلام ما يعتذر منه .



قسوة ستالين حتى في أبنائه !

اذيعت لأول مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تفاصيل مثيرة عن الظروف التى أحاطت بمصرع ياكوف Yakov ابن ستالين عاهل روسيا الراحل في احد معسكرات الاعتقال النازى بمدينة برلين . وقد ظلت هذه التفاصيل سرا لا يعرفه احد سوى حفنة من المسئولين بوزارة الخارجية الامريكية بالرغم من المحاولات التى قام بها ستالين لمعرفة الظروف التى لقى فيها ابنه حتفه ، الى حد اعلانه عن مكافأة قدرها ربع مليون دولار في المانيا الشرقية تدفع لمن يستطيع أن يدلى اليه بمعلومات دقيقة عن كيفية موت ابنه !

وفي الشهر الماضي فقط ، وبعد مضي ما يقرب من ربع قرن على الحرب العالمية الثانية ، أذاعت وزارة الخارجية الامريكية محتويات ارشيف النازى الذى انتقل اليها عقب سقوط المانيا الهتلرية ، وفيه قصة مصرع الضابط ياكوف كاملة .

لقد اخذه الالمان اسيرا ونقلوه الى احد معسكرات الاعتقال بضاحية زاخنهوزن Sachsenhuasen ، على بعد ٣٠ ميلا من برلين . وفي ليلة ١٤ ابريل من عام ١٩٤٣ ،شوهد ياكوف يتجه مسرعا الى الاسلاك الشائكة التى تحيط بالمعسكر لتمنع الاسرى من الهرب ، وبينما كان يجرى مهرولا لمحت عيناه احد رجال الحرس النازى ، متأهبا وهو يحمل بندقيته . فصاح ياكوف في وجهه متحديا : « لا تكن جبانا . اطلق الرصاص . انني أنوى الهرب . الا ترى ! » .

واطلق الحارس رصاصة واحدة في نفس الوقت الذى وصل فيه الأسير الى الاسلاك الشائكة ، فسقط فوقها جثة هامدة !

وقد بدا واضحا من هذه القصة ان ابن ستالين

استغلال غير منظور

● من الغريب أن الكثيرين من الناس درجوا على الجمع في تفكيرهم بين اليانصيب وبين الاعمال الخيرية بحيث بدا لهم اليانصيب وكأنه عمل من اعمال البر والاحسان .

او لعل ذلك ليس بغريب . اذ طالما اقترن اليانصيب في واقع الحال بمثل تلك الاعمال ، بل وباعمال أخرى ذات صلة بشؤون الفن والعمران . ومن الامثلة الرائعة على ذلك ميناء لندن الذى حل به الدمار عام ١٥٦٩ ، والذى تم اصلاحه بريع اليانصيب . ومنها أيضا المتحف البريطانى ، وقد بدا حياته الفنية بمجموعة من لوحات قيمة اشتروها له بايرادات اليانصيب أيضا .

على ان صلة اليانصيب هذه ليست مقصورة على الماضي ، بل لعلها اشد وثوقا وأكثر شمولا في الوقت الحاضر ، فاكثر القوانين القائمة حاليا لا تبيح اليانصيب الا اذا استهدف تمويل عمل أو آخر من تلك الاعمال . واختلفت هذه الاعمال باختلاف البلدان . فبينما كانت الغلبة للاعمال

لم يكن في واقع الامر يريد الهرب ، وانما كان يريد الموت . اما الأسباب التى دفعته الى هذا المصير الذى اختاره لنفسه فترجع الى خيبة الأمل التى أحس بها الشاب عندما علم أن والده رفض مبادلته بالقائد العسكرى الالمانى الذى استسلم للروس في معركة ستالنجراد . وقد كان هتلر هو الذى عرض على ستالين اطلاق سراح ابنه مقابل تسليم القائد الالمانى ، فرد ستالين بقوله :

« ليس ياكوف وحده هو الأسير في ايديكم ، ولكن هناك الملايين غيره من الأسرى الروس ، وهم جميعا أبنائى ، فاما أن تطلقوا سراحهم كلهم ، او يلقى ابنى نفس المصير الذى ينتظرهم ! » .

وأحس ياكوف بالمرارة واليأس يستبدان به عندما نقلوا اليه هذه الرواية وخاصة لأنه كان يشعر أن والده لم يكن يعامله كما يعامل الآباء أبناءهم ، فقد كان يذله ويضربه بلا رحمة ، حتى ان الفتى فكر في الانتحار والتخلص من حياته ، ليهرب من قسوة أبيه ، فاطلق الرصاص يوما على نفسه في الكرملين . ولكن الرصاصة لم تقتله ، وانما أصابته اصابة بالغة في رأسه . وبدلا من أن يخفف عنه والده ويواسيه ، راح يذله وينعته بالجبن !

شيء واحد كان ياكوف يتمنى لو أنه حدث ، وهو أن يعرف والده بقصة موته ، ليدرك أن ابنه لم يكن جبانا ، وانه نجح في أن يقتل نفسه ولو بمساعدة الالمان !

والذى صنعه في ابنه هذا صنع شبيها له في ابنه الاصغر ، ولكن لهذا قصة أخرى .

التعليمية والثقافية في السويد وولاية نيويورك مثلا ، كان التركيز على الخدمات الاجتماعية في فرنسا واسبانيا وغيرهما . أما الخدمات الصحية فقد اشتهرت بها جمهورية ايرلندة ، او بالحرى اليانصيب الايرلندى المعروف بيانصيب «دربى» ، فمنذ تأسيسه سنة ١٩٣٠ والاعتقاد الشائع هو أن ايرادات هذا اليانصيب تنفق كلها او اكثرها على الخدمات الصحية وعلى المستشفيات في ايرلندة .

ولعل هذا الاعتقاد السائد هو أحد العوامل التى ادت الى رواج يانصيب ايرلندة ، في ما لا يقل عن ١٤٧ قطرا من اقطار العالم . حقا ان العامل الاهم هو الجوائز المغرية التى يوزعها اليانصيب المذكور ، وتبلغ قيمة الثلاث الكبرى منها ٥٠٠٠٠ جنيه ٢٠٠٠٠ جنيه ١٠٠٠٠ جنيه على التوالى ، الا ان صلة اليانصيب الايرلندى بالمستشفيات كان لها على كل حال الاثر البعيد فيما يحظى به هذا اليانصيب من تقدير واقبال .

كانت الامور كذلك حتى نشرت صحيفة الصنداى تايمز قبل حين تحقيقا خطيرا عن هذا اليانصيب الشهير . فقد أكدت الصحيفة المذكورة بالارقام ان دخل اليانصيب المذكور في فروعه الثلاثة دربى وكمبرج ولنكولن يبلغ نحو ١٥ مليون جنيه ، اى بمعدل ٥ ملايين لكل منها . واثبتت فوق ذلك ان ما تحصل عليه مستشفيات ايرلندة من ذلك المبلغ الضخم لا يكاد يزيد على ٣ شلن و٩ بنس من أصل كل جنيه من تلك الملايين ، أو ما يعادل بمجموعه ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فقط على أكبر تقدير . أما الرصيد الصافى ، اى الذى يتبقى بعد خصم قيمة الجوائز ومبالغ الترضية وعمولة الباعة والمصاريف والذى لا يقل عن ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ جنيه ، فانما يحصل عليه ، كما تؤكد صحيفة الصنداى تايمز ، ورثة مؤسسى ذلك اليانصيب .

يا ترى لو علم الناس هذا ، أيقبلون على اليانصيب الايرلندى كما يقبلون ويدفعون له ما يدفعون .. !!

جامعة الهواء!

● لعل الاقبال المتزايد على طلب العلم والمعرفة وعلى اقامة المدارس والجامعات هو ابرز ما تتميز به الدول المتقدمة . يشهد على ذلك اقدام بريطانيا على تأسيس جامعة الهواء ، علما بان عدد الطلاب الجامعيين فيها قد جاوز ٢٠٠,٠٠٠ طالب .

وستعتمد الجامعة المذكورة ، لدى افتتاحها في اواخر عام ١٩٦٩ ، على المحاضرات المعدة من قبل الاساتذة والعلماء الاكفاء ، في شتى المواضيع والاختصاصات . وستنقل شاشة التلفاز البريطاني هذه المحاضرات الى الطلاب المنتسبين وسائر المشاهدين في ساعات النهار وخاصة بعد الظهر . هذا الى جانب عطلة الاسبوع التي ستستغلها جامعة الهواء اكبر استغلال .

اما مدة الدراسة فاربع سنوات يتقدم الطلاب بعدها الى الامتحانات النهائية لنيل شهادة البكالوريوس B. A. ، وتجدر الاشارة الى ان ادارة جامعة الهواء هذه ستزود طلابها بمذكرات خاصة تساعدهم على مزيد من الاحاطة بالمواضيع التي تتناولها المحاضرات ، كما وانها ستهيء لهم اسباب الاتصال المباشر الحي بعدد من الاساتذة والاخصائيين الذين يستطيعون ارشادهم وتوجيههم ، واجابتهم على مختلف الاسئلة التي لا يجدون الجواب عليها في المذكرات ولا في المحاضرات .

ولن تزيد نفقات تأسيس هذه الجامعة عن الخمسة ملايين جنيه . لان بث محاضرات جامعة التلفاز ودروسها سيتم على قناة قائمة وعاملة حاليا هي القناة رقم (٢) ، وذلك في الاوقات التي لا تعمل فيها هذه القناة على نحو ما بينا . وستكون رسوم الالتحاق بجامعة الهواء منخفضة ، وقد قدروا نسبة عدد الطلاب الملتحقين بهذه الجامعة فبلغت ١٪ من مجموع عدد مشاهدي التلفاز . ولو تحققت هذه النسبة ، لبلغ عدد طلاب جامعة الهواء في بريطانيا مجموع طلاب سائر الجامعات .

هل نازية جديدة في ألمانيا الغربية ؟

● أحدث الاحزاب السياسية في المانيا الغربية هو الحزب الديمقراطي الوطني N.P.D. ، أو كما يسميه الكثيرون ، الحزب النازي الجديد Neo-Nazi اذ تأسس هذا الحزب سنة ١٩٦٤ ، ومع ذلك فقد تزايد عدد اعضائه باستمرار حتى بلغوا حاليا ٢٨٠٠٠ عضو ، ينتمون الى فروع الحزب العديدة ، المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، والتي يبلغ عددها ٤٦٠ .

والاهم من ذلك كله هو أن هذا الحزب الالماني الجديد قد فاز في اكثر انتخابات البرلمانات الالمانية الاقليمية التي جرت في الاونة الاخيرة ، بحيث اصبح ممثلاً في ٧ من هذه البرلمانات الفرعية ، التي لا يزيد عددها عن ١٢ ، وبحيث بات في حكم المؤكد ان يفوز الحزب المذكور بنحو ٤٠ - ٥٠ مقعدا في الانتخابات المقبلة لبرلمان بون.

ولا يعنينا هنا رد فعل حكومة المانيا الغربية على هذه التطورات ، ولا الاجراءات التي ترغب او تستطيع اتخاذها بقصد كبح جماح هذا الحزب اليميني الجديد .. سواء كانت غايتها من كبح الجماح هذا اظهار المانيا بمظهر الناقم على النازية ، ام كانت تلك الغاية مجرد تعزيز المصلحة الحزبية للحزبين الحاكمين .

فالذي يهمنا انما هو الالمام بمبادىء هذا الحزب وسياسته كما عبر عنها واوضحها رئيسه الهر ادولف فون تادن في المقابلة التلفازية التي اجراها معه مندوب التلفاز البريطاني في مدينة شتوتجارت.

ولعل أبرز ما تضمنته تلك المقابلة الاسئلة والاجوبة التي دارت حول صلة فون تادن هذا بالحزب النازي القديم . فقد فاجاه المندوب البريطاني ببطاقات عضوية الحزب الهتلري تحمل اسمه وصورته ، وكأنه كان احد اعضائه العاملين سنة ١٩٣٩ . ورد فون تادن على ذلك في هدوء :

« لم تكن لي صلة بالحزب النازي بل انني لم اوقع اي طلب للانتساب اليه » . وبين رئيس الحزب الجديد بعد ذلك انه كان طالبا وعضوا في منظمة شبيبة هتلر في تلك السنة ، وان سنه

ميزان القوى .. هل يختل ؟!

● المراقبون الغربيون فى قلق شديد .. والسبب ليس ما يحدث داخل بلادهم من ازمة اقتصادية .. وارتفاع لأسعار الذهب .. ولكن بسبب التقرير الذى اذاعته لجنة اقتصاد اوربا التابعة لهيئة الامم المتحدة عن النمو الاقتصادى الكبير الذى حققته دول اوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي . ونؤكد أنه غربي المصدر .

وتدل الاحصائيات التي اوردها هذا التقرير ان نسبة الزيادة فى الانتاج الصناعي فى الاتحاد السوفيتي وصلت الى ١٠٪ فى عام ١٩٦٧ . وقد ادى هذا الى زيادة دخل الفرد فى روسيا بنسبة ٦٪ .

وفى اوروبا الشرقية (باستثناء روسيا) تدل الارقام على أن هناك تقدما ملحوظا فى الادارة والانتاج ، فقد بلغت الزيادة فى الدخل القومي بين ٥٪ و ٩٪ .. مع زيادة كبيرة فى انتاج المواد الاستهلاكية .

وقد بلغت نسبة الزيادة فى الانتاج الصناعي فى عام ١٩٦٧ ٥ر١٣٪ فى بلغاريا و ٥ر١٣٪ فى رومانيا و ١ر٩٪ فى المجر .

وفى ميدان التجارة استطاعت تشيكوسلوفاكيا وبولندا والمانيا الشرقية وبلغاريا ان تحقق شبه معجزة بتحويل ميزانها التجارى الى صالحها وذلك عن طريق تحديد الواردات وزيادة الصادرات .

ويقول المراقبون الغربيون ان النمو الاقتصادى فى دول اوروبا الشرقية وفى الاتحاد السوفيتي يعني بالدرجة الاولى أن الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية فى طريقها الى نمو اسرع من نمو الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية ، وهذا فى رايهم يؤدى الى تغيير ميزان القوى بين الشرق والغرب . وفي نفس الوقت يقوم هؤلاء المراقبون الغربيون بدراسة هذه الظاهرة وهل هي ناتجة عن الظروف الجوية التى ادت الى زيادة كبيرة فى المحاصيل الزراعية بالدول الشرقية،أم أنها أيضا ترجع الى الطرق الجديدة فى الادارة والتى اتبعتها هذه الدول أخيرا .



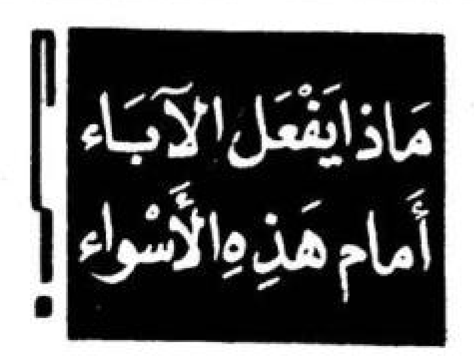
الصغير ، الذى لم يجاوز ١٨ سنة اذاك ، كان حائلا" دون التحاقه بالحزب النازى اصلا . ثم اشار الهر فون تادن الى ان اقامته قبل ٢٩ سنة لم تكن فى المدينة التي تذكرها البطاقة .

وتجدر الاشارة الى ان البطاقة المذكورة كان قد حصل عليها مندوب التلفزة البريطاني مما يسمى بمعهد الشؤون اليهودية . وبالرغم من علم فون تادن المسبق بذلك فانه لم يُجِب" باكثر من القول : « لا ادرى » حينما سأله المندوب البريطانى عما اذا كانت تلك البطاقة مزيفة .

على ان رئيس الحزب الالماني الجديد لم ينف ان ثلث اعضاء لجنته التنفيذية الثلاثين كانوا اعضاء فى الحزب النازي الهتلرى . ولكنه اكد لمحدثه البريطاني ان هؤلاء الاعضاء العشرة لن يحاولوا اعادة الماضي .

اما فيما يتصل باليهود فقد ذكر فون تادن ان تفشي اللاسامية فى حزبه ليس اكثر من تفشيها فى سائر الاحزاب الالمانية الغربية الاخرى . على انه اعرب عن استيائه لتدخل اسرائيل في شئون المانيا الداخلية .

فى الأطفال بلطجة، وخجل



بقلم : منير نصيف

■ هل انتابك القلق يوما يا سيدتي عندما اكتشفت أن ابنتك تعاني من الخجل ، وانها تهرب من الاختلاط بالناس ، وتفضل الانطواء على نفسها ، وتعرض عن الاشتراك فى مختلف اوجه النشاط المدرسي ؟

وهل تدهشين احيانا لتصرفات ابنك الصغير الذى يقلد اعمال البلطجية ، مستغلا قوته البدنية فى تهديد زملائه الذين يصغرونه سنا وجسما لكي يحصل على ما فى أيديهم من حلوى .

ثم هل استوقفك مثلا ذلك التناقض العجيب بين سلوك ابنك فى المدرسة وفى البيت . فهو ولد مهذب مع مدرسيه وزملائه فى مدرسته ، بينما لا يكاد يعود الى البيت حتى يتحول الى شيطان صغير ، يضرب اخوته ، ويعاند والديه ويتدخل فيما يعنيه ولا يعنيه ؟

خوف وقلق

وهل استبد بك الهلع عندما استيقظت على صراخ ابنتك بالليل ، وهرعت اليها فوجدتيها جالسة وسط فراشها خائفة مرتعدة ، وهى تروى لك الحلم المزعج الذى شاهدته أثناء نومها . وكيف رأت نفسها وهي تسقط من فوق صخرة عالية فوق قمة جبل وتموت ؟

وهل وقفت حيرى تتساءلين عما الم بابنك وهو يبكى فى الصباح ولا يريد أن يغادر فراشه ، لانه يكره المدرسة ولا يود الذهاب اليها ، ويفضل البقاء فى البيت ؟

هذه بعض المشاكل التي تصادف الآباء ، فتتملكهم الحيرة وهم يرون انفسهم احيانا عاجزين عن ان يفعلوا شيئا ازاء هذه التصرفات التي تبدو لهم غريبة غير مألوفة . وكثيرون منهم لا يلومون الا انفسهم باعتبارهم مسئولين عما الم بابنائهم .

والبعض الآخر يلقون اللوم على الأبناء أنفسهم ، ويندبون الحظ الذى اختارهم دون غيرهم من الناس ، فرزقهم بهؤلاء الاطفال الذين يعانون من عقد نفسية ، لا سبيل الى التخلص منها ، فى رأى آبائهم على الاقل !

خطأ كبير

ولكن لو عرف هؤلاء وهؤلاء أن مثل هذه التصرفات التي تصدر عن ابنائهم تنتشر بين معظم الاطفال فى مختلف مراحل حياتهم قبل سن البلوغ ، لأدركوا مدى ما وقعوا ويقعون فيه من خطأ كبير قد يكون له اسوأ الاثر على نشأة ابنائهم وتربيتهم ..

دراسات واحصائيات

فقد قام علماء النفس والاخصائيون فى تربية الأطفال بدراسات واحصائيات دقيقة شملت الف طفل وطفلة من مختلف الاعمار بين الخامسة والحادية عشرة ، واسفرت هذه الأبحاث عن نتائج هامة نلخصها فيما يلي :

ـ ان سبعة من بين كل عشرة اطفال يكرهون المدرسة في البداية ، ثم يبدأون في الاقبال عليها تدريجيا .

وان نسبة الاطفال الذين لا يعانون من أية مشاكل على الاطلاق فى مختلف سني حياتهم الأولى ، فيما يتعلق بالذهاب الى المدرسة ، تتراوح بين ١٠ و ٢٠ فى المائة فقط ...

وَصُـــرَاخ بِـاللَّـيْـل

ـ ان ٦٠٪ او اكثر من الاطفال بين الخامسة والثامنة يصابون بالخوف والفزع اذا سمعوا اصواتا غريبة او وجدوا انفسهم يواجهون مواقف غير عادية او غير مألوفة .

ـ ان طفلا واحدا من بين كل ثلاثة او اربعة اطفال يحلم احلاما مزعجة بالليل في احدى مراحل حياته ، فهي لا تقتصر على سن معينة،وانما تتصل اتصالا مباشرا بظروف خاصة في حياة الطفل ،كما سنرى فيما بعد .

الاصبع وثدى الأم

ان ٣٠ الى ٤٠٪ من الاطفال يلجأون الى قرض الأظافر او مص اصبع اليد (الإبهام كوسيلة)من وسائل التخلص من المخاوف التي تساورهم . وهم يفعلون ذلك بحركة لا شعورية ،وكثيرون منهم لا يأتيهم النوم والاطمئنان الا بعد أن يضع الواحد منهم اصبعه في فمه . فقد فسر العلماء هذه العادة عند بعض الاطفال،بأنها عودة الى طفولتهم المبكرة، عندما كانت شفاههم الصغيرة تحتضن أثداء امهاتهم حيث يجدون الغذاء والراحة بعد جوع وقلق .

واسفرت الأبحاث ايضا عن أن ٦٠٪ من الاطفال الاناث يعانين من الخجل ، سواء في سن الطفولة او في سنوات ما بعد البلوغ . وهذه النسبة تهبط كثيرا بين الاطفال الذكور فلا تزيد عن ٢٠ الى ٢٥٪ .

ـ وان ٥٥٪ من الاطفال من الجنسين يميلون الى الكذب وتتملكهم الرغبة في التخريب والتدمير ، ولو ان الاناث أقل تمسكا من الذكور بعادة الكذب ، كما انهن أقل عنفا ، واكثر استجابة لنصائح الأبوين .

كيف نعالج هذه التصرفات التي تبدو شاذة للكثيرين منا ، وكيف نقضي على تلك العادات التي يعاني منها صغارنا قبل ان تتملكهم ، ويصبح من الصعب علينا ان نخلصهم منها ؟

نصيحة للأبوين

ونبدأ اول ما نبدأ بنصيحة نتوجه بها الى الآباء والأمهات ... وهي الا يوجهوا الى مثل هذه المسائل أهمية اكثر مما تستحق ، فلا يجعلوا منها مشكلة تنغص عليهم حياتهم . لان مثل هذا الموقف من جانب الأبوين يساعد على استفحال الداء بحيث يصبح من الصعب ايجاد الدواء المناسب لعلاجه .



اثبتت الدراسات التى قام بها الاخصائيون أن نسبة الأطفال الذين لا يعانون من أية مشاكل على الاطلاق لا تزيد على ٢٠٪ .

ونتنقل بعد هذا الى الوسائل التي يجب اتباعها لتخليص الأبناء من مثل هذه العادات .. واول خطوة في سبيل تحقيق هذه الغاية ، هي البحث عن الأسباب التي ادت الى هذه الظواهر.

الشعور بالخجل

فالابنة التي تعاني من الخجل ، فلا تختلط بالناس ، وتفضل حياة العزلة والانطواء .. لو توقفنا قليلا لنبحث سبب انطوائها ، لوجدنا ان هنالك شيئا غير طبيعي في تكوين هذه الطفلة يثير خجلها ، ويدفعها الى الانزواء ، خوفا من ان تتعرض لسخرية الناس ، كأن تكون مثلا مصابة بحول في عينيها ، او باعوجاج في قصبتي الساقين، او بنمو اسنان قبيحة غير منتظمة .

والوسيلة الوحيدة لتخليص مثل هذه الطفلة من شعورها بالخجل ، هو علاج هذا العيب الجسماني قبل ان يسبب لها عقدة نفسية قد تلازمها طوال حياتها .

حياة الانطواء

على ان هنالك اسبابا اخرى للخجل عند بعض الأطفال الذين يترددون في الظهور امام الناس والتحدث اليهم ، دون ان يكونوا مصابين بشيء من هذه العيوب او غيرها .. وقد يكون السبب هو الحياة التي تعيشها الطفلة مع ابويها في البيت .. فغالبا ما يكون الابوان نفسهما لا يميلان الى الاختلاط بالناس ، ويفضلان الانطواء ، وبذلك يحرمان طفلتهما من متعة الالتقاء بأترابها من الأطفال .. وهذا يولد عندها الشعور بالخوف من الناس .

وعلاج هذه الحالة يبدأ بالابوين ، اللذين يتحتم عليهما ان يخرجا من هذه العزلة الاختيارية، ليتيحا لطفلتهما ان تنشأ نشأة طبيعية ،فيختلطان بالناس ويتبادلان الزيارات ، ويصحبانها معهما الى النوادي والمجتمعات . بهذا وحده تستطيع الطفلة ان تتعرف على نفسها وعلى من هم في مثل سنها .

الخجل الجنسي

اما الخجل الذى يصيب الفتاة بعد سن البلوغ ، فهو خجل جنسي ، مصدره الأساسي هو شعورها بانها لم تعد طفلة ، وينعكس هذا الشعور على تصرفاتها واهتماماتها ... وهي تخجل من نفسها اولا بعد ان لمست الانقلاب الذى طرأ على تكوين جسمها ..ثم هي تخجل من الناس، وخاصة عندما تسمعهم يتحدثون عنها .. عن الطفلة الصغيرة التي كبرت واصبحت امرأة ... ومن بين الوسائل المتبعة لتخليص مثل هذه الفتاة من شعورها بالخجل ،دفعها الى الاختلاط بمن هن في مثل سنها ، والحرص على عدم ظهورها وحدها امام الناس ، وانما وسط مجموعة من الفتيات اللواتي في مثل سنها . وبهذا تشعر الفتاة أنها ليست شيئا غريبا . وأن ما حدث لها هو تطور طبيعي يحدث لكل فتاة في سن معينة .

الولد البلطجي

اما الابن البلطجي الذى يهدد زملاءه ليحصل منهم على ما يريد مستغلا قوته البدنية ، فهو قد ادرك تماما أن هذه هي اسرع وانجع الوسائل لتحقيق هدفه .. ولكن كيف ؟

وهذه مشكلة اخرى تبدأ جذورها في البيت ، فلا بد ان احد أبويه أو الاثنين معا ، يعاملانه بقسوة . فهما يضربانه اذا اخذ شيئا ليس له من احد اخوته . او لانه اعتدى على شقيقه الأصغر بالضرب لأنه لا يريد ان يشركه معه في اللعب بكرته الجديدة !

وهكذا يجد هذا الطفل ان الضرب ، والتهديد بالضرب هو العقاب الوحيد الذى يردعه ويمنعه عن المضي في غيه ! وتلتصق هذه النظرية برأسه ، ويحاول ان يطبقها هو مع زملائه في المدرسة .

القسوة ومساوئها

وعلاج مثل هذا الصبي ، يبدأ بحل مشاكله مع اخوته في البيت ، فلا بد من نزع هذه الفكرة من رأسه ، ومساعدته على نسيانها . ولكي نحقق ذلك يجب ان يكف الوالدان عن معاملته بقسوة . يجب ان يغيرا اسلوبهما معه ، فاذا اراد ان يحصل

على قطعة الحلوى التي في يد شقيقه الاصغر مثلا ، بعد ان يكون قد اكل نصيبه ، فلا بد ان نفهمه ان هذا ليس من حقه ، لأن من حق اخيه ايضا أن ينعم بنصيبه منها . فاذا أصر على الحصول على نصيب آخر ، رفضنا طلبه حتى لا يتمادى في طمعه ، وافهمناه بهدوء انه قد يستطيع ان يرجو شقيقه ان يعطيه جزءا من نصيبه هو . وبهذا يفهم الصبي أن هناك وسائل اخرى غير الضرب والتهديد تمكنه من الحصول على ما يبتغي.

تناقض شخصية الطفل

ومثل هذا الصبي البلطجي الذى يعاند والديه ويضرب اخوته فى البيت ، قد يتحول الى ولد مهذب فى المدرسة ، اذا تعهده احد مدرسيه بالنصح والارشاد ، وقدم له ما افتقده فى البيت من عناية بمشاكله . ومن هنا يحدث التناقض الغريب بين شخصية الطفل فى بيته مع والديه واخوته وبين شخصيته فى المدرسة ، اذا غفل الابوان عن الاهتمام بمشاكله والعمل على علاجها..

ولذلك فلا بد ان يكون هناك تعاون تام بين البيت والمدرسة فى اصلاح كل اعوجاج يطرأ على سلوك الاطفال وتصرفاتهم .. حتى لا يشعر الطفل أن المدرسة قد أعطته شيئا افتقده في بيته ، او ان البيت يعطيه اشياء يجد نفسه محروما منها فى المدرسة .

وهذا هو السبب الذى يدفع ببعض الاطفال الى كراهية المدرسة في كثير من الاحيان.ولو أنهم يستوون جميعا في نظرتهم الى هذا المكان الغريب عندما يكون لقاؤهم به لأول مرة .

الأحلام المزعجة

والابنة التي تصحو من نومها مذعورة عند منتصف الليل بعد ان رات نفسها تسقط من فوق صخرة عالية وتموت . مثل هذه الطفلة عرفت الموت في سن مبكرة ويحتمل أن تكون قد التقت به وجها لوجه ، عندما ماتت جدتها مثلا فى البيت ، وحملوها امامها جثة هامدة الى حيث تذهب ولا تعود . فمثل هذه الصور المؤلمة تعلق باذهان الأطفال وتؤثر على حالتهم النفسية ، فيتخيلون الموت امامهم فى كل لحظة ويتوقعونه اويرونه فى احلامهم ..



التناقض في شخصية الطفل يحدث نتيجة لانعدام التعاون بين البيت والمدرسة

عوامل اخرى

وهناك عوامل كثيرة اخرى تترك اثرها فى نفسية الطفل او الطفلة ، كمرض احد الوالدين مثلا ، او وصول مولود جديد او انتقال الاسرة من البيت القديم الى بيت جديد .. وكل هذه الأحداث تثير القلق فى نفس الاطفال وتستغرق جزءا كبيرا من تفكيرهم ، لأنها خروج على المألوف وتغيير فيما تعودوا رؤيته كل يوم .. لأن الطفل يميل بطبعه الى الاستقرار ..

على أن اكثر ما يؤثر على نفسية الأبناء ، ما يحدث امامهم من مشاكل وخلافات بين الأبوين . وكثيرا ما تؤدى مثل هذه الخلافات الى اصابة الأبناء باضطرابات نفسية ، قد تؤثر على صحتهم ونموهم وتفكيرهم ، بسبب ما يشعرون به من قلق على حياتهم ومستقبلهم ..

■■

منير نصيف



بقلم : الدكتور سامي عمران

اخصائي امراض النساء

■ فى النصف الاول من القرن التاسع عشر لمع فى سماء الادب الانجليزى أسماء الشقيقات « برونتى» وقد نالت احداهن وهي الكاتبه « شارلوت برونتى» Charlotte Brontë شهرة واسعة حيث كان لقصتها « جين اير » Jane Eyre مكانا مرموقا فى الادب العالمي . وبمراجعة تاريخ هاتيك الشقيقات الثلاث اللامعات التي امتلات حياتهن الخاصة شقاء وتعاسة نجد أن « شارلوت برونتى » كانت تشكو اثناء حملها من مرض اشبه ما يكون بنوع من قيء الحمل يعرف « بقيء الحمل التسممى » الذى يعرفه الاطباء فى هذه الايام ، وكان سببا فى ان يخبو هذا النجم اللامع .

فما هو « قيء الحمل » وماهي اطواره المختلفة ومضاعفاته الخطيرة التي اودت بحياة مريضة ذات ذكر نابه وصيت رائع كشارلوت برونتى ؟!!

قد اثبتت الاحصائيات الشاملة فى مختلف مراكز التوليد ورعاية الحوامل فى العالم ان نحو خمسين فى المائة من الحوامل يُصَبن بقيء الحمل . وهذه نسبة عالية جدا .

اذن فقيء الحمل شائع شيوع الحمل نفسه ، ولهذا يجب ان لا يهمل شأنه .

ويعتبر الاطباء قيء الحمل هذا من النذر الاولى لحدوث الحمل فهو أحد الاجراس العالية التي تدقها الطبيعة الواعية للتنبيه الى كينونة الحمل ومن ثم الحفاظ عليه ضمانا لاستمرار وبقاء الجنس البشرى .

اعراضــه

واعراضه كثيرة ومتنوعة وتختلف فى شدتها من حامل لاخرى ، كما يلعب عنصر الاضطراب أو الاستقرار النفسى والعاطفى دورا كبيرا فى التأثير على سير المرض .

والقيء عادة يبدأ فى الاشهر الثلاثة الاولى من الحمل ، وهو فى كثير من الاحيان لايعدو الشعور بالغثيان والرغبة فى القيء فى الصباح الباكـر . وتستمر هذه الحالة ساعة من زمـان ثم تزول ، واحيانا يتحول هذا الغثيان الى قيء فعلى مرة أو مرتين خلال النهـار .

وتستمر هذه الحالة طيلة الاشهر الاولى ثم تخف تدريجيا حتى تزول تمامـا بحلول الشهر الخامس من الحمل .

ولكن احيانا تتعقد الامور وتزداد الحالة شـدة فتقذف الحامل بكل ما يصل الى جوفها من طعام أو شراب حتى الماء القراح ،ترفضه معدتها المتهيجة الثائرة . وتصبح هذه الظاهرة مرضا .

وفى مراحل المرض الاولى لاتتأثر الحالة العامة للحامل ، ولكن باستمرار القيء تبدأ فى الهـزال والضعف فيصفر لونهـا ، ويشحب وجههـا ، ويَغيض ماء الصحة والحياة من محياها ، وربما اقعدها المرض طريحة للفراش لاتتحول عنه .

ويتميز هذا المرض بفترات تبدو المريضة فيها وكانها اصابت بعضا من التحسن . وهذا يؤدى الى نوع من الاطمئنان الكاذب لدى المريضة . ولكن

.. "حملته امه وهناً على وهن" ..
"قرآن كريم"

هذا التحسن المؤقت لايجبان يخدعطبيبها المعالج، فلديه من الاعراض السريرية والمخبرية الثابتة من نبض وحرارة وضغط دم ما يعطيه دائما صورة أصدق واوثق .

فاذا استمر هذا القيء من غير ان يوقف او يعالج يبدأ وزن المريضة في النقصان ويجف لسانها ويتلون بلون بني أغبر ويسرع نبضها وتتغير بعض مكونات الدم الكيميائية فترتفع النسبة المئوية للبولينا في الدم « Urea » . وتبدأ مكونات جديدة ذات دلالة خطيرة في الظهور في البول كالاسيتون Acetone وتقل كمية البول وتزداد كثافته . وكل هذه الاعراض تشير الى نقص الماء في الجسم نقصا خطيرا Dehydration يوشك ان يقلب ميزان السوائل Fluid Blance في الجسم في غير صالح المريضة وعندما تبدأ الصفراء Jaundice في الظهور ، وترتفع درجة حرارة المريضة ، وتتسارع ضربات قلبها ، ويهبط ضغط دمها فان حالتها تعتبر خطيرة لان ذلك قد يؤدي الى غيبوبة عميقة Coma قد لا تخرج المريضة منها ابدا .

وهناك بعض الحالات التي تشتكي فيها الحامل من تعتيم في النظر ، يتبعه اضطراب في المجال البصري للرؤية Field of Vision اذا حدث التهاب في عصب الابصار ـ ومن مضاعفات هذه الحالة نزف دموي في شبكية العين ربما اودى بالابصار كلية .

اسباب هذا القيء وانواعه

وما سبب او اسباب هذا القيء الذي ينتاب نصف أو ما يزيد على نصف من يحملن ؟! .

والجواب : « انه برغم التقدم الهائل الذي احرزه الطب في جميع المجالات الا ان السبب او الاسباب المباشرة لقيء الحمل غير معروفة تماما حتى الآن . ولكن بالفحص السريري والمخبري الدقيق للعديد من الحوامل اللائي يشتكين من هذا المرض . وبمقارنة النتائج بعضها ببعض ، توصل الاطباء الى وضع عدد من النظريات ، ترد قيء الحمل لهذا السبب او ذاك ، الا انها جميعا غير كافية تماما حتى الآن لتكشف لنا عن السبب المباشر الحاسم لقيء الحمل .

واهم هذه النظريات :

١ ـ النظرية العصابية ـ Neurosis Theory

وهذه النظرية تعزو سبب القيء الى اضطرابات نفسية وعصبية منشؤها رغبة العقل اللاواعي او اللاشعوري في التخلص من الحمل ، متعارضا مع رغبة العقل الواعي في الاحتفاظ به .

ويستدل اصحاب هذه النظرية على صحتها بنجاح علاج بعض الحالات بواسطة الايحاء Suggestion كما ان بعض الازواج يعاني من القيء طيلة حمل زوجاتهم (سجلت فعلا مثل هذه الحالات النادرة) .ويعارض هذه النظرية ان القيء يبدأ حتى قبل ان تعرف المرأة انها حامل . لذلك اعتبر العامل النفسي او العصبي عاملا مساعدا وليس سببا لقيء الحمل .

٢ ـ النظرية التسممية :

ويعتقد واضعو هذه النظرية بوجود نوع من المواد السامة تسري في دم الحامل ممتصة اصلا من مشيمة الجنين ـ Placenta ـ أو الاغشية المحيطة به ، ويرى بعض الباحثين أن مثل هذه المواد ان حدثت فهي نتيجة لاستمرار قيء الحمل وليست سببا له .

٣ ـ نظرية نقص المواد النشوية من الجسم :

وهذا النقص ينتج اما من الجوع او من متطلبات الجنين المتزايدة بسبب نموه المطرد . ولكن ثبت ان القيء يحدث في وقت مبكر جدا من الحمل ، لا يكون حجم الجنين فيه كافيا لان يحدث مثل هذا النقص الخطير في جليكوجين الكبد ـ Glycogen وهو الصورة التي تختزن الكبد عليها السكر لحين الحاجة اليه (يبلغ طول الجنين في الاسابيع الاولى للحمل ملليمترات قليلة) .

٤ ـ النظرية الهرمونية :

وتعتمد هذه النظرية على الاضطراب الذي يحدث في افراز الغدد الصماء اثناء الحمل مثل المبيض والغدة النخامية Pituitory والغدة الكظرية Suprarenal Gland ولكن هذه النظرية لا تستطيع تفسير كل حالات قيء الحمل .

٥ ـ نظرية الحساسية : Allergy

وتعتمد هذه النظرية وجود حساسية خاصة لدى المريضة لنوع معين من افرازات المبيض او الجنين . وقد نجح علاج كثير من الحالات فعلا بتعاطي اقراص مضادات الحساسية كالافومين Avomine وال (ستماتيل) Stematil وقد اسهم علماؤنا العرب بابحاث متقدمة في هذا المجال .

نوعان من قيء الحمل

اما انواع قيء الحمل فتنقسم الى نوعين كبيرين :

ا ـ القيء العصابي Neurotic :
وهو ما يكون عادة في المراحل الاولى او البسيطة من المرض .

ب ـ القيء التسممي Toxic : وهو ما يكون عادة ، في المراحل المتاخرة او الشديدة من المرض . والتفريق بينهما يعتمد الى حد كبير على الفحص السريري والمخبري والحالة العامة للمريضة . ولكن ليس بالضرورة ان يتبع احدهما الآخر .

تشخيص قيء الحمل

اولا وقبل كل شيء لا بد من ثبوت الحمل نفسه وهذا يتم اما بالفحص السريري او الفحص المخبري للبول او فحص خلايا المهبل المتساقطة فيه Vaginal Smear وثانيا لا بد من التفريق بين القيء الناتج عن الحمل وبسببه وبين القيء المصاحب للحمل ولكن لسبب آخر غيره كالقرحة المعدية ـ سرطان المعدة ـ الانسداد المعوي ـ التهاب المصران الاعور ـ التهاب الكبد . ووجه الخطورة هنا انه ربما يكون قيء الحمل سببا في اخفاء هذه الامراض او تاخير اكتشافها وبالتالي تاخير علاجها وهي اهم واخطر من قيء الحمل في بعض الاحيان (كالسرطان مثلا) .

واذا ثبت بالدليل القاطع ان القيء الذي تشكو الحامل منه ليس له سبب آخر غير « الحمل » فيباشر علاج المريضة فورا على هذا الاساس .

علاج قيء الحمل

وهذا يعتمد على شدة المرض ودرجة خطورته .

ففي الحالات البسيطة تبدأ الحامل بتناول قدح من الشاي الخفيف مع بسكوت في الصباح الباكر ، وتتعاطى اقراص مضادات الحساسية . كذلك ينفع علاج المريضة بالايحاء Suggestion في مثل هذه الاحوال . وتزاد كمية النشويات Carbohydrates في الطعام ويقلل من الدهنيات . مع مساعدة الجسم على التخلص من الفضلات الضارة عن طريق الملينات وغيرها .

اما في الحالات الشديدة والخطرة : فتعزل المريضة في المستشفى ويوقف كل طعام او شراب عن طريق الفم ويستعاض عنه بالحقن الشرجية المغذية Nutritive Enema او بالمحاليل التي تعطى في الدم مباشرة كمحلول الجلوكوز او ملح الطعام الطبيعي . وتعطى المريضة المهدئات العصبية المناسبة للتغلب على العنصر العصابي من المرض كما تعطى امبولات الكالسيوم وفيتامين ب ١ .

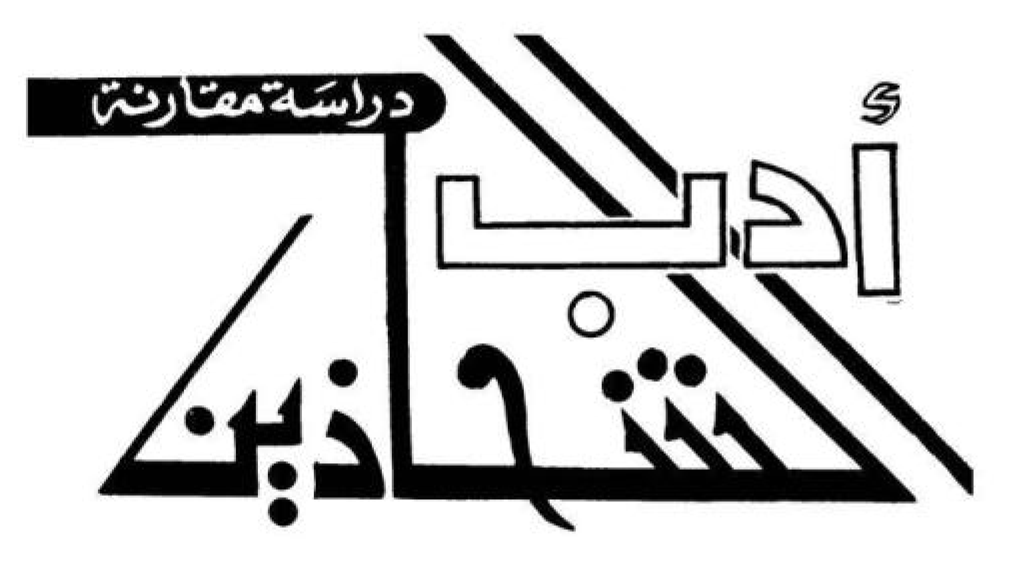
وفي بعض الحالات تعالج المريضة بالهرمونات كالكورتيزون وفيتامين ب ٦ ومضادات الحساسية الخاصة كما اسلفنا .

وقد توصل علماؤنا العرب (يوسف ـ برسوم) الى علاج وشفاء كثير من حالات قيء الحمل المستعصية بواسطة مزيج من هرمون الغدة فوق الكلوية اي الكورتيزونات Cortico Steroids & Cortisone ومضادات الحساسية كاقراص Stematil ونشرت هذه الابحاث في المجلات الطبية العالمية .

اللجوء الى انهاء الحمل

وهو ما كان يلجا له الاطباء في السابق كآخر سهم في جعبتهم اذا ما فشلت كل الوسائل او اصبحت حالة المريضة تنذر بالخطر . ولكن نادرا ما يلجا الاطباء الآن الى علاج قيء الحمل بانهاء الحمل نفسه وذلك لتقدم الوسائل التشخيصية والعلاجية لدرجة لا تسمح للمريضة بالوصول الى مثل هذه الحالة الخطرة . كما ان ازدياد الوعي الصحي والثقافي لدى كثير من الحوامل مع انتشار مراكز رعاية الحوامل ، كل هذه الاسباب ادت الى سرعة التشخيص وبالتالي علاج المرض. ■■

الكويت : سامي عمران



بقلم : الدكتور غسان المالح
مدرس الأدب الانجليزي / جامعة دمشق

■ في أدبنا العربي ظاهرة طريفة أهملها النقاد الحديثون فيما اهملوا من جوانب أدبنا الفني . ولعله ليس بمستغرب أن يكون تعرفي على هذه الظاهرة قد تم عن طريق أدبين غربيين ، هما الأدب الانكليزي والاسباني .

حين يستعرض نقاد اليوم تاريخ القصة الغربية عامة ، والانكليزية خاصة ، يعودون فيما يعودون اليـه الى تلك الطرف والنوادر التي ضمنها تشوسر Chaucer (١٣٤٣ ـ ١٤٠٠ ميلادى) حكاياته على لســان حجاجه في طريقهـم الى كانتربرى .

ومن ثم يعودون الى مجموعات النوادر والطرف التي وجد فيها « شكسبير » على لسان «بياتريس» معينا لا ينضب من الفكاهة والحيل الماكرة . ويرى النقاد ان في ربط الطرف والنوادر بشـخصية واقعية أو خيالية خطوة لا باس بها في طريق القصة المتكاملة . ويرون في اعطاء هذه النوادر بدايـة ونهايةوربطها ببعضها بالاضافة الى ربطهابشخصية بطلها خطوة أكثر اهمية في تاريخ القصة ، خطوة نحو العمل القصصي المتكامل البناء على الأقل وان لم يبلغ بعد مبلغ التكامل الموضـوعي . ولا يعني ما أقول أن ظهور النوادر ذات البطل الواحد أبطل ظهور مجموعات الطرف ذات الابطال المختلفين بل كثيرا ما كان النوعان يسيران جنبا الى جنب ويلقيان من سعة الانتشار والاقبال الشعبي ما لم تلقه الا العظات الدينية المطبوعة .

وكثيرا ما كانت ترث مجموعة من النوادر بعضا من الطرف التي ظهرت في مجموعة سبقتها .

كتب اللصوص والصعاليك

وتظهر حكايات التحايل والاحتيال في لون آخر من الأدب سرعان ما يغني مجموعات النوادر قدر ما تغنيه هي . وهذا اللون من الأدب هو ما يعرف بكتب اللصوص والصعاليك ، كتب تسرد اساليب اللصوص والصعاليك في اصـطياد ضـحاياهم وتصف وسائلهم وتصنف في اختصاصاتهم . فهذا « جـون اودلي » يذكر أكثر من ثلاثين طبقة من اللصوص ، وهذا « توماس هارمان » يزيد عليها ، ساردا مئة حيلة وحيلة من حيل أصحابها ، يقص حكاية هنا وطرفة هناك ، مدعيا أنه انما يفعل ذلك كيما نتعرف على اللصوص وأسـاليبهم فناخذ حذرنا منهم .

وتظهر الكتب تلو الأخرى مدعية الارشـاد والنصح ، وساردة قصة بعد قصـة ، عن كيف سرق معطف فلان من فوق كتفه ، وحصان آخر من



تحته ، وكيف تحايل هذا في الحصول على طمامه ، وذلك في اصطياد مغنمه .

ولكن سرعان ما يختفي هذا وذاك بتأثير تيار جديد من اسبانيا ، ليفسح المجال امام بطل واحد نتابع مغامراته في التسلط على الناس وتنقله في المجتمع بمختلف طبقاته وجوانبه .

مثل هذا اللون من الادب ومثل هذا التطور بالذات نجده في أدبنا العربي ، مبتدئين بطرف متفرقة هنا وهناك ، فحكايات عن اللصوص والعيارين والشطار والمكدين ، فنوادر ذات بطل واحد ، فقصص اطول ذات اطار قصصي وبطل واحد .

ولا يخلو كتاب من كتب أدبنا العربي من اخبار طريفة عن طرق اصطياد المال وخداع الناس . الا ان جحا هو أول بطل في هذا المضمار وان لم تكن كل نوادره تدور حول التحايل والكدية . وان صح أن جحا هو أبو الغصن دجين بن ثابت فان أكثر نوادره تعود الى القرن الثاني ، أضيف اليها فيما بعد نوادر جحا الترك الخوجه نصر الدين الرومي في القرن السابع .

الكدية والساسانيين

استعملت تعبير الكدية ولربما وجب أن أعمد الى تفسيره ، فقد اختفى التعبير من التداول ، وان كانت المهنة لا تزال كثيرة الممارسين . يقول مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » ان الكدية :

« علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال . والذى يباشرها يتزيا في كل بلدة بزى يناسب تلك البلدة بحفز اهلها الى الثقة بأصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الاشراف ، الى غير ذلك ، ثم انهم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها منها ما حكى واحد انه رأى عند جامع البصرة قردا على مركب مثل مايركبه أبناء الملوك ، وعليه البسه نفيسة نحو ملبوساتهم ، وهو يبكي وينوح ، وحوله خدم يتبعونه ويبكون ويقولون : يا أهل العافية . اعتبروا بسيدنا هذا ، فانه كان من أبناء الملوك ، عشق امرأة ساحرة ، وبلغ حاله بسحرها الى ان مسخ الى صورة القرد ، وطلبت منه مالا عظيما لتخليصه من هذه الحالة . والقرد في هذه يبكي بأنين وحنين ، والعامة يرقون له ويبكون . وجمعوا لاجله شيئا من الأموال ، ثم فرشوا له في الجامع سجادة ، فصلى عليها ركعتين ، ثم صلى الجمعة مع الناس ، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال » .

وامثال هذه كثيرة .

وهذا العلم الذى وصفه حاجي خليفة كثر ممارسوه في القرنين الثالث والرابع للهجرة وتشعبت اختصاصاته حتى أن الجاحظ أفرد له عددا من الصفحات في كتابه البخلاء ، ذكر فيها اسماء هذا الاختصاص وتعرض الى بعض المختصين وحيلهم .

وبديع الزمان الهمذاني يعدد في المقامة الرصافية اكثر من ثمانين صنفا .

فالمكدون فئة تعيش على هامش المجتمع وعلى المجتمع ، فئة فقيرة اتخذت من التسول والاحتيال وسيلة لكسب العيش . كثر عددهم فلعبوا دورا كبيرا في حياة بغداد السياسية سواء في عهد الامين والمأمون او فيما بعد في عهد المستعين .

وعرف المكدون باسم الساسانيين أو بني ساسان . وساسان هذا كما يقول أحمد أمين :

« رووا فيه أقوالا مختلفة : فمن قائل انه ساسان بن اسفنديار . كان من حديثه انه لما حضرت أباه الوفاة فوض أمر الحكم الى ابنته، فأنف ساسان من ذلك ، واشترى غنما وجعل يرعاها . وعير بأنه راعي الغنم ، فقيل ساسان الراعي ، وساسان الكودى ، فنسب اليه كل من تكدى . وقيل كان ساسان ملكا من ملوك العجم حاربه دارا ملك الفرس ، ونهب كل ما كان له ، واستولى على ملكه ، فصار رجلا فقيرا بصيرا في استعطاء الناس والاحتيال فنسبوا اليه » .

ولقد كان بين بني ساسان هؤلاء من يعتمد الأدب وسيلة لمغنم وطريقا الى جيوب الناس . يخبرنا الثعالبي في يتيمة الدهر بأن أبا دلف الخزرجي كان « يتزود كتبه في أسفاره فتجرى مجرى السفاتج في قضاء أوطاره » بعكس الاحنف العكبرى الذى يضرب في الارض معتمدا لا على شعره بل على ذكائه وفطنته :

قد قسم الله رزقي في البلاد فما
يكاد يدرك الا بالتفاريق

ولست مكتسبا رزقا بفلسفة
ولا بشعر ولكن بالمخاريق
والناس قد علموا اني أخو حيل
فلست أنفق الا في الرساتيق

ويشكو الدهر وقسوته عليه :

العنكبوت بنت بيتا على وهن
تأوي اليه ومالي مثله وطن
والخنفساء لها من جنسها سكن
وليس لي مثلها الف ولا سكن

فهو ابدا غير مستقر كسائر بني ساسان « في كل ارض خيلهم تسرى » :

لنا الدنيا بما فيها
من الاسلام والكفر
فنصطاف على الثلج
ونشتو ببلد التمر

لا تنقصهم الدراية ولا سعة الحيلة .

وينقل الجاحظ وصية خالد بن يزيد الى ابنه التي يقول فيها :

انا لو ذهب مالي لجلست قاصا ، أو طفت في الآفاق – كما كنت – مكديا :

اللحية وافرة بيضاء ، والحلق جهير طلّ ، والسمت حسن ، والقبول علي واقع . ان سالت عيني الدمع اجابت . والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير .وصرت محتالا بالنهار ،واستعملت صناعة الليل او خرجت قاطع طريق أو صرت للقوم عينا ولهم مجهرا . سل عني القيقانية والقطرية وسل عني المتشبهة وذباحي الجزيرة : كيف بطشي ساعة البطش ، وكيف حيلتي ساعة الحيلة ، وكيف انا عند الجولة وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة ، وكيف يقظتي اذا كنت ربيئة ...

وليس لبني ساسان هؤلاء ما يعزيهم سوى تآزرهم وتضامنهم . يقول الاحنف العكبرى ، شاعر المكدين وظريفهم :

على اني بحمد الله
في بيت من المجد
باخواني بني ساسا
ن أهل الجد والجد

وفي قصائد أبي دلف معين لا ينضب من لغة واصطلاحات المكدين او مناجاتهم فهذا يدور وذاك يحرز أو يكوز وهناك آخر يدرع وآخر يرعس وثالث يدمع . وذاك حاجور وذاك ميسراني وذاك مدكك . ومثل هذا عشرات تضاف الى قائمتي الجاحظ والبديع .

الكدية والمكدين ظاهرة أدبية وراءها ظاهرة اجتماعية

وليس ظهور المكدين بالظاهرة الادبية بقدر ما هو بالظاهرة الاجتماعية فهم وان برز بينهم من مارس الشعر والنظم ، فئة كبيرة فقيرة بائسة اضطرتها ظروف العصر الى الاستجداء والتسول ، فان لم تصب مغنما فالى التحايل والابتزاز . ولعل فقر هذه الفئة يبدو جليا حين نقارنه بغنى وثراء الفئة الاخرى ، فئة الكبراء والأمراء ، فقد رأى زائر لقصر المقتدر عنده أحد عشر الف عبد خصي ورأى شجرة من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم عليها طيور مصنوعة من الفضة ، وشاهد ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج المذهبة ... وكان لوزير عز الدولة راتب من الثلج يقدر بالف رطل كل يوم . ويقال ان الوزير المهلبي ابتاع وردا بالف دينار في ثلاثة ايام كان يفرشه في مجالسه ويطرحه في بركة كبيرة كانت في داره لها فوارات تقذف به على رؤوس الجالسين لا عجب والوضع هكذا ان يزداد عدد المحرومين وان يؤلفوا الجيوش ويعرضوا خدماتهم على من يشاء . ولا عجب أن تكثر حوادث اللصوصية ، وأن يزداد عدد اللصوص الذين اشتهر من بينهم ابن حمدى لص بغداد الذى روع المدينة وجعل سكانها يمتنعون عن النوم خوفا منه ومن اصحابه . بل لقد خلت المنازل ببغداد من اهلها ، كما يقول آدام تتر « وصاروا يطلبون من يسكن الدار باجرة يعطاها » . بينما انتشر اهل ساسان وهم يقولون بلسان ابي الفتح الاسكندري.

هذا الزمان مشئوم
كما تراه غشوم
الحمق فيه مليح
والعقل عيب ولوم
والمال طيف ولكن
حول اللئام يحوم

ادب الكدية في العربية اذن كان ظاهرة أدبية تعكس ظواهر اجتماعية . ازداد انتشارا واهمية بازدياد عدد المكدين وبازدياد الفقر والحرمان .

بدأ بطرف وحكايات قصيرة عند الجاحظ في القرن الثالث ، ليصبح موضوع مقامات رئيسية عند بديع الزمان في القرن الرابع ، قرن البذخ

والفاقة ، وليطبع مقامات الحريري بطابعه المميز في القرن الخامس .

المقامات

ولكن كون المقامات قصصا أمر شغل الكتاب والنقاد كثيرا . ولعلهم ينكرون عليها صفة القصة لدراستهم لها بمقاييس القصة الحديثة . فها هو ذا الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المقامة) لا يضعها في مكانها في تطور القصة ، بل يدرسها من حيث « غايتها ... وهي التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير » .

ويضيف قائلا :

« فالمقامة أريد بها التعليم منذ أول الأمر ، ولعله من أجل ذلك سماها بديع الزمان مقامة ، ولم يسمها قصة ولا حكاية ، فهي ليست أكثر من حديث قصير ، وكل ما في الأمر . أن بديع الزمان حاول أن يجعله مشوقا فاجراه في شكل قصصي ».

ليست قصة ولكنها في شكل قصصي . ثم لم يسمها قصة بل اسماها مقامة . السنا نطلب هنا من بديع الزمان أن يستعمل تعبيرا لم يتضح مفهومه ولم يتواضع على استعماله حتى القرن الثامن عشر ان لم نقل التاسع عشر ؟ .

ويضيف الدكتور ضيف بعد ان يعترف بوجود عناصر القصة في المقامة بأن كتابها : « كأنما ألجموا عقولهم واطلقوا ألسنتهم ، فلم يتجهوا بالمقامة الى وصف حوادث النفس وحركاتها ، ولا الى العكوف على الوجدانات والمشاعر والعواطف وتحليلها ، وانما اتجهوا بها الى ناحية لفظية ... وتوسعوا فيما بعد فاجروها لا في تعليم الأساليب الأنيقة فحسب بل أيضا في مختلف الشؤون الثقافية فحملوها نحوا وفقها وطبا » .

القصة ، كما وجبت أن تكون ، لم تتحقق في الغرب ، الا في القرن الثامن عشر

كل هذا صحيح ، ولكن متى بدأ كتاب القصة والرواية « بوصف حوادث النفس وحركاتها أو العكوف على الوجدانات والمشاعر وتحليلها » ؟ .

ان هذا شيء لم يتحقق حتى القرن الثامن عشر في مجال الرواية والقصة في الغرب ، وقبل ذلك كان على القصة أن تتخبط بين روايات طويلة عاطفية ينقلب فيها الأمير راعيا والراعي اميرا ، وقصص ايطالية عنيفة تدور حول الغيرة والحسد والقتل والجريمة ، موغلة في الملودرامية ، بعيدة عن روح الحياة وواقعها . كان عليها قبل كل شيء أن تمر بفترة شبيهة بفترة المقامات في أدبنا . كان عليها أن لا تقتصر على تقاليد الارستقراطية الموروثة عن القرون الوسطى ، ولا على طبقة النبلاء الجديدة ، ان تتعدى حدود كليشيهات الرواية العاطفية الموروثة عن اساطير الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة ، وان تهمل شخصيات بوكاشيو وباندلو الباهتة المسطحة ، وان تضع شخصياتها ضمن اطار من الزمان والمكان يعطيها لونا محليا ونفسا انسانيا .

المقامة العربية استمدت من الشارع والسوق

هذا بالذات ما فعلته المقامة في أدبنا العربي ، استمدت شخصياتها من السوق والشارع وقدمتها ضمن اطار السوق والشارع الزاخرين . وضعت الانسان في بيئته الصغيرة وجعلت الحدث ينبع منها ، وتركته يتفاعل مع الحدث في هذه البيئة . اكدت المقامة على الزمان وعلى المكان ، ونظرت الى الانسان ضمن اطار الزمان والمكان . واذا كانت قد اوغلت في الزخرف والتأنق في الكلام فان هذا التأنق بل التكلف لم يفقد حوار الشخصيات دفاه ولا التصاقه بالحياة . بل ان اعتمادها الجملة القصيرة وان كانت مسجعة ساعد على احتفاظها بنبرة الانسان في حياته اليومية ، وعلى عكسها الصوت الانساني الذي هو اساس القصة ، اي قصة . المقامة اذن وضعت بطلها سواء أكان ابا الفتح الاسكندري أم ابا زيد السروجي في اطار واقعي محدد الزمان والمكان ، اجرت على لسانه حديثا فيه نبرة الواقع وجرسه ، وضعته في مواقف ليست خارج حدود الانسان ، لا تتطلب بطولات مستحيلة ولا أعمالا خارقة . مواقف تنبع من حاجة الانسان الى زاده والى كسب يقيم أوده . وضعته امام الحياة ، تركته يواجهها مؤكدة على ذكائه وحسن حيلته وظرفه .

المقامة العربية في غير حاجة الى حبكة

وحققت المقامة فوق كل هذا انسجاما بين الشكل والمضمون ،

ياخذ النقاد على المقامة عدم احتوائها على عقدة أو حبكة وينكرون عليها صفة القصة على هذا الاساس . ولكن موضوعها لا يتطلب حبكة أو عقدة، فالقصة في المقاومة تسير بشكل أفقي عرضي ، تقدم

البطل في تجواله وترحاله . حياته تشرد ، وهدف تنقله التماس رزقه ، فان تحقق هذا هنا انتقل الى هنالك من مدينة الى اخرى ، ومن جو الى آخر . ان طبيعة المادة ، مادة القصة في المقامات ، تفرض ان لايكون هنالك حبكة، وعدم وجود الحبكة لا يتبعه عدم وجود القصة ، خاصة في أدب الكدية الذي تفرض طبيعته شكلا منسجما معها ، شكلا ، يعكس حياة شخصياتها غير المستقرة . يقول أبو دلف :

فنحن الناس كل النا
س في البر وفي البحر
اخذنا جزية الخلق
من الصين الى مصر
الى طنجه بل في كـ
ـل ارض خيلنا تسري
اذا ضاق بنا قطر
نزل عنه الى قطر

ومقامات الحريري

ومقامات الحريري التي يكاد معظمها يدور حول الشحاذة والتكدي تقرب مما سنسميه برواية الكدية ، لكونها ذات اطار قصصي ، أي ذات بداية ونهاية ، نتعرف في بدايتها مع الحارث بن همام على ابي زيد السروجي ، ومن ثم نتابع مع الراوي مغامرات بطلنا الى أن تنتهي مع افتراقهما ، وأبو زيد قد تاب وزهد في الدنيا الا من زاوية في مسجد يمضي فيها اكثر وقته في قنوط وخشوع وسجود وركوع . والاطار هذا يعطي الكتاب تكاملا ووحدة لا نجدهما عند سلف الحريري .

مقامات الحريري اذن ليست قصصا فقط بل ان نظمها في اطار ، في بداية ونهاية ، يجعلها أقرب الى الرواية . أما أن الحريري لم يسمها قصصا أو لم يؤكد الا على الغاية التثقيفية منها فتلك حيلة قديمة ، لون من « الكاموفلاج » مارسه هو كما مارسه جميع كتاب هذا اللون من القصص في اسبانيا وانكلترا ، مارسوه بطبيعة مادة القصة وشخصياتها .

الحريري يدافع عما اسموه « هذرا »

فرجال الدين والعديد من الفقهاء والادباء لم يكن ليروقهم ان يشغل الكتاب انفسهم وقراءهم بما اعتبروه تفاهات خيالية . ويروى ان ابا طاهر الذي شرح المقامات فيما بعد ، حين ورد البصرة يبحث عن الحريري سأل عنه في المسجد فاشير اليه انه ها هو هنالك ينشر هذره بين الناس .

وكان لا بد للحريري من أن يدافع عن نفسه بأن يدعي أن الغرض ليس عرض شخصياته التي تعيش على النصب والاحتيال، بل النصح والارشاد والتعليم والتثقيف . وأن يؤكد بأنه نظمها « في سلك الافادات ، وسلكها مسلك الموضوعات ، عن العجماوات والجمادات ، ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات ، أو أثم روايتها في وقت من الاوقات . ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات . فاي حرج لمن انشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب، لا الاكاذيب ، وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم ، أو هدى الى صراط مستقيم ».

الا ان ادعاءه النصح والارشاد ليس بالشيء الذي نصدقه ، فغاية كتابه الاولى هي التسلية وسرد القصة المثيرة . وليست تعليقات الحارث بن همام عليها الا من قبيل رفع العتب ومحاولة استنكار ما يجري فيها بعد سردها . وظني أن المقامة لو جردت من زخرفها ومن تعليقاتها الناصحة المرشدة لما لاقت القبول الذي لاقت ، ولا الانتشار الواسع الذي كان نصيبها ، ولاهملت على أنها من هذر الكلام وسخفه .

أول روايات الكدية في الأدب الغربي

ولا بد أن أضيف أنها لو جردت من كل هذا لبلغت مستوى في القصة الواقعية ما بلغته الا رواية لاثايل دي تورميس أولى روايات الكدية في الادب الغربي .

أولى الطبعات المعروفة لهذا الكتاب تعود الى عام ١٥٥٤ ويتفق النقاد على أنها لم تكن الطبعة الاولى وأن الكتاب ظهر قبل سنوات من هذا التاريخ وسواء أكان مؤلف الكتاب

Don Diago Huurtado de Mondoza

أو Lopede de Ruede

أو Sebastian de Horozco

أو Fray Juan de Ortega

فان الرواية لقيت رواجا كبيرا في اسبانيا وخارجها رواجا استدعى اعادة طبعها عدة مرات الى أن امرت محكمة التفتيش في Valdes بوضعها على الفهرس أي بمنعها عام ١٥٥٩ . الا أن ذلك

لم يحد من انتشارها ولم يمنع ظهور طبعات مهذبة لها . وكان منعها بسبب السخرية اللاذعة التي تصف فيها رجال الكنيسة وأعمالهم ، تلك السخرية التي جعلت البعض يعتقد بأن مؤلفها كان احد اتباع ارازموس .

ان لاثاريل دي تورميس هو بطل الرواية المسماة باسمه ، يقص فيها مغامراته في الحياة ، ومعاناته الجوع وبخل الاسياد ، وتنقله المستمر طلبا للرزق . يخبرنا في بداية الكتاب ان اباه مات في الحرب ضد العرب وان امه اضطرت بعد ذلك للعمل في خدمة الطلبة في سالامانكا ، ثم الى العيش مع زنجي انجبت منه ولدا . ويأتي اعمى الى بيتهم ليطلب من أم لاثاريل أن تسمح له بأخذ الصبي معه كيما يقوده حيثما ذهب . وتقبل الأم بذلك بعد أن توصي الأعمى بالصبي خيرا . الا أن الصبي لا يلقى من الاعمى مثل هذا الخير ، بل ان هذا يلقنه الدرس بعد الآخر بأن على صبي الأعمى ان يعرف أكثر من الشيطان نفسه . ويقاسي لاثاريل ما يقاسي من بخل الأعمى وقسوته ويشاهد من حيله وأساليب نصبه ما يشاهد .

يقول لاثاريل كان لدى معلمي الف حيلة لابتزاز المال ، « كان يدعي أن لديه اورادا وأدعية نافعة لمختلف الأغراض ، تجعل العاقر تحمل ، والزواج الفاشل ينجح . وكان يدعي معرفة ما اذا كانت الحامل ستلد صبيا او بنتا » .

وكان يزاول الطب فينصح هذا ، ويعطي حجابا لذاك ، واعشابا لآخر ويتكسب من كل هذا ، بل ان « دخله في شهر واحد كان يزيد على ما يحصل عليه عشرة عميان في سنة كاملة » . وسرعان ما يتعلم الصبي حيل معلمه ليمارسها عليه هو لاضطراره لتأمين طعام يومه ، وليحافظ على حياته . فنراه مرة يسرق النبيذ من جرة اخفاها سيده بواسطة قصبة طويلة ، واخرى يتحايل لسرقة كسرة من الخبز تنقذه من الجوع الذي فرضه عليه معلمه البخيل . وما أن يتقن لاثاريل صنعة الكدية على يدي الأعمى حتى يتركه بحثا عن رزق أوفر عند معلم أكرم .

الا انه يجد الخوري والفارس والراهب الذين يستخدمونه اكثر بخلا وقسوة وتدجيلا من معلمه الأول ، فيتركهم الواحد تلو الآخر ليدخل في خدمة بائع شفاعات بابوية ، يستغل بساطة الناس ويبتز اموالهم في خدمة شماس يطعمه ويلبسه مما يجعله يطمح الى شيء افضل يجده عند صاحب الشرطة مؤقتا ثم يعمل مناديا عاما في الشوارع واخيرا يستقر زوجا لعشيقة رئيس اساقفة سان سالفادور حيث يجد الكثير من الطعام والرفاه وحيث ينتهي تجواله ومعه الاعيبه وحيله .

لقد اختصرت في عرض رواية الكدية هذه ولكنني ارجو أن أكون قد وفقت الى الاشارة الى بعض التشابه بينها وبين قصص الكدية في العربية بعامة ، ومقامات الحريري بخاصة .. ان الأعمى ، وهو شخصية تقليدية ، يجمع بين بخل بعض ابطال الجاحظ من المكدين وبين مكر ودهاء ابو زيد السروجي . ونصيحة هذا لابنه بأن لا صنعة انفع له من الكدية تكاد تجمع نصائح الأعمى لصبيه . وما الأعمى هذا El Ciego سوى ابن مخلص لبني ساسان ، تجمعه بهم حيله وحيلهم وأقواله وأقوالهم ومبادئه ومبادئهم .

والصبي لاثاريل يتنقل كما يتنقل ابو زيد وابو الفتح طلبا لرزقه وسعيا وراء طعامه . وليس في أي من الحوادث في الرواية الاسبانية تعقيد أو حبكة . فموضوعها لا يتطلبها ، وبطلها يسير في الحياة مستعرضا جوانبها ومنتقدا لها عاليها واسفلها ، ومسيرته هي التي تفرض شكل الرواية المفكك كحياته .

رواية لاثاريل التي يدعي مؤلفها في مقدمته انه انما يكتبها ليصلح ويرشد هي رأيي نسخة اوروبية لمقامات الحريري في موضوعها وشكلها ، تفوقها من جوانب كثيرة ، ولكن تلتقي معها في كل النقاط تقريبا . في أن الحوادث تجري على لسان بطلها ، وفي اننا نرى الاشياء من وجهة نظره هو دون حاجة الى حارث بن همام ليعلق عليها ، مما يضفي على الرواية وحدة تفرضها وحدة بطلها . ثم أن كاتب الرواية الاسبانية يسردها بلغة هي أقرب الى لغة الخطاب منها الى زخرف الكلام . بل انه يقول على لسان لاثاريل اني اكتب كما أتحدث .

ان هذا التشابه الكبير بين لاثاريل دي تورمس وأدب الكدية في العربية والمقامات بصورة خاصة يلح على تأثر أدب الكدية الاسباني بأدب الكدية العربي ، وليس في هذا ما يستغرب ، فقد كانت المقامات معروفة في اسبانيا العربية . بل لقد كان بين من شرحها وعلق عليها كتاب من الاندلس ، حيث « كانت تدرس في أماكن الدرس وتلقن في الجامعات » واذا كانت هناك ترجمات حديثة كثيرة للمقامات وخاصة مقامات الحريري الى اللغات الاجنبية الحديثة كالانجليزية والفرنسية والالمانية

فلا بد انه كانت هناك ترجمات لاتينية لها بالاضافة الى محاولات لتقليدها بالعبرية .

وان لم تكن هذه الترجمات قد وجدت فان فارق الخمسين سنة بين خروج العرب من اسبانيا وظهور لاثاريل دى تورمس لا يكفى لاندثار اللغة العربية من الاندلس . ان افتراض اطلاع كاتب لاثاريل على مقامات الحريرى وعلى أدب الكدية العربي أو معرفته بها شيء طبيعي جدا فى مثل هذه الظروف ، ووجود التشابه الشديد فى الشكل والموضوع يؤيد وجود التأثر .

ولقد انتبه بعض النقاد الاسبان الى وجود هذا التأثر الا أنهم لم يعترفوا به ، بل اكتفوا بالاشارة الى التشابه الواقع . و Menendez Y Pelayo فى كتابه أصول الرواية يذكر ان بطل مقامات الحريرى شديد الشبه بابطال روايات الكدية كلاثاريل وغثمان اما ادولفو بونيليا اى سان مارتين Adolfo Bonilla Ymartin فانه حاول ان يعود بتعبير بيكارو ـ الذى يطلق على ابطال روايات الكدية ـ الى أصل عربي واذا كان لم يخلص الى حكم فى هذا الأمر فان معاجم اللغة الاسبانية تجمع على أن القول بأصل لاتيني للكلمة سواء كان من فعل Picare النشل او الالتقاط أو من كلمة بيكاردى غير مقنع تماما .

وعوضا عن البحث فى أسباب التشابه وسبله يلح الكتاب الاسبان والانكليز على الظروف الاجتماعية السائدة فى القرن السادس عشر على انها هي التي خلقت هذا اللون من الأدب وهم محقون فى الحاحهم هذا وان لم يكونوا محقين فى اهمال تأثير الادب العربي . فالقرن السادس عشر كان بالنسبة لاسبانيا عصر تغيرات اجتماعية واقتصادية هامة ، فخروج العرب من اسبانيا ترك الارض دون من يفلحها ، والصناعة دون صناعتها ، كذلك فان الاسباني الذى لم يكن يلتفت الى هاتين المهنتين كانت تشغله الحروب فى العالمين القديم والحديث .

وخلق تفكك النظام الاقطاعي الذى اتى متأخرا فى اسبانيا كما خلقت عودة الغزاة المحملين بأموال العالم الجديد طبقات جديدة موسرة ، رفعت الاسعار وأبرزت فقر من دونها من الطبقات التي لم يجد كثير من افرادها سوى التسول سبيلا للعيش ، فاحاطوا بالاديرة يلتمسون طعامهم ، او التفتوا الى الطبقات الغنية يمارسون حيلهم عليها . وفشلت محاولة بناء المصانع لتشغيل جيوش الفقراء المكدين ـ وهو الحل الذى لجأت اليه انكلترا فى ذلك الوقت ـ بسبب مقاومة رجال الدين الاسبان الذين قالوا بأن تشغيل هؤلاء سينتج عنه اقلال من فرص الاحسان ، ومن ثم من فرص الخلاص . وانتشر الفقراء يتسولون ويكدون ، وانضمت اليهم فرق من الغجر ، حتى انهم الفوا جيوشا كالجيوش التي كانت تحاصر بغداد بلغ عددها عام ١٧٠٠ عشرين الفا فى منطقة مدريد وحدها .

كانت الظروف الاجتماعية اذن عاملا هاما فى ظهور رواية الكدية فى اسبانيا ، كما كانت فى ظهور أدب الكدية في انكلترا في القرن السادس عشر وفي بغداد فى القرنين العاشر والحادى عشر ، الا ان ظهور هذا الادب في اسبانيا ، على الشكل المتطور الذى ظهر فيه ، وهو شكل الرواية ، يفرض القول بأن الكاتب الاسباني انطلق من حيث انتهى العرب ، ومن حيث انتهى الحريرى بالذات .

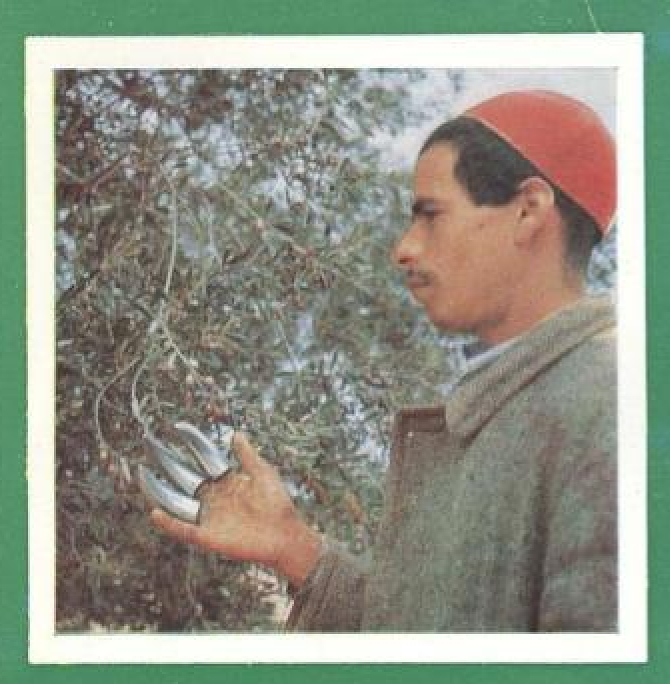
ان اعتراف الاسبان بهذا يعني اعترافهم بأن شرف نقل الأدب القصصي الواقعي من مستوى الحكاية القصيرة أو الطرفة الى مستوى القصة المتكاملة يعود للعرب وليس لهم ، وبالتالي الاعتراف بأن تمهيد الطريق لظهور الرواية الواقعية الاوروبية قام به سواهم .

ذلك أن انتشار لاثاريل دى تورمس فى انحاء اوروبا وفي انكلترا بخاصة كان له نفس الأثر الذى خلفه انتشار المقامات فى اسبانيا . تركت أدب الكدية الانكليزى فى مستوى القصة ذات البطل الواحد ، ولا بد أن اضيف هنا ان ترجمة لاثاريل الى الانكليزية هي التي نقلته الى مستوى الرواية ، وهي التي ادت الى ظهور كتاب « ناش » المسافر التعيس في أواخر القرن السادس عشر . و « المسافر التعيس » هذا مع تأثير روايات كدية جديدة من اسبانيا مهد الطريق امام مؤلف روبنسون كروزو ومول فلاندرز في اوائل القرن الثامن عشر . كذلك كان لتأثير لاثاريل ومن بعده الغثمان Guzman والبوسكون واقاصيص سرفانتس ظهور لوساج وكتابه Gil Blas فى فرنسا .

لاثاريل اذن هي التي مكنت لأدب روائي خصب فى أوروبا وما هذه الرواية التي حققت كل هذا سوى قصة يقوم فيها ابن ابي زيد السروجي بدور أبيه . ■■

دمشق

غسان المالح



« موانع » في اصابع قاطف الزيتون ..
يمررها بين الاغصان فتساقط الزيتون



الزيتون في الوطن العربي :

٣٠ مليون شجرة زيتون في تونس

الى ارض الزيتون طارت بعثة « العربي » لتاكل الزيتون وتشرب زيته ، وتشهد عروس الزيتون ، وتقدم لك هذا الاستطلاع الفريد ..

الى اليمين : غابات الزيتون في تونس ، ملايين الاشجار تصطف بعضها وراء بعض .. وقديما كان الجمل يحرث الارض حولها لازالة الاعشاب التي تمتص الماء .. اما اليوم فقد حل الجرار الالي مكان الجمل



تصوير اوسكار متري

■ حباته في طبق .. خير طعام
وقطراته ملء ملعقة .. نعم الدواء ..
وشجراته مهراً للعروس .. افضل من كل مال .
انها الشجرة المباركة : الزيتون .

وشجر الزيتون شهدناه منتشرا في اغلب اجزاء وطننا العربي .. ينمو فيها بكميات متفاوتة ، ترتفع من تسعة ملايين شجرة في المغرب لتصل الى ٣٠ مليون شجرة في تونس ، هذا البلد الذى يمكن ان يقال عنه : بلد الزيتون .. وهذه الكمية الهائلة من الاشجار تذكرنا بالعراق الذى يحوى ٣٢ مليون نخله .. ويذكرنا بالسودان الذى يضم ملايين اشجار الصمغ العربي الممتاز .. والجزائر التي تضم ملايين اشجار الخفاف (الفلين) .. ثروات زراعية خيالية تزخر بها اجزاء وطننا الكبير .



يحفر المزارع نقرة في الارض عمقها ٨٠ سنتيمتر تقريبا ، ويضع فيها غرسة الزيتون الجديدة ، ليسهل امتداد جذورها الى قاع الارض طلبا للغذاء ، ولحمايتها من الرياح ، ولتجميع مياه الامطار فيها .. وعندما تنمو الفصيلة بعد ٣ سنوات ، يضاف التراب الى النقرة حتى تستوى مع الارض .. وتروى الغرسة الحديثة مرتين في العام في الصيف والشتاء .

ونعود الى الزيتون ثانية لنتجول بين غاباته الكثيفة المنتشرة على سواحل تونس ، وخاصة حول مدينة صفاقس ، انها تحيط بالمدينة من الشمال والجنوب والغرب ، ولايمنعها من الامتداد صوب الشرق سوى البحر ! ولكن حتى هذا البحر لايقف حائلا امام نموها ، فتراها منتشرة في جزره الصغيرة ، مثل جزيرة قرقنة الجميلة ..

بحار من الزيتون !

واحصوا عدد هذه الاشجار في منطقة صفاقس فقط ، فوجدوها ستة ملايين وخمسمائة الف شجرة .. وجاء مدير منظمة التغذية والزراعة العالمية وتجول بين هذه الغابات فوقف مشدوها امام كميتها ونوعيتها ، وطال وقوفه امام اشجار مزرعة الشمال العملاقة ، التي قال عنها : « انها اضخم اشجار زيتون شهدتها خلال تجوالي في مختلف انحاء العالم » .

شجرة الزيتون تتحدث

ولو قدر لشجرة الزيتون ان تتحدث لنطقت عجبا .. فقد عرفها الانسان منذ ان وجِدَ على الارض .. وفي قصة نوح عليه السلام ، انه لم يعلم بانتهاء الطوفان الا عندما جاءته الحمامة بغصن الزيتون .. وفي جزيرة كريت عثروا على بقايا تثبت أن هذه الشجرة زرعت فيها منذ ٣٥٠٠ عام قبل الميلاد ، ومقابر الفراعنة وجدوا فيها بذور الزيتون .. والمسيحيون يزورون ، الى اليوم، شجرة الزيتون، التي استراح عندها السيد المسيح في القدس .

وتحت اغصان اشجار الزيتون في تونس ، مر الفنيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون والبربر والعرب والاسبان والاتراك والايطاليون والفرنسيون .. مروا كلهم من تحت اغصانها ، بعضهم زاد في عددها ، وبعضهم عمد الى حرقها وقطعها مثل : الرومان والكاهنة البربرية وبني هلال .. ونتيجة لهذا التخريب تقلصت مساحة الارض المزروعة زيتونا الى نصف المساحة التى كانت مزروعة في عهد الرومان ، والتي قدروها في ذلك الوقت بنحو مليون ونصف مليون هكتار (والهكتار ١٠ الاف متر مربع من الارض) ، وكان الرومان ينقلون زيت الزيتون داخل السفن الى روما ، في ذلك الوقت .



منعت تونس جمع الزيتون بضرب الشجر بالعصي نظرا لما تلحقه هذه الطريقة من اضرار كبيرة بالشجر .. وتتم عملية الجمع باليد . وكل شجرة لها فريق مكون من عشرة اشخاص ، خمسة رجال، وخمس نساء . الرجال يصعدون على السلم ويشدون فروع الشجرة اليهم ، وباليد الاخرى التي تكون اصابعها مغطاة بصوابع لحمايتها ، يسقطون الثمار على قطعة قماش مفروشة على الارض ، فتجمعها النساء في سلال . أما الاجر الذي يتقاضونه فيتوقف على الكمية التي يجمعونها

٦ شجرات لكل فرد

وهذا التاريخ القديم لشجرة الزيتون في تونس ، جعل هناك ارتباطا قويا بين هذه الشجرة واهل البلاد ، فاصبحت حياتهم تعتمد عليها اعتمادا كليا .. ولو قمنا بتوزيع الثلاثين مليون شجرة على الاربعة ملايين والنصف مليون نسمة ، الذين يمثلون مجموع سكان تونس ، لوجدنا أن نصيب كل فرد منهم يصل الى ست شجيرات في المتوسط . ولو أن بعضهم يمتلك اكثر من عشرين الف شجرة وحده ..

ولكن هل اكتفى اهل تونس بهذا القدر من اشجار الزيتون ؟ لا .. بل نجد المشاريع تخطط من اجل زيادة الكمية بمقدار ثلاثة او اربعة ملايين شجرة سنويا ، لفترة خمسة عشر عاما متوالية .. اى اضافة ٦٠ مليون شجرة زيتون جديدة الى الموجود منها حاليا ، لتستطيع اعاشة عشرة ملايين تونسي ، لا اربعة ملايين فقط ..

ان اشجار الزيتون المزروعة حاليا في تونس توفر عملا لنصف سكان البلاد تقريبا ، فهناك المزارع والقاطف والسمسار والعامل في المعصرة ، وسائق العربة التي تنقل الزيتون ثم التجار والتاجر، والعاملون في الموانىء لتصدير مليون برميل من زيت الزيتون سنويا .. ناهيك عن المحصول



سوق الزيتون : يحمل المزارع محصوله من الزيتون على ظهر العربة ، ويأتي الى السوق ويعرض السمسار نماذج من محصوله داخل سلال صغيرة على اصحاب المعاصر ، الذين يمسكون بحبة الزيتون ويعصرونها بين اصابعهم لمعرفة مقدار جودتها .

في اول ايام جمع محصول الزيتون تخرج الفتيات بزيهن الوطني للمشاركة في فرحة جمع المحصول ... ومهر العروس في بعض مناطق تونس يكون بتقديم مقدار معين من اشجار الزيتون الى اهلها .. والصورة اليسرى توضح طريقة جمع الزيتون باسقاطه من فوق الاغصان على قطعة قماش على الارض حيث يتم جمعه في سلال خاصة . ويبدا جمع المحصول في ١٥ نوفمبر من كل عام ويستمر حتى منتصف مارس ، ويأتي الفلاحون والبدو من كل انحاء تونس ، **الى اسفل اليسار** ، للاشتراك في جمع المحصول من ٣٠ مليون شجرة قبل حلول الشتاء الذي يضر بحبة الزيتون ويتلفها .







الطيب الذي يملأ الجيوب بالنقود ،فيحرك العجلة التجارية في البلاد كلها ، حتى الزواج يتأثر بالمحصول الجيد . فتكثر الزيجات خلال المواسم الطيبة التي يباع فيها انتاج الشجرة الواحدة بمبلغ ٥٠ دينارا تونسيا .. وينخفض هذا الرقم الى ١٥ دينارا عندما يكون المحصول ضعيفا ، وهذا يسبب قلقا بالغا للشعب التونسي ..

كارثه .. على الابواب

وسألنا : « كيف يكون المحصول عادة ، وهل هذه المحاصيل الضعيفة تحدث مرارا ؟ » .

فاجابنا السيد محمد هكشوا مدير محطة التجارب الزراعية في تونس بقوله : « بكل أسف اصبحت المحاصيل اقل مما تعودت عليه تونس .. ونحن حاليا نسعى لتدارك شبه كارثة تدق على ابوابنا ، فمنذ ١٥ عاما بدأ يظهر نقص كبير في كمية انتاج الزيتون في تونس ، وخاصة في منطقة صفاقس ، لقد بدأت الارض تبخل على زارعها ، ولا تعوضه عن المجهود الكبير الذى يبذله في زرعها .. »

ويكمل (محدثنا ، وهو متخصص في زراعة الزيتون بالذات) القصة بقوله :



احد العاملين في محطة التجارب يعلق بعض الاواني التى تحوى محلول فوسفات الامونياك ، على فروع شجرة الزيتون .. وهذا المحلول يجتذب اليه حشرة الدكوس فيقتلها ، قبل ان تصيب حبة الزيتون بضرر .

« وبدأنا في تقصي اسباب هذا التدهور .. وراعنا ان وجدنا اشجارنا كلها قد بلغت سن الشيخوخة . لقد بدأ الصفاقسيون والفرنسيون زراعتها عام ١٩٠٥ اى ان عمرها حاليا زاد على ٦٠ سنة ، وهي السن التي تشيخ فيها شجرةالزيتون، ويكاد ينعدم انتاجها » .

« وفي الحال بدأنا نعمل لاعادة الشباب لهذه الاشجار ... جربنا تسميدها بالسماد الكيماوى ، ولكن هذا لم ينفع كثيرا .. واتجهنا الى علاج جذع الشجرة نفسه ، نجرى عليه التجارب لاعادة الشباب اليه .. وبعد تجارب عديدة توصلنا الى ٤ طرق اعتقدنا أنها انجع الطرق لاصلاح حال اشجارنا . الطريقة الاولى منها تنحصر في قطع جذع الشجرة العجوز فوق سطح الارض مباشرة .. وفي هذه الحالة تعود الشجرة الى اعطاء محصول زيتون جديد بعد ثماني سنوات من القطع ..

والطريقة الثانية : نقوم فيها بقطع الشجرة تحت فروعها الثانية مرة كل ١٥ عاما .. وبهذه الطريقة تاخذ ثمرا جديدا بعد ٤ سنوات فقط من القطع .

اما الطريقة الثالثة : فتقضي بقلع الشجرة العجوز ، وتعويضها بغرس صغير مكانها مباشرة ، لن يعطى ثمارا الا بعد ١٢ عاما من زرعه .

اما الطريقة الرابعة التى اتبعناها : فهى قلع الشجرتين المتجاورتين ، وزرع شجرة جديدة في المكان الموجود بينهما ..

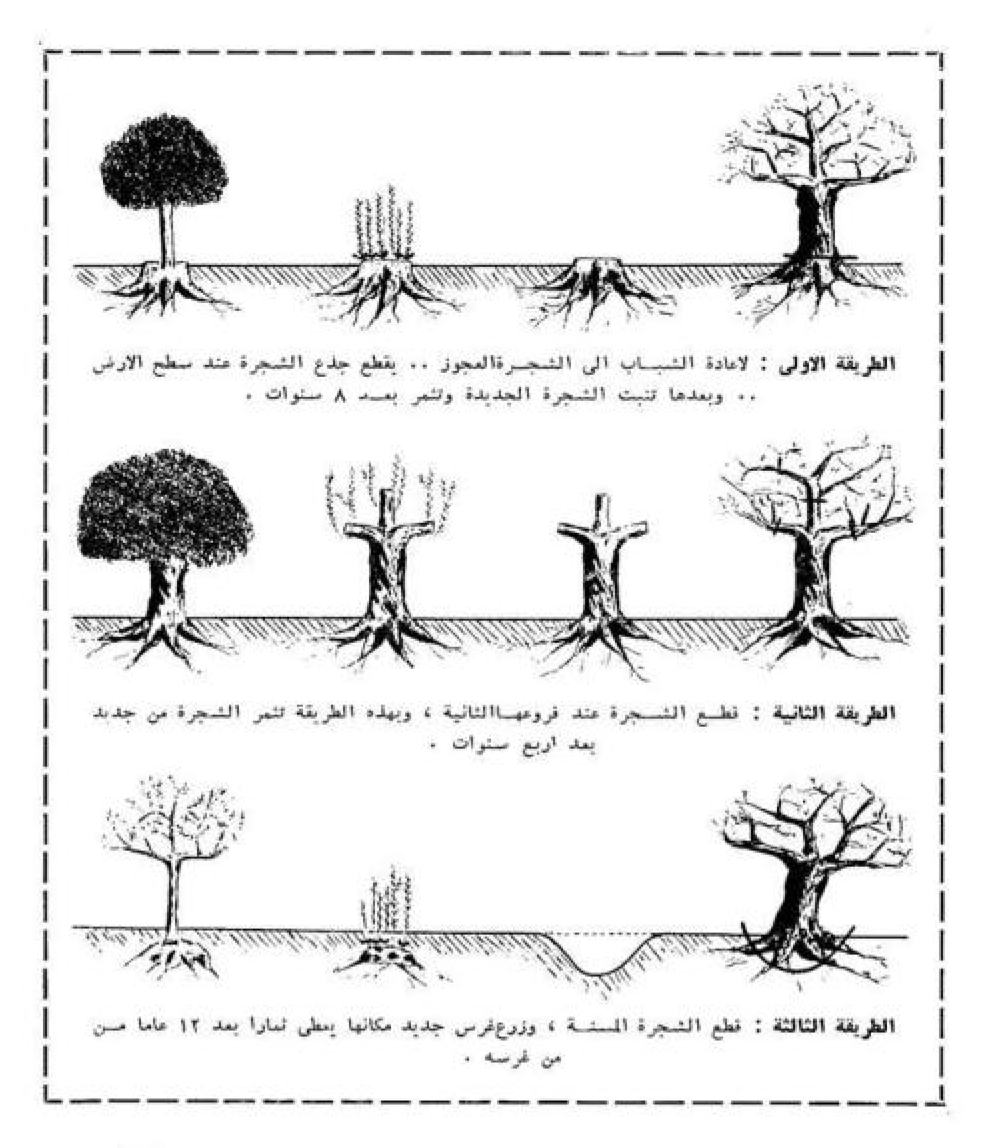
١٠ سنوات من التجارب الصعبة

ويتحسر الخبير المسئول وهو يقول :

« قمنا باجراء هذه التجارب منذ عشر سنوات سجلنا خلالها نتائجها وراقبنا الاشجار شجرة شجرة ... ولكن اتضح لنا مع الاسف ، ان كل هذه الطرق غير صالحة تماما ، وان الحل الصحيح هو تثبيت النبتات الجديدة بجوار الجذعالاصلى، تكبر وتبدأ تاخذ شكل شجرة ننزعها ونزرعها بمفردها .. وهذه تنتج اكثر ، لأن « امها » تعودت على جو المنطقة فاصبح نبتها في حالة تسمح له بتحمل الجفاف » .

ويختتم الاخصائي التونسي حديثه بقوله :

« واثناء تجاربنا خطر لنا انه ربما يكون النوع



الطريقة الاولى : لاعادة الشباب الى الشجرةالعجوز .. يقطع جذع الشجرة عند سطح الارض .. وبعدها تنبت الشجرة الجديدة وتثمر بعد ٨ سنوات .

الطريقة الثانية : تقطع الشجرة عند فروعهاالثانية ، وبهذه الطريقة تثمر الشجرة من جديد بعد اربع سنوات .

الطريقة الثالثة : تقطع الشجرة المسنة ، وتزرع غرس جديد مكانها يعطى ثمارا بعد ١٢ عاما من من غرسه .

الذى نزرعه ـ وكله من نوع « الشملالى » الذى يعطى بين ٢٥ و ٣٠٪ من وزنه زيتا ـ بما يكون هذا النوع غير مناسب لصفاقس » .. واتجهنا الى بلاد العالم نجلب فصائل جديدة ، من فرنسا جلبنا نوع الفردال ومن اليونان « الكورنيكى » ، ومن المغرب « الخبيرى » ومن البرتغال « المادورال » ، ومن الجزائر « الليملى » ، ومن امريكا « البارونى » ، ومن اسبانيا « شان جلو ريال » .

وزرعنا كل هذه الانواع فى محطة التجارب ، ومن السابق لاوانه التكهن بمدى نجاحها فى تربتنا لانها لم تتعد الرابعة من عمرها .

الاشجار العملاقة

ومما يذكر ان شجرة الزيتون عندما تبلغ سن ٧ سنوات تبدأ فى اعطاء الثمار بكمية قليلة تقرب من ثلاثة كيلو جرامات ، وترتفع هذه الكمية الى ٥٠ كيلو جرام عندما تصل سنها الى ٢٥ عاما .. وهى تثمر سنة وتستريح اخرى ، واحيانا تستريح

الى اليمين : اضمحلت المعاصر القديمة التي كانت تستعمل فيها الجمال لادارة الرحى التي تطحن الزيتون وتجعله عجينا ،وحلت محلها المعاصر الحديثة التي تعمل بالكهرباء ..

والى اليمين الرحى تعمل على طحن حب الزيتون، وبعدها يوضع العجين في سلال شبكية توضع فوق بعضها وتنقل الى المكبس ـ الصورة السفلى ـ حيث تتعرض لضغط يوازي ٢٠٠ كيلو جرام على السنتمتر الواحد ، فينساب الزيت على الجوانب ويتجمع في اوان خاصة ..





الى اليسار : من ميناء صفاقس يجرى تصدير ٤٠ الف طن من زيت الزيتون التونسي الى مختلف انحاء العالم .. وخاصة الى فرنسا التي تعتبر المستورد الاول للزيت التونسي .

الى اسفل : زيت الزيتون ينساب مباشرة من المكابس الى الحوض الكبير المعد لتجميع الزيت .. ومما يذكر ان جمع الزيتون المعد لاستخراج الزيت يجب أن يتم عند تمام نضج الثمرة ؛ لان الزيت يكثر في هذه الحالة ويكون جيد اللون ممتازا بحسن طعمه .. واذا ترك الزيتون لمدة طويلة على الشجرة بعد نضجه فان الزيت المستخرج منه يكون رديئا .



سنتين .. وهي من الاشجار البطيئة النمو ، ولكنها تعمر اكثر من الف سنة احيانا .. ولها جلد طويل على تحمل الجفاف لفترة ٦ شهور ، على ان يعقب الجفاف امطار لا يقل مقدارها عن ٨ بوصات سنويا .. ويتراوح ارتفاع شجرة الزيتون بين ١٠ و ٤٠ قدما .

وفي صفاقس راينا مجموعة من الاشجار العملاقة ، عددها ٢٧ الف شجرة ، تنمو في مزرعة الشعال .. انها من اضخم اشجار الزيتون في العالم ارتفاع الواحدة منها ٤٠ قدما ، وتنتج ما بين ٥٠٠ كيلو جرام و ٩٥٠ كيلو جرام في السنة التي تثمر فيها ! وهو اكبر رقم سجلته شجرة حتى الآن ، حسب احصائيات منظمة الزراعة والاغذية الدولية ..

وانتاج تونس من الزيتون ١٢٠ الف طن سنويا ، في المتوسط ، وهذا الرقم ينخفض احيانا ويرتفع احيانا اخرى من ٦٠ الف طن الى ١٨٠ الف طن !! والمسافة المتروكه بين اشجار الزيتون عامل مهم في زيادة انتاجها ، ومقدار المسافات المتروكة بين كل شجرة واخرى متوقف على كمية المياه التي تروي الاشجار ، فاذا كانت المياه شحيحه زيدت المسافة والعكس بالعكس .

وفي صفاقس مثلا تترك مسافة ٢٤ مترا بين كل شجرة واخرى ، لان جذورها تمتد على شكل دائرى قطره ٢٤ مترا وفي القيروان يتركون ٢٠ مترا بين الشجرة والاخرى ، وفي سوسه تقترب المسافة بين الشجرة والاخرى الى ٢٢ مترا .

٤ شهور لجمع محصول الزيتون !

وما يكاد ينتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام حتى تنشط الحركة والحياة في تونس وترتدى الفتيات ازياءهن التقليدية ويتجهن الى غابات الزيتون ايذانا ببدء جنى المحصول من الاشجار ..

ويترقب سكان القرى والبدو حلول هذا الموعد بصبر نافد ، فهو يمثل عندهم بداية هجرة جماعية فوق العربات والخيول والجمال وعلى الاقدام ، في طريقهم لجمع الزيتون من ٢٠ مليون شجرة !

وتستغرق العملية اربعة شهور ، ينقسم خلالها الناس الى فرق عديدة .. كل فريق مكون من عشرة اشخاص ، نصفهم من النساء ..

ويقوم الرجال بوضع « الصوابع » المصنوعة من قرون الخراف ، او الالومنيوم في اصابعهم الثلاثة الوسطى ، ويصعدون السلم المزدوج ، ويمسكون بالاغصان المثقلة بالثمار يمررونها بين اصابعهم فتتساقط حبات الزيتون على قطعة القماش البيضاء ، فتجمعها النساء داخل السلال ، وهن يرددن الاغنية الشعبية التى مطلعها :

زيتون في الاغصان زين الغابة
واحنا فرحنا كيف جتْ الصابة
والصابة معناها المحصول ..

القطوسه .. !

وشاهدنا وسط مجموعات البدو والفلاحين الذين يجمعون الزيتون ، فتاة بملابس المدينة تجمع الزيتون في سلة خاصة .. وتعجبنا وسالنا عنها فقالوا لنا : انها « القطوسة » اى القطة الصغيرة ، كريمة صاحب اشجار الزيتون التى يسمح لها والدها بجمع ما يمكنها جمعه من الزيتون خلال الاسبوع الاول من الجنى ، والكمية التى تجمعها تكون ملكا لها ، تبيعها بمعرفتها وتشترى بثمنها اقمشة تخيطها على الماكينة ، وتضمها الى جهاز عرسها ، الذى تبدأ في اعداده عند بلوغها الرابعة عشرة من عمرها .. »

اما الاجر الذى يتقاضاه العامل والعاملة فيتناسب مع كمية الزيتون التى يجمعها ويضعها داخل « القفيز » ــ وهى سلة كبيرة سعتها ٦٤٠ لترا ــ ويتقاضى فريق العمال المكون من خمسة رجال وخمس نساء دينارا وسبعمائة مليم تونسى عن كل « قفيز » .. ويقوم « الفريق » عادة بجمع قفيزين في اليوم الواحد .

وقديما كانت الارض تزرع « مغارسة » اى الفلاح يزرعها ويعتنى بها نظير اقتسام المحصول مع صاحب الارض .. اما اليوم فقد تحولت نحو ١٥ مليون شجرة زيتون لتصبح ملكا لتعاونيات او تعاضديات ، كما يسمونها هناك ..

طن الزيتون يعطى ٢٥٠ كيلو جرام زيتا

وما يكاد الزيتون يجمع حتى ينقل في الحال



الشجرة الام : هذه الشجرة العملاقة المزروعة فى صفاقس ، هي اضخم شجرة زيتون فى العالم بشهادة مدير منظمة الاغذية والزراعة العالمية .. انها تعطى نحو طن من الزيتون فى كل مرة تثمر فيها .. وهم لايقطعون اغصانها لمقاومة تبخر المياه من التربة .

فوق العربات والسيارات الى «سوق الزيتون» .. وهناك ياخذ الدلال « عينة » منه ، يضعها في سلة صغيرة يدور بها وسط اصحاب المعاصر المتجمعين في السوق .. ويمسك هؤلاء بحبات الزيتون ويضغطون عليها لمعرفة كمية الزيت المتسرب منها ..

ويتهافت اصحاب المعاصر على شراء الزيتون بكميات هائلة تصل الى ٤٠٠ طن يوميا في سوق مثل سوق مدينة صفاقس ، التى تضم ٥٨٠ معصرة ، تعمل ليل نهار في طحن ملايين حبات الزيتون ، تحولها الى عجين الزيتون قبل ادخالها للمكابس الكهربائية وتعريضها لضغط يقرب من ١٥٠ كيلو جرام على السنتمتر الواحد فينساب الزيت من على جوانب المكبس .

ويعمد بعض اصحاب المعاصر الى وضع الزيت المستخرج بعد اول كبسة فى اوان خاصة باعتباره زيتا ممتازا .. وبعدها يزداد ضغط المكبس الى ٢٠٠ كيلو جرام ، ويعتبر الزيت في هذه المرحلة «متوسطا » .. ثم يزداد ضغط المكبس الى ٢٥٠ كيلو جرام فينساب الزيت « الردىء » الذى يستعمل في صناعة الصابون فقط !

هكذا يصنف اصحاب المعاصر القديمة التقليدية الزيوت ، اما اليوم فاصبحت المعاصر الالية الحديثة تكبس عجينة الزيتون تحت ضغط واحد هو ٢٠٠ كيلو جرام على السنتيمتر الواحد .. وتتركه فترة اربع ساعات تحت هذا الضغط، ينساب خلالها الزيت نوعا واحدا .. ويستخرج ٢٥٠ كيلو جرام من الزيت من كل طن زيتون .

انتاج العالم

وتأتي تونس في مقدمة الدول العربية انتاجا لزيت الزيتون ، في حين تحتل اسبانيا المرتبة العالمية الاولى منذ مطلع هذا القرن ، بانتاجها

الزيتون على نوعين .. نوع يستخرج منه الزيت ، ونوع خاص بالاكل،يملح ويحفظ .. والنوع الاخير يقطف وهو اخضر اللون قبل النضوج التام .. وفي مكناس بالمغرب مصنع من اكبر المصانع لحفظ الزيتون وتمليحه .. ونرى هنا ثنتين من العاملات في المصنع يقمن بوضع الزيتون في البراميل الخاصة بعد تنظيفه .



الى اليمين : زيتونة تحت المجهر ؛ بحثا عن الامراض التى قد تصيبها .. واخطر الحشرات على الزيتون ذبابة يعرفها الاهالى باسم القرطوط ؛ واسمها العلمي داكوس Dacus تضع بيضها في حبة الزيتون وتتغذى من لب الحبة .. وكأن الله عزت عليه الحبة الطيبة فسلط عليها حشرة اخرى تدعى اوبوس Opus تأكل الحشرة الاولى ! . وهناك الطيور التى تأكل ثمار الزيتون مثل الشحرور والغراب وعصفور الزيتون والحمار وغيرها . واذا تشتت هذه الطيور هجومها،عمد الاطفال الى الدق على الاواني والصياح فتهرب الطيور

تزداد قيمة الزيتون المخصص للاكل كلما ازداد حجم حبته.، وهذه الالة تقوم بفرز حبات الزيتون حسب احجامه بطريقة آلية .. ومما يذكر أن جني الزيتون المعد للتمليح يجمع بكل عناية حتى لا تصاب الحبة بأي خدش ؛ فيفسدها ويجعلها غير صالحة للتمليح .

الى اسفل : بعد تنظيف الزيتون وتعقيمه، يوضع في براميل كبيرة استعدادا لتصديره.. ومع الزيتون يوضع زيت الزيتون لحفظه .. وخوفا من ان يكون بالبراميل متنفس او تقبب ظاهر فانهم يتركونها لمدة يومين ؛ ويضعون زجاجات الزيت فوقها ؛ فنقص الزيت في الزجاجة يدل على تسربه من البرميل فيعمد الى اصلاحه.

٤٠٠ الف طن سنويا ، اى نحو ٢٨٪ من الانتاج العالمي ، وتعقبها ايطاليا وتنتج ٣٦٥ الف طن ثم اليونان وتنتج ١٤٠ الف طن فتركيا وتنتج ١٢٢ الف طن .. ومن الدول الاخرى المنتجة فرنسا والمغرب والجزائر وسوريا ويوغوسلافيا وقبرص ، وارضنا الطيبة في فلسطين المحتلة والبرتغال .. وكميات صغيرة في الولايات المتحدة والارجنتين . .

من هذا يتضح لنا ان انتاج زيت الزيتون يكاد ينحصر في دول حوض البحر الابيض المتوسط .. اما كمية الانتاج العالمي فهي كالترمومتر ترتفع احيانا الى مليوني طن كما حدث في عام ١٩٦٣ لتنخفض الى ٩٨٧ الف طن عام ١٩٦٤ وتعاود الارتفاع الى مليون وربع مليون طن في العام الماضي ..



في مختبر المصنع الكبير لاستخراج زيت الزيتون في مكناس يجرى فحص عينات من زيت الزيتون المستخرج لمراقبة مدى جودته .. وهو امر يتوقف على عوامل عدة من بينها طبيعة الارض ، والظروف الجوية ، التي تعيش فيها شجرة الزيتون ، وكيفية جني المحصول وحفظه من حين التقاطه الى لحظة عصره ، وكيفية عصره ، والطريقة التي يحفظ بها الزيت بعد العصر . وكلها عوامل تدخل في تقدير قيمة الزيت ودرجة جودته .

الزيت للاكل والشرب

وفي بلاد الزيت يكاد ينعدم استعمال السمن في طهى الطعام ، لانهم يفضلون زيت الزيتون عليه وخاصة الزيت الثقيل ذا الحموضة ، وهو المفضل في تونس .

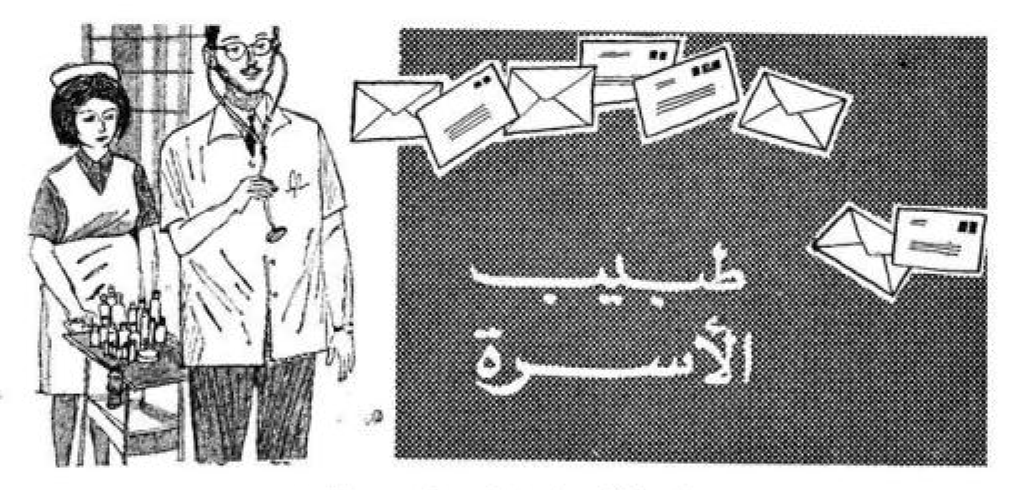
وكما يحبون الزيت في طهى الطعام ، فان الكثيرين منهم ــ وخاصة العاملين في المعاصر ــ يشربونه كدواء يشفي من سوء الهضم وفقدان الحيوية ..

اما الذين يتطلب عملهم القيام بمجهود جسماني كبير مثل الحمال وعامل المناجم فيوصف لهم شرب ٥٦ جراما في اليوم من زيت الزيتون ليحصلوا على ٥٠٠٠ سعر حرارى لازم لحيويتهم كل يوم بحسبانه مادة دهنية ..

بقي ان نقول .. ان تونس الان قد دخلت مرحلة جديدة في زراعة الزيتون .. مرحلة تعتمد على البحوث العلمية والزراعية للمحافظة على هذا المحصول الذى يعتبر ثروة قومية .. ولكن ماذا يحدث في البلاد العربية الاخرى التى اشتهرت هي ايضا بزراعة الزيتون ؟ .. ان الاجابة على هذا السؤال تحز في نفوسنا .. خاصة اننا قد راينا بانفسنا اثناء زياراتنا لاكثر هذه البلاد كيف تترك هذه الثروة القومية للعوامل الطبيعية فتقضى عليها .. فلا عناية بالشجرة ولا تجديد لشبابها ، ولا حرص على جمع المحصول بالطرق السليمه .. بل تضرب الاشجار بالعصى لجمع ثمارها ، وهذه الطرق البدائية في جمع الزيتون تقضى على الشجرة المسكينة نفسها ، وتضر بالمحصول ، وكاننا بذلك نفعل كما فعل الغزاة عبر التاريخ الطويل ، لقد احرقوا شجرةالزيتون تخريبا وانتقاما .. وها نحن ندمر ثروتنا بايدينا جهلا واهمالا ..

دمعة على ثروة قومية يكاد الاهمال يضيعها ، في الوقت الذى تشتد فيه حاجة الشعوب العربية الى كل قطرة من خيرات ارضهم الطيبة . ■■

س . ز .



مرض الكساح : اسبابه وعلاجه

● **شقيقتي لها ابن مصاب بمرض الكساح ، الامر الذى يسبب لها حالة نفسية سيئة .. فما هي أسباب هذا المرض وهل له علاج .. ؟**

ـ مرض الكساح (او لين العظام) ، ينتج من عدم توفر الكلسيوم والفوسفات في الجسم بكمية تكفي لتكوين العظام أو نموها بصورة طبيعية ..

السبب الأساسي هو نقص فيتامين (د) اللازم لاتمام عملية تكلس العظام النامية، وينتج ذلك عن قلة تناول الاطعمة المحتوية عليه ، أو قلة تعرض الجسم لأشعة الشمس التي تساعد الجلد على تكوين فيتامين (د) بالجسم . كما قد ينتج ذلك عن بعض امراض سوء الامتصاص بالجهاز الهضمي أو بعض امراض الكلى . وقد يساعد على حدوثه غلبة النشويات والحلويات بدرجة كبيرة على طعام الطفل في سنته الثانية غالبا ، مما يجعل النمو أسرع من الكالسيوم المتوفر له ، اوبمعنى آخر نقص نسبي في الكلسيوم .

والطفل المصاب بالكساح يكون ضعيفا بصفة عامة ، قلقا عصبيا ، كثير العرق وخاصة اثناء الليل ، فضلا عن ضعف عضلاته . ومن الامراض المعروفة ايضا تاخر التسنين ، وتقوس الارجل (بعد سن المشي طبعا) ، وتراخي اربطة المفاصل مما يسمح للاطراف بدرجة من الحركة اكثر من المعتاد (كما يفعل الرياضيون المتمرنون بالسيرك) . وظهور تورم قليل في العظام بجوار المفاصل وبالاضلاع عند اتصال الجزء العظمى بالجزء الغضروفي . وكثرة تعرض الطفل لالتهاب القصبات والرئة . وغالبا ما يكون مصابا بفقر الدم ايضا وغير ذلك مما يضيق المقام عن تفصيله .

ويصاب الكبار لنفس الأسباب الاساسية ، بالكساح مع اختلاف في الاعراض .

وعلاجه ، كما يتبادر الى الذهن ، يبدأ بالوقاية منه وذلك بالعناية بتغذية الطفل تغذية سليمة وتعريضه لأشعة الشمس واعطائه جرعات اضافية من فيتامين (د) حسب ارشاد الطبيب . اما المصابون بالمرض ، فيعالجون باعطاء جرعات مركزة من فيتامين (د) وشرب كميات مناسبة من الحليب ، ومعالجة امراض الجهاز الهضمي والكلى ، ان وجدت ، وكذلك علاج الامراض المصاحبة مثل فقر الدم والالتهابات الصدرية .



دم الحيوان ... هل يصلح للانسان ؟

● هل يمكن استخدام الحيوان في انقاذ حياة انسان يحتاج الى عملية نقل دم ، واذا لم تصلح دماء بقية الحيوانات فهل يصلح دم القرود ؟

رغم ما يبدو من طرافة السؤال للوهلة الاولى ، فانه لم يكن كذلك من مئات السنين ، قبل ان يصبح نقل الدم شيئا مألوفا كما نراه الآن في كل مستشفى . ولقد ادرك انسان العصور القديمة من ملاحظاته المتعددة ان الدم لا غنى عنه للحياة ، وقد لاحظ ذلك عندما كان الشخص يفقد حياته نتيجة المبارزة مثلا اذا اصيب بطعنة دامية ، او اذا خرج لصيد الحيوان ، واصابه الحيوان اصابة مميتة ، بل انه من الاشياء التي نقلها لنا التاريخ عن الامبراطورية الرومانية ، ان اشرف طريقة كان النبلاء ينهون بها حياتهم هي الانتحار بقطع احد الاوعية الدموية .

وكان السؤال الذى يشغل بال الناس ساعتئذ ، كيف يمكن تعويض ذلك الدم المراق ، وبالتالي كيف يمكن انقاذ الحياة ؟

وكانت التجارب الاولى لعملية نقل الدم ، تركز بالدرجة الاولى على عملية نقل الدم ذاتها ، دون نظر الى الدم فى ذاته ، وما اذا كان موافقا للمريض ام لا ؟ وترينا الرسوم القديمة ، كيف ان عملية نقل الدم كانت تتم بطريقة بدائية عن طريق احداث فتحة مناسبة فى احد الاوردة ، وادخال ما يشبه القناة الرفيعة ، المتصلة مباشرة بما يشبه القمع ، الذى كان يصب فيه الدم صبا ، بعد تجميعه وحفظه فى مثانة الحيوانات .

واما بالنسبة لنوعية الدم الذى استعمل لذلك ، فان دم الحيوان كان على راسها ، وربما لسهولة الحصول عليه ، وربما اعتقادا من العلماء ان تركيب الدم وعناصره واحدة في جميع الاجناس ، وانه لا فرق بين دم الانسان ودم الحيوان .

وكان الحيوان المفضل لذلك هو

الصلع .. هل هو وراثي

● هل ينتج الصلع عن مرض ، ام انه يورث .. وهل يحدث في عمر معين ، وما هو علاج هذا الداء ؟

ـ ان الصلع المبكر عند الرجال من الظواهر المشاهدة عند الكثيرين ، لذلك فلها اهمية كبيرة ، فالبعض يخشى الصلع والبعض الآخر يتلمس العلاج المبكر والبعض الثالث يرضى بما هو فيه .

وفي الحقيقة ان ظاهرة سقوط الشعر او الصلع عند الذكور ، هي ظاهرة فسيولوجية طبيعية وليست مرضية ، ويبدأ حدوثها عند البلوغ ، فتحدث في هذه السن عند البعض في شكل تراجع خط الشعر على جانبي الجبين وتزيد هذه الظاهرة ، وتؤدى في النهاية الى الصلع المبكر عند البعض ، او المتأخر ، او غير الكامل عند البعض الآخر .

وقد وجد ان حوالي ٣٠٪ من الذكور تظهر فيهم مبادىء الصلع ما بين السابعة عشرة والعشرين ، وحوالى ٥٠٪ من

الشاة ، ولا يوجد سبب معروف ايضا لذلك ، على كل حال لقد انتهت هذه التجارب الارتحالية الاولى نهايات مختلفة ، وكانت اغلب هذه التجارب تنتهي اما بتخثر الدم، او تحلله في داخل الاوعية الدموية ، والجزء الاكبر من هذه الحالات انتهت بوفاة المريض لعدم ملائمة الدم الحيواني لدم الانسان ، ولكن من المدهش حقا ، ان يعلم السائل انه في القدر اليسير جدا من هذه التجارب ، لم تحدث اى مضاعفات وبالتالى عاش المريض . وكانت هذه حالات نادرة جدا ، ولا يمكن اعتبارها قاعدة علمية بأى طريقة من الطرق .

ولا يوجد طبيا او علميا ، ما يدعونا الى افتراض ان دم القرود يفضل غيره من دم الحيوان ، ولعل السائل فى ذلك قد استرجع فى ذهنه العلاقة التاريخية المشهورة بين القرد والانسان ، ولكن استطيع ان أؤكد له ان دم القردة ينطبق عليها ، ما ينطبق على دم الحيوانات الاخرى .

وقد مر زمن طويل جدا ، قبل ان تصبح عملية نقل الدم مأمونة تماما ، بفضل اكتشاف فصائل الدم الاساسية عام ١٩٠٢ ، ومعرفة الكثير عن اسرار الدم العلمية .

ام مرض ؟



الرجال تكون فيهم هذه الظاهرة عند سن الخمسين .

ومع انتشار هذه الظاهرة بين الرجال، نجد هناك ان البعض لا يصاب بالصلع ، كما ان بعض الاجناس ، كالاجناس الشرقية لا تتأثر بهذه الظاهرة وهذا راجع الى عوامل الوراثة والجنس .

ولو اردنا ان نخوض في معرفة اسباب الصلع ، فليس هناك تعبير ، اصدق من هذه الجملة « ان هذا يحدث لك كلما تقدمت في السن لانه موجود في العائلة » لذلك فان العامل او السبب الاساسي في الصلع ، هو العامل الوراثي حيث انه يلاحظ في عائلات، ولا يلاحظ في اخرى ، كما انه لا يحدث في بعض المناطق مثل الاجناس الشرقية كما ذكرنا .

والعامل الثانى في حدوث الصلع هو الهرمون الذكرى « الاندروجين » Androgen الا انه يجب ان يكون هناك اساس وراثي او استعداد وراثي لحدوث الصلع . حيث ان الصلع لا يحدث في بعض الذكور ، كما انه لايحدث في النساء ، الا اذا وجد الهرمون الذكرى بنسبة كبيرة ، كما هو الحال في بعض الاورام التى تصيب النساء .

وهناك عوامل ثانوية اخرى ولكنها في الحقيقة غير ثابتة المفعول في حدوث حالات الصلع وهى :

اولا : زيادة الضغط على جلد الرأس وبالتالي نقصان كمية الدم المغذية لفروة الراس وذلك نتيجة لانقباض عضلة ما تحت فروة الراس .

ثانيا : القلق المزمن : وذلك لتأثيره على انقباضات هذه العضلة .

ثالثا : تغيير طبيعة افرازات الغدد الدهنية الموجودة بفروة الراس .

اما عن علاج الصلع ، فانه كلما قل الكلام عن ذلك كلما كان اصدق تعبيرا . فان التدليك والمركبات الموضعية وغيرها ليس من ورائها أمل يذكر .

أنباء الطب والعلم والاختراع

نقل البنكرياس .. فتح أملا جديدا للمصابين بالسكري

مرض السكرى مرض يعجز فيه الجسم عن الانتفاع بكل ما ياكل صاحبه من السكر او السكريات جميعا ، ومن النشا وهو يتحول عند الهضم الى سكر.

واذن يظهر السكر في الدم ويظهر في البول ، ولهذا اضرار بالصحة بالغة .

وعلاج هذا كما هو معروف بالانسولين . والانسولين مادة تصنعها الغدة المعروفة بالبنكرياس Pancreas ذلك لان الانسولين ضرورى لانتفاع الجسم بكل النشا والسكر الذى ياكله الآكل .

ومرض السكر هو في الواقع مرض هذه الغدة ، فهى تعجز عن صنع ما يكفي من الانسولين .

واذن اتجه الراى ، استنقاذا لحياة المرضى الذين عجز حتى الانسولين الذى يعطى حقنا عن شفائهم ، الى احلال غدة بنكرياس من رجل مات توا او امراة محل غدة البنكرياس المريضة في هذا الرجل او المراة المصابة بالسكر .

وقد تم هذا الاحلال قريبا . قام به بنجاح الدكتور للهى Alden Lillhei على راس فرقة من الجراحين بجامعة مينوسوتا بالولايات المتحدة .

اجروا هذا النقل في عمليات اربع ، نجحت منها واحدة ، وهي تكفى للتدليل على دخول هذا النقل الى عالم الطب دخول الحقيقة الواضحة الممكنة .

كانت العملية صعبة . ولكن كان اصعب ما في الاصعب ربط البنكرياس الجديد بالدورة الدموية . فهذه الغدة ترتبط مباشرة بالشريان الكبير الذى يروى المعدة والمعاء .

ويقول الدكتور للهى ان هذه العملية سوف تصبح روتينية في المستشفيات بعد نحو ٥ سنين، على الاقل فيما يتصل بالمرضى الذين بلغ السكرى بهم انهم اصبحوا لا ينتفعون بالذى يحقن فيهم من انسولين .

ان نقل الاعضاء يجرى بطيئا ، ولكنه جريان يبشر بالفوز آخر المطاف . تذكر الكبد مثلا

السرطان .. الكشف

ياتى هذا الخبر من مدرسة الطب بجامعة شيكاجو .

والحديث هنا عن السرطان الذى يصيب عنق الرحم في النساء .

فقد كشفوا هناك عن علاقة تقوم بين الورم الخبيث (السرطان) والورم الحميد الذى يصاب به عنق الرحم ، عندما يتوصل هذا الورم الثانى الى الورم الاول المخوف .

ففى الورم الحميد يظل في الاغشية بروتينات خاصة تسمى Isoantigens يكشف وجودها في المختبر في انابيب الاختبار بتعريضها لفعل اجسام مضادة غريبة Antibodies تدل عليها .

وهذه البروتينات الخاصة توجد في اغشية الجسم العادية والجسم السليم . فاذا بدا يتحول الورم الحميد الى ورم خبيث ، دل هذا الاختبار المذكور على



ليس من احد يستطيع ان يعيش بلا كبد ، ذلك لان هذا العضو المركب يفرز الصفراء للهضم، ويحلل البروتينات لينتج منها بروتينات اصغر ، ويخزن سكر الدم ودهنه ، ويبقي المعدلات الكيمائية في الجسم على اتزانها ، وينقي الدم من شوائبه .

وقد اجريت ٥ عمليات نقلت فيها كبد سليمة مكان كبد سقيمة ، اثنتان منهما تمتا في اوائل هذا العام ، عام ١٩٦٨ ، وظل الى اليوم ثلاثة من هؤلاء المرضى الخمسة على قيد الحياة .

ونذكر الكلى

ونقل الكلى كان اكثر نقل الاعضاء تقدما . والغريب الذي يذكر ان نقل القلب ، من الوجهة الجراحية ، ايسر من نقل الكلية .

ونذكر الطحال

وقد اوشك المجربون على النجاح في نقله ، والهدف من ذلك الاعتقاد بان المرضى الذين لهم دم سريع النزف Hemophiliacs لا شفاء لهم الا باقتلاع طحال لهم مريض واحلال طحال سليم مكانه .

عن خبائثه في انبوبة اختبار ..

قلة وجود هذه المواد البروتينية الخاصة في الاغشية ، حتى اذا استقر السرطان اصبح لا وجود لهذه البروتينات اصلا في الدم .

ان بعض هذا السرطان يستدل عليه اليوم بالنظر الى خلايا ماخوذة من تلك المواضع بالمجهر . ولكن كثيرا ما يتعذر على ناظر المجهر أن يستدل على الدرجة التي بلغها الداء من مظهر هذه الخلايا .

آراء الأطباء في أعقاب نقل القلوب

● لقد أدت التجارب التى اجريت الى اليوم ، في احلال قلب سليم اخذ من قلب شخص عاجلته المنية ، مكان قلب مريض لشخص أشرف على الموت ، ادت هذه التجارب في عمومها الى الأمل في ان تصبح هذه العمليات من عمليات الطب الروتينية في غير البعيد من الزمان .

وقد اجتمع في الماضي القريب جماعة من الجراحين المتصلين بهذه العمليات يتناقشون فيما هو جار منها وما سوف يجرى .

ومن الامور التى خرجوا بها :

تساءلوا ، عندما تكثر الحاجة الىهذه الاحلالات ، من اين يأتون بالكفاية من القلوب السليمة ؟

وقال احدهم ، وهو مشهور باحلال اعضاء اجسام الحيوانات في جسم الانسان ، انه من الممكن احلال قلب حيوان مكان قلب انسان ، وان رفض الجسم للقلب الجديد قد عالجه الطب الحديث بالكيمياء وغير الكيمياء . وان هذا العلاج سيساعد في تثبيت قلب الحيوان في جسم الانسان . على كل حال هذا عنده طريق محتمل ، وعنده انه ليس في العلم ، في اول امره ، الا الاحتمال ، ومن يدرى . .

وتطرقوا الى نفقة هذه العمليات ، من يقوم بها ، والعملية الواحدة تتكلف في اليوم الواحد . . ١٩٠٠ دولار ؟!

ثم القلوب السليمة التى تتيسر ، هل يمكن ان يقام بنك لها مثل بنك الدم وغيره ، حيث تحفظ اعضاء الانسان المتخذة من الأموات ، حية ، الى حين الحاجة اليها ؟

وذكروا في ذلك ان المدة التى تظل فيها القلوب المنزوعة من الموتى قابلة للعمل والحياة مدة أقصاها ٣٠ دقيقة ، ثم هى لا تنفع بعد ذلك .

وناقشوا العمليات التى نجحت ، والعمليات التى اخفقت ، وذكروا بالحمد ان الدكتور فيليب بليبرج ، ذلك الذى اعطى قلبا جديدا سليما في جنوب افريقيا ، في الثاني من شهر يناير الماضي ، ما يزال حيا . ونسبوا ذلك الى شيئين ، اولهما صحة المريض الطيبة وبنيته القوية ، وثانيهما مهارة الطبيب الشهير بطل جنوب افريقيا ، الدكتور برنارد Bernard وقد كانت هذه ثاني عملية قام بها .

الذكاء والقدرة على الابداع

● من المعروف الشائع أن الذكاء اليوم يقاس باختبارات موضوعية ، ينتج عنها ما يسمى بحاصل الذكاء ، وهو عبارة عن الدرجة التى يحصل عليها الشاب في اختبارات الذكاء منسوبة الى الدرجة التى يجب أن يحصل عليها الشاب الذى في مثل سنه . فان نقصت هذه النسبة عن واحد ، كان الشاب ناقص الذكاء .

والمسالة التى يدور عليها اليوم النقاش في عالم التربية وعالم علم النفس ، هى علاقة الذكاء بالقدرة على الابداع .

وقد اخذ علم النفس البحث في القدرة على الابداع في الخمسة عشر عاما الأخيرة ، وانتهوا الى ان الابداع يحتاج الى مقدار من الذكاء محدود ، فاذا زاد الذكاء عنه لم يكن له اثر في القدرة الابداعية عند الشاب او الرجل .

او بعبارة اخرى هم يقولون ان زيادة

هل هما شيء واحد ؟

القدرة على الابداع لا يتطلب زيادة في الذكاء ، فالابداع له عوامل اخرى في النفس ، منها الذكاء ، ولكن ليس هو وحده .

والتجارب التى اجراها علماء النفس والتربية كانت تجارب مستفيضة درسوا فيها أحوال مهندسين، ورياضيين وعلماء وغيرهم صنوفا عديدة ، اختاروهم وفقا لما اعتقد اهل مهنتهم من انهم من المبدعين . وقارنوا بين ابداعهم وما سبق من تقدير ذكائهم ، فكانت النتيجة التى خرجوا بها .

قال احد العواهل الذين قاموا بهذه البحوث : انك اذا نظرت الى الابداعات التى وقعت ، راعك ما كان فيها من قدرة على المثابرة . يضاف اليها التعلق بالحفر عن الجديد الذى لم ينكشف، والشجاعة الفائقة ، وغير ذلك من العوامل ، في حين أن أكثر علماء النفس ما يزالون يعتبرون الذكاء وحده هو سبب الابداع .

وقال عاهل آخر ان الكليات والجامعات تختار الداخلين اليها بناء على اختبارات ذكاء او على ما انجزه الطلاب في مدارسهم الثانوية من امتحانات . وهذا اساس طيب . فالذكاء الذى هو اساس التقدم في المدارس الثانوية هو الذكاء الذى هو أساس التقدم في الكليات والجامعات . ان الكفايات الاكديمية هى التى من اجلها يتخذ الذكاء اساسا . ولكن لا حاصل الذكاء ، ولا نتيجة الاختبارات في مدرسة او جامعة تصلح دليلا على انجازات الطالب التى سوف تكون اذا هو غادر الجامعة . ان المحصول الجامعى ليس الا واحدا من محاصيل مواهب شتى يحتاج الطالب اليها بعد التخرج من جامعة ليبدع في الحياة .

وآخرون يقولون ان المواهب ليس لها بعد واحد . انها كثيرة الأبعاد ، بعضها عقلى ، وبعضها انفعالى وبعضها عاطفي .

وآخرون يضربون مثلا بالابداع الموسيقى ، فيقولون انه كثيرا ما اجتمع مع ذكاء غير وافر .

الانفلونزا .. رش مسالك التنفس بفيروسها الميت أفعل من حقنه فى الجسم !

● هذا ما خرجت به تجربة اجريت على سجن به ۲۰۰۰ من المساجين . فقد كان هذا السجن في فلوريدا بالولايات المتحدة ، جاءته الوافدة بالمرض المعروف بالانفلونزا الآسيوية في يناير الماضي .

واتخذ الاطباء طريقة جديدة لعلاجها . لم يحقنوا المرضى باللقاح ، وانما رشوه في أفواههم ليدخل الى مسالك انفاسهم . وكان من نتيجة ذلك انه ، من ۳۲۰ سجينا اخذوا اللقاح رشا ، لم يصب منهم بالانفلونزا غير ۸ . اى أن الاصابة بعد الوقاية باللقاح بلغت ٢٫٥ في المائة فقط . وهذه الثمانية من الرجال شفى منهم خمسة بعد ثلاثة أيام .

هذا في حين أن نجاح الحقن في توقى هذه الوافدة لم يبلغ من النجاح غير ۲۳ في المائة .

وقد اعتمدت معاهد الصحة في الولايات نتيجة هذه التجربة .

المغناطيسية صارت حقلا مهما من حقول البحوث العلمية

● المغناطيسية ظاهرة من الظواهر الطبيعية القديمة ، ويكفي تدليلا على ذلك أن نذكر الحجر المغناطيسي واستخدامه في توجيه مسالك الناس على سطح الارض وفي البحار منذ ما يزيد على عشرة قرون .

ولكن قيمة المغناطيسية لم تظهر على حقيقتها الا عندما بانت الصلة بينها وبين الكهربائية وذلك في القرن الماضي .

عندئذ اتضح أن المغناطيسية تنشأ من تحريك شحنة كهربائية . وهي كهربائية تتحرك في الأسلاك في تياراتها المعروفة ، او تتحرك الكترونات حول نواة الذرات في دورانها المغزلي الهائل، كما هو الحال في ذرات الحديد ذات المغناطيسيات الدائمة .

والكهرباءوجدوا لها اصلافيالالكترون .

وحاولوا ان يجدوا للمغناطيسيةاصلا، اى وحدة من شحنة مستقلة ، والى اليوم لم يفلح احد في الحصول على شيء من ذلك .

والبحوث اليوم انطلقت انطلاقا بعيدا فيما يتصل بالمغناطيسية الكبيرة القوة.

ان فرنسا بدات قبيل الحرب العالمية الاولى فأنتجت مجالا مغناطيسيا قوته ٧٠ الف جوس Gaus . والجوس هو وحدة القوة المغناطيسية ، اتخذ اسمها من اسم عالم الماني كان له في المغناطيسية وحساباتها شأن . وهذه القوة تعادل آلاف المرات قوة المغناطيس الذي يلعب به الأطفال .

وفي الثلاثينيات من هذا القرن نجح معهد ماساشوست بأمريكا في انشاءمجال مغناطيسي قدرته ١٠٠ ألف جوس،وذلك باستخدام تياركهربائيمقداره مليونوط.

وانتهى الأمر الى الوصول الى مجال متصل دائم قوته ٢٥٠ الف جوس ، واتخذت الولايات لها مختبرا قوميا اسمته المختبر القومي للمغناطيسية .

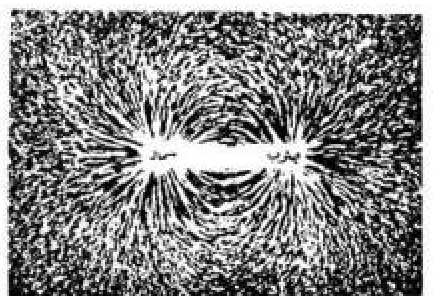
وما حدث هذا حتى حفز كل هذا الدول الأخرى على التخطيط لانشاء مختبرات للمغناطيسية قومية كمختبر الولايات . وخططت لذلك فرنسا ، وبريطانيا ، وروسيا ، والمانيا، واليابان.

وقد بدات تظهر خطورة هذه البحوث المغناطيسية اليوم في كثير من مناطق التكنية ، وفي الطب .

ومن امثلة ذلك أن فحص الجهاز الهضمي فيالانسان يتضمن اعطاء المريض مقدارا من كبريتات البريوم يتطعمها ، وهذه الكبريتات معتمة بالنسبة للاشعة السينية . واذن فالصور المأخوذة للجهاز الهضمي ، وهو شفاف ، وبه هذه الكبريتات وهي معتمة، تبين شكلالجهاز الهضمي وتظهر ما قد يكون به من خلل.

ولكنهم استبدلوا هذه الكبريتاتبمادة الفريت الـ Ferrite ، وهي من حديد . واستخدموا المغناطيسية في تحريكها في الجهاز الهضمي حيثما ارادوه ، فخرجوا بذلك على فحص للجهاز ادق ، لأنها تصور الجهاز الهضمي في أجزاء منه مختلفة . وعلى اوضاع مختلفة .

حتى هيموجلوبين الدم ، وبه الحديد، استخدموا هذه المغناطيسية الجديدة لتحركه فتفصله من الدم . ●●





سبيلك إلى .. محبة الناس

بقلم : الدكتور علي احمد علي

دكتوراه فى التوجيه النفسى والتربوى (جامعة كولمبيا ـ نيويورك)

ـ هل تؤمن بأن الناس هم أهم عنصر من عناصر هذه الحياه ؟

ـ هل تعتقد أن محبة الناس من محبة الله

ـ هل تشعر بالسعادة والرضا عند وجودك مع غيرك من الناس ؟

ـ هل تسعى الى معرفة رأى الناس فيك ويهمك أن تحظى بمحبتهم وتقديرهم ؟

ـ هل ترى انه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط ؟

ـ هل يحزنك أن تعيش وحيدا فى هذه الحياة لان الناس انصرفوا عنك وانهم اصبحوا لا يهتمون بك ؟

■ اذا كانت اجاباتك على الاسئلة السابقة بنعم ، فهذا دليل على اهتمامك بالناس وعلى رغبتك في تقوية الصلة بينك وبينهم ، وهذا أيضا دليل صحة وخطوة فى الاتجاه الصحيح . واغلب الظن ان هذا المقال سيعينك على تدعيم علاقاتك بالناس واكتساب محبتهم ورضاهم .

فالناس يمثلون أهم عنصر في هذه الحياة . وبغير اهتمام منك باقامة علاقات معهم على أساس من الود والتفاهم فانك فى الحقيقة تفقد الشيء الكثير . فالانسان لا يمكن ان يعيش وحيدا ويكون سعيدا في هذه الحياه . وكل مرة تدخل فيها فى علاقة اجتماعية مع الغير وتفشل فى هذه العلاقة ، فعادة ما يكون فشلك لانك اغفلت مراعاة الحاجات الأساسية للناس . فكل فرد فى حاجة للشعور بالامن والطمأنينة ويكره كل ما يهدد امنه أو يقلل من طمأنينته . وكل فرد فى حاجة للنجاح ويؤلمه الفشل . وكل فرد فى حاجة الى الشعور بالانتماء للجماعة التي يعيش فيها ، ويكره ان يكون منبوذا ومنعزلا عن هذه الجماعة . وكل فرد فى حاجة الى التقدير . وقد قال وليم جيمس « ان

اعمق حاجات الطبيعة البشرية هي حاجتها الى التقدير . » .

وفيما يلي عدد من النصائح العملية التي تعينك على تدعيم صلتك بالناس وزيادة محبتهم لك .

١ ـ حاول ان تهتم اهتماما حقيقيا بالآخرين :

فالفرد يعيش في اطار اجتماعي ، ولا يمكنه أن يعيش في عزلة عن غيره من الناس . كما انه يسعى الى الناس للحصول على تأييدهم وتقديرهم وموافقتهم . ورأى الناس في الفرد عادة ما يؤثر تأثيرا كبيرا عليه وعلى مداركه عن نفسه . والواقع انه بدون رغبة مخلصة منك لفهم هؤلاء الناس وفهم حقيقة دوافعهم وحاجاتهم وآمالهم في الحياة ، لا يمكن اقامة علاقات اجتماعية سليمة معهم . والاهتمام العميق المخلص بالناس المحيطين بك يعني : انك يجب ان تنسى نفسك ولو لوقت قليل كل يوم تمنحه لغيرك . فالناس يسعدهم أن يجدوا من الغير اهتماما بما يفعلون وبما يفكرون وبما يشعرون ، وأن يجدوا مساعدة من الغير . فخير الناس أنفعهم للناس .

٢ ـ تجنب خلق شعور النقص في الآخرين :

عند وجودك مع غيرك من الافراد في مجلس من المجالس ، تجنب كل ما يشعرهم بالنقص او قلة القدر . فبعض الناس يحاولون كلما وجدوا انفسهم مع غيرهم أن يجسموا من تحصيلهم ويكثروا من الكلام عن انفسهم ، وهم بذلك يقللون ـ ولو بطريق غير مباشر من قدر غيرهم . وكثيرا ما نفقد الاصدقاء ونفشل في علاقاتنا الاجتماعية لاننا كثيرا ما نعمل على تجسيم اهميتنا . وفي ذلك يقول العالم الفرنسي المشهور باسكال Pascal : اذا طلبت امتداح الناس واطراءهم لك ، فما عليك الا ان تكف عن اطراء نفسك وامتداحها امام الناس .

والواقع أن الشخص يمكنه أن يزيد من محبة الناس له ، اذا اتاح الفرصة للافراد الذين يتقابل معهم في أن يتحدثوا عن انفسهم وعن اهمية الاعمال التي يقومون بها . فمثلا اذا وجد شخص نفسه مع عدد من الافراد في مكان ما في جلسة غير رسمية ، فليس ابغض على نفس هؤلاء الافراد من ان يظل هذا الشخص معظم الوقت يتحدث عن نفسه وجهوده ونشاطه ، في حين انه يستطيع ان يزيد من حب هؤلاء الافراد له اذا اتاح الفرصة لكل فرد أن يشترك في الحديث وأن يتكلم ولو لبعض الوقت عن نفسه . والواقع ان الفرصة دائما سانحة ـ عندما تتقابل مع آخرين ـ في أن تسألهم بعض الأسئلة اللبقة عن انفسهم او عن اعمالهم وعن نشاطهم سواء أكانوا طلابا او موظفين او عمالا او زوجات لا يعملن سوى في المنزل ، فتتيح بذلك الفرصة لهم للتحدث وللشعور بالقيمة وبذلك تكسب ثقتهم ومحبتهم .

٣ ـ كن عادلا في معاملة الناس :

فالناس يحبون الشخص العادل . فالعمال والموظفون يهتمون بعدالة رئيسهم في معاملتهم أكثر من أي شيء آخر . والعدالة تقضي الا تعاقب أحدا على ذنب لم يقترفه ، او تثيب آخر على عمل لم يؤده او جهد لم يبذله . والعدالة تقضي الا تنظر الى أشكال الناس ولا الى اجناسهم ولكن أن تنظر الى اعمالهم . وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى اعمالكم » ، وفي القرآن الكريم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . فاذا طبقت هذه التوجيهات السامية على الحياة العملية ، كان من اللازم أن تقوم علاقاتك بالناس وتقديرك لهم على اساس من جهدهم وعملهم ومدى اسهامهم في رفاهية مواطنيهم وأوطانهم .

٤ ـ قلل من الشكوى ما امكن :

عند لقائك غيرك من الناس قلل من الشكوى بقدر الامكان فبعض الناس يحلو لهم أن يجسموا مشكلاتهم ويكثروا من الشكوى فى حضرة الناس . وعادة ما يضيق الناس ذرعا بهذا النوع كثير الشكوى ، ولا يشعرون بارتياح عند صحبتهم له . وليس معنى هذا أن تكتم مشكلاتك وتحتفظ بها كلها لنفسك ، ولا تشرك فيها احدا ممن تثق فى صداقتهم وصواب رايهم . ولكن كل ما نقصده الا تسرف فى الشكوى وان تجعل شكواك فى أضيق نطاق .

٥ ـ لا تكن مغرورا او متعاليا :

فالناس لا يحبون المغرور والمتكبر . ويحبون فى الرجل التواضع وعدم التعالى . فعادة الشخص المغرور والمتعالي الا يستمع الى نصح الغير ويتمسك برأية عن خطأ او صواب . وغالبا ما ينفر الناس من صحبته ولا يستريحون الى مجلسه . ولقد كان فى نصيحة لقمان عليه السلام لابنه خير توجيه لنا فى هذا المجال : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » .

٦ ـ تدرب على فن التحدث :

فالكلمة الطيبة والحديث العذب غزير المعلومات عادة ما يجذب الناس اليك ويحببهم فيك . وفى هذه الحالة يسعى الناس الى مجلسك ،ويطلبون صحبتك. ومن المهم أن تختار موضوع حديثك بحيث يتناسب مع حاجات الناس ودوافعهم ومستوى المستمعين الاقتصادى والاجتماعي والثقافي. ولعل اختيار موضوع الحديث لا يكفى لكى يكون جذابا ، ولكن توجيه اهتمام خاص لاسلوب العرض والصوت الواضح المعبر والتوقيت المناسب للحديث ، تعتبر كلها امورا هامة يجب أن تراعى بدقة وعناية .

كما يجب ان تدرب نفسك على الانصات الى الغير باهتمام عندما يتطلب الامر سماع ما يقال . ولا شك ان عدم القدرة على الانصات تعتبر من اهم عوامل عدم التفاهم بين الناس ، وعدم الاتفاق المشترك والتلاقى بين وجهات النظر المختلفة .

٧ ـ كن مخلصا فى اظهار تقديرك للغير :

فعادة ما نبخل فى استخدام كلمات الثناء والتقدير مع غيرنا . فالزوجة مثلا تنتظر من زوجها ان يثنى على مهارتها فى اعداد نوع من الطعام تشتهر به ، او الثناء على ذوقها فى اختيار ثوب جديد قامت بشرائه . والموظف ينتظر من الرئيس أن يكشف باستمرار الجوانب الجديرة بالمدح والثناء فيه ، والتعليق المناسب عليها . والرئيس الذى يتبع اسلوب الصمت دون التعليق بشيىء على ما يجرى حوله ، انما يتبع أسلوبا خاطئا فى الاشراف . فبعض الرؤساء يعتقدون انهم طالما لا ينتقدون الاعمال التى يقوم بها مرءوسوهم ، فانهم يجب أن يدركوا أن الرؤساء راضون عنهم . فالرئيس يجب ان يظهر تقديره للعاملين معه بصور مختلفة . وليس معنى ذلك أن يغدق المدح والثناء بغير حساب عليهم ، فهذا ولا شك يفقد المدح والثناء اثره . ولكن على الرئيس أن يبذل جهدا فى سبيل العثور على ما يجيده العاملون من أعمال وأن يمتدحهم على قيامهم بهذه الاعمال . وهذه القاعدة تنطبق على كل من تقابلهم من افراد . فكلمات التقدير والثناء وخاصة اذا صادفت اهلها وحسن توقيتها ، عادة ما يكون لها تأثير كبير على الفرد وتساعد على تدعيم العلاقات بين الناس .

٨ ـ قلل من نقدك للآخرين بقدر الامكان:

فالشخص عندما ينتقد آخر ، فان

الشخص الناقد يشعر ولو بطريق غير مباشر فى انه فى مركز اعلى من الشخص الموجه النقد اليه . والنقد البناء مرغوب فيه، ولكن النقد لا يتقبله الناس عادة بسهولة ، فهو مؤلم للنفس ، لذلك يجب ان يقلل منه بقدر الامكان . ويا حبذا لو وجه هذا النقد بطريق غير مباشر ، وان يقترن النقد الموجه للنواحى السيئة ببيان النواحى الايجابية . فمثلا اذا اردت ان تنتقد مقالا كتبه صديق لك ، فيمكن ان تقول له مثلا : « ان المقال فى الحقيقة يحتوى على بعض النقاط الاساسية القيمة التى يمكن ان يفيد منها اى قارىء ، ولكن يمكن ان تكون قيمة المقال اكبر اذا كتبت او اضفت كذا وكذا . . . ،او عرضت للموضوع بأسلوب معين » فعادة ما يتقبل الصديق هذا النقد بصدر رحب لانك ببيانك النواحى الايجابية للمقال الذى كتبه ؛ فقد قمت اولا بتقليل مقاومته للنقد وجعلته بذلك اكثر استعدادا وتقبلا لسماع ما تريد قوله .

٩ ـ دع الآخرين يصححون اخطاءهم بانفسهم :

يدرك معظم الناس انهم يخطئون ، كما انهم عادة ما يعرفون هذه الاخطاء بعد ارتكابها . ولكن عندما يقوم شخص آخر بتوجيههم الى هذه الاخطاء ، فانهم كثيرا ما يقاومون هذا ، ويحاولون تبرير اخطائهم بكافة الاساليب والوسائل . وعادة لايميل الناس الى الافراد الذين يوجهون النظر الى اخطائهم ، لذلك فان محاولة توجيههم بأسلوب غير مباشر لتصحيح اخطائهم بانفسهم عادة ما يكون خير الاساليب .

١٠ ـ تحكم فى انفعالاتك :

يميل الناس الى صحبة الشخص المتزن انفعاليا ، وعادة ً ما يبتعدون عن الشخص سريع الانفعال الذى يفرح أو يحزن او يغضب بمنتهى السهولة . والتحكم فى الانفعالات لا يعني الغاءها ولكن يجب ان يكون الانفعال متناسباً والموقف،والا يندفع الفرد وراء انفعالاته، فيفقد القدرة على التفكير الهادىء المتزن.

١١ ـ شارك الناس مشاعرهم :

حاول ان تدرب نفسك على مشاركة الناس مشاعرهم ، وان تشعرهم دائما بانك معهم ، فالشخص الذى يريد ان ينجح فى حياته الاجتماعية لابد ان يتجنب كل ما يؤدى الى ايذاء مشاعر الغير بدون وجه حق . كما يجب ان يدرب نفسه على الاحساس بما يحس به الاخرون من فرح او حزن أو ضيق . فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .

١٢ ـ كن متسامحا :

فالتسامح يقتضي أن نتقبل غيرنا حتى لو اختلفوا معنا في اللون والدين والنظرة السياسة والطبقة الاجتماعية . والتسامح لا يعنى قبولنا لافكار هؤلاء الافراد ومعتقداتهم ، ولكن يعنى اننا يجب الا نعادى الناس او نقاطعهم لمجرد انهم يختلفون عنا فى بعض النواحى .

والانسان عادة ما يكون أكثر تسامحا بالنسبة لاخطاء الغير ، اذا ادرك انه هو نفسه ليس معصوما من الخطأ . ويذكر التاريخ انمجموعةمن الكتبة والفريسيين اقتحموا الهيكل على السيد المسيح عليه السلام وهو يلقى احد دروسه لكى يتحدوه . وكانوا يدفعون امراة الى وسط الحلقة وراحوا يتصايحون « ايها المعلم : هذه امراة اخذت وهي تزني،وقد اوصانا موسى أن نرجم الزانية ، فماذا تقول انت ؟ » . وقد جلس عليه السلام وهو يخط باصبعه على الارض حتى فرغوا من جلبتهم وسؤالهم . فوقف

ورد عليهم وهو يقول : « من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم وليرمها بحجر . » وبقيت المراة واقفة وحدها امامه ، فسألها عليه السلام سؤال العارف : « أين المشتكون منك ؟ امااداناك احد ؟» فقالت : « لا احد ايها السيد . » فأرسلها وهو يقول : « ولا انا أدينك . فاذهبي ولا تخطئي . » .

فالانسان بطبيعته خطاء . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابين» . ولا شك ان اعترافنا بنقائصنا وباخطائنا يجعلنا اكثر تسامحامع الناس في اخطائهم . وليس معنى ذلك ان نشجع الناس على الخطأ ، ولكن ما نقصده ان نكون اكثر تقديرا للخطأ اذا وقع بحسن نية أو بغير قصد . فالخطأ سمة انسانية لا يمكن ان ننكرها بحال من الاحوال . وهذا يؤدي الى شيوع روح التسامح والمحبة والمودة والرحمة بين الناس . وهذا يعتبر اساس كل علاقة انسانية سليمة .

١٣ ـ آمن بأن الناس مختلفون :

فلا يوجد شخصان متشابهان في كل شيء ، لذلك يجب أن تتسم معاملاتك مع الناس بالمرونة بحيث تتناسب مع الافراد المختلفين الذين تتعامل معهم . وعلى هذا يجب الا تتوقع استجابات واحدة او سلوكا واحدا من جميع الافراد في الموقف الواحد . ويجب الا يثير قلقك اختلاف الاخرين معك في الميول والاهتمامات والنظرة الى الامور ، وعليك أن تتقبل هذه الحقيقة ببساطة .

١٤ ـ فكر في العطاء اكثر من الاخذ :

فعندما يفكر الفرد في علاقاته بالاخرين على اساس ما يستطيع ان يسهم به في مساعدتهم وفي زيادة رفاهيتهم وتقليل آلامهم ، وليس على اساس مقدار ما يجنيه من وراء هذه العلاقات ، فان مثل هذا الشخص عادة ما يكون اكثر نجاحا في علاقاته بالناس . والشخص الذي لا يفكر الا في مصلحته الخاصة ، وفي الفائدة التي تعود عليه من اية صداقة أو علاقة اجتماعية ، فانه غالبا ما يكون قليل الاصدقاء ، وعادة ما تكون صداقاته من النوع النفعي الذي يستمر باستمرار المنفعة ويزول بزوالها .

١٥ ـ لا تتسرع في الحكم على الاشخاص :

اكثر ما يسيء الى العلاقات التي بين الفرد وبين غيره من الناس ، تسرعه في الحكم عليهم . فقد نفقد صداقة هامة لاننا من أول نظرة حكمنا على الشخص حكما غير صادق ، وحكمنا عليه كذلك بانه غير جدير بصداقتنا . لذلك يجب على الفرد الا يتسرع في الحكم على الاشخاص الذين يقابلهم او يتعامل معهم في حياته اليومية ، الا بعد جمع المعلومات الكافية التي تمكن من الحكم الصحيح عليهم . وليتأكد كل واحد منا بأن كل فرد تقابله ، فيه من المزايا مثل ما فيه من العيوب . وكثيرا ما يسخر انسان من آخر مع أن هذا الآخر قد يكون خيرا منه . وفي ذلك يوجهنا القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . » . فالسخرية في هذه الحالة قد يكون سببها التسرع وعدم الدراسة عند الحكم على من نقابلهم في حياتنا اليومية . ويقول القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . » .

واخيرا يجب أن يكون دليلك في معاملتك للناس : ان تعاملهم بمثل ما تحب أن يعاملوك به . ■■

■■

القاهرة : **علي احمد علي**



دردشة

لماذا لم يتزوج ؟

● سألت الصحفية الشابة احد الادباء ، وكان مشهورا باسلوبه الساخر : « لماذا لم تتزوج ؟ » فاجاب : « لانني احببت المراة ! ولو ان هذا الحب جاء مبكرا لما ترددت لحظة واحدة في انازوجها ، ولكنني اكتشفت حقيقة مشاعري نحوها بعد ان اشرفت علىالسبعين . قبل ذلك ، كنت ارفض ان اصدق ان خاتم الزواج قد صنع من ذهب كنت اراه دائما في اصابع اصدقائي كما لو كان طوقا من حديد حول رقابهموسلاسل من فولاذ تقيدت بها ايديهم واقدامهم ! »

كم يساوى خطاب الملكة !

● جلس الامير جورج (الملك جورجالسادس فيما بعد) وكان طفلا صغيرا لايتجاوز العام التاسع من عمره يكتبرسالة الى امه الملكة مارى يقول فيها :

« لقد رايت بالامس سيارة صغيرةثمنها خمسة جنيهات ، واريد ان اشتريها . ارجوك ان تعطينى هذاالمبلغ » .

ابنك جورج

وقرات الملكة الرسالة ، فجلست تردعليها برسالة اخرى قالت فيها :

ابنى جورج

انت ولد متلاف . فلديك غرفة كاملةمكتملة باللعب . يجب ان تعرف قيمة المال ، فقد تصبح ملكا فى يوم من الايام ، وانا لا اريد أن أراك ملكا مسرفا متلافا .

امك

وبعد أسبوع تلقت الام رسالة اخرى من ابنها الصغير . وفضت الام الرسالة فاذا بها تقول : « ومن الذى قال لك اننى لا اعرف قيمة المال . لقد بعت خطابك لاحدى دور النشر بمبلغ عشرين جنيها ! وهو مبلغ كاف لشراء أربع سيارات لا سيارة واحدة ! »

جورج



الملك جورج السادس

أمي .. سيداتي سادتي !

● ذهبت ام « بول هنرى سباك » رئيس وزراء بلجيكا الاسبق لحضور جلسة مجلس الشيوخ البلجيكي التى كان مقررا أن يتحدث فيها ابنها عن سياسة بلاده الخارجية . ووقف رئيس الحكومة يلقى بيانه على الشيوخ ، وعلى الزوار من الجنسين وقد امتلات بهم شرفة الزائرين . فاذا به يستهل حديثه بقوله : « أمي . سيداتي ، سادتي ! »

وضجت قاعة المجلس بالضحك !

التعود على الفقر !

● ذهب المرحوم الشاعر البائس عبد الحميد الديب الى احد المنجمين ليكشف له عن طالعه ، فقال له المنجم :

ــ ستظل فقيرا سنة كاملة . فسأله الديب بلهفة : وبعد ذلك ؟ فأجابه المنجم : ستكون قد تعودت على الفقر ! .



درس فى الادب !

● هدايا كثيرة كانت ترسل مع الخدم الى الأديب الانكليزي المعروف «سويفت» Swift ، بيد أنه كان لا يعطى الخدم شيئا على سبيل المكافاة. وذات يوم جاءه غلام يحمل سلة فيها بعض الهدايا وطرق الباب بشدة وقال للكاتب الكبير : خذ هذه السلة فقد ارسلها لك سيدى . فاستاء « سويفت » من هذه المعاملة الجافة وقال للغلام : قف أيها الغلام كي اشرح لك كيف تقدم الهدايا واعطيك درسا فى الأدب ! .

هب انك أنت «سويفت» وانا الخادم، ثم وقف امام الغلام ورفع قبعته وانحنى قليلا قائلا : لقد أرسلني سيدى اليك بهذه الهدية المتواضعة ، وهو يرجو تشريفه بقبولها !

وهنا أجاب الغلام ، شكرا يا ولدى ، وبلغ سيدك امتناني وخذ هذا المبلغ الضئيل فهو لك !! .

احب الموسيقى اكثر من الحياة

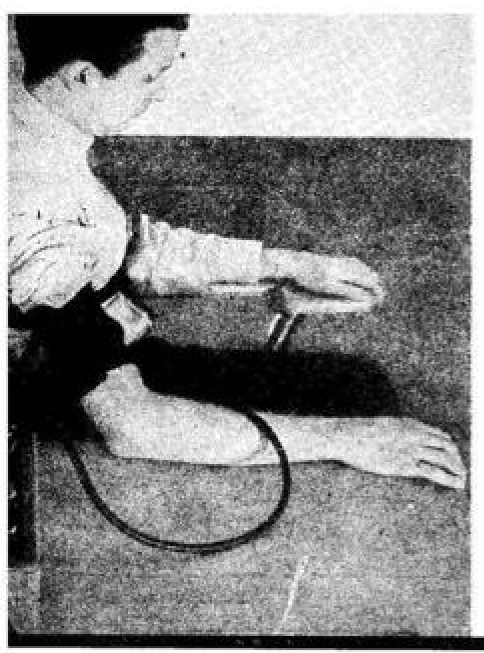
● كتب الموسيقار العالمي متسارت Mozart يقول : « انا مدين لفقرى بنجاحي !! فقد ولدت اجمل موسيقى كتبتها من وحي حياتى التى لفها الحزن والبؤس والشقاء . وكان اول لقاء لي « بالبيان » او تلك الآلة « الساحرة » كما كنت اسميه ، فى بدروم معتم بمدينة سالزبورج بالنمسا ، وفى تلك الليلة جلست اعزف لحن حرماني من متع الطفولة » .

وقال متسارت : « لقد كان حبي للموسيقى اقوى من حبي للحياة ، وما زلت اذكر ذلك اليوم الذى زحفت فيه على الارض لانام بجوار البيان الذى اشتراه لي والدى ، عندما اصبت بالجدرى ، واشرفت على الموت فى صيف عام ١٧٦٥ .

« انني لم ابك عندما مات طفلي الاول بعد حياة قصيرة لم تدم اكثر من بضعة شهور .. ولكنني وضعت فى ذلك اليوم لحنا حزينا ابكي كل الذين جاءوا يعزونني ! .

« وعندما مرضت واصبت بشلل نصفي كتبت اروع موسيقاى « القداس الجنائزى » "Requiem Mass" وعندما سمعتهم يعزفونه ، احسست بان ساعتي قد دنت » .

والمعروف ان هذا الموسيقار العبقرى مات فى عام ١٧٩١ ، عن ٣٥ عاما ، فقيرا معدما ، مثقلا بالديون والاحزان .





كاشفة الكذب



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

■ العلاقة بين الجسد والنفس علاقة معروفةلاحظها الانسان منذ أن لاحظ ذاته وانتبه الى نفسه وعني بامور جسده . والناس جميعا يعرفون هذه العلاقة يتحدثون فيها فيقولون ان فلانا اغتم فمرض وان فلانا الاخر سر فشفي .ولقد أثبت الطب وعلم النفس الحديثان العلاقة الوثيقة بين بعض الامراض الجسدية والاسباب النفسية ، بل اشارا الى الناحية النفسية من كل مرض والى المقابل الجسدي لكل حادث نفسي .

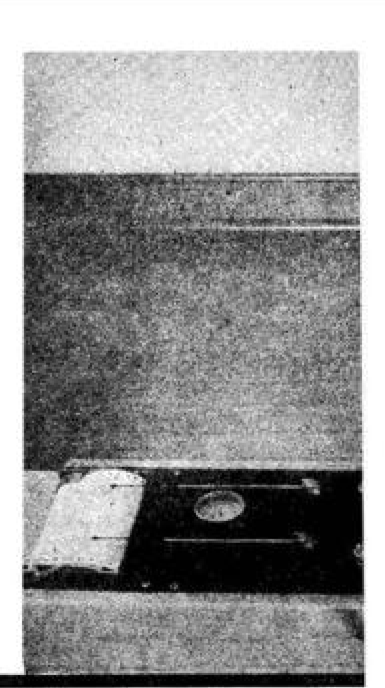
الامير وسارق البعير

واذا كان المجال لايتسع للتفصيل في هذه العلاقة فلا اقل من أن نشير الى ان الاطباء القدامى والحكماء السالفين كانوا يعرفون هذه العلاقة ويتنبهون اليها في معالجتهم للامراض وتصريفهم لامور الناس . ففي حكايات العرب أن اميرا سرق له بعير عزيز عليه ، واتهم به اثنين من افراد القبيلة ، ولكنه عجز عن البت في ايهما السارق فاستدعى حكيم القبيلة وبسط له الامر فقال الحكيم عليّ بهما فلما حضرا بين يديه قال لهما انه سيقدم لهما قمحا جافا على كل منهما ان يمضغه ويزدرده ، وان البريء سوف يبتلعه بسهولة ويسر ، اما المجرم فلن يستطيع ابتلاعه ، وهكذا كان فان واحدا منهما مضغه وابتلعه في حين عجز الاخر عن ذلك فحكم عليه بالسرقة واعترف بها ورد البعير الى الامير ونال عقابه على ما جنت يداه .

وتعليل الامر على ضوء معطيات العلم الحديث امر سهل يسير ، ذلك بان انفعال الخوف يسبب جفاف الحلق وعدم افراز الغدد اللعابية مفرزاتها التى تبلل الطعام وتساعد على مضغه وابتلاعه ، ولما كان احد المتهمين هو الجاني وبالتالي هو الخائف فان غدده اللعابية لم تفرز فعجز عن المضغ والابتلاع .

ابن سينا والشاب العاشق

وفي كتاب (القانون) لابن سينا الطبيب المسلم المشهور حكاية عن حادثة حب (وابن سينا يخصص قسما من كتابه للحب الذى يعتبره مرضا نفسيا مثله كمثل الارق والسوداوية وفقدان الذاكرة وسواها) عالجها ابن سينا حين هرب من السلطان الغزنوي الذى كان يحاول الاحتفاظ به في بلاطه ، ولقد وصل في هروبه الى مدينة على ساحل قزوين ، وهناك كان قريب للامير مريضا بمرض



علاقة ما بين النفس والجسم وراء بناء هذه الآلة

وهي علاقة استخدمها حكيم قديم للتفرقة بين سارق وسارق

وابن سينا استخدمها ليكشف عن معشوقة عاشق .

اعيا الاطباء المحليين ، فاستدعي ابن سينا لفحص المريض ، وبعد أن فعل طلب أن يستعين بواحد من الذين يعرفون الامارة جيدا ويعرف مدنها وقراها ، ولقد طلب الى هذا الشخص ان يسمي هذه المدن بينما كان ابن سينا يضع اصبعه على نبض المريض ، ولما ذكر الرجل اسم مدينة معينة تزايدت ضربات نبض المريض ، فما كان من ابن سينا الا ان طلب شخصا يعرف اقسام هذه المدينة وحاراتها وبيوتها ، ومرة اخرى تزايدت نبضات المريض حين ذكر اسم حارة بعينها وبيت بعينه واشخاص هذا البيت وحينئذ قال ابن سينا : « لقد اتضح الامر . ان هذا الشاب يعشق الفتاة الفلانية التى تسكن البيت الفلاني في الحارة الفلانية من المدينة الفلانية » فما كان من الامير الا ان زوج الشاب من حبيبته وتم شفاؤه .

الانفعالات الجسدية وراء بناء

كاشفة الكذب

ان هذه العلاقة بين عاطفة الحب وتغيرات ضربات القلب ، وتلك العلاقة بين الخوف وجفاف الحلق هي الاساس العلمي الذى يستند اليه العلم الحديث في بناء كاشفة الكذب .

عالمان نفسيان يكشفان كشفا واحدا

وهنا لابد لنا من وقفة قصيرة عند احد علماء النفس العظام الذين عاشوا في مطلع قرننا العشرين هذا والذين درسوا العلاقة بين النفس والجسد عامة والانفعالات والتغيرات الجسدية خاصة واعني به العالم الاميركي الاشهر وليام جيمس William James على ان الانصاف يقتضينا الاشارة الى أن جيمس لم يكن الوحيد الذى طلع علينا بالنظرية التى سنبسطها فيما يلي وانما شاركه فيها عالم فزيولوجي نرويجي اسمه لانجه Lange توصل من جهته لنفس الحقائق التى توصل اليها عالم النفس والفيلسوف جيمس فكان ان عرفت النظرية باسم (نظرية جيمس ـ لانجه) ، وفيما يلي شرح مبسط لهذه النظرية .

نظريه جيمس ولانجه

من المعلوم أن الناس ـ عامة ـ يقولون ان فلانا خاف فهرب فارتجف واصفر وتقطعت أنفاسه الخ .. وأن فلانا الآخر غضب وضرب وشتم واحمر وجهه وتسارعت أنفاسه الخ ..

ومعنى ذلك أن الناس يجعلون من الانفعال (الخوف أو الغضب أو سواهما) سببا ، ومن

الهرب والاصفرار والارتجاف نتائج . وكذلك الضرب والشتم والاحمرار وتسارع الانفاس التى يعتبرونها نتائج للغضب . وقل الشيء نفسه عن الحب والكراهية والخجل وغيرها من الانفعالات ونتائجها الجسدية الملحوظة والمعروفة .

لكن جيمس ولانجه ينتقدان هذا الموقف ويقولان ان هذه التغيرات الجسدية من تغيرات التنفس ودوران الدم وضربات القلب والمشاعر الداخلية المختلفة ليست نتائج للانفعالات ولكنها اجزاء لا تتجزا منها . يقولان ان الامور تجرى على النحو التالى :

ا ـ يرى الانسان الخطر .

ب ـ تحدث عنده تغيرات نفسية وجسدية .

ج ـ يشعر بهذه التغيرات على شكل خوف .

واذن فالتغيرات الجسدية المختلفة هي جزء لا يتجزا من الخوف ولا يمكن ان يكون ثمة خوف ـ او غضب او خجل او حب ـ بدون هذه التغيرات الجسدية التي لا يمكن ان تعتبر بحال من الاحوال نتائج للانفعالات وانما هى اجزاء من الانفعالات ومظاهر لها .

واذا كان المجال ـ مرة أخرى ـ لا يتسع لمناقشة هذه النظرية بالتفصيل فلا بد من الاشارة الى انها نظرية مقبولة بجملتها وان كانت ناقصة ، عمل على اكمالها عالم اميركي معاصر هو كانون Cannon الذى توسع في دراسة الانفعالات ومظاهرها الجسدية الظاهر منها والباطن .

والذى يهمنا هاهنا هو ان نسجل ان الخبرة الانفعالية ـ كما يستشعرها الفرد ـ وبعض انماط الاضطرابات الفيزيولوجية ـ كما تستكشفها بعض الآلات الالكترونية ـ تتمشى جنبا الى جنب دوما ، وانه نتيجة لذلك نستطيع ان نعتبر حدوث الوحدة منهما دليلا على حدوث الأخرى . وهذا هو في الواقع الاساس الذى بنى عليه العلماء مسالة كشف الكذب . وهو أساس صحيح علميا صحة لا يتطرق اليها الشك .

كشف الكذب

قبل أن نصف كاشفة الكذب نحب أن نشير الى أن في هذه التسمية شيئا من خطا ، فما نكشف عنه في الواقعهو وجود نوعمنالاستجابةالانفعالية، ونحن نفسر هذا الوجود بوصفه دليلا على الكذب، وذلك لاننا ننظم الموقف الاستجوابى كله بحيث نستبعد المصادر الأخرى للانفعال بقدر الامكان ، وبهذه الطريقة يكون خوف المسؤول من أن يكتشف مقرونا بارتكاب الكذب مصدرا لاستجابة انفعالية خاصة بالشخص المذنب ومستبعدة في حالة قول الحقيقة . ونتيجة لذلك فان (كشف الانفعال) يصبح (كشفا للكذب) وذلك في ظروف تهيأ بصورة خاصة معينة وان بقيت ـ برغم ذلك ـ القفزة من كشف الانفعال الى كشف الكذب قفزة ما في ذلك ريب .

لنعد الى مثل مضغ القمح الذى اشار به حكيم القبيلة . ان هذا الحكيم افترض ان خوف الجانى سيسبب جفاف حلقهوبالتالى تعذر ابتلاعه للقمح. وهو افتراض صحيح . ولكن الا يمكن ان يخاف البرىء وأن يضطرب ؟ ان مثل هذه الامكانية هى التى تدعونا الى القول بان في الأمر قفزة في المجهول ، وهى أمر تنبه اليه العلماء وعالجوه على قدر المستطاع ـ على نحو سنشير اليه فيما بعد .

ولنلتفت الآن الى آلة كشف الكذب المستعملة في مخابر علم النفس ودوائر الشرطة وسواها . ان الكثيرين يحسبون ان كاشفة الكذب آلة تدق جرسا أو تضيء ضوءا كلما اطلق المسؤول كذبة . ولكن الأمر ليس بهذه البساطة لسوء الحظ ، فكشف الكذب يعتمد على الاستنتاج والاستدلال وعلى استقراء بعض الحقائق والربط فيما بينها . وهذه الآلة ـ أو مجموعة الالات ـ تحصل على معلوماتها المعتمدة من خلال تسجيل تغيرات ضغط الدم وضربات القلب والتنفس التى تحدث اثناء استجواب المتهم . وتتم هذه التسجيلات على الات تقدم لنا سجلات لهذه التغيراتفيالاستجابات الفيزيولوجية المختلفة ، وتكون هذه الآلات مزودة بلفائف منورق تدور وتؤشر عليها مؤشرات متصلة بهذه الآلات التى تكون متصلة بالشخص المستجوب ويكون الاتصال اما بصورة ميكانيكيةاو الكترونية.

ومن امثلة هذه الآلات المستعملة في كشف الكذب مقياسالتنفس Pneumograph ، ومقياس ضغط الدم المعروف ، ومقياس تسجيل ضربات القلب وسواها . وحين نقوم باستجواب متهم ما نحرص على ان نختلى به في غرفة خاصة هادئة ثم نربط مختلف اجزاء الآلة الى جسده ،ثم نتحدث اليه عن طبيعة الاختبار الذى سنجربه عليه . اننا نبدا

بارائه الآلة ، ونخبره بانها قادرة على تحديد ما اذا كان يقول الحقيقة او لا يقولها . ثم نشرح له أن الآلة تسجل بعض التغيرات الجسدية التى تدل على الكذب ، ولكنها في كل الاحوال لا تسبب له اى الم . ولكى نخفف من عصبيته نقول له انه اذا كان يقول الحقيقة فانه لن يزعجه اى مزعج وذلك على اعتبار ان الآلة ستشهد بذلك . كما يُخبَر ايضا بانه لن يسأل عن اى من اموره الخاصة او عن اى امر آخر باستثناء الامر موضوع التهمة ومن بعد ذلك نبدأ بالتجربة .

هذا ويبدأ الفاحص عادة بان يبرهن للمفحوص على دقة الآلة وصحتها ، وذلك بان يعطيه عددا من اوراق اللعب ويطلب اليه ان يختار واحدة منها لنفسه ثم ياخذ الاوراق منه ويعرضها عليه الواحدة تلو الاخرى سائلا اياه عما اذا كانت هي الورقة التى اختارها ويجيب المسؤول بالنفى في كل الاحوال ولكن الفاحص يستطيع من تبين التغيرات الحاصلة في الخط البيانى المسجل على اللفافة أن يعين – اذا كان خبيرا بعمله – الورقة الصحيحة التى اختارها المفحوص وبذلك يؤثر فيه ويقنعه بدقة الآلة وقدرتها على كشف كذبه .

والآن وقد تأثر المفحوص بالآلة وهيأ نفسه للفحص يبدأ الفاحص بطرح عدد من الاسئلة ذات الصلة بالجريمة المقترفة .. وفي هذه الاحوال يلجأ الفاحص عادة الى المزج بين اسئلة ذات صلة بالجريمة واخرى غير ذات صلة اطلاقا . وهكذا فقد يسأل المفحوص عما اذا كان اسمه فلانا الفلانى ؟ وهل هو من بلدة كذا ؟ وهل ولد في بلدة كذا وكلها اسئلة لا علاقة لها بالجريمة بخلاف سؤال من نوع : هل سرقت الخاتم الماسي ؟ أو هل اطلقت النار على الضحية فلان ؟ وهى اسئلة ذات صلة بالجريمة . ومما يدل على الكذب التغيرات في ردود الافعال الفزيولوجية الحاصلة بانتقال السؤال من الاسئلة غير ذات الصلة بالجريمة الى الاسئلة ذات الصلة بها وبالعكس .

ما هى اذن التغيرات الرئيسية التى تدل على الكذب ؟ ان اشد ما يمكن الاعتماد عليه هو حدوث كبت للتنفس ، وفي الوقت ذاته زيادة في ضغط الدم وذلك مباشرة بعد اجابة المفحوص ، ومع ذلك فان حدوث واحدة فقط من هاتين الظاهرتين تكفى لدلالة الفاحص على كذب المفحوص . على أن من الممكن احيانا ان يظهر الكذب على شكل تناقص في ضغط الدم يحدث بعد عدة ثوان من الجواب الكاذب على سؤال ذا صلة بالجريمة . كما ان تزايدا في التنفس يحدث بعد ١٥ – ٢٠ ثانية من الجواب على سؤال ذى صلة بموضوع الجريمة قد يكون دليلا على الكذب. ان هذه الامور جميعها دلائل على الارتياح الذى يستشعره المفحوص بعد اجتيازه السؤال الخطير الذى طرح عليه .

والمقياس الاخير للخداع هو تباطؤ نبضات القلب مباشرة اثر اجابة المفحوص على سؤال معين .

بعض القواعد الهامة

لا بد من اتباع بعض القواعد في تفسير ردود الافعال هذه . ولعل اهم قاعدة هى انه من اجل اعتبار استجابة فيزيولوجية على سؤال ذى علاقة بموضوع الجريمة دليلا على الكذب لا بد من ان تكون هذه الاستجابة الفيزيولوجية مختلفة عنها في حال الاجابة على سؤال غير ذى علاقة بموضوع الجريمة . ان الكثيرين من الاشخاص الذين يكونون ابرياء من الجريمة التى يبحث امرها يكونون ذوى ضمير مثقل – لاسباب اخرى – ولذلك يبدون عصبيين ومتوترين وتتزايد ردود افعالهم الانفعالية مما يجعلهم يعطون خطوطا بيانية مضطربة ، ونحن لا نستطيع ان نحكم عليهم بالكذب الا اذا ظهرت فروق واضحة بين استجاباتهم للاسئلة ذات العلاقة بالجريمة وبين استجاباتهم للاسئلة غير ذات العلاقة.

والقاعدة الثانية هي انه لا يمكن اعتبار استجابة واحدة دليلا قاطعا على الكذب ولا بد من اعادة السؤال نفسه او طرح سؤال مشابه عددا من المرات ، فاذا ظهر نوع من الثبات في شكل ردود الفعل اعتبر هذا دليلا على الكذب . وهذا الاحتياط هام جدا لا بد للفاحص من التنبه اليه والحرص عليه .

هذا وفي بعض الاحيان يلجأ الفاحص الى طريقة في السؤال مختلفة ، وهى طريقة لها الكثير من المميزات وتسمى طريقة (المعرفة الاجرامية) وهى تتوقف في فائدتها على المبدأ القائل بان الشخص المجرم يملك معلومات عن الجريمة لايملكها الشخص البرىء ولذلك فان السؤال عن هذه الامور غير المعروفة للابرياء من المشتبه بهم سيسبب للمجرم استجابات انفعالية لا يسببها لغير المجرم . واذن فان هذه الطريقة تتلخص في السؤال عن بعض

المعلومات غير المعلنة (اى التى لا يعرفها الجمهور) ومراقبة رد الفعل الحاصل عند المتهم .

كاشفة كذب من نوع آخر

وثمة كاشفة للكذب من نوع آخر وان كانت تقوم على نفس المبدأ . انها تعتمد على ما يسمى بالارتكاس السيكوجلفاني Psychogalvanic Reflex (ومعناه الكهربائي النفساني) وهو حادث يكاد يكون غامضا يشتمل على قياس مقاومة الجلد لمرور تيار كهربائي . وفي هذه الآلة تربط الاقطاب الكهربائية Electrodes براحة اليد وقفاها فيمر تيار كهربائي خفيف جدا ، وحينئذ تقاس مقاومة اليد لمرور هذا التيار . ولقد وجد بصورة عامة ان اية صدمة مفاجئة أو انفعال يسبب هبوطا واضحا في مقاومة اليد . ويحدث هذا الهبوط بعد فاصل زمني قدره ثانية أو نحوها من تطبيق المثير ، ويبدو متناسبا مع كمية الازعاج الحاصلة . هذا ولا يوجد تعليل مقبول بصورة عامة لهذه الظاهرة وان كان ثمة سبب للاعتقاد بأن الأمر متصل بفعل الغدد العرقية في اليد ذلك بأن الانفعال يستثير الغدد العرقية فتفرز العرق وبما ان العرق مالح فانه يكون ناقلا جيدا للكهرباء . غير ان معظم العلماء لا يقبلون هذا التعليل على انه كل ما يقال في هذا الصدد . ولكن الأمر ليس مهما بل المهم ان الارتكاس السيكوجلفاني كثيرا ما يكون - في بعض الاحايين - خير مشير الى الكذب وهو يفوق بذلك الارتكاسات الأخرى.

على أن الارتكاس السيكوجلفاني قلما يستعمل في دوائر الشرطة ، ولعل السبب في ذلك هو دقته المتناهية بحيث يختلط الامر على الفاحص .

كم يمكن الاعتماد على كاشفة الكذب ؟

الى اى حد نستطيع الاعتماد على كاشفة الكذب في كشف المجرمين ؟ قبل الجواب على هذا السؤال لا بد من اخذ عدد من العوامل بعين الاعتبار . ان واحدة من اهم المصاعب في هذا الصدد هو ما سبق ان اشرنا اليه من عصبية بعض المفحوصين بالرغم من براءتهم وصدقهم ولا سيما في وجود رجال الشرطة . ان مثل هذه العصبية تتجلى في الخطوط البيانية لهؤلاء الاشخاص دون أن تكون على علاقة بأسئلة معينة ولكنها تكون اقرب الى ظاهرة عامة ، الأمر الذى يجعل الحكم عسيرا . بل ان اضطرابات التغيير قد تتجلى حتى في وقت الراحة . ولعل أحسن طريقة لمواجهة مثل هذه العصبية ونتائجها هى في تطمين المفحوص وفي تكرار الفحص مرات . ان تكرار الفحص خمسا بل وحتى عشر مرات يفعل فعل المهدىء العصبي ، ذلك بأن المفحوص الذى يكون في البداية خائفا من اشياء كثيرة ، قد نعرف بعضها وقد لا نعرف معظمها ، يعتاد الفحص ويتحقق من أنه لا يوجد ما يخيفه . ثم ان تكرار الفحص يمكن الفاحص من البحث عن الثبات في الاستجابات المبالغ فيها بالنسبة للسؤال او الأسئلة ذات العلاقة بالجريمة ، وهذا الثبات اكثر أهمية من الاستجابات الفردية المعزولة .

بيد أن العصبية سهل تشخيصها - حتى من غير الرجوع الى الخطوط البيانية التى تسجلها كاشفة الكذب - ولا تشكل صعوبة يستحيل التغلب عليها . ولكن ثمة عوامل أخرى يصعب التصرف بها ، فالقصور العقلي مثلا يجعل من المفحوص شخصا لا يمكن تطبيق كشف الكذب عليه اطلاقا ، وهكذا فالشخص الغبي جدا الذى يمكن الا يفرق بين الحق والباطل ، أو لا يفهم معنى الالتزامات الاجتماعية وقيمتها في ذكر الحقيقة ، او لا يخاف من الكشف عن كذبه ، انمثل هذا الشخص لايعطي فحصه نتائج يعتمد عليها . وكذلك الحال بالنسبة للاطفال الصغار . على أنه من حسن الحظ أيضا أن القصور العقلي امر سهل التشخيص وذلك بمقاييس الذكاء .

ولكن الصعوبات الكبرى تتجلى في الاشخاص الذين يكونون قادرين على عدم الاستجابة لظروف الفحص ومثل ذلك الشخص الذى لا يعتقد بصلاح كاشفة الكذبلا يقلق من عدم الانتباه الى الفحص، ان مثل هذا الشخص يميل الى اظهار القليل من الانفعال حين يكذب وتكون النتيجة ان خطه البياني لا يظهر شيئا مذكورا . ثم ان بعض الاشخاص قادرون على اخفاء انفعالاتهم بشكل مدهش ،ومثل هؤلاء الاشخاص بالرغم من اجرامهم تظهرهم الآلة ابرياء فيما يخص انفعالاتهم وآثارها في خطوطهم البيانية . وأخيرا فان بعض الاشخاص قادرون على التحكم في تداعياتهم العقلية والنفسية مما يمكنهم من تجنب اظهار اى أثر لانفعالاتهم . على انه من حسن الحظ ان عدد مثل هؤلاء الناس قليل جدا في المعتاد وان كنا لا نستطيع تجاهل وجودهم بين المجرمين ولا سيما عتاة المجرمين .

وثمة أمر يجب التنبه اليه الا وهو ان الذين يعرفون الاساس العلمي للآلة يستطيعون اللجوء

الى حيل تعطل عملها وذلك عن طريق احداث استجابات فيزيولوجية مبالغ فيها بالنسبة للاسئلة غير ذات العلاقة بالجريمة مما يجعل المقارنة بين هذه الاسئلة ذات العلاقة امرا مستحيلا . ومثال ذلك أن متهما ، دفع زوجته الى شلال ماء واغرقها كان اختصاصيا بعلم الفيزيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) وكان يعرف الاساس العلمي لهذه الآلة ظهر بريئا بحسب فحوصها وبعد أن ثبتت عليه الجريمة . ولما سئل عن الكيفية التي استطاع بواسطتها أن يعطل عمل الآلة ، اعترف بانه فعل ذلك عن طريق الضغط على قدمه اليسرى بواسطة كعب قدمه اليمنى حين كان يسأل سؤالا غير ذي علاقة بموضوع الجريمة .

وبعد كل هذه الاحتياطات نتقدم لطرح السؤال عن مدى امكانية الاعتماد على الآلة فنرى أن جواب انبو Inbau وهو من اشهر خبراء هذه الآلة جواب صحيح دقيق وذلك حين يقول :

« ان فحوص الكشف عن الكذب ، حين يقوم بها فاحص ماهر ومجرب ذات فائدة عملية كبيرة. ففي المحل الاول نستطيع بواسطة كاشفة الكذب أن نكشف الخداع بمقدار من الدقة لا نستطيعه بدونها . وفي المحل الثاني فان للآلة وللفحص وللعمليات المرافقة اثرا سيكولوجيا اكيدا في الحصول على الاعتراف ، اعتراف الاشخاص المجرمين ».

ويقدر (انبو) هذا نتيجة لخبرة اثنى عشر عاما قضاها في مخبر شيكاغو . ان الآلة قادرة على كشف المجرم في ٧٠٪ من الحالات على الاقل .ويعتبر العلماء أن هذا التقدير متحفظ جدا اذ يرفعه بعضهم الى ٨٠٪ بل وحتى الى ٩٥٪ وهو رقم مبالغ فيه في اعتقادنا ، والاصوب ان يقال ان كاشفة الكذب قادرة على كشف المجرم في ٧٠ ـ ٨٠٪ من الحالات وهو مقدار قد لا يبدو شديد التأثير في القارىء ولكنه مقدار لا يمكن تجاهل قيمته حتى في المجالات العلمية الدقيقة .

على ان للآلة فائدة المحنا اليها فيما سبق ونرى أن نقف عندها الآن ، الا وهي أن الكثيرين من المشتبه بهم لا يكادون يرون الآلة او يخضعون لفحوصها التمهيدية حتى يبادروا الى الاعتراف بجريمتهم . ويرى بعض المهتمين بموضوع كشف الكذب أن هذه هي فائدتها الجلّى . ونحن مع اعترافنا بقيمة هذه الفائدة لا نستطيع أن نتجاهل قيمتها العلمية في الكشف عن المجرمين ونرى أن توصلها في ٧٠ ـ ٨٠٪ من الحالات الى تشخيص الكذب وكشف المجرم امر جدير بالاهتمام والافادة. اضف الى ذلك ان تفاصيل الفحص كثيرا ما تكون مفيدة للمحقق ومنيرة لطريقه في تحقيقه وايصاله الى الحقيقة التي سعى وراءها .

الافادة من كاشفة الكذب

القول بموجب الافادة من هذه الآلة في دوائر الشرطة وبالنسبة للمحققين امر لا نستطيع ان نتوقف فيه عند مجرد النصيحة بل لا بد من أن نستعرض فيه ما يجري في البلاد المختلفة . ان كاشفة الكذب هذه تستعمل ، اكثر ما تستعمل ، في دوائر الشرطة الامريكية ، وما زال الكثير من دوائر الشرطة الاوروبية تتردد في استعمالها والافادة منها . وحتى في الولايات المتحدة الاميركية فان معظم المحاكم لا تعتبر شهادة هذه الآلة وفحوصها ادلة على حدوث الجرم . ومن هنا كانت اهمية هذه الآلة ـ حتى الآن ـ قاصرة على اعتبارها اداة من ادوات التحقيق ووسيلة من وسائل الوصول الى الحقيقة .

ونحن نوافق (انبو) حين ينصح بوجوب الافادة من كاشفة الكذب على قدر الامكان مع العمل المستمر على تحسينها والحذر من الاكتفاء بفحوصها ادلة على الاجرام لا سيما اذا كان الامر امر حياة وموت .

ولا بد لنا من الاشارة ها هنا الى امر على جانب كبير من الخطورة وهو مسألة الشخص الذي يقوم باستعمال هذه الآلة وتطبيق فحوصها على المتهمين وقراءة نتائجها وتفسير هذه النتائج . والواقع ان الكثيرين يدعون الخبرة بهذه الآلة وهم ابعد ما يكونون عن ذلك ومن هنا كانت ضرورة ايكال امر هذه الآلات الى اشخاص يعدون لهذه الغاية الاعداد العلمي الصحيح ويدربون عليها التدريب الكافي وبعد هذا كله ينظر الى فحوصهم على انها ادلة مساعدة وليست قاطعة مانعة .

والخلاصة :

فان كاشفة الكذب هذه تقوم على اسس علمية صحيحة في عملها ، وهي آلة مفيدة في التحقيق ويصدر قسم كبير من فائدتها عن اعتراف المتهم بمجرد أن يواجهها ولكنها لا تملك الكلمة الفصل في موضوع الاجرام . ■■

فاخر عاقل



البُلبُلُ الغِرِيدُ

■ سرى نسيمُ الصبا من فرطِ صبوته ... مضمخاً بشذى النسـرين فواحا
والفجرُ وافى ذيولَ الليل اذ شربت ... من مرشف الورد أقداحا وأقداحا
هذا الربيع تجلى في مواكبه ... زهو الحياة الذى ما زال وضاحا
سرت بواكيره في كل ناحية ... تزفّ بشرى إلى الدنيا وأفراحا
وشعشع النّور أفوافَ الرياض وقد ... جرى عليها لجُينُ الماء ضحضاحا
تنفس النرجسُ الفينانَ منتشياً ... فأسكر العطرُ أنساماً وأرياحا
والطلُّ مزّق أكمام الزهور وقد ... أبدت شنيباً كثغر الرّود ملتاحا
فمال نوّارُها المخضل مختلساً ... من عارض الجُلّنار الغضّ تفاحا
ورتّل البلبل الغريد أغنيةً ... وأرسل الصوت منغوماً وصداحا
ما زال من فننٍ يخطو إلى فنن ، ... مهفهفَ القدّ والأعطاف ممراحا
مستوفزا يبتغى خلاً به صلفٌ ... أشاح عنه بعيداً حينما راحا
يزُجى من الغُصن لحناً تائهاً غزلاً ... يكاد يفرى نياط القلب اذ صاحا
والجوْجوُ المدنفُ المصدور مزهره ... أجن لحناً يتيمَ الجرْس مفصاحا
ياشاعرَ الأيكِ جُنَّ الأيكُ من طرب ... لما أفاقَ والفى الفجرَ قد لاحا
أهدت اليك الاقاحى نشرها عبقاً ... وأظهرت في التماس الوصلِ الحاحا
شنفْتَ أسماعها بالسحر منسكباً ... فاهتزّ عسلوجها الأملود وارتاحا
قد بُحّ صوتك مما بثّ من شجن ... والقلب منك بسرّ الوجد قد باحا
صبابةً قرحت جفنيك من وله ... وأرثت في سويدا القلب أتراحا
تفضت كفيك غبّ النأى من أمل ... قد كان بالأمس غداءً ورواحا
فأنت أعجوبة الخلاق ماثلة ... تفيضُ بالسحر إمساءً وإصباحا

■■

الحسكة ـ بندر عبد الحميد



بقلم : سامي الكيالي

■ الحقد السياسي لون من الضغائن الرعناء تتميز به بعض النفوس الضعيفة فلا تكاد تحكم وتسيطر حتى تهيج اهواؤها ، وتنشب اظفارها ، وتتحرك غرائزها فتفتك بخصومها وتنتقم منهم دون أن تتقيد بقانون . او يردعها ضمير او يقف تيارها العاصف وجدان !

والحقد ، الى هذا ، عامل نفساني يفصح عن اهواء البشر وضلالاتهم المزمنة ، وفي تاريخ الثورات والانقلابات مئات الامثلة على ما تقترفه بعض النفوس من آثام الانتقام التي كثيرا ما تهدر على مذابحها الدماء انهارا ..

ولن اسوق في بحثي هذا الامثال على أدوار الحقد السياسي في التاريخ ، فهذا موضوع يطول ، والمصادر عنه أكثر من أن تعد ، ولكنني اردت من هذا الالماع ان أرسم سطورا من سيرة رجل لم يكد يصل الى القمة حتى عصفت به المقادير فانحدر الى الهوات السحيقة ـ سيرة وزير من أبرز وزراء الدولة الايوبية ، ارتفع شأنه في مصر حتى أصبحت أمور الدولة بين يديه ** ولكن ما كاد الملك العادل يتولى السلطة بعد صلاح الدين حتى اخذ خصمه السياسي يحيك له المؤامرات ويدس الدسائس ، وما زال يكيد له حتى نزل من سماوات المجد والسيطرة الى دركات البؤس والشقاء .. واذ انتهى الى هذا المصير المحزن ورأى أن حياته اغلى من بريق

الوزارة هجر مصر ــ وطنه الغالي ــ الى حلب ، فاحتضنته وكرمته واغرقت عليه المال والعطايا ، فاتخذها مقرا ، وما زال حتى طوته أرضها غريبا عن أهله ووطنه ..

الوزير المضطهد وقصته ؟

هو أسعد بن المهذب المماتي من أهالي أسيوط ، نشأ في بيت من بيوت المجد والوزارة . كان أبوه المهذب ــ المعروف بالخطير ــ مرتبا على ديوان الاقطاعات ، وهو على دين النصرانية ، واتصل جده المليح بأمير الجيوش بدر الجمالي ــ وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله ــ أى أن الطفل أسعد ، نشأ في بيت ارتبط مصير آله بخدمة الدولة ، ولم تمنعهم « نصرانيتهم » أن يسهموا في خدمة الدولة التى كانت تنظر الى مواطنيها المختلفي الملل والنحل نظرة الاب الى أبنائه المختلفي المنازع والاهواء ..

اشتراك النصارى في خدمة الدولة

واشتراك النصارى في خدمة الدولة وتصريف أمورها من المبادىء السامية التى أقرتها سياسة الخلفاء في صدر الاسلام . وقد عنى المهذب بتثقيف ابنه أسعد العناية الفائقة ، فنشأ وقد ألم بثقافة ذلك العصر ، فكان أديبا وشاعرا وذا مواهب سامية في علم المال ، وهذه هي الصفات التى يجب أن يتسلح بها الفرد آنذاك ليكون مرموق النظر ويحظى بمنصب خطير في سياسة الدولة ، وما هي الا سنوات حتى شب ولمع اسمه.

ميلاد دولة جديدة

كان القرن السابع الهجرى يتسم بالطابع الديني ، وكانت مصر تشهد ميلاد دولة جديدة ، فقد انتقل الحكم من الفاطميين الى الايوبيين . وقد أدرك أبوه المهذب عهد الدولتين ، واذ بدأ حياته السياسية بخدمة الفاطميين تخوف من دسائس خصومه في العهد الجديد . فلم يكد يدخل أسد الدين شيركوه ــ عم صلاح الدين ــ أرض مصر حتى أدركه الفزع ، ولا سيما وقد كان شيركوه من المتشددين في العصبية فخشى المهذب على ماله وعلى روحه من دعاة السوء ــ وما أكثرهم ــ الذين لا يتورعون في مثل هذه الفترات أن يلصقوا التهم جزافا ، وأن يتخذوا من « نصرانيته » وسيلة للايقاع به ، وقد يكون هذا وهما ، ولكن ما أكثر ما يسيطر الوهم على الانسان في الساعات الحرجة من فترات الثورات والانقلابات .

ولقد قرر أن يسلم هو وأولاده ، وأن يضحي بعقيدته على مذبح السياسة الرعناء لكيلا يفسح المجال لخصومه أن يلعبوا لعبتهم الخطرة .

يقول ياقوت ــ وهو يشير الى هذه القصة ــ ان المهذب جمع أولاده ودخل على السلطان وأسلموا على يده . فقبلهم وأحسن اليهم ، وزاد في ولايتهم. وجبّ الاسلامُ ما قبله .

نشأة اسلامية

وهكذا آثر المهذب أن يسلم هو وأولاده خوفا من وشايات أعدائه فيذهب دمه هدرا ، والعصر يتسم بالطابع الديني ، فقد نشأ الشاب نشأة اسلامية ، واندمج في خدمة الايوبيين ، كما اندمج أبوه وجده في خدمة الفاطميين. ولم يطل به الزمن حتى بلغ أعلى مرتبة في الدولة فاخذ يسير الأمور بنزعة خيرة ، وفكر ملتمع ، وقلب يفيض بالمحبة ، وكانت المبادىء الاسلامية هي التى توجهه في أعماله دون تفريق بين دين ودين ، أو بين مذهب ومذهب .

عائلة اشتهرت بالبر والثراء

كما كانت أعمال الخير والاحسان ، والبر بالفقراء بعض سجاياه ، فقد ورث هذه الخلال عن أبيه وعن جده الذى اشتهر بجوده على الفقراء ، ولا سيما في أيام الشدائد . فحين دهمت المجاعة مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي « ٤٢٠ ــ ٤٨٧ هـ » وفتكت بطبقات الشعب مدة سبع سنوات فتكا ذريعا حتى بيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا كما روى المؤرخون ــ فتح أبو المليح ، جد الوزير أسعد ، خزائنه التى كانت تفيض بالقمح وأخذ يوزعه على الفقراء ، وكان يتصدق على صغار المسلمين ، فكان لهذا الاحسان أثره في نفوس مختلف الطبقات، والطبقات المعوزة بصورة خاصة.

يشوى سمكة بألف دينار !

ومن القصص الطريفة التى تروى عن ذكاء جده القصة التى رواها القفطي قال :

« بلغني أن بعض تجار الهند قدم الى مصر ومعه سمكة مصنوعة من عنبر ، قد طيبت ورصعت بالجوهر ، فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منه ،

فساموها من صاحبها فقال : لا انقصها عن الف دينار شيئا ، فاعيدت اليه فخرج بها من دار بدر . فقال له أبو المليح : ارني هذه السمكة. فاراه اياها . فقال له : كم وسمت فيها ؟ فقال : لا انقصها عن الف دينار درهما واحدا . فاخذ بيده وقبضه الف دينار من ماله ، وتركها عنده مدة . واتفق أن شرب أبو المليح يوما وسكر وقال لندمائه : قد اشتهيت سمكا ، هاتو المقلي والنار حتى نقليه بحضرتنا .. فجاؤه ، بمقلى جديد وفحم ، وتركوه فى النار . وجاء بسمكة العنبر فتركها فى المقلى ، فجعلت تقلى وتفوح روائحها حتىلم تبق بمصر دار دون أن تدخلها تلك الرائحة، وكان بدر الجمالي جالسا فشم تلك الرائحة وتزايدت ، فاستدعى الخزان ، وامرهم ان يفتحوا خزائنه يفتشوها خوفا من حريق يكون قد وقع فيها ، فوجدوا خزائنه سالمة .

فقال : ويحكم ! انظروا ما هذا ؟

ففتشوا حتى وقفوا على حقيقة الخبر ، فاستعظم الامر وقال : هذا النصراني .. قد أكل اموالي واستبد بالدنيا دوني ، حتى امكنه أن يفعل مثل هذا ؟ .. وتركه الى الغداة ، فلما دخل عليه وهو مغضب قال له : ويحك . أستعظم أنا ، وأنا ملك مصر ، شراء سمكة من العنبر فاتركها استكثارا لثمنها ، فتشتريها أنت ، ثم لا يقنعك حتى تقليها ، وتذهب فى ساعة الف دينار مصرية ؟

فقال : والله ما فعلت هذا الا غيرة عليك ومحبة لك ، فانك اليوم سلطان نصف الدنيا ، وهذه السمكة لا يشتريها الا ملك ، فخفت أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبره بانك استعظمتها ولم تشترها . فاردت أن أعكس الامر ، وأعلمه انك ما تركتها الا احتقارا ، وانها لم يكن لها عندك مقدار ، وان كاتبا نصرانيا من كتابكاشتراها واحرقها فيشيع بذلك ذكرك ويعظم عند الملوك قدرك ، فاستحسن ذلك منه وأمر له بضعفي ثمنها ، وزاد فى رزقه » .

ثقافة عالية

لم يصل ابن المهذب الى مركز الوزارة والى نيل ثقة السلطان صلاح الدين الا بعد أن كون نفسه تكوينا علميا ، فقد أكب على دراسة الثقافة الاسلامية حتى أصبح من العلماء والادباء المرموقين فى عصره ، وكتب الادب لاتكتفي حين تؤرخ سيرته : أن تلمح اليه كوزير اديب فقط ، بل هي تذكره كقاض من قضاة مصر الاجلاء فتلقبه بالقاضي ابن المكارم ، وكانت بينه وبين القاضي الفاضل صلات ود وثيقة ، وكان يسميه « بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه » .

مؤلفاته

وقد اسهم فى ميدان التاليف فصنف عدة كتب ورسائل دينية وأدبية وعلمية وتنظم الشعر ، وقد وصف جمال الدين القفطى مؤلفاته بقوله :

« ... وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب ، وفى معرض وقائع تجرى ، ويعرضها على الاكابر ، ولم تكن مفيدة افادة علمية ، انما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه ، فمن ذلك كتاب « تلقين التلقن فى الفقه » و « سر الشعر » و « علم النثر » و « الشيء بالشيء يذكر » وقد عرض هذا الكتاب على القاضي الفاضل ، فسماه سلاسل الذهب ، لاخذ بعضه برقاب بعض . وكتاب « تهذيب الافعال لابن ظريف » و « قرقرة الدجاج فى الفاظ ابن الحجاج » وكتاب « الفاشوش فى أحكام قرة قوش » . و « لطائف الذخيرة لابن بسام « . و « ملاذ الافكار » و « ملاذ الاعتبار » و « سيرة صلاح الدين يوسف ابن أيوب » . و « أخاير الذخائر » و «كرم النجار فى حفظ الجار» و « ترجمان الجمان » و « مذاهب المواهب » و « باعث الجلد عند حادث الولد » و « الحض على الرضا بالحظ » و « زواهر الصدف وجواهر الصدف » و « قرص العتاب ودرة التاج » و « ميسور النقد » و « المتخل » و « أعلام النصر » « وخصائص المعرفة فى المعميات » .

قوانين الدواوين

على أن أهم مصنفاته كتاب « قوانين الدواوين » الذى نشرته « الجمعية الزراعية الملكية » بمصر باشارة من الامير عمر طوسون الذى اعتبره « من أهم الوثائق عن صحة الزراعة ونظم الدواوين المصرية فى عصر الدولة الايوبية التى لم يصلنا عنها الا النزر اليسير ، يحمل كثيرا من الصفات التى امتاز بها ذلك النوع من الموسوعات العظيمةالتى ظهرتفى العصور الوسطى الاسلامية.»

كتبه الدينية

ومن كتبه الدينية كتاب « تلقين اليقين فى

الكلام عن حديث « بني الاسلام على خمس » . وكتاب « حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم » وهو كبير . وكان صلاح الدين يكثر النظر فيه . وعقب القاضي الفاضل على هذا الكتاب بقوله : « وقفت من الكتب على مالا يحصى عدده فما رأيت والله كتابا يكون قبالة باب منه ، وانه والله من اهم ما طالعه الملوك » .

ذو الوزارتين

هذه المكانة العلمية هي التي اوصلته الى ارفع مكان في الدولة ، فقلد ديوان الجيش ، وديوان المال ، فجمع الى وزارة المال وزارة الدفاع وقد احتفظ بها حتى اوائل سلطنة العادل حيث افل نجمه ..

هذا المركز السامي الذى وصل اليه بادبه وذكائه واخلاصه هو الذى الب عليه الخصوم فكثر حاسدوه ومبغضوه ، وكثر الدس عليه ، فلقي كل عنت ، ورمي بالوشايات ، ووضعت في طريقه العثرات .. ولكنه تخطى كل ذلك دون ان يهتم بوشايات الواشين ، وكيد الحاسدين ، فمدحه الشعراء وهجوه ، ولم يتورع بعضهم ان يتخذ دينه الجديد وسيلة لغمزه فوصفه ابن الخيمي بقوله :

وحديث الاسـلام ، واهي الحديث
باسـم الثغر عـن ضمـير خبيث
لو رأى بعض شـعره سيبويـه
زاده في علامـة التأنيـث

ولكنه كان ارفع من ان يهتم بهذه الترهات وله المركز السامق والثقة المطلقة عند صلاح الدين ..

انقلاب الدنيا في وجهه

نعم ، كان مركزه في عهد صلاح الدين وطيدا ، ولكن لم يكد الملك العادل – شقيق صلاح الدين – يملك الديار المصرية حتى انقلبت الدنيا في وجهه والواقع ، ان الخصومة لم تكن بينه وبين الملك العادل بل بينه وبين وزيره صفي الدين بن شكر .. فقد كانت بينهما ضغائن واحقاد ، فلما جاءت الفرصة المواتية لابن شكر لم يتردد في ان يبطش بخصمه اللدود .. ولكن كيف ينتقم ولا يزال ابن المهذب يتمتع بمركز رفيع حتى عند الملك العادل . عمد الى الدس والمكيدة ، فصانعه وجامله ، وابقاه في مركزه ليوقع به . كان يدبر له المؤامرات ، ويؤلب الناس عليه ، وبدات تختلق القصص عن حمقه وجهله ! » . بل تعدى ذلك الى الطعن في امانته . كان لا يذكر اسمه الا مشفوعا بالتجلة والتكريم فاصبح مضغة في افواه الناس .

ما اغرب طباع البشر ؟

كانوا بالامس يحنون ظهورهم احتراما له ، وتبجيلا لقدره وعلمه ، فاصبح نكرة من النكرات .

لقد استطاع ابن شكر ، خصمه السياسي ان يجعله مدينا ، وان يضع كرامته موضع الاتهام .. وليس ابلغ في الضغينه من الحقد الذى ياكل صدور بعض الرجال الذين تستبد بهم شهوة الحكم فيلجاون الى اخس الوسائل للانتقام !

ديون موهومة

يقول ياقوت : « .. ثم عمل له المؤامرات ، ووضع عليه المحالات ، واكثر في التاويلات ، ولم يلتفت الى اعذاره ، ولا اعاره طرفا لاعتذاره ، فنكبه نكبة قبيحة ،ووجه عليه اموالا كثيرة ،وطالبه بها ، فلم يكن له وجه ، لانه كان عفيفا ذا مروءه ، فاحال عليه الاجناد ، فقصدوه وطالبوه واكثروا عليه وآذوه ، واشتكوه الى ابن شكر ، فحكمهم فيـه » .

اقامة اجبارية !

.. وقد فرضت عليه « الاقامة الاجبارية » واخذت الطلبات تنهال عليه ، وهو لا يملك درهما واحدا بعد ان حجزت جميع امواله وما ورثه من ابيه وجده .. وقد طلب من الجند ان يسمحوا له بالخروج ليستجدى ممن يعرفهم او له يـد عليهم .. فلم يوافقوا .. ثم سمحوا له .. وما كاد يتنفس حتى اختفى .. ولكن الى اين يذهب والعيون تلاحقه .. لقد هام على وجهه يخب في الطرقات .. ولا وجه له للاستجداء .. وما كاد الليل يرخي سدوله حتى وجد نفسه في المقبرة ..

في مقبرة الماذرائيين ورسالة من خصمه

يقول : « .. فاختفيت واستترت وقصدت القرافة واخفيت نفسي في مقبرة الماذرائيين ، واقمت بها مدة عام كامل . وضاق الامر علي ، فهربت قاصدا الشام ، فلحقني في بعض الطريق فارس مجد ، فسلم علي وسلم الي مكتوبا ، ففضضته واذا هو من الصفي بن شكر يذكر فيه ،

لا تحسب ان اختفاءك عني بحيث لا ادري اين انت؟ فاعلم ان اخبارك كانت تأتيني يوما يوما وان كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة .. منذ يوم كذا ، واني اجتزت هناك فرايتك بعيني .. وانك لما خرجت هاربا عرفت خبرك ولو اردت ردك لفعلته ولو علمت انك قد بقي لك مال او حال لما تركتك .. ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ ان اتلف معه نفسك، وانما كان مقصودي ان اجعلك تعيش خائفا فقيرا ، غريبا مسحجا - اى مشردا - في البلاد ، فاذهب الى غير دعة الله » .

قال : « وتركني القاصد وعاد ، فبقيت مبهوتا الى ان وصلت الى حلب » .

من مصر الى حلب

اصبح وزير صلاح الدين طريد النعم ، من حياة البذخ والترف في عاليات القصور الى حالة الفاقة والبؤس في موحشات القبور . من مصر الى حلب ! ما ابعد المسافة ؟ رجل في الستين من عمره ، يخرج من وطنه مشردا ، يتنقل من بلد الى بلد ، وما زال على شيخوخته يصارع الاهوال ويعاني مشقة السفر حتى وصل حلب . وقد اختارها لامرين : لصلته الوثقى بالوزير جمال الدين الاكرم علي بن يوسف القفطي ، ولانها في حوزة الملك الظاهر بن صلاح الدين - اى اراد ان يختتم حياته في هذا البيت الكريم .

عطف الملك الظاهر

وحين علم الملك الظاهر بمقدمه وبقصته عطف عليه واكرمه ، وخصص له راتبا كل يوم دينارا سوريا وثلاثة دنانير اخرى اجرة دار ، وكان يصل اليه كل ثلاثة اشهر ثلاثون دينارا غير بر والطاف - اى صلات وصدقات - ما كان يخليه منها .. واقام عنده حتى آخر حياته ، وقد تاثر من هذا التكريم فنسي ، او كاد ، الم النكبة ، وكانت حلب في عهد الملك الظاهر معمورة بالعلماء والادباء والفضلاء ، وقد اندمج هذا المضطهد السياسي بهذا الوسط ، فنظم وكتب ، واتيح له وهو في منفاه ان يضم الى سلسلة مؤلفاته كتابا جديدا سماه « كرم النجار في حفظ الجار » عمله للملك الظاهر ، ولا شك انه قص فيه قصة نكبته باسلوب مؤثر حزين ، وكم يؤلمنا ان لا نعرف اين هذا الكتاب .

ثناء حلب

لقد احب حلب الشهباء ونزلت من نفسه منزلة طيبة ، وراقه منها شتاؤها ، وهنا موضع العجب . رجل في هذه السن التي تؤثر لفحات البرد فيه، ينتقل من جو مصر الدافيء الى جو حلب القارس - احبها وهي مغمورة بالثلوج . وهو منظر غير مألوف للمصري ، ولا سيما في ذلك العصر حيث لم تكن الاسباب ميسرة للسفر الى البلدان التي يكثر فيها الثلوج .. لقد فاض قلبه بالشعر وكتب قصائد ومقطوعات كثيرة وصف فيها حلب وقد لبست الثوب الجميل من الاقاح والياسمين :

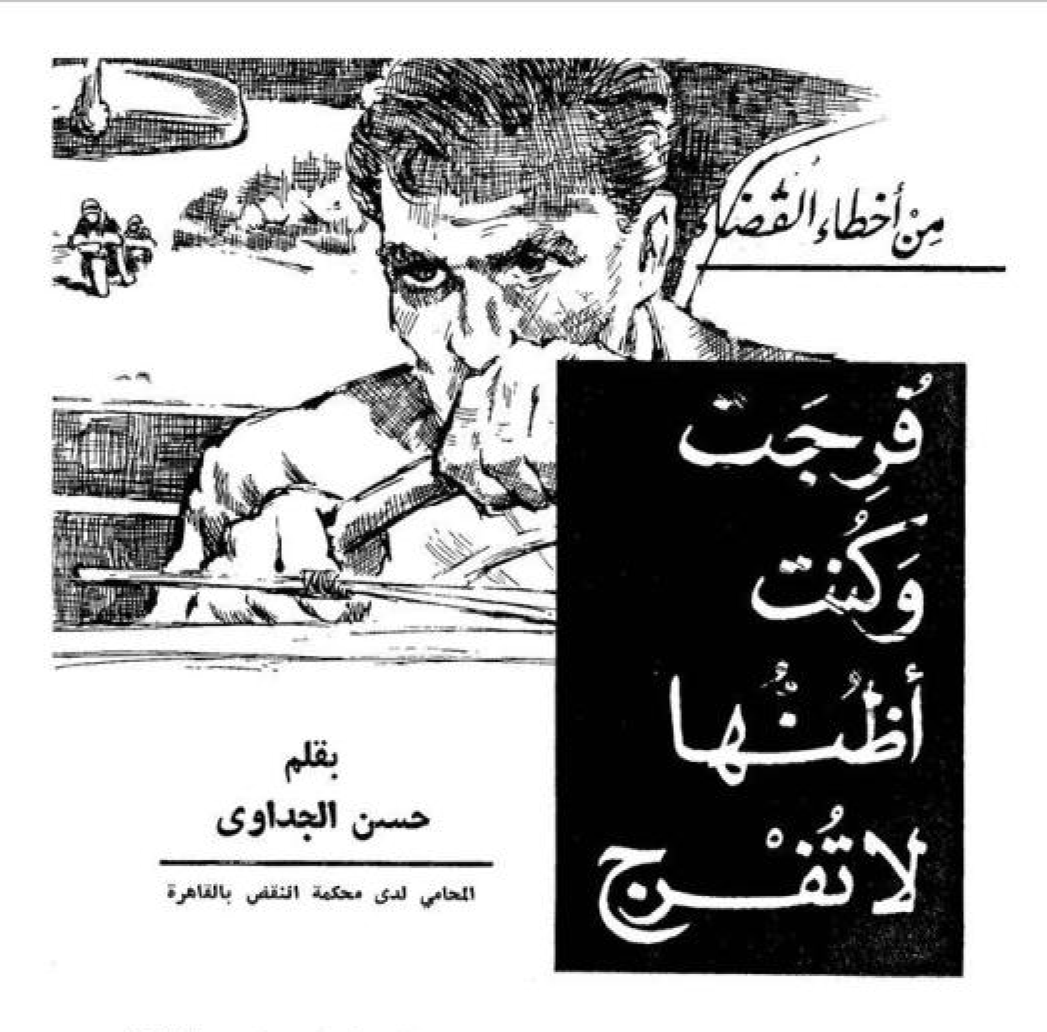
لما رات عيني الثلج
ساقطا كالاقاحي
وصار ليل الثرى منـ
ـه ابيضا كالصباح
حسبت ذاك من ذو
ب در عقد الوشاح
او من حباب الحميا
او من ثغور الملاح
فما على داخل النا
ر بعد ذا من جناح

نهايته

وهكذا ، فقد ظل يلهو بوصف بعض المظاهر ويمدح الملك ، ويتنادر مع اصحابه ، ويشغل نفسه بالقراءة والتاليف بغية نسيان نكبته ، ولكن هيهات .. فقد ظل في لوعة ووجد ، وفي حرقة وكمد حتى الثامن عشر من جمادى الاولى ، سنة ست وستماية هجرية - حيث وافاه القدر ، فدفن بظاهر حلب بالقرب من قبر الهروي(١) ، فكان لموته رنة حزن عميقة في جميع الاوساط حيث مشت حلب كلها في جنازته تودع فيها العلم والفضل والادب ، بل تودع وزيرا عالي المكانة ذهب فريسة الحقد السياسي ، بعيدا عن اهله ووطنه . ■■

حلب — سامي الكيالي

(١) على بن بكرى الهروى ، الرحالة المؤرخ من مؤلفاته « الاشارات الى معرفة الزيارات » « التذكرة الهروية في الحيل الحربية » وكتاب من « رحلته » .



بقلم
حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ روبرت بالار بيلى شخصية غريبة يوجد فى العالم كثيرون منها . انه شخصيتان فى شخص واحد . فهو فى حالته الطبيعية انسان هادىء رزين . يتحدث فى هدوء ويجادل بالتي هي احسن . محبوب من جميع من يتعاملون معه . وصناعته اصلاح الزجاج . وتقتضيه صناعته هذه ان يدخل البيوت لاصلاح او استبدال ما يتكسر من زجاج الابواب والنوافذ . وكثيرا ما يقتضى ذلك ان ينفرد فى البيوت مع سيدة البيت اذ ليس فى بيوت الامريكان كما تعلم خدم من النساء او الرجال .

والرجل صانع ماهر وانسان وديع محبوب من اهل القرية لا تتردد ربة البيت من دعوته كلما احتاجت الى فنه . ولكن الغريب ان ربة البيت تستدعيه بالتلفون فيصل بسيارته ويوقفها امام حديقة الدار ، وتراقب ربة البيت طريقة نزوله من السيارة بحذر شديد . فان وجدته يسير على قدميه سيرا طبيعيا فتحت له باب دارها . وان وجدت فى مشيته انه يتمايل يمينا وشمالا ولا يكاد يقف على قدميه ابقت باب بيتها مغلقا وطلبت اليه ان يعود فى وقت آخر بحجة او بأخرى .

ذلك انه قد عرف عنه انه حين يكون واقعا تحت تأثير الخمر يصبح عنيفا ويتصرف تصرفات شاذة ويرتكب جرائم لا طعم لها ولا معنى . جرائم لا يستطيع ـ هو نفسه ـ تفسيرها حين يعود الى رشده ولايستطيع المنصف تعليلا لها .

فقد حاول ـ ذات مرة ـ تحت تأثير الخمر سرقة عربة بعجلة واحدة من التى يستعملها



البناوون فى نقل المونة او الحمالون فى محطات السكك الحديدية ـ حاول سرقتها فى الطريق العام وتحت سمع وبصر المارة وعمال المقاول وفى رابعة النهار ، فلما اعترضوه حاول ان يفربها ، فقبض عليه وحوكم ، فحكم عليه القاضى بعقوبة خفيفة . ولكنه ما كاد يخرج من السجن حتى مثل مرة ثانية امام القاضى نفسه فى جريمة مماثلة فحكم عليه القاضى بالسجن سنتين وهكذا اصبح من ذوى السوابق . ويشعر بنقطة الضعف فى موقفه ويحاول ـ كلما شرب ـ وكثيرا ما يشرب ـ جاهدا ان لا يقع فى قبضة البوليس .

* * *

وفى عصر يوم من ايام شهر ابريل سنة ١٩٣٧ كان صاحبنا بيلى هذا يقود سيارته فى احدى طرق مدينة واشنجتون المتطرفة ، وكانت الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر ، ورآه عدد من رجال البوليس يقود السيارة بحالة خطرة وعجلة القيادة تهتز فى يديه وحالته تقطع بانه مخمور ـ وقيادة السيارة تحت تأثير الخمر جريمة يعاقب عليها القانون . فتبعه رجال البوليس بسيارتهم واشاروا عليه بان يقف ولكنه تحت تأثير الخمر واحساسا بالجرم زاد من سرعة سيارته وسابق البوليس وانحرف بها فى طرق متعرجة ففقد البوليس اثره ولم يستطع القبض عليه .

* * *

ووصل بيلى الى منزله غير مدرك لما فعل والقى بنفسه على السرير ثم افاق بعد بضع ساعات مصدع الراس معتقدا انه افاق من حلم فظيع ـ بل من كابوس خانق ـ يذكر منه انه كان يقود سيارته وان سيارة بوليس كانت تطارده وامطرت سيارته بوابل من الرصاص . فاسرع الى سيارته يكشف عليها فهاله انه وجد الجزء الخلفى منها مرشوقا باثار الرصاصات التى اطلقت عليه وتبين ان الامر علم لا حلم .

* * *

وعندها غلبت عليه طبيعته فارتكب العمل الوحيد الذى كان يجب ان لا يرتكبه ، كان العقل يشير عليه ان يذهب الى البوليس ويسلم نفسه ، ولكنه بدلا من ذلك حمل زوجته وابنه فى سيارته وقطع الاميال فى طريقه الى فلوريدا ليختبىء عن اعين البوليس فى انتظار ما قد ياتى به الغد ..

* * *

وقد شاء حظ بيلى العاثر انه فى الوقت الذى كان البوليس يطارده ـ بل فى نفس اللحظة والساعة ، كانت سيدة لا نعرفه تسير فى شارع آخر فلمحت سيدة تعرفها تركب مع رجل لا تعرفه سيارة ، فاعتقدت ان سائق السيارة قد تطوع لايصال السيدة التى تعرفها الى منزلها ... او لعلها ظنت ـ وبعض الظن اثم ـ ان فى الامر ما يريب فتتبعت السيارة بنظرها .

وفى الوقت نفسه جاءت سيارة اخرى تسير وراء السيارة الاولى ولاحظ قائدها ان ساقى امراة تطلان من باب السيارة المفتوح فى وضع غير طبيعى وسرعان ما سقطت المراة ـ او قذفت من السيارة ـ التى كانت قد هدأت من سرعتها ثم اسرعت بالفرار ..

واوقف سائق السيارة سيارته ـ بدافع من الانسانية كما توقف احد المارة لمساعدة السيدة وبينما هما يحاولان وضعها فى السيارة اقبلت من الجهة المضادة سيارة قال قائدها انه يعرف السيدة المصابة وعرض ان يحملها الى بيتها او الى اقرب مستشفى وتعاون مع الموجودين وادخلها سيارته مشكورا منهم على انسانيته .

وبدأ البوليس التحقيق . وقال الشاهد الذى كان يسير خلف السيارة التى سقطت منها المرأة الجريحة انه متأكد ان السيارة التى عادت من الجهة المضادة هى بعينها السيارة التى كانت تركبها وانه تأكد من شكل جزئها الخلفى . .

ولما عرض عليه روبرت بيلى عرضا قانونيا قال انه متأكد انه هو ولكنه متأكد ايضا انه لم يكن مخمورا بل كان فى كامل وعيه . حديثه عادى ولا تفوح منه رائحة الخمر ، وتصرفاته متزنة .وتعاون فى حمل الجريحة الى سيارته . وليس فى تصرفاته وحركاته ما يدل على انه مخمور .

★ ★ ★

وكانت الصحافة المحلية قد وجدت فى هذه الجريمة غذاء لحملة قاسية على المجرم الذى ارتكب تلك الجريمة الشنيعة ، وكان مما اخذه البوليس والمحققون انه برغم كل ذلك بقى مختبئا مع علمه بان الاتهام يشير اليه باصابعه . ولكنه اكد انه لا علم له بهذا الحادث وانه ترك المدينة غداة فراره من مطاردة البوليس له ولم يقرأ فى الصحف عن جريمة القتل ولو كان قد قرأ شيئا عن جريمة قتل ارتكبت لما اتجه تفكيره الى ان التهمة توجه اليه ، فهو لم يكن يقود سيارته فى الشارع الذى ارتكبت به الجريمة ولا يعرف الضحية .

★ ★ ★

وتلخص الموقف فى ان شهود الحادث يؤكدون ان الحادث وقع بعد الساعة الثالثة والنصف بدقائق معدودة وان روبرت بيلى هو الذى كان يحمل السيدة الجريحة فى عربته ، وانه بلاشك الذى قذفها من العربة ثم عاد بالعربة ليوهم ان لا شأن له بالحادث وتطوع بان يحملها فى عربته . بينما يؤكد البوليس انه كان فى ذلك الوقت يطارد روبرت بيلى ـ فى ذات الساعة ـ لقيادته سيارة وهو فى حالة سكر بين . وكان لكل فريق اسباب تدعوه لان يؤكد الوقت الذى يتحدث عنه .

وكان شهود الحادث ـ فى الوقت الذى يقولون فيه ان القاتل هو بيلى الذى تعرفوا عليه ـ ولم يكونوا يعرفونه ـ يؤكدون انه كان صاحيا لا اثر للخمر فى تصرفاته . وفى ذات الوقت كان شهود البوليس وعددهم اكثر ويعرفون بيلى شخصيا يقطعون بانه كان فى حالة سكر شديد وانهم امطروا سيارته بوابل من الرصاص وجدت اثارها واضحة عند القبض عليه .

والقضية فى هذه المرحلة كان محتما ان تحفظ ولا تقدم للمحاكمة . ولكن تصرف بيلى الارعن بفراره وسوء دفاعه ـ وتخصصه فى ان يرتكب العمل غير المناسب فى الوقت غير المناسب حمل ممثل الاتهام على ترجيح كفة الاتهام الضعيفة على كفة البراءة القوية .

وتقدمت القضية الى المحكمة فى جو خانق . فالجمهور خارج قاعة المحكمة واقع تحت تأثير شناعة الجريمة ، والمقالات العنيفة التى كتبتها الصحف . وكان المحلفون بعض من هذا الجمهور متأثرين بما يقراونه وما يسمعونه من زوجاتهم وابنائهم وعبثا حاول بيلى ومحاميه ان يثبتوا براءته فلم يصدقه احد وصدر عليه حكم الاعدام.

وكتب بيلى خطابا من سجنه لحاكم الولاية ـ خطابا لم يستشر فى امره محاميه ـ خطابا معتدلا كل ما يطلبه من الحاكم ان يؤجل تنفيذ العقوبة فيه مما حمل الحاكم على الاعتقاد ان فى الخطاب تسليما بارتكابه الجريمة .

وادرك المحامى خطورة هذا الخطاب فاردفه بخطاب منه يخفف وقع الخطاب الذى كتبهشخص فقد وعيه تحت تأثير انتظاره لتنفيذ العقوبة . ثم رفع استئنافا عن الحكم بذل فى عرضه مجهودا جبارا ولكن المحكمة العليا لم تأخذ بدفاعه وايدت الحكم .

★ ★ ★

وفقد بيلى وفقد محاميه كل امل . ولكن شخصا واحدا لميفقد الأمل ذلكهو مأمور السجن الذى كان به بيلى فى انتظار محاكمته ثم فى انتظار تنفيذ عقوبة الاعدام على الكرسى الكهربائى .

كان المأمور ـ واسمه اسكين ـ قد امضى فى العمل فى السجون قرابة ثلاثين عاما ، اختلط اثناءها بالساجين من جميع الاصناف والفئات واكتسب خبرة كبيرة وتكونت لديه حاسة سادسة يستطيع ان يعرف بها ما اذا كان المتهم يدعى البراءة ـ كما هو ديدن اغلب المجرمين ـ او انه برىء حقا .

لقد آمن المأمور منذ اللحظة الأولىالتىاستقبل فيها بيلى فى سجنه انه برىء . ولما صدر الحكم باعدامه آلى على نفسه ان يبذل كل جهد لمنع تنفيذ العقوبة لاعتقاده بوقوع خطأ قضائى .

★ ★ ★

كان حاكم الولاية قد حدد تاريخ تنفيذ عقوبة الاعدام ولم يبق امام المأمور سكين الا اسبوعا

واحدا . فماذا يفعل ؟ اتصل برئيس جمعية مأموري السجون واسمه توم سميث ـ وهذه الجمعية تعقد مؤتمرا سنويا من الاعضاء يتبادلون فيه ذكرياتهم في العام المنصرم ويعرضون المشاكل التي تعترضهم ـ وادرك سميث ان الموضوع مهم ويتطلب حلا سريعا فاتصل بمحكمة الراى الأخير ـ وهي جمعية مكونة من بعض المحامين ورجال الصحافة آلت على نفسها ان تقوم بنجدة كل من تتبين انه ضحية خطأ قضائي ـ واخذ سميث ومحام من اعضاء الجمعية الطائرة وقابلا سكين لم قابلا بيلى في زنزانته ، فاذا بهم امام انسان محطم على حافة الانهيار العصبي قد هد انتظار تنفيذ العقوبة من كيانه ولم يعارض في ان يخضعوه لتجربة قاسية امام الآلة التي تستخرج الحقيقة بقياس نبضات قلب المستجوب عند ردوده على الاسئلة التي توجه اليه . وبعد اكثر من ساعتين من الامتحان تأكد لهم ان بيلى برىء . فذهبا لتوهما وقابلا القاضي الذى اصدر حكم الاعدام .

★ ★ ★

لم يشأ القاضي ان يفضى بحديث للنشر ولكنهم ادركوا من بين سطور اقواله ـ ان امكن هذا التعبير انه غير مرتاح للحكم الذى اصدره ، ولما عرف بالجهود التي يريدون بذلها اعطاهم صورة من الخطاب الذى وجهه بعد الحكم الى حاكم الولاية يطلب منه تعديل الحكم .

★ ★ ★

اتصل المحامي بمكتب حاكم الولاية لتحديد موعد لعرض الموضوع عليه فردت عليه سكرتيرة الحاكم بان الحاكم قد اعد لنفسه رحلة صيد طوال الاسبوع وانها لا تستطيع تحديد مقابلة الا في الاسبوع التالي الا انها بعد أن علمت موضوع المقابلة استمهلت المحامي ثم طلبته لتقول له ان الحاكم يقول انه مستعد لمقابلتهم بمكتبه في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم ويؤجل رحلة الصيد الى اليوم التالى .

★ ★ ★

وتمت المقابلة في مكتب حاكم الولاية وكان يوما من ايام الحر الخانق والتيار الكهربائي مقطوع وآلة التبريد معطلة ومع ذلك بقى الحاكم يصغى الى اقوالهم ويجادلهم ويجادلونه حتى الساعة الخامسة وفي نهاية المناقشة استدعى الحاكم رجال الصحافة واعلن لهم انه قرر تأجيل تنفيذ الحكم في انتظار ما قد يسفر عنه التحقيق من ادلة جديدة . وعين احد رجال البوليس ليتعاون مع اعضاء الجمعية وليضفى على ابحاثها الصبغة الرسمية .

★ ★ ★

وبدأت ابواب جديدة تتفتح . فالشاهد الذى تعرف على السيارة من ظهرها يؤكد أنها ليست السيارة التي عادت من الطريق المواجه وليست سيارة بيلى . والمرأة الجريحة التي اخذها ذلك السائق بحجة توصيلها الى بيتها اوالى المستشفى لم تظهر لا في المستشفى ولا في بيتها بل عثر عليها ملقاة في زقاق جانبي في منتصف الليل في النزع الاخير وانها قالت لمن حضرها من اقاربها ان الذى قتلها هو « بوب » وانهم لا يعرفون اى بوب تقصد . كما تبين انه كان قد عثر على احدى فردتى حذاء السيدة التي سقطت او قذف بها من السيارة في مكان الحادث ولكن موظف الاسعاف الذى نقل المرأة بعد العثور عليها اكد انها كانت محتذية في قدميها ...

واستمر البحث فظهرت متناقضات في الادلة التي ارتكن عليها لادانة بيلى حتى تبين للباحثين ان الادلة مهتزة لا يمكن ان ترضى ضمير القضاء بالادانة فضلا عن اصدار عقوبة اعدام .

★ ★ ★

واصدر الحاكم امرا باستبدال عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد لوجود شك في صحة الحكم وطلب من البوليس استمرار البحث عن القاتل الحقيقي . وهو قرار يتجاهل القاعدة القانونية الصحيحة المرضية لضمير القاضي وهي ان الشك في مصلحة المتهم وان المتهم برىء حتى تثبت ادانته وان استبدال عقوبة بعقوبة ليس عدلا بل اضافة ظلم الى ظلم .

ومن حسن الحظ ان المتهم الحقيقي عاد لارتكاب جريمة مماثلة ثبتت عليه واعترف بارتكابه الحادث الذى ادين بيلى بسببه . وبرىء بيلى ودفعت له الولاية تعويضا كبيرا عوضه عما لقى من متاعب . وهكذا صح قول الشاعر :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

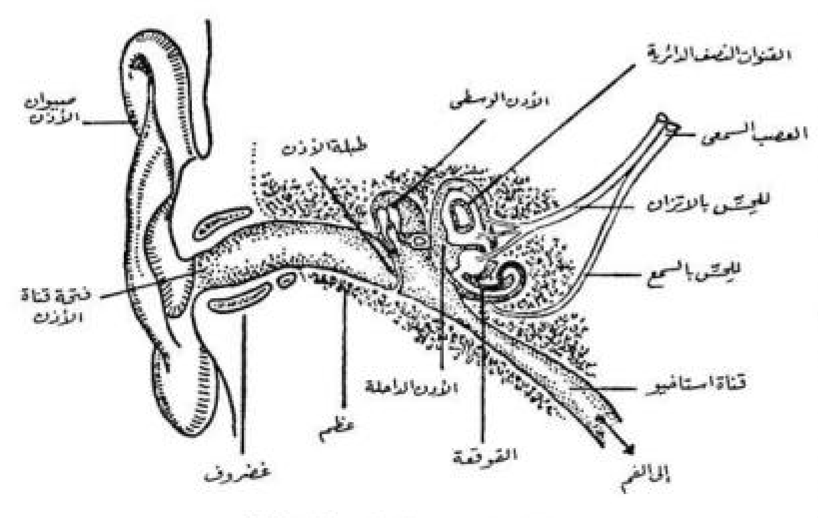
فرجت وكنت اظنها لا تفرج .

ولولا أن مأمور السجن لم ييأس لما انفرجت .

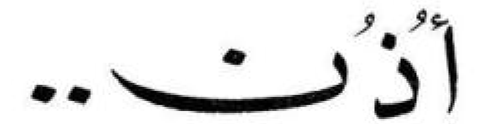
■■

القاهرة — **حسن الجداوى**

صفحة من الطب المصور



الاذن : رسم ايضاحي لاجزائها



● اذن الانسان، كاذن سائر الحيوانات الثدية ، تتألف من ثلاثة اقسام :

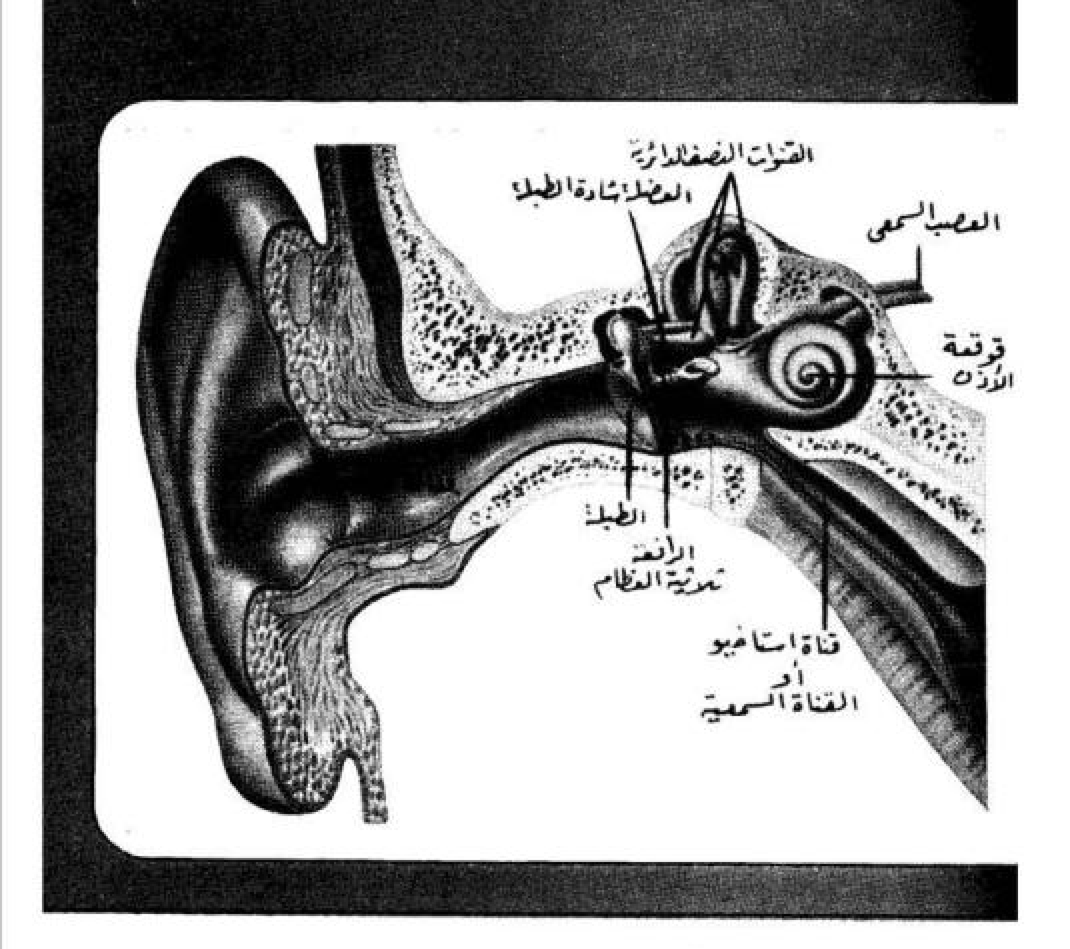
الاذن الخارجة ، والاذن الوسطى ، ثم الاذن الداخلة .

الاذن الخارجة

وتتألف من صيوان الاذن وهو الورقة الغضروفية الكبيرة الظاهرة على جانب الراس ، ومن القناة ، وهي تؤدي عند نهايتها الداخلية الى طبلة الاذن ، وهي تسدّها ، وتفصل ما بين الاذن الخارجة والوسطى .

اما صيوان الاذن فالحيوانات تستخدمه لمعرفة اتجاه الصوت الآتي اليها . وندرك نحن ذلك عندما نشاهد الكلب وقد رفع صيوانيه يتحقق من وجهة صوت يسمعه. والانسان فقدَ استخدامَ الصيوان لهذا الغرض . ومع هذا هو ما يزال يستطيع أن يحركه تفكها .

اما القناة فتفرز مادة شمعية صفراء، وهي للتزليق ولحماية القناة . وهي ، والشعرُ الذي ينمو على حائطها ، تمنع دخول التراب عميقا في الاذن . ولهذه



الانسان

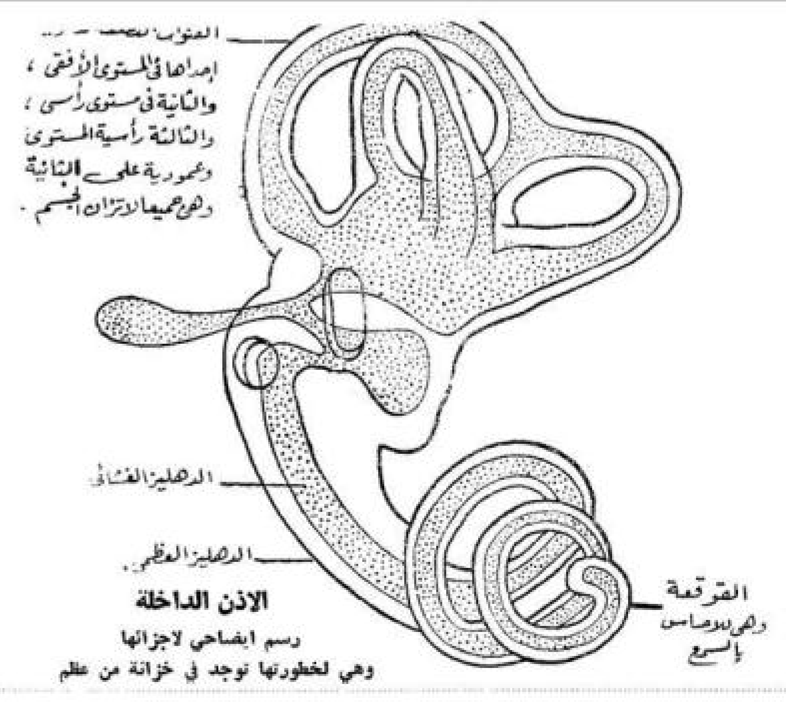
المادة رائحة لايحبها الحشر فتمنعه من ان يقترب .

اما الطبلة فمن غشاء مشدود تصله الاصوات هزات في الهواء فيهتز مترددا باهتزازها ، ومن الطبلة تذهب الهزات الى داخل الاذن لاكتمال السمع .

والاذن تسمع الاصوات التي يبلغ ترددها مابين ١٥ و ١٥٠٠٠ ذبذبة في الثانية . والعلماء يختلفون في هذا التقدير وذلك باختلاف الناس الذين يختبرونهم من اجل هذا الاحصاء .

الاذن الوسطى

وبها عظمات صغيرة ، متصل طرف الواحدة منها بطرف الاخرى . والعظمة الاولى لها شكل المطرقة ، والثانية لها شكل السندان تضرب المطرقة عليه ، والعظمة الثالثة لها شكل ركاب الفرس . وهذه العظمات تتصل بالطبلة من احد طرفيها ، وبالاذن الداخلة من الطرف الآخر ، وهي بذلك تحمل هزات الاصوات من الطبلة الى الاذن الداخلة . ومن بعض اسباب الصمم في الانسان « تعظّم » هذه العظام .



الاذن الداخلة

رسم ايضاحي لاجزائها
وهي لخطورتها توجد في خزانة من عظم

ومن الاذن الوسطى هذه تخرج قناة تصل الى المريء وتعرف بقناة استاخيو ، وهو عالم تشريح ايطالي عاش فى القرن السادس عشر .

وهذه القناة لها عمل خطير فى تسوية ضغط الهواء فى الاذن الوسطى وضغط الهواء الخارجي .

وهي عادة مقفلة حتى لايسمع الانسان صوت تنفسه ، ولكن اذا صعد انسان فى طائرة، او هبط من طائرة ،حدث اختلاف فى الضغطين ، ويسوى الانسان بينهما ببلع الريق ، فعند البلع تنفتح هذه القناة وتتساوى الضغطان .

وعند الاصابة بالبرد قد تتضخم هذه القناة فتنسد فيصاب الانسان بصمم مؤقت . وهذه حال يعرفها كل انسان .

الاذن الداخله

بين الاذن الوسطى والاذن الداخلة نافذتان ، احداهما بيضية الشكل وهي تتصل بعظمة الركاب التي فى الاذن الوسطى وتحمل عنها ذبذباتها ، اعني الغشاء الرقيق الذي يسد هذه النافذة .

والاذن الداخله تتألف من قنوات عظمية ، ومن اجل شكلها المعقد بعض الشيء سُمِّيَت بالمتاهات العظمية .

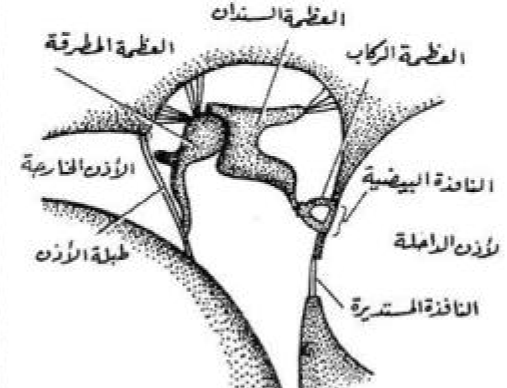
ومن هذه القنوات القوقعة وهي قناة لفاء من عظم . وتحمل الذبذبات الصوتية التي تصلها الى العصب السمعي،فيفهمها المخ ويفهم معانيها .

ومن هذه القنوات القنوات العظمية النصف الدائرية ، وبها السوائل ، ولاعلاقة لها بالسمع . ولكن باتزان الجسم ، وبوضعه من حيث هو مائل او قائم بالنسبة لسطح الارض .

●●

الاذن الوسطى

والشكل يوضح صلة هذه الاذن ، بالاذن الداخلة وبالاذن الخارجة ، وكذلك يوضح العظمات الثلاث التي تنقل الاصوات الى الاذن الداخلة .





سكيم بلد الزهور التى يفرح أهلها عندما يموت واحد منهم !!

(انظر الصورة على صفحة ٢)

■ بين قمم جبال هيمالايا .. وعلى حدود نيبال والهند وبوتان والتبت تقع مملكة سكيم .. تلك المملكة الصغيرة التى لم يكن العالم يسمع عنها حتى جاءت الصين واحتلت التبت ونشبت الحرب بين الصين والهند .. واصبح خطر الحرب يتهدد هذه المملكة الصغيرة التي تربطها بالهند معاهدة حماية منذ أن حصلت الهند على استقلالها فى عام ١٩٤٧ ..

« سكيم » كان اسمها القديم « دنجونج » ومعناها وادى الارز المختفي .. وهي تقع بين اعلى قمم جبال هملايا وبالقرب من قمة افرست المشهورة ..

ويعتبر اهالى « سكيم » ان موقعهم الجغرافى منحة من الله لحماية بلادهم من المعتدين .. ولكن النزاع بين الصين والهند جعل موقفهم الان حرجا وخصوصا بعد أن اصبحت قوات الصين على حدودهم من ناحية التبت .. وجاءت قوات الهند لتعسكر فى اراضيهم كخط دفاع اول عن سهول الهند التي تقع على سفوح جبال الهيمالايا .. !

وسكيم لاتزيد مساحتها عن ٢٧٤٥ ميلا مربعا.. ولا يزيد عدد سكانها عن ١٦٥ الف نسمة .. اغلبهم يدينون بالديانة البوذية .. وهى تعتبر من اغنى اراضي القارة الاسيوية بالزهور .. فيها ينمو ٤٠٠٠ نوع من الزهور البرية .. من بينها ٤٤٠ نوعا من زهور « الاوركيد » فقط .. !!

وقد حبت الطبيعة هذه المنطقة بجمال خلاب .. وبغابات تنتشر فيها الزهور والاشجار جنبا الى جنب . وفى نفس الوقت عزلتها عن العالم بسبب الجبال العالية التي تحيط بها من كل النواحي.. وادى هذا الى احتفاظ سكان هذه المملكة الصغيرة بتقاليدهم القديمة التي ورثوها عن آبائهم .. فهم يؤمنون بالارواح والاشباح والاساطير .. ويؤمنون بقدرة الانسان على التحكم فى جسده عن طريق التركيز الذهنى .. ويقومون بعدة أشياء يعجز علماء الطب حتى الان عن تفسيرها ، اناى شخص منهم يستطيع ان يقوم بالسير حافيا وسط الثلوج والعواصف الثلجية ثم يعود بعد ذلك سليما معافى دون ان تظهر عليه اية تأثيرات مرضية .. !!

والمراة فى « سكيم » تلعب دورا كبيرا فى حياة البلاد .. فهي تقوم بمشاركة الرجال فى العمل .. وفي تحمل مسئوليات الحياة .. وهى تحب الملابس الزاهية الالوان والحلي المزخرفة ..

والموت فى « سكيم » لايقابل بالحزن .. فهم يؤمنون بان من يموت ينتقل الى حياة افضل من تلك الحياة التى يعيشهاوبعيدا عن متاعبها.ولذلك فهم لا يحزنون عليه ولكن يفرحون له .. !

وتحت قمم الجبال الشاهقة .. ووسط زهور الاوركيد الجميلة .. ما تزال المملكةالصغيرة تنتظر خطر الحرب بقلق وترقب .. لاخوفا من الموت .. ولكن خوفا من زوال دولتهم الصغيرة .. ! ■■

داخل المعسكر التدريبي تقوم المرشدات بالتدرب على الاسعافات الاولية ، والى اليسار مجموعة منهن يقمن برفع شعار المرشدات .

المرشدات في الكويت لهن قصة طريفة



عند الفراغ من اعمالهن تتجمع المرشدات في حلقات للتسلية البريئة .. وفي الصورة واحدة منهن تعزف مقطوعة موسيقية على الاكورديون بينما تجمعت حولها زميلاتها يصفقن ويغنين .

الى اسفل : مجموعة من المرشدات في دورة تدريبية ينصتن باهتمام للمحاضرة التي تلقيها عليهن القائدات



■ في الشهر الماضي طارت ٢٥ مرشدة كويتية و ٥ قائدات الى الجزائر ليمثلن الكويت فى المخيم الكشفي الثامن للدول العربية .. وفى الجزائر وبين وفود الدول التي اشتركت في المخيم ظهرت المرشدات الكويتيات بمظهر مشرف ولفتن الانظار فى حفل الافتتاح وهن يرتدين الزى القومي الكويتي فى العرض الذى اشتركت فيه كل الوفود ..

ووراء هذا النجاح قصة .. قصة طويلة .. مليئة بالكفاح وبالايمان بحق المرأة فى اللحاق بركب التطور والتقدم ..

ان قصة المرشدات فى الكويت تحمل فى كل سطر من سطورها صورة من صور التطور الكبير الذى حققته دولة الكويت فى شتى الميادين .

ولنبدأ القصة من أولها ..

بداية حركة المرشدات فى العالم

في عام ١٩١٠ بدات حركة الكشف العالمية على ايدى اللورد روبرت بادن باول فى انجلترا وتراست شقيقته اجنس Agnes جناح الفتيات فى الحركة الكشفية Girl Guides .

وفى عام ١٩١٢ تولت هذه الرئاسة الليدي اوليڤ سومز Olave Soames زوجة بادن باول .

وبدات حركة المرشدات تنتشر فى العالم منذ عام ١٩١٢ حتى الآن لما تحققه من مزايا خلقية كريمة واجتماعية للفتيات ..

ان هناك ١٠ قواعد تلتزم المرشدة بها دائما .. وهذه القواعد العشر هي :

١ ــ ان شرف المرشدات وثيق وفوق كل ريبة .

٢ ــ المرشدة مخلصة دائما لواجبها .

٣ ــ واجب المرشدة مساعدة الغير كلما امكن ذلك .

٤ ــ المرشدة صديقة للجميع واخت لكل المرشدات الاخريات .

٥ ــ المرشدة ترحب دائما بمساعدة الغير .

٦ ــ المرشدة صديقة للحيوانات وتعمل على الرافة بهم .

٧ ــ المرشدة مطيعة للاوامر .

٨ ــ التفاؤل من الصفات التي يجب ان تتحلى بها المرشدة .

٩ ــ الاقتصاد ميزة كل مرشدة .

١٠ المرشدة طاهرة فى تفكيرها وفى كلماتها وفى اعمالها .

هذه القواعد العشر هي اساس حركة



المرشدات وهي قواعد تطبق بدقة وبأمانة تامة .. وعلى أساس التطبيق يتم الحكم على صلاحية المرشدة وبقائها في الحركة الكشفية .

المرشدات في الكويت

مع بداية النهضة التعليمية فى الكويت .. بدات الحركة الكشفية .. بداية محدودة فى أولها .. لتنطلق مع الانطلاقة الكبيرة التي بدات فى كل ميادين الحياة فى الدولة الفتية .. ومع الحركة الكشفية للشبان بدات الحركة الكشفية للفتيات اى المرشدات Girl Guides . ان هذه الحركة لاقت بعض المعارضة فى اولها .. ولكنها استمرت تحبو فى طريقها كالطفل الوليد .. وكانت فى حاجة الى يد تمتد اليها حتى تقف على اقدامها وتسير فى طريقها . وحتى عام ١٩٦٥ كانت حركة المرشدات قاصرة على نشاط محدود داخل اسوار مدارس البنات وكان عددهن لا يزيد عن ٣٩٦ مرشدة ، وفى مايو ١٩٦٥ فتحت وزارة التربية أبواب المدارس المغلقة فى وجه المرشدات نحو مجالات أوسع .

وكان اول الغيث قطر كما يقولون فقد صدر قانون تأسيس جمعية المرشدات الكويتيات الذى ينص على ان اغراض الجمعية هي :

● رعاية حركة المرشدات في الكويت. وحماية النشء من الاستغلال ،ووقاية الفتيات من الاهمال الادبي والروحي والجسماني .. واعدادهن اعدادا كاملا ليكن مواطنات صالحات وذلك بتقوية اجسامهن وتنمية عقولهن وتهذيب نفوسهن .

● بث الروح الاجتماعية السليمة فيهن ، وتعويدهن على الطاعة والاعتماد على النفس ، وغرس روح الولاء للوطن .

● تدريبهن على القيام بالخدمات العامة النافعة .

نشاط كبير

بدات جمعية المرشدات الكويتيات عملها بنشاط كبير .. كانت امامها مشاكل كثيرة .. الواجبات التي يجب تنفيذها حمل ثقيل هي وحدها .. فما بالك وهناك صعوبات مالية واجتماعية .. لم يكن هناك سوى قلة من الآنسات والسيدات الكويتيات اللاتي يؤمن بانشاء جيل جديد من الفتيات مسلحات بالاخلاق الحميدة والصفات الحسنة التي تتميز بها المرشدات .. وبدات الآنسات المشرفات على الجمعية عملهن .. وكان



الى اليمين : مجموعة من المرشدات الكويتيات فى الطريق الى رحلة خلوية. وهن يحملن امتعتهن وادوات المخيم فوق ظهورهن . وفى الصورة العليا واحدة من المرشدات تساعد زميلة لها على تثبيت حقيبتها فوق ظهرها .

عملا شاقا. فقد بدان من الصفر تقريبا.. بدان في اعداد معسكر تطبيقي يتم فيه تدريب المرشدات على اعمال الاسعاف والتمريض .. وعلى الواجبات الكشفية .. وعلى حياة المعسكرات .. وعلى الاخلاق والتصرفات الحميدة .. باختصار على كل صغيرة وكبيرة ..

من نجاح الى نجاح

ولم يمض عام وبعض عام الا والحركة تتقدم من نجاح الى نجاح ..

وكان اهم نجاح حققته الجمعية هو ترشيحها فى المكتب الدولي للمرشدات .. وذلك امر لم يتحقق الا بعد ان جاءت الى الكويت مندوبة عن المكتب الدولي فى لندن حيث قامت بتفقد معسكر المرشدات .. والقت عدة محاضرات وندوات ودراسات حول الحركة الكشفية في العالم .. ثم رات بنفسها مدى النجاح الذى حققته المرشدة الكويتية ،وعادت لترفع تقريرا عن حركة المرشدات فى الكويت ايدت فيه قبول جمعية المرشدات الكويتية كعضو مرشحة فى المكتب الدولي .

وبدخول المرشدات الكويتيات الى المكتب الدولي ، اصبحت هناك مهمة عاجلة امامهن،انها مهمة اعداد جيل جديد من المرشدات مؤهل لتمثيل بلاده فى المعسكرات والمؤتمرات الدولية التي تعقد بين الحين والحين فى مختلف بلدان العالم .

واقيم معسكر خاص لتأهيل الفتاة الكويتية للاشتراك بالمخيمات العالمية وتمثيل بلادها فى الخارج .

بعثات كشفية الى الخارج

وخرجت الفتاة الكويتية فى بعثات الى انجلترا وعلى وجه التحديد الى مدينة جلوين (مسقط راس بادن باول مؤسس الحركة الكشفية) حيث يقام المخيم الدولى الدائم للمرشدات وذلك لاكتساب خبرة وتجربة .. وعادت المبعوثات ليطبقن ما درسنه فى الخارج على معسكرات الكويت .

يوم فى حياة مرشدة

ان المرشدة عليها واجبات كثيرة .. عليها ان تراعي قواعد الحركة الكشفية فى كل تصرف من تصرفاتها .. عليها ان تجيد عدة اعمال او تلم بها على الاقل .. انها مستعدة دائما لكي تقدم المساعدة عند الحاجة اليها .. وهي لذلك فى حاجة الى تدريبات والى اعداد . والاعداد تقوم به القائدات .. وفى الكويت يصل عدد المرشدات الى اكثر من ٢٥٠٠ مرشدة بينما عدد القائدات لا يزيد عن المائة .. !

واليوم فى حياة المرشدات فى المعسكر التطبيقي يبدا عند شروق الشمس حيث يقمن بتأدية الصلاة .. ثم تحية العلم ثم التمرينات الرياضية ، وبعدها ينقسمن الى عدة فرق .. فرقة تتلقى تدريبات على اعمال الاسعاف والتمريض..وفرقة تتدرب على اعمال التدبير المنزلي وفرقة على اعمال الاغاثة .. وفرقة رابعة تشرف على حياة المعسكر واحواله المعيشية من

الى اليمين : ليلى خلف السبعان قائدة فرقة المرشدات تتفقد احد الاقسام فى احد المعسكرات .. وفى الصورة السفلى المرشدات بالزى الوطنى كما ظهرن فى حفل افتتاح المخيم العربي الثاني للمرشدات الذى اقيم فى الجزائر .. وقد نال العرض الفني الذى قدمته المرشدات الكويتيات اعجاب جميع الوفود العربية المشتركة بالمخيم .

اعداد للطعام والشراب والنظام . وبعد انتهاء فترة التدريب الصباحي يتم جلوسهن للغداء جملة واحدة وفي جو يسوده الاخاء والمحبة .. وبعد ذلك تبدأ فترة العمل لبعد الظهر في محاضرات وتدريبات عملية .. وعندما تغرب الشمس تبدأ حفلات السمر البريء وتلتف الفتيات حول نيران المعسكر يعزفن مقطوعات من الموسيقى على الآلات المختلفة .. او يمارسن ضروبا من اللهو البريء .. وينتهي اليوم لتذهب كل واحدة منهن الى خيمتها حيث تقضي ليلتها في هدوء بعد يوم حافل بالعمل والتسلية .



مجموعة من المرشدات يقمن باعداد معرض لانتاجهن اليدوي والفني .. ان كل شيء في المعرض من صنع ايديهن .

المرشدات والجمعيات النسائية

لم تقتصر جمعية المرشدات على حصر نشاطها داخل نطاق الجمعية .. بل رات ان توسع نشاطها الاجتماعي والانساني بالتعاون مع الجمعيات النسائية الاخرى . فالمرشدات يساهمن مساهمة فعالة في اعمال هذه الجمعيات وقت الحاجة .. فهن قد ساهمن في اعداد الملابس للاجئين العرب بعد حرب يونيو ١٩٦٧ .. وساهمن في جمع التبرعات لهم .. وكان لهن دور كبير في جميع المجالات الاجتماعية والانسانية في السنوات الاخيرة . وذلك لما يتميزن به من ميزات تجعلهن اهلا لاى عمل يكلفن به .

نشاط عربي

وقامت مرشدات الكويت بنشاط كبير على الصعيد العربي .. فقد اشتركن في كل المخيمات او الدورات العربية التي اقيمت منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن . وهن يقمن الآن بالاعداد لعقد المخيم العربي الثالث الذي يرجين ان يقام على ارض الكويت ، فلو تحقق املهن لكانت هذه اول مرة تأتي الى الكويت مرشدات من كل الدول العربية ليلتقين مع زميلات لهن على ارض الدولة الفتية .. وليتعارفن وليتقاربن .. وليعشن بعضا مع بعض اياما او اسابيع مليئة بالعمال والتدريب والتسلية البريئة ..

وبعد ، ان حركة المرشدات في الكويت تكبر مع الايام .. وفي كل عام جديد نسمع مئات الاصوات الناعمة تردد في نفس واحد هذا القسم : « اعد بشرفي انني سأسعى جهدي لأداء الواجب نحو الله والوطن وان اساعد الناس في جميع الظروف ، وان اعمل بقانون المرشدات » معلنة بذلك انضمامها الى حركة الكشف .. وسيرها مع الركب نحو بناء مجتمع يسوده الحب والاخاء . ■

زينب بنت علي بن أبي طالب مرّة أخرى..

■ في مقالي هذا احاول ان اذكر بعض النقاط التى اريد ان انوه للقارىء الكريم عنها في مجلتنا حول موضوع الكاتبه الفاضلة « سنية قراعة » عن زينب بنت على بن ابى طالب رضى الله عنها .. وان مجلة « العربى » بالطبع تفتح صدرها وتقبل كل ما هو صحيح واملى في ذلك خدمة القراء والمجله والله الموفق وشكرا ..

المصادر التى قرات فيها واعتمدت عليها في جمع هذه النقاط ما يلي :

١ ــ « اللهوف في قتلى الطفوف » للسيد علي بن موسي الملقب بابن طاووس .

٢ ــ ابو الشهداء .. الاستاذ عباس محمود العقاد .

٣ ــ مقتل الحسين (ع) لابي مخنف (رض).

٤ ــ شهيد كربلاء للاستاذ محمد لبيب البوهي.

اما النقاط التى اختلف فيها مع الكاتبة الفاضلة فهى ما يأتي : ــ

١ ــ بالنسبة الى مقتل الحسن (رض) ذكرت معظم الروايات ان جعدة بنت الاشعث سمت زوجها الحسن بايعاز من معاوية لا من ابنه كما ذكرت الكاتبة الفاضلة فمعاوية كان معروفا بهذا وهو الذى يقول « ان لله جنودا من العسل » وقيل انه اوعدها بمائة الف درهم وبالزواج من ابنه .. فلما نفذت الامر اعطاها المال ولم يف بالزواج .. الخ ..

٢ ــ ذكرت الكاتبة في بداية المقال .. ان اهل الكوفة استدعوا الحسين وخدعوه للايقاع به وقتله كي لا يبقى اى معارض للخليفه . .! ! وهذا مغاير وبعيد عما ذكرته أصح الروايات وثقات المؤرخين ففي الكوفه وحدها كان هناك اكثر من زعيم واحد ينظم الامر ويدعو للحسين كحبيب بن مظاهر الاسدي وسليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن عبيد الثقفى وغيرهم وكاد هؤلاء ينجحون في الاستيلاء على الكوفة .. لولا النجدات الكثيرة والقسوة التى استخدمت من القادة الامويين فامتلأ سجن « الطاموره » المعروف باكثر انصار الحسين وخمدت الثورة بعد ان تفرق الباقون وخذلوه .

لذا حينما يخرج المختار من سجنه نجد هناك حربا شعواء بين الطرفين ..

٣ ــ ذكرت قول الحسين (وان اهل السماء لا يبقون) والصحيح « وان اهل السماء يبقون ».

٤ ــ استسلام الحسين (ع) مسالة لم تذكرها ابدا الروايات الصحيحه .. ويجب ان نعرف ان الاستسلام ليس بالشيء الهين على اصحاب العقائد وكالحسين مثلا وهو الذى يحمل فوق عبئه رسالة جده محمد (صلعم) ويعتبر نفسه مسؤولا عنها تجاه الخلافة الجديدة والوضع القائم . ثم كيف وهو الرجل الذى يشهد امامه مصرع اهله واصحابه ، وحينما ترهقه الحرب ! ! يذعن للاستسلام ليضع يده بيد الخليفه (على حد قول الكاتبة) وهو الرجل الذى لا تلين قناته والمعروف بتقاه وورعه وشجاعته .

٥ ــ قالت بان الحسين حينما سقط في المعركة . . تفرقت الجموع من حوله من اصحابه. والمعروف ان اصحابه جميعهم قتلوا وهو آخر من سقط في المعركة واستشهد .

٦ ــ المحاورة التى دارت بين عبد الله بن زياد وزينب بنت على ذكرتها الكاتبه خطأ والصحيح هو : عبيد الله : هذه لعمرى سجاعه ــ « لا شجاعة » ــ كما قالت الكاتبة . اى من السجع في الكلام .

ولقد كان ابوك شاعرا سجاعا « لا شجاعا » ! ! فهو الان في موقف العدو يريد بهذا ان ينتقص من شخصية ابيها بقوله شاعرا سجاعا ..

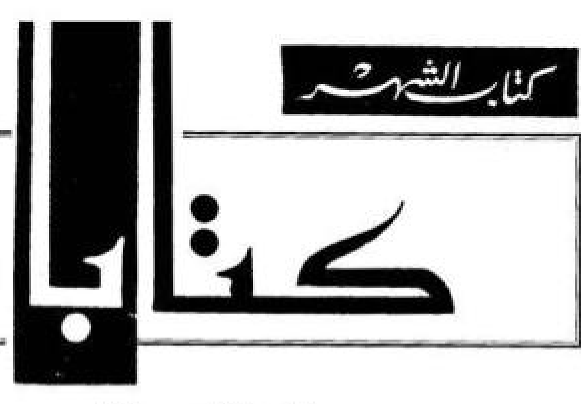
٧ ــ كلمة « ودت لو اني قتلته معه » .. والاصح « ودت لو اني قتلتها معه » .. ويقصد زينب .

٨ ــ أبيات الشعر التى قالتها وهي « زينب بنت عقيل بن ابي طالب » والتى مطلعها :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم
ماذا فعلتم وانتم آخر الامم

قيلت بعد ان جاء نبأ مقتل الحسين الى المدينة وليس حين وصول اهل بيته كما جاء في المقال هذا ونرجو من الله السداد والتوفيق . ■■

حسن البصراوي



بقلم : انيس المقدسي

■ ولد الفيلسوف فردريك نيتشه (Nietzche) سنة ١٨٤٤ فى بلدة روكن من اعمال المانيا .

وبعد ان اتم تحصيله العلمي في جامعتي بون وليبتسج عين استاذا للفلسفة في جامعة بال بسويسرا . وظل يعمل فى هذا المنصب عشر سنوات ثم اضطر للاستقالة أثر مرض خبيث الم به . بيد ان استقالته من التدريس لم تقعده كليا عن مواصلة عمله الفكرى ، فبقي يكتب ويؤلف حتى سنة ١٨٩٩ حين انتهى به المرض الى الفالج فالجنون . وفى السنة التالية توفى تاركا وراءه اثار عبقريته العلمية واضطراب قواه الجسدية والعقلية . فكانت مدة حياته ستا وخمسين سنة قضاها بين العمل والمرض والآلام الجسدية والنفسية . وهي فترة من الزمن ذات اثر عظيم في تاريخ الفكر الانساني العام . ففي خلالها ظهر كتاب داروين المشهور فى اصول الانواع (Origin of Species) وما تضمنه من تفسير جديد لظهور الاحياء على الارض وتطورها طبقا لناموس طبيعي متصل الاسباب ، مما احدث هزة عنيفة فى الاوساط العلمية والدينية ، حتى تضاربت الآراء فيه ، واختلف المفكرون فى النظر اليه . فمنهم من قبله وتحمس له ، ومنهم من رفضه وحاول تفنيده . وهناك من حرّمه على انه مناقض لما ورد فى الكتب المقدسة .

جبران خليل جبران

نيتشه

وقد ضل بل تطرف بعض مريديه الى اقصى الحدود حتى انكروا وجود



العالم الروحي وخلود النفس وحصروا الحياة الانسانية ضمن نطاق مادي بحت يبتدىء بالمهد وينتهي باللحد . وكان من هؤلاء المتطرفين صاحبنا نيتشه . فقد جرفه تيار الالحاد برغم انه نشأ فى اسرة مسيحية مؤمنة ، وكان والده من وعاظ الكنيسة اللوثرية . ولا يستبعد ان يكون لحالته الصحية وملازمته العلل له منذ شبابه ما جعله مرء النفس غريب النظرات فى الحياة والمجتمع مما حمل مترجم كتابه « هكذا تكلم زرادشت »(١) على ان يصفه فى مقدمته بقوله ـ « ذلك هو فردريك نيتشه ـ مجسم القوة المفكرة التي دارت بها الغائبات وحاصرتها الاوجاع وتصادمت مع تيارات الفلسفات التي كانت تهب فى ذلك العهد فى المانيا وفى اوروبا باسرها حاملة للعالم مبادىء تضعضع العقل وتهز المجتمع بتعويضها كل عقيدة تقيم امام الانسان غاية لحياته » .

وزرادشت (اوزارا كما اختصره مترجمه) هو مؤسس الدين المجوسي

---

(١) هو الاديب المعروف المرحوم فيلكس فارس

الذى ظهر فى بلاد فارس قبل الميلاد بنحو عشرة قرون . وقد اتخذه نيتشه معلما مثاليا ووضع على لسانه ما اراد ان ينشره هو فى الناس من اراء وتعاليم .

اما جبران فاديب وفنان لبناني ولد بعد مولد نيتشه بنحو اربعين سنة بقرب بلدة بشرى في شمال لبنان . ولما ترعرع هاجر مع بعض اهله الى الولايات المتحدة طلبا للرزق حيث عانى فى اول امره ما يعانيه كل مهاجر فقير وفى المهجر ظهرت (وهو بعد فتى) موهبته الفنية فى رسوم يدوية لفتت اليه انظار بعض المتذوقين للفن فاعجبت به سيدة امريكية وتبرعت بان ترسله على نفقتها الى باريس ليتقن فن الرسم هناك . وبعد ان قضى زمنا فى باريس عاد الى اميركا رساما محترفا . لكن الرسم لم يكن كل شيء وهبته الطبيعة. فما هي الا بضع سنوات حتى لمع نجمه فى سماء الادب والفكر .

ومثل نيتشه نشا فى بيت مشبع بالتعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية الموروثة وقد اصطدم بالحياة فتزعزع فى نفسه كثير مما نشأ عليه . على انهما لم يسلكا الى النهاية طريقا واحدة فنيتشه وقع كما ذكرنا تحت تأثير فلسفة مادية عنيفة . اما جبران فبرغم تأثرهبهذا المفكر الالماني ورغم تمرده في اول عهده على التقاليد الاجتماعية والدينية التي اصطدم بها لم يلبث ان تحول عن سلبيته المتمردة الى ايجابية بناءه اصبح معها ينظر الى الحياة من زاوية المثل العليا . وهكذا اخرج الى العالم كتابه المسمى « بالنبي » The Prophet الذى احرز شهرة عالمية واسعة .

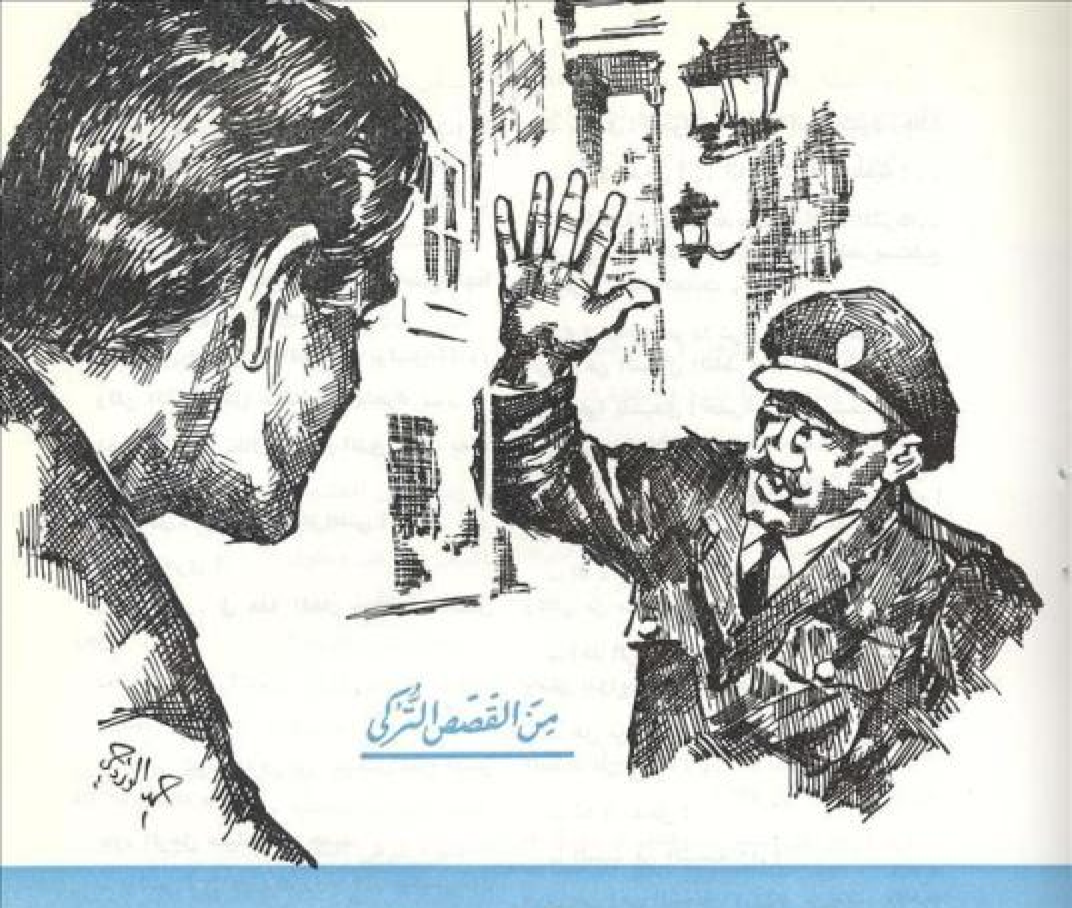
كتاب نيتشه وكتاب جبران

وضع جبران كتابه محتذيا كتاب نيتشيه المار ذكره . بيد ان هذا الاحتذاء لم يتجاوز الشكل الخارجي ، فالواقع أن معلمه الثاني « المصطفى » مختلف كل الاختلاف عن زرادشت . ويظهر اختلافهما فى شخصية كل منهما وفى الطريقة التي سلكها لحمل رسالته الى الناس .

فمعلم نيتشه (زرادشت) شخصية جبارة فى طلبها الخير والاصلاح نراه حين بلغ الثلاثين من عمره يهجر السكن بين الناس ويعتزل فى بعض الجبال مدة عشر سنوات يلتمس الحكمة حتى اذا شعر ببلوغ غايته ترك عزلته حاملا حكمته الى الناس ولكنه لم يلاق منهم الا السخرية وعدم الادراك . فتركهم ناقما وعاد الى عزلته . وبعد اعتكافه اعواما يدرك أن سعادة الحكمة فى معزله لم تزده الا شقاء والما فيقول ها انا راجع الى الناس التمس اساتي كل من ارهقته الاوجاع منهم . ويحاول مرة ثانية ان ينشر فيهم تعاليمه ويهديهم الى طريق التقدم الحقيقي كما يزعم ولكنه مرة اخرى يتركهم يائسا لما يراه فيهم من جهل وفساد . وشتان ما بينه وبين المصطفى ذى الشخصية السمحاء والروحانية الصافية الذى احب الناس واحبوه واستطاع بصفاء روحه وسمو افكاره أن يرفع نفوسهم الى الاعالي . فمعلم نيتشه لم ير فى الناس « سوى حشرات ساقطة وبخاصة اهل الرياء منهم الذين يطلون فسادهم بطلاء كاذب من الصلاح »

اما معلم جبران فنيِّر البصيرة سمح الخلق لطيف المعشر اقام بين الناس فاولعوا بحكمته . ولما حان موعد مفارقته لهم شيعوه بقلوب منكسرة الى ساحة المدينة وهناك امام المعبد وقفوا بخشوع يطلبون منه ان يحدثهم قبل الفراق عن كل ما تهمهم معرفته من امور الحياة فلبّى طلبهم وشرع يجيب كل سائل منهم عما يود معرفته . وكانت تعاليمه غاية في الجمال الفكرى والسمو الروحي .

ومن ظواهر الاختلاف بين المعلمين رغم



أنا لا أتدخل

للكاتب التركى الساخر عزيز نسين

■ ـ بوليس ! .. الحقوا ! .. النجدة !! ..

توقفت المارة عن السير .. وراح الناس يتجمعون من هنا وهناك حول رجل يصيح ويستنجد ..

كان هناك نفر من رجال الشرطة ايضا .. غير أن أحدا منهم لم يكن ليبدى أى اكتراث .. بل كانوا يشقون طريقهم خلال الزحام ، ويواصلون سيرهم من دون أن يلتفتوا اليه ..

ـ بوليس !! .. ياحماة الامن !! ...

شيء غريب ! كان رجال الشرطة صم ، لا يسمعون ! ..

ابصر الرجل شرطيا على الرصيف المقابل .. هل من المعقول انه لم يسمع ؟ ..

وضع الرجل يديه على جنبي فمه ، وصنع منهما بوقا .. ثم شرع ينادي بصوت عال :

ـ بوليس ! الحق ! النجدة ! بوليس !! ..

ولكن الشرطي ظل ساكتا ولم يتحرك ...

اخترق الرجل نطاق الزحام الذى احاط به ، واتجه صوبه :

ـ سيدى ! من فضلك ! اترافقني ؟

ـ ماذا جرى ؟

ـ هاهنا .. فى هذا الخان يحاولون قتـــل رجل ! ..

ـ انا لا أتدخل ! ..

ـ لماذا ؟

ـ انا من شرطة المرور .. سيختل نظام السير اذا انا غادرت مكاني .

عاود الرجل صياحه من جديد

ـ بوليس ! الا من ينقذ روحا ؟.. بوليس !..

كان ثمة شرطي يسير متعجلا ـ فخف الرجل اليه :

ـ سيدى ! دقيقة واحدة ! هاهنا يرتكبون جريمة قتل ! هل ستأتى معى ؟ ..

ـ انا لا اتدخل ! راجع شرطة الشعبة ١٦ ، انا انظر فى جوازات السفر فقط ! ..

اخذ الرجل يركض يمنة ويسرة وقد استبد به القلق ، وغمرته الحيرة وهو يردد :

ـ بوليس ! انهم يقتلون رجلا ! بوليس !!

هيه ! هوذا شرطى آخر ! هرع الرجل اليه :

ـ نشدتك الله ياسيدى .. هنا جريمة قتل !..

ـ انا لا اتدخــل ! انــا شرطــي مراســل فى وزارة (...) .

انطلق الرجل الى شرطى لمحه وهو يحادث بائع خضروات .

ـ سيدى ! أرجوك أن تسرع ! انهم يقتلون رجلا !

ـ انا لا اتدخل ! .. انا من شرطة البلدية ! ..

وفي الحقيقة كان ثمة عديدون من أفراد الشرطة .. ولكن من سوء الطالع لم يكن فيهم واحد يستطيع التدخل فى هذا الحادث ..

شكرا لله ! هاهو ذا شرطى آخر ! ولكى يتفادى الرجل من السؤال القلق ، ابتدره قائلا :

ـ عفوا ياسيدى ! حضرتك من اى شعبة ؟

ـ من الشعبة ١٦ .

ـ بالمصادفة الطيبة ! هنا رجل يريدون قتله ! هل تتفضل معى ؟ ..

ـ انا لا أتدخل ! انا من الشعبة ١٦ ، صحيح ! ولكني من مكتب مقاومة السرقة !

ـ أخذ الرجل يعدو فى اتجاه ساحة « البلد » ، وتعلق بذراع أول شرطي لقيه فى طريقه :

ـ هل من باس ان جئت ؟ هاهنا رجل يريدون القضاء على حياته ! ..

ـ انا لا اتدخل !

ـ الست من الشعبة ١٦ ؟

ـ بلى ! من الشعبة ١٦ ولكن من مكتب مكافحة المهربين ! عليك بشرطة مكتب مكافحة الجرائم !

وفى هذه الاثناء كان الزحام قد بلغ ذروته ، واخذ الشارع يموج باكداس من الناس .

قبض الرجل على شرطى آخر .

ـ من الشعبة ١٦ ؟

ـ نعــم !

ـ من مكتب مكافحة الجرائم ؟

ـ نعم !

ـ شكرا يارب ! سيدى ! أسرع ! هنا رجـــل يريدون الفتك به ! ..

ـ انا لا اتدخل !

ـ لماذا ؟

ـ المنطقة ليست منطقتى ! انا تابع لمنطقـــة (صور ما أغى) .

واذ استدار الرجل ، وهو فى اشـد حالات الانزعاج ، وجد نفسه وجها لوجه مع شرطي اخر .

ـ عفوا ! هل أنت من الشعبة ١٦ ؟

ـ نعم !

ـ من مكتب مكافحة الجرائم ؟

ـ نعم ! ماذا بك ؟

ـ آه يا اخى ! هنا رجل يريدون قتله !

ـ انا لا اتدخل ! انا اليوم فى اجازة !

وفى هذه اللحظة تماما اقترب احدهم من الرجل الحائر ، وهمس فى اذنه :

ـ لقد حدث لي نفس الشيء ! ما هكذا يكون البحث عن الشرطة ! ان كنت تبحث عن الشرطة حقا ، فانطلق الى هذه الساحة ، واصرخ :

ـ « ما هذه المخازى) ...... » .

وقف الرجل فى منتصف خط الترام ، وبـدا يصيح بكل ما فى حنجرته من قوة :

ـ ما هذه المخازى ؟ .. ما هذا الاستهتار ؟ .. هل رأى احد شيئا كهذا ؟

اراد الرجل ان يستمر .. ولكنهم لم يتركوا له فرصة .. انقض عليه الجمهور الذى كان قـد احتشد حوله ، واخذوا بتلابيبه ، ثم اخـذوا يجرونه ، ويدفعونه امامهم دفعا .

ـ امش الى مركز الشرطة !

ـ من تكونون انتم ؟

ـ من الشرطة السرية !

بدأت الصفارات تنطلق من كل اتجاه .. وكان الشرطي المجاز أول من هرع الى صوت الصفير ، ثم لحق به الشرطى من منطقة « صور ما اغير » .

واذ كانت الصفارات تدوى بلا انقطاع ، شوهد شرطي المرور وشرطي البلدية يهرولان .

كان هناك ايضا الشخص الذى اسـدى النصيحة .. فرنا اليه الرجل ببصر زائغ :

ـ هل انت شرطي ايضا ؟

ـ انا مفوض شرطة !

وعند مرور الحشد من امام الخان الذى وقعت فيه المشاجرة ، شاهدوا الجريح منطرحا عـلى الارض وهو يئن ويتلوى .

قال الرجل :

ـ ما اجدره بالرثاء !

فسأله شرطى المرور :

ـ أهو ذو قرابة منكم ؟

ـ كلا ! لا اعرفه مطلقا..انا استنجدت بالشرطة باسم الانسانية وحسب .

فنهره شرطي البلدية :

ـ امض بسرعة ! الا تراه قد لطخ أرض الشارع بدمه ؟ .. سأعود لاحرر ضده مخالفة بعد تسليمك الى المخفر .. ■■

ترجمة : **احمد مصطفى الخطيب**

معوقات" في طريقه

● قال رجل من تلامذة الاعمش : صنعت للاعمش طعاما ، ثم دعوته ، فمضى معي وانا اقوده فسقطت رجله في حفرة يعملهـا الصبيان للكرة . فقال : ماهذا ؟ قلت حفرة يعملها الصبيان للكرة . قال : لا ولكنك حفرتها لتوقعنى فيها ، والله لا اكلت عندك يومى هذا طعاما . قال فحملت الطعام اليه . ثم صنعت له بعـد ذلـك طعاما ودعوته اليه ، فقال : ادخل بنا الحمام قبل ذلك ، فأدخلته الحمام ، فلما صببت الماء الحار على رأسه قال : ما دعاك الى هذا ؟ اردت ان تسلخ قفاى ؟ والله لا اكلت عندك يومى هذا .

طرائف عربية

لا تتسرع بالحكم

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضي اذ دخلت علينا امرأة تشكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا . فقلت اصلحك الله ، ما أراها الا مظلومة ماخوذا حقها ، قال : وما علمك ؟ قلت : لشدة بكائها وكثرة دموعها قال : لا تفعل الا بعد أن تتبين الأمر ، فان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون .

أفضل الخيل

سأل معاوية بن أبى سفيان صعصعة بن صوحان . اى الخيل افضل ؟ فقال : الطويل الثلاث ، والعريض الثلاث ، والصافي الثلاث . قال : فسر لنا هذا . قال : أما الطويل الثلاث ، فالاذن والعنق والحزام . وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك . وأما الصافي الثلاث ، فالاديم والعين والحافر .

فضح نفسه

قال ابو دلامة : كنت مع مروان بن محمد ايام الضحاك الحروري ، فخرج فارس منهم فدعا الى البراز ،فخرج اليه رجل فقتله ، ثم ثان فقتله ، ثم ثالث فقتله . فانقبض الناس عنه ،وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف؟ قال : فلما سمعت عشرة آلاف هانت عليّ الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف ، وبرزت اليه فاذا عليه فرو قد اصابه المطر فابتل ، ثم اصابته الشمس فانقبض ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان ، فلما رآني فهم الذى اخرجني ، فاقبل نحوي وهو يرتجز ويقول :

وخارج اخرجه حب الطمع
فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوى أهله فلا رجع

فلما رأيته قنعت راسي ، ووليت هاربا . فقال مروان : من هذا الفاضح ؟ فدخلت في غمار الناس .

تعشق

كان اشعب يختلف الى جارية فى المدينة ، ويظهر لها التعاشق ، الى أن سألته سلف نصف درهم،فانقطع عنها . وكان اذا لقيها فى طريق سلك طريقا اخرى . فصنعت له نشوقا واقبلت به اليه . فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نشوق عملته لك لهذا الفزع الذى يعتريك .

● قالت الحكماء : أسوس الناس لرعيته من قاد ابدانها بقلوبها ، وقلوبها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة .

اجاره وأجزل له العطاء

● اهدر المهدى دم رجل من اهل الكوفة كان يسعى في فساد دولته ، وجعل لمن دله عليه او جاء به مائة الف درهم . فاستجار الرجل بمعن بن زائدة ، فعلم المهدى انه عند معن فأرسل في طلبه ، فلما مثل بين يدى المهدى قال : يا معن تجير علي ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . قال : ونعم ايضا . . واشتد غضبه وزمجر ، فقال معن : يا امير المؤمنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر الفا ، ولي ايام كثيرة قد تقدم فيها بلائي ، فما رايتموني اهلا ان تهبوا لى رجلا واحدا استجار بي ؟ فاطرق المهدى طويلا ، ثم رفع راسه وقد سُرّى عنه . فقال : قداجرنا من اجرت . قال معن : فان رأى امير المؤمنين ان يصله ، فيكون قد احياه واغناه . قال : قد امرنا له بخمسة آلاف درهم . قال معن : يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية ، وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة . قال : قد امرنا له بعشرة آلاف ، قال فتعجلها يا امير المؤمنين . فان خير البر عاجله .

حمار وأي حمار !

● قال الهيثم بن عدىّ : بينا انا بكناسة الكوفة اذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس من نخاسي الكوفة ، فقال اريد حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ، اذا خلا له الطريق تدفق واذا كثر الزحام ترفقّ ، وان اقللتُ علفه صبر ، وان اكثرته شكر ، واذا ركبته هام ، واذا ركبه غيرى نام . فقال له النخاس يا عبد الله اذا مسخ الله القاضي حمارا اصبتَ به حاجتك ان شاء الله .

نقوده

فقال : اشربيه انت للطمع . فلو انقطع طمعك انقطع فزعي وانشأ يقول :

اخلفي ما شئت وعدى
وامنحيني كلّ صدّ

قد سلا بعدك قلبي
فاعشقي من شئت بعدى

انني آليتُ لا
اعشق من يعشق نقدى

(بقية المنشور على صفحة ١٢٨)

وجوب العدل والمساواة بين الناس . وهي ما دعا اليه الانبياء والمصلحون في كل الاجيال . اما معلم نيتشة فقد خالف هذه السنة اذ يقول -

« ليس ظلم اروع من حق المساواة بين الجميع لانه يقيم نظاما ينزل الارهاق باهل الرقي . »

« ان تعاليم زرادشت قد وجهت الى الطبقة المعدة للسيادة في آتى الزمان ، لان على من سيحكمون الارض ان يقوموا مقام الالهة ليخلقوا في الطبقة المحكومة الثقة التامة الاصيلة . فعليهم ان يمهدوا سبل السعادة لمن دونهم بتضحية لذاتهم وراحتهم . وعليهم ان ينقذوا من لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون امهال . »

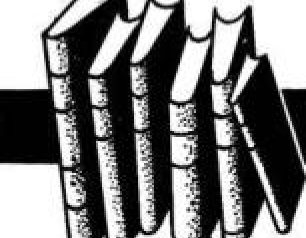
ايها العناكب المضللون المبشرون بالمساواة ، وما انتم في نظري الا مستودع لعواطف الانتقام . ساكشف عن مكانكم وانا اواجهكم بقهقهة تسقط عليكم من الذرى التي اتسامها . وهانذا امزق نسيجكم حتى اذا تملككم الغضب خرجتم من مغاور اكاذيبكم وتدفقت نقمتكم بكلمة العدل التي تتفوهون بها . »

« اي كهان المساواة لقد تسلط عليكم جنون عجزكم فهتفتم بهذه المساواة وقد كمنت شهوة عتوكم واستبدادكم وراء ما تعلنون من فضائل . ان العدالة قد علمتني أن لا مساواة بين الناس ، وانه من الواجب ان لا يتساووا وليس لي ان اقول بغير هذا المبدا ، والا فان محبتي للانسان تصبح ادعاء » .

فالمساواة عنده مناقضة للعدالة والمحبة . لان العدالة تقضي بان يعطي كل ذى حق حقه بالنسبة الى مواهبه وعمله ، والمحبة الحقيقة تقضي بان تمهد الطريق لنشوء الانسان الافضل ، ولو بتضحية الاضعف او العاجز بين الناس.

وليس في كتاب جبران باب خاص يتحدث به المصطفى عن هذا الموضوع الهام ، ولكن احاديثه جميعها قائمة على ان الناس سواء في نظر الحق الالهى . فكل فرد منهم ذو طبيعتين - طبيعة البطل الذى ينزع دائما الى الاعالي ، وطبيعة القزم الذى يقصر عن الارتفاع فيظل متمرغا في السفلى من المواطن ، واهم ما يطلب منه ان يغلب الاولى على الثانية فيه ولذا كان هم المصطفى ان يفتح عيون الناس ليبصروا الحق ويحققوا بتصرفاتهم الانسانية العادلة مطالب الحياة الراقية . ■■

بيروت — **انيس المقدسي**



مِنَ الكتب التي وصلتنا

معالم تاريخ الجزيرة العربية

تأليف : سعيد عوض باوزير / الناشر : منشورات مؤسسة الصبان وشركاه / عدن

● دراسة تاريخية شاملة عن الجزيرة العربية والأحوال الطبيعية لجزيرة العرب . ثم دراسة عن الحضارات القديمة المختلفة التى قامت في جنوب الجزيرة العربية مثل دولة معين ومملكة حمير ثم ذكر لأحوال العرب قبل الاسلام .

اما القسم الثانى من الكتاب فيتناول دراسة جزيرة العرب حسب تقسيمها السياسي الحاضر حتى قيام المملكة العربية السعودية ، ثم نبذة عن امارات الخليج العربى واهميتها .

المفسدون في الارض

جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ
تأليف : سليمان ناجي ـ الناشر :
مطبعة الانشاء ـ دمشق

● دراسة مستفيضة شاملة عن اليهود عبر الآماد الموغلة في التاريخ وتغلغل النفوذ اليهودي في الاصقاع المختلفة من العالم منذ العصور القديمة الى العصر الاسلامي والقرون الوسطى واتساع نفوذهم في اوروبا في العصور الحديثة .

والغاية من تأليف هذا الكتاب هو القاء الضوء على اسباب نكسة عام ١٩٤٨ ومنها النقص الفاجع في توعيتنا القومية والوطنية ، وتشيعنا للمذاهب دون البحث في خفاياها وما يكمن وراءها مثل الماسونية وغيرها من مذاهب هدامة .

التمثيل والتمثيلية : فن التمثيل العربي

تأليف زكي طليمات / الناشر :
وزارة الشئون الاجتماعية والعمل / الكويت

● بحوث موجزة في ثقافة فن التمثيل تتناول المسرحية منذ بداياتها على أيدي الاغريق ثم عرض لبعض المسرحيات الاغريقية القديمة ومؤلفيها وتقديم لهذه الاعمال الفنية . والقسم الثاني من الكتاب يتناول فن التمثيل من حيث نشأته باللسان العربي واللهجات المحلية في بعض الاقطار العربية ثم دراسة عن الرواد الاول للمسرح العربي ونماذج لنتاجهم المسرحي .

الاسلام والحياة الزوجية

تأليف : عثمان السعيد الشرقاوي / الناشر :
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة

● كتاب يشرح اسس المعاملة الصحيحة بين الزوجين كما يقررها الدين الحنيف . والعلاقة بينهما وبين اولادهما ومن يخالطونهم ، ثم يشرح الكتاب الصفات التي يراها الاسلام في الزوجة الصالحة ، وكيف تختار الفتاة شريك حياتها ، كما اورد المؤلف بعض مشكلات الاسرة المعاصرة ، ورأي الاسلام فيها، كتعدد الزوجات وتنظيم النسل والطلاق واشتغال المرأة . وقد استقى المؤلف مراجعه في هذا البحث مما جاء في القرآن الكريم ومن اقوال النبي صلوات الله عليه وسلوك الصحابة والتابعين في حياتهم الاسروية .

الاعلام والدعاية

تأليف : الدكتور عبد اللطيف حمزة/ الناشر :
مطبعة المعارف / بغداد

● كتاب يتناول بالدراسة البحث والاعلام والدعاية ، وقد تناول المؤلف في بحثه هذا الاجابة على ثلاثة اسئلة بهذا الخصوص : السؤال الاول: متى كان للرأي العام وجود في التاريخ؟أما السؤال الثاني : فكان عن الرأي العام والاعلام والدعاية. والسؤال الثالث : متى كان للدعاية وجود في التاريخ ؟ .

والمؤلف يحاول ان يوضح الفارق بين الاعلام والدعاية،فالاعلام عنده يقوم على الاخبار الصحيحة والحقائق الثابتة من الارقام والاحصاءات . أما الدعاية فتعتمد في أساسها على العواطف أو ما يسمى بالاستهواء النفسي .

جونة العطار
من طيب القرائح في الاشعار

جمعه وشرحه
عبد القادر الشاط / تقديم عبد الله كنون /
الناشر : دار كريماديس للطباعة / تطوان/المغرب

● مجموعة قصائد شعرية منتقاة مقسمة الى اربعة عشر بابا في الوصف والمديح والرثاء وبقية فنون الشعر الاخرى ، وتمتاز هذه المجموعة أنها في أكثر محتواها من روائع شعر المولدين. وقد اهتم المؤلف بذكر سنة ولادة الشاعر ووفاته والتعريف بالشاعر ، كما قام بشرحها شرحا موجزا يستعين به القارىء في فهم النص .

ادارة المشاريع الصناعية
(الادارة الصناعية)

تأليف المهندس محمود الشكرجي / الناشر :
مطابع دار الكتب / بيروت

● كتاب يبحث في الادارة الصناعية ويقدم صورة لمختلف عمليات المنظمة الصناعية، وقد بحث المؤلف في هذا الجزء الأدوات الرئيسية للادارة ، مثل العلاقات الانسانية ، والعلاقات الصناعية ، وقواعد الامان الصناعي ثم موضوع التكنولوجيا الصناعية الحديثة ، وهذه الادوات الرئيسية الاربع تكون وظائف مساعدة تقوم بمساعدة المجرى الرئيسي للادارة للاستمرار والتدفق بكفاءة. ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

مظاهر التقدم ومقوماته

● كثيرا ما نسمع عن الدول المتقدمة والدول النامية في هذه الايام . فأي الدول دول متقدمة وايها نامية . وما هي مظاهر التقدم ومقوماته ..

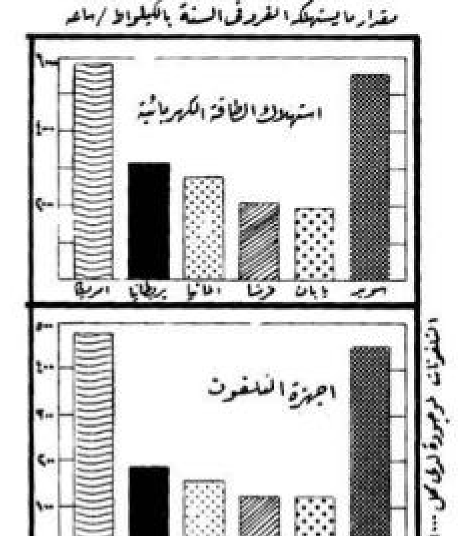
الحسن اليوسف ـ المملكة المغربية

ـ الدول المتقدمة هي دول اوربا وامريكا الشمالية والدول النامية هي سائر الدول الاخرى، دول افريقيا وامريكا الجنوبية وآسيا . على ان هذا التصنيف ليس مطلقا . فاليابان ونيوزيلنده واستراليا وجنوب افريقيا دول متقدمة مع انها ليست اوربية ولا امريكية . ومثل ذلك يقال في اليونان ، وهي لا تعتبر في عداد الدول المتقدمه ، رغم موقعها الجغرافي . وتجدر الاشارة الى أن مجموع سكان الدول المتقدمة كلها لا يزيد على ١ الى ٤ من مجموع سكان الدول النامية، وان نسبة اولئك وهؤلاء من مجموع سكان العالم هي ٨٠٪ و ٢٠٪ على التوالى .

ولعل مستويات العيش المرتفعة في الدول المتقدمه هي ابرز مظاهر التقدم فيها . وتعطيك البيانات الواردة اربعة امثلة على ارتفاع تلك المستويات . فهي تبين لك مدى انتشار السيارات واجهزة التلفون واجهزة التلفاز فضلا عن استهلاك الطاقة الكهربائية وذلك في ست من اكثر الدول تقدما .

على ان ارتفاع مستويات العيش يفترض وفرة في الدخل القومي وبالتالي في متوسط دخل الفرد السنوى . ويبلغ هذا المتوسط ٣٨٤٠ دولارا في الولايات المتحدة و ٢٨٥٠ دولارا في ايسلنده و ٢٧٣٠ دولارا في السويد . ولا يقل المتوسط الذى ذكرنا عن ٢٦٧٠ دولارا في كندا و ٢٤٨٠ دولارا في سويسره و ٢٣٢٠ دولارا في الدانمرك . وينزل دخل الفرد الوسطي هذا الى ٢٠٦٠ دولارا في فرنسا و ٢٠٢٠ دولارا في النروج و ٢٠١٠ دولارات في المانيا الغربية . وهو لا يزيد على ١٩١٠ دولارات في بريطانيا . اما الدول النامية فقد يهبط متوسط دخل الفرد فيها الى ١٠٠ دولار ، وهو لا يجاوز على كل حال ٦٠٠ دولار في السنة .

ولا يخفى ان ارتفاع متوسط الدخل في الدول

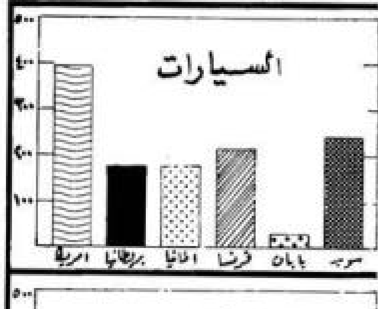


ملاحظة : المقصود بامريكا ليس القارة

المتقدمة ، كارتفاع مستويات العيش فيها ، انما يعزى للصناعة السائدة في تلك البلاد . والجدير بالذكر ان الصناعة وما يترتب عليها من غنى ورخاء لا تقوم لها قائمة بدون المدارس والمعاهد والجامعات . فضلا عن ذلك فان الاقبال على العلم وطلب المعرفة يقف عند حد لا يتعداه في البلاد التي تفتقر الى التصنيع والصناعات .

وتجدر الاشارة الى ان الولايات المتحدة ، التي تفوق سائر الدول صناعيا وتتمتع نسبيا باعلى دخل قومي في العالم ، قد بلغ مجمل هذا الدخل في العام الماضي (٨٥٠....) مليون دولار ، لتتفوق غيرها من الدول نسبيا ايضا من حيث مجموع الخريجين الجامعيين فيها ، وقد بلغ عددهم في السنة الماضية ٦٥٠.... خريج.

(ى.ذ)



وانما الولايات المتحدة الامريكية فقـط

هل كان للعرب معرفة بعلم الكف ؟

● نسمع أن من علوم الفراسة علم الكف . فهل كان للعرب معرفة بهذا النوع ؟

فوزى سلطان ــ القاهرة

ــ الخط من خطوط باطن الكف يسمى في اللغة العربية « السِّر » وجمعه « الأسرار » وعلم الكف يعتمد على دراسة الخطوط التى في باطن الكف ، كما يعتمد على امور اخرى كشكل الكف والأصابع وما في الكف من تلال او بقع .

ومن الشواهد الادبية في اللغة العربية نتبين ان العرب ومن عهد الجاهلية كان لهم في الكف فراسة او عيافة يستدلون بها على بعض التنبؤات .

قال الأعشي :

انظـرْ الى كـف واســرارها
هل انت ان أوعدتنى ضـائرى

قال ابن قتيبة في كتابه المعانى الكبير « الأسرار خطوط الكف ، وكانوا ينظرون اليها فيستدلون بها . » وقال الكميت :

وانظر الى أسـرار كفـــ
ـــك أجـم مقلـوم الأظافر

الأجم : الذى لا سلاح معه ، وكذلك المقلوم الأظافر ، يقول انظر الى اسرار كفك فهل تقدر لى على ضرر ؟ وقال جرير :

ومـا كان ذو شَـعْب يمارس عيصنا
فينظر في كفّيـه الا تندمـــا

العيص : القَبِيْضة ، شبه حسبهم به ، يقول اذا تعيّف فنظر في كفيه علم انه ملاقٍ شراً .

وقال الحضرمى بن عامر الأسدى :

وتنظـر في أسـرار كفّى هل ترى
لنا خلفـاً فيما يفيـد وينفـق

وعبد المطلب جد الرسول (ص) قال له احد العرافين « انى ارى في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة » فلعله من هذا القبيل وانه تفرس في كفيه .

والله أعلم .

(ع. ف)

قصة كفاح هيلين كيلر .. المرأة العمياء

● من هي هيلين كيلر التي توفيت اخيرا ، وكيف استطاعت ان تصل الى ما وصلت اليه وهي الصماء البكماء العمياء ؟ هل لكم ان تقدموا لنا نبذة عن حياة هذه السيدة ؟

محمود جاد الله ـ الرياض ـ السعودية

ـ هيلين كيلر Helen Keller ، معجزة من معجزات الدنيا . قال عنها الكاتب الكبير مارك توين (١٨٣٥ ـ ١٩١٠) : « ان اعظم شخصيتين في القرن التاسع عشر هما نابليون وهيلين كيلر ».

عاشت ضريرة ولكنها كانت ترى ..

وعاشت صماء ولكنها كانت تسمع ..

وعاشت بكماء ولكنها استطاعت ان تتكلم بلسان غيرها ، وتروي قصة حياتها كاملة في المحاضرات التي كانت تلقيها على الناس وفي كتبها ومؤلفاتها التي عكفت على وضعها بعد ان تقدم بها العمر ..

ولدت هيلين كيلر في ريف ايفين جرين Even Green بولاية الاباما الامريكية في ٢٧ يونيو عام ١٨٨٠ ، وكانت طفلة طبيعية ترى وتسمع وتنطق ببضع الكلمات التي تجيء على شفاه الاطفال في هذه السن المبكرة .. الى ان جاء يوم اصيبت فيه الطفلة الصغيرة ، وهي لم تكمل بعد الشهر التاسع عشر من عمرها ، بحمى في المخ ، افقدتها حاستي البصر والسمع وبالتالي القدرة على الكلام .

وبقيت هيلين الصغيرة صماء بكماء خرساء الى ان بلغت السابعة من عمرها ، عندما احضر لها والدها معلمة من معهد بيركنز للعميان بمدينة بوسطن بولاية ماساشوستس ، وكانت المعلمة الجديدة هي آن سوليفان ، فتاة ضريرة في العشرين من عمرها ، ابصرت من بعد ظلام على اثر سلسلة من العمليات الجراحية التي اجراها لها الاطباء . ولعل هذا هو سبب العطف الشديد الذي كانت تشعر به المعلمة تجاه تلميذتها الصغيرة العمياء .. فقد عرفت آن سوليفان حياة الظلام قبل ان تستعيد نعمة البصر . فبقيت بجانب تلميذتها ، فكانت هي عينيها ، واذنيها ولسانها حتى ماتت في عام ١٩٣٦ .

سالوا المعلمة يوما : « كيف بدأت هيلين تتعلم ؟ »

النساء اكثر من الرجال !

● من هو الجنس الاكثر عددا في الولايات المتحدة الامريكية .. هل هم النساء ام الرجال ؟ وكم عدد كل منهم ؟

حمدي . الاردن

ـ النساء في الولايات المتحدة اكثر من الرجال ، ففي احصاء ١٩٦٠ ثبت ان عدد النساء ٩٠ر٩٩١ر٦٨١ امرأة بينما لم يزد عدد الرجال عن ٨٨ر٣٣١ر٤٩٤ رجلا فقط .. يضاف اليهم ٧٢٠ر٦٠٩ جنديا كانوا في خارج الولايات المتحدة اثناء اجراء التعداد ..

س . ز

دلالة اللون الاحمر

● كثيرا ما يرتبط اللون الاحمر بالشيوعية ، فما حقيقة هذا الارتباط ؟ وما علاقة الشيوعية باللون الاحمر ؟

احمد سليمان/بيروت/لبنان

ـ الواقع ان اللون الاحمر لم يرتبط بالشيوعية بوصفها مذهبا سياسيا واجتماعيا ، وانما ارتبط بها من حيث انها حركة ثورية فحسب . فعندما قامت الثورة البلشفية في الاتحاد السوفيتي في اكتوبر عام ١٩١٧ ، حمل الثوار العلم الاحمر



الصماء البكماء

قالت : « كانت تقف معي في احد الايام بجوار مضخة المياه عند باب المنزل الخارجي ، عندما كان احد المارة يستخرج الماء ويملأ السطل الذى يحمله .

« وامسكت يد هيلين ووضعتها تحت الماء المتدفق .. وبينما الماء البارد يتساقط فيبلل يدها ، تهجيت على يدها الاخرى حروف الكلمة « ماء » .. ونظرت الى عينيها فوجدتهما يلمعان ببريق عجيب .. لقد نفذت الاشارات الجديدة الى اعماقها .. وفجاة انحنت هيلين الصغيرة ولمست الارض باصابع يديها ، وعرفت اسم الارض بنفس الطريقة ، وعندما اقبل المساء كانت قد تعلمت مائة كلمة !

وهكذا راحت الطفلة المعجزة ترتقى سلم العلم درجة من بعد درجة . كانت تقرأ بطريقة بريل للعميان ، ولكنها تكتب على الالة الكاتبة التى صممت خصيصا للذين فقدوا نعمة البصر .. وبهذه الالة كتبت رسالتها وحصلت على الدكتوراه القانون من جامعة جلاسجو باسكتلنده .

ولكن حياتها بعد التخرج ، لم تكن حياة سهلة ، وانما كانت كفاحا متواصلا من اجل لقمة العيش ، فقامت بعدة رحلات الى مختلف انحاء العالم ، زارت خلالها المعاهد والمؤسسات التى شيدت لامثالها من الاطفال الذين حرموا نعمتى البصر والسمع .

وكانت تحدثهم بلسان معلمتها وسكرتيرتها وتحكي لهم جانبا من تجاربها الخاصة في الحياة ، الى ان تفرغت في النهاية للتاليف فوضعت عددا كبيرا من الكتب والمؤلفات ، كما ظهرت في فيلم يروى قصة حياتها .. ومن اشهر كتبها ، قصة حياتي ، والعالم الذى اعيش فيه ، والخروج من الظلام .

سالوها يوما : « اذا ابصرت .. ما هو اول شيء تريدين رؤيته ؟ » فقالت : « ان أرى الناس الذين ساعدوني وشجعوني برحمتهم وصداقتهم .. » ثم مالت نحو معلمتها وصديقتها آن سوليفان وطبعت قبلة طويلة على جبينها !

(م.ن)

كناية عن الثورة . كذلك ثوار فرنسا رفعوا العلم الاحمر . ابان الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

فالعلم الاحمر اذن يرمز الى الثورة والدم . وكان قبل ذلك يرمز الى الحرب والدعوة الى حمل السلاح ، كما حدث في عهد الامبراطورية الرومانية ، فكان الرومان يرفعون العلم الاحمر كلما استعدوا لخوض غمار حرب جديدة .

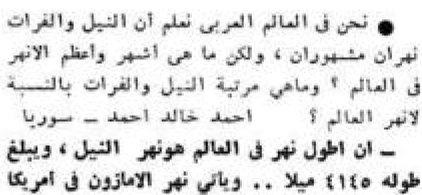
وفي فرنسا ، في عهد الملك لويس السادس عشر رفعت الحكومة العلم الاحمر . وكان ذلك في ١٧ يوليو ١٧٩١ عندما رفض الثوار ان يتفرقوا ، فاضطرت الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية لتفريقهم بقوة السلاح .

اما في الثورة البلشفية فقد بقي العلم الاحمر رمزا للثوار حينا ، ثم ما لبث هذا العلم ان اصبح العلم الوطني للاتحاد السوفيتي بعد اضافة رسم المطرقة والسندان اليه .

فهذا هو السبب في ارتباط الشيوعية باللون الاحمر . وكثيرا ما تسمع الناس تصف رجلا بانه أحمر ، يعنون بذلك انه شيوعى المذهب .

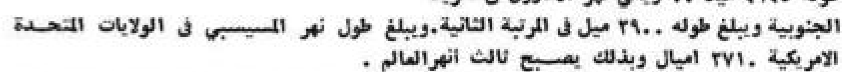
(م.ن)

الفرات .. يحتل المرتبة السادسة والعشرين بين أنهار العالم



● نحن في العالم العربي نعلم أن النيل والفرات نهران مشهوران ، ولكن ما هي أشهر وأعظم الانهر في العالم ؟ وماهي مرتبة النيل والفرات بالنسبة لانهر العالم ؟ احمد خالد احمد ـ سوريا

ـ ان اطول نهر في العالم هونهر النيل ، ويبلغ طوله ٤١٤٥ ميلا .. ويأتي نهر الامازون في امريكا الجنوبية ويبلغ طوله ٣٩٠٠ ميل في المرتبة الثانية.ويبلغ طول نهر المسيسبي في الولايات المتحدة الامريكية ٣٧١٠ اميال وبذلك يصبح ثالث انهرالعالم .



وفي سيبريا يقع رابع نهر في العالم من ناحيةالطول واسمه « آوب ايرتش » وطوله ٣٤٦٠ ميلا. ويأتي بعده نهر « يانجتسي » في الصين وطوله ٣٤٠٠ ميل اما سادس نهر في العالم فهو نهر هوانج في الصين ايضا وطوله ٣٠٠٠ ميل . ويحتل نهر الكونجو في افريقيا المرتبة السابعة وطوله ٢٧١٨ ميلا . ويجيء بعده نهر آمور في سيبرياوطوله ٢٧٠٠ ميل . ويحتل نهر « لينا » في سيبريا ايضا المرتبة التاسعة وطوله ٢٦٨٠ ميلا. اما نهر « ماكينزى » في كندا فيأتي في المرتبة العاشرة وطوله ٢٦٣٥ ميلا .

ويبلغ طول نهر الفرات ١٧٠٠ ميل ويأتي فيالمرتبة السادسة والعشرين بين انهر العالم من ناحية الطول فقط .

(م.ط)

السندباد البحري .. هل هو شخصية خيالية ؟

● كثيرا ما قرأت عن السندباد البحري ومغامراته .. فهل هو شخصية حقيقية وما مدى حقيقة مغامراته ؟ توفيق غنيم الطالب بكلية الطب البيطري ـ العراق

ـ السندباد البحري شخصية خيالية ظهرت في مجموعة القصص العربية الف ليلة وليلة عن المغامرات والرحلات البحرية .. ومغامرات السندباد البحري مستقاة اساسا من تجارب البحارة العرب ، في المدة ما بين القرن الثامن والعاشر بعد الميلاد ، وأيضا من الشعر والأساطير اليونانية والهندية والفارسية القديمة .

فمثلا في رحلة السندباد الاولى فان قصةالحوت الضخم الذى خيل اليه انه جزيرة يمكن مقارنتها بقصص الحيتان الضخمة في المحيط الهندى التى كان يرددها البحارة العرب .

وقصة وادى الماس نجد لها نظيرا في كتابات القزويني (المؤلف العربي القديم) وفي قصة ماركوبولو وكذلك في كتابات ابيفانيوس الذى توفي عام ٤٠٣ بعد الميلاد .

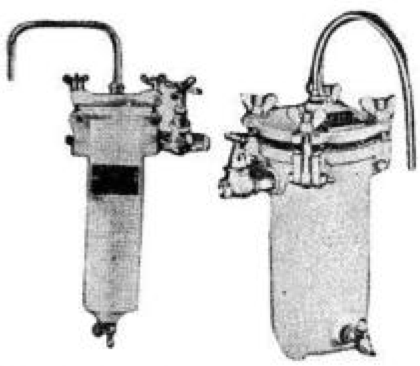
اما عن قصة « جزيرة القردة » فان ابن الوردى والادريسي قد كتبا عن جزيرة شبيهة بها ، الاول في بحر الصين والثاني بالقرب من سقطره ...

ومغامرات السندباد مع آكلي لحوم البشر شبيهة كل الشبه بقصة سيكلوبس Cyclops في الأوديسا .. وكذلك قصة دفن السندباد حيا وهروبه من كهوف الموتى تحمل بعض الشبه مع قصة ارستومينس Aristomenes البطل القادم من مسينا . وقد وجدت قصص السندباد البحري صدى في العالم الغربي فترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية في عدة كتب .

(م . ط)



في استعمال مصفاة بركفلد البريطانية للماء بشموعها الخاصة من نوع (ستيراسيل)



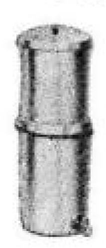
ان شمعة مصفاة بركفلد البريطانية (ستيراسيل) هي سر الماء الصافي الخالي من الجراثيم ، اذ انها توفر لك الماء بأعلى درجة من النقاوة مهما كان الماء ملوثا ، وتنظيفها سهل جدا ، فما عليك الا مسح الشمعة بالفرشة والماء النظيف دون الحاجة مطلقا الى غلي شمعة (ستيراسيل) لتعقيمها .

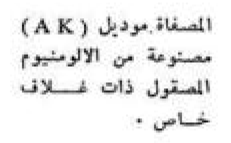
ان شمعات (ستيراسيل) يمكن استعمالها في كل مصافي بركفلد للماء ، من تلك التي تصفى ٧٠٠ غالون في الساعة الى الانواع الصغيرة التي تستعمل في المنازل .

تأكد من ان الماء الذي تشربه هو سليم باستعمالك مصفاة بركفلد البريطانية .

مصفاة نموذج (P) توفر الماء المصفى بكميات كبيرة ومصنوعة من الحديد المسبوك مصقولة الخطوط .

المصفاة المنزلية موديل (H P) تركب على الجدار ومصقولة باللون الابيض

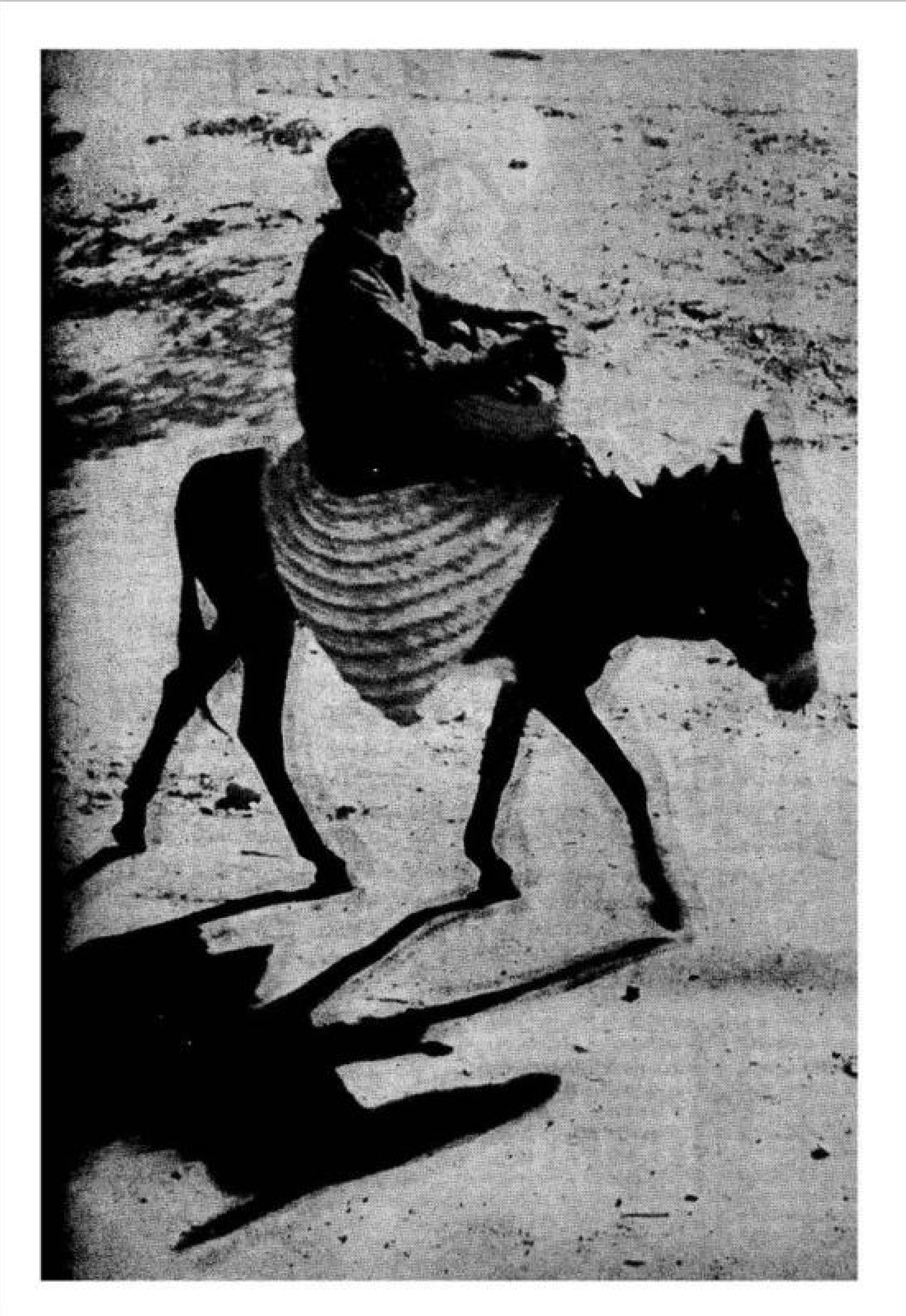




المصفاة موديل (A K) مصنوعة من الالومنيوم المصقول ذات غلاف خاص .

BRITISH BERKEFELD FILTERS Ltd

Dept. 101 Cannon Lane, Tonbridge, Kent, England.



قبل جيل كانت طائرة دى.سي ٣ وطائرات اخرى مثلها أول من جاب الطرق التي هي الان مزدحمة بالطائرات النفاثة .

واليوم نظرا للاقتصاد الفائق فى النفقات الذي تيسره لكم الطائرة (٧٤٨) باتساع الخدمات الجوية فى كافة انحاء العالم تلك الخدمات التي تجلب المكاسب الاجتماعية والاقتصادية للطيران الجوى لعديد من المدن والمناطق والدول الجديدة .

ان هذه المهمة التي صنعت لها الطائرة (٧٤٨) خصيصا لتتحمل العبء بعد طائرة دى . سي ٣ حاملة معها احدث مستويات السرعة والسلامة والراحة فى اصعب الخطوط . ولها قدرة خارقة للعمل مما يمكنها ان تعمل بسلام فى اوعر المطارات واصعب البيئات .

ان صيانتها البسيطة والثقة فى قدرتها للقيام بالاعمال الخشنةتجعلها تدرنفعاكبيرا. وفوق ذلك فان الطائرة (٧٤٨) تجعل من الممكن حتى لاصغر رجال الاعمال استخدام النقل الجوى لتوسيع اعمالهم .

واذا كانت الطائرة (٧٤٨) تسير فى خطوط هي حتى الان من مجال اولئك الذين يستعملون البغال فى تنقلهم فان ذلك لن يجعلهم غير راضين لزمن طويل اذ ان هذه الطائرة تجلب الرفاه للجميع .

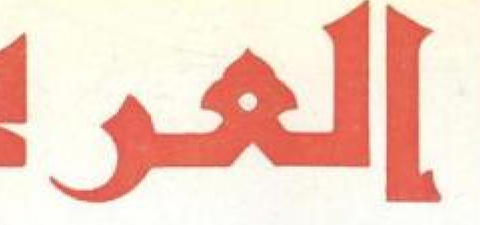
Hawker Siddeley 748



Hawker Siddeley - the largest aerospace group in Europe

Richmond Road, Kingston upon Thames, Surrey, England. Cables: Hawsidair, Kingston upon Thames. Telex: 23726

أن مجموعة شركات هوكر سيدلي تزود المعدات الميكانيكية والكهربائية والجوية الاساسية ، كما أن مبيعاتها وخدماتها منتشرة فى جميع انحاء العالم



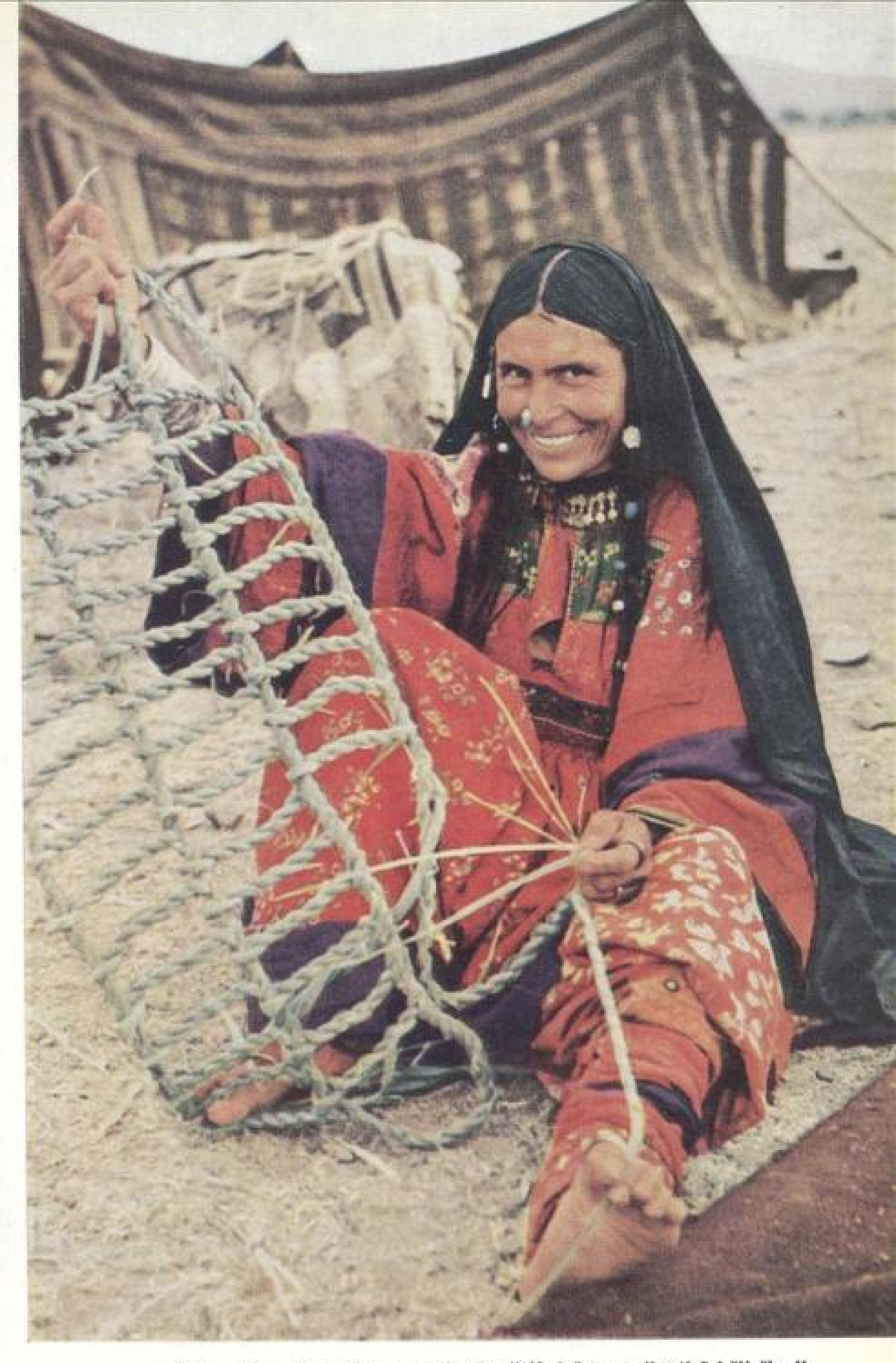
العدد ١٢٠
شعبان ١٣٨٨
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٦٨

شاطىء مرسى مطروح مصيف الهدوء والاحلام

جوائز
١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرو
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ ملي



الحياة القبلية لا تزال موجودة في افغانستان بالرغم من التطور الكبير الذى حققته البلاد .. والصورة تمثل سيدة من احدى القبائل الرحل التى تجوب وديان وصحارى البلاد سعيا وراء الرزق .

عزيزى القارئ

اتحدث اليك اليوم فى موضوع الشعر والقصة .

● اما عن الشعر فيأتينى كل شهر منه ، من القراء ، عدد كثير من القصائد ، الكثير منه من النوع الحديث ، الذى لا وزن له ، ولا قافية . وسبق ان ذكرنا ان المرحوم أحمد لطفى السيد سئل عن الشعر المرسل . فسأل سائله : هل هو موزون ؟ قال : لا . فسأل سائله : هل هو مقفى ؟ فقال : لا . قال : فما هذا بشعر . .

وقد رضيناه لو انه شعر منثور .

ولسنا نقول ذلك ضيقا به ، فكله فى الحب . واذن فهو من قلم الشباب . والشباب اول ما يجرب قلمه ، انما يجربه فى الحب . وليس كالشعر للحب وعاء . ولكن وسيلة ذلك انيحفظ الشاب قبل ان يبدا ، من جميل شعر العرب ، الف بيت . ومع الحفظ استمراء له .

● اما عن القصص فهو يناهض الشعر كثرة . ونحن ننشر مما يرد الينا احسنه . وعادتنا ان ننشر قصة موضوعة الى جانبها قصة مترجمة .

● ويأخذ علينا كتاب الشعر وكتاب القصص ، اننا نؤجل نشر ما يكتبون اشهرا ، وماذا نصنع ، وعدنا عشرات من قصائد الشعر ، وعشرات من القصص الموضوعة ، واخرى من المترجمة ، يستغرق نشرها سنوات . هذا اذا انقطع الوارد الجديد ، وهو لا ينقطع .

● وابواب اخرى تأتينا منها كثرة ، تتاخر فى النشر ، وتأتينا كتب من اصحابها عاتبة .

نكتب كل هذا معتذرين ، وللاخوة الكرام شاكرين .

المحرر





رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI = No. 120 - November 1968 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المـراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● على الشاطىء الهادىء ... وبجوار الصخرة الرابضة جلست تنعم بهدوء البحر وشمسه المشرقة ... وكن ثلاث فتيات في عمر الزهور ... اختارت الاولى المياه الزرقاء الصافية ... فراحت تتأملها وتسرح ببصرها بين امواجها ... ولكن العدسة قطعت عليها خلوتها للحظات ... ما لبثت ان عادت بعدها الى تأملاتها ... أما زميلتاها فقد وقفتا في هدوء تتطلعان الى السماء والى الافق الممتد على مدى البصر ... انه مصيف مرسى مطروح ... أو شاطىء الهدوء والاحلام . (أنظر الاستطلاع صفحة ٧٦)

طب وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

فـن حيـاة :

كتـب :

قصـص :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ ريال او ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : **للاشتراك في المجلة** يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



وحدوا الجهود ياعرب

● ان العالم ليسخر من تفرقنا وتنابذنا وعدم ثقة حكامنا بعضهم ببعض ، فضلا عن عدم قدرتنا على توحيد صفوفنا وجمع كلمتنا . ولاشك ان سخرية الاصدقاء ورثاءهم لحالنا اشد وانكى من سخرية الاعداء . ان الظروف الحاضرة تدعونا اكثر من اى وقت مضى ، الى توحيد جهودنا بحيث نصبح امة واحدة قوية مرهوبة الجانب .

محمد عادل عبد الرحمن ــ الاردن

العودة الى الحرية

● قرات فى حديث الشهر ، بالعدد ١١٨ ، خواطركم عن رحلة لندن ، واستوقف نظرى عبارة جاءت خاصة بتشيكوسلوفاكيا على لسان رئيس هذه الدولة وتعليقكم عليها وفيه تقولون : « وهكذا الحرية ، يعود اليها آخر الامر ، كل صاحب تجربة ، اشتراكية كانت او راسمالية ، او بين بين » والواقع ان هذا هو الطريق الصحيح لاى نظام يحترم نفسه ويؤمن بالجماهير .

توفيق بازرعة ــ المحامى ــ ج.ع.م

مكافأة لم تدفع

● لم تصلني مكافأة « العربي » عن مقالي « وليام بت » حتى الآن ، اخشى ان يكون الاشعار قد ضل طريقه .

لطفي ملحس/الكلية العلمية الاسلامية
عمان

« **العربي** » : السبب فيما تشكو منه انه جاءنا من القراء ان هذا المقال ليس بمقالك ، فهو منشور فى مجلة « أهل النفط » ، التي كانت تصدرها شركة النفط بالعراق ، واستطعنا ان نحصل على هذه المجلة ، فوجدنا فى العدد ٧٧ بتاريخ مارس ١٩٥٨ من هذه المجلة ، اى منذ عشر سنوات ، نفس هذا المقال بنصه وحرفه وجملته وتفصيله ، لا باسمكم ولكن باسم « سعدى نزهت » ، فان كان لكم تعليق على هذا ، تلقيناه برحابة .

مع الله فى السماء

● اريد ان احصل على نسخة من كتاب « مع الله فى السماء » للدكتور احمد زكي ، وقد بذلت محاولات عدة لاقتناء هذا الكتاب ، ولكنني فشلت ، فولوا لي بالله من اين احصل عليه .

سلمان داود ــ الاحمدى ــ الكويت

العربي : الكتاب تنشره دار الهلال بالقاهرة ، فلعله الآن فى طبعته الرابعة .

مشاهير الموسيقيين والرسامين

● قرات فى العدد ١١٥ مقالا جذابا عن الموسيقار العالمي موزار ، وتمنينا لو حوت العربي فى اعدادها اللاحقة بابا عن حياة مشاهير الموسيقيين والرسامين العالميين واعمالهم .

جوزيف الديك ــ بيروت

مزيدا من العلوم !

● لشد ما تمنيت لو أن مجلة العربي سارت على منوالها القديم في اختيار الموضوعات التي تقدمها لقرائها .. فالمواضيع التي تعالجها العربي الآن لاتتعدى الموضوعات الدينية والادبية والفلسفية ، فلا يبقى للناحية العلمية سوى صفحات قلائل .. اننا نحن العرب ، في ايامنا العصيبة هذه ، احوج ما نكون الى العلم والموضوعات العلمية ، التي من شأنها ان تغذى اذهاننا بمعلومات جديدة ، فلا تبخلوا علينا بها ، بل زيدونا منها .

سمير حنا جبرائيل ــ العراق

أستطلاعات العراق

● تقوم بعثة العربي باستطلاعات مصورة في العديد من اجزاء الوطن العربي الكبير . ولكننا لاحظنا منذ عامين تقريبا بعض التحيز لاجزاء دون الاخرى ، بدليل أن العربي لم يقدم استطلاعا واحدا عن العراق طول هذين العامين . ولو سألناكم فسيكون الجواب : « لقد قمنا باستطلاعات سابقة لبغداد ومساجدها وللموصل والاهوار .. الخ »

ولكننا نريد استطلاعات جديدة للعراق ، فهل من عودة اليها .

عراقي من البصرة

مشكلة تعدد الزوجات

● قام ركن الاسرة بنصيب من التثقيف كبير ، اذ عالج كثيرا من المشاكل الاجتماعية كالطلاق وانحراف الشباب وغير ذلك من موضوعات اخرى ، ولكنكم مع الاسف لم تقدموا لنا شيئا عن مشكلة تعدد الزوجات ، تلك المشكلة التي لا يزال مجتمعنا العربي يعاني منها ايما معاناة . نرجو ان تلقى اهتمامكم في الاعداد المقبلة باذن الله .

محمد رضاح الناشف ــ حلب/سوريا .

نقد وتذكار

● « نقرأ في مجلتكم الشهيرة الجليلة « العربي » العدد ١١٧ / ١٣٨٨هـ . تحت عنوان (مسلمات خالدات) زينب بنت علي بن ابي طالب ــ مقالة جميلة بقلم سنية قراعة . واننا لنشكر جهودكم بالسماح لنشر هذه المقالات النافعة الدينية ــ الا أن عدم الرقابة التامة على تلكم المقالات ، قد ينتج نقيض المطلوب ، مثال ذلك ما جاء في مقال السيدة المذكورة وعنوانه (زينب بنت علي بن ابي طالب) فان كل قارىء متضلع وحتى الساذج يعلم أن الامام الحسين (عليه السلام) لم يكن بثورته الحرة في وجه طغاة امية الا ضحية الحرية وانه يستحيل ان يبايع امثال يزيد ومعاوية .

ويستطرد الكاتب فيقول :

« ويرجى من الكاتبين الكرام ان يستندوا في المقالات الشيعية الى مدارك الشيعة دون غيرهم ، كيلا يقبلوا بمثل هذه الافتراءات ــ واظن الكاتبة هنا تنقل ما نقلت عن ابن الجوزي ولكنه كيف يجوز نقل المواضيع التاريخية وغيرها لأئمة الشيعة من اعدائهم .. »

د . محمد الصادق الطهراني

النجف الاشرف : عن لجنة دراسات علوم القرآن الكريم .

العربي : اكتفينا بالرد على ما قالت السيدة سنية قراعة بمقال السيد حسن البصراوي الذي نشرناه في العدد السابق لهذا العدد بصفحة ١٣٣ .

حديث الشهر

العَقْل

عينان بهما يبصر الانسان سبل الحياة ويهتدي

بقلم رئيس التحرير

أب من الآباء المسيحيين ، من اهل الشرق ، جرى بينه وبيني لقاء ، تكرر حتى صار الفة ، ومن الألفة الى صداقة. صداقة فكر . وصداقة الفكر لا تكون دائما على ائتلاف ، فقد تكون على اختلاف . بل صداقة الفكر يجب أن تتضمن اختلافا ، ولكنه اختلاف لا تشوبه مرارة . بل من الاختلاف ما يكون ضرورة لاكتمال وانسجام . تعلمْ ذلك من التمثال الجميل في ساحة البلد العظيم ، يقع على جوانب منه النور ، ويقع على الجوانب الأخرى الظلام ، وبين هذا النور وهذا الظلام ، وهما مختلفان ، يتبين الشكل ويكتمل الجمال . ولو ان هذا التمثال قد غمره النور غمرا ، لانبهمت حدوده ، وزاغت العين ، فلم تدرك معالمه ولا سمات الحسن فيه .

★ ★ ★

زارني هذا الأب الكريم مرة ، وهو من علماء اللاهوت ، وفي بحبوحة من الحديث وانطلاقة النقاش ، وجدتني اقول له :

ــ عندي سؤال اريد ان القيه اليك .

ــ تفضل

ــ انه ذو شفرة يزيد في حدتها ما بيننا من اختلاف دين .

ــ لا تخش شيئا . قلت :

ــ عندكم في المسيحية ، كما لا شك في كثير من الاديان ، معتقدات تعرف بالدُجمة Dogma كالتجسيد مثلا Incarnation والدجمة كما تعرف ، هو الشيء الذي نتقبله فكرا ، ونحاول أن نجد له في العقل دليلا من خبرتنا في هذه الدنيا ، فيشق علينا .

ــ هذا حق .

ــ هل انت ، وموضعك في الذروة في علم اللاهوت ، تتقبل هذه المعتقدات عقلا ؟ قال :

ــ لا . قلت :

ــ اذن كيف تتقبلها ؟

ــ قال : ايمانا . قلت :

"وَالإيمَان"

إنهما كالنظارة ذات العدستين، إذا طمست عدسة منهما، قامت الأخرى تحل محلها. أما إذا طمست العدستان معًا، كان العمى، ومع العمى الحيرة التي لا يدري معها صاحبها إلى أين يتوجه. وهكذا فعلت الوجودية، ومذاهب أخرى، بالإنسان في هذا الزمان.

ـ والعقل ؟ قال :

ـ للمعرفة سبيلان ، عقل وايمان . اما العقل فمنك ، واما الايمان Faith فمن الله . اما ان يمن الله عليك به ، واما ان يحرمك اياه . قلت :

ـ او تستطيع ان تقول هذا على الملأ ؟ فضحك ملء فيه ، وقال :

بالطبع نعم . انها الحقيقة المسيحية يدركها كل عالم بها ، ليس فيها سر ولا خفاء .

★ ★ ★

لم يكن فيما قاله الأب الكريم جديد ، وانما اردت ان استوثق من ان رأيا ، جرى في الكثير من الأديان ، لا زال الى اليوم حيا جاريا ، على الأقل في المسيحية . وهدفت الى المسيحية وحدها بحسبانها دين القارة التي تصنع اليوم الفكر للعالم ، في سياسة وعلم واجتماع ، وفي صنوف الفكر عامة ، ونتأثر بها ، طوعا ، او على الرغم منا .

العقل والايمان
سبيلا المعرفة على مر الزمان

ازدواج طبيعي هذا .

سبيلان الى المعرفة سلكهما الانسان منذ كان ، قبل المسيحية ، وبعدها . وفي دين وفي غير دين .

فالأشياء التي تعرف ، او يراد معرفتها صنفان . صنف تحسه الأحاسيس ، فهو محسوس ملموس ، يلعب فيه العقل من بعد الاحاسيس ، فيقول ان هذا كائن ، وانه الحقيقة الواقعة التي لاجدال فيها . وصنف واقع وراء الأحاسيس ، فهو بمعزل عنها ، قد « يراه » المرء من آثاره ، وينفذ اليه بخياله ، فيؤمن به كأنه الحقيقة الواقعة ، في غمرة من الروعة ، او الروع ، او التجلي . وللمرء منا عند التجلي « عيون » أشد وثاقة بأعماق النفس من عيون في الرأس تنتهي عند خلايا المخ ، فلا تكاد تمس في اكثر الأحيان من الأنفس الا سطوحها الظاهرة .

انها الطبيعة المرئية ، ثم ما وراءها ، تلك التي اسموها ما وراء الطبيعة .

الطبيعة المرئية لها الاحاسيس ، ولها الدرس ، ولها العقل .

وما وراء الطبيعة، تقصر دون اجتلائه العقول ، واذن ينفتح لها باب الايمان .

ما وراء الطبيعة : ظواهر كبرى واخرى صغرى

والمرء منا اذا قال ما وراء الطبيعة ، فهم اكثر الناس من ذلك معنى الحياة ومعنى الموت ، ومعنى الوجود والعدم ، ومعنى الله ، ومعنى تلك القوى الكبيرة الخبيئة المستورة وراء ظواهر الكون الكبرى في ارض وسماء . وصدق من فهم هذا . ولكن ما وراء الطبيعة يشمل ظواهر الكون الكبرى والصغرى على حد سواء .

ومن ظواهر الكون الصغرى ، ظاهرة الانسان نفسه ، فهو كون وحده ، فالانسان في عيشه يسلم بحقائق كثيرة عديدة ، لو انك طلبت منه برهانا عقليا عليها ، لعجز .

من ذلك احساس الانسان بنفسه . احساسه بوجوده . ان الانسان ظاهر وباطن .اما الظاهر فللأ حاسيس،فهو من الطبيعة العارية. أما باطن الانسان فليس من الطبيعة العارية في شيء . ان الانسان يحس بباطنه هذا ، ويعلم ان في الباطن فكرا يتقلب ، وفيه حركة تشتد وتضعف ، وفيه انفعالات تثور وتهدأ ، وفيه حب وبغض ، وفيه خزائن علم او خزائن جهل . والانسان بوجوده الباطني هذا يحس ، ولكن احساسا غريبا احساسا ذا طعوم خاصة ، ليس كطعوم الاحاسيس الخمسة ، من بصر وسمع وما اليها . والانسان يؤمن بوجوده الباطني كانما يراه ، وهو لا يراه . انه وجود لا يمكن اثباته بالمنطق . وكذلك لا يمكن انكاره لانه يمس النفس في أعمق مما يمسها فيه السمع والبصر . انه مما وراء الطبيعة . والسبيل الى تقبله ، الايمان لا العقل .

والزمن شيء يؤمن به الانسان ، ولكن لا يستطيع اثباته عقلا . شيء نحسه باطنا ، ونتقبله ونرضاه ايمانا أشد ما يكون الايمان ، ولكنا لا نراه ولا نسمعه ولا نمسه ولا نحسه .

ومما يتقبله الانسان « ايمانا » اكثر اخلاقه وعاداته .

ان احدا لا يحسب أن قوما ارادوا ان يضعوا لانفسهم اخلاقا ، فاجتمعوا ، ودرسوا ، وتباحثوا ، وقرروا ، فكانت مراسم السلوك التي اتبعوها . ان الاخلاق نشأت معهم لا يدري احد منهم كيف نشأت .

ان الكثير من هذه اتى وحيا عن طريق الانبياء ، وتقبله الناس « ايمانا » ، أو تقبلوه انسجاما مع ما كانوا عليه من فطرة . وما الفطرة والتسليم بما توحى الا نوع من « الايمان » المفروض على الانسان ، يأتي من داخله لا من خارجه ، يحسب فيها الانسان ان عقله انما عمل في ايجادها . وما عمل العقل وما استشير .

انا ان سألتك: لم لا تسرق مال أخيك؟

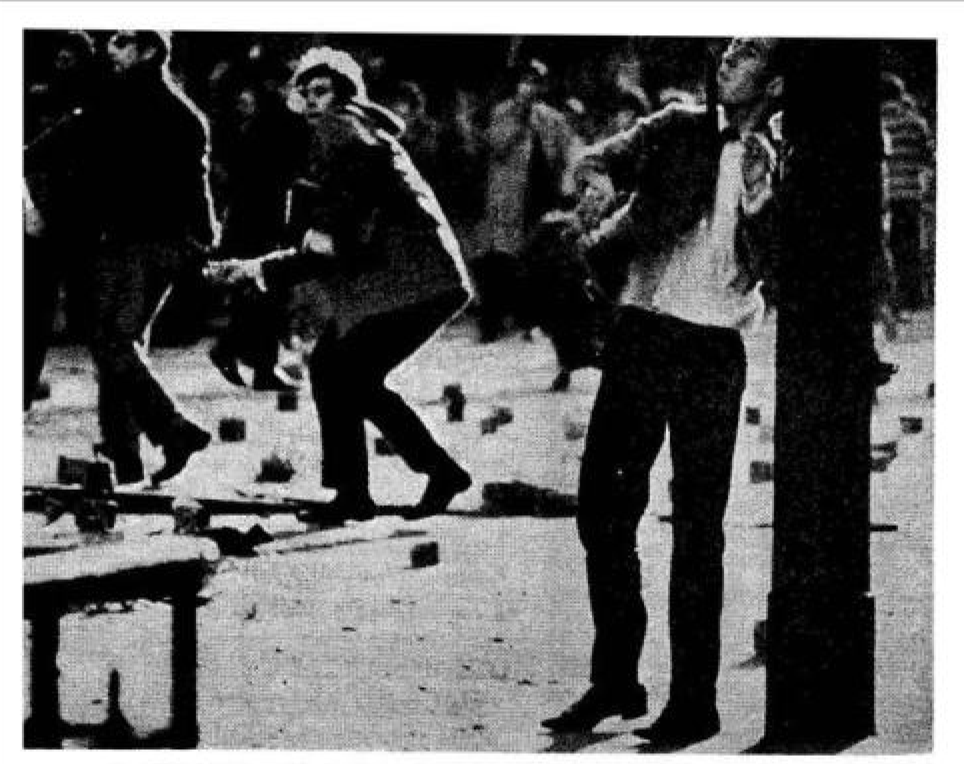
وانا ان سألتك : لم لا تقتل جارك وعنده المال وفير ؟

وانا ان سألتك : لم لا تسطو على حرم صاحبك وانت القوى وهو الضعيف؟

وانا ان سألتك لم تجرى وتغيث اذا انت سمعت صوت مستغيث ؟

واذا انا زدتك حرجا فسألتك لم لا تتزوج عمتك او خالتك او اشباها لهما من اسرتك، يابى قلمي ان يجري بذكرهن ؟

اذا سألتك شيئا من هذه ، هل انت



الطلبة في باريس ، وفي برلين، وفي ايطاليا ، وفي استانبول ، وفي السويد ،وحتى في موسكو واخيرا المكسيك ثائرون هائجون لسبب ما اعتمل في رؤوسهم من آراء حديثة بثتها الحيرة التي وجدوا انفسهم فيها مما نشر الناشرون من آراء فلسفية متضاربة .

واجد لسؤالي جوابا ؟ جوابا من عقل ؟ لا أحسب ذلك . انه الاقتناع الفطرى الذى سبيله غير سبيل العقل . انه « الايمان » . وسوف تحاول ان تقحم العقل في اجابتك ، وتأتى بأسباب لم تخطر لك في حياة على بال . ويكون هذا، لا عقلا، ولكن « تعقيلا » ومحاولة تبرير .

المسيحية بين العقل والايمان

والمسيحية يقول فيها مؤرخوها انها نشأت فى أوائل تاريخها وعمادها الأكبر الايمان . ثم جاء المدرسيون Scholastics في القرون الوسطى ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، فوضعوا للمسيحية نظاما يعتمد على العقل والتبرير الفكرى . ونعم كان نظاما اسندوه الى سلطان ارسطو ، وكان أرسطو عندئذ غير منازع السلطان ، ومع هذا فأصحاب هذا النظام الجديد اعتقدوا اعتقادا راسخا انه لاتوجد حقيقة لايمكن اخضاعها للعقل الا ان تكون حقيقة التجسيد Incarnation فلا سبيل اليها الا بالايمان المباشر وحده . ولكن هذا النظام الذى ابتدعه المدرسيون لم يعش طويلا ، فقد جاءه الاسميون Nominaliste في القرن الرابع عشر ، وقالوا ان الاشياء الفردية التى نستطيع أن نراها ونسمعها ونلمسها هى وحدها الأشياء الحقيقية ، وأن كل المعرفة مصدرها الخبرة . وكل شيء ، محجوب وراء هذه الخبرة المحسوسة ، لا يمكن قبوله الا عن طريق الايمان .

هكذا هى المسيحية .

واحسب انها هكذا اكثر الأديان . بعض تعاليمها يعمل فيه العقل ، وبعضها يأتي بالوحى ، فليس هو مما يعمل فيه العقل ، فيكون سبيله الى القلب الايمان، ومن ذلك الجنة والنار .

والخلاصة التى اريد ان اخلص بها ان للمعرفة الانسانية طريقين معترف بهما : طريق العقل فيما جاز للعقل أن يخوض فيه ، وطريق الايمان فيما يعجز العقل عن ارتياده .

العلوم الطبيعية بين العقل والايمان

وبدات العلوم الطبيعية الحديثة تتنشأ من نحو ٣ قرون . وعمادها العقل . وعمادها المنطق . وعمادها الاحاسيس جميعا .

وهى عندما نشأت ، وبدات ثمارها تظهر ، وجاءت ثمراتها بما طاب للناس فاعجب وادهش ، ظن قوم ان في العلوم حل كل معضل . وكان تفاؤلا في غير موضعه ، لأنه تفاؤل نسي ان العلوم لا تعمل الا في حقول يبصر فيها الانسان ويسمع ويلمس ويحس، في الطبيعة التى تقاس وتوزن . اما ما وراءها فليس للعلم الحديث سبيل اليه .

وآخرون ضلوا . فالوا : لا حقيقة الا ما وجدها العلم . واذن هم أنكروا ميادين لم يستطع العلم دخولها، فضلوا السبيل .

الزمان يجرى مراوحة ، بين العقل والايمان

وظلت القرون في أوروبا تتراوح بين العقل ، ثم الايمان ، ثم العقل . يتحمس اهل الفكر للايمان المباشر في حقبة، تتلوها حقبة يكون التحمس فيها للعقل .

فالعقل نال في فرنسا ، في عهد التنوير Enlightenment في القرن الثامن عشر ، السبق كل السبق . تحمسا شديدا للعقل ، كان له رد فعل شديد لنظيره «الايمان» ، وذلك بظهور جان جاك روسو Rousseau ، رسول الشعور والالهام ، بفرنسا . وبظهور جاكوبى(١٧٤٣–١٨١٩) في المانيا ، وكان قيامه ردا على الفيلسوف اسبينوزا Spinoza صاحب الفلسفة التى تقول بالعقل اصفى ما يكون .

قال جاكوبى ما معناه ، ان العقل ، غير المُعَان ، لا بد أن يقود الانسان الى الالحاد ، وذلك لأنه ، بطبيعته الخاصة ، لا يستطيع ان يعالج سوى الاشياء ذات الحدود ، واجزاء الاشياء . وهو يضع هذه الأجزاء معا ليكشف ما بينها من روابط ، ولكنه يعجز عن الحصول على مادة الحقيقة الخام ، لا سيما الحقيقة التي تشمل الأشياء جميعا مضموماً بعضها الى بعض فى وحدة كاملة متكاملة .

وعند جاكوبى ، ان الله الذى يمكن اثباته بالمنطق لا يمكن أن يكون الله ، لان الحصول عليه بالمعرفة عن طريق العقل يتضمن معنى سيطرة العقل ، والخالق الأعظم لا يمكن ان يسيطر عليه أو يحتويه عقل . ان الحقيقة فيما وراء الطبيعة ليس سبيلها الفكرة المنطقية تتلوها أخرى فاخرى . ان سبيلها تتكشف عن طريق الالهام . وهذا الالهام هو الذى يسميه جاكوبى واضرابه الايمان .

وكما كان ينتظر ، جاء بعد هؤلاء الايمانيين الالهاميين طائفة من العقليين ، ابرزهم وابقاهم على الزمان ، واكثرهم تأثيرا في يومه وغده ، الفيلسوف الالمانى الشهير هيجل Hegel (١٧٧٠–١٨٣١) وهو من الذين يقولون بالعقل بابا للمعرفة، ومن اشهر كتبه Phenomenology of The Spirit وهو يتعلق بالمظاهر والظواهر وحدها سبيلا الى المعرفة .



الفيلسوف الالماني الشهير هيجل في مكتبه .

وماث هيجل وبقي له اتباع كثيرون ، وخصوم كذلك كثيرون . ولم يكد يبقى له في أواسط قرننا الحاضر تابع ، ولكن آراءه امتصها خصومه . ومؤرخوه يقولون ان الحركات الفكرية التى جاءت بعده ، من شيوعية ماركس ، الى وجودية كركجاد وسارتر ، لا يتم فهمها الا بفهم هيجل .

ثورة على العقل وفلاسفة يناهضونه

ثم حدث شيء عجب

ثورة ضد العقل قامت من بعد ثورة ضد الايمان بالالهام ، وتركزت .

باريتو Pareto في ايطاليا (١٨٤٨ — ١٩٢٣) يهبط في تقدير العقل الانساني هبوطا يرى معه ان الكثرة الكبرى من جماهير الناس لا تستطيع ان تفكر تفكيرا صحيحا صادقا . فكل ما يستطيع الناس عمله من التفكير انما هو تبرير ما فيهم من غرائز ، ومن حوافز ، ومن ميول سالفة . وهو يستثنى من ذلك قلة من الأفراد فيهم ، ذوى مواهب . والخرافة في الناس ، كلا" ، نسبتها دائما باقية لا تنقص . وعنده أن العقل لا يصح سبيلا للمعرفة الا في العلوم الطبيعية التجريبية وحدها . اما المعرفة التى تهدى في الحياه فليس سبيلها العقل ، وانما سبيلها العاطفة ، يكشف الانسان عنها في نفسه ، ويتبع .

وسوريل Sorel في فرنسا (١٨٤٧ — ١٩٢٢) يتخذ العقائد التى لا يدعمها المنطق اساسا للاعمال . وهو رفض الأديان . ورفض المثالية الاجتماعية والمثالية السياسية ، ورفع الخرافة المأثورة في الناس رفعا ، وزعم انه يعلم انه لا مكان لها في التاريخ ، ولكنها تحمل من آمال الناس كل غال جدير بالتحقيق .

وهو تصوُر قيام حكومة يكون وزراؤها من العلماء الاكديميين والاساتذة واهل العقول . وقال ساخرا : قولوا لى ، اى حكومة تكون هذه ؟!

واشبنجلر Spengler في المانيا (١٨٨٠ — ١٩٣٦) ، احتقر كل مذهب يتخذ العقل اساسا له Intellectualism وقد جاز ان يقول مع جان جاك روسو « ان الرجل المفكر بعقله رجل فسد » .

وعدا هذا هو مجد القوة ، ومجد الحرب والغلبة فيها ، واجاز قتل الضعفاء ، وآمن بقانون الغاب . وثورته على العقل امتدت الى السياسة والديمقراطية . لم يؤمن براى الاكثرية ، واحتقر راى الفرد .

ونشر كتابه الشهير آخر الأمر فى عام ١٩١٨ ، أى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وانهزام المانيا . وهو كتاب كبير سماه « انحطاط الغرب » Decline of The West فصادف هوى فى المانيا ، وقد بلغت بها الهزيمة من هبوط نفسي ما بلغت ، وكذا فى سائر بقاع اوروبا وقد نالها من التحطم ما نالها .

فهؤلاء هم بعض من قاموا فى اوروبا يسدون ثاني الطريقين الى هدى الحياة ، طريق العقل ، بعد أن طمس آخرون معالم الطريق الأولى طريق الايمان والالهام . ويلاحظ أن حياة هؤلاء وتعاليمهم امتدت الى القرن العشرين .

فهذا هو الجو الفكرى الذى نشأ فيه ، وتنفس أهويته ، شباب اوروبا في قرننا هذا الحاضر .



فى ثورة طلاب كلية السوربون
يجرى بعصاه فوق أحد الطلبة

طال الحديث

لقد طال بنا الحديث ، وما كان من هدفنا الاطالة . ومع الاطالة ما استوفينا . ولكني اقف برهة لأقول اني هدفت من هذا الحديث الى القول بأن سبب هذا القلق الحاضر الموجود فى دنيانا هذه ، فى شيوخ ، وكهول ، وعلى الأخص فى الشباب ، ذلك القلق الذى استمر على السنين طويلا وانتهى اخيرا بظهوره فى طلبة الجامعات وطالباتها بأوروبا ، فانطلقوا يخربون ابنيتها ، ويسدون الطرق على السابلة بما يقلبون فيها من عوائق ، ويضربون رجال الشرطة بالأحجار ، وينادون بسقوط الحكومات - هذا القلق الذى استمرت الى اليوم آثاره (فيما تأتينا به الأخبار ، حتى فى أيامنا هذه ، من موسكو ، تحكي عن طلبة جامعاتها ، ومن المكسيك تحكي كذلك عن الألوف العشرين من طلابها) هذا القلق

انما احدثته تلك المبادىء الفلسفية ، المتضاربة ، المتشابكة ، المتعاكسة ، التي ينفي بعضها بعضها ، والتي كانت قاصرة على الكتب ، حبيسة فيها زمانا ، لا يقرأها الا المختصون ، ثم هي نزلت بالنشر ، على اختلاف طرقه ، الى القارىء العادى فى مدرسة وجامعة ، والى رجل الشارع من بعد مدرسة وجامعة .

تلك النظرات الحرة الجريئة ، سواء مضت بأهلها يمينا او مضت بهم يسارا ، التي اطلقت فى الجماهير حيث صار لا يحجب عن الجماهير شيء ، كان لها فعل الزلزلة الهادمة المخربة .

كان لاستجلاء سبل الحياة عند المفكرين طريقان ، طريق الايمان المباشر ، وطريق العقل . وسبق الضعف الفكرى



بجامعة باريس ، رجل الشرطة
الشاغبين، يريد ان يقصم ظهره

الى طريق الايمان فى الناس فاضمحلت الثقة فى الايمان . ثم قام رجال جدد من اهل الفكر ، يقضون على السبيل الباقية، تلك سبيل العقل .

ذهبوا بالايمان ، ونفوا العقل ، فماذا بقي ؟ .

بقيت الحيرة تحتل أنفس الناس . وظهرت فى الشباب اكثر ، لانهم اكثر تأثرا ، وأقرب ثائرة .

وانضم الى هذا الخبال فى فلسفة الحياة ، خبال فى حال الدنيا . خبال فى المجتمعات ، وخبال في حكامها . وعصر سميناه بعصر المدنية الحديثة ، جمع بين أعمال الملائكة وأعمال الشياطين فى آن . ونضرب مثلا للبربرية فى ماضي الزمان ، فنحكي عن هولاكو ، وعن تيمورلنك ، وما خربوا وما دمروا . ولكن اين من هذا ما يجرى الآن على سمع البشر جميعا ، وعلى ابصارهم من تخريب وتدمير .

والوجودية
خاتمة المطاف
جاءت أخيرا لترفض النظم الفلسفية جميعها

الوجودية مذهب ، له أكثر من وجه ، بدأ فى القرن الماضي ، ثم اختفى ليظهر ويشتد ويمتد بعد الحرب العالمية الثانية، لا سيما فى فرنسا وفى المانيا .

والوجودي، يرى ان الانسان حيوان عاطفي ، وليس بالحيوان المفكر . والذى يسميه الناس بالمنتوجات العقلية ليست الا منتوجات مشاعرهم وميولهم وانفعالاتهم ، وما صادفهم فى الحياة من خبرة . وهذه المشاعر والميول والانفعالات ليست واحدة فيهم جميعا ، فهي تختلف من شخص لشخص ، وبذلك تختلف تبعا لما يسمونه باحكام العقل ، واذا فليس هناك عقل واحد مشترك .

واذن ليس للأحكام المطلقة وجود ، لا فى عالم الحقيقة ، ولا فى عالم الأخلاق .

وليس هناك قواعد صادقة تفرق بين الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، لها وجود بمعزل عن الأفراد . ان هذه القواعد يؤلفها القوم الذين يختارون العمل بها ، وهي لا تلزم ، وليس لها قيمة عند غيرهم .

« وحياة الانسان ليس لها معنى جوهرى فوق الذى لحياة الثعبان والضفدع » . ليس لها الا المعنى الذى يشاء هو نفسه أن يضعه لها .

والانسان عند الوجوديين ، أو عند

بعضهم ، فهم الوان ، مخلوق قائم وحده في عالم شاسع لا يبالي بوجوده . ولقد جاء العلم الحديث فذهب عنه بالأمل والرجاء الذي كان يسند آباءه قديما في اجتياز سبيل هذه الحياة . ومع هذا فليس في هذا ما يدعو الى اليأس واطراح الأمل . ان عليه واجب احياء الأمل بالمشاركة في العيش ومغالبة الروح الانهزامية في نفسه وعدم الرضوخ للقدر ، وباستخلاص اكثر ما يستطيع من حياة بائسة حزينة لا معنى لها .

قال الوجودي الفرنسي المعروف سارتر Sartre « أنا بالوجودية انما اعني مذهبا هدفه أن يجعل الحياة الانسانية محتملة . وفوق ذلك ، فالوجودية تعلن ان كل حقيقة وكل عمل أنما يخرج من مشهد انساني ، وعلى اساس من خبرة الانسان الذاتية الشخصية الفردية » .

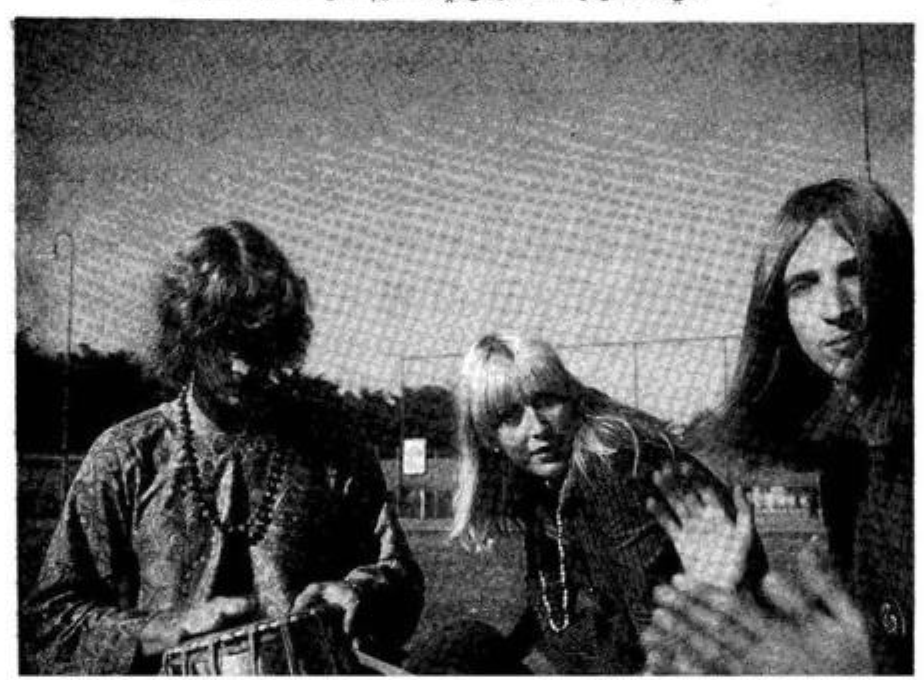
والوجوديون يثورون على المذاهب الفلسفية الأخرى في كثير ، ولكن ليس كثورتهم عليها لأنها اغفلت الانسان الفرد ، ذاتيته وشخصيته ، وانزلته منزلة الهباءة التي لا قيمة لها ، السابحة في عالم مكني لا يحفل بالذي يسبح فيه من هباءات .. وتسالهم عن من صنع هذا ، فيقولون انه العلم الحديث والتكنية الحديثة ، وبالطبع ما سبق من فلاسفة .

والوجوديون يحيلون هذا العالم كله الى فراغ ، فيه الناس أفراد ، كل يسعى لذاته ، طلبا للخلاص من هذه الحياة الزرية .

والوجودية اراها
في شعور للرجال طويلة ولحى مرسلة

هذه هي الوجودية أو اشباه لها ، واني

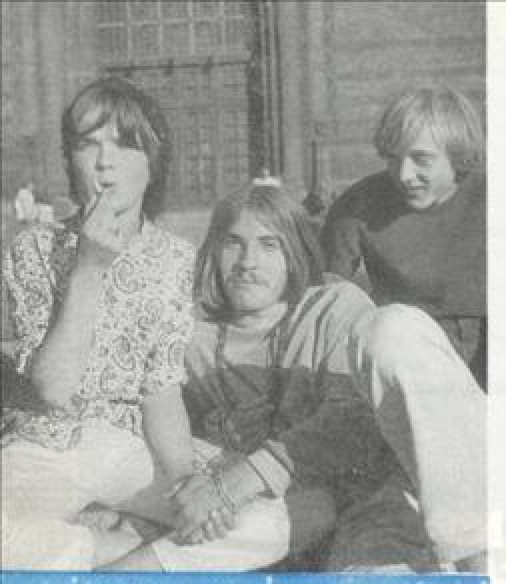
ايهما الفتى .. وايهما الفتاة .. ؟ لقد اختلط الحابل بالنابل ، لا في الاشكال وحدها ، ولكن في الصميم من اخلاق الحياة



لاراها في شعور الرجال اذ يطلقونها ، او لحى الشباب اذ يرسلونها (وانا اتحدث عن اوروبا) ، وفى الملابس الشاذة التي يلبسونها . ولقد رايت فتاة فى ملابس عجيبة التفصيل ، زاهية الالوان ، تمشي في أوسط عاصمة من العواصم كبيرة ، على بلاط الطريق ، عارية القدمين . ولم يكن ذلك عن فقر ، ففي ثيابها كان ثراء ، ولم يكن ذلك تعويضا عن قبح ، ففي وجهها كانت وسامة . قلت لعل هذا اسلوبها لتوكيد فردية الفرد الانساني . وهل شيء يؤكد الفردية التي تؤكدها الوجودية اكثر من الخروج هكذا على ما تعودته ورضيته جماهير الخلق ؟! .

وبالوجودية ذكرت الخنافس ، وذكرت موسيقاهم الصاخبة ، وذكرت مراقصهم هذه الحديثة .

انها ليست مراقص ، انها محافل يشدء فيها الفتى وتشد الفتاة اعصابها المتوترة بصخب هذا العيش ، وحقارته ، وقلة جدواه ، فاما أن تجاوز هذه الأعصاب ما فيها من مرونة فترتخي ، واما أن تجاوزها فتنقطع . وفي كلتا الحالين يكون الشفاء النفسي لحين . ان الرقص فى هذه المراقص لا يكاد ينتسب الى الجنس . ليس من شروطه أن يلتقي فيه جسمان او يلتحم صدران . بل ليس من شروطه أن يكون للفتى صاحبة مزاملة ، او يكون للفتاة صاحب مزامل . ان اكثر الرقص رقص أفراد . كل يعتمد على نفسه . وكل يبذل من فرديته . وكل يضع من العنف فى عضله وفى حركاته ما يستطيع . انه رقص اقرب ما يكون الى العراك ، ولكن مع خصم مجهول . وما الخصم المجهول الا الحياة الانسانية التي رفضها شباب هذه الأمم ، من ذكور واناث ، فانطلقوا ، يأخذ كل منها ، كما قال سارتر ، ما يستطيع .

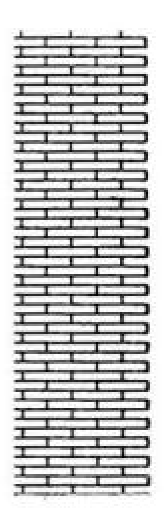


الوجودية ، على ما فهمها الشبان والشابات ، فعلت بهؤلاء ما فعلت . انها الحياة يتفقونها كيف يشاءون ، حتى فارق الطبيعة بين الذكر والانثى ، اهملوه اهمالاً . وبعضهم صار كالبهائم لا يرى من نظم الانسانية الا قيدا على الحرية ونفيا للوجود .

كنا نحضر حفلات الزار ونحن صغار . يقوم فيها النساء على الموسيقى الراتبة يتمايلن على انغامها ، وقوفا ، حتى يأخذ منهن التعب ، اجساما واعصابا ، فيسقطن على الابسطة صرعى . وعندئذ كما يقال ان شياطين كانت سكنت اجسامهن ، فخرجت منها فاشتفوا . وانظر الى مراقص اليوم ومعها الموسيقى الراتبة لهذه الخنافس فأذكر الزار ، وحفلات اخرى كالزار للرجال حضرناها كذلك ونحن صغار . واقول لنفسي ما اشبه الليلة بالبارحة . انفس مريضة فعل بها العلم وفعلت المدنية والمذاهب الفكرية ، فى حاضر ايامنا ، ما فعل الجهل وفعلت الاسطورة فى امهاتنا وآبائنا فى ماضي زماننا .

ولعمرى انه لزمان بعيد ! ●●

أحمد زكي





بقلم : الدكتور علي احمد علي

دكتوراه في التوجيه النفسي والتربوي (جامعة كولمبيا . نيويورك)

■ يعيش الابناء مرحلة طفولتهم وجزءا من شبابهم مع آبائهم . وعادة ما يكون اثر الآباء عليهم كبيرا . فالطفل يعيش السنوات الست الأولى من حياته في البيت قبل التحاقه بالمدرسة ، وعادة ما يكون معظم اتصاله في هذه السنوات منحصرا في الوالدين والاخوة والاقارب والجيران والزوار . والطفل في هذه السنوات وعن طريق التقمص يمتص الكثير من اتجاهات Attitudes وقيم الوالدين Values ، كما يمتص الكثير من العادات واساليب السلوك . وهذه النواحي بعد اكتسابها يكون من الصعب تعديلها او تغييرها في المستقبل .

ادراك الطفل لنفسه من خلال والديه

والعلاقة بين الطفل ووالديه تؤثر تاثيرا كبيرا على ادراك الطفل نفسه Self Concept . فمن خلال آراء الوالدين فيه ، ومن خلال ما يسمع من مناقشات في البيت يذكر فيها اسمه ويكون طرفا فيها دون أن يأخذ جانبا عمليا فيها ، تتكون فكرة الطفل عن نفسه وعن قيمته ، وهذه الفكرة يحملها الطفل معه لسنوات طويلة من عمره . فقد يشعر بانه انسان له قيمة وانه مطلوب ومرغوب لدى والديه والبيت الذي يعيش فيه ، وقد يشعر على العكس من ذلك بقلة القيمة ويشعر بانه موجود في بيت ليس له مكان فيه . والأمر يتوقف على آراء الوالدين ووجهة نظرهم وسلوكهم تجاه الطفل. وهذا يحدد مدى شعور الطفل بالأمن Sense of Security الذي يؤثر على سلوك الطفل في المستقبل ويؤثر على علاقاته بالآخرين .

والطفل يحقق قدرا كبيرا من نموه العقلي والاجتماعي والجسمي والنفسي في السنوات الأولى من حياته . ولا شك أن نواحي النمو



السابقة للطفل تتأثر تأثرا كبيرا بسلوك والديه وعلاقتهم به واتجاهاتهم نحوه .

الانسان عند الولادة اضعف المخلوقات

ومن الحكم الالهية البالغة ، أن الانسان لحظة ولادته يكون اضعف المخلوقات . انظر الى دودة الارض وهي من الحشرات الدنيئة تكون ساعة وجودها على ظهر الارض مهيأة لكي تقوم بدورها ، كما أن اعضاءها تكون قادرة على القيام بوظائفها . ثم انظر الى الطائر الصغير حين يخرج من البيضة لا يكاد يمضي على وجوده على هذه الارض الا أيام قليلة معدودة حتى يكون قادرا على لقط الحبوب والطيران وممارسة اعمال القنص والدفاع عن نفسه . وهكذا أينما قلبت وجهك في مخلوقات الله سبحانه وتعالى وجدت أن أضعف المخلوقات عند الولادة عادة ما يكون الانسان . وفي هذا حكمة ربانية بالغة . فالطفل حين ولادته عادة ما يكون في حالة عجز تام . فكل ما يستطيع هذا الطفل القيام به ، بعض الحركات العشوائية Random Movements التي يقوم بها مستخدما يديه ورجليه . أما حواسه فعادة ما تكون في حالة من عدم النضج وتحتاج الى وقت طويل حتى تقوم بوظائفها العادية . فمثلا لا يستطيع الطفل بعد ولادته أن يركز نظره على اشياء محددة . والطفل بعد ولادته يعتمد في طعامه وشرابه ونظافته وأمنه وحمايته على والديه وخاصة الأم . كما أن هذا الطفل الوليد لا يستطيع المشي عادة الا بعد نهاية العام الاول من عمره . وهكذا يمضي الطفل في عجزه واعتماده على والديه سنوات طويلة .

والطفل عندما يولد على هذه الصورة ، وطالما أنه محتاج الى حماية ورعاية الوالدين ، فانه يكون أكثر استعدادا لتقبل توجيههما وأقل مقاومة لآرائهما . وبذلك يستطيع الوالدان أن ينقلا الى الطفل اختباراتهم واتجاهاتهم وقيمهم ، وهكذا تنتقل الخبرة الانسانية من جيل الى جيل يمتصها الأبناء عن الآباء .

أثر الآباء على الأبناء

مما تقدم نصل الى حقيقة هامة أن أثر الآباء على الأبناء عادة ما يكون كبيرا . وقد تكون لعناصر البيئة الاخرى المحيطة بالأبناء أثرها عليهم ، ولكن هذا الأثر لا يعادل في قوته ما للوالدين من تأثير على الأبناء .

ولهذا فاننا نتوقع عادة أن يخرج الآباء الصالحون الى المجتمع ذرية صالحة . وفي هذا يصدق القول : « من شابه أباه فما ظلم » . كما يصدق الشاعر :

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

السلوك الشاذ للآباء وأثره في الأبناء

نادرا ما نجد بين الآباء من لا يبذل الجهد في سبيل تربية أبنائه وجعلهم مواطنين صالحين يحققون مصلحة أنفسهم ومصلحة أوطانهم . ولكن في سبيل تحقيق هذه الغاية قد يضل بعض الآباء السبيل ، ويكون من نتيجة اهتمامهم الزائد بأبنائهم وقلقهم على مستقبل هؤلاء الأبناء أن يدفعوا

بهم الى طريق الفشل دون قصد . وقد يسلك الآباء سلوكا شاذا يتعارض مع المبادىء التربوية الحديثة ولكنهم فى قرارة انفسهم يعتقدون صدق هذا السلوك . وهم بذلك قد يلحقون اشد الاضرار بأبنائهم دون ان يدروا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

مثال الأب المستبد

نضرب لذلك مثلا : الأب المستبد . الدكتاتور المتحكم فى منزله ، مثل هذا الأب قد تكون اهدافه بالنسبة لأبنائه أهدافا معقولة ومفيدة وصالحة . فهو يريد ان يجعل من أبنائه ذرية صالحة ومتعلمة ومهذبة . ولكنه باستبداده هذا قد يضل الطريق فى سعيه نحو تربية أبنائه تربية سليمة . فالأب المستبد يعتقد عادة انه اكثر معرفة وخبرة من كل فرد فى البيت ، وعلى هذا الاساس فانه يرى ان له مطلق الحرية واليد العليا فى اتخاذ القرارات الهامة . فهذا الأب هو الذى يقرر ماذا تنفقه الاسرة كما انه يقرر بنود الانفاق المختلفة ، كما انه يقرر كيف تقضى الاسرة أجازاتها . كما انه يقرر نوع الدراسة التي يلتحق بها ابناؤه دون استشارتهم او اخذ رأيهم ، بالرغم من اهمية هذا القرار وخطورته وأثره الكبير على مستقبل الأبناء . كما أن مثل هذا الأب المستبد عادة ما يقرر متى يتزوج الأبناء ومن يتزوجون . وهو فى اى موضوع من هذه الموضوعات لا يقبل مناقشة او معارضة بل كل ما يقوله ــ يجب أن ينفذ ويطاع .

ولا احد يستطيع ان ينكر ان الأب عادة ما يكون اكثر خبرة واعمق بصيرة من الأبناء فى الكثير من الاحوال ، ولكن يجب أن يكون للأبناء رأى فى كل ما يجرى فى المنزل طالما أن لديهم القدرة على ابداء رأى له قيمة . هذا بالاضافة الى ان استبداد الأب بالرأى قد يؤدى الى نتائج خطيرة سيئة يظهر اثرها على الأبناء فى احد الاشكال والصور الآتية للسلوك الشاذ :

أولا : خروج الأبناء على طاعة الآباء ، فكثيرا ما تكون أوامر الآباء وقراراتهم غير منطقية وغير مقبولة بالنسبة للأبناء ، مما يدفعهم الى عدم اطاعتها . فى حين أن هذه الأوامر والقرارات من الممكن أن تلقى قبول الأبناء وموافقتهم اذا اشتركوا فى اصدارها .

ثانيا : الفشل التعليمي للأبناء ، فطالما أن الآباء يتخذون القرارات للأبناء فيما يتعلق باختيار نوع الدراسة دون استشارة الأبناء فقد يؤدى ذلك الى تخلفهم الدراسي وفشلهم فى متابعة التعليم ، وقد يؤدى استبداد الآباء واجبارهم ابناءهم على الدخول فى مهنة معينة الى الفشل . فقد أثبتت الدراسات ان الكثير من الآباء يريدون ابناءهم أن يدخلوا نفس مهنهم ومتابعة نفس اعمالهم اذا كان الآباء ناجحين فى هذه المهن . كما أن الآباء عادة ما يحولون دون التحاق أبنائهم بمهنهم اذا كانوا غير راضين عنها او فاشلين فيها . وقد يتساءل القارىء عن ضرر ذلك. والجواب أن قدرة الآباء واستعدادهم وميولهم قد تختلف عن ابنائهم ، لذلك فقد تكون مهنة معينة مناسبة للأب من ناحية امكاناته العقلية والجسمية واستعداداته المختلفة ولكنها قد لا تكون مناسبة لأبنائه . والعكس فقد يفشل الأب فى مهنة معينة فى حين قد ينجح فيها احد ابنائه .

ثالثا : الثورة فى وجه سلطة الأب . قد يؤدى استبداد الأب برأيه واهماله رأى الأبناء كلية الى ثورة الأبناء على سلطة الأب المستبدة . وقد لا يكون لدى بعض الأبناء القدرة على الثورة ، فيلجأون الى الانطواء والانعزال الذى يعتبر أسلوبا للتعبير الصامت عن السخط او عدم الرضا .

رابعا : حرمان الأبناء من فرصة التدرب على تحمل المسئولية . فالأب المستبد يتخذ بنفسه جميع القرارات الهامة فى البيت ، وبذلك يحرم ابناءه فرصة المشاركة فى اتخاذ هذه القرارات والتدرب على تحمل المسئولية فى البيت ، وهذا يفوت عليهم فرصة كبيرة للنضج الاجتماعي والمشاركة فى تحمل المسئولية .

بعض المشكلات السلوكية للأبناء ودور الآباء فى خلقها

الآباء دون أن يدروا او يقصدوا قد يكون لهم دور فى المشكلات السلوكية التي يعاني منها الأبناء . وعادة ما يأتي الآباء يشكون من سلوك أبنائهم الشاذ فى بعض النواحي ، ولا يخطر ببال هؤلاء الآباء انهم بسلوكهم نحو ابنائهم فانهم يدفعونهم لمثل هذا السلوك الشاذ . وسنذكر فيما يلي بعض صور السلوك الشاذ للأبناء ، مع توضيح دور الآباء فى

خلق مثل هذا السلوك الشاذ وتزكيته وتدعيمه دون وعي أو قصد .

الكذب

والكذب على انواع . فقد يلجأ الأبناء الى الكذب خوفا من العقاب . وقد يلجأون الى الكذب للانتقام من غيرهم والحاق الضرر بهم . وقد يلجأ الابناء الى الكذب لتحقيق غرض معين ، كأن يطلب الأبن من والده مبلغا من المال لشراء كتاب معين ثم يحصل عليه لينفقه فى شراء بعض الحلوى .

وايا كان نوع الكذب فان للأبوين دورا هاما فى المباعدة بين أبنائهم والكذب أو فى دفعهم وتشجيعهم عليه .

فالأبناء اذا نشأوا فى بيئة شعارها الصدق قولا وعملا ، فمن الطبيعي ان ينشأ الأبناء امناء فى كل اقوالهم وافعالهم .

وكثيرا ما يؤدى اسراف الآباء فى القسوة فى محاسبة أبنائهم على كل خطأ ، أو مخالفة يرتكبونها ، الى الكذب للهرب من العقاب . وقد يكتسب الأبناء عادة الكذب من آبائهم الذين كثيرا ما يكذبون فى معاملاتهم داخل البيت .

السرقة

وللسرقة دوافع كثيرة . فهناك سرقة لاشباع جوع أو سد رمق ، وهناك سرقة تهدف الى الانتقام . وهناك سرقة تهدف الى اشباع ميل أو هواية ، ومن أمثلتها الأبن الذى يسرق بعض المال من أبيه لتأجير دراجة أو شراء فلم لاشباع هواية التصوير .

ويستطيع الآباء أن يباعدوا بين أبنائهم وبين السرقة اذا دربوا هؤلاء الأبناء منذ صغرهم على احترام ملكية الغير . والآباء الذين يحرمون أبناءهم من الشعور بالملكية قد يدفعون بابنائهم للسرقة دون أن يدروا . فبعض الآباء يغلقون بابا على كل شيء فى البيت ، كما أن كل شيء فى هذا البيت ملك للكبار . وبعض الآباء يشترون لعبة مشتركة لأبنائهم بدلا من شراء لعبة لكل واحد منهم ظنا منهم أن هذا يدربهم على التعاون والايثار بدلا من تعويدهم على الأنانية والأثرة ، والواقع أن الآباء بسلوكهم هذا يحرمون الأبناء من الشعور بالملكية والاحساس بها والمحافظة عليها والرغبة فى الدفاع عنها .

والواقع أن الأبناء الذين يشبون فى بيوت لا تخلق فيهم الاحساس بالملكية ، يكونون أكثر من غيرهم استعدادا للسرقة . ولكن من المهم الا ينقلب تشجيع الشعور بالملكية الى الأنانية والجشع .

الغيرة

والآباء مسئولون عن بث شعور الغيرة فى أبنائهم . والغيرة قد تنتج اذا ما داوم الآباء على مقارنة الأبناء بغيرهم من الافراد . كما ان شعور الغيرة قد يسببه اعطاء الآباء امتيازات معينة لأبنائهم ثم حرمانهم من هذه امتيازات فجأة ودون سابق انذار . ومن امثلة ذلك ما يحدث حينما يحرم أحد الأبناء من اهتمام وحب والديه لأن كل اهتمامهم وحبهم قد تحول فجأة الى أخيه الوليد . وقد ينتج شعور الغيرة من تمييز الآباء بين الأبناء فى المعاملة . فالبنات قد يشعرن بالغيرة من اخوتهن البنين اذا كان الآباء يميزون فى المعاملة بين البنين والبنات ، واذا كان هذا التمييز لا يقوم على أساس من العدل أو الامتياز الحقيقي .

الانطواء

والآباء قد يكونون مسئولين عن حالة الانطواء والانعزال التي تصيب أبناءهم . وقد تقلقهم هذه الحالة وقد لا يعرفون أن فى سلوكهم ما دفع بابنائهم الى حالة الانطواء هذه . فالأبناء قد يلجأون الى الانطواء كاسلوب يدافعون به عن انفسهم . فاذا شعروا بعدم الأمن والطمأنينة ، واذا كانوا دائما يواجهون بالصد والاحباط فى علاقاتهم مع آبائهم ، واذا كان جو البيت يسوده الشجار والخلافات ، انطوى الأبناء على أنفسهم وباعدوا بين أنفسهم وبين ما يجرى من حولهم . وهذا الانطواء والانعزال يعتبر نوعا من الاحتجاج الصامت وعدم الرضا عما يجرى فى البيت الذى يعيشون فيه . وقد يكون الانطواء نوعا من الهروب من المواقف الاجتماعية التي تسبب للأبناء شعور الصد والاحباط والفشل وخيبة الأمل .

نوبات الغضب

وكثيرا ما يأتي الآباء شاكين من نوبات الغضب التي يلجأ اليها أبناؤهم للحصول على مطالبهم أو اذا وقف أحد أمام تحقيق هذه المطالب . وقد

لا يعلم الآباء الشاكون انهم سبب المشكلة التي جاءوا يشكون منها . فالأبناء قد يلجأون لنوبات الغضب لتحقيق مطالبهم في البيت اذا كان هذا الأسلوب هو أسلوب الآباء لمثل هذه الغاية . او اذا كان الأبناء قد تعودوا استخدام هذا الأسلوب منذ طفولتهم لتحقيق رغباتهـــم . وما داموا قد تعودوا على تحقيق هذه المطالب عن طريق نوبات الغضب ، فان الأمر يصبح عادة من الصـــعب التخلص منها ، لان الآباء تعودوا في الماضي مكافأة نوبات الغضب عند طفلهم وذلك باجابـة جميع مطالبه .

وقد يلجأ الأبناء لنوبات الغضب كتعبير عن عدم رضاهم عن القيود الكثيرة التي يفرضها الآباء على حريتهم في الحركة والقول والعمل .

نصائح تساعد الآباء على زيادة فهمهم لأنفسهم وبالتالي فهمهم لأبنائهم

فيما يلي عدد من النصائح نوجهها للآباء بهدف مساعدتهم على زيادة فهمهم لأنفسهم ويعتبر ذلك من المداخل الاســـاسيــة والهامة لزيادة فهمهم لأبنائهم : —

١ — اذا لاحظ الآباء سلوكا شاذا يأتي به الأبناء فعليهم تحري أسباب هذا السلوك الشاذ ودوافعه، وعليهم ايضا أن يراجعوا أنفسهم علهم يجدون في تصرفاتهم ما يدفع الأبناء الى هذا السلوك الشاذ .

٢ — يجب أن يقتطع كل اب كل يوم عدة دقائق من وقته يخلو فيها الى نفسه بعيدا عن مشكلات البيت ومشاغل العمل ،يراجع فيها نفسه وتصرفاته وسلوكه مع ابنائه ليعرف مدى خطئه او صوابه .

٣ — من المفيد أن يدرك الآباء انهم آدميون بكل ما يحمل هذا اللفظ من معاني ، لذلكفهم معرضون للخطأ في تصرفاتهم وسلوكهم ، وعلى هذا الأساس فليس عيبا أن يعترف الآباء بأخطائهم امام ابنائهم لان الاعتراف بالخطأ فضيلة كبـيرة ، ويجب أن يكون الآباء قدوة للابناء في هذا المجال .

٤ — على الآباء أن يسترجعوا أيام مراهقتهم وطفولتهم لعلهم يجدون في هذه الأيام ما يجعلهم اكثر فهما وتقديرا لظروف ابنائهم واكثر قدرة على التعامل معهم .

٥ — لكي يزيد الآباء من فهمهم لأنفسهم ويزيدوا من فهمهم لأبنائهم نتيجة لذلك ، لا بد للآباء أن يقيموا هذا الفهم على أساس دراسة واعية للنفس البشرية ولمبادىء التربية وعلم النفس حتى يقوم فهمهم لأنفسهم وفهمهم لأبنائهم على أساس متين من العلم .

٦ — توجيه الآباء لكي يتوقفوا عن الاعتقاد بأن أساليب التربية التي صلحت معهم تصلح لأبنائهم ، وأن يدركوا تغير زمان الأبناء عن زمانهم ، وأن الأبناء يختلفون عنهم في نواحي كثيرة لأنهم عاشوا فترة تختلف عن الفترة التي يعيش فيها ابناؤهم . والواقع ان محاولة الآباء تطبيق نفس أساليب التربية التي كانت تستخدم معهم على أبنائهم يعرض العلاقة بينهم وبين الأبناء لأخطار شديدة ، كما ان تطبيق هذه الأساليب القديمة مع الجيل الجديد يعرضها للفشل المحتم .

٧ — على الآباء ان يكونوا واقعيين في مطالبهم بالنسبة لأبنائهم . فاكثر ما يسيء للعلاقة بين الآباء والأبناء ويعرض هذه العلاقة للخطر محاولة كل اب جعل ابنه « أحسن الناس » ورغبته أن يرى ابنه فوق الجميع بحق أو بغير حق ، فهذا قد يصيب الأبناء باضرار بالغة . فتوقعات الآباء Expectations غير الواقعية كثيرا ما تلقى عبئا ثقيلا على الأبناء خاصـــة اذا كانت هذه التوقعات أعلى منمستوىقدرات الأبناء وامكانياتهم الجسمية والنفسية والعقلية . ولا شك ان معرفة الآباء لحدود قدرات وامكانات ابنائهم يجعلهم اكثر تقديرا لظروف هؤلاء الأبناء ويمكنهم من وضـع أهداف واقعية لهؤلاء الأبناء يستطيعون الوصول اليها دون ان يذوقوا مرارة الفشل وخيبة الأمل .

٨ — يجب أن تظل خطـوط الاتصـــال قائمة ومفتوحة بين الآباء والأبناء . وهذا الاتصال القائم بين الآباء والأبناء يجب أن يكـون ذا اتجاهين . فليس من المفروض أن تصدر الأوامر والتوجيهات من الآباء فتصل الى الأبناء ، وتقف عملية الاتصال عند هذا الحد . بل يجب أن تتضمنعملية الاتصال اعطاء الفرصة للأبناء للتعبير عن رأيهم في هذه الأوامر والتوجيهات وأن يصـل رأيهم هذا الى الآباء . وبذلك يظل الآباء على علم بما يجول بخاطر ابنائهم وما يشغل بالهم ، ويتجنب الآباء بذلك أيضا اقامة حواجز عازلة رديئة التوصيل بينهم وبين ابنائهم . ■■

القاهرة : علي احمد علي

نتيجة مسابقة العدد ١١٨

■ حقيقة لفتت انظار لجنة الفرز في مسابقة العدد رقم ١١٨ ،وهي أن كثيرا من الاجوبة الصحيحة جاءت من قراء العربي في امارات الخليج العربي !

وفيما يلي الاجابات الصحيحة على الاسئلة العشرة :

١ ـ الكسى ليونوف اول رجل « مشى » في الفضاء . ٢ ـ زامبيا ـ غانا ـ مالاجاشي ـ مالاوي ، هي الاسماء الجديدة للدول الافريقية التالية : روديسيا الشماليه ، ساحل الذهب ، مدغشقر ، نياسالاند ، بالترتيب . ٣ ـ يقع اقليم بيافرا في نيجريا . ٤ ـ عدد جمهوريات الاتحاد السوفييتي ١٥ جمهورية . ٥ ـ سافانا اول سفينة تجارية سارت بالطاقة الذرية . ٦ ـ لورد « بادن باول » مؤسس الحركة الكشفيه . ٧ ـ الرشيد بن الزبير صاحب كتاب الذخائر والتحف . ٨ ـ تقع « دارين » في الخليج العربي . ٩ ـ انتصرت الجيوش العربية بقيادة سعد بن ابي وقاص في موقعتي القادسية ونهاوند. ١٠ ـ ٥١ دولة وقعت ميثاق الامم المتحدة في سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ .

وقد اجرينا القرعة بين المشتركين الذين توصلوا الى الاجابات الصحيحه ، ففازت هذه الاسماء بالجوائز التي بلغ مجموعها مائة دينار كويتي :

❊ الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها ـ عبد الوهاب دليل آدم ، بور سودان .

❊ الجائز الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها ـ عبد الوهاب احمد ابو علي ـ الظهران/السعودية.

❊ الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها ـ عياد اديب ، بموسكو ـ الاتحاد السوفييتي .

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ اسماعيل عبيد يوسف عبيد ـ عجمان ـ الخليج العربي .

٢ ـ جواد الشيخ حسين بالبصرة ، العراق .

٣ ـ هاني ابراهيم القصرى بالقاهرة ـ ج.ع.م

٤ ـ نعيم عبد الرحمن ابراهيم احمد ـ الزرقاء /الاردن

٥ ـ محمود علي عبد اللطيف ، مسقط ـ عمان.

٦ ـ فواز شاهين ، باللاذقية ، سوريا .

٧ ـ جمال محمد شريف ، بالدوحة ، قطر .

٨ ـ عمر عبد الرحمن عبد الله ، ام القوين ، الخليج العربي .

جوائز مسابقة لم نعثر على اصحابها

● كنا قد ارسلنا الى السادة المبينة اسماؤهم فيما بعد ، حوالات نقدية مبينة ارقامها وتواريخها ، عن مبالغ فازوا بها في جوائز « مسابقة العربي » ، ولكن هذه الحوالات ردت الينا لاخطاء في عناوين اصحابها وهذا بيانها :

الاسم والعنوان	رقم الحوالة	تاريخها
ـ وائل بن جلون / ٧ زنقة تداس / الرباط / المغرب	٨٣٣٨	٦٧/٩/٢
ـ مي صموئيل شيحا / شارع مار الياس / زاروب الدبقي / ملك عطا الله / بارد المصيطبة بيروت ـ لبنان	٨٣٥٧	٦٧/٩/٢
ـ ابراهيم اسماعيل اسد الله / منزل رقم ٢٢ / عمارة ششتر خلف محطة البترول موبيل / طريق الملكة روى ـ كريتر / عدن	٦٨٣٠	٦٧/٨/١
ـ فؤاد مفتى / طريق حقات / المعهد العلمي الاسلامي كريتر / عدن	٥٤٧١	٦٧/٦/٢٧

ويبدو من هذا البيان أن بعض هذه الحوالات قد مضى عليها أكثر من عام دون ان يطالب بها اصحابها او يخطرونا بتغيير عناوينهم .. لذلك نرجوهم ان يبعثوا الينا بالعناوين الصحيحة لتجديد تلك الحوالات التي الغيت بسبب اعادتها ، وان يصلنا ردهم خلال شهر اكتوبر الحالي .. والا سقط حقهم في المطالبة بقيمتها نهائيا ..



في سبيل موسوعة علمية

الزلازل

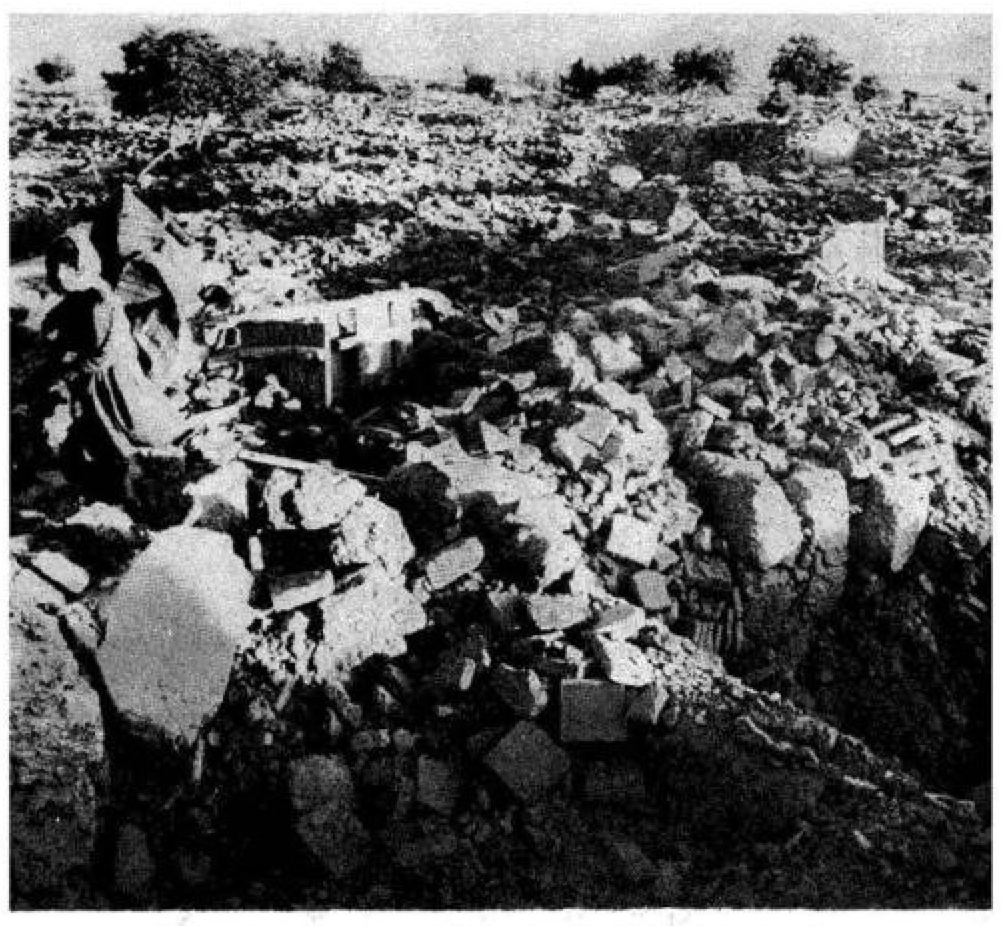
يعيش الناس على سطح كوكب قلق ، وكل مرة يتخلص فيها الكوكب من قلقه ، يدفع الناس ثمن ذلك : أرواحا ومساكن

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ قوم في ديارهم مطمئنون ، فلعلهم قائمون ، او لعلهم نائمون ، او لعلهم في وضح النهار ، الرجل خارج بيته يسعى لرزقه ورزق عياله في يومهم ، والاولاد في المدرسة يتزودون بالعلم والعرفان لغدهم ، والأم تهيىء لهم الطعام او تغسل اللباس في ارجاء بيتها . او لعل اهل البيت فرغوا من كل هذا واجتمعوا على الطعام ، او لعلهم في عرس قائم ، او في ندوة من الأحباب منصوبة ، وكلهم فرح بالاحباب والصحاب . او لعلهم دخلوا الدور يتهيأون لاستقبال صباح مشرق منير .

ثم يتحول فجاة كل شيء ..

يحول بينهم وبين الصباح المأمول دقائق ثلاث ، او لعلها ثوان ثلاثون ، تفعل بهم ، مساكن وساكنين ، ما لا تفعله القرون . دنياهم تنقلب راسا على عقب : تطلب البيت فلا تجد البيت ، وتطلب الشارع ، فلا تجد الشارع . لا شارع ولا بيت . لا قرية او لا مدينة .



قرية « كاخك » ومنطقة « دشت بياض » بايران أصابها التدمير والخراب الكامل

ليس على الأرض ما يُرى ولا من يَرى، وانما هو ركام ممتد على صفحات من العراء متطاولة . ركامٌ طوى في اطوائه كلّ حي وكل حياة . تماما كشماع المصباح لا تكاد تدير زرّه حتى يختفي ما كان تراءى في البصر من اشياء واضواء واحياء . يختفي في مثل غمضة عين . ثم كأن ما كان لم يكن قط .

انها الزلزلة التى وقعت بالأمس القريب في ايران (١٩٦٨) ، وراح ضحيتها عشرون الفا او يزيدون .

وانها الزلزلة التي وقعت بالأمس غير القريب في آغادير بالمغرب (١٩٦٠) وراح ضحيتها اثنا عشر الفا .

وانها الزلزلة التي وقعت قبل ذلك في الجزائر عام ١٩٥٤ .

والزلازل تختص من بقاع الأرض بقاعا دون بقاع . ومما تختصه من البقاع اليابان . ويذكر الذاكرون انه وقع بها في التاريخ المذكور نحو من ٢٣٠ زلزلة ، كانت آخرها تلك التي وقعت في عام ١٩٢٣ ، ودامت ٣٠ ثانية لا اكثر ،وقتلت من خلق الله ١٤٣٠٠٠ ، وجرحت ١٠٤٠٠٠ ، وهدمت من المنازل ٥٧٦٠٠٠ منزل هدما كاملا . وقد حركت هذه النازلة حتى شعراء العرب فقالوا في ذلك قصائد نشرت في حينها ، واذكر منهم شوقي ، وقصيدته التي يقول فيها :

قف « بطوكيو » وطف على (يوكاهامه)
وسل القريتين كيف القيامة
قف تامل مصارع القوم وانظر
هل ترى من ديار عاد دعامة
خسفت بالمساكن الارض خسفا
وطوى اهلها بساط الاقامة
اصبحوا في ذرى الحياة وامسوا
ذهبت ريحهم وشالوا نعامة

اسباب يسوقها العلماء لتفسير ارتجاف الارض فزلزلتها

انه لكوكب الارض .

وهو كوكب ما كان يمكن ان يكون له استقرار .

انظر ما يقول عنه علماء الارض : انه كوكب باطنه من معدن مصهور ، تدل اكثر الدلائل على انه من حديد ، حرارته تبلغ ما بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ درجة مئوية. ونصف قطره يبلغ نحواً من ٢١٧٥ ميلا ، ومركزه هو مركز الأرض . ويلي هذا الباطن عباءة تلف هذا الباطن لفا ، وهي من صخر غير مصهور ، سمكها يبلغ نحوا من ١٨٠٠ ميل . ومن فوق هذه العباءة قشرة الأرض التى نعيش عليها ، وهي من صخور ، بازلت فوقه الجرانيت ، سمكها في اعماق المحيطات نحو من ٣ اميال ، وفي القارات ٢٠ ميلا في المتوسط.

وزعم علماء الأرض أن بصخور الارض معادن نشيطة فهي تشع اشعاعا نوويا ، وهي تتحول ، وهي بذلك تعطي الأرض من حرارتها ، فلعل هذا هو بعض اسباب حرارتها ، كلا او بعضا . او أن الارض بدأت باردة ثم احترت .

وهناك الجاذبية الارضية وهي تجذب الصخور الى مركز الارض ، فيزحم الصخور بعضها بعضا للسير فى هذا الاتجاه لو انه ابيح لها من التحرر ان تتحرك وتسير .

ثم قالوا ان قشرة الارض ، تلك التى نعيش عليها ، تبرد ، واذن فهي تنكمش،

المغرب : من زلزال اغادير



واذن فهي تتشقق . وهي تتشقق من تحتنا ، واذن فتتزلزل بنا .

ثم هناك الشمس ، وهناك القمر ، وسائر اجرام السماء . ما اثرها في الارض ؟

ان القمر يجذب ماء البحار اليه كلما دار حول الارض ، والماء يرتفع اليه فيكون من ذلك المد . ولكن كذلك يجذب القمر الجامد من الارض مرتين فى اليوم. قيل نحوا من بضع بوصات . اذن فسطح الارض دائم التمدد ، دائم الانكماش . وهذا لا يدعو الى استقرار قشرة الارض . انها تتوتر ، ويتراكم التوتر على الزمان ، حتى اذا زاد مبلغ توترها ، بالقمر او بغيره ، مدى ما تحتمله مرونتها ، انصدعت ، والانصداع زلزلة .

نظريات كثيرة يتقدم بها العلماء فى تفسير ظاهرة الزلزلة الارضية لم يكن لهم عليها اتفاق .

واقرا في تقرير رابطة العلوم البريطانية عن نقاش وقع في مؤتمرها الذى كان منذ اشهر بين علماء الارض في تفسير ظاهرة الزلازل ، فأجدهم يؤكدون ان لا اتفاق بينهم على اسباب الزلازل الى اليوم . ولكنهم يزيدون سببا آخر يصح ان يكون للزلازل سببا فوق ما ذكروا من أسباب :

قال قائلهم : ان الكرة الارضية منبعجة عند خطها الاستوائي . وهذا الانبعاج له صلة بدوران الارض حول محورها ، وبسرعة هذا الدوران . فكلما زادت سرعة الدوران زادت الارض هناك انبعاجا .

وانبعاج الأرض الكائن اليوم يأتلف وسرعة كانت لها منذ عشر سنوات مضت ، ونقصت اليوم . فلا بد من نقص هذا الانبعاج ليأتلف والسرعة الحاضرة . واذن لا بد من انكماش سطح الارض عند هذا الانبعاج ، وهذا فيه من اغراء لتحريك القشرة الارضية ما فيه .



فى زلزال بالاسكا : شارع انقسم بفعل الزلزال ، ارتفع منه نصف ، وهبط نصف . وترى على حرف النصف المرفوع سيارة حملها هذا النصف الى اعلى معه . وبقيت سيارة اخرى ظلت من نصيب النصف الذى انخفض . الثلج يغطي السيارتين ، فالاسكا بلد الثلوج .

الزلازل البركانية والزلازل الصخرية

ان البركان فيض من الصخور المنصهرة ، في باطن الارض . يظل بها حتى يجد في قشرة الارض منفذا سهل الكسر ، فيضغط عليه ، فينفتح بقسوة، ومع القسوة ارتجاج ، هي الزلزلة التى تصحب ثوران البراكين Volacan ic Earthquakes .

وهذه الزلزلات ليست في العادة كبيرة المدى ، واسعة التخريب .

انما واسع المدى من الزلازل ، واسع التخريب ، والاكثر وقوعا ، فهو النوع الذى يسببه تحرك الصخور فى قشرة الارض استجابة لقوى بطيئة تعمل فيها.

وتتحرك الصخور لتتعدل ، فيهتز سطح الارض وتكون الزلزلة . وتأخذ الصخور اشكالا جديدة ، بالتحرك ، غير التي كانت لها . ومن اجل هذا سميت هذه الزلازل بالزلازل الصخرية او الصخرية التشكيلية Tectonic Earthquake .

ولزيادة تصور هذه الزلازل ، كيف تقع ، لابد من تناول موضوع تصدع قشرة الارض .

صدوع في الارض

ان اكثر الزلازل ، تلك المسماة بالتشكيلية ، تتصل بصدوع قائمة اليوم في الارض . انها صدوع في طبقات الارض ، سببها ما سبق ان ذكرنا من نظريات ارتآها العلماء تفسيرا لما يقع في قشرة الارض من انكماش ، فتمدد ، فانكماش الى غير ذلك .

وعندما يحدث الصدع في الارض ، يفترق شقاه ، هبوطا او صعودا مثلا ، فلا يكونان في مستوى واحد او يفترقان زحزحة الى يمين ويسار . ثم يلتحم طرفاهما عند خط التصدع ، وتقوم قوة الاحتكاك بينهما تمسك بهما . ولكن الارض كثيرا ما لا تترك الصدع ، لاسيما في المناطق البركانية ، يعيش هكذا وحده . ان القوى المحيطة به تزحمه ، من فوق او من تحت ، او من يمين او شمال فتوتره . والصخور بها مرونة . وبالمرونة يحتمل الصخر التوتر الناشيء . ولكن للمرونة حد ، فاذا زاد فعل القوى عن حد معلوم ، فزاد التوتر عن غاية معروفة ، عجز الصخر عن الاحتمال ، واذا بالشقين يعودان ينزلقان ، بعض عن بعض .

انها طاقة كامنة Potential Energy ، انطلقت فصارت حركة . واحسها اهل الارض عند السطح زلزلة .

وبعد استقرار الصخر من جديد ، يعود فيلتحم ، فتحشوه قوى الارض بالتوتر كما تحشو انت زنبرك الساعة .



صورة شق حدث في الارض ، بالجزائر ، في زلزلة عام ١٩٥٤

ثم يتحطم الزنبرك فتكون الزلزلة ... وهلم جرا .

واحتشاد القوى الارضية في طبقة من الصخور قد يكون سريعا ، فيتم في السنة الواحدة ، وذلك في المناطق الكثيرة الزلازل . ولكنه قد يكون من البطء بحيث لا يتم الا على القرون .

كذلك حجم الصخر الذى يتعرض لهذه الظاهرة، يكون كبيرا ويكون صغيرا. وكذا الزلزلة التى تنشأ عنه ، تكبر بكبره، وتصغر بصغره .. وحجم الصخر في الزلزلة الكبيرة قد يكون ٢٠٠٠٠٠ من الامتار المكعبة .

والقوى التي تحدث التوتر في الارض قوى عارمة تبلغ نحو طن على البوصة المربعة الواحدة .

والقوى المنطلقةفى زلازل الارض الكبرى قد تبلغ قوة عدة مئات من القنابل الذرية .

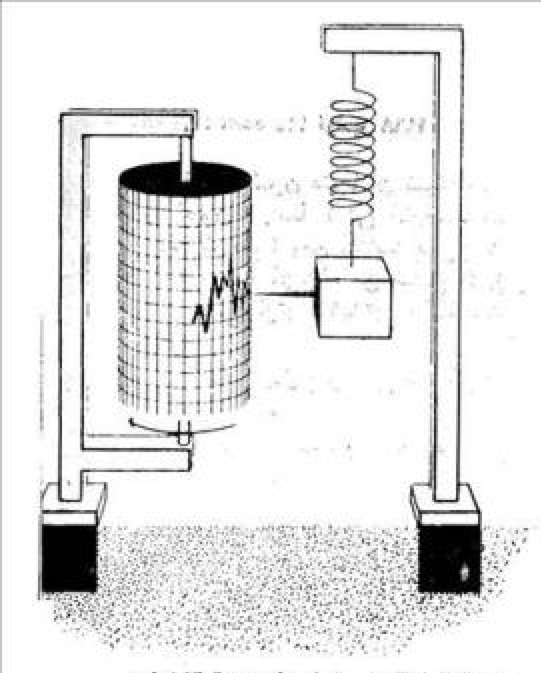
علم الزلزلة

ويعرف عند أهله الذين ابتدعوه ، بلفظ Seismology .

وهو علم ذو تخصص كبير ، وله متخصصون خبيرون . واعان على تقدم هذا العلم انه لم يقتصر على بحث زلزلة الارض الطبيعية والكشف عنها ، ولكنه امتد في قرننا هذا الحاضر الى كشف مواقع زيت البترول في بواطن الارض ، ونصف طرفا من ذلك بعد .

وهذا العلم ، علم الزلزلة ، يعتمد في ابسط صورة على كتلة (او كرة) ثقيلة معلقة بخيط في مختبر الرصد . تصنع هي وخيطها بندولا كبندول الساعة ، وهي لثقلها ، وبحكم القصور الذاتي ، ثابتة لا تتحرك (او لا تكاد) ويخرج من جانب هذه الكتلة (او من اسفلها) ابرة يمس طرفها الآخر سطح اسطوانة تدور على محورها ، في ساعات ودقائق معلومة مرصودة .

والذى يحدث ان الكتلة الثقيلة لا تهتز



راسمة الزلزلة وهي في ابسط صورة للايضاح. الكتلة الثقيلة معلقة كالبندول . وتخرج منها ابرة ترسم الموجات التي تهتز بها الارض ، ترسمها على سطح الاسطوانة وهي تدور مرة كل نصف ساعة . وهي ساعات ودقائق مرقومة عليها . والذى يحدث ان الزلزلة تزلزل الحجرة ، والقوائمَ التي تحمل راسمَ الزلزلة فيهتز كل شيء فيها ، الا الكتلة الثقيلة المعلقة فلا تتحرك لثقلها . فالابرة اذن تخط ، لا ذبذبة هذه الكتلة التي تخرج منها ، ولكن ذبذبة الاسطوانة التي هي ذبذبة الأرض .

باهتزاز الارض (او هو اهتزاز طفيف جدا يعمل له حساب) ولا باهتزاز الجسم الذى تعلق به خيطها من سقف المختبر ذلك الذى يرتبط بالارض فيهتز معها . وانما الذى يهتز باهتزاز الارض هو الاسطوانة الدوارة غير الثقيلة ، فالابرة اذ تخط على الاسطوانة انما تخط وتسجل ما يصيب الاسطوانة من اهتزاز ، اى ما يصيب الارض من اهتزاز وتسجل بذلك ايضا تاريخ الموجة وساعتها ودقيقتها والثانية .

وهذا الجهاز دائم الدوران ، دائم التسجيل ، فالارض لا تفتأ تهتز ، حتى اذا حدث ارتجاج زلزلي ذو خطر ، ازداد ارتفاع الموجة المرسومة وانخفاضها ،

فعرف القائمون عليها ان شيئا حدث . ويتابعون دراسة شتى الارصاد عندهم وعند غيرهم ، ومن المتابعة يخرجون على موضع هذه الزلزلة من سطح الارض ، وعلى مبلغ قوتها وشدتها ، كما سنصف بعد .

وهذا الجهاز يعرف براسم الزلزلة Seismograph .

والرسم الحادث يعرف برسم الزلزلة Seismogram .

اعماق الزلازل

ان الموقع الذى تبدأ فيه الزلزلة من باطن الارض يبعد عن سطح الارض قليلا، أو يبعد كثيرا . فهو مختلف الاعماق . فالزلزلة ضحلة ، او متوسطة العمق ، او عميقة .

اما الضحلة فهي التي تقع فى عمق من سطح الارض اقصاه ٣٠ ميلا . والمتوسطة تقع فى عمق ما بين ٣٠ الى ١٨٥ ميلا ، وعددها اقل من عدد الزلازل الضحلة . والعميقة تقع ما بين ١٨٥ ميلا و ٤٥٠ ميلا .

ونلاحظ اننا عندما نبلغ ٤٥٠ ميلا فقد بلغنا من نصف قطر الأرض نحو عشره . ولا تحدث زلازل أعمق من ذلك، فراسمات الزلازل لم تكشف عن زلازل في هذه الاعماق منذ عرفها الانسان . ولعل السبب في هذا ان الصخر عند هذا العمق ليس من الصلابة بحيث يردد الرجفات .

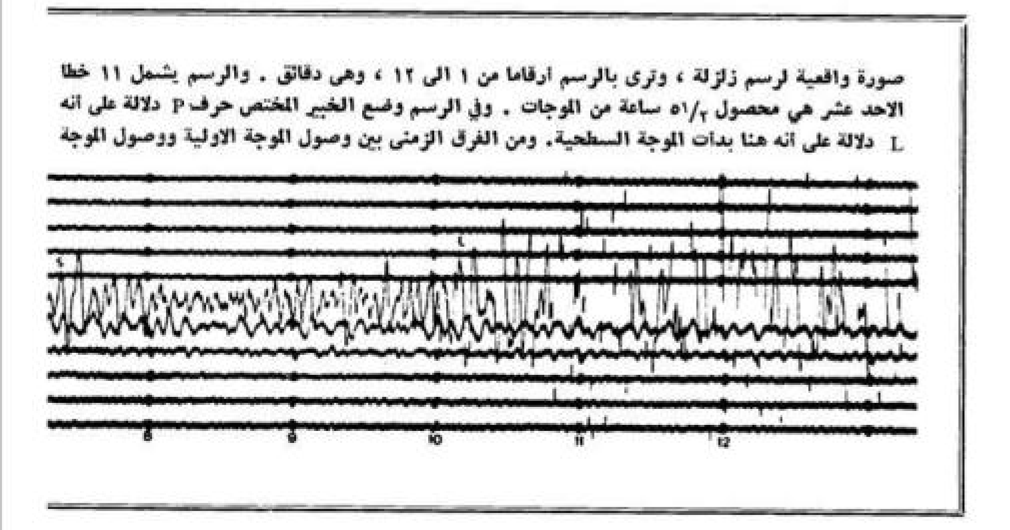
والزلازل الضحلة هي اكثر الزلازل تخريبا ، وفي مدى عمقها الذى ذكرنا وقعت اكبر الزلازل التى عرفها الانسان.

مركز الزلزلة من سطح الارض

والزلزلة ، وهي تبدأ فى عمق ما ببطن الأرض ، تحس اشد ما تكون فى اقرب نقطة لها من سطح الأرض ، وهذه النقطة تسمى بمركز الزلزلة السطحي (لا الباطني) . والمراصد دائما تعنى ، اول ما تعنى ، بمعرفة اى البلاد اصيبت بالزلزلة التى رصدتها اجهزتهم ، اى البلاد التي كانت فى مركز الزلزلة السطحى ، وسياتي وصف ذلك .

موجات تنبع من الزلزلة شتى

ان الزلزلة عندما تبدأ فى مركزها



صورة واقعية لرسم زلزلة ، وترى بالرسم ارقاما من ١ الى ١٢ ، وهى دقائق . والرسم يشمل ١١ خطا الاحد عشر هي محصول ٥ ١/٢ ساعة من الموجات . وفي الرسم وضع الخبير المختص حرف P دلالة على انه L دلالة على انه هنا بدات الموجة السطحية. ومن الفرق الزمنى بين وصول الموجة الاولية ووصول الموجة

الباطني باستجابة الصخــور للقـوى الهائلة التي تعمل فيها ، وذلك بتشققها، او تزحزحها ، او تغيير مواضع لهـا او اشكال ، ترسل فى صخر الارض موجات من انواع مختلفة ، بعضها باطني يسير فى بطن الارض فى كل اتجاه ، فيجرى فى القشرة الارضية ، وفى العباءة الصخرية التي تليها Mantle ، وفى لب الارض والمفروض انه منصهر ، ثم يخرج من اللب فيجرى فى العباءة من ناحيتها الاخـرى حتى يصل الى القشرة النائية فى الطرف الآخـر من الكرة . يجرى فى هذا او فى بعض هذا .

وهذه الموجـات الباطنـة صنفان ، صنف يهتز فيـه الصخر فيتمدد ثـم ينكمش ، ثم يتمدد وينكمش ، وفيـه تنطلق الموجـة ، كموجـات الصـوت ، فتسير فى نفس الاتجاه الذى وقع فيه الانكماش والتمدد السريع المتتابع .

هذا النوع من الموجات هو الاسرع ذهابا فى الصخـر ، ويعـرف بالموجـة الاولية Primary وهي التي يسجلها راسم الزلزلة اول شىء . وتجدها فى رسم الزلزلة الذى يصحب هذه الكلمة معبرا عنها بالحرف p .

ونوع آخر من الموجـات الباطنيـة يضطرب فيه الصخر فى اتجاه عمودي على اتجاه جريان الموجة . وهذه الموجة ابطـأ مـن الأولى . وتسمى بالثانويـة Secondary ، ويرمز لها بالحرف S فى الرسم المذكور .

وتسجل هاتان الموجتان فى مختبـر الزلازل بالمرصـد ، وتسبـق الأولـى الثانية (انظر الرسم الزلزلى المرفـق) ومن فرق الزمن يستدل الحاسبون على بعد مركز الزلزلة على سطح الأرض عن المرصد . فان كان ١٠٠٠ ميل ، رسموا على الكرة الارضية دائرة مركزها المرصد ونصف قطرها الف ميل، فتكون الزلزلة قد وقعت واحسها الناس فى نقطة على محيط هذه الدائرة . ولكن اى نقطة ؟ لا يدرى المرصد حتى تأتيه دائرة مثلها من مرصد ثان ، ثم ثالثة من مرصـد ثالث ، بينهـا البعـد الكـافى . وحيث تتقاطع الدوائر الثلاث على خارطة الكرة الارضية يكون المركز السطحي للزلزلة . كان يكون الشمال الشرقي لايران مثلا ذلك الذى وقعت فيه المأساة قريبا .

بقيت الموجات التي تجرى فى سطـح الارض . وهى قد تلف سطح الأرض

يمثل الخط الواحد ، لو اننا جئنا به في الصورة كاملا، دورة للاسطوانة واحدة اى ٣٠ دقيقة . فالخطوط هنا بدات الموجة الاولية Primary ، ثم حرف S دلالة على انه هنا بدات الموجة الثانوية Secondary، ثم الثانوية حسب الخبر بُعد الزلزلة على سطح الارض من المرصد ، فكانت بعيدة عنه بمقدار ٢١٩٥ ميلا .

1 2 3 4 5 6



خريطة الكرة الارضية ، وقد أظهرت فيها المناطق التي تكثر فيها الزلازل بنقاط سوداء منثورة عليها

لفا ، ويعزى اليها ، الى الموجة الاساسية بينها،اكثر تخريب للزلازل،لأن موجاتها تحرك الصخر فى مستوى افقي.

شدة الزلزلة

ابتدع علماء الزلزلة ، قبل ان يأخذ هذا العلم شكله الحاضر ، مقياسا للزلازل يستند الى بعض الآثار الناشئة عن الزلزلة . ثم عدلوا هذا المقياس ، ثم عادوا الى تعديله ، وهو اليوم يسمى بمقياس مركالى المعدل Modi ied Mercalli Scale وهو يقسم الزلازل الى درجات اثنتي عشرة ، تبدأ بالزلزلة التي لا تكاد تحس ، وتنتهي بالزلزلة التي لا تبقي على شيء .

علم الزلزلة يكشف عن مواقع البترول في الارض

لقد استخدم هذا العلم في هذا القرن الحاضر خاصة في الكشف عن البترول في الأرض .

ومثل من ذلك ان يخرق خرق في سطح الارض التي يراد اختبارها ، يصل عمقه الى ما بين ١٢ مترا و ٣٠ مترا ، ثم يوضع فيه مقدار من الديناميت ويفرقع ، فتحدث الفرقعة هزة في الارض تجرى موجاتها في كل ناحية . وهي في سيرها هذا تصطدم بصخور شتى ، من حجر رملى ، الى حجر جيرى ، الى ما هو اقل صلابة من هذه . وبهذا الصدام تنعكس الموجات فتعود أصداؤها الى سطح الأرض .

ويقيم الباحثون على مواقع عدة من سطح لارض « آذانا » تلتقط هذه الموجات الصوتية المنعكسة وتسجل اوقاتها .

ومن السجلات يحسب الباحثون الزمن الذى استغرقته الموجة في قطع المسافة ذهابا وعودة . وهذه السرعة بالطبع تختلف باختلاف الطبقات التي مرت فيها ، فهى اذن تكشف عن طبيعة هذه الطبقات،ومنها الطبقات البترولية.

وعند خبراء البترول الجيولوجيين علم بالطبقات الأرضية ، صنفا وتتابعا ، تلك التى هى ادنى الى احتمال وجود البترول. فلو ترجح عندهم،وجوده بدأوا يثقبون الأرض بالثاقبات المعروفة .

●●

أحمد زكى

مسابقة العربي

٤٥ اسماً.. وجوائز ١٠٠ دينار

■ اخترنا لمسابقة هذا العدد ٤٥ اسما مختلفا ، تبدأ كلها بحرف « الكاف » .. بعضها لشخصيات تاريخية معروفة ، من القدماء والمحدثين على السواء ، وبعضها لمعالم طبيعية كالدول والعواصم والمدن المعروفة والجزر والجبال .. وقد رتبنا اسماء المجموعتين دون تفرقة بين اسماء المعالم واسماء الاعلام .. والمطلوب منك ان تختبر ذاكرتك ومعلوماتك العامة ، وتضع امام كل واحد من هذه الاسماء – أو على الاقل امام ثلاثين منها – كلمتين او ثلاثا او اكثر تدل عليها ، كأن تكتب مثلا :

– كوالا لمبور : عاصمة ماليزيا

– كنيدى : الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية .

وكلما زاد عدد الاجابات الصحيحة ، زادت فرص النجاح ، وبالتالى فرص الفوز باحدى الجوائز

وهذه هي الاسماء موضوع المسابقة :

كابري – كابول – كوري – كارلسباد – كمران – الكاظمية – كاروزو – كازانوفا – الكوفة – كوتت – كانت – كاليه – كانتون – الكواكبى – كاي شيك – كبلنج – كتشنر – كراتشي – كريشنامنون – كربلاء – كوف دي مرفيل – كرومر – كريت – كركوك – كسلا – كرومويل – كشمير – كمبوديا – كوليزيوم – كنيا – كمبردج – كونفشيوس – كوبا – كوبنهاجن – كامرون – كورسيكا – كليمنجارو – كرفو – كردفان – كوناكري – كينجر – كييف .

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢٠ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٨ .

٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■



أبو الطب القديم

جالينوس

سيطر على العالم الطبي ١٤ قرنا

■ وهو قد حكم العالمين ، الأوروبي والعربي على السواء .

استمع لأبي الطيب المتنبي وهو يقول في قصيدة عزاء :

يموتُ راعي الضأن في جهله
موتةَ جالينوس في طبّه
وربما زاد على عمره
وزاد في الأمن على سربه

وهو اغريقي ، ولد في برجامون ، بآسيا الصغرى ، في العام الميلادى ١٣٠ ، وكانت مركزا للثقافة . وفيها بدأ دراسة الطب وسنه ١٧ سنة، ثم مضى الى ازمير ، ودرس فيها سنتين .

ثم الى الاسكندرية ، وكانت عندئذ مركز الثقافة الاغريقية . وكان بها جامعة ، لها متحف عظيم وبها اكبر مكتبة في العالم . وهي التي اخرجت من علماء الاغريق امثال اقليدس ، وارشيميدس ، وكثيرا غيرهما . وهو لحق في الاسكندرية ببطليموس حيا .

وامضى جالينوس في الاسكندرية خمس سنين، حضر فيها محاضرات في الحساب والهندسة ، ورأى فيها ومارس التشريح يجرى في الاجسام الانسانية ، وكتب قاموسا في المصطلحات الطبية، لم يتخلف لنا منه شيء .

وعاد جالينوس الى برجامون ، وهناك عُيّن جراحا للمسرح المدرج الانفتياتر حيث كان يقوم الجلادون بصراع الانسان والوحش على حد سواء . وزادت هذه الفرصة علمه بالطب هناك. واجرى بحوثا في التشريح ووظائف الاعضاء .

وفي السن الثالثة والثلاثين ذهب جالينوس الى روما ، وفيها فتحت له الدنيا ذراعيها .

واتصل بالامبراطور الفيلسوف ماركوس اوريليوس، وصار طبيبه الخاص . وعاش طويلا في روما يكتب ، ويدرس ، ويحاضر . وكان طبيبا لخلف هذا الامبراطور ، ثم لخلف هذا ، ومات نحو عام ٢٠٠ ميلادية .

ويطول بنا الحديث لو اننا دخلنا في ذكر ابحاثه وكشوفه وعلمه عامة ، ومؤلفاته . انها لشيء كثير ، ضاع اكثره ، وبقي الأقل . وبعض ما بقي ذهب الى العرب فافادوا منه كثيرا . ومن العرب دخل اوروبا بعد ان ناله التغيير والتعديل.

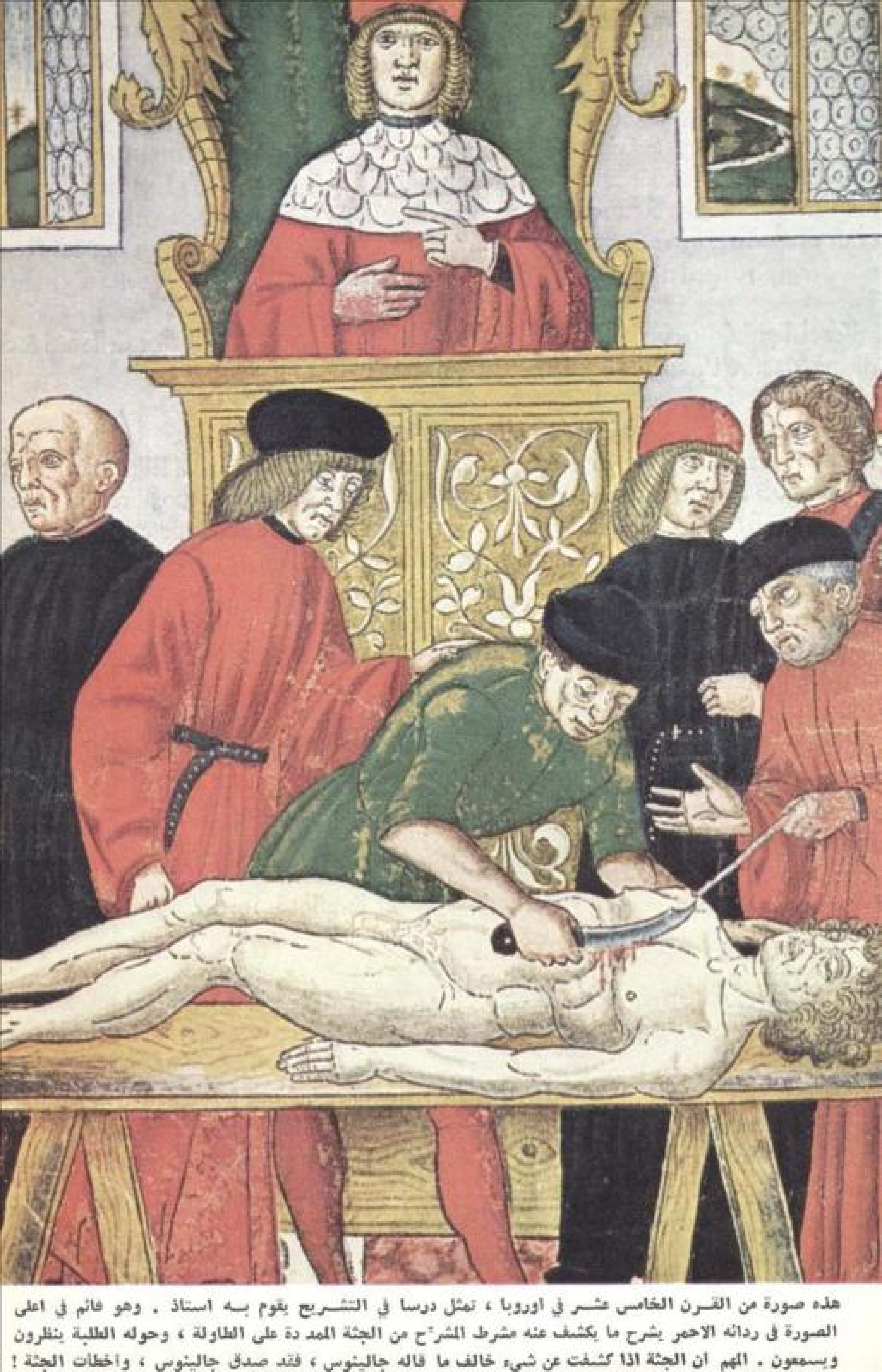
وظل جالينوس ، مدى ١٤ قرنا ، ابا الطب الذى لا ينازع . لم يجرؤ احد على ان يقول غير الذى قال . وانصرف الناس عن التشريح ، في العالم المسيحي والعالم الاسلامي ، لتبقى حرمة الانسان مصونة وقالوا : ماذا يجد المشرح ولم يبق بعد الذى وجد جالينوس علم ؟ !

وما جاء القرن السادس عشر حتى تبدل الحال. انها الثورة العلمية التي بدأها الشاب البلجيكي العالم فيساليوس Vesalius وبدأها بالرجوع الى الجسم الانساني ، بالتشريح، يستقى منه علمه ، ورويدا رويدا تظهر اخطاء جالينوس ، ويظهر قصورها ، ورويدا رويدا يدخل الطب في عصوره الحديثة .

حتى لقسموا التاريخ الطبي الى عهدين ، عهد ما قبل فيساليوس ، وعهد ما بعده .

ومن بعد فيساليوس انفتح الطريق الى الطب الحديث ، الطب التجريبي ، الذى وقف دون تقدمه قرونا خشية أن يكون في استخدام المشرط لفتح جثث الناس امتهان لكرامة الانسان .

●●



هذه صورة من القرن الخامس عشر في اوروبا ، تمثل درسا في التشريح يقوم به استاذ . وهو قائم في اعلى الصورة في ردائه الاحمر يشرح ما يكشف عنه مشرط المشرّح من الجثة الممددة على الطاولة ، وحوله الطلبة ينظرون ويسمعون . المهم ان الجثة اذا كشفت عن شيء خالف ما قاله جالينوس ، فقد صدق جالينوس ، واخطأت الجثة !



نَجْوى قَلْبٍ ..

■ ياقلب .. ! ! هل تصفو الحياة لشارب ؟؟

فالناس من فجر الحيـاة ظمـاءُ .. ! !

نَهِلوا .. وما ابتلَّ الأُوام ولا الصـدى

قد خفَّ من قِدَمٍ .. ولا الإغـراء ! !

عطشى إلى كاس الحياةِ .. تقودهـم

لطِلابه الأحقادُ .. والأهـواء ! !

كلٌّ يتوق إلى الحياة .. فطامـعٌ

لا مبصرٌ .. ومناهضٌ مستـاء ! !

وفمي تذَوَّق صابها .. ورحيقهـا

لا الصَّابُ دام .. ولم تَرُقْ صهبـاء ! !

إنْ أدْبَرتْ عنِّي .. فلستُ بنـادم

صفْوُ الحياةِ لراغبٍ عنقـاءُ ! !

ما أرتجي منهـا .. إذا ما أقبلـتْ

ما دام في طبع الحياةِ .. فنـاء ؟؟

ياقلب .. !! أين من الحياة بصائـــــرٌ
تنجاب من أَنَقٍ بِهـــا الظلمـــاء !!
فالليل قد أدجى .. وفي ظلماتــــــه
يتولد الإعصـــار .. والأنـــــواء !!
وبنو الحيـاة يموت في إحساسهـــم
عدلٌ ونور محبـــةٍ وإخــــــاء !!
سكِروا بأوهـام الحياة .. فَعَرْبَـــدت
إحَنٌ .. وشطَتْ في النهـــى غلــواء !!
فالبعض أغرقه النعيم .. ولـم يـــزل
يرجو المزيد .. كأنَّه دَأْمَـــــاء !! (١)
والظامئــون إلــى النعيم يســــومهم
حَرَدٌ وحقدٌ دائــمٌ ، وشـــــقاء !!
كلٌ يتوق إلى الحياة .. وما ارتـــــوى
يوماً .. فكـاس الشاربين خـــواء ؟؟
يا قلـــب .. هل جهل الأنام ومـــا دروا
أن الحيـاة محبّـــةٌ .. وإخـــــاء !!
ويح الحقـود من الأنـام تقـــوده
كالسائمـات .. غريـــزةٌ عميــــاء !!
لو أنصفـوا من نفسـهم فوق الثـــرى
أغناهمــو هـذا الثرى والمـــاء !!
يا ليـت أن بني الحيـاة تدبـــروا
معنى الســلام .. فلا تـراق دمـــاء!!
فالسـلم . ؟؟ يالَلسَّــلْم من أنشـــودة
أرضٌ تمنَّتْ عزفهـــا .. وسماء !! ■■

---

* الدأماء : البحر — السفارة السعودية بالكويت : **مقبل العيسى**



هذه هي الاحمدى .. ثانية مدن

الأحمدي

ثاني مدينة في الكويت

■ الاحمدى .. ثانية مدن الكويت .. ومن اكبر موانيء العالم من حيث الطاقة الجبارة في تعبئة ناقلات النفط ..

ان قصة هذه المدينة هي قصة اكتشاف النفط في الكويت .. فهي وليدة هذا النفط .. ظهرت معه واتسعت وكبرت مع زيادة انتاجه ، حتى اصبحت اليوم تتحكم في جميع عملياته ، من انتاج وتخزين وتصدير ..

تنتشر النوادى الرياضية ، والاجتماعية في الاحمدى ، تلك المدينة الحديثة التى لا يزيد عمرها على ٢٢ عاما ..

الكويت .. واحة صنعتها يد الانسان فى قلب الصحراء ،ومن حولها مستودعات النفط الخام .

وقد اصبحت الأحمدى تضم اليوم ٤١ ناديا ، منها ٣٧ناديا رياضيا واربعة نواد اجتماعية كبيرة .

ولنبدأ قصة الاحمدي من اولها .. من عام ١٩٢٠ على وجه التحديد ، عندما استطاع المغامر النيوزيلندي الماجور فرانك هولمز Frank Holmes ان يحصل على امتيازات للتنقيب عن النفط في الكويت والبحرين ، واجزاء اخرى من الخليج العربي ..

وعرض « هولمز » هذه الامتيازات على الشركات البريطانية ، فسخرت منه وهزأت به .. فتوجه الى الشركات الامريكية ، وكادت مفاوضاته معها ان تنتهي باتفاق عام ١٩٣١ ولكن بريطانيا تيقظت للأمر ، فاستخدمت حق الفيتو او الاعتراض على توقيع مثل هذه الاتفاقية ..

وثارت الشركات الامريكية .. واحتجت واشنطون .. وعقدت الاجتماعات لمدة سنتين ، انتهى بعدها الخلاف عام ١٩٣٣ بمولد شركة بريطانية امريكية ، عرفت باسم شركة نفط الكويت K.O.C. وهي الحروف الثلاثة الاولى من الاسم الانجليزي للشركة الذي هو :
Kuwait Oil Company

خريطة الكويت ، وقد ظهر عليها موقع مدينة الاحمدي



وحصلت هذه الشركة عام ١٩٣٤ على حق التنقيب عن النفط واستغلاله في كل ارض الكويت لفترة ٧٥ عاما .. ولكن هذه الاتفاقية عدلت من جديد عام ١٩٥١ على اساس اقتسام الارباح مناصفة ، لفترة جديدة تمتد ٧٥ عاما ..

وفي عام ١٩٣٥ بدأت عملية التنقيب عن النفط لاول مرة في الكويت ، فحفرت البئر الاولى في منطقة « البحرة » شمال جون الكويت ، وتعمق الحفر الى ٨ آلاف قدم ، ولكن لم يعثر على النفط بكميات تجارية ، الا أن النتائج كانت مشجعة فاتجه المنقبون الى جنوب الكويت ، وامضوا الشتاء كله في عمليات مسح جغرافية فيزيائية Geophysical اعقبوها بحفر عدة آبار .. وكانت النتيجة في هذه المرة مشجعة للغاية فقد عثروا على النفط في هذه الآبار في شهر ابريل من عام ١٩٣٨ وعرف العالم فيما بعد أن حقل برقان الذي اكتشف يعتبر اكبر حقل فرد للنفط في العالم ..

وبدأت الدراسات تجرى لاستغلال نفط هذا الحقل وتسويقه ، ولكن اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ اوقف جميع العمليات والدراسات .. حتى الآبار التي كانوا حفروها سدوها بالاسمنت المسلح لحمايتها من اخطار هذه الحرب ..

وحتى ذلك الوقت لم تكن هناك مدينة تعرف باسم الاحمدي ..

اول شحنة من النفط

ومع عودة السلام الى العالم في عام ١٩٤٥ ، عادت الحياة الى منطقة برقان ، حياة قاسية ، تسير باقصى سرعة تحفر الآبار ، وتمد الانابيب وتبنى الخزانات والمستودعات .. وفي شهر يونيو (حزيران) ١٩٤٦ توج حاكم الكويت الاسبق المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح ، هذا المجهود الضخم ، بحضوره حفل تصدير اول شحنة من النفط الخام ، وأدار الشيخ احمد صماما ذا مقبض فضي ، فانساب النفط الى خزانات الناقلة « بريتش فيوزيلير » التي كانت أول ناقلة تحمل أول شحنة من نفط الكويت الى العالم ..

وفي نفس المكان الذي وقف فيه الشيخ احمد

الجابر شيدوا ميناء كبيرا عرف باسم « احمدي » تيمنا باسم الشيخ احمد الجابر ..

مولد الاحمدي

ومنذ ذلك التاريخ وانتاج النفط ينمو ويزداد.. وعندما اطمأن المسئولون الى سلامة الانتاج بدأ تفكيرهم يتجه صوب بناء مدينة لسكنى عائلات الفنيين الذين سيتولون العناية بهذا المولود الجديد ..

ووقع الاختيار على هضبة ترتفع ٤٠٠ قدم عن سطح البحر ، وتبعد اثنين وعشرين ميلا جنوب الكويت العاصمة ، لتصبح مقرا للمدينة الجديدة ..

وسرعان ما بدأ العمل بسرعة فائقة ، فالجميع يريدون عائلاتهم بجوارهم ، وكان وجه الصحراء يتغير شهريا .. منشآت .. ومبان .. ومكاتب .. ومصانع .. ترتفع لتحيل المنطقة الجرداء الى بقعة عامرة بالحياة ..

وما هي الا بضع سنوات حتى ظهرت فوق الهضبة مدينة عصرية كاملة ..

مدينة مكيفة الهواء تماما .. كل منزل .. وكل مكتب .. وكل متجر يصله الهواء البارد صيفا ، والهواء الساخن شتاء من مولدات مستقلة ومركزية جبارة .

ولم يعرف اهل الاحمدي « بابور الجاز » او « افران الحطب » فقد اوصلت انابيب الغاز البترولي ، الى المنازل مباشرة لاستعمالها في الطهي والتسخين ..

أول محطة تقطير

وتصل المياه اليوم الى المنازل ، داخل الانابيب ، وهي على نوعين : مياه عذبة للاستهلاك المنزلي ، ومياه آبار قليلة الملح للغسيل والزراعة .. ولم يكن الحال كذلك عندما ظهرت الاحمدي ، فقد كانت المياه تجلب بالمراكب من البصرة في العراق لتروى عطش السكان .. وفي عام ١٩٥٠ دارت مقطرات اول معمل لتقطير ماء البحر ، فاعطت ٦٠٠ الف جالون يوميا للسكان .. كانوا يشربون جزءا كبيرا منها ، والباقي يقدمونه



المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح ، حاكم الكويت الاسبق ، يدير المقبض الفضي لتنطلق اول شحنة من نفط الكويت عام ١٩٤٦

للعاصمة التي لم يبدأ العمل في محطة تقطيرها الا في عام ١٩٥٣ .

ومع ارتفاع عدد سكان الاحمدي الى ٢٣ الف نسمة ، زيد انتاج محطة التقطير حتى وصل اليوم الى مليون ونصف مليون جالون يوميا ..

واحة خضراء

وكان الماء في بداية بناء الاحمدي يكفي بالكاد حاجات السكان ، فلم يكن يستعمل للزراعة ، حتى وصف احد الكتاب الاجانب مدينة الاحمدي بقوله « .. والشجرة الوحيدة التي تنبت في الاحمدي هي ذلك الجهاز الحديدي المتعالي فوق آبار البترول .. »

اما اليوم فقد يعترى الزائر الذهول لكثرة ما يشهده فيها من حدائق واشجار ، كست رمال الصحراء بلون أخضر ، بديع ، واجروا احصاء لعدد الاشجار في الاحمدي فوجدوها تزيد عن خمسين الف شجرة، نصفها تقريبا يرتفع على جانبي الطرقات والشوارع المعبدة ..

يقع معرض شركة النفط عند طرف الميدان الرئيسي في الاحمدي ، وتغطي المروج الخضراء معظم ارجاء هذا الميدان ، الذي يأتي اليه الناس هربا من الضجيج والزحام في الكويت العاصمة ..

الى اسفل : منذ بضع سنوات كانت هذه المنطقة مجرد صحراء قاحلة تغطيها الرمال الصفراء .. اما اليوم فقد اصبحت حديقة غناء تزينها الاشجار والزهور .. انها الحديقة العامة في الاحمدي ..

لقد انتشرت هواية زراعة الحدائق بين سكان الاحمدى حتى اضحت جزءا هاما من حياتهم اليومية .. ويتجاوب المسئولون مع هذا النشاط فيقدمون يوميا ثمانية ملايين جالون من مياه الآبار مجانا للسكان ، لارواء حدائقهم .. وهذه المياه تجلب من ٢٢ بئرا في منطقة العبدلية عبر خط انابيب طوله ١٦ ميلا ..

وقد وجدت الزراعة من صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء تشجيعا ومؤازرة عظيمين ، منذ ان كان سموه رئيسا لادارة شئون النفط العامة في الاحمدى ، ففي عام ١٩٥٢ خصص سموه كاسا ثمينة لاجمل حديقة في المدينة ، وجوائز نقدية للفائزين في مسابقات الحدائق في جنوب الاحمدى..

ومن اغرب الاندية في الاحمدى ناديان يختصان بشئون الزراعة ،ويقدمان المواد والادوات الزراعية والبذور والسماد باسعار مخفضة لجميع السكان .. ويقوم الناديان بتنظيم مسابقات سنوية لاجمل الحدائق .. وقد اقيم حتى السنة الماضية ١٤ معرضا للزهور والخضروات التي يزرعها الاهالي في حدائق منازلهم .

هجرة اسبوعية

ونتيجة لهذا التشجيع الرسمي الكبير ، اصبحت الاحمدى اشبه بواحة خضراء وسط رمال الصحراء ، تجلب اليها سكان مدينة الكويت يتروحون فيها ايام الجمعة ، بعيدا عن ضجيج العاصمة وصخبها ، فتزدحم بها الحديقة العامة والجادة الوسطى ..

ولمواجهة هذه الهجرة الاسبوعية من المدينة الاولى الى المدينة الثانية ، اتخذت محافظة الاحمدى بالتعاون مع شركة النفط ، ترتيبات خاصة لتنظيم حركة السيارات فجعلت السير في اتجاهين عند الجادة الوسطى وسدت فتحات الطرق ، وضاعفت انارة المنطقة ، واقامت حنفيات الماء البارد للشرب ، وشيدت دورات جديدة للمياه ومغاسل للرجال والنساء ، ووزعت المقاعد عند اطراف المروج الخضراء ، واقامت وسائل اللهو واللعب للاطفال ، من مراجيح ومتوازيات ومواسير التسلق ..

واعيد بناء معرض الشركة فزيد حجمه ثلاثة اضعاف ، واصبح يضم ٢٠٠ رسم ونموذج



الشيخ جابر عبد الله الجابر محافظ الاحمدى يفتتح ملعب البولنغ الجديد

مجسم تروى قصة النفط في الكويت من ساعة اكتشافه الى يومنا هذا .. واصبح المعرض يفتح ابوابه سبعة ايام في الاسبوع ، وفي يوم الجمعة فقط يستقبل ١٢٠٠ زائر اغلبهم من سكان العاصمة ..

وفي المساء تبدأ افواج السيارات تعود الى الكويت ، ولكن الكثيرين من سكان العاصمة يفضلون تكملة سهرتهم في سينما الاحمدى الفخمة التى تتسع لنحو ١٣٠٠ مشاهد .. والتى تقدم اسبوعيا اربعة افلام ، عربية وهندية واوروبية وامريكية ، حرصا منها على ارضاء كل الاذواق والفئات ..

زحف المرأة

والى جانب دار السينما يتجه اهل الاحمدى الى انديتهم الخاصة ،وعددها ٣٧ ناديا ، يزاولون فيها جميع انواع الالعاب الرياضية ، من كرة



هكذا بدت الاحمدي منذ عشر سنوات .. منازل خشبية متناثرة فوق رمال الصحراء ، دون اثر لاشجار .

طائرة وكريكيت وكرة قدم وجولف ورجبي وبولنغ، وسباق للسيارات الصغيرة والاحصنة ، والمراكب الشراعية ، وغيرها من الالعاب ..

ويشجع محافظ الاحمدي الشيخ جابر عبد الله الجابر الصباح هذا النشاط الرياضي فيشهد الكثير من حفلاتها النهائية ، ويقدم الجوائز للفائزين فيها ..

وفي الاحمدي ٤ اندية اجتماعية كبيرة ، تعقد الاجتماعات والندوات والحفلات التي اصبح يشترك فيها الجنسان من رجال ونساء ، وكان الامر مختلفا عام ١٩٤٦ عندما لم تكن في الاحمدي سوى ست زوجات من النساء والف موظف من الرجال، وكانت النسوة يجتمعن في منزل احداهن بالتتابع .. ومع الايام زاد عدد المجتمعات عن عدد المقاعد في اى بيت من البيوت ، عندئذ وافقت ادارة الشركة على طلب تقدمن به لاستعمال جانب من نادى المقوع في صباح يوم الاثنين من كل اسبوع ، حتى لا يزعجن الرجال !

واستمر زحف المراة ،فشيدت اندية خاصة بها، وبدات نشاطا اجتماعيا واسعا ساهم مساهمة فعالة في بناء الاحمدي .. وفي كل عام يقيم النادى النسائي حفلا كبيرا لعرض الازياء تقوم به اعضاء النادي بدور العارضات .. ويعتبر هذا الحفل من اهم الاحداث الاجتماعية التي تترقبها سيدات الاحمدي سنويا ..

والى جانب الرياضة والاندية الاجتماعية توجد خمس دور للكتب عامرة بالوف الكتب التى تعالج مختلف المواضيع والعلوم والفنون .. واضخم هذه المكتبات هي مكتبة المعارف العامة ، وهي حكومية، وتضم ما يقرب من عشرة الاف كتاب ..

حتى هواة التصوير والرسم لهم جمعية خاصة بهم ، تقيم لهم المعارض الدورية للرسوم والصور، وتقدم لهم التوجيهات والارشادات الفنية ، مع بيعهم مختلف الالات والمعدات باسعار مناسبة ..

الآلة والانسان

والغريب في مدينة البترول انك لا تشهد قطرة



.. وهكذا تبدو الاحمدي اليوم .. واحة خضراء تتخللها الطرقات والاسواق في تخطيط هندسي بديع ..

من السائل الاسود فيها .. فالنفط الذى اصبح يتدفق بمعدل ١١٣ مليون طن سنويا .. يتدفق من الآبار الى المستودعات الى الناقلات داخل انابيب مغلقة لا تلمسه يد ولا تشهده عين ..

ولكن رغم استعمال الآلة الحديثة في عمليات انتاج النفط وتسويقه فان عدد العاملين في شركة نفط الكويت يزيد عن خمسة آلاف موظف وعامل ، ٦٥ في المائة منهم من ابناء الكويت والبلاد العربية..

ولم تعد الشركة تكتفي بتدريب العمال والموظفين في مدارسها الخاصة ، بل عمدت في السنوات الاخيرة الى ارسالهم في بعثات تدريبية الى الخارج .. وقد رجع عدد كبير منهم ليتسلموا ويشغلوا مناصب رئيسية وقيادية في شركة النفط بعد استكمال تدريبهم ..

ان مجتمع الاحمدي في تطور وتبدل مستمرين ، وهو مجتمع تسهر كل الهيئات الحكومية على راحته وسلامته ، حتى ان السلطات الصحية لم تعد تهتم بالقضاء على المرض فحسب ، بل اصبحت تعنى بالوقاية من اسبابه .. ويقوم قسم الطب الوقائي بالتطعيم والتلقيح ضد الامراض المنتشرة ، كما يجرى فحص اللحوم المستوردة والمياه ، ويعمل على ابادة الذباب والحشرات في فصل الربيع والخريف .

ضاحية جديدة

لقد قفز عدد سكان الاحمدي من سبعة الاف نسمة عام ١٩٥٧ الى ٢٣ الف نسمة اليوم ، ولمواجهة هذا التزايد الهائل في السكان قررت بلدية الكويت بالتعاون مع مجلس التخطيط استغلال اراضي الفضاء الواسعة الواقعة شرق الاحمدي .. وقبلت الشركة التنازل عن هذه المنطقة الواقعة ضمن مناطق امتيازها ، وفي الحال بدات عملية بناء هائلة ارتفع على اثرها اكثر من ثلاثة الاف منزل فوق رمال الصحراء ..

ميناء العمالقة

وهذا التطور الحضرى والسكاني الكبير ، يقابله تطور مماثل في شئون النفط وتصديره .. وهذا

التطور لا بد منه حتى تظل الكويت مسايرة لتطور صناعة النفط وقادرة على الصمود في مضمار المنافسة العالمية ، التي تشتد وتزداد عاما بعد عام ..

لقد كانت حمولة اول ناقلة نفط رست في مياه الكويت هي ٣٠٠ الف طن ، اما اليوم ، وبالتحديد بتاريخ ٢١ سبتمبر عام ١٩٦٨ استقبلت الكويت اكبر ناقلة نفط طفت على سطح الماء في العالم في اول رحلة لها ، وحمولتها ٣٢٦ الف طن .. انها احدى الناقلات العملاقة التى دفعت المسئولين الى بناء جزيرة صناعية على مسافة تسعة اميال ونصف من شاطىء الاحمدى ، حيث يصل عمق المياه الى ٩٣ قدما ، في حين ان رصيفي الميناء القديمين لم يكن يزيد عمق الماء فيهما عن ٦٠ قدما ..

لقد اصبح ميناء الاحمدى بارصفته الثلاثة المتقاربة يتمكن من استقبال ١٣ ناقلة في آن واحد بما فيها الناقلات العملاقة التى ما زال عدد منها قيد البناء في احواض السفن باليابان ..

الحارس الامين

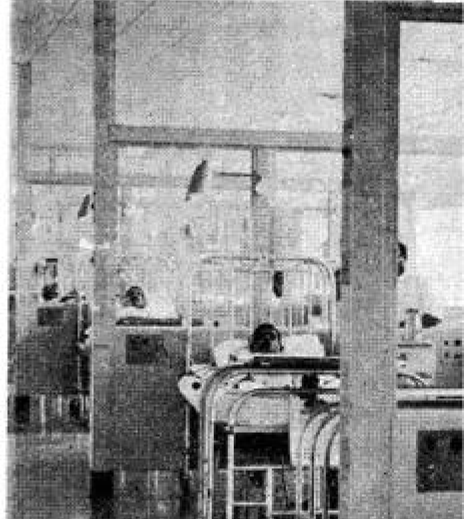
وعند الغروب تنعكس اشعة الشمس الذهبية المختلطة بوهج الغاز المشتعل على الناقلات العملاقة وعلى خزانات البترول الفضية فتكسبها لونا ذهبيا رائعـا ..

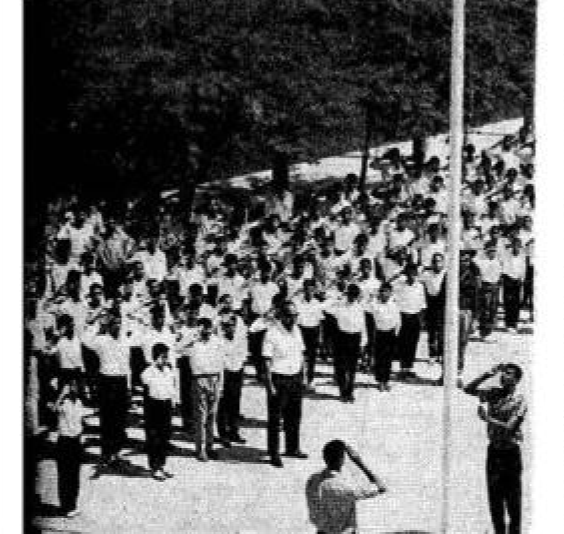
ويذهب اهل الاحمدى الى منازلهم وانديتهم وتغلق المتاجر ابوابها ، ويسير السائر في شوارع الاحمدى فلا يجد فيها اثرا لحياة تقريبا .. ان الحياة تتوقف فى الاحمدى بعد الغروب ، ولكنها لاتتوقف ابدا فى الخمسمائة بئر التي يندفع منها النفط الخام الخالي من الكبريت، بصورة طبيعية دون حاجة الى مضخات .. وهذا هو السر الذى يجعل من استثمار بترول الكويت ، افضل عملية استثمار بترولية في العالم .

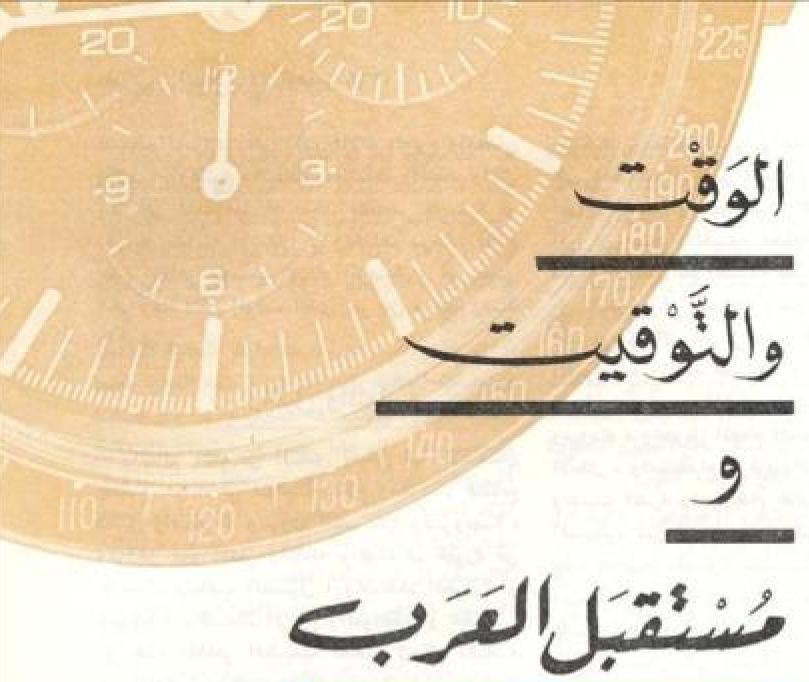
لقد تضاعف انتاج البترول فى الكويت عشرات المرات خلال الاثنتين والعشرين سنة الماضية ، فمن ٨٠٠ الف طن عام ١٩٤٦ قفز الانتاج الى ١١٢ مليون في عام ١٩٦٧ وهـذه الزيادة في النفط المستخرج لا تؤثر كثيرا على مخزون الكويت ، فهي تعتبر الدولة التي تحوى اكبر احتياطى نفط في العالم .. وعندما حاولوا تقديره قالوا انه ثمانية مليارات من الاطنان ..

ان الاحمدى مدينة لاتنام فهي تقف كالحارس الامين تحمى ارضا فى جوفها ثروة اسطورية .. انها ثروة الكويت من الذهب الاسود .. ■■

رعاية صحية في مستشفى حديث نظيف .. وعناية بتثقيف التلاميذ في مدرسة متوسطة بالاحمدى







الوَقْت والتَّوْقيت و مُسْتقبل العَرَب

بقلم: الدكتور سرى ناصر

استاذ علم الاجتماع ـ الجامعة الاردنية

■ اذا اردنا ان نصل الى اعماق مشاكلنا للتوصل الى حلول جذرية سليمة لها فمن الضروري ان نبدأ بالمواجهة، مواجهة انفسنا ببعض مظاهر الحياة التي تقيد مسالك الفكر والعمل لدينا، والتي لا يمكن لنا أن نبحث عن دعائم جديدة للبناء العربي دون أن نكشف الغطاء عنها ونزيل عن عيوننا تلك الغشاوة الكثيفة التي تحجب عنا الرؤية والتي تعوق بالتالي من حركتنا، وتلقي بنا في غياهب التخلف في اوسع صوره.

وتأتي مشكلة الوقت ودلالته وآثاره والطاقات المنبثقة عنه في مقدمة مشاكلنا المطروحة، ولاهمية هذا الموضوع في اطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العالم بوجه عام، وفي عالمنا العربي بوجه خاص، فسوف نفرد هذا الحديث لتحليل وتفسير «الوقت والتوقيت .. وأثره في مستقبل العرب».

وقد يكون من المفيد ان نبدأ بتعريف مبسط للوقت، فنصفه بانه اوضاع متلاحقة لحالات زمنية تمر على ابعاد متناسقة في هذا الكون بحيث تشكل في تلاحقها وتناسقها قوى قد تبدو قاهرة وملزمة. فكل شيء في الوجود يعيش في ديمومة قد تكون مطلقة وقد تكون نسبية. فالوقت بالنسبة للانسان والحيوان والنبات وقوى الطبيعة الجامدة يمثل عنصرا فاعلا في وجودها واستمرارها او تلاشيها وفنائها.

وكان الاعتقاد السائد حتى منتصف القرن الثامن عشر ان للوقت سلطانا لا يقهر، وانه لا مفر من سيطرته على الكائنات الحية او الجامدة. وكانت الشواهد البيولوجية والطبيعية تؤكد ذلك وتدعمه فمن ناحية الكائنات الحية هناك حتمية واضحة يمر فيها الكائن الحي بمراحل زمنية ثابتة في نموه ونضجه ثم هرمه وانحلاله وفنائه.

ومن ناحية اخرى تخضع الكائنات الحية لتغيرات فسيولوجية تحت تأثير عامل الزمن، ومن

ابسط الشواهد على ذلك حالات الجوع والعطش والاخراج والنوم واليقظة والنشاط والتعب والملل وما الى ذلك مما قد ياخذ مظاهر جسمية او نفسية متباينة الاشكال . وتختلف درجة الحاح هذه المظاهر بحسب الابعاد الزمنية ، او بمعنى آخر وفقا لتقل الوقت الذى يمر بين مرحلة زمنية واخرى .

.. والليل والنهار

والعالم الطبيعي الذى يعيش فيه الانسان يخضع هو الاخر لتوقيت حازم ومطرد . فتتابع الليل والنهار ، وشروق الشمس وغروبها ، ومراحل نمو القمر وتكامله وافوله ثم ظهوره من جديد ، وتعاقب الفصول ، واشتداد الحرارة او هبوطها ، واشتداد الرياح والعواطف او خفتها . كل هذه المظاهر الطبيعية تخضع لاحكام دقيقة من التوقيت ، اعتبرها الانسان قضايا حتمية لا يقدر على ان يعدل في مساراتها او يغير من درجة التزامه بتأثيرها واحكامها .

وهكذا ارتضى الانسان ان يكيف احتياجاته وفقا لاحكام الطبيعة ومشيئتها ، والتحم بالطبيعة التحاما كاملا لاعتقاده بأنها فوق طاقته . وبهذا اعتبرها مصدر حياته أو فنائه ، فان رضيت عنه الطبيعة منحته بغير حساب وان سخطت عليه ادبرت عنه دون شفقة أو رحمة . لقد علمته خبرة الاجيال المتعاقبة من آبائه واجداده انه لا يمكن التحكم في مجيء المطر وسقوطه أو امتناعه فاذا جاء المطر تهللت اساريره ودق طبول الفرح لان الطبيعة لم تخنه ومنحته رضاها واسلمته ينبوع الحياة لزرعه وضرعه ، واذا تمنعت الطبيعة وتاخر توقيتها لا يجد مفرا الا أن يستدر عطفها ويطلب رحمتها وغفرانها ، ولا يتوانى ان يقدم لها القرابين والاضحيات من أجل كسب رضاها والتكفير عما يتصور انه سبب لغضبها أو ثورتها .

معركة الانسان مع الطبيعة

ولهذا ارتبط الانسان البدائي بالطبيعة ارتباطا كاملا فهي صديقة وعدوه في آن واحد ، ولكن عداوتها لا تحتمل ولا يستطيع ان يقف منها موقف المتحدى لها أو المستهين بها . ومن هنا توارث الانسان جيلا بعد جيل ضرورة الرضوخ للطبيعة والتكيف وفقا لمتطلباتها واحكامها . وظل الحال على هذا المنوال حتى استطاع الانسان أن يسبر اغوار الطبيعة ويتفهم حركة الكواكب ، ويسعى الى أن يسخر الطبيعة لحاجاته هو . ولم تكن معركة الانسان مع الطبيعة معركة مادية فحسب ، بل كانت معركة حضارية وثقافية في المقام الاول . لقد توصل الانسان في هذه المعركة الى شق القنوات ، واقامة السدود ، وتغيير مسارات الرياح ، وتعبيد الطرق وتكييف حرارة الجو وبرودته ، وتحويل الظلام الدامس الى ضوء يبهر الانظار ، واستخدام الوقود والبخار كطاقة محركة، وتفتيت الذرة واستخدام طاقتها واشعاعاتها في السيطرة على الطبيعة والتحكم في عامل الزمن . هذه الجهود الجبارة تسلسلت خيوطها منذ استطاع جاليلو أن يكشف مسارات الكواكب فاسهمت في كشف القارات وتواصل الانسان مع اخيه الانسان على بعد الشقة بينهما ، لم يعد لعنصر الوقت سيطرته في الانتقال من مكان لآخر . ولم يعد لليل ذلك السلطان الذى كان يكف يد الانسان عن العمل حتى يطلع عليها نهار جديد ، فتحولت ساعات الليل والنهار الى عمل متواصل.

لماذا تباعدت الشقة بين المجتمعات الانسانية المعاصرة .. ؟

هذا التغير في علاقة الانسان بالطبيعة لم يكن – كما سبق أن اسلفنا – نتيجة لمعركة مادية فحسب ، ولكنه جاء نتيجة لمعركة حضارية وثقافية في الوقت ذاته . وهذا هو السبب في أن الانسانية لم تخط في تقدمها خطوات مماثلة في كافة ارجاء المعمورة ، ولم تعبر مسالك واحدة في تكييف الطبيعة لاحتياجاتها . ومن هنا جاء التباين الشاسع بين البلاد المتقدمة والبلاد المتخلفة ، او بين الانسان الذى ازدحمت معركته مع الطبيعة وامتزج فيها الصراع المادى والثقافي بصورة شكلت لونا حضاريا خاصا وبين الانسان الذى انعزلت ثقافته عن مقتضيات العصر واحتياجات التغير فظل صراعه ماديا بحتا لا يسبر الا بقدر ولا يتحرك الا في حدود ما خلفه له آباؤه وأجداده .

ومن هنا تباعدت الشقة بين البشر بنفس القدر الذى تباعدت فيه بين المجتمعات الانسانية المعاصرة: أناس محافظون جامدون يخافون التغير ولا يأمنون للجديد ، ومجتمعات تقليدية كلاسيكية تعيش على

الفطرة وترضى بسيطرة الطبيعة اذا تجاوزت هذه السيطرة حدود امكانياتها العقلية والمادية من جانب ، واناس متطورون متحركون يسابقون الزمن حتى لا يسبقهم ويغالبون الطبيعة حتى لا تقهرهم ويذهبون الى حد المخاطرة سعيا وراء كشف علمي جديد وتجريب كل ما هو غامض وغير مألوف ومعهم مجتمعاتهم التي شكلوها بارادتهم وطبعوها على الحركة ومواجهة التغير . وبعبارة موجزة تباعدت الهوة التي تفصل بين العقل التقليدى الجامد ، والعقل التجريبي المرن بشكل بالغ العمق والخطورة على حركة الانسانية ككل في هذا الكون .

واذا كانت حركات التحرر الاجتماعي والاقتصادى ـ التي ظهرت في بقاع كثيرة من العالم القديم والجديد بكافة اشكالها الثائرة منها أو الرصينة الهادئة ـ تعبيرا عن الرغبة في ملاحقة الزمن ومسايرة ركب الحضارة ، فهي في حقيقتها محاولات للفكاك من سيطرة الطبيعة والتحول الى التجريب بمعناه الواسع لاستثمار الوقت من اجل تحقيق الرفاهية والتقدم .

مستقبل العرب ومفهوم الوقت والتوقيت

وهنا نجد انفسنا امام تساؤل ينبغي مواجهته بموضوعية تامة ، وهو : هل يعطي الانسان العربي للوقت والتوقيت المفهوم الذى يؤكد سيطرته على الطبيعة وتسخيرها لصالحه ؟ وبالتالي هل يمكن ان يتغير مستقبل العرب اذا اصبح لمفهوم الوقت دلالة جديدة وابعاد جديدة ؟ .

ان احدى صعوبات تطورنا الحضارى ترجع بصورة مباشرة الى طبيعة فهمنا للوقت وتفسيرنا لمضمونه ، فتحت ستار تقديس الآباء والاجداد نذهب في التصاقنا بالطبيعة وتمجيدنا للماضي مذاهب شتى بصورة حرمتنا من ملاحقة عجلة الزمن .

صحيح ان حاضرنا مرتبط بماضينا ، وان هناك تسلسلا يدفعنا الى المستقبل ، ولكن الوقت الذى مضى قد انقضى ، والتشبث بامجاد هذا الماضي يعتبر توقفا وتثبيتا لبواعثنا وحوافزنا عند نقطة معينة لا تسعى الى الانطلاق امامها او تغييرها بما يتفق مع مستلزمات العصر .

ولا ينبغي ان نظن ان في هذا القول نقدا قاسيا هداما ، وانما هو مواجهة ضرورية للبحث عن مسالك سوية لحركة الفكر والعمل العربي المعاصر. وقد لا نذهب بعيدا اذا استعرضنا مجموعة العبارات التي تتناولها في حديثنا اليومي الدارج ، ومن ابرزها قولنا « العجلة من الشيطان » و « معلهش » « ولسه بدرى » و « طيب بنشوف » ... الخ .

ان هذه العبارات ليست مظاهر شكلية للسلوك وللعادات المحلية بقدر ما هي ترجمة تلقائية لعدم أهمية مفهوم الوقت ودقة حدوده وابعاده في حياتنا اليومية . كل هذا نجده في عباراتنا التلقائية اليومية ، مع أن ادبنا العربي حافل بعبارات اخرى تؤكد اهمية الوقت وخطورته . فمن منا لم يسمع بعبارات « لا تؤجل عمل اليوم الى غد » ، « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » ، « البركة في البكور » وغير ذلك من العبارات الواضحة الصارمة .

وفي هذا دليل آخر على أن تيار الماضي الذى تعبر عنه لغتنا العلمية اليومية يقفز فوق تيارات المعرفة والفكر والآداب المعاصرة ، وهنا تكمن عناصر عدم مواجهتنا بصورة كافية لتحديات العصر الذى نعيش فيه .

دلالة الوقت كاثر للقياس

ان التوقيت يفقد في حياتنا العربية اليومية الكثير من دلالته كاثر للقياس ، فبينما يظهر الوقت في المجتمعات المتقدمة ثقافيا وتكنولوجيا في شكل جزئيات دقيقة الابعاد ، نجد انه يأخذ مجالا فضفاضا لا تحدده جزئيات واضحة ودقيقة في مجتمعنا العربي . ولسنا في مجال مناقشة مجموعة العوامل المتشابكة التي تطمس قيمة الوقت وتذيب حدوده كاداة للقياس الزمني عندنا ، ويكفي ان نذكر ان أهمها هو استمرار التصاقنا بالطبيعة وخضوعنا لاحكامها القدرية واستسلامنا لما يجيء به الزمن ، هذا الى جانب عوامل التنشئة اللاسوية التي غرسها الاسلوب الاستعمارى الذى حرم بقاعا كثيرة في العالم العربي من حرية الحركة والعمل وفرض على اجيال كثيرة ـ تتعاقب انسالها حتى يومنا هذا ـ الايمان باهمية الزراعة كمورد اساسي لاقتصاديات البلاد العربية ، واشاعة الاعتقاد الخاطىء بأن للصناعة مخاطر وامراضا مهنية من جهة ، وبأن بلادنا تفتقر الى المواد الخام والمقومات الجغرافية الملائمة من جهة اخرى .

وهكذا يشيع في حياتنا العربية اليومية الكليات

الزمنية دون الجزئيات المحددة الدقيقة ، فاذا اتفقت مع زميل على اللقاء في احدى الامسيات فلكن ذلك بعد صلاة العشاء مثلا دون ان يحرص اى منا على تحديد دقيق لساعة اللقاء اوللجزئيات المتفرعة عن ساعة معينة فيها ، ويستمر الانتظار مفتوحا الى ان يتم اللقاء دون ان يشعر احدنا او كلانا بقسوة هذه الكليات الزمنية التي تسيطر على اسلوب الاتصال والتعامل بيننا .

هذا عن وقت الفراغ ـ الذى نعتبـره نحن فراغا ، ويضفي عليه المدلول اللغوى ذاته أنه خال من كل قيمة وخاو من أى زيادة للمنفعة ، وقد يصل تفكيرنا احيانا الى أن يعتبر الفرد فينا انه مطلق في وقت فراغه يشغله كما يشاء بالاسلوب الترويحي الذى يراه . وليس من حق الدولة او مؤسساتها ان تتدخل في تنظيمه وتخطيطه . هذا الترويح الذى يقابله في اللغات الاوربية كلمة Recreation يعنى ان عملية شغل هذا الفراغ ليست الا نوعا من اعادة البناء والخلق . وعلى هذا ينبغي التخطيط والتنظيم حتى يمكن استثماره بصورة بناءة على اساس من الاعتراف بأن جزئيات هذا الوقت المسمى فراغا ذات قيمة قابلة للتراكم على العكس من الاعتقاد الخاطىء القديم بأن وقت الفراغ لا يمكن اختزانه ومن هنا كان شبيها بسلعة قابلة للتلف السريع . واليوم تبدد هذا المفهوم في المجتمعات المتقدمة واصبح وقت الفراغ شانه في ذلك شان وقت العمل ينبغي اســـتثمار كل جزئياته . وهذا يعني ضرورة اخضاعه للقياس الكمي ذى الجزئيات المتناهية في الصغر .

وقت الفراغ أخطر من القنبلة الهيدروجينية

ان نظرة سريعة الى أسلوب الحياة والعمل في احد المجتمعات المتقدمة في اوربا وامريكا يعطينا دلالة كافية على ان الزيادة الكبيرة التي تحققت في وقت الفراغ ـ نتيجة لتخفيض ساعات العمل في الصناعات الحديثة ـ هي الشغل الشـــاغل لحكومات هذه الدول . ويحضرنا الآن قـــول « هتشنس » Hutchins أن عالم اليوم اذا لم يخطط ويستثمر كل جزئية صغيرة من جزئيات وقت فراغه الذى يتزايد بصورة مطردة يوما بعد يوم سوف يواجه مشكلة مدمرة خطرة . ان العالم اذا لم تحطمه القنبلة الهيدروجينية فسوف يحطمه وقت الفراغ الضائع سدى دون ان يوجه لبناء الجسم واتعقل والروح في الفرد من جهة واعلاء صرح البناء الاجتماعي والاقتصادى والاخلاقي للشعوب من جهة أخرى .

من منا لم يقض الساعات الطوال على المقاهي يدخن الارجيلة او يتطلع الى المارة ، او يثرثر مع اقرانه فيما لا يستثمر وقت فراغه ويضفي عليه منفعة متجددة سواء في اطار الراحة الجسمية أو النفسية أو العقلية المطلوبة بعد العمل ، أو في نشاط ترويحي ايجابي يعيد بناء الجسم والعقل والروح .

ان السمة البارزة في ارجاء كثيرة منعالمنا العربي هي انتشار المقاهي كنوع من الترويح التجارى غير الموجه وضمور امكان الترويح السوى سواء ما ظهر منه في صورة اندية اجتماعية او رياضية او حدائق ومنتزهات يجد فيها الصغار والكبار على السواء مجالات متعددة لاستثمار كل جزئيات فراغهم استثمارا كبير الفائدة . واذا اردنا ان نقدر بمقياس الزمن قيمة الوقت الذى يضيع سدى في المقاهي ومجالات الترويح اللاسوى بمختلفاشكالها امكنا ان نقـول دون مبالغة انه لا يقل بحال من الاحوال عما نبذله بالفعل فيمجالات العمل المثمر .

ويرتبط اسلوبنا وانماطنا في شغل وقت الفراغ بمجموعةمن امراضنا الاجتماعيةومشكلاتناالاخلاقية الشائعة ، ويكفي ان نورد احداها على ســبيل المثال ، وهي مشكلة تعاطي المخدرات في العالـم العربي . واذا كان لتعاطي المخدرات في مجتمع ما دلالات سيكيولوجية واخلاقية ترتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة الناس في هذا المجتمع ، فانتعاطيالمخدرات والادمان عليها تعبير لا يخطىء عن الهروب منالواقع بكل ما يتطلبه من مواجهة الى عالم جديد تغيب فيه احداث الواقع الى احداث خيالية من صنع الموقف الذى يخلفه مجتمع تعاطي المخدرات . ومن هنا فاننا نعتبر ان تعاطي المخدرات لا يقل في خطورته بحال عن تعاطي الخمور ان لم يكن أكثر خطورة على البناء الاجتماعي ، فبينما يظل أثـر الادمان فيحال الخمور فرديًا بحتا وتنحصر اضراره في المدمن واسرته ، فان اثر الادمان في المخدرات فردى واجتماعي في الوقت ذاته . فهو يؤثر في بناء المجتمع وانتاجه وفاعليته بصورة بالغة العمق لا تقل عن اثرها في المدمنين كافـراد . فعملية النكوص والتقهقر والهروب من الواقع الاجتماعي تصرفالمدمن عنالابتكار والابداع واستثمار جزئيات

الوقت المتاح له سواء فى اطار العمل او فى اوقات استثمار يزيد المنفعة ويضاعف من القيمة الفعلية للعمل .

اسلوبنا فى العمل

وما دمنا بصدد الحديث عن الانتاجية واثرها فى تحديد اقتصاديات المجتمع ، فلا مناص من ان نشير الى اسلوبنا فى العمل الذى لا يقوم على اساس تحديد الوظيفة ووصف المراحل والجزئيات المختلفة التي تمر بها كل عملية ومن هنا لا يقوم اسلوبنا ومنهجنا فى العمل على اساس انه سلسلة من الدقائق والثواني واللحظات وانما على اساس تقديرى افتراضي لا يسانده البحث العلمي والتجريبي. فبينما نجد ان العامل فى المجتمعات الصناعية المتقدمة يحدد امامه اطار يرتكز على الوصف الدقيق لجزئيات العملية التي يؤديها فى ساعة من ساعات عمله فان طاقة العامل العربي تحسب بعدد الايام التي يعملها او المواسم التي لا يكون فيها عالة على مجتمعه . وما من شك فى ان غلبة التفكير القدرى والاستسلام لاحكام الطبيعة ـ وخاصة فى الكثير من بقاع العالم العربي التي لا تزال بعيدة عن التحول الى التصنيع واستثمار نتائج التكنولوجيا الحديثة ـ يلعب دوراً بالغ الاهمية فى التعامل مع الوقت على اساس كمي ينقصه التصنيف والتحديد الدقيق لا على اساس جزئي يرتكز على وصف امكانيات العمل والانتاج فى كل لحظة من لحظات العمل. وهكذا يتأثر العمل وينخفض الانتاج ويضيع جانب كبير من الامكانيات المثمرة للعمل فى عالمنا العربي بصورة مؤسفة .

وقد يكون من المناسب لمواجهة البطالة الموسمية التي يعانيها جانب كبير من القوى العاطلة فى المجال الزراعي بالعالم العربي ان يصنع الانتاج الزراعي او يعبأ او يغلف بحيث يستثمر الفراغ الموسمي المفزع من جهة ، وبحيث ترتفع قيمة السلعة الزراعية وتحقق قيمة مضافة الى الدخل القومي . ولكننا نرى ـ مع الاسف الشديد ـ اهمالا كبيرا وتثبيطا لمحاولات التدخل الادارى من جانب الانسان لاستثمار الوقت استثمارا نافعا سواء اكان هذا الاهمال من جانب القوى الاخلاقية الضاغطة على الجيل الجديد المتمثلة فى احكام العادات والعرف والتقاليد ، ام نتيجة لقصور فى تشريعات بعض البلاد العربية واطلاقها لحرية العمل والانتاج الفردى ، دون اية محاولة للتوجيه او التنظيم من جانب الدولة . وحتى فى البلاد التي تدخلت فيها الدولة لتخطيط وتنظيم العمل والانتاج فان مشاكل الزيادة السكانية والتضخيم السكاني تشل من قدرتها على استثمار الوقت وتوجيهه فى الميدان الزراعي وحده ، ولهذا وجدت فى الصناعة متنفسا يساعدها على تشغيل الايدى القادرة على العمل ولكنها تواجه فى وقتنا الحاضر بمشكلات ضيق نطاق السوق المتمثل فى عجز هذه البلاد عن توزيع انتاجها فى نطاق عالمي واسع بسبب منافسة الانتاج الصناعي الذى تنخفض كلفته وتحسن نوعيته على مدار سنوات طويلة من الخبرة ، ونتيجة لكبر حجم الانتاج لاتساع نطاق السوق العالمي الذى يجد مجالا طيبا لامتصاصه بصورة تعجز الدول النامية المتجهة نحو التصنيع عن المنافسة العالمية .

الاتكالية والقدرية ومشكلة الانسان فى العالم العربي

ان مشكلة الانسان التي تعاني منها اجزاء كثيرة فى العالم العربي ليست الا مظهرا لسيطرة الاتكالية والقدرية من جهة ، وانعدام عوامل الضبط والتحكم فى الوقت والتوقيت السليم لاحتياجات الاسرة من الاطفال من جهة اخرى .

ان تنظيم النسل ليس الا عملية ضبط وتوقيت يتدخل فيها الانسان ليحدد الفترات المتلاحقة الملائمة للانجاب والامكانيات فى ايجاد مسافات وابعاد بين كل طفل جديد فى الاسرة والطفل الذى سبقه بصورة تحقق احتياجات التقدم .

هذه صورة موجزة لنظرتنا وتقديرنا ، بل وممارستنا الفعلية لمفهوم الوقت والتوقيت فى العالم العربي ، وهي نظرة بالغة الخطورة خاصة فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا ، ويمكننا ان نتصور الآثار العميقة لهذا الاسلوب فى حياتنا اليومية اذا ادركنا ان كل شيء فى هذا الوجود يمكن تعويضه واسترداده ، بل قد نذهب الى حد القول انه يمكن الحصول عليه اضعافا مضاعفة ، فاذا فقدت ثروتي يمكنني استردادها ومضاعفتها ، واذا فقدت صديقا او عزيزا يمكن ان تعوضني الحياة بدلا منه ، الا الوقت فهو العنصر الوحيد الذى اذا فقد ضاع ومضى وانتهى الى غير رجعة .

ولنتصور مثلا شكل العالم العربي لو قام كل

فرد قادر بتخصيص ساعة واحدة من وقت فراغه لعمل منتج مثمر . وقد تكون الصورة أكثر وضوحا لو افترضنا قيام الف طالب فقط فى احدى الجامعات العربية بتخصيص ساعة واحدة كل اسبوع لغرس شجرة واحدة ، معنى هذا ان لدينا الف شجرة كل اسبوع واربعة آلاف كل شهر وحوالي ٥٠ الف شجرة كل عام فى مجتمع هذه الجامعة وحده ، وهو ثمرة عمل الف فرد فقط وحصيلة جهد ساعة واحدة فقط كل اسبوع .

والنتيجة المترتبة على ذلك ليست فى الآثار المباشرة لهذا العمل ، فى ثمار هذه الاشجار واخشابها وازهارها وما الى ذلك ، وانما فى تاثيرها البعيد المدى على التربة والجو وتكوين السحب وهطول الامطار وحجب سفي الرمال وكل ما يمكن تصوره من عوامل تغيير وجه الطبيعة والتحكم فى سيطرتها علينا كبشر . فهذا الاستثمار المحدد للوقت يؤدى الى آثار اقتصادية واجتماعية واخلاقية بعيدة المدى .

ولنتصور الوقت والجهد الذى يفتقد فى وسائط النقل واساليب الاتصال البريدى والهاتفي والبرقي وما شابه ذلك لعدم التقدير الكافي لاهمية التوقيت والتخطيط القائم على مقومات زمنية واضحة ومحددة . فهذه الساعات بل اللحظات التي تفتقد فى تاخر قيام قطار او سيارة فى الموعد المحدد او وصولهما فى غير القائمة الزمنية المحددة لوصولهما ، وكل هذا الجهد والوقت الذى يتسرب من موزع البريد مثلا للبحث عن عنوان لم يحدده صاحب الرسالة بدقة او بسبب عدم اكتراثنا بترقيم المنازل وتسمية الشوارع ـ وهي صورة شائعة فى كثير من مدننا وقرانا عبر العالم العربي من مشرقه الى مغربه ـ يظهر بما لا يدعو الى الشك ان الوقت ليست له قيمته او دلالته الكافية فى حياتنا اليومية .

وهنا نوجه السؤال التقليدى :

هل يمكن ان نظل على هذا الحال ونحن نسعى الى ملاحقة عجلة التقدم العالمي ؟ واذا كانت مستلزمات التقدم تتطلب تعديلا فى اسلوبنا وفى فهمنا لقيمة الوقت ، فما هي المعالم الرئيسية التي ينبغي ان يرتكز عليها هذا التعديل ؟ .

اما عن السؤال الاول ، فما من شك فى ان القدر الاكبر من طاقتنا وجهدنا يتبدد ويذوب قبل ان نتمكن من ملاحقة عجلة التقدم ، وما من شك ايضا انا لو استطعنا ازالة هذه العقبات والشوائب لاستطعنا ان نغير من اتجاه عجلة الزمن من جهة وندفع بها الى مسارات ابعد واعمق فى طريق التقدم من جهة اخرى .

وهكذا نجد ان تعديلا جذريا فى مقومات تفكيرنا وفلسفتنا وسياستنا فى التعامل مع الوقت والتوقيت امر حيوى لمواجهة احتياجات التقدم من جهة ، وللوقوف فى مكان الصدارة الذى تبوأناه يوما ما بين المجتمعات الانسانية من جهة اخرى .

اما الدعائم الاساسية التي ينبغي ان يرتكز عليها هذا التعديل فتتلخص فى العناصر الثلاثة الآتية :

اولا : ادراك سليم لماهية الوقت وقيمته وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية فى حياتنا الانسانية المحلية العالمية .

ثانيا : رغبة اكيدة فى احداث التغير لمواجهة احتياجات التطور دون تمسك ـ لا مبرر له ـ بالقديم وبالاساليب التقليدية الكلاسيكية ، الا فى حدود ما يحفظ لنا تراثنا وشخصيتنا المميزة فحسب .

ثالثا : برنامج عمل متكامل يغطي احتياجاتنا اليومية فى كافة مناحي النشاط الخاص والعام ، تساهم فى اعداده كافة اجهزة الاعلام على مستوى العالم العربي ككل بحيث تغرس فى الاجيال القائمة والاجيال الصاعدة بوجه خاص اتباع اسلوب ومنهج عمل فى الحياة يقدر اهمية الوقت ويستثمر كافة جزئيات الوقت سواء فى اطار الاسرة او المدرسة او العمل او فى اطار النشاط التلقائي الحر .

وبهذا يمكننا ان نتطلع الى غد افضل وانسان عربي اقدر على مواجهة معارك التحدى التي تواجهه سواء فى مجالات العمل والتقدم والتكنولوجيا او فى مجالات الصراع من اجل البقاء فى معركة الانسان مع الطبيعة من جهة وفى معارك التسلط والاستعمار من جهة اخرى . ■■

عمان : **سري جميل ناصر**

صفحة في اللغة

مندوب لا منتدب

■ لدينا ، قانون اسمه « قانون الندب » وهو ذو الرقم ١٠ لسنة ١٩٥٨ ويشتمل على الاحكام الناظمة لندب الموظفين والمستخدمين من ادارة عامة الى ادارة عامة اخرى ، او من قسم في الادارة الى قسم آخر فيها .

والذى يعنينا منه الان هو الناحية اللغوية : فقد دأبت بعض الوزارات والمؤسسات العامة على نعت الموظف او المستخدم المندوب بلفظ « المنتدب » على وزن منفعل . ولم يقتصر الأمر على الصكوك الرسمية ، بل تعدتها الى الكتب والمجموعات التي تصدر عن بعض الوزارات . فقد وردت اللفظة فيها على هذا الشكل حيثما وردت . وترددت بعض الوزارات الاخرى فعدلت عن اللفظ البسيط المتفق مع نص القانون واستعملت لفظة : « المنتدب » المركبة او المزيدة .

ولما كان فقدان القياس في الأمور اللغوية هو الذى يؤدى الى حصول الخطأ وشيوعه ، لذلك كان لابد من كلمة يلفت بها نظر المسؤولين في الوزارات المختلفة الى ان فعل « ندب » هو فعل ثلاثي وان اسم المفعول منه هو «مندوب» على وزن مفعول وليس هنالك أى مبرر لاستعمال وزن « منتدب » الذى لا يكون الا من الفعل الرباعي مثل ارسل فهو مُرسَل . كما لا نرى مبررا للعدول عن الفعل البسيط « ندب » فهو « مندوب » الوارد في نص القانون ، الى الفعل المركب (المزيد) « انتدب » فهو « منتدب » الذى يلجأ اليه بعض من يحارون بين استعمال مندوب ومندب .

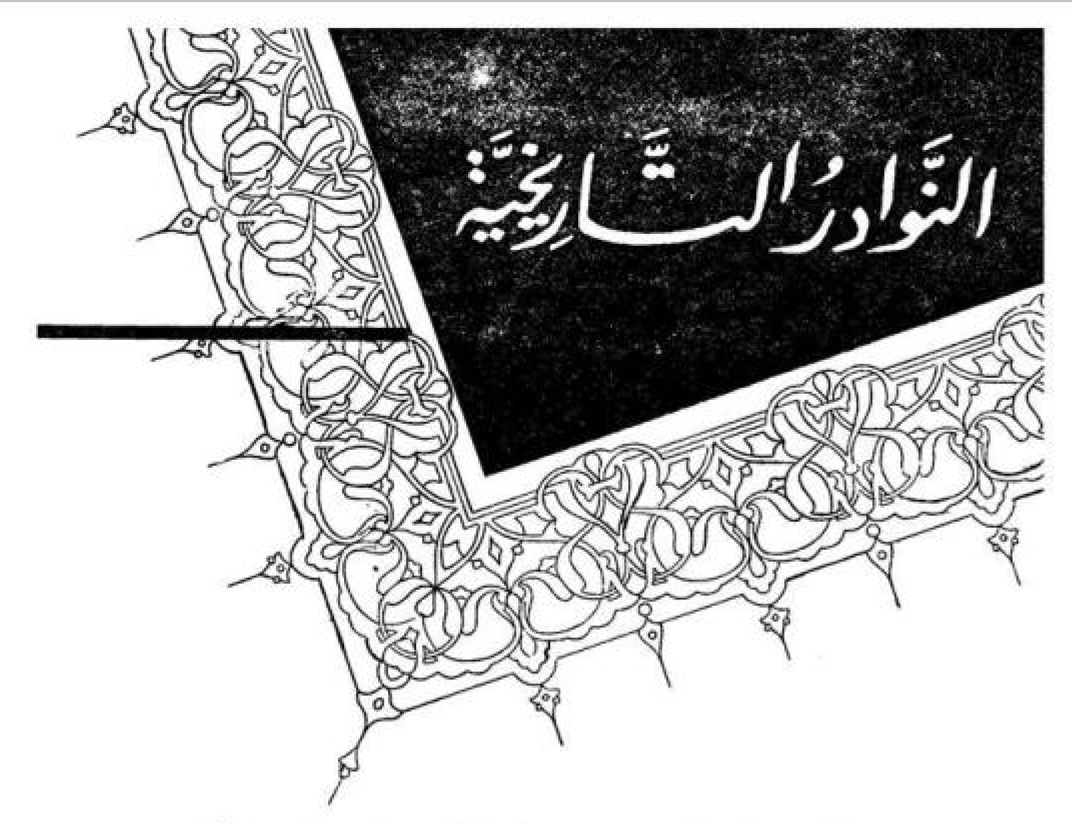
انها قضية بديهية ما كانت لتحتاج الى بحث لو لم تستفحل استعمالا وترسخ في الأذهان ، وتملأ بطون الكتب والمجموعات والصكوك الرسمية .

لذلك رجونا من مجلتنا « العربي » الغراء نشر هذه الكلمة ولها الشكر لاهتمامها بالناحية اللغوية الى جانب اهتماماتها الكثيرة الاخرى . ■■

دمشق ـ **سعيد أبو الحسن**

مدير الشؤون الادارية

في وزارة الاشغال العامة والثروة المائية/سوريا



النوادر التاريخية

بقلم : علي أدهم

■ يقوم عمل المؤرخ على جمع الحقائق عن الماضي واعادة عرضها بطريقة تماثل حدوثها كما وقعت ، وهو يعتمد على الوثائق والمستندات والآثار المحفوظة بعد التحرى والقياس والموازنة والمراجعة ، والمؤرخ الحق يشغله شيئان ، تحرى الحقيقة والعمل على الوصول اليها بمختلف الاساليب وشتى الطرائق والمناهج ، ثم تقرير الحق كما استبان له، وتوضيحه في نزاهة واخلاص .

ومما يعين المؤرخ على النهوض بأعباء مهمته الى جانب الاعتماد على الوثائق الممحصة والمستندات الموثوق بصحتها والاطمئنان الى محتوياتها الرجوع الى الحوليات ، والمذكرات واليوميات ، والتراجم الذاتية وكتب الاعترافات ، التى كتبت في العهود التى اختارها مجالا لتحقيقه وبحثه ، ولم يجد الكثيرون من كبار المؤرخين بأسا في الاعتماد على بعض الكلمات المأثورة ، والنوادر المروية عن الرجال الذين كان لهم أثر بارز في سير التاريخ لجلاء غوامضه واظهار خوافيه .

النوادر التاريخية ليس لها وقار التاريخ ورزانته

والنوادر التى تروى عن الكثيرين من اصحاب الشخصيات التاريخية قد تكون من الاخبار التى لا يمكن القطع بصحتها والتأكد من حدوثها ، ولكنها مع ذلك لها حقها في الوجود ومكانتها في كتب التاريخ ، وهي لا تستحق اللوم وتتعرض للنقد الا حينما تحاول أن تقوم مقام التاريخ وتسد مسده ، وتغنى عنه. وليس للنوادر التاريخية بطبيعة الحال وقار التاريخ ورزانته وجلاله وهيبته ، لأنها ترفع الكلفة بيننا وبين أبطال التاريخ وتزيل الوحشة ؛ وترينا كيف كان أفذاذ

النوادر التاريخية ليس لها وقار التاريخ، ولكنها تلونه وتوشيه وتكمل نقصه.

الرجال يستعينون على قضاء حقوق المجد وينهضون بأعبائهم الجسام، وتبعاتهم الثقيلة، وهي تصوّرهم في حزنهم وسرورهم، وغضبهم ورضاهم، وتسامحهم وبطشهم، وحبهم وكراهتهم، وتحدث الفيلسوف عن اخبار اضرابه من الفلاسفة، وتكشف للشاعر انباء انداده من الشعراء، وتوضح لرجل الاعمال أو القديس اخبار أمثاله من رجال الدنيا والزاهدين فيها.

النوادر التاريخية، تعيش الى جانب التاريخ، تكمّل نقصه

وقد نصف القصة التاريخية البارعة المواقف المختلفة، التي تعرض للناس وتكشف عن سلوكهم وتصرفاتهم تلقاء هذه المواقف، وتروى حوادث الاقدام والمخاطرة وروايات الحب والجرائم والدسائس والمؤامرات والمغامرات، فتثير الاخيلة، وتخلب الالباب، ولكن للناس مع ذلك من الولع بالواقع وحب الحقيقة مايجعلهم يحرصون على النوادر التاريخية وان قصر مداها عن روائع وعجائب الروايات. ومهما يبلغ ولع الانسان باقاصيص الخيال فانه برغم ذلك يحرص الحرص كله على ان يعرف الواقع الحادث، لا الممكن او المحتمل وحدهما، ويروقه ان يقف على أسرار الحوادث وخفايا التاريخ، وان يعرف كفاية الانسان الحقيقية، ومبلغ ما يستطيعه من السمو، او ما ينحدر اليه من الهبوط، وقدرته على فعل الخير وارتكاب الذنوب، ويروقه ان لا تكون هذه الاخبار من نسج خيالات الشعراء او تلفيق الروائيين والقاصين، ولذلك تعيش النوادر التاريخية الى جانب التاريخ المسطور فتكمل نقصه وتسد ثغراته.

النوادر التاريخية لا يعمد اليها لاثبات

ولقد حاول كثير من المؤرخين ان يمزج النادرة بالتاريخ لينير جوانبه، ويوضح غامضه، ويعين على تفهم حوادثه، وهو يرسم التصميم، والنادرة تلونه وتوشيه ويتحرى المؤرخ صحة النادرة التاريخية، ويراعي ملاءمتها لروح العصر، وتجاوبها مع منطق الحوادث واتجاه التاريخ، ولكنه مع ذلك كله يحتاط للامر، فهو لايتخذ النادرة قاعدة للبناء واساسا لاصدار الاحكام، وانما يعقد عليها بوصفها رمزا لروح العصر وسمة من سماته الدالة، فاذا جرحها النقد، وتعاورها الشك، ظل البناء التاريخي قائما، لان المؤرخ لم يعمد اليها باعتبارها دليلا من أدلة الاثبات وانما اتخذها وسيلة للشرح والبيان. وقد يثبت التاريخ ان مدام رولان لم تصدر منها تلك الكلمة المأثورة التي ارسلتها وهي مقبلة على المقصلة في الثورة الفرنسية «أيتها الحرية، كم من الجرائم ترتكب باسمك». وربما كانت هذه الكلمة من تأليف احد المعجبين بهذه السيدة الجريئة، ولكنها مع ذلك رمز للمشاعر التى كانت تخالج نفوس الكثيرين في هذه الفترة من فترات تاريخ الثورة الفرنسية.

المسعودى مؤرخ عربى له ولع بالنوادر

وفي الكثير من كتب الأدب العربى اقوال مأثورة واحاديث جامعة ونوادر

لها دلالتها ، مثل كتاب الاغاني والعقد الفريد وعيون الأخبار وزهر الآداب ، وفي طليعة المؤرخين الذين كثيرا ما يستعينون برواية النوادر على توضيح المواقف وفهم نفسية كبار الساسة والشخصيات البارزة المؤرخ الجغرافي المسعودي صاحب مروج الذهب ، وهو مؤرخ قدير ، ورحالة واسع الاحاطة ، وله ولع خاص برواية النوادر والطرف ، والاخبار المعجبة الشائقة ، وقد تحدث في الجزء الثالث من كتابه عن معاوية بن ابي سفيان ، واشار الى سياسته الحكيمة ، وسعة حيلته ، واتقانه لهذه السياسة ، وقدرته على اجتذاب القلوب ، ورأى ان يدعم كلامه برواية هذه النادرة الدالة على طريقة معاوية في تناول المشكلات ومعالجة الأمور ، ومضمون هذه النادرة ان رجلا من اهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق ، فتعلق به رجل من اهل الشام وقال « هذه ناقتي » . وارتفع امرهما الى معاوية فقضى معاوية على الكوفي وامره بتسليم البعير اليه ، فقال الكوفي «أصلحك الله ! انه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية ». هذا حكم قد مضى ، ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره ، وساله عن ثمن بعيره ، فدفع اليه ضعفه وبرّه واحسن اليه ، وقال له « ابلغ عليا اني اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل » .

وهذه النادرة تصف لنا جانبا من اخلاق معاوية ، واسلوبه في سياسته ، وهي انموذج للنادرة التاريخية ، فهي تسند التاريخ وتجلوه ، ولكن التاريخ مع ذلك يستطيع ان يقف على قدميه بدونها لان حقيقتها التاريخية عرضة للشك الكثير .

ويرى بعض النقاد ان الاكثر تمشيا مع الكتابة التاريخية فصل النوادر عن صلب التاريخ ، لان التاريخ له تصميمه وتلوينه ، والنادرة لها جوها الخاص واتجاهها المعين ، ولكن التاريخ مع ذلك قد يستعين بالنادرة بعد فحصها وعرضها على محك النقد ، واخضاعها للبحث والتنقيب ، والتاكد من صحتها . ولا نزاع في ان الاحتياط في الانتفاع بالنوادر التاريخية واستغلالها في الكشف عن حقيقة الشخصيات التاريخية خير من الاسراف في الاعتماد عليها وقبولها بغير مراجعة ولا تمحيص . والمؤرخ البارع يفيد من النادرة التاريخية ، ويراعى في الوقت نفسه انه اذا ظهر انها زائفة مصنوعة لترويج دعوة او نفى معرة او تشويه سمعة فان ذلك لا يؤثر في بناء التاريخ ، ولا ينقض احكام المؤرخ . والكثير من النوادر التاريخية القيمة ان اعوزته الصحة التاريخية فانه لا تنقصه الدلالة الصادقة والرمزية المفسرة الحاكية .

ابو جعفر المنصور واموال بني امية

وقد روى الاتليدى في كتاب « اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس» النادرة الآتية عن الخليفة العباسي ابى جعفر المنصور قال : « حدث احمد بن موسى قال : ما رايت رجلا أثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بأن عنده اموالا لبنى امية ، فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره ، فلما حضر بين يديه قال المنصور : « رفع الينا أن عندك ودائع واموالا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال » .

فأجاب الرجل قائلا « يا أمير المؤمنين هل انت وارث لبنى أمية ؟ » .

فأجاب المنصور قائلا : « لا »

فقال الرجل « لماذا تسأل اذن عما في يدى من اموال بنى امية ولست بوارث لهم ولا وصي » .

فاطرق المنصور مفكرا ، ثم قال : « ان بنى امية ظلموا الناس ، وغصبوا اموال المسلمين » . فأجاب الرجل قائلا: « يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم . تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى في يدى ، وانه هو الذى غصبوه من الناس ، وامير المؤمنين يعلم ان بنى

امية كانت لهم اموال لأنفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين » .

والمعروف عن الخليفة المنصور انه كان من قبل ان يلى الخلافة مقبلا على دراسة الفقه الاسلامى كثير المصاحبة للعلماء والفقهاء المتمكنين في هذه الدراسة ، واثرت في عقليته وطريقة تفكيره ، وقد بعثه ذلك على الاعجاب بالحجة التى ادلى بها الرجل ، وطريقته في ادارة الحوار ، فلم يسعه الا ان يقول لوزيره ومستشاره الربيع « صدق الرجل ، ما يجب لنا على الرجل شيء » .

والتفت المنصور الى الرجل وقال له « الك حاجة » .

فأجاب الرجل « نعم »

فقال المنصور « ما هى ؟ » .

فأجاب الرجل « حاجتى أن تجمع بينى وبين من سعى في اليك ، فوالله، يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح ، وانما احضرت بين يديك ، وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فأيقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتنى عنه » .

فقال المنصور « يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به » .

فجمع بينهما ، فقال الرجل « يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى » .

فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال .

فسأل المنصور الرجل قائلا « ما الذى حملك على السعى كاذبا » .

فأجاب الرجل « أردت قتله ليخلص لى المال » .

فأجاب الرجل الاول « قد وهبتها له يا امير المؤمنين لأجل وقوفي بين يديك ، وحضورى مجلسك ، ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لى » .

فاستحسن المنصور فعله ، وأكرمه ورده الى بلده مكرما .

وتركت هذه الحادثة أثرا في نفس المنصور فكان يقول من الحين الى الحين « ما رايت مثل هذا الشيخ قط ، ولا اثبت من جنانه ، ولا من حجة مثله ، ولا رايت مثل حلمه ومروءته » .

وسواء كانت هذه النادرة قد وقعت فعلا وكان لها نصيب من الحقيقة .. او لا فانها قوية الدلالة في بيان جانب هام من شخصية المنصور ، وهى تتفق في مغزاها مع الصورة التى يكونها الانسان عن المنصور بعد قراءة سيرته والاطلاع على اخباره في مختلف المراجع التاريخية المأثورة . واذا كان هناك ما ينفى حدوثها او ما يبعث على الشك في وقوعها فان لها دلالتها الرمزية التى تجعلها جديرة بأن يعيرها المؤرخ التفاتة ويلقى اليها باله .

هارون ورجل من اهل المغرب

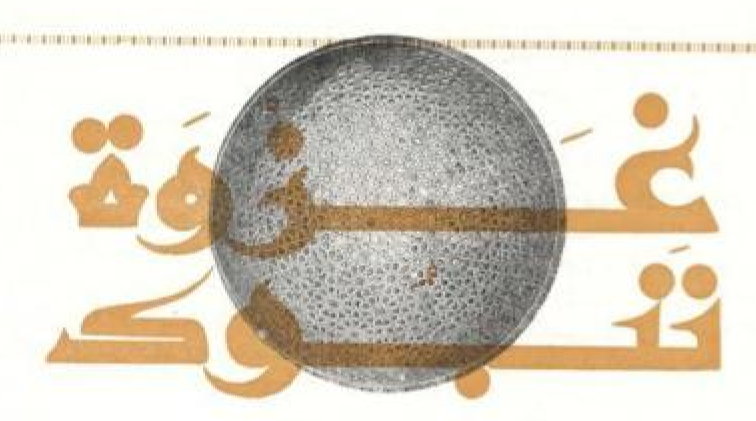
وقد روى المقرى في نفح الطيب عن هارون الرشيد انه حضر بين يديه عالم من اهل المغرب ، واراد الرشيد ان يظهر لهذا العالم المغربى عظم شأن مملكته ، وجلالة شأنه فقال له في خلال حديثه معه «ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب» . وادرك الرجل ما رمى اليه الخليفة العظيم ، فأجابه قائلا « صدقت يا امير المؤمنين ، وهذا الطائر طاووس » . فضحك الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره .

والمقرى يعجب بالنوادر

والمقرى من المؤرخين الذين يكثرون من الاعتماد على النوادر التاريخية ، وقد رصع كتابه الشائق بمجموعة من النوادر الشائقة الموحية ، والاحاديث الممتعة الغزيرة الدلالة ، والاشعار البليغة القوية التصوير ، مما جعل كتابه ذخيرة من ذخائر الادب ، وفي الوقت نفسه مرجعا هاما للمؤرخ المحقق والباحث المنقب .

■■

على أدهم



غزوة تبوك

بقلم : حسن فتح الباب

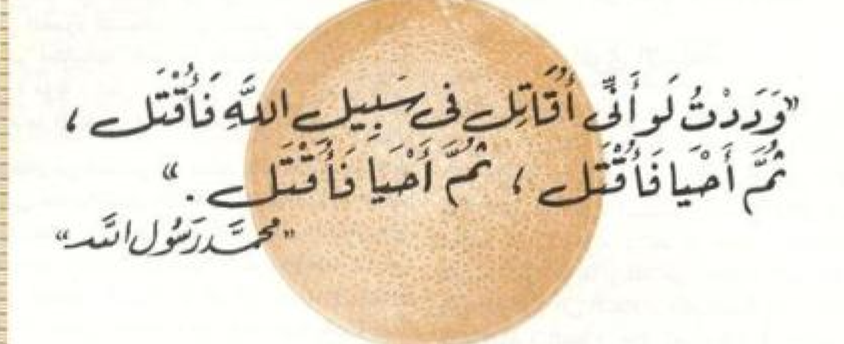


● دانت الجزيرة العربية لسلطان المسلمين بعد فتح مكة ، وسقطت دولة الجاهلية منكسة الاعلام ودخل الناس فى دين الله افواجا . فانصرف الرسول عليه السلام الى تنظيم شئون الدولة الاسلامية الناشئة وتدعيم أركانها وتأمينها مما قد تتعرض له من مخاطر .

وبدات بذلك مرحلة جديدة فى تاريخ الاسلام ، مرحلة تثبيته في بلاد العرب ، ثم الامتداد برسالته العالمية الى سائر ارجاء الارض . ولم تكن هذه المرحلة دون سابقاتها فيما تقتضية من بذل الجهد والعرق بل الدم اذا دعت الضرورة . اما الجهد والعرق فلا بديل منهما فى معركة بناء المجتمع الجديد بعد أن انتصر النبي فى معركة تطهير الارض العربية . واما الدم ففي سبيل الذود عن الاسلام ضد القوى المعادية التي لن تكف عن الانقضاض عليه ومحاولة اعادة عجلة التاريخ الى الوراء .

فالصراع بين الحق والباطل ، بين النور والظلام، بين الحرية والعبودية ، بين العلم والجهالة ، بين النظام والهمجية ، صراع سرمدى منذ الابد . وكلما هزم الباطل فى موقع تسلل الى موقع آخر يحارب منه ، فاذا اندحر فيه استكان فى انتظار فرصة يتحينها ليطل برأسه من جديد .

وكانت أول مشكلة واجهها الرسول هى الحصول





على مزيد من الاموال للانفاق منها في سبيل سد الاحتياجات المتزايدة للدولة الاسلامية الناشئة . والزكاة فريضة على المسلمين ، أما من رفض الدخول في الاسلام فلا اكراه في الدين ولا فرض عليه الا أن يدفع الجزية .

ومن ثم لم يمض وقت طويل على عودة الرسول الى المدينة بعد الفتح حتى أوفد بعض الصحابة لتحصيل عشر ايراد القبائل التي ارتضت الدخول في الاسلام . ودفعت تلك القبائل الزكاة المفروضة بقلوب سليمة . وتمردت قلة منها فاخضعت بالغزو ، وبدأ السلام ينشر ظلاله الوارفة في كل مكان ، والدولة الاسلامية تزداد هيبة وجلالا ، والقيم الاسلامية العليا تستقر وتتمكن في النفوس.

مقدمات الغزو

غير أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يخلد الى السكون والطمأنينة ، بل استمر يلتزم موقف الحذر والترقب ويتخذ التدابير الكفيلة بوقاية الاسلام والمسلمين من المخاطر التي ما زالت محتملة ، مخاطر عدوان المنافقين في الجزيرة العربية واليهود سواء منهم من أسلم أو من بقي على يهوديته ، فكلاهما كان يضمر الجحود ويبيت الغدر والخيانة للمسلمين . ومخاطر القوى المعادية خارج

الجزيرة العربية ، تلك القوى التي سبق أن اشتبكت مع الاسلام في معركة عسكرية ضارية على الحدود الشمالية ، لم تستطع النيل منه فيها برغم امكانياتها الحربية الضخمة ، ونعني بها غزوة مؤتة (انظر العربي ١١٣ ص : ١١٤) التي خاضها المسلمون ضد الرومان في الشام .

فكان من الطبيعي أن يشتد حقد الروم بعد فتح النبي مكة وانتشار الاسلام ، لما يشكله ذلك الفتح من تهديد لامبراطوريتهم التي كانت تقوم على الارهاب والاستغلال ، مثلما كانت تقوم دولة الفرس على الحدود الشرقية ، فلا غرو أن تحاول وقف امتداد الدين الجديد الذى جاء حربا على كل ما تمثله تلك الامبراطوريةمن نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وأن يبث الرسول عيونه على حدود الروم للوقوف على حركتهم اتقاء لاى هجوم غادر ، كدأبه عليه السلام في مختلف المواقف التي جابهها في تاريخ الدعوة .

التخطيط للمباغتة

وبلغت الانباء الرسول أن الروم يعدون العدة للحرب ، فأعد تخطيطه على اساس مباغتتهم قبل أن يتموا استعدادهم ، واعلام الناسللتاهب لخوض حرب وقائية عادلة ضد أعدائهم . وبادر المسلمون الى تقديم أموالهم في سبيل الله ، مستفيدين من درس معركة مؤتة التي كان عـدد الرومان المحاربين فيها أضعاف عددالمسلمين ، وكان مهرجان ديني وطنيللتبرع فيسبيلالمجهود الحربي.واستشار أصحاب الرسول الناس للجهاد بعد ان فرض عليهم القتال في ظل اشق الظروف واشدها عسرا حتى لقد سمى الجيش الذى جهزه رسول الله لحرب الروم جيش العُسْرة .

ذلك ان دولة الروم كانت تشكل مع الدولـة الفارسية أقوى قوتين مسيطرتين على العالم في ذلك الحين ، فكانت اقدر على تجهيز أعتى ادارة حربية تسليحا وتنظيما وتدريبا . وكانت الشقة بعيدة بين المدينة وبين ساحة المعركة مما يقتضى مزيدا من الزاد والماء وكل ما يحتاج اليه المحارب في ميدان القتال . اضف الى ذلك أن الوقت كان صيفا قائظا يجعل الحرب المكشوفة في الصحراء في مواجهة مثل هذا العدد الغفير من جنود العدو بلاء اى بلاء وكانالعام جدبا .فماذا يملك القائد الاعظم من قوى لمجابهة هذا الخطر الذى يتهدد العقيدة السمحة التي قام على هديها المجتمع الوليد ؟

أقوى الاسلحة

انه يملك أقوى الاسلحة ، يملك السلاح الروحي الذى يفل السلاح المادى مهما تبلغ كثرته وكفاءته؟ يملك الحافز الثورى ، يملك الايمان القوى الذى يعلي الحق ولو قلت اسلحته ويسقط الباطل ولو اعجبت الناس وفرته . لقد غير محمد (صلعم) مجتمعا كبيرا عريقا ونقله من الجهالة الى العلم ومن الفوضى الى النظام . وقد استطاع أن يحقق هذه الطفرة المعجزة خلال زمن وجيز لا يقاس به زمنآخر،تمت فيه أعظمالانجازاتعبر تاريخالبشرية كله حتى عهد محمد . وكان ذلك بفضل الايمان وهو أعظم نعم الخالق على الانسان . ان النفس هي ارقى مخلوقات الله وأبدعها خلقا وتكوينا وأدلها على عظمته ، والايمان هو أعظم ما تمتلكـه هـذه النفس ، فلا غرو أن ينجز أروع المعجزات .

انه اقوى من كل الصروح واشد من كل الجبال فلا غرابة أن ينتصر على عدوه مهما يطل الصراع . انه منبع الارادة ، وليس اقوى من الارادة اذا كان وراءها ايمان لايتزعزع . ايمان يمنح صاحبه طاقات لاحدود لها فترخص عنده أسباب الضعف الانساني من منافع ذاتية زائلة ومغريات زائفة خادعة ، وتتضاءل في عينه المطامع والتطلعات المحرمة ، وتقوى عزيمته على صراع القوى الغاشمة وهزيمتها ويستعذب الالم والتضحية في سبيل المبدأ مستبدلا بالذى هو ادنى الذى هو خير .

صراع الحق والبهتان

وهكذا استعاض الرسول عما كـان يعوزه في المعركة ضد الروم من عدد وعتاد بقوة اكبر منهما وهي قوة الايمان وما تمنحه من صلابة الارادة ، والعزم على الثبات والمقاومة حتى النصر . لقد استعان الروم باداة الحرب على الانسان العربي الجديد الذى صاغه الاسلام وارتفع به في مدارج الكرامة البشرية ، واقنع أفضل ما فيه وهو العقل ، وزكى اكرم ما فيه وهو القلب ، واستعان الرسول على الروم بالانسان نفسه ، بايمانهالروحى العميق فكانت الغلبة للروح علـى المادة ، وللايمان على الشرك ، وللحق على البهتان .

لقد اثبتت وقائع التاريخ ان اصحاب الرسالات السماوية وأصحاب الدعوات الهادفة الى صلاح المجتمعات ، استطاعوا انيقهروا اعتى القوى بفضل ايمانهم الوطيد بما كانوا يدعون اليه من حـق وحرية وعدالة . ذلك أن الصراع بين طائفتين في كافة أشكاله انما هو صراع ارادة ضد ارادة ، والنصر للارادة الاقوى على الجهاد ولا شك أن دعاة الخير هم أصحاب النصـر لانهم اصحـاب الارادة الاقوى ، وهم كذلك . انهم اصحاب الايمان بالعقيدة الحقة . اما معتنقو العقائد الباطلة الذين يؤثرون متع الحياة على نعمة الايمان فانهم سرعان ماتتزعزع قلوبهم ويولون الادبار في المعارك ـ حرصا على هذه المتع ـ كلما جشمتهم من أمرهم عسرا ولاح امامهم شبح الموت الذى يحرمهم من اطايب الحياة ومناعمها .

ان مفهوم الحياة لدى اعداء الحق هو العيش في الدنيا والاستمتاع بمباهجها وخيراتها بغض النظر عن وسيلة الاستمتاع ومدى شرعيتها واتفاقها مع المبادىء الانسانية ، فالغاية عندهم تبرر الواسطة . اما المؤمنون بالرسالات السماوية فان الحيـاة في يقينهـم ينبغـي أن تعـاش في ظـل الحـق والخير والفضيلة والكرامة الانسانية ، والشهداء خالدون لان الحياة معبر لحياة اخرى اجل واسمى، فهم لايحرصون على الاولى حرصهم على الاخرى ، وشعارهم في ذلك «اطلب الموت توهب لك الحياة». كذلك فان أصحاب دعوات الحرية يسترخصون الموت لانهم يؤثرون الجماعـة عـلى انفسهـم ، والمستقبل على الحاضر . وهم جميعا يؤمنون انه من العـار أن يعيش الانسان جبـانا طالمـا أن الموت حق ولا خلود لحي .

عود الى المعركة

كانت الحاجة ماسة الى بذل مزيد من الجهود في سبيل التعبئة الروحية للجهاد ، للتغلب على العقبات التي كانت تعترض الطريق الى اعلاء كلمة الله ، عقبات تتمثل في العدو الموفور العدد والعتاد، وفي المكان السحيق الذى لا سبيل اليه الا قطع المسافات الشاسعة عبر الصحراء الترامية ، وفي الزمان الذى اشتد حره وعز فيه الماء والزاد .

ولم يقتصر الامر على هذه العقبات بل امتد الى عقبة اخرى لا تقل عن تلك الصعاب ان لم تفقها شدة ، وهي مكر المنافقين الجاحدين وما يحتمل من غدرهم وانحيازهم الى جانب العدو . فكان خطرهم من أعظم الاخطار التي تهدد الغزوة ، لانه خطر مخبوء ومستور ليس ثمة مظاهر تجعله جليا للعيان، خطر خبيث لانه يكمن في صفوف المسلمين انفسهم متخفيا خلف الادعاء بالاخلاص والولاء ، خطر لا يعلمه الا الله وأولو العلم والبصيرة الثاقبة ، خطر ينخر في العظام ويستشرى كالسم مالم يكشف ويستأصل .

حصر المنافقين ومقاومتهم

ومن ثم ، كانـت عين رسـول اللـه دائما على المنافقين ، ترقبهم وتبث حولهم العيون والارصاد ليأمن غيلتهم ، ويتخذ التدابير الكفيلة بحصرهم وازاحة الستار عن خبيئتهم حتى لايخدعوا المؤمنين، والحيلولة دون اتصالهم بالعدو والعمل معه ضد الجبهة المؤمنة . وكان تصديه عليه السلام للمنافقين يتخذ اساليب شتى تتناسب مع طبيعتهم وأسلوبهم وتختلف بالتالي عن اساليب محاربة العدو الظاهر . فالحرب السـافرة هي وسيلـة مواجهة الخصـم المعلن عن نفسه وعن اطماعه . أما المنافقون فانهم يتوارون بسمومهم خلف الظل ويظهرون اسلامهم ، فلا سبيل الى اعلان الحرب عليهم طالما لم تبد منهم أدلة أو قرائن وافية تفصح عن عداوتهـم ويمكن اخذهم بها . ومن ثم ، فان اتخاذ موقف الحذر والمراقبة هو الاسلوب الوحيد المناسب لمواجهتهم وتأمين الاسلام مما يدبرون في الخفاء .

المكر السيئء

وكان تثبيط الهمم في النفور الى القتال ، والعمل على تفكك الجبهة الداخلية من اشد الاخطار التي دبرها المنافقون . فعلى حين كان النبي ورجاله يحرضون الناس على قتال العدو والتضحية بالنفس والمال في سبيل تثبيت الدعوة ونشرها ، كانت فئة المنافقين التي أشهرت اسلامها ولما يدخل الايمان قلبها تصد الناس عن الجهاد . لقد أسلمت تلك الفئة لا عن اقتناع بالعقيدة بل عن خوف من قوة المسلمين المتعاظمة يوما بعد يوم ، أو طمع في

اقتسام الغنائم . وكان شعارها غير المعلن أن تميل حيث تميل الريح ، فهم مظهرون ولاءهم للاسلام طالما كانت كفته هي العليا في صراعه مع أعدائه ، وهم مع أعدائه اذا مالت تلك الكفة الى الرجحان . ذلك شأن المنافقين ، انحياز الى جانب القوة لا جانب الحق ، سعى الى تحقيق الاغراض الذاتية لا المبادىء الانسانية .

انهم يتخذون دائما موقف الانتظار ، انتظار نتيجة الصراع ، حتى يستبين لهم من الغالب فيهرولون اليه مدعين أن لهم فضلا في النصر ، مطالبين بجني ثمرات لم يتعبوا في غراسها . على أن المنافقين في دار الاسلام قد بلغوا من خسة النفس دركات أدنى من التقاعس عن القتال وانتظار المغانم ، فانتقلوا من الموقف السلبي الرخيص الى الموقف الايجابي المعادي وقد تمثل ذلك في تقدهم الدعوة الى الجهاد ، وتخوفهم من وعثاء الطريق ورمضاء الصحراء والبعد عن الاهل والوطن .

موصومون بكلمة الحق

ونزل قول الله تعالى يدين اولئك الفاسقين ويحبط كيدهم « يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » نزلت الآيات البينات :

« وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » .

ومن هؤلاء المنافقين الذين قدموا بين يدي رسول الله معاذير مختلفة للتخلف عن الجهاد الجد بن قيس أحد بني سلمة ، اذ قال له صلى الله عليه وسلم :

« ياجد ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ـ الروم ـ ؟ . فقال يارسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فو الله لقد عرف قومي انه مامن رجل اشد عجبا بالنساء مني . واني لاخشى ان رأيت نساء بني الأصفر الا أصبر » ـ فأعرض عنه رسول الله وفيه نزلت الآية الكريمة :

« ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » .

موقف حاسم

وكانت كلمة الحق كاشفة لهؤلاء النفر الدخلاء على الدين ، فاضحة لنواياهم السيئة ، كما كانت توجيها للنبي بالمبادرة الى استئصال هذا الشر قبل أن يستفحل وتستشرى عدواه في النفوس . من ذلك انه بلغ النبي أن بعض المنافقين يتابعون اجتماعهم خفية في بيت يهودي خبيث يدعى سويلم لتدبير الفتن والمؤامرات عن طريق بث الدعاية السوداء ضد الدعوة للجهاد وادخال التردد والوهن في قلوب المسلمين واثارة الشك في تحقيق النصر . فبعث اليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، فحرق عليهم بيت اليهودي فغادروه مولين الادبار ، لايلوون على شيء ، وكانت ضربة رادعة قاصمة ومنذرة كل من تسول له نفسه بالتخاذل عن الجهاد أو التشكيك في شرعيته وضرورته .

البكاءون

وانفسح الطريق بعد ذلك لشحذ الهمم وتنافس سراة المسلمين في تزويد الجيش بالمؤونة والسلاح مستبقين مسمحين في البذل والعطاء في غير منّ ولااستعلاء ، اذ يرون ذلك واجبا محتم الاداء ، وتجهز كل للقتال . وكان من أروع ما سجلته تلك الغزوة ما حز في نفوس بعض فقراء المسلمين من أسى حين اعتذر لهم النبي عن مسيرتهم معه الى ساحة الحرب لعدم توافر ما يلزمهم من عدة . اذ ارتحل كل من انس في نفسه القدرة على القتال حتى بلغ عدد الجند المجهزين للحرب ثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس ولم يبق على راحلة موضع لمرتحل . فجاء الى رسول الله سبعة رجال من الانصار لا يملكون ما يحملهم ، فلم يجد مركبا . ولما قال لهم : « لا أجد ما أحملكم عليه » « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون » .

ومثلما أطلق على جيش الرسول الى مؤته اسم جيش العسرة دلالة على شدة ماعاناه في سبيل اعداده وتجهيزه ، فقد أطلق على فقراء المسلمين الذين اقعدهم عن الجهاد العجز عن نفقتهم اسم هو « البكاءون » . ويا له من رمز يدل على سمو

النفس التي ترغب في الشهادة وحزنها حين تحرمها، وبالهم من مسمين استحقوا ببكائهم الخلود في سجل القمم البشرية الشامخة .

وما أعظم كلمات رسول الله في فريضة الجهاد ، وفي مواساة مثل هؤلاء المؤمنين الذين لا يجدون وسيلة لتحقيق رغبتهم في قتال العدو : « لولا أن اشفق على امتي لاحببت الا اتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكني لا اجد ما احملهم عليه ولا يجدون ما يحملون عليه فيخرجون ، ويشق عليهم أن يتخلفوا بعدي . فوددت لو اني اقاتل في سبيل الله فاقتل : ثم احيا فاقتل ثم احيا فاقتل » .

الاستشهاد امنية المسلم

لقد كانوا يقاتلون عن ايمان وعقيدة : فكانوا يعتبرون الاستشهاد في المعارك امنية لا تدانيها امنية .

وليس اقدر من هؤلاء الصادقين في ايمانهم على تحريك الهمم واثارة العزائم في قلوب المترددين والمتخلفين عن القتال . فهاهي ذي جحافل المسلمين تغذ السير الى ميدان الحرب يلهب منظرها النفوس ويبعث النخوة ويثير الرغبة في الجهاد والاستشهاد وفاء بالعهد وتطلعا الى شرف الفداء ومثوبة المفتدى .

وهاهو ذا رجل من القلة التي تقاعست عن خوض غمرات الحرب يهب من مجلسه وقد هزه المنظر وخشي أن يرمي بالجبن ويوصم بالذلة : فينطلق على راحلته ليلحق بما فاته وينضوي تحت اعلام المجاهدين . ذاك ابو خيثمة اذ راى منظر الجيش وهو بين امراتيه وقد اعدت كل منهما متكا رخيا في بيتها زودته بالماء والغذاء فاذا هو يقول : « رسول الله في الضح والريح والحر ، وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيا وامراة حسناء في ماله مقيم . هيئا لي زادا حتى الحق به » .

وكان نصر الله عظيما

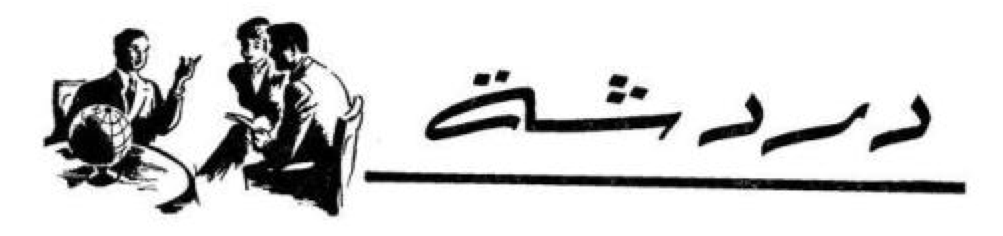
وبلغ الأبطال غايتهم . وفي تبوك كان نصر الله عظيما ، اذ انحسر الروم بعد أن بلغهم ما عليه المسلمون من قوة وقد أدركوا من قبل انه لا قبل لهم بمقاومة جند يؤثرون الموت في سبيل الله على الحياة . وسعى امراء البلاد الواقعة على الحدود الشرقية للجزيرة العربية الى عقد مصالحات مع محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد أوفد اليهم سفراء يدعونهم الى السلم . فان شاءوا اسلموا ، وان شاءوا غزاهم فباءوا بخذلان الهزيمة ، فاستجابوا لدعوته واعلنوا طاعتهم وقدموا بين يديه الهدايا واعطوا الجزية .

وكابر اكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني امير دومة فاعلن العصيان ، فبعث اليه النبي خالد بن الوليد في حملة تأديبية انتهت بقتل اخية حسان واخذه اسيرا : وافتتح خالد دومة عنوة . ثم ان رسول الله صالح اكيدر على دومة وآمنه وقرر عليه وعلى أهله الجزية .

وفي المدينة كان أول ما فعله الرسول هو تدعيم الجبهة الداخلية بعد أن امن الجزيرة بما وقع من معاهدات مع امراء الحدود . وقد اقتضى هذا التدعيم ان يبادر بحساب المنافقين من المعوقين ومروجي الشائعات الباطلة بعد عودة الجيش الى المدينة . تلك القلة الجاحدة المخادعة التي نعت على جنود المسلمين انهم لم يخوضوا قتالا ، ثم تمادت في غيها فكانت تجتمع في مسجد بذي أوان تحرف فيه كلام الله عن مواضعه . فلا غرو أن ياخذهم النبي بالشدة فيأمر بتحريق مسجدهم فيغشاهم الخوف ويقلعون عن مكائدهم ومؤامراتهم. ويستقر الامن وتزداد ثقة المسلمين في انفسهم وتكون غزوة تبوك نقطة الانطلاق لتحرير الشام من الروم ونشر الاسلام خارج الجزيرة العربية .

فما أكثر العبر المستخلصة من هذه الغزوة ، وما أمضى الأسلحة التي تقدمها لنا لمواجهة مشكلات حاضرنا ومستقبلنا داخل الجبهة وخارجها ، سلاح الايمان القوي الذي يمنح صاحبه ارادة تفل كل ارادة معادية ، وسلاح التخطيط السليم ، ثم سلاح المبادرة الى اتخاذ القرار الحاسم لمجابهة الخطر قبل استفحاله ، وأخيرا المقاومة والثبات في المحن . ■■

القاهرة : **حسن فتح الباب**



شلالات همفرى



● كتب المعلق الامريكي المعروف ستيوارت السوب Stewart Alsop يصف هوبرت همفرى مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية الامريكية ، يقول : « انه الرجل الذى تنساب الكلمات من شفتيه بنفس السرعة التى تتساقط بها المياه من شلالات نياجرا .. فهو لا يتوقف عن الكلام ابدا ، ويتكلم في كل موضوع ويشترك في كل حديث .. فاذا سكت مسترهمفرى فاعلم انه مريض ! »

وسأل الصحفيون المرشح الديمقراطي : « هل صحيح هذا الذى يقوله السوب عنك ؟

واجاب همفرى في هدوء بقوله : « نعم صحيح .. فبعض الناس يكتب عندما يفكر .. والبعض الاخر يجلس ولا يقول شيئا .. اما انا فاتكلم .. لان الكلام يساعد على خروج الافكار النائمة في راسي ! »

أخطاء الصحف والمجلات !!

● كثرت الاخطاء المطبعية في احدى الصحف التي تصدرها دار النشر الكبرى التي كان يمتلكها لورد بيفربروك Lord Bever Brook ، ملك الصحافة الراحل في بريطانيا ولم تفلح كل الوسائل في تجنب هذه الاخطاء التي انهالت خطابات القراء بسببها على الجريدة ، لافتة نظر المسئولين اليها .

واخيرا امسك لورد بيفربروك بقلمه وكتب كلمة موجهة للقراء في الصفحة الاولى قال فيها : « اذا وجدتم اخطاء جديدة في الجريده فاعلموا انها اخطاء متعمدة . فانتم تعلمون أن صحيفتكم تحاول دائما ارضاء كل الامزجة ، وبعض الناس كما لا يخفى عليكم مولعون بالبحث عن الاخطاء !! »

العصفور الحبيس

● تقول سيمون دى بوفوار الكاتبة الفرنسية في كتابها الجنس الثاني Le Second Sex ان من بين المخلوقات المسكينه التي تعيش وسطنا في مجتمعنا الحاضر ، طالب المدرسة الذى جاوز لتوه مرحلة المراهقه .. فهو يريد أن يصبح رجلا ، ولكن احدا لا يحس برجولته المبكرة . فبالرغم من الشعيرات التي ملأت لحيته ، وبالرغم من صوته الذى تعلو نبراته الرجولة المبكرة ، وبالرغم من قامته التى ازدادت طولا ، الا انه يبقى دائما طفلا كبيرا في اعين والديه ، وعصفورا حبيسا في قفص التقاليد !

اقوال

× الناس يشعرون بالوحدة لانهم يبنون جدرانا عالية يعيشون وراءها ، بدلا من ان يمدوا الجسور للقاء الناس على الضفة الاخرى .

× بناء المعسكر الجديد يحتاج الى مائة رجل على الاقل ، بينما تستطيع امراة واحدة ان تبني بيتا وتسعد اسرة باكملها .

× الزوج هو الرجل الذى يتوقع من زوجته ان تكون مثالية ، وان تدرك بعد هذا ، لماذا لم يكن هو مثاليا !!

× الجبان ، هو ذلك الرجل الذى يفكر بساقيه عندما يواجه موقفا خطيرا ، فلا يلبث ان يطلقهما للريح .

● العفاريت فى مجلس الوزراء البريطانى ★ ★ ★

● المنزل رقم ١٠ شارع داوننج ستريت بلندن ، او المقر الرسمي لرئيس وزراء بريطانيا ، بيت قديم ، بناه سير جورج داوننج في عام ١٦٨١، اى ان عمره الان ٢٨٧ عاما .

الا ان سير جورج لم يعش في هذا البيت اكثر من سبع سنوات فقط ، اذ ما لبث ان انتقل منه وتنازل عنه للعرش عندما اعتلى الملك وليام الثالث عرش بريطانيا في عام ١٦٨٩ . ومنذ ذلك اليوم والشارع يحمل اسم صاحب البيت .

اما السبب المباشر الذى دفع سير جورج الى التخلى عن هذا المنزل التاريخي ، فله قصة طريفةوقعتحوادثها فياحدىليالى الشتاء الباردة. فقد حدثان دخلصاحب البيت غرفة مكتبه ليقرا كما تعود ان يفعل كل ليلة . وفجأة سمع اصواتا غريبة تقرا معه في كتبه بصوت مسموع !

ولم ينم سير جورج في تلك الليلة . وفيالصباح، حزم حقائبه وترك البيت الى غير عودة هربا من « الاشباح » التى تشاركه حياته في البيتالكبير.. اما غرفة مكتبه التي سكنتها العفاريت فهي نفس الغرفة التى ما زال وزراء بريطانيا يعقدون فيها جلساتهم حتى اليوم !

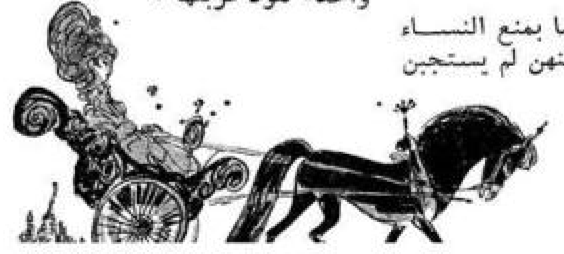
● عمر المرأة ! ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

● أثارت النساء في عهد لويس الخامس عشر ملك فرنسا مشكلة عندما كانت كل واحدة منهن تصر على قيادة عربتها بنفسها .. تلك العربات التي كانت تجرها الخيول وذلك في شوارع باريس . فكثيرا ما كانت حركة المرور تتعطل كلما شاهد الرجال امراة جميلة تمسك عنان جيادها بيديها الرقيقتين.. والخيول تسير الهوينا وكأنها تترفق هي الاخرى بصاحبتها ..

واصدر الملك مرسوما بمنع النساء من قيادة العربات . ولكنهن لم يستجبن لهذه الاوامر الجديدة ، فقد كن جميعا من اسر كبيرة ذات جاه وسلطان. واخيرا تفتق ذهن دارجنسون D'Argenson احد وزرائه عن حيلة جديدة . فقد امسك بالمرسوم الذى اصدره الملك وعدله على الوجه التالي :

« ممنوع على كل سيدة يقل عمرها عن ثلاثين عاما ان تقود عربتها بنفسها !»

وفي اليوم التالي لم تر باريس سيدة واحدة تقود عربتها !



مدرسة لإعداد الفتيات

مدتها سنة واحدة

بين الثانوية والجامعة

■ فى سن معينة ، وهي غالبا ما تكون خلال فترة المراهقة .. تجد الفتاة نفسها نهبا لأفكار شتى تلاحقها فى نومها وصحوها . فلا تلبث ان تجد عقلها الصغير قد شرد عن الكتب والدروس ، ليعيش لحظات مع أحلام اليقظة .. تلك الاحلام السعيدة التى تعاودها بين الحين والحين ، بالمستقبل الذى تنتظره كل فتاة عندما يجيء هذا اليوم الذى تلبس فيه فستان الزفاف الابيض الجميل ، وتتأبط ذراع الرجل الذى اختاره والداها واختاره القدر معهما ليكون شريكا لحياتها !

ولطالما تركنا بناتنا يسرحن مع احلامهن السعيدة، حتى جاء اليوم الذى تحولت فيه الاحلام الى حقيقة واقعة .

ثم كانت التجربة الكبرى .. تجربة الحياة نفسها ..

وكم من فتيات سعدن فى تجربتهن .. !

ولكن كثيرات ايضا هن اللواتي شقين فى زواجهن !

والسبب جهل الفتاة بهذه الحياة الجديدة ومتطلباتها !

لماذا نُعرِّض بناتنا اذن لاحتمالات النجاح أو الفشل فى حياتهن الزوجية ؟ لماذا لا نعد الفتاة للزواج تماماً كما نعدها لكي تصبح طبيبة أو مدرسة او محامية ناجحة ؟ بحسبان أن الزواج مهنة .

تجربة رائدة

وفى احدى المدن الصناعية بمقاطعة لانكشاير Lancashire ، بانجلترا ، قامت احدى مدارس البنات ، وهي « المدرسة الثانوية الحديثة » بتجربة لعلها الاولى من نوعها « الا وهي تجربة اعداد طالباتها للزواج ، فاختارت خمسين طالبة تتراوح اعمارهن بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة ، للاشتراك فى هذا البرنامج الدراسي العلمي الجديد .

اما الشروط التى توافرت فى الطالبات اللواتي وقع عليهن الاختيار ، فهي أن تكون كل منهن قد حصلت على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ، اى انها اكملت المرحلة التي تسبق دخول الجامعة مباشرة .

واما مدة الدراسة فهي تسعة أشهر تتخرج بعدها الفتاة ، وهي مؤهلة تماما لان تصبح زوجة وربة بيت ممتازة .

جامعة وليست مدرسة

ولكن ليس معنى هذا ان الفتاة تتخرج من

مظهر الطالبة العام ، جزء اساسي من برنامج الدراسة ، فهي تتلقى دروسا فى تجميل وجهها على ايدى الخبراء والاخصائيين .



لِلـــزَّواج



فستان الزفاف .. جزء هام من الدراسة أيضا . وتتلقى الطالبات دروسا عملية فى اعداده وتصميمه.

مدرسة « الاعداد للزواج » ، لكي تعود الى البيت فى انتظار العريس الذى سيطرق الباب طالبا يدها ! لا ..

فخريجات هذه المدرسة لا يلبثن أن يستأنفن دراستهن الجامعية شأنهن فى ذلك شان اى طالبة اخرى . كل ما فى الامر أن دخولهن الجامعة قد تأخر سنة واحدة تخرجن خلالها من « جامعة » اخرى ، كما تصر على ذلك ناظرة هذه المدرسة .. وقد تسلحت كل واحدة منهن بسلاح لا يقل اهمية عن الشهادة الجامعية .

ماذا تفعل الفتيات فى هذه « الجامعة » وما هي برامج الدراسة فيها ؟

حياة جديدة

وفى مدرسة الاعداد للزواج ، تلتقى الفتيات فى صباح كل يوم فى موعد الدراسة العادى ، بملابسهن العادية .. أى الملابس التى تعودن أن يرتدينها للنزهة ، اذ ليس هناك زي خاص بهن ، فقد تخلصن من الزي المدرسي ، كما تخلصن من كتب الرياضيات والعلوم والتاريخ وغيرها ، التي رافقتهن طوال رحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية .. واصبحت كل فتاة حرة فى اختيار الثوب الذى تراه مناسبا للحضور الى مدرستها الجديدة ، كما أصبح يسمح لها ولأول مرة ، بأن تجَمّل وجهها ، ، وتختار تسريحة الشعر التى تروقها .

فمظهر الطالبة العام جزء أساسي من برنامج الدراسة .. وهي تتلقى فيه دروسا على أيدى الخبراء والاخصائيين فى فنون التجميل .

باقات من الزهور

وتلتقى الطالبات فى مجموعات صغيرة ، تضم كل مجموعة خمسا أو ستا منهن ، وكأنهن باقات من زهور جميلة متباينة .. ويجلس الجميع حول موائد الشاى ، كل مجموعة تشرف عليها مدرسة

واخصائية اجتماعية .. وفي هذا الجو العائلي ، يبدأ اليوم الدراسي ، وتبدأ الدروس ، وتستهل المدرسة حديثها في كل موضوع يتصل بالزواج من بعيد أو من قريب .. نفس الموضوعات التي طالما تحدثت فيها الطالبات ، حديثا خاصا ، بعيدا عن آذان وعيون الكبار ..

ولا تكاد المدرسة تنتهي من حديثها ، حتى يأتي دور الطالبات للاعراب عن رأيهن ، فتعطي المدرسة لكل واحدة منهن الفرصة للادلاء بوجهة نظرها والافصاح عما يدور في رأسها من مسائل تشغل تفكيرها ..

آراء للمناقشة

١ ــ ماذا تريد من الرجل الذي سيصبح زوجا لها ؟

٢ ــ كيف ستبدأ حياتها الزوجية ، وهل تفضل أن يهديها عريسها خاتم الزواج التقليدي أم يضع باسمها في البنك مبلغا من المال يستطيعان اللجوء اليه في الازمات ؟

٣ ــ هل تقيم حفلة زفاف كبرى تدعو اليها الاهل والاصدقاء ، أم تكتفي بحفل زواج بسيط ، وتوفر الاموال التي كانت ستنفق على الحفل ، لاستكمال بيتها الجديد أو شراء سيارة صغيرة ؟

٤ ــ ماذا تفعل في محاولاتها للتعرف على هذا الرجل الغريب الذي ستشاركه حياته ؟

ان فترة الخطوبة لم تعطها الفرصة الكافية لمعرفة طباع زوجها المقبل وأخلاقه ، فهي فترة المجاملات والتطبع بكل الصفات الحميدة ؟ .

عيوب الزوجين

٥ ــ ثم كيف يكون موقفها عندما تكتشف عيبا من عيوبه . هل تصارحه به لكي يعمل على اصلاحه ، ثم كيف تفعل ذلك دون أن تجرح شعوره . وكيف سيكون موقفها هي عندما يصارحها زوجها بعيوبها ؟

٦ ــ ماذا تريد من حياتها الجديدة في بيت الزوجية ؟ وهل تتفق مع زوجها على موعد انجاب الأطفال . وعلى العدد الذي يريدانه منهم . أم تترك كل هذا للظروف ؟

٧ ــ هل تلتحق بعمل لتعاون زوجها في بداية حياتهما أم تكتفي بالبقاء في المنزل والعناية بشئون بيتها واطفالها ؟

٨ ــ هل تعيش مع حماتها لان زوجها غير قادر على اعداد بيت مستقل ، أم تؤجل الزواج حتى يستطيعان معا أن يوفرا نفقات اعداد بيت الزوجية ؟

٩ ــ كيف يكون موقفها من الازمات المالية التي قد تصادفهما في حياتهما .. هل تلجأ الى والديها تطلب المساعدة ، أم تعتمد على نفسها وعلى زوجها ، فتحاول أن تضاعف دخل الاسرة عن طريق القيام بأي عمل في البيت أو خارج البيت ؟

مثل هذه المسائل وغيرها كثيرا ما تعرض على بساط البحث والمناقشة .. وتمضي كل فتاة في التعبير عن رأيها ، ثم تختتم الندوة بحديث للمدرسة التي تعلن رأيها هي ورأي الاخصائيين في كل سؤال من هذه الاسئلة التي تستغرق ساعتين أو ثلاثا من برنامج الدراسة النظري كل صباح .

دراسة علمية أيضا

على أن الدراسة في هذه المدرسة لا تقتصر على الجانب النظري وحده ، وانما هناك جانب عملي لا يقل اهمية عن الجانب النظري .

وتتلقى الطالبة بمقتضى هذا البرنامج العملي دروسا في اعداد ثوب الزفاف ، وفي تجميل وجهها وتسريحة شعرها ، وفي اعداد بطاقات الدعوة لحفل الزفاف ، وفي استقبال المدعوين .. الخ ..

ربة البيت

ثم تنتقل بعد هذا الى بيت صغير مؤقت ، أشبه ببيت الزوجية الذي ستصبح هي ملكته وسيدته .. وتدخل الطالبات البيت واحدة بعد أخرى ، وتمضي فيه يوما كاملا وحدها تنظف فيه البيت ، وتنظمه وتنسق اثاثه وتعد طعام الافطار والغداء والعشاء ، وتستقبل فيه ضيوفها من زميلاتها الطالبات والمشرفات ، اللواتي يعددن التقارير ويسجلن ملاحظاتهن على كل عمل قامت به الطالبة في بيت الزوجية هذا ..

وتنتقل الفتاة بعد هذا الى دراسة دور الام ، فيأتين اليها بطفل صغير ، ثم يعلمنها كيف تعتني به وتنظف له جسمه وتحيك ملابسه .. وتعد له وجبات غذائه ..

استعداد غريزي

وتقول ناظرة المدرسة انها لمسترغبة واستعدادا غريزيا من جانب الطالبات لدراسة كل ما يتعلق بالأطفال ومشاكلهم أثناء هذه التجارب العملية ، بعكس ما كان يحدث أثناء برامج الدراسة الاكاديمية .. فالطالبة التى لم تظهر أى اهتمام بالرياضيات مثلا ، اثبتت انها تستطيع أن تصبح أما مثالية . كما اثبتت أيضا انها قد بلغت مرحلة لا باس بها من النضوج ، عندما يكون موضوع الحديث : « الزوج المثالي » او ماذا أريد فى الزواج .

ميزانية البيت

والدراسةفي مدرسة « الاعداد للزواج » ليست قاصرة علىما تتلقاهالطالبة من دروس نظرية وعملية داخل جدران المدرسة ، اذ انها تقضى جزءا كبيرا من وقتها في الخارج .. فهي تخرج في جولات في الاسواق لتدرس طريقة البيع والشراء ، ولتلم بمستوى الاسعار .. اسعار السلع والمواد الغذائية من لحم وخضروات وخبز وأرز وغيرها.. حتى تستطيع ان تضع ميزانية لبيتها ، وحتى تكون على بينة من النفقات التي تحتاج اليها طوال الشهر .. ولهذا كله علاقة مباشرة بمرتب الرجل الذى سيتقدم لخطبتها ، اذ كثيرا ما يبدو المرتب كبيرا وهو غير كاف لضروريات الحياة ، وكثيرا ما يبدو المرتب صغيرا، وهو يكفى ويزيد !! ولا يمكن ان تحكم الفتاة على دخل زوجها المرتقب، الا اذا كانت قد وضعت ميزانية دقيقة لنفقاتها طوال الشهر .

زيارات الأسر

وليست هذه هى الجولات الوحيدة التي تقوم بها الطالبة في الخارج ، فهي تقوم ايضا بزيارات للأسر فى بيوتهن ، فتطرق الابواب وتبرز بطاقتها الشخصية التي تحمل توقيع ناظرة المدرسة ، وتجلس الى الزوجات وتتحدث معهن في المشاكل التي صادفت كل واحدة منهن .. والازمات التي تعرضت لها الزوجة في بداية حياتها مع زوجها وكيف تغلبا عليها .. وتسجل كل طالبة المعلومات التي حصلت عليها في مذكرة صغيرة ، تعود بها الى المدرسة لتناقشها مع زميلاتها ومشرفاتها في الندوات الصباحية التي تعقد يوميا ..



حفل شاى ، اقامته احدى الطالبات لزميلاتها ومدرساتها فى المدرسة .. فلا بد أن تتعلم كيف تصبح ربة بيت ممتازة .

هذه هي مدرسة « الاعداد للزواج » التي قامت في انجلترا ونجحت نجاحا غير متوقع في اعداد جيل من الفتيات اللواتي يمكن ان يصبحن زوجات مثاليات .. فلا يكفى أن تكون الفتاة متعلمة وحاملة لشهادة جامعية لتصبح زوجة ناجحة .. وانما لا بد ان تكون الفتاة مثقفة ثقافة خاصة تؤهلها لهذا الدور الكبير الذى ستقوم به في المستقبل .. وهو دور له اهميته في مجتمعنا وفى كل مجتمع آخر غريب علينا ، في نجاح الزواج او فشله .. لا يكفى ان نرسل بناتنا الى الجامعات ، ولكن لا بد ان نعلمهن كيف يصبحن زوجات صالحات ..

ونعود الى المسائل التي كانت موضع بحث الطالبات في دراستهن النظرية .. ترى ماذا قلن ، وماذا كانت اراؤهن في الاسئلة التي طرحت للمناقشة ..

١ ـ لقد كان هناك شبه اجماع على ان الفتاة لا تريد من الرجل الذى سيصبح زوجا لها ، اكثر من ان يكون انسانا طيب القلب ، كريم الخلق ، غير انانى يحبها ويعطف عليها ويكون لها ابا واما لا زوجا فحسب .

٢ ـ قالت ٧٠٪ من الفتيات انهن يفضلن ان يكون لهن رصيد في البنك يلجأن اليه في الازمات، ولا باس من خاتم الزواج التقليدي في الوقت نفسه على ان يكون هدية رمزية لاحياء ذكرى هذه المناسبة السعيدة ، لا شيئا ثمينا يستنفد الجانب الاكبر من مال العريس .

٣ ـ اختلفت الطالبات في اجاباتهن على هذا السؤال ، فنصفهن او اقل قليلا فضلن اقامة حفل زواج كبير يدعى اليه جميع الاهل والاصدقاء، بينما راى البعض الاخر الاكتفاء بحفل بسيط



حديث بين طالبتين واحدى الزوجات في المشاكل التي صادفتها السيدة في بداية حياتها الزوجية وكيف تغلبت عليها ..

وتوفير الاموال التي ستنفق عليه لاستكمال بيت الزوجية .

٤ ـ اما محاولات الفتاة للتعرف على زوجها ، فقد تطوعت المشرفة الاجتماعية بشرحها نقلا عن احد كبار الاخصائيين في علم النفس ، الذين يرون انه لا بد للمراة ، لكى تعرف زوجها ، من ان تعيش حياته . لا يكفى ان ترقب تصرفاته معها، ولكن لا بد لها ان ترى جانبا من تصرفاته مع غيرها من الناس .. وبهذا وحده تستطيع ان تكون فكرة صائبة عن اخلاق وطباع الرجل الذى تزوجته .

٥ ـ وعيوب الزوج والزوجة ايضا مشكلة قيل فيها الكثير ، وقد وجد علماء النفس ، انه ليس خطأ ان يصارح الزوجان بعضهما البعض بعيوبهما ، ولكن الخطأ في السكوت على هذه العيوب ، فلا بد ان تكون الصراحة طابع العلاقة بين كل زوجين .. المهم ان يحرص كل منهما على ان يكون حذرا ولبقا كل اللباقة ، وهو يواجه الاخر بعيوبه . فاذا كان الزوج يشخر اثناء نومه، قالت له زوجته مثلا : « لقد كنت تصدر لحنا اشبه بموسيقى بيتهوفن ليلة امس . ولكنني كنت افضل النوم ، فقررت ان اعدل لك رأسك!»

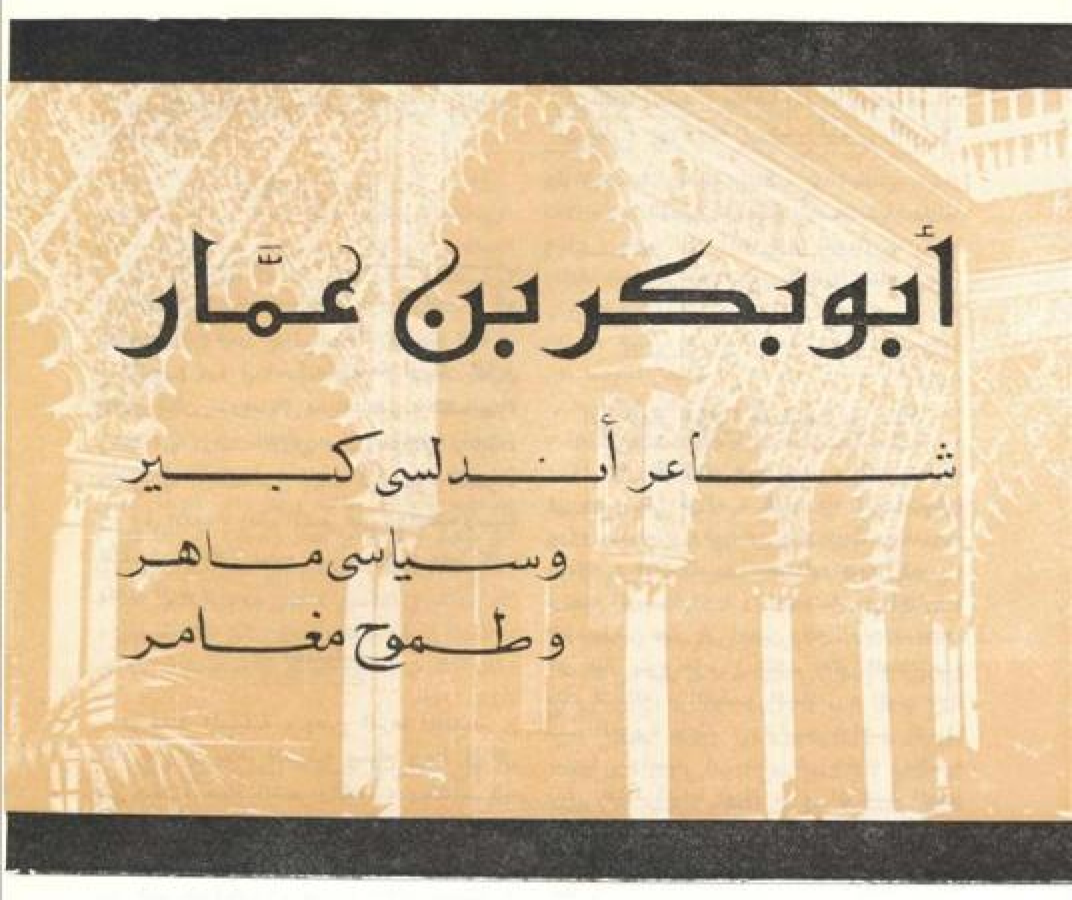
٦ ـ واجمعت الفتيات مرة اخرى على انهن لا يردن في حياتهن الجديدة في بيت الزوجية اكثر من اقامة « بيت سعيد » ، وان مسألة انجاب الاطفال مسألة حيوية ، ولا بد من الاتفاق على موعد وصول الطفل الاول ، وعلى عدد الاطفال الذين يريد الزوجان انجابهما .

٧ ـ ٩٠٪ من الطالبات اتفقن على انهن يفضلن الالتحاق بعمل في بداية حياتهن الزوجية لمضاعفة دخل الاسرة . و ٦٠٪ يفضلن التخلى عن وظيفتهن بمجرد وصول الطفل الاول .

٨ ـ اجمعت كل الطالبات على الانتظار حتى يستطيع الزوج ان يوفر نفقات اعداد بيت الزوجية . ورفض الجميع العيش مع الحماة ، تحت سقف واحد .

٩ ـ واجمعت الطالبات مرة اخيرة على ان الاعتماد على النفس ، هو اساس الحياة الزوجية السعيدة ، فاذا صادفت الزوجين اية ازمة مالية ، فلا بد ان يتعاون الاثنان على حلها بد لا من اللجوء الى والديهما للمساعدة ..

م ٠ ن



أبو بكر بن عمّار

شاعر أندلسي كبير وسياسي ماهر وطموح مغامر

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ قضيت يومين في مدينة شلب البرتغالية الصغيرة . ولم يكن ذلك لان شلب من مدن السياحة او النزهة ، او لانها في ذاتها تستحق الزيارة والاقامة ، ولكن لانها فقط تمثل في تاريخ الأدب الاندلسي مثولا قويا ، اذ كانت موطن الشاعر الكبير ابي بكر بن عمار ، وثانيا لانها كانت منزلا لامير الشعر المعتمِد بن عبّاد ، حكمها في شبابه من قبل ابيه المعتضد ، وما زالت ثمة بها بقية من اطلال قصر الشراجيب الذى تغنى به المعتمد .

وشلب Silves مدينة صغيرة مشرقة تقع في اقصى جنوبي البرتغال على مقربة من المحيط الاطلنطي فوق ربوة متدرجة ، تشرف على نهر اراد الصغير الذى يصب في المحيط ، قرب ثغر بورتماو الصغير . ودروبها قصيرة ملتوية ، واحياؤها غير متسقة ، ولكن جميلة مؤثرة ، ولها طابع خاص يغلب عليه القدم ، ومظاهر العصور الوسطى ، ومنازلها كثيرة الالوان ذات طابقين او ثلاثة . وتحيط التلال العالية بالمدينة ، الا من ناحية مدخلها فوق النهر ، حيث تقوم القنطرة العربية القديمة ، وهى قنطرة حجرية ذات اربعة عقود ، تصل المدينة بالطريق الكبرى ، وهنا على

جانبي المدينة تمتد البسائط الخضراء ، والحقول اليانعة .

نشأة ابن عمار

وفي قرية من ارباض شلب تسمى « شنبوس » ولد شاعر الاندلس الكبير ، ابو بكر محمد بن عمار المهرى ، وذلك في سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ، في اسرة متواضعة لم يكن لها في الظهور شان . ووفد على مدينة شلب ، فنشأ بها ، وتلقى فيها دراسته الاولى ، ثم رحل الى قرطبة ، فاكمل بها دراسته على جماعة من شيوخ العصر ، وبرع في الأدب ، ونظم الشعر فتى ، واتخذه وسيلة للتكسب ، فكان يمدح كل من وصله مهما كانت مكانته أو مركزه .

في اشبيلية

ثم قصد اشبيلية ، ومدح اميرها المعتضد بن عباد ، وكان بلاط اشبيلية يسطع يومئذ في ظل بني عباد ، حماة الشعر والأدب ، ويحتشد فيه جماعة من أكابر شعراء العصر وكتابه أمثال ابى الوليد بن زيدون وابى محمد بن عبد البر وابي عبد الله البزلياني وغيرهم .. فنظمه المعتضد في سلك شعرائه وامثاله . ولما ندب المعتضد ولده محمدا المعتمد ،لحكم شلب على اثر افتتاحها ، من يد بني مزين في سنة ٤٥٥ هـ ، اتصل به ابن عمار ، والفى المعتمد في صفاته وادبه ،ورفيق نظمه ،ما حببه اليه ، فعهد اليه بوزارته ، وتوثقت بينهما علائق المودة والصفاء ، حتى غدا أثير المعتمد ، ينظمه في مجالس أنسه ، ولا يصبر على فراقه ، وكانت براعة ابن عمار في النظم هى احب صفاته لاميره الشاعر .

ابن عمار واليا لبلدة شلب

ولما توفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ ، وخلفه ولده المعتمد في الملك ، عين ابن عمار واليا لبلده شلب . وقد تركت حياة المعتمد في شلب ، وما تقلب فيه في ربوعهـا الجميلة من مجالى اللهو والانس ، في نفسه ذكريات عميقة ، تصورها لنا تلك الابيات التي نظمها المعتمد ، مخاطبا صديقه ورفيق صباه ، ابن عمار ، حين وجهه الى شلب ليتولى رياستها :

الا حيِّ أوطاني بشلب أبا بكر
وسلهن هل عهدُ الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراجيب من فتى
له ابدا شوقٌ الى ذلك القصر
منازل آساد وبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر

ابن عمار وزيرا للمعتمد بن عباد

ولم تطل اقامة ابن عمار بشلب ، ذلك ان المعتمد لم يصبر على فراقه ، فاستدعاه الى اشبيلية وولاه وزارته ، وظهر ابن عمار يومئذ بمقدرتـه ودهائه ، فكان المعتمد يعهد اليه بمهام الامور ، ويندبه الى سفاراته ، وتنفيذ مشاريعه الخطيرة ، فيؤديها ابن عمار على احسن وجه . وتجلت مقدرة ابن عمار بنوع خاص في تنظيم علائق المعتمد مع ملك قشتالة ، الفونسو السادس ، اقوى ملوك شبه الجزيرة يومئذ ، وتوثيق اواصر المودة بينهما . واستمر ابن عمار على حظوته ومكانته لدى المعتمد اعواما طويلة ، الى ان فسد الجو بينهما ، بتدخل اعتماد الرميكية ، زوجة المعتمد ، فكان ذلك ابذانا بنكبته ، على ما نذكره بعد .

ابن عمار يستولى على مرسية لحساب المعتمد

وكان من اهم المشاريع التي اضطلع بها ابن عمار يومئذ لحساب المعتمد ، استيلاؤه على مدينة مرْسية ،وهو مشروع تجلت فيه مقدرته السياسة ودهاؤه الواسع . وكانت مملكة اشبيلية ، تمتد يومئذ من ناحية الشرق حتى لورقة وشقورة على مقربة من مرسية ، وهى الحاضره الجنوبية لشرقى الاندلس .

وكانت مرسية يومئذ تحت حكم بنى طاهر ، واميرها ابو عبد الرحمن بن طاهر ، احد كتاب العصر وبلغائه ، يجد في حكمها صعابا جمة ، ويعارضه من أهلها حزب قوى ، وقد كتب عدد منهم الى المعتمد يستدعونه لافتتاحها ، ويؤكدون له ضعف الدفاع عنها ، وعهد المعتمد الى ابن

عمار بوضع الخطة اللازمة لافتتاح مرسية ، فسار ابن عمار الى شرقي الاندلس ، وعقد مع الكونت رامون برنجار امير برشلونه اتفاقا يتعهد فيه بان يعاونه بفرسانه على فتح مرسية مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب تؤدى اليه ثمنا لعونه . وقدم المعتمد ولده الرشيد رهينة لديه ، وبعث بقواته الى ابن عمار ، وبعث اليه الكونت بفرسانه . وحاصرت القوات المتحالفة مدينة مرسية ، ولكن ابن عباد تاخر في اداء المال ، وقبض الكونت على ابن عمار ، وكان ابن عباد على رأس قواته على مقربة من شقورة فبادر باداء المال ، وافرج الكونت عن ابن عمار ، وعن الرشيد . ولم تنجح هذه الحملة الاولى في افتتاح مرسية . فجهز المعتمد حملة ثانية ، وقدم عليها ابن عمار ، واستعان ابن عمار في طريقه بقائد حصن بلج ، وهو يومئذ عبد الرحمن بن رشيق ، فسار معه ، وندبه للقيادة ، وحاصر ابن رشيق مرسية ، ولبث على ارهاقها ، وتحريض اهلها ضد حاكمها ابن طاهر ، حتى تم له الامر ، وفتحت المدينة ابوابها بطريق الخيانة ، ودخلها جند ابن عباد ، وقبض على ابن طاهر ، واعتقل حتى اذن ابن عباد بتسريحه ، فلحق ببلنسية ، وكان افتتاح مرسية على هذا النحو في سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) .

ابن عمار يطمع في حكم مرسيه ، فيخون مليكه ، ويفشل

وهنا يكشف ابن عمار عن دخيلة نفسه ،وينقلب الشاعر الى مغامر مضطرم الاطماع .

كان ابن عمار يبغى ان يستولى على مرسية لنفسه ، وان يستقل بحكم هذه المدينة النائية ، بعيدا عن سلطان مليكه . وقد عمد بالفعل الى حكمها حكم أمير مستقل ، وتجاهل اوامر ابن عباد ورغباته ، واخذ يدس الدسائس بين امراء هذه الناحية . ولكن هذه المغامرة لم يطل أمدها . ذلك ان ابن رشيق ، وهو فاتح المدينة الحقيقي ، كان يتربص بابن عمار ، ويتحين فرصته . وفي ذات يوم غادر ابن‌عمار مرسية لتفقد بعض‌الحصون القريبة ، فوثب ابن رشيق واستولى على المدينة، واغلق ابوابها في وجه ابن عمار ، فكانت تلك الضربة خير جزاء له على خيانته .

ابن عمار يهرب ويغامر من جديد

ولم ير ابن عمار امامه سوى الفرار ، فسار الى قشتالة وقضى وقتا قصيرا في بلاط الفونسو السادس ، ولكنه لم يلق منه عونا . فقصد الى سرقسطة ، ملتجئا الى اميرها المقتدر بن هود ، فاكرم وفادته واستخدمه في شئونه ، ولكنه ما لبث ان توفي بعد قليل ، فبقي ابن عمار في خدمة ولده المؤتمن حينا . وهنا غلبت ابن عمار سجيته في الاغراء والدس ، فحرض المؤتمن على غزو حصن شقورة ، وهو يومئذ من اعمال دانيه . وقصد ابن عمار الى ذلك الحصن في جماعة قليلة من اصحابه ، وكان حاكمه رجلا وافر الدهاء يدعى ابن مبارك ، فدعا ابن عمار وصحبه الى الدخول ، وهش لاستقباله ، فخدع ابن عمار بموقفه ، وما كاد يستقر في الحصن ، حتى هوجم وقبض عليه ، ووضعت في يده الاغلال ، وزج الى ظلام السجن ، وكان ذلك في شهر ربيع الاول سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) .

ابن عمار في قبضة المعتمد بن عباد

ووقف ابن عباد على ذلك الخبر ، فبعث الى ابن مبارك يطلب اليه تسليم ابن عمار ، وبعث اليه مالا وخيلا ، فاستجاب لدعوته ، وسلم ابن عمار لرسله ، وعلى راسهم ولده يزيد الراضي ، فاخذه اولا الى قرطبة ، حيث كان المعتمد يومئذ . وادخل اليها مكبولا في هيئة زرية ، وقد احتشد الالوف من اهلها لرؤيته ، وقد كانت تهتز لموكبه حين كان يدخلها ايام عزه . ثم اخذ بعد ايام قلائل الى اشبيلية ، فاعتقله المعتمد في مكان خامل في قصره ، ولبث فيه ينتظر مصيره .

ابن عمار وزوجة المعتمد ، ملكة اشبيلية الاثيرة

والواقع ان مصير ابن عمار كان يهتز في يد القدر ، وكانت ثمة ظروف قاهرة تدفع به الى نهايته المحزنة . وقد سبق ان اشرنا الى موقف اعتماد الرميكية زوجة المعتمد من ابن عمار ، وقد كانت بينهما وحشة تزداد على مر الايام . وكانت الرميكية ، وهي ملكة اشبيلية الاثيرة ، تحتل

مكانة بارزة في حياة المعتمد وفي بلاط اشبيلية . وكانت تشاطر زوجها هوى الشعر ونظمه ، وكانت تعيش في هذا الافق الادبي الرفيع ، الذى يسيطر على بلاط اشبيلية ، وبجتمع في ظله اعظم شعراء العصر ، وتشترك فى كثير من الاحيان فى مجالس الشعر والادب .

وكان ابن عمار ، وهو يومئذ يشغل منصب الوزارة ، من اساطين هذه المجالس الادبية ، وكان يومئذ في ابان مجده ونفوذه ، يستأثر لدى المعتمد بثقته ، ويملك عليه كل حبه وعطفه ، وكانت الرميكية تنظر الى مكانته وتمكن نفوذه بعين السخط ، وكان ابن عمار من جانبه يحقد عليها ، ويخشى باسها وسعايتها .

واستمرت معركة الدسائس والمنافسة حينا بين اعتماد والوزير ، لتسفر عن نتيجتها الطبيعية ، وهي هزيمة الوزير وتغير مليكه عليه . ثم جاءت حوادث غزو مرسية ، وتصرف ابن عمار الغادر في شانها ، لتحسم الموقف ، ولتدفع ابن عمار الى مصيره المحتوم .

ابن عمار في السجن ، واعداؤه يكيدون له عند المعتمد في القصر

ولما وقع ابن عمار اخيرا بين يدى المعتمد ،وزجه المعتمد الى سجن القصر ، كان المعتمد يستحضره من آن لاخر ، ويبالغ في عتبه وتانيبه ، وابن عمار يمعن في استعطافه واسترحامه . ويقال ان المعتمد تاثر فى النهايةبمحنته ووعده بالصفح عنه . ولكن خصوم ابن عمار في البلاط ، الساعين في هلاكه ، وفي مقدمتهم الوزير ابو بكر بن زيدون ، وهو ولد الشاعر ، ضاعفوا سعايتهم ،وابرزوا للمعتمد ابياتا من الشعر بخط ابن عمار ، نظمها ايام كان في مرسية ، وفيها يتعرض بالهجو اللاذع لبنى عباد ، ولاعتماد الرميكية زوجة المعتمد .

وقد اورد لنا ابن الابار في ترجمته لابن عمار تلك القصيدة التى قيل انها كانت سببا في نكبة ابن عمار ومصرعه ، وهذا مطلعها :

الا حىّ بالغـرب حيّـا حـلالا
أناخوا جمالا وحازوا جَمـالا

وعرِّج ببـومـين أمّ القـرى
ونـم فعسى أن تـراها خيـالا

لتسأل عن ساكنيها الرمـاد
ولـم تـر للنار فيها اشتعالا

ويومين هى قرية من قرى اشبيلية،ومنها كانت اولية بنى عباد . ومنها في هجو الرميكية :

تخيرتهـا مـن بنـات الهجين
رُمَيْكية مـا تسـاوى عِقـالا

فجاءت بكل قصير العذار
لئيم النجادين عمًا وخـالا

قصار القدود ولكنهم
اقاموا عليها قرونا طـوالا

ثم يشير ابن عمار الى ايام شبابه مع المعتمد اشارات بذيئة ويخاطبه بقوله :

ساكشف عرضـك شـيئا فشيئا
واهتك سترك حـالا فحـالا

ابن عمار يستعطف المعتمد من سجنه

وعلىأى حال فقد اجتمعت العوامل السياسية والشخصية لتؤكد محنة ابن عمار . وقد وجه ابن عمار فى سجنه الى المعتمد قصائد فى الاستعطاف تذيب الجماد،أوعلى قول ابن الخطيب « تعالج بمرامها جراح القلوب ، وتعفى على هضبات الذنوب ، اولا ما فرّغ عنه من القدَر المكتوب ، والاجل المحسوب » . ومن اشهرها تلك القصيدة المؤثرة التى تهز أوتار القلوب ، والتى مطلعها :

سجاياك ان عافيت أندى واسمح
وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح

وان كان بين الخطتين مزية
فانت الى الادنى من الله تجنح

حنانيك فى اخذى برأيك لا تطع
عدّاى ولوأثنوا عليك وافصحوا

ومنهـــا :

أقلنى بما بينى وبينك مــن رضى
لــه نحـو روح اللـــه باب مفتح

وعفّ على آثار جرم سلكتهــــا
بهيئة رُحمى منك تمحـو وتصفـح

ولا تلتفت قـول الوشـاة وزورهـم
فكـل انــاء بالذى فيـه يرشـح

مصرع ابن عمار على يد المعتمد

على أن تضرع ابن عمـار لم يؤثر فى مليكـه الصارم ، ولم تجد الرحمة سبيلا الى قلبه . ويقال انه مما قضى على عطف المعتمد ، وحفزه الى التعجيل بالقضاء على وزيره ، هو أن ابن عمار حينما وعده المعتمد بالصفح عنه،حدث بذلك ولده الرشيد ، وذاعت القصة بعد ذلك ، ونقلها أبو بكر بن زيدون عـدو ابن عمـار الالد الـى المعتمد ، فاضطرم سخطا على ابن عمار ، ونهض من فوره ، وفى يده طبرزين (١) كان قد اهداه اليه الفونسو ملك قشتالة ، وذهب الى حيث كان ابن عمار يرسف فى اغلاله ، ففزع ابن عمار لرؤيته ، وارتمى على قدميه يقبلهما ، ويبللهما بدموعه ، ولكن المعتمد اخذ يضربه بتلك الالة حتى اجهز عليه ، ولم يتركه الا جثة هامدة ، ثم امر به فغسّل وكفّن ، ودفن فى ركن مـن « القصر المبارك » وكان مصرع ابن عمار على هذا النحو المؤسى فى أواخر سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٥م) .

وهكذا قتل المعتمد بن عباد بيده ، وزيـره الشاعر الكبير رفيق صباه ، ويده اليمنى فى كثير من المشاريع الخطيرة ، فى بادرة من الحقد المضطرم ، والقسوة التى لا تخبو ، وكانت هذه الضربة الدموية من أفدح اخطائه . ويقال ان المعتمد ندم فيما بعد على تسرعه ، ونغصت عليه هذه الفعلة صفاء حياته .

وكان ابن عمار من اعظم رجالات الاندلس فى عهد الطوائف ، فكان وزيرا نابها ، وقائدا مجربا يقود الحملات العسكرية الناجحة ، وسياسيا بارعا ، ومفاوضا لا نظير لـه ، يعقد الصلات البعيدة المنال ، ويذلل المشكلات الصعبة . بيد انه كان فى نفس الوقت سياسيا مغامرا ، قليل الولاء والوفاء ، ميكافيليا ، يسعى الى تحقيق غايته باى الوسائل ، ودون اعتبار لخلق او مبدأ .

جمهرة من ألمع الشعراء لم تجتمع فى عصر واحد

وكانت مواهبه الادبية والشعرية ألمع ما فى خلاله ، وقد كان ابن عمار بلا ريب من أعظـم شعراء الاندلس فى عصره . وكان هـذا العصر الذى سطعت فيه قصور الطوائف ، عصرا اجتمع فيه بالاندلس من اكابر الشعراء جمهرة لم تجتمع فى اى عصر آخر ، ويكفى ان نذكر من هؤلاء ، بنى عباد ، وفى مقدمتهم المعتمد ، وابن زيدون ، وولادة بنت المستكفى ، وابو بكر بن اللبانة ، والمعتصم بن صمـاح ، وبنو القبـطرنـة ، وابن عبدون ، وكان ابن عمار فى طليعة هذه الجمهرة ، الشاعرة ، وقد ملا الاندلس بروائع شعـره ، كما ملأها بذكر أعماله ومغامراته .

عناية اهل السيَر باخبار بن عمار

وقد جمع شعر ابن عمّار ،ورتبه فى ديوان خاص ،ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمى . واورد لنا ابن بسام فى « الذخيرة » طائفة كبيرة من اخبار ابن عمار ، كما وضع تأليفا خاصا فى تاريخه . وخصه كل من الفتح بن خاقان فى « القلائد » ، وابن الابار فى « الحلة » بترجمة حافلة . وهذه العناية بسيرة ابن عمار وتراثه الشعرى مـن معاصريه ، ومن بعدهم ، تنبىء عن أهمية هـذه الشخصية البارزة فى تاريخ الطوائف ، وعن رفيع مكانتها السياسية والادبية . ■■

القاهرة — محمد عبد الله عنان

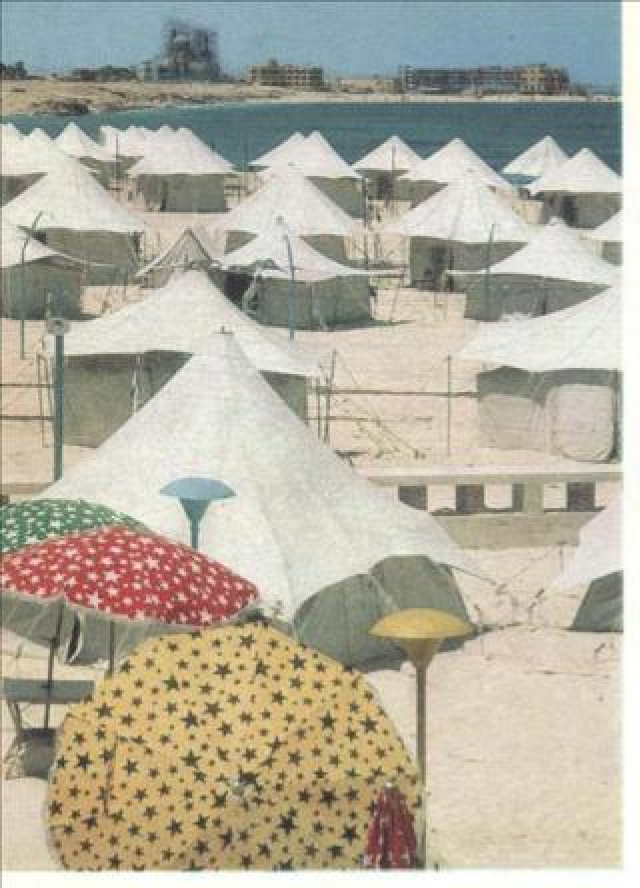
(١) هو آلة تشبه البلطة ..

شاطىء مرسى مطروح ، ولقاء هادىء بين مياه البحر الدافئة والرمال البيضاء الناعمة ، حيث يأتى الناس طلبا للهدوء والراحة والاستجمام .. انه من اجمل شواطىء مصر واقلها ازدحاما بالمصطافين .

اعرف وطنك أيها العربى



فريق من الشبان والفتيات الاجانب .. جاءوا من بيروت الى الاسكندرية بحرا ومنها الى مرسى مطروح وعلى الشاطىء نصبوا خيامهم ..





معسكرات الخيام .. لون جديد من الحياة مع الطبيعة بلا قيود ..
وما أندر اللحظات التى يعيش فيها الانسان متحررا من قيود المجتمع!

مَرْسَى مَطْرُوح

مَصِيف هَادِئ فى قَلْبِ الصَّحْرَاء

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقره

■ فوق رمالها دارت أعنف المعارك الحربية التي حددت مصير الحرب العالمية الثانية .. ومن شواطئها انطلقت أساطيل المحور حاملة أشلاء جيش مهزوم .. وفي مياهها الدافئة سبحت كليوباترا .. وشيدت لها قصرا فوق صخورها ..

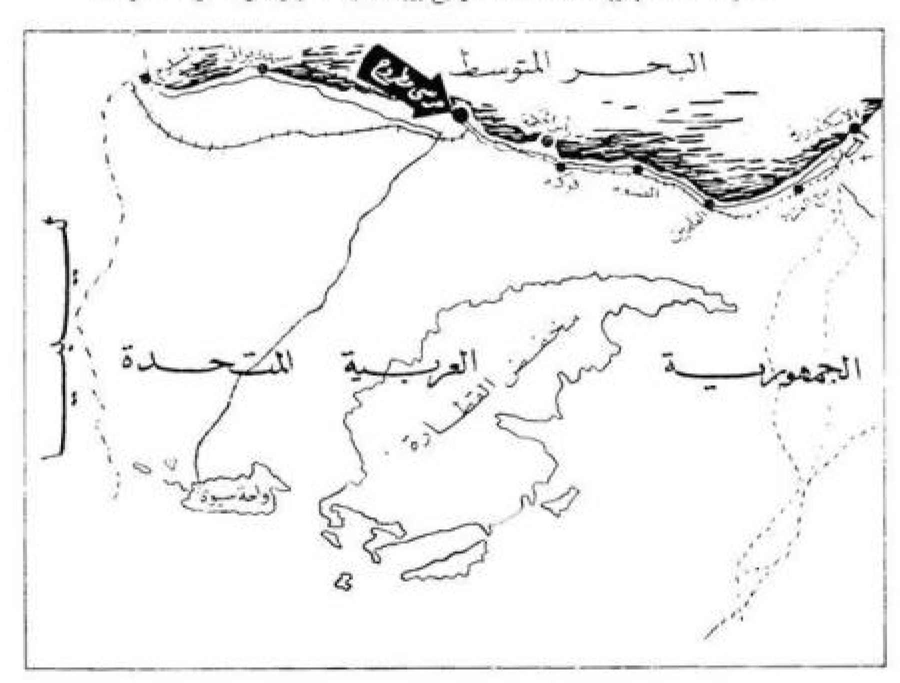
تلك هي مدينة مرسى مطروح عاصمة محافظة مطروح أو الصحراء الغربية : وهي لم تعد مجرد شواطيء ورمال وصخور تحكي فصولا من التاريخ القديم والحديث .. فقد أصبحت اليوم مدينة صغيرة جميلة تضم مصيفا من أجمل مصايف الجمهورية العربية المتحدة ..

لقاء البحر والصحراء

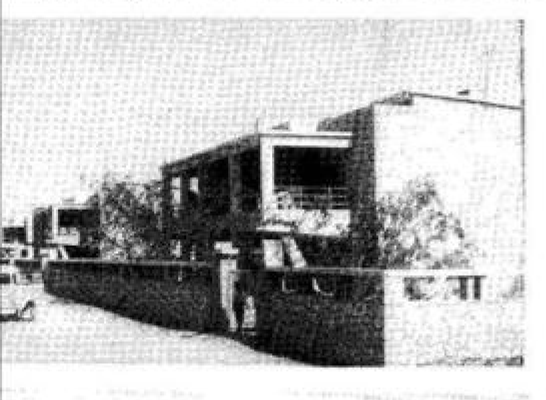
جئنا اليها قادمين بالطائرة من القاهرة في ساعتين تقريبا .. فكان لقاؤنا الاول بها من الجو ، من وراء نافذة الطائرة الصغيرة ، عندما اعلنت المضيفة اننا بدأنا نستعد للهبوط .. وكان منظرا رائعا ذلك الذى شهدناه .. منظر لقاء البحر بالصحراء الهادئة .. هذا اللقاء الذى صنعته الطبيعة واكملته يد الانسان .. لقاء ساكن الصحراء الهادئة بالوافدين الى البحر ليصنعوا الحياة الجديدة على شاطئه .. لقاء البدو بالحضر .. ذلك اللقاء الذى طالما حاربه الاستعمار ووضع في طريقه العقبات والعراقيل ..

ولكن قبل أن نواصل حديثنا عن هذا اللقاء

خريطة تبين موقع مدينة مرسى مطروح ، عاصمة محافظة مطروح،وهى تبدأ من الكيلو ٣٢ غربى الاسكندرية حتى مدينة السلوم على حدود مصر عند التقائها بليبيا . أما حدود المحافظة جنوبا فتمتد لمسافة تتراوح بين ٤٠ و ٦٠ كيلو متر داخل الصحراء .



فوق : منظر عام لجانب من المدينة من فوق تل مرتفع يشرف عليها . والى اليسار ، مجموعة من الفلات الحديثة ، وقد شيدت وفقا لنظام هندسي جميل على نسق واحد. وتميزت شوارع مرسى مطروح بالاتساع والنظافة وأصبحت تضاء كلها بالكهرباء ، كما ترى في الصورة الى اليسار .





نتوقف قليلا لنقدم لك هذه المدينة التي طارت اليها بعثة العربي كجزء من جولاتها لتعريفك بوطنك العربي الكبير .. انها تقع على بعد ٥٠٠ كيلو متر من القاهرة و ٢٨٠ كيلو متر من الاسكندرية ، وهي في منتصف الطريق تقريبا من الاسكندرية الى السلوم على حدود مصر عند التقائها بليبيا . والسيارة تقطع الطريق ما بين الاسكندرية والسلوم في نحو ثلاث الى اربع ساعات وهو طريق ممهد ، اما القطار فيقطعه في ست ساعات .

طريق أثري

وليس هذا الطريق حديث العهد ، كما يتبادر الى ذهن الكثيرين ، فهو طريق اثرى صنعه المصريون القدامى ، وسار فيه الاغريق والرومان ، كما سار فيه العرب في طريقهم لبلاد المغرب ومنه جاء الفاطميون من الغرب لفتح مصر .. وقد ذكره



فندق ريم ، احد فنادق الدرجة الاولى وهو يشرف على البحر مباشرة ، ويجرى العمل الآن في بناء فندق سياحى عالمى .

في قاعة الطعام باحد معسكرات الخيام المنتشرة على الشاطىء ، جلس المصطافون يتناولون طعام الافطار على انغام الموسيقى الهادئة .

تعتنى ادارة المعسكرات بتوفير قاعات وشرفات في مبانيها للتسامر وقضاء اوقات الفراغ .. وفي الصورة العليا ، لفيف من المصطافين يرقبون مباراتين أحداهما في النرد والاخرى في الشطرنج ، بينما جلست بعض السيدات في الشرفة المطلة على ملاعب المعسكرات (الصورة السفلى) يتجاذبن اطراف الحديث .

المؤرخون والرواد في مؤلفات قديمة عديدة .

وهذا الطريق لا يقف نفعه عند السلوم ، وانما يمتد من ليبيا الى مدينة طرابلس مارا ببنغازي.

محافظة مطروح

وتضم محافظة مطروح برج العرب وابو صوير والعلمين وسيدى عبد الرحمن والضبعة وفوكه ومرسى مطروح ، موضوعنا اليوم ، ثم سيدى برانى فالسلوم ، اما حدود المحافظة من الجنوب فهي غير واضحة المعالم اذ انها تمتد لمسافة تتراوح بين ٤٠ و ٦٠ كيلو متر داخل الصحراء الغربية .

مصيف كان نائما

ونعود الى مصيف مرسى مطروح ..

ومنذ سنوات ليست ببعيدة ، كان هـذا المصيف الجميل يغط في نوم عميق ، لا يصحو منه الا لفترة محدودة خلال اشهر الصيف القصيرة لاستقبال اعداد قليلة من المصطافين الذين يبحثون عن الهدوء على شواطئه ، تلك الشواطيء التى تتميز بخلوها من الرطوبة ، وبالوان مياه البحر الزاهية الجذابة من فيروزي أخضر وازرق صاف.. ثم بنعومة الرمال البيضاء النقية التي تغطي شواطئها فتضفي عليها جمالا فوق جمال ، وكأنها لوحة رائعة من صنع فنان اصيل ..

الباحثون عن الهدوء

لقد جاء اول الباحثين عن الهدوء وجمال الطبيعة في شواطيء مرسى مطروح في عام ١٩٤٨ في هذا القرن عندما اقام النادى الاهلي بالقاهرة ، اول معسكر له فوق رمالها البيضاء .. وفي صيف هذا العام نفسه بدأ بعض الافراد يرتادونه بسياراتهم ويقيمون في الخيام التى ينصبونها على الشاطيء .. ومضت اربع سنوات ثم بدأ الصيف يستقبل رحلات جماعية منظمة استمرت حتى عام ١٩٥٦ ، وهو العام الذى كان بداية ظهور مرسى مطروح في شكلها الحالي ، كمدينة هادئة ومصيف جميل يسعى اليه كل من يبحث عن الراحة والاستجمام بعيدا عن صخب المدن الكبيرة وضوضائها .. حتى هدير موج البحر لا وجود له فيها .. فالريح تمس شواطئها في رفق ودعة بفضل الصخور الطبيعية التي تحمي مدخل ميناء مرسى مطروح الصغير .. فاذا طغى البحر وارتفعت مياهه بفعل المد ، لم يجد ما يفعله اكثر من تغطية البحيرات الصغيرة المنتشرة حول الميناء والتى تفصل بينها الحواجز الرملية ، فلا تلبث المياه أن تغمر تلك الحواجز ، وتصبح البحيرات كلها

تحرص ادارة المعسكرات في المصيف على الترويح عن الشباب وملء أوقات فراغهم وتشجيع الروح الرياضية بينهم ، فتقيم يوما رياضيا مرة أو مرتين في الاسبوع تشترك فيه كل الفرق الرياضية وتجرى المباريات في كرة السلة والكرة الطائرة وغيرهما ، وتوزع الجوائز على الفرق الفائزة .





منظر عام لمعسكر من معسكرات الخيام التي تقيمها الشركات والمؤسسات في مرسى مطروح لتسهيل مهمة الاصطياف للعاملين فيها . ويضم كل معسكر ما بين ٥٠ و ١٠٠ خيمة ، زودت بكل وسائل الراحة .

بحيرة واحدة واسعة مليئة بمياه البحر الزرقاء الصافية .

دبيب الحياة

هكذا بدأت الحياة تدب على الشاطيء النائم منذ عشرين عاما تقريبا .. ولكنه كان دبيبا قصيرا لا يلبث ان يزول بانقضاء اشهر الصيف الحارة ، فتعود المدينة الى اغفاءتها ، فلا تصحو منها قبل حلول صيف العام التالي وهكذا .. ثم لا يبقى فيها سوى فئة من الناس استقروا في المدينة وقاموا بالتجارة فيها ، ما بين كل ما احاطهم من البلاد ، فتاجروا في الاغنام والاصواف ، وبعض السلع الاستهلاكية الاخرى كالسكر والشاى . واتصلوا بتجارتهم مع مصر والسودان والمغرب العربي وغيرها من البلدان . ولا بد من الاشارة هنا الى العرب الرحل الذين كانوا يطوفون الصحراء يرتادون فيها العشب والماء لماشيتهم .. وكان منهم قبائل « اولاد علي » الذين جاءوا الى مصر وانتشروا في الصحراء الغربية المصرية منذ اربعة قرون من الزمان او تزيد ، واتجهوا الى ليبيا وغيرها من الصحراوات المجاورة . فهؤلاء كان حظ مرسى مطروح منهم غير قليل ، فكثير منهم من وجد المرعى والماء عند هذه المدينة فطابت لهم الاقامة فيها حينا بعد حين .

ولنعد الى حديثنا عن مرسى مطروح اليوم . ترى كيف اصبحت هذه المدينة ، وكيف امسى مصيفها بعد ان امتدت اليهما يد الرعاية والاصلاح ، ثم ما هي قصة اللقاء بين عرب مطروح وسكان المدينة الجدد ؟

لقد تبدل الحال وتغير .. تحولت مرسى مطروح الى مدينة حديثة ، قامت فيها الفيلات والعمارات السكنية والفنادق والشاليهات .. وقد شيدت كل مبانيها وفقا لنظام هندسي جميل ، وتميزت شوارعها بالاتساع والنظافة ، وجاءت اليها المياه الحلوة عبر مواسير طويلة ممتدة من الاسكندرية ، قاطعة مسافة تزيد على ثلاثمائة كيلومتر بمحاذاة شاطيء البحر ..

٣٠ الف نسمة

ثم دخلتها الكهرباء في عام ١٩٦٣ ، معلنة بداية عهد جديد في المدينة التي كانت تعتمد حتى ذلك الوقت على الكيروسين في الاضاءة .

فقد اقيمت بها محطة لتوليد الكهرباء ، يصل اقصى حمل لها الى ٢٠٠٠ كيلوات ساعة ، وهي طاقة كبيرة تزيد على حاجة المدينة بكثير ، اذ روعى في تصميم المحطة ، قدرتها على مواجهة التوسع العمراني مستقبلا بعد ان اصبحت المدينة تضم الان ٣٠ الف نسمة ، يرتفعون في موسم الصيف الى ٤٠ الفا وربما اكثر من ذلك في بعض الاحيان

ومن اجل هؤلاء المقيمين والوافدين الى مصيف مرسى مطروح ، قامت المحافظة بتنفيذ سلسلة من المشروعات الجديدة التي تستهدف توفير كل وسائل الراحة للسكان الجدد من العاملين في مختلف القطاعات والمرافق . ومن بين هذه المشروعات توفير سيارات نقل كبرى ، لجلب المواد



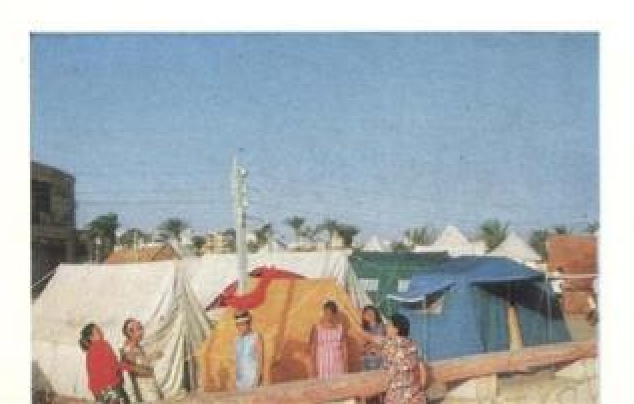
الى اليسار : امام باب خيمتها وقفت تنادي صديقتها .. والخيمة هي بيت المصطافين في مرسى مطروح ، وقد زودت بكل وسائل الراحة .

تحت : نزهة في زورق شراعي فوق سطح المياه الهادئة ، وتأمل في المياه الصافية .. ومن بعيد تظهر صخور بيضاء تكلست فحمت الشاطيء من الاعاصير والامواج .

فوق : الى البحر في ساعات الصباح الاولى ، وقد حملن قارب المطاط الذى سيحمل اجسامهن الصغيرة ويطفو بها فوق الماء .. وما اجمل منظر الشروق على صفحة مياه البحر في مرسى مطروح!



الى اليسار : خيام من كل لون .. وتستطيع ان تنصب خيمتك في اى مكان يطيب لك على الشاطىء .. فالخيام هي الطابع المميز لهذا المصيف ، الذى بدا بخيمة واحدة منذ عشرين عاما .



الى اليسار . معسكر خيام القوافل .. وكل ما تحتاج اليه للاقامة فيه هو « بيتك » الصغير او خيمتك ، ثم الفراش الذى ستنام عليه والادوات التى ستطهو بها طعامك .. وهذا النوع من المعسكرات منتشر في جميع انحاء اوربا .

الغذائية والتموينية من الاسكندرية فتصل السيارات يوميا محملة بالخضروات والفواكه واللحوم الطازجة .

كما قامت ببناء مستشفى كبير يتسع لخمسين سريرا ، ويضم عيادتين احداهما خارجية واخرى داخلية ويعمل فيه نخبة من خيرة الاطباء .

معسكرات للمصطافين

ومن بين هذه المشروعات ايضا تخصيص اماكن للمصطافين الذين يأتون في مجموعات لقضاء اشهر الصيف الحارة باقل نفقات ممكنة . وقد اعدوا لهم المعسكرات التي نصبت فيها الخيام على الشاطىء مباشرة .

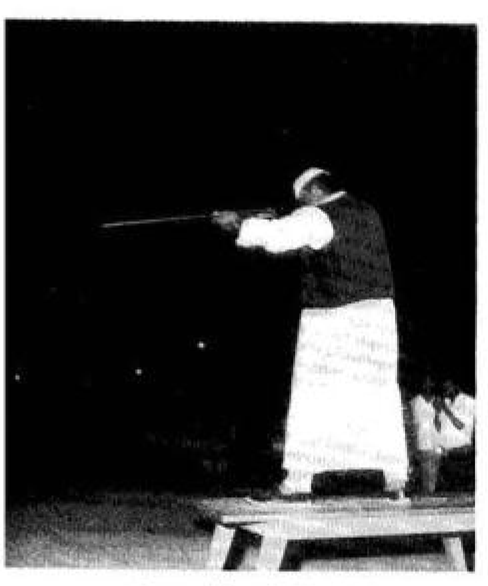
وكانت الفكرة من انشاء مثل هذه المعسكرات ، تيسير الاصطياف للعاملين في الشركات والمؤسسات واسرهم .. ومن بين هذه المعسكرات معسكر نادي طلعت حرب .. وهو ناد خاص يضم العاملين في بنك مصر وشركاته .

وهذا المعسكر دائم طوال اشهر الصيف ، والخيام الموجودة به ملك للنادى ، الذى يضم حمامات للمصطافين وقاعات كبيرة لتناول الطعام والشاى ، وعنابر لسكنى العمال الذين يسهرون على خدمة المصطافين وراحتهم .

خيمة لكل اسرة

اما خيام المعسكر فكلها مجهزة بالاسرة ودواليب الملابس ، والموائد والمقاعد ، وقد فرشت ارض الخيام بالحصر لامتصاص الرمال ، كما تقوم فرق الصيانة والنظافة برشها بالمبيدات يوميا لقتل الحشرات .

ويدفع العضو او اي فرد من افراد اسرته ١٥٠ قرشا نظير الاقامة الكاملة في اليوم ، وهي تشمل الوجبات الثلاث التى تقدم في قاعة الطعام في مواعيد محددة . كما يجوز للاعضاء دعوة اقاربهم مقابل زيادة طفيفة تبلغ ٢٥ قرشا للفرد الواحد . اما الضيوف الاغراب فيدفعون جنيهين. ومثل معسكر نادى طلعت حرب ، معسكرات اخرى كثيرة تنتشر على طول الشاطىء ، وهي تابعة لمختلف الشركات والمؤسسات التى تيسر لموظفيها مهمة الاصطياف . وكلها معسكرات من الخيام



عربي يحاول اصابة طبق طائر برصاص بندقيته .. وتطلق الاطباق بآلة خاصة لم تسلط عليها الكشافات في انطلاقها وهبوطها ، وفي تلك اللحظات يحاول الرماة اصابتها قبل أن تغوص في مياه البحر .

● ● ● ●

وجه عربي من مرسى مطروح .. انه عمدة قبيلة الجميعات ، ومن العناصر العربية المثقفة التى تشغل مناصب ادارية وتوجيهية في المحافظة ، جلس يحدثنا عن رجال قبيلته وعن حياتهم الجديدة .





سكن الاعراب المنازل المشيدة بالطوب بعد ان استقر بهم المقام ، وتحولوا الى الزراعة .. ولكنهم لم ينسوا خيامهم .. فهم يأوون الى بيوتهم المبنية، في الشتاء ، حتى اذا ما جاء الصيف سارعوا الى خيامهم ينصبونها بجوار منازلهم ، فهي ما زالت خير مكان لاستقبال ضيوفهم وعقد مجالسهم .

التى روعى في تصميمها ان تكون مزودة في جزئها العلوى بفراغ يتخلله الهواء البارد حتى لا تؤثر اشعة الشمس على جو الخيمة فتزيده حرارة .

مصيف قناة السويس

والمعسكر الوحيد الذى آثر ان يشيد لرواده مباني ثابتة بدلا من الخيام ، هو معسكر أو مصيف هيئة قناة السويس ، وقد انشيء في عام ١٩٦٣ ، وتكلف بناؤه واعداده ٧٠ الف جنيه . ويضم هذا المعسكر ٢٥ شاليها ، جهز كل منها بسريرين او ثلاثة طبقا لحاجة افراد الاسرة التى تقيم فيه ، كما زود بدولاب للملابس . وفي كل شاليه حمام خاص به .

وقد شيدت هذه الشاليهات في صفين متقابلين بينهما ملاعب للكرة الطائرة ، وكرة السلة، ويشرف عليها المبنى الرئيسى الذى يتألف من ثلاثة طوابق، تضم المطبخ والمطعم والكافيتريا وقاعات وشرفات لتناول الطعام والجلوس للتسامر وتناول الشاى ولعب الورق والطاولة . كما يحوى الطابق الارضى مخازن للمواد الغذائية ، وثلاجة كهربائية ضخمة لحفظ اللحوم والاسماك والفواكه باردة .

نادى قناة السويس .. انشىء في عام ١٩٦٣ وتكلف بناؤه ٧٠ الف جنيه .. وهو مصيف خاص بالعاملين في هيئة القناة .

مباراة في الكرة الطائرة بين المصطافين في الملاعب التى اقيمت وسط الشاليهات .. وكل شاليه يضم غرفة فسيحة وحماما خاصا .





منظر عام لمصيف هيئة قناة السويس وقد ظهر فيه المبنى الرئيسي الذى يضم قاعات الطعام والشرفات التى يقضي فيها المصطافون اوقات فراغهم .. اما الصورة السفلى فتمثل زوجين في غرفتهما داخل الشاليه ، وقد انصرفا الى احدى العاب التسلية وقتل الوقت .

جنيه في اليوم

وهذا المعسكر خاص بالعاملين فى هيئة قناة السويس وعائلاتهم ، وهم يأتون اليه مع افراد اسرهم فى افواج يضم كل فوج منها مائة شخص ، ويدفع كل فرد مبلغ جنيه واحد عن كل يوم مقابل الاقامة الكاملة ، اى النوم والوجبات الثلاث .. والواقع ان الفرد يتكلف اكثر من هذا المبلغ ، ولكن هيئة قناة السويس تتحمل هذه الفروق ، وهي تعتبر هذا المصيف ناديا من نواديها المنتشرة فى مدن القناة الثلاث ـ بور فؤاد والاسماعيلية وبور توفيق .

وهناك اجر مخفض للاطفال من سن اربع سنوات حتى الرابعة عشرة ، كما ان هناك اجرا خاصا للضيوف من غير العاملين فى الهيئة الذين يدفع الواحد منهم مبلغ ٢٥ جنيها مقابل الاقامة لمدة خمسة عشر يوما .

ولكن هل معنى هذا ان الضيف يجب ان يرحل بعد هذه المدة ؟

والجواب بالايجاب .ولا ينطبق هذا على الضيوف وحدهم ، بل على كل من فى هذا المعسكر وفى غيره من المعسكرات الأخرى التابعة للشركات والمؤسسات حتى يعطوا الفرصة لافواج جديدة للتمتع بالمصيف.

احمل بيتك وفراشك

وفى مرسى مطروح معسكرات من نوع آخر ، اسموها معسكرات « خيام القوافل » Caravan Tent وقد اقيمت فى اماكن خاصة بمنطقة تعرف باسم شاطىء النخيل .. وكل ما تحتاج اليه للاقامة فى هذا المعسكر هو « بيتك » الصغير الذى ستقيم فيه ، او خيمتك بمعنى اصح .. وكذلك الفراش الذى ستنام عليه ، والادوات التي ستطهو بها طعامك ، ومبلغ خمسة وعشرين قرشا تدفعها يوميا مقابل استخدامك للمرافق العامة الموجودة داخل المعسكر من حمامات ومطابخ وقاعات لتناول الطعام واستهلاكك للمياه والكهرباء .وقد خصصت بعض هذه المعسكرات للعائلات واخرى للعزاب . هي من نوع المعسكرات المنتشرة في جميع مصايف اوربا .

اسرة واحدة

ويعيش رواد المعسكرات فى مرسى مطروح وكأنهم اسرة واحدة ، يذهبون الى الشاطىء معا ، ويعودون منه معا ، ويتناولون طعامهم معا .. حتى اذا ما جاء الليل جلسوا يتسامرون ويرفهون عن انفسهم فى الحفلات الساهرة التي تقام لهم يوميا ويشترك فى احيانها فرق خاصة تصل من القاهرة وتدفع لها ادارة المعسكرات اجرها ، كما يشاهدون كل يوم فيلما سينمائيا جديدا .

وفى الوقت نفسه تقوم ادارة المعسكرات بتنظيم رحلات سياحية للرواد الى معالم مطروح ، كما تحرص على اقامة المباريات الرياضية فى الكرة الطائرة وتنس الطاولة وكرة السلة وتدعو الفرق

أشجار الزيتون في منطقة القصر .. وهي منطقة تبعد عن المدينة نحو عشرة كيلومترات .. وفيها أقامت مصلحة البساتين التابعة لوزارة الزراعة احدى مزارعها التجريبية لتحسين أصناف المزروعات وتجويدها



الرياضية الموجودة فى المعسكرات الاخرى للاشتراك فى اليوم الرياضى الذى يقام مرة كل اسبوع ، حيث تجرى المباريات بين الفرق الرياضية من الهواة ، نزلاء المعسكر ، وبين الفرق المدعوة ، التي كثيرا ما تترك شرف الفوز لمضيفيها حياء وتأدبا !

المشى .. رياضة المصطافين

والمشي هو الرياضة المحببة لكل المصطافين فى مرسى مطروح .. فترى الشيوخ والشباب والنساء والاطفال وقد استيقظوا فى ساعة مبكره من الصباح ليمارسوا رياضتهم المفضلة على طريق الكورنيش، الذى لا يزيد طوله على الكيلومترين ، فاذا تعبوا ركبوا « الكاريتا » .. وهي عربة صغيرة يجرها حمار وتتسع لستة اشخاص .. وتعتبر الكاريتا هي وسيلة المواصلات الوحيدة فى المدنية . فهي التي تنقلك الى السوق ، وهي التي تنقلك انت وحقائبك من محطة القطار الى الفندق او المعسكر الذى تنزل فيه .. وهيالتي تنقلك اخيرا فى رحلات قصيرة للتنزه ومشاهدة معالم المدنية .

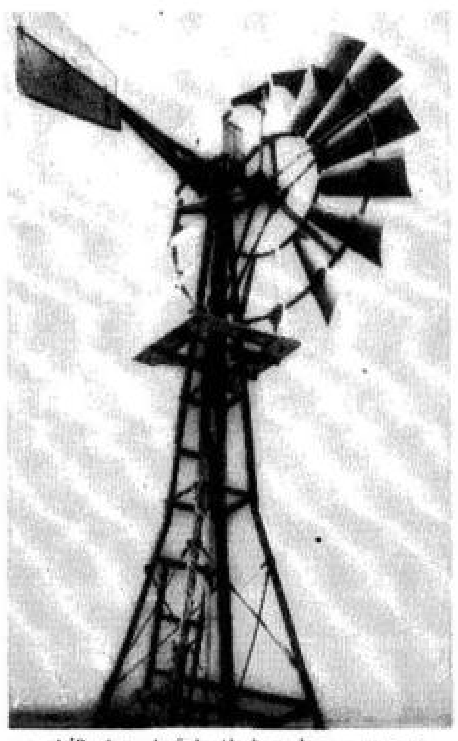
والمكان الوحيد الذى لاتستطيع ان تصل اليه « الكاريتا » هو المطار الذى يبعد عن المدينة بضعة كيلو مترات ، ومن اجل هذا وضعت شركة مصر للطيران عددا من سياراتها لنقل ركاب الطائرة من المطار الى المدينة وبالعكس .

اربع رحلات

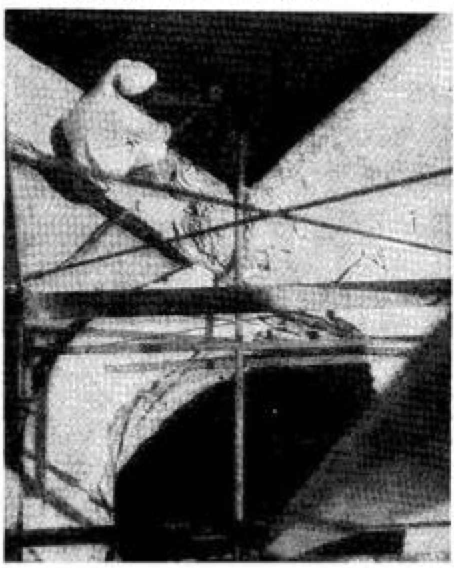
وتقوم طائرات شركة مصر للطيران باربع رحلات اسبوعيا من القاهرة الى مرسى مطروح ، وهي دائما كاملة العدد فى الذهاب والعودة . فتقوم الطائرة التي تتسع لثلاثين راكبا من القاهرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر وتصل مرسى مطروح فى الخامسة بعد ان تهبط فى مطار الاسكندرية . ثم تعود الطائرة نفسها الى القاهرة فتصلها فى الساعة الثامنة والربع مارة بالاسكندرية ايضا .

توطين العرب الرحل

ونعود الان الى الحديث عن المجتمع الجديد فى مرسى مطروح . والى اللقاء الذى تم بين عرب الصحراء وسكان المدينة الجدد . لقد كان هدف



تعتمد مرسى مطروح في الزراعة على مياه الآبار .. وبعض هذه الابار يرجع تاريخهاالى العصر الروماني، والبعض الاخر تم حفره حديثا .. وقد أقاموا المراوح الهوائية فوق هذه الابار لرفع المياه (كما في الصورة العليا) . وفي الصورة السفلى بئر حديث تم حفره بعد التأكد من صلاحية مياهه وصلاحية الارض التى تحيط به للزراعة .



الفلات الحديثة التي شيدت على طريق الكورنيش المطل على البحر وقد توقفت حركة البناء مؤقتا حتى ينتهي العمل من اعادة تخطيط مدينة مرسى مطروح على أساس جديد .

••••

محطة السكة الحديد وقد ازدحمت بالوافدين الى المصيف ، ويقوم القطار بثلاث رحلات يوميا من الاسكندرية الى مرسى مطروح وبالعكس ويقطع المسافة وقدرها ٢٨٠ كيلومتر في ست ساعات .



مصنع الثل
والتبريد، وينتج
اليوم الواحد
بلاطة ، وفي المص
اربع غرف لحف
الخضروات والل
والاسماك التي
يوميا بسيا
النقل من الاسكند



« الكارتا » و
وسيلة المواص
الوحيدة في مر
مطروح . انها
عن عربة
تجرى على عجلت
ويجرها حما
وتتسع ل
اشخاص . ويه
المصطافون رك
الكارتا الى تنق
في نزهة عل
الكورنيش
الامسيات

الى اليسار : العمارات السكنية الحديثة ، وقد شيدت أخيرا لسكنى الموظفين والعمال الذين جاءوا ليصنعوا الحياة الجديدة في مرسى مطروح .





في مدرسة لتحفيظ القرآن ، شاء المعلم أن يخرج بتلاميذه من أبناء العرب الصغار ، الى الهواء الطلق ويردد معهم آيات بينات من كتاب الله .

● ● ● ●

اقامت المؤسسة العامة لتعمير الصحارى مزرعة لتربية الدواجن في مرسى مطروح ، وكان الغرض الاساسي من انشائها هو نشر تربية الدواجن بين العرب .. وتباع الكتاكيت بأسعار زهيدة طبقا لسنها ووزنها

المسئولين دائما ، منذ بدأ الاهتمام بهذا المصيف ، هو توطين القبائل العربية المنتشرة في صحرائه وتخليصها من حياة الترحال والسعي الدائب وراء الماء والغذاء ، وتوفير حياة افضل لهم ولاولادهم عن طريق اقناعهم بالاقتراب من الحياة في المدن والاختلاط بها والانصهار فيها..وكان لابد لتحقيق هذا الهدف من مساعدة العربي وتشجيعه على الارتباط بالارض التي يعيش عليها .. ولكي يرتبط الانسان بالارض فلابد ان يشعر بانها قد اصبحت ملكا له . وانها لم تعد ارضا قاحلة ، وانما هي ارض طيبة طالما انه يعمل فيها ويخلص لها ، فوزعوا عليهم الارض بعد استصلاحها ، وحفروا الابار الارتوازية واقاموا المراوح لضخ المياه من اعماق الارض ، وبدأ العمل في زراعة انواع من الاشجار والنباتات التي تتحمل العطش . فزرعوا الزيتون والتين واللوز والنخيل . ثم قامت عدة تجارب لتحسين اصناف المزروعات تحت اشراف مصلحة البساتين بوزارة الزراعة ، واقيمت المزارع التجريبية في قطاعات مختلفة من المحافظة ، ومن بينها منطقة القصر التي تبعد عن مرسى مطروح بحوالي عشرة كيلو مترات .. وقد سميت بهذا الاسم لانها شهدت اول منزل يشيد من دورين فيها ، فاسماه العرب القصر ، وسميت المنطقة باسمه .





في سوق المدينة يجد المصطافون كل ما يحتاجون اليه من ملابس ولوازم للمصيف ، ومواد غذائية من لحوم وخضروات وأسماك ومعلبات . . وتصل كل هذه السلع الى مرسى مطروح بالسيارات سواء من داخل الجمهورية أم من خارجها .

وهكذا انتقل العربى من الرعي والترحال الى الزراعة والاستقرار . .

دور سكنية

ثم كان لابد بعد هذا من توفير الخدمات العامة والرعاية لهؤلاء الناس الذين ربطوا مصيرهم بمصير الارض فانشأوا لهم الدور السكنية ، والمراكز الاجتماعية والوحدات والمستشفيات الصحية ، والمدارس لمكافحة الامية . . وامنوهم على ارواحهم ، واعترفوا بعاداتهم وتقاليدهم ، واشركوهم فى التنظيمات الادارية فى المناطق التي يعيشون فيها . .

اتفاقيتان دوليتان

وتم عقد اتفاقيتين دوليتين بين الجمهورية العربية المتحدة والامم المتحدة ممثلة فى منظمة الاغذية والزراعة ، والاولى خاصة بتوطين البدو وتوزيع مواد المعونه التي تقدمها المنظمة بالاشتراك مع الجمهورية على مدار السنة .

اما الاتفاقية الثانية فهي خاصة بتحسين الثروة الحيوانية فى جميع ارجاء مرسى مطروح ومختلف ارجاء المحافظة حيث يوجد ما يقرب من نصف مليون رأس من الغنم منتشرة فى مختلف القطاعات .

ولو تركت هذه الماشية للمراعى الطبيعية التي تعتمد على مياه الامطار ، فقد يعنى هذا انقراضها اذا توقف سقوط المطر لمدة عامين متتاليين او اكثر . . وهو أمر محتمل الحدوث . . من اجل هذا عقدت الاتفاقية للمحافظة على الثروة الحيوانية وتنميتها عن طريق توزيع الاعلاف ، بعد القيام بعملية الحصر الفعلية للاغنام التي يمتلكها كل مرعى ، وتقديم علف يكفي ماشيته لمدة شهرين او ثلاثة طبقا لحالة الجفاف .

١٠٤٧ مروحة هوائية

وقد قامت المؤسسة المصرية العامة لتعمير الصحارى بدورها فى هذا الميدان ، وزاولت نشاطها بالفعل فى عام ١٩٥٩ ، ثم شيدت مقرا لها فى مدينة مرسى مطروح فى عام ١٩٦٤ ، وتنحصر اهتماماتها ونشاطاتها فى صيانة المراوح الهوائية او «السواني» جمع « سانية » كما درج البدو على تسميتها . والسانيات فى اللغة هي السافيات ، وهناك ما يقرب من ١٠٤٧ مروحة هوائية منتشرة من الاسكندرية حتى السلوم . ولا يتم تركيب المروحه الا بعد التأكد من صلاح مياه البئر للزراعة والشرب . وكذلك التأكد من صلاح الارض المحيطة بها للزراعة . كما تقوم المؤسسة ايضا باعداد وتطعيم وتجهيز

فوق : أشجار النخيل تنمو بكثرة في مناطق متفرقة من مرسى مطروح .. وبعضها يزاحم المصطافين على الشاطىء ، فيستظلون بها ويأكلون رطبها في الصيف .. وينصبون تحتها خيامهم .

• • • •

عرب مرسى مطروح وقد حملوا بنادقهم استعدادا للاشتراك في مباراة لاصابة الاطباق الطائرة .. التى تستخدم هدفا يصاب في نوادى الرماية . انهم جميعا من اعضاء نادى الرماية الذى يقيم لهم مباراتين كل اسبوع توزع فيها الجوائز على الفائزين ..

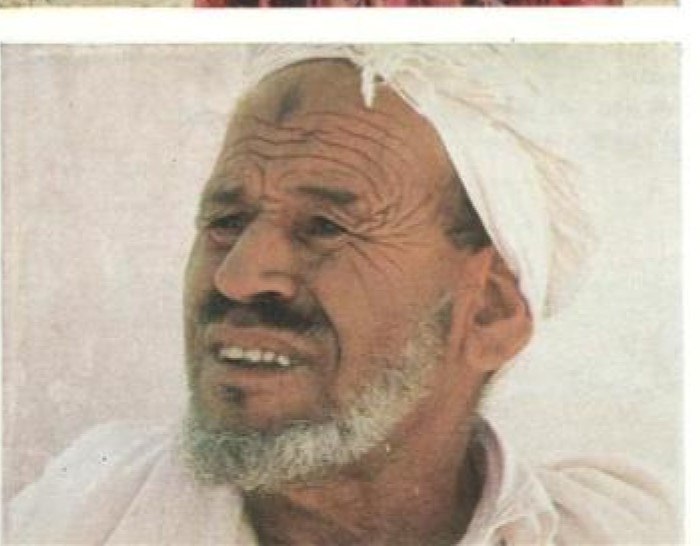


مجموعة من اشجار الزيتون الذى نجحت زراعته في مرسى مطروح ، ويجرى العمل الآن في بناء معصرة لاستخراج زيت الزيتون .



الى اليسار : امرأة عربية بالملابس القومية، تنظر الى الافق تستشرف احد ابنائها من بعيد .. لقد ارتبطت بالارض التي تعيش فوقها وتركت حياة الترحال ، وبدات تستقر في ربوع هذه المدينة التي قامت في قلب الصحراء الواسعة .

شيخ عربي ، اختار التدريس مهنة له ، انه يجمع اطفال العرب امام داره كل يوم ويعلمهم القراءة ويحفظهم القرآن ، حتى يبلغوا سن دخول المدرسة .





يتخل عن خيمته فتجده في الصيف وقد نصبها بجوار بيته ، ليجلس فيها ويشرب الشاي ، ويعقد فيها مجالسه .

وهكذا ترك العربي الرعي ليفلح الارض ويزرعها، ولم يعد ابناؤه يسيرون وراء الاغنام سعيا وراء المرعى، فقد دخلوا المدارس والتفوا حول معلمهم يرددون : « العلم نور »

انها تجربة في توطين الاعراب وتثبيتهم ناجحة نافعة

قانون العرب باق

ثمة شيء واحد لايرضى الاعراب له بديلا ، الا وهو تلك العادات والتقاليد التي توارثوها منذ قرون بعيدة .. والسلطات المسئولة تعترف بعاداتهم وتقاليدهم وتشجعهم على التمسك بها ، فحق الدم عند العرب مكفول ، وحق الدخيل معترف به ، وحق الجار وحق الضيف وحق الدية من حقوق العربي التي لاينازعه عليها احد ..

قال لنا مسئول في المحافظة : « ان هذه العادات والتقاليد عند هؤلاء القوم الذين اشتهروا بالشجاعة والصدق والوفاء ، هي خير وسيلة فعالة وسريعة لحل المشاكل التي تقوم بينهم وبين بعضهم البعض، سواء كانت على مستوى الافراد ام القبائل . ان تقاليد العرب هي التي تحكم بين العرب وبين بعضهم البعض والقانون عندنا لا يتدخل الا اذا طلبواهم منه التدخل »

هذه لمحة سريعة عن مرسى مطروح ، المصيف الهادىء الذى ينام مع غروب الشمس ، ويصحو مع شروقها .. والشاطىء الحالم الذى يأتي اليه الناس سعيا وراء الراحة والهدوء .. فيدفنون متاعبهم تحت رماله البيضاء الناعمة ويغرقون همومهم في مياه بحره الدافئة . ■■

منير نصيف



مسجد مرسى مطروح ، وهو يتسع لالف من المصلين ، وهناك مسجد آخر ، أسموه المسجد الجديد ، وما هو بجديد فهو مسجد قديم عمدوا الى توسيعه وتجديده، وينتظر أن يفتتح في أوائل العام المقبل .

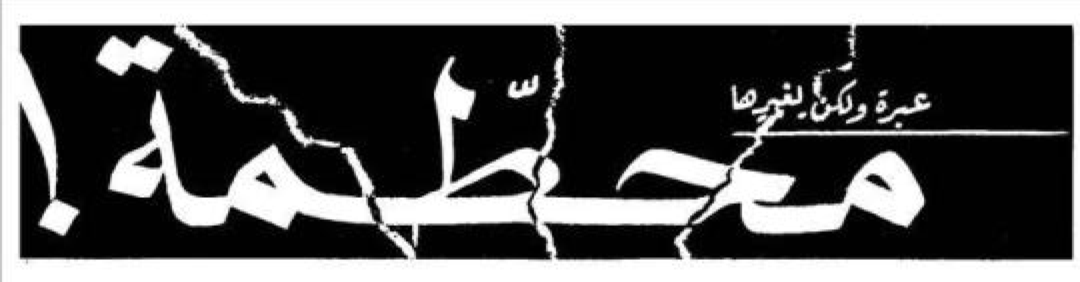
الشتلات اللازمة للزراعة من الزيتون واللوز والتين ، وكذلك فسائل النخيل ، وتوزيعها بعد ذلك على المزارعين العرب ..

وانشات المؤسسة مزرعة لتربية الدواجن ، وكان الغرض الاساسي من انشائها ، توعية العرب، ونشر تربية الدواجن بينهم..وتقوم المزرعة بتوزيع الكتاكيت عليهم ، مقابل قرشين او ثلاثة لكل كتكوت عمره يوم واحد .. ويبلغ انتاج هذه المزرعة سنويا ٧٠ الف بيضة و ١٥ الف كتكوت .

العلم نور

وهكذا انتقل العربي من الخيام ليعيش في البيوت المشيدة بالطوب والاسمنت ، ولو انه لم





■ ورفعتَ حاجبك الكثيفَ بدهشة ولعنتني
وصرخت في وجهي كأنك لم تكن أحببتني
وهتفت بي (هيا اخرجي) وبساعديك دفعتني
وشتمت يوم لقائنا ولعنت يوم عرفتني
قد أغضبتك زيارتي بانذل ما أدهشتني

★★★

وذهبتُ في جنح الظلام اخطّ دربي أدمعَا
وألوك ذكرى حبُّنا والدرب أصغي مَسْمعَا
وأمدّ في لهف الغريق إلى إلهي أذْرعا
حبْلَى أنا . واليأس يأكل مهجتي والأضلعا
والليل يلقي فوق وجهي من سوادٍ برقعا

★★★

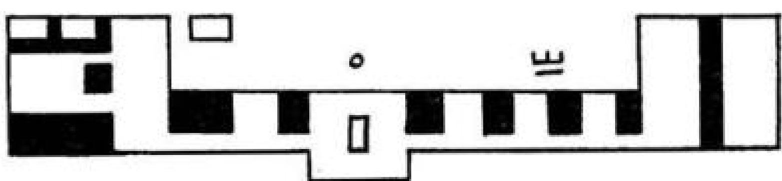
وغداً إذا كبر الجنين وضاق فستاني عليّه
ورأيت عيناً من أبي مرتابةً ترنو إليّه
ماذا أقول اذا سُئلت بأي أعذار شقيّه
سيموت من غمٍ أبي وأموت من عاري ضحيّه
ياليتني ماكنت بيضاءَ السريرةِ والطّويّة

★★★

كلفافة التبغ التي احرقتها احرقتني
وقذفت بي فوق الرصيف ودست قلبي دستني
اعطيتك الغالي لديَّ وأنت ما أنصفتني
العار يثقل خطوتي باذئب قد حطمتني
ياليتني ماكنت انثى ترتمي ياليتني ■■

جده : احسان البنى

أمراض شائعة



مـرض وليسـت دليـلاً عـلى

■ يعتقد البعض ان السمنة دليل على ان الجسم سليم وصحيح ، وخال من الامراض ، وهم في اعتقادهم هذا مخطئون . وفي اعتقادهم هـذا يأخذون بما كان يأخذ به الاوائل من اقوال مأثورة وعادات متوارثة وتقاليد معروفة . خذ من امثالهم « مكسال ونؤوم الضحى ! » دليل الغنى والثراء ومطلع هذه القصيدة :

ودع هـريـرة ان الـركب مرتحـل
وهـل تطيـق وداعـا ايهـا الرجل

الأوزان المثالية حسب

(١) الرجال

العمر / الطول (قدم بوصة)	١٥–١٩ رطل	٢٠–٢٤ رطل	٢٥–٢٩ رطل	٣٠–٣٤ رطل	٣٥–٣٩ رطل	٤٠–٤٤ رطل	٤٥–٤٩ رطل	٥٠–٥٤ رطل	٥٥– رطل	ملاحظات
٤ ١١	١١١	١١٧	١٢٢	١٢٥	١٢٧	١٣٠	١٣٢	١٣٣	١٣٤	باعتبار ان : القدم = ٣٠ سم البوصة = ٢٫٥ سم الكيلو جرام = ٢٫٢ رطل
٥ ٠	١١٣	١١٩	١٢٤	١٢٧	١٢٩	١٣٢	١٣٤	١٣٥	١٣٦	
٥ ١	١١٥	١٢١	١٢٦	١٢٩	١٣١	١٣٤	١٣٦	١٣٧	١٣٨	
٥ ٢	١١٨	١٢٤	١٢٨	١٣١	١٣٣	١٣٦	١٣٨	١٣٩	١٤٠	
٥ ٣	١٢١	١٢٧	١٣١	١٣٤	١٣٦	١٣٩	١٤١	١٤٢	١٤٣	
٥ ٤	١٢٤	١٣١	١٣٤	١٣٧	١٤٠	١٤٢	١٤٤	١٤٥	١٤٦	
٥ ٥	١٢٨	١٣٥	١٣٨	١٤١	١٤٤	١٤٦	١٤٨	١٤٩	١٥٠	
٥ ٦	١٣٢	١٣٩	١٤٢	١٤٥	١٤٨	١٥٠	١٥٢	١٥٣	١٥٤	
٥ ٧	١٣٦	١٤٢	١٤٦	١٤٩	١٥٢	١٥٤	١٥٦	١٥٧	١٥٨	
٥ ٨	١٤٠	١٤٦	١٥٠	١٥٤	١٥٧	١٥٩	١٦١	١٦٢	١٦٣	
٥ ٩	١٤٤	١٥٠	١٥٤	١٥٨	١٦٢	١٦٤	١٦٦	١٦٧	١٦٨	
٥ ١٠	١٤٨	١٥٤	١٥٨	١٦٣	١٦٧	١٦٩	١٧١	١٧٢	١٧٣	
٥ ١١	١٥٣	١٥٨	١٦٣	١٦٨	١٧٢	١٧٥	١٧٧	١٧٨	١٧٩	
٦ ٠	١٥٨	١٦٣	١٦٩	١٧٤	١٧٨	١٨١	١٨٣	١٨٤	١٨٥	
٦ ١	١٦٣	١٦٨	١٧٥	١٨٠	١٨٤	١٨٧	١٩٠	١٩١	١٩٢	
٦ ٢	١٦٨	١٧٣	١٨١	١٨٦	١٩١	١٩٤	١٩٧	١٩٨	١٩٩	
٦ ٣	١٧٣	١٧٨	١٨٧	١٩٢	١٩٧	٢٠١	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	



بقلم : الدكتور محمد أبو شوك

رئيس قسم الأمراض الباطنية بالمستشفى الاميري – الكويت

الصحة

غـراء فرعـاء مصـقول عوارضـها
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

فيصف حبيبته بانها مليئة الجسم تمشي في بطء وبصعوبة متناهية . « السمنة صحة » وغير ذلك من اقوال كانت لها صدى في نفوس بعض الناس مما يجعل معالجة هؤلاء صعبة وذلك لعدم الاقتناع بأن السمنة ضارة . فتسمع منها وهي تقول لك « طول عمري سمينة ، وأمي سمينة وكلنا في صحة جيدة والحمد لله – فلماذا اشكو الآن من هذا المرض او ذاك » .

وتلك تقول « لا عليك من السمنة » .

واقول « لقد اصبحت ركبتاك لا تتحملان حمل ذلك الوزن الثقيل وتصوري انك تحملين وزنا ثقيلا مدة اربعين او خمسين سنة فماذا تكون النتيجة ؟ » والرد سريع « طوال عمري سمينة ، فما عليك من السمنة هذا مرض في مفاصلي » وغير ذلك كثير من تساؤلات واجوبة ، ليس حولها حل لمشكلة بل تدور وتدور في حلقة مفرغة الى ان يأتي الوقت ويحس الشخص ذو السمنة المفرطة

الجنس والعمر والطول

(٢) النساء

العمر / الطول قدم بوصة	١٥–١٩ رطل	٢٠–٢٤ رطل	٢٥–٢٩ رطل	٣٠–٣٤ رطل	٣٥–٣٩ رطل	٤٠–٤٤ رطل	٤٥–٤٩ رطل	٥٠–٥٤ رطل	٥٥– رطل	ملاحظات
٤ ١١	١١٠	١١٣	١١٦	١١٩	١٢٢	١٢٦	١٢٩	١٣١	١٣٢	باعتبار ان : القدم = ٣٠ سم البوصة = ٢ر٥ سم الكيلو جرام = ٢ر٢ رطل
٥ ٠	١١٢	١١٥	١١٨	١٢١	١٢٤	١٢٨	١٣١	١٣٣	١٣٤	
٥ ١	١١٤	١١٧	١٢٠	١٢٣	١٢٦	١٣٠	١٣٣	١٣٥	١٣٦	
٥ ٢	١١٦	١٢٠	١٢٢	١٢٥	١٢٩	١٣٣	١٣٦	١٣٨	١٤٠	
٥ ٣	١٢٠	١٢٣	١٢٥	١٢٨	١٣٢	١٣٦	١٣٩	١٤١	١٤٣	
٥ ٤	١٢٣	١٢٦	١٢٩	١٣٢	١٣٦	١٣٩	١٤٢	١٤٤	١٤٦	
٥ ٥	١٢٦	١٢٩	١٣٢	١٣٦	١٤٠	١٤٣	١٤٦	١٤٨	١٥٠	
٥ ٦	١٣٠	١٣٣	١٣٦	١٤٠	١٤٤	١٤٧	١٥١	١٥٢	١٥٣	
٥ ٧	١٣٤	١٣٧	١٤٠	١٤٤	١٤٨	١٥١	١٥٥	١٥٧	١٥٨	
٥ ٨	١٣٨	١٤١	١٤٤	١٤٨	١٥٢	١٥٥	١٥٩	١٦٢	١٦٣	
٥ ٩	١٤١	١٤٥	١٤٨	١٥٢	١٥٦	١٥٩	١٦٣	١٦٦	١٦٧	
٥ ١٠	١٤٥	١٤٩	١٥٢	١٥٥	١٥٩	١٦٢	١٦٦	١٧٠	١٧٢	
٥ ١١	١٥٠	١٥٣	١٥٥	١٥٨	١٦٢	١٦٦	١٧٠	١٧٤	١٧٧	
٦ —	١٥٥	١٥٧	١٩٥	١٦٢	١٦٥	١٦٩	١٧٣	١٧٧	١٨٢	

الطـول : بدون حذاء

الوزن : بالملابس الداخلية بدون حذاء

بان طبيبه كان على حق ولكن بعد ماذا ؟ بعد ان اصبح مقيد الحركة ، او اصابه شلل ، او مرض بقلبه ، ساعتها يكون الندم بعد فوات الوقت .

متى يقال للشخص سمين

اتفق على ان الشخص سمين ويحتاج الى علاج عندما يختزن دهنا في جسمه يزيد معه وزنه (١٠٪) او اكثر ، فوق الوزن المثالي لشخص في سنه وطوله وجنسه ونوعه اى ذكر هو او انثى. ولقد عملت لذلك جداول كثيرة اخترت منها الجدول المنشور على الصفحتين السابقتين لسهولته.

السمنة مشكلة عالمية

والسمنة ليست مشكلة تخص بلدا دون الاخر انها مشكلة عالمية تشترك فيها الدول المتقدمة ، والدول النامية على حد سواء ، والملاحظ ان المشكلة في ازدياد في الدول المتقدمة وان النسبة دائما في ارتفاع رغم التقدم العلمي والثقافي في هذه الدول ورغم البحوث المتزايدة في هذا المجال . ولقد لوحظ على سبيل المثال في انجلترا ان السمنة لا تصيب الاغنياء فحسب بل تتعداهم وتزداد بين الفقراء ، ويرجع ذلك الى ان الفقراء يعتمدون كل الاعتماد على المواد النشوية في غذائهم لرخصها، وهذه تتحول في الجسم الى مواد دهنية تختزن وتتراكم في اجزاء مختلفة من الجسم مسببة السمنة المفرطة .

اسباب السمنة

وللسمنة اسباب متعددة ومتشعبة ، وليست مشكلتها بالامر السهل كما يظهر لاول وهلة . ان للمشكلة جذورا تتعمق وتتعمق ، وكلما تعمق الطب معها جرّته الى مشاكل اخرى تحتاج الى بحوث جديدة .

والاسباب الظاهرة لنا حتى وقتنا الحاضر تتلخص فيما يلي : ـ

اولا : علاقة السمنة بالمجهود العضلي

لقد لوحظ ان نسبة السمنة تقل الى حد كبير بين العمال والذين يقومون بمجهود عضلي شاق وتزداد نسبة السمنة بين الطبقة التى تقوم باعمال ليست مجهدة ، وبعد سن الاربعين حيث يقل النشاط العضلي وتقل الطاقة الحرارية المطلوبة من الجسم ، فتختزن المواد الغذائية ولا تستعمل في خلق هذه الطاقة وبالتالى تؤدى الى السمنة المفرطة .

ان المدنية بقدر ما اعطتنا من وسائل للراحة والنعيم ، اعطتنا في الوقت نفسه وسائل للخمول والكسل حتى ان البعض ليحلم ان تأخذه سيارته من باب غرفته ، بل قل من على سريره لتضعه امام مكتبه .

ثم هذه الاصناف من المأكولات والمشهيّات . كلها تحد من نشاطنا وتزيد من وزننا . وكأني بالرجل المترف الأكول وقد انتفخت اوداجه ، وغاص رأسه في رقبته القصيرة المكتظة ، وامتدت بطنه امامه ، وامتلأت اردافه ، وهو لا يريد حراكا اللهم الا عندما يقال له ان السيارة بباب المكتب الخلفي لتكون قريبة من المكان الذى يجلس فيه لتنقله الى منزله .

ثانيا : السمنة والاسباب النفسية

مما لا شك فيه ان الاضطرابات النفسية تجعل بعض السيدات تضع همها في الاكل وتأكل حتى دون ان تحس بالشبع ، وقد عملت احصائيات ووجدت ان نسبة السمنة تزداد بين غير الموفقات في زواجهن كما تزداد نسبة شرب المشروبات الكحولية بين الازواج التعساء .

ولعل احدنا ينبرى ويقول بل الانسان لا يجد شهية للاكل عندما يكون غير سعيد ، واقول ان ذلك في بادىء الامر ، وسرعان ما ينقلب الحال ، ويأكل المرء بشراهة لعل في ذلك ما يخفف من آلامه واحزانه، او كما قلت « يأكل دون ان يدرى » .

ثالثا : عاداتنا وتقاليدنا في الاكل

مما لا شك فيه ان عاداتنا وتقاليدنا في الاكل تلعب دورا كبيرا في زيادة نسبة السمنة بيننا . فلو استعرض الفرد منا ما يتناول من طعام طول يومه لوجد ان كمياته كبيرة ، وانواعه كثيرة ، والمهم

فى ذلك اننا نتناول طعاما يزيد على ما يتطلبه الجسم لبنائه ولحركته ، وتكون النتيجة الترهل والسمنة المفرطة . ثم نظرة الى الولائم التي نقيمها ، او ندعى اليها ، وما يقدم فيها من اطعمة شهية جذابة يسيل لها اللعاب ، فياكل منها الآكل ما يشتهي ويملأ بطنه بما لذ وطاب . واذا سالت احدهم عما ياكل قال معتذرا « انا لا افطر ولا اتناول اى عشاء ولكني لا انكر انى اتغدى غداء طيبا » ولو امعنا النظر فى هذا الغداء لوجدناه يكفي ويزيد عن وجبات كثيرة ومصادر للطاقة زائدة كثيرا عما يتطلبه الجسم يوميا . اضف الى ذلك الولائم التى يحضرها والتى يقيمها ، كلها تزيد وزنه ارطالا وارطالا .



وتحضرنى فى هذه المناسبة الآية الكريمة (كلوا واشربوا ولاتسرفوا) ، والحديث الشريف « ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه » ، والحديث « حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه . » ، والحديث « نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع ».

رابعا : تكرار الحمل عند السيدات

ان الحمل وما يتبعه من تطورات وظائفية يسبب زيادة فى وزن الحامل ، وذلك يرجع الى وزن الجنين الذى تضمه بين احشائها ، ثم لوحظ ان كمية الماء تزداد داخل الانسجة اثناء الحمل ، وكذلك تزداد كمية ما يختزن فى الجسم من دهن، لان الحامل تحتاج الى طاقة وغذاء اثناء فترة الرضاعة . ومن الطبيعي اذن ان تزول تلك الزيادة فى الوزن بعد فترة الرضاعة . ولكن لوحظ ان الوزن عند بعض السيدات لا يعود الى ما كان عليه بل يزداد مع كل حمل وبالتالي يزداد وزن الحامل كلما حملت ونراها بعد تعدد الحمل وقد زاد وزنها الى درجة كبيرة .

خامسا : عامل الوراثة

لعلنا نلاحظ ان السمنة تكون فى بعض افراد العائلة الواحدة . ويعتقد البعض ان الوراثة لها دخل في ذلك . ولكن يعتقد البعض الآخر ان هناك عامل استعداد للسمنة لا يُعرف كنهه ، بل عوامل مختلفة . وآخرون يقولون ان ذلك راجع لعادات العائلة فى الناحية الثقافية وعادات الاكل وغيرها من العادات الاجتماعية الاخرى التى تشجع على تناول وجبات من الطعام ضخمة .

سادسا : تاثير الغدد الصماء

لقد وجد العلماء ان بعض الغدد الصماء اذا زاد افرازها بسبب وجود ورم بها فان هذا يسبب السمنة ، ولكن تظهر اعراض اخرى تدل على هذه الامراض ومن الممكن علاج مثل هذه الحالات بازالة السبب ان امكن . وهذه الغدد هي الغدة النخامية والغدة الكظريه او التى فوق الكلية . وقلة افراز الغدة الدرقية يسبب السمنة .

سابعا :

والامر المحير والذى يلقى عناية فى البحث والاستقصاء هو لماذا ياكل البعض كميات كبيرة رغم انهم خالون من الامراض ثم لا يزداد وزنهم في حين ياكل البعض الاخر كميات قليلة ورغم ذلك تظهر السمنة ؟ والرد على هذا ان هناك احتمالا ان خلايا الذين ياكلون كميات وافرة لهـا القدرة على ان تحرق كل ما يصلها من غذاء دون ان تخزن منه شيئا . والعكس صحيح فى من يعانون من السمنة. ولكن لا يصرفنا هذا عن السبب الرئيسي وهو تناول الاطعمة بكثرة مع قلة بذل المجهود العضلي .

مضاعفات السمنة

ان معظم اجهزة الجسم تتاثر من السمنة ، لذا كانت الوقاية منها هامة جدا . ويجب علاجها اذا

حدثت قبل ان تمضي عليها مدة طويلة ، وتكون قد اثرت هذه الاجهزة فيكون من الصعب رجوعها الى حالتها الطبيعية :

اولا : تاثيرها على الحالة النفسية

سواء في ذلك الاطفال او الشبان ، و البنات او السيدات . ان السمنة تجعل حياتهم اليومية غير سعيدة . وكم من اطفال تاخروا في دراستهم لشعورهم بالحرج بين اقرانهم عندما ينادونهم بالمتين او السمين ، وكم من اضطرابات نفسية تعانيها البنات عندما يحسسن بان سمنتهن المفرطة ستكون عائقا بينهن وبين الحياة الزوجية السعيدة . وذوو السمنة كثيرا ما يبدو عليهم الخمول ويكثر نومهم ويتهمون دائما بالبلاهة وقلة الحركة وما الى ذلك من صفات تزيد الامور تعقيدا وتجعل البدين في ضيق من عيشه ، وموضع سخرية في المجتمع الذى يعيش فيه .



ثانيا : الجهاز التنفسي

عندما تكون البطن ممتلئة فانها بالتالي ترفع الحجاب الحاجز الى اعلى فيقل تبعا لذلك تمدد الرئتين لضيق التجويف الصدرى ، وتكون الرئتان عرضة للالتهابات من آن الى آخر مما يسبب سعالا مزمنا يلاحظ عند البدن . زد على ذلك ما يعانيه هؤلاء من ضيق في التنفس وسرعة فيه عندما يعرضون انفسهم لمجهود عضلي بسيط .

ثالثا : القلب والدورة الدموية

لقد وجد ان ارتفاع ضغط الدم تزداد نسبته بين اصحاب السمنة المفرطة ، وكذلك تزداد نسبة تصلب الشرايين في القلب وفي اجزاء الجسم الاخرى . ويزيد المجهود الذى يقوم به القلب ليسد حاجة هذه السمنة من حركة وغيرها ـ كل هذا جعل نسبة امراض القلب في البدن عالية فتراهم يعانون من الذبحة الصدرية ، ومن جلطة القلب ، وهبوط في القلب ، ثم تجلط في شرايين الجسم المختلفة بما في ذلك شرايين المخ تلك التي تسبب شللا في معظم الاحيان . ثم الدوالي التي تحدث في الساقين وماتجر وراءها من مضاعفات .

رابعا : الجهاز الهضمي

ويتاثر الجهاز الهضمي كذلك فتصاب المرارة بحصى المرارة وما يتبع ذلك من مغص مرارى وانسداد مرارى . وكذلك يحدث فتق السرة ، والفتق في مواضع اخرى . وربما يختنق الفتق في بعض الحالات فتختنق الامعاء معه . وكذلك نرى ان ذوى الوزن الثقيل يشكون دائما من الامساك وذلك لقلة حركتهم ولقلة نشاط الامعاء والمرارة .

خامسا : الجهاز الحركي

واعني بذلك مفاصل الظهر والساقين والقدمين وذلك راجع للثقل الذى تحمله هذه المفاصل لمدة طويلة حيث تتآكل غضاريفها ويحتك العظم بالعظم وتحدث الالام خصوصا عند بدء الحركة ، فاذا ما استوى الشخص بحمله وبدأ الحركة لانت مفاصله بعض الشيء . ثم تعاوده الالام عند الراحة . وهكذا الى



ان لا يقدر على الحركة ويصبح قعيدا وعالة على من حوله . ثم الالام التي يشكو منها ذوو السمنة في القدمين ، وما هي الا نتيجة لحدوث فلطحه بها وفقدان تقوسها الذى يعطى حركة كحركة اللولب في السيارة ، فاذا ما فقد هذا اللولب فقدت القدمين سهولة الحركة وحل محلها الالم الشديد في اسفل القدمين وربما صعد ذلك الى اعلى في الساقين . وارجو ان لا نتخدع لاول وهلة عندما نرى مفرطا في سمنته لا يشكو من هذه الاعراض فان هذا ياخذ وقتا الى ان تتآكل الغضاريف ولكنه آت لا محالة ما دامت السمنة هي السمنة والوزن ثابت لا ينقص .

سادسا :

لقد لوحظ من الاحصائيات ان مرض السكر البولي ينتشر في ذوى السمنة ولكنه ليس من النوع الشديد ويمكن علاجه بان ينقص وزن المريض ويعود الى مستوى وزنه . وكثير من هؤلاء شفوا على الحمية ونقص الوزن وما احتاجوا لاى علاج آخر . ولعل ذلك راجع الى انه من المعروف ان السكر يتحول في الجسم الى مواد دهنية «وتختزن» ولا يظهر في الدم او البول ، فاذا امتلات هذه المخازن بالدهن كما هو الحال في ذوى السمنة المفرطة ، فان السكر يطفح ولا يجد لنفسه ملجا فيظهر في الدم ويرتفع ، وبالتالي يخرج مع البول.

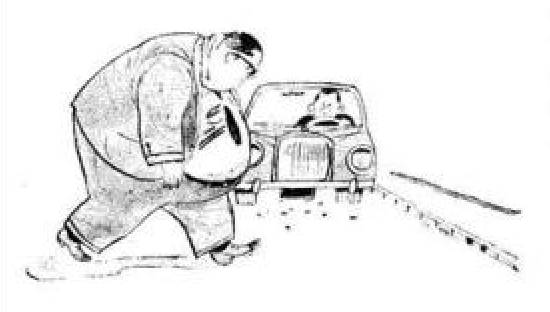
وكذلك وجد ان مادة الكوليسترل Cholesterol في الدم ترتفع في معظم الحالات وهي المادة التي تترسب في جدر الشرايين وتساعد على تصلبها وبالتالى تساعد على حدوث جلطة بها . وهي المادة كذلك التي تساعد على حدوث حصى المرارة .

سابعا : تاثير السمنة على الجلد

وهذا من الامور المعروفة فما من احد من ذوى السمنة المفرطة الا ويشكو من تسلخات في جلده والتهابات تعاوده من آن الى آخر ، ودمامل وتقيحات خصوصا تحت ثنايا الجلد .

ثامنا : تعرض ذوى السمنة للاخطار

فلقد وجد من الاحصائيات ان الحوادث التي تحدث في الطرقات يكون، في معظم الحالات، ضحيتها ذوى السمنة المفرطة ، وذلك لصعوبة حركتهم لتلافي تلك الاخطار . لذا نرى ان شركات التامين ترفع من قيمة التامين على ذوى السمنة وتلقي امامهم الصعوبات عندما يؤمنون على حياتهم .



مما اسلفت يتضح جليا ان المصاب بالسمنة في حالة قلق واضطراب نفسي لا يحسد عليها وتكتنفه الاخطار . وفي الوقت نفسه هو عرضة لامراض شتى هو في غنى عنها لو ازاح عن نفسه هذا الكابوس الذي يخيم عليه وذلك الثقل الذي يئن منه كاهله.

الوقاية من السمنة

مما لاشك فيه ان الوقاية هنا ، كما هو معروف، خير من العلاج . ولنقي انفسنا من السمنة علينا ان نتذكر هذه النقاط :

ا ـ ان الاسراف في الاكل مع الخمول والميل الى الراحة وعدم القيام باى مجهود عضلي كلها تسبب مرض السمنة ، لذا كان من الواجب علينا ان نقوم بتمرينات رياضية اقلها المشي لفترات طويلة يوميا.

ب ـ ان العمل الذهني لا يحتاج الى زيادة في السعرات الحرارية وبالتالي لا يحتاج الى غذاء اكثر .

جـ ـ عليك ان تزن نفسك على الاقل مرة كل اسبوع لتعرف اذا كان وزنك قد بدا في الزيادة فتحترس وتقلل من طعامك وتكثر من تمريناتك .

د ـ استعمل نفس الميزان ونفس الملابس التي توزن بها .

هـ ـ اذكر دائما أن الوقاية من السمنة وعلاجها

فى باديء الامر عند بدء زيادة الوزن اسهل بكثير جدا من علاج مرض السمنة .

و ـ اذكر أن المشروبات الكحولية تعتبر غذاء . فعلى من يكثرون من هذه المشروبات ان يعلموا ان هذه تزيد فى الوزن شانها فى ذلك شان اى غذاء آخر . هذا علاوة على ما تسببه من اضرار بالجسم.

العـلاج

علينا ان تكون صريحين بيننا وبين انفسنا ، هل نحن بحق نريد ان نبعد خطر السمنة عن انفسنا بعد ان وضحت هذه الاخطار . اذا كان ذلك بالايجاب فلنكن جادين اذن في العلاج . فنتبع الطريقة الخاصة ولا نحيد عنها ، ولا نتهاون فى العلاج يوما ونقول « نعوضه فى ايام اخرى » ، او نتقيد بالعلاج من اقلال فى الاكل وتمسك بالغذاء الخاص لمدة شهر ثم نضيع أثر ذلك كله في وليمة واحدة ناكل فيها ملء بطوننا .

ولكي نفهم الاساس الذى يبنى عليه العلاج اقول ان كل شخص فى حاجة الى طاقة تلزمه للقيام بوظائفه العضوية ، ومقدار هذه الطاقة يختلف باختلاف نوع العمل الذى يقوم به الشخص . فالبعض قد يلزمه ٢٥٠٠ او ٣٠٠٠ سعر في اليوم . فاذا كان هذا الشخص سمينا ، واعطي فى طعامه مابين (١٠٠٠ و ١٢٠٠) سعر فى اليـوم ، فـان السعرات التي تلزمه بعد ذلك يحصل عليها مـن المخزون في جسمه . وتدريجيا يقل هذا المخزون الى ان يعود الجسم السمين الى حالته الطبيعية. وكلمة تدريجي مهمة فى هذه الحالة اذ ان البعض يسلك الطريق السريع الشاق ، ويحرم نفسه مـن الاكل حرمانا قاسيا ، يتسبب عنه انهيار يصيب جسمه فيعجز عن القيام باى عمل . زد على ذلك ان هذه الطريقة السريعة لها رد فعل شديـد ، ذلك انها اذ توقفت وعاد الشخص الى ما كان عليه هو ، ازداد الوزن ، واصبح التخلص من هذا الوزن صعبا جدا . لذا كان من الواجب اتبـاع الطريقة التدريجية .

وهذا نموذج من وجبات الطعام التى تحتوى من الطاقة على ما بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ سعر يومياء اضعها امام القاريء ، لا ليلزم نفسه حرفيـا باتباعها يوميا حتى يضيق بها ذرعا ويكفر بالطريقة، ولكن لياكل في حدودها او يضاهيها . واذا هو اتبع هذه الطريقة نقص وزنه فى الاسبوع حوالي كيلوجرام . واذا لم ينقص فليعلم انه قد اخل بهـا .

النموذج

يحتوى هذا النموذج على (٤٠) جرام بروتينات كالتى فى اللحم والجبن + (١٠٠) جرام مواد كربوهيدراتية كالنشويات والسكريات وما اليها + (٤٠) جرام دهنيات = مجموعها (١٠٠٠) سعر .

الفطور

- قطعة خبز تعادل (ربع) رغيف صغير وزنه نحو ١٢٠ جرام .
- بيضة مسلوقة
- كوب عصير فاكهة طازجة
- شاى او قهوة بالحليب من اللبن المخصص يوميا وتحلى بمادة السكارين .

الغـداء

- حساء غير دسم
- سلطة وخضروات طازجة حسب الرغبة
- ربع رطل لحمة ليس بها دهن ـ أو ما يعادلها من السمك أو الدجاج .
- قطعة خبز تعادل ربع رغيف
- فاكهة : تفاحة او برتقالة او موزة
- شاى أو قهوة بسكارين .

العشاء

- بيضة ، أو قطعة صغيرة من السمك أقل من ربع رطل
- سلطة حسب الرغبة (خضروات وطماطم وخيار)
- قطعة خبز تعادل ربع رغيف
- شاى أو قهوة بسكارين وبحليب من المقرر يوميا .

المقرر من الحليب يوميا : ربع لتر اى (٢٥٠) سم مكعب اى حوالي كوب الماء العادى .

ومن الزبد : حوالي ثلاثة ارباع أوقية ، اى نحو ٢٠ جراما

وسيجد الانســـان صعوبة فى تقدير الوزن ويستحسن أن يزن هذه الاطعمة فى باديء الامر الى ان يتعود على الكميات المطلوبة ويقدرهـا بنفســه .

وعليه ان يمتنع عن اكل الاطعمة لما تحتـوى عليه من نشويات ودهنيات تزيد فى وزن الجسم . وهذه الاطعمة هي :

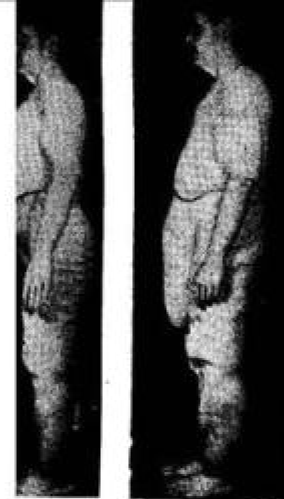
السكر ـ الحلوى ـ الشكولاته ـ المربى ـ العسل ـ الكعك وما شابهه من كنافة وبقلاوة ـ البطاطس والارز والمكرونة ـ الاجسمة الدسمة ـ الكريمة ـ المثلجات (ايس كريم) ـ العصير المعلب ـ الفاكهة المجففة لما فيها من سكريات كثيرة ـ الاطعمة واللحوم المحمرة فى الدهن او السمن وكل المواد الدسمة = الاطعمة التى يضاف اليها دقيق أو سكر ـ المشروبات الغازية لما تحتويه من مواد سكرية ـ الشطائر التى تؤكل بين الوجبات ولا يحسب لها حساب .

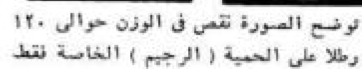
هذه امثلة ، وغيرها كثير ، وما شابهها متعدد . ولن نغالط انفسنا ونقول ان هذا الشيء لم يذكر فى الممنوعات ، مع انه مشتق منها .

اما المأكولات غير الممنوعة والتى يجوز لطـالب النحافة اكلها بكثرة حتى لا يحس بالجوع فهي :

طماطم ـ خس ـ خيار ـ بصل ـ سبانخ ـ بامية ـ ملوخية ـ كوسة ـ فاصوليا خضرا ـ لوبيا خضراء ـ باسلة خضراء ـ وغير ذلك من الخضروات الطازجة . ثم الفواكه التى لا توجد بها مواد سكرية بكثرة .

ان هذه الخضروات تجعلنا نحس بالشبع ، دون ان نزيد فى وزننا ، لان معظمها يحتوى على ألياف لا تمـد الجســم بطاقـة وفي الوقت نفســـه تساعد على التخلص من الامســاك . وهـذه الخضروات ايضا تحتوى على الفيتامينات والاملاح اللازمة للجسم بما فى ذلك الحديد ، وهي تمنع حدوث فقر الدم الذى يحدث عندما نتبع نوعا خاصا من الغذاء وبكميات محدودة .




توضح الصورة نقص فى الوزن حوالى ١٢٠ رطلا على الحمية (الرجيم) الخاصة فقط

وكما أسلفت أكرر انه الاكل الخاص ، أى الرجيم الخاص ، والحركة ، هما كل شيء فى العلاج ، وما عداهما من العلاجات ليس لها الا تاثير مؤقت ، ربما كان ضارا بالجسم ، وسأمر سريعا بهذه العلاجات المختلفة ليكون عند القاريء الكريم فكرة عنها :

اولا : الحبوب التى تقلل من الوزن

وهي منتشرة بين الناس وبعضهم يعتقد أن فعلها فعل السحر . وكلها تحتوى على مادة الامفيتامين Amphetamin التى تؤثر على مراكز المخ العليا فتجعل الانسان يحس بالنشاط رغم قلة المواد الغذائية التى يتناولها . ومن المحتمل انها تؤثر فى مركز الجوع فتجعل الانسان يحس بالشبع. لذا تؤخذ قبل الاكل فتجعل السمين لا يقبل على وجباته . ومن مضارها انها تسبب توترا فى الاعصاب مع اضطراب فى السلوك ورعشة فى اليدين وزيادة فى ضربات القلب وارتفاع فى ضغط الدم والارق وزيادة على ذلك تسبب الادمان عليها .

وفي الحالات التى لا يستجيب المريض للعلاج ، ولا يمكن ان يتبع طرق العلاج الصحية ، يمكـن للطبيب أن يصف هذه الاقراص كمحاولة وتحت اشرافه حتى يرى الضرر الطاريء من استعمالها ويعالجه وبشرط ان لا تستعمل اكثر من اربعة اشهر خوفا من الادمان .

ثانيا ـ اقراص الثيروكسين Thyroxin.

وهي التي تزيد من نشاط الغدة الدرقية اذ انه قد وجد ان المرضى الذين يعانون من كثرة افراز هذه الغدة ينقص وزنهم لانها تساعد على احتراق المواد الغذائية ، ولكنها لا تفيد الا الذين عندهم نقص في افراز هذه الغدة . ويجب ان تكون تحت الملاحظة الطبية . اما الاشخاص العاديين فانها تضرهم لما تسبب من اضطرابات في ضربات القلب والتوتر العصبي دون ان تساعد نقص الوزن .

ثالثا ـ مدرات البول

وهذه آخر ما استحدث في العلاج ، وما هي الا اقراص او حقن تساعد على ادرار البول فيفقد الجسم سوائله بسرعة ، وينتقص الوزن بسرعة تبعا لذلك . ولكن سرعان ما يعود المريض ليعوض ما فقد من سوائل هو في اشد الحاجة اليها . وفي اعتقادي انها طريقة ليست سليمة في علاج السمنة ان لم تكن خدعة فاشلة .

رابعا ـ علاج الحمامات الساخنة البخارية (التركية) والتدليك Turkish Bathes - Massage

وهنا ينقص . الوزن عن طريق فقدان الماء من الجسم بطريقة العرق . ويعود الحال كما كان عندما يشرب المريض كميات وافرة من الماء بعد هذه الحمامات . والاعتقاد بان التدليك وحده يذيب الدهن من الجسم وبالتالي يزيل السمنة ، اعتقاد خاطىء لا بد من اتباع الحميه التي اسلفت ذكرها . والتدليك هام بعد فقدان الدهن تحت الجلد فهو يساعد على تقوية العضلات ويأخذ الجسم شكله الاصلي قبل السمنة .

خامسا ـ العلاج بواسطة اطعمة خاصة معلبة

ربما الطعام على هيئة مركبات لازمة للجسم ، وتستعمل على وجبات . ولكن هذا ليس بالشيء الطبيعي . واذا كان المريض عنده القدرة على استعمال هذه المركبات او الواجبات الصناعية ، فمن باب اولى يمكنه ان يتبع الرجيم الخاص مع المبادلة بين الاطعمة الطبيعية مع ما فيها من لذة في الاكل وعدم الاحساس بان الشخص لا يختلف كثيرا عن الاخرين الذين يشاركونه مائدة الطعام .

سادسا ـ المهدئات

في بعض الحالات التي تكون مصحوبة باضطرابات عصبية وجد ان اعطاء المهدئات يساعد على اتباع العلاج ، ويعطي نتيجة طيبة في بعض الحالات . ولكن يشترط ان يكون ذلك تحت ملاحظة الطبيب لما لهذا المهدئات من مضاعفات قد تضر الجسم .

العلاج الجراحي

ويتحدث الكثير عن العلاج الجراحي ، وذلك بازالة بعض الدهن من تحت الجلد . وهذا ممكن في بعض الحالات التي تتجمع فيها المواد الدهنية في اجزاء خاصة من الجسم ، بازالة هذا الدهن ، خصوصا عند السيدات . وهذا نوع من التجميل ، ولكن يشترط مع ذلك اتباع الرجيم الخاص قبل وبعد العملية .

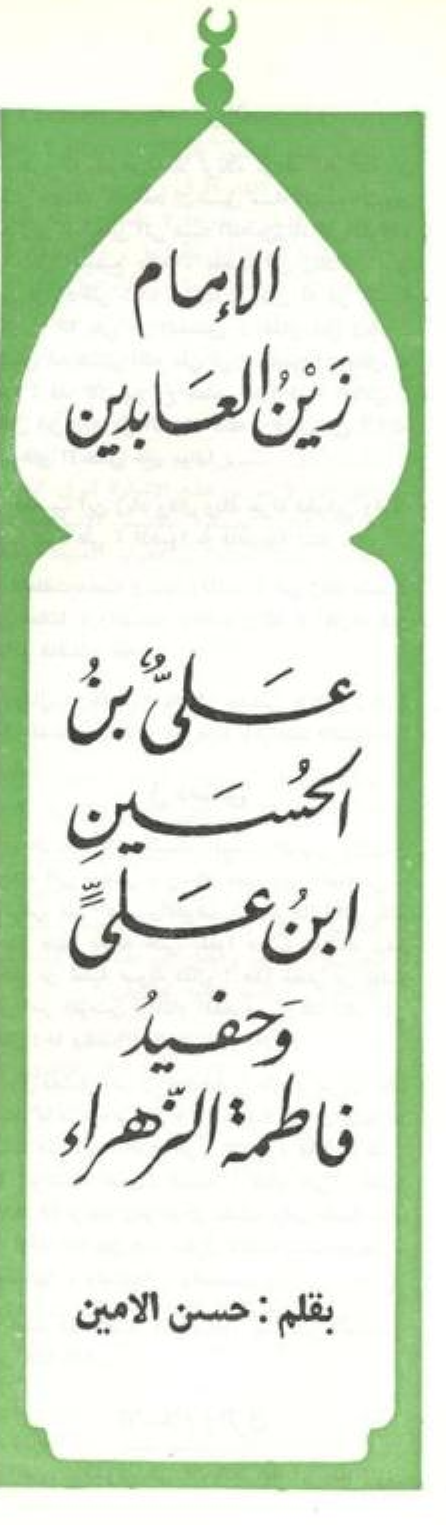
ولقد استحدثت عملية اجريت في امريكا لاحد مرضاي ، وبالاسف لم تدم حياته الا عدة شهور بعدها ! اذ استؤصل له اكثر من نصف امعائه الدقيقة التي يمتص الجسم منها الغذاء . وبهذه الطريقة قلت كمية الامتصاص ، واعتمد الجسم عندئذ على ما اختزن من مواد دهنية . ولكنها عملية خطيرة ويزيد في خطورتها انه لو اصيب الجزء المتبقي من الامعاء باي مرض فانه يسبب اضطرابات كثيرة بالجسم وربما تقضي على حياة المريض او تحدث مضاعفات قوية للمريض منها الاسهال ونقص الحديد والفيتامينات .

وفي ختام هذه الكلمة ارجو ان اكون قد احطت القارىء بما يدور حول السمنة من ملابسات واراء .

واعود لأؤكد انه ليس كالطعام الخاص مخلص من السمنة .

■■

الكويت محمد ابو شوك



للحسين بن علي ولدان كل منهما يسمى عليا : هما علي الاكبر وعلي الأصغر . والمشهور ان شهيد كربلاء هو علي الاكبر . ولكن هذه الشهرة موضع مناقشة ، فقد قيل ان الاكبر هو زين العابدين ، ويبدو ان هذا القول هو الصواب ، لان من الثابت ان الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين ادرك جده الحسين وانه عاش معه ثلاث سنين او اربع سنين . في حين لم يرد ان شهيد كربلاء كان عند استشهاده متزوجا . ومن غير المتعارف أن يتزوج الولد الاصغر قبل الاكبر .

ولكن الشهرة طاغية ، فما من احد يذكر الشهيد في الخطابة او الكتابة الا ويقرن اسمه بلفظ (الاكبر) . وقد علل الشيخ المفيد في كتابه (الارشاد) هذه الشهرة بانه كان للحسين ولد ثالث هو اصغر الاخوة الثلاثة وان الشهيد هو الاوسط ولكنه اكبر بالنسبة الى الاصغر .

مولده ووفاته

ولد في المدينة ، وفي يوم ولادته وشهرها وسنتها بعض الاختلاف ، فمن قائل انه ولد لتسع أو خمس او سبع خلون من شعبان . ومن قائل انه ولد في منتصف جمادى الآخرة . وكذلك قيل انه ولد سنة ٣٨ أو ٣٧ أو ٣٦ من الهجرة . وتوفي في المدينة في المحرم سنة ٩٤ أو ٩٥ .

نشأته

عاش مع جده علي بن أبي طالب سنتين أو اكثر ، ومع عمه الحسن اثنتي عشرة سنة أو عشر سنين . ومع أبيه الحسين ٢٣ أو ٢٤ سنة ، وعاش بعد أبيه الحسين ٣٤ أو ٣٣ أو ٣٥ سنة .

في كربلاء

لم يسلم احد من أهل البيت في كربلاء فقتل حتى الاطفال ، فان الحسين حين طلب من اخته زينب ان تريه طفله الصغير عبد الله ليودعه ، واخذه في يديه واوما اليه ليقبله رماه حرملة بن كاهل الاسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه . وكذلك لما راى عبد الله بن الحسن وحدة عمه الحسين ،

لم يستطع ـ وهو غلام لم يراهق ـ أن يصبر فانسل من خيمة النساء وانطلق الى عمه فلحقته زينب بنت علي لترده . فقال لها الحسين : احبسيه . فامتنع الغلام امتناعا شديدا وجاء يشتد الى عمه الحسين حتى وقف الى جنبه وقال : لا افارق عمي .

وبينما هذا المشهد الانساني الرائع تتدفق احداثه متتابعة بكل ما فيها من رهبة وعاطفة وجلال : زينب تحاول رد الغلام ، والحسين يحاول اقناعه بالرجوع ، زينب بكل ما فيها من رقة نسوية انسانية وبكل ما اشتملت عليه جوانحها من حنان القربى تجر الطفل الى الخيمة ، والحسين بكل ما احتواه قلبه الكبير من اشفاق ورحمة يبعد الغلام عنه ، والغلام بكل ما غذي به في بيت النبوة من سمو ورجولة وشمم ، وبكل ما ورثه عن علي وفاطمة بنت النبي الكريم من بر ووفاء يتملص منهما ويرد عليهما صارخا : لا افارق عمي : لم يقف الى جنب عمه يحاول لو يستطيع حمل سيف او نقل رمح يدافع بهما عن هذا العم العظيم . ولكنه لا يملك الا قلبه العطوف وجسمه الغض فيتقدم ليشارك بهما عمه الحسين بمصيره .

هذا المشهد الانساني الرائع لم يكن له في قلب ابجر بن كعب من اثر الا اثارة همجيته واستفزاز وحشيته فاهوى بسيفه الى الحسين فصاح الغلام ويلك اتقتل عمي ؟ فازدادت وحشية ابجر وتعاظمت همجيته فترك الحسين واندفع بالسيف الى الغلام سبط محمد بن عبد الله (ص) ، فاتقى الغلام السيف بيده فاطنّها السيف الى الجلد فاذا هي معلقة فنادى الغلام : يا عماه ، فاخذه الحسين اليه فرماه حرملة بن كاهل بسوم اجهز عليه وهو في حجر عمه .

هكذا كان مصير كل من شهد كربلاء من أهل البيت لم يشفع بأحد منهم سنّ ولا ضعف .

ولكن زين العابدين سلم ، لانه كان مريضا لا يستطيع وقوفا ولا يطيق حركة ولا يتحمل خطوة ، ومع ذلك فان الذين قتلوا اباه واعمامه واخوته كادوا يقتلونه ، ولكن حميد بن مسلم ظل يقنعهم ويداورهم حتى انصرفوا عنه وتركوه لما به ، وهكذا سلم علي بن الحسين زين العابدين فكان منه وحده نسل الحسين .

بعد كربلاء

على انه تعرض بعد كربلاء لموقف كاد فيه أن يقتل ، وذلك انه بعد أن سيق نساء البيت النبوي مع زين العابدين الى عبيد الله بن زياد الى الكوفة ، وأدخل الجميع عليه ، تعجب ابن زياد أن يرى بين من ادخلن شابا سليما . فقال له من انت ؟ قال : انا علي بن الحسين . فقال ابن زياد : اليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟! فقال له علي : قد كان لي أخ يسمى عليا قتله الناس . فقال ابن زياد بل الله قد قتله . فقال علي : الله يتوفى الانفس حين موتها .

فغضب ابن زياد وقال وبك جراة لجوابي وفيك بقية للرد علي ، اذهبوا به فاضربوا عنقه .

فتعلقت به عمته زينب . وقالت يا ابن زياد حسبك من دمائنا ، واعتنقته وقالت والله لا افارقه فان قتلته فاقتلني معه .

وقال له علي : أبالقتل تهددني يا ابن زياد ؟ اما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة ؟

في دمشق

ساق ابن زياد نساء البيت النبوي ورؤوس رجاله الى دمشق ، وساق معهم زين العابدين ، فاعرض عليّ عمن رافقوهم من الرجال فلم يكلم احدا منهم بكلمة حتى بلغوا دمشق وهناك رفع محفر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة اتى امير المؤمنين باللئام الفجرة . وهنا تكلم علي فقال : ما ولدت ام محفر اشر والأم .

وفي دمشق اصر زين العابدين على يزيد بأن يعاد اليهم ما سُلب منهم . وكان عجيبا منه أن يهتم بما سلب منهم بعد الذي جرى عليهم ، فقال يزيد : انا أعوضكم اضعاف قيمته . فقال علي : اما مالك فلا نريده وهو موفر عليك ، واني طلبت منك ما أخذ منا لان فيه مغزل فاطمة بنت محمد ، ومقنعتها ، وقلادتها ، وقميصها .

فعند ذلك ادرك القوم لماذا يصر زين العابدين على هذا الطلب .

الاسلام والرق

الذين يأخذون على الاسلام انه لم يلغ الرق

الغاء كاملا يتجاهلون ان الحياة الاقتصادية كانت تقوم في تلك العصور على الرق ، وانه لا يكفي ان يعلن الاسلام الغاء الرق وتحريمه ، بل لا بد في ذلك من التدرج تدرجا لا تضطرب منه الاوضاع الاقتصادية اضطرابا يخربها . والاسلام في كل احكامه كان عمليا واقعيا ، لذلك عمل اول ما عمل على الغاء المنابع الاساسية للرق بحيث يتقلص تقلصا طبيعيا مع الزمن . ثم حض على تحرير العبيد وأعلن ان ذلك اكبر مكسب للمثوبات الكبرى، وأعظم ما يتقرب به الانسان الى خالقه . ولست الآن بسبيل التوسع في هذا الموضوع . ولكن كان لا بد من هذه الاشارة لنرى كيف طبق الرجال الذين تمسكوا بالاسس الاسلامية تعاليم الاسلام وكيف مشوا في تحرير العبيد الخطوات السليمة .

محرر العبيد

ومَن اولى من الامام زين العابدين بالاخذ بحقيقة الاسلام وجوهره أخذا كاملا ، وقد عمل بهذا النهج في كل شؤون حياته لا سيما بشأن الرق بحيث يحق لنا أن نطلق عليه لقب محرر العبيد .

ففي الوقت الذي كانت تمتلىء فيه قصور الحكام بالارقاء نساء ورجالا ،وكانت الدولة تسيىء تطبيق تعاليم الاسلام ، كان علي بن الحسين يقود حملة تحرير الرقيق ويجعل من نفسه في ذلك قدوة للشعب . وكانت خطته كما يلي :

اولا : كان عندما يصل الارقاء الى يده يعاملهم معاملة الانداد ، فاذا اخطأوا لم يعاقبهم ، بل يسجل اخطاءهم في دفتر عنده وينتظر حتى يأتي عيد الفطر فيجمعهم ويعرض عليهم اخطاءهم ملاطفا لهم فيعترفوا بتلك الاخطاء . فيقول لهم : عفوت عنكم فهل عفوتم عني ما كان مني اليكم ؟ فيقولون : قد عفونا عنك وما اسأت ، فيقول : قولوا اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا . ثم يحررهم ويعطيهم بعض المال ليبدؤوا حياتهم الجديدة .

ثانيا : لم يكن يبقي عنده عبدا سنة كاملة ، بل كان يشتريهم في الشهور التي تسبق رمضان ليسرع في تحريرهم وقت العيد .

ثالثا : وكذلك كان يفعل في عيد الاضحى ، فهو يشتري العبيد وليس له حاجة بهم ، فاذا جاء وقت الحج خرج بهم الى عرفات ، فاذا انتهى الحج حررهم وزودهم بالمال . ولم يكن ينقص عدد المحررين في كل عيد عن العشرين انسانا .

والذي يزيد في تقديرنا لهذا العمل العظيم هو ان علي بن الحسين لم يكن ذا ثروة تساعده على التوسع في هذه الخطة ، بل كانت موارد رزقه محدودة ، فكان ينفق كل ما يصل الى يديه في هذا السبيل وفي مساعدة ذوي الحاجات كما سنذكر .

مساعدته للفقراء

كان يخرج في الليل حاملا معه ما استطاع جمعه من المال ، وربما حمل الطعام أو الحطب ايضا حتى يأتي ابواب الفقراء ، فيقرعها بابا بابا ، ثم يناول من يخرج اليه ، ويكون مغطيا وجهه لئلا يعرفه أحد . فلما توفي انقطع عن الفقراء ما كان يأتيهم فعرفوا انه هو الفاعل .

انسانيته

كان هشام بن اسماعيل(١) امير المدينة يسيىء الى علي بن الحسين ويؤذيه اذى شديدا ، فلما عُزل امر به الوليد أن يُوقف للناس .. فقال هشام ما اخاف الا من علي بن الحسين . فكان الناس يمرون به فيشتمونه . فمر به زين العابدين وسلم عليه وامر خاصته أن لا يعرض له أحد .

ولما طرد اهل المدينة بني امية قبل وقعة الحرة، اراد مروان بن الحكم ان يستودع أهله ، فلم يقبل احد أن يكونوا عنده ، الا علي بن الحسين ، فوضعهم مع عياله وأحسن اليهم مع عداوة مروان المعروفة له ولبيته . وعال في وقعة الحرة اربعمائة امرأة من بني عبد مناف الى أن تفرق جيش مسرف بن عقبة .

---

(١) هو هشام بن اسماعيل بن هشام المخزومي ،وهو الذي ضرب سعيد بن المسيّب حين دعاه الى البيعة للوليد بن عبد الملك ، لما عقد له ابوه بالخلافة فأبى سعيد ، وقال انظر ما يصنع الناس ، فضربه وطاف به وحبسه . وهكذا انطبق عليه القول المأثور (من أعان ظالما ابتلي به) .

وكان يقول لمن يشتمه : ان كنت كما قلت فاسأل الله أن يغفر لي ، وان لم اكن كما قلت فاسأل الله ان يغفر لك . وكان لا يسافر الا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجونه ، ويقول اكره أن آخذ برسول الله مالا أعطى مثله .

وكان يأبى ان يؤاكل امه ، فقيل له يا ابن رسول الله انت ابر الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تؤاكل امك ؟ فقال اني اكره ان تسبق يدي الى ما سبقت اليه عينها .

وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده . ومن كان منهم له عيال حمل الى عياله من طعامه .

كانت مجالسه دروسا في شتى المعارف الاسلامية

وقد اتخذ من المسجد ومن بيته مكانا يلتف فيه حوله طلاب العلم الوافدون من كل مكان ، وكانت مجالسه دروسا في شتى المعارف الاسلامية ، فمنذ سنة ٦١ هـ الى سنة ٩٥ ، أي طيلة خمس وثلاثين سنة كان منزله وكان المسجد مدرستين يزدحم فيهما الطلاب عليه ، فبينما كانت الدولة مشغولة باستبدادها واستنزاف دماء الشعب وسلب أمواله واضطهاد احراره ، كان علي بن الحسين مشغولا بنشر العلم وبث الثقافة واثارة الافكار وتهذيب الاخلاق . فكثر تلاميذه والآخذون عنه في انواع العلم . واصبح أولئك التلاميذ وتلاميذهم بعض بناة الحضارة الاسلامية ورجال الفكر الاسلامي والتشريع الاسلامي والادب العربي .

ولقد أخذ عنه علماء الحجاز ومن يأتي من البلاد البعيدة والقريبة في مواسم الحج ودونوا ما أخذوه عنه ورواه عنهم الناس .

فممن روى عنه أو روى عمن روى عنه : الزهري ، وسفيان بن عيينة ، ونافع ، والاوزاعي ، ومقاتل ، والواقدي ، ومحمد بن اسحاق ، والطبري ، وابن البيع ، واحمد بن حنبل ، وابن بطة ، وابو داود ، وصاحب الحلية ، وصاحب الاغاني ، وصاحب قوت القلوب ، وصاحب شرف المصطفى ، وصاحب اسباب النزول ، وصاحب الفائق ، وصاحب الترغيب والترهيب وغيرهم .

ومن رجاله من الصحابة جابر بن عبد الله الانصاري ، وعامر بن واثلة الكناني .

ومن التابعين سعيد بن المسيب ، وابو محمد سعيد بن جبير ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وابو خالد الكابلي ، والقاسم بن عوف ، واسماعيل ابن عبد الله بن جعفر ، وابراهيم والحسن ابنا محمد بن الحنفية ، وحبيب بن ابي ثابت ، وابو يحيى الاسدي ، وابو حازم الاعرج ، وسلمة بن دينار . ومن اصحابه ابو حمزة الثمالي ، وفرات وجابر بن محمد بن ابي بكر ، وايوب بن الحسن ، وعلي بن رافع ، وابو محمد القرشي السدي الكوفي ، والضحاك بن مزاحم الخراساني ، وطاووس بن كيسان ، وحميد بن موسى الكوفي ، وابان بن تغلب ، والفرزدق الشاعر وغيرهم .

مؤلفاته

من آثاره المدونة والتي تعتبر من أوائل التاليف في صدر الاسلام :

١ ـ الصحيفة الكاملة . وقد استنسخ الناس منها قبل عهد الطباعة نسخا لا تعد ولا تحصى بالخطوط الجميلة النادرة المثيل والمزينة بجداول الذهب . اما في عصور الطباعة فقد طبعت طبعات كثيرة .

وشرحها العلماء شروحا عديدة منها شرح بهاء الدين العاملي المسمى حدائق المقربين . واحسن شروحها شرح السيد علي خان الشيرازي .

وهذه الصحيفة كانت منها نسخة عند ولده زيد الشهيد ثم انتقلت الى أولاده والى أولاد عبد الله بن الحسن . مضافا الى ما كان عند الامام محمد الباقر .

وتعتبر من أعلى درجات البيان العربي باسلوبها ومعانيها ، وهي حرية بدراسات واسعة .

٢ ـ رسالة الحقوق ، وهي من الاعمال الفكرية السامية في الاسلام تحتوي على توجيهات ودراسات

وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص من ادق ما يعرفه الفكر الانساني .

الزعيم الشعبي

ان المزايا التى كان يتمتع بها هذا الامام جعلت منه زعيما شعبيا محبوبا الى اقصى حدود الحب ، مهابا الى اعلى درجات المهابة . والحادثة الآتية وحدها دليل على ما كان يكنه له الشعب من حب واحترام وتقدير .

فقد حج هشام بن عبد الملك ، وهو الرجل الثاني في الدولة ، فطاف بالبيت ، وجَهِد أن يصل الى الحجر الاسود فيستلمه فلم يستطع لشدة الزحام ، فنُصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه حواشيه واتباعه ، اذ اقبل علي بن الحسين فطاف بالبيت ، ولم يكد يطل بطلعته على الجماهير المحتشدة حتى تطلعت بابصارها اليه ترمقه بنظرات الحب والتقدير والاعجاب ثم افرجت له بين صفوفها مُحدقة به احداق الاجلال والاكبار. فقال رجل من حاشية هشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام متجاهلا : لا اعرفه. وكان الشاعر الفرزدق حاضرا ، فأوحى له هذا المشهد وهذا التساؤل بقصيدة من احسن شعره قال فيها :

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأته
والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرَمُ

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلَم

سهل الخليقة لا تُخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والكرم

حمّالُ اثقال اقوام اذا فدحوا
رحبُ الفناء اريبٌ حين يعتزم

يكاد يُمسكه عرفانُ راحته
ركنُ الحطيم اذا ما جاء يستلم

وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من انكرتَ والعجم

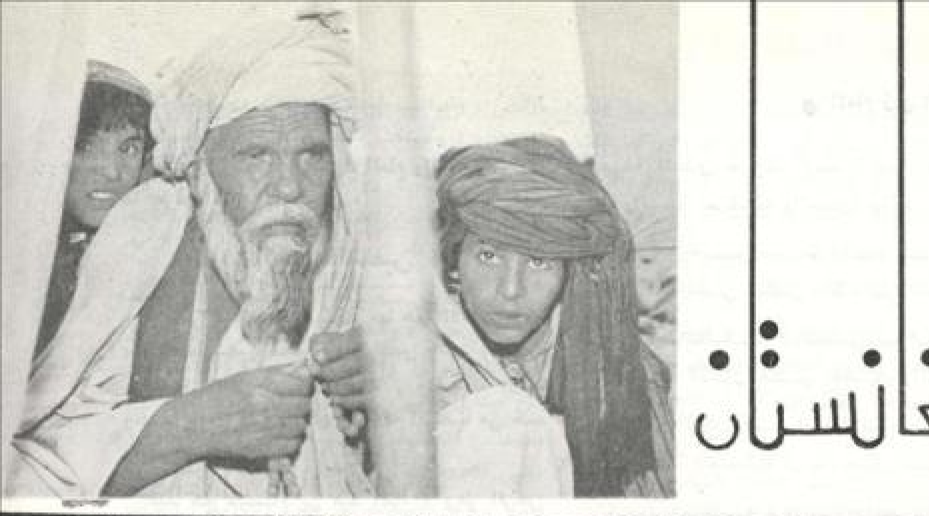
وقد جرّت هذه القصيدة بلاء على الفرزدق اذ امر هشام بحبسه في عسفان بين مكة والمدينة .

وارسل اليه زين العابدين بمبلغ من المال فرده وقال انما قلت ما قلته غضبا لله ورسوله فما آخذ عليه اجرا . فقال الامام نحن اهل بيت لا يعود الينا ما اعطينا . فقبله الفرزدق .

بيروت — حسن الامين

حيلة موفقة

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث اليه ملكها يأمره ان يرسل اليه رجلا من اصحابه يكلمه ويشاوره . ففكر عمرو مليا وقال : ما لهذا احد غيرى ، ثم خرج حتى مثل بين يدى الملك . فقال له الملك : هل في اصحابك احد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ، اني هيّنٌ عليهم اذ بعثوني اليك ، وعرضوني للخطر ، ولا يدرون ما تصنع بي . فامر له بجائزة . وغمز للحاجب ان يأخذ ما معه ويضرب عنقه ، فمر عمرو برجل من نصارى غسان فعرفه فقال له يا عمرو : قد احسنت الدخول فاحسن الخروج . ففطن عمرو لما اراده النصراني ، فرجع فقال له الملك : ما ردك الينا ؟ قال : نظرت فيما اعطيتني فلم اجد ذلك يسع بني عمي . فاردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من ان يكون عند واحد . فقال : صدقت اعجل بهم . وبعث الى البواب ان خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت حتى اذا امن ، قال لا عدت لمثلها ابدا .



افغانستان

بلاد الصحراء الشاسعة .. والجبال الشاهقة ..

(أنظر صفحة ٢)

■ عبر اراضيها .. وبين ودياتها .. وفوق جبالها وصحاريها .. مر الاسكندر الاكبر بجيوشه مكتسحا امامه امبراطورية فارس القديمة في القرن الرابع قبل الميلاد ، وعندما دالت دولة الاسكندر توالى على حكمها اليونان والاتراك والصينيون والعرب والمغول ثم سقطت بين براثن الاستعمار البريطاني في القرن الثامن عشر .

واخيرا حصلت على استقلالها في أوائل القرن العشرين ..

انها افغانستان تلك الدولة التى تعتبر مفترق طرق لكل الغزاة أو بناة الامبراطوريات وذلك بالنسبة لموقعها الجغرافي في جنوب غرب آسيا .. فعلى حدودها يقع الاتحاد السوفيتي في الشمال ، وباكستان الغربية في الشرق والجنوب ، والصين الشعبية في الشمال الشرقي ، وايران في الغرب .

٢٠ لغة

وتبلغ مساحة افغانستان ٢٥٠ الف ميل مربع (حوالى ثلاثة اضعاف مساحة سوريا) . ويعيش على هذه الارض ١٥ مليون نسمة يعود اصلهم الى فئات ثلاث : الافغان ويمثلون ٦٠٪ من عدد السكان ، التاجيك ويبلغ عددهم ٣١٪ ، والاوزبك الذين لايزيدون عن ٥٪ ، اما باقي السكان ونسبتهم ٤٪ فهم من اصول مختلفة .

ويتحدث الافغانيون ب ٢٠ لغة مختلفة اهمها اللغة البشتوية وهي اللغة الرسمية للبلاد والتى يتم التعليم بها ، ويليها في الانتشار اللغة الفارسية ، واما بقية اللغات فهي لغات قبلية اقليمية غير منتشرة .

طبيعة ساحرة

وافغانستان تتميز بطبيعة ساحرة .. فسلسلة جبال الهندوكوش Hindu Kush تقسم البلاد من الشرق الى الغرب .. ويتراوح ارتفاعها من ٢٠ الف قدم الى اقل من الفي قدم .. وعلى سفوح هذه الجبال تنمو الغابات الخضراء بينما توجد الثلوج البيضاء على قممها التى تناطح السحاب . اما الوديان التى تتمتع بتربة خصبة فلا تزيد مساحتها عن ٣٢ الف ميل مربع ، بينما تمتد الصحارى الى مساحات شاسعة .. ولا يفصل بين الوديان والصحارى والجبال الا مسافات بسيطة .. ففي كل اقليم من اقاليم افغانستان التى تبلغ ٢٩ اقليما توجد مناطق صحراوية ومناطق جبلية ، ووديان زراعية .

والجو لا يتأثر بخطوط الطول والعرض تأثره بارتفاع الارض .. فدرجة الحرارة قد تصل الى ٤٦° مئوية اثناء فصل الصيف في سهول الشمال بينما لاتزيد عن ٢٨° مئوية في مرتفعات الشمال . وفي كابل العاصمة تصل درجة الحرارة في الصيف الى ٣٨° مئوية وتنخفض في الشتاء الى ٢٢° مئوية تحت الصفر !!

القديم والحديث

وافغانستان ما تزال تجمع بين القديم والحديث

في عاداتها وتقاليدها .. وتحاول ان تمزج بينهما بقدر الامكان ويتجلى هذا واضحا في كابل وهي عاصمة افغانستان ويبلغ تعداد سكانها ٤٥٠ الف نسمة . فهذه المدينة تنقسم الى قسمين ، احدهما كابل الحديثة ، والآخر كابل القديمة . ويفصل بينهما نهر « كابل » الذي يتلوى بين شوارع المدينة على شكل حرف S اللاتيني . وفي المدينة الحديثة تجد السيارات وطرق المواصلات والعمارات التي اقيمت على احدث طراز .. بينما تجد الجمال تمرح على ضفاف النهر من ناحية

.. والوديان الخضر

كابل القديمة .. وهي جمال القوافل .. التي تأتي الى العاصمة محملة بالفاكهة وبالمحاصيل الزراعية عبر سلسلة الجبال والصحاري والوديان . وفي شوارع كابل الحديثة ترى الفتيات الافغانيات سافرات الوجوه يرتدين احدث الازياء .. بينما في كابل القديمة قد ترى بعضا من النساء يرتدين الحجاب والبعض الآخر يسرن سافرات ولكن يرتدين الملابس التقليدية القديمة .

النساء والحجاب

وللحجاب في افغانستان قصة طريفة .. فعندما بدأت البلاد في التصنيع وفي النهضة التعليمية كانت النساء مايزلن محجبات ، وبدأت الحكومة تحاول ان تنزع هذا الحجاب تدريجيا ايمانا منها بحركة التطور . واصدرت عدة تشريعات في اواخر الخمسينيات من القرن الحالي تنص على منع اية فتاة محجبة من الدخول الى المدارس وفي نفس الوقت جعلت التعليم اجباريا وفرضت عقوبات على من لايرسل بناته الى المدارس .. ! وثار المواطنون في اول الامر ولكن الفتيات والنساء المثقفات وقفن الى جانب التطور .. وآخيرا بدأ الحجاب في الانقراض بل وبدأت النساء والفتيات يعملن في مصانع النسيج الآلية الضخمة التي بدأت تحل محل مصانع النسيج اليدوية .



مدينة تعيش في الظل !

وكابل العاصمة تتميز بظاهرة غريبة قلما تتميز بها مدينة اخرى في العالم .. فهي تقع بين هضبتين كبيرتين ، واحدة تحدها من الشرق ، والاخرى تحدها من الغرب ، وهذا يجعل المدينة تعيش في ظل دائم اللهم الا ساعة الظهيرة وحين ترتفع الشمس الى كبد السماء .

وكما تتميز العاصمة بهذه الظاهرة الغريبة .. تنفرد افغانستان بين البلاد المحيطة بها بانها دولة بلا شواطيء .. فهي محصورة بين البلدان المجاورة لها . وليس لها منفذ واحد الى شاطيء البحر . وهي ايضا دولة من القلائل في العالم التي ليس بها نظام السكك الحديدية .. فهي تعتمد في مواصلاتها على سيارات نقل الركاب والبضائع .. وفي الآونة الاخيرة اصبحت تعتمد على شركة طيران داخلية تسير طائراتها بين اقاليم افغانستان المختلفة .. ولعل هذا يعود الى طبيعة البلاد والى الجبال التي تمتد من الشرق الى الغرب .

وتعتمد اقتصاديات افغانستان على انتاج السجاد الشهير ، وعلى تصدير صوف الاغنام وجلودها الى روسيا نظير الحصول على البترول والآلات ، وهي في حالة اكتفاء ذاتي بالنسبة للمحاصيل الزراعية والمواد الغذائية . ولكن صعوبة المواصلات هي العقبة الرئيسية في البلاد ولذلك قامت الحكومة الافغانية بانشاء طرق حديثة معبدة وانفاق في الجبال ولكن ما يزال الطريق طويلا امامها في هذا المضمار حتى تحقق ما تريد .

والشعب الافغاني شعب يعشق الامانة ..ويعتز بالشرف وفي نفس الوقت يتمسك بالحرية الفردية الى ابعد الحدود .. فهو ما يزال متأثرا بالحياة القبلية التي كانت تسود بلاده حتى عهد قريب جدا .. وهو ايضا شعب متمسك بالدين الاسلامي الى ابعد الحدود يؤدي الصلوات في مواعيدها .. ويصوم رمضان ويحافظ على كافة التقاليد الاسلامية . ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجنرال ايزنهور ينجو من الازمة القلبية للمرة السابعة

● من القول المأثور بين الناس ان الرجل قد ينجو من ازمة القلب الاولى ، وقد ينجو من الثانية ، اما الثالثة فقاتلة .

ولكن الذى حدث للجنرال ايزنهور ، رئيس الولايات المتحدة السابق ، ورئيس جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، فيما بين ابريل الى اغسطس من هذا العام ، يؤكد بطلان هذا القول المأثور . ففي هذه الفترة من الزمان اصابت الجنرال ازمته القلبية الرابعة ، والخامسة والسادسة والسابعة ، وما زال الاطباء بالمركز الطبي للجيش ، بمستشفى ولتريد Walter Reed يعالجونه من بعد هذه الازمة السابعة ، وهو في السابعة والسبعين .



وما كان هذا ممكنا منذ سنوات قليلة .

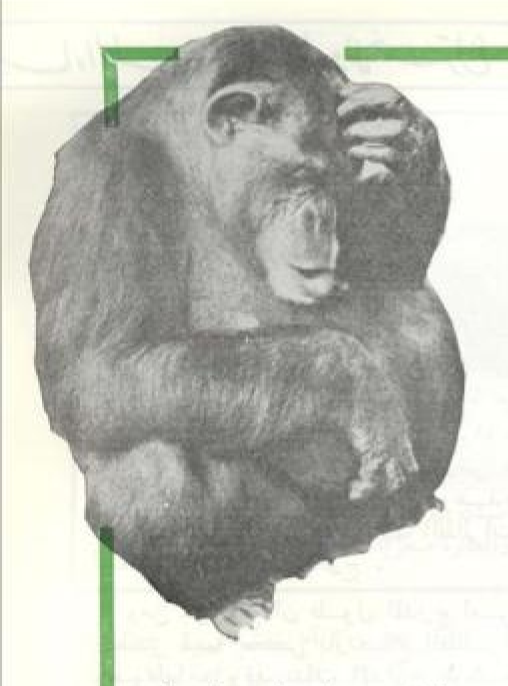
يقول الدكتور كامبل موزس Campbell Moses ، رئيس رابطة القلب الامريكية ، ان مئات الالوف من الناس احتملوا اكثر من ثلاث ازمات قلبية بسبب العناية المركزة التي لم تتيسر الا في هذا العقد الحاضر من الزمان .

وهذا التقدم حدث بسبب تقدم طرق مراقبة القلب وضبطه بالكهرباء وبالعقاقير وغيرها .

ومراقبة القلب من قرب تكشف عن تلك الرفرفة Fluttering الخطيرة التي تحدث في القلب عقب حدوث الازمة القلبية ، والتى يجب معالجتها في دقائق ثلاث ، والاحرم المخ من الاكسجين ، ذلك العنصر الهام الضرورى لحياته .

وما هذه الرفرفة الا اختلاج في البطين ، بطين القلب .

وهى تعالج بواسطة عقار يسمى ليدوكين Lidocaine وهو العقار الذى



القردة تحب الخمور

العلمـاء ، لا يقفـل دون بحث يريدونه باب .

وهذا البحث الذي قاموا به كان في القردة والشراب . ان العلماء يعرفون فعل الخمر في الانسان ، فهم يريدون ان يكشفوا عن فعلها في اقرب الحيوانات الى الانسان .

فقامـوا بتقديم الخمر للقـردة . للشمبانزي . وللاورانج اوتان .

ومن نتائجهم ان الشمب يقبل على شرب الكحوليات بشغف ، وعلى الاخص عندما تكون مختلطة بعصير الفواكه . واحب الاشربة اليه الشراب الروسي . الفدكا .

ومن نتائجهم ان الشمب الذكر يشرب اكثر من اناه . وهذه النتيجة تطابق الواقع بين الناس ، فالرجال اكثر اقبالا على الشراب من النساء .

ومن نتائجهم ان الشمب يزيد مقدارما يشرب حتى يبلغ عمره ٣٩ عاما ، وهي عمر شيخوخة عنده . وعندها يهبـط بسرعة مقدار ما يشرب . وكذلك يهبط مقدار ما يشرب الاشياخ من الناس .

اخذ بيد الجنرال ، فاجتاز به ازمتـه القلبيـة .

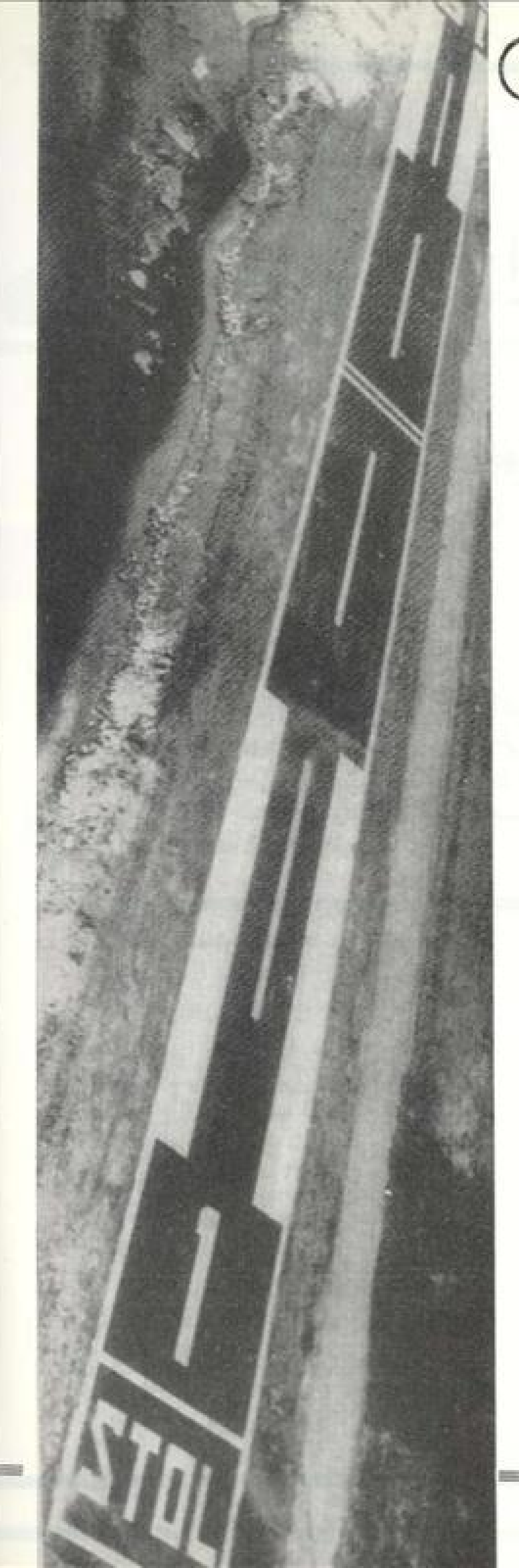
يقـول الدكتور برنارد لون Bernard Lown ، مدير وحـدة ليفين للقـلب بمستشفـى بسـطن ، ان الليدوكـين يستخدم الآن في هذه الوحدة لكل المرضى الذين يظهر في قلوبهم اهتياج ، او فـي ضرباتها عدم انتظام اثناء الازمة القلبية .

وهو يقول انه بدأ باستخدام هـذا العقار منذ ٣ سنوات .

وبدأ استخدامه في الحيـوانات في مختبرات جامعة هرفرد . وبعد ذلك جربه في ١٣٠ من المرضى مصابين بانسداد في العضلة القلبية Myocardial Infarction (وهـو مـرض يموت فيـه جزء من هذه العضلة لانحباس الاكسجين عنه) فلم يجد في ايهم عدم انتظام اولي في الضربات .

وقد اهتمت وحدات علاجيـة للقلب كثيرة بما وجد الدكتور « لون » من نتائج . والآن يستخدم الاطباء هذا العقار في كل الدنيا ، ولو انه ما زال « موضوعا تحت التجربة » لانه لم يخرج بعد رسميا الى الاستعمال العام .

وبمناسبة مرض الجنرال ايزنهـور نقول : انه جاء المستشفى طلبات مـن اناس كثيرين يتبرعون له بقلوبهم ، لتزرع مكان قلبه ، بحسبان أن حياته اغلى من حياتهـم . ولكـن المستشفى رفضهـا جميعـا .



الطائرة

الامنوبيس

● ان الطائرات المألوفة ، طائرات الركاب الكبيرة ، عندما تريد الصعود الى الجو ، تبدأ بسرعة كبيرة تزيدها ثم تزيد ، ثم ينطلق بها الطيار في الهواء ، ولكن بعد ان تكون جرت على الارض ، ارض المطار ، مسافة طويلة . وهذه الطرق الممهدة التى تجرى فيها الطائرات لتصعد ، تعرف بالمدارج .

ومن الواضح ان طول المدرج امر خطير فيما يختص بارتفاع الطائرة وهبوطها . وقد بدأت المدارج طويلة يوما ما ، ثم زادت طولا بازدياد احجام الطائرات واثقالها . مثال ذلك : اذا احتاجت طائرة ذات جناحين ، تحمل ٢٠ راكبا ، وتسير بسرعة ١٨٠ ميلا في الساعة ، ووزنها ٢٤٠٠٠ رطل ، اذا احتاجت الى مدرج وجب ان يكون طوله ٣٠٠٠ قدم . وقد كان هذا الحال في منتصف العقد الرابع من هذا القرن . وفي آواخر العقد السادس من هذا القرن ، عندما اتسعت الطائرة الى ١١٠ راكبا ، وسيّرها ٤ محركات ، واقتضت سرعة ٥٥٠ ميلا في الساعة ، وكان وزنها ٣٠٠٠٠٠ رطل ، بلغ طول المدرج الذى تحتاج اليه ٨٠٠٠ قدم ، اى فوق الثلاثة اميال .

ومعنى هذا انه كان لا بد للمطارات ان

مدرج الطائرة « خادمة السماء » وطوله ٧٣٠ قدما . بمطار نيويورك . وقد كتب عليه Stol وهى الحروف الاولى لكلمات الجملة Short Take Off And Landing التى معناها الارتفاع والهبوط القصير .



الطائرة المسماة خادمةالسماء وترى اجنحتها (ا) اتصلت بها ، من ورائها ، سطوح عريضة (ب)،يحركها الطيار ، فاذا هو انخفض بها ملأها الريح ،والطائرة متحركة ، فارتفع بها سريعا الى السماء .

تكون بعيدة عن المدن ، واذن يستغرق المسافر للذهاب اليها وقتا طويلا مضيّعا . ومعنى هذا كذلك ازدحام المطار الواحد بالطائرات ، لأن المطار لايستطيع ان ينشىء اعدادا كبيرة من المدارج .

ولتقريب الطائرات من المسافرين سكان المدن ظل الانسان يحلم من زمن بعيد بالطائرة التى ترتفع الى الجو راسيا ، ومنها الطائرة الكبتر Helicopter . وكذلك بالطائرة التى ترتفع على مدرج ، ولكن قصير .

واى من هاتين الوسيلتين تأذن للمطارات ان تكون في المدن ، او عند حافتها ، وتقرب بين المسافر ، لا سيما الذى يطلب بلداً غير بعيد ، وبين الطائرة. وفوق ذلك هي قد تقرب بين احياء المدينة فيركبها الناس في الذهاب من طرف الى طرف كالسيارات العامة ، وتكون اسرع .

وخبر اليوم يتعلق بالطائرة القصيرة المدْرج ، السريعة الارتفاع الى الجو .

ففي هذه الايام سيسيرون خطوطا جوية تحمل المسافرين في ولاية واشنجطن من بلد فيها الى بلد ،من مطار واشنجطن العاصمة ، الى مطار بلطيمور ، الى مطار دالس . سفرات قريبة يتنقل فيها الرائحون والغادون بسرعة فكأنها السيارات او القطارات ، وهى اسرع كثيرا .

وفي الصورة نوع الطائرة التى يستخدمونها الآن . اسمها Skyservant ولو ترجمناها الى العربية لكانت « خادمة السماء » . وهو اسم متواضع يدل على قصر المرمَى . وهي من صنع المانيا الغربية .

يطلبون لغة عالمية

العالم والحمد لله ملىء بالسكان الى درجة تكاد تزْحمه ، ثلاثة آلاف مليون من الخلق فما فوقها . ويجوب الناس ارجاء الارض ما حلاهم ، وهم في اغلب الاحيان صم بكم لا يتكلمون . فهم اذا تكلموا لم يَفهموا . واذا استمعوا لم

يفهموا . وكيف يفهمون حيثما يذهبون وعدد لغات اهل الارض تبلغ نحوا من ٢٨٠٠ لغة مختلفة .

من اجل هذا قامت الصيحة قديما تطلب لغة ثانية يتعلمها كل الخلق تكون الترجمان فيما بينهم .

وقد كتب عالمان في علم الانسان مشهوران ، يذكران هذه الحاجة ويؤكدانها ، ووقع اختيارهم على اللغة الارمينية لغة للعالم ثانية .

وكان شرطهما في اللغة المختارة ان لا تكون لغة اوروبية ، وان تكون لغة طبيعية ، وان لا تكون لأمة لها مكانة في العالم سياسية او مذهبية او دينية .

واللطيف ان العالمين لغتهما الانجليزية، واحداهما هي عالمة علم الانسان المعروفة الدكتورة مارجريت ميد Mead

رابطة علماء الاجتماع الامريكيين قامت بها ثورة

● وذلك في اجتماعها السنوى الذى انعقد قريبا في مدينة بسطن بالولايات .

ان علماء الاجتماع كان لهم الفضل في انهم قاموا بالبحوث التى ارسوا عليها قواعد الامن الاجتماعي في الولايات .

وعلماء الاجتماع هم الذين قاموا بالبحوث التى ابرزت ظاهرة الفقر في الولايات، وجعلتمنها موضوع الساعة .

ولكن كان الارتباط بين علماء الاجتماع والحكومات الامريكية القائمة ، رباط لا يرضي عنه طائفة من هؤلاء العلماء ، لا سيما الشبان منهم . ذلك ان واجب العلماء تطوير المجتمع ، ومزاج الحكام في الولايات الامساك على كل ما هو قائم .
وفي هذا الاجتماع ظهر صوت العلماء الشبان يطالبون بفك الرباط الذى يربط الرابطة بالحكومة ، لأنه يوجه البحوث الاجتماعية وجهة خاطئة .

عندهم أن البحوث الاجتماعية الحاضرة جرت الى اليوم في دراسة الطبقات الدنيا وحدها . والامة تتالف من طبقات دنيا وعليا . وعندهم انهم لتمام البحث لا بد أن ينطلق الباحثون الى رجال الطبقة العليا ، حيث الثراء ، وحيث قوة المال ، وحيث قوة الصناعة ، وحيث قوة السياسة ، فيدرسون هؤلاء الرجال ، ما دوافعهم ، ما الذى يحركهم، ما آمالهم ، ما اطماعهم ، كم من الخير فيهم وكم من شر ، وكم من رغبة في تطوير المجتمع بما يأذن للطبقة المعدمة ان تجد ما تلقاه من عمل ، ومن علم ، ومن طعام وكساء .

كانوا خمسين من الثائرين .

وهم الطليعة التى ان تكن اليوم من الخريجين ، فهي غدا من الاساتذة .

وشاركهم فيما يذهبون اليه ، اساتذة لهم في العلم مكانة ، ومن هؤلاء الدكتور روسي Peter Rossi بالجامعة الشهيرة، جامعة هبكنز Hopkins ، ومكانه في الصف الاول من الاساتذة .

قال معلقا على هذه الثورة :
« ان فيما يقول هؤلاء الشبان بعض الحق ، وان وجودهم بيننا ينشطنا ، كما ينشط المهماز الجواد . اننا في حاجة حقا الى الانطلاق من الحال الراهنة . وعلم الاجتماع علم بطبيعته محافظ لأنه يستمد أصوله من النظم القائمة » .

●●



صعوبة المواصلات في الوطن العربي الواحد

● كيف نشجع السياحة بين الدول العربية وبعضها البعض ؟ ماذا نفعل لنيسر للمواطن العربي مهمة التنقل من بلد الى بلد للتعرف على أجزاء وطنه العربي الكبير ؟

أسئلة طالما أثيرت في المؤتمرات واللقاءات بين المسئولين العرب ، وقيل في الرد عليها الكثير ، ولكن ما اقل ما عمل من أجل تنفيذ الحلول المقترحة والمشروعات الموضوعة .

فشبكة الخطوط الجوية التي تربط بين العواصم العربية ما زالت فقيرة وغير قادرة على مواجهة الزيادة المطردة في عدد المسافرين وخاصة في أشهر الصيف ، والطرق البرية التي تربط بين مختلف المناطق والاقاليم العربية في حاجة الى اصلاح واستكمال لكي تفي بالغرض الذي انشئت من أجله .

فالطريق من الكويت الى بيروت مثلا ، وهو طريق سياحي وتجاري هام ، في حاجة الى ترميم وتحسين كبيرين ، وخاصة لانه يمر بعدد كبير من المدن العربية في العراق والاردن وسوريا ولبنان ، ويتصل بحرا بالطريق ما بين بيروت ومصر .

وكذلك الطريق من القاهرة الى طنجة ، ما زال العمل يجري فيه لتمهيده وتوسيعه .. وهو أيضا طريق رئيسي يربط ما بين دول شمال افريقيا العربية كلها .

وكذلك الطريق من الظهران الى صيدا في لبنان، الذي يسير بمحاذاة خط انابيب البترول ، لم يستكمل هو الاخر ، وما زال العمل جاريا فيه .

أما الطريق من القاهرة الى الخرطوم ، ذلك الذي يربط بين اقليمي وادي النيل ، فلم يعد صالحا اطلاقا للاستعمال .

وتتحدث الصحف العربية عن اتفاقيات سياحية أبرمت بالفعل بين مصر والسودان وبين مصر والاردن ولبنان ، لتشجيع السياحة وتنشيطها بين الدول العربية الشقيقة .. كما تشير الصحف الى اتفاقيات مماثلة في سبيل التوقيع بين بقية دول المنطقة .

وهي خطوة تستحق كل تشجيع اذا أعقبتها خطوات أخرى في سبيل مواجهة متطلبات مثل هذه الاتفاقيات . فلا بد من زيادة عدد الرحلات الجوية .. وتخفيض اسعار السفر بالطائرة والاسراع بتمهيد الطرق البرية ، واقامة محطات للاستراحة وفنادق للمبيت على طول الطريق الذي سيسلكه السائح بسيارته .. واخيرا لا بد من تسهيل الاجراءات الجمركية ، لا تعقيدها كما يحدث الان في بعض الدول العربية الشقيقة ..

وما يحدث الان في اوروبا خير مثل على ما يمكن أن تصنعه الحكومات في سبيل تشجيع السياحة وازدهارها .. فيكفي أن تصل بسيارتك الى مشارف اوربا فتسير في طرق ممهدة آمنة تنقلك من بلد الى بلد في يسر وسهولة .. فاذا احسست بالتعب وجدت عشرات الفنادق على الطريق ترحب بك وتسهر على راحتك .. حتى الحدود الفاصلة بين الدول تجتازها في ثوان بلا تعقيدات ، وباقل قدر ممكن من الاجراءات ..

هذه الحقائق وغيرها كثير ليست بغائبة عن اذهان المسئولين العرب ، فاذا كان الحال كذلك بين الدول المتباينة في اوربا ، فاولى به ان يكون بين أجزاء الأمة العربية الواحدة .



الضجيـــج وصحة الناس !

● الف عالم ، بين طبيب ومهندس وعالم نفس وعالم اجتماع ورجل قانون اجتمعوا في لندن حيث قاموا بحضور مؤتمر مكافحة الضجيج الدولي الذى استمر لمدة ٥ أيام . وبحث المؤتمرون تأثير الضجيج على صحة الانسان وعلى حياته ، وعلى تصرفاته الاجتماعية .. ودارت مناقشات علميه .. والقيت بحوث . وخرج المؤتمر بنتيجة تؤكد تأثير الضجيج على الجهاز العصبي للانسان الذى يتسبب بدوره في امراض القلب والدوره الدموية .. الضجيج قد يتسبب ايضا في انحرافات اجتماعية .

وخرج المؤتمرون بعد مناقشات علمية الـى ضرورة اعادة تخطيط المدن على اساس مراعـاة تخفيـف الضجيج بسبب الزحـام الشـديد .. ووضعوا تصميمات معينه للحد من الضجيج الذى تحدثه وسائل المواصلات بقدر الامكان ، كما أوصوا بمنعها من المرور في الشوارع الضيقة ، وانشاء حدائق في وسـط المدن الكبـرى وضواحيها . ونصحوا سكان المدن الكبرى ان يخرجوا بعيدا عن مدينتهم هربا من الضجيج لمدة يوم كامل كـل اسبوعين ..

كل هذه توصـيات .. ولكن هـل من الممكن تحقيقها .. ؟ !

ان هذا الـسؤال من الصعب الاجابة عليه لعدة اسباب أولها أن الحكومات وحدها لا تستطيع ان تقضى على الضجيج بل يجب على سكان المـدن ان يعملوا من جانبهم على تخفيف الضجيج الذى يحدثونه داخل مدينتهم .. والسبب الثاني ان اعادة تخطيط المدن بالمواصفات المطلوبة لتخفيف الضجيج يستلزم اموالا طائلة .

ان الامل الوحيد الباقي لحل هذه المشكلة هو مراعاة توصيات المؤتمر الذى انعقد في لنـدن عند انشاء المدن الجديدة وذلك لتخليص الاجيال القادمه من شر الضجيج .. وهذا هو ما ينادى به علماء التخطيط الان ..

آفاق جديدة لتوفير الغذاء للانسان على الارض

● لعل مشكلة انفجار السكان،وما يتصل بها من مشاكل المجاعة وضيق المكان ، هي اكثر المشاكل استثارا بتفكير العلماء واهتمام الدول والهيئات .

ويذكر هنا برنامج الدراسـات والمخصصـات الضخمة المعروف بالبرنامج البيولوجي الدولي :

International Biological Program

ويهدف هذا البرنامج الى ايضاح المشاكل العلمية الاساسية التي تعترض سبيل الباحث في مسعاه الى اكتشاف واستعمال مصادر الغذاء . فهـو يسعى الى تبيان مشاكل التغذية والمجاعة لا الى حلها . وهو من الضخامة بحيث بلغ عدد الدول المشتركـة فيـه خمسين دولـة . وقـد بلغت المخصصـات المالية الاولية لهذا البرنامج ٢٥٠ مليون دولار . ومهما يكن من امر هذه الابحـاث والدراسات فان فوائدها نظرية وتختلف عن الفوائد العمليـة التي ستعود علـى البشريـة نتيجة للمكتشفات العلمية الاخيرة ، وفي طليعتها البذور الزراعية الجديدة .

فالارز الهندى ، احد تلك المكتشفات وقد سبق ان اشرنا اليه بصورة عابرة في العربي ، ذو اصل فليبيني ، وهـو غزير المحصـول الى حـد يفوق الوصف . ففضلا عن ان مردوده لا يقل عن عشرة اطنان للفدان الواحد ، فان في الامكان زراعته ثلاث مرات في السنة .

ومثل ذلك يقال في الذرة الجديدة التي تكتفي بنصف مياه الري التي تتطلبها الذرة القديمة ، وتعطي فوق ذلك ضعفي محصولها .

امـا القمح ذو الحب الضئيل او « القزم » كما يسمونه Dwarf Wheat فقد اعطى محصولا مضاعفا في المكسيك ، علما بان اليابان هي صاحبة الفضل في تطويره .

ولعل اهم تلك المكتشفات اطلاقا ما اتصل منها بصنـع البروتين . اذ اصبح في الامكان تخليق البروتين المركز وانتاجه على نطاق واسع وذلك من نفاية المطاحن ، «النخالة» ، وبتخليقه بيولوجيا ، مستخدمين البترول في سبيل ذلك . والبروتين ، كما لا يخفى ، هو غذاء للانسان اساسي ، فمنـه يصنع العضل ويبنى الجسم . وغني عن البيان ان توفير البروتين هذا بكميات كبيرة واثمان زهيدة من شانه ان يبعد خطر المجاعة عن البشرية جمعاء .

النهضة الزراعية في تونس

● تشهد تونس حاليا بداية نهضة زراعية واسعة النطاق . ولا غرابة في اندفاع السلطات المعنيّة في تونس في حمل لواء تلك النهضة ما دام الدخل القومي التونسي يعتمد على الانتاج الزراعي بنسبة لاتقل عن ٢٥٪ .

وتستهدف هذه النهضة الشاملة عددا من الاهداف الهامة . فهي ترمي الى تنويع المحاصيل الزراعية ، وذلك حرصا على تجنيب البلاد مخاطر الاعتماد على صنف واحد من تلك المحاصيل . وهي تعمل على نشر استعمال الآلات الزراعية ، اذ لايعقل ان تعود الزراعة على البلاد بالفوائد المرجوه منها ما لم يعمّ استعمال الالة لا في المزارع الكبيرة فقط ، وهذه في الغالب حكومية او شبه حكومية ، ولكن في المزارع الصغيرة ايضا . فهذه المزارع التي يملكها صغار الفلاحين في تونس ما زالت متأخرة وتتخبط في زراعتها بسبب الاساليب البدائية التقليدية .

وتجدر الاشارة هنا الى القرْض الذى حصلت عليه تونس من البنك الدولي مؤخرا . فقد كانت الغاية من ذلك القرض الذى بلغت قيمته ١٨ مليون دولار شراء الآلات الزراعية وتعميم استعمالها في المزارع الكبيرة التى ذكرنا . والجدير بالذكر ان هذه المزارع التي تقع في الغالب في شمال البلاد والتي تبلغ مساحة اراضيها نحو ٥ ملايين فدان ، هي التي حلت محل المزارع الفرنسية السابقة .

على ان ابرز ما تقوم به تونس فيما يتصل بهذه المزارع الكبيرة انما هو تطبيق نظام التعاون فيها . فالمسؤولون التونسيون يرون في هذا النظام ، على مايبدو ، ضمانا لتحقيق حسنات كلا النظامين ، الراسمالي والاشتراكي ، وضمانا آخر لتفادى آفاتهما . لذلك اتجهت نية اولئك المسؤولين ، على مايبدو ايضا ، الى تعميم نظام التعاون هذا على صعيد البيع والشراء بالمفهوم التجارى ايضا .

وقد تشهد السنة القادمة قيام عدد من معارض البيع التعاونية الكبيرة في الاسواق الى جانب دكاكين البيع الصغيرة . هذا وتبذل السلطات في تونس جهودا كبيرة بقصد الحد من اعتماد الزراعة على مياه الامطار ، وذلك بحفر المزيد من الآبار . ويؤكد المسؤولون التونسيون ان هذه الاصلاحات الزراعية كفيلة بزيادة حاصل الانتاج القومي بنسبة ٧ ــ ٨٪ خلال السنة الحالية . وهم يذهبون الى ان هذه الزيادة ستفوق النسبة المذكورة نتيجة لخطة الاربع سنوات التي ستوضع موضع التنفيذ اعتبارا من العام القادم .



مسائل ومشاكل .. وأحداث

تعريب الجزائر

● في بيان اصدرته حكومة الجزائر اخيرا نقرأ ان عدد الطلبة من البنين والبنات خلال العام الدراسي ١٩٦٦ - ١٩٦٧ في جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والفني والعالي ، بلغ مليونا و ٤٩٤ الفا و ٨٢٨ بينما لم يزد عددهم على ٨٣١ الفا و ٥٥٩ طالبا وطالبة في العام الدراسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، وهو العام الذى نالت فيه الجزائر استقلالها .

ومعنى هذا ان عدد المتعلمين قد تضاعف مرتين او كاد في مدى اربع سنوات .

ولكن المشكلة التى يواجهها التعليم في الجزائر ليست مشكلة كم فحسب ، وانما هي اكبر واعمق من ذلك بكثير .. فهي قضية تعريب الجزائر .. ولطالما حارب الفرنسيون اللغة العربية في هذه الارض التى كانوا يعتبرونها جزءا من فرنسا ، مستعينين في ذلك بكل اجهزة الدعاية والاعلام التى كانت تصور للشعب ان هذه اللغة لا تصلح لمتطلبات العصر علما وفكرا .وعندما كان الفرنسيون يشعرون بفشل دعايتهم ، لم يكونوا يترددون في منع تدريس العربية بقوة القانون.

وكان الطفل الرضيع يلتقط الكلمات الفرنسية التى تعلمتها امه ، فاذا دخل المدرسة اكملوا له تعليمه بلغتهم الاجنبية ، فيكبر وهو يجهل لغة اهله وبلده .. حتى لقد بدت الكتابة بالعربية الغازا في عيون هذا الشعب العربى الذى ارضعه الاستعمار لغته مدة تزيد على ١٣٢ عاما .. ولكنها كانت الغازا طالما تاق لتفسيرها ..

وكان لا بد من التحول الى اللغة الام بعد الاستقلال .. ومنذ ان استقلت الجزائر ووزارة التربية تعمل على تعريب المناهج العلمية في المدارس في جميع مراحل التعليم . ولقد خطت في سبيل ذلك خطوات واسعة .. ولكن اذا راجعنا حصاد سبع سنوات من الاستقلال في ميدان التعريب ، وجدنا النتائج لا تبشر بالمستقبل الذى يرضى عنه الضمير العربى للشعب الجزائرى ..

فقد كان الشعب الجزائرى قبل الاستقلال في يوليو من عام ١٩٦٢ ينظر الى العربية نظرة كلها شوق ولهفة .. نظرته الى شيء قريب الى نفسه محبب الى قلبه ، ولكنه لا يعرف عنه شيئا .. وكان في الوقت نفسه ينظر الى الفرنسية ، تلك اللغة الدخيلة ، نظرته الى شيء فرض عليه بالحديد والنار ..

ولو ان المسئولين اولوا هذا الشعور ما يستحق من اهتمامهم لتغير الحال كثيرا .. فلا يكفي ان يتم تعريب المناهج الدراسية .. ولكن لابد من نشر اللغة العربية بين اهل المدن والقرى .. لابد من اقامة مراكز لمحو الامية في جميع انحاء البلاد ، يدخلها كل من يجهل لغة بلاده القومية .. واخيرا لابد من ان تفتح الابواب للكتاب العربي والمجلة العربية والصحيفة العربية .. لابد ان تصل هذه المطبوعات الى كل يد وتلغى الضرائب المفروضة عليها .

ويوم يستطيع كل مواطن جزائرى أن يقرأ هذه الكتب والمجلات العربية .. يتحقق التعريب في الجزائر . ■■



الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

فقيد الجزائر الكبير

بقلم : باعزيز بن عمر

■ كتب الي أحد الاخوان ممن طالت صحبتهم لفقيد الجزائر العظيم أستاذنا محمد البشير الابراهيمي رحمه الله ، يقترح علي ويلح أن أكتب كلمة عن حياته أضمنتها بعض ما علق بالذهن من ذكرياتي الشخصية ايام عملي معه في « البصائر » التي كان يعتبرها رسوله الامين الى العقول المفكرة ، والنفوس المتعطشة الى السمو في التعبير.

فها انا احاول أن اجيب الاخ الى ما طلب ، شاكرا له وفاءه لعظيم من علماء الجزائر وبطل من ابطالها الميامين ، ومعتذرا له في الوقت نفسه عما لا يراه جديدا في هذه المحاولة بالنسبة الى ما يعلم هو ورفاقه الاخرون عن حياة الابراهيمي وجهاده ، وما كان ينثره عليهم في مجالسه العامرة من حكمه الغوالي وادبه العالي .

عرفت الابراهيمي لاول مرة في حلقة من حلقات دروسه التي كان يلقيها على لفيف من الطلبة بمدينة سطيف بعد عودته من الشرق بقليل ، وانا يومئذ في طريقي الى قسنطينة سنة ١٩٢٩ لمزاولة دروس الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس . وما كدت انتهي من سماع هذا الدرس الاول ، حتى سحرني بيانه ؟ وتملكتني فصاحته وبلاغته في الالقاء والاحاطة بالموضوع واخذت افكر في العدول عن سفري الى قسنطينة ، واميل الى تفضيل سطيف عليها ما دامت ضالتي المنشودة هي طلب العلم . اليس فيها من مثل هذه الحلقات ما يروى ظمئي ؟ ويحقق امنيتي ويريحني من تجشم اتعاب السفر الى ابعد مدينة بالنسبة لي في القطر ؟ ولكن قلة الطلبة من حوله ، واتفاق ابي مع استاذنا عبد الحميد بن باديس،اثر اجتماعهما في العاصمة،على التحاقي به في قسنطينة للانخراط في سلك تلامذته ، كانا مما ثبط عزيمتي على البقاء في سطيف فواصلت طريقي الى العاصمة الشرقية الجزائرية ، وانا اخشى

ان لا اجدها محققة لآمالي ، مصدقة لما قيل عنها بعد ما سمعت درس الاستاذ الابراهيمي فيسطيف.

ما قاله الابراهيمي عن سطيف

قصصت عقب وصولي الى قسنطينة على بعض الاخوان من ادبائها ما طاف بخيالي ، وجال في خاطري بعد وقفتي القصيرة بسطيف من عزمي على البقاء فيها استجابة لما تركه درس الابراهيمي في نفسي من أثر كاد يشدني اليها وينسيني مواصلة السير الى قسنطينة التي كنت اسمع عنها الكثير قبل حلولي بها ، فقال الاخ القسنطيني ، وكان اديبا ما فحواه : ان ما تسمعه عن الاستاذ الابراهيمي ونحن هنا في العاصمة الشرقية قمين بان يجعل مدينة سطيف منهلاً عذبا ثانيا يكثر حوله الزحام ، ولكن ما قاله الابراهيمي بنفسه عن الجهل المخيل فيها ، وقلة اقبال سكانها على تاييده في مشروعه العلمي التثقيفي ، كان مما يبعث على الياس والحيرة ، وليس مما يبشر بنجاح جهوده ومحاولته في رفعها الى مستوىالمدنالعلمية كقسنطينة في العصر الحديث ، وبجاية وتلمسان في العصر القديم . لقد بلغنا انه قال عنها ، وهو كاليائس المتبرم المتشائم « ان الجهل عزّب في انحاء الجزائر كلها ، الا في سطيف ، فقد تزوج ».

واني لأذكر ان هذا القول اثر فينا معاشر الحاضرين في المجلس كثيرا ، لانه تصوير صادق لواقع الجزائر المؤلم يومئذ ، وتعبير مؤثر ، لا عن حالة سطيف فحسب ، بل عما كانت البيئة الجزائرية كلها تتخبط فيه من ظلمات الجهل السائد والانحطاط المبيد ، الى غير ذلك مما أدى الى فشل محاولة الابراهيمي في سطيف ، وجعل زعيم الاصلاح الاسلامي الامام عبده يقول « ان ايجاد أمة من العدم اهون من اصلاح هذه الامم ».

رأي استاذنا في الابراهيمي

ثم اجتمعت به مرة ثانية في برج بو عريرج ، وانا بصحبة الاستاذ عبد الحميد بن باديس، وكان ذلك قبل انشاء جمعية العلماء بسنة ، فطاب لي ان اساله عنه اثناء اقامتنا بالبرج فاجابني قائلا : يا بني ان الابراهيمي وعاء من العلم والمعرفة والذكاء ، وانا لنرجو على يده خيرا كثيرا للاسلام والجزائر ؟ فزادني هذا القول من استاذنا فيه اعجابا بالابراهيمي وتعلقا به ، وحرصا على الاستفادة من أدبه وعلمه الغزير من بعد ما كنت اعجبت بسعة علمه في لقاءى الاول به في سطيف .

ارهاص بنشاة جمعية العلماء

وكنت اعتقدت ان ما جرى في ذلك الاجتماع بين الاستاذين العظيمين ما هو الا ارهاص لحدوث شيء هام لا تلبث ان تتمخض عنه الايام وهو ـ طبعا ـ ميلاد « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » الذى كان نقطة انطلاق لنهضة عربية اسلامية جزائرية ، وفاتحة عهد جديد للجزائر الحديثة التى احتفل الاستعمار في تلك الايام نفسها بمرور قرن على احتلال فرنسا لها ، ظانا ان هذا الاحتفال قد ختم على الجزائر ، وجعلها نهائيا ، قطعة من فرنسا ، فاذا هو بداية انهياره وخطوة اولى نحو نهايته وسوء مصيره . وكنت اود ان اعلق على بعض الاحداث بمحضرهما ثم لا اجرؤ في النهاية على ذلك لانني بالرغم من ملازمتي للاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس في تنقلاته واتصالاته بامثال الابراهيمي ، مازلت اذ ذاك تلميذا مهمته التعلم والتثقف ، لا التطلع والتكلف، وان كانت فكرة التمهيد لتاسيس جمعية العلماء من المواضيع الهامة التي ظلت تشغل بالهما ، وتملا وقتهما ، في كل لقاء او اجتماع يتم بينهما في تلك الايام . وكانت الشرطة السرية الفرنسية تتعقب حركات الرئيس وتنقلاته داخل مقاطعة قسنطينة وخارجها ، وتستعمل جميع مالديها من وسائل لالتقاط ما يجرى بينه وبين الابراهيمي في اجتماعاتهما ، فيتنبه لمكرها وطرقها في نصب الشباك له ولغيره ، ومع ذلكفلم يكن يرد على قلق بعض الاخوان ممن كانت فرنسا تسخرهم لهذا الغرض من الجزائريين الا بقوله : اننا نعمل وهم يعملون . وصدق فيما قال فلم تكد فرنسا الاستعمارية تستفيق من نشوة الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر حتى رأى الاستعمار ماكدر سروره بعيده ، وزعزع اركانه ، واطار نومه، اذ استحالت الفكرة الى حقيقة ، فظهرت جمعية العلماء الى الوجود ، فكان ظهورها اثر الاحتفال القرني مباشرة ، رد فعل قوى لسياسة الادماج ، ونقطة انطلاق ، وبداية تاريخ ، وميلاد نهضة . وظل الابراهيمي منذ ذلك الحين يحتل مكان الصدارة في جمعية العلماء كنائب لرئيسها عبد الحميد بن باديس ، يعرض على اعضائها

وانباءها فى كل اجتماع من اجتماعاتها العامة روائع من علم وادب ، ويوجه بأسلوبه البليغ وقلمه السيال على صفحات جرائد الجمعية ، جموع المتعلمين ونخبة المتادبين الى الادب الرفيع والتفكير الصحيح والتعمق فى فهم الاسلام .

الابراهيمي يدعونى الى تحرير البصائر

ولما تسلم مقاليد رئاسة جمعية العلماء بعد وفاة رئيسها الاول ورفيقه فى الجهاد والنضال دعاني الى تحرير « البصائر » تحت اشرافه ، وكنت فى الوقت نفسه عضوا فى ادارة الجمعية فتهيأ لى ان اعرف عظمة الابراهيمي عالما وكاتبا ومفكرا ، وعظمته رئيسا واماما وخطيبا. وبما انَّ هذه الفترة هى التي عاشرته فيها ولازمته ملازمة التلميذ لاستاذه الى ان غادر الجزائر الى القاهرة فى مهمة ثقافية ، فقد رأيت ان اقصر حديثي هذا عليها دون غيرها .

ولادته ونشاته

سألناه مرة ونحن بادارة البصائر عن تاريخ ميلاده ومبدأ تعلمه ونشاته فقال ما ملخصه :ولدت انا والشيخ عبد الحميد بن باديس فى سنة واحدة وهي ١٨٨٩ ، فاتفقنا فى الميلاد زمنا واختلفنا مكانا وهو شيء لا يضر ما دام الوطن واحدا ، فولد هو بقسنطينة ، واتم تعليمه الابتدائي فيها ، وهاجر بعد هذه النشاة الاولى الى تونس وانخرط فى سلك طلبة المعهد الزيتوني ، فاستوعب بذكائه النادر كل ما كان يلقى فيه يومئذ من علوم التفسير والحديث واصول الفقه وآداب اللغة وفنونها . وشعر بالتعطش الى المزيد من العلم والرغبة فى الاطلاع على احوال المسلمين فعقد رحلة الى الشرق مكنته من الاتصال بعلماء ذلك العهد فى البلاد العربية والوقوف على ما رغب فى الاطلاع عليه من أحوالها ، ثم عاد الى قسنطينة مسقط راسه ومنشئه ليبدأ رسالته الشاقة التي كونت منه ذلك الرجل العظيم الذى تعرفونه ويعرفه العالم الاسلامي كله بجهاده فى تثقيف شعبه والنهوض به ومناوأة الاستعمار الذى كان له بالرصاد ، ويعمل على الحيلولة بينه وبين اداء رسالته .

اما انا فقد ولدت بقرية قصر الطير ، من نواحي سطيف فنشات فى بيئة اجتماعية مختلفة كثيرا عن بيئة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ولكن الطابع التربوى والتعليمي يومئذ ، يكاد يكون واحدا فى تنشئة الاطفال لدى الأسر التي بقيت تنتسب الى الدين وتحتفظ ببقايا من علومه رغم ماكان يحيط بكل هذا من امية فى الشعب قاتلة ، وبدع وضلالات فاشية ، وقوة استعمارية غاشمة . فحفظت القرآن مثله ، وقمشت ما تيسر من مبادىء العربية والدين على بعض شيوخ ذلك العهد . ثم هاجرت بدورى ، وانا فى عنفوان الشباب ، الى المدينة المنورة لالتحق بمن كان لي فيها من الاهل والاخوان ، فاعانني جوها وطول اقامتي فيها على الدراسة والبحث والاخذ عن بعض شيوخها ثم المساهمة فى حلقات نشر العلم بين طلابها ، واراد الله ان يكتب لي العودة الى الوطن فعدت الى مسقط الراس فوجدت الاستعمار كما تركته ، يعيث فى الارض فسادا ، ويفرق الناس فى البلاد طرائق قددا ليضمن لنفسه السيادة والبقاء الى ان كان من امرنا وأمره ماتعرفون .

ثم زدنا فسألناه عن هذا العصر الذى لفهما هو والشيخ عبدالحميد بن باديس فى عباءته ، وطبعهما فى النشاة الاولى بطابعه ، فقال باختصار : ان عصرنا فى الجزائر لم يكن يختلف كثيرا عن عصر امثالنا فى بلدان العالم الاسلامي الاخرى ، فهو عصر انحطاط شامل ظل يسود أغلبها ماديا وأدبيا، واذا كان فى بلد جهلا فاشيا وفوضى سائدة ، فهو فى بلد آخر كذلك باضافة ما هو ادهى وامر وهو الاستعمار الاجنبي الغاشم الذى ماحل بأرض الا سخّر كلَّ شيء فيها لمصلحته من انسان وحيوان ، وأوصد ابواب العلم والمعرفة فى وجوه ابنائها حتى لايروا بصيصا من نورهما يهديهم الى سواء السبيل ، وطريق الخلاص ، ولولا أن من سنن الاجتماع وطبائع العمران ماهو أقوى منه للبث الناسُ فى قبضته الى يوم يبعثون ،فاحمدوا الله الذى يغير الاوضاع بتغيير الطباع .

امانة القلم

يرى الابراهيمي أن للقلم امانة يجب اداؤها فمن عجز عن مراعاتها وحفظها حين يكتب فحقه ان ينتحى القلم عن اناملة ويريح القراء من أباطيله . وان حملة الاقلام يجب ان يؤدُّوا رسالتهم على الوجه الاكمل ، ولن يكونوا كذلك الا اذا تجنبوا خيانة اقلامهم فيما يكتبون ، وترفعوا بها عن تسخيرها للدفاع عن الباطل وتشويه الحقائق جريا

وراء مطامع ومطامح شخصية . فامانة القلم في نظر استاذنا الابراهيمي تتطلب من الكاتب ذكاء وقادا ، يجعله يتفطن لملابسات الأمور ، ويمكنه من تصحيح الآراء وتمييز الفضيلة من الرذيلة . وشجاعة ادبية تجعله يستميت في الذود عن الكرامة والمثل والمبادىء الانسانية ، وعن كل ما يعتقد انه حق ، وعقيدة صحيحة لا يرضى عنها حولا ولا يبغي بها بديلا . ثم اطلاعا واسعا على مشاكل مجتمعه وعصره حتى يعالجها عن علم وبصيرة ، ومنطق صحيح . وهو يعتقد أن الكتاب والأدباء والاساتذة والفلاسفة وغيرهم من المفكرين كلهم حملة اقلام فمن استهان منهم بهذه الامانة حين يرفع قلمه ليكتب في ادب أو سياسة او نقد او تقرير حقيقة ، وعلاج مشكلة مما يعرض للاديب المفكر الملتزم فقد داهن وحمل القلم لغير ما ينبغي ان يحمله له ، ودل سلوكه على فساد في خلقه وعجز عن حمل اعباء مسؤوليته ، فكان قمنا باثاره ان تموت لانها لاتحمل في اطوائها ماينفع الناس ويمكث في الارض .

هل كان الابراهيمي هذا الكاتب المثالي في أداء امانة القلم ؟

ان كل ماكتبه الابراهيمي وخطه قلمه كان كله اداء لامانة هذا القلم ، فهو سلاحه في كل ميدان من ميادين الدفاع عن الحق ، وقد ذاد به كثيرا عن حمى الدين ، وامعن في التشهير بالذين شوهوا وجهه السمح ببدعهم وضلالاتهم واهوائهم من المشعوذين والطرقيين ، وزاد فصاول اعوانهم من المستعمرين على صفحات « البصائر » وأعمدة المنابر ، وظل يؤدى هذه الامانة تارة بالقلم وتارة باللسان ، من غير ان يخشى في الله لومة لائم حتى اخذه الله الى جواره . وما أروع موقفه بالمجمع اللغوى المصرى اذ اعلن بكل صراحة وشجاعة انه لا يفهم معنى لوجود مستشرقين غربيين ينتمون الى دول استعمارية ، في مجمع عربي .

ومما جاء في كلمته تلك قوله : « ولقد كنا نستسيغ الاستعانة بالاجنبي في بناء سد ، او مد سكة ، أو تخطيط مدينة ، مما سبقنا اليه الاجانب وبرعوا فيه ، اما الاستعانة في شأن يخصنا كاللغة .. فلا ! .. ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب امثالها ما يبلغه العربي في ذلك كله ؟ على ان بعض اولئك المستشرقين الذين كانوا اعضاء بهذا المجمع كانوا مستشارين في وزارة الخارجية من بلدانهم وهذا قادح آخر يضاف الى قادح قصورهم في اللغة . »

كيف كان يكتب للبصائر

كان رحمه الله شديد العناية بكل ما يكتب « للبصائر » . وقد ينتهي من تحرير مقاله ومع ذلك فلا يرسله الى المطبعة بل يفضل ان يستبقيه عنده ليتيسر له ان يراجعه ويعيد النظر فيه حتى اذا لم يبق لصدور الجريدة الايوم او بعض يوم أسرع هو بنفسه الى المطبعة ، وقدم المقال الى المصفف وبقي معنا ليشرف على تصحيحه ويلقي نظرة عامة على اهم مواد الجريدة . وقد طاب لي ان امازحه مرة فقلت له : يبدو لي انك تتعب كثيرا في كتابة هذه المقالات الافتتاحية فقال : نعم اتعب ككل كاتب ولكن تعبي لايذهب سدى كتعب بعض الكتاب ، وقد أتوقف قليلا في اختيار الموضوع وجمع اطرافه وتكوين وحدته قبل رفع القلم ، واذا تم لي هذا انطلقت في كتابة المقال بدون توقف ، ولكن مراجعته بعد الفراغ من تحريره كانت دائما تكلفني بعض العناء لأنها تضطرني غالبا الى حذف شيء وزيادة شيء ، وانا انصح للكتاب الناشئين ان لا يعالجوا من المواضيع الا مادرسوه دراسة محيطة تجعل مايكتبون ذاقيمة في الانتاج الأدبي العام ، فمن كتب في موضوع لم يحط به علما اضطرب فكره ، واختلت لغته فلم يجد قارئه ما يقرأ الا سخافات في اللفظ والمعنى معا . وكان رحمه الله يطرب لكل جميل من لفظ ومعنى يقف عليهما فيما يرد على البصائر من نثر وشعر ، بقدر ماكان ينفر من كل سخيف مبتذل منهما مما يمجه الذوق ، وينبو عنه السمع ، ويتعارض استعماله مع الاساليب البليغة والتعابير الفصيحة .

اسلوب الابراهيمي

يقول بعض النقاد ان الاسلوب هو الشخص ، ومعنى هذا القول ان لكل كاتب مقتدر أسلوبا خاصا به يكون كالطابع له لا يحيد عنه اذا كتب . وقد انطبق هذا التعريف على الابراهيمي وعلى طائفة من اعلام النهضة وأدبائها المعاصرين له في الشرق تمام الانطباق ، فانت لاتكاد تقرأ له مقالة واحدة من مقالاته حتى يكون قد فرض عليك

شخصيته وجعلك تتمثل اسلوبه ، وتستجليه في كل جملة يخطها قلمه او ينطق بها لسانه ، فتدرك انه مدرسة فذة ثابتة الاركان واضحة المعالم تنطق بعظمته كاتبا وخطيبا ومفكرا وتطبعه من بين قادة الفكر ودعاة الاصلاح الاسلامي بطابع خاص في مضمار البلاغة والبيان . حقا ان للعربية في كل عصر من عصور ازدهارها وانحطاطها كذلك اعلاما من الكتاب والادباء والشعراء اعتبرت اساليبهم مدارس ، ولكن قل منهم من يجمع بين القوة والجمال وصدق الملاحظة ، وفيض الموهبة ، وصفاء العبارة ، وعذوبة اللفظ ، ونبل المعنى . اما هو فقد كانت هذه الخصائص كلها من أبرز عناصر اسلوبه .

كنت في بعض الاحيان أحاول التخفيف عنه حين أراه منكبا على كتابة مقال ، فاقترح عليه رحمه الله ان يملي عليّ المقال اراحة لبصره ، فيابى قائلا : « ان القلم أطوع لي من اللسان ، في هذا الميدان ، وانا لا اضعه مادام في عيني بصيص من نور ، فهو سلاحي الذي أصارع به الاستعمار واعوانه من الدجالين والمبطلين ، وان من الاقلام ما يفوق السيف اثخانا في أعداء الحق وأعوان الباطل » .

ضاق ذرعا أقطاب الطرقية باسلوبه اللاذع فيما كان ينشره من مقالات ضافية بجرائد جمعية العلماء في فضحهم والتشهير ببدعهم وضلالاتهم فكانوا يستأجرون بعض الاقلام العرجاء للرد عليه واتهامه بانه يعمد فيما يكتب الى التجريح الشخصي ، مع انه لم يكن يهتم فيما يكتب ضدهم بذكر الاسم بقدر ماكان يهتم بذكر الوسم ، ولكن القوم درجوا على سماع التمجيد ، لاعلى سماع النقد والتنديد، فكانوا يردون على مايكتب ضد طرقيتهم وأكلهم الدنيا باسم الدين ، بانه تجريح شخصي ونيل من الاعراض . اما الابراهيمي فلا يقابل ما يتقولون عليه من الاقاويل في سرهم وعلنهم الا بالمضيّ في صب جام نقده عليهم ، وربما تندر بهم ، كما هي عادته فقال : أرايتم كيف أصبحت كلماتنا سهاما دامية في جنوبهم وشوكة في حلوقهم . وانا لماضون في محاربتهم حتى يقلعوا او ينهزموا ، ولسنا نهابهم او نرهبهم ولو استعانوا علينا بخيلهم ورجلهم واغوائهم واقطابهم . انا نريد تعليم الشعب وهم يريدون تجهيله، نريد تصحيح عقيدته في الله حتى ينهض بها كما نهض أسلافه بها وهم يريدون تكبيل فكره باغلال ترهاتهم وشطحاتهم الصوفية حتى يظل على الدوام طعمة سائغة لهم ، الاساء ما يحكمون .

التخلف في اللغة ، لا يشفع له التقدم في العلم

يشيد الابراهيمي كثيرا بهذه النهضة الشرقية ، ويرى انها طبيعية في بلاد العروبة والاسلام كلها لحاجة الناس اليها . وقيامها على الاسلام واحياء تراثه وثقافته ولغته ، مما يزيدها قوة وامتدادا ويجعلها ترتكز على اقوى الدعائم في هذا العصر ، وهو تعميم التعليم ونشر المعرفة بالاضافة الى روحها الاسلامية العربية ، ويرى أن من آثارها عندنا ، ظهور جمعية العلماء التي تأثرت بها تأثرا جعلها تبادر بارسال بعثات من تلاميذ مدارسها الى بعض معاهد الشرق حيث يعمل عصر الانبعاث على احياء الثقافة الاسلامية وربطها بالثقافة الحديثة في جميع ميادينها العلمية والادبية والاجتماعية وغيرها، ومع ذلك فقد ردّد مرارا في معرض الدفاع عن العربية قوله : آه ، فانا اخشى ان أرى في جيلنا الصاعد الذي انبثقت منه بعثاتنا ضعفا مخجلا في كسب ملكة اللغة والاداة الادبية بجنب ما يقمش من علوم الحياة والاجتماع والاقتصاد . وربما ساله سائل منا في المجلس عن صحة ما يذهب اليه بعض متخرجي المدرسة الحديثة في الشرق من القول بان التخلف في اللغة يشفع له التقدم في العلم ، فيجيبه بكل بساطة : هذا رأي خاطىء ، فلغة العلم اذا ضعفت كأداة له ، ضعف العلم نفسه ، واني لأنصح لابنائنا المتادبين والمغتربين في طلب العلم ان يكونوا أقوياء في تكوينهم لغة وعلما وادبا واخلاقا ، ويعكفوا على دراسة تراث الاقدمين تنمية لملكاتهم وصقلا لمواهبهم واذهانهم .

التشجيع معطش ومجوّع

كانت « البصائر » تتلقى أحيانا مقالات ورسائل من بعض الناشئين وغيرهم ، يرجون ادراجها على صفحاتها رغم مايبدو عليها من ضعف في التحرير والتفكير ، فأحاول نشرها تشجيعا لاصحابها ، ولكن لايكاد يطلع عليها حتى ينكر فكرة هذا التشجيع الذي قال عنه : انه معطش مجوّع ، ويعلل موقفه هذا من تلك المقالات بقوله : ان الصحف الراقية

لا تعلم الانشاء ولكنها تقوم الفكر ، وتوجه الراى ، فعلى ابنائنا ان يصحبوا انشاءهم على اساتذتهم ومعلميهم قبل ان يبرزوا الى ميدان القلم والأدب وهم عزل من سلاحه ، وما يمنعهم ، حفظهم الله ! ان يكثروا من مطالعة امهات الأدب وآثار المجيدين من الكتاب والشعراء قديما وحديثا حتى يروضوا عقولهم ثم اقلامهم على خير اساليب العرب ، ويتجنبوا كل سخيف من التعابير والالفاظ التى يرفضها الذوق الراقي،والاسلوب العربي الأصيل. وهو بهذا التشدد لا يرفض الابتكار والتجديد في المعاني والالفاظ في اطار لغة صحيحة واسلوب مشرق خال من التكلف والغموض ، مستوف لعناصر الجودة والجمال،كما انه لا يقيم وزنا لفكرة القديم والجديد الا على هذا الاساس . فكل كلام سمت لغته وجدت معانيه ، وزاد فعبر عن شخصية قائله . استحق عنده أن يعد صاحبه من الكتاب .فليتتسب بعد ذلك ان شاء الى المدرسة القديمة وان شاء الى المدرسة الحديثة ، وعلى ضوء هذا ندرك مبلغ غيرة استاذنا الابراهيمي على العربية وحرصه على تطويرها مع المحافظة على طابعها وخصائصها .

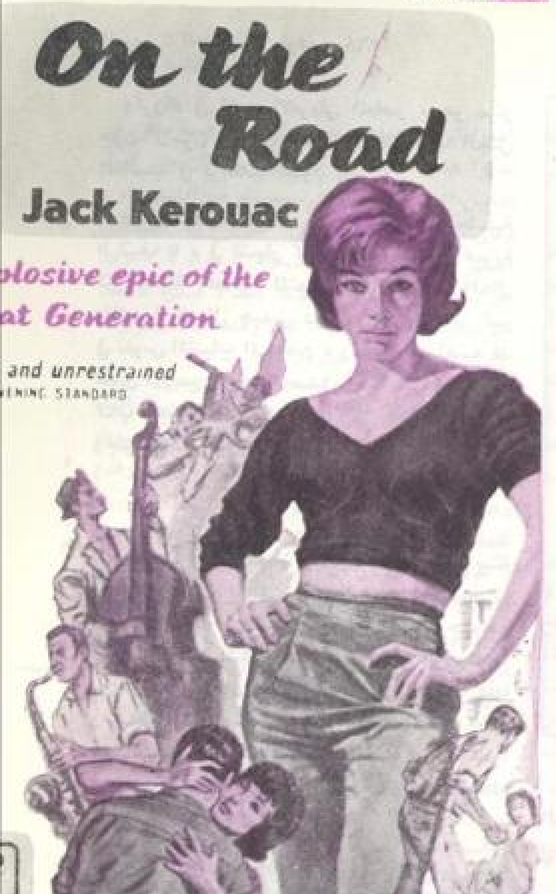
طول الاقامة في الشرق لا يعلّم وحده اسلوبا ولا بلاغة

مازحته ذات يوم ونحن في ادارة « البصائر » فقلت له : لعل طول اقامتك في الشرق ، مهد العربية وموطن الفصاحة هو الذى أكسبك هذه الملكة ؟ وغذى فيك هذه الموهبة الفياضة ؟ وجعلك تحيط علما بفنون القول وطرائق التعبير عند العرب وعلماء البيان احاطة طبعت اسلوبك بطابع القوة والجمال وهذا شيء لا يتسير الا لثلة قليلة من اعلام الادب في هذا العصر .

فاجاب رحمه الله مسرعا عن ملاحظتي ، وقال ما معناه تقريبا ، على ما اذكر ، وسجلت في مذكرتي : أن مجرد طول الاقامة في البلدان العربية لا يعلم في العصور الاخيرة احدا فصاحة ولا بلاغة اذ غار معينهما فيها منذ زمن بعيد . ألم يبلغك ما قاله ابن بطوطة وهو من أبناء القرن السابع في هذا الصدد ، يوم أدى صلاة الجمعة في مسجد البصرة الجامع ، وسمع الامام يلحن في خطبته لحنا فاحشا كانه خريج زاوية او مقدم طريقة او موظف في اللجنة الدينية في عهد فرنسا ، لا ربيب البصرة مهد النحو وموطن سيبويه ، فهاله ما سمع واسرع بالشكوى الى قاضي المدينة يسأله عن هذا الوباء اللغوى الذى حل بمدينة النحو والنحاة ، وكان القاضي لبقا فقال له مسليا : لا تتعجب يا سيدى . يظهر لى انك غريب عن المدينة ، حديث عهد بدخولها . ان النحو قد غار معينه في البصرة منذ عجز الخلف عن تقفى السلف.

فاكثر ائمتنا اليوم يجهلون ان النحو قد ولد وترعرع وازدهر فيها ، وانها عرفت من اعلام النحاة ومذاهبهم ما لم تعرفه أى مدينة أخرى يومئذ . واذا كانت هذه حال من نشا في البصرة وعاش فيها من اولئك الفقهاء في عصر ابن بطوطة فهل في الامكان ان تقوم الالسنة ، وتنطق بالفصيح والبليغ من كلام العرب في غيرها من المدن التى لا يزال طابع عصور الانحطاط مهيمنا عليها ايام اقمنا فيها . فلولا جهودنا الفردية التي جعلت بعضنا ممن نبغوا في عصور الانحطاط ينكبون على دراسات تراث الاقدمين ، من الآباء والاجداد ، لكنا جميعا ذلك الامام الذى ادهش ابن بطوطة بجهل النحو والعربية وهو ابن البصرة وربيبها ، فبفضل تلك الجهود شذ افراد عن القاعدة ، ممن اشرت اليهم ، فحفظوا لنا ذلك التراث الضخم ولقنوه آخرين من امثالنا الذين اتجهت بهم هممهم في بعض اقطار العربية والاسلام الى الدراسة والبحث والتنقيب من غير ان يكون الفضل عائدا في تكوينهم الى برنامج او مدرسة لان المدارس والمعاهد قد تقوضت وصوح نبتها ، ولم يبق على شيء منها عصر الانحطاط والقحط الادبي . اما في عصر النهضة الأخير فقد كان للمدرسة والتوجيه اثرهما في تكوين من عرفنا من كتابه وشعرائه وادبائه المعاصرين الذين لا تكاد تخلو منهم مدينة او عاصمة من عواصم الشرق التي مستها هذه النهضة المباركة ، وجعلتها تزخر بهم على اختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم ، تبعا لما صاحبها من مؤثرات وعوامل ورياح غربية . ولا ضير في ذلك ما دامت هذه النهضة قادرة على التوفيق بين الاصيل والدخيل وهضم ما تقتبس من المذاهب والآراء . ■

الجزائر ـ **باعزيز بن عمر**



كتاب الشهر

على الطريق

بقلم جاك كِرُواك
JACK KEROUAC

رأس كتاب الجيل الضائع في أمريكا

بقلم : الدكتور محمود السمره
الاستاذ بالجامعة الاردنية

■ في اليوم الثاني عشر من شهر مارس (آذار) من عام ١٩٢٢ ، وفي بلدة لويل Lowell بمساشوسيتس، وفي عائلة حسنة الحال من الطبقة المتوسطة ، ولد جاك كرواك راس الكتاب الشباب الثائرين في الولايات المتحدة الامريكية ، وهم الكتاب الذين عرفوا باسم « كتاب الجيل الضائع » Beat Generation ولعل هذه الترجمة للمصطلح الامريكي غير دقيقة ، وخير منها ان نقول « الجيل المنتهك » ، ومع هذا فهي في راينا الترجمة التي تنقل المراد من هذا المصطلح في اصل وضعه .

وبعد ان انهى كرواك دراسته الثانوية في بلدته، التحق بجامعة كولمبيا بنيويورك حيث قضى فيها عامين (١٩٤٠ ـ ١٩٤٢) ، ثم خدم في البحرية الامريكية ، وعمل في السفن التجارية ، وطوف في الامريكتين ، وشمال افريقيا ، واوروبا . واخيرا قرر الاستقرار في نيويورك لينصرف للكتابة ، وبدا ينشر ما يكتبه بتوقيع مستعار هو جان لوى Jean Louis .

وقد صدر لكرواك ، حتى اليوم ، عدد لاباس به من القصص والاقاصيص ، وديوانا شعر ، وكتابان في الفلسفة . وهناك مختارات من آثاره مسجلة على اسطوانات .

وكرواك في الادب الامريكى المعاصر ، هو صنو جون أُزْبُرن Osborne رأس كتاب الجيل الغاضب في بريطانيا اليوم .

وقد ساهمت المجلات ، وفي مقدمتها مجلة « لَيف » ، في اشهار كرواك ، ورسمه في صورة تثير اخيلة الصبية المتمردين ، كما كان الحال بالنسبة للممثل جيمس دين . ولكرواك أثر كبير في نفوس الشباب المراهقين ، رغم أنه هو نفسه قد تعدى الاربعين ، وهذا يصدق ايضا على زملائه من كتاب الجيل الضائع ، مثل بَرّز Burroughs وجنزبرج Ginsberg .



وجاك كرواك الانسان والاديب ، هو نتاج بيئة وعصر ، هما : المجتمع الامريكى بعد الحرب العالمية الثانية . واذا كانت امريكا قد خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة ، واكثر غنى ونفوذا من ذى قبل ، فان الفرد الامريكى أصبح أكثر قلقا ومشاكله أكثر تعقيدا . وقد بلغ التوتر الداخلى حدًّا ان تلفونات الكتاب كانت تراقب ، كما كانوا يساقون الى التحقيق لادنى شبهة ، وليس ما فعله السناتور مكارثى عنا ببعيد .

وهذه الحال الحادة من التوتر ، التى كانت نتيجة لخروج امريكا من قوقعتها ، واتصالها بالعالم الخارجى ، ومجابهتها لقيم جديدة ، جعلت الفرد الامريكى يحن الى تلك الايام الغابرة الزاهرة التى فقدها ، حيث كان ينعم بالطمأنينة ، وراحة النفس ، والايمان العميق بقيم ثابتة ، لم يكن يخطر بباله انها ستكون في يوم من الايام مدار شك وتساؤل .

وقد دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة ، وانتهى العالم الاجتماعى C. Wright Mills في كتابه « الصفوة الحاكمة » (١٩٥٦) The Elite Power الى أن السبب في هذا كله يعود الى أن امريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة،لتقع في قبضة حفنة من رجال المال ، وكبار العسكريين . وقد تحالفت هاتان القوتان من أجل تكريس المجتمع الامريكى لخدمة مصالحهما الخاصة . وما هذه الحروب التى تشنها الولايات المتحدة سوى نتيجة لهذا التحالف. وقد اكد هذه الحقيقة الرئيس ايزنهاور في مذكراته التى نشرها بعد انتهاء مدة رئاسته .



جاك كرواك

ونحن نجد صورة هذا كله في كتابات أدباء الجيل الضائع ، وخاصة في اعمال جاك كرواك .



في هذا الجو نشأ كتّاب الجيل الضائع ،وعلى هذه الاوضاع ثاروا ، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية : ففى منتصف الاربعينيات ، وفي نيويورك ، وحول جامعة كولمبيا خاصة ، كانت تتحلق مجموعة من الكتاب الشباب ، من بينهم كرواك . وقد التقت هذه الجماعة عند عجزها عن أن تؤمن بشيء ، واقتناعها بأن مثل هذه الحالة النفسية من عدم الايمان بشيء أمر لا يطاق . وقد نتج عن هذا الضياع الذى كان يحس به هؤلاء الكتاب الشباب ، مرارة نفسية دفعت بهم الى الافراط في كل عمل يقومون به ، حتى أن كرواك قال مرة مخاطبا صديقا له من هذه الفئة من الكتاب ، هو هومز Holmes « انظر حواليك ، ألا ترى اننا جيل ضائع ؟ » وكانت هذه أول مرة يستعمل

فيها هذا المصطلح ، وبعدها شاع على الالسنة كعنوان لهذه الفئة من الكتاب الشباب ، الذين لم يكونوا قد وجدوا بعد شيئا يؤمنون به .

وكان كرواك قد تحدث حديثا مسهبا عن عالم الجيل الضائع في اول كتاب صدر له ، وهو « البلدة والمدينة » The Town and the City ولكنه لم يطلق عليه اسما . وقد اخذ هومز هذا المصطلح الذي اطلقه كرواك ، وكان اول من استعمله في قصة ، وذلك في قصته Go التي يبرز فيها بوضوح حاجة هذا الجيل الملحة الى شيء يؤمن به . ونحن نجد بطل هذه القصة يكثر من ترديد عبارة « هذا الجيل الضائع » .

ثم نشر هومز مقالة بتاريخ ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٢ في مجلة نيويورك تايمس ، حاول فيها أن يحدد ما عناه هو وصديقه كرواك بمصطلح « الجيل الضائع » ، وكان مما قاله : « ان هذا المصطلح لا يعني الضياع فحسب ، بل يعني ايضا انه جيل ثائر على كل ما في مجتمعه » ، وهو جيل برز الى الوجود ، في رايه ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو جيل يحس بالهزيمة في أعماقه ، وبالمرارة في نفسه . انه جيل يحس بالضياع ، وانعدام القيم ، ويكفر بكل شيء ، وباشتداد ازمتهم النفسية اخذوا يبحثون عن قيم جديدة يؤمنون بها .

ولكن مقالة هومز هذه المرة لم تترك أثرا مذكورا وبقي الكتاب الشباب من ابناء هذا الجيل لا يثيرون اهتمام المفكرين ، حتى أن الناشرين رفضوا أن ينشروا كتاب كرواك الثاني ، الى ان حلت سنة ١٩٥٥ : ففي هذه السنة نشرت سلسلة كتب « كتابات عالمية جديدة » مقتطفات من قصة « على الطريق » On the Road بتوقيع جان لوي ، وليس جان لوي سوى كرواك نفسه . وفي هذه السنة ايضا كتب الناقد مالكولم كولي Malcolm Cowley مقالة يتحدث فيها عن هذه الفئة من الكتاب التي ترفض الانتماء لمجتمعها ، وتثير عليه حربا عوانا ، ويطلق عليها اسم « الجيل الضائع » ايضا ، ويؤكد ان اجمل تصوير لحياة هذا الجيل ، واصدقه ، نجده في كتاب كرواك غير المنشور « على الطريق » .

وتتالت الكتابات عن كتاب الجيل الضائع ، وتحدث بعض النقاد المعروفين عن جماعة جديدة اخذت تظهر في سان فرنسيسكو ، وهي تمت في أصولها الى جماعة نيويورك ، ويتزعمها بعض من بداوا هذه الحركة في نيويورك . وكان جل أدباء الجيل الضائع في سان فرنسيسكو من الشعراء ، وعلى راسهم الشاعر الن جنزبرج ، الذي اشتهر بعد أن نشرت قصيدته « عواء » ، وقد ظهرت هذه القصيدة ، فيما بعد ، ضمن قصائد اخرى في ديوان بعنوان « عواء وقصائد أخرى » يهديه الشاعر الى جاك كرواك .

وسنة ١٩٥٧ ذات أهمية خاصة في حياة أدباء الجيل الضائع : ففيها ظهرت مقالة ركسروث Rexroth القيمة في أدب هذا الجيل ، وقدم زعيم شعراء هذا الجيل فرلنجتي Ferlinghetti للمحاكمة بتهمة نشره ديوان شعر لا أخلاقي بعنوان « عواء » . ويبدو أن كلمة « عواء » من الكلمات المحببة عند هؤلاء الادباء ، وهي تعبر عن استنكارهم وثورتهم على المجتمع الذي يعيشون فيه ، والتمرد لما هم فيه . وفي شهر ديسمبر (ايلول) من العام نفسه نشرت رائعة جاك كرواك « على الطريق » .



وهكذا برز أدباء الجيل الضائع فجاة بروزا واضحا مدويا ، وكانهم البركان في ثوراته ، وأخذت حركتهم منذ هذا التاريخ ، تقوى وتتوسع ، ويشمل نشاطها البيئات الجامعية ، والشوارع المكتظة بالناس ، وشاشات التلفاز والسينما ، وصفحات المجلات المعروفة . وتسابقت دور النشر لاصدار مختارات من كتاباتهم ، وهرع علماء الاجتماع لكتابة الدراسات عنهم ، حتى ان حركة الجيل الضائع ، الثائر على كل القيم . كادت أن تصبح هي المعبرة عن الطابع العام للمجتمع الامريكي .

ولكن هذه الحركة التي هبت قوية كالاعصار ، لم تلبث بعد سنوات معدودة أن أخذت ريحها تهدأ ، ثم تركد . وهي ، وان كانت اليوم تحتل مكانا بارزا في الادب الامريكي المعاصر ، الا ان أثرها دون ما كان عليه قبل عام ١٩٦٠ .



ولا يبدو لنا الجيل الضائع في أدب كرواك صورة لليأس ، أو خطرا يتهدد النظام القائم بالانهيار ، أو موضوعا للسخرية ، بل انه عالم فني أبدع خلقه الكاتب . وقد بدا هذا العالم يتكون في ذهنه

سنة ١٩٤٧ ، وذلك عندما قرر أن عليه أن يختار بين الكتابة عن مجتمع الصالونات ، والبيوت المريحة ، أو الكتابة عن الحياة المنطلقة في الشوارع الفسيحة الممتدة الواصلة بين المدن والولايات الامريكية ، بما فيها من اناس بسطاء . وهذه الحياة الثانية هي موضوع كتابات كرواك منذ صدور أول كتاب له وهو « البلدة والمدينة » الذى ينتهي وقد مل البطل حياة المدن والصالونات وقرر أن يبدأ حياة جديدة ، فنراه وقد ارتدى جاكتته الجلدية السوداء ، وحمل بيده حقيبته القديمة المهترئة التى وضع فيها حاجياته القليلة، وهى كل ما يملك في الحياة ، ليبدأ رحلة طويلة. والبطل دوما هو كرواك نفسه ، مهما اتخذ من أسماء في آثاره التالية . وبطلات قصصه ، دوما، صريحات ، غير متحفظات ، يقطرن رقة وعذوبة ، ويؤمن بالحب .

ونجد البطل في قصته الثانية « على الطريق » وقد بدأ رحلته فعلا ، باحثا عن معنى للحياة . ويمر بتجارب عديدة في دنيا الجيل الضائع ،تجعله يتخلص من احساسه بالضياع ، وعدم ايمانه باية قيم ، ولكن دون أن يؤمن في البداية ، بقيم جديدة . وتدريجيا ينتهي الى أن معنى الحياة هو : أن يعب منها حتى ينتشي ، مستجيبا لرغباته ونزواته ، بما في ذلكتدخين الماريجوانا (الحشيش)، مطهرا نفسه من الحقد ، نائيا بها عن المهاترات ، والوقوف موقف الوعاظ .

وأثناء رحلته ، ومن خلال تجاربه ، يجد في الناس المتشردين ، جوّابى الافاق ، من الصفات الحميدة ، ما لم يجده في أبناء المدن ، ورواد الصالونات الفخمة ، ويكتشف أن هذه الفئة من الناس هى التى يحبها ، ويتعاطف معها ، لان افرادها ودودون ، صادقو العاطفة ، مستعدون لتقديم كل عون لمن يحتاج اليه ، دون أن ينتظروا أجرا على ذلك .

★ ★ ★

وحب كرواك لهذين العالمين : عالم الجيل الضائع ، وعالم طفولته وصباه في بلدته لويل ، مكين في نفسه : فهو يحب لويل لانها عنده رمز للجمال النقى الذى لم يدنس ، وهو يحب عالم الجيل الضائع لانه يجد فيه كل ما كان قد ظن انه قد فقده الى الابد . وهو يجد في كلا العالمين تلك الخصائص التى تجعل الحياة أهلا لان تحيى،وهي : الطمأنينة ، والحنان والروحانية .

ولم ينته كرواك الى تبنى قيم جديدة تقوم عليها حياة جيله ، الا بعد ان مر بفترة من الضياع ، تلت رحيله من بلدته الى نيويورك . ونحن نجد صورة واضحة مؤثرة في قصته « البلدة والمدينة » (اى لويل ونيويورك) ، وخاصة في ذلك المنظر الذى نرى فيه البطل الشاب واقفا في ميدان (تايمس) المشهور في نيويورك ، وقد بهره فيض من الوان أنوار النيون. ثم يأخذ،وهو في وقفته تلك، يتذكر حياته الاولى في بلدته ، واذا به يحس أن كل ما كان جميلا قد انتهى ، ولم يعد في حياته سوى الضياع ، والفوضى ، والالم .. هناك في بلدته عب من الحياة حتى انتشى !!

لكنه لا يلبث أن يفيق من تأملاته ، وتنبسط أساريره ، عندما يشاهد ثلاثة من أصدقائه يعبرون الميدان اليه . انهم نواة ما عرف ، فيما بعد ، بالجيل الضائع .



واذا كانت لويل هي مصدر تلك الروحانية التي اوجدها ثانية في عالم الجيل الضائع ، فانها ايضا المكان الذى غذاه بالحنان . ومن الأمثلة الواضحة على هذا القصة السابقة نفسها : فعائلة مارتنز ، محور القصة ، عائلة افرادها شديدو التعلق بعضهم ببعض . ويرسم لنا كرواك صورا عديدة ، وأحداثا متلاحقة ، تصور هذا الحب الذى يجمع بين افرادها ، وكل هذا في ظل أب هو مصدر الحنان ، وهو الذى علمهم الحب ، فهو « لم يرفع يوما يده مهددا أحدا من افراد الاسرة بالعقاب ، حتى ولا الحيوانات الاليفة في المنزل » . ويقول البطل : « في بيتنا هذا نشأت لا أعرف العنف ، أو الكراهية ، أو القسوة ، أو شيئا يمت الى هذه المعاني من بعيد أو قريب » . وبالاضافة الى هذا فان لويل هي مصدر الطمأنينة ، والفرح ، والبهجة .

وقد نقل كرواك معه هذا الاحساس الى عالم الجيل الضائع ، حتى اغرقه فيه .

وهذا الجو العبق بالبراءة ، والحنان ، والفرح ، والبهجة ، نجده في أجمل صورة في قصته « ماجي كسيدى » Maggie Cassidy ، وخاصة في حب البطل للبطلة (ماجي) حبا مبرحا مؤلما ، فيه حنان . وهذه القصة مكتوبة بأسلوب مؤثر ، ينساب تلقائيا دون افتعال . وعندما يترك البطل موطنه ، لويل ، الى نيويورك ليلتحق بالمدرسة ، يحس انه قد فقد هذا العالم الى الأبد ، ويستولى عليه شعور حاد من الحنين الى مسقط رأسه . وتجيء حبيبته (ماجي) الى نيويورك ، ويلتقيان ، ويقضيان معا ليلة ، يحاول فيها ان يدنس طهرتها ، ولكنه يجد نفسه عاجزا عن ذلك . والرمز في هذه الحادثة واضح : فماجي رمز لبلدته الطاهرة الذيل ، النقية . وفي الصباح ترجوه ماجي ، باكية ، ان يترك نيويورك ، ويعود الى لويل ، ولكنه يرفض ، فتتركه وتعود وحدها . وبفقده لها يفقد لويل ايضا .

ونصل الى آخر فصلين في الكتاب ، واذا بنا نجد البطل وقد استحال الى انسان متشائم حزين ، لانه يحس بالضياع ، والحسرة على ذاك العالم الذى فقده ، ولكن ينقذه من هذا الاحساس المؤلم ، اكتشافه أخيرا لعالم جديد هو عالم الجيل الضائع ، الذى يجد فيه من جديد عالم لويل الذى ظن انه قد فقده الى الأبد .

★ ★ ★

وعندما نصل الى هنا يجبهنا السؤال التالي : ما قيمة آثار كرواك ؟ .

يرى الناقد بدهورتس Norman Podhoretz ان فلسفة كتاب الجيل الضائع « معادية للحضارة ، والتقدم ، وهي تمجد البدائية ، والغرائز ، وتبرز العنف ما دام الفرد يقوم به استجابة لدافع غريزى » .

ويرى ناقد آخر ان شباب هذا الجيل مادة خصبه للسخرية ، « وهم لا يهددون نظام الحكم القائم ، لان ثورتهم اجتماعية ، وليست سياسية .. انهم يرون الحياة في شرب المسكرات ، وتعاطي المخدرات ، والتمجيد البالغ للحياة الجنسية » .

وفي رأينا ان كلا الرأيين يجانب الواقع : فأعمال كرواك تدعو صراحة الى المحبة ، وتنفر من العنف ، كما ان القيم التي يمجدها قيم تهدف الى السلام والحنان . وهذه الدعوة ثورة صريحة على القيم السائدة في المجتمع الامريكي ، الذى أصبح العنف اصلا فيه ، والقلق جزءا لا يتجزأ منه .

وكرواك ليس عدوا للتقدم الحضارى في حد ذاته ، ولكنه عدو لهذه الحضارة الامريكية التي سلبت الحياة بهجتها وبراءتها ، وامتصت من الانسان عاطفة الحب والحنان ، وعبدت الآلة ، وملأت البيوت بالتلفازات ، بحيث استحال الناس الى آلات ايضا : لأنهم جميعا يشاهدون نفس الاشياء ، ويفكرون في نفس الاشياء ، في نفس الوقت . وكرواك كاره لمثل هذه الحضارة ، لأنها تحول دون الانسان وتحقيقه لفرديته وانسانيته .

ولم يحظ فن كرواك باهتمام يذكر من النقاد : فهم قد اكتفوا بأن اشاروا اليه اشارات سريعة متناقضة فيضعه بعضهم في قائمة الكتاب الموهوبين ، بينما لا يرى غيرهم في كتاباته سوى عبث وسخف . وخير مقالة كتبت عنه بقلم الناقد وارن تلمان Warren Tallman .

وفي رأينا ان قيمة كرواك الفنية تكمن في قدرته الفائقة على خلق الاجواء ، ورسم الشخصيات رسما دقيقا يجعلنا نحيا معها ، ونشاركها افراحها واتراحها ، وتحضرني هنا شخصية البطلة (ماجي) ، فهي من أحب الشخصيات القصصية في الأدب الامريكي المعاصر .

★ ★ ★

وهناك ظاهرة في حياة كرواك الأدبية ، تستحق ان نقف عندها : فقد نشر خمسة عشر أثرا ، لم يكتب منها بعد سنة ١٩٥٦ سوى ستة ، وليس بين هذه الآثار الستة ما يمكن أن نعتبره عملا فنيا ممتازا .

ان ما نخشاه ان يكون كرواك قد افرغ ما في نفسه ، ولم يعد عنده من جديد يقوله . ويبدو لي انه يجابه الآن ازمة فكرية وفنية معا . ■■

عمان محمود السمرة



مِنَ الكتب التي وصلتنا

مبادىء القانون المقارن

تأليف الدكتور عبد الرحمن البزاز

الناشر : مطبعة العاني ــ بغداد

● بحث مستفيض عن مبادىء القانون المقارن يتناول بالدراسة القانون المقارن ثم تاريخ القانون المقارن واهميته ثم يقوم المؤلف بدراسة الشرائع الكبرى المتطورة مثل التشريع الروماني والتشريع الانجليزي ثم الشريعة الاسلامية ثم يبين الخصائص العامة لهذه الشرائع ثم الخصائص المشتركة في هذه الشرائع الثلاث .

همام أو في عاصمة الاحقاف

تأليف : على احمد باكثير

الناشر : منشورات مؤسسة الصبان ــ عدن

● مسرحية شعرية استوحى موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت وتصور هذه المسرحية مرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمى حيث يلقى الضوء على البدع والخزعبلات التى خلقتها عصور مظلمة خدرت الشعب بهذه العقائد والأوهام. والمؤلف يرجع جهل شعبه الى جهل المرأة ، فهو يريدها متعلمة كشقيقاتها في العالم ، اللائى عرفن مكانتهن من شعوبهن فنهضن يطلبن حقوقهن فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

تاريخ اليمن الثقافي (الجز الرابع)

تأليف : احمد حسين شرف الدين .

الناشر : مطبعة الكيلاني الصغير ــ القاهرة .

● دراسة عن التراث الاسلامي في اليمن والآراء المذهبية والعقائدية والفقهية وتخريجات ائمتها ، وقد تناول المؤلف كذلك بالبحث المذاهب الاسلامية التي راجت باليمن مثل الشافعية والاسماعيلية والزيدية وائمة هذه المذاهب ، وآرائهم الفقهية ، كما درس المؤلف حالة اليمن في فجر الاسلام وموقفهم من نصرة الدين الاسلامي .

المرأة في القرآن والسنة

تأليف : محمد عزة دروزة .

الناشر : المكتبة العصرية .

● دراسة عن المرأة ومركزها في الدولة والمجتمع والاسرة وحقوقها وواجباتها وآدابها وصلة هذه الامور بالشريعة الاسلامية ، وما يتصل كذلك بطبيعة الحياة الاجتماعية ، وما اليها من عادات وتقاليد مضت عليها الآماد الطويلة حتى صارت راسخة لا تستطيع النفوس تعديلها وتبديلها بسهولة ويسر . والمؤلف يحاول في هذه الدراسة تبين أن ما حواه القرآن والسنة من الاحاديث النبوية الواردة المتممة لما فيها من تشريع وتقنين توضح مركز المرأة في الدولة والاسرة والمجتمع .

فلسفة التربية

تأليف : الدكتور هاني عبد الرحمن صالح .

الناشر : مطبعة الجيش العربي ــ عمان/الاردن.

● كتاب يعطي فكرة عامة للنظم الفلسفية الرئيسية وربطها في المجال التربوى وحاجة العالم العربي الى فلسفة تربوية منبثقة عن التراث الثقافي العربي ، متفقة مع الحاجات القومية والاجتماعية والاقتصادية وقادرة على مواجهة مشكلاتنا الراهنة .

كوكب الانسانية

تأليف : احمد حسين المحامي .

الناشر : دار المعارف بمصر ــ القاهرة .

● كتيب يبحث في وحدة الكوكب الانساني من الناحية الجغرافية وعن وحدة الجنس البشرى من الناحية البيلوجية وعن وحدة اللغة الانسانية في جوهرها باعتبارها نتاج العقل الانساني .

الصمت والحقيقة

تأليف : ياسين حسين .

الناشر : منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .

● قصة طويلة .

الطب والاطباء بالمغرب

تأليف : عبد العزيز بنعبد اللـه ـ الناشر : المطبعة الاقتصادية ـ الرباط .

● دراسة عن الطب في المغرب في مختلف مراحل التاريخ الاسلامي ، ومحاولة لرسم صورة عن بعض مظاهر النشاط الطبي في المغرب . وقد تناول المؤلف بالشرح والتفصيل دراسة الطب في العصور المختلفة التي مرت على المغرب منذ الاندلس حتى عهد المرابطين والموحدين ثم العهد المريني الوطاسي والعصر السعدي وعهد العلويين .

الموت اختيارا

تأليف : الدكتور فخري الدباغ .

الناشر : المكتبة العصرية ـ صيدا ـ لبنان .

● دراسة تتناول موضوع الانتحار والظروف الاجتماعية والنفسيـة المحيطة به ، ونقص تام لمواقف الاديان السماوية والفلسفات القديمة والحديثة وعلم الاجتماع منه وما تستند فيه من حجة وتبريرات وقد تكلم المؤلف في هذا الكتاب عن الانتحار في البلدان العربية معللا اسباب تزايد ونقصان هذه الظاهرة ثم دراسة عامة للمسببات والعوامل والآثار التي تؤدي الى الانتحار .

الحلال والحرام في الاسلام

تأليف : يوسف القرضاوي .

الناشر : منشورات المكتب الاسلامي ـ بيروت .

● دراسة فريدة عن الحلال والحرام في الاسلام حاول فيها المؤلف ان يجمع شتات هذا الموضوع في كتاب خاص دون ان يتقيد بمذهب فقهي من المذاهب الاسلامية المختلفة ، فقد عني بالتدليل والتعليل والموازنة مستعينا باحداث الافكار العلمية والمعارف العصرية ومقارنتها مع الاديان والثقافات الاخرى ، والكتاب يجاوب على ثلاثة اسئلة عامة وهي ماذا يحل لي ؟ وماذا يحرم علي ؟ وما حكمة تحريم هذا واباحة ذلك ؟ ثم ان الكتاب يقع في اربعة فصول يتناول في الفصل الاول مبادىء الاسلام في شأن الحلال والحرام ، والفصل الثاني الحلال والحرام في الحياة الشخصية للمسلم والفصل الثالث الحلال والحرام في الزواج وحياة الاسرة وأخيرا الحلال والحرام في الحياة العامة للمسلم .

الوجيز في العسكرية الاسرائيلية

تأليف : محمود شيت خطاب .

الناشر : مطبعة الجيلاوي ـ القاهرة .

● مجموعة محاضرات قيمة عن العسكرية الاسرائيلية تلقي بعض الضوء على اسرائيل وقواتها المسلحة وتكتيكها الحربي ، والمؤلف يوضح امكانات القوات المسلحة الاسرائيلية ووحداتها المختلفة ، فقد تناول في فصول الكتاب دراسة عن القوة الجوية الاسرائيلية والقوة البحرية ثم السلاح الذري في اسرائيل والاسلحة الكيمائية والبيلوجية في اسرائيل . والمصادر المختلفة لتسليح اسرائيل وقد اورد ذلك للتعرف والوقوف على امكانيات العدو وطاقاته . وان حصولنا على مثل هذه المعلومات عن العدو تجعلنا على هدى وبصيرة لضرب العدو وحرمانه من مباغتتنا .

امرأة سيئة السمعة

تأليف : بسيم الذويب .

الناشر : مكتبة المثنى ـ بغداد .

● مجموعة قصص قصيرة .

الغزل والمنسوجات والفنون

تأليف : عبد الرحيم شفيق الحسامي . الناشر: مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

● كتاب يتناول دراسة الغزل والمنسوجات واحسن الطرق المتبعة في صناعة المنسوجات بانواعها العديدة ثم درس المؤلف الخامات الاولية مثل الكتان والصوف والجوت والقطن والحرير ومزايا وخواص كل مادة على حده . كما زود الكتاب بصور ورسوم وزخارف شتى لاستخدامها في مجال الغزل والنسيج .

العصور الوسطى الاوربية

تأليف : الدكتور عبد القادر احمد اليوسف .
الناشر : المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .

● دراسة تاريخية عن العصور الوسطى الاوربية من جوانبها المختلفة ، وتطور القيم الفكرية والاجتماعية فيها ثم تناول المؤلف بالبحث الصراعات والمقدمات الاساسية للاقطاع في اوربا واثر ذلك في المجتمعات سلبا وايجابا . ■■





بقلم : حسن فتحي خليل

ـ ساترك لكَ كل شيء .. سأستريح من وجهكَ ومن هذا المنزل .

ـ لن ابكى على فراقك .

ـ سترى من فينا الذى سيبكى ..

ـ لم يعد حبى يملأ قلبك .

ـ منذ زمن بعيد وانا قد افرغته منه .

ـ احسستُ بذلك .

ـ ولماذا اذن تبقيني ؟ .

★ ★ ★

لقد احببتك من كل قلبى ، وساظل احتفظ بهذا الحب مدى حياتنا .. فانت اول حب لى وآخر حب ، وساكون لك الى الابد ..

★ ★ ★

وضَحِكَ .. ثم اردف :

ـ هكذا كلكن .. هل تذكرين ؟

ـ لا اود ان اتذكر شيئا ..

ـ ولكنك قلتِها .. انكِ لى الى الابد ..

ـ لم اكن اعرف انك بهذه الصورة .. كنت اعتقد انك ستفضلني على كل ما عداى ..

★ ★ ★

انتِ حياتى كلها ، وسأنسى بوجودك معى كل الدنيا ومن فيها ، سأنسى اهلى ، امى ، ابى ، اخوتى واصدقائى ، ولن يكون فى دنياى كلها غيرك .. انتِ فقط .

★ ★ ★

وضحكت هى الأخرى .. ضحكة ساخرة وسمعته يقول :

ـ ماذا يضحكك ؟

ـ القدر الغريب الذى اوقعنى فيك .. ما كنت اعرف انك منافق بهذا الشكل. تذكر انتَ ما

كنت تقوله لي .. لن يكون في دنياي غيرك .. انتِ فقط ..

ـ كلانا منافق اذن .

ـ ولكني احتفظت بحبك في قلبي حتى نزعته انت بيدك ..

ـ كيف ؟

ونظرت اليه نظرة طويلة فاحصة .. وظلت الدموع حائرة في عينيها ، ثم همَت عبراتها فجأة وانخرطت في بكاء مرير .

وقف صامتا لا ينبس ببنت شفة .. وحاول ان يضع يده على كتفها ، ولكنها جفلت منه وهي تقول في ضراعة :

ـ ارجوك .. لا تمسني ..

يا حبيبي كلما وضعت يدك في يدي او لامست جزءا من جسدي احسست كأنها البلسم الذي يشفي روحي .. يا حبيبي .. كم احب تلك اليد !

★ ★ ★

ونظر الى يده .. أليست هي نفس اليد ؟ وعجب في نفسه كيف انقلبت هذا المنقلب ؟ !

ـ انها نفس اليد التي كنت تودّين دائما تقبيلها ..

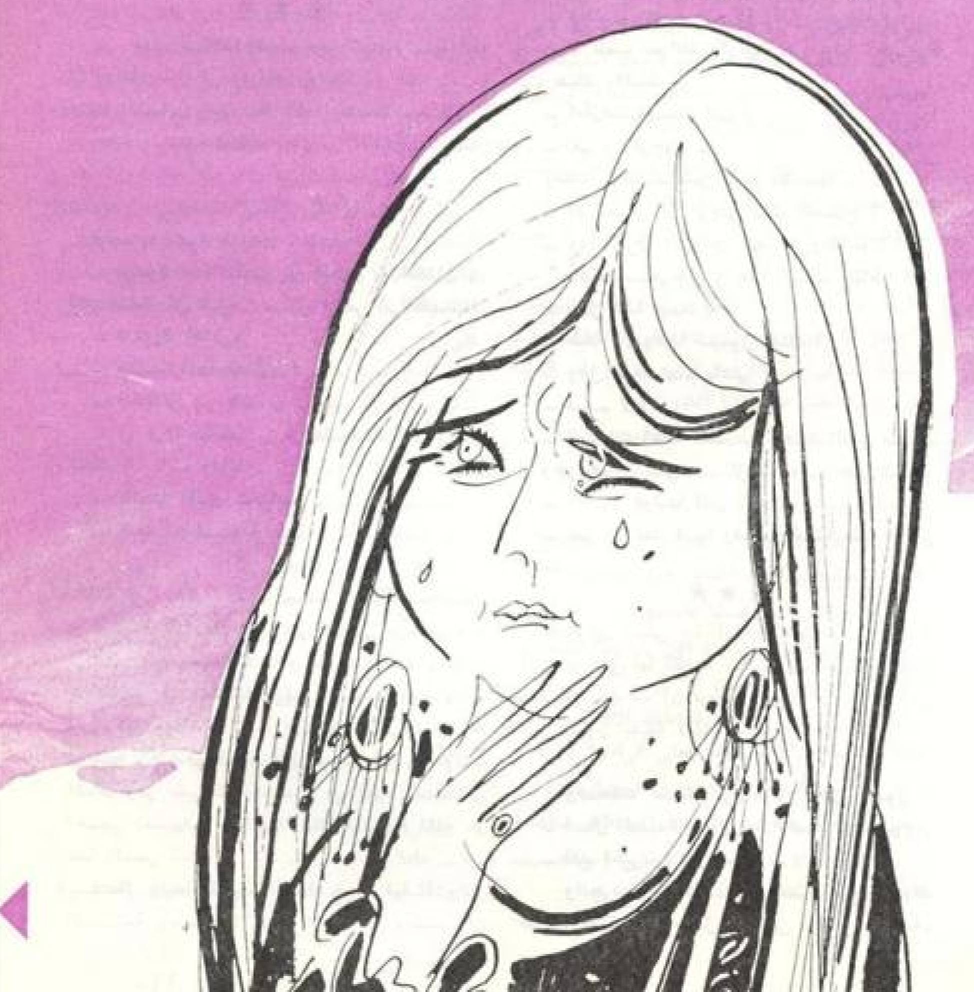
ـ حين كنتُ احبكَ .

ـ والآن ؟

ـ اريد التحلل من هذه الاغلال .

★ ★ ★

« يا حبيبي .. ان حبك هو الاغلال التي تقيدني اليك ، كم اهوى هذه الاغلال . اني اسير



حبك ولا أود التحرر من ربقة سجنك ابدا .. ما جدوى الحرية بجانب هذه الاغلال الثمينة ؟ الا تشاركينني ذلك يا حبيبتي ؟ »

« نعم يا حبيبي .. فليمتحنا الحب كيف يشاء .. فلن نفترق ابدا .. ابدا .. »

★ ★ ★

ـ أنت راغبة في الحرية اذن الان .

ـ ومن لا يرغبها ؟

ـ أنت راغبة اذن عن حبي وحناني ؟

وسمعها تضحك ضحكة عالية ساخرة مريرة بعد ان فاه بهذه الكلمات .

ثم صمتت .. كان يتوقع ان تقول شيئا .. ولكنها .. بعد لحظات رفعت اليه وجهها واذا هو قد تندى كله بالدموع ، كانت شاحبة كئيبة .

★ ★ ★

من يقول ان هذا هو وجهها الذى كتبتُ عنه في احدى مذكراتى في اول زواجنا .. انه يشبه ضوء الشمس حين تملأ الارض جمالا وجلالا . ما هذه الجهامة وهذا العبوس اللذان يستبدان به الآن ؟ لقد تغير كل شيء فيها ! .

★ ★ ★

وسمعها أخيرا تقول :

ـ ارجوك ، لا تكلمنى عن الحب أو الحنان .. لقد فقدت كل شيء .. انى اشعر انى فقدتك .

ـ شعورك خاطىء

ـ ولكنها الحقيقة .

ـ الحقائق غير ثابتة

ـ في عرفك انت .. في فلسفتك انت ولكنها عندى انا ثابتة ودائمة .

ـ كالحب الذى تتخيلينه .

ـ كنت أحبك يوما ما .

★ ★ ★

حقيقة .. لمس هذا الحب .. لكم كانت تتلقاه في لهفة . كلما عاد الى المنزل وتهلل مرحبة به ، ثم تطبع على وجهه قبلاتها في شوق وشغف وسرعان ما تتلاشى في أحضانه وتغنى فيه . وفي أوقات وجودهما معا .. كانت توسده صدرها وتلاطفه في حنو . فيدفن أصابعه في شعرها الاسود الاثيث الناعم وهو يخبرها بأنه يحبها من أعلى رأسها الى أخمص قدميها .. ولكن أحب ما فيها اليه هو هذا الشعر ..

فتنظر اليه نظرتها الحالمة الرقيقة وتنير الابتسامة وجهها ولا تقول شيئا .. ويشعر ان قلبه يرف بين ضلوعه رفيفا عذبا جميلا .

ويهمس في اذنها : احبك ..

وتقول هي في صوتها الهادىء الناعم الذى يبعث في أوصاله رعشة عذبة دائما : ليس أكثر منى .

★ ★ ★

وعاد ينظر اليها . كان وجهها كالحا ، وشعرها غير منتظم ، فشعر بقلبه يرزح تحت ثقل كالحجر . ورآها تفتح صوانها وتجمع ملابسها .. فقال :

ـ ماذا انت فاعلة ؟

ـ دعني .. ارجوك .. سأترك لك البيت ..

ـ ولكني لست الوحيد فيه

وبدا انها ستتكلم ولكنها صمتت وفجأة ندت عنها آهة الم وأنة حزن ثم همست:

ـ انا اعلم ذلك .

ـ والنبت الصغير من ذا الذى سيرعاه ؟

ـ لا تلعب بعواطفي ارجوك .. هذه آخر مرة .. هناك والدتك .

ـ أمازلت مصممة اذن ؟

ـ نعم .. ارجوك ..

ومدت يدها تستكمل جمع ملابسها .

ـ الا يحسن ان تؤجلي ذلك للصباح ؟

ـ وما الفرق الان بين الصباح والمساء ؟ !

ـ كيف ستخرجين في هذا الوقت المتاخر ؟!

ـ وهل هذا يهمك ؟

ـ طبعا .. وماذا سيقول اهلك ؟

ـ وهل عدت تهتم باهلي ؟

ـ لـم لا ؟

ـ انت لك اهلك فقط .. اهلك الذين نسيت في وجودهم كل شيء .. كل شيء .. حتى انا ..

ـ آه .. قوليها اذن .

ـ نعم .. لقد قلتها ولست خائفة منك او من اهلك .

★ ★ ★

ستكونين ابنتي .. اولادى كلهم ذكور وانت التى عوضنى بها الله ، سأكون لك اما تقطر حنانا واهتماما بك .. ان فرحتي بك تعادل فرحة ابني .. سأكون بديلة لامك المرحومة ..

★ ★ ★

وضحكت ضحكة مريرة .. وهي تقول :

ـ اسأل السيدة حماتي ماذا فعلت بي اليوم .

ـ لقد اخبرتني بكل شيء .

وانجرت في البكاء .. وراحت تنشج .. وقد ضاقت نفسها بما يعتمل فيها من مشاعر متلاطمة.

وسمعها تقول :

ــ كانت لي ام .. ولكن توفاها الله .. ولن اجد غيرها ابدا .. ابدا ..

★ ★ ★

ان اكثر ما يؤلمني اني سأتركك وحيدة .. يا بنيتي .. ستتحملين اعباء والدك .. وستظلين دائما في احتياج الى حنان الام .. والى قلب الام ..

★ ★ ★

وهَمَت عيناها بالعبرات .

واقترب منها يحاول ان يمسك بها ..

ولكنها صرخت وهي تشيح بوجهها عنه :

ــ ابعد عني .. قلت لك لا تلمسني .

فتوقف ، وشعر فجأة ان رأسه تضج بالآم تطرقها كالمعاول .. وضاقت نفسه ، ونفد صبره فاذا به ينتفض انتفاضة المحموم وقد استبدت به جهامة وعبوس ، وانطلق الغضب المستكن في اغوار نفسه وخرج صوته كالرعد القاصف :

ــ لقد ضقت ذرعا بك وبافعالك ، انك تتحدثين عن الحب وكأنك مراهقة صغيرة ، ان الحب الذى تتخيلينه .. لا يمكن ان يبقى على حرارته بعد هذه السنوات .

ــ اية سنوات يا استاذ .. ان خمس سنوات لا تفعل ما تقول به .. ولقد تغيرت عاطفتك منذ السنة الاولى .. كان الواجب ان يزداد حبنا حرارة ولا يفتر مثل هذا الفتور .

ــ هذه نظريتك وهذه خيالاتك .. ولكن مشاكل الحياة تصرفنا عن هذه الشرارة التي تتحدثين عنها وتخمدها .

ــ من قال ذلك ؟ ان الحب يبقى متوهجا في قلوب العاشقين ابد الدهر حتى مماتهم .

ــ ولكننا ازواج ولسنا عاشقين ..

ــ آه لقد قلتها بلسانك الان .. وما المانع اذن ان نكون ازواجا وعاشقين ؟

ــ لقد اثرت .. فيك قراءاتك الادبية وخاصة هذه الاشعار التي تنكبين على قراءتها دائما .

ــ لان مشاعرى شديدة الحساسية .. وعواطفي حية .. لست باردة العواطف مثلك .

ــ ولكن هناك من يشغلك عني وعن هذه العواطف التي تتحدثين عنها ..

ــ ان وجوده لا يعني انطفاء شعلة الحب بل يقويها ويزيدها اشتعالا ..

ــ آه .. لا اعرف كيف اقنعك ..

ــ ولا انا ايضا يمكنني اقناعك .. ان تفكيرنا وعواطفنا مختلفة وهذه مصيبتنا .. ولكن .. ارجع الى ما كنت تقوله لي .

★ ★ ★

ان حبنا سيبقى شعلة تضيء جوانب حياتنا حتى يضمنا القبر .. لن يصرفني اى شيء عن هذا الحب .. ابدا .. تأكدي من هذا .

★ ★ ★

وانقضت لحظات .. وسمعها تقول :

ــ ارأيت .. لقد كنت تكذب علي .. لقد خدعتني بمعسول الكلمات ايام خطبتنا .. والهبتَ مشاعرى بها .. لعلك ادركت اني عاطفية فاثرتَ فيّ بهذه الكلمات وصدقتُك للاسف .

ــ يجب ان تكوني واقعية ..

ــ نعم .. كان يجب ان اكون واقعية وافهمك منذ البداية .. واعرف خططك .

ــ خططي ؟

ــ نعم .. لم تكن تريدني لشخصي .. ولكنك كنت تريدني لخدمتك فقط .. والا لما عاملتني هذه المعاملة وعشت في هذا الجفاف طوال هذه السنوات .. بل وسمحت لوالدتك بالتطاول علي .

ــ انا اعتبر هذه الكلمات صادرة منك بسبب الثورة التى تشعرين بها الان ..

ــ ولكنها الحقيقة .. الحقيقة ..

ــ ارجو ان تهدئى .

ــ سأغادر المنزل .

ــ انتظرى حتى الصباح فلربما تغيرين رأيك .

ــ قلت لك لن انتظر .

وفجأة طرق سمعها :

ــ ماما .. ماما ..

فتوقفت برهة ..

وعاد الصوت الرقيق ينادى :

ــ ماما .. ماما ..

وما زالت هي واقفة مكانها وكأن قدميها ملتصقتان بالارض .

وللمرة الثالثة كان النداء :

ــ ماما .. ماما ..

واذا بها تسرع فجأة مهرولة نحو الحجرة

المجاورة ، واضاءت المصباح ، فوجدت الصغيرة قد استيقظت فقالت :

ـ ما بك يا حبيبتي ؟

ـ اريد ان اشرب يا ماما ..

واسرعت تاتي لها بكوب من الماء .. ولما شربت .. نظرت اليها في ضراعة وهي تقول :

ـ تعالي نامي بجانبي يا ماما .. خذيني في حضنك .. انا خائفة .

ـ خائفة من ماذا ؟

ـ لا ادري ..

وجلست بجانبها وقد اسندت راسها على عارض السرير الخشبي والتصقت بها الصغيرة متشبثة بها وسمعتها تقول :

ـ انا احبك يا ماما .. انت حبيبتي الوحيدة .

وانتظرت حتى تنام لتقوم هي وتنوي مهمتها ، ثم نظرت اليها بعد قليل فوجدتها قد اغمضت عينيها ، فحاولت القيام ، ولكن الصغيرة سرعان ما استيقظت وهي تقول :

ـ ابقي يا ماما .. ابقي معي ..

وازدادت تشبثا بها .

ومدت يدها فاطفات المصباح . وساد الحجرة ظلام وسكون ..

★ ★ ★

ان اكثر ما يؤلمني اني سأتركك وحيدة يا بنيتي .. ستتحملين اعباء والدك .. وستظلين دائما في احتياج الى حنان الام .. وقلب الام ..

★ ★ ★

وشعرت بنفسها تردد هذه الكلمات .. مرات .. ومرات .. والدموع تسح على خديها .. واخلدت الصغيرة النعاس ..

وساد تفكيرها فجاة فراغ غريب .

وشعرت براسها يثقل .. ويثقل ..

ثم انزلق الى الوسادة ..

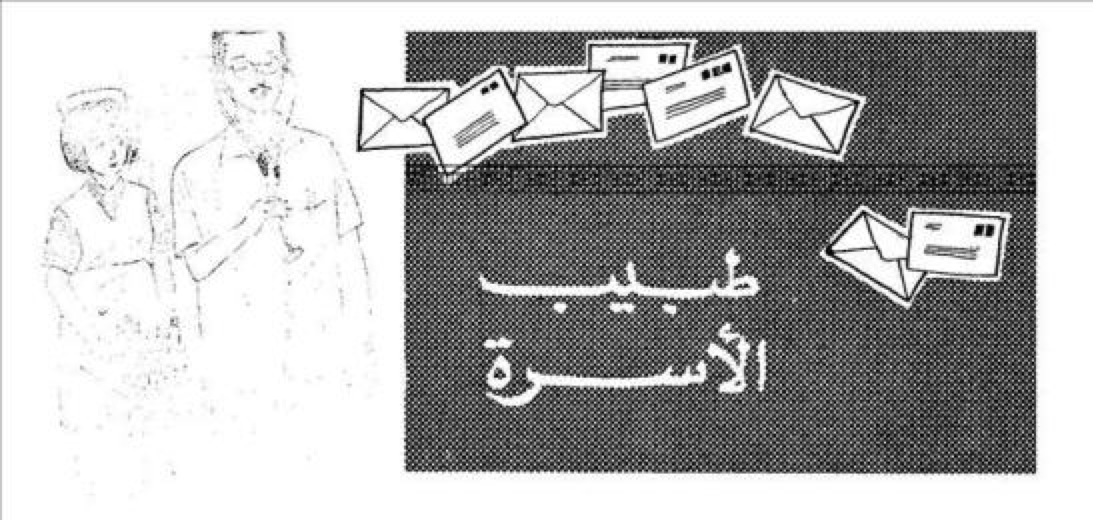
فتمددت واحتضنت الصغيرة في نشوة .. وشعرت بحرارة جسدها ..

واختلط كل شيء في الظلام .. ودارت بها الحجرة .

فاغمضت عينيها ..

وفجاة .. راحت في سبات عميق . ■■

الاسكندرية **حسن فتحي خليل**



تشكو من تساقط أهداب عيونها

● انا فتاة فى العشرين من عمرى اشكو من تساقط اهداب عيوني فما سبب ذلك .. وما علاجه ؟

ـ ان تساقط اهداب العين ، قد ينتج من : ـ

١ ـ حالة عصبية او نفسية طارئة تؤدى الي اضطراب مفاجيء في البصيلات الشعرية ، فيسقط الرمش ولا يظهر له بديل ، وقد يصحب هذه الحالة اضطراب مماثل فى البصيلات الشعرية بفروة الراس ، مما يؤدى الى حدوث صلع جزئي دائم .

٢ ـ التهاب مزمن فى حواف الجفون ويشمل اربعة انواع :

أ ـ التهاب الحساسية ، وفيه تحتقن حافة الجفون من أثر الحرارة الشديدة ، أو الرطوبة العالية او استعمال بعض مواد الزينة عند السيدات كالكحل وغيره .

ب ـ التهاب قشرى ، حيث تظهر على حافة الجفون قشور صغيرة صفراء او بيضاء وتتساقط بعض الاهداب ، لكنها لا تلبث أن تنبت من جديد لان جذور الاهداب سليمة . وهذه القشور ، قد يصحبها قشور مماثلة فى فروة الراس .

جـ ـ التهاب متقرح ، حيث تظهر قشور صفراء تلتصق على الاهداب وعند ازالتها ، نجد ان حافة الجفن متقرحة وتميل الى النزيف ، كما نشاهد سقوط الاهداب او عدم نموها بصورة طبيعية . واذا اهمل علاجه بصورة جدية مستمرة ، فانه يؤدى الى حدوث مضاعفات على مر السنين ، مثل التهاب الملتحمة المزمن ، او الشعرة ، او تضخم حافة جفن العين (Ty osis) وانحرافها الى خارج العين Ectropion .

د ـ التهاب زاوى ، حيث تحتقن زوايا الجفن مع افراز صديدى بسيط واكلان شديد ، قد يمتد الى القنوات الدمعية ، مؤديا الى حدوث التهاب مزمن فى الكيس الدمعي ، وانسداد فى المجارى الدمعية .

ولالتهاب الجفون أسباب عامة وأسباب موضعية :

اما الاسباب العامة : فهي ضعف الجسم ووجود بؤرات عفنة به ، والاصابة بالامراض العامة مثل فقر الدم والحصبة والسعال الديكي ، والامساك المزمن

وكذلك انعدام الشروط الصحية في المعيشة ، مثل كثرة التعرض للدخان والغبار والحرارة الشديدة .

اما الاسباب الموضعية : فهي :

أ ـ الالتهاب المزمن للملتحمة ، أو الانف او المجاري الدمعية .

ب ـ استعمال بعض مساحيق التجميل للجفون والاهداب .

جـ ـ قشرة الراس ، التي يتساقط منها بعض الطفيليات عند جذور الاهداب مثل قمل الراس او العانة .

د ـ الاخطاء الانكسارية في العين مثل طول النظر او الاستجماتزم .

الأعراض

بالرغم من احتقان حافة الجفن ، وظهور القشور على الاهداب ، الا ان المريض لا يشعر بالالم وانما قد يشكو من الاكلان ، او كثرة الدموع او عدم القدرة على مواجهة الضوء .

العلاج : يتلخص العلاج في النقاط التالية :

١ ـ علاج الاسباب سواء كانت عامة او موضعية .

٢ ـ العلاج الموضعي : (أ) اذابة جميع القشور الملتصقة على الاهداب بمحلول بيكربونات الصودا ٣٪ .

(ب) استعمال مركبات الزنك على هيئة المس او القطرة او المرهم . (جـ) استعمال مشتقات الكرتيزون ، على هيئة قطرة او مرهم لازالة الحساسية .

(د) كي حافة الجفن المتقرح بمحلول نترات الفضة ١٪ مرتين اسبوعيا .

(هـ) استعمال القطرات ووضع المراهم المضادة الحيوية مثل الكلورميستين Chloromycetin و المتراكورتريل Metracortryl على حافة الجفن وتدليكها بالاصابع يوميا حتى يتحقق الشفاء .

ومن الجدير بالذكر ان التهاب الجفون عنيد في علاجه وربما يستغرق عدة سنوات وقد يتحسن تحسنا ملموسا الا انه قد يعاود المريض مرة اخرى .

سرطان الرحم

● وضعت زوجتي طفلا صحيح البنية ، وبعد مرور شهر على عملية الوضع احست بالم شديد في اسفل البطن ، وعندما فحصها الطبيب تبين له انها مصابة بسرطان في عنق الرحم ، وان تاريخ اصابتها به يرجع الى عامين او ثلاثة . والسؤال : هل يمكن ان تنجب المرأة المصابة بهذا المرض اطفالا أصحاء ؟ وكيف يعيش الجنين ٩ اشهر في رحم مصابة بالسرطان دون ان يتأثر بهذا المرض ؟!

ـ ان الاصابة بسرطان عنق الرحم لا تؤثر على نمو الطفل داخل الرحم ، وانما يكون نموه طبيعيا من جميع النواحي ويكون الطفل صحيحا اذا كان قد استكمل اشهر الحمل التسعة .

ولكن كل الخطورة تصيب الام وتسبب

في بولها دم

● انا فتاة في الثامنة عشرة من عمري لاحظت من فترة خروج قليل من الدم الجامد الاسود مع البول بعد مرور عدة ايام على انتهاء العادة الشهرية .. فما هو مصدر هذا الدم ؟



ـ ان مصدر هذا الدم ، يحتمل ان يكون من بقايا العادة الشهرية المنتهية ويكون مختزنا خلف غشاء البكارة داخل المهبل ، وقد بقي لمدة ايام بالمهبل ، بسبب تجلط الدم او تجمده قليلا ، بحيث كان خروجه صعبا من فتحة

طبيب الأسرة

وانجاب الاطفال

لها اضرارا بليغة ، من اهمها ان خلايا سرطان الرحم تنمو نموا سريعا وتتكاثر بسرعة فائقة ، وتستشرى في النمو ، وتنتقل بسرعة بواسطة الاوعية الدموية لجميع اجزاء الجسم ، وذلك لازدياد توارد الدم دائما اثناء الحمل ، لكبر حجم الرحم الذى ينمو ويحتاج للازدياد المطرد في كمية الدم .

ولهذا ينمو الورم السرطاني بسرعة ويقلل فرص الحياة للمراة ، وزيادة على ذلك فان مضاعفات كثيرة قد تحدث للمصابة اثناء حملها، فهي معرضة لنزيف شديد اثناء الاجهاض او الولادة كما انها معرضة ايضا لنزيف شديد بعد الولادة، وللالتهابات ، وحمى النفاس . وتتزايد فرص الاصابة بهذه المضاعفات لوجود سرطان عنق الرحم .

غشاء البكارة الضيق ، او ان غشاء البكارة نفسه ربما كان ذا فتحة ضيقة بحيث يعوق خروج دم الحيض الشهرى وخاصة اذا تجمد قليلا .

ويتصادف ان يخرج هذا الدم وقت عملية التبول التى تنقبض فيها عضلات البطن وتضغط على المثانة والمهبل معا ، فيخرج الدم المختزن نتيجة لهذا الضغط

وهناك احتمال أن يكون الدم ناتجاً عن الاصابة بالبلهارسيا ، ويخرج هذا الدم من قناة مجرى البول بعد الانتهاء من التبول مباشرة ، نتيجة لبويضات البلهارسيا التى تسبب هذا النزف بجدار المثانة . ولكن في هذه الحالة يكون لون الدم احمر فاقعا ، وليس جامدا ولونه اسود كما تقولين .

ومن المستحسن استشارة طبيب امراض نساء فمن السهل معرفة السبب ومعالجته .

النقرس

○ شعرت بالتعب ينتابني ، فعرضت نفسي على الطبيب الذى اجرى لي عدة تحليلات ، ثم اخبرني انني مريض بالنقرس .. وبالرغم من العلاج ، فان نوبات التعب والمرض تاتيني من حين لآخر .. فما هو هذا المرض ، وما اسبابه ، وهل هناك علاج شاف له ؟

ـ النقرس مرض ينتج عن اضطراب وراثي في العمليات البيولوجية المتعلقة بتكوين وافراز حمض البوليك في الجسم ، مما يترتب عليه ارتفاع نسبة هذا الحمض في الدم وبالتالى ترسب املاحه في انسجة الجسم كالمفاصل والعظام والكليتين وغيرها .

والكثرة الغالبة من المصابين بهذا المرض من الرجال . ويندر ان تصاب به النساء قبل سن اليأس ، وقد تظهر اعراضه كنوبات التهاب حاد بالمفاصل ، وخاصة مفاصل القدم ، وتتكرر هذه الالتهابات اذا اهمل العلاج حتى تتشوه المفاصل وتتعطل عن وظيفتها ، او كنوبات من المغص الكلوى عند تكوّن حصوات بالكلى ، تؤدى تدريجا الى عجز الكلى دون ظهور حصوات او مغص . كما قد تكون نسبة حمض البوليك عالية بالدم قبل ان تظهر اية اعراض محددة .

وعلاج النقرس يرتكز اساسا على محاولة خفض نسبة حمض البوليك بالدم بالادوية المعروفة لذلك (كعقار البروبنسيد والاللوبيورنول) (Probenicid, Allupurinol) ، مع كثرة شرب السوائل لمنع ترسبها بالكلى، وتجنب بعض الاطعمة التى قد تؤدى الى ارتفاعه مثل الكبد والكلاوى والسردين .

وواضح انه علاج لاثر العلة ، دون سببها ، وهو الاضطراب الوراثي . ولذلك يجب ان يكون العلاج مستمرا .

●●

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

اللغة المالطية ، هل هى لغة عربية صحيحة ؟

● سمعنا ان اللغة العربية هي اللغة الاصلية التي يتكلم بها اهل جزيرة مالطة ... فهل هذا صحيح .. ؟ وكيف نسنى للغتنا أن تسود في تلك الجزيرة النائية .. ؟! .

حنا سليم صالح / عمان

ـ اللغة الأصلية التي يتخاطب بها أهل مالطة ليست اللغة العربية ، كما سمعت ، وانما هي اللغة المالطية . الا ان هذه لغة سامية كالعربية ، وتشبهها كثيرا من حيث الحروف والفاظها وقواعد اللغة فضلا عن تركيب الجمل .

والأهم من ذلك الشبه هو أن لغة أهل مالطة تتضمن مجموعة كبيرة من المفردات العربية الصميمة .

ولعل هذه المفردات هي التي تبعث على الظن بان اللغة المالطية لغة عربية اصيلة .. اذ حافظت على طابعها العربي ، بل وعلى رنينها البدوي الى حد كبير . ونذكر على سبيل المثال ان سؤال المالطي عن احوالك يكون في الغالب على النحو التالي : « كيف انت .. ! » وذلك بكسر الكاف والهمزة ...

على أن لغة مالطة تحتوى على الفاظ ايطالية كثيرة أيضا الى جانب المفردات العربية وفضلا عن الكلمات المالطية . ولا عجب فمالطة التي استقلت سنة ١٩٦٤ ، والتي لا تجاوز مساحتها ١٢٢ ميلا مربعا ، ولا يزيد سكانها على ٣٢٠,٠٠٠ نسمة ، لا تبعد عن جزيرة صقلية أكثر من ٦٠ ميلا ، ولا تبعد عن تونس العربية أكثر من ١٨٠ ميلا . اضف الى ذلك أن العرب حكموا جزيرة مالطة والجزر الاخرى الصغيرة التابعة لها ، جوزو

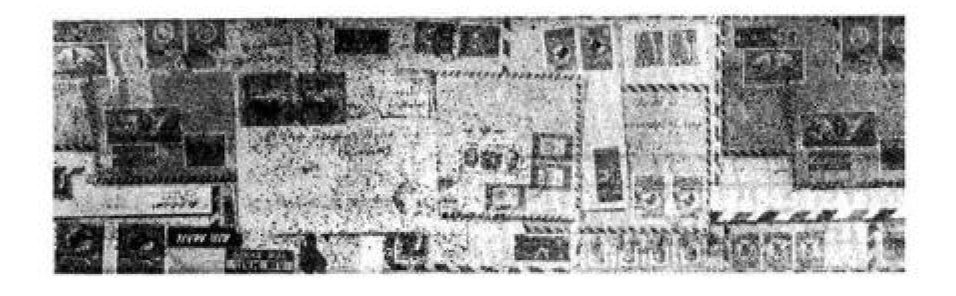
حريق لندن الكبير

● كنت في زيارة للندن في صيف العام الماضي . واثناء زيارتي لكاتدرائية سانت بول ، قال لي الدليل الذى يرافقني : « لولا الحريق الكبير ، لما كانت هذه الكنيسة وعشرات الكنائس الاثرية الاخرى التي شيدت بعد أن أتت النيران على كل شيء في هذه المدينة الكبيرة » . فما هي قصة هذا الحريق ؟

حمدان مسعود/البحرين

ـ شب حريق لندن الكبير في عام ١٦٦٦ ، في عهد الملك جيمس الثاني ، ملك انجلترا ، واستمرت النيران مندلعة في اجزاء كبيرة من المدينة اياما عديدة ، حتى أتت على عدد لا يحصى ولا يعد من المباني والمساكن ، واكثر من ثمانين كنيسة ! وبالرغم من الوف الناس الذين أصبحوا بلا مأوى بعد أن التهمت النيران مساكنهم ، وبالرغم من الخسائر الفادحة في الارواح والممتلكات التى نجمت عن هذه الكارثة . الا ان حريق لندن الكبير كان نعمة ، ولم يكن نقمة كما تقول كتب التاريخ .

فقد اعيد بناء المدينة وتخطيطها من جديد وشيدت المنازل بالحجارة بدلا من الخشب . وقيض الله للندن مهندسا معماريا من أمهر ما شهدت البلاد في هذه الآونة من تاريخها ، ويدعى



وكومينو وغيرهما ، مدة قرنين تقريبا ، اى من سنة ٨٧٠ ـ ١٠٩٠ ميلادية ، وهذه فترة قصيرة نسبيا ولا تتكافأ والأثر الكبير الذى تركته لغتنا العربية فى اللغة المالطية . ولعل فى هذا دلالة على ما اشتهرت به لغة الضاد من قدرة فائقة على التأثير فى غيرها من اللغات ، حتى فى الحالات التي تكون فيها فترة لقائها بتلك اللغات قصيرة ، بل وفى تلك الحالات التي يكون فيها العرب محكومين لا حاكمين ....

ومن أطرف ما يذكر فى هذه المناسبة أن مالطة عرفت احدى اوليات المطابع العربية . وليس المقصود هنا المطبعة القديمة الأولى التي جاء بها من روما الى الجزيرة وبقصد نقلها الى بيروت أحد الرهبان الموارنه ، وذلك فى اواخر القرن السابع عشر . فقد كانت حروف هذه المطبعة عربية حقا الا انها بقيت فى مالطة بلا عمل . انما المقصود هو المطبعة العربية القديمة الثانية ، التي عملت فى مالطة طوال ١١ سنة (سنة ١٨٢٢ ـ ١٨٣٣) ، والتي نقلها اصحابها المبشرون الامريكيون بعد ذلك الى ازمير سنة ١٨٣٣ ، ومنها الى بيروت سنة ١٨٣٤ ، حيث اشتهرت باسم المطبعة الامريكية فى بيروت .

وقد لا يستخف المرء بكمية ما طبعت هذه المطبعة من منشورات وكتب وكتيبات عربية ، اثناء وجودها فى مالطة ، وقد بلغت تلك المطبوعات بمجموعها ٣٥٠٠٠٠ نسخة ، فيما لو ذكر ان عدد سكان بيروت فى تلك الايام لم يجاوز (٥٠٠٠) نسمه .

والجدير بالذكر بعد هذا وذلك ان المصحح الأول للمطبعة الامريكية هذه لم يكن سوى احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) الكاتب اللبناني العربي المعروف ومؤلف كتاب « الجاسوس على القاموس » .... ■■

(ى . ز)

سير كريستوفر رن Sir Christopher Wren وقد قام هذا المهندس بتغيير وجه لندن بعد الحريق ، وشيد عشرات الكنائس الجديدة مكان الكنائس المحترقة ، ومئات المباني والمساكن الجديدة التى ما زال عدد كبير منها باقيا حتى اليوم ، ثم توج اعماله فى النهاية ببناء كاتدرائية سان بول الجديدة التى يحرص السائحون على زيارتها .

وهكذا من الحريق يخرج البناء ، ومن التدمير يخرج التعمير . وخراب المانيا الذى كان فى الحرب العالمية الثانية ، شحذ همم رجالها فانشاوا من المستحدثات ما لم يكن فى الحسبان .

(م . ن)

هل أضرب أولادى ...

● انا من الذين يضربون اولادهم ويعتقدون أن العصا من الجنة .. فالضرب في رأيي مفيد جدا في تربية الاطفال ، بل شرط اساسي في تربيتهم اذا كانت الاخلاق هي الغاية المرجوة من تلك التربية .. ويلومني بعض الاصدقاء على ذلك ، زاعمين أن الضرب يسيء الى الاطفال ويؤذيهم تربويا .. فما رأيكم .. ؟ !

صدقي علم الدين ـ حلب

ـ يستنتج من سؤالك انك تضرب اولادك باستمرار ، وانك لا تمانع في ان يكون ضربك لهم مؤلما في بعض الاحيان . ونحن لا نقرك على ذلك مطلقا ، وقد اجمع اكثر علماء النفس والمربين على

ان الضرب المتكرر ، وخاصة المبرح ، يضر بالاطفال كثيرا ويسيء اليهم .

فعلى افتراض ان ضرب الاطفال لا يخلو من فائدة ، فان اللجوء اليه باستمرار يفقده تلك الفائده التي تنسب اليه . اذ يصبح الضرب مالوفا ، في تلك الحال ، فلا يعود له أثر يذكر على الطفل . هذا اذا لم يكتسب ذلك الضرب المتكرر اثرا عكسيا ، يصبح معه حافزا للطفل على العناد والامعان في اقتراف الذنب الذى ضرب من اجله ، بدلا من ان يكون رادعا له عنه . اضف الى ذلك أن ضرب الاطفال باستمرار يحدث بينهم وبين ضاربيهم هوة يتعذر العمل معها على تربيتهم وتوجيههم أصلا . اذ سرعان ما يفقد الطفل ثقته فيمن يضربه فلا يعود يقبل منه نصحا او ارشادا .

ولو وقف ضرر الضرب عند فقدان الطفل الثقة بضاربيه لهان الامر . اذ غالبا ما تتلاشى ثقته هو بنفسه ، تبعا للضرب المتكرر المبرح ، ليتحل محل تلك الثقة ما يسميه علماء النفس بعقدة الذنب او الخطيئة . ويترتب على هذه العقدة ، كما لايخفى ، الكآبة والانطواء والخوف من الحياة ومن الغير . وقد يترتب عليها كذلك الفصام او الانقسام في شخصية الطفل . فضلا عن عقدة النقص والصغارة .

اضف الى ذلك ان ضرب الاطفال باستمرار قد يعود عليهم باذى يفوق كل ما ذكرنا من اضرار . اذ كثيرا ما يولد فيهم روح العنف فتراهم يتصرفون الى ضرب اخوتهم واقرانهم انتقاما لانفسهم من ضاربيهم . ولعل الضرب المستمر هذا هو أحد الاسباب الرئيسية المؤدية احيانا الى جناح الاحداث وانحرافهم . بل لعله احد الوسائل الكفيلة بتحويلهم في بعض الحالات الى مجرمين وجناة .

بيد أن ضرب الاطفال ليس كله ضارا بهم او مؤذيا بالمفهوم التربوى .. ولو امكن اللجوء اليه احيانا ، وفقط في حالات الضرورة القصوى ، ولو امكن التعقل في ضرب الطفل بحيث لا يكون ضربا مؤلما مبرحا باعثه الانتقام لو امكن هذا وذاك ، لما كان في ضرب الاطفال على هذا النحو اى غضاضة ، ولما كان لاحد اعتراض على قولك « ان العصا من الجنة » .

(ي . ز)

الانتحار على طريقة

● هناك طريقة للانتحار تسمى « بالهاراكيرى » .. فما هي بالضبط .. ؟ ومتى نشأت هذه الطريقة .. ؟ ولماذا يفضلها اليابانيون على اية طريقة اخرى ؟

الحاج جعفر الكراز ـ العراق

الانتحار بطريقة « الهاراكيرى » Hara Kiri هو الطريقة المفضلة للانتحار لدى الرجال العسكريين في اليابان .. وكلمة « هاراكيرى » بالرغم من انها شائعة الاستعمال في العالم كله لوصف طريقة انتحار العسكريين اليابانيين الا انهم لا يستعملونها في اليابان ويفضلون عليها كلمة اخرى هي سيبوكو Seppuku . والانتحار بطريقة « الهاراكيرى » مؤلم وبطيء ، فالمنتحر يبدأ بطعن نفسه بسيف قصير في الناحية اليسرى من البطن ثم يحرك السيف الى الناحية اليمنى محدثا بذلك قطعا عرضيا في الاحشاء .. ثم يبدأ في الاتجاه بالسيف الى اعلى الصدر . وهناك طريقة اخرى لكى يدلل المنتحر على شجاعته وهي ان يقوم بنزع السيف من بطنه ليدخله مرة

اللغة العالمية

● كنت في جلسة عند احد الاصدقاء .. وجرنا الحديث الى أهمية دراسة اللغات الاجنبية بالنسبة للشباب العربي .. وفي اثناء الحديث اشار أحد الاصدقاء الى « الاسبرانتو » او اللغة العالمية .. وسألته عن نشأتها وتطورها ، ولكنه لم يستطع الاجابة على سؤالي .. وانا الجأ اليكم للاجابة عن سؤالي هذا ..

عبد الله محمد ـ القاهرة ـ ج.ع.م

ـ نشأت فكرة اللغة العالمية « الاسبرانتو » عند شاب روسي يسمى بالدكتور لازاروس لودفيك زامينهوف Lazarus L. Zaminhof ، والذى كان يتقن ٤ لغات اجنبية علاوة على معرفته ببعض اللغات الاخرى . وقد بدأت فكرة لغة عالمية تراود مخيلة « زامينهوف » وهو طالب في المرحلة الثانوية ، وذلك لكى يحقق حلما ظل يراوده منذ صغره ، وهو ان يستطيع سكان العالم على

« الهاراكيرى »

اخرى فى صدره ثم يقوم بقطع داخل الصدر حتى يتصل الجرحان وبذلك يقوم بفتح احشائه كاملة .. ويحاول بعد ذلك ان يمسك بالسيف ليغمده فى رقبته . ويفضل العسكريون اليابانيون هذه الطريقة لا لشيء الا ليظهروا شجاعتهم وقوة ارادتهم وايمانهم العميق بالشرف العسكرى .

وهناك نوعان من « الهاراكيرى » او السيبوكو.. نوع اجبارى وآخر اختيارى .. وقد ظهر النوع الاختيارى اثناء حروب اليابان فى القرن الثاني عشر الميلادى كطريقة للانتحار بين القوات العسكرية التى تمنى بالهزيمة حتى يتفادوا بذلك عار استسلامهم للاعداء . وفى بعض الاحيان كان الجنود يمارسون الهاراكيرى لاظهار اخلاصهم لضباطهم الذين قتلوا فى المعركة . ومارسها بعض الضباط ايضا للاحتجاج على اوامر اصدرها للفرد منهم قائده فى حين انه يعتقد ان هذا القرار خاطىء ، وبذلك يجد نفسه مضطرا الى اطاعة الامر وهو مقتنع بخطئه ، او عدم تنفيذ الامر وفى هذا مساس بعسكريته ، وفى هذه الحالة يفضل الانتحار بالهاراكيرى ليعلن عن تمسكه بالشرف العسكرى .

اما الانتحار الاجبارى فهو تقليد اقدم من الانتحار الاختيارى .. فعندما يرتكب الجندى اليابانى خطأ جسيما او يفر من المعركة فان المحكمة العسكرية تحكم عليه بالموت .. ولكن لا ينفذ الحكم فيه بواسطة الجلادين بل يترك امر تنفيذه لاحد اقارب هذا الجندى فى حفل كبير .. ويؤتى بالجندى المحكوم عليه بالموت ويعطى سيفا قصيرا ويبدأ الحفل بأن يتلى الحكم عليه ، ويقف وراءه قريبه المنوط به تنفيذ الحكم وفى يده سيف آخر .. وساعة التنفيذ يقوم الجندى بادخال السيف الذى فى يده داخل بطنه وفى نفس اللحظة يقوم قريبه بقطع رقبته بالسيف الذى فى يده .. ! وقد استمرت تقاليد الانتحار بطريقة الهاراكيرى شائعة وسط القوات اليابانية حتى الحرب العالمية الثانية .. ولكن بصورة اقل عما كانت عليه فى القرون الماضية .

وقد فضل بعض القواد اليابانيين الانتحار بهذه الطريقة قبل اعلان استسلام اليابان فى عام ١٩٤٥ . (م . ط)

« الاسبرانتو » نشأتها وتطورها ..

اختلاف لغاتهم التفاهم عن طريق لغة واحدة سهلة .. وفى عام ١٨٨٧ وعمره لا يتجاوز ٢٨ عاما قام بنشر اول كتاب عن الاسبرانتو تحت اسم Doktoro Esperanto والتي تعنى حسب اللغة الجديدة « هذا الذى يأمل » . وقد اكتسبت اللغة العالمية الجديدة اسمها من هذا الكتاب واصبحت معروفة « بالاسبرانتو » . وتتميز « الاسبرانتو » بسهولة قواعدها التي تتلخص فى ١٦ قاعدة فقط يمكن حفظها فى نصف ساعة . اما الفاظها فهي مشتقة من اصول بعض اللغات الاخرى ، فالشعوب التي تتحدث لغات متفرعة من اللاتينية تعرف ٨٠٪ من الفاظ الاسبرانتو والشعوب التي تتحدث باللغات السلافية تعرف ٥٠٪ من الفاظ الاسبرانتو دون حاجة الى دراسة اللغة العالمية .

وقد تطورت « الاسبرانتو » بعد ان بدأت فى عام ١٨٨٧ بكتاب زامينهوف وبعد ان كانت تضم ٩٠٤ الفاظ اساسية يمكن اشتقاق ١٠ آلاف كلمة منها ، أصبحت هذه اللغة فى عام ١٩٥٤ تضم ٧٨٦٦ لفظا اساسيا يمكن اشتقاق ٨٠ الف كلمة منها .. وقد بدأت حركة الدعاية للغة العالمية تنشط من بعد الحرب العالمية الثانية .. وانتشرت فى كثير من البلدان جمعيات تدعو لها .. وفى عام ١٩٥٤ بلغ عدد الذين درسوا اللغة العالمية حوالي ٧٥٠ الف فى اكثر من ٧٠ بلدا .. ولكن نجاح اللغة العالمية ونشاط المتحمسين لها بدأ يقل ويضمحل رويدا رويدا .. ولعل السبب الرئيسي لهذا الاضمحلال هو أن اللغة الانجليزية قد انتشرت فى كثير من البلدان كلغة ثانية اجنبية مما جعلها اشبه بلغة عالمية يستطيع سكان العالم على اختلاف لغاتهم الاصلية التفاهم بها ! . ■■

(م . ط)

طرائف عربية

النبوة فينا

● قال معاوية يوما لابن عباس : اذاجاءت هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو امية بأحلامها وسياساتها ، وبنواسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابها ولوائها ، وبنومخزوم باموالها وافعالها ، وبنو تميم بصديقها وجوادها ،وبنو عدى بفاروقهاومتفكرها ، وبنو سهم بآرائها ودهاتها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعها ،فمن ذا يجلى في مضمارها ويجرى الى غايتها ؟

فاطرق عبد الله بن عباس ساعة ثم قال : ليس حى يفخرون بامر الا والى جنبهم من يشركهم ، الا قريشا ، فانهم يفخرون بالنبوة التى لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ،واشهدان الله لم يجعل محمدا من قريش الا وقريش خير الناس ، ولم يجعله في بنى عبد المطلب الا وهم خير بنى هاشم ، ما نريد أن نفخر عليكم الا بما تفخرون .نبنا فتح الامر وبنا يختم ولك ملك معجل، ولنا ملك مؤجل . فان يكن ملككم قبل ملكنا ، فليس بعد ملكنا ملك لانا اهل العاقبة والعاقبة للمتقين .

عقيل ومعاوية

● لما قدم عقيل بن ابي طالب على معاوية بن ابى سفيان اكرمه وقربه وقضى حوائجه ، وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الايام : والله ان عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك . فقال له عقيل : والله لقد اجزل العطية واعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنه بالله اذ ساء به ظنك ، وحفظ امانته واصلح رعيته اذ خنتم ، وافسدتم وجرتم ، فاكفف لا ابالك ، فانه عما تقول بمعزل .

يقضي دين من

● شكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه،عند عثمان بن عفان ، فقال : نقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقا .

قال : يا امير المؤمنين وكيف لا اكون مستحقا فى منزلتي وقرابتى ؟

قال : قرات القرآن ؟

قال : لا .

قال : ادن مني .. فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضيب فى يده ، ثم

● قال اعرابي : اذا كان الرأى عند من لايقبَل منه ، والسلاح عند من لايستعمله ، والمال عند من لاينفقه .. ضاعت الامور .

لن تعذب عينين نظرتا الى سعدى

● كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك مشهورا بحب القيان والملاهي ومعاشقة النساء ، فعشق سُعدى بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عثمان ، فتزوجها ولبث معها سنوات ، ثم طلقها ، وتزوج سلمى اختها ، فرحلت سعدى الى المدينة وتزوجت من آخر ، فندم الوليد على طلاقها اشد الندم .

وفي بعض الايام دخل عليه اشعب المضحك ، فقال له الوليد : هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون الف درهم . وقال له : اذا قدمت المدينة فاستأذن عليها وقل لها :

أسعدَى ما اليك لنا سبيلُ ولا حتى القيامةِ من تلاقي
بلى ، ولعل دهر أن يؤاتي بموت من حليلِك او فراق

فأتاها اشعب فاستأذن عليها وانشدها البيتين فقالت لجواريها : خذن هذا الخبيث . ثم قالت : ما جرّاك على هذه الرسالة . فقال : انها بعشرين الف معجّلة مقبوضة . قالت : والله لاجلدنك او لتبلغه كما ابلغتني عنه . ثم قالت له ابلغه هذه الرسالة :

اتبكي على سعدى وانت تركتها
فقد ذهبت سعدى فما انت صانع

فلما بلغته الرسالة كظم الغيظ على اشعب ، وقال : اختر احدى ثلاث خصال ولا بد لك من احداها : اما ان اقتلك ، واما ان اطرحك للسباع فتاكلك ، واما ان القيك من هذا القصر ؟ قال اشعب : ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى .

فضحك وخلى سبيله . ■■

حفظ القرآن

قرعه به قرعة . وقال لرجل من جلسائه: ضم اليك هذا الوغد ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن .

فقام اليه آخر فقال : يا امير المؤمنين اقض ديني .

فقال له : اتقرا القرآن .

قال : نعم ، فاستقراه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقال : نعم نقضي دينك وانت أهل لذلك .



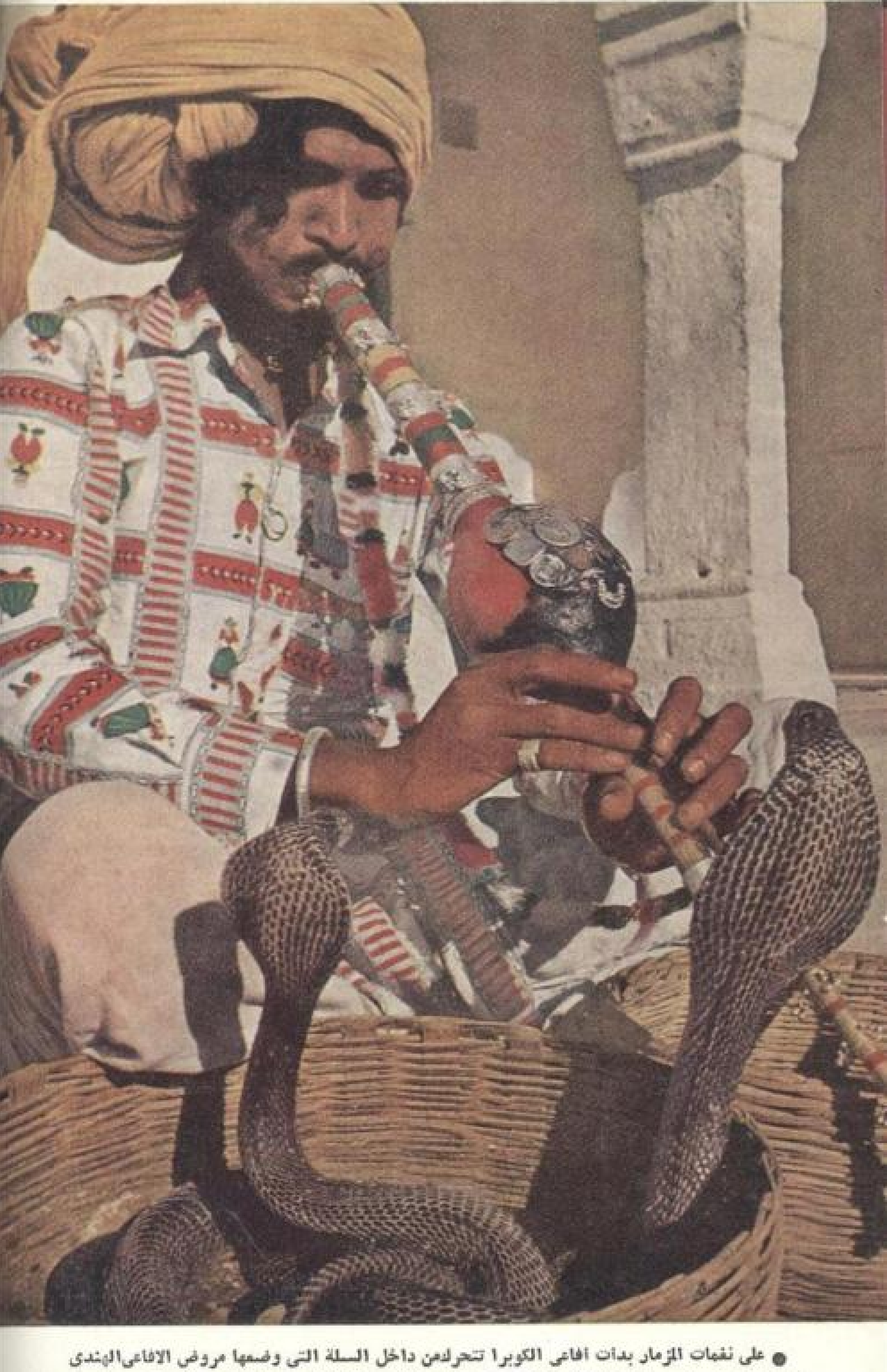
العدد ١٢١
رمضان ١٣٨٨
ديسمبر
(كانون الاول) ١٩٦٨

هكذا تحترق النفط في «ابو ظبي» ..

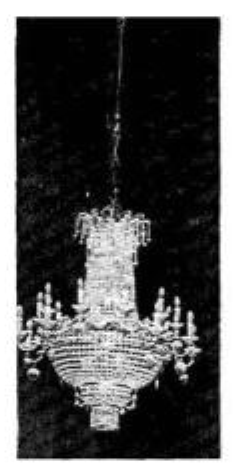
جوائز
١٢٠٠

الثمن

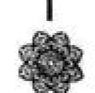
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم



● على نغمات المزمار بدات افاعي الكوبرا تتحرك من داخل السلة التي وضعها مروض الافاعي الهندي امامه ، وبرز راس كل واحدة منها ، وبدات تتمايل مع النغمات الهادئة التي انسابت من المزمار وعازف المزمار لا يخشى على حياته من سم افاعيه فقد نزع غدد السم منها ..



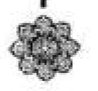
عزيزى القارئ



العدد الاول من العربى صدر فى أول ديسمبر ١٩٥٨
والعدد الذى بين يديك الآن عدد اول ديسمبر ١٩٦٨؟
اذن هي



انقضت من عمر العربى اطال الله بقاءه



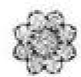
العدد القادم

عدد ممتاز

به نحتفل بعيد الميلاد العاشر للعربى
معه هدية رائعة ملونة ، منفصلة ، تهم العالم العربى
تغمر الاسواق منه

١٨٠,٠٠٠ نسخة

ويأتيك هذا العدد فى أوسط رمضان
شهر البر والقيام والصيام
ويأتيك العدد الممتاز بعد عيد الفطر
فيكون منه ، وميلاد العربى ، عيدان



وكل عام وأنتم بخير

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 121 December 1968 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

العدد القادم من العربي عدد ممتاز

طب وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

كتب :

قصص وقضايا :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن ـ العراق ١٢٠ فلسا ـ سوريا ١٠٠ قرش ـ لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ـ السعودية ٢ريال ـ السودان ١٠ قروش ـ ج.ع.م ١٠ قروش ـ تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ـ المغرب ٢ درهم ـ اليمن ٥ر٣ شلن ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية





مطلوب زيادة نسخ «العربي» التي ترسل الى السعودية

انا لا أعرف سر تأخر وصول « العربى » الينا في السعودية ، في حين انه ينفد في ظرف يوم او يومين من تاريخ طرحه في الاسواق.. اننا شديدو اللهفة للحصول على مرجعنا الكبير « العربي » ، ولذلك ارجو منكم زيادة النسخ التى ترسلونها الينا وان تعملوا على ان يصل الينا « العربى » في اوائل كل شهر .. ولكم من قرائكم في السعودية جزيل الشكر .

نايف بن فيصل القحطان – كلية اللغة العربية – الرياض

■■■

قصة صدور العربى

● قامت مجلة العربى بعمل استطلاعات عن العالم العربى كله وانا اطالب المجلة بان تقدم استطلاعا عن نفسها ، فمثلا اريد ان اعلم من هو المؤسس الاول لهذه المجلة وكم عدد المحررين الذين يعملون في انتاج هذه المجلة الدسمة التى تصدر في أول كل شهر بانتظام وهل يوجد هناك مطبعة خاصة بها الى آخره .

محمد هادي الخورشيدي
كربلاء : الجمهورية العراقية

المقالات العلمية

● قرأت ما نشرته العربى عن الاحشاء ، واعجبتنى المعلومات العلمية المبسطة التى يقدمها كاتب هذه السلسلة من المقالات القيمة التى تفيد القراء . ارجو مخلصا أن تستمر العربى في نشر موضوعاتها المفيدة .

عوض حميده القاسمي
الصحراء الغربية – ج.ع.م

عقبة و شنقيط

● لفت نظرى ما جاء في العدد ١١٨ عن شنقيط في موريتانيا .. واحب أن اصحح عدة اقوال في المقال : اولا : ذكرتم اسم « بسر بن ابى ارطاة » والحقيقة ان اسمه بشر !

ثانيا: ذكرتم ان عقبة سار الى وادان عام ٤٦هـ، والحقيقة ان عقبة سار عام ٤٩ هـ . وان وادان المقصودة موجودة في جنوب ليبيا الى اليوم .

صالح حسن اكمنفى
بنغازى – ليبيا

العربى : ذكر ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان « خرج عقبة بن نافع الى المغرب عام ٤٦هـ .. وأنه اتجه الى وادان في جنوب افريقية وتبعد مسيرة ثلاثة أيام عن مدينة تاجرفت الواقعة في طرف افريقية .. » أى ان المقصود مدينة وادان في طرف افريقيا حيث تقع موريتانيا اليوم وليس في ليبيا كما ذكرت .. أما اسم بسر ابن أبى ارطاة فهو صحيح كما جاء في هذا المعجم التاريخى الذى ذكرناه .

استطلاع عن الاكراد

● هل لكم ان تقدموا لنا استطلاعا عن الاكراد في شمال الجمهورية العراقية .

مزبان خلف ـ الكويت

الموضوعات الفنية

● لكم يؤسفني حقا انقطاعكم عن نشر الموضوعات الفنية التي كنتم تتحدثون فيها عن الفنانين الذين اشتهروا في ميادين الرسم ، وتقدموا لنا نموذجا من اعمالهم . هل من عودة اليها ؟ اننا في مسيس الحاجة الى الفن ايضا بجانب العلم والثقافة والادب .

عبد الكريم محمد ـ طرابلس

العدد القادم من :

العربي

عدد ممتاز

شاب ضل الطريق

● انني امارس العادة السرية واسرف فيها ،حتى بدات اشعر بالهزال وضعف البصر . انني اكتب اليكم بعد ان عجز الطب عن ايجاد علاج لحالتي . فقد عرضت نفسي على الاطباء ونصحوني بالاختلاط بالناس وتجنب البغاء وحدى بقدر الامكان . وحاولت ، ولكن على غير جدوى . سألوني : لماذا لا تتزوج ؟ قلت : « مستحيل فانا شاب لم ابلغ بعد التاسعة عشرة من عمري ، وليس لي دخل ثابت اعتمد عليه في حياة جديدة » ،انقذوني بالله عليكم ، فقد كدت اصاب بالجنون !

ح . احمد ـ طرابلس

العربي : علاجك في يدك ، وداؤك ضعف العزيمة ودواؤه ليس عند الاطباء .

■ ■ ■

رويدا صاحب عمرو

● قرأت في طرائف العدد ١١٨ من « العربي » ما نصه : « ذكر صاحب العقد الفريد قال : بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معد يكرب الزبيدي أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة فبعث به اليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان بلغه عنه ، فكتب اليه في ذلك . فرد عليه : انما بعثت الى امير المؤمنين بالسيف ولم ابعث اليه بالساعد الذي يضرب به » .

والمعروف ان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قتل بسيف علي بن ابي طالب ، وكان ذلك في معركة الخندق على حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

(البقية على صفحة ١٣٩)

نداء للعربي

● لما كانت للدراسات اهمية متزايدة خاصة في القانون التجاري الدولي واعمال البنوك ،والعلوم السياسية والاقتصاد ، وفي الزراعة والقانون والطب والفلسفة والاختراع وغيرها من الموضوعات المهمة ، فبعد مناقشة لنا مع بعض الاخوة الجامعيين حول ازمتنا الاقتصادية التي تمر بها بلدنا فقد قررنا بالاجماع ارسال هذه الرسالة لتلبوا رغبتنا ورغبات الشباب الذين يعيشون بعيدا عن جو الدراسة العالية والذين يتطلعون الى مستقبل ازهر ويريدون فهما اعمق واوسع عن نشأة تلك العلوم وتطورها ومفهومها ، وكيف ظهرت الى حيز

(البقية على صفحة ١٣٩)

الدَّوْلَةُ

بقلم رئيس التحرير

■ تقوم الحرب في الامة ، فتعبىء لها جنودها ، رجالا ونساء ، وفتيانا وفتيات . وتعبىء لها كل مواردها ، من محصولات زراعة ، ومنتوجات صناعة . وتعبىء لها كل فكر وكل رأى . وتعبىء لها الى جانب كل ما تعبىء أعصابها ، تركزها جميعا في المجهود الجبار الذى هو قائم ، مجهود الدفاع ، الذى غايته النصر آخر الامر . او على الاقل غايته دفع الهزيمة .

هكذا كانت انجلترا في الحرب العالمية الثانية ، حرب عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ .

في عام ١٩٤٠ كانت المعركة التي اسموها معركة بريطانيا ، قصد منها هتلر ان يغزو الجزيرة بحرا ، بعد ان استسلمت له فرنسا ارضا . وأعدّ لهذا الغزو ٩٨٠ طائرة مقاتلة ، و ١٦٢٠ طائرة مقنبلة . وظل يدق الاهداف الانجليزية دقا . حتى بلغ ما ارسله اليها في اليوم الواحد ٥٠٠ طائرة ، وزادت احيانا حتى بلغت في اليوم الواحد ١٠٠٠ طائرة .

وتنتهى « معركة بريطانيا » بغير ما شاء هتلر ، ويستمر القصف ، قصف العاصمة البريطانية ، قصف المدن والريف على السواء . وكان القصف نهارا فصار ليلا . وتهدمت منازل القوم ، وتهدمت المرافق ، بالقنابل احيانا ، وبالصواريخ احيانا ، فخرج عنها الناس طلبا للامن ، ليبيتوا في العراء فلعله آمن . واتخذ اللندنيون من محطات السكك الحديدية تحت الارض ــ محطات المترو ــ منامات . يرقد الرجل طريحا جنب الرجل ، والمرأة جنب المرأة ، وحولهم البنين والبنات على مقاعد أو على الارض ، لينال كل ما تيسر من النوم ، لينشط بعده في الصباح بقدر ما ينشط للعمل في مجهود الحرب .

شقاء متصل ، زاده أن الحرب قامت ولم تكن انجلترا على استعداد لها . حتى المدافع ، صنعت منها على عجل قدرا من خشب ، نصبته عند السواحل ليراه العدو من عل ، فيحسب أنها مدافع الحديد والنار ، فيحجم .





الخيِّرة

• الدَّوْلةُ التي يَعيشُ فيها المواطن آمِناً مِن عَوَزِ الحياةِ وأرزائها .

• الدَّوْلةُ التي تَرْعى أبناءها مِن يَوم يُولَدُون ، إلى يَوم يُقبَرُون .

ومن بعد غزو من البحر ، خشي القوم غزوا بجيشهم من السماء .

وحاصر الالمان الجزر البريطانيـة فمنعوا عنها الطعام ، فوزعوه ، ما تيسر منه عندهم ، بالبطاقات .

قل الامن . وقل الغذاء . وقـل الرجاء .

نعم قل الرجاء الا صوتا جلجل بينهم يصنع من الهزيمة المرتقبة نصرا ، ومن الغد الاسود المنتظر غدا ابيض . ويجعل اهل الجزيرة يستمرئون حتى الجوع ، ويبتسمون حتى للموت . ذلك صـوت كبيرهم ونستن تشرشل . قال في خطبته الشهيرة التي يحفظها الى اليوم صبيانهم والصبايا :

« ... لن يفتر لنا مجهود ، ولـن يخيب لنا مسعى . وسنحارب مهما كان الثمن . سـنحارب ونحمي سواحلنا . سنحارب على ارض مطاراتنا كل غاز . وسنحارب في حقول ريفنا وفي شوارع مدننا . وسنحارب فوق رؤوس تلالنا .. لن نستسلم ابدا . ولو حدث ان هذه الجزيرة ، كلها او اكثرها وقع في قبضة الاعداء ، على المذلة والجوع ، وهذا مالا اتصوره ابدا ، فسوف ننتقل بالحرب خـارج هـذهالجـزيرة ، برجـالنا ، بأسطولنا ، الى ان يقضي الله امرا ... كان مفعولا ... »

ويقول :

« ياقومي . ليس عندى ما أعدكم به غير بذل الدم وسفح الدموع » .

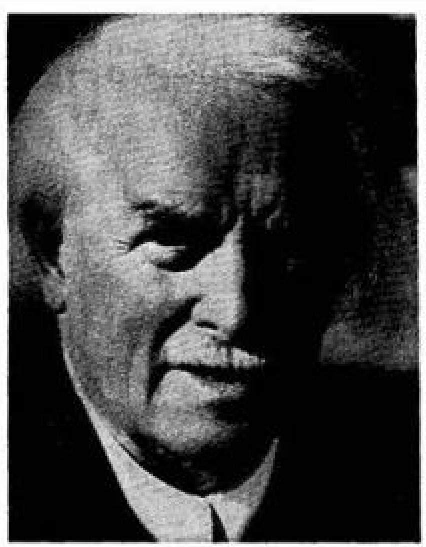
في اطواء هذه المحـن ولدت « الدولة الخيرة »

من كان يظن ان من هذا الظلام يخرج النور .



ونستن تشرشل

رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية وهي الوزارة التي جعلت دولة الخير حقيقة واقعة



لويد جورج

احد رؤساء وزراء بريطانيا

كان أول من أدخل النظام الصحي القومي في البلاد

من كان يظن أن من هذا الضيق يخرج الفرج .

من كان يظن ان من هذا الشر المستطير يخرج الخير الكثير .

من كان يظن انه ، في مخاض هذه السنوات ، وهو مخاض علم الله عسير ، تولد « دولة الخير » .

ولكن هذا ما كان .

وبفعل الحرب ، وبظروف الحرب القاسية كان ما كان .

فالحروب التي تهز جدران المنازل ، وترج اركان القلاع والمعاقل ، تنال من انفس الناس الحية ما تنال من الحجر الأصم . انها تهز الأنفس فيسقط عنها تراب كثيف مما ركم الزمان ، وهي ترج القلوب فتتفتح فيها نوافذ ظلت مغلقة طويلا تحجب عن مهج هذه القلوب النور .

والحروب تذيب نيرانها الثلوج التي تجمدت حول الرؤوس فمنعت عنها الحركة ان تكون الا في الطريق الواحد المسدود ، ومنعت الفكر ان يسير الا الى الهدف المعاد المتكرر المألوف .

ولقد اذكر للكاتب الارلندى الشهير ، برنارد شو Shaw ، أنه قال : ليس كالحروب دافعا للمدنية الى امام .

ونعلم انه كان بميلاد الدولة الخيرة ، قبل هذه الحرب العالمية ، الثانية ، بل وقبل الحرب العالمية الاولى ، ارهاصات* به .

ففي اول هذا القرن ، في حكومة حزب الأحرار التي بدات عام ١٩٠٥ ، عندما اكتسحت سائر الأحزاب في الانتخابات اكتساحا، قام رئيسها المستر لويد جورج Lloyd George ، يعاونه تشرشل ، باصدار قوانين تبيح للسلطات المحلية ان تعطي وجبات غذاء مجانية في المدارس للفقراء ، ومضت تلك الحكومة فأجرت اصلاحات اجتماعية تتصل بمعاشات للشيخوخة وتأمينات ضد المرض ومعونات للمتعطلين .

حكومة ائتلافية لم تشغلها الحرب القائمة الطاحنة عن التخطيط لحياة ، على السلم المنتظر افضل

تألفت حكومة المستر تشرشل ، لتدير الحرب ، في مايو عام ١٩٤٠ . وكانت

حكومة ائتلافية جمعت بين المحافظين والعمال . وكان من أول أعمالها في سبيل تحقيق حياة لأهل البلاد أفضل اقامة نظام للالبان شامل يحقق للأمهات والصغار من أطفالهن زادا منها كافيا بثمن مخفض حينا ، وبالمجان حينا . وبعد شهرين من هذا الحدث ، وبينما البلاد تتوقع أن يغزوها الألمان، زادت وتوسعت في المعاشات الشهرية للعجزة وذوى الحاجات . وفي ذروة أزمات الحرب اخذت تخطط خططا جديدة ، لغدو من الحياة جديد، تبدأه بمجرد انتهاء الحرب وحلول السلم .

وتحمس الشعب لهذا التخطيط للغد رغم ما هو فيه من بلاء اليوم . وطالب الشعب بحياة لا ضيق فيها ولا ظلامة ولا ارهاق . حياة يتلقى فيها كل طفل ، غنيا كان أو فقيرا ، تربية طيبة ، ويتلقى تعليما وخبرة حسنة . حياة يجد فيها كل عامل عملا ، وبأجر يرضاه . حياة يجد فيها كل مريض سبيله الى الشفاء من علته ، قل كسبه او كبر . حياة لا تهدد أهلها بفقر او مرض أو بطالة .

وأعان الحكومة على المضى في هذا السبيل ، انها لأول مرة ، استولت من البلاد على كل مرافقها ، ومن الناس على كل اراداتهم ، وأعطى لها القانون من قوة العمل والتصرف ما لا يكاد يقف عند حد . فالحكومة اقرت كل امر ، ووجهت كل عمل . أهل الصناعات وجهتهم الحكومة الى ما يصنعون والى ما لا يصنعون ، وكم يصنعون ، وفقا لما يتطلبه المجهود الحربى . وأهل الزراعات وجهتهم الحكومة الى ما يزرعون .

والمواطنون جميعا جندتهم الحكومة ، واستوى في هذا غنى وفقير ، وجاهل وعالم ، وطبيب وعامل ، ورجل وامرأة . وارض الوطن كلها صارت ميدان حرب . يقتل الرجل الشيخ في بيته ، وتقتل المرأة في دارها، تماما كما يقتل الرجل المحارب في الميدان . وتساوت الدماء كلها فصارت لها عند الفزع اثمان واحدة . وكلهم اكلوا المأكل الخشن . وكلهم لبسوا الملبس الخشن . وسوت بينهم الحرب بما لم تسو بينهم خطب ولا كتب .

مولد الدولة الخيرة

وفي غمرة الأحداث كونت الحكومة لجنة تنظر في ابداع نظام جديد لأمن الحياة أولا ، ثم ما يستطاع من رفهها . كونتها في مايو عام ١٩٤١ ، ولم يكن مضى على الحرب سنتان، ولم يكن ظهر لكسب الحرب شعاع من امل . ولم تكن امريكا دخلت بعد في الميدان . وجعلت على رأس هذه اللجنة السير وليم بفردج Sir William Beveridge وأتمت اللجنة عملها ، وعرض تقرير على البرلمان في فبراير عام ١٩٤٣ فأقره بما كاد أن يكون اجماعا .

ومع هذا لم يسلم من نقد . وصفه ناقد حاقد فقال أنه الطريق الى الخراب.



السير وليم بفردج صاحب التقرير الشهير الذى به تمت ولادة الدولة الخيرة

الكويت دولة ولدت خيرة ،
بسبب يُسْر مواردها.
وحكمة قادتها.
وطيب أرومتها.

والناقدون الحاقدون بعض عناصر الحياة الحرّة فلن يضيق بهم عاقل .

وبهذا التقرير ولدت الدولة الخيرة Welfare State ، انها الدولة التى يعيش المواطن في مجتمعها آمنا بقدر المستطاع ، من عوز الحياة ومن ارزائها ، تلك التى يستطيع الانسان ان يوفرها للانسان .

وفى هذا التقرير عرّف السير بفردج الحريات كما خالها . قال انها حريات خمس: تحرر من عوز ، وتحرر من مرض ، وتحرر من جهل ، وتحرر من قذر ، وتحرر من بطالة .

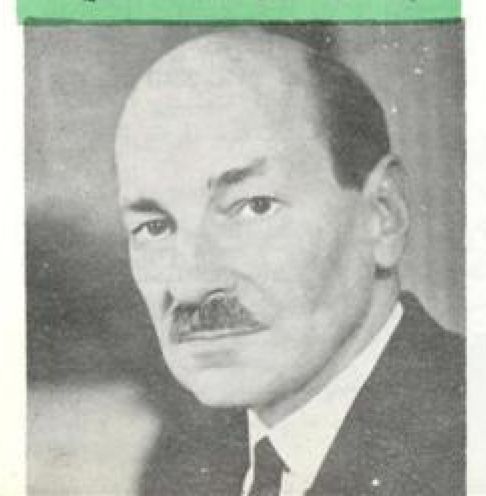
ولم يتسع وقت الحكومة الائتلافية القائمة لتحقيق كل ما جاء في التقرير من اقتراحات . شغلتها الحرب لمّا اشتدت ، واخذت تكون فيها الرابحة . وتزايد الامل في النصر فتوجهت بكل همها تريد احرازه . واحرزته مع سائر الحلفاء في عام ١٩٤٥ .

ومع هذا فقد اتسع وقتها لاصدار قانون التعليم في عام ١٩٤٤ ، وهو باسم هذا العام عرف ، فوصفه الانجليز بانه اكبر تشريع في التعليم اقره برلمانهم ، وهم الى اليوم يعدونه الاساس الذى يردّون اليه كل شيء .

ومع بشائر النصر جرت الانتخابات في انجلترا في يوليو عام ١٩٤٥ . وكان المنتظر ان يكتسح تشرشل هذه الانتخابات اكتساحا . ولكن الانجليز ، على عادتهم ، كان بهم من الحس السياسي الداخلي غيرُ الحس الذى حسبه الغرباء . لم يختاروا بطل الحرب تشرشل ، خشية منهم ان تستمر فيه روح الحكم المطلق ، التى كسبت الحرب ، ان تستمر في زمن السلم فيَفسد السلم . ثم كان تقرير بفردج ينتظر التشريع والتقنين . فكان ان اكتسح حزب العمال الانتخابات اكتساحا ، بزعامة كليمنت اتلى Clement Atles ، بزعم انه احرُ قلبا عند التشريع والتقنين .

وكان عمل هذه الحكومة الاول قلبَ الاوضاع الاجتماعية بما يتفق وتقرير بفردج . وتهيأت نفوس اهل البلاد لهذا القلب من كل حزب ومذهب . وكانوا وشيكى الخروج من الحرب . وهل كانت الحرب الا انقلابا . والحرب ان كانت مست ، بعنف وقسوة الشائعَ المالوف من عادات الناس ، فهى مست على الاكثر المالوف من عادات الفكر اكبر مساس .

كليمنت اتلى
رئيس وزراء بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية قاد البلاد الى تحقيق الدولة الخيرة .





داخل احد « بيوت العمل » التي انشئت للفقراء ليعملوا فيها ليكسبوا خبز يومهم هكذا كانوا ينامون ، وذلك في عام ١٨٥٩ .

الفقـر وقانون الفقـراء

كان الفقر في انجلترا شيئا ثابتا مقيما، وذلك منذ القرون الوسطى . لم يكن يُعنى بالفقير ، ولا بالمريض ، ولا بالعاجز من شيخوخة ، او العاجز من بطالة ، لم يكن يعنى به غير اهله ، او غير الكنيسة ، أو النقابة التي تنمي اليها مهنته . ولم يكن في هذه الوسائل غَناء . حتى اذا كان القرن السادس عشر سمّوه « عصر الشحاذين » Age of Beggars .

وفي ذاك القرن تراءى للحكومة ان الفقر لابد ان يُعالج امره على مستوى الدولة . ففي هذا القرن لم يكن في الدولة شرطة ولم يكن بها جيش منظم قائم . وخشي الاغنياء من كثرة الفقراء ، ان يبطشوا بهم . فشرعوا القانون الشهير المعروف بقانون الفقراء Poor law .

ولقي هذا القانون في القرون التي تلت حظوظا شتى . وغيّروه وبدلوه ، ولم يصيبوا منه غاية .

وانشاوا في ظل هذا القانون بيوتا سموها «بيوت العمل» Work houses . اتهم الاثرياء الفقراء بأنهم قوم كسالى ، وان الكسل سبب الفقر ، وانهم لو عملوا لاكتفوا . وفتحوا هذه البيوت ، « بيوت العمل » ، وامدّوها بالمواد الخام ، وحشدوا فيها الرجال القادرين على العمل ، والنساء ، حشدا . وفي عام ١٧٢٢ اصدر البرلمان تشريعا شجّع به الاقاليم على انشاء هذه البيوت .

وجرت البيوت مجرى كان فيه بعض الرضي اول الامر ، ثم ساءت . واختلط الحابل فيها بالنابل ، والصحيح بالعليل ، والبرىء بالمسيء ، حتى اصبحت علما على كل كريه من الحياة شنيع . وبلغ بها الفساد حتى صارت مكانا للجوع لا للشبع . ومكانا للذلة لا للكرامة . وتجنبها الناس ، واستحوا من ان يتصلوا بها او حتى من ذكر اسمها .

في القرن التاسع عشر انجلترا أثرى الامم واكثرها فقـراء

واستمر الفقر طوال القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى سميت فيه

انجلترا ، من حيث الصناعة ، ورشة العالم الكبرى . وكانت أثرى دولة . ومع هذا كان الفقر فيها ذريعا شاملا .

وسبب هذا المبدأ المعروف الذى يقول : « دع الامور وشأنها » ، وهو الشائع في اوربا باللفظين الفرنسيين Laissez Faire . وهو مبدأ يدعو الى الحرية ، ويأبى ان يتدخل أحد في امور احد . وهذا شيء جميل . ولكنه جميل فقط عندما تتساوى المقدرة . اما الذى كان فان صاحب المصنع كان يثرى ثراء فاحشا . ويتقدم اليه العامل وهو رث الثياب جائع فيعرض صاحب العمل الاجر الحقير . ويقول له انت حر في الرفض والقبول .

حر ؟ !! ان الجوع حرمه الحرية ، وحرمته اياها رثاثة الثياب ، وحرمه اياها الاطفال الجياع الذين خلفهم وراءه .

لم يقبل الاثرياء تدخل الحكومة بينهم وبين الفقراء ، فكان الاستغلال الشنيع في هذا القرن قرن التعاسة والشقاء . هذا القرن الذى عاش فيه ، في انجلترا بالذات ، كارل ماركس ، ورأى فيه ما رأى ، وكتب ما كتب . وبسبب الذى رأى كتب ما كتب .

وهنا لايسع الانسان الا ان يذكر الاسلام ، وقد جاء قبل ذلك بنيف وعشرة من القرون ، وان يذكر ما شرعه من حقوق للفقراء والمساكين واليتامى وابناء السبيل . « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين » « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، « ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدّده » ، « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » . المال اذن حق لا تفضل على احد به ولا تكرم .

نهاية قانون الفقراء

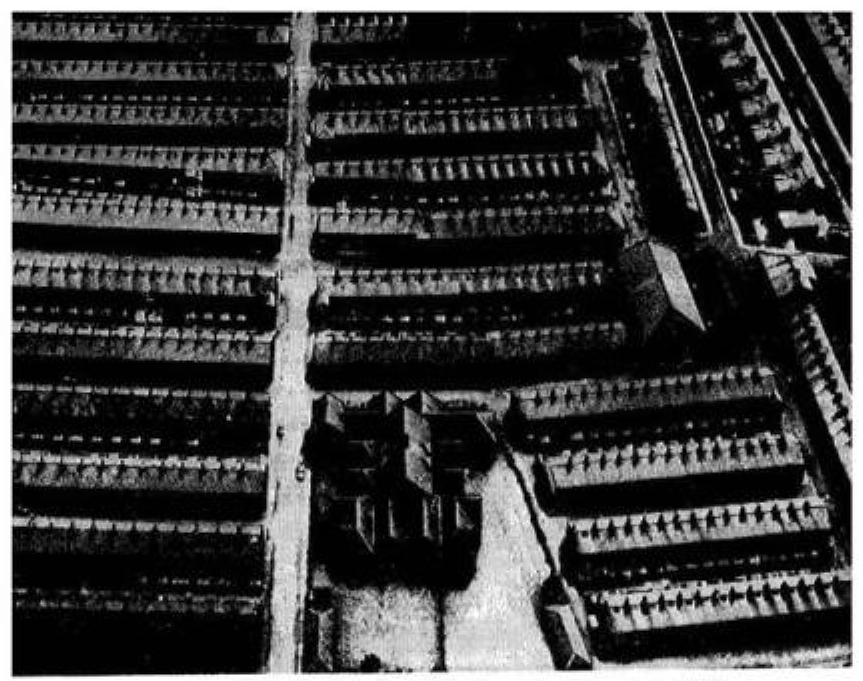
وقد تعجب ان يكون هذا القانون قد بقى ، ولو بشكل معدل ، الى قرننا هذا الحاضر . والحق انه قانون لم يتم الغاؤه الغاء كاملا الا في عام ١٩٤٨ ، ذلك العام الذى صارت فيه الدولة الخيرة Welfare state حقيقة واقعة .

وفي مكان قانون الفقراء ، حل قانون الاعانة القومية National Assistance اقره البرلمان في نفس العام ، عام ١٩٤٨ .

وهو يقضى باعانة الاعمى والاصم والابكم وكل عاجز ، ويهيىء لهم مراكز خاصة للعمل ، وللرياضة ، ويمتعهم

صورة ظهرت فى تقرير رسمى عام ١٨٤٢ وفيها تستخدم الصبية كالحيوانات لجر عربات الفحم فى المناجم .
ونشرت فى الناس قديما فكان لها وقع شديد .





هكذا بنوا البيوت لعمال مصانع النسيج في بريطانيا ، في القرن الماضي : منازل التحمت ، وتقاربت وجهاتها والظهور ، فلم يكن للناس فيها فسحة للسير ، ولا للاطفال ساحة للعب .

باجازة . وكذلك اعطى العاجز ما يحتاج من اجهزة . ويدخل في هذه الاعانات الملابس ، والمراتب واغطية النوم . واذا احتاج العامل الى عدة يعمل بها ، ولم يستطع التوفر عليها ، اعطته اياها السلطة القائمة .

وما كان هذا القانون الا واحدا من عدة ، يكمل بعضها بعضا . فلاينفهم نصيب احدها من الخير الا مقرونا بأنصبة القوانين الاخرى .

التامين القومي

وهو الركن الاكبر من اركان الدولة الخيرة .

واقروه في عام ١٩٤٦

وهو يقضي بأن كل عامل عليه ان يدخل عضوا في هذا النظام ، اذا بلغ العمر الذى وجب ان يعمل فيه، ويستثنى من ذلك النساء المتزوجات . وهو يدفع من كسبه قسطا معلوما . وهو ينتفع في مقابل ذلك باعانات تعطى له اذا خلا من عمل ، او اذا مرض ، او اذا تعطل او عجز بسبب الشيخوخة . وللارامل معاشات ، وللحبالى معونات ، وحتى الجنائز تعطى لها نفقات

وللأسر مخصصات

واقر البرلمان للأسر مخصصات، وذلك في عام ١٩٤٥ . وهى تدفع نظير الولد الثاني ومن بعده . وهي تتوقف عند بلوغ الطفل الخامسة عشرة ، الا اذا ظل يتعلم في مدرسة او معهد فنى فلا تتوقف، بل تظل تدفع له او لها حتى يبلغ



في عام ١٩٠٢ . في الحي المترف من لندن
فقراء تجمعوا عند باب مطعم فاخر
ليجود عليهم اهله بما فاض وتخلف عندهم من طعام

التاسعة عشرة . وهذا عدا ما تقدمه الحكومة للأسر على صورة وجبات طعام في المدارس ولبن واطعمة اخرى بالمجان كزيت السمك وعصير البرتقال وغير ذلك .

وهذا من حق الغنى والفقير على السواء ، ولكنه بالطبع اكثر نفعا للفقير الذى لايدفع للحكومة ضرائب اصلا او يدفع ضرائب لاتكاد تذكر .

والخدمة الصحية القومية

وتحققت هذه كذلك فى عام ١٩٤٨ .

وذكروا ان الغاية منها هي « تحسين صحة الناس جثمانيا وعقليا .. ولتشخيص الامراض وعلاجها ، وكذلك لمنع وقوعها .. »

وكان لابد لذلك من اعادة تنظيم المستشفيات ، وضم اكثرها الى الحكومة .

وكان اكثر تمويلها من الضرائب العامة ، واقلها مما أسهم به المواطنون في نظام التأمين العام .

ولما انتظم امر هذه الخدمة ازدحم الجمهور على ابواب الاطباء والمستشفيات يطلبون النظارات ، وأطقم الاسنان الصناعية ، والأدوية . فوجدت الحكومة فى عام ١٩٥١ ان لامناص لها من فرض ثمن يستغرق بعض نفقات التذكرة الطبية والنظارات والاطقم . ولم يرض عن هذا العمل بعض الوزراء فاستقالوا وكان منهم المستر هارولد ولسن ، رئيس الوزراء الحالى .

وعاد الى الوزارة فالغى نفقات التذاكر الطبية

والاسكان

والاسكان كان من الحاجات الملحة من

بعد الحرب العالمية الثانية . وزاد عدد سكان بريطانيا نحو ٣ ملايين من عام ١٩٤٥ الى ١٩٦١ . وهؤلاء احتاجوا الى مساكن. والمساكن القديمة الحقيرة البالية فى الاحياء الفقيرة كان لا بد من ازالتها . وكان ان بنت الدولة الجديدة ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٦٣ اكثر من ٤١/٢ مليون مسكن .

الانفجار التعلمي

هكذا يسمونه ، وذلك بسبب ازدياد الاقبال على التعليم ازديادا لم يعرف له من قبل مثيل .

ونختصر فنقول ان التعليم بالمجان شمل التعليم الثانوى، فالتعليم الاجبارى امتد الى سن الخامسة عشرة ، وفى عام ١٩٧٠ سيمتد الى سن السادسة عشرة.

ومع هذا فنحو نصف الطلبة والطالبات يستمرون فى تعليمهم الآن بعد السن الاجبارية المقررة .

وازدحمت الجامعات والكليات بالطلبة حتى ضاقت بهم ، وزاد عدد الطالبين للتعليم الفني .

وبسبب هذا الانفجار وقع نقص فى عدد المدارس رغم العدد الكبير الذى اقيم منها ، ووقع العجز فى المدرسين والمدرسات ، حتى ليسرت الحكومات للمدرسات اللواتى تزوجن فتركن التعليم ، ثم انجبن البنين والبنات وكبر ابناؤهن ، ، يسرت الحكومة لهن العودة بعد هذه السنوات الطويلة الى ممارسة

منازل العمال الحديثة فى دولة الخير بانجلترا .





المهنة ، وذلك بعد أن فرغن من تربية ابنائهن .

الدولة الخيرة نفقتها كبيرة ولكن كذلك الكسب

كل هذه المنافع التى ذكرنا ، من تعليم عام مرتفع شامل ، ومن صحة بالمجان ، ومن معونة عند التعطل والمرض والشيخوخة ، ومن بيوت للاسكان ، كلها تمثل أموالا طائلة تنفق على جبهات من الحاجات واسعة .

فمن اين يؤتى بالمال ؟

يأتي من الاعمال . عمل الرجال فى مصانعهم والنساء ، وعملهم فى مزارعهم ، وعملهم في شتى حقول العمل في الدولة . انها الضرائب تجبى ، وهي تجبى من كل عامل كاسب . وتتدرج علواً كلما ارتفع الكسب .

خير الدولة مقياسه قلة البطالة فيها

ليس شيء يدل على الخير الذى جاء هذه الدولة من عدد المتعطلين الذين كانوا ثم صاروا .

كان المتعطلون ملايين . وتسأل عنهم اليوم فتجد ان متوسط عددهم السنوى فى العشرين من السنين الماضية (١٩٤٨ ــ ١٩٦٨) كان نحو ٣٥٠٫٠٠٠ . وكان اكثر هؤلاء من رجال غيروا مهنهم ، فهم يتأهلون لمهن جديدة ، او كانوا شبابا خارجين من مدارسهم او امكنة تأهلهم فهم ينتظرون العمل .

ونعم ، ادت اجراءات حكومة المستر « هارولد ولسن » لحماية الجنيه الاسترليني الى زيادة فى التعطل . وضعف الجنيه الاسترليني لاسباب عدة لعل منها هذا الخير الذى جاءت به الى البلاد دولة الخير .

واليك تفسير ذلك .

مستوى المعيشة

لايشك احد فى ان مستوى المعيشة فى بريطانيا ارتفع كثيرا . يدرك هذا كل من زارها قديما وزارها او يزورها هذه السنوات . حتى لصار رخاؤها مثلا يضرب . ونحن لا نزال نذكر قول رئيس وزرائها المستر مكملان ، حين خاطب الشعب فى انتخابات عام ١٩٥٩ اذ قال لهم « لم يكن لكم قط من العيش اطيب من هذا You never had it so good

والحق أن هذا الرخاء عاد بعضه الى تحسين فى الصناعة وتحسين فى الزراعة ، ولكن عاد الكثير منه كذلك الى احساس المواطن بحنو الوطن عليه واعتباره عضوا حيا جديرا بالعناية به .

ولكن الرخاء يغري الناس باستمراء الخير والاستزادة منه فيسرفون ، ويخرجون بالموارد عن طاقة المصادر ، وهذا ما حدث فعلا فى بريطانيا فى السنوات هذه الاخيرة . زادت الواردات عن الصادرات ، فتهدد موقف الجنيه الاسترليني . اكل الانجليز وشربوا ونعموا فى هذه السنوات بفوق ما عملوا او كسبوا ، فحق عليهم الدين كما يحق على الافراد المسرفين ، المنفقين فوق ما كسبوا .

الدولة الخيرة تعددت

وضربنا ببريطانيا مثلا للدولة الخيرة ، وما هي بالدولة الخيرة الواحدة ، ففي أوربا توجد دولة خيرة ودولة . ولكن ضربنا ببريطانيا مثلا لانها ، وقد كانت السابقة الى الصناعة التكنية الحديثة



صورة تمثل الحال فى عام ١٨٨٩
الطلبة يضربون احتجاجا على سوء الحال بالمدارس .

بما حملته من خير وشر ،تهيأت لان تكون مثلا كاملا متكامل الجوانب ، يصف لنا اسلوبا من الاساليب التى بها قد يتحول شقاء الانسان ، الى لون من الهناء والطمأنينة بقدر ما يمكن أن تكون الطمأنينة على ظهر هذه الارض .

الكويت الدولة الخيرة

والذى يتحدث عن الدولة الخيرة ، لايكاد يجرى قلمه بها الاوتتمثل له الكويت مثلا للدولة الخيرة قائما . ففيها يتمثل كل الخير الذى ذكرناه . وفيها تقوم الدولة بحاجات الفقير والمريض والمتعطل بأكثر مما تقوم به الدول التي وسمناها بالخيِّرة .

ولكن الكويت وُلدتْ خيِّرة ، بسبب يسر مواردها ، وعلى الاكثر بسبب حكمة قادتها وطيب أرومتها وسلامة فطرتها وكذلك بالمعنى المتفشي فى البلاد بأن اهلها انما هم اسرة واحدة ، أو أسَرٌ لحَمَتْها الاوشاج وان تباعدت .

وبسبب ان الكويت اسرة وُلدت خيِّرة لم يقم فيها الصراع الذى قام فى سائر الامم . وانما فى هذا الصراع تكمن الدروس لطلابها .

●●

احمد زكي



بقلم : سلمى الحفار الكزبرى

■ لقيته في سيارة التكسي المتوجهة الى بيروت من دمشق ، وكنت يومئذ ميالة الى السكوت افكر في شؤوني الخاصة ولا اجيب على كلام صديقتي الدكتورة عائدة سالم الا بعبارات مقتضبة . كان رفاق الرحلة ثلاثة ، صديقتي الطبيبة ، وسيدة لبنانية اخرى ، وذلك الرجل الذي استرعى انتباهي صمته واسى بالغ مرتسم على وجهه ، فقلت لنفسي لعله من اصحاب النعم الزائلة او لعله انسان قلق يحمل همّا كبيرا ويتغشّش به . وعند بلوغنا مركز الجديدة على الحدود طلب السائق هوياتنا ليعرضها على الامن العام السوري فتقدم له الرجل جواز سفره ثم توجه الينا يسأل بمنتهى التهذيب ، وكان جالسا بمفرده الى جانب السائق :

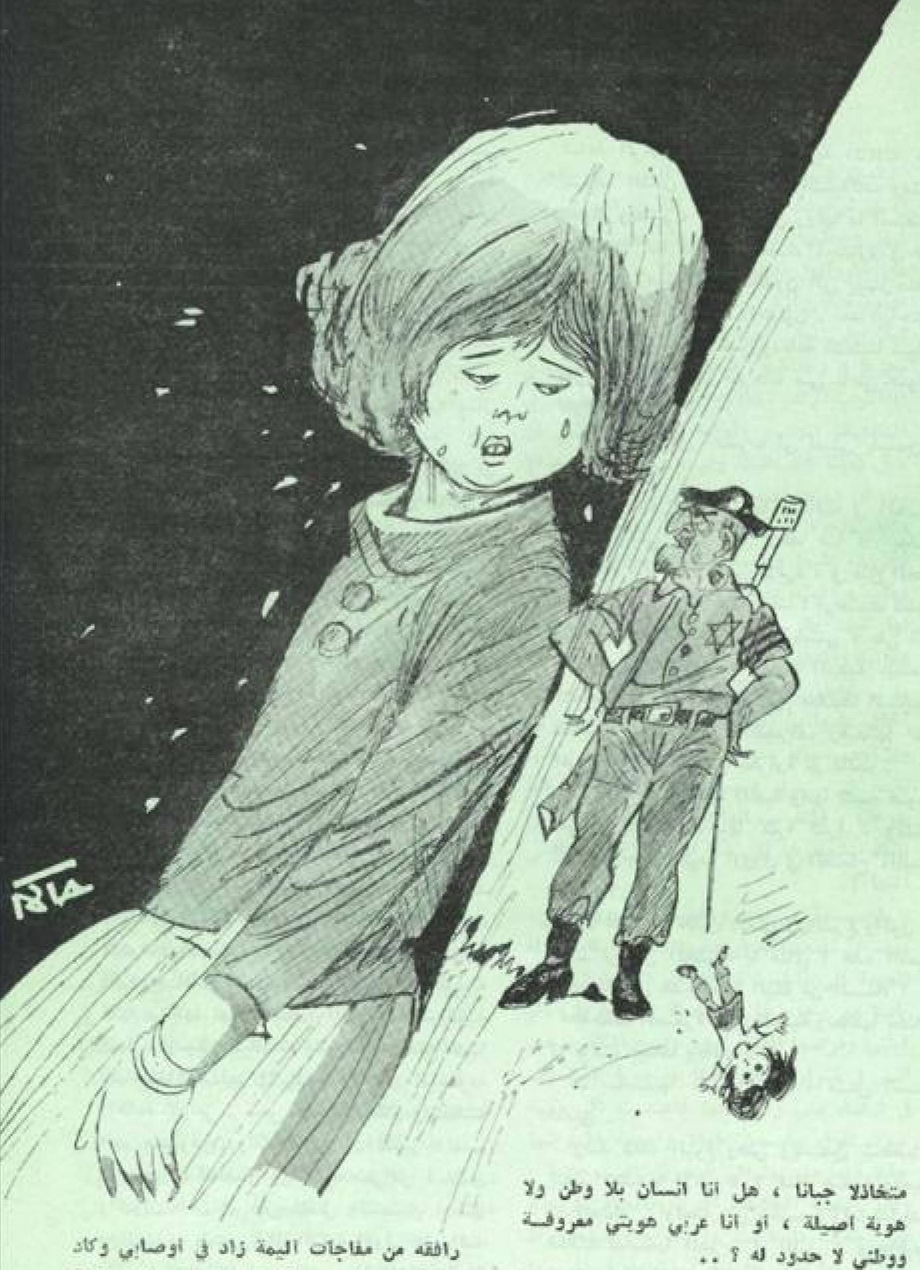
ـ هل تسمحن لي بمعرفة ما اذا كنتن سوريات او لبنانيات ، يا سيدات ؟

وعلم أن السيدتين الجالستين بقربي لبنانيتان واني سورية فقال معتذرا :

ـ ارجو الا يفسر سؤالي بالتطفل انما هو من اجل طلب معلومات عن لبنان ، فانا من نابلس جئت من عمان لزيارة مريض عزيز علي يستشفي في احد المصحات ، فاين تقع بلدة « جل الديب » يا ترى ؟

كان رفيق الطريق يتكلم بهدوء محاولا اخفاء اضطرابه فأرشدته السيدتان اللبنانيتان الى موقع « جل الديب » ، وقلت له ان المواصلات بين بيروت وسائر المناطق اللبنانية سهلة ومنظمة . ولما رجع السائق الذي كنت اعرفه جيدا لكثرة ما سافرت معه على الخط ، رجوته أن يوصله الى اقرب نقطة يستطيع التوجه منها الى جل الديب فاستجاب مرحبا . وطال صمتنا جميعا الى ان توقفنا مجددا في مركز المصنع حيث ينزل الركاب بأنفسهم لتسليم بطاقاتهم وتسلمها من الامن العام اللبناني . وهنالك ابتدأ الحديث بيننا وأتممناه في السيارة ، وكان حديث مأساة مؤلمة جعلتني ازهد الدنيا وأهيم فيها أيام اقامتي في بيروت شاردة الذهن ، متأثرة أعمق التأثر بما سمعت . سألته الدكتورة عائدة سالم اذا كان يقصد مصح الدكتور ايوب بالذات فانفرجت أسارير وجهه وقال بعد ان اطمأن الينا ، ولا سيما بعد ان علم ان مخاطبته طبيبة متمرنة في الجامعة الاميركية :

ـ انا مزارع من فلسطين ، واب لفتى في الثالثة عشرة ، وفتاة صغيرة كنت اعيش معهما عيشا هادئا ، واحاول مع شقيقة لي ان نغدق عليهما من حدبنا وحبنا ما يعوضهما عن حدب الام وحنانها ، لان زوجتي توفيت ، رحمها الله ، وهي تضع ابنتي « منى » قبل تسع سنوات . كانت هذه حالنا الى ان حدثت النكبة في حزيران الماضي التي نجم عنها احتلال اسرائيل للضفة الغربية من الاردن . كنا يومئذ في دارنا مجتمعين مع جيراننا حول الراديو نسمع الاخبار المذهلة المخيبة لكل الآمال ولا نكاد نصدق . لم نشعر بهول المأساة لأن الضربة كانت سريعة قاصمة فوق مدى تخيلنا ، فاصابتنا بدوار قوى جعلنا كالمشدوهين في باديء الامر . ثم اخذت النار الدوار تزول شيئا فشيئا وبزوالها بدأنا نتحقق من هول الكارثة ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، طفل وشيخ ، مزارع وموظف، وامرأة ورجل ... فانضممت واسرتي الى اول فوج من النازحين الى عمان مخلفا في نابلس بيتي وارضي وذكرياتي وكل متاع لأني رفضت البقاء فيها تحت امرة اسرائيل ، وفضلت اللجوء الى حيث يعيش اخوان لي وأنسباء يحملون عقيدتي ، ويتألمون لجراحي . فضلت النزوح مع ولدي واختي مستجيبا لدافع وجداني قوي لم يترك لي فرصة التبصر بعواقب ما فعلت . فمن انا الآن في عرف الناس وفي اليقين ؟ لا ادرى تماما من انا ، ان كنت لاجئا او نازحا او مشردا ، قوميا شجاعا او



متخاذلا جبانا ، هل انا انسان بلا وطن ولا هوية اصيلة ، أو انا عربي هويتي معروفة ووطني لا حدود له ؟ ..

كان الرجل يتحدث بانفعال مؤثر ولهجة عربية حلوة ، ولا شك في انه ارتاح الينا ولوجود الدكتورة عائدة سالم خاصة لانه تبسّط في الكلام بعد عودتنا الى السيارة لاستئناف السفر وكأنه لرغبة ملحة في التفريج عن كربه بالحديث ، فاتجه من مقعده الامامي نحونا وقال :

ـ ليت مصابي توقف عند ما وصفت ، لكن مرض ابنتي الطفلة عقب نزوحنا مباشرة وما رافقه من مفاجآت اليمة زاد في اوصابي وكاد يفقدني صوابي . فارقت وحيدتي الصغيرة منذ ثلاثة اشهر وقد لوّعني فراقها في مثل الحالة التي اصيبت بها ، غير ان املي كبير في ان تكون قد شفيت مما الم بمثلها ، وهي بعد في عمر اكمام الزهر ، وفي ان تعود الى سابق عهدها بالاتزان والمرح . ولو لم تطمئنني اختي عنها عندما كلمتني هاتفيا اول امس لما غامرت بالمجيء اليها لان منتى غدت ، بعد

مرضها ، تنكرني وتنفر مني غير مصدقة أنني ابوها ، وقد كانت بالامس ترى الدنيا باسمة من خلالي وتتوسد الخير والطمأنينة بين ذراعي» .

خطف رفيق الرحلة قلوبنا بقصته الموجعة وقد علمنا انه أب مفجوع وشديد الولع بابنته لأنه اختنق بالعبارات عندما ذكر اسمها وأخذ يصف مرضها ، كما شاهدنا دمعة حرى تفتل في عينيه وتأبى الانحدار ، فقدم له السائق سيجارة وقال له مواسيا :

ــ العبرة في النتيجة يا أخي ، وطالما ان الصغيرة بخير الآن فابشر وحاول نسيان الماضي .

أما أنا فقد خشيت التعليق بشيء كيلا أنكأ جرحه بالكلام ، بينما انبرت جارتي الطبيبة تسأل بتلهف مخلص عما أصاب الطفلة قائلة انها تتخصص بالطب النفساني ، وأن الدكتور الذي يعالج ابنته في مستشفاه أستاذ من أساتذتها ورجل موثوق بعلمه وخبرته . فانتعش الرجل وقال يخاطبها :

ــ اشكرك على تطمينك يا دكتورة ، ساصور لك مراحل مرضها بالتفصيل ، ولكن اسمحي لي ان أبدأ بالبداية . قلت فيما سبق اننا اتخذنا قرارا اجماعيا ، بعض الأسر الصديقة ونحن ، بمغادرة نابلس ، وكان ذلك بعد احتلالها أي بعد الهجوم الصهيوني وابتداء الحرب بخمسة أيام . حملنا على النزوح الارهاب الذى شمل مدينتنا والضفة الغربية للاردن كلها ، وانتشار القوات الاسرائيلية فيها ، وسيل البلاغات التى كانت تذاع علينا وتناشدنا بتسليم الاسلحه والتزام البيوت واطاعة الاوامر . شعر جميع السكان فيمنطقتنا انهم مشبوهون وتأكدوا من ان الكبير فيهم والصغير ، الطفل والشيخ مُعرّض للاذى والهوان ، ان لم اقل للقتل والتمثيل ، فان مجازر دير ياسين ابان النكبة الاولى ما زالت ماثلة في مخيلتنا نحن الذين عشناها وعانينا من فظاعتها الأمرين . وهكذا خرجنا من بيوتنا نحمل من المتاع اقله بعد ان اهتمت اختي بجمع الثياب الضرورية لها ولولديّ حازم ومنى ، وكنت قد حذوت حذوها على عجل بينما حمل حازم اشياءه الخاصة من كتب وطوابع كان يجمعها . أما الصغيرة منى فقد اصيبت بنوبة تشنج حادة اضطربنا لها كثيرا ساعة الرحيل ، وكانت النوبة الثالثة منذ نشوب القتال وما تبعه من اشتباكات ومنع تجول وتعتيم ، فهدأت من روعها ما استطعت واقنعتها أننا ذاهبون لقضاء اجازة في دار خالتها في عمان واننا عائدون الى بيتنا عندما ينزح عن بلدنا اليهود المحتلون . بعد ان اجتزنا نهر الاردن بشق الانفس وساعة امتطينا سيارة نقل قاصدين عمان صرخت منى بأعلى صوتها تقول :

ــ بابا ! هل أحضرت لى لعبتى ياسمين ؟ اريد ياسمين !

فارتعشت من صراخها وسالت في الحال اختى وابني ولكن انى لأحد منا ان يفكر بالدمية ، برفيقة مُنَى الاثيرة ، في مثل الحال الربكة التى غادرنا فيها بيتنا ؟ ارتعشت لعلمي باهمية هذه الدمية في حياة ابنتي ، على انها بلغت عامها التاسع ، وقصة الدمية ياسمين تتلخص بأني اهديتها لها يوم ميلادها السادس فاحبتها كثيرا ، وبعد انصراف رفيقاتها اتت الى حجرى وضمتني بحرارة ثم قالت :

ــ انها جميلة هذه اللعبة وانها تشبه صورة امي يا بابا ، ساحبها كثيرا كثيرا ، ولكنك اهديتني هذا الثوب الازرق في الصباح ،أليس كذلك ؟

ولا أدرى ما الذى دفعني لأنأسرع واقول :

ــ تريدين الحقيقة يا مناي ؟ هذه اللعبة الجميلة هي هدية ماما اليك من السماء !

فاخذت الصغيرة تقبل الدمية وتعانقها بحنان ثم برقت عيناها وقالت :

ــ سأسميها ياسمين اذن ، مثل اسم ماميتي .

ومنذ ذلك اليوم ومنى وياسمين شخصان يتمم احدهما الآخر ، لا فتاة صغيرة ودمية من الجماد . اولعت منى بياسمين ولعا شديدا فكانت تقاسمها السرير في الليل ، وتخاطبها في السر والعلانية ، وتبثها شجونها في خلواتها الطويلة بها مما كنا نعجب له أشد العجب ، حتى انها كانت ، اذا غضبت من احدنا بادرت الى ياسمين تشكوه اليها ، ولا شك لي ان الدمية كانت تواسي الطفلة وتكفكف عبراتها وتقوي قلبها الصغير البريء ، وتغذيه بالأمل والحنان : انه لأمر عجيب يتجاوز كل منطق في عرفنا نحن الكبار . ومنذ اللحظة التي

افتقدت فيها ابنتي لعبتها الحبيبة ، الجزء المتمم لوجودها ، انفجرت المأساة التي سرقت لبها وجعلتها فريسة نوبات عصبية قاسينا من تطوراتها المقلقة المضنية ما لا استطيع تصويره . واذكر اننا وصلنا الى دار خالتها ليلا وهي تبكي بمرارة وتردد اسم ياسمين بجزع ، وتخاطبها بعبارات تتمزق لها اقسى القلوب وقد اخفقت محاولاتنا جميعا في التخفيف عنها او الهائها . رفضت مني ان تأكل شيئا تلك الليلة ولم تستغرق في النوم الا بعد ان هدها التعب والحزن ، وقبيل الصبح ارتفعت حرارتها واخذت تهذي هذيان المحموم، فجزعت عليها وطلبت طبيبا اعطاها مهدئا وطلب مراقبتها بدقة . ولن انسى اول صحوة لها كيف نظرت لي نظرة الغريق المستنجد وقالت والدموع تفيض من عينيها :

ـ اتوسل اليك يا بابا ان تحضر لي ياسمين، اخاف عليها من الحرب ، سيقتلونها ويعذبونها ولا احد سواك يستطيع ان يأتي بها . تركتها نائمة في سريري ونسيت ان اوقظها ساعة خرجنا ، والغريب انها لم تنادني ، فهل توعدني بانك ستحضرها الى هنا او تفضل ان تأخذني اليها ؟

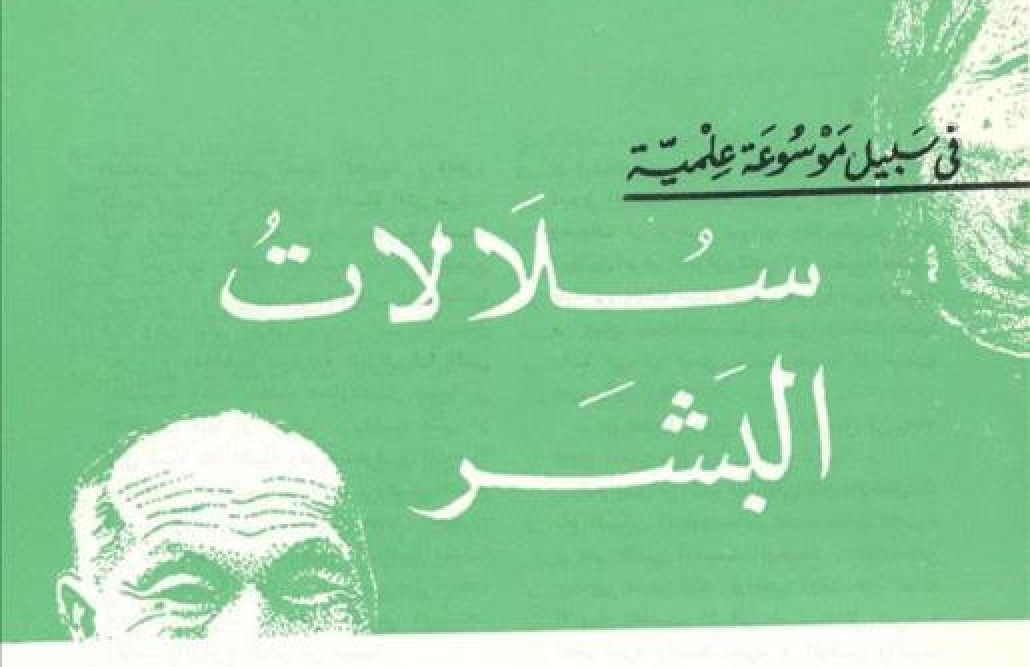
فضممتها الى صدري اغمرها بحبي وعبراتي، وبعد ان نفدت الحيل جميعا لاقناعها باستحالة العودة الى نابلس ، اكفهرت الدنيا في عيني يأسا من وجود حل للمعضلة وتأسيا على الم ابنتي ومرضها المقلق . وفي اليوم التالي رحت اسير في شوارع عمان بحثا عن دمية ثانية املا في ارضاء مني ومواساتها فاهتديت الى دمية كبيرة تفوق ياسمين جمالا واهمية اشتريتها جذلا واسرعت بها الى صغيرتي المستوحشة . ولكن اللعبة الجديدة اضرت بالفتاة المريضة على خلاف ما ظننت وزادت من هياجها اذ سببت لها نوبة جديدة ، وبعثت في نفسها اوهاما وتصورات مزعجة كنت انا محورها .. فقدت ثقتها بي وظنت اني اكذب عليها واخدعها ثم بدأت تنفر مني فزادت شقائي شقاء ، ولوعتي لوعة . استرخصت كل نفيس ووددت لو ارهن نفسي في سبيل العودة الى بيتنا ساعة من اجل احضار الدمية لانقاذ ابنتي ، طرقت عدة ابواب ولكنها كانت موصدة ، بذلت قصارى جهدي بلا جدوى . لقد فات الاوان اذ تيقنت اني خسرت اجسم خسارة يتكبدها اب في الوجود : اضحت ابنتي مختلة العقل ، وهيهات ان يرجع صوابها وانا عاجز عن شفائها. اعرف الدواء ولكني لا استطيع الحصول عليه .. وذات مساء هبطت حرارة مني وطلبت من عمتها طعاما فاستبشرنا خيرا ودخلت عليها باشا غير ان كبدي تفتتت حسرة اذ عبست حين رأتني وقالت :

ـ من انت ؟ اخرج من هنا وارسل لي بابا، فانت لست بابا !

فخرجت من الغرفة ابكي بكاء الاطفال اذ بلغ السكين العظام ساعة فقدت معاني الابوة في نظر طفلتي الحبيبة الوحيدة . لجأت الى صديق قديم ابثه لواعجي وانا على حافة الانهيار العصبي اذ اني ضيعت كل شيء ، اعظم شيء وابسط شيء ، الوطن والبيت والمال ، والعمل والولد والامل ، حتى ان ابني حازم شغل بالي باصراره على التطوع في الجيش لمحاربة اسرائيل ، فقد رجلته النكبة وحادثة اخته وهو بعد في عامه الثالث عشر .. لقيت من صديقي اجمل مواساة ثم اوصاني بارسال مني في الحال الى مصح « دير الصليب » في جبل الديب لتلقى علاجا نفسيا ممتازا على ايدي اخصائيين مهرة ، وكان يعرف المصح والطبيب المشرف عليه . وهكذا فتح لي صديقي نافذة امل فبادرت الى ارسال مني بصحبة عمتها ، وكما قلت في مطلع الحديث ، اوشكت بنتي ان تشفى حمدا لله ، ورجائي كبير في ان اعود بها الى عمان قريبا سالمة معافاة .

كنا قد اشرفنا على مدينة بيروت عندما ختم رفيق الرحلة قصته المؤثرة المثيرة ، تودعناه فيها متمنين له تحقيق امنيته ومن ثم العودة الى بلده وبيته . ومنذ ذلك اليوم وصورة ياسمين ، اللعبة المنسية في بيت محتل ، تؤرقني وتكاد لا تبارح مخيلتي ، لا سيما بعد ان اقترنت بها صورة قبر مهجور في نابلس لامرأة تحمل اسم ياسمين ، وصورة طفلة يتيمة قدر لها ان تفقد اعز ما تملك وان تواجه آلام الهجرة والحرمان بسبب عدوان ربما تزول آثاره من اراضينا المحتلة ولكن آثاره ، من عقل مني قد لا تزول . ■■

دمشق ــ **سلمى الحفار الكزبري**



سلالات البشر

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ الناس ملء الارض .

وانت ترى الرجل او المراة ، وابناء لهما وبنات ، فتعلم من أول وهلة ، انهم الناس . ذلك لانه تجمعهم ، من بين قبيل الحيوانات التي تسكن الارض ، صفات واحدة ، اكثرها الظاهر الذى تلمحه العين فتكتفي ، فلا تريد ان تستزيد . وهى لو ارادت ان تستزيد ، لوجدت بين بنى الناس الكثير المشترك : اوجه . صدور . بطون. اذرع . ارجل سَيْرٌ . جَرْىٌ . وقوف . جلوس .

وانت لو اردت ان تزيد فتستكنه الباطن لوجدت احشاء واحدة ، ومصنعاً فيها للحياة واحدا .

مِحَك ((النوع)) فى علم الحيوان

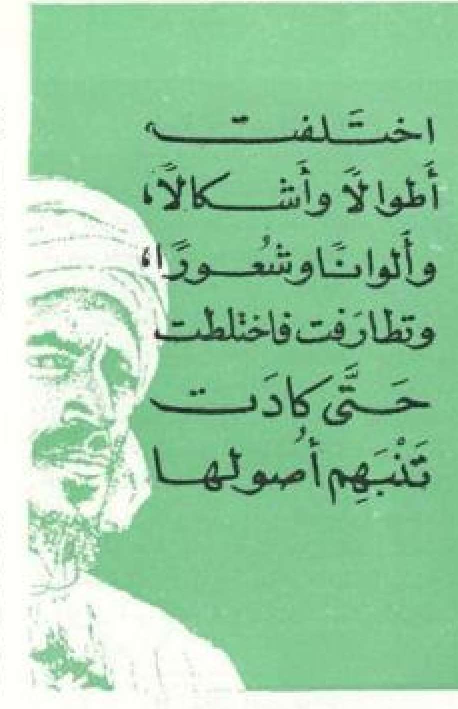
وتسأل عالم الحياة عن البشر ؟ فيقول « نوع » Species من الحيوان متجانس .

وتسأل فما تجانسه ؟ فيقول محك « النوع » الواحد ان يجتمع منه اثنان ذكر وأنثى ، فينجبا .

مع التشابه تخالف

ومع هذا التشابه والتواحد فى الصفات التي تراها فى بنى الناس ، بداهةً ، فتقول انهم الناس ، يوجد تخالف فى الصفات التي نراها فى بني الناس بداهةً كذلك ، فنقول انهم قبائل وشعوب ، وانهم انسال مختلفة .

وانت ترى الرجل الفرنسي وترى الرجل الصيني فلا تخلط بينهما . كلاهما ناس ، ولكن اختلفت الأنسال .



واختلفوا في تقسيمهم . وزاد اختلافهم كلما طلبوا التفصيل من بعد اجمال ، فالاقسام عند بعضهم ستة او سبعة . وعند بعضهم ثلاثون وأكثر من ثلاثين . واشهر ما اتفقوا عليه في اجمالهم ان السلالات الكبرى ، الحاضرة اليوم ، ثلاث :

القوقازاني Caucasoids .

المنغولاني Mongoloids .

والزنجاني Negroids .

ويلاحظ اننا قلنا القوقازاني ولم نقل القوقازي ، تمشيا مع اللفظ الافرنجي ، فهو لا يفيد النسبة الى القوقاز Caucasian ، وانما يفيد الشبه والعلاقة والصلة . وقلنا المنغولاني ولم نقل المنغولي ، وقلنا الزنجاني ولم نقل الزنجي .

وانت لا تخلط بين الصيني والزنجي ، ولا تخلط بين الزنجي والحبشي ، ولا بين العربي والروسي .

وما تمييزك الصينى ، وما تمييزك الزنجي ، وما تمييزك الهندى ، الا بصفات سبقت بها التجربة اليك ، فانعقدت عندك صيغة واحدة ، تنتقل منها الى عملية التمييز عند الرؤية مباشرة فلا يكاد المنطق يجد له من الوقت ما يحل فيه .

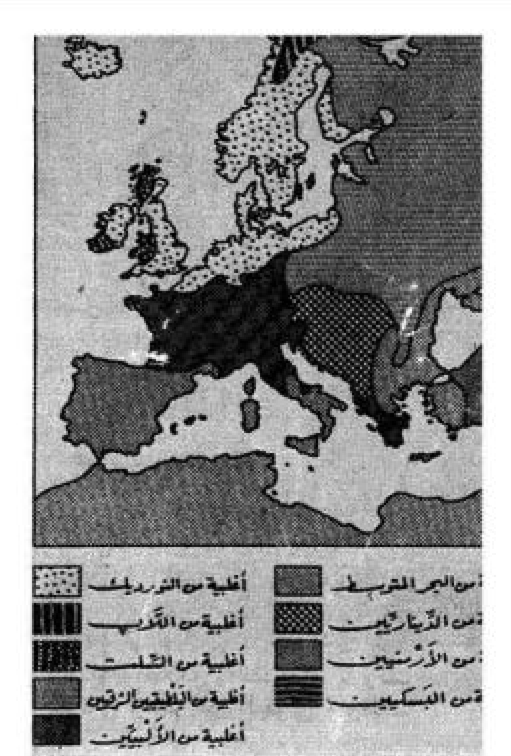
علماء السلالات

ووجد علماء السلالات من الوقت السنين الطويلة للدرس والفهم ، وحتى الحفر في الارض ، واستخراج بقايا العظام لعلم ما كان الانسان ، تمهيداً لعلم ما هو كائن . وعرفوا الكثير عن اشتات بنى الناس الأحياء فى الأرجاء المختلفة من بقاع الأرض .

وخرج علماء الأنسال من بحوثهم هذه على تقسيم الأنسال الى اصناف .



اقصر الرجال واطولهم فى العالم : عملاق نيلي ، وزنجي كنغولي . وكلاهما زنجي



خريطة مبسطة لتوزع السلالات في أوربا

طبيب باكستاني، واخرى باكستانية. لاحظ تقاطيع الوجه ، وقارنها بالتقاطيع الاوروبية القوقازانية. ثم لاحظ شعر الرجل المتموج ، وشعر المرأة المرسل .



السلالة القوقازانية

أول من أطلق اسم هذه السلالة فقال القوقازانية Caucasoids هو العالم الالماني بلومن باخ Blumenbach (١٧٥٢ــ١٨٤٠م) حين قام بدراسة شعوب أهل القوقاز ، وهي المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود ، وهي المنطقة التي لعلها كانت عنده مصدر الكثير من الشعوب التي سكنت اوروبا . ثم غلب هذا الاسم ، باتساع الدراسات ، على كل الشعوب التي نسميها بالبيضاء أو الاوروبية . وحتى التي لم تكن بيضاء الجلد . فيدخل تحت هذه السلالة الجامعة سكان الجزيرة العربية ، وايران ، والهند ، وسكان شمال افريقيا وغربها .

السلالة المنغولانية

وهي السلالة التي تضم اليابانيين والصينيين والكوريين والشعوب التركية وأهل التبت والهملايا ، وكذا الشعوب الملاوية والاندونيسية ، وكذا الهنود الحمر بأمريكا .

ومعنى هذا ان آسيا كانت مركزا هاما تفرعت منه سلالات، فالى الشرق زحفت الشعوب حتى سكنت أمريكا ، والى الغرب زحفت حتى اختلطت السلالات التركية بالسلالات القوقازانية .

السلالات الزنجانية

ان أصل هذه السلالة او السلالات (اذا اعتبرنا السلالات الصغيرة التي تضمها السلالة الكبيرة) من أكثر الاصول الانسانية انبهاما . وهي تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا . أما مسكنها فافريقيا . أوسطها ، وغربها ، والشرق. ويخرج عن ذلك شمال القارة ، شمال نهر سنغال ، فتخرج عن هذه السلالات دول المغرب العربي والطوارق ومصر



امراة منفيتويه Mangheu من الكنفو .



امراة من منفوليا الداخلة

والسودان والصومال والحبشة الى خط عرض ١٢ درجة .

بناء هذا التقسيم السلالي

وبنى العلماء هذا التقسيم السلالي على صفات جسدية يتصل اهمها :

بهيكل الجسم
والجمجمة
والراس والوجه
والجلد
والشعر
وغير ذلك
واليك طرفا من ذلك

الهيكل العظمي

هيكل القوقازاني اثقل واغلظ من غيره من السلالات ، وعظامه الطويلة مفاصلها اكبر . والحوض أوسع .

وهيكل الزنجانى عظامه الطويلة ارفع ، وحوضه أضيق .

وهيكل المنغولانى ليس به صفة ظاهرة تميزه .

الراس والوجه

والقوقازاني عظام حواجبه مكتملة النمو ، ووجهه قائم ، وفكاه صغيران ، وعظام انفه مكتنزة ومرتفعة بارزة ، وذقنه بيّن ظاهر .

والزنجاني يتميز ببروز فكه الأعلى ؛ وذقن لم يكتمل نموا ، وقصبة انف واطئة ، وانف عريض ، ووجه مستدير ، وجمجمته بارزة من خلف .

والمنغولاني جمجمته تدل عليه أكبر دلالة . فوجنتاه بارزتان ، والطرف الأسفل لمحجر العين بارز الى امام . وعظمة الحاجب لم تكتمل نموا ، وأول الأنف عند الحاجبين مفرطح وعريض ، وقصبة الأنف واطئة والمنخار ضيق .

الراس الطويل والقصير

هناك رقم للقياس يُعنى به علماء السلالات ، ذلك الرقم الذى يدل على النسبة بين عرض الراس (مسافة ما بين جانب وجانب) وطول الراس (مسافة ما بين الجبهة ومؤخر الراس) . ويعبر عنها بالنسبة المائوية . وتسمى هذه النسبة بالدليل الراسي Cephalic Index

فالراس طويل وضيق عندما يكون دليله اقل من ٧٥ر٩ ٪ .

والراس قصير وعريض عندما يكون دليله اكثر من ٨١ر٠ ٪ .

والراس متوسط عندما يقع دليله بين ٧٦ ٪ و ٨٠ر٩ ٪ .

وهذه النسبة يَبين خطرها عند الدخول فى هذه السلالات الكبيرة للتمييز بين مجموعات أصغر منها .

والوجه الضيق والعريض

وللوجه دليل كما للراس دليل .

ودليل الوجه هو طول الوجه مقيسا من حيث بدء الأنف بين الحاجبين الى أسفل الذقن ، منسوبا الى عرض الوجه فى مستوى الوجنتين . والنسبة فى المائة .

والوجه العريض دليله اقل من ٨٥ ٪ .

والوجه الضيق دليله اكثر من ٨٨ ٪ .

والوجه المتوسط دليله بين ٨٥ و ٨٨ ٪ .



رجل من التبت

والمنغولاني له الوجه الأعرض ، والقوقازاني له الوجه الأضيق ، أما الزنجاني فيتميز على الأكثر ببروز فكيه وهذا يخرج بالوجه ، من أسفل ، الى الأمام . وهذا عكس ما نجد فى القوقازاني فوجهه عمودى الصفحة قائمها .

و « دليل الوجه » فى تقسيم الأنسال اقل خطرا من « دليل الراس » .

والأنف كذلك ، منه الضيق ، ومنه العريض

وللانف دليله . وهو خارج قسمة عرض الانف الى ارتفاعه ، مضروبا في مائة .

وهو يقع فيما دون السبعين في المائة الى ما فوق ٨٤ فى المائة .

وهي نسبة مئوية عالية فى الانف العريض ، منخفضة فى الأنف الضيق المكتنز .

والقوقازانى ضيق الانف مكتنزه ، والزنجاني عريض الأنف ، والمنغولانى له، فى عمومه ، أنف بين بين .



هندى احمر
من سهول امريكا الشمالية .



عربي : وفيه تتمثل سلالة البحر المتوسط، "خفة" فى البناء ، وسمرة" فى الجلد .

والأنف ، عدا الضيق والعريض منه ، له صفات أخرى تذكر . ومن ذلك شكله عندما ينظره الناظر من جانبه . فحرف القصبة (وهو يجمع بين أصل الأنف ، وعظمه والأرنبة) قديكون خطا مستقيما، وقد يكون منحنيا ، وهو عندئذ يميل الى التقعر أو التحدب .

وأنف القوقازاني ، لا سيما الأوربي الشمالي وساكن البحر المتوسط ، يكثر أن يكون ضيقا محدبا . وأنف الزنجاني قد يستقيم وقد يتحدب . وأنف المنغولاني مقعر القصبة عادة .

لون الجلد

ويختلف لون الجلد في أنسال البشر اختلافا بيّنا ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ومنه ما بينهما . والأصل فى اللون ما يفرزه الجلد من المادة الملونة السوداء المعروفة باسم الملانين Melanin . وكل البشر يفرزها حتى الأبيض ، ولو قليلا ، والأسود يفرز منها الكثير ، والأسمر بين بين . ولكن ليست هذه المادة الغامقة اللون هي وحدها التي تحدد اللون . فخلايا الجلد الظاهرة الميتة تحدده ، وهي فى بعض بنى الناس كثيفة وفى البعض خفيفة رقيقة . وكذلك الدم ، فهو يجري فى الجلد فيشارك فى تكوين اللون . فليس اذا هناك لون أبيض واسود واصفر واحمر ، وانما هي العوامل الثلاثة التي ذكرناها تحدد اللون .

والذى يحدد مقدار الملانين الأجناس البشرية ، فهو يورث وراثة . وكذا ثخانة الجلد ورقته .

والجلد الأبيض يختلف عن الجلد الأسود والأسمر فى مقدار امتصاصه لأشعة الشمس ، فمن ذلك ان الجلد الأبيض لا يمتص من الأشعة المنظورة غير ٦٠٪ بينما الأسود يمتص ٨٠٪ . والأشعة الفوق البنفسجية انفذ فى الجلد الابيض منها فى الأسمر والاسود ، ولهذه الظواهر معانٍ فسيولوجية يضيق المقام عن شرحها .

شكل الشعر ولونه

وشعر بنى البشر اما .

مستقيم وقد ينقعص طبيعة ويتموج كما فى السلالة القوقازانية .

ومستقيم لا ينقعص ولا يتموج كما فى السلالة المنغولانية .

ولولبى حلزوني مكتنز اللفائف صغيرها كما في السلالة الزنجانية .

ولون الشعر يعزى الى مثل ما يعزى اليه لون الجلد ، اى الى المادة السوداء ، وهي الملانين ، تقل أو تكثر .

ولون الشعر فى السلالة القوقازانية اسود ، أو بنى ، او فاتح اشقر لا سيما فى الشمال من أوروبا .

ولون الشعر فى السلالة المنغولانية اسود ، ولا يفتح لونه حتى فى سكان شمال القارة الاسيوية ، فى سيبيريا حيث البرد شديد .

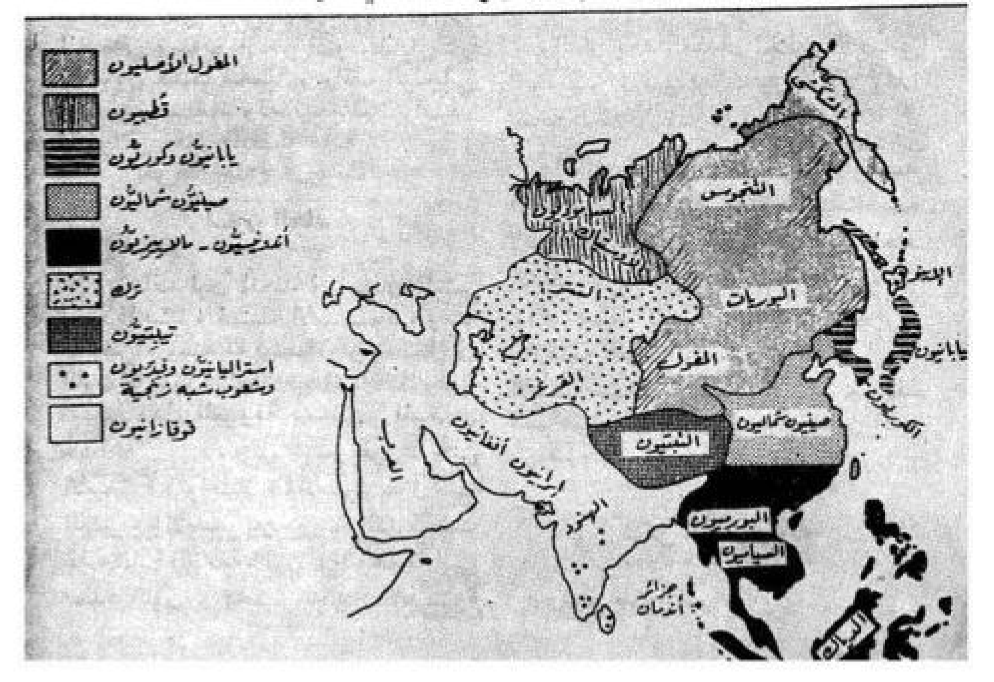
ولون الشعر فى السلالة الزنجانية اسود .

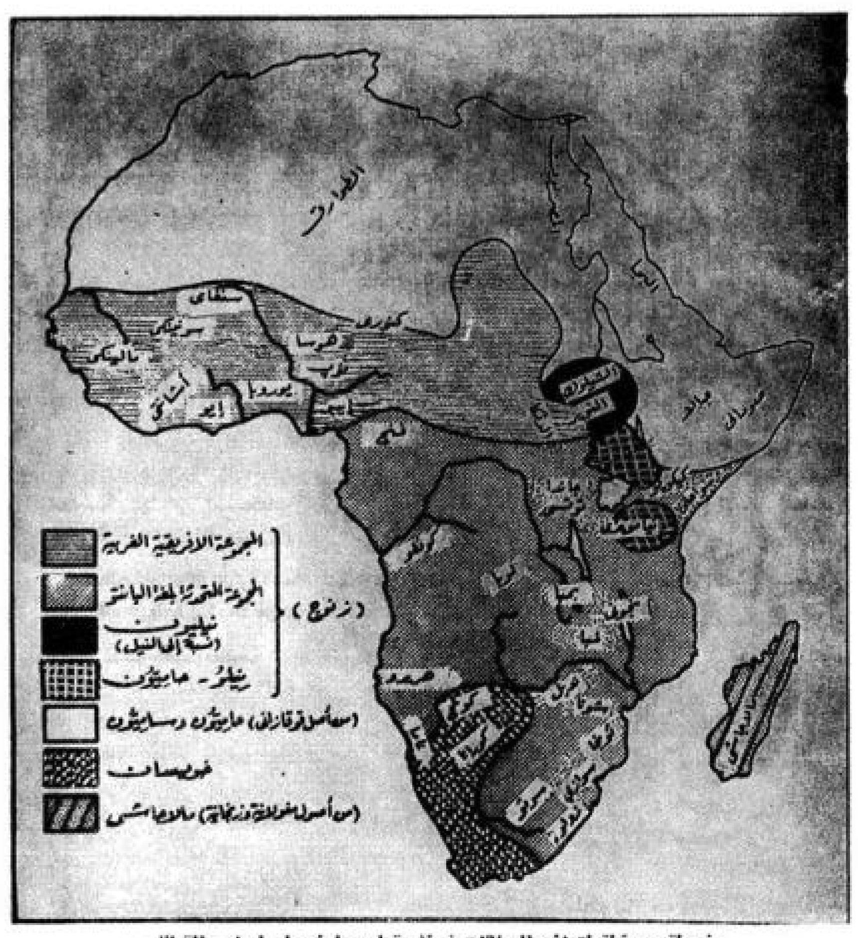
ومقدار الشعر فى الجسم والوجه واللحى يختلف فى السلالات ، وهو كثير في السلالة القوقازانية ، قليل في المنغولانية والزنجانية .

اختلافات بين السلالات اخرى

وقد نعالج اختلافات فى السلالات اخرى ، كأشكال العيون والوانها . وقد نتعمق فى باطن الجسم كأن ندرس اختلاف الدماء بين السلالات . ولكنها كلها دراسات ، كتلك السابقة ، تزيدنا اقتناعا ، بأن السلالات الانسانية ، ولو انها تباينت اجمالا فى ثلاث سلالات او حتى فى اربع كبرى ، غير ان هذه السلالات تطارفت واختلطت بالتنقل على

خريطة مبسطة لتوزع السلالات في آسيا





خريطة مبسطة لتوزع السلالات في افريقيا وبها اسماء لبعض القبائل .

سطح الارض ، فكانت من ذلك أنسال جمعت بين الشتيت المتناقض من صفات تلك الأنسال التي زعمناها أصولا أولى .

وغير ذلك فالسلالات الثلاث التي ذكرنا ، لو دخلنا نفتش في محتوياتها ، لوجدناها تتألف من سلالات أصغر ، تشملها الصفات العامة للسلالة الكبرى اجمالا ، ولكن بينها وبين اخواتها من السلالات الصغرى وجوه اختلاف تميز بعضها عن بعض . ولعل هذا اظهر في افريقيا حيث موطن السلالة الزنجانية الكبرى . ففي افريقيا توجد سلالات في غربها ، تختلف عن سلالات في أوسطها وفي جنوبها . وقد تتضمن هذه السلالات الصغيرة سلالات أصغر لها طابعها الخاص ، ولعل هذا سببه الحياة القبلية التي يحياها هؤلاء الناس ، وانعزالهم في شتى البقاع الافريقية .

والانعزال هو حافظ السلالة دائما والعامل على بقائها . ولو اننا جمعنا اقواما من سلالات شتى واسكناهم جزيرة نائية لا يتصلون منها بالعالم ، وتركناهم هناك القرون يتناسلون ، لانتهى أمرهم الى سلالة واحدة متجانسة تزداد تجانسا على مر الزمان . ••

أحمد زكي

مسابقة العربي

٨ أسئلة من فلسطين المحتلة

■ هناك صور لمعالم عربية مذكورة في تلك الارض التى اغتصبها العدو الاسرائيلى .. ومسابقة هذا العدد تتضمن ثماني صور من ثماني مدن عربية فلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة مقتبسة كلها من استطلاعات العربي الماضية ، هذه المدن التى تكافح اليوم كفاح الابطال للتخلص من آثار العدوان الصهيونى .

والمطلوب منك أن تذكر أسماء خمسة على الاقل من هذه المعالم .. ولمساعدتك في التعرف عليها ، نقدم لك فيما يلى شرحا موجزا لكل منها :

١ ـ مدينة كانت مصيف الاردن المفضل ، وقد اشتهرت أخيرا بمظاهرات الطالبات ، خاصة ، ضد العدو الصهيونى . ما اسمها ؟

٢ ـ طائفة يهودية قديمة تعيش في مدينة نابلس ، ما اسمها ؟

٣ ـ مدينة يرقد فيها أبو الانبياء .. ما اسمها ؟

٤ ـ مصيف اسمه يذكر باسم شراب يصنع من خمير الشعير .. ما اسمه ؟

٥ ـ بلد من معالمها هذا التمثال لمحارب فلسطيني .. ما اسمه ؟

٦ ـ طريق يحتفل المسيحيون بالسير فيه مرة كل عام . فما اسمه ؟

٧ ـ بلد ولد فيه المسيح عليه السلام .. ما اسمه ؟

٨ ـ مسجد يشتق اسمه من اسم حجر مقدس .. انتهك اليهود حرمته . ما اسمه ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٢١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتي :

الجوائز ١٠٠ دينار

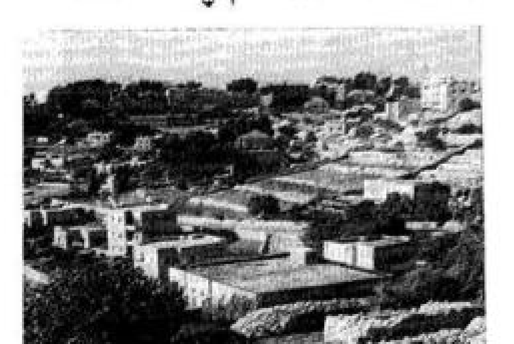
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

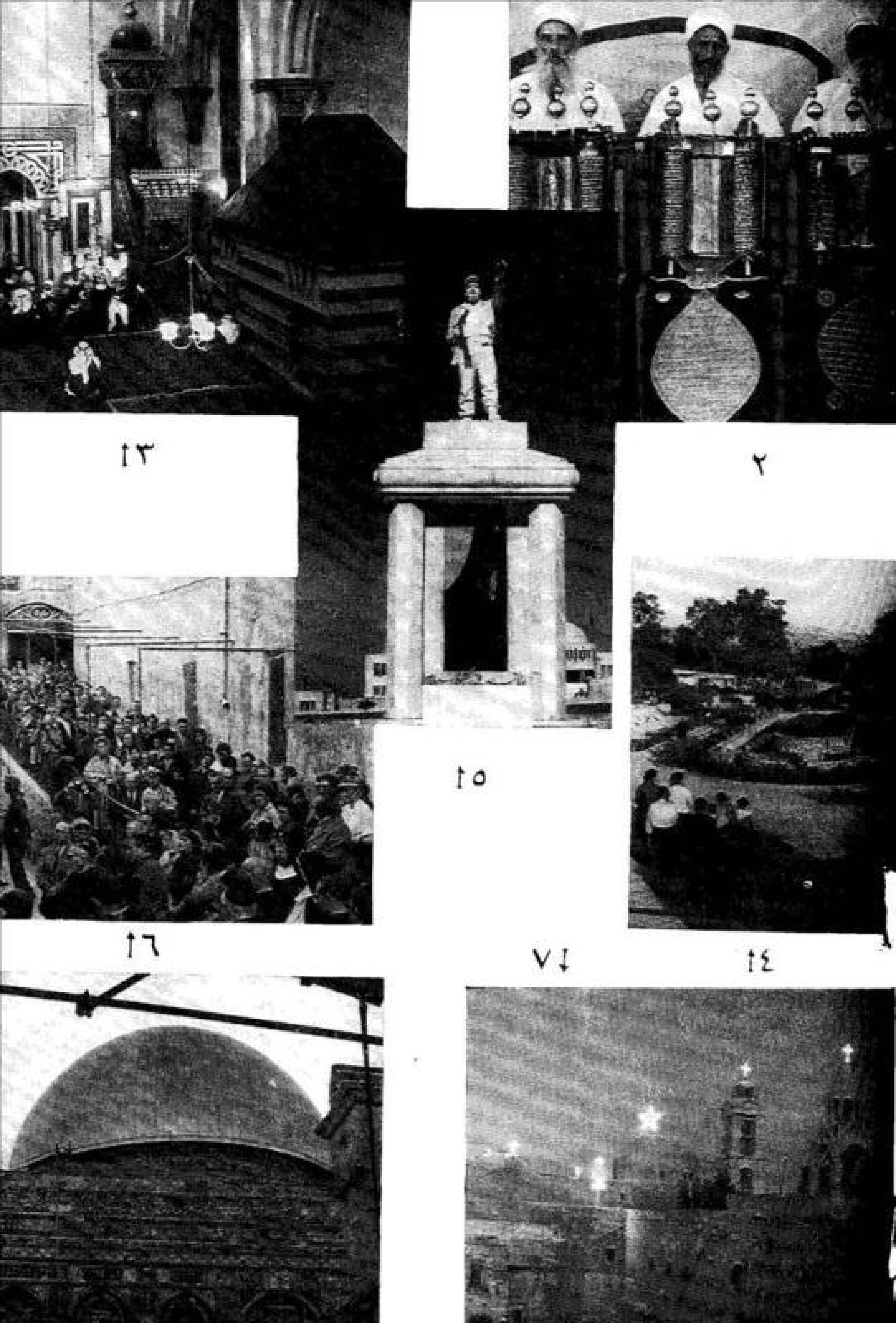
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

١ ↓





١٣
٢
١٥
١٦
٧١
١٤

نتيجة مسابقة العدد ١١٩

القارئات ينافسن القراء على الجوائز

■ حفلت ردود القراء الكثيرة على مسابقة العدد ١١٩ باجابات صحيحة متنوعة . وقد حمل الينا البريد الوف الخطابات من مختلف انحاء العالم . وثمة ظاهرة ، استوقفت نظر لجنة فرز الاجابات الصحيحة ، وهي اشتراك عدد كبير من القارئات في الاجابة على اسئلة هذه المسابقة .

وفيما يلي نموذج للاجابة الصحيحة ولو أن هناك اجابات اخرى جعلت للمسابقة أكثر من حل واحد صحيح :

١ ـ بورسعيد ـ بنزرت ـ بورسودان .. بغداد ـ بنغازي ـ بيروت .

٢ ـ دمنهور ـ دمشق ـ درنة

٣ ـ صفاقس ـ صيدا ـ صنعاء .

٤ ـ طرابلس (في لبنان وليبيا)

٥ ـ البحرين .

٦ ـ جزيرة جربة (تونس) ـ ارواد (سوريا) ـ فيلكا (الكويت) ابو موسى (الشارقة) .

٧ ـ واحة سيوة ـ الفرافرة ـ كفرة ـ البريمى.

٨ ـ مضايق جبل طارق ـ تيران ـ باب المندب ـ هرمز .

٩ ـ كربلاء ـ كركوك ـ كوت ـ كوفة .

١٠ ـ حمص ـ حماة ـ حلب .

الفائزون بالجوائز

وقد اجرينا القرعة بين الاجابات الصحيحة ، ففاز القراء الآتية اسماؤهم بالجوائز التى يبلغ مجموعها مائة دينار كويتي .

❋ **الجائزة الاولى** : وقيمتها ثلاثون دينارا ، فازت بها : **طيبة عبد الله الحشاش** ـ كيفان ـ الكويت .

❋ **الجائزة الثانية** : وقيمتها عشرون دينارا ، فازت بها : **هيفاء يوسف ابو حجلة** ـ عمان ـ الاردن .

❋ **الجائزة الثالثة** : وقيمتها عشرة دنانير ، فاز بها : **محمد حسن الخطيب** ـ القدموس ـ سوريا.

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها :

١ ـ **سلطان حزام شمسان** : شارع ٢٦ سبتمبر ـ تعز ـ اليمن .

٢ ـ **تاج السر محمد النور محمد** ـ المدرسة الثانوية ـ عطبرة ـ السودان .

٣ ـ **نوال مسعود ملاعب** ـ بيصور ـ لبنان

٤ ـ **عبد الملك محمد الجريدان** ـ الدمام ـ السعودية .

٥ ـ **رباب محمد شديد** ـ الجزائر .

٦ ـ **سنان كاظم خصباك** ـ الحلة ـ العراق .

٧ ـ **محمد رجائي محمود سالم** ـ المساكن التعاونية شارع الجلاء ـ طنطا ـ ج.ع.م .

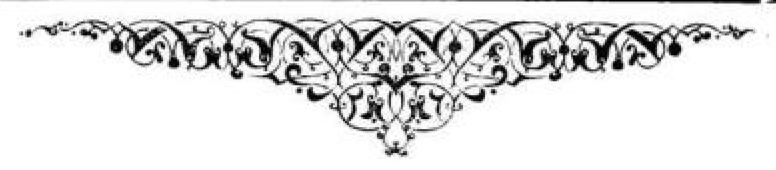
٨ ـ **حياة لحدو** ـ المعهد الفرنسي للبترول ـ باريس ـ فرنسا .

❋ وسترسل الجوائز الى الفائزين بالبريد .

■■

الشباب الخالد

إنه شباب الأدب الذي لا يموت



بقلم : جورج سلستي

■ ليس شباب العمر ما أعني ، وعمر الشباب كعمر الورود ، سرعان ما تبلوه الحياة بالاعاصير فيذوى .

ولا شباب الربيع الربيع اعني ـ شباب الطبيعة ـ وهو ما ان يرود برونقه النضر حتى تصوّحه لافحات السمائم .

ولا شباب الدول ذوات الحَوْل والطَّوْل ، وهو مهما يطل لا بد له ان يدوُل ، فالخريف كامن في اعقاب هذه جميعا .

وانما ثمة شباب لا يُدركه خريف ، شباب لا يعروه الهرم ، ولا يدب اليه وهن الكبر .

شباب غيْسْتانيّ ، أبدى السنى والرواء ، دائم الوضاءة والحسن ، يعدو الزمن العصيب فما يطاوله بحدثانه ، ويدور الدهر الحريب فما يُذبل من ريعانه .

شباب يزدري بسطوة العفاء ، ويهزا بعاديات الفناء ، لانه ينبض ابدا بمضاء القوة ، وعزة الحياة ، وزهو الخلود ، شباب شاخت الدول وباد منها ما باد ولم تدل دولته . واندرست جلائل المعالم ، كما عفت روائع الآثار ، وهو ابدا ريق نضيا يطاول السماء بعزته ، ويتحدى الازل بخلوده .

ذلكم الشباب المؤبد هو شباب الفن الرفيع ، شباب الادب :

يَهرمُ الكون وهـو غضٌ وتبلى
جِدّةُ الدهـر ، وهو زاه نضيرُ

يتخطى هامات الأجيال

وليس كالادب ما يتخطى هامات الاجيال بأبهة وجلال ، محتفظا بسحره الاخاذ وروعته القدسية .

وان العلم ليتبدل من حال الى حال ، وان من نظرياته ما انقلب رأسا على عقب ، بتقدم العصر وارتقاء الفكر ، وان ما كان يُحسب فيه حقيقة ثابتة لامراء فيها في جيل ، نقضه الجيل الذي تلاه . وقد ينقض العلم غدا ما يُبرمه العلماء اليوم في حين ان نفثات هوراس وهوميروس وفرجيل ودانتي وملتون والمعري وشكسبير والمتنبي واترابهم من الشعراء والادباء الافذاذ لتجدُ فيها النفوس في اليوم الحاضر ، ما وجدته من قبل نفوس الامس البعيد الغابر ، من متعة ولذة وانس ، ولسوف تتناقلها الافواه في مؤتنف الايام : كما كانت تتناقلها الالسن في سالفات الاعوام ، ولسوف يظل يتلو الناس آيات الشعر والادب ما دام فيهم من تستهويه لفتات الخاطر المشبوب ، وومضات الذهن المتوقد ، وعذوبة المنطق المعسول ،



وستنشد أهازيج الهوى التي تغنى بها سليمان الحكيم كما تتلى غزليات ابن المعتز ووجدانيات ابن زيدون ، وان العالم ليستمتع بها ـ على قدم العهد ـ كما يستمتع بروائع دى موسه ، وبدائع لامرتين ، وطرائف الاخطل الصغير ، وستبقى ابدا نزهة الارواح ومتعة النفوس ما دام للناس قلوب تخفق ، واكباد تحن ومهج تتشوق .

وتقدير الادب ليس بالبدعة المستحدثة في التاريخ ، فقد عرف الاقدمون له جلال القدر ورفعة المنزلة فبوأوه حرمات التقديس . ومن البداءة المأثورة أن العرب في الجاهلية كتبت على القباطي بماء الذهب مختاراتها من روائع الشعر الحي ، وعلقتها على استار الكعبة تقديرا لها وتعظيما .

وان الاغريق قد كتبوا بالذهب على جدران معبد اثينا في لمنوس Lemnos القصيدة العصماء التى قالها زعيم الشعر الغنائي بندار Pindar في مدح دياجوراس Diagoras . (١)

وهل كان الملوك والامراء يبذلون المال والهبات على الشعراء الأفذاذ بمثل ذيالك السخاء العظيم لولا طمعهم في خلود الذكر في القصائد الرنانة التي كانت تذهب على ألسنة الناس كالمثل الشرود ؟ .

صفقة خاسرة

وانها والله لصفقة خاسرة للشعر ان تشترى روائعه الخالدات بمتاع غير خالد .

يروى التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انه قال لبعض اولاد سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى : « انشدني بعض مدائح زهير في أبيك » فانشده . فقال عمر : « انه كان ليحسن فيكم القول » . فقال ابن سنان : « ونحن كنا نجزل له العطاء » . فقال عمر قوله المأثور الخالد : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » .

الا طيب الله ثراك يا امير المؤمنين وكرم مثواك . فقد زكيت الفن الرفيع بشهادتك الخالصة التي اديتها لوجه الحق مختارا . فشتان بين ما يذهب كالزبد جفاء وما يمكث في الأرض ويبقى ما كر الجديدان .

سر الخلود

وبعد ، فسر خلود الأدب قائم في كونه رسائل الأرواح في جلاء الحق والحب والخير والجمال ، ومرآة تتجلى فيها سرائر النفوس ونزعات الأهواء ، فهو لذلك من خصائص كل امة في كل جيل رهفت في بنيها الاحاسيس ، وذكت الخواطر ، وسمت الارواح . وان نفس كل امرىء لتظل تهفو الى الادب الماتع ، والفن الرائع ، ما دامت طليقة من اسار المادة ، وجشع الأثرة ، وعبودية الروح . وما ركود الادب في عهد من عهود التاريخ الا دليل على فقدان القيم الروحية لدى ابناء ذلك العهد المشؤوم . وما ازدهار الادب ، في حقبة من الحقب ، الا دليل الشعور بالكرامة وصقل النفس ، ورهف الحس ، وسمو الروح ، والتقرب من بلوغ الكمال . فان أعوز المصلح أن يتعرف الى مقدار التهذيب عند شعب من الشعوب ، وأين هو من كرم الخلق ، فليسبر مدى تذوق بنيه للادب الرفيع ، فقد كان الادب الرفيع وسيبقى أبد الدهر مقياس الرقي عند الأفراد والأمم على السواء .

ولئن كانت النفوس تنزع بطبيعتها للشرور ، وتميل للغرور ، فان الفنون ـ على أنواعها ـ كفيلة بالتلطيف من حدة النزوات وقمينة بتنمية الفضائل ، وان الادب من الفنون بنوع خاص يصقل النفوس ، ويرهف منها الاحاسيس ويحبب اليها الشهامة والاباء والعزة والنبل .

تثقيف الابناء بالشعر والأدب

ولقد كان الخلفاء في الاسلام كما كان الملوك والامراء في الجاهلية يوصون الاباء بتثقيف البنين بالشعر والأدب ، لتسمو اخلاقهم وتدمث طباعهم . وقد بلغ من اعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « بلامية العرب » للشنفرى الشاعر العداء المشهور ان قال : « علموا اولادكم لامية العرب فانها تعلم مكارم الأخلاق » .

وقال أيضا رضي الله عنه :

« تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى » .

ولله در من قال :

وما هو الا القول يسري فتغتدي
لـه غرر في أوجه ومواسم
ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

وقال الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

---

(١) تاريخ الادب العربي للاستاذ أحمد حسن الزيات نقلا عن لاروس .

« الأدب حلى في الغنى ، كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، وانس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية وتنفذ به الابصار الكليلة ، ويدرك به الطالبون ما يحاولون » .

وقال معاوية بن ابي سفيان :

« اجعلوا الشعر اكبر همكم ، واكثر دابكم ، فما حملتني على الاقامة ليلة الهدير بصفين وانا اريد الهرب لشدة البلوى الا ابيات عمرو بن الاطنابة التي يقول فيها :

ابت لي همتي وابى بلائي
واخذي الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمي بعد عن عرض صحيح

وهل الأمجاد لولا الأدب الحي الا أطلال ؟ .

أمجاد زائفة ، وأمجاد حقة

فلقد مرت بتاريخ البشرية عصور يذكر فيها الفاتح واللعنة في اثر اسمه على الافواه ، والحاكم الداهية وبسمة الامتعاض والاشمئزاز تعلو الثغور ، والسياسي الاريب وامارات النفور تبدو على الأسارير ، ذلك لأن أمجاد هؤلاء جميعا لم تقم الا على الدم المطلول ، أو الوعد المطول ، أو العرض المبذول ، ولقد دالت هاتيك الأمجاد ولم يبق الا مجد الأدب . الا رحم الله ابن الرومي القائل :

أرى الشعر يحيي الناس والمجدَ بالذى
تبقيه أرواح له عطراتُ
وما المجد لولا الشعر الا معاهدٌ
وما الناس الا اعظمٌ نخراتُ

تلكم هي منزلة الأدب في النفوس ، ومكانته في القلوب ، وذلكم أثره البعيد في الناس .

فلا غرو اذن ان يخلد على الدهر ، ولا بدع ان يسلم على الزمن . وكيف لا يظل غض الاهاب ، بيان يستروح فيه الناس اعراف الجنة ، وانسام الخلد ، ويرون فيه ربيعا سرمديا منضر الجنبات ، منور الحواشي . بيان سمح ينفس عن القلب المكروب ، ويروح عن الفكر المجهود ، ويمتع النفس اللاغبة ، ويسمو بالروح من حضيض الغبراء الى ذرا الجوزاء ، ويحلق بها في دنيا غير الدنيا ، وعالم غير هذا العالم . دنيا زاخرة بأطياف الأماني الغرر والاحلام الوضاء . وعالم رحب الأجواء،نير الرؤى ، رخي النفحات : عباق النسمات بالأرج الحيي ، والشذى العطار .

واحة ومستودع حكمة

وهل الدنيا الا صحراء لاهبة ، واحتها المخضلة هبات الفن السامي ونتاج العبقرية الخلاقة ؟ .

وهل العيش لولا تلكم النفثات العذارى التي يطرف العالم بها أرباب الفن وعباقرة الأدب ، الا الشقاء الحرور ، والعناء الفادح ، والوصب الممض ؟ .

كان الحسن البصري يقول :

« الدنيا كلها ظلمة الا مجالس الأدباء ، ومساجلات العلماء ، ومطارحات الشعراء ! » .

الا قدس الله سرك يا حسن ، يا مجتلي النور في البيان السمح والمنطق المعسول . « اسمعوا أيها الناس وعوا » على حد تعبير خطيب العرب وحكيمها قس بن ساعدة الايادي . انما الأدب عصارة القرائح ، وفيه تتجلى خلاصة الثقافات ، وانه لمستودع الحكمة ، والحكمة يا كرام الناس كرسالات الأنبياء ، من وحي السماء ، وما توحيه السماء لا يموت . وهل تعوزكم الادلة والبينات وبين أيديكم الكتب المنزلة ، تهتفون بآياتها الساحرة آناء الليل وأطراف النهار ؟ .

تلك الآيات التي تخشع عند تلاوتها النفوس خشعة الاكبار والاجلال والتقدير ، لهيمنتها على المشاعر ، واستحواذها على العقول والألباب ، حتى لكأنها السحر ، بل انها لكذلك ، وان من البيان لسحرا .

سبحانك رب العرش ، وتعالت كلمتك . ما كان قولك الحق ليحتاج الى الايمان البالغة تؤيده لولا ان في الناس ادعياء مارقين ، كالوليد بن المغيرة ، ينكرون نعمتك ويكذبون آياتك ، ويقولون عنها ضلة وزيفا « انها اساطير الأولين »فاقسمتَ ــ وبالرهبة القسم العظيم « ن ، والقلم وما يسطرون » . تثبيتا لبيانك الخالد ، وتنويها بالقلم ، وبأربابه رافعي علم حكمتك السامية بين الناس . وحكمتك هي الحق اليقين التي بها يهتدون .

اشهد ان للفن شبابا غضيرا ، يتحير في قسماته النورانية ماء الخلود . ■■

بيروت ــ **جورج سلستي**



مستقبل الذَّرة

مصدرا من مصادر القوة

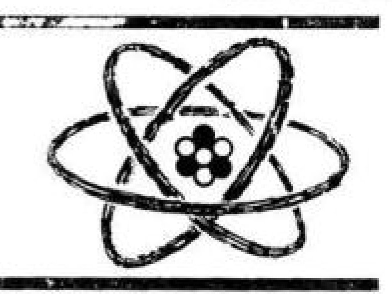
منسوبا الى الفحم والزيت

● لما بدأ العلماء يستمدون القوة من الذَّرة بدل ان يستمدوها من الفحم والزيت ، هال الناسَ هذا الأمر . وخشي اصحاب الفحم واصحاب الزيت هذا المنافس الجديد من مصادر القوة ، او ان شئت فالطاقة . وارتاح هؤلاء كثيرا عندما بدأت التجارب فدلت على ان انتاج الطاقة من الذرة غالي الثمن . ثم تتحسن الطرق ويتقدم العلم ، واذا في ختام عام ١٩٦٥ يجد أهل الاحصاء أن الذرة صارت تعطي من القوة ، عن طريق انتاج الكهرباء ، الي الولايات المتحدة نحوا من واحد في المائة مما تحتاجه من طاقة . وكان هذا كافيا باقناع الناس ان منافسة الذرة شيء قائم . ويأتي عام ١٩٦٦ فاذا المطلوب الجديد لهذا العام من الطاقة يتطلب اكثر من نصفه من الذرة .

ويقدر العارفون انه في عام ١٩٨٠ سوف تنتج الذرة ما بين الخمس والربع من القدرة الكهربائية المرصودة كلها وتقدر بنحو ٥٠٠٠٠٠ ميجاوط (ميجا = مليون) .

وفي بريطانيا بلغت الكهرباء التي مصدرها الذرة عشر ما انتجته البلاد من جميع المصادر ، وذلك في عام ١٩٦٦ وهذا المقدار آخذ في الزيادة على السنين .

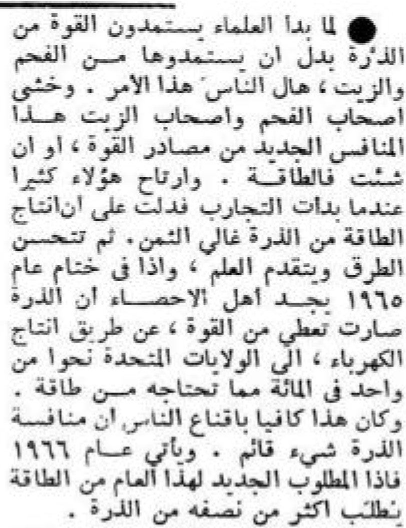
ولكن الذي يقلق الخبراء هو مقدار اليورنيوم الذي يستخدم في انتاج هذه



الكهرباء . فالمقدر الآن في الولايات انه سوف يفرغ اذا جرى الحال على ما هو عليه في نحو عام ١٩٨٠ .

وقد وجدوا أن بامكانهم تخطي هذه الصعوبة باتخاذ « الافران الذرية السريعة » لانتاج الكهرباء . فبينا أن الافران غير السريعة لاينتفع من يورنيومها باكثر من ١ في المائة من اليورنيوم المستعدن ، تجد الافران السريعة Fast Reactors ينتفع من يورنيومها المستعدن بنحو من ٧٠ في المائة . وذلك بتحويل جانب منه الى عنصر البلوتنيوم Plutonium بتأثير النيوترونات في اليورنيوم . والبلوتنيوم ، كما هو معروف ، عنصر مشعّ منشق كاليورنيوم . وهو عنصر القنبلة الذرية .

ولعلنا نأتي يوما على وصف الفرن السريع او المفاعل السريع كما جرى بذلك اسمه Fast Reactor .



دجاج بريطانيا يتمطى عندما يبيض فيكسر البيض



● انها عادة قبيحة نشأت فى الدجاج البريطاني تكلف بريطانيا سنويا خسارة تبلغ مليونين من الجنيهات .

وسببها ان بعض الدجاج اصبح ، اذا باض ، استطال بقدر ما يستطيع ، حتى لتقف الدجاجة على اطراف اصابعها ، واذن فتهبط البيضة من علو نحو ٧ بوصات ، فتنكسر .

قال رئيس مركز بحوث الدجاج ، فى ادنبرة ، ان البحوث اجريت بسبب ذلك على آلاف من الدجاج ، ووضعت كل منها فى خزانة خاصة بها ، فاتضح من البحث ان الدجاجات ليست واحدة من حيث سلامة ما تبيض من البيض ، وان منها دجاجات يبلغ المكسور من بيضها نحو ٥٦ فى المائة . وظهر للباحثين عادات غريبة فى الدجاجات . فمن الدجاجات مالا تبيض الا اذا وقفت مديدة حتى لتضع راسها فى الخزانة المجاورة لها ، وتنزل البيضة من علو فتنكسر ومن الدجاجات مالا تبيض الا ووجهها متجه الى ناحية واحدة لا تختلف . ودجاجات اذا باضت وضعت بيضها فى موضع واحد من الأرض لا يتغير .

وسئل رئيس المركز عن العلاج .

فقال : قد اقترحت ان مثل هذه الدجاجات ليس لها الا السكين علاجا . ولكن زملائي استفظعوا هذا العلاج . فاقترحت ان تؤدّب الدجاجات ونهدّبها بأن نضعها فى خزانة سقفها قصير ، واذن لا تستطيع ان تستطيل ولكنا خشينا جمعية الرفق بالحيوانات .

واخيرا استقر راينا على ان نطعم هذه الدجاجات طعاما يزيد فى صلابة قشرة البيض ، فاذا هبطت من ذاك العلو لم تنكسر .

عدد المركبات الكيماوية

● عدد المركبات الكيماوية المعروفة يبلغ نحو ٤ ملايين ، وفى كل عام يضاف اليها من المركبات الكيماوية الجديدة فى العالم نحو ١٠٠٠٠٠ مركب .

ومما يزيد الأمر صعوبة ، من حيث الرجوع الى هذه الكيماويات فى سجلاتها ، للحصول على اوصافها وتراكيبها وغير ذلك ، ان اسماء هذه المواد لا يسميها اصحابها على نمط واحد متفق عليه بين العلماء .

وقد بدأ العلماء يفكرون فى طريقة يردون فيها تراكيب هذه المواد جميعا الى اصولها ، ثم يلقنونها للحاسبات الجديدة Computors ، بلغتها واسلوبها ، فيما يختص بالذّرات ، ومجاميعها ، واتصالات هذه المجاميع ، بحيث يهتدى طالب مركب ما ، بواسطة هذه الحاسبات ، الى تركيب هذا المركب مفصلا ، والى خواصه ، وكل ما يتصل بتحقيقه .

نقل القلوب السليمة مكان

● كان نقل القلب الصحيح من شخص مات ، الى رجل مريض بقلبه اوشك بسبب ذلك على الهلاك ، ثم قيام هذا المريض بعد ذلك صحيحا سليما ولو ساعة يمشي على الأرض ، امرا يثير الغرابة فى الناس ، ومع الغرابة الاعجاب.

ثم شاع بالطبع ما كان لا بد من شيوعه ، من رفض الجسم ان يتقبل ذلك القلب السليم ، وهو الجسم المريض . وسبب ذلك أن القلب غريب ، والجسم لا يقبل الغريب يدخل اليه .

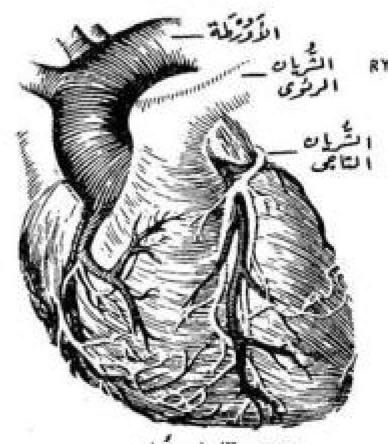
ثم وجد الأطباء السبيل الى التغلب على هذا الرفض بوسائل شتى . تغلبوا على اكثره ، ولكن الى حين . وخرج مرضى القلوب ، او خرج المحظوظون من بينهم ، من مستشفياتهم ، يمارسون الحياة ، على صيغة ما .

ولكن اى صيغة ؟ .

هنا يجدربنا ان نستمع الى ما يقوله الدكتور كرستيان برنارد Barnard ، جراح دولة جنوب افريقيا الشهير ، ذلك الذى كان الأول فى اجراء عملية النقل والنجاح فيها .

قال الدكتور برنارد فى اجتماع بمؤتمر الطب الاسترالي الذى انعقد بمدينة سدني Sydney قريبا : « ان هذه الجراحات التي تجرى لنقل قلب صحيح مكان قلب مريض لا يمكن وصفها بانها ناجحة من حيث انها تذهب بمرض المريض . انها مخففة له فحسب . وهذه الجراحات ، مهما عالجنا ميل الجسم لطرد القلب وتم النجاح فيه ، لا تأذن لهذا القلب بأن يعمل فى هذا الجسم ، الذى هو جديد فيه ، اكثر من بضع سنين . انها خمس سنين فقط لو صاحب المريضَ التوفيق » .

ويستمر الدكتور برنارد فى حديثه :



القلب منظوراً من أمام

« ان الدكتور بلايبرج Blaiberg ، ذلك الذى نقلتُ اليه قلبا سليما منذ ٧ اشهر مضت ، لا يزال الى اليوم يحيا حياة عادية . ان هذا الرجل ما كان ليعيش اكثر من ستة ايام لو تركناه وحده . فالجراحة التي اجريناها له ، بالنقل ، كانت ناجحة من حيث الغاية منها ، تلك

الانفلونزة

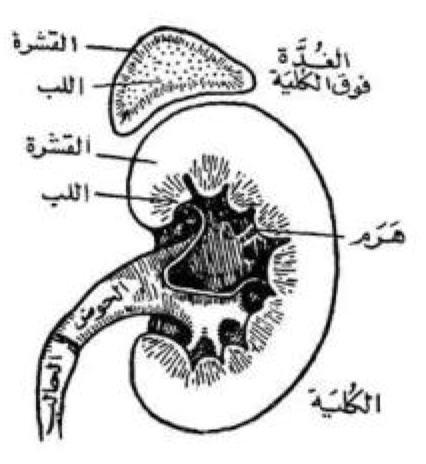
● الانفلونزة الآن قائمة فى مدينة هنج كونج ، وبها نحو من ٤٠٠٠٠ من المصابين .

وهذه المدينة كانت فى الماضي مركزا تنتشر منه الانفلونزة فى بقاع الأرض ، لا سيما القريبة منها .

لهذا بدات الادارات الصحية تتحفز لدفع شرها . ولكن كيف ؟

ان الانفلونزة ليست مرضا واحدا ،

القلوب المريضة



حفظ الحياة . ولكن لا زال القلب المنقول اليه يعَد قلبا غير طبيعي » .

« وعدا ذلك فالرجل ذو القلب المريض، انما ينتج مرض قلبه عادة عن اختلال فى كيمياء جسمه ينتج عنه مرض آخر كتصلب الشرايين مثلا . فتغيير القلب لا يذهب بتصلب الشرايين ، واذن يأخذ القلب الجديد يعاني من هذا التصلب ، وما هي الا سنوات حتى يصاب شريانه التاجي ، ذاك الذى يغذى عضلات القلب بالدم ، بانسداد ، فيموت القلب بانسداده » .

« او يكون مرض القلب الأول الذى يراد استئصاله سببه اخفاق ميكانيكي فى ناحية من نواحي الجسم ، كاحتقان فى الرئتين ، يؤدى الى تحميل القلب ضخ الدم بقوة فوق استطاعته ، فلا تلبث ان تذهب عنه مرونته ، ويكبر حجمه ، لو ترك حيث هو ، حتى يعجز ان يضخ دما ، ويموت الرجل » .

« فالقلب الجديد سوف يوضع حيث كان القلب القديم ، فهو اذن سوف يعاني ما كان عاناه القلب الأول ، ولا يلبث ان يمرض ويموت هو الآخر فى دوره » .

وهذا الذى قاله الدكتور برنارد فى امر القلب ونقله ، يقال فى سائر نقل الأعضاء .

ومن ذلك نقل الكلى ، ذلك الذى اصبح روتينا فى سائر الدول . فالاستقصاء يدل على ان الكلية الصحيحة المنقولة قد تطول بها على الصحة السنون، ثم تأخذ فى التخاذل البطىء ، وهو تخاذل لا يمكن تعليله فقط بأن الجسم يرفض الكلى الدخيلة .

لها عودة منتظرة

بسببه فيروس واحد. انها عدة فيروسات مختلفات ، واللقاحات التي حضرها المختصون للحصانة من انفلونزة ماضية ليس من المحقق ان تنفع فى التحصين من انفلونزة حاضرة .

لهذا اخذت الادارات الصحية المتيقظة فى الاستعداد للدفاع .

فقد احضروا الفيروس من الاصابات الحاضرة من مدينة هونج كونج ، ومنه سوف يصنعون اللقاح الواقي .

ولكن هذا التحضير يحتاج الى اسابيع .

وامتحان اللقاحات قبل توزيعها للجمهور يحتاج ٣ اشهر .

لهذا رات الادارات الصحية ان من الحيطة استخدام اللقاحات القديمة حتى تتهيأ الجديدة ، لا سيما لذوى الاعمار الكبيرة وللضعفاء ، فهم اشد تأثرا بالمرض اذا هو حضر .

ملوثات الهواء

ليس شيء كالغذاء والماء من حيث ضرورة البقاء الا الهواء . فمن الهواء نتنفس . فنظافة الهواء شيء ، من حيث الصحة ، في الصف الاول من المكانة .

وانقى الهواء نجده لا شك في الصحراء ، ونجده كذلك فوق البحار والمحيطات ، ولكنا لا نجده حيث المدينة عامرة بالمدنية ، لا سيما المدنية الحديثة . وكلما ازدحمت المدينة بالصناعة ، وبوسائل النقل والسيارات ونحوها ، ازداد الهواء تلوثا . والمدينة الاقل حضارة هواؤها على الارجح اقل تلوثا . فتلوث الهواء بعض ثمن الحضارة .

وجرت ابحاث كثيرة تكشف عن سبب تلوث الهواء .

وجرت اكثر هذه البحوث في بلاد الغرب . ومن نتائجها أن الهواء يتلوث بمواد مختلفة اخطرها اول اكسيد الكربون ، واكاسيد الكبريت . وهما معا يكونان نحو ٨٠ في المائة من الملوثات الموجودة في هواء تلك المدن .

اما الاول ، اعني اول اكسيد الكربون ، فاكبر مصدر له احتراق البنزين واشباهه في السيارات والشاحنات . ان احتراق البنزين الكامل يعطي ثاني اكسيد الكربون . وهو ليس بسام . اما الاحتراق غير الكامل ، اعني الذي لا تصحبه كفاية من الاكسجين ، فيعطي اول اكسيد الكربون ، وبه اكسجين اقل وهو سام .

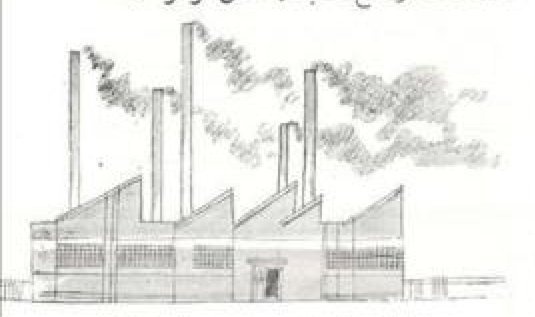
واول طريق لتخفيف تلوث الهواء بهذا الاكسيد هو تصميم محركات السيارات بحيث تعطي اقل ما يمكن من هذا الاكسيد عند احتراق البنزين بها . وشروط هذا التصميم تستطيع الدولة فرضها على صانعي السيارات .

اما اكاسيد الكبريت ، فأصعب علاجا . ان مقدار اكاسيد الكبريت المنطلقة في جو بلاد كالولايات المتحدة يبلغ نحوا من ٣٠ مليون طن في العام الواحد من هذه الاعوام الحاضرة ، وهو سيبلغ الضعف في عام ١٩٨٠ .

وصعوبة التخلص من هذه الاكاسيد الكبريتية يرجع الى اختلاف مصادرها .

واهم مصادرها احتراق الفحم الحجري ، واحتراق البترول السائل ، واحتراق الغازات البترولية ، وهي محروقات تتضمن مركبات كبريتية تحترق . فهذا الاحتراق يؤلف المصدر الأول لهذه الاكاسيد في الهواء ، وهو يمد الهواء بنحو ٨٠٪ مما يوجد فيه من هذه الاكاسيد . اعني هواء الولايات المتحدة . واكثره يخرج من المصانع .

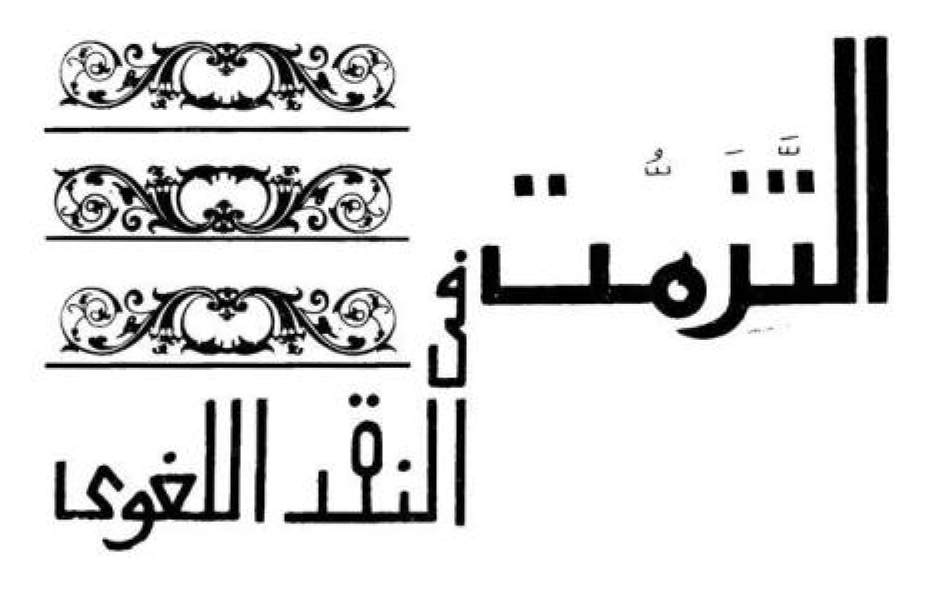
ومن وسائل الاقلال من تلوث الهواء به خفض مقدار الكبريت من المحروقات قبل حرقها ، او ازالة اكسيد الكبريت والاحتراق قائم ، او ازالته من الغازات المتصاعدة من المداخن بهذه المصانع . او اطالة المداخن حتى تخرج الاكاسيد على ارتفاع تلتقي فيه بالريح التي تبعثرها في مساحات اوسع فتجعلها اقل تركزا .



ويرى العلماء ان الزمن سيهبط بمقدار هذه المحروقات ، وستحل محل الكثير منها الذرة ، ذرة اليورنيوم خاصة ، وهي تنتج انظف الطاقات : الكهرباء . ولكن هذا لا يكون الا في الزمن البعيد .

ويذكر الاطباء من اسواء هذه الملوثات انها تسبب وتزيد في امراض كالتهاب الشُعب في الصدر ، وكالربو الشُعبي ، ومرض انتفاخ الرئة Emphysema .





بقلم : انيس المقدسي

■ مما لا شك فيه ان كل لغة نشأت نشوءا طبيعيا كانت في اول عهدها الفاظا بدائية محدودة الدلالة ساذجة التركيب. ثم اخذت ـ مع تقدم الانسان في ميدان المعرفة والحضارة ـ تتقدم وتنمو في الفاظها ودلالاتها واحكامها . وقد اقتضى نموها طرح الكثير من اوضاعها القديمة الساذجة والاستعاضة عنها باوضاع جديدة تتمشى مع اتساع الاختبارات البشرية واكتشاف الكثير من الحقائق الكونية .

وهكذا نرى كل لغة قد عراها مع الزمن شيء كثير من التحول حتى ان بعضها اليوم لا يكاد يمت الى اصله او حتى الى ماضيه الذى لا يتجاوز المئات من السنين ، الا بسبب غامض ، او ببعض بقايا استطاعت ان تنجو من الاندثار .

ومع ان لغتنا العربية قد استقرت نوعا ما على شكلها الحاضر منذ ظهور الاسلام او قبل ذلك قليلا فمما لا ينكر ان ناموس التطور لم يتوقف تماما عن العمل فيها . فقد اندثر بعضها لقلة الاستعمال ونشأ غيره وسيبقى عمل التطور مستمرا ما دامت الحضارة الانسانية تتجدد وتتقدم من جيل الى جيل . وازاء هذا التطور الطبيعي وما يقتضيه من تحول وتجديد في الالفاظ

والمصطلحات نشأ بين ارباب اللغة مذهبان ـ مذهب المحافظين الذين يغارون على التراث القديم ويحاولون بكل قواهم ان يصدوا طغيان عوامل التغيير فيه حماية له من خطر الخروج عن الاصول ـ ومذهب المجددين او المجتهدين الذين لا يرون في عمل التطور خطرا يخشى منه على اللغة بل بالعكس يرون فيه حياة لها ، وانه من العبث صدها عن الجرى في سبيله اذ هو سبيل الحياة نفسها .

ولا مراء في ان المحافظة المعقولة على التراث القديم شيء واجب ومقدس ، والتفريط فيه انحراف او تقصير لا تحمد عواقبه . على ان المحافظة المعقولة شيء والتزمت غير المعقول شيء اخر . فاللغة عند ارباب الاجتهاد والتجديد الطبيعي اشبه بشجرة نامية ابدا لكنها تحتاج آنا بعد آن الى تجديد في غذائها وتقليم لما يبس من فروعها لتبقى حية ولتزداد قوة وازدهارا . اما التشدد في المحافظة على كل شيء في اللغة مما كان قد استعمله الاقدمون والاكتفاء بما نقل عنهم من الفاظ واوضاع ، ثم ان تتكلف ابداع ما جد لنا من معاني واختبارات وما توصل اليه العلم الحديث من حقائق ومستنبطات ، في الفاظ واوضاع كان الاقدمون قد استعملوها للتعبير عن احوالهم واختباراتهم ، فذلك مخالف لناموس الطبيعة والعقل وليس فيه غير الضرر والخسارة فيكون حالنا في ذلك اشبه بقول الاعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وقد حاول ذلك عدد من اهل اللغة والأدب قديما وحديثا فبحت اصواتهم وحفيت اقلامهم ولكن محاولاتهم ذهبت ادراج الرياح . فابن قتيبة وهو من ائمة اللغة في القرن الثالث الهجرى هاله ما رأى من الاخطاء اللغوية الشائعة على الالسن والاقلام فهب الى وضع كتابه أدب الكاتب . وفي هذا الكتاب على ما فيه من فوائد جليلة للادباء قد تزمت مؤلفه قليلا في نقد بعض الاوضاع الشائعة بين الكتاب فلم يجد نقده شيئا . وهاك بعضا من الاوضاع التى حاول اصلاحها : ـ

الطرب : انتقد من يستعمله للسرور فقط وقال انه خفة تصيب الرجل لشدة السرور كما لشدة الحزن .

الحشمة : قال انها لاتعنى الاستحياء بل الغضب .

القافلة : حصرها برفقة السفر الراجعة فقط مخطئا من يستعملها للذاهبة والراجعة معا .

المأتم : قال يذهب الناس الى انه المصيبة فيقولون كنا في مأتم فلان وليس كذلك . وانما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر .

الى غير ذلك من الالفاظ التى شاعت في الاوساط الادبية .

وقام الحريرى بعده بنحو قرنين ووضع كتابه « درة الغواص » فتابع ابن قتيبة في نقده تلك الالفاظ واضاف اليها الفاظا واوضاعا أخرى زاعما أن الناس يخطئون في استعمالها والحريرى ايضا امام في اللغة ولكنه في النقد ضيق على نفسه وضيق على سواه كتخطئته مثلا الكتاب في استعمالهم ما يلي : ـ

تتابعت النوائب : يقول الاصح تتايعت بالياء لا بالباء الموحدة .

المغص (الم البطن) : قال صوابه المعص بالعين لا بالغين .

جاء القوم الاك والاه : وعنده يجب ان يقال الا اياك او اياه .

هوى (سقط) : يقول ان هوى ليست للسقوط بل للاسراع صعودا او هبوطا .

بَنَى باهله (تزوج) : الصواب عنده بنى على اهله .

اجلس : لايقال عنده اجلس (للواقف ؛ بل اقعد وانما تقول اجلس للنائم أو المستلقي .

وقس على ذلك سائر نقوده اللغوية . وقد فندها بعضهم كابن خفاجه . وجرت الالفاظ التى انتقدها الحريري على السن البلغاء نثرا وشعرا ولا تزال رغم كل تزمت مخالف للطبيعة .

وفي ابان نهضتنا الاخيرة قام نقاد اشهرهم ابراهيم اليازجي ، وهو من هو في اللغة ، فاحسن في خدمة اللغة اى احسان . ولكنه سلك احيانا في نقده سبيل المتزمتين المتشددين وتبعه جملة من المهتمين باللغة فتورطوا في مزاعمهم وهم يحسبون انهم يصلحون ، اذ خلطوا الغثّ بالسمين ، وقيدوا انفسهم بالحرفية الضيقة مقلدين في نقدهم المتزمتين من النقاد السابقين ، غير حاسبين حسابا لناموس التطور الذى يقتضي بقاء الانسب — وهو الذى يستسيغه الراى الادبي العام فيبقى ثابتا على الالسن والاقلام ويذهب تشدد المتزمتين هباء مع كرّ الايام .

وقد اطلعت مؤخرا على كتاب ظهر حديثا بعنوان (اللغة الصحيحة) لاديب فاضل غيور على تصفية اللغة الكتابية من الشوائب وهو كتاب جزيل الفائدة لولا ان مؤلفه تابع السابقين من متزمتي النقاد فاعاد ما زعموه بعد أن جرفه تيار التطور . ثم اضاف اليه ما زعمه هو من شوائب الكتاب كقولهم مثلا ، وهو قليل من كثير :

آسف للامر : فاصلحه بقوله اسف على الأمر . والواقع ان اسف للامر اى ندم عليه وهو المقصود ، لا أسف عليه اى حزن .

وقولهم (**مآكل شهية**) فاصلحها **بأكل** شهية وشتان ما بينهما في حسن الاستعمال وقولهم (**بؤساء**) (**جمع بائس**) وهو يفضل بؤّس على بؤساء . وهل يمكن ان يغرى الكتّاب باستعمال بؤّس بدلا من بؤساء .

وقولهم — **تقييم السلعة** والصواب عنده تقويم والتقييم مشتق من القيمة راسا لا من فعل قوم . ومثله الاستجواب من الجواب لا من استجاب .

وكثير من مثل هذه الالفاظ .

ومما يدخل في باب التزمت في النقد اوهام بعضهم في تفضيل صيغة على صيغة اشيع واصحّ وأدلّ على المعنى كاستعمالهم اسهم بدل ساهم للمشاركة .

اسمي بدل **سمّى** ، مع انهم يقولون تسمية الاشياء لا اسماءها .

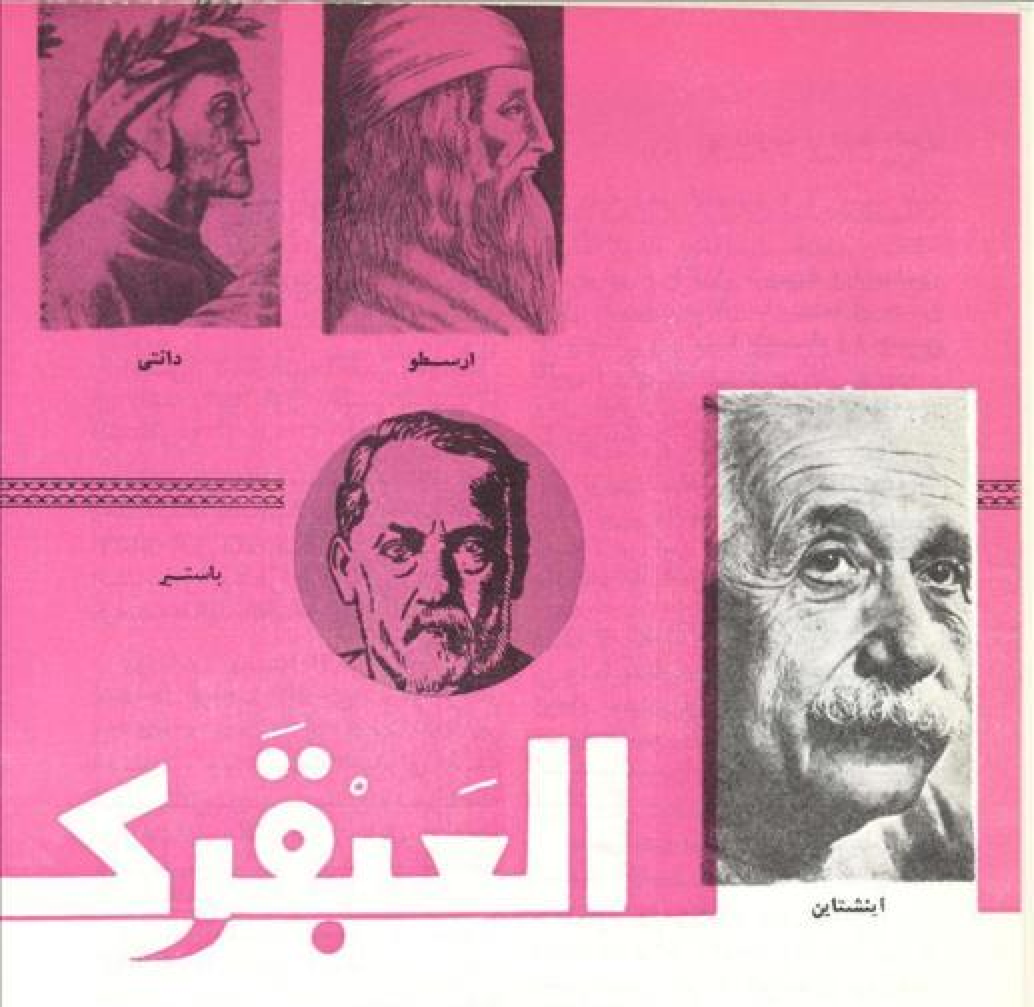
دعاوة بدل **دعاية** ، فالفعل واوي ولكن الدعاوة معناها الادعاء والدعاية معناها الدعوة وهي التي توافق معنى بروباغندا الافرنجية . جاء في الحديث ادعوك **بدعاية الاسلام** .

بوصفه كذا ، بدل **بصفته كذا** — مع ان المراد لا لاننا نصفه بكذا بل لان كونه وحقيقته كذا .

وتجريحهم على النسبة الى الجمع المكسر بارجاعه الى المفرد كقولهم في النسبة الى الدُول دُولي مع انهم ينسبون الى امم وعقائد وعمال الخ . فيقولون اممي وعقائدى وعمالي . والنسبة الى الجمع راسا هي الادلّ على المعنى وما التقيد بالرجوع الى المفرد الا تزمت مناقض لناموس بقاء الانسب .

■■

بيروت : **انيس المقدسي**



العَبْقَرية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

■ قبل البدء بالحديث عن العباقرة والموهوبين في نظر علم النفس الحديث لا بد لنا من مقدمة عن قياس الذكاء قياسية تمهد لهذا الحديث وتمكن القارىء غير المتخصص من فهمه .

ترجع ملاحظة الناس عامة والمربين خاصة للفروق بين الناس في الذكاء الى اقدم العصور ، فمنذ أن احتك الانسان بالانسان ، ومنذ أن تصدى الانسان لتربية الانسان ، لا حظ أن بين الناس فروقا من حيث قدراتهم ومواهبهم المختلفة . لكن قياس الذكاء بالمعنى العلمي الدقيق لم يبدأ الا في مطلع قرننا العشرين هذا حين لاحظت سلطات مدينة باريز التعليمية أن بعض الاطفال يبقون في صفوفهم عدة سنين وانهم بهذا يتأخرون عن زملائهم في التعلم والتعليم ويحجزون أماكن في المدرسة كان من الممكن الافادة منها في تعليم غيرهم، وحينئذ طلبت الى العالم الفرنسي الفريد بينيه Alfred Binet ، الذي عاش فيما بين ١٨٥٧ وعام ١٩١١ ، أن يجد لها وسيلة تفرق بواسطتها بين الطفل المتخلف عقليا ، والطفل السوي ، فعمد الى وضع مقياس يقيس بواسطته القدرات العقلية للاطفال وانتهى من وضع هذا المقياس عام ١٩٠٤ ثم عاد ونقحه مع مساعده سيمون Simon وأعطاه شكله النهائي عام ١٩١١ وهو عام وفاته .

الموهوب يتميز بالذكاء الفائق .
والعبقري يتميز مع الذكاء الفائق بالخلق والإبداع .

* * * * * *

ادجار آلن بو

الأمة الواعية تحرص على كشف الموهوبين والعباقرة من أبنائها ليحققوا لها ما تصبو إليه من تقدم ونجاح .

... والموهوب

ولقد ادخل جودارد Goddar هذا المقياس الى الولايات المتحدة على الفور ، وذلك بعد ان ترجمه وافاد منه فى قياس ذكاء الاطفال الامريكيين ، ولا سيما المتخلفين منهم ، ثم لجأ العالم الامريكي تيرمان Terman عام ١٩١٦ الى تنقيحه بحيث يلائم الحياة الامريكية ووضع مقياسه المشهور مقياس ستانفورد ـ بينيه Stanford - Binet . وستانفورد هو اسم الجامعة التى كان يعمل فيها تيرمان في ذلك الحين. وعاد تيرمان فنقح المقياس مرة أخرى بالاشتراك مع (ميريل Merill) واعطاه شكله النهائي عام ١٩٣٧ . ولقد تتالت فى هذه الاثناء مقاييس الذكاء وتكاثرت وهي جميعها تستند الى المبادىء نفسها التى وضعها (بينيه) وان كانت تختلف بالتفاصيل .

ومما تجدر الاشارة اليه أن مقياس (بينيه) ومقياس (ستانفورد ـ بينيه) مقياسان فرديان ، بمعنى أنهما يقيسان ذكاء طفل واحد فى الوقت الواحد . ولكن لم يلبث العلماء ان وضعوا مقاييس جمعية تقيس ذكاء جماعة كبيرة من الناس فى وقت واحد ، وقد استعملت هذه المقاييس فى الحربين العالميتين لقياس ذكاء الجنود والمجندين والضباط.

ومما يستحق التنويه أيضا ان مقياس (ستانفورد ـ بينيه) ترجمه الى العربية ونقحه بحيث يوافق الحياة المصرية المغفور له الاستاذ اسماعيل القباني العالم التربوى المصرى المشهور .

وصف مقتضب لمقياس الذكاء

يتألف مقياس الذكاء عادة من عدد من الاسئلة والمسائل مخصصة لكل عمر يتراوح بين السنتين وسن الرشد المتاخر ، وثمة مقاييس تبدأ



منذ الشهر السادس من العمر كما ان ثمة مقاييس للراشدين ، وثمة مقاييس كلامية ومقاييس عملية ومقاييس كلامية عملية . ويخصص السؤال لعمر معين اذا اجاب عليه ٧٥٪ من الاطفال في ذلك العمر . ولمقياس (ستانفورد - بينيه) شكلان شكل (L) وشكل (M) ، ومعنى وجود الشكلين هو وجود امتحانين وذلك بغية اعطاء الممتحن (بالفتح) ، في حالة تجديد امتحانه ، شكلا جديدا مختلفا يقضي على الاثر الممكن للتدرب الذي يمكن ان يرافق اعادة الامتحان نفسه . وفي مستويات العمر الدنيا يوجد عادة اختبار اضافي يستعمل في حالة افساد اختبار ما او عدم صلاحه لسبب من الاسباب ، كما يحدث عادة في حالة الاحداث الصغار .

وفي الاعمار الاولى يعطى الطفل ستة أسئلة لكل ستة شهور من العمر ، ثم ستة أسئلة لكل سنة من العمر ، ثم تقل النسبة . وفي حساب حاصل الذكاء يقسم العمر العقلي على العمر الزمني ويضرب الناتج في مائة (ح.ذ = ع‌ع على ع‌ز × ١٠٠).

اما العمر الزمني فيحسب بالشهور والاستناد الى شهادة ميلاد الطفل .

واما العمر العقلي فيحسب من الاجابات الصحيحة التي استطاع الممتحن أن يقدمها .

ولا بد لاختبار شخص من ايجاد مستوى عمري يستطيع الطفل ان يجتاز جميع اختباراته ويكون مثل هذا المستوى عادة ، وفي حالة الاطفال الاسوياء المتوسطين ، سنة أو سنتين دون عمر الطفل . وهكذا فقد يتمكن طفل متوسط الذكاء عمره ثلاث سنوات من اجتياز جميع الاختبارات الستة المخصصة لابن السنتين فيسمى هذا العمر بعمره الاساسي .

ولنفترض الآن ان مثل هذا الطفل ابن ثلاث السنوات (٣٦ شهرا) الذي اجتاز الاختبارات الستة المخصصة لابن السنتين (٢٤ شهرا) اجتاز خمسة من الاختبارات المخصصة للسنة الثانية والنصف، وثلاثة من السنة الثالثة، واثنين من اختبارات السنة الثالثة والنصف ، واختبارا واحدا من اختبارات السنة الرابعة ، ولم يجتز شيئا من اختبارات السنة الرابعة والنصف . والمسألة الآن هي ايجاد العمر العقلي لهذا الطفل ثم حساب حاصل ذكائه (ح . ذ) .

ان عمر الطفل الزمني هو ٣٦ شهرا (ع . ز).

اما عمره العقلي فهو ٢٤+٥+٣+٢+١=٣٥ شهرا (ع . ع) .

واما حاصل ذكائه فهو ٣٥ على ٣٦ × ١٠٠=٩٨ (ح . ذ) .

وهو حاصل ذكاء قريب من الوسط .

وهنا محل التنبيه الى ان الذين يتراوح ذكاؤهم بين ٩٥ و ١٠٥ يعتبرون متوسطي الذكاء ، وان الذين يقل ذكاؤهم عن ٧٠ يعتبرون ضعاف العقول ، وان الذين يزيد ذكاؤهم عن ١٣٠ يعتبرون متفوقين .

الموهوب والعبقري

ان واحدة من الاخطاء الكبيرة في تاريخ قياس الذكاء ارتكبها علماء النفس الذين أطلقوا كلمة (عبقري) على الشخص الذي حصل على حاصل ذكاء عال جدا عادة فوق (١٤٠) . ولقد كانت هذه الغلطة سببا في كثير من الاضطرابات لانها عنت ان كل فرد حصل على مثل حاصل الذكاء المرتفع هذا سيصبح مشهورا نتيجة جهد عقلي يهز به العالم ، ولما لم يحدث شيء من هذا - وهو أمر متوقع - فان الوالدين الفخورين بمثل هذا الطفل خابت آمالهم ، كما خاب أمل (العبقري) نفسه . ولذلك كله فان الانسب - علميا - أن يسمى امثال هؤلاء ممن لا تزيد نسبتهم على ١٪ من مجموع السكان بالموهوبين والاحتفاظ بكلمة (عبقري) لاولئك الذين يتميزون بالذكاء المبدع من بين هؤلاء الموهوبين . وعلى هذا فان صفة (الموهوب) تعني قدرة عقلية عالية جدا في حين تعني صفة (العبقري) انجازا عظيما جدا وأصيلا تماما .

ولقد عمل علماء النفس المحدثون على اكتشاف السبب الذي يجعل من الاشخاص الموهوبين عباقرة من جهة واكتشاف ما يحدث للاطفال الذين يثبت حاصل ذكائهم الرفيع جدا انهم موهوبون عقليا من جهة أخرى . ان هذين السؤالين هامان جدا بالنسبة للامم التي تحرص على الافادة من مواهب ابنائها . والحق انه ما من مورد لامة يعادل موردها من ابنائها الموهوبين ، لا سيما اذا أتيح لهؤلاء الموهوبين التدريب الذي يفتح قابلياتهم الكامنة بحيث توضع في خدمة مجتمعاتهم ورفعتها بدلا من اهدار هذه المواهب عن طريق تجاهلها وعدم العناية بها .

على انه لابد لنا قبل أن ننطلق فى هذا الحديث من ان نتعرف على ما اكتشفه علماء النفس عن العبقرية والمواهب وذلك لنستطيع مناقشة تدريب الموهوبين والعباقرة فى ضوء هذه الحقائق المكتشفة.

سيكولوجية العبقرى

تتصور عامة الناس ان العبقرى انسان (مهزوز) أو (مخلوع) وانه مغفل فى كل شيء باستثناء حقل اختصاصه الضيق ، ويقولون عنه انه يجانف قواعد الذوق العام وان من الصعب معايشته ، ويصفونه عادة بالساقين المخلعتين والراس الكبير الخ ... ولكن هذه الصفات – لحسن الحظ – لا تنطبق على الواقع اطلاقا . والحق ان العباقرة – سواء اكانوا فنانين او كتابا او علماء – وان كانوا ليسوا ميسورى الفهم دوما فان معايشتهم ليست أصعب من معايشة سواهم من معظم الناس . وليس معنى هذا عدم وجود بعض العباقرة المشكلين ، بل ان بعضهم كذلك . ان فنانا مثل فان كوخ Van Gogh الرسام الهولاندى المشهور انتهت حياته بالجنون ثم بالانتحار ، كما ان الكاتب الامريكي المشهور (ادجار آلان بو Edgar Allen Po) كان مدمنا على الخمر ، كما كان (فيودور ديستويفسكي Fyodor Destoyevski) كاتب القصة الروسي الشهير مقامرا مدمنا ، وكان (هنريك ابسن Henrik Ibsen) كاتب القصة النرويجي المشهور طاغية فى عائلته كما كان مختالا بنفسه فخورا بها لدرجة انه كان يلصق بقبعته مرآة يستطيع أن ينظر فيها الى نفسه اذا ما جلس فى المتنزه . ولكن وبمقابل هؤلاء يوجد عشرات العباقرة من امثال ارسطو وكوبرنيك ودانتي وسواهم ممن كان سلوكهم طبيعيا سويا . والواقع أن واحدا مثل (لويس باستور Louis Pasteur) العالم الفرنسي المشهور كان يعيش عيشة بسيطة جدا ، كما أن (داروين Darwin) وصفه احد اولاده بانه (بشوش ومحبب) . وكذلك (اينشتاين Einstein) الذى كان لطيفا وعطوفا ومعتدلا ومحبوبا لدى كل الناس . والخلاصة الاكيدة هي انه ليس من الضرورى أبدا أن يكون العبقرى مجنونا او غريب الطباع شاذها.

وماذا اذن عن القدرة العقلية للعبقرى ؟ ولو امكننا قياس حاصل ذكاء أمثال هؤلاء العباقرة فما الحد الذى كانوا يصلونه ؟ فى محاولة الجواب عن هذا السؤال درس العلماء تاريخ حياة ثلاثمائة شخص بارز اشتهروا بمجهوداتهم العقلية وقدرت حاصلات ذكائهم . ان شخصا مثل (السير فرانسيس جالتون Galton) العالم الانجليزى المشهور تعلم القراءة فى السنة الثانية والنصف من عمره ولقد تمكن من كتابه رسالة قبل أن يبلغ الرابعة ، وفى الخامسة كان فى امكانه ان يقرأ معظم الكتب الانكليزية وبعض الكتب الافرنسية ، وكان فى هذا العمر يعرف معظم جدول الضرب وان كان يجد بعض الصعوبة فى الرقمين ٩ و ١١ ، وكان يستطيع أن يدل على الوقت ويضبط العملة الانكليزية المعقدة . ولقد قدر له العلماء حاصل ذكاء لا يقل عن (٢٠٠) وهو حاصل ذكاء لا يحصل عليه طفل فى اقل من خمسين الفا من الاطفال . واذا عدنا الى الاشخاص الثلاثمائة البارزين الذين درسهم العلماء نجد ان حاصل الذكاء الادنى الذى قدر لهم كان يتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ ، وبمتوسط قدره ١٥٥ ، وهو حاصل ذكاء لا يحصل الا مرة بين كل ٨٠٠ طفل . والحق ان الذين قدر حاصل ذكائهم بين ١٠٠ و ١٢٠ كانوا اشخاصا لم تتوفر عنهم المعلومات اللازمة والكافية لتقدير ذكائهم حق قدره ولذلك فان حاصل ذكائهم الحقيقي يفوق هذا التقدير على وجه القطع .

وحين قسم فريق العباقرة هذا الى اقسام بحسب مهنهم وجد ان الفلاسفة يملكون أعلى حاصل ذكاء متوسط (١٧٠) وأن العسكريين يملكون أدنى حاصل ذكاء متوسط (١٢٥) وفيما بينهما كان يوجد بالترتيب : الادباء ، رجال الدولة الثوريون (١٦٠) ثم العلماء (١٥٥) ثم الموسيقيون (١٤٥) ثم الفنانون (١٤٠) .

وواضح اننا لا نستطيع الوثوق بمثل هذه الدراسات وثوقنا بقياس الذكاء الفعلي وذلك على اعتبار أن الكثير من المعلومات التى بنيت عليها الدراسة لم تكن من النوع الذى يرغب العالم فى الحصول عليه . ومع ذلك فان هذه المعلومات كافية لتأييد الخلاصة التى انتهت اليها الدراسة والتى تقول بان العبقرى لو قيس ذكاؤه وهو طفل لتبين انه فى عداد الاطفال الموهوبين حتما . لكن عكس هذه النظرية غير ممكن بمعنى انه ما كل طفل يظهر قياس ذكائه انه موهوب سيكون عبقريا أو

مشهورا . ان العباقرة لا يتصفون بشدة الذكاء فقط بل يضيفون اليه « صفة المثابرة في الحفز والجهد والوثوق بقدراتهم وبقوة الطبع والخلق » على حد تعبير تيرمان Terman أحد مشاهير دارسي العبقرية. ان مثل هذا القول غير مستغرب وذلك على اعتبار ان العبقرى بالتعريف انسان يخلق شيئا جديدا . وبوصفه مخترعا وجب أن يكون ثوريا في حقله مثابرا على طريقته غير المألوفة في ابداع الامور والا لما أصبح عبقريا .

وهذه الدراسة لا تقدم الكثير من العزاء الى اولئك الذين يعتقدون او يأملون بأن تزدهر العبقرية متأخرة . ان كاتبا مثل الكاتب الانكليزى المشهور (اوليفر جولدسمث Oliver Goldsmith) الذى وصف بأنه كان خاملا في طفولته نظم شعرا ذكيا وهو في السابعة من عمره وقرأ الادب اليوناني في الثامنة. كما أن شخصا مثل (السير والتر سكوت Walter Scott) الذى قيل عنه بأنه كان خائبا في دروسه ولكنه حين كان في السابعة من عمره اشتملت كتاباته على كلمات من مثل (السوداوية) و (دخيل) ، وفي سن الثالثة عشرة كان يسهر الليالي ليقرأ شكسبير .

وثمة عامل مشترك آخر في حيوات العباقرة وهو انهم يربثون عادة في ظروف تستطيع فيها مواهبهم الخارقة أن تزدهر . هذا وكثيرا ما كان الحظ يتدخل ليهيء لهم مثل هذه الظروف . ان شخصا مثل (اسحق نيوتن Isaac Newton) ترك المدرسة في سن الخامسة عشرة ليهتم بمزرعة أمه وليصبح مزارعا ، لكن زيارة سعيدة قام بها عم له من خريجي جامعة كمبردج فتحت امامه فرصة الذهاب الى الجامعة وتلقى الدراسة التى مهدت له سبيل اكتشاف الجاذبية الارضية التى اشتهر بها . أما (فاراداى Faraday) فقد ترك المدرسة في الثالثة عشرة من عمره واصبح بعد عام أجيرا عند مجلد للكتب ، واثناء عمله في دائرة معارف ، قرأ ـ بطريق الصدفة ـ مقالا عن الكهرباء في دائرة المعارف هذه ، الامر الذى الهب خياله فاستعان بصديق من أصدقائه ليصبح أحد مشاهير علماء الكهرباء .

سيكولوجية الموهوب

في دراستنا للعبقرى ننظر عادة في ماضيه للتعرف على جذور عظمته ، اما في دراستنا للطفل الموهوب فان علينا ان ننظر الى المستقبل . ومنذ عام ١٩٢٠ بدأ (لويس تيرمان Terman) ومعاونوه دراسة طويلة الامد لفريق من الاطفال الموهوبين من كاليفورنيا : وحينئذ درس هؤلاء العلماء عددا من طلاب المدارس يزيد على الربع مليون واستخرجوا منهم من كان حاصل ذكائهم يبلغ المائة والاربعين أو يزيد وهو حاصل ذكاء لا يناله الا واحد من كل مائة من السكان . ولقد اكتشف فريق العلماء هذا ١٥٠٠ من هؤلاء الاطفال كان متوسط حاصل ذكائهم ١٥٠ وكان في عدادهم ٨٠ شخصا يبلغ حاصل ذكائهم ١٧٠ أو يزيد .

ولقد كان أول الاوهام التى قضت عليها هذه الدراسة هو الاعتقاد الشائع بين الناس بأن الاذكياء يكونون على غير ما يرام صحيا أو ضعاف الاجسام فلقد كان هؤلاء الاطفال اصحاء ، بل كانوا على العموم يتفوقون صحيا على الاطفال العاديين المتوسطين ، كما ثبت من اختبارات الشخصية انهم اقدر على التكيف ، ولقد كان عملهم المدرسي متميزا . ولم يقتصر تفوقهم المدرسي على موضوع واحد أو موضوعين اثنين بل كانوا متفوقين في كل المواضيع المدرسية .

ولقد كان الهدف الاكبر للدراسة ملاحظة تطور هذا الفريق من الاطفال بتقدمهم في العمر ، ومن اجل ذلك فقد أعيدت دراسة سلوكهم دراسة كثيفة في الاعوام ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ وفي ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ و ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ، وكانت آخر دراسة لهم بعد مضي ثلاثين عاما على أول دراسة لهم : وحين قاربت أعمارهم الخمسة والاربعين عاما .

تفوق الموهوبين اخلاقيا وصحيا

ولقد كانت كل دراسة من هذه الدراسات المتتابعة تتناول نواحي حياتهم المختلفة : من حيث الصحة السيئة ، ومن حيث الجريمة والاضطرابات العقلية وادمان الخمر والطلاق ، فكانوا في كل هذه الامور دون المجموع العام للسكان من نفس العمر ، أى انهم تفوقوا صحيا واخلاقيا على مجموع الناس ممن لهم نفس عمرهم . أما مستوى ذكائهم الذى قيس باختبارات ذكاء الراشدين فقد بقي فوق المتوسط ، او بخلاف النتائج التى تم الحصول عليها من مجموع السكان ، فان حاصلات ذكائهم مالت الى الارتفاع مع التقدم في العمر .

تفوق الموهوبين تربويا ومهنيا

ولقد كان الانجاز التربوى والمهني لهذا الفريق رائعا ، فلقد دخل افراده الجامعة في السابعة عشرة . وقد ذهب الى الجامعة ٩٠٪ منهم وتخرج منهم ٧٠٪ من الجامعات وهى نسب تفوق كثيرا نسبة السكان العاديين . وفي الجامعة شارك اعضاء هذا الفريق في النشاطات الجامعية المختلفة وحصلوا على درجات شرف وجوائز اكثر من سواهم . ومن بين الذين تخرجوا من الجامعة تابع ثلثا الرجال دراساتهم الجامعية العليا كما تابع نصف النساء مثل هذه الدراسات . ومن بين ٨٠٠ من الرجال الذين كان متوسط عمرهم سنة ١٩٥٠ اربعين عاما كان ٧٨ قد حصلوا على درجة الدكتوراه و٤٨ على الدكتوراه في الطب و ٨٥ على درجات عليا في الحقوق ، ٧٤ منهم عملوا او يعملون في الجامعات و ٥١ قاموا ببحوث في العلوم والهندسة و ١٠٤ كانوا مهندسين عاملين . وهذا السجل الحافل يفوق ٢٠ مرة على الاقل سجل ٨٠٠ آخرين من السكان العاديين الذين اختيروا اختيارا عشوائيا كما يقول علماء الاحصاء . ثم ان السجل التربوى للنساء الموهوبات كان رائعا اذا قورن بسجل مثيلاتهن من النساء المتوسطات ، ولكنه لم يكن يرتفع الى مستوى سجل الرجال الموهوبين من امثالهن ، فنسبة النساء اللواتي تلقين درجات علمية تزيد على درجة الماجستير لم تزد على عشر عدد الرجال الذين تلقوا مثل هذه الدرجات .

وثمة اشارة أخرى الى تفوق هذا الفريق وهي انتاجهم الادبي والعلمي فلقد نشر اعضاء فريق الثمانمائة المذكورة اعلاه حتى عام ١٩٥٠ عددا من الكتب يبلغ ٦٧ر١٤٠٠ مقال اختصاصي وما يزيد على ٢٠٠ قصة قصيرة وتمثيلية ، هذا اذا تركنا جانبا المقالات المنشورة في الجرائد السيارة والتعليقات التلفازية . ويتضح من هذه الانجازات ان حاصل الذكاء المرتفع الذى يناله طفل اثناء المراهقة والطفولة متناسب تناسبا صريحا مع الانجاز المتميز في الحياة التالية ، هذا مع العلم بانه ليس من الضرورى دوما ان يصل الطفل الموهوب الى التميز في مقبلات أيامه وذلك لاسباب مختلفة وظروف تتحكم فيه .

لماذا ينجح بعض الموهوبين في الحياة ، ويخفق البعض

والسؤال الان هو : لماذا ينجح بعض الموهوبين ويخفق بعضهم الاخر ؟ دعنا في الجواب عن هذا السؤال نقسم الاطفال الموهوبين الى ثلاثة اقسام : (آ) ويشمل ٢٥٪ من هؤلاء الموهوبين ونخصه بالربع المتقدم ، (ب) ويشمل ٥٠٪ من هؤلاء الموهوبين ونخصه بالنصف المتوسط (جـ) ويشمل ٢٥٪ من هؤلاء الموهوبين ونخصه بالربع المتخلف . وليست القسمة هنا على اساس من حاصل الذكاء بل على اساس من النجاح والاخفاق فقط وذلك على اعتبار انهم جميعا موهوبون . وعلى هذا فيجب ان نبحث عن اسباب النجاح والاخفاق في عوامل غير ذكائية وانما في عوامل من مثل عائلة الطفل وما شابه ، وذلك بالمقارنة بين الفريقين (آ) و (جـ) .

ان عدد والدى اطفال الفريق (آ) ، اولئك الذين درسوا في الجامعة ، يبلغ ضعف عدد والدى اطفال الفريق (جـ) وكذلك الحال بالنسبة لاخوتهم، كما ان آباء الاطفال في الفريق (آ) كان معظمهم من ارباب المهن العليا ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لاطفال الفريق (جـ) . ومعنى هذا ان التقاليد التربوية كانت في عائلات الفريق (آ) اقوى منها في عائلات الفريق (جـ) . ويتمشى مع هذه الحقيقة ان العنصر اليهودى في الفريق (آ) يزيد ثلاث مرات عنه في الفريق (جـ) ذلك بان الطفل اليهودى يُضغط عليه ضغطا شديدا لكي ينجح فهو ينجز اكثر مما ينجز ابناء العروق الاخرى .

ثم ان اعضاء الفريق (آ) كانوا احسن تكيفا من اعضاء الفريق (جـ) كما دلت على ذلك قياسات الشخصية التي طبقت على اعضاء الفريقين . ولقد انعكست هذه الفروق في الشخصية — في سجلات الاحوال الشخصية (الزواج والطلاق) لاعضاء الفريقين . ان حالات الافتراق بين الزوجين او الطلاق بلغت عند الفريق (آ) ثلث ما بلغته عند الفريق (جـ) ، ولقد كانت هذه الاحوال عند والدى الفريق (آ) خيرا منها عند والدى الفريق (جـ) أيضا ، كما ان عدد المتزوجين بين اعضاء الفريق (آ) كان يفوق مثيله عند اعضاء الفريق (جـ) ولقد تزوجوا نساء اذكى .

وهكذا يتضح ان الانجاز عند هذا الفريق من الموهوبين يرتبط بالاتزان السيكولوجي وينتج عن ذلك انه اذا اراد الافراد الموهوبون ان يستغلوا مواهبهم العقلية الى اقصى الحدود فان على محيطهم ان يساندهم وان يخلو من العقبات التي تقف في طريقهم على قدر الامكان . هذا وليس في هذه الدراسة ما يؤكد ان محاربة الصعاب شرط مسبق للانجاز ، وبديهي ان هذا القول ينطبق على جماعتنا التي ندرس اكثر من انطباقه على سواها .

وبالرغم من ان بعض انجازات هذا الفريق من المتفوقين كان عظيما فاننا لانستطيع القول بان اي واحد منهم - وحتى عام ١٩٥٠ - قد بلغ المرتبة التي يمكن ان يسمى فيها عبقريا . ومع ذلك فان هذه الدراسة تتفق مع الدراسة التي اشرنا اليها حين درسنا العبقري في الفقرة السابقة ونفينا ان تكون العبقرية او التفوق مشروطة بالاضطرابات العقلية او الشذوذ النفسي او ما الى ذلك مما تزعمه بعض الاراء العامية .

النساء الموهوبات

ولعل بعض القراء ، ولا سيما النساء منهم ، قد لاحظوا عدم اشارتنا الى النساء الموهوبات الا حين اشرنا اليهن اشارة عابرة بمناسبة دراستهن الجامعية . ما الذي يحدث للنساء الموهوبات ؟ الواقع هو ان البنات بالرغم من تساوي ذكائهن بذكاء الصبيان في كل مراحل الدراسة التي تتراوح بين المدرسة الابتدائية والجامعة فان نسبة ضئيلة منهن تختار منافسة الرجال في عالم المهنة والاعمال ، وحتى في مجتمع كالمجتمع الاميركي فان ثمة تنازعا يقوم في نفوسهن بين تحقيق انوثتهن والسلوك مسلك النساء وبين امتهان مهنة ما . تقول احدى المربيات الاميركيات ما معناه : « ان الرجال قلما يتطلعون الى النساء اللواتي يضعن النظارات على عيونهن » مشيرة بذلك الى ان الرجال لا يتطلعون الى النساء العاملات ، وهو قول وان كان لم يثبت تجريبيا فانه على شيء كثير من الصحة . ان الكثيرين من الرجال الذين لايرون مانعا فعليا من زواج امراة تضع النظارات الطبية على عينيها يترددون في زواج امراة تفوقهم ذكاء او تعليما او دخلا . والفتاة الذكية التي تخاطر في اظهار ذكائها جهارا تحد من فرصها في ان تصبح زوجة . ولذلك فان من غير المدهش ان نرى بعض الفتيات الموهوبات - شانهن في ذلك شان بنات جنسهن - يملن الى الزواج ويصرفن جهودهن في تكوين عائلة والعناية بها . وحتى اولئك اللواتي لايتزوجن فانهن كثيرا ما يخترن مهنة (مناسبة) لا تتضارب مع صفتهن الانثوية .

ولذلك فان الموهوبات من البنات اللواتي كن في فريق الموهوبين السابق ذكره حين درسن فيما بعد وجد ان نصفهن قد اصبحن ربات بيوت لا يمارسن عملا خارجيا وان كن ناجحات في بعض الاعمال الاضافية التي يقمن بها كالنشاط الاجتماعي والكتابة والموسيقى والفن وما الى ذلك . اما اولئك اللواتي كن يعملن فقد كن يعملن في مهن تتناسب وانوثتهن وان كان القليلات منهن قد اثبتن نجاحهن في العلوم والفنون والمهن بل وفي عالم الاعمال ، بل بعضهن نجحن في مزج عملهن في البيت بعملهن المهني خارجه . وفي كل الاحوال فان معظم النساء - بما في ذلك المتفوقات - يتخلين عن مطامحهن المهنية ليتفرغن لازواجهن واطفالهن وبيوتهن وفي هذا - كما هو واضح - حرمان للعلوم والاداب والفنون والاعمال من كثير من المواهب الممتازة .

والخلاصة

فان الموهوبين هم عدة الامة وخميرتها وطليعتها ، والعباقرة هم موهوبون دوما . والامة الذكية الواعية هي الامة التي تحرص على اكتشاف الموهوبين من ابنائها وتفسح لهم المجال لكي يحققوا امكاناتهم ويظهروا كفاءاتهم فيفيدوا ويستفيدوا . ولا شك في ان البيت الصالح والمدرسة الجيدة هما البوتقتان الاساسيتان اللتان تصهر فيهما هذه المعادن الثمينة فالى البيت والمدرسة يجب ان تتجه العناية لتربية هؤلاء الموهوبين وتهيئة اولئك النابغين العباقرة والا فان الامة تهدر اثمن ما عندها وتتخلى عن طليعتها الى التقدم والنجاح . ■■

فاخر عاقل

أُخْتَــاه ...

للشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجي

« الى روح شقيقتي الراحلة اهدي هذه الاضمامة .. »

■ أكــذا نحوم على السَّرابِ على السَّرابِ على السَّــرابْ . . .؟
اكــذاك نحن .. ومن نكــون ؟ وهل نكــون ســوى تراب ....
أنجيءُ للدنيــا لنذهــب ... ما المجيــئُ .... ؟ وما الذَّهــاب .... ؟
كُــرَةٌ تَقاذَفُنــا الحيــاة علــى خِضَــمٍّ مــن ضبــاب ....
أختــاه ... ما خلــف الغمــام .. ؟ وبين أثنــاء السحــاب .... ؟
ما سِــرُّ هــذي الروحِ ... ؟ هل عنهــا لكم كُشِفَ النّقــاب... ؟
ما أمــر ســكان السماء وقد لَقُوكِ علــى ارتقــاب .... ؟
وملا ئك الرحمن والأبــرار حولك والصِّحــاب .... ؟
لا تصمــتي أختــاه لاتَجِمِــي ... فــذا عَيْنُ العــذاب .... !
طُوبَــى لروحــك إنهــا ..... آبَــتْ ويا نِــعْمَ المــآب
أختــاه أنت اليــوم في دعــة وفي مِنَنٍ رِغــاب
جــاورْتِ ربَّــك إذ كرهــتِ العيش في دنيــا العــذاب
وفزعت للظــلِّ الظليــل قــريرةً بعــد اضطراب
طوبــى لمثلــك راحــلا عنــا بيمنــاه الكتــاب
إني أراك بسنــدس الأثــواب .... ما أغلَــى الثيــاب
وعلى جبينــك رفَّ نُــورٌ طَيِّبَ المَســرَى وطــاب
محفوفــة بالحُــور .... ما أغلــى ومــا اعلى الجَنــاب
في مِعْصَمَيــك أســاورٌ صيغــت من الذهب المُذاب
جُوزِيت بالحسنى لديــه وأبت يانِعْــمَ المــآب
أختــاه إن عــزَّ اللقــاء اليــومَ فالغــدُ في الرِّكــاب
أختــاه إنّــا صائرون إليــك فالدُّنيــا سحــاب
أختــاه إنا عائــدون إلى تُــرابٍ مــن تُــراب
أختــاه إنا حائمــون على السَّــرابِ علَى السَّــرابْ ■■

كلية التربية/جامعة بغداد **عاتكة الخزرجي**



اليابان وروسيا
تتعاونان على تصنيع سيبريا

● يبدو أن سيبريا مقبلة على عهد من التصنيع والتقدم جديد . فهذه القارة ، او شبه القارة ، التي تبلغ مساحتها نحو ٤٤٠٠٠٠٠ ميل مربع ، قد اشتهرت منذ القدم بثروتها الطائلة وخاماتها الوفيرة . وتشمل هذه فيما تشمل ، الحديد الخام ، وتقدر كمياته بنحو ٥٠٠٠ مليون طن ، والغاز الطبيعي ، وقد قدروا مخزونه بنحو ٢٠٠٠٠ مليون متر مكعب . هذا بالاضافة الى البترول والنحاس والمنجانيز والاخشاب وكلها متوفرة فى سيبريا بكميات ضخمة .

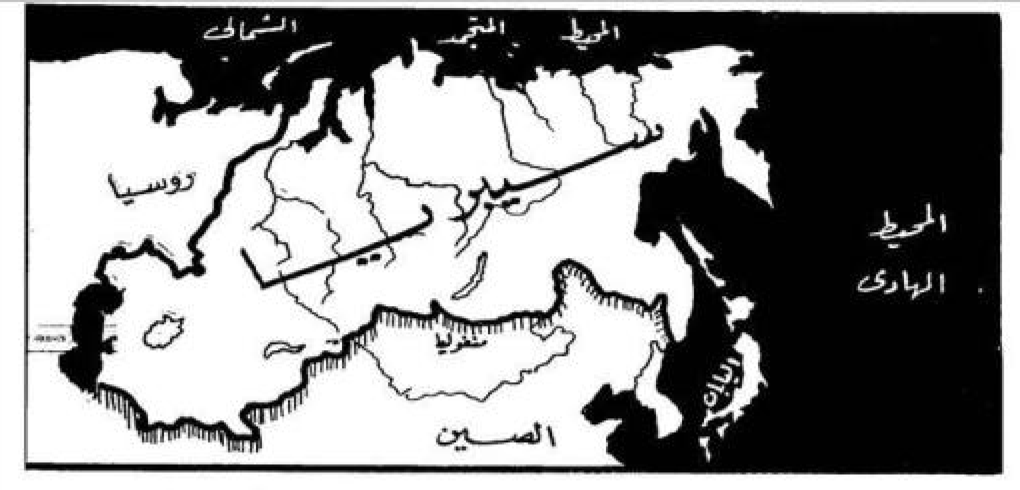
الا ان هذه الثروات بقيت كلها او اكثرها بكرا دون استغلال . ولعل ضخامتها والمسافات الشاسعة المترامية بينها وبين موسكو هي التي حدت كثيرا من مساعي روسيا لتطوير تلك الثروات .

ولم يغفل الكرملين عن احتمالات التعاون المجدى فى هذا الصدد مع اليابان . فهذه لاتبعد عن سيبريا اكثر من ٤٠٠ ميل . وهي تتمتع بمستوى عال من التكنية وبفائض كبير من المال ، وهاتان صفتان ترحب بهما روسيا وغير روسيا اجمل ترحيب ، ويشترطهما تصنيع سيبريا . اضف الى ذلك ان اليابان الدولة الصناعية العملاقة كانت دائما تفتقر الى الخامات والمواد الاولية ، وكانت دائما تتمنى لو اتيحت لها الفرصة للاسهام فى تصنيع سيبريا . فهي تدرك بوضوح أن قربها من سيبريا وبعد اكثر الدول الصناعية الاخرى عن سيبريا هذه سيجعلها الدولة الاولى ، ولربما الوحيدة ، من حيث استيراد الخامات السيبرية والانتفاع بها .

وهكذا بدات المفاوضات بين الدولتين العظيمتين بشأن سيبريا ، منذ نحو عشر سنوات . غير انها سارت ببطء ، بل تعثرت كثيرا ولم تنشط وتتناول المشاريع الكبيرة وتعط النتائج الطيبة الا فى الآونة الاخيرة .

ولعل المشروع الروسي الخاص بتطوير مناجم النحاس السيبرية هو فى طليعة تلك المشاريع . وتقدر تكاليف هذا المشروع بنحو ١٢٠٠ مليون دولار ، ويعتمد تنفيذه على التعاون الوثيق بين الدولتين سواء من الناحية التكنية او المالية .

وقد يكون مشروع مد خط الانابيب لنقل البترول السيبرى من حقوله فى



اوهكا (Ohka) الى ساحل سيبريا الشرقي اهم واخطر بالنسبة الى اقتصاد اليابان من المشروع الاول الذى ذكرنا . ولايخفى ان هذا الخط ، الذى تقدر تكاليفه بنحو ١٤٠ مليون دولار ، تقرضها اليابان الى روسيا ، سيكفل لليابان الحصول على البترول ، باسعار وتكاليف منخفضه نسبيا ، وقد يؤدى فى المستقبل الى الحد من اعتماد اليابان على بترول البلاد الاخرى البعيدة .

على ان النتائج الفعلية التي انتهت اليها المفاوضات حتى الان لاتتعدى نطاق اتفاق واحد فقط ، تم توقيعه فى الصيف الماضي. وستمنح اليابان روسيا بموجب الاتفاق المذكور قرضا بقيمة ١٣٣ مليون دولار وبفائدة سنوية قدرها ٥ر٨٪ وذلك بقصد الانفاق على اعمال تقطيع اشجار الغابات السيبرية على نطاق واسع . وينص هذا الاتفاق كذلك على ان تشحن روسيا الى اليابان من اخشاب تلك الغابات ما تبلغ كميته ٨٠٢٠٠٠٠ قدم مكعب ، وذلك تسديداً للقرض ولفائدته ، وفى غضون مدته البالغة خمس سنوات .

اضف الى ذلك أن الاتفاق المذكور قد نص ايضا على السماح لثلاث عشرة شركة من كبرى شركات اليابان التجارية ، امثال ميتسوبيشي ومتسوى ، بتصدير البضائع اليابانية الى سيبريا بمالا تقل قيمته عن ٣٠ مليون دولار سنويا .

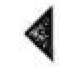
ولعل تزايد قوة الصين هو العامل الذى كان له اكبر الاثر فى بعث تلك المفاوضات وانطلاقها بالسرعة التي انطلقت بها مؤخرا . وتجدر الاشارة الى أن روسيا لم توقع بعد معاهدة صلح مع اليابان كالتي تم توقيعها مع المانيا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية .

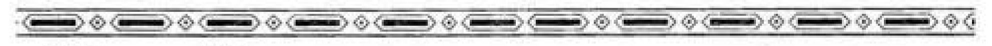
الصحف البريطانية يكشفها تقرير مكتب للبحوث والدراسات

● **كلفت الحكومة البريطانية احد مكاتب البحث والدراسة في لندن باعداد تقرير شامل عن الصحف البريطانية . وهذا التقرير الذى بلغ اجره ٤٧٫٥٠٠ جنيه استرليني، والذى استغرق اعداده ١١ شهرا انتهت بشهر ديسمبر ١٩٦٧ ، لم يقتصر على جمع المعلومات والاحصائيات كما قد يتبادر الى الذهن . فقد تعدى ذلك كله الى كشف اوضاع تلك الصحف كشفا كاد ان يكون افتضاحا. واعتبرته الحكومة البريطانية سرا مكتوما ، حتى اذا تمكنت صحيفة الجارديان من الحصول عليه بطريقة او باخرى ، اضطرت السلطات المعنية فى لندن الى نشره .**

وفي التقرير امور كثيرة هامة لا نستطيع ان نجتزىء منها الا مايلي :

صحيفة الجارديان : يسيطر عليها مدير ادارتها سيطرة تامة ، وكانه التاجر فى متجره .





الديلي تلغراف : تفتقر الى مقومات الادارة السليمة بحيث لا مفر من الشك في قدرتها على الوقوف في وجه المزاحمة ، فيما لو اشتدت هذه المزاحمة قليلا .

الديلي ميرور : مؤسسة ناجحة ، اذا كان المقياس الذي يمكن ان يقاس به نجاح الصحف

الديلي اكسبرس : يعزى نجاحها الى خبرة مديرها الواسعة وقدرته وكفاياته الممتازة ، بحيث لا بد لها من اعادة تنظيم امورها ، اذا هي ارادت استمرار نجاحها ، لدى تقاعد مديرها .

الاوبزرفر : ادارتها حسنة بالقياس الى حجمها المحدود وعدم قدرتها على توظيف ذوي الخبرة المختصين . ومهما يكن من امر فان مديري الصحيفة لايدعون انها تجاريه بمعنى انها تعتمد على نفسها وارباحها .

الصندى تايمز : لا ينكر ان هذه الصحيفة تجمع بين ارفع مستوى صحفي وبين اكبر الارباح .

التايمز : قد لايمتنع مجلس ادارة هذه الصحيفة عن جني الارباح ، الا ان الارباح وما اليها من اعتبارات تجارية انما تخضع لمقتضيات التحرير والحرص على الاتقان بالنسبة الى ذلك المجلس ، بحيث اصبحت صحيفة التايمز في نظر الكثيرين مؤسسة قومية اكثر منها شركة تجارية .

أما المكتب الذي وضع التقرير الذي نحن بصدده فهو مكتب البحوث والدراسات The Economist Intelligence. Unit وهو جهاز خاص متفرع عن صحيفه الايكونومست الاسبوعية ، التي تعتبر في طليعة الصحف البريطانية . ويضم المكتب المذكور نحو ١١٥ موظفا من الخبراء الباحثين و٨٥ موظفا من الاداريين . وتتفاوت المواضيع التي يتناولها هذا المكتب في دراساته،ويتراوح عددها من ٧٥ - ١٠٠ في السنة، بحيث نجد ان بعض هذه الدراسات يعالج مشاكل سياسية حساسة وبعضها الاخر يبحث مواضيع تجاريه ، الى غير ذلك .

والجدير بالذكر ان دخل مكتب البحوث الذي ذكرنا لايقل عن مليون جنيه سنويا .

ماذا بعد سالازار

● منذ عام ١٩٢٨ وطوال ٤٠ عاما وشعب البرتغال يحكم بالحديد والنار على ايدي انطونيودي اوليفيرا سالازار ... ذلك الرجل الذي تولى الحكم وعمره ٣٩ عاما .. واستطاع بواسطة وسائله البوليسية ان يخضع الشعب البرتغالي وان يخمد كل الثورات التي ارادت ان تخلعه من منصب الحكم . وان ينجو ايضا من عدة محاولات لاغتياله .

وسالازار لم تخلعه ثورة من الثورات الشعبية. ولكن خلعه المرض من منصبه الذي استغله لكبت الحريات واقامة نظام دكتاتوري اشبه بنظم العصور المظلمة .

ثمن الموت

● في اوائل عام ١٩٦٧ عكف السناتور الراحل روبرت كنيدى على كتابة مقال لمجلة نيويورك تايمز عن ازمة قواعد الصواريخ السوفيتية في كوبا ، وهي الازمة التي كادت تؤدي الى نشوب حرب عالمية ثالثة في عام ١٩٦٢ . وسأل رئيس التحرير السناتور كنيدى عن المساحة التي يطلب حجزها لمقاله ، فقال الكاتب ان المقال سيقع في حوالي ٥ آلاف كلمة . وكان من المقرر أن يتقاضى السناتور كنيدى مكافأة قدرها اربعمائة دولار على مقاله .

ولكن ماكاد الكاتب ينتهي من كتابة مقاله في أواخر العام الماضي ، حتى اكتشف انه سيحتاج الى مساحة تبلغ خمسة اضعاف المساحة المتفق عليها من المجلة ، فقد بلغت عدد كلمات المقال ٢٥ ألف كلمة . فما كان منه الا ان وضعه جانبا وقرر الا ينشره ، وخاصة لان حملة انتخابات الرئاسة في امريكا كانت قد

دكتاتور البرتغال ؟

وبخروج سالازار من مسرح السياسة البرتغالية ثارت عدة اسئلة هامة ... ماذا بعد سالازار ؟ هل يستمر النظام الدكتاتورى الذى وضع هو اسسه ... ؟ وماذا عن سياسة البرتغال الخارجية وماذا عن سياستها تجاه مستعمراتها الافريقية . ؟ وقد وجهت هذه الاسئلة الى عدد من المفكرين البرتغاليين الذين تلخصت اجاباتهم عنها ، فى انه لن يكون هناك سالازار آخر فى البرتغال .

حقيقة ان الخطوط العريضة لسياسة الدكتاتور السابق ستستمر الى حين ، ولكن ستكون هناك تعديلات كبيرة على الصعيدين الدولى والمحلى .

فنظام البوليس السرى وسلطاته المطلقة لن تستمر ، والجليد الذى كان يشوب علاقات البرتغال بدول اوروبا الشرقية سيبدأ فى الذوبان تدريجيا . وسياسة القمع والارهاب تجاه الوطنيين الافريقيين فى انجولا وموزمبيق قد تخف تدريجيا ايضا .

وليس هناك احد يتوقع ثورة فى البرتغال تطالب بالحريات الآن ، وخاصة بعد ان تولى الحكم مكان سالازار البروفيسور مارشيلو كايتانو Marcello Caetano عميد كلية الحقوق فى جامعة لشبونة ويبلغ من العمر ٦٢ عاما ، ويصفه عارفوه بالذكاء والطموح ..وقد كان كايتانو وزيرا سابقا فى احدى وزارات سالازار الى ان اطاح به الدكتاتور السابق فى تعديل وزارى منذ عدة سنوات .

بدأت بالفعل ، فقد خشى السناتور روبرت ان يؤدى نشر المقال فى ذلك الوقت الى أثر عكسي ، فيما لو قرر ترشيح نفسه عن الحزب الديمقراطي فى الانتخابات . ولم ير المقال النور .

ثم حدث بعد ذلك ان رشح السناتور كنيدى نفسه لانتخابات الرئاسة عن الحزب الديموقراطي ، ثم قتل فى شهر يونيو الماضي ، وهو قائم بأعباء حملته الانتخابية .

ومنذ بضعة اسابيع اشترت شركة ماكال McCall للنشر ، حقوق نشر مقال

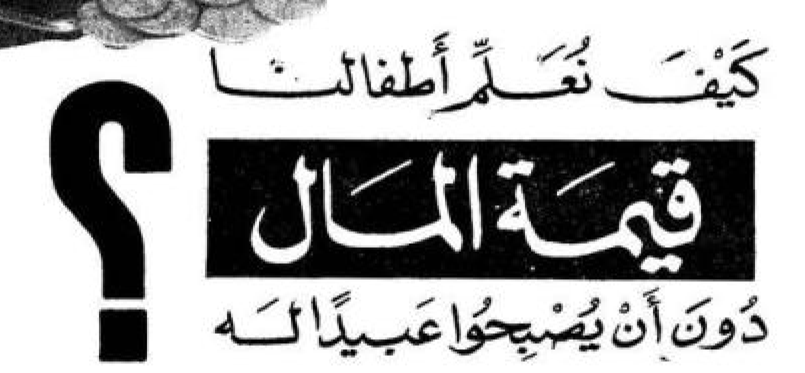


السناتور روبرت لا بمبلغ ٤٠٠ دولار ، وانما بمبلغ مليون دولار امريكي ، وهو اضخم مبلغ دفعته الشركة ثمنا لمقال فى هذا الحجم .

ويحوى المقال ، الذى تعتزم الشركة اصداره فى كتاب ، معلومات جديدة واسرارا مثيرة عن مشاعر الرئيس الامريكي الراحل كنيدى شقيق روبرت كنيدى ابان هذه الازمة ، ودور شقيقه روبرت وكان يشغل فى ذلك الوقت منصب المدعي العام فى امريكا . كما يحوى تفاصيل جديدة عن دور المخابرات الامريكية فى الازمة ، والاجتماعات السرية التى عقدت بين السناتور روبرت كنيدى والسفير السوفييتي .

سألوا تيدسورنسون « صديق أسرة كنيدى » لماذا وافقت الاسرة على بيع هذا المقال الآن ؟ قال : « لا تنسوا ان السناتور روبرت كنيدى ترك احد عشر طفلا ، حقيقة ان والدهم قد ترك لهم ما يكفيهم ، ولكن لا بأس من مزيد فالمستقبل امامهم طويل » . ■■





كيف نعلم أطفالنا قيمة المال دون أن يصبحوا عبيداً له ؟

بقلم : منير نصيف

■ نحن نهتم بتعليم اطفالنا فنرسلهم الى المدرسة متى بلغوا سنا معينة ، ولو ان الطفل يبدأ مدرسته الاولى فى البيت، فيتعلم الكلام ويتعلم معه أشياء كثيرة تتصل بالاخلاق التي يجب ان يتحلى بها ، وتحدد نظام حياته وعلاقته بأبويه وبأخوته وبالناس . وقد يبدأ الطفل ايضا فى قراءة اول كتاب له فى البيت قبل ان يدخل المدرسة .

هكذا ينشأ كل طفل ، ولكن هل هذا هو كل ما يجب ان يتعلمه اطفالنا ونحن نعدهم لاستقبال الحياة خارج جدران البيت ؟

الواقع أن هناك ناحية هامة غالبا ما يهملها الآباء لسبب بسيط ، وهو انها لم تشكل فى وقت ما اية مشكلة بالنسبة لاطفالهم قبل خروجهم من البيت . الا وهي المال ! فأين هو هذا الطفل الذى يعوزه المال فى بيته وبين والديه ، وهو بعد لم يتجاوز عامه الرابع او الخامس ؟

ماذا يعرف الطفل ؟

ان كل ما يعرفه الطفل فى هذه السن المبكرة ، هو انه يريد ان يمتلك اشياء جديدة رآها فى ايدى اصدقائه من الاطفال ، فيلجأ الى امه او ابيه ، ويطلب ان يكون له مثل ما لدى اخوته او رفاقه من لعب او هدايا او ملابس جديدة ، فيقدم له والداه ما اشتهى وما اراد .

فتفكير الطفل اذن لايتعدى هذه المرحلة من الفهم والادراك .. اراد ان يكون له شيء معين ، فكان ، دون ان يفكر فى الكيفية التي جاءت بها هذه اللعبة او البدلة الجديدة التي لبسها فى العيد .

ومن هنا نبدأ موضوعنا اليوم . كيف نعرّف اطفالنا قيمة المال ، كيف نشرح لهم وسائل استخدامه ثم كيف نعلمهم احترام المال دون ان يصبحوا عبيدا له . ثم كيف نضع المال بعد هذا فى مكانه الصحيح من حياتنا ؟

ومهما كنا مثاليين ، لابد لنا ان نعترف بأن المال ضرورى لنا ، فطالما كانت هناك حياة ، كان هناك مال للانفاق على متطلبات هذه الحياة .

انه لا بد ان يتم التعارف بين الطفل والمال عن طريقنا وبواسطتنا وتحت اشرافنا ورقابتنا . حتى لا نفاجأ به وقد كبر واصبح ولدا مسرفا متلافا لا يعرف للمال قيمة ولا يقيم له وزنا .

حديث المال

ومن بين هذه الوسائل ان يكون الوالدان اكثر حرية فى مناقشاتهما حول المسائل المالية علىمسمع من ابنائهما ... اذ كثيرا ما نجد ان الوالدين يتحرجان من الحديث فى المسائل المالية امام الاطفال ، فنحن نحرص على الا يعرف الطفل مثلا كم من المال يكسب والده كل شهر ، او كم عدد الاقساط الباقية على ثمن الثلاجة الجديدة . ولماذا دفعنا ثمنها على اقساط ، ولم ندفعه نقدا الى غير ذلك .

ومبعث هذا الخوف من الخوض فى ميزانية البيت امام اطفالنا ، هو اننا لا نريد ان يعرف الاهل والجيران شيئا عن حياتنا الخاصة ، وكيف نعيش وكم ننفق . فالاطفال ببغاوات صغيرة ، لا يكادون يجتمعون فى مكان ما حتى ينقلون كل ما سمعوه من احاديث . وهم يميلون الى المفاخرة ، فتجدهم وقد دخلوا فى مناقشات عنيفة حول ما يكسبه اباؤهم وما تنفقه امهاتهم ... وكثيرا ما تتطور هذه المناقشات الى معارك ، فنسارع الى فضها ، ثم نتساءل عما حدث ، فيجيئنا الجواب : « لقد اهانني ابن الجيران . قال ان اباه يكسب اكثر من ابي ! » .

دفاع عن النفس

فنحن اذن نقف موقف الدفاع عن النفس ، عندما نعزف عن بحث المسائل المالية امام اطفالنا ، لاننا لا نريدهم كما ذكرنا ، ان ينقلوا ما سمعوه الى الجيران ! وننسى دائما أن الطفل رجل صغير ، واننا اذا ائتمناه على سر حافظ عليه ، فنحن نستطيع ان نناقش ميزانية البيت امامه ، ثم نشرح له بعد ذلك ان ما سمعه يجب الا ينقل ابدا خارج جدران البيت ، فهذه مسائل من صميم شئون الأسرة الخاصة ، ويجب الا يعلم بها احد .



لا بد أن نعطى الطفل مصروفا ثابتا يكبر معه ، ثم نعلمه الاعتماد على النفس عندما يبلغ العاشرة ، فنضاعف له مصروفه بحيث يشمل أجر المواصلات وثمن وجبة الغذاء الخفيفة فى المدرسة .

المال ... واللغات

والمال وسيلة وليس غاية . ولكن احدا لا يستطيع ان ينكر ان المال لازم لتبادل السلع والخدمات لزوم اللغات فى تبادل الثقافة والافكار .

ومعنى هذا كله باختصار انه لا بد للطفل فى سن معينة ان يتعلم قيمة المال ويقدر الجهد الذى يبذل فى سبيل الحصول عليه ، تماما كما يتعلم القراءة والكتابة فى مدرسته الجديدة . ووسائل تحقيق ذلك كثيرة ومتنوعة ، والمهم ان نذكر دائما

فالطفل يجب ان يتعلم عن طريق مثل هـذا الحديث الذى يدور امامه ، ان المال خلق لكي نحسن استخدامه فى شراء اشياء نافعة ، فاذا عرف مثلا ان ميزانية البيت توزع على البقال والجزار واقساط الثلاجة والسيارة ومصاريف المدرسة لاخوته الكبار ... ادرك قيمة المال وفوائده . كما وجد فى الوقت نفسه الجواب على السؤال الذى طالما الح عليه : « اين يذهب بابا فى صباح كل يوم ؟ » وعرف ان والده لا بد ان يعمل ويكدح فى سبيل الحصول على المال له ولبيته وبقية افراد الاسرة التى يعولها .

ومن اجل ذلك لا بد لنا ان نحرص على مالنا وان ننفقه فيما نحن فعلا فى حاجة اليه .

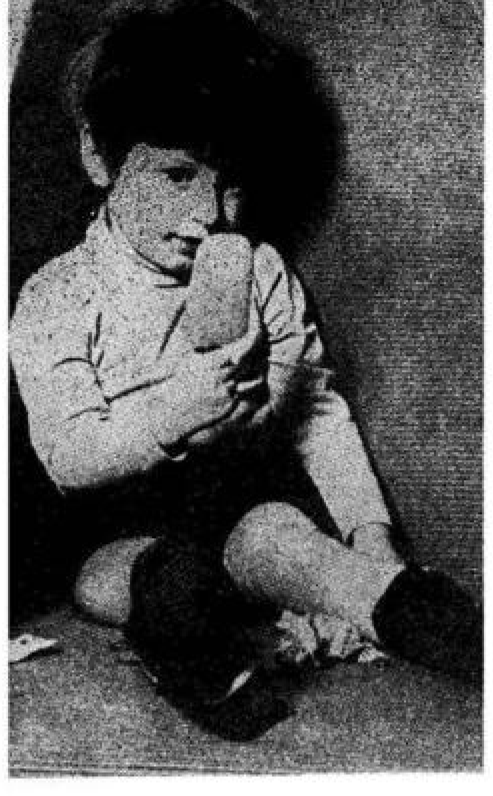
تصورات الطفل

فالطفل فى هذه السن المبكرة يتصور اشياء كثيرة لا تمت الى واقع الحياة بصلة .. فهو يتصور مثلا أن الحصول على المال امر سهل ميسور .. وكثيرا ما نسمع طفلا يطلب من ابيه ان يشترى له لعبة جديدة ، ويعتذر الاب محاولا ان يشرح لطفله ان هذه اللعبة تكلف مبلغا كبيرا لا يملكه الآن ... فيقول الطفل فى بساطة : « اذن فاذهب الى البنك لتاتي لنا بالمزيد من المال ! »

والطفل فى الرابعة او فيما دونها قد لا يدرك اننا وضعنا هذه الاموال فى البنك اولا قبل ان نتمكن من سحبها من جديد ! ولكنه اذا جاوز هذه السن بقليل ، فهو قد يفهم ان العمل ، والعمل وحده هو الطريق للحصول على المال الذى كسبناه، واستطعنا ان نقتصد جزءا منه لا لننفقه على شراء اللعب الجديدة ، وانما لندخره للمستقبل .. مستقبله هو ، ومستقبل اخوته والاسرة كلها .

المال يكسب ولا يوهب

من هنا ننتقل الى النقطة التالية فى تعريف الطفل بان المال لا يوهب ، وانما يؤخذ مقابل عمل قمنا به ونتيجة لمجهود بذلناه . ولكى نفعل ذلك ، فلا بد ان نعطي لاطفالنا الفرصة لان يفوزوا بما يريدون ويشتهون ، بعرق جبينهم ... وليس



الطفل فى بيته وبين والديه لا يفكر ابدا في أن يضع في جيبه قطعة نقود واحدة ، لانه ما من مرة طلب شيئا ، الا وجاءا اليه به .

معنى هـذا أن نكافىء اطفالنا كلما قاموا بما هو جزء من واجبهم اليومي فى البيت ، كان ينظفوا احذيتهم ، او يرتبوا فراشهم او يعاونوا امهاتهم فى تنظيف غرف البيت مثلا ... لا . فنحن اذا فعلنا هذا ، وجدنا انفسنا فى النهاية امام مشكلة عويصة .. اذ سرعان ما يرفع الاطفال راية العصيان بمجرد ان نكف ايدينا عن تقديم مثل هذه المكافآت.

عمـل محـدد

فالمكافاة التي تقدم للطفل يجب ان تكون مقابل عمل محدد اضافي ، تكلفه به امه او والده ، اذا جاء اليهما يوما يطلب لعبة جديدة ، هنا تستطيع الام مثلا تكليف ابنها بازالة الاتربة التي علقت بكتب ابيه بشرط ان يعيد كل كتاب الى مكانه بعد تنظيفه ، او ان تطلب اليه ان يعنى بالحديقة يوم عطلة البستانى ، فيجمع الاوراق الجافة ويسقي

الزهور . وهذه كلها اعمال ليست غريبة عليه ، فطالما شارك فيها بدافع من حب الاستطلاع ... ولطالما وقف يرقب والده وهو ينظف كتبه ويزيل ما علق بها من اتربة .. حتى البستاني لم يتركه يعمل وحده .. فكثيرا ما شاهدناه يخرج لمساعدته بعد ان اصبح صديقا له ..

بهذا يستطيع الطفل ان يقتصد ما كسبه من مال لقاء قيامه بهذه الاعمال ، الى ان يجمع ثمن لعبته فيذهب لشرائها ...

ويتعلم الطفل بفضل هذه التجربة اشياء كثيرة .. فهو قد عرف ان العمل وحده ، هو افضل واقصر طريق يوصله للحصول على ما يشتهي ... ثم هو قد تعلم ايضا كيف يقتصد ماله فلا يبعثره .. وتعلم اخيرا كيف يحافظ على لعبته الجديدة التي بذل في سبيل الحصول عليها هذا الجهد والعرق .

مصروف لجيبه الصغير

ولكن هل معنى هذا ان الطفل لا بد ان يعمل لكي يحصل على النقود ؟ والجواب : لا بطبيعة الحال . فلا بد ان يحصل على مصروف خاص لجيبه ... ويرى التربويون وعلماء النفس ان الطفل ، كما قدمنا ، لا يشعر بحاجته لهذا المصروف ، الا بعد خروجه من البيت وذهابه الى المدرسة .. فهو لم يفكر ابدا في ان يضع في جيبه قطعة نقود واحدة ، اثناء وجوده في بيته وبين والديه ، لانه ما من مرة طلب شيئا ، الا وجاءا اليه به . ولكنه لا يكاد يذهب الى المدرسة ، ويرى قطع النقود الفضية الصغيرة ، وهي تتحول الى مشروبات مثلجة وحلوى وايس كريم ، عند البائع الذي اختار مكانا له بجوار المدرسة ، حتى يعود الى البيت طالبا ان يكون له مثل ما كان لزملائه الصغار .

مزايا الاقتصاد

فلا بد ان نعطي الطفل مصروفا ثابتا يكبر معه ، كلما استقبل عاما جديدا . ولكن يجب ان نعلمه في نفس الوقت ان هذه النقود التي يحصل عليها لا بد ان يقتصد جزءا منها . فنضع له صندوقا صغيرا في غرفة نومه ، ليسقط فيه قطعة صغيرة من القطعتين او القطع الثلاث التي نقدمها له كل صباح . ثم نشرح له مزايا هذا الاقتصاد ، في الامد القريب والبعيد ، وكيف سيتسنى له في يوم من الايام ان يحصل على ما يشتهي ويريد بفضل هذه النقود الصغيرة التي اقتصدها من مصروفه ..

الاعتماد على النفس

صفة اخرى لا بد ان يتحلى بها الطفل عندما يكبر .. فهو لا بد ان يتعلم الاعتماد على النفس . ولكي يعتمد الطفل على نفسه لا بد ان يشعر بالمسئولية . وفي سن العاشرة وما بعدها يستطيع الوالدان ان يحملا اطفالهما شيئا من مسئولية العناية بامورهم ، فيضاعفوا لهم مصروفهم بحيث يشمل اجر المواصلات من البيت الى المدرسة وبالعكس ، وكذلك ثمن وجبة الغذاء الخفيفة التي تقدم لهم في مقصف المدرسة . وبذلك يتحمل الصبي وحده مسئولية انفاق هذا المبلغ ، فاذا ساء التصرف تحمل نتيجة تصرفه ، فعاد الى البيت مشيا على الاقدام ، او قضى اليوم بلا طعام.

فاذا بلغ الصبي الخامسة عشرة تركنا له مهمة شراء ملابسه الخاصة ... وهكذا ..

خطـر المـال

وقد يقال انه ليس من العدل ان نترك صبيا يافعا في مثل هذه السن يتحمل مسئولية اخطائه وسوء تصرفه اذا اساء التصرف ، ولكن مواجهة هذه التجارب في الصبا قد تكون سببا في انقاذ حياته الزوجية عندما يكبر ويصبح ابا ، فكثير من الزيجات تنهار نتيجة لسوء تصرف الزوج او الزوجة في اموالهما .

علمي طفلك اذن قيمة المال . ففي ايدي الوالدين وحدهما تقع مسئولية تعريف الطفل بخطر المال في حياتنا ، وكيف نضعه في المكان الصحيح ، فنحترمه ونقدره دون ان نكون عبيدا له .

منير نصيف



الدكتور محمد مصطفى هداره
استاذ مساعد بجامعة ام درمان الاسلامية

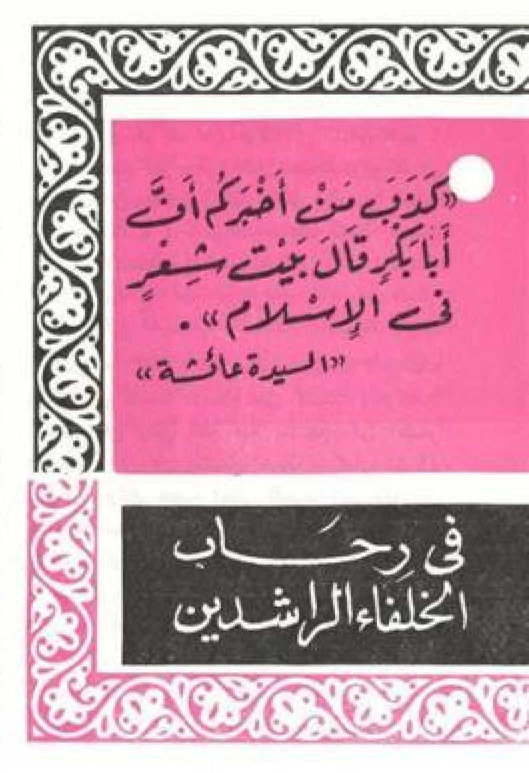
■ في مقال لنا بهذه المجلة عدد يونيو (حزيران) ١٩٦٧ تحدثنا عن موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء وقد بينت ان القرآن لم يرفض الشعر وانما دعا الى التزام قواعد أخلاقية فيه . وقد ارتبط الرسول صلوات الله عليه بهذا المفهوم ، وكان يدرك ان الشعر مرتبط بحياة العرب كل الارتباط ، وانه ليس مجرد صورة من صور القول ، ولهذا قال عليه السلام (لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين) ، بل ان الشعر صار فيما بعد سمة قومية للعرب حتى لقد قيل لسعيد بن المسيب : ان قوما بالعراق يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا نسكا اعجميا . وكان أبو السائب المخزومي ـ على شرفه وجلالة قدره وفضله في الدين والعلم ـ يقول « اما والله لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل يوم مرارا ... (والرحبة الموضع الذى تقام فيه الحدود ، يريد انه لايستطيع الصبر عنه فيجده فى كل يوم مرارا ولا يتركه) .

وقيل لابي الدرداء : مالك لاتقول الشعر وكل لبيب من الانصار قال الشعر ؟ فقال ـ وكانما يتبرأ من تهمة كراهية الشعر او التباعد عنه ـ وانا قد قلت شعرا ، فقيل : وما هو ؟ فقال :

يريد المرء أن يؤتى مناه
ويأبى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتي ومالي
وتقوى الله أفضل ما استفاد

خلفاء الرسول يتعاطفون مع الشعراء

وبهذه الروح العربيه الاسلامية التى لا تجد فى الشعر غضاضة ، ما كان منه حكمة رائعة او مثلا محكما ، نجد خلفاء رسول الله رضوان الله عليهم يسيرون على هديه فى الاستجابة للشعر والتعاطف مع الشعراء .



الشعر فى عهد أبى بكر

ولم يكن لأبى بكر رضى الله عنه موقف خاص من الشعر ، انما هو الموقف الاسلامي العام ، ولا يذكر له الرواة مواقف معينة مع الشعراء . ويبدو ان انشغاله بالفتوحات وحركة الرّدة لم تدع له وقتا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع اليهم ، ولكن هناك اكثر من مصدر ينسب اليه ابياتا من الشعر قالها فى مناسبات خاصة او عامة ، فى الوقت الذى نجد فيه رواية صحيحة عن السيدة عائشة رضى الله عنها تقول فيها : كذب من اخبركم أن ابا بكر قال بيت شعر فى الاسلام .

وقد خلقت معركة الردة فى عهد أبى بكر اشعارا كثيرة كان يتراشق بها الفريقان ، المسلمون والمرتدون . فهذا اوس بن بجير الطائي يقول فى موقعة بزاخة :

وليت أبا بكر يرى من سيوفنا
وما تختلى من أذرع ورقاب
الم تر أن الله لا رب غيره
يصب على الكفار سوط عذاب

ويمدح الأباز بن قيس الاسدى خالد بن الوليد لبلائه فى حرب الرّدة فيقول :

لن يهزم الله قوما أنت قائدهم
يا ابن الوليد ولن يشقى بك الدَّبَرْ
كفاك ، كف عذاب عند سطوتها
على العدو ، وكفٌّ مرة غُفُر

بينما نجد للمرتدين اشعارا مختلفة، يستنفرون بها العزائم ، ويصدون بها الناس عن ذكر الله ، ولعل الحطيئة يمثل هذه الفئة نضالة اذ يقول :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا
فيا عجبا ما بال دين أبى بكر
ايورثها بكرا اذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وقد كانت حركة الردة فى اساسها محاولة لاسترداد سلطة القبيلة المسلوبة ، وليست ثورة على الدين الجديد ، وقد وجد الشعراء فيها فرصة لاشاعة الروح الحماسية القبلية القديمة التي حاول الاسلام ان يستلها من صدور العرب .

ولم تكن كل الاشعار فى عهد الصديق مصطرعا للافكار الدينية أو السياسية ، بل وجدت اشعار يعبر فيها اصحابها عن نفوسهم ، ومن هؤلاء عبد الله بن أبى بكر نفسه فقد كان شاعرا مشبوب العاطفة ، وله في زوجته عاتكة بنت زيد اشعار كثيرة . وكانت عاتكة حسناء فائقة الجمال ، فاولع بها عبد الله وسكن اليها ، حتى شغلته عن المغازى ، فامره أبوه فاستجاب له ، ولكنه ظل يتغنى بحنينه اليها ، فمن ذلك قوله :

يقولون طلّقها وخيِّمْ مكانها
مقيما ، تمنّي النفس أحلامَ نائم
وان فراقي أهل بيت جميعهم
على كثرة مني لاحدى العظائم
اراني واهلي كالعجول تروّحت
الى بوّها قبل العشار الروائم

الشعر فى عهد عمر

فاذا كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجدنا له مواقف متعددة ازاء الشعر والشعراء ، وقد نسب اليه شعر أكثر مما نسب الى أبى بكر ، ونكاد نجزم بانه رضى الله عنه ما كان يقول الشعر ولكنه كان يُعجَب به ويتذوقه وينشده ، ومما يؤكد ذلك أنه استنشد متمم بن نويرة ما قاله فى اخيه مالك ليتعزى عن مقتل اخيه زيد بن الخطاب ، فلما انشده :

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال له عمر : يا متمم لو كنت اقول الشعر لسرني ان اقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في اخيك .

أما آراء عمر رضي الله عنه في الشعر ففيها اخبار كثيرة ، فعن عبد الله بن عباس قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر فرفع عقيرته ينشد :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبر واوفى ذمة من محمد

ثم وضع السوط على رحله ثم قال : استغفر الله العظيم ، ثم عاد فانشد حتى فرغ ، ثم قال : يا ابن عباس ، الا تنشدني لشاعر الشعراء ، فقلت : يا امير المؤمنين ومن شاعر الشعراء ؟ قال : زهير ، قلت : لم صيرته شاعر الشعراء ؟ قال : لانه لا يعاظل بين الكلامين ولا يتتبع وحشي الكلام ولا يمدح احدا الا بما فيه . والقصيدة التي كان يتغنى بها عمر رضي الله عنه لانس بن زنيم في مدح الرسول صلوات الله عليه ، واعجابه بزهير الجاهلي انما هو اعجاب معلل ، تنبني النظرة النقدية فيه على اساس فني وخلقي معا . ويؤكد الرواة اعجاب عمر بزهير في أكثر من موضع ، فهو يتعجب من قوله :

فان الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء

ويسميه قاضي الشعراء بهذا البيت ، لعلمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامة اقسامها .

وهكذا نرى ان عمر رضي الله عنه يحب من الشعر الا تكون فيه معاظلة اي لا يحمل بعض الكلام على بعض ، فيكون فيه تداخل وتعقيد ، وقيل الا يكون فيه تكرار اللفظ والمعنى . اما من الناحية الخلقية فيؤكد عمر رضوان الله عليه المبدأ الاسلامي الذي ينادي بالصدق في الشعر . وهذا المبدأ واجب التطبيق في المديح بالذات لانه اوسع أبواب الشعر واحقها بالمغالطة والكذب والنفاق . وقد وردت في الصحيحين احاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الافراط في المدح اذا خيف منه فتنة الممدوح . وكان عمر رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم .

وقد سمع عمر رضي الله عنه لشعراء كثيرين من المتقدمين والمعاصرين له ، فكان يردد ما يعجب به ، او ينقد ما لا يرضى عنه ، فقد أنشده سحيم عبد بني الحسحاس قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له : لو كان شعرك كله مثل هذا لاجزتك ، وقيل : لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك .

ولم يكن رضي الله عنه يستمع الى الشعر فحسب ، بل كان ينشده احيانا – كما سبق ان اشرنا – وكان يعجبه المعنى الجيد حتى ولو كان صاحبه نصرانيا جاهليا ، فقد قيل له : قيل للاوسية اي منظر احسن ؟ قالت : قصور بيض في حدائق خضر ، فانشد عمر عند ذلك بيت عدي ابن زيد العبادي :

كدمى العاج في المحاريب أو كا
لبيض في الروض زهره مستنير

وقال رضي الله عنه : كذب الحطيئة حيث يقول :

وان جياد الخيل لا تستفزنا
ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

ولكثرة ما روى عنه في ذلك قال ابن سلام عن بعض اشياخه : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له امر الا أنشد فيه بيت شعر .

وقد كان لشخصية عمر رضي الله عنه القوية اثر بالغ في توجيه الشعر في ايامه ، ومحاولة رد الشعراء الى جادة الحق ، والى الطريق الذي رسمه لهم الرسول صلوات الله عليه . فقد تقدم عمر الى الشعراء ان لا يشبب رجل بامرأة الا جلده . ولما كان التشبيب انفعالا يعتلج في نفس صاحبه ولا بد له ان ينفثه ، لهذا رأينا شاعرا غزلا كحميد بن ثور يتخذ طريقا جديدا في التشبيب اذ يعتمد على الرمز والكناية دون التصريح فهو يقول :

أبى الله الا ان سرحة مالك
على كل أفنان العضاة تروق
فيا طيب رياها ويا برد ظلها
اذا حان من حامي النهار وريق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه
ولا الفيء من برد العشي تذوق
فقد ذهبت عرضا وما فوق طولها
من السرح الا عشة وسحوق

وهل أنا ان عللت نفسي بسرحة
من السرح موجود على طريق

وواضح ان حميدا فى هذه الأبيات لا يعنى شجرة حقيقية ، ولكنه يرمز بها الى من يحب فهذه الشجرة الندية الوارفة الظل التي تروق على كل الاشجار وتزيد عليها بهاء انما هي محبوبته ، وهو لا يلبث فى آخر الأبيات ان يكشف عن خبىء نفسه فيصرح بانه يعلل نفسه بالسرحة ولكن اعين الرقباء راصدة له . ولعل حديث حميد فى قصيدة اخرى عن الحمامة كان رمزا آخر اتخذه ليبث ذات نفسه ، ويكشف عن وجده فهو يقول :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما
مطوقة طوقا وليست بحلية
ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تبكى على فرخ لها ثم تغتدى
مولهة تبغى له الدهر مطعما
تؤمل منه مؤنسا لانفرادها
وتبكى عليه ان زقا أو ترنما

وفى هذه القصيدة لا يتخذ حميد اسلوب الرمز فحسب ، ولكنه يخلط مشاعر نفسه باحساس الحمامة فى براعة بحيث نحس مشاركة وجدانية بينهما .

وهكذا كان لتوجيه عمر رضى الله عنه أثره العميق فى تطور أسلوب الشعر العربي بحيث تخلى ـ الى حد ما ـ عن أسلوب الوصف المباشر الذى عرف به ، واتجه الى الرمز ، كما جعل الشعراء يستبطنون انفسهم ليعبروا عن كوامنها بمشاركة مظاهر الطبيعة من حولهم .

اما سحيم عبد بنى الحسحاس الذى كان فاحشا فى تغزله وتشبيبه فقد انذره عمر بالقتل ، وقتلته بالفعل قبيلة مَنْ شبَّب باحدى بناتها تشبيبا فاحشا نهى عنه الاسلام .

ومثلما منع عمر التشبيب منع الهجاء ، بل نهى أن ينشد الناس شيئا من مناقضة الانصار ومشركى قريش وقال : فى ذلك شتم الحى والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام . فكان عمر يرى ـ وهذا حق ـ ان الهجاء الذى كان بين المسلمين والمشركين قد انقضت اسبابه ، وان التصريح به من جانب الرسول كان لفترة محدودة لرد عادية الكفار عن الاسلام . وموقف عمر من الشعراء الهجائين فى عصره هو موقف الحريص على اعراض المسلمين وعلى تنفيذ احكام الاسلام ومبادئه ، فحين رفع اليه هجاء النجاشي لبنى العجلان أسلم النظر فى الأمر لحسان بن ثابت ـ فرارا من التعرض لأحد الفريقين بعد ان حاول أن يدرأ الحدود بالشبهات، لأنه ـ كما يقول ابن رشيق ـ كان ابصر الناس بما قال النجاشي . فلما حكم حسان على النجاشي سجنه وقيل انه حده . وفعل عمر مثل ذلك مع الحطيئة حين هجا الزبرقان بن بدر ، فلما استعطفه بابيات مؤثرة أطلقه من سجنه وقال له : اياك والهجاء المقذع ، قال : ما المقذع يا امير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء واشرف ، وتبنى شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم ، فقال الحطيئة : انت والله يا امير المؤمنين أعلم منى بمذاهب الشعر .

وكان عمر رضى الله عنه لا يقبل رفث القول حتى ولو كان على سبيل المجاز ، أو بناء على قوله تعالى (وانهم فى كل واد يهيمون) . فقد رُفع اليه أن النعمان بن عدى الذى ولاه على ميسان قال :

الا ابلغ الحسناء أن حليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحَنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية
وصنّاجة تحذو على كل منسم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادُمنا بالجوسق المتهدِّم
اذا كنت ندمانى فبالاكبر أسقنى
ولا تسقنى بالاصغر المتثلم

فقال عمر : والله انه ليسوؤني تنادمهم ، فمن لقيه فليعلمه انى قد عزلته ، وكتب فى عزله . فلما قدم عليه قال : والله يا امير المؤمنين ما صنعت شيئا مما ذكرت ، ولكنى امرؤ شاعر اصبت فضلا من قول فقلته ، فقال عمر : والله لا تعمل لى أبدا .

وقيل انه رضى الله عنه نفى أبا مِحْجَن الثقفى خارج الجزيرة العربية لشربه الخمر ومجاهرته بذلك فى شعره .

ولكنه من ناحية أخرى كان شديد التأثر بالشعر الصادق الاحساس ، يهتز له وينفعل به ، ولعل أصدق مثال على ذلك أن امية بن الاسكر لما ذهب ابنه كلابٌ مع الجيوش الاسلامية فى حرب

فارس ، اشتاق اليه وعبر عن ذلك الشوق في شعر كثير ، فمما قاله فيه :

لمن شيخان قد نَشَدا كلابا
كتاب الله ان حفظ الكتابا
اناديه فيعرض في اباء
فلا وابي كلاب ما اصابا
وانك والتماس الاجر بعدي
كباغي الماء يتبع السرابا
تركت اباك مرعشة يداه
وامك لا تسيغ لها شرابا
اذا تعب الحمام ببطن وج
على بيضاته ذكرا كلابا

فلما بلغ شعره عمر ، كتب الى سعد يأمره بعودة كلاب ، فلما قدم ارسل عمر الى امية فقال له : اى شيء احب اليك ؟ قال : النظر الى ابني كلاب ، فدعاه له ، فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدا ، فبكى عمر وقال : يا كلاب الزم اباك وامك ما بقيا .

وتكررت هذه القصة لكثرة الشباب الذين خرجوا من جزيرتهم ينشدون رضوان الله في المغازي ، اذ صور المخبل السعدي جزعه على رحيل ابنه شيبان ، وكذلك فعل البريق بن عياض الهذلي ، وابو خراش ، وفي كل مرة يرق قلب عمر ويتأثر بهذه الأشعار ويرد غيبة اولئك الراحلين ، حتى اخذ ينهى من لهم اباء شيوخ يعولونهم عن الهجرة بيراً بهم .

ويذكر لعمر رضي الله عنه موقف مع حسان ابن ثابت قد يفهم منه لاول وهلة انه يعارض انشاد الشعر ، فقد مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد الرسول صلوات الله عليه ، فقال له : ارغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله انك لتعلم لقد كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغيّر على ذلك ، فقال عمر : صدقت . واذا صح هذا الخبر فهو يعني ان عمر رضي الله عنه ربما كان يجل المسجد عن ان ينشد فيه شعر ، فلما ذكره حسان بما كان في عهد الرسول اقر في تسليم ، ولعله خشي ان يكون انشاد حسان للمناقضات بين المسلمين والمشركين ورأى عمر فيها انها انتهت بزمانها ، اشعالا للفتن من جديد . وايا كان الوجه الذي اعترض به عمر على حسان فهو لا ينبيء عن امتهان الشعر او الغض منه ، وكل ما قدمناه من المواقف العمرية يبين بجلاء احتفاله بالشعر في الحدود الاسلامية المثالية ، حتى ليروى عنه كثير من الاقوال التي تحض على رواية الشعر ، فقد قيل انه كتب الى ابي موسى الأشعري يقول : مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معاني الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الانساب . وذكر انه قال لابنه : يا بني انسب نفسك تصل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن ادبك ، فانه من لم يعرف نسبه لم يصل رَحِمَه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف ادبا .

الشعر في عهد عثمان

وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه في عهد خلافته موقف مشابه لما فعل عمر مع الحطيئة والنجاشي ، فقد كان ضابيء بن الحارث البرجمي شاعرا هجاء خبيثا ، استعار كلبا من بعض بني جرول بن نهشل فطال مكثه عنده ، فطلبوه فامتنع عليهم ، فعرضوا له فأخذوه ، فغضب ورمى امهم بالكلب واسمه قرحان ، فاستعدوا عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فحبسه وقال « والله لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لاحسبنه نزل فيك قرآن ، وما رأيت احدا رمى قوما بكلب قبلك » . ولم يزل في حبس عثمان رضي الله عنه حتى مات . وقد بلغ من خبث هذا الشاعر وانحرافه عن جادة الدين والخلق انه حاول اغتيال عثمان حين عرض اهلَ السجن يوما وقال في ذلك ابياتا عنيفة :

فلا يُعطين بعدى امرؤ خَيْم خطة
حذار لقاء الموت والموت قاتله
فلا تتبعني ان هلكتُ ملامة
فليس بعار قتل من لا تقاتله
هممتُ ، ولم افعل،وكدت،وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله

وقد نسب الى عثمان رضي الله عنه شعر ــ كما نسب الى الخلفاء الراشدين جميعا ولكنه ليس بكثير ، فقد ذكر له صاحب الجمهرة قصيدة في رثاء الرسول ، وبيتين هما قوله :

غِنَى النفس يُغنِي النفس حتى يكفّها
، وان عضَّها ، حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها ان لقيتَها
لكائنة الا سيتبعها يسر

ولكني لا اعتقد ان هذا الشعر صحيح النسبة

انى عثمان ، اذ كان رضى الله عنه غير معروف بمعالجة أساليب البيان .

الامام علي والشعر

بعكس الخليفة الرابع علي بن ابى طالب الذى كان بارعا فى خطابته واقواله ، والذى ينسب اليه قدر كبير من الشعر ، حمل فيه الكثير عليه، ولكن لا بد أن بعض هذا الشعر صحيح بالنسبة اليه . ومثلما نسبت الى الخلفاء الراشدين جميعا قصائد فى رثاء الرسول صلوات الله عليه ـ كذلك نسبت الى علي قصيدة جيدة السبك صادقة العاطفة مطلعها :

الا طرق الناعى بليل فراعنى
وارقنى لما استقر مناديا

ومن الأشعار الحماسية التي تنسب اليه رضى الله عنه قوله يوم صفين :

ولما رايت الخيل ترجم بالقنا
نواصيها حمرُ النحور دوامى
واعرض نقعٌ فى السماء كأنه
عجاجة دَجْن ملبّس بقتام
ونادى ابن هند فى الكلاع وحمير
وكندة فى لخم وحيُّ جذام
تيممتُ همذان الذين هم هم
اذا ناب دهر جُنتى وسهامى

بعد مقتل عثمان

والحقيقة أن تطور الأحداث السياسية منذ مقتل عثمان رضى الله عنه ، جعل للشعر مسربا آخر غير الفتوحات الاسلامية وما كان يعرض للشعراء من شئون حياتهم ، اذ اصطرع المسلمون فيما بينهم اصطراعا عنيفا ، وشبت العصبيات القبلية القديمة التي سكن الاسلام من ثائرتها فى عهد الرسول وخلفائه الأولين ، وبدأت هذه العصبيات تتطور لتأخذ شكل الاحزاب السياسية فاصبح فريق من المسلمين مع خليفتهم علي رضى الله عنه ، وفريق آخر مع معاوية يرفعون شعار الثأر لعثمان ، ويحاولون الاستئثار بالسلطان ، ووجد الشعر متنفسا جديدا فى هذا الاصطراع السياسي العنيف ، فلم يعد مجرد هجاء ومديح ، ولكنه أصبح دعاية سياسية سافرة للاحزاب الثلاثة التي تكونت فى خلال هذه المحنة التي مرت بالجماعة الاسلامية : الحزب العلوى ، والحزب الاموى ، وحزب الخوارج ، ونسى الشعراء فى خلال تلك المعارك الكلامية كل الحدود التي رسمها الاسلام من قبل للشعر ، فنرى النجاشي مثلا يهجو أهل الكوفة أنصار علي رضى الله عنه هجاء قبيحا فاحشا . ولم ينتقض الهجاء وحده في نفوس الشعراء بصورة أشنع مما كانت عليه فى الجاهلية ولكن أصبح المديح أيضا حافلا بالمبالغات القديمة والتزيد والكذب ، وهذه أمور نهى عنها الاسلام ، والتزمت الى أبعد حد فى عصر الرسول وخلفائه الراشدين . ذلك أن عنصر الصدق أساس اخلاقي ، والاسلام فى موقفه من الشعر كان يستهدف الغاية الاخلاقية التي لا تتفق مع العبارة التي كانت شائعة بين العرب (أعذب الشعر أكذبه) ولهذا كان حسان بن ثابت يمثل وجهة النظر الاسلامية حين قال :

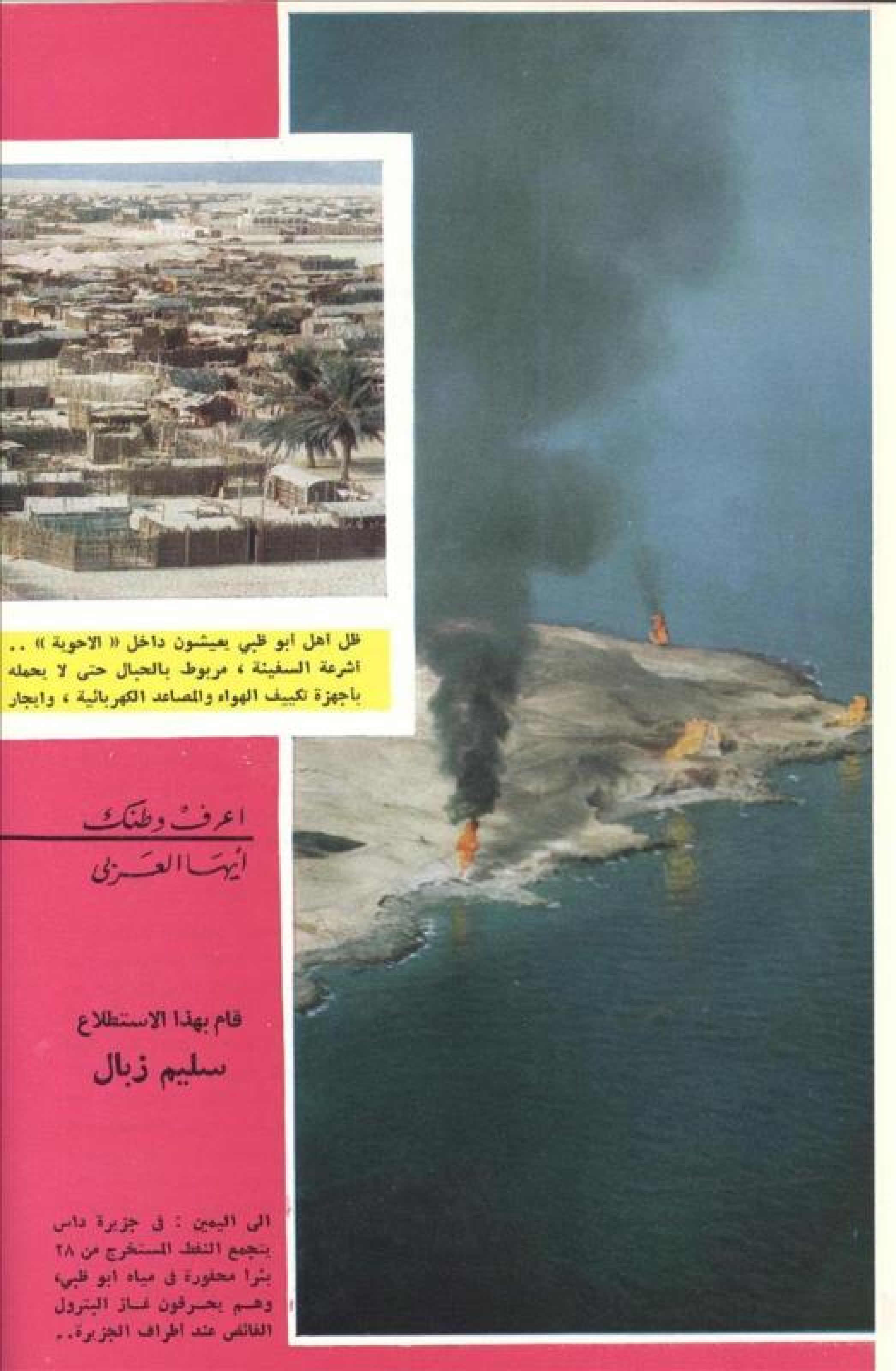
وانما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس ان كيْسا وان حمقا
وان اشعر بيت أنت قائله
بيتٌ يقال اذا انشدته صدقا

وقد كان حسان يدرك جيدا هذا الفارق الذى يميز بين الشعر الجاهلي والشعر فى الاسلام ولهذا رد على من قال له : لان شعرك أو هرم شعرك فى الاسلام ، فقال : يا ابن أخي ان الاسلام يحجز عن الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب .

ولهذا أيضا نرى الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز الذى كان يسير على هدى الخلفاء الراشدين حين اذن للشاعر كثيّر عزة بانشاده احدى قصائده طلب اليه الا يقول الا حقا .

ومما تقدم يتبين لنا أن الشعر فى رحاب الخلفاء الراشدين لم تذو ازهاره ولم يجف عوده ، اذ كانوا رضوان الله عليهم يقبلون عليه اقبال العرب الذين يستثير الشعر كوامنهم ، ولكن فى الحدود التي رسمها الاسلام للشعر والشعراء ، الا ان النفس البشرية بنوازعها المختلفة أبت أن تلتزم بهذه الحدود ، فانطلقت تعبر عما يجيش بها ، عن طريق الرمز مرة وعن طريق المكاشفة مرات ، وأتت احداث التاريخ لتفتح للشعراء أبوابا كان الرسول وخلفاؤه الراشدون قد أوصدوها ايثارا للسلام وحفظا لكرامة الانسان . ■■

مصطفى محمد هداره



ظل اهل ابو ظبي يعيشون داخل « الاحوية » .. اشرعة السفينة ، مربوط بالحبال حتى لا يحمله باجهزة تكييف الهواء والمصاعد الكهربائية ، وايجار

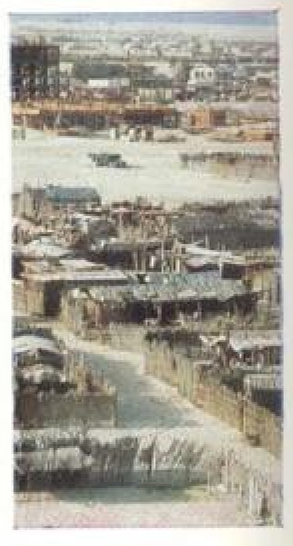
اعرفْ وطنكَ
أيها العربي

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

الى اليمين : في جزيرة داس يتجمع النفط المستخرج من ٢٨ بئرا محفورة في مياه ابو ظبي، وهم يحرقون غاز البترول الفائض عند اطراف الجزيرة ..





وهى جماعة البيوت التى صنعوها من سعف النخيل يحيط بها سور .. سقفها من قماش مما تصنع منه الهواء ، وماء الشرب محفوظ فى براميل .. اما اليوم فقدبدات العمارات الضخمة ترتفع فى كل مكان وقد زودت الشقة الواحدة فيها .١٧٥ دينارا بحرينيا سنويا (الدينار البحريني نحو دولارين) .

ابوظبى

وصوره

أو سكار مترى



الى اليسار : فرقة الموسيقى تصدح بانغامها وكانها تعلن بداية الانطلاقة من أجل حياة ارغد فى ابو ظبي .

■ أبو ظبي امارة من امارات الخليج العربي وجزء من عمان ، بدأ اسمها يتردد على كل لسان بعد أن تفجر النفط تحت رمالها وتحت مياهها ، ثروة اسطورية هبطت على اهل ابو ظبي الذين يرتبط تاريخهم بتاريخ عمان القديم .. فالعمانيون كانوا يعملون في التجارة بين الهند والخليج العربي وشرق افريقيا ، والجزيرة العربية .

اناس كانوا يوما ما تجارا كبارا عندما كان اللؤلؤ اغلى من الماس . وتدهور اللؤلؤ وساد العالم الكساد فاصاب اهل ابو ظبي فهاجر منهم من هاجر ، وبقي من بقي ، يعيش في قرى هي محطات لقوافل الحمال وصيادي الاسماك .. حتى كان عام ١٩٦٢ عندما شعر هؤلاء السكان بالدفء يسري في اوصالهم اثر تسلمهم مبلغ مليونين وربع مليون جنيه استرليني .. أول ثروة ضخمة تعود عليهم من أرضهم ومياههم ..

وبعدها ظلت الارقام تتراقص امامهم ينظرون اليها مبهورين ، وهي تتزايد وتتضاعف عاما بعد عام .. فمن ٤١/٢ مليون الى ١٠١/٢ الى ٣٥ مليون حتى وصلت الى ٨٠ مليون جنيه استرليني .. وكانت هذه هي مجموع عائدات نفط ابو ظبي في عامنا هذا .. عام ١٩٦٨ .

وتؤكد التقديرات أن ايراد العام القادم سوف يتضاعف مرة اخرى !!

رقم مذهل لامارة لم يكن يزيد عدد سكانها عن ١٥ الف نسمة عندما زرناها عام ١٩٦١ أما اليوم فقد قفز العدد الى ٤٧ الف نسمة .

لقد فتحت ابو ظبي أبوابها على مصراعيها ، لتزيد عدد سكانها ، فاقبل الناس من كل حدب وصوب ، وخاصة من الامارات المجاورة .. وهنا ظهرت مشاكل لم تكن تخطر ببال ، واضطرت حكومة ابو ظبي الى اغلاق الباب بنفس القوة الذي فتحته به ، وأصبح الدخول الى « أبو ظبي » من اشق الامور واصعبها ، واثناء وجودنا هناك عثر على عصابتين كانتا تقومان باستخراج تأشيرات الدخول لكل راغب ، وما أكثر الراغبين ، مقابل ٦٠ دينارا بحرينيا لكل تأشيرة !

حمى المجاملة !

وقبل الاسترسال في الحديث ، لابد من توضيح نقطة هامة ، وهي أن الكتابة عن ابو ظبي اصبحت من أشق الامور ، نتيجة لحمى « المجاملة » التي اجتاحت الصحافة العربية : كل منها يغدق على أبو ظبي الالقاب والاوصاف : قطعة من سويسرا .. جنة الخليج .. أرض الذهب ..

ويحتج المسئولون في ابو ظبي ويقولون : نحن ما زلنا في بداية الطريق ، أن ما حدث لنا وما طرا على بلدنا ليس سوى اشارة الانطلاق ، وبداية خطوات جبارة مقبلة ، هدفها الارتفاع بالبلاد الى مستوى القرن العشرين ..

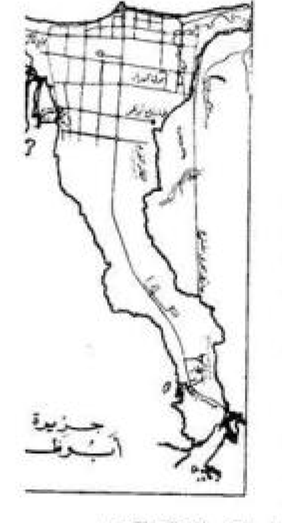
ومع قصة هذه الانطلاقة في هذا البلد الوليد ، يروون قصة اخرى طريفة عن الاسم الغريب الذي يحمله هذا البلد .

يقولون ان بدويا ظل يعدو خلف ظبي صغير ، حتى أمسك به بعد أن اطلق عليه النار .. وعندما اكل الفريسة شعر بعطش شديد ، لم يستطع تحمله ، فسقط ميتا بجوار الظبي ! واطلق على المكان الذي سقط فيه اسم : ابو ظبي .



مدخل منزل قديم في ابو ظبي ، وقد ازدانت واجهته بزخرفة مصنوعة من الطين والرمل ..

خريطة تبين موقع امارة ابو ظبي بين مختلف امارات الخليج العربي ..
والى اليسار رسم توضيحي للجزيرة التى تقع عليها عاصمة الامارة ..

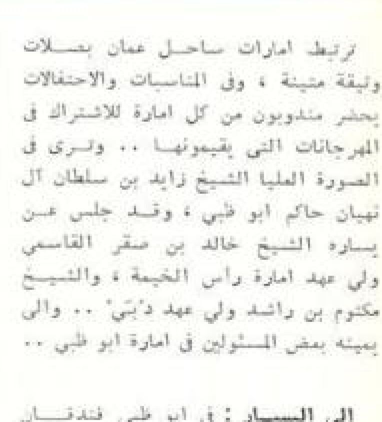


والیوم ترتفع من هذا المكان اصوات عالية صاخبة، ولكنها تختلف عن حشرجة ابي الظبي المسكين ، انها اصوات الآف القادمين الجدد ذوى الامال الكبار. انهم لا يجدون مسكنا ينامون فيه ، ولا اماكن في الفندقين الوحيدين اللذين يتقاضيان اسعارا خيالية من النزلاء ، تصل الى ٢/١٣١ دينار بحريني في اليوم الواحد .. ان القادمين الجدد يصرخون من ازمة السكن الخانقة في ابو ظبي ..

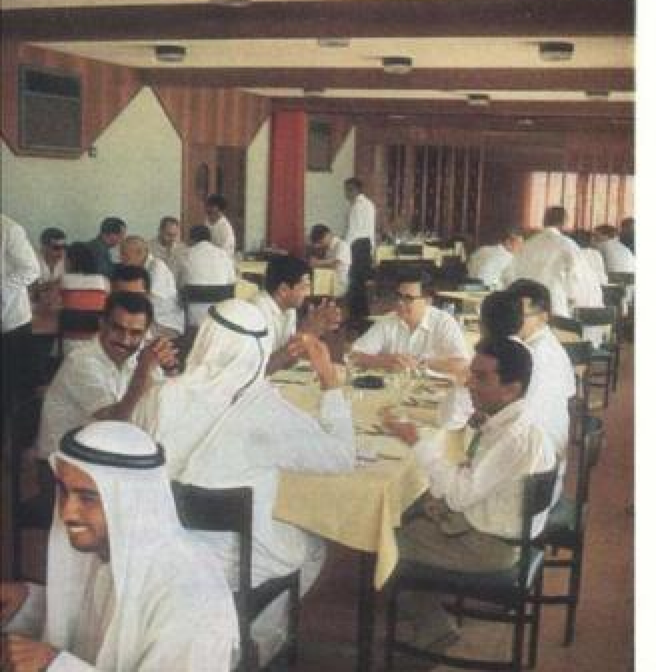
وقد أراد الشيخ زايد أن تكون المباني الشعبية، هى أولى المباني التى ترتفع في أبوظبي ، وفعلا انتهى العمل بالفعل في انشاء المئات منها ، وفي نفس الوقت كانت الدوائر الحكومية تتعاقد مع مئات الموظفين الجدد لدفع عجلة العمل والمشاريع الجديدة .. ووصل الموظفون ولكنهم لم يجدوا لهم مكانا ينامون فيه فاضطروا الى ايوائهم فى المساكن الشعبية ، مؤقتا حتى ترتفع المباني الحديثة ..

ورشة بناء هائلة

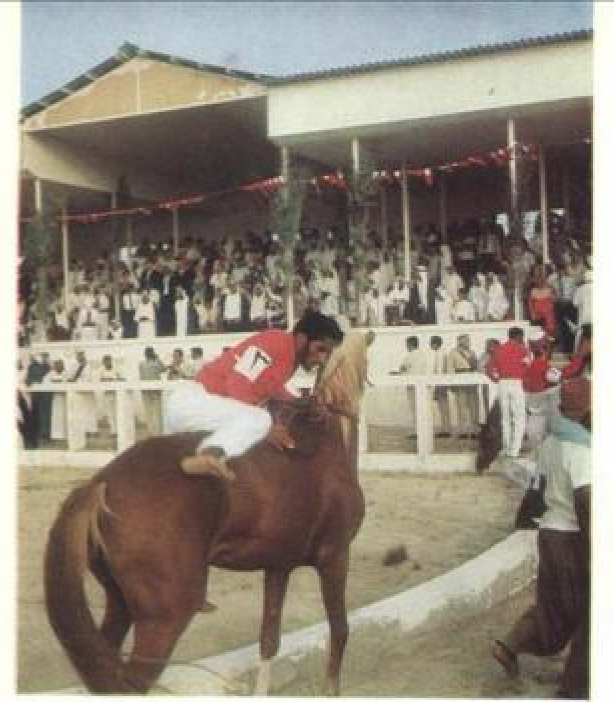
ان ابو ظبي اليوم ورشة بناء هائلة جعلت منها جنة للمهندسين والبنائين الذين يقع عليهم العبء الاكبر في تحويل هذه الصحراء الى مبان حديثة وعمارات ضخمة وشوارع وميادين .. لقد كانوا يخططون للمدينة منذ اربع سنوات ولكن شيئا لم ينفذ طوال هذه المدة ، فقد كان المفروض ان يقوم الدكتور سابا شبر خبير تخطيط المدن العربية بتخطيط أبو ظبى الحديثة ، ولكن المنية وافته على حين بغتة فذهب ماسوفا عليه ، ووكلت المهمة الى تاكاهاشي ، المهندس الياباني فقام بها وسلم



ترتبط امارات ساحل عمان بصلات وثيقة متينة ، وفي المناسبات والاحتفالات يحضر مندوبون من كل امارة للاشتراك في المهرجانات التي يقيمونها .. ونرى في الصورة العليا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم ابو ظبي ، وقد جلس عن يساره الشيخ خالد بن صقر القاسمي ولي عهد امارة رأس الخيمة ، والشيخ مكتوم بن راشد ولي عهد دُبَيّ .. والى يمينه بعض المسئولين في امارة ابو ظبي ..



الى اليسار : في ابو ظبي فندقان يضمان ٦٦ غرفة مشغولة دائما ! لان المقاولين والتجار يستأجرون هذه الغرف بالشهور ، بالرغم من ايجارها المرتفع الذي يبلغ اكثر من ١٣ دينارا بحرينيا في اليوم مع الوجبات الثلاث وهي اجبارية ، ولا مناص لهم من هذا لعدم وجود مساكن كافية في المدينة .. ومما يذكر ان احد الفندقين حاول تشنيف آذان زبائنه بالموسيقى فثاروا واحتجوا لانها تشوش





في ميدان سباق الخيل بأبوظبي يمتطي الخيالة الجياد العربية الاصيلة دون سروج .. والمراهنات ممنوعة ، ولكن الشيخ زايد يقدم هدية للخيال الفائز .

الى اسفل : تفتح ابو ظبي أبوابها واسعة لاهل عُمان ومسقط للعمل فيها ، فيجيئون اليها وينقلون معهم عاداتهم وتقاليدهم ، وهؤلاء مجموعة من شباب بلدة صُور بمسقط ينشدون ويرقصون رقصتهم الشعبية في ابو ظبي

رسوم التخطيط الجديدة الى مجلس التخطيط الذى ولد في مستهل هذا العام .. وهكذا بدأ بناء أبو ظبي الحديثة .

قصـــة الارض

واذا عدنا الى البدوى الذى حاول اللحــاق بالظبى لوجدناه قد تعثر وهو يعبر الرمال والصخور والمياه التى تقطع الطريق الى الجزيرة المثلثــة التى هرب اليها الظبي .. وعلى هذه الجزيرة تقوم العاصمة اليوم ، أما امارة أبو ظبي نفسها فتمتد على ساحل عمان مسافة ٢٥٠ ميلا تبدأ من حدودها مع دبي حتى حدودها مع قطر ، والى الداخـل تمتد حتى قرى ليوا ومدينة العين .

وعند قاعدة الجزيرة المثلثة قامت مدينة أبوظبى القديمة ، وكانت تضم ٦٠٠ مسكن شيدت من سعف النخيل والطين والصفائح الفارغة ..

وفي القاعـة الكبـرى مـن القصـر الابيـض المرتفـع وسـط هذه الاكواخ ، وقـف الشيـخ زايد عام ١٩٦٦ يعلن للعالم مولد عهد جديد للمنطقة بقوله : « اذا كان الله جل وعلا ، قد منّ علينا بالثروة ، فان أول ما التزمنا به لارضاء الله وشكره ، هو ان نوجه هذه الثروة لاصلاح البلاد ، ولسوق الخير الى شعبها ، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر له وسائل التعليم والصحة والمسكن والمأكل .

« اننا نؤمن بان لهذا الوطن وابنائه حق علينا بان يتخلص من مرارة الفقر وقسوة التخلف ليسير في طرق الحياة الكريمة » .

وبدأ الشيخ يحقق ما وعد به فأنشأ عشر دوائر حكومية ، أعقبها باعلان أول خطة خماسية رصد لها ٣٠٠ مليون دينار بحريني .. وفي نفس الوقت كانت الحكومة تبنى أبو ظبى الجديدة وبأقصى سرعة ، تشق الشوارع ، وتربط الجزيرة بالساحل ، وتبنى المدارس وتدعم قوة الدفاع ، وتوصل الماء بالانابيب ، وتقيم محطات توليد الكهرباء ، وتنشىء المطار والميناء والمساكن الشعبية والمساجد ..

كيف تبنى منزلا في أبو ظبى ؟!

وانفقت الحكومة أموالها كلها على المشاريع



الشارع الرئيسي في مدينة أبو ظبى ، وعلى جانبيه تقع المكاتب والمتاجر ، وخاصة مكاتب شركات البناء



صورة من الجو لمدينة أبو ظبي اليوم ، لقد وصل عدد سكانها الى ٢٢ ألف نسمة ، في حين يبلغ عدد سكان الامارة كلها ٤٧ الف نسمة ، طبقا لآخر احصاء أجرى هناك .

السريعة الضرورية .. والاراضي في ابو ظبي كانت دائما ملكا للحاكم والحكومة ، ولكنها في هذا العهد قررت توزيعها على أهل امارة أبو ظبي بعقود ايجار طويلة الاجل ، يدفع المواطن خلالها ايجارا رخيصا يبلغ ١٢٠ دينارا بحرينيا في السنة للحكومة ..

ونظير هذا يسمح له باعادة تاجير أرضه لمن يريد ، سواء كان عربيا ام اجنبيا ، مقابل ايجار سنوى قيمته الف دينار ومدته من خمس الى عشر سنوات . .

وقد سمعنا بقصة واحد من هؤلاء المستاجرين .. استاجر ارضا مساحتها ١٥٠٠ متر بالف دينار سنويا ، ويعمل حاليا لاقامة عمارة ضخمة عليها سوف تضم ١٤٠ شقة سكنية و ٢٦ متجرا .. وتقدر تكاليف البناء بنحو نصف مليون دينار .

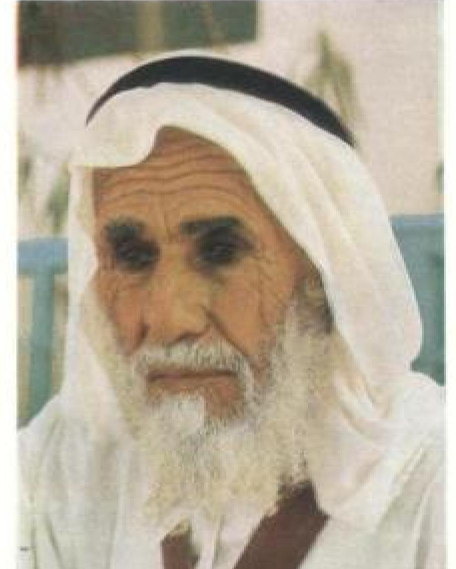
ان هدفه من هذا البناء الضخم هو استرجاع راسماله في اقرب وقت ثم جنى الارباح التى تصل الى ضعفى راسماله قبل انتهاء العشر سنوات لان ايراد المنازل في ابو ظبى يصل الى ٣٠٪ سنويا ، وهذا ناتج عن الايجارات المرتفعة التى تصل في المتوسط الى ١٢٠٠ دينار بحرينى سنويا للشقة المكيفة المكونة من غرفة نوم وقاعة طعام وصالون ومطبخ ..

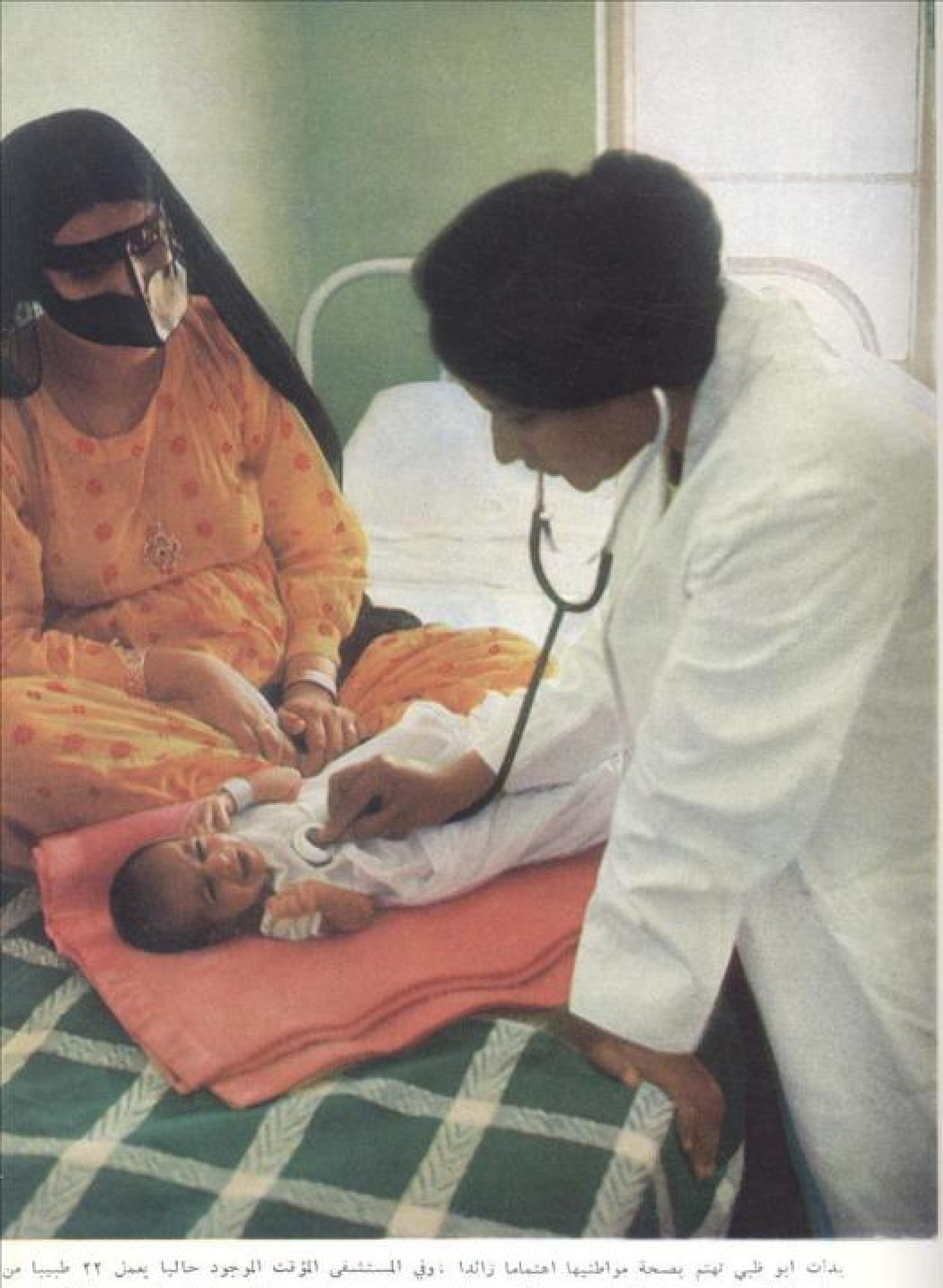
وبعد انتهاء فترة العشر سنوات تصبح هذه العمارة الضخمة ملكا خالصا لابن ابو ظبي .. وينص العقد على قيام المستاجر الاجنبي بجميع اعمال الصيانة اللازمة للمنزل قبل تسليمه نهائيا للمؤجر بمدة ستة شهور !

وتقوم حاليا الشركات الاجنبية والافراد ببناء ٧٠ عمارة ضخمة في ابو ظبي .. وهناك ضاحية مستقلة تاخذ طابع « مدينة داخل المدينة » وتحمل اسم مدينة خالد ، أوشك العمل فيها على الانتهاء وتضم ٨٠٠ منزل وفيلا ..

واكثر المتاعب في البناء هي انخفاض مستوى الارض عن البحر في بعض المناطق ، حتى انهم شيدوا مبانى المستشفى المؤقت على ارتفاع نصف

يشكل مجتمع ابو ظبي الحاضر مجموعة متناقضة من العناصر التي جاءت من اركان العالم الاربعة ، واغلب هؤلاء القادمين جاءوا بدون عائلاتهم في انتظار الانتهاء من بناء المساكن الحديثة لتأجير شقق لاسرهم .. والعمال العاديون في ابو ظبي جاءوا من بلوشستان (بلوخستان) والباكستان وايران والهند ، وهؤلاء يتقاضون دينارا بحرينيا في اليوم ، اما العمال الفنيون فمن الاردن ولبنان وعدد بسيط من سوريا ومصر ، ويتقاضى العامل الفني اربعة دنانير في اليوم .. اما المهندس فيتقاضى نحو ٥٠٠ دينار من الحكومة شهريا مع السكن .. ومن الغريب ان الاجانب اقاموا اندية خاصة بهم يقضون فيها فراغهم ، في حين ان الجاليات العربية فشلت حتى الآن في انشاء مثل هذه النوادي رغم استعداد الحكومة لمساعدتهم .. وفي الصورة العليا مجموعة من اهالي ابو ظبي في وسطهم بعض السيدات الاجنبيات ، وفي الصورة اليمنى احد المعمرين في ابو ظبي





بدأت ابو ظبي تهتم بصحة مواطنيها اهتماما زائدا : وفي المستشفى المؤقت الموجود حاليا يعمل ٢٢ طبيبا من سوريا والباكستان ونيوزيلندا وقبرص والاردن ولبنان ومصر .. تساعدهم ٣٠ ممرضة جئن من الباكستان ، ولكن نظرا لجهل هؤلاء الممرضات بالعربية فقد تقرر ان يستبدل بهن ممرضات من مختلف البلاد العربية .. ومما يذكر ان هناك ٣ آلاف طلب من اطباء وممرضات وممرضين عرب للعمل في ابو ظبي .. واكثر الامراض انتشارا في ابوظبي هي مرض التراخوما والسل وفقر الدم والامراض المعوية .. وترى هنا طبيبة الولادة الباكستانية تفحص صدر مولود جديد من أبناء ابو ظبي . وقد جلست امه بجواره ..

متر لتجنب اخطار هذه المياه .. وقد أصر احدهم على بناء قصر له عند طرف الجزيرة المنخفض ، رغم نصائح المهندسين ، وكانت النتيجة تشققات وتصدعات في المبنى من جراء المياه ..

مدينـة زايد

ومن المشاريع الهامة فى أبو ظبى انشاء مدينة جديدة اتفقوا على تسميتها « مدينة زايد » ولم يكونوا قد اتفقوا على مكانها ! فمنهم من قال نقيمها وسط الطريق بين مدينة ابو ظبى وبلدة العين ، ومنهم من قال نقيمها بجوار حدود قطر ، واخيرا تقرر اقامتها بجوار مدينة العين .. وقد صحب الشيخ زايد المهندس عثمان احمد عثمان ودار به بالسيارة حول موقع المدينة بالتقريب وقال له : «فى هذا المكان سنقيم انشاء الله مدينتنا الجديدة»

ومن المنتظر أن تضم المدينة الجديدة ٨٠٠ منزل تتسع لسكنى ٤ الاف نسمة !

الخضر والفواكه بالطائرة

وعملية البناء فى أبو ظبى باهظة التكاليف ، وهذا أمر طبيعي فى بلد ناشئ يصل ثمن كيس الاسمنت فيه الى ٦٧٥ فلسا فى حين أن سعره فى الكويت مثلا ٤٢٠ فلسا .

أما المأكولات فأسعارها مرتفعة ، لان النوع الجيد منها يأتي بالطائرة من بيروت ، التى فتحت خطا جويا مباشرا مع أبو ظبى ، وفى كل اسبوع تحط فى مطار ابو ظبى الحديث طائرة خاصة تحمل ثمانية اطنان من الخضر والفواكه ، يكلف نقلها فقط ١١٨٠٠ ليرة .. اى أن نقل الكيلو الواحد من الخضرة يكلف نحو ١٦٢ قرشا لبنانيا ..

والاقبال على اللحم المثلج يفوق الاقبال على اللحم الطازج ، وتقوم البواخر بافراغ حمولتها من اللحم المثلج تحت جنح الظلام فى منتصف الليل ، حتى لا يصاب اللحم بضرر من جراء حرارة شمس النهار .. اضف الى هذا التلف الذى يصيب المأكولات عند نقلها من السفن الكبيرة الراسية على مسافة ٣ كيلومترات بالقوارب الصغيرة التى يسمونها « الدنوب » ..

ومن المنتظر أن يساهم الميناء الجديد الذى تأخر تنفيذه بسبب تغير موقعه اخيرا الى مكان نادى السباحة، من المنتظر ان يساهم هذا الميناء الكبير، فى حل مشكلة الغلاء نسبيا .

ومن الغريب أن البنوك ، وعددها سبعة فى ابو ظبى ، تعمل من جانبها على زيادة الغلاء !! بفرضها فوائد فاحشة على القروض التى تقدمها للمقترضين، اذ يتراوح سعر الفائدة الذى تتقاضاه بين ٩٪ و١٢٪

ومن أسباب الغلاء الاخرى عدم وجود طرق معبدة تربط ابو ظبى بالعالم .. بالرغم من وجود اتفاق لمد طريق الى حدود دبى ، وآخر الى حدود قطر ، الا ان الطريقين ما زالا فى دور التخطيط ..

نصيب شركات النفط في تطوير البلاد

ان شركات النفط العاملة هناك ، تحيط أعمالها بهالة من الغموض والسرية ، وكأنها تخاف من صحفى يهاجمها ويقول لها : لماذا لم تنشئوا الى الان معملا للتكرير يكفى حاجة البلاد بدلا من تصدير النفط خاما واعادة استيراده مكررا بأسعار فاحشة؟ ولماذا لم تنشئوا معملا للاسفلت ليتم تعبيد الطرق الصحراوية الطويلة الكثيرة التى تحتاجها البلاد بسعر زهيد بدلا من استيراد الاسفلت بسعر خيالى ؟ ولماذا لم تقوموا باى عمل محسوس ، لرفع شان هذه المنطقة .. لماذا لم تشيدوا مدينة نظيفة مكيفة الهواء للموظفين والعمال الذين يعملون فى ظروف جوية قاسية كما فعلت غيركم من شركات النفط العاملة فى الخليج العربى ؟!

ان شركات النفط تعتقد انها هى السبب فى بعث الحياة والنهضة فى هذه المنطقة ، وان هذا فى حد ذاته عمل رائع .. ولكنها تناست أن أرباحها الخيالية تفرض عليها أن تساهم اجتماعيا وعمرانيا وصحيا فى نهضة البلاد التى هى فى اشد الحاجة الى كل دينار من أجل البناء والتعمير ..

وكانت وخزة قاسية من الشيخ زايد عندما قدمت احدى شركات النفط مستوصفا للنساء والامهات ، اذ قال لمدير الشركة : « الهدية حجمها صغير ، لكن أثرها سيكون كبيرا ان شاء الله » .

بطء .. وانطلاق

كان الشيخ شخبوط يتقاضى ما يوازى ٢٠ ٪ من انتاج النفط الخام حسب السعر العالمى ، أما اليوم فقد تبدلت الاتفاقيات الى ٥٠٪ من الارباح الصافية . وكان الشيخ شخبوط يريد السير فى طريق تطوير ابو ظبى ببطء حتى لا يكون رد الفعل كبيرا .. وقد حكم شخبوط



المجلس اليومي للشيخ زايد ، ما زال يتعقد في الهواء الطلق تحت سعف النخيل ، حيث يستمع الحـاكم لشـكوى أفراد الشعب ، ويجتمع برؤسـاء الدوائر والشركات ..

من عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٦٦ عندما خلعته الاسرة الحاكمة لرفضه اجراء اصلاحات جذرية في البلاد تتناسب وعصر البترول .. ويعتبر شخبوط أول حاكم يخلع من كرسى الحكم في أبو ظبي دون أن يقتل .. ويقال ان والدة شخبوط وزايد وخالد أخذت عهدا على أولادها الا يقتلوا ابنها المفضل شخبوط عند تسلمه الحكم أسوة باجداده ، وهكذا نجا من الموت .

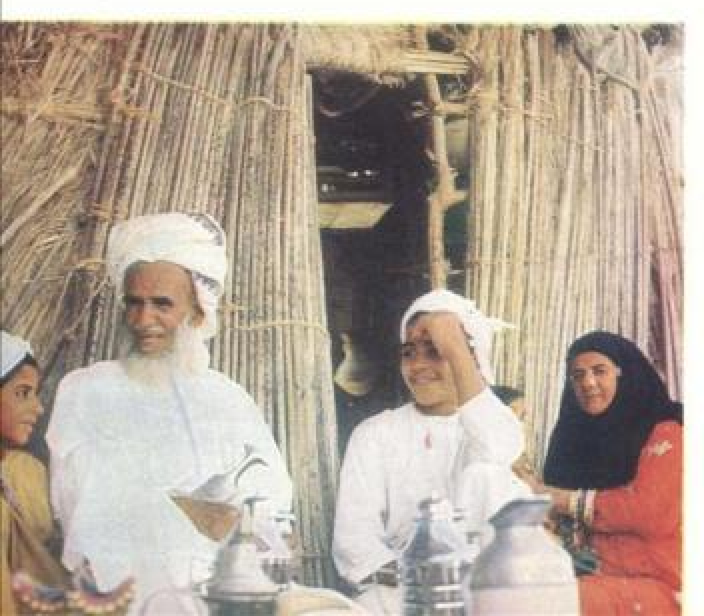
أما الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان فقد تولى الحكم عام ١٩٦٦ بعدمـا كان ممثلا لاخيه في منطقة العين ، وبمجرد تسلمه الحكم عمد الى اطلاق أقوال أصبحت مأثورة عنه مثل قوله : « لا قيمة للمال اذا لم يسخر لخدمة الشعب .. »

وقوله : « الحاكم الذي يوضع في مكان السلطة ليحمي مصالح الشعب ، يغدو دون قيمة اذا عاش لنفسه ، وسخر ثروات البلاد لمصالحه الذاتية » .

وانطلاقا من هذه الأقوال بدأت انطلاقة ابوظبي الحقيقية ..

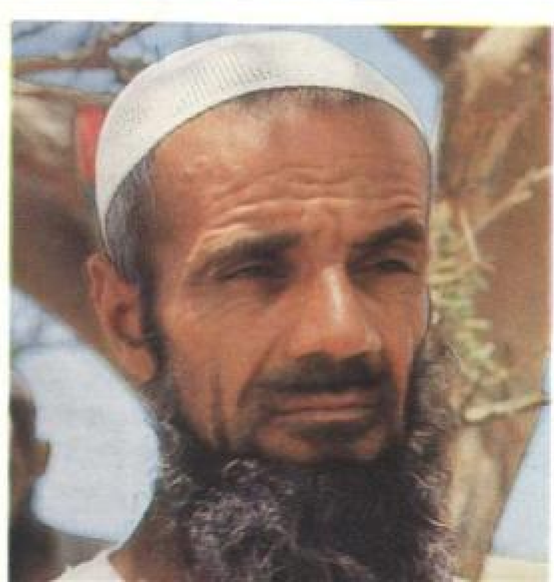
الشرهة !

لقد شعر الشيخ زايد أن ايصال الثروة الى الشعب سوف يستغرق زمنا طويلا فقرر لكل فرد من الذكور مرتبا معينا يتقاضاه مرة كل ستة أشهر ، ويسمونه « الشرهة » .. وهذا المرتب يصرف من مخصصات الشيخ زايد الشخصية ..



حول مدينة « العين » يعيش فرع من قبيلة العوامر الذين ما زالوا يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم القديمة ، ومنها ان الام التي يرزقها الله بطفل بعد طول عقم تعمد الى تجميل هذا الطفل وتكحيل عينيه ووضع القرط في اذنيه ، والعناية بتصفيف شعره حتى يبدو جميل الصورة .. معبرة بذلك عن فرحتها به بعد طول امتناع .. وفوق هذا الكلام مجموعة من هؤلاء الاطفال ..

الى اليسار : سلطان بن حامد بن مرشد العامري ، زعيم احد بطون قبيلة العوامر الذين تخصصوا في حفر الافلاج ، وعددهم ٧٥ رجلا .



العوامر لا يذكرون نساءهم ، لا في احاديثهم ولا عند طلب الاحصاء منهم منهم ، وتختلف المراة العامرية عن شقيقتها في ابو ظبي بانها تسير سافرة بعكس شقيقتها التي تغطي وجهها « ببتولة » سوداء سميكة .. والى اليسار وجه معبر لاحد رجال العوامر بلحيته الكثة المتموجة .. وقد ذكرت البعثة الدانمركية التي نقبت اخيرا عن الاثار في المنطقة انها اثار تحمل طابع السومريين ، في حين ان صاحب « كاشف الغمة » يقول ان اصلهم من مأرب في اليمن .. وهم يقولون انهم من عمان الشرقية!!! ومما يذكر ان هذه اول صور تلتقط للعوامر ..



تستعين حكومة ابو ظبى بضباط البوليس والشرطة الاردنيين للمحافظة على الامن والنظام في البلاد ، وهؤلاء مجموعة من ضباط الدفعة الاولى التى تضم ٣٦ ضابطا وصف ضابط .. وقد تلاها دفعتان تضمان نحو مائة ضابط وصف ضابط آخرين .. ان اهم مشكلة امام هؤلاء الجنود هى حماية ابو ظبى من التسلل غير المشروع ، ومن نتائج الاحتكاك الذى سيتولد من كثرة السكان وازدحامهم ..



تقرر نهائيا أن يقام ميناء ابوظبى ال

وليس هذا هو المرتب الوحيد الذى يتقاضاه الناس في ابو ظبى ، فقد كان هناك احجام من الاهالى عن تعليم اطفالهم في المدارس لحاجتهم اليهم في اعمالهم ، فقرر الشيخ زايد منح رواتب تتراوح من ٣ الى ٥ دنانير لكل طالب وطالبة تتعلم في المدرسة ... مع تقديم وجبة غذاء يومية ، واربعة اطقم ملابس سنويا بالمجان .. واثمرت الخطة وارتفع عدد الطلبة من ٧٠٠ الى ٢٢٠٠ طالب وطالبة ، ويجرى العمل حاليا لبناء ١١ مدرسة جديدة مرة واحدة .

لقد دخلت وسائل الاغراء المادى في اغلب المجالات التى يعيش فيها ابناء ابو ظبى لتشجيعهم على الدرس والتحصيل ، حتى الموظفون اصبحوا يطلبون منهم ترك عملهم مع الاستمرار في تقاضى مرتبهم الشهرى نظير ذهابهم لتكملة تعليمهم وارسالهم في بعثات خارجية على نفقة الحكومة .. والسبب في تشجيع التعليم يرجع الى ان ابو ظبى كلها ليس فيها الا شاب واحد فقط يحمل شهادة جامعية هو السيد احمد السويدى رئيس ديوان الحاكم !!

الاستعانة بالخبرات العالمية

وتستعين ابو ظبى حاليا بالخبرات العربية والاجنبية لمساعدتها في نهضتها وفي مقدمة هؤلاء الخبير العراقى محمد حسن جمعة مدير التخطيط والتنسيق ، الذى جلسنا اليه نستوضحه ما خفى علينا فاجابنا :

« اننا لا نبنى مدينة بلا روح ، فالمبانى وسيلة لغاية أخرى ، هى خلق مجتمع يعيش حياة القرن الذى نحياه .. ومن اجل هذه الغاية تجند ابوظبى كل امكانياتها ، ان مد الكهرباء والماء وبناء المساكن الشعبية لا يكفى ، لانه يجب أن نعمل على تأهيل السكان وتدريبهم مهنيا وثقافيا للاستفادة من جميع مظاهر هذا التقدم ..

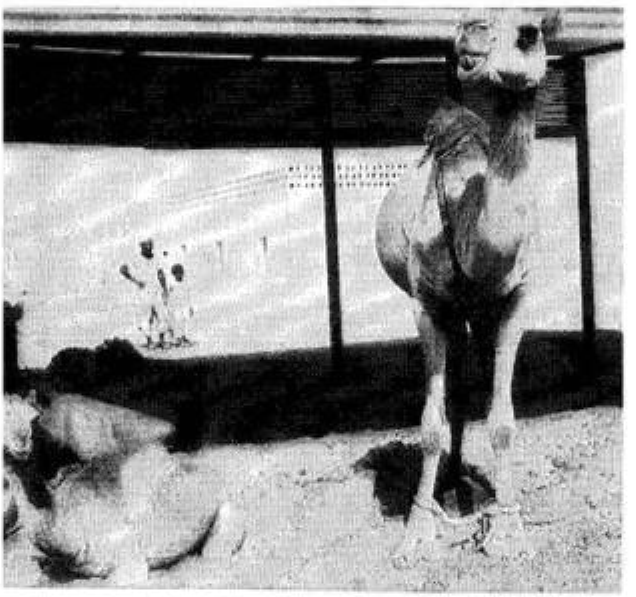
وينتقل الحديث الى السكان والعمل فيقول مدير التخطيط :

« كان عدد سكان مدينة أبو ظبى « العاصمة »





مكان هذا الشاطيء الرملي الجميل



بدأ البدو الرحل في منطقة العين يستقرون داخل منازل شعبية شيدت خصيصا لهم ، ولاجل اغرائهم بالبقاء داخل هذه المساكن يصرف للعائلات الكبيرة منهم مبلغ ٤٠٠ دينار بحريني كل ستة شهور .. وكان الاعتقاد السائد أن البدوى سيهرب من المنزل ، ولكن النتيجة كانت عكسية فقد عشق البدوى منزله الجديد ، ولكنه لم يتخل عن جمله فأقام له « جراجا » يستريح فيه بجانب المنزل !

خمسة الاف نسمة قفزوا الى ٢٢ الف نسمة في خلال سنتين .. ومع ذلك فما زلنا في حاجة الى يد عاملة .. وفي الخطة الخمسية مشاريع كبيرة للسيطرة على الهجرة الى البلاد وتنظيمها ، لا لمنعها .. حتى يمكننا رفع مستوى الخدمات التى نقدمها للعاملين ..

« أما اليد العاملة العربية ، فتنحصر مشكلتها في ارتفاع أجورها ، اذ انه مهما انخفضت المرتبات التى يطالب بها العمال العرب فانها تظل دائما أعلى أجرا من اليد العاملة غير العربية وأرباب العمل يفضلون اليد العاملة الرخيصة .. »

كل شيء يجرى بسرعة

ويستطرد السيد جمعة بقوله : « ان كل شيء في ابو ظبى يجرى بسرعة الان لسد احتياجات لا تتحمل التأجيل فلا يمكننا انتظار المثالية ، لهذا يجب أن نضحى .. وهناك أعمال لايمكن تنفيذها في الحال مثال ذلك المستشفى الجديد ، فهو يحتاج الى ستة شهور للتصميم ولا يمكن أن ينتهى بناؤه قبل عام ١٩٧١ لهذا رأينا توسعة المستشفى الحالى حتى يتم بناء المستشفى الجديد ..

« ونفس المسألة بالنسبة للحدائق ، لقد خصصنا لها أماكن خاصة ، ولكننا لن نبدأ العمل فيها على نطاق واسع الا في نهاية عام ١٩٦٩ وحاليا نكتفى بزرع بعض الميادين ، انتظارا لتوفر المياه اللازمة .. ولقد قمنا بعملية مسح مائى للبلاد لتحدد كمية المياه المخزونة وطاقة الخزانات الجوفية .. »

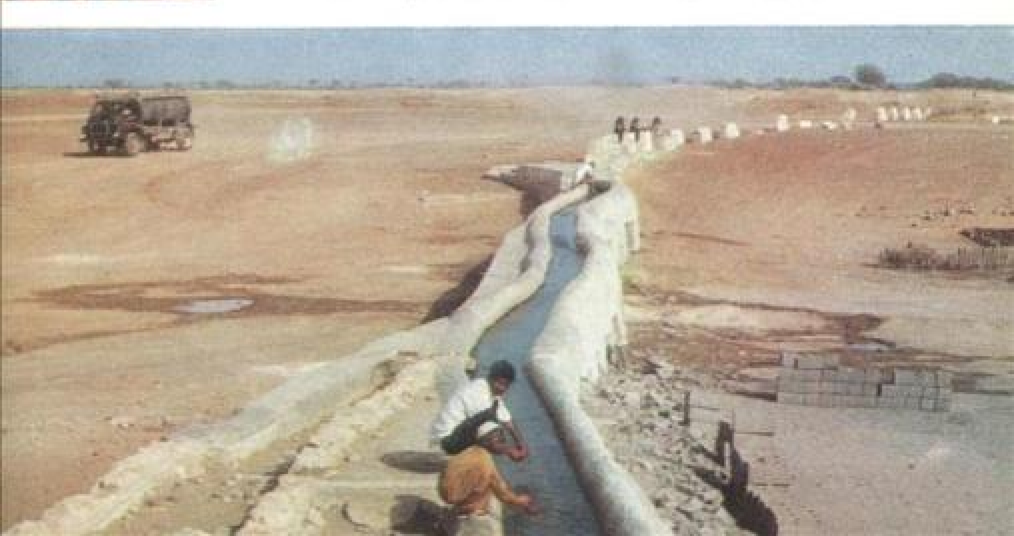
وتشرب ابو ظبى حاليا من مياه منطقة السد قرب مدينة العين ، وتأتى المياه من خلال انبوبين قطر احدهما ١٨ بوصة والثانى ٣٦ بوصة ، وتقدم المياه مجانا للمواطنين ، ولكن نقلها على الدواب والسيارات يرفع ثمن الصفيحة (٤ جالون) الى نصف ريال ..

وكانت أبو ظبى تشرب يوميا ماء مقداره ٤٠.. الف جالون وزاد عدد السكان فزيدت الكمية الى مليونى جالون ، ومع ذلك ما زال الماء شحيحا ، وقد فازت أخيرا شركة بريطانية على شركات يابانية





عندما تشتد حرارة الجو في ابو ظبي يتجه الناس الى مدينة العين ، او الواحة الخضراء داخل ابو ظبي .. يقضون وقتهم بين مزارعها الخضراء التي ينمو فيها النخيل وأشجار اللومى (الليمون) والترنج واليوسف افندى والهمب (المانجا) والتين واللوز .. وتجرى حاليا دراسات واسعة لتطوير الزراعة وتحسينها في المنطقة .. وقد اصبح معظم المزارعين يعتمدون على الآبار الارتوازية لسقى مزارعهم ، بعد ان كان اعتمادهم الكلى منصبا على المياه المتدفقة من الافلاج .. **والصورة السفلى** تبين مخرج فلج الصاروج الذى مازال يروى بعض مزارع النخيل .





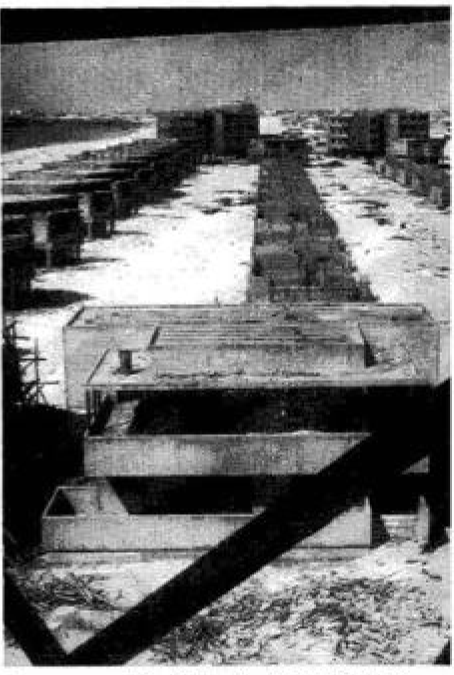
العين .. كانت قرية صغيرة مغمورة طرقها ترابية تسير عليها الجمال ، ومنازلها مبنية من سعف النخيل والطين ، وفجأة شهدت حركة عمرانية هائلة .. الأكواخ ازيلت ، والطرق الترابية تحولت الى طرق مرصوفة ذات اتجاهين تنيرها أضواء الفلورسنت في الليل ، والميادين ازدانت بالمسطحات الخضراء والورود .. ويقول الشيخ خليفة بن زايد ممثل الحاكم في العين ـ الصورة اليسرى : « ان العين مقبلة على حركة تعمير هائلة ، سوف تجعلها درة مدن عُمان الداخلية .. والطريق المرصوف الذى اصبح يربطنا بالعاصمة ، وطوله ١٦٠ كيلومتر ، هو طريق الحياة الجديدة التى ستشهدها مدينتنا في السنوات القادمة » .

والمانيةفي مناقصة انشاء محطة لتقطير ماء البحر، بلغت تكاليفها مليوني جنيه استرليني ، وتستطيع تقطير مليوني جالون من الماء العذب يوميا . وسوف يبدأ انتاجها بين شهري اغسطس وسبتمبر من عام ١٩٦٩ .

والماء الذي يأتي بالانابيب من السد قرب قرية العين هو ماء عذب لا يحتاج الى تصفية ، لان قرية العين تقع على مسافة صغيرة من واحة البريمي .

والعين هي المدينة المفضلة لحاكم ابو ظبي ، فقد كان مسئولا عنها قبل أن يصبح حاكما للبلاد، لهذا ذهلنا عندما وصلناها .. كانت قرية صغيرة ضائعة وسط الصحراء عام ١٩٦١ فاصبحت اليوم مدينة مرصوفة الشوارع اضيئت فيها الانوار قبل أن تضاء العاصمة نفسها .. كانت الجمال تتقاطر اليها من كل صوب ، فاصبحت السيارات تقطع شوارعها الطويلة المعبدة .. واوشك العمل على الانتهاء في بناء فندقها الفخم الذي سيتكلف مليونا ونصف مليون دينار .

وسيكون مكيف الهواء صيفا وشتاء .



مدينة خالد : تقع في الطرف الغربي من جزيرة ابو ظبي . بناها الشيخ خالد ، الشقيق الاكبر للشيخ زايد ، وتضم ٨٠٠ فيلا .. أوشك العمل فيهاعلى الانتهاء . وينتظر تأجير الشقة فيها بحوالي الف دينار بحريني سنويا ، للمساهمة في حل أزمة السكن .

الجن حفروا الآبار !

واشهر ما في العين هي « الفلج » أو الفلي كما يحرفونها في المنطقة ، انها قنوات مائية محفورة تحت سطح الارض الجبلية ، على اعماق تصل في بعض الاحيان الى ٩٠ قدما تنساب من خلالها المياه تدريجيا حتى تصل الى الاراضي الزراعية في السهول فترويها ، بعد أن تكون قد قطعت مسافة عشرة كيلومترات ، من منبع العين حتى المزارع . ويحلو للكتاب الاجانب القول بأن الذين حفروا هذه الآبار هم الجن الذين سخرهم سليمان الحكيم .. وعندما قلنا هذا الكلام للشيخ خليفة ابن زايد ممثل الحاكم في العين ضحك طويلا ، وقال لنا : « سناخذكم لتروا الجن وهم يعملون .. ! »

وسارت بنا السيارة تقطع ارضا صحراوية تغطيها أشجار السَمُر التي تتغذى الاغنام والجمال على اوراقها في الشتاء ، حتى وصلنا الى مخيم صغير مساكنه مصنوعة من سعف النخيل وجذوع اشجار السمر ، ووجدنا على بابه رجلا مهيبا قدم لنا نفسه بقوله : سلطان بن حامد بن مرشد العامري زميل زايد ـ اي الشيخ زايد حاكم البلاد ـ !

وبعد أن شرح له مرافقنا الغرض من رحلتنا وما سمعناه عن حفاري الافلاج ، استغرق في ضحك طويل ، وقال ضاحكا : يعني احنا أصلنا جن ؟

فقلت: هكذا يقولون فهل يمكن أن نعرف حقيقتكم؟

فقال : نحن فرع من قبيلة العوامر ، وأصلنا من عمان الشرقية ، ونحن نعمل في حفر الافلاج منذ أجداد أجدادنا ننزل الى عمق ١٤ باعا تحت سطح الارض (الباع هو طول مابين مد اليدين مستقيمتين) ونحفر الآبار في الارض الصخرية





يقوم العوامر بحفر الآبار العميقة المتقاربة ثم يحفرون قناة واحدة أفقية توصل قاع كل بئر بالاخرى لتنساب المياه من خلالها الى مزارع النخيل والفاكهة البعيدة .. ويستعمل العوامر في عملية الحفر الشاكوش والمسمار ، ويضعون الاتربة والاحجار الناتجة عن الحفر في زنابيل يرفعها زميل ثالث لهم .. كما ترى في الصورتين

بالشاكوش والمسمار ، كما كان يفعل اجدادنا ، وفي اعماق الارض نوصل هذه الآبار بعضها ببعض بواسطة قنوات ..

قلت : وكيف يمكنكم معرفة اتجاه الحفر ومقدار انخفاض الارض،هل عندكم اوراق وخرائط؟ فقال متعجبا : خرائط ؟! اى خرائط تقصد ؟ اننا قوم لا نعرف الكتابة ولا القراءة .. ونعرفة اتجاه القنوات الارضية تتبع صدى اصوات الدق والحفر التى تسمعها من مسافة ١٢ باعا .

قلنا لزعيم العوامر : كم عدد أفراد قبيلتك ؟

أجابنا : ٧٥ شخصا

قلنا : فقط ؟

قال : غير الحريم .. فهؤلاء لا نحصيهم ـ؟!؟ـ

قلنا : هل تعملون في الزراعة ؟

فهاج زعيم العوامر ورد بصوت خشن : « بَهُو .. بهو » واحترنا في تفسير كلمة بهو ، فقال لنا مرافقنا ان الزراعة فى نظرهم عيب كبير ومن أجل هذا انفعل زعيم العوامر .. وكلمة بهو معناها ابدا ابدا !

واعتذرنا ، وعاودنا السؤال : لماذا لا تعملون موظفين أو عمالا وقد عرض عليكم الشيخ زايد ذلك؟ فاجابنا بقوله : « العامرى لا يعمل موظفا أو عاملا .. بهو .. بهو .. ! »

ومما يذكر ان المراة العامرية لا تضع حجابا على وجهها ، وانما تعمل على اصلاح كوخها واعداد الطعام ورعاية الاطفال وتنتظر عودة زوجها من حفر الافلاج .

وعند الفلج شاهدنا العوامر يخرجون من الآبار وقد غطت الاتربة اجسامهم ولحاهم ، فتخيلناهم وكانهم قوم أتوا من عالم آخر .. انهم يحفرون الى اليوم الافلاج بنفس الاسلوب القديم ، ولكن



الى اليمين : ميناء ابو ظبي .. كانت الخضروات والاسماك تنقل اليه في القوارب الصغيرة ، اما اليوم فلم يعد الميناء قاصرا على استقبال هذه الشحنات الصغيرة فحسب ، وانما اصبح يستقبل شحنات من نوع آخر .. من الحديد والزجاج والاسمنت والمواسير . وعجز الميناء الصغير عن مواجهة حركة البناء الهائلة . لهذا تقرر الاستغناء عنه وبناء ميناء جديد يتسع لاستقبال السفن عابرات المحيطات. سيكون طول رصيفه اربعة اميال ، وتكاليفه حوالي ١٤ مليون جنيه استرليني .



الى اليمين : صراع بين الارض والماء !
لقد نقلت تيارات مياه الخليج كميات من الرمال الى ابو ظبي ، فكونت الجزيرة الصغيرة التي تقوم عليها عاصمة الامارة ، وعندما يحدث المد تطغى المياه وتغطي اطراف الجزيرة . لهذا تقرر بناء كورنيش يمتد لمسافة ٢٢٠٠ متر على الشاطىء الشمالي للجزيرة ، وتبلغ تكاليفه مليون و ٨٤٥ الف جنيه استرليني .

الى اسفل : اجمل استعراض شهدناه .. كان في عيد الجلوس الثاني لحاكم ابو ظبي .. واثناء الاستعراض سارت وحدات البناء والتعمير على اختلاف انواعها وسط الجماهير التي كانت تصفق لها ..





برج الحرب ، وجسر السلام : عند المقطع المائي الذى يفصل بين جزيرة ابو ظبي ، وبقية اجزاء الامارة ، كان يرتفع برج الحراسة الحجرى لمراقبة العدو .. اما اليوم فلقد انشىء بجوار هذا البرج ، جسر حديدى طوله ٢٠٠ متر يربط جزيرة ابو ظبي بساحل الامارة

الى اليسار : لم يعدم المتسللون الى ابو ظبي وسيلة لدخول البلاد، وآخيرا رات الحكومة انشاء قوة

الشيخ زايد ضاعف مكافآتهم فجعلها ١٠ دنانير مقابل كل باع يحفر في الصخر .. وعلى مياه هذه الافلاج تعتمد الزراعة في العين .. وهم يزرعون القمح والبطيخ وانواع الخضراوات ، يصدرونها الى العاصمة والى جزيرة داس ..

ويمكنك التحدث دون حرج عن عشرات المشاريع العمرانية المخصصة لمدينة العين ، والتى ستجعلها المدينة الاولى في ابو ظبي الحديثة !

فصل من التاريخ ..

ونعود قليلا الى الوراء .. الى ابو ظبى القديمة .. ماذا قالوا لنا عن تاريخها ؟ لا شيء ، ان



بعد أن كشفت البعثة الدانمركية عن القصر التاريخى الكامل فيجزيرة «أم النار» قرب أبوظبى، اتجهت الى قرية الهيلى وبدأت في التنقيب فاكتشفت آثار قصر كبير قالت انه يرتبط بتاريخ السومريين الذين كانوا يعيشون في العراق .. وقد توقفت البعثة عن التنقيب نتيجة لعجزها المالى ..

المسئولين عن الاعلام في أبو ظبى يقفون موقفا غريبا فهم يبخلون بالمعلومات على طالبيها مفضلين الاحتفاظ بها لانفسهم !؟

أين التاريخ اذن ؟ وبالرغم من افتقار الموارد الخاصة بتاريخ أبو ظبى، الا ان تاريخ عمان يكشف لنا الكثير عن تاريخ ابو ظبى ، التى هى جزء من عمان .. وفي كتاب صاموئيل باريت المؤرخ الانجليزى عن « بلدان وقبائل الخليج » قال المؤلف :

« ان تاريخ هذه المنطقة يرجع الى عهود قديمة جدا ، ولكن الغموض يحيط تاريخها في الفترة ما بين ظهور المسيح ومجيء الاسلام .. غير أن هناك مصادر عربية مثل كتاب « كاشف الغمة » لسرحان ابن سعيد يسرد قصة قبيلة « ازد » العربية المعروفة في منطقة عمان . ويقول انهم هاجروا من مأرب في اليمن الى عمان حوالى عام ١٢٠ بعد الميلاد ، حتى وصلوا الى مدينة رايسوت ، الساحلية على بعد ٩٠٠ كيلو متر من مأرب . وانضم اليهم هناك عدد كبير من قبائل المهرة وبنى قضاعة . ومن هناك وصلوا الى عمان ، ودارت معارك طاحنة بينهم وبين البارثيين ، ولكنهم استطاعوا بالرغم من قلة عدد رجالهم ، وكانوا يقدرون بـ ٦ آلاف محارب ، أن يهزموا جيوش أعدائهم وتقدر بنحو ٤٠ الف رجل » .

ومنذ هذا التاريخ استقرت هذه القبائل العربية في عمان واقامت حضارة في المنطقة .. حضارة قديمة اقامها العرب في هذا الجزء من الارض العربية قبل ان يطويها النسيان قرونا طويلة .. واليوم تدخل ابو ظبى عصرا جديدا .. عصر التطور والانطلاق والنهضة في سبيل تحقيق مستقبل افضل وحياة كلها بناء وتعمير .. عشرات من المشاريع الجديدة تنتشر في كل ركن فيها ..

ولكن الدخول في تفاصيل المشاريع القائمة في أبو ظبى من الصعوبة بمكان لكثرتها وتنوعها .. والاحاديث لا تدور الا بالملايين وبكلمة « أكبر مصنع واكبر معمل واكبر محطة فى الشرق » .. ولكن هذه المغالاة نرحب بها لانها طبيعية ، ولانها تكشف عما في قلوب القوم من امال كبار جسام ، حقق الله الامال ..

سليم زبال



فاطمة النبوية

بقلم : سنية قراعة

■ الله القادر سبحانه وتعالى مولى الجزاء ،وموفي الصابرين حقهم،قال في محكم آياته البينات .
« ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ... »

وحياة المجاهدين الشهداء في الجنة معروفة،غير محددة المعالم ولا الآماد وارزاقهم فيها وفيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة .. فهم اولا مكرمون معظمون.. كلهم في جوار الله وكلهم قريب منه ، يكلمهم وينظر اليهم ويعطيهم الجزاء الأوفى .. الجنات المعروشات دانيات القطوف .. والحور العين لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ... والولدان المخلدون الذين يطوفون عليهم باكواب واباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولاينزفون ...

ولهم بعد هذا الاجر الاخروى الأعظم والثواب الأفخم جزاء أى جزاء .. ورغم أنهم عبروا برزخ الحياة الدنيا الى عالم النعيم فانهم في الدنيا أحياء .. وأيضا يرزقون ! ...

وحياتهم في الدنيا طيب الأحدوثة ، وخلود الذكر .. أما رزقهم الذى يرزقونه فهو الترحم عليهم والاستغفار لهم ، والتغنى بفضائلهم ، وجليل أعمالهم والتمثل بها ، والنهج على منوالها المحكم ... وحب ذراريهم وتمجيدهم ، وتعظيمهم والالتفاف حول راياتهم الخفاقة لهم ، وتذكر الحيف الذى نزل بهم للعمل على رفعه عن كواهل البشرية التى ثاروا وقاموا من أجل تحريرها واسعادها ... وتحقيق ماوقفوا دونه ، حتى لكان لجهاد من بعدهم يكون فريضة لاتمام ما بدؤوه وحال دونهم الحتف واتمامه ...

من اجل هذا ... وحبا في تمجيد الفضائل والبطولات يحب الناس الشهداء أصحاب التضحيات وأهل المثل العالية ، فيعيشون على ذكراهم ، ومن أجل الكفاح في سبيل العقائد التى استشهدوا من أجلها ...

والشهداء من اهل بيت النبوة ... وخاصة الطالبيين العلويين ، من سادت بنى هاشم أبناء الامام على ابى طالب والزهراء البتول فاطمة ، ولم يحبهم المسلمون كل هذا الحب ، ولم تتوارث الأجيال حبهم والتشيع لهم الى حد الاستهانة بالارواح والاموال من أجل هذا الحب القوى ـ

لأنهم أهل البيت وقرابة سيدنا رسول الله فحسب ، بل لأنهم كانوا أبطالا مغاوير ، لم تلههم دعة ، ولم تصرفهم عن واجب الجهاد زخارف ولم يرعهم سلطان غاصب ولا بطش طاغية ، فثاروا للحق ومن أجل الحق .. ومن أجل هذا ، ورغم مالقوا عند الله من رائع التكريم ، كرمهم الناس ، والتفوا حول رايات ذكراهم ، وعظموهم كماعظموا ذراريهم وأحفاد الأحفاد ...

★ ★ ★

واليوم ... نقف امام سيرة من السير الطاهرة .. وحديث عذب محبب عن فاطمة الصغرى..بنت الأمام الشهيد الحسين بن علي التى نعرفها في مصر باسم « السيدة فاطمة النبوية » صاحبة المزار والمشهد الفخم في حي الدرب الاحمر ...

فاطمة هذه ... أخت « علي السجاد زين العابدين » ... وسكينة ...

نقف امام تاريخها وسيرتها حيارى لاندرى من اين نبدؤها ، ولم يترك لنا الرواة والمؤرخون غير نبذ متفرقة عن كلمات أو مواعظ أو حكم منسوبة اليها ... اما من هي ؟! متى ولدت ؟! وفي اى عصر ؟ ! وكيف مرت بها حياتها الاولى ؟ ! فتلك أمور رغم أن لها المقام الاول ونحن نترجم لحياة السيدة : فاطمة بنت الحسين بن علي ، لم يهتم بها الرواة ولم يسجلوها .

ان أحداً لايدرى على وجه التحديد متى ولدت فاطمة بنت الحسين السبط الشهيد ... هل ولدت أيام خلافة جدها الامام على بن ابى طالب رابع الراشدين ... أو في خلافة عمها الأمام الحسن المجتبى ... أو ولدت بعد ذلك بأعوام ، وعقب عودة بيت على بن ابى طالب واهله الى المدينة المنورة عقب تنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية بن ابى سفيان لحقن دماء المسلمين ثم تصالحهما معا ، بموجب تعاقد نص فيه صراحة على ان تكون الخلافة من بعد معاوية للحسن مرة أخرى !!

ونستعرض الطبرى ، وابن الأثير ، وطبقات ابن سعد ، ومرآة الجنان لليافعي والأغاني للاصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الأنقياء لابن حبان ، فنقف امام حقيقة اتفق عليها اجماع الأقوال والروايات فنتشبث بها ونمسك بخيطها الدقيق لنبدأ معه استعراض حياتها وتحديد تاريخ مولدها على وجه صحيح ...

واذا كان ابن حبان في « طبقات الاتقياء » يقول انها لحقت بربها وهي في السبعين من عمرها ، ثم يجمع الباقون كلهم انها توفيت الى رحمة الله عام ١١٠ من الهجرة فاننا نقول عن يقين ان فاطمة بنت الأمام الحسين ولدت عام ٤٠ هجرية ... وولدت في الكوفة بالذات ايام خلافة جدها على بن أبى طالب وفي اخريات أيامه تحديدا، اذ امتدت اليه بالاغتيال يد ابن ملجم اللعين بعد تسع خلون من رمضان عام ٤٠ الهجرة ...

لقد ولدت فاطمة عام اغتيال جدها .. وسماها أبوها الحسين فاطمة تيمنا بامه الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعلها كانت أشبه البنات بها ، كما كان أبوها اكثر الناس شبها برسول الله ...

وعاشت فاطمة خلافه عمها الحسن بن علي بن أبى طالب ثلاث سنوات او أربع ، كانت خلالها من صغر السن بحيث لم تفهم الأحداث الرهيبة الجارية ،وربما التقطت اذناها الساذجتان همسات جوارى دار الخلافة ، أو حراسها أثناء الصراع الدائر بين عمها الأمام الحسن المجتبى وبين معاوية بن ابى سفيان الذى خرج على بَيْعة علي وبقى معتصما بالشام منفصلا به عن الخلافة وعن الوطن العربي الموحد أو يستخلص الأمر لنفسه وبنيه ثأرا لدم عثمان ، وهو أبعد الناس عن أن يكون صاحب دم ثالث الراشدين ، فصاحب دمه انما كان ولى الأمر ،ورابع الراشدين على بن طالب...

وصلت هذه الهمسات الخافتة ولاشك الى اذنى فاطمة ، بنت الرابعة ، فلم تفهمها ولم تحفل بها ولم تقم لهاوزنا ، فكيف كان لصغيرة مثلها أن تفهم في مثل هذه المشاكل أو أن تهتم لها .

ولكن ثمه حادثة واحدة قد وقرت في اذنى فاطمة الصغرى ولاشك ... تلك الحادثه كانت بين أمير المؤمنين عمها الحسن ، وبين أبيها الامام الحسين شقيق الحسن الذى يصغره ...

لقد سمعت الصغيرة الشقيقين المتحابين يتشاوران ... ووصل الى سمعيها صوتهما الصاخب ... كان أمير المؤمنين الحسن بن على قد اعتزم التنازل لمعاوية عن حقه في الخلافة ... وكان الحسين يأبى ان يحدث هذا ، ويرى أن يدافع الحسن عن حقه ، وان يرغم الخارج معاوية على طاعته ولودارت رحى الحرب بأرهب وافظع مما كانت تدور ...

لقد غضب الامام الحسن المجتبى يومها على شقيقه الحسين ، وان صوته الغاضب الهدد ، الراعد ليصل الى اذنى الصغيرة بمحض المصادفة وهو يقول للحسين الابى الشجاع :

« والله الذى لااله الاهو ، لقد هممت ان اسجنك في بيت اسد عليك بابه حتى اقضى بشانى هذا وافرغ منه ثم اخرجك ...

ثم ران الصمت على الشقيقين المتحابين اللذين مااختلفا قبلا ... واصغت الصغيرة فلم تسمع صوت ابيها ابدا ...

ابدا ماتكلم الحسين الشقيق الاصغر ، ولاارتفع صوته معقبا على اخيه الحسن ... ومن هنا ... ... ورغم صغر سن الطفله ... وعدم ادراكها الكامل للحادث نفسه ، فقد وقر في نفسها احساس مبهم ارتاحت اليه ... ذلك كان الاحساس بوجوب الطاعة المطلقة ... طاعة الصغير للكبير لضمان راحة البيت وأهله واستقرار من فيه وعدم تعرضهم للهزات وللاعاصير ... !!

وتم تنازل امير المؤمنين الامام الحسن المجتبى عن حقه لمعاوية ... ثم رحل أبناء على وفيهم الحسين ابوها الى المدينه المنورة ليعيشوا فيها هناك حياة وادعة ...

ومرت سنون معدوده ... ست سنوات على وجه التحديد ... وقد بلغت فاطمة التاسعة من عمرها ... واذا بها تستيقظ على نبأ رهيب ... « الجعدة » اللعينه ، الخائنة ، امراة عمها الحسن تدس له السم في طعامه فيموت لوقته ...

وكادت تحدث فتنه كبرى في المدينة وتجمع الناس ... وعلاصوت الامام الحسين مقسما ان لابد سيدفن شقيقه الحسن مع جده سيدنا رسول الله ...

وغضبت المدينة المنورة كلها لغضبة الحسين ... ووقفت في صفه تؤيده وتعينه على تنفيذ وصية اخيه الحسن ... وتسامع بنو امية بالنبأ الذى روعهم فخرجوا وقد ركبوا رؤسهم وهم في كامل عددهم الحربية وعلى رأسهم مروان بن الحكم ينادى بالويل والهلاك ويدعو الى الحرب والقتال وقد احفظه أن يدفن عثمان ذو النورين وصهر الرسول وثالث الراشدين في البقيع ويدفن الحسن في بيت رسول الله ... واقسم ان هذا لن يتم ولن يكون ابدا مادام قادرا على حمل سيفه !!

واستطار الشر ، وعظم الأمر ... وعلمت فاطمة الصغيرة بنت التسع سنوات بما حدث فتعلمت من الحادث ماهية الشجاعة والاقدام والجراة ... ثم ...

ثم تدارك بعض العقلاء الأمر ، وحالوا دون الخرق والاتساع المنتظر ... وجعلوا الحسين يتنازل عن رأيه واصراره حفظا للوحدة ، وابقاء للكلمة من التفرق ... ونزل الحسين على الرأى الحكيم ... وسمعت فاطمة الصغيرة بما حدث ... فعلمتها الاحداث حكمة جديدة قوية ... ان الشجاعة فضيلة ولكن ... الحلم اقوى من الشجاعة وابقى ...

وزفرت فاطمة زفرات الراحة والهدوء ..وتركت الامور تسير كما يريد القدر المتصرف في الناس ... ثم اذا بفاطمة تقف امام حادث جديد ...

كانت قد احاطت بالحسين ظروف خاصة ،أزمه مالية اضطر بسببها الى الاستدانه .. ومرت الايام وما استطاع ان يفى بدينه ... وتحرجت الأمور بالامام الحسين ... وضاقت به ظروف عيشه ، فلا هو بقادر على ان يسدد ما عليه من دين ، ولاهو بقادر على تحمل بقية اعباء الحياة...

وسمع امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان وهو في دمشق عاصمته بأمر الضائقة التى كان يجتازها الحسين.. واحب! ان يجرب معه دهاءه وسياسته التى يرمى من ورائها الى تحقيق مكاسب شعبية تجعل الناس ، وكلهم يبغضه ، يتحدث بالفخر عنه .

واهتدى داهية الأمويين الى غرضه ... ونفذ اليه في سرعة ودون انتظار ... انه « نبع ابي

بيزد » وهو عين ماء جارية في المدينة كان يملكها الامام الحسين ... وعرض معاوية على الحسين مائتى الف دينار دمشقية ثمنا للعين !!

انه مبلغ يسيل له اللعاب فعلا ... مبلغ فيه النجدة المرجوة والفرج المنتظر في الضيق الشديد ... ولكن الحسين ودون أن يشغل نفسه رفض الصفقة وابى ان يبيع عين الماء الجارية لمعاوية ، ذلك لانه قدر الامر وتدبره جيدا ، فقد كانت العين للامام علي الرضا ابن ابى طالب كرم الله وجهه ... وقد وهبها رحمه الله واوقفها على فقراء المدينة ... فهى والحالة هذه تراث عائلي لايخص الحسين وحده ، بل يخص تقاليد العلويين الطالبيين كلهم ... والتفريط بالبيع لمعاوية ، صفعة لبنى هاشم ... صفعة معنوية لها مغزاها الكبير ، اذ تعني سحب فضل اسبغه علي كرم الله وجهه على الفقراء ، ثم تسليم هذا الفضل الى غريم الهاشميين في الجاهلية والاسلام ، ليتصدق بها بدورة على الفقراء !!

وابدا ماكان الحسين ليفعلها ... وما كان بالرجل الذى يفرط في تقاليد اسرته ومكارمها الاثيرة ، فبقى حيث كان من الدين والضائقه حتى يتولاه فرج الله برحمته ... ورد كيد معاوية الى نحره .

وخرجت فاطمة الصغيرة التي كانت قد تجاوزت خمسة عشر ربيعا ـ بدرس جديد من موقف أبيها لقد عرفت أن من أقدس الواجبات رعاية تقاليد الأسرة ، والمحافظة على تراثها المعنوى ، فهذا وفاء للتقاليد واستمساك بالعرف ...

ومرت الأعوام ... وفي كل يوم من أيامها كانت فاطمة الصغيرة تخرج بحكمة او موعظة ، وهي تتابع دراسة مسيرة أبيها ... لقد كان الحسين بن علي رضي الله عنه وأرضاه رجل بر ووفاء ، يأبى أن يتنكر لوفائه ، حتى لو غدر الناس .

وبالرغم من أن معاوية تنكر لشرعة الوفاء ، وأبى تمشيا مع طبيعته أن يفي بعهود الله وقد عاهد الحسن ... واغرى به « الجعدة » زوجته الغادرة فدست له السم فمات ... ثم راح من بعد ذلك يتنكر من جديد لعهد الله ، ويسعى الى اخذ البيعة لولده يزيد ، دون أن يرجع الى الحسين شقيق الحسن ووريثه الشرعي ... فان الحسين رضي الله عنه أبي البيعة لعدم شرعيتها ، وبقى بعيدا عن حلبة الصراع وأبى أن يستمع الى من حاولوا اغراءه بالخروج على معاوية ناكث العهود .

أبى الحسين أن يخرج على الخارج فعلا ... ذلك لانه كان يتعامل بطبيعته معه ... وهيهات لابن بنت رسول الله أن يتدنى الى مهاوى الخلق الأموى ، فقال لمن طالبوه بالخروج انه قد عاهد معاوية وما كان لمثله ان يغدر بالعهد ... ان العهد كان مسئولا ...

وهكذا تعلمت فاطمة جديدا ، ورائعا ... تعلمت قيمة الوفاء بعهد الله ... وعدم الخروج عليه مهما كانت الظروف والدوافع ، حتى لو خرج الطرف الآخر ولم يعترف بالعهد ....

وحل عام ٦٠ من الهجرة ... وفاطمة يومها تسير الى عتبات العشرين من سني حياتها ... جارية وضيئة فيها من جلال بني هاشم ، وجلال مظهرهم الشيء الكثير ... فوق أنها كانت على جانب عظيم من جمال الصورة ...

تلكم كانت فاطمة بنت الحسين التي تحدث عنها الرواه والمؤرخون عقب مذبحة كربلاء ونكبتها المروعة ، فقالوا عنها أنها « كانت جارية وضيئة ... » اجل تلكم كانت الجارية الوضيئة ... وهذه كانت حياتها في كنف الحسين أبيها العظيم ، فنهلت من مورده ، وتحلت بخلقه : وكانت صورة منه في شجاعته وجرأته ، وبره ، وصلاحه ، وتدينه وتعبده وتقواه !!

ولنعد بعد هذا الى عام ٦٠ الهجرى ... انه بالنسبة لفاطمة الشابة عام جديد في كل شيء ... عام قلب موازين حياة الأسرة الهانئة الهادئة المستقرة التى عاشت بعد موت الامام الحسن المجتبى بمنجاة عن العواصف والتيارات السياسية ، وحلبات النزاع والنضال في سبيل السلطة ... لقد مات معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠ الهجرى وجاء من بعده يزيد الذى تولى امارة المسلمين : وجعل من نفسه عن طريق بيعة زائفة وليا من اولياء أمور الناس ...

ونظر يزيد الخمر والشرور حوله وهو في دمشق ... واستقر به الطرف عند مدينة رسول الله ... وانه ليذكر وصية أبيه معاوية له ... انها

وصية داهية السياسة لولي عهده وهو يودع الحياة ليستقبلها يزيد ...

لقد قال معاوية يومها لولده ... لقد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الاشياء ، وذللت لك الاعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب .... ولست أخاف عليك من رؤس قريش الا ثلاثة ... أولهم الحسين بن علي ، وثانيهم عبد الله بن عمر ،وثالثهم عبد الله بن الزبير ...

أما الحسين فان له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ... واني لأرجو الله أن يكفيك شره بمن قتل أباه وخذل أخاه ... ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ...

«وأما ابن عمر فلا تحفل به ، ودعه لعبادته فانه رجل قد وقذه الدين ... وأما ثالثهم وهو عبدالله بن الزبير ، فخذه بالشك فانه خب ضب ... »

اذا ... فقد كان الخطر كل الخطر على يزيد بن معاوية يمكن في وجود الحسين بن علي ... ... ومن هنا ... ولم يكد يزيد يتسلم مقاليد سلطانه حتى صمم في نفسه أن يأخذ بيعة هؤلاء النفر الثلاثة ... وأولهم واخطرهم بلا شك كان الحسين بن علي بن ابي طالب ...

وبعث يزيد الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان واليه على المدينة يأمره ان يأخذ الحسين وصاحبيه أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا « ... وأسرع الوليد ينفذ امر يزيد ولكن في حذر مكن الحسين من تفويت الفرصة على يزيد وواليه وابى البيعة ...

وشعر الحسين أن وجوده في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه الخطر كل الخطر، فتحايل حتى استطاع أن يخرج واهله بليل من المدينة ساعين الى مكة ... البلد الحرام ...

وهكذا ... ومع خروج الحسين باهله من المدينة بدات حياة القلق ، والرهبة والترقب بالنسبة للحرائر الطالبيات من بنات رسول الله وفاطمة بنت الحسين فيهن ... وانها اليوم لتستقر في مكة ... الى جوار البيت العتيق فتحس في صميم نفسها انه استقرار وقتي رهين بأحداث مرتقبة وانباء كان والدها الحسين ينتظرها على جمر الشوق ...

وعلت الاصوات ... وجاءت الرسل الى مكة وكلهم يطلب من الحسين أن يخرج ، ويعلن خلع يزيد ... وفكر الحسين وفكر ... والرسل يتتابعون ... والانباء مشجعة مطمئنة ... والثقاة يؤكدون أن عشرة آلاف فارس ينتظرون الحسين بالكوفة لينصروه ويعيدوا اليه حقه ، ليخلع يزيد الخمر والفسوق ، ويكون هو صاحب الأمر ...

ومرت اربعة شهور طوال ، خرج الحسين بعدها من مكة الى الكوفة تسبقه رسله ولكن عيون بني امية كانت يقظة منتبهة ...

ووصل الحسين الى المكان المعين ليجد ان العشرة الآلاف فارس قد تبخروا وكانهم اطياف في حلم ذهبت بها يقظة مفاجئة .. واذا بالهاشمي الطالبي الشجاع وحده في « كوربابل » التى عرفت باسم « كربلاء » .

وصدق حدس فاطمة وتحققت مخاوفها كلها .. وان كل ما تنبأته بقلبها المؤمن ليحدث كله ..

ودارت الدائرة على الحسين ومن معه .. ومن كان مع سيد الشهداء وا أسفاه .. قلة صغيرة أقل من مائة أمام عشرات الالوف من القساة الطامعين في جوائز امير المؤمنين ..

يوم رهيب ، أبدا ما نسيته بنات هاشم .. يوم فاجع يذكرنه بالعويل والشهقات .. وقد سقط الفارس الشجاع وسيفه في يده .. سقط صريع الحق ... وفي سبيل نصره الحق .. سقط وحوله بنوه وذوو قرباه .. وامتلات ساحة « كربلاء » بجثث الاطهار المغاوير الذين ما تخاذلوا عن نصرة الحسين على قلة عددهم ، ولاهم فكروا في تركه وحده ، وقفوا الى جواره وسقطوا الى جانبه ، ولو ان شرعة الحرب قد طبقت بحد ادنيها،أو لو ان تقاليد البطولة روعيت أو اتبعت ما تمت هذه المذبحة البغيضة ، وما اقدم عشرات الالوف من ذوى الاحقاد على مهاجمة قوم كانوا أكثر من السبعين مجاهدا بقليل !!

وحملت رؤوس الشهداء وفيها رأس الحسين الى الطاغية عبيد الله بن زياد .. كما سيقت

اليه النساء سبايا اسيرات .. فامر أن يطاف في شوارع الكوفة بالرؤوس .. ثم وبعد ذلك العرض اللعين المستهجن امر فحملت الرؤوس على أعواد الى دمشق ليراها يزيد ، ويشفى غلة نفسه .. ويرى بين يديه الرأس الشريف .. رأس غريمه الحسين بن علي !!

ولما دخل موكب السبايا على يزيد بن معاوية في قصره وكانت فيهن زينب بنت علي وفاطمة بنت الامام الحسين الشهيد - و رآها احد أهل الشام من بطانة يزيد المقربين ، وكانت جارية وضيئة ذات جمال ، فمال اليها واحب أن تكون له ، ومال على يزيد يسأله أن يهبه تلك الجارية !!

وربعت فاطمة بنت العشرين ، واجفلت وتراجعت واحتمت بصدر عمتها السيدة زينب .. وراحت ترتعد وترتجف وتنظر الى الرجل الذى أرادها نظرات الخوف ..

وعاد الرجل يلح على سيده يزيد أن يهب له تلك الجارية .. وفاطمة شديدة اللصوق بصدر عمتها التى صاحت في الرجل تنهره قائلة في كبرياء الهاشمية التى لا تخاف .

- كذبت ولؤمت .. فليس ذلك له كما انه ليس من حقه ...

وثار يزيد ... وكبر في عينيه أن تهاجمه السيدة زينب على هذه الصورة ، ووجد نفسه يصيح فيها انما هى التى كذبت ، ولو شاء لفعلها ووهب فاطمة للرجل ، واذا بزينب تقول في اصرار وعناد وكبرياء بل هو الكاذب الشرير ، وانه لأعجز واضعف من أن يتجاسر على ذلك ، الا أن يخرج عن ملة الاسلام ويبرأ من دين الله ...

وتمادى يزيد في سخطه وغضبه وتطاول بالقول على السيدة زينب ، وقال لها في شراسه وحقد .

- اياى تستقبلين بهذا ... انما خرج من الدين أبوك وأخوك ...

واجابته الطاهرة بنت علي في ثبات وقوة واعتداد تكذبه وتقول :

- بدين الله ودين جدى وأبي وأخي اهتديت انت وأبوك وجدك ...

ذلك كان الموقف .. وان دقائقه لتنفى القول بأحزان يزيد لمقتل الحسين ومواساته السبايا من بنات رسول الله !!

لقد كان يزيد في موقف الحاقد ، الناقم المشتفى ، الذى نال وطره بمقتل الحسين وتحققت امانيه بمصارع بنيه وأهله في مجزرة كربلاء ، حتى لقد تنفس الصعداء فسيختفى من ميدان المنافسة بنو هاشم ، ولن يفضوا عليه مضجعه او مضجع احد من الامويين بعد ذلك .. ولقد كان يزيد في هذا واهما ولا شك لان القدر كان يقف له بالمرصاد ، ولان شرعة الحياة كانت توجب القصاص وبانه كان واعوانه قتلة الامام الحسين سيلقون مصارعهم ذات يوم ، لان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .. وما ربك بظلام للعبيد ..

ولنحاول نحن في بحثنا هذا - وصلنا الى هنا ان نمر بالمأساة دون نعرض لنتائجها وردود فعلها . ولنسر مع ركب فاطمة بنت الحسين وقد عادت الى المدينة لتستقر فيها وتبدأ الحياة في جو بعيد عن تيارات السياسة والصراع ..

لقد كرهت فاطمة بنت سيد الشهداء حياة الصخب والضجيج تلك التى عاشت في اتونها الرهيب وليكفها من الماضي ما كان .. فقد اغتيل الجد ، ومات العم مسموما ، ثم استشهد الاب والأخوة وابناء العم ! !

أية حياة تلك التى قدر على الطالبيين أن يعيشوها .... وان فاطمة لتزفر زفرات لم تستطع من هول ما لقيت ان تفسر معانيها .. هل كانت الضيق والتبرم .. ام كان الاحساس بالارهاق يتلوه الشعور الجامح بالرغبة في الراحة والاستقرار والهدوء ..

انها تعود الى المدينة .. الى مستقر هدوء كانت تنشده مع عمتها السيدة زينب واختها سكينة واخيها علي الاصغر زين العابدين ..

وبدأت ترقب الاحداث في هدوء .. لاقي قلق هذه المرة فهى واهلها أبعد ما يكونون عن التيار ..

كان مصرع الامام الشهيد الحسين بن علي قد اثار كوامن النفوس ، لاعلى يزيد بن معاوية فحسب ، بل على الامويين كلهم .. وان النار لتوشك ان تتاجج في المدينة ولكن .. ما أسرع ما

تنبه الامويون لها ، فاذا هم يعمدون الى حيلة من حيلهم وما كان أكثرها ..

لقد ساقوا أشراف المدينة ورؤسها سوقا الى دمشق لتهنئة أمير المؤمنين يزيد الخمر والفسوق بانتصاره واستتباب الامن له ، وما دروا انهم كانوا كالباحث عن المتاعب لنفسه بنفسه ، اذ لم يكد الاتقياء من اهل مدينة رسول الله يرون الخلافة ، وقصر الخليفة .. ويخالطون أمير المؤمنين وقدوتهم حتى عادوا ونفوسهم ثائرة على العربيد الفاسق صاحب الشراب ومجالس الانس والتطريب والخلاعة والمجون .. ولم تلبث المدينة قليلا الا وكانت قد اشتعلت بنيران الثورة على يزيد ..

ووقفت فاطمة بعيدة عن حلبة الصراع الذى شب أواره اذا اكتفت من تجاربها بما لقيت .. ثم تزوجت ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي ، بقيت معه حتى مات عنها ، فخطبها عبد الله بن عمر بن عثمان واصدقها ألف ألف درهم وعاشت في كنفه سعيدة مكرمة ، قريرة العين ..

ومات عن فاطمة زوجها الثاني .. وكانت قد زهدت في الزواج والدنيا والناس ، وأرادت الانصراف الى تربية صغارها عبد الله وابراهيم والحسين وام جعفر أبناء الحسن بن الحسن بن على ثم محمد ابن زوجها الثاني عبد الله بن عمر بن عثمان .

وتقدم عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى عامل المدينة يخطبها لنفسه ، فابت أن تستجيب له ، ورفضت الزواج منه ، فامتلات نفسه بالحفيظة عليها وجعل يلح ويرجو ويتوسل وهى مصرة على موقفها ترفض أن تدخل بينه ، مؤكدة له انها لم تعد ذات رغبة في الزواج وأن عليها أن تنصرف الى بنيها ، فلم يجد عامل المدينة عبد الرحمن بن الضحاك الا أن يهددها بانه سوف يحد ولدها الاكبر عبد الله بن الحسن بتهمة شرب الخمر ..

وجعلت فاطمة تراوغ ابن الضحاك لبعض الوقت ثم بعثت رسولا الى يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو يومها امير المؤمنين تشكو اليه عسف عامله وتعنته وتوعده اياها وولدها بالشر والايذاء ...

ووصل رسول فاطمة الى قصر الخلافة ..

وسلم أمين المؤمنين شكايتها فبعث الى عامله من يعزله ويسومه العذاب ، واستدعاه الى دمشق وأبى أن يستمع فيه الى شفاعة الشفعاء ثم ألبسه جبة من صوف وأركبه على قتب طاف به بين الناس !!

وانصرفت فاطمة النبوية بعد ذلك عن الدنيا انصرافا كليا .. لقد رات الكثير ، وعرفت الكثير ، وشاهدت الكثير ، وقاست الكثير ، وتزوجت مرتين ومن الله عليها بالولد ، فماذا تريد من الدنيا ...

واقبلت بنت سيد الشهداء على التعبد ، وانصرفت الى الاعتكاف .. وعرف لها الناس مكانتها ، فتلمسوها ، واحبوا مجلسها ، واستمعوا اليها وهى تروى الحديث ثم روى عنها بعد ذلك كثيرون وكثيرون ..

وظلت فاطمة بنت الحسين عاكفة على التعبد ، مقبلة على الزهد ، مدبرة عن الدنيا ، فكان مثلا رائعا من امثلة الصلاح والتقوى والاستمساك باهداف الفضائل والمثاليات ونهجا يتبع بين المسلمات الخالدات ...

وبقى ان نقول بعد هذا شيئا عن مزارها القائم في مسجدها الذى يحمل اسمها الكريم في قلب القاهرة وتفسيرا لهذا اقول : ان السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين بن علي لم تقم بزيارة مصر في يوم من الايام ، ولم تجد في روايات الرواة ولا أحاديث المحدثين ولا اقوال المؤرخين ما يثبت دخولها مصر ، فالمزار المقام باسمها في قلب القاهرة وفي حى الدرب الاحمر بالذات ، مجرد مزار اقيم لذكراها ، ولم تدفن فيه أصلا ولم يقل احد من المؤرخين الثقاة بذلك .

وشان هذا المزار شان الكثير من المزارات المنسوبة الى سيدات اهل البيت من الطالبيات مثل : شقيقتها سكينة ، ومثل مزار عمتها رقيه بنت على ، فهى مجرد مزارات فقط لم تدفن فيها واحدة من هؤلاء السيدات المجاهدات المسلمات الخالدات بسيرهن الحميدة التى صارت مثلا يحتذى للمراة المسلمة العاقلة الكاملة عقلا ودينا على كر الدهور .

سنيه قراعة



الانزلاق الغضروفي

بقلم : الدكتور مدحت عبد القادر

اخصائي امراض العظام / الكويت

■ « الانزلاق الغضروفي » كلمة تتناقلها كثير من الافواه ، وتشغل بال الكثيرين من الناس ، دون أن يحيطوا بمعناها أو يدركوا فحواها ،بل واحيانا يصبغون عليها الوانا من المبالغة والتهويل مصحوبة بنصائح علاجية ليس لها من الصحة اساس .

ان تفهم المريض لمسببات مرضه وطرق مواجهتها شرط اساسي لاستفادته من العلاج ، ولضمان تعاونه في الأخذ باسباب الوقاية ، لهذا نعرض موضـــوع الانزلاق الغضروفي للقارىء بشـيء من الايجاز مع عدم الاخلال بالوضوح .

القرص الغضروفي

يبين الرسم «اسفل» فقرتين من العمود الفقرى يربط بينهما القرص . وهذا القرص يتألف من منطقة خارجية رقيقة من ألياف كلاجينية ، تتألف من حلقات يجـرى أوسطها النخـــاع الفقرى، وهذه المنطقة ترتبط ارتباطا وثيقا بمنطقة داخلها أكثف منها ، وهي من مادة غضروفية لبقية متخلقة كذلك .

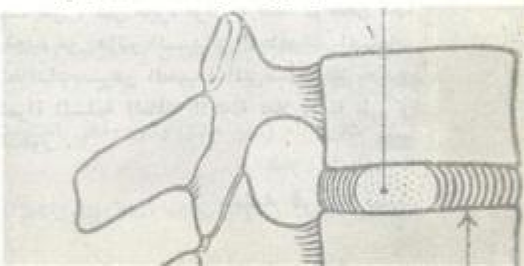
ان مجموع ارتفاع هذه الاقـــراص التى بين الفقرات يبلغ ٢٥٪ من ارتفاع العمود الفقرى وهذه الاقراص ، بالاضافة الى انها تربط الفقرات بعضها ببعض ، فانها تسمح بالحركة بينها ، ولولا وجودها لكان الظهر متصلبا تماما يتحرك متخشبا وكأنه قطعة واحدة . وواضح من الرسم الوضع الاستراتيجي للاقراص فيما بين الفقرات نظرا لقربها الشديد من القناة الشوكية التى تثرى بها الحبل الشوكي ، ومنه منابع الاعصاب .

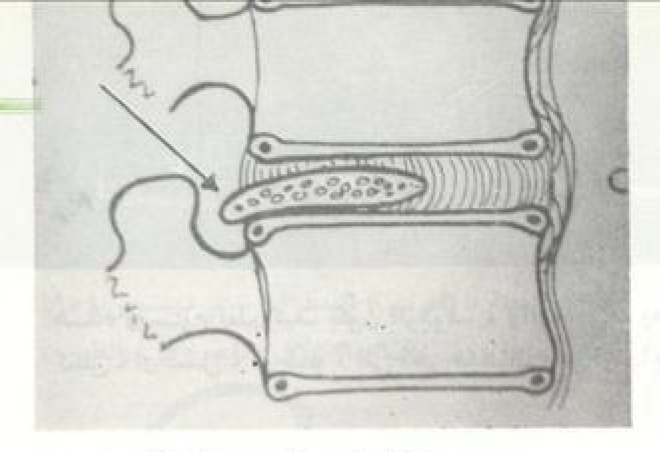
قرقعة مفاجئة

والانزلاق الغضروفي يشير الى فتـــق بالاطار الليفي للقرص بين فقرتين ـ عادة باسفل الظهر ـ ومنه تبرز النواة في اتجاه القناة الشـــوكية بما تحتويه من اعصاب . ويحدث ذلك في اغلب الاحوال اثر انحنائه الى الامام خصوصا اذا صـــاحبتها محاولة رفع حمل الى أعلى .

وهنا يشعر المريض بقرقعة مفاجئة في اسفل الظهر يتلوها الم بهذه المنطقة . وبعد فترة قد تطول الى عدة ايام يبدأ الم مصدره عرق النسا ، بالفخذ والســـاق ، يتميز بانه حاد وعميق ، وتشتد حدته عند العطس والسعال ، وقد ينتشر

الغضروف بين فقرتين في منظر جانبي ١ ـ النواة ٢ ـ الاطار الليفي





بالظهر

قطاع رأسي منظور من جانب الجسم يبين انزلاق النواة وبروزها في القناة الشوكية خلال فتق في الاطار الليفي .

الى القدم والاصابع ، كما انه قد يكون مصحوبا بتنميل أو خدر . وقد تصل حدة الألم الى درجة تمنع المريض من تحريك ظهره لكي يتجنب الالم .

ان مجرد سماع هذا التسلسل في قصة المريض يجب أن يلفت نظر الطبيب في الحال الى احتمال اصابة المريض بانزلاق غضروفي بأسفل الظهر . وعندما يقوم بعد ذلك بفحص المريض يجد علامات خاصة في الظهر والساقين والجهاز العصبي تؤكد له هذا التشخيص .

صور الاشعة ليست دائما ايجابية

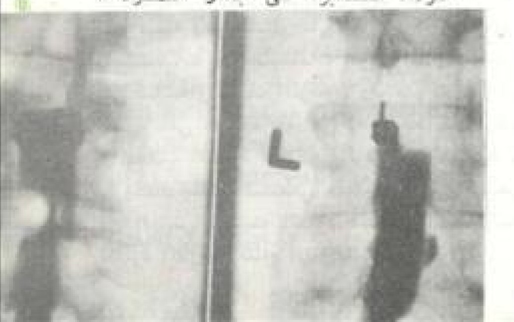
وخلافا لما يعتقده الكثيرون فان صور الاشعة كثيرا ما تبدو طبيعية تماما رغم وجود الانزلاق ، خصوصا في الحالات الحديثة العهد . اذن فعدم وجود تغيرات في الصور الشعاعية في حد ذاته لا يتعارض مع تشخيص المريض ، بيد أن التصوير الشعاعي ضروري في كل حالة ، وذلك لاستبعاد وجود امراض أخرى من أورام او التهابات او غيرها بالفقرات نفسها .

وهناك نوع خاص من الأشعة تسمى « بالأشعة الاعتامية » ، قد يكون لها دور في المساعدة على التشخيص في بعض الحالات ، واقول بعض الحالات فقط ، فان الغالبية العظمى من الحالات يمكن تشخيصها دون اللجوء الى هذا الاجراء الخاص . والفكرة في هذا الفحص ترتكز على أن القرص بين الفقرات بحكم تركيبه شفاف للأشعة اذ أنها تنفذ خلاله دون أن تعكس صورته لنراها على الفلم . ولكننا لو قمنا بحقن مادة « الميوديل » في الظهر يتعتم بها السائل الذى يعوم فيه الحبل الشوكي في الاشعة ويظهر بناء على ذلك النخاع في الأشعة على شكل عمود أبيض اللون ، ويظهر القرص المنزلق ، بسبب ما حوله من السائل المعتم ، انبعاجة سوداء مستديرة على جدار هذا العمود كما هو مبين بالشكل . وكما ان الاشعة العادية قد لا تظهر اى تغيرات رغم وجود انزلاق مؤكد ، فان الاشعة الاعتامية قد تكون هي الاخرى سلبية النتيجة ، ولهذا فلا يجب اعتبارها ركنا أساسيا في التشخيص .

فلنتحمل طول الرقاد

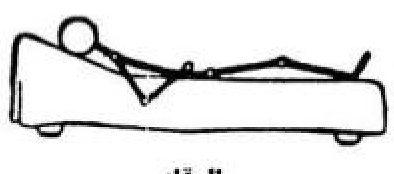
وبالنسبة للعلاج فهو ليس بعسير ولو انه يتطلب تفهما تاما وتعاونا وثيقا من قبل المريض وبذلك ينجح العلاج التحفظي — أى بدون اللجوء الى عملية — في أغلب الحالات . وتكفي الراحة الكاملة في الفراش لفترة قد تطول الى عدة اسابيع، وقد نزيد عليها شد المريض من خصريه للمساعدة على توسيع المسافة بين الفقرات لرد ما برز من

صورة للاشعة الاعتامية تبين النخاع على شكل عمود أبيض والقرص المنزلق كانبعاجة سوداء مستديرة على جدار العمود .



اسْتِقامَةُ الظَّهْرِ

هـذه رسـوم تعلم كيف يكون الوقوف ، والجلوس ، وما وضع الجسم عنـد كنس ، أو غسل ، أو طبخ . الى آخر ما هنالك من أوضاع ، في عمل أو سكون .



الرقاد

فيه ينفق الجسم اقل مقدار من طاقته . وهو أكثر الاوضاع راحة . والقلب فيه اهدأ ما يكون . والعضلات اكثر استرخاء .



الجلوس

ينفق الجسم فيه نحو ٤٪ من الطاقة اكثر مما ينفق في الرقاد . وهو أقل من الوقوف متعبة ، ولكنه أكثر من الرقاد اجهادا .

النواة الى موضعه الطبيعي خلال الفتق الذى مرت منه . كذلك قد نلجأ الى جلسات الكهرباء ، أو اعطاء المسكنات لتخفيف الألم .

ولا يحسب القارىء أن هذا العلاج سهل كما يتصور ، فأكبر صعوبة فيه هي أن يمل المريض هذه الرقدة ويصبح أشـد ما يتعبه هو كثرة الراحة ! ولا يلبث أن ينال ذلك من حالته النفسية ويخيل اليه أن اخلاده الى الفراش عذاب ما بعده عذاب .. أما الطب فيتحايل على ذلك بشغل المريض .. وهناك أجهزة خاصة تحمل له الكتاب أمام عينيه وهو مستلق على ظهره ، كما أن بعض المستشفيات بها استعدادات لعرض افلام السينما على شاشة في سقف الغرفة . ولو علم المريض أن صبره على الراحة هو ثمن زهيد بجانب المرض او بجانب العملية الجراحية لرضي بما هو فيه .

وهناك حالات تستدعي حفظ المريض في قميص من الجبس لتثبيت العمود الفقـري تماما اثناء الفترة اللازمة لالتئام الفتق المسبق للانزلاق .

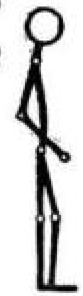
فاذا ما زال الدور الحاد واستراح المريض من آلامه فان عليه أن يتبع منهاجا رياضيا ليقوى عضلات ظهره فتكون خطا دفاعيا متينا يصون عموده الفقرى في المستقبل .

العملية الجراحية

وهناك قلة من الحالات لا تستجيب للعلاج السابق أو تعود أعراض المرض مرة أخرى بعد الشـفاء لسبب أو لآخر . وعندئذ ليس هناك بديل لعملية جراحية . ويرتكز نجاح العملية على دقة التشخيص أولا وحسن اختيار المريض المناسب لها ثانيا . فليس كل مصاب أهلا لهذه العملية وانما يختار الطبيب المريض الصالح لاجراء عملية له على أسس وتفاصيل لا محل لذكرها هنا ... وفكرة العملية بسيطة فهي تهدف الى فتح القناة الشوكية خلال جرح بالظهر فوق الموضع الذى فيه الاصابة ، ثم ازالة القرص بين الفقرتين الذى كان هو السبب في حدوث الاعراض وبذلك ترتاح الاعصـاب من

صحة وجمال

نقلا عن مجلة ((العربي)) العدد ١٣ شهر ديسمبر ١٩٥٩
بمناسبة ما ورد بمقال الانزلاق الغضروفي بالظهر .



الوقوف

يتفق الجسم فيه نحو ١٢٪ من الطاقة اكثر مما ينفق فى الرقاد . وفيه تقوم العضلات بصلب الجسم ، وهى وشيكا ما يصيبها التعب

التوطئة

فى توطئة الجسم هكذا ينفق الجسم من طاقته نحو ٥٥٪ اكثر مما ينفق فى الرقاد . وهو وضع اكثر اجهادا للجسم حتى من الوقوف .

ضغط عليها ويتخلص المريض من آلامه .

وما هي الا أيام من الراحة على الظهر حتى تزال القُطب عن موضع الجراحة ، ويسمح للمريض بالحركة ، ويُوكل به مدرب يلقنه من التمرينات الرياضية ما يقتوى به عضلات ظهره لِتكوّن من قوتها وقاية لعموده الفقرى .

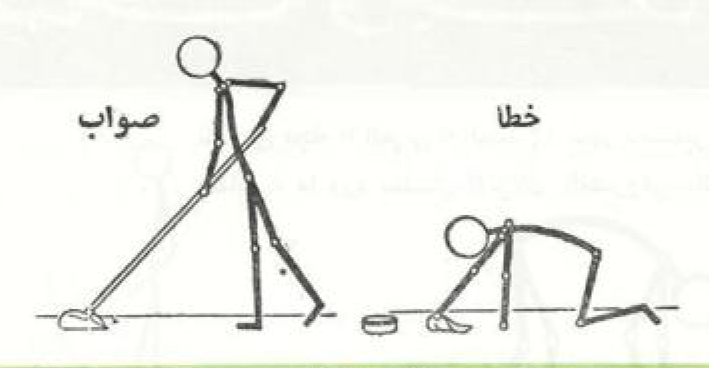
العادة طبيعة ثانية

اما الوقاية فتهدف الى الغاء عودة الاعراض مرة أخرى . فيجب على كل من اجتاز الأزمة الاولى أن يتجنب الانحناء الى الامام وحمل الاثقال ، والتلفت المفاجىء ، والوقوف لمدة طويلة حتى ولو ادى ذلك الى تغيير مهنته . كما ان عليه أن يكيف بمقتضى ذلك حياته اليومية : فسيدة البيت قد تستعين بمقعد عال فى المطبخ ، والموظف قد يضع وسادة خلف ظهره فى جلوسه الى المكتب ، وكذلك السائق عند قيادة سيارته ليحتفظ باستقامة ظهره ويتجنب الشد على انسجته ، وبدلا من انحنائنا لالتقاط شيء من الارض يفضل النزول بالجسم بثنى الركبتين .. على أن تجرى هذه الاحتياطات مجرى العادة ، والعادة كما يقولون طبيعة ثانية .

خرافات شائعة

ومن المؤسف حقا أن هذا النوع من المرض بالذات ، يقع فريسة لشائعات وخرافات ، وتنتشر بين المرضى عقائد غير سليمة تدور حول العلاج غير العلمى مثل الكي بالنار أو غير ذلك .. ولو اقتصرت المسألة على ان هذه العلاجات وامثالها لا تفيد لهان الامر ، ولكنها فوق عدم جدواها مضرة ضررا بليغا فربما تقرحت الحروق وتقيحت فاضافت مرضا أو داء جديدا الى الداء القديم ، وربما استغرق حل مشاكلها وقتا يعطل المريض عن الاستفادة من العلاج المناسب فى الوقت المناسب . ■■

مدحت عبد القادر



دهان الارض

في الصورة الاولى لم يستعن الجسم بعصا انه سقط على الارض واعتمد على ذراع وفخذ في وضع متعب . وفي الصورة الثانية استقام الجسم كالعصا . وهو وضع اجمل للجسم واكرم .






غسل اليدين

انخفض حوض الغسيل فانخفض لينالة الظهر. وحوض آخر علا فاستقام معه الظهر .

صواب خطأ صواب خطا

تحضير الطعام

مقعد لا مسند له ، انحنى له الظهر والعمود الفقري . وآخر له مسند ، استقام معه الظهر والعمود الفقري . وهو للراحة . والاول للتعب يصيب عضلات الظهر ، ويصيب القوام باعوجاج .

طبخ الطعام



جسم وقف محنيّ الظهر ، ما أسرع ما يتعب ، وينفق من طاقته الكثير عبثا . وجسم ركع فاستراح ، وهبط الى حيث الطعام في الفرن فملك منه ما ملك ..





الغسيل

وعاء للغسل انخفض فهبطت له الغاسلة . فتقوست فقار ظهرها . ووعاء علا علاء كافيا ، فلم تجد الغاسلة داعيا للهبوط اليه فاستقامت عودا .

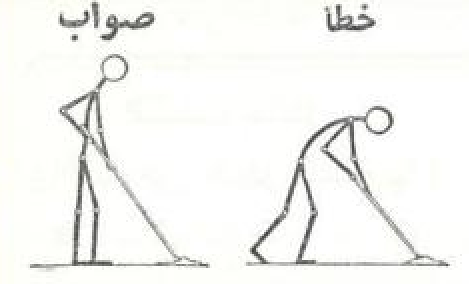
كيف تقف

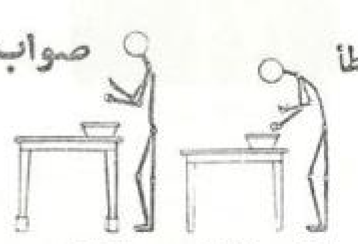
في الاولى بروز في موضع ودخول في موضع. وفي الثانية استقامة تدركها اكثر بان تنتقل بعينيك من الراس ، الى الصدر ، الى الحوض ، تجدها جميعا على خط مستقيم.



مسح الارض

قصرت عصا الاول فتحنى الجسم ، وتقوست فقرات ظهره . وطالت عصا الثاني فاستقام عوده . الفرق فرق عصا من خشب ، هو فرق بين الوضع الخاطىء والصواب .







تحضير الطعام مع الوقوف

هنا ترى جسما لم يستقم ، وآخر استقام. وساعد على الاستقامة ارتفاع المائدة ارتفاعا كافيا . لاحظ كذلك ، مع الاستقامة الاعتماد على الرجل اليسرى ، وكسر اليمنى والخروج بها الى الامام لا الى الجانب .

الكي

ماأروح الجلوس وما اتعب الوقوف . وفي الوقوف مال الجسم الى الجانب فمالت معه سلسلة الظهر . وفي الجلوس ، على مقعد يتعدل ارتفاعه ، تستطيع ان تجمع بين الراحة واعتدال الظهر .



لباقة !

● دعي لورد شسترفيلد السياسي البريطاني الكبير (١٦٩٤ — ١٧٧٣) ، يوما لحضور حفل فى باريس حضره علية القوم من كتاب وشعراء وعلماء ، وكان بينهم الفيلسوف والكاتب الفرنسي الكبير فولتير . ولاحظ فولتير أن اللورد الانجليزي يطيل النظر فى باقة جميلة من سيدات المجتمع البريطاني والفرنسي اثناء الحفل . فاقترب منه وقال : « لقد اشتهرت دائما بذوقك السليم ، فهل لك ان تقول لي ايهما أجمل : المراة الفرنسية ام الانجليزية ؟ » .

وابتسم لورد شستر فيلد فقد كان السؤال محرجا حقا ، ثم عاد ينظر من جديد الى تلك الوجوه الجميلة التي امتلأت بالمساحيق واحمر الشفاه والالوان ، واخيرا قال لمحدثه . « وددت لو أنني استطيع ان أجيبك على سؤالك يا عزيزي ، ولكنني كما تعلم أجهل الناس خبرة بالمساحيق والالوان !! » .

الشعب يحتفل واللصوص تحتفل بأسلوبها !

● كان الجنرال لافاييت Lafayette يزور احدى مدن فرنسا بعد أن عين قائدا للحرس الوطني الفرنسي وذلك بعد رجوعه من حرب التحرير فى امريكا ، وخرجت جماهير الشعب ترحب به ، وفى غمرة حماس المستقبلين ، هجم البعض على العربة التي كان يستقلها ، واطلقوا الجياد التي كانت تجرها ، ثم راحوا يدفعون العربة بأيديهم حتى بلغت الفندق الذى نزل فيه ! .

ومرت بضعة اسابيع على هذا الاستقبال الصارخ ، عندما التقى الجنرال بأحد اصدقائه فقال له الصديق : « لا بد وأنك قد سررت بهذا الاستقبال الحافل ! » .


الجنرال لافاييت

فأجاب الجنرال على الفور : « لا شك انني قد تأثرت للغاية ، ولكن شيئا واحدا مازال يقلقني ، وهو مصير الجياد الستة التي كانت تجر العربة ، انني لم اعثر لها على اثر حتى اليوم ! » .

* يظهر هذا الباب بعد هذا العدد من العربي بعنوان « طرائف غربية » . فهذه هي حقيقته منذ بداياه ...

مليونير بين كل مائة فى امريكا

● بين كل مائة رجل يبدأون حياتهم العملية فى سن الخامسة والعشرين فى امريكا ، نجدهم فى سن الخامسة والستين قد اصبحوا كما يلي :

ـ واحداً فقط اصبح يملك ثروة طائلة تكفيه هو واولاده من بعده .

ـ تسعة جمعوا من المال مبلغاً يؤمنون به حياتهم فى شيخوختهم .

ـ ٥٤ ما زالوا يعملون فى هذه السن لانهم لم يجمعوا شيئاً من المال على الاطلاق .

ـ ٣٦ ماتوا قبل بلوغهم الخامسة والستين ... (احصائية عن كتاب وزارة المالية الامريكية . التوفير وأثره فى حياة الناس) .



حرية الصحافة

● سأل الصحفيون الغربيون جومولكا سكرتير الحزب الشيوعي البولندى : « لماذا لا تطلقون للصحافة حريتها ؟ » فقال : « لأن نصف الذين سيكتبون بحرية ، سيكون هدفهم تحقيق مآرب شخصية . بينما سيكتب النصف الثاني لمجرد ملء ما تبقى من فراغ فى صفحاتها ! .

« اما القراء فنصفهم يقرأ ولكنه لا يفهم ما يقرأ . والنصف الثاني يقرأ ولا يصدق ما يقرأ » .

قالوا ..

● سأعلن رأيي فيما أؤمن به اليوم ،ولو خالف كل ما جاء على لساني بالأمس .

وندیل فیلیبس

● نصف الجهد الذى يبذل فى جميع انحاء العالم ، انما يبذل فى سبيل اظهار الاشياء على غير حقيقتها .

(بيدل E. R, Beadle)

● الا يرضى الانسان بما فيه ، هو سبيل تقدمه وتقدم الأمة كلها .

« اوسكار وايلد »

● فى حياة كل انسان متعلم مرحلة يدرك فيها أن الحسد جهل والتقليد انتحار ، وانه لكي ينجح لا بد أن يكون هو هو بما فيه من حسنات وسيئات .

« امرسون Emerson »

● اذا وجد الانسان متعة فى اللحظات التي يقضيها مع نفسه ومع كتبه ، فهو لا يمكن أن يشعر بالشيخوخة، مهما تقدم به العمر

« الكوت A. B. Alcott »

● ليست الشعيرات البيضاء دليلا على العمر الذى بلغه قلب الانسان .

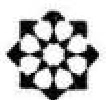
سير هنرى بالوار « Sir A. Balwer »

● الثمرة الناضجة تسقط قبل غيرها من الثمار .

« شكسبير »

« فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »

— قرآن كريم —



« إذا ذكر القضـــاء فأمسكوا »

— حديث شريف —

عوامل حالت دون توسع الصحابة في ... تفسير القرآن

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير مجلة (الوعي الاسلامي)

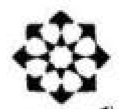
● تحدثت في مقالي السابق عما أحدثه قوله تعالى « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » الآية .

من تهيب الصحابة بصورة عامة من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان لذلك من أثر امتد بالطبع لما يريدون فهمه من بعض آيات القرآن الكريم .

وقبل أن أتحدث عن العمل الآخر الذى كان له أثره أيضا في تهيب الصحابة من سؤال الرسول عما يريدون من بيان معـاني بعـض الآيات ..

أحب أن أمر سريعا ببعض الرسائل التى وصلتني والاحاديث التى استمعت اليها حول هذا البحث.

انني ادرك أن اتجاه البحث جديد ، ولو ان مادته موجودة مبثوثة في الكتب والنصوص ، ولكن الاستنتاج العلمى منها ، وجمعها في تيار يصب في مصب واحد ، ويخرج بمفهوم علمى ، هو الجديد على القراء ، ولهذا كان له أثره لدى الكثيرين من القـراء الذين وصلتني رسائلهـم ، والذيـن استمعت اليهم هنا وفى سفرى ، يرحبون ويطلبون المزيد من الكشف عن الحقيقة التى يجب ان نصل اليها ، ونبنى معلوماتنا على أساسها ..



ورسالة وردتني من صديق في امريكا اكتفى فيها بقوله انه يعارضني في بعض ما أوردته . ولا زلت انتظر أن يبدى لي النقطة التي يعارضني فيها . حتى اناقشها فأكون معه ، أو أستمر ..

لا نريد تحاملا

ورسالة أخرى مطولة جاءتني من العراق .. يذكر لي صاحبها بعض ما يروى عن خطأ بعض الصحابة في آرائهم .. ومع أننا جميعا لا ننزه الصحابة عن الخطأ ، الا أن تركيز الرسالة على هذه الناحية ، وعلى أسماء خاصة ، أو اسم واحد من الصحابة ، يجعلني اقول لصاحب الرسالة اننا نبحث هنا بحثا علميا هادفا ، وقلوبنا يملؤها اجلال الصحابة جميعا دون أن نحملهم فوق طاقتهم ونفوسنا يملؤها الورع عن خدش واحد منهم أو التحامل عليه ، ونحب أن نحرص في بحثنا على أن نكون بعيدين عن عواطف التحزب، التي شممتها من الرسالة ، مما يحملني على التوجه لصاحبها وغيره برجاء ، أن يجردوا انفسهم ما امكن من آثار الماضي وتحزباته ، التي تطمس كثيرا من معالم الحقيقة ، وتحجب الرؤية الصحيحة عن صاحبها. وتدفع بنا الى تحمل أوزار نحن في غنى عن تحملها. فأصحاب الرسول جميعا موضع تقديرنا ، لانهم أول من تلقى غيث السماء الروحي ،وترعرعت به قلوبهم ، وحملوا الراية وضحوا في سبيلها ، وتحملوا من أجل ذلك ما تحملوه مما نعده الآن من البطولات الفذة الفريدة ، وتنوء بتصورها عقولنا ، فضلا عن أن تنوء بها كواهلنا .

أما أنهم كانوا جميعا علماء أو لم يكونوا ، أو أن بعضهم اخطأ في رأيه في ناحية من النواحي فذلك لا يصح أن يكون مثار تحامل . ولا يجوز لنا أن نحملهم مالا يتحملون ، وكفاهم فضلا اننا نعيش الآن على جهودهم ، وبفضل اخلاقهم واخلاصهم لدينهم .

حقائق

وأقول كذلك للذين هالهم أو يفزعهم قولنا .. ان بعض معاني القرآن كانت تغيب عن صحابة رسول الله : ان من الحقائق التي يجب أن نضعها أمام أعيننا أن الصحابة لم يحفظ منهم القرآن كله الا عدد يسير . قيل أربعة وقيل أكثر من ذلك بقليل ، ولو اخذنا العدد الكبير فكم من الالاف منهم لم يحفظ القرآن كله ؟ .

والذين لم يحفظوا آيات القرآن كله لا نستطيع أن ندعي لهم احاطتهم بفهم ما لم يحفظوه .

والذين حفظوه كله ، أو حفظوا سورا أو آيات منه ، لا نستطيع كذلك ان ندعي لهم احاطتهم بفهم كل كلمة مما حفظوه ، لان أمامنا روايات تذكر سؤال أحدهم او بعضهم عن معاني كلمات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ممن روى انه حفظ القرآن كله ..

ومما لاشك فيه أن الذين كانوا يلازمون الرسول قليلون بالقياس لمن لم يلازموه من صحابته . ومن كانوا يلازمونه ، أو يلتقون معه كثيرا ، ويتلقون عنه ، يختلفون في مدى علمهم أواستيعابهم لما يسمعونه .. ومن هنا لا يمكننا أن ندعي أن كل صحابي من صحابة رسول الله تلقى فهم القرآن كله عنه ، أو أنه استقل بفهم كل كلمة فيه لم يتلق معناها عن الرسول .

هذه حقائق يجب أن نضعها في الاعتبار مع هذا البحث ، وهي لا يمكن أن تمس اقدار الصحابة اذ لا سبيل الى القول بأنهم جميعا كانوا علماء أو أن العلماء منهم كانوا متساوين في علمهم . ومع ذلك نقر لهم بفضل السبق والجهاد والاخلاص، ومصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتمنى كل واحد منا أن لو كان واحدا منهم .

الذين يتتبعون المتشابه

ونمضي بعد ذلك في الكلام عن عامل آخر من عوامل احجام الصحابة عن سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم أو تهيبهم ، وأعني به قوله تعالى « هو الذى انزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب » .

وقد كان سبب نزول الاية نقاشا دار بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين وفد نصارى نجران في شأن عيسى عليه السلام ، كانت نتيجته افحامهم، فلجئوا الى الجدال والمراء فقالوا : الست تقول

انه من روح الله وكلمته ؟ قال : بلى. قالوا : هذا حسبنا .. فنزلت الآية تندد بهم لتمسكم ـ خدمة لهواهم ـ بما ورد في القرآن من انه روح الله وكلمته ، غير ناظرين الى الآيات الاخرى التى تبين حقيقة عيسى عليه السلام مثل قوله (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) في سورة الزخرف المكية ، وغير ذلك من الآيات التى تبين حقيقة ولادته وبشريته ..

ونلاحظ أن الآية توجه حملتها على الذين يعمدون الى الألفاظ المتشابهة كهؤلاء .. فيؤولونها حسب هواهم ، بقصد اثارة الفتنة .. وابعاد الناس عن الحق .. « فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » . على حسب هواهم ، مع أن هناك آيات أخرى تحول بينهم وبين اتباع الهوى .. ولكنهم يتعامون عنها، ويهملونها ، انتصارا لرأيهم، وتلبيسا على العوام ، وجذبا لهم ..

وفي مقابل ذم هؤلاء الذين يتعامون عن الحقائق، ويثيرون الفتن ذكر الله طائفة أخرى راسخة في ايمانها وعلمها بالله ، لا تذهب مذهب الاولين في اثارة الفتن بالمتشابه ، بل تؤمن ايمانها بالمحكم باعتبار أنهما صادران عن الله سبحانه ، وسماهم الراسخين في العلم ، اى الراسخين في علمهم بالله جل جلاله ، وبالتالى في ايمانهم به . فقال تعقيبا على الاولين وبيانا لموقف الاخرين (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب . ربنا (اى يدعو الراسخون المؤمنون ربهم قائلين) لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) ، وذلك لفرط ايمانهم ، واعتصامهم بربهم .

وبذلك وضح موقف فريقين من الناس : فريق يعمد للمتشابه ليؤوله تأويلا فاسدا بقصد اثارة الفتن ، وفريق يؤمن به كما يؤمن بالمحكم من الآيات .. الفريق الأول مذموم .. والفريق الثانى ممدوح ..

ويأتى مع هذا حديث روته السيدة عائشة رضى الله عنها تقول فيه (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال (فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) .

ومع ان الآية والحديث ـ كما رأيت ـ يذمان الذين يتتبعون المتشابه ويؤولونه تأويلا يثير الشبه والفتن ، ولا يتناولان الذين يسألون عن المتشابه سؤالا بريئا بقصد الفهم ، أو الذين يذكرونه ، ويردونه الى المحكم ، ويفهمونه على ضوئه ، اقول مع هذا فقد أصبح السؤال عن المتشابه أو الحديث عنه مثيرا لعلامة استفهام حول صاحبه، أو واضعه موضع الريبة في ايمانه ، حتى تتبين حقيقته ..

ولذا كان من الطبيعي أن يتحاشى المخلصون الصادقون ، هذه الريبة ، ويبتعدوا ما أمكن عن الكلام حول المتشابه ، ويكتفوا بالفهم الاجمالى ، رادين كل ما يسمعونه أو يقرءونه منه الى ايمانهم العميق بالله جل جلاله . وتسليمهم المطلق بكل ما ورد في القرآن ، ولو لم يفهموا حقيقة المراد منه ، حتى يكونوا ممن مدحهم الله .

فمثلا الآيات التى تتحدث عن مشيئة الله ومشيئة العباد . أو عن قضاء الله وأفعال العباد . فيها آيات ترد كل شيء الى الله « وما تشاءون الا ان يشاء الله » .. وآيات تضيف العمل الى الانسان « كل امرىء بما كسب رهين » ، فكيف نوفق بين مشيئة الله وقضائه وقدره بالنسبة لعباده ، وبين محاسبة العبد على ما يفعل ؟

هذه القضية التى شغلت الناس قبل الاسلام ، وبعده ، والى الآن ، والى ما شاء الله من أزمان وأجيال ، لم يسألوا الرسول عنها ولم يحلوا مشكلتها . وفي غمرة الاختلاف حول هذه القضية الآن نتمنى ـ حسب تفكيرنا ـ ان لو أثار الصحابة هذه القضية ليجدوا حلها من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكنا لم نرث هذا البيان ، ولو كان لورثناه واسترحنا .

وبالاضافة الى هذا نجد توجيها من الرسول يقول فيه: «اذا ذكر القدر فامسكوا»(١) ولا تخوضوا في البحث عنه .. ولذلك كان الخلفاء بعد الرسول يطاردون كل من يثير كلاما حول القدر بعد اتساع رقعة الاسلام . وعن صفات الله وما ورد عنها في القرآن من الوجه ، واليد ، والعين ، والأعين ، والسمع ، والبصر .. الخ ـ مما يدل على المشابهة ويفيد في ظاهره التجسيم ، وهو محال ، كما تفيد الآية الأخرى « ليس كمثله شيء » فماذا تفيد ـ اذن ـ وما المراد بها ؟ .

---

(١) رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن .

كان الكلام في هذه الناحية والاسترسال فيه مما حظره الرسول ، فوق انه يثير شبها حول صاحبه.. ولذا لم نجد من يسأل عن حقيقة الوجه واليد .. الخ .. بل آمنوا بها كما وردت ، مع ايمانهم بانه « ليس كمثله شيء » ..

يقول العالم الهندي المحقق شاه ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) ص ١٣٤ ج ١ ، بعد أن تكلم عن هذه الصفات : (والحق في هذا المقام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فيه بشيء ، بل حجر (أي منع) أمته عن التكلم فيه والبحث عنه فليس لاحد أن يقدم على ما حجره) .

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب رجلا يقال له (صبيغ) لأنه كان يسأل عن متشابه القرآن ، وما زال به حتى تاب ..

يقول الامام الشاطبي في كتابه (الموافقات) الجزء الثاني ص ٨٧ في فصل عقده لبيان أن الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم: (ومن المشهور تاديبه لضبيع(١)(هكذا)حين كان يكثر السؤال عن (المرسلات) و (العاصفات) ونحوهما) .

وجاء في مسند الدرامي ما يوضح ذلك حيث قال : « أخبرنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث ، أخبرني ابن عجلان عن نافع مولى عبد الله أن صبيغا (بالصاد المهملة) العراقي جعل يسأل عن اشياء في القرآن في اجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب ، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقراه فقال : اين الرجل ؟ فقال : في الرَّحْل . فقال عمر : ابصر ان يكون ذهب فتصيبك مني بـه العقوبة الموجعة . فأتاه ، فقال عمر : تسأل مُحْدَثة؟ فأرسل الى رطائب من جريد (أي لاحضارها) فضربه بها حتى ترك ظهره دَبِرَة (٢) . ثم تركه حتى برأ. ثم عاد اليه ، ثم تركه ، حتى برأ ، فدعا به ليعود اليه،قال : فقال صبيغ: ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا ، وان كنت تريد أن تداويني فقد ـ والله ـ برأت . فاذن له الى ارضه ، وكتب الى ابي موسى الاشعري ان لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل .فكتب ابو موسى الاشعرى الى عمر انه قد حسنت توبته . فكتب عمر ان يأذن للناس بمجالسته » .

وفي رواية : فاتى بعراجين النخل فقال له انت ؟ قال عبد الله صبيغ فاخذ عمر عرجونا م تلك العراجين فضربه وقال : انا عبد الله عمر .. فجعل له ضربا حتى دمي رأسه . فقال يا أمير المؤمنين حسبك . قد ذهب الذي اجد في رأسي ..

وهذه الرواية وتلك لهما دلالتهما في موضوعنا . ولا سيما في قول عمر للرجل يؤنبه : تسأل محدثة ؟ اي اتثير بين الناس امرا جديدا لم يتعودوه من قبل . وهو السؤال عن معنى قوله تعالى : « والمرسلات عرفا » فالعاصفات عصفا .. ونحوهما مما يدل على ان مثل هذه الاسئلة لم يكن من المعتاد ان يسألها الصحابة . في زمن الرسول وحتى عهد عمر .. بل كانوا يعتبرونها تكلفا يثير الشبه .. ثم في الاهتمام بارسال الرجل من مصر الى المدينة وضرب عمر له ، ثم في امره لابي موسى بعزله عن المسلمين ، ما يعطينا دلالة قوية على سوء النظر في ذلك الوقت الى كل من يثير مثل هذه الاسئلة ، وعلى مقدار حرص عمر وولاته على تجنيب المسلمين الاشتغال بمعاني المرسلات والعاصفات ونحوهما ، مما يعدونه متشابها ، محافظة على النهج الذي كان في عهد الرسول وخليفته ابي بكر ، ولذلك انكر عمر عليه مسلكه وقال له : اتسأل مُحْدَثة ؟ اي انه يحدث في الوسط الاسلامي ما لم يتعوده .. ولهذا ايضا نجد الامام مالك يقول في الرد على من ساله عن معنى (الرحمن على العرش استوى) الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة .

كيف كانوا يفهمونه ؟

وحينئذ لا بد أن يرد على ذهن القارىء سؤال : كيف اذن كانوا يفهمون مثل هذا ؟

وجواب هذا انهم كانوا يكتفون بالمعنى الاجمالي وما يفيده السياق في مثل هذه الامور وغيرها ، مما لا يتعلق بها حكم تكليفي محدد . فمثلا القسم بالمرسلات وما بعدها من العاصفات والناشرات والفارقات ..يفهمون انها اشياء عظيمة يقسم الله بها على امر مهم وهو البعث « انما توعدون لواقع» لا يهمهم المراد بالعاصفات . كما عني بها من بعدهم وقالوا : الرياح ، او الملائكة ، ولم يتفقوا على رأي ، لانهم يجتهدون في بيان المراد ، ولكل

---

(١) صحته صبيغ بالصاد المهملة .

(٢) بها قروح كما يفعل رحل الدابة بها .

اجتهاده . فكان الصحابة لا يخوضون فى بيان المراد تحديدا ، بل يرون أن ذلك تكلف لا يصح الاشتغال به ما دام المعنى الكلى مفهوما، وليس هنالكمايوجب فهم المراد بالمفردات ..

ومثل اخر يوضح هذا ويؤكده وهو لا يتعلق بالمتشابه ، بل يتعلق بكلمة عادية ، ولهذا دلالته فى موضوعنا ، روى أن عمر رضى الله عنه قرا (وفاكهة وابا) من سورة (عبس) فقال : وماالاب؟ ثم قال : ما كلفنا هذا ، مع أن الاب ليس من المتشابه ولكن عمر مع ذلك راى السؤال عن معناه تكلفا منهيا عنه .. والشاهد أن عمر كان من حفاظ القرآن .. وقرا هذه الآية مرات .. حتى سال نفسه هذا السؤال ، ثم استدرك ، واعلن أن البحث عن مثل هذا تكلف لا داعى له ، بل انهم نهوا عنه ..

وعمر بلا شك كان يدرك المعنى الاجمالى ، وهو العبرة المستمدة من خلق الله هذه الاشياء : « فلينظر الانسانالى طعامه ، انا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم » . فالاب لا يخرج عن كونه نباتا جعله الله مع ما ذكره من أنواع ما تنبته الارض « متاعا لكم ولانعامكم » اما هو بالذات .. فلم يعرفه عمر كما روى ، والاشتغال بمعرفته تكلف كما قال .... والمعنى العام لا يتوقف على معرفته ..

وقد رويت حادثة السؤال عن (الاب) بروايات مختلفة فى بعضها زيادات عن البعض الآخر ، وكلها توضح المعنى الذى نريده .. ففى رواية ان عمر رضى الله عنه سأل نفسه عن الأب . ثم قال : ما كلفنا هذا ، كما سبق ، ورواية تقول ان رجلاسأل عمر ، فقال له عمر : نهينا عن التكلف والتعمق.. وفى رواية أن عمر قرا (وفاكهة وابا) فقال هذه الفاكهة عرفناها ، فما الأب ؟ .. ثم استدركوقال: هو التكلف . فما عليك الا تدريه ..

وقد أورد الامام الشاطبى روايتين من هذه الروايات وضم اليهما رواية تاديب عمر لصبيغ لسؤاله عن المرسلات الخ .. ثم قال (وظاهر من هذا كله أنه انما نهى عنه لان المعنى التركيبى معلوم على الجملة ولا ينبنى على فهم هذه الاشياء حكم تكليفى فراى أن الاشتغال به عن غيره ، مما هو اهم منه ، تكلف) .

ثم قال : فلو كان فهم اللفظ الافرادى يتوقف عليه فهم التركيبى لم يكن تكلفا (اى لم يكن السؤال عنه تكلفا) بل هو مضطر اليه ، كما روى عن عمر نفسه ، قوله تعالى ، او ياخذهم على تخوف ، فانه سال عنه على المنبر ، فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا هو التنقص . ثم انشد:

تخوَّف الرَّحْلُ منها تامِكاً قرِداً
كما تخوف عودَ النبعة السَّفَن (١)

(اى ان رحل الناقة اخذ من سنامها المتلبد وتنقص منه ، كما ياخذ المبرد وينقص من العود بمعنى أزال بعضه) فقال عمر : أيها الناستمسكوا بديوان شعركم فى الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم.

ومع الدلالة التى اوردنا هذه الرواية لها .. تاخذ دلالة اخرى تؤكد ما سبق أن اوردناه.. وهو ان بعض الالفاظ من غير المتشابه ظلت غير مفهومة كذلك لحفاظ القرآن حتى توفى الرسول .. دون أن يسالوه عنها ، مع ملازمتهم له أو قربهم منه عليه الصلاة والسلام وذلك خوفا من رميهم بالتكلف ، والاشتباه فى ايمانهم ..

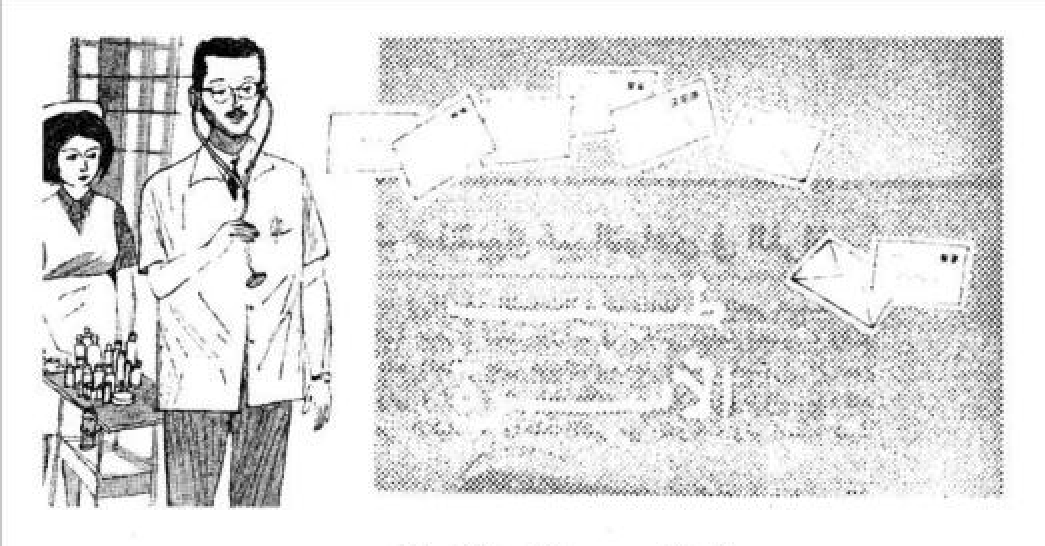
وهذا بالتالى يدلناعلى انه ليس بلازم للصحابى ـ وان كان فى المقدمة ـ ان يحيط علما بكل معانى الفاظ القرآن .. كما نظن نحن الآن .. وليسهذا ماسا بهم ، لانهم كانت لهم شواغلهم واعمالهم ، وكانوا يفهمون منه ما يتصل بالعقائد من الالفاظ الظاهرة المحكمة ، وما يتصل بالتكاليف .. هذا امر ضرورى .. ويفهمون مما عدا ذلك كثيرا أو قليلا كل على قدر استعداده .. ووقته .. عاما بان القرآن عربى ، وهم عرب أقدر الناس على فهمه ..

لكن هذا لم يمنع أن تكون هناك الفاظ لها معان خفيت على بعضهم ، أو لها مراد لم تصل اليها عقولهم ، لانها تتحدث عن امور لم يالفوها ، ولم يسالوا عنها ،تحاشيا من الوقوع فى التكلف الذى نهوا عنه ، او خوفا من الاشتباه فيهم .. على أن هذا القدر منالفهم الذى فهموه للقرآن كانبلاشك فى دائرة علمهم بلغتهم . وفى دائرة الثقافة العامة التى كانوا عليها . ■■

الكويت **عبد المنعم النمر**

---

(١) التامك : المرتفعمن السنام . القرد : المتلبد . النبعة : شجر . والسفن : المبرد ونحوه .



الفتق .. وخطورة اهماله ..

● اصيب بفتق من جراء القفز من اعلى شجرة في حديقة منزلنا ، ونصح [illegible] الطبيب .. فهل هناك علاج [illegible] للتخلص من العملية الجراحية ؟ وهل هناك خطر من الصبر على هذه الحالة ؟

ـ الفتق Hernia هو ظهور جيوب من جدار البطن حيث تخرج منها بعض محتويات البطن كالامعاء . وقد يكون الفتق خلقيا Congenital ، اى موجود مع الولادة او غير خلقى .. ويتكون الفتق عادة في اماكن معينة من جدار البطن اكثرها هى منطقة اتصال البطن بالفخذ ، او في الخط الاوسط للبطن ، في السرة ، أو فوقها أو تحتها .

وفي كل انواع الفتق التى تكتشف بعد السنة الاولى من العمر لا يوجد علاج سوى العملية الجراحية ، وهناك بعض الاستثناءات .

١ ـ الطفل المولود حديثا .. يوضع حزام للفتق ، وهناك امل ضعيف في شفاء الفتق اذا استعمل الحزام بطريقة صحيحة .

٢ ـ الفتق السرى في الاطفال .. حتى سن الثالثة وفي هذا الصنف من الفتق تقفل فتحة السرة تلقائيا بدون عمليات جراحية .

٣ ـ الاشخاص المسنين الذين لا يحتملون اجراء عملية جراحية ، لأمراض مزمنة في الرئتين او القلب او تضخم البروستات او لضعف عضلات البطن واحتمال رجوع الفتق بعد العملية ، وفي مثل هؤلاء المرضى ينصح باستعمال الحزام .

اما الخطورة في اهمال الفتق او (الصبر عليه) فهي :

١ ـ ازدياد حجم الفتق تدريجيا .. وهذا قد يؤدى الى خروج معظم محتويات البطن من الفتق مما يصعب مهمة الجراح في ارجاع المحتويات الى البطن ، مع احتمال تكرر الفتق بعد العملية لضعف عضلات البطن . وازدياد حجم الفتق ، قد يكون عائقا للانسان عن تأدية اعماله .

٢ ـ انسداد الامعاء داخل الفتق .

٣ ـ اختناق الامعاء وموتها داخل الفتق وهذا قد يؤدى الى وفاة المريض . اذا لم تجر عملية جراحية مستعجلة لانقاذ حياة المريض .

بالاضافة الى مضاعفات أقل اهمية .

ولذلك ننصح كل مريض بالفتق أن يسرع في الذهاب الى الطبيب لاجراء جراحة تشفيه .

أسباب كثيرة للتبول غير الارادى فى الفراش

● انا طالب فى الصف الثالث الثانوى ، ابلغ من العمر تسعة عشر عاما ، وخلال فترة صغرى كنت ابول ليلا فى فراشي دونما شعور ، وقد استمرت معي هذه الحالة حتى هذه الايام ، مما يدفعني باستمرار الى عدم النوم خارج منزلي ، أو القيام بأية رحلات ... ولا ادرى ما السبب ، فقد اتصلت بكثير من الاطباء ، واخذت الكثير من الادوية ، ولم استفد شيئا حتى الآن .. ؟

ـ الحالة التي تشكو منها هي حالة معروفة ويصادفها الاطباء كثيرا ، وهي التبول اللاارادى Enuresis ولها ثلاثة اسباب : (١) اسباب غير عضوية Functional : وتشمل الرجوع الى حالة الفعل المنعكس الذاتي Automatic Reflex الخاص بالتبول عند الاطفال دون الثالثة وهذا يرجع الى قصور الوالدين فى تدريب الطفل ، أو الاضطرابات العاطفية ، أو اختلال عصبي نفسي Neurosis ، أو عدم تكيف المريض للظروف المحيطة .

(٢) اسباب عضوية فى الجهاز البولي: كالتهيج الموضعي الناتج عن ضيق الحشفة أو قناة مجرى البول ، أو التهاب الاعضاء التناسلية الخارجية ، وكذلك التهابات المثانة وخاصة قاعدة المثانة ، والتهاب المجارى البولية العليا ، كذلك البول الحمضي أو القلوى الزائد عن المعتاد ، أو الديدان الدبوسية in worm . ومنها أيضا ازدياد كمية البول نتيجة للبول السكرى أو كثرة شرب السوائل كالبيرة أو عصير القصب مثلا .

(٣) اسباب عامة : المرض مثل التدرن الرئوى . الاطعمة الحريفة . التعب . نقص افراز الغدد الدرقية Hypothyroidism . الصرع . قصور العقل Mental Defeciency . وانفتاح العمود الفقرى الخلفي Spina Befida .

كل هذه الأسباب ممكن ان تؤدى الى حالة مثل حالتك تماما ، والأمر يحتاج الى طبيب حاذق ليفرق بينها ويضع اصبعه على السبب المباشر ، وهذا يكون بالبحث الدقيق ، وبالفحص الطبي الشامل للجهاز البولي خاصة ، والجسم كله عامة . وربما احتاج الأمر الى تحليل نفسي اذا اشتبه فى ان يكون السبب عاطفيا او نفسيا . والعلاج : ينقسم الى (أ) وقائي (ب) فعلي

(أ) العلاج الوقائي : يجب ان نعوّد الطفل على التبول بانتظام كل ٤ ساعات ابتداء من الشهر الخامس عشر الذى يبدأ فيه الطفل فى البقاء جافا لمدة ساعتين تقريبا ، ويجب ، أن يهيأ للطفل مكان مناسب فى الحمام . ولا يجب على الابوين ان يعاقبا الطفل على الهفوات التي تصدر منه خاصة ما كان ناتجا عن انشغال البال أو الخوف . واخيرا عليه ان يتعود على استعمال حمامات اخرى خارجية .

(ب) العلاج الفعلي : يجب علاج الاضطرابات الموضعية والعامة كما سبق .

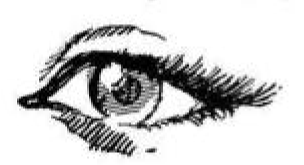
ـ يفرغ الطفل مثانته قبل النوم ، ويوقظ قبل ميعاد ابتلال فراشه المعتاد (عموما بعد ساعتين من النوم) ليفرغها مرة ثانية . وبازدياد طول الفترات التي يوقظ فيها يمكن الاستغناء عنها كلية بعد ٦ اشهر .

ـ يجب تجنب ملابس الفراش الثقيلة .

ـ يجب الا يعاقب الطفل أو يؤنب بسبب ابتلال فراشه ، وعلينا أن نشجعه على اقل تحسن يحدث فى حالته .

حساسية في العين

● لاحظت عندما استيقظ في الصباح ان رموش عيني ملتصقة بعضها ببعض بمادة لزجة تفرزها العين ... كما لاحظت ايضا انني في بعض الاحيان لم اعد ارى الشيء الذى امامي بحجمه الحقيقي ، فهو يبدو صغيرا جدا ... فهل هناك خطر من مثل هذه الاشياء ؟



ـ لعل أشيع اسباب الافراز اللزج الذي تشكو منه هو مرض الحساسية، خاصة ان صحبه اكلان يدعوك لحك العين او اذا كان موسمي الحدوث ،كما هو الحال في الكويت هذه الأيام لدى كثير من الناس ... وهو فيما عدا ما تسببه اعراضه من مضايقة لا يشكل خطرا على العين ولا ينال من قوة الابصار، وسيصف لك طبيبك مضادات الحساسية على هيئة حبوب او قطرة او مرهم فتستريح .

اما رؤيتك الأشياء مصغرة ، فهذا انصحك فيه باستشارة الطبيب ! قد تكون من الذين يلبسون نظارة بسبب قصر النظر الشديد فتكون عدستها اذن عالية التقعير فهي تسبب صغر المرئيات .. وفي الوسع تلافي ذلك باستعمال « العدسة اللاصقة » بدلا من النظارة ، وهي تلبس داخل الجفنين ولا تكاد تبدو للناظرين .

كذلك فمن بين اسباب صغر المرئيات انفصال الشبكية،وهي السطح الحساس فى العين او شبه الفلم فى آلة التصوير ... فتقع الصورة على عدد اقل من الخلايا الحساسة بالشبكية فيبدو الشيء اصغر من هيئته . وسبب هذا الانفصال ضربة او قصر شديد في النظر او تحلل في الشبكية نتيجة كبر السن . ولكل منها علاماته ولكل منها علاجه .

ـ يجب تجنب التعب والخوف وخاصة عند اقتراب ساعة النوم .

ـ قد يحتاج الطفل الى مهدىء بسيط اذا كان يشكو من توتر عصبي مثل اكسير الفينوباربيتال .

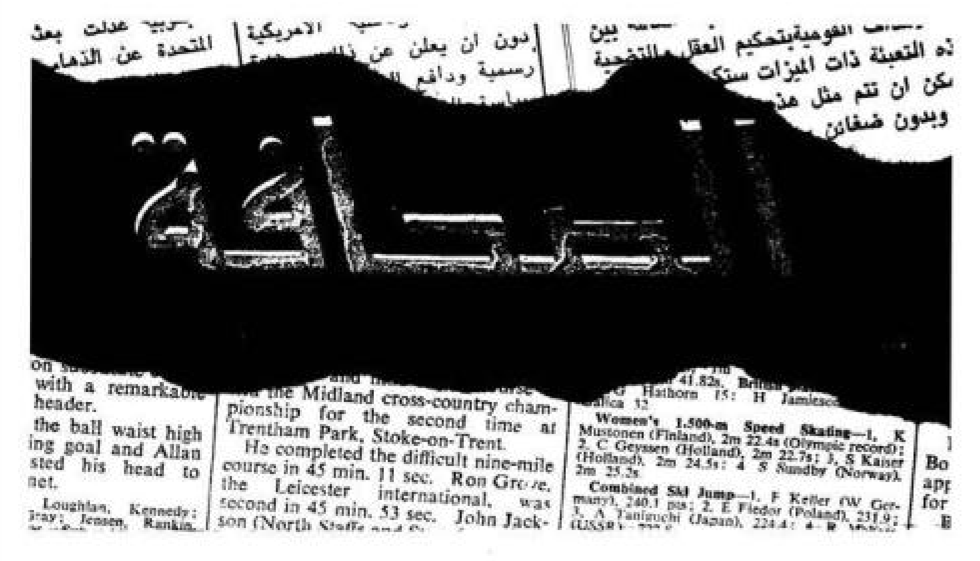
ـ وفى وجبة العشاء يجب تجنب القهوة والشاى والكاكاو والحريفات مثل الملح . وكذلك الحلويات بقدر المستطاع .

ـ يجب تحديد كمية السوائل التي يتناولها الطفل بعد الساعة ٤ مساء ، بدون افراط فى التحديد حتى لا يتركز البول .

ـ يجب ان تكون وجبة العشاء جافة وخفيفة : فواكه « مهلبية » خبز ـ حبوب مطبوخة ـ فالوذج .

ـ يجب علاج الاضطرابات العصبية والنفسية وربما احتاج الامر الى العرض على طبيب نفساني لاكتشاف الخطأ فى الطفل او الوالدين .

ـ وقد وجد ان بعض العقاقير نافع ونترك امر هذا الطبيب . ■■



بقلم: محمد طنطاوى

■ حريـة الصحافة معنى براق .. وكلمتان ذكرتا وتذكـران دائمـا فى كل دساتير العالم وقوانينه .. والكلام عن حرية الصحافة يجب ان يسبقه كلام عن الصحافة نفسها .. دورها .. نشأتها وتطورها ثم تأثيرها على المجتمع .

ثم بعد ذلك يأتي دور الاجابـة على السؤال الهام :

لو أعطيت الصحافة كل الحرية .. هل تستطيع أن تصبح حرة طليقة ؟ !

ولنبدأ الحديث عن الصحافة .. ثم نجيب على سؤالنا هذا ..

غريزة حب الاستطلاع

الانسان بحكم غريزته محب للاستطلاع .. ومنذ القدم استعمل الانسان عدة وسائل لنقل الاخبار التي تثير اهتمامه . فمنذ الاف السنين وسكان الادغال فى افريقيا يتناقلون اخبارهم عـن طريق الدق على الطبول ..

وفي انجلترا وحتى أوائل القرن السادس عشر كان تناقل الاخبار يتم بواسطة مغنين متجولين يطوفون بالشوارع والازقة يذيعون اخبار الحركة التجاريـة او حـوادث القتل او التحـركات العسكرية .

وفى الامبراطوريـة الرومانيـة ومن قبلهـا الجمهورية الرومانية كانت الحكومة تقوم بنشر صحيفه تسمى (اكتاديورنا) Acta Diurna مكتوبة بخط اليد وتلصق فى الاماكن الهامة بالشوارع ودور الحكومة لاطلاع الجمهـور على القوانين الجديدة التي تسنها الحكومة ..

والصحف باختصار شديد هي احدى الوسائل الهامة التي يشبع بهـا الانسان غـريزة حب الاستطلاع لديه . ومن هنا جاءت أهميتها .

٥٠ الف جريدة فى العالم

أما الصحف المطبوعة فلم تظهر فى العالـم الا بعد اختراع الطباعة فى الفترة بين عام ١٤٣٠ و ١٤٥٠ بعد الميلاد . وصدرت اول جريدة مطبوعة فى المانيا عام ١٥٠٢ وكانت تسمى نوياتسايتونج Neue Zeytung وتتابعت الصحف فى اوروبا .. فجاءت الجازيت دى فرانس فى باريس فى عام ١٦٣١ ، ثم فى انجلترا جاءت اليها الصحف من هولندا .

وقد وصل عدد الصحف الموجودة فى العالم الان وحسب احصائية تقديرية الى حوالي ٥٠ الف صحيفة .. وهذا الرقم قابل للـزيادة لا للنقصان !

والصحف اليوم تكاد تدخل كل بيت يعرف

وخطرها اليوم فى حياة الأمم

الناس تطلب من الصحافة دائما أن تكون حرة طليقة فهل تأذن ظروف حياتها بأن تصبح حقا حرة طليقة ؟!

افراده القراءة .. وتدل الاحصائيات على صدق هذا الكلام .. ففي امريكا مثلا تقول الاحصائيات ان ٩٥٪ من مجموع الافراد البالغين يشترون صحيفة ما .

وفى السويد بلغ توزيع الصحف ۳٫۲۰۰٫۰۰۰ نسخة يوميا فى حين ان تعداد السويد كله لا يزيد عن ٧ ملايين .. وفى بريطانيا قد يصل توزيع الجريدة الواحدة الى اكثر من ٣ ملايين نسخة يوميا .. واليابان يصل توزيع الجريدة اليومية فيها الى ٧ ملايين نسخة .. أما الولايات المتحدة الامريكية فلا يتعدى توزيع الجريدة اليومية الكبرى فيها النصف مليون وذلك لانتشار الصحف المحلية فى كل ولاية من الولايات .. وفى البلاد العربية يصل توزيع الجرائد اليومية فى الجمهورية العربية المتحدة مثلا الى حوالي ٥٠٠ الف نسخة يوميا ، وهذه الارقام فى زيادة مستمرة تتناسب تناسبا طرديا مع الزيادة فى نسبة التعليم بهذه البلاد .

تطور الصحافة

مع التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذى شهده العالم فى القرن العشرين لم تقف الصحافة جامدة بل تطورت هي الاخرى من حيث الطباعة والشكل والتحرير . واصبحت دور الصحف اشبه بالمؤسسات الصناعية الضخمة بما تحتويه من الات واجهزة واقسام مختلفة .. وادارة اعلانات .

ومع التطور الصحفى ايضا ازداد تاثير الصحافة فى القرن الحالى زيادة كبيرة .. فهي اداة فعالة فى التاثير على الراى العام .. وهى اداة فى توجيه النقد ولتوصيل رغبات الشعب للحكومات .. كما انها ايضا اداة من ادوات الثقافة والعلم فى العصر الحديث .. فوظيفة الصحافة لم تعد مقصورة على نقل الاخبار او الاحداث كالصحف اليومية ، فقامت الصحف الاسبوعية والشهرية بملء صفحاتها بمقالات المفكرين وكبار الكتاب والادباء ورجال الاقتصاد والعلم .

واصبحت الصحافة نفسها مهنة تدرس اصولها فى الجامعات والكليات فى مختلف انحاء العالم ، وقد بلغ من تاثير الصحافة على مختلف ميادين الحياة سياسية او اقتصادية او اجتماعية ان اطلق عليها اسم السلطة الرابعة ..

حرية الصحافة

لم تحصل الصحافة على حريتها الا بعد ان

تعرض الكتاب والصحفيون للسجن والتعذيب والتشريد .. وتعرضت الصحف نفسها للمصادرة والاغلاق على مر القرون ، فهي لم تحقق حريتها الا بعد نضال وجهاد والسير في طريق طويل مليء بالاشواك .

ويذكر لنا التاريخ ان الامبراطور الروماني كاليجولا Caligula في عام ٣٨ بعد الميلاد قد امر بحرق احد الكتاب حيا .. لانه كتب عدة سطور تحتوى على معانى خفية اعتقد الامبراطور الروماني انها موجهة اليه .. ! !

ومع بداية عصر النهضة .. ومع انتشار الحريات وانتهاء عصور العبودية والاستغلال حصلت الصحافة على حريتها بنصوص تضمنتها اغلب دساتير العالم في العصر الحديث .

ولكن نعود الان الى السؤال الهام الا وهو هل استطاعت الصحافة ان تصبح حرة حقا .. وفكرة ؟

تأثير الاعلان

عندما بدا عصر النهضة وخرج العالم من القرون الوسطى او المظلمة .. كانت الصحافة لا تزال تحبو وكان موردها الاساسي هو دخلها من التوزيع ، وكانت الصحيفة تتكون من جهاز لايزيد عن ثلاثة اشخاص وفي بعض الاحيان شخص واحد بينما كان عدد صفحاتها لا يزيد عن صفحتين او اربع .. باختصار كانت موارد الجريدة او الصحيفة من دخل التوزيع كافية لاستمرارها ..

والصورة تختلف الآن اختلافا كليا .. فكلما ازداد توزيع الجريدة كلما ازدادت نفقاتها بحيث لا يكفي دخلها من التوزيع للابقاء على حياتها .. ويبقى الاعلان موردا رئيسيا في الابقاء على حياة اية جريدة الان .. بالاضافة الى ان الاعلان في الاصل مهم للقارىء .. فهو يرشده الى بضاعة جديدة في الاسواق .. او الى كتاب جديد .. او الى طريقة لاستغلال امواله .

ولكن مع التقدم التكنولوجي والصناعي اشتدت المنافسة بين المنتجات المتشابهة المختلفة .. ووجدت الشركات الصناعية الكبرى في الاعلان وسيلة لجذب المستهلك .. واشتدت حاجتها للاعلان في الصحف في نفس الوقت الذى اشتدت حاجة الصحف للاعلان .. كعنصر اساسي لحياتها .. تماما كالاوكسجين لحياة الفرد ..

والمعلن في الجريدة بالرغم من انه يعلم فائدة الاعلان له ، الا انه يدفع ثمنا غاليا في اعلانه ، وهو يعلم ايضا مدى حاجة الصحف لهذه الاعلانات .. ومن هنا وجد الوسيلة للضغط على الصحف .. ووضع المعلنون قيودا على الصحف تتناقى مع حرفية حرية الصحافة . ولعل الدراسة التى قام بها مجلس الصحافة البريطاني وهو هيئة رقابة اخلاقية وادبية على الصحف في بريطانيا تكشف لنا مدى تأثير المعلن على حرية الصحافة .. التي كفلتها القوانين والدساتير ..

لقد وجد المجلس البريطاني بعد بحث وتدقيق أن عددا كبيرا من الصحف البريطانية تقوم بالكتابة عن مسرحيات او افلام أو شركات معينة دون غيرها . والغريب في الامر ان هذه الشركات بالذات تخص هذه الصحف باعلاناتها.. ومثال ذلك انه في عدد ١٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ من جريدة « الاوبزرفر » لوحظ ان هناك اعلانا يدعو الجمهور لاستغلال امواله في شركة ادخار معينة .. وفي نفس العدد كتب المحرر الاقتصادى للجريدة مقالا عن الميزات التي يتمتع بها اى شخص يقوم باستغلال امواله في هذه الشركة بالذات .. ولم يجيء في المقال المذكور اى شيء عن اية شركة اخرى !!

وفي نفس اليوم وفي عدد « الصانداي تايمز » كتب المعلق الاقتصادى بها مقالا يشرح فيه لقرائه المزايا التي تتاح لهم لو قاموا باستغلال اموالهم في شركة اخرى معينة للادخار .. والغريب في الامر .. وهو طبعا ليس بالصدفة ـ ان هذه الشركة كان لها اعلان كبير في جريدة « الصانداى تايمز » ! !

والمثالان ليسا في حاجة لتعليق ! !

الاثارة .. والتوزيع

لم يعد الاعلان وحده هو الذى يحد من حرية الصحافة او يؤثر على المواد التي تنشر في الصحف .. ولكنه ايضا السباق المجنون حول تحقيق ارقام قياسية في التوزيع .. فكلما زاد

التوزيع كلما زاد المعلنون وزادت اسعار الإعلانات .. وبالتالي زاد دخل الجريدة .

ولهذا تتنافس الصحف على زيادة توزيعها .. وكان اسهل طريق امامها هو استخدام الاثارة كوسيلة من وسائل زيادة التوزيع .. واندفعت الصحف نحو اساليب الاثارة المختلفة .. ومع هذا الاندفاع المجنون الذى يزيد في حدته حب البقاء .. قدمت كثير من الصحف جزءا من مفهوم حريتها كقربان على مذبح البقرة المقدسة التي اسمها التوزيع ! !

اندثرت القيم الصحفية التي هي جزء لا يتجزأ من مفهوم حرية الصحافة .. وحرفت الاخبار وضاعت الحقائق وسط غيوم كثيفة من الاثارة .

المبادىء .. والتوزيع

وفي هذا المجال يقول مجلس الصحافة البريطاني ان اغلب الناشرين يؤمنون بان كل المبادىء من الممكن ذبحها واراقة دمها اذا كان ذلك سيؤدى الى زيادة ضخمة في التوزيع ! ! كما يقول المجلس ايضا ان اغلب الصحف الآن لا تلتزم الدقة في كتابة تحقيقاتها أو حتى الحقيقة في نقل اخبارها . وأن هناك عدة امثلة صادقة على هذه الحقيقة .. ومنها مثلا ما نشرته جريدة « الديلي اكسبرس » يوما عن خطاب احد الساسة .. واتضح أن الخطاب المنشور لا يتناقض فقط مع الخطاب الاصلي ولكنه ايضا يحتوى على معاني تتعارض تماما مع المعاني الاصلية ! !

واتضح ان السبب في تحريف الخطاب المذكور ليس الا لجعل الخطاب يتفق مع آراء صاحب الجريدة اللورد بيفربروك .. ! !

وهذا المثال يثير امامنا مسألة جديدة تؤثر تأثيرا مباشرا على حرية الصحافة وهي آراء الناشر ومعتقداته فكثيرا ما تتعارض الحقائق مع معتقدات الناشر السياسية او الاقتصادية او الدينية فيقوم بمنع نشرها او بتحريفها .. وهذا طبعا يتم على حساب حرية الصحافة ! !

الصحافة والحكومة

وكما ان الناشر والمعلن يشتركان في كثير من الاحيان في الحد من الحرية المكفولة للصحافة .. فان المصادر الحكومية ايضا ، ونعنى بها الديمقراطية حيث ترجى الحرية ، تتحمل جزءا كبيرا من مسئولية الحد من حرية الصحافة .

فالصحفي يحصل على معلوماته عن طريق مصادر رسمية حكومية .. وكثيرا ما تقوم الهيئات المسئولة عن امداد الصحفيين باخبار الدولة بوضع ستار حديدى على معلومات كثيرة وتحجبها عن اعين الصحافة .. والنتيجة الفعلية قيود تجعل من حرية الصحافة حبرا على ورق ! !

والصحفي ايضا

كثير من الصحفيين يمارسون نوعا من القيود على حرية الصحافة .. فهناك من الصحفيين من يتوصل الى حقائق تد تفيد الجمهور بنشرها ولكنه يحجبها عنهم لغرض في نفسه او لمصلحة شخصية .. وهناك صحفي يحرف الحقائق لكي يضفي على اخباره نوعا من الاثارة او لكي تتفق مع آراء الناشر الذى يعمل عنده .. وهناك ايضا الصحفي الذى لا يتجرد عن آرائه الشخصية ومعتقداته عند كتابة موضوعه فتضيع الكثير من الحقائق الهامة نتيجة لارائه الخاصة .

ولكن هل يعنى كل هذا أن الصحافة لا يمكن ان تكون حرة .. حقا وفكرة ؟ !

في الحقيقة أن حرية الصحافة قد تتأثر بكل هذه العوامل التي ذكرناها .. وقد تتأثر بعوامل اخرى في المستقبل نتيجة للتقدم التكني المتوقع في السنوات القادمة .. ولكن درجة هذا التأثر تختلف من صحيفة الى صحيفة .. ومن صحفي الى صحفي .. ومن بلد الى بلد .

والوصول الى الكمال امر صعب ان لم يكن مستحيلا .. وهناك محاولات تبذل للوصول بالصحافة الى حريتها كاملة غير منقوصة .. والبعد بها عن العوامل التي تؤثر على حريتها .. ونجاح هذه المحاولات امر مرتبط بتعاون الصحفيين والحكومات والشركات والمؤسسات على ايجاد علاج لكل المؤثرات التي تضفى ضبابا ولو خفيفا على حرية الصحافة الكاملة .

■■

محمد طنطاوى

قرية لها ضمير

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ قرية جيفرسون ـ احدى قرى ولاية جورجيا ـ من ولايات الجنوب الشرقى للولايات المتحدة ـ قرية صغيرة هادئة آمنة اهلها مسالمون وعددهم من القلة بحيث يكاد كل واحد منهم يعرف جميع الآخرين ، لا يعرف صغارهم الجرائم العنيفة التي تشكو منها مدن الولايات المتحدة الكبيرة ، ولا يذكر كبار السن من سكانها ان جريمة قتل واحدة ارتكبت في عهدهم .

وفى منتصف الساعة العاشرة من مساء يوم ١٩ يونيو ١٩٥٦ سمع احد رجال الشرطة ـ الذى كان فى اجازته ـ اصوات طلقات نارية تنبعث من منزل « شارل دريك » الذى يسكن فى نفس الشارع ، فاسرع يتبين الخبر ، فوجد دريك جثة هامدة تسيل منها الدماء وزوجته بجواره فى حالة فزع شديد وذهول والدماء تسيل منها ايضا وقالت له انها كانت فى الحمام استعدادا للايواء الى سريرها، وسمعت ثلاث طلقات نارية فاسرعت بالخروج نصف عارية ، فرأت شخصا اجنبيا يركع بجوار جثة زوجها فى ارضية غرفة النوم ، يقلب فى جيوب بنطلونه ، ويبحث فى وسطه عن حزام اعتاد زوجها ان يضع فيه نقوده . وانها اسرعت الى التليفون تستنجد ولكن الرجل الغريب هجم عليها وضربها على رأسها بمقبض البندقية ، وانتزع آله التليفون من الحائط ، فسقطت ، وعاد الرجل الى الزوج يتابع البحث فلما بدت من الزوج حركة تدل على انه لا يزال حيا اطلق عليه عيارا آخر وقفز من النافذة وولى الادبار .

★ ★ ★

اسرع رجل الشرطة باحاطة رؤسائه بالحادث فوضعوا حصارا حول القرية واستمروا فى البحث طوال الليل بغير جدوى فلم يجدوا اثرا للقاتل .

واعطت مسز دريك اوصاف القاتل بانه فى العشرينيات الاولى من العمر ، طوله خمسة اقدام وستة او ثمانية بوصات ووزنه بين ١٥٠ و ١٦٠ رطلا ... اسمر اللون كمن لفحته الشمس ، يرتدى سروالا من الكاكى وجاكتة من التى يلبسها الجنود فى غير اعمال الحرب ، وعلى رأسه قبعة حافتها مدلاة الى اسفل .

وتبين من التحقيق أن الجانى كسر زجاج الباب ومد يده ففتح المزلاج ، وان مستر دريك ، وهو رجل ملىء الجسم يزيد طوله على ستة اقدام ووزنه على مائتى رطل ، قد احس به فاسرع الى غرفة النوم وحمل بندقيته واطلق منها عيارا لم يصب الجانى ، ووجد فارغه فى الغرفة ثم قامت بينه وبين القاتل مقاومة قصيرة اطلق اثناءها الجانى ثلاث عيارات من مسدس عيار ٣٨ ملليمتر .

★ ★ ★

كان القتيل فى الستين من عمره ، صاحب متجر يبيع فيه جميع انواع الحاجيات ورثه عن ابيه . وكان محبوبا لدى اهل القرية . ولعدم وجود مصرف فى القرية كان يحتفظ دائما فى حزامه بمبلغ من المال يصل احيانا الى خمسة الاف دولار ليصرف لاهالى القرية ما عندهم من شيكات او اوراق نقد كبيرة . ويأخذ عمولته . ودل بحث القاتل عن



الحزام انه كان يعرف عادة القتيل هذه . ولكن الذى لم يكن يعرفه أن القتيل كان قد غير عادته واحتفظ بالمبلغ فى محفظته العادية ولذلك لم يعثر القاتل الا على مبلغ خمسة وعشرين دولارا كانت فى جيب بنطلون القتيل .

★ ★ ★

احدث اكتشاف الجريمة والظروف التي احاطت بها ، وقتل رجل مسالم محبوب فى داره - حيث الامان والاطمئنان - رد فعل عنيف فى القرية . واصبح كل فرد فيها يخاف على نفسه واسرته . وكما قال المثل « اتق شر الحليم اذا غضب » . فقد كان غضب القرية عنيفا ... لم تحدث مظاهرات او احتجاجات صارخة ، ولكن مقتل دريك اصبح الحديث المسيطر على جميع احاديث اهل القرية وادرك رجال الحكم والشرطة والاتهام انهم - لاعادة الهدوء الى القرية - مطالبون بسرعة القبض على القاتل وتقديمه للمحاكمة .

★ ★ ★

طلب المشرف على امن القرية اثنين من رجال المباحث فى الولاية لمعاونته ورجاله فى البحث ووزع عليهم الاوصاف المبهمة التى وصفت بها الزوجة القاتل وكان البحث على اساس تلك الاوصاف اشبه بالبحث عن ابرة بين كومة من القش .

وفكر المشرف على الامن - واسمه بروكس - أن بعض عتاة المجرمين يلجاون الى حيلة يبغون بها رجال الامن . ذلك انهم لعلمهم أن البوليس ينشط فى البحث عقب كل جريمة كبيرة يتعمدون ارتكاب جنحة او مخالفة تؤدى بهم الى السجن ، وبذلك يأمنون الوقوع بين ايدى رجال الشرطة لان وجودهم داخل السجن يبعد عنهم الشبهة . لذلك ارسل بروكس الى جميع رجال الامن بالبلاد المحيطة يطلب اليهم ان يبحثوا - بين جميع الذين دخلوا السجن بعد تاريخ مقتل دريك - عن شخص تنطبق عليه الاوصاف التى ذكرتها زوجة القتيل .

وانطبقت تلك الاوصاف - او بالاصح خيل لهم انها انطبقت على نقاش عَمِلَ اخيرا فى قرية قريبة من جيفرسون - اسمه جيم فوستر . لم تكن الاوصاف منطبقة عليه تماما . ففوستر فى الخامسة والثلاثين من العمر لا فى العشرينيات ، وطوله خمسة اقدام وخمس بوصات لا خمسة اقدام و ٦ او ٨ بوصات . ووزنه ١٤٠ رطلا ولون بشرته ليس فيه اثر للفحة الشمس . وكل مافى الامر أنه الرجل القصير الوحيد الذى دخل السجن فى الفترة المطلوبة .

وقُبض عليه وجيىء به الى قرية جيفرسون بعد اقل من عشرة ايام من ارتكاب الحادث .

★ ★ ★

ونشرت الصحف الخبر فى الصفحات الاولى ونسجت حوله ما شاء لها خيالها وقالت ان زوجة دريك تعرفت على القاتل فى منظر دراماتيكى اذ انها بمجرد ان دخلت غرفة الاستقبال اتجهت اليه بنظرات تتقد شرارا ويدين مقبوضتين وقالت له « لماذا قتلت زوجي ؟ » . ونشرت الصحف أن فوستر من ذوى السوابق ... له سابقة تزوير وسابقة الاشتراك فى سرقة بحمل سلاح ، وانه خرج من السجن فى ولاية فلوريدا التى تحد جورجيا من الجنوب قبل ارتكاب جريمة القتل بشهر واحد .

★ ★ ★

وما كادت الصحف تنشر انزوجة القتيل تعرفت على القاتل حتى ادعى رفيقه فى الزنزانة - وكان رفيق صدفه لا تربط بينهما اية معرفة سابقة - ان فوستر تباهى امامه بانه قتل شخصا فى جيفرسون . ونشرت الصحف ذلك الادعاء على انه



اعتراف من فوستر . ولما كان السجن من السجون القديمة التي تصلح لا يواء سكير عربيد ولكنها ليست من المتانة بحيث تحول دون فرار مجرم عتيد او تصمد ضد اقتحام جمهور غاضب هائج .... لذلك قرر المشرف على الامن ـ اتقاء لاحد الخطرين واحساسا منه بالتيار الغاضب السارى بين اهل القرية ان ينقل فوستر الى سجن آخر في مدينة اخرى .. ولكنه ما كاد يستقر في سجنه الجديد حتى اعلن الحراس انهم وجدوا ـ بعد تفتيش دقيق لزنزانة فوستر على مفتاح مصطنع فاستنتجوا ان فوستر يدبر فرارا اجماعيا للمسجونين ... لذلك نقلوه الى سجن آخر اكبر وامتن . ووجدت الصحف في هذا الخبر والخبر الذىسبقه مادة تنسج حولها خيوطها وتأججت نار الغضب المشتعلة في نفوس ابناء القرية وتصوروا فوستر سفاحا خطيرا حتى لقد شوهد اطفال القرية يحومون حول السجن وفي يد كل منهم حبل معقود على هيئة حبل المشنقة يلوّح به في وجوه الحراس .

★ ★ ★

وبلغ اقتناع الناس ـ تأثرا بما نشرته الصحف أن فوستر هو القاتل ـ أن احدا من اهل القرية لم يعر اهتماما باعلان نشرته الصحف ذاتها عن مكافأة قدرها ١٦٠٠ دولار لمن يرشد الى القاتل او يدلي ببيانات توصل الى القبض عليه . مع أن هذا الاعلان ـ في حد ذاته ـ قاطع بان ممثلى الاتهام غير مقتنعين بثبوت التهمة او انهم وضعوا ايديهم علىالقاتل الحقيقي ـ خصوصا وقد كان على رأس المتبرعين بهذا المبلغ بروكس نفسه ، المشرف على الامن ، الذى دفع من ماله الخاص مائة دولار .

★ ★ ★

والواقعان بروكس لم يكن مقتنعا بالادانة. فقد قالت الصحفان زوجة القتيل استعرفت على القاتل بذلك الوصف الدراماتيكي بينما هو يعلم انها اظهرت ترددا وان استعرافها اقتصر على ما قالته من انها عرفته من نظراته وحركة شفتيه ولذلك فقد تكون مخطئة . اما عن اقوال زميل فوستر في الزنزانة فان بروكس يعلم ـ من تجاربه مع المسجونين ـ انهم كثيرا ما ينسبون لغيرهم اقوالا لم تصدر عنهم. اما واقعة المفتاح المصطنع فقد كان يعرف انها ليست حقيقية لانه فتش فوستر تفتيشا دقيقا بنفسه قبل ادخاله السجن وعند نقله الى السجن الآخر .

وفوق ذلك فقد وجد ان فوستر انسان هادىء الطباع ليس في اخلاقه غلظة او فظاظة وفي طبيعته ان يقدم الخدمات لمن يعرف ومن لا يعرف .

وراجع بروكس اوراق السابقتين اللتين حكم فيهما على فوستر فوجد أن الاولى حدثت حين كان فوستر في السادسة عشرة من عمره . كلفه زميل يكبره سنا بقبض شيك من المصرف له . وذهب فوستر الى البنك وقدم الشيك ، ولكن موظف الشباك استدعى البوليس ووجهت التهمة الى فوستر بالاشتراك في استعمال مُحرَّر مزور . واقتنع القاضى باقواله فوقع عليه الحد الادنى للعقوبة كنوع من التأديب . اما الواقعة الثانية فقد ذهب فوستر الى ولاية فلوريدا بحثا عن عمل وهناك تعرف الى شخص أخذه في سيارته ثم اوقفه امام باب مصرف وقال له ان ينتظره لانه سيسطو على المصرف . واعتقد فوستر أن الشخص يمزح . وكانت دهشته شديدة حينتبين أن الرجل كان جادا . وقال لرجال البوليس الذين جاءوا للقبض عليه وهو منتظر بالسيارة انه لم يكن يعتقد أن الرجل سيفعلها . ومع أن عقوبة جريمة السرقة بالاكراه في فلوريدا عشرون عاما او تزيد فان القاضى لم يحكم عليه الا بثمانية عشر شهرا . وافرج عنه ـ بعد اقل من نصفها ـ بوعد شرف منه ان يحسن السلوك . ولفت نظر بروكس أن حكم الافراج عنه كان موجودا بجيبه عند القبض عليه وليس ذلك شأن المجرم العتيد .

★ ★ ★

وقدم فوستر دليلا معروفا في المحاكمات الانجلو ساكسونية هو (الاليبى) Alibi . اى اثبات انه لم يكن موجودا بقرية جيفرسون في وقت ارتكاب الجريمة ، بل كان في مدينة اخرى مع جماعة من اهلها من الساعة السابعة مساء حتى منتصف الليل ، واعطى تفصيلات دقيقة عن كيفية تمضية وقته ، وأيّده فيها العديدون من اهالى تلك المدينة وبعض خادمات المطاعم وصاحب المطعم وعامل في محطة بنزين واحد اصحاب المنازل الذى توقف مع زملائه ليسألوه عن الطريق . كما شهد زملاؤه في السيارة انهم لم يذهبوا في تلك الليلة الى قرية جيفرسون التى كانت تبعد سبعة اميال عن اقرب نقطة وصلوا اليها فيها . كما شهدوا أن فوستر استعار من احدى خادمات المطعم قداحة

على واشترى ثلاث باكوات بسكويت لاولاده . وانه لم يغب عن ابصارهم فى اية لحظة ، وكان يرتدى قميصا (سبور) وبنطلونا (بنبى) على عكس ما قالته زوجة القتيل .

★ ★ ★

واقترح المشرف على الأمن على فوستر ان يخضع لتجربة « كاشفة الكذب » اظهارا للحقيقة فلم يتردد فى القبول . ونقل سرا الى مدينة اخرى واجرى عليه الاختبار وقرر الخبير أن فوستر يقول الحقيقة فى موضوع جريمة القتل .

ولكن القرية كانت هائجة مائجة تطلب كبش فداء. فمع كل ما ظهر — وبرغم كل ما ظهر — وجهت التهمة وحدد يوم المحاكمة بعد اقل من اسبوع وتقدم للدفاع عنه محاميان طلبا اجلا للاستعداد فرفضت المحكمة طلبهما فطلبا — احساسا منهما بالجو المتحيز — ان تنقل المحاكمة الى بلدة اخرى فرفض هذا الطلب ايضا .

★ ★ ★

تقدم ممثل الاتهام بدليلين — ان صح ان يسميا دليلين — استعراف الزوجة واقوال رفيق الزنزانة . وتقدم محاميا الدفاع بمجموعة شهود النفي الذين ظلوا ثلاثة ايام يدلون بشهاداتهم . ثم لخص القاضي الدعوى فى جو مشحون بالكراهية ، وطلب الى المحلفين ان يتداولوا فى وقت متاخر من المساء . وكان واضحا أن القاضي قلق فارسل يسالهم ان كانوا قد وصلوا الى قرار. ثم استدعاهم مرة ثانية ليسألهم ان كانوا يصلون الى قرار قبل الساعة الحادية عشرة . ثم امرهم بالانصراف على ان يعودوا صباح الغد . وحاول الدفاع فى كل مرة ان يعترض بدون جدوى . وفى الغد اختلى المحلفون اكثر من خمس ساعات ثم اصدروا قرارهم بادانة فوستر بغير ظروف مخففة . اى ان حكم الاعدام اصبح محتما . وهو ما نطق به القاضي .

★ ★ ★

ومع ان الادانة كانت متوقعة الا أن شهود الجلسة بهتوا لصرامة الحكم . ذلك ان شهود النفي وكلهم من اهالي القرية او القرى المجاورة المعروفين بالنزاهة والصدق قد اكدوا أن فوستر لم يكن موجودا وقت ارتكاب الجريمة .

وبدا اهل القرية يراجعون انفسهم . فقد نشرت الصحف اقوال الشهود . وبعد ان كانت الجريمة هي الحديث الشاغل لسكان القرية اصبح الحكم هو موضوع الحديث . فمنهم من ايده ومنهم من استنكره . واخذت الاغلبية تتساءل لماذا يقبل رجال افاضل ان يحنثوا فى يمينهم لمصلحة المتهم فوستر الذى لا تربطهم به اية مصلحة ؟ .

وتشكلت لجنة اعلنت فى وضوح عن يقينها ان فوستر أدين ، لا على أساس ثبوت التهمة ، ولكن ارضاء لشعور الغضب الذى كان سائدا وانها تسعى لتصحيح الخطأ . ودعت الى اجتماع لمناقشة الحكم . حضره بضع مئات من الاهالي . ثم قال احدهم ان الدفاع يحتاج لمال . ومر احدهم بصندوق لجمع التبرعات فجمعوا فى تلك الليلة اقل من مائة دولار ولكن الاكتتاب وصل فى الليلة الثانية الى الف دولار ثم الى ثلاثة آلاف دولار فى اليوم الثالث وبعدها بدات المساعدات ترد بالبريد من القرى المجاورة .

★ ★ ★

وتقدم محامي فوستر — او قل محامي القرية — بطلب اعادة المحاكمة فتأجل تنفيذ الاعدام لحين الفصل فى هذا الطلب الذى حدد لنظره يوم ٢٨ ابريل فى مدينة اخرى ، ولكن المحكمة رفضت الطلب .

وقدم المحامي طعنا امام المحكمة العليا للولاية ينعى على صحة اجراءات المحاكمة تحدد لنظره يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٥٧ ولكن المحكمة العليا لا تتعرض للموضوع ولم تجد فى اجراءات المحاكمة عيبا يسمح بنقض الحكم فرفضت الطعن وواجه فوستر شبح الكرسي الكهربائي .

★ ★ ★

ونفدت الاموال المكتتب بها فى اجراءات نسخ الصور والبحث عن الادلة ، ولكن المحامي الذى تطوع بوقته كله للدفاع وهب نفسه لانقاذ البريء فصرف من ماله واهمل مكتبه حتى ساءت حالته المالية . وقبل ان يدخل اليأس الى نفسه وصله خطاب من احد مسجوني ولاية كارولينا يقول له فيه ان احد افراد عصابته الفار من وجه العدالة واسمه « روتشيلد » قرا فى الصحف اخبار حكم الاعدام على فوستر فضحك ملء شدقيه وقال : انه هو الذى فعلها ولكن مغفلا آخر هو الذى سيدفع الثمن .

وتطلب البحث عن روتشيلد تجنيد عدد كبير من المخبرين ، ولجأ المحامي الى بروكس فجند

بروكس رجاله واستعان برجال المباحث في القرى المجاورة . ولكن كان لا بد من كسب الوقت بأية طريقة . فتقدم المحامي بطعن جديد امام المحكمة العليا للولايات المتحدة يطلب تأخير موعد التنفيذ. ولكن المحكمة قضت في ٣ مارس ١٩٥٨ ان هذا الطلب لا يدخل في اختصاصها وتحدد لتنفيذ عقوبة الاعدام يوم ٢١ يونيو ١٩٥٨ .

★ ★ ★

واستمر البحث عن روتشيلد .

وكان لا بد من محاولة جديدة لكسب الوقت فقدم المحامي طلبا جديدا لمحاكمة جديدة على اساس ظهور ادلة جديدة . وكان واضحا ان مآل الطلب الرفض لان الادلة الجديدة هي اقوال سجين كارولينا ولكن الطلب نجح في تأجيل حكم الاعدام الى ما بعد الجلسة التي حدد لها ٢ يوليو . ودب الامل في قلوب الساعين لتبرئة فوستر حين وصل الى علمهم أن البحث دل على أن روتشيلد محكوم عليه بالسجن في ولاية الينوى لاشتراكه في جناية سطو .. ولكن روتشيلد قضى على كل امل بانكاره ان له يدا في الجريمة . بالرغم من ان احد افراد عصابته أكد ان روتشيلد سأله عن مرشد يشير عليه بعملية لا تتطلب الا فردا واحدا وانه ارشده عن مرشد عيّنه ، اسمه آلن ، ولكنه لا يدرى ان كان روتشيلد اتصل بهذا المرشد ام لم يتصل ، ولكنه يعلم ان دريك قتل بعد ذلك ..

وضاع كل أمل لفوستر .وترقب ــ بقلب واجف ــ يوم ٢ يوليو . ولكن المحكمة لم تنعقد في ذلك اليوم لمرض احد افراد اسرة المدعي العام الذى لم يستطع حضور الجلسة فتأجلت الى ما بعد يوم ٤ يوليو عيد الاستقلال .

★ ★ ★

كان لا بد من معجزة لانقاذ حياة فوستر .. وقد حدثت المعجزة ..

ارسل روتشيلد يدعو الى زنزانته المحقق الذى سبق ان سأله واملاه في هدوء وبغير تردد اعترافا من ٢٥٠٠ كلمة بجميع تفاصيل مقتل دريك قرر فيه انه وحده الذى ارتكب جريمة القتل ، وان مرشدا اسمه الن هو الذى قال له انها صفقة رابحة ، وارشده على طريقة فتح الباب ، واكد له ان دريك يضع دائما في حزام حول وسطه مبلغا كبيرا من المال لا يقل عن خمسة آلاف دولار . وقال انه كان يلبس فوق وجهه جوربا نسائيا ليخفي ملامحه وهذا الذى جعل مسز دريك تعتقد ان وجهه اسمر من لفحة الشمس .

وانتشر الخبر في القرية فتجمع الاهالي امام السجن ليظهروا لفوستر فرحتهم بظهور براءته فوجدوه يتجول حرا في حوش السجن واقبلوا عليه يشدون على يده مهنئين . وكان النائب العام الذى ترافع ضد فوستر قد حضر الى السجن لينهي الى فوستر بخبر اعتراف روتشيلد . واقبل مخبرو الصحف ومصوروها ليزودوا صحفهم بالانباء وطلبوا الى النائب العام ان يأخذوا صورته مع فوستر ولكنه اعتذر قائلا ان اعتراف متهم بانه ارتكب الجريمة لا يؤدى حتما الى براءة فوستر ، بل لا بد من ان يثبت ذلك الاعتراف بقرائن وادلة تؤيده .

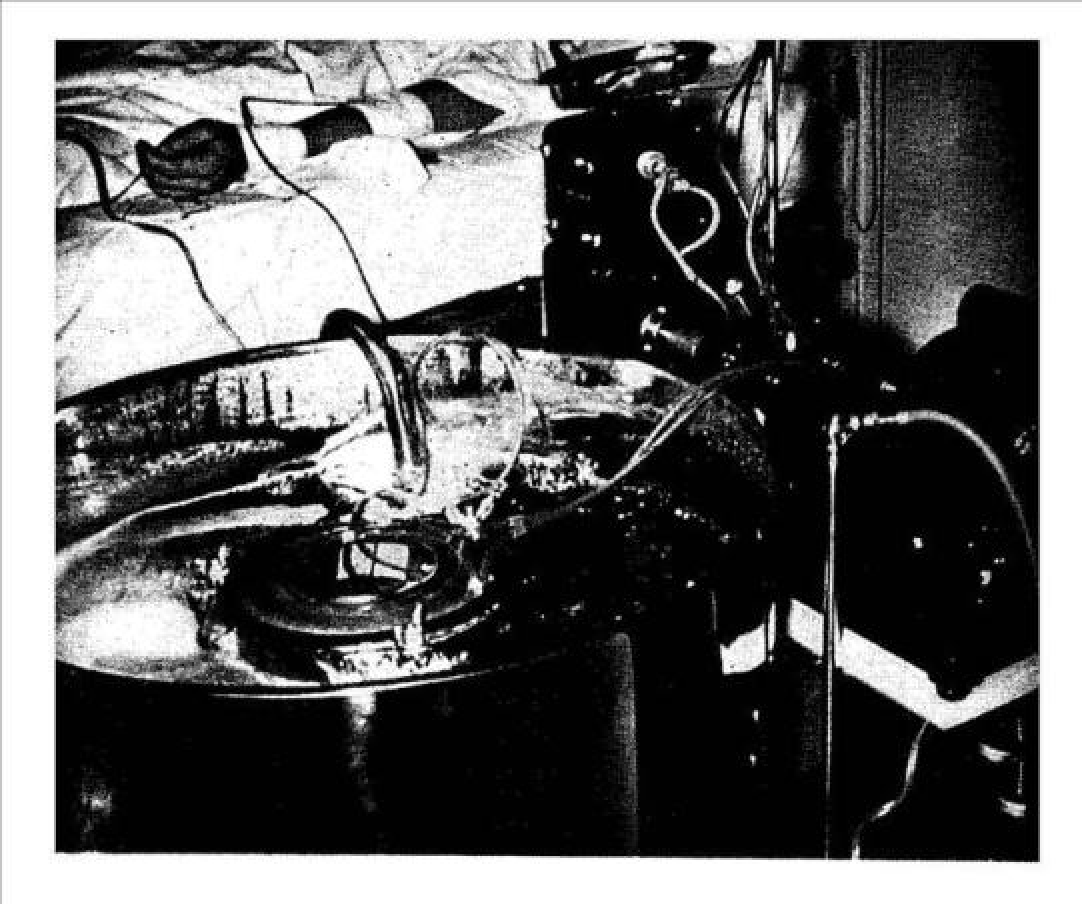
★ ★ ★

وفعلا نقل روتشيلد الى قرية جيفرسون واجرى معه تحقيق للتأكد من صحة اعترافه . وطلب منه ان يصف منزل دريك من الداخل فوصفه بدقة لا تدع مجالا للشك في انه دخله . كما وصف روتشيلد تصرفات زوجة دريك في ليلة الحادث . ثم ارشد المحققين الى كوبرى خشبي قال انه القى المسدس في نهر من هذا المكان . ولكنهم لم يعثروا على المسدس . ومع انه من الجائز ان يكون التيار قد جرف المسدس او ان يكون قد عثر عليه شخص آخر فان عدم العثور على المسدس القى ظلالا من الشك على اعتراف روتشيلد . وقال روتشيلد انه بعد ارتكابه للجريمة ابدل ملابسه واخفى ملابسه القديمة خلف اكمة في طريق مهمل لا يعرف اسمه ولكنه يستطيع ان يتبينه لو رآه مرة ثانية وفعلا اصطحبه احد رجال الشرطة فارشد عن الاكمة ووجدت الملابس مخبأة وهي كما وصفتها زوجة القتيل بل ووجد بينها الجورب النسائي الذى اخفى فيه وجهه . وكانت الملابس على مقاس روتشيلد وواسعة جدا على فوستر .

وبعد هذه الادلة فقط اقتنع المحققون بصحة اعتراف روتشيلد واعيدت محاكمة فوستر وقضى ببراءته كما حوكم روتشيلد وشريكه وحكم عليهما بالسجن المؤبد .

وخرج فوستر من السجن محمولا على الاعناق وخطب في اهل القرية شاكرا فخورا بالانتماء الى قرية اثبتت ان لها ضميرا . ◼◼

القاهرة ــ حسن الجداوي



صفحة من الطب المصور

كلية اصطناعية تطيل الحياة التي آذنت بزوال

■ من المعروف أن الاطعمة ، عندما تحترق في الجسم لتعطى الحياة ، تتغير كيمياويا ، وينتج من هذا التغير مواد ضارة تجرى في الدم ، اذا تراكمت قتلت . والكليتان هما اللتان تخلصان الدم من هذه المواد ، وذلك بان تخرجها في البول . وفي الصورة « كلية اصطناعية » تقوم مقام الكليتين المريضتين ، عندما تتعطلان ، لتطيل من عمر هذا المريض الراقد في سريره . وملخصها أن الدم الشرياني يخرج من ساعد المريض الى انبوبة من اللدين (البلاستيك) تدور به في حوض كبير ، به محلول أكسجينى مصحح للدم ، ثم تخرج الانبوبة بالدم من الحوض فترده الى دورة المريض عن طريق وريد في ساعده . ولكن الانبوبة في الحوض تتحول الى انابيب مُحوّاة لها جدران غاية في الرقة تاذن لجزيئات المواد السامة التي بالدم ان تخرج منها الى السائل المصحح الذى بالحوض بواسطة الضغط الازموزى ، فيتخلص الدم منها .

والدم تجريه في الانابيب مضخة . والسائل المصحح كذلك دائم الجريان ليحل محله جديد . ودم المريض ، وهو ما بين ٥ الى ٦ ألتار يتصحح ويتطهر في نحو ست ساعات ، يدور فيها الدم في الجهاز ١٤ مرة . والمريض يُجرى له هذا العلاج مرتين في الاسبوع . ●●

يا ربيع الخير

للشاعر : راضي عبد الهادى

أقبلتَ تخطر في دلالٍ وتميس في حُلل الجمالِ
ومضيتَ تنشر من عبيرك في البطاح وفي الجبالِ
وأحلتَ موطننا بما وشّيت دنيا من خيالِ
أنّى اتجهتُ بناظرى أبصرتُ أطياف اللآلى
من كلّ ضربٍ عبقرىّ الحُسن لم يخطرْ ببالِ
آمنت أنك ياربيعُ عُصارةُ السّحر الحلالِ

★★★

أجّجْت بي لمّا حللتَ لظى الحنينِ إلى بلادى
للجنّة الخضراءِ تنعمُ بالسّهول وبالوهادِ
وأثرتَ نار الشوق تعصِف بالجوانح والفؤاد
لم تُبْقِ في عيني ما أرجوه من طعْمِ الرقادِ
أسلمتَني للذكرياتِ وللتّوجّعِ والسهادِ





عِشْتُ الحياةَ مولّهاً بك ياربيعَ الحُسْنِ صبّا
كَمْ ذا عَبَبْتُ نَسيمكَ الفوّاحَ عند الفجرِ عَبّا
وثملتُ في أرَجٍ تَضوّع أو شَذى كالمِسْكِ هبّا
قد كُنْتَ لي فيما مَضى أملاً يُدَغْدِغني وحُبّا
لكنّني بعد الذي أدْمى الحَشا شَجناً ورُعْبا
بعد التَّشرُّدِ والنُّزوحِ عن الحِمَى جَسداً وقلْبا
دَبَّ الأسى بين الضّلوعِ وفي زوايا النفْس دَبّا
وغدوْتُ لسْتُ أرى على الأيام شيئاً مُستَحبّا

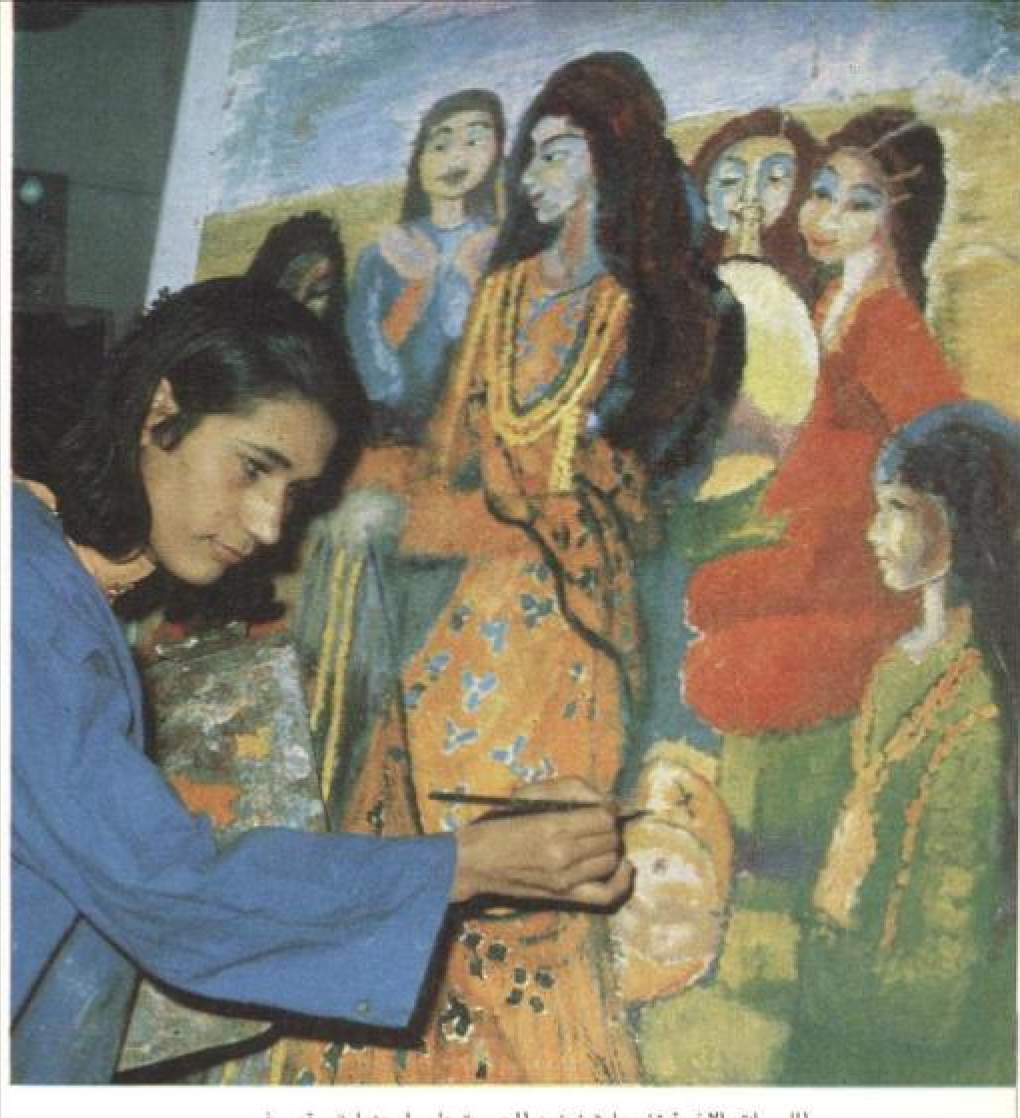
★ ★ ★

أنا ياربيع مشرّدٌ لم يَبقَ شيءٌ في يَديّا
وَدّعْتُ أحلامَ الشباب هناك والفَجْرَ النّديّا
لكنّ بي أملاً يشدُّ الحَيْلَ يَجعلني قويّا
أنا لم أزلْ رغمَ النوائبِ والأسى نَدْباً أبيّا
ماذلَّ بأسي مذْ نزحْتُ وما تبدّلَ أصْعَريّا
سأذود عن وطني بكلِّ جوارحي وبِمُقلتيّا
وبكلِّ ما يُرضي الشهامةَ والإباءَ العبقريّا

★ ★ ★

إنّي لآملُ أن أراكَ هناك في الوطنِ السّليبِ
تختالُ في ثوبٍ من الأزهارِ فتّانٍ قشيبِ
والأرض طهّرها الكُماةُ الصّيدُ من رِجْسِ الغريبِ
والأهل قد عادوا جميعهمُ إلى المَرْجِ الخصيبِ
والطيْرُ في فرحٍ يُغرّدُ من على الغُصْنِ الرّطيبِ
والرّايةُ الكُبرى تُرفرفُ في الشروق وفي الغروبِ
لأقولَ في مَرحِ الشّبابِ ونَشْوةِ الرّنَمِ اللّعوبِ
يامرحباً بك ياربيعَ الخيرِ يا أغلى حبيبِ
أقبلتَ تملأُ عالمَ الأحرارِ من حُسْنٍ وطيبِ
احْلُلْ على دَعةٍ قريرَ العينِ حبّاتِ القلوبِ

عمان : **راضي عبد الهادي**



اللمسات الاخيرة تضعها « زينب الجبر » على لوحتها « رقص في البر » .. وتعمل زينب مدرسة رسم في مدرسة عائشة للبنات

(تصوير : عبد الناصر شقره)

استطلاع الكويت

الفَتاةُ الكُويْتيَّة

مَعَ ريشتها الفَنيَّة





« سارة السنعوسي » امام احدى لوحاتها . تسجل بريشتها بعض انطباعاتها .. انها تكمل دراستها الفنية حاليا في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وتشترك بلوحاتها في كل المعارض التي يقيمها اتحاد طلاب الكويت بالقاهرة .

الى اسفل : « صوفي الحجي » تمسك بلوحتها « صيد القبار » انها صورة حية من واقع حياة البحر في الكويت .



في قاعة العرض بمقر الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية وقفت « سامية احمد السيد عمر » تعلق لوحتها الاخيرة بجانب لوحتين سابقتين لها .. وتقوم « سامية » حاليا بتكملة دراستها الفنية في اسبانيا .

★ ★ ★

■ تطور مجتمع الكويت تطورا سريعاوتطور معه تفكير المواطن العادى الذى عمد الى تشييد بعض منازلــه بحيثاصبحت تعكس لونا من الوان فنــون المدرسة التجريدية الحديثة .. ومــعالتطور الفنى الذى واكب هذه النهضة امتلأت متاجر الكويت بألوف اللوحـــاتلرسامين اجانب تخاطفها الناس لتزيين جدران منازلهم الحديثة ..

الفن فى مدارس الكويت

ومن مدارس الكويت الحديثة التى تضم كل منها مرسما خاصا زود بجميع المعدات اللازمة للرسم والنحت وغيرها ، تخرجت دفــعات من الشباب الذين عشقوا الفن واحبوه فراحوا يرسمون مــن طبيعة بلدهم .. يرسمون الصياد يجمع الاسماك من « الحظرة » التقليدية .. يرســمون صانع القوارب العربية الجميلة .. يرسمون العارضين يعرضون عرضة الحرب .. يرســمون الطبيعة الصامتة ..يرسمونضاربات الدفوف ..ويرسمون كل شئ تقع عليه عيونهم وتهتز له مشاعرهم من قديم ثقافتهم .

واقبلت الحكومة على شراء لوحات الفنانين الكويتيين ، وعرضها فى مكان الصدارة بالقنصليات والسفارات الكويتية ، فصادفت ثناء حارا مــن جميع الذين شاهدوها .

تشجيع الهواة

وامام هذا النجاح اولت الدولة اهتماما زائدا بالفن والفنانين فشجعتهم وارسلت خمسة عشر فنانا فى بعثات الى البلاد العربيــة والاجنبية للتخصص فى فن الرسم والنحت ، وانشأت وزارة التربية المرسم الحر لتشجيع الهواة على الرسم والنحت .. ولم تكتف الدولة بهذا بل عمدت الى تخصيص مرتبات تفرغ لتسعة فنانــين تقديــرا لاعمالهم الفنية .

وكانتنتيجة هذا التشجيع ان اصبحتلوحات الفنانين الكويتيين تحتل مكان الصدارة فى قاعات الفنادق والادارات العامة ، وحتى المستشفيات ، مثــل مستشــفى الصباح ، اصــبحت تزدان جدرانه باللوحات الهادئة للفنانين الكويتيين ..

المرأة بعد الرجل

وكان الفنانون جميعا من الرجال ، وهذا عائد بطبيعة الحال الى ان تعليمهم بدا قبل تعليم المرأة .. ولكن سرعان ما بدأت الفتاة الفنانة تلمع وقد ظهرت اول ما ظهرت فى المدارس وفى عام ١٩٦٥ طلبت المدرسات منالفتيات ان يخترن بعض الامثال الشعبية ويحولنها الى لوحات ..

واختارت الطالبة زينب الجبر مثلا شعبيــا يعارض زواج الكهول من الشــابات ، ورسمت بريشتها كهلا يسير متكئا على عكاز وامامه فتاة فى سن الزهور ..

ومرة اخرى طلبت المدرسة من الطالبات رسم لوحة من واقع الحياة .. فرسمت احداهن شابا يحمل على صدره مجموعة من سماعات التليفون ، معبرة بها عن المعاكسات التليفونية التى يتعرض لها الناس فى منازلهم بالكويت ..

وعرضت اللوحتان فى معرض الطالبات ضمن عشرات اللوحات ، واتجهت الانظار كلها الى هاتين اللوحتين وارتفعت الاصوات تطالب بنزعهما فورا ، فنزعتا لتوضعا فى قبو مظلم فى بدروم ، لانفيهما نقدا لم يستسغه بعض الناس .





مجموعة من الفنانات الكويتيات اثناء اجتماعهن في قاعة الجمعية الكويتية للفنون الجميلة وهن من اليمين الى اليسار منيرة القاضي وزينب الجبر ونسرين عبدالله امين وموضي الحجي وسامية أحمد السيد عمر وسارة السنعوسي ، لقد اجتمعن ليودعن زميلاتهن اللواتي سيغادرن البلاد للالتحاق بكليات الفنون الجميلة في مختلف بلاد العالم .

وهكذا عبرت الفتاة الكويتية عن مشاعرها بريشتها .. ورغم ان فنانات الكويت ما زلن في اول خطواتهن في طريق الفن الطويل ، الا ان لوحاتهن تفوق سنهن بمراحل .. انك تشعر وانت تتأمل رسومهن انهن يردن سبق الزمان .

والفتى ، عادة ، خطوطه اقوى من خطوط الفتاة واكثر وثوقا ولكن الفتاة الكويتية تركت الرسم الواقعي الطبيعي الى الرسم التجريدي ، انك تحس ان روح الفنانة الثائرة تكاد تتقمص الصورة . وخير مثال للفتاة الكويتية المتطورة تجده في منيرة القاضي ، ان تفوقها في الكلية جعلها تشعر بان موهبتها تحتاج الى التحرر فانطلقت ترسم بالريشة والقلم والوان الزيت والماء .. ولقد اقامت معرضين في لندن حققا نجاحا مذكورا وقد ترى بجانب لوحاتها احيانا قطعة خشب او مسمارا قديما الحمته فيها الحاما .. فتسأل : ما هذا ؟ ويجيئك الجواب :

« ان عين الفنان ترى الجمال في كل شيء .. وهذا هو الفن التجريدي »

اما الفنانة سامية احمد السيد عمر فقد



الى اليمين : سعاد عيسى اليوسف تلقت ثقافتها الفنية في الهند ، واكملتها في لندن .. وتعمل حاليا مدرسة رسم في معهد المعلمات .. وتميل في رسومها الى زخرفة الكتابة الكوفية وتحويلها الى لوحات رائعة بالالوان ..

الى اسفل : لوحة جميلة من الفن التشكيلي .. اوان وأكواب وسلة فاكهة رسمتها « نسرين عبد الله امين » فاجادت الرسم ، لانها قامت بتوزيع الضوء والظل والالوان طبقا لدراسة جادة .. ونراها في الصورة تعرض لوحتها على فريق من زميلاتها ..



في قاعة الاجتماعات بمقر الجمعية الكويتية للفنون جلست بعض الفنانات الكويتيات مع زملائهن يطالعون مجموعة من الكتب الفنية الحديثة التي وصلت الى المكتبة .

درست لمدة سنة في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وبعدها سافرت الى اسبانيا لتستزيد هناك . لقد مضى عليها سنة ، وستتخرج بعد سنتين .. وهي تشعر عندما تنظر الى رسمها الاول أن التعليم الفني على ايدي كبار الفنانين المتخصصين قد نقلها الى عالم الفن الاصيل الرفيع .. وقد اختارت وزارة الارشاد والانباء لوحة من لوحاتها تمثل صورة البحار لطبعها على غلاف بطاقة المعايدة ..

اما الفنانه نورية عبد الرحمن زيد الخالد فهي زوجه وام لطفلين وتعمل في روضة للاطفال .. ومع ذلك تجد الوقت لرسم لوحات زيتية ، احتلت مكانا مرموقا في معرض الربيع .

وفي كلية الفنون الجميلة بالقاهرة تتلقى الان ثلاث طالبات كويتيات علومهن وهن : صبيحة بشارة ، ونسرين عبد الله امين ، وموضي الحجي ، ونتائجهن في الامتحانات ممتازة ، لقد كانت رغباتهن دائما منذ صغرهن تتجه الى تعلم الفنون الجميلة ، وعندما كبرن التحقن بالكلية وشعرن عند ذلك ان كل آمالهن قد تحققت .. وهذا هو السر في نجاحهن بتفوق ..

فنانة كويتية تأثرت بالفن الهندى

اما سعاد عيسى اليوسف فقد شعرت بجمال الحرف الكوفى فجعلته اساسا لرسومها تضفى عليه الالوان الجذابة وتحوله الى لوحة رائعة .. وقد تأثرت سعاد ببيئة الهند التي ولدت وعاشت فيها مع اهلها ابناء الكويت الاصليين الذين تربطهم بالهند اقوى الصلات التجارية ، وبعد انتهاء دراستها في الهند اكملت تعليمها الفنى في لندن ، وقد عادت اليوم الى الكويت لتعمل مدرسة في كلية المعلمات مشاركة بذلك في النهضة الكبرى التي يشهدها الفن في الكويت .

هؤلاء بعض فتيات الكويت اللواتي يمثلن المرأة الكويتية الحديثة .. المرأة التي بدأت تحتل مكانها في كل المجالات والميادين في هذه الدولة الفتية الناهضة .

شيء واحد تختلف فيه الفنانة الكويتية عن اختها في اى مجال آخر من مجالات العلم والعمل فهي تقيس عمرها بعدد سني حياتها كفنانة .. فهي تقول لك : « عمرى في الفن ثلاث سنوات » . أو تقول لك : « انا مازلت اعمل في رسم اولى لوحاتي اذن فانا لم اولد بعد ! » ■■

كتاب الشهر

بقلم : الدكتور
محمود السمره
الاستاذ بالجامعة الاردنية

الموشاف
MOSHAV
القرى التعاونية في إسرائيل

■ هذا كتاب فيه معلومات جيدة ، تصلح مادة لكتاب جيد . والكاتب المجيد ، كالمهندس المعماري البارع : كلاهما معنى بالجمال ، والانسجام ، والتناسق ، والتماسك ، في كل ما يصدر عنهما .

ومؤلف هذا الكتاب ، السيد ابراهيم العابد ، قد جهد كثيرا في جمع مادته من مصادر كثيرة ، وهو على هذا مشكور . وهو مشكور ايضا ، لانه اختار هذا الموضوع للكتابة فيه . وانا من القائلين : اعرف عدوك ، تتق شره . وانا من المؤمنين ان سياسة دفن الرؤوس في الرمال ، قد أضرت بنا ضررا بالغا . ولا شيء اتمناه أكثر من أن نفتح عيوننا ويسيطر العقل والمنطق على طريقة تناولنا للأمور ، بدلا من الارتجال ، والانسياق وراء الهوى ، ومحاولة دغدغة العواطف ، وهدهدة الاحلام .

على العقل الذي هو اساس العلم بنى عدونا حياته ، فجاء البناء ابن العصر والزمان ، وعلى العاطفة الهوجاء الجامحة ، التي هي بنت الجهل ، قامت حياتنا ، فكانت النتيجة ان عشنا باجسادنا في هذا القرن ، بينما وقف تفكيرنا عند قرن آخر طواه الزمان من زمن بعيد .

والموشاف ، أو القرى التعاونية الاسرائيلية ، هي من منتجات العقل في عصر العلم ، والتخطيط ، والانتاج . وفي رايي أن من المظاهر الواضحة التي تدلنا على أن امة من الأمم متقدمة ، اننا نجد فيها الفرق ضئيلا بين مستوى الحياة في القرية ، والمدينة . اما الأمة المتخلفة ففيها نجد الفرق بينهما شاسعا ، كما نجد ان الهجرة من الريف الى المدينة مستمرة . حتى ليكاد الريف يخلو من قاطنيه .

★ ★ ★

وهذا الكتاب يتحدث عن الموشاف في تسعة فصول وملحقين ، هي : أسباب نشوء المستعمرات التعاونية في اسرائيل ، الوضع القانوني للتعاونيات في اسرائيل ، نشأة الموشاف وانواعه ، التركيب الاجتماعي والاقتصادي للموشاف أوفديم ، التخطيط الريفي والموشافيم ، الظروف المادية والطبيعية في الموشاف الجديد ، الظروف الاجتماعية في الموشاف اتحادات الموشافيم ، المشاكل الرئيسية التي تواجه الموشاف ، مقارنة بين الكيبوتز والموشاف ، احصائيات اساسية عن الموشافيم ، مجموعة من الجداول المهمة .

وسنقف عند اجزاء من بعض هذه الفصول ، هي تلك التي يحسن بالقارىء العربي ان يعرفها .

★ ★ ★

والصفة العامة الغالبة على ريف فلسطين المحتلة ، أن قراه قد نظمت تنظيما جماعيا تعاونيا : فهناك المزارع الجماعية ، وهي المعروفة باسم « الكيبوتز » Kibbutz ، وهناك القرى التعاونية ، وهي المشهورة باسم « الموشاف » Moshav

ورغم أن اسم « الكيبوتز » أكثر شيوعا من اسم « الموشاف » ، الا أن الثاني اكثر سكانا ، واسرع نموا . وتدل احصائية سنة ١٩٦٤ على أنه كان يوجد في فلسطين المحتلة ، في هذا التاريخ ، ٢٣٠ كيبوتزا و ٣٦٧ موشافا . ويكون سكان الموشافات اكثر من اربعة اعشار سكان الريف في فلسطين المحتلة ، بينما تبلغ مستعمراتهم ستة اعشار المستعمرات كلها .

★ ★ ★

وهنا فروق بين الكيبوتز والموشاف : فالارض في الكيبوتز ملكية عامة ، ولكنها توزع على المستوطنين فيه بموجب سند ايجار اسمي ، وكل ما في الكيبوتز ملكية عامة ايضا ، باستثناء بعض الحاجيات الشخصية القليلة . ويوزع العمل على الافراد حسب احتياجات الجماعة ، دون أي اعتبار للروابط العائلية ، ويربى الاطفال في مراكز خاصة للحضانة ويذهبون الى المدرسة حتى سن الثامنة عشرة . ويعود كل الدخل في الكيبوتز الى الجماعة ، وتقوم المؤسسات الاجتماعية فيه بتأمين حاجات الاعضاء بالتساوي ، حسب الوضع العائلي والاقدمية ، ويتقاضون نقودا في حالات العطل السنوية . وهم جميعا يتناولون اكثر وجبات الطعام في قاعات الطعام المشتركة ، كما أن هناك مخزن ملابس جماعي ومصبغة .. الخ .

أما في الموشاف فالارض ملكية عامة ، كما في الكيبوتز ، ولكنها توزع بالتساوي بين عائلات المستوطنين . واذا كانت العائلة لا تستطيع زيادة حصتها من الارض ، فانها تستطيع زيادة مدخولها بزيادة الكفاية الانتاجية . وهكذا نلاحظ أن العائلة في الموشاف تشكل وحدة استهلاكية وسكنية مستقلة ، ونتيجة هذا كانت الحياة الجماعية في الموشاف أخف بكثير منها في الكيبوتز ، مما أدى الى وجود فروق اجتماعية واقتصادية بين الافراد .

واذا كان العمل والتسويق في الكيبوتز ينتظمان مركزيا ، تحت ادارة مديرين ولجان ، ينتخبهم المستوطنون فيه في اجتماع عام ، فانهما في الموشاف ينظمان تنظيما تعاونيا .

★ ★ ★

وهذه المستعمرات التعاونية جزء من مخطط الحركة الصهيونية لاغتصاب البلاد ، فقد أكد (هيرتزل) على أهمية مثل هذه المستعمرات ، وذلك في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس الذي عقد سنة ١٩٠١ ، كما اصدر المؤتمر الصهيوني التاسع سنة ١٩٠٩ قرارا يدعو فيه الحركة الصهيونية الى الاهتمام بانشاء هذه المستعمرات ، وكذلك اهتمت بها أيضا اسرائيل بعد قيامها .

ولاهتمام الحركة الصهيونية بانشاء المستعمرات التعاونية أسباب :

فهذه المستعمرات وسيلة من وسائل جعل اليهود يرتبطون بالارض ، ويلتحمون بها . ونحن نعرف أن الحركة الصهيونية قامت على فكرة

دراسات فلسطينية ٢٦

الموشاف

القرى التعاونية في إسرائيل

ابراهيم العابد

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث

انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، والخطوة الأولى في هذا السبيل هي امتلاك الارض ، والارتباط بها . يضاف الى هذا أن هذه المستعمرات التعاونية وسيلة لجذب اليهود للعمل في الزراعة ، بدلا من الانصراف الكلي المعروف عنهم ، الى التجارة والصيرفة .

وكانت هذه المستعمرات أيضا وسيلة تامين عمل وسكن للمهاجرين الذين يصلون الى البلاد ، ولا يملكون شيئا ، حيث يقيمون في ارض تمتلكها الحركة الصهيونية، ويتلقون العون من مؤسساتها. وهذا النمط من الحياة الجماعية يحقق أهداف الصهيونية ، أكثر من اعتمادها على الافراد ، لأن العمل الجماعي فيه استمرارية ، بسبب عدم ارتباطه بافراد معينين .

وقد اكد هذا الذي نقوله صهاينة معروفون :

فيقول هوفين ، الرئيس السابق لبنك « لئومي لاسرائيل » : « لم يكن الهدف الاساسي من السياسة الزراعية للحركة الصهيونية ، أثناء فترة الانتداب ، انتاج المأكولات ، بل الاستعمار » .

وقال برانديس ، عضو المحكمة الامريكية العليا ، عام ١٩١٨ : « ان تشجيع كل أنواع التعاونيات حتمي ، وضروري جدا ، لبناء الوطن القومي اليهودي » .

وقال الدكتور والتر بريوس ، رئيس مكتب الاحصاء والاعلام في الهستدروت ، عام ١٩٢٧ : « ان الاستعمار التعاوني هو الواجب الأول لكل مؤيدي الحركة الصهيونية » .

★ ★ ★

وقد كانت أول محاولة لقيام هذا النوع من القرى التعاونية في بداية هذا القرن ، وكان الغرض من انشائها اقامة احياء عمالية يقوم فيها العمال الزراعيون ببعض الأعمال الزراعية ، ويعملون بأجر في المستعمرات المجاورة . ولكن ثبت بعد وقت قصير فشل هذه التجربة ، لأن العامل الذي يعمل في أرض لا تكفيه يهملها . وهكذا ادخلت تعديلات على نظام هذه القرى ، فاعطي العامل أرضا تكفيه ، ومنع من العمل المأجور .

وفي سنة ١٩١٩ صدر كتيب بعنوان « أسس الوشاف اوفديم » (أي : المستعمرات التعاونية لصغار الملاك العمال) لمؤلفه اليعازار يافي ، وكان لهذا الكتيب أثر كبير في تحديد مبادىء الموشاف ، التي منها : أن لكل عضو مزرعته الخاصة ، لأن المزارع الخاصة هي افضل وسيلة لايجاد ارتباط بين المزارع والارض ، وعلى العضو ان يقوم بنفسه بكل الاعمال التي تتطلبها مزرعته ، وهذا المبدأ اقتضى ان تكون قطعة الارض صغيرة ، بحيث يستطيع استثمارها وحده ، ولا يملك العضو الارض ، بل له حق استعمالها فقط ، فهي ملك للصندوق القومي اليهودي المرتبط بالمنظمة الصهيونية العالمية ، وعلى هذا فالمستوطن ليس سوى مستاجر للارض ، ولكن بشروط افضل من شروط المستاجرين العاديين ، والاعضاء مجبرون على ان يقيموا حياتهم على اساس تعاوني في التسويق ، وعمليات شراء احتياجاتهم ، والمسؤولية المشتركة تجاه المؤسسات والخدمات العامة ، دون نظر الى عدد افراد العائلة ، ومساعدة الاعضاء المحتاجين .

وفي عام ١٩٢١ ، وفي مرج ابن عامر ، وبالقرب من طريق حيفا ـ الناصرة ، قام اول موشاف على هذه المبادىء ولكن ثبت أن كل هذه التنظيمات لم تكن كافية للقضاء على الدوافع الفردية ، ولهذا وضعت اجراءات أخرى تزيد من سلطة الجماعة ، من ذلك أن على كل موشاف أن يضمن حد كفاف أدنى لكل عضو ، ومقابل ذلك أعطي الموشاف حق التدخل في عمل العضو ، اذا كان هناك ما يبرر ذلك .

والملاحظ أن بعض المستعمرات التي انشئت كقرى زراعية على أسس تعاونية ، قد تحولت تدريجيا الى مدن صغيرة ، وبهذا فقدت صفتها الأصلية ، ومثال ذلك مستعمرة (ناتانيا) على البحر غرب طولكرم .

★ ★ ★

ولا يعني هذا ان كل قرية تعاونية من الموشاف صورة عن الأخرى ، فالموشاف على أربعة انواع :

١ ـ المستعمرات الجماعية لصغار الملاك (موشافيم شتيوفيم) :

وهذه اقل انواع الموشاف عددا وسكانا ، وجل سكانها من المهاجرين من بلغاريا .

ولكن لها قيمة اجتماعية هامة ، لأنها تحاول الجمع بين مبادىء الموشاف والكيبوتز ، أي الجمع بين مبادىء الاستهلاك الفردي والملكية العائلية ، وبين الجماعية الكاملة في الانتاج والملكية والمساواة التامة في مستوى المعيشة .

٢ ـ المستعمرات الخاصة بالملاك الصغار المهاجرين (موشافيم اوليم) :

وقد تأسست هذه المستعمرات لأول مرة سنة ١٩٤٨ ، لتنفيذ برنامج واسع النطاق للاستعمار ، من اجل استيعاب المهاجرين الجدد الذين تدفقوا على اسرائيل .

٣ ـ القرى التعاونية (كفاريم شتيوفيم) :

وقد قام بتأسيس هذه القرى مهاجرون من الطبقة المتوسطة ممن كانوا يعملون قبل مجيئهم الى فلسطين، تجارا ، وحرفيين ، وموظفين، ورجال اعمال . ونجد ، تبعا لذلك ، ان قسما كبيرا من الارض في هذه القرى التعاونية ملك لافراد .

٤ ـ المستعمرات التعاونية لصغار الملاك العمال (موشافيم اوفديم) :

وهذا النوع هو اشهر انوع الموشاف ، واليه ينصرف الذهن عند حديثنا عن الموشاف . وفي هذا الموشاف تعتبر الارض ملكية عامة ، ويحيا فيه الافراد حياة قائمة على العمل الذاتي ، والمساعدة المتبادلة ، والشراء والبيع التعاونيين . ويساوي دستور الموشاف مساواة كاملة بين الرجل والمراة .

ويندر أن يصل العضو فيه الى درجة الافلاس ، لأن سلطات الموشاف تسارع الى مساعدته بأن تعيد تنظيم عمله ، وتساعده على اعادة بناء نفسه على اسس اكثر ربحا ، وتؤمن له عملا اضافيا في احدى مؤسسات الموشاف .

★ ★ ★

ورغم اختلاف انواع الموشاف فانها تتجمع في اتحادات وطنية . وهناك اسباب تدعوها الى التجمع ، منها : المصالح المشتركة التي تدفعها الى التعاون في الميدان الاقتصادي ، من اجل تأمين تدريب مهني لاعضائها ، وتنفيذ المشاريع المشتركة التي لا تستطيع تعاونية واحدة ان تنفذها ، بسبب امكانياتها المحدودة .

وهناك الروابط الايديولوجية ، اذ أن الغالبية العظمى من أعضاء التعاونيات تنتمي الى حزب واحد هو حزب الماباي ، أشهر الاحزاب الاسرائيلية، واكثرها نفوذا ، ويضاف الى هذين السببين سبب ثالث يدفع هذه التعاونيات الى التجمع في اتحادات وطنية ، وهذا السبب هو : أنها تعتبر نفسها وسائل لتحقيق هدف قومي دعت اليه المنظمة الصهيونية العالمية ، وهو بناء دولة صهيونية في فلسطين العربية ، ولا ترى نفسها مجرد مستعمرات زراعية .

★ ★ ★

وتقوم الاتحادات الوطنية التي تضم انواع الموشاف بمهام رئيسية ، منها : اقامة مؤسسات مالية للمساعدة المتبادلة ، وتأسيس مشاريع اقتصادية مشتركة ، وتقديم المساعدات الى كل مستعمرة حسب حاجتها ، دون نظر الى مدى مساهمتها في رأس مال الصندوق .

وتقوم هذه الاتحادات بالتدخل لتأمين التخطيط، والتنسيق ، بين المزارع المختلفة ، وتوفير الخبراء والمدربين والفنيين . وقد بدات تهتم بوضع اسس تخطيط طويل المدى للمزارع التعاونية ، يشتمل على مشاريع للمحاصيل التي تناسب كل مزرعة ، على ضوء الاحوال الطبيعية والاقتصادية لمختلف المناطق .

وتعالج هذه الاتحادات المشاكل التي تنجم عن تدفق المهاجرون الجدد ، وسعى لأن تؤمن لهم اقامة في القرى التعاونية ، أو تؤسس لهم قرى جديدة .

ويأتي على رأس نشاطات الاتحادات ، تأسيس التعاونيات الجديدة ، بعد الاتفاق مع الحكومة والوكالة اليهودية على موقع القرية الجديدة ، وموعد تأسيسها .

وتتحمل الاتحادات مسؤولية تنمية التعاون الثقافي والاجتماعي بين كل قرية واخرى . كما تنشط في اصدار الكتب والمجلات . وتقوم بتمثيل القرى لدى الحكومة ، والوكالة اليهودية ، والهستدروت ، فتحمي مصالحها ، وتسعى لتامين الاعتمادات لها .

وبشكل عام فان الاتحادات تعنى بالقضايا الاساسية ، والخطط الطويلة المدى ، بينما تعالج القرية الواحدة المشاكل اليومية .

والى جانب هذه الاتحادات ، هناك الهستدروت الذي يقدم مختلف أنواع المساعدات للتعاونيات ، كما يشرف عليها من خلال عدد من المؤسسات التابعة لها .

★ ★ ★

ورغم هذا فان الحياة في الموشاف لا تبدو في واقعها جذابة : فقد اثبتت الدراسات ان حوالي نصف سكان هذه التعاونيات لا يملك الظروف

المناسبة للاستيطان ، وأن ربعهم نشأوا في ظروف سيئة جدا ، كما أن بعض القرى التعاونية توقف نموها بسبب نقص الموارد الطبيعية . يضاف الى هذا ان مزارع الخضر والدواجن والالبان ، وهي الاهتمامات الرئيسية في الوشاف ، قد نمت بنسبة أعلى بكثير مما تسمح به الزيادة في الطلب . وقد نتج عن هذا أن بقيت بعض المحاصيل دون تسويق ، مما سبب خسارة للمزارعين .

والمشكلة الرئيسية التي تواجه الوشاف ، وغيره من التعاونيات ، هي الصراع الحاد في اسرائيل بين التعاونيات والقطاع العام من جهة ، والقطاع الخاص الراسمالي من جهة اخرى . واذا كان القطاع العام (بما في ذلك التعاونيات) يملك ٦٠٪ من الزراعة ، وكل الجهاز المالي والطاقة ، وقسما كبيرا من صناعة البناء والنقل ، فان القطاع الخاص يملك ٨٠٪ من الصناعة ، والجزء الاكبر من التجارة والعمليات المالية ، و ٤٠٪ من الزراعة . يضاف الى ذلك ان الاقتصاد الاسرائيلي اقتصاد سوقي ، خاضع للاسعار السائدة في السوق ، وهي اسعار متقلبة باستمرار .

والظاهر أن القطاع الخاص ، القائم على النشاط الفردي ، والسعي الدائب للاثراء السريع ، قد اثر في التعاونيات ، وكانت نتيجة ذلك ضمور ولاء المستوطنين في التعاونيات للمبادىء التعاونية ، وتحرك النزعات الفردية في نفوسهم . وقد اعان على بروز هذا الصراع طبيعة تكوين الوشاف التي يصعب فيها تحديد الخط الفاصل بين العناصر الفردية ، والأخرى التعاونية .

وفوق هذا كله فان المستوطنين في الوشاف ينتمون لحضارات مختلفة ، تجعل من الصعب عليهم التكيف مع الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يفرضها الوشاف .

انهم خليط عجيب ، يصعب صهره في كل منسجم . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

جبابرة العقل البشري

تأليف : كريم الشيخ اسماعيل آل كاشف الغطاء .

الناشر : جامعة الامام كاشف الغطاء ــ النجف الاشرف ــ العراق .

● دراسة مفصلة عن بعض نوابغ العقل البشري من علماء ومخترعين ومكتشفين وما أسدوه الى البشرية من عطاء فكري وروحي في مناح عديدة من المعرفة الانسانية ، في الطب والكيمياء والرياضيات .

والكتاب يضم خيرة من بعض من تمخضت عنهم الانسانية عبر الآماد الموغلة في التاريخ والذين استطاعوا حمل مشعل النهضة ودفعوا بها قدما نحو التقدم والرقي .

جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك

تأليف : أبو عبيد البكري .

تحقيق : عبد الرحمن على الحجي .

الناشر : دار الارشاد ــ بيروت .

● كتاب في جغرافية الاندلس واوربا بدا فيه المؤلف بالكلام عن بدء الخليقة ثم البلدان والشعوب المختلفة التي عاصرها . وهو يتحدث عن كثير منها على انفراد كما يبحث عن أهم المدن المعروفة في ذلك الوقت وأهميتها ثم يتناول المناخ والطبيعة وحياة الناس وعاداتهم وحدود هذه الاقطار وملوكها وما اشتهرت به وما جرى فيها من احداث . وقد اعتمد المؤلف على مصادر عديدة في تدوين كتابه فقد اعتمد على كتب بطليموس وكتب المسعودي وابن رسته ومحمد بن يوسف الوراق كما استفاد من كتابات الرازي القيمة في الجغرافيا .

القلعة

تاليف : أ . ج . كرونن ترجمة : سميح ابو مغلى. الناشر : مطبعة صالحة ـ عمان .

● قصة طويلة .

تاريخ امارة كعب العربية في القبان والدورق والفلاحية

تحقيق وتعليق : علي نعمة الحلو .

● كتاب خطى يبحث في تاريخ امارة عربية عريقة حكمت على أرض الاهواز في القبّان اولا ، ثم في الدورق ، واستطاعت ان تعيش قرابة قرنين من الزمان محتفظة باستقلالها . هذه الامارة انشاها بنوكعب في مدينة القبان ، وعلى غرارها قامت امارة كعب « البوكاسب » في المحمرة والتي كان آخر امرائها الشيخ خزعل الذي انتهت به عروبة هذه المنطقة سنة ١٩٢٥ . وهذا الكتاب كتب باللغة الدارجه وقد ابقاه المحقق على ماهو عليه دون تغيير او تصحيح ، امانة منه على هذا التراث .

الانثربولوجيا وازمة العالم الحديث

تحرير : رالف لنتون. ترجمة :عبد الملك الناشف. الناشر : المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت .

● مجموعة مقالات في الانثربولوجيا ذلك العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو مخلوق اجتماعي له عاداته وتقاليده واعماله ومحاولة فهم الظواهر التي تؤثر فيه . والمقالات التي نشرت في هذا الكتاب تنقسم الى قسمين يعرف الاول بالانثربولوجيا الطبيعية ، اما القسم الثاني فيتناول بالبحث اعمال الانسان ويعرف بالانثربولوجيا الثقافية او الحضارية .

دراسات فلسطينية

وصلتنا الكتب التالية من منظمة التحرير الفلسطينية

● ١ ـ الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة .
تاليف : مصطفى عبد العزيز .
٢ ـ السياسة المالية في اسرائيل .
تاليف : يوسف شبل .
٣ ـ ملف القضية الفلسطينية .
اعداد : سامي حدادي ـ تحرير : الدكتور يوسف صايغ .

الدين والاسرة

جمع واختيار : الحاج عباس كرارة ـ الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

● يتناول هذا الكتاب الايات القرآنية والاحاديث النبوية فيما ثبت عن الله ورسوله في شأن النساء من آيات قرآنية واحاديث نبوية منذ تكون الفتاة في حجر والديها ، ثم زوجة في بيت زوجها ، واما ترعى زوجها وتدير شؤونه . وقد اعتمد الكتاب في تفسيره لهذه الايات وتلك الاحاديث على اشهر المفسرين مثل ابن مسعود والبيضاوى وعلى صحيحى مسلم والبخارى .

الادب الشعبي في ليبيا

تاليف : محمد سعيد القشاط ـ طرابلس الغرب ـ ليبيا .

● دراسة عن الادب الشعبي في ليبيا تتناول الانماط المختلفة لهذا الادب من شعر ملحون وقصص شعبية واساطير وامثال شعبية ، ثم الرقص الشعبي والموسيقى الشعبية او ما يسمى بالفلكلور . وهو ذلك الادب المجهول القائل والمتوارث منذ آماد موغلة في التاريخ والقدم . وقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين كبيرين اطلق على القسم الاول النثر الشعبي ويتناول فيه الاساطير الشعبية والامثال العامية ثم التعابير الشعبية والالغاز والنوادر . اما القسم الثاني فيتناول الزجل في عصوره المختلفة واغراضه المتباينة ثم شعر المناسبات ، ثم اوزان الشعر الشعبي .

الظاهرة القرآنية

تاليف : مالك بن نبي . ترجمة : عبد الصبور شاهين . الناشر : دار الفكر بيروت ـ لبنان .

● دراسة لاثبات أن القرآن الكريم معجز على مر العصور . والمؤلف يعنى بالظاهرة الحدث الذي يتكرر في نفس الظروف مع نفس النتائج ويدلل على أن الاعجاز كحجة لابد أن يكون في مستوى ادراك الجميع ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ وان يكون فوق طاقة الجميع ومن حيث الزمن ان يكون بقدر مافي الدين من حاجة اليه وفي سبيل هذه الامور يدرس ما يؤيدها في القرآن مع المقارنة بين الاديان السابقة وكتبها ومعجزات انبيائها .

مروض الأفاعي .. والحيات الراقصة

(بقية صفحة ٢

■ ..٥٠ مليون من البشر : نحو ٤٢٠ مليونامنهم يدينون بالهندوكية ، ونحو٥٥ مليونا يدينون بالاسلام و ٢٥ مليونا مسيحيون وسيخ وبوذيون،وجينيون . هؤلاء جميعا يجمعهم بلد واحد اشبه بالقارة وهو الهند .

والهند من البلاد التى تثير خيال السياح بماتحتويه من اعاجيب ومن حضارات قديمة ومبادىء فلسفية واساطير خرافية .

فهى عالم يختلف عن عالمنا بجوه وهوائه وارضه وسكانه ... انها عالم عجيب ، يحتوى على خلاصة ناطقة لجميع ادوار التاريخ ، ويمثل صورة صادقة لاطوار العالم منذ عصوره الأولى حتى حضارتنا الحديثة .

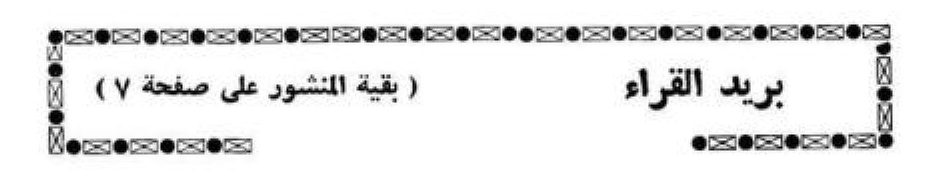
ففى الهند يتمثل تاريخ البشر منذ القدم بمافيه من الحضارات الدينية والفنية والأدبية التى يبلغ قدم بعضها نحو ٣ الاف سنة .

والكلام عن الهند يطول ... ويحتاج الى مجلد او عدة مجلدات . ولذلك سنقصر حديثنا هنا على منظر فريد فى نوعه يراه كل من يزور الهند .. انه منظر مروض الافاعى ومزماره الطويل المصنوع من الغاب وجوز الهند والمحلى بقطع من المعدن عليها تعاويذ ونقوش غريبة .. ويجلس هذا الرجل امام الاماكن الأثرية التى يتهافت عليها السياح ويضع امامه سلة كبيرة فيها افعى من نوع الكوبرا اواكثر . ويبدأ فى نفخ مزماره الطويل وهو جالس القرفصاء على الارض ، وامامه مباشرة سلته التى ترقد فيها افاعيه ... وعندما تنساب نغمات المزمار الهادئة تبدأ الافاعى فى الاستيقاظ .. وتنبسط رقبة الكوبرا ، ثم تبدأ فى الرقص على نغمات الموسيقى . ولا يفصل بين راس الأفعى وبين يدى العازف سوى سنتيمترات قليلة بينما ترتكز نهاية الزمار على فوهة السلة التى ترقد فيها الحيات ...

ولعل السبب فى ارتكاز فوهة المزمار على السلة هو ان الافاعى ليس لها اذن خارجية .. فهى لا تسمع الأصوات التى تأتى عن طريق الهواء ، ولكن لها اذن داخلية متصلة بطرف عود فى الراس ويتصل الطرف الاخر لهذا العود بالفكين ، وبذلك تستطيع الأفعى ان تسمع الأصوات التى تأتى عن طريق الأرض او جسم صلب بالاهتزاز . وقد اجريت عدة تجارب .. فأتوا بتسجيلات موسيقية تنطلق من مذياع معلق فى الهواء ، فلم تتأثر الافاعى او تشعر بالموسيقى ، ولكن عندما وضع المذياع على الارض بدأت الثعابين تشعر وتتأثر بالموسيقى .

ومروض الافاعى لا يخشى على حياته منها .. فهو يقوم بنزع غددها السامة من فكها بعد اصطيادها مباشرة ، ثم يقوم بعد ذلك بتقديم الغذاء لها يوميا حتى تتعود عليه وغالبا ما يكون غذاؤها من اللبن ولحم الماعز .

ويخرج مروض الافاعى بثعابينه الى اسواق المدن السياحية حيث يعزف موسيقاه لترقص على نغماتها افاعيه متكسبا بذلك عيشه ، ومثيرا خيال ودهشة السياح الذين يقومون بالتقاط صوره هو وثعابينه الراقصة . ■■



بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

رويدا يا صاحب عمرو

فكيف يرد عمرو الزبيدى على عمر بن الخطاب بقوله انما بعثت الى امير المؤمنين ، الخ . وما صار عمر اميرا للمؤمنين الا بعد وفاة الخليفة الاول بعد الرسول ؟ فكيف امكن ان يذكر ذلك على هذه الصورة في العقد الفريد او حتىفي عقد غير فريد وان كان للطرافة ؟

سالم علوان الجلبى ـ البصرة

العربى : يبدو ان الاخ قد اختلط عليه الامر او سها، فان من اسمه عمروكثيرون، وعمرو الذى قتله سيدنا الامام على بن ابى طالب هو عمرو بن عبد بن ابىقيس بنعبد وُدّ ، او ان اسمهعمروبن عبد وُدّ بن ابى قيس وهو على كل حال من بنى عامر بن لؤى بن غالب ، فهو قرشي . كان يقال له ذو الثدي ، وكان فارسا ، وهو اول من تخطى الخندق بجواده ومعه ثلاثة من قريش ، فبارزه الامام علي وقتله ، وفر الثلاثة الاخرون .

أما عمرو بن معد يكرب الزبيدى فهو من قبيلة زُبَيْد من مذحج من كهلان من قحطان ، ويكنىأبا ثور ، وهو من فحول الفرسان والشعراء ، أسلم في حياة الرسول ، ثم ارتد مع مرتدى اليمن بعد وفاته ، وحارب عمال رسول الله باليمن ثم عاد الى الاسلام ، وشهد الفتوح ، وحسن بلاؤه فيها ، ومن ذلك معركة القادسية ، ومات في زمن عثمان بن عفان وقدجاوز مائة سنة ، وله أبيات مشهورة يتمثل بها ، منها .

اريد حياته ويريد قتلى
عذيرك من خليلك من مراد

ويروى « أُريد حِبَاءه » وتمثل سيدنا على بن ابى طالب بهذا البيت .

وله أيضا :

أعاذل انما افنى شبابى
رُكوبى في الصريخ الى المنادى
ويبقى بعد حِلم القوم حلمى
ويَفنى قبل زاد القوم زادى

وله ترجمة في الاصابة والاستيعاب والاغانى ومعجم الشعراء وغيرها ، وأشهر ما يتمثل به قوله :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

عبد الستار فراج

نداء للعربى

الوجود ومن كان اول من عمل بها وكيف ، ولماذا ومتى ؟ الى آخر هذه الاسئلة . كل هؤلاء الشباب يناشدونكم سواء كانوا من جمهورية اليمنالجنوبية الشعبية او من اى بقعة أخرى من العالم ممن يرون في هذه المجلة ، المدرسةالعالية ،التىتعلم كل فرد في بيته او مزرعته او متجره والتى تصل الى ايدى التاجر والفقير ، والدبلوماسي والموظف البسيط .. باسم هؤلاء من ج.ى.ج.ش. وباسم كل متطلع الى عالم افضل نناشدكم بالشروع في هذه الدراسات في اسرع وقت مناسب وفي اول فرصة لكم لانكم انتم الامل للذين يدون امل .

عبد الملك نعمان أحمد
جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

العربى : نشرنا هذا فقط ليفهم القاطنون في سائر الوطن العربى أن في بعض أرجاء هذا الوطن أنفس جائعة عزلى لا تجد الغذاء ولا الرواء ، عسى أن يجدوا في غير رجائهم من الارجاء ما يروى وما يشبع .



البانيا ، ٦٥٪ من سكانها يدينون بالاسلام

● منذ مدة طالعت موضوعا في احدى المجلات عن دولة أوروبية صغيرة هي البانيا ، ودهشت عندما وجدت أن هذه الدولة تقف ضد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في آن واحد . كما لاحظت أيضا أن أسماء زعمائها اسماء اسلامية ، فرجائي أن تتكرموا علينا بلمحة موجزة عن هذه الدولة ..

محمد خير
الجمهورية العربية السورية

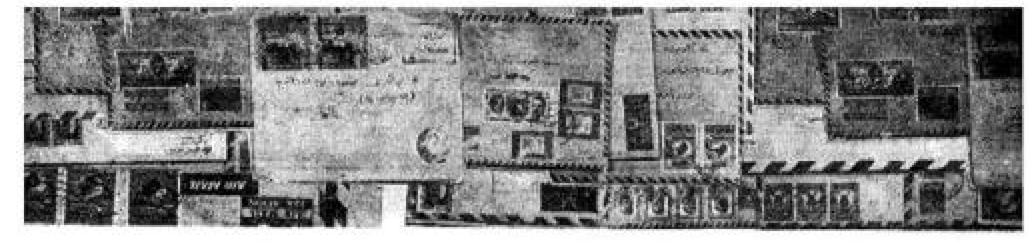
ـ البانيا هى دولة أوروبية صغيرة تقع على الشاطىء الغربى للبلقان ، ويحدها من الشمال والشرق يوغوسلافيا ، ومن الجنوب والجنوب الشرقى اليونان ، اما من الغرب فيحدها البحر الادرياتيكى . وتبلغ مساحتها ١١٫١٠١ ميل مربع بينما لا يزيد عدد سكانها عن ١٫٩١٤٫٠٠٠ نسمة ٩٧٪ منهم من اصل البانى ، والباقى من اصول يونانية وبلغاريه وصربية .. ويبلغ عدد سكان عاصمتها تيرانا ١٥٦٫٩٥٠ . والبانيا ذات طبيعة جبلية ويبلغ ارتفاع بعض الجبال بها الى ٨٥٠٠ قدم فوق سطح البحر .

والدين السائد في البانيا هو الدين الاسلامى اذ يبلغ عدد المسلمين بها ٦٥٪ من عدد السكان الكلى والباقون يدينون بالمسيحية .

وقد كانت البانيا جزءا من الامبراطورية الرومانية ثم قامت القبائل السلافية بغزوها واصبحت تابعة لبلغاريا في القرن التاسع بعد الميلاد .. وفي القرن الرابع عشر قامت الدولة العثمانية بضم البانيا الى أراضيها وظل الاتراك يسيطرون عليها حتى عام ١٩١٢ حين ثار الالبانيون وحصلوا على استقلالهم .

وفي الحرب العالمية الاولى احتل اليونانيون والايطاليون البانيا ، ولكن الالبانيين نجحوا في طرد هذه القوات ، وتولى الحكم في عام ١٩٢٥ احمد زوغو كرئيس للجمهورية ، ولكنه في عام ١٩٢٨ نصب نفسه ملكا تحت اسم زوغو الاول ، واستمر في الحكم حتى عام ١٩٣٩ عندما غزت ايطاليا بلاده وضمتها الى التاج الايطالى . وحلت قوات الاحتلال الالمانى محل القوات الايطالية في عام ١٩٤٣ . وقامت حركة مقاومة عنيفة ضد قوات الاحتلال . وكانت أقوى هذه الحركات بقيادة انور خوجه تؤمن بالشيوعية .. واستولى انصار خوجة





على معظم مدن البانيا بعد خروج قوات الاحتلال في عام ١٩٤٤ وأعلنت جمهورية البانيا الشعبية في عام ١٩٤٦ تحت نظام حكم شيوعي .

وظلت البانيا دولة شيوعية تدور في فلك الاتحاد السوفييتي حتى عام ١٩٦١ عندما بدأت حركة خروشوف في القضاء على الستالينية ، وعندها انضمت البانيا الى معسكر الصين وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي وأصبحت أول دولة شيوعية أوروبية تقف مع الصين ضد روسيا .

ولا بأس أن نذكر انه من البانيا جاء الى مصر محمد علي الكبير . وأسس حكم أسرته باشراف سلاطين الاتراك .. الى ان انتهى هذا الحكم بخلع الملك فاروق عام ١٩٥٢ .

م . ط

من هو افلوطين ... ؟

● من هو افلوطين ؟ هل هو الفيلسوف اليوناني افلاطون نفسه ... ؟ وان كان افلوطين هذا فيلسوفا آخر غيره ، فما هي أهم آرائه وتعاليمه ، وما هي أبرز معالم حياته ... ؟

فاضل ابو خيال / دمشق

ـ افلوطين Plotinus ليس افلاطون Plato يا أخ فاضل . فكلاهما فيلسوف يوناني ، الا أن افلاطون هو فيلسوف أثينا المعروف ، وقد عاش فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) أما افلوطين فهو ابن الاسكندرية واستاذ روما الشهير ، وقد عاش في القرن الثالث بعد مولد السيد المسيح (٢٠٤ ـ ٢٧٠) .

على أن الشبه كبير بين الرجلين ، من حيث الفلسفة والتفكير . ويستدل على ذلك من وصف فلسفة افلوطين وتسميتها بالافلاطونية الجديدة Neo-Platonism . وليس في هذا طبعا ما ينتقص من قيمة فلسفة افلوطين ، وقد كان لها أثرها البعيد والعميق في اللاهوت المسيحي خاصة وفي فلسفة القرون الوسطى بصفة عامة .

ويتجلى الشبه بين الفيلسوفين في كتاب افلوطين المعروف بالانيادز Enneads . فقد تناول هذا الكتاب نظريات افلاطون الكبرى ، كنظرية المُثُل ونظرية الحب ، بالبحث والتحليل . وركّز على علاقة الروح بالجسد ، وعالج هذه العلاقة بقدر من العمق والوضوح لم تحظ به في محاورات افلاطون أو كتب ارسطو .

وتجدر الاشارة الى أن افلوطين لم يقف عند حدود فلسفة افلاطون ، بل تعدّاها ، وكوّن لنفسه فلسفة خاصة . والطابع الغالب على فلسفة افلوطين هذه طابع ديني . والنظرية الأساسية فيها هي نظرية الثالوث في فهم الوجود . فالله عنده هو الواحد الأحد ، وهو الخير المطلق ، وله المقام الأول بين الجواهر الثلاثة كلها . ثم يليه الروح من حيث هو عقل أو (Nous) ، وهو الصورة الصادقة لوعي الله لذاته . وتأتي النفس في المرتبة الثالثة بين هذه الجواهر الثابتة الدائمة . أما الجسد فلا مكان له بينها وهو لا يعدو كونه حدَثاً فانياً . ولا يخفى ما تدل عليه هذه النظرية من روحانية في التفكير ، تجسّدت في الحملة العنيفة التي شنها افلوطين على الفلسفات المادية ، وقد تمثلت ، في نظره ، بالفلسفتين الأبيقورية والرواقية ، وقد كانتا شائعتين في زمنه .

على ان أبرز ما شاع في زمن افلوطين كان التدهور السياسي الذي هدد الامبراطورية الرومانية بأشد

المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين

● نرجو أن تحدثونا عن المسجد الاقصى ، وأن تذكروا لنا من الذى بناه ، وفي أى سنة بناه ..

عبد الوهاب دواس ــ الفحاحيل ــ الكويت

ــ بنى المسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ، سنة ٧٤ هجرية . وكان الذى بناه ، في شكله الحاضر، الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان. ويذكر المؤرخون أن المسجد الخشبى الذى بناه الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في أعقاب فتح بيت المقدس ، كان قائما في المكان الذى يشغله الآن محراب عمر ، أحد محاريب المسجد الاقصى وأجملها .

وللمسجد الأقصى أحد عشر بابا ، ويتألف من سبعة اروقة ، أحدها في الوسط وهو فسيح ، والستة الاخرى موزعة بالتساوى على جانبى هذا الرواق الاوسط . ولا تسل عن البهاء الذى يتجلى في هذا الرواق الرحب ، وقد بلغ طوله ٨٠ مترا، وعرضه ٥٥ مترا، واحاطت به اعمدةفخمةخمسون، صنعت كلها من الرخام الابيض الرائع ، وغطته ، على ارتفاع ٢٧ مترا ، قبة مهيبة مزخرفة ، تدلت منها ثريا جميلة، هى هدية السلطان عبد الحميد، فاضفت على جو الرواق مزيدا من روعة وبهاء .

ولعل سقف المسجد الاقصى هو انفس ما يمكن ان يراه المرء فيه . فهو مزخرف بأوراق الذهب الخالص ، بعيار ٢٠ قيراطا . ولا يخفى ما لبريق هذا الذهب من أثر في النفس ، وخاصة اذا غمره ضوء الشمس الذى يأتيه من نوافذ المسجد المائة وسبعة وثلاثين،وقد صنع بعضها بالزجاج الموشى بالوان باهرة واخرى باهتة .

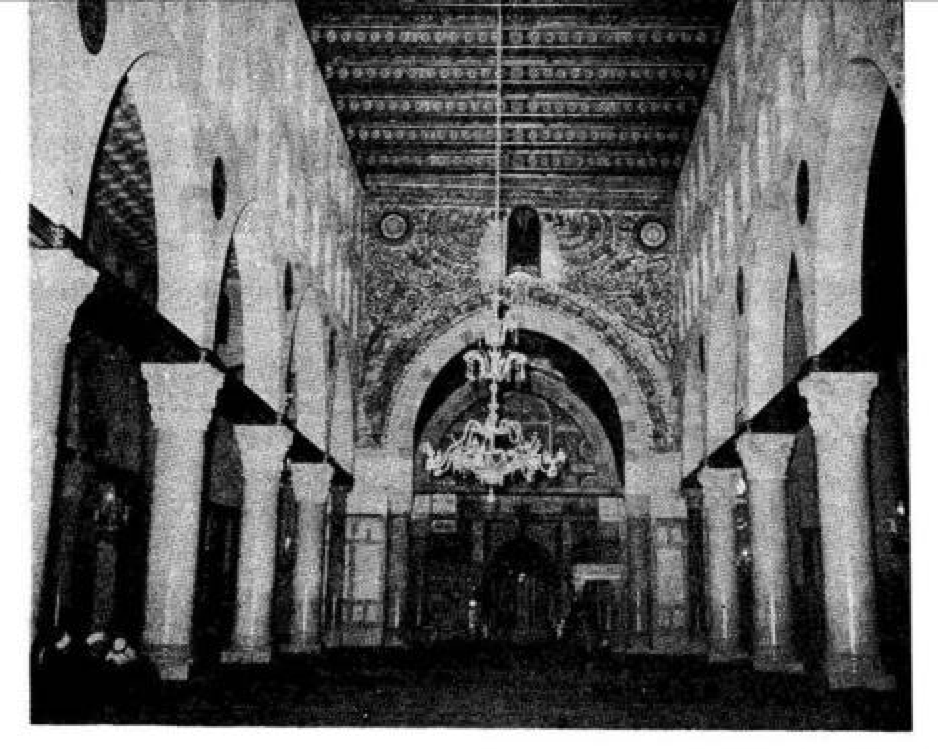
والجدير بالذكر أن اسم المسجد الاقصى كان يطلق سابقا على المنطقة المباركة التى تعرف الآن بالحرم الشريف . وتضم هذه المنطقة فيما تضم مسجد الصخرة الذى لا يبعد عن المسجد الأقصى أكثر من ٥٠٠ متر ، والذى يعتبر بحق من أعظم الآثار الاسلامية جميعا . ويجد القارىء استطلاعا

المخاطر . فقد بلغ بها الانحطاط حدا أصبح معه القادة والضباط العسكريون هم الذين ينصبون الاباطرة ، وهم الذين يخلعونهم لينصبوا غيرهم ، ورائدهم في كلتا الحالتين المال الذى كان يدفعه لهم الامبراطور المتوّج بكل سخاء . وادّى ذلك ــ كما لا يخفى ــ الى ضعف الأمبراطورية عسكريا ، وتعرّضت حدودها لغزو القبائل الجرمانية من الشمال وغزو الفرس من الشرق . وترتب على ذلك الفساد والتدهور وهذه الحروب انتشار الأمراض والأوبئة التي عمت البلاد وأودت بحياة ما لا يقل عن ثلث السكان .

ولئن لم تنعكس هذه الأحداث في فلسفة افلوطين فانها قد انعكست قليلا أو كثيرا في حياته ، وقد حكاها لنا بورفيريوس (Porphyrius) ، أحد تلامذه الفيلسوف المقربين ، فذكر لنا كيف اشترك الفيلسوف في حملة الامبراطور جورديان الثالث على بلاد فارس ، وهو في التاسعة والثلاثين من عمره . ولم يكن هدفه القتال طبعا ، وانما الاطلاع على أديان الشرق بصورة مباشرة . الا ان مقتل الامبراطور العاجل اضطره الى العودة الى كتبه وطلابه . لكنّه لم يعد الى الاسكندرية ، بل عاد الى روما ، حيث أقام واحترف التدريس حتى آخر حياته .

وتجدر الاشارة الى أن فلاسفة العرب والمسلمين، والعلماء منهم وخاصة المتصوفين ، كانوا يعرفون فلسفة افلوطين حق المعرفة . ولعلهم تأثروا بفلسفة افلوطين ، كما يقول البعض ، أكثر مما تأثروا بفلسفة المعلم الأول ارسطو طاليس .

ى . ز



مصورا وافيا عن هذين المسجدين في عدد سابق من « العربى » ، هو العدد الخامس المؤرخ في ١٩٥٩/٤/١ .

عسى ان يهيىء الله للعرب والمسلمين الأسباب ، فيمكنهم من استرداد أوطانهم ومساجدهم ومقدساتهم المغتصبة ، انه سميع مجيب .

ى . ن

جوازات السفر ... متى استعملت في العالم العربى ؟

● ما هى الفكرة من وجود جوازات السفر ؟ ومتى استعملت في العالم العربى ؟ وما هى أنواعها؟

ناصر سعيد القحطانى ـ السعودية

ـ فكرة جوازات السفر نشأت منذ القدم عندما نشطت حركة التجارة بين الموانىء المختلفة وسميت بـ Pass Port بمعنى مغادرة الميناء ، ولا يعرف على التحقيق متى بدأت ، والفكرة أساسها حماية رعايا الدولة أثناء سفرهم وتجوالهم في دولة اخرى ومساعدة قناصل الدول في معرفة رعاياهم .

وعرفت جوازات السفر في بعض الدول العربية أثناء العصور الوسطى ، وكان بمصر نظام دقيق للجوازات المتخذة للانتقال الداخلى من مدينة الى اخرى في عصر الطولونيين.. وقد بالغ الطولونيون أيضا في العناية بأمر الجوازات فلم يكن باستطاعة أحد ان يخرج من مصر في عهدهم الا بجواز سفر . واطلق عليه منذ القرن الثالث عشر الميلادى اسم اوراق الطريق .

وهناك الآن عدة انواع لجوازات السفر هى :

١ ـ جوازات سفر دبلوماسية وتصدرها وزارة الخارجية وتمنح لكبار رجال الحكومة .

٢ ـ جوازات سفر خاصة وتصدرها أيضا وزارة الخارجية وتمنح عادة للوزراء السابقين والمندوبين الرسميين الموفدين في أعمال رسمية .

٣ ـ جوازات سفر لمهمة معينة ، وهى جوازات مؤقتة وتمنح لموظفي الدولة الرسميين .

٤ ـ جوازات السفر العادية وتمنحها ادارة الجوازات والجنسية للمسافرين العاديين . ■■

م . ط

طرائف عربية

بين النبوة والخلافة

● قال عبد الله بن عباس : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي : يا ابن عباس ، ما يمنع قومكم منكم ، وانتم اهل البيت خاصة ؟ قلت : لا ادري . قال عمر بن الخطاب : لكني ادري ، انكم فضلتموهم بالنبوة . فقالوا : ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئا . وان افضل النصيبين بايديكم ، بل ما اخالها الا مجتمعة لكم ، وان نزلت على رغم انف قريش .

الملك أس العدل

● قال هارون الرشيد لابنه الأمين : يا بني ان الملك والعدل اخوان، لا غنى باحدهما عن الاخر ، فالملك اس ، والعدل حارس ، والبناء ما لم يكن له اس فمهدوم ، والملك ما لم يكن له حارس فضائع . يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه من ذوي العقول .

اختار الاخرة

● دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن العزيز في المرض الذي مات فيه ، فقال له : يا امير المؤمنين ، انك فطمت افواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلحهم ، فلو اوصيت بهم الي او الى نظرائك من اهل بيتك لكفيتك مؤونتهم . فقال عمر : اجلسوني، وادعوا لي ابنائي. فدعوهم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاما ، فجعل يصعد بصره فيهم حتى اغرورقت عيناه بالدمع . ثم قال : بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم . يا بني اني قد تركتكم من الله بخير ، انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب . يا بني : مثلت رأيي بين ان تفتقروا في الدنيا ، وبين ان يدخل ابوكم النار ، فكان ان تفتقروا في الدنيا الى آخر الابد خيرا من دخول ابيكم يوما واحدا في النار . قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم . قال مسلمة : فما احتاج احد من اولاد عمر ولا افتقر .

لولا حيلتك

● كان علي بن ابي طالب يخرج كل غداة صفين فيقف بين الصفين ، ثم ينادي : يا معاوية علام يقتل الناس ؟ ابرز الي وابرز اليك فيكون الأمر لمن غلب. فقال له عمرو بن العاص : انصفك الرجل! فقال له معاوية : اردتها يا عمرو! والله لا رضيت عنك حتى تبارز عليا .

فبرز اليه متنكرا ، فلما غشيه علي بالسيف رمى بنفسه الى الأرض ،وابدى له سوأته ، فضرب علي وجه فرسه ، وانصرف عنه .

● قال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولا يصلح له منكم الا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن له القلوب.

ايمان قوى

● ذكر عبد الله بن مسلمة قال : رايت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا آخذا الحربة بيده ، ويده ترعد وهو يقول : والذى نفسي بيده ، لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، وهذه الرابعة والذى نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انا على حق وانهم على باطل ، ثم جعل يقول صبرا عباد الله ، الجنة تحت ظلال السيوف .

شفيتني يامالك

● دخل هارون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى مالك بن انس فقيه المدينة ، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنبر . فلما قدم قام بين يديه وسلم عليه ، وقال : يا مالك صف لى مكان ابى بكر وعمر من رسول الله في الحياة الدنيا ، فقال : مكانهما منه يا امير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره.. فقال هارون الرشيد شفيتنى يا مالك .

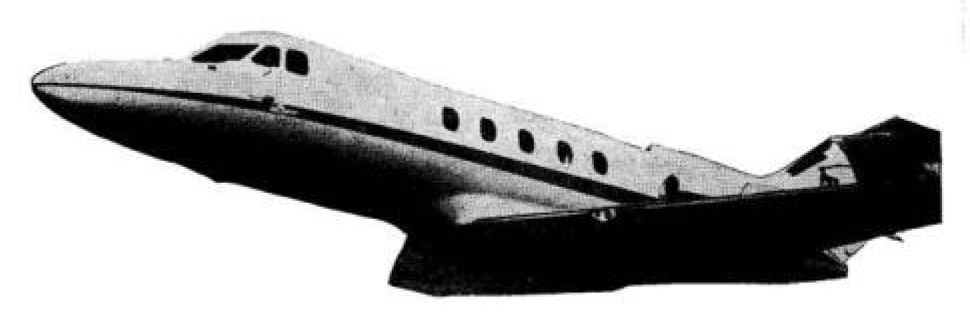
عدل

● كان لعمر بن عبد العزيز غلام يقال له درهم يحتطب له ويرعى اغنامه. فقال له يوما : ما يقول الناس يا درهم ؟ قال : وما يقولون ؟ كلهم بخير وانا وانت بشر . قال : وكيف ذلك ؟ قال : انى عهدتك قبل الخلافة لباسا فاره المركب ، طيب الطعام فلما وليت رجوت ان استريح واتخلص ، فزاد عملى شدة ، وصرت انت في بلاء . قال : فانت حر فاذهب عني ، ودعنى وما انا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا .

لخرم فخذيك

فجلس معه معاوية يوما فنظر اليه وضحك ، فقال عمرو : اضحك الله سنك ، ما الذى اضحكك ؟

ـ من حضور ذهنك يوم بارزت عليا اذ اتقيته بعورتك ، اما والله لقد صادفت منانا كريما ، ولولا ذلك لخرم فخذيك بالرمح . قال : عمرو بن العاص : أما والله انى عن يمينك اذ دعاك علي الى البراز فاحولت عيناك ، وانتفخت رئتاك ، وظهر منك ما اكره ذلك لك .



طائرة هوكر سدلي ١٢٥ النفاثة هي وسيلة واحدة فقط لإيصال رجال الأعمال الى أشغالهم في الوقت المعين...

والقاطرات التي تعمل بالديزل والكهرباء هي وسيلة أخرى

تأمل : هناك عدد متزايد من الشركات التي تستخدم
طائرة هوكر سيدلي ١٢٥ النفاثة كأداة جوهرية في إدارة
أعمالها.. والكثير من هذه الشركات في أمريكا الشمالية.
ولكن لا تقف في تأملاتك عند هذا الحد. فكر بقاطرات
هوكر سيدلي التي تعمل بالديزل والكهرباء في كافة
أرجاء العالم عبر خمس قارات. فكر بأي نوع تشاء من

المحركات الديزل. من قوة ١,٥ حصان الى ٨٥٠٠ حصان □
ان مجموعة شركات هوكر سيدلي تشيد وتجهز محطات كاملة
لتوليد الكهرباء. بل ان فهرس منتجاتها الهندسية يشتمل
في واقع الأمر على مجموعة هائلة من المصنوعات والخدمات
الأساسية. وهذا ما يجعل هذه الشركات مجموعة صناعية
عالمية السمعة تبلغ قيمة انتاجها السنوي نحو مليون من الجنيهات

HAWKER SIDDELEY GROUP

18 ST JAMES'S SQUARE, LONDON S W 1 01-930 2064

معدات ميكانيكية وكهربائية وجوية مع مرافق للبيع والخدمة في كافة أنحاء العا

• قصة

لِمَنْ أَشْكُو أَحْزَانِي ؟!

الكاتب الروسي أنطون تشيكوف TCHEKHOV

الوقت غسق ، وثلج ندى متكاثف يدور في الجو في بطء وكسل ،ويهبط على مصابيح الشارع التي انيرت منذ امد يسير ، ولا يلبث ان ينبسط طبقات رقيقة ناعمة على السطوح ، وظهور الاحصنة ،واكتاف المارة وقبعاتهم . وكان سائق العربة ، ايونا بوتابوف ، ابيض اللون تماما حتى لتخاله شبحا ، ينكوم في مقعده متجمدا ، وقد انطوى على نفسه بقدر ما يستطيع الجسم البشري ان ينطوي ، بحيث تخال انه لو انثالت عليه كتلة من الثلج لما احس ضرورة لنفضها .. وهكذا كان حصانه الصغير ابيض ، لا ياتي حركة ، يخلع عليه جموده وتصلب اعضائه وقساوة اطرافه المستقيمة كالخشب مظهر دابة هزيلة لا تساوي اكثر من كوبيك واحد .. وكان هو الاخر ، من دون ادنى ريْب ، غارقا في تفكير عميق عميق .. والحقيقة انك انت ايضا،لو خُطفت وحُملت بعيدا عن محيطك الاغبر العادي ، وأُلقي بك في قلب هذا المعمان الصاخب الزاخر بالانوار الشيطانية ، والضوضاء التي لا تنقطع او تفتتر لحظة واحدة ، والناس المسرعين في غدو ورواح متواصلَيْن ، لوجدتَ ، انت الاخر ، ان الامتناع عن التفكير صعب عليك .

كان ايونا وحصانه قد قضيا حتى الآن فترة طويلة،لم يتحركا خلالها من موضعهما قيد انملة. تركا الاسطبل قبيل الغداء ، ولكنهما لم يكسبا حتى الساعة كوبيكا واحدا . وهذا ضباب العشية يخيم على المدينة ويلفها بردائه ، فاذا انوار المصابيح تبهت بعد انكانت تضيء باشعاعات لامعة براقة ، بينا تزداد جلبة الشارع ارتفاعا حينا بعد حين ..

وسمع ايونا ، على حين غرة ، صوتا يقول :

ـ عربجي ! الى شارع فيبورغ ، يا عربجي ! انائم انت ؟ انطلق بي الى شارع فيبورغ .

وانتفض ايونا ، فراى من خلال اهدابه التي الصقها الثلج بعضا ببعض ضابطا يرتدي معطفا فضفاضا ويغطي راسه بقبعة عريضة .

وثنّى الضابط يقول :

ـ الى شارع فيبورغ .. ما بالك تغطّ في النوم ؟ الى شارع فيبورغ .

وامسك ايونا بالعنان وهو يهز راسه بالموافقة ، فتساقط من جراء ذلك الثلج عن ظهر الحصان ورقبته . وما ان اتخذ الضابط مقعده في العربة ، حتى صوّت ايونا بشفتيه مشجعا حصانه على الحركة ، ومن ثم اشرأب بعنقه كالاوزة ، واعتدل في جلسته ولوّح بسوطه في الهواء ، بتأثير العادة اكثر منه باقتضاء الضرورة .. وكذلك مد الحصان الصغير رقبته ، وثنى ارجله المستقيمة كالخشب ، وتحرك اخيرا مترددا بين الاقدام والاحجام .

ولم تكد العربة تتقدم بضع خطوات حتى طرق



سمع ايونا صوت مرتفع صادر عن تلك الكتل المتحركة فى الطريق ذهابا وايابا يصيح :

ـ ماذا تفعل ، يا هذا ؟ الى اين أنت ذاهب ، بحق الشيطان ؟ خذ يمينك ، يمينك ؟

وصرخ الضابط غاضبا :

ـ الا تعرف كيف تسوق ؟ سر الى اليمين دائما !

وشتمه صاحب عربة اخرى . ورمقه احد المارة بغضب شديد وهو ينفض الثلج عن مرفقه ، بعد ان مسّ انف الحصان كتفه وهو يحاول عبور الطريق ركضا .

وبدّل ايونا فى جلسته ، وكأنه يقتعد ابرا حادة ، ثم حرك يديه كمن يريد أن يحتفظ بتوازنه ، وتثاءب كمن يريد ان يعطس ، وجال بانظاره فيما حوله كمن لا يفهم اين هو موجود ، ولماذا ، وكيف جاء الى هذا المكان !

قال الضابط مازحا :

ـ يالهم من خبثاء ! ليخيل اليك انهم أجمعوا على أن يضايقوك ، وأن يرتموا تحت قوائم حصانك بالذات .

واستدار ايونا نحو الضابط ورجف بشفتيه .. انه ، بكل تأكيد ، يود ان يقول شيئا . لكن لم تخرج من فمه غير آهة .

سأل الضابط :

ـ ما بالك ؟

فلوى ايونا فمه بشكل ابتسامة ، وبذل جهدا

كبيرا حتى قال بصوت مبحوح :

ـ لقد مات ولدى هذا الاسبوع !

ـ آه ، وما سبب موته ؟

فاستدار ايونا بكل جسده نحو الضابط قائلا :

ـ لا أحد يدرى ! يقولون انها حمى شديدة . مكث ثلاثة أيام فى المستشفى ، ومن ثم مات .. فلتكن مشيئة الله !

وزمجر صوت فى الظلمة :

ـ استدر ! بالشيطان ! أفقدت صوابك ، أيها الكلب الهرم ؟ هلا استعملت عينيك ؟

واجاب الضابط :

ـ أسرع ، أسرع ... والا ما وصلنا قبل الغد . حث حصانك قليلا .

وعاد السائق يمد عنقه ، واحكم جلسته على المقعد ، ثم هش بسوطه على ظهر الحيوان مكرّها .. واستدار بعد ذلك عدة مرات يتطلع الى زبونه . ولكن الضابط أطبق جفنيه معبرا بذلك عن عدم استعداده لسماع اى شىء كان .

وبعد أن غادر الضابط العربة فى شارع فيبورغ وقف ايونا بها الى جانب مقهى ، وطوى نفسه على مقعده ، وغرق فى جموده من جديد ، فى حين راح الثلج يغطيه مع حصانه مرة ثانية .

ومرت ساعة ، ثم ساعة اخرى ..

وبغتة ، على طول الطريق ، تدحرج ثلاثة شبان يتشاتمون ويتخاصمون . كان اثنان منهم طويلين هزيلين،واما الثالث فقصير أحدب الظهر . وزعق احدهم بصوت جهورى :

ـ عربجى،الى جسر البوليس . ثلاثتنا بعشرين كوبيكا !

وامسك ايونا بالعنان ، وصفر بشفتيه . فعلى الرغم من أن عشرين كوبيكا اجر غير معقول على الاطلاق فهو لا يعير الاجر كثيرا من الاهتمام ، أكان روبلا كاملا أو خمسة كوبيكات فقط . ان كل شىء اليوم سواء لديه ، بشرط أن يحصل على الزبائن ..

واقترب الشبان الثلاثة من العربة يتدافعون ويتسابون بكلام بذىء . وتهافت ثلاثتهم على المقعد دفعة واحدة . وشجر بينهم جدال حاد موضوعه أيهم سيظل واقفا مفسحا المجال لجلوس الآخرَيْن .. وبعد ان اختلفوا طويلا ، وشتم كل منهم الآخرين ، قر رأيهم على أن ينتصب ذلك الاحدب واقفا ما دام أصغر الثلاثة حجما .

قال الاحدب بصوت مدو ، وهو يتخذ مكانه فى العربة الصغيرة ، ويزفر فى عنق ايونا :

ـ هيا ، انطلق ! ولكن يا رفيقى ، من أين حصلت على هذه القبعة ؟ وحقك ، ليس هنالك أسوأ منها قبعة فى بطرسبورج كلها !

وضحك ايونا :

ـ هي هي هي .. مثل هذه ..

ـ والآن ، يا « مثل هذه » ، أسرع ! أتنوى أن تقطع الطريق كلها بهذه الخطا ؟ أتنوى ذلك ؟ أتريدها صفعة على نقرتك ؟

وقاطعه أحد الطويلين قائلا :

ـ احس برأسى يحترق . لقد اشتففنا ليلة أمس ، نشكا وأنا ، أربع زجاجات كاملة من الكونياك !

فرد الثانى فى غضب :

ـ انا لا اعرف سببا يحملك على الكذب . انت تكذب !

ـ فليعاقبنى الرب ان لم تكن هذه الحقيقة بعينها !

ـ انها الحقيقة بان تكون حقيقة بقدر ما يكون سعال القمل حقيقة .

وجأر ايونا ضاحكا :

ـ ها ها ها ! يالهم من شبان مرحين !

فصاح الاحدب فى اشمئزاز :

ـ كفى ! كفى ! هل ستبلغ الجسر أم لا ؟ ايها اللعين ، أهكذا يسوق الانسان ؟ استعمل السوط قليلا .. خف ، بحق الشيطان !

وشعر ايونا ، وهو يصغي الى الشتائم الموجهة اليه ، بالرجل الصغير الاحدب يتنفس بشدة خلف ظهره ، وفي صوته رجفان غريب .. ثم اجال بصره في الناس ، فراح شعوره بالوحدة يزايله رويدا رويدا ، بينا الاحدب يتابع شتائمه دون انقطاع ، ولا يتوقف عن المضي فيها الا حين تداهمه نوبة شديدة من السعال .

وابتدأ الشابان الطويلان يتحدثان عن امرأة تدعى ناديجدا بتروفنا..فتطلع ايونا نحوهم مرات عديدة في انتظار صمت منهم عابر ، فلما كان له ما أراد التفت اليهم وهمس :

ــ ولدي مات هذا الاسبوع .

فاجاب الاحدب ، وهو ينشف شفتيه اثر نوبة سعال :

ــ لا بد لنا من أن نموت جميعا .. والآن أسرع .. يا سادتي ، أنا لا أستطيع أن أذهب أبعد من هنا على هذه الوتيرة . ليت شعري ، متى سيصل بنا الى غايتنا ؟

وطفق الاحدب يشتمه ويصفعه على رقبته :

ــ أيها اللعين ! أفلا تسمع ؟ خف ، والا حززت لك رقبتك . اذا ما أراد الانسان أن يعامل امثالك باحترام ، فالافضل له أن ينطلق سيرا على قدميه. هل تسمع ، ايها الثعبان ؟ أم انك تسخر مما تقول ؟

وكان ايونا يسمع رنات الصفعات التي يكيلها له الاحدب اكثر مما يشعر بها . كان يضحك ويحجم :

ــ حقا انكم لسادة مرحون ، حفظكم الرب !

وسأله احد الطويلين :

ــ عربجي ، أمتزوج انت ؟

ــ انا ؟ ها ها ، ايها السادة المرحون ! الآن لم يتبق لي سوى زوجة واحدة هي الارض الرطبة . انني اقصد القبر .. لقد مات ولدي ، وانا ما برحت حيا ! حقا انه لأمر عجيب أن يضل الموت الطريق ، فعوضا من أن يأتي الي ، يطرق باب ولدي ..

والتفت ايونا نحوهم وفي نيته أن يسرد عليهم كيف مات ولده .. ولكن الاحدب أعلن في هذه اللحظة ، وهو يرسل من فمه زفرة قصيرة :

ــ لقد وصلنا أخيرا الى وجهتنا ، فشكرا لله وحمدا !

رآهم ايونا يختفون في البوابة المظلمة ، فاذا هو وحيد مرة اخرى .. وعاد السكون فاحدق به من جديد .. وعاوده حزنه الذي كان قد تضاءل ، وطغى عليه بقوة أشد مما سبق واعنف .. فراح يتطلع بعينين قلقتين الى الجموع المنطلقة على جانبي الطريق ، أليس من انسان واحد يمكن أن يسمع قصته ؟ ولكن الجموع تمر مسرعة الخطى دون أن تلقي بالا الى شقائه . وان حزنه لعظيم ، لا حدود له ! ويصور له أن قلبه لو انفجر وانطلق الحزن الكامن فيه لغمر الارض بأسرها ، وفاض عنها أيضا ! لكن احدا سواه مع ذلك لا يرثى له أو يشعر بحاله .. لقد عرف الحزن كيف يختبيء في ملجأ مهمل لا يؤبه له ، بحيث لا يستطيع اى انسان أن يراه حتى ولا في وضح النهار ، اذ يسطع النور ويغمر العالم بأسره .

ويبصر ايونا بحمال ينوء كتفه ببضعة أكياس صغيرة ، فعزم على التحدث اليه :

ــ كم الساعة الآن ، أيها الصديق ؟

ــ أكثر من التاسعة ! ولكن ، لم انت واقف هنا ؟ هيا ، تحرك الى غير هذا المكان !

وتحرك ايونا بضع خطوات .. وما عتم ان انطوى على نفسه ، وافلت العنان لكآبته تتدفق على هواها .. لقد أدرك أخيرا ان توجهه الى الناس طالبا للمعونة عبث لا طائل تحته . وما أسرع أن انتصب ، بعد أقل من خمس دقائق ، وشد قامته، وامسك برأسه بين يديه وكأنه يشعر بألم فيه عنيف ، ومن ثم تناول العنان بين يديه .. لقد نفد صبره ، ولم يعد يستطيع أن يتحمل اكثر مما لاقاه حتى الآن ..

همس لنفسه :

ــ الى الاسطبل !

فاذا الحصان ينطلق خببا ، وكأنه أدرك ما مر في خاطر سيده .

وبعد ساعة ونصف الساعة تقريبا ، كان ايونا متكورا بالقرب من مدفأة توّجتها الاوساخ والاقذار، قد استلقى فيما حولها على الارض ، وفوق الدكات اناس يبخبخون في النوم ويشخرون . ان هواء الغرفة لثقيل حار خانق يكاد يكتم الانفاس .

ورنا ايونا الى النائمين حوله ، وحك جلده آسفا لعودته مبكرا جدا .

وهمس لنفسه :

ـ انني لم اكسب اليوم حتى ولا ثمن علف الحصان . وهذا هو ، بكل تأكيد ، السبب الذي يزعجني ويقلق بالي . ان رجلا يعرف حق المعرفة ما ينبغي عليه أن يفعل ، ويملك الطعام الكافي له ولحصانه ، يستطيع دائما أن ينام في طمأنينة وسلام .

وتنحنح سائق عربة آخر في احدى الزوايا ، وانهض جسده قليلا وهو يتململ متطاولا نحو وعاء من الماء ، فابتدره ايونا قائلا :

ـ ألك في جرعة ماء ؟

ـ كلا شكرا !

ـ حقا ؟ ولكن استمع لي . أتدري أيها الصديق؟ لقد مات ولدي. هل تسمع ؟ لقد مات هذا الاسبوع في المستشفى .. انها قصة طويلة .

واحتدّ ايونا بصره يتفحص اثر كلماته فيه ، فرآه قد اخفى وجهه تحت غطائه وغرق في لجة نومه من جديد .

وزفر الرجل الشيخ ، وحك رأسه . انه لفي امس الحاجة الى الكلام ، كما كان ذلك الفتى في امس الحاجة الى الماء . لقد مر اسبوع على وفاة ولده ، ومع ذلك لم يتمكن من ان يروي قصته لاي انسان .. ينبغي أن يسردها في تفصيل واعتناء بالغين : كيف سقط ابنه مريضا ، وكيف تعذب، وماذا قال قبل أن يموت ، ثم كيف مات .. ان عليه ان يصف كل شاردة حدثت اثناء تشييع الجثمان، والرحلة الى المستشفى لجلب ثياب المرحوم . ثم ، الم تبق ابنته انيسيا في القرية ؟ فلا بد اذن من ان يتكلم عنها ايضا . ان لديه اذن امورا كثيرة يتحدث عنها .. ولا ريب ان المستمع سيتاوه لحديثه ويتألم ، ولا بد انه سيشاركه في حزنه ايضا . وانه ليفضل أن يروي هذه القصة للنساء بصورة خاصة ، فبالرغم من بلاهتهن ، تكفي كلمتان فقط لحملهن على البكاء .

قال ايونا في نفسه :

ـ سأذهب وأعتني قليلا بالحصان ، فما يزال هناك متسع للنوم . ولا خوف علي من ذلك .

ورمى معطفه على كتفيه ، ثم دلف الى حصانه في الاسطبل ..

فكر في الشعير ، والعلف ، والطقس ! انه لا يجسر على التفكير في ولده عندما يكون وحيدا .. انه يستطيع أن يحدث عنه اي انسان ، اما ان يفكر فيه ويتمثله في خاطره ، فذلك يؤلمه بشكل لا يطاق .

وسأل ايونا حصانه ، وهو يشخص في عينيه البراقتين :

ـ هل تأكل جيدا ؟ هيا استمر في تناول طعامك، فاذا لم نكسب اليوم ما نشتري به الشعير استطعنا أن تأكل التبن بدلا منه . بلى ! لقد شخت كثيرا ، حتى لا عجز عن العمل بعد الآن . ان ولدي كان يستطيع ذلك ، أما أنا فلا ! لقد كان سائقا من الدرجة الاولى ، ليته بقي حيا !

وصمت ايونا لحظة ، ثم تابع :

ـ بلى ، يا حصاني ، هكذا كان ! لم يعد هنالك من يدعى كوزما ايونتيتش . لقد خلفنا ورحل بعيدا ، لقد أخذه ذلك على حين بغتة ، فمات دون سبب معقول .. والآن ، فلنفترض أن عندك مهرا ، وانك أب لهذا المهر . وفجأة ، لنفرض ذلك ، قضى ذلك المهر نحبه ، وتركك تحيا من بعده . انك ستكون شقيا . أليس كذلك ؟

فمضغ الحصان ما في فمه ، وهو يستمع الى صاحبه ، ثم ارسل زفرة حارة على يديه .

ان مشاعر ايونا لاشد من أن يتحملها وحده . انه لا يستطيع لها كتما بعد الآن .. فيميل على الحصان يسرد له القصة بكاملها . ■■

ترجمة : سهيل أيوب

الإدارة فنّ يجبُ أنْ يتعلّمهُ العرب

■ قرات للدكتور احمد زكي الكثير بعد حرب يونيو عن الوضع الحالي فى العالم العربي عامة ، ومصر خاصة ، وما ذكره باستمرار واكد عليه نحو الحث على طلب العلم والتكنية .

ولقد قامت فعلا حضارة الغرب على هذين العاملين : سارت فى شوطها الاول فاحلت الآلة محل العمل البدني ـ ثم سارت فى شوطها الثاني فى منتصف هذا القرن فاحلت آلة اخرى محل العمل العقلى (وهو الـ Computer واستخدمت فى ذلك ايضا العلم والتكنية ، الا انها اضافت عاملا ثالثا وهو الادارة الحديثة Modern Management ولقد قال ماكنمارا (مدير البنك الدولي ووزير الدفاع سابقا) في احدى خطبه الاخيرة بان أساس تقدم امريكا في التكنولوجيا هو العلم والـ Management ، كما كتب كتاب اوروبا كثيرا بان سر تفوق امريكا الهائل على اوروبا هو « التكنية والمهارة الادارية : Technology & Management Skills .

ولا شك ان احد الاسباب الرئيسية فى هزيمتنا فى الحرب الاخيرة مع اسرائيل هو أن عمليات الادارة والتنظيم كانت سيئة وبمستوى ضعيف . هذا ليس فقط فى الجيش ولكن فى الفروع المدنية الاخرى .

لناخذ مثلا الانشاءات الحديثة التى تمت فى الوطن العربيفي العشر السنوات الاخيرة ونختبرها .

لقد بنيت في هذه الفترة المئات من المصانع ، والمستشفيات ، ودور العلم ، ومراكز الشرطة ، والمساكن وغيرها . ولقد طبق العلم والتكنية في عمليات الانشاء هذه الى حد ما ولكن :

١ ـ هل ادارة وتشغيل وصيانة هذه المؤسسات يسير حسب اصول العلم والادارة الحديثة ؟

٢ ـ هل يستخدم الموظفون الاجهزة والادوات بطرق فنية وبكفاءة عالية ؟

٣ ـ هل مستويات الخدمة في هذه المؤسسات تعادل نظيراتها فى مؤسسات دول الغرب ؟

لو اجبنا على هذه الاسئلة بالنفي فهل السبب فى ذلك يرجع الى اننا نعاني نقصا فى كفاءاتنا الفنية او فى مستواها العلمي ؟

اظن انه يمكننا ان نقول ان عدد الحاصلين على الدكتوراه والدرجات العلمية الاخرى يكفي لادارة وتشغيل هذه المؤسسات بكفاءة مرضية ، كما ان الكثير من هؤلاء الفنيين لا يقل فى مستواه العلمي عن زميله فى دول الغرب .

اذن هناك سبب آخر فى مأساتنا (بجانب السببين الاصليين العلم والتكنية) الا وهو : تنظيم العمل نفسه وطريقة تاديته على الوجه الاكمل .

نحن أمة مسلمة تؤمن بالله ربا وبالاسلام دينا . نقرأ القرآن ونمر على قوله تعالى فى العشرات من السور عن العمل الصالح والعمل الحسن « انا لا نضيع اجر من احسن عملا » ، ونحفظ من احاديث رسول الله « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » و « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس » فهل طبقنا هذه المبادىء فى اعمالنا ؟!

لقد طبقها الغرب واهملناها نحن المسلمين !

من السهل ان ترسل الدولة مبعوثا لها الى الخارج فيحصل على درجة الدكتوراه فى فترة قصيرة ومن اليسير ان نبني مصنعا أو مستشفى فى اقل من عام ـ ولكن من العسير جدا (ونحن بهذه الحالة) ان ندير ونشغل ونحافظ على هذه المؤسسات بمستوى حسن . لان عمليات التنظيم والادارة تحتاج الى وقت طويل ومجهود كبير شاق لتطبيقها ، ولانه يدخل فيها عامل الانسان نفسه الذى يشغل هذه المؤسسات ، وتعويده على عادات جديدة لم يالفها ، وتخليه عن عادات بالية مدمرة ورثها عن قرون عديدة ـ وهذا هو الجهاد الاكبر .

فحبذا لو فتحتم هذا الباب « Modern Management » تكتبون فيه ويكتب معكم اهل الخبرة والراى فتتعلم الامة وتتحرك الدولة جديا وبطريقة فعالة فتحقق بعض ما فاتها فى هذا المجال . وبذا يسير الثلاثة : العلم والتكنية والادارة . « Knowledge, technology and management » جنبا الى جنب لاصلاح حال الشرق . ■■

شيكاجو ـ **احمد خالد علام**